



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



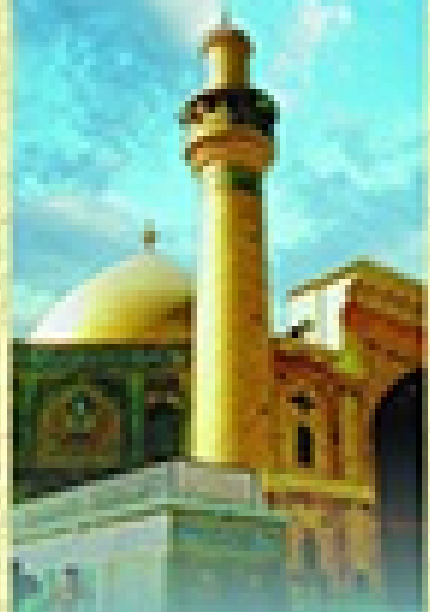
عليه
صلى
عليه
وآله
وسلم

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir

تغلام الهداية

الجزء ١٤ - ١

مكتبة الهداية



مكتبة الهداية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعلام الهدايه

كاتب:

المجمع العالمى لاهل البيت عليهم السلام

نشرت فى الطباعة:

مجمع جهانى اهل بيت (عليهم السلام)

رقمى الناشر:

مركز القائميه باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٩٦	أعلام الهدايه
٩٦	اشاره
٩٦	الجزء الاول(محمد المصطفى«صلى الله عليه و آله»)
٩٦	اشاره
١٠٠	فهرس إجمالى
١٠٣	[مقدمه المجمع]
١١١	الباب الأول
١١١	اشاره
١١٣	المدخل:المنهج القرآنى فى عرض و دراسه التاريخ و السيره
١٢١	الفصل الأول:النبي الخاتم(صلى الله عليه و اله)فى سطور
١٢٧	الفصل التانى:سنه البشاره على مدى العصور
١٢٧	اشاره
١٣١	بشارات الانبياء برساله محمد بن عبد الله(صلى الله عليه و اله)
١٣١	أهل الكتاب ينتظرون خاتم النبيين(صلى الله عليه و اله)
١٣٥	الفصل الثالث:مظاهر من شخصيه خاتم النبيين(صلى الله عليه و اله)
١٣٥	اشاره
١٣٥	١-الامى العالم:
١٣٦	٢-أول المسلمين العابدين:
١٣٨	٣-الثقه المطلقه بالله تعالى:
١٣٩	٤-الشجاعه الفائقه:
١٤٠	٥-زهد منقطع النظر:
١٤١	٦-جود و حلم عظيمان:
١٤٣	٧-حيأؤه و تواضعه:

١٤٥	الباب الثاني
١٤٥	اشاره
١٤٧	الفصل الأول:الولادة و النشأه
١٤٧	اشاره
١٤٧	١-ملامح انهيار المجتمع الوثني:
١٤٨	٢-إيمان آباء النبي(صلى الله عليه و اله):
١٤٩	٣-مولد الرسول(صلى الله عليه و اله):
١٥١	٤-رضاعه الميمون:
١٥٣	٥-الاستسقاء بالنبي(صلى الله عليه و اله):
١٥٤	٦-مع امه آمنه:
١٥٥	٧-مع جدّه عبد المطلب:
١٥٧	الفصل الثاني:دور الفتوه و الشباب
١٥٧	اشاره
١٥٧	١-كفاله أبي طالب للنبي(صلى الله عليه و اله):
١٥٨	٢-السفره الاولى الى الشام:
١٥٨	٣-رعى الغنم:
١٥٩	٤-حروب الفجار:
١٦٠	٥-حلف الفضول:
١٦١	٦-التجاره بأموال خديجه:
١٦٣	الفصل الثالث:من الزواج الى البعثه
١٦٣	اشاره
١٦٣	١-الزواج المبارك:
١٦٣	اشاره
١٦٥	خديجه قبل أن يتزوجها النبي(صلى الله عليه و اله):
١٦٦	٢-إعادته وضع الحجر الأسود:
١٦٧	٣-ولاده عليّ(عليه السلام)و تربيته النبي(صلى الله عليه و اله)له:

١٦٩	٤-ملاحح من شخصيه خاتم الأنبياء(صلى الله عليه و اله)قبل البعته:-----
١٧١	الباب الثالث -----
١٧١	اشاره -----
١٧٣	الفصل الأول:البعته النبويه المباركه و إرهاباتها-----
١٨٣	الفصل الثاني:مراحل حركه الرساله فى العصر المكي-----
١٨٣	اشاره -----
١٨٣	١-بناء الخليه الإيمانيه الاولى:-----
١٨٤	٢-أدوار العصر المكى:-----
١٨٤	٣-دور إعداد القاعده الاولى:-----
١٨٤	٤-دور مواجهه الاولى و إنذار الأقربين:-----
١٨٧	٥-دور مواجهه الشامله -----
١٨٩	الفصل الثالث:موقف بنى هاشم من النبى(صلى الله عليه و اله)-----
١٨٩	اشاره -----
١٨٩	دفاع أبى طالب عن الرسول و الرساله:-----
١٩١	موقف قريش من الرساله و الرسول(صلى الله عليه و اله):-----
١٩٢	الكفر يأبى الانصياع لصوت العقل:-----
١٩٣	الآتهام بالتحجر:-----
١٩٤	التعذيب وسيله لقمع المؤمنين:-----
١٩٤	الهجره الى الحبشه و إيجاد قاعده آمنه:-----
١٩٨	الحصار الظالم و موقف بنى هاشم:-----
١٩٩	عام الحزن:-----
٢٠٠	الاسراء و المعراج:-----
٢٠٣	الفصل الرابع:سنوات ما قبل الهجره-----
٢٠٣	اشاره -----
٢٠٣	الطائف ترفض الرساله الإسلاميه :-----
٢٠٥	الانفتاح على الرساله و معوقاتها فى مكه:-----

٢٠٦	بيعه العقبه الاولى:
٢٠٨	بيعه العقبه الثانيه:
٢١٠	الاستعداد للهجره الى يثرب:
٢١٢	المؤاخاه قبل الهجره:
٢١٣	الباب الرابع -
٢١٣	اشاره
٢١٥	الفصل الأول: تأسيس الدوله النبويه المباركه -
٢١٥	اشاره
٢١٥	١-الهجره الى يثرب:
٢١٨	٢-بناء المسجد:
٢١٩	٣-المؤاخاه بين المهاجرين و الأنصار:
٢١٩	اشاره
٢٢٠	ابعاد و نتائج التآخى بين المسلمين -
٢٢٠	البعد الاجتماعى:
٢٢١	البعد السياسى:
٢٢١	٤-معاهده المدينه:
٢٢٣	٥-النفاق و بدايات الاستقرار فى المدينه:
٢٢٤	٦-تحويل القبله:
٢٢٤	٧-بدايات الصراع العسكرى:
٢٢٧	الفصل الثانى:الدفاع عن كيان الدوله الفتية -
٢٢٧	اشاره
٢٢٧	١-غزوه بدر الكبرى:
٢٢٧	اشاره
٢٣٠	نتائج المعركه:
٢٣٢	٢-اهتمام النبي (صلى الله عليه و اله) بزواج الزهراء(عليها السلام):
٢٣٤	٣-الصدام المباشر مع اليهود و اجلاء بنى قينقاع -

- ٢٣٥ -----٤-ردود فعل قريش بعد انتصارات المسلمين:
- ٢٣٦ -----٥-غزوه احد :
- ٢٤١ -----٦-محاولات الغدر بالمسلمين:
- ٢٤٢ -----٧-غزوه بنى النضير :
- ٢٤٣ -----٨-مناوشات عسكريه بعد احد:
- ٢٤٣ -----بدر الموعد(بدر الصفراء) --
- ٢٤٤ -----٩-غزوه بنى المصطلق و دور النفاق:
- ٢٤٦ -----١٠-إبطال أعراف جاهليه: --
- ٢٤٩ -----الفصل الثالث:تظاهر قوى الشرك و الرد الإلهي الحاسم --
- ٢٤٩ -----اشاره ..
- ٢٤٩ -----تحالف قوى الشرك و غزوه الخندق: --
- ٢٥١ -----الضغط على المسلمين: --
- ٢٥١ -----هزيمه العدو: --
- ٢٥٢ -----غزو بنى قريظه و تصفيه يهود المدينه:
- ٢٥٥ -----الباب الخامس ..
- ٢٥٥ -----اشاره ..
- ٢٥٧ -----الفصل الأول:مرحلة الفتح ..
- ٢٥٧ -----اشاره ..
- ٢٥٧ -----١-صلح الحديبيه:
- ٢٥٧ -----اشاره ..
- ٢٦٠ -----شروط الصلح:
- ٢٦٢ -----نتائج صلح الحديبيه:
- ٢٦٢ -----٢-انطلاقه الرساله الاسلاميه الى خارج المدينه:
- ٢٦٣ -----٣-غزوه خيبر :
- ٢٦٥ -----٤-محاولة اغتيال النبي(صلى الله عليه و اله): --
- ٢٦٥ -----٥-استسلام أهالي فدك:

- ٢٦٦ ----- ٦- عمره القضاء:
- ٢٦٩ ----- الفصل الثاني: الاسلام خارج الجزيرة
- ٢٦٩ ----- اشاره
- ٢٦٩ ----- ١- معركة مؤتة :
- ٢٧٠ ----- ٢- فتح مكة :
- ٢٧٠ ----- اشاره
- ٢٧٢ ----- تحرك الجيش الإسلامى نحو مكة:
- ٢٧٣ ----- استسلام أبى سفيان:
- ٢٧٤ ----- دخول مكة:
- ٢٧٧ ----- ٣- غزوه حنين و حصار الطائف :
- ٢٧٧ ----- اشاره
- ٢٨٠ ----- توزيع الغنائم:
- ٢٨٠ ----- اعتراض الأنصار:
- ٢٨١ ----- ٤- غزوه تبوك :
- ٢٨١ ----- اشاره
- ٢٨٢ ----- الإعلان عن مكانه على(عليه السلام) لدى النبي(صلى الله عليه و اله):
- ٢٨٣ ----- جيش العسرة:
- ٢٨٤ ----- محاوله اغتيال النبي(صلى الله عليه و اله):
- ٢٨٥ ----- من نتائج غزوه تبوك:
- ٢٨٥ ----- ٥- مسجد ضرار:
- ٢٨٦ ----- ٦- عام الوفود:
- ٢٨٦ ----- اشاره
- ٢٨٦ ----- إسلام قبيله ثقيف:
- ٢٨٧ ----- ٧- وفاه ابراهيم ابن النبي(صلى الله عليه و اله):
- ٢٨٩ ----- الفصل الثالث: تصفيه الوجود الوثنى خارج الجزيرة
- ٢٨٩ ----- اشاره

- ٢٨٩ ١- إعلان البراءة من المشركين:
- ٢٩٠ ٢- مباهله نصارى نجران:
- ٢٩٢ ٣- حجه الوداع:
- ٢٩٢ اشارة
- ٢٩٤ خطبه النبي(صلى الله عليه و اله) فى حجه الوداع:
- ٢٩٥ ٤- تعيين الوصى :
- ٢٩٧ ٥- ظهور المتنبئين:
- ٢٩٩ ٦- التعبئه العاقه لغزو الروم :
- ٣٠١ الفصل الرابع: أيام الرسول(صلى الله عليه و اله)الأخيره
- ٣٠١ اشارة
- ٣٠١ ١- الحيلولة دون كتابه الوصيه:
- ٣٠٢ ٢- الزهراء(عليها السلام)تزور أباه(صلى الله عليه و اله):
- ٣٠٣ ٣- اللحظات الأخيره من عمر النبي(صلى الله عليه و اله):
- ٣٠٤ ٤- وفاه النبي(صلى الله عليه و اله)و مراسم دفنه:
- ٣٠٧ الفصل الخامس: من معالم الرساله الخالده
- ٣٠٧ اشارة
- ٣٠٧ بما ذا بعث النبي محمد(صلى الله عليه و اله) ؟
- ٣٠٨ سهوله الشريعه الاسلاميه و سماحتها
- ٣٠٨ سمو التعاليم الاسلاميه
- ٣١٠ القرآن الكريم
- ٣١١ الواجبات و المحرمات فى الشريعه الاسلاميه:
- ٣١٣ الفصل السادس: تراث خاتم المرسلين(صلى الله عليه و اله)
- ٣١٣ اشارة
- ٣١٩ نماذج من تراث سيد المرسلين(صلى الله عليه و اله)
- ٣١٩ ١- العقل و العلم:
- ٣٢١ ٢- مصادر التشريع:

- ٣٢١ اشارة
- ٣٢١ القرآن و دوره المتميز:
- ٣٢٢ أهل البيت(عليهم السلام)أركان الدين
- ٣٢٤ ٣-اصول العقيدة الإسلاميه
- ٣٢٤ الخالق لا يوصف:
- ٣٢٤ شروط التوحيد:
- ٣٢٤ رحمه الله:
- ٣٢٥ لا جبر و لا اختيار:
- ٣٢٥ الخاتمية:
- ٣٢٥ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَانِي:
- ٣٢٦ مثلى مثل الغيث:
- ٣٢٦ الإمام بعد رسول الله(صلى الله عليه و اله):
- ٣٢٧ فضل علي(عليه السلام):
- ٣٢٧ الأئمة بعد رسول الله(صلى الله عليه و اله):
- ٣٢٧ أئمة الحق:
- ٣٢٨ النبي(صلى الله عليه و اله)يبيّن بالمهدى(عليه السلام):
- ٣٢٩ ٤-اصول التشريع الاسلامى فى تراث الرسول الأعظم(صلى الله عليه و اله)
- ٣٢٩ اشارة
- ٣٢٩ الف-خصائص الاسلام:
- ٣٢٩ ب-العلم و مسؤوليه العلماء:
- ٣٣٠ ج-قواعد عامه للسلوك الاسلامى:
- ٣٣٠ د-خطوط عامه فى القضاء و المحاكمات:
- ٣٣١ ه-العبادات فى خطوطها العريضة:
- ٣٣١ و-من اصول النظام العائلى:
- ٣٣٢ ز-نقاط مضيئه من النظام الاقتصادى الاسلامى:
- ٣٣٣ ح-من اصول التعايش الاجتماعى:

- ٥-من جوامع الكلم فى تراث الرسول الأعظم(صلى الله عليه و اله): ٣٣٤
- ٦-نماذج من ادعيته الشريفه(صلى الله عليه و اله) - ٣٣٨
- اشاره ٣٣٨
- د-دعاء علمه(صلى الله عليه و اله)لبعض أصحابه يتقى به شرّ العدو: ٣٣٩
- ه-دعاؤه(صلى الله عليه و اله)لقضاء الدين علمه على بن أبى طالب(عليه السلام): ٣٣٩
- و-دعاؤه(صلى الله عليه و اله)إذا وضعت المائده بين يديه: ٣٣٩
- الفهرس التفصيلى ٣٤٠
- الجزء الثانى(الامام على بن ابى طالب«عليه السلام») ٣٤٩
- اشاره ٣٤٩
- اشاره ٣٤٩
- فهرس إجمالى ٣٥٣
- [مقدمه المجمع] ٣٥٥
- الباب الأول ٣٤٣
- اشاره ٣٤٣
- الفصل الأول:الإمام على بن أبى طالب(عليه السلام)فى سطور ٣٤٥
- الفصل الثانى:انطباعات عن شخصيه الإمام على(عليه السلام) ٣٧١
- الفصل الثالث:مظاهر من شخصيه الإمام على(عليه السلام) ٣٧٧
- اشاره ٣٧٧
- عبادته و تقواه(عليه السلام): ٣٧٨
- زهده(عليه السلام): ٣٧٩
- إبائه و شهامته(عليه السلام): ٣٨٠
- مروءته(عليه السلام): ٣٨١
- صدقته و إخلاصه(عليه السلام): ٣٨١
- شجاعته(عليه السلام): ٣٨٢
- عدله(عليه السلام): ٣٨٣
- تواضعه(عليه السلام): ٣٨٤

- ٣٨٤ نقاؤه (عليه السلام):
- ٣٨٤ كرمه (عليه السلام):
- ٣٨٥ علمه و معارفه عليه السلام:
- ٣٨٩ الباب الثاني
- ٣٨٩ اشاره
- ٣٩١ الفصل الأول: نشأه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
- ٣٩١ اشاره
- ٣٩١ نسبه الوضاء:
- ٣٩١ جدّه الكريم:
- ٣٩٢ والده:
- ٣٩٣ أمّه:
- ٣٩٥ الفصل الثاني: مراحل حياة الإمام علي (عليه السلام)
- ٣٩٧ الفصل الثالث: من الولادة حتى وفاة الرسول (صلى الله عليه و آله)
- ٣٩٧ المرحله الأولى: من الولادة الى البعثه النبويه المباركه
- ٣٩٧ ولادته:
- ٣٩٨ كناه و ألقابه:
- ٣٩٩ الإعداد النبوي للإمام علي (عليه السلام):
- ٤٠١ المرحله الثانيه: من البعثه الى الهجره
- ٤٠١ علي (عليه السلام) أول المؤمنين برسول الله (صلى الله عليه و آله):
- ٤٠٣ علي (عليه السلام) أول من صلى:
- ٤٠٤ أول صلاه جماعه في الإسلام:
- ٤٠٦ علي (عليه السلام) حين إعلان الرساله:
- ٤٠٧ علي (عليه السلام) من إعلان الرساله الى الهجره النبويه المباركه:
- ٤٠٨ علي (عليه السلام) في شعب أبي طالب:
- ٤١٠ علي (عليه السلام) و الهجره الى الطائف:
- ٤١١ علي (عليه السلام) في بيعه العقبه الثانيه:

- ٤١١ عليّ (عليه السلام) ليله هجره الرسول (صلى الله عليه و آله) الى المدينة
- ٤١٤ مباهاه الله ملائكته بموقف عليّ (عليه السلام):
- ٤١٥ مهام ما بعد ليله المبيت:
- ٤١٦ هجره الإمام عليّ (عليه السلام):
- ٤١٩ من معاني مبيت الإمام (عليه السلام) في فراش النبي (صلى الله عليه و آله):
- ٤٢٠ المرحله الثالثه: عليّ (عليه السلام) من الهجره الى وفاه النبي (صلى الله عليه و آله)
- ٤٢٠ ١- عليّ (عليه السلام) و المؤاخاه:
- ٤٢١ ٢- اقتران عليّ (عليه السلام) بالزهاء (عليها السلام):
- ٤٢٣ ٣- عليّ (عليه السلام) مع الرسول (صلى الله عليه و آله) في معاركه:
- ٤٢٣ أ- عليّ (عليه السلام) في معركة بدر:
- ٤٢٥ ب- عليّ (عليه السلام) في معركة احد:
- ٤٢٩ مواقف بعد معركة «احد»:
- ٤٣١ ج- عليّ (عليه السلام) في معركة الخندق:
- ٤٣٤ د- عليّ (عليه السلام) في صلح الحديبيه :
- ٤٣٧ ه- عليّ (عليه السلام) في غزوه خيبر :
- ٤٤٠ و- عليّ (عليه السلام) في فتح مكّه :
- ٤٤٢ صعود عليّ (عليه السلام) على منكب رسول الله (صلى الله عليه و آله) لتخطيم الأصنام:
- ٤٤٢ ز- عليّ (عليه السلام) في غزوه حنين :
- ٤٤٣ ح- عليّ (عليه السلام) في غزوه تبوك :
- ٤٤٤ تبليغ سوره براءه:
- ٤٤٦ عليّ (عليه السلام) في اليمن:
- ٤٤٨ طبيعه عمل النبي (صلى الله عليه و آله):
- ٤٥٠ عليّ (عليه السلام) في حجّه الوداع:
- ٤٥١ عليّ (عليه السلام) في غدیر خم أميراً للمؤمنين:
- ٤٥٢ واقعه الحارث بن النعمان و نزول آيه سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ :
- ٤٥٣ محاولات الرسول (صلى الله عليه و آله) لتثبيت بيعه عليّ (عليه السلام):

مرض النبي(صلى الله عليه و آله)و سرّيّه اسامه: ----- ٤٥٥

اشاره ----- ٤٥٥

رأى: ----- ٤٥٧

علی(عليه السلام)مع النبي(صلى الله عليه و آله)في اللحظات الأخيره: ----- ٤٥٨

الباب الثالث ----- ٤٥٩

اشاره ----- ٤٥٩

الفصل الأول:عصر الإمام علی بن أبي طالب(عليه السلام) ----- ٤٦١

اشاره ----- ٤٦١

حديث الوفاء: ----- ٤٦١

الحزب القرشي و الأنصار في السقيفه: ----- ٤٦٢

تحليل اجتماع السقيفه: ----- ٤٦٥

نظره قريش للخلافه: ----- ٤٦٧

ملامح التخطيط لإقصاء الإمام علی(عليه السلام)عن الخلافه: ----- ٤٦٩

سلبيات حادثه السقيفه: ----- ٤٧٢

موقف الإمام(عليه السلام)من اجتماع السقيفه: ----- ٤٧٤

موقف أبي سفيان: ----- ٤٧٥

أقطاب المعارضه للسقيفه: ----- ٤٧٦

نتائج السقيفه: ----- ٤٧٨

الفصل الثاني:الإمام علی(عليه السلام)في عهد أبي بكر ----- ٤٨٠

اشاره ----- ٤٨٠

خطوات السلطه لمواجهه المعارضه: ----- ٤٨٠

الاحتجاجات علی خلافه السقيفه: ----- ٤٨٣

محاولة إرغام الإمام(عليه السلام)على البيعه: ----- ٤٨٥

الإمام علی(عليه السلام)و مضاعفات السقيفه: ----- ٤٨٨

الإمام علی(عليه السلام)و مهمته جمع القرآن: ----- ٤٩٣

من مواقف الإمام(عليه السلام)في عهد أبي بكر: ----- ٤٩٤

- ٤٩٥ وصيته أبي بكر إلى عمر:
- ٤٩٧ مآخذ علي وصيه أبي بكر:
- ٤٩٩ الفصل الثالث:الإمام علي(عليه السلام)في عهد عمر
- ٤٩٩ اشاره
- ٥٠٠ ملامح من سيره عمر :
- ٥٠١ محنه الشورى:
- ٥٠٣ مؤاخذات علي الشورى:
- ٥٠٥ حوار ابن عباس مع عمر حول الخلافه:
- ٥٠٧ موقف الإمام(عليه السلام)من الشورى:
- ٥٠٩ لما ذا لم يوافق الإمام(عليه السلام)على شرط عبد الرحمن بن عوف؟
- ٥١١ الفصل الرابع:الإمام علي(عليه السلام)في عهد عثمان
- ٥١١ اشاره
- ٥١٢ أبو سفيان بعد بيعه عثمان:
- ٥١٣ ملامح سلبية في حكم عثمان:
- ٥١٥ موقف للإمام علي(عليه السلام)مع عثمان:
- ٥١٦ الآثار السلبية لحكمه عثمان في الامه:
- ٥١٩ الباب الزابع
- ٥١٩ اشاره
- ٥٢١ الفصل الأول:الإمام علي(عليه السلام)بعد مقتل عثمان
- ٥٢١ اشاره
- ٥٢١ بيعه المسلمين للإمام علي(عليه السلام) :
- ٥٢٣ المتخلفون عن بيعه الإمام(عليه السلام):
- ٥٢٤ عقبات في طريق حكمه الإمام(عليه السلام):
- ٥٢٨ محاور عمل الإمام(عليه السلام)في الامه:
- ٥٣١ ثقافته الإسلاميه في حكم الخلفاء :
- ٥٣٤ جهود الإمام(عليه السلام)في إحياء الشريعة الإسلاميه:

٥٣٧	الفصل الثاني:الإمام علي(عليه السلام)مع الناكثين
٥٣٧	اشاره
٥٣٧	مثيروا الفتن:
٥٣٨	عائشه تعلن التمرد:
٥٤٠	مكر معاويه و نكت الزبير و طلحه للبيعه:
٥٤١	حركه عائشه و مسيرها نحو البصره:
٥٤٣	مناوشات على مشارف البصره:
٥٤٤	الاقتتال-الهدنه-الغددر:
٥٤٥	حركه الإمام(عليه السلام)للقضاء على التمرد :
٥٤٦	آخر النصائح:
٥٤٧	نشوب المعركه:
٥٤٨	مواقف الإمام بعد المعركه:
٥٤٩	نتائج حرب الجمل:
٥٥٠	الكوفه عاصمه الخلافه:
٥٥١	الفصل الثالث:الإمام علي(عليه السلام)مع القاسطين
٥٥١	اشاره
٥٥١	استعدادات معاويه لمحاربه الإمام(عليه السلام):
٥٥٢	السيطره على الفرات:
٥٥٣	محاولة سلميه:
٥٥٣	الحرب بعد الهدنه:
٥٥٤	مقتل عمار بن ياسر:
٥٥٥	خدعه رفع المصاحف:
٥٥٧	التحكيم و صحيفه المواعه:
٥٥٨	موقف واع و تقييم:
٥٥٨	رجوع الإمام(عليه السلام)و اعتزال الخوارج:
٥٥٩	اجتماع الحكمين:

٥٦٠	قرار التحكيم:
٥٦١	الفصل الرابع:الإمام عليّ(عليه السلام)مع المارقين
٥٦١	اشاره
٥٦٢	ردّ الإمام(عليه السلام)على قرار الحكمين:
٥٦٣	المواجهه مع الخوارج:
٥٦٥	احتلال مصر:
٥٦٦	انهيار الامة و تفكّكها:
٥٦٨	آخر محاولات الإمام(عليه السلام):
٥٦٩	الفصل الخامس:الإمام عليّ(عليه السلام)شهيد المحراب
٥٦٩	اشاره
٥٧٠	وصيّة الإمام(عليه السلام):
٥٧١	دفن و تأبين الإمام(عليه السلام):
٥٧٣	الفصل السادس:تراث الإمام عليّ بن أبي طالب(عليه السلام)
٥٧٣	اشاره
٥٧٤	في رحاب نهج البلاغه:
٥٧٥	في رحاب العقل و العلم و المعرفة:
٥٧٦	في رحاب القرآن الكريم و السنّه النبويّه المباركه:
٥٧٧	في رحاب التوحيد و العدل و المعاد:
٥٧٩	في رحاب القيادة الإلهيه(النبوّه و الإمامه):
٥٨٠	في رحاب الإمام المهدي(عليه السلام):
٥٨٢	في رحاب الحكم الإسلامي:فلسفته و اصوله
٥٨٤	في رحاب العبادات و الفرائض:
٥٨٥	في رحاب الأخلاق و التربيّه:
٥٨٦	في رحاب الدعاء و المناجاه:
٥٨٧	في رحاب أدب الإمام(عليه السلام):
٥٨٩	الفهرس التفصيلي

٦٠١	الجزء الثالث(فاطمه الزهراء«سلام الله عليها»)
٦٠١	اشاره
٦٠١	اشاره
٦٠٥	فهرس اجمالى
٦٠٧	[مقدمه المجمع]
٦١٥	الباب الأول
٦١٥	اشاره
٦١٧	الفصل الأول:فاطمه الزهراء عليها السلام فى سطور
٦٢١	الفصل الثانى:انطباعات عن شخصيتها عليها السلام
٦٢١	اشاره
٦٢١	الزهراء فى آيات الذكر الحكيم
٦٢١	اشاره
٦٢٢	١-الزهراء(عليها السلام)كوثر الرساله:
٦٢٣	٢-الزهراء(عليها السلام)فى سوره الدهر:
٦٢٤	٣-الزهراء(عليها السلام)فى آيه التطهير:
٦٢٥	٤-موده الزهراء(عليها السلام)أجر الرساله:
٦٢٦	٥-الزهراء(عليها السلام)فى آيه المباهله:
٦٢٨	الزهراء(عليها السلام)عند سيد المرسلين(صلى الله عليه و اله)
٦٣٠	الزهراء(عليها السلام)عند الأئمه و الصحابه و المؤرخين
٦٣٣	الفصل الثالث:مظاهر من شخصيتها عليها السلام
٦٣٣	اشاره
٦٣٥	١-علمها و معرفتها:
٦٣٦	٢-مكارم أخلاقها:
٦٣٨	٣-جودها و ايثارها:
٦٤١	٤-إيمانها و تعيدها لله:
٦٤٣	٥-حنوها و شفقتها:

٦-جهادها المتواصل: ٦٤٤

الباب الثّاني ٦٤٧

اشاره ٦٤٧

الفصل الأوّل:نشأتها عليها السلام ٦٤٩

اشاره ٦٤٩

١-شخصيه السيده خديجه «أم فاطمه»(عليهما السلام): ٦٤٩

اشاره ٦٤٩

نشاطها التجارى: ٦٥٠

٢-زواج النبي(صلى الله عليه و اله)بخديجه: ٦٥٢

اشاره ٦٥٢

مكانه خديجه(رضى الله عنها)لدى النبي(صلى الله عليه و اله): ٦٥٤

٣-الأمر الإلهى فى خلق فاطمه(عليها السلام): ٦٥٦

٤-انس خديجه بفاطمه(عليهما السلام): ٦٥٨

٥-فاطمه الوليده: ٦٥٩

٦-تاريخ الولاده: ٦٦٠

الفصل الثّانى:مراحل حياتها عليها السلام ٦٦٣

الفصل الثالث:الزّهراء عليها السلام مع أبيها صلى الله عليه و اله ٦٦٥

اشاره ٦٦٥

فاطمه(عليها السلام)فى مرحله الطفوله ٦٦٥

اشاره ٦٦٥

١-فاطمه(عليها السلام)فى شعب أبى طالب(عليه السلام): ٦٦٦

٢-وفاه السيده خديجه و عام الحزن: ٦٦٧

٣-فاطمه الممتحنه: ٦٦٩

الزّهراء(عليها السلام)مع أبيها(صلى الله عليه و اله)حتى بيت الزوجيه ٦٧٢

١-هجرتها(عليها السلام)إلى المدينه: ٦٧٢

٢-محاولات خطبتها(عليها السلام): ٦٧٦

٣-علي(عليه السلام) يتقدّم لخطبه الزهراء(عليها السلام): ٦٧٧

٤-أمر زواجها من السماء: ٦٧٩

٥-خطبه العقد: ٦٨٠

٦-مهرها و جهازها: ٦٨١

٧-مقدمات الزفاف و وليمه العرس: ٦٨٢

٨-مراسم ليله الزفاف: ٦٨٥

٩-زياره النبي(صلى الله عليه و اله)للزهراء فى صبيحه عرسها: ٦٨٧

١٠-تاريخ الزواج: ٦٨٩

مميزات زواج الزهراء(عليها السلام)بعلي(عليه السلام): ٦٩٠

من الزواج إلى وفاه الرسول(صلى الله عليه و اله) ٦٩١

١-الزهراء(عليها السلام)فى بيت الزوجيه: ٦٩١

اشاره ٦٩١

أ-إداره شؤون البيت و الحياه الشاقه: ٦٩٣

ب-طيب معاشرتها للإمام علي(عليه السلام): ٦٩٧

ج-فاطمه(عليها السلام)فى دور الام: ٦٩٩

٢-الزهراء(عليها السلام)مع النبي(صلى الله عليه و اله)فى تثبيت دعائم الدوله: ٧٠١

أ-الزهراء قبل فتح مكه: ٧٠١

ب-الزهراء(عليها السلام)فى فتح مكه: ٧٠٣

٣-حجه الوداع و الأيام الأخيره: ٧٠٥

٤-وصايا الرسول(صلى الله عليه و اله)فى ساعه الوداع: ٧٠٧

الباب الثالث ٧١١

اشاره ٧١١

الفصل الأول:الزهراء عليها السلام بعد أبيها المصطفى صلى الله عليه و اله ٧١٣

اشاره ٧١٣

١-حدث السقيفه: ٧١٣

٢-نتائج السقيفه: ٧٢٣

- ٧٢٣ اشاره
- ٧٢٧ خيارات السلطة الحاكمه
- ٧٢٧ الخيار الأول:انتزاع القوه الماليه للإمام علي(عليه السلام)
- ٧٢٨ الخيار الثاني:مواجهه معارضة الإمام(عليه السلام)
- ٧٢٩ الخطوات العمليه الأخرى لمواجهه آل محمد(صلى الله عليه و اله)
- ٧٣١ ٣-فدك بين النبي(صلى الله عليه و اله)و الزهراء(عليها السلام):
- ٧٣٣ ٤-اغتصاب فدك:
- ٧٣٥ ٥-خطبه الزهراء(عليها السلام)فى مسجد النبي(صلى الله عليه و اله):
- ٧٣٥ اشاره
- ٧٤٧ رد فعل الخليفه على خطاب الزهراء(عليها السلام):
- ٧٤٨ دفاع ام سلمه عن حقّ الزهراء(عليها السلام):
- ٧٤٩ شكواها إلى الإمام علي(عليه السلام):
- ٧٥٠ ٦-إعلان المقاطعه:
- ٧٥٠ اشاره
- ٧٥١ المعنى الرمزي و السياسى لفدك:
- ٧٥٤ ٧-خيارات الإمام علي(عليه السلام)تجاه الوضع الجديد:
- ٧٥٤ اشاره
- ٧٥٤ قرار المواجهه السلميه و دور الزهراء(عليها السلام):
- ٧٦٠ ٨-الهجوم على دار الزهراء(عليها السلام):
- ٧٦٥ ٩-المواجهه مع الزهراء(عليها السلام):
- ٧٦٥ اشاره
- ٧٦٦ كلامها فى حقّ الإمامه و ظلامه أهل البيت(عليهم السلام):
- ٧٦٨ ١٠-السيدة فاطمه(عليها السلام)فى أيامها الأخيره
- ٧٧٣ الفصل الثاني:مرض الزهراء و استشهادها عليها السلام
- ٧٧٣ اشاره
- ٧٧٣ ١-فاطمه(عليها السلام)على فراش المرض:

- ٢- عياده النساء للسيدة فاطمه (عليها السلام): ٧٧٤
- ٣- خطبتها الثانية: ٧٧٥
- ٤- عياده أبي بكر و عمر بن الخطاب للزهراء (عليها السلام): ٧٨١
- ٥- الساعات الأخيرة قبل الرحيل: ٧٨٢
- ٦- وصية الزهراء (عليها السلام) للإمام علي (عليه السلام): ٧٨٣
- ٧- أول نعش أحدث في الإسلام: ٧٨٥
- ٨- لحظات عمرها الأخيرة: ٧٨٦
- ٩- مراسم التشييع و الدفن: ٧٨٧
- ١٠- تأييد الإمام علي (عليه السلام) للزهراء (عليها السلام): ٧٨٩
- ١١- محاوله نبش القبر: ٧٩٠
- ١٢- تأريخ شهادتها (عليها السلام): ٧٩١
- الفصل الثالث: تراث فاطمه الزهراء عليها السلام ٧٩٣
- اشاره ٧٩٣
- مصحف فاطمه (عليها السلام) ٧٩٥
- نماذج مختاره من مسند فاطمه (عليها السلام) ٧٩٦
- ١- اهتمامها بالعلم و تدوين السنه: ٧٩٦
- ٢- التعريف بأهل البيت (عليهم السلام): ٧٩٧
- ٣- مصادر التشريع الإسلامى و فلسفته و اصوله: ٨٠٦
- ٤- الاخلاق و الآداب و السلوك: ٨٠٩
- ٥- الحكم و السياسه و التأريخ: ٨١٤
- نماذج من أدعيتها ٨١٦
- أدب السيدة فاطمه الزهراء (عليها السلام) ٨١٧
- الرواه و المحذثون عن فاطمه الزهراء (عليها السلام) ٨٢٠
- الفهرس التفصيلى ٨٢٣
- الجزء الرابع (الامام الحسن المجتبى «عليه السلام») ٨٣٠
- اشاره ٨٣٠

٨٣٠	اشاره
٨٣٤	فهرس اجمالى
٨٣٦	[مقدمه المجمع]
٨٤٤	الباب الأول
٨٤٤	اشاره
٨٤٦	الفصل الأول:الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام)فى سطور
٨٥٢	الفصل الثانى:انطباعات عن شخصيه الإمام المجتبى(عليه السلام)
٨٥٢	اشاره
٨٥٢	١-مكانه الإمام المجتبى فى آيات الذكر الحكيم:
٨٥٥	٢-مكانته(عليه السلام)لدى خاتم المرسلين(صلى الله عليه و آله):
٨٥٦	٣-مكانته(عليه السلام)لدى معاصريه:
٨٥٩	٤-مكانته(عليه السلام)لدى العلماء و المؤرخين:
٨٦٢	الفصل الثالث:من فضائل الإمام المجتبى(عليه السلام)و مظاهر شخصيته
٨٦٢	اشاره
٨٦٢	عبادته(عليه السلام):
٨٦٤	حلمه و عفوه:
٨٦٥	كرمه وجوده:
٨٦٧	تواضعه و زهده:
٨٧٠	الباب الثانى
٨٧٠	اشاره
٨٧٢	الفصل الأول:نشأه الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام)
٨٧٢	اشاره
٨٧٢	تاريخ ولادته:
٨٧٢	كيفيه ولادته:
٨٧٣	سنن الولاده:
٨٧٣	رضاعه:

- ٨٧٤ كنيته و ألقابه:
- ٨٧٤ نقش خاتمه:
- ٨٧٤ حليته و شمائله:
- ٨٧٦ الفصل الثاني:مراحل حياة الإمام الحسن المجتبي(عليه السلام)
- ٨٧٨ الفصل الثالث:الإمام في ظلّ جدّه(صلى الله عليه و آله)و أبيه(عليه السلام).....
- ٨٧٨ اشاره
- ٨٧٨ الإمام الحسن(عليه السلام)في عهد الرسول الأعظم(صلى الله عليه و آله)
- ٨٧٨ اشاره
- ٨٨١ يوم المباهله و مداليه:
- ٨٨١ اشاره
- ٨٨٢ أولاً:الانموذج الحي:
- ٨٨٢ ثانياً:في خدمه الرساله:
- ٨٨٤ ثالثاً:سياسات لا بدّ من مواجهتها:
- ٨٨٧ شهاده الحسين(عليهما السلام)على كتاب لتقيف:
- ٨٨٨ حضور الحسين(عليهما السلام)بيعه الرضوان:
- ٨٨٨ الحسن و الحسين إمامان:
- ٨٨٩ الإمام الحسن(عليه السلام)في عهد الخلفاء
- ٨٨٩ في عهد أبي بكر و عمر:
- ٨٨٩ اشاره
- ٨٩٠ ١-الحسنان(عليهما السلام)و فدك:
- ٨٩١ ٢-اعتراضه على أبي بكر:
- ٨٩١ ٣-الإمام الحسن(عليه السلام)و أسئلة الأعرابي:
- ٨٩٢ ٤-الإمام الحسن(عليه السلام)في الشورى:
- ٨٩٤ في عهد عثمان:
- ٨٩٤ ١-الإمام الحسن(عليه السلام)في وداع أبي ذر:
- ٨٩٥ ٢-هل اشترك الإمام الحسن(عليه السلام)في الفتوح؟:

٩٠٠ ٣-الإمام الحسن(عليه السلام)و حصار عثمان:

٩٠٤ ٤-هل جرح الإمام الحسن(عليه السلام)أثناء دفاعه عن عثمان؟

٩٠٥ ٥-هل كان الإمام الحسن(عليه السلام)عثمانيا؟

٩٠٩ الإمام الحسن(عليه السلام)فى عهد الدوله العلويه

٩٠٩ ١-البيعه لأمير المؤمنين(عليه السلام)بالخلافه:

٩١٣ ٢-استنجد الإمام على(عليه السلام)بالكوفه:

٩١٥ ٣-إيفاد الإمام الحسن(عليه السلام):

٩١٨ ٤-التقاء الفريقين فى البصره و خطاب الإمام الحسن(عليه السلام):

٩١٩ ٥-الإمام على(عليه السلام)فى الكوفه بعد حرب الجمل:

٩٢٠ ٦-خطاب الإمام الحسن(عليه السلام):

٩٢١ ٧-تهيؤ الإمام على(عليه السلام)لجهاد معاويه:

٩٢٢ ٨-فى معركة صفين:

٩٢٣ ٩-إملاكوا على هذا الغلام:

٩٢٤ ١٠-الإمام الحسن(عليه السلام)و التحكيم:

٩٢٦ ١١-وصيه الامام أمير المؤمنين إلى ابنه الحسن:

٩٣١ ١٢-النهروان و مؤامره قتل أمير المؤمنين(عليه السلام):

٩٣٢ ١٣-فى ليله استشهاد الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام):

٩٣٣ ١٤-الإمام الحسن(عليه السلام)بجوار والده(عليه السلام)الجريح:

٩٣٦ ١٥-آخر وصايا أمير المؤمنين(عليه السلام):

٩٣٨ ١٦-الإمام على(عليه السلام)ينص على خلفه ابنه الحسن(عليه السلام):

٩٣٨ ١٧-إلى الرفيق الاعلى:

٩٣٩ ١٨-تجهيزه و دفنه:

٩٤٠ الباب الثالث

٩٤٠ اشاره

٩٤٢ الفصل الأول:عصر الإمام المجتبى(عليه السلام)

٩٥٠ الفصل الثانى:مواقف الإمام(عليه السلام)و انجازاته

.....	إشاره	٩٥٠
.....	البحث الأول:من البيعه الى الصلح	٩٥٠
.....	١-خطبه الإمام الحسن(عليه السلام)يوم شهاده أبيه(عليه السلام):	٩٥٠
.....	٢-بيعه الإمام الحسن(عليه السلام):	٩٥١
.....	٣-الإمام الحسن(عليه السلام)يقتض من قاتل أمير المؤمنين(عليه السلام):	٩٥٢
.....	٤-جهاد الإمام الحسن(عليه السلام):	٩٥٢
.....	٥-تحرك معاويه نحو العراق و موقف الإمام(عليه السلام):	٩٥٦
.....	٦-استنكار الموقف المتخاذل:	٩٥٨
.....	٧-الاتجاهات المتضاده فى جيش الإمام(عليه السلام):	٩٥٩
.....	٨-طلائع جيش الإمام الحسن(عليه السلام):	٩٦١
.....	٩-خيانه قائد الجيش:	٩٦٢
.....	١٠-توالى الخيانات فى جيش الإمام(عليه السلام):	٩٦٥
.....	١١-محاولات اغتيال الإمام(عليه السلام):	٩٧٠
.....	١٢-موقف الإمام الحسن(عليه السلام):	٩٧٢
.....	البحث الثانى:فى الصلح و أسبابه و نتائجه	٩٧٣
.....	إشاره	٩٧٣
.....	إتمام الحجّه:	٩٧٣
.....	القبول بالصلح:	٩٧٥
.....	بنود معاهده الصلح:	٩٧٥
.....	أسباب الصلح كما تصوّرها النصوص عن الإمام الحسن(عليه السلام):	٩٧٧
.....	تحليلان لأسباب الصلح:	٩٨٠
.....	التحليل الأول:	٩٨٠
.....	التحليل الثانى:	٩٨٢
.....	زبده المخض:	٩٨٧
.....	البحث الثالث:ما بعد الصلح حتى الشهاده	٩٨٩
.....	الاجتماع فى الكوفه:	٩٨٩

- المعارضون للصلح: ٩٩٠
- أ-قيس بن سعد بن عباده: ٩٩٠
- ب-حجر بن عدى: ٩٩٢
- ج-عدى بن حاتم: ٩٩٣
- د-المسيب بن نجبه و سليمان بن صرد: ٩٩٣
- إلى يثرب: ٩٩٤
- مرجعيه الإمام الحسن(عليه السلام)العلميه و الدينيه: ٩٩٥
- مدرسه الإمام و نشاطه العلمى: ٩٩٥
- مرجعيته الاجتماعيه: ٩٩٦
- اشاره ٩٩٦
- أ-عطفه على الفقراء: ٩٩٦
- ب-الاستجاره به: ٩٩٧
- مرجعيته السياسيه: ٩٩٨
- رفض الإمام(عليه السلام)مصاهره الامويين: ٩٩٩
- من مواقف الإمام الحسن(عليه السلام)مع معاويه و بطانته: ١٠٠٠
- أ-مع معاويه فى المدينه: ١٠٠٠
- ب-فى دمشق: ١٠٠٣
- المناظره الاولى: ١٠٠٤
- المناظره الثانيه: ١٠٠٤
- البحث الرابع:مصيّر شروط الصلح و شهاده الإمام الحسن(عليه السلام) ١٠١٠
- إخلال معاويه بالشروط: ١٠١٠
- تأمر معاويه على الإمام الحسن(عليه السلام): ١٠١٢
- كيف استشهد الإمام الحسن(عليه السلام)؟ ١٠١٣
- وصاياه الأخيره: ١٠١٥
- أ-وصيته لجناده: ١٠١٥
- ب-وصيته للإمام الحسين(عليه السلام): ١٠١٦

ج-وصيته لمحمد بن الحنفية:	١٠١٦
إلى الرفيق الأعلى:	١٠١٨
تجهيز الإمام و تشييعه:	١٠١٩
دفن الإمام(عليه السلام)و فتنه عائشه:	١٠٢٠
الفصل الثالث:تراث الإمام الحسن المجتبي(عليه السلام)	١٠٢٢
اشاره	١٠٢٢
١-نظرة عامه فى تراث الإمام المجتبي(عليه السلام):	١٠٢٢
٢-فى رحاب العلم و العقل:	١٠٢٤
٣-فى رحاب القرآن الكريم:	١٠٢٥
٤-فى رحاب الحديث النبوى و السيره الشريفه:	١٠٢٦
٥-فى رحاب العقيدة:	١٠٣٠
٦-فى رحاب ولايه أهل البيت(عليهم السلام):	١٠٣١
٧-البشاره بالإمام المهدي المنتظر(عليه السلام):	١٠٣٣
٨-فى رحاب الأخلاق و التربية:	١٠٣٤
٩-فى رحاب المواعظ الحكيمه:	١٠٣٦
١٠-فى رحاب الفقه و أحكام الشريعه:	١٠٣٩
١١-فى رحاب أدعيه الإمام المجتبي(عليه السلام):	١٠٤٠
١٢-فى رحاب أدب الإمام المجتبي(عليه السلام):	١٠٤١
اشاره	١٠٤١
من أدبه(عليه السلام)المنظوم:	١٠٤٣
الفهرس التفصيلى	١٠٤٦
الجزء الخامس(الإمام الحسين سيد الشهداء«عليه السلام»)	١٠٥٢
اشاره	١٠٥٢
اشاره	١٠٥٢
فهرس إجمالى	١٠٥٦
[مقدمه المجمع]	١٠٥٨

الباب الأول - ١٠٦٦

اشاره - ١٠٦٦

الفصل الأول: الإمام الحسين عليه السلام فى سطور - ١٠٦٨

الفصل الثانى: انطباعات عن شخصيته عليه السلام - ١٠٧٦

اشاره - ١٠٧٦

١- مكانه الإمام الحسين (عليه السلام) فى آيات الذكر الحكيم: - ١٠٧٦

٢- مكانه الإمام الحسين (عليه السلام) لدى خاتم المرسلين (صلى الله عليه و اله): - ١٠٧٩

٣- مكانه الإمام الحسين (عليه السلام) لدى معاصريه: - ١٠٨٠

٤- الإمام الحسين (عليه السلام) عبر القرون و الأجيال: - ١٠٨٤

الفصل الثالث: مظاهر من شخصيته عليه السلام - ١٠٨٨

اشاره - ١٠٨٨

١- تواضعه (عليه السلام): - ١٠٨٩

٢- حلمه و عفوه (عليه السلام): - ١٠٨٩

٣- جوده و كرمه (عليه السلام): - ١٠٩٠

٤- شجاعته (عليه السلام): - ١٠٩٢

٥- إياؤه (عليه السلام): - ١٠٩٣

٦- الصراحه و الجرأه فى الإصحاح بالحق: - ١٠٩٥

٧- عبادته و تقواه (عليه السلام): - ١٠٩٦

اشاره - ١٠٩٦

صور من عبادته (عليه السلام): - ١٠٩٧

الباب الثانى - ١١٠٠

اشاره - ١١٠٠

الفصل الأول: نشأه الإمام الحسين عليه السلام - ١١٠٢

اشاره - ١١٠٢

تأريخ الولاده: - ١١٠٢

رؤيا أم أيمن: - ١١٠٢

- الوليد المبارك: ١١٠٣
- اهتمام النبي(صلى الله عليه و اله)بالحسين(عليه السلام):..... ١١٠٤
- كنيته و ألقابه: ١١٠٦
- الفصل الثانى:مراحل حياه الإمام الحسين عليه السلام ١١٠٨
- الفصل الثالث:الإمام الحسين عليه السلام من الولاده إلى الامامه ١١١٠
- اشاره ١١١٠
- الإمام الحسين(عليه السلام)فى عهد الرسول(صلى الله عليه و اله) ١١١٠
- اشاره ١١١٠
- ميراث النبي(صلى الله عليه و اله)لسبطيه(عليهما السلام): ١١١٣
- وصيته النبي(صلى الله عليه و اله)بالسبطين(عليهما السلام): ١١١٣
- لوعه النبي(صلى الله عليه و اله)على الحسين(عليه السلام): ١١١٣
- الإمام الحسين(عليه السلام)فى عهد الخلفاء ١١١٥
- الحسين(عليه السلام)فى عهد أبى بكر: ١١١٥
- اشاره ١١١٥
- لوعه شهاده الزهراء(عليها السلام): ١١١٥
- الحسين(عليه السلام)فى عهد عمر بن الخطاب: ١١١٨
- الحسين(عليه السلام)فى عهد عثمان: ١١١٩
- اشاره ١١١٩
- موقف مع أبى ذر الغفارى: ١١٢١
- الإمام الحسين(عليه السلام)فى عهد الدوله العلويه ١١٢٣
- اشاره ١١٢٣
- مع أبيه(عليه السلام)فى إصلاح الامه: ١١٢٤
- حرص الإمام على(عليه السلام)على سلامه الحسنين(عليهما السلام): ١١٢٥
- وصايا أمير المؤمنين(عليه السلام)للإمام الحسين(عليه السلام): ١١٢٦
- الإمام الحسين مع أبيه(عليهما السلام)فى لحظاته الأخيره: ١١٣٠
- الإمام الحسين فى عهد أخيه الإمام الحسن(عليهما السلام) ١١٣١

١١٣١	حاله الاثمه قبل الصلح مع معاويه:
١١٣٦	احترام الإمام الحسين (عليه السلام) لبنود صلح الإمام الحسن (عليه السلام):
١١٣٦	رساله جعده بن هبيره إلى الإمام الحسين (عليه السلام):
١١٣٧	استشهاد الإمام الحسن (عليه السلام):
١١٤٠	الباب الثالث
١١٤٠	اشاره
١١٤٢	الفصل الأول: عصر الإمام الحسين عليه السلام
١١٤٢	اشاره
١١٤٢	البحث الأول: حكمه معاويه و دورها في تشويه الإسلام:
١١٤٢	اشاره
١١٤٣	منهج معاويه لمحاربه الإسلام:
١١٤٣	اشاره
١١٤٤	١- سياسته الاقتصادية:
١١٤٤	أ- الحرمان الاقتصادي:
١١٤٤	* يثرب:
١١٤٥	* العراق:
١١٤٥	ب- استخدام المال لتثبيت ملكه:
١١٤٦	ج- شراء الذمم:
١١٤٦	د- ضريبه النيروز:
١١٤٧	٢- سياسته التفرقه:
١١٤٧	أ- اضطهاد الموالى:
١١٤٧	ب- العصبية القبليه:
١١٤٨	٣- سياسه البطش و الجبروت:
١١٤٨	٤- الخلاعه و المجون و الاستخفاف بالقيم الدينيه:
١١٤٩	٥- إظهار الحق على النبي (صلى الله عليه و اله) و العداء لأهل بيته (عليهم السلام):
١١٥١	٦- العنف مع شيعه أهل البيت (عليهم السلام):

- ٧-فرض البيعه بالقوه ليزيد الفاجر: ١١٥٢
- البحث الثاني:من هو يزيد بن معاويه؟ ١١٥٣
- اشاره ١١٥٣
- ولاده يزيد و نشأته و صفاته: ١١٥٤
- ولع يزيد بالصيد: ١١٥٥
- شغفه بالقرد: ١١٥٥
- إدمانه على الخمر: ١١٥٦
- إلحاد يزيد و حقه على رسول الله(صلى الله عليه و اله): ١١٥٨
- جرائم حكم يزيد: ١١٥٩
- السز الكامن وراء نزعات يزيد الشريه: ١١٦٠
- الفصل الثاني:مواقف و إنجازات الإمام عليه السلام ١١٦٢
- اشاره ١١٦٢
- البحث الأول:موقفه(عليه السلام)من البيعه ليزيد ١١٦٢
- ١-دعوه انتهازيه و خطه شيطانيه: ١١٦٢
- ٢-أساليب معاويه لإعلان بيعه يزيد: ١١٦٥
- ٣-محاولات الإمام الحسين(عليه السلام)لإيقاظ الامه: ١١٦٦
- اشاره ١١٦٦
- مواجهه معاويه و بيعه يزيد: ١١٦٧
- محاولة جمع كلمه الامه و الاستجابه لحركه الجماهير: ١١٦٩
- فضح جرائم معاويه: ١١٦٩
- استعادته حقّ مضّيع: ١١٧١
- تذكير الامه بمسؤوليتها: ١١٧٣
- موت معاويه: ١١٧٤
- البحث الثاني:حكومه يزيد و نهضة الإمام الحسين(عليه السلام) ١١٧٧
- بدايات النهضه: ١١٧٧
- رساله يزيد الى حاكم المدينه: ١١٧٧

- ١١٧٨ الوليد يستشير مروان بن الحكم:
- ١١٧٩ الإمام(عليه السلام)في مجلس الوليد:
- ١١٨١ الإمام(عليه السلام)مع مروان:
- ١١٨١ حركة الإمام(عليه السلام)في الليلة الثانية:
- ١١٨٣ وصايا الإمام الحسين(عليه السلام):
- ١١٨٥ توجه الإمام الى مكة:
- ١١٨٦ البحث الثالث:أسباب و دوافع الثورة
- ١١٨٦ اشاره
- ١١٨٧ ١-فساد الحاكم و انحراف جهاز الحكومه:
- ١١٨٨ ٢-مسؤوليه الإمام تجاه الامه:
- ١١٨٩ ٣-الاستجاب له لرأى الجماهير الثائره:
- ١١٨٩ ٤-محاولة إرغامه(عليه السلام)على الذلّ و المساومه:
- ١١٩١ ٦-انتشار الظلم و فقدان الأمن:
- ١١٩٢ ٧-تشويه القيم الإسلاميه و محو ذكر أهل البيت(عليهم السلام):
- ١١٩٢ ٨-الاستجاب له لأمر الله و رسوله(صلى الله عليه و اله):
- ١١٩٣ أهداف منظوره فى ثوره الإمام الحسين(عليه السلام):
- ١١٩٣ اشاره
- ١١٩٤ ١-تجسيد الموقف الشرعى تجاه الحاكم الظالم:
- ١١٩٤ ٢-فضح بنى اميه و كشف حقيقتهم:
- ١١٩٥ ٣-إحياء السنّه و إمامته البدعه:
- ١١٩٦ ٤-الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر:
- ١١٩٧ ٥-إيقاظ الضمائر و تحريك العواطف:
- ١١٩٨ لماذا لم ينهض الإمام الحسين بالثوره فى حكم معاويه؟
- ١١٩٨ اشاره
- ١١٩٨ ١-حاله الامه الإسلاميه:
- ١١٩٩ ٢-شخصيته معاويه و سلوكه المتلون:

- ١٢٠١ -٣-احترام صلح الإمام الحسن(عليه السلام):
- ١٢٠٢ -المواقف من ثورة الحسين(عليه السلام)قبل انطلاقها:
- ١٢٠٤ -البحث الرابع:توجه الإمام(عليه السلام)الى مكّه
- ١٢٠٤ -اشاره
- ١٢٠٤ -رسائل أهل الكوفه إلى الإمام(عليه السلام):
- ١٢٠٤ -اشاره
- ١٢٠٦ -جواب الإمام(عليه السلام)على رسائل الكوفيين:
- ١٢٠٧ -تحرك مسلم بن عقيل نحو الكوفه:
- ١٢٠٨ -رساله مسلم بن عقيل إلى الإمام الحسين(عليه السلام):
- ١٢٠٩ -رساله الإمام(عليه السلام)إلى زعماء البصره:
- ١٢٠٩ -اشاره
- ١٢١٠ -جواب الأحنف بن قيس:
- ١٢١٠ -جواب يزيد بن مسعود النهشلي:
- ١٢١٢ -موقف والي الكوفه:
- ١٢١٣ -أنصار الامويين يتداركون أمورهم:
- ١٢١٤ -قلق يزيد و استشاره السيرجون:
- ١٢١٥ -توجه عبید الله بن زياد إلى الكوفه:
- ١٢١٦ -محاولات ابن زياد للسيطره على الكوفه:
- ١٢١٧ -موقف مسلم من اغتيال ابن زياد:
- ١٢١٨ -الغدر بمسلم بن عقيل:
- ١٢٢١ -البحث الخامس:حركه الإمام الحسين(عليه السلام)الى العراق
- ١٢٢١ -اشاره
- ١٢٢١ -لما ذا اختار الإمام الحسين(عليه السلام)الهجره إلى العراق؟
- ١٢٢٤ -تصريحات الإمام(عليه السلام)عند وداعه مكه:
- ١٢٢٦ -خلاصه الثورة فى رساله:
- ١٢٢٧ -ملاحقه السلطه للإمام(عليه السلام):

- ١٢٢٧ فى التنعيم:
- ١٢٢٧ فى الصفاح:
- ١٢٢٨ كتاب الإمام(عليه السلام) لأهل الكوفة:
- ١٢٢٩ إجراءات الامويين:
- ١٢٢٩ اعتقال الصيداوى و قتله:
- ١٢٣٠ مع زهير بن القين:
- ١٢٣١ أنباء الانتكاسه تتوارد على الإمام(عليه السلام):
- ١٢٣٢ لقاء الإمام الحسين(عليه السلام) مع الحر:
- ١٢٣٤ النزول فى أرض الميعاد:
- ١٢٣٦ جيش الكوفة ينطلق بقياده عمر بن سعد:
- ١٢٣٨ البحث السادس:ماذا جرى فى كربلاء؟
- ١٢٣٨ ليله عاشوراء:
- ١٢٤٢ يوم عاشوراء:
- ١٢٤٢ خطاب الإمام(عليه السلام) فى جيش الكوفة:
- ١٢٤٤ الحر يختير نفسه بين الجنّه و النار:
- ١٢٤٤ المعركه الخالده:
- ١٢٥١ استشهاد الإمام الحسين(عليه السلام)
- ١٢٥٢ الحسين(عليه السلام) وحيدا فى الميدان:
- ١٢٥٤ امتداد الحمرة فى السماء:
- ١٢٥٥ حرق الخيام و سلب حرائر النبوه:
- ١٢٥٥ الخيل تدوس الجثمان الطاهر:
- ١٢٥٦ عقيله بنى هاشم أمام الجثمان العظيم:
- ١٢٥٨ الفصل الثالث:نتائج الثورة الحسينيه
- ١٢٥٨ اشاره
- ١٢٥٨ ١-فضح الامويين و تحطيم الإطار الدينى المزيّف:
- ١٢٦٠ ٢-إحياء رساله الإسلاميه:

- ٣-الشعور بالإثم و شيوخ النقمه على الامويين: ١٢٤١
- ٤-إحياء إرادته الامته و روح الجهاد فيها: ١٢٤٢
- الفصل الرابع:من تراث الإمام الحسين عليه السلام ١٢٤٤
- اشاره ١٢٤٤
- نظرة عاتمه في تراث الإمام الحسين(عليه السلام): ١٢٤٤
- في رحاب العقل و العلم و المعرفة: ١٢٤٥
- في رحاب القرآن الكريم: ١٢٤٧
- في رحاب السنّه النبويه المباركه: ١٢٤٩
- في رحاب أهل البيت(عليهم السلام): ١٢٧٢
- اشاره ١٢٧٢
- بشائر الحسين(عليه السلام)بالمهدي(عليه السلام)و دولته: ١٢٧٤
- في رحاب العقيدة و الكلام: ١٢٧٤
- في رحاب الأخلاق و التريبيه الروحيه: ١٢٧٨
- في رحاب مواظله الجليله: ١٢٧٨
- في رحاب الفقه و الأحكام الشرعيه: ١٢٨٠
- في رحاب أدعيه الإمام الحسين(عليه السلام): ١٢٨٢
- في رحاب أدب الإمام الحسين(عليه السلام): ١٢٨٥
- الفهرس التفصيلي ١٢٨٨
- الجزء السادس(الامام على بن الحسين زين العابدين«عليه السلام») ١٣٠١
- اشاره ١٣٠١
- اشاره ١٣٠١
- فهرس إجمالي ١٣٠٥
- [مقدمه المجمع] ١٣٠٨
- الباب الأول ١٣١٤
- اشاره ١٣١٤
- الفصل الأول:الإمام زين العابدين عليه السلام في سطور ١٣١٨

الفصل الثاني: انطباعات عن شخصيته الإمام عليه السلام ١٣٢٢

اشاره ١٣٢٢

أقوال و آراء معاصريه فيه (عليه السلام): ١٣٢٢

آراء العلماء و المؤرخين فيه (عليه السلام): ١٣٢٥

الفصل الثالث: مظاهر من شخصيه الإمام عليه السلام ١٣٢٨

اشاره ١٣٢٨

الحلم: ١٣٢٨

السخاء: ١٣٢٩

تعامله مع الفقراء: ١٣٢٩

صدقائه: ١٣٣١

العزّه و الإياء: ١٣٣٤

الزهد: ١٣٣٥

الإنباه إلى الله تعالى: ١٣٣٦

سيرته في بيته: ١٣٣٧

مع أبويه: ١٣٣٨

مع أبنائه: ١٣٣٩

مع مماليكه: ١٣٤١

الباب الثاني ١٣٤٢

اشاره ١٣٤٢

الفصل الأول: نشأه الإمام زين العابدين عليه السلام ١٣٤٤

اشاره ١٣٤٤

أمه: ١٣٤٥

كناه: ١٣٤٦

ألقابه: ١٣٤٦

الفصل الثاني: مراحل حياه الإمام زين العابدين عليه السلام ١٣٤٨

الفصل الثالث: الإمام زين العابدين عليه السلام من الولاده الى الإمامه ١٣٥٠

- ١٣٥٠ - اشارة
- ١٣٥٣ - الوضع السياسى فى العراق عند موت معاويه:
- ١٣٥٥ - النصّ على إمامه زين العابدين(عليه السلام) -
- ١٣٥٦ - الإمام زين العابدين(عليه السلام)يوم عاشوراء:
- ١٣٥٨ - الباب الثالث
- ١٣٥٨ - اشارة
- ١٣٦٠ - الفصل الأول:الإمام عليه السلام من كربلاء إلى المدينه
- ١٣٦٠ - اشارة
- ١٣٦٠ - الإمام زين العابدين(عليه السلام)بعد ملحمة عاشوراء:
- ١٣٦٢ - سبايا آل البيت(عليهم السلام)فى دمشق:
- ١٣٦٤ - الإمام(عليه السلام)فى مجلس يزيد:
- ١٣٧٠ - الفصل الثانى:حياه الإمام عليه السلام فى المدينه
- ١٣٧٠ - اشارة
- ١٣٧٣ - ثوره أهل المدينه:
- ١٣٧٩ - انشقاق البيت الاموى:
- ١٣٨٠ - تزايد المعارضه للحكم الاموى:
- ١٣٨٢ - سنوات المحن و الاضطرابات:
- ١٣٨٦ - الفصل الثالث:استشهاد الإمام زين العابدين عليه السلام
- ١٣٨٨ - الباب الرابع
- ١٣٨٨ - اشارة
- ١٣٩٠ - الفصل الأول:نظرة عامه فى مسيره أهل البيت عليهم السلام الرساليه
- ١٣٩٠ - اشارة
- ١٣٩٤ - الأخطار التى كان يواجهها الإسلام:
- ١٣٩٥ - مضاعفات الانحراف فى القيادة الإسلاميه:
- ١٣٩٦ - مضاعفات انهيار الدوله الإسلاميه:
- ١٤٠٣ - مراحل حركه الأئمه الطاهرين(عليهم السلام):

١٤٠٦	الفصل الثاني: ملامح عصر الإمام زين العابدين عليه السلام
١٤١٠	الفصل الثالث: تخطيط الإمام زين العابدين عليه السلام و جهاده
١٤١٠	اشاره
١٤١٤	١-الجهاد الفكري و العلمي:
١٤١٨	٢-الجهاد الاجتماعي و العملي:
١٤١٨	اشاره
١٤١٩	أ-الأخلاق و التربية(على مستوى الامته و أتباع أهل البيت(عليهم السلام):
١٤٢٠	ب-الإصلاح و الدوله:
١٤٢٣	ج-مقاومه الفساد:
١٤٢٤	الفصل الرابع:ظواهر فدّه في حياه الإمام زين العابدين عليه السلام
١٤٢٤	اشاره
١٤٢٤	ظاهره العباده في حياه الإمام(عليه السلام):
١٤٢٦	عباده الإمام:
١٤٢٦	١-وضوؤه:
١٤٢٦	٢-صلاته:
١٤٢٦	اشاره
١٤٢٦	أ-تطتيه للصلاه:
١٤٢٧	ب-لباسه في صلاته:
١٤٢٧	ج-خشوعه في صلاته:
١٤٢٨	د-صلاه ألف ركعه:
١٤٢٨	ه-كثره سجوده:
١٤٢٩	و-كثره تسبيحه:
١٤٢٩	ز-ملازمته لصلاه الليل:
١٤٢٩	ح-دعاؤه بعد صلاه الليل:
١٤٣٢	٣-صومه:
١٤٣٥	٤-دعاؤه:

- ١٤٣٥ أ-دعاؤه في الأسحار:
- ١٤٣٧ ٥-حجّه (عليه السلام):
- ١٤٣٧ اشاره
- ١٤٤٠ دعاؤه في يوم عرفه:
- ١٤٤٢ دعاؤه يوم عيد الأضحى:
- ١٤٤٤ ظاهره الدعاء و المناجاة في حياة الإمام(عليه السلام):
- ١٤٤٨ تجليات العرفان الإلهي:
- ١٤٥١ ظاهره البكاء في حياة الإمام(عليه السلام):
- ١٤٥٤ ظاهره الاعتقاد في حياة الإمام(عليه السلام):
- ١٤٥٨ الباب الخامس
- ١٤٥٨ اشاره
- ١٤٦٠ الفصل الأول:من تراث الإمام زين العابدين عليه السلام
- ١٤٦٠ اشاره
- ١٤٦٢ في رحاب القرآن الكريم:
- ١٤٦٢ اشاره
- ١٤٦٤ نماذج من تفسير الإمام زين العابدين(عليه السلام):
- ١٤٦٨ في رحاب الحديث الشريف:
- ١٤٧٠ في رحاب اصول العقيدة و مباحث الكلام:
- ١٤٧١ الإمام زين العابدين(عليه السلام) ينص على الأئمة من بعده و يبشّر بالمهدي(عليه السلام):
- ١٤٧٤ في رحاب الفقه و أحكام الشريعة:
- ١٤٧٩ حقائق علمية في الأدعية السجّادية:
- ١٤٨٠ أدب الإمام زين العابدين(عليه السلام):
- ١٤٨١ احتجاجات الإمام زين العابدين(عليه السلام):
- ١٤٨٧ من غرر حكم الإمام(عليه السلام) و مواعظه:
- ١٤٩٠ و من غرر كلماته(عليه السلام) :
- ١٤٩٤ الفصل الثاني:رسالة الحقوق

١٤٩٤	اشاره
١٤٩٦	عرض إجمالي للحقوق:
١٤٩٧	تفصيل الحقوق:
١٤٩٧	حق الله:
١٤٩٧	حق النفس:
١٤٩٨	حقوق الاعضاء:
١٤٩٨	حقوق الأفعال:
١٤٩٩	حقوق الأئمة:
١٤٩٩	حقوق الرعيه:
١٥٠٠	حقوق الرحم:
١٥٠١	حقوق عامه الناس و الأشياء:
١٥٠٦	الفصل الثالث: في رحاب الصحيفة السجديه
١٥٠٦	اشاره
١٥٠٨	مميزات الصحيفة السجديه:
١٥٠٩	الدور التاريخي للصحيفه السجديه:
١٥١١	سند الصحيفة السجديه:
١٥١٢	شروح الصحيفة السجديه:
١٥١٢	وصف الصحيفة ب «الكامله»:
١٥١٣	الصحيفه السجديه الجامعه:
١٥١٤	الموضوعات العامه للصحيفه الجامعه:
١٥١٩	الفصل الرابع: مدرسه الإمام زين العابدين عليه السلام
١٥٢٥	الفهرس التفصيلي
١٥٣٢	الجزء السابع (الإمام محمد بن علي الباقر «عليه السلام»)
١٥٣٢	اشاره
١٥٣٢	اشاره
١٥٣٦	فهرس اجمالي

١٥٣٨ [مقدمه المجمع]
١٥٤٦ الباب الأول
١٥٤٦ اشاره
١٥٤٨ الفصل الأول: الإمام محمد الباقر (عليه السلام) في سطور
١٥٥٢ الفصل الثاني: انطباعات عن شخصيه الإمام الباقر (عليه السلام)
١٥٥٦ الفصل الثالث: مظاهر من شخصيه الإمام الباقر (عليه السلام)
١٥٥٦ اشاره
١٥٥٧ حلمه:
١٥٥٨ صبره:
١٥٦٠ كرمه و سخاؤه:
١٥٦٠ اشاره
١٥٦٠ أ- إكرامه الفقراء:
١٥٦١ ب- عتقه العبيد:
١٥٦١ ج- صلته لأصحابه:
١٥٦٢ عبادته:
١٥٦٤ حجه:
١٥٦٥ مناجاته مع الله تعالى:
١٥٦٥ ذكره لله تعالى:
١٥٦٦ زهده في الدنيا:
١٥٦٨ الباب الثاني
١٥٦٨ اشاره
١٥٧٠ الفصل الأول: نشأة الإمام محمد الباقر (عليه السلام)
١٥٧٦ الفصل الثاني: مراحل حياة الإمام محمد الباقر (عليه السلام)
١٥٧٨ الفصل الثالث: الإمام الباقر في ظل جدّه و أبيه (عليهم السلام)
١٥٨٤ الباب الثالث
١٥٨٤ اشاره

١٥٨٦	الفصل الأول: جهاد أهل البيت (عليهم السلام) و دور الإمام الباقر (عليه السلام)
١٥٨٦	اشاره
١٥٩٢	مراحل حركة الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام):
١٥٩٦	الفصل الثاني: ملامح و أحداث هامه فى عصر الإمام الباقر (عليه السلام)
١٥٩٦	اشاره
١٦٠٣	الإمام الباقر (عليه السلام) مع عبد الملك بن مروان:
١٦٠٤	الإمام الباقر (عليه السلام) و تحرير النقد الاسلامى:
١٦٠٨	الوليد بن عبد الملك
١٦١٠	عمر بن عبد العزيز
١٦١٤	الإمام محمّد الباقر (عليه السلام) و عمر بن عبد العزيز
١٦١٧	يزيد بن عبد الملك
١٦١٨	هشام بن عبد الملك
١٦١٩	حمل الإمام الباقر (عليه السلام) الى دمشق و اعتقاله:
١٦٢٤	الإمام الباقر (عليه السلام) مع قتييس نصرانى
١٦٢٦	محاولة اغتيال الإمام الباقر (عليه السلام)
١٦٢٧	أهم ملامح عصر الإمام محمد الباقر (عليه السلام)
١٦٢٨	مظاهر الانحراف فى عصر الإمام الباقر (عليه السلام):
١٦٢٨	اشاره
١٦٢٨	أولاً: الانحراف الفكرى و العقائدى
١٦٣٠	ثانياً: الانحراف السياسى
١٦٣٣	ثالثاً: الانحراف الاخلاقى
١٦٣٤	رابعاً: الانحراف فى الميدان الاقتصادى
١٦٣٦	الفصل الثالث: دور الإمام الباقر (عليه السلام) فى اصلاح الواقع الفاسد
١٦٣٦	اشاره
١٦٣٧	محاور الحركة الإصلاحية العامه للإمام الباقر (عليه السلام)
١٦٣٧	أولاً: الإصلاح الفكرى و العقائدى

- ١٦٣٧ اشاره
- ١- الردّ على الافكار و العقائد الهدّامة و المذاهب المنحرفة ١٦٣٧
- ٢- الحوار مع المذاهب و الرموز المنحرفة ١٦٤٠
- ٣- إيدانه فقهاء البلاط ١٦٤٣
- ٤- الدعوه الى أخذ الفكر من مصادره النقيته ١٦٤٣
- ٥- نشر علوم أهل البيت (عليهم السلام) ١٦٤٤
- ثانياً: تأسيس المدرسه الفقهيّه النموذجيه ١٦٤٥
- ١٦٤٥ اشاره
- مميّزات مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) الفقهيته ١٦٤٧
- ثالثاً: الاصلاح السياسى ١٦٤٨
- ١٦٤٨ اشاره
- ١- الدعوه الى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ١٦٤٩
- ٢- نشر المفاهيم السياسيه السليمه ١٦٥٠
- ٣- فضح الواقع الاموى ١٦٥٢
- ٤- الدعوه الى مقاطعه الحكم القائم ١٦٥٣
- ٥- موافقه المباشره من الحكّام المنحرفين ١٦٥٤
- ٦- موقفه من الثوره المسلحه ١٦٥٦
- رابعاً: الاصلاح الاخلاقى و الاجتماعى ١٦٥٧
- ١٦٥٧ اشاره
- ١- الدعوه لتطبيق السنّه النبويه ١٦٥٧
- ٢- الدعوه الى مكارم الأخلاق ١٦٦٠
- خامساً: الاصلاح الاقتصادى ١٦٦٢
- الباب الزايع ١٦٦٦
- ١٦٦٦ اشاره
- الفصل الأول: دور الإمام (عليه السلام) فى بناء الجماعه الصالحه ١٦٦٨
- ١٦٦٨ اشاره

- أولاً:الإمام الباقر(عليه السلام)و مقومات الجماعه الصالحه ١٦٧١
- ١-العقيدده السليمه ١٦٧١
- ٢-مرجعيه أهل البيت(عليهم السلام) ١٦٧٣
- ٣-خصائص الانتماء لأهل البيت(عليهم السلام) ١٦٧٥
- ثانياً:الإمام الباقر(عليه السلام)و التزكيه ١٦٧٧
- ١-مقومات التزكيه عند الإمام الباقر(عليه السلام): ١٦٧٧
- اشاره ١٦٧٧
- أ-تحكيم العقل: ١٦٧٧
- ب-تبعيه الإراده الإنسانيه للإزاده الإلهيه: ١٦٧٨
- ج-استشعار الرقابهِ الإلهيه: ١٦٧٨
- د-التوجه الى اليوم الآخر: ١٦٧٩
- ٢-منهج التزكيه عند الإمام الباقر(عليه السلام) ١٦٧٩
- اشاره ١٦٧٩
- أ-الارتباط الدائم بالله تعالى ١٦٨٠
- ب-الاقرار بالذنب و التوبه ١٦٨١
- ج-الحذر من التورط بالذنوب ١٦٨٢
- د-تعميق الحياء الداخلي ١٦٨٢
- هـ-كسر الألفه بين الانسان و سلوكه الجاهلي ١٦٨٣
- و-ازاله الحاجز النفسى بين الانسان والسلوك السليم ١٦٨٤
- ثالثاً:المنهج التنقيفى عند الإمام الباقر(عليه السلام) ١٦٨٥
- اشاره ١٦٨٥
- ١-الحث على طلب العلم ١٦٨٥
- ٢-موقع العلماء المتميز و فضلهم ١٦٨٦
- ٣-الاخلاص فى طلب العلم ١٦٨٦
- ٤-ضروره نشر العلم و تثقيف الناس ١٦٨٧
- ٥-مزائق و آفات المتعلمين ١٦٨٧

- ١٦٨٨ -----٦-المرجعيه العلميه
- ١٦٨٩ -----٧-المؤسسات الثقافيه
- ١٦٩٠ -----رابعاً:الإمام الباقر(عليه السلام)و إحياء الروح الثوريه فى الامه
- ١٦٩٠ -----اشاره
- ١٦٩٠ -----الأول:اقامه الشعائر الحسينيه
- ١٦٩٢ -----الثانى:إحياء الإيمان بقضيه الإمام المهدي(عليه السلام)
- ١٦٩٣ -----خامساً:الإمام الباقر(عليه السلام)و تشخيص هويه الجماعه الصالحه
- ١٦٩٣ -----اشاره
- ١٦٩٤ -----محاور الانتماء فى الجماعه الصالحه
- ١٦٩٦ -----مشخصات الهويه
- ١٦٩٦ -----الأول:الاسم
- ١٦٩٧ -----الثانى:الصفات
- ١٦٩٨ -----الثالث:منزله الجماعه الصالحه
- ١٧٠٠ -----سادساً:الإمام الباقر(عليه السلام)و العلاقات فى نظام الجماعه الصالحه
- ١٧٠٠ -----اشاره
- ١٧٠٠ -----١-العلاقات داخل الجماعه الصالحه
- ١٧٠٠ -----اشاره
- ١٧٠٢ -----اسس العلاقات الداخليه
- ١٧٠٣ -----٢-العلاقات مع الجماعات الإسلاميه الأخرى
- ١٧٠٤ -----٣-العلاقه مع أهل الذمه
- ١٧٠٤ -----٤-العلاقه مع الكفار
- ١٧٠٥ -----سابعاً:الإمام الباقر(عليه السلام)و النظام الأمنى للجماعه الصالحه
- ١٧٠٥ -----اشاره
- ١٧٠٥ -----١-التقيّه
- ١٧٠٨ -----٢-كتمان الاسرار
- ١٧٠٩ -----٣-التوازن فى العلاقه مع الحكام

- ١٧١١ - ٤-مراعاة المستويات المختلفه
- ١٧١١ - ثامنا:الإمام الباقر(عليه السلام)و النظام الاقتصادى للجماعه الصالحه
- ١٧١١ - اشاره
- ١٧١٢ - التأكيد على أهميه العامل الاقتصادى
- ١٧١٤ - التوازن بين طلب الرزق و طلب المكارم
- ١٧١٥ - الموارد الماليه للجماعه الصالحه
- ١٧١٧ - التكافل داخل الجماعه الصالحه
- ١٧٢١ - تاسعا:الإمام الباقر(عليه السلام)و النظام الاجتماعى للجماعه الصالحه
- ١٧٢١ - اشاره
- ١٧٢١ - ١-الاسره
- ١٧٢٤ - ٢-الأرحام
- ١٧٢٤ - ٣-الجيران
- ١٧٢٥ - ٤-أفراد الجماعه الصالحه
- ١٧٢٥ - اشاره
- ١٧٢٩ - ٥-مجتمع المسلمين
- ١٧٣٣ - عاشرا:الإمام الباقر(عليه السلام)و مستقبل الجماعه الصالحه
- ١٧٣٨ - الفصل الثانى:اغتيال و استشهاد الإمام محمد الباقر(عليه السلام)
- ١٧٣٨ - اشاره
- ١٧٣٩ - دوافع اغتيال الإمام الباقر(عليه السلام):
- ١٧٤٠ - نضه على الإمام الصادق(عليه السلام):
- ١٧٤١ - وصاياه:
- ١٧٤٢ - تعزیه المسلمين للإمام الصادق(عليه السلام):
- ١٧٤٤ - الفصل الثالث:من تراث الإمام محمد الباقر(عليه السلام)
- ١٧٤٤ - اشاره
- ١٧٤٥ - التراث التفسيرى للإمام محمد الباقر(عليه السلام)
- ١٧٤٥ - اشاره

- ١٧٤٧ ----- نماذج من تفسيره:
- ١٧٥٠ ----- التراث الحديثي للإمام الباقر (عليه السلام):
- ١٧٥١ ----- التراث الكلامي عند الإمام الباقر (عليه السلام):
- ١٧٥١ ----- اشاره
- ١٧٥١ ----- ١-عجز العقول عن إدراك حقيقته الله:
- ١٧٥٢ ----- ٢-ازليه واجب الوجود:
- ١٧٥٣ ----- ٣-وجوب طاعه الإمام (عليه السلام):
- ١٧٥٣ ----- التراث التاريخي للإمام الباقر (عليه السلام):
- ١٧٥٣ ----- اشاره
- ١٧٥٣ ----- ١-من وحى الله لآدم:
- ١٧٥٤ ----- ٢-حكمه لسليمان:
- ١٧٥٤ ----- ٢-حكمه في التوراه:
- ١٧٥٤ ----- ٤-تسميه نوح بالعبد الشكور:
- ١٧٥٤ ----- ٥-دعاء نوح على قومه:
- ١٧٥٥ ----- ٦-اسماعيل أول من تكلم بالعريبه:
- ١٧٥٥ ----- ٨-نفي الامتية عن النبي الأكرم (صلى الله عليه و اله):
- ١٧٥٦ ----- مع السيره النبويه المباركه:
- ١٧٥٦ ----- ١-استعاره النبي (صلى الله عليه و اله) السلاح من صفوان:
- ١٧٥٦ ----- ٢-مسيره خالد الى بنى جذيمه:
- ١٧٥٨ ----- مع سيره الإمام علي (عليه السلام):
- ١٧٥٩ ----- من الملاحم التي أخبر عنها الإمام الباقر (عليه السلام):
- ١٧٦٠ ----- الجزء الثامن (الإمام جعفر بن محمد الصادق «عليه السلام»):
- ١٧٦٠ ----- اشاره
- ١٧٦٠ ----- اشاره
- ١٧٦٤ ----- فهرس اجمالي
- ١٧٦٤ ----- [مقدمه المجمع]

١٧٧٤	الباب الأول
١٧٧٤	اشاره
١٧٧٦	الفصل الأول:الإمام الصادق(عليه السلام)فى سطور
١٧٨٠	الفصل الثانى:انطباعات عن شخصيه الإمام الصادق(عليه السلام)
١٧٨٤	الفصل الثالث:مظاهر من شخصيه الإمام الصادق(عليه السلام)
١٧٨٤	اشاره
١٧٨٤	سعه علمه:
١٧٨٥	كرمه وجوده:
١٧٨٦	صدقاته فى السر:
١٧٨٧	تكريمه للضيوف:
١٧٨٨	تواضعه:
١٧٨٨	سمو أخلاقه:
١٧٨٩	صبره:
١٧٩٠	إقباله على العباده:
١٧٩٤	الباب الثانى
١٧٩٤	اشاره
١٧٩٦	الفصل الأول:نشأه الإمام جعفر الصادق(عليه السلام)
١٧٩٦	اشاره
١٧٩٦	الاسره الكريمه:
١٧٩٦	الأب الكريم:
١٧٩٧	الام الزكيه:
١٧٩٨	ولاده النور:
١٧٩٩	تاريخ ولادته:
١٧٩٩	تسميته و ألقابه:
١٨٠١	كناه:
١٨٠١	ذكاؤه:

- ١٨٠٣ ----- معرفته بجميع اللغات:
- ١٨٠٥ ----- هيبته و وقاره:
- ١٨٠٦ ----- الفصل الثّاني:مراحل حياه الإمام الصادق(عليه السلام)
- ١٨٠٨ ----- الفصل الثالث:الإمام الصادق فى ظل جدّه و أبيه(عليهم السلام)
- ١٨٠٨ ----- اشاره
- ١٨٠٨ ----- ملامح عصر الإمام زين العابدين(عليه السلام)و مواقفه
- ١٨١٢ ----- ملامح عصر الإمام محمد الباقر(عليه السلام)
- ١٨١٤ ----- متطلّبات عصر الإمام الباقر(عليه السلام)
- ١٨١٤ ----- اشاره
- ١٨١٥ ----- ١-الخط السياسى للإمام الباقر(عليه السلام)
- ١٨١٧ ----- ٢-إكمال بناء الجماعة الصالحه
- ١٨٢٠ ----- ٣-تأسيس جامعته أهل البيت(عليهم السلام)
- ١٨٢٨ ----- الباب الثّالث
- ١٨٢٨ ----- اشاره
- ١٨٣٠ ----- الفصل الأوّل:ملامح عصر الإمام الصادق(عليه السلام)
- ١٨٣٠ ----- اشاره
- ١٨٣٣ ----- ١-الوضع السياسى
- ١٨٣٣ ----- اشاره
- ١٨٣٥ ----- زيد يعلن الثوره
- ١٨٣٧ ----- موقف الإمام الصادق(عليه السلام)من ثوره زيد
- ١٨٣٨ ----- الإمام(عليه السلام)و هشام بن عبد الملك
- ١٨٣٩ ----- بدايه الانفلات
- ١٨٤١ ----- الإمام الصادق(عليه السلام)يشيد بثوره عمه زيد
- ١٨٤١ ----- مقتل يحيى بن زيد
- ١٨٤٣ ----- موقف الإمام(عليه السلام)إزاء الأحداث السياسيه
- ١٨٤٤ ----- موقف الإمام(عليه السلام)من العروض التى قدمت له

الإمام(عليه السلام)يحذّر الشيعة من المواقف الانفعاليه	١٨٤٦
٢-الوضع الفكرى	١٨٤٨
اشاره	١٨٤٨
تحريف مصادر التشريع و التاريخ:	١٨٤٩
أ-التحريف فى مجال تفسير القرآن الكريم	١٨٤٩
ب-التحريف فى مجال الحديث النبوى الشريف:	١٨٥٠
ج-التحريف فى المجال التاريخى	١٨٥١
الاتجاهات الفكرية المنحرفه	١٨٥٢
الفصل الثانى:متطلبات عصر الإمام الصادق(عليه السلام)	١٨٥٨
اشاره	١٨٥٨
١-المحور العقائدى السياسى:	١٨٦١
٢-المحور الثقافى و الفكرى:	١٨٦٦
ألف-مواجهه التيارات الإلحاديه:	١٨٦٦
ب-مواجهه تيار الغلو	١٨٦٩
ج-طرح المنهج الصحيح لفهم الشريعة:	١٨٧١
د-مواجهه التحريف و الاستغلال السياسى للقرآن و مفاهيمه:	١٨٧٦
٣-المحور الروحى و الأخلاقى	١٨٧٨
اشاره	١٨٧٨
مواصله بناء جامعه أهل البيت الاسلاميه	١٨٨٤
خصائص جامعه أهل البيت(عليهم السلام)	١٨٨٤
التخصص العلمى فى مدرسه الإمام(عليه السلام)	١٨٨٨
الفصل الثالث:دور الإمام(عليه السلام)فى بناء الجماعه الصالحه	١٨٩٤
اشاره	١٨٩٤
الهدف من ايجاد الجماعه الصالحه	١٨٩٥
اشاره	١٨٩٥
١-المحافظه على المجتمع الاسلامى	١٨٩٥

- ٢-الحفاظ على الشريعة الإسلاميه - ١٨٩٧
- ٣-المطالبه بالحكم الإسلامى - ١٨٩٨
- الدور الخاص للإمام الصادق(عليه السلام)فى بناء الجماعه الصالحه - ١٩٠٠
- ألف:البناء الجهادى - ١٩٠٠
- اشاره - ١٩٠٠
- ترسيخ مبادئ و أهداف و معالم الثوره الحسينيه - ١٩٠١
- ب:البناء الروحى و الايمانى - ١٩٠٦
- اشاره - ١٩٠٦
- مظاهر عمق الإيمان - ١٩٠٩
- القدوه الحسنه - ١٩١٠
- ج:البناء الاجتماعى - ١٩١٢
- اشاره - ١٩١٢
- الانفتاح على الامه - ١٩١٢
- تأكيد علاقته الاخوه: - ١٩١٤
- موقف الإمام(عليه السلام)من الهجران و المقاطعه - ١٩١٦
- الخط التربوى للإمام الصادق(عليه السلام) - ١٩١٦
- اشاره - ١٩١٦
- النقطه الاولى:فى الدعوه و الاصلاح - ١٩١٧
- النقطه الثانيه:التعامل التربوى فى مجال العلم و التعلم - ١٩١٧
- النقطه الثالثه:الضابطه التربويه للتصدى و القيادة - ١٩١٨
- النقطه الرابعه:المحنه و قدره على المقاومه - ١٩١٩
- الباب الزايع - ١٩٢٠
- اشاره - ١٩٢٠
- الفصل الأول:نهايه الحكم الاموى و بدايه الحكم العباسى - ١٩٢٢
- اشاره - ١٩٢٢
- ١-المستجدات السياسيه - ١٩٢٢

- ٢-الحركة العباسية[النشأة و الأساليب] ١٩٢٧
- اشاره ١٩٢٧
- الاسلوب الأول: ١٩٢٩
- الاسلوب الثاني: ١٩٣٠
- الاسلوب الثالث: [أخفاء اسم الخليفة الذى يدعون اليه] ١٩٣٠
- الاسلوب الرابع: ١٩٣١
- اشاره ١٩٣١
- اجتماع الأبناء ١٩٣٢
- تحرك العباسيين بعد المؤتمر ١٩٣٤
- ٣-موقف الإمام(عليه السلام)من الاحداث ١٩٣٨
- اشاره ١٩٣٨
- موقف الإمام(عليه السلام)من عرض أبى سلمه الخلال ١٩٣٩
- موقف الإمام الصادق(عليه السلام)من العلويين ١٩٤١
- نهايه أبى سلمه الخلال ١٩٤٢
- موقف الإمام(عليه السلام)من عرض أبى مسلم ١٩٤٣
- ٤-منهج الإمام(عليه السلام)فى هذه المرحله ١٩٤٤
- اشاره ١٩٤٤
- التصعيد العباسى و موقف الإمام(عليه السلام) ١٩٤٦
- الحضور فى أجهزه السلطه ١٩٥٥
- الإمام الصادق يرشح الاعتقاد بالإمام المهدي(عليه السلام) ١٩٥٦
- الفصل الثانى:حكومه المنصور و استشهاد الإمام الصادق(عليه السلام) ١٩٥٨
- اشاره ١٩٥٨
- المنصور و التضييق على الإمام الصادق(عليه السلام) ١٩٥٨
- اشاره ١٩٥٨
- الاتجاه الأول: ١٩٥٩
- الاتجاه الثانى: ١٩٦١

- الاتجاه الثالث: ١٩٦٥
- تحرك العلويين نحو الثورة ١٩٦٧
- موقف الإمام (عليه السلام) من آل الحسن ١٩٦٩
- ثوره محمد بن عبد الله (ذي النفس الزكية) ١٩٧٠
- موقف الإمام (عليه السلام) من الثورة: ١٩٧٢
- الإمام الصادق يهتئ الخ خط الشيعة للمواصله ١٩٧٢
- محاصره الإمام (عليه السلام) قبيل استشهاده ١٩٧٨
- الإمام الصادق (عليه السلام) في ذمه الخلود ١٩٧٩
- الفصل الثالث: تراث الإمام الصادق (عليه السلام) ١٩٨٦
- اشاره ١٩٨٦
- أعلام الستة الذين أخذوا عن الإمام الصادق (عليه السلام): ١٩٨٧
- مصادر المعرفة و آثارها ١٩٩٢
- الأنبياء و الأئمه ١٩٩٣
- الإسلام و الإيمان ١٩٩٣
- التفقه في الدين ١٩٩٥
- مصادر التشريع الإسلامي ١٩٩٥
- علم الأئمه (عليهم السلام) ١٩٩٦
- المناهج المنحرفه ١٩٩٧
- نماذج من الفهم الخاطئ ١٩٩٨
- منهج التفقه في الدين ١٩٩٩
- قواعد فقهية عامه ٢٠٠١
- نماذج من فقه الإمام الصادق (عليه السلام) ٢٠٠٣
- نماذج من مواضع الإمام الصادق (عليه السلام) ٢٠٠٦
- الفهرس التفصيلي ٢٠٠٨
- الجزء التاسع (الإمام موسى بن جعفر الكاظم «عليه السلام») ٢٠١٤
- اشاره ٢٠١٤

٢٠١٤	اشاره
٢٠١٨	فهرس إجمالى
٢٠٢٠	[مقدمه المجمع]
٢٠٢٨	الباب الأول
٢٠٢٨	اشاره
٢٠٣٠	الفصل الأول:الإمام موسى الكاظم(عليه السلام)فى سطور
٢٠٣٤	الفصل الثانى:انطباعات عن شخصيه الإمام موسى الكاظم(عليه السلام)
٢٠٤٠	الفصل الثالث:مظاهر من شخصيه الإمام الكاظم(عليه السلام)
٢٠٤٠	اشاره
٢٠٤٠	١-وفور علمه:
٢٠٤١	٢-عبادته و تقواه:
٢٠٤٤	٣-زهده:
٢٠٤٥	٤-جوده و سخاؤه:
٢٠٤٦	٥-حلمه:
٢٠٤٨	٦-ارشاده و توجيهه:
٢٠٤٩	٧-احسانه الى الناس:
٢٠٥٢	الباب الثانى
٢٠٥٢	اشاره
٢٠٥٤	الفصل الأول:نشأه الإمام موسى الكاظم(عليه السلام)
٢٠٦٠	الفصل الثانى:مراحل حياه الإمام الكاظم(عليه السلام)
٢٠٦٤	الفصل الثالث:الإمام موسى الكاظم فى ظلّ أبيه(عليهما السلام)
٢٠٦٤	اشاره
٢٠٦٨	نصوص الإمام الصادق(عليه السلام)على إمامه موسى الكاظم(عليه السلام)
٢٠٧٤	الباب الثالث
٢٠٧٤	اشاره
٢٠٧٦	الفصل الأول:ملامح عصر الإمام الكاظم(عليه السلام)

٢٠٧٦	اشاره
٢٠٧٦	النقطه الأولى:
٢٠٧٨	النقطه الثانيه:
٢٠٨٢	النقطه الثالثه:
٢٠٨٣	النقطه الرابعه:
٢٠٨٣	النقطه الخامسه:
٢٠٨٤	النقطه السادسه:
٢٠٨٨	الفصل الثاني:مواقف الإمام الكاظم(عليه السلام) في عهد المنصور
٢٠٨٨	اشاره
٢٠٨٩	الاتجاه الأول:الإمام الكاظم(عليه السلام)و إحكام المواقع
٢٠٩٢	الاتجاه الثاني:الإمام الكاظم(عليه السلام)و معالجه الانهيار الاخلاقي
٢٠٩٥	الاتجاه الثالث:الإمام الكاظم و التحديتات الداخليه
٢٠٩٩	الاتجاه الرابع:الإمام الكاظم(عليه السلام)و تركيز قياده الشرعيه السياسيّه
٢٠٩٩	اشاره
٢٠٩٩	النشاط الأول:في المجال الفكري
٢١٠١	النشاط الثاني:في المجال العملي
٢١٠١	اشاره
٢١٠٢	الإمام موسى بن جعفر(عليه السلام)يخبر بموت المنصور
٢١٠٤	الفصل الثالث:الإمام الكاظم(عليه السلام)و حكومه المهدي العباسي
٢١٠٤	اشاره
٢١٠٤	ملامح عهد المهدي العباسي
٢١٠٩	النشاط العام للإمام الكاظم(عليه السلام)
٢١٠٩	اشاره
٢١٠٩	١-المجال السياسي:
٢١١٣	٢-المجال الاخلاقي و التربوي:
٢١١٤	٣-المجال العلمي

- الإمام الكاظم(عليه السلام)و بناء الجماعه الصالحه ٢١١٧
- اشاره ٢١١٧
- أولاً:تركيز الانتماء لخط أهل البيت(عليهم السلام) ٢١١٨
- اشاره ٢١١٨
- الهدف الأول:الإحاطه بالوضع السياسى ٢١١٨
- الهدف الثانى:قضاء حوائج المؤمنين ٢١١٩
- الهدف الثالث:التأثير فى السياسه العاتمه(عليه السلام) ٢١٢٠
- ثانياً:التثقيف السياسى ٢١٢١
- ثالثاً:البناء العملى و الانتماء الفكرى: ٢١٢٣
- اعتقال الإمام الكاظم(عليه السلام) ٢١٢٤
- الإمام الكاظم(عليه السلام)فى حكمه موسى الهادى العباسى ٢١٢٥
- ثوره فخ ٢١٢٦
- اشاره ٢١٢٦
- أسباب الثوره ٢١٢٦
- نتائج الثوره ٢١٢٨
- تحليل ثوره فخ و موقف الإمام موسى الكاظم(عليه السلام)منها ٢١٢٩
- موسى الهادى يحاول عزل الرشيد من ولايه العهد: ٢١٣٠
- الباب الرابع ٢١٣٢
- اشاره ٢١٣٢
- الفصل الأول:ملاح عهده الرشيد و سياسته مع الإمام الكاظم(عليه السلام) ٢١٣٤
- اشاره ٢١٣٤
- البحث الأول:ملاح عهده الرشيد: ٢١٣٥
- البحث الثانى:موقف الرشيد من الإمام الكاظم(عليه السلام) ٢١٣٩
- اشاره ٢١٣٩
- الطائفه الاولى: ٢١٣٩
- الطائفه الثانيه: ٢١٤٤

- ٢١٥٢ الفصل الثّاني: موقف الإمام الكاظم(عليه السلام) من حكم الرشيد
- ٢١٥٢ اشاره
- ٢١٥٢ الإمام(عليه السلام) و سياسه الرشيد
- ٢١٥٤ الإمام(عليه السلام) و الجماعه الصالحه
- ٢١٥٤ اشاره
- ٢١٥٥ المجال السياسى:
- ٢١٥٥ اشاره
- ٢١٥٥ الخطوه الاولى: تأكيد الانتماء السياسى لخطّ أهل البيت:
- ٢١٥٦ الخطوه الثانيه: التأكيد على مبدأ التقيه:
- ٢١٥٧ الخطوه الثالثه: النفوذ فى الجهاز الحاكم
- ٢١٥٩ المجال التربوى:
- ٢١٦٤ المجال العلمى و الفكرى:
- ٢١٦٤ اشاره
- ٢١٦٧ منهج الاستنباط و التفقه فى الدين:
- ٢١٦٨ المناظرات فى عصر الإمام الكاظم(عليه السلام)
- ٢١٧٢ الفصل الثالث: اعتقالات الإمام(عليه السلام) حتى استشهاده
- ٢١٧٢ اشاره
- ٢١٧٢ التخطيط لسجن الإمام(عليه السلام)
- ٢١٧٥ اعتقال الإمام(عليه السلام)
- ٢١٧٥ الإمام(عليه السلام) فى سجن البصره:
- ٢١٧٦ الايعاز لعيسى باغتيال الإمام(عليه السلام)
- ٢١٧٦ حمل الإمام(عليه السلام) الى بغداد
- ٢١٧٧ دعاء الإمام(عليه السلام) و اطلاق سراحه
- ٢١٧٨ الاعتقال الثانى للإمام(عليه السلام)
- ٢١٧٩ الإمام(عليه السلام) فى سجن السندي بن شاهك
- ٢١٧٩ نشاط الإمام(عليه السلام) داخل السجن

- ٢١٧٩ اشاره
- ٢١٧٩ ١-عبادته داخل السجن:
- ٢١٨٠ ٢-اتصال العلماء به:
- ٢١٨٠ ٣-إرسال الاستفتاءات إليه:
- ٢١٨٠ ٤-نصب الوكلاء:
- ٢١٨١ ٥-تعيينه لولى عهده:
- ٢١٨١ ٦-وصيته(عليه السلام):
- ٢١٨١ ٧-صلايه الإمام و شموخه أمام ضغوط الرشيد:
- ٢١٨٢ الإمام الكاظم(عليه السلام) يتحدى كبرياء هارون
- ٢١٨٢ اشاره
- ٢١٨٢ ١-إرسال جاريه له
- ٢١٨٤ ٢-محاولة سم الإمام(عليه السلام)
- ٢١٨٤ ٣-توسط لإطلاق سراحه
- ٢١٨٥ ٤-رسالة الإمام موسى الكاظم(عليه السلام)لهارون:
- ٢١٨٦ اغتيال الإمام موسى الكاظم(عليه السلام)
- ٢١٨٧ إلى الرفيق الأعلى
- ٢١٨٩ التحقيق في قتل الإمام(عليه السلام)
- ٢١٨٩ اشاره
- ٢١٩٠ الخطوه الاولى:
- ٢١٩١ الخطوه الثانيه:
- ٢١٩٢ وضع الإمام على الجسر
- ٢١٩٣ مبادره سليمان
- ٢١٩٤ تجهيز الإمام(عليه السلام)
- ٢١٩٥ تشييع الإمام(عليه السلام)و دفنه
- ٢١٩٦ الفصل الرابع:تراث الإمام الكاظم(عليه السلام)
- ٢١٩٦ اشاره

٢١٩٩	أصول العلم و مراتب المعرفة:
٢١٩٩	مصادر المعرفة و منهجها:
٢٢٢٠	التوحيد و أسس التدبير الإلهي:
٢٢٢١	من سيره الرسول(صلى الله عليه و اله) و تاريخ حياته:
٢٢٢٧	الإمامه و الأئمه:
٢٢٣٢	الوصي بعد الإمام الكاظم(عليه السلام):
٢٢٣٤	الإمام المهدي المنتظر(عجل الله فرجه):
٢٢٣٦	صحابه الرسول(صلى الله عليه و اله) و الأئمه(عليهم السلام):
٢٢٣٧	الإيمان و الكفر و الشك:
٢٢٤٠	الذنوب:
٢٢٤١	حفظ اللسان:
٢٢٤٢	الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر:
٢٢٤٣	الشهيد و المجاهد في سبيل الله:
٢٢٤٤	الغنائم:
٢٢٤٤	العمل و المعيشه:
٢٢٤٦	الدعاء و الزياره:
٢٢٤٨	من مواعظ و حكم الإمام الكاظم(عليه السلام):
٢٢٥٥	الفهرس التفصيلي:
٢٢٦٢	الجزء العاشر(الإمام على بن موسى الرضا«عليه السلام»):
٢٢٦٢	اشاره:
٢٢٦٢	اشاره:
٢٢٦٦	فهرس اجمالي:
٢٢٦٨	[مقدمه المجمع]
٢٢٧٦	الباب الأول:
٢٢٧٦	اشاره:
٢٢٧٨	الفصل الأول:الإمام الرضا(عليه السلام)في سطور

٢٢٨٠	الفصل الثّاني:انطباعات عن شخصيّة الإمام الرضا(عليه السلام)
٢٢٨٦	الفصل الثالث:مظاهر من شخصيّة الإمام الرضا(عليه السلام)
٢٢٨٦	اشاره
٢٢٨٨	زهده:
٢٢٨٩	سخاؤه:
٢٢٩٢	علمه:
٢٢٩٤	معرفته بجميع اللغات:
٢٢٩٥	الإمام(عليه السلام)و الملاحم:
٢٢٩٩	عبادته و تقواه:
٢٣٠٢	تسلّحه بالدعاء:
٢٣٠٤	الباب الثّاني
٢٣٠٤	اشاره
٢٣٠٦	الفصل الأوّل:نشأة الإمام الرضا(عليه السلام)
٢٣١٠	الفصل الثّاني:مراحل حياة الإمام الرضا(عليه السلام)
٢٣١٢	الفصل الثالث:الإمام الرضا في ظلّ أبيه الكاظم(عليهما السلام)
٢٣١٢	اشاره
٢٣١٤	الإمام الكاظم و التمهيد لإمامه الرضا(عليه السلام)
٢٣١٦	الوصيّة بالإمامه
٢٣١٨	الوصيه في المراحل الاولى(١٥٠-١٧٨ هـ)
٢٣٢١	الوصيه في مرحله الاعتقال
٢٣٢٣	إمامه الرضا(عليه السلام)و زمن الاعلان عنها
٢٣٢٤	الباب الثالث
٢٣٢٤	اشاره
٢٣٢٦	الفصل الأوّل:الإمام الرضا(عليه السلام)و محنه أبيه الكاظم(عليه السلام)
٢٣٢٦	اشاره
٢٣٢٩	الانفراج النسبي في عهد هارون

٢٣٣٠	التصدى للإمامه
٢٣٣٢	الفصل الثانی:مظاهر الانحراف فى عصر الإمام الرضا(عليه السلام)
٢٣٣٢	اشاره
٢٣٣٢	الانحراف الفكرى
٢٣٣٢	اشاره
٢٣٣٦	التلاعب بأموال المسلمين
٢٣٣٨	الانحراف الاخلاقى
٢٣٤٢	الانحراف السياسى
٢٣٤٢	١-الأوضاع السياسيه فى عهد هارون
٢٣٤٢	اشاره
٢٣٤٣	أولاً:الارهاب
٢٣٤٥	ثانياً:الاستبداد
٢٣٤٥	ثالثاً:الأخطار الخارجيه
٢٣٤٦	رابعاً:إختلال الجبهه الداخليه
٢٣٤٨	٢-الأوضاع السياسيه فى عهد محمد(الأمين)
٢٣٥٠	الفصل الثالث:دور الإمام الرضا(عليه السلام)قبل ولايه العهد
٢٣٥٠	اشاره
٢٣٥٠	الإصلاح الفكرى والدينى
٢٣٥٠	اشاره
٢٣٥١	أولاً:الرد على الانحرافات الفكرية
٢٣٥٤	ثانياً:نشر الافكار السليمه
٢٣٥٥	ثالثاً:إرجاع الامه الى العلماء
٢٣٥٦	الاصلاح الاقتصادى
٢٣٥٨	الاصلاح الاخلاقى
٢٣٥٨	اشاره
٢٣٥٨	أولاً:احياء روح الاقتداء برسول الله(صلى الله عليه و اله)

٢٣٦٠	ثانيا:القيام بدور القدوه
٢٣٦١	ثالثا:الدعوه الى مكارم الاخلاق
٢٣٦٣	رابعا:بناء الجماعه الصالحه
٢٣٦٣	اشاره
٢٣٦٤	الأول:مجموع الامه الاسلاميه
٢٣٦٤	الثاني:الجماعه الصالحه
٢٣٦٥	الاصلاح السياسى
٢٣٦٥	١-الإمام الرضا(عليه السلام)و قياده الحركه الرساليه
٢٣٧٢	٢-الدور السياسى للإمام(عليه السلام)فى عهد هارون و محمد
٢٣٧٦	الباب الرابع
٢٣٧٦	اشاره
٢٣٧٨	الفصل الأول:الإمام الرضا(عليه السلام)و ظاهره ولايه العهد
٢٣٧٨	اشاره
٢٣٧٨	وقائع و أحداث سياسيه قبل ولايه العهد
٢٣٨١	الموقف السياسى للإمام الرضا(عليه السلام)
٢٣٨٣	دوافع المأمون لفرض ولايه العهد على الإمام(عليه السلام)
٢٣٨٣	اشاره
٢٣٨٤	أولا:تهديئه الأوضاع المضطربه
٢٣٨٥	ثانيا:إضفاء الشرعيه على حكمه
٢٣٨٦	ثالثا:منع الإمام من الدعوه لنفسه
٢٣٨٦	رابعا:إبعاد الإمام عن قواعده
٢٣٨٦	خامسا:إيقاف خطر الإمام على الحكم القائم
٢٣٨٧	سادسا:تشويه سمعه الإمام(عليه السلام)
٢٣٨٧	سابعا:تفتيت جبهه المعارضه
٢٣٨٨	أسباب قبول الإمام(عليه السلام)بولايه العهد
٢٣٩٠	استثمار الإمام(عليه السلام)للظروف

- أولاً: استثمار الظروف لإقامة الدين و احياء السنّه ٢٣٩٠
- ثانياً: تعبئه الطاقات ٢٣٩١
- ثالثاً: إفشال مخططات المأمون ٢٣٩١
- رابعاً: تصحيح الأفكار السياسيّه الخاطئه ٢٣٩٢
- كيف تحققت البيعه بولاية العهد؟ ٢٣٩٣
- فقرات من كتاب العهد بخط المأمون ٢٣٩٤
- فقرات مكتوبه بظهر كتاب العهد بخط الإمام(عليه السلام) ٢٣٩٤
- أوامر المأمون بعد البيعه ٢٣٩٥
- أحداث ما بعد البيعه ٢٣٩٦
- مكتسبات القبول بولاية العهد ٢٣٩٨
- اشاره ٢٣٩٨
- أولاً: اعتراف المأمون بأحقّيّه أهل البيت(عليهم السلام) ٢٣٩٨
- ثانياً: توظيف وسائل الإعلام لصالح الإمام(عليه السلام) ٢٣٩٩
- ثالثاً: حريه الإمام(عليه السلام) في مناظره أهل الأديان و المذاهب ٢٤٠١
- رابعاً: نشر مفاهيم أهل البيت(عليهم السلام) و فضائلهم ٢٤٠٣
- خامساً: حقن دماء أهل البيت(عليهم السلام) ٢٤٠٥
- الفصل الثّاني: نشاطات الإمام الرضا(عليه السلام) بعد البيعه بولاية العهد ٢٤٠٦
- اشاره ٢٤٠٦
- افشال خطط المأمون ٢٤٠٦
- إصلاح القضاء ٢٤٠٧
- اصلاح الأعمال الإداريه ٢٤٠٩
- نشر الآراء السديده في داخل البلاط ٢٤١٠
- نصائح الإمام الرضا(عليه السلام) للمأمون ٢٤١١
- الحفاظ على الوجود الاسلامي ٢٤١٢
- إظهار الكرامات و استثمارها في الإصلاح ٢٤١٤
- تشجيع الشعراء الرساليين ٢٤١٦

٢٤١٧	النشاطات العلميه للإمام الرضا(عليه السلام)
٢٤١٩	الإمام(عليه السلام)و المستقبل
٢٤٢٠	النصّ على إمامه محمّد الجواد(عليه السلام)
٢٤٢٣	الاعداد لدوله المهديّ المنتظر(عجل الله تعالى فرجه)
٢٤٢٧	اغتيال الإمام الرضا(عليه السلام)
٢٤٣٠	أسباب إقدام المأمون على سمّ الإمام(عليه السلام)و اغتياله
٢٤٣٤	الفصل الثالث:مدرسه الإمام الرضا(عليه السلام)احتجاجاته و تراثه
٢٤٣٤	اشاره
٢٤٣٦	البحث الأول:مدرسه الإمام الرضا(عليه السلام)
٢٤٣٩	البحث الثاني:احتجاجات الإمام الرضا(عليه السلام)
٢٤٣٩	اشاره
٢٤٤١	١-حواره مع الثنويه
٢٤٤٢	٢-حواره مع أصحاب الأديان
٢٤٤٥	٣-حواره مع علي بن الجهم
٢٤٤٧	٤-حواره مع صاحب الجائليق
٢٤٤٨	٥-حواره مع أرباب المذاهب الإسلاميه
٢٤٧٨	٦-حواره مع المأمون
٢٤٧٩	٧-حواره مع متكلمي الفرق الإسلاميه
٢٤٨٢	٨-حواره مع يحيى بن الصّحاح السمرقندي
٢٤٨٣	٩-حواره مع سليمان المروزي
٢٤٩٦	١٠-حواره مع فقهاء المذاهب الإسلاميه
٢٤٩٧	البحث الثالث:تراث الإمام الرضا(عليه السلام)
٢٤٩٧	اشاره
٢٤٩٩	في رحاب العقل و العلم و المعرفة
٢٥٠٠	في رحاب القرآن الكريم
٢٥٠٠	في رحاب التوحيد

٢٥٠١ فى رحاب النبوه و الأنبياء
٢٥٠٣ فى رحاب الإمامه و الأئمه
٢٥٠٥ فى رحاب الغدير:
٢٥٠٦ فى رحاب فقه الإمام الرضا(عليه السلام)
٢٥٠٧ فى رحاب مواعظه و قصار كلماته
٢٥١٠ الفهرس التفصيلى
٢٥٢٠ الجزء الحادى عشر(الإمام محمد بن على الجواد«عليه السلام»)
٢٥٢٠ اشاره
٢٥٢٠ اشاره
٢٥٢٤ فهرس إجمالى
٢٥٢٦ [مقدمه المجمع]
٢٥٣٤ الباب الأوّل
٢٥٣٤ اشاره
٢٥٣٦ الفصل الأوّل:الإمام محمّد الجواد(عليه السلام) فى سطور
٢٥٣٨ الفصل الثّانى:انطباعات عن شخصيه الإمام الجواد(عليه السلام)
٢٥٤٦ الفصل الثّالث:مظاهر من شخصيّة الإمام الجواد(عليه السلام)
٢٥٤٦ اشاره
٢٥٤٦ أ-تكلّمه فى المهّد:
٢٥٤٨ ب-إتيانه الحكم صبيا:
٢٥٤٩ ج-علمه:
٢٥٤٩ اشاره
٢٥٥٠ ١-التوحيد:
٢٥٥١ ٢-تفسير القرآن الكريم و تأويله:
٢٥٥٣ ٣-الحديث:
٢٥٥٥ ٤-نماذج من فقهه(عليه السلام):
٢٥٥٥ اشاره

٢٥٥٥	الصلاه:
٢٥٥٦	الزكاه:
٢٥٥٦	الحج:
٢٥٥٧	٥-فلسفه التشريع و علل الأحكام:
٢٥٥٧	د-عبادته و نسكه:
٢٥٥٧	اشاره
٢٥٥٨	١-نوافله:
٢٥٥٩	٢-حجه:
٢٥٥٩	٣-أذكار الإمام و أدعيته و مناجاته:
٢٥٥٩	اشاره
٢٥٥٩	من أدعيته(عليه السلام)في حال القنوت:
٢٥٦٠	من أدعيته اذا انصرف من الصلاه:
٢٥٦٠	من دعائه(عليه السلام)عند الصباح و المساء لقضاء الحوائج:
٢٥٦١	ه-معجزاته و كراماته(عليه السلام):
٢٥٦٣	و-من مكارم اخلاقه الاجتماعيه
٢٥٦٣	اشاره
٢٥٦٤	١-السخاء:
٢٥٦٥	٢-الإحسان إلى الناس:
٢٥٦٦	٣-المواساه للناس:
٢٥٦٨	الباب الثّاني
٢٥٦٨	اشاره
٢٥٧٠	الفصل الأوّل:نشأه الإمام محمّد الجواد(عليه السلام)
٢٥٧٢	الفصل الثّاني:مراحل حياه الإمام محمد الجواد(عليه السلام)
٢٥٧٤	الفصل الثالث:الإمام الجواد في ظل أبيه(عليهما السلام)
٢٥٧٤	اشاره
٢٥٧٥	سياسه العباسيين مع الرعيه:

- ٢٥٧٨ الحاله السياسييه فى هذه المرحله:
- ٢٥٧٩ محمّد الأمين:نزعاته و سياسته
- ٢٥٨١ الحروب الطاحنه:
- ٢٥٨٢ قتل الأمين:
- ٢٥٨٣ خلفه إبراهيم الخليج:
- ٢٥٨٣ ثوره أبى السرايا:
- ٢٥٨٥ عبد الله المأمون:نزعاته و سياسته
- ٢٥٨٥ من أبرز نزعات المأمون و صفاته:
- ٢٥٨٥ ١-الدهاء:
- ٢٥٨٦ ٢-القسوه:
- ٢٥٨٦ ٣-الغدر:
- ٢٥٨٦ ٤-ميله إلى اللهو:
- ٢٥٨٦ اشاره
- ٢٥٨٦ لعبه بالشطرنج:
- ٢٥٨٧ ولعه بالموسيقى:
- ٢٥٨٧ ٥-تظاهرة بالتشيع:
- ٢٥٨٧ اشاره
- ٢٥٨٧ أ-ردّ فدك للعلوتين:
- ٢٥٨٧ ب-تفضيل الإمام على بن أبى طالب(عليه السلام)على الصحابه:
- ٢٥٨٨ ج-ولايه العهد للإمام الرضا(عليه السلام):
- ٢٥٨٩ وقفه عند سلوك المأمون و نزعاته:
- ٢٥٩٠ التحدّيات التى واجهت حكم المأمون و موقفه منها
- ٢٥٩١ و أهمّ ما كان يواجه المأمون ما يلى:
- ٢٥٩١ و أمام هذه التحديات قام المأمون بما يلى:
- ٢٥٩٢ العلاقه بين الإمام الرضا(عليه السلام)و المأمون
- ٢٥٩٢ اشاره

- أ-حاله الامه بلحاظ القياده الشرعيه: ٢٥٩٢
- ب-تحرك المأمون على واقع المستويات الثلاثه: ٢٥٩٢
- ج-مع المؤمنين الواعين ٢٥٩٦
- طبيعه حكم المأمون ٢٥٩٨
- استشهاد الرضا(عليه السلام)و النض على إمامه الجواد(عليه السلام) ٢٦٠٠
- الإمام الرضا(عليه السلام)و إمامه ابنه الجواد(عليه السلام) ٢٦٠٠
- الإمام الجواد(عليه السلام)عند استشهاد أبيه ٢٦٠٢
- الباب الثالث ٢٦٠٨
- اشاره ٢٦٠٨
- الفصل الأول:ملامح عصر الإمام الجواد(عليه السلام) ٢٦١٠
- اشاره ٢٦١٠
- ١-الحياه الثقافيه: ٢٦١٠
- اشاره ٢٦١٠
- المراكز الثقافيه: ٢٦١١
- العلوم السائده: ٢٦١٣
- اشاره ٢٦١٣
- ١-علوم القرآن: ٢٦١٣
- ٢-علم الحديث: ٢٦١٥
- ٣-الفقه: ٢٦١٥
- ٤-علم اصول الفقه: ٢٦١٦
- ٥-علم النحو: ٢٦١٦
- ٦-علم الكلام: ٢٦١٦
- ٧-علم الطب: ٢٦١٧
- ٨-علم الكيمياء: ٢٦١٧
- ٩-علم الهندسه المعماريه و المدينه. ٢٦١٧
- ١٠-علم الفلك. ٢٦١٧

- ٢٦١٧ ترجمه الكتب:
- ٢٦١٨ المعاهد و المكتبات:
- ٢٦١٨ الخرائط و المرادف:
- ٢٦١٩ ٢-الحياه السياسيه:
- ٢٦٢٥ ٣-الحياه الاقصاديه:
- ٢٦٢٥ اشاره
- ٢٦٣٢ مخلفات العباسيين من الأموال:
- ٢٦٣٦ الفصل الثاني:الإمام الجواد(عليه السلام)و حكام عصره
- ٢٦٣٦ اشاره
- ٢٦٣٦ ١-المأمون العباسي
- ٢٦٣٦ اشاره
- ٢٦٣٦ تزويج المأمون ابنته من الإمام الجواد(عليه السلام):
- ٢٦٤٣ حقيقه العلقه بين الإمام(عليه السلام)و المأمون
- ٢٦٤٦ السبب في تزويج المأمون ابنته للإمام الجواد(عليه السلام)
- ٢٦٤٧ موقف العباسيين:
- ٢٦٤٧ موقف الإمام الجواد(عليه السلام)من ابن الأئثم:
- ٢٦٤٨ مده إمامه الجواد(عليه السلام)في عهد المأمون:
- ٢٦٤٨ ٢-المعتصم العباسي
- ٢٦٤٨ اشاره
- ٢٦٤٩ المعتصم و الطليعه الاسلاميه الواعيه:
- ٢٦٥٠ الإمام الجواد(عليه السلام)و المعتصم:
- ٢٦٥٠ اشاره
- ٢٦٥٠ أ-استقدام الإمام(عليه السلام)الى بغداد:
- ٢٦٥٠ ب-اغتيال الإمام الجواد(عليه السلام):
- ٢٦٥٤ استشهاد الإمام الجواد(عليه السلام)
- ٢٦٥٩ تجهيزه و دفنه:

٢٦٦٠	عمره و تاريخ استشهاده
٢٦٦٢	الفصل الثالث:متطلبات عصر الإمام الجواد(عليه السلام)
٢٦٦٢	اشاره
٢٦٦٣	أما متطلبات الساحة الإسلامية العامه فتتلخص فيما يلي:
٢٦٦٤	و أما متطلبات الخط الرسالي و الجماعه الصالحه فهي كما يلي:
٢٦٦٦	الباب الرابع
٢٦٦٦	اشاره
٢٦٦٨	الفصل الأول:الإمام الجواد(عليه السلام)و متطلبات الساحة الإسلامية العامه
٢٦٦٨	اشاره
٢٦٦٨	١-أهل البيت(عليه السلام)و قياده الرساليه
٢٦٧٤	٢-الساحه الإسلامية و ظاهره الإمامه المبكره في مدرسه أهل البيت(عليهم السلام)
٢٦٨٠	٣-الإمام الجواد(عليه السلام)و المفاهيم المنحرفه عند الامه
٢٦٨٣	٤-الإمام الجواد(عليه السلام)و التوجه الى هموم أبناء الامه الإسلامية
٢٦٨٦	الفصل الثاني:الإمام الجواد(عليه السلام)و متطلبات الجماعه الصالحه
٢٦٨٦	اشاره
٢٦٨٦	١-الإمام الجواد(عليه السلام)يعالج ظاهره التشكيك بإمامته
٢٦٩٠	٢-الإمام الجواد(عليه السلام)و البناء الثقافى للجماعه الصالحه
٢٦٩٠	اشاره
٢٦٩٠	أ-تعميق البناء الفكرى:
٢٦٩٠	اشاره
٢٦٩٠	الإمام و الدعوه الى التوحيد الخالص:
٢٦٩٣	مكافحه الغلو:
٢٦٩٤	ب-تعميق البناء العلمى
٢٦٩٤	اشاره
٢٦٩٥	إكمال الأدوات و المنهج العلمى:
٢٦٩٧	الاجابه على الاستفتاءات الفقهيّه و الاستفسارات العلميه:

- ج-تعميق البناء التربوي ٢٧٠٠
- اشاره ٢٧٠٠
- الحكمه فى العمل: ٢٧٠٠
- التعامل مع الظالمين: ٢٧٠١
- النشاط الاجتماعى: ٢٧٠٢
- وصايا للعاملين: ٢٧٠٤
- الحث على اكتساب العلم: ٢٧٠٥
- الحث على التوبه: ٢٧٠٦
- ٣-احكام تنظيم الجماعه الصالحه و اعدادها لدور الغيبه ٢٧٠٧
- أ-نظام الوكلاء و دقه التحرك: ٢٧٠٧
- ب-المراسلات السريته: ٢٧٠٨
- ج-الإحاطه بدقائق الامور الاجتماعيه: ٢٧٠٩
- د-متابعه تربيه الأفراد: ٢٧١٠
- ٤-التمهيد لإمامه على الهادى(عليه السلام)المبكره ٢٧١٠
- ٥-الإمام الجواد(عليه السلام) و قضيه الإمام المهدي(عجل الله فرجه): ٢٧١٣
- الفصل الثالثمدرسه الإمام الجواد(عليه السلام) و تراثه ٢٧١٦
- اشاره ٢٧١٦
- البحث الأول:أصحاب الإمام الجواد(عليه السلام) ٢٧١٦
- اشاره ٢٧١٦
- مؤلفاته: ٢٧٢١
- رسائل الإمام الجواد(عليه السلام)إليه: ٢٧٢٣
- البحث الثانى:تراث الإمام الجواد(عليه السلام) ٢٧٣١
- اشاره ٢٧٣١
- ١-من تراثه التفسيرى ٢٧٣١
- ٢-من تراثه الكلامى ٢٧٣٣
- ٣-من تراثه الفقهى ٢٧٣٥

٢٧٣٧	٤-من تراثه التاريخى
٢٧٤٠	٥-الطب فى تراث الإمام الجواد(عليه السلام)
٢٧٤٠	اشاره
٢٧٤٤	علاج حمى الغبو الربع
٢٧٤٥	علاج اليرقان
٢٧٤٥	علاج ضربه الريح الخبيثه
٢٧٤٦	علاج من أصابها حيض لا ينقطع
٢٧٤٦	علاج برد المعده و خفقان الفؤاد
٢٧٤٨	علاج وجع الحصاه
٢٧٤٩	٦-الدعاء فى تراث الإمام الجواد(عليه السلام)
٢٧٤٩	اشاره
٢٧٥٠	١-المناجاه للاستخاره:
٢٧٥٠	٢-المناجاه بالاستقاله:
٢٧٥١	٣-المناجاه بالسفر:
٢٧٥٢	٤-المناجاه فى طلب الرزق:
٢٧٥٣	٥-المناجاه بالاستعاذه:
٢٧٥٣	٦-المناجاه بطلب التوبه:
٢٧٥٤	٧-المناجاه بطلب الحج:
٢٧٥٥	٨-المناجاه بكشف الظلم:
٢٧٥٥	٩-المناجاه بالشكر لله تعالى:
٢٧٥٦	١٠-المناجاه لطلب الحوائج:
٢٧٥٧	٧-فى رحاب مواظ الإمام الجواد(عليه السلام)
٢٧٦٦	الفهرس التفصيلى
٢٧٧٣	الجزء الثانى عشر(الامام على بن محمد الهادى«عليه السلام»)
٢٧٧٣	اشاره
٢٧٧٣	اشاره

٢٧٧٧	فهرس إجمالي
٢٧٧٩	[مقدمه المجمع]
٢٧٨٧	الباب الأول
٢٧٨٧	اشاره
٢٧٨٩	الفصل الأول:الإمام على بن محمد الهادى(عليه السلام)فى سطور
٢٧٩٣	الفصل الثانى:انطباعات عن شخصيه الإمام على بن محمد الهادى(عليه السلام)
٢٧٩٩	الفصل الثالث:مظاهر من شخصيه الإمام على بن محمد الهادى(عليه السلام)
٢٧٩٩	اشاره
٢٧٩٩	١-الكرم:
٢٨٠١	٢-الزهد:
٢٨٠١	٣-العمل فى المزرعه:
٢٨٠٢	٤-إرشاد الضالين:
٢٨٠٢	٥-التحذير عن مجالسه الصوفيين:
٢٨٠٤	٦-تكريمه للعلماء:
٢٨٠٥	٧-العباده:
٢٨٠٦	٨-استجابته دعائه:
٢٨٠٩	الباب الثانى
٢٨٠٩	اشاره
٢٨١١	الفصل الأول:نشأه الإمام على بن محمد الهادى(عليه السلام)
٢٨١١	اشاره
٢٨١١	١-نسيبه الشريف
٢٨١١	٢-ولادته و نشأته
٢٨١٢	٣-بشاره الرسول(صلى الله عليه و اله)بولادته
٢٨١٢	٤-كنيته و ألقابه
٢٨١٣	الفصل الثانى:مراحل حياه الإمام الهادى(عليه السلام)
٢٨١٥	الفصل الثالث:الإمام على بن محمد الهادى فى ظل أبيه الجواد(عليهما السلام)

٢٨١٥	اشاره
٢٨١٦	الشيعة و إمامه الجواد(عليه السلام)
٢٨١٧	عصر الإمام الجواد
٢٨٢٠	الحاله السياسييه
٢٨٢٣	الإمام الجواد(عليه السلام)و المأمون العباسي
٢٨٢٥	زواج الإمام الجواد(عليه السلام)
٢٨٢٧	الإمام الجواد(عليه السلام)و المعتصم
٢٨٢٨	نصوص الإمام الجواد(عليه السلام)على إمامه ولده الهادي(عليه السلام)
٢٨٣٢	استشهاد الإمام الجواد(عليه السلام)
٢٨٣٥	الباب الثالث
٢٨٣٥	اشاره
٢٨٣٧	الفصل الأول:المسيره الرساليه لأهل البيت(عليهم السلام)منذ عصر الرسول(صلى الله عليه و اله)
٢٨٣٧	اشاره
٢٨٣٧	حتى عصر الإمام الهادي(عليه السلام)
٢٨٣٨	عقبات و أخطار أمام عمليه التغيير الشامله
٢٨٤٠	مضاعفات الانحراف بعد الرسول(صلى الله عليه و اله)
٢٨٤١	انهيار الدوله الإسلاميه و مضاعفاته
٢٨٤٢	دور الأئمه الراشدين
٢٨٤٤	المهام الرساليه للأئمه الطاهرين
٢٨٤٥	موقف أهل البيت(عليهم السلام)من انحراف الحكام
٢٨٤٦	أهل البيت(عليهم السلام)و تربيه الامه
٢٨٤٧	سلامه النظرية الإسلاميه
٢٨٤٧	مراحل الحرکه الرساليه للاتمه الراشدين(عليهم السلام)
٢٨٥٠	موقع الإمام الهادي(عليه السلام)في عمليه التغيير الشامله
٢٨٥١	الفصل الثاني:عصر الإمام على بن محمد الهادي(عليه السلام)
٢٨٥١	اشاره

- المعتصم(٢١٨-٢٢٧ هـ) ٢٨٥١
- اشاره ٢٨٥١
- الإمام الهادى(عليه السلام)و المعتصم العباسى ٢٨٥٢
- الوائق(٢٢٧-٢٣٢ هـ) ٢٨٥٥
- اشاره ٢٨٥٥
- الإمام الهادى(عليه السلام)و بغا الكبير ٢٨٥٦
- الوائق و محنه خلق القرآن ٢٨٥٨
- موقف الإمام الهادى(عليه السلام)من مسأله خلق القرآن ٢٨٦٠
- إخبار الإمام الهادى(عليه السلام)بموت الواثق ٢٨٦٠
- المتوكل(٢٣٢-٢٤٧ هـ) ٢٨٦١
- اشاره ٢٨٦١
- الإمام الهادى(عليه السلام)و المتوكل العباسى ٢٨٦٣
- الوشايه بالامام(عليه السلام) ٢٨٦٥
- الإمام فى طريقه الى سامراء ٢٨٦٩
- الإمام(عليه السلام)فى سامراء ٢٨٧٢
- تفتيش دار الإمام(عليه السلام) ٢٨٧٦
- اعتقال الإمام الهادى(عليه السلام) ٢٨٨٠
- محاولة اغتيال الإمام الهادى(عليه السلام) ٢٨٨١
- دعاء الإمام(عليه السلام)على المتوكل ٢٨٨٣
- هلاک المتوكل ٢٨٨٤
- المنتصر بالله(٢٤٧-٢٤٨ هـ) ٢٨٨٥
- اشاره ٢٨٨٥
- المنتصر و العلويين ٢٨٨٥
- المستعين(٢٤٨-٢٥٢ هـ) ٢٨٨٦
- اشاره ٢٨٨٦
- الثورات فى عصره ٢٨٨٦

٢٨٨٧	المعتز (٢٥٢-٢٥٥ هـ)
٢٨٨٧	اشاره
٢٨٨٩	اضطهاد الشيعة:
٢٨٩١	الفصل الثالث: ملامح عصر الإمام الهادي (عليه السلام)
٢٨٩١	اشاره
٢٨٩١	١-الحاله السياسيه العامه
٢٨٩٥	٢-الحاله الثقافيه
٢٨٩٥	٣-الحاله الاقتصاديه
٢٨٩٦	٤-الموقع الاجتماعي و السياسي للإمام الهادي (عليه السلام)
٢٨٩٧	٥-العباسيون و الإمام الهادي (عليه السلام)
٢٨٩٨	٦-اضطهاد أتباع أهل البيت (عليهم السلام)
٢٨٩٩	٧-انتفاضات العلويين:
٢٩٠٣	الباب الرابع
٢٩٠٣	اشاره
٢٩٠٥	الفصل الأول: متطلبات عصر الإمام الهادي (عليه السلام)
٢٩٠٥	اشاره
٢٩٠٥	الدلاله الاولى:
٢٩٠٩	الدلاله الثانيه:
٢٩١٦	متطلبات الساحة الإسلاميه في عصر الإمام الهادي (عليه السلام)
٢٩١٦	اشاره
٢٩١٦	١-تجنب إثارة الحكام و عمالهم
٢٩١٧	٢-الردّ على الإثارات الفكرية و الشبهات الدينيه
٢٩١٨	٣-التحدى العلمي للسلطه و علمائها
٢٩٢٥	٤-توسيع دائره النفوذ في جهاز السلطه
٢٩٢٧	الفصل الثاني: الإمام الهادي (عليه السلام) و تكامل بناء الجماعه الصالحه و تحصيلها
٢٩٢٧	اشاره

- ٢٩٢٧ ١-الإمام الهادي(عليه السلام)و قضيه حفيده المهدي(عليه السلام)
- ٢٩٣٤ ٢-تحصين الجماعه الصالحه و إعدادها لمرحله الغيبه
- ٢٩٣٤ اشاره
- ٢٩٣٥ التحصين العقائدى
- ٢٩٣٥ اشاره
- ٢٩٣٩ الموقف من الغلاه و الفرق المنحرفه
- ٢٩٤٠ ظاهره الزياره و دورها فى التحصين العقائدى
- ٢٩٤٠ أولا:الزياره الجامعه الكبيره
- ٢٩٤١ ١-اصطفاء أهل البيت(عليهم السلام)
- ٢٩٤٢ ٢-حركه أهل البيت(عليهم السلام)
- ٢٩٤٣ ٣-الاسس الفكرية للتشيع
- ٢٩٤٥ ٤-الموالون لأهل البيت(عليهم السلام)
- ٢٩٥٠ ثانيا-زياره الغدير
- ٢٩٥٣ التحصين العلمى
- ٢٩٥٤ التحصين التربوى
- ٢٩٥٧ التحصين الأمنى
- ٢٩٥٧ اشاره
- ٢٩٥٨ أ-الحذر من تدوين الامور
- ٢٩٥٩ ب-تغيير الاسماء
- ٢٩٥٩ ج-التحذير من الحديث فى الأماكن العامه
- ٢٩٥٩ د-النفوذ فى جهاز السلطه
- ٢٩٦٠ نظام الوكلاء
- ٢٩٦٢ وكلاء الإمام الهادى(عليه السلام)
- ٢٩٦٣ التحصين الاقتصادى
- ٢٩٦٥ الفصل الثالث:الإمام الهادى(عليه السلام)فى ذمه الخلود
- ٢٩٦٥ اشاره

- ٢٩٦٥-----استشهاد الإمام الهادي(عليه السلام)-----
- ٢٩٦٧-----تجهيزه و حضور الخاصه و العامه لتشيعه-----
- ٢٩٦٨-----لماذا دفن الإمام(عليه السلام) في بيته؟-----
- ٢٩٧٠-----انتشار خبر استشهاد الإمام الهادي(عليه السلام) في البلاد-----
- ٢٩٧١-----تاريخ استشهاد(عليه السلام)-----
- ٢٩٧٣-----الفصل الرابع:مدرسه الإمام الهادي(عليه السلام) و ترائه-----
- ٢٩٧٣-----اشاره-----
- ٢٩٧٤-----البحث الأول:أصحاب الإمام(عليه السلام) و رواه حديثه-----
- ٢٩٧٤-----اشاره-----
- ٢٩٧٥-----١-ابراهيم بن عبده النيسابوري:-----
- ٢٩٧٥-----٢-ابراهيم بن محمد الهمداني:-----
- ٢٩٧٦-----٣-ابراهيم بن مهزيار:-----
- ٢٩٧٦-----٤-احمد بن اسحاق بن عبد الله الاشعري القمي:-----
- ٢٩٧٧-----٥-احمد بن محمد بن عيسى الاشعري القمي:-----
- ٢٩٧٧-----٦-أيوب بن نوح بن دراج:-----
- ٢٩٧٧-----٧-الحسن بن راشد:-----
- ٢٩٨٠-----٨-الحسن بن علي:-----
- ٢٩٨٠-----٩-الحسن بن علي الوشا:-----
- ٢٩٨١-----١٠-داود بن القاسم الجعفي:-----
- ٢٩٨٢-----١١-الريتان بن الصلت:-----
- ٢٩٨٢-----١٢-عبد العظيم الحسني:-----
- ٢٩٨٤-----١٣-عثمان بن سعيد العمري السمان:-----
- ٢٩٨٥-----١٤-علي بن مهزيار الاهوازي الدورقي:-----
- ٢٩٨٧-----١٥-الفضل بن شاذان النيشابوري:-----
- ٢٩٨٧-----اشاره-----
- ٢٩٨٧-----أثناء الإمام الحسن العسكري(عليه السلام) عليه:-----

- ٢٩٨٨ ----- ١٦-محمد بن احمد المحمودى:-----
- ٢٩٨٩ ----- ١٧-محمد بن الحسن بن أبى الخطاب الزيات:-----
- ٢٩٨٩ ----- ١٨-محمد بن الفرج الرخجى:-----
- ٢٩٨٩ ----- ١٩-معاويه بن حكيم بن معاويه بن عمار الكوفى:-----
- ٢٩٩٠ ----- ٢٠-يعقوب بن اسحاق:-----
- ٢٩٩٠ ----- النساء:-----
- ٢٩٩١ ----- البحث الثانى:نماذج من تراث الإمام الهادى(عليه السلام)-----
- ٢٩٩١ ----- ١-من تراثه التفسيرى:-----
- ٢٩٩٢ ----- ٢-من تراثه الكلامى-----
- ٢٩٩٩ ----- ٣-من تراثه الفقهى-----
- ٣٠٠٣ ----- ٤-من أذعيه الإمام الهادى(عليه السلام)-----
- ٣٠٠٥ ----- ٥-من تراثه التربوى والأخلاقى-----
- ٣٠١١ ----- الفهرس التفصيلى-----
- ٣٠٢١ ----- الجزء الثالث عشر(الإمام حسن بن على العسكرى«عليه السلام»)-----
- ٣٠٢١ ----- اشاره-----
- ٣٠٢١ ----- اشاره-----
- ٣٠٢٥ ----- فهرس إجمالى-----
- ٣٠٢٧ ----- [مقدمه المجمع]-----
- ٣٠٣٥ ----- الباب الاوّل-----
- ٣٠٣٥ ----- اشاره-----
- ٣٠٣٧ ----- الفصل الأوّل:الإمام الحسن العسكرى(عليه السلام)فى سطور-----
- ٣٠٤١ ----- الفصل الثانى:انطباعات عن شخصيه الإمام الحسن العسكرى(عليه السلام)-----
- ٣٠٤١ ----- اشاره-----
- ٣٠٤٢ ----- ١-شهادته المعتمد العباسى:-----
- ٣٠٤٢ ----- ٢-شهادته طيب البلاط العباسى:-----
- ٣٠٤٣ ----- ٣-أحمد بن عبيد الله بن خاقان:-----

٣٠٤٤-----٤-كاتب الخليفة المعتمد:

٣٠٤٤-----٥-راهب دير العاقول:

٣٠٤٤-----٦-محمد بن طلحه الشافعي:

٣٠٤٤-----٧-ابن الصباغ المالكي:

٣٠٤٧-----٨-العلامة سبط بن الجوزي:

٣٠٤٧-----٩-العلامة محمد أبو الهدى أفندي:

٣٠٤٨-----١٠-العلامة الشبراوي الشافعي:

٣٠٤٩-----الفصل الثالث:مظاهر من شخصيه الإمام الحسن العسكري(عليه السلام)

٣٠٤٩-----اشاره

٣٠٥٠-----سماعته و كرمه

٣٠٥٢-----زهده و عبادته

٣٠٥٣-----علمه و دلائل إمامته

٣٠٥٧-----الباب الثاني

٣٠٥٧-----اشاره

٣٠٥٩-----الفصل الأول:نشأه الإمام الحسن بن على العسكري(عليه السلام)

٣٠٥٩-----اشاره

٣٠٥٩-----نسبه الشريف

٣٠٥٩-----محل الولاده و تأريخها

٣٠٦٠-----ألقابه(عليه السلام)و كناه

٣٠٦١-----ملامحه

٣٠٦١-----النشأه و ظروفها

٣٠٦٧-----الفصل الثاني:مراحل حياه الإمام الحسن العسكري(عليه السلام)

٣٠٦٩-----الفصل الثالث:الإمام الحسن العسكري في ظلّ أبيه(عليهما السلام)

٣٠٦٩-----اشاره

٣٠٦٩-----١-طفوله متميزه

٣٠٧٠-----٢-عصر الإمام الهادي(عليه السلام)

٣٠٧٢	٣-مواقف الإمام الهادي(عليه السلام)تجاه الأحداث
٣٠٧٢	اشاره
٣٠٧٤	الإمام الهادي(عليه السلام)و المتوكل العباسي
٣٠٧٤	الإمام الهادي(عليه السلام)و وزير المنتصر
٣٠٧٤	الإمام الهادي(عليه السلام)و التحدّي العلمي
٣٠٧٧	الإمام الهادي(عليه السلام)و فتنه خلق القرآن
٣٠٧٩	الإمام الهادي(عليه السلام)مع أصحابه و شيعته
٣٠٧٩	اشاره
٣٠٨٠	رعايه الإمام الهادي(عليه السلام)لشيعته و قضاء حوائجهم
٣٠٨٢	الإمام الهادي(عليه السلام)و الغلاة
٣٠٨٣	الإمام الهادي(عليه السلام)و الثورات في عصره
٣٠٨٤	الإمام الهادي(عليه السلام)و أساليب مواجهه السلطه
٣٠٨٥	٤-زواج الإمام الحسن العسكري(عليه السلام)
٣٠٩٢	٥-علاقه الإمام الحسن العسكري(عليه السلام)بأخيه محمد
٣٠٩٣	٦-علاقته بأخيه الحسين:
٣٠٩٤	٧-علاقته بأخيه جعفر:
٣٠٩٤	٨-النصوص على إمامه الحسن العسكري(عليه السلام)
٣٠٩٤	اشاره
٣٠٩٥	أ-نصوص الرسول الأعظم(صلى الله عليه و اله)
٣١٠٢	ب-نصوص الأئمة المعصومين(عليهم السلام)
٣١٠٦	ج-نصوص الإمام الهادي على إمامه الحسن العسكري(عليهما السلام)
٣١١٢	٩-اغتيال الإمام الهادي(عليه السلام)و استشهاده
٣١١٤	١٠-من دلائل إمامته بعد استشهاد أبيه(عليهما السلام)
٣١١٧	الباب الثالث
٣١١٧	اشاره
٣١١٩	الفصل الأول:ملامح عصر الإمام الحسن العسكري(عليه السلام)

٣١١٩	اشاره
٣١١٩	الحاله السياسيه
٣١٢٠	الحاله الاجتماعيه
٣١٢٣	الحاله الثقافيه
٣١٢٤	الحاله الاقتصاديه
٣١٢٥	الفصل الثاني: عصر الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)
٣١٢٥	اشاره
٣١٢٧	١-المعتز العباسي (٢٥٢-٢٥٥ هـ)
٣١٢٩	٢-المهتدي العباسي (٢٥٥-٢٥٦ هـ)
٣١٢٩	اشاره
٣١٣٠	سياسه المهتدي تجاه معارضيه
٣١٣٤	٣-المعتمد ابن المتوكل العباسي (٢٥٦-٢٧٩ هـ)
٣١٣٤	اشاره
٣١٣٥	أ-ثوره الزنج:
٣١٣٦	ب-حركه ابن الصوفي العلوي:
٣١٣٦	ج-ثوره علي بن زيد في الكوفه:
٣١٣٧	د-المعتمد و الإمام العسكري (عليه السلام)
٣١٤١	ه-المعتمد و موقفه من الشيعة
٣١٤١	استشهاد الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)
٣١٤٣	الصلاه على الإمام العسكري (عليه السلام)
٣١٤٤	أولاد الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)
٣١٤٧	الفصل الثالث:متطلبات عصر الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)
٣١٥٧	الباب الرابع
٣١٥٧	اشاره
٣١٥٩	الفصل الأول:الإمام العسكري (عليه السلام) و متطلبات الساحه الإسلاميه
٣١٥٩	اشاره

- ١-الحكمه و الدقه فى التعامل مع الحكام ٣١٥٩
- ٢-الردّ على الشبهات و الدفاع عن حريم الرساله ٣١٦٠
- ٣-مواجهه الفرق المنحرفه ٣١٦٢
- ١-الإمام الحسن العسكري(عليه السلام)و الثنويه ٣١٦٣
- ٢-الإمام الحسن العسكري(عليه السلام)و الصوفيه ٣١٦٤
- ٤-الدعوه الى دين الحق ٣١٦٥
- الفصل الثّانى:الإمام العسكري(عليه السلام)و متطلّبات الجماعه الصالحه ٣١٦٧
- اشاره ٣١٦٧
- البحث الأول:الإمام الحسن العسكري و التمهيد لقضيه الإمام المهدي(عليهما السلام) ٣١٦٩
- اشاره ٣١٦٩
- الخطوه الأولى: ٣١٧١
- الخطوه الثانيه: [إشهاد الإمام الحسن العسكري(عليه السلام)على ولاده المهدي ع] ٣١٧٢
- الخطوه الثالثه: [خيار الإمام(عليه السلام)شييعته بأنّ المهدي المنتظر(ع) قد ولد] ٣١٧٣
- الخطوه الرابعه: [الاشهاد على حياه الإمام المهدي(عليه السلام)] ٣١٧٥
- الخطوه الخامسه: [إجابات الإمام المهدي(عليه السلام)على اسئله شييعته فى حياه أبيه] ٣١٧٦
- الخطوه السادسه: [تخطيطه(عليه السلام)لتسهيل الارتباط بالإمام المهدي(عليه السلام)فى غيبته الصغرى] ٣١٧٧
- الخطوه السابعه: [التهيئه لاستقبال الوضع الجديد الذى سيحلّ بهم عند غيبه الإمام المهدي(عليه السلام)] ٣١٧٨
- البحث الثانى:الإعداد لعصر الغيبه ٣١٧٨
- البحث الثالث:نظام الوكلاء فى عصر الإمام الحسن العسكري(عليه السلام) ٣١٨٢
- البحث الرابع:مدرسه الفقهاء و التمهيد لعصر الغيبه: ٣١٨٥
- البحث الخامس:قيادة العلماء الامناء على حلاله و حرامه ٣١٨٨
- البحث السادس:الإمام العسكري(عليه السلام)و الفرق الضالّه ٣١٩٠
- اشاره ٣١٩٠
- ١-الإمام العسكري(عليه السلام)و الواقفه ٣١٩١
- ٢-الإمام الحسن العسكري(عليه السلام)و المفوضه ٣١٩٣
- البحث السابع:من وصايا الإمام العسكري(عليه السلام)و ارشاداته لشييعته ٣١٩٨

٣٢٠١	البحث الثامن:الإمام العسكري(عليه السلام)و التحصين الأمني
٣٢٠٥	الفصل الثالث:من تراث الإمام الحسن العسكري(عليه السلام)
٣٢٠٥	اشاره
٣٢٠٥	أولاً:التفسير
٣٢٠٥	اشاره
٣٢٠٧	نماذج من تراثه التفسيري
٣٢٠٩	ثانياً:رساله المنقبه
٣٢٠٩	ثالثاً:مكاتبات الرجال عن العسكريين
٣٢٠٩	رابعاً:مجموعه وصايا الإمام العسكري و كتبه و توقيعاته
٣٢٢٠	خامساً:اهتمامات الإمام الحسن العسكري(عليه السلام)الفكريه و العلميه
٣٢٢٠	اشاره
٣٢٢١	من تراثه المعرفي
٣٢٢٢	من تراثه الكلامي
٣٢٢٢	١-التوحيد في نصوص الإمام العسكري(عليه السلام)
٣٢٢٣	٢-أهل البيت(عليهم السلام)و الإمامه عند الإمام العسكري(عليه السلام)
٣٢٢٤	الإمام المهدي(عليه السلام)في تراث الإمام الحسن العسكري(عليه السلام)
٣٢٢٥	السيره النبويه في تراث الإمام العسكري(عليه السلام)
٣٢٤٢	المختار من تراثه الفقهي(عليه السلام)
٣٢٤٢	اشاره
٣٢٤٢	باب الطهاره:
٣٢٤٣	باب الصلاه:
٣٢٤٤	باب الصوم:
٣٢٤٥	باب الخمس و الزكاه:
٣٢٤٦	باب الحج:
٣٢٤٦	باب النكاح و الطلاق:
٣٢٤٦	باب القضاء و الشهادات:

٣٢٤٧	باب الوصيه:
٣٢٤٩	باب الوقف:
٣٢٤٩	باب الارث:
٣٢٥٠	باب المعيشه:
٣٢٥٢	باب الأولاد:
٣٢٥٢	المختار من تراثه (عليه السلام) في الدعاء
٣٢٥٧	الفهرس التفصيلي
٣٢٦٥	الجزء الرابع عشر (الإمام المهدي عليه السلام)
٣٢٦٥	اشاره
٣٢٦٥	اشاره
٣٢٦٩	الفهرس الاجمالي
٣٢٧٢	[مقدمه المجمع]
٣٢٨٠	الباب الأول
٣٢٨٠	اشاره
٣٢٨٢	الفصل الأول: الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام) في سطور
٣٢٨٦	الفصل الثاني: المهدي الموعود (عليه السلام) و غيبته في بشارات الأديان
٣٢٨٦	اشاره
٣٢٨٦	عراقه الإيمان بالمصلح العالمي
٣٢٨٧	البشارات بالمنقذ في الكتب المقدسه
٣٢٨٨	رسوخ الفكره في الديانتين اليهوديه و النصرانيه
٣٢٩٠	الإيمان بالمصلح العالمي في الفكر غير الديني
٣٢٩١	طول عمر المصلح في الفكر الانساني
٣٢٩٢	الإيمان بالمهدي (عليه السلام) تجسيد لحاجه فطريه
٣٢٩٣	موقف الفكر الانساني من غيبه المهدي (عليه السلام)
٣٢٩٤	الفكر الديني يؤمن بظهور المصلح العالمي بعد غيبه
٣٢٩٥	الاختلاف في تشخيص هويه المنقذ العالمي

- الخط بين البشارات و تأويلها ٣٢٩٧
- منهج لحل الاختلاف ٣٢٩٧
- المهدى الإمامى و حل الاختلاف ٣٢٩٨
- رأى القاضى الساباطى ٣٢٩٩
- البشارات السماويه لا تنطبق على غير المهدى الإمامى ٣٣٠٢
- البشارات و غيبه الإمام الثانى عشر ٣٣٠٣
- البشارات و خصوصيات المهدى الإمامى ٣٣٠٤
- البشارات و أوصاف المهدى الإمامى ٣٣٠٦
- الاهتداء الى هويه المنقذ على ضوء البشارات ٣٣٠٧
- الاستناد الى بشارات الكتب السابقه و مشكله التحريف ٣٣٠٨
- الاستناد الى ما صدقه الاسلام من البشارات ٣٣١٠
- تأثير البشارات فى صياغه العقيد المهدويه ٣٣١١
- نتائج البحث ٣٣١٣
- الفصل الثالث: المهدى الموعود (عليه السلام) و غيبته فى القرآن الكريم ٣٣١٨
- اشاره ٣٣١٨
- ١- عدم خلو الزمان من الإمام ٣٣٢٠
- اشاره ٣٣٢٠
- الإمام المقصود فى الآيه ٣٣٢٢
- الإمام المنقذ من الضلاله ٣٣٢٣
- المواصفات القرآنيه لإمام الهدى ٣٣٢٤
- مصدق الإمام فى عصرنا الحاضر ٣٣٢٦
- ٢- فى كل زمان إمام شهيد على امته ٣٣٢٧
- اشاره ٣٣٢٧
- صفات الشهيد الإمام ٣٣٢٩
- الشهيد عنده «علم الكتاب» ٣٣٣١
- ٣- لا يخلو زمان من هاد الى الله بأمره ٣٣٣٥

- ٣٣٣٥ اشاره
- ٣٣٣٥ معنى «الهادى» فى القرآن
- ٣٣٣٩ الهادى منصوب من الله.
- ٣٣٤٢ الفصل الرابع:المهدى الموعود و غيبته فى المتفق عليه من السنّه
- ٣٣٤٢ اشاره
- ٣٣٤٣ ١-حديث الثقلين
- ٣٣٤٣ اشاره
- ٣٣٤٥ اللفظ المتواتر:كتاب الله و عترتى
- ٣٣٤٧ دلالات الحديث على وجود الإمام
- ٣٣٤٨ مصداق أهل البيت(عليهم السلام)
- ٣٣٤٩ عصمه الإمام و توفر شروط الحديث
- ٣٣٥١ مصداق الحديث فى العصر الحاضر
- ٣٣٥٢ ٢-احاديث الخلفاء الاثنى عشر
- ٣٣٥٢ اشاره
- ٣٣٥٢ ألفاظ الأحاديث
- ٣٣٥٤ دلالاتها على وجود الإمام المهدى(عليه السلام)
- ٣٣٥٥ ترابط أحاديث حجه الوداع
- ٣٣٥٦ مصداق الخلفاء الاثنى عشر
- ٣٣٥٧ دراسه الأحاديث مستقلة
- ٣٣٥٨ دلالة الواقع التأريخى
- ٣٣٦٠ اتصال وجود الخلفاء الاثنى عشر
- ٣٣٦١ ائمه العتره هم المصداق الوحيد
- ٣٣٦١ أدله التطبيق
- ٣٣٦٤ الاتفاق على أن المهدى خاتم الخلفاء الاثنى عشر
- ٣٣٦٤ ٣-حديث الامه الظاهره القائمه بأمر الله
- ٣٣٦٩ ٤-أحاديث عدم خلو الزمان من الإمام القرشى المنقذ من الميته الجاهليه

٣٣٦٩	اشاره
٣٣٧٠	معنى «الأمر» في الكتاب و السنه
٣٣٧٤	الباب الثاني
٣٣٧٤	اشاره
٣٣٧٦	الفصل الأول:نشأه الإمام محمّد بن الحسن المهدي(عليهما السلام)
٣٣٧٦	اشاره
٣٣٧٦	تاريخ الولاده
٣٣٧٧	تواتر خبر ولادته(عليه السلام)
٣٣٧٨	كيفية و ظروف الولاده
٣٣٧٩	الإخبار المسبق عن خفاء الولاده
٣٣٨١	خفاء الولاده علامه المهدي الموعود(عليه السلام)
٣٣٨٤	الفصل الثاني:مراحل حياه الإمام المهدي(عليه السلام)
٣٣٨٦	الفصل الثالث:الإمام المهدي في ظل أبيه(عليهما السلام)
٣٣٨٦	اشاره
٣٣٨٦	دور الإمام العسكري(عليه السلام)في إعلان الولاده
٣٣٨٨	حضوره وفاه أبيه(عليه السلام)
٣٣٩٠	الباب الثالث
٣٣٩٠	اشاره
٣٣٩٢	الفصل الأول:الغيبه الصغرى للإمام المهدي(عليه السلام)
٣٣٩٢	اشاره
٣٣٩٢	تسلّمه مهام الإمامه صغيرا
٣٣٩٤	صلاته على أبيه و إعلان وجوده
٣٣٩٦	أهدافه(عليه السلام)من الصلاه على أبيه
٣٣٩٨	غيبتا الإمام المهدي(عليه السلام)
٣٤٠٠	الفصل الثاني:أسباب الغيبه الصغرى و التمهيد لها
٣٤٠٠	اشاره

٣٤٠٠	أسباب الغيبة الصغرى
٣٤٠٢	تمهيد النبي(صلى الله عليه وآله) والائمة(عليهم السلام) لغيبة الإمام المهدي(عليه السلام)
٣٤٠٨	فلسفه مرحليته الغيبه
٣٤٠٩	تعقيب السلطه العباسيه لخبر الإمام
٣٤١٢	الفصل الثالث:إنجازات الإمام المهدي(عليه السلام)في الغيبه الصغرى
٣٤١٢	اشاره
٣٤١٢	إثبات وجوده و إمامته
٣٤١٣	إكمال ما تحتاجه الأمة من معارف الاسلام
٣٤١٤	تثبيت نظام النيباه
٣٤١٧	حفظ الكيان الايماني
٣٤١٨	إصدار الرسائل «التوقيعات»
٣٤٢٠	لقاء الإمام المهدي(عليه السلام)بأتباعه المؤمنين
٣٤٢٣	إعلان انتهاء الغيبه الصغرى
٣٤٢٤	الباب الرابع
٣٤٢٤	اشاره
٣٤٢٨	الفصل الأول:الغيبة الكبرى للإمام المهدي(عليه السلام)و أسبابها
٣٤٢٨	اشاره
٣٤٢٨	الاطار العام لتحرك الامام(عليه السلام)
٣٤٢٩	علل الغيبه في الأحاديث الشريفه
٣٤٢٩	اشاره
٣٤٣٢	١-استجماع تجارب الأمم السابقه
٣٤٣٣	٢-العامل الأمنى
٣٤٣٤	٣-السماح بوصول الحق للجميع لخروج ودائع الله
٣٤٣٤	٤-التمحيص الاعدادى لجيل الظهور
٣٤٣٥	٥-اتضاح عجز المدارس الاخرى
٣٤٣٤	٦-حفظ روح الرفض للظلم

٣٤٣٧	٧-صلاح أمره و أمر المؤمنين به
٣٤٣٧	٨-عدم توقّر العدد المطلوب من الأنصار
٣٤٣٨	الفصل الثّاني:إنجازات الإمام المهدي(عليه السلام)في غيبته الكبرى
٣٤٣٨	اشاره
٣٤٣٨	رعايته للكيان الإسلامي
٣٤٣٩	حفظ الاسلام الصحيح و تسديد العمل الاجتهادي
٣٤٤٢	تسديد الفقهاء في عصر الغيبه
٣٤٤٣	أصحاب الإمام(عليه السلام)في غيبته الكبرى
٣٤٤٤	الالتقاء بالمؤمنين في غيبته الكبرى
٣٤٤٥	ترسيخ الايمان بوجوده
٣٤٤٥	حضور موسم الحج
٣٤٤٨	الفصل الثالث:تكاليف عصر الغيبه الكبرى
٣٤٤٨	اشاره
٣٤٥١	أهميه الانتظار
٣٤٥٣	حقيقه الانتظار
٣٤٥٧	شروط الانتظار
٣٤٥٩	الانتظار و توقّع الظهور الفوري
٣٤٦٢	الباب الخامس
٣٤٦٢	اشاره
٣٤٦٤	الفصل الأوّل:علائم ظهور الإمام المهدي(عليه السلام)
٣٤٦٤	اشاره
٣٤٦٤	ملاحظات بشأنّ علائم الظهور
٣٤٦٥	العلائم الحتميه و غير الحتميه
٣٤٦٥	اللغه الرمزيه في أحاديث العلامات
٣٤٦٦	أبرز علائم الظهور
٣٤٦٨	زوال علل الغيبه

٣٤٧٢	الفصل الثّاني: سيره الإمام المهدي(عليه السلام) عند الظهور
٣٤٧٢	اشاره
٣٤٧٣	خصائص الدوله المهديه فى القرآن الكريم
٣٤٧٣	١- اتمام النور الالهى و إظهار الإسلام على الدين كله:
٣٤٧٤	٢- استخلاف صالحى المؤمنين
٣٤٧٥	٣- إقامة المجتمع التوحيدى الخالص
٣٤٧٥	٤- تحقيق الغايه من خلق النوع الانسانى
٣٤٧٦	٥- انهاء الرده عن الدين الحق
٣٤٧٧	تأريخ ظهور الإمام المهدي(عليه السلام)
٣٤٧٧	مكان ظهوره-عجل الله فرجه- و انطلاقه ثورته
٣٤٧٩	وقفه عند خطبتي إعلان الثورة
٣٤٨٠	إعلان أهداف الثورة
٣٤٨٠	الاستجابه لاستنصاره و مبايعته
٣٤٨١	خروجه الى الكوفه و تصفيه الجبهه الداخليه
٣٤٨٢	دخوله بيت المقدس و نزول عيسى(عليه السلام)
٣٤٨٣	قتل الدجال و إنهاء حاكميه الحضارات الماديه
٣٤٨٤	سيرته سيره جدّه رسول الله(صلى الله عليه و آله)
٣٤٨٥	إحياء السنه و آثار النبى(صلى الله عليه و آله)
٣٤٨٥	شدته مع نفسه و رأفته بامته
٣٤٨٦	سيرته القضائيه
٣٤٨٧	سيرته تجاه الأديان و المذاهب
٣٤٨٨	مجاربه البدع و نفى تحريف الغالين و المبطلين
٣٤٨٩	سيرته الاداريه
٣٤٨٩	سيرته الجهاديه
٣٤٩١	سيرته الماليه
٣٤٩٢	الصوره العامه للدوله المهديه فى النصوص الشرعيه

٣٤٩٦	الفصل الثالث: قبسات من تراث الإمام المهدي (عليه السلام) -
٣٤٩٦	اشاره -
٣٤٩٦	من كلامه في التوحيد و نبذ الغلو ..
٣٤٩٦	في عله الخلق و بعث الأنبياء و تعيين الأوصياء ..
٣٤٩٧	في مقام الأئمة (عليهم السلام) ..
٣٤٩٧	في انتظام نظام الإمامه و عدم خلو الأرض من الحججه ..
٣٤٩٨	تقوى الله و النجاه من الفتن ..
٣٤٩٩	رعايته للمسلمين ..
٣٥٠٠	الاستعداد الدائم للظهور ..
٣٥٠٠	نماذج من أجوبته القصيره ..
٣٥٠٠	نماذج من أدعيته و زياراته ..
٣٥٠٤	الفهرس التفصيلي ..
٣٥١٤	تعريف مركز ..

عنوان و نام پديدآور: اعلام الهدايه/المؤلف لجنة التاليف في المعاونه الثقافيه للمجمع العالمى لاهل البيت (ع).

مشخصات نشر: بيروت: المجمع العالمى لاهل البيت (ع)، المعاونه الثقافيه، ١٤٣٠ق. = ١٣٨٩.

مشخصات ظاهري: ١٤ج.

يادداشت: عربى.

يادداشت: چاپ ششم.

يادداشت: كتابنامه.

مندرجات: ج. ١. محمد المصطفى صلى الله عليه و آله و سلم خاتم الانبياء. ج. ٢. أميرالمومنين على بن أبى طالب عليه السلام. ج. ٣. سيده النساء فاطمه الزهراء عليه السلام. ج. ٤. الامام الحسن المجتبى عليه السلام. ج. ٥. الامام الحسين عليه السلام سيدالشهداء. ج. ٦. الامام على بن الحسين زين العابدين عليه السلام. ج. ٧. الامام محمدبن على الباقر عليه السلام. ج. ٨. الامام جعفربن محمدالصادق عليه السلام. ج. ٩. الامام موسى بن جعفرالكاظم عليه السلام. ج. ١٠. الامام على بن موسى الرضا عليه السلام. ج. ١١. الامام محمدبن على الجواد عليه السلام. ج. ١٢. الامام على بن محمدالهادى عليه السلام. ج. ١٣. الامام الحسن العسكري عليه السلام. ج. ١٤. خاتم الاوصياء الامام المهدي عليه السلام.

موضوع: چهارده معصوم -- سرگذشتنامه

شناسه افزوده: مجمع جهانى اهل بيت (ع). معاونت فرهنگى

رده بندى كنگره: BP36/الف ٥٨ ١٣٨٩

رده بندى ديويى: ٢٩٧/٩٥

شماره كتابشناسى ملي: ٣٨٦٢٢٥٤

ص: ١

الجزء الاول(محمد المصطفى«صلى الله عليه و آله»)

الباب الأول:

المدخل: المنهج القرآنى فى عرض و دراسه التاريخ و السيره ١٧

الفصل الأول: النبى الخاتم (صلّى الله عليه و اله) فى سطور ٢٥

الفصل الثانى: سنّه البشاره على مدى العصور ٣١

الفصل الثالث: مظاهر من شخصيه خاتم النبیین (صلّى الله عليه و اله) ٣٩

الباب الثانى:

الفصل الأول: الولاده و النشأه ٥١

الفصل الثانى: دور الفتوه و الشباب ٦١

الفصل الثالث: من الزواج الى البعثه ٦٧

الباب الثالث:

الفصل الأول: البعثه النبويه المباركه و إرهاباتها ٧٧

الفصل الثانى: مراحل حركه الرساله فى العصر المكى ٨٧

الفصل الثالث: موقف بنى هاشم من النبى (صلّى الله عليه و اله) ٩٣

الفصل الرابع: سنوات ما قبل الهجره ١٠٧

الباب الرابع:

الفصل الأول: تأسيس الدوله النبويه المباركه ١١٩

الفصل الثانى: الدفاع عن كيان الدوله الفتيه ١٣١

الفصل الثالث: تظاهر قوى الشرك و الرد الإلهى الحاسم ١٥٣

الباب الخامس:

الفصل الأول: مرحله الفتح ١٦١

الفصل الثانى: الاسلام خارج الجزيره ١٧٣

الفصل الثالث: تصفيه الوجود الوثنى خارج الجزيره ١٩٣

الفصل الرابع: أيام الرسول (صلى الله عليه و اله) الأخيره ٢٠٥

الفصل الخامس: من معالم الرساله الخالده ٢١١

الفصل السادس: تراث خاتم المرسلين (صلى الله عليه و اله) ٢١٧

ص: ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداه لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء و سيد الرسل و الأصفياء أبو القاسم المصطفى محمد (صلى الله عليه و اله) و على آله الميامين النجباء.

لقد خلق الله الانسان و زوده بعنصرى العقل و الإرادة، فبالعقل يبصر و يكتشف الحق و يميزه عن الباطل، و بالإرادة يختار ما يراه صالحا له و محققا لأغراضه و أهدافه.

و قد جعل الله العقل المميز حجه له على خلقه، و أعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته؛ فإنه هو الذى علم الإنسان ما لم يعلم، و أرشده إلى طريق كماله اللائق به، و عرفه الغايه التى خلقه من أجلها، و جاء به إلى هذه الحياه الدنيا من أجل تحقيقها.

و أوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحه معالم الهدايه الربانيه و آفاقها و مستلزماتها و طرقها، كما بين لنا عللها و أسبابها من جهه، و أسفر عن ثمارها و نتائجها من جهه اخرى.

قال تعالى:

ص: ٧

قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى [الانعام(٦):٧١].

وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [البقره(٢):٢١٣].

وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ [الاحزاب(٣٣):٤].

وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [آل عمران(٣):١٠١].

قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ [يونس(١٠):٣٥].

وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَ يَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ [سبأ(٣٤):٦].

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ [القصص(٢٨):٥٠].

فالله تعالى هو مصدر الهدايه. و هدايته هي الهدايه الحقيقيه، و هو الذي يأخذ بيد الانسان إلى الصراط المستقيم و إلى الحق القويم.

و هذه الحقائق يؤيدها العلم و يدر كها العلماء و يخضعون لها بملء وجودهم.

و لقد أودع الله في فطره الانسان النزوع إلى الكمال و الجمال ثم منّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به، و أسبغ عليه نعمه التعرّف على طريق الكمال، و من هنا قال تعالى: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات(٥١):٥٦]**. و حيث لا تتحقق العباده الحقيقيه من دون المعرفه، كانت المعرفه و العباده طريقا منحصرًا و هدفا و غايه موصله إلى قمّه الكمال.

و بعد أن زوّد الله الانسان بطاقتي الغضب و الشهوه ليحقق له و قود الحركه نحو الكمال؛ لم يؤمن عليه من سيطره الغضب و الشهوه؛ و الهوى الناشئ منهما، و الملازم لهما فمن هنا احتاج الانسان-بالإضافه إلى عقله و سائر أدوات المعرفه- ما يضمن له سلامه البصيره و الرؤيه؛ كي تتم عليه الحجّه، و تكمل نعمه الهدايه،

و تتوفّر لديه كلّ الأسباب التي تجعله يختار طريق الخير و السعاده، أو طريق الشرّ و الشقاء بملء إرادته.

و من هنا اقتضت سنّه الهدايه الربّانيه أن يسند عقل الانسان عن طريق الوحي الإلهي، و من خلال الهداه الذين اختارهم الله لتولّي مسؤوليه هدايه العباد و ذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفه و إعطاء الارشادات اللازمه لكلّ مرافق الحياه.

و قد حمل الأنبياء و أوصياؤهم مشعل الهدايه الربّانيه منذ فجر التاريخ و على مدى العصور و القرون، و لم يترك الله عباده مهملين دون حجه هاديه و علم مرشد و نور مضىء، كما أفصحت نصوص الوحي-مؤيّده لدلائل العقل- بأنّ الأرض لا تخلو من حجه لله على خلقه، لئلا يكون للناس على الله حجه، فالحجه قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق، و لو لم يبق في الأرض إلاّ اثنان لكان أحدهما الحجه، و صرح القرآن-بشكل لا يقبل الريب-قائلا: **إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** [الرعد(١٣):٧].

و يتولّي أنبياء الله و رسله و أوصياؤهم الهداه المهديون مهمه الهدايه بجميع مراتبها، و التي تتلخّص في:

١-تلقيّ الوحي بشكل كامل و استيعاب الرساله الإلهيه بصوره دقيقه. و هذه المرحله تتطلّب الاستعداد التام لتلقيّ الرساله، و من هنا يكون الاصطفاء الإلهي لرسله شأننا من شؤونه، كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلا: **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** [الانعام(٦):١٢٤] **وَ اللَّهُ يَجْتَبِي مَنْ يَرْسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ** [آل عمران(٣):١٧٩].

٢-إبلاغ الرساله الإلهيه الى البشريه و لمن ارسلوا إليه، و يتوقف الإبلاغ على الكفاءه التامه التي تتمثّل في «الاستيعاب و الإحاطه اللازمه» بتفاصيل

الرساله و أهدافها و متطلباتها، و«العصمه» عن الخطأ و الانحراف معا، قال تعالى:

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اختلفُوا فِيهِ [البقره (٢): ٢١٣].

٣- تكوين امه مؤمنه بالرساله الإلهيه، و إعدادها لدعم القياده الهاديه من أجل تحقيق أهدافها و تطبيق قوانينها فى الحياه، و قد صرحت آيات الذكر الحكيم بهذه المهمه مستخدمه عنوانى التزكيه و التعليم، قال تعالى: يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ [الجمعه (٦٢): ٢] و التزكيه هى التربيه باتجاه الكمال اللائق بالإنسان. و تتطلب التربيه القدوه الصالحه التى تتمتع بكل عناصر الكمال، كما قال تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [الاحزاب (٣٣): ٢١].

٤- صيانه الرساله من الزيغ و التحريف و الضياع فى الفتره المقرره لها، و هذه المهمه أيضا تتطلب الكفاءه العلميه و النفسيه، و التى تسمى بالعصمه.

٥- العمل لتحقيق أهداف الرساله المعنويه و تثبيت القيم الأخلاقيه فى نفوس الأفراد و أركان المجتمعات البشرىه و ذلك بتنفيذ الاطروحه الربانيه، و تطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشرى من خلال تأسيس كيان سياسى يتولى إداره شؤون الامه على أساس الرساله الربانيه للبشرىه، و يتطلب التنفيذ قياده حكيمة، و شجاعه فائقه، و صمودا كبيرا، و معرفه تامه بالنفوس و بطبقات المجتمع و التيارات الفكرىه و السياسيه و الاجتماعيه و قوانين الإدارة و التربيه و سنن الحياه، و نلخصها فى الكفاءه العلميه لإداره دوله عالميه دينيه، هذا فضلا عن العصمه التى تعبر عن الكفاءه النفسيه التى تصون القياده الدينيه من كل سلوك منحرف أو عمل خاطئ بإمكانه أن يؤثر تأثيرا سلبيا على مسيره القياده و انقياد الامه لها بحيث يتنافى مع أهداف الرساله و أغراضها.

وقد سلك الأنبياء السابقون و أوصياؤهم المصطفون طريق الهدايه الدامى، و اقتحموا سبيل التربيه الشاق، و تحمّلوا فى سبيل أداء المهام الرساليه كلّ صعب، و قدّموا فى سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهيه كلّ ما يمكن أن يقدمه الإنسان المتفانى فى مبدئه و عقيدته، و لم يتراجعوا لحظه، و لم يتلكأوا طرفه عين.

و قد توجّ الله جهودهم و جهادهم المستمرّ على مدى العصور برساله خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و اله) و حمّله الأمانه الكبرى و مسؤوليه الهدايه بجميع مراتبها، طالبا منه تحقيق أهدافها. و قد خطا الرسول الأعظم (صلى الله عليه و اله) فى هذا الطريق الوعر خطوات مدهشه، و حقّق فى أقصر فتره زمنيّه أكبر نتاج ممكن فى حساب الدعوات التغييريه و الرسالات الثوريّه، و كانت حصيله جهاده و كدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلى:

١- تقديم رساله كامله للبشريه تحتوى على عناصر الديمومه و البقاء.

٢- تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ و الانحراف.

٣- تكوين امه مسلمه تؤمن بالإسلام مبدأ، و بالرسول قائدا، و بالشريعه قانونا للحياه.

٤- تأسيس دوله إسلاميه و كيان سياسيّ يحمل لواء الإسلام و يطبّق شريعه السماء.

٥- تقديم الوجه المشرق للقياده الربانيه الحكيمه المتمثله فى قيادته (صلى الله عليه و اله).

و لتحقيق أهداف الرساله بشكل كامل كان من الضرورى:

أ- أن تستمرّ القياده الكفوءه فى تطبيق الرساله و صيانتها من أيدي العابثين الذين يتربصون بها الدوائر.

ب- أن تستمرّ عملية التربيّه الصحيحه باستمرار الأجيال؛ على يد مربّ كفوء علميا و نفسيا حيث يكون قدوه حسنه فى الخلق و السلوك كالرسول (صلى الله عليه و اله)، يستوعب الرساله و يجسدها فى كل حر كاته و سكناته.

و من هنا كان التخطيط الإلهيّ يحتمّ على الرسول (صلى الله عليه و اله) إعداد الصفوه من أهل بيته، و التصريح بأسمائهم و أدوارهم؛ لتسلّم مقاليد الحركة النبويّه العظيمة و الهدايه الربّانيه الخالده بأمر من الله سبحانه و صيانه للرساله الإلهيه التى كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين و كيد الخائنين، و تربيّه للأجيال على قيم و مفاهيم الشريعه المباركه التى تولّوا تبين معالمها و كشف أسرارها و ذخائرها على مرّ العصور، و حتى يرث الله الأرض و من عليها.

و تجلّى هذا التخطيط الربّاني فى ما نصّ عليه الرسول (صلى الله عليه و اله) بقوله: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله و عترتي، و إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

و كان أئمه أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عزّفهم النبي الأكرم (صلى الله عليه و اله) بأمر من الله تعالى لقياده الامّه من بعده.

إنّ سيره الأئمه الاثنى عشر من أهل البيت عليهم السّلام تمثّل المسيره الواقعيه للاسلام بعد عصر الرسول (صلى الله عليه و اله)، و دراسه حياتهم بشكل مستوعب تكشف لنا عن صورته مستوعبه لحركه الاسلام الأصيل الذى أخذ يشقّ طريقه إلى أعماق الامه بعد أن أخذت طاقتها الحراريه تتضاءل بعد وفاه الرسول (صلى الله عليه و اله)، فأخذ الأئمه المعصومون (عليهم السّلام) يعملون على توعيه الامه و تحريك طاقتها باتجاه إيجاد و تصعيد الوعي الرساليّ للشريعه و لحركه الرسول (صلى الله عليه و اله) و ثورته المباركه، غير خارجين عن مسار السنن الكونيه التى تتحكّم فى سلوك القياده و الامه جمعا.

و تبلورت حياه الأئمه الراشدين فى استمرارهم على نهج الرسول العظيم و انفتاح الامه عليهم و التفاعل معهم كأعلام للهدايه و مصابيح لإناره
الدرب للسالكين المؤمنين بقياداتهم، فكانوا هم الأدلاء على الله و على مرضاته، و المستقرين فى أمر الله، و التامين فى محبته، و الذائبن فى
الشوق اليه، و السابقين إلى تسلق قمم الكمال الإنساني المنشود.

و قد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد و الصبر على طاعه الله و تحتمل جفاء أهل الجفاء حتى ضربوا أعلى أمثله الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالى، ثم
اختاروا الشهاده مع العز على الحياه مع الذل، حتى فازوا بقاء الله سبحانه بعد كفاح عظيم و جهاد كبير.

و لا يستطيع المؤرخون و الكتاب أن يلموا بجميع زوايا حياتهم العطره و يدعوا دراستها بشكل كامل، و من هنا فإن محاولتنا هذه إنما هي إعطاء
قبسات من حياتهم، و لقطات من سيرتهم و سلوكهم و مواقفهم التى دونها المؤرخون و استطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسه و
التحقيق، عسى الله أن ينفع بها إنه وليّ التوفيق.

إنّ دراستنا لحركه أهل البيت (عليهم السلام) الرساليه تبدء برسول الإسلام و خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه و اله) و تنتهى بخاتم
الأوصياء، محمد بن الحسن العسكرى المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه و أنار الأرض بعدله.

و يختص هذا الكتاب بدراسه حياه الرسول المصطفى محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه و اله) الذى جسّد الإسلام بكل أبعاده، فى جميع مرافق
حياته: الفرديه و الاجتماعيه، و فى ظروف اجتماعيه و سياسيه عصبيه فأرسى قواعد القيم الإسلاميه المثلى فى واقع الفكر و العقيدته و فى افق الخلق
و السلوك و أصبح نبراسا

-على مدى العصور-يشعّ بالإيمان و الطهر و البهاء للعالمين.

و لا بدّ لنا من تقديم الشكر الى كلّ الاخوه الأعزاء الذين بذلوا جهدا وافرا و شاركوا في إنجاز هذا المشروع المبارك و إخراجة إلى عالم النور، لا سيما أعضاء لجنة التأليف بإشراف سماحة السيد منذر الحكيم حفظه الله تعالى.

و لا يسعنا إلا أن نبتهل الى الله تعالى بالدعاء و الشكر لتوفيقه على إنجاز هذه الموسوعة المباركة فإنه حسبنا و نعم النصير.

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السّلام قم المقدسه

ص: ١٤

الباب الأول

إشاره

فيه فصول:

المدخل:

المنهج القرآنى فى عرض و دراسه التاريخ و السيره

الفصل الأول:

النبيّ الخاتم (صلّى الله عليه و اله) فى سطور

الفصل الثانى:

سنّه البشاره على مدى العصور

الفصل الثالث:

مظاهر من شخصيه خاتم النبيين (صلّى الله عليه و اله)

ص: ١٥

المنهج القرآني في عرض ودراسة التاريخ و السيره

للقرآن الكريم عنايه فائقه بسيره الانبياء الهداه و له نهج خاص في عرض سيرتهم صلوات الله عليهم أجمعين.

و المنهج القرآني يقوم على مجموعه من الاسس و الاصول العلميه في كيفيه عرضه لسيره الهداه المصطفين.

إنّ القرآن الكريم ينطلق من عنصر الهدايه و هو عنصر ترشيد حركه الانسان نحو الكمال اللائق به فيختار أهدافا واقعيه لمجموعه من الحوادث التاريخيه التي تشكّل منعطفًا مهمًا في حياه الأفراد و الامم و تكون مفتاحا للدخول الى ابواب واسعه من العلوم و المعارف التي تخدم حركه الانسان التكاملية.

و القرآن الكريم يوظف شتى الأدوات للوصول الى تلك الأهداف المثلى.

فهو يخاطب العقل و العقلاء و يفتح أمام الفكر الإنساني آفاقا جديده حيث يقول:

١- فَأَقْصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١).

ص: ١٧

٢- لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١).

ف(التفكير)و(الاعتبار)في حوادث التأريخ و السيره(تاريخ الامم و سيره القاده الهداه)يشكلان هذين أساسيين في المنهج القرآنى فى مجال للتاريخ.

و لا تقتصر الأهداف على هذين بل تتعداهما الى أهداف رساليه اخرى تتجلى فى قوله تعالى:

مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَ لَكِن تَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢).

و فى قوله تعالى: وَ كَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَلْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَ جَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَ مَوْعِظَةٌ وَ ذِكْرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٣).

حيث تَضَمَّتْ كُلُّ آيَةٍ أَرْبَعَةَ أَهْدَافٍ رَسَالِيَةٍ لِاسْتِعْرَاضِ أَنْبَاءِ الْمُرْسَلِينَ وَ التَّحَدُّثِ عَنْ قَصَصِهِمْ.

و يعتمد القرآن الكريم فى منهجه التاريخى الذى يتفرّد به على الاصول التاليه:

١-الحق.

٢-العلم.

٣-المعاصره للأحداث.

٤-الاحاطه بها.

فلا يدع مجالاً- للريب و الافتراء فيما يحدث عنه و يقصّه و يستعرضه من ظواهر تاريخيه و حوادث اجتماعيه سابقه أو معاصره للتنزيل. ما دام يعتمد الحق

ص: ١٨

١- (١) يوسف(١٢):١١١.

٢- (٢) يوسف(١٢):١١١.

٣- (٣) هود(١١):١٢٠.

و العلم دون الخرافه و الخيال.

و قد أكد هذين الأصلين بقوله تعالى: إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ... (١)

و بقوله أيضا فى مطلع سورة الاعراف: فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَ مَا كُنَّا غَائِبِينَ (٢) و فيه تصريح بعنصر المعاصره للأحداث التى يقوم بعرضها.

و للقرآن الكريم بعد ذلك كله منهج علمى فى التحليل و الاستنتاج الى جانب اعتماده على الاستقراء تاره و على الاستدلال تاره اخرى.

و حين يستعرض القرآن حياه الرسل بشكل عام يذكر خطوطا عريضه تجعلهم فى صف واحد و خندق واحد و خط واحد هو خط الاسلام العام، كما قال تعالى: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ (٣).

ثم إنه يغور فى أعماق سيره كل واحد من اولى العزم من الرسل ليحيط المتلقى بأهم مفاصل سيرتهم و زواياها و ليربط بينها و بين ما سبقها و ما يلحقها من حوادث تتعلق بالخط الرسالى المستمر باستمرار الحياه.

إن من طبيعه البحث التاريخى أن تناله يد التحريف و قد يغطيه الإبهام و الغموض و قد تستره سحب دأكنه ريثما تتكشف الحقيقه بالتدرج و ينمو الانكشاف حتى يبلغ حدًا لا يستسيغ المجتمع الانسانى التغافل عنه و تجاوز الحقائق فيه.

و تشير الآيه المباركه (١١١) من سورة يوسف الى إمكان الافتراء و التلاعب بحقائق التاريخ أو المبالغه و البحث عن غير علم و سدل الستار على الحق الذى لا بد أن يظهر فى ظرف ما.

ص: ١٩

١- (١) آل عمران (٣): ٦٢.

٢- (٢) الاعراف (٧): ٧.

٣- (٣) آل عمران (٣): ١٩.

و من هنا؛ كان على المدرسه القرآنيه أن تسلح الباحث عن الحقيقه بسلاح موضوعى قادر على اكتشاف الحقيقه بشكل كامل.

لقد طرح القرآن الكريم نظريه الثواب التى لا يمكن للفكر الانسانى أن يتجاوزها فى حال من الاحوال و سماها بالمحكمات و ام الكتاب. و هى الحقائق الثابته و البينه للفكر الانسانى، و هى لا تقبل الريب أو التردد أو التشكيك بحال من الاحوال.

و الثواب دائما تشكّل الخطوط العريضة و المعالم الاساسيه للفكر الانسانى الذى يستوعب ما لا يستوعبه عالم ماده، و لكنه لا يستسيغ أن يقف مكتوف اليدين أمام المبهمات و ما يختلف فيه أبناء آدم (عليه السلام).

و يسوق القرآن الكريم للقارئ الواعى موقفين و اسلوبين من التعامل مع المبهمات أو ما يختلف فيه بنو آدم، و يحاكم هذين الاسلوبين ليخرج الى نتيجة بينه تصبح معيارا و تقدم قاعده عامه للتعامل مع كل خبر يرد على الفكر الانسانى.

و يعود كل نوع من أنواع التعامل الى جذور نفسيه واضحه تنسحب على نوع التعامل و تنعكس فى اسلوب المواجهه مع كل حديث ينقل الى الانسان و يراد من الفكر الانسانى أن يتخذ منه الموقف المناسب و الجدير به.

قال تعالى بعد أن أشار الى أن القرآن هو الفرقان الذى نزله الله على رسوله الامين:

هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ * رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ١.

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (١).

إن سلامة النفس من الزيغ تحول بين الانسان و بين ابتغاء الفتنة.و من هنا يتوقف الانسان الذى يتحرى الحقيقه عن اتباع المتشابه من الآيات،بل يرجع الأمر الى ربه.

فالعقل يقف حائلا- بينه و بين أى تفسير غير علمى أو غير مستند الى دليل صحيح و حقائق ثابتة،بل العقل هو الذى يرشده الى الركون الى المحكمات و الالتزام بأم الكتاب حيث يشكّل ذلك الاطار العام و الخطوط الثابته التى لا يمكن تجاوزها بحال من الاحوال،و حينئذ من الطبيعى أن نلاحظ الآيات الاخرى فى ظل هذه الثوابت و هذه المعالم التى لا يمكن تجاوزها.

و هنا تتفتح آفاق النفس لآفاق الفكر لتتأمل فيما لا يكون صريحا أو واضحا فى بدايه الامر، و بهذا سوف يضمن العاقل الذى آمن بربه عدم الزيغ و عدم التسرع فى تفسير و تحليل ما يشاهده من الآيات المتشابهه،بل يقف منها موقف اللبيب الحكيم،و إن لم يفلح فى اكتشاف الحقيقه فإنه لا ينكرها و لا يستنكرها،و إنما يرجع الامر الى مصدره و يوكل الامر الى ربه الذى نزل الآيات هذه و يستفهم منه ما يتغيه،طالباً منه استمرار الهدايه و نزول الرحمه.

إنه الموقف السليم الذى يمثل النضج و التعامل المنطقى مع النصوص إذ لا يتسرع العاقل فى التوجيه و التحليل.

و من هنا:قد نفهم الوجه فى قوله تعالى فى مطلع سوره هود: الر* كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (٢)فإن التفصيل إنما يكون بعد الإحكام و بعد أن تتعين الآيات التى هى ام الكتاب،و التى تعدّ هى الاسس و الخطوط الثابته

ص:

١- (١) آل عمران(٣):٧-٨.

٢- (٢) هود(١١):١.

كما أفصحت بذلك الآية السابعة من سورة آل عمران مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ (١).

و الآية (٣٩) من سورة الرعد تلقى بظلالها على هذه النقطة أيضا إذ تقول:

يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ فَإِنْ مَا لَا يَتَعَرَّضُ لِلْمَحْوِ وَ التَّغْيِيرِ هُوَ أُمُّ الْكِتَابِ. و ما دونه قد يتعرض للمحو و التغيير تبعاً لاختلاف الظروف و الحالات و الطوارئ.

و تكفى هذه الآيات لرسم المنهج العام الذى يسير عليه القرآن الكريم فى تعامله مع وقائع التاريخ، فإن الاختلاف فى التفاصيل لا يسمح لنا بإنكار الأصل و التغافل عنه و إدانته ما ثبت لدينا و تحققنا من وجوده.

و فى ضوء هذا يمكن تقويم كل ما ورد فى كتب السيرة النبويه أو التاريخ الاسلامى أو تأريخ ما قبل الاسلام مما يرتبط بالانبياء و اممهم؛ فإن الثوابت التأريخيه هى محطات الإشعاع و هى المحكمات التى لا يمكن تجاوزها بحال من الاحوال و اليها نحتكم فى تفسير أو قبول أو ردّ ما أثبتته كتب التأريخ من نصوص تحتوى على الصحيح و الخطأ.

إذن؛ حقل التاريخ - و هو حقل اختلاط الحقائق بالأباطيل - يتطلب منا استعمال أدوات تسعفنا لكشف تمام الحقيقه الثابته.

و ثوابت التاريخ - التى أيدتها محكمات العقل و النقل - هى المنطلق لأى تفسير أو تأويل أو محاكمه أو إدانته.

و قد طبّق القرآن الكريم هذا المنهج على سيره الأنبياء و اممهم بالذات حينما رسم لنا صورته واضحه يشترك فيها كل الأنبياء و اعتبر النبوه و الاصطفاء

ص: ٢٢

ناشئين من مواصفات أساسيه فى شخصيه كل نبى، أهله لأن يختاره الله نبيا لهدايه الخلق على يديه، وهذه المواصفات هى: اكتمال العقل و
الوعى و الصلاح و الصبر و العبوديه التامه لله القائمه على الوعى و البصيره، قال تعالى مخاطبا نبيه: قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي... (١)، كما قاله له:
قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي... (٢).

هذا هو المنطق القرآنى الذى يمثّل الإحكام و الثبات... فكيف يبعث الله نبيا لا يعى و لا يدرك أنه مبعوث أو مرسل من ربه و لا يطمئن الى ما
يراه من آيات ربه إلا- أن يطمئنه الآخرون؟! فلا يعقل أن يبعث و يهتأ للنبوه و هو لا يعلم أنه نبى و مبعوث من الله الى الخلق، أو يتردد أو يشك
فى مهمته، فضلا عن تصوّره أنه يستلهم الحقيقه ممن يراد منه هدايته. قال تعالى مشيرا الى هذه الحقيقه:

...أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣).

إن الصورة الواضحه التى يرسمها القرآن الكريم عن شخصيه أنبياء الله و التى تؤيدها محكمات العقل هى التى تصبح موثلا و مرجعا محكما و
ثابتا لمحاكمه كل صورته تسرّبت من التوراه و الانجيل أو جاءت فيما سمى بالصحاح أو عامه كتب التاريخ التى وردت فيها بعض القصص عن
أنبياء الله، سواء كان ذلك النبى هو إبراهيم (عليه السلام) أو موسى (عليه السلام) أو عيسى (عليه السلام) أو محمد (صلّى الله عليه و اله)، و سواء كان
الناقل لهذه الصوره بعض امهات المؤمنين أو بعض الصحابه أو من يمتّ الى الرسول (صلّى الله عليه و اله) بصله من قريب أو بعيد.

ص: ٢٣

١- (١) الانعام (٦): ٥٧.

٢- (٢) يوسف (١٢): ١٠٨.

٣- (٣) يونس (١٠): ٣٥.

النبي الخاتم (صلى الله عليه و اله) في سطور

ولد خاتم النبيين و سيد المرسلين محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب (صلى الله عليه و اله) في السابع عشر من شهر ربيع الأول من عام الفيل بعد أن فقد أباه، ثم استرضع في بني سعد، و ردّ الى امّه و هو في الرابعه أو الخامسه من عمره. و قد توفيت امّه حين بلغ السادسة من عمره فكفله جدّه و اختص به و بقي معه سنتين ثم ودّع الحياه بعد أن أوكل أمر رعايته الى عمّه الحنون أبي طالب حيث بقي مع عمّه الى حين زواجه.

و سافر مع عمّه الى الشام و هو في الثانيه عشره من عمره و التقى ببحيرا الراهب في الطريق فعرفه بحيرى و حدّر أبا طالب من التفريط به و كشف له عن تربص اليهود به الدوائر.

و حضر النبي (صلى الله عليه و اله) حلف الفضول بعد العشرين من عمره و كان يفتخر بذلك فيما بعد، و سافر الى الشام مضاربا بأموال خديجه و تزوجها و هو في الخامسه و العشرين و فى ريعان شبابه، بعد أن كان قد عرف بالصادق الأمين، و قد ارتضته القبائل المتنازعه لنصب الحجر الأسود لحل نزاعها فأبدى حنكه و ابداعا رائعا أرضى به جميع المتنازعين.

و بعث و هو فى الأربعين و أخذ يدعو الى الله و هو على بصيره من أمره

و يجمع الاتباع و الأنصار من المؤمنين السابقين.

و بعد مضي ثلاث أو خمس سنوات من بدايه الدعوه الى الله، أمره الله بإنذار عشيرته الأقربين ثم أمره بأن يصدع بالرساله و يدعو إلى الإسلام علانيه ليدخل من أحب الإسلام في سلك المسلمين و المؤمنين.

و من ذلك الحين أخذت قريش تزرع الموانع أمام حركة الرسول (صلى الله عليه و اله) و تحاول أن تمنع من انتشار الرساله صاذه بذلك عن سبيل الله. و عمل النبي (صلى الله عليه و اله) الى فتح نافذه جديده للدعوه خارج مكه فارسل عدّه مجاميع من المسلمين الى الحبشه بعد أن حظوا باستقبال ملكها (النجاشي) و ترحيبه بقدمهم فاستقروا فيها بقياده جعفر بن أبي طالب و لم يتركها جعفر الا في السنه السابعه بعد الهجره.

و لم تفلح قريش في تأليب النجاشي على المسلمين، فبدأت بخطه جديده تمثلت في فرض الحصار الاقتصادي و الاجتماعي و السياسي و الذي استمرّ لمدته ثلاث سنوات -فلما آيست من إخضاع النبي (صلى الله عليه و اله) و أبي طالب و سائر بني هاشم لأغراضها فكّت الحصار و لكن النبي (صلى الله عليه و اله) و عشيرته بعد أن خرجوا من الحصار منتصرين امتحنوا بوفاه أبي طالب و خديجه -سلام الله عليهما- في السنه العاشره من البعته و كان وقع الحادثين ثقيلا على النبي (صلى الله عليه و اله) لأنه فقد بذلك أقوى ناصرين في عام واحد.

و هنا رجّح بعض المؤرخين تحقق حادثه الاسراء و المعراج و النبي في أوج هذا الحزن و الضغط النفسى على النبي (صلى الله عليه و اله) و هو يرى صدود قريش و وقوفها بكل ثقلها أمام رسالته ففتح الله له آفاق المستقبل بما أراه من آياته الكبرى فكانت بركات (المعراج) عظيمه للنبي و للمؤمنين جميعا.

و هاجر الرسول (صلى الله عليه و اله) الى الطائف ليبحث عن قاعده جديده و لكنه لم يكسب فتحا جديدا من هذه البلده المجاوره لمكه و المتأثره بأجوائها، فرجع الى

مكة بعد أن اختار جوار مطعم بن عدى فدخلها، وبدأ نشاطا جديدا لنشر الرسالة و في مواسم الحج حيث أخذ يعرض نفسه على القبائل القاصده للبيت الحرام لأداء مناسك الحج و للاتجار في سوق عكاظ ففتح الله له أبواب النصر بعد التقائه بأهل يثرب، واستمرت دعوته الى الله و انتشر الاسلام في يثرب حتى قرّر الهجره اليها بنفسه بعد أن أخبره الله تعالى بكيد قريش حين أجمعت بطونها على قتله و التخلّص منه نهائياً، فأمر علياً(عليه السّلام) بالمبيت في فراشه و هاجر هو الى يثرب بكل حيطه و حذر، و دخلها و أهل يثرب على أتم الاستعداد لاستقباله، فوصل(قبا)في غرّه ربيع الأول و أصبحت هجرته المباركه مبدأ للتأريخ الاسلامي بأمر منه(صلى الله عليه و اله).

و أسّس النبيّ الخاتم(صلى الله عليه و اله)أول دوله اسلاميه فأرسي قواعدھا طيله السنه الاولى بعد الهجره بدءا بكسر الأصنام و بناء المسجد النبوي الذي أعدّه مركزا لنشاطه و دعوته و حكومته و بالمؤاخاه بين المهاجرين و الأنصار ليقيم بذلك قاعده شعبيه صلبه يقوم عليها بناء الدوله الجديده، هذا مضافا إلى كتابه الصحيفه التي نظم فيها علاقته القبائل بعضها مع بعض و المعاهده التي أمضاها مع بطون اليهود حيث كانت تشمل على الخطوط العامه لأول نظام إداري و حكومي إسلامي.

و لقد واجهت الدوله الإسلاميه الفتيه و كذا الدعوه الإسلاميه مواجهه شرسه من جانب قريش التي عزمت على اكتساح الدعوه و الدوله الإسلاميتين فشنت الحرب بعد الحرب على المسلمين و كان لا بدّ للنبي(صلى الله عليه و اله)و المسلمين من الدفاع.

و بدأت سنوات الدفاع عن هذه الدوله الفتيه و قد افتتحها بأول سريته بقياده عمّه حمزه في الشهر السابع بعد الهجره و جهّز ثلاث سرايا الى نهايه العام الأول من الهجره. و نزلت في هذا العام آيات كثيره من سوره البقره لترسم للنبي(صلى الله عليه و اله) و دولته و أمته أحكاما خالده و تفضح خطط المنافقين و تكشف مؤامرات اليهود

ضدّ خاتم المرسلين و دولته العالميه الجديده.

لقد استهدفت قريش النبي (صلى الله عليه و اله) و دولته من خارج المدينه، و استهدف اليهود هذه الدوله من داخل المدينه فرصد النبي تحركاتهم جميعا، و تابعت ثمان غزوات و سريتان طيله العام الثاني بما فيها غزوه بدر الكبرى فى رمضان المبارك حيث افترضت فريضه الصيام و تم تحويل القبله الذى أعطى لاستقلال الامه المسلمه و الدوله الاسلاميه بعدا جديدا.

و حفل العام الثاني بمزيد من الانتصارات العسكريه من جانب و نزول التشريعات السياسيه و الاجتماعيه من جانب آخر و منيت قريش و اليهود بأول هزيمه فاضحه كما تم إجلاء بنى قينقاع و هم أول طوائف اليهود التى اتخذت المدينه وطنا بعد أن نكثوا عهدهم مع الرسول (صلى الله عليه و اله) عقيب انتصار المسلمين فى بدر الكبرى.

و استمرت محاولات قريش العسكريه ضد الإسلام و المسلمين من خارج المدينه و نكثت قبائل اليهود عهداها مع النبي (صلى الله عليه و اله) عدّه مرّات خلال ثلاث سنوات متتابعه، فكانت خمس غزوات -هى: احد و بنى النضير و الأحزاب و بنى قريظه و بنى المصطلق- ذات ثقل باهض على عاتق النبي (صلى الله عليه و اله) و المسلمين جميعا خلال هذه السنين الثلاث.

و ردّ الله كيد الأحزاب و اليهود معا فى العام الخامس بعد أن أبلى المسلمون بلاءا حسنا و مهّد الله بذلك للفتح المبين بعد أن أيست قريش من القضاء على شوكة المسلمين و انطلق النبي (صلى الله عليه و اله) بعد صلح الحديبيه يتحالف مع القبائل المحيطة به و يستقطبها ليجعل منها قوه واحده أمام قوى الشرك و الإلحاد جميعا حتى فتح الله له مكّه فى العام الثامن و مكّنه من تصفيه قواعد الشرك فى شبه الجزيره بعد أن أخضع عتاه قريش لدولته و سياسته المباركه.

ثم كانت السنه التاسعه عامره بوفود القبائل التي أخذت تدخل فى دين الله أفواجا.

و كان العام العاشر عام حجه الوداع و آخر سنه قضاها النبي (صلى الله عليه و اله) مع امته و هو يمهد لدولته العالميه و لامته الشاهده على سائر الامم.

و توفي النبي القائد (صلى الله عليه و اله) فى الثامن و العشرين من صفر المظفر سنه احدى عشره هجرية بعد أن أحكم دعائم دولته الاسلاميه حيث عين لها القيادة المعصومه التي تخلفه و ترسم خطاه متمثله فى شخص على بن أبى طالب (عليه السلام) ذلك الانسان الكامل الذى رباه الرسول الكريم بيديه الكريمتين منذ أن ولد و رعاه أحسن رعايه طيله حياته، و جسد الإمام على بن أبى طالب (عليه السلام) كل قيم الاسلام فى فكره و سلوكه و خلقه و ضرب مثالا أعلى فى الانقياد لرسول الله (صلى الله عليه و اله) و لأوامره و نواهيه فكان جديرا بوسام الولاية الكبرى و الوصايه النبويه و الخلافه الإلهيه حيث رشحه عمق وجوده فى كيان الرساله الاسلاميه و الثوره الإلهيه و الدوله النبويه ليكون النائب الأول لرسول الله (صلى الله عليه و اله) حين غيابه عن مسرح الحياه بأمر من الله سبحانه و تعالى.

و قد لبى الرسول الأعظم (صلى الله عليه و اله) نداء ربه بعد أن أتم تبليغ الرساله بنصب على (عليه السلام) هاديا و إماما للمسلمين على الرغم من حراجه الظروف و صعوبتها.

و هكذا ضرب الرسول (صلى الله عليه و اله) المثل الأعلى لطاعه الله و الانقياد لأوامره حيث بلغ أمر الله أحسن تبليغ و أتم الحججه بأبلغ بيان.

تلك نظره سريعه إلى شخصيه و حياه خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و اله) و هلمّ معنا بعد هذه النظره إلى دراسه تفصيليه فى هذا المجال.

إشاره

سنّه البشاره على مدى العصور

لقد صرّح القرآن الكريم بأن العهد التاريخي للبشريه قد بدأ بظاهره وجود النبوت و بعث الأنبياء و إرسال الرسل.الذين مضوا يقودون مجتمعاتهم نحو حياه أفضل و وجود إنساني أكمل؛مما يمكن أن نستنتج منه أنّ إشراق النبوه و ظهور الأنبياء في المجتمعات البشريه يعتبر بدايه العصر التاريخي للبشريه.

قال تعالى: **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اختلفُوا فِيهِ وَ مَا اختلفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ، فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اختلفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١).**

لقد قضت حكمه الله و رحمته بإرسال الأنبياء حاملين الى الإنسانيه منهاج هدايتها الذي يخرجها من عهد الغريزه الى عهد العقل، و من منطق الصراع الذي مرجعه الغريزه و القوه الى منطق النظام و مرجعه القانون..و خرج المجتمع البشري بالنبوت عن كونه تكويننا حيوانيا-بيولوجيا الى كونه ظاهره عقليه وروحيه و حققت النبوت للإنسان مشروع وحده أرقى من وحدته الدمويه البيولوجيه...

و هي الوحده القائمه على أساس المعتقد،و بذلك تطوّرت العلاقات الإنسانيه

ص: ٣١

مرتفعه من علاقات الماده الى علاقات المعانى. و الاختلافات التى نشأت فى النوع الإنسانى بعد إشراق عهد النبوات غدت اختلافات فى المعنى، و اختلافات فى الدين و المعتقد؛ فإن أسباب الصراع لم تلغ بالدين الذى جاءت به النبوات بل استمرت و تنوّعت، و لكن المرجع لم يعد الغريزه بل غدا القانون مرجعا فى هذا المضممار. و القانون الذى يتضمنه الدين يكون قاعده ثابتة لوحده الإنسانى و تعاونها و تكاملها (١).

و أوضح الإمام على بن أبى طالب (عليه السّلام) فى الخطبه الأولى من نهج البلاغه- بعد أن استعرض تاريخ خلق العالم و تاريخ خلق آدم (عليه السّلام) و إسكانه فى الأرض- أن إشراق النبوه و تسلسلها على مدى العصور هو المحور فى تاريخ الإنسان و حركته نحو الكمال كما صرّح به القرآن الكريم موضحا منهجه فى التعامل مع التاريخ.

قال (عليه السّلام) «... و اصطفى سبحانه من ولد (آدم) أنبياء، أخذ على الوحي ميثاقهم (٢)، و على تبليغ الرساله أمانتهم لما بدّل أكثر خلقه عهد الله اليهم (٣)، فجهلوا حقّه، و اتخذوا الأنداد معه (٤)، و اجتاللتهم الشياطين عن معرفته (٥)، و اقتطعتهم عن عبادته..»

فبعث فيهم رسله، و اتر إليهم أنبياء؛ ليستأدوهم ميثاق فطرته (٦)، و يذكروهم منسى نعمته، و يحتجوا عليهم بالتبليغ، و يثيروا لهم دفائن العقول (٧)، و يروهم آيات

ص: ٣٢

١- (١) حركه التاريخ عند الإمام على (عليه السّلام): ٧١-٧٣.

٢- (٢) أخذ عليهم الميثاق أن يبلغوا ما أوحى إليهم، أو أخذ عليهم أن لا يشرّعوا للناس إلا ما يوحى إليهم.

٣- (٣) عهد الله الى الناس: هو ما يعبر عنه بميثاق الفطره.

٤- (٤) الأنداد: المعبودين من دونه سبحانه و تعالى.

٥- (٥) اجتاللتهم: صرفتهم عن قصدهم الذى وجهوا إليه بالهدايه المغروره فى فطرتهم.

٦- (٦) كأن الله تعالى بما أودع فى الإنسان من الغرائز و القوى، و بما أقام له من الشواهد و أدله الهدى، قد أخذ عليه ميثاقا بأن يصرف ما أوتى من ذلك فيما خلق له، و قد كان يعمل على ذلك الميثاق و لا ينقضه لو لا ما اعترضه من وساوس الشهوات، فبعث النبيين ليطلبوا من الناس أداء ذلك الميثاق.

٧- (٧) دفائن العقول: أنوار العرفان التى تكشف للإنسان أسرار الكائنات، و ترتفع به الى الإيقان بصانع-

المقدرة: من سقّف فوقهم مرفوع، و مهاد تحتهم موضوع، و معايش تحييمهم، و آجال تفنيهم، و أوصاب تهرمهم (١)، و أحداث تتابع عليهم.

و لم يخل الله سبحانه خلقه من نبى مرسل، أو كتاب منزل، أو حجّه لازمه، أو محجّه قائمه (٢).

رسل لا تقصّر بهم قلّه عددهم، و لا كثره المكذّبين لهم: من سابق سمى له من بعده، أو غابر عزّفه من قبله (٣).

على ذلك نسلت القرون (٤)، و مضت الدهور، و سلفت الآباء، و خلفت الأبناء.

الى أن بعث الله سبحانه محمدا رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، لإنجاز عدته (٥)، و إتمام نبوته.

مأخوذا على النبيين ميثاقه، مشهوره سماته (٦)، كريما ميلاده، و أهل الأرض يومئذ ملل متفرقه و أهواء منتشره، و طوائف متشتتة، بين مشبهه لله بخلقها، أو ملحد في اسمه، أو مشير الى غيره (٧).

فهداهم به من الضلالة، و أنقذهم بمكانه من الجهالة.

ص: ٣٣

١- ((١)) السقّف المرفوع: السماء. و المهاد الموضوع: الأرض. و الأوصاب: المتاعب.

٢- ((٢)) المحجّه: الطريق القويمه الواضحه.

٣- ((٣)) من سابق بيان للرسول، و كثير من الأنبياء السابقين سميت لهم الأنبياء الذين يأتون بعدهم فبشروا بهم، كما ترى ذلك في التوراه. و الغابر: الذى يأتى بعد أن يشير به السابق جاء معروفا بتعريف من قبله.

٤- ((٤)) مضت متتابعه.

٥- ((٥)) الضمير فى عدته لله تعالى: لأن الله وعد بإرسال محمد (صلّى الله عليه و اله) على لسان أنبيائه السابقين. و كذلك الضمير فى نبوته: لأنّ الله تعالى أنبا به، و أنه سيبعث وحيا لأنبيائه. فهذا الخبر الغيبي قبل حصوله يسمى نبوه. و لما كان الله هو المخبر به أضيفت النبوه إليه.

٦- ((٦)) سماته: علاماته التى ذكرت فى كتب الأنبياء السابقين الذين بشّروا به.

٧- ((٧)) الملحد فى إسم الله: الذى يميل به عن حقيقه مسماه فيعتقد فى الله صفات يجب تنزيهه عنها. و المشير الى غيره، الذى يشرك معه فى التصرّف إليها آخر فيعبده و يستعين به.

ثم اختار سبحانه لمحمد (صلى الله عليه و اله) لقاءه، و رضى له ما عنده، و أكرمه عن دار الدنيا، و رغب به عن مقام البلوى، فقبضه اليه كريما (صلى الله عليه و اله)، و خلف فيكم ما خلف الأنبياء في اممها إذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح، و لا علم قائم» (١).

إنّ بشائر الأنبياء السابقين بنبوّه الأنبياء اللاحقين تنفع الأجيال المعاصره لهم و كذا الأجيال اللاحقه؛ إذ تفتح عيونهم و تجعلهم على أهبة الاستقبال للنبيّ المبشّر بنبوّته، كما أنّها تزيل عنهم الريب و تعطيههم مزيدا من الثقه و الاطمئنان.

على أن اليأس من الاصلاح إذا ملأ القلب يجعل الانسان يفكر بطرق أبواب الشرّ و الخيانه، فالبشائر بمجيء الأنبياء المصلحين تزيل اليأس من النفوس التي تنتظر الاصلاح و توجهها الى حبّ الحياه و قرع أبواب الخير.

و تزيد البشائر إيمان المؤمنين بنبوّه نبيّهم، و تجعل الكافرين في شكّ من كفرهم، فيضعف صمودهم أمام دعوه النبيّ الى الحقّ ممّا يمهد لقبولهم الدعوه.

و إذا أدت البشاره إلى حصول الثقه فقد لا- تطلب المعجزه من النبيّ، كما تكون النبوه المحفوفه بالبشاره أنفذ الى القلوب و أقرب الى الاذعان بها. على أنّها تبعد الناس عن وطأه المفاجأه أمام واقع غير منتظر، و تخرج دعوه النبيّ عن الغرابه في نفوس الناس (٢).

على أن الأنبياء جميعا يشكّلون خطأ واحدا، فالسابق يبشّر باللاحق، و اللاحق يؤمن بالسابق. و قد تكفّلت الآية (٨١) من سوره آل عمران بالتصريح بسنّه البشائر هذه. فضلا عن الشواهد و التطبيقات التي سوف نلاحظها في البحث الآتي.

ص: ٣٤

١- (١) أي أنّ الأنبياء لم يهملوا أممهم مما يرشدهم بعد موت أنبيائهم، و قد كان من محمد (صلى الله عليه و اله) مثل ما كان منهم، فإنّه خلف في أمته كتاب الله تعالى حاويا لجميع ما يحتاجون اليه في دينهم، كما خلف أهل بيته المعصومين و جعلهم قرناء للكتاب المجيد كما صرح بذلك في حديث الثقلين الذي تواتر عنه (صلى الله عليه و اله) و رواه جمع غفير من المحدثين.

٢- (٢) محمد في القرآن: ٣٦-٣٧.

بشارات الانبياء برساله محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و اله)

١- لقد نصّ القرآن الكريم على بشاره ابراهيم الخليل (عليه السّلام) برساله خاتم النبيين (صلى الله عليه و اله) باسلوب الدعاء قائلاً- بعد الكلام عن بيت الله الحرام فى مكه المكرمه و رفع القواعد من البيت و الدعاء بقبول عمله و عمل اسماعيل (عليه السّلام) و طلب تحقيق امه مسلمه من ذريتهما:- رَبَّنَا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَ يَعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يَزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١).

٢- و صرّح القرآن الكريم بأنّ البشاره بنوّه محمد (صلى الله عليه و اله) الامى كانت موجوده فى العهدين القديم (التوراه) و الجديد (الانجيل). و العهدان كانا فى عصر نزول القرآن الكريم و ظهور محمد (صلى الله عليه و اله) و لو لم تكن البشاره موجوده فيهما لجاهر بتكذيبها أصحاب العهدين.

قال تعالى: الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْجَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ... (٢).

٣- و صرّحت الآيه السادسه من سوره الصف بأن عيسى (عليه السّلام) صدّق التوراه بصراحه و بشر برساله نبى من بعده اسمه أحمد. و قد خاطب عيسى (عليه السّلام) بنى اسرائيل جميعا لا الحواريين فحسب.

أهل الكتاب ينتظرون خاتم النبيين (صلى الله عليه و اله)

لم يكتب الأنبياء السابقون بذكر الأوصاف العامه للنبيّ المبشر به، بل

ص: ٣٥

١- ((١)) البقره (٢): ١٢٩.

٢- ((٢)) الاعراف (٧): ١٥٧.

ذكروا أيضا العلام التي يستطيع المبشرون من خلالها معرفته بشكل دقيق، مثل:

محل ولادته، و محل هجرته و خصائص زمن بعثته، و علام جسميه خاصه و خصائص يتفرد بها في سلوكه و شريعته.. و لهذا قال القرآن عن بنى إسرائيل بأنهم كانوا يعرفون رسول الإسلام المبشر به في العهدين كما يعرفون أبناءهم (١).

بل رتبوا على ذلك آثارا عمليه فاكشفوا محل هجرته و دولته فاستقروا فيها (٢) و أخذوا يستفتحون برسالته على الذين كفروا و يستنصرون برسول الله (صلى الله عليه و اله) على الأوس و الخزرج (٣) و تسربت هذه الأخبار الى غيرهم عن طريق رهبانهم و علمائهم فانتشرت في المدينه و تسربت الى مكه (٤).

و ذهب وفد من قريش بعد إعلان الرساله إلى اليهود في المدينه للتثبت من صحه دعوى النبى (صلى الله عليه و اله) النبوه و حصلوا على معلومات اختبروا بها النبى (صلى الله عليه و اله) (٥) و اتضح لهم من خلالها صدق دعواه.

و قد آمن جمع من أهل الكتاب و غيرهم بالنبى محمد (صلى الله عليه و اله) على أساس هذه العلام التي عرفوها من دون أن يطلبوا منه معجزه خاصه (٦) و هذه البشائر تحتفظ بها لحد الآن بعض نسخ التوراه و الانجيل (٧).

و هكذا تسلسلت البشائر بنوه خاتم النبيين محمد (صلى الله عليه و اله) من قبل ولادته،

ص: ٣٦

١- ((١)) الانعام (٦): ٢٠.

٢- ((٢)) سيره رسول الله: ٣٨/١-٣٩.

٣- ((٣)) البقره (٢): ٨٩.

٤- ((٤)) أشعه البيت النبوى: ٧٠/١، عن الاغانى: ٧٥/١٦، تاريخ اليعقوبى: ١٢/٢، حياه نبى الاسلام: ٢٣، عن سيره ابن هشام: ١٨١/١، و اعلام الورى: ٢٦.

٥- ((٥)) راجع ما جاء في شأن نزول سوره الكهف.

٦- ((٦)) المائده (٥): ٨٣.

٧- ((٧)) سيره رسول الله و أهل بيته: ٣٩/١، انجيل يوحنا و اشعه البيت النبوى: ٧٠/١، عن التوراه و راجع: بشارات عهدين، و البشارات و المقارنات.

و خلال فتره حياته قبل بعثته، و قد عرف و اشتهر منها إخبار بحيرا الراهب و غيره إبان البعثة المباركه (١).

و قد شهد على أمير المؤمنين (عليه السلام) بهذه الحقيقه التاريخيه حين قال فى إحدى خطبه: «...الى أن بعث الله سبحانه محمدا رسول الله (صلّى الله عليه و اله) لإنجاز عده و اتمام نبوته، مأخوذا على النيين ميثاقه مشهوره سماته..» (٢).

و قد جاء فى طبقات ابن سعد عن سهل مولى عتيبه انه كان نصرانيا من أهل حريس، و انه كان يتيما فى حجر امه و عمه و أنه كان يقرأ الإنجيل، قال:

«...فأخذت مصحفا لعمى فقرأته حتى مرّت بي ورقه فانكرت كتابتها حين مرّت بي و مسستها بيدي، قال: فنظرت؛ فاذا فصول الورقه ملصق بغراء، قال: ففتقتها فوجدت فيها نعت محمّد (صلّى الله عليه و اله): انه لا قصير و لا طويل، أبيض ذو ضفيرتين، بين كتفيه خاتم يكتر الاحتباء و لا يقبل الصدقه و يركب الحمار و البعير و يحتلب الشاه و يلبس قميصا مرقوعا، و من فعل ذلك فقد برئ من الكبر و هو يفعل ذلك، و هو من ذريه اسماعيل، اسمه أحمد. قال سهل: فلما انتهيت الى هذا من ذكر محمد (صلّى الله عليه و اله) جاء عمى فلما رأى الورقه ضربني و قال: مالك و فتح هذه الورقه و قراءتها؟! فقلت: فيها نعت النبي احمد، فقال: إنه لم يأت بعد (٣).

ص: ٣٧

١- (١) راجع كتب السيره النبويه و التفسير حيث تضمّنت جمله من هذه البشائر.

٢- (٢) لاحظ الخطبه الاولى من نهج البلاغه.

٣- (٣) الطبقات الكبرى: ٣٦٣/١.

اشاره

مظاهر من شخصيه خاتم النبيين (صلى الله عليه و اله)

١- الامى العالم:

لقد تميّز خاتم النبيين بأنه لم يتعلّم القراءه و الكتابه عند معلّم بشرى (١) و لم ينشأ فى بيئه علم و انما نشأ فى مجتمع جاهلى، و لم يكذب أحد هذه الحقيقه التى نادى بها القرآن (٢).

ترعرع و نما فى قوم هم من أشد الأقيام جهلا و أبعدهم عن العلوم و المعارف، و لقد سمى هو ذلك العصر بالعصر الجاهلى و لا يمكن أن تصدر هذه التسميه إلا من عالم خبير بالعلم و الجهل و العقل و الحمق.

أضف الى ذلك أنه قد جاء بكتاب يدعو الى العلم و الثقافه و الفكر و التعقّل و احتوى على صنوف المعارف و العلوم، و بدأ بتعليم الناس الكتاب و الحكمه (٣) وفق منهج بديع حتى أنشأ حضاره فريده اخترقت الغرب و الشرق بعلومها و معارفها و لا زالت تتلأأ بهاء و نورا.

فهو امى و لكنه يكافح الجهل و الجاهليه و عبادة الأصنام، و بعث بدين قيم

ص: ٣٩

١- ((١)) النحل (١٦): ١٠٣.

٢- ((٢)) العنكبوت (٢٩): ٤٨.

٣- ((٣)) الجمعه (٦٢): ٢.

إلى البشرية و بشريه عالميه تتحدى البشريه على مدى التاريخ.فهو معجزه بنفسه فى علمه و معارفه و جوامع كلمه و رجاحه عقله و ثقافته و مناهج تربيته.

و من هنا قال تعالى: فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ كَلِمَاتِهِ وَ اتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١) و قال له: وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (٢).

أجل لقد أوحى الله اليه ما أوحى و علمه الكتاب و الحكمة و جعله نورا و سراجا منيرا و برهانا و شاهدا و رسولا مبينا و ناصحا أمينا و مذكرا و مبشرا و نذيرا (٣).

و لقد شرح الله له صدره و أعدّه لقبول الوحي و القيام بمهمه الارشاد فى مجتمع تسيطر عليه العصبية و الأنانية الجاهليه فكان أسمى قائد عرفته البشرية فى مجال الدعوه و التربه و التعليم.

إنها نقله كبيره أن يصبح المجتمع الجاهلى فى بضع سنين حارسا أميناً و مدافعا قويا لكتاب الهدايه و مشعل العلم و يقف أمام محاولات التشويه و التحريف،إنها معجزه هذا الكتاب الخالد و ذلك الرسول الامى الرائد و الذى كان أبعد الناس فى ذلك المجتمع الجاهلى عن الخرافات و الأساطير.إنه نور البصيره الربانيه التى أحاطت به بكل جوانب وجوده.

٢- أول المسلمين العابدين:

إن الخضوع المطلق لله خالق الكون و مبدع الوجود،و التسليم التام لعظيم

ص: ٤٠

١- ((١)) الاعراف(٧):١٥٨.

٢- ((٢)) النساء(٤):١١٣.

((٣))

-٣

المائدة(٥):١٥، الاحزاب(٣٣):٤٦، النساء(٤):١٧٤، الفتح(٤٨):٨، الزخرف(٤٣):٢٩، الاعراف(٧):٦٨، الغاشية(٨٨):٢١، الاسراء(١٧):١٠٥، المائدة(٥):١٩.

قدرته و نفاذ حكمته، و العبودية الاختيارية الكاملة تجاه الإله الأحد الفرد الصمد هي القمه الاولى التي لا بد لكل إنسان أن يجتازها كي يتهيأ للاجتماع و الاصطفاء الإلهي. و قد شهد القرآن الكريم بذلك لهذا النبي العظيم حين قال عنه: قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ... وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١).

إنه و سام الكمال الذي حازه هذا العبد المسلم وفاق في عبوديته من سواه على الإطلاق و تجلّت هذه العبودية المثلى في قوله و سلوكه حتى قال (صلى الله عليه و اله): «قرّه عيني في الصلاة» (٢) فهو ينتظر وقت الصلاة و يشتد شوقه للوقوف بين يدي الله و يقول لمؤذنه بلال: أرحنا يا بلال (٣) و قد كان يحدث أهله و يحدثونه فإذا دخل وقت الصلاة فكأنه لم يعرفهم و لم يعرفوه (٤). و كان إذا صلى يسمع لصدره أزيز المرجل (٥). و يبكي حتى يبيل مصلاً خشيه من الله عزّ و جلّ (٦)، و كان يصلّي حتى تنتفخ قدماه، فيقال له: أتفعل هذا و قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر؟! فيقول: أفلا أكون عبدا شكورا (٧)؟

و كان يصوم شعبان و رمضان و ثلاثه أيام من كل شهر (٨)، و كان اذا دخل شهر رمضان يتغير لونه و تكثر صلاته و يبتهل في الدعاء (٩). و اذا دخل العشر

ص: ٤١

- ١- (١) الأنعام (٦): ١٦١-١٦٣.
- ٢- (٢) امالي الطوسي: ١٤١/٢.
- ٣- (٣) بحار الانوار: ١٦/٨٣.
- ٤- (٤) اخلاق النبي و آدابه: ٢٥١.
- ٥- (٥) المصدر السابق: ٢٠١.
- ٦- (٦) سنن النبي: ٣٢.
- ٧- (٧) اخلاق النبي: ١٩٩، و صحيح البخارى: ١/٣٨١/١/الحديث ١٠٧٨.
- ٨- (٨) وسائل الشيعة: ٣٠٩/٤.
- ٩- (٩) سنن النبي: ٣٠٠.

الأواخر منه شدّ المئزر و اجتنب النساء و أحبب الليل و تفرّغ للعباده (١). و كان يقول عن الدعاء: «الدعاء مخّ العباده» (٢) و «سلاح المؤمن و عمود الدين و نور السماوات و الأرض» (٣). و قد كان دائم الاتصال بالله، دائم الانشداد إليه بالضراعه و الدعاء فى كل عمل كبير أو صغير، حتى كان يستغفر الله كل يوم سبعين مرّه و يتوب إليه سبعين مره من غير ذنب (٤)، و لم يستيقظ من نوم قطّ إلا خرّ لله ساجدا (٥) و كان يحمد الله فى كل يوم ثلاثمائه و ستين مرّه و يقول: «الحمد لله ربّ العالمين كثيرا على كل حال» (٦) و لقد كان دؤوبا على قراءه القرآن و شغوبا به.

و نزل عليه جبرئيل مخففا لما أجهد نفسه بالعباده بقوله تعالى: طه* مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٧)

٣- الثقة المطلقة بالله تعالى:

قال الله تعالى لرسوله (صلى الله عليه و اله): أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ (٨)؟

و قال له أيضا: وَ تَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ جِئِن تَقُومُ وَ تَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ (٩).

و قد كان رسول الله (صلى الله عليه و اله) كما قال الله تعالى على ثقة مطلقه به سبحانه.

ص: ٤٢

١- (١) الكافي: ١٥٥/٤.

٢- (٢) المحججه البيضاء: ٢٨٢/٢.

٣- (٣) المصدر السابق: ٢٨٤/٢.

٤- (٤) بحار الانوار: ٢١٧/١٦.

٥- (٥) المصدر السابق: ٢٥٣/١٦.

٦- (٦) الكافي: ٥٠٣/٢.

٧- (٧) طه (٢٠): ٢-١.

٨- (٨) الزمر (٣٩): ٣٦.

٩- (٩) الشعراء (٢٦): ٢١٧-٢١٩.

جاء عن جابر أنه قال: كنا مع رسول الله (صلى الله عليه و اله) بذات الرقاع فإذا أتينا على شجره ظليله تركناها لرسول الله، فجاء رجل من المشركين و سيف رسول الله (صلى الله عليه و اله) معلق بالشجره فاخرطه و قال: تخافنى؟ قال: لا. قال: فمن يمنعك منى؟ قال: الله. فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله السيف فقال: من يمنعك منى؟ فقال: كن خير آخذ. فقال: تشهد أن لا اله الا الله و أنى رسول الله؟ قال: لا و لكنى أعاهدك أن لا أقاتلك و لا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلّى سبيله فأتى أصحابه فقال:

جتكم من عند خير الناس (١).

٤- الشجاعه الفائقه:

قال الله تعالى: الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ (٢) و جاء عن على بن أبى طالب (عليه السلام) -الذى طأطأ له فرسان العرب- أنه: كنا إذا حمّر البأس و لقي القوم القوم اتقينا برسول الله (صلى الله عليه و اله) فما يكون أحد أدنى من القوم منه (٣).

و وصف المقداد ثبات رسول الله (صلى الله عليه و اله) يوم احد بعد أن تفرق الناس و تركوا رسول الله (صلى الله عليه و اله) وحده فقال: و الذى بعته بالحق إن رأيت رسول الله (صلى الله عليه و اله) زال شبرا واحدا. إنه لفى وجه العدو تثوب اليه طائفه من أصحابه مرّه و تفرق عنه مرّه، فرّما رأيت قائما يرمى عن قوسه أو يرمى بالحجر حتى تحاجروا (٤).

ص: ٤٣

١- (١) رياض الصالحين (للنووى): ٥/٥٨ الحديث ٧٨، و صحيح مسلم: ٤/٤٦٥.

٢- (٢) الاحزاب (٣٣): ٣٩.

٣- (٣) فضائل الخمسه من الصحاح الستة: ١/١٣٨.

٤- (٤) مغازى الواقدي: ١/٢٣٩-٢٤٠.

قال تعالى: وَلَا تَمَدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَ رِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١).

و عن أبي أمامه عن النبي (صلى الله عليه و اله): أنه قال: عرض على ربي ليجعل لى بطحاء مكة ذهابا، قلت: لا يا رب و لكن أشبع يوما و أجوع يوما.. فإذا جعت تضرعت إليك و ذكرتك، و إذا شبعت شكرتك و حمدتك (٢).

و نام على حصير فقام و قد أثر فى جنبه، فقبل له: يا رسول الله لو اتخذنا لك و طاء فقال: ما لى و ما للدنيا؟! ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح و تركها (٣).

و قال ابن عباس: كان رسول الله يبيت الليالى المتتابعة طاويا و أهله لا يجدون عشاءا و كان أكثر خبزهم خبز الشعير (٤).

و قالت عائشه: ما أكل آل محمد أكلتين فى يوم واحد إلا إحداهما تمر (٥).

و قالت: توفى رسول الله (صلى الله عليه و اله) و درعه مرهونه عند يهودى بثلاثين صاعا من شعير (٦).

و عن أنس بن مالك أن فاطمه جاءت بكسره خبز الى النبي (صلى الله عليه و اله) فقال: ما هذه الكسره يا فاطمه؟ قالت: قرص خبز، فلم تطب نفسى حتى أتيتك بهذه الكسره. فقال:

ص: ٤٤

- ١- (١) طه (٢٠): ١٣١.
- ٢- (٢) سنن الترمذى: ٤/٥١٨/٤/الحدیث ٢٣٧٧.
- ٣- (٣) المصدر السابق.
- ٤- (٤) سنن الترمذى: ٤/٥٠١/٤/الحدیث ٢٣٦٠.
- ٥- (٥) صحيح البخارى: ٥/٢٣٧١/٥/الحدیث ٦٠٩٠.
- ٦- (٦) صحيح البخارى: ٣/١٠٦٨/٣/الحدیث ٢٧٥٩.

أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثه أيام (١).

و عن قتاده قال: كنا عند أنس و عنده خباز له فقال: ما أكل النبي (صلى الله عليه و اله) خبزا مرققا و لا شاه مسموطه حتى لقي الله (٢).

٦- جود و حلم عظيمان:

قال ابن عباس: كان النبي (صلى الله عليه و اله) أجود الناس بالخير، و كان أجود ما يكون في شهر رمضان.. إن جبريل كان يلقاه في كل سنه من رمضان.. فإذا لقيه جبريل كان رسول الله (صلى الله عليه و اله) أجود بالخير من الريح المرسله (٣).

و قال جابر: ما سئل النبي (صلى الله عليه و اله) شيئا قط فقال لا (٤).

و روى أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) أتى صاحب بز فاشترى منه قميصا بأربعة دراهم فخرج و هو عليه، فإذا رجل من الأنصار. فقال: يا رسول الله أكسني قميصا كسائك الله من ثياب الجنة فتزع القميص فكساه إياه، ثم رجع الى صاحب الحانوت فاشترى منه قميصا بأربعة دراهم و بقي معه درهمان فإذا هو بجاريه في الطريق تبكى فقال: ما يبكيك؟ قالت: يا رسول الله دفع اللى أهلى درهمان اشترى بهما دقيقا فهلكا، فدفع النبي (صلى الله عليه و اله) إليها الدرهمين فقالت: أخاف أن يضربوني فمشى معها الى أهلها فسلم فعرفوا صوته، ثم عاد فسلم، ثم عاد فثلث، فردوا، فقال:

أسمعتهم أول السلام؟ فقالوا: نعم و لكن أحببنا أن تزيدنا من السلام. فما أشخصك بأبينا و أمنا؟ قال: أشفتك هذه الجاريه أن تضربوها، قال صاحبها: هي حره لوجه الله لمشاك معها. فبشّرهم رسول الله (صلى الله عليه و اله) بالخير و بالجنة؛ و قال: لقد بارك الله في

ص: ٤٥

١- (١) الطبقات (لابن سعد): ١/٤٠٠.

٢- (٢) مسند أحمد: ٣/٥٨٢/الحديث ١١٨٨٧.

٣- (٣) صحيح مسلم: ٤/٤٨١/الحديث ٣٣٠٨، و مسند أحمد: ١/٥٩٨/الحديث ٣٤١٥.

٤- (٤) سنن الدارمي: ١/٣٤.

العشره كسا الله نبيه قميصا و رجلا من الأنصار قميصا و أعتق منها رقيه، و أحمد الله هو الذى رزقنا هذا بقدرته (١).

و كان إذا دخل شهر رمضان أطلق كل أسير و أعطى كل سائل (٢).

و عن عائشه: أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) ما انتقم لنفسه شيئا يؤتى إليه إلا أن تنتهك حرمت الله. و لا ضرب بيده شيئا قط إلا أن يضرب بها فى سبيل الله و لا سئل شيئا قط فممنعه إلا أن يسأل مأثما فإنه كان أبعد الناس منه (٣).

و عن عبيد بن عمير: أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) ما اتى فى غير حد إلا عفا عنه (٤).

و قال أنس: خدمت رسول الله عشر سنين. فما قال لى أف قط، و ما قال لشيء صنعته: لم صنعته؟ و لا لشيء تركته: لم تركته؟ (٥).

و جاءه أعرابي فجذب رداءه بشده حتى أثرت حاشيه الرداء على عاتق النبي (صلى الله عليه و اله) ثم قال له: يا محمد مر لى من مال الله الذى عندك. فالتفت اليه فضحك ثم أمر له بعطاء.

لقد عرف (صلى الله عليه و اله) بالعفو و السماحه طيله حياته... فقد عفا عن وحشى قاتل عمه حمزه... كما عفا عن المرأه اليهوديه التى قدمت له شاه مسمومه و عفا عن أبى سفيان و جعل الدخول الى داره أمانا من القتل. و عفا عن قريش التى عتت عن أمر ربها و حاربتة بكل ما لديها.. و هو فى ذروه القدره و العزه قائلا لهم: «اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون.. اذهبوا فأنتم الطلقاء» (٦).

ص: ٤٦

١- (١) المعجم الكبير (الطبرانى): ٣٣٧/١٢/الحديث ١٣٦٠٧.

٢- (٢) حياه النبي و سيرته: ٣١١/٣.

٣- (٣) حياه النبي و سيرته: ٣٠٦/٣.

٤- (٤) المصدر: ٣٠٧/٣.

٥- (٥) صحيح البخارى: ٥/٢٢٦٠/الحديث ٥٧٣٨.

٦- (٦) محمد فى القرآن: ٦٠-٦٥.

و كان يداعب أصحابه و لا يقول إلا حَقًّا (١). و لقد شارك أصحابه فى بناء المسجد (٢) و حفر الخندق (٣) و كان يكثر من مشاوره أصحابه بالرغم من أنه كان أرجح الناس عقلاً (٤).

و كان يقول: «اللهم أحيى مسكينا و توفى مسكينا و احشرنى فى زمره المساكين و إنَّ أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا و عذاب الآخرة» (٥).

هذه صورته موجزه جدا عن بعض ملامح شخصيته (صلى الله عليه و اله) و بعض جوانب سلوكه الفردى و الاجتماعى. و هناك صور رائعه و كثيره عن سلوكه و سيرته الإداريه و السياسيه و العسكريه و الاقتصاديه و الاسريه التى تستحق الدراسه المعمقه للتأسى بها و الاستلهام منها، نتركها الى الفصول اللاحقه.

ص: ٤٨

١- (١) سنن الترمذى: ٣٠٤/٤/٤ الحديث ١٩٩٠.

٢- (٢) مسند أحمد: ٨٠/٣.

٣- (٣) الطبقات (لابن سعد): ٢٤٠/١.

٤- (٤) الدر المنثور: ٣٥٩/٢، و المواهب اللدنيه: ٣٣١/٢.

٥- (٥) سنن الترمذى: ٤٩٩/٤/٤ الحديث ٢٣٥٢.

الباب الثاني

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

دور الولاده و النشأه

الفصل الثاني:

دور الفتوه و الشباب

الفصل الثالث:

من الزواج الى البعثه

ص: ٤٩

اشاره

دور الولاده و النشأه

١- ملامح انهيار المجتمع الوثنى:

استحكمت الفساد و الظلم فى مجتمع الجزيره فى الفتره التى سبقت البعثه النبويه فلم تعد كتله المجتمع واحده و لم تكن الخصائص الاجتماعيه و الثقافيه التى أوجدتها طبيعه الحياه فى الصحراء كافيه لإيقاف حاله الانهيار التى بدت ملامحها على المجتمع فى الجزيره العربيه. و ما الأحلاف التى نشأت إلا تعبير عن ظاهره اجتماعيه لمقاومه ذلك التحلل و لكنها فى تعددها دليل على انعدام القوه المركزيه فى المجتمع.

و لا نلاحظ حركه إصلاحيه تغييريه يذكرها لنا التأريخ تكون قد سعت للنهوض بالمجتمع و الارتقاء به نحو الحياه الفضلى سوى حركه بعض الأفراد التى تعبر عن حاله الرفض لهذا التفسخ و الظلم الاجتماعى متمثله فى حاله التحنث التى أبداها عدد قليل من أبناء الجزيره العربيه و لم ترتق الى مستوى النظرية أو الحركه

التغييريه الفاعله فى المجتمع... (١) و تفكك المجتمع القرشى قد نلاحظه أيضا فى ظاهره اختلافهم حول بناء الكعبه فى الوقت الذى كانت قريش من أعز القبائل العربيه و أشدها تماسكا. و يمكن لنا أن نستدل على تهادى المجتمع فى الفساد من خلال الإنذارات المتكرره من اليهود القاطنين فى الجزيره العربيه و استفتاحهم على أهالى الجزيره بظهور المصلح المنقذ للبشرية برسالته السماويه و كانوا يقولون لهم: ليخرجن نبى فليكسرن أصنامكم (٢).

٢- إيمان آباء النبى (صلى الله عليه و اله):

ولد النبى (صلى الله عليه و اله) و ترعرع فى عائله تدين بالتوحيد و تتمتع بسمو الأخلاق و علو المنزله. فإيمان جدّه عبد المطلب نلمسه من كلامه و دعائه عند هجوم أبرهه الحبشى لهدم الكعبه إذ لم يلتجئ الى الأصنام بل توكل على الله لحمايه الكعبه (٣).

بل يمكن أن نقول إن عبد المطلب كان عارفا بشأن النبى (صلى الله عليه و اله) و مستقبله المرتبط بالسماء من خلال الأخبار التى أكدت ذلك. و تجلّت اهتماماته به فى الاستسقاء بالنبى (صلى الله عليه و اله) و هو رضيع، و ما ذلك إلا لما كان يعلمه من مكانته عند الله المنعم الرازق (٤)، و الشاهد الآخر هو تحذيره لأم أيمن من الغفله عند عند ما كان صغيرا (٥).

و كذلك حال عمه أبى طالب الذى استمر فى رعايه النبى (صلى الله عليه و اله) و دعمه لأجل تبليغ الرساله و الصدع بها حتى آخر لحظات عمره المبارك متحملا فى ذلك

ص: ٥٢

١- (١) راجع السيره النبويه: ٢٢٥/١.

٢- (٢) بحار الأنوار: ٢٣١/١٥، و راجع السيره النبويه: ٢١١/١، البقره: ٨٩/٢.

٣- (٣) السيره النبويه: ٤٣/١-٤٢، الكامل فى التأريخ: ٢٦٠/١، بحار الأنوار: ١٣٠/٥.

٤- (٤) السيره الحلبيه: ١٨٢/١، الملل و النحل للشهرستانى: ٢٤٨/٢.

٥- (٥) سيره زينى دحلان بهامش السيره الحلبيه: ٦٤/١، و راجع تاريخ يعقوبى: ١٠/٢.

أذى قريش وقطيعتهم وحصارهم له في الشعب. و نلمس هذا في ما روى عن أبي طالب (عليه السلام) في عده مواقف ترتبط بحرصه على سلامه حياه النبي (صلى الله عليه و اله) (١).

و أما والدا النبي (صلى الله عليه و اله) فالروايات داله على نيذهما للشرك و الأوثان و يكفي دليلا قول الرسول (صلى الله عليه و اله): «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات» و فيه إيعاز الى طهاره آباءه و امهاته من كل دنس و شرك (٢).

٣- مولد الرسول (صلى الله عليه و اله):

ما إن استنفذت الديانه النصرانيه أغراضها في المجتمع البشرى و لم تعد لها فاعليه تذكر حتى حلت في الدنيا كل مظاهر التيه و الزيف، و أمسى الناس كافه ضلال فتن و حيره، استخفتهم الجاهليه الجهلاء، و لم تكن أوضاع الروم بأقل سوءا من أوضاع منافسيهم في فارس، و ما كانت جزيره العرب أفضل وضعاً من الاثنيين. و الكل على شفا حفرة من النار.

و قد وصف القرآن بصوره بليغه جانباً مأساوياً من حياه البشر آنذاك، كما وصف سيد أهل بيت النبوه على بن أبي طالب (عليه السلام) ذلك الوضع المأساوى وصفا دقيقاً عن حس و معاشه في عده خطب، منها قوله في وصف حال المجتمع الذي بعث فيه النبي (صلى الله عليه و اله):

«أرسله على حين فتره من الرسل و طول هجعه من الأمم و إعتزام من الفتن، و انتشار من الأمور و تلظ من الحروب، و الدنيا كاسفه النور، ظاهره الغرور، على حين اصفرار من ورقها، و إياس من ثمرها، و اغورار من مائها، قد درست منار الهدى، و ظهرت أعلام الردى، فهي متجهمه لأهلها، عابسه في وجه طالبها، ثمرها الفتنه، و طعامها الجيفه، و شعارها

ص: ٥٣

١- ((١)) السيره النبويه: ٩٧٩/١، تاريخ ابن عساکر: ٦٩/١، مجمع البيان: ٣٧/٧، مستدرک الحاکم: ٦٢٣/٢، الطبقات الكبرى: ١٦٨/١، السيره الحلبيه: ١٨٩/١، اصول الكافي: ٤٤٨/١، الغدير: ٣٤٥/٧.

٢- ((٢)) سيره زيني دحلان بهامش السيره الحلبيه: ٥٨/١، و راجع أوائل المقالات للشيخ المفيد: ١٢ و ١٣.

فى مثل هذا الطرف العصب الذى كانت تمر به البشرىه سطح النور الإلهى فأضاء العباد و البلاد مبشرا بالحياه الكرىمه و السعاده الأبدىه. و ذلك عند ما بوركت أرض الحجاز بمولد النبى الأكرم محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه و اله) فى عام الفيل سنه (٥٧٠ ميلادىه) و فى شهر ربيع الأول على ما هو عليه أكثر المحدثين و المؤرخين.

و أما عن يوم ميلاده (صلّى الله عليه و اله)، فقد حدده أهل بيته (عليهم السّلام) -و هم أدرى بما فى البيت- فقالوا: هو يوم الجمعة السابع عشر من شهر ربيع الأول بعد طلوع الفجر، كما هو المشهور بين الإماميه، و عند غيرهم أنه (صلّى الله عليه و اله) ولد فى يوم الاثنين الثانى عشر من الشهر نفسه (٢).

و تتحدث جملة من المصادر التارىخيه و الحدِيثيه عن وقوع حوادث عجيبيه يوم ولادته مثل: انطفاء نار فارس، و زلزال أصاب الناس حتّى تهدّمت الكنائس و البيع و زال كلّ شىء يعبد من دون الله عزّ و جل عن موضعه، و تساقط الأصنام المنصوبه فى الكعبه على و جوهها حتّى عمّيت على السحره و الكهّان أمورهم، و طلوع نجوم لم تر من قبل هذا و قد ولد (صلّى الله عليه و اله) و هو يقول: «الله أكبر، و الحمد لله كثيرا و سبحان الله بكره و أصيلا» (٣).

و اشتهر النبى (صلّى الله عليه و اله) ب: اسمين: «محمّد» و «أحمد» و قد ذكرهما القرآن الكرىم، و روى المؤرخون أنّ جدّه عبد المطلب قد سمّاه «محمدًا»، و أجاب من سأله عن سبب التسميه قائلا: أردت أن يحمد فى السماء و الأرض (٤). كما أن أمه

ص: ٥٤

١- (١) نهج البلاغه: الخطبه (٨٩).

٢- (٢) راجع، إمتاع الأسماع: ٣ حيث تجد جميع الأقوال المذكوره حول يوم ميلاد النبى (صلّى الله عليه و اله).

٣- (٣) تاريخ يعقوبى: ٨/٢، السيره الحلبيه: ٩٢/١.

٤- (٤) السيره الحلبيه: ١٢٨/١.

وقد بشر به الإنجيل على لسان عيسى (عليه السلام) - كما أخبر القرآن الكريم بذلك و صدقه علماء أهل الكتاب - وقد حكاه قوله تعالى: وَ مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ (١). ولا مانع من أن يعرف الشخص باسمين ولقبين و كنيته في عرف الجزيرة العربية وغيرها.

٤- رضاعه اليمون:

أصبح محمد (صلى الله عليه و اله) الشغل الشاغل لجده عبد المطلب الذي فقد ابنه عبد الله - وهو أعزّ أبنائه في وقت مبكر جدا. من هنا أوكل جده رضاعه إلى «ثويبه» و هي جارية لأبي لهب كى يتسنى لهم إرساله إلى بادية بنى سعد ليرتضع هناك و ينشأ في بيئه نقيه بعيدا عن الأوبئه التى كانت تهدد الاطفال فى مكه و يترعرع بين أبناء البادية كما هى عاده أشراف مكه فى إعطاء أطفالهم الرضع الى المرضع و كانت مرضع قبيله بنى سعد من المشهورات بهذا الأمر، و كانت تسكن حوالى مكه و نواحى الحرم و كانت نساؤهم يأتين إلى مكه فى موسم خاص من كل عام يلتمسن الرضعا خصوصا عام ولاده النبي (صلى الله عليه و اله) حيث كانت سنه جذب و قحط فكنّ بحاجه إلى مساعده أشراف مكه.

و زعم بعض المؤرخين أنه لم تقبل أیه واحده من تلك المرضع أن تأخذ «محمدًا» بسبب يتمه، و أوشكت قافلته المرضع أن ترجع و مع كل واحده رضيع إلاّ حلیمه بنت أبى ذؤيب السعديه فقد أعرضت عن النبي (صلى الله عليه و اله) أول الأمر كغيرها من المرضعات و حين لم تجد رضيعا قالت لزوجها: و الله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلاآخذنه. و رجح لها زوجها ذلك فرجعت إليه و احتضنته و الأمل يملأ نفسها

فى أن تجد بسببه الخير و البركه (١).

و یردّ هذا الزعم مكانه البيت الهاشمى الرفيعه و شخصيه جدّه الذى عرف بالجدود و الإحسان و مساعده المحتاجين و المحرومين.

على أن بعض المؤرخين قد ذكر أن أباه قد توفى بعد ولادته بعده أشهر (٢).

كما روى أنه (صلّى الله عليه و اله) لم يقبل إلاّ ثدى «حليمه» (٣).

قالت حليمه: استقبلنى عبد المطلب فقال: من أنت؟ فقلت: أنا امرأه من بنى سعد. قال ما اسمك؟ قلت: حليمه. فتبسم عبد المطلب و قال: بخ بخ سعد و حلم خصلتان فيهما خير الدهر و عزّ الأبد (٤).

و لم يخب ظنّ حليمه فى نيل البركه و زياده الخير بأخذ يتيم عبد المطلب فقد روى أن ثدى حليمه كان خاليا من اللبن فلما ارتضع النبى (صلّى الله عليه و اله) منه امتلأ و درّ لبنا.

و تقول حليمه: عند ما أخذنا رسول الله (صلّى الله عليه و اله) عرفنا الخير و الزيادة فى معاشنا و رياشنا حتى أثرتنا بعد الجذب و الجهد (٥).

و أمضى وليد «عبد المطلب» فى أحضان حليمه و زوجها فى مراتع بنى سعد ما يقارب خمس سنوات رجعت به خلالها إلى أهله عند فطامه بعد أن أتم السنيتين على كره منها؛ لما وجدت فيه من السعاده و الخير، كما أن أمه أرادت أن يشتد عود ابنها بعيدا عن مكه، خوفا عليه من الأمراض فرجعت به مسروره.

و روى أنها جاءت به ثانيه الى مكه خوفا عليه من أيدى السوء عند ما

ص: ٥٦

١- ((١)) السيره الحلبيه: ١٤٦/١.

٢- ((٢)) الصحيح من سيره النبى الأعظم (صلّى الله عليه و اله): ٨١/١، السيره الحلبيه: ٨١/١.

٣- ((٣)) بحار الانوار: ٣٤٢/١٥.

٤- ((٤)) السيره الحلبيه: ١٤٧/١.

٥- ((٥)) بحار الانوار: ٣٤٥/١٥، المناقب لابن شهر آشوب: ٢٤/١، و راجع السيره الحلبيه: ١٤٩/١.

شاهدت جماعه من نصارى الحبشه القادمين الى الحجاز قد أصرّوا على أخذه معهم إلى الحبشه لأنهم وجدوا فيه علائم النبىّ الموعود، لينالوا بذلك شرف احتضانه و بلوغ المجد باتباعه (١).

٥- الاستسقاء بالنبىّ (صلى الله عليه و اله):

أشار المؤرخون إلى ظاهره الاستسقاء برسول الله (صلى الله عليه و اله) التي حدثت أكثر من مره فى حياته، حين كان رضيعا و حين كان غلاما فى حياه جدّه و عمه أبى طالب. فالمره الاولى: لما أصاب أهل مكّه من الجذب العظيم، و أمسك السحاب عنهم سنتين، أمر عبد المطلب ابنه أبى طالب أن يحضر حفيده محمدا (صلى الله عليه و اله) فأحضره - و هو رضيع فى قماط - فوضعه على يديه و استقبل الكعبه و قدّمه إلى السماء، و قال: يا ربّ بحق هذا الغلام، و جعل يكرّر قوله و يدعو: اسقنا غيثا مغيثا دائما هطلا، فلم يلبث ساعه حتى أطبقت الغيوم وجه السماء و هطل المطر منهمرا حتى خافوا من شدته على المسجد أن ينهدم (٢).

و تكرر الاستسقاء ثانيا بعد مدّه و كان النبىّ (صلى الله عليه و اله) فى هذه المره غلاما حين خرج به عبد المطلب الى جبل أبى قبيس و معه وجوه قريش يرجون الاستجابه ببركه النبىّ (صلى الله عليه و اله)، و قد أشار أبو طالب إلى هذه الوقعه بقصيده أولها:

أبونا شفيح الناس حين سقوا به من الغيث رجاس العشير بكور

و نحن - سنين المحل - قام شفيعنا بمكّه يدعو و المياه تغور (٣)

و نقل المؤرخون أن قريشا طلبت من أبى طالب أن يستسقى لهم فخرج

ص: ٥٧

١- ((١)) السيره النبويه: ١/١٦٧، بحار الانوار: ١٥/١٤٠، السيره الحلبيه: ١/١٥٥.

٢- ((٢)) الملل و النحل: ٢/٢٤٨، و راجع السيره الحلبيه: ١/١٨٢-١٨٣.

٣- ((٣)) السيره الحلبيه: ١/٣٣١.

أبو طالب الى المسجد الحرام و بيده النبي (صلى الله عليه و اله) -و هو غلام- كأنه شمس دجى تجلّت عنها غمامه- فدعا الله بالنبي (صلى الله عليه و اله) فأقبلت السحاب فى السماء و هطل المطر فسالت به الأودية و سرّ الجميع و قد ذكر أبو طالب هذه الكرامه أيضا عند ما تمادت قريش فى عدائها للنبي (صلى الله عليه و اله) و رسالته المباركه فقال:

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمه للأرامل

تلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده فى نعمه و فواضل (١)

و كلّ هذا يعرب لنا عن توحيد كفىلى رسول الله (صلى الله عليه و اله) الخالص و إيمانهما بالله تعالى، و لو لم يكن لهما إلا هذان الموقفان لكفاهما فخرا و اعتزازا. و هذا يدل أيضا على أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) قد نشأ فى بيت كانت الديانه السائده فيه هى الحنيفيه و توحيد الله تعالى.

٦- مع امه آمنه:

لم يتمتع النبي (صلى الله عليه و اله) بطول رعايه أمه الحنون التى عاشت بعد أبيه و هى تنتظر أن يشبّ يتيم عبد الله ليكون لها سلوه عن فقد زوجها الحبيب و لكن الموت لم يمهلها طويلا. فقد روى أن حليمه السعديه جاءت بالنبي (صلى الله عليه و اله) الى أهله و قد بلغ خمس سنين. و أرادت أمه آمنه أن تحمله معها و تزور قبر زوجها العزيز و يزور محمد (صلى الله عليه و اله) أخواله من بنى النجار فى يثرب فيتعرف فى هذه السفره عليهم و لكن هذه الرحله لم تترك على النبي (صلى الله عليه و اله) إلا حزنا آخر حيث فقد أمه فى طريق العوده فى منطقته تدعى بالأبواء بعد أن زار الدار التى توفى و دفن فيها أبوه، و كأنّ تلاحق الأحزان على قلب النبي (صلى الله عليه و اله) فى طفولته كانت خطوات إعداد إلهى لتتكامل نفسه الشريفه.

ص: ٥٨

١- ((١)) السيره الحلبيه: ١/١٩٠، البدايه و النهايه: ٣/٥٢، بحار الأنوار: ٢/٨.

وواصلت أم أيمن رحلتها نحو مكه و هي تصطحب النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الى جدّه عبد المطلب الذي ازداد تعلقاً بحفيده محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) (١).

٢- مع جدّه عبد المطلب:

بلغ محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في قلب عبد المطلب مكانه لم يبلغها أحد من بنيه و أحفاده و هم سادات بطحاء مكه، فقد روى أن عبد المطلب كان يجلس في فناء الكعبه على بساط كان يمد له و حوله وجوه قريش و ساداتها و أولاده، فإذا وقعت عيناه على حفيده «محمد» (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أمر بأن يفرج له حتى يتقدم نحوه ثم يجلسه إلى جنبه على ذلك البساط الخاص به (٢). و هذه العناية من سيد قريش قد عزّزت من مكانه محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في نفوس قريش إضافة إلى سمو أخلاقه منذ نعومه أظفاره.

و لقد أشار القرآن الكريم إلى فتره اليتيم هذه التي اجتازها النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) تحت رعايه ربه بقوله تعالى: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۖ وَ كَذَٰلِكَ تَوَلَّىٰ اللَّهُ إِعْدَادَ نَبِيِّهِ الْمَخْتَارِ لِيَكُونَ قَادِرًا عَلَىٰ تَحْمِيلِ مَهَامِ الْمُسْتَقْبَلِ وَ حَمْلِ الرِّسَالَةِ الْكُبْرَى الَّتِي كَانَتْ تَنْتَظِرُ نَضْجَهُ وَ كَمَالَهُ. وَ قَدْ أَشَارَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إِلَىٰ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ بِقَوْلِهِ: «أَدْبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي» (٣).

و لم يمض من عمر النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أكثر من ثمان سنوات حتى منى بمحنه ثلثه و هي فقد جدّه العظيم «عبد المطلب»، و قد حزن محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لموت جدّه حزناً لا يقل عن حزنه لموت أمه حتى أنه بكى بكاء شديداً و هو يتبع نعشه إلى

ص: ٥٩

١- ((١)) السيره الحلبيه: ١٠٥/١.

٢- ((٢)) السيره النبويه: ١٦٨/١.

٣- ((٣)) مجمع البيان: ٣٣٣/٥ تفسير مطلع سوره القلم.

مقرّه الأخير، و لم ينس ذكره أبدا؛ إذ كان يرعاه خير رعايه و كان عارفا بنبوّته فقد روى أنّه قال-لمن أراد أن ينحى عنه محمّدا(صلّى الله عليه و اله) عند ما كان طفلا يدرج:-دع ابني فإنّ الملك قد أتاه (١).

ص: ٦٠

١- (١) تاريخ اليعقوبي: ١٠/٢.

١- كفالته أبي طالب للنبي (صلى الله عليه و اله):

لقد استمرت رعايه عبد المطلب لحفيده «محمد» (صلى الله عليه و اله) حين أوكل أمره إلى ولده أبي طالب لما كان يعلم من أن أبا طالب سيقوم برعايه ابن أخيه خير قيام و هو و إن كان فقيرا لكنّه كان أنبل إخوته و أكرمهم في قريش مكانه و احتراماً. على أنّ أبا طالب كان شقيق عبد الله لأمه و أبيه و هو مما يزيد أواصر التلاحم مع «محمد» (صلى الله عليه و اله) و الحنان و العطف عليه.

و تقبل أبو طالب هذه المسؤوليه بفخر و اعتزاز و كانت تعيينه في ذلك زوجته الطيبه فاطمه بنت أسد فكانا يؤثران محمدا بالنفقة و الكسوه على نفسيهما و على أولادهما، و قد عبّر النبي (صلى الله عليه و اله) عن ذلك حين وفاه فاطمه بنت أسد قائلاً:

اليوم ماتت أمي. و كفّنها بقميصه و اضطجع في لحدها.

و منذ وفاه عبد المطلب بدأت مهمه أبي طالب الشاقه في المحافظه على النبي (صلى الله عليه و اله) فكان يقيه بماله و نفسه و جاهه منذ صغره و يدافع عنه و ينصره بيده و لسانه طوال حياته حتى نشأ محمد (صلى الله عليه و اله) و تلقى النبوه و صدع بالرساله (١).

٢- السفره الاولى الى الشام:

كان من عادته قريش الخروج الى الشام كل عام مره للتجاره إذ كانت هي المصدر الرئيس للكسب و عزم أبو طالب على الخروج في هذه الرحله و لم يكن يفكر في استصحاب محمد(صلى الله عليه و اله) خوفا عليه من و عتاء السفر و مخاطر اجتياز الصحراء، و لكن في لحظه الرحيل غير أبو طالب قراره إذ وجد الإصرار لدى ابن أخيه كبيرا حين أغر و رقت عيناه بالدموع لفراق عمه، فكانت الرحله الاولى لمحمد(صلى الله عليه و اله) إلى الشام بصحبه عمه. و أطلع محمد في هذه الرحله على طبيعه السفر عبر الصحراء و عرف طرق سير القوافل.

و في هذه الرحله شاهد بحيرا الراهب محمدا و التقى به و وجد فيه علامات النبي الخاتم الذي بشر به عيسى(عليه السلام)) إذ كان ممن خبر التوراه و الأنجيل و غيرهما من المصادر المبشره بظهور النبي الخاتم، فنصح عمه أبا طالب أن يعود به إلى مكه و أن يحتاط عليه من اليهود لئلا يغتالوه (١). فقفل أبو طالب راجعا الى مكه و معه ابن أخيه محمد(صلى الله عليه و اله).

٣- رعى الغنم:

لم يرو عن أئمه أهل البيت(عليهم السلام) ما ينص على أن رسول الله(صلى الله عليه و اله) قد رعى الأغنام في صباه، نعم روى عن الإمام الصادق(عليه السلام) حديث يعمّ الأنبياء فيما يخص الرعى و حكمه ذلك إذ جاء فيه: «ما بعث الله نبيا قط حتى يسترعيه الغنم، يعلمه بذلك رعيه للناس».

ص: ٦٢

١- (١) سيره ابن هشام: ١٩٤/١، الصحيح من سيره النبي: ٩١/١-٩٤.

كما روى عنه (عليه السلام) في حكمه الحرث و الرعى قوله: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ أَحَبُّ لَأَنْبِيَائِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ: الحرث و الرعى، لئلا يكرهوا شيئاً من قطر السماء» (١).

و روى أيضاً: إنَّ رسول الله (صلى الله عليه و اله) ما كان أجيراً لأحد قط (٢).

و يدل هذا النص على أنه لم يكن يرعى الغنم لأهل مكة بأجره كما زعم بعض المؤرخين من أنه (صلى الله عليه و اله) قد رعى الغنم لأهل مكة مستشهداً بحديث جاء في صحيح البخارى (٣).

و إذا ثبت لدينا رعيه (صلى الله عليه و اله) للغنم في صباه أو في عنفوان شبابه أمكن تعليل ذلك بما جاء في النص الذى أشرنا إليه من حديث الإمام الصادق (عليه السلام) و هو الإعداد الإلهى له من خلال ممارسه النشاط الذى يؤهله لبلوغ المرتبه الساميه من الكمال الذى وصفه الله تعالى به بقوله: «وَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ» (٤) كمالاً- يجعله مستعداً لتحمل أعباء الرساله الإلهيه التى تتطلب رعايه الناس و تربيتهم و الصبر على مصاعب هدايتهم و إرشادهم.

٤- حروب الفجار:

كانت للعرب عدّه حروب استحلّت فيها حرمة الأشهر الحرم فسميت بحروب الفجار (٥).

و زعم بعض المؤرخين أنّ النبى (صلى الله عليه و اله) قد حضر بعض أيامها، و شارك فيها بنحو من المشاركه. و قد شكك بعض المحققين فى ذلك لأسباب منها:

ص: ٦٣

١- (١) علل الشرائع: ص ٢٣، سفينه البحار: ماده نبأ.

٢- (٢) تاريخ يعقوبى: ٢١/٢، البدايه و النهايه: ٢٩٦/٢.

٣- (٣) صحيح البخارى: كتاب الاجاره، الباب ٣٠٣، الحديث رقم ٤٩٩.

٤- (٤) القلم: ٤/٦٨.

٥- (٥) موسوعه التاريخ الإسلامى ١: ٣٠١-٣٠٥ عن الأغاني ١٩: ٧٤-٨٠.

اولاً: أن الرسول (صلى الله عليه و اله) كلما تقدم في العمر كانت شخصيته تزداد تألقاً و قد عرف بشجاعته الفائقة كسائر بني هاشم، و لكن هذا لا يعنى أنهم شاركوا في حرب فيها ظلم و فساد. فقد روى أن أحداً من بني هاشم لم يحضر هذه الحروب فإن أبا طالب كان قد منع أن يكون فيها أحد منهم حين قال: هذا ظلم و عدوان، و قطيعه رحم، و استحلال للشهر الحرام، و لا أحضره و لا أحد من أهلى (١). و انسحب عبد الله بن جدعان و حرب بن أميه - و هو قائد قريش و كنانة حينذاك - و قالاً: لا نحضر أمراً تغيب عنه بنو هاشم (٢).

ثانياً: اختلفت الروايات حول الدور الذى أداه النبى (صلى الله عليه و اله) فى هذه الحرب، فبعضهم روى: أن عمله (صلى الله عليه و اله) كان يقتصر على مناولة النبل لأعمامه و الرد على نبل عدوهم و حفظ متاعهم (٣). و روى آخر: أنه قد رمى فيها برميات (٤)، و روى ثالث أنه طعن أبا البراء ملاعب الأسنة فصرعه مع أنه كان غلاماً (٥)، و لا ندرى هل كانت العرب تسمح للغلام بخوض المعارك و الحروب (٦)؟

٥- حلف الفضول:

شعرت قريش بعد حرب الفجار بضعفها و تفرق كلمتها، و خشيت من طمع العرب فيها بعد أن كانت قويه منيعه، فدعا الزبير بن عبد المطلب إلى حلف

ص: ٦٤

١- (١) تاريخ يعقوبى: ١٥/٢.

٢- (٢) تاريخ يعقوبى: ١٥/٢.

٣- (٣) راجع موسوعه التاريخ الاسلامى: ٣٠٤/١.

٤- (٤ و ٥) السيره النبويه لزينى دحلان: ٢٥١/١، السيره الحلبيه: ١٢٧/١.

٥- (٦) تاريخ يعقوبى: ١٦/٢.

٦- (٧) راجع الصحيح فى السيره: ٩٥/١.

الفضول حيث اجتمعت بنو هاشم و زهره و تميم و بنو أسد في دار عبد الله بن جدعان، و غمس المتحالفون أيديهم في ماء زمزم و تحالفوا على نصره المظلوم، و التأسى بالمعاش، و النهي عن المنكر (١) و كان أشرف حلف في العهد الجاهلي.

و قد شارك محمد (صلى الله عليه و اله) في هذا الحلف و كان يومئذ قد جاوز العشرين من عمره (٢) و قد أثنى عليه بعد نبوته و أمضاه. بقوله: ما أحب أن لي بحلف حضرته في دار ابن جدعان حمر النعم و لو دعيت به في الإسلام لأجبت» (٣).

و قيل في سبب تسميته بحلف الفضول أنه قد حضره ثلاثة نفر أسماؤهم مشتقه من ماده «الفضل» و كان السبب في عقد هذا الحلف ما روى من أنه: أتى رجل من زييد أو من بنى أسد بن خزيمه مكه في شهر ذى القعدة ببضاعه فاشتراها منه العاص بن وائل السهمي و حبس عنه حقه فاستعدى عليه الزبيدي قريشا فأبت الأحلاف من قريش معونه الزبيدي على العاص بن وائل و انتهره فلما رأى الزبيدي الشرَّ صعِد على جبل أبي قبيس و استغاث فقام الزبير بن عبد المطلب و دعا إلى الحلف المذكور؛ فعقد، ثم مشوا الى العاص و انتزعوا منه سلعه الزبيدي فدفعوها إليه (٤).

٦- التجاره بأموال خديجه:

بدأت شخصيه محمد (صلى الله عليه و اله) تتألاً في المجتمع المكي بما كانت تتمتع به من خلق رفيع و علو همه و أمانه و صدق حديث فكانت القلوب تنجذب إليه و هو سليل أسره طاهره و لكن الفقر الذي كان حليف أبي طالب دفع بالأسره الكريمه

ص: ٦٥

١- (١) البدايه و النهايه: ٢٩٣/٣، و راجع شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٢٩/١٤ و ٢٨٣.

٢- (٢) تاريخ يعقوبى: ١٧/١.

٣- (٣) سيره ابن هشام: ١٤٢/١.

٤- (٤) السيره الحلبيه: ١٣٢/١، البدايه و النهايه: ٢٩١/٢.

التى كان يعيش فيها محمد(صلى الله عليه و اله) إلى أن يقترح أبو طالب على ابن أخيه الذى كان قد بلغ الخامسة و العشرين من عمره أن يخرج مضاربا بأموال خديجه بنت خويلد و بادر أبو طالب إلى خديجه و فاتحها بالأمر فرحبت به على الفور و سرّت سرورا عظيما لما كانت تعرفه عن محمد(صلى الله عليه و اله) و قد بذلت له ضعف ما كانت تبذل لغيره ممّن يخرج فى تجارتها (١).

و سافر محمّد(صلى الله عليه و اله) إلى الشام يعينه فى رحلته «ميسره» غلام خديجه و استطاع بجمال شمائله و رقيق عواطفه أن يكسب حبّ ميسره و إجلاله و استطاع بأمانته و حنكته أن يربح أوفر الربح و ظهرت له فى سفره بعض الكرامات الباهره، فلما عادت القافله الى مكه أخبر ميسره خديجه بما شاهد و سمع (٢) مما زاد فى اهتمام خديجه بمحمّد(صلى الله عليه و اله) و شوّقتها الى الاقتران به.

و زعم بعض المؤرخين: أنّ خديجه قد استأجرته فى تجارتها، بينما قال يعقوبى -و تاريخه الذى يعدّ من أقدم المصادر المعتمده- «و إنه ما كان مما يقول الناس: إنها استأجرته بشيء، و لا كان أجيرا لأحد قط» (٣).

و قد ورد النصّ عن الإمام الحسن العسكري، عن أبيه الإمام الهادى(عليه السلام):

«إنّ رسول الله(صلى الله عليه و اله) كان يسافر الى الشام مضاربا لخديجه بنت خويلد» (٤).

ص: ٦٦

١- ((١)) راجع بحار الانوار: ٢٢/١٦، كشف الغمه: ١٣٤/٢ نقلا عن معالم العتره للجنابدى، و راجع أيضا السيره الحلبيه: ١٣٢/١.

٢- ((٢)) البدايه و النهايه: ٢٩٦/٢، السيره الحلبيه: ١٣٦/١.

٣- ((٣)) تاريخ يعقوبى: ٢١/٢.

٤- ((٤)) بحار الأنوار: ٣٠٨/١٧.

اشاره

من الزواج الى البعثه

١- الزواج المبارك:

اشاره

كان لا بد لمثل شخصيه محمد(صلى الله عليه و اله) التي فاقت كل شخصيه من الاقتران بامرأه تناسبه و تتجاوب مع عظيم أهدافه و قيمه تواصل معه رحله الجهاد و العمل المضنيه و تصبر على متاعبه و مصاعبه، و لم يكن يومذاك امرأه تصلح لمحمد(صلى الله عليه و اله) و لهذه المهمه سوى خديجه، و شاء الله ذلك فاتجه قلب خديجه بكل عواطفه نحو محمد(صلى الله عليه و اله) و تعلق بشخصه الكريم. و لقد كانت خديجه(رضى الله عنها) من خير نساء قريش شرفا و أكثرهن مالا و أحسنهن جمالا، و كانت تدعى فى الجاهليه ب«الطاهره» و«سيده قريش». و كان كل رجال قومها حريصين على الاقتران بها.

و قد خطبها عظماء قريش و بذلوا لها الأموال، فرفضتهم جميعا (١) لما كانت تملك من عقل راجح يزن الأمور، و لكنّها اختارت محمدا(صلى الله عليه و اله) لما عرفت فيه من النبل و الأخلاق الكريمه و السجايا الفاضله و القيم العاليه. فطلبت النزول فى ساحه عظمته، و عرضت نفسها عليه.

ص: ٦٧

و تضافرت النصوص التأريخيه على أنها هي التي أبدت أوّلا رغبتها في الاقتران به، فذهب أبو طالب في أهل بيته، و نفر من قريش لخطبتها من وليها آنذاك و هو عمها عمرو بن أسد (١) و كان ذلك قبل بعثه النبي (صلى الله عليه و اله) بخمس عشره سنه على المشهور.

و كان مما قاله أبو طالب في خطبته: «الحمد لربّ هذا البيت، الذي جعلنا من زرع إبراهيم و ذريه إسماعيل و أنزلنا حرما آمنا، و جعلنا الحكّام على الناس، و بارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه... ثم إن ابن أخي هذا ممن لا يوزن برجل من قريش إلّا رجح به و لا يقاس به رجل إلّا عظم عنه، و لا عدل له في الخلق و إن كان مقلّاً- في المال؛ فإنّ المال رقد جار، و ظل زائل، و له في خديجه رغبه و لها فيه رغبه، و قد جئناك لنخطبها إليك، برضاها و أمرها و المهر علىّ في مالي الذي سألتموه عاجله و آجله... و له و ربّ هذا البيت حظّ عظيم، و دين شائع و رأى كامل» (٢).

لكن خديجه (رضى الله عنها) عادت، فضمنت المهر في مالها.. فقال البعض: يا عجباً! المهر على النساء للرجال فغضب أبو طالب، و قال: «إذا كانوا مثل ابن أخي هذا طلبت الرجال بأعلى الأثمان و أعظم المهر، و إن كانوا أمثالكم لم يزوجوا إلّا بالمهر الغالي».

و تفيد بعض المصادر أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) نفسه قد أمهرها، و لا مانع من ذلك حينما يكون قد أمهرها بواسطة أبي طالب، و من خطبه أبي طالب يمكننا أن نستشف علو مكانه الرسول (صلى الله عليه و اله) في قلوب الناس، و ما كان يتمتع به بنو هاشم من شرف و سؤدد.

ص: ٦٨

١- (١) السيره الحلبيه: ١/١٣٧.

٢- (٢) الكافي: ٥/٣٧٤، بحار الانوار: ٥/١٦، نقلا- عن الكشاف و ربيع الابرار، و راجع أيضا السيره الحلبيه: ١/١٣٩، تاريخ يعقوبي: ٢/٢٠، الأوائل لأبي هلال: ١/١٦٢.

خديجه قبل أن يتزوجها النبي (صلى الله عليه و اله):

ولدت خديجه وسط اسره عريقه النسب كانت تتمتع بالذكر الطيب و الخلق الكريم و تميل إلى التدين بالحنيفيه-دين إبراهيم الخليل (عليه السلام)-فأبوها خويلد نازع ملكك اليمن حين أراد أن يحمل الحجر الأسود إلى اليمن، و لم ترهبه كثره أنصاره دفاعا عن معتقده و مناسك دينه، و أسد بن عبد العزى-جد خديجه-كان من المميزين في حلف الفضول الذي قام على أساس نصره المظلوم، و قد شهد رسول الله (صلى الله عليه و اله) لأهميه هذا الحلف و أيد القيم التي قام عليها (١). و ابن عمها ورقه بن نوفل كان قد عاش النصرى و اليهود و درس كتبهم.

إن التأريخ لا- يعطينا تفاصيل دقيقه عن حياه خديجه قبل زواجها من النبي (صلى الله عليه و اله). فقد روى أنها تزوجت قبله (صلى الله عليه و اله) بـرجلين و كان لها منهما بعض الأولاد و هما عتيق بن عائذ المخزومي و أبو هاله التميمي (٢)، في حين تروى مصادر أخرى أن النبي (صلى الله عليه و اله) حين تزوج بها كانت بكرًا، و حينئذ تكون زينب و رقيه ابنتى هاله أخت خديجه قد تبنتهما خديجه بعد فقدهما لأمهما (٣).

و اختلف المؤرخون في تحديد عمر خديجه (رضى الله عنها) حين زواجها مع النبي (صلى الله عليه و اله) فهناك من روى أن عمرها كان (٢٥) عاما و آخر (٢٨) عاما و ثالث (٣٠) عاما و رابع (٣٥) عاما و خامس (٤٠) عاما ٤.

ص: ٦٩

١- (١) السيره النبويه: ١٤١/١.

٢- (٢) للإطلاع على اختلاف الروايات راجع الاصابه: ٦١١/٣، السيره الحلبيه: ١٤٠/١، اسد الغابه: ٧١/٥ و ١٢١.

٣- (٣) مناقب آل أبى طالب: ١٥٩/١. و راجع أيضا أعلام الهدايه الجزء ٣، و الصحيح من سيره النبي الأعظم (صلى الله عليه و اله): ١٢١/١-١٢٦.

كان للكعبة منزله كبيره لدى العرب إذ كانت تعتنى بها و تحج إليها فى الجاهليه. و قبل البعته النبويه بخمسه أعوام هدم السيل الكعبه فاجتمعت قريش و قررت بناءها و توسعتها و باشر أشرف القريشيين و المكيين العمل، و لما تكامل البناء و بلغوا الى موضع الحجر الأسود اختلفوا فى من يضعه فى مكانه؛ فكل قبيله كانت تريد أن تختص بشرف ذلك و استعدادوا للقتال و انضم كل حليف إلى حليفه و تركوا العمل فى بنائها ثم اجتمعوا فى المسجد فتشاوروا و اتفقوا على ان يكون أول داخل على الاجتماع هو الحكم بينهم و تعاهدوا على الالتزام بحكمه فكان أول داخل محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه و اله) فقالوا: هذا الأمين قد رضينا به، و أقدم النبى (صلّى الله عليه و اله) على حلّ النزاع حين جعل الحجر فى ثوب و قال: لتأخذ كل قبيله بناحية من الثوب، ثم قال: ارفعوا جميعا ففعلوا فلما حاذوا موضعه أخذه بيده الشريفه و وضعه حيث يجب أن يكون، و بعد ذلك أتموا بناءها ١.

و روى بعض المؤرخين: أنهم كانوا يتحاكمون إلى النبى (صلّى الله عليه و اله) فى الجاهليه لأنه كان لا يدارى و لا يمارى ٢.

لقد كان لهذا الموقف أثر كبير فى نفوس تلك القبائل و أعطى الرسول (صلّى الله عليه و اله) رصيذا كبيرا و عمقا جديدا لتثبيت مكانته الاجتماعيه و لفت انتباههم إلى قدراته القياديه و كفاءته الإداريه مما ركّز ثقتهم بسموّ حكمته و حنكته و عظيم أمانته.

٣- ولاده علي (عليه السلام) و تربيته النبي (صلى الله عليه و اله) له:

إنّ العلاقة بين محمّد (صلى الله عليه و اله) و عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) لا تقتصر على النسب بل تتميّز بأنّها علاقة فكريه و عاطفيه عميقه جدا، فما ان خرجت فاطمه بنت أسد تحمل وليدها الذي وضعته في بطن الكعبه (١) حتى تقدّم إليها محمّد المصطفى (صلى الله عليه و اله) و أخذ عليا فضمّه إلى صدره (٢) و كانت هذه بدايه العناية به و الإعداد الخاص له.

و نشأ الوليد في أحضان والديه و ابن عمه محمّد (صلى الله عليه و اله) الذي كان يتردد كثيرا على دار عمّه حتى بعد زواجه من خديجه (رضى الله عنها)، يشمله بفيض خاص من العواطف و الاهتمام الفائق يناغيه في يقظته و يحمله على صدره، و يحرك مهده عند نومه. و قد انعكست هذه الرعايه المستمره لسنوات طويله و هذا الحنان العظيم الملفت للنظر بآثارها على سلوك عليّ و شعوره حتّى طفح على لسانه و كلامه فأشار الى شده قربه من رسول الله (صلى الله عليه و اله) بقوله (عليه السّلام): «و قد علمتم موضعي من رسول الله (صلى الله عليه و اله) بالقرابه القريبه و المنزله الخصيصه، و ضعني في حجره و أنا وليد يضمنني إلى صدره و يكتفني في فراشه و يمسنى جسده و يشمّني عرفه و كان يعضغ الشيء ثم يلقمنيه، و ما وجد لي كذبه في قول و لا خطله في فعل، و لقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر امه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما و يأمرني بالافتداء به» (٣).

و حين اشتدت الأزمه الاقتصاديه على قريش سارع محمّد (صلى الله عليه و اله) مقترحا

ص: ٧١

- ١- (١) قال الحاكم النيسابوري: «فقد تواترت الأخبار أن فاطمه بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في جوف الكعبه» المستدرك على الصحيحين: ٤٨٣/٣.
- ٢- (٢) الفصول المهمه لابن الصباغ: ١٣.
- ٣- (٣) نهج البلاغه: الخطبه القاصعه رقم (١٩٢).

على عمّيه حمزه و العباس أن يعينوا أبا طالب في شدّته فأخذ العباس طالبا و أخذ حمزه جعفرا و استبقى أبو طالب عقيلًا و أخذ محمد(صلى الله عليه و اله) عليًا و قال لهم: قد اخترت من اختار الله لى عليكم: عليا (١).

و هكذا انتقل عليّ (عليه السّلام) إلى دار ابن عمه و رعايته و أخذت تتبلور شخصيته و لم يفارقه حتى آخر لحظات عمر النبيّ (صلى الله عليه و اله). أن اهتمام النبيّ (صلى الله عليه و اله) بعليّ (عليه السّلام) لم يقتصر على فتره الأزمه الاقتصاديه و هذا يفيدنا بأنّ النبيّ (صلى الله عليه و اله) كان يهدف أمرا آخر هو أن يتربى عليّ (عليه السّلام) فى حجره (صلى الله عليه و اله) ليعده إعدادا خاصا كى يتسنى له القيام بدور رسالى عظيم فى صيانته شريعته الرسول الخاتم التى كان الله قد اختار لها خير خلقه و صفوه عباده.

و هكذا هيا الله لعليّ (عليه السّلام) أن يعيش منذ نعومه أظفاره فى كنف الرسول (صلى الله عليه و اله) يحظى بمودّته و حنانه، و يقتبس من أخلاقه و عظيم سجاياه. هذا و قد عامله النبيّ (صلى الله عليه و اله) كما لو كان ولده الحبيب.. و عاش على (عليه السّلام) مع النبيّ (صلى الله عليه و اله) اله) كلّ التحولات الغيبية التى جرت لرسول الله (صلى الله عليه و اله) إذ لم يفارقه فى كل يومه (٢).

إن ما حفظه لنا التاريخ من سيره الإمام على (عليه السّلام) يجسد لنا-بعمق و قوه- المدى الذى كان الإمام (عليه السّلام) قد حظى به فى مضممار الإعداد الرسالى على يد الرسول (صلى الله عليه و اله) قبل البعثه و بعدها و ما خصّه به من إعداد روحى و نفسى ممّا جعله جديرا بالمرجعيه الفكرية و العلميه فضلا عن المرجعيه السياسيه بعد رسول الله (صلى الله عليه و اله).

ص: ٧٢

١- (١) مقاتل الطالبين: ٣٦، الكامل فى التأريخ: ٣٧/١.

٢- (٢) نهج البلاغه: الخطبه ١٩٢، و شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ٣١٥/٤.

٤- ملامح من شخصيه خاتم الأنبياء (صلى الله عليه و اله) قبل البعته:

لقد سطع اسم محمّد بن عبد الله (صلى الله عليه و اله) في مجتمع الجزيره العربيه في وقت كان الوهن و التفكك قد بدا على أواصر ذلك المجتمع بكل نواحيه و كانت شخصيه محمّد بن عبد الله (صلى الله عليه و اله) تزداد تألقاً و سموًا.

و بدأت تظهر استقامه شخصيته في كل جوانب سلوكه و كمالاته الاخلاقيه.

الى جانب الأصاله العائليه المتمثله في كرم المحتد و طهاره المولد يرفده الإمداد الغيبي و التسديد الإلهي الذي يصونه عن كل المعاصي و المساوي.

و لقد كان علي بن أبي طالب أكثر الناس التصاقاً و معرفه بالرسول (صلى الله عليه و اله)، و كلامه عن الرسول أصدق قول حيث قال: «و لقد قرن الله به (صلى الله عليه و اله) من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، و محاسن أخلاق العالم، ليله و نهاره» (١).

و قد روى عنه (صلى الله عليه و اله) مدى بغضه للأصنام منذ الطفوله ففي قصه سفره إلى الشام مع عمه أبي طالب نجده يرفض أن يقيم وزناً للأوثان (٢).

لقد اختار محمّد (صلى الله عليه و اله) لنفسه و لبناء شخصيته منهجاً خاصاً حَقَّق له حياه زاخره بالمعنويه و القيم الساميه فلم يكن كلاً على أحد و لا عاطلاً عن العمل، فقد رعى الأغنام لأهله حين كان فتى يافعا (٣) و سافر للتجاره في عنفوان شبابه (٤)؛ و في جانب آخر من شخصيته الفذّه نلمس جمال الإنسانيه متجلياً في كمال الرحمه

ص: ٧٣

١- (١) نهج البلاغه: الخطبه ١٩٢.

٢- (٢) السيره النبويه: ١٨٢/١، الطبقات الكبرى: ١٥٤/١.

٣- (٣) السيره الحلبيه: ١٢٥/١، سفينه البحار، ماده نبأ، السيره النبويه لابن هشام: ١٦٦/١.

٤- (٤) بحار الأنوار: ٢٢/١٦، كشف الغمه: ١٣/٢، الكامل في التاريخ: ٢٤/٢.

و غاية العطف على الضعفاء و الفقراء و خير نموذج على ذلك تعامله مع زيد بن حارثه الذى رفض العوده الى أبيه و فضّل الحياه الكريمه مع محمد(صلى الله عليه و اله) (١).

و هكذا نعرف أن محمدا(صلى الله عليه و اله) كان قبل بعثته رجلا ليبييا فاضلا رشيدا طوى سنوات شبابه و هو يملك أسمى مقومات التعامل الإنسانى و الاجتماعى فى مجتمع الجزيره الجاهلى و قد فاق بشخصيته المثلى جميع من سواه فى عامه المجتمع الإنسانى آنذاك، و بذلك شهد له التنزيل قائلا له: وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٢)

ص: ٧٤

١- (١) الإصابه: ١/٥٤٥، اسد الغابه: ٢/٢٢٥.

٢- (٢) القلم (٦٨): ٤.

الباب الثالث

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

البعثه النبويه المباركه و ارهاصاتها

الفصل الثاني:

مراحل حركه الرساله فى العصر المكي

الفصل الثالث:

موقف بنى هاشم و أبى طالب من النبى (صلّى الله عليه و اله)

الفصل الرابع:

سنوات الانفراج حتى الهجره

ص: ٧٥

البعثة النبويه المباركه و إرهاباتها

تمثل نصوص القرآن الكريم أقدم النصوص التاريخيه التي تتمتع بالصحه و الدقه و المعاصره لأحداث عصر الرساله الاسلاميه، و المنهج العلمى يفرض علينا أن لا- نتجاوز نصوص القرآن الكريم فيما يخص عصر النبى (صلى الله عليه و اله) الذى نزلت فيه الآيات حين بعثته و استمرت بالنزول حتى وفاته.

و اذا عرفنا أن الروايات التاريخيه المتمثله فى كتب الحديث و السيره قد تأخر تدوينها عن عصر وقوع الحوادث أولاً، كما أنها قريبه من الدس و تطرق التزوير إليها ثانياً؛ كان من الطبيعى و المنطقى أن نعرضها على محكمات الكتاب و السنه و العقل لتأخذ ما يوافقها و نرفض ما يخالفها.

و ينبغى أن لا يغيب عنا أن النبوه سفاره ربّانيه و مهمه إلهيه تتعين من قبله سبحانه و تعالى لغرض رفق البشرى به بالهدايه اللازمه لها على مدى الحياه. و أن الله إنما يصطفى من عباده من يتمتع بخصائص فذه تجعله قادراً على أداء المهام الكبرى المراده منه و تحقيقها بالنحو اللائق.

اذن لا بدّ أن يكون المرسل من قبله تعالى مستوعباً للرساله و أهدافها و قادراً

على أداء الدور المطلوب منه على مستوى التلقى و التبليغ و التبيين و التطبيق و الدفاع و الصيانه و كل هذه المستويات من المسؤوليه تتطلب العلم و البصيره (و المعرفه) و سلامه النفس و صلاح الضمير و الصبر و الاستقامه و الشجاعه و الحلم و الانابه و العبوديه لله و الخشيه منه و الاخلاص له و العصمه (و التسديد الرباني) على طول الخط. و لم يكن خاتم المرسلين بدعا من الرسل بل هو أكملهم و أعظمهم فهو أجمع لصفات كمالهم و الله أعلم حيث يجعل رسالته.

و من أبده القضايا و من مقتضيات طبائع الاشياء أن يكون المرشح لمهمه رباتيه كبرى على استعداد تام لتقبلها و تنفيذها قبل أن يتولى تلك المهمه أو يرشح لأدائها. إذن لا بد للنبي الخاتم أن يكون قد أحرز كل متطلبات حمل هذه المسؤوليه الإلهيه و توفر على كل الخصائص اللازمه لتحقيق هذه المهمه الربانيه قبل البعثه المباركه. و هذا هو الذى تؤيده نصوص القرآن الكريم.

١- قال تعالى: كَذَلِكَ يُوحى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١).

٢- وقال أيضا: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى (٢).

٣- وقال أيضا: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٣).

٤- وقال أيضا: وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (٤).

اذن مصدر الوحي هو الله العزيز الحكيم. و المرسلون رجال يوحى اليهم الله

ص: ٧٨

١- ((١) الشورى(٤٢):٣.

٢- ((٢) يوسف(١٢):١٠٩.

٣- ((٣) الأنبياء(٢١):٢٥.

٤- ((٤) الأنبياء(٢١):٧٣.

سبحانه معالم توحيده و عبادته و يجعلهم أئمه يهدون بأمره كما يوحى إليهم تفاصيل الشريعة من فعل الخيرات و إقام الصلاة و إيتاء الزكاه و هم القدوه لغيرهم فى العباده و التجسيد الحى للاسلام الحقيقى لله سبحانه.

و فيما يخص خاتم النبیین يقول سبحانه و تعالى:

١- وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَ تُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ... (١).

٢- شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَ مَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَىٰ وَ عِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ* فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَ اسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَ قُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَ أُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَ رَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ٢.

٣- اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَ الْمِيزَانَ ٣.

٤- أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَاءِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَ يَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَ يُحَقِّقُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢).

٥- وَ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْتُمَ اللَّهُ الْإِلَهَ وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَّرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذُنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ* وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَ لَا الْإِيمَانُ وَ لَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَ إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٥.

إنَّ الذين عاصروا الرسول الكريم قبل بعثته و حتى وفاته لم يقدموا لنا تصويرا صحيحا و واضحا عن الرسول قبل بعثته بل و حين البعثة. و لعل أقدم

ص: ٧٩

١- (١ و ٢ و ٣) الشورى (٤٢): ٧ و ١٣ و ١٥ و ١٧.

٢- (٥ و ٤) الشورى (٤٢): ٢٤ و ٥١ و ٥٢.

النصوص و أتقنها هو ما جاء عن ربيب الرسول و ابن عمه و وصيّه الذى لم يفارقه قبل بعثته و عاشره طيله حياته، إلى جانب أمانته فى النقل و دقته فى تصوير هذه الشخصيه الفذه. فقد قال عن الفتره التى سبقت البعته النبويه و هو يتحدث عن الرسول (صلى الله عليه و اله):

«و لقد قرن الله به (صلى الله عليه و اله) من لدن أن كان فطيما اعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم و محاسن أخلاق العالم. ليله و نهاره. و لقد كنت أتبعه أتباع الفصيل أثر امه.

يرفع لى فى كل يوم من أخلاقه علما. و قد كان يجاور كل سنه بحراء فأراه و لا يراه غيرى» (١).

و يتوافق هذا النص مع قوله تعالى: وَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٢). فقد نزل هذا النص فى بدايه البعته. و الخلق ملكه نفسيه متجذره فى النفس لا تستحدث خلال أيام، فوصفه بعظمه خلقه يكشف عن سبق اتصافه بهذه الصفه قبل البعته المباركه.

و تتضح بجلاء بعض معالم شخصيته (صلى الله عليه و اله) قبل البعته من خلال نص حفيده الإمام الصادق (عليه السلام): ان الله عزّ و جلّ أذب نبيه فأحسن أدبه فلما أكمل له الأدب قال:

وَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ثُمَّ فَوَّضَ إِلَيْهِ أَمْرَ الدِّينِ وَ الْأَمَّةِ لَيْسَ لَيْسَ عِبَادَهُ (٣).

على أن الخلق العظيم جامع لتمام المكارم التى فسرها النص الوارد عن النبي (صلى الله عليه و اله) حيث يقول: «إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق». فكيف يراد له تتميم مكارم الاخلاق و هو لم يتصف بها بعد؟! اذن لا بدّ من القول بأنّ النبي (صلى الله عليه و اله) كان قبل البعته قد أحرز جميع المكارم ليكون وصفه بالخلق العظيم وصفا صحيحا و منطقيا.

ص: ٨٠

١- (١) نهج البلاغه، الخطبه القاصعه: ٢٩٢.

٢- (٢) القلم (٦٨): ٤.

٣- (٣) الكافي: ١/٦٦/١ الحديث ٤.

فالرسول قبل بعثته كان مثال الشخصيه المتمرّنه المتعادله والواعيه المتكامله والجامعه لمكارم الأخلاق ومعالي الصفات وحميد الأفعال.

والنصوص القرآنيه التي تشير الى ظاهره الوحي الرسالي وكيفيه تلقي الرسول(صلّى الله عليه و اله)له تصرّح بشكل لا يقبل التردد بما كان عليه الرسول من الطمأنينه والثبات والاستجابه التامه لأوامر الله تعالى ونواهيه التي كان يتلقاها قلبه الكريم.

لاحظ ما سقناه اليك من نصوص سوره الشورى، وقرأ أيضا ما جاء في غيرها مثل قوله تعالى:

١- وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ * وَ هُوَ بِالْأُنْفُثِ الْأَعْلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (١).

٢- قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي (٢).

٣- قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ (٣).

٤- قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ (٤).

٥- قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ (٥).

٦- وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (٦).

ص: ٨١

١- (١) النجم(٥٣):١-١١.

٢- (٢) الأنعام(٦):٥٧.

٣- (٣) الكهف(١٨):١١٠.

٤- (٤) الأنبياء(٢١):٤٥.

٥- (٥) الأنبياء(٢١):١٠٨.

٦- (٦) طه(٢٠):١١٤.

٧- وَإِنْ اهْتَدَيْتُمْ فِيمَا يُوحِي إِلَيْكُمْ رَبِّي (١).

٨- قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي (٢).

و إذا عرف ما جاء في هذه النصوص القرآنية المباركة تستطيع أن تولي وجهك شطر المصادر الحديثية و التأريخيه لتقف على محكماتها و متشابهاتها.

قال الامام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر عن الزهري عن عروه عن عائشه أنها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله (صلى الله عليه و اله) من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حُبب اليه الخلاء. و كان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه... ثم يرجع الي خديجه فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق و هو في غار حراء.

و ليس في بدايه هذا النص ما يدعو للاستغراب سوى أن عائشه لم تكن حين بدء الوحي، و النص لا يفصح أنها عمّن استقت هذه المعلومات؟ و هي لم تروه عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) مباشرة. و لكن في ذيل النص ما هو مدعاه للاستغراب طبعاً.

قالت: «ثم انطلقت به خديجه حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، و هو ابن عم خديجه أخى أبيها، و كان امراً قد تنصّر في الجاهليه و كان يكتب الكتاب العربي فكتب بالعربيّه من الانجيل- ما شاء الله أن يكتب- و كان شيخاً كبيراً قد عمى، فقالت خديجه: أى ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال ورقة: ابن أخى! ما ترى؟ فأخبره رسول الله (صلى الله عليه و اله) ما رأى. فقال ورقة: هذا الناموس الذى انزل على موسى (عليه السلام)، يا ليتنى فيها جذعا، ليتنى أكون حيًا حين يخرجك قومك، فقال رسول الله: «أو مخرجي هم؟ فقال ورقة: نعم. لم يأت رجل

ص: ٨٢

١- (١) سبأ (٣٤): ٥٠.

٢- (٢) يوسف (١٢): ١٠٨.

قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم ينشب ورقه أن توفي» (١).

إن ورقه الذي لم يسلم بعد هو عارف بما سيجرى على النبي فضلًا عن علمه بنبوته! بينما صاحب الدعوه و الرساله نفسه لم يتضح له الامر بعد! وإن ورقه هو الذي يفيض عليه الطمأنينه! أو القرآن قد صرح بأن النبي (صلى الله عليه و اله) على بينه من ربه، كما عرفت ذلك في أكثر من آيه تنص على أن الرسل هم مصدر الهدايه للناس و هم أصحاب البينات و ليس العكس هو الصحيح، بينما يشير هذا الحديث الى أن ورقه هو الذي عرف رساله النبي قبله فبعث فيه الطمأنينه.

و هذا هو الذي فتح الطريق لأهل الكتاب للغمز في رساله النبي محمد (صلى الله عليه و اله) إذ قالوا بأن نبيكم -بموجب نصوصكم هذه- لم يطمئن الى أنه رسول من الله إلا- بعد تظمين ورقه المسيحي له، و قد تجرأ البعض حتى ادعى أن محمدًا (صلى الله عليه و اله) قسيس من القساوسه الذين رباهم ورقه استنادًا الى هذا النص الذي نقلته كتب الحديث و تداوله المؤرخون! و هذه ثغره حصلت من الابتعاد عن محكمات العقل و الكتاب و السنه جميعًا.

و هل يصدق بهذا عاقل عرف المنطق القرآني و تعرّف على شخصيه الأنبياء في القرآن الكريم؟ و كيف يمكن له أن يؤمن بمضمون هذا النص على أنه حقيقه! لمجرد زعم انتسابه الى عائشه زوجة النبي (صلى الله عليه و اله)!

و ثمه نص آخر في تاريخ الطبرى هو أكثر فظاعه من هذا و ادعى للريب فى محتواه حيث يذكر أن النبي (صلى الله عليه و اله) كان نائمًا و جاءه الملك و علمه مطلع سوره العلق.. يقول النص بعد ذلك: «و هبت من نومى و كأنما كتب فى قلبى كتابًا. قال:

ص: ٨٣

و لم يكن من خلق الله أحد أبغض إليّ من شاعر أو مجنون، كنت لا- أطيع أن أنظر اليهما، قال: قلت: إن الأبعد-يعنى نفسه-لشاعر أو مجنون! لا تحدّث بها عنى قريش أبدا! الأعمدّن الى حالق من الجبل فلاطرحنّ نفسى منه فلاقتلنّها فلاستريحن. قال: فخرجت أريد ذلك حتى إذا كنت فى وسط الجبل سمعت صوتا من السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله و أنا جبريل» (١).

إن اضطراب النبى و خوفه يبلغ به النهايه حتى يريد الانتحار بينما يريد الله اختياره للنبوه و هدايه الناس و دعوتهم الى الحق، فهل يتناسب ما فى الروايه مع هذا الافق الذى هو من الوضوح بمكان؟!

و هكذا نستطيع أن نعرض نصوص التاريخ على محكمات العقل و الكتاب و السنّه لنخرج بنتائج واضحه تاركين ما لا يصمد أمام النقد العلمى البتاء.

و بعد ملاحظه النصوص الصريحه من الكتاب العزيز إذا لا حظنا ما ورد فى بعض مصادر الحديث و السيره مما يرتبط باللقاء الأول للرسول (صلّى الله عليه و اله) مع الوحي الإلهى و ما رافقه من غرائب تأبهاها النصوص القرآنيه، جاز لنا أن نظمئن الى تسرّب الاسرائيليات اليها.

و يحسن بنا أن نقارن بين هذا النص الروائى و بين نص آخر ورد فى بحار الأنوار للعلامه المجلسى (رضوان الله تعالى عليه) فيما يخصّ ارهاصات الوحي الرسالى و ما تبعه من نتائج لوحظت على نفس الرسول (صلّى الله عليه و اله) و شخصيته و سلوكه.

فعن الإمام على بن محمد الهادى (عليهما السلام): أنّ رسول الله (صلّى الله عليه و اله) لمّا ترك التجاره الى الشام و تصدّق بكل ما رزقه الله تعالى من تلك التجارات كان يغدو كل يوم الى حراء يصعده و ينظر من قلله الى آثار رحمه الله، و إلى أنواع عجائب رحمته و بدائع حكمته و ينظر إلى أكناف السماء و أقطار الأرض و البحار و المفاوز و الفيافى، فيعتبر بتلك الآثار، و يتذكّر

ص: ٨٤

١- (١) تاريخ الطبرى: ٢٠١/٢ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم. ط دار سويدان. بيروت.

بتلك الآيات، و يعبد الله حقَّ عبادته.

فلما استكمل أربعين سنة و نظر الله عزَّ و جلَّ إلى قلبه فوجده أفضل القلوب و أجلَّها و أطوعها و أخشعها و أخضعها أذن لأبواب السماء ففتحت و محمَّد ينظر إليها، و أذن للملائكة فنزلوا و محمَّد ينظر إليهم، و أمر بالرحمة فانزلت عليه من لدن ساق العرش إلى رأس محمد و عزَّته، و نظر إلى جبرئيل الروح الأمين المطوَّق بالنور طاووس الملائكة هبط إليه و أخذ بضبعه (١) و هزَّه و قال:

يا محمد اقرأ، قال: و ما اقرأ؟ قال يا محمَّد اقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٢).

ثم أوحى إليه ما أوحى إليه ربّه عزَّ و جلَّ ثمَّ صعد إلى العلو.

و نزل محمَّد (صلَّى الله عليه و اله) من الجبل و قد غشيه من تعظيم جلال الله و ورد عليه من كبير شأنه ما ركبه الحمى و النافض... و قد اشتدَّ عليه ما يخافه من تكذيب قريش في خبره و نسبتهم إياه إلى الجنون، و إنَّه يعتريه شياطين، و كان من أوَّل أمره أعقل خلق الله، و أكرم براياه، و أبغض الأشياء إليه الشيطان و أفعال المجانين و أقوالهم، فأراد الله عزَّ و جلَّ أن يشرح صدره؛ و يشجَّع قلبه، فأنطق الله الجبال و الصخور و المدر، و كلَّما وصل إلى شيء منها ناداه:

السلام عليك يا محمَّد، السلام عليك يا وليَّ الله، السلام عليك يا رسول الله أبشر، فإنَّ الله عزَّ و جلَّ قد فضلك و جملك و زينك و أكرمك فوق الخلائق أجمعين من الأوَّلين و الآخرين، لا يحزنك أن تقول قريش إنَّك مجنون، و عن الدين مفتون، فإنَّ الفاضل من فضله ربِّ العالمين، و الكريم من كرمه خالق الخلق أجمعين، فلا- يضيقر صدرك من تكذيب قريش و عتاه العرب لك، فسوف يبلغك ربِّك أقصى منتهى الكرامات، و يرفعك إلى أرفع الدرجات، و سوف ينعم و يفرح أولياءك بوصيتك عليَّ بن أبي طالب، و سوف يبثَّ علومك

ص: ٨٥

١- (١) الضبع: وسط العضد و في المصدر: بضبعه. و هزه: حركه.

٢- (٢) العلق (٩٦): ١-٥.

فى العباد و البلاد بمفتاحك و باب مدینه حكمتك:على بن أبى طالب،و سوف یقر عینك ببتك فاطمه،و سوف یرج منها و من على:الحسن و الحسن سیدی شباب أهل الجنة، و سوف ینشر فى البلاد دینك و سوف یعظم اجور المحبین لك و لأخیک،و سوف یضع فى یدك لواء الحمد فتضعه فى ید أخیک على،فیكون تحته كل نبی و صدیق و شهید،یكون قائدهم أجمعین إلى جنات النعیم (1).

و حین نقارن بین هذا النص الروائی و ما سبقه مما رواه الطبرى نلاحظ البون الشاسع و الفرق الكبیر بین الصورتین عن بدایه البعثه و شخصیه الرسول(صلی الله علیه و اله).فینما كانت تصوّره الروایه الاولى:شاكاً و مضطرباً-اضطراباً ناشئاً عن الجهل بحقیقه ما یجرى له!-تصوّره الروایه الأخیره:عالماً مطمئناً متفائلاً بمستقبل رسالته منذ بدایه الطریق.و هذه الصوره هی التى تنسجم مع محكمات الكتاب و السنّه و التاريخ.

ص: ٨٦

١- (١) بحار الأنوار: ٢٠٧/١٨-٢٠٨.

مراحل حركة الرساله فى العصر المكى

١- بناء الخليه الإيمانيه الاولى:

و بعد اللقاء الأول مع وحى النبوه أخذت تتدرج الآيات القرآنيه بالنزول، و يبدو أنه بعد أن نزلت عليه الآيات الاولى من سوره المزمل شرع النبى (صلّى الله عليه و اله) يهئ نفسه للخطوات التاليه فى طريق نشر الرساله الإسلاميه و بناء المجتمع الإسلامى، و كان عليه أن يعدّ العده لمواجهه الصعاب الكثيره و المشاكل المتوقعه، و أن يحكم خطته و اسلوبه فى العمل.

إنّ أوّل ما بدأ به هو دعوه أهل بيته. أمّا خديجه (رضى الله عنها) فكان من الطبيعى أن تصدق النبى (صلّى الله عليه و اله) حيث عاشرتة عمرا طويلا و وجدت فيه منتهى السمو الأخلاقى و الطهر الروحى و التعلق بالسماء.

و لم يتكلّف النبى (صلّى الله عليه و اله) جهدا فى دعوه ابن عمه و ربيبه على بن أبى طالب (عليه السّلام) الذى كان يحمل بين جوانحه قلبا طاهرا لم تلوّثه عباده الأصنام قطّ، فبادر إلى التصديق به فكان أوّل القوم إسلاما (١).

و كان اختيار النبى (صلّى الله عليه و اله) لعلى صائبا و موقفا لما كان يملكه على (عليه السّلام) من مؤهلات الطاعه و الانقياد و القوه و الاندفاع فى الوقت الذى كان النبى (صلّى الله عليه و اله) بأمرّ

ص: ٨٧

١- ((١)) السيره النبويه لابن هشام: ٢٤٥/١ باب ان على بن أبى طالب رضى الله عنه أوّل ذكر أسلم.

الحاجه الى الناصر و المؤازر، فكان علي (عليه السلام) يمثل ذراع النبوه فى تبليغ الرساله منذ انطلاقتها و العين الباصره، و لسان الدعوه الناطق بها.

فأول من آمن علي (عليه السلام) حيث كان يرافق النبي (صلى الله عليه و اله) فى خلواته فى حراء ثم خديجه و هما أول من صلى مع رسول الله (صلى الله عليه و اله) بعد أن كانا يوحدان الله كالنبي (صلى الله عليه و اله) متحدّين قوى الشرك و الضلاله. (١) ثم التحق بهم زيد بن حارثه فكانوا هم المجموعه الخيره و النواه الأولى التى انفلق منها المجتمع الإسلامى.

٢- أدوار العصر المكي:

لقد مرّ تبليغ الرّساله الاسلاميه على يدى النبي العظيم بثلاثه أدوار على الأقل حتى تهيأت الظروف لتأسيس أول دوله إسلاميه مباركه و هى كما يلي:

١- دور إعداد القاعده الأولى للرساله الاسلاميه. و اصطلاح البعض على هذا الدور بدور الخفاء أو دور الدعوه الخاصه.

٢- دور الدعوه المحدوده بالأقربين و الصراع المحدود مع الوثنيه.

٣- دور الصراع الشامل.

٣- دور إعداد القاعده الاولى:

تحرك النبي (صلى الله عليه و اله) داعيا إلى الإسلام بعد أن أمره الله تعالى بالقيام و الانذار (٢) ساعيا لبناء كتله إيمانيه تكون بؤره نور و إشعاع لهدايه المجتمع و استمر الحال هكذا حوالى ثلاث سنين مسددا بالغيب معصوما من الزلل.

و كان التحرك الرسالى هذا محفوفاً بالمخاطر و الصعوبات و لكنه كان متقناً متكاملًا.

ص: ٨٨

١- (١) اسد الغابه: ١٨/٤، حليه الأولياء: ٦٦/١، شرح ابن أبى الحديد: ٢٥٦/٣، مستدرک الحاكم: ١١٢/٣.

٢- (٢) كما ورد فى مطلع سوره المدثر.

و كان من اسلوب الرسول (صلى الله عليه و اله) في هذه المرحله من الدعوه أن ينوع الاختيار من حيث الانتماء القبلى و الموقع الجغرافى و العمر لأتباعه ليوضح شموليه رساله و يضمن لها الانتشار فى المجتمع الى أقصى ما يمكن؛ فاستجاب له- فى بدايه البعثه- المستضعفون و الفقراء إذ كانت رساله الإسلاميه منطلقا نحو التسامى و الحياه الكريمه و الأمان، كما استجاب له من الأشراف من كان ذا نفس طيبه و عقل منفتح و رغبه فى السلوك النزيه.

و لم يتحسس جباره قريش خطوره رساله و حسبوا أن الأمر لا يعدو تكهّنات و تأملات لها سوابق اندثرت؛ فلم يشدّدوا على محاربتهم للرساله للقضاء عليها فى مهدها.

و فى هذا الوقت القصير استطاع الرسول (صلى الله عليه و اله) أن يصوغ من النفوس التى آمنت برسالته عناصر فعاله تحمل قيم رساله لتنتقل بها للناس، و هم أشد حرصا على إسلامهم و أكثر يقينا بإيمانهم مستكرين بذلك ما كان عليه آباؤهم من شرك و خلق منحرف حتى تزايد الاستعداد لديهم لتحمل آثار الجهر بالرساله.

و يروى أن النبى (صلى الله عليه و اله) و أصحابه- فى هذه الفتره- كانوا إذا جاء وقت العصر تفرقوا فى الشعاب فصلّوا فرادى و مثنى، فبينما رجلان من المسلمين يصليان فى بعض شعاب مكه اذ ظهر عليهما رجلان من المشركين- كانا فاحشين- فناكراهما و عابا عليهما ما يصنعان ثم تضاربوا، و انصرفا (١).

و يبدو تكرر مثل هذه المواجهه مع المشركين (٢). من هنا استعان النبى (صلى الله عليه و اله) ببعض الدور للتخفى لممارسه العباده و الاتصال المنتظم به (صلى الله عليه و اله) بعيدا

ص: ٨٩

١- (١) أنساب الاشراف: ١١٧/١، السيره الحلبيه: ٤٥٦/١.

٢- (٢) السيره النبويه: ٢٦٣/١ و ٢٨٢.

عن أنظار قريش فكانت دار الأرقم بن أبي الأرقم (١) خير ملجأ للمسلمين حينئذ.

٤- دور المواجهه الاولى و إنذار الأقرين:

و حين شاع خبر الإسلام في أرجاء الجزيرة العربية و في الوقت الذي بلغت فيه الفئه المؤمنه المستوى الروحي الذي يؤهلها لخوض الصراع كان لا بد من الانتقال الى مرحله الاعلان العام و أول خطواته إنذار الأقرين في مجتمع تسوده الاعتبارات القبليه فمن الأولى إنذارهم قبل إنذار الناس كافة، فكان نزول الأمر الإلهي: **وَ أَنْذِرْ عَشِيْرَتَكَ الْأَقْرَبِيْنَ (٢)**؛ من هنا دعا النبي (صلى الله عليه و اله) عشيرته الأقرين و أوضح لهم أمر الرساله و هدفها و مستقبلها و كان فيهم من يرتجى خيره و يؤمل إيمانه. و لئن نهض أبو لهب معلنا المعاداه و الكراهيه فقد تبني أبو طالب (عليه السلام) دعم النبي (صلى الله عليه و اله) و حمايه رسالته.

و قد روى أنه ما إن نزلت الآيه المباركه أمر النبي (صلى الله عليه و اله) عليا باعداد وليمه ثم دعا عشيرته و كانوا أربعين رجلا، و ما إن تأهب الرسول (صلى الله عليه و اله) للحديث حتى قاطعه عمه عبد العزى -المعروف بأبي لهب- و حذره من الاستمرار في التبليغ و الإنذار، و حال دون تحقيق هدف الرسول فانفض المجلس. و لما كان من غد جدّد النبي (صلى الله عليه و اله) أمره لعلى و دعوته لعشيرته و بعد أن فرغوا من الطعام بادرهم (صلى الله عليه و اله) بقوله: «يا بنى عبد المطلب إني و الله ما أعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتمكم به، إني جئتمكم بخير الدنيا و الآخره و قد أمرنى الله عز و جل أن أدعوكم إليه فأيتكم يؤمن بى و يوازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى و وصيى و خليفتى فيكم؟» فسكتوا جميعا إلا على بن أبى طالب إذ نهض قائلا: «أنا يا رسول الله أكون

ص: ٩٠

١- ((١)) السيره الحلبيه: ٢٨٣/١، اسد الغابه: ٤٤/٤.

٢- ((٢)) الشعراء (٢٦): ٢١٤.

وزيرك على ما بعثك الله». فأمره رسول الله بالجلوس، وكرر الرسول (صلى الله عليه و اله) دعوته؛ فلم يجبه غير على (عليه السلام) ملبيا الدعوه معلنا المؤازره و النصره. و عندها التفت رسول الله (صلى الله عليه و اله) الى الحاضرين من عشيرته و قال: «إن هذا أخى و وصيى و خليفتى فيكم (أو عليكم) فاسمعوا له و أطيعوا». فنهض القوم من مجلسهم و هم يخاطبون أبا طالب ساخرين: «قد أمرك أن تسمع لابنك و تطيع» (١).

٥- دور المواجهه الشامله

و رغم احتياطات النبى (صلى الله عليه و اله) فى المرحله السابقه و تجنبه الدخول فى مواجهه مباشره له أو لأحد من المسلمين مع قوى الشرك و الوثنيه فإنه كان يتعرض خلالها للنقد و اللوم اللاذع له و لبقية المسلمين.

و كان لدعوه بنى هاشم الى الدين الجديد الأثر البالغ و الذكر الشائع فى أوساط القبائل العربيه فقد تبين لهم صدق و جدية النبوه التى أعلنها محمد (صلى الله عليه و اله) و آمن بها من آمن.

و بانقضاء السنوات الثلاث- أو الخمس- من بدايه الدعوه نزل الأمر الإلهى بالصدع بالرساله الإلهيه و الإنذار العام ليخرج الأمر عن الاتصال الفردى الذى كان يتم بعيدا عن الأنظار، فيدعو الجميع الى رساله الاسلام و الايمان بالله الواحد الأحد، و قد وعد الله نبيه (صلى الله عليه و اله) بتسديد خطاه فى مواجهه المستهزئين و المعاندين فى قوله تعالى: **فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٢)**.

فتحرك النبى (صلى الله عليه و اله) صادعا بأمر الله بثقه مطلقه و عزمه راسخه متحديا كل

ص: ٩١

١- (١) روى هذا الحديث فى مصادر عديده و بألفاظ متقاربه فى: تاريخ الطبرى: ٢/٤٠٤، السيره الحلبيه: ١/ ٤٦٠، شرح نهج البلاغه: ١٣/٢١٠. و راجع أيضا: حياه محمد: ١٠٤، لمحمد حسين هيكل، الطبعة الاولى.

٢- (٢) الحجر (١٥): ٩٤-٩٥.

قوى الشر والشرك، وقام على الصفا ونادى قريشا من كل ناحية فأقبلوا نحوه فقال (صلى الله عليه و اله): «أرأيتكم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم ما كنتم تصدقونني؟ قالوا: بلى، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد». فنهض أبو لهب ليرد على رسول الله فقال: تبالك سائر هذا اليوم ألهذا جمعنا؟! -فأنزل الله تعالى: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ (١).

لقد كان هذا إنذارا صارخا أفزع قريشا إذ أصبح تهديدا علنيا لكل معتقداتهم و تحذيرا من عاقبه مخالفتهم لأمر الرسول (صلى الله عليه و اله)... و اتضح أمر الدين الجديد لأهل مكة بل كل أطراف الجزيره إذ أدركوا أنّ انقلابا حقيقيا سيحلّ بمسيره البشرى و يرفع من شأنها فى القيم و الثقافه و المعايير و المواقع الاجتماعيه وفق تعاليم السماء و ينسف الشر من جذوره فكانت المواجهه مع قاده الشرك و الطغيان مواجهه حقيقيه لا يمكن أن تنتهى إلى نقاط وفاق.

و خلال هذه الفتره دخل فى الإسلام عدد من العرب و غير العرب حتى بلغوا أربعين رجلا، و لم تتمكن قريش من تحطيم هذه النهضه الفتيه إذ إن المؤمنين ينتمون إلى قبائل شتى، من هنا توصلت قريش بالمواجهه السلميه ابتداء.

و لكن أبا طالب ردهم ردًا جميلا، فانصرفوا عنه (صلى الله عليه و اله) (٢).

ص: ٩٢

١- ((١)) المناقب: ٤٦/١، تاريخ الطبرى: ٢/٤٠٣.

٢- ((٢)) سيره ابن هشام: ١/٢٦٤-٢٦٥، تاريخ الطبرى: ٢/٤٠٦.

إشاره

موقف بنى هاشم من النبي (صلى الله عليه و اله)

دفاع أبى طالب عن الرسول و الرساله:

لم يثن رسول الله (صلى الله عليه و اله) عن الاستمرار فى نشر الرساله الإسلاميه بل اتسع نشاطه و كثرت تحركاته و تحركات أتباعه المؤمنين به و ازدادت جاذبيه الدين الجديد فى نظر الناس، و قد بدت قريش تظهر غيظها و تسعى لتجد السبل لإيقاف هذا المدّ الجديد (الإسلام)، و القضاء عليه فعاودت مساعيها عند أبى طالب مرّه اخرى باذله مغرياتها تاره لإقناع الرسول بالعدول عن دعوته و التراجع عن دينه و تاره اخرى بالتهديد و الوعيد فقالوا له: يا أبأ طالب إن لك سنا و شرفا و منزله فينا، و إنا قد استنهييناك من ابن أخيك فلم تنهه عنّا و إنا و الله لا نصبر على هذا من شتم آباءنا و تسفيه أحلامنا و عيب آلهتنا، حتى تكفه عنا، أو ننازله و إياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين.

و من جهته أدرك زعيم بنى هاشم قرار قريش الصارم و عدم تورعها عن سلوك كل السبل للقضاء على ابن أخيه و رسالته الفتية فحاول تهدئه الموقف مره ثانيه و تسكين غضب قريش حتى يعالج الموقف مع ابن أخيه، و لكن رسول الله (صلى الله عليه و اله) أصرّ على مواصلة تبليغه للرساله الإسلاميه تنفيذاً لأوامر الله مهما كانت الظروف و النتائج فقال (صلى الله عليه و اله): «يا عم و الله لو وضعوا الشمس فى يمينى و القمر فى شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته»، ثم اغر و رقت عيناه

الشريفتان بالدموع و قام ليذهب فتأثر أبو طالب لذلك و هو يعلم صدق ابن أخيه و يؤمن به فقال له: إذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبدا.

و لم تفتقر قريش عن غيها فمشت مره أخرى إلى أبي طالب (عليه السلام) تطمعه بخذلان رسول الله (صلى الله عليه و اله) فتعطيه أجمل فتیان مكه بدل ابن أخيه ليسلمه أبو طالب إليهم فقالوا له: يا أبا طالب هذا عماره بن الوليد أنهد فتى فى قريش و أجمله، فخذة فلك عقله و نصره، و اتخذه ولدا فهو لك، و أسلم إلينا ابن أخيك هذا، الذى فرق جماعه قومك، و سفه أحلامهم فنقتله فإنما هو رجل برجل، فردهم أبو طالب مستاء من هذه المساومه الظالمه فقال: هذا و الله لبئس ما تسوموننى، أتعطونى إبنكم أغذوه لكم، و اعطيكم ابني تقتلونى، هذا و الله ما لا يكون أبدا. فقال المطعم ابن عدى بن نوفل: و الله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا، فأجابه أبو طالب قائلا: و الله ما أنصفونى و لكنك قد أجمعت خذلانى و مظاهره القوم على فاصنع ما بدا لك (١).

و بذا أيقنت قريش بأنه لا- سبيل لهم لإرضاء أبى طالب بخذلان رسول الله (صلى الله عليه و اله)، و سارع أبو طالب لاتخاذ تدابير احترازيه ليضمن سلامه ابن أخيه و استمراره فى نشر رسالته حين وجد الشر فى نفوس قريش، فدعى بنى هاشم و بنى عبد المطلب لمنع رسول الله (صلى الله عليه و اله) و حفظه و القيام دونه، فاستجابوا له سوى أبى لهب، و أكبر أبو طالب موقف بنى هاشم فشجعهم و أثار فيهم العزيمه على الاستمرار فى حمايه النبى (صلى الله عليه و اله) (٢).

ص: ٩٤

١- ((١)) تاريخ الطبرى: ٢/٤٠٩، السيره النبويه: ١/٢٨٦.

٢- ((٢)) تاريخ الطبرى: ٢/٤١٠، السيره النبويه: ١/٢٦٩.

نزلت آيات كثيره من القرآن الكريم خلال أربع سنوات من حركه الرساله تضمنت بيان عظمه التوحيد و الدعوه إليه و الإعجاز البلاغى و الإنذار و الوعيد لمخالفيه فتناقلتها الألسن و حوتها قلوب المؤمنين و انجذب إليها القاصى و الدانى لاستماعها و استيعابها.

و لما كان للبلاغه أكبر الأثر فى النفوس قررت قريش و هى تحاول احتواء حركه النبى (صلى الله عليه و اله) بوسائل متعدده أن تمنع النبى (صلى الله عليه و اله) من الاتصال بالجماهير و عرض دعوته عليهم أن لا يستمع القادم إلى مكه لما نزل من آيات القرآن، بعد أن فشلت فى محاوله إغراء النبى (صلى الله عليه و اله) بالملك و السلطان عليهم و الأموال الطائله و الشرف و السؤدد. ثم أوردفوا ذلك بتشكيكهم فى صحه دعوته؛ زاعمين أن الذى يعترى النبى (صلى الله عليه و اله) إنما هو حاله مرضيه يسعون لعلاجها، فأجابهم النبى (صلى الله عليه و اله) جوابا فيه كل الخير و الشرف و النجاه لهم فقال (صلى الله عليه و اله): كلمه واحده تقولونها تدين لكم بها العرب و تؤدى اليكم بها العجم الجزيه... ففزعوا لكلمته و حسبوا أنها نهايه المطاف فقالوا: نعم و أبيك عشرا... قال (صلى الله عليه و اله): لا إله إلا الله... فكان الردّ مفاجئه قويه خذلتهم فقاموا مستكبرين و هم يرددون: أَ جَعَلَ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ (١).

و عندها قرروا أن يلجأوا الى الإهانه و السخرية من النبى (صلى الله عليه و اله) و أتباعه الذين بدأوا يتزايدون كل يوم و تتعمق دعوته المباركه فى النفوس فكان من أفعالهم قيام أبى لهب و زوجته أم جميل بطرح الشوك على باب بيت النبى (صلى الله عليه و اله)

اذ كان بيته يجاورهم (١). و أخذ أبو جهل يتعرض للنبي (صلى الله عليه و اله) فيؤذيه بقوله الفاحش و لكن الله كان للظالمين بالمرصاد إذ ما كان من حمزه عم النبي (صلى الله عليه و اله) حين علم بذلك إلا- أن ردّ على أبي جهل إهانتة أمام الملائ من قريش معلنا إسلامه و تحدّيه لجمعهم أن يردّوا عليه أو أن يتعرضوا ثانيه للرسول (صلى الله عليه و اله) (٢).

الكفر بأبي الانصاع لصوت العقل:

تصورت قريش أنها بدعائها تستطيع أن تتنى النبي (صلى الله عليه و اله) عن رسالته، و قد بان لها استجابته الناس لدعوته المباركة. من هنا اقترح عتبه بن ربيعة- حين اجتمعت وجوه قريش- أن يذهب الى النبي (صلى الله عليه و اله) ليحدّثه كى يكفّ عن دعوته، فمشى إليه و النبي (صلى الله عليه و اله) جالس- وحده- فى المسجد، و امتدح النبي (صلى الله عليه و اله) و مكانته فى قريش و عرض عليه عروضه و النبي (صلى الله عليه و اله) ينصت مستمعا فقال: يا ابن أخى إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا و إن كنت تريد به شرفا سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، و إن كنت تريد به ملكا ملّكناك علينا، و إن كان هذا الذى يأتىك رثيا تراه لا تستطيع ردّه عن نفسك طلبنا لك الطبّ و بذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه... و لما أتم كلامه قال (صلى الله عليه و اله): أقدم فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال (صلى الله عليه و اله): فاسمع منى ثم تلا قوله تعالى: حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَ نَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ (٣) و استمر النبي (صلى الله عليه و اله) يقرأ الآيات الكريمة فانبهه عتبه لما سمع و ألقى يديه خلف

ص: ٩٦

١- ((١)) السيره النبويه: ٣٨٠/١.

٢- ((٢)) السيره النبويه: ٣١٣/١، تاريخ الطبرى: ٤١٦/٢.

٣- ((٣)) فصلت (٤١): ١-٥.

ظهره معتمدا عليها. ثم سجد رسول الله عند آية السجده. ثم قال (صلى الله عليه و اله): قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت و ذاك.

فلم يحر عتبه جوابا و قام إلى قومه فلما جلس إليهم قال: إنى قد سمعت قولاً- و الله ما سمعت مثله قط، و الله ما هو بالشعر و بالسحر و لا بالكهان. يا معشر قريش أطيعونى و اجعلوها بى، و خلّوا بين هذا الرجل و بين ما هو فيه فاعتزلوه».

و لكن أنى للقلوب الميته أن تستجيب فقالوا: سحرك و الله يا أبا الوليد بلسانه قال: هذا رأى فيه فاصنعوا ما بدا لكم (١).

الآتهام بالسحر:

أرادت قريش أن لا تختلف كلمتها و لا تفقد مكانتها فى محاربه الرساله الإسلاميه و فى نفس الوقت أن توقف سريان الرساله الى نفوس الناس و موسم الحج على الأبواب فرأت أن تتخذ وسيله تبدو فيها محافظتها على مكانتها الوثنيه و إضعاف دور الرسول و مكانته فاجتمعوا الى الوليد بن المغيره لكبر سنّه و سعه معرفته لاتخاذ قرار بذلك فاختلقت أقوالهم بين أن يدّعوا أنه كاهن أو مجنون أو شاعر أو مريض تعتريه الوسوسه أو ساحر، ثم أرجعوا القول للوليد فقال: و الله إنّ لقوله لحلاوه و إن أصله لعذق و إن فرعه لجناه و ما أنتم بقائلين فى هذا شيئا إلاّ عرف أنه باطل و إنّ أقرب القول فيه أن تقولوا: ساحر جاء بقول هو سحر يفرّق به بين المرء و أبيه و بين المرء و أخيه و بين المرء و زوجته، فتفرّقوا يندسّون بين الناس يبيّثون شائعتهم الخبيثه (٢).

ص: ٩٧

١- (١) راجع السيره النبويه: ٢٩٣/١.

٢- (٢) السيره النبويه: ٢٨٩/١.

لقد عجزت قوى الكفر و الشرك أن تثني الرسول (صلى الله عليه و اله) و أصحاب الحق عن الاستمرار فى نشر الرساله الإسلاميه، مثلما عجزت عقولهم عن إدراك التوحيد و الإيمان، و راحت كل جهودهم لإيقاف الرساله أو تشويهها سدى فلم يجدوا بدًا من اتخاذ العنف و القسوه و التعذيب وسيله لمحاربه أصحاب العقيده فوثبت كل قبيله على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم و يعذبونهم بالضرب و فرض الجوع و العطش عليهم، محاولين أن يفتنهم عن دينهم و رساله ربهم.

فهذا أميه بن خلف يخرج بلالا- إلى رمضاء مکه إذا حميت الظهيره ليمارس تعذيبه بأشبع صورته، و هذا عمر بن الخطاب يعذب جاريه له- لإسلامها- ضربا حتى إذا عجز قال: إني أعتذر إليك، إني لم أتركك إلا- ملاله، و هذه بنو مخزوم يخرجون عمّارا و أباه و أمه يعذبونهم فى رمضاء مکه فيمّر بهم رسول الله (صلى الله عليه و اله) فيقول: «صبرا آل ياسر موعدكم الجّنه»، حتى بلغ من تعذيبهم أن استشهدت سميه أم عمار (1) على أيديهم فكانت أول شهيدته فى الاسلام.

و إذا حاولنا أن نرسم صورته عامّه لأساليب مواجهه قريش للرساله و الرسول و أتباعه فنستطيع أن نلخص مراحل مواجهه فى ما يلى:

١- كان الاستهزاء و السخرية بشخصيه النبي (صلى الله عليه و اله) و إضعاف مكاتته فى نفوس الناس من أبسط الأساليب. و قد مارس هذا الدور الوليد بن المغيرة (والد خالد)، و عقبه بن أبى معيط، و الحكم بن العاص بن أميه، و أبو جهل.

و لكن التسديد الإلهي أحبط كل مساعيهم فقد قال القرآن الكريم:

ص: ٩٨

إِنَّا كَفَيْتَابِكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (١)، وَ لَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٢).

٢- إهانة النبي (صلى الله عليه و اله) شخصيا لإضعافه. فقد روى أنهم ألقوا الفرث و السلى عليه (صلى الله عليه و اله)، فغضب عمه أبو طالب حين علم بذلك و رد الإهانة عليهم، و يعتبر موقف أبي جهل و رد حمزه بن عبد المطلب عليه شاهدا آخر.

٣- محاولات الإغراء بالملك و السيادة و بذل الأموال الطائلة.

٤- الاتهامات الباطلة بالكذب و السحر و الجنون و الشعر و الكهانة. و قد تحدث القرآن عن كل ذلك.

٥- الطعن فى القرآن الكريم، فقد اتهموا النبي (صلى الله عليه و اله) بتقوله و افتراءه على الله فتحداهم القرآن بأن يأتوا بمثله. على أن النبي كان قد أمضى عمرا بينهم لم يعرف بما اتهموه به.

٦- استخدام التعذيب و قتل المؤمنين برسالته.

٧- الحصار و المقاطعة الشاملة.

٨- التخطيط لقتل صاحب الرسالة (٣).

و قد تصدى النبي (صلى الله عليه و اله) لكل هذه الأساليب بما يحقق للرسالة أهدافها مسددا بالوحى الذى كان يرعى حركة الرسول (صلى الله عليه و اله) و عليه و اله خير رعايه.

ص: ٩٩

١- (١) الحجر (١٥): ٩٥.

٢- (٢) الأنعام (٦): ١٠.

٣- (٣) الأنفال (٨): ٣٠.

لقد أدرك رسول الله (صلى الله عليه و اله) بعد عامين من الجهر بالرساله أن لا قدره له على حمايه المسلمين من العناء الذى يصيبهم من طغاه قريش و زعماء الوثنيه.

و حيث اشتدّ العنف من المشركين و صناديدهم تجاه المستضعفين من المسلمين حثّ رسول الله (صلى الله عليه و اله) المسلمين المضطهدين على الهجرة إلى الحبشه ليعطيهم بذلك فتره استراحه و استعاده نشاط ليعودوا ثانيه لمواصله مسيره الرساله الإسلاميه أو يفتحوا جبهه جديده للصراع مع قريش بعد أن يحدثوا مركزا للضغط من خارج الجزيره على مواقع قريش و عسى الله أن يحدث-خلال ذلك-أمرا كان مفعولا إذ أخبرهم (صلى الله عليه و اله) «أن فى الحبشه ملكا لا يظلم عنده أحد» فاستجاب المسلمون لذلك و تسلل عدد منهم صوب الساحل فعبروا البحر غير أن قريشا لا-حققتهم و لكن لم يدركهم طلبها و تتابع المهاجرون منفردين أو مع أهليهم، حتى اجتمعوا بأرض الحبشه بضعه و ثمانين مهاجرا عدا أبناءهم الصغار و أمر رسول الله (صلى الله عليه و اله) عليهم جعفر بن أبى طالب (١).

لقد كان اختيار الحبشه دارا للهجرة خطوه موفقه من خطوات الرسول القياديه نظرا للصفه التى وصف بها ملكها فى الحديث المروى عن النبى (صلى الله عليه و اله)، و تيسر السفر إليها بالسفن، فضلا عن العلاقات المذهبيه الطيبه التى أرادها الاسلام أن تكون بين الإسلام و النصرانيه.

و قد أفلق قريشا أمر الهجرة إلى الحبشه فخشيت العاقبه و ساءها أن يأمن حمله الرساله الإسلاميه هناك، فأرسلت عمرو بن العاص و عماره بن الوليد إلى

ص: ١٠٠

النجاشى و حملتهما الهدايا فى محاوله منها لإفناع النجاشى بالتخلى عن جوارهم و إعادتهم إليها، واستطاعا أن ينفذا الى بطارقه الملك و إقتناعهم بضروره مساعدتهم لاسترداد المسلمين، لكن الملك أبى ذلك إلا بعد أن يسمع رأى المسلمين فى التهمه الموجهه إليهم بأنهم قد ابتدعوا دينا جديدا لهم.

و شملت العناية الإلهيه ذلك اللقاء، فقد انبرى جعفر بن أبى طالب ليجيب بكلام رائع ينفذ إلى قلب النجاشى عن ماهيه الدين الجديد فيزداد إقتناعه بحمايتهم. و كانت كلمات جعفر بن أبى طالب كالصاعقه على رؤوس الوفد القرشى الذى لم تنفعه هداياه لإنجاح خطته الشيطانيه، و أصبحوا فى موقف الدليل أمام النجاشى فى الوقت الذى سطع فيه نجم المسلمين و قويت حججهم مما دلّ على عظيم أثر التريه التى كان قد بذلها رسول الله (صلّى الله عليه و اله) للنهوض بالإنسان فى الفكر و المعتقد و السلوك، فلم يهتز المسلمون ثانيه عند ما حاول وفد قريش أن يثير فتنه عن ما جاء به القرآن حول عيسى (عليه السّلام)، و لكن النجاشى قال للمسلمين:

اذهبوا فأنتم آمنون، عند ما سمع آيات الله يرددها جعفر بن أبى طالب ردّا على سؤاله (١).

عندها أيقنت قريش بفشل مساعيها لاسترداد المسلمين حين عاد اليها وفدها خائبا، و قرّر زعماءؤها أن يضيقوا على من عندهم من المسلمين بالمأكل و المشرب و أن يحظروا كل أنواع التعامل الاجتماعى معهم حيث لم يتخلّ أبو طالب و بنو هاشم عن نصره النبى (صلّى الله عليه و اله) و دعمه الشامل.

ص: ١٠١

و لما لم يستجب أبو طالب لقريش، وأصرّ على حمايه الرسول (صلى الله عليه و اله) مهما كان الثمن، كتبت قريش صحيفتها الظالمه (١) بالمقاطعه الشامله فى البيع و الشراء و المخالطه و الزواج.

و وقّعت الصحيفه من قبل أربعين زعيما من زعماء قريش.

و عمد أبو طالب إلى الشعب مع ابن أخيه و بنى هاشم و بنى المطلب حيث كان أمرهم واحدا. و قال: نموت من عند آخرنا قبل أن يوصل إلى رسول الله (صلى الله عليه و اله)، و خرج أبو لهب إلى قريش فظاهروهم على بنى المطلب، و دخل الشعب من كان من هؤلاء مؤمنا كان أو كافرا (٢).

و كان لا يصل إلى المسلمين خلالها شيء إلا سراً، يحمله إليهم مستخفيا من أراد مساعدتهم من قريش بدافع من عصبية أو نخوه أو عطف.

و بعد أن مضت على المقاطعه ثلاث سنين و قاسى خلالها المسلمون و النبى الأكرم (صلى الله عليه و اله) آلاما قاسيه من الجوع و العزله و الحرب النفسيه، أرسل الله دوده الأرضه على صحيفتهم المعلقه فى جوف الكعبه فأكلتها جميعا غير كلمه «باسمك اللهم».

و أنبأ الله رسوله (صلى الله عليه و اله) فأخبر عمه أبا طالب بالأمر فخرج مع النبى (صلى الله عليه و اله) إلى المسجد الحرام فاستقبله و جهاء قريش ظنا منهم بأن الاستسلام يقودهم الى التخلّى عن موقفهم من الرساله فقال لهم أبو طالب: إن ابن أخى أخبرنى بأن الله قد سلط على صحيفتكم الأرضه فأكلتها غير اسم الله، فإن كان صادقا نزعتم عن سوء

ص: ١٠٢

١- (١) جاء فى أعيان الشيعة، ان الصحيفه الظالمه كتبت فى غزّه محرم من السنه السابعه للبعثه.

٢- (٢) السيره النبويه: ١/٣٥٠، أعيان الشيعة: ١/٢٣٥.

رأيكم و إن كان كاذبا دفعته إليكم...قالوا:قد أنصفتنا،ففتحوها،فوجدوا الأمر كما قال رسول الله(صلى الله عليه و اله)فنكسوا رؤوسهم حياء و خجلا لما حلّ بهم (١).

و روى أيضا أن بعض رجال قريش و شبابها ساءهم أمر القطيعه و معاناه بنى هاشم من المتاعب و الشدائد فى الشعب فتعاقدوا فيما بينهم لتمزيق الصحيفة و إنهاء المقاطعه و واجهوا المتعنتين منهم،ففتحوا الصحيفة فوجدوا حشره الأرضه قد أكلتها (٢).

و مهما كان فإن قريشا قد أخزأها الله مره اخرى و لكنها لم ترتدع عن عداوتها للرسول و رساله.

عام الحزن:

و فى السنه العاشره من البعثه خرج المسلمون من الحصار و هم أصلب عودا و أغنى تجربه و أكثر قدره على التحرك صوب الهدف الذى آلوا على أنفسهم أن لا يتخلوا عنه رغم كل الصعاب.و كان من أثر الحصار أن اشتهر ذكر الإسلام و المسلمين و انتشر فى كل أرجاء الجزيره العربيه و كانت أمام رسول الله(صلى الله عليه و اله) مهام صعبه،منها:الانفتاح بصوره أوسع خارج نطاق مكه،و محاوله إيجاد أكثر من مكان آمن تتحرك من خلاله رساله الإسلاميه.

و لكن رساله الإسلاميه تعرضت لأخطر محنه فى مسيرتها فى مكه عند ما توفى أبو طالب،سندها الاجتماعى الأول و المدافع القوى عن الرسول و رساله، و بعده بأيام توفيت أم المؤمنين خديجه ثانى سندی الرسول(صلى الله عليه و اله).و لشده تأثير

ص:١٠٣

١- (١) تاريخ يعقوبى:٢١/٢،طبقات ابن سعد:١٧٣/١،السيره النبويه:٣٧٧/١.

٢- (٢) السيره النبويه:٣٧٥/١،تاريخ الطبرى:٤٢٣/٢.

الحادثتين فى مسيره الرساله الإسلاميه سَمى رسول الله (صلى الله عليه و اله) ذلك العام ب«عام الحزن»، و صرّح قائلاً: «ما زالت قريش كاعه عنى حتى مات أبو طالب» (١).

و من جرأه قريش على النبي (صلى الله عليه و اله) عند ذاك أن قام أحدهم و نثر التراب على رأسه الشريف و هو ما زال إلى بيته. فقامت إليه ابنته فاطمه (عليها السلام) لتنفذ التراب عنه و هى تبكى فقال لها (صلى الله عليه و اله): «يا بنيه لا تبكى فإن الله مانع أباك» (٢).

الاسراء و المعراج:

و فى هذه الفتره كانت حادثه الإسراء و المعراج تثبيتاً للرسول (صلى الله عليه و اله) على طريق المقاومه الطويل، و تكريماً له فى أعقاب سنين طويله من العمل و الصمود، و تتويجاً لهذه المصاعب و الآلام المريره مع قوى الشرك و الضلاله، رفعه الله الى قلب السموات، ليريه جوانب من عظمه ملكه الباهره فى الكون الشاسع و ليطلع على أسرار الخليقه و مصير الإنسان الصالح و الطالح.

و فى الوقت نفسه كانت بمثابة امتحان لقدرات اصحابه على تصور المدى الذى يكافحون فيه مع رسولهم و قائدهم من أجل إبلاغ الرساله و بناء الإنسان الصالح، و إبتلاء اصعباً لأصحاب النفوس الضعيفه.

و لم تستطع قريش المشركه أن تدرك المعانى الساميه فى أمر الإسراء فما حدّثهم رسول الله (صلى الله عليه و اله) عن ذلك حتى راحوا يسألون عن الصوره الماديه من أمر الإسراء و إمكانيه تحقيقها و الأدله على ذلك -فقال بعضهم: و الله إن العير لتطرد شهراً من مكه الى الشام مدبره و شهراً مقبله، أيذهب محمد ذلك فى ليله واحده

ص: ١٠٤

١- ((١)) كشف الغمه: ١/٦١، مستدرك الحاكم: ٢/٦٢٢، و كاعه بمعنى و كع عنه: إذ اهابه و جبن عنه.

٢- ((٢)) السيره النبويه: ١/٤١٦، تاريخ الطبرى: ٢/٤٢٦.

و يرجع؟! و وصف لهم رسول الله (صلى الله عليه و اله) المسجد الأقصى و صفا دقيقا، و ذكر لهم أنه مرّ بقافله و هم يطلبون بعيرا قد ضلّ لهم، و فى رحلهم قعب ماء كان مكشوفاً و قد غطاه كما كان.

و سأله عن قافله اخرى فقال: مررت بها بالتنعيم، و بين لهم أحمالها و هيئاتها و قال: يقدمها بعير بصفه كذا و سيطلع عليكم عند طلوع الشمس. فجاء كل ما قاله صحيحا كما أخبر به (١).

ص: ١٠٥

١- (١) السير النبويه: ٣٩٦/١.

اشاره

سنوات الانفراج حتى الهجرة

الطائف ترفض الرساله الإسلاميه :

(١)

أدرك رسول الله (صلى الله عليه و اله) أن أذى قريش سيزداد، و أن خطط المشركين و مساعيهم للقضاء على الرساله لن تتوقف، فقد زال غطاؤها الأمنى بوفاه أبى طالب و لا بد للرساله الإسلاميه أن تفتح على جبهه أوسع. و فى الوقت الذى استطاع فيه رسول الله أن يبنى الإنسان الرسالى سعى لتهيئه قاعده تتضح فيها معالم الاستقرار و النظام فى محيط يمارس فيه الفرد حياته و علاقاته مع ربه و الناس و لينطلق بعد ذلك إلى بناء الحضاره الإسلاميه الإنسانيه وفق تعاليم السماء، فوقع اختياره على الطائف حيث تقطن ثقيف كبرى القبائل العربيه بعد قريش. و لما انتهى إليها وحده أو بمرافقه زيد بن حارثه أو بمرافقه زيد و على (٢)، عمد إلى نفر من ثقيف و هم يومئذ سادتها و أشرفها، فجلس إليهم و دعاهم إلى الله، و عرض عليهم المهمه التى جاء من أجلها و هى أن ينصروه فى دعوته و يمنعوه من قومه فلم يعبأوا لدعوته و ردوا عليه ساخرين فقال أحدهم: إننى أمزق ثياب الكعبه إن كان الله أرسلك، و قال آخر: و الله لا أكلمك أبدا و لئن كنت رسولا من الله كما تقول

ص: ١٠٧

١- (١) كان خروجه (صلى الله عليه و اله) إلى الطائف لليال بقين من شوال سنه عشره من البعته.

٢- (٢) راجع شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ١٢٧/٤ و ٩٧/١٤.

لأنت أعظم خطرا من أن أردّ عليك الكلام و لئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك. و ردّ الآخر قائلا: أعجز على الله أن يرسل غيرك؟! (١).

بعد هذا الرد الجاف و العنيف قام (صلّى الله عليه و اله) من عندهم بعد أن طلب منهم أن يكتموا ما جرى بينه و بينهم؛ إذ كره أن يبلغ قريش ذلك فيجزّئهم عليه، لكن زعماء ثقيف لم يستجيبوا لطلبه و أغروا به سفهاءهم و عبيدهم فأخذوا يستبونه و يصيحون به، و يرمونه بالحجاره، فلم يكن يرفع قدما و يضع اخرى إلاّ على الحجاره حتى اجتمع عليه الناس و ألجأوه إلى بستان لعتبه و شبيهه ابني ربيعه، و كانا هناك فتفرق عنه سفهاء الطائف، و قدماه تنزفان دما، فعمد إلى ظل كرمه و نادى ربّه: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، و قله حيلتي، و هواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت ربّ المستضعفين و أنت ربّي، إلى من تكلنتي؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمرى؟ إن لم يكن بك غضب عليّ فلا ابالي و لكن عافيتك هي أوسع لي».

و لم يلتق رسول الله (صلّى الله عليه و اله) إلاّ التفاته عطف من رجل نصراني ضعيف وجد في رسول الله ملامح النبوه (٢).

و حين انصرف رسول الله من الطائف راجعا الى مكه بعد أن يؤس من خير ثقيف كان محزوننا حيث لم يستجب له أحد فنزل نخله (بين مكه و الطائف). و في جوف الليل و حين كان يصلّى مرّ به نفر من الجن و استمعوا للقرآن فلما فرغ من صلاته ولّوا الى قومهم منذرين بعد أن آمنوا به و أجابوا الى ما سمعوا، و قصّ الله خبرهم عليه قائلا: وَ إِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى:

وَ يُجِزُّكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣).

ص: ١٠٨

١- (١) السيره النبويه: ٤٢٠/١، بحار الانوار: ٦/١٩ و ٧ و ٢٢، إعلام الوري: ١٣٣/١.

٢- (٢) الطبري: ٤٢٦/٢، أنساب الأشراف: ٢٢٧/١، تاريخ اليعقوبي: ٣٦/٢، السيره النبويه: ٤٢٠/١.

٣- (٣) تاريخ الطبري: ٣٤٦/٢، و سيره ابن هشام: ٦٣/٢، و الطبقات: ٣١٢/١. راجع سوره الأحقاف: ٢٩-٣١.

لقد كانت حركه الرسول (صلى الله عليه و اله) جهادا رساليا متكاملًا و كان منطقته و سلوكه و خلقه يحاكي الفطره السليمه و الأخلاق الساميه، يناشد الحق فى النفوس ليحييها و يدعو إلى الفضيله لتنعم البشريه بها و لهذا لم ييأس الرسول (صلى الله عليه و اله) رغم اضطهاد قريش و قسوتها معه و صد الطائف و جفوتها، إذ كان يتحرك بين الناس و يدعو الجميع إلى دين الله و لا سيما فى مواسم العمره و الحج حيث تتوفر فيها فرص تبليغيه عظيمه فكان (صلى الله عليه و اله) يقف على منازل القبائل من العرب و يقول: «يا بنى فلان إني رسول الله إليكم يأمركم أن تتعبدوا إليه و لا تشركوا به شيئًا و أن تؤمنوا بى و تصدقونى و تمنعونى حتى ابين عن الله ما بعثنى به» (١).

و كزر رسول الله (صلى الله عليه و اله) مساعيه بالتحرّك على عدّه قبائل غير آبه بما يلاقى من ردّ قاس أو اعتذار جميل. على أن بعضهم وجد فى الانتماء إلى الإسلام مشروعًا سياسيًا لبلوغ السلطان فحاول أن يساوم و لكن رسول الله (صلى الله عليه و اله) ردّهم بلسان لا يعرف المساومه و التخاذل و لم يرد انتهاز الفرص على حساب المبادئ فقال (صلى الله عليه و اله): «الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء» (٢).

و فى أثناء ذلك ربما مشى «أبو لهب» خلف النبي (صلى الله عليه و اله) يشبط الناس عن متابعتة فيقول: يا بنى فلان إن هذا إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات و العزى من أعناقكم إلى ما جاء به من البدعه و الضلاله فلا تطيعوه و لا تسمعوا منه (٣).

ص: ١٠٩

١- ((١)) السيره النبويه: ٤٢٣/١، تأريخ الطبرى: ٤٢٩/٢، أنساب الأشراف: ٢٣٧/١.

٢- ((٢)) السيره النبويه: ٤٢٤/١، تأريخ الطبرى: ٤٣١/٢.

٣- ((٣)) السيره النبويه: ٤٢٣/١، تأريخ الطبرى: ٤٣٠/٢.

و فى جانب آخر تقوم أم جميل فى وسط النساء فتسخر من النبى (صلى الله عليه و اله) و دعوته المباركه لتمنع النساء من متابعته.

و لم يتيسر للنبى (صلى الله عليه و اله) أن يقنع القبائل بالرساله الإسلاميه إذ أن قريشا كانت تتمتع بالمكانه الدينيه من بين القبائل الاخرى لما كانت تقوم به من سدانه البيت الحرام كما أنها كانت تدير مركزا تجاريا و اقتصاديا مهما فى الجزيره العربيه و كانت لقريش أيضا شبكات من العلاقات و الأحلاف مع ما كان يحيط بها من القبائل الأخرى التى كان النبى (صلى الله عليه و اله) قد عرض عليهم دعوته، فكان من الصعب كسر كل تلك القيود و إلغاء هيمنه قريش فكان تردد الناس فى قبول الرساله الإسلاميه واضحا، و خشيت قريش رغم ذلك من تحرك النبى (صلى الله عليه و اله) و قوه دعوته فالتجأت إلى اسلوب مبرمج يمكن أن تقبله العقول الوثنيه فاتفقوا على دعايه ينشرونها بين الناس فقالوا: إنه ساحر فى بيانه يفرق بين المرء و زوجته و بين الإنسان و أخيه. و لم تفلح قريش فى مسعاها حين كانت تنكشف عظمه الرسول و الرساله لكل من يلتقى بالنبى (صلى الله عليه و اله) (١).

بيعه العقبه الاولى:

كان النبى (صلى الله عليه و اله) لا يدخر وسعا و لا يتوانى فى السعى لنشر الرساله الإسلاميه و دعوه أى عنصر يرى فيه الأمل و الخير أو يجد فيه التأثير و النفوذ ممن كان يقدم الى مكه لحاجه ما. و قد كانت مدينه يثرب تعيش صراعا سياسيا و عسكريا بين أقوى قطبين فيها و هما الأوس و الخزرج، و كان يؤجج هذا الصراع عناصر من اليهود-بخبثهم و دسائسهم- فى جو من ضياع القانون الإلهى.

و التقى النبى (صلى الله عليه و اله) مع بعض شخصيات يثرب ممن جاء يبحث عن

ص: ١١٠

تحالف يزيد قوته،فما برحوا حتى تغلغل أثر الرسالة و صدق النبوه فى نفوسهم، ففى إحدى اللقاءات تحدث النبى (صلى الله عليه و اله)الى جماعه من بنى عفراء-و هم ينتسبون إلى الخزرج-فعرض عليهم الإسلام و تلا عليهم شيئاً من القرآن،فوجد فى عيونهم التجاوب و فى قلوبهم اللهفه لسماع المزيد من الآيات...و تأكدوا من حديث النبى (صلى الله عليه و اله)أنه هو النبى الذى يقصده اليهود حينما كانوا يتوعدون به المشركين فى يثرب كلما وقع شر بينهم فيقولون لهم:إن نبيا قد بعث الآن و قد أطل زمانه و سنتبعه و نقتلكم قتل عاد و إرم (١).

فأعلنوا فى الحال إسلامهم و كانوا سته أشخاص و قالوا للنبى (صلى الله عليه و اله):إنا قد تركنا قومنا و لا قوم بينهم من العداوه و الشر مثل ما بينهم و عسى الله أن يجمعهم بك و سنقدم عليهم و ندعوهم إلى أمرك و إلى الدين الذى أجبتك عليه.

ثم انصرفوا راجعين إلى يثرب و شرعوا يتحدثون عن النبى (صلى الله عليه و اله)و الرسالة و الأمل القادم لبناء حياه يسودها الأمن و السعاده،حتى فشا أمر الرسالة الإسلاميه بينهم و لم يبق دار من دور يثرب إلا و فيها ذكر لرسول الله (صلى الله عليه و اله) (٢).

و ما أسرع ما انقضت الأيام فلما كان موسم الحج للعام الحادى عشر من البعثه النبويه قدم وفد من أوس يثرب و خزرجها-و هم اثنا عشر رجلا- من بينهم الستة الذين أسلموا من قبل و التقوا برسول الله (صلى الله عليه و اله)سرا فى العقبه-و هى المنفذ الذى يجتازه القادمون من يثرب صوب مكه-و أعلنوا هذه المره بيعتهم للنبى (صلى الله عليه و اله)على أن لا- يشركوا بالله شيئاً،و لا يسرقوا،و لا يزنوا،و لا يقتلوا أولادهم و لا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم و أرجلهم و لا يعصوه فى

ص:١١١

١- ((١)) السيره النبويه:١/٤٢٨،بحار الأنوار:٢٥/١٩.

٢- ((٢)) تاريخ يعقوبى:٣٧/٢-٣٨،السيره النبويه:١/٤٢٩،بحار الأنوار:٢٣/١٩.

و لم يشأ النبي (صلى الله عليه و اله) أن يحملهم أكثر من ذلك، و أرسل معهم الشاب المسلم مصعب بن عمير إلى يثرب لكي يتولى شؤون التبليغ و التثقيف العقائدى بينهم، و بدأ تَمَّت بيعة العقبة الاولى.

بيعة العقبة الثانية:

تحرك مصعب بين أزقه يثرب و فى مجتمعاتها يتلو آيات الله و يحرك الأفئدة و العقول بالقرآن حتى آمن بالرسالة الإسلاميه عدد كبير من الناس.

و قد أحدث الإسلام فى النفوس شوقا كبيرا للقاء النبي (صلى الله عليه و اله) و التزود من معينه و الطلب الجاد بالهجره إليهم.

و عند ما اقترب موسم الحج من السنه الثانيه عشره من البعته خرجت وفود الحجيج من يثرب و معها وفد المسلمين البالغ ثلاثا و سبعين رجلا و امرأتين فواعدهم رسول الله (صلى الله عليه و اله) أن يلتقى بهم عند العقبة-جوف الليل فى أواسط أيام التشريق- و كنتم مسلمو يثرب أمرهم.

و ما إن مضى من الليل ثلثه و فى غفله عن العيون حتى تسلل المسلمون من أحييتهم و اجتمعوا فى انتظار رسول الله (صلى الله عليه و اله) فجاء معه بعض أهل بيته فبدأ الاجتماع و تكلم القوم، ثم تحدث رسول الله (صلى الله عليه و اله) فتلا- شيئا من القرآن و دعا إلى الله و رغب فى الإسلام.

و تَمَّت البيعه هذه المره صريحه واضحه مكتمله على كل جوانب الاسلام و أحكامه و فى السلم و الحرب معا. فقال (صلى الله عليه و اله): ابايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم و أبناءكم. فقاموا و بايعوا رسول الله (صلى الله عليه و اله).

ص: ١١٢

و ظهر شعور بالقلق من جانب مسلمى يثرب فقال أبو الهيثم ابن التيهان: يا رسول الله إنّ بيننا وبين الرجال-يعنى اليهود-حبالا و إنا قاطعوها فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهر ك الله أن ترجع إلى قومك و تدعنا؟ فتبسم الرسول (صلى الله عليه و اله) و قال: بل الدم الدم و الهدم الهدم احارب من حاربتهم و اسالم من سالمتم (١).

ثم ان رسول الله (صلى الله عليه و اله) قال: أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيبا ليكونوا على قومهم بما فيهم فأخرجوا منهم تسعة من الخزرج و ثلاثه من الأوس، فقال لهم رسول الله (صلى الله عليه و اله): أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفاله الحواريين لعيسى بن مريم و أنا كفيل على قومي (٢).

و بالإرشاد الحكيم و الاستخدام الحصيف لكل الإمكانيات و بالوعى السياسى العميق خطا الرسول (صلى الله عليه و اله) بالرساله نحو الأمام يسدده الوحى الإلهى فى كل ذلك، و أذن (صلى الله عليه و اله) للمبايعين أن يعودوا إلى رحالهم من دون أن يواجهوا المشركين بالقوه فلم يأذن الله بالقتال.

و أدركت قريش بوادر الخطر المحدق بها من نصره مسلمى يثرب للنبي (صلى الله عليه و اله) فأقبلوا و الشر و الغضب يتملكانهم كى يحولوا بين النبي (صلى الله عليه و اله) و المسلمين لكن حمزه و عليا (عليهما السلام) كانا بوابه الأمان لاجتماع العقبه فرجعت قريش خائبه منكسره (٣).

ص: ١١٣

١- (١) السيره النبويه: ٤٣٨/١، تاريخ الطبرى: ٤٤١/٢، مناقب آل أبى طالب: ١٨١/١

٢- (٢) تاريخ الطبرى: ٤٤٢/٢، السيره النبويه: ٤٤٣/١، المناقب: ١٨٢/١.

٣- (٣) تفسير القمى: ٢٧٢/١.

انتبهت قريش و خرجت من غفلتها فقد انفتح باب الرجاء فى الغلبه، فى وجه المسلمين فراح تزييد من استخدام القسوه و التنكيل و الاضطهاد للمسلمين فى محاوله منها للقضاء عليهم قبل استفحال الأمر، فشكا المسلمون ذلك لرسول الله (صلى الله عليه و اله) و استأذنه للخروج من مكه فاستمهلهم أياما ثم قال: «لقد أخبرت بدار هجرتكم و هى يثرب فمن أراد الخروج فليخرج إليها (١). و فى روايه اخرى: «إن الله قد جعل لكم دارا تأمنون بها و إخوانا» (٢).

و شرع بعض المسلمين يخرجون من مكه إلى يثرب سرًا كى لا يثيروا هواجس قريش، و بدأت طرقات مكه و بيوتها و نواديها تشهد يوما بعد يوما غيابا مستمرا لأصحاب رسول الله (صلى الله عليه و اله). أمّا هو فكان ينتظر الأمر الإلهى بالهجرة و ليضمن سلامه و دقه هجره المسلمين. و أدركت قريش هدف النبى (صلى الله عليه و اله) و خطته فسعت إلى منع المسلمين من الخروج من مكه و لحقت بالمهاجرين مستخدمه أساليب الإغراء و التعذيب لإعادتهم إلى مكه.

و كانت قريش حريصه فى أن يبقى الأيمن سائدا فى مكه مما جعلها تخشى عواقب قتل المهاجرين خشيه وقوع الحرب بينها و بينهم فاكثفت بالتعذيب و الحبس للمسلمين.

نعم كانت قريش تحسب ألف حساب لخروج رسول الله (صلى الله عليه و اله) إلى يثرب فقد أصبح للمسلمين اليد العليا هناك فإذا لحق بهم النبى (صلى الله عليه و اله) و هو المعروف بالثبات و حسن الرأى و التدبير و القوه و الشجاعه حينئذ سوف تحل الكارثه

ص: ١١٤

١- (١) الطبقات الكبرى: ٢٢٦/١.

٢- (٢) مناقب آل أبى طالب: ١٨٢/١، السيره النبويه: ٤٦٨/١.

بالمشركين عامه و بقريش بشكل خاص.

و سارع رؤساء قريش لعقد اجتماع لهم فى دار الندوه للبحث عن حلّ يواجهون به الخطر المحقق بهم فتعددت الأراء و تضاربت و كان من بين الحلول المقترحه حبسه و تكييله بالأغالل أو نفيه بعيدا عن مكه فى منقطع الصحراء، و لكن رأيا بقتله و تفريق دمه بين القبائل -لتعجز بنو هاشم عن المطالبه بدمه- هو الذى حاز الموافقه و الإعجاب (1)، فإنهم إن قتلوا الرسول (صلى الله عليه و اله) فقد قضاوا على الرساله الإسلاميه و هى فى مهدها.

و جاء الأمر الإلهى يأمر رسول الله (صلى الله عليه و اله) بالتحرك و الهجره الى يثرب و كانت تلك الإشاره التى ينتظرها الرسول (صلى الله عليه و اله) بشوق بالغ ليحطّ قدمه على أرض يتمكن فيها من بناء دوله على أعمده التقوى و تعاليم السماء و إنشاء المجتمع الإنسانى الصالح.

و بعد أن دبّر المشركون خطتهم و أحكموها نزل أمين الوحي «جبرئيل» على رسول الله (صلى الله عليه و اله) و أخبره بما حاك المشركون ضده من مؤامره إذ قرأ عليه قوله تعالى: **وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ** (2).

و رغم يقينه الكامل بأن الإمداد الغيبى يرهه و يسدد خطاه لم يتعجل الحركه، و لم يرتجل الخطوات بل خطط و دبّر ببصيره و حنكه و سريه تامه.

ص: ١١٥

١- ((١)) السيره النبويه: ١/٤٨٠، الطبقات الكبرى: ١/٢٢٧، تفسير العياشى: ٢/٥٤.

٢- ((٢)) المناقب: ١/١٨٢-١٨٣، الأنفال: ٣/٨.

لقد آخى رسول الله (صلى الله عليه و اله) بين المهاجرين كنقطه انطلاق نحو المجتمع الإسلامى المتماسك يتعاونون كجسد واحد لمصلحه الإسلام و إعلاء كلمه الله حيث سيواجه المسلمون مصاعب جمه يستلزم تجاوزها التعاون و التعاضد بأعلى مراتبه.

و كخطوه أولى فى طريق الهجره المباركه آخى رسول الله (صلى الله عليه و اله) بين المهاجرين بعلاقه إيمانيه إلهيه على الحق و المؤاساه مؤاخاه ينعكس أثرها على التعامل فيما بينهم بالانسجام و الصمود بعيدا عن النوازع النفسيه، فلقد آخى (صلى الله عليه و اله) بين أبى بكر و عمر، و بين حمزه و زيد بن حارثه و بين الزبير و ابن مسعود و بين عبيده بن الحارث و بلال.

كما آخى بين على (عليه السلام) و نفسه الشريفه (صلى الله عليه و اله)... و قال لعلى (عليه السلام): أما ترضى أن أكون أخاك؟ قال (عليه السلام): بلى يا رسول الله رضيت. و هنا قال (صلى الله عليه و اله): فأنت أخى فى الدنيا و الآخره (1).

ص: ١١٦

الباب الرابع

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

تأسيس الدوله الإسلاميه الاولى

الفصل الثانى:

الدفاع عن كيان الدوله الفتيه

الفصل الثالث:

تظاهر قوى الشرك و الرد الإلهى الحاسم

ص: ١١٧

تأسيس الدولة الإسلاميه الاولى

١-الهجره الى يثرب:

لكى تتكامل حركه الرساله و تتحقق النبوه أهدافها الربانيه المنشوده لا بد أن تسدد و تؤيد بقوى الخير و عناصر تملك اليقين المطلق بالعقيده و تنذر نفسها لتلك العقيده و تستعد للتضحيه على الدوام مع مؤهلات تصونها من الانحراف.

لقد كان على بن أبى طالب (عليه السلام) ذلك العنصر الفذ الذى قال له رسول الله (صلى الله عليه و اله): «يا على إن قريشا اجتمعت على المكر بى و قتلى و إنه أوحى إليّ عن ربي أن أهجّر دار قومي، فم على فراشى و التحف ببردى الحضرمى لتخفى بمبيتك عليهم أثرى فما أنت قائل و صانع؟»

فقال على (عليه السلام): أو تسلمنّ بميتى هناك يا نبى الله؟

قال: نعم، فتبسم على (عليه السلام) ضاحكا مسرورا و أهوى إلى الأرض ساجدا شاكرًا لله تعالى لما أنبأه رسول الله (صلى الله عليه و اله) من سلامته و قال (عليه السلام): إمض لما امرت فداك سمعى و بصرى و سويداء قلبى (١).

ص: ١١٩

١- (١) راجع احقاق الحق: ٣/٢٣-٤٥ مع تعليقات المرعشى النجفى لتقف على مصادر هذا الحدث التاريخى و موقف على الرسالى عند علماء أهل السنه. و راجع أيضا: مسند الإمام أحمد: ١/٣٣١ الطبعة الأولى بمصر، و تفسير الطبرى: ٩/١٤٠ الطبعة الميمنيه بمصر و مستدرک الحاكم: ٣/٤٠٣ طبعة حيدرآباد الدكن.

و خرج رسول الله (صلى الله عليه و اله) بعد منتصف الليل من داره تحيط به العناية الإلهية مخترقا طوق قوات الشرك المحيطه بداره تاركا عليا في فراشه.

و كم كانت خيبه أعداء الله حين اقتحموا دار النبي (صلى الله عليه و اله) صباحا شاهرين سيوفهم تفوح منها رائحه الموت، و يفيض الحقد من وجوههم يتقدمهم خالد بن الوليد، فوثب علي (عليه السلام) من مضجعه في شجاعه فائقه فارتد القوم علي أديبارهم و تملكتمهم دهشه و ذهول و هم يرون كيف خيب الله سعيهم و أنقذ نبيّه (صلى الله عليه و اله).

و توسلت قريش بطغيانها بكل حيله لترد هيبتها الضائعه لعلها تدرك محمدا (صلى الله عليه و اله) فأرسلت العيون، و ركبت في طلبه الصعب و الذلول حتى وضعت منه ناقه جائزه لمن يأتي بمحمد حيا أو ميتا. و قادهم الدليل الحاذق مقتنيا أثر قدم الرسول (صلى الله عليه و اله) إلى باب غار ثور- حيث كان قد اختبأ فيه النبي (صلى الله عليه و اله) و معه أبو بكر - فانقطع عنه الأثر فقال: ما جاوز محمد و من معه هذا المكان، إما أن يكونا صعدا إلى السماء أو دخلا في الأرض.

و في داخل الغار كان أبو بكر قد غلبه خوف كبير و هو يسمع صوت قريش تنادى: اخرج يا محمد، و يرى أقدامهم تقترب من باب الغار و رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول: «لا تحزن إن الله معنا».

و عادت قريش بخفي حنين فهي لم تدرك أن النبي (صلى الله عليه و اله) في الغار إذ رأت العنكبوت قد نسج بيته علي باب الغار و عندها بنت الحمامه عشها و باضت فيه.

و في المساء التقى علي و هند بن أبي هاله بالنبي (صلى الله عليه و اله) بعد أن علما بمكانه و قد أدلى النبي (صلى الله عليه و اله) بوصاياه لعل (عليه السلام) يحفظ ذمته و أداء أمانته- إذ كان محمدا (صلى الله عليه و اله) مستودع أمانات العرب- و أمره أن يبتاع رواحله و للفواطم و يلحق به (صلى الله عليه و اله) فقال له مطمئنا: «إنهم لن يصلوا من الآذن إليك يا علي بأمر تكرهه حتى تقدم علي، فأذ أمانتي علي أعين الناس ظاهرا ثم إنني مستخلفك علي فاطمه ابنتي و مستخلف ربي

و بعد ثلاثة أيام حين عرف النبي (صلى الله عليه و اله) أنه قد سكن الناس عن طلبه، تحرّك نحو يثرب مسرعاً، لا يعبأ بمشقه مستعينا بالله واثقا من نصره.

و حينما وصل منطقة (قبا) تريت فيها أياما ينتظر قدوم ابن عمه على ابن أبي طالب و الفواطم عليه ليدخلوا جميعا يثرب التي كانت تموج بالفرح و البهجة لقدوم النبي (صلى الله عليه و اله) في حين دخل صاحب النبي و رفيق سفره إلى يثرب تاركا الرسول (صلى الله عليه و اله) في قبا! و ما إن وصل على بن أبي طالب (عليه السلام) منها من تعب الطريق و مخاطره - حيث كانت قريش قد تعقبته حين علمت بخروجه بالفواطم - اعتنقه رسول الله (صلى الله عليه و اله) و بكى رحمه لما به (٢).

و أقام رسول الله (صلى الله عليه و اله) (قبا) عدة أيام و كان أول عمل قام به هو كسر الأصنام (٣) ثم أسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة فأدركته صلاة الظهر في بطن وادي (رانونا) فكانت أول صلاة جمعه في الإسلام و خرج مسلمو يثرب يزيتهم و سلاحهم يستقبلون رسول الله (صلى الله عليه و اله) و يحيطون بركبه و كل يريد أن يتطلع إليه و يملأ عينيه من هذا الرجل الذي آمن به و أحبه (٤).

و ما كان يمر رسول الله (صلى الله عليه و اله) بمنزل أحد من المسلمين إلا و يأخذ بزمام ناقته و يعرض عليه المقام عنده و هو يقابلهم بطلاقة الوجه و البشر و تجنبا من إحراج أحد منهم كان (صلى الله عليه و اله) يقول: خلوا الناقة إنَّها مأموره.

ص: ١٢١

١- (١) أعيان الشيعة: ١/٢٣٧.

٢- (٢) راجع الكامل في التاريخ: ١٠٦/٢.

٣- (٣) البدء و التاريخ: ١٧٦/٤-١٧٧.

٤- (٤) وصل النبي (صلى الله عليه و اله) مدينه يثرب في ١٢ ربيع الأول.

و أخيرا بركت الناقه عند مربرد يعود لغلامين يتيمين من بنى النجار أمام دار أبى أيوب الأنصارى فأسرعت زوجته فأدخلت رحل رسول الله (صلى الله عليه و اله) فى دارها فتزل عندهم رسول الله (صلى الله عليه و اله) إلى أن تمّ بناء المسجد النبوى و بيته (صلى الله عليه و اله) (١).

و قد غير النبى (صلى الله عليه و اله) اسم يثرب الى (طيبه) (٢) و اعتبر هجرته اليها مبدءا للتأريخ الاسلامى (٣).

٢- بناء المسجد:

لقد اجتاز النبى (صلى الله عليه و اله) بالمسلمين دائره بناء الفرد، و بوصله الى يثرب شرع فى التخطيط لتكوين الدوله التى تحكمها قوانين السماء و الشريعه الإسلاميه السمحاء و من ثم بناء الحضاره الإسلاميه لتشمل كل الإنسانيه فى مرحله ما بعد الدوله.

و من اولى العقبات أمام تأسيس الدوله الإسلاميه وجود النظام القبلى الذى كان يحكم العلاقات فى مجتمع الجزيره، كما أن ضعف المسلمين كان لا بد له من معالجه واقعيه، فكان المنطلق بناء المسجد ليكون مكانا لمهام متعدده، و مركزا للسلطه المركزيه التى تدير شؤون الدوله. و تمّ تعيين الأرض و شرع المسلمون بهمه و شوق فى العمل الجادّ لبناء المسجد و ما يتطلبه من مستلزمات، و كان الرسول هو القدوه و الأسوه و منبع الطاقه التى تحرّك المسلمين فى العمل فشارك بنفسه فى حمل الحجاره و اللبن، و بينما هو (صلى الله عليه و اله) ذات مره ينقل حجرا على بطنه استقبله اسيد بن حضير فقال: يا رسول الله أعطنى أحمل عنك قال (صلى الله عليه و اله): لا، اذهب

ص: ١٢٢

١- (١) راجع السيره النبويه: ١/٤٩٤.

٢- (٢) ابن خلدون: المقدمه/٢٨٣، و تاج العروس: ٨٥/٢.

٣- (٣) تأريخ الطبرى (الامم و الملوك): ١١٠/٢-١١٤.

فاحمل غيره.

و تم أيضا بناء دار للرسول (صلى الله عليه و اله) و لأهل بيته و لم يكن البناء ذا كلفه كبيره فقد كان بسيطا كحياتهم، و لم ينس النبي (صلى الله عليه و اله) الفقراء الذين لم يجدوا لهم مسكنا يأوون إليه فألحق لهم مكانا بجانب المسجد (١).

و أصبح المسجد مرتكزا في حياه المسلمين العباديه و الحياتيه فعّالا في بناء الفرد و المجتمع.

٣- المؤاخاه بين المهاجرين و الأنصار:

اشاره

ثم خطا النبي (صلى الله عليه و اله) خطوه اخرى لإقامه الدوله الجديده و القضاء على بعض قيم النظام القبلى من دون أن يمس القبيله بشيء، مستثمرا حاله التعاطف و حراره الإيمان التى بدت من المسلمين فجعل أساس العلاقه بين الأفراد رابطه العقيده و الدين متجاوزا علقه الدم و العصبية، فقال (صلى الله عليه و اله): تآخوا فى الله أخوين أخوين، ثم أخذ بيد على بن أبى طالب فقال: هذا أخى (٢)، و أخذ كل رجل من الأنصار أخا له من المهاجرين يشاركه الحياه. و بدأ طوت المدينه صفحه دامية من تأريخها إذ كانت لا تخلو أيامها من صراع مرير بين الأوس و الخزرج يؤججه اليهود بخبثهم و دسائسهم و انفتح على العالم عهد جديد من الحياه الإنسانيه الراقية حيث زرع رسول الله (صلى الله عليه و اله) بذلك عنصر بقاء الامه، و فاعليتها الإيمانيه.

ص: ١٢٣

١- ((١)) بحار الانوار: ١١٢/١٩، السيره النبويه: ١/٤٩٦.

٢- ((٢)) السيره النبويه: ١/٥٠٤.

البعء الاقصادى:

١-إعالة المهاجرين و إعاده تأهيلهم اقصاديا للعوده لممارسه حياتهم الطبيعیه.

٢-إزاله الفوارق الطبقيه فى محاوله للقضاء على الفقر.

٣-السعى للاستقلال الاقصادى بعيدا عن مركز الثروه غير المشروعه و قطع أیادى اليهود المرابیه.

٤-إنجاز مشاريع اقصادیه:زراعيه مع تنشيط حركه التجاره-من خلال تلاقح فاعليه المهاجرين و الأنصار و أفكارهم و ترابط جهودهم و استثمار كل الموارد المتاحه فى المدينه.

البعء الاجتماعى:

١-القضاء على الأمراض الاجتماعیه المتأصله فى المجتمع و مخلفات التناحر القبلى و اشاعه روح الحب و الود و التآلف لسد الثغرات لئلا يستغلها المتآمرون على الاسلام، و توفير الجهود و الطاقات البشریه لخدمه الاسلام فى مراحلہ اللاحقه.

٢-إلغاء النظام القبلى و إحلال النظام و القيم الإسلامیه محله فى التعامل اليومى.

٣-تهيئه المسلمين نفسيا و تربيتهم على التضحيه و الإيثار للانفتاح على العالم لنشر الرساله الإسلامیه الذى يتطلب مرونة عاليه و قيم رفيعه تتوفر فى الداعيه المسلم.

ص:١٢٤

١- تكوین نسیج مترابط من المسلمین یتحرك مستجیبا لأوامر الرسول و الرساله كفرد واحد فى ظرف تعددت فیه الجهات المعادیه و لم تتوقف عن دسائسها.

٢- تناقل الخبرات التنظيمیه و وسائل المقاومه و الصمود و التجربه الإيمانيه و طرق التحرك وسط المهاجرين و الأنصار إذ لم يعيش الأنصار تجربه المهاجرين و محتتهم.

٣- بناء الفرد كخطوه من خطوات بناء الدوله و هيكلها الإدارى.

٤- إشعار المسلمین بالقوه فى الدفاع عن أنفسهم وفق قيم الإسلام بعيدا عن الروح القبليه و العنصریه.

٤- معاهده المدينه:

و لكى ينتقل النبى (صلّى الله عليه و اله) بالمسلمین من حاله الصراع و المقاومه إلى مرحله البناء و تطبيق الشریعه الإسلامیه كان لا بد من توفير أجواء الأمن و الاستقرار -و لو نسبيًا- فالصراع قد يعيق انتشارها فى الوسط الجماهيرى.

و فى يثرب كانت قوى تنافس المسلمین فى الوجود، فالیهود كانوا يشكلون عبئا كبيرا بقوتهم الاقتصادیه و خبثهم السياسى المعروف إضافة إلى عدّتهم و عددهم الذى لا يستهان به. و المشركون أيضا قوه أخرى و إن ضعف دورهم بقدم النبى (صلّى الله عليه و اله) و المهاجرين و لكنه لم ينته تماما- فجاملهم النبى (صلّى الله عليه و اله) و قابلهم بالحسنى.

و كان لا بد للنبي (صلى الله عليه و اله) أيضا أن يحتوى وجود المنافقين.

و فى خارج المدينه كانت قريش و سائر القبائل المشركه تمثل تهديدا حقيقيا للكيان الإسلامى الفتى و كان على الرسول (صلى الله عليه و اله) أن يستعد لمواجهةهم و دفع خطرهم.

و هنا تجلت عظمه الرسول (صلى الله عليه و اله) و مقدرته السياسيه فى التعامل مع القوى المتعدده مظهرا النوايا الحسنه و الطيبه تجاه الآخرين، داعيا جميعهم الى السلام و الأمان.

و كتبت معاهده صلح و تعاون بين المسلمين و اليهود لبناء دوله تعود بمركزيتها إلى النبي (صلى الله عليه و اله) يتمتع الجميع فيها بالحقوق الانسانيه على السواء.

و يمكن القول بأن الصحيفه كانت بمثابة أول مشروع دستورى لبناء دوله اسلاميه متحضره فى مجتمع المدينه الذى سوف ينطلق نحو المجتمع العربى ثم المجتمع الإنسانى العالمى لتقبل النظام الإسلامى الجديد.

و أهم ما تضمنته الصحيفه هو ما يلى:

١- إبراز وجود المجتمع المسلم و إشعار الفرد المسلم بقوه انتمائه إليه.

٢- الإبقاء على الوجود القبلى-مع تحجيم دوره و صلاحياته-لتخفيف العب عن كاهل الدوله، باشراكه فى بعض النشاطات الاجتماعيه و الاستعانه به لحل جملة من المشكلات.

٣- التأكيد على حريه العقيدته بالسماح لليهود بالبقاء على ديانتهم و ممارسه طقوسهم و اعتبارهم مواطنين فى الدوله الإسلاميه الجديده.

٤- ترسيخ دعائم الأمن فى المدينه بجعلها حرما آمنا لا يجوز القتال فيه.

٥- إقرار سياده الدوله و النظام الإسلامى و إرجاع قرار الفصل فى الخصومات الى القياده الإسلاميه المتمثله فى شخص الرسول (صلى الله عليه و اله).

٦-توسيع دائره المجتمع السياسى باعتبار أنّ المسلمين و اليهود يتعايشون فى نظام سياسى واحد و يدافعون عنه.

٧-الحث على إشاعه روح التعاون بين أفراد المجتمع المسلم كى يتجاوز الأزمات التى تعترضه.

٥-النفاق و بدايات الاستقرار فى المدينه:

اهتم النبى (صلّى الله عليه و اله)ببناء المجتمع المسلم و من هنا فرض الهجره على كل مسلم إلّا-بعذر و ذلك لاستقطاب كل الطاقات و الكفاءات و سحبها إلى المدينه.

و قد تمتعت المدينه فى هذا العهد الجديد بحياه الأمن و الاستقرار فأصبح الأمر مزعجا لسائر القوى التى رفضت دعوه النبى (صلّى الله عليه و اله)أولا و رأّت فيه طرفا يهدد معتقدها و اليوم أصبح كيانا يرتقى بالإنسان نحو الفضائل و قوه تنمو باطراد لا يصدّه أحد عن نشر رسالته فأسلمت أعداد كبيره منهم و مضى قسم آخر يخطط للابتعاد عنه أو التحالف معه.

و من جانب آخر كان النبى (صلّى الله عليه و اله)يرصد حركه النفاق و مساعى اليهود الحاقده لتقويض الكيان الاسلامى الفتىّ بتمزيق صفوفه بالفرقه فى ما بين المسلمين.

و لم تمض فتره طويله حتى دخل الإسلام فى كل بيت من بيوت المدينه (١)، و اتسق النظام الاجتماعى العام تحت حكم الإسلام و قياده الرسول (صلّى الله عليه و اله).

و فى هذه الفتره شرّعت أحكام الزكاه و الصيام و أحكام اقامه الحدود، كما شرع الأذان لإقامه الصلاه و قبل ذلك كان النبى (صلّى الله عليه و اله)قد أعدّ مناديا ينادى للصلاه

ص:١٢٧

إذا جاء وقتها، ونزل الوحي الإلهي يعلم رسول الله (صلى الله عليه و آله) صيغته الأذان (١) فدعا رسول الله (صلى الله عليه و آله) بنفسه بلالا و علمه كيفية الأذان.

٦- تحويل القبلة:

و كان النبي (صلى الله عليه و آله) طوال فتره تواجدته في مكة يتجه في صلاته نحو بيت المقدس و لم يغير من اتجاه صلاته بعد هجرته المباركة إلى سبعة عشر شهرا ثم أمره الله أن يتجه في صلاته نحو الكعبة.

و قد أمعن اليهود في عداوتهم للدين الإسلامي و استهزائهم بالرسول و الرساله حتى أنهم كانوا يفخرون على المسلمين بتبعيتهم لقبلة اليهود فكان هذا يحزن النبي (صلى الله عليه و آله) و أصبح ينتظر نزول الوحي الإلهي بتغيير القبلة، و خرج النبي (صلى الله عليه و آله) في جوف الليل يطيل النظر إلى آفاق السماء فلما أصبح و حضر وقت صلاه الظهر كان في مسجد بني سالم قد صلى من الظهر ركعتين فنزل جبرئيل (عليه السلام) فأخذ بعضديه و حوله الى الكعبة و أنزل عليه قوله تعالى: **قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** (٢).

و قد كانت حادثه تحويل القبلة بمثابة اختبار للمسلمين في مدى طاعتهم و انقيادهم لأوامر الرسول (صلى الله عليه و آله)، و تحديا لعناد اليهود و استهزائهم و ردًا لكيدهم كما كانت منطلقا جديدا من منطلقات بناء الشخصية المسلمة (٣).

٧- بدايات الصراع العسكري:

لقد كانت القوه هي التي تحكم الناس و تسودهم، و في هذا الظرف تحرّك

ص: ١٢٨

١- ((١)) الكافي: ٨٣/١، تهذيب الأحكام: ٢١٥/١.

٢- ((٢)) البقره (٢): ١٤٤.

٣- ((٣)) راجع مجمع البيان: ٤١٣/١.

النبي (صلى الله عليه و اله) و المسلمون-بعد الاستقرار النسبي في المدينة-ليؤكد لكل القوى المؤثرة في الجزيره بل و خارجها-كالروم و فارس- إصراره على نشر الرساله الإسلاميه و بناء الحضاره وفق تعاليم السماء، و كان للمسلمين من أدوات البناء ما لم يملكه غيرهم، فهم أصحاب عقيدته و فكر و طلاب حق و عدل، و مشرعى سلام و أمان، و أهل سيف و قتال.

و قد توقع رسول الله (صلى الله عليه و اله) أن قريشا و من نصب له العداة سيلجأون لمحاوله استئصال المسلمين و لو بعد حين فكان طلبه من الأنصار في بيعه العقبه الثانيه النصره و القتال كما أن قريشا هي التي تمادت في التعدي و الظلم بل و خرجت تتبع النبي (صلى الله عليه و اله) و المسلمين للقضاء عليهم، و في مكه قد صادرت الأملاك و نهبت البيوت. و كانت الرغبه لدى النبي (صلى الله عليه و اله) و المسلمين-المهاجرين خصوصا- أن تدخل قريش في الإسلام طواعيه أو أن لا تمضى في غيها على أقل تقدير.

من هنا بدأ النبي (صلى الله عليه و اله) يبعث (السرايا) و هي عباره عن مجاميع صغيره تتحرك لتعلن عن وجودها و عدم استسلامها. و إذا نظرنا إلى عدتها البسيطه و عددها القليل الذي لا يتجاوز الستين فردا و كلهم من المهاجرين و ليس فيهم من الأنصار الذين بايعوا على القتال و النصره، ندرک أنها لم تكن مرشحه للقتال و إنما كانت هذه السرايا و سيله للضغط على قريش اقتصاديا (1) أيضا لعلها تسمع نداء الحق باذن صاغيه و بقلب مفتوح أو تهادن المسلمين فلا-تعرض لهم لينتشر الإسلام في أطراف اخرى، و في الوقت نفسه كان ينبغي إشعار اليهود و المنافقين بقوه الإسلام و هيئه المسلمين.

و هكذا بعد مضي سبعة أشهر على الهجره المباركه انطلقت أول سريه و كان

ص: ١٢٩

١- (١) إذ إن مصدرها المالى هو التجاره من خلال حركه القوافل بين مكه و الشام و اليمن.

عدد افرادها ثلاثين رجلاً بقياده حمزه عم النبي (صلى الله عليه و اله). ثم تلتها سريره اخرى بقياده عبيده بن الحارث. و سريره ثالثه بقياده سعد بن أبي وقاص.

و خرج النبي (صلى الله عليه و اله) في صفر من العام الثاني للهجرة على رأس مجموعه من أتباعه لاعتراض قوافل قريش و لكن لم يحصل الصدام بين الطرفين في حركته نحو الأبواء و بواط. و في خروجه الى ذى العشيره وادع بنى مدلج و حلفاءهم من بنى ضميره.

و تحرك النبي (صلى الله عليه و اله) لرد الاعتبار و معاقبه المعتدى حين أغار كرز بن جابر الفهري على أطراف المدينه لسلب الإبل و المواشى فخرج النبي (صلى الله عليه و اله) لملاحقته و خلف زيد بن حارثه على المدينه (1).

و انطلق النبي (صلى الله عليه و اله) في حركته العسكريه من مفهوم الجهاد و التضحيه من أجل الدين بدلا عن مفهوم العصبية و الثأر، محترما أعراف و تقاليد الصلح و المواعده و حرمة الأشهر الحرم.

ص: ١٣٠

اشاره

الدفاع عن كيان الدولة الفتيه

١- غزوه بدر الكبرى:

اشاره

بنزول الأمر الإلهي بالقتال انتقلت الرساله الإسلاميه إلى مرحله جديده من الصراع مع قوى الشرك و الضلاله، و تحركت في نفوس المهاجرين الرغبه الجاده لاسترداد حقوقهم المسلوبه من قبل و التي استلبتها قريش منهم لا لشيء إلا لأنهم آمنوا بالله وحده.

ورصد النبي (صلى الله عليه و اله) قافله قريش التي فاتته في طريق ذهابها إلى الشام في غزوه ذات العشيره و خرج في عدّه خفيفه و عدد قليل يرتجى ملاقيه قافله ضمت أسهما تجاريه ضخمه لأغلب المكيين. و لم تكن حركه النبي (صلى الله عليه و اله) سرّيه فقد بلغ خبرها إلى مكه و إلى أبي سفيان قائد القافله فتحول في مسيره إلى اتجاه آخر حيث لا يدركه المسلمون... و خرجت قريش فرعه تطلب مالها تلهبها مشاعر الحقد و الحسد للمسلمين، على أن عددا من كبارها نظر إلى الأمر بتدبر و رويّه و آثر عدم الخروج لملاقاه المسلمين و خصوصا بعد أن ورد خبر نجاه أبي سفيان بالقافله التجاريّه.

خرجت قريش بعدد يناهز الألف في عدّه ثقيله يدفعها تجبرها، و الاغترار بمنزلتها بين العرب و مع جموع اخرى هبت لنصرتها مصرّه على لقاء المسلمين

أو لتثبت أنها لا تخذل كي لا يتعرض لها المسلمون ثانيه، فقريش ما ذلت مذ عزت، كما أعرب عن ذلك بعض أصحاب الرسول (صلى الله عليه و اله) حين أراد مواجهه قريش لأول مره (١).

نزلت قريش و صفت صفوفها للقتال على مقربه من (ماء بدر) حيث سبقهم المسلمون في ثلاثائه و ثلاثه عشر رجلا و هيا الله لرسوله (صلى الله عليه و اله) و للمسلمين مقدمات النصر و أسبابه فسهل لهم الوصول إلى موقع القتال و ألقى عليهم الأمن و الاطمئنان و وعدهم بالنصر على أعدائهم و إظهار دين الحق (٢).

و بالرغم من أن المسلمين لم يتوقعوا خروج قريش لملاقاتهم و لكن بعد أن فاتتهم القافله و تحول الهدف إلى القتال أراد النبي (صلى الله عليه و اله) أن يختبر نوايا المهاجرين و الأنصار فوقف و قال: «أشيروا علي أيها الناس».

فقام بعض المهاجرين و تكلم بكلام يدل على الخوف و الجبن عن مواجهه العدو ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله إمض لأمر الله فنحن معك، و الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيها: «فأذهب أنت و ربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون»، و لكن اذهب أنت و ربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون و الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد (٣) لسرنا معك.

فقال له رسول الله (صلى الله عليه و اله) خيرا. ثم كرر رسول الله (صلى الله عليه و اله) قوله: أشيروا علي أيها الناس، يريد بذلك أن يسمع رأى الأنصار إذ كانوا قد بايعوه على الدفاع و الذب عنه بالنفس و النفيس في عقبه قبل الهجره.

فقام سعد بن معاذ فقال: أنا أجيب عن الأنصار، كأنك يا رسول الله تريدنا؟

ص: ١٣٢

١- (١) راجع المغازي للواقدي: ٤٨/١، السيره الحلييه: ١٦٠/٢، و بحار الأنوار: ٢١٧/١٩.

٢- (٢) الانفال (٨): ٧-١٦.

٣- (٣) برك الغماد: موضع وراء مكه مما يلي البحر.

قال (صلى الله عليه و اله): أجل. قال: إنا قد آمنا بك و صدقناك و شهدنا أن كل ما جئت به حق.

و أعطيناك موثيقنا و عهدونا على السمع و الطاعة، فامض يا نبي الله، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك ما بقى منا رجل، و ما نكره أن يلقانا عدونا غدا؛ إنا لصبر عند الحرب، صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك.

عندها قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «سيروا على بركة الله فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين و الله لكأني أنظر إلى مصارع القوم» (١).

و فى كل موقف كان رسول الله (صلى الله عليه و اله) يدعو و يسأل الله النصر بعد أن تهيأ المسلمون للحرب و قاموا بالإعدادات اللازمة بدءا باختيار الموقع المناسب و إعداد الماء و اتخاذ التحوطات لملاقاه العدو، و النبي القائد (صلى الله عليه و اله) كان دائما هو الطاقه المتدفقه التى تبعث فى نفوسهم الصبر و الجلد، و الاطمئنان كما كان يثير الحماس فيهم و يخبرهم بالمدد الإلهي (٢).

و احتف المسلمون حول النبي و هم يظهرون أروع صور الاستعداد للتضحية من أجل العقيدة و يفكرون فى خطه بديله لودارت الحرب على غير ما يحيون فأعدوا عريشا كمقر لقياده النبي (صلى الله عليه و اله) ليشرف من خلاله على المعركة.

و خرجت سرية الاستطلاع لمعرفة أحوال قريش و عادوا بالأخبار اللازمة للنبي (صلى الله عليه و اله) فقدّر عددهم ما بين (٩٥٠-١٠٠٠) مقاتل (٣).

وقف رسول الله (صلى الله عليه و اله) يصف المسلمین صفوفًا و أعطى رايته الكبرى لعلى ابن أبى طالب (عليه السلام) و أرسل إلى قريش طالبا منها أن ترجع، فهو يكره قتالها،

ص: ١٣٣

١- ((١)) المغازى: ٤٨/١-٤٩.

٢- ((٢)) الانفال (٨): ٦٥.

٣- ((٣)) راجع المغازى: ٥٠/١.

فدبّ الخلاف بين صفوف المشركين بين راغب في السلم و مصرّ على العدوان (١).

و أمر الرسول (صلى الله عليه و اله) أن لا يبدأ المسلمون القتال، و وقف يدعو الله قاتلا:

«اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد بعد اليوم».

و كما هو المعتاد في كل الحروب القديمه برز من المشركين عتبه بن ربيعه و أخوه شيبه و ابنه الوليد يطلبون نظراء لهم من قريش ليبارزوه. فقال النبي (صلى الله عليه و اله) لعبيده بن الحارث و حمزه بن عبد المطلب و على بن أبي طالب: «يا بني هاشم قوموا فقاتلوا بحقكم الذى بعث به نبيكم إذ جاؤوا بباطلهم ليطفئوا نور الله» (٢).

فقتل من برز من قريش و التحم الجيشان و رسول الله (صلى الله عليه و اله) يبعث الحماس في نفوس المسلمين. ثم أخذ النبي (صلى الله عليه و اله) كفا من الحصى و رمى بها على قريش و قال: شأهت الوجوه، فلم يبق منهم أحد إلا اشتغل بفرك عينيه (٣) فكانت هزيمه قريش و وقف رسول الله (صلى الله عليه و اله) على قلب بدر بعد طرح جث المشركين فيه، و ناداهم بأسمائهم و قال: هل وجدت ما وعدكم ربكم حقا؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقا. فقال المسلمون: يا رسول الله أتأدى قوما قد ماتوا؟ فقال (صلى الله عليه و اله): إنهم ليسمعون كما تسمعون و لكن منعوا من الجواب (٤).

نتائج المعركة:

خلفت معركة بدر نتائج عظيمه فقد فرّ المشركون نحو مكه و الخيبه و الذل يحيطان بهم من كل جانب تاركين خلفهم سبعين قتيلا و سبعين أسيرا و غنائم كثيره... و بدت بين صفوف المسلمين المنتصرين بوادر اختلاف حول كيفية

ص: ١٣٤

١- ((١)) المغازى: ٦١/١، بحار الأنوار: ٢٥٢/١٩.

٢- ((٢)) المغازى: ٦٨/١.

٣- ((٣)) إعلام الورى: ١٦٩/١، السيره النبويه: ٦٢٨/١.

٤- ((٤)) إعلام الورى: ١٧١/١، السيره النبويه: ٦٣٨/١.

تقسيم الغنائم فأمر النبي (صلى الله عليه و اله) بجمعها حتى يرى فيها رأيه، و نزل الأمر الإلهي في سورة الأنفال بتقسيم الغنائم و تشريع أحكام الخمس، فأعطى رسول الله لكل فرد مقاتل حصته على قدم المساواه مع غيره (١).

و بشأن الأسرى أعلن رسول الله (صلى الله عليه و اله) أنّ من علم من الأسرى عشره من صبيان المسلمين القراءه و الكتابه فذلك فداؤه مظهرا بذلك سماحه العقيدته الإسلاميه و حثها على التعلم و بناء الإنسان المتحضّر. و أما الباقي من الأسرى فجعل فداء كل واحد منهم أربعة آلاف درهم، و شمل هذا القرار أبا العاص زوج زينب بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) من دون تمييز له عن غيره من المشركين.

و حين أرسلت زينب قلاذتها لفداء زوجها بكى رسول الله (صلى الله عليه و اله) لرؤيه القلاذه متذكرا زوجته خديجه فالتفت (صلى الله عليه و اله) الى المسلمين قائلا: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها و تردّوا عليها مالها فافعلوا (٢). و ما أسر هذا الطلب لنبي الرحمة من المسلمين. و أسرع ابو العاص الى مكه ليرسل زينب الى المدينه كما وعد رسول الله (صلى الله عليه و اله) و سرت بشائر النصر و الفتح المبين نحو المدينه فأوجفت قلوب اليهود و المنافقين خيفه و رعبا و سعوا لتكذيب الخبر في حين انتشى المسلمون فرحا و سرورا و خرجوا لاستقبال النبي القائد المنتصر.

و حلّت الكارثه بأهل مكه و خيم الحزن على أجوائها و صعق المشركون من هول الصدمه و عمّت الأحزان بيوتات مكه و أطرافها.

و تضمّنت آيات الذكر الحكيم نصوصا صريحه عن هذه المعركه المصيريّه و هي تذكر تفاصيل الأحداث و تظهر الإمداد الإلهي للامه المسلمه المخلصه لربها

ص: ١٣٥

١- ((١)) المغازي: ١٠٤/١، السيره النبويه: ١/٦٤٢.

٢- ((٢)) السيره النبويه: ١/٦٥٢، البحار: ١٩/٣٤٨.

وقد استبسل على بن أبى طالب (عليه السلام) للدفاع فى هذه الغزوه الكبرى حين قتل الوليد بن عتبه و أعان عمه حمزه و عبده بن الحارث على قتل شبيهه و عتبه منازلًا لهما. و قد عدّ الشيخ المفيد سته و ثلاثين نفرا ممن قتلهم على (عليه السلام) يوم بدر سوى من اشترك فى قتله (٢)، و قال ابن اسحاق: اكثر قتلى المشركين يوم بدر كان لعلى (٣).

و ألجأت هذه الهزيمه قريشا الى تحويل مسير تجارتها من الشام الى العراق بعد أن أصبح للمسلمين كيان قوى، له آثاره على تركيبه مجتمع الجزيره حيث بدت تظهر بالتدريج و بدأت قريش تفقد هيبتها بين القبائل فى الوقت الذى أخذت تشتد أوامر المسلمين فيما بينهم و بين الرسول القائد (صلّى الله عليه و اله).

٢- اهتمام النبى (صلّى الله عليه و اله) بزواج الزهراء (عليها السلام):

حلّت الزهراء من قلب النبى المصطفى (صلّى الله عليه و اله) المنزله الرفيعه إذ كان يجد فيها السلوه و العزاء، و الصوره الطيبه التى تركتها خديجه (عليها السلام)، و الذريه الطاهره.

و شاركت الزهراء (عليها السلام) النبى (صلّى الله عليه و اله) هموم رساله و عملت كثيرا للتخفيف عنه حتى قال عنها: «إنها أم أبيها».

و حين بلغت الزهراء (عليها السلام) فى بيت النبوه مبلغ النساء و قد نهلت من معين النبوه و سلسيل رساله خطبها أكابر قريش من أهل الفضل و السابقه فى الإسلام و الشرف و المال إلى النبى (صلّى الله عليه و اله) و هو يردّهم بحكمه ردًا جميلا بقوله: «إني انتظر

ص: ١٣٦

١- ((١)) الانفال (٨): ٩، ١١، ١٢، ٤٢، ٤٤، و آل عمران (٣): ١٣ و ١٢٣ و ١٢٧.

٢- ((٢)) الارشاد: ٣٩-٤٠.

٣- ((٣)) المناقب: ١٢٠/٣.

فيها القضاء أو يقول: أنتظر أمر السماء (١).

و فرح النبي (صلى الله عليه و اله) بتقدم علي بن أبي طالب (عليه السلام) لخطبه فاطمه الزهراء (عليها السلام) و قال له: ابشرك يا علي فإن الله عز و جل قد زوجكها في السماء من قبل أن أزوجه في الأرض، و قد هبط علي من قبل أن تأتي ملك من السماء فقال: يا محمد إن الله عز و جل - أطلع إلى الأرض إطلاعه فاخترتك من خلقه فبعثك برسالته، ثم أطلع إلى الأرض ثانية فاختر لك منها أخا و وزيرا و صاحباً و ختنا فزوجه ابنتك فاطمه (عليها السلام)، و قد احتفلت بذلك ملائكة السماء. يا محمد إن الله عز و جل - أمرني أن آمرك أن تزوج علياً في الأرض فاطمه، و تبشرهما بغلامين زكيين نجيين طاهرين خيرين فاضلين في الدنيا و الآخرة (٢).

و أمام جمع من المهاجرين و الأنصار أجرى رسول الله (صلى الله عليه و اله) عقد الزواج لقاء مهر يسير ليحمله سنه تقتدى به الامه. و حين وضع أثاث بيت الزهراء (عليها السلام) بين يدي الرسول (صلى الله عليه و اله) و كان أكثر أوعيته من الخزف دمعت عيناه و هو يقول:

اللهم بارك لأهل بيت جل آنتهم من الخزف (٣) و أبدى النبي (صلى الله عليه و اله) اهتماماً بالغاً في زواج ابنته الزهراء (عليها السلام) في كل تفاصيله، و قد تجلت ناحيه من نواحي اهتمامه (صلى الله عليه و اله) بذلك في دعائه للزوجين يوم الزفاف إذ قال: «اللهم اجمع شملهما و ألف بين قلوبهما و اجعلهما و ذريتهما من ورثه جنه النعيم و ارزقهما ذرية طاهره طيبه مباركه و اجعل في ذريتهما البركه و اجعلهم أئمه يهدون بأمرك إلى طاعتك و يأمرن بما رضيت».

و قال (صلى الله عليه و اله) أيضاً: «يا رب إنك لم تبعث نبياً إلا و قد جعلت له عتره اللهم فاجعل عترتي الهاديه من علي و فاطمه» ثم قال: «طهر كما الله و طهر نسلكما، أنا سلم لمن سالمكما

ص: ١٣٧

١- (١) حياه النبي و سيرته: ٣٠٩/١، نقلا عن المنتقى للكازروني اليماني.

٢- (٢) كشف الغمه: ٣٥٦/١-٣٥٨.

٣- (٣) كشف الغمه: ٣٥٩/١.

٣-الصدام المباشر مع اليهود و اجلاء بنى قينقاع:

لمس اليهود خطر تنامى قوه الإسلام و المسلمين فى المدينه.فالكيان الطرى أصبح أشد عودا و أقوى شكيمه و تحولت الرساله الإسلاميه الى قوه تحكم.

و قبل بدر كانت معاهده الصلح صَمَام الأمان الذى يقبض على طرفى الصراع و يحول دون الانفجار،لكن النصر المؤزر للمسلمين فجر روح العداء و ألهب نزعهُ الشّرّ اليهوديه تعينها أطراف النفاق الاخرى،و جعلوا يتغامزون و يتآمرون،و يرسلون الأشعار و يجهدون فى التحريض على المسلمين الذين أصبح لهم سلطان جديد مضافا إلى دينهم الجديد.

و لم تكن أخبارهم لتخفى على الرسول(صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ و اله).و تحركت فى نفوس المسلمين الجرأه فى الدفاع و الحرص على الإسلام و النبى(صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ و اله)، فلم يتمالك الفدائى المسلم-هو سالم بن عمير-نفسه حين سمع رجلا مشركا-هو أبو عفك من بنى عوف-يسىء للنبي فقتله (٢)و تكررّت المحاوله مع مشركه حاقده-هى عصماء بنت مروان-(٣)و تمكن المسلمون أيضا من اغتيال كعب بن الأشرف إذ تمادى فى التعريض و الاستهزاء و النيل من أعراض المسلمين (٤).

و لم تتوقف مساعى اليهود التحريضية و نشر الأباطيل و الدعايات الكاذبه و التشهير بالمسلمين ناقضين بذلك عهد المودعه و التعايش السلمى و أراد نبى الرحمه(صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ و اله)أن يخلص و إياهم الى الاستقرار فخرج رسول الله(صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ و اله)الى يهود

ص:١٣٨

١- ((١) كشف الغمه:٣٦٢/١، مناقب آل أبى طالب:٣/٣٥٥.

٢- ((٢) المغازى:١/١٧٤.

٣- ((٣) المصدر السابق:١/١٧٢.

٤- ((٤) السيره النبويه:٥١/٢.

بنى قينقاع يدعوهم بالحكمه و الموعظه الحسنه و يندرهم من مغته سياساتهم و تصرفاتهم اللامحموده فقال لهم بعد أن جمعهم فى سوقهم: «يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمه، و أسلموا فإنكم قد عرفتم أنى رسول الله تجدون ذلك فى كتابكم و عهد الله إليكم».

و لم يزدهم ذلك إلا- علوا و استكبارا فقالوا: يا محمد لا يغرنك من لقيت، أنك قهرت اقواما أغمارا و إنا و الله اصحاب الحرب و لئن قاتلنا لتعلمن أنك لم تقاتل مثلنا (١).

و تجلت حسه اليهود حين أسأوا إلى امرأه من المسلمين و نالوا من كرامتها و انتهى الأمر الى قتل يهودى و مسلم فعندها سار النبي (صلّى الله عليه و اله) بالمسلمين فحاصر يهود بنى قينقاع فى دورهم خمسه عشر يوما متتابعه لا يخرج منهم أحد و لا يدخل عليهم أحد، فلم يبق لهم إلا الاستسلام و النزول على حكم النبي (صلّى الله عليه و اله) بجلائهم عن المدينه تاركين عدتهم و أدواتهم، فخلت المدينه من أهم عناصر الشر و ساد الهدوء السياسى فيها إذ تضاعف تواجد و دور غير المسلمين فى المدينه، بعد أن لمسوا قوه المسلمين و تطوّر التنظيم الإدارى و ازدياد قوه القياده و الدوله الإسلاميه التى كانت تعمل وفق مخطط حكيم.

٤- ردود فعل قريش بعد انتصارات المسلمين:

جمع أبو سفيان عددا من فرسان قريش و قادهم نحو المدينه تدفعهم نواياهم الغادره إلى الفتك بالمسلمين و ردّ اعتبار قريش المفقود فى بدر. و على مقربه من المدينه عاشوا فى الأرض فسادا و كروا فازين خوفا من أن تنالهم سيوف المسلمين.

و خفّ النبي (صلّى الله عليه و اله) و المسلمون فى أثر المشركين يدفعهم و لاؤهم لدينهم

ص: ١٣٩

تأكيداً منهم على الدفاع عن سيادة الدوله الفتية و حفظها من أيادي السوء...

وقد اتخذ المشركون كل ما يعينهم على الهرب فألقوا ما معهم من (سويق) و هو مؤونتهم، و التقطه المسلمون من خلفهم و سميت الغزوه بذلك غزوه السويق و كان هذا خزيا آخر لحق قريشا. و تأكيداً للقبائل التي تطاير الخبر إليها أنّ وجود الإسلام كقوه منظمه قد أصبح واقعا مفروضا.

و كان همّ النبي (صلى الله عليه و اله) في هذه المرحله توفير الأمان في أوساط المجتمع المسلم في المدينه و صدّ أيّ عدوان محتمل. على أن بعض القبائل التي كانت تأبى الدخول في الاسلام و تبطن العداء له لم تكن لتتهدى الى تصرف مناسب مع الرسول و المسلمين، فكانوا يعدون العده للهجوم على المدينه و يفرون حين يسمعون بخروج النبي (صلى الله عليه و اله) لهم.

و خرجت سريره اخرى بقياده زيد بن حارثه بعد أن وجهها النبي (صلى الله عليه و اله) لقطع الطريق الجديد لتجاره قريش عن طريق العراق. و قد نجحت السريه في مهمتها.

٥- غزوه احد :

(١)

مرّت الأيام التي تلت معركة بدر ثقيله على قريش و المشركين. و في المدينه لم يزل النبي (صلى الله عليه و اله) يواصل عملته بناء الانسان و الدوله حيث كانت الآيات الإلهيه تترى و هي تشرّع للانسان سلوكه و حياته و النبي (صلى الله عليه و اله) يفضّل التعاليم و يطبق الأحكام و يهدى الى طاعه الله.

و تظافرت الأسباب و الدواعى عند مشركى مكه و من والاهم لخوض حرب جديده ضد الإسلام تزيج عن كاهلهم كابوس الهزيمة في بدر و تطفىء غليل الحقد

ص: ١٤٠

١- (١) وقعت معركة أحد في شوال من السنه الثالثه للهجره.

الذى ما زال يؤججه أبو سفيان زعيم البيت الاموى و الخاسر الأكبر فى بدر، كما كان عويل النساء و مطامع التجار الذين فقدوا كل الطرق الآمنه للتجاره عاملين آخرين لذلك.

فكانت الحرب محاوله لإضعاف المسلمين و تأمين طرق التجاره الى الشام، و الحدّ من تنامى قوه المسلمين العسكريه لتجنيب مكه من خطر الاحتلال و القضاء على الشرك فيها. مما أسهم فى إعداد الحرب أيضا تحريض يهود و منافقى المدينه لقريش و غيرها لغزو المدينه و القضاء على الإسلام.

و سارع العباس بن عبد المطلب إلى الكتابه للنبي (صلى الله عليه و اله) يخبره عن اجتماع كلمه قريش على الحرب و تهيتهم للعدّه و العدد حيث استنفروا معهم القبائل و اتخذوا عدّه أساليب لإثاره الحرب و العزيمه على القتال إذ خرجت النسوه معهم.

و وصل الكتاب سرّا الى النبي (صلى الله عليه و اله) فكنتم الخبر عن المسلمين حتى يستوضح الأمر و يعدّ له العدّه اللازمه.

و اقتربت جحافل الشرك من المدينه فبعث النبي (صلى الله عليه و اله) الحباب بن المنذر سرا ليستطلع العدو-بعد أن بعث أنسا و مؤنسا ابني فضاله-فجاء الخبر و الوصف متوافقين مع كتاب العباس و خبر ابني فضاله، و بات عدد من المسلمين من الذين أخبرهم رسول الله (صلى الله عليه و اله) بالخبر فى حيطه و حذر خشيه مداهمه العدو.

ثم استشار رسول الله (صلى الله عليه و اله) أصحابه بعد أن أعلن قدوم قريش للحرب فاختلفت آراؤهم بين التحصّن فى المدينه أو الخروج لملاقاه العدو خارجها. و لم يكن عسيرا على النبي (صلى الله عليه و اله) أن يحدد الخطه مسبقا لكنه أراد أن يشعر المسلمين بمسؤوليتهم. ثم كان الاتفاق على خروج المسلمين للقاء العدو و قتاله خارج المدينه. ثم صلى النبي (صلى الله عليه و اله) صلاه الجمع و صعد المنبر و خطب و أخذ يعظ الناس و يذكرهم بطاعه الله و أمرهم بالجد و الجهاد و الصبر. ثم نزل و دخل داره و لبس

لامته مما أثار المسلمين و هزهم بشده و ظنوا أنهم أكرهوا الرسول(صلى الله عليه و اله)على الخروج من المدينه فقالوا:يا رسول الله ما كان لنا أن نخالفك،فاصنع ما بدا لك.

فقال(صلى الله عليه و اله):ما ينبغي لنبى إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل (١).

و خرج النبى(صلى الله عليه و اله)فى ألف مقاتل من المسلمين و رفض أن يستعين باليهود ضد المشركين قائلا:لا تستنصروا بأهل الشرك على أهل الشرك (٢).و لم يستطع المنافقون إخفاء حقدهم فانخذل عبد الله بن ابى عن رسول الله بثلاثه ثمته و بقى رسول الله بسبعمئه و كان المشركون أكثر من ثلاثه الآف (٣).

و عند جبل أحد وضع النبى(صلى الله عليه و اله)خطه محكمه ليضمن النصر المؤزر ثم قام(صلى الله عليه و اله)فخطب الناس قائلا: «أيها الناس أوصيكم بما أوصانى الله فى كتابه من العمل بطاعته و التناهى عن محارمه،ثم إنكم اليوم بمنزل أجر و ذخر لمن ذكر الذى عليه،ثم و طن نفسه له على الصبر و اليقين و الجد و النشاط فإنّ جهاد العدو شديد كربه،قليل من يصبر عليه،إلاّ من عزم الله رشده،فإن الله مع من أطاعه و إن الشيطان مع من عصاه،فافتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد و التمسوا بذلك ما وعدكم الله،و عليكم بالذى أمركم به،فإنى حريص على رشدكم فإن الاختلاف و التنازع و التشييط من أمر العجز و الضعف مما لا يجب الله،و لا يعطى عليه النصر و لا الظفر» (٤).

و اصطف المشركون للقتال الذى سرعان ما نشب و لم يمض زمن طويل حتى و لت قوى الشرك الأدبار،و كادت نساؤهم أن تقع بأيدي المسلمين سبايا، و بدا انتصار المسلمين واضحا فى ساحه المعركه حتى وسوس الشيطان فى نفوس

ص: ١٤٢

١- ((١)) السيره النبويه: ٢٣/٢، المغازى: ١/٢١٤.

٢- ((٢)) الطبقات لابن سعد: ٣٩/٢.

٣- ((٣)) الطبرى: ١٠٧/٣.

٤- ((٤)) المغازى: ١/٢٢١.

بعض الرماه الذين وضعهم رسول الله (صلى الله عليه و اله) فوق الجبل و أمرهم بعدم ترك مكانهم مهما كانت نتيجة المعركه حتى يتلقوا أمرا جديدا منه فعصوا أمر رسول الله (صلى الله عليه و اله) و تركوا مواقعهم سعيا وراء الغنائم فكزت قوى الشرك ثانيه بقياده خالد بن الوليد من موقع الثغره التى نهى رسول الله (صلى الله عليه و اله) عن تركها.

فذهل المسلمون لذلك و تفرقت جموعهم و عادت فلول قريش المنهزمه الى الحرب و قتل عدد كبير من المسلمين و أشاع المشركون نبأ مقتل رسول الله (صلى الله عليه و اله) و كادت كتائب الشرك أن تصل الى النبي (صلى الله عليه و اله) لو لا استبسال على بن أبى طالب و حمزه بن عبد المطلب و سهل بن حنيف و قله قليله ثبتت فى ساحه المعركه إذ فزت البقيه الباقيه من المسلمين بما فيهم كبار الصحابه (١)، حتى أن بعضهم بدرت منه فكره التبرى من الإسلام فقال: ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن ابى يأخذ لنا أمانا من أبى سفيان (٢).

و استشهد حمزه بن عبد المطلب عم النبي (صلى الله عليه و اله) و تعرض رسول الله (صلى الله عليه و اله) للإصابه فكسرت ربايته السفلى و شقت شفته و سال الدم على وجهه فجعل يمسحه و هو يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم و هو يدعوهم الى الله (٣) و قاتل (صلى الله عليه و اله) حتى صارت قوسه شظايا. و طعن ابى بن خلف حين هجم عليه يريد قتله (صلى الله عليه و اله) و مات ابى على أثرها و استبسل على ابن أبى طالب بصوره لا- نظير لها و هو يفرق كل من يتقدم نحو رسول الله و يهده بسيفه فنزل جبرئيل على رسول الله (صلى الله عليه و اله) فقال: يا رسول الله هذه المواساه، فقال (صلى الله عليه و اله): «إنه منى و أنا منه».

ص: ١٤٣

١- ((١)) المغازى: ٢٣٧/١، السيره النبويه: ٨٣/٢، شرح نهج البلاغه: ٢٠/١٥.

٢- ((٢)) بحار الأنوار: ٢٧/٢٠. و قد وردت آيات القرآن تبين القتال و نوازع المسلمين فى سوره آل عمران: ١٢١/٣-١٨٠.

٣- ((٣)) تاريخ الطبرى: ١١٧/٣، بحار الأنوار: ١٠٢/٢٠.

فقال جبرئيل: و أنا منكما، فسمعوا صوتا يقول: «لا سيف إلا ذو الفقار و لا فتى إلا علي» (١).

و انسحب الرسول (صلى الله عليه و اله) و البقيه الباقيه معه من المسلمين الى الجبل و هدأت المعركه و جاء أبو سفيان يستهزئ و يسخر بالمسلمين قائلا: اعل هبل.

و أمر رسول الله (صلى الله عليه و اله) أن يرد على الكفر مظهرا بذلك عدم انكسار العقيده رغم الانكسار فى ساحه المعركه فقال قولوا: «الله أعلى و أجل».

و أمر النبي (صلى الله عليه و اله) بالردّ ثانيه على شعار أبي سفيان الكافر حين قال: نحن لنا العزى و لا- عزى لكم فقال (صلى الله عليه و اله): قولوا «الله مولانا و لا مولى لكم» (٢).

و رجع المشركون إلى مكّه و قام النبي (صلى الله عليه و اله) و المسلمون بدفن الشهداء فهالهم المنظر الفظيع الذى تركته قريش فقد مثّلت بجثث الشهداء. و لما أبصر النبي (صلى الله عليه و اله) حمزه بن عبد المطلب ببطن الوادى و قد اخرج كبده و مثّل به بوحشيه و حقد؛ حزن حزنا شديدا و قال: ما وقفت موقفا قط أعيظ إلى من هذا.

و لم تكن التضحيات الجسام و الخساره الكبيره فى ساحه المعركه لتثنى أهل العقيده و الرسول القائد (صلى الله عليه و اله) عن الاستمرار فى الدفاع عن حياض الإسلام و كيان الدوله الفتيه، ففى اليوم التالى من رجوعهم إلى المدينه أمر النبي (صلى الله عليه و اله) باستنفار المسلمين لطلب العدو و مطاردته على أن لا يخرج إلا من حضر الغزوه فخرج المسلمون على ما بهم من جراح إلى منطقه حمراء الأسد و بهذا أتبع الرسول القائد (صلى الله عليه و اله) اسلوبا جديدا لإرعاب العدو، ممّا جعل الخوف يسيطر عليهم فأسرعوا فى مسيرهم نحو مكّه (٣) و رجع النبي (صلى الله عليه و اله) و المسلمون إلى المدينه و قد استردوا

ص: ١٤٤

١- ((١)) تاريخ الطبرى: ١١٦/٣، مجمع الزوائد: ١١٤/٦، بحار الأنوار: ٧١/٢٠.

٢- ((٢)) السيره النبويه: ٩٤/٢.

٣- ((٣)) السيره النبويه: ١٠٢/٢، الطبقات الكبرى: ٤٩/٢.

كثيرا من معنوياتهم.

٦-محاولات الغدر بالمسلمين:

كان من الطبيعي في مجتمع تحكمه القوه و الغلبه بالسيف أن يطمع المشركون في المسلمين بعد النكسه في احد،لكن النبي القائد(صلى الله عليه و اله) كان يقظا و مدركا لكل المتغيرات حريصا على سلامه الرساله و قوتها مجتهدا في بناء الدوله و المحافظه عليها،فكان يتحسس الأخبار و يستطلع النوايا و يسرع في الرد قبل أن يدرك المشركون أهدافهم فخرجت سريه أبي سلمه ترد غدر بني أسد بالمدينه و نجحت السريه في مهمتها (١)و تمكن المسلمون أيضا من رد كيد مشرك كان يعد لغزو المدينه.

و قد تمكنت جماعه من المشركين من الغدر بالمسلمين حين قدم جمع من قبيلتي «عضل»و«القاره»إلى رسول الله(صلى الله عليه و اله)تطلب من يفقهها الدين و استجاب نبي الرحمه(صلى الله عليه و اله)سعيًا منه لنشر الرساله الاسلاميه و لكن يد الغدر فتكت بالمسلمين الدعاه عند منطقه«ماء الرجيع». و قبل أن يبلغ خبر مصرعهم إلى النبي(صلى الله عليه و اله)اقترح أبو براء العامري على النبي(صلى الله عليه و اله)أن يرسل مبلغين إلى أهل «نجد»يدعون إلى الإسلام بعد أن رفض هو الدخول في الإسلام،فقال النبي(صلى الله عليه و اله):إني أخشى عليهم أهل نجد..قال أبو براء:«لا تخف،أنا لهم جار».و قد كان للجوار اعتبار و اهميه تعدل النسب في عرف الجزيره العربيه لذا اطمأن النبي(صلى الله عليه و اله)و أرسل و فدا من الدعاه للتبليغ و لكن الغدر طالهم فعدا عليهم عامر بن الطفيل و قبائل بني سليم في منطقه«بئر معونه»و فتكوا بهم و لم يسلم منهم إلا عمرو بن اميه الذي أطلقوه فعاد إلى النبي(صلى الله عليه و اله)بالخبر و لكنه في طريقه قتل

ص:١٤٥

رجلين ظلّنا منه أنهما من العامريين، و لكن النبي (صلى الله عليه و اله) حزن لذلك و قال له: بنس ما صنعت قتلت رجلين كان لهما منى أمان و جوار، لأدفعنّ ديتهما» (١).

٧- غزوه بنى النضير :

(٢)

تتابعت النكبات على المسلمين حتى بدى للمنافقين و ليهود المدينة أن هيبه المسلمين قد ضاعت، و أراد النبي (صلى الله عليه و اله) بحكمته السياسيه أن يحدّد ملامح التصرف الصحيح مع يهود (بنى النضير) مبرزاً نواياهم، فاستعان بهم على دفع ديه القتيلين. فتلقوه قرب مساكنهم مرحّبين به و بجماعه من المسلمين و هم يضمرّون السوء، فطلبوا منه الجلوس ريثما يحققون له طلبه. فجلس مستنداً إلى جدار بيت من بيوتهم فأسرعوا- مستغلّين الفرصه- لإلقاء حجر عليه و قتله، فهبط الوحي عليه يخبره، فانسلّ من بينهم تاركاً الصحابه معهم، فاضطرب بنو النضير و أمسوا في حيره من أمرهم و باتوا قلقين بشده من سوء فعلتهم، و أسرع الصحابه الى النبي (صلى الله عليه و اله) في المسجد يستطلعون سرّ عودته فقال (صلى الله عليه و اله): «هتّ اليهود بالغدر بي فأخبرني الله بذلك فقامت» (٣).

و بذلك استحلّ الله دماءهم إذ نقضوا عهد المواعده مع النبي (صلى الله عليه و اله) و همّوا بالغدر به فلم يكن لهم إلاّ الجلاء عن المدينة. و تدخّل زعيم النفاق عبد الله بن ابى و غيره يمّنون بنى النضير بعدم الامتثال لأمر النبي (صلى الله عليه و اله) و الثبات له و وعدهم بأنّه و جماعته سيمدونهم مقابل النبي (صلى الله عليه و اله) و لن يخذلوهم، و تحصن بنو النضير في

ص: ١٤٦

١- ((١)) السيره النبويه ٣: ١٩٣-١٩٥.

٢- ((*)) وقعت هذه الغزوه في شهر ربيع الأول من السنه الرابعه للهجره.

٣- ((٢)) الطبقات الكبرى: ٥٧/٢، امتاع الاسماع: ١٨٧/١.

حصونهم متمردين على أمر النبي (صلى الله عليه و اله).

و استخلف النبي (صلى الله عليه و اله) ابن ام مكتوم على المدينة حين علم بمساعي المنافقين و خرج لمحاصره بنى النضير و أتبع معهم اسلوبا اضطرهم إلى التسليم و الخروج بما تحمله إبلهم فقط أذله خاسئين (١).

و غنم المسلمون أموالا و سلاحا كثيرا و لكن الرسول (صلى الله عليه و اله) جمع المسلمين و عرض عليهم رأيه فى أن تكون الغنائم للمهاجرين خاصة كى يتحقق لهم الاستقلال الاقتصادى إلا سهل بن حنيف و أبا دجانة- و هما من فقراء الأنصار- فأعطاهما النبي (صلى الله عليه و اله) من هذه الغنائم (٢).

٨- مناقشات عسكريه بعد احد:

ساد الهدوء و الاستقرار أجواء المدينة و اضطرب المنافقون قلقا من انكشاف أساليبهم و أيقنوا أن الدور القادم هو دور تحطيمهم. و فى هذا الظرف وردت أخبار للنبي (صلى الله عليه و اله) بأن غطفان تعدّ العده لغزو المدينة فأسرع النبي (صلى الله عليه و اله) و المسلمون فى الخروج إليهم و لكنهم فوجئوا بالعدو قد أعدّ و استعدّ لملاقاتهم فتهدّب كل من الفريقين الآخر و لم يقع أى قتال. و فى هذه الغزوه صلى النبي (صلى الله عليه و اله) صلاة الخوف بالمسلمين إذ لم يتسنّ لهم الغفلة عن العدو برهه من الزمن، و عاد المسلمون إلى المدينة دون قتال (٣)، و سميت هذه الغزوه ب(ذات الرقاع).

بدر الموعد(بدر الصفراء)

مرّت الأيام الحرجه على المسلمين بسرعه و قد ازدادوا خبره قتاليه

ص: ١٤٧

١- (١) و صفت سوره الحشر احداث جلاء بنى النضير.

٢- (٢) الارشاد: ٤٧.

٣- (٣) راجع السيره النبويه: ٢٠٤/٢.

و تنزلت عليهم أحكام الشريعة فتهذبت العلاقات و انتظمت شؤون حياتهم فى عامه جوانبها و ازداد الإيمان رسوخا و ثباتا و برزت نماذج رائعه من الصمود و التضحية و الفداء و الإخلاص للدين الإسلامى و للامه المسلمه و أوشكت أن تنمحي آثار الانكسار فى احد. و حلّ موعد التهديد الذى أطلقه زعيم الكفر أبو سفيان فى احد حين قال: موعدا و موعداكم بدر، قاصدا الانتقام لقتلى المشركين يوم بدر. فخرج النبى (صلى الله عليه و اله) فى ألف و خمسمائه مقاتل من أصحابه و عسكر هناك ثمانيه أيام و لم تفلح مساعى المشركين لتخويف المسلمين و ثنيهم عن الخروج بل تملكهم الخوف حين علموا بما عزم عليه النبى (صلى الله عليه و اله) و المسلمون فاضطر أبو سفيان إلى أن يخرج إلى الموعد المحدد و لكنه كثر راجعا بحجّه الجفاف و الجذب المؤثر على الاستعداد العسكرى. و بذلك و صمت قريش بعار الهزيمة و الجبن و ارتفعت معنويات المسلمين و استردوا عافيتهم و نشاطهم.

و بعد فتره قليله أفادت الأخبار بأنّ سكان دومه الجندل يقطعون الطريق و يتجهزون لغزو المدينه، فخرج اليهم النبى (صلى الله عليه و اله) بألف من المسلمين للقائهم، و ما أن سمعوا بخروجه إليهم حتّى لاذوا بالفرار مخلفين وراءهم ما كان معهم من غنائم فاستولى عليها المسلمون دون قتال (١).

٩- غزوه بنى المصطلق و دور النفاق:

و وردت أخبار جديده تفيد بأن الحارث بن أبى ضرار-زعيم بنى المصطلق- يعدّ لغزو المدينه فاستوثق النبى (صلى الله عليه و اله)-كعادته قبل كل تحرك- من صدق الخبر و ندب المسلمين فخرجوا إليهم و التقوا عند ماء يدعى «المريسيع» و نشبت الحرب ففر المشركون بعد قتل عشره اشخاص منهم، و غنم المسلمون

ص: ١٤٨

١- ((١)) السيره النبويه لابن كثير: ١٧٧/٣، الطبقات الكبرى: ٦٢/٢.

غنائم كثيره و سببت أعداد كبيره من عوائل بنى المصطلق، كانت من بينهم جويريه بنت الحارث فأعتقها النبي (صلى الله عليه و اله) ثم تزوجها، و أطلق المسلمون ما فى أيديهم من الأسرى إكراما لرسول الله (صلى الله عليه و اله) و لها (١).

و فى هذه الغزوه كادت أن تقع فتنه بين المهاجرين و الأنصار بسبب بعض النعرات القبليّه و لما علم النبي (صلى الله عليه و اله) بذلك قال «دعوها فإنها فتنه» (٢). و أسرع عبد الله بن ابي رأس النفاق يبتغى الفتنه و يؤجج الخلاف فوجه اللوم لمن حوله من أهل المدينه إذ آووا و نصروا المهاجرين ثم قال: أما و الله لئن رجعنا إلى المدينه ليخرجنّ الأعز منها الأذل، و كادت أن تفلح مساعى ابن ابي لو لا أنّ النبي (صلى الله عليه و اله) - بعد أن توثق من تحريض ابن أبي و نفاقه - أمر بالعوده إلى المدينه على وجه السرعه رافضا رأى عمر بن الخطاب بقتل ابن ابي فقال (صلى الله عليه و اله): «فكيف يا عمر إذا تحدّث الناس أن محمدا يقتل أصحابه؟!» (٣). و لم يأذن النبي (صلى الله عليه و اله) بالاستراحه فى الطريق فسار بالمسلمين يوما و ليله ثم أذن لهم بالاستراحه فأخلد الجميع للنوم من شده التعب و لم تتح فرصه للتحدّث و تعميق الخلاف. و على أبواب المدينه طلب عبد الله بن عبد الله بن ابي الإذن من النبي (صلى الله عليه و اله) فى قتل أبيه بيده دون أحد من المسلمين خشيه أن تثيره العاطفه فيثار لأبيه فقال نبي الرحمه (صلى الله عليه و اله): «بل نترفق به و نحسن صحبته ما بقى معنا». ثم وقف عبد الله (الأبن) ليمنع أباه من دخول المدينه إلّا بإذن من الرسول الأكرم (صلى الله عليه و اله) (٤)، و فى هذا الظرف نزلت سوره المنافقين لتفضح سلوكهم و نواياهم.

ص: ١٤٩

١- ((١)) تاريخ الطبرى: ٢٠٤/٣، امتاع الاسماع: ١٩٥/١.

٢- ((٢)) السيره النبويه: ٢٩٠/١.

٣- ((٣)) امتاع الأسماع: ٢٠٢/١.

٤- ((٤)) راجع السيره النبويه: ٢٩٢/٢.

برحمته الفياضه و بطيب قلبه المفعم حبا للإنسانيه وقف النبي(صلى الله عليه و اله) ذات يوم و قال لقريش: «يا من حضر إشهدوا أن زيدا هذا ابني» (١). و انتقل زيد من رقّ العبوديه إلى بنوه أكرم خلق الله و آمن زيد بالنبي المرسل(صلى الله عليه و اله) من أول أيام البعثه المباركه ايماننا صادقا. و مضت الأيام حتى بلغ زيد مرحله الرجوله فى ظل رعايه النبي الأكرم(صلى الله عليه و اله) و بجرأه الثائر العظيم و المصلح الكبير اختار النبي(صلى الله عليه و اله) زينب بنت جحش(ابنه عمته) زوجا لزيد، فامتنعت أن تتنازل عن مكانتها الاجتماعيه و نسبها الرفيع لتتزوج رجلا سبق له أن كان رقًا. و لكن إيمانها الصادق دفعها لتستجيب لأمر الله تعالى حيث يقول: **وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ (٢).**

و بذلك ضرب الرسول(صلى الله عليه و اله) مثالا رائعا للقضاء على الأعراف الجاهليه الباليه تطبيقا لقيم الرساله الخالده. و لكن تفاوت الثقافه و تنافر الطباع حالا دون نجاح تجربته رائده فى مجتمع كان لا يزال يعانى من ترسيبات الجاهليه و تدخل النبي(صلى الله عليه و اله) ليصلح ما فسد محاولا أن لا يصل إلى طريق مسدود فقال لزيد:

أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ وَ تَكَرَّرَتْ شَكْوَى زَيْدٍ مِنْ زَيْنَبَ فَكَانَ آخِرَهَا الطَّلَاقَ.

ثم نزل الأمر الإلهي ليبطل ما تعارف عليه العرب من اعتبار الأديعاء(من ادعى بنوتهم) أبناء فقال تعالى: **وَ مَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ**

ص: ١٥٠

١- ((١)) أسد الغابه: ٢/٢٣٥، الاستيعاب ماده: زيد.

٢- ((٢)) الأحزاب(٣٣): ٣٦.

وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (١)، و أبقى لهم حقّ الموالاه و الاخوه فى الدين.

و أراد الله سبحانه أن ينسف هذا العرف الباطل فأمر نبيه (صلى الله عليه و اله) أن يتزوج زينب بعد طلاقها من زيد، و إكمال عدتها بعد أن نزلت الآيات الكريمة تحثّ النبي (صلى الله عليه و اله) على إبطال هذا العرف الجاهلى و أن لا يخشى الناس بل يمضى فى تطبيق أحكام الله تعالى بكل شجاعه (٢).

ص: ١٥١

١- (١) الأحزاب (٣٣): ٤.

٢- (٢) راجع سوره الأحزاب (٣٣): ٣٧-٤٠، و راجع تفسير الميزان: ١٦/٢٩٠، مفاتيح الغيب: ٢٥/٢١٢، روح المعانى: ٢٢/٢٣.

إشاره

تظاهر قوى الشرك و الرد الإلهي الحاسم

تحالف قوى الشرك و غزوه الخندق:

أشرفت السنه الخامسه على الانقضاء و كانت كل الأحداث و التحركات العسكريه التى خاضها المسلمون تهدف الى الدفاع عن كيان الدوله الفتيه، و توفير الأمن فى محيط المدينه و أفرزت الأحداث تنوعا و تعددا فى الجهات و الأطراف المعاديه للدين و للدوله الإسلاميه. فسعى اليهود لاستثمار هذا التنوع بتجميعه و تمويله و إثارة النزعه العدائيه فيه لاستئصال الوجود الإسلامى من الجزيره، و من ذلك أنهم أوهموا المشركين الذين تساءلوا عن مدى أفضليه الدين الإسلامى على الشرك، بأن الوثنيه خير من دين الاسلام (1) و تمكنوا من جمع قبائل المشركين و تعبئتهم و سوقهم صوب المدينه عاصمه الدوله الإسلاميه. و سرعان ما وصل الخبر الى مسامع النبى (صلّى الله عليه و اله) و هو القائد المتحفز اليقظ و المدرك لكل التحركات السياسيه، من خلال العيون الثقاف.

و استشار النبى (صلّى الله عليه و اله) أصحابه فى معالجه الأمر و توصلوا الى فكره حفر خندق يحصّن الجانب المكشوف من المدينه. و خرج النبى (صلّى الله عليه و اله) مع المسلمين ليشاركهم فى حفر ذلك الخندق بعد تقسيم العمل بينهم و كان يحضّم بقوله:

ص: ١٥٣

١- (١) كما ورد فى قوله تعالى فى الآيه: ٥١ من سوره النساء.

«لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم إغفر للأَنْصار و المهاجره» (١).

و لم يخل الأمر عن دور للمنافقين و المتقاعسين عن العمل رغم الهمة و الحماس الذى أظهره المخلصون من المسلمين (٢).

و أحاطت قوى الأحزاب المشركه البالغه نحو عشره الاف مقاتل بالمدينه يمنعه الخندق و تسيطر عليها الدهشه لهذا الاسلوب الدفاعى الذى لم تكن تألفه من قبل. و خرج النبى (صلى الله عليه و اله) فى ثلاثه آلاف مقاتل و نزل فى سفح جبل سلع و وزع المهام و الأدوار لمواجهه الطوارئ.

و بقيت الأحزاب تحاصر المدينه ما يقرب من شهر عاجزين عن اقتحامها، و كانت هناك مواقف رائعه للمسلمين و كان بطلها الأوحده على بن أبى طالب (عليه السلام)، و قد توج النبى (صلى الله عليه و اله) موقف على بن أبى طالب البطولى عند ما خرج لمبارزه صناديد من صناديد العرب- هو عمرو بن عبدود- بعد أن أحجم المسلمون عن الخروج إليه بقوله (صلى الله عليه و اله): «برز الإيمان كله الى الشرك كله» (٣).

و حاول المشركون الاستعانه بيهود بنى قريظه بالرغم من انهم كانوا قد تعاهدوا مع رسول الله (صلى الله عليه و اله) ان لا يدخلوا فى حرب ضد المسلمين، و تيقن الرسول القائد (صلى الله عليه و اله) من عزمه اليهود على المشاركه فى القتال و فتح جبهه داخلية ضد المسلمين فأرسل اليهم سعد بن معاذ و سعد بن عباده فرجعوا مؤكدين الخبر فكبر الرسول (صلى الله عليه و اله) قائلاً: «الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين بالفتح» (٤).

ص: ١٥٤

١- (١) راجع البدايه و النهايه لابن كثير: ٩٦/٤، و المغازى: ٤٥٣/١.

٢- (٢) نزلت آيات من القرآن الكريم تفضح السلوك التخاذلى و تدعم مركزيه العمل بوجود الرسول القائد (صلى الله عليه و اله). راجع سوره الأحزاب، الآيات: ١٢-٢٠.

٣- (٣) بحار الأنوار: ٢١٥/٢٠. شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ٢٨٣/١٣ و ٢٩١/١٤-٢٩٢ و ٦٣/١٩-٦٤ و السيره النبويه: ٢٨١/٣ و راجع مستدرک الحاكم: ٣٢/٣.

٤- (٤) المغازى: ٤٥٦/١، بحار الأنوار: ٢٢٢/٢٠.

الضغط على المسلمين:

لقد تعرض المسلمون لضغوط عديدة أثناء الحصار منها:

١- تناقص الأقوات (المواد الغذائية) حتى بدى شبح المجاعة يدنو من المسلمين (١).

٢- صعوبة الظروف الجويه حيث البرد القارس فى ليالى الشتاء الطويله.

٣- الحرب النفسيه المريره التى شنتها جيوب المنافقين فى صفوف المسلمين و تخذيلهم عن القتال و تخويفهم من مغبه الاستمرار فى الصومود.

٤- السهر المستمر طوال مده الحصار حذرا من الهجوم المباغت، فقد أتعب ذلك المسلمين بالنظر إلى عددهم القليل اذا ما قيس الى كثره قوآت الأحزاب.

٥- غدر بنى قريظه حيث أصبح خطرا حقيقيا يهدد قوات المسلمين داخلها و يزيدهم قلقا على سلامه أهاليهم داخل المدينه.

هزيمه العدو:

لقد كانت قوى الأحزاب ذات نوايا و أهداف متخالفه، فاليهود كانوا يحاولون استعاده نفوذهم على المدينه بينما كانت قريش مندفعه بعداؤها للرسول و الرساله و كانت غطفان و فزاره و غيرها طامعه فى محاصيل خبير التى وعددها اليهود. هذا من جانب. و من جانب آخر أحدثت قسوه ظروف الحصار كللا و مللا فى نفوس الأحزاب الى جانب ما واجههوه من التحصين و قوه المسلمين التى أبدوها و ما قام به «نعيم بن مسعود» من إحداث شرخ فى تحالف الأحزاب

ص: ١٥٥

١- (١) راجع المغازى: ٢/٤٦٥، ٤٧٥، ٤٨٩.

و اليهود إذ أقدم-بعد اسلامه-الى الرسول(صلى الله عليه و اله)قائلا:مرنى ما شئت فقال له(صلى الله عليه و اله):«أنت فينا رجل واحد،فخذل عنا ما استطعت فإن الحرب خدعه».

و أرسل الله سبحانه و تعالى على الأحزاب ريحا عاتيه بارده أحدثت فيهم رعبا و قلقا فاقتلعت خيامهم و كفأت قدورهم،فنادى أبو سفيان بقريش للرحيل فأخذوا معهم من المتاع ما استطاعوا حمله و فروا هاربين و تبعتهم سائر القبائل حتى إذا أصبح الصباح لم يبق أحد منهم و كفى الله المؤمنين القتال (١).

غزو بنى قريظه و تصفيه يهود المدينه:

لقد كشف يهود قريظه عن الحقد و العداة الذى انطوت عليه نفوسهم يوم الخندق و لو لا أن الله أخزى الأحزاب لتمكن يهود بنى قريظه من الفتك بالمسلمين من خلف ظهورهم فكان لا بد للرسول(صلى الله عليه و اله)من معالجه موقفهم الخياني،و لهذا أمر النبي(صلى الله عليه و اله)أن يتحرك المسلمون لمحاصره اليهود فى حصونهم من دون أن يعطى فرصه للاستراحه مظهرها بذلك أهميه الحركه العسكريه الجديده فأذن المؤذن فى الناس:من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظه (٢).

و أعطى النبي(صلى الله عليه و اله)رايته لعلى(عليه السلام)و تبعه المسلمون مع ما بهم من ألم الجوع و السهر و الجهد من أثر محاصره الأحزاب... و استولى الهلع و الخوف على اليهود حين رأوا الرسول(صلى الله عليه و اله)و المسلمين يحيطون بهم و أيقنوا أن النبي غير منصرف عنهم حتى يناجزهم.

و طلب اليهود أبا لبابه بن عبد المنذر-و كان من حلفائهم الأوس-

ص:١٥٦

١- (١) نزلت سوره الأحزاب و فيها تفاصيل ما جرى يوم الخندق.

٢- (٢) الطبرى:١٧٩/٣.

يستشيرونه في أمرهم ولكنه كشف لهم عمّا كان يعلمه من مصيرهم حين قاموا إليه صغاراً و كباراً ليكون (١). ولم يقبل النبي (صلى الله عليه و اله) عرض بنى قريظه و هو الارتحال عن المدينة من دون عقوبه بسبب موقفهم الخياني السابق و أبى إلا النزول على حكم الله و رسوله، و حاول الأوس التوسط -بطلب من اليهود- لدى النبي (صلى الله عليه و اله) فقال (صلى الله عليه و اله): ألا ترضون أن أجعل بينى و بين حلفائكم رجلاً منكم؟ قالوا:

بلى يا رسول الله، قال (صلى الله عليه و اله): فقولوا لهم أن يختاروا من الأوس من شأؤوا. فاختار اليهود سعد بن معاذ (٢) حكماً و كان هذا من سوء حظ اليهود؛ لأن سعداً جاءهم يوم تجمعت الأحزاب طالباً منهم الحياد فى الموقف فأبوا ذلك. و كان سعد جريحاً فحملوه إلى رسول الله (صلى الله عليه و اله) فاستقبله و قال (صلى الله عليه و اله) لمن حوله: قوموا إلى سيدكم، فقاموا إليه. ثم حكم سعد بقتل الرجال و سبى النساء و الذرارى و تقسيم الأموال على المسلمين، فقال له النبي (صلى الله عليه و اله): لقد حكمت فيهم بحكم الله فوق سبع أرقعه (٣).

ثم إن رسول الله (صلى الله عليه و اله) قسّم أموال بنى قريظه و نساءهم و أبناءهم على المسلمين بعد ما أخرج الخمس، للفارس ثلاثة أسهم و للراجل سهم، ثم أعطى الخمس الى زيد بن حارثه و أمره أن يشتري بها خيلاً و سلاحاً و غيرها من عدّه الحرب استعداداً للمهام اللاحقه (٤).

ص: ١٥٧

١- ((١)) السيره النبويه: ٢٣٧/٢.

٢- ((٢)) السيره النبويه: ٢٣٩/٢، الارشاد: ٥٠.

٣- ((٣)) راجع السيره النبويه: ٢٤٠/٢، المغازى: ٥١٠/٢.

٤- ((٤)) السيره النبويه: ٢٤١/٢.

الباب الخامس

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

مرحلة الفتح

الفصل الثاني:

الاسلام خارج الجزيره

الفصل الثالث:

تصفيه الوجود الوثنى داخل الجزيره

الفصل الرابع:

أيام الرسول الأخيره

الفصل الخامس:

من معالم الرساله الاسلاميه

الخاتمه الفصل السادس:

تراث خاتم المرسلين (صلى الله عليه و اله)

ص: ١٥٩

اشاره

مرحلة الفتح

١- صلح الحديبيه:

اشاره

كادت تنقضى السنه السادسه للهجره و كانت تلك السنه سنه جهاد مستمر و دفاع مستميت بالنسبه للمسلمين. و اهتم المسلمون بنشر الرساله الإسلاميه و بناء الانسان و المجتمع الإسلامى و تكوين الحضاره الاسلاميه. و قد ادرك كل من كان فى الجزيره العربيه عظمه هذا الدين و عرف أن من المستحيل استئصاله و القضاء عليه، فالصراع مع قريش- و هى أكبر قوه سياسيه و عسكريه آنذاك- و مع اليهود و باقى القوى المشركه لم يمنع من انتشار الإسلام و سطوع معانيه و بلوغ أهدافه.

و لم يكن البيت الحرام ملكا لأحد أو حكرا لمذهب أو أصحاب معتقد معين، فقد كانت هنالك أصنام و أوثان متعدده يحج اليها من يعتقد بها، إلا أن طغيان قريش و عتوها صدّ النبي (صلّى الله عليه و اله) و المسلمين عن زياره البيت الحرام.

و فى هذه الفتره أدرك النبي (صلّى الله عليه و اله) حرج قريش فى موقفها تجاه الإسلام فقرر أن ينطلق بالمسلمين فى رحله عباديه مؤديا العمره، ليعلن من خلالها مواصلته للدعوه الإسلاميه و يوضح ما يمكنه من مفاهيم العقيدته الاسلاميه و معالمها و احترامها و تقديسها للبيت الحرام، و تكون حركته هذه مرحله انفتاح رسالى جديد و عهد انتقال من مرحله الدفاع الى مرحله الانتشار و الهجوم.

سلك الرسول (صلى الله عليه و اله) و أصحابه طريقا و عرا ثم هبطوا إلى منطقه سهله تدعى ب«الحديبيه» فبركت ناقه رسول الله فقال (صلى الله عليه و اله): «ما هذا لها عاده و لكن حبسها حابس الفيل بمكه» (١)، فأمر (صلى الله عليه و اله) المسلمين بالنزول فيها - و قال (صلى الله عليه و اله): «لا تدعوني قريش اليوم إلى خطه يسألوننى فيها صله الرحم إلا أعطيتهم إياها» (٢)، و لكن قريشا بقيت تترصد المسلمين و وقف فرسانها فى طريقهم، ثم بعثت إلى النبي (صلى الله عليه و اله) بديل بن ورقاء فى وفد من خزاعه لتستعلم هدف النبي (صلى الله عليه و اله) و تصده عن دخول مكه، و عاد الوفد ليقنع قريشا أن السلم و العمره هدف النبي (صلى الله عليه و اله)، و استكبرت قريش و بعثت بوفد آخر يرأسه الحليس - سيد الأحابيش - فلما رآه النبي (صلى الله عليه و اله) مقبلا قال: «إن هذا من قوم يتألهون» (أى يعظمون الله). فلما رأى الحليس الهدى رجع الى قريش من دون أن يلتقى بالنبي (صلى الله عليه و اله) ليقنع قريشا ان النبي (صلى الله عليه و اله) و المسلمين جاءوا معتمرين. و لكن لم تقتنع قريش فأرسلت مسعود بن عروه الثقفى الذى انههر من مشهد المسلمين و هم يتسابقون لالتقاط القطرات المتناثره من وضوئه (صلى الله عليه و اله) فعاد الى قريش قائلا: يا معشر قريش إنى قد جئت كسرى فى ملكه و قيصر فى ملكه و النجاشى فى ملكه، و إنى و الله ما رأيت ملكا فى قوم قط مثل «محمد» فى أصحابه، و لقد رأيت قوما لا يسلّمونه لشيء قط فروا رأيكم (٣).

و قد أعرب النبي (صلى الله عليه و اله) عن احترامه للأشهر الحرم من خلال رحله المسلمين العباديه حيث لم يحملوا معهم سوى سلاح المسافر، كما دعا القبائل المجاوره أن يكونوا الى جانب المسلمين فى هذه الرحله رغم أنهم لم يكونوا مسلمين مؤكدا أن العلاقه بين الاسلام و باقى القوى غير قائمه على أساس الحرب.

ص: ١٦٢

١- (١) بحار الأنوار: ٢٠/٢٢٩.

٢- (٢) الطبرى: ٣/٢١٦.

٣- (٣) المغازى: ٢/٥٩٨.

و استنفر النبي (صلى الله عليه و اله) ألفا و أربعمائة مسلم -على أقل التقادير- ساق الهدى أمامه (سبعين بعيرا). و بلغ قريشا نبأ خروج النبي (صلى الله عليه و اله) و المسلمون لأداء العمرة فأصبحت قريش فى ضيق من أمرها و كان أمامها طريقان: إما أن تسمح للمسلمين بأداء العمرة و بذلك يتحقق للمسلمين أملهم فى زيارته البيت الحرام و يحظى المهاجرون بالاتصال بأهلهم و ذويهم و ربما دعوتهم الى الاسلام، أو أن تمنع قريش المسلمين عن دخول مكة و بذلك ستعرض مكانه قريش للاهتزاز و تكون محطاً للوم القبائل الأخرى بسبب سوء معاملتها لقوم مسلمين يبتغون أداء مناسك العمرة و تعظيم الكعبة المشرفة لا غير.

لقد أبت قريش إلا العتو و المعاندة فأخرجت مجموعه من فرسانها تقدر بمئتي فارس بقيادة خالد بن الوليد لمواجهة النبي (صلى الله عليه و اله) و المسلمين. و لما كان النبي (صلى الله عليه و اله) قد خرج محرماً لا غازياً قال (صلى الله عليه و اله): يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب ما ذا عليهم لو خلوا بينى و بين سائر العرب فإن هم أصابوني كان الذى أرادوا، و إن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام و أفرين، و إن لم يفعلوا قاتلوا و بهم قوه، فما تظن قريش؟ فو الله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفه.

ثم أمر بالعدول عن طريق فرسان قريش تجنباً لوقوع قتال تتخذه قريش ذريعه لصحة موقفها و فخرا لها. و أرسل النبي (صلى الله عليه و اله) خراش بن امية الخزاعى ليفاوض قريشا فى الأمر، فعقروا ناقته و كادوا أن يقتلوه. و لم ترع قريش حرمة و لادمه للأعراف و التقاليد. و لم تلبث قريش أن كلفت خمسين رجلاً للتحرش بالمسلمين عسى أن يبدر منهم ما ينفى صفة السلم عنهم. و فشلت خطتهم و تمكن المسلمون من أسرهم فعفا رسول الله (صلى الله عليه و اله) عنهم مؤكداً بذلك هدفه السلمى (1).

ص: ١٦٣

و أراد النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَنْ يبعث الى قريش رسولا- آخر- و لم يتمكن من إرسال علي بن أبي طالب ممثلا- عنه؛ لأنَّ عليا كان قد وتر قريش بقتل صناديدها في معارك الدفاع عن الإسلام، فانتدب عمر بن الخطاب و لكن عمر خاف من قريش على نفسه رغم أنه لم يقتل فردا من أفرادها و اقترح على النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَنْ يرسل عثمان بن عفان (1)؛ لكونه أمويا و ذا قرابه مع أبي سفيان. و تأخر عثمان في العوده من قريش و اشيع خبر مقتله، فكان هذا إنذارا بفشل كل المساعي السلميه لدخول مكه. و لم يجد الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بدا من التهيؤ للقتال، و هنا كانت يبعه الرضوان إذ جلس النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) تحت شجره و أخذ أصحابه يبايعونه على الاستقامه و الثبات مهما كلف الأمر، و هدأ استنفار المسلمين بعوده عثمان. و ارسلت قريش سهيل بن عمرو لمفاوضه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

شروط الصلح:

و بسبب تشدد «سهيل» في شروط الصلح كادت المفاوضات أن تفشل، و أخيرا تمَّ الاتفاق على عدّه شروط للصلح، هي:

١- تعهّد الطرفين بترك الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس و يكفّ بعضهم عن بعض.

٢- من أتى محمّدا من قريش بغير إذن وليه ردّه عليهم، و من جاء قريشا ممّن مع «محمّد» لم يردّوه عليه.

٣- من أحب أن يدخل في عقد «محمّد» و عهده دخل فيه و من أحب أن يدخل في عقد قريش و عهدهم دخل فيه.

٤- يرجع «محمّد» بأصحابه إلى المدينه عامه هذا فلا يدخل مكه، و إنما

ص: ١٦٤

يدخل مكة في العام القادم فيقيم فيها ثلاثه أيام ليس معه سوى سلاح الراكب، و السيف في القرب (١).

٥- لا يستكره أحد على ترك دينه و يعبد المسلمون الله بمكة علانيه و بحريه و أن يكون الاسلام ظاهرا بمكة و أن لا يؤذى أحد و لا يعير (٢).

٦- لا إسلاال (سرقه) و لا إغلال (خيانه) بل يحترم الطرفان أموال الطرف الآخر (٣).

٧- لا تعين قريش على «محمد» و أصحابه أحدا بنفس و لا سلاح (٤).

و لم يرض نفر من المسلمين ببند الصلح، فاعترضوا على النبي (صلى الله عليه و اله) متصوّرين أنّ النبي (صلى الله عليه و اله) قد تراجع أمام قريش و لم يدركوا أن النبي (صلى الله عليه و اله) مسدد من الله و أنه ينظر بعين متطلّعه الى مستقبل الرساله الإسلاميه و مصالحها العليا. و ردّ النبي (صلى الله عليه و اله) على المعترضين بقوله: «أنا عبد الله و رسوله لن أخالف أمره و لن يضيعني».

و أقرّ النبي ما كرهه بعض المسلمين، و جاءت قضيه تسليم أبي جندل لقريش (٥) إثاره جديده في ظرف توتر فيه الوضع النفسى عند بعضهم.

و لكن هذا الصلح كان في الواقع فتحا مينا و كبيرا للمسلمين على خلاف ما كان يبدو للبعض من ظاهر بنود الصلح؛ إذ انقلبت شروط المعاهده لصالح المسلمين بعد قليل.

و في طريق الرجوع الى المدينه نزلت آيات القرآن الكريم (٦) لتؤكد البعد

ص: ١٦٥

١- (١) السيره الحلبيه: ٢١/٣.

٢- (٢) بحار الأنوار: ٣٥٢/٢٠.

٣- (٣) مجمع البيان: ١١٧/٩.

٤- (٤) بحار الأنوار: ٣٥٢/٢٠.

٥- (٥) السيره الحلبيه: ٢١/٣، السيره النبويه: ٢١٨/٢، بحار الأنوار: ٢٥٢/٢٠.

٦- (٦) راجع سوره الفتح (٤٨): ١-٧ و ١٨-٢٨.

الحقيقى للصالح مع زعيمه الوثنيه، و تبشّر المسلمين بدخول مكه قريبا.

نتائج صلح الحديبيه:

- ١- اعترفت قريش بكيان المسلمين كقوه عسكريه و سياسيه منظمه، و كدوله حقيقه جديده.
- ٢- دخلت المهابه فى قلوب المشركين و المنافقين و تصاعر دورهم، و ظهر ضعفهم عند مواجهه.
- ٣- أعطت الهدنه فرصه لنشر الاسلام و دخلت قبائل كثيره فى الاسلام. و قد كان رسول الله (صلّى الله عليه و اله) يتوقّع منذ بدء حركته الرساليه الإسلاميه أن تترك قريش له فرصه يعبر فيها بحريه عن موقفه، و يشرح الإسلام للناس بأمان.
- ٤- أمن المسلمون جانب قريش فحوّلوا ثقلهم و جهودهم لمواجهه اليهود و سائر المناوئين.
- ٥- جعلت مفاوضات الصلح حلفاء قريش يفقهون موقف المسلمين و يميلون إليهم.
- ٦- مكّن الصلح النبيّ (صلّى الله عليه و اله) من أن يرأس الملوك و رؤساء الدول خارج الجزيره لدعوتهم إلى الاسلام، و أن يستعدّ لغزوه مؤته، كخطوه لنقل الإسلام خارج منطقه الجزيره العربيه.
- ٧- مهّد الصلح لفتح مكه-التي كانت أهم قلاع الوثنيه حين ذاك- فى مراحل لاحقه.

٢- انطلاقه الرساله الاسلاميه الى خارج المدينه:

لقد كانت محاولات قريش للقضاء على الاسلام فيما مضى عاملا لانشغال النبيّ (صلّى الله عليه و اله) و المسلمين فى معارك الدفاع و التحصين و تثبيت أركان الدوله

و المجتمع الإسلامى عده سنين فلم يستطع خلالها أن يبلغ بحريه تامه رسالته السماويه العالميه و الخاتمه لكل الأديان. و لكن بتوقيع معاهده صلح الحديبيه أمن الرسول جانب قريش و أتاحت هذه العمليه فرصه مناسبه لأن يبعث الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و اله) سفراء الى زعماء القوى الكبرى المحيطه بالجزيره العربيه و الى كل رؤساء المجاميع فى الجزيره و خارجها يدعوهم الى الاسلام بعد بيان التعاليم الإلهيه لهم.

فقد روى أنه (صلّى الله عليه و اله) قال فى أصحابه: «أيها الناس إن الله قد بعثنى رحمه و كافه فلا تختلفوا علىّ كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم».

فقال أصحابه: و كيف اختلف الحواريون يا رسول الله؟ قال (صلّى الله عليه و اله): «دعاهم الى الذى دعوتكم إليه فأما من بعثه مبعثا قريبا فرضى و سلّم و أما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وجهه و تناقل» (١).

و انطلقت رسل الدعوه و الهدايه تنقل أمر رسول الله (صلّى الله عليه و اله) الى نقاط العالم المختلفه (٢).

٣- غزوه خيبر :

(٣)

بجهود صادق و بحنكه كبرى و شجاعه فائقه و تسديد إلهى ارتقى النبى (صلّى الله عليه و اله) بالمسلمين سلّم الوعى الرسالى و الثبات و الخير و زرع فيهم روح الصبر و التواصل.. و انطلق (صلّى الله عليه و اله) برسالته السماويه إلى العالم الإنسانى خارج الجزيره العربيه من خلال كتبه و رسله الى زعماء القوى المجاوره.

ص: ١٦٧

١- ((١)) السيره النبويه: ٦٠٦/٢، و الطبقات الكبرى: ٢٦٤/١.

٢- ((٢)) قد عدّ علماء الاسلام ما يقارب من (١٨٥) كتابا و رساله بعثها رسول الله (صلّى الله عليه و اله) إلى كل القوى يدعوها إلى الإسلام. راجع: مكاتيب الرسول لعلى بن حسين على الأحمدي.

٣- ((*)) وقعت هذه الغزوه فى شهر جمادى الآخره من السنه السابعه للهجره، راجع الطبقات الكبرى: ٧٧/٢.

و توقع النبي (صلى الله عليه و اله) أن تكون ردود الفعل مختلفه فقد يكون بعضها هجوما عسكريا يقصد المدينه مستعينا بما فيها من بقيه جيوب المنافقين و اليهود و هم الذين حفل تاريخهم بالغدر و الخيانه.

و كانت خبير تمثّل حصنا قويا و مركزا كبيرا لليهود و لهذا قرر النبي (صلى الله عليه و اله) أن يقضى على هذه القوه المتبقيّه، فلم يلبث بعد عودته من الحديبيه إلّا أياما قلائل حتى جهّز جيشا بلغ تعداده ألفا و ستمائه من المسلمين مؤكدا لهم أن لا يخرجوا فى ابتغاء الغنيمه و قال (صلى الله عليه و اله): «لا يخرجنّ معنا إلّا راغب فى الجهاد» (١).

و اتّبع النبي (صلى الله عليه و اله) اسلوبا يوهّم حلفاء اليهود و يمنعهم عن المبادره لنصرتهم؛ تجنبا لمزيد من القتال.

فباغتت قوات المسلمين حصون اليهود يتقدمها على بن أبى طالب (عليه السلام) حاملا رايه رسول الله (صلى الله عليه و اله).

و امتنعت اليهود فى حصونهم المنيعه بخطه محكمه كانوا قد اتّبعوها، ثم دارت مناوشات متعدده تمكّن المسلمون خلالها من احتلال عدّه مواقع مهمه.

على أن القتال اشتدّ و طالت مدّه الحصار و عانى المسلمون من قسوه الجوع حتى أنهم أكلوا طعاما غير مستساغ.

و أعطى رسول الله (صلى الله عليه و اله) رايته الى عدد من الصحابه ليتم الفتح على أيديهم فلم يأتوا إلّا- بالفرار و الفشل. و لمّا بلغ الجهد بالمسلمين قال النبي (صلى الله عليه و اله): «لأعطين الرايه غدا رجلا يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله كزار غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه» (٢).

ص: ١٦٨

١- ((١)) الطبقات الكبرى: ١٠٦/٢.

٢- ((٢)) السيره النبويه: ٣٣٧/٢. صحيح مسلم ١٧٦/١٥-١٧٧ و فضائل الصحابه: ٦٠٣/٢ و مسند الإمام أحمد: ٣٨٤/٣ و المواهب اللدنيه: ٢٨٤/١، و الاستيعاب: ٢٠٣/٣، كنز العمال: ١٢٣/١٣.

و دعا فى اليوم التالى عليا و أعطاه الرايه فتمّ الفتح على يديه و سرّ المسلمون و النبى (صلى الله عليه و اله) جميعا، و صالح رسول الله (صلى الله عليه و اله) البقيه الباقيه من اليهود بعد استسلامهم على نصف ثمار مزارعهم التى أصبحت ملكا للمسلمين، و لم يعاملهم كما عامل بنى النضير و بنى القينقاع و بنى قريظه؛ إذ لم تعد قوه اليهود الباقيه ذات أثر مهم فى المدينه.

٤-محاولة اغتيال النبى (صلى الله عليه و اله):

لقد قررت جماعه فى الخفاء قتل النبى (صلى الله عليه و اله) غيله شفاء لحقدهم الدفين و إرضاء لنزعاتهم العدوانيّه و لهذا أهدت زينب بنت الحارث-زوجه سلام بن مشكم اليهودى-الى النبى (صلى الله عليه و اله) شاه مشويه و دسّت السمّ فيها و أكثرت منه فى ذراعها إذ كانت تعلم أن النبى (صلى الله عليه و اله) يحب الذراع من الشاه.

فلما وضعتها بين يديه أخذ (صلى الله عليه و اله) الذراع فلاك منها مضغه فلم يسغها و لفظها، بينما مات بشر بن البراء بن معرور بعد أن ابتلع مضغه اخرى منها.

و عفا النبى (صلى الله عليه و اله) عنها بعدما اعترفت له بذلك زاعمه أنها كانت تريد اختبار نبوته، و لم يلاحق النبى (صلى الله عليه و اله) الذين تواطوا معها (١).

٥-استسلام أهالى فدك:

و تهاوت أو كار الخيانه أمام صولات الحق و العدل، فما أن تم نصر الله فى خيبر حتى قذف الله الرعب فى قلوب أهل فدك فبعثوا إلى رسول الله (صلى الله عليه و اله) يصلحونه على نصف محاصيل فدك و أن يعيشوا تحت رايه الحكم الإسلامى، مطيعين مسالمين فوافق رسول الله (صلى الله عليه و اله) على ذلك.

ص: ١٦٩

١- ((١)) السيره النبويه: ٣٣٧/٢، المغازى: ٦٧٧/٢.

و بهذا أصبحت فدك ملكا لرسول الله (صلى الله عليه و اله) خاصة بحكم القرآن لأنها مما لم يوجف عليه بخيل و لا سلاح إذ أعلنت استسلامها للنبي (صلى الله عليه و اله) من دون تهديد أو قتال. و قد وهب رسول الله (صلى الله عليه و اله) فدكا لابنته فاطمه الزهراء (عليها السلام) (١).

و بهذا تمّ تطهير أرض الجزيرة العربية من جيوب الخيانة و تخلّصت من فتن اليهود الذين جرّدوا من أسلحتهم و وضعوا تحت حمايه القانون و الدوله الاسلاميه.

و فى يوم فتح خيبر أقبل جعفر بن أبى طالب من الحبشه، فاستقبله رسول الله و قبل ما بين عينيه و قال: بأيهما أسرّ بفتح خيبر أم بقدم جعفر (٢).

٦- عمره القضاء:

انقضت أيام الهدنه و النبي (صلى الله عليه و اله) و المسلمون فى عمل دؤوب متواصل لتركيز دعائم الحكم الإسلامى، و لم تحدث تحركات عسكريه مهمه بعد فتح خيبر سوى خروج سرايا تبليغيه أو تأديبيه لبعض العناصر التى كانت تظهر الشغب.

و مضى عام على صلح الحديبيه إلتزم خلاله الطرفان بنود الاتفاق و حلّ الوقت الذى أصبح النبي و المسلمون فى حلّ من عهدهم لزياره بيت الله الحرام، فنادى منادى الرسول (صلى الله عليه و اله) أن يتجهز المسلمون لأداء عمره القضاء. و خرج مع النبي (صلى الله عليه و اله) ألفان من المسلمين لا- يحملون سلاحا إلا- السيوف فى القرب، و كان من حيطه النبي و حذره من احتمال الغدر أن جهّز مجموعته مسلحه عند (مرّ الظهران) ليكونوا القوّه المستعده للدفاع عند الطوارئ.

و لما وصل النبي (صلى الله عليه و اله) ذا الحليفه أحرم هو و أصحابه و ساق معه ستين بدنه،

ص: ١٧٠

١- ((١)) مجمع البيان: ٤١١/٣، شرح ابن أبى الحديد: ٢٦٨/١٦، الدر المنثور: ١٧٧/٤.

٢- ((٢)) الطبقات الكبرى: ١٠٨/٢، و السنن الكبرى للبيهقى: ١٠١/٧، و السير النبويه لابن كثير: ٣٩٨/٣.

وقدّم الخيل أمامه، وكانت نحواً من مائه بقياده محمد بن مسلمة. وخرج زعماء مكة و من تبعهم الى رؤوس الجبال و التلال المجاوره المطله على مكة زاعمين أنهم لا يريدون النظر الى وجه النبي (صلى الله عليه و اله) و لا إلى اصحابه، و لكن جلاله الرسول (صلى الله عليه و اله) و هيبه منظر المسلمين الذين كانوا قد احتفوا بالرسول و هم يرددون التليه بهرت عيونهم و تركتهم مذهولين ينظرون إلى النبي (صلى الله عليه و اله) و المسلمين و هم يؤدون مناسكهم.

و طاف النبي (صلى الله عليه و اله) حول البيت على راحته التي كان يقودها عبد الله بن رواحه و أمر أن ينادى المسلمون بصوت عال: «لا إله إلا الله و وحده، صدق وعده، و نصر عبده، و أعزّ جنده و هزم الأحزاب و حده».

فدوى النداء فى مكة و شعابها فانصدعت قلوب المشركين رعبا و تملكهم الغيظ و الحقد من مظاهر النصر الإلهى للنبي (صلى الله عليه و اله) الذى خرج منهم طريدا قبل سبع سنين.

و أتم النبي (صلى الله عليه و اله) و المسلمون مناسك العمرة، و أيقنت قريش بقوه الإسلام و المسلمين و أيقنت بكذب من أخبرها أن النبي (صلى الله عليه و اله) و من معه فى جهد و تعب و ضيق و حرج بسبب الهجره إلى المدينه.

و صعد بلال على ظهر الكعبه و أعلن نداء التوحيد مؤذنا لصلاه الظهر بمظهر روحانى بهيج أغاظ رؤوس الكفر من قريش... و قد كانت مكة كلها تحت تصرف المسلمين.

و تفرق المهاجرون فيها و هم يصحبون إختهم الأنصار يزورون دورهم التى غادروها فى سبيل الله و يلتقون بأهليهم و ذويهم بعد فراق طويل.

و أمضى المسلمون ثلاثه أيام فى مكة ثم غادروها بموجب الاتفاق الذى كان بينهم و بين قريش بعد أن رفضت طلب النبي (صلى الله عليه و اله) و اله) بأن يتم مراسم زواجه من

«ميمونه» خائفين من ازدياد قوه النبي (صلى الله عليه و اله) و اختراق الإسلام لمجتمع مكه من خلال طول مكث النبي (صلى الله عليه و اله) فيها.

و خلف النبي (صلى الله عليه و اله) أبا رافع ليحمل إليه زوجته «ميمونه» حين يمسي، إذ خرج المسلمون قبل صلاة الظهر من مكّه (١).

ص: ١٧٢

١- (١) السيره النبويه: ٣٧٢/٢.

عزم النبي (صلى الله عليه و اله) على بسط الأمن في شمال الجزيره العربيه، و دعوه أهلها إلى الإسلام و الانطلاق نحو الشام. من هنا بعث الحارث بن عمير الأزدي إلى الحارث ابن أبي شمر الغساني فاعترضه شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله.

و في الفتره نفسها بعث الرسول (صلى الله عليه و اله) مجموعه من المسلمين يدعون الى الإسلام فعدا عليهم أهل منطقه «ذات أطلاق» من الشام و قتلوهم و بلغ خبر مقتلهم الرسول فتألم لذلك كثيرا و انتدب (صلى الله عليه و اله) المسلمين للخروج، فأعد جيشا من ثلاثه آلاف مقاتل و أمر عليه زيد بن حارثه ثم جعفر بن أبي طالب، ثم عبد الله بن رواحه. و خطب فيهم قائلا: «اغزوا بسم الله... أدعوهم إلى الدخول في الإسلام... فإن فعلوا فاقبل منهم و اكفف عنهم... و إلا فقاتلوا عدو الله و عدوكم بالشام و ستجدون فيها رجالا في الصوامع معتزلين الناس، فلا تعرضوا لهم، و ستجدون آخرين للشيطان في رؤوسهم مفاحص فاقلعوها بالسيوف، و لا تقتلن امرأه و لا صغيرا مرضعا و لا كبيرا فانيا، لا تغرقن نخلا و لا تقطعن شجرا و لا تهدموا بيتا» (٢).

١- (*) وقعت معركة مؤتة في جمادى الاولى من السنه الثامنه للهجره.

٢- (١) المغازي: ٧٥٨/٢، راجع السيره النبويه: ٣٧٤/٢.

و خرج رسول الله (صلى الله عليه و اله) معهم مودعا حتى بلغ ثنيه الوداع.

و لما بلغ جيش المسلمين منطقه «مشارك» فوجئ بالعدو و العدد الضخم لجيش الروم إذ بلغ عددهم مائتى ألف مقاتل فانحاز المسلمون الى مؤته و عزموا على مقاومه العدو. و لأسباب عديده بان الانكسار فى جيش المسلمين فقتل القاده الثلاثه جميعا. و كان من عوامل الانكسار أنهم كانوا يقاتلون فى منطقه غريبه عليهم و بعيده عن مركز الإمدادات كما أنهم كانوا يقاتلون مهاجمين و الروم بالعدد الضخم يقاتلون مدافعين، هذا مضافا إلى التفاوت فى الخبره القتاليه فجيش الروم قوه منظمه مارست حروبا سجالاتا أما جيش المسلمين فكان قليل العدد و الخبره، فتيا فى تكوينه (١).

و لقد تألم رسول الله (صلى الله عليه و اله) لمقتل جعفر بن أبى طالب و بكاه بشده، و ذهب (صلى الله عليه و اله) الى بيت جعفر يعزى أهله و يواسى أبناءه، كما حزن كثيرا على زيد ابن حارثه (٢).

٢- فتح مكه :

إشاره

(٣)

لقد اختلفت ردود فعل القوى فى المنطقه بعد معركة مؤته، فالروم فرحوا من انسحاب المسلمين و عدم تمكنهم من دخول الشام. أما قريش فقد سادهم الفرح و انبعثت فيهم الجراءه على المسلمين و أخذوا يسعون لتقضى صلح الحديبيه عبر الإخلال بالأمن فحرضوا قبيله بنى بكر على بنى

ص: ١٧٤

١- ((١)) السيره النبويه: ٣٨١/٢.

٢- ((٢)) بحار الأنوار: ٥٤/٢١، المغازى: ٧٦٦/٢، السيره الحلييه: ٦٨/٣.

٣- ((٣)) تم فتح مكه فى شهر رمضان من السنه الثامنه للهجره.

خزاعه(بعد أن دخلت قبيله بنى بكر فى حلف قريش و خزاعه فى حلف النبى(صلى الله عليه و اله)اثر صلح الحديبيه)و أمّدوها بالسلاح فعدت بكر على خزاعه غيله و قتلوا عددا من أفرادها و هم فى ديارهم آمنين،و كان بعضهم فى حال العباده ففزعوا إلى رسول الله(صلى الله عليه و اله)طالبين النصره،و وقف عمرو بن سالم بين يدى رسول الله(صلى الله عليه و اله)-و هو جالس فى المسجد-ينشد أبياتا يعرض فيها نقض العهد.

فتأثر الرسول(صلى الله عليه و اله)و قال:نصرت يا عمرو بن سالم.

أما قريش فقد انتهت و أدركت سوء فعلتها و قد تملكها الخوف و الهلع من المسلمين فاجتمع رأيهم على إيفاد أبى سفيان الى المدينه ليجدد الصلح و يطلب تمديد المده من النبى(صلى الله عليه و اله).

و لكن النبى(صلى الله عليه و اله)لم يصغ لطلب أبى سفيان و سأله قائلا:هل كان من حدث؟قال أبو سفيان:معاذ الله، فأجابه النبى(صلى الله عليه و اله):نحن على مَدّتنا و صلحنا.

لكن أبأ سفيان لم يهدأ له بال و لم يقنع بل أراد أن يستوثق و يأخذ عهدا و أمانا من رسول الله(صلى الله عليه و اله)فسعى لتوسيط من يؤثّر على النبى(صلى الله عليه و اله)فقابله الجميع بالرفض و اللامبالاه.

فلم يجد إلا أن يقفل راجعا بالخيبه الى مكه و قد ضاقت الأمور على قوى الشرك حيث تبدلت الظروف،فالنبى(صلى الله عليه و اله)يطلب مكه فاتحا،بعده تتزايد و إيمان يترسخ،و قريش تطلب الأمان و السلامه فى دماؤها و أموالها،و قد سنحت الفرصه بنقض الصلح.و تكاد تكون مكه آخر خطوه لتتم سيطره الاسلام على الجزيره العربيه برمتها.

و أعلن النبى(صلى الله عليه و اله)النفير العام،و توافدت عليه جموع المسلمين ملييه نداءه،فجهّز جيشا قارب عدده عشره آلاف رجل.و اجتهد النبى(صلى الله عليه و اله)أن يكتم قصده و هدفه إلا على الخاصه و كان(صلى الله عليه و اله)يدعو الله قائلا:«اللهم خذ العيون و الأخبار

من قريش حتى نباغتها في بلادها» (١).

و يبدو أن النبي (صلى الله عليه و اله) كان يود أن يتحقق النصر المؤزر سريعا دون إراقه قطره دم، متخذاً اسلوب المباغته. و لكن الخبر تسرب الى رجل كان قد ضعف أمام عواطفه فكتب الى قريش كتابا بذلك و بعثه مع امرأه توصله. و نزل الوحي يخبر النبي (صلى الله عليه و اله) بذلك فأمر عليا و الزبير بأن يلحقا المرأه و يسترجعا الكتاب، و انتزع علي بن أبي طالب بقوه إيمانه برسول الله (صلى الله عليه و اله) الكتاب من المرأه (٢).

ولما استلم الرسول (صلى الله عليه و اله) الكتاب جمع المسلمين في المسجد ليثير همهم و يحذر من مسأله الخيانه من جانب و يبين من جانب آخر أهميه كتب؟؟؟ العواطف مرضاه لله. و قام المسلمون يدفعون حاطب بن أبي بلتعه صاحب الكتاب الذي حلف بالله أنه لم يقصد الخيانه و انفعل عمر بن الخطاب و طلب من النبي أن يقتله فقال له: «و ما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر و قال لهم إعملوا ما شئتم فلقد غفرت لكم» (٣).

تحرك الجيش الإسلامي نحو مكة:

و تحرك جيش المسلمين في العاشر من شهر رمضان باتجاه مكة المكرمة، و لما بلغ مكانا يدعى «الكديد» طلب النبي (صلى الله عليه و اله) ماء فأفطر به أمام المسلمين و أمرهم أن يفطروا لكن بعضا منهم عصوا الرسول القائد و لم يفطروا فغضب من عصيانهم و قال: «أولئك العصاه» و أمرهم أن يفطروا (٤).

ص: ١٧٦

١- ((١)) السيره النبويه: ٣/٣٩٧، المغازي: ٢/٧٩٦.

٢- ((٢)) السيره النبويه: ٢/٣٩٨.

٣- ((٣)) امتاع الاسماع: ١/٣٦٣، المغازي: ٢/٧٩٨. و يرى بعض المحققين أن هذا الحديث من الموضوعات. راجع سيره المصطفى: ٥٩٢.

٤- ((٤)) وسائل الشيعه: ٧/١٢٤، السيره الحلبيه: ٣/٢٩٠، المغازي: ٢/٨٠٢، و صحيح مسلم ٣/١٤١-١٤٢، كتاب الصيام باب جواز الصوم و الفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصيه، ط دار الفكر، بيروت.

و لما وصل النبي (صلى الله عليه و اله) إلى مَرَّ الظهران أمر المسلمين أن ينتشروا في الصحراء و يوقد كل منهم نارا. و هكذا أضاء الليل البهيم و ظهر المسلمون كجيش عظيم تضيع أمامه كل قوى قريش مما أقلق العباس بن عبد المطلب- و هو آخر المهاجرين إذ التحق بركب رسول الله في منطقه الجحفة- فتحرك يبحث عن وسيله يبلغ بها قريشا أن تأتي مسلمه قبل دخول الجيش عليها.

و فجأه سمع صوت أبي سفيان يحدث بديل بن ورقاء مستغربا وجود هذه القوه الكبيره على مشارف مكه. و ارتعد أبو سفيان خوفا حين أخبره العباس بزحف النبي (صلى الله عليه و اله) بجيشه لفتح مكه، و لم يجد أبو سفيان بدّا من اصطحاب العباس لأخذ الأمان من رسول الله (صلى الله عليه و اله).

و لم يكن بوسع ينبوع العفو و الاخلاق الساميه أن يبخل بإجازه جوار عمّه لأبي سفيان فقال (صلى الله عليه و اله): «إذهب فقد أمناه حتى تغدو به عليّ».

استسلام أبي سفيان:

و لما مثل أبو سفيان بين يدي النبي (صلى الله عليه و اله) قال له: «ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا- إله إلا الله؟» فقال أبو سفيان: بأبي أنت و أمي ما أحلمك، و أكرمك و أوصلك! و الله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عنى شيئا بعد.

فقال (صلى الله عليه و اله): ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله؟ قال: بأبي أنت و أمي ما أحلمك و أكرمك و أوصلك أما و الله فإنّ في النفس منها حتى الآن شيئا (1).

و تدارك العباس الموقف ليضغط على أبي سفيان ليسلم و قال له: ويحك أسلم و اشهد أن لا- إله إلا الله و أن محمدا رسول الله قبل أن تقتل. فشهد أبو سفيان الشهادتين خوفا من القتل، و دخل في عداد المسلمين.

ص: ١٧٧

و استسلم من بقي من زعماء المشركين بعد استسلام أبي سفيان، و لكن النبي (صلى الله عليه و اله) استتماما للضغط النفسى على قريش كى تستسلم دون إراقه دماء قال للعباس: «يا عباس احبسه بمضيق الوادى عند خطم الجبل حتى تمرّ به جنود الله فيراها».

و لإشاعه الاطمئنان و الثقه برحمه الإسلام و رحمه الرسول القائد و إرضاء لغرور أبي سفيان كى لا يكابر قال (صلى الله عليه و اله): «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، و من أغلق بابه فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن، و من طرح السلاح فهو آمن».

و مرّت جنود الله تعبر المضيق و العباس يعزّف الكتائب التى تمر و أبو سفيان قد أخذته الدهشه حتى قال: و الله يا أبا الفضل، لقد أصبح ملكك ابن أخيك عظيما فأجابه العباس: يا أبا سفيان إنها النبوه. و تردد أبو سفيان فى الجواب فقال:

فنعنم إذن. ثم انطلق أبو سفيان إلى مكه ليحدّر أهلها و يعلن أمان رسول الله (صلى الله عليه و اله) (١).

دخول مكه:

أصدر رسول الله (صلى الله عليه و اله) أوامره الحكيمه بتوزيع مداخل القوات إلى مكه مؤكدا عدم اللجوء إلى القتال إلا ردا عليه. و أهدر (صلى الله عليه و اله) دماء عدد من المشركين فى كلّ الحالات حتى لو وجدوهم متعلقين بأستار الكعبه، لعظيم جنايتهم و معاداتهم للإسلام و للنبي (صلى الله عليه و اله).

و ما إن لاحت بيوت مكه حتى إغرورقت عينا النبي (صلى الله عليه و اله) بالدموع، و دخلت قوّات الإسلام الظافره مكه من جهاتها الأربع و مظاهر العز و النصر تجلّلتها و دخل الرسول الأكرم (صلى الله عليه و اله) مكه مطأطئا رأسه تعظيما لله و شكرا له على ما منحه من الفضل و النعمه حيث دانت لرسالته و دولته أم القرى، بعد طول جهد و عناء

ص: ١٧٨

تحمله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ.

و رفض النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَنْ يَدْخُلَ دَارَ أَحَدٍ مِنْ أَهَالِي مَكَّةَ رَغْمَ كَثْرَةِ عَرُوضِهِمْ لَهُ، وَ اغْتَسَلَ بَعْدَ اسْتِرَاحِهِ قَصِيرَهُ وَ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ وَ كَبَّرَ فَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ فَدَوَى الصَّوْتُ فِي الْجِبَالِ وَ الْوَهَادِ-الَّتِي فَرَّ إِلَيْهَا بَعْضُ رُؤُوسِ الشَّرْكَ خَوْفًا مِنَ الْإِسْلَامِ وَ نَصْرَهُ- وَ جَعَلَ يَشِيرُ وَ هُوَ يَطُوفُ فِي الْبَيْتِ إِلَى كُلِّ صَنَمٍ مَوْجُودٍ حَوْلَهُ وَ يَقُولُ:

قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا، فَيَسْقُطُ الصَّنَمُ لَوَجْهِهِ.

ثُمَّ أَمَرَ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَنْ يَجْلِسَ لِيَصْعِدَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عَلَى كَتِفِهِ وَ لَكِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ عَلَى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَنْ يَحْمِلَ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عَلَى كَتِفِهِ لِكَسْرِ الْأَصْنَامِ فَوْقَ الْكَعْبَةِ، مِنْ هُنَا صَعَدَ عَلَيَّ عَلَى كَتِفِ ابْنِ عَمِّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَ كَسَرَ الْأَصْنَامَ. ثُمَّ طَلَبَ النَّبِيُّ مِفَاتِيحَ الْكَعْبَةِ وَ فَتَحَ بَابَهَا وَ دَخَلَهَا وَ مَسَحَ مَا فِيهَا مِنْ صُورٍ. ثُمَّ وَقَفَ عَلَى بَابِهَا يَخْطُبُ الْجُمُوعَ الْمَتَكَثِرَةَ خَطْبَهُ الْفَتْحِ الْعَظِيمِ فَقَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، صَدَقَ وَعْدُهُ، وَ نَصَرَ عَبْدُهُ، وَ هَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، أَلَا كُلُّ مَأْثَرَةٍ أَوْ دَمٍ أَوْ مَالٍ يَدْعَى فَهُوَ تَحْتَ قَدَمِي هَاتَيْنِ، إِلَّا سِدَانَهُ الْبَيْتِ وَ سَقَايَهُ الْحَاجِّ... ثُمَّ قَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنْ اللَّهُ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَ تَعَظَّمَهَا بِالْآبَاءِ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ وَ آدَمَ مِنْ تَرَابٍ...» (١) ثُمَّ تَلَا- قَوْلَهُ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٢) يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تَرُونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟».

قَالُوا: أَخُ كَرِيمٍ وَ ابْنُ أَخِ كَرِيمٍ فَقَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «إِذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الْطَّلَاءُ» (٣).

ثُمَّ ارْتَقَى بِلَالٌ سَطْحَ الْكَعْبَةِ لِيُؤَدِّنَ لِمُصَلِّيِ الْغُضْرِ فَصَلَّى الْمُسْلِمُونَ بِإِمَامَةِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَوَّلَ صَلَاةٍ بَعْدَ هَذَا الْفَتْحِ.

ص: ١٧٩

١- (١) مسند أحمد: ١/١٥١، فرائد السمطين: ١/٢٤٩، كنز العمال: ١٣/١٧١، السيره الحلبيه: ٣/٨٦.

٢- (٢) الحجرات (٤٩): ١٣.

٣- (٣) بحار الأنوار: ١٠٦/٢١، و السيره النبويه: ٢/٤١٢.

ووقف المشركون و الحيره تملكهم و تملوهم الدهشه مشوبه بالخوف و الحذر. و خشيت الأنصار أن لا يرجع معها الرسول الكريم حين رأوا تفاعل النبي (صلى الله عليه و اله) مع أهل مكة و وقفوا و الأستله تدور فى مخيلتهم و النبي (صلى الله عليه و اله) واقف يدعو الله و قد علم ما يدور بينهم فالتفت إليهم قائلاً: معاذ الله المحيا محياكم و الممات مماتكم، معلنا بذلك أن المدينه ستبقى عاصمه الاسلام.

ثم أقبل الناس يباعونه فباعه الرجال- و تشفع عدد من المسلمين لدى النبي (صلى الله عليه و اله) ليعفو عنم أهدر دمه فعفا و صفح.

و جاءت النساء لتبايع- فكانت المرأه تدخل يدها فى قدح فيه ماء قد وضع الرسول (صلى الله عليه و اله) يده فيه- عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَ لَا يَسْرِقَنَّ وَ لَا يَزْنِيَنَّ وَ لَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ وَ لَا يَأْتِيَنَّ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَ أَرْجُلِهِنَّ وَ لَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ (١).

و غضب النبي (صلى الله عليه و اله) حين عدت خزاعه- حليفه الرسول (صلى الله عليه و اله)- على رجل من المشركين فقتلته و قام (صلى الله عليه و اله) خطيباً فقال: «يا أيها الناس إن الله حرّم مكة يوم خلق السماوات و الأرض فهى حرام الى يوم القيامه، لا يحل لامرئ يؤمن بالله و اليوم الآخر أن يسفك دماً أو يعضد فيها شجراً..» (٢).

ثم قال (صلى الله عليه و اله): «فمن قال لكم إن رسول الله قد قاتل فيها فقولوا إن الله قد أحلها لرسوله و لم يحللها لكم يا معشر خزاعه». و أكبرت قريش جميع مواقف النبي (صلى الله عليه و اله) من مكة و أهلها من عطف و رحمه و سماحه و عفو و احترام و تقديس فمالت قلوبهم إليه و أقبلوا على الإسلام آمنين مطمئنين.

و أرسل رسول الله (صلى الله عليه و اله) سراياه الى اطراف مكة و ما حولها لهدم ما تبقي من الأصنام و أماكن عباده المشركين فأخطأ خالد بن الوليد إذ قتل عدداً من قبيله

ص: ١٨٠

١- (١) بحار الأنوار: ١١٣/٢١، و سوره الممتحنه: الآيه ١٢.

٢- (٢) سنن ابن ماجه، الحديث ٣١٠٩، كنز العمال، الحديث ٣٤٦٨٢، الدر المنثور: ١/١٢٢، ط دار الفكر.

بنى جذيمه بعد استسلامهم ثارا لعَمّه (١) و غضب النبي (صلى الله عليه و اله) حين علم بذلك و أمر عليا أن يأخذ أموالا و يدفع ديه المقتولين ثم قام (صلى الله عليه و اله) و استقبل القبله رافعا يديه و هو يقول: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد»، و بذلك هدأت نفوس بنى جذيمه» (٢).

٣- غزوه حنين و حصار الطائف :

اشاره

(٣)

أمضى النبي (صلى الله عليه و اله) خمسسه عشر يوما فى مكه فاتحا فيها عهدا جديدا من التوحيد بعد طول فتره من الشرك، و الغبطه و السرور يعمّان المسلمين، و الأمان يلفّ أم القرى، و ترامت إلى أسمع النبي (صلى الله عليه و اله) أن قبيلتى هوازن و ثقيف قد أعدتا العده لمحاربه الإسلام ظلّنا منهما أنهما يحققان ما عجزت عنه سائر قوى الشرك و النفاق من تدمير الإسلام، و عزم النبي (صلى الله عليه و اله) على الخروج لملاقاتهم و لكنه و طد دعائم الإدارة فى مكه قبل خروجه كما هى سيرته عند كل فتح، فعين معاذ بن جبل ليعلم الناس القرآن و أحكام الاسلام كما عين عتاب بن أسيد للصلاه بالناس و إداره الأمور.

و خرج النبي (صلى الله عليه و اله) باثنى عشر ألفا من المقاتلين، و هى قوه لم يشهد المسلمون مثلها ممّا أدى بهم الى الغرور و الغفله حتى أن أبا بكر قال: لو لقينا بنى شيبان لن نغلب اليوم من قله (٤).

أما (هوازن) و (ثقيف) فقد تحالفتا و خرجتا بكامل عدّتهم مع نسايتهم و أطفالهم و كمنوا لإرباك جيش المسلمين، و حين وصلت طلائع جيش المسلمين

ص: ١٨١

١- ((١)) السيره النبويه: ٢/٤٢٠، الخصال: ٥٦٢، أمالى الطوسى: ٣١٨.

٢- ((٢)) الطبقات الكبرى: ١٤٨/٢.

٣- ((*)) وقعت معركة حنين فى شوال من السنه الثامنه للهجره.

٤- ((٣)) الطبقات الكبرى: ١٥٠/٢، المغازى: ٨٨٩/٢.

أطراف الكمين أرغموها على الفرار حتّى فرّت باقى قوّات المسلمين فرّعا من أسلحه العدو، ولم يثبت مع رسول الله إلا تسعه أشخاص من بنى هاشم عاشرهم أيمن (ابن أم أيمن). و فرح المنافقون و سرّوا سرورا عظيما فخرج أبو سفيان يقول شامتا: لا- تنتهى هزيمتهم دون البحر، و قال آخر: ألا بطل السحر اليوم.

و عزم آخر على قتل النبي (صلى الله عليه و اله) فى ذلك الوضع المضطرب (١).

و أمر النبي (صلى الله عليه و اله) عمه العباس أن يصعد على صخره و ينادى فلول المهاجرين و الأنصار المدبره قائلًا: يا أصحاب سوره البقره، يا أهل بيعة الشجره، إلى. أين تفرّون؟ هذا رسول الله!

و كأن وعيا قد عاد بعد غفله و حماسا دبّ بعد فتور فعادوا يوفون بوعود النصره و الدفاع عن الاسلام و النبي (صلى الله عليه و اله)... و لما رأى النبي (صلى الله عليه و اله) حماسهم قال:

الآن حمى الوطيس، أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب. فأنزل الله السكينه على المسلمين و أيدهم بالنصر فولّت جموع الكفر منهزمه تاركه و راءها سته الآف أسير و غنائم كبيره جدا (٢)، و أمر النبي (صلى الله عليه و اله) أن تحفظ الغنائم و تراعى أحوال الأسرى حتى تتم ملاحقه العدو الغارّ الى منطقه أوطاس و نخله و الطائف.

و كان من سمو أخلاق النبي (صلى الله عليه و اله) و عظيم عفوه و سعه رحمته أن قال لأُم سليم: «يا أم سليم قد كفى الله، عافيه الله أوسع» حين طلبت منه قتل الذين فرّوا عنه و خذلوه.

و فى موقف آخر، غضب النبي (صلى الله عليه و اله) حين علم أن بعض المسلمين يقتل ذريه المشركين غيظا منهم فقال (صلى الله عليه و اله): «ما بال أقوام ذهب بهم القتل حتى بلغ الذريه،

ص: ١٨٢

١- ((١) السيره النبويه: ٤٤٣/٢، المغازى: ٩٩/٣.

٢- ((٢) نزلت آيات من سوره التوبه و هى توضح تأييد الله و نصره، و تلوم من اعتمد العده و العدد و اعتبارهما سببا للنصر.

ألا لا نقتل الذرية»، فقال أسيد بن حضير: يا رسول الله أليس هم أولاد المشركين.

فقال (صلى الله عليه و اله): أو ليس خياركم أولاد المشركين، كل نسمة تولد على الفطره حتى يعرب عنها لسانها، و أبواها يهودانها أو ينصيرانها (١).

و واصلت قوات المسلمين ملاحقتها للعدو حتى الطائف فحاصروهم بضعا و عشرين يوما يترامون بالنبل من خلف الجدران و البساتين، ثم عدل النبي (صلى الله عليه و اله) عن الطائف لاعتبارات كثيرة.

و عند وصوله الى الجعرانه (محل تجميع الأسرى و الغنائم) قام إليه وفد هوازن يلتمسون العفو عنده فقالوا: يا رسول الله إنما فى هذه الأسرى عماتك و خالاتك اللاتي كن يكفلنك- حيث كان النبي (صلى الله عليه و اله) قد رضع فى بنى سعد و هم من هوازن- لو أنا مالحن الحارث بن أبى شمر أو النعمان بن المنذر ثم نزل منا بمثل الذى نزلت به رجونا عطفه و عائدته علينا و أنت خير المكفولين. فخيرهم الرسول بين الأسرى و المال فاختروا الأسرى، ثم قال (صلى الله عليه و اله): «أما ما كان لى و لبنى عبد المطلب فهو لكم». و أسرع المسلمون جميعا يقتدون بالرسول القائد (صلى الله عليه و اله) و يهبون له ما لهم من نصيب (٢).

و بحكمه بالغه و درايه عميقه بنفوس الناس و سعيها لهدايه الجميع و إطفاء نار الحرب من الرسول (صلى الله عليه و اله) بعفوه حتى على «مالك بن عوف» مثير هذه الحرب إن جاءه مسلما فقال (صلى الله عليه و اله): «أخبروا مالكا إنه إن أتانى مسلما رددت عليه أهله و ماله و أعطيته مائه من الابل». و سرعان ما أسلم مالك (٣).

ص: ١٨٣

١- (١) امتاع الاسماع: ٤٠٩/١.

٢- (٢) سيد المرسلين: ٥٣/٢، المغازى: ٩٤٩/٣-٩٥٣.

٣- (٣) المغازى: ٩٥٤/٣-٩٥٥.

توزيع الغنائم:

تدافع المسلمون على رسول الله (صلى الله عليه و اله) يلحون عليه أن يقسم الغنائم حتى ألجأوه إلى شجره و أخذوا رداءه؛ فقال: «ردوا على ردائي فوالله لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعماً لقسمته عليكم، ثم ما ألفتيموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً».

ثم قام و أخذ وبره من سنام بعيره فجعلها بين أصبعيه ثم رفعها و قال: «أيها الناس و الله مالي في فيئكم و لا هذه البره إلا الخمس، و الخمس مردود عليكم» ثم أمر أن يرد كل ما غنم حتى تكون القسمة عدلاً.

و بدأ الرسول (صلى الله عليه و اله) بإعطاء المؤلفه قلوبهم كأبي سفيان و ابنه معاوية و حكيم بن حزام و الحارث بن الحارث، و سهيل بن عمرو، و حويطب بن عبد العزى، و صفوان بن اميه و غيرهم ممن كان يعاديه و يحاربه بالأمس القريب من رؤوس الكفر و الشرك ثم قسم عليهم حقه من الخمس. على أن هذا الموقف قد أثار الحفيظه فى نفوس بعض المسلمين جهلاً منهم بمصالح الإسلام و أهداف النبي (صلى الله عليه و اله) حتى قال أحدهم للنبي (صلى الله عليه و اله): لم أرك عدلت. فقال: ويحك إذا لم يكن العدل عندى فعند من يكون؟ فأراد عمر بن الخطاب أن يقتله، فلم يأذن له النبي (صلى الله عليه و اله) و قال: «دعه فإنه سيكون له شيعه يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من رميته» (١).

اعتراض الأنصار:

و رأى سعد بن عباده أن يخبر النبي (صلى الله عليه و اله) بما يدور بين الأنصار من قولهم:

لقى رسول الله قومه و نسى أصحابه. فجمع سعد الأنصار و أقبل الرسول

ص: ١٨٤

الكريم (صلى الله عليه و اله) يحدّثهم فحمد الله و أثنى عليه ثم قال:

«يا معشر الأنصار ما مقاله بلغتني عنكم وجدتموها في أنفسكم؟! ألم آتكم ضلّالا فهداكم الله و عالاه فاغناكم الله و أعداء فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بلى الله و رسوله آمن و أفضل، ثم قال: ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟ قالوا: و ما ذا نجيبك يا رسول الله؟ قال (صلى الله عليه و اله): أما والله لو شئتم قلتم فصدقتم: أتيتنا مكذّبا فصدّقناك و مخذولا فنصرناك و طريدا فأوينناك و عائلا فأسينناك. و جدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في شيء من الدنيا تألفت به قوما ليسلموا و وكلتكم إلى إسلامكم، أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاه و البعير و ترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ و الذى نفس محمد بيده لو لا الهجره لكنت امراء من الأنصار، و لو سلك الناس شعبا و سلكت الأنصار شعبا لسلكت شعبا الأنصار».

فأثارت هذه الكلمات في قلوب الأنصار العاطفه و الشعور بالخطأ في تصورهم عن الرسول (صلى الله عليه و اله) فضجوا بالبكاء و قالوا: رضينا يا رسول الله حظّ و قسما.

و خرج النبي (صلى الله عليه و اله) بمن معه من الجعرانه متّجها إلى مكه في شهر ذى القعدة فأتم عمرته و حلّ من إحرامه و استخلف على مكه عتاب بن أسيد و معه معاذ بن جبل و خرج متّجها إلى المدينه بمن معه من المهاجرين و الأنصار (١).

٤- غزوه تبوك :

اشاره

(٢)

أصبحت الدوله الإسلاميه كيانا يهاب جانبه، و كان على المسلمين الحفاظ على حدوده و أراضيه حتى تبلغ الرساله الإسلاميه أرجاء الأرض.

ص: ١٨٥

١- ((١)) السيره النبويه: ٢/٤٩٨، المغازي: ٣/٩٥٧.

٢- ((*)) كانت غزوه تبوك في رجب سنه (٩) من الهجره.

و استنفر النبي (صلى الله عليه و اله) المسلمين من جميع نقاط الدوله الاسلاميه استعدادا لحرب الروم إذ وردت أخبار تؤكد استعدادهم لغزو الجزيره و اسقاط الدوله و محق الدين الاسلامى و صادف أن كان ذلك العام عام جذب و قلّه ثمار و كان الوقت صيفا حارا مما زاد من صعوبه الخروج لملاقاه عدو قوى متمرس كبير العدد و العده. فتعاس ذوو النفوس الضعيفه و المعنويات المتدنيه و برز النفاق ثانيه علانيه ليثبط العزائم و يخذل الإسلام.

و تخلف بعض عن الالتحاق بالجيش لشده تعلقهم بالدنيا، و بعض آخر احتج بشده الحر و آخرون لم يستطيعوا لشده ضعفهم و قلّه إمكانيات النبي (صلى الله عليه و اله) لحملهم معه رغم بذل المؤمنين الصادقين أموالهم للجهاد فى سبيل الله.

و بلغ النبي (صلى الله عليه و اله) أن المنافقين يجتمعون فى بيت أحد اليهود يتبطنون الناس و يخوفونهم من اللقاء، فتعامل معهم بحزم و شده فأرسل إليهم من يحرق عليهم دارهم ليكونوا عبره لغيرهم.

و قد أنزل الله آيات تفضح خطط المنافقين و تؤنب المتقاعسين و تعذر الضعفاء؛ و بلغ عدد جيش المسلمين ثلاثين ألف مقاتل -على أقل تقدير- و استخلف النبي (صلى الله عليه و اله) على بن أبى طالب فى المدينه لما يعلم منه من حنكه و حسن تدبير و قوه يقين؛ إذ خشى الرسول (صلى الله عليه و اله) من قيام المنافقين بعمل تخريبى فى المدينه، فقال (صلى الله عليه و اله): «يا على إن المدينه لا تصلح إلا بى أو بك» (١).

الإعلان عن مكانه على (عليه السلام) لدى النبي (صلى الله عليه و اله):

و أشاع المنافقون و الذين فى قلوبهم مرض حول بقاء على بن أبى طالب فى المدينه امورا إذ قالوا: إنما تركه رسول الله استثقالا له و تخففا منه، سعيًا منهم

ص: ١٨٦

١- (١) الإرشاد للمفيد ١/١١٥، أنساب الأشراف: ٩٤/١-٩٥، كنز العمال ج ١١/باب فضائل على (عليه السلام).

للإثارة رجاء أن يخلو جو المدينة لهم فأسرع عليّ (عليه السلام) لالتحاق برسول الله (صلى الله عليه و اله) فلقق به على مقربة من المدينة و قال: يا نبي الله زعم المنافقون أنك إنما خلّفتني أنك استقلّنتني و تخفّفت مني.

فقال (صلى الله عليه و اله): «كذبوا و لكنني خلّفتك لما تركت ورائي فاخلفني في أهلي و أهلّك، أفلا ترضى يا على أن تكون منّي بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى» (١).

جيش العسره:

و انطلق جيش المسلمين في طريق و عر طويل و قد أوضح لهم الرسول هدف المسيره خلافا لما كان في الغزوات الماضيه. و كان يتخلف عنه في الطريق جماعه ممن خرجوا معه من المدينة فكان يقول (صلى الله عليه و اله) لأصحابه: دعوه فإن يكن به خير فسيلحقه الله بكم و إن يكن غير ذلك فقد أراحكم الله منه.

و أسرع النبي (صلى الله عليه و اله) السير حين مرّ على أطلال قوم صالح و قال لأصحابه و هو يعظهم: «لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا و أنتم باكون خوفا أن يصيبكم مثل ما أصابهم»، و نهاهم عن استعمال الماء من هذه المنطقه و حدّتهم من خطوره الظروف الجويه فيها (٢)، و للصعوبات التي أحاطت هذه الغزوه من حيث الماء و الغذاء و النفقه و الظهر (الخيّل و الإبل) فقد سمّى هذا الجيش بـ «جيش العسره».

و لم يجد المسلمون جيش الروم؛ إذ قد تفرّق جمعهم، و هنا استشار الرسول القائد أصحابه في ملاحقه العدو أو العوده إلى المدينة فقالوا: إن كنت امرت بالسير فسر. فقال (صلى الله عليه و اله): «لو امرت به ما استشرتكم فيه» (٣). و هنا قرّر النبي (صلى الله عليه و اله)

ص: ١٨٧

١- ((١)) امتاع الأسماع: ٤٤٩/١، صحيح البخارى: ١٣٥٩/٣، الحديث ٣٥٠٣، صحيح مسلم: ٢٣/٥، الحديث ٢٤٠٤، سنن ابن ماجه: ٤٢/١، الحديث ١١٥، مسند أحمد: ٢٨٤/١، الحديث ١٥٠٨.

٢- ((٢)) السير النبويه: ٥٢١/٢، السير الحلبيه: ١٣٤/٣.

٣- ((٣)) المغازى: ١٠١٩/٣.

العودة إلى المدينة.

و اتصل الرسول (صلى الله عليه و اله) بزعماء المنطقه الشماليه للجزيره و عقد معهم معاهده عدم تعرض و اعتداء بين الجانبين و بعث رسول الله (صلى الله عليه و اله) خالد بن الوليد إلى دومه الجندل خوفا من تعاون زعيمها مع الروم فى هجوم آخر و تمكن المسلمون من أسر زعيمهم و حمل الغنائم الكثيره (١).

محاولة اغتيال النبي (صلى الله عليه و اله):

أقفل النبي (صلى الله عليه و اله) و المسلمون راجعين إلى المدينة بعد أن أمضوا بضع عشره يوما فى تبوك، و تحرك الشيطان فى نفوس جمع ممن لم يؤمن بالله و رسوله فعزموا على اغتيال الرسول (صلى الله عليه و اله) و ذلك بتنفيذ ناقته عند مرورها عليهم ليطرحوه فى واد كان هناك.

و حين وصل الجيش الى العقبه (بين المدينة و الشام) قال (صلى الله عليه و اله): «من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادى فإنه أوسع لكم» فأخذ الناس بطن الوادى و سلك هو طريق العقبه و كان يقود ناقته عمار بن ياسر و يسوقها حذيفه بن اليمان، فرأى النبي (صلى الله عليه و اله) فى ضوء القمر فرسانا قد تلمّوا و لحقوا به من ورائه فى حركه مريبه فغضب (صلى الله عليه و اله) و صاح بهم و أمر حذيفه أن يضرب وجوه راحلهم؛ فتمالكهم الرعب و عرفوا بأن النبي (صلى الله عليه و اله) قد علم بما أضمرته نفوسهم و مؤامرتهم فاسرعوا تاركين العقبه ليخالطوا الناس و لا تنكشف هويّتهم.

و طلب حذيفه من الرسول (صلى الله عليه و اله) أن يبعث اليهم من يقتلهم بعد ما عرفهم من راحلهم و لكن رسول الرحمه عفا عنهم و أوكل أمرهم إلى الله تعالى (٢).

ص: ١٨٨

١- ((١)) الطبقات الكبرى: ١٦٦/٢، بحار الأنوار: ٢٤٦/٢١.

٢- ((٢)) المغازى: ١٠٤٢/٣، مجمع البيان: ٤٦/٣، بحار الأنوار: ٢٤٧/٢١.

١- لقد برز المسلمون كقوه كبيره منظمه، تملك العقيدته القويه فتهابهم الدول المجاوره و الديانات الأخرى و كان هذا إنذارا حقيقيا لكل القوى فى خارج البلاد الاسلاميه و داخلها بعدم التعرض للإسلام و المسلمين.

٢- ضمن المسلمون عن طريق المعاهدات مع زعماء المناطق الحدوديه (من جهه الشمال) أمن هذه المنطقه.

٣- استفاد المسلمون من قدرتهم على تعبئه جيش كبير فى العده و العدد و ازدادت خبرتهم فى التنظيم و الإعداد، و كانت الرحله الى تبوك بمثابه استطلاع ميدانى استفاد منه المسلمون فى المراحل اللاحقه.

٤- كانت غزوه تبوك اختبارا لمعنويات المسلمين و تمييزا للمنافقين و فرزهم عن سائر المسلمين.

٥- مسجد ضار:

لقد جاء النبى (صلّى الله عليه و اله) بالشريعه السمحاء و دين التوحيد و عمل جاهدا أن يبنى الانسان الصالح و المجتمع السليم وفق التعاليم الربانيه، و لقد خاض كل المحن و الابتلاءات و المعارك من أجل تطهير الانسان من دنس الشرك و وساوس الشيطان و الأمراض النفسيه.

و تحركت نوازع الحسد و البغض لدى مجموعه من المنافقين فعمدوا الى بناء مسجد فى مقابل مسجد (قباء) زاعمين أنه لذوى العله و الحاجه و الليله المطيره، و أسرعوا الى النبى (صلّى الله عليه و اله) يطلبون منه أن يصلّى فيه ليضفى الشريعه على عملهم فأخر الاستجابه لأنه كان على استعداد للخروج الى تبوك، فلما رجع من

تبوك نزل الأمر الإلهي بالنهاى عن الصلاه فى هذا المسجد لأنه كان عاملاً لتفريق كلمه المسلمين و الإضرار بالامه، و شتان بين بنيان أسس على التقوى و آخر للإضرار بالمسلمين و من هنا أمر النبى (صلى الله عليه و اله) بهدمه و إحراقه (١).

٦- عام الوفود:

إشاره

بدت سيطره الإسلام على الجزيره واضحه. و لم يكن رسول الله (صلى الله عليه و اله) ليلجأ إلى القوه و القتال إلا بعد إعدار و إنذار، بل و فى أكثر الوقائع كان قتال المسلمين دفاعاً، على أن بعض قوى الشرك لا تعى الحق و لا تهتدى سبيلاً إلا بعد عنف و قوه و تهديد و وعيد.

و حين عاد المسلمون إلى عاصمه دولتهم-المدينه المنوره-سير النبى (صلى الله عليه و اله) عدّه سرايا لتطهير البلاد من أماكن الوثنيه و أصنام الشرك.

و لقوه المسلمين و الانتصارات المتلاحقه بدأت كل قبائل الجزيره و زعمائها يسمعون بآذان صاغيه نداء الإسلام و وضوح أهدافه و هدايته، فأخذت الوفود تقدم إلى المدينه لتعلن إسلامها بين يدي رسول الله (صلى الله عليه و اله)-لذلك سمي هذا العام بعام الوفود (٢)-و كان النبى يستقبلهم و يحسن إليهم و يرسل لهم من يعلمهم فرائض القرآن و شرائع الاسلام.

إسلام قبيله ثقيف:

أملت ظروف النصر الإلهي على كل عاقل أن يتدبر أمره و يحكم عقله تجاه الإسلام. و كانت حكمه الرسول بالغه إذ أجل فتح الطائف يوم امتنعت ثقيف فيها و ها هى اليوم ترسل و فدها لتعلن إسلامها بعد أن عاندت و كابرته و قتلت سيدا من

ص: ١٩٠

١- ((١)) السيره النبويه: ٥٣٠/٢٠، بحار الأنوار: ٢٥٣/٢٠.

٢- ((٢)) السيره النبويه لابن هشام: ذكر سنه تسع و تسميتها سنه الوفود.

ساداتها(عروه بن مسعود الثقفي)يوم جاءها مسلما يدعوها إلى الدين الجديد.

و رحب النبي(صلى الله عليه و اله)بمقدم الوفد الثقفي و ضربت لهم قبه في ناحيه المسجد النبوي و كلف(صلى الله عليه و اله)خالد بن سعيد ليقوم بمهام التشريفات ثم بدأ الوفد يفاوض النبي(صلى الله عليه و اله)على الاسلام بشروط هي:أنه يترك صنم القبيله مده من الزمن و أبى النبي(صلى الله عليه و اله)إلا التوحيد الناصع الخالص لله و تنازل القوم شيئا فشيئا حتى قبلوا الإسلام بشرط أن يعفيهم النبي(صلى الله عليه و اله)عن كسر أصنامهم بأنفسهم كما شرطوا عليه أن يعفيهم من الصلاه فقال النبي(صلى الله عليه و اله):«لا خير في دين لا صلاه فيه»،فقبلوا الاسلام و بقى الوفد مع النبي(صلى الله عليه و اله)مده من الزمن يتعلمون أحكام الدين.ثم كلف رسول الله(صلى الله عليه و اله)أبا سفيان بن حرب و المغيره بن شعبه أن يذهبا إلى الطائف لهدم الأصنام فيها (١).

٧-وفاه ابراهيم ابن النبي(صلى الله عليه و اله):

في عمره أفرح النبي(صلى الله عليه و اله)بنتجاح الإسلام و انتشار الرساله حيث كان الناس يدخلون في دين الله أفواجا،وعكك إبراهيم بعد أن دخل في عامه الثاني و جعلت أمه(ماريا)تمرضه و لم ينفع معه شيء فأبلغ النبي(صلى الله عليه و اله)باحتضار ولده فأقبل و إبراهيم يوجد بنفسه في حضن امه فأخذه النبي(صلى الله عليه و اله)و قال:«يا إبراهيم إنا لن نغنى عنك من الله شيئا إنا بك لمحزونون تبكى العين و يحزن القلب و لا نقول ما يسخط الرب و لو لا أنه وعد صادق و موعود جامع فإن الآخر منا يتبع الأول لوجدنا عليك يا إبراهيم جدا شديدا ما وجدناه» (٢).

و بدت علامات الحزن واضحه على قسماط وجه النبي(صلى الله عليه و اله)و قيل له:يا

ص:١٩١

١- ((١) السيره النبويه:٥٣٧/٢، السيره الحلبيه:٢١٦/٣.

٢- ((٢) السيره الحلبيه:٣١١/٣، بحار الأنوار:١٥٧/٢٢.

رسول الله أو لست قد نهيتنا عن هذا؟ فقال (صلى الله عليه و اله): «ما عن الحزن نهيت و لكنى نهيت عن خمس الوجوه و شق الجيوب و رثه الشيطان (١)».

و روى أنه قال: «إنما هذا رحمه و من لا يرحم لا يرحم» (٢).

و لعظيم منزله النبي (صلى الله عليه و اله) عند الله سبحانه و ما أظهر من معجزات للعالمين حتى آمنوا به ظن بعض المسلمين أن كسوف الشمس فى يوم وفاه إبراهيم إنما كان من آيات الله لموته.

و سرعان ما ردّ النبي (صلى الله عليه و اله) على هذا الزعم خشيه أن تتحول الخرافه إلى سنّه و معتقد يتخذها الجاهلون. فقال (صلى الله عليه و اله): «أيها الناس إن الشمس و القمر آيتان من آيات الله لا يكسفان لموت أحد و لا لحياته» (٣).

ص: ١٩٢

١- (١) السيره الحلبيه: ٣/٣١١.

٢- (٢) بحار الانوار: ٢٢/١٥١.

٣- (٣) تاريخ يعقوبى: ٢/٨٧.

اشاره

تصفيه الوجود الوثنى داخل الجزيره

١- إعلان البراءه من المشركين:

لم يبق فى الجزيره العربيه من بقى على الشرك و الوثنيه سوى أفراد قلائل بعد أن انتشرت العقيده الإسلاميه و الشريعه السمحاء فى أرجائها و اعتنقها كثير من الناس. و هنا كان لا بد من إعلان صريح حازم يلغى كل مظاهر الشرك و الوثنيه فى مناسك أكبر تجمع عبادى سياسى.

و حان الوقت المناسب لتعلن الدوله الإسلاميه شعاراتها فى كل مكان و تنهى مرحله المداراه و تأليف القلوب التى تطلبتها المرحله السابقه.

و اختار النبى (صلى الله عليه و اله) يوم النحر زمانا و منطقته منى (١) مكانا لهذا الإعلان و اختار أبا بكر ليقراً مطلع سورہ التوبه (٢) التى نزلت لذلك و تضمّنت إعلان البراءه من المشركين جميعا بصراحه و تمثّلت بنود البراءه فى ما يلى:

١- لا يدخل الجنه كافر.

٢- لا يطوف فى البيت الحرام عريان؛ إذ كانت تقاليد الجاهليه تسمح بذلك.

٣- لا يحج بعد هذا العام مشرك.

٤- من كان بينه و بين رسول الله (صلى الله عليه و اله) عهد فأجله إلى مدته، و من لم يكن له

ص: ١٩٣

١- (١) العاشر من ذى الحجه عام (٩ هـ).

٢- (٢) التوبه (٩): ١-١٣.

عهد فإلى أربعه أشهر ثم يقتل من وجد في دار الإسلام مشركا.

و نزل الوحي الإلهي ليبلغ النبي (صلى الله عليه و اله) مبدأ مهمما نصه: «أنه لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك» فاستدعى النبي (صلى الله عليه و اله) عليا و أمره أن يركب ناقته العضباء و يلحق بأبي بكر و يأخذ منه البلاغ و يؤديه للناس (١).

و وقف على بن أبي طالب بين جموع الحجيج و هو يتلو البيان الإلهي بقوه و جرأه تتوأم مع حزم القرار و وضوحه. و وقف الناس ينصتون إليه بحذر و دقه.

و كان أثر الإعلان على المشركين أن قدموا مسلمين على رسول الله (صلى الله عليه و اله).

٢- مباحله نصارى نجران:

اجتمع زعماء نصارى نجران و حكماءهم يتدارسون أمر كتاب النبي (صلى الله عليه و اله) الذي يدعوهم فيه إلى الاسلام. و لم يتوصلوا إلى رأى قاطع إذ كانت فى أيديهم تعاليم تؤكد وجود نبي بعد عيسى (عليه السلام)، و ما ظهر من محمد فهو يشير إلى نبوته.

من هنا قرروا أن يرسلوا وفدا يقابل شخص النبي (صلى الله عليه و اله) و يحاوره.

و استقبال النبي (صلى الله عليه و اله) الوفد الكبير و قد بدى عليه عدم الرضا لمظهرهم الذي كان يحمل طابع الوثنيه، فقد كانوا يرتدون الديباج و الحرير و يلبسون الذهب و يحملون الصلبان فى أعناقهم. ثم غدوا عليه ثانيه و قد بدّلوا مظهرهم فرحب بهم و احترامهم و فسح لهم المجال ليمارسوا طقوسهم (٢).

ثم عرض عليهم الإسلام و تلا- عليهم آيات من القرآن فامتنعوا و كثر الحجاج معهم، فخلصوا إلى أن يباهلهم النبي (صلى الله عليه و اله) و كان ذلك بأمر من الله عزّ و جلّ و اتفقوا على اليوم اللاحق موعدا.

ص: ١٩٤

١- ((١)) الكافي: ٣٢٦/١، الارشاد: ٣٧، الواقدى: ١٠٧٧/٣، خصائص النسائي: ٢٠، صحيح الترمذى: ١٨٣/٢، مسند أحمد: ٢٨٣/٣، فضائل الخمسه من الصحاح الستة: ٣٤٣/٢.

٢- ((٢)) السيره الحلبيه: ٢١١/٣، السيره النبويه: ٥٧٤/١.

و خرج إليهم رسول الله (صلى الله عليه و اله) و هو يحمل الحسين و بيده الحسن و خلفه ابنته فاطمه و ابن عمه على بن أبي طالب امتثالاً لأمر الله تعالى الذى نصّ عليه الذكر الحكيم قائلاً: فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهُلْ فَجَعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (١) و لم يصحب سواهم أحداً من المسلمين ليثبت للجميع صدق نبوته و رسالته و هنا قال أسقف نجران: يا معشر النصارى انى لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا و لا يبقى على وجه الأرض نصرانى.

و حين أبوا أن يباهلوا النبى و أهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين قال لهم الرسول: أما إذا أبيتم المباهله فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين و عليكم ما على المسلمين، فأبوا، فقال: إنى أناجزكم القتال. فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقه، و لكن نصالحك على أن لا تغزونا و لا تردنا عن ديننا على أن نؤدى إليك فى كل عام ألفى حلّه، ألفا فى صفر، و ألفا فى رجب، و ثلاثين درعا عاديه من حديد، فصالحهم على ذلك، و قال: و الذى نفسى بيده إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران، و لو لا عنوا لمسخوا قرده و خنازير و لا اضطرم عليهم الوادى ناراً، و لا ستأصل نجران و أهله حتى الطير على رؤوس الشجر، و لما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا. فرجعوا إلى بلادهم دون أن يسلموا (٢).

و روى أن السيد و العاقب من زعمائهم لم يلبثا إلا يسيراً حتى عادا إلى النبى (صلى الله عليه و اله) ليعلنا إسلامهما (٣).

ص: ١٩٥

١- (١) آل عمران (٣): ٦١.

٢- (٢) التفسير الكبير (للرازى): ٨٥/٨.

٣- (٣) الطبقات الكبرى: ٣٥٧/١.

كان الرسول الأكرم القدوة الحسنه للإنسانيه جمعاء، يبلغ آيات الله و يفترها و يفصل أحكامها ببيان جلى، و جماهير المسلمين حريصه على الاقتداء به فى القول و العمل. و بحلول شهر ذى القعدة من العام العاشر للهجره عزم النبي (صلى الله عليه و اله) على أداء فريضة الحج - و لم يكن قد حج من قبل و ذلك ليطلع الامه على أحكام الله فى فريضة الحج فتقاطرت ألوف المسلمين على المدينة و تجهزوا للخروج مع النبي (صلى الله عليه و اله) حتى بلغ عددهم ما يقارب مائه ألف مسلم من مختلف الحواضر و البوادي و القبائل، تجمعهم الموده الصادقه و الاخوه الإسلاميه و الاستجابة لنداء الرسول القائد (صلى الله عليه و اله) بعد أن كانوا بالأمس القريب أعداء متنافرين، جهّالا كافرين. و اصطحب النبي (صلى الله عليه و اله) معه كل نساءه و ابنته الصديقه فاطمه الزهراء، و تخلف زوجها على بن أبى طالب فى مهمه بعثه بها رسول الله (صلى الله عليه و اله)، و استعمل على المدينة أبا دجانة الأنصارى.

و فى منطقته ذى الحليفه أكرم النبي (صلى الله عليه و اله) فلبس قطعتين من قماش أبيض و لبى عند الإحرام قائلا: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد و النعمه لك و الملك، لبيك لا شريك لك لبيك».

و فى الرابع من شهر ذى الحجه الحرام شارف النبي (صلى الله عليه و اله) مكة و قطع التليه، ثم دخل المسجد الحرام و هو يكثر الثناء على الله و يحمده و يشكره فأستلم الحجر و طاف سبعا و صلى ركعتين عند مقام إبراهيم ثم سعى بين الصفا و المروه و التفت الى الحجيج قائلا: «من لم يسق منكم هديا فليحلّ و ليجعلها عمره، و من ساق منكم هديا فليقم على إحرامه».

و لم يستجب بعض المسلمين لأمر الرسول هذا ظنا منهم أنّ عليهم أن يفعلوا

كما يفعل الرسول القائد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من عدم التحلّل من الإحرام، فغضب النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لموقفهم و قال: «لو كنت استقبلت من أمرى ما استدبرت لفعلت كما أمرتكم» (١).

و أقفل على بن أبى طالب (عليه السّلام) راجعا من اليمن الى مكة ليلتحق برسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) و قد ساق معه (٣٤) هديا. و على مقربة من مكة تعجل لدخولها و استخلف أحد افراد سرّيته عليها. و سرّ النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بقاءه على ما حقّقه من نجاح باهر فى اليمن و قال له: انطلق فطف بالبيت و حلّ كما حلّ أصحابك. فقال (عليه السّلام): يا رسول الله انى أهلت كما أهلت، ثم قال (عليه السّلام): انى قلت حين أحرمت: اللهم انى أهّل بما اهل به عبدك و نبيك و رسولك محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ). ثم أمره (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أن يعود إلى سرّيته و يصحبها إلى مكة، و لما قدموا على النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) اشتكوا عليا (عليه السّلام) لأنه كان قد رفض تصرفا خاطئا فعلوه فى غيابه، فأجابهم النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قائلا: «أبها الناس لا تشكوا عليا، فوالله إنه لأخشن فى ذات الله من أن يشكى» (٢).

و فى اليوم التاسع من ذى الحجة توجه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مع جموع المسلمين نحو عرفات.

و مكث رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى عرفات حتى غروب اليوم التاسع، و مع الظلام ركب ناقته و أفاض إلى المزدلفة و أمضى فيها شطرا من الليل و لم يزل واقفا من الفجر الى طلوع الشمس فى المشعر الحرام. ثم توجه فى اليوم العاشر إلى «منى» و أذى مناسكها من رمى الجمرات و النحر و الحلق ثم توجه نحو مكة لأداء بقيه مناسك الحج.

و قد سمّيت هذه الحجة بـ «حجة الوداع» لأن الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ودّع المسلمين فى هذه الحجة التى اشار فيها الى دنوّ وفاته كما سمّيت بـ «حجة البلاغ»

ص: ١٩٧

١- (١) بحار الأنوار: ٣١٩/٢١.

٢- (٢) السيره النبويه: ٦٠٣/٢، بحار الأنوار: ٣٨٥/٢١.

لأنه (صلى الله عليه و اله) قد بلغ فيها ما انزل إليه من ربه في شأن الخلافة من بعده، و منهم من سماها ب«حججه الإسلام» لأنها الحججه الاولى للنبي (صلى الله عليه و اله) و التي بين فيها أحكام الإسلام الثابتة في مناسك الحج.

خطبه النبي (صلى الله عليه و اله) في حجه الوداع:

و روى أن النبي (صلى الله عليه و اله) خطب خطابا جامعا فقال بعد أن حمد الله و أثنى عليه:

«أيها الناس اسمعوا مني ابين لكم فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا. أيها الناس إن دماءكم و أموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد. فمن كانت عنده أمانه فليؤدها إلى الذي ائتمنه عليها و إن ربا الجاهلية موضوع، و إن أول ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب. و إن دماء الجاهلية موضوعة، و إن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب و إن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة و السقايه، و العمد قود و شبه العمد ما قتل بالعصا و الحجر ففيه مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الجاهلية.

أيها الناس إن الشيطان قد ينس أن يعبد في أرضكم هذه و لكنه رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحتقرون من أعمالكم.

أيها الناس إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما و يحرمونه عاما ليواطأوا عداه ما حرم الله. و إن الزمان استدار كهيته يوم خلق الله السموات و الأرض و إن عدّه الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات و الأرض، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات و واحد فرد: ذو القعدة و ذو الحجة و المحرم و رجب الذي بين جمادى و شعبان. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس إن لساءكم عليكم حقا و إن لكم عليهن حقا. لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم و لا يدخلن أحدا تکرهونه بيوتكم إلا بإذنكم و لا يأتين بفاحشه، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن و تهجروهن في المضاجع و تضربوهن ضربا غير مبرح،

فإن انتهين و أطعنكم فعليكم رزقهن و كسوتهنّ بالمعروف، و إنما النساء عندكم عوار لا يملكن لأنفسهن شيئاً، أخذتموهن بأمانه الله و استحلتم فروجهن بكلمه الله فاتقوا الله فى النساء و استوصوا بهنّ خيراً.

أيها الناس إنما المؤمنون إخوه فلا يحلّ لامرئٍ مال أخيه إلاّ عن طيب نفس. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد. فلا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض؛ فإنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله و عترتى أهل بيتى ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس إن ربكم واحد، و إنّ أباكم واحد، كلكم لآدم، و آدم من تراب، أكرمكم عند الله اتقاكم، ليس لعربى على عجمى فضل إلاّ بالتقوى، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم.

قال (صلى الله عليه و اله): فليبلغ الشاهد منكم الغائب (١).

أيها الناس إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث و لا يجوز لوارث و صيه فى أكثر من الثلث، و الولد للفراش و للعاهر الحجر، من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً و لا عدلاً... و السلام عليكم و رحمه الله» (٢).

٤- تعيين الوصى :

(٣)

أتمّ المسلمون حجّهم الأكبر و هم يحتفون بالنبي (صلى الله عليه و اله) و قد أخذوا مناسكهم عنه، و قرّر الرسول (صلى الله عليه و اله) أن يعود إلى المدينة، و لما بلغ موكب الحجيج العظيم إلى منطقته «رايح» قرب «غدير خم» و قبل أن يتفرّق الحجيج و يرجعوا إلى بلدانهم من هذه المنطقه نزل الوحي الإلهى بآيه التبليغ الآمره و المحذره: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ

ص: ١٩٩

١- ((١)) بحار الأنوار: ٢١/٤٠٥.

٢- ((٢)) العقد الفريد: ٤/٥٧، الطبقات الكبرى: ٢/١٨٤، الخصال: ص ٤٨٧، بحار الأنوار: ٢١/٤٠٥، و قد ورد النص فى مصادر السيره و التأريخ مع اختلاف بالزيادة و النقصان.

٣- ((٣)) للمزيد من التفصيل راجع موسوعه الغدير للعلامة الأمينى الجزء الأول.

لقد حمل هذا الخطاب الإلهي أمرا مهما جدًّا فأى تبليغ مهم هذا قد طلب من الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) إنجازَه و لم يكن قد أنجزه إلى ذلك الحين؟ وقد أمضى النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ما يقارب ثلاثة وعشرين عاما يبليغ آيات الله وأحكامه ويدعو الناس إلى دين الله! وقد نال ما نال من عظيم المحن والبلاء والجهد، كى يقال له: «فما بلغت رسالتك».

وهنا أصدر النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أوامره بأن تقف القوافل حتى يلحق آخرها بأولها في يوم قانظ يضطر المرء فيه أن يلف رأسه وقدميه من شدة حرّ الرمضاء ليتلو عليهم أمر السماء ويتم تبليغ الرسالة الخاتمة. إنها الحكمة الإلهية أن يتم التبليغ في هذا المكان وفي هذا الظرف كى يبقى عالقا في وجدان الامه، حيا في ذاكرتها على مرّ الزمن حفاظا على الرسالة والامه الاسلاميه.

وجمعت الرحال و صنع منها منبر صعد عليه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بعد أن صَلَّى في جموع المسلمين فحمد الله و اثني عليه و قال بصوت رفيع يسمعه كل من حضر:

«أيها الناس يوشك أن ادعى فأجيب و إني مسؤول و أنتم مسؤولون فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك بَلَّغْتَ و نصحت و جاهدت فجزاك الله خيرا. قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): أ لستم تشهدون أن لا إله إلا الله و أن محمدا عبده و رسوله و أن جنته حق و أن الساعة آتية لا ريب فيها و أن الله يبعث من فى القبور؟ قالوا: بلى نشهد بذلك قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): اللهم أشهد. ثم قال: (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فإني فرطكم على الحوض و أنتم واردون على الحوض و إنَّ عرضه ما بين صنعاء و بصرى فيه أقداح عدد النجوم من فضه فانظروا كيف تخلفوني فى الثقلين.

فنادى مناد و ما الثقلان يا رسول الله؟ قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله عز و جل و طرف بأيديكم فتمسكوا به لا تضلوا. و الآخر الأصغر عترتى. و إن اللطيف الخبير نبأنى أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فسألت ذلك لهما ربى فلا تقدّموهما فتهلكوا

ولا تقصروا عنهما فتهلكوا.

ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب حتى رأى بياض أبطيئهما و عرفه الناس أجمعون. فقال (صلى الله عليه و اله): «أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: الله و رسوله أعلم قال (صلى الله عليه و اله): إن الله مولاى و أنا مولى المؤمنين و أنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعلى مولاه- يقولها ثلاث مرات-.

ثم قال (صلى الله عليه و اله): اللهم وال من والاه و عاد من عاداه و أحب من أحبه و أبغض من أبغضه و انصر من نصره و اخذل من خذله و أدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلغ الشاهد الغائب».

ثم لم يتفرقوا حتى نزل أمين و حى الله بقوله تعالى: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا (١) فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله):

«الله أكبر على إكمال الدين و إتمام النعمة و رضى الرب برسالتى و الولاية لعلى بعدى».

ثم أمر (صلى الله عليه و اله) أن تنصب خيمه لعلى (عليه السلام) و أن يدخل عليه المسلمون فوجا فوجا ليسلموا عليه بإمره المؤمنين ففعل الناس كلهم ذلك و أمر أزواجه و سائر نساء المؤمنين ممن معه أن يفعلن ذلك.

و كان فى مقدمه المهنيين أبو بكر و عمر بن الخطاب، كل يقول: بخ لك يا ابن أبى طالب أصبحت و أمسيت مولاى و مولى كل مؤمن و مؤمنة (٢).

٥- ظهور المتنبئين:

تفرقت جموع الحجيج من منطقته غدیر خم متجهه نحو العراق و الشام و اليمن، و اتجه النبى (صلى الله عليه و اله) نحو المدينة. و حمل الجميع وصيه الرسول (صلى الله عليه و اله) بالخلافه و القيادة من بعده لربيبه على بن أبى طالب (عليه السلام) لتستمر حركه الرساله

ص: ٢٠١

١- ((١)) المائده (٥): ٣.

٢- ((٢)) راجع تاريخ اليعقوبى: ١١٢/٣، و مسند أحمد: ٢٨١/٤، البدايه و النهايه: ٢١٣/٥، و موسوعه الغدير: ٢٧٦، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩٧، ٣٧٩، ٣٩٢، ٤٠٢، ٤٣١/١، ١٦٥، ١٩٦، ٢١٥، ٢٣٠، ٢٣٨، و الجزء: ١١/١٣١.

الإسلاميه بنهج نبويّ و تجتاز العقبات بعد رحيل القائد الأوّل و ذلك بعد أن عزّف بعليّ (عليه السّلام) في ذلك اليوم التاريخي الخالد بل منذ يوم الدار حيث أنّه وصفه بالوزير الناصح و الأخ المؤازر و العضد المدافع و الخليفه الذي يجب على الناس من بعده أن يطيعوه و يتّبعوه و يتّخذوه لأنفسهم قائدا و زعيما.

و بعد أن انبسط سلطان الدين و قويت مركزيه القرار في المدينه لم يعد بأمر خطير نفور جماعه عن الدين أو ارتداد أفراد عن التسليم لما جاء به النبي (صلى الله عليه و اله) أو وجود أفراد في الأطراف البعيده عن المدينه يرون في عنصر الدين وسيله لتحقيق بعض آمالهم و رغباتهم المريضه. من هنا أخذ مسيلمه يدّعي النبوه كذبا و كتب إلى النبي (صلى الله عليه و اله) كتابا ذكر فيه أنّه بعث أيضا و يطلب فيه من النبي (صلى الله عليه و اله) أن يشاركه في سلطان الأرض. و لما وقف النبي (صلى الله عليه و اله) على مضمون الرساله التفت إلى من حملها اليه و قال:

«لو لا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما لأنكما أسلمتما من قبل و قبلتما برسالتى فلم أتبعتما هذا الأحق و تركتما دينكما؟».

ثم ردّ على مسيلمه الكذّاب برساله كتب فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى مسيلمه الكذّاب. السلام على من اتّبع الهدى، أما بعد فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده و العاقبه للمتقين» (١).

و قد أفلح المسلمون في القضاء على حركات الارتداد التي قام بها بعض الدجالين مثل الأسود العنسى و مسيلمه و طلحه.

ص: ٢٠٢

أبدى النبي (صلى الله عليه و اله) اهتماما كبيرا للحدود الشماليه للدوله الإسلاميه حيث تتواجد دوله الروم المنظمه و صاحبه الجيش القوى. و لم تكن دوله فارس ذات أثر مقلق على الدوله الإسلاميه لأنّ علامات الانهيار كانت قد بدت عليها، كما أنها لم تكن تملك عقيدته روحيه تدافع عنها كالمسيحيه لدى الروم، فهى التى كانت تشكّل خطرا على الكيان الإسلامى الفتى، خاصه و أن بعض عناصر الشغب و النفاق قد أجليت عن الدوله الإسلاميه فذهبت إلى الشام و لحق بها آخرون، و كان وجود نصارى نجران عاملا سياسيا يدفع الروم لنصرتهم.

و مع ذلك فإنّ كل هذه الامور لم تكن عوامل آتية تستدعى الاهتمام الكبير الذى ظهر واضحا من إعداد النبي (صلى الله عليه و اله) لجيش كبير ضمّ وجوه كبار الصحابه ما خلا عليا و بعض المخلصين معه فقد أراد النبي (صلى الله عليه و اله) أن يخلو الجو السياسى من امور قد تعيق عمليته انتقال السلطه إلى على بن أبى طالب (عليه السلام) للقيام بمهامه الخلفه من بعده، بعد أن لمس النبي تحسّسا و انزعاجا من بعض الأطراف بعد تأكيده المستمر على مرجعيته على (عليه السلام) و صلاحيته لإتمام مسيره النبي (صلى الله عليه و اله) و خصوصا بعد بيعه الغدير، فأراد النبي (صلى الله عليه و اله) أن يخلو الظرف من التوتر السياسى فى المدينه لئتم استلام على (عليه السلام) لزام الدوله من بعده دون صدام و شجار؛ و لهذا عقد النبي (صلى الله عليه و اله) لواء و سلّمه الى اسامه بن زيد-القائد الشاب الذى نصبه الرسول (صلى الله عليه و اله) فى اشارته بليغه إلى أهميه الكفاءه فى القياده- و جعل تحت إمرته شيوخ الأنصار و المهاجرين، و قال له: «سر إلى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فاغز صباحا على أهل ابني».

و لكنّ روح التمرد و الطمع فى السلطان و قلّه الانضباط دفعت بعض العناصر إلى عدم التسليم التام لأمر النبى (صلّى الله عليه و اله) و لعلّها كانت عارفة بالأهداف التى قصدتها النبى (صلّى الله عليه و اله) و من هنا حاولت أن تؤخّر حركة الجيش المجتمع فى معسكر «الجرف». و بلغ النبى (صلّى الله عليه و اله) ذلك فغضب و خرج -و هو ملتحف قطيفه، و قد عصّب جبهته بعصابه من ألم الحمى التى أصابته- إلى المسجد فصعد المنبر ثم حمد الله و أثنى عليه و قال: أما بعد أيها الناس فما مقاله بلغتنى عن بعضكم فى تأميرى اسامه، و لئن طعنتم فى إمارتى أباه من قبله و أيم الله إن كان للإماره لخليقا و إن ابنه من بعده لخليق للإماره، و إن كان لمن أحب الناس إلّى و إنهما لمخيلان لكل خير (1)، و استوصوا به خيرا فإنه من خياركم» (2).

و اشتدت الحمى برسول الله (صلّى الله عليه و اله) و لم يغفله ثقل المرض عن الاهتمام الكبير لخروج الجيش فكان يقول: «أنفذوا جيش اسامه» (3) لكل من كان يعود من أصحابه و يزيد إصرارا بقوله: «جهّزوا جيش اسامه لعن الله من تخلف عنه» (4). و أوصل بعض المسلمين أبناء تدهور صحه النبى (صلّى الله عليه و اله) الى معسكر المسلمين فى الجرف فرجع اسامه ليعود النبى (صلّى الله عليه و اله) فحثّه النبى على المضى نحو هدفه الذى رسمه له و قال له: «اغد على بركة الله».

فعاد اسامه مسرعا إلى جيشه يحثه على الرحيل و التوجه للقيام بالمهمه المخوّله إليه و لكن المتقاعسين و ذوى الأطماع فى الخلافه تمكّنوا من عرقله مسيره الجيش زاعمين أنّ النبى (صلّى الله عليه و اله) يحتضر، بالرغم من تأكيد الرسول (صلّى الله عليه و اله) بالتعجيل فى المسير و عدم التردّد فى المهمه التى جعلها على عاتق جيش اسامه.

ص: ٢٠٤

١- (١) بمعنى أنهما ممن يتفرّس فيهما كل خير. و الخولّى: هو الراعى الحسن القيام على المال.

٢- (٢) الطبقات الكبرى: ١٩٠/٢، ط دار الفكر.

٣- (٣) المصدر السابق.

٤- (٤) الملل و النحل: ٢٣/١.

أيام الرسول (صلى الله عليه و اله) الأخيره

١- الحيلوله دون كتابه الوصيه:

و رغم ثقل الحمى و ألم المرض خرج النبي (صلى الله عليه و اله) مستندا على على (عليه السلام) و الفضل بن العباس ليصلى بالناس و ليقطع بذلك الطريق على الوصوليين الذين خططوا لمصادره الخلافه و الزعامه التي طمحوها لها من قبل حيث تمرّدوا على أوامر الرسول (صلى الله عليه و اله) بالخروج مع جيش اسامه بكل بساطه و التفت النبي -بعد الصلاه- إلى الناس فقال: «أيها الناس سعرت النار و أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، و إني و الله ما تمسكون علىّ بشيء، إني لم أحلّ إلا- ما أحلّ الله، و لم احرم إلا ما حرم الله» (١) فأطلق بقوله هذا تحذيرا آخر أن لا يعصوه و إن لاحت في الأفق النوايا السيئه التي ستجلب الويلات للامه حين يتزعّمها جهالها.

و اشتد مرض النبي (صلى الله عليه و اله) و اجتمع الصحابه في داره و لحق بهم من تخلف عن جيش اسامه فلامهم النبي (صلى الله عليه و اله) على تخلفهم و اعتذروا بأعذار واهيه. و حاول النبي (صلى الله عليه و اله) بطريقه أخرى أن يصون الأمه من التردّي و السقوط فقال لهم: ايتوني بدواه و صحيفه أكتب لكم كتابا لا تضلون بعده، فقال عمر ابن الخطاب: إنّ رسول الله قد غلبه الوجع و عندكم القرآن حسبنا كتاب الله (٢)،

ص: ٢٠٥

١- ((١)) السيره النبويه: ٩٥٤/٢، الطبقات الكبرى: ٢/٢١٥.

٢- ((٢)) صحيح البخارى كتاب العلم باب كتابه العلم و كتاب الجهاد باب جوائز الوفاء.

وهكذا وقع التنازع والاختلاف وقالت النسوة من وراء الحجاب: إئتوا رسول الله (صلى الله عليه و اله) بحاجته. فقال عمر: اسكتن فإنكن صويحبات يوسف إذا مرض عصرتن أعينكن وإذا صح أخذتن بعنقه، فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله): هن خير منكم (١).

ثم قال (صلى الله عليه و اله): قوموا عنى لا ينبغي عندى التنازع.

و كم كانت الامه بحاجه ماسه الى كتاب الرسول (صلى الله عليه و اله) هذا، حتى أن ابن عباس كان يأسف كلما يذكر ذلك ويقول: الرزیه كل الرزیه ما حال بيننا و بين كتاب رسول الله (٢).

و لم يصّر نبی الرحمه على كتابه الكتاب بعد اختلافهم عنده خوفا من تماديهم فى الإساءه و إنكارهم لما هو أكبر، فقد علم (صلى الله عليه و اله) بما فى نفوسهم، و حين راجعوه ثانيه بشأن الكتاب قال (صلى الله عليه و اله): «أبعد الذى قلت (٣)؟!» و أوصاهم ثلاث وصايا، لكن كتب التأريخ لم تذكر سوى اثنتين منها و هما: اخراج المشركين من جزيره العرب و اجازة الوفد كما كان يجيزهم.

و علّق السيد محسن الأمين العاملى على ذلك قائلا: و المتأمل لا يكاد يشكّ فى أن الثالثه سكت عنها المحدّثون عمدا لا نسيانا و أنّ السياسه قد اضطرتهم الى السكوت عنها و تناسيها و أنّها هى طلب الدواه و الكتف ليكتبها لهم (٤).

٢- الزهراء (عليها السلام) تزور أباهما (صلى الله عليه و اله):

أقبلت الزهراء (عليها السلام) و هى تجر أذيال الحزن و تتطلع إلى أبيها و هو على

ص: ٢٠٦

١- ((١) الطبقات الكبرى: ٢/٢٤٤، كتر العمال: ٣/١٣٨.

٢- ((٢) صحيح البخارى كتاب العلم: ١/٢٢ و ١٤/٢، الملل و النحل: ١/٢٢، الطبقات الكبرى: ٢/٢٤٤.

٣- ((٣) بحار الانوار: ٢٢/٤٦٩.

٤- ((٤) أعيان الشيعة: ١/٢٩٤. راجع صحيح البخارى: باب مرض النبى (صلى الله عليه و اله).

و شك الالتحاق بربه فجلست عنده منكسره القلب دامعه العين و هي تردد:

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمه للأرامل

و فى هذه اللحظات فتح النبى (صلى الله عليه و اله) عينيه و قال بصوت خافت: يا بنى هذا قول عمك أبى طالب لا تقوله و لكن قولى: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ لَمَّا تُؤْتَى بِهَا فُتَاتٌ أَوْ قِنَآءٌ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ، وَمَنْ يَتَّقَلَبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١).

و كأن النبى (صلى الله عليه و اله) كان يريد بذلك أن يهتئء ابنته فاطمه (عليها السلام) لما سيجرى من أحداث مؤسفه فإن ذلك كان هو الأنسب لتلك من قول أبى طالب رضى الله تعالى عنه و أرضاه.

ثم إن النبى (صلى الله عليه و اله) أو ما إلى حبيته الزهراء (عليها السلام) أن تدنو منه ليحدثها فانحنت عليه فساها بشئء فبكت ثم ساها ثانية فضحكت. و قد أثارت هذه الظاهره فضول بعض الحاضرين فسألوها عن سر ذلك فقالت (عليها السلام): ما كنت لافشى سر رسول الله (صلى الله عليه و اله).

و لكنها سئلت بعد وفاه أبيها (صلى الله عليه و اله) عن ذلك فقالت: أخبرنى رسول الله (صلى الله عليه و اله) أنه قد حضر أجله و أنه يقبض فى وجعه هذا، فبكيت ثم أخبرنى أنى أول أهله لحوقا به فضحكت (٢).

٣- اللحظات الأخيرة من عمر النبى (صلى الله عليه و اله):

و كان على (عليه السلام) ملازما للرسول (صلى الله عليه و اله) ملازمه ذى الظل لظله حتى آخر لحظات حياته الشريفه و هو يوصيه و يعلمه و يضع سره عنده. و فى الساعه

ص: ٢٠٧

١- (١) آل عمران (٣): ١٤٤.

٢- (٢) الطبقات الكبرى: ٢/٢٤٧، الكامل فى التاريخ: ٢/٢١٩.

الأخيره قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): ادعوا لى أخى-و كان (صلى الله عليه و اله) قد بعثه فى حاجه فجاءه بعض المسلمين فلم يعبا بهم الرسول (صلى الله عليه و اله) حتى جاء على (عليه السلام) فقال (صلى الله عليه و اله) له:

ادن منى. فدنا على (عليه السلام) فاستند إليه فلم يزل مستندا إليه يكلمه حتى بدت عليه (صلى الله عليه و اله) علامات الاحتضار (١)، و توفى رسول الله (صلى الله عليه و اله) و هو فى حجر على (عليه السلام). كما قد صرح بذلك على (عليه السلام) نفسه فى إحدى خطبه (٢) الشهيره.

٤- وفاه النبى (صلى الله عليه و اله) و مراسم دفنه:

و لم يكن حول النبى (صلى الله عليه و اله) فى اللحظات الأخيره إلا على بن أبى طالب و بنو هاشم و نساؤه. و قد علم الناس بوفاته (صلى الله عليه و اله) من الضجيج و الصراخ الذى علا من بيت الرسول (صلى الله عليه و اله) حزنا على فراق الحبيب، و خفقت القلوب هلعه لرحيل أشرف خلق الله. و انتشر خبر الوفاه فى المدينه انتشار النار فى الهشيم و دخل الناس فى حزن و ذهول رغم أنه (صلى الله عليه و اله) كان قد مهّد لذلك و نعى نفسه الشريفه عدّه مرات و أوصى الامه بما يلزمها من طاعه و ليثها و خليفته من بعده على ابن أبى طالب. لقد كانت وفاته صدمه عنيفه هزّت وجدان المسلمين، فهاجت المدينه بسكانها و ازدادت حيره المجتمعين حول دار الرسول (صلى الله عليه و اله) أمام كلمه عمر بن الخطاب التى قالها و هو يهدد بالسيف: إنّ رجلا من المنافقين يزعمون أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) قد مات، إنه و الله ما مات و لكنّه قد ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران (٣).

و رغم أنه لا تشابه بين غياب موسى (عليه السلام) و وفاه النبى محمد (صلى الله عليه و اله)،

ص: ٢٠٨

١- ((١) الطبقات الكبرى: ٢/٢٦٣.

٢- ((٢) نهج البلاغه: خطبه ١٩٧.

٣- ((٣) الكامل فى التاريخ: ٢/٣٢٣، الطبقات الكبرى: ٢/٢٦٦، السيره النبويه لزينى دحلان: ٢/٣٠٦.

لكن مواقف عمر التاليه لعلها تكشف النقاب عن إصراره على هذه المقارنه.

نعم لم يهدأ عمر حتى قدم أبو بكر من السنح و دخل إلى بيت رسول الله (صلى الله عليه و اله) فكشف عن وجه النبي (صلى الله عليه و اله) و خرج مسرعا و قال: أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات و من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت و تلا قوله تعالى: **وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ** و هنا هدأت فوره عمر و زعم أنه لم يلتفت الى وجود مثل هذه الآيه في القرآن الكريم (١).

و أسرع أبو بكر و عمر بن الخطاب مع بعض أصحابهما إلى سقيفه بنى ساعده بعد أن عرفا أنّ اجتماعا طارئا قد حصل في السقيفه فيما يخصّ الخلافه بعد وفاه رسول الله (صلى الله عليه و اله). متناسين نصب عليّ بن أبي طالب و كذا بيعتهم إياه بالخلافه و غير مدركين أنّ تصرفهم هذا يعدّ استخفافا بحرمه رسول الله (صلى الله عليه و اله) و جسده المسجّى.

و أما عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) و أهل بيته فقد انشغلوا بتجهيز الرسول (صلى الله عليه و اله) و دفنه فقد غسله عليّ من دون أن ينزع قميصه و أعانه على ذلك العباس بن عبد المطلب ابنه و الفضل و كان يقول: بأبي أنت و أمي ما أطيبك حيا و ميتا (٢).

ثم وضعوا جسد الرسول (صلى الله عليه و اله) على سرير و قال علي (عليه السّلام): إن رسول الله (صلى الله عليه و اله) إمامنا حيا و ميتا فليدخل عليه فوج بعد فوج فيصلون عليه بغير إمام و ينصرفون.

و أوّل من صلى على النبي (صلى الله عليه و اله) علي (عليه السّلام) و بنو هاشم ثم صلّت الانصار من بعدهم (٣).

ص: ٢٠٩

١- ((١)) الطبقات الكبرى: ٢/ القسم الثاني: ٥٣-٥٦.

٢- ((٢)) السيره النبويه لابن كثير: ٤/ ٥١٨.

٣- ((٣)) الارشاد: ١٨٧/١ و اعيان الشيعة: ٢٩٥/١.

ووقف على (عليه السّلام) بحيال رسول الله (صلى الله عليه و اله) و هو يقول: سلام عليك أيها النبي و رحمه الله و بركاته اللهم إنا نشهد أن قد بلغ ما انزل اليه و نصح لامته و جاهد في سبيل الله حتى أعزّ الله دينه و تّمت كلمته، اللهم فاجعلنا ممن يتّبع ما أنزل الله إليه و ثبتنا بعده و اجمع بيننا و بينه، فيقول الناس: آمين، حتى صلى عليه الرجال ثم النساء ثم الصبيان (١).

و حفر قبر للنبي (صلى الله عليه و اله) في الحجره التي توفي فيها. و حين أراد على (عليه السّلام) أن ينزله في القبر نادى الأنصار من خلف الجدار: يا على نذكرك الله و حقنا اليوم من رسول الله أن يذهب، أدخل منا رجلا- يكون لنا به حظّ من مواراه رسول الله. فقال (عليه السّلام) ليدخل أوس بن خولى، و كان بدريا فاضلا من بنى عوف.

و نزل على (عليه السّلام) الى القبر فكشف عن وجه رسول الله و وضع خده على التراب، ثم أهال عليه التراب.

و لم يحضر دفن النبي (صلى الله عليه و اله) و الصلاة عليه أحد من الصحابه الذين ذهبوا الى السقيفه.

فسلام عليك يا رسول الله يوم ولدت و يوم مت و يوم تبعث حيا.

ص: ٢١٠

اشاره

من معالم رساله الاسلاميه الخاتمه

بما ذا بعث النبي محمد (صلى الله عليه و اله) ؟

(١)

بعث الله تعالى نبيّه محمّدا (صلى الله عليه و اله) على حين فتره من الرسل خاتما للنبيين و ناسخا لشرائع من كان قبله من المرسلين إلى الناس كافة أسودهم و أبيضهم عربيهم و عجميهم و قد ملئت الأرض من مشرقها إلى مغربها بالخرافات و السخافات و البدع و القبائح و عباده الأوثان.

فقام (صلى الله عليه و اله) فى وجه العالم كافة و دعا إلى الايمان بإله واحد خالق رازق مالك لكل أمر، بيده النفع و الضر، لم يكن له شريك فى الملك و لم يكن له ولى من الذل و لم يتخذ صاحبه، لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد.

بعثه أمرا بعبادته وحده لا شريك له مبطلا عباده الاصنام و الاوثان التى لا تضر و لا تنفع و لا تعقل و لا تسمع و لا تدفع عن أنفسها و لا عن غيرها ضرا و لا ضيما، متمما لمكارم الاخلاق حاثا على محاسن الصفات أمرا بكل حسن ناهيا عن كل قبيح.

ص: ٢١١

١- ((١)) تجد هذا البحث فى سيره النبي (صلى الله عليه و اله) للسيد محسن الأمين العاملى فى كتابه أعيان الشيعة.

و اكتفى من الناس بأن يقولوا لا- إله إلا الله محمد رسول الله و يقيموا الصلاه و يؤتوا الزكاه و يصوموا شهر رمضان و يحجوا البيت و يلتزموا بأحكام الاسلام. و كان قول هاتين الكلمتين (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) يكفى لأن يكون لقائله ما للمسلمين و عليه ما عليهم.

سمو التعاليم الاسلاميه

و بعث بالمساواه فى الحقوق بين جميع الخلق، و أنّ أحدا ليس خيرا من أحد إلا- بالتقوى. و بالاخوّه بين جميع المؤمنين و بالكفاءه بينهم: تتكافأ دماؤهم و يسعى بذمتهم أدناهم، و بالعفو العام عن من دخل فى الاسلام.

و سنّ شريعه باهره و قانونا عادلا- تلقّاه عن الله تعالى فكان هذا القانون جامعا لأحكام عباداتهم و معاملاتهم و ما يحتاجونه فى معاشهم و معادهم و كان عباديا اجتماعيا سياسيا أخلاقيا لا يشدّ عنه شىء مما يمكن وقوعه فى حياه البشر مستقبلا و يحتاج اليه بنو آدم، فما من واقعه تقع و لا حادثه تحدث إلا و لها فى الشريعه الاسلاميه أصل مسلم عند المسلمين ترجع اليه.

على أن العبادات فى الدين الاسلامى لا تتمحض لمجرد العباده ففيها منافع بدنيه و اجتماعيه و سياسيه فالطهاره تفيد النظافه، و فى الصلاه رياضه روحيه و بدنيه، و فى صلاه الجماعه و الحج فوائد اجتماعيه و سياسيه ظاهره، و فى الصوم فوائد صحيه لا تنكر، و الاحاطه بفوائد الاحكام الاسلاميه الظاهره فضلا عن الخفيه أمر متعذر أو عسير.

و لما فى هذا الدين من محاسن و موافقه أحكامه للعقول و سهولتها

و سماحتها و رفع الحرج فيه و الاكتفاء بإظهار الشهادتين و لما فى تعاليمه من السمو و الحزم و الجد دخل الناس فيه افواجا و ساد أهله على أعظم ممالك الأرض و اخترق نوره شرق الارض و غربها و دخل جميع أقاليمها و أقطارها تحت لوائه و دانت به الأمم على اختلاف عناصرها و لغاتها.

و لم يمض زمن قليل حتى أصبح ذلك الرجل الذى خرج من مكة مستخفيا و أصحابه يعدّون و يستدلون و يفتنون عن دينهم، يعتصمون تاره بالخروج إلى الحبشه مستخفين و اخرى بالخروج الى المدينه متسللين، يدخل مكة بأصحابه هؤلاء فى عمره القضاء ظاهرا لا يستطيعون دفعه و لا منعه و لم تمض إلاّ- مده قليله حتى دخل مكة فاتحا لها و سيطر على أهلها من دون أن تراق محجمه دم بل و لا قطره دم فدخلوا فى الاسلام طوعا و كرها و توافدت عليه رؤساء العرب ملقيه إليه عنان طاعتها و كان من قبل هذا الفتح بلغ من القوه أن بعث برسله و سفرائه إلى ملوك الأرض مثل كسرى و قيصر و من دونهما و دعاهم إلى الاسلام و غزا بلاد قيصر مع بعد الشقه و ظهر دينه على الدين كله كما وعده ربه حسبما صرّح تعالى بذلك فى سوره النصر، و الفتح و غيرهما و كما تخبرنا بذلك كتب التاريخ.

و لم يقم هذا الدين بالسيف و القهر كما يصوّره من يريد الوقيعه فيه بل كما أمر الله تعالى: **أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ** **جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ (١)**. و لم يحارب أهل مكة و سائر العرب حتى حاربوه و أرادوا قتله و اخرجوه، و أقر أهل الاديان التى نزلت بها الكتب السماويه على أديانهم و لم يجبرهم على الدخول فى الاسلام.

ص: ٢١٣

و انزل الله تعالى على نبيه حين بعثه بالنبوة قرآنا عربيا مبينا لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، وقد أعجز النبي (صلّى الله عليه و اله) به البلاغ و أخرج الفصحاء و تحدّاهم فيه فلم يستطيعوا معارضته و هم أفصح العرب بل و اليهم تنتهي الفصاحة و البلاغ، و قد حوى هذا الكتاب العزيز المنزل من لدن حكيم عليم من أحكام الدين و أخبار الماضين و تهذيب الاخلاق و الأمر بالعدل و النهي عن الظلم و تبيان كل شىء ما جعله يختلف عن كل الكتب حتّى المنزلة منها و هو ما يزال يتلى على كر الدهور و مر الأيام و هو غض طرى يحير بيانه العقول و لا تمّله الطباع مهما تكررت تلاوته و تقادم عهده.

و قد كان القرآن الكريم معجزه فيما أبدع من ثوره علميه و ثقافيه فى ظلمات الجاهليه الجهلاء و قد أرسى قواعد نهضته على منهج علمى قويم، فحثّ على العلم و جعله العامل الأوّل لتسامى الانسان نحو الكمال اللائق به و حثّ على التفكير و التعقّل و التجربه و البحث عن ظواهر الطبيعه و التعمق فيها لا كتشاف قوانينها و سننها و أوجب تعلّم كل علم تتوقف عليه الحياه الاجتماعيه للانسان و اهتم بالعلوم النظرية من كلام و فلسفه و تاريخ و فقه و أخلاق، و نهى عن التقليد و اتباع الظن و أرسى قواعد التمسك بالبرهان.

و حثّ القرآن على السعى و الجد و التسابق فى الخيرات و نهى عن البطاله و الكسل و دعا الى الوحده و نبذ الفرقة. و شجب العنصريه و التعصبات القبليه الجاهليه.

و أقرّ الاسلام العدل كأساس فى الخلق و التكوين و التشريع و المسؤوليّه و فى الجزاء و المكافاه، و هو أوّل من نادى بحق المساواه بين أبناء الانسان أمام

قانون الله و شريعته و أدان الطبقية و التمييز العنصرى و جعل ملائك التفاضل عند الله أمرا معنويًا هو التقوى و الاستباق الى الخيرات، من دون أن يجعل هذا التفاضل سببا للتمايز الطبقي بين أبناء المجتمع البشرى.

و بالغ الاسلام فى حفظ الأمن و المحافظه على الأموال و الدماء و الأعراض و فرض العقوبات الشديده على سلب الأمن بعد أن شيد الارضيه اللازمه لاستقرار الأمن و العدل و جعل العقوبه آخر دواء لعلاج هذه الأمراض الاجتماعيه بنحو ينسجم مع الحره التى شرّعها للانسان. و من هنا كان القضاء فى الشريعه الاسلاميه مرتكزا على إقرار العدل و الأمن و إحقاق الحقوق المشروعه مع كل الضمانات اللازمه لذلك.

و اعتنى الاسلام بحفظ الصحه و السلامه البدنيه و النفسيه غايه الاعتناء و جعل تشريعاته كلها منسجمه مع هذا الأصل المهم فى الحياه.

الواجبات و المحرمات فى الشريعه الاسلاميه:

و تركز الواجبات و المحرمات فى الشريعه الاسلاميه على اسس فطريه واقعيه و امور تستلزمها طبيعه الأهداف الساميه للشريعه التى جاءت لإخراج هذا الانسان من ظلمات الجاهليه و هدايته الى نور الحق و الكمال، و لا تحتاج الانسانيه الى شىء يرتكز عليه الكمال البشرى إلاّ و أوجبه الشريعه الاسلاميه على الانسان و هيأت له سبل الوصول إليه، و حرّمت كل شىء يعيق الانسان عن السعاده الحقيقيه المنشوده له و سدّت كل منافذ السقوط الى هوّه الشقاء.

و أباحت الطبيات و لذائد الحياه الدنيا و زيتتها ممّا لا يخلّ باصول الشريعه و مدارج الكمال البشرى و حدّدت قنواتها حين حدّدت الأهداف

الساميه و حرمت ما يضّرّ و أوجبت ما ينبغى للانسان امثاله.

و مع ذلك كله فقد اعتبرت الشريعه مكارم الاخلاق أهدافا أساسيه ينبغى للانسان الذكى اللبيب أن يحصل عليها فى هذه الحياه الدنيا ليسعد بها فى الدنيا و يحيا بها فى الآخره ذات الحياه الأبدية الدائمه.

و اعتنى الاسلام بالمرأه اعتناء بالغا و جعلها ركن العائله و أساس السعاده فى الحياه الزوجيه و شرع لها من الحقوق و الواجبات ما يضمن لها عزّتها و كرامتها و تحقيق سعادتها و سعاده أبنائها و مجتمعا الإنسانى.

و صفوه القول أنّ الإسلام لم يغفل عن تشريع كل ما يحتاجه المجتمع البشرى فى تكامله و ارتقائه.

ص: ٢١٦

إشاره

تراث خاتم المرسلين (صلى الله عليه و اله)

قال تعالى: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١).

لقد تجلت لنا-من خلال دراسه التاريخ الاسلامى-الثمار العظيمه لهذه البعثه الإلهيه لخاتم النبیین محمد(صلى الله عليه و اله)حيث أسفرت نبوته عن:

١-رساله إلهيه شامله قام بتليغها الى البشريه عامه.

٢-امه مسلمه تحمل مشعل الرساله و عبير النبوه الى سائر الامم.

٣-و دوله اسلاميه ذات كيان سياسى مستقل و نظام إلهى فريد.

٤-و قياده معصومه تخلف الرسول القائد و تمثله خير تمثيل.

و اذا قصرنا النظر على التراث المسموع أو المكتوب و المدون و كان تعريفنا لتراث الرسول الخاتم(صلى الله عليه و اله)بأنه:كل ما قدمه الى البشريه و الامه الاسلاميه من عطاء مقروء أو مسموع،فينبغى لنا أن نصنف ما قدمه إليهم الى:

١-القرآن الكريم.

٢-السنة الشريفه.

ص:٢١٧

و يشترك العطاء ان بأنهما من فيض السماء على الانسان بتوسط هذا الرسول الكريم. فهما وحى الله على قلب محمد (صلى الله عليه و اله) الذى لم ينطق عن الهوى.

و يتميز القرآن الحكيم أولا بأن شكله و محتواه (نصّه و مضمونه) معا من الله تعالى، فالصياغة إلهيه معجزه كما أنّ مضمونه كذلك. على أن جمعه و تدوينه - كما هو الصحيح و الثابت تاريخيا - قد تمّ فى عصر الرسول نفسه و قد تواتر إلينا نصّه بشكل كامل غير محرّف.

و الوثائق التاريخيه الدالّه على تدوين النصّ القرآنى فى عصر الرسول (صلى الله عليه و اله) غير قليله، نكتفى بنص قرآنى و آخر غير قرآنى على ذلك.

فالأول: قوله تعالى: **وَقَالُوا أَتُحَدِّثُ بِالْحِكْمِ وَالْحِكْمِ الْأَوَّلِينَ الْأَوَّلِينَ كُتِبَ عَلَيْهَا فَهِيَ تُمَلِّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (١)**.

و الثانى: ما روى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) حيث قال:

«... ما نزلت على رسول الله (صلى الله عليه و اله) آيه من القرآن إلا أقرأنيها و أملاها على فكتبتها بخطى و علّمني تأويلها و تفسيرها و ناسخها و منسوخها و محكمها و متشابهها و خاصّها و عامّها، و دعا الله أن يعطينى فهمها و حفظها، فما نسيت من كتاب الله و لا علما أملاه على و كتبه منذ دعا لى بما دعا» (٢).

و المسلمون جميعا متفقون على أن النبى (صلى الله عليه و اله) بلغ القرآن كاملا، و أن القرآن المتداول اليوم بين المسلمين هو الذى كان متداولاً فى عهد النبى (صلى الله عليه و اله) لم يزد فيه شىء و لم ينقص منه شىء.

و أمّا السنه الشريفه و الحديث النبوى، فهو بشرى الصياغه إلهي

ص: ٢١٨

١- ((الفرقان (٢٥): ٥.

٢- ((الكافى: ١/٦٢-٦٣ كتاب فضل العلم، باب اختلاف الحديث.

المضمون، و يتميز بالفصاحه الكامله و تتجلى فيه عظمه الرسول و كماله و عصمته و التسديد الإلهي له.

و من هنا كان القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع و ينبوع الاساسى للمعرفه التى تحتاجها البشريه على مدى الحياه. قال تعالى: قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَ لَيْسَ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي لَجَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ (١).

و اعتبر القرآن الكريم السنّه الشريفه ثانى مصدر للتشريع الربانى حيث اعتبرت سنّه النبى الكريم مصدرا تشريعا تاليا للقرآن باعتبار النبى (صلّى الله عليه و اله) مفسرا للذكر الحكيم و اسوه حسنه يقتدى بها، و على الناس أن يأخذوا بأوامره و يتتبعوا عن نواهيه (٢).

و لكن السنّه النبويه-و للأسف-لقيت بعد عصر الرسول (صلّى الله عليه و اله) و بالذات عصر الخلفاء الأوائل وضعاسيئا حيث أقدم أبو بكر و عمر على منع تدوين حديث الرسول (صلّى الله عليه و اله)، و قاما بحرق ما دونه بعض الصحابه بحجه أن ذلك النهى جاء منهما-و من عمر بالذات- حرصا منهما على القرآن الكريم لأن تدوين السنّه و الاهتمام بها يؤدى بالتدريج الى الغفله عن القرآن أو الى ضياع القرآن من حيث التباسه بالحديث.

و لكن أهل البيت و أتباعهم و كثير من المسلمين قد تعاملوا مع سنّه الرسول (صلّى الله عليه و اله) التعامل اللائق بها من الاحترام و التقديس مستلهمين ذلك من القرآن الكريم، و من هنا أخذوا يتداولونها حفظا و تحديثا و تدوينا و تطبيقا بالرغم من الحظر الرسمى للتدوين. الذى كان لسبب آخر-كما يبدو-غير ما

ص: ٢١٩

١- ((١)) البقره (٢): ١٢٠.

٢- ((٢)) النحل (١٦): ٤٤، و الاحزاب (٣٣): ٢١ و الحشر (٥٩): ٧.

ذكر، ببطلان ما ذكر من الأسباب. حيث خالف العلماء والخلفاء فيما بعد ذلك الحظر وراحوا يحثون على التدوين.

و أول من بادر الى تدوين السنه الشريفه و اعتنى بها أشد الاعتناء هو ربيب الرسول (صلى الله عليه و اله) و وصيه الإمام على بن أبى طالب (عليه السلام). قال: «و قد كنت أدخل على رسول الله (صلى الله عليه و اله) كل يوم دخله و كل ليله دخله فيخلىني فيها، أدور معه حيثما دار.

و قد علم أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و اله) أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيرى... و كنت إذا سألته أجبني و اذا سكتت و فريت مسألتى ابتدأتنى، فما نزلت على رسول الله (صلى الله عليه و اله) آيه من القرآن الا- أقرأنيها و أملاها على فكتبتها بخطى و علمنى تأويلها و تفسيرها... و ما ترك شيئاً علمه الله من حلال و لا- حرام و لا أمر و لا نهى كان أو يكون منزلاً على أحد قبله من طاعه أو معصيه الا علمنيه و حفظته فلم أنس حرفاً واحداً...» (١).

و تمثلت مدونات الامام على (عليه السلام) مما أملاه عليه الرسول (صلى الله عليه و اله) فى ما يسمى بكتاب على و ما يسمى بالجامعه أو الصحيفه.

قال ابو العباس النجاشى المتوفى سنه (٤٥٠ هـ): أخبرنا محمد بن جعفر (النحوى التميمى و هو شيخه فى الاجازه) مسندا الى عذافر الصير فى قال:

كنت مع الحكم بن عتيبه عند أبى جعفر (عليه السلام) فجعل يسأله و كان أبو جعفر (عليه السلام) له مكرماً فاختلفا فى شىء، فقال أبو جعفر (عليه السلام): يا بنى قم فاخرج كتاب على (عليه السلام)، فأخرج كتاباً مدروجاً عظيماً، ففتحه و جعل ينظر حتى أخرج المسأله فقال أبو جعفر (عليه السلام): هذا خط على (عليه السلام) و إملاء رسول الله (صلى الله عليه و اله) و أقبل على الحكم و قال: يا أبا محمد اذهب أنت و سلمه و أبو المقدام حيث شئتم يمينا و شمالاً فو الله لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرائيل (عليه السلام) (٢).

ص: ٢٢٠

١- ((١)) بصائر الدرجات: ١٩٨ و الكافي: ٦٢/١-٦٣.

٢- ((٢)) تاريخ التشريع الاسلامى: ٣١.

و عن ابراهيم بن هاشم مسندا الى أبي جعفر (عليه السلام): في كتاب على كل شيء يحتاج اليه حتى أرش الخدش (١).

و أما صحيفه عليّ (عليه السلام) أو الجامعه فهي مدوّنه اخرى لعليّ (عليه السلام) على جلد طولها سبعون ذراعا فعن أبي بصير (عليه السلام): أنه قال له الامام الصادق (عليه السلام) فيما قال له: و ان عندنا الجامعه، صحيفه طولها سبعون ذراعا بذراع رسول الله (صلى الله عليه و اله) و املائه من فلق فيه و خط عليّ (عليه السلام) بيمينه، فيها كل حلال و حرام و كل شيء يحتاج اليه الناس حتى الارش في الخدش (٢).

هذا هو موقف أهل البيت (عليهم السلام) من السنّه الشريفه.

و أما الموقف الحكومى الرسمى فى خلافه الشيخين فقد ترك آثارا سلبيه كبيره حيث استمرّ هذا الحظر إلى ما لا يقلّ عن قرن واحد و أدى الى ضياع كثير منها، و فتح الباب أمام تسرّب الإسرائيليات الى مصادر الثقافه عند المسلمين، كما و أنتج انفتاح باب الرأى و الاستحسان على مصراعيه حتى غدا الرأى مصدرا من مصادر التشريع بل قد قدّمه البعض حتى على نصوص السنّه النبويه الشريفه؛ إذ لم يصمد كثير من النصوص أمام النقد العلمى. و هذا قد أدى بدوره الى شحّه النصوص النبويه الصحيحه عند أهل السنّه و عدم وفائها بما تحتاجه الامه فى عصورها المقبله.

و لكن أهل البيت (عليهم السلام) قد وقفوا أمام هذا التيار الجارف بكل حزم و استطاعوا أن يحفظوا السنّه الشريفه من الضياع عند المؤمنين من خلال توجيهاتهم و حسب ما تقتضيه إمامتهم و خلافتهم الشرعيه فإنّ أولى مهامّ الإمام و الخليفه المنصوص هو حفظ الشريعه و نصوصها من الضياع.

ص: ٢٢١

١- ((١)) تاريخ التشريع الإسلامى: ٣٢.

٢- ((٢)) المصدر السابق: ٣٣.

و من هنا لزم على الباحث عن السنّه النبويه الرجوع الى مصادر السنّه عند أهل البيت (عليهم السلام) و أتباعهم فإنهم أدرى بما فى البيت.
و السنه الشريفه عند أهل البيت (عليهم السلام) تغطّى جميع أبواب العقيدّه و الفقه و الاخلاق و التربيه و كل ما تحتاجه البشريه فى كل مجالات الحياه.

و قد صرّح الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) حفيد الرسول الأعظم بهذه الحقيقه فقال: «ما من شيء إلا و فيه كتاب أو سنّه (1)».

ص: ٢٢٢

١- (١) الكافي: ٤٨/١.

١-العقل و العلم:

١-لقد اهتم الرسول(صلى الله عليه و اله)بالعقل أشدّ الاهتمام، فعزّفه و بين وظيفته و دوره فى الحياه:على مستوى التكليف و المسؤليه، و على مستوى العمل و الجزاء، كما بيّن عوامل رشده و تكامله، فقال:

«إن العقل عقال من الجهل، و النفس مثل أخبث الدّوّاب، فإن لم يعقل حارت، فالعقل عقال من الجهل، و إن الله خلق العقل، فقال له: أقبل فأقبل، و قال له: أدبر فأدبر، فقال له الله تبارك و تعالى: و عزّتى و جلالى ما خلقت خلقا أعظم منك و لا أطوع منك، بك ابدى و اعيد، لك الثواب و عليك العقاب.

فتشعب من العقل الحلم، و من الحلم العلم، و من العلم الرشده، و من الرشده العفاف، و من العفاف الصيانه، و من الصيانه الحياء، و من الحياء الرزانه، و من الرزانه المداومه على الخير، و كراهيه الشر، و من كراهيه الشر طاعه الناصح.

فهذه عشره أصناف من أنواع الخير، و لكل واحد من هذه العشره الأصناف عشره أنواع...» (١).

٢- و اهتم الرسول الرائد(صلى الله عليه و اله)بالعلم و المعرفه، مبيّنا دور العلم فى الحياه و قيمته اذا ما قيس الى سائر أنواع الكمال، فقال:

«طلب العلم فريضه على كل مسلم، فاطلبوا العلم من مظانه، و اقتبسوه من أهله، فإنّ

ص: ٢٢٣

١- (١) راجع تمام الحديث فى تحف العقول، باب مواعظ النبى و حكمه. و روى أنّ شمعون بن لاوى المسيحى دخل على رسول الله و ناقشه طويلا- ثم اعتنق الإسلام فقال: أخبرنى عن العقل ما هو؟ و كيف هو؟ و ما يتشعب منه و ما لا- يتشعب، و صفه و صف لى طوائفه كلها، فقال الرسول:... إن العقل عقال من الجهل... راجع أيضا كلمه الرسول الأعظم: ٩١.

تعليمه لله حسنه، وطلبه عباده، و المذاكره به تسيح، و العمل به جهاد، و تعليمه من لا يعلمه صدقه، و بذله لأهله قربه إلى الله تعالى؛ لأنه معالم الحلال و الحرام، و منار سبل الجنه، و المؤمنس فى الوحشه، و الصاحب فى الغريه و الوحده، و المحدث فى الخلوه، و الدليل على السراء و الضراء، و السلاح على الأعداء، و الزين عند الأخلاء. يرفع الله به أقواما، فيجعلهم فى الخير قاده، تقتبس آثارهم، و يهتدى بفعالهم، و ينتهى إلى رأيهم، و ترغب الملائكه فى خلّتهم. بأجنتها تمسحهم، و فى صلاتها تبارك عليهم. يستغفر لهم كل رطب و يابس، حتى حيتان البحر و هوائه، و سباع البر و أنعامه. إن العلم حياه القلوب من الجهل، و ضياء الأبصار من الظلمه، و قوه الأبدان من الضعف. يبلغ بالعبد منازل الأخيار، و مجالس الأبرار، و الدرجات العلى فى الدنيا و الآخره. الذكر فيه يعدل بالصيام، و مدارسته بالقيام. به يطاع الرب، و به توصل الأرحام، و به يعرف الحلال و الحرام. العلم إمام العمل و العمل تابعه.

يلهمه السعداء، و يحرمه الأشقياء، فطوبى لمن لم يحرمه الله منه حظّه.

و صفه العاقل أن يحلم عمّن جهل عليه، و يتجاوز عمّن ظلمه، و يتواضع لمن هو دونه، و يسابق من فوقه فى طلب البر. و إذا أراد أن يتكلم تدبّر، فإن كان خيرا تكلم فغنم، و إن كان شرا سكت فسلم، و إذا عرضت له فتنه استعصم بالله، و أمسك يده و لسانه، و إذا رأى فضيله انتهز بها. لا يفارقه الحياء، و لا يبدو منه الحرص، فتلك عشر خصال يعرف بها العاقل.

و صفه الجاهل أن يظلم من خالطه، و يتعدى على من هو دونه، و يتناول على من هو فوقه. كلامه بغير تدبّر، إن تكلم أثم، و إن سكت سها، و إن عرضت له فتنه سارع إليها فأردته، و إن رأى فضيله أعرض عنها و أبطأ عنها. لا يخاف ذنوبه القديمه، و لا يرتدع فيما بقى من عمره من الذنوب. يتوانى عن البرّ و يبطن عنه، غير مكترث لما فاته من ذلك أو ضييعه، فتلك

عشر خصال من صفه الجاهل الذى حرم العقل (١).

٢- مصادر التشريع:

اشاره

٣- لقد رسم خاتم الرسل (صلى الله عليه و اله) للناس جميعا طريق السعاده الحقيقيه و ضمن لهم الوصول اليها فيما اذا التزموا بالتعليمات التى بينها لهم. و يتلخص طريق السعاده عند الرسول (صلى الله عليه و اله) بالتمسك بأصلين أساسيين لا غنى بأحدهما عن الآخر و هما الثقلان، حيث قال:

«أيها الناس! إننى فرطكم، و انتم واردون على الحوض، ألا و إننى سائلكم عن الثقلين، فانظروا: كيف تحلفونى فيهما؟ فإن اللطيف الخبير نبأنى: أنهما لن يفترقا حتى يلقىانى، و سألت ربه ذلك فأعطانيه، ألا و إننى قد تركتهما فيكم: كتاب الله و عترتى أهل بيتى، لا تسبقوهم فتفرقوا و لا تقصروا عنهم فتهلكوا، و لا تعلموهم، فإنهم أعلم منكم.

أيها الناس! ألا ألفتكم بعدى كفارا، يضرب بعضكم رقاب بعض، فتلقونى فى كتيبته كمجز السيل الجزار.

ألا و إن على بن أبى طالب أخى و وصيى، يقاتل بعدى على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله» (٢).

القرآن و دوره المتميز:

٤- و أفصح النبى (صلى الله عليه و اله) تبليغ بيانه عن عظمه القرآن الكريم ميّنا دوره فى الحياه و قيمه التمسك التام به حيث خاطب عامه البشره قائلا:

«أيها الناس! إنكم فى دار همدنه، و أنتم على ظهر سفر، و السير بكم سريع، فقد رأيتم الليل و النهار، و الشمس و القمر، يبليان كل جديد، و يقربان كل بعيد، و يأتیان بكل وعد

ص: ٢٢٥

١- (١) بحار الأنوار: ١/١٧١ طبعه مؤسسه الوفاء، و راجع تحف العقول: ٢٨ طبعه مؤسسه النشر الاسلامى.

٢- (٢) أعيان الشيعة: ٢/٢٢٦، تاريخ يعقوبى: ١٠١/٢-١٠٢.

و وعيد، فأعدوا الجهاز لبعده المجاز. إنَّها دار بلاء و ابتلاء، و انقطاع و فناء، فإذا التبتت عليكم الامور كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع، و ماحل مصدق. من جعله أمامه قاده إلى الجنة، و من جعله خلفه ساقه إلى النار، و من جعله الدليل يده على السبيل. و هو كتاب فيه تفصيل، و بيان و تحصيل. هو الفصل ليس بالهزل، و له ظهر و بطن، فظاهره حكم الله، و باطنه علم الله تعالى، فظاهره أنيق، و باطنه عميق، له تخوم، و على تخومه تخوم، لا تحصي عجائبه، و لا تبلى غرائبه، مصابيح الهدى، و منار الحكمة، و دليل على معرفه لمن عرف الصفة، فليجل جال بصره، و يبلغ الصفة نظره، ينج من عطب، و يتخلص من نشب؛ فإن التفكير حياه قلب البصر، كما يمشى المستنير في الظلمات بالثور، فعليكم بحسن التخلص، و قله التربص» (١).

أهل البيت (عليهم السلام) أركان الدين

٥- و عرّف الرسول الخاتم (صلى الله عليه و اله) الثقل الكبير - أى أهل بيت رساله:

على و بنوه الأحد عشر - بأنواع التعريف، و كان مما قاله فى آخر خطبه خطبها:

«يا معشر المهاجرين و الأنصار! و من حضرني فى يومى هذا، و فى ساعتى هذه، من الجنّ و الإنس فليبلغ شاهدكم الغائب: ألا قد خلّفت فيكم كتاب الله. فيه الثور، و الهدى، و البيان، ما فرط الله فيه من شىء، حجه الله لى عليكم. و خلّفت فيكم العلم الأ-كبر، علم الدين، و نور الهدى، و صيى: على بن أبى طالب، ألا و هو جبل الله، فاعتصموا به جميعا، و لا تفرقوا عنه، و اذكروا نعمت الله عليكم إذ كُنتم أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا» (٢).

أيها الناس! هذا على بن أبى طالب، كنز الله، اليوم و ما بعد اليوم، من أحبه و تولاه

ص: ٢٢٦

١- ((١)) تفسير العياشى: ٢/١-٣، كنز العمال: ٢/٢٨٨، الحديث ٤٠٢٧.

٢- ((٢)) آل عمران (٣): ١٠٣.

اليوم و ما بعد اليوم، فقد أوفى بما عاهد عليه، و أدى ما وجب عليه، و من عاداه اليوم و ما بعد اليوم، جاء يوم القيامة أعمى و أصمّ، لا حجّ له عند الله.

أيها الناس! لا تأتونى غداً بالدنيا، ترفونها زفاً، و يأتى أهل بيتى شعثاء غبراء، مهجورين مظلومين، تسيل دماؤهم أمامكم، و بيعات الضلاله و الشورى للجهااله فى رقابكم.

ألا و إن هذا الأمر له أصحاب و آيات، قد سمّاهم الله فى كتابه، و عرفتمكم، و بلغتمكم ما أرسلت به إليكم، و لكنى أراكم قوماً تجهلون. لا ترجعن بعدى كفاراً مرتدين، متأولين للكتاب على غير معرفه، و يتدعون السنّه بالهوى؛ لأنّ كل سنّه و حديث و كلام خالف القرآن فهو ردّ و باطل.

القرآن إمام هدى، و له قائد يهدى إليه، و يدعو إليه بالحكمه و المواعظه الحسنه. و هو وليّ الأمر بعدى، و وارث علمى و حكمتى، و سرّى و علانيتى، و ما ورثه النبيون من قبلى، و أنا وارث و مورث، فلا يكذبتم أنفسكم.

أيها الناس! الله الله فى أهل بيتى؛ فإنهم أركان الدين، و مصايح الظلم، و معدن العلم؛ على أخى، و وارثى، و وزيرى، و أمينى، و القائم بأمرى، و الموفى بعهدى على سببى. أول الناس بى إيماناً، و آخرهم عهداً عند الموت، و أوسطهم لى لقاء يوم القيامة، فليبلغ شاهدكم غائبكم ألا و من أمّ قوماً إمامه عمياء، و فى الأمه من هو أعلم، فقد كفر.

أيها الناس! و من كانت له قبلى تبعه فيما أنا، و من كانت له عده، فليأت فيها على بن أبى طالب، فإنّه ضامن لذلك كلّه، حتى لا يبقى لأحد على تباعه» (١).

ص: ٢٢٧

١- (١) آخر خطبه لرسول الله (صلى الله عليه و اله). راجع بحار الأنوار: ٢٢/٤٨٤-٤٨٧.

الخالق لا يوصف:

«إنَّ الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، وكيف يوصف الخالق الذي تعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحدّه، والأبصار عن الإحاطه به؟ جلَّ عمّا يصفه الواصفون، ناء في قربه، وقريب في نأيه، كيف الكيفيه فلا يقال له كيف؟ أو أين الأين فلا يقال له أين؟ هو منقطع الكيفويته والأينويته، فهو الأحد الصمد كما وصف نفسه، والواصفون لا يبلغون نعته، لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد» (١).

شروط التوحيد:

«إذا قال العبد: «لا إله إلا الله» فينبغي أن يكون معه تصديق و تعظيم، و حلاوه و حرمة، فإذا قال: «لا إله إلا الله» و لم يكن معه تعظيم، فهو مبتدع. و إذا لم يكن معه حلاوه فهو مرء. و إذا لم يكن معه حرمة فهو فاسق» (٢).

رحمه الله:

«إن رجلين كانا في بنى إسرائيل، أحدهما مجتهد في العباده و الآخر مذنب، فجعل يقول المجتهد: أقصر عمّا أنت فيه، فيقول: خلّني و ربّي، حتى وجده يوما على ذنب استعظمه، فقال: أقصر، قال: خلّني و ربّي، أبعثت عليّ رقيبا؟ فقال: و الله لا يغفر الله لك و لا يدخلك الجنة. فبعث الله إليهما ملكا، فقبض أرواحهما فاجتمعا عنده، فقال للمذنب: ادخل

ص: ٢٢٨

١- (١) بحار الانوار: ٩٤/٢، الكفاية، أبو المفضل الشيباني عن أحمد بن مطوق بن سوار عن المغيرة بن محمد ابن المهلب عن عبد الغفار بن كثير عن ابراهيم بن حميد عن أبي هاشم عن مجاهد عن ابن عباس قال: قدم يهودى على رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، يقال له: نعتل. فقال: يا محمد إننى أسألك عن أشياء تلجلج في صدرى منذ حين، فإن أنت أجبتنى عنها، أسلمت على يدك. قال: سل يا أبا عماره! فقال: يا محمد صف لى ربك. فقال:...

٢- (٢) كلمه الرسول الأعظم: ٣٠.

الجنة برحمتي، و قال للآخر: أتستطيع أن تحظر على عبدى رحمتي؟ فقال: لا يا رب. قال:

اذهبوا به إلى النار» (١).

لا جبر ولا اختيار:

«إن الله لا يطاع جبراً، ولا يعصى مغلوباً، ولم يهمل العباد من المملكه، ولكنه القادر على ما أقدرهم عليه، والمالك لما ملكهم إياه؛ فإن العباد إن ائتمروا بطاعة الله لم يكن منها مانع، ولا عنها صاد، وإن عملوا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبينها فعل، وليس من شاء أن يحول بينك وبين شيء ولم يفعله، فأتاه الذي فعله كان هو الذي أدخله فيه» (٢).

الخاتمة:

«فضّلت على الأنبياء بسّ: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب من مسيره شهر، وحلت لي الغنائم. وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً. و أرسلت إلى الخلق كافه.

و ختم بي النبيون» (٣).

إن الله اصطفاني:

«إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، و اصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانه، و اصطفى من بنى كنانه قريشا. و اصطفى من قريش بنى هاشم، و اصطفاني من بنى هاشم، قال الله تبارك و تعالى: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ» (٤).

ص: ٢٢٩

١- ((١)) كلمه الرسول الأعظم: ٣١.

٢- ((٢)) بحار الأنوار: ١٤٠/٧٧.

٣- ((٣)) المصدر السابق: ٣٢٤/١٦.

٤- ((٤)) كلمه الرسول الأعظم: ٣٥. راجع بحار الأنوار: ٣٢٣/١٦.

«إنّ مثل ما بعثني به ربّي من الهدى و العلم كمثل غيث أصاب أرضاً، منها طائفه طيبه، فقبلت الماء فأنبت العشب و الكالأ الكبير، و كانت منها أجادب امسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشرّبوا منها و سقوا و زرعوا، و أصاب طائفه منها أخرى، إنّما هي قيعات، لا- تمسك و لا تنبت كالأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، و تفقه فيما بعثني الله به، فعلم و علم، و مثل من لم يرفع بذلك رأساً، و لم يقبل هدى الله الذى ارسلت به» (١).

الإمام بعد رسول الله (صلى الله عليه و اله):

«يا عمّار! إنّه سيكون بعدى هنات، حتى يختلف السيف فيما بينهم، و حتى يقتل بعضهم بعضاً، و حتى يبرأ بعضهم من بعض، فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الأصلع عن يميني:

علّى بن أبى طالب، فإن سلك الناس كلّهم وادياً، و سلك علّى وادياً فاسلك وادى علّى، و خلّ عن الناس.

يا عمّار! إن علينا لا يردك عن هدى، و لا يدلك على ردى.

يا عمّار! طاعه علّى طاعتي، و طاعه الله (٢).

«من ظلم علّى مقعدى هذا بعد وفاتي، فكأنما جحد نبوتى، و نبوه الأنبياء قبلى» (٣).

ص: ٢٣٠

١- (١) بحار الأنوار: ١/١٨٤.

٢- (٢) مجمع البيان: ٣/٥٣٤، روى أبو أيوب الأنصارى أن النبي (صلى الله عليه و اله) قال لعمار بن ياسر:...

٣- (٣) المصدر السابق: ٣/٥٣٤، عن كتاب شواهد التنزيل للحاكم أبى القاسم الحسكاني عن أبى الحمد مهدي ابن نزار الحسنى حدثني محمد بن القاسم بن أحمد عن أبى سعيد محمد بن الفضيل بن محمد عن محمد بن صالح العزمى عن عبد الرحمن بن أبى حاتم عن أبى سعيد الأشج عن أبى خلف الأحمر عن إبراهيم بن طهمان عن سعيد بن أبى عروبه عن قتاده عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية «و اتقوا فتنه»: قال النبي (صلى الله عليه و اله):...

«لو لا- أننى أشفق أن تقول فيك طوائف ما قالت النصارى فى عيسى بن مريم، لقلت فيك اليوم مقالا، لا تمرّ بمأ منهم إلا أخذوا التراب من تحت قدميك (١)».

الأئمة بعد رسول الله (صلى الله عليه و اله):

«الأئمة بعدى من عترتى بعدد نساء بنى إسرائيل، و حوارى عيسى، من أحبهم فهو مؤمن و من أبغضهم فهو منافق، هم حجج الله فى خلقه و أعلامه فى بريته» (٢).

أئمة الحق:

«يا على! أنت الإمام و الخليفة بعدى، و أنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضيت فابنك الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسن فأولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسين فأولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى عليّ بن الحسين فأولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى عليّ فابنه محمد أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى محمد فابنه جعفر أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى جعفر فابنه موسى أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى موسى فابنه عليّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى عليّ فابنه محمد أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى محمد فابنه عليّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى عليّ فابنه الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسن فابنه المهدى أولى بالمؤمنين من أنفسهم، يفتح الله به مشارق الأرض و مغاربها، فهم أئمة الحق، و أسنة الصدق، منصور من

ص: ٢٣١

١- ((الإرشاد: ١/١٦٥، قاله لأمر المؤمنين، بعد ما فتح الله على يديه فى غزوه ذات السلاسل.

٢- ((كفايه الأثر: ١٦٦، أبو المفضل الشيبانى عن أحمد بن عامر بن سليمان الطائى عن محمد بن عمران الكوفى عن عبد الرحمن بن أبى نجران عن صفوان بن يحيى عن إسحاق بن عمار عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن على عن أبيه على بن الحسين عن أبيه الحسين بن على عن أخيه الحسن ابن على (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): ...

نصرهم،مخدول من خذلهم» (١).

النبي (صلى الله عليه و اله) يبشّر بالمهدى (عليه السلام):

روى أحمد عن النبي (صلى الله عليه و اله)، أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلما و عدوانا ثم يخرج من عترتى من يملأها قسطا و عدلا...» (٢).

و جاء عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبيه قال: دفع النبي (صلى الله عليه و اله) الرايه يوم خيبر الى على ففتح الله على يده ثم فى غد ير خم أعلم الناس أنه مولى كل مؤمن و مؤمنة. و ساق الحديث و ذكر شيئا من فضائل على و فاطمه و الحسن و الحسين الى أن قال: «أخبرنى جبرئيل أنهم يظلمون بعدى و أن ذلك الظلم يبقى حتى اذا قام قائمهم و علت كلمتهم و اجتمعت الامه على محبتهم و كان الشانى لهم قليلا و الكاره لهم ذليلا. و كثر المادح لهم و ذلك حين تغير البلاد و ضعف العباد و اليأس من الفرج فعند ذلك يظهر القائم المهدى من ولدى يقوم يظهر الله الحق بهم و يخذم الباطل بأسيا فهم- الى أن قال- «معاشر الناس أبشروا بالفرج فإن وعد الله حق لا يخلف، و قضاءه لا يرد و هو الحكيم الخبير و ان فتح الله قريب» (٣).

و عن ام سلمه أنها قالت: سمعت رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول: «المهدى من عترتى من ولد فاطمه» (٤).

ص: ٢٣٢

١- (١) كفايه الأثر: ١٩٥-١٩٦، عن الحسين بن على، عن هارون بن موسى عن محمد بن إسماعيل الفزارى، عن عبد الله بن الصالح كاتب اللبث، عن رشد بن سعد، عن الحسين بن يوسف الأنصارى، عن سهل بن سعد الأنصارى قال: سئلت فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) عن الائمه فقالت: كان رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول لعلى: ... و روى نصين آخرين عن جابر الأنصارى فراجع.

٢- (٢) راجع مسند أحمد: ٣/٤٢٥، الحديث ١٠٩٢٠.

٣- (٣) ينابيع المودّه: ٤٤٠.

٤- (٤) المصدر السابق: ٤٣٠ عن أبى داود فى صحيحه: ٨٧/٤.

و جاء عن حذيفه بن اليمان أنه قال: خطبنا رسول الله (صلى الله عليه و اله) فذكر لنا ما هو كائن الى يوم القيامة ثم قال: لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله عزّ و جلّ ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلا من ولدى اسمه اسمى، فقام سلمان و قال: يا رسول الله إنه من أى ولدك؟ قال: هو من ولدى هذا و ضرب بيده على الحسين (١).

٤- اصول التشريع الاسلامى فى تراث الرسول الأعظم (صلى الله عليه و اله)

اشاره

(٢)

الف- خصائص الاسلام:

- ١- الإسلام يعلو و لا يعلى عليه.
- ٢- الإسلام يجب ما قبله.
- ٣- الناس فى سعه ما لم يعلموا.
- ٤- رفع عن امتى الخطأ و النسيان و ما استكروها عليه.
- ٥- رفع القلم عن ثلاثة: الصبى و المجنون و النائم.

ب- العلم و مسؤوليه العلماء:

- ١- من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليته.
- ٢- من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار.
- ٣- من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار.
- ٤- من أفتى بما لا يعلم لعنته ملائكة السماء و الأرض.
- ٥- كل مفت ضامن.
- ٦- كل بدعه ضلالة و كل ضلالة سببها الى النار.
- ٧- من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين.

ص: ٢٣٣

١- ((١)) البيان فى أخبار صاحب الزمان للحافظ أبى عبد الله محمد بن يوسف بن محمد النوفلى: ١٢٩.

٢- ((٢)) تراجع هذه النصوص و غيرها فى أعيان الشيعة: ٣٠٣/١-٣٠٦.

٨-تعلموا الفرائض و علموها الناس فإنها نصف العلم.

٩-إذا أتاكم عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فاقبلوه و ما خالفه فاضربوا به عرض الحائط.

١٠-إذا ظهرت البدعه فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنه الله.

ج-قواعد عامه للسلوك الإسلامى:

١-لا رهبانيه فى الإسلام.

٢-لا طاعه لمخلوق فى معصيه الخالق.

٣-لا دين لمن لا تقينه له.

٤-لا خير فى النوافل إذا أضرت بالفرائض.

٥-فى كل أمر مشكل القرعه.

٦-إنما الأعمال بالتيات.

٧-تبه المرء أبلغ من عمله.

٨-أفضل الأعمال أحزمها.

٩-من دان بدين قوم لزمه حكمهم.

١٠-من سنَّ سنَّه حسنه كان له أجرها و أجر العامل بها إلى يوم القيامة و من سنَّ سنَّه سيئه كان عليه وزرها و وزر العامل بها إلى يوم القيامة.

د-خطوط عامه فى القضاء و المحاكمات:

١-إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر و إن أصاب فله أجران.

٢-إقرار العقلاء على أنفسهم جائز.

٣-البينه على المدعى و اليمين على من أنكر.

٤-لا يمين إلا بالله.

٥-ادرؤا الحدود بالشبهات.

٦-من قتل دون ماله فهو شهيد.

٧-على اليد ما أخذت حتى تؤدى.

٨-جنايه العجاوات جبار.

٩-لا يؤاخذ الرجل بجريه ابنه، ولا ابن بجريه أبيه.

١٠-الناس مسلطون على أموالهم.

ه-العبادات فى خطوطها العريضة:

١-إن عمود الدين الصلاه.

٢-خذوا عنى مناسككم.

٣-صلوا كما رأيتمونى اصلى.

٤-زكوا أموالكم تقبل صلاتكم.

٥-زكاه الفطره على كل ذكر و انثى.

٦-جعلت لى الأرض مسجدا و ترابها طهورا.

٧-جنبوا مساجدكم بيعكم و شراءكم و خصوصياتكم.

٨-سياحه امتى الصوم.

٩-كل معروف صدقه.

١٠-أفضل الجهاد كلمه حق بين يدى سلطان جائر.

و-من اصول النظام العائلى:

١-النكاح سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى.

٢-تناكحوا تناسلوا فإنى اباهى بكم الامم يوم القيامه.

٣- تزوجوا و لا تطلقوا فإنّ الطلاق يهترّ منه عرش الرحمن.

٤- تخيروا لنطفكم، فانكحوا الأكفاء و أنكحوا إليهم.

٥- الولد للفراش و للعاهر الحجر.

٦- جهاد المرأة حسن التبعل لزوجها.

٧- ليس على النساء جمعه و لا- جماعه و لا- أذان و لا إقامة و لا عياده مريض و لا هروله بين الصفا و المروه و لا جهاد و لا استلام الحجر و لا تولّى القضاء و لا الحلق.

٨- المتلاعنان لا يجتمعان أبدا.

٩- قذف المحصنه يحبط عمل منه سخينه.

١٠- الرضاع ما أنبت اللحم و شدّ العظم.

١١- علّموا أولادكم السباحه و الرمي.

١٢- من كان عنده صبيّ فليتصابّ له.

ز- نقاط مضيئه من النظام الاقتصادي الاسلامي:

١- العباده سبعة أجزاء أفضلها طلب الحلال.

٢- الفقه ثم المتجر.

٣- ملعون من ألقى كله على الناس.

٤- ابدأ بمن تعول.

٥- اعطوا الأجير أجره قبل أن يجفّ عرقه.

٦- على كل ذي كبد حزى أجر.

٧- المسلمون عند شروطهم.

٨- المسلم أحق بماله أيّما وجده.

٩- الوقوف على حسب ما يوقفها أهلها.

١٠- لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفسه منه.

١١- الكفن ثم الدين ثم الوصيه ثم الميراث.

١٢- الصلح جائز بين المسلمين إلا ما أحلّ حراماً أو حرّم حلالاً.

١٣- مظلّ الموسر المسلم ظلم للمسلم.

١٤- اليبعان بالخيار ما دام في المجلس.

١٥- شرّ المكاسب الرّبا.

١٦- لا ينتفع من الميتة يهاب ولا عصب.

ج- من اصول التعايش الاجتماعى:

١- قتال المؤمن كفر و أكل لحمه معصيه.

٢- حرمة المؤمن ميّتا كحرمة حيا.

٣- كرامه الميت تعجيله فى التجهيز.

٤- المؤمنون إخوه تتكافأ دماؤهم و يسعى بذمتهم أدناهم و هم يد على من سواهم.

٥- الولاء للعتق.

٦- الولاء لحمة كلحمه النسب.

٧- سباب المؤمن فسوق.

٨- كل مسكر حرام.

٩- ما اسكر كثيره فالجرعه منه حرام.

١٠- عذاب القبر من النميمه و الغيبه و الكذب.

١١- لا غيبه لفاسق.

١٢- حرّم لباس الذهب على ذكور امتى و حلّ لإناثهم.

٥- من جوامع الكلم فى تراث الرسول الأعظم (صلى الله عليه و اله):

- ١- إنَّما بعثت لاتمم مكارم الأخلاق.
- ٢- أنا مدينة العلم و علىّ بابها.
- ٣- أحبّ الأعمال إلى الله أدومها و إن قلّ.
- ٤- إذا عمل أحدكم عملاً فليتقن.
- ٥- الايمان نصفان: نصف فى الصبر و نصف فى الشكر.
- ٦- استعينوا على اموركم بالكتمان.
- ٧- الأمانه تجلب الرزق و الخيانه تجلب الفقر.
- ٨- الأيدى ثلاثه: سائله و منفقه و ممسكه، فخير الأيدى المنفقه.
- ٩- إذا ساد القوم فاسقهم و كان زعيم القوم أذلهم و أكرم الرجل الفاسق فليستظر البلاء.
- ١٠- أعجل الشر عقوبه البغى.
- ١١- ألا إنّ شرار امتى الذين يكرمون مخافه شرهم. ألا و من أكرمه الناس اتقاء شره فليس منى.
- ١٢- بالبرّ يستعبد الحرّ.
- ١٣- بشّروا و لا تنفّروا.
- ١٤- بادر بأربع قبل أربع: شبابك قبل هرمك و صحّتك قبل سقمك و غناك قبل فقرك و حياتك قبل موتك.
- ١٥- ثلاث من مكارم الأخلاق فى الدنيا و الآخره: أن تعفو عمّن ظلمك و تصل من قطعك و تحلم على من جهل عليك.
- ١٦- ثلاث تخرق الحجب و تنتهى الى ما بين يدي الله: صرير أقلام العلماء و وطئ المجاهدين و صوت مغازل المحصنات.

- ١٧- ثلاث تقسى القلب: استماع اللهو، و طلب الصيد و اتيان باب السلطان.
- ١٨- جبلت القلوب على: حب من أحسن إليها، و بغض من أساء إليها.
- ١٩- حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا.
- ٢٠- حب الدنيا رأس كل خطيئه.
- ٢١- الحكمة ضاله المؤمن. رأس الحكمة مخافة الله.
- ٢٢- حفت الجنة بالمكاره و حقت النار بالشهوات.
- ٢٣- حسنوا أخلاقكم و الطفوا بجيرانكم و اكرموا نساءكم تدخلوا الجنة بغير حساب، داووا أمراضكم بالصدقه.
- ٢٤- رأس العقل بعد الايمان بالله مداراه الناس في غير ترك حق.
- ٢٥- ساده الناس في الدنيا الأسخياء، ساده الناس في الآخرة الأتقياء. السعيد من وعظ بغيره.
- ٢٦- شر الناس من باع آخرته بدنياه، و شر من ذلك من باع آخرته بدنياه غيره.
- ٢٧- طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس.
- ٢٨- عليك بالجماعه فإن الذئب يأخذ القاصيه.
- ٢٩- عليكم بالاعتصام فما افتقر قوم اقتصدوا.
- ٣٠- عجبت لمن يحتمى من الطعام مخافه الداء، كيف لا يحتمى من الذنوب مخافه النار.
- ٣١- عز المؤمن استغناؤه عن الناس.
- ٣٢- عد من لا يعودك، و اهد لمن لم يهد إليك.
- ٣٣- الغنى غنى النفس.
- ٣٤- كن عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا، و لا تكن الخامس فتهلك.
- ٣٥- لا مال أعود من العقل.

٣٦- لا فقر أشد من الجهل.

٣٧- لا عقل كالتدبير.

٣٨- ليس منّا من غشّ مسلماً أو ضرّه أو ماكره.

٣٩- من المروءة إصلاح المال.

٤٠- من أحبّ عمل قوم أشرك معهم فى عملهم.

٤١- من أحبّ قوما حشر معهم.

٤٢- من عمل بما علم ورثه الله ما لم يعلم.

٤٣- من أعان ظالماً على ظلمه سلّطه الله عليه.

٤٤- من يصلح ما بينه وبين الله يصلح الله ما بينه وبين الناس.

٤٥- من لا يرحم لا يرحم.

٤٦- من غشّ غشّ.

٤٧- من تساوى يوماه فهو مغبون.

٤٨- ما عال من اقتصد.

٤٩- المؤمن من أمن الناس من يده ولسانه.

٥٠- المسلم من سلم الناس من أذاه.

٥١- المجالس بالأمانه.

٥٢- المسلم مرآه لأخيه المسلم.

٥٣- المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يثلمه.

٥٤- المستشار مؤتمن.

٥٥- ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه.

٥٦- من تفاقر افتقر.

٥٧- من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح.

٥٨- من أذاع فاحشه كان كمبذها.

٥٩- من عير مؤمنا بشيء لم يمت حتى يركبه.

٦٠- من عدّ غدا من أجله فقد أساء صحبه الموت.

٦١- من أرضى سلطانا بما يسخط الله خرج من دين الله.

٦٢- مداراه الناس نصف الايمان و الرفق بهم نصف العيش.

٦٣- يسروا و لا تعسروا.

٦٤- يطبع المؤمن على كل خصله و لا يطبع على الكذب و لا على الخيانه.

٦- نماذج من ادعيته الشريفه (صلى الله عليه و اله)

اشاره

الف- من دعائه فى شهر رمضان بعد المكتوبه: «اللهم أدخل على أهل القبور السرور، اللهم أغن كل فقير، اللهم أشبع كل جائع، اللهم اكس كل عريان، اللهم اقض دين كل مدين، اللهم فرج عن كل مكروب، اللهم رد كل غريب، اللهم فك كل أسير، اللهم أصلح كل فاسد من امور المسلمين، اللهم اشف كل مريض، اللهم سدّ فقرنا بغناك، اللهم غير سوء حالنا بحسن حالك، اللهم اقض عنا الدين و أغنا من الفقر إنك على كل شىء قدير».

ب- دعاؤه (صلى الله عليه و اله) يوم بدر: «اللهم أنت ثقتى فى كل كرب، و أنت رجائى فى كل شده، و أنت لى فى كل أمر نزل بى ثقه و عدّه، كم من كرب يضعف عنه الفؤاد و تقلّ فيه الحيله، و يخذل فيه القريب، و يشمت به العدو، و تعينى فيه الأمور، أنزلته بك و شكوته اليك راغبا فيه اليك عمن سواك ففرّجته و كشفته عنى و كفيتنيه، فأنت لى كل نعمه، و صاحب كل حاجه، و منتهى كل رغبه، فللك الحمد كثيرا و لك المنّ فاضلا».

ج- دعاؤه (صلى الله عليه و اله) يوم الأحزاب: «يا صريخ المكروبين و يا مجيب دعوه المضطرين اكشف عنى همى و غمى و كرى فإنك تعلم حالى و حال أصحابى فاكفنى حول عدوى فإنه

لا يكشف ذلك غيرك».

د-دعاء علمه (صلى الله عليه و اله) لبعض أصحابه يتقى به شر العدو:

ذكر ابن طاوس في مهج الدعوات هذا الدعاء كما يلي:

«يا سامع كل صوت، يا محيي النفوس بعد الموت، يا من لا- يعجل لأنه لا يخاف الفوت، يا دائم الثبات، يا مخرج النبات يا محيي العظام الريميم
الدارسات. بسم الله، اعتصمت بالله و توكلت على الحي الذي لا يموت، و رميت كل من يؤذيني بلا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم».

ه-دعاؤه (صلى الله عليه و اله) لقضاء الدين علمه على بن أبي طالب (عليه السلام):

«اللهم اغنني بحلالك عن حرامك و بفضلك عن سواك».

و-دعاؤه (صلى الله عليه و اله) إذا وضعت المائدة بين يديه:

كان رسول الله (صلى الله عليه و اله) إذا وضعت المائدة بين يديه قال:

«سبحانك اللهم ما أحسن ما تبتلينا، سبحانك اللهم ما أكثر ما تعطينا، سبحانك اللهم ما أكثر ما تعافينا، اللهم أوسع علينا و على فقراء المؤمنين و
المسلمين» (١).

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ص: ٢٤٢

فهرس اجمالى ٥

مقدمه المجمع ٧

الباب الأول

المدخل: المنهج القرآنى فى عرض و دراسه التاريخ و السيره ١٧

الفصل الأول: النبى الخاتم (صلّى الله عليه و اله) فى سطور ٢٥

الفصل الثانى: سنّه البشاره على مدى العصور ٣١

الفصل الثالث: مظاهر من شخصيه خاتم النبىين (صلّى الله عليه و اله) ٣٩

الباب الثانى

الفصل الأول: دور الولاده و النشأه ٥١

١- ملامح انهيار المجتمع الوثنى ٥١

٢- إيمان آباء النبى (صلّى الله عليه و اله) ٥٢

٣- مولد الرسول (صلّى الله عليه و اله) ٥٣

٤- رضاعه الميمون ٥٥

٥- الاستسقاء بالنبى (صلّى الله عليه و اله) ٥٧

٦- مع ائمه آمنه ٥٨

٧- مع جدّه (صلّى الله عليه و اله) عبد المطلب ٥٩

الفصل الثانى: دور الفتوّه و الشباب ٦١

١- كفاله أبى طالب للنبى (صلّى الله عليه و اله) ٦١

٢- السفره الاولى الى الشام ٦٢

ص: ٢٤٣

٣-رعى الغنم ٦٢

٤-حروب الفجار ٦٣

٥-حلف الفضول ٦٤

٦-التجاره بأموال خديجه ٦٥

الفصل الثالث:من الزواج الى البعثه ٦٧

١-الزواج المبارك ٦٧

٢-إعاده وضع الحجر الاسود ٧٠

٣-ولاده علي (عليه السلام) و تربيه النبي (صلى الله عليه و اله له) ٧١

٤-ملاح من شخصيه خاتم الأنبياء (صلى الله عليه و اله) قبل البعثه ٧٣

الباب الثالث

الفصل الأول:البعثه النبويه المباركه و ارهاصاتها ٧٧

الفصل الثاني:مراحل حركه الرساله فى العصر المكي ٨٧

١-بناء الخليه الإيمانيه الاولى ٨٧

٢-أدوار العصر المكي ٨٨

٣-دور إعداد القاعده الاولى ٨٨

٤-دور مواجهه الاولى و إنذار الأقربين ٩٠

٥-دور مواجهه الشامله ٩١

الفصل الثالث:موقف بنى هاشم من النبي (صلى الله عليه و اله) ٩٣

١-دفاع أبى طالب (عليه السلام) عن الرساله و الرسول (صلى الله عليه و اله) ٩٣

٢-موقف قريش من الرساله و الرسول (صلى الله عليه و اله) ٩٥

٣-الكفر بأبى الانصياح لصوت العقل ٩٦

٤-الانتهاج بالسحر ٩٧

٥-التعذيب وسيله لقمع المؤمنين ٩٨

٦-الهجره الى الحبشه لايجاد قاعده آمنه ١٠٠

٧-الحصار الظالم و موقف بنى هاشم ١٠٢

٨-عام الحزن ١٠٣

٩-الاسراء و المعراج ١٠٤

الفصل الرابع:سنوات الانفراج حتى الهجره ١٠٧

١-الطائف ترفض الرساله الإسلاميه ١٠٧

٢-الانفتاح على الرساله و معوّقاتها فى مكه ١٠٩

٣-بيعه العقبه الاولى ١١٠

٤-بيعه العقبه الثانيه ١١٢

٥-الاستعداد للهجره الى يثرب ١١٤

٦-المؤاخاه قبل الهجره ١١٦

الباب الرابع

الفصل الأول:تأسيس الدوله الإسلاميه الاولى ١١٩

١-الهجره الى يثرب ١١٩

٢-بناء المسجد النبوى ١٢٢

٣-المؤاخاه بين المهاجرين و الأنصار ١٢٣

٤-معاهده المدينه ١٢٥

٥-النفاق و بدايات الاستقرار فى المدينه ١٢٧

٦-تحويل القبله الى الكعبه ١٢٨

٧-بدايات الصراع العسكرى ١٢٨

ص:٢٤٥

الفصل الثاني: الدفاع عن كيان الدوله الفتيه ١٣١

١- غزوه بدر الكبرى ١٣١

٢- اهتمام النبي (صلى الله عليه و اله) بزواج الزهراء (عليها السلام) ١٣٦

٣- الصدام المباشر مع اليهود و إجلاء بنى قينقاع ١٣٨

٤- ردود فعل قريش بعد انتصارات المسلمين ١٣٩

٥- غزوه احد ١٤٠

٦- محاولات الغدر بالمسلمين ١٤٥

٧- غزوه بنى النضير ١٤٦

٨- مناوشات عسكريه بعد احد ١٤٧

٩- غزوه بنى المصطلق و دور النفاق ١٤٨

١٠- إبطال أعراف جاهليه ١٥٠

الفصل الثالث: تظاهر قوى الشرك و الرد الإلهي الحاسم ١٥٣

١- تحالف قوى الشرك و غزوه الخندق ١٥٣

٢- الضغط على المسلمين ١٥٥

٣- هزيمه العدو ١٥٥

٤- غزوه بنى قريظه و تصفيه يهود المدينه ١٥٦

الباب الخامس

الفصل الأول: مرحله الفتح ١٦١

١- صلح الحديبيه ١٦١

٢- انطلاقه الرساله الاسلاميه الى خارج المدينه ١٦٦

٣- غزوه خيبر ١٦٧

٤- محاوله اغتيال النبي (صلى الله عليه و اله) ١٦٩

٥-استسلام أهالى فدك ١٦٩

٦-عمره القضاء ١٧٠

الفصل الثانى:الاسلام خارج الجزيره ١٧٣

١-معركه مؤته ١٧٣

٢-فتح مكه ١٧٤

٣-غزوه حنين و حصار الطائف ١٨١

٤-غزوه تبوك ١٨٥

٥-مسجد ضرار ١٨٩

٦-عام الوفود ١٩٠

٧-وفاه إبراهيم ١٩١

الفصل الثالث:تصفيه الوجود الوثنى داخل الجزيره ١٩٣

١-إعلان البراءه من المشركين ١٩٣

٢-مباھله نصارى نجران ١٩٤

٣-حجه الوداع ١٩٦

٤-تعيين الوصى ١٩٩

٥-ظهور المتبئين ٢٠١

٦-التعبئه العامه لغزو الروم ٢٠٣

الفصل الرابع:أيام الرسول(صلّى الله عليه و اله)الأخيره ٢٠٥

١-الحيلوله دون كتابه الوصيه ٢٠٥

٢-الزهراء(عليها السلام)تزور أباها(صلّى الله عليه و اله)٢٠٦

٣-اللحظات الأخيره من عمر النبى(صلّى الله عليه و اله)٢٠٧

٤-وفاه النبى(صلّى الله عليه و اله)و مراسم دفنه ٢٠٨

الفصل الخامس: من معالم الرسالة الاسلاميه الخاتمه ٢١١

١- بما ذا بعث النبي محمّد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)؟ ٢١١

٢- سهوله الشريعه الاسلاميه ٢١٢

٣- سموّ التعاليم الاسلاميه ٢١٢

٤- القرآن الكريم ٢١٤

٥- الواجبات و المحرّمات في الشريعه الاسلاميه ٢١٥

الفصل السادس: تراث خاتم المرسلين (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ٢١٧

نماذج من تراث سيّد المرسلين (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ٢٢٣

١- العقل و العلم ٢٢٣

٢- مصادر التشريع ٢٢٥

٣- اصول العقيدته الاسلاميه ٢٢٨

٤- اصول التشريع الاسلامي ٢٣٣

٥- من جوامع كلم الرسول الأعظم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ٢٣٨

٦- من أدعيته الشريفه ٢٤١

الفهرس التفصيلي ٢٤٣

ص: ٢٤٨

عنوان و نام پديدآور: اعلام الهدايه/المؤلف لجنه التاليف في المعاونه الثقافيه للمجمع العالمى لاهل البيت (ع).

مشخصات نشر: بيروت: المجمع العالمى لاهل البيت (ع)، المعاونه الثقافيه، ١٤٣٠ق = ١٣٨٩.

مشخصات ظاهري: ١٤ج.

يادداشت: عربى.

يادداشت: چاپ ششم.

يادداشت: كتابنامه.

مندرجات: ج.١. محمد المصطفى صلى الله عليه و آله و سلم خاتم الانبياء. ج.٢. أميرالمؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام. ج.٣. سيده النساء فاطمه الزهراء عليه السلام. ج.٤. الامام الحسن المجتبى عليه السلام. ج.٥. الامام الحسين عليه السلام سيدالشهداء. ج.٦. الامام على بن الحسين زين العابدين عليه السلام. ج.٧. الامام محمد بن على الباقر عليه السلام. ج.٨. الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام. ج.٩. الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام. ج.١٠. الامام على بن موسى الرضا عليه السلام. ج.١١. الامام محمد بن على الجواد عليه السلام. ج.١٢. الامام على بن محمد الهادى عليه السلام. ج.١٣. الامام الحسن العسكرى عليه السلام. ج.١٤. خاتم الاوصياء الامام المهدي عليه السلام.

موضوع: چهارده معصوم -- سرگذشتنامه

شناسه افزوده: مجمع جهانى اهل بيت (ع). معاونت فرهنگى

رده بندى كنگره: BP٣٦/الف ٥٨ ١٣٨٩

رده بندى ديويى: ٢٩٧/٩٥

شماره كتابشناسى ملي: ٣٨٦٢٢٥٤

ص: ١

الباب الأول:

الفصل الأول: الإمام على بن أبى طالب (عليه السلام) فى سطور ١٧

الفصل الثانى: انطباعات عن شخصيه الإمام على (عليه السلام) ٢٣

الفصل الثالث: مظاهر من شخصيه الإمام على (عليه السلام) ٢٩

الباب الثانى:

الفصل الأول: نشأه الإمام على بن أبى طالب (عليه السلام) ٤٣

الفصل الثانى: مراحل حياه الإمام على (عليه السلام) ٤٧

الفصل الثالث: من الولاده حتى وفاه الرسول (صلى الله عليه و آله) ٤٩

الباب الثالث:

الفصل الأول: عصر الإمام على بن أبى طالب (عليه السلام) ١١٣

الفصل الثانى: الإمام على (عليه السلام) فى عهد أبى بكر ١٣٣

الفصل الثالث: الإمام على (عليه السلام) فى عهد عمر ١٥١

الفصل الرابع: الإمام على (عليه السلام) فى عهد عثمان ١٦٣

الباب الرابع:

الفصل الأول: الإمام على (عليه السلام) بعد مقتل عثمان ١٧٣

الفصل الثانى: الإمام على (عليه السلام) مع الناكثين ١٨٩

الفصل الثالث: الإمام على (عليه السلام) مع القاسطين ٢٠٣

الفصل الرابع: الإمام على (عليه السلام) مع المارقين ٢١٣

الفصل الخامس: الإمام على (عليه السلام) شهيد المحراب ٢٢١

الفصل السادس: تراث الإمام على بن أبى طالب (عليه السلام) ٢٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداه لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء وسيد الرسل والأصفياء أبو القاسم المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله) وعلى آله الميامين النجباء.

لقد خلق الله الانسان وزوده بعنصرى العقل والإرادة، فبالعقل يبصر و يكتشف الحقّ و يميزه عن الباطل، و بالإرادة يختار ما يراه صالحا له و محققا لأغراضه و أهدافه.

و قد جعل الله العقل المميّز حجه له على خلقه، و أعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته؛ فإنّه هو الذى علّم الإنسان ما لم يعلم، و أرشده إلى طريق كماله اللائق به، و عزّفه الغايه التى خلقه من أجلها، و جاء به إلى هذه الحياه الدنيا من أجل تحقيقها.

و أوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحه معالم الهدايه الربانيه و آفاقها و مستلزماتنا و طرقها، كما بيّن لنا عللها و أسبابها من جهه، و أسفر عن ثمارها و نتائجها من جهه اخرى.

قال تعالى:

قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى [الانعام(٤):٧١].

وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [البقره(٢):٢١٣].

ص:٧

وَ اللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ [الاحزاب (٣٣):٤].

وَ مَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [آل عمران (٣):١٠١].

قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ [يونس (١٠):٣٥].

وَ يَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَ يَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ [سبأ (٣٤):٦].

وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ [القصص (٢٨):٥٠].

فالله تعالى هو مصدر الهداية. و هدايته هي الهداية الحقيقية، و هو الذى يأخذ بيد الانسان إلى الصراط المستقيم و إلى الحق القويم.

و هذه الحقائق يؤيدها العلم و يدرکها العلماء و يخضعون لها بملء وجودهم.

و لقد أودع الله فى فطره الانسان النزوع إلى الكمال و الجمال ثم من عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به، و أسبغ عليه نعمه التعرف على طريق الكمال، و من هنا قال تعالى : وَمِمَّا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيُعْبُدُونِ [الذاريات (٥١):٥٦]. و حيث لا- تتحقق العبادة الحقيقية من دون المعرفة، كانت المعرفة و العبادة طريقا منحصرًا و هدفا و غايه موصله إلى قمه الكمال.

و بعد أن زود الله الانسان بطاقتى الغضب و الشهوه ليحقق له و قود الحركة نحو الكمال؛ لم يؤمن عليه من سيطره الغضب و الشهوه؛ و الهوى الناشئ منهما، و الملازم لهما فمن هنا احتاج الانسان-بالإضافة إلى عقله و سائر أدوات المعرفة- ما يضمن له سلامه البصيره و الرؤيه؛ كى تتم عليه الحججه، و تكمل نعمه الهدايه، و تتوفر لديه كل الأسباب التى تجعله يختار طريق الخير و السعاده، أو طريق الشرّ و الشقاء بملء إرادته.

و من هنا اقتضت سنه الهدايه الربانيه أن يسند عقل الانسان عن طريق

الوحي الإلهي، و من خلال الهداه الذين اختارهم الله لتولّي مسؤوليه هدايه العباد و ذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفه و إعطاء الارشادات اللازمه لكل مرافق الحياه.

و قد حمل الأنبياء و أوصياؤهم مشعل الهدايه الربانيه منذ فجر التاريخ و على مدى العصور و القرون، و لم يترك الله عباده مهملين دون حجه هاديه و علم مرشد و نور مضىء، كما أفصحت نصوص الوحي-مؤييده لدلائل العقل- بأنّ الأرض لا تخلو من حجه لله على خلقه، لئلا يكون للناس على الله حجه، فالحجّه قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق، و لو لم يبق في الأرض إلا اثنان لكان أحدهما الحجّه، و صرح القرآن-بشكل لا يقبل الريب-قائلا: **إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** [الرعد(١٣):٧].

و يتولّى أنبياء الله و رسله و أوصياؤهم الهداه المهديون مهمه الهدايه بجميع مراتبها، و التي تتلخص في:

١-تلقى الوحي بشكل كامل و استيعاب الرساله الإلهيه بصوره دقيقه. و هذه المرحله تتطلب الاستعداد السام لتلقى الرساله، و من هنا يكون الاصطفاء الإلهي لرساله شأننا من شؤونه، كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلا: **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** [الانعام(٦):١٢٤] **وَ اللَّهُ يَجْتَبِي مَنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ** [آل عمران(٣):١٧٩].

٢-إبلاغ الرساله الإلهيه الى البشريه و لمن ارسلوا إليه، و يتوقف الإبلاغ على الكفاءه التامه التي تتمثل في «الاستيعاب و الإحاطه اللازمه» بتفاصيل الرساله و أهدافها و متطلباتها، و «العصمه» عن الخطأ و الانحراف معا، قال تعالى:

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ [البقره(٢):٢١٣].

٣-تكوين أمه مؤمنه بالرساله الإلهيه، و إعدادها لدعم القيادة الهاديه من

أجل تحقيق أهدافها و تطبيق قوانينها فى الحياه، و قد صرّحت آيات الذكر الحكيم بهذه المهمه مستخدمه عنوانى التزكيه و التعليم، قال تعالى: **يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ [الجمعه (٦٢): ٢]** و التزكيه هى التربيه باتجاه الكمال اللائى بالإنسان. و تتطلّب التربيه القدوه الصالحه التى تتمتع بكلّ عناصر الكمال، كما قال تعالى: **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [الاحزاب (٣٣): ٢١]**.

٤- صيانه الرساله من الزيغ و التحريف و الضياع فى الفتره المقرره لها، و هذه المهمه أيضا تتطلّب الكفاءه العلميه و النفسيه، و التى تسمّى بالعصمه.

٥- العمل لتحقيق أهداف الرساله المعنويه و تثبيت القيم الأخلاقيه فى نفوس الأفراد و أركان المجتمعات البشرىه و ذلك بتنفيذ الاطروحه الربانيه، و تطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشرى من خلال تأسيس كيان سياسى يتولّى إداره شؤون الامه على أساس الرساله الربانيه للبشرىه، و يتطلّب التنفيذ قياده حكيمة، و شجاعه فائقه، و صمودا كبيرا، و معرفه تامه بالنفوس و بطبقات المجتمع و التيارات الفكرىه و السياسيه و الاجتماعيه و قوانين الإداره و التربيه و سنن الحياه، و نلخصها فى الكفاءه العلميه لإداره دوله عالميه دينيه، هذا فضلا عن العصمه التى تعبر عن الكفاءه النفسيه التى تصون القياده الدينيه من كلّ سلوك منحرف أو عمل خاطئ بإمكانه أن يؤثّر تأثيرا سلبيا على مسيره القياده و انقياد الامه لها بحيث يتنافى مع أهداف الرساله و أغراضها.

و قد سلك الأنبياء السابقون و أوصياؤهم المصطفون طريق الهدايه الدامى، و اقتحموا سبيل التربيه الشاق، و تحمّلوا فى سبيل أداء المهام الرساليه كلّ صعب، و قدّموا فى سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهيه كلّ ما يمكن أن يقدمه الإنسان المتفانى فى مبدئه و عقيدته، و لم يتراجعوا لحظه، و لم يتلكأوا طرفه عين.

و قد توجّ الله جهودهم و جهادهم المستمرّ على مدى العصور برساله خاتم

الأنبياء محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) وحمله الأمانة الكبرى ومسؤولية الهداية بجميع مراتبها، طالبا منه تحقيق أهدافها. وقد خطا الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في هذا الطريق الوعر خطوات مدهشه، وحقق في أقصر فتره زمنيه أكبر نتاج ممكن في حساب الدعوات التغييريه و الرسائل الثوريه، وكانت حصيله جهاده و كدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلي:

١- تقديم رساله كامله للبشريه تحتوى على عناصر الديمومه و البقاء.

٢- تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ و الانحراف.

٣- تكوين امه مسلمه تؤمن بالإسلام مبدأ، و بالرسول قائدا، و بالشريعه قانونا للحياه.

٤- تأسيس دوله إسلاميه و كيان سياسى يحمل لواء الإسلام و يطبق شريعه السماء.

٥- تقديم الوجه المشرق للقياده الربانيه الحكيمه المتمثله في قيادته (صلى الله عليه وآله).

و لتحقيق أهداف الرساله بشكل كامل كان من الضرورى:

أ- أن تستمرّ القياده الكفوءه في تطبيق الرساله و صيانتها من أيدي العابثين الذين يترصّون بها الدوائر.

ب- أن تستمرّ عمليه التربيّه الصحيحه باستمرار الأجيال؛ على يد مربّ كفوء علميا و نفسيا حيث يكون قدوه حسنه في الخلق و السلوك كالرسول (صلى الله عليه وآله)، يستوعب الرساله و يجسدها في كل حرّكاته و سكناته.

و من هنا كان التخطيط الإلهيّ يحتم على الرسول (صلى الله عليه وآله) إعداد الصفوه من أهل بيته، و التصريح بأسمائهم و أدوارهم؛ لتسلم مقاليد الحركه النبويّه العظيمه و الهدايه الربانيه الخالده بأمر من الله سبحانه و صيانه للرساله الإلهيه التي كتب الله

لها الخلود من تحريف الجاهلين و كيد الخائنين، و تربيته للأجيال على قيم و مفاهيم الشريعة المباركة التي تولّوا تبين معالمها و كشف أسرارها و ذخائرها على مَرّ العصور، و حتى يرث الله الأرض و من عليها.

و تجلّى هذا التخطيط الربّاني في ما نصّ عليه الرسول (صلى الله عليه و آله) بقوله: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله و عترتي، و إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض».

و كان أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عرّفهم النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله) بأمر من الله تعالى لقياده الأئمة من بعده.

إن سيره الأئمة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم السّلام) تمثّل المسيره الواقعيه للاسلام بعد عصر الرسول (صلى الله عليه و آله)، و دراسه حياتهم بشكل مستوعب تكشف لنا عن صورته مستوعبه لحركه الاسلام الأصيل الذي أخذ يشقّ طريقه إلى أعماق الامه بعد أن أخذت طاقتها الحراريه تتضاءل بعد وفاه الرسول (صلى الله عليه و آله)، فأخذ الأئمة المعصومون (عليهم السّلام) يعملون على توعيه الامه و تحريك طاقتها باتجاه إيجاد و تصعيد الوعي الرسالي للشريعة و لحركه الرسول (صلى الله عليه و آله) و ثورته المباركه، غير خارجين عن مسار السنن الكونيه التي تتحكّم في سلوك القياده و الامه جمعاء.

و تبلورت حياه الأئمة الراشدين في استمرارهم على نهج الرسول العظيم و انفتاح الامه عليهم و التفاعل معهم كأعلام للهدايه و مصابيح لإناره الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلاء على الله و على مرضاته، و المستقرّين في أمر الله، و التامين في محبته، و الدائمين في الشوق اليه، و السابقين إلى تسلّق قمم الكمال الإنساني المنشود.

و قد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد و الصبر على طاعه الله و تحمّل جفاء أهل الجفاء حتّى ضربوا أعلى أمثله الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالى، ثم اختاروا

الشهادة مع العز على الحياه مع الذل،حتى فازوا بلقاء الله سبحانه بعد كفاح عظيم و جهاد كبير.

ولا يستطيع المؤرخون و الكتاب أن يلموا بجميع زوايا حياتهم العطره و يدعوا دراستها بشكل كامل،و من هنا فإنّ محاولتنا هذه إنّما هي إعطاء قبسات من حياتهم،ولقطات من سيرتهم و سلوكهم و مواقفهم التي دوّنها المؤرخون و استطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراره و التحقيق،عسى الله أن ينفع بها إنّه وليّ التوفيق.

إنّ دراستنا لحركه أهل البيت(عليهم السّلام)الرساليه تبدء برسول الإسلام و خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله(صلّى الله عليه و آله)و تنتهى بخاتم الأوصياء،محمد بن الحسن العسكري المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه و أنار الأرض بعدله.

و يختصّ هذا الكتاب بدراره حياه الإمام عليّ بن أبي طالب(عليه السّلام)أول أئمّه أهل البيت(عليهم السّلام)بعد رسول الله(صلّى الله عليه و آله)و هو المعصوم الثاني من أعلام الهدايه و الذي جسّد الإسلام فى كل مجالات حياته الشريفه،فكان نبراسا و متراسا و مثلا أعلى للبشريه بعد رسول الله محمد بن عبد الله(صلّى الله عليه و آله).

و لا بدّ لنا من تقديم الشكر الى كلّ الاخوه الأعزاء الذين بذلوا جهدا و افرا و شاركوا فى إنجاز هذا المشروع المبارك و إخراجة إلى عالم النور،لا سيما أعضاء لجنه التأليف بإشراف سماحه السيد منذر الحكيم حفظه الله تعالى.

و لا يسعنا إلا أن نبتهل الى الله تعالى بالدعاء و الشكر لتوفيقه على إنجاز هذه الموسوعه المباركه فإنه حسبنا و نعم النصير.

المجمع العالمى لأهل البيت(عليهم السّلام) قم المقدسه

الباب الأول

إشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

الإمام (عليه السلام) فى سطور

الفصل الثانى:

انطباعات عن شخصيه الإمام (عليه السلام)

الفصل الثالث:

مظاهر من شخصيه الإمام (عليه السلام)

ص: ١٥

الإمام المرتضى علي بن أبي طالب (عليه السلام) في سطور

*-هو أمير المؤمنين و سيد الوصيين و أول خلفاء الرسول (صلى الله عليه و آله) المهديين -بأمر من الله و نص من رسوله (صلى الله عليه و آله)-
و قد صرح القرآن بعصمته و تطهيره من كل رجس، و باهل الرسول (صلى الله عليه و آله) نصارى نجران به و بزوجه و ولديه، و اعتبره من القربى
الذين و جبت مودتهم مصرحاً غير مره بأنها عدل الكتاب المجيد الموجبين للمتمسك بهما النجاه و للمتخلف عنهما الردى.

*-نشأ الإمام في حجر رسول الله (صلى الله عليه و آله) منذ نعومه أظفاره، و تغذى من معين هديه، فكان المتعلم الوفى و الأخ الزكى، و أول من
آمن و صلى و أصدق من تفانى في سبيل ربه و ضحى في سبيل إنجاح رسالته في أخرج لحظات صراعها مع الجاهليه العاتيه في كل صورها في
العهدين المكى و المدني و في حياه الرسول و بعد رحيله ذائبا في مبدئه و رسالته و جميع قيمه مجسدا للحق بكل شعبه من دون أن يتخطاها قيد
أنمله أو ينحرف عنها قيد شعره.

*-لقد وصفه ضرار بن ضميره الكنانى لمعاويه بن أبى سفيان حتى أبكاه و أبكى القوم و جعله يترحم عليه، بقوله:

«كان و الله بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلا و يحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه، و تنطق الحكمة من نواحيه، و يستوحش من الدنيا و
زهرتها،

و يستأنس بالليل و وحشته، و كان غزير العبره طويل الفكره، يقَلِّب كَفَّهُ و يخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر و من الطعام ما جشِب، و كان فينا كأحدنا، يدنينا إذا أتينا، و يجيئنا إذا سألناه و يأتينا إذا دعونا، و يتبئنا إذا استبأناه، و نحن و الله مع تقريبه إيانا و قربه منا لا نكاد نكلِّمه هيبه له، فإن ابتسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظّم أهل الدين و يقرب المساكين، لا يطمع القويّ في باطله و لا ييأس الضعيف من عدله» (١).

* - لقد آزر الإمام (عليه السلام) رسول الله منذ بدايه الدعوه، و جاهد معه جهادا لا مثيل له في تأريخ الدعوه المباركه حتى تفرّى الليل عن صبحه و أسفر الحقّ عن محضه و نطق زعيم الدين و خرس شقاشق الشياطين بعد أن منى بذؤبان العرب و مرده أهل الكتاب (٢).

* - و بعد أن خطا الرسول الأ-عظم (صلّى الله عليه و آله) لتغيير المجتمع الجاهلي خطواته المدهشه في تلك الفتره القصيره كان الطريق أمام الاسلام لبلوغ أهدافه الكبرى شاقا و طويلا- يتطلّب التخطيط الكامل و القياده الواعيه التي لا تقلّ عن شخصيه الرسول القائد إيمانا و كمالا و إخلاصا و درايه و حنكه، و كان من الطبيعي للرساله الخاتمه أن تخطّط لمستقبل هذه الدعوه التي تعتبر عصاره دعوات الأنبياء جميعا و وريثه جهودهم و جهادهم المتواصل عبر التاريخ.. و هكذا كان إذ اختار النبيّ الخاتم (صلّى الله عليه و آله) بأمر من الله سبحانه شخصا رشّحه عمق وجوده في كيان الدعوه حتى تفانى في أهدافها و خلص من جميع شوائب الجاهليه و رواسبها و تحلّى بأعلى درجات الكفاءه و عيا و إيمانا و إخلاصا و تضحيه في سبيل الله.

ص: ١٨

١- ((١)) الاستيعاب (المطبوع بهامش الإصابه): ٣/٤٤، ط دار إحياء التراث العربى بيروت.

٢- ((٢)) من خطبه الزهراء عليها السلام المعروفه أمام أبي بكر و عمر و سائر المهاجرين و الأنصار بعيد رحيل الرسول (صلّى الله عليه و آله) و تقمّصهم للخلافه.

لقد كان عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) هو ذلك البديل الذى أعدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) إعدادا رساليا خاصا ليحمّله المرجعيه الفكرية و السياسية من بعده، كى يواصل عمله التغيير الطويله الرائد بمسانده القاعده الواعيه التى أعدّها الرسول (صلى الله عليه وآله) له من المهاجرين و الأنصار.

*-و لكنّ الجاهليه المتجدّره فى أعماق ذلك المجتمع ما كانت لتندحر فى بدر و حنين و خلال عقد واحد من الصراع و الكفاح، و كان من الطبيعى أن تظهر من جديد متسّره بشعار إسلامى كى تستطيع أن تظهر على المسرح الاجتماعى من جديد و لو بعد عقود من الزمن، و كان من الطبيعى أيضا أن تتسلّل الى المواقع القيادية بشكل مباشر أو غير مباشر...و من هنا كانت الرّدّه الى المفاهيم و العادات الجاهليه-من خلال الالتفاف على القيادة الشرعيه للمجتمع الإسلامى الفتى الذى كانت تحدى به الأخطار من كلّ جانب، و لم تكتمل قواعده و عيا و نضجا-أمرا محتملا بل متوقّعا لكلّ قيادى يمتلك أدنى وعى سياسى و اجتماعى، فكيف برسول الله و خاتم أنبيائه (صلى الله عليه وآله)؟

*-و إذا كانت الرساله الإسلاميه تهدف الى تغيير الواقع الاجتماعى الجاهلى، فلا بدّ أن تلاحظ هذا الواقع بكلّ ملايساته و رسوباته، و تخطّط للتغيير الشامل على المدى القريب و البعيد معا...و هكذا كان، فقد رسمت الرساله الخط الطبيعى الذى يفرضه المنطق التشريعى للمسيره الإسلاميه الرائد، حيث تجلّى ذلك فى إرجاع الأئمّه فكريا و سياسيا الى الأئمّه المعصومين من كلّ رجس جاهلى، بعد أن نصب النبىّ عليّا فى غدير خم أميرا للمؤمنين، و أحكم له الأمر بأخذ البيعه له من عامّه المسلمين.

*-لقد اصطدم التخطيط الرائد بواقع كان متوقّعا للنبىّ (صلى الله عليه وآله) و بتيّار جارف يعود الى نقصان الوعى عند الامّه التى تشكّل القاعده الأمينه لحمايه القيادة

الرشيد، بحيث لم يكن يدرك عامه المسلمين بعمق أن الجاهلية تتآمر وراء الستار عليهم وعلى الثورة الإسلامية الفتيه، وأن القضية ليست قضية تغيير شخص القائد بقائد آخر، وإنما القضية قضية تغيير خط الإسلام المحمدي الثوري بخط جاهلي متستر بالإسلام.

*- وهكذا أجهضت السقيفة التخطيط الرائد للنبي القائد (صلى الله عليه وآله) حينما وجدت أن الساحة قد خلت منه، وتحققت نبوءة القرآن العظيم حين قال: **وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ (١)!!؟**

لقد كان النبي جعل علياً أميناً على رسالته و أمته و دولته، و كلفه بحفظ الرسالة و الشريعة كما كلفه بتربية الامه الفتيه و صيانته الدوله التي لم تترسخ جذورها بعد.

و حاول الإمام عليّ (عليه السلام) إرجاع الامور الى مجاريها بإدائه السقيفة و نتائجها و بالامتناع من البيعه و التصدي للمؤامره، و لكن دون جدوى، بل كان الأمر قد دار بين انهيار الدوله سياسيا و دوليا و بين حفظها مع تصدي غير الأكفأ للقياده.

*- لقد وقف الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) موقفاً مبدئياً سجّله له التاريخ حيث قال: «فأمسكت يدي حيث رأيت راجعه الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون الى محق دين محمد (صلى الله عليه وآله) فخشيت إن لم أنصر الإسلام و أهله؛ أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنّما هي متاع أيام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب أو كما يتفشع السحاب» (٢).

*- و تلخّصت مواقف هذا الإمام العظيم خلال خمسه و عشرين عاماً من

ص: ٢٠

١- ((١)) آل عمران (٣): ١٤٤.

٢- ((٢)) بحار الأنوار: ٥٩٦/٣٣ و ٥٩٧ باب الفتن الحادته بمصر ط وزاره الثقافه و الارشاد الإسلامى سنه ١٣٦٨ هـ.ش.

المحنه و هو يلعق الصبر الأمر من العلقم على حدّ تعبيره (عليه السّلام) فى الحفاظ على وحده الامّة الإسلاميه و عدم تصدّع الدوله النبويه الفتيه و لو بالتنازل عن حقّه الشرعى مؤقّتا، و تقديم المشوره للخلفاء و إسداء النصيح لهم، مع التوجّه الى جمع القرآن و تفسيره، و تثقيف الامّه على مفاهيمه و توعيتها على حقائقه، و كشف النقاب عن حقيقه المؤامره التى دانت لها طوائف من المسلمين، و التصدّى لأخطاء الحكّام فى الفهم و التطبيق لأحكام الشريعة الإسلاميه، و إيجاد كتله صالحه تؤمن بالتخطيط النبوى الرائد للقياده الإسلاميه، و تسهر على نشره و تبليغه، و تضخّى من أجل تطبيقه و تنفيذه.

* و استطاع الإمام بعد عقدين و نصف من الصبر و الكدح أن يقتطف ثمار سعيه، و بعد أن تكشّفت حقائق كانت وراء الستار و تجلّى للامّه بجيلها الطليعى و التابع أنّ عليا (عليه السّلام) هو الجدير بالخلافه دون غيره، و أنّه هو الذى يستطيع إصلاح ما فسد بالرغم من تعقّد الظروف و تبليل القلوب و اشتداد زاويه الانحراف عن نهج الحقّ القويم، حتى قال (عليه السّلام): «و الله ما كانت لى فى الخلافه رغبه و لا فى الولايه إربه، و لكنكم دعوتمنى اليها و حملتوني عليها» (١).

* و أعلن الإمام عن سياسته قائلا: «و اعلموا أنّى إن أحببتكم ركبت بكم ما أعلم، و لم أصغ الى قول القائل و عتب العاتب» (٢). و قال أيضا: «اللهم إنك تعلم أنّه لم يكن الذى كان منّا منافسه فى سلطان و لا التماس شىء من فضول الحطام، و لكن لنردّ المعالم من دينك و نظهر الاصلاح فى بلادك، فإمن المظلومون من عبادك، و تقام المعطله من حدودك» (٣).

ص: ٢١

١- (١) بحار الأنوار: ٥٠/٣٢ باب بيعه أمير المؤمنين (عليه السّلام) ط وزاره الثقافه و الارشاد الإسلاميه.

٢- (٢) بحار الأنوار: ٣٦/٣٢.

٣- (٣) بحار الأنوار: ١١١/٣٤ باب الفتن التى وقعت فى زمان على (عليه السّلام).

و أجهد الإمام (عليه السلام) نفسه على أن يحقق بين الناس العدل الاجتماعى و السياسى و فى طريق لا التواء فيه، و أن يسود الأمن و الحريه و الرخاء و الاستقرار مع الاحتفاظ بوحده الامه مع السعى فى تربيتها و تعليمها و إعطائها كامل حقوقها، و عزل الجهاز الإدارى الفاسد و استبداله بالولاه و العمال الصالحين أو المعروفين بالصلاح و مراقبتهم أشد المراقبه، حيث أقصى عن دائره المسؤوليه كل الانتهازيين و الطامعين، و التزم الصراحه و الحقّ و الصدق فى كلّ مجال، فلم يخادع و لم يوارب، فسار (عليه السلام) على منهاج أخيه و ابن عمّه رسول الله (صلّى الله عليه و آله).

*و بدأت تتحرّك كلّ القوى الطامعه و الانتهازيه التى خسرت مواقعها السياسيه و الاجتماعيه و الاقتصاديه ضدّ الإمام، و أخذت تتكاتف كلّ العناصر التى شاركت بنحو و آخر فى مقاتله عثمان و التحريض عليه يوم أمس، رافعه شعار المطالبه بدم عثمان مندّده بسياسه الإمام الحكيمه و التزيهه، فنكثت طائفه و قسّطت اخرى و مرقت ثالثه، و إذا بالإمام بعد كفاح مرير يقع شهيدا مخضّبا بدمائه الطاهره فى محراب عبادته و فى مسجد الكوفه و فى ليله القدر من عام (٤٠) من الهجره النبويه، إنّه الفوز بالشهاده و الفوز بالثبات على القيم الرساليه الفريده و الثبات على الحقّ اللاحب و الجهاد فى سبيل إرساء قواعد الدين، إنّه ثوره القيم الإلهيه على القيم الجاهليه بكل شعبها و فروعها.

فسلام عليك يا أمير المؤمنين و قائد الغر المحجلين يوم ولدت و يوم ربّيت فى حجر الرساله، و يوم جاهدت من أجل أن تعلق رايه الإسلام خفّاقه، و يوم صبرت و نصحت، و يوم بويعت و حكمت، و يوم كشفت النقاب عن براثن الجاهليه المتستّره بشعار الإسلام، و يوم استشهدت و أنت تروى بدمك الطاهر شجره الإسلام الباسقه، و يوم تبعث حيا و أنت تحمل و سام الفوز فى أعلى عليين.

انطباعات عن شخصيه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

لقد عاصر الإمام علي (عليه السلام) حركة الوحي الرسالي منذ بدايتها حتى انقطاع الوحي برحيل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكانت له مواقف المشرفه و التي يغط عليها في دفاعه عن الرسول و رساله طيله ثلاثه و عشرين عاما من الجهاد المتواصل و الدفاع المستميت عن حريم الإسلام الحنيف، و قد انعكست مواقفه و إنجازاته و فضائله في آيات الذكر الحكيم و نصوص الحديث النبوي الشريف.

قال ابن عباس: قد نزلت ثلاثمائة آيه في علي (عليه السلام) (١). و ما نزلت: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِلَّا و علي أميرها و شريفها (٢). و لقد عاتب الله أصحاب محمد في آي من القرآن و ما ذكر علينا إلا بخير (٣).

و لكثره ما نزل في علي (عليه السلام) من الآيات المباركه؛ خصيص جمع من المتقدمين و المتأخرين كتبا جمعت ما نزل فيه (عليه السلام). و نشير الى بعض الآيات التي صرح المحدثون بنزولها في حقّه منها:

١- ما عن ابن عباس: أنه كان مع علي بن أبي طالب أربعة دراهم لا يملك غيرها، فتصدق بدرهم ليلا و بدرهم نهارا و بدرهم سراً و بدرهم علانية، فأنزل الله

ص: ٢٣

١- (١) الفتوحات الإسلامية: ٥١٦/٢.

٢- (٢) كشف الغمه: ٩٣.

٣- (٣) ينابيع الموده: ١٢٦.

سبحانه و تعالى: الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١).

٢- عن ابن عباس أيضا: أَنَّ عَلِيًّا (عليه السَّلام) تصدَّق بخاتمه و هو راعٍ، فقال النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله) للسائل: من أعطاك هذا الخاتم؟ قال: ذاك الراعي، فأنزل الله: إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ (٢).

٣- وقد اعتبرت آية التطهير (٣) عليًّا (عليه السَّلام) من أهل بيت الوحي المطهَّرين من كلِّ رجس، و اعتبرته آية المباهلة (٤) نفس النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله).

٤- و شهدت سورة الإنسان يا خلاص عليّ و أهل بيته و خشيتهم من الله، و تضمَّنت الشهادة الربَّانية لهم بأنَّهم من أهل الجنَّة (٥).

و عقد أرباب الصحاح و غيرهم من المحدثين فصولا خاصَّة بفضائل عليّ (عليه السَّلام) في أحاديث رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله)، و لم تعرف الإنسانيه في تاريخها الطويل رجلا أفضل من عليّ (عليه السَّلام) بعد رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله)، و لم يسجَّل لأحد من الفضائل ما سجَّل لعليّ بن أبي طالب بالرغم من كلِّ ما ناله عليّ (عليه السَّلام) من سبِّ و شتم على المنابر طوال حكم بني أميَّة و ما تداوله مبغضوه. و هم في صدد انتقاصه حتى لم يجدوا للعب موضعاً فيه، و مما قاله عمر بن الخطَّاب أنَّ رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله) قال: «ما اكتسب مكتسب مثل فضل عليّ، يهدى صاحبه الى الهدى و يرده عن الردى» (٦).

و قيل لعليّ (عليه السَّلام): ما لك أكثر أصحاب رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله) حديثاً؟ فقال: «إني

ص: ٢٤

١- ((١)) البقره (٢): ٢٧٤، و راجع: ينابيع المودَّة: ٩٢.

٢- ((٢)) المائده (٥): ٥٥، و راجع: تفسير الطبري: ١٦٥/٦ و البيضاوى و غيرهما.

٣- ((٣)) الاحزاب (٣٣): ٣٣، و راجع: صحيح مسلم، فضائل الصحابه.

٤- ((٤)) آل عمران (٣): ٦١، صحيح الترمذى: ٣٠٠/٢.

٥- ((٥)) راجع: الكشَّاف للزمخشري، و الطبرى فى الرياض النضرة: ٢٠٧/٢.

٦- ((٦)) الرياض النضرة: ١٦٦/١.

كنت إذا سألته أنبأني، وإذا سكت ابتدأني» (١).

و عن ابن عمر: أن النبي (صلى الله عليه وآله) يوم آخى بين أصحابه و جاء عليّ و عيناه تدمع قال (صلى الله عليه وآله) لعليّ (عليه السلام): «أنت أخي في الدنيا والآخرة» (٢).

و عن أبي ليلى الغفاري أنه قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «سيكون من بعدى فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا عليّ بن أبي طالب فإنه أول من آمن بي، و أول من يصادفني يوم القيامة، و هو الصديق الأكبر، و هو فاروق هذه الأمة، و هو يعسوب المؤمنين، و المال يعسوب المنافقين» (٣).

و اعترف الخلفاء جميعاً بأن علياً أعلم الصحابة و أقضاهم، و أنه لولا عليّ؛ لهلكوا حتى صارت مقوله عمر مضرب الأمثال: لولا عليّ؛ لهلك عمر (٤).

و عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال: ما كنا نعرف المنافقين إلا ببغض عليّ بن أبي طالب (٥).

و لما بلغ معاوية مقتل عليّ (عليه السلام) قال: ذهب الفقه و العلم بموت ابن أبي طالب (٦).

و قال الشعبي: كان عليّ بن أبي طالب في هذه الأمة مثل المسيح بن مريم في بني إسرائيل، أحبه قوم فكفروا في حبه، و أبغضه قوم فكفروا في بغضه (٧).

و كان أسخى الناس، و كان على الخلق الذي يحبّه الله: السخاء و الجود، ما قال:

ص: ٢٥

١- ((١)) طبقات ابن سعد: ٣٣٨/٢، و حليه الأولياء: ٦٨/١.

٢- ((٢)) سنن الترمذي: ٥٩٥/٥، الحديث ٣٧٢٠.

٣- ((٣)) الاصابة لابن حجر: ١٧١/٤، الرقم ٩٩٤، و مجمع الزوائد: ١٠٢/١.

٤- ((٤)) شرح نهج البلاغة: ٦/١، و تذكره الخواص: ص ٨٧.

٥- ((٥)) الاستيعاب بهامش الاصابة: ٤٥/٣.

٦- ((٦)) المصدر السابق.

٧- ((٧)) العقد الفريد: ٢١٦/٢.

وقال صعصعه بن صوحان لعلّي بن أبي طالب (عليه السّلام) يوم بويج: والله يا أمير المؤمنين لقد زيّنت الخلافة و ما زانتك و رفعتها و ما رفعتك، و لهي إليك أحوج منها إليك.

و عن ابن شيرمه: أنه ليس لأحد من الناس أن يقول على المنبر: «سلونى» غير على بن أبي طالب (٢).

و قام القعقاع بن زراره على قبره فقال: رضوان الله عليك يا أمير المؤمنين، فو الله لقد كانت حياتك مفتاح الخير، و لو أنّ الناس قبلوك؛ لأكلوا من فوقهم و من تحت أرجلهم، و لكنّهم غمطوا النعمة و آثروا الدنيا (٣).

و قال «المسيحى» جورج جرداق فى كتابه «الإمام علىّ صوت العدالة الإنسانية»: إنّ علىّ بن أبي طالب من الأفذاذ النادرين، إذا عرفتهم على حقيقتهم بعيدا عن الصعيد التقليدى عرفت أنّ محور عظمتهم إنّما هو الإيمان المطلق بكرامه الإنسان و حقّه المقدّس فى الحياه الحرّه الشريفه، و بأنّ هذا الإنسان منظور أبدا، و بأنّ الجمود و التقهقر و التوقّف عند حال من أحوال الماضى أو الحاضر ليست إلّا نذير الموت و دليل الفناء (٤).

و قال شبلى شمىل: الإمام علىّ بن ابى طالب، عظيم العظمة، نسخه مفرده لم ير لها الشرق و لا الغرب صورته طبق الأصل لا قديما و لا حديثا (٥).

و بقدر ما بقى علىّ رمزا و قياده عمليه معا، ملتزما مع جيل الصحابه الكبار بالمفهوم الأوّل للإسلام كهدايه و تضحيه من أجل إصلاح العالم و دفعه الى طريق

ص: ٢٦

١- (١) شرح نهج البلاغه: ٧/١.

٢- (٢) أئمتنا: ٩٤/١، عن أعيان الشيعة: ج ٣/ القسم ١/ ص ١٠٣.

٣- (٣) تاريخ يعقوبى: ٢١٣/٢.

٤- (٤) الامام على صوت العدالة الانسانيه: ١٤/١.

٥- (٥) المصدر السابق: ص ٣٥.

الحقّ و العدل، أى بمفهوم الدين كثوره دائمه و مستمره. كان معاويه يبرز من خلال صراعه مع عليّ... ممثلاً لجيل المسلمين الجديد الذى وضعته الفتوحات فى قمه السلطه من جهه، و فرضت عليه أن يرى الامور أيضاً من وجهه نظر الحفاظ على المكتسبات الماديه... و فى مثل هذه المواجهه العنيدَه القاسيه الممزّقه المدمّره فقط كان معاويه يستطيع أن يولّد المشاعر الدنيويّه القويّه و يمزّق وحده المسلمين و يشقّ و عيهم، و ينتزع للسياسه السلطانيه و الدوله فى مواجهه الروح الرساليه و الثوريه أرضاً جديده من أملاك الدين الشامل (١).

و كتب الاستاذ هاشم معروف: لقد كان الإمام عليّ بن أبى طالب حدثاً تاريخياً غريباً عن طباع الناس و عاداتهم منذ ولادته و حتى النفس الأخير من حياته، فقد أطلّ على هذه الدنيا من الكعبه... فكانت ولادته فى ذلك المكان حدثاً تاريخياً لم يكن لأحد قبله و لم يحدث لأحد بعده، و كما دخل هذه الدنيا من بيت الله فقد خرج منها حين أقبل عليه الموت من بيت الله... و قال: و لم يحدث لإنسان غيره ما حدث له، فقد وضعه من لا يؤمنون به إيمان شيعته و محبّيه فى طليعه قاده الفكر و عباقره العصور، و وصفه المعتدلون من محبّيه الى جانب الأنبياء و المرسلين، و المغالون منهم فى مستوى الآلهه (٢).

ص: ٢٧

١- (١) نقد السياسه، الدوله و الدين، برهان غليون: ص ٧٨، الطبعه الثانيه ١٩٩٣، المؤسسه العربيه للدراسات و النشر.

٢- (٢) سيره الأئمه الاثنى عشر: ١/١٤١-١٤٢.

إشاره

مظاهر من شخصيه الإمام علي (عليه السلام)

اجتمع للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) من صفات الكمال، و محمود الشمائل و الخلال، و سناء الحسب و عظيم الشرف، مع الفطره النقيته و النفس المرضييه ما لم يتهيأ لغيره من أفذاذ الرجال.

تحدّر من أكرم المناسب و انتمى الى أطيب الأعراق، فأبوه أبو طالب عظيم المشيخه من قريش، و جدّه عبد المطلب أمير مكّه و سيّد البطحاء، ثم هو قبل ذلك من هامات بني هاشم و أعيانهم (١).

و اختص بقربته القريبه من الرسول (صلّى الله عليه و آله)، فكان ابن عمّه و زوج ابنته و أحبّ عترته إليه، كما كان كاتب و حيه، و أقرب الناس الى فصاحته و بلاغته، و أحفظهم لقوله و جوامع كلمه.

أسلم على يديه قبل أن تمسّ قلبه عقيدته سابقه، أو يخالط عقله شوب من شرك، و لازمه فتى يافعا في غدوّه و رواحه و سلمه و حربته حتى تخلّق بأخلاقه و اتّسم بصفاته، و فقه عنه الدين و تفقّه ما نزل به الروح الأمين، فكان من أفقه أصحابه و أفضاهم و أحفظهم و أدعاهم و أدقّهم في الفتيا و أقربهم الى الصواب، حتى قال فيه عمر: لا بقيت لمعضله ليس لها أبو الحسن (٢).

ص: ٢٩

١- (١) مقدمه شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ٣/١.

٢- (٢) مناقب آل أبي طالب: ٣٦١/٢ ط دار الأضواء.

فكان العالم المجزّب الحكيم و الناقد الخبير، و كان لطيف الحسّ، نقيّ الجوهر، وضاء النفس، سليم الذوق، مستقيم الرأى، حسن الطريقة، سريع البديهة، حاضر الخاطر، عارفا بمهّمات الامور (١).

عبادته و تقواه (عليه السلام):

اشتهر علىّ بن أبى طالب بتقواه التى كانت عله الكثير من تصرّفاتة مع نفسه و ذويه و الناس... و فيما ترى العبادة لدى المعظم رجح أصدقاء الضعف فى نفوسهم أحيانا، و معنى من معانى التهّرّب من مواجهه الحياه و الأحياء أحيانا اخرى، و هوسا موروثا ثمّ مدعوما بهوس جديد مصدره تقديس الناس و المجتمع لكلّ موروث فى أكثر الأحيان... تراها تشتهر عند الإمام أخذنا من كلّ قوّه و وصلا لأطراف الحلقة الخلقية التى تشتدّ و تمتدّ حتى تجمع الأرض و السماء، و معنى من معانى الجهاد فى سبيل ما يربط الأحياء بكلّ خير، و هى على كلّ حال شىء من روح التمرّد على الفساد يريد محاربتة من كلّ صوب، ثمّ على النفاق و روح الاستغلال و الاقتتال من أجل المنافع الخاصّه... و على المذلّة و الفقر و المسكنه و الضعف، ثمّ على سائر الصفات التى تميّز بها عصره المضطرب القلق.

إنّ من تبصّر فى عبادة الإمام، تبين له أنّ عليّا متمرّد فى عبادته و تقواه، كما هو متمرّد فى اسلوبه فى السياسة و الحكم، ففى عبادته افتتان الشاعر يقف فى هيكل الوجود الرحب صافى النفس ممتلئ القلب، حتى إذا انكشفت له جمالات هذا الكون؛ تجاوبت و ما فى كيانه من أصدقاء و أطلال و موازين، فأطلق هذه الآيه الرائعه التى نرى فيها دستورا كاملا لتقوى الأحرار و عبادة عظماء النفوس: «و إنّ قوما عبدوا الله رغبه فتلك عباده التجار، و إنّ قوما عبدوا الله رهبه فتلك عباده العبيد، و إنّ

ص: ٣٠

١- (١) راجع: مقدمه شرح نهج البلاغه، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم.

قوما عبدوا الله شكرا فتلك عباده الأحرار» (١).

إن عباده الإمام ليست شيئا من سلبته الخائف الهارب أو التاجر الراغب كما هي الحال عند الكثيرين من المتعبدين، بل هي شيء من إيجابيه الإنسان العظيم الواعي نفسه و الكون على أساس من خبره المعجّب و عقل الحكيم و قلب الشاعر.

و بهذا المفهوم للتقوى و العباده كان علىّ يوجه الناس الى أن يتقوا الله في سبيل الخير الإنسانى العام، أو قل: في سبيل أمر أجلّ من رغبه تجار العبادات في نعيم الآخرة، كان يوجههم الى التقوى لعلّ فيها ما يحملهم على أن يعدلوا و ينصفوا المظلوم من الظالم فيقول: «عليكم بتقوى الله... و بالعدل على الصديق و العدو» (٢). و لا- خير في التقوى في نظر الإمام؛ إلاّ إذا دفعتك الى أن تعترف بالحقّ قبل أن تشهد عليه، و ألاّ تحيف على من تبغض و لا تأثم، و الحياه- بهذا المعنى للعباده- لا تبغى لمتاع و لا ترجى للذّه عابره.

زهده (عليه السلام):

لقد زهد علىّ في الدنيا و تقشّف، و كان صادقا في زهده كما كان صادقا في كلّ ما نتج عن يمينه أو بدر من قلبه و لسانه، زهد في لذّه الدنيا و سبب الدوله و علّه السلطان و كلّ ما يطمح لبلوغه الآخرون، و يرون أنّه مرتكز وجودهم، فإذا هو يسكن مع أولاده في بيت متواضع تأوى اليه الخلافه لا الملك، و إذا هو يأكل الشعير تطحنه امرأته بيديها فيما كان عمّاله يعيشون على أطيب الشام و خيرات مصر و نعيم العراق، و كثيرا ما كان يأبى على زوجته أن تطحن له، فيطحن لنفسه و هو أمير المؤمنين، و يأكل من الخبز اليابس الذى يكسره على ركبته، و كان إذا أرعده البرد و اشتدّ عليه الصقيع لا يتخذ له عدّه من دثار يقيه أذى البرد، بل

ص: ٣١

١- (١) نهج البلاغه طبعه صبحى الصالح: ٥١٠ الحكمه ٢٣٧ ط دار الهجره قم.

٢- (٢) بحار الأنوار: ٢٣٦/٧٧ باب وصيّته أمير المؤمنين (عليه السلام) ط الوفاء.

يكتفى بما رُق من لباس الصيف إغراقاً منه في صوفيّه الروح.

روى هارون بن عنتره عن أبيه، قال: دخلت على عليّ بالخورنق، وكان فصل شتاء، وعليه خلق قطيفه هو يردد فيه، فقلت: يا أمير المؤمنين! إن الله قد جعل لك ولأهلك في هذا المال نصيباً وأنت تفعل ذلك بنفسك؟ فقال: «والله ما أرزؤكم شيئاً، وما هي إلا قطيفتي التي أخرجتها من المدينة» (١).

وأتى أحدهم عليّاً بطعام نفيس حلو يقال له: الفالودج، فلم يأكله عليّ ونظر إليه يقول: «والله إنك لطيب الريح حسن اللون طيب الطعم، ولكن أكره أن أعوّد نفسي ما لم تعتد» (٢).

ولعمري إن زهد عليّ هذا ليس إلا معنى و مزاجاً من معاني فروسيّته و مزاجها و إن بدا للبعض أنّهما مختلفان.

وقد حملت هذه السيره الطيبه عمر بن عبد العزيز -أحد خلفاء الاسره الامويه التي تكره عليّاً و تختلق له السيئات و تسبّه على المنابر- على أن يقول:

أزهد الناس في الدنيا عليّ بن أبي طالب (٣).

والمشهور أنّ عليّاً بن أبي أن يسكن قصر الإمارة الذي كان معداً له بالكوفة، لئلا يرفع سكنه عن سكن اولئك الفقراء الكثيرين الذين يقيمون في خصاصهم البائسه، و من كلامه هذا القول الذي انبثق عن اسلوبه في العيش انبثاقاً: «أقنع من نفسي بأن يقال هذا أمير المؤمنين و لا اشاركهم في مكاره الدهر؟!» (٤)

إباؤه و شهامته (عليه السلام):

مثل عليّ بن أبي طالب الفروسيّ بأروع معانيها و بكلّ ما تنطوى عليه من

ص: ٣٢

١- ((١)) بحار الأنوار: ٣٣٤/٤٠ ط الوفاء.

٢- ((٢)) المصدر السابق: ٣٢٧/٤٠.

٣- ((٣)) المصدر السابق: ٣٣١/٤٠ باب ٩٨ ذ ح ١٣ ط الوفاء.

٤- ((٤)) نهج البلاغه طبعه صبحي الصالح: ٤١٨ الكتاب ٤٥.

ألوان الشهامة. و الإباء و الترفع أصلا من اصول الفروسيه، فهما إذن من طبائع الإمام، لذلك كان بغیضا لديه أن ينال أحدا من الناس بالأذى و إن آذاه، و أن يبادر مخلوقا بالاعتداء و لو على ثقة بأن هذا المخلوق يقصد قتله.

و روح الإباء و الترفع هذه هي التي ارتفعت به عن مقابله الامويين بالسباب يوم كانوا يرشقونه به... بل إنه منع أصحابه أن ينالوا الامويين بالشتيمه المقذعه حتى قال لهم: «إني أكره لكم أن تكونوا سبائين، و لكنكم لو وصفتهم أعمالهم و ذكرتم حالهم؛ كان أصوب في القول، و أبلغ في العذر، و قلت مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا و دماءهم، و أصلح ذات بيننا و بينهم، و اهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله، و يرعوى عن الغي و العدوان من لهج به» (١).

مروءته (عليه السلام):

إن مروءه الإمام أندر من أن يكون لها مثل في التاريخ، و حوادث المروءه في سيرته أكثر من أن تعد، منها أنه أبى على جنده -و هم في حال من النقمه و السخط- أن يقتلوا عدوا تراجعا، كما أبى عليهم أن يكشفوا سترا أو يأخذوا مالا، و منها: أنه حين ظفر باللد أعدائه الذين يتحينون الفرص للتخلص منه؛ عفا عنهم و أحسن اليهم و أبى على أنصاره أن يتعقبوهم بسوء و هم على ذلك قادرون (٢).

صدقه و إخلاصه (عليه السلام):

و تتماسك هذه الصفات الكريمة في سلسله لا تنتهي؛ و بعضها على بعض دليل، و من أروع حلقاتها: الصدق و الإخلاص، و قد بلغ به الصدق مبلغا أضاع به الخلافه، و هو لو رضى عن الصدق بديلا في بعض أحواله؛ لما نال منه عدو ولا انقلب عليه صديق.. لقد رفض أن يقر معاويه على عمله و قال: «لا اداهن في ديني

ص: ٣٣

١- ((١)) نهج البلاغه طبعه صبحي الصالح: ٣٢٣، الخطبه ٢٠٦.

٢- ((٢)) البدايه و النهايه: ٢٧٦/٧.

ولا اعطى الدينيه فى امرى؟. و لمّا ظهرت حيله معاويه؛ أطلق عبارته التى صحت أن تكون صيغه للخلق العظيم: «و الله ما معاويه بأدهى منى، و لكنّه يغدر و يفجر، و لولا كراهيه الغدر؛ لكنت من أدهى الناس» (١). و قال مشدداً على ضروره الصدق مهما اختلفت الظروف: «الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك، على الكذب حيث ينفعك» (٢).

شجاعته (عليه السلام):

إن شجاعه الإمام هى من الإمام بمنزله التعبير من الفكره و بمشابه العمل من الإراده، لأنّ محورها الدفاع عن طبع فى الحق و إيمان بالخير، و المشهور أنّ أحدا من الأبطال لم ينهض له فى ميدان.. فقد كان لجراته على الموت لا يهاب صنيديدا، بل إنّ فكره الموت لم تجل مره فى خاطر الإمام و هو فى موقف نزال، و أنّه لم يقارع بطلا إلا بعد أن يحاوره لينصحه و يهديه.

و كان علىّ مع قوته البالغه يتورّع عن البغى أيّا كان الظرف، و أجمع المؤرّخون على أنّه كان يأنف القتال إلا اذا حمل عليه حملا، فكان يسعى أن يسوى الامور مع خصومه.. على وجوه سلميه تحقن الدم و تحول دون النزال.

و طبيعه التورّع عن البغى أصل من اصول نفسيه علىّ و خلق من أخلاقه، و هى متّصله اتصالا وثيقا بمبدئه العام الذى يقوم بمعرفه العهد و صيانته الذمه و الرحمه بالناس حتى يخونوا كلّ عهد و يقسوا دون كلّ رحمه.

و ما كان لعلّى أن يستنجد الصداقه على العداوه؛ لولا ذلك الفيض العظيم من الوفاء و الحنان الذى تزخر به نفسه و يطغى على جنانه.

و لكنّ صاحب المودات لم يرع أصدقاؤه له مودّه، لأنهم لم يكونوا ليطمعوا

ص: ٣٤

١- ((١)) نهج البلاغه، الخطبه: ٢٠٠.

٢- ((٢)) نهج البلاغه، قصار الحكم: ٤٥٨.

بأن يحولوا بينه وبين نفسه، فيطلق أيديهم في خيرات الأرض دون سائر الخلق، يقول عليّ (عليه السلام): «والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصى الله في نمله أسلبها جلب شعيره ما فعلت، وإنّ دنياكم عندي لأهون من ورقه في فم جراده» (1) وليس عليّ في هذا المجال قائلاً ثمّ عاملاً، بل هو القول يجري من طبيعه العمل الذي يعمل والشعور الذي يحسّ... فعليّ أكرم الناس مع الناس، وأبعد الخلق عن أن ينال الخلق بالأذى، وأقربهم الى بذل نفسه في سبيلهم على أن يقتنع ضميره بضروره هذا البذل، أو ليست حياته كلّها سلسله معارك في سبيل المظلومين والمستضعفين، وانتصاراً دائماً للامّة دون من يريدونه آله إنتاج لهم من الساده ورثه الأمجاد العائليه، أو لم يكن سيفاً صارماً فوق أعناق القرشيين الذين أرادوا استغلال الخلافة والإماره للسلطان والجاه وتكديس الأموال؟! ألم يضع الخلافة والحياه على الأرض لأنه أبا مسايه أهل الدنيا في استعباد إخوانهم الضعفاء والفقراء والمظلومين؟

عدله (عليه السلام):

ليس غريباً أن يكون عليّ أعدل الناس، بل الغريب أن لا يكونه، وأخبار عليّ في عدله تراث يشرف المكانه الإنسانيه والروح الإنساني.

وكان الإمام يأبى الترفع عن رعاياه في المخاصمه والمقاضاه، بل إنه كان يسعى الى المقاضاه إذا وجبت لتشبعه بروح العدالة.

وتجرى في روحه العدالة حتى أمام أبسط الامور، وصايا الإمام ورسائله الى الولاه تكاد تدور حول محور واحد هو العدل، وقد انتصر العدل في قلب عليّ وقلوب أتباعه وإن ظلموا وظلم.

ص: ٣٥

تواضعه (عليه السلام):

إنّ من اصول أخلاق الإمام أنّه كان يعتمد البساطه و يمقت التكلّف. و كان يقول: «شر الإخوان من تكلف له» (١). و يقول: «إذا احتشم المؤمن أخاه فقد فارقه» (٢) و يقصد بالاحتشام مراعاته حتى التكلّف.

و كان لا يتصنّع في رأى يراه أو نصيحة يسديها أو رزق يهبه أو مال يمنعه.

و كانت هذه الطبيعه تلازمه حتى يسأم أصحاب الأغراض من استرضائه بالحيله.

و إذا هم ينسبون اليه القسوه و الجفوه و الزهو على الناس، و ليس صدق الشعور و إظهاره زهوا و ليس جفوه، بل إنّه كان يمقت الزهو و العجب.. و لطالما نهى ولده و أعوانه و عمّاله عن الكبر و العجب قائلا: «إيّاك و الإعجاب بنفسك»، و اعلم أنّ الإعجاب ضد الصواب و آفه الألباب» (٣). و كره التكلّف في محبّيه الغالين كما كره التكلّف في مبغضيه المفرطين فقال: «هلك فيّ اثنان: محبّ غال و مبغض قال» (٤).

لقد كان يخرج الى مبارزيه حاسر الرأس و مبارزوه مقنعون بالحديد، أفعجيب أن يخرج اليهم حاسر النفس و هم مقنعون بالحيله و الرياء؟.

تقاؤه (عليه السلام):

و تميّز علىّ بسلامه القلب، فهو لا يحمل ضغينه على مخلوق و لا يعرف حقدا على ألدّ أعدائه و مناوئيه و من يحقدون عليه حسدا و كرها.

كرمه (عليه السلام):

و كان من خلقه أنّه كان كريما و لا حدود لكرمه، و لكنّه الكرم السليم

ص: ٣٦

١- (١) نهج البلاغه، قصار الحكم: ٤٧٩.

٢- (٢) المصدر السابق: ٤٨٠.

٣- (٣) المصدر السابق من كتاب ٣١ رقم ٥٧.

٤- (٤) نهج البلاغه: ١١٧.

باصوله و غاياته لاكرم الولاه الذين «يكرمون» بأموال الناس وجهودهم. وهذا الكرم لم يعرفه على مرّه في حياته، وإنما كرمه هو الذى يعبر عن جملة المروءات، ففىما كان يزجر ابنته زجرا شديدا إذ هى استعارت من بيت المال قلاده تترين بها فى عيد من الأعياد. كان يسقى بيده النخل لقوم من يهود المدينة حتى تمجّل يده فيتناول أجرته فيهبها لأهل الفاقه و العوز و يشتري بها الأرقاء و يحزّهم فى الحال.

و قد شهد معاويه على كرم على قاتلا: لو ملك على بيتا من تير و بيتا من تين لأنفد تبره قبل تبته (١).

علمه و معارفه عليه السلام:

قال ابن أبى الحديد: «و ما أقول فى رجل تعزى اليه كلّ فضيله، و تنتمى اليه كلّ فرقه، و تتجاذبه كلّ طائفة، فهو رئيس الفضائل و ينبوعها، و أبو عذرها، و سابق مضمارها، و مجلى حلبتها، كلّ من بزغ فيها بعده فمنه أخذ، و له اقتفى، و على مثاله احتذى.

و إنّ أشرف العلوم -و هو العلم الالهى-، من كلامه (عليه السلام) اقتبس و عنه نقل و اليه انتهى و منه ابتدأ... و علم الفقه هو أصله و أساسه و كلّ فقيه فى الإسلام فهو عيال عليه و مستفيد من فقهه... و علم تفسير القرآن عنه اخذ و منه فرّع.. و علم الطريقه و الحقيقه و أحوال التصوّف (!؟) إنّ أرباب هذا الفنّ فى جميع بلاد الإسلام اليه ينتهون، و عنده يقفون... و علم النحو و العرييه قد علم الناس كافه أنّه هو الذى ابتدعه و أنشأه، و أملى على أبى الأسود الدؤلى جوامعه و اصوله...»

ثم قال: «و أمّا الفصاحه فهو (عليه السلام) إمام الفصحاء و سيّد البلغاء، و فى كلامه قيل: (دون كلام الخالق و فوق كلام المخلوقين)، و منه تعلّم الناس الخطابه

ص: ٣٧

١- (١) تاريخ دمشق لابن عساكر: ٤١٤/٤٣ ترجمه على بن أبى طالب (عليه السلام).

و الكتابه..فو الله ما سنّ الفصاحه لقريش غيره،و يكفى هذا الكتاب الذى نحن شارحوه دلالة على أنه لا يجارى فى الفصاحه و لا يبارى فى البلاغه...»

ثم قال:«و أمّا الزهد فى الدنيا فهو سيّد الزهاد،و بدل الأبدال،و إليه تشدّ الرحال،و عنده تنفض الأحلاس،ما شيع من طعام قطّ،و كان أخشن الناس مأكلا و ملبسا».

و أمّا العباده فكان أعبد الناس و أكثرهم صلاه و صوما،و منه تعلّم الناس صلاه الليل و ملازمه الأوراد و قيام النافله،و ما ظنّك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يسط له نطع بين الصّفين ليله الهرير (1) فيصلّى عليه ورده و السهام تقع بين يديه و تمرّ على صماخيه يمينا و شمالا،فلا يرتاع لذلك،و لا- يقوم حتى يفرغ من وظيفته.. و أنت إذا تأملت دعواته و مناجاته و وقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه و إجلاله و ما يتضمّنه من الخضوع لهيبته و الخشوع لعزّته و الاستخذاء له؛ عرفت ما ينطوى عليه من الإخلاص،و فهمت من أى قلب خرجت،و على أى لسان جرت.و قال على بن الحسين و كان الغايه فى العباده:عبادتي عند عباده جدّى كعباده جدّى عند عباده رسول الله(صلّى الله عليه و آله).

و أمّا قراءته القرآن و اشتغاله به فهو المنظور اليه فى هذا الباب؛اتفق الكلّ على أنه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله(صلّى الله عليه و آله)،و لم يكن غيره يحفظه،ثم هو أوّل من جمعه.و إذا رجعت الى كتب القراءات وجدت أئمة القراء كلّهم يرجعون اليه.

و ما أقول فى رجل تحبه أهل الذمّه على تكذيبهم بالنبوّه،و تعظّمه الفلاسفه على معاندتهم لأهل المله،و تصوّر ملوك الإفرنج و الروم صورته فى بيعها و بيوت عباداتها،حاملا سيفه؟و ما أقول فى رجل أحبّ كلّ واحد أن يتكثّر به،و ودّ كلّ

ص: ٣٨

١- (١) هى أشد ليله مرّت على الجيشين فى معركة صفّين،راجع مروج الذهب:٣٨٩/٢.

أحد أن يتجمل و يتحسن بالانتساب إليه؟

و ما أقول فى رجل سبق الناس الى الهدى..لم يسبقه أحد الى التوحيد إلا السابق لكل خير محمد رسول الله (صلى الله عليه و آله) (1)؟

ص: ٣٩

١- (١) من مقدمه ابن أبى الحديد لشرح نهج البلاغه ١٦/١-٣٠ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم.

الباب الثاني

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

نشأه الإمام عليّ (عليه السلام)

الفصل الثاني:

مراحل حياة الإمام عليّ (عليه السلام)

الفصل الثالث:

من الولادة الى الإمامه

ص: ٤١

إشاره

نشأه الإمام علي (عليه السلام)

نسبه الوضاء:

هو الإمام أمير المؤمنين و سيد الوصيين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مره بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانه بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان.

جده الكريم:

عبد المطلب شبيه الحمد، و كنيته أبو الحرث، و عنده يجتمع نسبه بنسب النبي (صلى الله عليه و آله) و كان مؤمنا بالله تعالى، و يعلم بأن محمدا سيكون نبيا (١).

و لما حضرت عبد المطلب الوفاه دعا ابنه أبا طالب، فقال له: يا بني! قد علمت شدّه حبي لمحَمَّد (صلى الله عليه و آله) و وجدى به أنظر كيف تحفظنى فيه؟ قال أبو طالب: يا أبة! لا توصنى بمحمد فإنه ابنى و ابن أخى (٢).

ص: ٤٣

١- ((١)) الطبقات لمحمد بن سعد: ٧٤/١ ط. ليدن.

٢- ((٢)) كمال الدين للصدوق: ١٧٠ ط النجف الأشرف و ١٧٢ ط طهران عن ابن عباس. و فى موسوعه التاريخ الإسلامى: ٢٨٥/١.

عبد مناف، وقيل: عمران، وقيل: شيبه، وكنيته أبو طالب، وهو أخو عبد الله والد النبي (صلى الله عليه وآله) وأبيه. ولد أبو طالب بمكة قبل ولادة النبي (صلى الله عليه وآله) بخمس و ثلاثين سنة، وانتهت إليه بعد أبيه عبد المطلب الزعامه المطلقه لقريش، وكان يروى الماء لوفود مكة كافة لأن السقايه كانت له، ورفض عباده الأصنام فوحد الله سبحانه، ومنع نكاح المحارم و قتل المؤؤده و الزنا و شرب الخمر و طواف العراه فى بيت الله الحرام (١). و لمّا توفى عبد المطلب؛ تكفل أبو طالب رعايه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فكان أبو طالب يحبه حباً شديداً لا يحبه ولده، وكان لا ينام إلا إلى جنبه، و يخرج فيخرج معه، وكان يخصه بالطعام دون أولاده.

و روى أن أبا طالب دعا بنى عبد المطلب فقال: لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمّد (صلى الله عليه وآله) و ما أتبعتم أمره، فاتبعوه و أعينوه ترشدوا. و ما زالت قريش كافة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى مات أبو طالب (٢).

توفى أبو طالب قبل الهجره بثلاث سنين و بعد خروج بنى هاشم مع النبي (صلى الله عليه وآله) من الشعب و عمره بضع و ثمانون سنه (٣)، و كان للنبي (صلى الله عليه وآله) تعلق شديد بأبى طالب، فقد عاش فى كنفه (٤٣) عاماً منذ الثامنه من عمره الشريف حينما توفى جدّه عبد المطلب.. و قد ثبت أن أبا طالب كان مؤمناً بالله و معتقداً بالإسلام أرسخ الاعتقاد، و بقى على حاله هذه حتى وافاه الأجل، و إنما أخفى إيمانه ليتمكّن أن يكون له شأن و اتصال مع كفّار مكة، و ليطلع على

ص: ٤٤

١- (١) روضه الواعظين للفتال: ١٢١-١٢٢ وصيه أبى طالب لبني هاشم.

٢- (٢) الطبقات لابن سعد: ٧٥/١.

٣- (٣) الكامل فى التاريخ لأبن الأثير: ٩٠/٢، راجع: موسوعه التاريخ الإسلامى: ١/٤٣٦.

مكائدهم و مؤامراتهم، فكان يعيش حاله التقيته، و كان مثله كأصحاب الكهف في قومهم، و هو ممن آتاهم الله أجرهم مرتين لإيمانه و تقيته (١).

أمه:

فاطمه بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، تجتمع هي و أبو طالب في هاشم، أسلمت و هاجرت مع النبي (صلى الله عليه و آله) و كانت من السابقات إلى الإيمان و بمنزله الام للنبي (صلى الله عليه و آله) (٢) ربته في حجرها، و لما ماتت فاطمه بنت أسد؛ دخل إليها رسول الله (صلى الله عليه و آله) فجلس عند رأسها و قال: «رحمك الله يا أمي، كنت أمي بعد أمي، تجوعين و تشبعيني، و تعرين و تكسيني، و تمنعين نفسك طيب الطعام و تطعميني، تريدن بذلك وجه الله و الآخرة».

و غمضها، ثم أمر أن تغسل بالماء ثلاثاً، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكب رسول الله (صلى الله عليه و آله) بيده، ثم خلع قميصه فألبسه إياها و كفت فوقه و دعا لها اسامه بن زيد مولى رسول الله (صلى الله عليه و آله) و أبا أيوب الأنصاري و عمر بن الخطاب و غلاماً أسود فحفروا لها قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله (صلى الله عليه و آله) بيده، و أخرج ترابه و دخل رسول الله (صلى الله عليه و آله) قبرها فاضطجع فيه، ثم قال: «الله الذي يحيى و يميت، و هو حي لا يموت، اللهم اغفر لأمي فاطمه بنت أسد بن هاشم، و لقمها حجتها، و وسع عليها مدخلها بحق نبيك و الأنبياء من قبلي، فإنك أرحم الراحمين» و أدخلها رسول الله (صلى الله عليه و آله) اللحد و العباس و أبو بكر (٣).

فقيل: يا رسول الله رأيناك وضعت شيئاً لم تكن وضعت به أحد من قبل:

ص: ٤٥

١- (١) بحار الأنوار: ٧٢/٣٥. و انظر: منية الطالب في إيمان أبي طالب للشيخ الطبسي، و أبو طالب مؤمن قريش للشيخ عبد الله الخنيزي و موسوعه التاريخ الإسلامي: ٥١٤/١-٥١٧ و ٥٩٦-٦٠١.

٢- (٢) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ٣١.

٣- (٣) بصائر الدرجات: ٧١ عن الصادق (عليه السلام)، و راجع: موسوعه التاريخ الإسلامي: ٤٣٣/٢-٤٣٧.

فقال (صلى الله عليه وآله): «ألْبَسْتُهَا قَمِيصِي لِتَلْبَسَ مِنْ ثِيَابِ الْجَنَّةِ، وَاضْطَجَعْتَ فِي قَبْرِهَا لِخَفِّفَ عَنْهَا مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ، إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ أَحْسَنِ خَلْقِ اللَّهِ صَنَعًا إِلَيَّ بَعْدَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَرَحْمَهُمَا» (١).

ص: ٤٦

١- (١) الفصول المهمة لابن الصباغ: ٣٢، و في فرائد السمطين: ٣٧٩/١: «صنعت شيئاً لم تصنعه بأحد» و روى اسلام فاطمه بنت أسد و هجرتها و حنانها و رعايتها للرسول و وفاتها و ما قال النبي (صلى الله عليه وآله) في فضلها كثير من الحفاظ و المؤلفين في كتبهم كابن عساكر و ابن الأثير و ابن عبد البرّ و محب الدين الطبري و محمد بن طلحة و الشبلنجي و ابن الصباغ البلاذري و غيرهم.

مراحل حياة الإمام عليّ (عليه السلام)

ولد الإمام علي (عليه السلام) قبل البعثة النبويه بعقد واحد، وعاصر ارهاصات البعثة و كل حركة الرساله خلال العهد المكي - وهو عهد بناء الامه المسلمه و تكوين القاعده الرساليه الصلبه - كما عاصر كل أحداث العهد المدني، حيث تم فيه بناء الدوله الإسلاميه بقياده سيد المرسلين (صلى الله عليه و آله)، و ساهم بكل وجوده في بناء هذا الكيان الشامخ حتى تجلّى للجميع عمق وجوده في هذا البناء الرسالي الفريد.

و حمل الإمام (عليه السلام) بأمر من رسول الله (صلى الله عليه و آله) مشعل الهدايه الربانيه و القيادة الإسلاميه بعد وفاه الرسول (صلى الله عليه و آله) رغم تراجع جمع من الصحابه و تمردهم على نصوص الرسول (صلى الله عليه و آله) و خذلانهم للإمام (عليه السلام) و الحيلولة دون استلامه للقياده السياسيه.. و لكنه استمر في انجاز مهامه الرساليه في تلك الظروف العصيبه و عايش الخلفاء رغم انه كان يرى محلّه من القيادة محل القطب من الرحي.. فصبر و في العين قذى مده عقدين و نصف عقد حتى انكشفت للأمة جملته من نتائج انحرافها الخطير عن تخطيط الرسول الأمين.

من هنا التجأت الامه الى الإمام لتسلم له زمام أمرها بعد تلك الخطوب و ذلك التصدع الذي طال كيانها فحمل عب القيادة بكل جداره خلال نصف عقد فقط حتى قدّم دمه الطاهر في سبيل الله رخيصةا يتغى به رضوان الله تعالى تثبيتا للقيم الرساليه التي جاهد من أجل ارسائها في وجدان المجتمع الإسلامى و ضمير المجتمع الإنسانى.

و على هذا تنقسم حياه الإمام عليّ بن أبي طالب(عليه السّلام) الى شطرين رئيسين:

الشرط الأول:حياته منذ ولادته و حتى وفاه سيد المرسلين(صلى الله عليه و آله).

الشرط الثانى:حياته من حين وفاه الرسول الأعظم(صلى الله عليه و آله)و تولّيه لمهامّ الإمامه الشرعيه و حتى استشهاده(عليه السّلام)فى محراب العباده.

و نظرا لتنوّع الأدوار و الظروف التى عاشها(عليه السّلام)يمكننا أن نصنّف حياته الى عدّه مراحل:

المرحلة الاولى:من الولاده الى البعثه النبويه المباركه.

المرحلة الثانيه:من البعثه الى الهجره.

المرحلة الثالثه:من الهجره الى وفاه الرسول(صلى الله عليه و آله).

و هذه المراحل الثلاث تدخل فى الشرط الأول من حياته و قد تجلّى فيها انقياده المطلق للرسول(صلى الله عليه و آله)و الدفاع المستميت عن الرساله و الرسول(صلى الله عليه و آله).

المرحلة الرابعه:حياه الإمام فى عهد(أبى بكر و عمر و عثمان).

المرحلة الخامسه:حياته فى عهد دولته.

و سوف ندرس المراحل الثلاث الاولى فى الفصل الثالث من الباب الثانى.

كما نبحت عن المرحله الرابعه من حياته فى الباب الثالث بفصوله الأربعة، و نخصص الباب الرابع بالمرحله الخامسه من حياته(عليه السّلام).

ولادته:

قال عليّ (عليه السلام): «فأتى ولدت على الفطره و سبقت إلى الإيمان و الهجره» (١).

ولد الإمام عليّ (عليه السلام) بمكّه المشرفه داخل البيت الحرام و فى جوف الكعبه فى يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب سنة ثلاثين من عام الفيل قبل الهجره بثلاث و عشرين سنه، و لم يولد فى بيت الله الحرام قبله أحد سواه، و هى فضيله خصّه الله تعالى بها إجلالا له و إعلاء لمرتبته و إظهارا لتكريمته (٢).

روى عن يزيد بن قعنب أنه قال: كنت جالسا مع العباس بن عبد المطلب و فريق من بنى عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام إذ أقبلت فاطمه بنت أسد امّ أمير المؤمنين (عليه السلام)، و كانت حاملا به لتسعه أشهر و قد أخذها الطلق، فقالت: يا ربّ إنى مؤمنه بك و بما جاء من عندك من رسل و كتب، و إنى مصدّقه بكلام جدّى إبراهيم الخليل (عليه السلام) و إنّه بنى البيت العتيق، فبحقّ الذى بنى هذا البيت، و بحقّ المولود

ص: ٤٩

١- (١) نهج البلاغه «صبحى الصالح»: الخطبه ٥٧ ص ٩٢، و أمالى الطوسى: ص ٣٦٤ الرقم ٧٦٥، و مناقب آل أبى طالب: ١٠٧/٢، و شرح النهج لابن أبى الحديد: ١١٤/٤، و بحار الأنوار: ٢١٧/٤١.

٢- (٢) خصائص أمير المؤمنين للشريف الرضى: ٣٩، و الغدير للأمينى: ٢٢/٦، و المستدرک للحاكم النيشابورى: ٤٨٣/٣، و الكفايه للحافظ الكنجى الشافعى و الخريده الغيبىه فى شرح القصيده العيتيه لآلوسى صاحب التفسير، و مروج الذهب للمسعودى، و السيره النبويه، و موسوعه التاريخ الإسلامى: ٣٠٦/١-٣١٠.

الَّذِي فِي بطنِي إِلَّا مَا يَسِّرْتُ عَلَيَّ وِلادَتِي.

قال يزيد: فرأيت البيت قد انشق عن ظهره، ودخلت فاطمه فيه، وغابت عن أبصارنا و عاد الى حاله و الترق الحائط، فرمنا أن يفتح لنا قفل الباب فلم يفتح، فعلمنا أن ذلك أمر من أمر الله عزّ وجلّ، ثم خرجت في اليوم الرابع و على يدها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) (١).

و أسرع البشير إلى أبي طالب و أهل بيته فأقبلوا مسرعين و البشر يعلو و جوههم، و تقدّم من بينهم محمّد المصطفى (صلّى الله عليه و آله) فضمّه الى صدره، و حمله الى بيت أبي طالب—حيث كان الرسول في تلك الفترة يعيش مع خديجه في دار عمه منذ زواجه— و انقذح في ذهن أبي طالب أن يسمّى وليده «عليّاً» و هكذا سمّاه، و أقام أبو طالب وليمه على شرف الوليد المبارك، و نحر الكثير من الأنعام (٢).

كناه و ألقابه:

إن لأمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) ألقاباً و كنى و نعوتاً يصعب حصرها و الإلمام بها، و كلّها صادرة من رسول الله (صلّى الله عليه و آله) في شتى المواقف و المناسبات العديده التي وقفها (عليه السلام) لنشر الإسلام و الدفاع عنه و عن الرسول.

فمن ألقابه (عليه السلام): أمير المؤمنين، و يعسوب الدين و المسلمين، و مبير (٣) الشرك و المشركين، و قاتل الناكثين و القاسطين و المارقين، و مولى المؤمنين، و شبيه هارون، و المرتضى، و نفس الرسول، و أخوه، و زوج البتول، و سيف الله المسلول، و أمير البرره، و قاتل الفجره، و قسيم الجته و النار، و صاحب اللواء، و سيد

ص: ٥٠

١- (١) علل الشرائع للصدوق: ص ٥٦، و روضه الواعظين للفتال النيسابورى: ص ٦٧، و بحار الأنوار: ٨/٣٥، و كشف الغمه للأربلي: ٨٢/١.

٢- (٢) بحار الأنوار: ١٨/٣٥.

٣- (٣) اليعسوب: يقصد به هنا سيد قومه. المبير: المهلك.

العرب، و خاصف النعل، و كشاف الكرب، و الصديق الأكبر، و ذو القرنين، و الهادي، و الفاروق، و الداعي، و الشاهد، و باب المدينة، و الوالي، و الوصي، و قاضي دين رسول الله، و منجز وعده، و النبا العظيم، و الصراط المستقيم، و الأنزع البطين (١).

و أما كناه فمنها: أبو الحسن، أبو الحسين، أبو السبطين، أبو الريحنتين، أبو تراب.

الإعداد النبوي للإمام علي (عليه السلام):

كان النبي (صلى الله عليه و آله) يتردد كثيرا على دار عمه أبي طالب بالرغم من زواجه من خديجه و عيشه معها في دار منفردة، و كان يشمل عليا (عليه السلام) بعواطفه، و يحوطه بعنايته، و يحمله على صدره، و يحرك مهده عند نومه الى غير ذلك من مظاهر العناية و الرعاية (٢).

و كان من نعم الله عز و جل على علي بن أبي طالب (عليه السلام) و ما صنع الله له و أراد به من الخير أن قرىشا أصابتهم أزمة شديده، و كان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله) للعباس - و كان من أيسر بني هاشم - : «يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، و قد ترى ما أصاب الناس من هذه الأزمة، فانطلق بنا، فلنخفف عنه من عياله، آخذ من بيته واحدا، و تأخذ واحدا، فنكفيهما عنه، قال العباس: نعم.

فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا له: إننا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلا فاصنعا

ص: ٥١

١- ((١)) كشف الغمه للأربلي: ٩٣/١. و قد وردت ألقاب اخرى عديده لأمير المؤمنين في مصادر الرواه و المحدثين منها: صحيح الترمذى و الخصائص للنسائي و المستدرک للحاكم النيسابورى و حليه الأولياء للأصفهاني و اسد الغابه لابن الأثير و تاريخ الإسلام للذهبي و غيرهم.

٢- ((٢)) بحار الأنوار: ٤٣/٣٥.

ما شئتُما، فأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) فضمّه إليه و كان عمره يومئذ ستة أعوام، و أخذ العباس جعفرًا، فلم يزل علي بن أبي طالب مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى بعثه الله نبيًا، فاتّبعه علي (عليه السلام) فأمن به و صدّقه، و لم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم و استغنى عنه (١).

و قد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد أن اختار علياً (عليه السلام): «قد اخترت من اختاره الله لي عليكم علياً» (٢).

و هكذا آن لعلي (عليه السلام) أن يعيش منذ نعومه أظفاره في كنف محمّد رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث نشأ و ترعرع في ظل أخلاقه السماويّة السامية، و نهل من ينابيع مودّته و حنانه، و ربّاه (صلى الله عليه وآله) ووفقا لما علّمه ربّه تعالى، و لم يفارقه منذ ذلك التاريخ.

و قد أشار الإمام علي (عليه السلام) إلى أبعاد التربية التي حظى بها من لدن استاذه و مرّيّه النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) و مداها و عمق أثرها، و ذلك في خطبته المعروفه بالقاصعه: «و قد علمتم موضعي من رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالقرايه القريبه، و المنزله الخصيصة (٣)، و وضعني في حجره و أنا ولد، يضمّني إلى صدره، و يكنفني في فراشه، و يمسنى جسده، و يشمّني عرفه (٤)، و كان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، و ما وجد لي كذبه في قول، و لا خطله (٥) في فعل».

إلى أن قال: «و لقد كنت أتبعه اتباع الفصيل (٦) أثر أمّه، يرفع لي في كلّ يوم من

ص: ٥٢

-
- ١- ((١)) تاريخ الطبري: ٥٨/٢ ط مؤسسه الأعلمي بيروت، و شرح ابن أبي الحديد: ١٣/١٩٨، و ينابيع الموده: ٢٠٢، و كشف الغمه: ١/١٠٤، و موسوعه التاريخ الإسلامي: ٣٥١/١-٣٥٦.
 - ٢- ((٢)) شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ١/١٥، نقلا عن البلاذري و الأصفهاني.
 - ٣- ((٣)) الخصيصة: الخاصه.
 - ٤- ((٤)) عرفه (بالفتح): رائحته، و أكثر استعماله في الطيب.
 - ٥- ((٥)) الخطله: الخطأ ينشأ من عدم الرؤيه.
 - ٦- ((٦)) الفصيل: ولد الناقه.

أخلاقه علماً (١)، و يأمرني بالاعتداء به، و لقد كان يجاور في كلِّ سنة بحراء (٢)، فأراه و لا يراه غيري، و لم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله (صلى الله عليه و آله) و خديجه و أنا ثالثهما، أرى نور الوحي و الرسالة، و أشم ريح النبوة، و لقد سمعت رثه (٣) الشيطان حين نزل الوحي عليه (صلى الله عليه و آله) فقلت: يا رسول الله، ما هذه الرثه؟ فقال: هذا الشيطان آيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع، و ترى ما أرى، إلا أنك لست بنبي، و لكنك وزير، و أنك لعلي خير» (٤).

المرحلة الثانية: من البعثة الى الهجرة

علي (عليه السلام) أول المؤمنين برسول الله (صلى الله عليه و آله):

لقد نشأ رسول الله (صلى الله عليه و آله) على قيم إلهية سامية كما صرح بذلك القرآن الكريم بقوله تعالى: **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٥)**، فكان النموذج المغاير لإنسان الجزيرة في معتقده و تفكيره و سلوكه و أخلاقه، فسلك منذ نعومه أظفاره خطاً موازياً لقيم رسالات الأنبياء سيما شيخهم إبراهيم الخليل (عليه السلام)، و كان في قناعه الرسول (صلى الله عليه و آله) أن هذا الخط لا يلتقى بقيم المجتمع الجاهلي، من هنا بدأ (صلى الله عليه و آله) بإنشاء نواه الاسره المؤمنه المتكونه منه و خديجه و علي (عليهم السلام).

و قرّر أن يشقّ مجرى التأريخ، و أن يفتح طريقاً وسط التيار العام، و أن يقاوم بتلك الاسره الانحراف السائد، و أن يحدث موجاً هادراً يتحوّل شيئاً فشيئاً إلى تيار جارف للوثنيه و الجاهليه من ربوع الأرض، إن علي بن أبي طالب (عليه السلام) و الذي تربى في حجر الرسول (صلى الله عليه و آله) لم يسجد لصنم قط، و لم يشرك بالله طرفه

ص: ٥٣

١- (١) علماً: فضلاً ظاهراً.

٢- (٢) حراء: جبل قرب مكه.

٣- (٣) رثه الشيطان: صوته.

٤- (٤) شرح نهج البلاغه للفيض: ٨٠٢، الخطبه ٢٣٤.

٥- (٥) القلم (٦٨): ٤.

عين. و عندما نزل الوحي على رسول الله (صلى الله عليه و آله) كان عليّ (عليه السّلام) الى جانبه، و كان أوّل من آمن برسالته (صلى الله عليه و آله) كما شهدت بذلك عامّه مصادر التّاريخ.

و عن أنس بن مالك قال: انزلت النبوه على رسول الله (صلى الله عليه و آله) يوم الإثنين و صلى عليّ (عليه السّلام) يوم الثلاثاء (١).

كما روى عن سلمان الفارسي أنّه قال: أوّل هذه الامّه و رودا على نبيّها (صلى الله عليه و آله) الحوض، أوّلها إسلاما عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) (٢).

و عن العباس بن عبد المطلب أنّه سمع عمر بن الخطاب و هو يقول: كفّوا عن ذكر عليّ بن أبي طالب إلاّ بخير، فإنّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول: في عليّ ثلاث خصال، و ددت أنّ لي واحده منهنّ، كلّ واحده منهنّ أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس، و ذلك أنّي كنت أنا و أبو بكر و أبو عبيده بن الجراح و نفر من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) إذ ضرب النبي على كتف عليّ بن أبي طالب و قال: يا عليّ، أنت أوّل المسلمين إسلاما، و أنت أوّل المؤمنين إيماناً، و أنت منّي بمنزله هارون من موسى، كذب من زعم أنّه يحبّني و هو مبغضك (٣).

و إذ اتفق المؤرّخون على أنّ أمير المؤمنين (عليه السّلام) أوّل الناس إسلاما (٤)؛ فقد

ص: ٥٤

- ١- (١) تاريخ دمشق لابن عساكر: ٤١/١، و الكامل في التّاريخ: ٥٨/٢، و تاريخ الطبري: ٥٥/٢، و سنن الترمذی: ٥/٦٠٠، الحديث ٣٧٣٥.
- ٢- (٢) الاستيعاب لابن عبد البرّ المالكي بهامش الإصابه: ٢٩/٣، و تاريخ الطبري: ٥٥/٢، و فيه: عليّ أول من أسلم، و في تاريخ دمشق لابن عساكر: ٣٢/١، ٣٦، ٣٦، ٦٥ ذكر أنّ عليّاً أول من أسلم، و تاريخ بغداد: ٨١/٢، رقم ٤٥٩.
- ٣- (٣) الفصول المهمه لابن الصباغ المالكي: ١٢٦، و تاريخ دمشق لابن عساكر: ٣٣١/١، رقم الحديث ٤٠١.
- ٤- (٤) من مصادر حديث أنّ عليّ بن أبي طالب أول من أسلم: سنن البيهقي: ٢٠٦/٦، و مسند أبي حنيفه: رقم ٣٦٨ ص ١٧٣، و تاريخ الطبري: ٥٥/٢ ط مؤسسه الأعلمی، و الكامل في التّاريخ: ٥٧/٢، و أسد الغابه: ١٦/٤، تاريخ ابن خلدون: ج ٣/٣ ص ٧١٥، بدء الوحي و السيره النبويه: ٢٦٢/١، و السيره الحلبيه: ٤٣٢/١، و مروج الذهب: ٢٨٣/٢، و عيون الأثر: ٩٢/١، و الإصابه في معرفه الصحابه: ٥٠٧/٢، و تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ١٨/٢.

اختلفوا في سنّه حين أعلن إسلامه، والخوض في تحديد عمر الإمام (عليه السّلام) حين إسلامه لا يجدى نفعاً بعد أن عرفنا أنّه لم يكفر حتى يسلم و لم يشرك حتّى يؤمن، ولقد قال سلام الله عليه: «ولدت على الفطره»، ومن هنا اتّفقت كلمه المحدثين جميعاً على احترام هذه الفضيله و تقديسها بقولهم له حين ذكره «علّي كرم الله وجهه» فكان الإسلام في أعماق قلبه بعد أن احتضنه حجر الرساله، وغدّته يد النبوه، وهذب الخلق النبوي العظيم.

قال الاستاذ العقّاد و هو يتحدّث عن الإمام عليّ (عليه السّلام): لقد ولد مسلماً على التحقيق إذا نحن نظرنا إلى ميلاد العقيدة و الروح، لأنّه فتح عينيه على الإسلام، و لم يعرف قطّ عباده الأصنام، فهو قد تربّى في البيت الذي انطلقت منه الدعوه الإسلاميه، و عرف العباده من صلاه النبيّ (صلّى الله عليه و آله) و زوجته الطاهره قبل أن يعرفها من صلاه أبيه و امه (١).

عليّ (عليه السّلام) أوّل من صلّى:

عاش الإمام عليّ (عليه السّلام) مع رسول الله (صلّى الله عليه و آله) كلّ متغيّرات حياه الرسول الأعظم، فكان يرى في محمّد المثل الكامل الّذي يشبع تطلعاته و عبقرياته، فكان يحاكيه في أفعاله و يرصده في حرّكاته و يقتدى به و يطيعه في كلّ أوامره و نواهيه قبل البعثه النبويه الشريفه و حتى آخر لحظه من عمر النبيّ (صلّى الله عليه و آله)، كما أجمع المؤرّخون على أنّه لم يردّ على رسول الله كلمه قطّ.

وقد صرّح الإمام (عليه السّلام) بأنّه أوّل من صلى بعد رسول الله (صلّى الله عليه و آله) قائلاً:

«لم يسبقني إلّا رسول الله بالصلاه». (٢)

ص: ٥٥

١- (١) عبقرية الإمام عليّ، عباس محمّد العقّاد: ص ٤٣. و قد ذكر العلامة الأميني في كتابه الغدير: ٣/ ٢٢٠-٢٣٦ ما يربو على ٦٦ حديثاً في أسبقية إسلام الإمام عليّ (عليه السّلام) على غيره من الصحابه.

٢- (٢) نهج البلاغه للفيض: ٣٩٧ الخطبه ١٣١.

كما روى عن حبه العرنى أنه قال: رأيت علياً (عليه السلام) يوماً ضحك ضحكاً لم أره ضحك ضحكاً أشد منه حتى أبدى ناجذته، ثم قال: «اللهم لا أعرف أن عبداً من هذه الأمة عبدك قبلي غير نبيها (صلى الله عليه وآله)» (١).

و جاء في تفسير قوله تعالى: وَ اِذْ كُنْتُمْ مَعَ الزَّائِكِينَ (٢) عن ابن عباس: أنها نزلت في رسول الله (صلى الله عليه وآله) و علي بن أبي طالب و هما أول من صلى و ركع (٣).

كما جاء عن أنس بن مالك: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «صَلَّتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَيَّ وَ عَلَى عَلِيِّ سَبْعًا، وَ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَرْفَعْ إِلَى السَّمَاءِ شَهَادَةً إِلَّا إِلَهًا إِلَّا اللَّهُ وَ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا مِنِّي وَ مِنْهُ» (٤).

أول صلاة جماعه في الإسلام:

و كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل بدء أمره إذا أراد الصلاة خرج إلى شعاب مكة مستخفياً، و أخرج علياً (عليه السلام) معه فيصليان ما شاء الله، فإذا قضيا رجعا إلى مكانهما، فمكثا يصليان على استخفاء من أبي طالب و سائر عمومتهما و قومهما، ثم إن أبا طالب مرّ عليهما فقال لرسول الله (صلى الله عليه وآله): ما هذا الذي أراك تدين به؟

قال (صلى الله عليه وآله): «هذا دين الله و ملائكته و دين رسله و دين أبينا ابراهيم، بعثني الله به نبياً إلى العباد، و أنت يا عمّ أحقّ من أبديت النصيحة له و دعوته إلى الهدى، و أحقّ من أجابني إليه و أعانني عليه».

و قال علي (عليه السلام): «يا أبت، قد آمنت برسول الله (صلى الله عليه وآله) و أتبعته و صلّيت معه لله».

ص: ٥٦

١- (١) تأريخ دمشق لابن عساکر: ٤٩/١ رقم الحديث ٨٨.

٢- (٢) البقره (٢): ٤٣.

٣- (٣) شواهد التنزيل للحسكاني: ٨٥/١.

٤- (٤) المناقب لابن المغازلي: ١٤ رقم الحديث ١٩، و روى نحوه الشيخ المفيد في الارشاد: ٣٠ الفصل ١ الباب ٢، و اسد الغابه لابن الأثير: ١٨/٤ مثله.

فقال له: يا بنى، أما إنه لم يدعك إلا إلى الخير فالزمه (١).

و هناك موقف آخر لعمة العباس رواه عفيف الكندى حيث قال:

كنت إمراً تاجراً فقدمت الحج، فأتيت العباس بن عبد المطلب لأبتاع منه بعض التجاره، فوالله إنى لعنده بمنى إذ خرج رجل من خباء قريب منه، فنظر إلى الشمس فلما رآها قد مالت قام يصلى، ثم خرجت امرأه من ذلك الخباء الذى خرج منه ذلك الرجل، فقامت خلفه تصلى، ثم خرج غلام راهق الحلم من ذلك الخباء فقام معه يصلى، فقلت للعباس: ما هذا يا عباس؟ قال: هذا محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخى، فقلت: من هذه المرأة؟ قال: امرأته خديجه بنت خويلد، قلت: من هذا الفتى؟ قال: على بن أبى طالب ابن عمه، قلت: ما هذا الذى يصنع؟ قال: يصلى و هو يزعم أنه نبي، و لم يتبعه على أمره إلا امرأته و ابن عمه هذا الغلام، و هو يزعم أنه سيفتح على امته كنوز كسرى و قيصر (٢).

نعم، بعد أن تشكّلت نواه الامه الإسلاميه المباركه من رسول الله و على و خديجه، و أخذ خبر الدين الجديد يتفشى فى صفوف القرشيين، و طفق الذين هداهم الله للإيمان يتقاطرون على الإسلام، و أخذ عود المسلمين يقوى و يشتدّ أزروه، و بعد عدّه سنوات تحوّل الى كيان قوى و قادر على الإعلان عن نفسه على الجماهير و المواجهه و التحدى من أجل الدين و العقيدة.. فأمر الله سبحانه و تعالى نبيه الكريم (صلى الله عليه و آله) أن يصدع بما يؤمر، و كان أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) قبل ذلك إذا أرادوا الصلاه يذهبون إلى الشعب فيستخفون، فلما صلى بعض الصحابه فى الشعب أطلع عليهم نفر من المشركين منهم أبو سفيان بن حرب و الأخنس بن

ص: ٥٧

١- (١) الفصول المهمه لابن الصباغ: ٣٣، و الكامل فى التاريخ: ٥٨/١، و أخرج مثله الطبرى فى تأريخه: ٥٨/٢.

٢- (٢) مسند أحمد: ٢٩/١، و الخصائص للنسائى: ٣، و تأريخ دمشق لابن عساكر: ٥٨/١، و كفايه الطالب للكنجى: ١٢٩، و الكامل فى التاريخ: ٥٧/٢.

عليّ (عليه السلام) حين إعلان الرسالة:

حديث يوم الإنذار:

و حديث يوم الإنذار هو الحديث الخاص عن اجتماع عشيره النبيّ (صلى الله عليه و آله) بدعوه منه لغرض دعوتهم الى بيعته و مؤازرته، و كان أوّل من أعلن استجابته لرسول الله (صلى الله عليه و آله) ذلك اليوم من عشيرته الأقربين: هو عليّ بن أبي طالب (عليه السلام).

و قد ذكر المفسيرون و المؤرّخون و منهم الطبرى فى تأريخه و تفسيره معاً أنّه لما نزلت وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ على رسول الله (صلى الله عليه و آله) و آله) و ضاق ذرعاً لما كان يعلم به من معانده قريش و حسدهم، فدعا عليّاً (عليه السلام) ليعينه على الإنذار و التبليغ.

قال الإمام عليّ (عليه السلام): دعانى رسول الله (صلى الله عليه و آله) فقال: يا عليّ، إنّ الله أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين فضقت ذرعاً و علمت أنّى متى ابادرهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمّت عليه حتى جاءنى جبرئيل فقال: يا محمّد إنّك تفعل ما تؤمر به يعدّبك ربّك.

فاصنع لنا صاعاً من طعام، و اجعل عليه رجل شاه، و املاً لنا عساً من لبن، و اجمع لى بنى عبد المطلب حتى أكلّمهم و أبلغهم ما امرت به.

فصنع عليّ (عليه السلام) ما أمره رسول الله (صلى الله عليه و آله) و دعاهم و هم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، منهم أعمامه أبو طالب و حمزه و العباس و أبو لهب فأكلوا، قال عليّ (عليه السلام): فأكل القوم حتى ما لهم بشيء من حاجه، و ما أرى إلاّ موضع أيديهم، و أيم الذى نفس عليّ بيده إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجمعهم.

ثمّ قال (صلى الله عليه و آله): إسق القوم، فجئتهم بذلك العسّ فشربوا منه حتى رووا منه جميعاً، و أيم الله إنّ كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله. فلما أراد رسول الله (صلى الله عليه و آله) أن

ص: ٥٨

يكلّمهم بادره أبو لهب فقال: لقد سحركم صاحبكم، فتنزّق القوم و لم يكلّمهم الرسول (صلّى الله عليه و آله) فأمر عليًا في اليوم الثاني أن يفعل كما فعل آتفأ، و بعد أن أكلوا و شربوا قال لهم رسول الله (صلّى الله عليه و آله): يا بني عبد المطلب! إنني و الله ما أعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به، إنني قد جئتكم بخير الدنيا و الآخرة، و قد أمرني الله تعالى أن أدعوكم اليه، فأيتكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى و وصيتى و خليفتى فيكم، فأحجم القوم عنه جميعا إلّا عليًا، فقد صاح في حماسه: أنا يا نبيّ الله أكون وزيرك عليه، فأخذ النبيّ (صلّى الله عليه و آله) برقبه عليّ و قال: إنّ هذا أخى و وصيتى و خليفتى فيكم، فاسمعوا له و أطيعوا، فقام القوم يضحكون و يقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك و تطيع (١).

إذا كان يوم الدار يوم الإعلان الصريح عن بدايه مرحله جديده في حياه النبيّ و حياه الدعوه الإسلاميه، و قد اتّسمت بالتحدي المتبادل ثم المواجهه السافره بين الإسلام و الشرك.

و من تتبع سيره رسول الله (صلّى الله عليه و آله) و أحاط علما بجميع شؤونها و تفاصيلها في بدء تشكيل الحكومه الإسلاميه و تشريع أحكامها و تنظيم شؤونها و مجرياتها وفق الأوامر الإلهيه؛ يرى أنّ عليا (عليه السلام) وزير النبيّ في كلّ أمره و ظهيره على عدوّه، و ساعده الذي يضرب و يبنى به و صاحب أمره الى نهايه عمره الشريف. و كان يوم الدار و الإنذار يوم المنطلق الذي لم يشهد ناصرا لرسول الله (صلّى الله عليه و آله) كعلي بن أبي طالب، شعارا و شعورا و جهادا و فداء.

عليّ (عليه السلام) من إعلان الرساله الى الهجره النبويه المباركه:

عجزت قريش عن إيقاف مدّ الدعوه الإسلاميه و منع النبيّ (صلّى الله عليه و آله) من التبليغ

ص: ٥٩

١- ((١)) تاريخ الطبري: ٦٣/٢ ط مؤسسه الأعلمي، و الكامل في التاريخ: ٦٢/٢، و مثله في الإرشاد للمفيد: ٤٢ الباب ٢ الفصل ٧، و أيضا في تفسير مجمع البيان: ٢٠٦/٧ و تاريخ دمشق لابن عساكر: ٨٦/١.

و الهدايه، فقد خابت مؤامراتهم و دسائسهم، و فشلت تهمهم و تهديداتهم، لأنّ أبا طالب كان الكهف الحصين لرسول الله (صلّى الله عليه و آله) الذى لم يزل يدفع عنه أذى قريش و جبروتها، فلجأت قريش الى طريقه جبانه تنمّ عن حقدها و ضعفها فدفعت بالصبيان و الأطفال للتعرّض للنبيّ (صلّى الله عليه و آله) و رميه بالحجاره، و هنا كان الدور الحاسم لعليّ بن أبى طالب (عليه السّلام) إذ لا يتسنّى لأبى طالب - و هو شيخ الهاشميين الكبير - مطارده الصبيان، فكان عليّ يطارد الصبيان المترصدين للنبيّ و يذودهم عنه (١).

عليّ (عليه السلام) فى شعب أبى طالب:

و حين أسرع الإسلام ينتشر فى مكّه و أصبح كيانا يقضّ مضاجع المشركين و خطرا كبيرا يهدّد مصالحهم؛ عمد المشركون الى اسلوب الغدر و القهر لإسكات صوت الرساله الإسلاميه، فشهروا سيوف البغى و لم يتوان أبو طالب فى إحكام الغطاء الأمين للرسول (صلّى الله عليه و آله)، لما له من هيبه و مكانه شريفه فى نفوس زعماء قريش الذين لم يجرؤا على النيل من النبيّ (صلّى الله عليه و آله) لأنّ ذلك يعنى مواجهه عليه مع أبى طالب و بنى هاشم جميعا، و قريش فى غنى عن هذه الخطوه الباهضه التكاليف.

فأتجهوا نحو المستضعفين المسلمين من العبيد و الفقراء فأذاقوهم ألوان التعذيب و القهر و المعاناه ليردّوهم عن دينهم و تمسّكهم بالنبيّ (صلّى الله عليه و آله). و لم تلق قريش غير الصمود و الإصرار على الإسلام و الالتزام بنهج الرساله الإسلاميه، فوجد رسول الله (صلّى الله عليه و آله) أفضل حلّ لتخليص المستضعفين من المسلمين هو الخروج من مكّه الى الحبشه (٢).

و لمّا لم يبق فى مكّه من المسلمين إلاّ الوجهاء و الشخصيات فقد كانت

ص: ٦٠

١- ((١)) الاختصاص للمفيد: ١٤٦.

٢- ((٢)) سيره ابن هشام: ٣٢١/١.

المواجهه الدمويه هي أبعد ما يكون، و عندها سقطت كل الخيارات، و لم يبق أمام قريش إلا أن تلجأ الى عمل يضعف الرسول (صلى الله عليه و آله) و يجنبها القتال، فكان قرارهم حصار بنى هاشم و من معهم إجتماعيا و اقتصاديا باعتبارهم الحمايه التي تقى الرسول من بطش قريش، فبدأت معركتها السلبيه مع بنى هاشم.

و تجتمع المسلمون و بنو هاشم في شعب أبي طالب لتوفير سبل الحمايه بصوره أفضل، حيث يمكن إيجاد خطوط دفاعيه لمواجهه أى محاوله هجوميه قد تقوم بها قريش (١).

و للمزيد من الاحتياط و الحرص على سلامه حياه الرسول (صلى الله عليه و آله) كان أبو طالب يطلب من ولده علي أن يبيت في مكان الرسول ليلا حرصا على سلامته من الاغتيال و المباغته من قبل الأعداء من خارج الشعب (٢)، و كان علي (عليه السلام) يسارع إلى الامتثال لأوامر والده و يضطجع في فراش النبي (صلى الله عليه و آله) فاديا نفسه من أجل الرساله و حاملها.

و لم يكتف علي (عليه السلام) بهذا القدر من المخاطره بنفسه، بل كان يخرج من الشعب الى مكه سرا ليأتي بالطعام الى المحاصرين (٣)، إذ اضطروا في بعض الأيام أن يقتاتوا على حشائش الأرض.

لم يكن لأحد أن يقوم بمثل هذه الأعمال في تلك الفتره العصبيه إلا من ملك جنانا ثابتا و قلبا شجاعا و وعيا رساليا و حبا متفانيا للرسول (صلى الله عليه و آله)، ذلك هو علي ابن أبي طالب (عليه السلام) الذي قضى في الشعب جزء من زهره شبابه حيث دخله و عمره سبعة عشر عاما و خرج منه و عمره عشرون عاما، فكانت تجربه جديده في

ص: ٦١

١- (١) سيره ابن هشام: ٣٥٠/١، و اعلام الوري: ١٢٥/١.

٢- (٢) البدايه و النهايه لابن كثير: ٨٤/٣.

٣- (٣) شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ٢٥٦/١٣.

حياته عودته على الاستهانه بالمخاطر، وأهلته لتلقى الطوارئ و المهام الجسم، و جعلته أكثر التصاقا بالنبى (صلّى الله عليه و آله) كما عودته على الصبر و الطاعة و التفانى فى ذات الله تعالى و حبّ الرسول (صلّى الله عليه و آله).

على (عليه السلام) و الهجره الى الطائف:

لقد تراكمت الأحداث على الرسول، و اشتدت قريش فى تحدّيه و إيذائه بعد وفاه عمّه أبى طالب، و لم يعد فى مكّه من تهابه قريش و ترعى له حرمة، حتى قال النبى (صلّى الله عليه و آله): «ما زالت قريش كأغّه عنتى حتى مات أبو طالب» (١) فكان عليه أن يغيّر مكانه و يستبدله بمكان أكثر أمنا يستطيع منه الانطلاق لنشر الدعوة الإسلاميه الى أرجاء الجزيرة العربيه و العالم أجمع، فأخذ يعرض نفسه على القبائل و ابتداءً أوّلاً بالطائف، و بعد عشره أيام من مكوثه هناك لم تتجاوب معه ثقيف، بل أغرت به الصبيان و الخدم و العبيد ليرشقوه بالحجاره، فوقف على (عليه السلام) و معه زيد بن حارثه يتلقيان الضربات و يمتعان الصبيه عن مواصله الاعتداء حتى اصيبا بجروح فى جسدهما، و مع ذلك تعرّض رسول الله (صلّى الله عليه و آله) للإصابة و سالت الدماء من ساقيه (٢).

و روى أنّه كان للنبى (صلّى الله عليه و آله) عدّه هجرات اخرى تحرّك خلالها لعرض نفسه على القبائل لنشر الدعوة الإسلاميه و تحصين دعوته، و لم يكن معه فى حركته إلاّ على بن أبى طالب (عليه السلام) فخرج الى بنى عامر بن صعصعه و الى ربيعه و بنى شيبان (٣). و على يلازمه فى كلّ خطواته.

ص: ٦٢

- ١- (١) أعيان الشيعة: ١/٢٣٥، و سيره ابن هشام: ٢/٥٧، ٥٨.
- ٢- (٢) شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ١/١٢٧.
- ٣- (٣) شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ٤/١٢٥.

علي (عليه السلام) في بيعه العقبة الثانية:

و حين تمّ الاتفاق على اللقاء التاريخي بين طلائع المسلمين القادمين من المدينة مع قائدهم الرسول (صلى الله عليه وآله) في بيت عبد المطلب سرّاً وقف الى جانب الرسول عمّه حمزه و عليّ و العباس (1)، و تمّت البيعه على أفضل شكل.

و على رغم كلّ التدابير التي اتّخذت لسرّيّه اللقاء و إنجاحه إذ تمّ انعقاده دون علم أحد حتى من المسلمين، إلاّ أنّ أنباءه قد تسرّبت الى المشركين، فتجمّعوا و أقبلوا مع أسلحتهم الى مكان الاجتماع، فخرج اليهم حمزه و معه عليّ (عليه السلام) بسيفهما، فسألوا حمزه عن الاجتماع فأنكر ذلك فرجعوا خائبين.

إنّ حضور عليّ (عليه السلام) في هذا الحدث الهام و الاجتماع التاريخي يكشف عن دور عليّ (عليه السلام) في أهمّ لحظات الدعوه و تأريخ الرساله، لأنّه كان يعطى الأنصار صورته جيده عن رسول الإسلام و عن حمايه بنى هاشم له (صلى الله عليه وآله) فتزداد ثقتهم و اطمئنانهم بالدعوه و الرساله الإسلاميه.

و كان تخطيطاً موفّقاً و تدبيراً محكماً من النبيّ (صلى الله عليه وآله)، إذ استعان بأشجع رجال بنى هاشم حمزه و عليّ (عليهما السلام) فهما اللذان عرفا بالبأس و الشده في توفير القدر الكافي من الحمايه للرسول و للرساله معا.

علي (عليه السلام) ليله هجره الرسول (صلى الله عليه وآله) الى المدينة

كان الانفتاح الرسالي العظيم الذي قام به النبيّ (صلى الله عليه وآله) إثر المعاهده التي أبرمها مع الأوس و الخزرج في بيعه العقبة الثانيه (2)، و الذي كان نقطه انطلاق الدعوه الإسلاميه الى العالم الأوسع، و الخطوه الكبيره لبناء المجتمع الرسالي

ص: ٦٣

١- ((١)) السيره الحلبيه: ١٧٤/٢.

٢- ((٢)) السيره النبويه لابن هشام: ١/٤٤٠، و موسوعه التاريخ الإسلاميه: ١/٧٠٠.

المؤمن، بعد أن انتشر الإسلام في يثرب بجهود الصفوة من الدعاة المخلصين والمضحّين من أجل الله ونشر تعاليم الإسلام، وبذا أصبح للمسلمين بقعه آمنه تمثّل محطه مركزيه ومهمه لبلوره العمل الثقافى والتربوى والدعوه الإلهيه فى مجتمع الجزيره العربيه.

وحين تمادى طغاه قريش فى إيذاء المسلمين والضغط عليهم لإرغامهم على ترك الدين الإسلامى وفتّهم عن نصره النبىّ (صلّى الله عليه وآله) وحين كثر عتوّهم واضطهادهم؛ أمر النبىّ (صلّى الله عليه وآله) أصحابه بالهجره إلى يثرب، فقال (صلّى الله عليه وآله): «إنّ الله قد جعل لكم دارا تأمنون بها وإخوانا»، فخرجوا على شكل مجاميع صغيره وبدفعات متفرّقه خفيّه عن أنظار قريش (١).

ومع كلّ المعاناه التى لاقاها النبىّ (صلّى الله عليه وآله) من القريب والبعيد والضغوط والتكذيب والتهديد حتى قال (صلّى الله عليه وآله): «ما اوذى أحد مثل ما اوذيت فى الله» (٢) فإنّ أمله بالنصر على الأعداء والنجاح من تبليغ الدعوه الإسلاميه لم يضعف، وثقته المطلقه بالله كانت أقوى من قريش ومؤامراتها، وقد عرفت قريش فيه (صلّى الله عليه وآله) ذلك وتجنّدت لديها الأخطار التى ستكشف عنها السنون المقبله إذا تسنى لمحمّد (صلّى الله عليه وآله) أن يلتحق بأصحابه ويتخذ من يثرب مستقرا ومنطلقا لنشر دعوته، فأخذوا يعدّون العده ويخطّطون للقضاء عليه قبل فوات الأوان على شرط أن لا يتحمّل مسؤوليه قتله شخص معيّن أو قبيله لوحدها، فلا تستطيع بنو هاشم وبنو المطلب مناهضه القبائل جميعا فى دم صاحبهم فيرضون حينئذ بالعقل منهم.

فكان القرار بعد أن اجتمعوا فى دار الندوه وقد كثرت الآراء بينهم أن

ص: ٦٤

١- (١) السيره النبويه لابن هشام: ١/٤٨٠، والمناقب لابن شهر آشوب: ١/١٨٢، وموسوعه التاريخ الإسلامى: ١/٧١٧.

٢- (٢) كنز العمال: ٣/١٣٠، ح ٥٨١٨، حليه الأولياء: ٦/٣٣٣.

يندبوا من كل قبيله فتى شايًا جلدًا معروفًا في قبيلته، و يعطى كل منهم سيفًا صارمًا ثم يجمعون على النبي (صلى الله عليه و آله) في داره، و يضربونه ضربه رجل واحد فيقتلونه، و اتفقوا على ليله تنفيذ الخطه، فأتى جبرئيل الى النبي و أخبره بذلك، و أمره أن لا يبيت في فراشه، و أذن له بالهجره، فعند ذلك أخبر عليًا بامورهم و أمره أن ينام في مضجعه على فراشه الذي كان ينام فيه، و وصاه بحفظ ذمته و أداء أمانته، و قال له أيضًا: «إذا أبرمت ما أمرتك به؛ فكن على اهبة الهجره الى الله و رسوله، و سر لقدم كتابي عليك» (١)، و هنا تتجلى صفحه من صفحات عظمه على (عليه السلام)، إذ استقبال أمر الرسول (صلى الله عليه و آله) بنفس مؤمنه صابره مطمئنه، فرسم لنا أكمل صورته للطاعه المطلقه في أداء المهمات استسلامًا و اعيا للقائد و تضحيه عظيمه من أجل العقيدة و المبدأ، فما كان جوابه (عليه السلام) إلا أن قال للرسول (صلى الله عليه و آله): «أو تسلّم يا رسول الله إن فديتك نفسي؟».

فقال (صلى الله عليه و آله): «نعم بذلك وعدنى ربّي»؛ فتبسّم على (عليه السلام) ضاحكًا، و أهوى إلى الأرض ساجدًا، شكرًا لما أنبأه به رسول الله (صلى الله عليه و آله) من سلامته (٢).

ثم ضمّه النبي (صلى الله عليه و آله) إلى صدره و بكى و جذا به، فبكى عليّ (عليه السلام) لفراق رسول الله (صلى الله عليه و آله) (٣).

و عندما جاء الليل؛ أتشّح عليّ (عليه السلام) ببرد رسول الله (صلى الله عليه و آله) الذي اعتاد أن يتشّح به، و اضطجع في فراش النبي مطمئن النفس رابط الجأش ثابت الجنان مبتهجا بما أوكل اليه فرحا بنجاه النبي، و جاء فتیان قريش و الشرّ يملأ نفوسهم

ص: ٦٥

١- (١) الفصول المهمه لابن الصباغ المالكي: ٤٥، و بحار الأنوار: ٥٩/١٩-٦٠.

٢- (٢) ذكر قصه مبيت الإمام عليّ (عليه السلام) في فراش النبي (صلى الله عليه و آله) عدد كبير من العلماء و المؤرّخين منهم: الطبري: ٩٩/٢، و أحمد بن حنبل في مسنده: ٣١١/١، و اسد الغابه: ٤٥/٤، و ابن عساكر في تاريخ دمشق: ١٣٧/١، و الحاكم في المستدرک: ٤/٣، و بحار الأنوار: ٦٠/١٩.

٣- (٣) أعيان الشيعة: ٢٧٥/١.

و يعلو سيوفهم، و أحاطوا بالبیت و جعلوا ينظرون من فرجه الباب الى حيث اعتاد النبي (صلى الله عليه و آله) أن ينام فيه فأوا رجلا ينام على فراشه، فأيقنوا بوجود النبي، و اطمأنت قلوبهم على سلامه خطتهم، فلما كان الثلث الأخير من الليل خرج النبي (صلى الله عليه و آله) من الدار و قد كان مختبئا في مكان منها، و انطلق الى غار «ثور» و كمن فيه ليواصل بعد ذلك هجرته المباركه.

و لما حانت ساعه تنفيذ خطتهم؛ هجموا على الدار، و كان في مقدمتهم خالد ابن الوليد، فوثب على (عليه السلام) من فراشه فأخذ منه السيف و شد عليهم فأجفلوا أمامه و فرّوا الى الخارج، و سأله عن النبي (صلى الله عليه و آله) فقال: لا أدري إلى أين ذهب.

و بذلك كتب الله السلامه لنبيه (صلى الله عليه و آله) و الانتشار لدعوته.

بهذا الموقف الرائع و الإقدام الشجاع و المنهج الفريد سنّ على (عليه السلام) سنّه التضحيه و الفداء لكلّ الثائرين من أجل التغيير و الإصلاح و السائرين في دروب العقيدة و الجهاد. لم يكن همّ على (عليه السلام) إلاّ - رضا الله و سلامه نبيه (صلى الله عليه و آله) و انتشار دعوته المباركه، فنزلت في حقّه الآيه المباركه: **وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ (١).**

مباهاه الله ملائكته بموقف على (عليه السلام):

كان مبيت على (عليه السلام) على فراش رسول الله (صلى الله عليه و آله) خذلانا سافرا لقريش المعتديه، فقد خابت آمالهم و فشلت خططهم في قتل الرسول، و كان فيها إرغام الشيطان و علو شأن الإيمان، و لم يكن أى عمل نظيرا للمبيت في الثواب و القيمه،

ص: ٦٦

١- ((١)) البقره (٢): ٢٠٧. راجع في شأن نزول الآيه شرح النهج لابن أبي الحديد: ٢٦٢/١٣، و إحياء العلوم للغزالي: ٢٣٨/٣، و الكفايه للكنجى: ١١٤، و التذكره لسبط ابن الجوزى: ٤١، و نور الابصار للشبلنجى: ٨٦، و الطبقات لابن سعد: ٢١٢/١، و تاريخ يعقوبى: ٢٩/٢، و سيره ابن هشام: ٢٩١/٢، و العقد الفريد لابن عبد ربّه: ٢٩٠/٣، و تفسير الرازى: ٢٢٣/٥، و شواهد التنزيل للحسكاني: ٩٦/١.

كيف و قد باهى الله بهذه التضحية ملائكته، كما روى:

أنه ليله بات علي بن أبي طالب (عليه السلام) على فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ وأوحى الله تعالى الى جبرئيل و ميكائيل: إننى قد آخيت بينكما، و جعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيتكما يؤثر صاحبه بالحياه؟

فاختار كلاهما الحياه و أحبّاهما، فأوحى الله تعالى اليهما: أ فلا كنتما مثل علي ابن أبي طالب حين آخيت بينه و بين محمّد، فبات على فراشه يفديه بنفسه و يؤثره بالحياه، اهبطا الى الأرض فاحفظاه من عدوّه، فهبط جبرئيل فجلس عند رأسه و ميكائيل عند رجله، و جعل جبرئيل يقول: بخ، بخ، من مثلك يا ابن أبي طالب يباهى الله بك الملائكة فوق سبع سماوات (1)؟

مهام ما بعد ليله المبيت:

مع إطلاله فجر اليوم الأوّل للهجرة المباركه و ظلال السلام و الأمان الإلهي تحوط رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى كلّ خطوه يخطوها نحو يشرب مقرّ الرساله الإسلاميه الجديد، انفرجت أسارير قلب علي (عليه السلام)، فقد انصرم الليل الرهيب باحتمالاته العديده و مكارهه الكثيره دون أن يقع شيء يمس حياته (عليه السلام) بخطر أو مكروه، و استطاع أن يؤدّى المهمه على أكمل وجه، فقد كان على قدر عال من الانضباط و الدقه و الوعى فى التنفيذ.

و بقيت أمام علي (عليه السلام) مهمات اخرى لم يكن بمقدور أحد أن يقوم بها، منها: أداء الأمانات التى كانت مودعه عند النبي (صلى الله عليه وآله) و آله الى أصحابها -و هم من المشركين- الذين وثقوا بالنبي (صلى الله عليه وآله) لأمانته و إخلاصه، فقد اشتهر بين قريش بالصادق الأمين، و كذلك من يقدم من العرب فى الموسم فأودعوا عنده الحلّى

ص: ٦٧

١- ((١)) تذكره الخواص: ٤١، و السيره الحلبيه بهامشه السيره النبويه: ٢٧/٢، و الفصول المهمه لابن الصبّاغ: ٤٨، و المناقب لابن شهر اشوب: ٦٥/٢، و بحار الأنوار: ٣٩/١٩، و اسد الغابه لابن الأثير: ٢٥/٤.

و الأموال، و لم يكن الرسول مَمَّن يخل بتعهداته أو يخون أماناته حتى ولو كانت الظروف المحيطة صعبه و الخطوره تهدد حياته الشريفه فى تلك اللحظات المتسارعه التى يطير لب العاقل فيها، لم ينس النبى (صلى الله عليه و آله) أن يوكل هذه المهمه الى رجل يقوم بها خير قيام، و لم يكن إلا على (عليه السلام) لأنه الأعراف بشؤون رسول الله (صلى الله عليه و آله) و بالمودعين و أموالهم و هو القوى الأمين.

فأوصل (عليه السلام) الأمانات الى من كان من أصحابها، ثم قام على الكعبه مناديا بصوت رفيع: يا أيها الناس هل من صاحب أمانه؟ هل من صاحب وصيه؟ هل من صاحب عده له قبل رسول الله (صلى الله عليه و آله)؟ فلما لم يأت أحد لحق بالنبى (صلى الله عليه و آله)، و كان مقام على بن أبى طالب بعد النبى بمكّه ثلاثه أيام (١).

هجره الإمام على (عليه السلام):

وصل رسول الله (صلى الله عليه و آله) الى (قبا) بسلام، و استقبلته جموع الأنصار، و من هناك بعث بكتابه الى على (عليه السلام) يأمره فيه بالمسير إليه و الإسراع فى اللحاق به، و كان قد أرسل إليه أبا واقد الليثى، و حين وصل اليه كتاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) اشترى على (عليه السلام) الركائب و أعدّ العده للخروج، و أمر من بقى معه من ضعفاء المسلمين أن يتسللوا و يتخفّفوا (٢) إذا ملأ الليل بطن كلّ واد إلى ذى طوى (٣)، و بدأت المهمه الشاقه الثالثه أمام على (عليه السلام) و هى الرحيل برفقه النساء نحو يثرب، و خرج هو و معه الفواطم: فاطمه بنت رسول الله، و أمه فاطمه بنت أسد، و فاطمه بنت الزبير بن عبد المطلب، و فاطمه بنت حمزه، و تبعهم أيمن مولى

ص: ٤٨

١- (١) المناقب لابن شهر آشوب: ٥٨/٢، و مروج الذهب للمسعودى: ٢٨٥/٢.

٢- (٢) يتخفّفوا: لا يحملوا معهم شيئا يثقل عليهم.

٣- (٣) ذى طوى: موضع قرب مكّه.

رسول الله و أبو واقد الليثي (١).

و تولّى أبو واقد الليثي سوق النياق، و لشده خشيته كان يحث الخطى سريعا حتى لا يلحق بهم الأعداء.

و عزّ عليّ (عليه السّلام) أن يرى نساء بني هاشم على تلك الحالة من الجهد و العناء من سرعه الحركة، فقال (عليه السّلام): ارفق بالنسوة أبا واقد، إنهن من الضعائف.

و أخذ (عليه السّلام) بنفسه يسوق الرواحل سوقا رقيقا، و هو ينشد ليعث الطمأنينه في نفوس من معه:

و ليس إلا الله فارفع ظنّكا يكفيك ربّ الناس ما أهمّكا

و استمرّ عليّ (عليه السّلام) على هدوئه في قياده الركب حتى شارف على قريه في الطريق تسمى «ضجنان» و هناك أدركته القوه التي أرسلتها قريش للقبض عليه و من معه و إعادتهم الى مكّه، و كانوا سبعة فوارس من قريش ملثمين معهم مولى لحرب بن اميه اسمه «جناح»، فقال عليّ (عليه السّلام) لأبي واقد: أنيخا الإبل و اعقلاها، و تقدّم هو فأنزل النسوة ثم استقبل الفوارس بسيفه، فقالوا له: أظننت يا غدار أنك ناج بالنسوة، إرجع لا أبا لك.

فقال (عليه السّلام): فإن لم أفعل؟.. فازدادوا حنقا و غيظا منه، فقالوا له: لترجعنّ راغما أو لترجعنّ بأكثرك شعرا و أهون بك من هالك.

و دنا بعضهم نحو النياق ليفزعوها حتى يدخلوا الخوف و الرعب الى قلوب النسوة، فحال عليّ (عليه السّلام) بينهم و بين ذلك، فأسرع نحوه جناح و أراد ضربه بسيفه فراغ عنه عليّ (عليه السّلام) و سارعه بضربه على عاتقه فقسمه نصفين حتى وصل السيف الى كتف فرس جناح (٢)، ثم شدّ على بقيه الفرسان و هو راجل، ففرّوا من بين يديه

ص: ٦٩

١- ((١)) أمالي الطوسي: ٨٤/٢، و عنه بحار الأنوار: ٦٤/١٩.

٢- ((٢)) بحار الأنوار: ٦٥/١٩.

وقالوا: احبس نفسك عنا يا ابن أبي طالب، فقال لهم: فإني منطلق إلى أخي و ابن عمي رسول الله، فمن سزه أن أفرى لحمه و أريق دمه فليدن مني، فهرب الفرسان على أذبارهم خائبين.

ثم أقبل (عليه السلام) على أيمن و أبي واقد و قال لهما: أطلقا مطاياكما، فواصل الركب المسير حتى وصلوا «ضجنان» فلبث فيها يوماً و ليله حتى لحق به نفر من المستضعفين، و بات فيها ليلته تلك هو و الفواطم يصلون و يذكرون الله قياماً و قعوداً و على جنوبهم حتى طلع الفجر، فصلّى بهم عليّ (عليه السلام) صلاه الفجر، ثم سار لوجهه يجوب منزلاً بعد منزل لا يفتر عن ذكر الله حتى قدموا المدينة.

وقد نزل الوحي قبل قدومهم بما كان من شأنهم و ما أعدّه الله لهم من الثواب و الأجر العظيم بقوله تعالى: الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيَّاماً وَ قُعُوداً وَ عَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ... فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ... فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ أُذُوا فِي سَبِيلِي وَ قَاتَلُوا... وَ لَأَدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ... وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١).

و كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) في «قباء» نازلاً على عمرو بن عوف، فأقام عندهم بضعة عشر يوماً يصلّى الخمس قصراً، يقولون له: أتقيم عندنا فتتخذ لك منزلاً و مسجداً؟ فيقول (صلى الله عليه و آله): لا، إني أنتظر عليّ بن أبي طالب، و قد أمرته أن يلحقني، و لست مستوطناً منزلاً حتى يقدم عليّ، و ما أسرع إن شاء الله (٢)!

و حين وصل عليّ (عليه السلام)؛ كانت قدماء قد تفتّرتا من فرط المشى و شدّه الحرّ، و ما أن رآه النبيّ (صلى الله عليه و آله) على تلك الحال؛ حتى بكى عليه إشفاقاً له، ثم مسح

١- (١) آل عمران (٣): ١٩١-١٩٥، راجع بحار الأنوار: ١٩/٦٦-٦٧.

٢- (٢) روضه الكافي: ٣٣٩.

يديه على قدميه فلم يشكهما بعد ذلك (١).

ثم إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لَمَّا قدم عليه عليّ (عليه السلام)؛ تحوّل من قباء الى بنى سالم ابن عوف و عليّ معه، فخطّ لهم مسجداً، و نصب قبلته، فصلّى بهم فيه ركعتين، و خطب خطبتين، ثمّ راح من يومه إلى المدينة على ناقته التي كان قدم عليها و عليّ لا يفارقه، يمشى بمشيه، و أخيراً نزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند أبي أيوب الأنصاري و عليّ معه حتى بنى له مسجده و بنيت له مساكنه، و منزل عليّ (عليه السلام) فتحوّلوا إلى منازلهما (٢).

من معاني مبيت الإمام (عليه السلام) في فراش النبي (صلى الله عليه وآله):

١- إن مبيت الإمام (عليه السلام) ليله الهجره في فراش النبي (صلى الله عليه وآله) بمثابة إعلان عن نضج شخصيه الإمام على الرساليه، و أهليته في أن يمثّل شخصيه الرسول الذي يعهد اليه في كلّ أمر مستصعب و خطب جليل و دعوه مهمّه.

٢- كانت عمليه التمويه على قريش بارتداء الإمام (عليه السلام) رداء رسول الله (صلى الله عليه وآله) و مبيته في فراشه ربطاً لصله القرابه بالعلاقه المبدئيه، و تأكيداً لمبدأ أنّ نفس على هي نفس الرسول (صلى الله عليه وآله)، و خصوصاً حين أتمّ مهامه الاخرى التي تصرّف فيها الإمام بالامور الماليه و الاجتماعيه الخاصه بالرسول (صلى الله عليه وآله).

٣- إنّ ثبات الإمام (عليه السلام) ثلاثه أيام في مكّه كان تأكيداً لشجاعته حين أعلن الإمام بكلّ جرأه و ثقّه موقفه المبدئيّ بأنّه ثابت على خطى الرسول، و قد نفذ أوامره و أنجز مهامه بهدوء و دقه تامّه، ثمّ هجرته العلنيه أمام أنظار قريش.

٤- تجلّت في عمليه المبيت بعض الجوانب العظيمه من شخصيه الإمام (عليه السلام) و التي أوجزت حقيقه شجاعه الإمام و قوته النفسيه و البدنيه و نضوجه الذهني و وعيه الرسالي و استيعابه للأوامر الآليه.

ص: ٧١

١- ((١)) بحار الأنوار: ١٩/٦٤، و المناقب لابن شهر آشوب: ١/١٨٢، و الكامل لابن الأثير: ٢/١٠٦.

٢- ((٢)) روضه الكافي: ٣٣٩-٣٤٠.

١- علي (عليه السلام) والمؤاخاه:

حين شرع الرسول (صلى الله عليه وآله) بتكوين نواه المجتمع الإسلامي و أراد أن يزيد من تماسك عرى العلاقات بين أفراد المجتمع؛ آخى (صلى الله عليه وآله) بين المسلمين في موقف صريح بين ليرسخ مبدأ أساسيا من مبادئ الإسلام الحنيف، و هو ما تتطلبه الدعوة الإسلامية في مرحلتها السريه و العلنيه، فوَقعت أول مؤاخاه في الإسلام في مكه قبل الهجره، حيث آخى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بين المهاجرين و الأنصار، و حين نتفحص عمله المؤاخاه نجد أن الرسول ضمّ الشكل الى الشكل و المثل الى المثل (١)، لأنّ الاخوه عمله استراتيجيه واسعته ذات معاني و دلالات حركيه في مسيره الدعوة الإسلاميه، فعبر جسر الاخوه تماسك العلاقات بين المسلمين كما تنضج الأفكار و يتحقّق الإبداع.

روى أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) لمّا آخى بين أصحابه آخى بين أبي بكر و عمر، و بين عثمان و عبد الرحمن بن عوف، و لم يؤاخ بين عليّ بن أبي طالب و بين أحد منهم (٢).

فقال عليّ (عليه السلام): يا رسول الله! لقد ذهبت روحي و انقطع ظهري حين رأيتك فعلت بأصحابك ما فعلت بغيري، فإن كان هذا من سخط عليّ؛ فلك العتبي و الكرامه.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): و الذي بعثني بالحق ما أخرجتك إلاّ لنفسى، و أنت منّي بمنزله هارون من موسى غير أنّه لا نبيّ بعدى، و أنت أخي و وارثي.

فقال (عليه السلام): و ما أرث منك؟

ص: ٧٢

١- (١) كفايه الطالب للحافظ الكنجي: ١٩٤.

٢- (٢) الفصول المهمه لابن الصبّاح المالكي: ٣٨، و الغدير للعلامة الأميني: ١١٢/٣.

قال (صلى الله عليه وآله): ما ورث الأنبياء من قبلى، كتاب ربهم و سنه نبيهم، و أنت معى فى قصرى فى الجنة (١).

و أما المؤاخاه الثانيه فكانت فى المدينه بعد الهجره بأشهر قليله (٢).

٢- اقتران على (عليه السلام) بالزهاء (عليها السلام):

بعد أن استقرّ المقام بالمسلمين و بدأت مبادئ الاسلام و تعاليمه تترسّخ فى نفوس المسلمين و ظهرت يدهم القويّه فى الدفاع عن الرساله و الرسول؛ تفتّحت العلاقات بين المسلمين فى صوره مجتمع متمدّن و نهضه ثقافيه اجتماعيه شامله، يتزعمها الرسول الكريم (صلى الله عليه و آله) الذى عصمه الله فى الفهم و التلقّى و الإبلاغ و التربيّه و التنفيذ، و ها هو على (عليه السلام) قد تجاوز العشرين من عمره الشريف و هو يصول فى سوح الجهاد و الدفاع عن العقيدّه و الدعوه الإسلاميه، و يقف مع الرسول فى كلّ خطواته، و قد بلغ من نفس الرسول أعلى منزله، يعيش معه و هو أقرب من أى واحد من المسلمين، و بعد أن انقضت سنتان من الهجره و فى بيت الرسول بلغت ابنته الزهراء (عليها السلام) مبلغ النساء، و شرع الخطّاب بما فيهم أبو بكر و عمر (٣) يتسابقون الى النبي (صلى الله عليه و آله) يطلبونها منه و هو يردهم ردّا جميلاً. و يقول: إننى أنظر فيها أمر الله، و كان على من الراغبين فى الزواج منها.

و لكن كان يمنعه عن مفاتحه النبي (صلى الله عليه و آله) الحياء و قلّه ذات اليد، فلم يكن

ص: ٧٣

١- ((١)) أخرجه أحمد بن حنبل فى مناقب على (عليه السلام)، و تأريخ دمشق لابن عساكر: ٢٠١/٦، و كنز العمال للمتقى الهندي: ٤٠/٥، و كشف الغمه: ٣٢٦/١.

٢- ((٢)) كفايه الطالب للكنجى: ٨٢، تذكره الخواص: ١٤، و الفصول المهمه: ٣٨. كما وردت أحاديث المؤاخاه بين النبي (صلى الله عليه و آله) و على (عليه السلام) بصيغ مختلفه و مصادر عديده منها: تأريخ ابن كثير: ٢٣٥/٧، و الفصول المهمه: ٢٢، و مسند أحمد: ٢٣/١، و تأريخ ابن هشام: ١٣٢/٢، و تأريخ دمشق: ٢٠١/٦، و فرائد السمطين: ٢٢٦/١، و الغدير: ١١٥/٣، و كفايه الطالب: ١٨٥.

٣- ((٣)) كشف الغمه: ٣٥٣/١.

علِيّ (عليه السّلام) من الذين يملكون الأموال، وبتشجيع من بعض أصحاب الرسول تقدّم عليّ لخطبه الزهراء، فدخل عليّ النبيّ و هو مطرق الى الأرض من الحياء، فأحسّ النبيّ (صلّى الله عليه و آله) بما في نفسه فاستقبله ببشاشته و طلاقه وجهه الكريم، و أقبل عليه يسأله برفق و لطف عن حاجته، فأجابته (عليه السّلام) بصوت ضعيف: يا رسول الله تزوّجني من فاطمه؟

فردّ النبيّ (صلّى الله عليه و آله) قائلاً: مرحبا و أهلاً، و دخل عليّ بضعته الزهراء ليعرض عليها رغبه عليّ (عليه السّلام) فيها، فقال (صلّى الله عليه و آله) لها: لقد سألت ربّي أن يزوّجك خير خلقه و أحبهم اليه، و قد عرفت علياً و فضله و موافقه، و جاءني اليوم خاطباً فما ترين؟ فأمسكت و لم تتكلّم بشيء، فخرج النبيّ (صلّى الله عليه و آله) و هو يقول: سكوتها رضاها و إقرارها.

ثمّ إنّ الرسول (صلّى الله عليه و آله) جمع المسلمين و خطب فيهم، فقال: إنّ الله أمرني أن أزوّج فاطمه من عليّ...

ثمّ التفت الى عليّ (عليه السّلام) فقال:

لقد أمرني ربّي أن أزوّجك فاطمه... أرضيت هذا الزواج يا عليّ؟ فقال (عليه السّلام): رضيت يا رسول الله، و خرّ ساجداً لله.

فقال النبيّ (صلّى الله عليه و آله): بارك الله فيكما، و جعل منكما الكثير الطيب.

و جاء عليّ (عليه السّلام) بالمهر الذي هيأه من بيع درعه فوضعه بين يدي رسول الله (صلّى الله عليه و آله) فأمر الرسول أبا بكر و بلالا و عمّارا و جماعه من الصحابه و امّ أيمن لشراء جهاز الزواج، و لمّا تمّ الجهاز و عرض عليّ الرسول؛ جعل يقلّبه بيده و يقول:

بارك الله لقوم جلّ آنيتهم من الخزف.

و يسر و بساطه و دون تكاليف تمت الخطبه و الزواج، و كان الجهاز من

أبسط ما عرفته المدينة، واحتفل النبي و بنو هاشم بهذا الزواج الميمون (١).

و روى أنّ النبي (صلى الله عليه و آله) عوتب في زواج فاطمه (عليها السلام) فقال: لو لم يخلق الله علي بن أبي طالب لما كان لفاطمه كفؤ.

و في خبر آخر أنّه (صلى الله عليه و آله) قال مخاطبا عليا (عليه السلام): لولاك لما كان لها كفؤ على وجه الأرض (٢).

٣- علي (عليه السلام) مع الرسول (صلى الله عليه و آله) في معاركه:

أ- علي (عليه السلام) في معركة بدر:

فتح رسول الله (صلى الله عليه و آله) بهجرته عهدا جديدا في تاريخ البشريه بشكل عامّ و في تاريخ الرساله الإسلاميه بشكل خاص، و بدأت معالم الدوله تتوضّح و مظاهر قوه المسلمين تبدو للعيان، و في الجانب الآخر لم تتوقّف قريش و من والاها من المشركين و يهود المدينة الذين أظهروا السلم نفاقا و تغطيه على التخطيط السري للقضاء على الإسلام و أهله، و كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) يعالج الامور بحكمه و رويّه، و من الطبيعي أن لا يقف النبي من مؤامرات أعداء الاسلام و تحرّساتهم موقف الضعيف المتخاذل، فأخذ يرسل السرايا ليهدّدهم و يطاردهم أحيانا.

و لما كان للمدينه موقع استراتيجي مهم في طرق التجاره و المواصلات في الجزيره العربيه؛ فقد أصبح المسلمون بعد تزايد عددهم قوه ضغط لا بدّ من وضعها في الحساب، و منذ أن وطأت قدم علي (عليه السلام) مدينه الرسول (صلى الله عليه و آله)؛ بدأ العمل في كلّ جوانب الحياه و ما تتطلبه الرساله الإسلاميه جنبا الى جنب الرسول من بناء الدوله و نشر الرساله مندفا بطاقه ذاتيه هائله بما وهبه الله من قوه و عزيمه لا توازيها قوه و طاقه مجموعه كبيره من الأفراد، فكان الذراع القوي التي يضرب

ص: ٧٥

١- (١) كشف الغمه: ٣٤٨/١، و بحار الأنوار: ٩٢/٤٣، و دلائل الإمامه للطبري: ١٦-١٧.

٢- (٢) المناقب لابن شهر آشوب: ١٨١/٢.

بها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، و نجد هذا واضحا جليًا في كل وقعه و معركة دخل فيها علي (عليه السلام)، و كان من طبيعه المعارك أنها تتوقف في العاده على الجوله الاولى، فمن يفوز فيها تحسم المعركة لصالحه، كما في معركة بدر (١) التي كانت عنوانا لبدايه افول كل القوى العسكريه في الجزيره و خصوصا قريش، و منطلقا للانتصارات و الفتوحات التي حققها المسلمون.

روى أن عتبه و شيبه ابني ربيعه و الوليد بن عتبه خرجوا و دعوا الى المبارزه، فخرج اليهم في البدايه عوف و معوذ ابنا عفراء و عبد الله بن رواحه و كلهم من الأنصار، فقالوا لهم: من أنتم؟ قالوا: من الأنصار، فقالوا: أكفاء كرام و ما لنا بكم من حاجه، ليخرج الينا أكفأونا من قومنا.

فأمر النبي (صلى الله عليه وآله) عمه حمزه و عبيده بن الحارث و عليًا بمبارزتهم، فدنا بعضهم من بعض فبارز عبيده بن الحارث عتبه، و بارز حمزه شيبه، و بارز علي (عليه السلام) الوليد، فأما حمزه فلم يمهل شيبه أن قتله، و قتل علي (عليه السلام) الوليد، و اختلف عبيده و عتبه بينهما ضربتين كلاهما قد أثبت صاحبه، و كثر حمزه و علي (عليه السلام) على عتبه فقتلاه (٢).

ثم نشبت المعركة بين طرفين غير متكافئين بالموازن العسكريه: جبهه المسلمين و عددها ثلاثمائه و ثلاثه عشر رجلا، تقابل عن إيمان و عقيدته، تدافع عن الحق و تدعو إليه، و جبهه قريش و عددها تسعمائه و خمسون رجلا- تقابل عن حميه و عصبيته جاهليه، و هنا دخلت عناصر جديده في الحرب منها: دعاء الرسول (صلى الله عليه وآله) و ثباته و بساله حمزه و قوه علي (عليه السلام)، فغاص علي و حمزه و أبطال

ص: ٧٦

١- (١) يقال لها: معركة بدر العظمى، وقعت في السنه الثانيه للهجره في السابع عشر من شهر رمضان، و قيل: في التاسع عشر منه.

٢- (٢) الكامل في التاريخ: ١٣٤/٢ و ١٣٥ ط مؤسسه الأعلمی، و تاريخ الطبری: ٣/٣٥.

المسلمين فى وسط قريش، و نسى كل واحد منهم نفسه و كثره عدوه، فتطارت الرؤوس عن الأجساد، و أمّد الله المسلمين بالقوه و العزيمه و الثبات، و أسر المسلمون كل من عجز عن الفرار حتى بلغ عدد الأسرى سبعين رجلا، و عدد القتلى اثنين و سبعين رجلا.

و تنص الروايات على أنّ علياً (عليه السلام) قتل العدد الأكبر منهم، فعلى أقل التقادير أنّه (عليه السلام) قتل أربعة و عشرين، و شارك فى قتل ثمانية و عشرين آخرين، و يبدو أنّ الذين قتلهم على (عليه السلام) هم أبطال قريش و صناديدها (١).

فى هذه المعركة المهمّة كان على (عليه السلام) صاحب رايه رسول الله (صلى الله عليه و آله) إضافه إلى دوره الحاسم لنتيجه المعركة (٢).

و روى أنّ رجلا من بنى كنانه دخل على معاويه بن أبى سفيان فقال له: هل شهدت بدرًا؟ قال: نعم، قال: فحدّثنى ما رأيت و حضرت.

قال: ما كنّا شهودا إلا كغياب، و ما رأينا ظفرا كان أو شك منه، قال: فصف لى ما رأيت.

قال: رأيت على بن أبى طالب غلاما شابًا ليثا عبقرىا يفرى الفرى، لا يثبت له أحد إلا قتله، و لا يضرب شيئًا إلا هتكه، و لم أر من الناس أحدا قطّ أنفق منه يحمل حملته و يلتفت التفاته، كأنه ثعلب رواق، و كأنّ له عينان فى قفاه، و كأنّ و ثوبه و ثوب وحش (٣).

ب- على (عليه السلام) فى معركة احد:

لم تكن قريش لتنسى هزيمتها الساحقه فى معركة بدر و مقتل صناديدها

ص: ٧٧

١- ((الإرشاد للمفيد: ٦٤ الفصل ١٩ الباب ٢، و كشف الغمّه: ١/١٨٢).

٢- ((الاستيعاب لابن عبد البرّ المالكى بهامش الإصابه: ٣/٣٣، و تأريخ دمشق لابن عساكر: ١/١٤٢).

٣- ((حليه الأولياء لأبى نعيم: ٩/١٤٥).

و رجالها و كثير من أبطالها فعزمت على الثأر من المسلمين ردًا لاعتبارها الذي فقدته، و لم يمض سوى عام حتى استكملت قريش عدتها، و اجتمع إليها أحلافها من المشركين و اليهود، و انضم إليهم كل حاقد و ناقد على الدين الإسلامي، فاتفقت كلمه الكفر، و اتحدت قوى الباطل لمواجهه الحق، و خرج جيش الكفر باتجاه المدينة و قد تجاوز عدده ثلاثه آلاف، و ذلك في أوائل شوال من السنه الثالثه للهجره، و ما أن وصل خبرهم إلى مسامع النبي (صلى الله عليه و آله) حتى جمع المسلمين و استشارهم في الموقف المناسب الذي يجب أن يتخذوه، تمّ خطب فيهم و حثهم على القتال و الصبر و الثبات، و وعدهم بالنصر و الأجر، و تجهز للخروج بمن معه و كانوا ألفا أو يزيدون، و دفع لواءه لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) و وزع الرايات على وجوه المهاجرين و الأنصار، و أبي النفاق إلا أن يأخذ دوره في إضعاف المسلمين، فرجع عبد الله ابن أبي بمن تبعه في منتصف الطريق، و كان عددهم يناهز الثلاثمائة (١).

و استمرّ النبي (صلى الله عليه و آله) في مسيره قدما حتى بلغ احدا، فأعدّ أصحابه للقتال و وضع تخطيطا سليما محكما للمعركه يضمن لهم النصر، حيث أمر خمسين رجلا من الرماه أن يكونوا من وراء المسلمين إلى جانب الجبل، و أكد عليهم بأن يلزموا أماكنهم و لا يتركوها حتى لو قتل المسلمون جميعا (٢).

و وصلت قريش إلى «احد» و أعدوا أنفسهم للقتال، فقسّموا الأدوار و وزّعوا المهام كما بدا لهم، و أعطوا لواءهم لبني عبد الدار، و أول من استلمه منهم طلحه بن أبي طلحه، و لما علم النبي بذلك أخذ اللواء من علي (عليه السلام) و سلّمه إلى مصعب بن عمير و كان من بني عبد الدار، و بقى معه إلى أن قتل، و حينئذ رده

ص: ٧٨

١- (١) الكامل في التاريخ: ١٥٠/٢، و سيره ابن هشام: ٦٤/٣.

٢- (٢) مغازي الواقدي: ٢٢٤/١، و الكامل في التاريخ: ١٥٢/٢، و سيره ابن هشام: ٦٤/٣.

النبي (صلى الله عليه وآله) إلى علي (عليه السلام) (١)، وكانت معركة «أحد» قد وقعت في شوال من العام الثالث من الهجرة.

و في اللحظة التي كمل فيها التنظيم انطلقت شراره المعركة عندما برز كبش الشرك و حامل رايتهم طلحة بن أبي طلحة الذي كان يعدّ من شجعان قريش، يتقدّم نحو المسلمين رافعا صوته متحدّيا لهم مستخفاً بجمعهم قائلا: يا معشر أصحاب محمد! إنكم تزعمون أنّ الله يجعلنا بسيوفكم إلى النار و يعجلكم بسيوفنا إلى الجنّة؛ فهل أحد منكم يعجله سيفي إلى الجنّة أو يعجلني سيفه إلى النار؟

فخرج إليه علي (عليه السلام) (٢) و برزا بين الصّفين و رسول الله (صلى الله عليه وآله) جالس في عريش أعدّ له يشرف على المعركة و يراقب سيرها، فضرب عليّ طلحة فقطع رجله و سقط على الأرض و سقطت الراية، فذهب على ليجهز عليه فكشف عورته و ناشده الله و الرحم، فتركه عليّ (عليه السلام) فكبر رسول الله و كبر معه المسلمون فرحا بنتيجة هذه الجولة.

ثمّ تقدّم أخوه عثمان بن أبي طلحة فحمل الراية فحمل عليه حمزه بن عبد المطلب فضربه فقتله، فحمل اللواء من بعده أخوهما أبو سعيد، فحمل عليه عليّ (عليه السلام) فقتله، ثمّ أخذ اللواء أرتاه بن شرحبيل فقتله عليّ، و هكذا تعاقب على حمل اللواء تسعة من بني عبد الدار قتلوا بأجمعهم بسيف عليّ (٣) أو سيف حمزه، و كان آخر من حمل اللواء هو غلام لبني عبد الدار يدعى «صواب» فحمل عليه عليّ و قتله، و سقط اللواء من بعده في ساحة المعركة و لم يجرؤ أحد أن يحمله، فدبّ الرعب في قلوب المشركين، و انهارت معنوياتهم، و انكشف المشركون لا

ص: ٧٩

١- ((١)) تاريخ الطبري: ١٩٩/٢ ط مؤسسه الأعلمي.

٢- ((٢)) سيره ابن هشام: ٧٣/٣.

٣- ((٣)) الكامل في التاريخ: ١٥٢/٢-١٥٤.

يلوون على شيء حتى أحاط المسلمون بنسائهم، و بدت المعركة و كأنها قد حسمت لصالح المسلمين.

و هنا عصفت النازله العظمى بالمسلمين حيث ترك الرماه موقعهم فوق الجبل، و انحدروا يشاركون إختهم غنائم المعركه، و لم يثبت على الجبل إلا عشره رماه.

فنظر خالد بن الوليد-و كان على خيل المشركين-خلو الجبل و قلّه الثابتين صاح بخيله، و كثر يحمل على الرماه و تبعه عكرمه فقتلوه، و هنا تغير ميزان القوه و رجحت كفته لصالح المشركين، فاستطاعوا أن ينفذوا و يشقوا صفوف المسلمين (1)، و كانت المأساه التي لم يعرف المسلمون لها مثيلا، فارتبك المسلمون و ضاع صوابهم، فكانت هزيمه بعد نصر و انكسارا بعد انتصار، و تفرق الناس كلهم عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) و أسلموه إلى أعدائه بعد أن استشهد عمه حمزه و مصعب بن عمير، و لم يبق معه أحد إلا على و نفر قليل من المهاجرين و الأنصار.

في هذه اللحظات الحاسمه و الحرجه سجل التاريخ موقف الصمود و الفداء الذي وقفه على (عليه السلام) من رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و وقف ليدافع عن النبي (صلى الله عليه و آله) بكل قوه و بساله و همّه سلامه الرسول و الرساله، إذ كان يحمل الرايه بيد و السيف بالآخرى يصدّ الكتائب و يردّ الهجمات عن الرسول، و كأنه جيش بكامل عدته و عدته، و كان الرسول كلما رأى جماعه تهجم عليه قال لعلي (عليه السلام): يا علي احمل عليهم، فيحمل عليهم و يفرّقهم، فلم يزل على يقاتل حتى أثخنه جراحات عديده في وجهه و رأسه و صدره و بطنه و يديه (2).

فأتى جبرئيل (عليه السلام) النبي (صلى الله عليه و آله) فقال: إن هذه لهي المواساه، فقال رسول الله

ص: ٨٠

١- (١) تاريخ الطبري: ١٩٤/٢ ط مؤسسه الأعلمي.

٢- (٢) الكامل في التاريخ: ١٥٤/٢، و أعيان الشيعة: ٢٨٨/١، و بحار الأنوار: ٥٤/٢٠.

(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): إِنَّهُ مَنِّي وَ أَنَا مِنْكُمْ، فَسَمِعُوا صَوْتًا فِي السَّمَاءِ يَنَادِي: لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ وَ لَا فَتَى إِلَّا عَلِيٌّ (١).

و هكذا استطاع أمير المؤمنين (عليه السّلام) أن يحافظ على حياة الرسول الأكرم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ)، و أن يوصل نتيجة المعركة الى حالة من التوازن دون أن يحرز أحد الطرفين نصرا حاسما.

مواقف بعد معركة «أحد»:

و لَمَّا انصرف أبو سفيان و من معه؛ بعث رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) عَلِيًّا (عليه السّلام) فقال:

اخرج في آثار القوم و انظر ماذا يصنعون، فإن كانوا قد جَنَّبُوا الخيل و امتطوا الإبل فإنهم يريدون مكَّه، و إن ركبوا الخيل و ساقوا الإبل فهم يريدون المدينة.

قال عليّ (عليه السّلام): فخرجت في آثارهم فرأيتهم جَنَّبُوا الخيل و امتطوا الإبل يريدون مكَّه (٢).

و لَمَّا رجع رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمه (عليها السّلام) و قال:

اغسلي عن هذا دمه يا بنه، و ناولها عليّ (عليه السّلام) سيفه و قد خَضَبَ الدم يده إلى كتفه، فقال لها رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ): خذيه يا فاطمه فقد أذى بعلك ما عليه، و قد قتل الله بسيفه صناديد قريش (٣).

كانت معركة أحد قاسية نتيجتها، شديده و طأتها، باهضة مكلفه خسارتها، و رغم مراره المعركة نلمح فيها و مضات ساطعه من مواقف عليّ (عليه السّلام)، فقد امتاز بامور دون أن يشاركه فيها أحد:

ص: ٨١

١- ((١)) الكامل في التاريخ: ١٥٤/٢، و فرائد السمطين للحمويني: ٢٥٧/١ الحديث ١٩٩، ١٩٨، و تاريخ دمشق لابن عساكر: ١٤٨/١، و روضه الكافي: الحديث: ٩٠.

٢- ((٢)) أعيان الشيعة: ٣٨٩/١، و السيره النبويه لابن هشام: ٩٤/٣.

٣- ((٣)) أعيان الشيعة: ٣٩٠/١.

١-إنّه كان صاحب رايه رسول الله(صلى الله عليه وآله)و التي لم تسقط الى الأرض رغم فرار أغلب المسلمين.

٢-قتله(عليه السلام)أصحاب رايه المشركين الذين تصدّوا لحملها،وقد أظهر بذلك حنكه عسكريه و شجاعه فذّه،و أحدث بذلك شرخا كبيرا في صفوف المشركين كان سببا في هزيمتهم في أوّل المعركه.

٣-ثباته(عليه السلام)مع رسول الله(صلى الله عليه وآله)و عدم فراره بعد ما فرّ عنه الناس يدلّ على إيمانه المطلق بالمعركه،و الذي يكشف عن عمق العقيده و رسوخها في نفسه(عليه السلام).

٤-إنّه كان هو المحامي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله)و الدافع عنه كتائب المشركين الذين قصدوا قتل النبي(صلى الله عليه وآله)فكان(عليه السلام)يمثّل الدرع التي تقى رسول الله عن وصول مكروه إليه،و هذا يدلّ على عظيم حبه للرسول و تفانيه في الحرص على سلامته.

٥-إنّ أكثر المقتولين من المشركين يومئذ قتلاه(١)،و هذا يدلّ على فاعليته القتاليه العاليه و قوّته و شجاعته(عليه السلام).

٦-الأخلاق و القيم العاليه التي عكسها في المعركه حيث ترك الإجهاز على طلحه بن أبي طلحه عندما كشف عن عورته حياء منه(عليه السلام)و تكرّما.

٧-إنّه(عليه السلام)كان قريبا من رسول الله(صلى الله عليه وآله)ملازما له حيث كان الرسول يوجّهه ليرد الهاجمين عليه،و أيضا هو الذي أخذ بيد النبي(صلى الله عليه وآله)لما سقط في إحدى الحفر التي حفرها أبو عامر الراهب في ساحه المعركه ليقع فيها المسلمون(٢).

ص:٨٢

١- ((١)) الإرشاد:٨٢،الفصل ٢٣ الباب ٢.

٢- ((٢)) سيره ابن هشام:٨٠/٣.

كما إنه هو الذى حمل الماء بدرقته الى النبي (صلى الله عليه وآله) ليغسل الدم و التراب عن وجهه و رأسه.

٨- و رغم الجراحات التى تعرّض لها عليّ (عليه السّلام) و الجهد الذى بذله؛ فقد أرسله النبيّ (صلى الله عليه وآله) بعد انصراف قريش عن المعركة ليستطلع أخبارهم، و هذا يدلّ على ثقة الرسول بقدره عليّ و دقّه ضبطه للمعلومات و حنكته فى معالجه الامور الطارئه، فالمعركة لم تنته بعد تماما (١).

ج- عليّ (عليه السّلام) فى معركة الخندق:

تمثّل أمام قريش الفشل فى القضاء على المسلمين حقيقه واضحه، و لكنّها الجاهليه و العناد و الإصرار على الكفر، فعادت قريش تنهتيا مره اخرى لتوجيه الضربه القاضيه للمسلمين، و ذلك بالتحالف مع القبائل الجاهليه الاخرى و اليهود أيضا، حتى بلغ عددهم عشره آلاف يقودها أبو سفيان (٢)، و ازداد غيظ و حقد المشركين حين واجهوا الاسلوب الدفاعى و التكتيك الحربى الذى اتّخذه الرسول (صلى الله عليه وآله)، بعد أن استشار أصحابه فأشار سلمان الفارسى رضى الله عنه بحفر الخندق، غير أنّ الاندفاع و الحماس و الغرور بالعدّه و العدد كان قويا فى نفوس الأحزاب المجتمعه لقتال المسلمين و القضاء على الإسلام نهائيا.

و تمكّن بعض فرسان قريش من عبور الخندق من مكان ضيق فيه، فأصبحوا هم و المسلمون على صعيد واحد، فازداد المسلمون خوفا على خوفهم و خرج عليّ بن أبى طالب فى نفر من المسلمين حتى أخذ عليهم الثغره التى أقحموا منها خيلهم.

ص: ٨٣

١- ((١)) هذه الامتيازات لعليّ (عليه السّلام) فى غزوه احد قد ذكرها العلامه السيد محسن الأمين فى أعيان الشيعة: ٣٩٠/١ فراجع.

٢- ((٢)) السيره الحلبيه: ٦٣١/٢.

فوقف عمرو بن عبد ودّ يطلب المبارزه و يتحدّى المسلمين، و هدأت أصوات المسلمين أمام صيحاته و كأنّ على رؤوسهم الطير، كلّ يفكر فى نفسه و يحسب لهذا الفارس ألف حساب.

فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): هل يبارزه أحد؟ فبرز إليه على (عليه السلام) فقال: أنا له يا رسول الله، فأجلسه النبي، و للمره الثانيه و الثالثه طالب عمرو المبارزه فلم يكن يجيبه إلاّ- على (عليه السلام) و فى كلّ مرّه كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) يطلب منه الجلوس (1) ثم أذن النبي لعليّ بعد أن عمّمه بعمامته و قلّده بسيفه و ألبسه درعه، ثم رفع يديه و قال: «اللهم إنك أخذت عبيده يوم بدر و حمزه يوم احد و هذا عليّ أخى و ابن عمى فلا تذرني فردا و أنت خير الوارثين» (2).

و برز عليّ (عليه السلام) الى ساحه المعركه بعد أن قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): «برز الإيمان كلّه الى الشرك كلّه» (3).

و انحدر عليّ (عليه السلام) نحو عمرو و الثقه بنصر الله تملأ قلبه، أما عمرو فقد كان لقاءه مع عليّ مفاجأ له، و فى هذا الموقف تردّد عمرو فى مبارزه عليّ (عليه السلام) فقال له: يا عمرو، إنك كنت فى الجاهليه تقول: لا يدعونى أحد الى ثلاثه إلاّ قبلتها أو واحده منها، قال: أجل.

قال عليّ (عليه السلام): فيأني أدعوك الى شهاده أن لا- إله إلاّ- الله و أنّ محمدا رسول الله و أن تسلم لربّ العالمين، قال: أخر عنى هذه، قال عليّ (عليه السلام): أما إنها خير لك

ص: ٨٤

١- (١) السيره النبويه لابن هشام: ٢٢٤/٣، تاريخ الطبرى: ١٧٢/٣، و الكامل فى التاريخ: ١٨٠/٢، و السيره الحلبيه: ٣١٨/٢.

٢- (٢) موسوعه التاريخ الإسلامى: ٤٩١/٢ و ٤٩٢، عن شرح نهج البلاغه: ٦١/١٩، و راجع المناقب للخوارزمى: ١٤٤، السيره الحلبيه: ٣١٨/٢.

٣- (٣) شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ٦١/١٩، ينابيع الموده: الباب الثالث و العشرون، رواه عن ابن مسعود و رواه الميلانى فى قادتنا: ١٠٨/٢ عن الدميرى فى حياه الحيوان: ٢٤٨/١ و عن الفضل بن روزبهان: إنّه حديث صحيح لا ينكره إلاّ سقيم الرأى ضعيف الايمان. و لكنه ليس نصّا فى الإمامه.

لو أخذتها، ثم قال: ترجع من حيث جئت، قال: لا تتحدّث نساء قريش بهذا أبداً، قال عليّ (عليه السّلام): تنزل تقاتلنى..

فغضب عمرو عند ذلك و نزل عن فرسه و عقرها، ثمّ أقبل على عليّ (عليه السّلام) فتقاتلا، و ضربه عمرو بسيفه فاتّقاء عليّ بدرقته، فأثبت فيها السيف و أصاب رأسه، ثمّ ضربه عليّ على عاتقه فسقط الى الأرض يخور بدمه، و عندها كبر عليّ (عليه السّلام) و كبر المسلمون خلفه، و انجلت الواقعة عن مصرع عمرو، و فر أصحابه من هول ما شاهدوه، فلحق بهم عليّ فسقط نوفل بن عبد الله فى الخندق فنزل إليه على فقتله (١).

و تلقّت الأحزاب هذه الضربه القاسيه بهشه و استغراب، لأنّها لم تكن تتوقّع أنّ أحداً يجرؤ على قتل عمرو بن عبدود، فدبّ الخوف فى نفوسهم و لم يجسر أحد منهم على تكرار المحاوله إلاّ أنّهم بقوا محاصرين للمدينه فتره من الزمن حتى أذن الله بهزيمتهم حين استخدم رسول الله (صلّى الله عليه و آله) اسلوباً آخر لمحاربتهم.

و امتاز عليّ (عليه السّلام) على جميع من حضروا غزوه الخندق بامور:

١-مبادرته لحمايه الثغره التى عبر منها عمرو و أصحابه، و التى تدلّ على الحزم و الإقدام فى مواجهه الطوارئ فى ساحه المعركه.

٢-مبارزته عمرا و قتله، و قد تردّد المسلمون فى مبارزته فلم يخرج إليه أحد، و قد قال رسول الله (صلّى الله عليه و آله) مشيداً بموقف عليّ (عليه السّلام): «لمبارزه عليّ بن أبى طالب لعمرو بن عبدود يوم الخندق أفضل من عمل امتى الى يوم القيامه» (٢).

٣-الشجاعه و القوه الفائقه التى ظهرت منه (عليه السّلام) طوال المعركه تمثلت

ص: ٨٥

١- (١) تاريخ دمشق: ١/١٥٠، و راجع أيضا موسوعه التاريخ الإسلامى: ٢/٤٩٥.

٢- (٢) مستدرک الحاكم: ٣/٣٢، نقلًا عن هامش تأريخ دمشق: ١/١٥٥، و فرائد السمطين: ١/٢٥٥ حديث ١٩٧.

واضح حينما لحق المنهزمين الذين عبروا مع عمرو بن عبدود، وهو راجل و هم فرسان.

٤- الأخلاق العاليه التي كان يتميز بها (عليه السلام) في شتى المواقف، مظهرها فيها عظمه الرساله و الرسول، منها أنه لم يسلب عمرا درعه مع أنها من الدروع الممتازه بين دروع العرب.

٥- إن قتله (عليه السلام) عمرا و نوفلا- و لحوقه بالمنهزمين كان سببا في إعادته الثقه للمسلمين بنفوسهم بعدما رأوا الجمع الكبير لقريش و أحلافها، و أيضا كان سببا لهزيمة المشركين مع ما أصابهم من الريح و البرد و سبب خوفهم من أن يعاودوا الغزو.

٦- الشرف الرفيع الذي ناله عليّ (عليه السلام) بشهادته الرسول حين قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عند مبارزه عليّ (عليه السلام): «برز الإيمان كله الى الشرك كله» (١).

د- عليّ (عليه السلام) في صلح الحديبيه :

(٢)

بعد الأحداث المتغيّره و المؤلمه و المعارك الداميه التي خاضها النبيّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) و المسلمون مع قريش و اليهود؛ تمكّنت الرساله الإسلاميه أن تخطو خطوات بعيدة المدى تحقّق من خلالها للمسلمين كيانا واضحا و وجودا مستقلا و قوه لا بدّ من حسابها في شتى الميادين.

و كان المسلمون يشغفون شوقا لزياره الكعبه و يتذكّرونها كلّما وقفوا في صلاتهم متّجهين نحوها. في هذا الوقت من عمر الرساله الإسلاميه عزم النبيّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) على أداء فريضه من فرائض الإسلام بأمر من الله، فقّرر الحجّ و اتخذ كلّ الإجراءات و التدابير اللازمه لمثل هذه الخطوه حتّى أعلن (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مرارا أنّه لا

ص: ٨٦

١- ((١)) شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ١٩/٦١.

٢- ((*)) كان خروج النبي لأداء العمره في مطلع ذى القعدة من السنه السادسه للهجره المباركه.

يريد الحرب ضد قريش أو غيرها.

ولما علمت قريش بالخبر، اجتمعت كلمتهم على منعه (صلى الله عليه وآله) من دخول مكة مهما كلفهم ذلك من جهد و خسائر، وأرسلوا خالد بن الوليد على رأس جماعه من الفرسان ليقطع عليه الطريق.

وحين نزل النبي (صلى الله عليه وآله) والمسلمون منطقته «الجحفة»؛ كان الماء قد نفذ لديهم ولم يجدوا ماء، فأرسل (صلى الله عليه وآله) الروايا فلم يتمكنوا من جلب الماء لترددهم وخوفهم من قريش، عندها دعا (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) وأرسله بالروايا لجلب الماء، و خرج السقاء وهم لا يشكون في رجوعه لَمَّا رأوا من رجوع من تقدمه، فخرج علي (عليه السلام) حتى وصل «الحرار» واستقى، ثم أقبل بها إلى النبي (صلى الله عليه وآله) ولها زجل، فلما دخل كبر النبي (صلى الله عليه وآله) ودعا له بالخير (١).

ثم إن قريشا اضطرت النبي أن يعدل عن الطريق المؤدى الى مكة، وانحرف به رجل من «أسلم» الى طريق و عره المسالك خرجوا منها الى ثنيه المراد، فهبط الحديدية، و حاولت قريش أكثر من مره التحرش بالمسلمين و مهاجمتهم بقيادة خالد بن الوليد، لكن علياً (عليه السلام) و جماعه من المسلمين الأشداء كانوا يصدون تلك الغارات و يفوتون الفرصه على قريش فى جميع محاولاتها العدوانيه (٢).

و اضطرت قريش أن تفاوض النبي (صلى الله عليه وآله) بعدما رأت العزيمه و الإصرار منه و من المسلمين على دخول مكة، فأرسلت إليه مندوبين عنها للتفاوض، و كان آخرهم سهيل بن عمر و حويطب من بنى عبد العزى. و يبدو أن المفاوضات لم

ص: ٨٧

١- ((١)) الإرشاد: ١٠٨، الفصل ٣٠ الباب ٢، و كشف الغمه: ٢٨٠/١ باب المناقب مثله.

٢- ((٢)) سيره الأئمة الاثنى عشر للحسنى: ٢١٧/١ نقلا عن ابن اسحاق.

تنحصر بخصوص قضيه الدخول الى مكه في ذلك العام (١) بل تناولت امورا اخرى لصالح الطرفين.

فقد روى أنّ عليا (عليه السلام) قال: لما كان يوم الحديبيه؛ خرج إلينا ناس من المشركين فقالوا لرسول الله (صلى الله عليه وآله): يا محمد! خرج إليك اناس من أبنائنا وإخواننا وأرقائنا وليس لهم فقه في الدين، وإنما خرجوا فرارا من أموالنا وضياعنا فارددهم إلينا، فقال: إذا لم يكن لهم فقه في الدين كما تزعمون سنفقهم فيه، وأضاف الى ذلك: يا معشر قريش! التتهنّ أو ليعثنّ الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف قد امتحن الله قلبه بالإيمان، فقال له أبو بكر وعمر والمشركون: من هو ذلك الرجل يا رسول الله، فقال (صلى الله عليه وآله): هو خالص النعل، و كان قد أعطى نعله لعلّي (عليه السلام) يخصفها (٢).

و بعد أن تمّ الاتفاق بين الطرفين على بنود الصلح؛ دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليّ بن أبي طالب فقال له: اكتب يا عليّ، بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: أمّا الرحمن فوالله ما أدري ما هو لكن اكتب باسمك اللهم، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): اكتب باسمك اللهم، هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقال سهيل: لو كنّا نعلم أنّك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): إني لرسول الله و إن كذبتُموني، ثمّ قال لعلّي (عليه السلام): امح رسول الله، فقال (عليه السلام): يا رسول الله، إنّ يدي لا تنطق لمحو اسمك من النبوه، فأخذه رسول الله فمحاها، ثمّ قال له: أما إنّ لك مثلها وستأتيها و أنت مضطرّ لذلك (٣).

ص: ٨٨

١- (١) كنز العمال: ٤٧٢/١٠، غزوه الحديبيه.

٢- (٢) ينابيع الموده للقندوزي: ٥٩، و كنز العمال: ١٣/١٧٣، و فضائل الخمسه للفيروز آبادي: ٢/٢٣٧.

٣- (٣) تاريخ الطبري: ٢/٢٨٢ ط مؤسسه الأعلمي، و الكامل لابن الأثير: ٢/٤٠٤.

لَمَّا تم عقد صلح الحديبيه إطمأنَّ النبيُّ على مصير الرساله الإسلاميه من ناحيه قريش و باقى أطراف عرب الجزيره الذين كانوا على شركهم، لأنَّ بنود الصلح كانت تميل الى ترجيح كفه المسلمين، يضاف الى ذلك تنامى قوه المسلمين عدّه و عدّه، فقد أقبل على الإسلام خلق كثير، و العرب أدركوا أنَّ قريشا على عتوها و طغيانها و قوتها قد انكسرت شوكتها و فشلت خططها فى القضاء على الإسلام عن طريق القوه، و لذا بدا التوقيع على عقد الصلح استسلاما من جانب قريش.

و بقيت قوه اخرى تثير الشغب و تمثّل النفاق و الغدر، تلك هى جموع اليهود الذين كانوا خارج المدينه، فكان النبيُّ (صلّى الله عليه و آله) يراقبهم خشيه أن يقوموا بعمل معادى بدعم خارجي، و خصوصا أن تأريخ اليهود ملئ بالغدر و نقض العهود، لذا قرّر النبيُّ (صلّى الله عليه و آله) غزو «خيبر» معقل اليهود و حصنهم. فأمر (صلّى الله عليه و آله) أصحابه أن يتجهّزوا للغزو بأسرع وقت، فتّم ذلك فخرج من المدينه و أعطى الرايه لعلّي (عليه السلام) و مضى يحدّ السير باتجاه خيبر، فوصل اليهم ليلا و لم يعلم به أهلها، فخرجوا عند الصباح، فلمّا رأوه عادوا و امتنعوا فى حصونهم، فحاصرهم النبيُّ و ضيق عليهم و نشبت معارك ضاربه بين الطرفين حول الحصون، و تمكّن النبيُّ (صلّى الله عليه و آله) من فتح بعض حصونهم، و استمرّ الحال هذا من الحصار و القتال بضعا و عشرين يوما، و بقيت بعض الحصون المنيعه، فبعث النبيُّ (صلّى الله عليه و آله) برايته أبا بكر فرجع و لم يصنع شيئا، و فى اليوم الثانى بعث بها عمر بن الخطاب فرجع خائبا

١- (*) خيبر: مدينه كبيره ذات حصون و مزارع و نخل كثير، تقع خارج المدينه على بعد حوالى (٩٠) ميلا، وقعت الغزوه فى بدايه محرم من العام السابع للهجره.

كصاحبه يجبن أصحابه و يجبنه أصحابه، و هنا عزّ على رسول الله (صلى الله عليه و آله) أن يعقد بيده لواء فيرجع خائباً، أو يوجه أحدا نحو هدف فيرتد منهزماً، فأعلن (صلى الله عليه و آله) كلمه خالده تتضمن معان عميقه و مغاز جليله، فقال بصوت رفيع يسمعه أكثر المسلمين: «لأعطين الرايه غدا رجلاً يحب الله و رسوله و يحبّه الله و رسوله، كزارا غير فزار يفتح الله عليه، جبرئيل عن يمينه و ميكائيل عن شماله» (١).

فاشراأت الأعناق و امتدت و تمنى كلّ واحد أن يكون مصداق ذلك، حتى أنّ عمر بن الخطاب قال: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، و تمتت أن اعطى الرايه (٢).

فلما طلع الفجر، قام النبي (صلى الله عليه و آله) فدعا باللواء و الناس على مصافهم، ثمّ دعا علياً (عليه السلام)، فقيل: يا رسول الله! هو أرمداً، قال: فأرسلوا له، فذهب اليه سلمه ابن الأكوع و أخذ بيده يقوده حتى أتى به النبي (صلى الله عليه و آله) و قد عصّب عينيه، فوضع النبي رأس عليّ في حجره، ثمّ بلّ يده من ريقه و مسح بها عيني عليّ فبرأتا حتى كأن لم يكن بهما وجع، ثمّ دعا النبي لعليّ بقوله: اللهم إكفه الحرّ و البرد (٣).

ثمّ ألبسه درعه الحديد و شدّ ذا الفقار الذي هو سيفه (صلى الله عليه و آله) في وسطه و أعطاه الرايه و وجهه نحو الحصن، فقال (صلى الله عليه و آله): «أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام و أخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله تعالى فيه، فوالذي بيده، لأن يهدي بهداك - أو لأن يهدي الله بهداك - رجلاً واحداً خير من أن يكون لك حمر النعم».

قال سلمه: فخرج و الله يهرول هروله و إنّنا لخلفه نتبع أثره حتّى ركز رايته

ص: ٩٠

١- (١) تاريخ الطبري: ٣٠٠/٢ ط مؤسسه الأعلمي، و تأريخ دمشق لابن عساكر: ١٦٦/١ ترجمه الإمام علي (عليه السلام)، تذكره الخواص لابن الجوزي الحنفي: ٣٢، و السيره الحلبيه بهامش السيره النبويه: ٣٧/٣.

٢- (٢) تذكره الخواص: ٣٢.

٣- (٣) تأريخ الطبري: ٣٠١/٢ ط مؤسسه الأعلمي، و الكامل لابن الأثير: ٢٢٠/٢، و فرائد السمطين: ٢٦٤/١، حديث ٢٠٣.

فى رخم من حجاره تحت الحصن، فأطلع إليه يهودى من رأس الحصن، فقال: من أنت؟ قال: «أنا على بن أبى طالب».

قال: قال اليهودى لأصحابه: غلبتم، و ما انزل على موسى (١).

ثم خرج إليه أهل الحصن، و كان أول من خرج إليه الحارث أخو «مرحب» و كان معروفا بالشجاعه، فانكشف المسلمون و وثب على (عليه السلام)، فتضاربا و تقاتلا فقتله على (عليه السلام) و انهزم اليهود الى الحصن، ثم خرج مرحب و قد لبس درعين و تقلد بسيفين و اعتم بعمامتين و معه رمح لسانه ثلاثه أسنان.

فاختلف هو و على بضربتين، فضربه على بسيفه فقد الحجر الذى كان قد ثقبه و وضعه على رأسه، و قد المغفر، و شق رأسه نصفين حتى وصل السيف الى أضراسه، و لما أبصر اليهود ما حل بفارسهم «مرحب»؛ ولوا منهزمين الى داخل الحصن و أغلقوا بابه.

فصار على (عليه السلام) إليه فعالجه حتى فتحه، و أكثر الناس من جانب الخندق - الذى حول الحصن - لم يعبروا معه (عليه السلام) فأخذ باب الحصن فقلعه و جعله على الخندق جسرا لهم حتى عبروا و ظفروا بالحصن و نالوا الغنائم (٢).

و روى: أنه اجتمع عدّه رجال على أن يحزّكوا الباب فما استطاعوا.

قال ابن عمرو: ما عجبنا من فتح الله خير على يدى على (عليه السلام) و لكننا عجبنا من قلعه الباب و رميه خلفه أربعين ذراعا، و لقد تكلف حمله أربعون رجلا فما أطاقوه، فأخبر النبي (صلّى الله عليه و آله) بذلك فقال: «و الذى نفسى بيده لقد أعانه عليه أربعون ملكا».

ص: ٩١

١- ((١)) أعيان الشيعة: ١/١٠٤٠.

٢- ((٢)) تاريخ الطبرى: ٣٠١/٢ ط مؤسسه الأعلمى، و الإرشاد للمفيد: ١١٤، الفصل ٣١ من باب ٢، و بحار الأنوار: ١٦/٢١.

و روى أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال في رسالته الى سهل بن حنيف: «والله ما قلعت باب خيبر و رميت به خلف ظهري أربعين ذراعا بقوة جسديه و لا حركه غذائيه، لكنني ايدت بقوة ملكوتي و نفس بنور ربها مضيئه، و أنا من أحمد كالضوء من الضوء (١).

و- علي (عليه السلام) في فتح مكة :

(٢)

ساد الهدوء و السلم الأجواء المحيطه بقريش و المسلمين، و التزم رسول الله (صلى الله عليه و آله) بكامل بنود الحديبيه، غير أن قریشا كانت تنوى نقض المعاهده، و قد تصوّرت أن ضعفا أصاب المسلمين بعد انسحابهم من معركة «مؤتة» منهزمين، فأدى استخفافها بالمسلمين الى التآمر على أحلاف النبي (صلى الله عليه و آله) من خزاعه، فحرّضت بعض أحلافها من بنى بكر، فوقعت بينهما مناوشات فتغلّب بنو بكر بمعونه قریش على خزاعه، و بهذا فقد نقضت قریش المعاهده و أعلنت الحرب على المسلمين.

فعزم النبي (صلى الله عليه و آله) على محاربه قریش، و قال كلمته المشهوره: «لانصرت إن لم أنصر خزاعه» و أخذ يستعدّ لذلك و هو يحرص على أن لا يذاع هذا الأمر، و لكن حاطب بن أبى بلتعنه سرّب الخبر، فأرسل كتابا الى قریش مع امرأه يخبرهم بما عزم عليه النبي (صلى الله عليه و آله)، و قبل خروجها من ضواحي المدينه؛ نزل الوحي على النبي و أخبره بذلك، فأرسل خلفها بالفور عليّا و الزبير، و أمرهما بأن يجدا السير فى طلبها قبل أن تفلت منهما، فأدركاها على بعد أميال من المدينه، فأسرع إليها الزبير و سألها عن الكتاب فأنكرته و بكت فرقّ لها الزبير، و رجع عنها ليخبر عليّا ببراءتها و قال له: ارجع لنخبر الرسول بذلك، فقال عليّ (عليه السلام): إن رسول الله (صلى الله عليه و آله) يخبرنا بأنّها تحمل كتابا و تقول أنت بأنّها لا تحمل شيئا، ثمّ شهر عليّ (عليه السلام) سيفه

ص: ٩٢

١- ((١)) الأملّى للصدوق: المجلس السابع و السبعون، الحديث ١٠.

٢- ((*)) كان فتح مكة فى شهر رمضان سنة ثمان من الهجره النبويه.

و أُقْبِلَ عَلَيْهَا حَتَّى اسْتَخْرَجَ الْكِتَابَ مِنْهَا، وَ رَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وَ سَلَّمَهُ إِيَّاهُ (١).

وَ لَمَّا أَتَمَّ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) الْإِسْتِعْدَادَاتِ وَ التَّجْهِيزَاتِ الْإِلَازِمَةَ لِلخُرُوجِ إِلَى مَكَّةَ؛ أُعْطِيَ لُؤَاءَهُ إِلَى عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَ وَزَعَ الرِّيَابَاتِ عَلَى زَعَمَاءِ الْقِبَائِلِ وَ مَضَى يَقْطَعُ الطَّرِيقَ بِاتِّجَاهِ مَكَّةَ.

وَ لَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّهَا لَا طَاقَةَ لَهَا أَمَامَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وَ الْمُسْلِمِينَ؛ اسْتَسَلَمَتْ وَ لَمْ تَجِدْ بَدًّا مِنْ أَنْ يَدْخُلَ كُلُّ فَرْدٍ مِنْهُمْ دَارَهُ لِأَمْنٍ عَلَى نَفْسِهِ انْقِيَادًا لِلْأَمَانِ الَّذِي أَعْلَنَهُ النَّبِيُّ لَهُمْ (٢).

وَ رَوَى: أَنَّ سَعْدَ بْنَ عَبَادَةَ كَانَ مَعَهُ رَايَهُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) عَلَى الْأَنْصَارِ وَ لَمَّا مَرَّ عَلَى أَبِي سَفْيَانَ وَ هُوَ وَاقِفٌ بِمَضِيقِ الْوَادِي (فِي الطَّرِيقِ إِلَى مَكَّةَ) قَالَ أَبُو سَفْيَانَ: مَنْ هَذِهِ؟ قِيلَ لَهُ: هَؤُلَاءِ الْأَنْصَارُ عَلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ مَعَ الرَّايَةِ، فَلَمَّا حَاذَاهُ سَعْدُ قَالَ: يَا أَبَا سَفْيَانَ، الْيَوْمَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ، الْيَوْمَ تَسْتَحِلُّ الْحَرَمَ، الْيَوْمَ أَذَلَّ اللَّهُ قُرَيْشًا، فَلَمَّا مَرَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) بِأَبِي سَفْيَانَ وَ حَاذَاهُ أَبُو سَفْيَانَ نَادَاهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَمَرْتُ بِقَتْلِ قَوْمِكَ فَإِنَّهُ زَعَمَ سَعْدُ وَ مِنْ مَعَهُ حِينَ مَرَّ بِنَا أَنَّهُ قَاتِلُنَا فَإِنَّهُ قَالَ: الْيَوْمَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ... انشُدْكَ اللَّهُ فِي قَوْمِكَ، فَأَنْتَ أَبْرَ النَّاسِ وَ أَرْحَمُهُمْ وَ أَوْصَلَهُمْ.

فَقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ): «كَذَبَ سَعْدُ، الْيَوْمَ يَوْمَ الْمَرْحَمَةِ، الْيَوْمَ أَعَزَّ اللَّهُ فِيهِ قُرَيْشًا، الْيَوْمَ يَعْظُمُ اللَّهُ فِيهِ الْكَعْبَةَ، الْيَوْمَ تَكْسَى فِيهِ الْكَعْبَةَ».

وَ أَرْسَلَ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) إِلَى سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ عَلِيًّا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنْ يَنْزِعَ اللَّوَاءَ مِنْهُ، وَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا مَكَّةَ (٣).

وَ دَخَلَ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) مَكَّةَ بِذَلِكَ الْجَيْشِ الْكَبِيرِ الَّذِي لَمْ تَعْرِفْ لَهُ مَكَّةَ

ص: ٩٣

١- (١) تاريخ الطبري: ٣٢٨/٢ ط مؤسسه الأعلمی، و السيره الحلبيه بهامشه السيره النبويه: ٧٥/٣.

٢- (٢) تاريخ الطبري: ٣٣٢/٢، و الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٢٤٣/٢.

٣- (٣) تاريخ الطبري: ٣٣٤/٢ ط مؤسسه الأعلمی، الإرشاد للمفيد: ١٢١ الفصل ٣٤ الباب ٢.

نظيراً في تاريخها الطويل، و لواءه بيد علي بن أبي طالب (عليه السلام)، و أعلن العفو العام و هو علي أبواب مكّه.

صعود علي (عليه السلام) على منكب رسول الله (صلى الله عليه و آله) لتحطيم الأصنام:

و روى عن علي (عليه السلام) أنّه قال: انطلق بي رسول الله (صلى الله عليه و آله) إلى كسر الأصنام، فقال لي: اجلس، فجلست إلى جنب الكعبه، ثمّ صعد الرسول علي منكبى فقال لي:

انهض بي، فنهضت به، فلمّا رأى ضعفى تحته قال: اجلس، فجلست و نزل عني، و قال: يا علي اصعد علي منكبى، فصعدت علي منكبى، ثمّ نهض بي حتى خيل لي أن لو شئت نلت السماء، و صعدت علي الكعبه.. فألقيت الصنم الأكبر و كان من نحاس مودداً بأوتاد من حديد، فقال (صلى الله عليه و آله) و آله: عالجه، فلم أزل اعالجه و رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول: إيه إيه، حتى قلعته، فقال: دقّه، فدققتّه و كسرتّه و نزلت (١).

ز - علي (عليه السلام) في غزوه حنين :

(٢)

بعد أن كتب الله النصر و الفتح لرسوله (صلى الله عليه و آله) حين دخل مكّه و استسلمت قريش و أذعنّت له أجمعت قبيله «هوازن» و قبيله «ثقيف» على محاربه النبي (صلى الله عليه و آله) و المبادره إليه قبل أن يغزوه، و أعدّ لهم النبي العده لما سمع بذلك، و عبأ المسلمين الذين تجاوز عددهم اثني عشر ألفاً و خرج اليهم من مكّه.

و لمّا قربوا من موقع العدو صفّهم (صلى الله عليه و آله) و وزّع الألويه و الرايات على قادة الجيش و زعماء القبائل، فأعطى علياً لواء المهاجرين (٣)، و لكّن هوازن أعدت خطّه للغدر بالمسلمين علي حين غفله منهم، فكمنوا لهم في شعاب واد من أوديه

ص: ٩٤

١- ((١)) المستدرک علی الصحیحین: ٣٦٧/٢ و ٥/٣. و روى ابن الجوزى في تذكره الخواص: ٣٤ مثله، يبايع الموده للقندوزى: ٢٥٤.

٢- ((*)) وقعت غزوه «حنين» في شوال سنة ثمان للهجرة النبويّه.

٣- ((٢)) السيره الحلبيه: ١٠٦/٣.

تهامه حيث لا مفرّ لهم من المرور فيه.

و حين انحدر المسلمون فى وادى «حنين» باغتتهم كتائب هوازن من كلّ ناحيه، و انهزمت بنو سليم و كانوا فى مقدّمه جيش المسلمين و انهزم من وراءهم، و خلّى الله تعالى بينهم و بين عدوّهم لأعجابهم بكثرتهم، و لم يثبت مع رسول الله (صلّى الله عليه و آله) إلاّ نفر قليل من بنى هاشم و أيمن بن عبيد (١).

و وقف علىّ (عليه السّلام) كالمارد يضرب بسيفه عن يمينه و شماله، فلم يدن أحد من النّبىّ (صلّى الله عليه و آله)؛ إلاّ جندله بسيفه، و كان لثبات النّبىّ (صلّى الله عليه و آله) و دفاع علىّ (عليه السّلام) و من معه أن عادت الثقه الى نفوس بعض المسلمين، فأعادوا الكره على هوازن. و خرج رجل من هوازن يدعى «أبو جرول» حامل رايتهم و كان شجاعاً، فتحاماه الناس و لم يثبتوا له، فبرز إليه علىّ (عليه السّلام) و قتله، فدبّ الذعر فى نفوس المشركين كما دبّ الحماس فى نفوس المسلمين، و وضع المسلمون سيوفهم فى هوازن و أحلافها يقتلون و يأسرون و علىّ (عليه السّلام) يتقدّمهم حتى قتل بنفسه أربعين رجلاً من القوم، فكان النصر للمسلمين (٢).

ح- علىّ (عليه السّلام) فى غزوه تبوك :

(٣)

استعدّ النّبىّ (صلّى الله عليه و آله) لمواجهة الروم حين علم أنّهم يريدون الإغاره و الهجوم على الجزيره، فأعدّ بما يملك من استراتيجيه محكمه العده و العدد، و قرّر -لأهميه الموقف و النزال- أن يكون على رأس الجيش المتقدّم، و لكنّ الظروف السياسيه و العسكريه لم تكن تدعو للاطمئنان التامّ و نفى الاحتمال من هجوم المنافقين أو المرجفين على المدينه أو قيامهم بأعمال تخريبيه اخرى، لذا يتطلّب

ص: ٩٥

١- ((١)) تأريخ الطبرى: ٣٤٧/٢، و أعيان الشيعة للأمين: ٢٧٩/١.

٢- ((٢)) روضه الكافى: ص ٣٠٨ رقم الحديث ٥٦٦، و المغازى للواقدي: ٨٩٥/٢، و كشف الغمّه: ٢٢٦/١.

٣- ((*)) وقعت غزوه «تبوك» فى شهر رجب سنه تسع من الهجره النبويه.

الأمر أن يبقى في المدينة من يتمتع بمؤهلات و لياقات عالية و حكمه بالغه و درايه تفصيليه في جميع الامور و حرص على العقيدة كى يتمكن من مواجهه الطوارئ،فاختار النبي الأكرم(صلى الله عليه و آله)علينا لهذه المهمه الحساسه كى يقوم مقام النبي في غيابه.

فقال(صلى الله عليه و آله):«يا عليّ، إنّ المدينة لا تصلح إلاّ بى أو بك».

و لما تحرّك النبي(صلى الله عليه و آله)باتّجاه«تبوك»؛ثقل على أهل النفاق بقاء عليّ(عليه السلام)على رأس السلطه المحليه في عاصمه الدوله الإسلاميه،و عظم عليهم مقامه،و علموا أنّها في حراسه أمينه و لا مجال لمطمع فيها،فساءهم ذلك،فأخذوا يردّدون في مجالسهم و نواديهم أنّ النبي(صلى الله عليه و آله)لم يستخلفه إلاّ استتقالا و قتاله، فبهتوا بهذا الإرجاف علينا،كبهت قريش للنبي بالجئه و السحر.

فلما بلغ علينا(عليه السلام)إرجاف المنافقين به أراد تكذيبهم و إظهار فضيحتهم، فأخذ سيفه و سلاحه و لحق بالنبي(صلى الله عليه و آله)فقال:يا رسول الله، إنّ المنافقين يزعمون أنّك خلّفتنى استتقالا و مقتا،فقال(صلى الله عليه و آله):إرجع الى مكانك فإنّ المدينة لا تصلح إلاّ بى أو بك،فأنت خليفتى في أهل بيتى و دار هجرتى و قومى،أما ترضى-يا عليّ- أن تكون منى بمنزله هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبى بعدى.

فرجع عليّ(عليه السلام)و مضى رسول الله(صلى الله عليه و آله)في سفره (١).

تبليغ سوره براءه:

استمرّ رسول الله(صلى الله عليه و آله)يلبّغ رسالته المباركه و ينشر الإسلام في ربوع

ص:٩٦

١- ((١)) تاريخ الطبرى:٣٦٨/٢ ط مؤسسه الأعلمى،و الإرشاد للمفيد:١٣٨،الفصل ٤٣،و السيره الحلبيه بهامش السيره النبويه:١٣٢/٣،و صحيح البخارى:باب غزوه تبوك ٣/٦،و صحيح مسلم.كتاب فضائل الصحابه: ٢٣/٥ الحديث ٢٤٠٤ و الترمذى:٣٠٠/٢.و مسند أحمد:١/١٨٥ و ٢٨٤ الحديث ٥٠٨ و سنن ابن ماجه:٤٢/١ الحديث ١١٥ و تاريخ بغداد:١/٤٣٢ رقم ٦٣٢٣.

الجزيره العرييه، و في ذات الوقت يطارد فلول الشرك عسكريا حتى أشرفت السنه التاسعه للهجره على نهايتها، فأصبح للإسلام كيان سياسى مستقلاً و أمه تسودها علاقات متينه و أرض متراميه الأطراف و حدود منيعه، و لم يعد لقوى الشرك وجود معتبر، فكان لا بد من تصفيتهم، و نزلت على رسول الله (صلى الله عليه و آله) سوره «براءه» التى تسنّ التشريعات التى تحدّد موقفه من المشركين و اليهود و الأحلاف التى كان قد أبرمها معهم. و كان أفضل مكان لإعلان هذا القرار و قراءه هذا البيان الرسمى الإلهى هو البيت الحرام، و أفضل وقت له هو اليوم العاشر من ذى الحجه حيث يجتمع المشركون من أطراف الجزيره، فأرسل النبيّ (صلى الله عليه و آله) أبابكر ليحجّ بالناس و يبلغ سوره «براءه»، و لما انتهى الى «ذى الحليفه» و هو المكان المعروف اليوم بمسجد الشجره، و إذا بالوحى ينزل على النبيّ و يأمره أن يرسل مكانه على بن أبى طالب (عليه السلام)، فأرسل النبيّ عليّاً و أمره أن يأخذ الآيات من أبى بكر و يبلغها بنفسه، فمضى نحو مكّه و هو على ناقه النبيّ حتى التحق بأبى بكر، فلما سمع رغاء الناقه عرفها فخرج فزعا و هو يظنّه رسول الله (صلى الله عليه و آله) و إذا هو علىّ، فأخذ منه الآيات و رجع أبو بكر إلى المدينه خائفاً أن يكون قد نزل فيه ما يغضب النبيّ، فقال: يا رسول الله! أنزل فىّ شىء؟ فقال النبيّ (صلى الله عليه و آله): لا، و لكننى امرت أن أبلغها أنا أو رجل منى (١).

و انطلق علىّ (عليه السلام) فى طريقه حتى بلغ مكّه، و عندما اجتمع الناس لأداء مناسكهم؛ قرأ عليهم الآيات الاولى من السوره، و نادى فى الناس: لا يدخل مكّه مشرك بعد عامه هذا، و لا يطوف بالبيت عريان، و من كان بينه و بين رسول الله عهد فعهدة إلى مدّته (٢).

ص: ٩٧

١- ((١)) الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ٢/٢٩١، و فضائل الخمسه من الصحاح الستة: ٢/٣٤٣.

٢- ((٢)) البدايه و النهايه لابن كثير: ٥/٤٥.

استمرارا في نشر الإسلام أرسل النبي (صلى الله عليه وآله) الى اليمن خالد بن الوليد و جمعا من الصحابه ليدعوا قبيله «همدان» الى الإسلام، وظل خالد نحوا من سته أشهر دون أن يحقق نجاحا، فلم يتمكن من إقناع همدان في اعتناق الإسلام، فبعث الى النبي يخبره بعدم إجابته القوم له و انصرفهم عنه، عند ذاك بعث النبي (صلى الله عليه وآله) علي بن أبي طالب (عليه السلام) و طلب منه أن يعيد خالد الى المدينة و يحل محله في مهمته، و يبقى معه من يشاء من المجموعه المرسله مع خالد.

روى عن البراء بن عازب الذي كان مع خالد و بقي في سرية علي (عليه السلام):

كنت ممن خرج مع خالد فأقمنا سته أشهر ندعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوا، ثم إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعث عليا (عليه السلام) و أمره أن يقفل خالد و يكون مكانه، فلما دنونا من القوم؛ خرجوا إلينا و صلى بنا علي (عليه السلام) ثم صفا صفا واحدا ثم تقدم بين أيدينا و قرأ عليهم كتاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) بإسلامهم، فأسلمت همدان جميعا و أرسل علي (عليه السلام) الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالخبر السار، فخر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ساجدا ثم رفع رأسه و قال: السلام على همدان (1).

و روى: أن النبي (صلى الله عليه وآله) أرسل عليا في مهمته ثانية الى اليمن ليدعو «مذحج» الى الإسلام، و كان معه ثلاثمائة فارس، و عقد رسول الله له اللواء و عممه بيده، و أوصاه أن لا يقاتلهم إلا إذا قاتلوه، فلما دخل الى بلاد مذحج؛ دعاهم الى الإسلام فأبوا عليه و رموا المسلمين بالنبل و الحجارة، فأعد علي (عليه السلام) أصحابه للقتال، و هجم عليهم فقتل منهم عشرين رجلا فتفرقوا و انهزموا فتركهم، ثم دعاهم الى الإسلام ثانية فأجابوه لذلك، و بايعه عدد من رؤسائهم، و قالوا: له نحن على من

ص: ٩٨

١- (١) أعيان الشيعة: ١/٤١٠، و الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٢/٣٠٠، و السيرة النبوية لابن كثير: ٤/٢٠١.

وراءنا من قومنا و هذه صدقاتنا فخذ منها حقّ الله.

و روى: أنّ عليّاً (عليه السّلام) قال: بعثني رسول الله (صلى الله عليه و آله) إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله، تبعثني إلى قوم و أنا حديث السنّ لا ابصر القضاء، فوضع يده على صدرى و قال: اللهمّ ثبت لسانه واهد قلبه، ثمّ قال: إذا جاءك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر، فإنّك إذا فعلت ذلك؛ تبين لك القضاء، قال عليّ (عليه السّلام): و الله ما شككت في قضاء بين اثنين (١).

ثمّ إنّ عليّاً جمع الغنائم فأخرج منها الخمس و قسّم الباقي على أصحابه، و بلغه خبر خروج النّبىّ (صلى الله عليه و آله) إلى مكّه لأداء فريضة الحجّ، فتعجّل (عليه السّلام) السير ليلتحق بالنّبىّ (صلى الله عليه و آله) في مكّه، و روى أنّ بعض من كان في سريره عليّ (عليه السّلام) اشتكى من شدّته في إعطاء الحقّ، فلمّا سمع النّبىّ (صلى الله عليه و آله) ذلك قال: أيّها الناس، لا تشتكوا عليّاً فو الله إنّه لأخشن في ذات الله من أن يشتكى منه (٢).

و عن عمرو بن شاس الأسلمى أنّه قال: كنت مع عليّ (عليه السّلام) في خيله التي بعثه بها رسول الله (صلى الله عليه و آله) إلى اليمن، فوجدت في نفسى عليه (٣)، فلمّا قدمت المدينة شكوته في مجالس المدينة و عند من لقيته، فأقبلت يوماً و رسول الله (صلى الله عليه و آله) جالس في المسجد، فلمّا رآنى أنظر إلى عينيه نظر إلىّ حتى جلست إليه، فقال: إبه يا عمرو، لقد آذيتنى، فقلت: إنّ الله و إنّا إليه راجعون أعود بالله و الإسلام من أن أوذى رسول الله، فقال (صلى الله عليه و آله): «من آذى عليّاً فقد آذانى» (٤).

ص: ٩٩

١- (١) السيره النبويه لابن كثير: ٢٠٧/٤.

٢- (٢) سيره ابن هشام: ٦٠٣/٤، و السيره النبويه لابن كثير: ٢٠٥/٤ مثله.

٣- (٣) المستدرک على الصحيحين: ١٣٤/٣.

٤- (٤) السيره النبويه لابن كثير: ٢٠٢/٤.

إنّ النبي (صلى الله عليه وآله) الذي كان يعيش همّ الرسالة الإسلامية بذل قصارى جهده في التبليغ و النصح لبناء مجتمع رسالي رصين يقاوم كلّ الظروف حتى يسود الإسلام بقاع الدنيا، وقد عمل (صلى الله عليه وآله) على محورين رئيسين هما: توعيه الأمة بوصفها الرعية بالمقدار الذي تتطلبه الرعية الواعية من فهم و ثقافته و قدره على ممارسه الحياه الإسلاميه كما أرادها الله سبحانه، و كان لعليّ (عليه السلام) دور فاعل في هذا المحور، فأنه يمكننا القول بأنّ النبي (صلى الله عليه وآله) كان مشغولا بتوسيع رقعه المجتمع الإسلامى طوليا، و كان عليّ (عليه السلام) مشغولا بتعميق الرقعه عرضيا، فكانت مهمته تكمله لمهمته النبي (صلى الله عليه وآله).

و المحور الآخر هو إعداد و توعيه الصفوه التي اختارها الله سبحانه لتخلف النبي (صلى الله عليه وآله) في غيابه لقياده المجتمع و الرساله الإسلاميه و صيانتها عن الانحراف و الزيف، إعدادا على مستوى قياده التجربه و على مستوى الحاكميه عليها، و قد أعدّ النبي عليا ليتسلّم التجربه الإسلاميه من بعده من خلال إشراكه في كلّ المواقف المهمّه و المعقّده و الصعبه و من خلال تثقيفه ثقافه خاصه لم يشاركه أحد فيها، فقد روى عنه (عليه السلام) أنّه قال: «علمنى رسول الله (صلى الله عليه وآله) من العلم ألف باب يفتح من كلّ باب ألف باب» (١).

و كان عليّ (عليه السلام) يتمنّع بمؤهلات و لياقات عاليه أهلته أن ينال ثقته النبي (صلى الله عليه وآله) المطلقه في قوله و فعله، فنجد أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) أخذ عليا صبغيرا و تعهده و رباه، فلأزمه طوال فتره حياته، و ما أن مضت فتره علي الدعوه الإسلاميه؛ حتى أعلن النبي (صلى الله عليه وآله) و آلّه عن اتّخاذ عليا (عليه السلام) أخا و مؤازرا له في دعوته، و كثر هذا

ص: ١٠٠

الإعلان في مواطن عديده، بل اتّخاذها أخوا و مساويا له في كل شيء ما عدا النبوه.

و حين توضّحت شخصيّه عليّ (عليه السّلام)؛ بدأ النبيّ (صلى الله عليه و آله) يكلفه نيابه عنه في المهمّات التي لا يمكن أن يقوم بها أحد غير النبيّ (صلى الله عليه و آله) أو شخص كنفسه، مثل:

المبيت في فراش النبيّ ليله الهجره؛ و ردّ الودائع، و حمل الفواطم الى المدينه.

و من درجه اهتمام النبيّ بعليّ في هذه المرحله؛ أنّه لم يدخل المدينه عند هجرته اليها، و صرّح بعدم اتّخاذها مقرّاً جديدا له حتى يلتحق عليّ به، و تبليغ سورة «براءه» مثال آخر فقد أخذ عليّ (عليه السّلام) السوره من أبي بكر و بلّغها.

و حين اضطرّ النبيّ (صلى الله عليه و آله) للمواجهات العسكريه لم يكن يعطى رايته إلاّ لعليّ (عليه السّلام)، و كان يرسله في كلّ المواقف المستعصيه التي تتطلّب كفاءه عاليه، فكان عليّ (عليه السّلام) يؤدّيها على أتمّ وجه.

و في مرحله جديده بعد أن امتاز عليّ (عليه السّلام) من غيره من الصحابه بصدق سريرته و عمق إيمانه و تفانيه من أجل العقيدته و المبدأ أشار النبيّ (صلى الله عليه و آله) الى أهميّه أهل بيته (عليهم السّلام) و وجودهم و عظيم حبه لهم، و ميّز عليّ (عليه السّلام)، و قد دعم القرآن الكريم موقف النبيّ (صلى الله عليه و آله) بقوله: **قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ** (١).

و أشار النبيّ (صلى الله عليه و آله) الى طهاره عليّ و أهل بيته من الرجس الماديّ و المعنويّ، و لم يأذن لأحد بالمرور بمسجده على كلّ حال إلاّ لعليّ.

و لم يزل النبيّ يوجّه القاعده الشعبيه للالتفاف حول عليّ، و يأمرهم بحبه و التعلّق به عند حلول المشاكل أو المستجدات المستعصيه، و وضّح لهم ضروره فهم شخصيه عليّ (عليه السّلام) في شدّه إيمانه و قوته في ذات الله و عمق فهمه للعقيدته الإسلاميه وسعه علمه، فكانت الأحاديث: «أفضاكم عليّ. أعلمكم عليّ. أعدلكم

ص: ١٠١

علیّ» وقد أثبتت الأحداث و الوقائع صحّحه ذلك.

و فی آخر منسک من مناسک الإسلام أشرك النبی (صلی الله علیه و آله)علیّا فی حجّه دون غیره من المسلمین و قد صرّح بذلك، و قاما معا بنحر الهدی.

كانت هذه الخطوات إعدادا و تهيئه الأرضیه لإعلان الغدير حين وقف النبی (صلی الله علیه و آله) بعد إتمام مراسم حجّه الوداع لیعلن للملأ أنّه سیغادر الدنيا و یخلف علیّا كقائد و مرجع للامّه بعده، و أنّ هذا الإعلان و التنصیب صادر عن الله تعالى، و تمّت بیعه الناس لعلی (علیه السلام) یأمره المؤمنین و نزل الوحي الإلهی ببلاغ تمام النعمه و کمال الدین.

علی (علیه السلام) فی حجّه الوداع:

بشوق غامر و غبطه تملأ- القلوب تطلّع المسلمون الی اللقاء العبادی السیاسی الذی لم یشهد التأریخ نظیرا له من قبل عندما تحرّك موكب النبی (صلی الله علیه و آله) فی أواخر شهر ذی القعدة من السنه العاشره للهجره باتجاه مكّه لیؤدّی مناسک الحجّ و حیث اللقاء مع الجموع القادمه من أطراف الجزیره العربیه یحدوها هدف واحد و تحت رایه واحده یردّدون شعارا إلهیا واحدا (١):

[لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد و النعمه لك و الملك لا شريك لك لبيك].

و كان النبی (صلی الله علیه و آله) قد كتب الی علی (علیه السلام) فی اليمن يأمره أن يلتحق به فی مكّه لیحجّ معه، و أسرع علی بالخروج من اليمن و معه الغنائم و الحلل التي أصابها من اليمن، و التقى بالنبی (صلی الله علیه و آله) و قد أشرف علی دخول مكّه، فاستبشر بلقائه و أخبره بما صنع فی اليمن، ففرح النبی (صلی الله علیه و آله) بذلك و ابتهج و قال له: بم أهللت؟

ص: ١٠٢

١- (١) يرى بعض المؤرخين أنّ من خرج مع النبی يبلغ تسعين ألفا، و البعض الآخر مائه و عشرين ألفا، عدا من حجّ من أهالي مكّه و ضواحيها و اليمن و غيرها. راجع السيره الحلبیه: ٢٥٧/٣، و كنز العمال: ٦٠٩/١١.

فقال عليّ (عليه السّلام): يا رسول الله! إنك لم تكتب إليّ بإهلالك ولا عرفته فعددت نيتي ببيتك، وقلت اللهم إهلالا كإهلال نبيك، وسقت معي من البدن أربعاً وثلاثين، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): الله أكبر وأنا قد سقت معي ستاً وستين، فأنت شريكى فى حجّى و مناسكى و هديى، فأقم على إحرامك وعد الى جيشك و عجل به حتى نجتمع بمكّه، و كان عليّ (عليه السّلام) قد سبق الجيش حينما بلغ مشارف مكّه و أمر عليهم رجلاً منهم (١).

و أدى النّبىّ مناسك العمره و الحجّ و على معه، و قال (صلى الله عليه وآله): منى كلّها منحر، فنحر بيده الكريمة ثلاثه و ستين، و نحر عليّ (عليه السّلام) سبعة و ثلاثين تمام المائه، ثمّ اجتمع الناس فخطب النّبىّ (صلى الله عليه وآله) خطاباً جامعاً و عظ المسلمين فيه و نصّحهم (٢).
أتمّ النّبىّ (صلى الله عليه وآله) و المسلمون مناسكهم فى منى، ثمّ رجع إلى مكّه فدخل فيها، و طاف طواف الوداع، ثمّ اتّجه الى المدينه.

عليّ (عليه السّلام) فى غدِير خمّ أميراً للمؤمنين:

ولمّا انصرف النّبىّ (صلى الله عليه وآله) راجعاً الى المدينه و معه تلك الحشود الغفيره من المسلمين؛ و وصل الى غدِير خمّ من الجحفه التى تتشعب فيها طرق أهل المدينه و العراق و مصر، و ذلك فى اليوم الثامن عشر من ذى الحجّه، نزل إليه الوحي عن الله بقوله: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ (٣) و أمره أن يقيم عليّاً علماً للناس و يبلغهم ما نزل فيه من الولايه و فرض الطاعه على كلّ أحد، و قد ضمن الوحي للنّبىّ (صلى الله عليه وآله) أن يكفيه شرّ الحاقدين و الحاسدين من الناس، و كان أوائل القوم قريباً من الجحفه، فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) و آله أن يردّ من تقدّم منهم، و يحبس من

ص: ١٠٣

١- ((الإرشاد للمفيد: ١/١٧٢، و السيره النبويه لابن كثير: ٢٠٥/٤.

٢- ((السيره الحلبيه: ٣/٢٨٣، و السيره النبويه لابن كثير: ٢٩١/٤.

٣- ((المائده (٥): ٦٧.

تأخر عنهم في ذلك المكان الذي لم يكن منزلاً لأحد من قبله، ولم يكن هو (صلى الله عليه وآله) ينزل فيه لولا- خطاب الوحي له، ثم وقف (صلى الله عليه وآله) بين تلك الجموع وقال بصوت يسمعه الجميع: أيها الناس كأني قد دعيت فأجبت، إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض.. ثم قال: إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن ومؤمنة، وأخذ بيد علي (عليه السلام) وقال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأنصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلغ الشاهد الغائب».

ثم لم يفترقوا حتى نزل أمين الوحي بقوله: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة، ورضى الرب برسالتى والولاية لعلّى من بعدى» ثم طفق القوم يهتفون أمير المؤمنين (عليه السلام) وممن هنأه فى مقدم الصحابه الشيخان أبو بكر وعمر، كل يقول: بخ بخ لك يا ابن أبى طالب، أصبحت وأمست مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة (١).

وروى: أن النبي (صلى الله عليه وآله) أمر بنصب خيمه لعلّى (عليه السلام) وأمر المسلمين أن يدخلوا عليه فوجا فوجا ويسلموا عليه بإمره المؤمنين، ففعل ذلك كلهم حتى من كان معه (صلى الله عليه وآله) من أزواجه ونساء المسلمين (٢).

ص: ١٠٤

١- ((١)) السيره الحلبيه بهامشه السيره النبويه: ٢٧٤/٣، والمناقب لابن المغازلى الشافعي: ١٦، والفصول المهمه لابن الصباغ المالكي: ٤٠، وينابيع الموده للقندوزي: ٤٠. وقد ورد حديث الغدير فى مصادر كثيره جدًا يضاف لما ذكرنا منها: أسباب النزول للنيشابورى، مطالب السؤل لكمال الدين الشافعي، تفسير مفاتيح الغيب للرازي، تفسير المنار لمحمد عبده، تفسير ابن شريح، تذكره الخواص لابن الجوزي، مسند الإمام أحمد، ذخائر العقبى للطبرى، الرياض النضرة لمحّب الدين الطبرى وغيرها من الجوامع الحديثيه والتاريخيه والتفسيريه، راجع الغدير للعلامه الأمينى.

٢- ((٢)) الإرشاد للمفيد: ١٧٦/١.

واقعه الحارث بن النعمان و نزول آيه سأل سائل بعذاب واقع :

لَمَّا شَاعَ و انتشر قول النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله): «مَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ» فبلغ الحارث ابن النعمان الفهرى، فأَتَى النبي على ناقته و كان بالأبطح، فنزل و عقل ناقته و قال للنبي و هو فى ملاء من الصحابه: يا محمَّد! أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله و أنك رسول الله فقبلنا منك، ثم ذكر سائر أركان الإسلام و قال: ثم لم ترض بهذا حتى مددت بضعى ابن عمك و فضّلته علينا و قلت: «مَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ» فهذا منك أم من الله؟

فقال النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله): «وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، هُوَ أَمْرُ اللَّهِ» فوَلَّى الحارث يريد راحلته و هو يقول: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَهُ مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنَا بِعَذَابِ أَلِيمٍ، فَمَا وَصَلَ إِلَيْهَا حَتَّى رَمَاهُ اللَّهُ بِحَجَرٍ فَسَقَطَ عَلَى هَامَتِهِ وَ خَرَجَ مِنْ دُبُرِهِ، وَ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝ (١).

محاولات الرسول (صلى الله عليه وآله) لتثبيت بيعه على (عليه السلام):

لقد كان رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله) على علم تام بما سيؤول إليه وضع المسلمين من بعده، لأنه كان يراقب العلل و الأمراض التي ابتلى بها هذا المجتمع، و كان على يقين بأن أول ضربه من بعده ستوجّه الى الخطّ الرسالى الذي أرسى قواعده هو

ص: ١٠٥

١- (٢) تفسير المنار: ٤٦٤/٦، و تذكره الخواص: ص ٣١ مع اختلاف فى اللفظ، و الفصول المهمه لابن الصباغ: ٤٢، أبو اسحاق الثعلبي فى تفسيره و الحاكم الحسكاني فى كتابه دعاه الهداه، و القرطبي فى تفسيره، و الحموينى فى فرائد السمطين، و الزرندي الحنفى فى معارج الوصول و درر السمطين، و السمهودى فى جواهر العقدين، و العمارى فى تفسيره، و الشريينى القاهرى الشافعى فى تفسيره، و المناوى الشافعى فى فيض القدير، و الحلبي فى السيره الحلبيه و الحفنى الشافعى فى شرح الجامع الصغير، و الزرقانى المالكي فى شرح المواهب اللدنيه، و الشبلنجى الشافعى فى نور الأبصار، و غيرهم كما تجد تفصيل ذلك فى الجزء الأول من موسوعه «الغدیر».

و عليّ، و إلى الزعامه التي أشار إليها النبيّ (صلى الله عليه و آله) في أن تخلفه في الخطّ الصحيح للدعوه الإسلاميه، لأنّ هذا يهدّد مصالح الكثير ممّن كانوا يريدون أن يستفيدوا من الإسلام و ينتعموا بإشباع رغباتهم في ظلاله لا أن يقدّموا جهدا و فائده للإسلام، و يتزعموا هذا الكيان الكبير الذي بناه النبيّ (صلى الله عليه و آله).

و كان (صلى الله عليه و آله) يتخوّف من أن تتحول الشريعه الإسلاميه الى شيء آخر غير الذي أنزله الله عليه، و تكون خاضعه للأهواء و الرغبات، و كمصداق على تخوف النبيّ هو واقعه الحارث بن النعمان الذي جاء يشكك و يستنكر على النبيّ مواقفه.

فما كان منه (صلى الله عليه و آله) إلّا- و أن يعلن موقفه من الاتجاه الصحيح لخطّ الدعوه الإسلاميه عبر مراحل و فترات عديده، فكان يكرّر لأصحابه: إن تستخلفوا عليّ - ما أراكم فاعلين - تجدوه هاديا مهديا يحملكم على المحبّه البيضاء (1).

و روى أنّ سعد بن عباده قال في ملأ من الناس: فو الله لقد سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول: إذا أنا متّ تضلّ الأهواء بعدى و يرجع الناس على أعقابهم، فالحقّ يومئذ مع عليّ (عليه السلام).

و حديث الثقلين شاهد آخر على ضروره التمسك بطاعه عليّ (عليه السلام) و السير على هديه و منهاج ولايته لضمان سلامه العقيدة الإسلاميه و تحصينها من الانحراف.

ثمّ بدأ النبيّ (صلى الله عليه و آله) بإعداد خطّه جديده لإتمام الأمر الإلهي بتنصيب عليّ أميراً للمؤمنين، فحاول أن يعدّ جيشا كبيرا يضمّ فيه كلّ العناصر التي من الممكن أن تدخل في حلبه الصراع السياسى مع الإمام عليّ (عليه السلام) و تناوئه على زعامه الساحة الإسلاميه، و من ثمّ سينحرف مسار الرساله الإسلاميه عن طريقها القويم، أو على الأقلّ أنّها تطالب بمكانه سياسيه أو إداريه في جهاز الدوله، و قد تظهر

ص: ١٠٦

١- ((١)) حليه الأولياء لأبى نعيم: ١/٦٤، و مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ٣٢/١٨.

موقفا معاديا في حالة رفض الإمام عليّ (عليه السّلام) ذلك، ممّا قد يثير الكثير من المشاكل للآله و هي في حالة ارتباك بفقدته (صلّى الله عليه و آله).

مرض النبي (صلّى الله عليه و آله) و سرّيه اسامه:

اشاره

حياه عليّ (عليه السّلام) هي حياه النبي (صلّى الله عليه و آله) و الرساله الإسلاميه، فالمواقف المهمه و الصعبه في الكثير من الصراعات و الأزمات و المنعطفات التي وقف فيها عليّ بكلّ بساله و شجاعه مع رسول الله حتى آخر لحظات عمره الشريف تكشف عن مدى القرب و الاتصال و التلاحم المصيري بين الرسول و عليّ، و تفهّمنا جيّدا من خلال الآيات و الروايات و حوادث التأريخ أنّ عليّ هو الامتداد الطبيعي لرسول الإسلام (صلّى الله عليه و آله) و هو المؤهل لقياده الامه الإسلاميه بعد الرسول (صلّى الله عليه و آله) و ليس ثمه إنسان آخر.

لقد أودع النبي (صلّى الله عليه و آله) عليّ (عليه السّلام) أسرار النبوه و تفاصيل الرساله و حمّله عبء مسؤوليه رعايتها و صيانتها، حتى أنّه أوكل اليه أمر تجهيزه و دفنه دون غيره، لعلمه و ثقته بأنّ عليّ (عليه السّلام) سينفّذ أوامره و لا يحيد عنها قيد أنمله و لا يتردّد طرفه عين، و لم يكن النبي (صلّى الله عليه و آله) يطمئنّ لغيره هذا الاطمئنان.

و كان النبي (صلّى الله عليه و آله) يصرّ على تبيان خلافه عليّ (عليه السّلام) و أنّه الوصيّ من بعده حتى في آخر لحظات حياته المباركه مضافا الى كلّ التصريحات و التلميحات التي أبداه في شتى المناسبات و مختلف المواقف.

لَمَّا رجع النبي (صلّى الله عليه و آله) من حجّه الى «يثرب»، أقام فيها أياما حتى اعتلّت صحّته و اشتدّ به ألم المرض، و كان (صلّى الله عليه و آله) يقول: «ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخبير فهذا أو انقطاع أبهري من ذلك السمّ» (1) و تقاطر المسلمون عليه يعودونه و في

ص: ١٠٧

نفوسهم القلق والأسى و فى أذهانهم الحيره و التساؤل عن مصير الأتيام الآتية و الرساله السماويه،فنعى(صلى الله عليه و آله)إليهم نفسه و أوصاهم بما يضمن لهم استمرار مسيره الرّساله و تحقيق السعاده و النجاح،فقال(صلى الله عليه و آله): «أيّها الناس! يوشك أن اقبض قبضا سريعا فينطلق بى و قدّمت إليكم القول معذره اليكم الا- إني مخلف فيكم كتاب الله عزّ و جلّ و عترتى أهل بيتي» ثم أخذ بيد عليّ(عليه السّلام) و قال:«هذا عليّ مع القرآن و القرآن مع عليّ لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض».

و أراد(صلى الله عليه و آله)أن يتمّ مساعيه لكى يهىء الامور لتنصيب عليّ خليفه من بعده من دون أن تؤثّر عليه قوى التنافس أو مؤامرات المغرضين و دسائس المنحرفين،فقد أجمع المؤرّخون على أنّ النبيّ(صلى الله عليه و آله)فى الأتيام الأخيره من حياته المباركه لم يكن يعنيه شىء أكثر من تجهيز جيش يضمّ أكبر عدد من المسلمين بما فى ذلك أبو بكر و عمر و وجوه المهاجرين و الأنصار،و أمر عليهم اسامه بن زيد و إرساله الى الحدود الشماليه لمنطقه الجزيره العربيه و استثنى عليّا(عليه السّلام).

و لكنّ عددا من الصحابه لم يرق لهم أمر النبيّ(صلى الله عليه و آله)فتشاقلوا عن الخروج فى جيش اسامه و اعتذروا بأعذار واهيه،و انطلقت ألسنتهم بالنقد اللاذع و الاعتراض المرّ على تأمير اسامه،فخرج(صلى الله عليه و آله)-رغم كلّ الآلام-و خطب فيهم و حثّهم على الانضواء تحت قياده اسامه،و قد بدا عليه الانفعال و التصلّب،و استمرّ يلحّ على إنفاذ الجيش و الخروج نحو هدفه،و قال(صلى الله عليه و آله):أنفذوا جيش اسامه،لعن الله من تخلف عن جيش اسامه (١).

و نجد هنا غرابه فى الموقف،و هى إلحاح الرسول على ضروره مسير جيش اسامه الى الوجهه التى وّجّها إياه على الرغم من مرضه و علمه بدنوّ أجله،فلو كان لأحد ممّن كان تحت إمرة اسامه أهميه فى حاله وفاه النبيّ(صلى الله عليه و آله)؛لاستثناه.

ص: ١٠٨

و أعجب من ذلك هو تلكؤ القوم و تملصهم عن تنفيذ أمر النبي، فكأن هناك أمرا خفيا يريدون إبرامه (١).

و يبدو أن الرسول استشف من التحركات التي صدرت من الصحابه أنهم يبغون لأهل بيته الغوائل و يتربصون بهم الدوائر، و أنهم مجمعون على صرف الخلافه عنهم، فرأى (صلّى الله عليه و آله) أن يصون أمته عن الانحراف و يحميها من الفتن، فأراد أن يحاول معهم محاوله جديده لتثبيت ولايه عليّ (عليه السلام) و خلافته له (صلّى الله عليه و آله) فقال:

«إئتوني بالكثف و الدواه أكتب إليكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا».

فتنازعوا-و لا ينبغي عند نبيّ أن يتنازع- فقالوا: ما شأنه؟ أهجر؟ استفهموه. فذهبوا يرددون عليه القول: فقال (صلّى الله عليه و آله): دعوني فالذي أنا فيه خير ممّا تدعونى إليه، و أوصاهم بثلاث، قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، و أجزوا الوفد بنحو ما كنت اجيزهم، و سكت عن الثالثه عمدا أو قال: فنسيته (٢).

رأى:

دوّن أكثر المؤرخين هذا الحديث فى كتبهم على هذا النحو، و لم يذكروا من وصاياه إلا- وصيتين و سكتوا عن الثالثه أو تناسوها مجاراه للحاكمين الذين تّمصوا الخلافه بعد الرسول (صلّى الله عليه و آله)، فى حين أنه لم يسبق لأحد من الرواه لأحاديثه (صلّى الله عليه و آله) أن نسي شيئا أو فاته دون أن يدونه حتى يمكن القول بأنهم

ص: ١٠٩

١- (١) و ممّا يؤكّد هذا الظنّ أنّ الصحابه الذين أبوا الخروج فى جيش اسامه كانوا يخشون تكرار الموقف الذى حصل فى غزوه تبوك عندما استخلف النبيّ (صلّى الله عليه و آله) عليا فى المدينه و من ثمّ تصريحه «أنت منى بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدى» ممّا أثار الريب و الحسد فى نفوسهم. بل إنهم أدركوا أنّ الأمر فى هذه المره يحمل أبعادا اخرى تتعدى مسأله الخروج مع جيش اسامه، خاصه بعد أن رأوا الرسول يصرّ على خروجهم و يستثنى عليا، و علامات المرض تشتد عليه، و فى هذه الفتره كان (صلّى الله عليه و آله) يكثر عليهم بأنّى اوشك أن ادعى فاجيب.

٢- (٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ٤/٦٠، و تاريخ الطبرى: ٢/٤٣٦ ط مؤسسه الأعلمى، و الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ٢/٣٢٠، و الإرشاد للمفيد: ١/١٨٤.

أحصوا حتى أنفاسه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فكيف نسي الحاضرون على كثرتهم و ازدحامهم عنده وصيته الثالثه و هو فى حاله الوداع لهم؟ و هم ينتظرون كل كلمه تصدر منه تهدئ من روعهم و تبعث الأمل فى نفوسهم نحو المستقبل؟ و لو لا أن الثالثه تأكيد لنصوصه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) السابقه على خلافه على (عليه السلام)؛ لم ينسها أو لم يتغافل عنها أحد من الرواه اولئك (١)!

على (عليه السلام) مع النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى اللحظات الأخيره:

اشتد المرض على النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فاغمى عليه، فلما أفاق قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «ادعوا لى أخى و صاحبى» و عاوده الضعف فقالت عائشه: لو بعث الى أبى بكر، و قالت حفصه: لو بعثت إلى عمر، فاجتمعوا عنده جميعا فقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «انصرفوا فإن تك لى حاجه أبعث اليكم» (٢).

ثم دعى على (عليه السلام) فلما دنا منه أوما إليه، فأكب عليه، فواجه الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) طويلا، ثم ثقل النبى و حضره الموت، فلما قارب خروج نفسه قال لعلى (عليه السلام):

«ضع رأسى فى حجرك، فقد جاء أمر الله تعالى، فإذا فاضت نفسى فتناولها بيدك، و امسح بها وجهك، ثم وجهنى الى القبلة و تول أمرى وصل على أول الناس، و لا تفارقنى حتى توارينى فى رمسى، و استعن بالله تعالى» (٣).

و هكذا انتقل الرسول الأكرم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الى جوار ربّه راضيا مرضيا بعد أن أدى رسالته بأحسن وجه، و أوضح السبيل للامة من بعده. و على بن أبى طالب (عليه السلام) يلازمه ملازمته الظل لذى الظل و يتابعه متابعه التلميذ لاستاذه فى جميع لحظات حياته الرساليه المباركه.

ص: ١١٠

١- (١) سيره الأئمه الإثنى عشر، للحسنى: ٢٥٥/١.

٢- (٢) تاريخ الطبرى: ٤٣٩/٢ ط مؤسسه الأعلمى.

٣- (٣) الإرشاد للمفيد: ١٨٦/١.

الباب الثالث

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

عصر الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)

الفصل الثاني:

الإمام عليّ (عليه السلام) في عهد أبي بكر

الفصل الثالث:

الإمام عليّ (عليه السلام) في عهد عمر

الفصل الرابع:

الإمام عليّ (عليه السلام) في عهد عثمان

ص: ١١١

عصر الإمام علي (عليه السلام)

حديث الوفاه:

لم يكن حول النبي (صلى الله عليه وآله) في اللحظات الأخيره من حياته سوى علي (عليه السلام) و بنى هاشم، و قد علم الناس بوفاته من الضجيج و عويل النساء، فأسرعوا و تجمّعوا في المسجد و خارجه و هم في حاله من الارتباك و الدهشه لا يحIRON جوابا إلا البكاء و النواح، و هم على هذه الحاله و إذا بموقف غريب يصدر من عمر إذ خرج بعد أن دخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) و السيف في يده يهزه و يقول: إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله قد مات، إنه و الله ما مات و لكنّه قد ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران (١). و لم يهدأ عمر حتى وصل أبو بكر (٢) إلى بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فكشف عن وجه النبي و خرج مسرعا، و قال: أيها الناس، من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، و من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم تلا الآية: **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ... (٣)**.

ثم خرج عمر و أبو بكر و أبو عبيده الجراح من البيت الذي فيه جثمان النبي المبارك و تركوه إلى علي و أهل بيته المفجوعين بوفاته، و قد أذهلهم المصاب عن كل شيء، و قام علي (عليه السلام) و أهل بيته (عليهم السلام) بتجهيز النبي و الصلاة عليه و دفنه،

ص: ١١٣

١- (١) الكامل في التاريخ: ٣٢٣/٢.

٢- (٢) يروى أن أبا بكر كان في «السنح» و هو محل يبعد عن المدينة بميل واحد أو أكثر قليلا.

٣- (٣) آل عمران (٣): ١٤٤.

و فى الوقت نفسه كانت قد عقدت الأنصار اجتماعا لها فى سقيفه بنى ساعده لتدبير أمر الخلافه.

الحزب القرشى و الأنصار فى السقيفه:

ما أن سمع عمر خبر اجتماع الأنصار فى السقيفه؛ حتى أتى منزل رسول الله (صلى الله عليه و آله) و فيه أبو بكر، فأرسل إليه أن اخرج إلى، فأجابه بأنه مشغول، فأرسل إليه عمر ثانية أن اخرج فقد حدث أمر لا بد أن تحضره.

فخرج إليه أبو بكر، فمضيا مسرعين نحو السقيفه و معهما أبو عبيده و من ثم لحقهم آخرون، فأدركوا الأنصار فى ندوتهم و لما يتم بعد الاجتماع و لم ينفص أصحابه، فتغير لون سعد بن عباد و اسقط ما فى أيدي الأنصار و ساد عليهم الوجوم و الدهول، و نفذ الثلاثه فى تجمع الأنصار أتم نفوذ و أتقنه، يتم عن معرفتهم بالنفوس و نوازعها و رغباتها و معرفتهم بنقاط الضعف التى من خلالها تسقط ورقه الأنصار.

أراد عمر أن يتكلم فنهزه أبو بكر لعلمه بشدته و غلظته و الموقف خطير و مليد بالأحقاد و الأضغان، و يجب أن يستعمل فيه البراعه السياسيه و الكلمات الناعمه لكسب الموقف أولا ثم يأتى دور الشده و الغلظه.

و افتتح أبو بكر الحديث بأسلوب لبق فخاطب الأنصار باللطف، و لم يستعمل فى خطابه أى كلمه مثيره فقد قال: نحن المهاجرون أول الناس إسلاما، و أكرمهم أحسابا، و أوسطهم دارا، و أحسنهم جوها، و أمسيهم برسول الله (صلى الله عليه و آله) رحما، و أنتم إخواننا فى الإسلام، و شركاؤنا فى الدين، نصرتم و واسيتم، فجزاكم الله خيرا، فنحن الامراء و أنتم الوزراء، لا نفتات عليكم بمشوره، و لا نقضى دونكم الامور، فقال الحباب بن المنذر بن الجموح: يا معشر الأنصار! املكوا عليكم أمركم، فإن الناس فى ظلكم و لن يجترئ مجترئ على خلافكم، و لا يصدر أحد إلا

عن رأيكم، أنتم أهل العزّة والمنعه، و أولو العدد والكثرة، و ذوو البأس و النجده، و إنّما ينظر الناس ما تصنعون فلا- تختلفوا فتنفسد عليكم اموركم، فإن أبي هؤلاء إلا ما سمعتم فمنا أمير و منهم أمير، فقال عمر: هيهات لا يجتمع سيفان في غمد، و الله لا ترضى العرب أن تؤمركم و نبئها من غيركم، و لا تمتنع العرب أن تولّى أمرها من كانت النبوة منهم، فمن ينازعنا سلطان محمّد و نحن أولياؤه و عشيرته.

فقال الحباب بن المنذر: يا معشر الأنصار! املكوا أيديكم، و لا- تسمعوا مقاله هذا و أصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم؛ فاجلوهم من هذه البلاد، و أنتم أحقّ بهذا الأمر منهم، فإنّه بأسيا فكم دان الناس بهذا الدين، أنا جدي لها المحكك و عديقتها المرّجّب، أنا أبو شبل في عرينه الأسد، و الله إن شئتم لنعيد لها جذعه.

و هنا تأزّم الموقف و كاد أن يقع الشرّ بين الطرفين، فوقف أبو عبيده بن الجراح ليحول دون ذلك و يتدارك الفشل، فقال بصوت هادئ مخاطبا الأنصار: يا معشر الأنصار! أنتم أوّل من نصر و آوى، فلا- تكونوا أوّل من بدّل، و انسلت كلماته هادئة الى النفوس، فساد الصمت لحظات على الجميع، فاغتنمها بشير بن سعد لصالح المهاجرين هذه المرّة، يدفعه لذلك حسده لسعد بن عباد فقال: يا معشر الأنصار! ألا إنّ محمّدا من قريش و قومه أولى به، و أيم الله لا يرانى الله انازعهم هذا الأمر.

فاغتنم المهاجرون الثلاثة هذه الثغرة في جبهه الأنصار، فطفقوا يقدّم بعضهم بعضا، فبدأ أنّهم لم يروا أنّ واحدا منهم يدعمه نصّ شرعيّ أو يختص بميزه ترفع من رصيده مقابل غيره فتؤهله للخلافه.

فقال أبو بكر: هذا عمر و أبو عبيده بايعوا أيّهما شئتم (1)، و قال عمر:

ص: ١١٥

١- ((١)) الإمامه و السياسة: ١٥/١، و تاريخ الطبري: ٢/٤٥٨ ط مؤسسه الأعلمي، و الكامل في التاريخ: ٢/٣٢٥.

يا أبا عبيده ابسط يدك ابايعك، فأنت أمين هذه الامه (١)، فقال أبو بكر: يا عمر! ابسط يدك نبايع لك، فقال عمر: أنت أفضل مني، قال أبو بكر: أنت أقوى مني، قال عمر: قوتي لك مع فضلك ابسط يدك ابايعك (٢) فلما بسط يده ليايعاه سبقهما بشير بن سعد فبايعه، فناداه الحباب بن المنذر: يا بشير! عقتك عقاق أنفست على ابن عمك الإمارة؟

ولما رأته الأوس ما صنع بشير و ما تطلب الخزرج من تأمير سعد؛ قال بعضهم لبعض و فيهم اسيد بن خضير و كان نقيبا: و الله لئن وليتها الخزرج مره؛ لازالت عليكم بذلك الفضيله أبدا، فقوموا فبايعوا أبا بكر، فانكسر على سعد و الخزرج ما أجمعوا عليه، و أقبل أصحاب اسيد يبايعون أبا بكر (٣)، و قالت بعض الأنصار: لا نبايع إلا عليا (٤).

ثم أقبل أبو بكر و الجماعة التي تحيط به يزفونه إلى المسجد زفاف العروس (٥) و النبي (صلى الله عليه و آله) لا زال ملقى على فراش الموت، و عمر يهرول بين يديه و قد نبر حتى أزيد شدقه و جماعته تحوطه و هم متزرون بالأزر الصناعيه، لا يمرّون بأحد إلا خبطوه و قدّموه، فمدّوا يده فمسحوها على يد أبي بكر فبايعه شاء ذلك أو أبي (٦).

لقد كانت حجّه الحزب القرشي في السقيفه ضد الأنصار مبته على أمرين:

١- إن المهاجرين أول الناس إسلاما.

ص: ١١٦

١- ((١)) الطبقات الكبرى: ١٨١/٣.

٢- ((٢)) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٧٠.

٣- ((٣)) الكامل في التاريخ: ٣٣٠/٢.

٤- ((٤)) تاريخ الطبري: ٤٤٣/٢ ط مؤسسه الأعلمى.

٥- ((٥)) شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ٨/٦.

٦- ((٦)) شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ٢١٩/١ ط دار إحياء الكتب العربيه.

٢- إنَّهم أقرب الناس إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمسهم به رحما.

وقد أدان هؤلاء انقاده أنفسهم بهذه الحجَّة، وذلك لأنَّ الخلافة إذا كانت بالسبق إلى الإسلام والقرا به القريبه من رسول الله (صلى الله عليه وآله) - كما يدعون - فهي لعلي (عليه السلام) وحده، لأنَّه أوَّل الناس إسلاما وإيمانا وتصديقا بالرسالة الإسلاميه، وأخوه بمقتضى المؤاخاه التي عقدها النبي بينه وبين علي يوم آخى بين المهاجرين في مكَّه، وبين الأنصار في المدينة، وابن عمه نسبا وأقرب الناس إلى نفسه وقلبه بلا شك في ذلك.

تحليل اجتماع السقيفه:

سارع الأنصار إلى سقيفه بنى ساعده، وعقدوا لهم اجتماعا سرِّيا أحاطوه بكثير من الكتمان والتحفُّظ، وأحضروا معهم شيخ الخزرج سعد بن عباده الذي كان مريضا، فقال لبعض بنيه: إنَّه لا يستطيع أن يسمع المجتمعون صوته لمرضه، وأمره أن يتلقَّى منه قوله ويردِّده على مسامع الناس، فكان سعد يتكلَّم ويستمع إليه ابنه، ويرفع صوته بعد ذلك، قال سعد مخاطبا الحاضرين:

إنَّ لكم سابقه إلى الدين وفضيله في الإسلام ليست لقبيله من العرب، إنَّ رسول الله لبث في قومه بضع عشره سنه يدعوهم إلى عباده الرحمن وخلق الأوثان، فما آمن من قومه إلا قليل، حتى أراد بكم خير الفضيله، وساق إليكم الكرامه، وخصَّيكم بدينه، فكنتم أشد الناس على من تخلف عنه، وأثقلهم على عدوّه من غيركم، ثم توفَّاه الله وهو عنكم راض. فشدُّوا أيديكم بهذا الأمر فإنكم أحق الناس وأولاهم

لكنَّ المتشبع للأحداث يلمح أن اجتماع الأنصار لم يكن في بدايه أمره للاستئثار بتراث النبي (صلى الله عليه وآله) واغتصاب الخلافه من أهلها الشرعيتين، وذلك من خلال ملاحظه ما يلي:

١- عدم حضور خيار الأنصار و هم البدريون في الاجتماع، مثل: أبي أيوب الأنصاري، حذيفه بن اليمان، البراء بن عازب، عباده بن الصامت.

٢- إنَّ الأنصار كانوا يعلمون جيِّداً النصوص النبويَّة و يحفظونها، و منها: أنَّ الأئمة من قريش، و عرفوا جيِّداً الأحكام الواردة في شأن العترة الطاهرة و شهدوا تنصيب عليٍّ (عليه السَّلام) في غدِير خم، و أوصاهم النبيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله) بعليٍّ و أهل بيته (عليهم السَّلام)، و حين أدركوا أنَّه ليس له دور رئيس في الحكم أخذوا يقولون: لا نبايع إلاَّ علياً (١).

٣- ثمَّ إنَّ النبيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله) لا زال مسجى و لم يدفن بعد، فهل يعقل أن لا يشارك خيارهم في شرف حضور مراسم الدفن و ينشغلوا في اجتماع انتخاب الخليفة؟

٤- من الممكن تفسير اجتماعهم هذا بأنَّه لتقرير مصيرهم من الحكم الجديد بعد علمهم بما تخطَّط له قريش من تطبيق قرارهم «لا تجتمع النبوه و الخلافه في بني هاشم»، و هم ليست لهم دوافع كالتى كانت في نفوس زعماء قريش، ثمَّ إنَّ تخوُّفهم هذا له سوابق فبعد فتح مكَّه؛ خشيت الأنصار أن لا يعود معهم النبيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله) و كان طبيعياً أن يتخوُّفوا من العزله السياسيه و الإداريه.

و إذا قررت قريش صرف الخلافه عن صاحبها الشرعى و هو عليٍّ (عليه السَّلام)؛ فما دور الأنصار و هم الثقل الأكبر في جمهور المسلمين، و لهم الدور الفاعل و الرئيس في نشر الرساله الإسلاميه؟!

إنَّ اجتماع الأنصار في السقيفه لم يكن حاسماً في قراراته، فقد عقد لدراسه الاحتمالات المتوقَّعه للخلافه بعد الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله)، و أيضاً لم يكن جميع الأنصار على رأى واحد، فقد كانت تختفى في افق الاجتماع نوايا متنافره و تنطوى النفوس على رغبات متضاده، فنجد بعضهم يجيب سعدا قائلاً: وَّفقت في الرأى و أصبت في القول، و لن نعدو ما رأيت، نوِّيك هذا الأمر.

ص: ١١٨

١- (١) تاريخ الطبرى: ٢/٤٤٣ ط مؤسسه الأعلمی.

ثم تراذوا في الكلام فقالوا: فإن أبي المهاجرين و قالوا نحن أولياؤه و عشيرته.

و هنا انبرى آخرون فقالوا: نقول: منّا أمير و منكم أمير، فعلق سعد على هذا الاقتراح قائلاً: فهذا أول الوهن (١).

إنّ الأنصار بموقفهم هذا قد هيأوا فرصه سياسيه ثمينه ما كانت لتفوت الجناح المترقب للفوز بالسلطه، و فتحوا باب الصراع على مصراعيه بعيدا عن القيم و الأحكام الإسلاميه؛ إذ قدّمت فيه الحسابات القبليه على الحسابات الشرعيه، و تقدّمت فيه مصلحه القبيله على مصلحه الرّساله الإسلاميه.

و قد اعتذر عمر من مباغته الأنصار في السقيفه فقال: و إنّنا و الله ما وجدنا أمرا هو أقوى من مبايعه أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم و لم تكن بيعه أن يحدثوا بعدنا بيعه، فإمّا أن نتابعهم على ما لا نرضى أو نخالفهم فيكون الفساد... (٢).

و هكذا أخذ الموقف السياسي يزداد تعقيدا و إعضالا.

نظرة قريش للخلافه:

حين انطلقت الرساله الإسلاميه في مكّه و بين ظهراي قريش؛ لم تتمكّن قريش من تحمّل ظهور نبيّ في بطن من خيار بطونها، بل أفضلها و هي بنو هاشم، فاجتمعت كلمه قريش على محاربه النبيّ (صلّى الله عليه و آله) و بنى هاشم بكلّ و سائل الحرب و مقاومتهم بشتى فنون المقاومه و خطّطت للتآمر لا حبا بالأصنام و ما هم عليه من العباده و لا كراهيه للدعوه الجديده، فليس في الإسلام ما لا ترتضيه الفطره السليمه (٣)، لكن قريشا لا تريد أن تغتير صيغتها السياسيه القائمه على اقتسام

ص: ١١٩

١- ((١)) تاريخ الطبري: ٢/٤٤٤ ط مؤسسه الأعلمي حوادث سنه ١١ هـ.

٢- ((٢)) صحيح البخاري: كتاب المحاربين ٦ ح ٦٤٤٢، و سيره ابن هشام: ٣٠٨/٤، و تاريخ الطبري: ٢/٤٤٧ ط مؤسسه الأعلمي.

٣- ((٣)) يروي أنّ كثيرا من زعماء قريش كانوا يجاهرون بالعداء للدين و لكنهم يذهبون خلسه لاستماع القرآن.

مناصب الشرف و السيادة، و خصوصا أنّ مجتمع الجزيره كانت تحكّمه النزعه القبليه.

من هنا لم تكن قريش تريد أن يتميّز البطن الهاشمي عن بقيه بطونها و لا- أن يتفوّق عليها، و قد تصوّرت أنّ التفات الهاشميين حول النبوه و دفاعهم المستميت عن النبيّ (صلّى الله عليه و آله) هو إصرار هاشمي على التميّز و الرغبه بالتفوّق على الجميع، فحاصرت قريش الهاشميين في شعب أبي طالب، و تأمرت على قتل النبيّ، و فشل الحصار و فشلت كلّ محاولات الاغتيال لشخص النبيّ (صلّى الله عليه و آله)، و علا طوفان الرساله الإسلاميه على كلّ القوى المناوئه، و أسلمت قريش طوعا أو كرها، فلم تعد لقريش قدره على الوقوف في وجه النبوه.

و لكنّ إعداد النبيّ (صلّى الله عليه و آله) العده لتكون الخلافه من بعده لعلّي و لذريّته (عليهم السّلام) بأمر من الله تعالى و باعتبارهم. أجدر و أعلم باصول الشريعه و أحكامها، و أنّهم الأفضل من كلّ أتباعه، و الأنسب لقياده الامه، قد أثار هذا المنطق في نفوس قريش النزعه القبليه و الحقد الجاهلي فعزمت أن لا تجمع النبوه و الخلافه في بني هاشم، فالنبوه و الخلافه في عرف قريش سلطان و حكم كما صرّح بذلك أبو سفيان يوم فتح مكّه بقوله للعباس: لقد أصبح ملك ابن أحيك عظيما (1).

هذه الفكره و العقليه سادت في الأجواء السياسيه المحمومه في آخر أيام النبيّ (صلّى الله عليه و آله)، و قريش مدركه أنّ النبيّ ميّت لا محاله في مرضه هذا، و قد أخبرهم (صلّى الله عليه و آله) بذلك، و أيضا لو تركت الامور على مجراها الطبيعي فبالخلافه ستؤول الى عليّ (عليه السّلام) حتما. من هنا كان تحرّك الحزب المناوئ لبني هاشم بصوره عامّه و لعلّي (عليه السّلام) خاصّه، فكانت السقيفه.

و نجد فكره عدم اجتماع النبوه و الخلافه في بني هاشم من خلال المحاوره

ص: ١٢٠

بين عمر و ابن عباس فى زمن خلافه عمر، حين قال له عمر: يا ابن عباس! أتدرى ما منع قومكم منكم بعد محمّد (صلى الله عليه و آله)؟ قال ابن عباس: فكرهت أن اجيبه فقلت:

إن لم أكن أدرى فإنّ أمير المؤمنين يدرى، فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوه و الخلافه فتجحفوا على قومكم، فاخترت قريش لأنفسها فأصابت و وفقت (١).

و ثمّه أمر آخر يتعلّق بموضوع تحويل الخلافه عن على (عليه السّلام) و هو أنّ عليّاً (عليه السّلام) قد وتر قريشا فى حروبها ضد الإسلام و إنّ كلّ دم أراقه رسول الله (صلى الله عليه و آله) بسيف على (عليه السّلام) و سيف غيره فإنّ العرب بعد وفاته (صلى الله عليه و آله) عصبت تلك الدماء بعلىّ وحده، لأنّه لم يكن فى رهط النبىّ من يستحقّ فى شرع قريش و عاداتهم أن يعصب به تلك الدماء إلاّ علىّ وحده (٢).

ملاحح التخطيط لإقضاء الإمام على (عليه السّلام) عن الخلافه:

نلاحظ أنّ هناك تخطيطاً محكماً لدى الخطّ المناوئ لعلىّ (عليه السّلام) لأخذ الخلافه منه من خلال ما يلي:

١- بقاؤهم فى المدينه و محاولتهم عدم الخروج منها مهما يكن من أمر، و ذلك عندما عرفوا أنّ النبىّ (صلى الله عليه و آله) قد تدهورت صحّته، كما لاحظوا بأنّ النبىّ (صلى الله عليه و آله) فى تلك الأيام كان يكثر من التوصيه بعلىّ (عليه السّلام) و ضروره أتباعه لسلامه الدين و الدوله.

٢- حضورهم الدائم قرب الرسول و محاولتهم الحيلولة دون حصول شىء يدعم ولايه علىّ (عليه السّلام)، فكان الشغب فى مجلس النبىّ (صلى الله عليه و آله) تحت الشعار الذى

ص: ١٢١

١- (١) مروج الذهب: ٢/٢٥٣، و شرح النهج لابن أبى الحديد: ١/١٨٩ ط دار احياء التراث العربى، الكامل فى التاريخ: ٣/٦٣ و ٦٤.

٢- (٢) نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ٣/٢٨٣.

رفعه عمر: «حسبنا كتاب الله» ثم اتهم النبي المعصوم (صلى الله عليه وآله) بغلبه الوجع ممّا أزعج النبي، حيث إنّ قول النبي (صلى الله عليه وآله) و آله): «إئتوني: بدواه و كتف» من غير المعقول أن يثير النفور و الشكّ في نفوس الجميع دون سابق مضمر في نفوس البعض، فلم يكن داع لاعتراضهم إلاّ إثارة الشغب و منع النبي (صلى الله عليه وآله) عن الكتابه.

٣-السرعه في البتّ بموضوع الخلافه و إتمام البيعه عبر استغلالهم الفرصه بانشغال الإمام عليّ (عليه السّلام) و بنى هاشم بمراسم تجهيز النبي و دفعه، فحين علم عمر نبأ الاجتماع في السقيفه؛ أرسل الى أبي بكر حين دخل الى بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن اخرج فقد حدث أمر لابدّ أن تحضره، و لم يوضّح ذلك خشيه أن يطّلع عليه عليّ أو أحد من بنى هاشم، و إلاّ لماذا؟ فهل كان هذا الأمر المهمّ يعنى أبا بكر دون بقيه المسلمين و فيهم من هو أحرص على الإسلام من أبي بكر و عمر؟ و لماذا لم يدخل عمر بنفسه الى داخل دار النبي (صلى الله عليه وآله) حيث يجتمع الناس فيتحدّث اليهم؟

٤-سعيهم لضمان حياد الأنصار و إبعادهم عن ميدان التنافس السياسى بدعوى أنّهم ليسوا عشيره النبي (صلى الله عليه وآله).

٥-الترتيب في أخذ البيعه أوّلا من الأنصار، لأنّ قريشا لو بايعت الخليفه الجديد؛ لما كان لبيعتها أدنى قيمه واقعيه، و لأمكن الإمام فيما بعد أن يقيم الحجّه على قريش، و لا يمكن لأى فرد أن يقف في موقع النّد لعليّ (عليه السّلام) إذا كانت الأنصار في كفه الإمام.

و يمكن ملاحظه ذلك من طريقه أخذ البيعه بعد الخروج من السقيفه، إذ كان الناس مجتمعين في المسجد فقال عمر: ما لى أراكم مجتمعين حلقا شتى؟! قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايعته الأنصار، فقام عثمان و من معه من بنى اميّه فبايعوا، و قام سعد و عبد الرحمن و معهما بنو زهره فبايعوا.

٦-دخول عناصر من خارج المدينه معده سلفا لتأييد الطرف المناوئ لبني

هاشم، بدليل قول عمر: ما هو إلا أن رأيت «أسلم» فأيقنت بالنصر (١).

٧-محاولتهم التعتيم على الإجراءات التي تمت مخاتله، و اتهامهم لكل من يعارضهم بأنه يريد الفتنة و شق عصا المسلمين، و قد اتضح ذلك من خلال الحوادث التي تابعت فيما بعد، و القضاء على من ثبت على عدم البيعه و خالف قرار السقيفة (٢).

٨- من الأدلة على التخطيط السابق: أن عثمان بن عفان كتب اسم عمر في الوصية كخليفة من بعد أبي بكر (٣) من دون أن يأمره بذلك، فقد كان مغمى عليه، فمن أين علم عثمان أن عمر هو الخليفة بعد أبي بكر؟

٩- ثم إن عمر وضع عثمان ضمن مجموعه أحدها يكون خليفة المسلمين بحيث يضمن ترشيحه مؤكداً، و أى خبير بالتأريخ ملّم بمجريات الامور و تركيبه المرشحين الستة يستطيع أن يحلل ذلك كما حلل الإمام علي (عليه السلام) الموقف بوضوح (٤).

١٠- حين تشكلت الحكومة التي تمخضت عن اجتماع السقيفة؛ تولى أبو بكر الخلافة، و أبو عبيده المال، و عمر القضاء (٥)، و هذه هي أهم المناصب و أكثرها حساسية في مناهج الحكم و الدوله، هذه التركيبة لجهاز الدوله و العناصر الحاكمة لا تتأتى صدفة و لا يتم ذلك إلا عن تخطيط سابق.

ص: ١٢٣

١- (١) تأريخ الطبرى: ٢/٤٥٩ ط مؤسسه الأعلمى.

٢- (٢) راجع طبقات ابن سعد: ٣/١٤٥، و أنساب الأشراف: ١/٥٨٩، و العقد الفريد: ٤/٢٤٧، السقيفة و الخلافة لعبد الفتاح عبد المقصود: ١٣، و السقيفة انقلاب أبيض: اغتيال خالد بن سعيد بن العاص، و ابن عساكر: ترجمه سعد بن عباد و كثر العمال: ٣/١٣٤.

٣- (٣) تأريخ الطبرى: ٢/٦١٨ ط مؤسسه الأعلمى، و سيره عمر لابن الجوزى: ٣٧، و الكامل فى التأريخ: ٢/٤٢٥.

٤- (٤) أنساب الاشراف: ١٩/٥.

٥- (٥) الكامل فى التأريخ: ٢/٤٢٠.

١١- قول عمر حين حضرته الوفاه: لو كان أبو عبيده حياً استخلفته (١).

و ليست كفاءه أبي عبيده هي التي أوحى إلى عمر بهذا التمني، لأنه كان يعتقد أهليه عليّ (عليه السلام) للخلافه، ومع ذلك لم يشأ أن يتحمّل أمر الامّه حياً كان أو ميتاً.

١٢- اتّهام معاويه لأبي بكر و عمر بالتخطيط لاستلاب الخلافه من عليّ (عليه السلام)، كما جاء ذلك في كتابه الى محمّد بن أبي بكر إذ قال: فقد كُنّا و أبوك نعرف فضل ابن أبي طالب و حقّه لازماً لنا مبروراً علينا، فلما اختار الله لنبيه (صلى الله عليه و آله) ما عنده و أتّم وعده و أظهر دعوته و أفلج حجّته و قبضه إليه؛ كان أبوك و الفاروق أوّل من ابتزّه حقّه و خالفه على أمره، على ذلك اتّفقا و اتّسقا، ثمّ إنهما دعوا الى بيعتهما فأبطأ عنهما و تلكاً عليهما فهما به الهموم و أرادا به العظيم (٢).

١٣- قول أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) لعمر: احلب يا عمر حلباً لك شطره، اشدد له اليوم أمره ليرد عليك غدا (٣).

١٤- اتّهام الزهراء (عليها السلام) للحاكمين بالحزبيّه السياسيّه و التآمر للانقضاء على السلطه و تجريد بني هاشم منها (٤) بقولها:

«فوسمتم غير إبلکم، و أوردتم غير شربکم... ابتداراً زعمتم خوف الفتنة؟ ألا في الفتنه سَقَطُوا و إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ».

سليبات حادّه السقيفه:

١- الاستبداد بالرأى و القرار، فقد استهان المشاركون في السقيفه بوصايا رسول الله (صلى الله عليه و آله) للمسلمين بالاهتمام بعترته الطاهره، و استخفّوا بأوامره المصّرّحه

ص: ١٢٤

١- ((١)) شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ١/١٩٠ ط دار إحياء التراث العربى، و تأريخ الطبرى: ٣/٢٩٢ قصه الشورى، و الكامل فى التأريخ: ٣/٦٥.

٢- ((٢)) مروج الذهب للمسعودى: ٣/١٩٩، و وقع صقّين لنصر بن مزاحم: ١١٩.

٣- ((٣)) الإمامه و السياسيّه: ٢٩، شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ١/١٠٦.

٤- ((٤)) راجع خطبه الزهراء فى مسجد النبى (صلى الله عليه و آله)، و بحار الأنوار: ٢٩/٢٢٠.

بلزوم الاقتداء بهم و التمسّك بحبلهم، و لو فرض جدلاً-أنه لا- نصّ بالخلافه من رسول الله(صلى الله عليه و آله)على أحد من آل محمد و فرض كونهم غير متميزين فى حسب أو نسب أو أخلاق أو جهاد أو علم أو عمل أو إيمان أو إخلاص، بل كانوا كسائر الصحابه، فهل كان ثمه مانع شرعى أو عقلى أو عرفى يمنع تأجيل عقد البيعه إلى حين الانتهاء من تجهيز رسول الله(صلى الله عليه و آله) (١)؟!

إن هذا الاستعجال من المبادرين لسدّ الفراغ الذى خلّفته وفاه الرسول(صلى الله عليه و آله)إن دلّ على شىء فإنما يدلّ على وجود نصوص أو أرضيه تشريعيه كان ينبغى تفويتها و المبادره لأخذ زمام الأمر، لئلا تأخذ النصوص فاعليتها إن جرت الامور بشكل طبيعى، و لهذا قال عمر عن بيعه أبى بكر:إنها كانت فلتة و قى الله المسلمين شرّها ألا و من عاد لمثلها فاقتلوه (٢).

٢-البيعه لم تكن جامعه لأهل الحلّ و العقد الذى يعتبر شرطاً أساسياً فى حصول الإجماع و فى مشروعيه الانتخاب، إذ الغى فى السقيفه استشاره الطبقة الرفيعه من الصحابه مثل عليّ(عليه السلام)و العباس و عمار بن ياسر و سلمان و خزيمه بن ثابت و أبى ذر و أبى أيوب الأنصارى و الزبير بن العوام و طلحه و ابى بن كعب، و غيرهم كثير.

٣-استعمال العنف و القسوه فى طريقه أخذ البيعه من المسلمين، فإنّ كثيرا من المسلمين قد ارغموا عليها، و قد لعبت درّه عمر فى سبيل تحقيقها و إيجادها دورا كبيرا.

٤-لقنت السقيفه مفاهيم منحرفه للامه، منها:

أ-الاستعلاء على الامه و الاستخفاف بشأنها تحت شعار«من ذا ينازعنا

ص:١٢٥

١- ((١)) النص و الاجتهاد للسيد شرف الدين: ٢٥ ط اسوه.

٢- ((٢)) تذكره الخواص: ٦١، و راجع صحيح البخارى: كتاب الحدود، باب رجم الحبلى.

ب- تحويل مفهوم النبوة الزبانية و خلافة الرسول (صلى الله عليه و آله) الى مفهوم السلطه العشائريه التى تستمد قوتها و شرعيتها من انتخاب أبناء العشيره و ليس من نصوص الشريعة المقدسه.

ج- فسح المجال أمام المسلمين لطرح التعدديه فى السلطه و منافسه من فرض الله طاعته بالنص، و تشجيع التمرد على الحاكم المعصوم المنصوب بأمر من الله تعالى، كما قالوا: مَنَّا أمير و منكم أمير.

د- هيئة اجتماع السقيفه الأرضيه المناسبه لتجاوز وجود الامه و تجاوز رأيها السياسى كما حصل ذلك مره اخرى عند تعيين عمر، و ثالثه عند وفاه عمر متمثلا فى الشورى التى فرضها عمر على المسلمين.

موقف الإمام (عليه السلام) من اجتماع السقيفه:

لم يكن الإمام عليّ (عليه السلام) طامعا و ساعيا فى استلام الخلافة و التربع على عرشها مثل الآخرين، إذ كان همّه الأول و الأخير تثبيت دعائم الإسلام و نشره، و إعزاز الدين و أهله، و إظهار عظمه الرسول و بيان سيرته، و حثّ الناس على الاقتداء بمنهجه (صلى الله عليه و آله)، فانشغل بمراسم تجهيز النبى و الصلاة عليه و دفنه، و ما كان يدور فى خلدّه أنّ الخلافة تعدوه و هو المؤهل لها رساليا و المرشح لها نبويا، و لكنّ نفوس القوم أضمرت ما ينافى وصايا نبّيهم فى غزوتى احد و حنين، و أغراهم الطمع فى سلطان بغير حقّ، فتركوا نبّيهم مطروحا بلا دفن كما تركوه و فرّوا عنه فى حياته عند الشدائد و الهزائن.

لقد وصل خبر اجتماع السقيفه إلى بيت النبى (صلى الله عليه و آله) حيث يجتمع عليّ (عليه السلام) و بنو هاشم و المخلصون من الصحابه حول جسد رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فقال العباس عمّ الرسول لعليّ: يا ابن أخى، امدد يدك اباعك، فيقال: عمّ رسول الله بايع

ابن عمّ رسول الله، فلا يختلف عليك اثنان.

فقال (عليه السلام): يا عمّ، وهل يطمع فيها طامع غيري؟

قال العباس: ستعلم.

غير أنّ الإمام (عليه السلام) لم يكن ليخفى عليه ما كان يجري في الساحة من مؤامرات آنذاك فأجابه بصريح القول: «إنّني لا أحبّ هذا الأمر من وراء رتاج» (١).

موقف أبي سفيان:

روى: أنّ أبا سفيان جاء الى باب دار رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلّى (عليه السلام) وعباس موجودان فيه، فقال: ما بال هذا الأمر في أقلّ حيّ من قريش؟! والله لئن شئت لأملأنها عليهم خيلا ورجالا، فقال علّى (عليه السلام): ارجع يا أبا سفيان طالما عاديت الإسلام و أهله فلم تضرّه بذاك شيئا.

و روى أيضا: أنّه لما اجتمع الناس على بيعه أبي بكر؛ أقبل أبو سفيان و هو يقول: والله إنّي لأرى عجاجة لا يطفئها إلّا دم، يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من اموركم! أين المستضعفان علّى و العباس، و قال: أبا حسن، ابسط يدك ابايعك، فأبى علّى (عليه السلام) عليه و زجره و قال: إنك و الله ما أردت بهذا إلّا الفتنة، و إنك طالما بغيت الإسلام شرّاً، لا حاجة لنا في نصيحتك (٢). و لما بويع أبو بكر قال أبو سفيان: ما لنا و لأبى فضيل، إنما هي بنو عبد مناف!

ف قيل له: إنّه قد ولى ابنك، قال: وصلته رحم (٣).

لم تكن معارضة أبي سفيان للسقيفة عن إيمانه بحقّ الإمام علّى (عليه السلام) و بنى هاشم، و إنّما كانت حركة سياسيه ظاهريه أراد بها الكيد بالإسلام و البغى عليه، فإنّ

ص: ١٢٧

١- ((١)) الإمامه و السياسه: ٢١. و الرتاج: الباب المغلق.

٢- ((٢)) تاريخ الطبرى: ٤٤٩/٢، و الكامل فى التاريخ: ٣٢٦/٢ ط دار الفكر.

٣- ((٣)) تاريخ الطبرى: ٤٤٩/٢ ط دار الأعلمى، و الكامل فى التاريخ: ٣٢٦/٢.

علاقه أبي بكر مع أبي سفيان كانت وثيقه للغاية (١).

أقطاب المعارضة للسقيفه:

كان من الطبيعي أن تبرز أطراف معارضة لتناج السقيفه التي لم تتمتع بالأهليه الكافيه و الأحقيه في الزعامه، فبرزت ثلاثه أطراف:

الأول: الأنصار باعتبارهم كتله سياسيه و اجتماعيه كبيره لابد من حسابها في ميزان الترشيح و الانتخاب، فنازعوا الخليفه الفائز و صاحبيه في سقيفه بنى ساعده، و وقعت بينهم المنازعه التي انتهت بفوز قريش.

و قد انتفع أبو بكر و حزبه في مواجهه الأنصار من:

١- ترك فكره الوراثة الدينيه في الذهنيه العربيه في قوله بأنهم شجره النبي (صلى الله عليه و آله) و أقربهم إليه، فهم أولى به من سائر المسلمين، و أحق بخلافته و سلطانه.

٢- انشقاق الأنصار على أنفسهم بين مؤيد و معارض لأبي بكر، نتيجة تجذر النزعه القبليه من نفوسهم، أو لحسد بعضهم لبعض، أو الرغبه في نيل الحظوه و القربه لدى السلطه الحاكمه الجديده، حتى برزت هذه الظاهره واضحه في قول اسيد بن حضير في السقيفه:

لئن وليتموها سعدا عليكم مره واحده لا زالت لهم بذلك عليكم الفضيله و لا جعلوا لكم نصيبا فيها أبدا فقوموا فبايعوا أبا بكر (٢).

ص: ١٢٨

١- (١) فقد روى أن أبا سفيان اجتاز على جماعه من المسلمين منهم أبو بكر و سلمان و صهيب و بلال، فقال بعضهم: أما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها؟ فزجرهم أبو بكر و قال لهم: أتقولون هذا لشيخ قريش و سيدهم؟.. و مضى مسرعا إلى النبي (صلى الله عليه و آله) يخبره بمقاله القوم فردّ عليه الرسول (صلى الله عليه و آله) قائلا: يا أبا بكر لعلك أغضبتهم؟ لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت الله. صحيح البخارى: ٣٦٢/٢.

٢- (٢) الكامل في التاريخ: ٣٣١/٢.

لقد أعطى اجتماع السقيفه لأبى بكر القوه من ناحيتين:

١- إضعاف دور القاعده الشعبيه للإمام على (عليه السلام) فإنّ الأنصار سجّلوا على أنفسهم بذلك مذهبا لا يسمح لهم بأن يقفوا بعد السقيفه إلى صفّ الإمام و يخدموا قضيته و أحقيته فى الخلافه.

٢- بروز أبى بكر كمدافع وحيد عن حقوق المهاجرين بصوره عامه و عن قريش خاصه فى مجتمع الأنصار، حيث إنّ الظرف كان مناسبا جدّا، إذ خلا من أقطاب المهاجرين الذين لم يكن لتنتهى المسأله فى محضرهم إلى نتيجهتها التى انتهت إليها.

الثانى: الامويون الذين كان لديهم مطمع سياسى كبير فى نيل نصيب مرموق من الحكم، و استرجاع شىء من مجدهم السياسى فى الجاهليه و على رأسهم أبو سفيان، و قد تعامل معهم أبو بكر و حزبه وفق معرفتهم بطبيعه النفس الامويه و شهواتها السياسيه و الماديه، فكان من السهل على أبى بكر أن يتنازل عن بعض المبادئ و الحقوق الشرعيه، فدفع لأبى سفيان جميع ما فى يده من أموال المسلمين و زكواتهم التى جمعها من سفره الذى بعثه فيه رسول الله (صلّى الله عليه و آله) لجبايه الأموال، و لم يعبأ الفائزون بالسقيفه بمعارضه الامويين و تهديد أبى سفيان و ما أعلنه من كلمات الثوره و الرغبه فى تأييد الإمام (عليه السلام) و بنى هاشم.

بل استفاد أبو بكر و حزبه من الامويين فى إضعاف دور بنى هاشم حاضرا و مستقبلا بأن جعلوا للامويين حظّا فى العمل الحكومى فى عدّه من المرافق الهامه فى الدوله.

الثالث: الهاشميون و أخصّياؤهم كعمار و سلمان و أبى ذر و المقداد رضوان الله عليهم، و جماعات كثيره من الناس الذين كانوا يرون البيت الهاشمى هو صاحب الحقّ الشرعى بالخلافه، و هو الوارث الطبيعى لرسول الله (صلّى الله عليه و آله) بحكم

نصّ الغدير و مناهج السياسة التي كانوا يآلفونها.

و لم تكن لتتطلى عليهم الحجج الواهيه التي طرحتها أطراف السقيفه، فرأت فيهم تيارات تسعى للإستئثار بالحكم لإرضاء شهواتهم و نذيرا بانحراف التجربه الإسلاميه من مسارها الصحيح.

نتائج السقيفه:

نجح أبو بكر و حزبه في مواجهه الأنصار و الامويين، و كسب الموقف بأن أصبح خليفه للمسلمين، و لكنّ هذا النجاح جرّه إلى تناقض سياسى واضح، لأنّه لم يملك في السقيفه من رصيد إلا أن يجعلوا حجّتهم مبيته على أساس القرابه من رسول الله (صلّى الله عليه و آله)، و من ثمّ يقرّوا مذهب الوراثه للزعامة الدينيه.

غير أنّ وجود بنى هاشم كطرف معارض بدّل الوضع السياسى، و احتجّت المعارضه على أبى بكر و حزبه بنفس حجّتهم على باقى الأطراف، و هى إذا كانت قريش أولى برسول الله من سائر العرب فبنو هاشم أحقّ بالأمر من بقيه قريش.

و هذا ما أعلنه الإمام على (عليه السّلام) حين قال: إذا احتجّ المهاجرون بالقرب من رسول الله (صلّى الله عليه و آله) كانت الحجّج لنا على المهاجرين بذلك قائمه، فإنّ فلجت حجّتهم كانت لنا دونهم، و إلاّ فالأنصار على دعوتهم.

و أوضحه العباس فى حديث له مع أبى بكر إذ قال له: و أمّا قولك نحن شجره رسول الله (صلّى الله عليه و آله) فإنّكم جيرانها و نحن أغصانها (١).

فالإمام على (عليه السّلام) كان مصدر رعب و رهب فى نفوس الفائزين فى لعبه السقيفه و سدّا منيعا ازاء رغباتهم و طموحاتهم، و كان بإمكانه أن يستغلّ النفعيين - و ما أكثرهم! - الذين يميلون مع كلّ ريج و ينعقون مع كلّ ناعق و الذين يعرضون

ص: ١٣٠

أصواتهم و مواقفهم رخيصة في الأسواق السياسيّة، وأن يشبع نهمهم ممّا خلفه الرسول (صلى الله عليه و آله) من الخمس و غلات أراضي المدينة و نتاج «فدك» التي كانت تدرّ بالخيرات، إلاّ أنّه (عليه السّلام) أبى عن كلّ ذلك لكمال شخصيّته و سموّ منزلته، هذا من جانب، و من جانب آخر كان بوسعه (عليه السّلام) أن يتحرّك محتجاً أمام أرباب السقيفة بمبدأ القرابة الذي يعدّ ورقه رابحه بيده حتى ألمح لذلك بقوله (عليه السّلام): «احتجوا بالشجره و أضاعوا الثمره». و كان السواد الأعظم من الناس يقدّسون أهل البيت و يحترمونهم لذلك السبب، و بالتالي سيدفع السلطه الحاكمه الى أزمه سياسيّه حرجه لا مخرج منها، بيد أنّه (عليه السّلام) كان أسمى من ذلك و أجلّ، حيث قدّم (عليه السّلام) المصلحه الإسلاميه العليا على كلّ المصالح الخاصه.

و لتلافى احتمال تحرّك الإمام على هذا المسار تردّدت السلطه بين موقفين:

أولاً: أن لا تقرّ للقرابه بشأن في الخلافه، و هذا معناه نزع الثوب الشرعي عن خلفه أبى بكر الذي تقمّصه يوم السقيفه.

ثانياً: أن تناقض السلطه الحاكمه نفسها و إصرارها على مبادئها التي أعلنتها في السقيفه مقابل بقيه الأطراف، فلا ترى أى حق للهاشميين في السلطه و هم أقرب الناس إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله)، أو تراه لهم، و لكن في غير ذلك الطرف الذي يكون معنى المعارضه مقابله حكم قائم و وضع قد تعاقد عليه الناس.

و كان الخيار الثاني هو خيار السلطه (1).

ص: ١٣١

١- (١) راجع تفصيل ذلك في «فدك في التاريخ» للشهيد الصدر: ٨٤-٩٦، و تاريخ الطبري: ٢/٤٤٩ و ٤٥٠ (أحداث السقيفه).

إشارة

الإمام عليّ (عليه السلام) في عهد أبي بكر

خطوات السلطة لمواجهة المعارضه:

ما كانت الفئه المسيطره لتتنازل عن السلطة بعد أن سعت و حطّطت للاستيلاء عليها، فثبتت على آرائها التي روجتها في السقيفه و دعمتها بشتّى الوسائل و السبل بغض النظر عن شرعيّتها أو صحتّها في المحافظه على سلامه الدعوه الإسلاميه، لذا فإننا نلاحظ بعض الظواهر و الخطوات السياسيه التي اتبعتها هذه الفئه من أجل إبعاد آل محمد (صلّى الله عليه و آله) عن الحكم نهائيا و القضاء على الفكره التي أمّدت الهاشميين بالقوه، بل القضاء على كلّ معارضه محتمله مستقبلا، و هي:

١- إنّ السلطة الجديده أخذت على المعارضين أنّ مخالفتهم الخليفه الجديد ليس إلاّ إحداثا للفتنه المحرّمه في شريعته الإسلام، و كان يدعم إدانتهم للمعارضه هذه أنّ ظروف الدوله الإسلاميه كانت غير مستقرّه بعد، و كان الأعداء من خارج البلاد يهدّدون الدوله الإسلاميه إضافه إلى أحداث الردّه التي حصلت بعد وفاه الرسول (صلّى الله عليه و آله) داخل حدود الدوله الإسلاميه الفتيه.

٢- اسلوب الشدّه و العنف الذي اتّبعه الخليفه و حزبه مع الإمام عليّ (عليه السلام) و من معه بنفس الطريقه التي اتّبعوها مع سعد بن عباده في السقيفه، فقد بلغت الشدّه منهم أنّ عمر هدد بحرق بيت الإمام عليّ (عليه السلام) و إن كانت فاطمه (عليها السلام)

فيه (١)، ومعنى هذا أن فاطمه و غيرها من آل محمد (صلى الله عليه و آله) ليس لهم حرمة تمنعهم عن أن يتخذ الجهاز الحاكم الطريقه نفسها معهم.

٣- إن أبا بكر و من معه لم يشرك شخصا من الهاشميين فى شأن من شؤون الحكم المهمه خشيه أن يصل الهاشميون الى الخلافه (٢) و لا جعل منهم واليا على شبر من الدوله الإسلاميه الواسعه.

٤- إعداد و تهيئه كتله سياسيه ضخمه تنافس آل محمد (صلى الله عليه و آله) و تعاديهم، لنيل الخلافه و المركز الأعلى فى الحكم، فإننا نلاحظ أن الامويين ذوى الألوان و الطموحات السياسيه الواضحه قد احتلوا الصداره فى المناصب الإداريه أيام أبى بكر و عمر، و إضافه إلى ذلك أن مبدأ الشورى الذى ابتكره الخليفه الثانى سوف يجعل من عثمان بن عفان المرشح الأوفر حظًا من غيره من المنافسين.

هذه الكتله السياسيه من شأنها أن تطول و تتسع لأنها ليست متمثله فى شخص بل فى بيت كبير، و بالتالى سوف لن تكون الظروف مهينه لصعود آل محمد (صلى الله عليه و آله) إلى سدّه الخلافه بسهولة على أقل تقدير.

٥- عزل كل العناصر التى تميل إلى بنى هاشم، فقد روى أن أبا بكر عزل خالد بن سعيد بن العاص عن قياده الجيش الذى وجهه لفتح الشام بعد أن أسندها إليه لا لشيء إلا لأن عمر نبهه إلى نزعتة الهاشميه و ميله إلى آل محمد، و ذكره بموقفه المعارض لهم بعد وفاه رسول الله (صلى الله عليه و آله) (٣).

٦- إضعاف القدره الاقتصاديه للإمام على (عليه السلام) خشيه أن يستثمرها الإمام فى الدعوه لاستعادته حقه الشرعى فى الخلافه، فقام الخليفه بمصادره فذك من

ص: ١٣٤

١- (١) بحار الأنوار: ١٩٧/٤٣ ط دار الوفاء.

٢- (٢) تاريخ الطبرى: ٦١٨/٢، و مروج الذهب على هامش تاريخ ابن الأثير: ١٣٥/٥.

٣- (٣) تاريخ الطبرى: ٥٨٦/٢ ط مؤسسه الأعلمى.

الزهرء (عليها السّلام) لعلمه أنّها (عليها السّلام) كانت سندا قويا لقرينها فى دعوته إلى نفسه، هذا إذا علمنا أنّ أطرافا سياسيه باعت صوتها للحكومته، فمن الممكن أن تفسخ المعامله إذا عرض عليها ما ينتج ربحا أكبر، كما و أنّ الخليفه أبا بكر نفسه اتّخذ المال وسيله من وسائل الإغراء و كسب الأصوات (١).

و إذا أضفنا لذلك أنّ الزهرء كانت دليلا يحتجّ به أنصار الإمام عليّ (عليه السّلام) على أحقيّته بالخلافه نستوضح أنّ الخليفه كان موقفا كلّ التوفيق فى مسعاه السياسى لإظهار موقف الزهرء (عليها السّلام) الداعم لأمير المؤمنين (عليه السّلام) موقفا محايدا، و ذلك باسلوب لبق و غير مباشر لإفهام المسلمين أنّ فاطمه (عليها السّلام) امرأه من النساء و لا يصحّ أن تؤخذ آراؤها و دعاؤها دليلا فى مسأله بسيطه كفدك، فضلا عن موضوع مهم كالخلافه، و أنّها إذا كانت تطلب أرضا ليس لها بحقّ؛ فمن الممكن أن تطلب (٢) لقرينها الدوله الإسلاميه كلّها، و ليس له فيها حقّ كما يدّعيه هؤلاء الصحابه الذين رشّحوا أنفسهم لخلافه رسول الله (صلّى الله عليه و آله) و سيطروا على زمام الأمر.

فقد روى أنّه لما استقرّ الأمر لأبى بكر، بعث الى وكيل الزهرء فأخرجه منها و استولى على فدك، و احتجّ بحديث لم يروه غيره، و هو أنّه سمع النبىّ (صلّى الله عليه و آله) يقول: «إنّا معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقه» فالنبىّ لا يورث و إنّما ميراثه فى المساكين و فقراء المسلمين (٣).

الاحتجاجات على خلافه السقيفه:

إنّ الصفوه الخيره من الصحابه الذين وقفوا مع الإمام عليّ (عليه السّلام) فى المطالبه

ص: ١٣٥

١- ((١)) الطبقات الكبرى لابن سعد: ١٨٢/٣، و شرح النهج لابن أبى الحديد: ١٣٣/١،

٢- ((٢)) شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ٢٨٤/١٦ ط. المحققه/أبو الفضل إبراهيم و فيه جواب مدرس المدرسه الغربيه على بن الفارقى بهذا المعنى عندما سأله ابن أبى الحديد.

٣- ((٣)) راجع سنن البيهقى: ٣٠١/٦، و شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ٢١٨/١٦-٢٢٤، و دلائل الصدق للمظفر: ٣٢/٣.

بحقّه الشرعى فى الخلافة احتجوا بصلابه و ثقه و علانيه و بحجّه واضحه دامغه و بدليل شرعى منصوص و باسلوب يدلّ على الحرص على إصابه الحقّ و صيانه الحكم الإسلامى من الانحراف على الحكومه، فقد وقفوا فى مسجد الرسول (صلى الله عليه و آله) فانبرى الصحابى الجليل خزيمه بن ثابت فقال: أيها الناس! أستم تعلمون أنّ رسول الله (صلى الله عليه و آله) قبل شهادتى وحدى، و لم يرد معى غيرى؟ فقالوا: بلى، قال:

فأشهد أنّى سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول: «أهل بيتى يفرقون بين الحقّ و الباطل، و هم الأئمه الذين يقتدى بهم»، و قد قلت ما علمت، و ما على الرسول إلاّ البلاغ المبين.

و احتجّ عمار بن ياسر فقال: يا معاشر قريش و يا معاشر المسلمين! إن كنتم علمتم و إلاّ فاعلموا أنّ أهل بيت نبيكم أولى به و أحقّ بإرثه و أقوم بامور الدين و آمن على المؤمنين و أحفظ لملته و أنصح لامته، فمروا صاحبكم فليردّ الحقّ إلى أهله قبل أن يضطرب جلكم و يضعف أمركم و يظهر شقاقكم و تعظم الفتنة بكم.

و وقف سهل بن حنيف فقال: يا معشر قريش! أشهد على رسول الله (صلى الله عليه و آله) و قد رأيتة فى هذا المكان -يعنى مسجد النبى- و قد أخذ بيد علىّ بن أبى طالب (عليه السلام) و هو يقول: «أيها الناس، هذا علىّ إمامكم من بعدى و وصيى فى حياتى و بعد وفاتى، و قاضى دينى، و منجز وعدى، و أول من يصفحنى على حوضى، و طوبى لمن تبعه و نصره، و الويل لمن تخلف عنه و خذله».

ثمّ قام أبو الهيثم بن التيهان فقال: و أنا أشهد على رسول الله (صلى الله عليه و آله) أنّه أقام عليّاً يوم غدير خم، فقالت الأنصار: ما أقامه إلاّ للخلافه، و قال بعضهم: ما أقامه إلاّ ليعلم الناس أنّه مولى من كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) مولاه، و كثر الخوض فى ذلك فبعثنا رجلاً منّا إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) فسألوه عن ذلك، فقال: «هو وليّ المؤمنين بعدى و أنصح الناس لامتى»، و أنا أشهد بما حضرنى، فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر، إنّ يوم الفصل كان ميقاتاً.

ثم قام آخرون منهم أبو ذر و أبو أيوب الانصارى و عتبه بن أبى لهب و النعمان بن عجلان و سلمان الفارسى فاحتجوا على القوم (١).

محاولة إرغام الإمام (عليه السلام) على البيعة:

كان لامتناع الإمام عن البيعة و قيام عدد من الصحابه الأجلاء بالاحتجاج العلنى و مطالبه السلطه بالتنحى عنها و تسليمها الى صاحبها الشرعى الأثر الفعّال فى تحريك مشاعر المسلمين و تعبتهم فى صف أمير المؤمنين (عليه السلام)، هذا بالإضافة الى وجود بعض العشائر المؤمنه المحيطة بالمدينه مثل أسد و فزاره (٢) و بنى حنيفه و غيرهم ممن شاهد بيعة يوم الغدير (غدير خم) التى عقدها النبى (صلّى الله عليه و آله) لعلّى (عليه السلام) بإمره المؤمنين من بعده الذين رفضوا بيعه أبى بكر، و امتنعوا عن أداء الزكاه للحكومه الجديده باعتبارها غير شرعيه، و كانوا يقيمون الصلاه و يؤدّون جميع الشعائر، كلّ هذا كان يشكّل خطرا على الحكم القائم، فرأت السلطه الحاكمه أن تضع حدّا لهذا الخطر، و ذلك بإجبار رأس المعارضه و هو علّى بن أبى طالب (عليه السلام) على بيعه أبى بكر.

و ذكر بعض المؤرخين أنّ عمر أتى أبا بكر فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعه؟ يا هذا لم تصنع شيئا ما لم يبايعك علّى! فابعث إليه حتى يبايعك.

فأجمعوا آراءهم على إرغام الإمام (عليه السلام) و قسره على البيعه لأبى بكر، فأرسلوا قوه عسكريه فأحاطت بداره فدخلوا داره بعنف (٣)، و أخرجوه منها بصوره لا تليق بمكانه شخص قال عنه رسول الله (صلّى الله عليه و آله): «أنت منى بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى».

ص: ١٣٧

١- (١) تأريخ أبى الفداء: ١/١٥٦، و الخصال للصدوق: ٤٣٢، و الاحتجاج للطبرسى: ١/١٨٦.

٢- (٢) تأريخ الطبرى: ٢/٤٧٦ ط مؤسسه الأعلمى.

٣- (٣) الإمامه و السياسه: ٣٠، و تأريخ الطبرى: ٢/٤٤٣.

و جىء به إلى أبى بكر، فصاحوا به بعنف: بايع أبى بكر، فأجابهم الإمام بمنطق الواثق الجرىء الشجاع: «أنا أحقّ بهذا الأمر منكم، لا ابايحكم و أنتم أولى بالبيعة لى، أخذتم الأمر من الأنصار، و احتججتم عليهم بالقرايه من النبى (صلّى الله عليه و آله) و تأخذونه منّا أهل البيت غضبا! ألستم زعمتم للأنصار أنّكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمّد (صلّى الله عليه و آله) منكم فأعطوكم المقاده، و سلّموا إليكم الإماره؟ و أنا أحتجّ عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، نحن أولى برسول الله (صلّى الله عليه و آله) حيا و ميتا، فأنصفونا إن كنتم تؤمنون و إلا فبوءوا بالظلم و أنتم تعلمون» (١).

و بهذا الموقف الصريح أوضح الإمام الحقيقه من الحجّه السياسيه التى اتّخذوها ذريعه للوصول الى الحكم، فلم يكن لهم بدّ من التسليم أو الردّ بما تحويه أفكارهم و تضمّره نفوسهم، فثار ابن الخطّاب بعد أن أعوزته الحجّه فى الردّ على الإمام، فسلّك طريق العنف قائلا له: إنّك لست متروكا حتى تباع، فزجره الإمام قائلا: «إحلب حلبا لك شطره، و اشدد له اليوم يردده عليك غدا، و الله يا عمر لا أقبل قولك و لا ابايعه» (٢).

هنا كشف الإمام (عليه السلام) عن سرّ اندفاعات عمر و حماسه من أجل البيعه، فإنّ موقفه هذا من أجل أن ترجع اليه الخلافه و شؤون الملك بعد أبى بكر.

و خاف أبو بكر من تطوّر الأحداث فى غير ما يحب، و خشى من عواقب غضب الإمام فقال له: إن لم تباع فلا اكرهك، ثمّ تكلم أبو عبيده بن الجراح محاولا تهدئه الإمام على (عليه السلام) و كسب ودّه، فقال:

يا ابن عم! إنّك حديث السنّ و هؤلاء مشيخه قومك، ليس لك مثل تجربتهم و معرفتهم بالامور، و لا أرى أبى بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك و أشد احتمالا

ص: ١٣٨

١- (١) الإمامه و السياسيه: ٢٨.

٢- (٢) أنساب الاشراف: ٥٨٧/١، و شرح نهج البلاغه: ٢/٢-٥.

و اضطلاعاً به، فسلم لأبي بكر هذا الأمر، فإنك إن تعش و يطل بك بقاء فأنت لهذا الأمر خليق و به حقيق من فضلك و دينك و علمك و فهمك و سابقتك و نسبك و صهرك (١).

إن هذه التصريحات السياسيـه غايتها تضليل الآراء و تسويق المواقف، و هي لم تكن لتنتطلي على و عى الإمام (عليه السلام) بل أثارت فى نفسه الألم و الاستياء من بوادر الانحراف، فاندفع يخاطب القوم فى محاوله لتنيهم بخطئهم، فقال: «اللـه الله يا معشر المهاجرين! لا تخرجوا سلطان محمـد فى العرب عن داره و قعر بيته إلى دوركم و قعور بيوتكم، و لا- تدفعوا أهله عن مقامه فى الناس و حقّه، فو الله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به، لأننا أهل البيت، و نحن أحق بهذا الأمر منكم، ما كان فينا القارئ لكتاب الله، الفقيه فى دين الله، العالم بسنن رسول الله، المضطلع بأمر الرعيه، الدافع عنهم الامور السيئه، القاسم بينهم بالسويّه، و الله إنه لفينا، فلا تتبعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحقّ بعدا» (٢).

و روى: أن الزهراء (عليها السلام) خرجت خلف أمير المؤمنين من أجل الدفاع عن الإمام (عليه السلام) لأنها خشيت أن يكون القوم قد أعدوا السوء لإيقاعه بالإمام، و قد أخذت بيد ولديها الحسن و الحسين (عليهما السلام) و ما بقيت هاشميه إلا و خرجت معها، فوصلت مسجد النبى (صلّى الله عليه و آله) و هدّدت القوم بالدعاء عليهم إن لم يتركوا الإمام فقالت (عليها السلام): «خلّوا عن ابن عمى، خلّوا عن بعلى، و الله لأنشرن شعرى و لأضعن قميص أبى على رأسى و لأدعونّ عليكم، فما ناقه صالح بأكرم على الله منى، و لا فضيلها بأكرم على الله من ولدى» (٣).

ص: ١٣٩

١- ((١)) شرح نهج البلاغه: ٢/٢-٥ و ١٣٤/١.

٢- ((٢)) الإمامه و السياسه: ٢٨.

٣- ((٣)) الإحتجاج للطبرسى: ٢٢٢/١.

إذا كانت مواقف الإمام عليّ (عليه السلام) كلّها رائعه؛ فموقفه من الخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أكثرها روعه، فالعقيدة الإلهية تريد في كلّ زمان بطلا يفتديها بنفسه و نفيه و يعزّز به المبدأ، وهذا هو الذي بعث بعليّ إلى فراش الموت، و بالنبى (صلى الله عليه وآله) إلى مدينه النجاه يوم الهجره، و لم يكن ليتهياً للإمام (عليه السلام) فى محتته بعد وفاه أخيه الرسول (صلى الله عليه وآله) أن يضخى لها كلا ولديه الحسن و الحسين؛ لأنه لو ضخى بنفسه فى سبيل توجيه الخلافة إلى مجراها الشرعى فى رأيه؛ لما بقى بعده من يمسك الخيط من طرفيه، و سبطا رسول الله (صلى الله عليه وآله) طفلان لا يتهياً لهما من الأمر ما يريد.

إنّ عليّا الذى كان على أتم استعداد لتقديم نفسه قربانا للمبدأ فى جميع أدوار حياته منذ ولد فى الكعبه و الى أن استشهد فى مسجد الكوفه؛ قد ضخى بموقعه الذى نصبه فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) و تنازل عن القيادة السياسيه الظاهره فى سبيل المصالح العليا التى جعله رسول الله (صلى الله عليه وآله) وصياً عليها و حارسا لها.

وقف عليّ (عليه السلام) عند مفترق طرق، كل منها حرج و كل منها شديد على نفسه:

١- أن يبائع أبا بكر دون ممانعه، و يكون حاله مثل بقية المسلمين، بل و يحافظ على وجوده و منافعه الشخصيه و مصالحه المستقبليه و ينال المكانه و التكريم و الاحترام لدى الجهاز الحاكم. و هذا غير ممكن، لأنّه يعنى إمضاءه (عليه السلام) لبيعه أبى بكر و ولايته، و هذا مخالف لأوامر رسول الله (صلى الله عليه وآله) و مؤدّ إلى انحراف الخلافة و الولايه و الإمامه عن مسارها الأصلى و معناها الحقيقى إلى الأبد، و تبدّد الجهود و التضحيات التى بذلها النبى (صلى الله عليه وآله) و الإمام عليّ (عليه السلام) من

أجل إرساء قواعد الإسلام و تحكيم اصول الخلافه الشرعيه، و بالتالى انحراف التجربه الإسلاميه كلاًها.

٢- أن يسكت و فى العين قذى و فى الحلق شجاً، و يحاول أن يسلك سبيلاً معتدلاً يحفظ كيان الإسلام و يصون المسلمين و وجودهم و أن يجنى ثماره متأخراً.

٣- أن يعلن الثورة المسلّحه على خلافه أبى بكر، و يدعو الناس اليها و يدفعهم نحوها.

و لكن ماذا كان يترقّب للثوره من نتائج؟ هذا ما نريد أن نتبينه على ضوء الظروف التاريخيه لتلك الساعه العصبيه.

و من المألوف أنّ الحاكمين لم يكونوا ينزلون عن مراكزهم بأدنى معارضة تواجههم و هم من عرفناهم حرصاً و شدّه فى أمر الخلافه، و معنى هذا أنّهم سيقابلون و يدافعون عن سلطانهم الجديد، و من المعقول جدّاً حينئذ أن يغتنم سعد ابن عباده الفرصه ليعلنها حرباً اخرى لإشباع أهوائه السياسيه، لأننا نعلم أنّه هدّد الحزب المنتصر بالثوره عندما طلب منه البيعه و قال: «لا و الله حتّى أرمىكم بما فى كنانتى و اخضّب سنان رمحى و أضرب بسيفى و اقاتلكم بأهل بيتى و من أطاعنى ولو اجتمع معكم الإنس و الجنّ ما بايعتكم» (١).

و أكبر الظنّ أنّه تهيب الإقدام على الثوره و لم يجرؤ على أن يكون أوّل شاهر للسيف ضدّ الخلافه القائمه، و إنّما اكتفى بالتهديد الشديد الذى كان بمثابة إعلان الحرب، و أخذ يترقّب تضعع الأوضاع ليشهر سيفه بين السيوف، فكان حرباً به أن تثور حماسته و يزول تهيبه و يضعف الحزب القائم فى نظره إذا رأى صوتاً قوياً يجهر بالثوره فيعيدها جذعه محاولاً إجلاء المهاجرين من المدينه

ص: ١٤١

١- ((١)) تاريخ الطبرى: ٢/٤٥٩ ط مؤسسه الأعلمى.

بالسيف (١)، كما أعلن ذلك المتكلم عن لسانه في مجلس السقيفه.

ولا ننسى بعد ذلك الامويين و تكتلهم السياسى فى سبيل الجاه و السلطان، و ما كان لهم من نفوذ فى مكّه فى سنواتها الجاهليه الأخيره، فقد كان أبو سفيان زعيمها فى مقاومه الإسلام و الحكومه النبويه، و كان عتاب بن اسيد بن أبى العاص ابن اميّه أميرها المطاع فى تلك الساعه.

و إذا تأملنا ما جاء فى تأريخ تلك الأيام (٢) من أنّ رسول الله (صلّى الله عليه و آله) لمّا توفّى و بلغ خبره إلى مكّه و عامله عليها عتاب بن اسيد بن أبى العاص بن اميّه استخفى عتاب و ارتجّت المدينه و كاد أهلها يرتدون، فقد لا نقتنع بما يعلّل به رجوعهم عن الارتداد من العقيدته و الإيمان، و ليس مردّ ذلك التراجع إلى أنّهم رأوا فى فوز أبى بكر فوزهم و انتصارهم على أهل المدينه كما ذهب إليه بعض الباحثين؛ لأنّ خلافه أبى بكر كانت فى اليوم الذى توفّى فيه رسول الله (صلّى الله عليه و آله)، و أكبر الظنّ أنّ خبر الخلافه جاءهم مع خبر الوفاه، بل تعليل القضيّه: أنّ الأمير الامويّ عتاب بن اسيد شاء أن يعرف اللون السياسى الذى اتّخذته اسرته فى تلك الساعه، فاستخفى و أشاع بذلك الاضطراب حتّى إذا عرف أنّ أبا سفيان قد رضى بعد سخط و انتهى مع الحاكمين إلى نتائج تصبّ فى صالح البيت الامويّ؛ (٣) ظهر مرّه اخرى للناس و أعاد الامور إلى مجاريها.

و عليه فالصله السياسيه بين رجالات الامويين كانت قائمه فى ذلك الحين، و هذا ما يفسّر لنا القوّه التى تكمن وراء أقوال أبى سفيان حينما كان ساخطا على

ص: ١٤٢

١- (١) تأريخ الطبرى: ٤٥٩/٢، قصه السقيفه، قول الحباب بن المنذر: «أما و الله لئن شئتم لنعيدنّها جذعه...».

٢- (٢) الكامل فى التأريخ لابن الأثير: ١٢٣/٣ واصل خبر وفاه الرسول (صلّى الله عليه و آله) و كان عتاب بن اسيد بن أبى العاص بن اميّه أميرا على مكّه.

٣- (٣) تاريخ الطبرى: ٤٤٩/٢، هدأت ثائره أبى سفيان بعد أن ولى الخليفه الأوّل ابنه معاويه، فقال: وصلته رحم.

أبي بكر و أصحابه، إذ قال: إنّي لأرى عجاجه لا يطفئها إلاّ الدّم، وقال عن عليّ و العباس: أما و الذى نفسى بيده لأرفعنّ لهما من أعضادهما (١).

فالامويّون كانوا متأهّبين للثوره و الانقلاب، و قد عرف عليّ (عليه السّلام) منهم ذلك بوضوح حينما عرضوا عليه أن يتزعّم المعارضه و لكنّه عرف أنّهم ليسوا من الذين يعتمد على تأييدهم، و إنّما يريدون الوصول إلى أغراضهم عن طريقه، فرفض طلبهم، و كان من المنتظر حينئذ أن يشقّوا عصا الطاعه إذا رأوا الأحزاب المسلّحه تتناحر، و لم يطمئنّوا إلى قدره الحاكمين على ضمان مصالحهم، و معنى انشقاقهم حينئذ إظهارهم للخروج عن الدين و فصل مكّه عن المدينه.

إذا كانت الثوره العلويّه فى تلك الظروف إعلانا لمعارضه دمويه تتبعها معارضات دمويه ذات أهواء شتى، و كان فيها تهيئه لظرف قد يغتنمه المشاغبون ثمّ المنافقون.

و لم تكن ظروف المحنه تسمح لعليّ بأن يرفع صوته وحده فى وجه الحكم القائم، بل لتناحرت و تقاتلت مذاهب متعدّده الأهداف و الأغراض، و يضع بذلك الكيان الإسلامى فى اللحظه الحرجه التى يجب أن يلتفت المسلمون حول قياده موحّده، و يركّزوا قواهم لصدّ ما كان يترقّب أن تتمخّض عنه الظروف الدقيقه من فتن و ثورات (٢).

و من هنا كان على الامام عليّ أن يختار الطريق الوسط ليحقّق أكبر قدر ممكن من الأهداف الرساليه التى جعله الرسول (صلّى الله عليه و آله) وصيّا عليها.

و من هنا نعرف أن الرسول (صلّى الله عليه و آله) كان قد أعدّ للامام عليّ (عليه السّلام) خطّتين أو خطّه واحده ذات مرحلتين، فالمرحله الاولى هى نصبه إماما شرعيا و خليفه له

ص: ١٤٣

١- (١) تأريخ الطبرى: ٢/٤٤٩.

٢- (٢) فدك فى التاريخ، الشهيد السيد محمد باقر الصدر: ١٠٢-١٠٥.

بشكل رسمي بعد الإعلان الصريح و أخذ البيعه له من المسلمين و إتمام الحجّه على جميع من حضر و غاب عن مشهد يوم الغدير.

و حين كان الرسول(صلى الله عليه و آله)ذلك القائد السياسى المحنك الذى أثبت للتاريخ و لمن عاصره جميعا نفاذ بصيرته و بعد نظره و شففته على امته و ارتباطه المستمر بعالم الغيب و العلم الإلهى الذى شاء للشريعة الإسلاميه أن تكون خاتمه الشرائع و على أساسها ينبغى أن تتحقّق أهداف الرسالات الإلهيه جميعا.فمن هنا و من حيث علمه(عليه السلام)بمدى وعى الامّه للرساله الإسلاميه فى عصره و مدى اندماجها و ذوبانها فى قيم الرساله،و طبيعه المجتمع الذى أسلم أو استسلم لدوله الرسول بما كان يشتمل عليه من عصبيات و قيم جاهليه يصعب اجتثاثها بسرعه و بخطوات تربويه قصيره.لكلّ هذا و غيره ممّا يمكن أن يدركه المتأمّل فى الظروف المحيطه بالرسول(صلى الله عليه و آله)و بدولته،يشعر المتأمّل بضروره وجود تخطيط بعيد المدى يتكفّل تحقيق الأهداف الرساليه الكبرى على المدى البعيد بعد أن كان يستحيل أو يصعب اجتناء الثمار المرجوّه من حركه الرساله فى تلك الفتره و فى ذلك المجتمع على المدى القريب بعد ملاحظه منطوق العمل التغييرى بشكل خاص.

اذن كانت المرحله الثانيه بعد إعراض الامّه أو عدم انقيادها للاطروحه النبويه الإلهيه هى الصبر و الحزم و التخطيط العملى الواقعى لعمل تربوى جذرى فى ظلّ الدوله الإسلاميه الفتيه،ريثما تهيأ الظروف اللازمه لاستلام الحكم و تحقيق تلك الاطروحه،للتحقّق جميع الأهداف الممكنه لتطبيق هذه الشريعه الخالده تطبيقا صحيحا رائعا.

اتفقت كلّ الروايات الصحيحة على أنّ الإمام عليّاً (عليه السلام) ما أن انتهى من تجهيز النبيّ (صلى الله عليه وآله) ومواراته الثرى؛ حتى اعتكف في داره منشغلاً بجمع آيات القرآن و ترتيبها حسب نزولها بعد أن كانت مبعثرة في الألواح.

و روى عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لعليّ (عليه السلام): يا عليّ! القرآن خلف فراشى في المصحف و الحرير و القراطيس فخذوه، و اجمعوه، و لا تضيّعوه كما ضيعت اليهود التوراه، فانطلق عليّ (عليه السلام) فجمعه في ثوب أصفر (١). و جاء أيضاً أنّ الإمام عليّاً (عليه السلام) رأى من الناس طيره عند وفاه النبيّ (صلى الله عليه وآله) فأقسم أنّه لا يضع على ظهره رداءه حتى يجمع القرآن، فجلس في بيته ثلاثه أيام حتى جمع القرآن (٢).

كما روى أنّ عليّاً (عليه السلام) انقطع عن الناس مدّه حتى جمع القرآن، ثمّ خرج إليهم في إزار يحمله و هم مجتمعون في المسجد، فلما توسّطهم وضع الكتاب بينهم ثمّ قال: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «إني مخلف فيكم ما إن تمسيّ كنتم به لن تضلّوا كتاب الله و عترتي أهل بيتي» و هذا كتاب الله و أنا العتره (٣)، و قال لهم: لتلا تقولوا غدا إنّنا كنّا عن هذا غافلين.

ثمّ قال: لا تقولوا يوم القيامة إنّني لم أدعكم إلى نصرتي و لم اذكركم حقّي و لم أدعكم إلى كتاب الله من فاتحته إلى خاتمته (٤).

فقال له عمر: إن يكن عندك قرآن فعندنا مثله فلا حاجه لنا فيكما.

ص: ١٤٥

١- ((١)) المناقب لابن شهر آشوب: ٤١/٢، و فتح الباري: ٣٨٦/١٠، و الإتيان للسيوطي: ٥١/١.

٢- ((٢)) الفهرست لابن النديم: ٣٠.

٣- ((٣)) المناقب لابن شهر آشوب: ٤١/٢.

٤- ((٤)) كتاب سليم بن قيس: ٣٢، ط. مؤسسه البعثه.

و يبدو أنّ الإمام لم يكتف بجمع الآيات القرآنية بل قام أيضا بترتيبها حسب النزول، وأشار إلى عامته وخاصه و مطلقه و مقتيده و محكمه و متشابهه و ناسخه و منسوخه و عزائمه و رخصه و سنته و آدابه، كما و أشار إلى أسباب النزول و أملى ستين نوعا من أنواع علوم القرآن، و ذكر لكل نوع مثلا يخصه، و بهذا العمل الكبير استطاع الإمام أن يحافظ على أهم أصل من اصول الإسلام، و أن يوجه العقل المسلم نحو البحث عن العلوم التي يزخر بها القرآن، ليصبح المنبع الرئيسي للفكر و المصدر المباشر الذي تستمد منه الإنسانية ما تحتاجه في حياتها.

إنّ أمير المؤمنين كان جديرا بما فعل، فإنه قال: ما نزلت على رسول الله (صلى الله عليه و آله) آيه من القرآن إلا أقرأنيها و أملاها عليّ فكتبتها بخطي، و علّمني تأويلها و تفسيرها و ناسخها و منسوخها و محكمها و متشابهها، و دعا الله عزّ و جلّ أن يعلمني فهمها، فما نسيت آيه من كتاب الله عزّ و جلّ و لا علما أملاه عليّ فكتبته و ما ترك شيئا علّمه الله عزّ و جلّ من حلال و حرام و لا أمر و لا نهى و ما كان أو يكون من طاعه أو معصيه إلا علّمني و حفظته، فلم أنس منه حرفا واحدا (1).

من مواقف الإمام (عليه السلام) في عهد أبي بكر:

قال الإمام (عليه السلام): «فو الله ما كان يلقي في روعي و لا يخطر ببالي أنّ العرب تزعج هذا الأمر من بعده (صلى الله عليه و آله) عن أهل بيته، و لا أنّهم منخروه عني من بعده، فما راعني إلاّ انثيال الناس إلى أبي بكر يباعدونني، فأمسكت بيدي حتى رأيت راجعه الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمد، فخشيت إن لم أنصر الإسلام و أهله أن أرى فيه ثلما أو هدمًا تكون المصيبة به أعظم من فوت ولايتكم التي هي متاع أيام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب أو كما يتشعّ السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل

ص: ١٤٦

١- ((١)) كفايه الطالب للكنجي: ١٩٩، و الاتقان للسيوطي: ١٨٧/٢، و بحار الأنوار: ٩٩/٩٢.

كلّ الأحداث التي جرت بعد وفاه الرسول (صلى الله عليه و آله) و ما سادها من أجواء المشاحنات و ما حَفَّها من ابتعاد عن الحقّ و انجراف في غير الطريق الذي كان على المسلمين سلوكه لم تنس علياً أنه الوصيّ على هذه الامة و على تطبيق رساله الإسلاميه.

كانت بيعه أبي بكر قد استلبت حقّ الإمام في إداره شؤون الامة مباشرة و اضطرتّه إلى أن يعتزل الى حين فإنّ وصايا الرسول (صلى الله عليه و آله) و عهده إليه بالتكليف الإلهي برعايه الامة ثم حرصه العميق على رساله الإسلاميه و المجتمع من التمزّق و الضياع جعل من أمير المؤمنين القدوة المثلى للمدافعين عن الكيان الإسلامي في كل الميادين.

من هنا وقف علي (عليه السلام) ليدلي بآرائه الصائبه، موضّحاً قواعد الدين الصحيحه في كلّ موقف يستعصى على الماسكين بزمام إداره الدوله في زمن عصيب، و في امه لم تترسخ العقيدة الإلهيه في نفوس أبنائها، فكان عليّ (عليه السلام) ميزان القضاء و الإفتاء في شؤون الحياه الإسلاميه من قضاء و اجتماع و إداره في عهد أبي بكر و ما تلاه من فترات حكم الخلفاء.

وقف علي (عليه السلام) ليدافع عن المدينة و يصدّ هجوم المرتدين عن الإسلام و معه الصفوه من الصحابه الذين ساندوه في محنته.

وصيه أبي بكر إلى عمر:

لم يزل الإمام عليّ (عليه السلام) مظلوما يدفع بحقّه بعيداً عنه، يتألّم على الخلافه اذ تلكأت و على رساله إذ ضمرت، لا يجد سبيلاً إلاّ الصبر و هو الحليم و لا يجد إلاّ

ص: ١٤٧

الأناه و هو البصير، و قد عبّر عن أحزانه و آلامه فى خطبته الشهيره بالشقشقيه إذ قال:

«أما و الله لقد تقمّمصها ابن أبى قحافه، و إنّه ليعلم أنّ محلّى منها محلّ القطب من الرحي، ينحدر عنّى السيل و لا يرقى إلى الطير، فسدت دونها ثوباء، و طويت عنها كشحا، و طففت أرتى بين أن أصول بيد جدّاء أو أصبر على طخيه عمياء، يهرم فيها الكبير، و يشيب فيها الصغير، و يكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربّه، فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرت و فى العين قذى و فى الحلق شجا، أرى تراثى نهبا، حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده، فباععجا بينا هو يستقيها فى حياته (١) إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشدّ ما تشطّرا ضرعيها، فصيرها فى حوزة خشناء، يغلظ كلمها، و يخشن مسها، و يكثر العثار فيها و الاعتذار منها» (٢).

لم تطل أيام أبى بكر فقد ألمّت به الأمراض و أشرف على الموت، و قد صمّم على أن يولى عمر الخلفه من بعده، فاعترض أكثر المهاجرين و الأنصار، و أعلنوا كراهيتهم لهذا القرار لما علموا من خشونه أخلاق عمر و سوء تعامله مع الناس (٣).

لكنّ أبابكر أصرّ على موقفه.

ثمّ إنّ أبابكر أحضر عثمان بن عفّان لوحده ليكتب عهده لعمر، فقال له:

اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن أبى قحافه الى المسلمين، أما بعد... ثمّ اغمى على أبى بكر، فكتب عثمان: فإنى قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب و لم آلكم خيرا، ثمّ أفاق أبو بكر فقال: اقرأ علىّ، فقرأ عليه فكبر أبو بكر

ص: ١٤٨

١- (١) إشاره الى قول أبى بكر: أفيلونى فلسيت بخيركم، راجع تذكره الخواص: ٦٢.

٢- (٢) نهج البلاغه: الخطبه ٣.

٣- (٣) الإمامه و السياسه: ٣٦، و تاريخ الطبرى: ٦١٨/٢ و ٦١٩ ط مؤسسه الأعلمى، و الكامل فى التاريخ: ٢/٤٢٥.

وقال: أراكم خفت أن يختلف الناس إن متّ في غشيتي، قال: نعم، قال: جزاك الله خيرا (١).

مآخذ على وصيه أبي بكر:

لم يكن عليّ (عليه السلام) راضيا بما فعله أبو بكر للأسباب التالية:

١- إنَّ أبا بكر لم يستشر أحدا من المسلمين في تقرير مصير الخلافة إلاَّ عبد الرحمن بن عوف و عثمان بن عفان اللذين كانا على معرفه تامه بميول أبي بكر لاستخلاف عمر من بعده، خشيه أن يدفعه أهل الرأي من الصحابه المخلصين على تغيير رأيه في اختيار عمر.

٢- الإصرار على إبعاد الإمام عليّ (عليه السلام) عن الساحة السياسيّه و مسأله تقرير مصير الخلافة فلم يستشره في أمر الخلافة، في حين أنّ أبا بكر كان يفرع الى الإمام في حلّ المشاكل المستعصيه، أو أنّ آراء الإمام و مواقفه في خلافة أبي بكر هي الناصحه و الصائبه دون من عداها.

٣- إنّ أبا بكر فرض عمر فرضا على المسلمين، و كأنّ له الوصايه عليهم حيا و ميتا و ذلك بقوله: استخلفت عمر بن الخطاب عليكم فاسمعوا له و أطيعوا، رغم أنّه رأى الغضب ظاهرا في وجوه الكثيرين من الصحابه.

٤- إنّّه ناقض نفسه في دعواه بالسير على منهاج رسول الله (صلّى الله عليه و آله) لأنّه كان يدعى أنّ النبيّ (صلّى الله عليه و آله) توفّى و لم يعهد لأحد في شأن الخلافة، في حين نجده يوصي لصاحبه عمر من بعده (٢).

ص: ١٤٩

١- (١) الكامل في التاريخ: ٢/٤٢٥.

٢- (٢) و هو من العجائب؛ لأنّه لمّا أفاق من الاغماء و استمع الى ما كتبه عثمان من تعيين الخليفه بعده، قال: أراكم خفت أن يختلف الناس إن متّ في غشيتي قال: نعم؛ كيف هو و عثمان خافا من اختلاف الناس؟! أو أمّا الرسول الأعظم الحكيم (صلّى الله عليه و آله) لم يخف من اختلاف أمته؟! لأنهم يصرّحون بأن النبيّ (صلّى الله عليه و آله) مات و لم يعيّن أحدا. تبا لهم فما لهم كيف يحكمون!؟

٥- هتأ الملك لبنى امته، الذى جلب الوىلات للإسلام و المسلمىن، و ذلك من خلال إثاره طمعهم فى الخلفه و تشجىعهم علىها بقوله لعثمان: لولا عمر ما عدوتك (١). و أبو بكر يعلم أنّ عثمان عاطفى ضعيف ىميل لبنى امته، و أنّهم سىغلبونه على أمره، و هذا ما حصل.

ص: ١٥٠

١- (١) شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ١/١٦٤.

إشارة

الإمام علي (عليه السلام) في عهد عمر

(١)

مهد أبو بكر كرسى الخلافة لعمر بن الخطاب فتولاها بسهولة و يسر دون معارضة تذكر من أقطاب المهاجرين و الأنصار، و قد قبض علي زمام الحكم بقوه و ساس الامه بشده، حتى تحامى لقاءه أكابر الصحابه (٢). و حقت جاهليه قريش انتصارا سياسيا آخر و مضت بخطها علي أن لا تعطى حقا لبني هاشم، و اتقن عمر هذا السير أيما إتقان.

أميا أمير المؤمنين (عليه السلام) فلم يتأثر لحقه المغتصب بعدما شاهد من سيره السلطه الحاكمه و حركه الفئه غير الواعيه في ركبها، من تعنت و إصرار علي الانحراف بالخلافه، فوقف الإمام موقف الناصح الأمين للخليفه الجديد شعورا منه بالمسؤوليه الكبيره، فهو الأمين علي سلامه الرساله و الامه، لقد ساهم أمير المؤمنين في الحياه العامه ما وسعه من جهد، و أدى ما عليه من تكليف في تعليم و تفقيه و قضاء بصوره أوسع من دوره في عهد أبي بكر حيث اقتضت الضروره ذلك، فقد اتسعت رقعه البلاد الإسلاميه و استجدت أحداث جديده طارئه كان يعجز عنها الخليفه الجديد و كل من معه من الصحابه، و لم يكن يجد لها حولا إلا

ص: ١٥١

١- (*) استخلاف عمر بن الخطاب في جمادى الآخره عام (١٣) هـ.

٢- (١) تاريخ الطبرى: ٢/٦١٧ و ٦١٨.

ممن عصمه الله عن الذنب والخطأ، ولذا كان عمر يقف متصاغرا أمام أمير المؤمنين و يحترم رأيه و يمضى حكمه و قراره حتى روى عنه لأكثر من مائة و في أكثر من موقف حرج قوله: لا أبقاني الله لمعضله ليس لها أبو الحسن (١).

فقد روى أنّ عمر أراد أن يرحم امرأه مجنونه اتهمت بالزنا، فردّ الإمام عليّ (عليه السلام) قضاء عمر. و ذكره بحديث رسول الله (صلى الله عليه و آله): «رفع القلم عن ثلاث: عن المجنون حتى يبرأ، و عن النائم حتى يستيقظ، و عن الصبي حتى يعقل» حينذاك قال عمر: لولا عليّ لهلك عمر (٢).

ملاحح من سيره عمر :

(٣)

١- الشدّة و القسوة في التعامل مع الناس، و فرض السلطان بالعنف و القوه، فخافه القريب و البعيد، و كان من شدته أنّ امرأه جاءت تسأله عن أمر و كانت حاملا و لشدّه خوفها منه أجهضت حملها. و قصّته مع جبلّه و عنفه معه ممّا سبب ارتداد جبلّه و هروبه إلى بلاد الروم (٤).

٢- عدم مساواته في العطاء بين المسلمين، فقد ميّز بينهم على أساس غير مشروع من النبيّ (صلى الله عليه و آله) و لا موجه في القرآن، بل على أساس عصبى (٥)، و كان من آثاره أن ظهرت الطبقيه في العهود التي تلت، فنشط النسابون لتدوين الأنساب و تصنيف القبائل بحسب اصولها ممّا أدّى الى حنق الموالي على العرب و كراهيتهم لهم و التفتيش عن مثالبهم، و قد خالف بذلك سيره الرسول

ص: ١٥٢

-
- ١- ((١)) اسد الغابه ٢٢/٤، و تهذيب التهذيب: ٢٩٦/٧، و تاريخ دمشق: ٣٩/٣ حديث ١٠٧١، و الرياض النضرة: ١٩٧/٢، و كنز العمال: ٨٣٢/٥.
 - ٢- ((٢)) تذكرة الخواص: ٨٧، و كفاية الطالب: ٩٦، و فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ٣٠٩/٢.
 - ٣- ((٣)) راجع النص و الاجتهاد للسيد شرف الدين: ١٤٨.
 - ٤- ((٤)) الطبقات الكبرى: ٢٨٥/٣، و تاريخ الطبري: ٢٩١/٣، و العقد الفريد: ٥٦/٢.
 - ٥- ((٥)) تاريخ الطبري: ٢٩١/٣ و ٢٩٢.

الأكرم (صلى الله عليه وآله) وسيره صاحبه أبى بكر أيضا.

و ندم عمر على تصرفه هذا فى آخر فتره حكمه حينما رأى الشراء الفاحش عند كثير من الصحابه، و لم تطب به نفسه، و إنما راح يقول: لو استقبلت من الأمر ما استدبرت لأخذت من الأغنياء فضول أموالهم فرددتها على الفقراء (١).

٣- عدم الدقه و الموضوعيه فى اختيار العمّال و الولاه على اسس إسلاميه تخدم مشروع الحكومه الإسلاميه و تحافظ على كيان الامه، فإنّه استعمل من عرف بالفساد و عدم الإخلاص للدين، و أصرّ بموقفه هذا على إبعاد كلّ ما يمتّ إلى الخلافه بصله، عن الإمام على (عليه السّلام) و الصحابه الأجلّاء الذين وقفوا معه (٢).

٤- استثناء معاويه من المحاسبه و المراقبه التى كان يشدّدها على ولاته، و تركه على هواه يعمل ما يشاء لسنين طويله، ممّا أعان معاويه على طغيانه و استقلاله بالشام فى عهد عثمان، كما اثر عنه قوله فى توجيه تصرفات معاويه: إنه كسرى العرب (٣).

محنه الشورى:

إذا كانت السقيفه و بيعه أبى بكر فلتنه و قى الله المسلمين شرها- كما قال عمر-؛ فإنّ الشورى أشدّ فتنه و أكبر انحرافا عن مسير الرساله الإسلاميه، فقد امتحن المسلمون فيها امتحانا عسيرا، و زرعت لهم الفتن و المصاعب و جلبت لهم الويلات و الخطوب، و ألقتهم فى شرّ عظيم، إذ تبين التآمر علنا لإقصاء الإمام على عن الحكم و تسليم زمام الامه الإسلاميه بيد المنحرفين من دون واعز من الضمير أو حرص على المصير.

ص: ١٥٣

١- (١) شرح النهج: ٢٩/٩.

٢- (٢) شيخ المضيره أبو هريره: ٨٤.

٣- (٣) المستدرک على الصحيحين: ٤٧٩/٤، و كنز العمال: ٣٩/٦.

فلَمَّا يئس عمر من حياته و أيقن برحيله عن الدنيا أثر الطعنات التي أصابته قيل له: استخلف علينا، قال: و الله لا أحملكم حيا و ميتا، ثم قال: إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني - يعني أبا بكر - و إن ادع فقد ودع من هو خير مني - يعني النبي (صلى الله عليه و آله) - (١)، ثم أبدى أسفه و حسرته على بعض من شاركه مسيرته للخلافه فقال: لو كان أبو عبيده حيا لاستخلفته لأنه أمين هذه الأمة، و لو كان سالم مولى أبي حذيفه حيا لاستخلفته لأنه شديد الحب لله، فقيل له: يا أمير المؤمنين لو عهدت عهدا.

قال: قد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أنظر فاولي رجلا أمركم هو أحراكم أن يحملكم على الحق - و أشار إلى الإمام علي (عليه السلام) - و رهقتني غشيه فرأيت رجلا - دخل جئنه قد غرسها، فجعل يقطف كل غضه و يانعه فيضمه إليه و يصير تحته، فعلمت أن الله غالب أمره، و متوف عمر، فما أريد أن أتحمّلها حيا و ميتا عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) عنهم: إنهم من أهل الجئنه، و هم: علي و عثمان و عبد الرحمن و سعد و الزبير بن العوام و طلحة بن عبيد الله، فليختاروا منهم رجلا، فإذا ولوا و ألبا فأحسنوا مؤازرته و أعينوه (٢)، و أمرهم أن يجلس هؤلاء الستة حتى يولوا أحدهم خلال أيام ثلاثه و أن يضرب عنق المخالف لاتفاق الأغلبية أو الجناح المخالف للذي فيه عبد الرحمن بن عوف، و أن يصلّي صهيب بالناس ثلاثه أيام حتى تجتمع الأمة على خليفه، و طلب أن يحضر شيوخ الأنصار و ليس لهم من الأمر شيء (٣).

ص: ١٥٤

١- ((١)) الإمامه و السياسه: ٤١. قد عرفت سابقا أن النبي (صلى الله عليه و آله) لم يدع... و قد عين خليفته مرارا كيوم الإنذار لعشيرته الأقربين و غدیر خم و غيرهما.

٢- ((٢)) تاريخ الطبري: ٢٩٣/٣ ط مؤسسه الأعلمی، الكامل فی التأريخ: ٦٦/٣.

٣- ((٣)) تاريخ الطبري: ٢٩٤/٣ ط مؤسسه الأعلمی، طبقات ابن سعد: ٢٦١/٣، و الإمامه و السياسه: ٤٢، و الكامل فی التأريخ: ٦٨/٣.

و حين اجتمع أعضاء الشورى لدى عمر، ووجه إليهم انتقادات لاذعه لا- تدلّ على وضوح توجه صحيح أو ارشاد إلى انتخاب يعين الامة في أزمته، فقال: و الله ما يمنعني أن استخلفك يا سعد إلا شدتك و غلظتك مع أنك رجل حرب، و ما يمنعني منك يا عبد الرحمن إلا أنك فرعون هذه الامة، و ما يمنعني منك يا زبير إلا- أنك مؤمن الرضا كافر الغضب. و ما يمنعني من طلحه إلا نخوته و كبره (١)، و لو وليها وضع خاتمه في إصبع امرأته. و ما يمنعني منك يا عثمان إلا عصبيتك و حبك قومك و أهلك. و ما يمنعني منك يا عليّ إلا حرصك عليها، و أنك أحرى القوم إن وليتها أن تقيم على الحق المبين و الصراط المستقيم (٢).

مؤاخذات على الشورى:

نظام الشورى الذي وضعه عمر كان عاريا عن الصحة و الصواب يحمل التناقض بين خطواته، فإننا نلاحظ فيه امورا يبغده عن الدقه و الموضوعية:

١- إن الأعضاء المقترحين للشورى لم يحصلوا على هذا الامتياز بالأفضليه وفق ضوابط الانتخاب حيث لم تشترك القواعد الشيعيه في الترشيح و الانتخاب، و إطلاق كلمه الشورى على هذا النظام جزاف، لأنه لم يكن إلا ترشيح فرد لجماعه و فرضهم على الامة و من ثم أمر باجتماعهم تحت التهديد بالقتل و السلاح حتى يختاروا أحدهم.

٢- عناصر الشورى متنافره في تركيب شخصياتها و أفكارها، و لا يمثل كل فرد فيهم إلا رأيه الشخصي، فكيف يمكن أن يعبر عن رأى الامة؟ و قد نشب

ص: ١٥٥

١- (١) كيف هم يدخلون الجنة- حسب نقل عمر عن النبي (صلى الله عليه و آله)- مع أن عبد الرحمن فرعون هذه الامة و طلحه صاحب الكبر و النخوه و الزبير مؤمن الرضا كافر الغضب!؟

٢- (٢) الإمامه و السياسه: ٤٣.

الخلافة فيما بينهم من بعد الشورى ممّا فرق شمل المسلمين (١).

٣- الاستهانه بالأنصار و دورهم، فقد طلب عمر حضورهم و لا شىء لهم بل و لا رأى، فالأمر منحصر فى السنّه فما معنى حضور الأنصار؟ بل إنّ عمر استهان بالأمّه كلّها حين تمّنّى حياه سالم و أبى عبده.

٤- إنّ عمر ناقض نفسه فى عمليته اختيار العناصر، ففى السقيفه كان يدعى و يصرّ على أنّ الخلافة فى قریش، بينما نجده فى هذا الموقف يتمنّى حياه سالم مولى أبى حذيفه ليوليه الأمر، كما أنّه استدعى أصحاب الشورى دون غيرهم من الصحابه بدعوى أنّ الرسول (صلّى الله عليه و آله) مات و هو راض عنهم أو أنّهم من أهل الجنّه، و لكنّه نسب اليهم عيوباً لا تجتمع مع الرضا عنهم و يتنزّه عنها أهل الجنّه. ثمّ إنّ أمر صهيبياً أن يصلّى بالناس ثلاثه أيام، لأنّ إمامه المصيّمين لا ترتبط بالخلافه و لا تستلزمها، و قد كان يناضل يوم السقيفه من أجل استخلاف أبى بكر، و كانت صلاته المزعومه دليله الأول على أهليته أبى بكر للخلافه.

٥- إنّّه أراد أن يستخلف عليّاً (عليه السلام) لأنّه سيحمل الامّه على النهج القويم و المحجّه البيضاء، و لكنّه رأى فى المنام ما رأى، فأعرض عن الإمام (عليه السلام) و كأنّه أراد بذلك التشويش على مكانه الإمام و أهليته.

٦- إنّ عمر قال: أكره أن أتحمّلها- يقصد الخلافه- حياً و ميّتا، و لكنّه عاد فحدّد سنّه أشخاص من امّه كبيره، فأكد بذلك نزعتة فى الاستعلاء على الامّه و قدراتها.

٧- اختيار العناصر السنّه يبدو ميّتا بحيث يصل الأمر إلى عثمان باحتماليه أكبر من وصولها إلى الإمام عليّ (عليه السلام) و هو العنصر المؤهل من الله و رسوله لخلافه الامّه، فترشيح طلحه هو إثارة و تأكيد لأحقاق تيم، لأنّ الإمام نافس و عارض أباً

ص: ١٥٦

١- (١) أنساب الأشراف: ٥٧/٥، و تذكره الخواص: ٥٧، و النص و الاجتهاد: ١٦٨.

بكر في خلافته وها هو الآن ينافس مرشحها الجديد طلحه، و ترشيحه لعثمان تأكيد منه على أحقاد اميّه و إثارة نزعه السلطان و الوجاهه لديها، و أمّا ترشيحه لعبد الرحمن و سعد فهو فتح جبهه سياسيه جديده منافسه للإمام عليّ (عليه السّلام) فهما من بنى زهره و لهما نسب أيضا مع بنى اميّه، فسوف يكون ميلهما لصالح عثمان لو تنافس مع الإمام (عليه السّلام).

٨- إنّه أمر بقتل أعضاء الشورى في حاله عدم التّوصيل إلى اتّفاق أو إبداء معارضه و إصرار، و كيف يمكن التوفيق بين هذا و بين قوله: إنّ النّبىّ (صلى الله عليه و آله) مات و هو راض عنهم؟ و هل تكون مخالفه رأى عمر موجه لقتل الصحابه (١)؟

حوار ابن عباس مع عمر حول الخلافه:

روى أنّ حوارا وقع بين عمر و ابن عباس في شأن الخلافه.

قال عمر: أما و الله، إنّ صاحبك لأولى الناس بالأمر بعد رسول الله، إلّا أنّنا خفناه على اثنتين، قال ابن عباس: فما هما يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: خفناه على حدائثه سنّه، و حبّه بنى عبد المطلب.

و في بعض مجالس عمر بن الخطاب و قد جلس إليه نفر منهم عبد الله بن عباس، فقال له عمر: أتدرى يا ابن عباس ما منع الناس منكم؟ قال ابن عباس: لا يا أمير المؤمنين، قال عمر: لكنّنى أدرى، قال ابن عباس: فما هو؟ قال عمر:

كرهت قريش أن تجتمع لكم النبؤه و الخلافه، فتجحفوا الناس جحفا فنظرت لأنفسها فاختارت، و وفقت فأصابت.

فردّ عليه ابن عباس: أيميظ أمير المؤمنين عني غضبه؟ فأتمنه عمر قائلا:

قل ما تشاء.

ص: ١٥٧

فقال ابن عباس: أما قولك: إن قريشا كرهت... فإن الله تعالى قال لقوم:

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَخْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (١) و أما قولك: إنا كنا نجحف... فلو جحفنا بالخلافه جحفنا بالقرابه، و لكننا قوم أخلاقنا من خلق رسول الله (صلى الله عليه و آله) الذي قال ربّه فيه: وَ إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٢) و قال له: وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣) و أما قولك: إن قريشا اختارت... فإن الله تعالى يقول: وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ (٤)، و قد علمت يا أمير المؤمنين أن الله اختار من خلقه من اختار، فلو نظرت قريش حيث نظر الله لوفقت و أصابت.

فتفكر عمر هنيهة ثم قال (و قد آذاه من ابن عباس هذا الحديث الصريح):

على رسلك يا ابن عباس، أبت قلوبكم يا بنى هاشم إلا غشا في أمر قريش لا يزول، و حقدا عليها لا يحول.

قال ابن عباس: مهلا- يا أمير المؤمنين، لا تنسب قلوب بنى هاشم إلى الغش، فهي من قلب رسول الله (صلى الله عليه و آله) الذي طهره و زكاه، و إنهم لأهل البيت الذين قال لهم الله: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (٥).

ثم قال ابن عباس: و أما الحق فكيف لا يحقد من غضب شيئه و يراه في يد غيره؟ فغضب عمر و صاح- و قد حضره في هذه الآونه أمر كان يكتبه- ما أنت يا ابن عباس! أتى قد بلغنى عنك كلام أكره أن اخبرك به فتزول منزلتك عندي.

قال ابن عباس: و ما هو يا أمير المؤمنين؟ أخبرني به فإن يك باطلا فمثلي أماط الباطل عن نفسه، و إن يك حقاً فإن منزلتي عندك لا تزول به.

ص: ١٥٨

١- (١) محمد (٤٧): ٩.

٢- (٢) القلم (٦٨): ٤.

٣- (٣) الشعراء (٢٦): ٢١٥.

٤- (٤) القصص (٢٨): ٦٨.

٥- (٥) الأحزاب (٣٣): ٣٣.

قال عمر: بلغني أنك لا تزال تقول: اخذ هذا الأمر منا حسدا و ظلما.

فلم ينكص ابن عباس و لم يتزحزح عن مواطئ قدميه، بل قال: نعم حسدا و قد حسد إبليس آدم فأخرجه من الجنة، و نعم ظلما و إنك لتعلم يا أمير المؤمنين صاحب الحق من هو.. يا أمير المؤمنين، ألم تحتج العرب على العجم بحق رسول الله و احتجت قريش على سائر العرب بحق رسول الله؟ فنحن أحق برسول الله من سائر قريش و غيرها.

فقال عمر: إليك عني يا ابن عباس، فلما رآه عمر قائما يريد أن يبرح خشى أن يكون قد أساء إليه فأسرع يقول متلظفا به: أيها المنصرف! إنني على ما كان منك لراع حقك.

فالتفت ابن عباس إليه و هو يقول و لم يزايله جدّه: إن لي عليك يا أمير المؤمنين و على كل المسلمين حقا برسول الله، فمن حفظه فحق نفسه حفظ، و من أضاعه فحق نفسه أضاع (١).

موقف الإمام (عليه السلام) من الشورى:

ألم الحزن و الأسى بقلب الإمام عليّ (عليه السلام)، و ساورته الشكوك و المخاوف من موقف عمر و ترشيحه، فأيقن أنّ في الأمر مكيدة دبّرت لإقصائه عن الخلافة و حرف الحكومه الإسلاميه عن مسارها الصحيح، و ما إن خرج الإمام (عليه السلام) من عند عمر؛ حتى تلقاه عمّه العباس فبادره قائلا:

يا عمّ، لقد عدلت عني، فقال العباس: من أعلمك بذلك، فقال عليّ (عليه السلام): قرن بي عثمان، و قال عمر: كونوا مع الأكثر، فإن رضى رجلان رجلا و رجلان رجلا فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، فسعد لا يخالف ابن عمّه عبد

ص: ١٥٩

١- ((١)) تاريخ الطبري: ٢٨٩/٣ و ٢٩٠ ط مؤسسه الأعلمی.

الرحمن و عبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفون، فيولياها عبد الرحمن عثمان أو يولياها عثمان عبد الرحمن، فلو كان الآخرا معى لم ينفعانى (١).

و صدق تفزس الإمام (عليه السلام) فقد آلت الخلافة إلى عثمان بتواطؤ عبد الرحمن، فقد روى أنّ سعدا وهب حقه في الشورى لابن عمه عبد الرحمن، و مال طلحه لعثمان فوهب له حقه، و لم يبق إلاّ الزبير فتنازل عن حقه لصالح الإمام (عليه السلام)، و هنا عرض عبد الرحمن أن يختار الإمام أو عثمان فقال عمار: إن أردت ألاّ يختلف المسلمون فبايع علينا، فردّ عليه ابن أبي سرح: إن أردت ألاّ تختلف قريش فبايع عثمان، فتأكد التوجه غير السليم للخلافة و بدت أعراض الانحراف واضحة جلية تؤججها نار العصية.

فعرض عبد الرحمن بيعته بشرط السير على كتاب الله و سنه نبيه (صلى الله عليه و آله) و سيره الشيخين، فرفض الإمام سيره الشيخين و قبلها عثمان فتتمت له البيعة، فقال عليّ (عليه السلام) لعبد الرحمن:

«حبوته حبو دهره، ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا، فصبر جميل و الله المستعان على ما تصفون» (٢).

«و الله ما فعلتها إلاّ لأنك رجوت منه ما رجا صاحبكما من صاحبه، دقّ الله بينكما عطر منشم» (٣).

ثم التفت (عليه السلام) إلى الناس ليوضح لهم خطأهم المتكرر في الاستخلاف و رأيه في مصير الرسالة الإسلامية فقال:

«أيها الناس! لقد علمتم أنّي أحقّ بهذا الأمر من غيري، أما و قد انتهى الأمر إلى ما

ص: ١٦٠

١- (١) المصدر السابق: ٥/٢٢٦.

٢- (٢) تاريخ الطبري: ٣/٢٩٧ ط مؤسسه الأعلمى.

٣- (٣) شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ١/١٨٨.

تروى، فوالله لاسالمنّ ما سلمت امور المسلمين، و لم يكن فيها جور إلا علىّ خاصه، التماسا لأجر ذلك و فضله، و زهدا فيما تنافستموه من زخرفه و زبرجه» (١).

إنّ الامام (عليه السّلام) دخل مع الباقيين فى الشورى و هو يعلم بما ستؤول إليه، محاوله منه لإظهار تناقض عمر و من سار على نهجه عند وفاه النبى (صلّى الله عليه و آله) حين كان يرى أنّه لا تجتمع الخلافه و النبوه فى بيت واحد، أمّا الآن فقد رشّح الإمام (عليه السّلام) للخلافه.

روى عن أمير المؤمنين: «و لكننى أدخل معهم فى الشورى لأنّ عمر قد أهلنى الآن للخلافه، و كان قبل ذلك يقول: إنّ رسول الله (صلّى الله عليه و آله) قال: إنّ النبوه و الإمامه لا يجتمعان فى بيت، فأنا أدخل فى ذلك لأظهر للناس مناقضه فعله لروايته» (٢).

و بايع الإمام (عليه السّلام) عثمان بن عفّان سعيًا منه أن يصلح الامّه و يوجّهها، و أن يحافظ على كيانها، فلم يبخل على الامّه بالنصيحه و الهدايه و التريبه، فإن ابعدت الخلافه عنه (عليه السّلام) فإنّه لم يدخر وسعا إلاّ و بذله يوضّح الحقّ و يرشد إليه، و يهدى السبيل الصحيح و يدلّ عليه، و يعين الحاكم حين يعجزه، و يعلمه إذ يجهل، و يردعه إذ يطيش.

لما ذا لم يوافق الإمام (عليه السّلام) على شرط عبد الرحمن بن عوف؟

لم يقف الإمام علىّ (عليه السّلام) موقف المعارض للخليفتين لمصلحه خاصه أو غايه شخصيه، إنّما لصالح الدين و الامّه و العقيدته الإسلاميه، مبتعدا عن الأهواء و الرغبات، مستندا على القرآن و السنّه فى كلّ موقفه، حريصا على الموضوعيه و الرساليه فى كل قرار يتّخذه و هو الراعى لشؤون الرساله و الامّه فى غياب الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و آله)، لئلا يشوب الرساله الإسلاميه شىء يجيد بها عمّا نزلت من أجله.

ص: ١٦١

١- ((١)) نهج البلاغه: الخطبه رقم ٧٤، طبعه صبحى الصالح.

٢- ((٢)) شرح النهج لابن أبى الحديد: ١/١٨٦.

و موقفه من رفض البيعه بشرط سيره الشيخين نابع من هذا المنطلق، فلا يوجد في أصل العقيدة شيء يصحّ أن يسمّى بسيره الشيخين، وإنّما هناك القرآن و السنّه النبويه، فلو أنّ الإمام وافق بهذا الشرط؛ لكان معناه إمضاء سيره الشيخين كالسنّه النبويه، وإنّ في سيره الشيخين أنواع التناقض و التفاوت فيما بينهما معاً، بل فيما بينهما و بين القرآن و السنّه النبويه الشريفه.

ثمّ إنّ الإمام (عليه السلام) يرى أنّ دوره دور المربي بعد النبي (صلّى الله عليه و آله) في هذه الاعمّه، فلم يكن من شأنه أن يوافق على أن يسير بسيره الشيخين ثم يخالفها كما فعل عثمان حيث رضى بهذا الشرط و لكنّه لم يف به.

ص: ١٦٢

إشاره

الإمام عليّ (عليه السلام) في عهد عثمان

(١)

قال أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) واصفا عهد عثمان:

«إلى أن قام ثالث القوم نافجا حوضيه بين ثثله و معتلفه، و قام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمه الإبل نبتة الربيع، إلى أن انتكث عليه فتله، و أجهز عليه عمله، و كتبت به بطنته» (٢).

لم يكن عثمان كسابقه سياسيا ماكرا يدير شؤونه بدقه، فما أن فرضه ابن عوف خليفه للمسلمين و جاءوا به يزفونه إلى مسجد رسول الله (صلّى الله عليه و آله) ليعلن سياسه حكومته الجديده و ما أعدّ من مواقف لمستجدات الامور؛ صعد على المنبر فجلس في الموضوع الذي كان يجلس فيه رسول الله (صلّى الله عليه و آله)، و لم يجلس فيه أبو بكر و لا- عمر، إذ كان أبو بكر يجلس دونه بمرقاه، و عمر كان يجلس دونه أيضا بمرقاه، و تكلم الناس في ذلك فقال بعضهم: اليوم ولد الشرّ (٣).

و لم يستطع أن يتكلم، فقال: أمّا بعد، فإنّ أول مركب صعب، و ما كنا خطباء، و سيعلم الله و إنّ امرأ ليس بينه و بين آدم إلاّ أب ميّت لموعوظ (٤).

ص: ١٦٣

١- (*) استخلاف عثمان بن عفان في ذي الحجه سنه (٢٣)هـ.

٢- (١) نهج البلاغه: من الخطبه الشقشقيه.

٣- (٢) تاريخ يعقوبى: ١٦٣/٢، و البدايه و النهايه: ١٦٦/٧، و تاريخ الخلفاء: ١٦٢.

٤- (٣) راجع الموفقيات: ٢/٢.

وقال اليعقوبى: فقام ملياً لا- يتكلم ثم قال: إن أبا بكر وعمر كانا يعدّان لهذا المقام مقالا و أنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام يشقّ الخطب و إن تعيشوا فسيأتيكم الخطب، ثم نزل (١).

استهلّ عثمان أعماله بامور جعلت عامه المسلمين ينقمون عليه سوى أفراد عشيرته-بنى اميّه-فقد جاهر بقيلته و أظهر ميله لقومه معلنا امويته، فأخذ يسوّدهم و يرفعهم فوق رقاب الناس، فوزّع مناصب الولاية على بنى اميّه و سلّم إليهم مقاليد الامور يعثون بلا رادع لهم.

وقد تجاوز عثمان حدود سياسته سلطه العشيره التى رسمها أبو بكر وعمر، و حصر المناصب و المهامّ الرسميه ضمن دائره ضيقه هى بنى اميّه.

و لم يعبا بنصح و تحذير الصحابه و على رأسهم أمير المؤمنين (عليه السلام)، فإنّ عثمان وصل إلى الحكم و قد استفحل التوجّه القبلى فى مقابل النهج الصحيح للحكومه الإسلاميه، و قد ضعف دور العناصر الصالحه فى تغيير سياسته الحاكم مباشره، فقد كان لسياسه أبى بكر وعمر من إبعاد أمير المؤمنين (عليه السلام) عن الحكم و اعتمادهم على آرائهم الأثر الكبير فى انحراف خطّ السلطه الحاكمه و ظهور التيار المعادى لخطّ أهل البيت (عليهم السلام)، لذا فليس من السهل أن ينصاع الخليفه الجديد للنصح و حوله تيار المنافقين و الطلقاء و ذوو المصالح.

أبو سفيان بعد بيعه عثمان:

بعد أن تمّت بيعه عثمان؛ أقبل أبو سفيان إلى دار عثمان بن عفان و قد غصّت بأهله و أعوانه تسودهم نشوه النصر و الفوز بالحكم، و قد بدت على ملامحه علامات الفرح و السرور، تعلقو شدقه بسمه حقود شامت، ففى الأفق تلوح بوادر الاستعلاء بعدما أذلّ كبرياءهم الإسلام، فأدار وجهه يمينا و شمالا قائلا للحاضرين

ص: ١٦٤

المجتمعين في دار عثمان: أفياكم أحد من غيركم؟ فأجابوه بالنفي فقال: يا بني اميّه! تلّفّفوها تلّفّف الكره، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من جنّه و لا نار، و لا حساب و لا عقاب... و لقد كنت أرجوها لكم، و لتصيرنّ إلى صبيانكم وراثه (١).

ثمّ سار إلى قبر سيّد الشهداء حمزه بن عبد المطلب، فوقف على القبر و ركله برجله و قال: يا أبا عماره! إنّ الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسى في يد غلماننا يتلعبون به (٢).

ملاحح سلبيه في حكم عثمان:

تعايش الإمام عليّ (عليه السّلام) مع أبي بكر و عمر، و لم يظهر معارضته العلنيه لهما، فقد كان الانحراف في مسيره الحكومه الإسلاميه مستترا، و كان الإمام (عليه السّلام) يتدخّل في أحيان كثيره لإصلاح موقف الخليفه الخاطيء فيستجيب له، و لم يخش أبو بكر و عمر من الإمام (عليه السّلام) إلّا لكونه الممثل الشرعي للامّه و صاحب الحقّ في الخلافه و قائدا لتيار المعارضه الذي يضمّ أجلاء الصحابه، و لكنّ الإمام تنازل عن حقّه في الخلافه فأثمن القوم من جانبه، و لكنه لم يتنازل عن المبدأ الذي ورثه عن رسول الله (صلّى الله عليه و آله) بكونه المراقب و المحافظ للعقيده الإسلاميه.

أمّا في فتره حكم عثمان فقد استشرى الفساد و دبّ في أجهزه الدوله بصوره علنيه مكشوفه، و انتقلت العدوى إلى فئات المجتمع الإسلامى، فوقف الإمام معلنا رفضه و استنكاره على عثمان بصوره علنيه، و وقف معه الصحابه الأجلّاء أمثال عمّار بن ياسر و أبي ذر، بل حتّى الذين وقفوا موقف المعارض لخلافه أمير المؤمنين لم يرضوا على عثمان سوء إدارته و فساد حكومته، و يمكن لنا أن نجمل طبيعه حكم عثمان و ملامحه فيما يلي:

ص: ١٦٥

١- (١) مروج الذهب: ١/٤٤٠.

٢- (٢) راجع الغدير: ٨/٢٧٨، و الاستيعاب: ٢/٦٩٠، و تاريخ ابن عساكر: ٦/٤٠٧، و الأغاني: ٦/٣٣٥.

إن عثمان وصل الى الحكم و قد تجاوز السبعين عاما،و كان وصولا لأرحامه و لوعا بحبهم و إثثارهم،فقد روى عنه قوله:لو أن بيدي مفاتيح الجنة لأعطيها بنى امية حتى يدخلوا من عند آخرهم. كما أنّ عثمان عاش غنيا مترفا قبل الإسلام،و ظلّ على غناه فى الإسلام،فلم يكن ليتحسّس معاناه الفقراء و آلام المحرومين،فكانت شخصيته مزدوجه فى التعامل مع الجماهير المحرومة التى تطالبه بالعدل و السوية،فيعاملها بالشدّه و القسوة،كما فى تعامله مع عبد الله بن مسعود و عمار بن ياسر و أبى ذر و غيرهم.

و أمّا من جهه أقربائه فقد أدناهم و قلّمدهم الامور،فاستعمل الوليد بن عقبه ابن أبى معيط على الكوفة و هو ممّن أخبر النبىّ (صلّى الله عليه و آله)أنّه من أهل النار،و عبد الله ابن أبى سرح على مصر،و معاوية بن أبى سفيان على الشام،و عبد الله بن عامر على البصرة،و صرف الوليد بن عقبه عن الكوفة و ولّاها سعيد بن العاص (1).

و كان عثمان ضعيفا أمام مروان بن الحكم،يسمع كلامه و ينفذ رغباته، حتى أنّه عندما تألّبت الأمصار على عثمان و تأزّمت الأوضاع؛تدخل الإمام ليهدئ الحاله و يرجع الثائرين-الذين جاءوا يطالبون بإصلاح السياسه الإداريه و الماليه و تبديل الولاة-الى بلدانهم،و أخذ من عثمان شرطا أن لا يطبع مروان بن الحكم و سعيد بن العاص.

و لكن بمجرد أن هدأت الأوضاع؛عاد مروان و حرّض عثمان على أن يخرج و ينال من الثوار،فخرج إليه الإمام علىّ (عليه السّلام)مغضبا فقال: «أما رضيت من مروان و لا رضى منك إلاّ بتحرفك عن دينك و عن عقلك مثل جمل الضعينه يقاد

ص: ١٦٦

١- ((١)) تاريخ اليعقوبى: ١٦٠/٢ و تاريخ الطبرى: ٤٤٥/٣ ط مؤسسه الأعلمى،و أنساب الأشراف للبلاذرى: ٤٩/٥،و حليه الأولياء: ١٥٦/١،و شيخ المضيره أبو هريره: ١٦٦،و الغدير: ٢٣٨/٨-٢٨٦ و النص و الاجتهاد: ٣٩٩.

حيث يسار به، والله ما مروان بذي رأى في دينه ولا نفسه» (١)؟

و في موقف آخر مع الوليد بن عقبه أنّ الخليفة عثمان غضب على الشهود الذين شهدوا على الوليد بشربه الخمر و دفعهم، و هنا تدخل الإمام و هدّد عثمان من عواقب الامور، فأمره الإمام (عليه السلام) باستدعاء الوليد و محاكمته و إقامة الحد عليه، و حين احضر الوليد و ثبتت عليه شهاده الشهود؛ أقام الإمام (عليه السلام) عليه الحدّ ممّا أغضب عثمان، فقال للإمام: ليس لك أن تفعل به هذا، فأجابه الإمام بمنطق الحقّ و الشرع قائلاً: «بل و شرّ من هذا إذا فسق و منع حقّ الله أن يؤخذ منه» (٢).

و أمّا سياسته عثمان الماليه فقد كانت امتدادا لسياسه عمر من إيجاد الطبقية و تقديم بعض الناس على بعض في العطاء، إلا أنّها أكثر فسادا من سياسته سابقه، فقد أثرى بنى امية ثراء فاحشا، و حين اعترض عليه خازن بيت المال قال له: إنّما أنت خازن لنا، فإذا أعطيناك فخذ و إذا سكتنا عنك فاسكت، فقال: و الله ما أنا لك بخازن و لا لأهل بيتك، إنّما أنا خازن للمسلمين.. و جاء يوم الجمعة و عثمان يخطب فقال: أيها الناس! زعم عثمان أنّي خازن له و لأهل بيته، و إنّما كنت خازنا للمسلمين، و هذه مفاتيح بيت مالكم، و رمى بها (٣).

موقف للإمام علي (عليه السلام) مع عثمان:

نقم المسلمون على عثمان، و تصلّب خيار الصحابه في مواقفهم تجاه انحراف الخليفة و جهازه الحاكم، و في قبال ذلك أمعن عثمان بالتنكيل بالمعارضين و المنذدين بسياسته المنحرفه، و بالغ في ذلك دون أن يرعوى لصحابه رسول الله (صلّى الله عليه و آله)، فمن ذلك أنّ أباذر الصحابيّ الجليل أكثر من اعتراضه

ص: ١٦٧

١- ((١)) الطبري: ٣٩٧/٣ ط مؤسسه الأعلمي.

٢- ((٢)) مروج الذهب: ٢٢٥/٢.

٣- ((٣)) الطبقات لابن سعد: ٣٨٨/٥، و تاريخ يعقوبي: ١٥٣/٢، و أنساب الأشراف: ٥٨/٥، و المعارف لابن قتيبه: ص ٨٤، و شيخ المضيره أبو هريره: ١٦٩، و الغدير: ٢٧٦/٨.

على مساويئ عثمان، فسّيره إلى الشام، ولم يطق معاويه وجوده فأرجعه إلى المدينه، واستمرّ أبو ذر بجهاده و إنكاره السياسه الامويه، فضاق عثمان به ذرعا فقرّر نفيه الى الربذه و منع الناس من توديعه.

و لكنّ الإمام عليّ (عليه السّلام) خفّ لتوديعه و معه الحسنان و عقيل و عبد الله بن جعفر، فاعترضهم مروان بن الحكم ليردهم، فثار الإمام عليّ (عليه السّلام) فحمل على مروان، و ضرب اذني دابته و صاح به: تنحّ نحاك الله إلى النار (١)، و وقف الإمام عليّ (عليه السّلام) مودعا أبا ذر فقال له: «يا أباذر! إنك غضبت لله فارح من غضبت له، إنّ القوم خافوك على دنياهم، و خفتهم على دينك، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه، و اهرب بما خفتهم عليه، فما أحوجهم إلى ما منعتهم! و ما أغناك عما منعوك! و ستعلم من الرابع غدا و الأكثر حسدا!» (٢).

فلما رجع عليّ (عليه السّلام) من توديع أبي ذر؛ استقبله الناس فقالوا له: إنّ عثمان عليك غضبان، فقال عليّ (عليه السّلام): «غضب الخيل على اللجم».

الآثار السلبيه لحكومته عثمان في الامه:

كانت حكومه عثمان استمرارا للخبط السياسى الحاكم غير الواعى لمحتوى الرساله سلوكا و معتقدا، فتركت آثارها السيئه على مسيره الحكومه الإسلاميه و الامه ككل، و أضافت مثالب و مطاعن في وضوح الرساله الإسلاميه لدى الجماهير الإسلاميه التى لم تعش مع القائد المعصوم- النبى (صلّى الله عليه و آله)- سوى عقد واحد رأته فيها حاكما و مربيا، و اشتعلت نار الفتن في أطراف البلاد الإسلاميه و التى جرّت على المسلمين الولايات و الملمات، فإننا من خلال سيرنا أغوار التاريخ نستنتج ما يلي:

ص: ١٦٨

١- (١) مروج الذهب: ٣٥٠/٢.

٢- (٢) شرح النهج: ٥٤/٣، و ذكر ذلك أبو بكر أحمد بن عبد العزيز في كتابه السقيفه، و أعيان الشيعة: ٣٣٦/٣.

١- إنَّ حكومه عثمان ابتعدت عن نهج الشريعة الإسلامية، فعطّلت الحدود و أشاعت الفساد و تهاونت في محاسبه المسؤولين عن ذلك، و هذا ما فسح المجال لشيوع الفوضى في السلوك الاجتماعي و بثَّ روح التمرد على القانون. و كان من مظاهر الفساد شيوع الاستهتار و الاستخفاف بالقيم و الأحكام الإسلامية، فنجد أنَّ بيوت الولاة و الشخصيات المتنفّذه تعجّ بحفلات الغناء و مجالس الخمره (١).

٢- ركّزت حكومه عثمان على روح العصبيه القبلية التي شرّعها أبو بكر في نهجه السياسي القبلي، فتوضّح في بروز سلطه بنى اميه كاسره لها سلطتها على جميع مرافق الدوله لا لشيء سوى أنَّها ترى لنفسها السيادة المطلقة التي انتزعها الإسلام منها، لأنَّها ليس لها أساس شرعي، و أصبح بنو اميه جبهه سياسيه قويه لها توجهها المناوي للإسلام و خصوصا لخطّ آل البيت (عليهم السّلام) فأصبحوا فيما بعد العقبه الرئيسه أمام حكم الإمام عليّ (عليه السّلام)، حيث تكتلوا حول معاويه بن أبي سفيان في مواجهه الإمام عليّ (عليه السّلام).

٣- اعتبرت حكومه عثمان أنَّ الحكم حقّ موهوب لهم و لا يحقّ لأحد انتزاعه، و اتخذوه وسيلة لإرضاء رغباتهم المنحرفه و شهواتهم الشيطانيه، و لم تجعل من الحكم وسيلة للإصلاح الاجتماعي و نشر الرّسالة الإسلاميه في بقاع الأرض (٢) ممّا شجّع الكثيرين في السعي للتسلّق الى الحكم للتمتّع بالسلطه و الجاه، فعمرو بن العاص و معاويه و طلحه و الزبير لم يكونوا ينشدون من السعي للحكم أيّ هدف إنساني أو اجتماعي يعود بالنفع و المصلحه على الامه.

٤- خلقت حكومه عثمان طبقه كبيره من الأثرياء (٣) تتصرّر مصالحتها مع الحكومه القائمه في مواجهه حكومه تطالب بتطبيق الحقّ و الشرع، ممّا أدّى إلى

ص: ١٦٩

١- (١) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني: ١٧٩/٧.

٢- (٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ٦٤/٣، و تاريخ الطبري: ٣٤١/٥-٣٤٦.

٣- (٣) مروج الذهب: ٣٤٢/٢.

تحرك قطعات المسلمين الفقراء للمطالبه بالقوه فى إصلاح النظام المالى و تطوير الحياه الاقتصاديه و تنظيم الدخل الفردى. و حركه أبى ذر تجاه الفساد المالى للحكومہ خير شاهد و دليل على عمق تفشى الفقر فى أوساط الامه.

٥- إن استعمال العنف و القوه و الشده و القسوه فى التعامل مع المعترضين و إهانتهم و لد رده فعل معاكسه للثوره على النظام القائم عسكريا، و كان مقتل عثمان نقطه تحوّل فى الصراعات الدائره بين و جهات نظر المسلمين، فعمل السيف عمله فى أفراد الامه و أوجهه و زاد فيه تعنت بنى اميه و من والا هم على تحدى الحقّ و رغبه الامه فى الإصلاح.

و هذا ما فسح المجال أمام النفعيين فى الوصول الى الحكم بقوه السيف بعد أن افترت الامه الإسلاميه فى توجهاتها السياسيه، كل فرقه تريد الحكم لنفسها.

٦- خلف مقتل عثمان فتنه يتأجج أوارها كل حين، و شعارا يرفعه النفعيون و الخارجون على الطاعه و البيعه لإثاره المشاكل و الحروب تجاه حكومه شرعيه جماهيريه بزعامه الإمام على (عليه السلام)، و تكامل دور الفتنة و الشقاق على يد معاويه فيما بعد، فحارب الإمام (عليه السلام) و سالت دماء المسلمين كثيرا، ثم حزفوا التوجه الدينى الصحيح الى ثقافه مشبوهه يحركون بها المجتمع لغرض إدامه سلطانهم الذى تحوّل إلى ملك متوارث، يساعدهم على ذلك سعه الدوله الإسلاميه الجديده و وجود فئات واسعه من المجتمع الإسلامى لم تفهم العقيدہ الإلهيه بوعى و بصيره.

٧- من نتائج الثوره على عثمان أن وجدت فئات مسلحه من مختلف الأقطار الإسلاميه لا زالت تحيط بالمدينه تنتظر مصير الحكومه، كما أن الأحداث أثبتت و شجعت على تحرك الجماهير لتغيير الحكم بالقوه، و هذا يعتبر ورقه ضغط قويّه تؤثر على الحكم الجديد.

الباب الرابع

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

الإمام عليّ (عليه السلام) بعد مقتل عثمان

الفصل الثاني:

الإمام عليّ (عليه السلام) مع الناكثين

الفصل الثالث:

الإمام عليّ (عليه السلام) مع القاسطين

الفصل الرابع:

الإمام عليّ (عليه السلام) مع المارقين

الفصل الخامس:

الإمام عليّ (عليه السلام) شهيد المحراب

الفصل السادس:

تراث الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)

ص: ١٧١

إشاره

الإمام عليّ (عليه السلام) بعد مقتل عثمان

بيعه المسلمين للإمام عليّ (عليه السلام) :

(١)

سادت الفوضى أرجاء المدينة بعد مقتل عثمان؛ فاتّجعت الأنظار والآراء إلى الإمام عليّ (عليه السلام) لينقذ الأمة من محنتها وتخبّطها، ولم يتجرأ أحد أن يدعى أحقيته بالخلافه التي تكتنف طريقها المشاكل المستعصية، كما أنّ الظرف السياسي لم يمهل عثمان أن يتخذ قراراً بشأن الخلافه كما اتّخذ أصحابه من قبل، ولم يكن المتبقّي من أصحاب الشورى يملك مؤهلات الخلافه أصلاً، فكيف وقد تعقّدت الامور و تدهور وضع الدوله و كيانها، ولا بدّ أن يتزعّم الأمة قائد يملك القدره للنهوض بالأمة بعد انحطاطها و قيادتها لاجتياز الأزمه وصيانتها عن الضياع، و لم يكن من شخص إلاّ الإمام عليّ (عليه السلام) راعيها و سيدها.

تحركت جماهير المسلمين بإصرار نحو الإمام عليّ (عليه السلام) لتضغط عليه كي يقبل قيادتها، ولكنّ الإمام (عليه السلام) استقبل الجماهير المندفعة بوجوم و تردد، فقد حرم منها و هو صاحبها و جاءته بعد أن امتلأت الساحة انحرافا و الامه تردّيا، و تجذّرت فيها مشاكل تستعصي دون النجاح في المسيره، فقال لهم: «لا حاجه لى

ص: ١٧٣

فى أمركم أنا معكم فمن اخترتم رضيت به فاختاروا» (١). وقال (عليه السلام): «لا تفعلوا فإنى أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً» (٢).

و أوضح لهم الإمام (عليه السلام) عمّا سيجرى فقال: «أيها الناس! أنتم مستقبلون أمراً له وجوه و ألوان، لا تقوم به القلوب، و لا تثبت له العقول...» (٣) و أمام إصرار الجماهير على توليته الأمر قال لهم: «إنى إن أحببتكم ركب بكم ما أعلم... و إن تركتمونى فإنما أنا كأحدكم، ألا و إنى من أسمعكم و أطوعكم لمن وليتموه أمركم» ٤.. و تكاثرت جموع الناس نحو الإمام و قد وصف (عليه السلام) توجههم نحوه مطالبين قبوله بالخلافه بقوله:

«فما راعنى إلا و الناس كعرف الضبع يتنالون على من كل جانب حتى لقد وطئ الحسان و شقّ عطفائى مجتمعين حولى كريضه الغنم» (٤).

لم يكن الإمام حريصاً على السلطان، بل كان حرصه أن ينقذ ما بقى من الامه، و أن يحافظ على الشريعه الإسلاميه نقيته من الشوائب و البدع، فقبل أن يتولّى أمر الخلافه و لكّنه آخر القبول إلى اليوم الثانى، و أن تكون بيعه الجماهير عنيه فى المسجد، رافضاً بذلك اسلوب بيعه السقيفه و التوصيه و الشورى، و فى الوقت ذاته ليعطى الامه فرصه اخرى كى تمتحن عواطفها و قرارها فى الخضوع له، فقد ضيّعت فيما سبق نصوص النبى (صلى الله عليه و آله) على خلافته فانحرفت. و من هنا قال (عليه السلام): «و الله ما تقدّمت عليها- أى الخلافه- إلا خوفاً من أن ينزو على الامه تيسر عليج من بنى اميه فيلعب بكتاب الله عز و جل» (٥).

لقد كانت خطوره الموقف من نفوذ بنى اميه فى مراكز الدوله و طمعهم الشديد للسلطان فى حاله من غياب الوعى الرسالى فى المجتمع.

ص: ١٧٤

١- ((١)) تاريخ الطبرى: ٣/ ٤٥٠ ط مؤسسه الأعلمى.

٢- ((٢)) المصدر السابق.

٣- ((٣ و ٤)) نهج البلاغه: الكلمه (٩٢).

٤- ((٥)) نهج البلاغه: الخطبه (٣) المعروفه بالشقشقيه.

٥- ((٦)) عن أنساب الأشراف ١: ق ١٥٧/١.

و ما أن أقبل الصباح؛ حتى حَفَّت الجماهير بالإمام (عليه السّلام) تسير نحو المسجد، فاعتلى المنبر و خاطب الجماهير: «يا أيّها الناس! إنّ هذا أمركم ليس لأحد فيه حقّ إلّا- من أمرتم، وقد افترقنا بالأمس و كنت كارها لأمركم، فأبيتم إلّا- أن أكون عليكم، ألا و إنّّه ليس لى أن آخذ درهما دونكم، فإن شئتم قعدت لكم، و إلّا فلا آخذ على أحد...».

فهتفت الجماهير بصوت واحد: نحن على ما فرقناك عليه بالأمس.. و قالوا:

نبايعك على كتاب الله، فقال (عليه السّلام): اللهمّ اشهد عليهم (١).

و تدافع الناس كالموج المتلاطم إلى البيعه، فكان أول من بايع طلحه بيده الشّلاء و الذى سرعان ما نكث بها عهد الله و ميثاقه، و جاء بعده الزبير فبايع، ثمّ بايعه أهالى الأمصار و عامّه الناس من أهل بدر و المهاجرين و الأنصار عامّه.

كانت بيعه الإمام عليّ (عليه السّلام) أول حركة انتخاب جماهيريه، و لم يحض أحد من الخلفاء بمثل هذه البيعه، و بلغ سرور الناس ببيعتهم أقصاه، فقد أطلّت عليهم حكومه الحقّ و العدل، و تقلّمد الخلافة صاحبها الشرعى ناصر المستضعفين و المظلومين، و فرحت الامة بقبول الإمام للخلافة كما وصف الإمام (عليه السّلام) ذلك بقوله: «و بلغ سرور الناس ببيعتهم إياى أن ابتهج بها الصغير، و هذج اليها الكبير، و تحامل نحوها العليل، و حسرت إليها الكعاب» (٢).

المتخلفون عن بيعه الإمام (عليه السّلام):

إنّه لأمر طبيعى أن يقف ضد الحقّ أو يحايد من ساءت سريرته و ضعف يقينه و أضمرت نفسه الحقد و الحسد، فرغم أنّ الإمام عليا (عليه السّلام) هو الخليفة الشرعى كما نصّت على ذلك الأحاديث النبويّه الشريفه، و أكدها تاريخ الرساله الإسلاميه بأنّ خير من يصون الامة و الرساله بعد غياب النّبى (صلّى الله عليه و آله) هو الإمام

ص: ١٧٥

١- (١) أنساب الأشراف: ٢٢/٥.

٢- (٢) نهج البلاغه: الكلمه (٢٢٩).

علی (علیه السلام) لما له من قابليات و مؤهلات لا تتوفر لغيره من المسلمين، كما و أنّ الأئمة هي التي فرغت الى الإمام بكل شرائحها و فئاتها ترتجى منه قبول الخلافه، لكننا نجد أنّ فئه قليله اتّسمت بالانحراف عن الحقّ و الجبن في مواجهته بدأت ترتدّ عن بيعتها.

لقد كان تخلفهم خرقا لإجماع الأئمة و تحديا لبيعتهما، و بذلك فتحوا بابا جديده في تأجيح الفتنة و استمرار الصراع الداخلي، و من هؤلاء المتخلفين: سعد ابن أبي وقاص، و عبد الله بن عمر، و كعب بن مالك، و مسلمه بن مخلد، و أبو سعيد الخدرى، و محمد بن مسلمه، و النعمان بن البشير، و رافع بن خديج، و عبد الله بن سلام، و قدامه بن مظعون، و اسامه بن زيد، و المغيرة بن شعبه، و صهيب بن سنان، و معاويه بن أبي سفيان (١).

و لكنّ بعضهم ندم على تفريطه في أمر بيعه الإمام، و أما موقف الإمام (عليه السلام) من هؤلاء فإنّه لم يتعرّض لأحد منهم بأى سوء، و تركهم و حالهم في الأئمة لهم ما للناس و عليهم ما على الناس.

عقبات في طريق حكومه الإمام (عليه السلام):

وصل الإمام عليّ (عليه السلام) إلى الحكم بعد ربع قرن من عزله عن ممارسه الحكم الإسلامى و قياده الأئمة و الدوله، و هما يسيران في مسارات منحرفه للسلطات التي حكمت طيله هذه الفتره، فكان هذا عاملا مؤثرا في إضعاف موقف الإمام (عليه السلام) من الأحداث، فطوال الفتره السابقه ألفت الناس أن يروا الإمام محكوما لا حاكما، محكوما لاناس أقلّ كفاءه و شأنا منه.. كما أنّ عددا من الشخصيات تنامى لديها الشعور بالمنافسه و بلوغ قمه السلطه لتحقيق أغراضهم الشخصيه، فالزبير في السقيفه كان يدافع عن حقّ الإمام (عليه السلام) مقابل الفئات

ص: ١٧٦

١- ((١)) تاريخ الطبرى: ٤٥٢/٣ ط مؤسسه الأعلمی.

المندفعه نحو السلطه، ثم نجده اليوم ينازع الإمام على السلطه، و معاويه الطليق ابن الطليق أصبح بعد هذه المدّه مناوئا قويا يهدّد كيان الدوله.

و أيضا ممّا أعاق حركه الإمام أنّ العناصر التي وقفت ضده على الخطّ المنحرف كان أغلبهم ممن له صحبه مع رسول الله (صلّى الله عليه و آله) و هذا ممّا انخدع به أعداد كبيره من المسلمين، و عقّد الأمر على نجاح حكومته (عليه السلام) و استمراره في الحكم.

إضافه الى أنّ الإمام (عليه السلام) استلم دوله متراميه الأطراف، ففي زمن أبي بكر لم تكن تتجاوز الدوله الإسلاميه حدود الجزيره و العراق، أمّا في عهد الإمام فإنّها تمتد الى شمال أفريقيا و أواسط آسيا إضافه الى تمام الجزيره و العراق و الشام، و قد دخل في الإسلام أقوام من غير العرب، و هؤلاء المسلمون الجدد فتحوا عهدهم مع الإسلام في ظلّ حكومه غير معصومه، بل منحرفه عن الخطّ الصحيح للرساله الإسلاميه، و كان على حكومه الإمام القيام بمهامّ رئيسيه في أقصر وقت مع وجود الصراع الداخلي فمنها:

١-هدم الكيان الطبقي الذي أنشأه الخلفاء و ذلك عبر:

أ-المساواه في العطاء بين المسلمين جميعا، متبعا في ذلك سنّه رسول الله (صلّى الله عليه و آله) التي أهملها من كان قبله من الخلفاء، و قد أوضح في خطبته سياسه التوزيع النابعه من حكم الله إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم فقال:

«ألا و أيما رجل استجاب لله و للرسول فصّدق ملّتنا و دخل في ديننا و استقبل قبلتنا؛ فقد استوجب حقوق الإسلام و حدوده، فأنتم عباد الله، و المال مال الله، يقسم بينكم بالسويّه، لا فضل فيه لأحد على أحد، و للمتقين عند الله غدا أحسن الجزاء و أفضل الثواب» (١).

ب-استرجاع الأموال المنهوبه من بيت المال في عهد عثمان، فقد أعلن الإمام أنّ الأموال المأخوذه بغير حقّ -و ما أكثرها في عهد عثمان- لا بدّ أن ترجع

ص: ١٧٧

إلى بيت المال، حيث كانت الأموال الطائفة عند طبقه محيطه بالخليفة أو أنّ عثمان كان يعطيها ليستميلها إليه. فقال (عليه السلام): «ألا إنّ كلّ قطيعه أقطعها عثمان و كلّ مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال، فإنّ الحقّ لا يبطله شيء، ولو وجدته قد تزوج به النساء و ملك به الإمام و فرّق في البلدان لرددته، فإنّ في العدل سعة، و من ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق» (١).

هذه السياسة الماليه لم ترق لقريش، فقد كان العديد من أقطابها تنالهم قرارات الإمام و هم في أنفه الطغيان و التكبر و الاستعلاء، مثل: مروان بن الحكم و طلحه و الزبير، فما أن استوثقوا الجدد في عمل الإمام حتى بدأوا بإثارة الفتنة و الإحن أمام حكومه الإمام، حتى أنّ طلحه و الزبير جاءا إلى الإمام (عليه السلام) يعترضان على ذلك فقالا: إنّ لنا قرابه من نبي الله و سابقه و جهادا، و إنك أعطيتنا بالسويه و لم يكن عمر و لا عثمان يعطوننا بالسويه، كانوا يفضلونا على غيرنا.

فقال (عليه السلام): فهذا كتاب الله فانظروا ما لكم من حقّ فخذوه، قالوا: فساقتنا! قال (عليه السلام): أنتما أسبق متى؟ قالوا: لا، فقرابتنا من النبي (صلى الله عليه و آله) قال (عليه السلام): أقرب من قرابتي؟ قالوا: لا، فجهدنا، قال (عليه السلام): أعظم من جهادي؟ قالوا: لا، قال (عليه السلام): فوالله ما أنا في هذا المال و أجيري إلا بمنزله سواء (٢).

ج- المساواه أمام حكم الله تعالى:

لم يكن الإمام (عليه السلام) غافلا عن تطبيق أحكام الشريعة في عهد من سبقه من الخلفاء، فكان يحكم و يفصل بالحقّ و العدل، إذ يعجز غيره، و ما أن استلم زمام امور الدولة؛ حتى ضرب أروع صنوف العدل و سلك أوضح سبل الحقّ مظهرا عدل الشريعة الإلهيه و قدره الإسلام على إقامة دوله تنعم بالحرية و الأمان و العدل.

و مواقف الإمام (عليه السلام) كثيره و ما كان يتحرّج أن يجرى القانون على نفسه و أهل

ص: ١٧٨

١- (١) نهج البلاغه: الخطبه (١٥).

٢- (٢) بحار الأنوار: ١١٦/٤١.

بيته و أصحابه، فقد ترفع مع اليهودى الى شريح القاضى ليفصل بينهم فى درع افتقده (عليه السلام) (١).

وقد كانت أحكام الإمام فى فصل القضاء نابعه من عمق الشريعة وسعه علم الإمام بامور الدين و الدنيا، و تدلّ على العصمه فى الفكر و العمل.

٢- التنظيم الإدارى و إعادته للسيطره المركزيه للدوله:

فقد قام الإمام (عليه السلام) بإعفاء الولاة الذين عينهم عثمان من مناصبهم، و نصب ولاة كانوا جديرين بهذه المهمة، و هم محلّ ثقة المسلمين، فأرسل عثمان بن حنيف الأنصارى بدلا عن عبد الله بن عامر الى البصره، و على الكوفه أرسل عماره بن شهاب بدلا عن أبى موسى الأشعري، و على اليمن عبيد الله بن عباس بدلا عن يعلى بن منبه، و على مصر قيس بن سعد بن عباده بدلا عن عبد الله بن سعد، و على الشام سهل بن حنيف بدلا من معاوية بن أبى سفيان، كلّ هذا لسوء سيره الولاة السابقين و فساد إداراتهم حتى آخر لحظه، فقد استولى يعلى بن منبه على بيت مال اليمن و هرب به، و حرّك معاوية قوّه عسكريه لصدّ سهل بن حنيف عن ممارسه مهامّه الجديده (٢).

و فى عمله اختيار الولاة الجدد كان الإمام (عليه السلام) دقيقا و موضوعيا و حريصا على تطبيق الشريعة الإسلاميه بجهازه الإدارى الجديد، و قد أعاد الثقة للأنصار بأنفسهم و رفع معنوياتهم، إذ أشركهم فى الحكم، كما أنّ الإمام لم يكن مستعدّا لقبول الحلول المنحرفه أو أنصاف الحلول، فقد كان حازما فى اجتثاث الفساد، فقد رفض (عليه السلام) اقتراح إبقاء معاوية على الشام حتى يستقر حكم

ص: ١٧٩

-
- ١- ((١)) السنن الكبرى: ١٣٦/١٠، و تاريخ دمشق: ١٩٦/٣، و قد وردت مواقف الإمام هذه فى عدّه مصادر منها: الأغانى: ٣٦/١٦، و البدايه و النهايه: ٤/٨، و الكامل فى التاريخ: ٣٩٩/٣، و الصواعق المحرقة: ٧٨.
- ٢- ((٢)) تاريخ الطبرى: ٣/٤٦٢ ط مؤسسه الأعلمى.

الإمام ثمّ تنحيته فيما بعد (١).

حاول الإمام فرض سيطره الخلفه المركزيه على ولايه الشام بعد أن امتنع معاويه فيها عن البيعه، فدفع الرايه الى ولده محمد بن الحنفيه، وولى عبد الله بن عباس على ميمته و عمر بن أبي سلمه على الميسره، و دعا أبا ليلي بن عمر بن الجراح فجعله على مقدمه الجيش، و خطب في أهل المدينه و حثهم على القتال، و لكن حال دون التحرك ووصول خبر خروج طلحه و الزبير على حكم الإمام الى البصره بعد أن كانا قد استأذناه في الخروج للعره فأذن لهم، و كان قد حذرهم من نكث البيعه (٢).

محاوّر عمل الإمام (عليه السلام) في الأئمه:

هناك دور مفروض في الشريعه الإسلاميه لشخصيه يرضى شؤون الرساله الإسلاميه و ديمومتها في الحياه و مقاومتها في الصراع مع التيارات المختلفه بعد غياب النبي القائد (صلّى الله عليه و آله) و قد نصّت الشريعه على أنّ الإمام عليّاً (عليه السلام) و من بعده أبناءه هم المعيتون بذلك.

و ممارسه دور الراعي و القائد لشؤون الرساله تقتضى أن يتولّى الإمام المعصوم أعلى السلطات في الدوله، و لكن بعد وفاه الرسول تدخّلت عناصر غير مؤهله لذلك في ظرف معقّد فاستولت على السلطه، و لم يكن ذلك ليمنع الإمام (عليه السلام) عن ممارسه دوره، و لكن طبيعه الصراع تقتضى تعدّد الدور و تنوّعه، فعمل الإمام عليّ (عليه السلام) على محورين في محاوله منه لإصلاح انحراف الأئمه و المحافظه على عقائدها و مقدّساتها:

المحور الأول: السعى لاستلام مقاليد الحكم و زمام التجربه، و النهوض بالأئمه

ص: ١٨٠

١- ((١)) تاريخ الطبري: ٣/٤٦١ و ٤٦٢ ط مؤسسه الأعلمي، و البدايه و النهايه: ٧/٢٥٥.

٢- ((٢)) تاريخ الطبري: ٣/٤٦٩.

فى الاستمرار بمسيرتها نحو هدفها السماوى الذى فرضه الله سبحانه و تعالى. و قد عمل الإمام على هذا المحور بعد وفاه النبى (صلى الله عليه و آله) مباشرة، كما عبّر عن مسؤوليته تجاه هذا الأمر بقوله (عليه السلام): «لولا حضور الحاضر و قيام الحجّ بوجود الناصر و ما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظّه ظالم و لا سغب مظلوم؛ لألقت حبلها على غاربها» (١).

فحاول الإمام (عليه السلام) تعبئه الأمة، و لكنّه لم يتمكّن أن يصل الى حدّ إنجاح هذه المحاولة لأسباب منها:

١- عدم وعى الأمة لرزيه يوم السقيفه و ما جرى فيها من مؤامرات سياسيه و توجهات خاطئه كانت خافيه على شريحه كبيره من الأمة.

٢- عدم فهم دور و مسؤوليه الإمام و الإمامه، فقد تصوّروه مطلباً شخصياً و هدفاً فردياً، و لكنّ الحقيقه أنّ دخول الإمام فى مواجهه الحاكمين كان بوعى رسالى و إراداه صادقه لاستمرار الرساله الاسلاميه نقيه كما شرّعها الله بعيدة عن الزيف و الانحراف، و مضحياً بكلّ شىء من أجل ذلك حتى لو كان ذلك تعدياً على حقّه الشخصى، فالمقياس هو سلامه الرساله و ديمومتها على اسس الحقّ و العدل الإلهى و هو القائل: «إعرف الحقّ تعرف أهله» (٢) و قد قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«علّى مع الحقّ و الحقّ مع علّى» (٣).

كما أنّ الامام علياً (عليه السلام) عمل بشموليه و على جميع المستويات موقفاً بين النظرية و التطبيق، فربّى أصحابه على أنّهم أصحاب الأهداف الرساله لا أصحاب الأشخاص يميلون مع هذا الطرف أو ذاك، و نجد أنّ الإمام رفض أن يستلم الحكم بشرط السير بسيره من قبله، إذ كانت تسيء الى الرساله و المجتمع.

٣- الرواسب الجاهليه المتأصله فى فكر الأمة، فالعهد قريب و لم تدرك

ص: ١٨١

١- ((١)) نهج البلاغه: الخطبه الشقشقيه.

٢- ((٢)) بحار الأنوار: ١٧٩/٦ ط الوفاء.

٣- ((٣)) راجع سنن الترمذى: ٢٩٨/٢ و تاريخ بغداد: ٣٢١/١٤.

الأمه عمق الرساله و الرسول و دور الإمام، فتصوّروا أنّ عهد النبي (صلى الله عليه و آله) بالوصايه للإمام (عليه السّلام) مجرد عمليه ترشيح لأحد أعضاء اسرته، و إنّّه قد يهدف لإحياء أمجاد اسره متطلّعه للمجد و السلطان كما هو دأب غالب الحكّام قبل النبي (صلى الله عليه و آله) و بعده.

٤- دور المنافقين و أطماعهم في زعزعه الاستقرار الأمنى و الاجتماعى، و محاوله إثارة النوازع و الأحقاد بين صفوف المسلمين، و تغلغلهم في صفوف الجهاز الحاكم و الدوله و يزدادون توغلاً إذا كان الحاكم ضعيفا أو منحرفا.

٥- الأمراض النفسيه لدى المتصدّين للزعامه، فكان الشعور بالنقص لديهم تجاه الإمام على (عليه السّلام) بدرجه عاليه، حيث كان الإمام (عليه السّلام) يمثل تحدّيا بوجوده، بصدقه، بجهاده، بصراحته، باستبساله و شبابه. (كما ورد في كتاب معاويه لمحمد ابن أبى بكر) (١).

المحور الثانى: و حين لم يفلح المحور الأوّل في بلوغ هدفه عمل الإمام (عليه السّلام) بمنهجيه اخرى، ألا و هى تحصين الأمه ضد الانهيار التامّ و إعطاؤها من المقومات القدر الكافى كى تتمكّن من البقاء صامده في مواجهه المحنه بعد استيلاء فئه غير كفوءه على السلطه و انحدار الأمه عن جادّه الحقّ و الصواب بسببها.

فاجتهد الإمام (عليه السّلام) في تعميق رساله فكريا و روحيا و سياسيا في صفوف الأمه، و تقديم الوجه الحقيقى للنظريه الإسلاميه عبر أساليب منها:

١- التدخّل الإيجابى في عمل الزعامه المنحرفه بعد أن كانوا لا يحسنون مواجهه و معالجه القضايا الكثيره البسيطه منها و المعقدّه. و توجيههم نحو المسار الصحيح لإنقاذ الأمه من مزيد الضياع، فكان دور الإمام (عليه السّلام) دور الرقيب الرسالى الذى يتدخّل لتقويم الأود.

و نجد الإمام يتدخّل للردّ على شبهات المنكرين للرساله بعد أن عجز

ص: ١٨٢

المتصدى للزعامة عن ذلك، و نجده أيضا يتدخل ليعطى للخليفة نصائح عسكريه أو اقتصاديه، و ما أكثر نصائحه و معالجاته القضائيه (١)!

٢- توجيه مسار سياسه الخليفه و منعها من المزيد من الانحراف من خلال الوعظ و النصيحه، و بدا هذا الاسلوب جليا فى عهد عثمان بن عفان حيث كان لا يقبل التوجيه و النصيحه.

٣- تقديم المثل الأعلى للإسلام و الصوره الحقيقيه لطبيعته و شكل الحكم و المجتمع الإسلامى، و قد ظهر هذا واضحا فى فتره حكومه الإمام (عليه السلام)، و على هذا الأساس استند قبول الإمام للحكم بعد أن رفضه، فقد مارس دور القائد السياسى المحنك و الحاكم العادل و نموذج الإنسان الذى صاغته الرساله الإسلاميه و كان مثالا يحتذى به لبلوغ هدف الرساله، فهو المعصوم عن الخطأ و الزلل و الدنس فى الفكر و العمل و السير.

٤- تربيته و بناء ثلته صالحه من المسلمين تعين الإمام (عليه السلام) فى حركته الإصلاحيه و التغييريه، و ذلك عبر تحركها فى وسط الامه لإنضاج أفكارها و توسيع قاعدته الفئه الواعيه الصالحه، و تستمر فى مسيرها عبر التاريخ لتواصل الأجيال اللاحقه فى العمل وفق النهج الإسلامى (٢).

٥- إحياء سنه رسول الله (صلى الله عليه و آله) و التنبه عليها و تدوينها و الاهتمام بالقرآن تلاوه و حفظا و تفسيرا و تدوينا، إذ هما عماد الشريعه، و لا بد أن تدرك الامه حقائق القرآن و السنه كما شرعت و كما اريد لها أن تفهمها.

الثقافه الإسلاميه فى حكم الخلفاء :

(٣)

من أخطر المشاكل التى تواجهها الرسالات و العقائد هو تصدى الفئات

ص: ١٨٣

١- (١) تاريخ يعقوبى: ١٣٣/٢، ١٤٥.

٢- (٢) أهل البيت تنوع أدوار و وحده هدف للشهيد السيد محمّد باقر الصدر: ٥٩-٦٩.

٣- (*) للمزيد من التفصيل راجع معالم المدرستين للسيد مرتضى العسكري: ٤٣/٢.

العاجزه و الفارغه فكريا للدفاع عنها أو تطبيقها، و حين يتعرّض المتصدّون للزعامة للاختبار لمعرفة رأى الرساله و مدى علمهم بها فإنّ سكوتهم أو اختلافهم سيزرع شكّا لدى الجماهير و يزعزع ثقتهم بالرساله و مقدرتها على مجاراه الحياه، و من ثمّ يتحوّل الشكّ الى حاله مرضيه تجعل الامّه تتفاحس عن التفاعل مع الرساله أو الدفاع عنها فى معترك الصراعات و خضمّ الأزمات، و من هنا نجد تصدّى النبىّ (صلّى الله عليه و آله) لكلّ قضيه غامضه أو مجهوله تبدو هنا أو هناك فى حياه الامّه حيث يعطى الموقف الواضح للرساله منها، كما ترى ذلك جليا فى سيره الإمام عليّ (عليه السّلام) من بعده خلال حكم الخلفاء الثلاثه حين كان يظهر للناس عجزهم و قصورهم العلمى و العملى، إذ فسخ (عليه السّلام) المجال إلى أقصاه للبحث و السؤال عندما تسلّم زمام الحكم.

و حين أدركت الفئه الحاكمه أنّها ليست المؤهله للحكم و أنّها قاصره علميا؛ اتّخذت عدّه إجراءات لمعالجه هذه المثالب منها:

١- منع نشر أحاديث رسول الله (صلّى الله عليه و آله) لما فيها من التوجيه العلمى و البعث نحو الوعى و الفاعليه فى الحياه، إضافة إلى أنّ أحاديث الرسول تعلن بوضوح أنّ أهل البيت هم المعيتون بالخلافه و شؤون الرساله دون من عداهم، و من هنا نعلم السرّ فى رفع شعار «حسبنا كتاب الله» الذى تحدّى قائله به رسول الله (صلّى الله عليه و آله) فى مرضه عندما أراد أن يدوّن كتابا لن تضلّ الامّه من بعده.

و يبدو أنّ ظاهره تحديد أو منع نشر أحاديث النبىّ بدأت قبل هذا التاريخ، و ذلك عندما منعت قريش عبد الله بن عمرو بن العاص من كتابه الأحاديث (١)، كما قامت السلطه الحاكمه بحرق الكتب التى تضمّنت نصوصا من أحاديث الرسول (٢).

ص: ١٨٤

١- ((١)) سنن الدارمى: ١/١٢٥، و سنن أبى داود: ٢/٢٦٢، و مسند أحمد: ٢/١٦٢ و تذكره الحفاظ: ٢/١.

٢- ((٢)) طبقات ابن سعد: ٥/١٤٠ ط. بيروت.

٢- إنَّ ظاهره النهى عن السؤال عمياً لا- يعلم من معانى الآيات القرآنية تعنى تجريد الامة من سلاح البحث و التحقيق و التعلّم للقرآن نفسه بعد عزل السنّة عن القرآن، و الاهتمام بظواهر القرآن من دون فسح المجال للتدبّر و التفهّم فى آياته و أحكامه حتى أوصى عمر عمّاله قائلاً: «جردوا القرآن و أقلّوا الرواية عن محمّد و أنا شريككم». بل إنّه عاقب كلّ من يسأل عن تفسير آيات القرآن (١).

٣- فتح باب الاجتهاد فى مقابل النصّ، فقد اجتهد أبو بكر فى جملة من الأحكام من دون أن يستند الى نصّ قرآنى أو حديث عن رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و من ذلك مصادره تركه النبى و منع أهل البيت من حقّهم فى الخمس، و احراقه الفجاءه السلمى (٢) و فتواه فى مسأله الكلاله (٣) و فتواه فى إرث الجدّه (٤)، كما اجتهد عمر بن الخطّاب فى التمييز فى العطاء خلافاً لسنّة رسول الله (صلى الله عليه و آله) (٥) و اجتهد فى منع متعتى الحجّ و النساء و غيرها ممّا تجده فى كتاب (النصّ و الاجتهاد) (٦)، و قد اجتهد عثمان بن عفّان فى إسقاط القود عن عبید الله بن عمر (٧) و تأوّل فى جملة من الأحكام الصريحه خلافاً لما قرّره رسول الله (صلى الله عليه و آله) حتى ثار عليه المسلمون كما عرفت.

كلّ هذه الامور و غيرها أثارت للدوله الإسلاميه و للامّة المسلمه الكثير من المصاعب و المصائب التى كانت السبب الرئيس فى انحراف المسيره المقرّره للرساله الإسلاميه و وقوع الكثيرين فى شباك الفتن و الضلاله حتى قال الإمام

ص: ١٨٥

- ١- (١) تاريخ ابن كثير: ١٠٧/٨، و سنن الدارمى: ٥٤/١، و تفسير الطبرى: ٣٨/٣ و الإتقان للسيوطى: ١١٥/١.
- ٢- (٢) تاريخ الطبرى: ٤٤٨/٢ ط مؤسسه الأعلمى.
- ٣- (٣) سنن الدارمى: ٣٦٥/٢، و السنن الكبرى للبيهقى: ٢٢٣/٦.
- ٤- (٤) سنن الدارمى: ٣٥٩/٢، و اسد الغابه: ٢٩٩/٣.
- ٥- (٥) فتوح البلدان: ص ٥٥، و تاريخ الخلفاء للسيوطى: ١٣٦.
- ٦- (٦) كنز العمال: ٥١٩/١٦ الحديث ٤٥٧١٥، و زاد المعاد لابن القيم: ٢٠٥/٢.
- ٧- (٧) راجع منهاج السنّه لابن تيميه: ١٩٣/٣، و هناك اجتهادات كثيره للخلفاء تذكرها كتب التاريخ.

علی (علیه السلام) عن ذلك:

«إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع وأحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، ويتولى عليها رجال رجلا على غير دين الله، فلو أن الباطل خالص من مزاج الحق؛ لم يخف على المرتادين، ولو أن الحق خالص من لبس الباطل، انقطعت عنه ألسن المعاندين، ولكن يؤخذ من هذا ضغث و من هذا ضغث فيمزجان فهناكك يستولى الشيطان على أوليائه، وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى» (١).

جهود الإمام (عليه السلام) في إحياء الشريعة الإسلامية:

كان الإمام علي (عليه السلام) يرى أن من أوليات مهامه بعد غياب الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) هو صيانته الشريعة المقدسه من الزيغ والانحراف و رعايه شؤون الدوله الإسلاميه حتى تستمر من دون تلكؤ أو توقّف، وقد بذل جهده في ذلك أثناء حكم الخلفاء متغاضيا بمراره و ألم عن حقّه في إداره شؤون الامّه مباشره، و ما أن أمسك زمام الحكم؛ حتى خطا خطوات عظيمه في إحياء سنّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) و في الدعوه الى الحياه في ظلّها، و اهتم اهتماما كبيرا بالقرآن الكريم و تفسيره و تربيّه الامّه و إصلاح الفساد أينما وجد، و يمكننا أن نلاحظ الخطوات التي قام بها الإمام علي (عليه السلام) كما يلي:

١-فتح باب الحوار و السؤال عن القرآن و السنّه و كلّ ما يتعلّق بالشريعة المقدسه أمام الجماهير المسلمه و بصوره علنيه و عامّه من دون أن يتردّد حتى في جواب مخالفه و أعدائه الحاقدين عليه.

٢-الاهتمام بالقراء مراعيًا لشؤونهم و متبعا فيهم سنّه الرسول (صلى الله عليه وآله) في التعليم، فكان تعليم قراءه القرآن مقرّونا بتعلّم و معرفه ما فيه من العلم و العمل و التفقه في أحكام الدين.

ص: ١٨٦

٣- الاهتمام بقراءة المسلمين من غير العرب، أو من الذين لا يحسنون اللغة العربية بصوره صحيحه، فوضع علم النحو لتقويم اللسان عن اللحن في الكلام (١).

٤- دعا الإمام (عليه السلام) الى روايه السنّه النبويه و تدوينها و مدارستها، فكان يقول: «قتدوا العلم بالكتابه» (٢) و أمر (عليه السلام) بالبحث في علوم السنّه فيقول: «تراوروا و تدارسوا الحديث و لا تركوه يدرس» (٣).

٥- ركز الإمام على مصدره القرآن و السنّه في التشريع و الأحكام، و أدان المصادر الاخرى كالأستحسان و القياس و غيرها مما لا يكون مصدرا شرعيا للأحكام الإلهيه (٤).

كما أنّ الإمام (عليه السلام) أحيى سنّه رسول الله (صلّى الله عليه و آله) في سيرته العباديه و الأخلاقيه، فعالج البدع التي طرأت على الشريعه نتيجته اجتهاد و إبداع من سبقه من الخلفاء (٥).

٦- استطاع الإمام أن يبنى ثله صالحه من المؤمنين تتحرك في المجتمع الإسلامي للمساهمه في قياده تجربه الإسلاميه و المحافظه على المجتمع الاسلامي.

و يبدو أنّ الإمام علياً (عليه السلام) بدأ عمليا في هذا المسار منذ حياه الرسول الأكرم (صلّى الله عليه و آله) و بأمر منه، فنجد أن النبي كان يوكل مهمّه تعهد و رعايه من يجد فيهم الرغبه و الوعي في التحرك الإسلامى الى الإمام على (عليه السلام)، و كان (صلّى الله عليه و آله) يحث على

ص: ١٨٧

١- ((الأغانى: ١٣/١٢، الفهرست لابن النديم: ٥٩، وفيات الأعيان: ٢/٢١٦، و البدايه و النهايه: ٨/٣١٢).

٢- ((الطبقات الكبرى: ١٨٦/٦، و تدوين السنّه الشريفه للسيد الجلالى: ١٣٧).

٣- ((كتر العمال: ١٠ حديث ٢٩٥٢٢).

٤- ((نهج البلاغه: الخطبه (١٢٥)).

٥- ((صحیح مسلم: كتاب صلاه التراويح، و مسند أحمد: ٤٠٦/٥، و صحیح البخارى: كتاب الخمس: باب ٥/ حديث ٢٩٤٤، و سنن أبى داود: ٢/ حديث ١٦٢٢).

التمسّيك في العمل بخط عليّ حتى تكوّنت جماعه عرفت بشيعه عليّ في حياه الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مثل: عمار بن ياسر، و سلمان الفارسي، و أبي ذر، و جابر بن عبد الله الأنصاري، و المقداد بن الأسود، و عبد الله بن عباس، ممّن ثبتوا على هذا الخطّ رغم كلّ الظروف الصعبه التي مرّت بها التجربه الاسلاميه بعد وفاه الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

و حين استلم أمير المؤمنين (عليه السّلام) الخلافه؛ احتفّت به جماعه من المؤمنين الأوفياء الأشدّاء، فازداد الإمام (عليه السّلام) اعتناء بهم و أعدّهم إعدادا رساليا خاصا، و أودعهم علوما شتّى في مختلف نواحي الحياه، و قام هؤلاء الصحابه الأجلاء بدورهم في دعم الرساله الإسلاميه و مسانده الإمامه و المحافظه على الشريعه من الزيغ و الانحراف و الاندثار، فكانت موافقهم رائعه و بطوليه مقابل الحكّام الطواغيت و المتسلّطين بغير حقّ على امور المسلمين، و من هؤلاء: مالك الأشتر، كميل بن زياد النخعي، محمد بن أبي بكر، حجر بن عدى، عمرو بن الحمق الخزاعي، صعصعه بن صوحان العبدي، رشيد الهجري، هاشم المرقال، قنبر، سهل ابن حنيف و غيرهم.

إشاره

الإمام علي (عليه السلام) مع الناكثين

(١)

مثيروا الفتن:

كانت يبيع الناس لأمر المؤمنين (عليه السلام) بمنزله صاعقه حلّت بقريش و كل من يكنّ العداة للإسلام، فحكومه الإمام هي امتداد لحكومه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) التي أذلت الظلم و العدوان و البغي، و جاءت بالعدل و المساواه و الحقّ و الفضيله، و حطمت المصالح الاقتصادية القائمه على الربا و الاحتكار و الاستغلال، فعزّ على كثير من كبار قریش أن يكونوا على قدم المساواه مع أي مواطن آخر من أي فئه كانت في حكومه الإمام علي (عليه السلام) الذي طالت إصلاحاته و لاه عثمان.

و قد كان كل من طلحه و الزبير يرى نفسه قرينا لأمر المؤمنين (عليه السلام)، بعد ما رشّحهما عمر للخلافه فكان يتوقع كل منهما أن يلي حكومه جزء كبير من البلاد الإسلاميه على أقلّ تقدير، و كان لعائشه المقام المرموق لدى الخلفاء السابقين حيث كانت تتحدّث كما تشاء، و هي الآن تعلم أن لا مجال لها في حكومه تعتمد القرآن و السنّه مصدرا و دستورا للتشريع و التنفيذ.

و كان معاويه يتصرّف في الشام تصرّف الحاكم المطلق المتفرد و الطامع في السيادة الإسلاميه العظمى جادًا في تولّى امور الامه الإسلاميه بصوره تامه، فكانت المفاجئه لجميع هؤلاء بقرارات الإمام و تخطيطه للإصلاح الشامل إضافة الى

ص: ١٨٩

تضرّر مجموعه أو مجموعات كانت تستغل مناصبها في عهد عثمان و هي الآن قد فقدت مصدر ثروتها، فإنّ وجود الإمام في قمه السلطه كان يعدّ تهديدا صارخا للخطّ القبلي المنحرف الذي سارت عليه قريش، لأنّ الإمام عليّ (عليه السّلام) قد عرف بأنّه القادر على رفع رايه الإسلام الحق من دون أن تأخذه في الله لومه لائم، و لهذا فهو سيكشف زيف الخطّ المنحرف دون تردّد.

من هنا اجتمعت آراؤهم و أهواؤهم على إثارة الفتن للحيلولة دون استقرار الحكم الجديد، و لم يكن تقلّب الوضع السياسي و وجود العناصر المعاديه للاتّجاه الصحيح لمسيره الحكومه الإسلاميه غريبا على الإمام عليّ (عليه السّلام)؛ فقد أخبره النبي (صلّى الله عليه و آله) بتمرد بعض الفئات على حكمه، و عهد إليه بقتالهم كما أنّه قد سّمّاهم له بالناكثين و القاسطين و المارقين (١).

عائشه تعلن التمرد:

كان موقف السيده عائشه من عثمان غريبا متناقضا لا يليق بمقام امرأه تعدّ من نساء النبي (صلّى الله عليه و آله)، فكانت تردّد قولها: «اقتلوا نعتلا»، و تحرّض الناس على التمرد عليه و على قتله (٢)، و قد خرجت من المدينه الى مكّه أثناء محاصره عثمان من قبل الثوار و هي تتوقّع النهايه السريعه لعثمان، و من ثمّ فوز قريبيها طلحه بالخلافه، و الاستيلاء على الحكم.

و حين فوجئت بأنّ الأمر قد استقرّ -بعد بيعه الناس الى الإمام عليّ (عليه السّلام)، كرت راجعه نحو مكّه بعد أن كانت قد عزمّت على الرجوع الى المدينه (٣)، و أعلنت حزنها و تظلمها على عثمان، فقيل لها: أنت التي حرّضت على قتله

ص: ١٩٠

١- ((١)) مستدرک الحاكم: ١٣٩/٣، و تاريخ بغداد: ٣٤٠/٨، و مجمع الزوائد: ٢٣٥/٩، و كنز العمال: ٨٢/٦.

٢- ((٢)) شرح ابن أبي الحديد: ٢١٥/٦، و كشف الغمه: ٣٢٣/٣.

٣- ((٣)) الكامل في التاريخ: ٢٠٦/٣.

فاختلفت عذرا واهيا، فقالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه (١). و كأنها كانت حاضره تشهد مقتله.

و أعلنت السیده عائشه حربها ضد الإمام عليّ (عليه السلام) في خطابها الذي ألقته في مكه محرّضه أتباعها على الحرب (٢).

و طمعت السیده عائشه في توسيع جبهتها ضد الإمام عليّ (عليه السلام) فحاولت مخادعه أزواج النبيّ (صلى الله عليه وآله) للخروج معه ضد الإمام، فامتنعن من ذلك، و حاولت أم سلمه أن تنصحها عسى أن ترجع عن غيها، و تجنب الأثمه البلاء و الدماء، فقالت لها: إنك كنت بالأمس تحرضين على عثمان و تقولين فيه أخبث القول و ما كان اسمه عندك إلا نعثلا، و إنك لتعرفين منزله عليّ بن أبي طالب عند رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أفأذكرك؟ قالت أم سلمه: أتذكرين يوم أقبل (عليه السلام) و نحن معه حتى إذا هبط من قديد ذات الشمال خلا بعليّ يناجيه، فأطال فأردت أن تهجمين عليهما فنهيتك فعصيتني فهجمت عليهما، فما لبثت أن رجعت باكيه، فقلت: ما شأنك؟ فقلت: إنني هجمت عليهما و هما يتناجان، فقلت لعليّ: ليس لي من رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا يوم من تسعه أيام أفما تدعني يا ابن أبي طالب و يومى؟ فأقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) و هو غضبان محمّر الوجه، فقال: «ارجعي وراءك و الله لا يبغضه أحد من أهل بيتي و لا من غيرهم من الناس إلا و هو خارج من الإيمان»، فرجعت نادمه ساخطه، قالت عائشه: نعم أذكر ذلك، قالت أم سلمه: أيّ خروج تخرجين بعد هذا؟ فقالت عائشه: إنما أخرج للإصلاح بين الناس، و أرجو فيه الأجر إن شاء الله، فقالت أم سلمه: أنت و رأيك، فانصرفت عائشه عنها (٣).

و روى: أن نساء النبيّ (صلى الله عليه وآله) خرجن مع عائشه الى منطقه «ذات عرق»

ص: ١٩١

١- (١) الكامل في التاريخ: ٢٠٦/٣.

٢- (٢) تاريخ الطبري: ٤٧٤/٣.

٣- (٣) شرح النهج لابن أبي الحديد: ٢١٧/٦، و بحار الأنوار: ١٤٩/٣٢.

و يبدو أَنهَـنَّ حاولن إرجاع عائشه الى المدينه و الحيلوله دون وقوع الفتنه، فلم يتوصّلن إلى حلّ فبكين على الإسلام و بكى الناس معهنّ، و سمّى ذلك اليوم ب«يوم النحيب» (١).

مكر معاويه و نكث الزبير و طلحه للبيعه:

كان معاويه يتمنّع بسيطره إداريه على شؤون الشام، و لديه أجهزه يستطيع بها أن يحركها وفق رغباته و أهوائه، و ما كانت لديه مشكله مع جماهير الشام لأنّ بلاد الشام منذ عرفت الإسلام عرفت آل أبي سفيان و لاه عليها من قبل الخليفه، فقبله كان أخوه يزيد و اليا عليها، كما أنّ بلاد الشام بعيده عن عاصمه الخلافه ممّا أعطاه قدرا كافيا من الاستقرار و القوّه. و بدأ معاويه تحركه السياسى لتأجيج الفتنه المشتعله بسبب مقتل عثمان، و من ثمّ ليستثمرها لصالحه، فخاطب الزبير و طلحه بصيغه تحرك فيهما الأطماع و الرغبات للدخول فى الصراع الجدّى ضدّ الإمام (عليه السّلام) فتزداد الفتنه فى العاصمه المركزيه. فكتب رساله الى الزبير جاء فيها:

لعبد الله الزبير أمير المؤمنين من معاويه بن أبي سفيان.. سلام عليك، أمّا بعد، فإنّى قد بايعت لك أهل الشام فأجابوا و استوسقوا كما يستوسق الجلب، فدونك الكوفه و البصره لا يسبقك إليها ابن أبى طالب، فإنّه لا شىء بعد هذين المصرين، و قد بايعت لطلحه بن عبيد الله من بعدك فأظهرها للطلب بدم عثمان و ادعوا الناس الى ذلك، و ليكن منكما الجدّ و التشمير، أظفر كما الله و خذل مناوئكما (٢).

و لمّا وصلت رساله معاويه إلى الزبير؛ خفّ لها طربا و اطمأنّ الى صدق نيّته معاويه، و اتفق هو و طلحه على نكث بيعه الإمام و الخروج عليه، فأظهر الحسره

ص: ١٩٢

١- ((١)) الكامل فى التاريخ: ٢٠٩/٣.

٢- ((٢)) شرح النهج لابن أبى الحديد: ٢٣١/١.

والتأسف على بيعتهما للإمام مرددين: بايعنا مكرهين، و ما أن وصلت الى أسماعهما صيحه سيده عائشه محرضه على الإمام؛ حتى اجتهدا في إيجاد الحيله للخروج إليها. و روى أنهما جاءا يطلبان من الإمام المشاركة في الحكم فلم يتوصّلا إلى شيء، فقرّرا الالتحاق بعائشه ثم عادا ثانيه إلى الإمام (عليه السلام) ليستأذناه للخروج للعمرة، فقال لهما الإمام (عليه السلام): نعم و الله ما العمرة تريدان و إنما تريدان أن تمضيا لشأنكما (١). و روى أنه (عليه السلام) قال لهما: بل تريدان الغدرة (٢).

لقد أجمع رأى الخارجين على بيعه الإمام (عليه السلام) في بيت عائشه في مكه بعد أن كانوا متنافرين متحاربين في عهد عثمان، فضمّ الاجتماع الزبير و طلحه و مروان بن الحكم على أن يتخذوا من دم عثمان شعارا لتعبئه الناس لمحاربه الإمام عليّ (عليه السلام)، فرفعوا قميص عثمان كشعار للتمرد و العصيان، و أنّ الإمام عليا (عليه السلام) هو المسؤول عن إراقه دم عثمان، لأنه آوى قتلته و لم يقتصّ منهم، و قرّروا أن يكون زحفهم نحو البصره و احتلالها و أخذها مركزا للتحرك و منطلقا للحرب، حيث أنّ معاويه يسيطر على الشام، و المدينة لا زالت تعيش حاله الاضطراب (٣).

حركه عائشه و مسيرها نحو البصره:

مضت عائشه في خطتها لإثارة الفتنة و الدخول في المواجهه المسلحه مع الإمام عليّ (عليه السلام) الخليفه الشرعي، فحشدت أعدادا من الناس يدفعهم الحقد و الكراهيه للإسلام و للإمام عليّ (عليه السلام) و يحدوهم الطمع بالدنيا و نيل السلطان، و جهّزهم يعلى بن منيه بمستلزمات الحرب من السيوف و الإبل التي سرقها من اليمن عندما عزله الإمام عنها، و قدم عليهم عبد الله بن عامر بمال كثير من البصره

ص: ١٩٣

١- ((١)) الإمامه و السياسه لابن قتيبه: ٧٠.

٢- ((٢)) شرح النهج: ٢٣٢/١.

٣- ((٣)) تاريخ الطبري: ٤٧١/٣ ط مؤسسه الأعلمى.

سرقه أيضا (١). و جهّزوا لعائشه جملها المسمى (عسكر) وقد احتفّ بها بنو اميه و هي تتقدّم أمام الحشد الزاخر متوجهين نحو البصره، تسبقهم كتبهم التي أرسلوها الى عدد من وجوه البصره، يدعونهم فيها للخروج على بيعه الإمام (عليه السلام) بدعوى المطالبه بدم عثمان (٢).

و بدرت سمه المكر و الخداع- التي تكاد تكون ملازمه لكلّ من ناوأ الإمام عليا (عليه السلام)- من زعماء الفتنه، فلمّا خرجوا من مكّه أذن مروان بن الحكم للصلاه، ثم جاء حتّى وقف على طلحه و الزبير محاولا- إثارة الوقيعه بين الرجلين و غرس فتنه ليستغلّها إن تمكّن من الأمر، فقال: على أيكما اسلم بالإمره و أوذن بالصلاه، فتنافس أتباع الرجلين كلّ يريد تقديم صاحبه، فأحسّت عائشه بوقوع التفرقه فأرسلت أن يصلّى بالناس ابن اختها عبد الله بن الزبير.

و حين وصل جيش عائشه الى منطقته «أوطاس»؛ لقيهم سعيد بن العاص و المغيره بن شعبه، و حين علم سعيد بدعوى عائشه «الطلب بدم عثمان» استهزأ ضاحكا و قال: فهؤلاء قتله عثمان معك يا أمّ المؤمنين (٣)!

و روى: أنّ سعيدا قال: أين تذهبون و تتركون ثأركم وراءكم على أعجاز الإبل (٤)؟!، يقصد بذلك طلحه و الزبير و عائشه، و وصل الجيش الى مكان يقال له:

«الحوأب» فتلقتهم كلاب الحىّ بنباح و عواء، فذعرت عائشه و سألت محمد بن طلحه عن المكان فقالت: أىّ ماء هذا؟ فأجابها: ماء الحوأب يا أمّ المؤمنين..

فهلعت و صرخت: ما أرانى إلّا- راجعه، قال: لم، قالت: سمعت رسول الله (صلّى الله عليه و آله) يقول لنسائه: كأنتى يا حداكنّ قد نبجها كلاب الحوأب و إياك أن تكونى يا

ص: ١٩٤

١- (١) الإمامه و السياسه: ٧٩، و الكامل فى التاريخ: ٢٠٧/٣.

٢- (٢) الإمامه و السياسه: ٨٠، الكامل فى التاريخ: ٢١٠/٣.

٣- (٣) الإمامه و السياسه: ٨٢.

٤- (٤) الكامل فى التاريخ: ٢٠٩/٣.

حميراء (١). ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته وقالت: ردوني، أنا والله صاحبه ماء الحوآب، فأناخوا حولها يوما وليله، وجاءها عبد الله بن الزبير فحلف لها بالله أنه ليس ماء الحوآب، وأتاها بينه زور من الأعراب فشهدوا بذلك (٢). فكانت أول شهادة زور في الإسلام.

مناوشات على مشارف البصره:

حين شارف جيش عائشه مدينه البصره؛ قام عثمان بن حنيف والى الإمام (عليه السلام) على البصره موضعا أمر الجيش المتقدم إليهم، ومحدرا الناس من الفتنة و بطلان و ضلاله موقف زعماء الجيش، وأعلن المخلصون للإسلام وللإمام (عليه السلام) استعدادهم للدفاع عن الحق والشريعة المقدسه و صدّ الناكثين عن الاستيلاء على البصره (٣).

و فى محاوله من عثمان بن حنيف-الذى يتأسى بأخلاق الإسلام و يطبع إمامه (عليه السلام)-سعى أن يثنى عائشه و من معها من غيهم لتجنب وقوع القتال، فأرسل إليهم عمران بن حصين و أبا الأسود الدؤلى ليحاججوا عائشه و من معها ببطلان موقفهم، ولكن محاولات الرجلين باءت بالفشل، فقد كانت عائشه و معها طلحه و الزبير مصرين على تيتهم فى إثارة الفتنة و إعلان الحرب (٤).

و أقبلت عائشه و من معها حتى انتهوا إلى «المربد» فدخلوا من أعلاه و خرج إليهم عثمان بن حنيف و من معه من أهل البصره، فتكلم طلحه و الزبير و عائشه يحرضون الناس على الخروج على بيعه الإمام (عليه السلام) بدعوى الثأر لعثمان، فاختلف

ص: ١٩٥

١- (١) الإمامه و السياسه: ٨٢، و أخرج الحديث أحمد فى مسنده: ٥٢١/٦، و شرح النهج لابن أبى الحديد: ٤٩٧/٢.

٢- (٢) الإمامه و السياسه: ٨٢، مروج الذهب: ٣٩٥/٢.

٣- (٣) الإمامه و السياسه: ٨٣.

٤- (٤) تاريخ الطبرى: ٤٧٩/٣ ط مؤسسه الأعلمى، و الكامل فى التاريخ: ٢١١/٣.

و أقبل جاريه بن قدامه السعدى لينصح عائشه عسى أن يردّها عن تأجيج الفتنة، فقال: يا أمّ المؤمنين! والله لقتل عثمان بن عفان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون، عرضه للسلح، إنّه قد كان لك من الله ستر و حرمة فهتكت سترك و أبحت حرمتك، إنّه من رأى قتالك، فإنّه يرى قتلك، لئن كنت أتيتنا طائعه فارجى الى منزلك، و إن كنت أتيتنا مستكرهه فاستعيني بالناس (١).

الاقتيال - الهدنه - الغدر:

افتتن الناس بقدوم عائشه على البصره، فبين منكر و مؤيد و مصدق و مكذب افترت جماهير البصره، و تأزم الموقف، فاصطدم الناس و اقتتلوا على فم السكّه، و لم يحجز بينهم إلاّ الليل، و كان عثمان بن حنيف لا يريد إراقه الدماء و يجنح للسلم و ينتظر قدوم الإمام على (عليه السلام) الى البصره، فلما عصت الحرب الطرفين؛ تنادوا للصالح، فكتبوا كتابا لعقد هدنه مؤقتة على أن يبعثوا رسولا إلى المدينة يسأل أهلها، فإن كان طلحه و الزبير اكرها على البيعه؛ خرج ابن حنيف عن البصره، و إلاّ خرج عنها طلحه و الزبير (٢).

و عاد كعب بن مسور رسول الطرفين إلى المدينة بادعاء اسامه بن زيد أنّ طلحه و الزبير بايعا مكرهين و مخالفه أهل المدينة لرأى اسامه فاستغلّها زعماء جيش عائشه، فهجموا فى ليله ذات رياح و مطر على قصر الإمارة حيث يتواجد عثمان بن حنيف فقتلوا أصحابه و أسروا و نتفوا لحيته و رأسه و حاجبيه، و لكنهم خافوا من قتله لأنّ أخاه سهل بن حنيف والى الإمام على المدينة (٣).

ص: ١٩٦

١- (١) تاريخ الطبرى: ٣/٤٨٢ ط مؤسسه الأعلمی، و الكامل فى التاريخ: ٣/٢١٣.

٢- (٢) الإمامه و السياسه: ٨٧، و الطبرى: ٣/٤٨٣ و ٤٨٤ ط مؤسسه الأعلمی، و راجع الكامل فى التاريخ: ٣/٢١٥.

٣- (٣) الإمامه و السياسه: ٨٩، و تاريخ الطبرى: ٣/٤٨٤ ط مؤسسه الأعلمی، و مروج الذهب للمسعودی: ٢/٣٦٧.

حين استلم الإمام عليّ (عليه السلام) زمام الحكم كانت هناك عقبه أمام استقرار الأمن و سيطره الحكومه الشرعيه المركزيه، و هي إعلان معاويه بن أبي سفيان تمزّد عليّ خلافه الإمام، فشرع (عليه السلام) بالاستعداد العسكري و السياسي لإيقاف التمزّق في كيان الامّه و منع سفك الدماء.

و ما أن احيط الإمام (عليه السلام) علماً بحركه عائشه و طلحه و الزبير نحو البصره و إعلانهم العصيان عدل عما كان يخطّط لمعالجه موقف معاويه و الشام، فأتجه (عليه السلام) نحو البصره بجيش يضمّ وجوه المهاجرين و الأنصار.

وصل الإمام (عليه السلام) الى منطقه «الربذه» فكتب الى الأمصار يستمدّ العون و يوضّح الأمر، كي يتوصّل إلى إخماد نار الفتنة و حصرها في أضيق نطاق، فأرسل الى الكوفه محمد بن أبي بكر و محمد بن جعفر، فأبى أبو موسى الأشعري الاستجابه للإمام و مارس دور المبتط عن مناصره الإمام (عليه السلام) في موقفه، ثمّ أرسل عبد الله بن عباس و لم يتمكّن من إقناع أبي موسى بالانصياع و الكفّ عن تبييط الناس عن نصره الإمام، فأرسل (عليه السلام) ولده الحسن و عمار بن ياسر ثمّ تبعهم مالك الأشتر فعزلوا أبا موسى، و تحرّكت الكوفه بكلّ ثقلها تنصر أمير المؤمنين (عليه السلام)، فلحقت به في «ذى قار».

و في هذا الأثناء لم يتوقّف الإمام (عليه السلام) في مراسله طلحه و الزبير و إيفاد الرسل إليهم، عسى أن يعودوا لرشدهم و يدركوا خطوره فتنهم فيجنّبوا الامّه المصائب و البلايا و سفك الدماء، فأوفد الى عائشه زيد بن صوحان و عبد الله بن عباس و غيرهما، فحاوروهم بالحجّه و الدليل و العقل حتى أنّ عائشه قالت لابن

ص: ١٩٧

عباس: لا طاقه لى بحجج على، فقال ابن عباس: لا طاقه لك بحجج المخلوق فكيف طاقتك بحجج الخالق (١)؟!

آخر النصائح:

أكثر الإمام (عليه السلام) من مراسله طلحه و الزبير بعد أن شارفت قواته على أبواب البصره، فخشيت عائشه و من معها من اقتناع قادتها و جموع الناس معها بحجج الإمام (عليه السلام)؛ فخرجوا لملاقاته، فلما توقّفوا للقتال أمر الإمام (عليه السلام) مناديا ينادى فى أصحابه: لا يرمين أحد سهما و لا حجرا و لا يطعن برمح حتى اعذر القوم فأخذ عليهم الحجّه البالغه (٢).

فلم يجد الإمام (عليه السلام) منهم إلا الإصرار على الحرب، ثم خرج الإمام (عليه السلام) الى الزبير و طلحه فوقفوا ما بين الصّفين، فقال الإمام (عليه السلام) لهما: لعمري لقد أعددتما سلاحا و خيلا و رجالا، إن كنتما أعددتما عند الله عذرا فأتقيا الله و لا تكونا كالتى نقضت غزلها من بعد قوه أنكاثا، ألم أكن أخاكما فى دينكما؟ تحرّمانى دمي و احزّم دمكما فهل من حدث أحلّ لكما دمي؟

ثم قال (عليه السلام) لطلحه: أجنث بعرس رسول الله (صلّى الله عليه و آله) تقاتل بها و خيأت عرسك فى البيت؟! أما بايعتنى؟ ثم قال (عليه السلام) للزبير: قد كنا نعدّك من بنى عبد المطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء عبد الله ففرّق بيننا، ثم قال (عليه السلام): أتذكر يا زبير يوم مررت مع رسول الله (صلّى الله عليه و آله) فى بنى غنم، فنظر إلى فضحكك و ضحكك إليه فقلت له: لا يدع ابن أبى طالب زهوه، فقال لك رسول الله (صلّى الله عليه و آله): ليس بمزه- أى: ليس به زهو- لتقاتله و أنت له ظالم؟! قال الزبير:

اللهم نعم.

و روى: أنّ الزبير اعتزل الحرب و قتل بعيدا عن ساحه الحرب بعد أن

ص: ١٩٨

١- ((١)) الإمامه و السياسه: ٩٠، و بحار الانوار: ١٢٢/٣٢.

٢- ((٢)) الإمامه و السياسه: ٩١، و مروج الذهب: ٢٧٠/٢.

استعرت الفتنة (١). كما أنّ طلحه قتل مروان بن الحكم في ساحة المعركة (٢).

نشوب المعركة:

كان الإمام (عليه السلام) طامحا حتى آخر لحظه قبل نشوب القتال أن يرتدع الناكثون عن غيهم، فلم يأذن بالقتال رغم ما شاهد من إصرار زعماء الفتنة على المضى في الحرب، فقال (عليه السلام) لأصحابه: «لا يرمينّ رجل منكم بسهم، ولا يطعن أحدكم فيهم برمح حتى يحدث إليكم، و حتى يبدؤوكم بالقتال و القتل» (٣).

و شرع أصحاب الجمل بالرمي فقتل رجل من أصحاب الإمام، ثم قتل ثان و ثالث، عندها أذن (عليه السلام) (٤) بالردّ عليهم و الدفاع عن الحقّ و العدل.

التحم الجيشان يقتتلان قتالا رهيبا، فتساقطت الرؤوس و تقطعت الأيادي و اثنخت الجراحات في الفريقين، و وقف أمير المؤمنين ليشرف على ساحة المعركة فرأى أصحاب الجمل يستبسلون في الدفاع عن جملهم فنادى بأعلى صوته: «ويلكم اعقروا الجمل فإنه شيطان...».

فهجم الإمام (عليه السلام) و أصحابه حتى وصلوا الجمل فعقروه، ففرّ من بقى من أصحاب الجمل من ساحة المعركة فأمر (عليه السلام) بعد ذلك بحرق الجمل و تذريره رماده في الهواء لئلا تبقى منه بقية يفتتن بها السدّج و البسطاء، ثم قال الإمام (عليه السلام):

لعنة الله من دأبه، فما أشبهه بعجل بنى اسرائيل.

و مدّ بصره نحو الرماد الذي تناثر في الهواء فتلا قوله تعالى: .. وَ انظُرْ إِلَىٰ إِلٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (٥).

ص: ١٩٩

١- ((١)) الإمامه و السياسة: ٩١، و مروج الذهب ٢/٢٧٠.

٢- ((٢)) الطبقات الكبرى: ٣/١٥٨، و الإمامه و السياسة: ٩٧.

٣- ((٣)) شرح النهج: ١١١/٩.

٤- ((٤)) الإمامه و السياسة: ٩٥.

٥- ((٥)) طه (٢٠): ٩٧.

كتب الله النصر لأمر المؤمنين (عليه السلام) على مخالفيه، وضعت الحرب أوزارها، وانقشع غبار المعركة، و نادى منادى الإمام (عليه السلام) يعلن العفو العام: ألا لا يجهز على جريح ولا يتبع مول ولا يطعن في وجه مدبر، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، وأن لا يؤخذ شيء من أموال أصحاب الجمل إلا ما وجد في عسكرهم من سلاح أو غيره مما استخدم في القتال، وما سوى ذلك فهو ميراث لورثتهم (١).

و أمر الإمام علي (عليه السلام) محمد بن أبي بكر و عمار بن ياسر أن يحملوا هودج عائشه من بين القتلى وسط ساحه المعركه و ينحوه جانبا، و أن يتعهد محمد أمر اخته عائشه، فلما كان من آخر الليل أدخلها محمد البصره فأنزلها في دار عبد الله ابن خلف الخزاعي.

و طاف الإمام (عليه السلام) في القتلى من أصحاب الجمل، و كان يخاطب كلاً منهم و يكرّر القول: قد وجدت ما وعدني ربي حقاً فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً.

و قال أيضاً: ما ألوم اليوم من كفّ عنا و عن غيرنا و لكنّ المليم الذي يقاتلنا (٢).

و أقام الإمام (عليه السلام) في ظاهر البصره و لم يدخلها، و أذن للناس في دفن موتاهم فخرجوا إليهم فدفنهم (٣)، ثم دخل (عليه السلام) مدينه البصره معقل الناكثين، فانتهى الى المسجد فصلّى فيه ثم خطب في الناس و ذكرهم بمواقفهم و مواقف الناكثين لبيعته، فناشده الصّبح و العفو عنهم، فقال (عليه السلام): «قد عفوت عنكم، فإياكم و الفتنه، فإنكم أول الرعيه نكث البيعه، و شقّ عصا هذه الامه». ثم أقبلت الجماهير

ص: ٢٠٠

١- (١) تاريخ يعقوبى: ١٧٢/٢، و مروج الذهب: ٣٧١/٢.

٢- (٢) الإرشاد للمفيد: ٢٥٦/١ ط مؤسسه آل البيت عليهم السلام.

٣- (٣) الكامل في التاريخ: ٢٥٥/٣.

و وجوه الناس لمبايعه الإمام (عليه السلام) (١).

و بعد ذلك دخل أمير المؤمنين بيت المال في البصره، فلما رأى كثرة المال قال: «غزى غيرى...» و كثرها مرارا، و أمر أن يقسم المال بين الناس بالسويه، فمال كل فرد منهم خمسمائه درهم، و أخذ هو كأحدهم، و لم يبق شيء من المال فجاءه رجل لم يحضر الوقعه يطالب بحصته، فدفع إليه الإمام ما أخذه لنفسه و لم يصب شيئا (٢).

ثم أمر أمير المؤمنين بتجهيز عائشه و تسريحها الى المدينه، و أرسل معها أخاها و عددا من النساء ألبسهن العمائم و قلمدهن السيوف لرعايه شؤونها و أوصلنها الى المدينه، و لكن عائشه لم تحسن الظن بأمر المؤمنين و تصوّرت أن الإمام لم يرع حرمتها، و ما أن علمت أن الإمام (عليه السلام) بعث معها النساء، أعلنت ندمها على خروجها و فشلها و إثارتهما للفتنه، فكانت تكثر من البكاء (٣).

نتائج حرب الجمل:

خلفت حرب الجمل نتائج سلبية على واقع المجتمع الاسلامي منها:

١- توسّعت مسأله قتل عثمان بن عفّان حتى أصبحت قضيه سياسيه كبيره جرّت من ورائها ظهور تيارات مناوئه فعلا و قولا لمسيره الرساله الإسلاميه، فأطلّ معاويه بن أبي سفيان ليكمل مسيره الإنحراف الدموي في الجمل.

٢- شاعت الأحقاد بين المسلمين، و فتحت باب الحرب و الاقتتال فيما بينهم، فكانت الفرقه بين أهل البصره أنفسهم و بين باقى الأمصار الإسلاميه، فكانت العداوه لمطالبه بعضهم البعض الآخر بدماء أبنائهم في حين كان المسلمون

ص: ٢٠١

١- (١) تاريخ الطبري: ٥٤٤/٣، و الإرشاد للشيخ المفيد: ١٣٧.

٢- (٢) شرح النهج: ٢٥٠/١.

٣- (٣) الإمامه و السياسه: ٩٨، و مروج الذهب للمسعودي: ٣٧٩/٢، و المناقب للخوارزمي: ١١٥، و التذكرة للسبط ابن الجوزي: ٨٠.

يتحرّجون من إراقه دمائهم.

٣- توسّعت جبهه الانحراف الداخلى فى المجتمع الإسلامى، وازدادت العراقيل أمام حكومه الإمام على (عليه السّلام) فبعد أن كان تمرد معاويه فى الشام فقط انفتحت جبهه اخرى ممّا أدى الى انحسار التوسّع الخارجى، وكذلك انحسار الأعمال الإصلاحية و الحضارية التى كان يمكن أن تنمو فى المجتمع الإسلامى.

٤- إنّ الأحقاد و الانحراف فتحا الطريق على المخالفين فى المعتقد السياسى للجوء فورا الى حمل السلاح و القتال.

الكوفه عاصمه الخلفه:

بعد أن هدأت الامور تماما تحرك الإمام على (عليه السّلام) نحو الكوفه ليأخذها مقرا بعد أن بعث إليهم برساله أوضح فيها بإيجاز تفاصيل الأحداث (١)، كما أنّ الإمام أمر عبد الله بن عباس على البصره و شرح له كيفية التعامل مع سكانها بعد الذى وقع بينهم (٢).

و كان لاختيار الإمام (عليه السّلام) الكوفه عاصمه جديده للدوله الإسلاميه أسباب عديده منها:

١- توسّع رقعه العالم الإسلامى، و لابد أن تكون العاصمه الإداريه و السياسيه للدوله فى موقع يعين الحكومه فى التحرك نحو جميع نقاط الدوله.

٢- إنّ الثقل الأ-كبر الذى وقف مع الإمام (عليه السّلام) فى القضاء على فتنه أصحاب الجمل هم كبار شخصيات العراق و وجهاء الكوفه و جماهيرها.

٣- الظروف السياسيه و التوتّرات الناجمه عن مقتل عثمان و حرب أصحاب الجمل كلّ ذلك جعل الإمام (عليه السّلام) أن يستقرّ فى الكوفه، ليعيد الأمن و الاستقرار للمنطقه.

ص: ٢٠٢

١- (١) تاريخ الطبرى: ٥٤٥/٣ و ٥٤٦.

٢- (٢) تاريخ الطبرى: ٥٤٦/٣ ط مؤسسه الأعلمى.

إشاره

الإمام علي (عليه السلام) مع القاسطين

(١)

استعدادات معاوية لمحاربه الإمام (عليه السلام):

ساورت المخاوف معاوية من استقرار الإمام في الكوفه و مضيئه (عليه السلام) في خطته لتوحيد الدوله و بناء الحضاره الإسلاميه على منهج القرآن و السنّه النبويه، فسارع معاوية الى الاستعانه بعمر و بن العاص لما يتمتع به من حيله و غدر، و توافق معه في العداة للإسلام و للإمام (عليه السلام)، و لم يتردد عمر و طويلاً أمام رساله معاوية، و لم يكن ليختار على طمعه في الدنيا شيئاً حتى لو كان دينه الذي يدخله الجنّه (٢).

و ما أن وصل عمر و الى الشام حتى جعل يبكي و يولول كالنساء (٣) مبتدئاً خطته في التضليل و خداع الجماهير، و بعد مراوغه و مكايده بين معاوية و عمر و تمت المساومه على أن تكون حصه عمر و ولايه مصر مقابل مواجهه الإمام (عليه السلام) و محاربهه، و كتب معاوية كتاباً بذلك (٤).

و شرعاً يخططان لمواجهه الإمام و الوضع القائم، فكان الاتفاق على المضي

ص: ٢٠٣

-
- ١- (*) وقعت معركة صفين في صفر من عام (٣٧)هـ، و كانت المناوشات بين الطرفين بدأت في ذي الحجه عام (٣٦)هـ
 - ٢- (١) وقعه صفين: ٣٤، و الإمامه و السياسه: ١١٦، و الكامل في التاريخ: ٣/٢٧٥.
 - ٣- (٢) الكامل في التاريخ: ٣/٢٧٤.
 - ٤- (٣) وقعه صفين: ٤٠، و الإمامه و السياسه: ١١٧.

فى هذا المسار العدائى المشوب بالظلم و الغدر و البغى، إذ لا سبيل للوصول الى أهدافهم و غاياتهم إلا مواجهه الإمام (عليه السّلام) و هو الوريث الشرعى للنبيّ (صلّى الله عليه و آله) و حامل رايه الحقّ و العدل، و اصطدم الرجلان إذ كلاهما خذلا عثمان فكانت خطّتهم تتطلب التشبّث بقميص عثمان كشعار لتحريك مشاعر و عقول الجماهير غير الواعيه، فرفعا على المنبر بعد أن قدم به عليهما النعمان بن بشير، فكان الناس يضيّجون بالبكاء حتى سرت فيهم روح الحقّ و الكراهيه و العمى عن هدى الحقّ (١).

و لتحريك جماهير الشام لمؤازره معاويه و حشدهم للحرب اقترح عمرو أن يكون شرحبيل بن السمط الكندى المحرّك الأول، لما عرف عنه من عباده و وجاهه فى قبائل الشام و كراهيه لجريير مبعوث الإمام (عليه السّلام) الى معاويه، كما أنّ شرحبيل ممّن لا يتقصّى الحقائق من مصادرها، و تمّت مخادعه شرحبيل الذى انطلق مطالبا معاويه بالأخذ بتأر عثمان بن عفان، و يتحرّك بنفسه لحشد الناس للحرب (٢).

السيطره على الفرات:

بعد تعبئه الشام للحرب؛ أخذ معاويه منهم البيعه و كتب بالحرب كتابا أرسله مع جريير (٣) الذى أبطأ كثيرا على الإمام (عليه السّلام)، ثم سارع معاويه بتحريك قوّاته نحو أعالي الفرات فى وادى صقّين لاحتلالها و منع تقدّم قوات الإمام (عليه السّلام) و حبس الماء عنهم، و تصوّر معاويه أنّ هذا أوّل نصر يحقّقه على الإمام (عليه السّلام). و طلب الإمام (عليه السّلام) من معاويه أن يسمح لجيشه بالاستقاء بعد أن وصلوا متأخرين الى

ص: ٢٠٤

١- (١) وقعه صفّين: ٣٧، الكامل فى التاريخ: ٣/٢٧٧.

٢- (٢) المصدر السابق: ٤٦.

٣- (٣) المصدر السابق: ٥٦.

صَفِين، و أبا معاوية و جيشه ذلك، و أضرَّ الظمَّ كثيرا بأهل العراق و ازداد الضغط على الإمام (عليه السلام) لكسر الحصار، فأذن لهم بالهجوم على شاطئ الفرات، و تمَّ إزاحه قوَّات معاوية عن ضفِّه النهر.

و لكنَّ الإمام (عليه السلام) لم يقابل أهل الشام بالمثل، ففسح لهم المجال لأخذ الماء دون معارضة (١).

محاولة سلمية:

رغم أنَّ الإمام (عليه السلام) أكثر من مراسله معاوية و فتح عدَّة قنوات للحوار محاولا كسبه و إدخاله في بيعته لكنَّ ردَّ معاوية كان هو الحرب و السعي للقضاء على الإمام و جيشه بكلِّ وسيلة، بيد أنَّ الإمام (عليه السلام) كان يأمل في محاوله سلمية اخرى بعد أن استقرَّ و جيشه ضفِّه الفرات، فسادت هدنة مؤقته بعث خلالها الإمام (عليه السلام) مندوبين عنه إلى معاوية و هم بشير بن محصن الأنصاري و سعيد بن قيس الهمداني و شبث بن ربعي التميمي، فقال (عليه السلام) لهم: «إئتوا هذا الرجل - أي معاوية - ادعوه إلى الله و إلى الطاعة و الجماعة».

و ما كان جواب معاوية إلَّا السيف و الحرب، فقال للمندوبين: انصرفوا من عندي فليس بيني و بينكم إلَّا السيف (٢).

الحرب بعد الهدنة:

جرت مناوشات بين الجيشين و لم تستعر الحرب بعد، فكانت تخرج فرقه من كلا الطرفين فيقتتلان، و ما أن حلَّ شهر محرم من عام (٣٧ هـ) حتى حصلت موادعه بين الطرفين، حاول من خلالها الإمام (عليه السلام) التوصل إلى الصلح، و كانت طروحاته (عليه السلام) هي الدعوة إلى السلم و جمع الكلمة و حقن الدماء، و دعوات

ص: ٢٠٥

١- (١) مروج الذهب: ٢/٣٨٤، و شرح النهج لابن أبي الحديد: ٣/٣٢٠، و الكامل في التاريخ: ٣/٢٨٣.

٢- (٢) تاريخ الطبري: ٣/٥٦٩، و الكامل في التاريخ: ٣/٢٨٤.

معاويه و أهل الشام رفض بيعة الإمام (عليه السلام) و الطلب بدم عثمان بن عفان (١).

و استمرت الهدنه مدّة شهر واحد، و لما طالت فتره المناوشات؛ سئم الفريقان من ذلك فعبا الإمام (عليه السلام) جيشه تعبته عامه، و كذلك فعل معاويه، و التحم الجيشان في معركة رهيبه، و كان الإمام يوصى جنوده دائما فيقول: «لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤوكم فأنتم بحمد الله عزّ و جلّ على حجه» ثمّ قال: «إذا قاتلتموهم فهزمتوهم فلا تقتلوا مدبرا و لا تجهزوا على جريح و لا تكشفوا عوره و لا تمثّلوا بقتيل» (٢).

و استمرت الحرب بين كزّ و فزّ حتى سقط خلالها أعداد كبيره من المسلمين صرعى و جرحى بلغت عشرات الالوف.

مقتل عمار بن ياسر:

روى: أنّ عمار بن ياسر خرج بين الصفوف فقال: إنّي لأرى وجوه قوم لا- يزالون يقاتلون حتى يرتاب المبطلون، و الله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر؛ لكننا على الحقّ و كانوا على الباطل. ثمّ تقدّم نحو جيش معاويه و هو يرتجز:

نحن ضربناكم على تنزيله و اليوم نضربكم على تأويله

ضربا يزيل الهام عن مقيله و يذهل الخليل عن خليله

أو يرجع الحقّ الى سبيله

فتوسّط فيهم ببسالته التي قاتل بها مع رسول الله (صلّى الله عليه و آله) صادقا مخلصا، فاشتبكت عليه الرماح قطعته أبو العاديه و ابن جون السكسكى، و روى أنّهما اختصما في رأس عمار الى معاويه و عبد الله بن عمرو بن العاص جالس فقال لهم: ليطب به أحد كما نفسا لصاحبه، فأبى سمعت رسول الله (صلّى الله عليه و آله) يقول له:

«يا عمّار تقتلك الفئة الباغية» (٣).

ص: ٢٠٦

١- ((١)) وقعه صفين: ١٩٥، و تاريخ الطبرى: ٥٧٠/٣.

٢- ((٢)) وقعه صفين: ٢٠٢، و تاريخ الطبرى: ٦/٤.

٣- ((٣)) وقعه صفين: ٣٤٠، و تاريخ الطبرى: ٢٧/٤ ط مؤسسه الأعلمى، و العقد الفريد: ٣٤١/٤.

و كان الإمام قلقاً لا يقرّ له قرار حين برز عمار للقتال في ذلك اليوم، و أكثر من السؤال عليه حتى جاءه خبر استشهادهِ، فأسرع الى مصرعه كنيهاً حزينا تفيض عيناه دمعاً، فقد غاب عنه الناصر الناصح و الأخ الأمين، ثم صَلَّى عليه الامام (عليه السّلام) و دفنه.

و سرى خبر استشهاد عمار بين الجيشين فوقعت الفتنه بين صفوف جيش معاويه، لما يعلمون من مكانه عمار و حديث الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) و لكنّ المكر و الحيله كانا بالمرصاد لكلّ ساذج جاهل، فأشاع معاويه أنّ الذي قتل عماراً من جاء به. و أذعن بسطاء أهل الشام لهذه الضلاله (١).

و روى: أنّ ذلك بلغ الإمام علياً (عليه السّلام) فقال: و نحن قتلنا حمزه لأننا أخرجناه الى احد (٢)؟

خدعه رفع المصاحف:

استمرّ القتال أياماً أظهر خلالها أصحاب الإمام صبرهم و تفانيهم من أجل انتصار الحقّ، ثمّ إنّ الإمام (عليه السّلام) قام خطيباً يحثّ على الجهاد فقال: «أيّها الناس! قد بلغ بكم الأمر و بعدوّكم ما قد رأيتم، و لم يبق منهم إلاّ آخر نفس، و إنّ الامور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأولها... و قد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغنا، منهم ما بلغنا و أنا غاد عليهم بالغداة احاكمهم إلى الله عزّ و جلّ» (٣).

فبلغ ذلك معاويه و قد بدت الهزيمة على أهل الشام فاستدعى عمرو بن العاص يستشيرهُ، و قال له: إنّما هي الليله حتى يغدو عليّ علينا بالفيصل فما ترى؟ قال عمرو: أرى أنّ رجالك لا يقومون لرجالهِ و لست مثله، و هو يقاتلك على أمر و أنت تقاتله على غيره، أنت تريد البقاء و هو يريد الفناء، و أهل العراق

ص: ٢٠٧

١- (١) تاريخ الطبري: ٥/٦٥٣.

٢- (٢) العقد الفريد: ٤/٣٤٣، و تذكره الخواص: ٩٠.

٣- (٣) كتاب سليم بن قيس: ١٧٦، و الكامل في التاريخ: ٣/٣١٠.

يخافون منك إن ظفرت بهم و أهل الشام لا- يخافون عليًا إن ظفر بهم، و لكن ألقى إليهم أمرا إن قبلوه اختلفوا و إن ردّوه اختلفوا، ادعهم إلى كتاب الله حكما فيما بينك و بينهم (١).

فأمر معاوية في الحال أن ترفع المصاحف على الرماح، و نادى أهل الشام:

يا أهل العراق! هذا كتاب الله بيننا و بينكم من فاتحته إلى خاتمته من لثغور أهل الشام من بعد أهل الشام و من لثغور أهل العراق بعد أهل العراق؟

و كانت هذه الدعوى المضلّله كالصاعقه على رؤوس جيش الإمام، فهاج الناس و كثر اللغظ بينهم، و قالوا: نجيب إلى كتاب الله و ننبئ إليه، و كان أشدّ الناس في ذلك أحد كبار قادة جيش الإمام عليّ الأشعث بن قيس.

فقال لهم الإمام (عليه السلام): «عباد الله! امضوا على حقكم و صدقكم و قتال عدوّكم، فإنّ معاوية و عمرو بن العاص و ابن أبي معيط و حبيب بن أبي مسلمه و ابن أبي سرح و الضحّاك ليسوا بأصحاب دين و لا قرآن، أنا أعرف بهم منكم، قد صحبتهم أطفالا ثمّ رجلا فكانوا شرّ أطفال و شرّ رجال، و يحكم الله ما رفعوها إلّا خديعه و وهنا و مكيده، إنّها كلمه حقّ يراد بها باطل».

فخاطبوا أمير المؤمنين باسمه الصريح قائلين: يا عليّ، أجب إلى كتاب الله عزّ و جل إذ دعيت إليه و إلّا ندفعك برمّتك إلى القوم أو نفعل كما فعلنا بابن عَفّان.

و لم يجد الإمام (عليه السلام) مع المخدوعين سبيلا فقال: فإنّ تطيعوني فقاتلوا و إن تعصوني فاصنعوا ما شئتم (٢).

و كان في ساحه المعركه مالك الأشتر يقاتل ببساله و يقين حتى كاد أن يصل إلى معاوية فقالوا للأمير المؤمنين: ابعث إلى الأشتر ليأتينك.. و لكنّ الأشتر لم ينش عن عزمه في القتال، لأنه يعلم أنّ الأمر خدعه فهذّده بقتل الإمام (عليه السلام)، فعاد

ص: ٢٠٨

١- (١) وقعه صفين: ٣٤٧، و تاريخ الطبري: ٣٤/٤.

٢- (٢) وقعه صفين: ٤٨١، و تاريخ الطبري: ٣٤/٤ و ٣٥ ط مؤسسه الأعلمی.

الأشتر يؤنبهم فقال لهم: خدعتم و الله فانخدعتم و دعيتم إلى وضع الحرب فأجبتهم، يا أصحاب الجباه السود كئنا نظن أن صلاتكم زهاده الى الدنيا و شوق إلى لقاء الله، فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت.

و أقبل الناس يقولون قد رضى أمير المؤمنين، و الإمام (عليه السلام) ساكت لا يفيض بكلمه مطرق الرأس حزينا، فقد انطلت الخديعه على جيشه فتمرد عليه، و لم يعد باستطاعته أن يفعل شيئا، و قد أدلى (عليه السلام) بما منى به بقوله: «لقد كنت أمس أميراً فأصبحت اليوم مأموراً، و كنت بالأمس ناهياً فأصبحت اليوم منهيّاً» (١).

التحكيم و صحيفه الموادعه:

لم تتوقف محنه الإمام (عليه السلام) بتخاذل الجيش، و كان بالإمكان أن يحقق مكسبا سياسيا عن طريق المفاوضات التى دعى إليها لو أطاعه المتمردون فى اختيار الممثلين عنه الى التحكيم، فأراد الإمام (عليه السلام) ترشيح عبد الله بن عباس أو مالك الأشتر لما يعلم عنهما من اخلاص و وعى، و أصرّ المخدوعون على ترشيح أبى موسى الأشعري، فقال الامام (عليه السلام): «إنكم قد عصيتمونى فى أول الأمر فلا تعصونى الآن، إنى لا أرى أن اولى أبا موسى فإنه ليس بثقه، قد فارقتى و خذل الناس عنى - بالكوفه عند الذهاب لحرب الجمل - ثم هرب منى حتى أمنتته بعد أشهر» (٢).

و تمكّن معاويه و ابن العاص من أربهم فى تفتيت جيش الإمام (عليه السلام)، يساعدهم فى ذلك الأشعث بن قيس من داخل قوات الإمام.

حضر عمرو بن العاص ممثلاً عن أهل الشام بدون معارضه من أحد لتسطير بنود الاتفاق مع أبى موسى الأشعري، و لم يقبل عمرو كتابه اسم «أمير المؤمنين» فى الصحيفه، فقال الإمام (عليه السلام): إن هذا اليوم كيوم الحديبيه إذ قال سهيل ابن عمر للنبي: لست رسول الله، ثم قال (عليه السلام): فقال لى رسول الله (صلّى الله عليه و آله): أما

ص: ٢٠٩

١- (١) نهج البلاغه الخطبه ٢٠٨ ط مؤسسه النشر الإسلامى.

٢- (٢) وقعه صفين: ٤٩٩، و تاريخ الطبرى: ٣٦/٤، و الكامل فى التاريخ: ٣١٩/٣.

إِنَّ لَكَ مِثْلَهَا سَتَعْطِيهَا وَأَنْتَ مُضْطَهَدٌ (١).

وَأَهَمُّ مَا جَاءَ فِي الصَّحِيفَةِ هُوَ إِعْلَانُ الْهَدَنَةِ وَوَقْفُ الْقِتَالِ، وَأَنْ يَلْجَأَ الطَّرْفَانِ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ لِحَلِّ قَضَايَاهُمْ، وَأَجْلُ الْبَتِّ فِي قَرَارِ الْحَكَمِينَ إِلَى رَمَضَانَ (٣٧ هـ)، حَيْثُ كَتَبَتِ الصَّحِيفَةُ فِي صَفَرٍ مِنَ الْعَامِ نَفْسَهُ. وَالْغَرِيبُ أَنَّ مَسْأَلَةَ الْأَخْذِ بِثَأْرِ عَثْمَانَ لَمْ تَرُدَّ وَ لَوْ بِإِشَارِهِ بِسَيْطِهِ فِي كِتَابِ الْمَوَادِعِ مَعَ أَنَّهَا اسْمُ الْفِتْنَةِ الَّتِي تَحَرَّكَ فِيهَا مَعَاوِيَةُ وَ حَزْبُهُ مِنْ أَوْلَادِ الطَّلَقَاءِ (٢)، وَ اتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَكُونَ مَوْضِعَ اجْتِمَاعِ الْحَكَمِينَ فِي «دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ».

موقف واع و تقييم:

رَوَى: أَنَّهُ طَلَبَ مِنَ الْأَشْتَرِ أَنْ يَشْهَدَ فِي الصَّحِيفَةِ، فَقَالَ: لَا صَبَّحْتَنِي يَمِينِي وَ لَا نَفَعْتَنِي بَعْدَهَا شِمَالِي إِنْ خَطَّ لِي فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ اسْمٌ أَوْلَسْتُ عَلَى بَيْنِهِ مِنْ رَبِّي مِنْ خِلَالِ عَدَوِّي؟ أَوْ لَسْتُمْ قَدْ رَأَيْتُمْ الظَّفَرَ (٣)؟

وَ قِيلَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ: إِنَّ الْأَشْتَرَ لَا يَقْرَأُ بِمَا فِي الصَّحِيفَةِ وَ لَا يَرَى إِلَّا قِتَالَ الْقَوْمِ.

فَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «وَ أَنَا وَ اللَّهُ مَا رَضِيْتُ وَ لَا أَحْبَبْتُ أَنْ تَرْضَوْا».. ثُمَّ قَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «يَا لَيْتَ فِيكُمْ مِثْلَهُ اثْنَيْنِ، يَا لَيْتَ فِيكُمْ مِثْلَهُ وَاحِدًا يَرَى فِي عَدَوِّي مَا أَرَى، إِذَا لَحَقَّتْ عَلَيَّ مُؤْنَتُكُمْ، وَ رَجَوْتُ أَنْ يَسْتَقِيمَ لِي بَعْضُ أَوْدَاقِكُمْ وَ قَدْ نَهَيْتُكُمْ فَعَصَيْتُمُونِي، وَ اللَّهُ لَقَدْ فَعَلْتُمْ فَعْلَهُ ضَعُضْتُمْ قُوَّةً وَ أَسْقَطْتُمْ مَنَّهُ وَ أَوْرَثْتُمْ هُنَا وَ ذَلَّةً» (٤).

رجوع الإمام (عليه السلام) واعتزال الخوارج:

قفل أمير المؤمنين راجعا الى الكوفة مثقلا بالهموم و الآلام، يرى باطل

ص: ٢١٠

١- (١) وقعه صفين: ٥٠٨، و شرح نهج البلاغه: ٢٣٢/٢.

٢- (٢) تاريخ الطبري: ٤٠/٤.

٣- (٣) وقعه صفين: ٥١١، و الكامل في التاريخ: ٣٢١/٣.

٤- (٤) وقعه صفين: ٥٢١، و تاريخ الطبري: ٤٢/٤ و ٤٣، و الكامل في التاريخ: ٣٢٢/٣.

معاويه قد استحکم، و أمره أوشك أن يتم، و ينظر الى جيشه و قد فتته التمرد لا يستجيب لأمره.

و دخل الإمام (عليه السلام) الكوفه فرأى لوعه و بكاء، قد سادت جميع أرجائها حزنا على من قتل في صفين، و اعتزلت فرقه تناهز اثني عشر ألف مقاتل عن جيش الإمام، و لم يدخلوا الكوفه فلحقوا بحروراء، و جعلوا أميرهم على القتال شيبث بن ربعي، و على الصلاه عبد الله بن الكواء اليشكري، و خلعوا بيعه الإمام (عليه السلام) يدعون الى جعل الأمر شورى بين المسلمين.. و كان أمر هؤلاء قد بدأ منذ كتابه صحيفه الموادعه، إذ لم يعجبهم الأمر فاعترضوا و قالوا: لا- نرضى لا حكم إلا لله، و اتخذوه شعارا لهم رغم أنهم هم الذين أصروا على الإمام (عليه السلام) لقبول التحكيم.

و سعى أمير المؤمنين لمعالجه موقفهم بالحكمه و النصيحه، فأرسل إليهم عبد الله بن عباس و أمره أن لا يعجل في الخوض معهم في جدال و خصومه، و لحقه الإمام (عليه السلام) فكلّمهم و حاججهم و فتد كلّ دعاويهم، فاستجابوا له و دخلوا معه الى الكوفه (١).

اجتماع الحكمين:

حان الأجل الذي ضرب لاجتماع الحكمين، فأرسل الإمام (عليه السلام) أربعمائه رجل عليهم شريح بن هاني، و بعث معهم عبد الله بن عباس ليصلّي بهم و يلى امورهم و أبو موسى الأشعري معهم، و بعث معاويه عمرو بن العاص في أربعمائه رجل من أهل الشام حتى توافوا في دومه الجندل.

و قد سارع عدد من أهل الرأي و الحكمه ممن أخلصوا للإمام (عليه السلام) بتقديم النصح و التحذير لأبي موسى، باذلين جهدهم في حمله على التبصره و الرويّه في

ص: ٢١١

اتخاذ القرار، و خشيه منهم من مكر عمرو و خداعه (١).

قرار التحكيم:

اجتمع الحكمان: أبو موسى الأشعري و عمرو بن العاص، و الأول يحمل الغباء السياسي و ضعف الانتماء العقائدي و قلّه الولاء لإمامه عليّ (عليه السلام) و الثاني هو الماكر المخادع ذو السجّيه الغادره و الطامع إلى إقصاء خطّ أهل البيت (عليهم السلام) تماما عن الميدان السياسي، يدفعه لذلك طمعه للملك و شركته مع الطليق ابن الطليق معاويه.

و لم يطل الاجتماع طويلا حتى تمكّن ابن العاص من معرفه نقاط الضعف في شخصيه الأشعري و السيطرة عليه و توجيهه نحو ما يريد، و اتفق الإثنان في اجتماع مغلق على خلع الإمام عليّ (عليه السلام) و معاويه عن ولايه أمر المسلمين، و اختيار عبد الله بن عمر بن الخطاب ليكون الخليفه المقترح.

و بادر ابن عباس محدّرا الأشعري من أن يساق في لعبه ابن العاص، فقال له: ويحك، و الله إنّي لأظنه قد خدعك إن اتّفقتما على أمر، فقدّمه فليتكلم بذلك الأمر قبلك ثمّ تكلم أنت بعده، فإنّ عمرا رجل غادر لا آمن من أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك و بينه، فإذا قمت في الناس خالفك.

فقام الأشعري فخطب و خلع الإمام عليّ (عليه السلام)، ثمّ انبرى عمرو فخطب و أكّد خلع الإمام و ثبت معاويه لولايه الأمر (٢).

و بتلك الغدره ظفر معاويه بالنصر، و عاد إليه أهل الشام يسلمون عليه بإمره المؤمنين، و أمّا أهل العراق فغرقوا في الفتنه و أيقنوا بضلال ما أقدموا عليه، و هرب أبو موسى إلى مكّه، و رجع ابن عباس و شريح إلى الإمام عليّ (عليه السلام).

ص: ٢١٢

١- (١) وقعه صفين: ٥٣٤، و شرح نهج البلاغه: ٢/٢٤٦. ط دار إحياء التراث العربي.

٢- (٢) تاريخ الطبري: ٤/٥٢، و مروج الذهب: ٢/٤١١، و الكامل في التاريخ: ٣/٣٢٢.

الإمام علي (عليه السلام) مع المارقين

يمكن أن نقول: إن ظهور الخوارج إفراز طبيعي للصراع الدموي في الجمل و صفين، كما أننا لا يمكننا أن نعزل انحرافهم بمعزل عن انحراف الخلافة عن خط أهل البيت (عليهم السلام)، لقد كان من أهم صفات الخوارج هو التحجر و التمسك بالظواهر و التعصب و الخشونه و عدم التمييز بين الحق و الباطل، و أنهم سريعو التأثر بالشائعات، فيترددون عند أدنى شك.

و نجد أن النبي (صلى الله عليه و آله) أخبر عن صفتهم، إذ روى عنه (صلى الله عليه و آله): «يخرج في هذه الامة -و لم يقل منها- قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، يقرأون القرآن و لا يجاوز حلقهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية» (1).

و لم يتمكن الامام (عليه السلام) من معالجه أمراضهم و انحرافاتهم، فقد عاجلته الحروب و التمردات في الجمل و صفين في فتره قصيره جداً، و يمكن أن نعزو ظهور الخوارج إلى:

١- الإحباط النفسى و الفشل فى تحقيق النصر، و خصوصاً أن معارك الإمام (عليه السلام) ضد متمردين هم مسلمون فى الظاهر، فلم يتمكن الخوارج من فهم

ص: ٢١٣

١- ((١)) انظر البدايه و النهايه: ٣٢١/٧-٣٣٧ و صحيح البخارى: ٢١/٩-٢٢ باب ترك قتال الخوارج، و صحيح مسلم: ٧٤٤/٢ الحديث ١٠٦٤، و مسند أحمد: ٥٦/٣ دار صادر.

معالجه الإمام للمتمردين، و لم يتمكنوا من تحمّل نتيجة التحكيم، في حين هم الذين أجبروه على قبول التحكيم، و لم يواجهوا أنفسهم بمواقفهم المنحرفه، فسعوا الى تعليق أخطائهم و تحميل أوزارها الى طرف آخر غيرهم و لم يكن إلا الإمام عليّ (عليه السلام) (١).

٢- استغلالهم الحريه الفكرية التي فتحها الإمام (عليه السلام) لكي تمارس الامة و عيها الرسالي، فقد روى أنهم كانوا يعترضون على الإمام حتى أثناء خطبته بدعوى لا- حكم إلا- الله، و ما كان الإمام يجيبهم إلا ب«كلمه حقّ يراد بها باطل». و قال الإمام (عليه السلام) لهم: «لكم عندنا ثلاث خصال: لا تمنعكم مساجد الله أن تصلّوا فيها، و لا تمنعكم الفياء ما كانت أيديكم في أيدينا، و لا نبذوكم للحرب حتى تبدؤونا» (٢) فتحوّلت حركتهم من حاله فرديه الى حاله جماعيه.

ردّ الإمام (عليه السلام) على قرار الحكّمين:

و لمّا بلغ خبر التحكيم إلى الإمام (عليه السلام) تألم كثيرا، و خطب في الناس يحثّهم و يدلّهم على إصلاح الخطأ الذي تورّطوا فيه و ذكرهم بنصحه لهم، فقال (عليه السلام): «إنّ مخالفه الناصح الشفيق المجرب تورث الحسره و تعقب الندامه، و قد كنت أمرتكم في هذه الحكومه أمرى، و نخلت لكم مخزون رأيى لو كان يطاع لقصير أمر فأبيتم عليّ إباء المخالفين الجفاه المنابذين العصاه حتى ارتاب الناصح بنصحه و ضنّ الزند بقدحه، فكنت و إياكم كما قال أخو هوازن:

أمرتكم أمرى بمنعرج اللوى فلم تستبينوا النصح إلا ضحى الغد

ألا- إنّ هذين الرجلين-أبا موسى الأشعري و ابن العاص- اللذين اخترتموهما حكّمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما، و أحيا ما أمات القرآن، و أتبع كلّ واحد منهما

ص: ٢١٤

١- (١) تاريخ الطبري: ٥٣/٤-٥٨.

٢- (٢) تاريخ الطبري: ٥٤/٤، و الكامل في التاريخ: ٣٣٤/٣، و مستدرک وسائل الشيعة: ٢٥٤/٢.

هواه بغير هدى من الله، فحكما بغير حجة بينه و لا- سنه ماضيه، و اختلفا فى حكمهما و كلاهما لم يرشد، فبرئ الله منهما و رسوله و صالح المؤمنين، استعدوا و تأهبوا للمسير إلى الشام، و أصبحوا فى معسكر كم إن شاء الله (١).

و كتب الإمام الى عبد الله بن عباس أن يعبئ أهل البصره للالتحاق بالإمام (عليه السّلام) لقتال معاويه، فالتحقت جموع البصره بالكوفه، و لكن عبث الخوارج الذين تجتمعوا من البصره و الكوفه متجهين نحو النهروان و فسادهم فى الأرض أقلق أصحاب الإمام (عليه السّلام) من تركهم خلفهم لو توجهوا إلى الشام فطلبوا من الإمام أن يقضى على الخوارج أولا (٢).

و كان من عبث الخوارج أنهم قبضوا على عبد الله بن خباب و زوجته فقتلوه، و بقروا بطن امرأته، و ألقوا ما فيها من دون مبرّ، و كذلك قتلوا الحارث بن مرّه العبدى رسول الإمام (عليه السّلام) إليهم (٣).

المواجهه مع الخوارج:

تجمعت قوات المارقين عن الدين قرب النهروان بعد أن التحقت بهم مجاميع من البصره و غيرها، و حاول الإمام (عليه السّلام) مرارا أن يقنعهم بالتخلّى عن فكرتهم و تمردهم و سعيهم للحرب، و لم يجد فيهم إلا الفساد و الجهل و الإصرار، فعبأ جيشه و نصحهم بأخلاق الإسلام فى كيفية التعامل فى مثل هذه الظروف كما هو شأنه فى كلّ معركة و لما انتهى الإمام (عليه السّلام)؛ إليهم بعث لهم رسولا يطلب منهم قتله عبد الله بن خباب و قتله رسوله الحارث بن مرّه، فردّوا عليه مجمعين: كلّنا قتلناهم و كلّنا مستحلّ لدمائكم و دمائهم.

ص: ٢١٥

١- (١) تاريخ الطبرى: ٥٧/٤.

٢- (٢) تاريخ الطبرى: ٥٧/٤ و ٥٨، و البدايه و النهايه: ٢٨٦/٧.

٣- (٣) تاريخ الطبرى: ٦١/٤، و البدايه و النهايه: ٢٨٦/٧، و الفصول المهمه لابن الصبّاغ: ١٠٨.

و بعث الإمام (عليه السلام) قيس بن سعد و أبا أيوب الأنصارى لينصحا القوم عساهم أن يفهموا واقع الأحداث، و يجنبوا الأمة مزيدا من الدماء، ثم اتاهم الإمام (عليه السلام) فقال لهم:

«أيتها العصابة التي أخرجها عداوه المرء و اللجاجة، و صدّها عن الحقّ الهوى، و طمع بها التزق، و أصبحت فى الخطب العظيم! إنى نذير لكم أن تصبّحوا تلعنكم الأمة غدا صرعى بأثناء هذا الوادى، و بأهضام هذا الغائط بغير بينة من ربكم و لا برهان مبین» ثم بين لهم (عليه السلام) أنه كره التحكيم و عارضه، و شرح سبب معارضته بوضوح لهم، و لكنهم أنفسهم أجبروا الإمام على قبول التحكيم، و أنّ الحكّمين لم يحكما بالقرآن و السنّة، و ها هو الإمام يعدّ العدّة لملاقاه معاويه ثانيه، فلا معنى لخروج المارقين، و لم يرعو المارقون لقول الإمام و طالبه بتكفير نفسه و إعلان توبته، فقال (عليه السلام):

«أصابكم حاصب و لا- بقى منكم آثر أبعد إيمانى برسول الله (صلّى الله عليه و آله) و هجرتى معه و جهادى فى سبيل الله أشهد على نفسى بالكفر، لقد ضللت إذا و ما أنا من المهتدين» ثم انصرف عنهم، و تقدّم الخوارج فاصطفوا للقتال... و عبأ الإمام (عليه السلام) جيشه لملاقاتهم، و فى محاوله أخيره أمر الإمام أبا أيوب الأنصارى أن يرفع رايه أمان للخوارج، و يقول لهم: «من جاء إلى هذه الرايه فهو آمن و من انصرف إلى الكوفه و المدائن فهو آمن إنّه لا حاجه لنا فيكم إلا فيمن قتل إخواننا».

فانصرفت منهم مجاميع كثيره، و قال الإمام (عليه السلام) لأصحابه: كفوا عنهم حتى يبدؤوكم بقتال.

و هجم الخوارج و هم يتصايحون: لا حكم إلا لله... الرواح الرواح إلى الجنّه، و لم تمض إلا ساعه حتى ايبد أكثرهم، و لم ينج منهم إلا أقلّ من عشره، و لم يقتل من أصحاب الإمام إلا أقلّ من عشره أشخاص (1).

ص: ٢١٦

١- (١) نهج البلاغه الخطبه ٥٩ ط مؤسسه النشر الإسلامى، و مروج الذهب: ٣٨٥/٢، و البدايه و النهايه: ٣١٩/٧.

و بعد أن سكنت أوار المعركة؛ أمر الإمام (عليه السّلام) بطلب «ذى الثّديه» -أحد قادة الخوارج- و ألحّ في ذلك لأنّ في ذلك مصداقا لوصايا الرسول (صلّى الله عليه و آله) بمقاتله المارقين عن الدين الذين فيهم ذو الثّديه (1). و لمّا وجدوه أخبروا الإمام (عليه السّلام) فقال: «الله أكبر ما كذبت و لا كذّبت، لولا أن تنكلوا عن العمل؛ لأخبرتكم بما قصّ الله على لسان نبيّه (صلّى الله عليه و آله) لمن قاتلهم مستبصرًا في قتالهم، عارفاً للحقّ الذي نحن عليه» و سجد (عليه السّلام) شكرًا لله (2).

احتلال مصر:

بعد مقتل عثمان بن عفان ولى أمير المؤمنين قيس بن سعد بن عباده الأنصارى ولاية مصر، ثمّ كلّف محمد بن أبى بكر ليقوم مقام قيس بن سعد لرأى رآه (عليه السّلام)، و بقيت مصر الجناح الآخر الذى يقلق معاويه، فما أن ساد الاضطراب و التخاذل فى المجتمع الاسلامى بعد المعارك و نتائجها؛ تحرّك معاويه و عمرو بن العاص لاحتلال مصر التى كانت ثمنًا لجهود عمرو بن العاص لتخريب حكومه الإمام و تهديم الدين، و حاول (عليه السّلام) أن يمدّ محمد بن أبى بكر بالعدّه و العده عند سماعه بزحف معاويه نحو مصر، فلم يلبث إلا قليلا حتى أتت الأخبار باحتلال مصر و استشهاد محمد بن أبى بكر، و حزن الإمام (عليه السّلام) على محمد (3)، ثمّ كان قد كلّف (عليه السّلام) مالك الأشر بولاية مصر و كتب إليه عهده المشهور فى إداره الحكم و سياسه الناس، و لكن معاويه و ما يملك من وسائل الشيطان و الخداع تمكّن من دسّ السم لمالك (4).

ص: ٢١٧

١- (١) صحيح مسلم: كتاب الزكاه، باب ذكر الخوارج و صفاتهم و التحريض على قتالهم.

٢- (٢) تاريخ الطبرى: ٤/٦٦٦، و شرح نهج البلاغه: ٢/٢٦٦، و البدايه و النهايه: ٢٩٧.

٣- (٣) شرح النهج لابن أبى الحديد: ٦/٨٨.

٤- (٤) تاريخ الطبرى: ٤/٧٢.

بدأت بوضوح ملموس ملامح و آثار الانحراف الذى حصل يوم السقيفه فى نهايه أيام حكم الإمام(عليه السّلام) حيث بدأ معاويه و من اقتفى أثره فى محاربه الإسلام من داخل الإسلام بتفكيك ما بقى من أواصر تماسك المجتمع الإسلامى و تخريبه و بناء مجتمع ينسجم وفق رغباتهم و أهوائهم، و يمكننا أن نلاحظ حال الامه بعد خوض الإمام(عليه السّلام) ثلاث معارك فيصليه لاجتثاث الفساد فيما يلى:

١- منى الإمام(عليه السّلام) و الامه بفقد خيار الصحابه الواعين و المؤثرين فى المجتمع و حركه الرساله الإسلاميه الذين كان يمكن من خلالهم بناء الامه الصالحه وفق نهج القرآن و السنّه بإشراف الإمام(عليه السّلام)، و قد بلغ الحزن فى نفس الإمام مبلغا عظيما نجده فى نعيه لهم بقوله: «ما ضرّ إخواننا الذين سفكت دماؤهم بصفين أن لا يكونوا اليوم أحياء يسيغون الغصص و يشربون الرنق، قد و الله لقوا الله فوقاهم اجورهم و أحلّهم دار الأمن بعد خوفهم..»

أين إخوانى الذين ركبوا الطريق و مضوا على الحقّ؟ أين عمار؟ و أين ابن التيهان؟ و أين ذو الشهادتين؟ و أين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على التيه و ابرد برؤوسهم الى الفجره؟»

ثمّ وضع يده على كريمة فأتال البكاء ثمّ قال: «أوه على إخوانى الذين قرأوا القرآن فأحكموه و تدابروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنّه و أماتوا البدعه، دعوا للجهاد فأجابوا، و ثقوا بالقائد فأتبعوه» (١).

٢- تمرد الجيش و تفككه و ظهور الضعف و السأم من الحرب لكثره من قتل من أهل العراق الذين يشكّلون العمود الفقرى لفرق جيش الإمام(عليه السّلام)، و لم

ص: ٢١٨

يتمكن (عليه السّلام) بما يملك من قدره خطابه رائع و حجّه بالغه أن يبعث الإنذاف و الحزم في قاعدته الشعبيه لمواصله الحرب، و ممّا زاد من تفتيت الجيش عدم توقّف معاويه من مخاطبه زعماء القبائل و العناصر التي يبدو منها حبّ الدنيا، فمناهم بالأموال و الهبات و المناصب إذا قاموا بكلّ ما يؤدي إلى إضعاف قوّه الإمام (عليه السّلام) و جماهيره المؤيده، حتى أنّ الإمام (عليه السّلام) لم يستطع أن يعيى في معسكر النخيله بعد معركة النهروان استعدادا لقتال معاويه، فقد تسلّل أغلب أفراد الجيش الى داخل الكوفه ممّا أدى بالإمام (عليه السّلام) أن يلغى المعسكر و يؤجّل الحرب (١).

٣- لقد أتاح الظرف الذي مرّ به الإمام (عليه السّلام) و الامّه الإسلاميه لمعاويه أن يقوم بشنّ غارات على أطراف البلاد الإسلاميه، فمارس القتل و السبي و الإرهاب، فبدأ بالهجوم على أطراف العراق فأرسل النعمان بن بشير الأنصارى للإغاره على منطقه «عين التمر»، و وجّه سفيان بن عوف للإغاره على منطقه «هيت» ثم على «الأنبار و المدائن»، و الى «واقصه» و وجّه معاويه الضحّاك بن قيس الفهري... و في كلّ مرّه يحاول الإمام (عليه السّلام) دعوه الجماهير لمقاومه غارات معاويه فلم يلق الاستجابه السريعه، و أدرك معاويه ضعف قوه حكومه الإمام (عليه السّلام) و تزايد قوّته (٢).

و بعث معاويه بسر بن ارطاه للغاره على الحجاز و اليمن، فعاث في الأرض فسادا و قتلا للأبرياء (٣) و بلغ الأسى و الأسف في نفس الإمام (عليه السّلام) مبلغا عظيما ممّا يفعل المجرمون و من تخاذل الناس عنه، فكان يصرّح بضجره من تخاذلهم و تقاعسهم فقال: «اللّهمّ إني قد مللتهم و ملّوني و سئمتهم و سئموني فأبدلني بهم خيرا منهم

ص: ٢١٩

١- (١) تاريخ الطبري: ٤/٦٧.

٢- (٢) الغارات للثقفى: ٤٧٦، و تاريخ الطبري: ٤/١٠٢ و ١٠٣.

٣- (٣) الغارات للثقفى: ٤٧٦، و تاريخ الطبري: ٤/١٠٦ ط مؤسسه الأعلمي.

و أبدلهم بي شرا مني». (١).

وقد أُنذِر الإمام (عليه السّلام) الأئمّه الإسلاميّه بمستقبل مظلم و آلام كثيره تحلّ بها نتيجة لما آلت إليها من تقاعس و تخاذل عن نصره الحقّ، فقال (عليه السّلام): «أما إنكم ستلقون بعدى ذلاً شاملاً، و سيفاً قاطعاً، و أثره يتخذها الظالمون فيكم سنّه، فيفرّق جماعتكم، و يبكي عيونكم، و يدخل الفقر بيوتكم، و تتمنّون عن قليل أنكم رأيتموني فنصرتموني، فستعلمون حقّ ما أقول لكم» (٢).

آخر محاولات الإمام (عليه السلام):

بعد الاضطرابات المتعدّده و تمكّن معاويه من فساد و نشر الرعب في أطراف الدوله الإسلاميّه؛ عزم الإمام (عليه السّلام) أن يقوم بحمله واسعّه يستنهض فيها الأئمّه، فخاطب الجماهير و هدّدهم فقال:

«أما إنّي قد سئمت من عتابكم و خطابكم، فيبينوا لي ما أنتم فاعلون، فإن كنتم شاخصين معي إلى عدوّي فهو ما أطلب و ما أحبّ، و إن كنتم غير فاعلين فاكشفوه لي عن أمركم، فوالله لئن لم تخرجوا معي بأجمعكم إلى عدوّكم فتقاتلوه حتى يحكم الله بيننا و بينه و هو خير الحاكمين لأدعّون الله عليكم ثمّ لأسيرنّ إلى عدوّكم و لو لم يكن معي إلاّ عشره» (٣).

و أيقظ هذا التهديد الحازم نفوس الناس، و أيقنوا أنّ الإمام (عليه السّلام) سيخرج بنفسه و أهله و خاصّته الى معاويه و إن لم ينصروه، فسيلحق العار و الذلّ بهم الى يوم القيامة، فتحرّك و جهاء الناس للاستعداد لملاقاه معاويه و القضاء على الفساد، و خرج الناس الى معسكراتهم في منطقه «النخيله» خارج الكوفه، و تحرّكت بعض قطعات الجيش تسبق البقيه مع الإمام (عليه السلام) الذي بقى ينتظر انقضاء شهر رمضان.

ص: ٢٢٠

١- (١) نهج البلاغه: الخطبه (٢٥).

٢- (٢) أنساب الاشراف: ٢٠٠/١، نهج البلاغه: الكلمه (٥٨).

٣- (٣) سيره الأئمّه الإثني عشر: ٤٥١/١ عن البلاذري في أنساب الأشراف.

أشاره

الإمام علي (عليه السلام) شهيد المحراب

(١)

تواطأت زمر الشرّ على أن لا تبقى للحقّ رايه تخفق أو يدا تطول فتصلح أو صوتا يدوّى فيكشف زيغ و فساد الظالمين و المنحرفين، فبالأمس كان أبو سفيان يمكر و يغدر و يفجر و يخطّط لقتل النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله) لوأد الرسالة الإلهيه فى مهدها، و لكنّ الله أبى إلا أن يتمّ نوره.

و ها هو معاويه بن أبى سفيان يستفيد من نتائج انحراف السقيفه، و يتمّم ما بدأه أبوه سعيا للقضاء على الرسالة الإسلاميه، تعينه فى ذلك قوى الجهل و الضلاله و العمى، فخطّطوا لقتل ضمير الامّه الحىّ و صوت الحقّ و العدل و حامل لواء الإسلام الخالد و محيي الشريعه المحمديه السمحاء.

و اجتمعت ضلالتهم على أن يطفئوا نور الهدى ليبقى الظلام يلفّ انحرافهم و فسادهم، فامتدّت يد الشيطان لتصافح ابن ملجم فى عتمه الليل، و فى ختله و غدره هوت بالسيف على هامه طالما استدبرت الدنيا و استقبلت بيت الله و هى ساجده، و غادرتها منها فى تلك الحال.

لقد اجتمعت عصابه ضالّه على قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) لا يبعد أن كان محرّكها معاويه، و اتفقوا أن يداهموا الإمام عند ذهابه لصلاه الفجر، فما كان أحد يجرؤ على مواجهه الإمام (عليه السلام).

ص: ٢٢١

ولمّا كانت ليله تسع عشره من شهر رمضان؛ كان الإمام (عليه السّلام) يكثر التأمل في السماء و هو يردّد «ما كذبت ولا كذّبت إنّها الليله التي وعدت بها» (١) و أمضى (عليه السّلام) ليلته بالدعاء و المناجاة، ثمّ خرج الى بيت الله لصلاه الصبح فجعل يوقظ الناس على عادته الى عباده الله فينادى: الصلاه... الصلاه.

ثمّ شرع (عليه السّلام) في صلاته، و بينما هو منشغل يناجى ربّه إذ هوى المجرم اللعين عبد الرحمن بن ملجم و هو يصرخ بشعار الخوارج «الحكم لله لا لك» و وقع السيف على رأسه المبارك فقدّ منه فهتف الإمام (عليه السّلام) : «فزت و ربّ الكعبه» (٢).

ولمّا علت الضجّة في المسجد؛ أقبل الناس مسرعين فوجدوا الإمام (عليه السّلام) طريحا في محرابه، فحملوه الى داره و هو معصّب الرأس و الناس يضحّون بالبكاء و العويل، و القى القبض على المجرم ابن ملجم، و أوصى الإمام (عليه السّلام) ولده الحسن و بنيه و أهل بيته أن يحسنوا الى أسيرهم و قال: «النفس بالنفس، فإنّ أنا متّ فاقتلوه كما قتلني، و إنّ أنا عشت رأيت فيه رأبي» (٣).

وصيّة الإمام (عليه السّلام):

أوصى الإمام (عليه السّلام) ولديه الحسن و الحسين (عليهما السّلام) و جميع أهل البيت بوصايا عامّة فقال:

«أوصيكمما بتقوى الله، و أن لا تبغيا الدنيا و إن بغتكما، و لا تأسفا على شيء منها زوى عنكما، و قولاً بالحقّ و اعملاً للأجر، و كوناً للظالم خصماً و للمظلوم عوناً، و اعملاً بما في

ص: ٢٢٢

١- ((١)) الصواعق المحرقة: ٨٠، و بحار الأنوار: ٢٣٠/٤٢.

٢- ((٢)) الامامه و السياسه: ١٨٠ أو: ١٣٥ ط بيروت و ١٥٩ ط مصر، و تأريخ دمشق: ٣/٣٦٧ ترجمه الإمام عليّ (عليه السّلام)

٣- ((٣)) مقاتل الطالبين: ٢٢، شرح النهج لابن أبي الحديد: ١١٨/٦، و بحار الأنوار: ٢٣١/٤٢.

الكتاب، و لا تأخذ كما فى الله لومه لائم» (١).

و لم يمهل الجرح أمير المؤمنين طويلا لشدة و عظيم وقته، فقد دنا الأجل المحتوم، و كان آخر ما نطق به قوله تعالى: لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ
ثم فاضت روحه الطاهرة الى جنه المأوى.

دفن و تأبين الإمام (عليه السلام):

نهض الإمامان الحسن و الحسين (عليهما السلام) بتجهيز أمير المؤمنين و ما يترتب عليهما من إجراءات الدفن من غسل و تكفين، ثم صلى الإمام
الحسن (عليه السلام) على أبيه و معه ثلثه من أهل بيته و أصحابه، ثم حملوا الجثمان الطاهر الى مثواه الأخير، فدفن فى النجف قريبا من الكوفة، و
تمت كل الإجراءات ليلا (٢).

ثم وقف صعصعه بن صوحان يؤبّن الإمام (عليه السلام) فقال:

هنيئا لك يا أبا الحسن! فلقد طاب مولدك، و قوى صبرك، و عظم جهادك، و ظفرت برأيك، و ربحت تجارتك، و قدمت على خالقك فتلقاك
الله ببشارته و حفّتك ملائكته، و استقررت فى جوار المصطفى فأكرمك الله بجواره، و لحقت بدرجة أخيك المصطفى، و شربت بكأسه
الأوفى، فأسأل الله أن يمنّ علينا يا قفائنا أترك، و العمل بسيرتك، و الموالاه لأوليائك، و المعاداه لأعدائك، و أن يحشرنا فى زمرة أوليائك، فقد
نلت ما لم ينله أحد، و أدركت ما لم يدركه أحد، و جاهدت فى سبيل ربك بين يدي أخيك المصطفى حقّ جهاده، و قمت بدين الله حقّ القيام،
حتى أقمت السنن و أبرت الفتن و استقام الإسلام و انتظم الإيمان، فعليك منى أفضل الصلاة و السلام.

ص: ٢٢٣

١- (١) تاريخ الطبرى: ١١٤/٤ ط مؤسسه الأعلمى، راجع أيضا نهج البلاغه: باب الكتب/ ٤٧ طبعه صبحى الصالح.

٢- (٢) بحار الأنوار: ٢٩٠/٤٢.

ثم قال: لقد شرف الله مقامك، و كنت أقرب الناس إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) نسبا، و أولهم إسلاما، و أوفاهم يقينا، و أشدهم قلبا، و أبدلهم لنفسه مجاهدا، و أعظمهم فى الخير نصيبا، فلا حرمتنا أجرك، و لا أذلنا بعدك، فو الله لقد كانت حياتك مفاتيح الخير و مغالق الشر، و إن يومك هذا مفاتيح كل شر و مغلاق كل خير، و لو أن الناس قبلوا منك؛ لأكلوا من فوقهم و من تحت أرجلهم، و لكنهم آثروا الدنيا على الآخرة (١).

ص: ٢٢٤

١- ((١)) بحار الأنوار: ٢٩٥/٤٢.

إشاره

تراث الإمام المرتضى علي بن أبي طالب (عليه السلام)

إنّ أوّل عمل اهتمّ به الإمام (عليه السلام) بعد وفاه الرسول (صلى الله عليه وآله) -و قد كان بوصيه منه (صلى الله عليه وآله) - هو جمعه للقرآن الكريم، و امتاز بترتيبه حسب النزول و تضمّن معلومات فريده عن شأن النزول و التفسير و التأويل الذى تحتاجه امّه محمّد (صلى الله عليه وآله) و آله، و قد عرضه على الخليفه الأوّل فقال: لا حاجه لنا به، فأشار (عليه السلام) الى أنّهم سوف لا يحصلون عليه بعد ذلك اليوم، و هكذا كان، و المعروف أنّه يتوارثه الأئمّه من أبنائه (عليهم السلام).

و اثر عن الإمام ما سمّى بالصحيحه التى تضمّنّت أحكام الدّيّات، و قد روى عنها البخارى و مسلم و ابن حنبل، كما اثر عنه ما سمّى بالجامعه التى تضمّنّت أو جمعت كلّ ما يحتاج اليه الناس من حلال و حرام، و وصفها الإمام الصادق بأنّ طولها سبعون ذراعاً، و ليس من قضيه إلاّ و هى فيها حتى أرش الخدش.

و تضمّن كتاب الجفر ما يرتبط بحوادث المستقبل و صحف الأنبياء السابقين، و قد يشبهه مصحف فاطمه و هو ما أملتة عليه فاطمه الزهراء (عليها السلام) بعد وفاه أبيها ممّا كانت تلهم به من مفاهيم (1). و كلّ هذه الكتب تعتبر من موارث الإمامه التى يتناقلها الأئمّه (عليهم السلام) إماماً بعد إمام.

ص: ٢٢٥

١- (١) اصول الكافي: الجزء الأول باب ذكر الصحيحه و الجفر و الجامعه و مصحف فاطمه. و راجع: سيره الأئمّه الاثنى عشر: ٩٦/١-٩٩ و ٢٧٤-٢٩٤.

وقد تصدّى جمع من علماء الأئمّه الى جمع ما اثر عن الإمام (عليه السّلام) من خطب و رسائل و كلمات، و سمّيت بأسماء تتناسب مع أغراض جامعيتها، و أولها و أشهرها ما سمّى ب(نهج البلاغه) للشريف الرضى المتوفى (٤٠٤ هـ)، و قد انطوى على روائع فكر الإمام فى شتى المجالات العقائديه و الأخلاقيه و أنظمه الحكم و الإدارة و التأريخ و الاجتماع و علم النفس و الدعاء و العباده و سائر العلوم الطبيعیه و الإنسانيه، و هو ما اختاره الشريف الرضى من خطبه و رسائله و وصاياه و كلماته البليغه. و من هنا فقد تصدّى علماء آخرون لجمع ما لم يجمعه الشريف الرضى و سمّى بمستدركات نهج البلاغه.

و جمع النسائى المتوفى (٣٠٣ هـ) ما رواه الإمام على عن رسول الله (صلّى الله عليه و آله) و سمّاه ب(مسند الإمام على) (عليه السّلام).

و جمع الآمدى (المتوفى بين ٥٢٠ و ٥٥٠ هـ) قصار كلماته الحكميه و سمّاه ب(غرر الحكم و درر الكلم).

و جمع أبو إسحاق الوطواط (المتوفى بين ٥٥٣ و ٥٨٣ هـ) من كلامه ما سمّاه ب(مطلوب كلّ طالب من كلام على بن أبى طالب). و اثرت عن الجاحظ المتوفى (٢٥٥ هـ) (مائة كلمه) للإمام على (عليه السّلام) و (نثر اللثالى) جمع الطبرسى صاحب مجمع البيان، و كتاب صفّين لنصر بن مزاحم اشتمل على مجموعه من خطبه و كتبه. و (الصحيفه العلويه) و هى مجموعه من الأدعيه التى اثرت عنه (عليه السّلام).

فى رحاب نهج البلاغه:

إذا كان (القرآن الكريم) هو معجزه النبوه؛ فإنّ (نهج البلاغه) معجزه الإمامه... فليست هذه العقليه العظيمه المتجلّيه بذلك الاسلوب العلوى الواضحه فى كلّ فقره من فقرات (النهج) و فى كلّ شذره من تلك الشذور إلّا- غرس ذلك النبى العظيم المستمدّ من وحى الله تعالى، فما من موضوع يطرقة الإمام إلّا و ترى نور الله

يشعّ أمامه و هدى الرسول ينير له الطريق» (١).

وقال الشريف الرضى (قدّس سرّه): كان أمير المؤمنين (عليه السّلام) مشرّع الفصاحة و موردها و منشأ البلاغه و مولدها، و منه (عليه السّلام) ظهر مكنونها و عنه اخذت قوانينها، و على أمثلته هذا كلّ قائل خطيب، و بكلامه استعان كلّ واعظ بليغ، و مع ذلك فقد سبق و قصّروا، و قد تقدّم و أخروا، لأنّ كلامه (عليه السّلام) الكلام الذى عليه مسح من العلم الإلهي، و فيه عقبه من الكلام النبويّ.

فى رحاب العقل و العلم و المعرفة:

- ١- لا غنى كالعقل و لا فقر كالجهل، و العقل ينبوع الخير و أشرف مزيه، و أجمل زينه.
- ٢- العقل رسول الحقّ. العقل أقوى أساس. و الإنسان بعقله. و بالعقل صلاح كلّ أمر.
- ٣- العلم غطاء و ساتر و العقل حسام قاطع، فاستر خلل خلقك بحلمك، و قاتل هواك بعقلك. و الفكر مرآه صافيه.
- ٤- العقل صاحب جيش الرحمن، و الهوى قائد جيش الشيطان، و النفس متجاذبه بينهما فأيهما غلب كانت فى حيزه.
- ٥- أفضل حظّ الرجل عقله، إن ذلّ أعزّه، و إن سقط رفعه، و إن ضلّ أرشده، و إن تكلم سدّده.
- ٦- إنّ أفضل الناس عند الله من أحيا عقله و أمات شهوته و أتعب نفسه لإصلاح آخرته.
- ٧- على قدر العقل يكون الدين. ما آمن المؤمن حتى عقل. قيمه كلّ امرئ عقله.
- ٨- و عزّف العقل بما يلي:

أ- إنّما العقل التجنّب من الإثم و النظر فى العواقب و الأخذ بالحزم.

ب- العقل أصل العلم و داعيه الفهم.

ص: ٢٢٧

١- ((١)) حياه أمير المؤمنين فى عهد النبى: ٤٠٢، تأليف: محمد صادق الصدر.

ج-العقل غريزه تزيد بالعلم و بالتجارب.

د-للقلوب خواطر سوء و العقول تزجر عنها.

ه-غريزه العقل تأبى ذميم الفعل.

و-العاقل من يعرف خير الشرين.

فى رحاب القرآن الكريم و السنه النبويه المباركه:

١-قال (عليه السلام):و أنزل عليكم الكتاب تبيانا لكل شىء و عمّر فيكم نبيّه أزمانا حتى أكمل له و لكم-فيما أنزل من كتابه-دينه الذى رضى لنفسه.

٢-ذلك القرآن فاستنطقوه و لن ينطق،و لكن اخبركم عنه،ألا إنّ فيه علم ما يأتى، و الحديث عن الماضى،و دواء دائكم،و نظم ما بينكم،و ينطق بعضه ببعض،و يشهد بعضه على بعض،و لا-يختلف فى الله و لا-يخالف بصاحبه عن الله،و لا يعوجّ فيقام و لا يزيغ فيستعجب...و لا تخلقه كثره الردّ و ولوج السمع...لا تفنى عجائبه،و لا تنقضى غرائبه،و لا تكشف الظلمات إلّا به.

و فيه ربيع القلب...و ما للقلب جلاء غيره..فهو معدن الإيمان و بحبوحته،و ينابيع العلم و بحوره و رياض العدل و غدرانه،و أثافيّ الاسلام و بنيانه، و أوديه الحق و غيطانه، و بحر لا ينزفه المستنزفون،و عيون لا ينضبها الماتحون،و مناهل لا يغيضها الواردون..

جعلله الله ريّا لعطش العلماء و ربيعا لقلوب الفقهاء،و محاجّ لطرق الصلحاء...و علما لمن وعى،و حديثا لمن روى،و حكما لمن قضى..و شفاء لا تخشى أسقامه..و دواء ليس بعده داء...فاستشفوه من أدوائكم،و استعينوا به على لأوائكم؛فإنّ فيه شفاء من أكبر الداء.و هو الكفر و النفاق و الغيّ و الضلال (١).

و أما سنّه رسول الله(صلّى الله عليه و آله)فقد دعا الإمام الى العمل بها،و بيّن موقع الأئمّه و موقفهم المشرف فى إيصال السنّه الصحيحه الى الامّه و إحياء ما أماته المبطلون

ص:٢٢٨

١- (١) راجع الخطبه ١٧٦ من نهج البلاغه،طبعه صبحى الصالح.

من سنّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأسباب انحراف من انحرف عن مدار السنه.

قال (عليه السلام): اقتدوا بهدى نبيكم فإنه أفضل الهدى، واستنوا بسنّته فإنها أهدى السنن.

وقال (عليه السلام): أحبّ العباد الى الله المتأسّى بنبيّه (صلى الله عليه وآله) والمقتصّ أثره. وقال (عليه السلام):

إرض بمحمّد (صلى الله عليه وآله) رائدا والى النجاه قائدا.

وقال (عليه السلام): إنّ فى أيدي الناس حقّا و باطلا و صدقا و كذبا و ناسخا و منسوخا و عامّا و خاصّا و محكما و متشابها و حفظا و وهما، و لقد كذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) على عهده حتى قام خطيبا فقال: من كذب على متعمدا؛ فليتبوأ مقعده من النار.

وقال (عليه السلام): لا يقاس بآل محمد (صلى الله عليه وآله) من هذه الائمة أحد.. هم عيش العلم و موت الجهل.. لا يخالفون الحقّ و لا يختلفون فيه.. هم دعائم الإسلام و ولائج الاعتصام، بهم عاد الحقّ فى نصابه، و انزاح الباطل عن مقامه، و انقطع لسانه عن منبته. عقلوا الدين عقل و عايه و رعايه لا- عقل سماع و روايه. هم موضع سرّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) و حماه أمره و عيبه علمه و موئل حكمه و كهوف كتبه و جبال دينه، هم مصابيح الظلم و ينباع الحكم و معادن العلم و مواطن الحلم.

وقال (عليه السلام): و إني لعلى بيته من ربّي و منهاج من نبيّي، و إني لعلى الطريق الواضح ألفظه لفظا (١).

فى رحاب التوحيد و العدل و المعاد:

قال (عليه السلام) فى مجال إثبات وجوده تعالى: الحمد لله الدالّ على وجوده بخلقه و بمحدث خلقه على أزليته و باشتباههم على أن لا شبه له. و قال: عجبت لمن شكّ فى الله و هو يرى خلق الله... بل ظهر للعقول بما أرانا من علامات التدبير المتقن و القضاء المبرم.

و حين سئل (عليه السلام): هل رأيت ربّيك؟ أجاب: و كيف أعبد ربّا لم أراه؟ ثمّ قال: لا تدركه العيون بمشاهده العيان و لكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان.. عظم عن أن تثبت

ص: ٢٢٩

١- (١) راجع المعجم الموضوعى لنهج البلاغه: ٤٢-٥٣ و ١٠١ و تصنيف غرر الحكم: ١٠٩-١١٧.

ربوبيته بإحاطه قلب أو بصر.

و جاء في دعائه المعروف بدعاء الصباح: يا من دلّ على ذاته بذاته، و تنزّه عن مجانسه مخلوقاته، و جلّ عن ملائمه كيفياته. يا من قرب من خطرات الظنون و بعد عن لحظات العيون، و علم بما كان قبل أن يكون...

لقد شحن الإمام خطبه العلويه بآيات القدره الإلهيه السماويه و الأرضيه، و أطنب فيها إطناب الخبير البصير، ففصل آيات القدره و العظمه تفصيلا يعطى للمطالع إيمانا و خشوعا لله و خضوعا لعظمته، بحيث يلمس السامع لخطبه (عليه السلام) أنّه كما قال: و الله لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا.

و قدّم الإمام تصويرا دقيقا لصفاته تعالى بحيث صار معيارا للبحوث الفلسفيه الدقيقه و مفتاحا للدخول الى مثل هذه البحوث التي تضلّ فيها الأفكار لولا الهدايه الربانيه الموجهه.

قال (عليه السلام): و كمال توحيدہ الإخلاص له. و كمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادته كلّ صفة أنّها غير الموصوف و شهادته كلّ موصوف أنّه غير الصفه، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، و من قرنه فقد ثناه، و من ثناه فقد جزّأه، و من جزّأه فقد جهله، و من جهله فقد أشار اليه، و من أشار اليه فقد حدّه، و من حدّه فقد عدّه... كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كلّ شيء لا بمقارنه و غير كلّ شيء لا بمزايله.

و قال (عليه السلام): مستدلا على وحدانيته: و اعلم يا بنى، إنّ لو كان لربّك شريك لأتتك رسله و لرأيت آثار ملكه و سلطانه، و اعلم يا بنى أنّ أحدا لم ينبئ عن الله سبحانه كما أنبأ عنه الرسول (صلّى الله عليه و آله) فافرض به رائدا.

و قال عن عدله تعالى: و ارتفع عن ظلم عباده و قام بالقسط فى خلقه و عدل عليهم فى حكمه و عدل فى كلّ ما قضى. و قال: فإنّه لم يأمرك إلاّ بحسن و لم ينهك إلاّ عن قبيح و إنّ حكمه فى أهل السماء و الأرض لو احدى. و ما كان الله ليدخل الجنّه بشرا بأمر أخرج به منها ملكا.

الهدايه الإلهيه عبر القاده المهديين الذين اختارهم الله لهدايه عباده هي سنّه الله الدائمه لخلقهم الذين زوّدهم بالعقل و العلم و سلّحهم بسلاح الإراده و الاختيار.

و تبدأ هذه السنّه لهذه البشريه باختيار آدم خيره من خلقه...«فأهبطه بعد التوبه ليعمر أرضه بنسله و ليقيم الحجه به على عباده،و لم يخلهم بعد أن قبضهم ممّا يؤكّد عليهم حجه ربوبيّته و يصل بينهم و بين معرفته،بل تعاهدهم بالحجج على ألسن الخيره من أنبيائه و متحمّلي ودائع رسالاته قرنا فقرنا...فاستودعهم في أفضل مستودع،و أقرّهم في خير مستقر،تناسختهم كرائم الأصلاب الى مطهّرات الأرحام..حتى أخرج آخرهم نبينا محمدا(صلّى الله عليه و آله)من أفضل المعادن منبتا و أعزّ الارومات مغرسا،من الشجره التي صدع منها أنبياءه و انتجب منها امناءه.

و وصف الإمام(عليه السّلام)زهد الأنبياء و شجاعتهم و تواضعهم و رعايه الله لهم و تربيته لهم بالاختبار و الابتلاء و تعريضهم للأذى في سبيل الله،و بين وظائفهم المتمثله في التبليغ و الدعوه الى الله سبحانه و التبشير و الإنذار و إقامه حكم الله في الأرض و هدايه الناس بإخراجهم من الجهل و الضلاله و مجاهده أعداء الله.

و تستمرّ مسيره الهداه الربّانيين على مدى العصور الى يوم القيامة، فلا تخلو الأرض من قائم لله بحجه،إمّا ظاهرا مشهورا و إمّا خائفا مستورا لئلا تبطل حجج الله و بيناته...و حيث ختمت النبوه بمحمّد(صلّى الله عليه و آله)انتهى أمر الهدايه الى عترته التي هي خير العتر،إن نطقوا صدقوا و إن صمتوا لم يسبقوا،و هم شجره النبوه و محطّ الرساله و مختلف الملائكه و معادن العلم و ينابيع الحكم،و الأعظمون عند الله قدرا.. يحفظ الله بهم حججه و بيناته..بهم علم الكتاب و به علموا،فيهم كرائم القرآن و كنوز الرحمن،فهم الراسخون في العلم..يخبركم حلمهم عن علمهم و ظاهرهم عن باطنهم و صمتهم عن حكم منطقتهم،لا يخالفون الحقّ و لا

يختلفون فيه، وهم دعائم الإسلام و ولائج الاعتصام، بهم عاد الحقّ الى نصابه و انزاح الباطل عن مقامه، فهم أساس الدين و عماد اليقين، إليهم يفى الغالى و بهم يلحق التالى، لهم خصائص حقّ الولاية و فيهم الوصيه و الوراثة.

لقد أكّد الامام على موقف أهل البيت القيادى الفكرى و السياسى و أدان زحزحه القيادة عن موقعها الذى عينه رسول الله (صلّى الله عليه و آله) و اعترض على خطّ الخلفاء جملة و تفصيلاً، بالرغم من اضطراره للتنازل عن حقّه و جهد فى تقديم الاطروحة النبويّه للقيادة بعد الرسول بشكل ناصح، و جاهد من أجل إحقاق الحقّ بشكل حكيم و اسلوب كان ينسجم مع حساسيه الطرف التى كانت تمرّ بها الدوله و الامّه الإسلاميه حينذاك، و استطاع أن يقدّم النظرية كامله و يعدّ العده لتطبيقها حينما تسمح له الظروف (١).

فى رحاب الإمام المهدي (عليه السلام):

استأثر التبشير بقضيه الإمام المهدي المنتظر (عج) اهتمام القرآن الكريم و النبيّ العظيم و الإمام المرتضى على الرغم من التشتت الذى كان يعيشه ذلك المجتمع المضطرب بعد الرسول (صلّى الله عليه و آله)، قال (عليه السلام): ألا و فى غد- و سيأتى غد بما لا تعرفون- يأخذ الوالى من غيرها عمّالها على مساوى أعمالها، و تخرج له الأرض أقاليد كبدها، و تلقى اليه سلماً مقاليدها، فيريكم كيف عدل السيره، و يحيى ميّت الكتاب و السنّه (٢).

إنّها رؤيه دقيقه محدّده مضيئه واضحه المعالم، تتمثل فى قيام ثوره عالميه تصحّح وضع العالم الإسلامى بل الإنسانى أجمع، قال (عليه السلام) عن قائدها: يعطف الهوى على الهدى إذا عطفوا الهدى على الهوى، و يعطف الرأى على القرآن إذا عطفوا

ص: ٢٣٢

١- (١) راجع المعجم الموضوعى لنهج البلاغه: ٨٧-١١٦ و ٣٧٤-٤٤٥.

٢- (٢) من الخطبه ١٣٨ من نهج البلاغه.

وقد تصدّت مؤسسه نهج البلاغه لجمع الأحاديث التى وردت عن الإمام علىّ (عليه السّلام) حول الإمام المهديّ (عج) وقد اجتمعت فى جزء واحد و بلغ مجموعها (٢٩١) حديثاً، أربعة عشر منها عن اسم المهديّ و صفاته و دعائه و سبعة و سبعون منها عن نسب الإمام و أنّه من قريش و بنى هاشم و من أهل البيت و من ولد علىّ، و أنّه من ولد فاطمه، بل من ولد الحسين و أحد الأئمّه الإثنى عشر، و خمسة و أربعون منها ترتبط بالمهديّ فى القرآن و نهج البلاغه و شعر أمير المؤمنين (عليه السّلام)، و ثلاثة و عشرون منها حول أنصار المهديّ و الرايات السود، و اثنا عشر منها حول السفينانى و الدجال، و سته و عشرون منها عن غيبه المهديّ و محن الشيعة عند الغيبه و فضيله انتظار الفرج، و خمسة و سبعون منها حول الفتن قبل المهديّ و علائم الظهور و ما بعد الظهور و دابّه الأرض و يأجوج و مأجوج، و تسعة عشر منها ترتبط بفضل مسجد الكوفه و خروج رجل من أهل بيته (عليهم السّلام) بأهل المشرق يحمل السيف على عاتقه ثمانية أشهر حتى يقولوا: و الله ما هذا من ولد فاطمه.. ثم يبيّن حكم الأرض عند ظهور القائم (عليه السّلام) و حكومته و كيفيه ختم الدين به.

قال (عليه السّلام): يا كميل، ما من علم إلا و أنا أفتحه، و ما من سرّ إلا و القائم (عليه السّلام) يختمه..

يا كميل، لا بدّ لماضيكم من أوبه، و لا بدّ لنا فيكم من غلبه... (٢).

بنا يختم الدين كما بنا فتح، و بنا يستنقذون من ضلاله الفتنة كما استنقذوا من ضلاله الشرك، و بنا يؤلف الله قلوبهم فى الدين بعد عداوه الفتنة كما ألف بين قلوبهم و دينهم بعد عداوه الشرك (٣). و لو قد قام قائمنا؛ لأنزلت السماء قطرها و أخرجت الأرض نباتها،

ص: ٢٣٣

١- (١) المصدر السابق.

٢- (٢) عن بشاره المصطفى: ٢٤-٣١.

٣- (٣) عن ملاحم ابن طاووس: ٨٤-٨٥.

و ليذهب الشحاء من قلوب العباد، و أصلحت السباع و البهائم حتى تمشى المرأه من العراق إلى الشام لا تضع قدمها إلا على النبات و على رأسها زيتنها لا يهيجها سبع و لا تخافه (١).

في رحاب الحكم الإسلامي: فلسفته و اصوله

لقد قدّم الإمام (عليه السّلام) نموذجاً عملياً فريداً في الحكم الإسلامي بعد عصر الرسول (صلى الله عليه و آله) و قد قرن ذلك بنظريه كامله منسجمه الأبعاد و الجوانب تمثّلت في كتابه و عهده المعروف لمالك الأشر حين ولّاه مصر، و قد اهتمّ الاجتماعيون بهذا العهد شرحاً و تعليقا و تبيناً و مقارنة بأنظمة الحكم الأخرى، و يعتبر هذا النصّ دليلاً من أدلّة إمامته (عليه السّلام) و به تتميّز مدرسه أهل البيت عن سائر الاتجاهات التي حملت اسم الإسلام و الخلافة الإسلاميه، و بالإضافة الإسلاميه، و بالإضافة إلى هذا النصّ المعجز نجد في نهج البلاغه و غيره من النصوص التي وصلتنا عنه (عليه السّلام) ما يعيننا على كشف نظريه الإمام و نظريه الإسلام الفريده عن فلسفه الحكم و نظامه اصولاً و فروعاً، و نشير إلى الخطوط العريضة بإيجاز.

لقد أكّد الإمام (عليه السّلام) على أنّ الحكم ضروره اجتماعيه بقوله: لا بدّ للناس من أمير برّ أو فاجر، و الإمامه نظام الامه. و بين أنّ الحكم مختبر الحياه قائلاً: القدره تظهر محمود الخصال و مذمومها.

و أوضح أنّ الحكم عرض زائل فلا ينبغي الاغترار به بقوله: الدوله كما تقبل تدبر. ثمّ أفاد أنّ الحكم النموذجي هو الذي يكون ذا قيمه و يستحقّ التمهيد و التخطيط له.

و أمّا الخطوط العريضة لنظام الحكم الإسلامي و مهام الدوله النموذجيه فتمثّل في: ١- تثقيف الامه. ٢- إقامة العدل. ٣- حمايه الدين. ٤- إقامة الحدود.

ص: ٢٣٤

١- (١) عن خصال الصدوق: ٢/٤١٨. و راجع موسوعه أحاديث أمير المؤمنين، الجزء الأول ما روى عنه حول الإمام المهدي (عليه السّلام). مؤسسه نهج البلاغه.

٥- تربيته المجتمع. ٦- الاجتهاد في النصيحة و الإبلاغ في المواعظه. ٧- توفير الفىء و تحسين الوضع المعيشى للناس. ٨- الدفاع عن استقلال و كرامه الامه. ٩- توفير الأمن الداخلى. ١٠- نصره المستضعفين. ١١- إغاثة الملهوفين. ١٢- الاهتمام بالعمران.

و أمّا الحاكم النموذجى فينبغى له أن يتمتع بجمله من الصفات و التى تكون من أهمّ عوامل ثبات حكمه، و هى ملخصا كما يلى: ١- الانقياد للحقّ. ٢- تفهّم الامور. ٣- سطوع البيان. ٤- الشجاعه فى إقامه الحقّ. ٥- حسن التيه. ٦- الإحسان إلى الرعيه. ٧- عفّنه النفس. ٨- عموم العدل. ٩- التدبير و الاقتصاد. ١٠- الإنصاف.

١١- الرفق. ١٢- الحلم. ١٣- الدفاع عن الدين. ١٤- كثره الورع. ١٥- الشعور بالأمانه و المسؤوليه. ١٦- اليقظه. ١٧- التكليف بما يطيقه الشعب. ١٨- عدم الاغترار بالقدره. ١٩- التوزيع الصحيح للأعمال و تعيين مسؤوليه كلّ فرد بما يناسبه. ٢٠- البذل و الجود من غير إسراف من كلّ ما يملك.

و قد طفحت كلمات الإمام (عليه السّلام) بعوامل سقوط الدول و آفات الحكم محدّرا الحكّام و العمّال و الولاه منها، و يمكن إيجازها كما يلى: ١- الجهل.

٢- الاستبداد بالرأى و ترك المشوره. ٣- إتباع الهوى. ٤- تعدّد مراكز القرار.

٥- إتباع الباطل و الاستخفاف بالدين. ٦- البغى و الظلم. ٧- التكبر و الفخر. ٨- منع الإحسان. ٩- الإسراف و التبذير. ١٠- الغفله. ١١- الانتقام. ١٢- سوء التدبير.

١٣- قلّه الاعتبار و عدم الانتفاع بالتجارب. ١٤- كثره الاعتذار و تراكم الأخطاء.

١٥- تضييع الاصول. ١٦- تقديم الأراذل و غير الجديرين للمناصب الإداريه على الأفراد الأكفاء، قال (عليه السّلام): تولّى الأراذل و الأحداث الدول دليل انحلالها و إدارها.

١٧- الخيانه، قال (عليه السّلام): إذا ظهرت الخيانات ارتفعت البركات، و من خانه وزيره فسد تدبيره. ١٨- ضعف السياسه، قال (عليه السّلام): آفه الزعماء ضعف السياسه، و آفه القوى استضعاف الخصم، و من تأخّر تدبيره تقدّم تدميره، ١٩- سوء السيره،

قال (عليه السّلام): آفه الملوک سوء السيره. ٢٠-عجز العمّال و الولاه. ٢١-ضعف الحمايه الشعبيه للحاكم، قال (عليه السّلام): آفه الملك ضعف الحمايه. ٢٢-سوء الظنّ بالنصيح من علامات الأدبار. ٢٣-طمع القاده و حرصهم و جشعهم على ملذّات الحياه الدنيا، قال (عليه السّلام): السّيد من لا يصانع و لا يخادع و لا تغرّه المطامع، و قال (عليه السّلام): الطمع يذلّ الأمير. ٢٤-و فقدان الأمن.

في رحاب العبادات و الفرائض:

قال (عليه السّلام): إنّ الله سبحانه فرض عليكم فرائض فلا تضيّعوها، و حدّ لكم حدودا فلا تعتدوها، و نهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها، و سكت عن أشياء و لم يدعها نسيانا فلا تتكلّفوها، و لم يأمركم إلّا بحسن، و لم ينهكم إلّا عن قبيح.

و قال (عليه السّلام): عليك بحفظ كلّ أمر لا تعذر باضاعته. و قال: أوّل ما يجب عليكم لله سبحانه شكر أياديّه و ابتغاء مرضيّه، و طوبى لمن حافظ على طاعه ربّه، و سارعوا إلى فعل الطاعات و سابقوا إلى فعل الصالحات، فإن قصّرتم فإياكم أن تقصّروا عن أداء الفرائض، و لا قربه بالنوافل إذا أضرت بالفرائض، و لا عباده كأداء الفرائض. و اهتمّ الإمام (عليه السّلام) ببيان فلسفه جملة من التشريعات قائلا: فرض الله سبحانه الايمان تطهيرا من الشرك، و الصلاه تنزيها عن الكبر، و الزكاه تسبيبا للرزق، و الصيام ابتلاء لإخلاص الخلق، و الحجّ تقويه للدين، و الجهاد عزّا للإسلام، و الأمر بالمعروف مصلحه للعوام، و النهي عن المنكر ردعا للسفهاء، و صلّه الأرحام منماه للعدد، و القصاص حقنا للدماء، و إقامة الحدود إعظاما للمحارم، و ترك شرب الخمر تحصينا للعقل، و مجانبه السرقة إيجابا للعفة، و ترك الزنا تحصينا للأنسب، و ترك اللواط تكثيرا للنسل، و الشهاده استظهارا على المجاحدات، و ترك الكذب تشريفا للصدق، و الإسلام أمانا من المخاوف، و الإمامه نظاما للاثمه، و الطاعه تعظيما للإمامه.

و قال (عليه السّلام) أيضا: زكاه البدن الجهاد و الصيام، و زياره بيت الله أمن من عذاب جهنّم.

وقال (عليه السلام): أمر بالمعروف تكن من أهله، وأنكر المنكر بيدك ولسانك و باين من فعله بجهدك، وغايه الدين الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و إقامة الحدود، و الجهاد عماد الدين و منهاج السعداء، و من جاهد على إقامة الحق وفق، و المجاهدون تفتح لهم أبواب السماء، و ثواب الجهاد أعظم الثواب (١).

فى رحاب الأخلاق و التريبه:

اعتنى الإمام المرتضى بتريبه المجتمع و حاول أن يعالج الانحراف الأخلاقى فى الإنسان من جذوره العميقه، فوصف الداء الأساسى بقوله (عليه السلام): ألا و إنَّ حبَّ الدنيا رأس كلِّ خطيئه. ثمَّ بيّن السبب الأعمق فى هذا الحبّ حينما أوضح الأسباب العميقه التى كانت تكمن وراء التآمر على الاطروحه النبويه للخلافه و السرّ فى استلاب الحكم منه بالرغم من تواتر النصوص النبويه الكثيره و إتمام الحجّه على المسلمين قائلًا: بلى لقد سمعوها و وعوها و لكن حليت الدنيا فى أعينهم وراقهم زبرجها.

و يترتب على هذا الحبّ الشديد أنّ الإنسان سوف يستخدم مختلف الوسائل للوصول إلى ما يصبوا إليه فإنَّ حبَّ الشىء يعمى و يصمّ و لهذا برّر الخلفاء تقمّمهم بالخلافه بمختلف التبريرات التى دحضتها حجج الإمام (عليه السلام) الدامغه، و لكن استمرّ التصلب على الموقف الذى أدانه الإمام (عليه السلام). و إذا سألنا الإمام (عليه السلام) عن الدواء الناجع لعلاج هذا السبب الأعمق فى الانحراف؛ وجدناه العلاج فى وصفه الدقيق للمتقين فى الخطبه المعروفه بخطبه همّام حيث وضح السرّ الذى أوصلهم إلى هذه المرتبه من الكمال المتمثله بالتقوى بقوله: لقد عظم الخالق فى أنفسهم فصغر ما دونه فى أعينهم. و هكذا تكون المعرفه الحقيقيه بالله العظيم سببا فى

ص: ٢٣٧

١- (١) تصنيف غرر الحكم: ١٧٥-١٩٠ و ٣٣١-٣٣٥، و المعجم الموضوعى لنهج البلاغه: ١٤٠-١٥٠ و ٢١٦-٢٣٩.

حقاره الدنيا فى أعين عباده المتّقين، و إذا صغرت الدنيا فى أعينهم؛ لم تكن الدنيا غايه همّتهم و لم يجدوا فى اقتنائها، بل يحرصوا عليها و على ملكها كما لم يحرص علىّ بن أبى طالب (عليه السّلام) عليها فقد تنازل عن الخلافه حينما استبدّت بها قريش قائلاً: فإنّها كانت إثره شحّت عليها نفوس قوم و سخت عنها نفوس آخرين و الحكم الله و الموعد القيامة.

و من هنا نشأت فى المجتمع الإسلامى أخلاقيتان متميزتان: أخلاقيه علىّ النموذجيه التى تدين السياسه الميكافيليه، و أخلاقيه الخلفاء التى كانت ترى مشروعيه الوصول إلى الحكم بأيّ وسيله ممكنه، و من هنا كان زهد علىّ فى الحكم و حرص غيره عليه (1).

فى رحاب الدعاء و المناجاة:

اهتمّ الإمام علىّ (عليه السّلام) كما اهتم سائر الأئمّه من أهل البيت (عليهم السّلام) بحقل الدعاء و المناجاة بعد أن فتح القرآن الكريم هذا الباب قائلاً للرسول (صلى الله عليه و آله): قُلْ مَا يَعْجُبُكُمْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ و بيّن أهميه الدعاء بنصوصه و سيرته فقال (عليه السّلام):

«الدعاء سلاح الأولياء».

و تضمّن نهج البلاغه مجموعه من الأدعيه العلويّه لشتى الأغراض و المجالات، و جمعت أدعيته (عليه السّلام) فيما يسمّى بالصحيحه العلويه. و من غرر أدعيته الدعاء المعروف بدعاء كميل و دعاء الصباح و المناجاة الشعبانيه، و نشير إلى مقطع من مناجاته المنظومه التى اثرت عنه، قال (عليه السّلام):

لك الحمد يا ذا الجود و المجد و العلى تباركت تعطى من تشاء و تمنع

إلهى و خلاقى و حرزى و موئلى اليك لدى الإعسار و اليسر أفرع

ص: ٢٣٨

١- ((١)) المعجم الموضوعى لنهج البلاغه: ٢٨٢-٣٥٦ و ١٩٤-٢١٤ و ١٥٢-١٦٩ و ٣٧٤-٣٧٩، و تصنيف غرر الحكم: القسم الأخلاقى: ٢٠٥-٣٢٣ و ١٢٧-١٤٧.

إلهى لئن جلت و جمت خطيئتي فعفوك عن ذنبي أجل و أوسع

إلهى ترى حالى و فقرى و فاقتى و أنت مناجاتى الخفيه تسمع

إلهى فلا تقطع رجائى و لا تزغ فؤادى فلى فى سيب جودك مطمع

إلهى لئن خيبتنى أو طردتنى فمن ذا الذى أرجو و من ذا اشفع؟

إلهى أجرنى من عذابك إننى أسير ذليل خائف لك أخضع

إلهى لئن عدبتنى ألف حججه فحبل رجائى منك لا يتقطع

إلهى إذا لم تعف عن غير محسن فمن لمسىء بالهوى يتمتع؟

إلهى حليف الحب فى الليل ساهر يناجى و يدعو و المغفل يهجع (١)

فى رحاب أدب الإمام (عليه السلام):

لقد تعرّفنا على مجموعه من النصوص المنثوره و المنظومه التى اثرت عن الإمام (عليه السلام) فى نهج البلاغه أو غيره من الكتب التى اهتمت بتراث الإمام (عليه السلام)، و لا حظنا القمه الشاهقه التألق التى بلغها الإمام سواء فى ميدان الخطابه أو الكتب و الرسائل أو الكلمات الحكيمه و المواعظ أو ميدان الشعر، و لا نبالغ إذا قلنا- كما قال متخصّصو الأدب- إن أجود نتاج أدبى عرفه التأريخ فناً و عمقا و فكرا هو نتاج الإمام على (عليه السلام) (٢).

و نختار نماذج منظومه من أدبه (عليه السلام) فى مختلف المجالات، علما بأنّ هناك ديوان شعر منسوباً إليه، و قد اعتمده بعض المؤرخين و استشهدوا بنماذج أدبیه من نصوصه (٣).

قال (عليه السلام) فى رثاء أبيه أبى طالب رضوان الله تعالى عليه:

أبا طالب عصمه المستجير و غيث المحول و نور الظلم

ص: ٢٣٩

١- (١) الصحيفه العلويه و مفاتيح الجنان.

٢- (٢) تاريخ الأدب العربى فى ضوء المنهج الإسلامى للدكتور محمود البستاني: أدب الإمام على (عليه السلام).

٣- (٣) راجع: فى رحاب أئمه أهل البيت (عليهم السلام) للسيد محسن الأمين: ٣٠١/٢-٣١٣.

لقد هَدَّ فقدك أهل الحفاظ فصلّى عليك ولّى النعم

و لَقَاكَ رَبِّكَ رضوانه فقد كنت للمصطفى خير عمّ (١)

و جاء عن الجاحظ و البلاذرى: أن عليا أشعر الصحابه و أفصحهم و أخطبهم و أكتبهم، و ممّا قاله يوم بدر:

نصرنا رسول الله لما تدابروا و تاب اليه المسلمون ذوو الحجى

ضربنا غواه الناس عنه تكزّما و لما يروا قصد السبيل و لا الهدى

و لما أتانا بالهدى كان كلنا على طاعه الرحمن و الحقّ و التقى

و ممّا أورده سبط ابن الجوزى فى تذكرة الخواص قوله (عليه السلام):

للناس حرص على الدنيا بتدبير و صفوها لك ممزوج بتكدير

لم يرزقوها بعقل حينما رزقوا لكنّما رزقوها بالمقادير

لو كان عن قوّه أو عن مغالبه طار البزاه بأرزاق العصافير

و عنه (عليه السلام):

داؤك فيك و ما تشعر و داؤك منك و ما تبصر

و تحسب أنّك جرم صغير و فيك انطوى العالم الأكبر

فسلام عليك يا أبا الحسن و الحسين يا سيّد البلغاء و الشعراء يوم ولدت و يوم آمنت و جاهدت و يوم صبرت و آثرت و يوم أقيمت حدود الله و

استشهدت صابرا محتسبا و يوم تبعث حيا، تقود أحبّاءك على الحوض إلى جنّات النعيم.

و الحمد لله ربّ العالمين

ص: ٢٤٠

١- (١) راجع: الغدير: ١٠٦/٣ و ٣٧٨/٧ و ٣٧٩.

الفهرس التفصلى

فهرس إجمالى ٥

مقدمه المجمع ٧

الباب الأؤل:

الفصل الأؤل:الإمام المرتضى على (عليه السلام) فى سطور ١٧

الفصل الثانى:انطباعات عن شخصيه الإمام على (عليه السلام) ٢٣

الفصل الثالث:مظاهر من شخصيه الإمام على (عليه السلام) ٢٩

عبادته و تقواه (عليه السلام) ٣٠

زهده (عليه السلام) ٣١

إبأؤه و شهامته (عليه السلام) ٣٢

مروءته (عليه السلام) ٣٣

صدقه و إخلاصه (عليه السلام) ٣٣

شجاعته (عليه السلام) ٣٤

عدله (عليه السلام) ٣٥

تواضعه (عليه السلام) ٣٦

نقاؤه (عليه السلام) ٣٦

كرمه (عليه السلام) ٣٦

علمه و معارفه (عليه السلام) ٣٧

ص: ٢٤١

الباب الثاني:

الفصل الأول:نشأه الإمام عليّ (عليه السلام) ٤٣

نسبه الوضاء ٤٣

جدّه الكريم ٤٣

والده ٤٤

امّه ٤٥

الفصل الثاني:مراحل حياة الإمام عليّ (عليه السلام) ٤٧

الفصل الثالث:الإمام عليّ (عليه السلام) من الولادة الى الإمامه

المرحلة الاولى:من الولادة إلى البعثه النبويّه المباركه ٤٩

ولادته ٤٩

كناه و ألقابه ٥٠

الإعداد النبويّ للإمام عليّ (عليه السلام) ٥١

المرحلة الثانيه:من البعثه إلى الهجره ٥٣

عليّ (عليه السلام) أوّل المؤمنين برسول الله (صلى الله عليه و آله) ٥٣

عليّ (عليه السلام) أوّل من صلى ٥٥

أوّل صلاه جماعه فى الإسلام ٥٦

عليّ (عليه السلام) حين إعلان رساله ٥٨

حديث يوم الإنذار ٥٨

عليّ (عليه السلام) من إعلان رساله إلى الهجره النبويّه المباركه ٥٩

عليّ (عليه السلام) فى شعب أبى طالب ٦٠

عليّ (عليه السلام) و الهجره إلى الطائف ٦٢

عليّ (عليه السلام) فى بيعه العقبه الثانيه ٦٣

علی (علیه السلام) لیلہ ہجرہ الرسول (صلی اللہ علیہ و آلہ) إلى المدینہ ۶۳

ص: ۲۴۲

مباهاه الله ملائكته بموقف عليّ (عليه السلام) ٦٦

مهامّ ما بعد ليله المبيت ٦٧

هجره الإمام عليّ (عليه السلام) ٦٨

من معاني مبيت الإمام (عليه السلام) في فراش النبي (صلى الله عليه وآله) ٧١

المرحلة الثالثة: عليّ (عليه السلام) من الهجره إلى وفاه النبي (صلى الله عليه وآله) ٧٢

١- عليّ (عليه السلام) والمؤاخاه ٧٢

٢- اقتران عليّ (عليه السلام) بالزهراء (عليها السلام) ٧٣

٣- عليّ (عليه السلام) مع الرسول (صلى الله عليه وآله) في معاركه ٧٥

أ- عليّ (عليه السلام) في معركة بدر ٧٥

ب- عليّ (عليه السلام) في معركة احد ٧٧

مواقف بعد معركة احد ٨١

ج- عليّ (عليه السلام) في معركة الخندق ٨٣

د- عليّ (عليه السلام) في صلح الحديبيه ٨٦

ه- عليّ (عليه السلام) في غزوه خيبر ٨٩

و- عليّ (عليه السلام) في فتح مكّه ٩٢

صعود عليّ (عليه السلام) على منكب النبي (صلى الله عليه وآله) لتخطيم الأصنام ٩٤

ز- عليّ (عليه السلام) في غزوه حنين ٩٤

ح- عليّ (عليه السلام) في غزوه تبوك ٩٥

تبليغ سورة براءه ٩٦

عليّ (عليه السلام) في اليمن ٩٨

طبيعته عمل النبي (صلى الله عليه وآله) ١٠٠

عليّ (عليه السلام) في حجّه الوداع ١٠٢

علی (علیه السلام) فی غدیر خم أمیرا للمؤمنین ۱۰۳

ص: ۲۴۳

نزول آيه سأل سائل بعذاب واقع ١٠٥

محاولات الرسول (صلى الله عليه وآله) لتثبيت بيعه على (عليه السلام) ١٠٥

مرض النبي (صلى الله عليه وآله) وسريته اسامه ١٠٧

على (عليه السلام) مع النبي (صلى الله عليه وآله) في اللحظات الأخيره ١١٠

الباب الثالث:

الفصل الأول: عصر الإمام على (عليه السلام) ١١٣

حديث الوفاء ١١٣

الحزب القرشي و الأنصار في السقيفه ١١٤

تحليل اجتماع السقيفه ١١٧

نظرة قريش للخلافه ١١٩

ملامح التخطيط لإقصاء الإمام على (عليه السلام) عن الخلافه ١٢١

سليبات حادثه السقيفه ١٢٤

موقف الإمام من اجتماع السقيفه ١٢٦

موقف أبي سفيان ١٢٧

أقطاب المعارضه للسقيفه ١٢٨

نتائج السقيفه ١٣٠

الفصل الثاني: الإمام على (عليه السلام) في عهد أبي بكر ١٣٣

خطوات السلطه الحاكمه لمواجهة المعارضه ١٣٣

محاولة إرغام الإمام (عليه السلام) على البيعه ١٣٧

موقف الإمام على (عليه السلام) ومضاعفات السقيفه ١٤٠

الإمام على (عليه السلام) ومهمه جمع القرآن ١٤٥

من مواقف الإمام (عليه السلام) في عهد أبي بكر ١٤٦

وصية أبي بكر إلى عمر ١٤٧

ص: ٢٤٤

مآخذ على وصيه أبي بكر ١٤٩

الفصل الثالث: الإمام علي (عليه السلام) في عهد عمر ١٥١

ملاحم من سيره عمر ١٥٢

محنة الشورى ١٥٣

مؤاخذات على الشورى ١٥٥

حوار ابن عباس مع عمر حول الخلافة ١٥٧

موقف الإمام (عليه السلام) من الشورى ١٥٩

لماذا لم يوافق الإمام علي شرط عبد الرحمن بن عوف؟ ١٦١

الفصل الرابع: الإمام علي (عليه السلام) في عهد عثمان ١٦٣

أبو سفيان بعد بيعه عثمان ١٦٤

ملاحم سلبه في حكم عثمان ١٦٥

موقف للإمام علي (عليه السلام) مع عثمان ١٦٧

الآثار السلبية لحكمه عثمان في الأمة ١٦٨

الباب الرابع:

الفصل الأول: الإمام علي (عليه السلام) بعد مقتل عثمان ١٧٣

بيعه المسلمين للإمام علي (عليه السلام) ١٧٣

المتخلفون عن بيعه الإمام (عليه السلام) ١٧٥

عقبات في طريق حكمه الإمام (عليه السلام) ١٧٦

محاوور عمل الإمام (عليه السلام) في الأمة ١٨٠

الثقافه الإسلاميه في حكم الخلفاء ١٨٣

جهود الإمام في إحياء الشريعة الإسلاميه ١٨٦

الفصل الثاني: الإمام علي (عليه السلام) مع الناكثين ١٨٩

مثيروا الفتن ١٨٩

عائشه تعلن التمرد ١٩٠

مكر معاويه و نكث الزبير و طلحه للبيعه ١٩٢

حركة عائشه و مسيرها نحو البصره ١٩٣

مناوشات علي مشارف البصره ١٩٥

الاقتيال-الهدنه-الغدور: ١٩٦

حركة الإمام (عليه السلام) للقضاء على التمرد: ١٩٧

آخر النصائح: ١٩٨

نشوب المعركة: ١٩٩

مواقف الإمام بعد المعركة: ٢٠٠

نتائج حرب الجمل: ٢٠١

الكوفه عاصمه الخلافة: ٢٠٢

الفصل الثالث: الإمام علي (عليه السلام) مع القاسطين ٢٠٣

استعدادات معاويه لمحاربه الإمام (عليه السلام): ٢٠٣

السيطره على الفرات ٢٠٤

محاولة سلميه: ٢٠٥

الحرب بعد الهدنه: ٢٠٥

مقتل عمار بن ياسر: ٢٠٦

خدعه رفع المصاحف: ٢٠٧

التحكيم و صحيفه الموادعه: ٢٠٩

موقف واع و تقييم ٢١٠

رجوع الإمام (عليه السلام) و اعتزال الخوارج: ٢١٠

ص: ٢٤٦

اجتماع الحكمين: ٢١١

قرار التحكيم: ٢١٢

الفصل الرابع: الإمام على (عليه السلام) مع المارقين ٢١٣

ردّ الإمام (عليه السلام) على قرار الحكمين: ٢١٤

المواجهه مع الخوارج: ٢١٥

احتلال مصر: ٢١٧

انهيار الامّه و تفككها: ٢١٨

آخر محاولات الإمام (عليه السلام): ٢٢٠

الفصل الخامس: الإمام على (عليه السلام) شهيد المحراب ٢٢١

وصيّ الإمام (عليه السلام): ٢٢٢

دفن و تأبين الإمام (عليه السلام): ٢٢٣

الفصل السادس: تراث الإمام على بن أبي طالب (عليه السلام) ٢٢٥

في رحاب نهج البلاغه: ٢٢٦

في رحاب العقل و العلم و المعرفة: ٢٢٧

في رحاب القرآن الكريم و السنّه النبويه المباركه: ٢٢٨

في رحاب التوحيد و العدل و المعاد: ٢٢٩

في رحاب القيادة الإلهيه (النبوه و الإمامه): ٢٣١

في رحاب الإمام المهدي (عليه السلام): ٢٣٢

في رحاب الحكم الإسلامى: فلسفته و اصوله ٢٣٤

في رحاب العبادات و الفرائض: ٢٣٦

في رحاب الأخلاق و التريبيه: ٢٣٧

في رحاب الدعاء و المناجاه: ٢٣٨

فى رحاب أدب الإمام (عليه السلام): ٢٣٩

الفهرس التفصلى ٢٤١

ص: ٢٤٧

عنوان و نام پدیدآور: اعلام الهدایه/المولف لجنه التالیف فی المعاونیه الثقافیه للمجمع العالمی لاهل البیت (ع).

مشخصات نشر: بیروت: المجمع العالمی لاهل البیت (ع)، المعاونیه الثقافیه، ۱۴۳۰ق = ۱۳۸۹.

مشخصات ظاهری: ۱۴ج.

یادداشت: عربی.

یادداشت: چاپ ششم.

یادداشت: کتابنامه.

مندرجات: ج. ۱. محمد المصطفی صلی الله علیه و آله و سلم خاتم الانبیاء. ج. ۲. أمير المومنین علی بن أبی طالب علیه السلام. ج. ۳. سیده النساء فاطمه الزهراء علیه السلام. ج. ۴. الامام الحسن المجتبی علیه السلام. ج. ۵. الامام الحسین علیه السلام سید الشهداء. ج. ۶. الامام علی بن الحسین زین العابدین علیه السلام. ج. ۷. الامام محمد بن علی الباقر علیه السلام. ج. ۸. الامام جعفر بن محمد الصادق علیه السلام. ج. ۹. الامام موسی بن جعفر الکاظم علیه السلام. ج. ۱۰. الامام علی بن موسی الرضا علیه السلام. ج. ۱۱. الامام محمد بن علی الجواد علیه السلام. ج. ۱۲. الامام علی بن محمد الهادی علیه السلام. ج. ۱۳. الامام الحسن العسکری علیه السلام. ج. ۱۴. خاتم الاوصیاء الامام المهدي علیه السلام.

موضوع: چهارده معصوم -- سرگذشتنامه

شناسه افزوده: مجمع جهانی اهل بیت (ع). معاونت فرهنگی

رده بندی کنگره: BP۳۶/الف ۵۸ ۱۳۸۹

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵

شماره کتابشناسی ملی: ۳۸۶۲۲۵۴

ص: ۱

مقدمه المجمع العالمى لأهل البيت عليهم السلام ٧

الباب الأول:

الفصل الأول: فاطمه الزهراء عليها السلام فى سطور ١٧

الفصل الثانى: انطباعات عن شخصيتها عليها السلام ٢٠

الفصل الثالث: مظاهر من شخصيتها عليها السلام ٣٢

الباب الثانى:

الفصل الأول: نشأتها عليها السلام ٤٧

الفصل الثانى: مراحل حياتها عليها السلام ٤١

الفصل الثالث: الزهراء عليها السلام مع أبيها صلى الله عليه و اله ٤٥

الباب الثالث:

الفصل الأول: الزهراء عليها السلام بعد أبيها المصطفى صلى الله عليه و اله ١٠٩

الفصل الثانى: مرض الزهراء و استشهادها عليها السلام ١٤٧

الفصل الثالث: تراث فاطمه الزهراء عليها السلام ١٨٨

ص: ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداه لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء و سيد الرسل و الأصفياء أبو القاسم المصطفى محمد (صلى الله عليه و اله) و على آله الميامين النجباء.

لقد خلق الله الانسان و زوده بعنصرى العقل و الإرادة، فبالعقل يبصر و يكتشف الحق و يميزه عن الباطل، و بالإرادة يختار ما يراه صالحا له و محققا لأغراضه و أهدافه.

و قد جعل الله العقل المميز حجه له على خلقه، و أعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته؛ فإنه هو الذى علم الإنسان ما لم يعلم، و أرشده إلى طريق كماله اللائق به، و عرفه الغايه التى خلقه من أجلها، و جاء به إلى هذه الحياه الدنيا من أجل تحقيقها.

و أوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحه معالم الهدايه الربانيه و آفاقها و مستلزماتها و طرقها، كما بين لنا عللها و أسبابها من جهه، و أسفر عن ثمارها و نتائجها من جهه اخرى.

قال تعالى:

قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى [الانعام (٦): ٧١].

ص: ٧

وَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [البقره (٢): ٢١٣].

وَ اللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ [الاحزاب (٣٣): ٤].

وَ مَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [آل عمران (٣): ١٠١].

قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ [يونس (١٠): ٣٥].

وَ يَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَ يَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ [سبأ (٣٤): ٦].

وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ [القصص (٢٨): ٥٠].

فالله تعالى هو مصدر الهدايه. و هدايته هي الهدايه الحقيقيه، و هو الذي يأخذ بيد الانسان إلى الصراط المستقيم و إلى الحق القويم.

و هذه الحقائق يؤيدها العلم و يدركها العلماء و يخضعون لها بملء وجودهم. و لقد أودع الله في فطره الانسان النزوع إلى الكمال و الجمال ثم من عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به، و أسبغ عليه نعمه التعرف على طريق الكمال، و من هنا قال تعالى: **وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** [الذاريات (٥١): ٥٦]. و حيث لا- تتحقق العباده الحقيقيه من دون المعرفه، كانت المعرفه و العباده طريقا منحصرًا و هدفًا و غايه موصله إلى قمه الكمال.

و بعد أن زود الله الانسان بطاقتي الغضب و الشهوه ليحقق له و قود الحركه نحو الكمال؛ لم يؤمن عليه من سيطره الغضب و الشهوه؛ و الهوى الناشئ منهما، و الملازم لهما فمن هنا احتاج الانسان-بالإضافه إلى عقله و سائر أدوات المعرفه- ما يضمن له سلامه البصيره و الرؤيه؛ كي تتم عليه الحججه، و تكمل نعمه الهدايه، و تتوفّر لديه كلّ الأسباب التي تجعله يختار

طريق الخير و السعاده،أو طريق الشرّ و الشقاء بملء إرادته.

و من هنا اقتضت سنّه الهدايه الربّانيه أن يسند عقل الانسان عن طريق الوحي الإلهي،و من خلال الهداه الذين اختارهم الله لتولّي مسؤوليه هدايه العباد و ذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفه و إعطاء الارشادات اللازمه لكل مرافق الحياه.

و قد حمل الأنبياء و أوصياؤهم مشعل الهدايه الربّانيه منذ فجر التاريخ و على مدى العصور و القرون،و لم يترك الله عباده مهملين دون حجه هاديه و علم مرشد و نور مضىء، كما أفصحت نصوص الوحي-مؤيّده لدلائل العقل-بأنّ الأرض لا تخلو من حجه لله على خلقه،لئلا يكون للناس على الله حجه،فالحجه قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق،و لو لم يبق في الأرض إلا اثنان لكان أحدهما الحجه،و صرح القرآن-بشكل لا يقبل الريب-قائلا:

إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ [الرعد(١٣):٧].

و يتولّى أنبياء الله و رسله و أوصياؤهم الهداه المهديون مهمّه الهدايه بجميع مراتبها،و التي تتلخّص في:

١-تلقى الوحي بشكل كامل و استيعاب الرساله الإلهيه بصوره دقيقه.

و هذه المرحله تتطلب الاستعداد التام لتلقى الرساله،و من هنا يكون الاصطفاء الإلهي لرسله شأنًا من شؤونه،كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلا:

اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ [الانعام(٦):١٢٤] و اللَّهُ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ [آل عمران(٣):١٧٩].

٢-إبلاغ الرساله الإلهيه الى البشريه و لمن ارسلوا إليه،و يتوقف الإبلاغ على الكفاءه التامه التي تتمثل في«الاستيعاب و الإحاطه اللازمه»بتفاصيل

الرساله و أهدافها و متطلباتها، و«العصمه» عن الخطأ و الانحراف معا، قال تعالى: كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ [البقره (٢): ٢١٣].

٣- تكوين امه مؤمنه بالرساله الإلهيه، و إعدادها لدعم القياده الهاديه من أجل تحقيق أهدافها و تطبيق قوانينها فى الحياه، و قد صرّحت آيات الذكر الحكيم بهذه المهمه مستخدمه عنوانى التزكيه و التعليم، قال تعالى:

يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ [الجمعه (٦٢): ٢] و التزكيه هى التربيه باتجاه الكمال اللائىق بالإنسان. و تتطلّب التربيه القدوه الصالحه التى تتمتع بكل عناصر الكمال، كما قال تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [الاحزاب: (٣٣): ٢١].

٤- صيانه الرساله من الزيغ و التحريف و الضياع فى الفتره المقوّره لها، و هذه المهمه أيضا تتطلّب الكفاءه العلميه و النفسيه، و التى تسمى بالعصمه.

٥- العمل لتحقيق أهداف الرساله المعنويه و تثبيت القيم الأخلاقيه فى نفوس الأفراد و أركان المجتمعات البشرىه و ذلك بتنفيذ الاطروحه الربانيه، و تطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشرى من خلال تأسيس كيان سياسى يتولّى إداره شؤون الامه على أساس الرساله الربانيه للبشرىه، و يتطلّب التنفيذ قياده حكيمة، و شجاعه فائقه، و صمودا كبيرا، و معرفه تامه بالنفوس و بطبقات المجتمع و التيارات الفكرىه و السياسيه و الاجتماعيه و قوانين الإداره و التربيه و سنن الحياه، و نلخصها فى الكفاءه العلميه لإداره دوله عالميه دينيه، هذا فضلا عن العصمه التى تعبّر عن الكفاءه النفسيه التى

تصون القيادة الدينيه من كل سلوك منحرف أو عمل خاطئ بإمكانه أن يؤثر تأثيراً سلبياً على مسيره القيادة و انقياد الامه لها بحيث يتنافى مع أهداف الرساله و أغراضها.

و قد سلك الأنبياء السابقون و أوصياؤهم المصطفون طريق الهدايه الدامى، و اقتحموا سبيل التريه الشاق، و تحمّلوا فى سبيل أداء المهام الرساليه كل صعب، و قدّموا فى سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهيه كل ما يمكن أن يقدمه الإنسان المتفانى فى مبدئه و عقيدته، و لم يتراجعوا لحظه، و لم يتلكأوا طرفه عين.

و قد توجّ الله جهودهم و جهادهم المستمرّ على مدى العصور برساله خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه و اله) و حمّله الأمانه الكبرى و مسؤوليه الهدايه بجميع مراتبها، طالبا منه تحقيق أهدافها. و قد خطا الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و اله) فى هذا الطريق الوعر خطوات مدهشه، و حقّق فى أقصر فتره زمنيّه أكبر نتاج ممكن فى حساب الدعوات التغييريه و الرسالات الثوريّه، و كانت حصيله جهاده و كدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلى:

١- تقديم رساله كامله للبشريه تحتوى على عناصر الديمومه و البقاء.

٢- تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ و الانحراف.

٣- تكوين امه مسلمه تؤمن بالإسلام مبدأً، و بالرسول قائداً، و بالشريعه قانوناً للحياه.

٤- تأسيس دوله إسلاميه و كيان سياسى يحمل لواء الإسلام و يطبق شريعه السماء.

٥- تقديم الوجه المشرق للقياده الربانيه الحكيمه المتمثله فى

قيادته (صلى الله عليه و اله).

و لتحقيق أهداف الرساله بشكل كامل كان من الضروري:

أ- أن تستمر القيادة الكفوءه فى تطبيق الرساله و صيانتها من أيدي العابثين الذين يتربصون بها الدوائر.

ب- أن تستمر عمله التربيه الصحيحه باستمرار الأجيال؛ على يد مربّ كفوء علميا و نفسيا حيث يكون قدوه حسنه فى الخلق و السلوك كالرسول (صلى الله عليه و اله)، يستوعب الرساله و يجسدها فى كل حركاته و سكناته.

و من هنا كان التخطيط الإلهيّ يحتم على الرسول (صلى الله عليه و اله) إعداد الصفوه من أهل بيته، و التصريح بأسمائهم و أدوارهم؛ لتسلم مقاليد الحركه النبويّه العظيمه و الهدايه الربّانيه الخالده بأمر من الله سبحانه و صيانه للرساله الإلهيه التى كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين و كيد الخائنين، و تربيه للأجيال على قيم و مفاهيم الشريعه المباركه التى تولّوا تبين معالمها و كشف أسرارها و ذخائرها على مرّ العصور، و حتى يرث الله الأرض و من عليها.

و تجلّى هذا التخطيط الربّانيّ فى ما نصّ عليه الرسول (صلى الله عليه و اله) بقوله: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّ بكم بهما لن تضلّوا، كتاب الله و عترتي، و إنّهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض».

و كان أئمه أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عزّفهم النبي الأكرم (صلى الله عليه و اله) بأمر من الله تعالى لقياده الامّه من بعده.

إنّ سيره الأئمه الاثني عشر من أهل البيت (عليهم السلام) تمثّل المسيره الواقعيه للاسلام بعد عصر الرسول (صلى الله عليه و اله)، و دراسه حياتهم بشكل مستوعب تكشف لنا عن صورته مستوعبه لحركه الاسلام الأصيل الذى أخذ يشقّ

طريقه إلى أعماق الامه بعد أن أخذت طاقتها الحراريه تتضاءل بعد وفاه الرسول(صلى الله عليه و اله)، فأخذ الأئمه المعصومون(عليهم السلام) يعملون على توعيه الامه و تحريك طاقتها باتجاه إيجاد و تصعيد الوعي الرسالي للشريعه و لحركه الرسول(صلى الله عليه و اله) و ثورته المباركه، غير خارجين عن مسار السنن الكونيه التي تتحكّم فى سلوك القياده و الامه جمعاء.

و تبلورت حياه الأئمه الراشدين فى استمرارهم على نهج الرسول العظيم و انفتاح الامه عليهم و التفاعل معهم كأعلام للهدايه و مصابيح لإناره الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلاء على الله و على مرضاته، و المستقرّين فى أمر الله، و التامّين فى محبّته، و الذائبين فى الشوق اليه، و السابقين إلى تسلّق قمم الكمال الإنساني المنشود.

و قد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد و الصبر على طاعه الله و تحمّل جفاء أهل الجفاء حتّى ضربوا أعلى أمثله الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالى، ثم اختاروا الشهاده مع العزّ على الحياه مع الدلّ، حتى فازوا بقاء الله سبحانه بعد كفاح عظيم و جهاد كبير.

و لا يستطيع المؤرّخون و الكتّاب أن يلمّوا بجميع زوايا حياتهم العطره و يدّعوا دراستها بشكل كامل، و من هنا فإنّ محاولتنا هذه إنّما هى إعطاء قبسات من حياتهم، و لقطات من سيرتهم و سلوكهم و مواقفهم التي دوّنها المؤرّخون و استطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسه و التحقيق، عسى الله أن ينفع بها إنّه وليّ التوفيق.

إنّ دراستنا لحركه أهل البيت(عليهم السلام) الرساليه تبدء برسول الإسلام و خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله(صلى الله عليه و اله) و تنتهى بخاتم الأوصياء، محمد بن الحسن

العسكري المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه و أنار الأرض بعدله.

و يختص هذا الكتاب بدراسة حياة فاطمه الزهراء (عليها السلام) تلك المرأة الاسوه، و هي المعصوم الثالث من أعلام الهدايه، و التي تمثلت في حياتها كل جوانب الشريعة روحا و عملا و سلوكا، إنها التي سماها النبي (صلى الله عليه و اله) «سيده نساء العالمين»، فكانت مثلا أعلى، و نبراسا مضيئا، يشع إيمانا و طهرا و نقاء.

و لا بد لنا من تقديم الشكر الى كل الاخوه الأعزاء الذين بذلوا جهدا و افرا و شاركوا في إنجاز هذا المشروع المبارك و إخراجة إلى عالم النور، لا سيما أعضاء لجنة التأليف بإشراف سماحه السيد منذر الحكيم حفظه الله تعالى.

و لا يسعنا إلا أن نبتهل الى الله تعالى بالدعاء و الشكر لتوفيقه على إنجاز هذه الموسوعة المباركة فإنه حسبنا و نعم النصير.

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

قم المقدسه

ص: ١٤

الباب الأول

إشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

الزهراء (عليها السلام) فى سطور

الفصل الثانى:

انطباعات عن شخصيّه الزهراء (عليها السلام)

الفصل الثالث:

مظاهر من شخصيّه الزهراء (عليها السلام)

ص: ١٥

الزهراء (عليها السلام) فى سطور

*الزهراء فاطمه هى بنت محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و اله) و خديجه بنت خويلد رضى الله عنها.

ولدت من أكرم أبوين عرفهما التاريخ البشرى، و لم يكن لأحد فى تاريخ الإنسانيه ما لأبيها من الآثار التى غيرت وجه التاريخ، و دفعت بالإنسان أشواطاً بعيدة نحو الأمام فى بضع سنوات معدودات، و لم يحدث التاريخ عن أمّ كأمها و قد وهبت كلّ ما لديها لزوجها العظيم و مبدئه الحكيم، مقابل ما أعطاهما من هدايه و نور.

*فى ظلّ هذين الأبوين العظيمين درجت فاطمه البتول، و نشأت فى دار يغمرها حنان أبيها الذى حمل عبء النبوه و تحمّل فى سبيله ما تنوء به الجبال، فأنتى اتّجّه و أين ذهب كان يرى قريشا و غلمانها له بالمرصاد، و فاطمه الزهراء (عليها السلام) على صغر سنّها ترى كلّ ذلك، و تساهم مع أمّها فى التخفيف من وقع ذلك فى نفسه فكانت تتلوّى من الألم لما كان يلقى من فادح الأذى و تتجرّع ما كان يكابده المسلمون الأوّلون من اضطهاد مرير.

* لقد عاشت السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) محن تبليغ الرساله الإلهيه منذ نعومه أظفارها، و حوصرت مع أبيها و أمّها و سائر بنى هاشم فى الشعب

و لم تبلغ-فى بدء الحصار-من العمر سوى سنتين.

و ما أن رفع الحصار بعد سنوات ثلاث عجاف،حتى واجهت محنه وفاه امها الحنون و عمّ أبيها و هى فى بدايه عامها السادس،فكانت سلوه أبيها فى تحمّل الأعباء و مواجهه الصعوبات و الشدائد،تؤنسه فى وحدته و توازره على ما يلّم به من طغاه قريش و عتاتهم.

و هاجرت مع ابن عمّها و الفواطم،الى المدينه المنوره فى الثامنه من عمرها الشريف،و بقيت إلى جنب أبيها الرسول الأعظم(صلّى الله عليه و اله)حتى اقترنت بالإمام عليّ بن أبى طالب(عليه السّلام)فكوّنت أشرف بيت فى الإسلام بعد بيت رسول الله(صلّى الله عليه و اله)إذ أصبحت الوعاء الطاهر للسلاله النبويه الطاهره و الكوثر المعطاء لعتره رسول الله(صلّى الله عليه و اله)الميامين.

«لقد قدّمت الزهراء(عليها السّلام)أروع مثل للزوجه النموذج و للامومه العالیه،فى أخرج لحظات التاريخ الإسلامى الذى كان يريد أن يختطّ طريق الخلود و العلى فى بيئه جاهليه و أعراف قبليه،ترفض إنسانيه المرأه و تعدّ البنت عارا و شتارا،فكان على مثل الزهراء-وهى بنت الرساله المحمّديه الغراء و وليده النهضه الإلهيه الفريده-أن تضرب بسلوکها الفردى و الزوجى و الاجتماعى مثلا حقيقيا و عمليا يجسّد مفاهيم الرساله و قيمها تجسيّدا واقعيّا.

و قد أثبتت الزهراء للعالم الإنسانى أجمع أنّها الإنسان الكامل الذى استطاع أن يحمل طابع الانوثه،فيكون آيه إلهيه كبرى على قدره الله البالغه و إبداعه العجيب،إذ أعطى للزهراء فاطمه أوفر حظ من العظمه و أوفى نصيب من الجلاله و البهاء.

«أنجبت الزهراء البتول لعلّى المرتضى:سيّدى شباب أهل الجنّه

و ابني رسول الله «الحسن و الحسين» الإمامين العظيمين، و السيدتين الكريمتين «زينب الكبرى و أم كلثوم» المجاهدتين الصابرتين، و أسقطت خامس أبنائها «المحسن» بعد وفاه أبيها في أحداث الاعتداء على بيتها (بيت الرسالة)، فكان أول قربان أهدته هذه الأم المجاهدة الشهيدة بعد أبيها من أجل صيانته رساله أبيها من التردّي و الانحراف.

«لقد شاركت الزهراء (عليها السلام) أباهما و بعلمها صلوات الله عليهما في أخرج اللحظات و في أنواع الأزمات، فنصرت الإسلام بجهودها و جهادها و بيانها و تربيته لأهل بيت الرسالة الذين استودعهم الرسول (صلى الله عليه و اله) مهمه نصره الإسلام بعد وفاته، فكانت أول أهل بيته لحوقا به بعد جهاد مرير، توزع في سوح الجهاد مع المشركين و القضاء على خطط و مؤامرات المنافقين، و تجلّى في تثقيف نساء المسلمين كما تجلّى في الوقوف أمام المنحرفين، فكانت بحقّ رمز البطولة و الجهاد و الصبر و الشهادة و التضحية و الايثار، حتى فاقت في كلّ هذه المعاني سادات الأولين و الآخرين في أقصر فتره زمنيه يمكن أن يقطعها الإنسان نحو أعلى قمم الكمال الشاهقه.

فسلام عليها يوم ولدت و يوم استشهدت و يوم تبعث حيّه و هي تحمل كلّ أوسمه الشرف و سمو و عليها حلال الكرامه.

اشاره

انطباعات عن شخصيته الزهراء (عليها السلام)

الزهراء فاطمه ابنة أعظم نبيّ و زوجة أول إمام و بطل، و ام أئمة بزغتين في تأريخ الإمامه، إنّها الوجه المشرق الوضاء للرسالة الخاتمه، و إنّها سيده نساء العالمين، و هي الوعاء الطاهر للسلاله الطاهره و المنبت الطيب لعترة رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين.

لقد اقترن تأريخها بتأريخ الرسالة، إذ ولدت قبل الهجره بثمان سنوات و توفيت بعد الرسول (صلى الله عليه و اله) بعدة أشهر.

و قد أشاد النبيّ الكريم بعظيم منزله الزهراء الطاهره، و بما بلغت من موقع رياديّ في خطّ الرسالة محتذيا خطى القرآن الكريم فيما صرح به من فضائل و مكرمات لأهل بيت الوحي (عليهم السلام) بشكل عام و للزهراء (عليها السلام) بشكل خاص.

الزهراء في آيات الذكر الحكيم

اشاره

لقد مدح القرآن الكريم اناسا خلّدهم بآيات تتلى أثناء الليل و أطراف النهار، إكبارا لمواقفهم و لتفانيهم في سبيل الحقّ.

ص: ٢١

وَمَنْ خَصَّيَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالذِّكْرِ الْجَلِيِّ وَأَشَادَ بِمَوَاقِفِهِمْ وَفَضَائِلِهِمْ أَهْلَ بَيْتِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، وَقَدْ رَوَى الْمُؤَرِّخُونَ وَالْمُفَسِّرُونَ نَزُولَ آيَاتٍ كَثِيرَةٍ فِي مَدْحِهِمْ، كَمَا خَصَّيَهُمُ بِالثَّنَاءِ فِي سُورَةِ شَتَّى تَقْرِيرًا لِسَلَامِهِمْ خَطْبُهُمْ وَاعْتِرَافًا بِحَسَنِ سَمْتِهِمْ وَدَعْوَةً لِلِاقْتِدَاءِ بِهِمْ.

١- الزهراء (عليها السلام) كوثر الرسالة:

إِنَّ الْكُوْثِرَ هُوَ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ، وَهُوَ يَتَنَاوَلُ بظَاهِرِهِ جَمِيعَ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَلَكِنْ مَا ذَكَرُوهُ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ بِالْإِضَافَةِ إِلَى آيَةِ الْآخِرَةِ مِنْ سُورَةِ الْكُوْثِرِ يُشِيرَانِ بوضوحٍ إِلَى أَنَّ هَذَا الْخَيْرَ يَرْتَبُ بِكَثْرَةِ النَّسْلِ وَدَوَامِهِ، وَقَدْ عَرَفَ الْعَالَمُ كُلَّهُ أَنَّ نَسْلَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قَدْ اسْتَمَرَّ مِنْ خِلَالِ ابْنَتِهِ الزَّهْرَاءِ الْبَتُولِ كَمَا صرَّحتَ بِذَلِكَ جَمَلُهُ مِنْ أَحَادِيثِ الرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

وَمِمَّا رَوَاهُ الْمُفَسِّرُونَ فِي هَذَا الصَّدَدِ أَنَّ الْعَاصِمَ بْنَ وَائِلٍ كَانَ يَقُولُ لِصَنَادِيدِ قَرِيْشٍ: إِنَّ مُحَمَّدًا أَبْتَرُ لَا ابْنَ لَهُ (١) يَقُومُ مَقَامَهُ بَعْدَهُ، فَإِذَا مَاتَ انْقَطَعَ ذِكْرُهُ وَاسْتَرَحْتَمَ مِنْهُ. وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَامَهُ أَهْلُ التَّفْسِيرِ (٢)، وَبِالرَّغْمِ مِمَّا ذَكَرَهُ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ مِنْ اخْتِلَافِ الْمُفَسِّرِينَ فِي مَعْنَى الْكُوْثِرِ هُنَا فَإِنَّهُ قَدْ صرَّحَ قَائِلًا: «وَالْقَوْلُ الثَّلَاثُ: الْكُوْثِرُ أَوْلَادُهُ.. لِأَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ إِنَّمَا نَزَلَتْ رَدًّا عَلَى مَنْ عَابَهُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بِعَدَمِ الْأَوْلَادِ، فَالْمَعْنَى أَنَّهُ يُعْطِيهِ نَسْلًا يُبْقُونَ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ (ثُمَّ قَالَ): فَانظُرْ، كَمْ قَتَلَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ؟! ثُمَّ الْعَالَمُ مَمْتَلِئٌ مِنْهُمْ وَ لَمْ يَبْقَ مِنْ بَنِي أُمِّيهِ فِي الدُّنْيَا أَحَدٌ يُعْبَأُ بِهِ، ثُمَّ انظُرْ كَمْ كَانَ فِيهِمْ مِنَ الْأَكْبَرِ مِنْ

ص: ٢٢

١- (١) وَ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ مَاتَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ خَدِيْجِهِ فَلَمْ يَبْقَ لَهُ أَحَدٌ مِنَ الذِّكْرِ.

٢- (٢) التَّفْسِيرُ الْكَبِيرُ: ١٣٢/٣٢.

العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا(عليهم السلام)والنفس الزكية و أمثالهم» (١).

و تدلّ آية المباهلة (٢) على أنّ الحسن والحسين ابنا رسول الله(صلى الله عليه و اله) كما دلّت النصوص المتضافره عن الرسول(صلى الله عليه و اله) على أنّ الله تعالى جعل ذريّه كلّ نبيّ في صلبه و جعل ذريّه الرسول الخاتم(صلى الله عليه و اله) في صلب علي بن أبي طالب(عليه السلام) (٣) و روت الصحاح عن النبيّ(صلى الله عليه و اله) أنّه قال للحسن بن علي(عليهما السّلام): «إنّ ابني هذا سيّد، و لعلّ الله يصلح به بين فئتين عظيمتين» (٤).

٢- الزهراء(عليها السلام) في سورة الدهر:

مرض الحسن والحسين فعادهما رسول الله(صلى الله عليه و اله) في ناس معه فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت علي ولديك، فنذر علي و فاطمه و فضّه(و هي جاريه لهما) إن برئا ممّا بهما أن يصوموا ثلاثة أيام، فشفيا و ما معهم شيء، فاستقرض علي(عليه السلام) من شمعون الخيري اليهودي ثلاثة أصوع من شعير، فطحنت فاطمه(عليها السّلام) صاعا و اختبزت خمسه أقراص علي عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم أهل بيت محمّد، مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنّه، فأثروه و باتوا لم يذوقوا إلّا الماء و أصبحوا صياما، فلما أمسوا و وضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فأثروه، و وقف عليهم أسير في الثالثه

ص: ٢٣

١- (١) التفسير الكبير: ١٢٤/٣٢.

٢- (٢) سورة آل عمران(٣): ٦١.

٣- (٣) راجع تاريخ بغداد: ٣١٦/١، و الرياض النضرة: ١٦٨/٢، و كنز العمال: ١١ الحديث رقم: ٣٢٨٩٢.

٤- (٤) راجع صحيح البخاري: كتاب الصلح، و صحيح الترمذی: ٥ الحديث ٣٧٧٣ طبعه دار إحياء التراث، و مسند أحمد: ٤٤/٥ و تاريخ بغداد: ٢١٥/٣، و كنز العمال: ١٢ و ١٣: الأحاديث ٣٤٣٠٤ و ٣٤٣٠١ و ٣٧٦٥٤.

ففعّلوا مثل ذلك، فلَمّا أصبحوا أخذ عليّ (رضى الله عنه) بيد الحسن والحسين و أقبلوا إلى رسول الله (صلى الله عليه و اله) فلَمّا أبصرهم و هم يرتعشون كالفراخ من شدّه الجوع قال: ما أشدّ ما يسوؤنى ما أرى بكم! و قام فانطلق معهم فرأى فاطمه فى محرابها قد التصق بطنها بظهرها و غارت عيناها فساءه ذلك، فنزل جبرئيل ثم قال: خذها يا محمّد هناك الله فى أهل بيتك فأقرأه السوره (١).

فالزهاء ممّن شهد الله لها بأنّها من الأبرار الذين يشربون من كأس كان مزاجها كافورا، و ممّن يوفون بالنذر و يخافون يوما كان شرّه مستطيرا، و ممّن يطعمون الطعام على حبه، و يؤثرون على أنفسهم و لو كان بهم خصاصة و أنّهم إنّما يطعمون لوجه الله لا يريدون منهم جزاء و لا شكورا، و أنّهم ممّن صبروا فى ذات الله.. و أنّهم وقاهم الله شرّ ذلك اليوم العبوس القمطير.. و لقاهم نصره و سرورا، و جزاهم بما صبروا جنة و حريرا (٢).

٣- الزهراء (عليها السلام) فى آيه التطهير:

لقد نزل الوحي بآيه التطهير على رسول الله (صلى الله عليه و اله) و هو فى بيت ام سلمه -رضى الله عنها- ذلك حينما كان قد ضمّ سبطيه -الحسن و الحسين- و أباهما و أمهما إليه ثم غشاهم و نفسه بالكساء تمييزا لهم عن الآخرين و النساء، فنزلت الآية: **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** (٣) و هم على تلك الحال، و لم يقتصر (صلى الله عليه و اله) على هذا المقدار من

ص: ٢٤

١- (١) سوره الدهر أو الإنسان أو هل أتى.

٢- (٢) راجع الكشّاف للزمخشري و الثعلبى فى تفسيره الكبير و اسد الغابه: ٥٣٠/٥ و التفسير الكبير للفخر الرازى.

٣- (٣) سوره الأحزاب (٣٣): ٣٣.

توضيح اختصاص الآية بهم حتى أخرج يده من تحت الكساء فألوى بها الى السماء فقال:اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا، يكثر ذلك و ام سلمه تسمع و ترى،و جاءت لتدخل تحت الكساء قائلة:و أنا معكم يا رسول الله،فجذبها من يدها و قال:لا،إنك على خير (١).

و كان رسول الله(صلى الله عليه و اله)بعد نزول الآية كلما خرج إلى الفجر يمرّ ببيت فاطمه فيقول:الصلاه يا أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا،مستمرا على هذه السيره ستة أو ثمانية أشهر (٢).

و دلت الآية المباركه على عصمه أهل البيت من الذنوب فإنّ الرجس هو الذنب،و قد صدّرت الآية بأداه الحصر فأفادت أنّ إرادته الله في أمرهم مقصوره على إذهاب الذنوب عنهم و تطهيرهم منها،و هذا هو كنه العصمه و حقيقتها،و قد أورد النبهاني عن تفسير الطبرى هذا المعنى بشكل صريح (٣).

٤-موّده الزهراء(عليها السلام)أجر الرساله:

و روى جابر(رضى الله عنه)أنّ أعرابيا جاء إلى النبي(صلى الله عليه و اله)فقال:يا محمّد! أعرض علىّ الإسلام،فقال:تشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له و أنّ

ص:٢٥

١- (١) راجع صحيح مسلم:كتاب فضائل الصحابه،و مستدرک الصحيحين:٣/١٤٧ و الدرّ المنثور فى تفسير آيه التطهير،و تفسير الطبرى:٥/٢٢،و صحيح الترمذى ٥/٥١٧٧،و مسند أحمد:٦/٢٩٢ و ٣٠٤،و اسد الغابه:٤/٢٩،و تهذيب التهذيب:٢/٢٥٨.

٢- (٢) راجع الكلمه الغزاه فى تفضيل الزهراء:١٩٢ قال السيد عبد الحسين شرف الدين:أخرجه الإمام أحمد فى ص ٢٥٩ من الجزء ٣.و أخرجه الحاكم و صحّحه الترمذى و حسّنه ابن أبى شيبه و ابن جرير و ابن المنذر و ابن مردويه و الطبرانى و غيرهم.

٣- (٣) راجع الكلمه الغزاه:٢٠٠.

محمّدا عبده و رسوله، قال: تسألني عليه أجرا؟

قال: لا إلا المودّة في القربى، قال: قرباى أو قرباك؟ قال: قرباى، قال:

هات ابايعك، فعلى من لا يحبّك ولا يحبّ قرباك لعنه الله، قال (صلى الله عليه و اله): آمين (١).

و فسّر مجاهد هذه المودّة بالاتباع و التصديق لرسول الله و صلّه رحمه، و فسّرها ابن عباس بحفظه في قرابته (٢).

و ذكر الزمخشري أنّ هذه الآية لما نزلت قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: عليّ و فاطمه و ابناهما (٣).

٥- الزهراء (عليها السلام) في آبه المباهله:

أجمع أهل القبله حتى الخوارج منهم على أنّ النّبىّ (صلى الله عليه و اله) لم يدع للمباهله من النساء سوى بضعته الزهراء و من الأبناء سوى سبطيه و ريحانتيه الحسن و الحسين (عليهما السلام) و من الأنفس إلاّ أخاه عليّا (عليه السلام) الذى كان منه بمنزله هارون من موسى، فهؤلاء أصحاب هذه الآية بحكم الضروره التى لا يمكن جحودها لم يشاركهم فيها أحد من العالمين، كما هو بديهيّ لكل من ألمّ بتاريخ المسلمين، و بهم خاصّيه نزلت لا بسواهم (٤).

لقد باهل النّبىّ (صلى الله عليه و اله) بهم خصومه من أهل نجران فانتصر عليهم،

ص: ٢٦

١- (١) حليه الأولياء: ٢٠١/٣، و تفسير الطبرى: ١٦/٢٥ و ١٧، و الدرّ المنثور فى تفسير الآية ٣ من سوره الشورى، و الصواعق المحرقة: ٢٦١، و اسد الغابه: ٣٦٧/٥.

٢- (٢) راجع فضائل الخمسه من الصحاح الستة: ٣٠٧/١.

٣- (٣) راجع الكشاف فى تفسير الآية و التفسير الكبير للفخر الرازى و الدرّ المنثور للسيوطى و ذخائر العقبى: ٣٥، و قد ذكر العلامة الأمينى خمسه و أربعين مصدرا لنزول الآية فى شأن عليّ و فاطمه و الحسن و الحسين، فراجع الجزء الثالث من (الغدیر).

٤- (٤) راجع الكلمه الغراء: ١٨١.

و أمهات المؤمنين كنّ حينئذ في حجراته (صلى الله عليه و اله) فلم يدع واحده منهنّ، و لم يدع صفيته و هي شقيقه أبيه، و لا أمه هانى و هي كريمه عمّه، و لا واحده من نساء الخلفاء الثلاثة و غيرهم من المهاجرين و الأنصار.

كما أنّه لم يدع مع سيديّ شباب أهل الجنة أحدا من أبناء الهاشميين و لا أحدا من أبناء الصحابه، و كذلك لم يدع مع عليّ أحدا من عشيرته الأقربين و لا واحدا من السابقين الأوّلين، و إنّما خرج و عليه مرط من شعر أسود- كما يقول الرازى فى تفسيره- و قد احتضن الحسين و أخذ بيد الحسن و فاطمه تمشى خلفه و عليّ خلفها و هو يقول: إذا أنا دعوت فأتمّوا، فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى! إنّى لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا لأزاله بها، فلا تباهلوهم فتهلكوا، و لا يبقى على وجه الأرض نصرانى الى يوم القيامة (١).

قال الرازى بعد نقل هذا الحدث: هذه الآية دالّة على أنّ الحسن و الحسين (عليهما السّلام) كانا ابنى رسول الله (صلى الله عليه و اله) و وعد أن يدعوا أبناءه فدعا الحسن و الحسين (عليهما السّلام) فوجب أن يكونا ابنيه (٢).

ص: ٢٧

-
- ١- (١) قال السيد عبد الحسين شرف الدين: ذكر هذا الحديث المفسّرون و المحدثون و كلّ من أُرّخ حوادث السنه العاشره للهجره و هي سنه المباهله، و راجع كذلك صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابه، و الكشّاف للزمخشريّ فى تفسير الآية ٦١ من سوره آل عمران.
- ٢- (٢) راجع التفسير الكبير: ذيل تفسير الآية، و الصواعق المحرقة: ٢٣٨، و أسباب النزول للواحدى: ٧٥.

الزهاء (عليها السلام) عند سيد المرسلين (صلى الله عليه و اله)

«إنَّ الله ليغضب لغضب فاطمه و يرضى لرضاها» (١).

«فاطمه بضعه منى من آذاها فقد آذاني و من أحبها فقد أحبني» (٢).

«فاطمه قلبى و روحى التى بين جنبي» (٣).

«فاطمه سيده نساء العالمين» (٤).

لقد تواترت هذه الشهادات و أمثالها فى كتب الحديث و السير (٥) عن رسول الله محمد (صلى الله عليه و اله) الذى لا ينطق عن الهوى (٦) و لا يتأثر بنسب أو سبب، و لا تأخذه فى الله لومه لائم.

إنَّ الرسول الذى ذاب فى دعوته و كان للناس فيه اسوه فأصبحت خفقات قلبه و نظرات عينه و لمسات يده و خطوات سعيه و إشعاعات فكره:

قوله و فعله و تقريره (أى: سنته) بل وجوده كله معلما من معالم الدين و مصدرا للتشريع و مصباحا للهدايه و سبيلا للنجاه.

ص: ٢٨

١- ((١)) راجع كنز العمال: ١١١/١٢، و مستدرک الصحيحين: ١٥٤/٣، و ميزان الاعتدال: ٥٣٥/١.

٢- ((٢)) راجع الصواعق المحرقة: ٢٨٩، الإمامه و السياسه ص ٣١، و كنز العمال: ١١١/١٢، و خصائص النسائي: ٣٥، و صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابه.

٣- ((٣)) راجع فرائد السمطين: ٦٦/٢.

٤- ((٤)) المستدرک على الصحيحين: ١٧٠/٣، و أبو نعيم فى حليه الأولياء: ٣٩/٢، و الطحاوى فى مشكل الآثار: ٤٨/١، و شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ١٩٣/٩، و العوالم: ١٤١/١١ و ١٤٦.

٥- ((٥)) راجع كنز العمال: ٩٧/١٢، و مسند أحمد: ٢٩٦/٦ و ٣٢٣، و مستدرک الصحيحين: ١٥٨/٣-١٨٥، و صحيح البخارى كتاب الاستئذان، و صحيح الترمذى ٥/الحديث ٣٨٦٩، و حليه الأولياء: ٤٢/٢، و الاستيعاب: ٧٢٠/٢ و ٧٥٠.

٦- ((٦)) سورة النجم (٥٣): ٣.

«إنّها أو سمه من خاتم الرسل على صدر فاطمه الزهراء، تزداد تألقا كلّما مرّ الزمن، وكلّما تطوّرت المجتمعات، وكلّما لاحظنا المبدأ الأساس في الإسلام في كلامه (صلى الله عليه و اله) لها: يا فاطمه اعلمي لنفسك فأنتى لا أغنى عنك من الله شيئا» (١).

وقال (صلى الله عليه و اله): «كامل من الرجال كثير و لم يكمل من النساء إلاّ مريم بنت عمران و آسيه بنت مزاحم امرأه فرعون و خديجه بنت خويلد و فاطمه بنت محمد» (٢).

وقال (صلى الله عليه و اله): «إنّما فاطمه شجنه منى، يقبضنى ما يقبضها و يبسطنى ما يبسطها» (٣) و إنّ الأنساب يوم القيامة تنقطع غير نسبى و سببى و صهرى...» (٤).

و خرج رسول الله (صلى الله عليه و اله) ذات يوم و قد أخذ بيد فاطمه (عليها السلام) و قال: «من عرف هذه فقد عرفها و من لم يعرفها فهى فاطمه بنت محمد و هى بضعة منى، و هى قلبى الذى بين جنبى، فمن آذاها فقد آذانى و من آذانى فقد آذى الله» (٥).

وقال (صلى الله عليه و اله): «فاطمه أعزّ البريه على» (٦).

و لا يصعب علينا تفسير هذه النصوص بعد الإمام بعصمتها (عليها السلام)، بل هى شاهده على عصمتها و أنّها لا تغضب إلاّ لله و لا ترضى إلاّ له.

ص: ٢٩

١- ((١)) فاطمه الزهراء و تر فى غمد: من مقدمه السيد موسى الصدر.

٢- ((٢)) رواه صاحب الفصول المهمه ٢٧، راجع تفسير الوصول: ١٥٩/٢، و شرح ثلاثيات مسند أحمد: ٥١١/٢.

٣- ((٣)) الشجنه: الشعبه من كل شىء، الشجنه كالغصن يكون من الشجره. راجع مستدرک الحاكم: ١٥٤/٣، و كنز العمال: ١١١/١٢ الحديث ٣٤٢٤٠.

٤- ((٤)) راجع مسند أحمد: ٣٢٣/٤ و ٣٣٢، و المستدرک: ١٥٤/٣ و ١٥٩.

٥- ((٥)) راجع الفصول المهمه: ١٤٤، و رواه فى كتاب المختصر عن تفسير الثعلبى: ١٣٣.

٦- ((٦)) أمالى الطوسى: مجلس ١ حديث ٣٠، و المختصر: ١٣٦.

عن علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام): «لم يولد لرسول الله (صلى الله عليه و اله) من خديجه على فطره الا سلام إلا فاطمه» (١).

و عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام): «و الله لقد فطمها الله تبارك و تعالى بالعلم» (٢).

و عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): «إنما سميت فاطمه لأن الخلق فطموا عن معرفتها» (٣).

و عن ابن عباس: أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) كان جالسا ذات يوم و عنده علي و فاطمه و الحسن و الحسين فقال: «اللهم إنك تعلم أن هؤلاء أهل بيتي و أكرم الناس علي فأحب من أحبهم و أبغض من أبغضهم و وال من والاهم و عاد من عاداهم، و أعن من أعانهم و اجعلهم مطهرين من كل رجس معصومين من كل ذنب و أيدهم بروح القدس منك» (٤).

و عن أم سلمة أنها قالت: كانت فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) أشبه الناس وجهها و شبهها برسول الله (صلى الله عليه و اله) (٥).

و عن عائشة أنها قالت: ما رأيت أحدا كان أصدق لهجه من فاطمه إلا أن يكون الذي ولدها (٦) و كانت إذا دخلت على رسول الله (صلى الله عليه و اله) قام فقبلها عليه و اله) قام فقبلها

ص: ٣٠

١- (١) روضه الكافي: ح ٥٣٦.

٢- (٢) كشف الغمه: ١/٤٦٣.

٣- (٣) بحار الأنوار: ١٩/٤٣.

٤- (٤) بحار الأنوار: ٦٥/٤٣ و ٢٤.

٥- (٥) كشف الغمه: ١/٤٧١.

٦- (٦) ذخائر العقبى: ٥٤.

و رُحِبَ بِهَا و أخذ بيدها و أجلسها في مجلسه، و كان النبي (صلى الله عليه و اله) إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته و أخذت بيده و أجلسته في مجلسها، و كان الرسول دائما يختصها بسرّه و يرجع إليها في أمره (١).

و عن الحسن البصرى أنه ما كان في هذه الامه أعبد من فاطمه، كانت تقوم حتى تورّم قدمها (٢).

و دخل عبد الله بن حسن على عمر بن عبد العزيز و هو حديث السنّ، و له و قره، فرفع مجلسه و أقبل عليه و قضى حوائجه، ثم أخذ عكنه (٣) من عكنه فغمزها حتى أوجعه و قال له: اذكرها عند الشفاعة.

فلما خرج لامه أهله و قالوا: فعلت هذا بغلام حديث السن، فقال: إنّ الثقة حدّثني حتى كأتى أسمع من في رسول الله (صلى الله عليه و اله) قال: «إنّما فاطمه بضعة منّي يسرّني ما يسرّها» و أنا أعلم أنّ فاطمه (عليها السلام) لو كانت حيه لسرّها ما فعلت بابنها، قالوا: فما معنى غمزك بطنه، و قولك ما قلت؟ قال: إنّه ليس أحد من بنى هاشم إلاّ و له شفاعة، فرجوت أن أكون في شفاعة هذا (٤).

قال ابن الصبّاغ المالكي... و هي بنت من انزل عليه (سبحان الذي أسرى)، ثالثه الشمس و القمر، بنت خير البشر، الطاهره الميلاد، السيده البتول، يجمع أهل السداد (٥).

و قال الحافظ أبو نعيم الإصفهاني عنها: «من ناسكات الأصفياء و صفيات الأتقياء فاطمه -رضى الله تعالى عنها- السيده البتول، البضعة

ص: ٣١

١- ((١)) أهل البيت: ١٤٤ لتوفيق أبو علم.

٢- ((٢)) بحار الأنوار: ٨٤/٤٣.

٣- ((٣)) و قره: رزانه و حلم، العكنه: الطى الذى فى البطن من السمن (المختار/باب عكن).

٤- ((٤)) الأغاني: ٣٠٧/٨، و راجع مقاتل الطالبين: ١٢٤.

٥- ((٥)) الفصول المهمه: ١٤١، طبعه بيروت.

الشبيهه بالرسول...كانت عن الدنيا و متعتها عازفه،و بغوامض عيوب الدنيا و آفاتها عارفه (١).

و قال عبد الحميد بن أبى الحديد المعتزلى:و أكرم رسول الله(صلى الله عليه و اله) فاطمه إكراما عظيما أكثر مما كان الناس يظنونه...حتى خرج بها عن حبّ الآباء للأولاد،فقال لمحضر الخاص و العام مرارا لا مرّه واحده و فى مقامات مختلفه لا فى مقام واحد:«إنّها سيّده نساء العالمين و إنّها عديله مريم بنت عمران،و إنّها إذا مرّت فى الموقف نادى مناد من جهة العرش:يا أهل الموقف غصّوا أبصاركم لتعبر فاطمه بنت محمد»، و هذا من الأحاديث الصحيحه و ليس من الأخبار المستضعفه،و كم قال لا مرّه:«يؤذيني ما يؤذيها و يغضبني ما يغضبها،و إنّها بضعه منى يرينى ما رابها» (٢).

و قال المؤرّخ المعاصر الدكتور على حسن ابراهيم:و حياه فاطمه هى صفحه فذّه من صفحات التاريخ نلمس فيها ألوان العظمه،فهى ليست كبلقيس أو كليو بطره استمدّت كلّ منهما عظمتها من عرش كبير و ثروه طائله و جمال نادر،و هى ليست كعائشه نالت شهرتها لما اتصفت به من جرأه جعلتها تقود الجيوش و تتحدّى الرجال،و لكننا أمام شخصيه استطاعت أن تخرج إلى العالم و حولها هاله من الحكمه و الجلال،حكمه ليس مرجعها الكتب و الفلاسفه و العلماء،و إنّما تجارب الدهر الملىء بالتقلّبات و المفاجآت،و جلال ليس مستمدا من ملك أو ثراء و إنّما من صميم النفس... (٣).

ص: ٣٢

١- (١) حليه الأولياء:٣٩/٢،طبعه بيروت.

٢- (٢) شرح نهج البلاغه:١٩٣/٩.

٣- (٣) راجع فاطمه الزهراء بهجه قلب المصطفى: ٢١.

إشاره

مظاهر من شخصيته الزهراء (عليها السلام)

الحديث عن الزهراء فاطمه يتجاوز الفسحه التي امتدت بين ساعه أبصرت فيها النور و ساعه انطفأت فيها من عينها لمعه الحياه.

فإنها ابنه نبي هز جذور الفكر في الإنسان و قفز به فوق الأجيال، كما إنها زوجه رجل هو ركن من أركان الحق و امتداد لأعظم نبي في تاريخ الإنسان.

لقد حازت على كمال العقل و جمال الروح و طيب الصفاء و كرم المحتد، و عاشت في جو شعت عليه و امتدت به و عبرت عنه فكرا و انتاجا، و غدت خطأ في الرساله التي انطلقت ثوره، فكانت هي ركننا من أركانها التي لا يمكن فهم تاريخ الرساله من دون فهم تاريخها.

و قد مثلت الزهراء (عليها السلام) أشرف ما في المرأه من إنسانيه و صيانه و كرامه و قداسه و رعايه و عنايه، بالإضافة إلى ما كانت عليه من ذكاء و قاده و فطنه حاده و علم واسع، و كفاها فخرا أنها تربت في مدرسه النبوه و تخرجت من معهد الرساله و تلقت عن أبيها الرسول الأمين (صلى الله عليه و اله) ما تلقاه عن رب العالمين، و مما لا شك فيه أنها تعلمت في دار أبيها ما لم تتعلمه طفله غيرها

لقد سمعت القرآن الكرىم من النبىؑ المصطفى و سمعته من علىؑ المرتضى، و صلت به و عبت به ربها بعد أن وعت أحكامه و فرائضه و سننه و عيا لم يحصل عليه غيرها من ذوى الشرف و المكرمات.

و نشأت الزهراء نشأه إيمان و يقين، نشأه وفاء و إخلاص و زهد، و علمت مع السنين أنها سليله شرف لا منازع لها فيه من واحده من بنات حواء، فوثقت بكفائه هذه الشرف الذى لا يدانى، و شبت بين انطوائها على نفسها و اكتفائها بشرفها فى دار الرساله و عهد الايمان.

لقد نشأت الزهراء و هى تحذو حذو أبيها فى كل كمال، حتى قالت عنها عائشه: ما رأيت أحدا من خلق الله أشبه حديثا و كلاما برسول الله (صلى الله عليه و اله) من فاطمه، و كانت إذا دخلت عليه أخذ بيدها فقبلها و رحب بها و أجلسها فى مجلسه، و كان إذا دخل عليها قامت اليه و رحبت به و أخذت بيده فقبلتها (٢).

و من هنا نعرف السر أيضا فى ما صرحت به عائشه من أنها لم تجد فى الأرض امرأه كانت أحب الى رسول الله (صلى الله عليه و اله) من فاطمه، و قد عللت هى ذلك بقولها: ما رأيت أحدا كان أصدق لهجه من فاطمه إلا أن يكون الذى ولدها (صلى الله عليه و اله) (٣).

و هكذا صارت الزهراء البتول صورته الانوثة الكامله التى يتخضع بتقديسها المؤمنون.

١- (١) أهل البيت لتوفيق أبو علم: ١١٦.

٢- (٢) أهل البيت لتوفيق أبو علم: ١١٦.

٣- (٣) المصدر نفسه.

لم تكتف الزهراء فاطمه (عليها السلام) بما هيا لها بيت الوحي من معارف و علوم، و لم تقتصر على الاستناره العلميه التي كانت تهيئها لها شمس العلم و المعرفه المحيطه بها من كل جانب.

لقد كانت تحاول في لقاءاتها مع ابيها رسول الله (صلى الله عليه و اله) و بعلمها باب مدينه علم النبي أن تكتسب من العلوم ما استطاعت، كما كانت ترسل ولديها الحسن و الحسين إلى مجلس الرسول (صلى الله عليه و اله) بشكل مستمر ثم تستنطقهما بعد العوده اليها، و هكذا كانت تحرص على طلب العلم كما كانت تحرص على تربيته و لادبها تربيته فضلي، و لقد كانت تبذل ما تكتسبه من العلوم لسائر نساء المسلمين بالرغم من كثره واجباتها البيئيه.

إنّ هذا الجهد المتواصل لها في طلب العلم و نشره قد جعلها من كبريات رواه الحديث و من حملة السنه المطهره، حتى أصبح كتابها الكبير الذي كانت تعتز به أشد الاعتزاز يعرف باسم «مصحف فاطمه» و انتقل إلى أبنائها الأئمه المعصومين يتوارثونه كابرا عن كابر، كما سوف تلاحظه بالتفصيل في باب تراثها سلام الله عليها.

و يكفيك دليلا على ذلك و على سموها فكرا و كمالها علما ما جادت به قريحتها من خطبتين (١) ألقتهما بعد وفاه رسول الله (صلى الله عليه و اله) احداهما بحضور كبار الصحابه في مسجد الرسول (صلى الله عليه و اله) و الاخرى في بيتها، و قد تضمّنتا صورا رائعه من عمق فكرها و أصالته و اتساع ثقافتها و قوه منطقتها و صدق نبوءاتها فيما ستنتهي اليه الامه بعد انحراف القيادة، هذا فضلا عن رفعه أدبها و عظيم

١- (١) راجع الخطبتين فيما سيأتى من أحداث حياتها بعد وفاه ابيها (صلى الله عليه و اله) من هذا الكتاب.

جهادها في ذات الله و في سبيل الحقّ تعالى.

لقد كانت الزهراء (عليها السلام) من أهل بيت اتقوا الله و علّمهم الله- كما صرح بذلك الذكر الحكيم- و هكذا فطمها الله بالعلم فسُميت فاطمه، و انقطعت عن النظر فسُميت بالبتول.

٢- مكارم أخلاقها:

كانت فاطمه (عليها السلام): «كريمة الخليقة، شريفه الملكة، نبيله النفس، جليله الحس، سريعه الفهم، مرهفه الذهن، جزله المروء، غزّاء المكارم، فتياحه نفاحه، جريئه الصدر، رابطه الجأش، حميه الأنف، نائيه عن مذاهب العجب، لا يحدّدها مادىّ الخيلاء، و لا يثنى أعطافها الزهو و الكبرياء» (١).

لقد كانت سبطه الخليقة في سماحه و هواده إلى رحابه صدر وسعه أنه في وقار و سكينه و رفق و رزانه و ركانه و رصانه و عفه و صيانه.

عاشت قبل وفاه أبيها متهلله العزه و ضاحه المحيا حسنه البشر باسمه الثغر، و لم تغرب بسمتها إلا منذ وفاه أبيها (صلّى الله عليه و اله).

كانت لا يجرى لسانها بغير الحقّ و لا تنطق إلا بالصدق، لا تذكر أحدا بسوء، فلا غيبه و لا نميمه، و لا همز و لا لمز، تحفظ السرّ و تفى بالوعد، و تصدق النصح و تقبل العذر و تتجاوز عن الإساءه، فكثيرا ما أقالت العثره و تلقت الإساءه بالحلم و الصنح.

«لقد كانت عزوفه عن الشرّ، مياله إلى الخير، أمينه، صدوقه في قولها، صادقته في نيتها و وفائها، و كانت في الذروه العاليه من العفاف، طاهره الذيل

ص: ٣٦

عفيفه الطرف، لا يميل بها هواها، إذ هي من آل بيت النبي الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهّرهم تطهيرا.

و كانت إذا ما كلّمت إنسانا أو خطبت في الرجال يكون بينها وبينهم ستر يحجبها عنهم عفه و صيانه.

و من عجيب صونها أنّها استقبحت بعد الوفاة ما يصنع بالنساء من أن يطرح على المرأة الثوب فيصفها (1).

و كانت الزهراء (عليها السلام) زاهدة قنوعه، موقنه بأن الحرص يفرّق القلب و يشتت الأمر، مستمسكه بما قاله لها أبوها: «يا فاطمه! اصبري على مراره الدنيا لتفوزي بنعيم الأبد» فكانت راضيه باليسير من العيش، صابره على شظف الحياه، قانعته بالقليل من الحلال، راضيه مرضيّه، لا تطمح إلى ما لغيرها، ولا تستشرف ببصرها إلى ما ليس من حقّها، و ما كانت تنزل إلى سؤال غير الله تعالى، فهي رمز لغنى النفس، كما قال أبوها (صلّى الله عليه و اله): «إنّما الغنى غنى النفس».

إنّها السيده البتول التي انقطعت إلى الله تعالى عن دنياها و عزفت عن زخارفها و صدفت عن غرورها و عرفت آفاتها، و صبرت على أداء مسؤولياتها و هي تعاني شظف العيش و لسانها رطب بذكر مولاها.

لقد كان همّ الزهراء الآخرة، فلم تحفل بمباهج الدنيا و هي ترى إعراض أبيها (صلّى الله عليه و اله) عن الدنيا و ما فيها من متع و لذائذ و شهوات.

و عرف عنها صبرها على البلاء و شكرها عند الرخاء و رضاها بواقع القضاء، و قد روت عن أبيها (صلّى الله عليه و اله): «إنّ الله إذا أحبّ عبدا ابتلاه، فإن صبر اجتباه و إن

ص: ٣٧

٣- جودها و اثارها:

و كانت على هدى أبيها فى جوده و سخائه، و قد سمعته يقول: «السخى قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة، بعيد عن النار، و أن الله سبحانه جواد يحب الجواد» و كان الإيثار من شعار المصطفى (صلى الله عليه و اله) حتى قالت بعض زوجاته: ما شبع ثلاثة أيام متواليه حتى فارق الدنيا، و كان يقول (صلى الله عليه و اله): «و لو شئنا لشبعنا و لكننا نؤثر على أنفسنا» (٢)، و كانت الزهراء خير من يؤثر على نفسه اقتداء بأبيها حتى عرف عنها ايثارها بقميص عرسها ليله زفافها سلام الله عليها، و كفى بما أوردناه فى سوره الدهر شاهدا على عظيم ايثارها و جميل سخائها.

و روى عن جابر بن عبد الله الأنصارى أنه قال: صلى بنا رسول الله (صلى الله عليه و اله) صلاة العصر، فلما انفتل جلس فى قبلته و الناس حوله، فبيناهم كذلك إذ أقبل شيخ من مهاجرة العرب عليه سمل (٣) قد تهامل و أخلق، و لا يكاد يتمالك كبرا و ضعفا، فأقبل عليه رسول الله (صلى الله عليه و اله) يستحنه الخبر، فقال الشيخ: يا نبي الله، أنا جائع الكبد فأطعمنى، و عارى الجسد فاكسنى، و فقير فأرشنى، فقال (صلى الله عليه و اله): «ما أجد لك شيئا، و لكن الدال على الخير كفاعله، إنطلق إلى منزل من يحب الله و رسوله، و يحبه الله و رسوله، يؤثر الله على نفسه، انطلق إلى حجره فاطمه». (و كان بيتها ملاصقا لبيت رسول الله (صلى الله عليه و اله) الذى ينفرد به لنفسه من

ص: ٣٨

١- ((١)) أهل البيت: ١٣٧.

٢- ((٢)) أهل البيت: ١٣٨.

٣- ((٣)) السمل: الثوب الخلق، و تهلل الثوب: انخرقه.

أزواجه) وقال: «يا بلال قم فقف به على منزل فاطمه».

فانطلق الأعرابي مع بلال، فلمّا وقف على باب فاطمه؛ نادى بأعلى صوته: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة، ومختلف الملائكة، ومهبط جبرئيل الروح الأمين بالتنزيل من عند رب العالمين، فقالت فاطمه: «عليك السلام، فمن أنت يا هذا؟» قال: شيخ من العرب أقبلت على أبيك السيد البشير من شقّه، وأنا يا بنت محمد (صلّى الله عليه و اله) عارى الجسد جائع الكبد فواسيني يرحمك الله.

و كان لفاطمه و عليّ و رسول الله (صلّى الله عليه و اله) ثلاثا ما طعموا فيها طعاما، و قد علم رسول الله (صلّى الله عليه و اله) ذلك من شأنهما، فعمدت فاطمه إلى جلد كبش مدبوغ بالقرظ كان ينام عليه الحسن و الحسين، فقالت: «خذ أيها الطارق، فعسى الله أن يختار لك ما هو خير فيه»، قال الأعرابي: يا بنت محمد، شكوت اليك الجوع فناولتني جلد كبش ما أصنع به مع ما أجد من السغب؟

قال: فعمدت لما سمعت هذا من قوله إلى عقد كان في عنقها أهدته لها فاطمه بنت عمّها حمزه بن عبد المطلب، فقطعته من عنقها و نذته الى الأعرابي و قالت: «خذ وبعه، فعسى الله أن يعوضك به ما هو خير منه».

فأخذ الأعرابي العقد و انطلق إلى مسجد رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و النبيّ جالس في أصحابه فقال: يا رسول الله، أعطتني فاطمه هذا العقد، فقالت: «بعه».

قال فبكى رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و قال: «كيف لا يعوّضك به ما هو خير منه؟! و قد أعطتك فاطمه (عليها السلام) بنت محمد سيده بنات آدم».

فقام عمار بن ياسر (رضى الله عنه) فقال: يا رسول الله، أتأذن لي بشراء هذا العقد؟ قال: «اشتره يا عمار، فلو اشترك فيه الثقلان ما عدّ بهم الله بالنار»، فقال عمار:

بكم العقد يا أعرابي؟ قال: بشبعه من الخبز و اللحم و برده يمانيه أستر بها عورتى و اصلى بها لربّي و دينار يبلغنى أهلى...

و كان عمار قد باع سهمه الذى نقله رسول الله (صلى الله عليه و اله) من خيبر و لم يبق معه شيئا، فقال: لك عشرون دينارا و مئتا درهم هجريه و برده يمانيه و راحلتى تبلغك أهلك، و شبعك من خبز البرّ و اللحم.

فقال الأعرابي: ما أسخاك بالمال يا رجل! و انطلق به عمار فوفاه فأضمن له، و عاد الأعرابي إلى رسول الله (صلى الله عليه و اله) فقال له رسول الله (صلى الله عليه و اله) فقال له رسول الله (صلى الله عليه و اله):

«أشبت و اكتسيت؟» قال الأعرابي: نعم، و استغنيت بأبى أنت و امى قال: «فأجز فاطمه بصنيعها» فقال الأعرابي: اللهم إنك إله ما استحدثناك و لا إله لنا نعبده سواك، و أنت رازقنا على كل الجهات، اللهم أعط فاطمه ما لا عين رأت و لا اذن سمعت.

فأمن النبي على دعائه و أقبل على أصحابه، فقال: «إن الله قد أعطى فاطمه فى الدنيا ذلك، أنا أبوها و لا أحد من العالمين مثلى، و على بعلمها و لو لا على؛ لما كان لفاطمه كفؤ أبدا، و أعطاهما الحسن و الحسين و ما للعالمين مثلهما سيدا شباب أسباط الأنبياء و سيدا شباب أهل الجنة».

و كان يازائه مقداد و عمار و سلمان. فقال: «و أزيدكم؟» قالوا: نعم يا رسول الله، قال (صلى الله عليه و اله): «أتانى الروح -يعنى جبرئيل- أنها إذا هى قبضت و دفنت يسألها الملكان فى قبرها: من ربك؟ فتقول: الله ربى، فيقولان: فمن نبيك؟ فتقول: أبى، فمن وليك؟ فتقول: هذا القائم على شفير قبرى ألا. و أزيدكم من فضلها؟ إن الله قد و كل بها رعيلا من الملائكة يحفظونها من بين يديها و من خلفها و عن يمينها و عن شمالها، و هم معها فى حياتها و عند قبرها و عند موتها، يكترون الصلاة عليها و على أبيها و على بعلمها و بنيتها، فمن زارنى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى، و من زار فاطمه فكأنما زارنى، و من زار على بن أبى طالب فكأنما زار فاطمه، و من زار الحسن و الحسين فكأنما زار عليا، و من زار ذريتهما فكأنما زارهما».

فعمد عمار إلى العقد فطّيه بالمسك، و لّفه في برده يمانيه، و كان له عبد اسمه (سهم) ابتاعه من ذلك السهم الذي أصابه بخبير، فدفع العقد إلى المملوك و قال له: خذ هذا العقد و ادفعه لرسول الله و أنت له، فأخذ المملوك العقد فأتى به رسول الله (صلى الله عليه و اله) فأخبره بقول عمار، فقال النبي (صلى الله عليه و اله): «انطلق الى فاطمه فادفع اليها العقد و أنت لها»، فجاء المملوك بالعقد و أخبرها بقول رسول الله (صلى الله عليه و اله) فأخذت فاطمه (عليها السلام) العقد و أعتقت المملوك فضحك الغلام، فقالت: «ما يضحكك يا غلام؟»، قال: أضحكني عظم بركه هذا العقد، أشع جائعا و كسى عريانا و أغنى فقيرا و أعتق عبدا و رجع إلى ربّه (١).

٤- إيمانها و تعبدها لله:

الايان بالله قيمه الإنسان الكامل، و التعبد لله سلّم الوصول إلى قمم الكمال، و قد حاز الأنبياء و الأولياء على مقاعد الصدق في دار الكرامه بما اشمولوا عليه من درجات الايمان و بما اجتهدوا في الدنيا و أخلصوا فيه من العباده لله سبحانه.

و قد شهد القرآن الكريم- كما لاحظنا في سوره الدهر- على كمال إخلاصها و خشيتها لله سبحانه و عظيم إيمانها به و باليوم الآخر، و شهد الرسول (صلى الله عليه و اله) لها قائلا: «إن ابنتي فاطمه ملأ الله قلبها و جوارحها إيماننا إلى مشاشها ففرغت لطاعه الله» (٢) و أخبر عن عبادتها «أنها متى قامت في محرابها بين يدي ربّها جلّ جلاله زهر نورها لملائكته السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، و يقول الله عزّ و جلّ لملائكته: يا ملائكتي انظروا إلى أمّتي فاطمه سيده إمامي قائمه بين يديّ ترتعد

ص: ٤١

١- ((١)) بحار الأنوار: ٤٣/٥٦-٥٨.

٢- ((٢)) بحار الأنوار: ٤٣/٤٦، المشاش: رأس العظم اللتين.

فرائضها من خيفتى و قد أقبلت بقلبها على عبادتى، أشهدكم أنى قد أمّنت شيعتها من النار» (١).

وقال الحسن بن على (عليهما السّلام): «رأيت امى فاطمه (عليها السّلام) قامت فى محرابها ليله جمعتها فلم تزل راكعه ساجده حتى أتضح عمود الصّبح، و سمعتها تدعو للمؤمنين و المؤمنات و تسميهم و تكثر الدعاء لهم، و لا تدعو لنفسها بشىء، فقلت لها: يا أمّاه! لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بنى الجار ثمّ الدار» (٢).

و كانت تخصّص الساعات الأخيره من نهار الجمعة للدعاء، كما كانت لا تنام الليل فى العشر الأخير من شهر رمضان المبارك و كانت تحرّض جميع من فى بيتها بإحياء الليل بالعباده و الدعاء.

وقال الحسن البصرى: ما كان فى هذه الامة أعبد من فاطمه، كانت تقوم حتى تورّمت قدماها (٣). و كانت تنهج فى صلاتها من خوف الله تعالى (٤).

و هل خرجت فاطمه فى حياتها كلّها عن المحراب؟ و هل كانت حياتها كلّها إلاّ السجود الدائم؟ فهى فى البيت تعبد الله فى حسن التبعل و فى تربيته أولادها، و هى فى قيامها بالخدمات العامه كانت تطيع الله و تعبده أيضا، كما أنّها فى مواساتها للفقراء كانت تقوم بعباده الله بنفسها و بأهل بيتها مؤثره على نفسها.

ص: ٤٢

١- (١) أمالى الصدوق، المجلس: ٢٤/١٠٠.

٢- (٢) بحار الأنوار: ٤٣/٨١-٨٢.

٣- (٣) بحار الأنوار: ٤٣/٨٤.

٤- (٤) إعلام الدين: ٢٤٧، و عدّه الداعى: ١٥١.

«لمست الزهراء (عليها السلام) من أبيها حبّه و مودّته و حنّوه و شفقتها فكانت نعم البرّه به (صلّى الله عليه و اله)، أخلصت له في حبّها و ولائها و حنّوها و وفائها له، فأثرته على نفسها، و كانت تتولّى تدبير بيت أبيها (صلّى الله عليه و اله) و تقوم بإدارته، فتنجز ما يصلحه و تبعث فيه الهدوء و الراحة له، و كانت تسارع إلى كلّ ما يرضى أباه رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، تسكب له الماء ليغتسل و تهيبّ له طعامه و تغسل ثيابه، فضلا عن اشتراكها مع النساء في الغزو لحمل الطعام و الشراب و سقايه الجرحى و مداواتهم، و في غزوه احد هي التي داوت جراح أبيها حينما رأت أنّ الدم لا ينقطع، فأخذت قطعه حصير فأحرقته حتى صار رمادا ثم ذرّته على الجرح فاستمسك الدم.. و جاءته في حفر الخندق بكسره من خبز فرفعتها إليه فقال:

ما هذه يا فاطمه؟ قالت: من قرص اختبزه لا بنى جئتك منه بهذه الكسره، فقال:

«يا بنتي: أما إنّها لأوّل طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثه أيام» (١).

و قد استطاعت الزهراء أن تسدّ الفراغ العاطفى الذى كان يعيشه الرسول (صلّى الله عليه و اله) بعد أن فقد أبويه فى أول حياته و فقد زوجته الكريمة خديجه الكبرى فى أفسى ظروف الدعوه و الجهاد فى سبيل الله.

إنّ مواقف الامومه التى صدرت عن الزهراء بالنسبه لأبيها و حدّثنا التاريخ عن نتف منها تؤكّد نجاح فاطمه فى هذه المحاوله التى أعادت إلى النبى (صلّى الله عليه و اله) المصدر العاطفى الذى ساعده دون شكّ فى تحمّل الأعباء الرساليه الكبرى، و من هنا قد نفهم السرّ فى ما تکرّر على لسانه (صلّى الله عليه و اله) من أنّ «فاطمه ام أبيها» (٢).

ص: ٤٣

١- (١) راجع أهل البيت لتوفيق أبو علم: ١٤١-١٤٢.

٢- (٢) راجع اسد الغابه: ٥/٥٢٠، و الاستيعاب: ٣٨٠/٤.

إذ نرى أنه كان يعاملها معاملة الام فيقتل يدها، ويبدأ بزيارتها عند عودته إلى المدينة، كما يوّدعها و ينطلق من عندها في كلّ رحلاته و غزواته، كان يتزوّد من هذا المنبع الصافي عاطفه لسفره و رحلته، كما نلاحظ في سيرته كثره دخوله عليها في حالات تعب و آلامه أو حال جوعه أو حال دخول ضيف عليه، ثم تقابله فاطمه (عليها السلام) كما تقابل الام ولدها فترعاه و تحتضنه و تخفّف آلامه كما تخدمه و تطيعه.

٦- جهادها المتواصل:

ولدت فاطمه في حدّه الصراع بين الإسلام و الجاهليه، و فتحت عينها و المسلمون في ضراوه الجهاد مع الوثنيه الجائره، لقد فرضت قريش الحصار على رسول الله (صلى الله عليه و اله) و بنى هاشم جميعا، فدخل الرسول مع زوجته المجاهده و ابنته الطاهره الشعب، و حاصرتهم ثلاث سنين و أذقتهم فيها ألوان الحرمان، و هكذا عايشت الزهراء هذا الحصار القاسى و ذاقت في طفولتها مراره الحرمان و شظف العيش دفاعا عن الحق و تضحيه من أجل المبدأ.

و مرّت سنون الحصار صعبه ثقيله، و خرج رسول الله منها منتصرا، و شاء الله أن يختار خديجه لجواره في ذلك العام و يتوفى أبا طالب عمّ الرسول و حامى الدعوه و ناصر الإسلام، و يأخذ الحزن و الأسى من قلب الرسول (صلى الله عليه و اله) مأخذه بعد أن فقد أحبّ الناس إلى قلبه و أعزّهم عليه.

و هكذا رزّت فاطمه و هى لم تشجع بعد من حنان الامومه، و شاطرت أباه المأساه و الألم بالرغم من أنّها قد فقدت مصدر الحنان الثرى، و لقد صبّت قريش كلّ حقدتها و أذاها على الرسول بعد وفاه عمّه و حاميه و الزهراء ترى بأمّ عينها ما يقوم به سفهاء قريش و طغاتهم من انتقاص الرسول و ايدائه و هو

يريد إخراجهم من الظلمات إلى النور، وكان الرسول يحاول أن يخفف عنها عبء الألم ويحثها على التجلّد قائلاً: «لا تبكى يا بنتي، فإنّ الله مانع أباك و ناصره على أعداء دينه و رسالته» (١)، و هكذا يزرع الرسول في نفس ابنته روحاً جهاديه عاليه و يملأ قلبها بالصبر و الثقه بالنصر.

و هاجرت الزهراء بعد هجره أبيها إلى المدينه في جوّ مكه المرعب مع ابن عمها عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) الذي كان مستهيناً بكبرياء قريش و غرورها، ليلتحق بالرسول (صلّى الله عليه و اله) في «قبا» بعد أن تورّمت قدماه من مواصله السير على قدميه.

و انتقلت الزهراء إلى بيت زوجها المتواضع في المدينه بعد أن أرسى أبوها دعائم دولته المباركه، و شاركته في جهاده صابره على قساوه الحياه و مصاعب الجهاد في سبيل الله، و هي تحاول أن تقدّم صوره الحياه العائليه الفريده، و لعبت الزهراء دوراً بارزاً و شاقاً في نصره الحقّ و الدفاع عن وصيّته الرسول (صلّى الله عليه و اله) حينما وقفت موقفاً لا-مثيل له إلى جانب عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) في أخرج أيام حياته مؤكّده أنّ الجبهه الداخليه في حياه عليّ صامده لا تشعر بالضعف، و لكنها تترك تقدير الظروف و انتخاب الموقف لقائدها و زوجها الإمام، يقرّر و يصمّم و يأمر فيطاع.

لقد كانت الزهراء تأتي قبور الشهداء كلّ غداه سبت و تترحم عليهم و تستغفر لهم، و هذه البدايه لأعمال الاسبوع تفصح عن مدى تقدير فاطمه للجهاد و للشهاده، و تعبّر بوضوح عن حياتها العمليه التي تبدأ بالجهاد و تستند على الجهاد و التضحيه إلى درجه الاستشهاد (٢).

ص: ٤٥

١- (١) سيره المصطفى: ٢٠٥، و راجع تاريخ الطبري: ٤٢٦/١ (طبع دار الفكر-بيروت).

٢- (٢) من مقدمه (فاطمه الزهراء و ترفي غمد)، للسّيد موسى الصدر.

الباب الثاني

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

نشأه الزهراء فاطمه (عليها السلام)

الفصل الثاني:

مراحل حياه فاطمه الزهراء (عليها السلام)

الفصل الثالث:

الزهراء (عليها السلام) مع أبيها رسول الله (صلى الله عليه و اله)

ص: ٤٧

إشاره

نشأه الزهراء فاطمه (عليها السلام)

١- شخصيه السيده خديجه «أم فاطمه» (عليهما السلام):

إشاره

ولدت السيده خديجه بنت خويلد زوجة النبي الاولي من أبوين قرشيين كلاهما من أعرق الاسر في الجزيره العربيه، و قد اجتمع لها بالاضافه إلى هذا النسب الرفيع، الذكر الطيب و الخلق الكريم و الصفات الفاضله، و بلغ من علو شأنها أنها كانت قبل أن تتزوج بالنبي (صلى الله عليه و اله) تعرف بالطاهره و بسيده نساء قريش، و هي مع ذلك من أثرياء قريش و أوسعهم جاها و مفظوره على التدين بعاملى الوراثة و التريه، فأبوها خويلد هو الذى نازع (تبعاً الآخر) ملك اليمن حين أراد أن يحمل الحجر الأسود معه إلى اليمن، فتصدى له و لم ترهبه قوته و كثره أنصاره حرصاً منه على هذا النسك من مناسك دينه (١).

و أسد بن عبد العزى -جد السيده خديجه- كان من المبرزين فى حلف الفضول الذى تداعت له قبائل من قريش، فتعاقدوا و تعاهدوا على أن لا يجدوا بمكه مظلوماً من أهلها أو غيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلاّ قاموا معه و كانوا على من ظلمه حتى ترد مظلمته، و قد قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «لقد

ص: ٤٩

١- (١) سيره الأئمه الإثنى عشر، للسيده هاشم معروف الحسنى: ٤٢/١.

شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو ادعى به في الإسلام لأجبت» (١).

و ابن عمها ورقه بن نوفل كان يعكف على دراسته كتب النصارى و اليهود، و يعمل بما يستحسنه منهما، لأنه كان يعاشر النصارى و اليهود، و لا لأن مكة كانت مقرا لهما، بل لأنه كان يسخر من عباده الأصنام و التماثيل و يبحث عن دين يطمئن اليه (٢).

إذن كانت السيدة خديجه من اسره عريقه معروفه بالعلم و الديانه، و كان ذووها على الحنيفيه دين إبراهيم (عليه السلام)، و ممن ينتظرون ظهور دين الحق في بلاد الجزيره العربيه (٣).

نشاطها التجارى:

خطب أشراف قريش السيده خديجه و قدّموا لها العروض المغريه فلم تستجب لأحد منهم ٤، و ظلّت تعيش بعيدة عن الرجال و مشاكلهم طيبه النفس مرتاحه الضمير، لأن أكثر الخاطين كانوا يضعون في حساباتهم ثروتها الواسعه حتى بلغت الأربعين من عمرها.

كانت في يدى السيده خديجه أموال طائله، و لكنّها لم تترك هذه

ص: ٥٠

١- ((١)) سيره ابن هشام: ١/١٣٤ ط دار المعرفه-بيروت.

٢- ((٢)) سيره الأئمه الاثنى عشر: ١/٤٢.

٣- ((٣ و ٤)) و من هنا يظهر أنّها لم تتزوج أحدا قبل الرسول (صلّى الله عليه و اله) فضلا عن أن تكون قد تزوجت بزوجين مشركين و فاقدين لأى مكانه بين الناس، و يؤيد ذلك ما جاء به البلاذرى في أنساب الاشراف و أبو القاسم الكوفى في الاستغاثه و غيرهما. راجع الصحيح من السيره للعاملى و كامل بهائى لعماد الدين طبرى و مناقب ابن شهر آشوب. و عن ابن عباس أنّ عمرها حين الاقتران بالرسول (صلّى الله عليه و اله) كان ٢٨ عاما. راجع شذرات الذهب: ١/١٤، و أنساب الأشراف: ١/٩٨.

الأموال راكده و لم تراب بها فى زمان كان الربا رائجا، وإنما استثمرت هذه الأموال فى التجاره و استخدمت رجالا صالحين لهذا الغرض، و استطاعت أن تكسب عن طريق التجاره ثروه ضخمة.

و يروى المحدثون أن السيده خديجه كانت ترسل فى تجارتها إلى الشام جماعه بأجر معين، و قبيل زواجها بالنبى أرسلت اليه ليذهب فى تجارتها و بذلت له ضعفى ما كانت تبذله لغيره لأنه كان حديث الناس رجالا و نساء فى أمانته و صدقه و استقامته، فوافق على طلبها بعد أن استشار عمه أبا طالب، و أرسلت معه غلامها ميسره لخدمه القافله و رعايتها، و كانت الرحله ناجحه و موفقه بشكل لم توفق له رحله قبلها، و أسرع ميسره قبل دخول القافله مشارف مكه ليخبر خديجه بما جرى و ما حدث لمحمد (صلى الله عليه و اله) فى طريقه مع بحيرا الراهب و غيره.

و من نبوغ و حدّه ذكاء السيده خديجه و نظرتها البعيده أنها أدركت عظمه شخصيه الرسول الأكرم (صلى الله عليه و اله) و سمو أخلاقه قبل تكليفه برساله السماء، فاختارته زوجها لها من دون الرجال و الشخصيات المرموقه الذين تقدّموا لخطبتها، بل إنها هى التى تقدّمت و عرضت نفسها و رغبت فى الاقتران به، على رغم البون الشاسع بين حياتها الماديه و حياته البسيطة.

و جاء فى تاريخ اليعقوبى عن عمار بن ياسر أنه قال: أنا أعلم الناس بزواج خديجه بنت خويلد من رسول الله (صلى الله عليه و اله)، لقد كنت صديقا له و إنا لنمشى يوما بين الصفا و المروه و إذا بخديجه و اختها هاله معها، فلما رأّت رسول الله (صلى الله عليه و اله) جاءتنى اختها هاله و قالت: يا عمار! ما لصاحبك رغبه فى خديجه؟ فقلت لها: و الله لا أدرى، فرجعت اليه و ذكرت ذلك له، فقال لى:

إرجع فواضعها وعدّها يوما نأيتها فيه، فلما كان ذلك اليوم أرسلت إلى عمّها

عمرو بن أسد و دهنت لحيته و ألقّت عليه حبرا، ثم حضر رسول الله (صلى الله عليه و اله) في نفر من أعمامه يتقدّمهم أبو طالب، فخطب في الحاضرين، و تمّ الزواج بينهما.

و أضاف عمّار: أنها لم تستأجره في تجارتها و لم يكن أجيرا لأحد أبدا (١).

٢- زواج النبي (صلى الله عليه و اله) بخديجه:

إشاره

ولد محمّد (صلى الله عليه و اله) في بيت من أرفع بيوت العرب شأنا و أعلاها مجدا و أكثرها عزّه و منعه، فنامى و ترعرع و شبّ، و شبّت معه آمال الحياه كلّها، و قد شاء الله أن يرّبي محمّدا (صلى الله عليه و اله) و يعدّه و يؤهّله لحمل الرساله و الاضطلاع بتبليغ الأمانه، فأحاطه برعايه خاصّه رسمت حياته وفق قدر ربّاني متناسب مع ما ينتظره من عظم المسؤوليه في حمل آخر رساله عالميه إلهيه.

و حين بلغ محمّد (صلى الله عليه و اله) سن الخامسة و العشرين من عمره الشريف كان لا بدّ له من الاقتران بامرأه تناسب إنسانيته و تتجاوب مع عظيم أهدافه و ترتفع إلى مستوى حياته بما ينتظرها من جهاد و بذل و صبر، لقد كان بإمكان محمّد (صلى الله عليه و اله) و هو بهذه المؤهلات الراقيه أن يتزوج من أيه فتاه أرادها من بنى هاشم، و لكن مشيئه الله شاءت أن يتّجه قلب خديجه نحوه صلوات الله عليه، و يتعلّق قلبها بشخصه الكريم فيقبل (صلى الله عليه و اله) ذلك الطلب و يقترن بخديجه.

لقد أعطت خديجه زوجها حبا و هي لا تشعر بأنّها تعطى، بل تأخذ

ص: ٥٢

١- (١) أورد حديث زواجه منها على هذا النحو ابن كثير في تأريخه البدايه و النهايه: ٣٦١/٢ بعد أن أورد الصورة الاولى الشائعه بين المحدثين.

منه حباً فيه كل السعادة، وأعطته ثروته وهي لا تشعر بأنها تعطى، بل تأخذ منه هداية تفوق كنوز الأرض، وهو بدوره أعطاها حباً وتقديراً رفعاها إلى أعلى مرتبه وهو لا يشعر بأنه قد أعطاها، بل قال: ما قام الإسلام إلا بسيف عليّ و مال خديجه، ولم يتزوج غيرها حتى توفيت وهو لا يشعر بأنه أعطاها.

وقصه زواج خديجه من رسول الله (صلى الله عليه و اله) تعدّ منعظفا مهما و من النقاط اللامعه فى حياتها، فقد كانت لها روح الاستقلال و الاعتماد على النفس و الحرية بشكل واضح، و كانت تمارس التجاره كأفضل الرجال عقلا و رشدا، و رفضت الزواج من الأشراف و الأثرياء الذين تقدّموا اليها، و رضيت باندفاع للزواج من محمد (صلى الله عليه و اله) الفقير اليتيم، بل تقدّمت بشوق لتقترح على محمد (صلى الله عليه و اله) الزواج منها، و أن يكون المهر من أموالها، فلمّا أراد الرسول (صلى الله عليه و اله) أن يتزوج خديجه بنت خويلد أقبل أبو طالب فى أهل بيته و معه نفر من قريش حتى دخل على عمّ خديجه، فابتدأ أبو طالب بالكلام قائلا:

«الحمد لربّ هذا البيت الذى جعلنا زرع إبراهيم و ذريه اسماعيل، و أنزلنا حرما أمنا و جعلنا الحكام على الناس، و بارك لنا فى بلدنا الذى نحن فيه، ثم إنّ ابن أخى -يعنى محمدا (صلى الله عليه و اله)- ممن لا يوزن برجل من قريش إلا رجح به، و لا يقاس به رجل إلا عظم عنه، و لا عدل له فى الخلق و إن كان مقلا فى المال فإنّ المال رفق جار و ظل زائل، و له فى خديجه رغبه، و قد جئناك لنخطبها إليك برضاها و أمرها، و المهر علىّ فى مالى الذى سألتموه عاجله و آجله، و له و ربّ هذا البيت حظّ عظيم و دين شائع و رأى كامل».

ثم سكت أبو طالب، فتكلّم عمّها و تلجلج و قصر عن جواب أبى

طالب و أدركه القطع و البهر و كان رجلا عالما، فتداركت خديجه الموقف و زوّجت نفسها من محمّد (صلى الله عليه و اله) (١).

و يروى أنّ خديجه و كّلت ابن عمّها ورقه فى أمرها، فلمّا عاد ورقه إلى منزل خديجه بالبشرى و هو فرح مسرور نظرت إليه فقالت: مرحبا و أهلا بك يا ابن عمّ، لعلك قضيت الحاجه، قال: نعم يا خديجه يهنئك، و قد رجعت أحكامك إليّ و أنا و كيلك، و فى غداه غد ازوجك إن شاء الله تعالى بمحمّد (صلى الله عليه و اله) (٢).

و لمّا خطب أبو طالب (عليه السلام) الخطبه المعروفه و عقد النكاح قام محمّد (صلى الله عليه و اله) ليذهب مع أبى طالب، فقالت خديجه: إلى بيتك، فبيتى بيتك و أنا جاريتك (٣).

و بعد أن تمّ الزواج المبارك انتقل رسول الله (صلى الله عليه و اله) إلى دار خديجه، تلك الدار التى ظلّت معلما شاخصا و لسانا ناطقا يحكى أحداث الدعوه و الجهاد و صبر رسول الله (صلى الله عليه و اله) و معاناته.

مكانه خديجه (رضى الله عنها) لدى النبى (صلى الله عليه و اله):

اجتمع شمل محمّد (صلى الله عليه و اله) و خديجه و تأسست الأسره و بنى البيت الذى يغمره الحبّ و السعاده و الحنان و الدفء العائلى و الانسجام، فقد كانت أول من آمن بدعوه الرسول الأكرم (صلى الله عليه و اله) من النساء، و بذلت كلّ ما بوسعها من أجل أهدافه المقدسه، و جعلت ثروتها بين يدي الرسول (صلى الله عليه و اله) و قالت:

ص: ٥٤

١- (١) بحار الأنوار: ١٤/١٦، و راجع تذكره الخواص: ٣٠٢.

٢- (٢) بحار الأنوار: ٦٥/١٦.

٣- (٣) بحار الأنوار: ٤/١٦.

جميع ما أملك بين يديك و في حكمك، اصرفه كيف تشاء في سبيل إعلاء كلمه الله و نشر دينه.

و تحملت مع رسول الله (صلى الله عليه و اله) عذاب قريش و مقاطعتها و حصارها، و كان هذا الإخلاص الفريد و الايمان الصادق و الحب المخلص من خديجه حريًا أن يقابله رسول الله (صلى الله عليه و اله) بما يستحق من الحب و الإخلاص و التكريم، و بلغ من حبه لها و عظيم مكانتها في نفسه الطاهره أن هذا الحب و الوفاء لم يفارق رسول الله (صلى الله عليه و اله) حتى بعد موتها، و لم تستطع أى من زوجاته أن تحتل مكانها في نفسه، حتى قال الرسول (صلى الله عليه و اله): و خير نساء امتي خديجه بنت خويلد... (١).

و عن عائشه أنها قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه و اله) إذا ذكر خديجه لم يسأم من الثناء عليها و الاستغفار لها، فذكرها ذات يوم فحملتني الغيره فقلت:

و هل كانت إلا عجوزا قد أخلف الله لك خيرا منها؟ قالت: فغضب حتى اهتز مقدم شعره و قال: «و الله ما أخلف لى خيرا منها، لقد آمنت بى إذ كفر الناس، و صدقتنى إذ كذبنى الناس و أنفقتنى ما لها إذ حرمنى الناس، و رزقنى الله أولادها إذ حرمنى أولاد النساء». قالت: فقلت فى نفسى: و الله لا أذكرها بسوء أبدا (٢).

و فى روايه: أن جبرئيل (عليه السلام) أتى رسول الله (صلى الله عليه و اله) و قال: «يا محمد! هذه خديجه قد أتتك فاقراها السلام من ربها، و بشرها بيت فى الجنة من قصب، لا صخب فيه و لا نصب» (٣).

و كان (صلى الله عليه و اله) يحترم صديقاتها إكراما و تقديرا لها، كما جاء عن أنس أن النبى (صلى الله عليه و اله) كان إذا اتى بهديه قال: «إذهبوا إلى بيت فلانه فإنها كانت صديقه

ص: ٥٥

١- (١) تذكره الخواص: ٣٠٢ (طبعه النجف)، و راجع مسند الإمام أحمد: ١/١٤٣.

٢- (٢) تذكره الخواص: ٣٠٣.

٣- (٣) المصدر السابق: ٣٠٢.

لخديجه، إنَّها كانت تحبُّها» (١).

و روى عنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أَنَّهُ كَانَ إِذَا ذَبَحَ الشَّاهَ يَقُولُ: «أَرْسَلُوا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ»، فَتَسْأَلُهُ عَائِشَةُ فِي ذَلِكَ فَيَقُولُ: «إِنِّي لَأَحِبُّ حَبِيبَهَا».

و روى أَنَّ امْرَأَهُ جَاءَتْهُ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَهُوَ فِي حَجْرِهِ عَائِشَةَ فَاسْتَقْبَلَهَا وَاحْتَفَى بِهَا، وَأَسْرَعَ فِي قَضَاءِ حَاجَتِهَا، فَتَعَجَّبَتْ عَائِشَةُ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَتْ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): «إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا فِي حَيَاةِ خَدِيجَةَ».

إِنَّ خَدِيجَةَ لَتَسْتَحِقُّ كُلَّ هَذَا التَّقْدِيرِ وَالاِحْتِرَامِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بَعْدَ أَنْ بَلَغَتْ الْمَقَامَ السَّامِيَ وَالدَّرَجَةَ الْعَالِيَةَ عِنْدَ اللَّهِ حَتَّى جَاهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ بِالدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ فِي الْجَنَّةِ، وَقَدْ أَوْضَحَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) مَكَانَتَهَا فِي الْجَنَّةِ بِقَوْلِهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): «أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مَزَاحِمَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ» (٢).

وَكَانَتْ خَدِيجَةُ تَوَازَرُهُ عَلَى أَمْرِهِ فِي تَبْلِيغِ الدَّعْوَةِ، فَخَفَّفَ اللَّهُ عَنْ رَسُولِهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بِمُؤَازَرَتِهَا، فَكَانَتْ تَسْرَهُ وَتَرْوِّحُ عَنْهُ عِنْدَ مَا كَانَ يَجِدُ قَسْوَهُ وَغَلْظَهُ أَوْ مَا يَكْرَهُ مِنْ رَدِّ وَتَكْذِيبِ مَنْ قَرِيشٍ فَيَحْزَنُ فَإِذَا رَجَعَ إِلَى دَارِهِ هَوَّنَتْ عَلَيْهِ مَعَانَاتِهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَبَثَّتْ فِيهِ النِّشَاطَ كَيْ لَا يَشْعُرَ بِالتَّعَبِ، وَكَانَ الرَّسُولُ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يَسْكُنُ إِلَيْهَا وَيَشَاوِرُهَا فِي الْمَهْمِ مِنْ أُمُورِهِ (٣).

٣- الأَمْرُ الإِلَهِيُّ فِي خَلْقِ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ):

قَدْ هَيَّأَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْبَيْتَهُ الصَّالِحَةَ لِتَكْوِينِ شَخْصِيَةِ الصِّدِّيقَةِ الطَّاهِرَةِ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ)، فَالْأَبُ الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَالْأُمُّ خَدِيجَةُ (عَلَيْهَا السَّلَامُ).

ص: ٥٦

١- ((١)) سفينة البحار: ٥٧٠/٢ (الطبعة المحققة).

٢- ((٢)) ذخائر العقبى، للطبري: ٥٢، ومستدرک الحاكم: ١٦٠/٣ و ١٨٥.

٣- ((٣)) بحار الأنوار: ١٠/١٦-١١.

و الروايات تحدثنا عن مزيد من الاهتمام الرباني و العناية الإلهيه فى مسأله خلق الزهراء و وجودها، و أشار رسول الله (صلى الله عليه و اله) إلى هذه المسأله فى مواطن عديده.

فقد روى أنّ النبى (صلى الله عليه و اله) بينما كان جالسا بالأبطح إذ هبط عليه جبرئيل (عليه السلام) فناداه: «يا محمد! العلى الأعلى يقرئك السلام، و هو يأمرك أن تعتزل خديجه أربعين صباحا» فبعث إلى خديجه بعمار بن ياسر و أخبرها بالأمر الإلهى، و أقام النبى (صلى الله عليه و اله) أربعين يوما يصوم نهارا و يقوم ليلا، فلما كان تمام الأربعين هبط جبرئيل (عليه السلام) فقال: «يا محمد! العلى الأعلى يقرئك السلام، و هو يأمرك أن تتأهب لتحيته و تحفته». فبينما النبى (صلى الله عليه و اله) كذلك إذ هبط ميكائيل و معه طبق مغطى بمنديل سندس، فوضعه بين يدى النبى (صلى الله عليه و اله) و أقبل جبرئيل (عليه السلام) و قال: «يا محمد! يأمرك ربك أن تجعل الليله إفطارك على هذا الطعام».

فأكل النبى (صلى الله عليه و اله) شربا و شرب من الماء ربا، ثم قام ليصلى فأقبل عليه جبرئيل و قال: «الصلاه محرمة (1) عليك فى وقتك حتى تأتى منزل خديجه، فإن الله عزّ و جلّ -آلى على نفسه أن يخلق من صلبك فى هذه الليله ذريه طيبه». فوثب رسول الله (صلى الله عليه و اله) إلى منزل خديجه رضى الله عنها.

قالت خديجه رضى الله عنها: و كنت قد ألفت الوحده، فكان إذا جئنى الليل غطيت رأسى، و أسجفت ستري و غلقت بابى، و صليت و ردى، و أطفأت مصباحى، و آويت إلى فراشى، فلما كان تلك الليله لم أكن بالنائمه و لا بالمنتبهه، إذ جاء النبى فقرع الباب فناديت: «من هذا الذى يقرع حلقه لا يقرعها إلا محمد (صلى الله عليه و اله)؟». قالت خديجه: فنادى رسول الله (صلى الله عليه و اله) بعذوبه

ص: ٥٧

١- (١) قد يكون المراد هو الصلاه النافله.

كلامه و حلاوه منطقه: «افتحى يا خديجه، فأنى محمّد» و فتحت الباب و دخل النبى المنزل، فلا و الذى سمك السماء و أنبع الماء ما تباعد عنى النبى (صلى الله عليه و اله) حتى أحسست بثقل فاطمه فى بطنى (١).

٤- انس خديجه بفاطمه (عليهما السلام):

لمّا تزوّجت خديجه بنت خويلد رسول الله (صلى الله عليه و اله) هجرها نسوه مكه و كنّ لا- يكلمنها و لا- يدخلن عليها، فلمّا حملت بالزهراء فاطمه (عليها السلام) كانت إذا خرج رسول الله (صلى الله عليه و اله) من منزلها تكلمها فاطمه الزهراء فى بطنها من ظلمه الأحشاء، و تحدّثها و تؤانسها، فدخل يوما رسول الله (صلى الله عليه و اله) و سمع خديجه تحدّث فاطمه فقال لها: «يا خديجه! من تكلمين؟ قالت: يا رسول الله إنّ الجنين الذى أنا حامل به إذا أنا خلوت به فى منزلى كلمنى و حدّثنى من ظلمه الأحشاء، فتبسّم رسول الله (صلى الله عليه و اله) ثم قال: «يا خديجه! هذا أخى جبرئيل (عليه السلام) يخبرنى أنها ابنتى، و أنها النسمة الطاهره المطهره، و أنّ الله تعالى أمرنى أن اسميها «فاطمه» و سيجعل الله تعالى من ذريتها أئمه يهتدى بهم المؤمنون» (٢).

و روى أنّه لمّا سأل الكفار رسول الله (صلى الله عليه و اله) أنّه يريهم انشقاق القمر -و قد بان لخديجه حملها بفاطمه و ظهر- قالت خديجه: و اخييه من كذب محمّدا و هو خير رسول و نبى فنادت فاطمه من بطنها: يا امّاه! لا تحزنى و لا ترهبى فإنّ الله مع أبى (٣).

ص: ٥٨

- ١- (١) بحار الأنوار: ٧٩/١٦-٨٠، و روى هذا المضمون. الذهبى فى ميزان الاعتدال: ٣/٥٤٠، و الخطيب البغدادي فى تاريخه: ٨٧/٥، و محب الدين الطبرى فى ذخائر العقبى: ٥٤-٥٥.
- ٢- (٢) عن الثاقب فى المناقب (للطوسى): ١٨٧. راجع مسند فاطمه (عليها السلام) للتويسر كانى: ٧٥.
- ٣- (٣) عن الروض الفائق: ٣١٤، و المجنّه العاصمه: ١٩٠، راجع مسند فاطمه (عليها السلام): ٧٧.

إنّ خديجه التي وقفت مع رسول الله في أيام محنته الاولى و تعرّضت لهجران النساء عوّضها الله على صبرها و بذلها الغالى و النفيس من أجل نشر الدعوه الإسلاميه عوّضها بالبشرى بحملها بهذه البنت التي سيكون لها و لذريتها شأن عظيم.

٥- فاطمه الوليده:

انقضت أيام الحمل و اقترب موعد الولاده و لم تزل خديجه تأنس بجنينها و تعيش الأمل على الفرحه بالولاده، فلما حضرته الولاده أرسلت إلى نساء قريش و نساء بنى هاشم أن يجئن و يلين منها ما تلى النساء من النساء فى مثل هذا الظرف، فأرسلن اليها: عصيتنا و لم تقبلى قولنا، و تزوّجت محمدا يتيم أبى طالب، فقيرا لا مال له، فلسنا نجىء و لا نلى من أمرك شيئا، فاغتمت خديجه لذلك، فبينما هى كذلك إذ دخل عليها أربع نسوه طوال كأنهن من نساء بنى هاشم، ففزعت منهنّ، فقالت إحداهن: لا تحزنى يا خديجه، فإننا رسل ربك إليك، و نحن أخواتك، أنا ساره و هذه آسيه بنت مزاحم و هى رفيقتك فى الجنه، و هذه مريم بنت عمران و هذه كلثم اخت موسى بن عمران، بعثنا الله تعالى اليك لنلى من أمرك ما تلى النساء من النساء فجلست واحده عن يمينها و الاخرى عن يسارها و الثالثه من بين يديها و الرابعه من خلفها، فوضعت فاطمه (عليها السلام) طاهره مطهره، فلما سقطت إلى الارض أشرق منها نور حتى دخل بيوتات مكه، فتناولتها المرأه التى بين يديها فغسلتها بماء الكوثر و أخرجت خرقتين بيضاوين فلفتها بواحد و قنعتها بالثانيه، ثم استنطقتها فنطقت فاطمه (عليها السلام) بالشهادتين ثم سلّمت عليهنّ و سمّت كلّ واحده منهن باسمها، و أقبلن يضحكن إليها،

و قالت النسوة: خذيها يا خديجه طاهره مطهره زكيه ميمونه، بورك فيها و فى نسلها، فتناولتها فرحه مستبشره، و ألقمتها ثديها فدرّ عليها (١).

و كانت خديجه إذا ولدت ولدا دفعت له لمن يرضعه، فلما ولدت فاطمه (عليها السلام) لم يرضعها أحد غير خديجه (٢).

٦- تاريخ الولادة:

اختلف المؤرخون فى تاريخ ولادتها (عليها السلام) إلا أنّ المشهور بين مؤرّخى الإماميه أنّه فى يوم الجمعة فى العشرين من شهر جمادى الآخرة فى السنه الخامسه من البعثه، بينما قال غيرهم: إنّها ولدت قبل البعثه بخمس سنين (٣).

روى أبو بصير عن أبى عبد الله جعفر بن محمّد (عليهما السلام) قال: «ولدت فاطمه فى جمادى الآخرة يوم العشرين سنه خمس و أربعين من مولد النبىّ (صلّى الله عليه و اله)، فأقامت بمكّه ثمان سنين و بالمدينه عشر سنين، و بعد وفاه أبيها خمس و سبعين يوما، و قبضت فى جمادى الآخرة يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه سنه إحدى عشره من الهجره» (٤).

و من أسمائها: الصديقه هى الكثيره التصديق، و قد كانت سلام الله

ص: ٦٠

١- (١) دلائل الإمامه: ٨ و ٩، نزهه المجالس: ٢٢٧/٢، بحار الأنوار: ٨٠/١٦-٨١، أمالى الصدوق: ٤٧٥.

٢- (٢) عوالم العلوم: ٤٦/١١ عن البدايه و النهايه: ٣٠٧/٥ (طبع مصر).

٣- (٣) تذكره الخواص (لعبد الرحمن بن الجوزى): ٣٠٦، محمد بن يوسف الحنفى فى نظم درر السمطين: ١٧٥، الطبرى فى ذخائر العقبي: ٦٢، مقاتل الطالبين (لأبى الفرج الإصفهاني): ٣٠، و من مصادر الإماميه: ابن شهر آشوب: ٣/٣٥٧، الكلىنى فى أصول الكافى: ١/٤٥٨، بحار الأنوار: ٦/٤٣-٩.

٤- (٤) دلائل الإمامه: ١٠.

عليها مصدّقه لأبيها صادقه في أقوالها صدوقه في أفعالها في وفائها، فهي الصديقه الكبرى، و على معرفتها دارت القرون كما ورد عن حفيدها الصادق (عليه السلام) (١).

و المباركه باعتبار الخير الكثير الذى يأتى من قبلها، و قد وصفها القرآن الكريم بالكوثر باعتبار أنّ النبي (صلى الله عليه و اله) قد انقطع نسله إلاّ منها، فهي أمّ الأئمة الأطهار و أمّ الذريّه الطاهره لرسول الله (صلى الله عليه و اله)، و كثره الذريّه - التى دافعت عن رساله محمّد (صلى الله عليه و اله) و تحمّلت أعباء الوقوف أمام الظالمين و المنحرفين عنها - هي الخير الكثير أو أهمّ مصاديقه التى أعطاهها الله لرسوله كما نصّ عليه في سوره الكوثر.

و عن ابن عباس أنّ الرسول (صلى الله عليه و اله) قال: «ابنتى فاطمه حوراء آدميه، لم تحض و لم تطمّث، و إنّما سمّاها فاطمه لأنّ الله فطمها و محبها عن النار» (٢).

و عنه (صلى الله عليه و اله): «أن فاطمه حوراء إنسيّه، كلّما اشتقت إلى الجنّه قبلتها» (٣).

و قالت أمّ أنس بن مالك: كانت فاطمه كالقمر ليله البدر أو الشمس كفر غماما إذا خرج من السحاب، بيضاء مشربه حمره، لها شعر أسود، من أشدّ الناس برسول الله (صلى الله عليه و اله) شبيها (٤).

و لقيت بالطاهره لطهارتها من كلّ دنس و كلّ رقت، و أنّها ما رأّت قطّ يوما حمره و لا نفاسا (٥) كما جاء عن الإمام الباقر (عليه السلام)، و قد شهد القرآن الكريم بطهارتها من الدنس في آيه التطهير.

ص: ٦١

١- (١) بحار الأنوار: ١٠٥/٤٣، و راجع المناقب: ٢٣٣/٣.

٢- (٢) تاريخ بغداد: ٣٣١/١٢ الحديث ٦٧٧٢ و كنز العمال: ١٠٩/١٢.

٣- (٣) تاريخ الخطيب البغدادي: ٨٧/٥ و الغدير: ١٨/٣.

٤- (٤) مستدرک الحاكم: ١٦١/٣.

٥- (٥) بحار الأنوار: ١٩/٤٣.

و كانت سلام الله عليها راضيه بما قدّر لها من مراره الدنيا و مشاقّها و مصائبها و ثوابها، مرضيه عند ربها كما أخبر بذلك القرآن الكريم عنها في سورة الدهر، إذ ارتضى ربّها سعيها و آمنها من الفزع الأكبر، و هي ممّن رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ (١) و خشى ربّه دون شك كما نلاحظ ذلك في سيرتها.

و المحدّثه هي التي تحدّثها الملائكه، كما حدّثت الملائكه مريم ابنه عمران و امّ موسى و ساره امرأه ابراهيم إذ بشرتها باسحاق و من وراء اسحاق يعقوب.

و كُنّاها رسول الله (صلى الله عليه و اله) بامّ أبيها تعظيما لشأنها، إذ لم يكن أحد يوازيها في محبّته لها و رفعه مكانتها لديه، و كان يعاملها معاملة الولد لامّه كما كانت تعامله معاملة الام لولدها، إذ كانت تحتضنه و تضمّد جروحه و تخفّف من آلامه.

كما كنيّت بامّ الأئمّه، إذ أخبر الرسول (صلى الله عليه و اله) أنّ الأئمّه من ولدها و أنّ المهديّ من نسلها (٢).

ص: ٦٢

١- (١) سورة المائده (٥): ١١٩.

٢- (٢) ينابيع المودّه: ٨٣/٢، و منتخب الأثر: ١٩٢، و كنز العمال: ١٠٥/١٢.

مراحل حياه الزهراء (عليها السلام)

لقد عاشت الزهراء فاطمه (عليها السلام) في ظلّ رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و أمّها خديجه (عليها السلام) ثمّ انفردت بأبيها حتّى هجرته (صلّى الله عليه و اله) الى يثرب إذ كان يرعاها و ترعاه بحنان الامومه، ثم اقتربت بابن عمّها علي بن أبي طالب (عليه السلام) فأصبحت تستظلّ بظلال أبيها محمد (صلّى الله عليه و اله) و في كنف دوله الإسلام الفتيه، تسعى جاهده لأداء مهامّها الرساليه و العائليه جنباً إلى جنب، حتى غربت شمس النبوه العظمى بوفاه الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و اله)، و حدثت الطامه الكبرى في إفلات زمام الزعامه السياسيه للدوله الإسلاميه الفتيه من يد الإمام علي ابن أبي طالب (عليه السلام)، فكانت العضد الوحيد للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) المسؤول عن معالجه الموقف الحرج معالجه رساليه بعيده عن التحيز القبلي أو العاطفي.

لقد عاشت الزهراء (عليها السلام) في كنف زوجها الإمام علي (عليه السلام) بعد أبيها (صلّى الله عليه و اله) فتره قصيره جدا و تجرّعت من الغصص و المحن ما لم يعلم مدى مرارتها إلاّ الله سبحانه و تعالى باري النفوس و علام الغيوب.

و من هنا ارتأينا أن نقسّم دراستنا هذه لمراحل حياتها كما يلي:

المرحلة الاولى:مرحلة الطفولة فى ظل أبيها(صلى الله عليه و اله) و أمها(عليها السلام).

المرحلة الثانية:حياتها بعد وفاه خديجه(عليها السلام)مع أبيها(صلى الله عليه و اله)حتى زواجها.

المرحلة الثالثة:حياتها منذ زواجها مع عليّ(عليه السلام)حتى وفاه الرسول(صلى الله عليه و اله).

المرحلة الرابعة:حياتها بعد وفاه أبيها حتى مرضها.

المرحلة الخامسة:حياتها فى فتره مرضها حتى استشهادها(عليها السلام).

و سوف تتابع دراسه المراحل الثلاث الاولى فى الفصل الثالث من هذا الباب.

و نخصّص الفصل الأول من الباب الثالث لدراسه المرحلة الرابعه من حياتها(عليها السلام).

بينما نخصّص الفصل الثانى منه لدراسه المرحلة الخامسه من حياتها سلام الله عليها.

اشاره

الزهراء (عليها السلام) مع أبيها رسول الله (صلى الله عليه و اله)

فاطمه (عليها السلام) في مرحلة الطفوله

اشاره

حين نطالع الفتره التي ولدت فيها الزهراء (عليها السلام) نجد أن مجتمع الجزيره-آنداك-عاش أحداثا خطيره و صراعات و أوضاعا متأزمه، فالدعوه الجديده التي جاء بها النبي الأكرم جعلت المجتمع على مفترق طرق.

و من الناحيه الاقتصاديه كان فقيرا بحكم طبيعته، إلا من حركه اقتصاديه ضعيفه كانت تقتصر على التجاره المحدوده مع بلاد اليمن و الشام.

و من الناحيه الاجتماعيه فقد كانت تسوده الديانه الكافره و التقاليد الباليه و العنصريه القبليه، و تطغى عليه الحروب و الغارات التي تشنها قبيله على اخرى لأسباب قد لا تكون معقوله أبدا، و كانت ظاهره و أد البنات من أقسى ظواهره المتخلفه.

في هذه الفتره بعث النبي (صلى الله عليه و اله)-و عمره أربعون عاما-فانطلق لوحده ليقف بوجه الكفر العالمى و عباده الأصنام و الشرك، و يغالب المشاكل و المصاعب الخطيره، فبلغ بالدعوه سزا في أول الأمر حفاظا عليها

من الأعداء، حتى جاء أمر الله بإعلان الدعوه و اقتحام صفوف الباطل، فأعلن الرسول دعوته، و دعا الناس إلى الإسلام، و أخذ عدد المسلمين يزداد يوماً بعد يوم، و أحسّ أعداء الإسلام بالخطر من هذا التيار الجديد فوثبت كل قبيله على من فيها من مستضعفى المسلمين، فجعلوا يحبسونهم و يعدّونهم بألوان العذاب من الضرب و التجويع و الترك على حرّ الرمال و كيهم بالنار فى محاوله منهم لافتتان المسلمين و ردعهم عن دينهم، فلما رأى رسول الله (صلّى الله عليه و اله) ما يصيب أصحابه من البلاء قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشه حتى يجعل الله لكم فرجا و مخرجاً مما أنتم فيه» فاستجاب المسلمون لأمر الرسول (صلّى الله عليه و اله) فخرجوا و تركوا أرضهم و أموالهم، مخافه الفتنة و فراراً إلى الله بدينهم (١).

١- فاطمه (عليها السلام) فى شعب أبى طالب (عليه السلام):

(٢)

لما رأت قريش أنّ أصحاب الرسول (صلّى الله عليه و اله) قاوموهم و تحمّلوا أذاهم، و أنّ الاسلام أخذ يعلو شأنه و ينتشر فى القبائل، و عجزوا عن صدّه؛ ائتمروا بينهم على قتل الرسول (صلّى الله عليه و اله)، فلما أحسّ أبو طالب بذلك انحاز إلى شعبه، و اجتمع اليه بنو هاشم و بنو عبد المطلب ليحموا الرسول (صلّى الله عليه و اله) و كان حمزه عمّ النبى (صلّى الله عليه و اله) يحرسه حتى الصباح، فحاصرتهم قريش حصاراً اقتصادياً شديداً، و كتبوا بينهم كتاباً يتعاقدون فيه على أن لا يبيعوهم و لا يبتاعوا منهم شيئاً، فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتى جهدوا، لا يصل إلى أحدهم شيء إلاّ سراً، و الجوع يشتد بينى هاشم و يتعالى صراخ الأطفال الجياع

ص: ٦٦

١- (١) السيره النبويه لابن هشام القسم الاول: ٣٢١ طبع دار المعرفه-بيروت، و الكامل فى التاريخ: ٧٦/٢.

٢- (٢) الشعب: الوادى.

أحيانا.

فى هذا الظرف العصبىب و القاسى قضت الزهراء (عليها السّلام) شطرا من أيام الرضاعة فى شعب أبى طالب، ثم فطمت من اللبن، و هناك درجت تمشى على رمضاء الشعب، و تعلّمت النطق و هى تسمع أنين الجىاع و صراخ الأطفال المحرومين، و بدأت تأكل فى زمن الحرمان و الفاقه، و إذا ما استيقظت فى هدأه الليل و جدت الحرس يدورون-بحذر و ترقب-حول أبيها يخافون عليه من غدر الأعداء فى حلكه الليل، ثلاث سنين تقريبا و الزهراء (عليها السّلام) فى هذا السجن لا يربطها بالعالم الخارجى أى شىء حتى أدركت سن الخامسة.

٢- وفاه السيده خديجه و عام الحزن:

و تمرّ سنون الحصار صعبه ثقيله، و يخرج رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و من معه من الحصار و المقاطعه، و قد كتب الله تعالى لهم النصر و الغلبه، و تخرج خديجه و قد أنقلتها السنون و أرهقها عناء الحصار و الحرمان، و ها هى قد قضت بالجدّ و الصبر عمرها الجهادى المشرق و حياتها المثاليه الفريده فى دنيا المرأه، لقد قرب أجل خديجه و شاء الله تعالى أن يختارها لجواره، فتتوفى فى ذلك العام الذى خرج فيه بنو هاشم من الحصار و كان العام العاشر من البعثه.

و توفّى فى العام ذاته أبو طالب عمّ الرسول (صلّى الله عليه و اله) و حامى الدعوه الإسلاميه و ناصر الإسلام، و لقد شعر رسول الله بالحزن و الأسى، و أحسّ بالفراق و الوحشه، إنّه فقد الحبيب و العون و المواسى، فقد خديجه زوجته و حبيبتة و عونته، و فقد عمّه الحامى و المدافع عنه، فسّمى ذلك العام ب(عام

ص: ٦٧

الحزن).

و ليس رسول الله (صلى الله عليه و اله) وحده هو الذى رزئ فى ذلك العام، بل و فاطمه الصبيه الصغيره التى لم تشبع من حنان الامومه و عطف الوالده بعد، فقد شاطرته المأساه و رزئت هى الاخرى، فشملتها المحنه فى ذلك العام الحزين، و شعرت بغمامه الحزن و اليتيم تخيم على حياتها الطاهره.

و يحسّ الأب الرسول (صلى الله عليه و اله) بوطأه الحزن على نفس فاطمه (عليها السلام) و يرى دموع الفراق تتسابق على خديها، فيرقّ القلب الرحيم، و تفيض مشاعر الود و الابوه الصادقه، فيحنو رسول الله (صلى الله عليه و اله) على فاطمه، يعوضها من حبه و حنانه ما فقدته فى امها من حبّ و رعايه و حنان.

لقد أحبّ رسول الله (صلى الله عليه و اله) فاطمه و أحبته و حنا عليها و حنت عليه، فلم يكن أحد أحبّ إلى قلبه و لا إنسان أقرب إلى نفسه من فاطمه، لقد أحبها و كان يؤكّد -كلّما وجد ذلك ضروريا- هذه العلاقه بفاطمه، و يوضّح مقامها و مكانتها فى امته، و هو يمهدّ لأمر عظيم و قدر خطير يرتبط بفاطمه، و بالذريّه الطاهره التى أعقبته فاطمه و بالامه الإسلاميه كلّها، كان يؤكّد ذلك ليعرف المسلمون مقام فاطمه و مكانه الأئمه من ذريّتها ليعطوا فاطمه حقّها، و يحفظوا لها مكانتها، و يراعوا الذريّه الطاهره حقّ رعايتها، فها هو رسول الله (صلى الله عليه و اله) يعرّف فاطمه و يؤكّد للمسلمين: «فاطمه بضعه منى فمن أغضبها أغضبني» (١).

و تكبر فاطمه (عليها السلام) و تشبّ و يشبّ معها حبّ أبيها لها، و يزداد حنانه عليها، و تبادلها هى هذا الحب و تملأ قلبه بالعطف و الرعايه فيسميها

ص: ٦٨

١- (١) صحيح البخارى: ٣٦/٥، كنز العمال: ١٢/ح ٣٤٢٢٢. المناقب: ٣/٣٣٢، ذخائر العقبى: ٤٧.

«أم أبيها».

إنه النموذج القدوة من العلاقة الأبويه الطاهره التي تساهم في بناء شخصيه الأبناء و توجه سلوكهم و حياتهم، لقد كانت هذه العلاقة هي المثل الأعلى في رعايه الإسلام للفتاه و العناية بها و تحديد مكانتها.

٣- فاطمه الممتحنه:

و شاء الله سبحانه و تعالى أن تشهد فاطمه فتره صراع الدعوه في مكه، و تشهد محنه أبيها (صلّى الله عليه و اله)، فترى الأذى و الاضطهاد يقع عليه، و تشهد جوّ مكه المعادى لبيت النبوه، بيت الهدى و الإيمان و الفضيله، و تشهد أباهها و الصفوه المؤمنه من دعاه الإسلام و السابقين بالإيمان يخوضون ملحمة البطوله و الجهاد، فيؤثر هذا الجوّ الجهادى في نفسها، و يساهم في تكوين شخصيتها و إعدادها لحياه التحمل و المعاناه، لقد عايشت فاطمه كل ذلك و هي بعد لما تزل صبيته صغيره، لقد عايشت المحنه الأشد مع أبيها، بعد فقد امها، المواسى و الأنيس و الحبيب الذي كان يخفف عنها متاعب الحياه و الآلام و الاضطهاد، و بعد فقد عمّه أبا طالب حامى الدعوه و المدافع عن رسول الله الذي ما تجرأت قريش في حياته أن تؤذيه (صلّى الله عليه و اله) أو تنال منه شيئاً، إلا كان لها بالمرصاد (١)، هذه الحمايه التي عبر عنها رسول الله (صلّى الله عليه و اله) بعد فقدته أبا طالب بقوله: «ما زالت قريش كاعه (٢) عنى حتى مات أبو طالب» (٣).

لقد صبّت قريش حقدها و أذاها على رسول الله (صلّى الله عليه و اله) في تلك الفتره

ص: ٦٩

١- ((١)) البدايه و النهايه: ١٥١/٣، و سيره ابن هشام: ٤١٦/١.

٢- ((٢)) كاعه: ضعيفه و جبانه.

٣- ((٣)) كشف الغمه: ١٦/١، و مستدرک الصحيحين: ٦٢٢/٢ بألفاظ اخرى.

العصبيه من عمر الدعوه، و بكل ما تملك من وسائل الأذى و الاستهزاء و السخرية و محاولات الانتقاص من مكانه محمد (صلى الله عليه و اله) و شخصيته.

لقد تحمّل رسول الله (صلى الله عليه و اله) من أجل دعوته و فى سبيل مبادئه و رسالته ما لم يتحمّله أحد من الأنبياء، فقد بلغ الأمر بأحد سفهاء قريش أن يغترف غرفه من تراب الأرض و يقذفها فى وجه رسول الله (صلى الله عليه و اله) و على رأسه، فيتحمّل رسول الله (صلى الله عليه و اله) هذا الأذى و يعود إلى بيته صابراً محتسباً و قد لطح التراب وجهه و رأسه، و يعود إلى بيته و فاطمه (عليها السلام) تنظر إليه فترى ما لحق به من أذى قريش و تماديهما فى الصلف و الغرور، فيحزّ الألم فى نفسها و يعظم عليها تجرؤ السفهاء و المغرورين من طغاه الجاهليه و متكبريهما على رسول الله (صلى الله عليه و اله) ثم تقوم لأبيها و تنفض التراب عنه و تأتى بالماء و تغسل رأسه و وجهه الكريم.

و لم يمرّ هذا المشهد المؤلم دون أن يؤثّر فى نفسها (عليها السلام) فيستبدّ بها الحزن و الألم على القائد رسول الله (صلى الله عليه و اله) و الهفتبكي و تتألم لجرأه هؤلاء الجاهلين الطغاه على رجل يريد أن يخرجهم من الظلمات إلى النور و يهديهم سبيل الهدى و الرشاد، و يؤثّر موقف فاطمه فى نفس أبيها (صلى الله عليه و اله) و يشعر بحراره الألم تمسّ قلبها، فيحاول (صلى الله عليه و اله) أن يخفّف عنها و يحثّها على التجلّد و التحمّل، فيمدّ يديه الكريمتين و يضعهما على رأسها فيمسّه برقّه و حنان و هو يقول لها: «لا تبكى يا بنيه فإنّ الله مانع أباك، و ناصره على أعداء دينه و رسالته» (١).

بهذه الكلمات الجهاديه المربّيه يحاول رسول الله (صلى الله عليه و اله) أن يزرع فى

ص: ٧٠

نفس فاطمه (عليها السلام) روحا جهاديه عاليه، و يملأ نفسها و قلبها بالصبر و الثقه بالنصر.

و لم تنته هذه المشاهد المثيره المؤلمه و لم يقف أذى قريش و استخفافها برسول الله (صلى الله عليه و اله) و دعوه الحق و الهدى و التحرير إلى هذا الحد، بل راحت تتماذى فى غيها و تصرّ على عنتها و كبريائها، فقد روى عن عبد الله ابن مسعود أنّه قال: ما رأيت رسول الله (صلى الله عليه و اله) دعا على قريش غير يوم واحد، فإنّه كان يصلّى و رهط من قريش جلوس، و سلى (١) جزور قريب منه، فقالوا: من يأخذ هذا السلى فيلقيه على ظهره، فقام رجل - و هو عقبه بن أبى معيط - و ألقاه على ظهره فلم يزل ساجدا حتى جاءت فاطمه (عليها السلام) فأخذته عن ظهره فقال (صلى الله عليه و اله): «اللهم عليك الملاء من قريش، اللهم عليك بعقبه بن ربيعه، اللهم عليك بشيبه بن ربيعه، اللهم عليك بأبى جهل بن هشام، اللهم عليك بعقبه بن أبى معيط، اللهم عليك بابى بن خلف و اميه بن خلف».

قال عبد الله بن مسعود: فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر جميعا ثم سحبوا إلى القليب (٢) غير أبى بن خلف أو اميه فإنّه كان رجلا ضخما فتقطع (٣).

ص: ٧١

١- (١) السلى: الجلد الرقيق الذى يخرج فيه ولد الماشيه من بطن امه ملفوفا فيه.

٢- (٢) القليب: البئر.

٣- (٣) ذخائر العقبى، للطبرى: ٥٧، و مثله فى البدايه و النهايه لابن كثير: ٣/٣٥٧.

١- هجرتها (عليها السلام) إلى المدينة:

هاجر رسول الله (صلى الله عليه و اله) في السنة الثالثة عشره للبعثة من مكة إلى يثرب «المدينة» حفاظاً على نفسه و إبقاء على دعوته، و أوصى علي بن أبي طالب (عليه السلام) أن يبيت على فراشه ليلة الهجرة ليوهم المشركين و يشغلهم، و أوصاه (صلى الله عليه و اله) بعده و صاياها، منها: أنه إذا وصل مأمنه يرسل إليه من يدعوه بالتوجه إليه مع عائلته من الفواطم و غيرهن، و يردّ جميع الأمانات التي كانت مودعه عنده إلى أهلها و يسدّد الديون التي كانت عليه.

و لما وصل (صلى الله عليه و اله) من مكة إلى يثرب و استقر فيها؛ بعث مع أبي واقد الليثي كتاباً إلى علي (عليه السلام) يأمره بالقدوم عليه مع الفواطم و ردّ الإمانات إلى أهلها، فقام أمير المؤمنين (عليه السلام) من ساعته و اشترى الرواحل اللازمة و أعدّ متطلبات السفر و الهجرة من مكة، و أمر من كان معه من ضعفاء المؤمنين أن يتسللوا و يتخفّوا إذا ملأ الليل بطن كلّ واد إلى ذي طوى.

فلما أدى الأمانات قام على الكعبة فنادى بصوت رفيع: يا أيها الناس! هل من صاحب أمانه؟ هل من صاحب وصيه؟ هل من عدّه له قبل رسول الله؟ فلما لم يأت أحد لحق بالنبي (صلى الله عليه و اله) (١).

خرج علي (عليه السلام) بالفواطم في وضح النهار و هنّ فاطمة الزهراء (عليها السلام)

ص: ٧٢

و فاطمه بنت أسد الهاشميه امه و فاطمه بنت الزبير بن عبد المطلب و فاطمه بنت حمزه بن عبد المطلب-و تبعتهم حاضنه النبي (صلى الله عليه و اله) و خادمته بركه ام أيمن، و ابنها أيمن مولى رسول الله (صلى الله عليه و اله)، و عاد مع الركب مبعوثه (صلى الله عليه و اله) أبو واقد الليثي، فجعل يسوق الرواحل، فأعنف بهم فقال له الإمام علي (عليه السلام):

«إرفق بالنسوه يا أبا واقد، إنهن ضعاف» قال: إنني أخاف أن يدركنا الطلب، فقال علي (عليه السلام): «أربع عليك، فإن رسول الله (صلى الله عليه و اله) قال لي: يا علي لن يصلوا من الآن إليك بأمر تكرهه»، ثم جعل علي (عليه السلام) يسوق بهن سوقا رقيقا و هو يرتجز و يقول:

و ليس إلا الله فارفع ضنكا يكفيك رب الناس ما أهمكا

و سار، فلما شارف «ضجنان» أدركه الطلب سبعة فوارس من شجعان قريش متلثمين و ثامنهم مولى الحارث بن اميه يدعى جناحا، و كان شجاعا مقداما، فأقبل الإمام علي (عليه السلام) على أيمن و أبي واقد و قد تراءى القوم فقال لهما: «أنيخا الأبل و أعقلاها»، و تقدم حتى أنزل النسوه، و دنا القوم فاستقبلهم علي (عليه السلام) منتضيا سيفه، فأقبلوا عليه و قالوا: ظننت أنك ناج بالنسوه، إرجع لا أبا لك قال: «فإن لم أفعل؟» قالوا: لترجعن راغما، أو لترجعن بأكثرك شعرا- أي رأسك- و دنا الفوارس من النسوه و المطايا ليثوروها، فحال علي (عليه السلام) بينهم و بينها، فأهوى له جناح بسيفه فراغ علي (عليه السلام) عن ضربته، و تختله علي (عليه السلام) فضربه على عاتقه، فأسرع السيف مضيا فيه حتى مس كائنه فرسه، فشد عليهم بسيفه فتصدع القوم عنه، و قالوا له: إغن عنا نفسك يابن أبي طالب قال: «فإني منطلق إلى ابن عمي رسول الله (صلى الله عليه و اله) فمن سره أن أفرى لحمه و أهريق دمه فليتبغني» فرجعوا مخذولين منكسرين.

ثم أقبل علي صاحبيه أيمن و أبي واقد فقال لهما: «أطلقا مطاياكما»، ثم سار بالركب ظافرا قاهرا حتى نزل «ضجنان»، فتلوم بها- أي لبث فيها-

قدر يومه و ليلته و لحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين، و كانوا يصلون ليلتهم و يذكرون الله قياما و قعودا و على جنوبهم، فلم يزالوا كذلك حتى طلع الفجر فصلّى الإمام على (عليه السلام) بهم صلاه الفجر، ثم سار لوجهه حتى قدموا «قبا» القريه من المدينه، و التحقوا برسول الله (صلّى الله عليه و اله) حيث كان ينتظرهم بها (١).

و نزل الوحي على رسول الله (صلّى الله عليه و اله) بما كان فى شأنهم قبل وصولهم، بآيات من القرآن المجيد هى: الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَ قُعُودًا وَ عَلَى جُنُوبِهِمْ... (٢).

و مكث النبي (صلّى الله عليه و اله) خمسة عشر يوما ب«قبا» فى انتظار قدوم الوفد، و فى تلك الفتره أسس مسجد «قبا»، و نزلت فيه آيات بينات قال تعالى:

لَمَسِجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ كَمَا أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَلِهِ وَسَلَّمَ) حَثَّ عَلَى الصَّلَاةِ فِيهِ وَ إِحْيَاةِ وَ ذِكْرِ الْأَجْرِ الْكَبِيرِ لِمَنْ صَلَّى فِيهِ.

و بعد استراحة الركب سار (صلّى الله عليه و اله) بمن معه من أصحابه و أهله متوجها إلى يثرب و استقبلته الجماهير المسلمه بالأشعار و الأهازيج و شعارات الترحيب، و استقبله سادات يثرب و زعماء الأوس و الخزرج مرحبين بقدومه باذلين كل ما وسعهم من امكانيات ماليه و عسكريه، و كان عندما يمر على حى من أحيائهم يتقدم الأشراف ليأخذوا بخطام الناقه رجاء أن ينزل فى حبيهم حيث الضيافه و المنعه، فكان (صلّى الله عليه و اله) يدعو لهم بالخير و يقول: «دعوا الناقه تسير فإنها مأوره».

ثم بركت فى رحبه من الأرض بجوار دار أبى أيوب الأنصارى،

ص: ٧٤

١- (١) المناقب: ١/١٨٤.

٢- (٢) آل عمران (٣): ١٩١-١٩٥.

فنزّل (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَنَزَلَتِ السَّيِّدَةُ الطَّاهِرَةُ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) مَعَ الْفَوَاطِمِ وَدَخَلْنَ عَلَى أُمِّ خَالِدٍ (١)، وَبَقِيَتِ السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) مَعَ أَبِيهَا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) زَهَاءَ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ حَتَّى تَمَّ بِنَاءُ الْمَسْجِدِ وَدَارِ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَبَيْتِهِ الْمَتَوَاضِعِ الْمُؤَلَّفِ مِنْ عَدَّةِ حَجَرَاتٍ بَعْضُهَا بِالْأَحْجَارِ، وَبَعْضُ الْآخَرِ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ، أَمَّا ارْتِفَاعُ الْحَجَرَاتِ فَقَدْ وَصَفَهُ الْإِمَامُ الْحَسَنُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) سَبَطَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فِيمَا جَاءَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «كَتَبْتُ أَدْخُلُ بِيُوتَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَأَنَا غُلَامٌ مَرَاهِقٌ فَأُنَالُ السَّقْفَ بِيَدِي».

أَمَّا الْأَثَاثُ الَّذِي هَيَّأَهُ النَّبِيُّ لِبَيْتِهِ الْجَدِيدِ فَهُوَ فِي مَنْتَهَى الْبَسَاطَةِ وَالْخَشُونَةِ وَالتَّوَاضُعِ، وَأَعَدَّ لِنَفْسِهِ فِيهِ سَرِيرًا مُؤَلَّفًا مِنْ أَخْشَابٍ مَشْدُودَةٍ بِاللَّيْفِ، وَاسْتَقَرَّتْ الزَّهْرَاءُ فِي دَارِ هَجْرَتِهَا وَفِي بَيْتِ أَبِيهَا، ذَلِكَ الْبَيْتُ الْبَسِيطُ الْمَتَوَاضِعُ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ، لِتَنَعُمَ بِعِنَايَتِهِ وَحَبِّهِ وَرِعَايَتِهِ، تِلْكَ الْعِنَايَةُ وَالرِّعَايَةُ وَالْحَبُّ الَّذِي لَمْ يَحْظَ بِمِثْلِهِ امْرَأَةٌ وَلَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ سِوَاهَا.

إِلَى هَذَا الْبَيْتِ الْمَتَوَاضِعِ جَاءَتِ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مَهَاجِرَةً مِنْ مَكَّةَ لِتَرَى أَبَاهَا بَيْنَ أَنْصَارِهِ فِي يَثْرِبٍ يَفْدُونَهُ بِالْأَنْفُسِ وَمَعَ الْمَهَاجِرِينَ، وَقَدْ اطمأن بهم المقام مع إخوانهم ممن أسلم من الأوس والخزرج، وانصرفوا مع النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) إِلَى الدَّعْوَةِ لِلْإِسْلَامِ وَالتَّخْطِيطِ لَعَدِّ أَفْضَلِ، وَقَدْ آخَى النَّبِيُّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُسْلِمِي الْمَدِينَةِ لِيَذْهَبَ عَنْهُمْ وَحِشَهُ الْاِغْتِرَابِ وَيَشُدَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ بِتِلْكَ الْاِخْوَةِ الَّتِي تَجْمَعُهُمْ عَلَى صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ الْإِيمَانُ بِآلِهِ وَاحِدٍ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَتَرَكَ عَلَيْنَا لِنَفْسِهِ فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَمَعَ حِشْدٍ مِنَ الْمَهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَقَالَ:

«هَذَا أَخِي وَوَصِيِّي وَوَارِثِي مِنْ بَعْدِي» (٢) وَلَمْ يَمُضْ وَقْتُ طَوِيلٍ عَلَى تِلْكَ الْمُؤَاخَاةِ الَّتِي فَازَ بِهَا عَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حَتَّى أَصْبَحَ صَهْرًا لِلنَّبِيِّ وَزَوْجًا لِأَحَبِّ بَنَاتِهِ

ص: ٧٥

١- (١) خالد: هو اسم أبي أيوب الأنصاري.

٢- (٢) قادتنا، للميلاني: ٣٨٩/٣ نقلًا عن حياة الحيوان: ١/١١٨، وراجع البدايه و النهايه: ٣/٢٧٧.

إليه و أعزّهنّ على قلبه و روحه.

و بعد ما استقر رسول الله (صلى الله عليه و اله) فى المدينه تزوّج «سوده» و هى أول من تزوّجها بعد السيده خديجه (رض) ثم تزوّج «أم سلمه بنت أبى اميه» و فوّض أمر ابنته الزهراء اليها.

قالت أم سلمه: تزوّجنى رسول الله (صلى الله عليه و اله) و فوّض أمر ابنته فاطمه (عليها السلام) إلتى، فكنت أؤدّبها و أدلّها، و كانت و الله أأدب منى و أعرف بالأشياء كلّها (١).

٢-محاولات خطبتها (عليها السلام):

فاقت فاطمه الزهراء (عليها السلام) نساء عصرها فى الحسب و النسب فهى بنت محمّد رسول الله (صلى الله عليه و اله) و خديجه (٢) رضى الله عنها و سليه الفضل و العلم و السجايا الخيره، و غايه الجمال الخلقى و الخلقى، و نهايه الكمال المعنوى و الإنسانى، علا شأوها و تألق نجمها.

و كانت (عليها السلام) تمتاز منذ صغر سنّها بالنضج الفكرى و الرشد العقلى، و قد وهب الله لها عقلا كاملا و ذهنًا وقّادا و ذكاء حادًا و حسنا و جمالا- فى إشراقه محياها النورانيه، فما أكثر مواهبها و ما أعظم فضائلها و هى تكبر يوما بعد يوم تحت ظلال النبى (صلى الله عليه و اله) حتى أدركت سلام الله عليها مدرك النساء!!

و ما إن دخلت السنه الثانيه من هجره النبى (صلى الله عليه و اله) و بدأت طلائع الاستقرار تلوح للمسلمين حتى خطبها أكابر قريش من أهل الفضل و السابقه فى الإسلام و الشرف و المال من النبى (صلى الله عليه و اله)، فكان (صلى الله عليه و اله) يردهم ردًا جميلا

ص: ٧٦

١- ((١)) دلائل الإمامه: ١٢.

٢- ((٢)) سيره الأئمه الاثنى عشر: ٨٠/١-٨١.

و يقول لكلّ من جاءه: «إني أنتظر فيها أمر الله» و كان (صلى الله عليه و اله) يعرض عنهم بوجهه الكريم حتى كان الرجل يظنّ في نفسه أنّ رسول الله (صلى الله عليه و اله) ساخط عليه (١).

و كان رسول الله قد حبسها على عليّ، و يرغب أن يخطبها منه (٢).

و عن بريده قال: خطب أبو بكر فاطمه (عليها السلام)، فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله):

«إنها صغيرة، و إنني أنتظر بها القضاء» فلقية عمر فأخبره، فقال: ردّك، ثم خطبها عمر فردّه (٣).

٣- عليّ (عليه السلام) يتقدّم لخطبه الزهراء (عليها السلام):

كان الإمام عليّ (عليه السلام) يفكر في خطبه الزهراء، و لكنّه بقي (عليه السلام) بين الحاله التي يعيشها هو و المجتمع الإسلامي من فقر و فاقه و ضيق في المعيشه، يصرفه عن التفكير في الزواج و يشغله عن نفسه و هواجسها في بناء الاسره، و بين واقعه الشخصي و قد تجاوز الواحد و العشرين من العمر (٤)، و آن له أن يتزوج من فاطمه التي لا كفؤ له سواها، و هي نسيح لا يتكرّر.

ذات يوم و ما أن أكمل الإمام (عليه السلام) عمله حتى حلّ عن ناضحه و أقبل يقوده إلى منزله فشده فيه، و توجه نحو منزل رسول الله (صلى الله عليه و اله) و كان في بيت السیده امّ سلمه، و بينما كان الإمام في الطريق هبط ملك من السماء بأمر إلهي هو أن يزوّج النور من النور، أي فاطمه من عليّ (٥).

ص: ٧٧

١- (١) كشف الغمه: ٣٥٣/١.

٢- (٢) كشف الغمه: ٣٥٤/١.

٣- (٣) تذكرة الخواص: ٣٠٦.

٤- (٤) ذخائر العقبى: ٣٦.

٥- (٥) راجع معاني الأخبار: ١٠٣، و الخصال: ٦٤٠، و أمالي الصدوق: ٤٧٤، و بحار الأنوار: ١١١/٤٣.

فدقّ عليّ (عليه السّلام) الباب، فقالت أم سلمة: من الباب؟ فقال لها رسول الله (صلى الله عليه و اله): «قومي يا أم سلمة فافتحي له الباب و مريه بالدخول، فهذا رجل يحبّه الله و رسوله و يحبّهما» فقالت أم سلمة: فداك أبي و امي، من هذا الذي تذكر فيه هذا و أنت لم تره؟ فقال: «مه يا أم سلمة، فهذا رجل ليس بالخرق و لا بالنزق، هذا أخي و ابن عمّي و أحبّ الخلق إليّ» قالت أم سلمة: فقمتم مبادره أكاد أعثر بمرطى، ففتحت الباب فإذا أنا بعلّي بن أبي طالب (عليه السّلام) فدخل على رسول الله (صلى الله عليه و اله) فقال: «السّلام عليك يا رسول الله و رحمه الله و بركاته» فقال له النبيّ (صلى الله عليه و اله):

«و عليك السّلام يا أبا الحسن، اجلس» فجلس عليّ (عليه السّلام) بين يدي رسول الله (صلى الله عليه و اله) و جعل ينظر إلى الأرض كأنه قصد لحاجه و هو يستحي أن يبينها، فهو مطرق إلى الأرض حياء من رسول الله (صلى الله عليه و اله) فكان النبيّ (صلى الله عليه و اله) علم ما في نفس عليّ (عليه السّلام) فقال له: «يا أبا الحسن، إنّي أرى أنّك أتيت لحاجه، فقل حاجتك و ابد ما في نفسك، فكلّ حاجه لك عندي مقضيه» قال عليّ (عليه السّلام): «فداك أبي و امي إنك أخذتني عن عمّيك أبي طالب و من فاطمه بنت أسد و أنا صبي، فغذّيتني بغذائك، و أدبتني بأدبك، فكنت إليّ أفضل من أبي طالب و من فاطمه بنت أسد في البرّ و الشفقه، و إنّ الله تعالى هداني بك و على يدك، و إنّك و الله ذخرى و ذخيرتي في الدنيا و الآخرة يا رسول الله فقد أحببت مع ما شدّ الله من عضدي بك أن يكون لي بيت و أن تكون لي زوجة أسكن إليها، و قد أتيتك خاطبا راغبا، أخطبت اليك إبتتك فاطمه، فهل أنت مزوّجى يا رسول الله؟» فتهلّل وجه رسول الله (صلى الله عليه و اله) فرحا و سرورا، و أتى فاطمه فقال: «إنّ عليّا قد ذكرك و هو من قد عرفت» فسكت (عليها السّلام)، فقال (صلى الله عليه و اله): «الله أكبر، سكوتها رضاها» فخرج فزوّجها (١).

ص: ٧٨

قالت أم سلمة: فرأيت وجه رسول الله (صلى الله عليه و اله) يتهلل فرحا و سرورا، ثم تبسم في وجه عليّ (عليه السلام) فقال: «يا عليّ فهل معك شيء أزوجك به؟» فقال عليّ (عليه السلام): «فداك أبي و أمي، و الله ما يخفى عليك من أمرى شيء، أملكك سيفي و درعي و ناضحي، و ما أملكك شيئا غير هذا» فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «يا عليّ أما سيفك فلا غنى بك عنه، تجاهد في سبيل الله، و تقاتل به أعداء الله، و ناضحك تنضح به على نخلك و أهلك، و تحمل عليه رحلك في سفرك، و لكني قد زوّجتك بالدرع و رضيت بها منك».

«يا أبا الحسن، أبشرك؟! قال عليّ (عليه السلام) قلت: نعم فداك أبي و أمي بشرنى، فإنك لم تنزل ميمون النقيبه، مبارك الطائر، رشيد الأمر، صلى الله عليك».

فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «أبشرك يا عليّ فإن الله عز و جل قد زوّجكها في السماء من قبل أن أزوّجكها في الأرض، و لقد هبط عليّ في موضعي من قبل أن تأتيني ملك من السماء فقال: يا محمد! إن الله عز و جل -اطلع إلى الأرض اطلاعه فاخترك من خلقه فبعثك برسالته، ثم اطلع إلى الأرض ثانيه فاختر لك منها أبا و وزيرا و صاحبا و ختنا فزوجه إبتك فاطمه (عليها السلام)، و قد احتفلت بذلك ملائكة السماء، يا محمد! إن الله عز و جل -أمرني أن آمرك أن تزوج عليّا في الأرض فاطمه، و تبشرهما بغلامين زكيين نجيين طاهرين خيرين فاضلين في الدنيا و الآخرة، يا عليّ! فو الله ما عرج الملك من عندي حتى دقت الباب» (١).

٤- أمر زواجها من السماء:

قال ابن أبي الحديد: و إن إنكاحه عليّا إياها ما كان إلا بعد أن أنكحه الله

ص: ٧٩

تعالى إياها في السماء بشهادة الملائكة (١).

و عن جابر بن عبد الله قال: لما زوج رسول الله (صلى الله عليه و اله) فاطمه من علي (عليه السلام) كان الله مزوجه من فوق عرشه (٢).

و عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): إنما أنا بشر مثلكم، أتزوج فيكم و أزوجهكم إلا فاطمه، فإن تزويجها نزل من السماء» (٣).

٥- خطبه العقد:

قال أنس: بينما أنا قاعد عند النبي (صلى الله عليه و اله) إذ غشيه الوحي، فلَمَّا سَرَى عنه قال: «يا أنس! تدرى ما جاءني به جبرئيل من صاحب العرش؟» قلت: الله و رسوله أعلم، بأبي و أمي ما جاء به جبرئيل؟ قال (صلى الله عليه و اله): «إن الله تعالى أمرني أن أزوجه فاطمه عليا، انطلق فادع لى المهاجرين و الأنصار» قال: فدعوتهم، فلَمَّا أخذوا مقاعدهم قال النبي (صلى الله عليه و اله): «الحمد لله المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، المطاع بسلطانه، المرغوب اليه فيما عنده، المرهوب عذابه، النافذ أمره في أرضه و سمائه، الذي خلق الخلق بقدرته، و ميزهم بأحكامه، و أعزهم بدينه، و أكرمهم بنيه محمداً، ثم إن الله تعالى جعل المصاهرة نسبا و صهرا، فأمر الله يجرى إلى قضائه، و قضاؤه يجرى إلى قدره، فلكل قدر أجل، و لكل أجل كتاب يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ، ثم إن الله أمرني أن أزوجه فاطمه بعلي، فاشهدكم أنني قد زوجته على أربعمائه مثقال من فضه إن رضى بذلك علي».

و كان علي غائبا قد بعثه رسول الله (صلى الله عليه و اله) في حاجته، ثم إن رسول

ص: ٨٠

١- (١) شرح نهج البلاغه: ١٩٣/٩، و بنص آخر في ذخائر العقبى: ٤٠-٤١.

٢- (٢) بحار الأنوار: ١٤٢/٤٣.

٣- (٣) بحار الأنوار: ١٤٥/٤٣.

اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَمَرَ بِطَبْقٍ فِيهِ بَسْرٌ فَوَضَعَ بَيْنَ أَيْدِينَا، ثُمَّ قَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «انتهبوا»، فبينما نحن ننتهب إذ أقبل عليّ (عليه السلام)، فتبسّم اليه رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ثم قال: «يا عليّ! إنّ الله أمرني أن أزوّجك فاطمه، فقد زوّجتكها عليّ أربعمائه مثقال فضه إن رضيت» فقال عليّ (عليه السلام): «قد رضيت يا رسول الله» ثم إنّ عليّا مال فخرّاً ساجداً شكراً لله تعالى و قال: «الحمد لله الذي حبّبني إلى خير البرية محمد رسول الله»، فقال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «بارك الله عليكما، وبارك فيكما و أسعدكما، و أخرج منكما الكثير الطيب».

قال أنس: فو الله لقد أخرج منهما الكثير الطيب (١).

٦- مهرها و جهازها:

و جاء عليّ بالمهر بعد أن باع درعه لعثمان، و كان أربعمائه درهم سود هجريه، فقبض الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الدرهم و أعطاهما لبعض أصحابه و نسائه ليشتروا متاعاً للبيت الجديد، فكان الجهاز:

«١- قميصا بسبعه دراهم. ٢- خمارة بأربعة دراهم. ٣- قطيفه سوداء خيريه. ٤- سريرا مزمّلا بشريط. ٥- فراشين من خيش مصر حشو أحدهما ليف، و حشو الآخر من جزّ الغنم (صوف). ٦- أربعة مرافق من آدم الطائف حشوها إذخر. ٧- سترا من صوف. ٨- حصيرا هجري. ٩- رحاء اليد.

١٠- سقاء من آدم. ١١- مخضبا من نحاس. ١٢- قعبا للبن. ١٣- شتّا للماء.

١٤- مطهره مزفتّه. ١٥- جرّه خضراء. ١٦- كيزان خزف. ١٧- نطعا من آدم.

١٨- عباء قطراني. ١٩- قربه ماء».

ص: ٨١

١- ((١)) كفايه الطالب: الباب ٧٨ ص ٢٩٨، و المناقب: ٣/٣٥١ فصل تزويجها (عليها السلام)، و كشف الغمه: ١/٣٤٨-٣٤٩، و ذخائر العقبى: ٤١.

قالوا: و حملناه جميعا حتى وضعناه بين يدي رسول الله (صلى الله عليه و اله) فلتينا نظر إليه بكى و جرت دموعه، ثم رفع رأسه إلى السماء و قال: «اللهم بارك لقوم جلّ آيتهم الخرف» (١).

جهّز علي (عليه السلام) داره، و فرش (عليه السلام) بيته بالرمل اللين و نصب خشبه من حائط إلى الحائط لتعليق الثياب عليها و بسط علي الأرض إهاب كبش و مخدّه ليف.

و عن أبي يزيد المدني قال: لما اهديت فاطمه إلى علي (عليه السلام) لم تجد عنده إلا رملا مبسوطا و ساده و جزّه و كوزا (٢).

٧- مقدمات الزفاف و وليمه العرس:

قال علي (عليه السلام): «و مكثت بعد ذلك شهرا لا اعاود رسول الله (صلى الله عليه و اله) في أمر فاطمه بشيء، استحياء من رسول الله (صلى الله عليه و اله) غير أنني كنت إذا خلوت برسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول لي: «يا علي ما أحسن زوجتك و أجملها! أبشر يا علي فقد زوجتك سيّده نساء العالمين» فقال علي (عليه السلام): «فلما كان بعد شهر دخل عليّ أخى عقيل فقال: يا أخى ما فرحت بشيء كفرحى بتزوجك فاطمه بنت محمّد (صلى الله عليه و اله)، يا أخى فما بالك لا تسأل رسول الله (صلى الله عليه و اله) يدخلها عليك؟ فتقرّ عينا باجتماع شملكما».

قال علي (عليه السلام): «و الله يا أخى إني لأحبّ ذلك و ما يمنعني من مسألته إلاّ الحياء منه» فقال: أقسمت عليك إلاّ أقت معي، فقمنا نريد رسول الله (صلى الله عليه و اله)، فلقيتنا

ص: ٨٢

١- (١) المناقب ابن شهر آشوب: ٣/٣٥٣، و كشف الغمه: ١/٣٥٩. الشريط: ورق مفتول يشترط به السرير. الخيش: نسيج خشن من الكتان. و الاذخر، حشيش طيب الريح. و المخضب: وعاء لغسل الثياب أو خضبها. و القعب: القدح العظيم الغليظ. و الشن: القربه الصغيره و الزفت. نوع من القير تطلى به الآنيه كي لا يترشح منها الماء.

٢- (٢) فاطمه الزهراء بهجه قلب المصطفى: ٤٧٧ نقلا عن المناقب لأحمد بن حنبل.

فى طررقنا بركة «أم أئمن»-مولاه رسول الله (صلّى الله عليه و اله)-فذكرنا ذلك لها، فقالت: لا تفعل ودعنا نحن نكلّمه، فإنّ كلام النساء فى هذا الأمر أحسن و أوقع بقلوب الرجال.

ثم اثنت راجعه فدخلت إلى أم سلمه فأعلمتها بذلك و أعلمت نساء النبى فاجتمعن عند رسول الله (صلّى الله عليه و اله) فأحدقن به و قلن-و الكلام لا يزال لأم سلمه (أم المؤمنین)-فدیناک بآبائنا و امهاتنا یا رسول الله قد اجتمعنا لأمر لو أنّ خدیجه فى الأحياء لقرت بذلك عینها، قالت أم سلمه: فلما ذكرنا خدیجه بكى رسول الله (صلّى الله عليه و اله) ثم قال (صلّى الله عليه و اله): «خدیجه و آبن مثل خدیجه؟ صدقتنى حين كذبنى الناس و وازرتنى على دین الله و أعانتنى علیه بما لها».

قالت أم سلمه: فقلنا: فدیناک بآبائنا و امهاتنا، یا رسول الله إنك لم تذكر من خدیجه أمرا إلا و قد كانت كذلك، غیر أنّها قد مضت إلى ربّها، فهناها الله بذلك، و جمع بیننا و بینها فى درجات جتّه و رضوانه و رحمته، یا رسول الله هذا أخوك فى الدین و ابن عمك فى النسب على بن أبى طالب، یحب أن تدخل علیه زوجته فاطمه و تجمع بها شمله، فقال: «یا أم سلمه، فما بال على لا یسألنى ذلك؟».

فقلت: یمنعه الحياء منك یا رسول الله، قالت أم أئمن: فقال لى رسول الله (صلّى الله عليه و اله): «انطلقى إلى على فأتینى به»، فخرجت من عند رسول الله (صلّى الله عليه و اله) فإذا على ینتظرنى لیسألنى عن جواب رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، فلما رآنى قال: «ما وراءك یا أم أئمن؟».

قلت: أجب رسول الله، قال على (عليه السلام): «فدخلت و قمن أزواجه فدخلن البیت و جلست بین یدیه مطرقا نحو الأرض حياء منه»، فقال (صلّى الله عليه و اله): «أتحب أن تدخل عليك زوجته؟»، فقلت و أنا مطرق: «نعم، فداك أبى و امى».

فقال: «نعم و كرامه، يا عليّ، أدخلها عليك في ليلتنا هذه أو في ليله غد إن شاء الله»، فالتفت رسول الله (صلى الله عليه و اله) إلى النساء و قال: «من هاهنا؟» فقالت أم سلمه:

أنا أم سلمه و هذه زينب و هذه فلانه و فلانه، فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «هيئوا لابنتي و ابن عمي في حجرى بيتا» فقالت أم سلمه: في أي حجره يا رسول الله؟ فقال (صلى الله عليه و اله): «في حجرتك»، و أمر نساءه أن يزيّن فاطمه و يصلحن من شأنها.

قالت أم سلمه: فسألت فاطمه: هل عندك طيب ادخرتیه لنفسك؟ قالت (عليها السلام): «نعم» فأتت بقاروره فسكبت منها في راحتي فشمنت منها رائحه ما شممت مثله قطّ، فقلت: ما هذا؟ قالت (عليها السلام): «كان دحيه الكلبى يدخل على رسول الله (صلى الله عليه و اله) فيقول لى (صلى الله عليه و اله): يا فاطمه هات الوساده فاطرحيها لعمّك، فأطرح له الوساده فيجلس عليها، فإذا نهض سقط من بين ثيابه شيء فيأمرنى بجمعه [فسأل عليّ (عليه السلام) رسول الله (صلى الله عليه و اله) عن ذلك فقال (صلى الله عليه و اله): هو عنبر يسقط من أجنحه جبرئيل]».

قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «يا عليّ، لا بدّ للعرس من وليمه».

فقال سعد: عندي كبش، و جمع رهط من الأنصار أصواعا من ذره، و أخذ رسول الله (صلى الله عليه و اله) من الدراهم التى سلّمها إلى ام سلمه عشرة دراهم فدفعها إليّ و قال: «اشتر سمننا و تمرا و إقطا»، فاشتريت و أقبلت به إلى رسول الله (صلى الله عليه و اله)، تحسر عن ذراعيه و دعا بسفره من آدم، و جعل يشدخ (١) التمر و السمن و يخلطهما بالأقط حتى اتخذته حيسا (٢)، ثم قال: «يا عليّ ادع من أحببت».

ص: ٨٤

١- ((١)) الشدخ: كسر الشيء الرطب أو الأجوف. الأقط: الجبن المتخذ من اللبن الحامض، راجع كشف الغمه: ٣٦١/١.

٢- ((٢)) الحيس: تمر بدق و يعجن بالسمن عجنا شديدا حتى يندر النوى منه.

فخرجت إلى المسجد و هو مشحن بالصحابه،فاستحييت أن اشخص قوما و أدع قوما،ثم صعدت على ربوه هناك و ناديت:أجيبوا إلى وليمه فاطمه،فأقبل الناس أرسالا (١)فاستحييت من كثره الناس و قلّه الطعام،فعلم رسول الله(صلى الله عليه و اله)ما تداخلى،فقال(صلى الله عليه و اله):«يا علىّ إننى سأدعو الله بالبركه،فجامل السفره بمنديل،وقال:أدخل علىّ عشره بعد عشره ففعلت،وجعلوا يأكلون و يخرجون لا ينقص الطعام»و كان النبى(صلى الله عليه و اله)يصبّ الطعام بيده،و العباس و حمزه و علىّ و عقيل يستقبلون الناس،قال علىّ:«فأكل القوم عن آخرهم طعامى و شربوا شرابى، و دعوا لى بالبركه و صدروا و هم أكثر من أربعة آلاف رجل».

ثم دعا رسول الله(صلى الله عليه و اله)بالصحاف فملئت و وجه بها إلى منازل أزواجه،ثم أخذ صحيفه و جعل فيها طعاما،وقال:«هذه لفاطمه و بعلمها» (٢).

٨-مراسم ليله الزفاف:

فلما انصرفت الشمس للغروب قال رسول الله(صلى الله عليه و اله):«يا أم سلمه هلمى فاطمه»،فانطلقت فأتت بها تسحب أذيالها و قد تصببت عرقا حياء من رسول الله(صلى الله عليه و اله)فعثرت،فقال رسول الله(صلى الله عليه و اله):«أقالك الله العثره فى الدنيا و الآخره»، فلما وقفت بين يديه كشف الرداء عن وجهها حتى رآها على(عليه السلام).

و أمر النبى(صلى الله عليه و اله)بنات عبد المطلب و نساء المهاجرين و الأنصار أن يمضين فى صحبه فاطمه،و أن يفرحن و يرحزن و يكبرن و يحمدن،و لا- يقلن ما لا- يرضى الله، قال جابر:فأركبها على ناقته أو على بغلته الشهباء، و أخذ سلمان زمامها،و حولها سبعون ألف حوراء،و النبى(صلى الله عليه و اله)و حمزه

ص: ٨٥

١- ((١)) أرسال: جمع (رسل) و هو القطيع من كل شىء،الجماعه.

٢- ((٢)) بحار الأنوار: ١٠٦/٤٣، ١١٤، ١٣٢، ١٣٧.

و عقيل و جعفر و بنو هاشم يمشون خلفها مشهريين سيوفهم، و نساء النبي (صلى الله عليه و اله) قدّامها يرجزن.

و كانت التسوه يرجعن أول بيت من كل رجز ثم يكبرن، و دخلن الدار، ثم أنفذ رسول الله (صلى الله عليه و اله) إلى عليّ و دعاه، ثم دعا فاطمه فأخذ بيدها و وضعها في يد عليّ، و قال: «بارك الله في ابنه رسول الله، يا علي نعم الزوج فاطمه، و يا فاطمه نعم البعل عليّ».

ثم قال: «يا علي هذه فاطمه وديعه الله و وديعه رسوله عندك، فاحفظ الله و احفظني في وديعتي» (١).

ثم دعا و قال: «اللهم اجمع شملهما، و ألف بين قلوبهما، و اجعلهما و ذريتهما من ورثه جنة النعيم، و ارزقهما ذرية طاهرة طيبة مباركة، و اجعل في ذريتهما البركة، و اجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلى طاعتك و يأمرون بما رضيت» ثم قال: «إنطلقا إلى منزلكما و لا تحدثا أمرا حتى آتيكما».

قال عليّ (عليه السلام): «فأخذت بيد فاطمه و انطلقت بها حتى جلست في جانب الصفه و جلست في جانبها و هي مطرقة إلى الأرض حياء منى و أنا مطرق إلى الأرض حياء منها».

فما كان إلا أن دخل رسول الله (صلى الله عليه و اله) و بيده مصباح، فوضعه في ناحية المنزل، و قال لي: «يا عليّ خذ في ذلك القعب ماء من تلك الشكوه، ففعلت ثم أتيت به فتفل فيه تفلات، ثم ناولني القعب و قال: اشرب منه، فشربت ثم رددته إلى رسول الله (صلى الله عليه و اله) فناوله فاطمه و قال: اشربي حبيبتى فشربت منه ثلاث جرعات ثم رددته إليه، فأخذ ما بقى من الماء فنضحه على صدري و صدرها و قال: إنما يريد الله ليذهب عنكم

ص: ٨٦

الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا، ثم رفع يديه و قال: يا رب إنك لم تبعث نبيا إلا و قد جعلت له عتره، اللهم فاجعل عترتي الهاديه من علي و فاطمه، ثم خرج من عندهما فأخذ بعضادتي الباب و قال: طهر كما الله و طهر نسلكما، أنا سلم لمن سالمكم و حرب لمن حاربكم، أستودعكما الله و أستخلفه عليكما» و أغلق الباب و أمر النساء فخرجن.

فلما أراد الخروج رأى امرأه فقال: من أنت؟ قالت: أسماء، فقال:

«ألم أمرك أن تخرجي؟» قالت أسماء: بلى يا رسول الله فداك أبي و أمي - ما قصدت خلافك، و لكنني أعطيت خديجه عهدا، حينما حضرت خديجه الوفاه بكت، فقلت: أتبكين و أنت سيده نساء العالمين؟ و أنت زوجة النبي (صلى الله عليه و اله) و مبشره على لسانه بالجنه؟

فقلت: ما لهذا بكيت، و لكن المرأه ليله زفافها لا بد لها من امرأه تفضى اليها بسرّها، و تستعين بها على حوائجها، و فاطمه حديثه عهد بصبا، و أخاف أن لا يكون لها من يتولّى أمرها حينئذ.

فقلت: يا سيدتي لك على عهد الله إن بقيت إلى ذلك الوقت أن أقوم مقامك في هذا الأمر، فبكي رسول الله و قال: «بالله لهذا وقفت؟». فقلت: نعم و الله، فدعالي (١).

٩- زياره النبي (صلى الله عليه و اله) للزهراء في صبيحه عرسها:

دخل رسول الله (صلى الله عليه و اله) على فاطمه (عليها السلام) في صبيحه عرسها بقدر فيه

ص: ٨٧

١- (١) ورد في الروايات أنّ أسماء بنت عميس حضرت زفاف فاطمه، و أسماء كانت مهاجره بأرض الحبشه مع زوجها جعفر ابن أبي طالب (عليه السلام) و لم تعد هي و لا زوجها إلا يوم فتح خيبر، و لم تشهد زفاف فاطمه و التي حضرت الوفاه لعلها (سلمى بنت عميس) اختها زوجة حمزه بن عبد المطلب، و كانت أسماء أشهر من اختها فرووا عنها أو أنّ راويا واحدا سها و تبعه الآخرون. (كشف الغمه: ٣٦٨/١).

لبن فقال: «اشربى فداك أبوك»، ثم قال لعلى (عليه السلام): «اشرب فداك ابن عمك» (١).

ثم سأل علياً: «كيف وجدت أهلَكَ؟ قال (عليه السلام): نعم العون على طاعه الله».

و سأل فاطمه فقالت: «خير بعل» (٢).

قال عليّ (عليه السلام): «و مكث رسول الله (صلى الله عليه و اله) بعد ذلك ثلاثاً لا يدخل علينا، فلما كان فى صبيحه اليوم الرابع جاءنا (صلى الله عليه و اله) ليدخل علينا... فلما دخل عليهما أمر علياً بالخروج، و خلا- بابنته فاطمه (عليها السلام) و قال: «كيف أنت يا بنيه؟ و كيف رأيت زوجك؟».

قالت: «يا أبة خير زوج، إلا أنه دخل عليّ نساء من قريش و قلن لى زوجك رسول الله من فقير لا مال له»، فقال (صلى الله عليه و اله) لها: «يا بنيه ما أبوك و لا- بعلك بفقير، و لقد عرضت عليّ خزائن الأرض، فاخترت ما عند ربى، و الله يا بنيه ما ألوتك نصحا أن زوجتك أقدمهم سلماً و أكثرهم علماً و أعظمهم حلماً».

«يا بنيه إن الله عز و جل -اطلع إلى الأرض فاختر من أهلها رجلين فجعل أحدهما أباك و الآخر بعلك، يا بنيه نعم الزوج زوجك، لا تعصى له أمراً».

ثم صاح رسول الله (صلى الله عليه و اله) بعليّ: «يا عليّ»، فقال: «لبيك يا رسول الله»، قال: ادخل بيتك و الطف بزوجتك و ارفق بها، فإن فاطمه بضعه منى، يؤلمنى ما يؤلمها و يسرنى ما يسرها، أستودعكما الله و أستخلفه عليكم» (٣).

و فى روايه لَمَّا زَوَّج رسول الله (صلى الله عليه و اله) ابنته فاطمه (عليها السلام) قال لها:

«زوّجتك سيداً فى الدنيا و الآخرة، و إنّه أول أصحابى إسلاماً و أكثرهم علماً و أعظمهم

ص: ٨٨

١- (١) كشف الغمه: ٣٦٨/١.

٢- (٢) بحار الأنوار: ١١٧/٤٣.

٣- (٣) بحار الأنوار: ١٣٢/٤٣.

١٠- تأريخ الزواج:

الروايات التي وردت عن أهل البيت (عليهم السلام) تنصّ كلّها على وقوع الزواج بعد عوده المسلمين من معركة بدر منتصرين.

فعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «تزوَّج علي فاطمه (عليها السلام) في شهر رمضان و بنى بها في ذى الحجه من العام نفسه بعد معركة بدر» (٢).

و روى أيضا أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) دخل بفاطمه (عليها السلام) بعد رجوعه من معركة بدر لأيام خلت من شوال السنه الثانيه من الهجره النبويّه المباركه (٣).

و روى في أوّل يوم من ذى الحجه (السنه الثانيه من الهجره) زوّج رسول الله (صلّى الله عليه و اله) فاطمه عليا (عليه السلام) (٤).

ص: ٨٩

-
- ١- ((١)) بحار الأنوار: ١٣٣/٤٣، و كنز العمال: ١١/ح ٣٢٩٢٦ مثله، و مسند الإمام أحمد: ٥/٢٦ مثله، مختصر تاريخ دمشق: ١٧/٣٣٧.
 - ٢- ((٢)) كشف الغمه: ١/٣٦٤، بحار الأنوار: ١٣٤/٤٣.
 - ٣- ((٣)) أمالي الطوسي: ٤٣ مجلس ٢ حديث ٤٧.
 - ٤- ((٤)) مصباح المتهجد للطوسي: ١٣٠٦ (ط. حجرية).

لقد امتاز زواج السیده فاطمه سلام الله عليها بما يلي:

١- إنه زواج من السماء و بأمر من الله تعالى قبل أن يكون نسبا أرضيا، و مجرد ارتباط عاطفي، و يكفينا في ذلك ما روى عن عمر بن الخطاب إذ قال: نزل جبرئيل فقال: «يا محمد إن الله يأمرك أن تزوج فاطمه ابنتك من علي» (١).

٢- إن الله تعالى قد جعل الذرية النبوية الطاهرة محصوره بهذا الزواج المبارك، و من طريق هذين الزوجين، و في ذلك يقول عمر بن الخطاب:

سمعت رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول: «كل نسب و سب ينقطع يوم القيامة ما خلا سبى و نسبي، و كل بنى انثى فعصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمه، فأنى أبوهم و أنا عصبتهم» (٢).

٣- إن الزهراء (عليها السلام) و حیده محمد (صلى الله عليه و اله) التي لم يكن لها اخت في النسب الأبوي، أميا زينب و رقيه و أم كلثوم - و إن اشتهرن بكونهن بنات محمد (صلى الله عليه و اله) - فهن بنات هاله اخت خديجه، و قد كن في بيت خديجه حينما اقترنت بالنبى (صلى الله عليه و اله)، و لم يؤيد التحقيق التاريخي بنوتهن لمحمد (صلى الله عليه و اله) (٣).

ص: ٩٠

١- ((١)) ذخائر العقبى: ٤١، و راجع شرح نهج البلاغه: ١٩٣/٩.

٢- ((٢)) كنز العمال: ج ١٣/٣٧٥٨٦، و قريب منه ما في شرح نهج البلاغه: ١٠٦/١٢.

٣- ((٣)) الإمام على بن أبى طالب سيره و تاريخ: ص ٢٧، الشيخ محمد حسن آل ياسين، و راجع الاستغاثه لأبى القاسم الكوفى المتوفى ٣٥٢: الصفحه ٨٠-٨٢ طبعه دار الكتب العلميه-قم.

١- الزهراء (عليها السلام) في بيت الزوجية:

إشاره

لما تزوج على من فاطمه (عليها السلام) قال رسول الله (صلى الله عليه و اله) لعلّي: «اطلب منزلاً»، فطلب على منزلاً فأصابه مستأخراً عن النبي (صلى الله عليه و اله) قليلاً فبنى بها فيه.

فجاء النبي (صلى الله عليه و اله) إلى ابنته فقال: «إني أريد أن أحولك إلي»، فقالت لرسول الله (صلى الله عليه و اله): «فكلم حارثه بن النعمان أن يتحول عني» فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله):

«قد تحول حارثه عني حتى قد استحيت منه»، فبلغ ذلك حارثه فجاء إلى النبي (صلى الله عليه و اله) وقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تحول فاطمه إليك و هذه منازل و هي أسقب بيوت بني النجار بك، و إنما أنا و مالي لله و لرسوله، و الله يا رسول الله المال الذي تأخذ مني أحب إلي من الذي تدع، فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله):

«صدقت، بارك الله عليك» فحولها رسول الله إلى بيت حارثه (١).

انتقلت السيدة فاطمه الزهراء (عليها السلام) إلى البيت الزوجي و كان انتقالها من بيت الرسالة و النبوه الى دار الإمامه و الولاية، فهي تعيش في جو تكتنفه القداسة و النزاهه، و تحيط به عظمه الزهد و بساطه العيش، و كانت تعين زوجها على أمر دينه و آخرته.

كان علي (عليه السلام) يحترم السيدة فاطمه الزهراء احتراماً لا يثق بها، لا لأنها زوجته فقط، بل لأنها أحب الخلق إلى رسول الله (صلى الله عليه و اله) و لأنها سيده نساء

ص: ٩١

العالمين، ولأن نورها من نور رسول الله (صلى الله عليه و اله)، ولأنها مجموعته الفضائل و القيم.

و لم يعلم بالضبط مدته إقامة الإمام علي و السيدة فاطمه (عليهما السلام) في دار حارثه بن النعمان إلا أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) بنى لها بيتا ملاصقا لمسجده، له باب شارع إلى المسجد كبقية الحجرات التي بناها لزوجاته، و انتقلت السيدة فاطمه إلى ذلك البيت الجديد الملاصق لبيت الله و المجاور لبيت رسول الله (صلى الله عليه و اله).

و لم يكن رسول الله (صلى الله عليه و اله) ليتحرك هذا الغرس النبوي دون أن يرعاه و يحتضنه بتوجيهه و عنايته، فعاش الزوجان في ظل رسول الله (صلى الله عليه و اله) و في كنفه و منح (صلى الله عليه و اله) فاطمه بعد زواجها ما لم يمنحه لأحد من الحب و النصيحة و التوصية، فقد علمها أبوها (صلى الله عليه و اله) معنى الحياة، و أوحى لها بأن الإنسانية هي جوهر الحياة، و أن السعادة الزوجية القائمة على الخلق و القيم الإسلامية هي أسمى من المال و القصور و الزخارف و قطع الأثاث و تحف الفن المزخرفه.

و تعيش فاطمه الزهراء في كنف زوجها قريه العين سعيده النفس، لا- تفارقها البساطه و لا يبرح بيتها خشونه الحياة، فهي الزوجه المثاليه، زوجة علي (عليه السلام) بطل المسلمين، و وزير الرسول (صلى الله عليه و اله) و مشاوره الأول، و حامل لواء النصر و الجهاد، و عليها أن تكون بمستوى المسؤوليه الخطيره، و أن تكون لعلي كما كانت أمها خديجه لرسول الله (صلى الله عليه و اله) تشاركه في جهاده و تصبر على قساوه الحياة و رساله الدعوه الصعبه.

لقد كانت حقا بمستوى مهمتها التي اختارها الله تعالى لها، فكانت القدوه الصالحه للمسلم الرسالي و للمرأه النموذجيه المسلمه.

البيت الوحيد الذى كان يضم بين جدرانہ زوجين معصومين مطهرين منزہين عن ارتكاب الذنوب و اكتساب المآثم، يتصفان بالفضائل الأخلاقية و الكمال الإنسانى هو بيت على و فاطمه (عليهما السلام).

فعلى (عليه السلام) نموذج الرجل الكامل فى الإسلام، و فاطمه نموذج المرأة الكاملة فى الإسلام، ترعرا فى ظلّ النبى الأكرم (صلى الله عليه و اله) و غذّاهما بالعلم و سائر الفضائل، و استأنست آذانهما الواعية منذ الصغر بالقرآن الكريم و هما يسمعان النبى (صلى الله عليه و اله) يرتله ليلا و نهارا و فى كلّ آن، و أطلّ على الغيب و ارتشفا العلوم و المعارف الإسلاميه من معينها الأصيل و منبعها العذب، و رأيا الإسلام يتحرّك فى شخص رسول الله (صلى الله عليه و اله) فكيف إذن لا تكون اسرتهما النموذج الأمثل للاسره المسلمه؟.

كان بيت على و فاطمه (عليهما السلام) أروع نموذج فى الصفاء و الإخلاص و المودّه و الرحمه، تعاونا فيه بوثام و حنان على إداره شؤون البيت و إنجاز أعماله، و قضى رسول الله (صلى الله عليه و اله) بخدمه فاطمه دون الباب و قضى على على (عليه السلام) بما خلفه.

قالت فاطمه (عليها السلام): «فلا يعلم ما داخلنى من السرور إلاّ الله، بكفايتى رسول الله (صلى الله عليه و اله) تحمّل رقاب الرجال» (١).

إنّ الزهراء خزّيجه مدرسه الوحى، و هى تعلم أنّ معقل المرأة من المواقع المهمّته فى الإسلام، و إذا ما تخلّت عنه و سرحت فى الميادين

الآخرى عجزت عن القيام بوظائف تربيته الأبناء كما ينبغي، و من هنا تهلّل وجهها بالبشر و داخلها السرور بما قضى به الرسول (صلى الله عليه و اله).

لقد كانت بنت النبي الأكرم تبذل قصارى جهدها لإسعاد اسرتها، و لم تستثقل أداء مهام البيت رغم كلّ الصعوبات و المشاق، حتى أنّ علياً أمير المؤمنين (عليه السّلام) رَقَّ لحالها و امتدح صنعها، و قال لرجل من بنى سعد: «ألا احَدِّثك عَنِّي و عن فاطمه؟ إنّها كانت عندى و كانت من أحبّ أهله (صلى الله عليه و اله) إليه، و إنّها استقت بالقربه حتى أثّر في صدرها، و طحنت بالرحى حتى مجلت يداها، و كسحت البيت حتى اغبّرت ثيابها، و أوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد فقلت لها: لو أتيت أباك فسألته خادما كيفيك ضرّاً ما أنت فيه من هذا العمل، فأتت النبي (صلى الله عليه و اله) فوجدت عنده حدّاثاً (1) فاستحت فانصرفت».

قال علي (عليه السّلام): «فعلم النبي (صلى الله عليه و اله) أنّها جاءت لحاجه، قال (عليه السّلام): فغدا علينا رسول الله (صلى الله عليه و اله) و نحن في لفاعنا، فقال (صلى الله عليه و اله): السلام عليكم، فقلت: و عليك السلام يا رسول الله ادخل، فلم يعد أن يجلس عندنا، فقال (صلى الله عليه و اله): يا فاطمه، ما كانت حاجتك أمس عند محمد؟ قال (عليه السّلام): فخشيت إن لم تجبه أن يقوم، فأخبره عليّ بحاجتها، فقلت: أنا و الله اخبرك يا رسول الله إنّها استقت بالقربه حتى أثّرت في صدرها و جرّت بالرحى حتى مجلت يداها و كسحت البيت حتى اغبّرت ثيابها و أوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألته خادما كيفيك ضرّاً ما أنت فيه من هذا العمل، فقال (صلى الله عليه و اله): أفلا اعلمكما ما هو خير لكم من الخادم؟ إذا أخذتما منامكما فسبحا ثلاثاً و ثلاثين و احمدا ثلاثاً و ثلاثين و كبرا أربعاً و ثلاثين».

و في روايه: أنّها لما ذكرت حالها و سألت جاريه بكى رسول الله (صلى الله عليه و اله)

ص: ٩٤

١- (١) أى: جماعه يتحدّثون معه.

فقال: «يا فاطمه و الذي بعثنى بالحق، إن في المسجد أربعمائه رجل ما لهم طعام و ثياب و لو لا خشيتي لأعطيتك ما سألت، يا فاطمه و إنني لا أريد أن ينفك عنك أجرك إلى الجارية، و إنني أخاف أن يخصمك على بن أبي طالب (عليه السّلام) يوم القيامة بين يدي الله - عز و جل - إذا طلب حقه منك، ثم علمها صلاه التسييح».

فقال أمير المؤمنين (عليه السّلام): «مضيت تريد من رسول الله (صلى الله عليه و اله) الدنيا فأعطانا الله ثواب الآخرة» (١).

و في ذات يوم دخل رسول الله (صلى الله عليه و اله) على علي (عليه السّلام) فوجده هو و فاطمه (عليها السّلام) يطحنان في الجاروش، فقال النبي (صلى الله عليه و اله): «أيكما أعبي؟» فقال علي (عليه السّلام): «فاطمه يا رسول الله» فقال (صلى الله عليه و اله): «قومي يا بنه»، فقامت و جلس النبي (صلى الله عليه و اله) موضعها مع علي (عليه السّلام) فواساه في طحن الحب (٢).

و روى عن جابر الأنصاري أنه رأى النبي (صلى الله عليه و اله) فاطمه و عليها كساء من أجله الإبل و هي تطحن بيديها و ترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله (صلى الله عليه و اله)، فقال: «يا بنتاه، تعجلى مراره الدنيا بحلاوه الآخرة» فقالت: «يا رسول الله، الحمد لله على نعمائه، و الشكر لله على آلائه»، فأنزل الله و لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٣).

و عن أبي عبد الله الصادق (عليه السّلام) قال: «كان أمير المؤمنين (عليه السّلام) يحتطب و يستقي و يكنس، و كانت فاطمه (عليها السّلام) تطحن و تعجن و تخبز» (٤).

و عن أنس: أن بلالا أبطأ عن صلاه الصبح، فقال له النبي (صلى الله عليه و اله): «ما

ص: ٩٥

١- (١) بحار الأنوار: ٨٥/٤٣.

٢- (٢) المصدر السابق: ٥٠/٤٣.

٣- (٣) المصدر السابق: ٨٦/٣.

٤- (٤) المصدر السابق: ١٥١.

حبسك؟ قال: مررت بفاطمه تطحن و الصبى يبكى، فقلت لها: إن شئت كفيتك الرحي و كفيتنى الصبى، و إن شئت كفيتك الصبى و كفيتنى الرحي فقالت: «أنا أرفق بابنى منك».

فذاك الذى حسنى، قال (صلى الله عليه و اله): «فرحمتها، رحمتك الله» (١).

و عن أسماء بنت عميس عن فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله): «أنَّ الرسول (صلى الله عليه و اله) أتى يوماً فقال: أين ابناي؟» يعنى حسنا و حسينا، قالت: «أصبحنا و ليس عندنا فى بيتنا شىء يذوقه ذاتق». فقال على (عليه السلام): «أذهب بهما إلى فلان؟»، فتوجه إليهما رسول الله (صلى الله عليه و اله) فوجدهما يلعبان فى مشربه بين أيديهما فضل من تمر فقال (صلى الله عليه و اله): «يا على، ألا- تقلب إبنى قبل أن يشتد الحرّ عليهما؟» فقال على (عليه السلام): «أصبحنا و ليس فى بيتنا شىء، فلو جلست يا رسول الله حتى أجمع لفاطمه تمرات»، فلما اجتمع له شىء من التمر جعله فى حجره ثم عاد إلى البيت (٢).

و عن عمران بن حصين قال: كنت مع النبى (صلى الله عليه و اله) جالسا إذ أقبلت فاطمه فوقفت بين يديه فنظر إليها و قد غلبت الصفرة على وجهها، و ذهب الدم من شده الجوع، فقال: «ادنى يا فاطمه» فدنت ثم قال: «ادنى يا فاطمه» فدنت حتى وقفت بين يديه، فوضع يده على صدرها فى موضع القلاده و فرج بين أصابعه و قال: «اللهم مشع الجاعه و رافع الوضعه لا تجع فاطمه بنت محمّد» (٣).

هذه هى الدنيا فى عين فاطمه بنت الرسول مواجهه للمعاناه و تألم من الجوع و انهيار من التعب، و لكن كل ذلك يبدو ممزوجا بحلاوه الصبر و ندى

ص: ٩٦

١- (١) ذخائر العقبى: ٦١.

٢- (٢) المصدر السابق: ٥٩.

٣- (٣) نظم درر السمطين: ١٩١.

الايثار، لأن وراءه نعيما لا انتهاء له، حصه يوم يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب.

إن إلقاء نظره فاحصه على حياه الزهراء (عليها السلام) توضّح لنا أنّ حياتها الشاقه لم تتغير حتى بعد أن أصبحت موفوره المال، في سعه من العيش -خصوصا بعد فتح بنى النضير و خيبر و تمليكها فدكا و غيرها- عمّا كانت عليه قبل ذلك رغم غلّتها الوافره، إذ روى أنّ فدكا كان دخلها أربعة و عشرين ألف دينار، و في روايه سبعين ألف دينار سنويا (١).

فالزهراء لم تعمر الدور و لم تبني القصور و لم تلبس الحرير و الديباج و لم تقتن النفائس، بل كانت تنفق كلّ ذلك على الفقراء و المساكين و في سبيل الدعوه إلى الله و نشر الإسلام.. و هكذا كان حال زوجها عليّ (عليه السلام) الذي أوقف على الحجاج مائه عين استنبطها في ينبع (٢) و قد بلغت صدقات أمواله في السنه أربعين ألف دينار (٣) و كانت صدقاته هذه كافيه لبنى هاشم جميعا إن لم نقل إنّها تكفى امه كبيره من الناس من غيرهم، إذا لاحظنا أنّ ثلاثين درهما كانت كافيه لشراء جاريه للخدمه، و كان الدرهم يكفى لشراء حاجات كثيره حينذاك.

ب- طيب معاشرتها للإمام عليّ (عليه السلام):

عاشت الزهراء (عليها السلام) في بيت أعظم شخصيه إسلاميه بعد الرسول الأعمم (صلّى الله عليه و اله) على الإطلاق، رجل مهمته حمل رايه الإسلام و الدفاع عنه.

ص: ٩٧

١- (١) سفينه البحار: ٤٥/٧.

٢- (٢) المناقب: ١٢٣/٢، و بحار الأنوار: ٣٢/٤١.

٣- (٣) كشف المحجّه: ص ١٣٣، و أنساب الأشراف: ١١٧/٢، و مجمع الزوائد: ١٢٣/٩، و بحار الأنوار: ٤٣/٤١، و أسد الغابه: ٢٣/٤.

و كانت الظروف السياسيـه حساسـه و فى غايـه الخطوره يوم كانت جيوش الإسلام فى حاله إنذار دائم، إذ كانت تشتبك فى حروب ضروس فى كلّ عام، و قد اشترك الإمام عليّ (عليه السّلام) فى أكثرها.

و كانت الزهراء توفّر الجوّ اللازم و الدفء و الحنان المطلوب فى البيت المشترك، و بهذا كانت تشترك فى جهاد عليّ أيضا فإنّ جهاد المرأه حسن التبعل كما ورد فى الحديث الشريف (١).

لقد كانت الزهراء (عليها السّلام) تشجّع زوجها، و تمتدح شجاعته و تضحيته، و تشدّد على يده للمعارك المقبله، و تسكّن جراحه و تمتص آلامه، و تسرّى عنه أتعابه، حتى قال الإمام عليّ (عليه السّلام): «و لقد كنت أنظر إليها فتنجلي عنى الغموم و الأحزان بنظرتى إليها» (٢).

و لقد كانت حريصه كلّ الحرص فى القيام بمهام الزوجيه، و ما خرجت فاطمه (عليها السّلام) من بيتها يوما بدون إذن زوجها، و ما أسخطته يوما و ما كذبت فى بيته و ما خانته و ما عصت له أمرا، و قابلها الإمام عليّ (عليه السّلام) بنفس الاحترام و الودّ و هو يعلم مقامها و منزلتها الرفيعه، حتى قال: «فو الله ما أغضبتها و لا أكربتها من بعد ذلك حتى قبضها الله إليه، و لا أغضبتنى و لا عصت لى أمرا» (٣).

و ذكر الإمام (عليه السّلام) ذلك فى لحظات عمر الزهراء (عليها السّلام) الأخيره حين أرادت أن توصيه: «يا ابن عمّ! ما عهدتنى كاذبه و لا خائنه، و لا خالفتك منذ عاشرتني؟» فقال (عليه السّلام): «معاذ الله، أنت أعلم بالله و أبرّ و أتقى و أكرم و أشدّ خوفا منه، و الله جدّدت عليّ مصيبيه رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و قد عظمت وفاتك و فقدك، فإنّا لله و إنا إليه

ص: ٩٨

١- (١) وسائل الشيعه: ٢٠/٢٢١ طبعه مؤسسه آل البيت (عليهم السّلام).

٢- (٢) المناقب للخوارزمى: ٣٥٣، طبعه مؤسسه النشر الاسلامى.

٣- (٣) المصادر السابق.

و عن أبي سعيد الخدرى قال: أصبح عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ذات يوم ساغبا فقال: «يا فاطمه هل عندك شىء تغذينيه؟» قالت: «لا، والذى أكرم أبي بالنبوّه وأكرمك بالوصيّه ما أصبح الغداه عندى شىء و ما كان شىء اطعمناه مذ يومين إلّا شىء كنت أوثرك به على نفسى و على ابنتى هذين (الحسن و الحسين) فقال عليّ (عليه السلام): «يا فاطمه ألا كنت أعلمتنى فأبغىكم شيئا؟» فقالت: «يا أبا الحسن إننى لأستحى من إلهى أن أكلف نفسك ما لا تقدر عليه» (٢).

هكذا عاش هذان الزوجان النموذجيان فى الإسلام، وأديا واجباتهما، و ضربا المثل الأعلى للأخلاق الإسلاميه الساميه، كيف لا؟ و قد قال النبىّ (صلّى الله عليه و اله) فى ليله الزفاف لعليّ (عليه السلام): «يا عليّ، نعم الزوجه زوجتك» و قال لفاطمه (عليها السلام): «يا فاطمه نعم البعل بعلك» (٣).

و قال (صلّى الله عليه و اله): «لو لا عليّ لم يكن لفاطمه كفؤ» (٤).

ج- فاطمه (عليها السلام) فى دور الامّ:

إنّ الامومه من الوظائف الحساسه و المهام الثقيله التى القيت على عاتق الزهراء (عليها السلام) حيث أنجبت خمسه أطفال هم: الحسن و الحسين و زينب و امّ كلثوم فى حين اسقط جنينها المحسن قبل ولادته (٥).

ص: ٩٩

١- (١) روضه الواعظين: ١/١٥١.

٢- (٢) بحار الأنوار: ٤٣/٥٩.

٣- (٣) المصدر السابق: ٤٣/١١٧، ١٣٢.

٤- (٤) كشف الغمه: ١/٤٧٢.

٥- (٥) لأنّ المحسن ولد ميتا من ضربه المهاجمين على دار الزهراء بعد امتناع عليّ (عليه السلام) من البيعه بعد وفاه الرسول (صلّى الله عليه و اله). و قد عدّ ابن عساكر فى تاريخه فى ترجمه الإمام الحسن - أولاد السيده الزهراء - و أورد -

وقد قدّر الله سبحانه وتعالى أن يكون نسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وذريته من فاطمه (عليها السلام)، كما أخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقوله: «إنّ الله جعل ذريته كلّ نبيّ في صلبه وجعل ذريتي في صلب عليّ بن أبي طالب» (١).

إنّ الزهراء (عليها السلام) - وهي ربيبه الوحي والنبوة - تعرف جيدا مناهج التربية الإسلامية والتي تجلّت في تربيتها لمثل الحسن (عليه السلام) الذي أعدته ليتحمّل مسؤوليه قياده المسلمين ويتجرّع الغصص في أخرج اللحظات من تأريخ الرسالة، ويصالح معاوية على مضمض حفاظا على سلامة الدين الإسلامي والفئة المؤمنة، ويعلن للعالم أنّ الإسلام هو دين السلام لا يسمح لأعدائه باستغلال مشاكله الداخليه لضربه وإضعافه، فيسقط ما في يد معاوية ويفشل خططه ومؤامراته لإحياء الجاهليه، ويكشف تضليله لعامة الناس ولو بعد برهه، ويقضى على اللعبة التي أراد معاوية أن يمرّرها على المسلمين.

والزهراء (عليها السلام) قد ربّت مثل الحسين (عليه السلام) الذي اختار التضحية بنفسه وجميع أهله وأعزّ أصحابه في سبيل الله و من أجل مقارعه الظلم والظالمين، ليروي بدمه شجرة الإسلام الباسقه.

وربّت الزهراء (عليها السلام) مثل زينب و أمّ كلثوم، وعلّمتهم دروس التضحية والفداء والصمود أمام الظالمين، حتى لا يدعنّ ولا يخضعن للظالم وقوته، ويقلن الحقّ، أمام جبروت بنى أميّة بكلّ جرأه و صراحه، لتتضح خطوره المؤامره على الدين وعلى امه سيّد المرسلين.

ص: ١٠٠

أ- الزهراء قبل فتح مكه:

منذ أن دخل رسول الله (صلى الله عليه و اله) المدينة المنوره كان دأبها على هدم أركان الجاهليه و استئصال جذورها و ضرب مواقعها، فكانت حياته في المدينة المنوره كما كانت في مكه حياه جهاد و بناء، جهاد المشركين و المنافقين و اليهود و الصليبيين، و بناء الدوله الإسلاميه العظيمه، و نشر الدعوه و تبليغها في كل بقعه يمكن لصوت التوحيد أن يصل إليها، فراح رسول الله (صلى الله عليه و اله) يحارب بالكلمه و العقيدته تاره، و بالسيف و القوه تاره اخرى، و بالاسلوب الذي يمليه الموقف و تفرضه الحكمه.

و هكذا جاهد رسول الله (صلى الله عليه و اله) و قاتل في مرحله حرجه صعبه، لم يكن يملك فيها من المال و الجيوش و الاستعدادات العسكريه ما يعادل أو يقارب جيوش الأحزاب و قوى البغي و الضلال التي تصدّت لدعوه الحق و الهدى، بل كانت كل قواه قائمه في إيمانه و انتصاره بربه و بالفئه المخلصه من أصحابه.

و الذي يقرأ تاريخ الدعوه و جهاد رسول الله (صلى الله عليه و اله) و صبره و احتماله؛ يعرف عظمه هذا الإنسان المبدئي، و يدرك قوه عظيمته و مدى صبره و رعايه الله و نصره له و لاولئك المجاهدين الذين حملوا رايه الجهاد بين يديه، فيكتشف مصدر النصر و القوه الواقعيين.

و لقد مرّت هذه الفتره الجهاديه الصعبه بكامل ظروفها و أبعادها بفاطمه (عليها السلام) و هي تعيش في كنف زوجها و أبيها، تعيش بروحها و مشاعرها،

و بجهادها فى بيتها، و فى مواساتها و مشاركتها لأبيها، فى شدته و محنته، فقد شهدت جهاد أبيها و صبره و احتمالها، شاهدته و هو يجرح فى (احد) و تكسر رباعيته، و يخذله المنافقون، و يستشهد عم أبيها حمزه أسد الله و نخبه من المؤمنين معه.

روى أنه لما انتهت فاطمه (عليها السلام) و صفته إلى رسول الله (صلى الله عليه و اله) -بعد معركة احد- و نظرتا إليه قال (صلى الله عليه و اله) لعلى (عليه السلام): «أما عمّتى فاحبسها عنى و أما فاطمه فدعها» فلما دنت فاطمه (عليها السلام) من رسول الله (صلى الله عليه و اله) و رآته قد شج وجهه و ادمى فوه، صاحت و جعلت تمسح الدم و تقول: اشتد غضب الله على من أدمى وجه رسول الله (صلى الله عليه و اله)، و كان (صلى الله عليه و اله) يتناول فى يده ما يسيل من الدم فيرميه فى الهواء فلا يتراجع منه شىء (١).

و كانت فاطمه (عليها السلام) تحاول تضמיד جرح رسول الله (صلى الله عليه و اله) و قطع الدم الذى كان ينزف من جسده الشريف، فكان زوجها يصب الماء على جرح رسول الله (صلى الله عليه و اله) و هى تغسله، و لما يئست من انقطاع الدم أخذت قطعه حصير و أحرقتها حتى صار رمادا فذرتة على الجرح حتى انقطع دمه (٢).

و يحدثنا التاريخ عن مشاركة فاطمه (عليها السلام) بروحها و مشاعرها لأبيها فى كفاحه و صبره و جهاده فى أكثر من موقع.

فقد روى أنّ رسول الله (صلى الله عليه و اله) قدم من غزاه له، فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين، ثم بدأ -كعادته- بيت فاطمه قبل بيوت نسائه، جاءها ليزورها و يسر بلقائها، فرأت على وجهه آثار التعب و الإجهاد، فتألّمت لما رأت و بكت فسألها (صلى الله عليه و اله): «ما يبكيك يا فاطمه؟» فقالت: «أراك قد شحب

ص: ١٠٢

١- ((بحار الأنوار: ٩٦/٢٠، و روى أحمد بن حنبل فى مسنده: ٣٣٤/٥ ما فى معناه.

٢- ((فضائل الخمسة: ١٦١/٣.

لونك» فقال (صلى الله عليه و اله) لها: «يا فاطمه إن الله - عز و جل - بعث أباك بأمر لم يبق على ظهر الأرض بيت مدر و لا شعر إلا دخله به عزًا أو ذلاً يبلغ حيث يبلغ الليل» (١).

و ليست هذه العاطفه و تلك العنايه و المشاركه مع الأب القائد و الرسول الأعظم (صلى الله عليه و اله) من ابنته فاطمه (عليها السلام) هي كل ما تقدمه لأبيها من إيثارها له و اهتمامها به و مشاركتها له في شدته و عسرتة، إنها جاءت يوم الخندق و رسول الله (صلى الله عليه و اله) منهمك مع أصحابه في حفر الخندق لتحصين المدينة و حمايه الإسلام، جاءت و هي تحمل كسره خبز فرفعتها اليه فقال (صلى الله عليه و اله): «ما هذه يا فاطمه؟» قالت: «من قرص اختبزه لابنّي، جئتك منه بهذه الكسره» فقال (صلى الله عليه و اله): «يا بنيه أما إنها لأول طعام دخل في فم أبيك منذ ثلاث» (٢).

هذه صوره مشرقه لجهاد المرأه المسلمه تصنعها فاطمه في ظلال رسول الله (صلى الله عليه و اله)، فهي تشارك بكل ما لديها لتشد أزر الإسلام و تكافح جنباً إلى جنب مع أبيها و زوجها و أبنائها في ساحه واحده و خندق واحد، لتدوّن في صحائف التاريخ درسا عملياً تتلقاه الأجيال من هذه الامه المسلمه، فتتعلم حياه الإيمان التي تصنعها عقيدته التوحيد بعيدة عن اللهو و العبث و الضياع.

ب- الزهراء (عليها السلام) في فتح مكه:

لقد أحست سيده النساء بالغبطه و السعاده و قد رأت القسم الأكبر من الجزيره يخضع لسلطان الإسلام و يدين برسالة أبيها، و ها هي قريش مع عتوها و كبريائها ترسل أحد زعمائها إلى يثرب عاصمه الإسلام لتفاوض

ص: ١٠٣

١- (١) فضائل الخمسه (الفيروز آبادي): ١٦١/٣، و حليه الأولياء لأبي نعيم: ٣٠/٢، و كنز العمال ١/ ح ١٤٤٨.

٢- (٢) ذخائر العقبى: ٤٧، و فضائل الخمسه: ١٦١/٣.

النبي (صلى الله عليه و اله) على تمديد أمد الهدنه التي تم الاتفاق عليها في الحديبيه، حينما ذهب النبي معتمرا في العام السادس للهجره.

لقد أرسلت قريش زعيمها أبا سفيان بعد أن أخلت بالشروط التي تم الاتفاق عليها ليعرض على النبي طلب قريش فلم يجد تجاوبا من النبي، فاستجار بجماعه من المسلمين فلم يجره أحد حتى ابنته رمله زوجة النبي (صلى الله عليه و اله)، فدخل على علي و الزهراء (عليهما السلام) يطلب منهما الشفاعة له عند رسول الله (صلى الله عليه و اله) فأبى كل من علي و الزهراء و الحسين (عليهم السلام) أن يجيروه، و لما يئس من أن يجيره مسلم من المسلمين رجع آيسا خائفا منكسرا يتعثر بالفشل و الخذلان.

و أيقنت الزهراء من موقف أبيها من أبي سفيان أنه سيفتح مكة، و دنت الأيام فخرج الرسول في عشره آلاف من المسلمين و لواؤه مع ابن عمه و وصيه علي بن أبي طالب (عليه السلام) و خرجت معه الزهراء فيمن خرج معه من النساء، لقد ظلت الزهراء إلى جانب أبيها مزهوه بنصر الله و قد رأت الأصنام تحت أقدام أبيها، و رأت قريشا تلوذ به و تقول: أخ كريم و ابن أخ كريم، و أبوها يقول لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

لقد كانت الأيام التي قضتها الزهراء مع أبيها في مكة حافلة بالذكريات، حيث تذكرت فيها أيام أبيها يوم كان المشركون يطاردونه و أصحابه و يحاصرونه في الشعب، كما و تذكرت أيام امها خديجه و عم أبيها أبي طالب.

لقد رأت في تلك الرحله المظفره هوازن و ثقيفا و أحلافهما من العرب الذين ظلوا حتى ذلك التاريخ على موقفهم المتصلب من الإسلام، رأتهم ينهارون و تندك حصونهم و معقلهم و تقع أموالهم و صبيانهم و نساؤهم في

معركه حنين غنيمه للمسلمين.

و عادت مع أبيها و زوجها إلى مدينه الأنصار تاركه مكه مرتع الصبا و موطن الأهل و الأحباب، و امتدّت حياتها عامين بعد هذه الرحله و كانا من أسعد أيام حياتها حيث الإسلام قد انتشر في جميع أنحاء الجزيره، و أصبح الأول من بين الأديان (١).

٣- حجه الوداع و الأيام الأخيره:

و مرّت تلك الأيام بعطائها و حلوها و مرّها حتى جاءت السنه العاشره من الهجره دعا النبي الأكرم (صلى الله عليه و اله) عامه المسلمين لأداء مناسك الحج، و حجّ بهم حجّه الوداع، و علّمهم أحكام الحج و مناسكه، و عند العوده توقّف الركب عند غدير خم، و صعد النبي (صلى الله عليه و اله) على منبر من أحجاج الإبل و نادى بصوت عال بعد تمهيدات عديده: «من كنت مولاه فعلىّ مولاه اللهمّ وال من والاه و عاد من عاداه» فنصب عليّا (عليه السّلام) لخلافته من بعده، ثم أمر المسلمين فبايعوا عليّا و سلّموا عليه يا مره المؤمنين، ثم تفرّقوا في بلدانهم، و عاد النبي (صلى الله عليه و اله) إلى المدينه.

و بدخول السنه الحاديه عشره من الهجره، و في الأيام الأخيره من شهر صفر اشتكى النبي من مرض ألمّ به، و كان قد عزم على غزو الروم و أعدّ لقياده جيشه اسامه بن زيد و هو في مطلع شبابه، و أمر جميع المهاجرين و الأنصار أن ينضمّوا اليه، و جعل يستحثّهم على الخروج، و نصّ على بعضهم بالاسم ليخلى الساحة من المخالفين و المتربّصين، و يفوّت الفرصه على المعارضين لخلافه الإمام عليّ (عليه السّلام).

ص: ١٠٥

١- (١) راجع سيره الأئمه الاثني عشر: ١٠٠/١-١٠٥.

و ظنّ أكثر المسلمين في بدايه الأمر أنّها و عكه صحّيه طارئه لا تلبث أن تزول بسرعه، غير أنّ الزهراء لم تكذب تسمع بشكوى أبيها حتى ارتج قلبها و انهارت و كأنّها و الموت على ميعاد، فقد بانّت أمارات الموت عليه (صلى الله عليه و اله) و ضعفت صحّته، فكان يتهتأ و يوصى بأهل بيته في كلّ مناسبه، و يزور البقيع و يخاطبهم بكلمات تشعر بدنوّ أجله، لا سيما و قد سمعته قبل ذلك يقول في بعض المناسبات لأصحابه و هو يعظهم: «يوشك أن ادعى فاجيب»، و سمعته يقول في حجّه الوداع على جبل عرفات و قد وقف بين المسلمين: «لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا»، و تكثرت منه هذه المقاله في السنه العاشره من الهجره.

و مرّه رأت فاطمه (عليها السّلام) في منامها-بعد حجّه الوداع- أنّها كانت تقرأ القرآن و فجأه وقع القرآن من يدها و اختفى، فاستيقظت مرعوبه و قصّت الرؤيا على أبيها (صلى الله عليه و اله) فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «أنا ذلك القرآن-يا نور عيني- و سرعان ما أرحل» (١).

لقد كانت فاطمه (عليها السّلام) و أمير المؤمنين أشدّ الناس لصوقا و أقربهم إلى رسول الله في فتره مرضه و حتى وفاته (صلى الله عليه و اله)، فعن عليّ (عليه السّلام): أنّ معاذاً سأله عايشه كيف وجدت رسول الله (صلى الله عليه و اله) عند وجعه و وفاته؟ فقالت: يا معاذ ما شهدت عند وفاته و لكن دونك هذه فاطمه ابنته فاسألها (٢).

كما أنّ فاطمه كانت تطوف حين مرض النبيّ (صلى الله عليه و اله) على أزواجه فتقول: إنّه يشق على النبيّ (صلى الله عليه و اله) أن يطوف عليك، فقلن هو في حلّ (٣).

ص: ١٠٤

١- (١) رباحين الشريعه: ٢٣٩/١.

٢- (٢) راجع الإصابة: ١٧٨/٢ (ط. مصر).

٣- (٣) راجع عوالم العلوم: ٣٩٠/١١.

و اشتد المرض بالنبي (صلى الله عليه و اله) أكثر فأكثر، فهو مسجى على فراش الموت و الزهراء بجانبه يشتدّ وجدها على أبيها، و تقول: و اكرى لكربك يا أبتاه! فتاره تحدّق فى وجهه الشاحب و تذرف الدموع الساخنه، و اخرى تدعو له بالسلامه.

لقد ثقل المرض على رسول الله (صلى الله عليه و اله) حتى أغمى عليه، فلمّا أفاق؛ وجد أبا بكر و عمر و آخرين عنده، فقال (صلى الله عليه و اله): «ألم أمركم بالمسير فى جيش اسامه؟» فاعتذروا إلّا- أنّ النبي (صلى الله عليه و اله) كان يعلم ما تكنّ صدورهم و ما يبيتون من بقائهم فى المدينة لبيتوا مركز القيادة الإسلاميه، فقال (صلى الله عليه و اله): «إئتوني بدواه و بياض، أكتب لكم كتابا لا تضلّوا بعدى أبدا»، فتنازعوا فقالوا: إن رسول الله (صلى الله عليه و اله) يهجرو فى نص آخر: قال عمر: إن النبي غلبه الوجع حسبنا كتاب الله فاختلفوا و كثر اللغط، قال (صلى الله عليه و اله): قوموا عني و لا ينبغي عندي التنازع (١).

كانت الزهراء ترى كلّ ذلك بقلب حزين و عين دامعه، و كأنّها ترتقب أياما صعبه الأحداث.

٤- وصايا الرسول (صلى الله عليه و اله) فى ساعه الوداع:

لما ثقل و اشتد المرض برسول الله (صلى الله عليه و اله) و حضرته الوفاه؛ أخذ أمير المؤمنين على (عليه السلام) رأسه الشريف فوضعه فى حجره، فاغمى على رسول الله (صلى الله عليه و اله) و فاطمه (عليها السلام) تنظر فى وجهه و تندبه و تبكى و تقول:

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمه للأرامل

ففتح رسول الله (صلى الله عليه و اله) عينيه و قال بصوت ضعيف: «بنته قولى: و ما

ص: ١٠٧

١- ((١)) الكامل فى التاريخ: ٣٢٠/٢، طبعه دار الفكر-بيروت، و صحيح البخارى: كتاب العلم، باب كتابه العلم.

مُحَمَّدٌ إِلَّا- رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ لَمَّا تُرَى أَوْ قِيلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَيَّ أَغْفَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» (١).

فبكت طويلا فأوما إليها بالذنو منه، فأسرَّ إليها شيئا فتهلَّل وجهها له.

فقبل لها (عليها السِّلام) بعد وفاه رسول الله (صلى الله عليه و اله) : ما الذى أسرَّ اليك رسول الله (صلى الله عليه و اله) فسرى عنك به ما كنت عليه من الحزن و القلق بوفاة؟ قالت: «إنَّه أخبرنى أنَّى أول أهل بيته لحوقا به، و أنه لن تطول المدَّة لى بعده حتى أدركه، فسرى ذلك عني» (٢).

و عن أنس قال: جاءت فاطمه و معها الحسن و الحسين (عليهما السِّلام) إلى النبي (صلى الله عليه و اله) فى المرض الذى قبض فيه فانكبَّت عليه فاطمه و ألصقت صدرها بصدره و جعلت تبكى، فقال لها النبي (صلى الله عليه و اله): «يا فاطمه لا تبكى علىَّ و لا تلطمى و لا تخمشى علىَّ خدا و لا تجزى علىَّ شعرا، و لا تدعى بالويل و الثبور، و تعزى بعزاء الله، ثم بكى و قال: اللهم أنت خليفتى فى أهل بيتى، اللهم هؤلاء وديعتى عندك و عند المؤمنين».

و روى البخارى و مسلم فى صحيحهما عن عائشه أنها قالت: أقبلت فاطمه تمشى كأن مشيتها مشى النبي (صلى الله عليه و اله) فقال النبي (صلى الله عليه و اله): «مرحبا بابنتى» ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم أسرَّ إليها حديثا فبكت، فقلت: استخصك رسول الله (صلى الله عليه و اله) حديثه ثم تبكين؟ ثم إنَّه أسرَّ لها حديثا فضحكت، فقلت:

ما رأيت كالיום فرحا أقرب من حزن! فسألتهما عما قال فقالت: «ما كنت لأفشى سرَّ رسول الله (صلى الله عليه و اله) حتى إذا قبض النبي (صلى الله عليه و اله) سألتها فقالت: «إنَّه أسرَّ إلىَّ فقال: «إنَّ جبرئيل (عليه السِّلام) كان يعارضنى بالقرآن فى كلِّ عام مرَّه و إنَّه عارضنى به هذا العام مرَّتين، و لا أراه إلاَّ قد حضر أجلى فبكيت، ثم قال لى: إنَّك أول أهل بيتى لحوقا بى و نعم

ص: ١٠٨

١- (١) آل عمران (٣): ١٤٤.

٢- (٢) الكامل فى التاريخ: ٣٢٣/٢، و طبقات ابن سعد: ٣٩/٢، و مسند أحمد ٢٨٢/٦.

السلف أنا لك، أما ترضين أن تكوني سيده نساء أهل الجنة؟ فضحكت» (١).

و عن موسى بن جعفر عن أبيه (عليهم السّلام): «لَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي قَبِضَ النَّبِيُّ فِي صَبِيحَتِهَا، دَعَا عَلِيًّا وَ فَاطِمَةَ وَ الْحَسْنَ وَ الْحُسَيْنَ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وَ أَغْلَقَ عَلَيْهِ وَ عَلَيْهِمُ الْبَابُ وَ قَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ): يَا فَاطِمَةُ! أَدْنَاهَا مِنْهُ فَجَاجَاهَا مِنَ اللَّيْلِ طَوِيلًا فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ خَرَجَ عَلَيَّ وَ مَعَهُ الْحَسَنُ وَ الْحُسَيْنُ وَ أَقَامُوا بِالْبَابِ وَ النَّاسُ خَلْفَ الْبَابِ، وَ نِسَاءُ النَّبِيِّ يَنْظُرْنَ إِلَى عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَ مَعَهُ ابْنَاهُ» فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِأَمْرٍ مَا أَخْرَجَكَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ وَ خَلَا بِابْنَتِهِ عَنْكَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ؟ فَقَالَ لَهَا عَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «قَدْ عَرَفْتُ الَّذِي خَلَا بِهَا وَ أَرَادَهَا لَهُ، وَ هُوَ بَعْضُ مَا كُنْتُ فِيهِ وَ أَبُوكَ وَ صَاحِبَاهُ فَوَجُمْتُ أَنْ تَرَدَّ عَلَيْهِ كَلِمَةٌ».

قال عليّ (عليه السّلام): «فما لبثت أن نادتنى فاطمة (عليها السّلام) فدخلت على النبي (صلى الله عليه و اله) و هو يوجد بنفسه فقال لى: ما يبكيك يا عليّ؟ ليس هذا أوان بكاء فقد حان الفراق بيني و بينك، فأستودعك الله يا أخى، فقد اختار لى ربى ما عنده، و إنّما بكائى و غمى و حزنى عليك و على هذه أن تضيق بعدى، فقد أجمع القوم على ظلمكم، و قد استودعتكم الله و قبلكم منى و ديعه، إنّى قد أوصيت فاطمة ابنتى بأشياء و أمرتها أن تلقيها اليك فنفّذها فهى الصادقة الصدوقه».

ثم ضمّها اليه و قبّل رأسها و قال: «فداك أبوك يا فاطمه» فعلا- صوتها بالبكاء ثم ضمّها اليه و قال: «أما و الله لينتقم الله ربى، و ليغضبني لغضبك، فالويل ثم الويل للظالمين، ثم بكى رسول الله (صلى الله عليه و اله)».

قال عليّ (عليه السّلام): «فو الله لقد حسبت قطعه منى ذهبت لبكائه حتى هملت عيناه مثل المطر، حتى بلت دموعه لحيته و ملاءه كانت عليه، و هو يلتزم فاطمه لا يفارقها و رأسه على صدرى و أنا مسنده، و الحسن و الحسين يقبلان و يبكيان بأعلى أصواتهما» قال عليّ (عليه السّلام): «فلو قلت إنّ جبرئيل فى البيت لصدقت لأننى كنت أسمع

ص: ١٠٩

بكاء نغمه لا أعرفها، و كنت أعلم أنّها أصوات الملائكة لا شك فيها، لأن جبرئيل لم يكن فى مثل تلك الليله يفارق النبى (صلى الله عليه و اله)، و لقد رأيت بكاء من فاطمه أحسب أنّ السماوات و الأرضين بكت لها.

ثم قال (صلى الله عليه و اله) لها: «يا بنيه، الله خليفتي عليكم و هو خير خليفه، و الذى بعثنى بالحقّ لقد بكى لبكائك عرش الله و ما حوله من الملائكة و السماوات و الأرضون و ما بينهما، يا فاطمه و الذى بعثنى بالحقّ لقد حرمت الجنه على الخلائق حتى أدخلها، و إنك لأول خلق الله يدخلها بعدى، كاسيه حاله ناعمه، يا فاطمه هنيئا لك، و الذى بعثنى بالحقّ إنّ جهنم لتزفر زفره لا- يبقى ملك مقرب و لا- نبى مرسل إلاّ صعق، فينادى إليها أن يا جهنم يقول لك الجبار اسكنى بعزى و استقرى حتى تجوز فاطمه بنت محمد (صلى الله عليه و اله) إلى الجنان لا يغشاها فقر و لا ذله، و الذى بعثنى بالحقّ ليدخلن حسن و حسين، حسن عن يمينك و حسين عن يسارك، و لتشرفنّ من أعلى الجنان بين يدي الله فى المقام الشريف، و لواء الحمد مع على بن أبى طالب (عليه السلام)، و الذى بعثنى بالحقّ لأقومن بخصومه أعدائك، و ليندمنّ قوم أخذوا حقك و قطعوا مودّتك و كذبوا علىّ، و ليختلجنّ دونى فأقول: امتى امتى، فيقال:

إنهم بدّلوا بعدك و صاروا إلى السعير» (1).

إلى هنا ينتهى الحديث عن ثلاث مراحل من حياه الزهراء (عليها السلام).

و أمّا المرحله الرابعه من حياتها فهى تبدأ بعد وفاه أبيها المصطفى (صلى الله عليه و اله) و تنتهى باستشهادها (صلوات الله عليها).

و حيث إنّ هذه المرحله- بالرغم من قصرها- تشكّل مقطعا متميّزا فى حياتها فسوف نفردها بباب خاص ضمن عدّه فصول.

ص: ١١٠

١- (١) بحار الأنوار: ٢٢/٤٩٠، و راجع: نصوص المقطع الأخير من الحديث فى صحيح البخارى: كتاب الفتن، الأحاديث (١-٥).

الباب الثالث

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

الزهراء (عليها السلام) بعد أبيها

الفصل الثاني:

مرض الزهراء (عليها السلام) واستشهادها الفصل الثالث:

من تراث الزهراء (عليها السلام)

ص: ١١١

الزهراء (عليها السلام) بعد أبيها

١- حدث السقيفه:

إنَّ أصعب مرحله فى تأريخ الامه الإسلاميه اشتعلت شرارتها و دوى انفجارها هى التى أعقبت وفاه رسول الله (صلى الله عليه و اله).

لقد كانت تحكم الظروف المعقده-آنذاك-عناصر موضوعيه و اخرى ذاتيه، فالرسول الأكرم (صلى الله عليه و اله) أتمّ تبليغ الرساله الإسلاميه كامله عن الله عز و جل، و كان وجوده (صلى الله عليه و اله) عنصر الإشعاع الإيمانى و مدعاه للإستقرار و البناء، و لكن عمق الخلل الكبير فى المجتمع الإنسانى و الذى يمتد إلى بعد غير منظور ربّما كان متجسّدا فى عقول و سلوك أفراد عديدين كانوا قريبين من مصادر قوه و حركه مجتمع الجزيره-الحديث العهد بالإسلام-جعل التفاعل بين طرفى الحقّ و الباطل يظهر بشده بعد وفاه الرسول (صلى الله عليه و اله).

لقد كان الصراع الذى برز على ساحه المجتمع الإسلامى دليلا على عدم استيعاب العدد الأكبر للعقيده الإسلاميه بكلّ أبعادها و حدودها، و كان من نتائج هذا الصراع أن بدأت عمليه انحراف التجربه الإسلاميه و ما يترتب عليها من آثار سيئه على المسلمين إلى يومنا هذا.

إنّ الفتره التى تلت وفاه الرسول الأكرم (صلى الله عليه و اله) ازدحمت بالأحداث

المتناقضه و الارتجاليه، و لكي ندرس حياه الزهراء (عليها السّلام) في هذه الفتره لا بدّ أن نستعرض الوضع العام و ما جرى من أحداث، كى يمكن من خلالها أن نتصور حاله المجتمع آنذاك و القوى المؤثره و المتفاعله فيه و ما تتركه من آثار على أهل بيت النبوه عامه و الزهراء (عليها السّلام) خاصه من تعدى و ظلمات، و أوّل ما يصادفنا هو إجتماع السقيفه و دوره الأساسى لكلّ المواقف التى تلتها و تأسست عليه.

لقد انشغل الإمام علىّ (عليه السّلام) و أهل بيت النبيّ (صلّى الله عليه و اله) و بنو هاشم و الموالون لهم فى تجهيز النبيّ (صلّى الله عليه و اله) و الاستعداد لمراسم دفنه، و استغلت هذا الانشغال العناصر التى كانت لها مطامع و رغبات فى الوصول إلى الزعامه غير عابئه بالأوامر و النواهى الإلهيه التى وردت على لسان النبيّ الكريم.

لقد كان هناك موقفان: الأوّل: وقوف عمر بن الخطاب و هو يصرّح وسط جموع المسلمين المحتفين حول بيت النبيّ (صلّى الله عليه و اله) و الحزن ظاهر عليهم: أنّ النبيّ (صلّى الله عليه و اله) لم يمّت، و أخذ يهدّد و يتوعّد من يدعى ذلك و إصراره على موقفه المريب حتى مجيء أبى بكر من خارج المدينه.

و الموقف الآخر: إجتماع الأنصار فى سقيفه بنى ساعده برئاسة سعد بن عباده الخزرجى.

وقد اتفق المؤرّخون و المحدّثون بأنّ موقف عمر بن الخطاب انتهى بحضور أبى بكر و قراءته للآيه و مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ... على الناس، إذ هدأت ثوره عمر بن الخطاب و خرجا معا من بيت النبيّ (صلّى الله عليه و اله) و تركاه بين أهله المفجوعين بوفاته.

و الذى تؤكّده القرائن و سير الأحداث أنّهما انصرفا إلى مكان ما كانوا قد أعدّوه لاتخاذ التدابير اللازمه، و ربّما أنّ أكثر الأنصار بما فيهم سعد بن عباده

لم يضعوا في حسابهم غير عليّ (عليه السلام) للخلافه بعد النبيّ (صلى الله عليه و اله) كما كان الاعتقاد السائد بين عامه المسلمين أنّها لن تعدوه، و لكن بعد أن تبين للأنصار أنّ شيوخ المهاجرين قد تكتلوا لصرها عنه و الاستيلاء عليها و تجاهلوا نصوص الرسول عليه و أنّهم في هذا التحالف القرشي الجديد يرجعون إلى إحياء الروح الجاهليه و النزعات القبليه، في حين أنّهم قد قدّموا للدعوه و صاحبها و بذلوا له من أنفسهم و أموالهم ما لم يقدّمه و يبذله أحد من المهاجرين الذين يخطّطون للاستيلاء على السلطه من بعده، بعد أن تبين لهم ذلك اجتمع فريق منهم بزعامه سعد بن عباده في السقيفه للتداول بشأن الخلافه، و هتف جماعه منهم باسم سعد بن عباده، و لما اتّصل الخبر بالمهاجرين عن طريق بعض الأنصار الذين كانوا يناوئون سعادا و يعملون لغير صالحه، تركوا مكانهم و أقبلوا مسرعين إلى سقيفه بنى ساعده، فوقف خطيب الأنصار و أشاد بالأنصار و موافقهم و تضحياتهم في سبيل الإسلام و تمّنى على المهاجرين أن لا يتجاهلوهم و يجعلوا لهم شيئا من الأمر، و تحدّث بعده أبو بكر فنوّه بفضل قريش و أمجادها و أعاد إلى الأذهان مواقف العرب قبل الإسلام و تفاخرهم بالأحساب و الأنساب.

و جاء في روايه العقد الفريد أنّه قال: نحن المهاجرين أول الناس إسلاما و أكرمهم أحسابا و أوسطهم دارا و أحسنهم جوها و أمسيهم برسول الله رحما، و مضى يقول: إنّ العرب لا تدين إلّا لهذا الحيّ من قريش فلا تنفسوا على إخوانكم المهاجرين ما فضلهم الله به، فقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، و أشار إلى عمر بن الخطاب و أبي عبيده بن الجراح.

و انتهز أبو بكر - و هو يتحدّث عن قريش و أمجادها و عن المهاجرين بالذات - صوت بشير بن سعد الخزرجي و قد ارتفع في ناحيه من نواحي البيت،

و أخذته الحسد لابن عمه و هو يقول: أيتها الناس ألا إن محمداً من قريش و إن قومه أحقّ به و أولى، و أيم الله لا يرانى الله انازعهم فى هذا الأمر أبداً.

و أبى عليه الحباب بن المنذر الخزرجى أن يبرز بين الناس بهذا الاسلوب الذى يتّسم بطابع الدجل و النفاق و الحسد لابن عمه، فقال: لقد عزّ على بشير بن سعد أن يتولّى ابن عمه السلطه بعد النبى حسداً و بغضاً، فظهر بمظهر من لا يريد أن ينازع أحداً حقاً هو أولى به، ثم قال: ما أحوجك إلى ما صنعت يا بشير! لقد نفست الإمارة على ابن عمك سعد بن عباده.

و لم ينته الجدل عند هذا الحد، بل قام اسيد بن حضير أحد زعماء الأوس يثير فى النفوس أحقاد الجاهليه و يذكر بما بين الحيين الأوس و الخزرج من خلافات و أحقاد و عصبيات قد أطفأتها سماحه الإسلام، و مضى يخاطب الأوس و يقول: يا بنى الأوس، و الله لأن وليتموها سعدا عليكم مره لا يزال للخزرج بذلك عليكم الفضل و لا جعلوا لكم فيها نصيباً أبداً.

و استغل أبو بكر صوت بشير بن سعد الذى جرّ هذا الانقسام، فأخذ عمر بن الخطاب بيد و أبا عبيده بالآخرى و نادى: أيتها الناس، هذا عمر و هذا أبو عبيده فبايعوا أيهما شئتم، و قام الحباب بن المنذر بعد هذا التدبير المدروس بين الثلاثة و قال: يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم و لا تسمعوا مقاله هذا و أصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، و استولى الغضب على ابن الخطاب فانبرى يقول: من ذا ينازعنا سلطان محمد و إمارته و نحن أولياؤه و عشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لائثم أو متورّط فى هلكه؟

و لما سمع الحباب بن المنذر تحدّى عمر بن الخطاب و اسلوبه المتعطرس توجه إلى الأنصار و قال: أما إذا أبوا عليكم ما سألتموهم فاجلوهم عن هذه البلاد، فأنتم و الله أحقّ بهذا الأمر منهم، بأسيافكم دان بهذا الدين من

دان، ثم انتضى سيفه يلوح به ويقول: أنا جدي لها المحكك و غديقها المرجب، أما و الله إن شئتم لتعيدنّها جذعه، و هنا عصف الغضب بجوانح عمر بن الخطاب و كاد أن يقع الشرّ بين الطرفين، فوقف أبو عبيده بن الجراح ليحول دون وقوع الفتنه، فقال بصوت هادئ: يا معشر الأنصار كنتم أول من نصر و آزر فلا تكونوا أول من غير و بدّل، و مضى يتحدّث بلهجه فيها توّسل و رجاء فلم يلبثوا حتى هدأت نفوسهم و انقسم الأنصار على أنفسهم، و أسرع عمر بن الخطاب بعد هذا الحوار إلى أبي بكر و قال: أبسط يدك يا أبا بكر، ما كان لأحد أن يؤخّرك عن مقامك الذي أقامك الله فيه، و قام بعده أبو عبيده بن الجراح و قال له: إنك لأفضل المهاجرين و ثاني اثنين إذ هما في الغار و خليفه رسول الله على الصلاة، فبسط أبو بكر لكليهما كفّه فباعاه، و أسرع بعدهما بشير بن سعد و جماعه من الخزرج فبايعوه و تبعهم اسيد بن حضير بمن معه من الأوس، و خرجوا من سقيفه بنى ساعده يهتفون لأبي بكر و لا يمرّون على أحد إلّا و أخذوا بيده و أمروها على يد أبي بكر و من أبي ضربه عمر بن الخطاب بدرّته و تكاثر عليه أتباعه حتى يرغموه على البيعه، و تمت بيعه أبي بكر بهذا النحو الذي كان مفاجأه لأكثر الناس.

و من مجموع ذلك يتبين أنّ التخطيط لإقصاء عليّ عن السلطه و الاستيلاء عليها لم يكن وليد ساعته كما تؤكده الشواهد، و أنّ موقف الأنصار بقياده سعد بن عباده كان ارتجاليا لم يحضّر له من قبل كما يبدو ذلك من اختلافهم و تضارب آرائهم، كما تبين أنّ القاده الثلاثه أبا بكر و عمر بن الخطاب و ابن الجراح هم قاده الحزب القرشي المتآمر على الاستيلاء على السلطه و إقصاء عليّ بن أبي طالب عنها، و أنّ أقوى ما لديهم من الأدلّه في مقابل الأنصار لا يعدو الأمرين: أولهما: أنّ المهاجرين أول الناس إسلاما،

و الثاني: أنهم أقرب الناس إلى رسول الله و أمّسهم به رحماً، و قد أدان هؤلاء القاده أنفسهم بهذه الحجّه، ذلك لأنّ الخلافه إذا كانت بالسيف إلى الإسلام و القرابه القريبه من رسول الله كما يدعون فهى لعلى (عليه السلام) وحده، لأنّه أوّل الناس إسلاماً و إيماناً و تصديقاً برسالة محمّد بن عبد الله (صلّى الله عليه و اله) باتفاق جميع المسلمين، و أخوه بمقتضى المؤاخاه التى عقدها النبىّ معه يوم آخى بين المهاجرين و الأنصار فى المدينه، و هو ابن عمّه نساباً، و أقرب الناس إلى نفسه و قلبه بلا شكّ فى ذلك عند أحد من الناس.

لقد ناقض نفسه أبو بكر حينما احتجّ على الأنصار بالقرابه و السبق إلى الإسلام و رشّح لها عمر بن الخطاب و أبا عبيده بن الجراح لأنهما أسبق إلى الإسلام من الأنصار و أمّسهم بالنبى رحماً، و تجاهل على بن أبى طالب الذى بايعه مائه ألف أو يزيدون فى غدير خم قبل مده لا تتجاوز ثلاثه أشهر، و قد سبق جميع الناس إلى الإسلام، و كان ابن عمّ النبى نساباً و أخاه وحده فى الله بإجماع المؤرّخين و المحدثين، و بموافقته و تضحياته و جهاده استقام الإسلام و انتصر على الشرك و الوثنيه و على قريش التى عادت سيرتها الاولى تحارب محمدا المتمثّل فى خط علىّ و شخصه (عليه السلام).

و ما كان الأمر مخفياً على أبى بكر الذى يعتقد سلامه هذا الاسلوب و كفايته حين رشّح لها أحد الرجلين، و لكنه هو و أنصاره كانوا قد خطّطوا لذلك، و اتفقوا مع بعض الأنصار و المهاجرين على إقصاء علىّ عن الخلافه و الاستيلاء عليها بكلّ الأساليب، و كان يتكلم مع الفريق الثانى من الأنصار الذين استفزّهم موقف أبى بكر و أنصاره، و اجتمعوا فى سقيفه بنى ساعده يتداولون فى مصير الخلافه، كان يتكلم معهم هو و رفيقاه بمنطق القوىّ الذى يريد أن يفرض على الغير وجوده و لو بهذا النحو من التمويه و التضليل.

وَمِمَّا يدل على ذلك جواب عمر بن الخطاب له حينما أشار على الحضور أن يبايعوا أحد الرجلين عمر بن الخطاب أو أبا عبيده، فأجابه على الفور: أيكون هذا و أنت حي؟ ما كان لأحد أن يؤخرَكَ عن مقامك الذي أقامك فيه رسول الله (1)!

هذا الجواب يشير إلى تخطيط و اتفاق بينهما على الاسلوب الذي تتم فيه بيعه أبي بكر، و في الوقت ذاته يحاول ابن الخطاب من خلاله تضليل الرأي العام و إيهامه بأن رسول الله قد اختاره للخلافه كما يشير إليه قوله: ما كان لأحد أن يؤخرَكَ عن مقامك الذي أقامك فيه رسول الله، هذا مع العلم بأن المؤرخين لحياء الرسول (صلى الله عليه و اله) من القدامى و المحدثين و الثقات الذين حفظوا حديثه و روه للأجيال لم يدعوا بأن النبي قد لوح له -و لو من بعيد- بذلك المقام الذي يعمل من أجله ابن الخطاب و أنصاره، بل إن مواقف النبي معه كانت على العكس من ذلك فلم يعهد إليه بأمر و لا وضعه في مكان يحق له امتيازاً عن غيره، و كان إذا أرسله على رأس سريره من السرايا - كما حدث له في غزوه السلاسل - أو أعطاه الرايه - كما صادف ذلك في خيبر - يرجع فاشلاً مخذولاً، و في الأيام الأخيره من حياته بعد أن علم بقرب أجله أراد أن يخرج من المدينة كجندى من جنود المسلمين هو و عمر بن الخطاب بقياده اسامه بن زيد و هو شاب لا يتجاوز العشرين من عمره على أبعد التقادير.

أما حديث صلته بالناس في بعض الأيام خلال مرض النبي الذي أشار

ص: ١١٩

١- (١) راجع تفصيل أخبار السقيفه: ابن هشام: ٣٣٤/٤-٣٣٥، تأريخ الطبرى حوادث سنه ١١: ٤٤٣/٢، و أنساب الأشراف: ١/٥٦٣-٥٦٧، طبقات ابن سعد ٢ ق ٥٣/٢-٥٤، و تاريخ ابى الفداء: ١/١٦٤، و شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ٢/٢١-٥٧، حياه الإمام الحسن بن على: ١/١٥٠.

إليه أبو عبيده فى حديثه مع الأنصار فمع أنّ إمامه المصلين كانت ولا تزال مألوفه يتعاطاها الكبير والصغير والفاضل والمفضول فهى على تقديرها لا توجب له فضلا على أحد من الناس، وليست من مختصات الأنبياء والأولياء والقديسين، ولقد دعت إليها ابنته عائشه حيث كان النبى فى وضع لا يسمح له بترك فراشه، ولما علم بالأمر خرج يتوكأ على على والعباس ونجاءه عن محرابه، وصلى بالناس وهو يعانى من وطأه المرض وآلامه.

والشئ الغريب الذى لا يقره العقل والمنطق أن يعتبرها جماعه من علماء السنه ومحدثيهم فضيله لأبى بكر تؤهله للخلافه، فى حين أنهم يعترفون بمواقف النبى (صلى الله عليه واله) من على يوم الدار وفى احد والأحزاب والحديبيه وخيبر وحنين وتبوك وفى غدير خم، ومؤاخاته له فى مكه والمدينه، ولا يرون فى جميع ذلك دليلا على اختياره لمنصب الخلافه من بعده، بل ولا تلميحا على اختياره، ويرون فى صلاه أبى بكر ركعتين بالمسلمين دليلا واضحا على إعداده لقياده الامه من بعده وإعطائه الصلاحيات التى كانت له.

ومما يدل على أنّ حركه الأنصار واجتماعهم فى السقيفه كانت ردا على التخطيط الذى وضعه المهاجرون للاستيلاء على السلطه ما جاء فى روايه الزبير بن بكار حيث قال:

لما بايع الجماعه أبا بكر؛ أقبلوا به على المسجد يزفونه زفا، فلما كان آخر النهار اجتمع قوم من الأنصار وقوم من المهاجرين وتعاقبوا فيما بينهم على الكلام، فقال عبد الرحمن بن عوف: يا معشر الأنصار إنكم وإن كنتم اولى فضل ونصر وسابقه ولكن ليس فيكم مثل أبى بكر ولا عمر ولا على ولا أبى عبيده.

فقال زيد بن أرقم: إنا لا ننكر فضل من ذكرت يا عبد الرحمن، وإنّ منّا لسيد الأنصار سعد بن عباد، ومن أمر الله رسوله أن يقرئه السلام و أن يأخذ عنه القرآن ابى بن كعب و من يجىء يوم القيامة أمام العلماء معاذ بن جبل، و من أمضى رسول الله شهادته بشهاده رجلين و هو خزيمه بن ثابت، و إنا لنعلم أنّ بين من ذكرت من قريش من لو طلب الخلافه لم ينازعه فيها أحد و هو عليّ ابن أبي طالب.

و جاء فى تاريخ الطبرى أنّ أبا بكر لما اقترح أحد الرجلين أبا عبيده أو عمر بن الخطاب و انسجباهما لأبى بكر قال الأنصار: لا نبايع إلاّ عليّ بن أبى طالب (١).

هاتان الروايتان صريحتان فى أنّ الأنصار لم يعارضوا فى عليّ بن أبى طالب لو أنّه كان مرشّح المهاجرين لها، و هذا يعنى أنّ موقفهم المعارض لأبى بكر فى السقيفه كان ردّا على التخطيط، الذى وضعته قريش للاستيلاء على السلطه و انتزاعها من أصحابها الشرعيين.

و قال الاستاذ توفيق أبو علم فى كتابه «أهل البيت»: و لا يبعد أن يكون سعد بن عباد لما رأى تصميم المهاجرين على عدم إعطاء الحقّ لأهله طلبه لنفسه.

و مهما كان الحال، فلقد كانت مواقف النبى من على (عليه السلام) و تصريحاته المتتاليه فيه فى مختلف المناسبات تجعله بحكم المتعين لها بنظر الجمهور الأعظم من المسلمين، حتى أنّ عليا نفسه كان واثقا بأنّ الأمر لا يعدوه.

و جاء فى شرح النهج لابن أبى الحديد أنّ عليّا (عليه السلام) كان لا يشكّ فى أنّ

ص: ١٢١

الأمر له، وأنه لا ينازعه فيه أحد من الناس و مضى يقول:

وقد قال له عمّه العباس: امدد يدك ابايعك فيقال عمّ رسول الله بايع ابن عمّ رسول الله فلا يختلف عليك إثنان، فقال يا عمّ: وهل يطمع فيها طامع غيري، قال: ستعلم، فقال: إني لا احب هذا الأمر من وراء رتاج.

و بالطبع لقد دهش هو و من معه لهذا الحدث العظيم حينما سمع به و رأى الناس يزفون أبا بكر إلى المسجد كما تزف العروس و النبي (صلى الله عليه و اله) لا- يزال مسجى بين أهله و زوجاته ينتظرون أن يتم تجهيزه لمقره الأخير، و حينما بلغه أن أبا بكر قد احتج على معارضة من الأنصار بقرابته من رسول الله و سبقه إلى الإسلام كان لزاما عليه أن يلزمهم بما ألزموا به غيرهم و لو كان لا- يؤمن بصحة هذه الحجّة و لا يجدواها، و باستطاعته أن يقدم لهم عشرات الأدلّة التي لا تقبل الجدل و المراجعة لو كانوا يصغون إلى المنطق و تردعهم الحجّة عمّا هم جادون فيه، و مع ذلك فقد احتج عليهم بالحجّة التي تغلبوا فيها على الأنصار و بأقوال الرسول و نصوصه عليه و بماضيه و جهاده و اخوته لرسول الله، و ظلّ متمسكا بحقّه و إلى جانبه زوجته سيده النساء تطالب بنحلتها و حقّ زوجها في الخلافه.

و ذهب أكثر الرواه إلى أنّ أبا سفيان وقف موقف المتحمّس لعليّ، و أخذ يهدّد و يتوعّد و يقول: و الله لأملأنها عليهم خيلا و رجالا، و لم يكن ليخفى على عليّ (عليه السلام) أنّ ذلك منه كان بقصد الوقيعه بين المسلمين و إشعال الفتنة لبتاح له و لأمثاله ممّن أسروا الشرك و النفاق أن يصلوا لأهدافهم المعاديه للإسلام و حماته الذين حاربهم أبو سفيان عشرين عاما، و بالتالي كان إسلامه و إسلام زوجته هند آكله الأكباد عام الفتح أعسر إسلام عرف بين المسلمين، لأنّه كان إسلام مغلوب أعيته جميع الوسائل، فاضطرّ أخيرا إلى الدخول مع

المسلمين و في نفسيهما آلام و أحقاد كانت تظهر بين الحين و الآخر.

و جاء في روايه الطبرى و ابن الأثير فى الكامل أنّ أمير المؤمنين زجر أبا سفيان بن حرب و قال له: «و الله ما أردت إلا الفتنة، و إنك و الله طالما بغيت للإسلام شرا لا حاجه لنا فى نصرتك» (١).

٢- نتائج السقيفه:

إشاره

أبرزت أحداث السقيفه ثلاثه أطراف معارضه:

١- الأنصار الذين نازعوا الخليفه و صاحبيه فى سقيفه بنى ساعده و وقعت بينهم المحاوره و الجدل، و انتهت بفوز قريش بسبب تركّز فكره الوراثة الدينيه فى الذهنيه العربيه، و انشقاق الأنصار على أنفسهم (٢)، لتمكّن النزعه القبليه من نفوسهم.

فقد ركّز أبو بكر و صاحباه فى هذا النزاع دفاعهم عمّا زعموا من حقوق على نقطه كانت ذات و جاهه فى نظر الكثيرين، فإنّ قريشا ما دامت عشيره رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و خاصته فهى أولى من سائر المسلمين و أحقّ بخلافته و سلطانه، و قد انتفع أبو بكر و مؤيدوه باجتماع الأنصار فى السقيفه من ناحيتين:

الاولى: أنّ الأنصار سجّلوا على أنفسهم بذلك مذهبا لا يسمح لهم بأن يقفوا بعد ذلك فى صف على (عليه السلام) و يخدموا قضيتته و أحقيته.

الثانيه: أنّ أبو بكر الذى خدمته الظروف فأقامت منه المدافع الوحيد عن حقوق المهاجرين فى مجتمع الأنصار لم يكن ليتهيأ له ظرف أوفق بمصالحه

ص: ١٢٣

١- (١) راجع سيره الأئمه الاثني عشر ١: ٢٦٠-٢٦٧.

٢- (٢) راجع تاريخ الطبرى: ٢٥/٤ (طبع دار الفكر-بيروت).

من ظرف السقيفه، إذ خلا الموقف من أقطاب المهاجرين الذين لم يكن لتنتهى المسأله فى محضرهم إلى نتيجهتها التى سجّلتها السقيفه فى ذلك اليوم.

و خرج أبو بكر من السقيفه و قد بايعه جمع من المسلمين الذين أخذوا بوجهه نظره فى مسأله الخلافه أو عزّ عليهم أن يتولّوها سعد بن عباد.

٢- الامويون الذين كانوا يريدون أن يأخذوا من الحكم بنصيب و يسترجعوا شيئاً من مجدهم السياسى فى الجاهليه و على رأسهم أبو سفيان، و لم يعبأ الحاكمون (أبو بكر و جماعته) بمعارضه الامويين و تهديد أبى سفيان و ما أعلنه من كلمات الثوره بعد رجوعه من سفره الذى بعثه فيه رسول الله (صلّى الله عليه و اله) لجبايه الأموال، لعلمهم بطبيعه النفس الامويه و شهواتها السياسيه و الماديه، فكان من السهل كسب الامويين إلى جانب الحكم القائم كما صنع أبو بكر، فأباح لنفسه أو أباح له عمر -بتعبير أصح- كما تدلّ الروايه و أن يدفع لأبى سفيان جميع ما فى يده من أموال المسلمين و زكواتهم ثم جعل للامويين بعد ذلك حظاً من العمل الحكومى فى عدّه من المرافق الهامه.

٣- الهاشميون و أخصّاًؤهم كعمار و سلمان و أبى ذر و المقداد (رضوان الله عليهم) و جماعات من الناس الذين كانوا يرون أنّ البيت الهاشمى هو الوارث الطبيعى لرسول الله (صلّى الله عليه و اله) بحكم الفطره و مناهج السياسه التى كانوا يألّفونها (١).

نلاحظ أنّ الحزب الحاكم نجح فى التعامل مع الأنصار و الامويين و كسب الموقف منهم، و لكنّ هذا النجاح جرّه إلى تناقض سياسى واضح، لأنّ ظروف السقيفه كانت تدعو الحاكمين إلى أن يجعلوا للقرابه من رسول الله (صلّى الله عليه و اله) حساباً فى مسأله الخلافه و يقرّوا مذهب الوراثه للزعامه الدينيه، غير

ص: ١٢٤

١- (١) راجع للمزيد من التفصيل (فدك فى التأريخ) للشهيد السيد محمد باقر الصدر: ٨٤.

أنّ الحال تبدّلت بعد موقف السقيفه، و اتّخذت المعارضة لونا جديدا و واضحا كلّ الوضوح كان يتلخّص في أنّ قريشا إذا كانت أولى برسول الله (صلّى الله عليه و اله) من سائر العرب لأنّه منها، فبنو هاشم أحقّ بالأمر من بقيه قريش.

و هذا ما أعلنه علي (عليه السّلام) حين قال: إذا احتجّ عليهم المهاجرون بالقرب من رسول الله (صلّى الله عليه و اله) كانت الحجّجه لنا علي المهاجرين بذلك قائمه، فإنّ فليجت حجّتهم كانت لنا دونهم و إلّا فالأنصار علي دعوتهم. و أوضحه العباس لأبي بكر في حديث له معه إذ قال له: و أمّا قولك: «نحن شجره رسول الله (صلّى الله عليه و اله)» فإنّكم جيرانها و نحن أغصانها (1). و قد كان علي (عليه السّلام) الذي تزعم معارضة الهاشميين مصدر رعب شديد في نفوس الحاكمين؛ لأنّ ظروفه الخاصه كانت تمّدّه بقوه علي لوتين من العمل الايجابي ضد الحكومه القائمه:

أحدهما: ضمّ الأحزاب المعاديه إلى جانبه كالامويين و المغيره بن شعبه و أمثالهم ممن كانوا قد بدأوا يعرضون أصواتهم للبيع و يفاوضون الجهات المختلفه في اشترائها بأضخم الأثمان، كما نعرف ذلك من كلمات أبي سفيان التي واجه بها خلافه السقيفه يوم وصوله إلى المدينه، و حديثه مع علي (عليه السّلام) و تحريضه له علي الثوره، و ميله إلى جانب الخليفه، و سكوته عن المعارضة حينما تنازل له الخليفه عن أموال المسلمين التي كان قد جباها في سفره، و إذن فقد كان الهوى المادى مستوليا علي جماعه من الناس يومئذ.

و من الواضح أنّ عليا كان يتمكّن من أشباع رغبتهم بما خلفه رسول الله (صلّى الله عليه و اله) من الخمس و غلّات أراضيّه في المدينه و فدك التي كانت

ص: ١٢٥

ذات نتاج عظيم.

ثانيهما:الطور الآخر من المقاومه التي كان على(عليه السلام)مزودا بإمكانياتها ما لَمَح اليه بقوله:«احتجّوا بالشجره و أضاعوا الثمره»و أعنى بذلك أنّ الفكره العامه يومئذ التي أجمعت على تقديس أهل البيت و الاعتراف لهم بالامتياز العظيم بقربهم من رسول الله(صلى الله عليه و اله)كانت سندا قويا للمعارضه (١).

ص:١٢٦

١- (١) فدك في التاريخ، الشهيد السيد محمد باقر الصدر:٨٦.

الخيار الأول: انتزاع القوه المائيه للإمام على (عليه السلام)

و لقد وجد الحزب الحاكم نفسه فى موقف حرج جدا، لأن أطراف الدوله الإسلاميه التى تجبى منها الأموال لا تخضع للحكم الجديد إلا إذا استقرت دعائمه فى العاصمه (مدينه الرسول (صلّى الله عليه و اله)) و المدينه بعد لم تخضع له خضوعا إجماعيا، فمثلا إن كان أبو سفيان أو غيره قد باع صوته للحكومه فمن الممكن أن يفسخ المعامله إذا عرض عليه شخص آخر ثمنا أكثر منها ربحا، و هذا ما كان يستطيع على (عليه السلام) أن يقوم به فى كل حين، فيجب و الحاله هذه أن تنتزع من على (عليه السلام) -الذى لم يكن مستعدا للمقابله فى تلك الساعه- الأموال التى صارت مصدرا من مصادر الخطر على مصالح الحزب الحاكم ليضمن بقاء الأنصار على نصرتهم، و عدم قدره المعارضين على إنشاء حزب من أصحاب المطامع و الأهواء يومذاك.

و لا- يجوز أن نستبعد هذا التقدير لسياسه الفئه المسيطره ما دام منطبقا على طبيعه السياسه التى لا بدّ من انتهاجها، و ما دمنا نعلم أنّ الصديق اشترى صوت الحزب الاموى بالمال و بالجاه أيضا، إذ ولى ابن أبى سفيان، فقد جاء أنّ أبا بكر لما أستخلف قال أبو سفيان: ما لنا، و لأبى فصيل إنّما هى بنو عبد مناف، فقيل له: إنّّه قد ولى ابنك، قال: و صلته رحم (١).

ص: ١٢٧

تردد الحزب الحاكم في معالجة العنصر الثاني في قوه المعارضة بين أمرين:

١- أن لا يقتر للقرابه بشأن في الموضوع، ومعنى هذا أنه ينزع عن خلافه أبي بكر ثوبها الشرعى الذى ألبسها إياه يوم السقيفه.

٢- أن يناقض نفسه فيظل ثابتا على مبادئه التى أعلنها فى السقيفه و لا يرى حقا للهاشميين و لا امتياز لهم فى مقاييس الرجال، أو يراه لهم و لكن فى غير ذلك الظرف الذى يكون معنى المعارضة فيه مقابله حكم قائم و وضع تعاقد عليه الناس، و عندها فلا أحد ينصرهم.

و اختارت الفئه المسيطره أن تثبت على آرائها التى روجتها فى مؤتمر الأنصار، و تعترض على المعارضين بأن مخالفتهم بعد بيعه الناس للخليفه ليست إلا إحداثا للفتنه المحرّمه فى الإسلام (١).

ص: ١٢٨

١- (١) راجع فدك فى التاريخ، الشهيد السيد محمد باقر الصدر: ٩١.

باعتبارهم زعماء المعارضه

حين نتطلع بإمعان عند دراسته سياسه الحاكمين نجد إضافه إلى التخطيط لإضعافهم اقتصاديا أنهم انتهجوا منذ اللحظة الاولى سياسه معينه تجاه آل محمد(صلى الله عليه و اله) للقضاء على الفكره التى أمدت الهاشميين بقوه على المعارضه كما خنقوا المعارضه نفسها و هى كونهم أقرب الناس لرسول الله(صلى الله عليه و اله).

و نستطيع أن نصف هذه السياسه بأنها تهدف إلى إلغاء امتياز البيت الهاشمى و إبعاد أنصاره المخلصين له عن المرافق الهامه فى جهاز الحكومه الإسلاميه يومئذ، و تجريده عمّا له من الشأن و المقام الرفيع فى الذهنه الإسلاميه، و قد يعزو هذا الرأى إلى عدّه ظواهر تاريخيه:

١- سيره الخليفه و أصحابه مع على(عليه السلام) التى بلغت من الشده أنّ عمر هدد بحرق بيته و إن كانت فاطمه فيه، و معنى هذا الإعلان أنّ فاطمه و غير فاطمه من الهاشميين ليس لهم حرمه تمنعهم عن أن يتخذ معهم نفس الطريقه التى سار عليها مع سعد بن عباده حين أمر الناس بقتله فى يوم السقيفه، و من صور ذلك العنف وصف الخليفه لعلى(عليه السلام) بأنه مربّ لكل فتنه، و تشبيهه له بام طحال أحب إلى أهلها البغى، و قد قال عمر لعلى بكل وضوح: إنّ رسول الله(صلى الله عليه و اله) منّا و منكم.

٢- إنّ الخليفه الأول لم يشرك شخصا من الهاشميين فى شأن من شؤون الحكم المهمه، و لا جعل منهم واليا على شبر من المملكه الإسلاميه الواسعه الأطراف مع أنّ نصيب الامويين فى ذلك كان عظيما، و نستطيع أن نفهم

بوضوح أنّ هذا الأمر وليد سياسته متممه، من خلال المحاوره التي جرت بين الخليفه الثانى و ابن عباس أظهر فيها تخوّفه من تولّيه ابن عباس «حمص»، لأنّه يخشى إذا صار الهاشميون ولاءه على أقطار المملكه الإسلاميه أن يموت و هم كذلك فيحدث فى أمر الخلافه ما لا يريد (١).

٣- عزل الخليفه لخالد بن سعيد بن العاص عن قياده الجيش الذى وجّهه لفتح الشام بعد أن أسندها اليه لا لشيء إلاّ لأنّ عمر تبّهه إلى نزعه خالد الهاشميّه و ميله إلى آل محمد (صلّى الله عليه و اله) و ذكره بموقفه تجاههم بعد وفاه رسول الله (صلّى الله عليه و اله).

إذن فقد كانت الفئه الحاكمه تحاول أن تساوى بين بنى هاشم و سائر الناس، و ترتفع برسول الله (صلّى الله عليه و اله) عن الاختصاص بهم، لتنتزع بذلك الفكره التي كانت تزوّد الهاشميين بطاقه على المعارضه، و لئن اطمأنّ الحاكمون إلى أن عليا لا يثور عليهم فى تلك الساعه الحرجه على الإسلام فهم لا- يأمنون من انتفاضته بعد ذلك فى كلّ حين، و من الطبيعى حينئذ أن يسارعوا إلى الإجهاز على كلتا قوّتيه الماديه «فدك» و المعنويه، ما دامت الهدنه قائمه قبل أن يسبقهم إلى حرب أكل.

٤- من المعقول بعد هذا أن يقف الخليفه موقفه التاريخى المعروف من الزهراء (عليها السلام) فى قضيه فدك، فهو موقف تلاقى فيه الغرضان و تركّز على الخطّين الأساسيين لسياسته، لأنّ الدواعى التي بعثته لانتزاع فدك كانت تدعوه إلى الاستمرار على تلك الخطّه ليسلب بذلك من خصمه الثروه التي كانت سلاحا قويا فى عرف الحاكمين يومذاك و يعزّز سلطانه، و إلاّ فما الذى كان

ص: ١٣٠

١- (١) راجع: مروج الذهب على هامش الجزء الخامس من تاريخ ابن الاثير: ١٣٥.

يمنعه عن تسليم فدك للزهاء بعد أن أعطته الوعد القاطع بأن تصرف منتوجاتها في سبيل الخير و وجوه المصلحه العامه؟ إلا أنه خاف منها أن تفسّر وعدها بما يتفق مع صرفها لغلات فدك في المجالات السياسيه، و ما الذي صدّه عن إرضاء فاطمه بالتنازل لها عن حصّه و نصيب الصحابه إذا صحّ أنّ فدك للمسلمين سوى أنه أراد أن يقوى بها خلافته؟.

و أيضا فإننا إذا عرفنا أنّ الزهاء كانت سندا قويا لقرينها في دعوته إلى نفسه و دليلا يحتجّ به أنصار الإمام على أحقيته بالأمر نستوضح أنّ الخليفه كان موقفاً كلّ التوفيق في موقفه تجاه دعوى الزهاء للنحله و جاريا على المنهج السياسى الذى كان يفرضه عليه الطرف الدقيق، إذ اغتتم الفرصه المناسبه لإفهام المسلمين بصوره لبقه و على اسلوب غير مباشر بأنّ فاطمه امرأه من النساء و لا يصحّ أن تؤخذ آراؤها و دعاويها دليلا في مسأله بسيطه كفدك فضلا عن موضوع كالخلافه، و أنّها إذا كانت تطلب أرضا ليس لها بحقّ فمن الممكن أن تطلب لقرينها المملكه الإسلاميه كلّها و ليس له فيها حقّ (١).

٣- فدك بين النبي (صلى الله عليه و اله) و الزهاء (عليها السلام):

قال تعالى: فَآتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢). نلاحظ أنّ هذه الآيه خطاب من الله عزّ و جلّ إلى نبيه محمّد (صلى الله عليه و اله) يأمره أن يؤتى ذا القربى حقه، فمن هم ذوو القربى؟ و ما هو حقههم؟ و قد اتفق المفسّرون أنّ ذوى القربى هم أقرباء الرسول و هم: عليّ و فاطمه و الحسن و الحسين (عليهم السلام) فيكون المعنى: أعط

ص: ١٣١

١- (١) للمزيد من التفصيل راجع فدك في التاريخ: ٩٢.

٢- (٢) الروم (٣٠): ٣٨.

ذوى قرباك حَقَّهم.

جاء فى الدرّ المنثور للسيوطى عن أبى سعيد الخدرى أنّه قال: لَمَّا نَزَلَتِ الْآيَةُ قَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ...؛ دعا رسول الله (صلى الله عليه و اله) فاطمه الزهراء و أعطاهما فدكا (١).

و ذكر ابن حجر العسقلانى فى الصواعق المحرقة أنّ عمر قال: إننى أحدثكم عن هذا الأمر، إنّ الله خصّ نبيه فى هذا الفىء بشىء لم يعطه أحدا غيره فقال: وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَا كَنْنَ اللَّهُ يَسْلُطُ... فكانت هذه (يعنى: فدكا) خالصه لرسول الله (صلى الله عليه و اله).

و يستفاد من الروايات التأريخيه أنّ فدكا كانت بيد الزهراء و أنّها كانت تتصرف فيها، و يستدل على أنّ فدكا كانت بيد آل الرسول من تصريح الإمام على (عليه السلام) فى كتابه الذى أرسله إلى عثمان بن حنيف عامله على البصره، «بلى كانت فى أيدينا فدك من كلّ ما أظلتته السماء فشحت عليها نفوس قوم و سخت عنها نفوس قوم آخرين، و نعم الحكم الله...» (٢).

عبرت بعض الروايات أنّه عندما استقرّ الأمر لأبى بكر انتزع فدكا من فاطمه (عليها السلام) (٣)، و معنى هذا الكلام أنّ فدكا كانت فى يد فاطمه و تحت تصرفها من عهد أبيها الرسول (صلى الله عليه و اله و سلم) فانتزعها أبو بكر منها.

و فى روايه العلامة المجلسى: فلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه و اله) المدينة - بعد استيلائه على فدك - دخل على فاطمه (عليها السلام) فقال: «يا بنيه إنّ الله قد أفاء على أبيك

ص: ١٣٢

١- (١) الدر المنثور: ١٧٧/٤، و جاء مثله فى كشف الغمه: ١/٤٧٦، عن عطيه، و رواه الحاكم النيسابورى فى تاريخه.

٢- (٢) نهج البلاغه: الكتاب رقم ٤٥.

٣- (٣) راجع الصواعق المحرقة: ٢٥.

بفدك و اختصه بها، فهي له خاصة دون المسلمين، أفعل بها ما أشاء و إنه قد كان لامك خديجه على أبيك مهر، و إن أباك قد جعلها لك بذلك، و أنحلها لك و لولدك بعدك» قال:

فدعا بأديم و دعا بعلي بن أبي طالب و قال له: «اكتب لفاطمه بفدك نحلته من رسول الله»، و شهد على ذلك علي بن أبي طالب (عليه السلام) و مولى لرسول الله و أم أيمن (١).

٤- اغتصاب فدك:

لما توفي رسول الله (صلى الله عليه و اله) و استولى أبو بكر على الحكم و مضت عشره أيام و استقام له الأمر؛ بعث إلى فدك من يخرج و كيل فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله).

و روى أن الزهراء أرسلت إلى أبي بكر: أنت ورثت رسول الله (صلى الله عليه و اله) أم أهله؟ قال: بل أهله، قالت: فما بال سهم رسول الله (صلى الله عليه و اله) قال: إنني سمعت رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول: «إن الله أطعم نبيه طعمه» ثم قبضه و جعله للذي يقوم بعده فوليت أنا بعده أن أردّه إلى المسلمين.

و روى عن عائشه أن فاطمه (عليها السلام) أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله (صلى الله عليه و اله) و هي حينئذ تطلب ما كان لرسول الله (صلى الله عليه و اله) بالمدينه و فدك و ما بقى من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله (صلى الله عليه و اله) قال: لا نورث، ما تركناه صدقه، إنما يأكل آل محمّد من هذا المال. و إنى -و الله- لا أغير شيئاً من صدقات رسول الله (صلى الله عليه و اله) عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله (صلى الله عليه و اله) و لأعملن فيها بما عمل رسول الله (صلى الله عليه و اله).

فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمه منها شيئاً (٢).

ص: ١٣٣

١- (١) بحار الأنوار: ٣٧٨/١٧.

٢- (٢) شرح نهج البلاغه: ٢١٧/١٦.

و عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال علي لفاطمه (عليهما السلام): «إنطلقى فاطمى ميراثك من أبيك رسول الله (صلى الله عليه و اله) فجاءت إلى أبي بكر و قالت: لم تمنعنى ميراثى من أبى رسول الله (صلى الله عليه و اله)؟ و أخرجت و كيلى من فذك و قد جعلها لى رسول الله (صلى الله عليه و اله) بأمير الله تعالى؟» فقال: إن شاء الله إنك لا تقولين إلا حقا و لكن هاتى على ذلك شهودا، فجاءت ام أيمن و قالت له: لا أشهد- يا أبا بكر- حتى أحتج عليك بما قاله رسول الله (صلى الله عليه و اله)، انشدك بالله ألسنت تعلم أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) قال: «ام أيمن امرأه من أهل الجنة؟» فقال: بلى، قالت: فاشهد أن الله- عز و جل- أوصى إلى رسول الله (صلى الله عليه و اله) فآت ذاك القربى حقه فجعل فذكا لها طعمه بأمير الله، و جاء على (عليه السلام) فشهد بمثل ذلك، فكتب أبو بكر لها كتابا و دفعه إليها، فدخل عمر فقال: ما هذا الكتاب؟ فقال أبو بكر: إن فاطمه ادعت فذك و شهدت لها ام أيمن و على فكتبته لها، فأخذ عمر الكتاب من فاطمه فتفل فيه و مزقه، فخرجت فاطمه تبكى.

و روى أن الإمام عليا (عليه السلام) جاء إلى أبي بكر و هو فى المسجد فقال: «يا أبا بكر لم منعت فاطمه ميراثها من رسول الله (صلى الله عليه و اله) و قد ملكته فى حياه رسول الله (صلى الله عليه و اله)؟» فقال أبو بكر: هذا فىء المسلمين، فإن أقامت شهودا أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) جعله لها، و إلا- فلا- حق لها فيه، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «يا أبا بكر أتحكم فىنا بخلاف حكم الله فى المسلمين؟» قال: لا، قال (عليه السلام): «فإن كان فى يد المسلمين شىء يملكونه، ثم ادعت أنا فيه، من تسأل البيئه؟» قال: إياك أسأل البيئه، قال (عليه السلام): «فما بال فاطمه سألتها البيئه على ما فى يدها و قد ملكته فى حياه رسول الله (صلى الله عليه و اله) و بعده، و لم تسأل المسلمين بيئه على ما ادعوا شهودا كما سألتنى على ما ادعت عليهم؟»... فسكت أبو بكر.

فقال عمر: يا على، دعنا من كلامك، فإننا لا نقوى على حجتك، فإن

أتيت بشهود عدول، وإلا فهو فيء للمسلمين لا حق لك ولا لفاطمه فيه.

فقال الإمام عليّ (عليه السلام): «يا أبا بكر تقرأ كتاب الله؟» قال: نعم، قال (عليه السلام):

«أخبرني عن قوله عز وجل: **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** فيمن نزلت؟ فينا أو في غيرنا؟» قال: بل فيكم، قال (عليه السلام): «فلو أنّ شهوداً شهدوا علي فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) بفاحشه ما كنت تصنع بها؟» قال: كنت اقيم عليها الحد كما اقيم علي نساء العالمين!، قال علي (عليه السلام): «كنت إذن عند الله من الكافرين»، قال: و لم؟ قال (عليه السلام): «لأنك رددت شهاده الله بالطهاره و قبلت شهاده الناس عليها، كما رددت حكم الله و حكم رسوله أن جعل لها فداكا و زعمت أنّها فيء للمسلمين، و قد قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): البيئه علي من ادعى و اليمين علي من أنكر» فدمدم الناس، و أنكر بعضهم بعضاً، و قالوا: صدق و الله علي (1).

٥- خطبه الزهراء (عليها السلام) في مسجد النبي (صلى الله عليه و اله):

اشاره

حينما قوّرت السلطه أن تمنع فاطمه (عليها السلام) فداكا و بلغها ذلك قوّرت الاعلان عن مظلوميتها بالذهاب إلى المسجد و إلقاء خطاب مهم في الناس، و سرى الخبر في المدينه أنّ بضعه النبي (صلى الله عليه و اله) و ريحانته تريد أن تخطب في الناس في مسجد أبيها (صلى الله عليه و اله) و هزّ الخبر أرجاء المدينه و احتشد الناس في المسجد لسمعوا هذا الخطاب المهم.

و روى لنا عبد الله بن الحسن عن آباءه (عليهم السلام) صورته من هذا الخطاب قائلاً: إنه لَمِا أجمع أبو بكر و عمر علي منع فاطمه (عليها السلام) فداكا و بلغها ذلك، لاثت خمارها علي رأسها، و اشمطت بجلبابها، و أقبلت في لَمه من حفتها

ص: ١٣٥

١- ((١)) الاحتجاج للطبرسي: ٢٣٤/١، و كشف الغمه: ٤٧٨/١، و شرح النهج لابن أبي الحديد: ٢٧٤/١٦.

و نساء قومها، تطأ ذيلها، ما تخرم مشيتها مشيه رسول الله (صلى الله عليه و اله) (١) حتى دخلت على أبي بكر و هو فى حشد من المهاجرين و الأنصار و غيرهم، فنبط دونها ملاءه (٢)، فجلست ثم أنت أنه أجهش القوم لها بالبكاء، فارتج المجلس، ثم أمهلت هنيهة حتى إذا سكن نسيج القوم و هدأت فورتهم؛ افتتحت الكلام بحمد الله و الثناء عليه و الصلاة على رسوله (صلى الله عليه و اله) فعاد القوم فى بكائهم، فلما أمسكوا عادت فى كلامها، فقالت (عليها السلام):

«الحمد لله على ما أنعم، و له الشكر على ما ألهم، و الثناء بما قدّم من عموم نعم ابتدأها، و سبوغ آلاء أسداها، و تمام منن أولها، جمّ عن الاحصاء عددها، و نأى عن الجزاء أمدّها، و تفاوت عن الادراك أبدّها، و ندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها، و استحمد إلى الخلائق بإجزالها، و ثنى بالنذب إلى أمثالها، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمه جعل الاخلاص تأويلها، و ضمّن القلوب موصولها، و أنار فى التفكر معقولها.

الممتنع من الأبصار رؤيته، و من الألسن صفته، و من الأوهام كفيته، ابتدع الأشياء لا من شىء كان قبلها، و أنشأها بلا احتذاء أمثله امتثلها، كوّنّها بقدرته، و ذرأها بمشيته، من غير حاجه منه إلى تكوينها، و لا فائده له فى تصويرها، إلاّ تشبهاً لحكمته، و تنبيهاً على طاعته، و إظهاراً لقدرته و تعبداً لبريته و إعزازاً لدعوته، ثم جعل الثواب على طاعته، و وضع العقاب على معصيته، زيادة (٣) لعباده عن نعمته، و حياشه (٤) لهم إلى جنّته.

و أشهد أنّ أبى محمّدا عبده و رسوله اختاره قبل أن أرسله، و سمّاه قبل أن اجتبه، و اصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونه، و بستر الأهاويل مصونه، و بنهايه

ص: ١٣٦

١- ((١)) أى: ما تنقص مشيتها مشيه أبيها، كأنه هو.

٢- ((٢)) أى: ضرب بينها و بين القوم ستر و حجاب.

٣- ((٣)) زياده: دفعا.

٤- ((٤)) حياشه: جمعا و سوقا.

العدم مقرونه، علما من الله تعالى بما يلى الامور، و إحاطه بحوادث الدهور، و معرفه بمواقع الامور، ابتعثه الله إتماما لأمره، و عزيمه على إمضاء حكمه، و إنفاذا لمقادير حتمه، فرأى الامم فرقا فى أديانها، عكفا على نيرانها، عابده لأوثانها، منكروه لله مع عرفانها.

فأنار الله بأبى محمد (صلى الله عليه و اله) ظلمها، و كشف عن القلوب بهمها (1)، و جلى عن الأبصار غممها، و قام فى الناس بالهدايه، فأنقذهم من الغوايه، و بصرهم من العمايه، و هداهم إلى الدين القويم، و دعاهم إلى الطريق المستقيم.

ثم قبضه الله إليه قبض رأفه و اختيار، و رغبه و إشاره، فمحمّد (صلى الله عليه و اله) من تعب هذه الدار فى راحه، قد حفّ بالملائكه الأبرار، و رضوان الربّ الغفار، و مجاوره الملك الجبار، صلى الله على أبى نبيه، و أمينه، و خيرته من الخلق و صفيته، و السلام عليه و رحمه الله و بركاته.

ثم التفتت إلى أهل المجلس و قالت: «أنتم عباد الله نصب أمره و نهيه، و حملة دينه و وحيه، و امناء الله على أنفسكم، و بلغاؤه إلى الامم، زعيم حق له فيكم، و عهد قدّمه إليكم، و بقيه استخلفها عليكم، كتاب الله الناطق، و القرآن الصادق، و النور الساطع، و الضياء اللامع، بينه بصائر، و منكشفه سرائره، و منجليه ظواهره، و مغتبطه به أشياعه، قائدا إلى الرضوان أتباعه، مؤدّا إلى النجاه استماعه، به تنال حجج الله المنوره، و عزائمه المفسره، و محارمه المحذره، و بيناته الجاليه، و براهينه الكافيه، و فضائله المندوبه، و رخصه الموهوبه، و شرائعه المكتوبه.

فجعل الله الإيمان تطهيرا لكم من الشرك، و الصلاه تنزيها لكم عن الكبر، و الزكاه تركيه للنفس، و نماء فى الرزق، و الصيام تثبيتا للإخلاص، و الحجّ تشييدا للدين، و العدل:

تنسيقا للقلوب، و طاعتنا نظاما للملّه، و إمامتنا أمانا للفرقه، و الجهاد عزّا للإسلام، و الصبر

ص: ١٣٧

معونه على استئجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحه للعامة، وبرّ الوالدين وقايه من السخط، وصله الأرحام منسأه فى العمر و منماه للعدد، و القصاص حقنا للدماء، و الوفاء بالنذر تعريضا للمغفره، و توفيه المكاييل و الموازين تغييرا للبخس، و النهى عن شرب الخمر تنزيها عن الرجس، و اجتناب القذف حجابا عن اللعنه، و ترك السرقة إيجابا للعفة، و حرّم الله الشرك إخلاصا له بالربوبيه.

فاتقوا الله حقّ تقاته، و لا تموتنّ إلاّ و أنتم مسلمون، و أطيعوا الله فيما أمركم به و نهاكم عنه، فإنّه إنّما يخشى الله من عباده العلماء.

ثمّ قالت: أيّها الناس! اعلّموا أنّى فاطمه و أبى محمّد، أقول عودا و بدوا، و لا أقول ما أقول غلطا، و لا أفعل ما أفعل شططا لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ (١) فإنّ عزوه و تعرفوه تجدوه أبى دون نساءكم، و أخا ابن عمى دون رجالكم، و لنعم المعزى (٢) إليه، فبلغ الرساله صادعا بالنداره (٣) مائلا عن مدرجه المشركين، ضاربا بئجهم (٤) آخذا بأكظامهم (٥) داعيا إلى سبيل ربّه بالحكمه و الموعظه الحسنه، يجف الأصنام و ينكث الهام، حتّى انهزم الجمع و ولّوا الدبر، حتّى تفزى الليل عن صبحه، و أسفر الحقّ عن محضه، و نطق زعيم الدّين، و خرست شقاشق الشياطين، و طاح و شيط (٦) النفاق، و انحلت عقد الكفر و الشقاق، و فهتم (٧) بكلمه الإخلاص فى نفر من البيض الخماص (٨) و كنتم على شفا حفره من النار، مذقه (٩) الشارب

ص: ١٣٨

١- ((١)) التوبه (٩): ١٢٨.

٢- ((٢)) المعزى: المنتسب.

٣- ((٣)) صادعا: ميّنا، و النذاره: الانذار.

٤- ((٤)) الشج: وسط الشىء و معظمه.

٥- ((٥)) الكظم: مخرج النفس من الحلق.

٦- ((٦)) الوشيط: الخسيس من الناس.

٧- ((٧)) فهتم: تلفّظتم.

٨- ((٨)) الخماص: الجياع، و هنا اختيارا.

٩- ((٩)) المذقه: اللبن الممزوج بالماء كناية عن سهوله شربه.

و نهزه (١) الطامع، و قبسه العجلان، و موطئ الأقدام تشربون الطرق (٢)، و تقتاتون القد (٣) أذله خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك و تعالى بمحمد (صلّى الله عليه و اله)، بعد اللتيا و ألتى، و بعد أن منى بهم (٤) الرجال و ذؤبان العرب، و مرده أهل الكتاب، كلّموا أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن الشيطان (٥)، أو فغرت فاغره (٦) من المشركين قذف أخاه فى لهواتها، فلا ينكفى حتى يظأ جناحها بأخمصه (٧)، و يخمد لهبها بسيفه، مكدودا فى ذات الله، مجتهدا فى أمر الله، قريبا من رسول الله، سيّدا فى أولياء الله، مشمرا ناصحا، مجدّا كادحا، لا تأخذه فى الله لومه لائم، و أنتم فى رفاهيّة من العيش، و ادعون فاكهون آمنون، تتربصون بنا الدوائر (٨) و تتوكفون الأخبار (٩) و تنكصون عند النزال، و تفرون من القتال.

فلما اختار الله لنبيّه (صلّى الله عليه و اله) دار أنبيائه و مأوى أصفياه ظهر فيكم حسكه (١٠) النفاق، و سمل جلباب الدين، و نطق كاظم (١١) الغاوين، و نبع حامل الأقلين، و هدر فنيق (١٢) المبطلين، فخطر فى عرصاتكم، و أطلع الشيطان رأسه من مغرزه (١٣) هاتفا بكم فألفاكم

ص: ١٣٩

- ١- ((١)) النهزه: الفرصه.
- ٢- ((٢)) الطرق: الماء الذى خوضته الإبل و بركت فيه.
- ٣- ((٣)) القد: قطعه جلد غير مدبوغ.
- ٤- ((٤)) البهم: الشجعان الأقوياء.
- ٥- ((٥)) نجم قرن الشيطان: طلع أتباعه.
- ٦- ((٦)) الفاغره: الطائفه.
- ٧- ((٧)) الأخمص: باطن القدم.
- ٨- ((٨)) الدوائر: العواقب السيئه.
- ٩- ((٩)) تتوكفون الأخبار: تنتظرون أخبار السوء بنا.
- ١٠- ((١٠)) الحسكه: العداوه و الحقد.
- ١١- ((١١)) كاظم: ساكت.
- ١٢- ((١٢)) الهدير: ترديد البعير صوته فى حنجرته. و الفنيق: الفحل المكرم من الأبل الذى لا يهان و لا يركب لكرامته على أهله.
- ١٣- ((١٣)) مغرزه: مخبئه.

لدعوته مستجيبين، وللغزه فيه ملا حظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافا، وأحشمكم (١) فألفاكم غضابا، فوسمتم غير إبلكم، ووردتم غير مشربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، والرّسول لما يقبر، إبتدارا (٢) زعمتم خوف الفتنة ألا- فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٣).

فهيهات منكم، وكيف بكم، وأنّى توفكون، وكتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهره، وأحكامه زاهره، وأعلامه باهره، وزواجره لايحه، وأوامره واضحه، وقد خلفتموه وراء ظهوركم، أرغبه عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟، بئس للظالمين بدلا (٤) وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٥).

ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها (٦)، ويسلس (٧) قيادها، ثم أخذتم تورون وقدتها، وتهيجون جمرتها، وتستجيون لهاتف الشيطان الغوى، وإطفاء أنوار الدين الجلى، وإهمال سنن النبي الصفّى (صلى الله عليه و اله)، تشربون حسوا فى ارتغاء (٨) وتمشون لأهله و ولده فى الخمره و الضراء (٩) و نصبر منكم على مثل حزّ المدى و وخز السنان فى الحشا، و أنتم الآن تزعمون: أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهليّه تبغون؟ و من أحسن من الله حكما لقوم يوقنون! أفلا تعلمون؟! بلى قد تجلّى لكم كالشمس الضاحيه: أنّى ابنته، أيها

ص: ١٤٠

- ١- (١) أحشمكم: أغضبكم.
- ٢- (٢) ابتدر القوم: تسابقوا فى الأمر.
- ٣- (٣) التوبه (٩): ٤٩.
- ٤- (٤) الكهف (١٨): ٥٠.
- ٥- (٥) آل عمران (٣): ٨٥.
- ٦- (٦) نفرتها: جزعها.
- ٧- (٧) يسلس: يسهل.
- ٨- (٨) الحسو: الشرب شيئا بعد شىء. و الارتغاء: شرب الرغوه، و هى اللبن الممزوج بالماء، و جمله «حسوا فى ارتغاء» مثل يضرب لمن يظهر أمرا و هو يريد غيره.
- ٩- (٩) الخمر: ما واراك من شجر و غيره. و الضراء: الشجر الملتفّ فى الوادى.

المسلمون أغلب على إرثي؟.

يابن أبي قحافه أفي كتاب الله ترث أباك و لا أرث أبي؟ لقد جئت شيئا فريا! أفعلى عمد تركتم كتاب الله و نبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول: وَرَثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ (١)، و قال فيما اقتص من خير يحيى بن زكريا إذ قال: فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ (٢) و قال: وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ (٣) و قال: يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ (٤) و قال: إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (٥).

و زعمتم أن لا- حظوه لى و لا إرث من أبى و لا رحم بيننا، أفخصيكم الله بآيه أخرج أبى منها؟ أم هل تقولون: إن أهل ملتى لا يتوارثان؟ أولست أنا و أبى من أهل مله واحده؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن و عمومه من أبى و ابن عمى؟.

فدونكها مخطومه مرحوله (٤) تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، و الزعيم محمد (صلى الله عليه و اله)، و الموعد القيامة، و عند الساعه يخسر المبطلون، و لا ينفعكم إذ تندمون، و لكل نبا مستقرّ و سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه و يحلّ عليه عذاب مقيم».

ثم رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت: «يا معشر النقيبه (٧) و أعضاء المله و حضنه الاسلام، ما هذه الغميزه (٨) فى حقّى و السنه عن ظلامتى؟ أما كان رسول

ص: ١٤١

١- (١) النمل (٢٧): ١٦.

٢- (٢) مريم (١٩): ٥-٦.

٣- (٣) الأنفال (٨): ٧٥.

٤- (٤) النساء (٤): ١١.

٥- (٥) البقره (٢): ١٨٠.

٦- (٦) دونكها: أى خذها. و الخطام: الزمام. و الرحل للناقه كالسرج للفرس. و المقصود: خذ فدكا جاهزه مهينه.

٧- (٧) النقيبه: الفتيه.

٨- (٨) الغميزه: نقص فى العقل أو العمل. و السنه: النعاس من غير نوم.

اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَبِي يَقُولُ: «المرء يحفظ في ولده»؟ سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهاله (١) و لكم طاقة بما احاول، وقوه على ما اطلب و ازاول، أتقولون مات محمّد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)؟ فخطب جليل استوسع وهنه و استنهر (٢) ففقه و انفتق رتقه (٣)، و اظلمت الأرض لغيبته، و كسفت الشمس و القمر، و انتشرت النجوم لمصيبته، و أكدت الآمال، و خشعت الجبال، و اضيع الحريم، و ازيلت الحرمة عند مماته، فتلك و الله النازله الكبرى، و المصيبه العظمى، لا مثلها نازله، و لا بائنه (٤) عاجله، أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه في أفنيتكم، و لقبله ما حلّ بأنبياء الله و رسله حكم فصل، و قضاء حتم: **وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (٥)**.

إيها بنى قيله (٤) أهضم تراث أبي؟ و أنتم بمرأى منى و مسمع، و متندى (٧) و مجمع، تلبسكم الدعوه، و تشملكم الحيره، و أنتم ذوو العدد و العدّه، و الأداة و القوه، و عندكم السلاح و الجنه، توافيكم الدعوه فلا تجيبون، و تأتيكم الصرخه فلا تغيثون، و أنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير و الصيلاح، و النخبه التي انتخبتم، و الخيره التي اختيرت لنا أهل البيت، قاتلتكم العرب، و تحمّلتكم الكدّ و التعب، و ناطحتم الامم و كافحتم البهم، لا نبرح أو تبرحون، نأمركم فتأتمرون حتّى إذا دارت بنا رحي الإسلام، و درّ حلب الأيام، و خضعت ثغره الشرك، و سكنت فوره الإفك، و خدمت نيران الكفر، و هدأت دعوه

ص: ١٤٢

- ١- ((١)) الإهاله: الودك و هو دسم اللحم، و جمله: «سرعان ذا إهاله» مثل يضرب لمن يخبر بكينونه الشىء قبل وقته.
- ٢- ((٢)) استنهر: اتسع.
- ٣- ((٣)) اتفتق رتقه: أى انشق المكان الملتئم منه.
- ٤- ((٤)) البائنه: الداھيه.
- ٥- ((٥)) آل عمران (٣): ١٤٤.
- ٦- ((٦)) بنو قيله: هم الأنصار من الأوس و الخزرج.
- ٧- ((٧)) المتندى: النادى بمعنى المجلس.

الهرج، و استوسق نظام الدين، فأنى حرتم بعد البيان؟ (١) و أسررتم بعد الاعلان؟ و نكصتم بعد الاقدام؟ و أشركتم بعد الإيمان؟.

بؤسا لقوم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم، و هموا بإخراج الرسول، و هم بدأوكم أول مره، أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين، ألا و قد أرى أن قد أخذتم إلى الخفض (٢) و أبعدتم من هو أحق باليسط و القبض، و خلوتم بالدعه (٣) و نجوتم بالصّيق من السعه، فمجتتم (٤) ما وعيتم، و دسعتم (٥) الذي تسوّغتم (٦) فإن تكفروا أنتم و من فى الأرض جميعا فإن الله لغنى حميد (٧).

الأ- و قد قلت ما قلت هذا على معرفه منى بالجدله (٨) التى خامرتكم (٩) و الغدره التى استشعرتها قلوبكم، و لكثها فيضه النفس (١٠) و نفثه الغيظ، و خور القناه (١١) و بثه الصدر (١٢) و تقدمه الحجّه، فدونكموها فاحتقبوها (١٣) دبره (١٤) الظهر، نقبه الخفّ (١٥) باقيه العار، موسومه بغضب الجبار و شئار الأبد، موصوله بنار الله الموقده، التى تطّلع على الأفتده،

ص: ١٤٣

١- (١) استوسق: اجتمع و انتظم. و فى الاحتجاج: «فأنى حرتم بعد البيان».

٢- (٢) الخفض: السعه فى العيش.

٣- (٣) الدعه: الراحة و السكون.

٤- (٤) مجتتم: رميتم.

٥- (٥) دسعتم: قيتاً تم.

٦- (٦) تسوّغتم: شربتم بسهولة.

٧- (٧) إقتباس من سوره إبراهيم: ٨.

٨- (٨) جدل: فرح.

٩- (٩) خامرتكم: خالطتكم.

١٠- (١٠) فيضه النفس: إظهار المضمّر فى النفس لاستيلاء الهّمّ و غلبه الحزن.

١١- (١١) كناية عن ضعف النفس.

١٢- (١٢) بثه الصدر: إظهار ما فيه من الحزن.

١٣- (١٣) احتقبوها: إحملوها على ظهوركم.

١٤- (١٤) الدبره: قرحه الدابّه تحدث من الرحل و نحوه.

١٥- (١٥) نقبه الخف: رفته.

فبعين الله ما تفعلون و سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (١)، و أنا ابنه نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعملوا إنّا عاملون، و انتظروا إنّا منتظرون».

و بعد هذا لجأ أبو بكر الى اسلوب التضليل و الاستغفال في محاوله منه لتدارك الموقف فقال: يا بنت رسول الله، لقد كان أبو بكر بالمؤمنين عطوفا كريما رؤوفا رحيمًا، على الكافرين عذابا أليما و عقابا عظيما، إن عزوانه (٢) وجدناه أباك دون النساء، و أخوا إلفك دون الأخلاء (٣) آثره على كلِّ حميم، و ساعده في كلِّ أمر جسيم، لا يحبكم إلا سعيد، و لا يبغضكم إلا شقي بعيد، فأنتم عتره رسول الله الطيبون، الخيره المنتجبون، على الخير أدلتنا، و إلى الجنة مسالكنا.

و أنت يا خيره النساء و ابنه خير الأنبياء صادق في قولك، سابقه في وفور عقلك، غير مردوده عن حَقِّك، و لا مصدوده عن صدقك، و الله ما عدوت رأى رسول الله (صلى الله عليه و اله) و لا عملت إلا بإذنه، و الرائد لا يكذب أهله، و إني اشهد الله و كفى به شهيدا أتى سمعت رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهبا و لا فضة و لا دارا و لا عقارا و إنما نورث الكتاب و الحكمه و العلم و النبوه، و ما كان لنا من طعمه فلولئى الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه» و قد جعلنا ما حاولته فى الكراع (٤) و السلاح يقاتل بها المسلمون و يجاهدون الكفار، و يجالدون (٥) المرده الفجار، و ذلك بإجماع من المسلمين (٦)، لم أنفرد

ص: ١٤٤

١- (١) الشعراء (٢٦): ٢٢٧.

٢- (٢) عزوانه: نسبناه.

٣- (٣) الأخلاء: مفرده الخليل و هو الصديق.

٤- (٤) الكراع: بضم الكاف -: جماعه الخيل.

٥- (٥) يجالدون: يضاربون.

٦- (٦) قال ابن أبى الحديد فى شرح النهج: ٢٢١/١٦: أنه لم يرو حديث إنتفاء الإرث إلا أبو بكر وحده. و له كلام فى ذلك ايضا فى ص ٢٢٧ و ٢٢٨ فراجع، و قال السيوطى فى تاريخ الخلفاء: ٧٣ و أخرج أبو القاسم البغوى، و أبو بكر الشافعى فى فوائده و ابن عساكر عن عائشه قالت: اختلفوا فى ميراثه (صلى الله عليه و اله) فما وجدوا عند أحد من ذلك علماء، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول: إننا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقه.

به وحدي، و لم أستبد بما كان الرأي عندي و هذه حالي و مالي، و هي لك و بين يديك، لا تزوي (١) عنك، و لا تدخر دونك و إنك و أنت سيده امه أبيك، و الشجره الطيبه لبنيك، لا ندفع ما لك من فضلك، و لا يوضع في فرعك و أصلك، حكمك نافذ فيما ملكت يداي، فهل ترين أن اخالف في ذلك أباك (صلى الله عليه و اله)؟

فقلت (عليها السلام): «سبحان الله ما كان أبى رسول الله (صلى الله عليه و اله) عن كتاب الله صادفا (٢) و لا لأحكامه مخالفا! بل كان يتبع أثره، و يقفو سوره، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالا- عليه بالزور، و هذا بعد وفاته شبيه بما بغى له من الغوائل (٣) في حياته، هذا كتاب الله حكما عدلا، و ناطقا فصلا يقول: يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ (٤) و يقول: وَ وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ (٥) و بين عزّ و جلّ فيما وزّع من الأقساط، و شرع من الفرائض و الميراث، و أباح من حظّ الذكران و الإناث ما أزاح به علّه المبطلين، و أزال التظنّي و الشبهات في الغابرين، كلاً بل سوّلت لكم انفسكم أمرا فصبر جميل و الله المستعان على ما تصفون».

فقال أبو بكر: صدق الله و رسوله، و صدقت ابنته، أنت معدن الحكمة، و موطن الهدى و الرحمة، و ركن الدين، و عين الحجّه، لا أبعد صوابك، و لا انكر خطابك، هؤلاء المسلمون بيني و بينك، قلّمدوني ما تقلّمدت، و باتّفاق منهم أخذت ما أخذت غير مكابر و لا مستبدّ، و لا مستأثر، و هم بذلك شهود.

و هذه اولي محاوله لأبى بكر استطاع فيها من إخماد عواطف المسلمين و حرف رأيهم عن مناصره الزهراء (عليها السلام) من خلال التضييل و التظاهر

ص: ١٤٥

- ١- (١) لا تزوي: لا تمنع.
- ٢- (٢) صادفا: معرضا.
- ٣- (٣) الغوائل: المهالك.
- ٤- (٤) مريم (١٩): ٦.
- ٥- (٥) النمل (٢٧): ١٦.

بالصلاح و اتباع سنّه النبيّ (صلى الله عليه و اله).

ثمّ التفتت فاطمه (عليها السلام) إلى الناس و قالت: «معاشر المسلمين المسرعه إلى قيل الباطل، المغضيه (١) على الفعل القبيح الخاسر، أفلا تتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟ كلاً بل ران على قلوبكم ما أسأتكم من أعمالكم، فاخذ بسمعكم و أبصاركم و لبئس ما تأولتم، و ساء ما به أشرتكم، و شرّ ما منه اغتصبتم، لتجدنّ و الله محمله ثقيلًا، و غبه (٢) وبيلا، إذا كشف لكم الغطاء و بان ما وراءه (٣) الضراء، و بدا لكم من ربّكم ما لم تكونوا تحسبون و خسّر هنالك المبطون (٤).

ثم عطفت على قبر النبيّ (صلى الله عليه و اله) و قالت:

قد كان بعدك أنباء و هنبته (٥) لو كنت شاهدا لم تكثر الخطب

إنّا فقدناك فقد الأرض و ابلها و اختلّ قومك فاشهدهم و لا تغب

و كلّ أهل له قربي و منزله عند الإله على الأدين مقترب

أبدت رجال لنا نجوى صدورهم لما مضيت و حالت دونك الترب

تجهمتنا رجال و استخفّ بنا لما فقدت و كلّ الأرض مغتصب

و كنت بدرا و نورا يستضاء به عليك ينزل من ذى العزّه الكتب

و كان جبريل بالآيات يؤنسنا فقد فقدت و كلّ الخير محتجب

فليت قبلك كان الموت صادفنا لما مضيت و حالت دونك الكتب (٦)

أنهت الزهراء خطابها و قد أوضحت فيه الحقّ بأجلى صورته، و استجوبت الخليفة و فضحت مخططاته بالأدله و البراهين الساطعه المحكمه،

ص: ١٤٦

١- ((١)) المغضيه: غَضَّ طرفه أى أطبقه، و المغضيه أى المطبقه.

٢- ((٢)) غبّه: عاقبته.

٣- ((٣)) أى: ظهر لكم الشىء الذى وراءه الشدّه.

٤- ((٤)) غافر (٤٠): ٧٨.

٥- ((٥)) الهنبته: الأمر الشديد.

٦- ((٦)) الاحتجاج: ٢٥٣/١-٢٧٩ طبعه منظمه الأوقاف (انتشارات اسوه).

و ذكرت فضائل الخليفة الحقيقي في الإسلام و كمالاته المطلوبه،فتوترّ الجوّ و انساق الرأى العام لصالح الزهراء(عليها السّلام)و جعلت أبا بكر في زاويه حرجه و أمام طريق مسدود.

قال ابن أبي الحديد: سألت ابن الفارقي مدرّس المدرسه الغرييه ببغداد، و قلت له: أكانت فاطمه صادقته؟ قال: نعم، قلت: فلم لم يدفع إليها أبو بكر فدكا و هي عنده صادقته؟ فتبسّم ثم قال كلاما لطيفا مستحسنا: لو أعطها اليوم فدكا لمجرد دعواها؛ لجاأت إليه غدا و ادّعت لزوجها الخلافه و زحزحته عن مقامه و لم يمكن الاعتذار و الموافقه، لأنّه يكون قد سجّل على نفسه أنّها صادقته فيما تدعى كائنا ما كان من غير حاجه إلى بيّنه و شهود (١).

ردّ فعل الخليفه على خطاب الزهراء(عليها السّلام):

اضطرب المجلس و تفرّق الناس و ارتفعت الضجّه و أصبحت خطبه الزهراء(عليها السّلام) حديث الناس فلجأ أبو بكر إلى التهديد و الوعيد.

و روى أنّ أبا بكر لما شاهد أثر خطاب الزهراء على الناس قال لعمر:

تربت يداك ما كان عليك لو تركتني، فربّما مات الخرق و رتقت الفتق، ألم يكن ذلك بنا أحقّ؟ فقال الرجل: قد كان في ذلك تضعيف سلطانك و توهين كافتك و ما أشفقت إلاّ عليك. قال: ويلك! فكيف بابنه محمّد، و قد علم الناس ما تدعو اليه و ما نحن من الغدر عليه؟ فقال: هل هي إلاّ غمره انجلت و ساعه انقضت؟ و كأنّ ما قد كان لم يكن. فضرب بيده على كتف عمر و قال: ربّ

ص: ١٤٧

كربه فرجتها يا عمر، ثم نادى الصلاه جامعه، فاجتمع الناس فصعد المنبر و قال:

أيها الناس، ما هذه الرعه إلى كلّ قاله؟ أين كانت هذه الأمانى فى عهد رسول الله؟ ألا من سمع فليقل و من شهد فليتكلم، إنما هو نعاله شهيدته
ذنيه، مربّب لكل فتنة هو الذى يقول: كزوها جذعه بعد ما هرمت يستعينون بالضعفه و يستنصرون بالنساء، كام طحال أحب أهلها اليها البغى، ألا
إنى لو أشاء لقلت، و لو قلت لبحت، و إنى ساكت ما تركت.

ثم التفت إلى الأنصار فقال: يا معشر الأنصار قد بلغنى مقاله سفهائكم و أحقّ من لزم عهد رسول الله أنتم، فقد جاءكم فأوتم و نصرتم، ألا إنى
لست باسطا يدا و لسانا على من لم يستحقّ منّا ذلك، ثم نزل (١).

قال ابن أبى الحديد: قرأت هذا الكلام على النقيب أبى يحيى جعفر بن أبى يحيى بن أبى زيد البصرى و قلت له: بمن يعترض؟ فقال: بل يصرح،
قلت: لو صرح لم أسألك، فضحك و قال: لعلى بن أبى طالب، قلت: فما مقاله الأنصار؟ قال: هتفوا بقول على، فخاف من اضطراب الأمر عليهم
فنهاهم (٢).

دفاع ام سلمه عن حق الزهراء (عليها السلام):

بعد خطبه الزهراء (عليها السلام) فى المسجد و كلام أبى بكر قالت امّ سلمه (رض) حين ما سمعت ما جرى لفاطمه (عليها السلام): ألمثل فاطمه
بنت رسول الله (صلّى الله عليه و اله) يقال هذا القول؟ هى و الله الحوراء بين الإنس، و النفس للنفس، ربّيت فى حجور الأتقياء، و تناولتها أيدي
الملائكه، و نمت فى

ص: ١٤٨

١- ((١)) دلائل الإمامه، للطبرى: ص ٣٩.

٢- ((٢)) شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ٢١٥/١٦.

حجور الطاهرات، ونشأت خيره نشأه، و ربيت خير مربي، أتزعمون أنّ رسول الله (صلى الله عليه و اله) حزم عليها ميراثه و لم يعلمها؟ و قد قال الله تعالى: **وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** أفأندرها و خالفت مطلبه؟ و هي خيره النسوان و ام ساده الشبان، و عديله مريم، تمت بأبيها رسالات ربه، فو الله لقد كان يشفق عليها من الحرّ و القرب، و يوسدها يمينه و يلحفها بشماله، و رويدا و رسول الله (صلى الله عليه و اله) بمرآى منكم، و على الله تردون و اها لكم، فسوف تعلمون.

قيل: فحرمت من عطاها تلك السنه (1).

شكواها إلى الإمام علي (عليه السلام):

بعد ما أنهت الزهراء كلامها مع القوم بكت عند قبر رسول الله (صلى الله عليه و اله) حتى ابتل بدموعها، ثم انكأفت (عليها السلام) راجعه إلى الدار و أمير المؤمنين (عليه السلام) يتوقّع رجوعها إليه و يتطلع طلوعها عليه، فلما استقرت بها الدار قالت لأمر المؤمنين (عليه السلام): «يا بن أبي طالب اشتملت شمله الجنين، و قعدت حجره الظنين، نقضت قادمه الأجدل فخانك ريش الأعزل، هذا ابن أبي قحافه يبتزني نحله أبي، و بلغه ابني، لقد أجهر في خصامي، و ألفتته الألد في كلامي حتى حبستني قبله نصرها، و المهاجره وصلها، و غضت الجماعه دوني طرفها، فلا دافع و لا مانع، خرجت كاظمه و عدت راغمه، أضرعت خدك يوم أضعت خدك، إفتست الذئاب، و افترشت التراب، ما كفت قائلها، و لا أغنيت باطلا، و لا خيار لي ليتني متّ قبل هيتي و دون ذلتي، عذيري الله منك عاديا و منك حاميا، و يلاي في كل شارق مات العمدة و وهن العضد شكواي إلى أبي و عدواي إلى ربّي، اللهم أنت أشدّ قوه و حولا، و أحدّ بأسا و تنكيلا.

ص: ١٤٩

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لا ويل عليك، الويل لشانئك، نهني عن وجدك يا بنت الصفوه و بقيه النبوه، فما ونيت عن ديني، و لا أخطأت مقدوري، فإن كنت تريدن البلغه فرزقك مضمون، و كفيك مأمون، و ما أعد لك خير ممّا قطع عنك، فاحتسبي الله»، فقالت (عليها السلام): «حسبي الله» و سكت.

٦- إعلان المقاطعه:

إشاره

لم تتوقف الزهراء عند خطبتها، فقد استمرت في جهادها و اختارت الاعتصام عن الكلام مع أبي بكر هذه المزمه، فأعلنت رسميًا أمام الملاء: «و الله لا اكلمك بكلمه ما حييت» (١).

و لم تكن فاطمه (عليها السلام) من سواد الناس، بحيث لو قاطعت الخليفه لم تؤثر عليه، و لم يكن الأمر غير ذي بال، ففاطمه عزيزه رسول الله (صلى الله عليه و اله) و حبيبته، و لم يخف اهتمامه (صلى الله عليه و اله) بها و حبه لها على أحد، و هي التي قال فيها:

«فاطمه بضعه مني، من آذاها فقد آذاني».

و انتشر الخبر رويدا رويدا: إن فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) ساخطه على أبي بكر و لم تكلمه، و سمع بذلك القاصي و الداني من داخل المدينه و خارجها فتساءل الناس، و ازدادوا نفورا من الخليفه يوما بعد يوم، و رغم محاولات الخليفه إعادة المياه إلى مجاريها و المصالحه مع الزهراء إلا أنّها (عليها السلام) استمرت في جهادها و بقيت على صمودها حتى مضت إلى ربّها شهيده مظلومه.

ص: ١٥٠

إنَّ الحركة التصحيحية التي قام بها الإمام عليّ و الزهراء (عليهما السّلام) لإعادته الخلافة الإسلاميّة عن جاده الانحراف اكتسبت ألوانا وصيغا متعدّده، و تزعمت الزهراء الجبهه السياسيّه العليّيه، و تنوّعت أساليب المطالبه بحقّ خلافة الإمام عليّ (عليه السّلام)، و منها المطالبه بفدك، و حتى هذه المطالبه تلوّنت بعده ألوان.

و الباحث الموضوعي في دراسه خطوات الصراع و تطوّراته و الأشكال التي اتّخذها لا- يرى أنّ المسأله مسأله مطالبه بأرض، بل يتجلّى له منها مفهوم أوسع من ذلك ينطوي على غرض طموح يبعث إلى الثوره، و يهدف إلى استرداد حقّ مغتصب و مجد عظيم، و تصحيح مسيره أمّه انقلبت على أعقابها، و قد أحسّ الحزب الحاكم بذلك، فتراه قد بذل قصارى جهده في التحدّي و الثبات على موقفه.

و لو فحصنا أيّ نصّ من النصوص التاريخيه المتعلّقه بفدك فلا نجد فيها نزاعا ماديا أو اختلافا حول فدك بمعناها الضيق و واقعها المحدود، بل هي الثوره على أساس الحكم المنحرف و الصرخه التي أرادت لها الزهراء (عليها السّلام) أن تصل إلى كلّ الآفاق، لتقتلع بها الحجر الأساسي الذي بنى يوم السقيفه.

و يكفينا لإثبات ذلك أن نلقى نظره فاحصه على خطبه الزهراء في المسجد أمام الخليفه و بين حشود المهاجرين و الأنصار، فإنّها تناولت في أغلب جوانبها امتداح الإمام عليّ (عليه السّلام) و الثناء على مواقفه الجهاديه الخالصه لخدمه الإسلام، و تسجيل الحقّ الشرعي لأهل البيت (عليهم السّلام) الذين وصفتهم بأنهم الوسيله إلى الله في خلقه و خاصته و محلّ قدسه و حجّته، و ورثه أنبيائه في الخلافة و الحكم.

و حاولت الزهراء (عليها السلام) أن تتبّه المسلمين إلى غفلتهم و سوء اختيارهم المرتجل و المتسرّع و انقلابهم على أعقابهم بعد هداهم، و ورودهم غير شربهم الصافي الذي كان يروى ظمأهم، و إسنادهم أمرهم إلى غير أهله، و الفتنة التي سقطوا فيها، و الدوافع التي دفعتهم إلى ترك كتاب الله و مخالفته فيما يحكم به في مسأله الخلافه و الإمامه.

فالمسأله إذن ليست مسأله تقسيم ميراث أو قبض نحله إلا بالمقدار الذي يتصل بموضوع الهدف الأعلى، و ليست مطالبه بعقار أو دار، بل هي في نظر الزهراء قضيه إسلام و كفر، و قضيه إيمان و نفاق، و مسأله نصّ و شورى.

كذلك نجد هذا النفس السياسى الرفيع و الواضح فى حديثها مع نساء المهاجرين و الأنصار حين زيارتهن لها، فقد أوضحت لهنّ أنّ أمر الخلافه انحرف عن مساره الشرعى بإقرار الحزب الحاكم على مسند الحكم، و لم تكن ردّه فعل عاطفيه و أحقاد مكنونه و جدت لها متنفساً، و لو أنّهم وضعوا الأمر حيث أمر الله و رسوله و أعطوا زمام القيادة للإمام (عليه السلام)؛ لبلغوا رضا الله و سعادته الدنيا و الآخرة.

و أكبر الظنّ أنّ الصديقه الزهراء (عليها السلام) كانت تجد فى شيعه الإمام (عليه السلام) و صفوه أصحابه الذين لم يكونوا يشكّون فى صدقها أبداً من يؤيد بشهادته على شهادة الإمام على (عليه السلام) و تكتمل البيئه التى طالب بها الخليفه لإثبات أنّ فدك للزهراء (عليها السلام).

إنّ هذا خير دليل على أنّ الهدف الأعلى للزهراء الذى كانوا يعرفونه جيداً ليس هو إثبات النحله أو الميراث، بل القضاء على نتائج السقيفه، و هذا لا يحصل بإقامه البيئه فى موضوع فدك، لأنّ الأمر سينحصر عند ذاك بقضيه محدوده، بل بأن تقدّم البيئه لدى الناس جميعاً على أنّهم ضلّوا و انحرفوا عن

سواء السبيل، عسى أن يرتد إليهم رشدهم و يحسن اختيارهم و يصححوا مسيرتهم.

و نعلم أيضا مقدار تخوّف السلطه الحاكمه و إصرارها على موقفها و محاولتها الاستمرار فى تضليل الجماهير حين نسمع ردّ الخليفه بعد أن انتهت الزهراء (عليها السّلام) من خطبتها و خرجت من المسجد، و هذا يلقي الضوء على أساس منازعه الزهراء له، فإنّه فهم أنّ احتجاج الزهراء لم يكن حول الميراث أو النحله، و إنّما كان حربا سياسيه و تظلّما لحقّ الإمام عليّ (عليه السّلام) و إظهارا لدوره العظيم فى وجوده فى الامه، و الذى شاء الخليفه و أصحابه أن يبعده عن المقام الطبيعى له فى دنيا الإسلام.

فنجد أنّ الخليفه هجم فى ردّه على الإمام عليّ (عليه السّلام) فوصفه بأنّه ثعالبه و أنّه مربّ لكلّ فتنة و أنّ فاطمه ذنبه التابع له، و لم يتطرّق فى ردّه على موضوع الميراث أو النحله قليلا أو كثيرا.

و إذا عرفنا أنّ الزهراء نازعت الخليفه فى أمر الميراث بعد اغتصابه لهدك، لأنّ الناس لم يعتادوا أن يستأذنوا الخليفه فى قبض مواريتهم أو فى تسليم المواريت إلى أهلها، فكانت تجرى معاملاتهم بينهم بيسر دون تكلف، فلم تكن فاطمه (عليها السّلام) فى حاجه إلى مراجعه الخليفه، و لم تكن لتأخذ رأيه و هو الظالم المنتزى على الحكم فى رأيها، فالمطالبه بالميراث لا بدّ أنّها كانت ذات صدى لما قام به الخليفه من تعدى على حقّ الزهراء فى التركه و الاستيلاء عليها.

و إذا عرفنا أيضا أنّ الزهراء لم تطالب بحقوقها قبل أن تغتصب منها تجلّى بوضوح لدينا أنّ ظروف المطالبه كانت مشجعه كلّ التشجيع للمعارضين على أن يغتنموا مسأله الميراث ماده خصبه للانطلاق منها

لمقاومه الخليفة غير الشرعي بأسلوب سلمى كانت تفرضه المصالح العليا للإسلام يومئذ، و من الممكن إتهامه بالغضب و التلاعب بقواعد الشريعة و الاستخفاف بكرامه القانون.

٧- خيارات الإمام علي (عليه السلام) تجاه الوضع الجديد:

إشاره

إنّ الأحداث المتسارعه و المواقف المنحرفه و ظهور أطراف عديده تعدّ للإسلام المكائد و تطرق أبواب الفتن و غياب الوعي الرسالي و الحرص على سلامه العقيدة أملت على الإمام علي (عليه السلام) أن يقف عند مفترق طرق ثلاثه، كلّ منها حرج:

الأول: أن يبائع أبا بكر دون ممانعه، و يكون حاله مثل بقيه المسلمين، بل يحظى بمكانه مرموقه لدى السلطه الجديده و يحافظ على وجوده و كيانه و منافعه من دون إهتمام بمسيره الدعوه الإسلاميه، و هذا غير ممكن، لأنّه يعني إمضاءه لبيعه مخالفه لأوامر رسول الله (صلى الله عليه و اله).

الثاني: أن يسكت و فى العين قذى و فى الحلق شجى، و يحاول أن يجد مسلكا معتدلا وسط التناقضات التى ستحصل من جراء حكمه غير مؤهله، ليحافظ على كيان الإسلام و يصون العقيدة الإسلاميه من الإنهيار التام.

الثالث: أن يعبئ الجماهير و يعدّهم لإعلان الثوره المسلحه على خلافه أبى بكر.

قرار المواجهه السلميه و دور الزهراء (عليها السلام):

انتهى الإمام إلى قرار حاسم و هو ترك الثوره و عدم التسلّح بالنصوص فى وجه الحاكمين جهارا و علانيه إلا إذا اطمأن إلى قدرته على تجنيد الرأى العام

ص: ١٥٤

ضدّ أبي بكر و صاحبيه، وهذا ما أخذ يحاوله عليّ في محنته آنذاك، فبدأ يطوف (1) سرّاً على زعماء المسلمين و رجالات المدينة، يعظهم و يذكرهم ببراهين الحقّ و آياته، و إلى جانبه قرينته تعزّز موقفه و تشاركه في جهاده السريّ، و لم يكن يقصد بذلك التطواف إنشاء حزب يتهيأ له القتال به، لأننا نعرف أنّ عليّاً كان له حزب من الأنصار هتف باسمه، و حاول الالتفاف حوله، و إنّما أراد أن يمهد بتلك المقابلات لإجماع الناس عليه.

و هنا تجيء مسألة فدك لتحتلّ الصدارة في السياسة العلوية الجديدة، فإنّ الدور الفاطمي الذي رسم هارون النبوه خطوطه ياتقان كان متفقاً مع ذلك التطواف الليلي في فلسفته و جديراً بأن يقلب الموقف على الخليفة و ينهي خلافه الصديق كما تنهى القصة التمثيلية، لا كما يقوِّض حكم مركز عليّ القوه و العده.

و كان الدور الفاطمي يتلخّص في أن تطالب الصديقه الزهراء (عليها السّلام) أبا بكر بما انتزعه منها من أموال، و تجعل هذه المطالبه و سيله للمناقشه في المسأله الأساسيه و هي مسأله الخلافه، و إفهام الناس بأنّ اللحظه التي عدلوا فيها عن عليّ (عليه السّلام) إلى أبي بكر كانت لحظه هوس و شذوذ (2)، و أنّهم بذلك أخطأوا و خالفوا كتاب ربّهم و وردوا غير شربهم (3).

ولما اختمرت الفكره في ذهن فاطمه، اندفعت لتصحّح أوضاع الساعه،

ص: ١٥٥

١- ((١)) راجع شرح نهج البلاغه/ابن أبي الحديد: ١٣/٦، الطبعه المحقّقه، أخرج عن أبي جعفر محمّد بن عليّ (عليهما السّلام) أنّ عليّاً حمل فاطمه على حمار و سار بها ليلاً إلى بيوت الأنصار، يسألهم النصره، و تسألهم فاطمه الانتصار له.

٢- ((٢)) راجع بلاغات النساء: ٢٣، قالت في هذا المعنى من خطبه لها (عليها السّلام): «و أطلع الشيطان رأسه من مغرزه، فوجدكم لدعائه مستجيبين، و للغره فيه ملاحظين، فاستنهضكم فوجدكم خفافاً... فوسمتم غير إبلكم».

٣- ((٣)) جاء في شرح نهج البلاغه/ابن أبي الحديد: ١٢/٦: قال عليّ (عليه السّلام) في محاوره مع القوم: «يا معشر المهاجرين الله الله، لا تخرجوا سلطان محمّد عن داره و بيته إلى بيوتكم و دوركم، و لا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس و حقّه، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أهل البيت أحقّ بهذا الأمر منكم...».

و تمسح عن الحكم الإسلامي-الذى وضعت قاعدته الاولى فى السقيفه-الوحد الذى تلطخ به،عن طريق اتّهام الخليفة الحاكم بالخيانة السافره و العبث بكرامه القانون،و اتّهام نتائج المعركه الانتخابيه التى خرج منها أبو بكر خليفه بمخالفه الكتاب و الصواب (١).

و قد توفّرت فى المقابله الفاطميه ناحيتان لا تتهيئان للإمام فيما لو وقف موقف قريبته:

إحداهما:إنّ الزهراء أقدر منه بطروف فجيعتها الخاصه و مكانتها من أبيها،على استثاره العواطف،و إيصال المسلمين بسلك من كهرباء الروح بأبيها العظيم صلوات الله عليه و أيامه الغراء،و تجنيد مشاعرهم لقضايا أهل البيت.

و الاخرى:إنها مهما تتخذ لمانزعتها من أشكال فلن تكتسب لون الحرب المسلحه التى تتطلب زعيما يهيمن عليها ما دامت امرأه،و ما دام هارون النبوه فى بيته محتفظا بالهدنه التى أعلنها حتى تجتمع الناس عليه، و مراقبا للموقف ليتدخل فيه متى شاء،متزعمًا للثوره إذا بلغت حدّها الأعلى أو مهدئا للفتنه إذا لم يتهيأ له الظرف الذى يريده،فالحوراء فاطمه(عليها السلام) بمقاومتها إمّا أن تحقّق انتقاضا إجماعيا على الخليفه،و إمّا أن لا تخرج عن دائره الجدل و النزاع و لا تجرّ إلى فتنه و انشقاق.

إذن فقد أراد الإمام صلوات الله عليه أن يسمع الناس يومئذ صوته من فم الزهراء،و يبقى هو بعيدا عن ميدان المعركه ينتظر اللحظه المناسبه للاستفاده منها،و الفرصه التى تجعل منه رجل الموقف،و أراد أيضا أن يقدم لامه القرآن كلّها فى المقابله الفاطميه برهانا على بطلان الخلافه القائم،و قد تمّ

ص: ١٥٦

١- (١) راجع الصواعق المحرقة: ٣٦، طبعه مكتبه القايره، قال الخليفه الثانى: «كانت بيعه أبى بكر فلتته وقى الله شرّها فمن عاد لمثلها فاقتلوه...». و راجع أيضا تاريخ الخلفاء: ٦٧.

للإمام ما أراد حيث عثرت الزهراء صلوات الله عليها عن الحق العلويّ تعبيراً واضحاً فيه ألوان من الجمال و النضال.

و تلخّص المعارضه الفاطميه في عدّه مظاهر:

الأول: إرسالها من ينازع أبا بكر في مسائل الميراث و يطالب بحقوقها (١) و هذه هي الخطوه الاولى التي انتهجتها الزهراء صلوات الله عليها تمهيدا لمباشرتها للعمل بنفسها.

الثاني: مواجهتها بنفسها له في اجتماع خاص (٢) و قد أرادت بتلك المقابله أن تشتت في طلب حقوقها من الخمس و فدك و غيرهما، لتعرف مدى استعداد الخليفه للمقاومه.

الثالث: خطبتها في المسجد بعد عشره أيام من وفاه النبي (صلى الله عليه و اله) كما في شرح النهج (٣).

الرابع: حديثها مع أبي بكر و عمر حينما زارها بقصد الاعتذار منها، و إعلانها غضبها عليهما، و أنّهما أغضبا الله و رسوله (صلى الله عليه و اله) بذلك (٤).

الخامس: خطابها الذي ألقته على نساء المهاجرين و الأنصار حين

ص: ١٥٧

١- (١) شرح نهج البلاغه/ابن أبي الحديد: ٢١٨/١٦-٢١٩ عن أبي الطفيل قال: «أرسلت فاطمه إلى أبي بكر: أنت ورثت رسول الله (صلى الله عليه و اله) أم أهله؟ قال: بل أهله...».

٢- (٢) المصدر نفسه: ٢٣٠/١٦.

٣- (٣) المصدر نفسه: ٢١١/١٦ أخرج عن جماعه قال: «قالوا: لما بلغ فاطمه (عليها السلام) إجماع أبي بكر على منعها فدك لاثت خمارها و أقبلت في لمة من حفدتها و نساء قومها... حتى دخلت على أبي بكر و قد حشد الناس من المهاجرين و الأنصار...».

٤- (٤) راجع: الإمامه و السياسه/ابن قتيبه: ٣١ و شرح نهج البلاغه/ابن أبي الحديد: ٢٨١/١٦، ٢٦٤. و قد قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «فاطمه بضعه مني من أغضبها أغضبني»، أعلام النساء: ١٢٣/٤ و كنز العمال: ١٢/الحديث ٣٤٢٢٢.

السادس: وصيّتها بأن لا يحضر تجهيزها و دفنها أحد من خصومها (٢) و كانت هذه الوصيه الإعلان الأخير من الزهراء عن نعمتها على الخلفه القائمه.

و قد انحسرت الحركه الفاطميه بمعنى و نجحت بمعنى آخر، انحسرت لأنها لم تطح بحكومته الخليفه فى زحفها الأخير الخطير الذى قامت به فى اليوم العاشر من وفاه النبى (صلى الله عليه و اله).

و لا نستطيع أن نتبين الامور التى جعلت الزهراء تخسر المعركه، غير أن الأمر الذى لا ريب فيه أن شخصيه الخليفه من أهم الأسباب التى أدت إلى فشلها، لأنه من أصحاب المواهب السياسيه، و قد عالج الموقف بلباقه ملحوظه نجد لها مثالا، فيما أجاب به الزهراء من كلام ووجهه إلى الأنصار فى خطاب بعد انتهائها من خطبتها فى المسجد.

فبينما هو يذوب رقه فى جوابه للزهراء و إذا به يطوى نفسه على نار متأججه تندلع بعد خروج فاطمه من المسجد، فى أكبر الظن، فيقول: ما هذه الرعه إلى كلّ قاله إنما هو ثعالبه شهيدته ذنبه (٣) - و قد نقلنا الخطاب كاملا فيما سبق - فإنّ هذا الانقلاب من اللين و الهدوء إلى الغضب الفائز يدلنا على مقدار ما اوتى من سيطره على مشاعره و قدرته على مساييره الظرف و تمثيل الدور المناسب فى كلّ حين.

و نجحت معارضه الزهراء لأنها جهّزت الحقّ بقوه قاهره، و أضافت إلى

ص: ١٥٨

١- (١) شرح نهج البلاغه/ابن أبى الحديد: ٢٣٣/١٦.

٢- (٢) المصدر نفسه: ٢٨١/٦.

٣- (٣) راجع الخطبه فى شرح نهج البلاغه: ٢١٤-٢١٥.

طاقته على الخلود في ميدان النضال المذهبي طاقه جديده، و قد سجّلت هذا النجاح في حركتها كلّها و في محاورتها مع الصّدّيق و الفاروق عند زيارتهما لها بصورة خاصّه، إذ قالت لهما: أرأيتكما إن حدّثتكما حديثا عن رسول الله (صلّى الله عليه و اله) تعرفانه و تفعلاّن به؟ فقالا: نعم، فقالت: «نشدتكما الله، ألم تسمعا من رسول الله (صلّى الله عليه و اله) يقول: «رضا فاطمه من رضاي، و سخط فاطمه من سخطي، فمن أحبّ فاطمه فقد أحبّني، و من أرضى فاطمه فقد أرضاني، و من أسخط فاطمه فقد أسخطني» (١) قالوا: نعم سمعناه من رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، قالت: «فإني أشهد الله و ملائكته أنّكما أسخطتماني و ما أرضيتماني و لئن لقيت النبي (صلّى الله عليه و اله) لأشكونكما عنده» (٢).

و بصور لنا هذا الحديث مدى اهتمامها بتركيز الاعتراض على خصميتها و مجاهرتهما بغضبها و نقمتهما، لتخرج من المنازعه بنتيجه هي الفوز المؤكّد في حساب العقيدة و الدين، و أعنى بها أنّ الصّدّيق قد استحقّ غضب الله و رسوله (صلّى الله عليه و اله) بإغضابها، و آذاها بأذاها لأنّهما يغضبان لغضبها و يسخطان لسخطها بنصّ الحديث النبويّ الصحيح، فلا يجوز أن يكون خليفه لله و رسوله (٣)، و قد قال الله تبارك و تعالٰى:

ص: ١٥٩

١- (١) صحّحت عن رسول الله (صلّى الله عليه و اله و سلم) عبارات متعدّده بهذا المعنى فقد جاء عنه في الصحيح أنّه قال لفاطمه (رضى الله عنها): «إنّ الله يغضب لغضبك، و يرضى لرضاك...» و قال: «فاطمه بضعه متى يريني ما رابها و يؤذيني ما آذاها». راجع: صحيح مسلم: ١٩٠٢/٤ حديث رقم: ٢٤٤٩/٩٣ طبعه دار إحياء التراث، مستدرک الحاكم: ١٥٨/٣، ذخائر العقبى: ٤٧، مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٣٢٣/٤ و ٣٣٢، جامع الترمذى: ٦٩٩/٥، دار إحياء التراث العربى-بيروت، الصواعق المحرقة/ابن حجر: ١٩٠- طبعه القايره، كفايه الطالب: ٣٦٥، دار احياء تراث أهل البيت- طهران.

٢- (٢) تجد غضب فاطمه (عليها السّلام) على أبى بكر في صحيح البخارى: ٥/٥ و صحيح مسلم: ٧٢/٢ و مسند الإمام أحمد: ٦/١، تاريخ الطبرى: ٢٧/٤، كفايه الطالب: ٢٦٦، سنن البيهقى: ٣٠٠/٦.

٣- (٣) راجع فدك في التاريخ: ١١٢-١١٩.

...وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا زُجُوجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (١).

إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (٢).

وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ (٤).

وَمَنْ يَخْلُلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى (٥).

٨- الهجوم على دار الزهراء (عليها السلام):

رفض الإمام عليّ (عليه السّلام) البيعه لأبي بكر، وأعلن سحقه على النظام الحاكم، ليتّضح للعالم أنّ هذه الحكومة التي أعرض عنها الرجل الأول في الإسلام بعد رسول الله (صلى الله عليه و اله) لا تمثّل الخلافة الواقعية لرسول الله (صلى الله عليه و اله)، وكذلك فعلت الزهراء فاطمة (عليها السّلام) ليعلم الناس أنّ ابنه نبيهم سخطه عليهم و هي تدينها فلا شرعية لهذا الحكم.

و بدأ الإمام عليّ (عليه السّلام) من جانب آخر جهادا سلبيا ضد الغاصبين للحقّ الشرعي، و وقف مع الإمام عليّ (عليه السّلام) عدد من أجلاء الصحابة من المهاجرين و الأنصار و خيارهم و ممن أشاد النبيّ (صلى الله عليه و اله) بفضلهم مع إدراكهم لحقائق الامور مثل: العباس بن عبد المطلب، و عمار بن ياسر، و أبي ذر الغفاري، و سلمان

ص: ١٦٠

١- (١) الأحزاب (٣٣): ٥٣.

٢- (٢) الأحزاب (٣٣): ٥٧.

٣- (٣) التوبة (٩): ٦١.

٤- (٤) الممتحنة (٦٠): ١٣.

٥- (٥) طه (٢٠): ٨١.

الفارسي، والمقداد بن الأسود، وخزيمه ذى الشهادتين، وعباده بن الصامت، وحذيفه بن اليمان، وسهل بن حنيف، وعثمان بن حنيف، وأبى أيوب الأنصاري وغيرهم، من الذين لم تستطع أن تسيطر عليهم الغوغائية، ولم ترهبهم تهديدات الجماعة التي مسكت بزمام الخلافة و فى مقدمتهم عمر ابن الخطاب.

وقد قام عدد من الصحابه المعارضين لبيعه أبى بكر بالاحتجاج عليه، و جرت عدّه محاورات عليه فى مسجد النبى (صلّى الله عليه و اله) و فى أماكن عديده، و لم يهابوا من إرهاب السلطه مما ألهب مشاعر الكثيرين الذين أنجرفوا مع التيار، فعاد إلى بعضهم رشده و ندموا على ما ظهر منهم من تسرّعهم و اندفاعهم لعقد البيعه بصوره ارتجاليه لأبى بكر، بالإضافة إلى ما ظهر منهم من العداة السافر تجاه أهل بيت النبوه.

و كانت هناك بعض العشائر المؤمنه المحيطه بالمدينه مثل: أسد، و فزاره، و بنى حنيفه و غيرهم، ممن شاهد بيعه يوم الغدير «غدير خم» التى عقدها النبى (صلّى الله عليه و اله) لعلّى (عليه السّلام) بإمره المؤمنين من بعده، و لم يطل بهم المقام حتى سمعوا بالتحاق النبى (صلّى الله عليه و اله) إلى الرفيق الأعلى و البيعه لأبى بكر و تربّعه على منصبه الخلافة، فاندھشوا لهذا الحادث و رفضوا البيعه لأبى بكر (1) جمله و تفصيلا، و امتنعوا عن أداء الزكاه للحكومه الجديده باعتبارها غير شرعيه، حتى ينجلى ضباب الموقف، و كانوا على إسلامهم يقيمون الصلاه و يؤدّون جميع الشعائر.

و لكنّ السلطه الحاكمه رأت أنّ من مصلحتها أن تجعل حدّا لمثل هؤلاء

ص: ١٤١

الذين يشكّلون خطراً للحكم القائم، ما دامت معارضة الإمام عليّ (عليه السّلام) و صحابته تمثّل خطراً داخلياً للدولة الإسلاميّة، عند ذلك أحسّ أبو بكر و أنصاره بالخطر المحيط بهم و بحكمهم من خلال تصاعد المعارضة إن لم يبادروا فوراً إلى إيقاف هذا التيار المعارض، و ذلك بإجبار رأس المعارضة (عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام)) على بيعه أبي بكر.

ذكر بعض المؤرّخين (١): أنّ عمر بن الخطّاب أتى أبا بكر فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعه؟ يا هذا لم تصنع شيئاً ما لم يبايعك عليّ! فابعث إليه حتى يبايعك، فبعث أبو بكر قنفاً، فقال قنفاً لأمر المؤمنين (عليه السّلام): أجب خليفه رسول الله (صلى الله عليه و اله). قال عليّ (عليه السّلام): «لسريع ما كذبتهم على رسول الله (صلى الله عليه و اله)» فرجع فأبلغ الرسالة فبكى أبو بكر طويلاً، فقال عمر ثانية: لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعه، فقال أبو بكر لقنفاً: عد إليه فقل له:

خليفه رسول الله (صلى الله عليه و اله) يدعوك لتبايع، فجاءه قنفاً، فأدّى ما أمر به، فرفع عليّ (عليه السّلام) صوته و قال: «سبحان الله! لقد ادعى ما ليس له» فرجع قنفاً فأبلغ الرسالة، فبكى أبو بكر طويلاً، فقال عمر: قم إلى الرجل، فقام أبو بكر و عمر و عثمان و خالد بن الوليد و المغيرة بن شعبه و أبو عبيدة بن الجراح و سالم مولى أبي حذيفة.

وظنّت فاطمه (عليها السّلام) أنّه لا يدخل بيتها أحد إلا بإذنها، فلما أتوا باب فاطمه (عليها السّلام) و دقّوا الباب و سمعت أصواتهم نادى بأعلى صوتها: «يا أبت يا رسول الله (صلى الله عليه و اله) ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب و ابن أبي قحافة، لا عهد لى بقوم حضروا أسوأ محضركم، تركتم رسول الله (صلى الله عليه و اله) جنازه بأيدينا و قطعتم أمركم بينكم، لم

ص: ١٦٢

تستأمرونا، ولم تردّوا لنا حقا».

فلَمَّا سَمِعَ القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تتصدّع وأكبادهم تنفطر وبقى عمر ومعهم قوم، ودعا عمر بالحطب و نادى بأعلى صوته: والذى نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها، فقيل له: يا أبا حفص إنّ فيها فاطمه، فقال: وإن (١).

فوقفت فاطمه (عليها السّلام) خلف الباب وخاطبت القوم: «و يحكك يا عمر ما هذه الجراء على الله و على رسوله؟ تريد أن تقطع نسله من الدنيا و تفتيه و تطفى نور الله؟ و الله ممّم نوره». فركل عمر الباب برجله فاخترت فاطمه (عليها السّلام) بين الباب و الحائط رعايه للحجاب، فدخل القوم إلى داخل الدار مما سبّب عصرها سلام الله عليها، و كان ذلك سببا فى إسقاط جنينها.

و توثبوا على أمير المؤمنين و هو جالس على فراشه، و اجتمعوا عليه حتى أخرجوه ملتبسا بثوبه يجزّونه إلى السقيفه، فحالت فاطمه (عليها السّلام) بينهم و بين بعلها و قالت: «والله لا- أدعكم تجزّون ابن عمى ظلما، و يلکم ما أسرع ما ختم الله و رسوله، فينا أهل البيت، و قد أوصاكم رسول الله (صلّى الله عليه و اله) باتّباعنا و موادّتنا و التمسك بنا»، فأمر عمر قنفذا بضربها فضربها قنفذ بالسوط فصار بعصدها مثل الدمليج (٢).

فأخرجوا الإمام (عليه السّلام) يسحبونه إلى السقيفه حيث مجلس أبى بكر، و هو ينظر يمينا و شمالا و ينادى «واحمزناه و لا حمزه لى اليوم، و اجعفراه و لا جعفر لى اليوم»!! و قد مرّوا به على قبر أخيه و ابن عمّه رسول الله (صلّى الله عليه و اله) فنادى «يا ابن ام إنّ القوم استضعفونى و كادوا يقتلونى».

و روى عن عدى بن حاتم أنّه قال: و الله ما رحمت أحدا قطّ رحمتى

ص: ١٦٣

١- ((١)) الإمامه و السياسه لابن قتبيّه: ٢٩-٣٠.

٢- ((٢)) مرآه العقول: ٥/٣٢٠.

علی بن أبی طالب (علیه السلام) حین أتى به ملتباً بثوبه، یقودونه إلى أبی بکر و قالوا له: بايع! قال: «فإن لم أفعل فمه؟» قال له عمر: إذن و الله أضرب عنقك، قال علی: «إذن و الله تقتلون عبد الله و أخا رسوله» فقال عمر: أمّا عبد الله فنعم، و أمّا أخو رسول الله فقال: «أتجحدون أنّ رسول الله (صلی الله علیه و اله) آخى بينی و بينه؟!» و جرى حوار شديد بين الإمام (علیه السلام) و بين الحزب الحاكم.

و عند ذلك وصلت السیده فاطمه (علیها السلام) و قد أخذت بيد ولديها الحسن و الحسين (علیهما السلام) و ما بقيت هاشمیه إلا و خرجت معها، یصحن و یولولن فقالت فاطمه (علیها السلام): «خلوا عن ابن عمی!! خلوا عن بعلى!! و الله لأکشفن رأسی و لأضعن قميص أبی علی رأسی و لأدعون علیکم، فما ناقة صالح بأكرم علی الله منی، و لا فضيلها بأكرم علی الله من ولدی» (١).

و جاء فی روايه العیاشی أنّها قالت: یا أبا بکر، أتريد أن ترملنی عن زوجی و تیتم أولادی؟ و الله لئن لم تکف عنه لأنشرن شعری و لأشفن جیبی و لآتین قبر أبی و لأصرخن إلى ربی «فأخذت بيد الحسن و الحسين تريد قبر أبيها، عند ذلك تصايح الناس من هنا و هناك بأبی بکر: ما تريد إلى هذا؟ أتريد أن تنزل العذاب علی هذه الامه؟

و راحت الزهراء و هی تستقبل المثنوی الطاهر لرسول الله (صلی الله علیه و اله) تستنجد بهذا الغائب الحاضر: «یا أبت یا رسول الله! (صلی الله علیه و اله) ماذا لقینا بعدک من ابن الخطاب و ابن أبی قحافه؟ فما ترکت کلمتها إلا قلوبا صدعها الحزن و عیونا جرت دمعا» (٢).

ص: ١٦٤

١- ((١)) الاحتجاج للطبرسی: ٢٢٢/١.

٢- ((٢)) الغدير: ١٠٤/٣. راجع الإمامه و السياسة: ١٣/١، و تاریخ الطبری: ١٩٨/٣، و العقد الفريد: ٢٥٧/٢، و تاریخ أبی الفداء: ١٦٥/١، و تاریخ ابن شحنه فی حوادث سنه ١١، و شرح ابن أبی الحديد: ١٩/٢.

اشاره

ما كانت السيده فاطمه الزهراء تنتظر أن ترى في حياتها يوماً كذلك اليوم و مأساه كتلك المأساه و إن كان أبوها(صلى الله عليه و اله) قد أخبرها بذلك، و لكن السماع شيء و الرؤيه شيء آخر، و تأثير المصيبه يختلف سماعاً و رؤيه، إن كانت(عليها السلام) سمعت من أبيها أن الامور تنقلب عليها و أن الأحقاد سوف تظهر بعد وفاته(صلى الله عليه و اله) فإنها قد شاهدت تلك الأحداث، فقد هجم القوم على عرينها ليخرجوا زوجها من ذلك البيت الذى ما كان رسول الله(صلى الله عليه و اله) يدخله إلا بعد الاستئذان من فاطمه(عليها السلام).

كانت الزهراء تتذكر كيف أن زينب بنت رسول الله(صلى الله عليه و اله) تجهزت للحوق بأبيها، و خرجت من مكه على بعير لها و هى فى الهودج، فخرج فى طلبها هبار بن الأسود فروعها بالرمح - و هى فى الهودج - و كانت حاملاً، فلما رجعت طرحت ما فى بطنها، فلذلك أباح رسول الله(صلى الله عليه و اله) يوم فتح مكه دم هبار بن الأسود.

ترى ماذا سيقول رسول الله(صلى الله عليه و اله) حين يرى القوم لا يرعون حرمه و لا كرامه لدار حبيته الزهراء؟ بل و لا هيبه و لا احتراماً لبضعته حين يتجرأ القوم فيضربونها و يروعونها فيكون ذلك عله لسقوط جنينها و مرضها ثم وفاتها؟.

بالرغم من أن المواجهه التى حصلت فى دار الزهراء(عليها السلام) كانت لفترة قصيره و وقعت فى مكان محدود غير أن صداها بقى لأجيال و أجيال إلى يومنا هذا تشعر المرء بمراره التعدى و الظلم الذى لحق بآل رسول الله(صلى الله عليه و اله) و لئما تنقض أيام معدودات على غياب الرسول الكريم(صلى الله عليه و اله).

من هذه المواجهه نستطيع أن نلاحظ بعض الجوانب التى تدل على

١- أنّ الزهراء (عليها السّلام) هبّت للدفاع عن الوصى، ووقفت خلف الباب بصلابه متناهيه، وخطبت القوم بالحجّه البالغه عسى أن يرتدع الظالمون، و لم تلتزم الصمت لأنها صاحبه حقّ و المهاجمين غاصبون لحقّ الخلافة الشرعيه.

٢- حينما أخرجوا عليا (عليه السّلام) راحت الزهراء (عليها السّلام) تدافع فى موقع آخر، فلحقت به لعلّها تمنعهم عنه رغم كلّ الآلام التى تعرّضت لها عند هجومهم على الدار، لأنه أصبح لديها حقّان: حقّ الدفاع عن الوصى و المطالبه بالخلافه، و حقّ الظلامه التى جرت عليها من تعدى القوم على حرمتها و هى ابنه رسول الله (صلى الله عليه و اله) (١).

و حين أعيتها الحيل و السبل؛ انصرفت للدعاء عليهم صارخه مستغيثه بالله و رسوله (صلى الله عليه و اله) على رؤوس الأشهاد. إنّ موقف الزهراء (عليها السّلام) سجّل اعتراضا صارخا واضحا لكلّ متتبع للحقّ بأنّ الخلافه انحرفت عن مسارها الصحيح و أصحابها الشرعيين، و قد أدّت دورها العظيم فى محاوله إعادته حقّ الخلافه إلى صاحبها الشرعى الإمام على (عليه السّلام) أو على أقلّ تقدير أعادت التجربه الإسلاميه إلى مجراها الحقيقى عبر استنهاض الامه و بثّ الوعى فيها و فضح المعتصبين للخلافه، مع التأكيد على عدم أهليتهم لتحمل أعباء مسؤوليه زعامه المسلمين و لم تزل الرساله حديثه عهد بهم.

كلامها فى حقّ الإمامه و ظلامه أهل البيت (عليهم السّلام):

عن محمود بن لبيد قال: لثما قبض رسول الله (صلى الله عليه و اله) كانت فاطمه (عليها السّلام)

ص: ١٦٦

١- (١) فاطمه الزهراء، ابراهيم الأمينى: ١٢٣.

تأتى قبور الشهداء و تأتى قبر حمزه و تبكى هناك، فلما كان فى بعض الأيام أتيت قبر حمزه فوجدتها (عليها السلام) تبكى هناك، فأمهلتها حتى سكنت، فأتيتها و سلمت عليها و قلت: يا سيده النسوان قد و الله قطعت أنياط قلبى من بكائك، فقالت: «يا أبا عمر! الحق لى البكاء، فلقد أصبت بخير الآباء رسول الله (صلى الله عليه و اله) و اشوقاه إلى رسول الله (صلى الله عليه و اله)»! ثم أنشأت تقول:

«إذا مات ميت قل ذكره و ذكر أبى مذ مات و الله أكثر»

قلت: يا سيدتى إنى سائلك عن مسأله تتلجلج فى صدرى، قالت:

«سل». قلت: هل نص رسول الله (صلى الله عليه و اله) قبل وفاته على على (عليه السلام) بالإمامه؟ قالت: «و اعجابه! أنسيتم يوم غدير خم؟» قلت: قد كان ذلك و لكن أخبرينى بما أسر اليك، قالت: «اشهد الله تعالى لقد سمعته يقول: على خير من أخلفه فيكم، و هو الإمام و الخليفه بعدى و سبطاى و تسعه من صلب الحسين أئمه أبرار، لئن اتبعتموهم وجدتموهم هادين مهديين، و لئن خالفتموهم ليكون الاختلاف فيكم إلى يوم القيامة».

قلت: يا سيدتى فما باله قعد عن حقه؟ قالت: «يا أبا عمر، لقد قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): مثل الإمام مثل الكعبه إذ تؤتى و لا تأتى - أو قالت مثل على - ثم قالت: أما و الله لو تركوا الحق على أهله و اتبعوا عتره نبيه لما اختلف فى الله اثنان، و لورثها سلف عن سلف و خلف عن خلف حتى يقوم قائمنا التاسع من ولد الحسين، و لكن قدموا من آخره الله و آخروا من قدمه الله، حتى إذا ألدوا المبعوث و أودعوه الجذث المجدوث اختاروا بشهوتهم، و عملوا بأرائهم، نبا لهم، أولم يسمعوا الله يقول: وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ بَلْ سَمِعُوا وَ لَكِنَّهُمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَ لَكِنَّ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ هِيَ هَاتِ بِسَطُوا فِي الدُّنْيَا آمَالَهُمْ، وَ نَسُوا آجَالَهُمْ،

فتعسا لهم و أضلّ أعمالهم، أعوذ بك يا ربّ من الحور بعد الكور» (١).

وقالت (عليها السلام) في جواب عائشه بنت طلحه:

«أتسأليني عن هنه حلق بها الطائر، و حفى بها السائر، رفعت إلى السماء أثرا، و رزئت في الأرض خيرا؟ إنّ قحيف تيم، و احيول عدى جاريا أبا الحسن في السباق، حتى إذا تفرّيا في الخناق فأسرا له الشنآن، و طوياه الإعلان، فلمّا خبا نور الدين و قبض النبيّ الأمين نطقا بفورهما، نفثا بسورهما، و أدالا- فداكا، فيالهاكم من ملكك ملك، إنّها عطيه الربّ الأعلى للنجى الأوفى، و لقد نحلينها للصبيه السواغب من نجله و نسلى، و إنّها لبعلم الله و شهاده أمينه، فإن انتزعا منى البلغه و منعانى الممظه فأحتسبها يوم الحشر، و ليجدن آكلها ساعره حميم فى لظى جحيم» (٢).

١٠- السيده فاطمه (عليها السلام) فى أيامها الأخيره

لم تبق الزهراء (عليها السلام) بعد أيها سوى شهر معدوده قضتها بالبكاء و النحيب و الأنين حتى عدت من البكائين، و لم تر ضاحكه قطّ (٣).

و كان لبكائها أسباب و دوافع كثيره، أهمها انحراف المسلمين عن الطريق المستقيم و إنزلاقهم فى مهاو تؤدي إلى الاختلاف و الفرقه و انهيار الامه الاسلاميه بالتدرج.

و الزهراء (عليها السلام) التى عاشت انتشار الدعوه الإسلاميه أيام أيها (صلّى الله عليه و اله) وضحت من أجلها بكل نفيس كانت تتوقع انتصار الإسلام و تشييد صرح

ص: ١٤٨

١- (١) عوالم المعارف: ١١/٤٤٤.

٢- (٢) رياحين الشريعة: ٤١/٢، و أمالى الطوسى: ٢٠٤ مجلس ٧ حديث ٣٥٠.

٣- (٣) طبقات ابن سعد ج ٢/القسم ٢: ٨٤ حليه الأولياء: ٢/٤٣.

العدل في ربوع الدنيا كلها، ولكن غضب الخلافة و الأحداث التي تلتهما هدم صرح آمالها و أدخل الحزن على قلبها و روحها الطاهرة، فقد تحملت همًا ثقيلاً فوق همها و حزنها على أبيها النبي الأكرم (صلى الله عليه و اله).

و ذات يوم دخلت ام سلمة على فاطمة (عليها السلام) فقالت لها: كيف أصبحت عن ليلتك يا بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله)؟ قالت (عليها السلام): «أصبحت بين كمد و كرب، فقد النبي (صلى الله عليه و اله) و ظلم الوصي (عليه السلام)، هتك و الله حجاب من أصبحت إمامته مقبضه على غير ما شرع الله في التنزيل أو سنّها النبي (صلى الله عليه و اله) في التأويل، و لكنّها أحقاد بدرية و ترات احديه» (١).

و عن عليّ (عليه السلام) قال: «غسلت النبي (صلى الله عليه و اله) في قميصه، فكانت فاطمة تقول:

أرني القميص، فإذا شمته غشى عليها، فلما رأيت ذلك غيبته» (٢).

و روى أنه لَمَّا قبض النبي (صلى الله عليه و اله) امتنع بلال من الأذان قال: لا أؤذّن لأحد بعد رسول الله (صلى الله عليه و اله)، و إنّ فاطمة (عليها السلام) قالت ذات يوم: «إنّي أشتهى أن أسمع صوت مؤذّن أبي (صلى الله عليه و اله) بلال» فبلغ ذلك بلالا فأخذ في الأذان، فلما قال: الله أكبر الله أكبر، ذكرت أباهما و أيامه فلم تتمالك من البكاء، فلما بلغ إلى قوله: أشهد أنّ محمدا رسول الله (صلى الله عليه و اله) شهقت فاطمة (عليها السلام) و سقطت لوجهها و غشى عليها، فقال الناس لبلال: امسك يا بلال، فقد فارقت ابنه رسول الله (صلى الله عليه و اله) الدنيا، و ظنّوا أنّها قد ماتت، فقطع أذانه و لم يتمه، فأفاق فاطمة (عليها السلام) و سألته أن يتم الأذان فلم يفعل، و قال لها: يا سيده النسوان، إنّي أخشى عليك ممّا

ص: ١٦٩

١- ((١)) بحار الأنوار: ١٥٦/٤٣.

٢- ((٢)) المصدر: ١٥٧.

تنزله بنفسك إذا سمعت صوتي بالأذان، فأعفته عن ذلك (١).

و أخذت فاطمه (عليها السلام) بالبكاء و العويل ليها و نهارها، و لم ترقأ لها دمعه حتى جزع لذلك جيرانها، فاجتمع شيوخ أهل المدينة و أقبلوا إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) و قالوا: يا أبا الحسن! إن فاطمه تبكى الليل و النهار فلا أحد منا يتهنأ بالنوم فى الليل على فراشنا و لا بالنهار لنا قرار على أشغالنا و طلب معاشنا، و إنا نخبرك أن تسألها إنا أن تبكى ليلا أو نهارا.

فأقبل أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى دخل على فاطمه (عليها السلام) فقال لها: «يا بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) إن شيوخ المدينة يسألوننى أن أسألك إنا أن تبكى أباك ليلا- أو نهارا»، فقالت: «يا أبا الحسن، ما أقل مكثى بينهم، و ما أقرب مغيبى من بين أظهرهم»، فاضطرَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى بناء بيت خلف البقيع خارج المدينة و سماه «بيت الأ-حزان» و كانت إذا أصبحت قدمت الحسن و الحسين (عليهما السلام) أمامها و خرجت إليه و هى تمر على البقيع باكية، فإذا جاء الليل أقبل أمير المؤمنين (عليه السلام) إليها و رافقها إلى منزلها (٢).

و عن أنس، قال: لمّا فرغنا من دفن النبي (صلى الله عليه و اله) أتيت إلى فاطمه (عليها السلام) فقالت: «كيف طاواعتكم أنفسكم على أن تهيلوا التراب على وجه رسول الله (صلى الله عليه و اله)؟» ثم بكت (٣).

و قال الصادق (عليه السلام): «و حزنت فاطمه (عليها السلام) حزنا شديدا أثر على صحتها، و المرّه الوحيدة التى ابتسمت فيها بعد وفاه أبيها (صلى الله عليه و اله) عندما نظرت إلى أسماء بنت عميس

ص: ١٧٠

١- ((١)) بحار الأنوار: ١٥٧/٤٣.

٢- ((٢)) بحار الأنوار: ١٧٧/٤٣.

٣- ((٣)) اسد الغابه، لابن الاثير: ٥/٥٢٤، و طبقات ابن سعد: ج ٢/ القسم ٢: ٨٣.

و هي على فراش الموت و بعد أن لبست ملابس الموت، فابتسمت و نظرت إلى نعشها الذي عمل لها قبل وفاتها و قالت: سترتموني ستركم الله»
(١).

ص: ١٧١

١- (١) أهل البيت لتوفيق أبو علم: ١٦٥.

إشاره

مرض الزهراء (عليها السلام) و استشهادها

١- فاطمه (عليها السلام) على فراش المرض:

انتشر خبر مرض السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) في المدينه، و سمع الناس به، و لم تكن تشكو السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) من داء عضال غير ما حدث لها بين الحائط و الباب من عصرها و كسر ضلعها و سقوط جنينها و لطمها على خدها.

كل هذه الامور ساهمت في انحراف صحتها و قعودها عن ممارسه اعمالها، و كان زوجها العطوف هو الذي يتولى تريضها، و تعينه على ذلك أسماء بنت عميس (١)، جاءت نسوه من أهل المدينه لعيادتها، و خطبت فيهن تلك الخطبه- التي ستمر عليك- و أعادت النسوه كلامها على رجالهن، فجاء الرجال يعتذرون، فما قبلت اعتذارهم فقالت (عليها السلام): «إليكم عنى لا عذر بعد تعذير و لا أمر بعد تقصير».

لقد انتشر خبر استياء السيده فاطمه (عليها السلام) من السلطه و نقيمتها على الذين آزروا الحزب الحاكم بسكوتهم و صمتهم، و تناسوا كل النصوص التي نزلت في آل الرسول، و أعرضوا عن كل حديث سمعوه من شفتى الرسول (صلّى الله عليه و اله) في

ص: ١٧٣

حقّ الزهراء (عليها السّلام) و زوجها و ولديها، و أخيرا تولّد شيء من الوعي عند الناس، و عرفوا أنّهم مخطئون في دعم السلطه الحاكمه التي لم تعترف بشرعيه الزعامه لآل رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، و لا تعير للحقّ اهتماما و لا للمنطق موقعا سوى القوه و حدّ السيف.

٢- عياده النساء للسيده فاطمه (عليها السّلام):

لا نعلم بالضبط السبب الحقيقي و الدافع الأصلي الذي دعا بنساء المهاجرين و الأنصار لعياده السيده فاطمه الزهراء (عليها السّلام)، فهل كان ذلك بإيعاز من رجالهن؟ و ما الذي دعا اولئك الرجال لإرسال نساءهم إلى دار السيده فاطمه (عليها السّلام)؟ و هل حصل الوعي عند النساء و شعرن بالتقصير بل الخذلان لبنت رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، فانتشر هذا الشعور بين النساء فحضرن للعياده و المجامله أو إرضاء لضمائرهن المتألمه ممّا حدث و جرى على سيده النساء؟ أو كانت هناك أسباب سياسيه فرضت عليهنّ ذلك، فحضرن لتلطيف الجوّ و تخفيف التوتّر للعلاقات بين بنت رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و بين السلطه الحاكمه في ذلك اليوم؟ خاصه و إنّ الموقف الاعتزالي الذي اختارته السيده فاطمه (عليها السّلام) لنفسها و انسحابها عن ذلك المجتمع لم يكن خاليا عن التأثير، بل كان عاملا مساعدا لانتباه الناس، و بالأخص حين حمل الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) السيده فاطمه (عليها السّلام) يطوف بها على بيوت الأنصار تستنجد بهم و تستنهضهم فلم تجد منهم الإسعاف بل وجدت منهم التخاذل (١).

ص: ١٧٤

١- (١) الإمامه و السياسه لابن قتيبه: ٢٩.

و على كل تقدير فلا يعلم أيضا عدد النساء اللاتي حضرن عند الزهراء (عليها السلام) و هي طريحه الفراش، و لكن يبدو أن العدد لم يكن قليلا بل كان مما يعبأ به.

٣- خطبتها الثانية:

قال سويد بن غفلة: لما مرضت سيدتنا فاطمة (عليها السلام) المرضة التي توفيت فيها؛ اجتمعت اليها نساء المهاجرين و الأنصار ليعدن لها، فقلن لها: يا بنت رسول الله كيف أصبحت من علتك؟ فحمدت الله و صلت على أبيها (صلى الله عليه و اله) ثم قالت:

«أصبحت و الله عائفه (١) لدنياكم، قاله (٢) لرجالكم، لفظتهم (٣) بعد أن عجمتهم (٤) و شنأتهم (٥) بعد أن سبرتهم (٦)، فقبحا (٧) لفلول الحد (٨) و اللب بعد الجد (٩)، و قرع الصفاه (١٠) [١١]، و خور

ص: ١٧٥

١- (١) عائفه: أى كارهه.

٢- (٢) القاليه: المبغضه.

٣- (٣) لفظت الشيء من فمى: أى رميته و طرحته.

٤- (٤) عجمتهم: جزيتم.

٥- (٥) شنأتهم: أبغضتهم.

٦- (٦) سبرتهم: اخترتهم، فعلى ما فى أكثر الروايات المعنى: طرحتهم و أبغضتهم بعد امتحانهم و مشاهدته سيرتهم و أطوارهم.

٧- (٧) قبحا- بالضم-: مصدر حذف فعله، إما من قولهم: قبحه الله قبحا، أو من قبح بالضم قباحه، فحرف الجر على الأول داخل على المفعول، و على الثانى على الفاعل، و الفلول بالضم: جمع فلّ بالفتح، و هو الثلمه و الكسر فى حدّ السيف، و حكى الخليل فى العين أنه يكون مصدرا، و لعلّه أنسب بالمقام.

٨- (٨) و فى الأمالى: «قبحا لأفون الرأى». قال الجزرى: فى حديث على (عليه السلام): إياك و مشاوره النساء فإن رأيهنّ إلى أفن، الأفن: النقص، و رجل أفن و مأفون أى ناقص العقل [النهاية: ٥١/٥٧].

٩- (٩) اللب بعد الجد: أى أخذتم دينكم باللعب و الباطل بعد أن كنتم مجدين فيه آخذين بالحجّه.

١٠- (١٠) و قرع الصفاه، الصفاه: الحجر الأملس أى جعلتم أنفسكم مقرعا لخصامكم حتى قرعوا صفاتكم أيضا.

١١- (١١) من الاحتجاج.

القناه (١)، وخطل الزأى (٢) [و زلل الأهواء] (٣).

و بئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم و فى العذاب هم خالدون.

لا- جرم (٤) [و الله] (٥) لقد قلمتهم ربقتها (٤) [و حملتهم أوقتها] (٧) و شنت عليهم غارتها (٨)، فجدعا (٩) و عقرا (١٠) و سحقا (١١) للقوم الظالمين.

ويحهم (١٢) أنى زحزوها (١٣) عن رواسى (١٤) الزساله، و قواعد (١٥) النبوه و الدلاله و مهبط الوحي الأمين، و الطيبين (١٦) بأمر الدنيا و الدين، ألا ذلك

ص: ١٧٦

١- (١) الخور-بالفتح و بالتحريك-:الضعف«و فى الاحتجاج:صدع:أى شق»و القناه:الرمح.

٢- (٢) و الخطل-بالتحريك-:المنطق الفاسد المضطرب، و خطل الرأى:فساده و اضطرابه.و فى الأمالى: «القول»و فى الاحتجاج:«الآراء». فى الاحتجاج:«الآراء».

٣- (٣) من الاحتجاج.

٤- (٤) لا جرم:كلمه تورد لتحقيق الشىء.يعنى:حقاً.

٥- (٥) من الأمالى.

٦- (٦) ربقتها:الزبقه فى الأصل:عروه فى حبل تجعل فى عنق البهيمة أو يدها تمسكها،و يقال للحبل الذى تكون فيه الربقه،ربق،و تجمع على ربق و رباق و أرباق،و الضمير فى ربقتها راجع إلى الخلافه المدلول عليها بالمقام،أو إلى فذك،أو حقوق أهل البيت(عليهم السلام)أى جعلت إثمها لازمه لرقابهم كالقلائد.

٧- (٧) من الاحتجاج و حملتهم أوقتها:قال الجوهرى:الأوق:الثقل،يقال:ألقى عليه أوقه،و قد أوقته تأويقاً أى حملته المشقه و المكروه.

٨- (٨) قولها:و شنت عليهم غارها،الشن:رش الماء رشاً متفرقاً،و السنن-بالمهمله:-الصب المتصل،و منه قولهم:سنت عليهم الغاره إذا فرقت عليهم من كل وجه.

٩- (٩) الجدع:قطع الأنف أو الأذن أو الشفه،و هو بالأنف أخص،و يكون بمعنى الحبس.

١٠- (١٠) و العقر بالفتح:الجرح،و يقال فى الدعاء على الإنسان:عقر له و حلقا.أى عقر الله جسده و أصابه بوجع فى حلقة،و اصل العقر:ضرب قوائم البعير أو الشاه بالسيف،ثم اتسع فيه فاستعمل فى القتل و الهلاك.

١١- (١١) و فى الاحتجاج:بعدا.

١٢- (١٢) ويح:كلمه تستعمل فى الترحم و التوجع و التعجب.

١٣- (١٣) الزحزه:التنحيه و التبعيد.و فى الاحتجاج:زعزعوها.و الزعزعه:التحريك.

١٤- (١٤) الرواسى من الجبال:الثوابت الزواسخ.

١٥- (١٥) قواعد البيت:أساسه.

١٦- (١٦) الطيبين-هو بالطاء المهمله و الباء الموحد-:الظن الحاذق.

هو الخسران المبين، و ما نعموا (١) من أبي الحسن؟! انقموا و الله من نكير (٢) سيفه، [و قلبه مبالاته بحتفه] أو شدّه وطأته (٣) و نكال (٤) وقعته (٥) و تنمره (٦) فى ذات الله عزّ و جلّ.

و الله لو تكافؤا (٧) عن زمان (٨) نبذه (٩) رسول الله (صلى الله عليه و اله) لأعتلقه (١٠) و لساربههم سيرا سجحا (١١)(١٢)، لا يكلم (١٣) خشاشه (١٤) [و لا يكلم سائره] و لا يتعتع (١٥) رآكبه، و لأوردهم منهلا نميرا (١٦) فضفاضا (١٧) تطفح ضفّته (١٨) [و لا يترنق

ص: ١٧٧

١- (١) يقال: نعمت على الرجل: أى عتبت عليه و كرهت شيئا منه.

٢- (٢) و النكير: إنكار سيفه فإنه (عليه السلام) كان لا يسلم سيفه إلا لتغيير المنكرات.

٣- (٣) الوطأه: الأخذه الشديده و الضغطة.

٤- (٤) النكال: العقوبه التى تنكل الناس.

٥- (٥) الوقعه: صدمه الحرب.

٦- (٦) تنمر فلان: أى تغير و تنكر و أوعده، لأنّ النمر لا تلقاه أبدا إلا متنكرا غضبان.

٧- (٧) التكافؤ: تفاعل من الكفّ: و هو الدّفع و الصرف.

٨- (٨) فى الأمالى: زمام. و الزّمام ككتاب الخيط الذى يشدّ فى البره و الخشاش ثمّ يشدّ فى طرفه المقود، و قد يسمّى المقود زماما.

٩- (٩) نبذه: أى طرحه.

١٠- (١٠) اعتلقه: أحبّه.

١١- (١١) السّجح-بضمّتين-: اللين السهل.

١٢- (١٢) و فى الاحتجاج بدل «و الله لو تكافؤا-إلى قولها-لاعتلقه» تالّله لو مالوا عن المحجّه اللائحه، و زالوا عن قبول الحجّه الواضحه لردّهم، و حملهم عليها.

١٣- (١٣) الكلم: الجرح.

١٤- (١٤) الخشاش-بكسر الخاء المعجمه-: ما يجعل فى أنف البعير من خشب و يشدّ به الزّمام ليكون أسرع لانقياده.

١٥- (١٥) و تعتعت الرّجل: أى أفلقتة و أزعجته.

١٦- (١٦) المنهل: المورد، و هو عين ماء ترده الإبل فى المراعى، ماء قاله الجوهريّ، و قال: ماء نمير: أى ناجع، عذبا كان أو غيره، و قال الصّيدوق نقلا عن الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكريّ: النمير: الماء النامى فى الجسد، و ذكر فى الأمالى بدل كلمه نمير: رويّا، و الروي: سحابه عظيمه القطر، شديده الوقع.

١٧- (١٧) الفضفاض: الواسع، يقال: ثوب فضفاض، و عيش فضفاض، و درع فضفاضه.

١٨- (١٨) ضفّتا النهر-بالكسر و قيل و بالفتح أيضا-: جانباه، و تطفح: أى تمتلئ حتى تفيض.

جانباہ] (١) و لا صدرهم بطانا (٢) [و نصح لهم سرًا و إعلانًا] قد تحير بهم الرى (٣) غير متحل منه بطائل (٤). [و لا يحظى من الدنيا بنائل] (٥) إلا بغم (٦) الماء وردعه (٧) شرر الساغب (٨) [و لبان لهم الزاهد من الزاغب و الصيادق من الكاذب] (٩) و لفتحت عليهم بركات من السماء و الأرض، و سيأخذهم الله بما كانوا يكسبون (١٠).

ص: ١٧٨

١- (١) ترتق: كدر، و صار الماء رونقه: غلب الطين على الماء و الترنوق: الطين الذى فى الأنهار و المسيل، و المراد أنه لا ينقص الماء حتى يظهر الطين و الحمأ من جانبي النهر و يتكدّر الماء بذلك.

٢- (٢) بطن كعلم: عظم بطنه من الشبع، و منه الحديث: «تغدو خماسا و تروح بطانا»، و المراد عظم بطنهم من الشرب.

٣- (٣) تحير الماء: أى اجتمع و دار كالمتحير، يرجع أقصاه إلى أدناه، و يقال: تحيرت الأرض بالماء إذا امتلأت، و لعل الباء بمعنى «فى» أى تحير فيهم الرى، أو للتعدية: أى صاروا حيارى لكثرة الرى، و الرى -بالكسر و الفتح- ضد العطش. و فى روايه الشيخ بدل قولها «قد تحير» قد خثر بالخاء المعجمه و الثاء المثلثه، أى أثقلهم من قولك: أصبح فلان خائر النفس، أى ثقيل النفس غير طيب و لا نشيط، و حلى منه بخير كرضى: أى أصاب خيرا.

٤- (٤) غير متحل منه بطائل: قال الجوهرى: قولهم: لم يحلّ منها بطائل أى لم يستفد منها كثير فائده. و التحلى: التزين، و الطائل: الغنى و المزيه و السعه و الفضل.

٥- (٥) النائل: العطيه.

٦- (٦) التغمّر: هو الشرب دون الرى، مأخوذ من الغمر -بضمّ الغين المعجمه و فتح الميم-: و هو القدح الصغير، و فى الاحتجاج: غير رى الناهل. و الناهل: العطشان.

٧- (٧) الردع: الكفّ و الدفع، و الردعه: الدفعه.

٨- (٨) و فى الأمالى: سوره سغب و سوره الشىء -بالفتح-: حدّته و شدّته، و السيغب: الجوع. و فى الاحتجاج بدل قولها «و ردعه شرر الساغب» و شعبه الكافل: قال الفيروز آبادى: الكافل: العائل، و الذى لا يأكل أو يصل الصيام، و الضامن، انتهى. أقول: يمكن أن يكون هنا بكلّ من المعنيين الأولين، و يحتمل أن يكون بمعنى كافل اليتيم، فإنّه لا- يحلّ له الأكل إلا بقدر البلغه، و حاصل المعنى: أنّه لو منع كلّ منهم الآخرين عن الزمام الذى نبذه رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و هو تولى أمر الامه، لتعلّق به أمير المؤمنين (عليه السلام) أو أخذ محبًا له و يسلك بهم طريق الحقّ من غير أن يترك شيئا من أوامر الله أو يتعدّى حدًا من حدوده، و من غير أن يشقّ على الامه، و يكلفهم فوق طاقتهم و وسعهم، و لفاضوا بالعيش الرغيد فى الدنيا و الآخرة، و لم يكن ينتفع من دنياهم و ما يتولى من أمرهم إلا بقدر البلغه و سدّ الخله.

٩- (٩) من الاحتجاج.

١٠- (١٠) و فى الاحتجاج أضاف قوله تعالى: وَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَ مَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ الزمر (٣٩): ٥١.

ألا هلمّ فاسمع (١)، و ما عشت أراك الدهر العجب، وإن تعجب فقد أعجبك الحادث [ليت شعري] (٢) إلى أي سناد (٣) استندوا [و على أي عماد اعتمدوا] و بأيّ عروه تمسكوا، [و على أيّ ذريّه اقدموا و احتنكوا]؟ (٤) [لبئس المولى و لبئس العشير، و لبئس للظالمين بدلا] (٥).
استبدلوا الذنابي (٦) و الله بالقوادم و العجز بالكاهل، فرغما لمعاطس قوم يحسبون أنّهم يحسنون صنعا، ألا إنّهم هم المفسدون و لكن لا يشعرون.
[ويحهم] أفمن يهدى إلى الحقّ أحقّ أن يتبع أمّن لا يهدى (٧) إلّا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون (٨).

ص: ١٧٩

- ١- (١) و فى روايه ابن أبى الحديد: ألا هلمنّ فاسمعن، و ما عشتنّ أراكنّ الدهر عجا. قولها: و ما عشتنّ: أى أراكنّ الدهر شيئا عجيبا لا يذهب عجبه و غرابته مده حياتكّن، أو يتجدّد لكنّ كلّ يوم أمر عجيب متفرّع على هذا الحادث الغريب.
- ٢- (٢) ليت شعري: أى ليتنى علمت.
- ٣- (٣) السناد: ما يستند إليه.
- ٤- (٤) قال الجوهرى: احتنك الجراد الأرض: أى أكل ما عليها و أتى على نبتها و قوله تعالى حاكيا عن إبليس: «لَأُحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ» [الاسراء: (١٧): ٦٤] قال الفراء: يريد: لأستولينّ عليهم، و المراد بالذريّه ذريّه الرّسول (صلى الله عليه و اله).
- ٥- (٥) المولى: الناصر و المحبّ، و العشير: صاحب المخالط المعاشر، و لبئس للظالمين بدلا: أى لبئس البدل من اختاروه على إمام العدل و هو أمير المؤمنين (عليه السلام).
- ٦- (٦) الذنابي بالضمّ: ذنب الطائر و منبت الذنب، و الذنابي فى الطائر أربع ذنابي بعد الخوافى و هى مادون الرّيشات العشر من مقدّم الجناح التى تسمى قوادم، الذنابي من الناس: السفله و الأتباع. و العجز كالعضد: مؤخر الشىء، يؤنث و يذكّر، و هو للرجل و المرأه جميعا، و الكاهل: الحارك، و هو ما بين الكتفين، و كاهل القوم: عمدتهم فى المهمّات، و عمدتهم للشدائد و الملمات، و رغما، مصدر رغم أنفه أى لصق بالرّغام بالفتح، و هو التراب، و رغم الأنف يستعمل فى الدّل، و العجز عن الانتصار، و الانقياد على كره، و المعاطس جمع معطس - بالكسر و الفتح - و هو الأنف.
- ٧- (٧) قرئ فى الآية «يهدى» بفتح الهاء و كسرهما و تسديد الدال فأصله يهدى، و بتخفيف الدال و سكون الهاء.
- ٨- (٨) يونس (١٠): ٣٥.

أما لعمري لقد لقت فظرة ريثما تنتج (١) ثم احتلبوا طلاع القعب (٢) دما عبيطاً (٣)، و ذعافاً ممقراً (٤)، هنالك يخسر المبطلون، و يعرف التالون غبّ (٥) ماسنّ (٦) الأولون.

ثم طيبوا [بعد ذلك] عن أنفسكم (٧) أنفساً (٨)، و طأمنوا للفتنه جأشاً (٩)، و ابشروا بسيف صارم (١٠) [و سطوه معتد غاشم] (١١) و هرج شامل (١٢)، و استبداد (١٣) من الظالمين، يدع فيثكم زهيدا (١٤)، و زرعكم حصيدا (١٥)، فيا حسرتى لكم،

ص: ١٨٠

١- (١) و في بعض نسخ ابن أبي الحديد: أما لعمر الله، و في بعضها: أما لعمر إلهكن، و العمر-بالفتح و الضمّ- بمعنى العيش الطويل، و لا يستعمل في القسم إلاّ-العمر-بالفتح-، و معنى عمر الله بقاؤه و دوامه، و لقت كعلمت أى حملت، و الفاعل فعالتهم، أو فعالهم، أو الفتنة، أو الأزمنة، و النظرة-بفتح التّون و كسر الظاء-: التأخير، و اسم يقوم مقام الانظار، أى انتظروا [أو انظروا] نظره قليله، و ريثما تنتج: أى قدر ما تنتج، يقال: نتجت الناقه على ما لم يسمّ فاعله: تنتج نتاجا و قد نتجها أهلها نتجا و أنتجت الفرس إذا حان نتاجها.

٢- (٢) القعب: قدح من خشب يروى الرجل، أو قدح ضخم، و احتلاب طلاع القعب: هو أن يمتلئ من اللبن حتى يطلع عنه و يسيل. في الاحتجاج: ملء القعب.

٣- (٣) العبيط: الطرى.

٤- (٤) الذعاف، كغراب: السّم، و المقر-بكسر القاف-: الصبر-و ربّما يسكن-، و أمقر أى صار مزاً. في الأمالي: ذعافاً ممصّاً. و في الاحتجاج: ذعافاً مييداً. و المييد: المهلك، و أمصّه الجرح: أوجعه.

٥- (٥) غبّ كلّ شىء: عاقبته.

٦- (٦) في الأمالي: ما أسكن، و في الاحتجاج: ما أسس.

٧- (٧) في الاحتجاج: عن دنياكم.

٨- (٨) في الأمالي: لنتنها. و طاب نفس فلان بكذا: أى رضى به من دون أن يكرهه عليه أحد، و طابت نفسه عن كذا أى رضى ببذله.

٩- (٩) في الأمالي: ثم اطمئنا و في الاحتجاج: و اطمئنا. و في كتاب ناظر عين الغريبين: طأمنته: سكنته فاطمأن، و الجأش-مهموزا-: النفس و القلب أى اجعلوا قلوبكم مطمئنه لنزول الفتنة.

١٠- (١٠) السيف الصارم: القاطع.

١١- (١١) الغشم: الظلم.

١٢- (١٢) الهرج: الفتنة و الاختلاط. و في الأمالي: هرج دائم شامل. و في روايه ابن أبي الحديد: و قرح شامل، فالمراد بشمول القرح، إمّا للأفراد أو للأعضاء.

١٣- (١٣) الاستبداد بالشىء: التفرد به.

١٤- (١٤) و الفىء: الغنيمه و الخراج و ما حصل للمسلمين من أموال الكفّار من غير حرب، و الزهيد: القليل.

١٥- (١٥) و الحصيد: المحصود، و على روايه: زرعكم، كناية عن أخذ أموالهم بغير حقّ، و على روايه، جمعكم يحتمل ذلك، و أن يكون كناية عن قتلهم و استئصالهم. و في الأمالي و الاحتجاج: جمعكم حصيدا.

وَأَنى (١) بكم و قد عمّيت ٢ عليكم أنلزمكموها و أنتم لها كارهون».

قال سويد بن غفله: فأعدت النساء قولها (عليها السلام) على رجالهن فجاء إليها قوم من وجوه المهاجرين و الأنصار معتذرين، و قالوا: يا سيده النساء لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن نبرم العهد و نحكم العقد؛ لما عدلنا إلى غيره، فقالت: «إليكم عني! فلا عذر بعد تعذيركم و لا أمر بعد تفصيركم» (٢).

٤- عياده أبي بكر و عمر بن الخطاب للزهاء (عليها السلام):

كان الصحابه رجالا- و نساء يعودون فاطمه (عليها السلام) بين الحين و الحين إلا عمر و أبا بكر لم يعوداها لأنها قاطعتهما و رفضتهما و لم تأذن لهما بعيادتها، و لما ثقل عليها المرض و قاربتها الوفاة لم يجدا بدا من عيادتها لئلا تموت بضعه المصطفى (صلى الله عليه و اله) و هى ساخطه عليهما على رؤوس الأشهاد، فتبقى و صمه عار تلاحق الخليفه و جهازه الحاكم إلى يوم الدين، و أرادوا تغطيه انحرافهم باسترضاء الزهراء (عليها السلام) و عند ذلك ينتهى كل شىء، و تكون مأساه فعلتهم منسيه بالتدرج.

و روى أن عمر قال لأبى بكر: إنطلق بنا إلى فاطمه فإننا قد أغضبناها، فانطلقا فاستأذنا على فاطمه فلم تأذن لهما، فأتيا عليا فكلماه فأدخلهما إليها، فلما قعدا عندها حوّلت وجهها إلى الحائط فسلما عليها، فلم تردّ عليهما

ص: ١٨١

١- (٢١ و ٢٢) و أنّى بكم: أى و أنّى تلحق الهدايه بكم، و عميت عليكم- بالتخفيف-: أى خفيت و التبتت، و بالتشديد على صيغه المجهول أى لبتت.

٢- (٣) مصادر الخطبه: معانى الأخبار لابن بابويه، و الاحتجاج للطبرسى، و الأمالى للشيخ الطوسى، و دلائل الإمامه للطبرى، و بلاغات النساء لأبى الفضل بن أبى طاهر، و كشف الغمّه للأربلى، و شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد.

السَّلام، فتكلّم أبو بكر فقال: يا حبيبه رسول الله (صلى الله عليه و اله) والله إنّ قرابه رسول الله أحبّ إليّ من قرابتي و إنك لأحبّ إليّ من عائشه إبنتي، و لو ددت يوم مات أبو بكر أنّي متّ و لا- أبقى بعده، أفتراني أعرفك و أعرف فضلك و شرفك، و أمنعك حقّك و ميراثك من رسول الله (صلى الله عليه و اله)؟ إلاّ أنّي سمعت أباك رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول: «لا نورث، ما تركناه صدقه».

فقلت (عليها السَّلام): «أرأيتكما إن حدّثتكما حديثا عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) تعرفانه و تفعلان به؟» فقالا: نعم، فقلت: «نشدتكما الله، ألم تسمعا رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول:

رضا فاطمه من رضاي، و سخط فاطمه من سخطي، فمن أحبّ فاطمه إبنتي فقد أحبّني و من أرضى فاطمه فقد أرضاني، و من أسخط فاطمه فقد أسخطني؟».

قالا: نعم، و سمعناه من رسول الله (صلى الله عليه و اله).

قالت: «فإني أشهد الله و ملائكته أنّكما أسخطتماني و ما أرضيتماني و لئن لقيت النبي (صلى الله عليه و اله) لأشكوّنكما إليه»، فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه و من سخطك يا فاطمه، ثم انتحب أبو بكر يبكي، حتى كادت نفسه أن تزهق و فاطمه تقول: «و الله لأدعونّ عليكما في كلّ صلاه اصلبها، ثم خرج باكيا» فاجتمع الناس إليه فقال لهم: بييت كلّ رجل معانقا حليلته مسرورا بأهله، و تركتموني و ما أنا فيه، لا حاجه لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي (١).

٥- الساعات الأخيره قبل الرحيل:

كانت السيده فاطمه الزهراء (عليها السَّلام) في ذلك اليوم الذي توفيت فيه طريحه الفراش، و قد أخذ منها الهزال كلّ مأخذ، و ما بقي منها سوى الهيكل

ص: ١٨٢

العظمى فقط، لقد رأت أباها في المنام و هو يقول لها: «هلمى إلى يا بنيه فأنى اليك مشتاق» ثم قال لها: «أنت الليله عندى».

انتبهت من غفوتها و استعدت للرحيل إلى الآخره، فقد سمعت من أبيها الصادق المصدق الذى قال: «من رآنى فقد رآنى». سمعت منه نبأ ارتحالها فلا مجال للشك و التردد فى صدق الخبر.

فتحت عينها و استعادت نشاطها و لعلها كانت فى صحوه الموت و قامت لآتخاذ التدابير اللازمه، و اغتنمت تلك السويعات الأخيره من حياتها، أقبلت الزهراء تزحف أو تمشى متكئته على الجدار نحو الموضع الذى فيه الماء من بيتها، و شرعت تغسل ثياب أطفالها بيديها المرتعشتين، ثم دعت أطفالها و طففت تغسل رؤوسهم، و دخل الإمام على (عليه السلام) البيت و إذا به يرى عزيزته قد غادرت فراش العله و هى تمارس أعمالها المنزليه.

رق لها قلب الإمام حين نظر إليها و قد عادت إلى أعمالها المتعبه التى كانت تجدها أيام صحتها، فلا عجب إذا سألتها عن سبب قيامها بتلك الأعمال بالرغم من انحراف صحتها، أجابته بكل صراحه لأن هذا اليوم هو آخر يوم من أيام حياتى، قمت لأغسل رؤوس أطفالى و ثيابهم لأنهم سيصبحون يتامى بلا ام، سألتها الإمام عن مصدر هذا النبأ فأخبرته بالرؤيا، فهى بذلك قد نعت نفسها إلى زوجها بما لا يقبل الشك.

٦- وصيه الزهراء (عليها السلام) للإمام على (عليه السلام):

و فى الساعات الأخيره من حياتها حان لها أن تكاشف زوجها بما أضمرته فى صدرها (طيله هذه المده) من الوصايا التى يجب تنفيذها.

فقال (عليها السلام) لعلى (عليه السلام): «يا بن عم إنه قد نعت إلى نفسى و إننى لا أرى ما بى إلا

أنتى لا حقه بأبى ساعه بعد ساعه، و أنا اوصيك بأشياء فى قلبى» قال لها على (عليه السلام):

«أوصينى بما أحببت يا بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله)». فجلس عند رأسها، و أخرج من كان فى البيت ثم قالت: «يا بن عم ما عهدتنى كاذبه و لا- خائنه و لا- خالفتك منذ عاشرتنى؟» فقال على (عليه السلام): «معاذ الله أنت أعلم بالله، و أبر و أتقى و أكرم و أشدّ خوفا من الله من أن أوبّخك بمخالفتى و قد عزّ على مفارقتك و فقدك إلا أنه أمر لا بد منه، و الله لقد جددت على مصيبيه رسول الله (صلى الله عليه و اله) و قد عظمت وفاتك و فقدك فإنا لله و إنا اليه راجعون من مصيبيه ما أفجعها و آلمها و أمصّها و أحنّنها!! هذه مصيبيه لا عزاء منها، و رزيه لا خلف لها».

ثم بكيا جميعا ساعه، و أخذ الإمام رأسها و ضمها إلى صدره ثم قال:

«أوصينى بما شئت فإنك تجدينى و فيا أمضى كلما أمرتنى به، و اختار أمرك على أمرى».

فقلت (عليها السلام): «جزاك الله عنى خير الجزاء، يا بن عم اوصيك أولا:

أن تتزوج بعدى... فإن الرجال لا بدّ لهم من النساء» ثم قالت (عليها السلام): «اوصيك أن لا يشهد أحد جنازتى من هؤلاء الذين ظلمونى فإنهم عدوى و عدو رسول الله، و لا تترك أن يصلّى على أحد منهم و لا من أتباعهم، و ادفنى فى الليل إذا هدأت العيون و نامت الأبصار» (١).

ثم قالت (عليها السلام): «يا بن العم إذا قضيت نجبى فاغسلنى و لا تكشف عنى، فإنى طاهره مطهره، و حنطنى بفاضل حنوط أبى رسول الله (صلى الله عليه و اله)، و صلّ علىّ، و ليصلّ معك الأذننى فالأذننى من أهل بيتى، و ادفنى ليلا لا نهارا، و سرّا لا جهارا، و عفّ موضع قبرى، و لا تشهد جنازتى أحدا ممن ظلمنى، يا بن العم أنا أعلم أنك لا تقدر على عدم الترويح من بعدى فإن أنت تزوجت امرأه جعل لها يوما و ليله، و اجعل لأولادى يوما و ليله، يا أبا الحسن! و لا تصح فى وجوههما فيصبحا يتيمين غريبين منكسرين، فإنهما بالأمس فقدا جدّهما و اليوم

ص: ١٨٤

١- (١) روضه الواعظين: ١/١٥١، و فى روايه: إذا هدأت الأصوات و نامت العيون.

يفقدان امهما» (١).

و روى ابن عباس وصيته مكتوبه لها (عليها السلام) جاء فيها:

«هذا ما أوصت به فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) أوصت و هى تشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا عبده و رسوله، و أن الجنة حق، و النار حق، و أن الساعة آتية لا ريب فيها، و أن الله يبعث من فى القبور، يا على أنا فاطمه بنت محمد، زوجنى الله منك لأكون لك فى الدنيا و الآخرة، أنت أولى بى من غيرى، حنطى و غسلىنى و كفننى بالليل، و صل على و ادفنى بالليل، و لا تعلم أحدا، و أستودعك الله، و اقرأ على ولدى السلام إلى يوم القيامة» (٢).

٧- أول نعش أحدث فى الإسلام:

روى عن أسماء بنت عميس أن فاطمه الزهراء (عليها السلام) قالت لأسماء:

إننى قد استقبحت ما يصنع بالنساء، إنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها لمن رأى، فقالت أسماء: يا بنت رسول الله أنا أريك شيئا رأيت به بأرض الحبشه، فدعت بجريده رطبه فحسنتها، ثم طرحت عليها ثوبا، فقالت فاطمه (عليها السلام):

«ما أحسن هذا و أجمله، لا تعرف به المرأة من الرجل» (٣).

و عن أبى عبد الله الصادق (عليه السلام): «أول نعش أحدث فى الإسلام نعش فاطمه، إنها اشتكت شكاتها التى قبضت فيها، و قالت لأسماء: إننى نحللت فذهب لحمى، ألا- تجعلين لى شيئا يسترنى؟ فقالت أسماء: إننى إذ كنت بأرض الحبشه رأيتهم يصنعون شيئا أفلا- أصنع لك مثله؟ فإن أعجبك صنعت لك، قالت (عليها السلام): نعم، فدعت بسرير، فأكبته لوجهه، ثم دعت بجرائد- نخل- فشدته على قوائمه، ثم جلته ثوبا فقالت أسماء: هكذا رأيتهم

ص: ١٨٥

١- (١) بحار الأنوار: ١٧٨/٤٣ و ١٩٢.

٢- (٢) بحار الأنوار: ٢١٤/٤٣.

٣- (٣) كشف الغمه: ١/٥٠٣، و بحار الأنوار: ٢١٣/٤٣، و تهذيب الأحكام: ١/٤٦٩.

يصنعون، فقالت (عليها السلام): اصنعى لى مثله، استرينى سترك الله من النار».

٨- لحظات عمرها الأخير:

انتقلت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) إلى فراشها المفروش وسط البيت، واضطجعت مستقبلة القبلة.

وقيل: إنها أرسلت بنتيها زينب و أم كلثوم إلى بيوت بعض الهاشميات لثلاً- تشاهدا موت امهما، كل ذلك من باب الشفقة والرأفة و التحفظ عليهما من صدمه مشاهدته المصيبة.

كان الإمام عليّ و الحسن و الحسين (عليهم السلام) خارج البيت فى تلك الساعة و لعلّ خروجهم كان لأسباب قاهره و ظروف معينه.

و جاء عن أسماء أنّ فاطمة الزهراء (عليها السلام) لما حضرته الوفاة قالت لأسماء: «إنّ جبرئيل أتى النبىّ -لما حضرته الوفاة- بكافور من الجنّة فقسّمه أثلاثاً، ثلثاً لنفسه، و ثلثاً لعلى، و ثلثاً لى و كان أربعين درهما فقالت: يا أسماء ائتنى ببقية حنوط والدى من موضع كذا و كذا، وضعيه عند رأسى، فوضعتّه ثم قالت لأسماء حين توضع ضوءها للصلاه: هاتى طيبى الذى أتطيب به، و هاتى ثيابى التى اصلى فيها فتوضأت» ثم تسجّت بثوبها ثم قالت: «انتظرينى هنيهة و ادعينى فإن أحببتك و إلا فاعلمى أنّى قدمت على أبى فأرسلنى إلى على».

و حين حانت ساعه الاحتضار و انكشف الغطاء نظرت السيدة فاطمة (عليها السلام) نظره حاده ثم قالت: «السلام على جبرئيل، السلام على رسول الله، اللهم مع رسولك، اللهم فى رضوانك و جوارك و دارك دار السلام، ثم قالت: هذه مواكب أهل السماوات و هذا جبرئيل و هذا رسول الله يقول: يا بنى آدمى فما أمامك خير لك» و فتحت عينيها ثم قالت: «و عليك السلام يا قابض الأرواح عجل بى و لا تعذبنى» ثم

قالت: «إليك ربّي لا إلى النار» ثم غمضت عينيها و مدّت يديها و رجليها.

فنادتها أسماء فلم تجبها، فكشفت الثوب عن وجهها فإذا بها قد فارقت الحياه، فوقعت عليها تقبلها و هي تقول: يا فاطمه إذا قدمت على أبيك رسول الله فارقته عن أسماء بنت عميس السلام، و دخل الحسن و الحسين فوجدا أمهما مسجاة فقالا: يا أسماء ما ينيم امنا في هذه الساعه؟ قالت: يا ابني رسول الله ليست امكما نائمه، قد فارقت الدنيا.

فألقي الحسن نفسه عليها يقبلها مره و يقول: «يا امه كلميني قبل أن تفارق روحي بدني»، و أقبل الحسين يقبل رجلها و يقول: «أنا ابنك الحسين كلميني قبل أن يتصدّع قلبي فأموت».

فقالت لهما أسماء: يا ابني رسول الله، إنطلقا إلى أبيكما عليّ فأخبراه بموت امكما، فخرجا حتى إذا كانا قرب المسجد رفعا أصواتهما بالبكاء فابتدر إليهما جمع من الصحابه و سألوهما عن سبب بكائهما فقالا: «قد ماتت امنا فاطمه (عليها السّلام)». فوقع الإمام عليّ (عليه السّلام) على وجهه يقول: «بمن الغزاء يا بنت محمد» (١)؟

٩- مراسم التشيع و الدفن:

و ارتفعت أصوات البكاء من بيت عليّ (عليه السّلام) فارتجت المدينة بالبكاء من الرجال و النساء، و دهش الناس كيوم قبض فيه رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، و اجتمعت نساء بنى هاشم في دار فاطمه (عليها السّلام) فصرخن و بكين، و أقبل الناس إلى عليّ (عليه السّلام) و هو جالس و الحسن و الحسين بين يديه يبكيان، و خرجت امّ كلثوم و هي تقول: يا أبتاه يا رسول الله! الآن حقا فقدناك فقدنا

ص: ١٨٧

و اجتمع الناس فجلسوا و هم يضحون، و ينتظرون خروج الجنازه ليصلوا عليها، و خرج أبو ذر و قال: انصرفوا فإن ابنه رسول الله قد اخر إخراجها في العشي، و أقبل أبو بكر و عمر يعزيان عليا (عليه السلام) و يقولان له: يا أبا الحسن لا تسبقنا بالصلاه على ابنه رسول الله (صلى الله عليه و اله) (٢).

و هكذا تفرق الناس، و هم يظنون أن الجنازه تشيع صباح غد (و روى أن وفاتها كانت بعد صلاه العصر أو أوائل الليل).

و لكن الإمام عليا (عليه السلام) غسلها و كفنها هو و أسماء في تلك الليله، ثم نادى: يا حسن يا حسين يا زينب يا أم كلثوم هلموا فتزودوا من أمكم فهذا الفراق و اللقاء الجته، و بعد قليل نأهم أمير المؤمنين (عليه السلام) عنها (٣).

ثم صلى على الجنازه و رفع يديه إلى السماء فنادى «اللهم هذه بنت نبيك فاطمه أخرجتها من الظلمات إلى النور، فأضاءت ميلا في ميل».

فلما هدأت الأصوات و نامت العيون و مضى شطر من الليل تقدم أمير المؤمنين و العباس و الفضل بن العباس و رابع يحملون ذلك الجسد النحيف، و شيعها الحسن و الحسين و عقيل و سلمان و أبو ذر و المقداد و بريده و عمار (٤).

و نزل على (عليه السلام) إلى القبر، و استلم بضعه رسول الله (صلى الله عليه و اله) و أضجعها في لحدها و قال: «يا أرض أستودعك و ديعتى، هذه بنت رسول الله، بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله و بالله و على ملة رسول الله محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و اله)، سلمتك أيتها الصديقه إلى من هو أولى بك منى، و رضيت لك بما رضى الله تعالى لك»، ثم قرأ ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾

١- (١) بحار الأنوار: ١٩٢/٤٣.

٢- (٢) المصدر نفسه: ١٩٩.

٣- (٣) المصدر نفسه: ١٧٩.

٤- (٤) المصدر نفسه: ١٩٣.

وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ لِلآزَةِ الْآخِرَى، ثم خرج من القبر، و تقدّم الحاضرون و أهالوا التراب على تلك الدرّة النبويّة، و سوّى على (عليه السلام) قبرها.

١٠- تأييد الإمام عليّ (عليه السلام) للزهراء (عليها السلام):

انتهت مراسم الدفن بسرعه خوفا من انكشاف أمرهم و هجوم القوم عليهم، فلما نفص الإمام يده من تراب القبر هاج به الحزن لفقد بضعه الرسول و زوجته الودود التي عاشت معه الصفاء و الطهاره و التضحيه و الإيثار، و تحمّلت من أجله الأهوال و الصعاب، فأرسل دموعه على خديّه، و حوّل وجهه إلى قبر رسول الله (صلّى الله عليه و اله) ثم قال:

«السلام عليك يا رسول الله عتّى، و السلام عليك عن ابنتك و حبيبتك و قرّه عينك و زائرتك و البائنه فى الثرى ببقعتك، و المختار الله لها سرعه اللحاق بك، قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبرى، و عفى عن سيده نساء العالمين تجلدى، إلا أنّ فى التأسى لى بسنتك فى فرقتك موضع تعزى، فلقد و سدتك فى ملحوده قبرك بعد أن فاضت نفسك بين نحرى و صدرى، و غمضتكم بيدي، و توليت أمرك بنفسى.

بلى، و فى كتاب الله لى أنعم القبول، إنّنا لله و إنّنا اليه راجعون، قد استرجعت الوديعه، و أخذت الرهينه، و اختلست الزهراء، فما أقبح الخضراء و الغبراء يا رسول الله!

أما حزنى فسرمد، و أما ليلى فمسهد، لا يبرح الحزن من قلبى أو يختار الله دارك التى أنت فيها مقيم، كمد مقبّح، و هم مهيج، سرعان ما فرق الله بيننا و إلى الله أشكو، و ستنبتك ابنتك بتضافر امتك على، و على هضمها حقّها فأحفها السؤال، و استخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سبيلا، و ستقول و يحكم الله و هو خير الحاكمين، و السلام عليكم يا رسول الله سلام مودّع لاسئم و لا قال، فإن أنصرف فلا عن ملاله، و إن أقم فلا عن سوء ظنّ بما وعد الله الصابرين، و الصبر أيمن و أجمل.

و لو لا غلبه المستولين علينا لجعلت المقام عند قبرك لزاما، و التلبّث عنده عكوفاً،

ولأعولت إعوالم الثكلى على جليل الرزىه، فبعين الله تدفن ابنتك سرًا، و يهتضم حَقَّها قهرا، و يمنع إرثها جهرا و لم يطل منك العهد، و لم يخلق منك الذكر، فإلى الله- يا رسول الله- المشتكى، و فيك- يا رسول الله- أجمل العزاء، فصلوات الله عليها و عليك و رحمه الله و بركاته» (١).

١١- محاولة نبش القبر:

أصبح الصبح من تلك الليلة فأقبل الناس ليشيعوا جنازه الزهراء (عليها السلام) فبلغهم الخبر أنّ عزيزه رسول الله (صلى الله عليه و اله) قد دفنت ليلا و سرا.

و كان الإمام عليّ (عليه السلام) قد سؤى فى البقيع صور قبور سبعة أو أكثر، و حيث إنّ البقيع كان فى ذلك اليوم و إلى يومنا هذا مقبره أهل المدينة و لهذا أقبل الناس إلى البقيع يبحثون عن قبر فاطمه (عليها السلام) فاشكل عليهم الأمر و لم يعرفوا القبر الحقيقى لسيدته نساء العالمين، فضجّ الناس، و لام بعضهم بعضا و قالوا: لن يخلف نيّكم إلا بنتا واحده، تموت و تدفن و لم تحضروا وفاتها و الصلاة عليها و لا تعرفون قبرها، فقال بعضهم: هاتوا من نساء المسلمين من ينبش هذه القبور حتى نخرجها فنصلى عليها.

و روى أنّ أبا بكر و عمر أقبلا و الناس يريدون الصلاة على فاطمه (عليها السلام).

فقال المقداد: قد دفنّا فاطمه (عليها السلام) البارحه، فالتفت عمر إلى أبى بكر فقال: ألم أقل لك إنّهم سيفعلون؟ قال العباس: إنّها أوصت أن لا تصلّيا عليها، فقال عمر: لا تتركون- يا بنى هاشم- حسدكم القديم لنا أبدا، إنّ هذه الضغائن

ص: ١٩٠

التي في صدوركم لن تذهب، والله لقد هممت أن أنبش قبرها فاصلي عليها (١).

وصل خبر محاولات القوم لنبش القبر إلى الإمام عليّ (عليه السلام) فلبس القباء الأصفر الذي كان يلبسه في الحروب، وحمل سيفه ذا الفقار و قد احمرت عيناه و درّت أوداجه من شدة الغضب، وقصد نحو البقيع.

سبقت الأخبار عليّ إلى البقيع، ونادى مناديهم: هذا عليّ بن أبي طالب قد أقبل كما ترونه، يقسم بالله لئن حوّل من هذه القبور حجر ليطعن السيف في رقاب الأمرين، فقال رجل: ما لك يا أبا الحسن والله لنبش قبرها ولنصلين عليها؟ فضرب عليّ (عليه السلام) بيده إلى جوامع ثوب الرجل و هزّه ثم ضرب به الأرض، وقال له: «يا ابن السوداء أَمَا حَقِي فَقَدْ تَرَكْتَهُ مَخَافَهُ أَنْ يَرْتَدَّ النَّاسُ عَن دِينِهِمْ، وَأَمَّا قَبْرِ فَاطِمَةَ فَوَالَّذِي نَفْسُ عَلِيٍّ بِيَدِهِ لَئِن رَمَتِ وَأَصْحَابَكَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ لِأَسْقِينَ الْأَرْضَ مِنْ دِمَائِكُمْ».

فقال أبو بكر: يا أبا الحسن بحق رسول الله و بحق فاطمه إلّا خلّيت عنه، فإنّا غير فاعلين شيئًا تكرهه. فخلّى عنه و تفرّق الناس (٢).

١٢-تاريخ شهادتها (عليها السلام):

لا- شك أنّ وفاه الزهراء (عليها السلام) كانت في السنة الحادية عشره من الهجرة، لأنّ النبيّ (صلى الله عليه و اله) حجّ حجّه الوداع في السنة العاشره، و توفّي في أوائل السنة الحادية عشره، و اتّفق المؤرّخون على أنّ السيّده فاطمه (عليها السلام) قد عاشت بعد أبيها أقلّ من سنه، علما بأنّها كانت في ريعان شبابها كما كانت في أتمّ الصحه

ص: ١٩١

١- (١) بحار الأنوار: ١٩٩/٤٣.

٢- (٢) دلائل الإمامه للطبري: ٤٦-٤٧.

فى حياه أبيتها، نعم اختلفوا فى يوم و شهر وفاتها اختلفا شديدا.

فقد روى أنها عاشت بعد النبى (صلى الله عليه و اله) ستة أشهر. و قيل: خمسة و تسعين يوما. و قيل: خمسة و سبعين يوما أو أقل من ذلك.

فعن الإمام الصادق (عليه السلام): «أنها قبضت فى جمادى الآخرة يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه، سنة إحدى عشرة من الهجرة» (١).

و عن الإمام الباقر (عليه السلام): «و توفيت و لها ثمانى عشرة سنة و خمسة و سبعون يوما».

و عن جابر بن عبد الله الأنصارى: و قبض النبى و لها يومئذ ثمانى عشرة سنة و سبعة أشهر (٢).

قال أبو الفرج الإصفهانى: و كانت وفاة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بعد وفاة النبى (صلى الله عليه و اله) بمدّه يختلف فى مبلغها، فالمكثّر يقول ستة أشهر، و المقلّ يقول أربعين يوما، إلا أنّ الثابت فى ذلك ما روى عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنّها توفيت بعد النبى بثلاثة أشهر (٣).

و هكذا انتهت حياتها الزاخرة بالفضائل و المناقب و المواقف المبدئية المشرفه، فالسلام عليها يوم ولدت و يوم استشهدت و يوم تبعث حيه و رحمه الله و بركاته.

ص: ١٩٢

١- (١) دلائل الامامه، للطبرى: ص ٤٥ و كشف الغمه: ١/٥٣.

٢- (٢) مناقب آل أبى طالب: ٢/٣٥٧.

٣- (٣) راجع كشف الغمه: ١٢٨.

تراث الزهراء (عليها السلام)

«لقد أحصى المسلمون الأوائل على الرسول جميع أقواله و أفعاله و من هؤلاء انتقلت سنّه الرسول (صلّى الله عليه و اله) إلى الطبقة الثانيه و غيرها من الطبقات» (١).

و لا شك «أنّ أكثرهم وعيا لأقواله و أفعاله من الطبقة الاولى اولئك الذين كانوا على صلة به في أكثر الأوقات و في مختلف المناسبات» ٢.

و على هذا الأساس لا بدّ و أن يكون للصحابه الأوائل دور في هذه الناحيه أبرز من اولئك الذين دخلوا الإسلام في السنين الأخيره من حياته كأبي هريره و غيره ممّن امتلأت مجاميع الحديث بمروياتهم و أصبحوا من أوسع المصادر لها في حين أنّ صلاتهم بالرسول (صلّى الله عليه و اله) كانت محدوده للغاية...

لذلك كان موقف الباحثين من مروياتهم مشوبا بالحذر، و في الوقت ذاته لا يستبعد أحد على الذين لازموه منذ بعثته إلى أن اختاره الله اليه أن يرووا عنه آلاف الروايات و بخاصه إذا كانوا من المقرّبين إليه كعلّي (عليه السلام) و غيره من الصحابه الأبرار في حين أنّ مجاميع السنّه لم ترو عنهم إلا القليل القليل بالقياس لما روته عن غيرهم في السنين الثلاث الأخيره من حياته ٣.

ص: ١٩٣

«كما يجب أن لا- نستبعد ما ترويه المصادر الشيعيه عن مصحف فاطمه، ذلك الكتاب الذى ورد ذكره على لسان الأئمه من أهل البيت(عليهم السلام) (١)؛ لأنَّ الزهراء لم تفارق أباه طيله حياتها،و كانت ترعاه و تتولَّى خدمته و تسمع أحاديثه و أخباره و خطبه بنحو لم يتوقَّر لغيرها من الناس إذا استثنينا ابن عمَّها عليًا(عليه السلام)» (٢).

و بعد هذا ألا تستغرب حينما تسمع ما يقوله الحافظ السيوطى من أنَّ جميع ما روته فاطمه رضى الله عنها من الحديث لا يبلغ عشره أحاديث،و ما يقوله الحافظ البدخشانى من أنَّ كلَّ ما روى عنها ثمانية عشر حديثًا (٣)؟!.

مع أننا نعلم أنَّ المروى عن عائشه ما يفوق الألفين و هى لم تعاشر رسول الله(صلى الله عليه و اله) إلا بعد الهجره بما يقلُّ عن عشر سنوات،بينما عاشت الزهراء مع أبيها على أقلَّ الروايات ثمانية عشر عاما و على أكثرها ثمانية و عشرين عاما!.

و قال الاستاذ توفيق أبو علم عن هذه النقطة بالذات:«أخذت الزهراء عن أبيها الكثير من الأحاديث بما تسمعه منه أو ما كان يأمر بكتابه لها،و قد أخذ عنها ابناها الحسن و الحسين و أبوها علي و حفيدتها فاطمه بنت الحسين مرسلا و عائشه و ام سلمه و أنس بن مالك و سلمى ام رافع رضى الله عنهم،و قد ساعدها على ذلك أنها ألّمت بكثير من علوم القرآن و إحاطتها بامور من الشرائع السابقه،و كانت تعرف القراءه و الكتابه،و لقد فطمها الله بالعلم،و كان أبوها رسول الله(صلى الله عليه و اله)يستكتب لها الصحف التى تسترشد بها فى أمر دينها و تبصرها بامور دينها،فالسيدة فاطمه من أهل بيت اتقوا الله و علمهم الله» (٤).

ص: ١٩٤

١- (١) و هم أدرى بما فى البيت.

٢- (٢) سيره الأئمه الاثنى عشر: ٩٦/١.

٣- (٣) عن الثغور الباسمه فى حياه سيدتنا فاطمه، للسيوطى: ٥٢.

٤- (٤) و لنعم هذا الاقتباس من قوله تعالى: وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ يُعَلِّمَكُمُ اللَّهُ راجع(أهل البيت)لتوفيق أبو علم: ص ١٢٨-١٢٩.

لقد كانت الزهراء ربيبه العلم و التقى و كان حظها منهما وفيرا، و يدلنا على شىء من ذلك بعض ما اثر عنها من الأحاديث التى روتها عن رسول الله (صلّى الله عليه و اله) بالمباشره فى الأحكام و الآداب و الأخلاق و فضائل أهل البيت (عليهم السّلام) و قد جمع فى ما سمى ب «مسند فاطمه الزهراء» لعدّه مؤلفين، أولهم السيوطى المتوفى عام (٩١١ هـ)، و الثانى للسيد حسين شيخ الإسلامى التويسركانى، و قد جمع فيه (٢٦٠) حديثا مما نقل عن الزهراء عن رسول الله (صلّى الله عليه و اله) أو ممّا يرتبط بها صلوات الله عليها مع رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، و الثالث للشيخ عزيز الله العطاردى، و الرابع للشيخ أحمد الرحمانى الهمدانى حيث جمع فى كتابه «فاطمه الزهراء بهجه قلب المصطفى» حوالى (٨٤) حديثا ممّا نقل عنها فى كتب الخاصه و العامه.

و من هنا نعود إلى ما كتبه السيد هاشم معروف الحسنى عن مصحف فاطمه الذى تشير الروايات اليه و تفصح فيها عن سعه علوم الزهراء و فضلها عند الله و رسوله و أهل بيته، قال رضوان الله عليه: «فليس بغريب- و الحال هذه- أن تكون السيدة فاطمه (عليها السلام) قد جمعت قسما ممّا سمعته منه و من زوجها فى التشريع و الأخلاق و الآداب و ما سيحدث فى مستقبل الزمان من الأحداث و التقلبات، و قد ورث الأئمه من أبنائها فى جملة ما ورثوه عنها هذا الكتاب واحدا بعد واحد» (١).

ص: ١٩٥

١- اهتمامها بالعلم و تدوين السنه:

١- قال أبو محمد العسكري (عليه السلام): حضرت امراه عند الصديقه فاطمه الزهراء (عليها السلام) فقالت: إن لي والده ضعيفه و قد لبس عليها في أمر صلاحها شيء، و قد بعثتني إليك أسألك، فأجابتها فاطمه (عليها السلام) عن ذلك فثنت فأجابت، ثم ثلثت إلى أن عشت، فأجابت، ثم خجلت من الكثره فقالت لا أشق عليك يا ابنه رسول الله، قالت فاطمه: هاتي و سلى عما بدالك، رأيت من اكرتري يوما يصعد إلى سطح بحمل ثقيل و كراه مائه ألف دينار، يتقل عليه؟ فقالت: لا، فقالت: اكرتريت أنا لكل مسأله بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤا، فأحرى أن لا يتقل علي، سمعت أبي (صلى الله عليه و اله) يقول:

إن علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثره علومهم و جدّهم في إرشاد عباد الله حتى يخلع على الواحد منهم ألف ألف حلّه من نور، ثم ينادى منادى ربنا عزّ و جلّ: أيها الكافلون لأيتام آل محمّد (صلى الله عليه و اله) الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمتهم، هؤلاء تلامذتكم و الأيتام الذين كفلتموهم و نعشتموهم، فاخلعوا عليهم خلع العلوم في الدنيا، فيخلعون على كلّ واحد من اولئك الأيتام على قدر ما أخذوا عنهم من العلوم حتى إنّ فيهم -يعنى في الأيتام- من يخلع عليه مائه ألف خلع، و كذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلم منهم، ثم إنّ الله تعالى يقول: أعيديا على هؤلاء العلماء الكافلين لأيتام حتى تتموا لهم خلعهم و تضعفوها لهم، فیتّم لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم، و يضاعف لهم، و كذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلم منهم، ثم إنّ الله تعالى يقول: أعيديا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام حتى تتموا لهم خلعهم و تضعفوها لهم، فیتّم لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم، و يضاعف لهم، و كذلك من يليهم ممن خلع

على من يليهم.

وقالت فاطمه (عليها السلام): يا أمه الله إن سلكه من تلك الخلع لأفضل مما طلعت عليه الشمس ألف مره و ما فضل فإنه مشوب بالتنغيص و الكدر (١).

٢- عن ابن مسعود قال: جاء رجل إلى فاطمه (عليها السلام) فقال: يا ابنه رسول الله هل ترك رسول الله عندك شيئاً تطرفينيه؟ فقالت: «يا جاريه هات تلك الحريره»، فطلبتها فلم تجدها، فقالت: «و يحك اطلبها فإنها تعدل عندي حسنا و حسينا»، فطلبتها فإذا هي قد قممتها في قماتها (٢)، فإذا فيها: قال محمّد النبي: «ليس من المؤمنين من لم يأمن جاره بوائقه، و من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فلا يؤذى جاره، و من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليقل خيرا أو يسكت»، إن الله يحبّ الخير الحليم المتعفف، و يبغض الفاحش الضنين السئال الملحف، إنّ الحياء من الإيمان، و الإيمان في الجته، و إنّ الفحش من البذاء، و البذاء في النار» (٣).

٢- التعريف بأهل البيت (عليهم السلام):

١- و عنها سلام الله عليها: أنّ رسول الله (صلّى الله عليه و اله) قال لها: أما ترضين أنّي زوجتك أول المسلمين إسلاما، و أعظمهم علما؟ فإنّك سيده نساء العالمين كما سادت مريم نساء قومها (٤).

٢- عن يزيد عن عبد الملك النفلّي، عن أبيه، عن جدّه قال: دخلت على فاطمه بنت رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، قال: فبدأتني بالسلام، قال: و قالت: قال

ص: ١٩٧

١- (١) بحار الأنوار: ٣/٢. و نعشه: رفعه.

٢- (٢) القمامه-بالضم-: الكناسه.

٣- (٣) دلائل الإمامه: ١.

٤- (٤) «أسنى المطالب» للعلامة الوصّابيّ اليمنيّ، مخطوط.

أبى و هو ذاحى: من سلم على و عليك ثلاثه أيام فله الجنه. قلت لها: ذا فى حياتك و حياتك أو بعد موته و موتك؟ قالت: فى حياتنا و بعد وفاتنا (١).

٣- إن فاطمه رضى الله عنها قالت: أتيت النبى (صلى الله عليه و اله) فقلت: السلام عليك يا أبه، فقال: و عليك السلام يا بنيه، فقلت: و الله ما أصبح يا نبى الله فى بيت على حبه طعام، و لا دخل بين شفتيه طعام منذ خمس، و لا أصبحت له ثاغيه و لا راغيه، و لا أصبح فى بيته سفه و لا هفه (٢).

فقال النبى (صلى الله عليه و اله): ادنى منى، فدنوت، فقال: أدخلى يدك بين ظهري و ثوبى، فإذا حجر بين كفى النبى (صلى الله عليه و اله) مربوط إلى صدره، فصاحت فاطمه صيحه شديده، فقال لها: ما اوقدت فى بيوت آل محمد نار منذ شهر.

ثم قال (صلى الله عليه و اله) و رفع باب خبير و هو ابن تيف و عشرين، و كان لا يرفعه خمسون رجلا.

فأشرق وجه فاطمه، ثم أتت عليًا فإذا البيت قد أثار بنور وجهها، فقال لها: يا ابنه محمد! لقد خرجت من عندى و وجهك على غير هذا الحال؟ فقالت: إن النبى (صلى الله عليه و اله) حدثنى بفضلك، فما تماكنت حتى جئتك (٣).

٤- عن أسماء بنت عميس، عن فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) قالت: إن رسول الله (صلى الله عليه و اله) أتاها يوما فقال: أين ابناى - يعنى حسنا و حسينا -؟ قالت: قلت: أصبحنا و ليس فى بيتنا شىء يذوقه ذائق، و إنا لنحمد الله تعالى، فقال على: أذهب بهما فإنى أتحوف أن يبكيا عليك و ليس عندك شىء، فذهب بهما إلى اليهودى. فتوجه إليه

ص: ١٩٨

١- ((المناقب)) لابن المغازلى الشافعى: ص ٣٦٤، و مثله فى «المناقب» لابن شهر آشوب: ٣/٣٦٥.

٢- ((الثاغيه: الشاه. و الراغيه: البعير. و السفه: المأكول. و الهفه: المشروب.

٣- ((٣)) أهل البيت (عليهم السلام) لتوفيق أبو علم: ١٣٠.

رسول الله (صلى الله عليه و اله) فوجدهما يلعبان في مشربه بين أيديهما فضل من تمر، فقال: يا عليّ ألا تقلب ابنيّ -أى ترجعهما- قبل أن يشتدّ الحرّ عليهما؟ قال: فقال عليّ: قد أصبحنا فليس في بيتنا شيء، فلو جلست يا رسول الله حتّى أجمع لفاطمه تمرات، فجلس رسول الله (صلى الله عليه و اله) وهو ينزع لليهوديّ كلّ دلو بتمره، حتّى اجتمع له شيء من تمر، و حمله رسول الله و عليّ (١).

أخذت السيّد الزهراء عن أبيها الكثير من الأحاديث بما تسمعه منه، أو ما كان يأمر بكتابته لها، وقد أخذ عنها ابناها الحسن و الحسين، و أبوهما عليّ، و حفيدتها فاطمه بنت الحسين مرسلًا، و عائشه و أم سلمه و أنس بن مالك و سلمى أم رافع رضى الله عنهم (٢).

٥- و عنها سلام الله عليها في حديث طويل، قالت: يا رسول الله! إنّ سلمان تعجّب من لباسى، فوالذى بعثك بالحقّ مالى و لعلّى منذ خمس سنين إلّا مسك كبش نعلف عليها بالنهار بعيرنا، فإذا كان الليل افترشناه، و إنّ مرفقتنا لمن آدم حشوها ليف، فقال النبيّ (صلى الله عليه و اله): يا سلمان إنّ ابنتى لفى الخيل السوابق (٣).

٦- عن زينب ابنة عليّ، عن فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه و اله) لعلّى (عليه السلام): أما إنّك يا عليّ و شيعتك فى الجنّه (٤).

٧- عن فاطمه بنت رسول الله أنّها دخلت على رسول الله (صلى الله عليه و اله) فبسط ثوبا و قال لها: اجلسى عليه، ثم دخل الحسن فقال له: اجلس معها، ثم دخل الحسين فقال له: اجلس معهما، ثم دخل عليّ فقال له: اجلس معهم، ثم أخذ بمجامع الثوب فضمّه علينا

ص: ١٩٩

١- ((١)) أهل البيت لتوفيق ابو علم: ١٣٥.

٢- ((٢)) المصدر السابق: ١٢٨.

٣- ((٣)) عوالم المعارف: ١١/١٣٠. و المسك بالفتح فالسكون: الجلد، الأدم أيضا: الجلد. و المرفقه: المتكاه و المخدّه.

٤- ((٤)) دلائل الإمامه: ٢ و ٣، و مثله فى احقاق الحق: ٣٠٧/٧، و ينابيع المودّه: ٢٥٧.

ثم قال: اللهم هم مني و أنا منهم، اللهم ارض عنهم كما أتى عنهم راض (١).

٨- عن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) قالت: قال لي رسول الله (صلى الله عليه و اله): ألا أبشرك؟ إذا أراد الله أن يتحف زوجته وليه في الجنة بعث إليك تبعين إليها من حليتك ٢.

٩- عن علي بن موسى الرضا، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين، عن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله): أن النبي (صلى الله عليه و اله) قال: من كنت وليه فعلي وليه، و من كنت إمامه فعلي إمامه (٢).

١٠- روى السيد محمد الغماري الشافعي في كتابه: عن فاطمة بنت الحسين الرضوي، عن فاطمة بنت محمد الرضوي، عن فاطمة بنت إبراهيم الرضوي، عن فاطمة بنت الحسن الرضوي، عن فاطمة بنت محمد الموسوي، عن فاطمة بنت عبد الله العلوي، عن فاطمة بنت الحسن الحسيني، عن فاطمة بنت أبي هاشم الحسيني، عن فاطمة بنت محمد بن أحمد بن موسى المبرقع، عن فاطمة بنت أحمد بن موسى المبرقع، عن فاطمة بنت موسى المبرقع، عن فاطمة بنت الإمام أبي الحسن الرضا (عليه السلام)، عن فاطمة بنت موسى بن جعفر (عليهما السلام)، عن فاطمة بنت الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام)، عن فاطمة بنت الباقر محمد بن علي (عليهما السلام)، عن فاطمة بنت السجاد علي بن الحسين زين العابدين (عليهما السلام)، عن فاطمة بنت أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، عن زينب بنت أمير المؤمنين (عليه السلام)، عن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله)، قالت:

ص: ٢٠٠

١- (٢١ و) دلائل الإمامة: ٢ و ٣ و ٣٤ قد تقدم في الفصل السابق تحت الرقم ١٦ من طريق العامة.

٢- (٣) مسند الإمام الرضا: ١/١٣٣.

قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «ألا من مات على حب آل محمد مات شهيدا» (١).

١١- عن حارثه بن قدامه قال: حدثني سلمان قال: حدثني عمّار و قال:

اخبرك عجباً؟ قلت: حدثني يا عمّار، قال: نعم: شهدت عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) و قد ولج علي فاطمه (عليها السّلام)، فلما أبصرت به نادت: اذن لاحدّثك بما كان و بما هو كائن و بما لم يكن إلى يوم القيامة حين تقوم الساعة. قال عمّار: فرأيت أمير المؤمنين (عليه السّلام) يرجع القهقري فرجعت برجوعه إذ دخل علي النبي (صلى الله عليه و اله)، فقال له: اذن يا أبا الحسن، فدنا فلما اطمأنّ به المجلس قال له:

تحدّثني أم احدّثك؟ قال: الحديث منك أحسن يا رسول الله، فقال: كأني بك و قد دخلت علي فاطمه و قالت لك كيت و كيت، فرجعت، فقال عليّ (عليه السّلام): نور فاطمه من نورنا؟ فقال (عليه السّلام): أو لا تعلم؟ فسجد عليّ شكراً لله تعالى.

قال عمّار: فخرج أمير المؤمنين (عليه السّلام) و خرجت بخروجه، فولج علي فاطمه (عليها السّلام) و ولجت معه، فقالت: كأنتك رجعت إلى أبي (صلى الله عليه و اله) فأخبرته بما قلته لك؟ قال: كان كذلك يا فاطمه، فقالت: اعلم يا أبا الحسن أنّ الله تعالى خلق نوري، و كان يسبح الله جلّ جلاله، ثم أودعه شجره من شجره الجنّه فأضاءت فلما دخل أبي الجنّه أوحى الله تعالى إليه إلهاما أن اقتطف الثمره من تلك الشجره و أدرها في لهواتك؛ ففعل، فأودعني الله سبحانه صلب أبي (صلى الله عليه و اله)، ثم أودعني خديجه بنت خويلد فوضعتني، و أنا من ذلك النور، أعلم ما كان و ما يكون و ما لم يكن. يا أبا الحسن المؤمن ينظر بنور الله تعالى (٢).

١٢- عن أبي الطفيل، عن أبي ذرّ (رضي الله عنه)، قال: سمعت فاطمه (عليها السّلام)

ص: ٢٠١

١- (١) عوالم المعارف و مستدركاتهما: ٣٥٤/٢١-٣٥٥، نقلا عن «اللؤلؤة المثنيه» للشيخ محمّد بن محمّد بن أحمد الجثتي الداغستاني: ٢١٧، طبع مصر، سنه ١٣٠٦.

٢- (٢) عوالم المعارف: ٧٠٦/١١.

تقول: «سألت أبا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَالْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلًّا بِيَمَانِهِمْ (١) قَالَ: هُمُ الْأَثْمَةُ بَعْدِي: عَلِيٌّ وَ سِبْطَايُ وَ تَسْعَةُ مِنْ صُلْبِ الْحُسَيْنِ، هُمُ رِجَالُ الْأَعْرَافِ، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ يَعْرِفُهُمْ وَ يَعْرِفُونَهُ، وَ لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَ يَنْكُرُونَهُ، لَا يَعْرِفُ اللَّهُ إِلَّا بِسَبِيلِ مَعْرِفَتِهِمْ».

١٣- عَنْ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَأَلْتُ فَاطِمَةَ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهَا عَنِ الْأَثْمَةِ فَقَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يَقُولُ: الْأَثْمَةُ بَعْدِي عِدَّةٌ نَقَبَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (٢).

١٤- عَنْ أَبِي بصير، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَام) قَالَ: قَالَ أَبِي (عَلَيْهِ السَّلَام) لِجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً فَمَتَى يَخْفَى عَلَيْكَ أَنْ أَخْلُوَ بِكَ فَاسْأَلْكَ عَنْهَا؟ فَقَالَ لَهُ جَابِرٌ: فِي أَيِّ الْأَوْقَاتِ شِئْتَ، فَخَلَا بِهِ أَبُو جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلَام)، قَالَ لَهُ: يَا جَابِرُ أَخْبِرْنِي عَنِ اللَّوْحِ الَّذِي رَأَيْتَهُ فِي يَدِ أُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَ مَا أَخْبَرْتِكَ بِهِ أَنَّهُ فِي ذَلِكَ اللَّوْحِ مَكْتُوبًا. فَقَالَ جَابِرٌ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ أَنِّي دَخَلْتُ عَلَى أُمِّكَ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَام) فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَ أَهْنَيْتُهَا بِوَلَادَةِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَام) فَرَأَيْتُ فِي يَدِهَا لَوْحًا أَخْضَرَ ظَنَنْتُ أَنَّهُ مِنْ زَمْزَدٍ، وَ رَأَيْتُ فِيهِ كِتَابَهُ بِيَضَاءٍ شَبِيهِهِ نُبُورِ الشَّمْسِ، فَقُلْتُ لَهَا: يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ مَا هَذَا اللَّوْحُ؟ فَقَالَتْ: هَذَا اللَّوْحُ أَهْدَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيَّ رَسُولَهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فِيهِ اسْمُ أَبِي وَ اسْمُ بَعْلِي وَ اسْمُ ابْنِي وَ أَسْمَاءُ الْأَوْصِيَاءِ مِنْ وَلَدِي، فَأَعْطَانِيهِ أَبِي لَيْسَرَنِي بِذَلِكَ.

قال جابر: فأعطتني أمي فاطمة (عليها السلام) فقرأتها وانتسخته. فقال له أبي (صلى الله عليه وآله): فهل لك يا جابر أن تعرضه عليّ؟ فقال: نعم، فمشى معه أبي (صلى الله عليه وآله).

ص: ٢٠٢

١- (١) الأعراف (٧): ٤٦.

٢- (٢) كفاية الأثر: ١٩٣-٢٠٠.

حتّى انتهى إلى منزل جابر فأخرج إلى أبي صحيفه من رقّ، فقال: يا جابر انظر أنت في كتابك لأقرأه أنا عليك، فنظر جابر في نسخه (1) فقرأه عليه أبي (صلى الله عليه و اله) فوالله ما خالف حرف حرفاً، قال جابر: فأني أشهد بالله أنني هكذا رأيته في اللوح مكتوباً:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لمحَمَّد نوره و سفيره و حجابيه و دليله، نزل به الروح الأمين من عند رب العالمين؛ عظم يا مُحَمَّد أسمائي و اشكر نعمائي، و لا تجحد آلائي، إني أنا الله لا إله إلا أنا، قاصم الجبارين [و مبير المتكبرين] أو مذل الظالمين و ديان يوم الدين، إني أنا الله لا إله إلا أنا، فمن رجا غير فضلي، أو خاف غير عدلي؛ عذّبه عذاباً لا أعدّ به أحداً من العالمين، فإيتاي فاعبد و علي فتوكل.

إني لم أبعث نبياً فأكملت أيامه و انقضت مدته إلا جعلت له وصياً، و إني فضّلتك على الأنبياء و فضّلت وصيتك على الأوصياء، و أكرمتك بشبليتك بعده و بسببتيك الحسن و الحسين، و جعلت حسناً معدن علمي بعد انقضاء مدّه أبيه، و جعلت حسينا خازن وحيي، و أكرمته بالشهادة، و ختمت له بالسعادة، فهو أفضل من استشهد و أرفع الشهداء درجة، جعلت كلمتي التامة معه، و الحجّه البالغه عنده، بعترته أثيب و اعاقب، أولهم عليّ سيّد العابدين، و زين أوليائي الماضين؛ و ابنه سمى جدّه المحمود، محمّد الباقر لعلمي و المعدن

ص: ٢٠٣

١- (١) إنّما كانت ملاقاته جابر مع أبي جعفر (عليه السلام) بعد زيارته الأربعين في المدينة قطعا و قد قيل إنّّه في زيارته الأربعين مكفوف البصر فكيف يمكن معه قراءه النسخه؟ و يمكن أن نقول: إنّما يكون عماء في آخر أيام حياته فاشتبهه على بعض من ترجمه فتوهم عماء في الأربعين، سنه ٦١، و هو خلاف ما نصّوا عليه من أنّه كفّ بصره آخر عمره. و ما في «بشاره المصطفى» في خبر زيارته في الأربعين من قول عطية «قال: فألمسنيه، فألمسته فخرّ على القبر» لا يدلّ على العمى، و لعلّ من شدّه الحزن و كثره البكاء ابيضّت عيناه، أو غمرتاهما العبره في ذلك اليوم. و يؤيده ما في هذا الخبر «ثمّ جال ببصره حول القبر و قال: السلام عليكم...».

لحكمتي؛ سيهلك المرتابون في جعفر، الرّادّ عليه كالرّادّ عليّ، حقّ القول منّي لأ-كرم منّ مثنوى جعفر، ولاسرّنه في أوليائه و أشياعه و أنصاره؛ و انتحبت بعد موسى فتنه عمياء هندس (١)، لأنّ خيط فرضى لا ينقطع، و حجّتي لا تخفى، و أنّ أوليائي لا يشقون أبدا؛ ألا و من جحد واحدا منهم فقد جحد نعمتي، و من غير آيه من كتابي فقد افترى عليّ.

و ويل للمفترين الجاحدين عند انقضاء مدّه عبدى موسى و حبيبي و خيرتي، [ألا] إنّ المكذب بالثامن مكذب بكلّ أوليائي، و عليّ وليي و ناصري، و من أضع عليه أعباء النبوه و أمتحنه بالاضطلاع، يقتله عفريت مستكبر، يدفن بالمدينه التي بناها العبد الصالح ذو القرنين إلى جنب سرّ خلقى، حقّ القول منّي لاقرنّ عينه بمحمّد ابنه و خليفته من بعده، فهو وارث علمى و معدن حكمتى و موضع سرّي و حجّتي على خلقى جعلت الجنّه مثواه، شفّعتّه فى سبعين من أهل بيته كلّهم قد استوجبوا النار، و أختم بالسعاده لابنه على وليي و ناصري و الشاهد فى خلقى و أمينى على وحيي أخرج منه الداعى إلى سبيلى و الخازن لعلمى الحسن... (٢).

١٥- قالت (عليها السلام): أبوا هذه الامه محمّد و عليّ يقيمان أودهم و يتقدانهم من العذاب الدائم إن أطاعوهما و يبيحانهم النعيم الدائم إن وافقوهما (٣).

١٦- عن فاطمه، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهما قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه و اله): أيما رجل صنع إلى رجل من ولدى صنيعه فلم يكافئه عليها، فأنا المكافئ له عليها (٤).

١٧- حدّثنا أحمد بن يحيى الأودى، حدّثنا أبو نعيم ضرار بن صرد،

ص: ٢٠٤

-
- ١- ((١)) انتحبت: تنفس شديدا. و الهندس: الشديد الظلمه.
 - ٢- ((٢)) كمال الدين و تمام النعمه: ٣٠٨-٣١١ ط. طهران-الأخوندى.
 - ٣- ((٣)) بحار الأنوار: ٢٢٥/٩٦.
 - ٤- ((٤)) المصدر نفسه.

حدثنا عبد الكريم أبو يعفور، حدثنا جابر، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشه، قالت: حدثتني فاطمه، قالت: قال لى رسول الله (صلى الله عليه و اله): زوجك أعلم الناس علما و أولهم سلما، و أفضلهم حلما.

١٨- قالت (عليها السلام): «و احمداوا الذى لعظمته و نوره يبتغى من فى السماوات و الأرض إليه الوسيله، و نحن وسيلته فى خلقه، و نحن خاصته و محل قدسه، و نحن حجته فى غيبه، و نحن ورثه أنبيائه» (١).

١٩- عن محمّد بن عمر الكناسى عن جعفر بن محمّد بن أبيه عن عليّ ابن الحسين عن فاطمه الصغرى عن الحسين بن عليّ عن فاطمه بنت محمّد (صلى الله عليه و اله) قالت: «خرج علينا رسول الله (صلى الله عليه و اله) فقال: إنّ الله عزّ و جلّ باهى بكم، فغفر لكم عامه، و غفر لعليّ خاصه، و إنّى رسول الله إليكم غير هائب لقومى و محاب لقرابتى، هذا جبرئيل (عليه السلام) يخبرنى: إنّ السعيد كلّ السعيد حقّ السعيد من أحبّ عليا فى حياتى و بعد وفاتى» (٢).

٢٠- عن زينب بنت أبي رافع عن فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) أنّها أتت رسول الله بالحسن و الحسين فى مرضه الذى توفى فيه، فقالت: «يا رسول الله إنّ هذين لم تورثهما شيئا» فقال: «أما الحسن فله هيبتى و سؤددى، و أما الحسين فله جرأتى و جودى» (٣).

٢١- عن عليّ عن فاطمه (عليهما السلام) قالت: «قال لى رسول الله (صلى الله عليه و اله): يا فاطمه من صلى عليك غفر الله له و ألحقه بى حيث كنت من الجنّه» (٤).

ص: ٢٠٥

١- ((١)) شرح نهج البلاغه: ٢١١/١٦.

٢- ((٢)) «أسنى المطالب» لشمس الدين الجزرى: ٧٠.

٣- ((٣)) اسد الغابه: ٤٦٧/٥، و مناقب ابن شهر آشوب: ٣٩٦/٣.

٤- ((٤)) كشف الغمّه: ٤٧٢/١.

٢٢- عن زيد بن عليّ بن الحسين عن عمّته زينب بنت عليّ (عليه السّلام) عن فاطمه (عليها السّلام) قالت: «كان دخل إليّ رسول الله (صلى الله عليه و اله) عند ولادتي الحسين (عليه السّلام)، فناولته إياه في خرقة صفراء، فرمى بها و أخذ خرقة بيضاء و لَفَّ فيها ثم قال: خذيه يا فاطمه، فإنّه إمام ابن إمام أبو الأئمّة التسعه، من صلبه أئمّه أبرار، و التاسع قائمهم».

٢٣- عن سهل بن سعد الأنصاريّ قال: سألت فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) عن الأئمّة فقالت: «كان رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول لعليّ (عليه السّلام): يا عليّ! أنت الإمام و الخليفة بعدى، و أنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضيت فابنك الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسن فابنك الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى عليّ فابنه محمد أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى محمد فابنه جعفر أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى جعفر فابنه موسى أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى موسى فابنه عليّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى عليّ فابنه محمد أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى محمد فابنه عليّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى عليّ فابنه الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسن فابن المهدىّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، يفتح الله تعالى به مشارق الأرض و مغاربها، فهم أئمّه الحقّ و ألسنه الصدق، منصور من نصرهم، مخذول من خذلهم» (١).

٣- مصادر التشريع الإسلامي و فلسفته و اصوله:

١- جاء في الخطبه المعروفة عنها قولها للصحابه حين اعترضت على أبي بكر بعد حادث السقيفه المرّ: «أنتم عباد الله نصب أمره و نهيه، و حملة دينه

ص: ٢٠٦

١- (١) راجع كفايه الأثر: ١٩٣-٢٠٠.

و وحيه، و امناء الله على أنفسكم، و بلغاؤه إلى الامم، زعيم حق له فيكم، و عهد قدمه إليكم، و بقيه استخلفها عليكم، كتاب الله الناطق، و القرآن الصادق، و النور الساطع، و الضياء اللامع، بينه بصائر، منكشفه سريره، منجليه ظواهره، مغتبطه به أشياعه، قائدا إلى الرضوان أتباعه، مؤد إلى النجاه استماعه، به تنال حجج الله المنوره، و عزائم المفسره، و محارمه المحذره، و بيناته الجاليه، و براهينه الكافيه، و فضائله المندوبه، و رخصه الموهوبه، و شرائعه المكتوبه.

٢- و قالت عن فلسفه التشريع في نفس الخطبه: «جعل الله الإيمان تطهيرا لكم من الشرك، و الصلاه تنزيها لكم عن الكبر، و الزكاه تركيه للنفس، و نماء في الرزق، و الصيام تثبيتا للإخلاص، و الحج تشيدا للدين، و العدل: تنسيقا للقلوب، و طاعتنا نظاما للمله، و إمامتنا أمانا من الفرقة، و الجهاد عزاء للإسلام، و الصبر معونه على استيجاب الأجر، و الأمر بالمعروف مصلحه للعامة، و بر الوالدين وقايه من السخط، و وصله الأرحام منسأه في العمر و منماه للعدد، و القصاص حقنا للدماء، و الوفاء بالنذر تعريضا للمغفره، و توفيه المكائيل و الموازين تغييرا للبخس، و النهي عن شرب الخمر تنزيها عن الرجس، و اجتناب القذف حجابا عن اللعنه، و ترك السرقة إيجابا للعفه، و حرّم الله الشرك إخلاصا له بالربوبيه».

٣- و قالت عن بعض اصول التشريع: حدثنا أحمد بن يحيى الصوفى، حدثنا عبد الرحمن بن ديس الملائى، حدثنا بشير بن زياد الجزرى، عن عبد الله بن حسن، عن امه فاطمه بنت الحسين، عن فاطمه الكبرى قالت:

قال النبى (صلّى الله عليه و اله): إذا مرض العبد أوحى الله إلى ملائكته أن ارفعوا عن عبدى القلم ما دام فى وثاقى، فإننى أنا حبسته، حتى أقبضه أو اخلّى سبيله.

قال: فذكرت لبعض ولده فقال: كان أبى يقول: أوحى الله إلى ملائكته: اكتبوا لعبدى أجر ما كان يعمل فى صحته.

٤- عن عليّ عن فاطمه رضي الله عنهما قالت: «قال لي رسول الله (صلى الله عليه و اله): يا حبيبه أيبها كل مسكر حرام، و كل مسكر خمر» (١).

٥- عن سليمان بن أبي سليمان عن أمه أم سليمان قالت: دخلت على عائشه زوج النبي (صلى الله عليه و اله) فسألتها عن لحوم الأضاحي، فقالت: قد كان رسول الله (صلى الله عليه و اله) نهى عنها، ثم رخص فيها.

قدم عليّ بن أبي طالب من سفر فأتته فاطمه بلحم من ضحاياها، فقال:

«أو لم ينها رسول الله (صلى الله عليه و اله)؟» فقالت: «إنه قد رخص فيها». قالت: «فدخل عليّ على رسول الله (صلى الله عليه و اله) فسأله عن ذلك، فقال له: كلها من ذى الحجه إلى ذى الحجه» (٢).

٦- عن سيده النساء فاطمه ابنه سيد الأنبياء صلوات الله عليهم أنها سألت أباه محمدا (صلى الله عليه و اله) فقالت: «يا أبتاه! ما لمن تهاون بصلاته من الرجال و النساء؟» قال: «يا فاطمه من تهاون بصلاته من الرجال و النساء ابتلاه الله بخمس عشره خصله: ست منها في دار الدنيا، و ثلاث عند موته، و ثلاث في قبره، و ثلاث في القيامة إذا خرج من قبره.

أما اللواتي تصيبه في دار الدنيا: فالأولى يرفع الله البركه من عمره، و يرفع الله البركه من رزقه، و يمحو الله عزّ و جلّ سيما الصالحين من وجهه، و كل عمل يعمله لا يؤجر عليه، و لا يرتفع دعاؤه إلى السماء، و السادس ليس له حظّ في دعاء الصالحين.

و أما اللواتي تصيبه عند موته: فأولهنّ أنه يموت ذليلا، و الثانيه يموت جائعا، و الثالثه يموت عطشا، فلو سقى من أنهار الدنيا لم يرو عطشه.

و أما اللواتي تصيبه في قبره: فأولهنّ يوكل الله به ملكا يزعه في قبره، و الثانيه يضيق عليه قبره، و الثالثه تكون الظلمه في قبره.

ص: ٢٠٨

١- ((١)) دلائل الإمامه: ٣.

٢- ((٢)) «أهل البيت» لتوفيق أبو علم: ١٢٩، و مسند أحمد: ٦/٢٨٣.

و أما اللواتى تصيبه يوم القيامة إذا خرج من قبره: فأولهن أن يوكل الله به ملكا يسحبه على وجهه و الخلائق ينظرون إليه، و الثانية يحاسب حسابا شديدا، و الثالثة لا ينظر الله إليه و لا يزكّيه و له عذاب أليم» (١).

٤- الاخلاق و الآداب و السلوك:

١- عن الحسين (رضى الله عنه)، عن امه فاطمه رضى الله عنها، قالت: قال لى رسول الله (صلى الله عليه و اله): إيتاك و البخل، فإنه عاهه لا تكون فى كريم. إيتاك و البخل فإنه شجره فى النار، و أغصانها فى الدنيا، فمن تعلق بغصن من أغصانها أدخله النار. و عليك بالسخاء، فإن السخاء شجره من شجر الجنة، أغصانها متدليه إلى الأرض، فمن أخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن إلى الجنة (٢).

٢- عن فاطمه البتول بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه و اله):

شرار امتى الذين غدّوا بالنعيم، الذين يأكلون ألوان الطعام، و يلبسون ألوان الثياب، و يتشدقون فى الكلام (٣).

٣- عن فاطمه بنت الحسين، عن جدتها فاطمه الزهراء (عليها السلام) قالت:

كان رسول الله (صلى الله عليه و اله) إذا دخل المسجد صلى على محمد و سلم، و قال: «اللهم اغفر لى ذنوبى، و افتح لى أبواب رحمتك». و إذا خرج صلى على محمد و سلم ثم قال: «اللهم اغفر لى ذنوبى، و افتح لى أبواب فضلك» (٤).

٤- قالت (عليها السلام): البشر فى وجه المؤمن يوجب لصاحبه الجنة، و البشر فى وجه

ص: ٢٠٩

١- (١) سفينه البحار: ٢/٤٣.

٢- (٢) «أهل البيت» لتوفيق أبو علم: ١٣٠-١٣١.

٣- (٣) المصدر السابق: ١٣١، و تشدق فى الكلام: أتسع فيه من غير احتياط و احتراز.

٤- (٤) أهل البيت لتوفيق أبو علم: ١٢٩-١٣١. و عصبه الرجل: بنوه و قرابته لأبيه. و انتمى إليه فلان، إذا ارتفع إليه فى النسب.

٥- عن زيد بن علي، عن آباءه، عن فاطمه ابنة النبي (صلى الله عليه و اله) قالت:

سمعت النبي (صلى الله عليه و اله) يقول: إن في الجمعة لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله عزّ و جلّ فيها خيرا إلا أعطاه. قالت: فقلت: يا رسول الله أي ساعة هي؟ قال: إذا تدلّى نصف عين الشمس للغروب. قال: و كانت فاطمه تقول لغلامها: اسعد على السطح، فإن رأيت نصف عين الشمس قد تدلّى للغروب فأعلمني حتى أدعو (٢).

٦- قال ابن حمّاد الأنصاريّ الدولابيّ المتوفى ٣١٠: حدّثنا أبو جعفر محمّد بن عوف بن سفيان الطائفيّ الحمصيّ، حدّثنا موسى بن أيوب النصيبّي، حدّثنا محمّد بن شعيب، عن صدقه مولى عبد الرحمن بن الوليد، عن محمّد ابن عليّ بن حسين، قال: خرجت أمشي مع جدّي حسين بن عليّ إلى أرضه، فأدر كنا النعمان بن بشير على بغله له فنزل عنها، و قال لحسين: أركب أبا عبد الله، فأبى، فلم يزل يقسم عليه حتى قال: أما إنك قد كلفتنى ما أكره، و لكن أحدثك حديثا حدّثنيه أمي فاطمه: إن رسول الله (صلى الله عليه و اله) قال: «الرجل أحقّ بصدر دابّته و فراشه و الصلاة في بيته، إلا إماما يجمع الناس». فأركب أنت على صدر الدابّة و [أردفني خلفك].

فقال النعمان: صدقت فاطمه، حدّثني أبي - و ها هو ذا حيّ بالمدينة عن النبي (صلى الله عليه و اله) قال: إلا - أن يأذن، فلما حدّثه النعمان بهذا الحديث ركب حسين السرج، و ركب النعمان خلفه (٣).

ص: ٢١٠

١- (١) «تفسير الإمام»: ٣٥٤، و المراد من الفقرة الثانية مداراه النواصب تقيّه منهم.

٢- (٢) دلائل الإمامه: ٥.

٣- (٣) فاطمه الزهراء بهجه قلب المصطفى: ٣٠١ رواه عن الدولابي.

٧- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْأَوْدِيُّ، حَدَّثَنَا جِبَارَةُ بْنُ مَغْلَسٍ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ الْوَسِيمِ، عَنْ حُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ أُمِّهِ فَاطِمَةَ بْنِ حَسَنِ، عَنْ أَبِيهَا، عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): لَا يَلُو مَنْ إِلَّا نَفْسُهُ مِنْ بَاتٍ وَفِي يَدِهِ غَمْرٌ (١).

٨- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوفِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ دَبِيسٍ، حَدَّثَنَا بَشِيرُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ، عَنْ أُمِّهِ، عَنْ فَاطِمَةَ الْكُبْرَى (عَلَيْهَا السَّلَامُ)، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): مَا التَّقِيُّ جَنْدَانَ ظَالِمَانَ إِلَّا تَخَلَّى اللَّهُ مِنْهُمَا، فَلَمْ يَبَالِ أَيُّهُمَا غَلَبَ، وَمَا التَّقِيُّ جَنْدَانَ ظَالِمَانَ إِلَّا كَانَتِ الدَّائِرَةُ عَلَى أَعْتَاهِمَا.

٩- وَقَالَتْ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) فِي وَصْفِ مَا هُوَ خَيْرٌ لِلنِّسَاءِ: «خَيْرٌ لَهُنَّ أَلَّا يَرِينَ الرِّجَالَ وَلا يَرُونَهُنَّ» (٢).

١٠- عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أُمِّهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قَالَتْ:

«لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا (٣)، قَالَتْ فَاطِمَةُ: «فَتَهَيَّبْتُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَآلَهُ أَنْ أَقُولَ لَهُ: يَا أَبُهِ، فَجَعَلَتْ أَقُولُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ لِي: يَا بِنْتِي لِمَ تَنْزِلُ فِيكَ وَلا أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِ، أَنْتِ مَنِّي وَأَنَا مِنْكَ، وَإِنَّمَا نَزَلْتُ فِي أَهْلِ الْجَفَاءِ وَالبِذْخِ وَالكِبْرِ، قَوْلِي: يَا أَبُهِ، فَإِنَّهُ أَحَبُّ لِلْقَلْبِ وَأَرْضَى لِلرَّبِّ ثُمَّ قَبِلَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) جِهَتِي، مَسْحَنِي بِرِيقِهِ، فَمَا احْتَجَجْتُ إِلَى طَيْبٍ بَعْدَهُ» (٤).

١١- وَقَالَتْ فَاطِمَةُ (عَلَيْهَا السَّلَامُ): «مَنْ أَصْعَدَ إِلَى اللَّهِ خَالِصَ عِبَادَتِهِ؛ أَهْبَطَ اللَّهُ إِلَيْهِ

ص: ٢١١

١- ((١)) الغمر: الدسم.

٢- ((٢)) حليه الأولياء: ٢/٤٠.

٣- ((٣)) النور (٢٤): ٦٣.

٤- ((٤)) المناقب لابن شهر آشوب: ٣/٣٢٠.

١٢- عن ليث بن أبي سليم عن عبد الله بن الحسن عن أمه فاطمه بنت الحسين عن أبيها عن أمه فاطمه ابنة رسول الله (صلى الله عليه و اله): «خياركم أئنيكم مناكب، و أكرمهم لنسائهم» (٢).

١٣- سأل رسول الله (صلى الله عليه و اله) أصحابه عن المرأة ما هي؟ قالوا: عوره، قال:

فمتى تكون أدنى من ربها؟ فلم يدروا، فلما سمعت فاطمه (عليها السلام) ذلك قالت:

«أدنى ما تكون من ربها أن تلزم قعر بيتها، فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «إن فاطمه بضعه مني» (٣).

١٤- و عنها سلام الله عليها في حديث طويل، قالت: «يا رسول الله! إن سلمان تعجب من لباسي، فوالذي بعثك بالحق ما لي و لعلني منذ خمس سنين إلا مسك كبش نعلف عليه بالنهار بعيرنا، فإذا كان الليل افترشناه، و إن مرفقتنا لمن آدم حشوها ليف، فقال النبي (صلى الله عليه و اله): يا سلمان إن ابنتي لفي الخيل السوابق» (٤).

١٥- عن علي بن الحسين بن علي (عليهما السلام): «أن فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) استأذن عليها أعمى فحجبتة، فقال لها النبي (صلى الله عليه و اله): لم حجبتة و هو لا يراك؟ فقالت: يا رسول الله إن لم يكن يراني فأنا أراه، و هو يشم الريح، فقال النبي (صلى الله عليه و اله): أشهد أنك بضعه مني» (٥).

ص: ٢١٢

١- ((١)) بحار الأنوار: ١٨٤/٧١.

٢- ((٢)) فاطمه الزهراء عليها السلام بهجه قلب المصطفى: ٢٧٣/١، إلا أن في بعض المصادر عن رسول الله صلى الله عليه و اله.

٣- ((٣)) بحار الأنوار: ٩٢/٤٣.

٤- ((٤)) عوالم المعارف: ١١/١٣٠، المسك بالفتح فالسكون: الجلد، الأدم أيضا: الجلد، و المرفقه: المتكاه و المخدّه.

٥- ((٥)) ملحقات إحقاق الحق: ٢٥٨/١٠.

١٦- حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ سَنَانَ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ الْوَاسِطِيِّ، حَدَّثَنَا بَشِيرُ بْنُ مَيْمُونِ الْوَاسِطِيِّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: حَدَّثَتْنِي أُمِّي فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحَسَنِ عَنْ فَاطِمَةَ الْكُبْرَى بِنْتِ مُحَمَّدٍ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كَانَ يَعُوذُ بِالْحَسَنِ وَالحُسَيْنِ وَيَعْلَمُهُمَا هُوَ لِأَنَّ الْكَلِمَاتِ كَمَا يَعْلَمُهُمَا السُّورَةُ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَةٍ» (١).

١٧- عَنْ الزُّهْرَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهَا قَالَتْ: «دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَقَدْ افْتَرَشْتُ فِرَاشِي لِلنَّوْمِ، فَقَالَ: يَا فَاطِمَةُ لَا تَنَامِي إِلَّا وَقَدْ عَمِلْتَ أَرْبَعَهُ: خَتَمْتَ الْقُرْآنَ، وَجَعَلْتَ الْأَنْبِيَاءَ شَفَعَاءَ كَ، وَارْضَيْتِ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ نَفْسِكَ، وَحَجَّجْتَ وَاعْتَمَرْتَ. قَالَ هَذَا وَأَخَذَ فِي الصَّلَاةِ، فَصَبِرْتُ حَتَّى أَتَمَّ صَلَاتَهُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ أَمَرْتَ بِأَرْبَعَةٍ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهَا فِي هَذَا الْحَالِ! فَنَبَسَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) [وَقَالَ]: إِذَا قَرَأْتَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَكَأَنَّكَ خَتَمْتَ الْقُرْآنَ، وَإِذَا صَلَّيْتَ عَلَيَّ وَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي كُنَّا شَفَعَاءَ كَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا اسْتَغْفَرْتَ لِلْمُؤْمِنِينَ رَضُوا كُلَّهُمْ عَنكَ، وَإِذَا قُلْتَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَدْ حَجَّجْتَ وَاعْتَمَرْتَ» (٢).

١٨- فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ قَالَتْ (عَلَيْهَا السَّلَامُ): «يَا أَبَتِ فِدَيْتِكَ مَا الْمَذَى أَبْكَاكُ؟» فَذَكَرَ لَهَا مَا نَزَلَ بِهِ جِبْرَائِيلُ مِنَ الْآيَاتِينَ الْمُتَقَدِّمَتَيْنِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (٣) فَسَقَطَتْ فَاطِمَةُ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) عَلَى وَجْهِهَا وَهِيَ تَقُولُ: «الْوَيْلُ لِمَنْ دَخَلَ النَّارَ» (٤).

ص: ٢١٣

١- ((١)) الدَّرِّيُّ الطَّاهِرِيُّ، لابنِ حَمَادِ الْأَنْصَارِيِّ الدُّوَلَابِيِّ: ١٤٩، ط. جَامِعَةُ الْمَدْرَسِينَ بِقَمِ.

٢- ((٢)) خُلَاصَةُ الْأَذْكَارِ: ٧٠.

٣- ((٣)) الْحَجَرُ (١٥): ٤٣-٤٤.

٤- ((٤)) بَحَارُ الْأَنْوَارِ: ٣٠٣/٨.

١- و الخطبتان اللتان نقلناهما عنها تفصحان عن بعد نظرها وسعه أفقها فيما يخصّ: الثوره النبويه المباركه، و مستقبلها، و الجاهليه التي سبقت البعثه المباركه، و ما سترتب على انحراف القيادة الإسلاميه عن مسارها الصحيح.
فراجعهما و لاحظهما مره اخرى يامعان.

٢- إخبارات غيبية: عن فاطمه الصغرى بنت الحسين رضى الله عنهما، عن أبيها، عن جدّتها فاطمه الكبرى بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) قالت: قال لى رسول الله (صلى الله عليه و اله): يدفن من ولدى سبعة بشاطئ الفرات، لم يبلغهم الأولون، و لم يدركهم الآخرون (١).

٣- إسرار النبي لها صلوات الله عليهما عن عائشه قالت: أقبلت فاطمه تمشى، كأنّ مشيتها مشيه رسول الله (صلى الله عليه و اله) فقال: مرحبا بابنتى؛ ثمّ أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثمّ إنّه أسرّ إليها حديثا، فبكت، فقلت لها: استخصّك رسول الله (صلى الله عليه و اله) حديثه ثمّ تبكين؟ ثمّ إنّه أسرّ إليها حديثا فضحكت، فقلت:

ما رأيت كالיום فرحا أقرب من حزن! فسألتهما عمّا قال، فقالت: ما كنت لأفشى سرّ رسول الله (صلى الله عليه و اله)؛ حتّى إذا قبض النبي (صلى الله عليه و اله) سألتها، فقالت: إنّه أسرّ لى فقال: إنّ جبرئيل (عليه السلام) كان يعارضنى بالقرآن فى كلّ عام مرّه، و إنّه عارضنى به العام مرّتين، و لا أراه إلّا قد حضر أجلى، و إنك أول أهل بيتى لحوقا بى، و نعم السلف أنا لك، فبكيت لذلك، ثمّ قال: ألا ترضين أن تكونى سيّده نساء هذه الائمة-أو نساء المؤمنين-؟ (٢) قالت:

ص: ٢١٤

١- (١) بحار الأنوار: ٨/١٣١.

٢- (٢) الظاهر أن التريديد من عائشه.

فضحكت لذلك (١).

١٩- عن عروه بن الزبير، عن عائشه قالت: لما مرض رسول الله (صلى الله عليه و اله)؛ دعا ابنته فاطمه فساّرّها، فبكت، ثم ساّرّها فضحكت، فسألته عن ذلك، فقالت: أمّا حين بكيت فإنّه أخبرني أنّه ميّت، فبكيت، ثمّ أخبرني أنّي أوّل أهله لحوقا به فضحكت (٢).

ص: ٢١٥

١- (١) مسند أحمد: ٢٨٢/٦.

٢- (٢) المصدر السابق: ٢٨٣.

كانت (عليها السلام) إذا جنّ الليل تقوم في محرابها صافّة قدميها منقطعه إلى ربّها مصليه مناجيه متهجده تدعو الله سبحانه بلسان الخائف الذليل المنقطع، و تقول في دعائها: «اللهم إني أسألك قوه في عبادتك، و تبصّيرا في كتابك، و فهما في حكمك، اللهم صلّ على محمد و آل محمد، و لا تجعل القرآن بنا ماحلا، و الصراط زائلا و محمّدا (صلّى الله عليه و اله) عنا موليّا».

و من دعائها أيضا:

١- «اللهم اجعل أول يومى هذا فلاحا، و أوسطه صلاحا، و آخره نجاحا، اللهم صلّ على محمّد و آل محمّد، و اجعلنا ممن أناب إليك فقبلته، و توكلّ عليك فكفّيته، و تضرّع إليك فرحمته».

٢- «اللهم إني أسألك الهدى و التقى و العفاف و الغنى، و العمل بما تحبّ و ترضى، اللهم إني أسألك من قوتك لضعفنا، و من غناك لفقرنا و فافتنا، و من حلمك و علمك لجهلنا، اللهم صلّ على محمّد و آل محمّد، و أعنّا على شكرك و ذكرك و طاعتك و عبادتك يا أرحم الراحمين».

٣- دعاء النور المعروف عنها:

«بسم الله النور، بسم الله نور النور، بسم الله نور على نور، بسم الله الذى هو مدبّر الامور، بسم الله الذى خلق النور من النور، الحمد لله الذى خلق النور من النور، و أنزل النور على الطور، فى كتاب مسطور، فى رقّ منشور، بقدر مقدور، على نبيّ مجبور، الحمد لله الذى هو بالعزّ مذكور، و بالفخر مشهور، و على السراء و الضراء مشكور، و صلّى الله على سيدنا محمد و آله الطاهرين» (١).

ص: ٢١٦

بالرغم من أنّ فاطمه (عليها السلام) توفيت و لها ثمانى عشره سنه فإنّ النصوص المؤرّخه تشير إلى أنّها-مثل سائر المعصومين (عليهم السلام)- توفرت على إلقاء و تدوين ما يرتبط بمبادئ الشريعة الإسلاميه، و أنّها (عليها السلام) فى لقاءاتها مع العنصر النسوى كانت تتكفل بالإجابة على أسئلتهم، و أنّها بعامة أثر عنها من النصوص ما يفصح عن شخصيتها العلميه و الأدبيه، و لعلّ النماذج التى نقلها المؤرّخون بالنسبه إلى النصوص الخطايه التى ارتجلتها تفصح بوضوح عن الطابع الأدبى المحكم فى خطاباتها، فهناك خطبتان مأثورتان عن فاطمه (عليها السلام) فيما ارتجلت اولهما بمحضر من النساء «بعد وفاه النبى (صلّى الله عليه و اله)» و الاخرى ارتجلتها بمحضر من شخصيات المهاجرين و الأنصار... (1).

و قد ذكرنا نص الخطبتين بعد أحداث رحله النبى (صلّى الله عليه و اله)، و علّق الدكتور البستاني على هذا النص الفنى قائلا: «لقد بدأت الخطبه بتمجيد الله تعالى و هو اسلوب قد اختطه النبى و فصّله الإمام على (عليه السلام) حيث يلاحظ أنّ فاطمه (عليها السلام) قد أفادت من جانب من النبى و الإمام على (عليه السلام) اسلوبيا، و اختطت منحى فنيا خاصا من جانب آخر، إنّها تسلسلت موضوعيا من الحمد، فالشكر، فالثناء على معطيات الله تعالى، ثم صفاته تعالى، ثم نبوّه أبيها فمعطيات ذلك، ثم أتجهت إلى الموضوع الرئيس و سردت قائمه بالمعطيات النفسيه و العباديه، و هكذا وصلت بين النبوّه و بين معطياتها اجتماعيا، بين المقدمه و بين الموضوع، فجاءت الخطبه خاضعه عماريا لخطوط هندسيه متواشجه فيما

ص: ٢١٧

بينها، وأما الأدوات الفنية التي توكّأت عليها فتتمثل في حشد ملحوظ من العنصر (الصوري) و في عنايه ملحوظه بالعنصر الإيقاعي فضلا عن العنصر اللفظي، من تقابل و تماثل و تتابع و تكرار و قسم...» (١).

هذا عن النشر، وأما أدبها المنظوم فنذكر نماذج منه:

١- لما دفن رسول الله (صلى الله عليه و اله) أقبلت على أنس بن مالك فقالت: «يا أنس كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله (صلى الله عليه و اله) التراب؟» ثم بكت ورثته قائلة:

أغبر آفاق السماء و كورت شمس النهار و أظلم العصران

فالأرض من بعد النبي كئيبه أسفا عليه كثيره الرجفان

فليبكه شرق البلاد و غربها و لتبكه مضر و كل يمان

يا خاتم الرسل المبارك ضوءه صلى عليك منزل القرآن

ثم أخذت قبضه من تراب القبر فجعلتها على عينيها و وجهها، ثم أنشأت تقول:

ماذا على من شمّ تربه أحمد أن لا يشمّ مدى الزمان غواليا

صبت على مصائب لو أنّها صبت على الأيام عدن ليا ليا (٢)

٢- وقالت أيضا في رثائه (صلى الله عليه و اله):

قل للمغيّب تحت أطباق الثرى إن كنت تسمع صرختي و ندائيا

صبت على مصائب لو أنّها صبت على الأيام صرن ليا ليا

قد كنت ذات حمى بظلّ محمّد لا أختشى ضيما و كان جماليا

فاليوم أخشع للذليل و اتقى ضيمي و أدفع ظالمي بردائيا

فإذا بكت قمرية في ليلها شجنا على غص بكيّت صباحيا

ص: ٢١٨

١- (١) راجع للتفصيل، تاريخ الأدب العربي: ٢٥٧-٢٦٢.

٢- (٢) المصدر نفسه: ١٦٤-١٦٥.

فلأجعلنَّ الحزن بعدك مونسي ولأجعلنَّ الدمع فيك و شاحيا

ماذا على من شمَّ تربه أحمد أن لا يشمَّ مدى الزمان غواليا (١)

٣-و عن محمّد بن المفصّل قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السّلام) يقول: جاءت فاطمه (عليها السّلام) إلى ساريه في المسجد و هي تقول و تخاطب النبيّ (صلى الله عليه و اله):

قد كان بعدك أنباء و هنبثه لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها و اختلّ قومك لما غبت و انقلبوا

أبدت رجال لنا فحوى صدورهم لما قضيت و حالت دونك الترب (٢)

ص: ٢١٩

١- ((١)) أعيان الشيعة: ٣٢٣/١، ط. بيروت.

٢- ((٢)) كشف الغمه: ١١٥/٢، ط. بيروت، و أعيان الشيعة: ٣١٨/١، ط. بيروت.

قلنا: إنّ الزهراء فاطمه (عليها السلام) كانت ربيبه العلم و التقى، و عرفنا أنّ لها كتابا يدعى «المصحف» اختص به أهل البيت (عليهم السلام) و قد كانت معيته بنشر العلم و إنفاقه بالإضافة إلى اهتمامها بتربيته أبنائها و من خدمها في بيتها كام أيمن و فضّه التي لم تكن تتكلم إلا بالقرآن (بما يقرب من عشرين سنه).

و ممّا يدلنا على اهتمامها ببذل العلم كثره الرواه عنها صلوات الله عليها و إليك قائمه بأسمائهم:

١- ابن أبي مليكه.

٢- أبو أيوب الأنصاري.

٣- أبو سعيد الخدري.

٤- أبو هريره.

٥- أسماء بنت عميس.

٦- ام كلثوم.

٧- بشير بن زيد.

٨- جابر بن عبد الله الأنصاري.

٩- الحسن بن علي (عليه السلام).

١٠- الحسين بن علي (عليه السلام).

١١- الحكم بن أبي نعيم.

١٢- ربعي بن خراش.

١٣- زينب بنت أبي رافع.

١٤- زينب بنت علي (عليها السلام).

١٥- سلمان الفارسي.

١٦- سهل بن سعد الأنصاري.

١٧- شبيب بن أبي رافع.

١٨- العباس بن عبد المطلب.

١٩- عبد الله بن الحسن.

٢٠- عبد الله بن العباس.

٢١- عبد الله بن مسعود.

٢٢- علي بن أبي طالب (عليه السلام).

٢٣- علي بن الحسين (عليه السلام).

٢٤- عوانه بن الحكم.

٢٥- فاطمه بنت الحسين (عليه السلام).

٢٦- القاسم بن أبي سعيد الخدري.

٢٧- هارون بن خارجه.

٢٨- هشام بن محمد.

٢٩- يزيد بن عبد الملك (١).

ص: ٢٢١

١- ((١)) راجع للتفصيل: مسند فاطمه الزهراء (عليها السلام) للشيخ عزيز الله العطاردي: ٥٩٠-٦٠٢.

الباب الاؤل الفصل الأؤل: الزهراء (علیها السّلام) فى سطور ١٧

الفصل الثانى: انطباعات عن شخصیه الزهراء (علیها السّلام) ٢١

الزهراء (علیها السّلام) فى آیات الذکر الحکیم ٢١

١-الزهراء (علیها السّلام) کوثر الرساله ٢٢

٢-الزهراء (علیها السّلام) فى سوره الدهر ٢٣

٣-الزهراء (علیها السّلام) فى آیه التّطهیر ٢٤

٤-مودّه الزهراء (علیها السّلام) أجر الرساله ٢٥

٥-الزهراء (علیها السّلام) فى آیه المباهله ٢٦

الزهراء (علیها السّلام) عند سید المرسلین ٢٨

الزهراء (علیها السّلام) عند الأئمه و الصحابه و المؤرخین ٣٠

الفصل الثالث: مظاهر من شخصیه الزهراء (علیها السّلام) ٣٣

١-علمها و معرفتها ٣٥

٢-مكارم أخلاقها ٣٦

٣-جودها و اثارها ٣٨

٤-ایمانها و تعبدها لله ٤١

٥-حنوّها و شفقتها ٤٣

الباب الثاني: ٤٧ الفصل الأول:نشأه الزهراء فاطمه(عليها السلام)٤٩

١-شخصيه السيده خديجه«أم فاطمه»(عليها السلام)٤٩

نشاطها التجارى ٥٠

٢-زواج النبى(صلى الله عليه و اله)بخديجه ٥٢

مكانه خديجه(رض)لدى النبى(صلى الله عليه و اله)٥٤

٣-الأمر الإلهى فى خلق فاطمه(عليها السلام)٥٦

٤-انس خديجه بفاطمه ٥٨

٥-فاطمه الوليده ٥٩

٦-تأريخ الولاده ٦٠

الفصل الثانى:مراحل حياه الزهراء(عليها السلام)٦٣

الفصل الثالث:الزهراء(عليها السلام)مع أبيها(صلى الله عليه و اله)٦٥

فاطمه فى مرحله الطفوله ٦٥

١-فاطمه(عليها السلام)فى شعب أبى طالب ٦٦

٢-وفاه السيده خديجه و عام الحزن ٦٧

٣-فاطمه الممتحنه ٦٩

فاطمه(عليها السلام)مع أبيها حتى بيت الزوجيه ٧٢

١-هجرتها الى المدينه ٧٢

٢-محاولات خطبتها ٧٦

٣-على(عليه السلام)يتقدم لخطبه فاطمه(عليها السلام)٧٧

٤-أمر زواجها من السماء ٧٩

٥-خطبه العقد ٨٠

٦-مهرها و جهازها ٨١

٧-مقدمات الزفاف و وليمه العرس ٨٢

٨-مراسم ليله الزفاف ٨٥

٩-زياره النبى للزهراء فى صبيحه عرسها ٨٧

١٠-تأريخ الزواج ٨٩

مميزات زواج الزهراء (عليها السلام) بعلى (عليه السلام) ٩٠

فاطمه (عليها السلام) من الزواج الى وفاه الرسول (صلى الله عليه و اله) ٩١

١-الزهراء (عليها السلام) فى بيت الزوجيه ٩١

أ-إداره شؤون البيت و الحياه الشاقه ٩٣

ب-طيب معاشرتها للإمام على (عليه السلام) ٩٧

ج-فاطمه (عليها السلام) فى دور الام ٩٩

٢-الزهراء (عليها السلام) مع النبى (صلى الله عليه و اله) فى تثبيت دعائم الدوله ١٠١

أ-الزهراء (عليها السلام) قبل فتح مكه ١٠١

ب-الزهراء (عليها السلام) فى فتح مكه ١٠٣

٣-حجه الوداع و الأيام الاخيريه ١٠٥

٤-وصايا الرسول (صلى الله عليه و اله) فى ساعه الوداع ١٠٧

الباب الثالث:

الفصل الأول: الزهراء (عليها السلام) بعد أبيها (صلى الله عليه و اله) ١١٣

١-حدث السقيفه ١١٣

٢-نتائج السقيفه ١٢٣

خيارات السلطه الحاكمه ١٢٧

انتزاع القوه الماليه للإمام عليّ (عليه السلام) ١٢٧

مواجهه معارضه الإمام (عليه السلام) ١٢٨

الخطوات العمليه الاخرى لمواجهه آل محمد (صلّى الله عليه و اله) ١٢٩

٣- فذك بين النبيّ (صلّى الله عليه و اله) و الزهراء (عليها السلام) ١٣١

٤- اغتصاب فذك ١٣٣

٥- خطبه الزهراء فى مسجد النبيّ (صلّى الله عليه و اله) ١٣٥

ردّ فعل الخليفه على خطاب الزهراء (عليها السلام) ١٤٧

دفاع ام سلمه عن حقّ الزهراء (عليها السلام) ١٤٨

شكواها الى الإمام عليّ (عليه السلام) ١٤٩

٦- إعلان المقاطعه ١٥٠

المعنى الرمزي و السياسى لفذك ١٥١

٧- خيارات الإمام عليّ (عليه السلام) تجاه الوضع الجديد ١٥٤

٨- الهجوم على دار الزهراء (عليها السلام) ١٦٠

٩- مواجهه مع الزهراء (عليها السلام) ١٦٥

كلامها فى حقّ الإمامه و ظلامه أهل البيت (عليهم السلام) ١٦٦

١٠- السيدة فاطمه (عليها السلام) فى أيامها الأخيره ١٦٨

الفصل الثانى: مرض الزهراء (عليها السلام) و استشهادها ١٧٣

١- فاطمه (عليها السلام) على فراش المرض ١٧٣

٢- عياده النساء للسيدة فاطمه (عليها السلام) ١٧٤

٣- خطبتها الثانى ١٧٥

٤- عياده أبى بكر و عمر بن الخطاب للزهراء (عليها السلام) ١٨١

٥- الساعات الأخيره قبل الرحيل ١٨٢

٦-وصيّه الزهراء(عليها السلام)للإمام علي(عليه السلام)١٨٣

٧-أول نعش أحدث في الإسلام ١٨٥

٨-لحظات عمرها الأخيره ١٨٦

٩-مراسم التشيع و الدفن ١٨٧

١٠-تأبين الإمام علي(عليه السلام)للزهراء(عليها السلام)١٨٩

١١-محاولة نبش القبر ١٩٠

١٢-تأريخ شهادتها(عليها السلام)١٩١

الفصل الثالث:تراث الزهراء(عليها السلام)١٩٣

مصحف فاطمه(عليها السلام)١٩٥

نماذج مختاره من مسند فاطمه(عليها السلام)١٩٦

١-اهتمامها بالعلم و تدوين السنّه ١٩٦

٢-التعريف بأهل البيت(عليهم السلام)١٩٧

٣-مصادر التشريع الإسلامى و فلسفته و اصوله ٢٠٦

٤-الأخلاق و الآداب و السلوك ٢٠٩

٥-الحكم و السياسه و التاريخ ٢١٤

نماذج من أدعتها ٢١٦

أدب السيده فاطمه الزهراء(عليها السلام)٢١٧

الرواه و المحدّثون عن فاطمه الزهراء(عليها السلام)٢٢٠

الفهرس التفصيلى ٢٢٣

ص:٢٢٧

عنوان و نام پدیدآور: اعلام الهدایه/المولف لجنه التالیف فی المعاونیه الثقافیه للمجمع العالمی لاهل البیت (ع).

مشخصات نشر: بیروت: المجمع العالمی لاهل البیت (ع)، المعاونیه الثقافیه، ۱۴۳۰ق = ۱۳۸۹.

مشخصات ظاهری: ۱۴ج.

یادداشت: عربی.

یادداشت: چاپ ششم.

یادداشت: کتابنامه.

مندرجات: ج. ۱. محمد المصطفی صلی الله علیه و آله و سلم خاتم الانبیاء. ج. ۲. أمير المومنین علی بن أبی طالب علیه السلام. ج. ۳. سیده النساء فاطمه الزهراء علیه السلام. ج. ۴. الامام الحسن المجتبی علیه السلام. ج. ۵. الامام الحسين علیه السلام سيد الشهداء. ج. ۶. الامام علی بن الحسين زين العابدين علیه السلام. ج. ۷. الامام محمد بن علی الباقر علیه السلام. ج. ۸. الامام جعفر بن محمد الصادق علیه السلام. ج. ۹. الامام موسی بن جعفر الکاظم علیه السلام. ج. ۱۰. الامام علی بن موسی الرضا علیه السلام. ج. ۱۱. الامام محمد بن علی الجواد علیه السلام. ج. ۱۲. الامام علی بن محمد الهادی علیه السلام. ج. ۱۳. الامام الحسن العسکری علیه السلام. ج. ۱۴. خاتم الاوصیاء الامام المهدي علیه السلام.

موضوع: چهارده معصوم -- سرگذشتنامه

شناسه افزوده: مجمع جهانی اهل بیت (ع). معاونت فرهنگی

رده بندی کنگره: BP۳۶/الف ۵۸ ۱۳۸۹

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵

شماره کتابشناسی ملی: ۳۸۶۲۲۵۴

ص: ۱

مقدمه المجمع العالمى لأهل البيت (عليهم السلام) ٧

الباب الأول:

الفصل الأول: الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) فى سطور ١٧

الفصل الثانى: انطباعات عن شخصيه الإمام المجتبى (عليه السلام) ٢٣

الفصل الثالث: من فضائل الإمام المجتبى (عليه السلام) و مظاهر شخصيته ٣٣

الباب الثانى:

الفصل الأول: نشأه الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) ٤٣

الفصل الثانى: مراحل حياه الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) ٤٧

الفصل الثالث: الإمام فى ظلّ جدّه (صلّى الله عليه و آله) و أبيه (عليه السلام) ٤٩

الباب الثالث:

الفصل الأول: عصر الإمام المجتبى (عليه السلام) ١١٣

الفصل الثانى: مواقف الإمام (عليه السلام) و انجازاته ١٢١

الفصل الثالث: تراث الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) ١٩٣

ص: ٥

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداه لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء وسيد الرسل والأصفياء أبو القاسم المصطفى محمد (صلى الله عليه و اله) وعلى آله الميامين النجباء.

لقد خلق الله الإنسان وزوده بعنصرى العقل والإرادة، فبالعقل يبصر و يكتشف الحقّ و يميزه عن الباطل، و بالإرادة يختار ما يراه صالحا له و محققا لأغراضه و أهدافه.

و قد جعل الله العقل المميز حجه له على خلقه، و أعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته؛ فإنه هو الذى علّم الإنسان ما لم يعلم، و أرشده إلى طريق كماله اللائق به، و عزّفه الغايه التى خلقه من أجلها، و جاء به إلى هذه الحياه الدنيا من أجل تحقيقها.

و أوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحه معالم الهدايه الربّانيه و آفاقها و مستلزماتّها و طرقها، كما بيّن لنا عللها و أسبابها من جهه، و أسفر عن ثمارها و نتائجها من جهه اخرى.

قال تعالى:

ص: ٧

قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى [الانعام(٦):٧١].

وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [البقره(٢):٢١٣].

وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ [الاحزاب(٣٣):٤].

وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هَدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [آل عمران(٣):١٠١].

قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ [يونس(١٠):٣٥].

وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَ يَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ [سبأ(٣٤):٦].

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ [القصص(٢٨):٥٠].

فالله تعالى هو مصدر الهدايه. و هدايته هي الهدايه الحقيقيه، و هو الذى يأخذ بيد الإنسان إلى الصراط المستقيم و إلى الحق القويم.

و هذه الحقائق يؤيدها العلم و يدر كها العلماء و يخضعون لها بملء وجودهم.

و لقد أودع الله فى فطره الإنسان النزوع إلى الكمال و الجمال ثم منّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللاتق به، و أسبغ عليه نعمه التعرّف على طريق الكمال، و من هنا قال تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات(٥١):٥٦].

و حيث لا تتحقّق العباده الحقيقيه من دون المعرفه، كانت المعرفه و العباده طريقا منحصرًا و هدفا و غايه موصله إلى قمه الكمال.

و بعد أن زوّد الله الانسان بطاقتى الغضب و الشهوه ليحتمق له و قود الحركه نحو الكمال؛ لم يؤمن عليه من سيطره الغضب و الشهوه؛ و الهوى الناشئ منهما، و الملازم لهما فمن هنا احتاج الانسان-بالإضافه إلى عقله و سائر أدوات المعرفه- ما يضمن له سلامه البصيره و الرؤيه؛ كى تتمّ عليه

الحجّه، و تكمل نعمه الهدايه، و تتوفّر لديه كلّ الأسباب التي تجعله يختار طريق الخير و السعاده، أو طريق الشرّ و الشقاء بملء إرادته.

و من هنا اقتضت سنّه الهدايه الربّانيه أن يسند عقل الانسان عن طريق الوحي الإلهي، و من خلال الهداه الذين اختارهم الله لتولّي مسؤوليه هدايه العباد و ذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفه و إعطاء الارشادات اللازمه لكلّ مرافق الحياه.

و قد حمل الأنبياء و أوصياؤهم مشعل الهدايه الربّانيه منذ فجر التاريخ و على مدى العصور و القرون، و لم يترك الله عباده مهملين دون حجه هاديه و علم مرشد و نور مضى، كما أفصحت نصوص الوحي-مؤيّده لدلائل العقل- بأنّ الأرض لا تخلو من حجه لله على خلقه، لئلا يكون للناس على الله حجّه، فالحجّه قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق، و لو لم يبق في الأرض إلا اثنان لكان أحدهما الحجّه، و صرح القرآن-بشكل لا يقبل الريب-قائلا:

إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ [الرعد(١٣):٧].

و يتولّى أنبياء الله و رسله و أوصياؤهم الهداه المهديون مهمّه الهدايه بجميع مراتبها، و التي تتلخّص في:

١- تلقيّ الوحي بشكل كامل و استيعاب الرساله الإلهيه بصوره دقيقه.

و هذه المرحله تتطلب الاستعداد التام لتلقيّ الرساله، و من هنا يكون الاصطفاء الإلهي لرسله شأنًا من شؤونه، كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلا: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ [الانعام(٦):١٢٤] أو اللَّهُ يَجْتَبِي مَنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ [آل عمران(٣):

.[١٧٩].

٢- إبلاغ الرساله الإلهيه الى البشريه و لمن ارسلوا إليه، و يتوقف الإبلاغ على الكفاءه التامه التي تتمثّل في «الاستيعاب و الإحاطه اللازمه» بتفاصيل

ص:٩

الرساله و أهدافها و متطلباتها، و«العصمه» عن الخطأ و الانحراف معا، قال تعالى: كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ [البقره (٢): ٢١٣].

٣- تكوين امه مؤمنه بالرساله الإلهيه، و إعدادها لدعم القياده الهاديه من أجل تحقيق أهدافها و تطبيق قوانينها فى الحياه، و قد صرحت آيات الذكر الحكيم بهذه المهمه مستخدمه عنوانى التزكيه و التعليم، قال تعالى: يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ [الجمعه (٦٢): ٢] و التزكيه هي التربيه باتجاه الكمال اللائق بالإنسان. و تتطلب التربيه القدوه الصالحه التى تتمتع بكل عناصر الكمال، كما قال تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [الاحزاب (٣٣): ٢١].

٤- صيانته الرساله من الزيغ و التحريف و الضياع فى الفتره المقرره لها، و هذه المهمه أيضا تتطلب الكفاءه العلميه و النفسيه، و التى تسمى بالعصمه.

٥- العمل لتحقيق أهداف الرساله المعنويه و تثبيت القيم الأخلاقيه فى نفوس الأفراد و أركان المجتمعات البشره و ذلك بتنفيذ الاطروحه الربانيه، و تطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشرى من خلال تأسيس كيان سياسى يتولى إداره شؤون الامه على أساس الرساله الربانيه للبشره، و يتطلب التنفيذ قياده حكيمة، و شجاعه فائقه، و صمودا كبيرا، و معرفه تامه بالنفوس و بطبقات المجتمع و التيارات الفكرية و السياسيه و الاجتماعيه و قوانين الإدارة و التربيه و سنن الحياه، و نلخصها فى الكفاءه العلميه لإداره دوله عالميه دينيه، هذا فضلا عن العصمه التى تعبر عن الكفاءه النفسيه التى تصون القياده الدينيه من كل سلوك منحرف أو عمل خاطيء بإمكانه أن يؤثر تأثيرا سلبيا على مسيره القياده و انقياد الامه لها بحيث يتنافى مع أهداف الرساله و أغراضها.

و قد سلك الأنبياء السابقون و أوصياؤهم المصطفون طريق الهدايه

الدامى، واقتحموا سبيل التربيـه الشاق، و تحمّلوا فى سبيل أداء المهمام الرساليه كلّ صعب، وقدموا فى سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهيه كلّ ما يمكن أن يقدمه الإنسان المتفانى فى مبدئه و عقيدته، و لم يتراجعوا لحظه، و لم يتلکأوا طرفه عين.

و قد توجّ الله جهودهم و جهادهم المستمرّ على مدى العصور برسالة خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه و آله) و حمّله الأمانه الكبرى و مسؤوليه الهدايه بجميع مراتبها، طالبا منه تحقيق أهدافها. و قد خطا الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و آله) فى هذا الطريق الوعر خطوات مدهشه، و حقّق فى أقصر فتره زمنيـه أكبر نتاج ممكن فى حساب الدعوات التغييريه و الرسالات الثوريـه، و كانت حصيله جهاده و كدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلى:

١- تقديم رساله كامله للبشريـه تحتوى على عناصر الديمومه و البقاء.

٢- تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ و الانحراف.

٣- تكوين امه مسلمه تؤمن بالإسلام مبدأ، و بالرسول قائدا، و بالشريعه قانونا للحياه.

٤- تأسيس دوله إسلاميه و كيان سياسى يحمل لواء الإسلام و يطبّق شريعه السماء.

٥- تقديم الوجه المشرق للقياده الربانيـه الحكميـه المتمثله فى قيادته (صلّى الله عليه و آله).

و لتحقيق أهداف الرساله بشكل كامل كان من الضرورى:

أ- أن تستمرّ القياده الكفوءه فى تطبيق الرساله و صيانتها من أيدي العابثين الذين يتربصون بها الدوائر.

ب- أن تستمرّ عمليه التربيـه الصحيحه باستمرار الأجيال؛ على يد مربّ

كفوء علميا و نفسيا حيث يكون قدوه حسنه فى الخلق و السلوك كالرسول (صلى الله عليه و آله)، يستوعب الرساله و يجسدها فى كل حركاته و سكناته.

و من هنا كان التخطيط الإلهي يحتم على الرسول (صلى الله عليه و آله) إعداد الصفوه من أهل بيته، و التصريح بأسمائهم و أدوارهم؛ لتسلم مقاليد الحركة النبوية العظيمة و الهداياه الربانية الخالده بأمر من الله سبحانه و صيانه للرساله الإلهيه التى كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين و كيد الخائنين، و تربيته للأجيال على قيم و مفاهيم الشريعه المباركه التى تولوا تبين معالمها و كشف أسرارها و ذخايرها على مرّ العصور، و حتى يرث الله الأرض و من عليها.

و تجلّى هذا التخطيط الرباني فى ما نصّ عليه الرسول (صلى الله عليه و آله) بقوله: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا، كتاب الله و عترتي، و إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

و كان أئمه أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عرفهم النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله) بأمر من الله تعالى لقياده الامه من بعده.

نّ سيره الأئمه الاثنى عشر من أهل البيت (عليهم السلام) تمثّل المسيره الواقعيه للإسلام بعد عصر الرسول (صلى الله عليه و آله)، و دراسه حياتهم بشكل مستوعب تكشف لنا عن صورته مستوعبه لحركه الإسلام الأصيل الذى أخذ يشقّ طريقه إلى أعماق الامه بعد أن أخذت طاقتها الحراريه تتضاءل بعد وفاه الرسول (صلى الله عليه و آله)، فأخذ الأئمه المعصومون (عليهم السلام) يعملون على توعيه الامه و تحريك طاقتها باتجاه إيجاد و تصعيد الوعي الرساليّ للشريعه و لحركه الرسول (صلى الله عليه و آله) و ثورته المباركه، غير خارجين عن مسار السنن الكونيه التى تتحكّم فى سلوك القياده و الامه جمعاء.

و تبلورت حياه الأئمه الراشدين فى استمرارهم على نهج الرسول العظيم

و انفتاح الأُمَّه عليهم و التفاعل معهم كأعلام للهدايه و مصاييح لإناره الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلاء على الله و على مرضاته، و المستقرّين فى أمر الله، و التامّين فى محبّته، و الذائبين فى الشوق اليه، و السابقين إلى تسلّق قمم الكمال الإنسانى المنشود.

و قد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد و الصبر على طاعه الله و تحمّل جفاء أهل الجفاء حتّى ضربوا أعلى أمثله الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالى، ثم اختاروا الشهاده مع العزّ على الحياه مع الذلّ، حتى فازوا بلقاء الله سبحانه بعد كفاح عظيم و جهاد كبير.

و لا يستطيع المؤرّخون و الكتاب أن يلمّوا بجميع زوايا حياتهم العطره و يدّعوا دراستها بشكل كامل، و من هنا فإنّ محاولتنا هذه إنّما هى إعطاء قبسات من حياتهم، و لقطات من سيرتهم و سلوكهم و مواقفهم التى دوّنها المؤرّخون و استطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسه و التحقيق، عسى الله أن ينفع بها إنّه ولىّ التوفيق.

إنّ دراستنا لحركه أهل البيت (عليهم السّلام) الرساليه تبدء برسول الإسلام و خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه و آله) و تنتهى بخاتم الأوصياء، محمد بن الحسن العسكري المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه و أنار الأرض بعدله.

و يختصّ هذا الكتاب بدراسه حياه الإمام الحسن بن على المجتبى (عليه السّلام) ثانى أئمه أهل البيت (عليهم السّلام) بعد رسول الله (صلّى الله عليه و آله) و هو المعصوم الرابع من أعلام الهدايه، و الذى جسّد الإسلام فى كلّ جوانب حياته الشريفة، إنه سبط رسول الله (صلّى الله عليه و آله) و سيد شباب أهل الجنه و أحد اثنين انحصرت بهما ذريّه رسول الله (صلّى الله عليه و آله)، و من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهّهم تطهيرا.

فكان مثلا أعلى، و نبراسا مضيئا، يشعّ إيمانا و طهرا و بهاء.

و لا بدّ لنا من تقديم الشكر الى كلّ الاخوه الأعزاء الذين بذلوا جهدا وافرا و شاركوا في إنجاز هذا المشروع المبارك و إخراجّه إلى عالم النور، لا سيما أعضاء لجنة التأليف بإشراف سماحه السيد منذر الحكيم حفظه الله تعالى.

و لا يسعنا إلا أن نبتهل الى الله تعالى بالدعاء و الشكر لتوفيقه على إنجاز هذه الموسوعه المباركه فإنه حسبنا و نعم النصير.

المجمع العالمى لأهل البيت(عليهم السّلام) قم المقدسه

ص: ١٤

الباب الأول

إشاره

و فيه فصول:

الفصل الأول:

الإمام المجتبي (عليه السلام) في سطور

الفصل الثاني:

انطباعات عن شخصيته الإمام المجتبي (عليه السلام)

الفصل الثالث:

من فضائل الإمام المجتبي (عليه السلام) و مظاهر شخصيته

ص: ١٥

الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) في سطور

*الإمام أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب المجتبي، ثاني أئمة أهل البيت بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وسيد شباب أهل الجنة بإجماع المحدثين، وأحد اثنين انحصرت بهما ذريته رسول الله، وأحد الأربعة الذين باهى بهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) نصارى نجران، ومن المطهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس، ومن القريبى الذين أمر الله بمؤدتهم، وأحد الثقلين الذين من تمسك بهما نجا ومن تخلف عنهما ضلّ و غوى.

*نشأ في أحضان جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتغذى من معين رسالته وأخلاقه و يسره و سماحته، وظلّ معه في رعايته حتى اختار الله لنيبه دار خلده، بعد أن ورّثه هديه وأدبه و هيئته و سؤدده، وأهله للإمامه التي كانت تنتظره بعد أبيه، وقد صرّح بها جدّه في أكثر من مناسبة حينما قال: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا، اللهم إني أحبهما فأحبّ من يحبهما».

*لقد اجتمع في هذا الإمام العظيم شرف النبوة والإمامه، بالإضافة الى شرف الحسب والنسب، و وجد المسلمون فيه ما وجدوه في جدّه وأبيه حتى كان يذكّره بهما، فأحبوه و عظّموه، وكان مرجعهم الأوحى بعد أبيه، فيما كان يعترضهم من مشاكل الحياه و ما كان يستصعبهم من امور الدين، لا سيما بعد

أن دخلت الأئمة الإسلامية حياه حافله بالأحداث المريره التي لم يعرفوا لها نظيرا من قبل.

*و كان الإمام الزكى المجتبى فى جميع مواقفه و مراحل حياته مثلا كريما للخلق الإسلامى النبوى الرفيع فى تحمّل الأذى و المكروه فى ذات الله، و التحلى بالصبر الجميل و الحلم الكبير، حتى اعترف له ألد أعدائه- مروان بن الحكم- بأنّ حلمه يوازي الجبال. كما اشتهر (عليه السلام) بالسماحة و الكرم و الجود و السخاء بنحو تميّز عن سائر الكرماء و الأسخياء.

*و بقى الإمام المجتبى بعد جدّه فى رعايه أمّه الزهراء-الصدّيقه الطاهره- و أبيه سيّد الوصيّين و إمام الغرّ المحجّلين، و هما فى صراع دائم مع الذين صادروا خلافة جدّه (صلّى الله عليه و آله) و ما لبث أن طويت هذه الصفحه الثانيه من حياته بوفاه أمّه الزهراء (عليها السلام) و قد حفّت بأبيه على بن أبى طالب (عليه السلام) النكبات، و لا زال يشاهد كلّ هذه المحن و يتجرّع مرارتها و هو فى سن الطفوله، لكنّه كان يقوم بأكثر ممّا ينتظر من مثله، من حيث و عيه و إحساسه بالأوضاع العامه و تطوّراتها، و من هنا كان يتمنّع بتقدير المسلمين و احترامهم له بعد ما شاهدوا مدى اهتمام نيّهم به.

*و أشرف الإمام (عليه السلام) على الشباب فى خلافة عمر، و انصرف مع أبيه الى تعليم الناس و حلّ مشاكلهم.

*لقد وقف الإمام الحسن الزكى الى جانب أبيه (عليه السلام) فى عهد عثمان، و عمل مخلصا لأجل الإسلام، و اشترك مع أبيه فى وضع حدّ للفساد الذى أخذ يستشرى فى جسم الأئمة و الدوله الإسلاميه أيام عثمان، و لقد كان الإمام على (عليه السلام) -كغيره من الصحابه- غير راض عن تصرفات عثمان و عمّاله، و لكنّه لم يكن راض بقتله، فوقف هو و ابنه موقف المصلح

الحكيم، و لكنّ بطانه عثمان أبت إلا التمادى فى إفساد الأمر و التحريض غير المباشر على قتله، بينما بقى الإمام يعالج الموقف فى حدود ما أنزل الله تعالى.

*لقد كان الحسن بن عليّ السبط الى جانب أبيه (عليهما السّلام) فى كلّ ما يقول و يفعل، و اشترك معه فى جميع حروبه، و كان يتمنى على أبيه أن يسمح له بمواصله القتال و خوض المعارك عندما يتأزم الموقف، فيما كان أبوه شديد الحرص عليه و على أخيه الحسين (عليهما السّلام) خشيه أن ينقطع بقتلهما نسل رسول الله (صلّى الله عليه و آله)، و بقى الحسن (عليه السّلام) الى جانب والده إلى آخر لحظه، و كان يعانى ما يعانىه أبوه من أهل العراق، و يتألم لآلامه و هو يرى معاويه يبثّ دعائه و يغرى القاده من جيش أبيه بالأموال و المناصب حتى فرّق أكثرهم، و أصبح الإمام عليّ (عليه السّلام) يتمنى فراقهم بالموت أو القتل، فاستشهد (عليه السّلام) و بقى الحسن ابن عليّ (عليهما السّلام) بين تلك الأعاصير بين أهل الكوفه المتخاذلين و فلول الخوارج المارقين و تحدّيات أهل الشام القاسطين.

*و بعد أن نصّ أمير المؤمنين (عليه السّلام) على خلفه ابنه الحسن الزكى و سلّمه مواريث النبوه؛ اجتمع عليه أهل الكوفه و جماعه المهاجرين و الأنصار، و بايعوه بالخلافه، بعد أن طهره الله من كلّ نقص و رجس، بالإضافة الى توفّر جميع متطلّبات الخلافه فيه من العلم و التقوى و الحزم و الجداره، و تسابق الناس الى بيعته فى الكوفه و البصره، كما بايعه أهل الحجاز و اليمن و فارس و سائر المناطق التى كانت تدين بالولاء و البيعه لأبيه (عليه السّلام) و حين بلغ نأ البيعه معاويه و أتباعه بدأوا يعملون بكلّ ما لديهم من مكر و خداع لإفساد أمره و التشويش عليه.

*و استلم الإمام الحسن السلطه بعد أبيه، و قام بأفضل ما يمكن القيام به فى ذلك الجوّ المشحون بالفتن و المؤامرات، فأمر الولاه على أعمالهم

و أوصاهم بالعدل و الإحسان و محاربه البغى و العدوان، و مضى على نهج أبيه (عليه السّلام) الذى كان امتدادا لسيره جدّه المصطفى (صلّى الله عليه و آله).

*و بالرغم ممّا كان يعلمه الإمام الحسن من معاويه و نفاقه و دجله و عدائه لرساله جدّه و سعيه لإحياء مظاهر جاهليته... بالرغم من ذلك كلّ فقد أبى أن يعلن الحرب عليه إلّا- بعد أن كتب اليه المرّه بعد المرّه يدعوه الى جمع الكلمه و توحيد أمر المسلمين، فلم يبق له فى ذلك عذرا أو حجه.

لقد راسل الإمام الحسن معاويه و هو يعلم أنه لا يستجيب لطلبه، و أنّه سيقف منه موقفا أكثر وقاحه من مواقفه السابقه مع أبيه أمير المؤمنين، لا سيما و قد حصد نجاحا مؤقتا فى مؤامراته ضدّ أبيه. إنّ الإمام (عليه السّلام) كان يعلم أنّ معاويه سيقف موقف القوه إن لم يجد للمكر سييلا، و لكنّ الإمام المجتبى كان عليه أن يظهر للعالم الإسلامى كلّ ما يضمّره هذا البيت الأموى تجاه النّبى (صلّى الله عليه و آله) و أهل بيته (عليهم السّلام) من حقد و عدا و كيد للإسلام و المسلمين.

*و اطمأنّ معاويه الى أنّ الامور ممّهده له باعتبار علاقته المتينه مع أكثر قادة الإمام الحسن (عليه السّلام)، كما حاول إغراء الإمام بالأموال و الخلافه من بعده و تضليل الرأى العام، و لكنّ موقف الإمام لم يتغيّر لتهديده و وعوده، و أدرك معاويه صلابه الإمام (عليه السّلام) على موقفه المبدئى، فأعدّ العده لمحاربه، و اطمأنّ معاويه الى أنّ المعركه ستكون لصالحه، و سيكون الحسن (عليه السّلام) و المخلصون له من جنده بين قتيل و أسير، و لكنّ هذا الاستيلاء سوف يفقد الصيغه الشرعيه التى كان يحاول أن يتظاهر بها لعامه المسلمين، و لذلك حرص معاويه على أن لا يتورّط فى الحرب مع الإمام الحسن (عليه السّلام) معتمدا المكر و الخداع و التمويه و شراء الضمائر و تفتيت جيش الإمام (عليه السّلام)، و لم يكن للإمام بدّ من اختيار الصلح بعد أن تخاذل عامه جيشه و أكثر قادته، و لم يبق معه إلّا

فنه قليله من أهل بيته و المخلصين من أصحابه، فتغاضى عن السلطه دفعا للأفسد بالفاسد فى ذلك الجؤ المحموم، فكان اختياره للصلح فى منتهى الحكمة و الحنكه السياسيه الرشيده تحقيقا لمصالح الإسلام العليا و أهدافه المثلى.

*و تعرّض الإمام الحسن السبط (عليه السّلام) للنقد اللاذع من شيعته و أصحابه الذين لم يتّسع صبرهم لجور معاويه، مع أنّ أكثرهم كان يدرك الظروف القاسيه التى اضطرّته الى تجنّب القتال و اعتزال السلطه، كما أحسّ الكثير من أعيان المسلمين و قادتهم بصدمة عنيفه لهذا الحادث لما تنطوى عليه نفوس الأمويين من حقد على الإسلام و دعائه الأوفياء، و حرص على إحياء ما أماته الإسلام من مظاهر الجاهليه بكلّ أشكالها.

*و لكنّ الإمام بصلحه المشروط فسخ المجال لمعاويه ليكشف واقع اطروحتة الجاهليه، و ليعرّف عامه المسلمين البسطاء من هو معاويه؟ و من هنا كان الصلح نصرا ما دام قد حقّق فضيحه سياسه الخداع التى تتّرس بها عدوّه.

و نجحت خطّه الإمام حينما بدأ معاويه يساهم فى كشف واقعه المنحرف، و ذلك فى إعلانة الصريح بأنّه لم يقاتل من أجل الإسلام، و إنّما قاتل من أجل الملك و السيطرة على رقاب المسلمين، و أنّه سوف لا يفى بأى شرط من شروط الصلح.

بهذا الإعلان و ما تلاه من خطوات قام بها معاويه لضرب خطّ عليّ (عليه السّلام) و بنيه الأبرار و قتل خيره أصحابه و محبّيه كشف النقاب عن الوجه الاموى الكريه، و مارس الإمام (عليه السّلام) مسؤوليه الحفاظ على سلامه الخط بالرغم من إقصائه عن الحكم، و أشرف على قاعدته الشعبيه فقام بتحصينها من الأخطار التى كانت تهدّدها من خلال توعيتها و تعبئتها، فكان دوره فاعلا

إيجابيا للغاية، ممّا كلفه الكثير من الرقابه و الحصار، و كانت محاولات الاغتيال المتكرّره تشير الى مخاوف معاويه من وجود الإمام(عليه السلام) كقوه معبّره عن عواطف الامّه و وعيها المتنامى، و لربّما حملت معها خطر الثوره ضد ظلم بنى اميه، و من هنا صحّ ما يقال من أنّ صلح الإمام الحسن(عليه السلام) كان تمهيدا واقعا لثوره أخيه أبى عبدالله الحسين(عليه السلام).

و توج الإمام المجتبى(عليه السلام) جهاده العظيم هذا و الذى فاق الجهاد بالسيف فى تلك الظروف العصيبه، باستشهاده مسموما على يد الدّ أعدائه، فسلام عليه يوم ولد و يوم استشهد و يوم يبعث حيا.

ص: ٢٢

اشاره

انطباعات عن شخصيه الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام)

١- مكانه الإمام المجتبي في آيات الذكر الحكيم:

لم تتفق كلمه المسلمين في شيء كاتفاقهم على فضل أهل البيت و علو مقامهم العلمى و الروحى و انطوائهم على مجموعه الكمالات التى أراد الله للإنسانيه أن تتحلّى بها.

و يعود هذا الاتفاق الى جملة من الاصول، منها تصريح الذكر الحكيم بالموقع الخاص لأهل البيت (عليهم السلام) من خلال النصّ على تطهيرهم من الرجس، و أنهم القربى الذين تجب مودّتهم كأجر للرسالة التى أتى الله بها الإنسانيه جمعاء، و أنهم الأبرار الذين أخلصوا الطاعه لله و خافوا عذاب الله و تحلّوا بخشيه الله، فضمن لهم الجنّة و النجاه من عذابه.

و الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) هو أحد أهل البيت المطهّرين من الرجس بلا ريب، بل هو ابن رسول الله بنصّ آيه المباهله التى جاءت فى حادثه المباهله مع نصارى نجران، و قد خلد القرآن الكريم هذا الحدث فى سورة آل عمران فى الآيه ٦١ قوله تعالى:

فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ١.

فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (١).

و روى جمهور المحدثين بطرق مستفيضه أنها نزلت في أهل البيت (عليهم السلام) وهم: رسول الله و علي و فاطمه و الحسن و الحسين، و الأبناء هنا هما الحسنان بلا ريب.

و تضمن هذا الحدث تصريحاً من الرسول (صلى الله عليه و آله) بأنهم خير أهل الأرض و أكرمهم على الله، و لهذا فهو يباهل بهم، و اعترف اسقف نجران أيضاً قائلاً:

«إني لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله» (٢).

و هكذا دلت القصة كما دلت الآية على عظيم منزلتهم و سمو مكانتهم و أفضليتهم، و أنهم أحب الخلق إلى الله و رسوله، و أنهم لا يدانيهم في فضلهم أحد من العالمين.

و لم ينص القرآن الكريم على عصمه أحد غير النبي (صلى الله عليه و آله) من المسلمين سوى أهل البيت (عليهم السلام) الذين أراد الله أن يطهرهم من الرجس تطهيرا (٣)، و لئن اختلف المسلمون في دخول نساء النبي في مفهوم أهل البيت فإنهم لم يختلفوا في دخول علي و الزهراء و الحسين في ما تقصده الآية المباركة (٤).

و من هنا نستطيع أن نفهم السر الكامن في وجوب مودتهم و الالتزام

ص:

١- (١) آل عمران (٣): ٦١.

٢- (٢) نور الأبصار: ١٢٢-١٢٣ و راجع تفاسير الجلالين و روح البيان و الكشاف و البيضاوي و الرازي، و صحيح الترمذي: ١٦٦/٢، و سنن البيهقي: ٦٣/٧، و صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، و مسند أحمد: ٨٥/١، و مصابيح السنة: ٢٠١/٢.

٣- (٣) الأحزاب (٣٣): ٣٣.

٤- (٤) راجع التفسير الكبير للفخر الرازي، و تفسير النيسابوري، و صحيح مسلم: ٣٣/٢، و خصائص النساء: ٤، و مسند أحمد: ١٠٧/٤، و سنن البيهقي: ١٥٠/٢، و مشكل الآثار: ٣٣٤/١، و مستدرک الحاكم: ٤١٦/٢، و اسد الغابه: ٥٢١/٥.

بخطهم، و ترجيح حبهم على حب من سواهم بنص الكتاب العزيز (١)، فإن عصمه أهل البيت (عليهم السلام) أدل دليل على أن النجاه في متابعتهم حينما تشعب الطرق و تختلف الأهواء، فمن عصمه الله من الرجس كان دالا على النجاه و كان متبعا ناجيا من الغرق.

و نص النبي (صلى الله عليه و آله) - كما عن ابن عباس - بأن آيه المودّة في القربى حينما نزلت و سأله بعض المسلمين عن المقصود من القرابه التي أوجبت على المسلمين طاعتهم قائلا: إنهم على و فاطمه و ابناهما (٢).

و لا يتركنا القرآن الحكيم حتى يبين لنا أسباب هذا التفضيل في سورة الدهر التي نزلت لبيان عظمه الواقع النفسى الذى انطوى عليه أهل البيت و الإخلاص الذى تقتن به طاعتهم و عباداتهم بقوله تعالى: إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا* إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا غُوبًا فَمَطْرِيرًا* فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا* وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (٣).

لقد روى جمهور المفسرين و المحدّثين أن هذه السورة المباركة نزلت فى أهل البيت (عليهم السلام) بعد ما مرض الحسنان، و نذر الإمام صيام ثلاثة أيام شكرا لله إن برئا، فوفوا بنذرهم أيما وفاء، وفاء فيه أروع أنواع الايثار، حتى نزل قوله تعالى: إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا* عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا* يُوفُونَ بِالْأَنْدَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٤) فشكر الله سعيهم على هذا الايثار و الوفاء بما أورثهم فى الآخرة، و بما حباهم من الإمامه للمسلمين فى الدنيا حتى يرث الأرض و من عليها.

ص: ٢٥

١- (١) قال تعالى فى سورة الشورى الآيه ٢٣ مخاطبا رسوله الكريم: قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى. و قال فى سورة سبأ الآيه ٤٧: مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ .

٢- (٢) راجع التفسير الكبير و الطبرى و الدر المنثور فى تفسير آيه المودّة.

٣- (٣) الإنسان (٧٦): ٩-١٢.

٤- (٤) الإنسان (٧٦): ٥-٧.

٢-مكانته (عليه السلام) لدى خاتم المرسلين (صلى الله عليه وآله):

لقد خصَّ الرسول الأعظم حفيديه الحسن و الحسين (عليهما السلام) بأوصاف تنبئ عن عظيم منزلتهما لديه، فهما:

أ-ريحانته من الدنيا و ريحانته من هذه الأمة (١).

ب-و هما خير أهل الأرض (٢).

ج-و هما سيّدا شباب أهل الجنة (٣).

د-و هما إمامان قاما أو قعدا (٤).

ه-و هما من العتره (أهل البيت) التي لا تفترق عن القرآن الى يوم القيامة، و لن تضلَّ أمّه تمسكت بهما (٥).

و-و هما من أهل البيت الذين يضمّنون لراكبي سفينتهم النجاه من الغرق (٦).

ز-و هما ممّن قال عنهم جدّهم: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، و أهل بيتي أمان لأهل الأرض من الاختلاف» (٧).

ح-و قد استفاض الحديث عن مجموعه من أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله)

ص: ٢٦

١- (١) صحيح البخارى: ١٨٨/٢، و سنن الترمذى: ٥٣٩.

٢- (٢) عيون أخبار الرضا: ٦٧/١.

٣- (٣) سنن ابن ماجه: ٥٦/١، و الترمذى: ٥٣٩.

٤- (٤) المناقب لابن شهر آشوب: ١٦٣/٣ نقلا عن مسند أحمد و جامع الترمذى و سنن ابن ماجه و غيرهم.

٥- (٥) جامع الترمذى: ٥٤١، و مستدرک الحاکم: ١٠٩/٣.

٦- (٦) حليه الأولياء: ٣٠٦/٤.

٧- (٧) مستدرک الحاکم: ١٤٩/٣.

أنهم قد سمعوا مقالته فيما يخصّ الحسين: «اللهم إنك تعلم أنّي أحبهما فأحبهما (١)، و أحب من يحبهما» (٢).

و عن سلمان أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «الحسن والحسين ابناي، من أحبهما أحبني، و من أحبني أحب الله، و من أحب الله أدخله الجنة، و من أبغضهما أبغضني و من أبغضني أبغضه الله، و من أبغضه الله أدخله النار» (٣).

ط-و عن أنس: أنّ رسول الله سئل أيّ أهل بيتك أحب إليك؟ قال:

«الحسن والحسين» و كان يقول لفاطمه: «أدعي لي ابني» فيشمهما و يضمهما إليه! (٤).

ي-و روى أبو حازم عن أبي هريره قوله: رأيت النبي (صلى الله عليه وآله) يمصّ لعاب الحسن والحسين كما يمصّ الرجل التمره (٥).

٣-مكانته (عليه السلام) لدى معاصريه:

أ-عن جابر عن النبي (صلى الله عليه وآله): «أنّ الله خلقني و خلق عليا نورين بين يدي العرش، نسبح الله و نقدّسه قبل أن يخلق آدم بألفى عام، فلما خلق الله آدم أسكننا في صلبه، ثم نقلنا من صلب طيب و بطن طاهر حتى أسكننا في صلب إبراهيم، ثم نقلنا من صلب إبراهيم الى صلب طيب و بطن طاهر حتى أسكننا في صلب عبد المطلب، ثم افترق النور في عبد المطلب، فصار ثلثاه في عبد الله و ثلثه في أبي طالب، ثم اجتمع النور منّي و من عليّ في

ص: ٢٧

١- (١) خصائص النساء: ٢٦.

٢- (٢) سنن الترمذى: ٥٣٩.

٣- (٣) مستدرک الحاكم: ١٦٦/٣.

٤- (٤) سنن الترمذى: ٥٤٠.

٥- (٥) المناقب لابن شهر آشوب: ٣: ١٥٦.

فاطمه،فالحسن و الحسين نوران من نور رب العالمين» (١).

ب-و قد قال معاوية لجلسائه:من أكرم الناس أبا و أمًا و جدًا و جدّه و عمًا و عمّه و خالا و خاله؟فقالوا:أمير المؤمنين أعلم،فأخذ بيد الحسن بن علي و قال:هذا أبوه علي بن أبي طالب،و أمه فاطمه ابنه محمد،و جدّه رسول الله(صلى الله عليه و آله)و جدّته خديجه،و عمّه جعفر،و عمّته هاله بنت أبي طالب،و خاله القاسم بن محمّد(صلى الله عليه و آله)و خالته زينب بنت محمّد(صلى الله عليه و آله) (٢).

ج-و لمعاوية اعتراف آخر أمام عمرو بن العاص و مروان بن الحكم و زياد بن أبيه بعد أن أكثروا الفخر،و أراد أن يرغم انوفهم،فأحضر الإمام الحسن بن علي(عليه السلام)،و لَمّا دحض مقالتهم التي أرادوا فيها تنقيص بني هاشم قال معاوية بعد أن خرج الإمام من عنده:أ فافاخر رجلا رسول الله(صلى الله عليه و آله)جدّه، و هو سيّد من مضى و من بقى،و أمه فاطمه سيّده نساء العالمين؟ثم قال لهم:

و الله لئن سمع أهل الشام ذلك أنّه للسوء السوءاء... (٣).

د-و وفد مقدم الى معاوية،فقال معاوية:أ علمت أنّ الحسن بن علي توفّي؟فرجع المقدم (٤)،فقال له معاوية:أ تراها مصيبه؟فقال:و لم لا أراها مصيبه و قد وضعه رسول الله في حجره و قال:«هذا منّي و حسين من عليّ رضى الله عنهما» (٥).

ه-و قال عبدالله بن عمر:أهل العراق يسألون عن الذباب يقتله المحرم، و قد قتلوا ابن بنت رسول الله(صلى الله عليه و آله)و قال النبي(صلى الله عليه و آله):«هما ريحانتاي من الدنيا (٦)أو

ص:٢٨

١- ((١) نزّهه المجالس:٢/٢٠٦.

٢- ((٢) العقد الفريد:٣/٢٨٣.

٣- ((٣) المحاسن و الأضداد:٩٠،طبعه مصر ١٣٢٤ هـ.

٤- ((٤) أى قال:إنا لله و إنا إليه راجعون.

٥- ((٥) مسند أحمد:٤/١٣٢،طبعه مصر ١٣١٣ هـ.

٦- ((٦) صحيح البخارى:٢/١٨٨.

و- كان أبو هريره يقول: ما رأيت الحسن إلا- فاضت عيناي، و ذلك أنى رأيت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يدخل فمه فى فمه ثم يقول: «اللهم إني احبّه فأحبّه و أحبّ من يحبّه» يقولها ثلاث مرّات (٢)، و قال: لا أزال أحبّ هذا الرجل- يعنى الحسن- بعد ما رأيت رسول الله يصنع به ما يصنع (٣).

ز- و حينما بادر الدّ أعدائه- مروان بن الحكم- الى حمل جثمانه الطاهر و استغرب منه الحسين (عليه السّلام) قائلاً له: أ تحمل جثمانه و كنت تجرّعه الغصص؟! قال مروان: كنت أفعل ذلك بمن كان يوازي حلمه الجبال (٤).

ح- و قال عنه أبو الأسود الدؤلى: و إنّه لهو المهذب، قد أصبح من صريح العرب فى غزّ لبابها و كريم محتدها و طيب عنصرها (٥).

ط- و قال عمرو بن اسحاق: ما تكلم أحد أحبّ إلى أن لا يسكت من الحسن بن على و ما سمعت منه كلمه فحش قطّ (٦).

ى- و قال عبدالله بن الزبير: و الله ما قامت النساء عن مثل الحسن بن على (عليه السّلام) فى هيئته و سمو منزلته (٧).

ك- و عندما وقف أخوه محمد بن الحنفية على قبره ليؤبّنه قال: لئن عزّت حياتك فقد هدّت وفاتك، و لنعم الروح روح تضمّنه كفنك، و لنعم

١- (١) سنن الترمذى: ٥٣٩.

٢- (٢) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ١٠/٧، طبعه دار الفكر ١٤٠٥ هـ.

٣- (٣) نور الأبصار: ١٧١.

٤- (٤) تهذيب التهذيب: ٢٩٨/٢.

٥- (٥) حياه الإمام الحسن: ٢٤٧/٢.

٦- (٦) بحار الأنوار: ٣٥٨/٤٣.

٧- (٧) البدايه و النهايه: ٣٧/٨.

الكفن كفن تضمّن بدنك، وكيف لا تكون هكذا و أنت عقبه الهدى و خلف أهل التقوى و خامس أصحاب الكساء؟! غَدَّتْكَ بالتقوى أكفّ الحق، و أَرْضَعْتِكَ ثدى الايمان، و رَبَّيتَ فى حجر الإسلام، فطبت حيا و ميتا، و إن كانت أنفسنا غير سخيّه بفراقك، رحمك الله أبا محمد (١).

ل- و أبنه أبو عبد الله الحسين بن على (عليه السلام) قائلا: «رحمك الله يا أبا محمد، إن كنت لتباصر الحق مظانّه، و تؤثر الله عند التداخض فى مواطن التقية بحسن الرويّه، و تستشفّ جليل معاطم الدنيا بعين لها حاقره، و تفيض عليها يدا طاهره الأطراف، نقيّه الأسزّه، و تردع بادره غرب أعدائك بأيسر المؤونه عليك، و لا غرو فأنت ابن سلاله النبوه، و رضيع لبان الحكمه، فإلى روح و ريحان و جنّه نعيم، أعظم الله لنا و لكم الأجر عليه، و وهب لنا و لكم حسن الأسي عنه» (٢).

٤- مكانته (عليه السلام) لدى العلماء و المؤرّخين:

أقال الحافظ أبو نعيم الإصبهاني -و هو من أعلام القرن الخامس- عن الإمام الحسن المجتبي: سيّد الشباب، و المصلح بين الأقارب و الأحباب، شبه رسول الله (صلّى الله عليه و آله) و حبيبه، سليل الهدى، و حليف أهل التقى، خامس أهل الكساء، و ابن سيده النساء، الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما (٣).

ب- و قال ابن عبد البرّ عنه: لا أسود ممّن سمّاه رسول الله (صلّى الله عليه و آله) سيّدا، و كان رحمه الله عليه حليما ورعا فاضلا، دعاه ورعه و فضله الى أن ترك الملك و الدنيا رغبه فيما عند الله، و قال: و الله ما أحببت منذ علمت ما ينفعنى و ما

ص: ٣٠

١- (١) مروج الذهب: ٧/٣.

٢- (٢) حياه الإمام الحسن: ٤٤٠/٢.

٣- (٣) أخبار إصبهان: ٤٤/١، طبعه ليدن سنه ١٩٣١.

يُضَرِّنِي أَنْ أَلِيَّ أُمُّهُ مُحَمَّدٌ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَيَّ أَنْ يَهْرَاقَ فِي ذَلِكَ مُحْجَمُهُ دَمٌ) (١).

و- قال الحافظ ابن كثير الدمشقي عنه: وقد كان الصديق يجله ويعظمه ويكرمه ويحبه ويتفداه وكذلك ابن الخطاب، وكان ابن عباس يأخذ الركاب للحسن والحسين إذا ركبا ويرى هذا من النعم عليه، وكان إذا طافا بالبيت يكاد الناس يحطمونها مما يزدحمون عليهما للسلام عليهما (٢).

د- قال الحافظ ابن عساكر الشافعي عنه: هو سبط رسول الله وريحانته وأحد سيدي شباب أهل الجنة... (٣).

ه- قال الحافظ السيوطي: سبط رسول الله وريحانته وآخر الخلفاء بنصه... وهو خامس أهل الكساء... (٤).

و- عن محمد بن اسحاق: أنه ما بلغ أحد من الشرف بعد رسول الله ما بلغ الحسن (٥)، كان يبسط له على باب داره، فإذا خرج وجلس انقطع الطريق، فما يمر أحد من خلق الله إجلالا له، فإذا علم قام ودخل بيته فمّر الناس، ولقد رأيت في طريق مكة ماشيا فما من خلق الله أحد رآه إلا نزل ومشى، وحتى رأيت سعد بن أبي وقاص يمشى (٦).

ز- قال محمد بن طلحة الشافعي عنه: كان الله قد رزقه الفطره الثاقبه في ايضاح مرآشد ما يعانيه، ومنحه النظرة الصائبه لإصلاح قواعد الدين و مبانيه،

ص: ٣١

١- (١) الاستيعاب: ٣٨٥/١، طبعه مصر ١٣٨٠. إن الملك والحكم إذا كان لإقامه حكم الله في الأرض فلا يكون تركه زهدا و ورعا، وإنما تنازل الإمام عن الملك لأن مسؤوليه الإمام الشرعيه كانت تتطلب ذلك في تلك الظروف.

٢- (٢) البدايه و النهايه: ٣٧/٨، طبعه مصر- ١٣٥.

٣- (٣) مختصر تاريخ دمشق: ٥/٧.

٤- (٤) تاريخ الخلفاء: ٧٣.

٥- (٥) راجع المناقب لابن شهر آشوب: ١٤٨/٢.

٦- (٦) الحسن المجتبي: ١٣٩، نقلًا عن المناقب: ١٤٨/٢.

وخصّه التي درّت لها أخلاق مادتها بصور العلم و معانيه (١).

ح- وقال سبط ابن الجوزي عنه: كان من كبار الأجداد، وله الخاطر الوقاد، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يحبه حباً شديداً (٢).

ط- وقال عنه ابن الأثير: هو سيّد شباب أهل الجنة، وريحانه النبي (صلى الله عليه وآله) وشبيهه، سمّاه النبي الحسن... وهو خامس أهل الكساء (٣).

ص: ٣٢

١- (١) مطالب السؤل: ٦٥.

٢- (٢) تذكره الخواص: ١١١.

٣- (٣) أسد الغابه: ٩/٢.

إشارة

من فضائل الإمام المجتبي (عليه السلام) و مظاهر شخصيته

عبادته (عليه السلام):

أروى المفضل عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) عن أبيه عن جدّه: «أنّ الحسن بن علي بن أبي طالب كان أعبد الناس في زمانه، و أزهدهم و أفضلهم، و كان إذا حجّ حجّ ماشياً، و ربّما مشى حافياً، و كان إذا ذكر الموت بكى، و إذا ذكر القبر بكى، و إذا ذكر البعث و النشور بكى، و إذا ذكر الممّر على الصراط بكى، و إذا ذكر العرض على الله -تعالى ذكره- شهق شهقه يغشى عليه منها.

و كان إذا قام في صلاته ترتعد فرائضه بين يدي ربّه عزّ و جلّ، و كان إذا ذكر الجنة و النار اضطرب اضطراب السليم (١) و سأل الله الجنّة و تعوّد به من النار، و كان لا يقرأ من كتاب الله عزّ و جلّ إلاّ أيتها الذين آمنوا إلاّ قال: ليبيك اللهم ليبيك، و لم ير في شيء من أحواله إلاّ ذاكراً لله سبحانه، و كان أصدق الناس لهجه و أفصحهم منطقالاً...» (٢).

ب- و كان (عليه السلام) إذا توضأ ارتعدت مفاصله و اصفرّ لونه، فقليل له في ذلك فقال: «حق على كلّ من وقف بين يدي ربّ العرش أن يصفرّ لونه و ترتعد مفاصله».

ج- و كان إذا بلغ باب المسجد رفع رأسه و يقول: «ضيفك ببابك، يا محسن

ص: ٣٣

١- ((١)) اضطراب السليم من لسعه العقرب.

٢- ((٢)) راجع الأمالي للصدوق: ١٥٠، و بحار الأنوار: ٣٣١/٤٣.

قد أتاك المسىء، فتنجوز عن قبيح ما عندى بجميل ما عندك يا كريم» (١).

د-و كان إذا فرغ من الفجر لم يتكلم حتى تطلع الشمس و إن زحزح (٢).

ه-و عن الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام): «أَنَّ الحسن (عليه السلام) قال: إني لأستحي من ربي أن ألقاه و لم أمش الى بيته، فمشى عشرين مره من المدينه على رجله» (٣).

و-و عن علي بن جذعان: أَنَّ الحسن بن علي (عليه السلام) خرج من ماله مرتين، و قاسم الله ماله ثلاث مرّات، حتى أن كان ليعطي نعلا، و يمسك نعلا و يعطي خفاً و يمسك خفاً (٤).

و للإمام المجتبي (عليه السلام) أدعيه شتى رويت عنه، و هي تتضمن مجموعه من المعارف و الآداب، كما تحمل أدب التقديس لله تعالى و الخضوع له و التذلل بين يديه، و نشير الى نموذج منها:

قال (عليه السلام): «اللهم إنك الخلف من جميع خلقك، و ليس في خلقك خلف مثلك، إلهي من أحسن فبرحمتك، و من أساء فبخطيئته، فلا الذي أحسن استغنى عن ردفك و معونتك، و لا الذي أساء استبدل بك و خرج من قدرتك، إلهي بك عرفتك، و بك اهتديت الى أمرك، و لو لا أنت لم أدر ما أنت، فيا من هو هكذا و لا هكذا غيره صلّ على محمد و آل محمد، و ارزقني الإخلاص في عملي و السعه في رزقي، اللهم اجعل خير عملي آخره، و خير عملي خواتمه، و خير أيامي يوم ألقاك، إلهي أطعتك و لك المنه على في أحب الأشياء اليك: الإيمان بك و التصديق برسولك، و لم أعصك في أبغض الأشياء اليك: الشرك بك

ص: ٣٤

١- (١) المناقب: ٣/١٨٠، و البحار: ٣٣٩/٤٣.

٢- (٢) بحار الأنوار: ٣٣٩/٤٣، و أخبار إصبهان: ١/٤٤.

٣- (٣) المناقب: ٣/١٨٠، و بحار الأنوار: ٣٣٩/٤٣.

٤- (٤) المصدر السابق.

و التّكذيب برسولك،فاغفرلى ما بينهما يا أرحم الراحمين» (١).

و عن ابن كثير: أنّ الحسن كان يقرأ كلّ ليله سورة الكهف فى لوح مكتوب، يدور معه حيث دار من بيوت أزواجه قبل أن ينام و هو فى الفراش (٢).

لقد تغدّى الإمام الحسن (عليه السّلام) بلباب المعرفة و بجوهر الإيمان و بواقع الدين، و انطبعت مثله فى دخائل نفسه و أعماق ذاته، فكان من أشدّ الناس إيمانا، و من أكثرهم إخلاصا و طاعة لله (٣).

حلمه و عفوه:

لقد عرف الإمام الحسن المجتبي (عليه السّلام) بعظيم حلمه، و أدلّ دليل على ذلك هو تحمّله لتوابع صلحه مع معاويه الذى نازع عليا حقّه و تسلّق من خلال ذلك الى منصب الحكم بالباطل، و تحمّل (عليه السّلام) بعد الصلح أشدّ أنواع التّأنيب من خيره أصحابه، فكان يواجههم بعفوه و أناته، و يتحمّل منهم أنواع الجفاء فى ذات الله صابرا محتسبا.

و روى أنّ مروان بن الحكم خطب يوما فذكر على بن أبى طالب (عليه السّلام)، فنال منه و الحسن بن على (عليهما السّلام) جالس، فبلغ ذلك الحسين (عليه السّلام) فجاء الى مروان فقال: يا ابن الزرقاء! أنت الواقع فى علىّ؟!، ثم دخل على الحسن (عليه السّلام) فقال: تسمع هذا يسبّ أباك و لا تقول له شيئا؟!، فقال: و ما عسيت أن أقول لرجل مسلّط يقول ما شاء و يفعل ما يشاء.

ص: ٣٥

١- (١) مهج الدعوات: ١٤٤.

٢- (٢) راجع البدايه و النهايه: ٤٢/٨، طبعه دار إحياء التراث العربى ١٤٠٨ هـ.

٣- (٣) حياه الإمام الحسن: ٣٢٦/١.

و ذكر أن مروان بن الحكم شتم الحسن بن علي (عليه السلام)، فلما فرغ قال الحسن: إنني والله لا أمحو عنك شيئاً، ولكن مهّدك الله، فلئن كنت صادقاً فجزاك الله بصدقك، ولئن كنت كاذباً فجزاك الله بكذبك، والله أشدّ نقمه مني.

و روى أن غلاماً له (عليه السلام) جنى جنايه توجب العقاب، فأمر به أن يضرب، فقال: يا مولاي والعافين عن الناس، قال: عفوت عنك، قال: يا مولاي والله يُحبُّ المُحْسِنِينَ، قال: أنت حر لوجه الله ولك ضعف ما كنت أعطيك (١).

و روى المبرّد و ابن عائشه: أن شامياً رآه راكباً فجعل يلعنه و الحسن لا يردّ، فلما فرغ أقبل الحسن (عليه السلام) فسلم عليه و ضحك، فقال: «أيها الشيخ! أظنك غريباً؟ ولعلك شبّهت، فلو استعتبتنا أعتبناك، و لو سألتنا أعطيناك، و لو استرشدتنا أرشدناك، و لو استحملتنا حملناك، و إن كنت جائعاً أشبعناك، و إن كنت عرياناً كسوناك، و إن كنت محتاجاً أغيناك، و إن كنت طريداً آويناك، و إن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حرّكت رحلك إلينا و كنت ضيفنا الي وقت ارتحالك كان أعود عليك، لأنّ لنا موضعا رحباً و جاهاً عريضاً و مالا كثيراً».

فلما سمع الرجل كلامه بكى، ثم قال: أشهد أنّك خليفة الله في أرضه، و الله أعلم حيث يجعل رسالته، و كنت أنت و أبوك أبغض خلق الله إليّ، و الآن أنت أحبّ خلق الله إليّ... (٢)

كرمه وجوده:

إنّ السخاء الحقيقي هو بذل الخير بداعي الخير، و بذل الإحسان بداعي

ص: ٣٦

١- (١) بحار الأنوار: ٣٥٢/٤٣.

٢- (٢) العوالم (الإمام الحسن): ١٢١ نقلاً عن المناقب: ١٨٤/٣.

الإحسان، وقد تجلّت هذه الصّفه الرفيعه بأجلى مظاهرها و أسمى معانيها فى الإمام أبى محمد الحسن المجتبى (عليه السّلام) حتى لُقّب بـكريم أهل البيت.

فقد كان لا يعرف للمال قيمه سوى ما يردّ به جوع جائع، أو يكسو به عاريا، أو يغيث به ملهوفاً، أو يفى به دين غارم، وقد كانت له جفان واسعه أعدّها للضيوف، و يقال: إنّه ما قال لسائل «لا» قطّ.

وقيل له: لأىّ شىء لا نراك تردّ سائلاً؟ فأجاب: «إنّى لله سائل و فيه راغب، و أنا أستحى أن أكون سائلاً و أردّ سائلاً، و إنّ الله عودنى عاده أن يفيض نعمه علىّ، و عودته أن أفيض نعمه على الناس، فأخشى إن قطعت العاده أن يمنعنى العاده» (١).

و اجتاز (عليه السّلام) يوماً على غلام أسود بين يديه رغيّف يأكل منه لقمه و يدفع لكلب كان عنده لقمه أخرى، فقال له الإمام: ما حملك على ذلك؟ فقال الغلام: إنّى لأستحى أن آكل و لا اطعمه.

و هنا رأى الإمام فيه خصله حميده، فأحبّ أن يجازيه على جميل صنعه، فقال له: لا- تبرح من مكانك، ثم انطلق فاشترى من مولاه، و اشترى الحائط (البستان) الذى هو فيه، و أعتقه و ملكه إياه (٢).

و روى أنّ جاريه حيثه بطاقه من ريحان، فقال (عليه السّلام) لها: أنت حرّ لوجه الله، فلامه أنس على ذلك، فأجابه (عليه السّلام): «أدبنا الله فقال تعالى: وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّهِ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا (٣) و كان أحسن منها إعتاقها» (٤).

و من مكارم أخلاقه أنّه ما اشترى من أحد حائطا ثم افتقر البائع إلّا ردّه عليه و أردفه بالثمن معه.

ص: ٣٧

١- ((١)) حياه الإمام الحسن: ٣١٦/١-٣١٧ عن أنساب الأشراف: ٣١٩/١، و الطبقات الكبرى: ٢٣/١.

٢- ((٢)) راجع البدايه و النهايه: ٣٨/٨.

٣- ((٣)) النساء: (٤): ٨٦.

٤- ((٤)) المناقب لابن شهر آشوب: ٢٣/٢، و حياه الإمام الحسن: ٣٢٢/١ عن الخوارزمي.

و جاءه فقير يشكو حاله و لم يكن عنده شيء في ذلك اليوم فعزّ عليه الأمر و استحى من رده، فقال (عليه السلام): له: إنني أدلك على شيء يحصل لك منه الخير، فقال الفقير يا ابن رسول الله ما هو؟ قال (عليه السلام): اذهب الى الخليفة، فإن ابنته قد توفيت و انقطع عليها، و ما سمع من أحد تعزیه بليغ، فعزّه بهذه الكلمات يحصل لك منه الخير، قال: يا ابن رسول الله حفّظني إياها، قال (عليه السلام):

قل له: «الحمد لله الذى سترها بجلوسك على قبرها، و لم يهتكها بجلوسها على قبرك»، و حفظ الفقير هذه الكلمات و جاء الى الخليفة فعزّاه بها، فذهب عنه حزنه و أمر له بجائزه، ثم قال له: أكلامك هذا؟ فقال: لا، و إنما هو كلام الإمام الحسن، قال الخليفة: صدقت فإنه معدن الكلام الفصيح، و أمر له بجائزه اخرى (١).

لقد كان (عليه السلام) يمنح الفقراء بزه قبل أن يبوحوا بحوائجهم و يذكروا مديحتهم، لئلا يظهر عليهم ذل السؤال (٢).

تواضعه و زهده:

إنّ التواضع دليل على كمال النفس و سموها و شرفها، و التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة و عظمة، و قد حذا الإمام الحسن (عليه السلام) حذو جدّه و أبيه فى أخلاقه الكريمة، و قد أثبت التاريخ بوادر كثيرة تشير الى سمو الإمام فى هذا الخلق الرفيع، نشير الى شيء منها:

أ- اجتاز الإمام على جماعه من الفقراء قد وضعوا على الأرض كسيرات و هم قعود يلتقطونها و يأكلونها، فقالوا له: هلمّ يا ابن بنت رسول الله الى الغداء، فنزل (عليه السلام) و قال: «إنّ الله لا يحبّ المستكبرين»، و جعل يأكل معهم حتى اكتفوا

ص: ٣٨

١- (١) نور الأبصار: ١٣٥-١٣٦.

٢- (٢) المصدر السابق: ٣٢٥، و حياه الإمام الحسن: ٣٢٥/١.

و الزاد على حاله ببركته، ثم دعاهم الى ضيافته و أطعمهم و كساهم (١).

ب- و مَرَّ (عليه السَّلام) على صبيان يتناولون الطعام، فدعوه لمشاركتهم فأجابهم الى ذلك، ثم حملهم الى منزله فمَنَحهم بَزَه و معروفه، و قال: «اليد لهم لأنهم لم يجدوا غير ما أطعموني، و نحن نجد ما أعطيناهم» (٢).

و رفض الإمام جميع ملاذ الحياه و مباحها متَّجها الى الدار الآخرة التي أعدّها الله للمتّقين من عباده، فمن أهمّ مظاهر زهده: زهده في الملك طلبا لمرضاه الله، و يتجلّى ذلك إذا لاحظنا مدى حرص معاويه على الملك و استعماله لكلّ الأساليب اللاأخلاقية للوصول الى السلطه، بينما نجد الإمام الحسن (عليه السَّلام) يتنازل عن الملك حينما لا يراه يحقّق شيئا سوى إراقه دماء المسلمين.

و من جملة مظاهر زهده أيضا: ما حدّث به مدرّك بن زياد أنّه قال: كنّا في حيطان ابن عباس، فجاء ابن عباس و حسن و حسين فطافوا في تلك البساتين ثم جلسوا على ضفاف بعض السواقي، فقال الحسن: يا مدرّك! هل عندك غداء؟ فقلت له: نعم، ثم انطلقت فجنّته بخبز و شيء من الملح مع طاقنين من بقل، فأكل منه، و قال: يا مدرّك! ما أطيب هذا؟، و جيء بعد ذلك بالطعام و كان في منتهى الحسن، فالتفت (عليه السَّلام) الى مدرّك و أمره بأن يجمع الغلمان و يقدّم لهم الطعام، فدعاهم مدرّك فأكلوا منه و لم يأكل الإمام منه شيئا، فقال له مدرّك: لما ذا لا تأكل منه؟ فقال (عليه السَّلام): «إنّ ذاك الطعام أحبّ عندي» (٣).

ص: ٣٩

١- ((١)) عوالم العلوم (الإمام الحسن): ١٢٣ عن المناقب: ١٨٧/٣.

٢- ((٢)) حياه الإمام الحسن: ٣١٣/١ عن الصبان على هامش نور الأبصار: ١٩٦.

٣- ((٣)) مختصر تاريخ دمشق: ٢١/٧، طبعه دار الفكر.

الباب الثاني

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

نشأه الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام)

الفصل الثاني:

مراحل حياه الإمام المجتبي (عليه السلام)

الفصل الثالث:

الإمام المجتبي (عليه السلام) في ظلّ جدّه و أبيه (عليهم السلام)

ص: ٤١

إشاره

نشأه الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام)

تاريخ ولادته:

أصح ما قيل في ولادته أنه ولد بالمدينه في النصف من شهر رمضان سنه ثلاث من الهجره، و كان والده (عليه السلام) قد بنى بالزهران فاطمه (عليها السلام) و تزوجها في ذى الحجه من السنه الثانيه، و كان الحسن المجتبي (عليه السلام) أول أولادها (١).

كيفيه ولادته:

عن جابر: لما حملت فاطمه (عليها السلام) بالحسن فولدت كان النبي (صلى الله عليه و آله) قد أمرهم أن يلقوه في خرقة بيضاء، فلقوه في صفراء، و قالت فاطمه (عليها السلام): يا علي سمه، فقال: ما كنت لأسبق باسمه رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فجاء النبي (صلى الله عليه و آله) فأخذه و قبله، و أدخل لسانه في فمه، فجعل الحسن (عليه السلام) يمضه، ثم قال لهم رسول الله (صلى الله عليه و آله): ألم أتقدم اليكم أن لا تلقوه في خرقة صفراء؟! فدعا (صلى الله عليه و آله) بخرقه بيضاء فلقه فيها و رمى الصفراء، و أذن في أذنه اليمنى و أقام في اليسرى، ثم قال لعلي (عليه السلام): ما سميته؟ قال: ما كنت لأسبقك باسمه، فقال رسول

ص: ٤٣

١- (١) راجع كشف الغمه: ٥١٤/١، والبحار: ١٣٦/٤٤، والعوالم (الإمام الحسن): ١٣.

اللّٰه (صَلَّى اللّٰه عَلَيْهِ وَ آلِهِ): مَا كُنْتُ لِأَسْبِقَ رَبِّي بِاسْمِهِ، قَالَ: فَأَوْحَى اللّٰهُ عَزَّ ذَكَرَهُ إِلَى جِبْرِئِيلَ (عَلَيْهِ السَّلَام) أَنَّهُ قَدْ وُلِدَ لِمُحَمَّدِ ابْنِ، فَاهْبِطْ إِلَيْهِ فَاقْرَأْهُ السَّلَامَ وَ هُنَّهٗ مِنِّي وَ مِنْكَ، وَ قُلْ لَهُ: إِنَّ عَلَيَا مِنْكَ بِمَنْزِلِهِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى فَسَمِّهِ بِاسْمِ ابْنِ هَارُونَ، فَهَبْطَ جِبْرِئِيلَ عَلَى النَّبِيِّ وَ هُنَّاهُ مِنَ اللّٰهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: إِنَّ اللّٰهُ عَزَّ وَ جَلَّ يَأْمُرُكَ أَنْ تَسْمِيَهُ بِاسْمِ ابْنِ هَارُونَ، قَالَ: وَ مَا كَانَ اسْمُهُ؟ قَالَ: شَبْرٌ، قَالَ: لِلسَّانِي عَرَبِيٌّ، قَالَ: سَمِّهِ الْحَسْنَ، فَسَمَّاهُ الْحَسْنَ (١).

وَ عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ: أَنَّهُ سَمَّى الْحَسْنَ حَسَنًا لِأَنَّ يَاحْسَانَ اللّٰهُ قَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُونَ (٢).

سنن الولادة:

وَ عَقَّ رَسُولُ اللّٰهِ (صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) بِيَدِهِ عَنِ الْحَسَنِ بِكَبْشٍ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ وِلَادَتِهِ، وَ قَالَ: «بِسْمِ اللّٰهِ، عَقِيْقَهُ عَنِ الْحَسَنِ، اللّٰهُمَّ عَظْمَهَا بَعْظَمَهُ وَ لَحْمَهَا بِلَحْمِهِ وَ دَمَهَا بِدَمِهِ وَ شَعْرَهَا بِشَعْرِهِ، اللّٰهُمَّ اجْعَلْهَا وَقَاءً لِمُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ أَعْطَى الْقَابِلَةَ شَيْئًا، وَ قِيلَ:

رَجُلٌ شَاهٍ، وَ أَهْدَوْا مِنْهَا إِلَى الْجَيْرَانِ، وَ حَلَقَ رَأْسَهُ وَ وَزَنَ شَعْرَهُ فَتَصَدَّقَ بِوِزْنِهِ فَضَهُ وَرَقًا (٣).

رضاعه:

وَ جَاءَ عَنِ أُمِّ الْفَضْلِ زَوْجَةِ الْعَبَّاسِ -عَمِّ النَّبِيِّ (صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ)- أَنَّهُ قَالَتْ: قُلْتُ:

يَا رَسُولَ اللّٰهِ! رَأَيْتَ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ عَضْوًا مِنْ أَعْضَائِكَ فِي حَجْرِي،

ص: ٤٤

١- (١) رَاجِعْ مَعَانِيَ الْأَخْبَارِ: ٥٧ وَ عِلَلُ الشَّرَائِعِ: ١٣٨ وَ بَحَارُ الْأَنْوَارِ: ٢٤٠/٤٣ الْحَدِيثُ ٨.

٢- (٢) الْمَنَاقِبِ: ١٦٦/٣.

٣- (٣) الْعَوَالِمِ: ٢٠-٢٢ نَقْلًا عَنِ الْكَافِي: ٣٣/٦ وَ عَنْ عِيُونَ أَخْبَارِ الرِّضَا: ٤٥/٢ أَنَّ الزَّهْرَاءَ أَعْطَتِ الْقَابِلَةَ رَجُلًا شَاهًا وَ دِينَارًا.

فقال (صَلَّى اللّٰه عليه و آله): خيرا رأيت، تلد فاطمه غلاما فتكفلينه، فوضعت فاطمه الحسن (عليه السّلام) فدفعه اليها النبي (صَلَّى اللّٰه عليه و آله) فوضعت بلبن قثم بن العباس (١).

كنيته و ألقابه:

أما كنيته فهي: «أبو محمّد» لا غير.

و أما ألقابه فكثيره، و هي: التقى و الطيب و الزكيّ و السيّد و السبط و الولي، كلّ ذلك كان يقال له و يطلق عليه، و أكثر هذه الألقاب شهره «التقى» لكن أعلاها رتبه و أولها به ما لقّبه به رسول الله (صَلَّى اللّٰه عليه و آله)، حيث وصفه به و خصّه بأن جعله نعتا له، فإنّه صحّ النقل عن النبي (صَلَّى اللّٰه عليه و آله) فيما أورده الأئمة الأثبات و الرواه الثقات أنّه قال: «إبنى هذا سيّد»، فيكون اولى ألقابه «السيّد».

نقش خاتمه:

عن أبي عبد الله الصادق (عليه السّلام): ثم كان في خاتم الحسن و الحسين (عليهما السّلام):

«حسبي الله».

و عن الرضا (عليه السّلام): كان نقش خاتم الحسن (عليه السّلام) «العزّه لله» (٢).

حليته و شمائله:

عن جحيفه أنّه قال: رأيت رسول الله (صَلَّى اللّٰه عليه و آله) و كان الحسن بن علي يشبهه.

و عن أنس أنّه قال: لم يكن أحد أشبه برسول الله (صَلَّى اللّٰه عليه و آله) من الحسن بن

ص: ٤٥

١- ((١)) العوالم: ٢٣ عن البحار: ٢٤٢/٤٣ و ٢٥٥، و العدد القويّه (مخطوط): ٥، و كشف الغمّه: ١/٥٢٣.

٢- ((٢)) راجع الكافي: ٤٧٣/٦ و ٤٧٤، و البحار: ٢٥٨/٤٣، و العوالم: ٢٩.

علِيّ (عليه السلام) (١).

و من هنا وصف الإمام الحسن بن علي بأنه كان أبيض مشرباً حمره، أدعج العينين (٢)، سهل الخدين، دقيق المسربه (٣)، كث اللحية، ذا وفرة (٤) كأنّ عنقه إبريق فضّه، عظيم الكراديس (٥)، بعيد ما بين المنكبين، ربه ليس بالطويل ولا القصير، مليحاً، من أحسن الناس وجهاً، و كان يخضب بالسواد، و كان جعد الشعر (٦)، حسن البدن (٧).

لقد كان الحسن بن عليّ (عليهما السّلام) خير الناس أبا و أمّا و جدّاً و جدّه و عمّا و عمّه و خالا و خاله، و توقّرت له جميع عناصر التّربيه المثلى، و انطبعت حياته منذ ولادته ببصمات الوحي الإلهي و الإعداد الربّاني على يدي خاتم الأنبياء و سيّد الأوصياء و سيده النساء.

فالحسن ابن رسول الله جسما و معنى، و تلميذه الفذّ، و ربيب مدرسه الوحي التي شجّت على الناس هدى و رحمه.

ص: ٤٦

١- (١) راجع كشف الغمه: ١/٥٢٢، و المناقب: ٣/١٦٥ نقلا عن صحيح الترمذى.

٢- (٢) شديدتى السواد مع سعتهما.

٣- (٣) الشعر وسط الصدر الى البطن.

٤- (٤) الشعر الى شحمه الاذن.

٥- (٥) رؤوس المفاصل.

٦- (٦) ضد السيط و الاسترسال.

٧- (٧) راجع كشف الغمه: ١/٥٢٥ و العوالم: ٣٠.

الفصل الثاني: مراحل حياة الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام)

مراحل حياة الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام)

تولّى الإمام الحسن السبط (عليه السلام) منصب الإمامة و القيادة بعد استشهاد أبيه المرتضى (عليه السلام) في الواحد و العشرين من رمضان سنة ٤٠ هجرية و هو في السابعة و الثلاثين من عمره المبارك. و قد عاش خلال هذه المرحلة مع جدّه الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و آله) ما يزيد على سبع سنوات و مع أبيه المرتضى (عليه السلام) فترة إمامته البالغة ثلاثين سنة تقريبا. و عاصر خلالها كلاً من الخلفاء الثلاثة و شارك بشكل فاعل في ادارته دوله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

و استمر بعد أبيه يحمل مشعل القيادة الربّانية حتى الثامن و العشرين أو السابع من شهر صفر سنة ٥٠ هجرية، و له يومئذ ثمان و أربعون سنة (١).

اذن تنقسم حياة هذا الإمام العظيم الى شطرين أساسيين:

الشرط الأول: حياته قبل إمامته (عليه السلام) و ينقسم هذا الشرط الى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: حياته في عهد جدّه الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و آله).

ص: ٤٧

المرحلة الثانية:حياته فى عهد أبى بكر و عمر و عثمان.

المرحلة الثالثه:حياته فى دوله أبىه أمير المؤمنين على بن أبى طالب(عليه السّلام).

الشرط الثانى:حياته بعد استشهاد أبىه(عليه السّلام)و هو عصر امامته(عليه السّلام).

و ينقسم هذا الشرط الى مرحلتين متميزتين:

المرحلة الاولى:و تبدأ من البيعه له بالخلافه حتى الصلح.

المرحلة الثانيه:و هى مرحله ما بعد الصلح حتى استشهاده(عليه السّلام).

و نحن نبحت المراحل الثلاث الاولى فى الفصل الثانى من الباب الثانى، و نفرد البحث عن الشرط الثانى بباب مستقل،بعد أن نسلط الأضواء الكافيه على طبيعه عصر الإمام(عليه السّلام)و مميزاته و خصائصه؛لنخرج برؤى موضوعيه و منطقيه عن سلامه مواقف الإمام(عليه السّلام)سواء قبل الصلح و بعده،و لنرى ما حقّقه هذا الإمام الهمام و الشجاع الصابر،و نلاحظ كيف استطاع أن يؤدى دوره الكبير فى أخطر مرحله من مراحل تأريخنا الإسلامى بمواقفه الرساليه و منطلقاته المبدئيه،و كيف استطاع أن يصل الى الأهداف الرساليه التى جعلها الله تعالى على عاتقه كإمام معصوم يراد منه تحقيق أهداف رساله الإسلاميه الكبرى.

إشاره

الإمام المجتبي (عليه السلام) في ظلّ جدّه وأبيه (عليهم السلام)

الإمام الحسن (عليه السلام) في عهد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)

إشاره

ولد الإمام الحسن (عليه السلام) في حياه جدّه الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وعاش في كنفه سبع سنوات و ستّه أشهر من عمره الشريف، وكانت تلك السنوات على قلّتها كافيه لأن تجعل منه الصوره المصغّره عن شخصيه الرسول حتى ليصبح جديرا بذلك الوسام العظيم الذي حباه به جدّه، حينما قال له: «أشبهت خلقى و خلقى» (١).

و الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) هو الذى تحمّل مسؤوليه هدايه و رعايه الامّه، و مسؤوليه تبليغ الرساله و تطبيقها و حمايه مستقبلها و ذلك بوضع الضمانات التى لا بدّ منها فى هذا المجال، و هو المطلّع عن طريق الوحي على ما ينتظر هذا الوليد الجديد من دور قيادى هام، و الأمور بالإعداد لهذا الدور، و ذلك ببناء شخصيه هذا الوليد بناء فذاً يتناسب مع المهام الجسمانيه التى تؤهله للاضطلاع بها على صعيد هدايه الامّه و قيادتها.

ص: ٤٩

١- ((١)) حياه الإمام الحسن: ١/٦٧، و سيره الأئمه الإثني عشر للحسنى: ١/٥١٣، و صلح الإمام الحسن لفضل الله-١٥ عن الغزالي فى إحياء العلوم. و حول شبهه (عليه السلام) بجده راجع: تاريخ اليعقوبى: ٢/٢٢٦ ط. صادر، و البحار ج ١٠، و أعيان الشيعة ج ٤، و ذكر ذلك العلامة المحقق الأحمدي عن كشف الغمه: ١٥٤، و الفصول المهمه للمالكي، و الإصابه: ١/٣٢٨، و كفايه الطالب ٢٦٧، و تهذيب تاريخ ابن عساكر: ٢٠٢/٤، و ينابيع الموده: ١٣٧، و تاريخ الخلفاء: ١٢٦-١٢٧، و التنبيه و الاشراف: ٢٦١.

إن كلمه الرسول (صلى الله عليه وآله) للإمام الحسن (عليه السلام): «أشبهت خلقى وخلقى» تعدّ و سام الجداره و الاستحقاق لذلك المنصب الإلهى الذى هو وراثه الرساله و خلافة النبى (صلى الله عليه وآله) بعد خلافة وصيه على بن أبى طالب (عليه السلام).

و إنّ إحدى مهام الرسول (صلى الله عليه وآله) خلق المناخ الملائم لدى الأمه التى يفترض فيها أن لا تستسلم لمحاولات الابتزاز لحقها المشروع فى الاحتفاظ بقيادتها الإلهيه، و أن لا- تتأثر بعمليات التمويه و التشويه لطمس الركائز التى تقوم عليها رؤيتها العقائديه و السياسيه التى حاول الإسلام تعميّقها و ترسيخها فى ضمير الأمه.

و من هنا نعرف الهدف الذى كان يرمى اليه النبى (صلى الله عليه وآله) فى تأكيدات المتكرره على ذلك الدور الذى كان ينتظر الإمام الحسن و أخاه (عليهما السلام) منها قوله (صلى الله عليه وآله): «إنهما إمامان قاما أو قعدا» (١) و «أتما الإمامان، و لا تمكما الشفاعة» (٢).

و قوله (صلى الله عليه وآله) للحسين (عليه السلام): «أنت سيّد، ابن سيّد، أخو سيّد، و أنت إمام، ابن إمام، أخو إمام، و أنت حجه، ابن حجه، أخو حجه، و أنت أبو حجج تسعه، تاسعهم قائمهم» (٣).

و قوله (صلى الله عليه وآله) فى الإمام الحسن (عليه السلام): «هو سيّد شباب أهل الجنه، و حجه الله على الأمه، أمره أمرى، و قوله قولى، من تبعه فإنّه منّى، و من عصاه فإنّه ليس منّى...» (٤).

ص: ٥٠

- ١- ((١)) راجع كتاب أهل البيت تأليف توفيق أبو علم: ٣٠٧، و الارشاد للمفيد ٢٢٠، و كشف الغمه للأربلي: ١٥٩/٢، و علل الشرائع: ٢١١/١، و المناقب لابن شهر آشوب: ٣/٣٦٧ و عبر عنه بالخبر المشهور.
- ٢- ((٢)) اثبات الهداه: ٥٢/٥، و الإتحاف بحب الأشراف: ١٢٩.
- ٣- ((٣)) ينابيع الموده: ١٦٨، و إثبات الهداه: ١٢٩/٥.
- ٤- ((٤)) فرائد السمطين: ٣٥/٢، و أمالى الصدوق: ١٠١. و حول ما يثبت إمامه الإمام الحسن (عليه السلام) راجع: ينابيع الموده: ص ٤٤١ و ٤٤٢ و ٤٤٣ و ٤٨٧ عن المناقب، و فرائد السمطين: ١٤٠/٢-١٣٤-١٥٣-٢٥٩ و فى هوامشه عن المصادر التاليه: غايه المرام: ٣٩، و كفايه الأثر المطبوع فى آخر الخرائج و الجرائح: ٢٨٩، و عيون أخبار الرضا: باب ٦ ص ٣٢، و بحار الأنوار: ٣/٣٠٣ و ٢٨٣/٣٦ و ٢٤٨/٤٣.

و نلاحظ حرصه على ربط قضايهما بنفسه، إذ يقول: «أنا سلم لمن سالمتم، و حرب لمن حاربتم» (١).

و جاء عن أنس بن مالك أنه قال: دخل الحسن على النبي (صلى الله عليه و آله) فأردت أن اميطه عنه، فقال: «ويحك يا أنس! دع ابني و ثمره فؤادي، فإن من آذى هذا آذاني، و من آذاني فقد آذى الله» (٢).

و كان الرسول (صلى الله عليه و آله) يقبل الإمام الحسن (عليه السلام) في فمه و يقبل الإمام الحسين (عليه السلام) في نحره، و كأنه يريد إثارة قضيه مهمه ترتبط بسبب استشهادهما (عليهما السلام) و إعلاما منه عن تعاطفه معهما، و تأييده لهما في مواقفهما و قضايهما.

لقد كان الإمام الحسن (عليه السلام) أحب الناس الى النبي (صلى الله عليه و آله) (٣)، بل لقد بلغ من حبه له و لأخيه أنه كان يقطع خطبته في المسجد و ينزل عن المنبر ليحتضنهما.

و الكل يعلم أن الرسول (صلى الله عليه و آله) لم ينطلق في موافقه من منطلق الأهواء الشخصيه، و النزعات و العواطف الذاتيه، و إنما كان يتبعه الامه الى عظمه هذين الإمامين و مقامهما الرفيع.

و إن ما ذكر هو الذي يفشير لنا السر في كثرة النصوص التي وردت عنه (صلى الله عليه و آله) حول الحسين (عليهما السلام) مثل قوله (صلى الله عليه و آله) بالنسبه للإمام الحسن (عليه السلام):

«اللهم إن هذا ابني و أنا أحبه فأحبه و أحب من يحبه» (٤)، و قوله (صلى الله عليه و آله): «أحب أهل بيتي إلى الحسن و الحسين...» (٥).

ص: ٥١

١- (١) راجع سنن الترمذى: ٦٩٩/٥، و سنن ابن ماجه: ٥٢/١، و ينابيع الموده: ١٦٥ و ٢٣٠ و ٢٦١ و ٣٧٠ عن جامع الاصول و غيره.

٢- (٢) أهل البيت تأليف توفيق أبو علم: ٢٧٤، و راجع سنن ابن ماجه: ٥١/١.

٣- (٣) نسب قريش لمصعب الزبيرى: ص ٢٣-٢٥.

٤- (٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر: ٢٠٥/٤ و ٢٠٦ و ٢٠٧، و الغدير: ١٢٤/٧.

٥- (٥) راجع الكثير من هذه النصوص في المصدرين السابقين، و سيرتنا و سنتنا: ١١-١٥، و فضائل الخمسه من الصحاح الستة، و فرائد السمطين، و ترجمه الحسن و ترجمه الحسين من تاريخ ابن عساكر بتحقيق المحمودى، و الفصول المهمه للمالكى، و ترجمه الإمام الحسن من أنساب الأشراف، و نور الأبصار.

وفد بعض أساقفه نصارى نجران على النبى (صلى الله عليه و آله) و ناظروه فى عيسى، فأقام عليهم الحجه فلم يقبلوا، ثم اتفقوا على المباهله (١) أمام الله على أن يجعلوا لعنه الله الخالده و عذابه المعجل على الكاذبين.

و لقد سجل القرآن الكريم هذا الحادث العظيم فى تاريخ الرساله الإسلاميه بقوله تعالى:

إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ* الْأَحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ* فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٢).

فلما رجعوا الى منازلهم قال رؤسائهم «السيد و العاقب و الأهتم»: إن باهلنا بقومه باهلنا، فإنه ليس نبيا، و إن باهلنا بأهل بيته خاصه لم نباهله، فإنه لا يقدم الى أهل بيته إلا و هو صادق، فخرج اليهم (صلى الله عليه و آله) و معه على و فاطمه و الحسنان (عليهم السلام) فسألوا عنهم، فقيل لهم: هذا ابن عمه و وصيه و ختنه على بن أبى طالب، و هذه ابنته فاطمه، و هذان ابناه الحسن و الحسين، ففرقوا فقالوا لرسول الله (صلى الله عليه و آله): نعطيك الرضا فاعفنا من المباهله، فصالحهم رسول الله (صلى الله عليه و آله) على الجزيه و انصرفوا (٣).

و لقد أجمع المفسرون على أن المراد بأبنائنا: الحسن و الحسين (٤).

١- (١) من البهله: و هى اللعنه، ثم كثر استعمال الابتهاال فى المسأله و الدعاء إذا كان بالباح.

٢- (٢) آل عمران (٣): ٥٩-٦١.

٣- (٣) راجع تفسير القمى: ١/١٠٤، و القرشى: ١/٨٨-٩١. و قد روى قضيه المباهله بأهل الكساء-بالاختصار تاره و بالتفصيل اخرى-جم غفير من الحفاظ و المفسرين، راجع الحياه السياسيه للإمام الحسن: ص ١٨-١٩، و راجع الميزان فى تفسير القرآن: ٣/٣٦٨ طبعه الأعلمى.

٤- (٤) مجمع البيان: ٢/٤٥٢، و راجع التبيان: ٢/٤٨٥، و تفسير الرازى: ٨/٨٠، و حقائق التأويل ١١٤ و فيه: أجمع العلماء... الخ.

و قال الزمخشري: وفيه دليل -لا شيء أقوى منه- على فضل أصحاب الكساء (١).

و يمكننا استخلاص جملة من الامور من يوم المباهله أهمها:

أولاً: الانموذج الحى:

إن إخراج الحسين (عليهما السلام) فى قضيه المباهله لم يكن أمراً عادياً، و إنما كان مرتبطاً بمعانى و مداليل خطيره، أهمها: أن النبى (صلى الله عليه و آله) حينما يكون على استعداد للتضحيه بنفسه و بهؤلاء الذين يعتبرهم القمه فى النضج الرسالى، بالإضافة الى أنهم أقرب الناس اليه فإنه لا يمكن أن يكون كاذباً -و العياذ بالله- فى دعواه، كما لاحظته و أفتره رؤساء النصارى الذين جاءوا ليباهلوه، و كذلك يدل على تفانيه فى رسالته الإلهيه و على ثقته بما يدعو اليه.

ثانياً: فى خدمه الرساله:

إن اعتبار الإمام الحسن و أخيه الحسين (عليهما السلام) فى صباهما المثل الأعلى و الانموذج المجدد للإسلام و عى عقائدى سليم فرضته الأدله و البراهين التى تؤكد بشكل قاطع على أن الأئمه الأطهار (عليهم السلام) كانوا فى حال طفولتهم فى المستوى الرفيع الذى يؤهلهم لتحمل الأمانه الإلهيه و قياده الامه قياده حكيمة و واعيه، كما سجل التاريخ ذلك بالنسبه لكل من الإمامين الجواد (عليه السلام) و المهدي «عجل الله تعالى فرجه الشريف» حيث شاءت الإراده الإلهيه أن يتحملا مسؤولياتهما القياديه فى السنين الاولى من حياتهما، و هذا ليس بالغريب على من أرادهم الله حملة لدينه و رعاه لبريته، فهذا عيسى بن مريم يتحدث عنه القرآن الكريم بقوله: فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا*

ص: ٥٣

١- (١) الكشف: ٣٧٠/١، و راجع الصواعق المحرقة: ص ١٥٣ عنه، و راجع الإرشاد للمفيد: ص ٩٩، و تفسير الميزان: ٣/٢٣٨.

قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا... (١).

و كذلك كان يحيى (عليه السلام) الذي قال الله سبحانه عنه: «يا يحيى خذ الكتاب بقوة و آتيناك الحكم صبيا» (٢).

لقد كان الحسنان (عليهما السلام) في أيام طفولتهما الاولى أيضا في مستوى من النضج و الكمال الإنساني بحيث كانا يملكان كافة المؤهلات التي تجعلهما محلا للعناية الإلهية، و أهلا للأوسمة الكثيره التي منحها إياهما الإسلام على لسان نبيه العظيم (صلى الله عليه و آله) ممّا جعلهما قادرين على تحمّل المسؤوليات الجسم، و حيث إنّ الحاضرين للمباهله شركاء في الدعوى، إذن فعلى و فاطمه و الحسنان (عليهم السلام) شركاء في الدعوى، و في الدعوه الى المباهله لإثباتها.

و هذا من أفضل المناقب التي خصّ الله بها أهل بيت نبيه (٣).

و قد استنتج علماء المسلمين الفضل للحسن و الحسين (عليهما السلام) من المباهله، و منهم ابن أبي علان - و هو أحد أئمه المعتزله - حيث يقول: هذا يدل على أنّ الحسن و الحسين كانا مكلفين في تلك الحال؛ لأنّ المباهله لا تجوز إلا مع البالغين (٤).

و يؤيد ذلك أيضا، اشراكهما (عليهما السلام) في بيعه الرضوان، ثم شهادتهما للزهراء (عليها السلام) في قضيه نزاعها مع أبي بكر حول فدك، الى غير ذلك من أقوال و مواقف للنبي (صلى الله عليه و آله) فيهما في المناسبات المختلفه.

و هذا كلّه يصبّ في المنهج الذي أراه النبي (صلى الله عليه و آله) في إعداد الناس

ص: ٥٤

١- (١) مريم (١٩): ٢٩-٣٠.

٢- (٢) مريم (١٩): ١٢.

٣- (٣) راجع تفسير الميزان: ٣/٢٢٤، و دلائل الصدق: ٣/قسم ١ ص ٨٤.

٤- (٤) نقله عنه أبو حيان في «البحر المحيط» في تفسير آيه المباهله.

نفسياً، وإفهامهم بأن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) يمكنهم أن يتحملوا مهمه رساليه فى قطعه زمينه من أعمارهم.

ثالثاً: سياسات لابد من مواجعتها:

هنالك مجموعه من الغايات التربويه و السياسيه التى كانت تكمن وراء إشراك النبى (صلى الله عليه و آله) أهل بيته فى المباهله، منها:

أ- إن إخراج العنصر النسوى ممثلاً- بفاطمه الزهراء- صلوات الله و سلامه عليها- و التى تعتبر الانموذج الأسمى للمرأة المسلمه فى أمر دينى و مصرى كهذا كان من أجل محو ذلك المفهوم الجاهلى البغيض، الذى كان لا يرى للمرأة أيه قيمه أو شأن يذكر، بل كانوا يرون فيها مصدر شقاء و بلاء و مجلبه للعار و مظنه للخيانه (١)، فلم يكن يتصور أحد منهم أن يرى المرأة تشارك فى مسأله حساسه و فاصله، بل و مقدسه كهذه المسأله، فضلاً عن أن تعتبر شريكه فى الدعوى، و فى الدعوه لإثباتها.

ب- إن إخراج الحسنين (عليهما السلام) الى المباهله بعنوان أنهما أبناء الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه و آله) مع أنهما ابنا ابنته الصديقه الطاهره فاطمه الزهراء (عليها السلام) له دلالة هامه و مغزى عميق، حيث إنه «فى الآيه دلالة على أن الحسن و الحسين - و هما ابنا البنت- يصح أن يقال: إنهما ابنا رسول الله (صلى الله عليه و آله) لأنه وعد أن يدعو أبناءه، ثم جاء بهما» (٢)، و بالإضافة الى ما اشير اليه آنفا كان يهدف الى إزالة المفهوم الجاهلى القائل بأن أبناء الأبناء هم الأبناء فى الحقيقه دون أبناء

ص: ٥٥

١- ((١)) راجع: الصحيح من سيره النبى الأعظم (صلى الله عليه و آله): ٤٥/١-٤٧.

٢- ((٢)) تفسير الرازى: ٨/٨١، و فتح القدير: ١/٣٤٧، و تفسير النيسابورى بهامش تفسير الطبرى: ٣/٢١٤، و التبيان: ٢/٤٨٥ عن أبى بكر الرازى (و هو غير الفخر الرازى)، و مجمع البيان: ٢/٤٥٢، و الغدير: ٧/١٢٢ عنه و عن تفسير القرطبى: ٤/١٠٤.

و مع كل ما قام به النبي (صلى الله عليه وآله) في يوم المباهلة لتصحيح هذا المفهوم الجاهلي تجد البعض يبقى متمسكا به، وقد ظهر هذا التمسك في بعض الآراء الفقيهيه حول تفسير قوله تعالى: **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ** حيث اعتبر الإرث مختصا بعقب الأبناء دون من عقبته البنات (١).

و بالرغم من كون المنهج المناوي لأهل البيت قد حظى بكثير من الدعم من قبل الحكام مجتدين كل الطاقات من أجل تأكيده و تثبيته، إلا أنه كانت ثمة عقبه كؤود تواجههم و تعترض سبيل نجاحهم في تشويه الحقيقه و تزوير التاريخ، و هي وجود أهل البيت (عليهم السلام) الذين يملكون أقوى الحجج و أعظم الدلائل و الشواهد من القرآن و من الحديث المتواتر و من المواقف النبويه المتضافره التي عرفها و رآها و سمعها عدد هائل من صحابه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ثم انتقلت منهم الى الامه الإسلاميه.

و لا بأس أن نذكر شيئا من محاولات نفي بنوه الحسين (عليهما السلام) له (صلى الله عليه وآله):

١- قال ذكوان مولى معاويه: قال معاويه: لا أعلمن أحدا سمي هذين الغلامين ابني رسول الله (صلى الله عليه وآله)، و لكن قولوا: ابني علي (عليه السلام)، قال ذكوان: فلما كان بعد ذلك أمرني أن أكتب بنيه في الشرف، قال: فكتبت بنيه و بنى بنيه و تركت بنى بناته، ثم أتيت بالكتاب فنظر فيه، فقال: ويحك، لقد أغفلت كبر بنى! فقلت: من؟ فقال: أما بنو فلانه- لابنته- بنى؟ قال: قلت: الله!! أ يكون بنو بناتك بنيك، و لا يكون بنو فاطمه بنى رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ قال: ما لك؟ قاتلك الله! لا يسمعن هذا أحد منك (٢).

١- (١) راجع: الحياه السياسيه للإمام الحسن: ٢٧-٢٨.

٢- (٢) كشف الغمه للاربلي: ١٧٣/٢، ط دار الأضواء.

٢- قال الإمام الحسن (عليه السلام) محتجاً على معاوية: «... فأخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الأنفس معه أبي، ومن البنين أنا وأخي، ومن النساء فاطمه أمي من الناس جميعاً، فنحن أهلنا ولحمنا ودمنا ونفسنا، ونحن منه وهو منا» (١).

٣- وقال الرازي في تفسير قوله تعالى: «وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ» - إلى قوله - «وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ» بعد أن ذكر دلالة الآية على بنو الحسين للنبي (صلى الله عليه وآله) قال: «و يقال: إن أبا جعفر الباقر استدلل بهذه الآية عند الحجج بن يوسف» (٢).

٤- وأرسل عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) يعيبه بأشياء منها:

أنه يسمي حسنا وحسنا ولدى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال لرسوله: «قل للشانئ ابن الشانئ: لو لم يكونا ولديه لكان أبت، كما زعم أبوك» (٣).

لقد صدع الإمام الحسن (عليه السلام) في أكثر من مناسبة وأكثر من موقف، ولم يكن يكتفى بإظهار وإثبات بنوته لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فقط، وإنما كان يؤكد من خلالها أن حق الإمامة والخلافه له وحده، ولا يمكن أن يصل إلى معاوية وأضرابه؛ لأن معاوية يفتقد المواصفات المؤهلة للخلافه، بل يتصف بما ينافيها.

ومن كلامه في جملة من المواقف وفي هذا الشأن بالخصوص:

١- أنه (عليه السلام) خطب فور وفاه أبيه (عليه السلام) فقال: «أيتها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي، وأنا ابن النبي، وأنا ابن الوصي» (٤).

٢- إن معاوية طلب منه (عليه السلام) أن يصعد المنبر ويخطب، فصعد المنبر

ص: ٥٧

١- (١) ينابيع المودة: ٤٧٩ عن الزرندي المدني و ص ٤٨٢ و ٥٢، وتفسير البرهان: ٢٨٦/١.

٢- (٢) تفسير الرازي: ٦٦/١٣، وفضائل الخمسة من الصحاح الستة: ٢٤٧/١ عنه.

٣- (٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣٣٤/٢٠.

٤- (٤) مستدرک الحاكم: ١٧٢/٣، و ذخائر العقبى ١٣٨ عن الدولابي.

و خطب و صار يقول: أنا ابن، أنا ابن... إلى أن قال: «لو طلبتم إنا لنبيكم ما بين لابتها لم تجدوا غيري و غير أخي» (١).

شهادة الحسين (عليهما السلام) على كتاب ثقيف:

لقد أشهد النبي (صلى الله عليه و آله) الحسين (عليهما السلام) حينما كتب كتابا لثقيف، و أثبت فيه شهادة علي و الحسين صلوات الله و سلامه عليهم.

قال أبو عبيد: و في هذا الحديث من الفقه إثباته شهادة الحسن و الحسين، و قد كان يروى مثل هذا عن بعض التابعين: أن شهادة الصبيان تكتب و يستنسون، فيستحسن ذلك، فهو الآن في سنه النبي (٢).

نقول: ألم يجد النبي أحدا من الصحابه يستشده على ذلك الكتاب الخطير الذي كان يرتبط بمصير جماعه كبيره سوى هذين الصبيين؟! و هل كان وحيدا (صلى الله عليه و آله) حينما جاءه وفد ثقيف، و كتب لهم ذلك الكتاب حتى احتاج الى استشهاده ولدين صغيرين لم يبلغا الخمس سنوات؟.

إن أدنى مراجعه للنصوص التاريخيه لتبعد هذا الاحتمال كل البعد، حيث إنها صريحه في أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قد ضرب لهم قبه في المسجد ليسمعوا القرآن، و يروا الناس إذا صلوا، و كان خالد بن سعيد بن العاص حاضرا، و كان خالد بن الوليد هو الكاتب، و مع ذلك لم يشهدا على الكتاب (٣).

إننا نعي من ذلك ما أراد أن يشير اليه النبي (صلى الله عليه و آله) من فضل الحسين، و أنهما مؤهلان لأن يتحملا المسؤوليات الجسام حتى في المعاهدات السياسيه

ص: ٥٨

١- (١) المناقب لابن شهر آشوب: ١٢/٤ عن العقد الفريد و المدائني.

٢- (٢) الأموال: ٢٧٩-٢٨٠، و راجع الترايب الاداريه: ٢٧٤/١.

٣- (٣) الحياه السياسيه للإمام الحسن، للعامل: ٤٤.

الخطيره كهذه المعاهده بالذات،و التي كانت مع ثقيف المعروفه بعدائها الشديد للإسلام و المسلمين.

حضور الحسين (عليهما السلام) بيعه الرضوان:

لقد حضر الحسنان(عليهما السلام)بيعه الرضوان،و اشتركا في البيعه مع رسول الله(صلى الله عليه و آله)،و عرف ذلك عند المؤرخين.

قال الشيخ المفيد(رحمه الله):«و كان من برهان كمالهما(عليهما السلام)و حجه اختصاص الله تعالى لهما بيعه رسول الله لهما،و لم يبايع صيبا في ظاهر الحال غيرهما»(١).

و من المعلوم أنّ البيعه تتضمن إعطاء التزام و تعهد للطرف الآخر بتحمّل مسؤوليات معينه ترتبط بمستقبل الدعوه و المجتمع الإسلامي،و حمايتهما من كثير من الأخطار التي ربّما يتعرّضان لها،و معنى ذلك أنّ النبي(صلى الله عليه و آله)قد رأى في الحسين(عليهما السلام)-على صغر سنهما-أهليه و قابليه لتحمل تلك المسؤوليات الجسام،و الوفاء بالالتزامات التي أخذها على عاتقهما الوفاء بها.

الحسن و الحسين إمامان:

روى عن النبي(صلى الله عليه و آله)أنّه قال:«الحسن و الحسين إمامان قاما أو قعدا»(٢).رغم أنّه لم يكن عمرهما حينئذ قد تجاوز الخمس سنوات،و بذا يكون للحديث أهميته و عمق دلالته في معناه،و نجد الإمام الحسن(عليه السلام)يستدلّ بهذا القول على من يعترض عليه في صلحه مع معاويه ٣.

ص: ٥٩

١- ((١)) الإرشاد: ٢١٩، وفدك للقزويني هامش: ١٦ عنه.

٢- ((٢ و ٣)) راجع علل الشرائع: ٢١١/١.

إشاره

بوفاه الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله) ينتهى عهد رساله و يبدأ عهد الإمامه، بدء بإمامه على بن أبى طالب (عليه السلام) و الذى عيّنه الرسول الأمين ليتحمّل أعباء الثوره الإلهيه المباركه و القيادة الربانيه للإمامه الإسلاميه، التى حباها الله بوافر لطفه، و أنقذها من براثن الجاهليه، لتنعّم فى ظلّ الهدايه الرشيده إلى حيث الكمال و الجلال.

لقد اجتاز الحسنان (عليهما السّلام) مرحله الصبا فى حياه رسول الله (صلى الله عليه و آله) و قد عرفنا كيف أنّ الرسول (صلى الله عليه و آله) لم يعاملهما معاملة الصبيان، بل كان يتعامل معهما كشخصيتين إسلاميتين تنتظرهما مسؤوليات رياديه كبيرى، كما أفصحت عن ذلك نصوص نبويه و فيره.

و بدأت مرحله فتوّتهما فى ظلّ إمامه أبيهما، و فى ظروف غير مستقرّه، لا للدولة الإسلاميه و لا لأهل بيت النبوه، حيث ابعده على (عليه السلام) عن القيادة السياسيه، و تولّى الأمر رجال لم يجعل لهم نصيب فى القيادة استئثارا و حسدا، و استصغارا لشأن على (عليه السلام) و موقعه الريادى الإلهى.

ثم تعرّضت دار الزهراء (عليها السلام) للهجوم المباغت و اقتيد على (عليه السلام) ليبيع أبا بكر؛ كى تستقر الدوله المهدهه بالأخطار.

و فى كلّ هذه الأحوال كان الحسنان يراقبان تطوّرات الأحداث، و كيف أصبحا بعد ذلك العزّ فى عهد جدّهما رسول الله (صلى الله عليه و آله) يستدلّان و تستدلّ العتره النبويه الطاهره، و قد كانت للزهراء و لإبنيها مواقف شتى فى هذه الفتره، و هى

لا- تخرج عن المخطوط الرسالى الذى خطه لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيما يرتبط بالرساله بعد وفاته. و سوف نشير باختصار إلى المواقف التى ترتبط بالإمام الحسن (عليه السلام) خاصه، أو به و بأخيه الحسين (عليه السلام).

١- الحسنان (عليهما السلام) و فدك:

لقد توفى الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله) و حدث بعده ما حدث من استئثار القوم بالأمر، و تنصيب أبى بكر خليفه على المسلمين، و إقصاء على ابن أبى طالب (عليه السلام) عن محلّه الطبيعى الذى أهله الله سبحانه و تعالى له، و تعرض فاطمه الزهراء (عليها السلام) بنت النبى الأعظم (صلى الله عليه وآله) لاغتصاب إرثها من أبيها، و مصادرته ما كان النبى قد ملكها فى حال حياته، و ما دار بينها و بين أبى بكر من مساجلات و احتجاجات حول هذا الموضوع، حتى طلب منها أن تأتى بالشهود لإثبات ما تدّعيه، فجاءت بأمر المؤمنين (عليه السلام) و بالحسين (عليهما السلام) و بام أيمن (رضى الله عنها)، و لكنّ أبى بكر ردّ الشهود، و رفض إرجاع حقّها إليها.

إنّ استشهاد الزهراء البتول- صلوات الله و سلامه عليها- بالحسين (عليهما السلام)- و هى المرأه المعصومه بحكم آيه التطهير- لم تكن لتصدر و لا لتورد الأ وفق أحكام الشرع الإسلامى الحنيف، و ذلك بمراى و بمسمع من المسلمين، و بتأييد و رضى من سيّد الوصيّين و أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام)، كلّ ذلك كان له دلالة تامه على أهليتهما لأداء الشهاده فى مناسبه كهذه، مع أنّهما كانا آنذاك لا يتجاوز عمرهما السبع السنوات.

إنّ إعطاءهما دورا بارزا فى قضيه كبيره كهذه، لم يكن أمرا عفويا، و لا منفصلا عن الضوابط التى تنتظم مواقف أهل البيت (عليهم السلام)، و إنما كان امتدادا

لمواقف النبي (صلى الله عليه وآله) منهما، في مجال إعدادهما، ووضعهما في مكانهما الطبيعي و على المستوى القيادي للأمة.

٢- اعتراضه على أبي بكر:

و للحسن بن عليّ (عليهما السلام) موقف مع أبي بكر، حيث جاء إليه يوماً وهو يخطب على المنبر، فقال له: انزل عن منبر أبي، فأجابه أبو بكر: صدقت و الله، إنه لمنبر أيبك لا منبر أبي (١).

٣- الإمام الحسن (عليه السلام) وأسئلة الأعرابي:

تقوم الإمامه على ركنين رئيسيين: أحدهما: الكفاءة التي تشمل العلم و العصمة و غيرهما، و الآخر: النص، من هنا نجد الأئمة (عليهم السلام) كانوا يهتمون بذكر هذه النصوص و التذكير بها و التركيز عليها باستمرار، و قد كان الإمام الحسن (عليه السلام) قد أولى إهتماماً خاصاً - و في كثير من أقواله و مواقفه - لذكر هذه النصوص، و من ذلك قوله: إنهم هم الذين افترض الله طاعتهم، و إنهم أحد الثقلين (٢).

و كذلك الحال بالنسبة إلى العلم، فإنهم (عليهم السلام) ما فتئوا يؤكدون على أنهم هم ورثة علم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، و عندهم الجفر و الجامعه و غير ذلك (٣).

و قد كان الإمام عليّ (عليه السلام) يهتم في إثبات صفة علم الإمامه للإمام الحسن (عليه السلام) منذ طفولته، لكي يطلع المسلمون على مدى علمه، فيكون دليلاً

ص: ٦٢

١- (١) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٨٠، الصواعق المحرقة: ١٧٥.

٢- (٢) الغدير: ١٩٨/١.

٣- (٣) راجع مكاتيب الرسول (صلى الله عليه وآله): ١/٥٩-٨٩.

قاطعاً على إمامته (عليه السلام)، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يهتم في إظهار ذلك لأولئك الذين استأثروا بالأمر و أقصوا أصحاب الحق الحقيقيين عن حقهم، وقد أتبع (عليه السلام) في لفت الأنظار إلى الحسن (عليه السلام) أسلوباً من شأنه أن يتناقضه الناس و يتندروا به في مجالسهم، إذ أن إجابته طفل لم يبلغ عمره العشر سنوات على أسئلة عويصة و غامضة لأمر يثير عجبهم و يستأثر باهتمامهم.

و ذكر القاضي النعمان في شرح الأخبار بإسناده عن عباده بن الصامت:

أن أعرابياً سأل أبا بكر، فقال: إني أصبت بيض نعام فشويته، و أكلته و أنا محرم، فما يجب عليّ؟ فقال له: يا أعرابي، أشكلت عليّ في قضيتك، فدلّه على عمر، و دلّه عمر على عبد الرحمن بن عوف، فلما عجزوا قالوا: عليك بالأصلع، فقال أمير المؤمنين: «سل أيّ الغلامين شئت»، فقال الحسن: «يا أعرابي، ألك إبل؟» قال: نعم، قال: «فاعمد إلى ما أكلت من البيض نوقاً، فاضربهن بالفحول، فما فصل منها فأهده إلى بيت الله العتيق الذي حججت إليه»، فقال أمير المؤمنين: «إنّ من النوق السلوب، و منها ما يزلق» (١)، فقال: إن يكن من النوق السلوب و ما يزلق، فإنّ من البيض ما يمرق (٢)، قال: فسمع صوت «أيها الناس، إنّ الذي فهم هذا الغلام هو الذي فهمهما سليمان بن داود» (٣).

٤- الإمام الحسن (عليه السلام) في الشورى:

بعد أن طعن عمر بن الخطاب، و رتبّ فضيه الشورى على النحو المعروف قال للمرشحين: «و أحضروا معكم من شيوخ الأنصار و ليس لهم

ص: ٦٣

١- ((١)) الناقه السلوب: التي مات ولدها، أو ألقته لغير تمام.

٢- ((٢)) مرقت البيضة: فسدت.

٣- ((٣)) المناقب لابن شهر آشوب: ١٠/٤.

من أمركم شيء، وأحضروا معكم الحسن بن علي و عبد الله بن عباس، فإنّ لهما قرابه، وأرجو لكم البركه في حضورهما، وليس لهما من أمركم شيء.

و يحضر عبد الله مستشاراً، وليس له من الأمر شيء» فحضر هؤلاء (١).

وقد قبل الإمام الحسن حضور جلسات الشورى، وكان حضوره يعنى انتزاع الاعتراف من عمر بأنّه ممن يحقّ له المشاركة السياسيه، حتى في أعظم وأخطر قضيه تواجهها الامه، وكذلك كى يفهم الناس هذا الأمر و لكى يتمكّن في المستقبل من إظهار رأيه في القضايا المصيريه، ولو لم يقبل منه.

ص: ٦٤

١- (١) الإمامه و السياسه: ٢٨/١.

١- الإمام الحسن (عليه السلام) فى وداع أبى ذر:

«يا عمّاه! لو لا أنه لا ينبغى للمودّع أن يسكت و للمشيّع أن ينصرف؛ لقصر الكلام و إن طال الأسف، و قد أتى من القوم إليك ما ترى، فضع عنك الدنيا بتذكّر فراغها، و شدّه ما اشتد منها برجاء ما بعدها، و اصبر حتى تلقى نبيك (صلّى الله عليه و آله) و هو عنك راضٍ» (١).

تلك هى كلمات الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) و هو يودّع-مع أبيه و أخيه و عمّه عقيل و ابن عمّه عبد الله بن جعفر و ابن عباس- أباً ذرّ الصحابى الجليل الذى جاهد و ناضل فى سبيل الدين و الحقّ و ما لاقى من اضطهاد و إهانته و بلاء حتى قضى غريباً و حيداً فى «الربذه» منفاه.

و هى كلمات ناطقه معبّره عن موقف عميق تجاه تصرّفات و أعمال الخط الحاكم، و هو بكلماته هذه يساهم فى تحقيق ما كان يرمى اليه أبو ذرّ من أهداف، حيث كان لا بدّ من إطلاق الصرخه لا يقاظ الاثمه من سبّاتها و توعيتها على حقيقه ما يجرى و ما يحدث، و إفهامها أنّ الحاكم لا يمكن أن يكون أبداً فى منأى عن المؤاخذه، و لا هو فوق القانون، و إنّما هو ذلك الحامى له و المدافع عنه، فإذا ما سوّلت له نفسه أن يرتكب أيّه مخالفه أو أن يستغلّ مركزه فى خدمه أهوائه و مصالحه الشخصيه؛ فإمّا كان كلّ شخص من المسلمين بل من واجبه أن يعلن كلمه الحقّ، و يعمل على رفع الظلم و الانحراف.

و من جهه اخرى فإنّه إذا كانت الظروف لا تسمح لأمر المؤمنين و سبطيه (عليهم السلام) و آخرين ممن ساروا على خطّهم لأن يقفوا موقف أبى ذرّ؛ فإنّ

ص: ٦٥

١- (١) شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ٢٥٣/٨، و الغدير: ٣٠١/٨، و روضه الكافى: ٢٠٧/٨.

عليهم-على الأقل-أن يعلنوا رأيهم الذى هو رأى الإسلام فيه و فى موقفه، فإن ذلك من شأنه أن يعطى موقفه العظيم ذلك بعدا إعلاميا و عمقا فكريا و سياسيا يحمى تلك المعطيات و النتائج التى ستنشأ عنه.

و إذا تأملنا فى كلمات الإمام الحسن (عليه السلام) لأبى ذرّ فى ذلك الموقف؛ فإننا نجدها تتضمن عميق أسفه لما فعله القوم بأبى ذرّ، ثم تشجيعه و شدّ أزره فى موقفه، و يعتبر أنّ فيه رضى النبيّ (صلّى الله عليه و آله) و من ثم رضى الله سبحانه و تعالى.

كما أنّه يحاول التخفيف عن أبى ذرّ، بعد إعطائه الرؤيه الصحيحه التى من شأنها أن تخفّف من وقع المحنه عليه، و تسهّل عليه مواجهه البلايا التى تنتظره، و ذلك حينما يأمره (عليه السلام) بأن يضع عنه الدنيا بتذكّر فراغها، و شدّه ما اشتدّ منها برجاء ما بعدها.

٢- هل اشترك الإمام الحسن (عليه السلام) فى الفتوح؟:

قال بعض المؤرّخين: و فى سنه ثلاثين غزا سعيد بن العاص «طبرستان»، و كان أهلها فى خلافه عمر قد صالحوا سويد بن مقرن على مال بذلوه، ثم نقضوا فغزاهم سعيد بن العاص و معه الحسن و الحسين و ابن عبّاس!

ولمّا أراد المسلمون فتح أفريقيه فإنّ عثمان جهّز العساكر من المدينه، و فيهم جماعه من الصحابه، منهم ابن عبّاس و ابن عمر و ابن عمرو بن العاص و ابن جعفر و الحسن و الحسين و ابن الزبير، و ساروا مع عبد الله ابن أبى سرح سنه ستّ و عشرين (١).

و قد نوقش هذا الزعم- و هو اشتراك الحسين (عليهما السلام) فى الفتوحات- بما يلى:

ص: ٦٦

أ- إنَّ تلك الفتوحات لم تكن عموماً من أجل مصالح الإسلام العليا، حيث إنَّ الحكام كانوا يستفيدون من تلك الفتوحات في مجال إرضاء طموحاتهم وإشباع غرورهم، فقد أسالت الفتوحات لعابهم بما فيها من غنائم و بسط نفوذ، فصاروا يهتمون بتقوية أمرهم و تثبيت سلطنتهم، و هناك من الحكام من كان الدين و الإسلام بنظرهم مجرد شعار يخدم ملكهم و يقويه.

و نستطيع أن نورد كثيراً من الشواهد و الأدلة على مدى اهتمام الحكام و أعوانهم و كل من ينتسب إليهم بجمع الأموال و الحصول على الغنائم بحق أو بغير حق، و يكفي أن نذكر: أنَّ زيادا بعث الحكم بن عمر الغفاري على خراسان، فأصابوا غنائم كثيرة فكتب إليه زياد: أما بعد، فإنَّ أمير المؤمنين كتب أن يصطفى له البيضاء و الصفراء، و لا يقسم بين المسلمين ذهباً و لا فضة، فرفض الحكم ذلك، و قسمه بين المسلمين، فوجه إليه معاوية من قيده و حبسه فمات في قيوده، و دفن فيها، و قال: إنِّي مخاصم (١).

و قد بدأ التعذيب بالجزية في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (٢)، بل لقد رأيناهم يوجبون الجزية حتى على من أسلم من أهل الذمة، و ذلك بحجة أنَّ الجزية بمنزلة الضريبة على العبد فلا يسقط إسلام العبد ضريته، لكن عمر ابن عبد العزيز شدَّ عن هذه السياسة و أسقطها عنهم، كما يذكر (٣).

كما أنَّ عمر بن الخطاب حاول أخذ الجزية من رجل أسلم على اعتبار أنه: إنَّما أسلم متعوذاً، فقال له ذلك الشخص: إنَّ في الإسلام لمعاذاً، فقال عمر:

ص: ٦٧

١- (١) مستدرک الحاكم: ٣/٤٤٢-٤٤٣.

٢- (٢) المصنف لعبد الرزاق: ١١/٢٤٥ فما بعدها.

٣- (٣) تاريخ الدولة العربية: ٢٣٥، و تاريخ التمدن الإسلامي: ١/٢٧٣-٢٧٤.

صدقته، إن في الإسلام لمعاذاً (١).

و أمّا مضاعفته الجزية على نصارى تغلب فهي معروفة و مشهوره (٢).

و قال خالد بن الوليد يخاطب جنوده و يرغبهم بأرض السواد: ألا ترون الى الطعام كرفع (٣) التراب؟ و بالله لو لم يلزمننا الجهاد في الله، و الدعاء الى الله عز و جل، و لم يكن إلا المعاش؛ لكان الرأي أن نقارع على هذا الريف، حتى نكون أولى به، و نولى الجوع و الإقلال من تولّى، ممن اتأقل عمّا أنتم عليه (٤).

و في فتح «شاهرتا» يعطى بعض عبيد المسلمين أماناً لأهل المدينة، فلا يرضى المسلمون، و ينتهي بهم الأمر الى أن يرفعوا ذلك الى عمر بن الخطاب، فكتب: «إنّ العبد المسلم من المسلمين أمانه أمانهم، قال: ففاتنا ما كنّا أشرفنا عليه من غنائمهم...» (٥).

و لكن ما ذكره خالد بن الوليد آنفا ليس هو كلّ الحقيقة، و ذلك لأنّ ما كان يصل الطبقة المستضعفة من الجند لم يكن إلا أقلّ القليل، ممّا لا يكفي لسدّ خلّتهم و رفع خصاصتهم، بل كان محدوداً جداً، لا يلبث أن ينتهي و يتلاشى، مع أنّهم كانوا هم و قود تلك الحروب.

إذن فالحرب من أجل الغنائم و الأموال كانت هي الصفة المميّزه لأكثر تلك الفتوحات.

ب- إنّ الحكام كانوا يستفيدون من تلك الفتوحات في مجال إرضاء طموحات الشباب و إشباع غرورهم، إذ كانوا بصدد تأهيلهم لمناصب عاليه

ص: ٦٨

١- (١) المصنف: ٩٤/٦.

٢- (٢) سنن البيهقي: ٢١٦/٩.

٣- (٣) الرفع: الأرض الكثيره التراب.

٤- (٤) العراق في العصر الاموي ١١ عن الطبري: ٩/٤.

٥- (٥) المصنف: ٢٢٢/٥ و ٢٢٣.

و إظهار شخصياتهم، فقد كان معاوية يجبر ولده يزيد على قيادة جيش غازيا لبعض المناطق (١).

ج- كان الحكام يستفيدون من الفتوحات في إبعاد المعترضين على سياساتهم، و الناقمين على أعمالهم و تصرفاتهم، و كشاهد على ذلك نذكر: أنه لما تفاق النقمه على عثمان؛ استدعى بعض عماله و مستشاريه، و هم:

معاوية و عمرو بن العاص و عبد الله بن عامر (٢).

و استشارهم فيما ينبغي له عمله لمواجهة نقمه الناس على سياساته و مطالبتهم له بعزل عماله (٣)، و استبداهم بمن هم خير منهم، فأشار عليه عبد الله بن عامر بقوله: «رأى لك يا أمير المؤمنين أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك، و أن تجمرهم في المغازي، حتى يذللوا لك، فلا يكون همهم إلا نفسه، و ما هو فيه منه دبره دابته، و قمل فروه».

و أضاف في نص آخر قوله: «فردّ عثمان عماله على أعمالهم، و أمرهم بالتضييق على من قبلهم، و أمرهم بتجمير (٤) الناس في البعوث، و عزم على تحريم إعطياتهم، ليطيعوه و يحتاجوا إليه...» (٥).

د- إنَّ الجهاد الابتدائي يحتاج الى إذن الإمام العادل (٦)، و إنَّ أئمة الحق كانوا لا يرون في الاشتراك في هذه الحروب مصلحة، بل لا يرون تلك الحروب خيرا، فقد روى: أنَّ أبا عبد الله الصادق (عليه السلام) قال لعبد الملك بن

ص: ٦٩

١- (١) المحاسن و المساوى: ٢٢٢/٢.

٢- (٢) يلاحظ أنَّ هؤلاء قد كانوا عماله باستثناء عمرو بن العاص، فإنه كان معزولا آنئذ.

٣- (٣) من الطريف أن يستشير عثمان نفس اولئك الذين يطالب الناس بعزلهم في أمر الغزو.

٤- (٤) التجمير: حبس الجيش في أرض العدو.

٥- (٥) تاريخ الطبرى: ٣٧٣/٣-٣٧٤.

٦- (٦) الوسائل ١١: ٣٢ فصاعدا، و الكافي: ٢٠/٥.

عمرو: يا عبد الملك! مالى لا- أراك تخرج الى هذه المواضع التى يخرج اليها أهل بلادك؟ قال: قلت: و أين؟ قال: حده، و عبادان، و المصيصة، و قزوين، فقلت: انتظارا لأمركم، و الاقتداء بكم؟ فقال: إى و الله، لو كان خيرا ما سبقونا إليه (١).

و ثمّ عدّه روايات تدلّ على أنّهم (عليهم السّلام) كانوا لا يشجعون شيعتهم، بل و يمنعونهم من الاشتراك فى تلك الحروب، و لا يوافقون حتى على المرابطة فى الثغور أيضا، و لا يقبلون منهم حتى ببذل المال فى هذا السبيل حتى و لو نذروا ذلك (٢).

أمّا لو دهم العدو أرض الإسلام فإنّ عليهم أن يقاتلوا دفاعا عن بيضة الإسلام، لا عن اولئك الحكّام (٣).

بل نجد روايه عن عليّ (عليه السّلام) تقول: «لا يخرج المسلم فى الجهاد مع من لا يؤمن على الحكم، و لا ينفذ فى الفىء أمر الله عزّ و جل» (٤).

و يؤيد ذلك: أنّ عثمان جمع يوما أكابر الصحابه- و كان بينهم الإمام عليّ (عليه السّلام)- فى مسجد رسول الله (صلّى الله عليه و آله) و استشارهم فى غزوه أفريقيه، فأرأوا فى الأكثر أنّ المصلحه فى أن لا تقع بأيدي أصحاب الأغراض و الأهواء و المنحرفين (٥).

فالأنتمه (عليهم السّلام) و إن كانوا- لا شك- يرغبون فى توسعه رقعته الإسلام و نشره ليشمل الدنيا بأسرها و لكنّ الطريقه و الاسلوب الذى كان يتم به الفتح

ص: ٧٠

١- ((١)) التهذيب: ١٢٧/٦، و الكافى: ١٩/٥، و الوسائل: ٣٢/١١.

٢- ((٢)) الوسائل: ٢١/١١-٢٢ عن قرب الاسناد ص ١٥٠، و التهذيب: ١٣٤/٦، و الكافى: ٢١/٥.

٣- ((٣)) الوسائل: ٢٢/١١، و الكافى: ٢١/٥، و التهذيب: ١٢٥/٦.

٤- ((٤)) الوسائل: ٣٤/١١.

٥- ((٥)) الفتوح لابن أعثم، الترجمة الفارسيه: ١٢٦.

كان خطأ و مضرًا و لا يحقق الأهداف المطلوبه (١).

و على كّل حال فإنّ جميع ما تقدّم ليكفى فى أن يلقى ظلالة- ثقيله من الشك و الريب فيما ينسب الى الإمامين الهمامين الحسن و الحسين (عليهما السلام) من الاشتراك فى فتح جرجان أو فى فتح أفريقيه، مع أنّ عددا من كتب التاريخ التى عدّدت أسماء كثيره من الشخصيات المشتركة فى فتح أفريقيه لم تذكرهما، علما بأنهما من الشخصيات التى كان يهيم السياسه الزمنيه للخلفاء التأكيد على ذكرها فى مقامات كهذه.

هـ- و يؤيد ذلك أيضا: أنّ الإمام عليا (عليه السّلام) منع ولديه فى صفين و الجمل من الخوض فى المعركه، و قال- و قد رأى الحسن يتسرّع الى الحرب:-

«أملكوا عنى هذا الغلام لا- يهدنى، فإننى أنفس بهذين الغلامين- يعنى الحسين (عليهما السّلام)- على الموت، لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله (صلّى الله عليه و آله)» (٢).

و قد كان هذا منه (عليه السّلام) فى وقت كان له كثير من الأولاد، فكيف يسمح بخروجهما مع أمير اموى أو غير اموى، و لم يكن قد ولد له غيرهما من الأولاد بعد، أو كان و لكنهم قليلون!؟

إنّ جميع ما تقدم يجعلنا نظمنّ إلى عدم صحه ما ينسب الى الحسين (عليهما السلام) من الاشتراك فى الغزوات آنند.

٣- الإمام الحسن (عليه السلام) و حصار عثمان:

نقل بعض المؤرخين: أنّه حينما حاصر الثائرون عثمان؛ بعث الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) بولديه الحسن و الحسين (عليهما السّلام) للدفاع عنه، بل قالوا: إنّ

ص: ٧١

١- ((١)) و البحث يحتاج الى تحقيق أعمق و أوسع لا يتناسب مع هذا الكتاب.

٢- ((٢)) نهج البلاغه بشرح محمد عبده: ٢/٢١٢، و تاريخ الطبرى: حوادث سنه ٣٧: ٤/٤٤.

الإمام الحسن (عليه السّلام) قد جرح و خضّب بالدماء على باب عثمان من جرّاء رمى الناس عثمان بالسهم، ثم تسوّر الثائرون الدار على عثمان و قتلوه، وجاء الإمام على (عليه السّلام) كالواله الحزين، فلطم الحسن و ضرب صدر الحسين (عليه السّلام) و شتم آخرين، منكرًا عليهم أن يقتل عثمان و هم على الباب (١).

و قد استبعد مؤرّخون آخرون ذلك؛ إستنادًا الى أنّ سيره عثمان تبعد كلّ البعد عمّا نسب الى عليّ و ولديه (عليهم السّلام)، كما و يبعد منهم أن يتّخذوا موقفًا يخالف موقف البقيه الصالحه من الصحابه، و ينفصلوا عنهم. و يضيف هؤلاء المؤرّخون بخصوص دفاع الحسن عن عثمان، و لو فرض صحه ذلك، فإنّه لم يكن إلاّ لتبرير موقفه و موقف أبيه من الاشتراك في دمه، و أن لا يتّهمه المغرضون بشيء (٢).

و يشكّ السيد الشريف المرتضى في إرسال أمير المؤمنين (عليه السّلام) ولديه للدفاع عن عثمان، إذ يقول: «فإنّما أنفذهما- إن كان أنفذهما- ليمنعا من انتهاك حريمه و تعمّد قتله، و منع حرمة و نسائه من الطعام و الشراب، و لم ينفذهما ليمنعا من مطالبته بالخلع» (٣).

و أما العلامه الحسنى (رحمه الله) فيقول: «من المستبعد أن يزجّ بريحانتي رسول الله (صلّى الله عليه و آله) في تلك المعركه للدفاع عن الظالمين، و هو الذي وهب نفسه و كلّ حياته للحقّ و العداله و إنصاف المظلومين» (٤).

ص: ٧٢

- ١- (١) راجع الصواعق المحرقة: ١١٥-١١٦، و مروج الذهب: ٣٤٤/٢-٣٤٥، و الإمامه و السياسه: ١/٤٤ و ٤٢ و ٤٣، و أنساب الأشراف: ٥/٦٩ و ٧٠ و ٧٤ و ٩٣ و ٩٥، و البدء و التاريخ: ٥/٢٠٦، و تاريخ مختصر الدول: ١٠٥.
- ٢- (٢) راجع: حياه الإمام الحسن (عليه السّلام) للقرشي: ١/١١٥-١١٦.
- ٣- (٣) شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ٨/٣.
- ٤- (٤) سيره الأئمه الإثني عشر: ١/٤٢٨.

فى حين يرى باحث آخر: «أنّ الخليفة كان مستحقاً للقتل بسوء فعله، كما أنّ قتلته أو الراضين بقتله هم جمهوره الصحابه الأخيار، ولا يعقل أن يقف الحسنان فى وجه هؤلاء و صدهم» (١).

و هنا نقدّم جملة من الملاحظات:

أ- إنّ ما ذكره هؤلاء من أنّ الصحابه الأخيار كانوا هم قتل عثمان أو أنّهم الراضون بقتله فهذا صحيح، ولكن ممّا لا شك فيه هو أنّه كان من بينهم أيضا من ثار على عثمان، من أمثال: عائشه و الزبير و طلحه و غيرهم، لا لأجل الانتصار للحقّ و إنّما من أجل المكاسب الدنيويه، كما أثبتت ذلك مواقفهم من حكمه الإمام عليّ (عليه السّلام) بعد أن بايعوه عقيب مقتل عثمان.

ب- و أمّا ما ذكر من أنّ عليّا قد ضرب الحسن (عليه السّلام) و دفع صدر الحسين فهذا ما لا اتّفاق عليه؛ لأنّ عليّا (عليه السّلام) قد كثر و أكّد أنّ قتل عثمان لم يسره و لم يسؤه (٢)، كما أنّه لم يكن ليّتهم الحسين (عليهما السّلام) بالتوانى فى تنفيذ الأوامر التى يصدرها إليهما، و هما من الذين نصّ الله سبحانه و تعالى على تطهيرهم، و أكّد النبىّ (صلّى الله عليه و آله) على عظيم فضلهم و باسق مجدهم و على محبته العظيمه لهم.

ج- و أمّا بالنسبه للدفاع عن عثمان فإنّ أمير المؤمنين (عليه السّلام) و إن كان لا يرى خلافه عثمان شرعيه من الأساس، و كان على اطلاع تامّ بالنسبه لجميع المخالفات و الانتهاكات التى كانت تصدر عن الهيئه الحاكمه باستمرار إلاّ أنّه (عليه السّلام) لم يكن يرى أنّ علاج الأمر بهذا الاسلوب الانفعالى هو الطريقه المثلى و الفضلى، و قد نقل عنه (عليه السّلام) قوله عن عثمان: «إنّه استأثر فأساء الإثره،

ص: ٧٣

١- (١) صلح الإمام الحسن لآل ياسين: ٥٠-٥١.

٢- (٢) الغدير: ٦٩/٩-٧٧ عن مصادر كثيره.

و جزعوا فأساءوا الجزع» (١).

و ما ذلك إلا لأن هذا الاسلوب بالذات و قتل عثمان فى تلك الظروف و على النحو الذى كان لم يكن يخدم قضيه الإسلام، بل كان من شأنه أن يلحق بها ضررا فادحا و جسيما، إذ أنه سوف يعطى الفرصه لاولئك المتربصين من أصحاب المطامع و الأهواء لاستغلال جهل الناس و رفع شعار الأخذ بثارات عثمان.

و إذا كان عليّ (عليه السّلام) لا يرغب فى قتل عثمان بالصوره التى حدثت؛ فإنه لم يكن يريد أن يكون الدفاع و الذبّ عن عثمان موجبا لفهم خاطيء لحقيقته رأيه فى عثمان و فى مخالفته، فكان يذكر تلك المخالفات تصرّحا تاره و تلويحا اخرى، كما أنه كان يجيب سائليه عن أمر عثمان بأجوبه صريحه أحيانا و مبهمه اخرى، أو على الأقل بنحو لا تسمح بالتشّبث بها و استغلالها من قبل المغرضين و المستغلين (٢).

و لم يكن الإمام عليّ (عليه السّلام) ليسكت عن تلك المخالفات الشنيعه التى كانت تصدر عن عثمان و أعوانه، بل كان (عليه السّلام) و باستمرار يجهر بالحقيقه مرّه بعد اخرى، و قد حاول إسداء النصيحة لعثمان فى العديد من المناسبات حتى ضاق عثمان به ذرعا، فأمره أن يخرج الى أرض ينبع (٣).

كما أنّ عثمان واجه الإمام الحسن (عليه السّلام) و بصريح القول بأنّه لا يرغب بنصائح أبيه، و ذلك لأنه «كان عليّ كلما اشتكى الناس إليه أمر عثمان؛ أرسل ابنه الحسن (عليه السّلام) إليه، فلما أكثر عليه قال: إنّ أباك يرى أنّ أحدا لا يعلم ما

ص: ٧٤

١- ((١)) نهج البلاغه: ٧٢/١ بشرح عبده، الخطبه رقم ٢٩.

٢- ((٢)) راجع هذه الأجوبه فى كتاب الغدير: ٧٠/٩.

٣- ((٣)) نهج البلاغه بشرح عبده: ٢٦١/٢، و الغدير: ٦٠/٩.

يعلم؟ و نحن أعلم بما نفعنا، فكفّ عنا! فلم يبعث علي (عليه السّلام) ابنه في شيء بعد ذلك...» (١).

و هكذا يتّضح أنّ نصره الحسين (عليهما السّلام) لعثمان بأمر من أبيهما الإمام علي (عليه السّلام) وقد كانت منسجمه كلّ الانسجام مع خطّهم (عليهم السّلام) الذي هو خطّ الإسلام الصافي و الصحيح، و هو يدخل في عداد تضحياتهما الجسام - و ما أكثرها - في سبيل هذا الدين! كما أنّه دليل واضح على بعد النظر و الدقّه و العمق.

٤- هل جرح الإمام الحسن (عليه السّلام) أثناء دفاعه عن عثمان؟

و يبقى أن نشير الى أنّنا نشكّ في صحه ما ذكرته الروايه من أنّ الإمام الحسن (عليه السّلام) قد جرح أثناء الدفاع عن عثمان؛ و ذلك لأن الإمام عليّ (عليه السّلام) و إن كان يمكن أن يكون قد أرسل ابنه - أو الإمام الحسن وحده - للدفاع عن عثمان، و قد جاء إليه و عرضا له المهمّه التي أوكلها إليهما أبوهما إلاّ أنّه يبدو أنّ عثمان قد ردّها و لم يقبل منهما ذلك، و ثمّه نصوص عديده (٢) توضّح ذلك نشير الى أحدها:

«ثم دعا عليّ بابنه الحسن، فقال: انطلق يا بنّي الى عثمان فقل له: يقول لك أبي: أفتحبّ أن أنصرك؟ فأقبل الحسن الى عثمان برسالة أبيه، فقال عثمان: لا، ما أريد ذلك، لأنّي قد رأيت رسول الله - الى أن قال - فسكت الحسن، و انصرف الى أبيه، فأخبره بذلك» (٣).

ص: ٧٥

١- (١) نهج البلاغه بشرح عبده: ٢٦١/٢، و الغدير: ٦٠/٩.

٢- (٢) الحياه السياسيّه للإمام الحسن: ١٥٠-١٥١.

٣- (٣) الفتوح لابن أعثم: ٢٢٨/٢.

نعم، ربّما يكون الإمام الحسن (عليه السّلام) قد ساعد على نجاه البعض من دون اشتراك في القتال، بل بما يحظى من احترام خاص في النفوس، ففي محاوره جرت بينه وبين مروان بن الحكم، قال (عليه السّلام) لمروان: «أفلا أرقّت دم من و ثب على عثمان في الدار فذبحه كما يذبح الجمل، و أنت تشغو ثغاء النعجة، و تنادى بالويل و الثبور، كالأمه اللكعاء؟ ألا دفعت عنه بيد أو ناضلت عنه بسهم؟ لقد ارتعدت فرائصك، و غشى بصرك، فاستغثت بي كما يستغيث العبد برّبّه، فأنجيتك من القتل و وضعتك منه، ثم تحتّ معاويه على قتلى» (١).

٥- هل كان الإمام الحسن (عليه السّلام) عثمانياً؟

هنالك جملة من الافتراءات ألحقها بعض كتّاب التاريخ بالحسن (عليه السّلام)، و من هذه الافتراءات: دعوى أنّ الامام الحسن (عليه السّلام) «كان عثمانياً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمه»، قالوا: «و ربما غلا في عثمانيته، حتى قال لأبيه ذات يوم ما لا يحبّ، فقد روى الرواه: أنّ عليّاً مرّ بابنه الحسن و هو يتوضّأ، فقال له:

أسبغ الوضوء يا حسن! فأجابه الحسن بهذه الكلمه المره: «لقد قتلت بالأمس رجلا كان يسبغ الوضوء» فلم يزد على أن قال: لقد أطال الله حزنك على عثمان»، و في نصّ آخر للبلاذري: «لقد قتلت رجلا كان يسبغ الوضوء» (٢).

و في قصّه اخرى يزعمون: «أنّ الحسن بن علي قال لعليّ: يا أمير المؤمنين! إنّي لا- أستطيع أن اكلمك، و بكى، فقال عليّ: تكلم، و لا تحنّ حنين المرأه، فقال: إنّ الناس حصروا عثمان، فأمرتك أن تعزلهم و تلحق بمكه، حتى تؤوب الى العرب عواذب أحلامها، فأبيت، ثم قتله الناس، فأمرتك أن

ص: ٧٤

١- (١) المحاسن و المساوى: ١/١٣٥.

٢- (٢) الفتنه الكبرى قسم: علي و بنوه ١٧٦، و أنساب الأشراف: ١٢/٣ بتحقيق المحمودى.

تعتزل الناس-الى أن قال:-ثم أمرتك اليوم أن لا تقدم العراق فإني أخاف عليك أن تقتل بمضيعة...» (١).

و ثمة روايات اخرى تفيد هذا المعنى (٢)، و نرى بأنّ المتتبع لهذه الروايات بعين الفحص و التمحيص يجد الارباك باديا عليها فضلا عن عدم جمعها لشرائط القبول و الحجية فلا يمكن الاعتماد على مثل هذه النصوص، على أن بعض الباحثين قال: المشهور أن هذه المحاوره قد جرت بين أمير المؤمنين (عليه السلام) و الحسن البصرى حينما مرّ عليه بالبصره و هو يتوضأ (٣).

و نحتمل قويا أنّ لأيدى الوضّاعين دورا كبيرا فى خلق مثل هذه الروايات، و من الملاحظات عليها:

أولاً: كيف يمكن أن نجمع بين ما قيل هنا و بين قولهم الآنف الذكر: إنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) أرسل الإمام الحسن و أخاه (عليهما السلام) للدفاع عن عثمان، و إنّه لما علم بمصيره جاء كواله الحزين، و لطم الحسن المخضّب بالدماء، و دفع فى صدر الحسين (عليه السلام) بتخييل أنّهما قد قصّرا فى أداء مهمتهما... الخ؟!.

ثانياً: إن المتتبع لجميع مواقف الإمام الحسن (عليه السلام) يجده باستمرار و بمزيد من الإصرار يشدّ أزر أبيه، و يدافع عن حقّه، و يهتمّ فى دفع حجج خصومه، و قد خاض غمرات الحروب فى الجمل و فى صفّين، معرّضا نفسه للأخطار الجسام فى سبيل الدفاع عنه (عليه السلام) و عن قضيتّه، حتى لقد قال الإمام (عليه السلام): «أملكوا عنى هذا الغلام لا يهدّنى».

و بالنسبه لدفاعه عن قضيه أهل البيت (عليهم السلام) و حقّهم فى الخلافه فإننا

ص: ٧٧

١- ((١)) أنساب الأشراف: ٢١٦/٢-٢١٧، و تاريخ الطبرى: ٣/٤٧٤.

٢- ((٢)) راجع سيره الأئمه الاثنى عشر: ١/٥٤٢-٥٤٤ و غير ذلك.

٣- ((٣)) أنساب الاشراف، بتحقيق المحمودى ترجمه الإمام الحسن: ١٢ الطبعة الاولى، دار التعارف-بيروت.

لا نستطيع استقصاء جميع مواقفه و أقواله فى هذا المجال، و نكتفى بذكر نماذج منها لأجل التدليل على دفاعه عن مواقف أبيه (عليه السلام):

أقد جاء عنه (عليه السلام) أنه قال: «إنَّ أبا بكر و عمر عمدا الى هذا الأمر، و هو لنا كله، فأخذاه دوننا، و جعلنا لنا فيه سهما كسهم الجدّه، أما و الله لتهمّنها أنفسهما يوم يطلب الناس فيه شفاعتنا» (١).

ب- و من خطبه له (عليه السلام): «و لو لا محمد (صلّى الله عليه و آله) و أوصياؤه كنتم حيارى لا تعرفون فرضا من الفرائض... الخ» قال هذا بعد أن عدّد الفرائض، و كان منها الولايه لأهل البيت (عليه السلام) (٢).

ج- و قال (عليه السلام): «فإنّ طاعتنا مفروضه، إذ كانت بطاعه الله عزّ و جلّ و رسوله مقرونه، قال الله عزّ و جلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولى الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ...﴾» (٣).

ثالثا: إنّ تطهير الله سبحانه و تعالى للإمام الحسن (عليه السلام) كما نصت على ذلك آيه التطهير و نصوص النبى (صلّى الله عليه و آله) فى حقّه، ثم ما عرف عنه (عليه السلام) من أخلاق فاضله و سجايا كريمه ليكذب كلّ ما ينسب إليه (عليه السلام) من امور و كلمات تتنافى مع أبسط قواعد الأدب الإسلامى الرفيع و الخلق الإنسانى الفاضل، و لا سيّما مع أبيه الذى يعرف هو قبل غيره قول النبى (صلّى الله عليه و آله) فيه:

«إنّه مع الحقّ، و الحقّ معه، يدور معه حيث دار» (٤)، فكيف إذا كان ذلك الذى ينسب إليه ممّا ياباه حتى الرعاع من الناس، فضلا عن خامس أصحاب

ص: ٧٨

١- ((١)) أمالى المفيد: ٤٩.

٢- ((٢)) ينابيع الموده: ٤٨ و عن الأمالى للطوسى: ٥٦.

٣- ((٣)) ينابيع الموده: ٢١.

٤- ((٤)) كشف الغمه للاربلى: ١٤٣/١-١٤٨.

الكساء، وأشبه الناس برسول الله خلقاً وخلقاً وهدياً وسلوكاً ومنطقاً؟!.

رابعاً: هل يعقل أن يكون الإمام الحسن (عليه السلام) -الذي عاش في كنف جدّه النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله) وأبيه علي المرتضى (عليه السلام)، والذي كان بحراً من العلم لا ينزف، وقد أجاب منذ طفولته على الأسئلة التي أحالها إليه جدّه، ثم أبوه بعد ذلك- أنه لم يكن يحسن إسباغ الوضوء؟.

خامساً: إذا كان عثمانياً بالمعنى الدقيق للكلمة فمعنى ذلك قبوله لجميع تصرّفات عثمان وأعماله التي خالفت كتاب الله وسننه نبيه، وذلك ممّا لا يحتمل في حقّه (عليه السلام) وهو الذي يذكر في تعريفه للسياسة: «أنّ من جملة مراعاة حقوق الأحياء أن تخلص لولي الأمر ما أخلص لأمته، وأن ترفع عقيرتك في وجهه إذا حاد عن الطريق السويّ»، ومن الواضح أنّ عثمان وعمّاله قد كانوا من أجلى مصاديق كلمته هذه، كما قرّره أولئك الذين زعموا أنّ الإمام الحسن (عليه السلام) كان عثمانياً.

سادساً: وأما بخصوص الرواية التي تدّعي بأنّه أشار على أبيه بترك المدينة فلم يكن ذلك بالرأي السديد إطلاقاً، فإنّ طلحه والزبير وغيرهما من الطامعين والمستأثرين كانوا ينتظرون فرصه كهذه، ثم إنّ الناس في تلك الظروف الحرجة لم يسمحوا لعليّ (عليه السلام) بترك المدينة، وهم الذين بقوا يلاحقونه أيّاماً من مكان لمكان حتى بايعوه.

١- البيعة لأمر المؤمنين (عليه السلام) بالخلافه:

لقد كان عامه المسلمين يتطلعون بلهفه الى من سيخلف عثمان عندما تتمخض الأحداث عن قتله أو اعتزاله، ولقد كان الطامعون فيها أكثر من واحد، و من بين اولئك من عمق مجرى الأحداث و وسع دائرتها و أمد النار المتأججه بالوقود كطلحه و الزبير و عائشه، و كان من أكثر الناس لهفه عليها طلحه، و بلغ به الحال أن سبق نتائج تلك الأحداث، و أخذ لنفسه المكان الذي قدر أن الأيام ستضعه فيه، فاستولى على بيت المال، و أقام الصلاه بالناس و عثمان محصور في داره لا يزال على قيد الحياه.

و بلا شك فإن الأربعة الباقين من الستة أصحاب الشورى كانوا أوفر من سائر الناس حظًا، و كان نصيب علي (عليه السلام) أوفر من نصيب الجميع، و اليه تتجه الجماهير في المدينة و خارجها، و حتى الثوار لم يعدلوا به أحدا، لأنهم يعلمون بأنه سيحقق لهم الأهداف التي ثاروا من أجلها، و يعلمون في الوقت ذاته أن طلحه و الزبير لم يغضبا للحق و لله، و أنهما لا يختلفان عن عثمان و بطانته، و تأكد ذلك لهم من موقفهما من عثمان خلال الأيام التي سبقت قتله.

و حدث البلاذري في أنساب الأشراف: أن عليا (عليه السلام) لزم منزله بعد أن يئس من إصلاح الأمر بين الفريقين، فلما قتل عثمان و فرغ الناس من أمره و أدركوا أنه لا بد لهم من إمام يجتمعون عليه؛ جاء الناس كلهم إلى علي يهرعون، و هم يقولون: إن أميرنا علي بن أبي طالب، حتى دخلوا عليه الدار، و قالوا: امدد يدك حتى نبايعك، فقال: ليس ذلك إليكم، إنما ذلك لأهل بدر، فمن

رضى به البدريون فهو الخليفة، فلم يبق أحد من أهل بدر إلا أتى علينا فقالوا:

ما نرى أحدا أحقّ بها منك يا أبا الحسن (١).

وقال الطبرى فى الجزء الثالث من تاريخه: إنّ أصحاب رسول الله جاؤوه بعد مقتل عثمان، فقالوا له: لا بد للناس من إمام، ولا نجد اليوم أحقّ بهذا الأمر منك، فقال: لا تفعلوا فإننى أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً، فقالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك، وما زالوا به حتى بيعتهم، ولكنه أبى إلا أن تكون فى المسجد ويرضى جميع الناس (٢).

وفى روايه ثالثة: أنّه أصرّ على رفض البيعه بالرغم من الإلحاح الشديد عليه، فتوسّلوا بالأشتر لإقناعه و كان على رأس وفد الكوفه، فقال له: أبسط يدك نبايعك، فرفضها، فألح عليه، وخوفه الفتنه إن هو بقى على موقفه، وما زال به حتى أقنعه، فبايعه الوجوه، ثم انثال عليه الناس من كلّ جانب، و قام الزبير فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال: أيها الناس! إنّ الله قد رضى لكم حكم الشورى، فأذهب به الهوى، و قد تشاورنا فرضينا عليا فبايعوه (٣).

و جاء فى الإمامه و السياسه عن أبى ثور أنّه قال: لمّا كانت البيعه بعد مصرع عثمان؛ خرجت فى أثر علىّ (عليه السلام) و الناس حوله يبايعونه، فدخل حائطا من حيطان بنى مازن، فألجأوه إلى نخله و حالوا بينى و بينه، فنظرت اليهم و قد أخذت أيدى الناس ذراعه تختلف أيديهم على يده، ثم أقبلوا به الى المسجد الشريف، فكان أول من صعد المنبر فى المسجد طلحه و بايعه بيده، و كانت أصابعه شلاء، فتطير منها بعض من حضر و قال: لا يتمّ و الله هذا الأمر! ثم بايعه

ص: ٨١

١- (١) أنساب الأشراف: بيعه الإمام علىّ بن أبى طالب: ٢٠٥-٢١٩، تحقيق المحمودى.

٢- (٢) تاريخ الطبرى: ٣/٤٥٠، مؤسسه الأعلمى - بيروت.

٣- (٣) اليعقوبى: ٧٥/٢.

الزبير و أصحاب النبي و جميع من فى المدينه من المسلمين (١).

وقد وصف هو-سلام الله عليه-موقف المسلمين منه و إصرارهم على بيعته فى خطبته المعروفه بالشقشقيه، حيث قال: «فما راعنى إلا و الناس كعرف الضيع يتالون على من كل جانب مجتمعين حولى كريضه الغنم، حتى لقد وطئ الحسان و شق عطفائى، فلما قمت بالأمر نكثت طائفه و مرقت اخرى و قسط آخرون، كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول: تَلِكِ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَتْنًا دَاوِلَ الْعَاقِبَةِ لِلْمُتَّقِينَ .

و مضى فى خطبته هذه يصف موقفه من الخلافه فقال: أما و الذى فلق الحبه، و برأ النسمة، لو لا حضور الحاضر، و قيام الحجه بوجود الناصر، و ما أخذ الله على العلماء أن لا- يقاروا على كظه ظالم و لا سغب مظلوم لألقت حبلها على غاربها و لسقبت آخرها بكأس أولها، و لألقتم دنياكم هذه أزهد عندى من عطفه عنى».

لقد تمت البيعه لعلى (عليه السلام) بعد ما رأى أن لا مفر له منها فى ذلك الجؤ المشحون بالفتن و الاختلافات؛ و ذلك بعد وفاه عثمان بثلاثه أيام أو خمسه، و بايعه جميع المهاجرين و الأنصار و غيرهم ممن وفدوا على المدينه من الأمصار الثلاثه، و لم يتخلف عن بيعته من القرشيين سوى أفراد قلائل، كان من بينهم مروان بن الحكم و سعد بن أبى وقاص و عبد الله بن عمر (٢).

و ليس بغريب على مروان بن الحكم و الامويين إذا هم تخلفوا عن بيعه على أو كرهوها، كما يبدو للمتتبع فى تاريخ البيت الاموى مع الهاشميين و غيرهم من أصحاب الرسالات.

و أما سعد بن أبى وقاص فلقد كان يتمناها لنفسه، و لو وسعه العمل من

ص: ٨٢

١- (١) الفتوح: ١-٢/٤٣٦، الامم و الملوك: ٣/٤٥٦.

٢- (٢) راجع الكامل: ٣/٩٨-٩٩، و يعقوبى: ٢/٧٥.

أجلها لم يقصر، و لعله قد بدأ يفكر فيها، فقد جعله ابن الخطاب أحد من تدور الخلافه في فلکهم و أعطاه أكثر مما يستحق، و لا أظنه قبل ذلك كان يفكر فيها، أو يتصور أنّ المسلمين سيجعلونه الى جانب عليّ في يوم من الأيام، و لكنّه بعد أن رأى انصراف الناس حتى عن طلحه و الزبير و هما أبرز منه، و لهما مكانتهما بين صحابه الرسول في المصرين الكوفه و البصره لم يتعرّض لهما، و اكتفى أن يعتزل و لا- يبايع عليّ (عليه السلام) تضامنا مع الامويين الذين تربطه بهم القرابه من قبل امّه حمته، و كان هواه معهم، و لم يقف منهم موقفا معاديا حتى بعد أن عزله عثمان عن الكوفه و أعطاها لأخيه الوليد (1)، و أمير المؤمنين يعلم منه ذلك كما يعلم بموقف الامويين و بما سيؤول إليه أمر طلحه و الزبير و أكثر القرشيين، و قد وصف موقفهم منه بعد البيعه بقوله:

«اللهم إني أستعديك على قريش، فإنهم قطعوا رحمي و أكفأوا إنائي، فنظرت فإذا ليس لي رافد و لا ذابّ و لا ساعد إلا أهل بيتي».

و قال مره أخرى: «ما لي و لقريش؟ و الله قاتلتهم كافرين و لقاتلتهم مفتونين، و إني لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم» (2).

و مهما كان الحال فلمّا دعى سعد بن أبي وقاص الى البيعه؛ تمّنع منها تضامنا مع الامويين، فتركه أمير المؤمنين و لم يسمح للثائرين أن يستعملوا معه العنف، و لمّا دعى اليها عبد الله بن عمر بن الخطاب و امتنع منها؛ طلب منه كفيلا- بأن لا يشترك مع أحد في عمل ضده، و لمّا امتنع عن تقديم الكفيل تركه و قال للناس: خلّوه فأنا كفيله، ثم التفت اليه و قال: «أذهب فإنّي ما علمتكم إلا سيئ الخلق صغيرا و كبيرا».

ص: ٨٣

١- (١) حياه الإمام الحسن: ٣٨٤/١ عن الفتوح: ٢٥٨/٢-٢٥٩.

٢- (٢) نهج البلاغه: ٣٣٦، طبعه صبحي الصالح، رقم ٢١٧، الخطبه ٣٣.

و لَمَّا تَمَّت البيعه؛ انصرف أمير المؤمنين (عليه السلام) منذ اليوم الأول يجنّد كل إمكانياته لإصلاح ما أفسدته بطانه عثمان في جميع شؤون الدولة، تلك البطانه التي تركت جميع الأجهزة تنخر بالفساد و الانحلال، و كان يرى أنّ الواجب يدعوه لمعالجه الأهمّ فالأهمّ من المشاكل المستعجله التي يتضجّر منها الناس، و تأتي في طليعتها مشكله الولاة التي أثارت تلك الضجّة على الخليفه الراحل و أودت بحياته، حتى إذا فرغ منها اتّجه الى غيرها من المشاكل التي يراها أكثر إلحاحا و أعمّ نفعاً، و لم يكن ذلك ليمنعه من أن يبسط للناس السياسه التي سينتهجها في عهده الجديد.

و بعد أيام قلائل من خلافته وقف على المنبر ليعلن على الملأ المحتشد من حوله إلغاء بعض الأنظمه التي اتّبعها أسلافه خلال عشرين عاما أو تزيد، و كان على ثقته بأنّ عمر بن الخطاب حينما قسّم الفيء حسب أقدار الناس و قدمهم في الإسلام قد استجاب لمصالحه الذاتيه أكثر مما استجاب لمبادئ الإسلام، و أنّ عثمان بن عفان حينما ترك أهله يعيشون به و يفسدون في الأرض قد استجاب للعنصره الجاهليه و للروح الامويه الحاقده على الإسلام الذي لا يعطى أحدا على حساب أحد من الناس (1).

٢- استنجد الإمام علي (عليه السلام) بالكوفه:

بينما كان الإمام عليّ (عليه السلام) يتهيأ لمواجهه معاويه لما أعلن التمرد على حكومته و رفض بيعته، و بينما هو جادّ في تدبير الأمر إذ فاجأه الخبر عن هياج بعض أهل مكه للطلب بدم عثمان بتحريض من طلحه و الزبير و عائشه و أتباعهم من الامويين، فأشفق من انشقاق الكلمه و اختلاف شمل المسلمين،

ص: ٨٤

١- (١) راجع سيره الأئمه الاثني عشر للسيد هاشم معروف الحسنی: ٣٩٠/١-٣٩٣.

و رأى أنّ خطرهم أقوى من خطر معاويه، و شرّهم أقوى من شرّه، و إذا لم يبادر لإخماد هذه الفتنة فإنّها يوشك أن تتّسع و يكثّر التمرد و الاختلاف، فتجهّز للتحرك نحوهم، و شمّرت لنصرته البقيه الصالحه من المهاجرين و الأنصار، و خرجوا مسرعين ليلحقوا بهم قبل أن يدخلوا مصرًا من الأمصار فيفسدوه، فلمّا بلغوا الربذه علموا بسبقهم الى البصره و بالحوادث التي جرت فيها، فأقام الإمام (عليه السّلام) بالربذه أيّامًا يحكّم أمره، و أرسل الى جماهير أهل الكوفه يستنجد بهم و يدعوهم الى نصرته و القيام معه لإخماد نار الفتنة، و أوفد للقياهم محمد بن أبى بكر و محمد بن جعفر، و زوّدهما برساله جاء فيها: «أتى اخترتكم على الأمصار، و فرعت إليكم لما حدث، فكونا لدين الله أعوانا و أنصارا، و أريدونا انهضوا إلينا، فالإصلاح ما نريد لتعود الامّه إخوانا، و من أحبّ ذلك و آثره فقد أحبّ الحق، و من أبغض ذلك فقد أبغض الحقّ و أغمضه» (١).

و عرض الرسولان رساله الإمام عليّ (عليه السّلام) على أبى موسى الأشعريّ و الى الكوفه، إلا أنّهما لم يجدا منه أيّ استجابه، و إنّما و جداه يشبّط العزائم و يمنع الناس من الاستجابه لنداء الخليفه، و برّر عناده قائلاً: «و الله إنّ بيعه عثمان لفى عنقى و عنق صاحبكما، فإن لم يكن بدّ من القتال لا نقاتل أحدا حتى يفرغ من قتله عثمان...» (٢).

فأوفد الإمام عليّ (عليه السّلام) للقاء الأشعري رسولاً ثالثاً هو هاشم المرقال، و زوّده برساله جاء فيها: «أتى و جّهت هاشما لينهض بمن قبلك من المسلمين إلّى، فأشخص الناس، فإنّى لم أولئك إلا لتكون من أعوانى على الحقّ».

إلا أنّ الأشعريّ أصرّ على تمردّه، فأرسل هاشم الى الإمام رساله يخبره فيها بفشله فى مهمّته و إخفاقه فى سفارته.

ص: ٨٥

بعد أن عرف الإمام عليّ (عليه السلام) إصرار أبي موسى و عدم إفلاح الرسل معه؛ بعث إليه ولده الحسن و معه عمار بن ياسر، و أرسل معه رساله فيها عزل أبي موسى عن منصبه و تعيين قرضه بن كعب مكانه، و هذا نصّ رسالته: «أما بعد، فقد كنت أرى أن تعزب عن هذا الأمر الذى لم يجعل الله لك نصيباً منه، يمنعك عن ردّ أمرى و قد بعثت الحسن بن عليّ و عمار بن ياسر يستفزّان الناس، و بعثت قرضه بن كعب واليا على مصر، فاعتزل عملنا مذموماً مدحوراً، فإن لم تفعل فإنّي قد أمرته أن ينادك» (١).

و وصل الإمام الحسن (عليه السلام) الى الكوفة فالتأم الناس حوله زمراً، و هم يعربون له عن انقيادهم و طاعتهم، و يظهرون له الولاء و الإخلاص، و أعلن الإمام (عليه السلام) عزل الوالى المتمرد عن منصبه، و تعيين قرضه محلّه، و لكنّ أبا موسى بقى مصرّاً على موقفه، فأقبل على عمار بن ياسر يحدثه فى أمر عثمان علّه أن يجد فى حديثه فرجه، فيتهمه بدم عثمان ليتخذ من ذلك وسيلة الى خذلان الناس عن الإمام فقال له:

«يا أبا اليقظان! أعدوت فيمن عدا على أمير المؤمنين فأحللت نفسك مع الفجار؟» فأجابه عمار: «لم أفعل و لم تسؤنى».

و عرف الإمام الحسن (عليه السلام) غايته، فقطع جبل الجدال، و قال له: «يا أبا موسى! ألم تثبط عناً الناس؟».

و أقبل الإمام يحدثه برفق و لين لينزع روح الشرّ و العناد عن نفسه

قائلا: «يا أبا موسى! والله ما أردنا إلا الإصلاح، وليس مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء».

فقال أبو موسى: صدقت بأبي أنت وامي، ولكن المستشار مؤتمن.

فأجابه الإمام (عليه السلام): «نعم».

فقال أبو موسى: سمعت رسول الله يقول: إنها ستكون فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الراكب، وقد جعلنا الله عزّ وجلّ إخوانا، وحرم علينا أموالنا ودماءنا، فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (١)، وقال عزّ وجل: وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ (٢).

فردّ عليه عمّار قائلا: «أنت سمعت هذا من رسول الله؟».

قال: أبو موسى: «نعم، وهذه يدى بما قلت».

فالتفت عمّار الى الناس قائلا: «إنما عنى رسول الله بذلك أبا موسى، فهو قاعد خير من قائم» (٣).

وخطب الإمام الحسن (عليه السلام) فى الناس قائلا: «أيها الناس! قد كان فى مسير أمير المؤمنين على بن أبى طالب و رؤوس العرب، وقد كان من طلحه و الزبير بعد بيعتهما و خروجهما بعائشه ما قد بلغكم، و تعلمون أنّ و هن النساء و ضعف رأيهنّ الى التلاشى، و من أجل ذلك جعل الله الرجال قوامين على النساء، و أيم الله لو لم ينصره منكم أحد لرجوت أن يكون فيمن أقبل معه من المهاجرين و الأنصار

ص: ٨٧

١- (١) النساء (٤): ٢٩.

٢- (٢) النساء (٤): ٩٣.

٣- (٣) حياه الإمام الحسن للقرشى: ١/٤٣٤-٤٣٥.

كفأيه، فانصروا الله ينصركم» (١).

و بقى أبو موسى مصراً على موقفه يثبط العزائم، ويدعو الناس الى القعود و عدم نصره الإمام، فعنّفه الإمام الحسن (عليه السّلام) قائلاً: «اعتزل عملنا أيّها الرجل، و تنحّ عن منبرنا لا أمّ لك». و قام الإمام (عليه السّلام) خطيباً بالناس فقال لهم:

«أيّها الناس! أجيئوا دعوه أميركم، و سيروا الى إخوانكم، فإنه سيوجد الى هذا الأمر من ينفر إليه، و الله لئن يليه أولو النهى أمثل فى العاجل و الآجل و خير فى العاقبه، فأجيئوا دعوتنا و أعينونا على ما ابتلينا به و ابتليتكم، و أنّ أمير المؤمنين يقول: قد خرجت مخرجى هذا ظالماً أو مظلوماً، و أنّى أذكر الله رجلاً - رعى حقّ الله إلاّ - نفر، فإن كنت مظلوماً أعاننى، و إن كنت ظالماً أخذ، و الله إنّ طلحه و الزبير لأول من بايعنى، و أول من غدرا، فهل استأثرت بمال أو بدلت حكماً؟ فانفروا و أمروا بالمعروف و انهوا عن المنكر» ٢.

فأجابه الناس بالسمع و الطاعه، و لكن مالك الأشر رأى أنّ الأمر لا يتمّ إلاّ بإخراج أبى موسى مهان الجانب محطّم الكيان، فأقبل مع جماعه من قومه فأحاطوا بالقصر ثم أخرجوا الأشعري منه، و بعد أن استتبّ الأمر للإمام الحسن (عليه السّلام)! أقبل يتحدّث الى الناس بالخروج للجهاد قائلاً: «أيّها الناس، إنى غاد، فمن شاء منكم أن يخرج معى على الظهر (أى على الدواب) و من شاء فليخرج فى الماء» ٣.

و استجابت الجماهير لدعوه الإمام، فلمّا رأى ذلك قيس بن سعد غمرته الأفراح، و أنشأ يقول:

جزى الله أهل الكوفه اليوم نصره أجاوبوا و لم يأبوا بخذلان من خذل

و قالوا على خير حاف و ناعل رضينا به من ناقضى العهد من بدل

ص: ٨٨

١- (١ و ٢ و ٣) حياه الإمام الحسن: ١/٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨.

هما أبرزنا زوج النبيّ تعمّدا يسوق بها الحادي المخبّ على جمل (١).

و عبّت الكوفة بالنفير و نزحت منها آلاف كثيره، و قد بدا عليهم الرضا و القبول، و ساروا و هم تحت قياده الإمام الحسن (عليه السّلام)، فانتهوا الى ذى قار (٢) و قد التقوا بالإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) حيث كان مقيما هناك، فسّر بنجاح ولده، و شكر له جهوده و مساعيه.

٤-التقاء الفريقين فى البصره و خطاب الإمام الحسن (عليه السّلام):

و تحرّكت كتائب الإمام من ذى قار حتى انتهت الى الزاويه (٣).

و بعث (عليه السّلام) الى عائشه يدعوها الى حقن الدماء و جمع كلمه المسلمين، كما بعث (عليه السّلام) برسالة الى طلحه و الزبير يدعوهما الى اللوائم و نبذ الشقاق (٤) إلاّ أنّهم جميعا لم يستجيبوا لنداء الحقّ، و أصروا على مقاومه الإمام و مناجزته.

و كان عبد الله بن الزبير من أشدّ المحرّضين على الفتنة و إراقه الدماء، و قد أفسد جميع الوسائل التى صنعها أمير المؤمنين (عليه السّلام) لتحقيق السلم، و قد خطب فى جموع البصريين و دعاهم الى الحرب، و هذا نصّ خطابه: «أيّها الناس! إنّ على بن أبى طالب قتل الخليفه بالحقّ عثمان، ثمّ جهّز الجيوش إليكم ليستولى عليكم، و يأخذ مدينتكم، فكونوا رجالا تطلبون بثأر خليفتمكم، و احفظوا حريمكم، و قاتلوا عن نساءكم و ذراريتكم و أحسابكم و أنسابكم، أترضون لأهل الكوفه أن يردوا بلادكم؟ إغضبوا فقد غوضبتكم، و قاتلوا فقد قوتلتكم، ألا و إنّ عليا لا يرى معه فى هذا الأمر أحدا سواه، و الله لئن ظفر بكم

ص: ٨٩

١- (١) الغدير: ٧٦/٢.

٢- (٢) ذى قار: ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفه يقع بينها و بين واسط. معجم البلدان: ٨/٧.

٣- (٣) الزاويه: موضع قريب من البصره. معجم البلدان: ٣٧/٤.

٤- (٤) حياه الإمام الحسن للقرشى: ١/٤٤٢-٤٤٣.

ليهلكن دينكم و دنياكم» (١).

و بلغ الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) خطاب ابن الزبير، فأوعز الى ولده الإمام الحسن (عليه السلام) بالردّ عليه، فقام خطيباً، فحمد الله تعالى و أثنى عليه، ثم قال: «قد بلغتنا مقاله ابن الزبير في أبي و قوله فيه: إنه قتل عثمان، و أنتم يا معشر المهاجرين و الأنصار و غيرهم من المسلمين، علمتم بقول الزبير في عثمان، و ما كان اسمه عنده، و ما كان يتجنّى عليه، و أنّ طلحه يومذاك ركز رايته على بيت ماله و هو حيّ، فأنى لهم أن يرموا أبي بقتله و ينطقوا بدمه؟! و لو شئنا القول فيهم لقلنا.

و أمّا قوله: إنّ علياً ابتزّ الناس أمرهم، فإنّ أعظم حجّة لأبيه زعم أنّه بايعه بيده و لم يبايعه بقلبه، فقد أقرّ بالبيعه و ادّعى الوليجه، فليأت على ما ادّعه ببرهان و أنّى له ذلك؟

و أمّا تعجّبه من تورّد أهل الكوفة على أهل البصره فما عجبه من أهل حقّ تورّدوا على أهل باطل! أمّا أنصار عثمان فليس لنا معهم حرب و لا قتال، و لكننا نحارب راكبه الجمل و أتباعها».

٥- الإمام عليّ (عليه السلام) في الكوفة بعد حرب الجمل:

بعد أن وضعت حرب الجمل أوزارها توقّف الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) شهراً في البصره، ثم غادرها متوجّها الى الكوفة، مخلفاً عبد الله بن عباس عليها، و قد مكث أمير المؤمنين (عليه السلام) عدّه أشهر في الكوفة قبل أن يتحرك نحو صفّين لقتال القاسطين (أى معاويه و أنصاره)، و قد قام خلال هذه الفتره بتعيين وظائف ولاته و تنظيم الامور، كما و تبادل الرسائل مع معاويه و غيره من المتمرّدين على خلافته (عليه السلام).

ص: ٩٠

نقل العلامة المجلسي -رضوان الله تعالى عليه، عن كتاب «العدد» -روايه أشارت الى أنّ بعض أهل الكوفة اتّهموا الإمام الحسن (عليه السلام) بضعف الحجّج و العجز عن الخطابه، و لعلّ هذه الروايه متعلّقه بهذه الفتره (١).

و عندما سمع أمير المؤمنين (عليه السلام) بتلك الاتهامات دعا ولده الإمام الحسن (عليه السلام) ليلقي في أهل الكوفة خطابا، يفنّد فيه تلك المزاعم، و قد استجاب (عليه السلام) لدعوه أبيه (عليه السلام)، و ألقى في حشود من الكوفيين خطابا بليغا، جاء فيه: «أيّها الناس! اعقلوا عن ربّكم، إنّ الله عزّ و جلّ اصطفى آدم و نوحا و آل إبراهيم و آل عمران على العالمين، ذرّيته بعضها من بعض و الله سميع عليم، فنحن الذرّيه من آدم و الاسره من نوح، و الصفوه من إبراهيم، و السلاله من إسماعيل، و آل من محمد (صلّى الله عليه و آله) نحن فيكم كالسمااء المرفوعه، و الأرض المدحوه، و الشمس الضاحيه، و كالشجره الزيتونه، لا - شرقيه و لا - غربيه، التي بورك زيتها، النبيّ أصلها، و عليّ فرعها، و نحن و الله ثمره تلك الشجره، فمن تعلّق بغصن من أغصانها نجا، و من تخلف عنها فالى النار هوى...».

و بعد أن انتهى الحسن (عليه السلام) من خطبته صعد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) المنبر و قال: «يا بن رسول الله! أثبتّ على القوم حجّتك، و أوجبت عليهم طاعتك، فويل لمن خالفك» (٢).

ص: ٩١

١- (١) زندگانی امام حسن مجتبی، للسید هاشم رسولی: ١٣٨.

٢- (٢) بحار الأنوار: ٣٥٨/٤٣.

لَمَّا أَخْفَقَتْ جَمِيعُ الْوَسَائِلِ الَّتِي سَلَكَهَا الْإِمَامُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مِنْ أَجْلِ السَّلْمِ بَعْدَ إِصْرَارِ مَعَاوِيَةَ عَلَيَّ مُحَارَبَةِ السُّلْطَةِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْإِطَاحَةِ بِالْخِلَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَإِعَادَةِ الْمَثَلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَزَحْفِهِ بِجَيْشِهِ إِلَى صَفِينٍ وَاحْتِلَالِ الْفِرَاتِ، تَهَيَّأَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لِلْحَرْبِ وَقَدْ اسْتَدْعَى الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ الَّذِينَ خَفُّوا لِنَجْدَتِهِ، فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّكُمْ مِيَامِينَ الرَّأْيِ، مَرَاجِيحُ الْحَلْمِ، مَقَاوِيلُ بِالْحَقِّ، مَبَارِكُو الْفِعْلِ وَالْأَمْرِ، وَقَدْ أَرَدْنَا الْمَسِيرَ إِلَى عَدُوِّنَا فَأَشِيرُوا عَلَيْنَا بِرَأْيِكُمْ».

فَانْطَلَقَ عِدَدٌ مِنْ كِبَارِ الشَّخْصِيَّاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ أَمْثَالِ: عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَسَهْلِ بْنِ حَنِيفٍ وَمَالِكِ الْأَشْتَرِ وَقَيْسِ بْنِ سَعْدٍ وَعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ وَهَاشِمِ بْنِ عَتَبَةَ، لِيَعْرَبُوا عَنْ دَعْمِهِمْ لِقَرَارِ الْإِمَامِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي السَّيْرِ إِلَى الْعَدُوِّ وَوَجْهَتِهِ (١).

وَكَانَ قَدْ خَطَبَ الْإِمَامُ الْحَسَنُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) خَطَابًا هَامًا وَقَتْدَاكَ قَالَ فِيهِ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَوَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَائْتَنَى عَلَيَّ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، إِنَّ مَدِيًّا عَظَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ مِنْ نِعْمِهِ مَا لَا يَحْصِي ذِكْرَهُ، وَلَا يُؤَدِّي شُكْرَهُ، وَلَا يَبْلُغُهُ صِفَهُ وَلَا قَوْلُ، وَنَحْنُ إِئْمَا غَضِبْنَا لِلَّهِ وَلكُمْ، فَإِنَّهُ مَنَّا عَلَيْنَا بِمَا هُوَ أَهْلُهُ أَنْ نَشْكُرَ فِيهِ آلاءَهُ وَبِلاءَهُ وَنِعْمَاءَهُ قَوْلًا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ فِيهِ الرِّضَا، وَتَنْتَشِرُ فِيهِ عَارِفُهُ الصِّدْقُ، يَصْدُقُ اللَّهُ فِيهِ قَوْلَنَا، وَنَسْتَوْجِبُ فِيهِ الْمَزِيدَ مِنْ رَبَّنَا، قَوْلًا يَزِيدُ وَلَا يَبِيدُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَجْتَمِعْ قَوْمٌ قَطُّ عَلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ إِلَّا أَشْتَدَّ أَمْرُهُمْ، وَاسْتَحْكَمَتْ عَقْدَتُهُمْ، فَاحْتَشَدُوا فِي قِتَالِ عَدُوِّكُمْ مَعَاوِيَةَ وَجُنُودَهُ، فَإِنَّهُ قَدْ حَضَرَ، وَلَا تَخَاذَلُوا فَإِنَّ الْخِذْلَانَ يَقْطَعُ نِيَاطَ الْقَلْبِ، وَإِنَّ الْإِقْدَامَ عَلَى الْأَسْنَةِ نَجْدَهُ وَعَصْمَهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَمْتَنِعْ (٢) قَوْمٌ قَطُّ إِلَّا رَفَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْعَلَّةَ، وَكَفَاهُمْ جَوَائِحَ (٣) الذَّلَّةَ، وَهَدَاهُمْ مَعَالِمَ الْمَلَّةِ».

ص: ٩٢

١- ((١)) زَنْدِ كَانِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ: ٥٢/٢-٥٧ فَقَدْ نَقَلَ كَلِمَاتِ التَّأْيِيدِ الَّتِي الْقَيْتَ آنَذَاكَ.

٢- ((٢)) الْاِمْتِنَاعُ: الْعَزَّةُ وَالْقُوَّةُ.

٣- ((٣)) الْجَوَائِحُ: جَمْعٌ، مَفْرُودُهَا جَائِحَةٌ وَهِيَ الدَّوَاهِي وَالشَّدَائِدُ.

ثم أنشد:

و الصلح تأخذ منه ما رضيت به و الحرب يكفيك من أنفاسها جرع (١)

لقد حفل خطابه البليغ بالدعوة إلى الوحدة و التعاون لمحاربه الطغاه البغاه، و استجاب الناس لدعوته فاسرعوا لنصره الحق و الدفاع عن الدين الحنيف.

٨- في معركة صفين:

احتشد الجيشان في صفين، و بذل الإمام علي (عليه السلام) العديد من المصاعى لتفادى وقوع الحرب مع معاويه، إلا أنها لم تفلح، مما اضطر الإمام علياً (عليه السلام) لخوض غمار حرب استمرت عدة أشهر، و راح خلالها -ضحيه لسلطويه معاويه- الآلاف من المسلمين و المؤمنين.

و كان للإمام الحسن (عليه السلام) دور بارز في حرب صفين، فقد نقل المؤرخون: أن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) عندما نظم صفوف جيشه جعل اليمينه بقياده الإمام الحسن (عليه السلام) و أخيه الإمام الحسين (عليه السلام) و عبد الله بن جعفر و مسلم بن عقيل (٢)، و في هذه الأثناء أراد معاويه أن يجس نبض الإمام الحسن (عليه السلام) فبعث اليه عبيد الله بن عمر يمني بالخلافه و يخدعه حتى يترك أباه (عليه السلام) فانطلق عبيد الله، فقال له: لى إليك حاجه.

فقال له (عليه السلام): نعم، ما تريد؟

فقال له عبيد الله: «إن أباك قد وتر قريشا أولاً و آخرها، و قد شئوه فهل

ص: ٩٣

١- ((١)) شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ٢٨٣/١.

٢- ((٢)) مناقب ابن شهر آشوب: ١٦٨/٣.

لك أن تخلفه و نوليّك هذا الأمر؟» (١).

فأجابه الإمام الحسن (عليه السّلام) بكلّ حزم: «كلا و الله لا يكون ذلك» (٢)، ثم أردف قائلا: «لكنّني أنظر إليك مقتولا في يومك أو غدك، أما إنّ الشيطان قد زين لك و خدعك حتى أخرجك مخلقا بالخلق» (٣) و ترى نساء أهل الشام موقفك، و سيصرعك الله و يطحك لوجهك قتيلا» (٤).

و رجع عبيد الله الى معاوية و هو خائب حسير قد أخفق في مهمته، و أخبره بحديث الإمام (عليه السّلام) فقال معاوية: «إنّ ابن أبيه» ٥.

و خرج عبيد الله في ذلك اليوم الى ساحه الحرب يقاتل مع معاوية، فلقى حتفه سريعا على يد رجل من قبيله همدان، و اجتاز الإمام الحسن (عليه السّلام) في ساحه المعركه، فرأى رجلا- قد توشّد رجلا- قتيلا- و قد ركز رمحه في عينه و ربط فرسه في رجله، فقال الإمام (عليه السّلام) لمن حوله: انظروا من هذا؟ فأخبروه أن الرجل من همدان و أنّ القتل عبيد الله بن عمر ٦.

و من الواضح أنّ هذا الحادث من كرامات الإمام الحسن (عليه السّلام) حيث أخبر عن مصير عبيد الله قبل وقوعه، و أنبأ بنهايته الدليله، و قد تحقّق ذلك بهذه السرعه.

٩- إملكوأ عنى هذا الغلام:

لم تكن المواجهه في صفّين على و تيره واحده، فكانت تاره على شكل

ص: ٩٤

١- (١) حياه الإمام الحسن: ١/٤٩٢.

٢- (٢) المصدر السابق: ١/٤٩٢-٤٩٣.

٣- (٣) الخلق: الطيب.

٤- (٤) (٤ و ٥) المصدر السابق: ١/٤٩٢-٤٩٣.

مناوشات بين الفريقين، و تاره اخرى كانت بصوره التحام كامل بين الجيشين، و أول مواجهه حيث اتخذت شكل الالتحام العام رأى الإمام عليّ (عليه السّلام) ابنه الإمام الحسن (عليه السّلام) يستعدّ ليحمل على صفوف أهل الشام، فقال لمن حوله: «إملكوا عنّي هذا الغلام لا يهدّنى (١) فأنتى أنفس (٢) بهذين الغلامين - يعنى الحسن و الحسين - لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله» (٣).

١٠- الإمام الحسن (عليه السّلام) و التحكيم:

بعد أن مضت عدّه أشهر على المواجهه بين جيش الإمام عليّ (عليه السّلام) و جيش معاويه، و بعد الخسائر الكبيره التى لحقت بالجانبين، أو شكك جيش الحقّ بقياده أمير المؤمنين (عليه السّلام) على تحقيق النصر و وضع حدّ لهذا النزف الذى أوجده معاويه فى جسم الامّه الإسلاميه، إلا أنّ عمرو بن العاص أنقذ جيش معاويه من الهزيمه المؤكده، عندما دعا هذا الجيش الى رفع المصاحف على الرماح و المطالبه بتحكيم القرآن بين الجانبين.

و اضطرّ الإمام عليّ (عليه السّلام) لقبول التحكيم بعد أن مارس جمع من المقاتله ضغوطا كبيره عليه، فقد انطلت عليهم خدعه ابن العاص بسبب جهلهم، كما وظّف المنافقون و الانتهازيون القضييه لتدعيم ضغوط الجهله على الإمام المظلوم (عليه السّلام).

و بعد أن انخدع أبو موسى الأشعري - ممثّل العراقيين - بحيله عمرو بن العاص - ممثّل الشاميين - فى قضيّه التحكيم؛ التفت الذين فرضوا التحكيم

ص: ٩٥

١- (١) يهدّنى: أى يهلكنى.

٢- (٢) أنفس: أبخل.

٣- (٣) حياه الإمام الحسن: ١/٤٩٧.

على الإمام (عليه السلام) إلى الخطأ الجسيم الذي وقعوا فيه، فتوجهوا إلى الإمام علي (عليه السلام) يطلبون منه أن ينقض تعهداته التي أمضاها استجابة لضغوطهم، وأن يستأنف الحرب مع معاوية، و فوق ذلك كله اعتبروا أنّ الإمام (عليه السلام) أخطأ بقبوله التحكيم، فرفعوا شعار «لا حكم إلا لله»، الأمر الذي بات يندر باضطراب آخر و فاجعه جديده في أوساط جيش الإمام علي (عليه السلام).

و من هنا رأى الإمام (عليه السلام) ضروره الحيلولة دون وقوع الفاجعه، و ذلك بأن يدعو شخصا يتمتع بثقه الجميع و احترامهم ليلقى فيهم خطابا يتضمّن إبطالا- لحكم أبي موسى الأشعري بالدليل و البرهان، و يبين لهم مشروعيه القبول بأصل التحكيم، فاختر الإمام (عليه السلام) ابنه الإمام الحسن (عليه السلام) فقال له: قم يا بنى، فقل في هذين الرجلين عبد الله بن قيس (يعنى: أبو موسى الأشعري) و عمرو بن العاص، فقام الإمام الحسن (عليه السلام) فاعتلى أعواد المنبر، و هو يقول:

«أيها الناس! قد أكثرتم في هذين الرجلين، و إنّما بعثنا ليحكمما بالكتاب على الهوى، فحكمما بالهوى على الكتاب، و من كان هكذا لم يسمّ حكما و لكنّه محكوم عليه، و قد أخطأ عبد الله ابن قيس إذ جعلها لعبد الله بن عمر فأخطأ في ثلاث خصال: واحده أنّه خالف أباه إذ لم يرضه لها و لا جعله من أهل الشورى، و اخرى أنّه لم يستأمره في نفسه (1)، و ثالثها أنّه لم يجتمع عليه المهاجرون و الأنصار الذين يعقدون الإمارة و يحكمون بها على الناس.

و أمّا الحكومه فقد حكم النبي (صلى الله عليه و آله) سعد بن معاذ في بنى قريظه فحكم بما يرضى الله به، و لا شك لو خالف لم يرضه رسول الله (صلى الله عليه و آله)» (2).

لقد عرض الإمام الحسن (عليه السلام) في خطابه الرائع أهم النقاط الحساسه التي

ص: ٩٦

١- (١) و في روايه ابن قتيبه في الإمامه و السياسه: ١٤٤/١ «أنه لم يستأمر الرجل في نفسه و لا علم ما عنده من رد أو قبول».

٢- (٢) حياه الإمام الحسن: ١/٥٣٠-٥٣٢.

هى محور النزاع و مصدر الفتنه، فأبان (عليه السّلام) أنّ المختار لتحكيم إنّما يتبع قوله، و يكون رأيه فيصلا للخصومه فيما إذا حكم بالحقّ، و لم يخضع للنزعات و الأهواء الفاسده، و أبو موسى لم يكن فى تحكيمه خاضعا للحقّ، و إنّما أتبع هواه فرشّح عبد الله بن عمر للخلافه، مع أنّ أباه كان لا يراه أهلا- مضافا الى أنّ الشرط الأساسى فى الانتخاب اجتماع المهاجرين و الأنصار على اختياره و لم يحصل ذلك له، كما أعرب (عليه السّلام) فى خطابه عن مشروعيه التحكيم بالأمر الذى أنكرته الخوارج، مستدلا عليه بتحكيم النبىّ (صلّى الله عليه و آله) لسعد بن معاذ فى بنى قريظه.

١١- وصيه الامام أمير المؤمنين إلى ابنه الحسن:

و وجه الإمام لدى عودته من صفين بمنطقه يقال لها: «حاضرين» وصيه مهمّه إلى ابنه الحسن (عليه السّلام) و قد تضمّنت دروسا بليغه:

«من الوالد الفان، المقرّ للزمان (١)، المدبر العمر، المستسلم للدنيا، الساكن مساكن الموتى، و الظاعن (٢) عنها غدا، الى المولود المؤمّل ما لا يدرك، السالك سبيل من قد هلك، غرض الأسقام (٣)، و رهينه (٤) الأيام، و رميه (٥) المصائب...»

أما بعد: فإن فيما تبينّت من إدارار الدنيا عنّى، و جموح الدهر (٦) علىّ، و إقبال الآخره

ص: ٩٧

١- ((١)) المقر للزمان: المعترف له بالشده.

٢- ((٢)) الراحل.

٣- ((٣)) غرض الأسقام: هدف الأمراض ترمى إليه سهامها.

٤- ((٤)) الرهينه: المرهونه.

٥- ((٥)) ما أصاب السهم.

٦- ((٦)) جموح الدهر: استقصاؤه و تغلبه.

إلى، ما يزعمى (١) عن ذكر من سواى، والإهتمام بما ورائى (٢)، غير أنى حيث تفرد بى دون هموم الناس هم نفسى، فصدفنى (٣) رأى، و صرفنى عن هواى، و صرح لى محض أمرى (٤)، فأفضى بى الى جد لا- يكون فيه لعب، و صدق لا- يشوبه كذب. و وجدتك بعضى، بل وجدتك كلى، حتى كأن شيتا لو أصابك أصابنى، و كأن الموت لو أتاك أتانى، فعنانى من أمرك ما يعينى من أمر نفسى، فكتبت إليك كتابى مستظها به (٥) إن أنا بقيت لك أو فئت.

فإنى أوصيك بتقوى الله- أى بنى- و لزوم أمره، و عماره قلبك بذكره، و الاعتصام بحبله. و أى سبب أوثق من سبب بينك و بين الله إن أنت أخذت به؟

أحى قلبك بالموعظه، و أمته بالزهاده، و قوه باليقين، و نوره بالحكمه، و ذلله بذكر الموت، و قرره بالفناء (٦) و بصيره فجائع الدنيا و حذره صوله الدهر و فحش تقلب الليالى و الأيام، و أعرض عليه أخبار الماضين، و ذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين، و سرفى ديارهم و آثارهم، فانظر فيما فعلوا و عما انتقلوا، و أين حلوا و نزلوا، فإنك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبه، و حلوا ديار الغربه، و كأنك عن قليل قد صرت كأحدهم. فأصلح مثواك، و لا تبع آخرتك بدنياك، و دع القول فيما لا تعرف، و الخطاب فيما لم تكلف.

و خض الغمرات (٧) للحق حيث كان، و تفقه فى الدين، و عود نفسك التصبر على المكروه، و نعم الخلق التصبر فى الحق، و ألجئ نفسك فى أمورك كلها الى إلهك، فإنك تلجئها الى كهف (٨) حريز (٩)، و مانع عزيز.

ص: ٩٨

١- (١) يزعمى: يكفنى و يصدنى.

٢- (٢) ما ورائى: كناية عن أمر الآخره.

٣- (٣) صدفه: صرفه.

٤- (٤) محض الأمر: خالصه.

٥- (٥) مستظها به: مستعينا به.

٦- (٦) قرره بالفناء: اطلب منه بالإقرار بالفناء.

٧- (٧) الغمرات: الشدائد.

٨- (٨) الكهف: الملجأ.

٩- (٩) حريز: الحافظ.

فتفهم يا بنى وصيتى، و اعلم أن مالك الموت هو مالك الحياه، و أن الخالق هو المميت، و أن المفنى هو المعيد، و أن المبلى هو المعافى، و أن الدنيا لم تكن لتستقر إلا على ما جعلها الله عليه من النعماء و الإبتلاء و الجزاء فى المعاد، أو ما شاء مما لا تعلم...

فاعتصم بالذى خلقك و رزقك و سواك، وليكن له تعبدك، و إليه رغبتك، و منه شفقتك (١).

و اعلم يا بنى أن أحدا لم ينبى عن الله سبحانه كما أنبأ عنه الرسول (صلّى الله عليه و آله) فارض به رائدا، و الى النجاه قائدا، فإننى لم آلك (٢) نصيحه فإنك لن تبلغ فى النظر لنفسك -و إن اجتهدت- مبلغ نظرى لك.

و اعلم يا بنى أنه لو كان لرييك شريك لأتتك رسله، و لرأيت آثار ملكه و سلطانه، و لعرفت أفعاله و صفاته، و لكته إله واحد كما وصف نفسه، لا يصاده فى ملكه أحد، و لا يزول أبدا و لم يزل. أول قبل الأشياء بلا أوليه، و آخر بعد الأشياء بلا نهايه، عظم عن أن تثبت ربوبيته بإحاطه قلب أو بصر، فإذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغى لمثلك أن يفعله فى صغر خطره (٣) و قلّه مقدرته و كثره عجزه، و عظيم حاجته الى ربه، فى طلب طاعته، و الخشيه من عقوبته، و الشفقه من سخطه، فإنه لم يأمرك إلا بحسن و لم ينهك إلا عن قبيح.

...يا بنى اجعل نفسك ميزانا فيما بينك و بين غيرك، فأحب لغيرك ما تحب لنفسك، و اكره له ما تكره لها، و لا تظلم كما لا تحب أن تظلم، و أحسن كما تحب أن يحسن إليك، و استقيح من نفسك ما تستقيحه من غيرك، و ارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك و لا تقل ما لا تعلم و إن قل ما تعلم، و لا تقل ما لا تحب أن يقال لك.

و اعلم أن الإعجاب (٤) ضد الصواب، و آفه الألباب (٥)، فاسع فى

ص: ٩٩

١- (١) شفقتك: خوفك.

٢- (٢) لم آلك النصيحه: أى لم أقصر فى نصيحتك.

٣- (٣) خطره: أى قدره.

٤- (٤) استحسان ما يصدر عن النفس مطلقا.

٥- (٥) آفه: عله.

كدحك (١) و لا تكن خازنا لغيرك (٢)، و إذا أنت هديت لقصدك فكن أخشع ما تكون لربك.

... و اعلم أنّ الذى بيده خزائن السماوات و الأرض قد أذن لك فى الدعاء، و تكفّل لك بالإجابة، و أمرك أن تسأله ليعطيك، و تسترحمه ليرحمك، و لم يجعل بينك و بينه من يحجبك عنه.

... ثم جعل فى يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك فيه من مسألته، فمتى استفتحت بالدعاء أبواب نعمته، و استمطرت شآبيب (٣) رحمته، فلا يقطّك (٤) إبطاء إجابته، فإنّ العطيّة على قدر التّيه، و ربّما أّخرت عنك الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل، و أجزل لعطاء الآمل، و ربّما سألت الشىء فلا تؤتاه، و اوتيت خيرا منه عاجلا أو آجلا، أو صرف عنك لما هو خير لك، فلربّ أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو اوتيته فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله، و ينفى عنك و باله، فالمال لا يبقى لك و لا تبقى له.

... يا بنى! أكثر من ذكر الموت، و ذكر ما تهجم عليه، و تفضى بعد الموت إليه حتى يأتيك و قد أخذت منه حذرک (٥) و شددت له أزرک، و لا يأتيك بغته فيهرک (٦)، و إياک أن تغترّ بما ترى من إخلاد (٧) أهل الدنيا إليها، و تكالبهم (٨) عليها، فقد نبأک الله عنها، و نعت (٩) هى لك عن نفسها، و تكشّفت لك عن مساويها، فإنّما أهلها كلاب عاويه، و سباع ضاربه (١٠)،

ص: ١٠٠

١- ((١)) الكدح: أشد السعى.

٢- ((٢)) خازنا لغيرك: تجمع المال ليأخذه الوارثون بعدك.

٣- ((٣)) شآبيب: جمع الشؤبوب-بالضم- و هو الدفعه من المطر، و ما أشبه رحمه الله بالمطر ينزل على الأرض الموات فيحييها.

٤- ((٤)) القنوط: اليأس.

٥- ((٥)) الحذر-بالكسر-: الاحتراز و الاحتراس.

٦- ((٦)) بهر-كمنع-: غلب، أى يغلبك على أمرک.

٧- ((٧)) إخلاد أهل الدنيا: سكونهم اليها.

٨- ((٨)) التكالب: التواثب.

٩- ((٩)) نعا: أخبر بموته. و الدنيا بحالها عن فنائها.

١٠- ((١٠)) ضاربه: مولعه بالافتراس.

يهزّ (١) بعضها على بعض، و يأكل عزيزها ذليلها، و يقهر كبيرها صغيرها.

... و اعلم يقينا أنّك لن تبلغ أمملك، و لن تعدو أجلك، و أنّك فى سبيل من كان قبلك، فخفّض (٢) فى الطلب، و أجمل (٣) فى المكتسب، فإنّه ربّ طلب قد جرّ الى حرب (٤) فليس كل طالب بمرزوق، و لا كل مجمل بمحروم، و اكرم نفسك عن كل دتّيه (٥) و إن ساقتك الى الرغائب (٦)، فإنّك لن تعترض بما تبذل من نفسك عوضا (٧).

و لا تكن عبد غيرك و قد جعلك الله حرا، و ما خير خير لا ينال إلا بشراً، و يسر (٨) لا ينال إلا بعسر (٩)؟.

و إيّاك أن توجف (١٠) بك مطايا (١١) الطمع، فتوردك مناهل (١٢) الهلكه (١٣)، و إن استطعت ألا يكون بينك و بين الله ذو نعمه فافعل، فإنّك مدرّك قسمك، و آخذ سهمك، و إنّ اليسير من الله سبحانه أعظم و أكرم من الكثير من خلقه و إن كان كلّ منه.

... و لا- يكن أهلك أشقى الخلق بك، و لا ترغبنّ فيمن زهد عنك، و لا يكوننّ أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته، و لا تكوننّ على الإساءه أقوى منك على الإحسان، و لا

ص: ١٠١

١- ((١)) يهزّ-بكسر الهاء- يعوى و ينبح و أصلها هريز الكلب و هو صوته دون حاجه من قله صبره على البرد فقد شبه الإمام أهل الدنيا بالكلاب العاويه.

٢- ((٢)) خفّض: أمر من خفّض-بالتشديد-: أى ارفق.

٣- ((٣)) أجمل فى كسبه: أى سعى سعيا جميلا لا يحرص فيمنع الحق و لا يطمع فيتناول ما ليس بحق.

٤- ((٤)) حرب-بالتحريك-: سلب المال.

٥- ((٥)) الدتّيه: الشىء الحقيقير المبتذل.

٦- ((٦)) الرغائب: جمع رغبه، و هى ما يرغب فى اقتنائه من مال و غيره.

٧- ((٧)) عوضا: بدلا.

٨- ((٨)) اليسر: السهوله، و المراد سعه العيش.

٩- ((٩)) العسر: الصعوبه، و المراد ضيق العيش.

١٠- ((١٠)) توجف: تسرع.

١١- ((١١)) المطايا: جمع مطيه، و هى ما يركب و يمتطى من الدواب و نحوها.

١٢- ((١٢)) المناهل: ما ترده الإبل و نحوها للشرب.

١٣- ((١٣)) الهلكه: الهلاك و الموت.

يكبرنّ عليك ظلم من ظلمك، فإنّه يسعى في مضرتّه و نفعك، و ليس جزاء من سرّك أن تسوءه.

و اعلم يا بنّي! أنّ الرزق رزقان: رزق تطلبه و رزق يطلبك، فإنّ أنت لم تأته أتاك، ما أقبح الخضوع عند الحاجه، و الجفاء عند الغنى! إنّما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك (١) و إن كنت جازعا على ما تفلّت (٢) من يديك، فاجزع على كلّ ما لم يصل إليك، استدل على ما لم يكن بما قد كان، فإنّ الامور أشباه، و لا تكوننّ ممن لا تنفعه العظه إلا إذا بالغت في إيلامه، فإنّ العاقل يتعظ بالأداب، و البهائم لا تتعظ إلا بالضرب.

...استودع الله دينك و دنياك، و أسأله خير القضاء لك في العاجله و الآجله و الدنيا و الآخره، و السلام.

١٢- النهروان و مؤامره قتل أمير المؤمنين (عليه السلام):

أدى نفاق و تمرد بعض الجهلاء و المتظاهرين بالتدين الى أن تتمرد مجموعه كبيره من جيش أمير المؤمنين (عليه السلام) فترفض الانصياع لأوامره، بل ذهب هؤلاء المارقون إلى أبعد من ذلك عندما أصدروا حكما بتكفير الإمام (عليه السلام).

و بعد الجرائم التي ارتكبتها المارقون في العراق؛ اتخذوا «النهروان» قاعده لتمردهم، فاضطرّ الإمام (عليه السلام) الى التوجه نحوهم، و بعد أن تفاوض معهم و أتمّ الحجه عليهم؛ أعلن الحرب على من أصرّ منهم على انحرافه و عناده و كفره، ففضى عليهم كافه باستثناء أشخاص معدودين، و كان بين الأشخاص المعدودين الذين فزوا في واقعه النهروان عبد الرحمن بن ملجم المرادي الذي

ص: ١٠٢

١- (١) مثواك: مقامك، من ثوى يثوى: أقام يقيم، و المراد هنا منزلتك من الكرامه.

٢- (٢) تفلّت-بتشديد اللام:- أى تملّص من اليد فلم تحفظه.

كان يختزن في قلبه حقدا أعمى على الإمام المظلوم، فخطط سراً للتآمر على حياه أمير المؤمنين (عليه السلام) وفي نهايه المطاف و بعد أن نسّيق عمله مع عدد من الخوارج و المنافقين من أهل الكوفه؛ استطاع في ليله التاسع عشر من شهر رمضان المبارك في عام (٤٠) للهجره أن يغتال الإمام علياً (عليه السلام) و هو في محراب العباده و في بيت الله-مسجد الكوفه- لينطلق في الآفاق نداؤه الخالد:

«فرت و ربّ الكعبه».

١٣- في ليله استشهاد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام):

لما عزم الإمام عليّ (عليه السلام) على الخروج من بيته-قبل أن تشرق أنوار الفجر- إلى مناجاه الله و عبادته في مسجد الكوفه صاحت في وجهه و زّ كانت قد اهديت الى الحسن، فتتياً (عليه السلام) من صياحهنّ و قوع الحادث العظيم و الرزء القاصم، قائلاً: «لا حول و لا قوه الا بالله، صوائح تتبعها نوائح».

و أقبل الإمام على فتح الباب فعسر عليه فتحها و كانت من جذوع النخل فاقتلعها فانحلّ إزاره فشده و هو يقول:

اشدد حيازيمك للموت فإنّ الموت لاقيكاً

و لا تجزع من الموت إذا حلّ بواديكاً

و اضطرب الإمام الحسن (عليه السلام) من خروج أبيه في هذا الوقت الباكر فقال له: «ما أخرجك في هذا الوقت؟».

فأجابه (عليه السلام): «رؤيا رأيتها في هذه الليله أهالتي».

فقال له الإمام الحسن (عليه السلام): «خيراً رأيت، و خيراً يكون، قصّها عليّ». فأجابه الإمام عليّ (عليه السلام): «رأيت جبرئيل قد نزل من السماء على جبل أبي قبيس، فتناول منه حجرتين، و مضى بهما الى الكعبه، فضرب أحدهما بالآخر فصارا كالرميم، فما بقي بمكه

ولا بالمدينة بيت الأ و دخله من ذلك الرماد شيء».

فسأله (عليه السلام): «ما تأويل هذه الرؤيا؟».

فقال (عليه السلام): «إن صدقت رؤياي، فإن أباك مقتول، ولا يبقى بمكة ولا بالمدينة إلا دخله الهم والحزن من أجلي».

فالتاع الحسن و ذهل و انبرى قائلا بصوت خافت حزين النبرات: «متى يكون ذلك؟».

قال الإمام (عليه السلام): «إن الله تعالى يقول: وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ (١)» ولكن عهده إلى حبيبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه يكون في العشر الأواخر من شهر رمضان، يقتلني عبد الرحمن بن ملجم».

فقال الإمام الحسن (عليه السلام): «إذا علمت ذلك فاقتله».

فقال الإمام علي (عليه السلام): «لا يجوز القصاص قبل الجناية و الجناية لم تحصل منه».

و أقسم الإمام علي ولده الحسن أن يرجع الى فراشه، فلم يجد الحسن بدا من الامتثال (٢).

١٤- الإمام الحسن (عليه السلام) بجوار والده (عليه السلام) الجريح:

وصل أمير المؤمنين (عليه السلام) مسجد الكوفة و وقعت تلك الفاجعة العظمية على يد أشقى الأشقياء، و سمع أهل الكوفة بالفاجعة، فهرعوا الى المسجد و خفّ أبناء الإمام (عليه السلام) مسرعين، و كان الإمام الحسن (عليه السلام) في مقدمه الذين وصلوا المسجد فوجد أباه (عليه السلام) صريعا في محرابه و قد تخضب وجهه و لحيته بدمه، و جماعه حافين به يعالجونه للصلاه، و لما وقع نظره على ولده

ص: ١٠٤

١- ((١) لقمان (٣١): ٣٤.

٢- ((٢) حياه الإمام الحسن: ١/٥٥٧-٥٥٨.

الحسن (عليه السلام)؛ أمره أن يصلّي بالناس، و صلّي الإمام و هو جالس و الدم ينزف منه.

و لما فرغ الحسن (عليه السلام) من صلاته؛ أخذ رأس أبيه فوضعه في حجره، و سأله: من فعل بك هذا؟ فأجابه قائلاً: عبد الرحمن بن ملجم، فقال الإمام الحسن (عليه السلام): من أى طريق مضى؟ فقال الإمام عليّ (عليه السلام): لا يمض أحد في طلبه إنّه سيطلع عليكم من هذا الباب، و أشار الى باب كنده، و ما هي إلا فتره قصيره و إذا بالناس يدخلون ابن ملجم من الباب نفسها، و قد جىء به مكتوفا مكشوف الرأس، فأوقف بين يدي الإمام الحسن (عليه السلام) فقال له: يا ملعون! قتلت أمير المؤمنين و إمام المسلمين؟ هذا جزاؤه حين آواك و قرّبك حتى تجازيه بهذا الجزاء؟

و فتح أمير المؤمنين (عليه السلام) عينيه و قال له بصوت خافت: «لقد جئت شيئاً إذا و أمراً عظيماً، ألم أشفق عليك و اقدمك على غيرك في العطاء؟ فلماذا تجازيني بهذا الجزاء؟».

و قال لولده الحسن (عليه السلام) يوصيه ببرّه و الإحسان إليه: «يا بنى! ارفق بأسيرك و ارحمه و أشفق عليه».

فقال الإمام الحسن (عليه السلام): «يا أبتاه، قتلك هذا اللعين و فجعنا بك، و أنت تأمرنا بالرفق به».

فأجابه أمير المؤمنين: «يا بنى نحن أهل بيت الرحمة و المغفرة، أطعمه مما تأكل، و اسقه مما تشرب، فإن أنا متّ فافتص منه بأن تقتله، و لا تمثّل بالرجل فأنتى سمعت رسول الله (صلّى الله عليه و آله) يقول: إياكم و المثله و لو بالكلب العقور، و إن أنا عشت فأنا أعلم ما أفعل

به، و أنا أولى بالعفو، فنحن أهل البيت لا نزداد على المذنب إلينا إلا عفواً وكرماً» (١).

و نظر الحسن إلى أبيه و قد حرق الهمّ و الجزع قلبه فقال له:

«يا ابيه، من لنا بعدك؟ إن مصابنا بك مثل مصابنا برسول الله» فضمه الإمام و قال: مهدّثاً روعه:

«يا بنى! أسكن الله قلبك بالصبر، و عظم أجرك، و أجر إخوتك بقدر مصابكم بى».

و جمع الحسن لجنه من الأطباء لمعالجته و كان أبصرهم بالطبّ أثير بن عمرو السكونى (٢) فاستدعى برئه شاه حاره ففتبع عرقاً منها فاستخرجه فأدخله فى جرح الإمام ثم نفخ العرق فاستخرجه فإذا هو مكّلل ببياض الدماغ، لأنّ الضربه قد وصلت إلى دماغه الشريف فارتبك أثير و التفت إلى الإمام- و اليأس فى صوته- قائلاً:

«يا أمير المؤمنين! عهد عهدك، فإنك ميت» (٣).

فالتفت الحسن إلى أبيه و دموعه تتبلور على وجهه، و شظايا قلبه يلفظها بنبرات صوته قائلاً:

«أبه! كسرت ظهري، كيف أستطيع أن أراك بهذه الحالة؟» و بصر الإمام فرأى الأسى قد استوعب نفسه، فقال له برفق:

«يا بنى! لا غم على أبيك بعد هذا اليوم و لا جزع، اليوم ألقى جدك محمد المصطفى، و جدتك خديجة الكبرى، و أمك الزهراء، و إنّ الحور العين ينتظرن أباك، و يترقبن قدومه ساعة بعد ساعة، فلا بأس عليك، يا بنى لا تبك».

ص: ١٠٦

١- (١) جميع النصوص التي وردت تحت عنوان «بجوار والده (عليه السلام) الجريح» نقلت عن: زندگانی امام حسن مجتبی (عليه السلام) ١٥٣-١٥٤.

٢- (٢) أثير بن عمرو السكونى، كان أحد الأطباء الماهرين يعالج الجراحات الصعبة، و كان صاحب كرسي، و له تنسب صحراء أثير.

٣- (٣) الاستيعاب: ٦٢/٢.

و تسمّم دم الإمام، و مال وجهه الشريف إلى الصفرة، و كان في تلك الحالة هادئ النفس قدير العين لا يفتر عن ذكر الله و تسيّحه و هو ينظر إلى آفاق السماء، و يبتهل إلى الله بالدعاء قائلا:

«إلهي، أسألك مرافقه الأنبياء و الأوصياء و أعلى درجات الجنة».

و غشى عليه فذاب قلب الحسن و جعل يبكي مهما ساعدته الجفون، فسقطت قطرات من دموعه على وجه الإمام (عليه السلام) فأفاق، فلما رآه قال له:

مهّدئا روعه:

«يا بنى! ما هذا البكاء؟ لا خوف و لا جزع على أبيك بعد اليوم، يا بنى! لا تبك، فأنت تقتل بالسم، و يقتل أخوك الحسين بالسيف».

١٥- آخر وصايا أمير المؤمنين (عليه السلام):

و أخذ الإمام يوصي أولاده بمكارم الأخلاق، و يضع بين أيديهم المثل الرفيعه، و يلقي عليهم الدروس القيّمه، و قد وجه (عليه السلام) نصائحه الرفيعه أولا لولديه الحسن و الحسين، و ثانيا لبقية أولاده و عموم المسلمين قائلا:

«أوصيكمما بتقوى الله، و أن لا تبغيا الدنيا و إن بغتكما (١) و لا تأسفا على شيء منها زوى عنكما، و قولاً للحقّ و اعمالاً للأجر، و كوناً للظالم خصماً و للمظلوم عوناً، أوصيكمما، و جميع ولدى و أهلى و من بلغه كتابى بتقوى الله و نظم أمركم و صلاح ذات بينكم، فإننى سمعت جدكم (صلّى الله عليه و آله) يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامه الصلاة و الصيام، الله الله فى الأيتام فلا تغبوا أفواههم (٢) و لا يضيعوا بحضرتكم، و الله الله فى جيرانكم فإنهم وصيّه نبيكم، ما زال يوصى بهم حتى ظننا أنه سيورثهم، و الله الله فى القرآن لا يسبقكم بالعمل به

ص: ١٠٧

١- ((١)) المعنى: لا تطلبا الدنيا، و إن طلبتكما.

٢- ((٢)) لا تغبوا أفواههم: أى لا تقطعوا صلتكم عنهم وصلوا أفواههم بالطعام دوماً.

غيركم، والله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم، والله الله في بيت ربكم، لا تخلوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم تناظروا (١)، والله الله في الجهاد بأموالكم و أنفسكم و ألسنتكم في سبيل الله، و عليكم بالتواصل و التبادل (٢) و إياكم و التدابر و التقاطع، لا تتركوا الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فيتول عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم».

ثم قال (عليه السلام) مخاطبا لآله و ذويه:

«يا بنى عبد المطلب! ألفتكم (٣) تخوضون دماء المسلمين خوفا تقولون: قتل أمير المؤمنين قتل أمير المؤمنين، ألا لا تقتلن بى إلا قاتلى، انظروا إذا أنا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربه بضربه، و لا يمثّل بالرجل، فإنى سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول: إياكم و المثلثه و لو بالكلب العقور» (٤).

و أخذ (عليه السلام) يوصى ولده الحسن خاصة بمعالم الدين و إقامة شعائره قائلا:

«أوصيك، أى بنى، بتقوى الله، و إقام الصلاة لوقتها، و إيتاء الزكاه عند محلها، و حسن الوضوء، فإنه لا صلاة إلا بطهور، و أوصيك بغفر الذنب، و كظم الغيظ، و وصله الرحم، و الحلم عن الجاهل، و التفقه فى الدين، و الثبوت فى الأمر، و التعاهد للقرآن، و حسن الجوار، و الأمر بالمعروف، و النهى عن المنكر، و اجتناب الفواحش» (٥).

و فى اليوم العشرين من شهر رمضان ازدحمت الجماهير من الناس على بيت الإمام طالبين الأذن لعيادته، فأذن لهم إذنا عاما، فلما استقر بهم المجلس إلتفت لهم قائلا:

ص: ١٠٨

١- (١) لم تناظروا، مبنى للمجهول: أى يتعجل الانتقام منكم. شرح نهج البلاغه ابن أبى الحديد: ١١/١٧.

٢- (٢) التبادل: العطاء.

٣- (٣) لا ألفتكم: أى لأجدنكم تخوضون دماء المسلمين بالسفك انتقاما منهم بقتلى.

٤- (٤) شرح نهج البلاغه محمد عبده: ٨٥/٣.

٥- (٥) تاريخ ابن الأثير: ١٧٠/٣.

إلتفت لهم قائلاً:

«سلوني قبل أن تفقدوني، و خففوا سؤالكم لمصيبه إمامكم».

فاشفق الناس أن يسألوه، نظرا لما ألمّ به من شدّه الألم و الجرح (١).

١٦- الإمام علي (عليه السلام) ينصّ على خلافة ابنه الحسن (عليه السلام):

ولمّا علم أمير المؤمنين أنّه مفارق لهذه الدنيا و أنّ لقاءه برّبّه لقريب؛ عهد بالخلافه و الإمامه لولده الحسن، فأقامه من بعده لترجع إليه الامّه في شؤونها كافه، و لم تختلف كلمه الشيعة في ذلك، فقد ذكر ثقه الإسلام الكليني أنّ أمير المؤمنين أوصى إلى الحسن، و أشهد علي وصيته الحسين و محمدا و جميع ولده و رؤساء شيعته و أهل بيته، ثم دفع إليه الكتب و السلاح، و قال له:

«يا بني! أمرني رسول الله (صلّى الله عليه و آله) أن اوصى اليك و أن أدفع اليك كتبي و سلاحي، كما أوصى إلى رسول الله و دفع إليّ كتبه و سلاحه، و أمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين».

و روى أيضا أنّه قال له: «يا بني! أنت وليّ الدم فإن عفوت فلك و إن قتلت فضره مكان ضربه» (٢).

١٧- إلى الرفيق الاعلى:

ولمّا فرغ الإمام أمير المؤمنين من وصاياہ أخذ يعانى آلام الموت و شدّته، و هو يتلو آي الذكر الحكيم و يكثر من الدعاء و الاستغفار، و لمّا دنا منه الأجل المحتوم كان آخر ما نطق به قوله تعالى: لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ

ص: ١٠٩

١- ((١)) حياه الإمام الحسن: ١/٥٦٣-٥٦٤.

٢- ((٢)) اصول الكافي: ١/٢٩٧-٢٩٨.

الْعَامِلُونَ ثم فاضت روحه الزكية إلى جنّه المأوى و سمت إلى الرفيق الأعلى، و ارتفع ذلك اللطف الالهي إلى مصدره، فهو النور الذي خلقه الله ليبدد به غياهب الظلمات.

لقد ماتت أركان العدل و انطمست معالم الدين، و ماتت عون الضعفاء و كهف الغرباء و أبو الأيتام.

١٨- تجهيزه و دفنه:

و أخذ الحسن (عليه السلام) في تجهيز أبيه، فغسّل الجسد الطاهر و طيبه بالحنوط، و أدرجه في أكفانه، و لما حل الهزيع الأخير من الليل خرج و معه حفنه من آله و أصحابه يحملون الجثمان المقدّس إلى مقرّه الأخير فدفنه في النجف الأشرف حيث مقره الآن كعبه للوافدين و مقرا للمؤمنين و المتقين و مدرسه للمتعلمين، و رجع الإمام الحسن بعد أن وارى أباه إلى بيته و قد استولى عليه الأسى و الدهول و أحاط به الحزن (١).

ص: ١١٠

١- ((١)) حياه الإمام الحسن: ١/٥٦٨-٥٦٩.

الباب الثالث

إشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

عصر الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام)

الفصل الثاني:

مواقف الإمام (عليه السلام) وإنجازاته

١- من البيعه الى الصلح

٢- الصلح: أسبابه و نتائجه

٣- ما بعد الصلح حتى الشهاده

٤- شهاده الإمام و مثواه الأخير

الفصل الثالث:

تراث الإمام المجتبي (عليه السلام)

ص: ١١١

عصر الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام)

إنّ الخوارج حينما خرجوا على أمير المؤمنين (عليه السلام) وتمرّدوا عليه؛ لم يكن لحركتهم أيّ مبرر على غيرهم من المتمرّدين عليه كطلحه و الزبير و معاوية و غيرهم، و لم يكن لهم هدف خاص كما كان لمعاوية و طلحه و الزبير، و ما ينسب له المورّخون من الجدل حول التحكيم مع أنّهم من أنصاره في بدايه الأمر- و نتائجه لم يلتزم بها أمير المؤمنين (عليه السلام) إن صحّ- يدلّ على أنّهم كانوا في منتهى السداجه و العفويه، و أنّهم كانوا ضحايا المتآمرين على أمير المؤمنين بقصد إثارة الفتن في جيشه و إلهائه عن معاوية و الرجوع لحربه، و كان لمقتلهم آثاره السيئه في نفوس الكثيرين من أصحابه، لأنّ القتلى كان أكثرهم ينتمى إلى عشائر الكوفه و البصره، فليس بغريب إذا ترك قتلهم في نفوس من ينتمون اليهم ما يجده كلّ قريب لفقد قريبه.

و لَمّا انتهى أمير المؤمنين منهم دبّ الوهن و التخاذل و الخلاف بين أصحابه، فجعل يستحثّهم على الخروج معه لحرب معاوية و يخطب فيهم المرّه تلو الاخرى فلا يجد منهم إلّا- التخاذل و الخلاف عليه، فيقولون: لقد نفذت نبالنا و كلّت أذرعنا و نصلت أسنّه رماحنا و تقطعت سيوفنا، فأمهلنا

لنستعد فإن ذلك أقوى لنا على عدونا، واستمر على ذلك مدّة من الزمن كان يدعوهم بين الحين و الآخر للخروج إلى معسكرهم في النخيلة، فلا يخرج إلا القليل الذي لا يغنى شيئا (١).

هذا والأشعث بن قيس و شيبث بن ربعي و أمثالهما لا- هم لهم إلا التخريب و بثّ روح التخاذل في النفوس، و راح يضع في أذهان الجيش أنّ عليّا كان عليه أن يصنع مع أهل النهروان كما صنع عثمان و يتغاضى عنهم و هم قلّه لا يشكّون خطرا عليه، لقد قال الأشعث ذلك ليحدث تصدعا في صفوف الجيش و ليشحن نفوس من تربطهم باولئك القتلى أنساب و قرابات بالكراهية و العداة لعليّ (عليه السّلام).

و سرت مقاله الأشعث بين الناس فزادتهم تخاذلا و تصدعا ٢، و أتيح لمعاوية أن يتصل بسرّاتهم و رؤسائهم أكثر من قبل، تحمل كتبه لهم الوعود و الأمانى، و يقدّم بين يدي الوعود و الأمانى العطايا و الصلوات يعجلّ لهم ما يرغبون في عاجله و ما يغرى قلبه المعجّل بكثيره الموعود، حتى اشترى ضمائرهم و أفسدهم على إمامهم و جعلهم يعطونه الطاعة بأطراف ألسنتهم و يطوون قلوبهم على المعصية و الخذلان.

لقد استطاع المتآمرون من أهل العراق أن يحقّقوا لمعاوية كلّ أطماعه و أن يشلّوا حركة الإمام (عليه السّلام) و يخلقوا له من المصاعب و المشاكل ما يشغله عن لقاء أهل الشام مرّة ثانية، فلم تنته معركة النهروان حتى ظهرت فلولهم في أكثر من ناحيه في العراق، و تركت معركة النهروان في أهاليهم و قبائلهم

ص: ١١٤

١- (٢٠١) راجع أعيان الشيعة: ١/٥٢٤ طبعه دار التعارف سيره المؤمنين (مبحث الخوارج) عن ابن الأثير.

أوتارا لم يكن من السهل نسيانها، لا سيما و أنّ أيدي المتآمرين ممن كانوا على صلة بمعاويه كانت تزوّدهم بالأموال و العتاد فيخرج الرجل و معه المائه و المئتان، فيضطر أمير المؤمنين (عليه السّلام) إلى أن يرسل اليهم رجلا من أصحابه و معه طائفه من الجند فيقاتل المتمردين، حتى إذا قتلهم أو شرّدهم؛ عاد إلى الكوفه، و قبل أن يستقرّ يخرج آخر بجماعه من المتمردين.

و هكذا كانت الحاله بعد معركة النهروان حتى خرج الخريت بن راشد، و قد جاءه قبل خروجه، و قال له: و الله إنّني لا اطيعك و لا اصلي خلفك لأنك حكمت الرجال و ضعفت عن الحق، فقال له: إذن تعصى ربك و تنكث عهدك و لا تضرّ إلا نفسك، و دعاه للمناظره، فقال له: أعود اليك غدا، فقبل منه و أوصاه أن لا يؤذى أحدا من الناس و لا يعتدى على الدماء و الأموال و الأعراض فخرج و لم يعد، و كان مطاعا في قومه بنى ناجيه و خرج معه جماعه في ظلمه الليل و التقى في طريقه برجلين و كان أحدهما يهوديا و الآخر مسلما، فقتلوا المسلم، و عاد اليهودي إلى عامل عليّ على السواد فأخبره بأمرهم فكتب العامل لأمير المؤمنين فأرسل اليهم جماعه من أصحابه و أمره بردهم إلى الطاعه و مناجرتهم إن رفضوا ذلك، و حدثت بينه و بين الخريت و جماعته مناظره لم تجد شيئا، فطلب منهم أصحاب أمير المؤمنين أن يسلموهم قتله المسلم فأبوا إلا الحرب، و كانت بين الطرفين معارك داميه، فأرسل اليهم أمير المؤمنين قوه اخرى، و كتب إلى عبد الله بن العباس و كان أميرا على البصره يأمره بملاحقتهم، و الخريت مرّه يدعى بأنّه يطلب بدم عثمان، و اخرى ينكر على عليّ (عليه السّلام) التحكيم.

و أخيرا قتل الخريت و جماعه من أصحابه و اسر منهم خمسمائه

قادوهم إلى الكوفة، فمَرَّ بهم الجيش على مصقله بن هبيرة الشيباني و كان عاملاً لعلی (عليه السَّلام) على بعض المقاطعات فاستغاث به الأسرى فرقَّ لحالهم كما تزعم بعض الروايات، و اشتراهم من القائد على أن يسدَّ أثمانهم أفساطاً و اعتقهم، و جعل يماطل في أداء ما عليه، و لما طال به عبد الله بن عباس بأداء المبلغ أجابه: لو طلبت هذا المبلغ و أكثر منه من عثمان ما منعتني إيَّاه، ثم هرب إلى معاوية فاستقبله استقبال الفاتحين و أعطاه ما يريد.

و طمع مصقله أن يستجلب أخاه نعيم بن هبيرة إلى جانب معاوية، فأرسل إليه رساله مع رجل من نصارى تغلب كان يتجسس لصالح معاوية، و لم يكذ يبلغ الكوفة حتى ظهر أمره فأخذه أصحاب أمير المؤمنين و قطعوا يده.

إلى كثير من أمثال هذه الحوادث التي تدین المتمردین و من كان يعاونهم بالتآمر و إشاعه الفوضى في جميع أطراف الدوله لاستنزاف قوه الإمام في الداخل و ليكون في شغل عن معاوية و تصرفاته.

و من غير البعيد أن يكون مصقله الشيباني على صله بالمتمردین و أنّ حرصه على تخليصهم من الأسر لقاء مبلغ من المال يعجز عن دفعه لم يكن بدافع إنساني كما يبدو ذلك لأول نظره في حادثه من هذا النوع، بل كان بدافع الإحساس بمسؤوليته عن فئه كان يشترك معها في الهدف و الغايه و يمنيها بالمساعدة عندما تدعو الحاجه، و قد لقي من معاوية هذا الترحيب لأنه اشترك في الفساد و الفوضى و ساعد المخزيين الذين جرّعوا علياً (عليه السَّلام) الغصص و أرهقوه من أمره عسراً و كانوا إلى ابن هند فرجا و مخرجا.

أما أمير المؤمنين (عليه السَّلام) فلم يزد حين بلغه فرار مصقله إلى الشام على أن

قال: ما له قاتله الله؟ فعل فعل الأحرار و فرّ فرار العبيد و أمر بداره فهدمت (١).

و قد اتيح لمعاويه فى ذلك الجوّ الذى ساد العراق فى الداخل أن يتحرك من ناحيته على القرى و المدن المتاخمه لحدود الشام فيقتل و ينهب و ينكّل بقوّات المخافر المرابطه على الحدود بدون رادع من أحد و وازع من دين، و أمير المؤمنين (عليه السّلام) يدعو أهل العراق لنجده إخوانهم و ملاحقه المعتدين فلا يجد منهم ما يرضيه.

و أغارت قوات معاويه على الحجاز و اليمن بقياده بسر بن أرطاه و أوصاه باستعمال كلّ ما من شأنه إشاعه الفوضى و بثّ الخوف و الرعب فى تلك البلاد، فمضى ابن أرطاه ينفذ أمر معاويه فأسرف فى الاستخفاف بالدماء و الحرمات و الأعراض و الأموال فى طريقه إلى المدينه، و لمّا بلغ المدينه قابل أهلها بكلّ أنواع الإساءه و القسوه فقتل فيها عددا كبيرا و اضطرّهم إلى بيعه معاويه، و كانت أخباره قد انتهت إلى اليمن فانتشر فيها الخوف و الرعب، و فرّ منها عامل أمير المؤمنين عبيد الله بن العباس، و لمّا دخلها أسرف فى القتل و النهب و التخريب، و وجد طفلين صغيرين لعبيد الله ابن العباس، فذبحهما فى حضان امهما، فأصابها خلل فى عقلها و ظلّت تندبهما و تبكيهما حتى ماتت غما و كمدا (٢).

و جهّز جيشا آخر لغزو مصر ليحقّق لابن العاص امنيته الغاليه، و ولّاه قياده ذلك الجيش، و لمّا بلغ أمير المؤمنين ذلك؛ دعا أهل الكوفه لنجده إخوانهم فى مصر فلم يستجيبوا لطلبه، و بعد أن ألحّ عليهم أجابه جماعه منهم

ص: ١١٧

١- (١) راجع أعيان الشيعة: ١/٥٢٥-٥٢٦.

٢- (٢) تاريخ يعقوبى: ٢/١٩٥-١٩٩.

و ما لبث أن جاءته الأنباء بأن ابن العاص قد تغلب عليها و قتل و اليها محمد بن أبي بكر و مثل به ثم أحرقه،فانتدب مالك بن الحرث الأشتر و ولّاه عليها لإنقاذها من أيدي الغزاه،و كان كما يصفه المؤرّخون حازما قويا مخلصا لأمير المؤمنين كما كان أمير المؤمنين لرسول الله على حدّ وصف الإمام و غيره له.

و لَمَّا بلغ معاويه نبأ اختياره حاكما في مصر اضطرب و اشتدّ خوفه على أنصاره و قواته المرابطه فيها،و استطاع بعد تفكير طويل أن يجد المخرج من تلك الأزمه التي أحاطت به،فأغرى أحد أنصاره ممّن يسكنون الطريق التي لا بدّ للأشتر من المرور عليها بالمال لقاء اغتياله،و لَمَّا بلغ الأشتر ذلك المكان و نزل فيه جاءه بعسل مسموم كان قد أعدّه له بناء لتخطيط معاويه، فكانت به نهايته (١)،و كان ناجحا في التخلص من خصومه بهذا الاسلوب،فقد قتل ابن خاله محمد بن أبي حذيفه و عبد الرحمن بن خالد بن الوليد و سعد بن أبي وقاص و الإمام أبا محمد الحسن(عليه السلام) بهذا الاسلوب،و أحيانا كان يتباهى به و يقول:إنّ لله جندا من العسل ينتقم به لأوليائه.

و توالى الأحداث في داخل العراق و البلاد التي كانت تخضع لسلطه أمير المؤمنين، فلم يكن يفرغ من تمرّد حتى يفاجأ بآخر و لا يسدّ ثغره إلا فتحت له اخرى حتى طمع فيه معاويه إلى حدود الاستخفاف (٢)،هذا و أصحابه بالرغم مما يجرى حولهم و على حدود بلادهم و في خارجها من احتلال لبعض المقاطعات و قتل و نهب ممنون في خلافه مفرقون فيما أحبوا من

ص: ١١٨

١- ((١)) تاريخ يعقوبى: ١٩٣/٢-١٩٤.

٢- ((٢)) راجع اعيان الشيعة: ٥٢٨/١-٥٣٠، و تاريخ يعقوبى: ١٩٥/٢-٢٠٠.

طلب العافيه، إذا استنفرهم لا ينفرون و إذا دعاهم لا يجيبون، يتعللون بالأعداء الواهيه كحر الصيف و برد الشتاء، و لا يغضبون لحقّ أو دين و لا للمشردين و المستضعفين حتى كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل و يبكى أحيانا على من مضى من أنصاره و يقول: «متى يبعث أشقاها فيخضب هذه من هذا؟» مشيرا إلى رأسه الكريم و لحيته الشريفه، و يتمنى لو أنّ معاويه صارفه فيهم صرف الدينار بالدرهم فأخذ منه عشره و أعطاه واحدا من أهل الشام، و وطن نفسه أخيرا أن يخرج لحرب معاويه بمن هم على رأيه من أهله و عشيرته و أنصاره، فيقتل بهم حتى يلقي الله في سبيل الحقّ و العدل، و تحدّث اليهم حديثا لا لبس فيه، و حملهم تبعات ما سينجم عن تخاذلهم (١).

و كان على ما يبدو -لهذا الموقف الحازم منه أثره في نفوس القوم بعد أن أيقنوا بأنّه سيخرج بنفسه و أهله و خاصيته إلى معاويه، و سيلحقهم بذلك الخزي و العار و يصبحون حديث الأجيال إذا هم تركوه يخرج على هذه الحال، فردّ عليه زعماؤهم ردّا جميلا، و جمع كلّ رئيس منهم قومه و تداعوا للجهاد من كلّ جانب و تعاهدوا على الموت معه، حتى أصبحت الحرب حديث الناس، و أرسل إلى عمّاله في مختلف المناطق يدعوهم للاشتراك معه بمن عندهم من الجيوش و المقاتلين.

و خرج الناس إلى معسكراتهم في النخيله ينتظرون انسلاخ شهر رمضان من سنه أربعين لهجره النبي (صلّى الله عليه و آله)، و أرسل أمير المؤمنين (عليه السلام)

ص: ١١٩

١- ((١)) نهج البلاغه الخطبه ١٧٧، طبعه محمد عبده.

زياد بن حفصه فى جماعه من أصحابه طليعه بين يديه، وبقى هو مع الجيش ينتظر انسلاخ الشهر المبارك، وإذا بالقدر ينقض عليه و على أهل العراق فيكمن له أشقى الأولين و الآخرين فى فجر اليوم التاسع عشر من ذلك الشهر و هو فى بيت الله فيضربه على رأسه الشريف و هو يصلّى لربّه، فيخزّ منها فى محرابه و هو يقول: «فزت و ربّ الكعبه» (١).

ص: ١٢٠

١- (١) راجع سيره الأئمه الاثنى عشر: ١/٤٤٦-٤٥١.

إشاره

مواقف الإمام (عليه السلام) وإنجازاته

البحث الأول: من البيعه إلى الصلح

١- خطبه الإمام الحسن (عليه السلام) يوم شهادته أبيه (عليه السلام):

تحدث أغلب المؤرخين عن أنّ الإمام الحسن (عليه السلام) ألقى في صباح الليلة التي دفن فيها أباه (عليه السلام) خطبه في الناس جاء فيها:

«أيها الناس! في هذه الليلة نزل القرآن، وفي هذه الليلة رفع عيسى بن مريم، وفي هذه الليلة قتل يوشع بن نون، وفي هذه الليلة مات أبي أمير المؤمنين (عليه السلام)، والله لا يسبق أبي أحد كان قبله من الأوصياء إلى الجنّة، ولا من يكون بعده، وإن كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) لبيعه في السريه فيقاتل جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، وما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائه درهم فضلت من عطائه كان يجمعها ليشترى بها خادما لأهله» (١).

و نقل الشيخ المفيد في «الإرشاد» الخطبه بهذه الصوره:

«و روى أبو مخنف لوط بن يحيى، قال: حدثني أشعث بن سوار عن أبي إسحاق السبيعي وغيره، قالوا: خطب الحسن بن علي (عليه السلام) في صبيحه الليلة التي قبض فيها أمير المؤمنين (عليه السلام) فحمد الله وأثنى عليه و صلى على

ص: ١٢١

رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم قال: «لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل ولا يدركه الآخرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول الله فيقيه بنفسه، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوجهه برايته فيكنفه جبرئيل عن يمينه و ميكائيل عن شماله، ولا يرجع حتى يفتح الله على يديه.

ولقد توفي (عليه السلام) في الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم، وفيها قبض يوشع بن نون وصي موسى (عليه السلام) وما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائه درهم، فضلت عن عطائه أراد أن يتاع بها خادما لأهله».

ثم خنقته العبره فبكى وبكى الناس معه، ثم قال: «أنا ابن البشير أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله يا ذنه، أنا ابن السراج المنير، أنا من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، أنا من أهل بيت فرض الله موذتهم في كتابه فقال تعالى: قُلْ لَا أَشْتَكُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا (١)، فالحسنه موذتنا أهل البيت» (٢).

٢- بيعه الإمام الحسن (عليه السلام):

ولما أنهى الإمام (عليه السلام) خطابه، انبرى عبيد الله بن العباس فحفز المسلمين إلى المبادره لمبايعته قائلا:

«معاشر الناس، هذا ابن نبيكم، ووصي إمامكم فبايعوه». واستجاب الناس لهذه الدعوه المباركه، فهتفوا بالطاعه، وأعلنوا الرضا والانقياد قائلين:

ص: ١٢٢

١- ((١)) الشورى (٢٣): ٣٣.

٢- ((٢)) علاوه على الإرشاد، نقلت الروايه في أمالي الطوسى و تفسير فرات، كما أن الكثير من كتب أهل السنه نقلت ما يماثل الروايتين، راجع «ملحقات إحقاق الحق»: ١٨٢/١١-١٩٣.

«ما أحبه لنا و أوجب حقه علينا و أحقه بالخلافه» (١).

و تمت البيعه له فى يوم الجمعة المصادف الحادى و العشرين من شهر رمضان فى سنة (٤٠) للهجره (٢).

و ثم نزل الحسن عن المنبر فرتب العمال و أمر الامراء و نظر فى الامور، و أنفذ عبد الله بن العباس إلى البصره (٣).

كان أول شىء أحدثه الحسن بن على (عليه السلام) أنه زاد المقاتله مائه مائه، و قد كان أبوه فعل ذلك يوم الجمل، و الحسن (عليه السلام) فعله على حال الاستخلاف فتبعه الخلفاء بعد ذلك (٤).

٣- الإمام الحسن (عليه السلام) يقتصر من قاتل أمير المؤمنين (عليه السلام):

و فى اليوم الذى بايع الناس الإمام الحسن (عليه السلام) و بعد إتمام البيعه أمر بإحضار عبد الرحمن بن ملجم فلما مثل بين يديه قال له ابن ملجم: ما الذى أمرك به أبوك؟ فأجابه الامام (عليه السلام):

«أمرنى أن لا أقتل غير قاتله، و أن اشبع بطنك و انعم وطأك» (٥).

ثم ضرب عنقه، و لم يمثل به.

٤- جهاد الإمام الحسن (عليه السلام):

يكشف النص التاريخى-الذى نقلناه سابقا عن قيام الإمام (عليه السلام)

ص: ١٢٣

١- (١) مقاتل الطالبين: ٣٤.

٢- (٢) الإرشاد: ١٥/٤.

٣- (٣) أعيان الشيعة: ١٤/٤.

٤- (٤) مقاتل الطالبين: ٣٥ طبعه المكتبة الحيدريه-النجف ١٣٨٥.

٥- (٥) تاريخ يعقوبى: ١٩١/٢، و تاريخ الطبرى: ٨٦/٦، و مقاتل الطالبين: ١٦، و تاريخ ابن الاثير: ١٧٠/٣.

بمضاعفه الاجور التي كان يتقاضاها المقاتله-عن موقف الإمام(عليه السلام)الجاذ من الحرب و إصراره الأكيد في مجابهه معاويه كما يتضح من عمله في إصلاح حال جيشه و بنائه له.

و قد أخذ الإمام(عليه السلام)جانب الحزم في موقفه من معاويه،حيث إن معاويه لما علم بوفاه أمير المؤمنين(عليه السلام)و بيعه الناس مع الإمام الحسن(عليه السلام) دس رجلا- من حمير إلى الكوفه و رجلا- من بنى القين إلى البصره ليكتبا إليه بالأخبار و يفسدا على الإمام(عليه السلام)الامور،فعرف ذلك الإمام فأمر باستخراج الحميرى من عند لحام بالكوفه،فاخرج و أمر بضرب عنقه و كتب إلى البصره باستخراج القينى من بنى سليم فأخرج و ضربت عنقه (١).

ثم كتب الإمام(عليه السلام)إلى معاويه:«أما بعد،فإنك دسست إلى الرجال كأنك تحب اللقاء،لا أشك في ذلك،فتوقعه إن شاء الله،و بلغنى عنك أنك شمت بما لم يشمت به ذوو الحجى و أنما مثلك في ذلك كما قال الأول:

فإننا و من قد مات منا لكالذى يروح فيمسى فى المبيت ليغدى

فقل للذى يبقى خلاف الذى مضى تجهز لاخرى مثلها فكأن قد» ٢

لقد كانت هذه الحادته إنذارا لمعاويه بالحرب و تهديدا له و قطعا لآماله بالاستيلاء على الكوفه بسلام.

و فى كتاب آخر من الإمام(عليه السلام)لمعاويه جوابا على رسالته التى لَمَّحَ فيها للصلح و طلب فيها من الإمام(عليه السلام)أن يبايعه على أن يجعل له ولايه العهد،نلاحظ قوه موقف الإمام و عدم اهتمامه بمثل هذه العروض التى كان يحاول فيها معاويه استماله جانب الإمام،يقول(عليه السلام):

ص:١٢٤

«أما بعد، فقد وصل إلي كتابك فتركت جوابك خشيه البغي عليك، فاتبع الحقّ تعلم أنّي من أهله، والسلام» (١).

و لم يتجاوز عدد الرسائل التي كانت بين الامام (عليه السّلام) و معاويه الخمس حسبما يذكر ذلك أبو الفرج و آخرون. و السبب في ذلك هو ما كان يحمله معاويه من نزعات جعلته من الذين لا- يستجيبون للحقّ و لا- يذعنون لأهله، بل إنّ تلك النزعات قد اشتدت بعد استشهاد أمير المؤمنين (عليه السّلام) حيث قويت مطامعه بالخلافه التي كان يفتقد لأبسط مقوماتها و شروطها من وجهه نظر إسلاميه.

و بالرغم من ذلك فإنّ الإمام الحسن (عليه السّلام) و اصل نهج والده (عليه السّلام) كما كان يقتضيه التكليف الإلهي بإتمام الحجّه على خصمه فأرسل اليه أكثر من رساله في هذا الإطار، بالرغم ممّا كان يعرفه عنه من نزعات غير خيره، ننقل هنا أكثرها شموليه:

من الحسن بن عليّ أمير المؤمنين إلى معاويه بن أبي سفيان، سلام عليك، فإنّي أحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإنّ الله جلّ جلاله بعث محمدا رحمة للعالمين، و منّه للمؤمنين، و كافه للناس أجمعين، لئندّر من كان حيا و يحقّ القول على الكافرين، فبلغ رسالات الله، و قام بأمر الله حتى توفاه الله غير مقصّر و لا وان، و بعد أن أظهر الله به الحقّ، و محقّ به الشرك، و خصّ به قريشا خاصه فقال له: وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ، فلما توفى تنازعت سلطانه العرب، فقالت قريش: نحن قبيلته و اسرته و أولياؤه، و لا يحلّ لكم أن تنازعونا سلطان محمد و حقّه، فرأت العرب أنّ القول ما قالت

ص: ١٢٥

قريش، و أنّ الحجّجّه في ذلك لهم على من نازعهم أمر محمد، فأنعمت لهم و سلّمت اليهم، ثم حاجبنا قريشا بمثل ما حاجبت به العرب، فلم تنصفنا قريش إنصاف العرب لها، إنهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالانتصاف و الاحتجاج، فلمّا صرنا أهل بيت محمد و أولياءه إلى محاجبتهم، و طلب النّصف منهم؛ باعدونا و استولوا بالإجماع على ظلمنا و مراغمتنا و العنت منهم لنا، فالموعد الله، و هو الولي النصير.

و لقد كنّا تعجبنا لتوّب المتوتّبين علينا في حقّنا و سلطان نبينا، و إن كانوا ذوى فضيله و سابقه في الإسلام، و أمسكنا عن منازعتهم مخافه على الدين أن يجد المنافقون و الأحزاب في ذلك مغمزا يثلمون به، أو يكون لهم بذلك سبب إلى ما أرادوا من إفساده، فاليوم فليتعب المتعجب من توتّبك يا معاويه على أمر لست من أهله، لا بفضل في الدين معروف، و لا أثر في الإسلام محمود، و أنت ابن حزب من الأحزاب، و ابن أعدى قريش لرسول الله (صلّى الله عليه و آله) و لكتابه، و الله حسيبك، فستردّ فتعلم لمن عقبى الدار، و بالله لتلقين عن قليل ربّك، ثم ليجزينك بما قدّمت يداك، و ما الله بظلام للعبيد.

إنّ علينا لما مضى لسبيله -رحمه الله عليه- يوم قبض و يوم منّ الله عليه بالإسلام و يوم يبعث حيّا ولأنى المسلمون الأمر بعده، فأسأل الله ألا يؤتينا في الدنيا الزائله شيئا ينقصنا به في الآخرة ممّا عنده من كرامه، و إنّما حملنى على الكتاب اليك الإغذار فيما بينى و بين الله عزّ و جلّ في أمرك، و لك في ذلك إن فعلته الحظّ الجسيم، و الصلاح للمسلمين، فدع التمادى في الباطل، و ادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتى، فإنّك تعلم أنّى أحقّ بهذا الأمر منك عند الله و عند كلّ أوّاب حفيظ، و من له قلب منيب، و اتق الله و دع البغى و احقن دماء المسلمين، فوالله ما لك خير فى أن تلقى الله من دمائهم بأكثر ممّا أنت لاقية به، و ادخل فى السلم و الطاعه، و لا تنازع الأمر أهله و من هو أحقّ به منك ليطفى الله النائرة بذلك، و يجمع الكلمه و يصلح ذات البين، و إن أنت أبيت إلا التمادى فى غيبيك سرت اليك بالمسلمين

فحاكمتك، حتى يحكم الله بيننا و هو خير الحاكمين (١).

و جاء فى جواب معاويه على رساله الإمام (عليه السلام) هذه:

«..قد علمت أئى أطول منك ولايه، و أقدم منك بهذه الامه تجربه، و أكبر منك سنًا، فأنت أحق أن تجيبنى إلى هذه المنزله التى سألتنى، فادخل فى طاعتى، و لك الأمر من بعدى، و لك ما فى بيت مال العراق من مال بالغًا ما بلغ، تحمله إلى حيث أحببت، و لك خراج أى كور فى العراق شئت معونه لك على نفقتك يجيها أمينك و يحملها لك فى كل سنه، و لك أن لا يستولى عليك بالإساءه، و لا تقضى دونك الامور، و لا تعصى فى أمر أردت به طاعه الله...» (٢).

تصوّر هذه الرساله بوضوح كيف أنّ مقام الخلافه الإلهيه المقدسه ليس عند معاويه إلا سلعه تشتري و يدفع ثمنها من بيت مال المسلمين و ليس من مال معاويه الخاص، و هى كذلك تؤكّد تعديه أمر الرسول (صلّى الله عليه و آله) و هو أمر الله تعالى له فى استخلاف أئمه أهل البيت (عليهم السلام) و نصبهم للإمامه من بعده.

٥- تحرك معاويه نحو العراق و موقف الإمام (عليه السلام):

و بدأ معاويه يعيى جيشه و يكتب لعماله بموافاته لغزو العراق، و فى بعض كتبه لعماله يذكر أنّ بعض أشراف الكوفه و قادتهم كتبوا اليه يلتمسون منه الأمان لأنفسهم و عشائرهم، و إن صح هذا فهو أول الخذلان الذى ارتكبه أهل الكوفه بحق الإمام الحسن (عليه السلام).

و جاء فى مذكوره رفعها معاويه ذات مضمون واحد إلى جميع عماله

ص: ١٢٧

١- (١) مقاتل الطالبين: ٥٦-٥٥.

٢- (٢) شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ١٣/٤.

و ولائه: «..أما بعد، فالحمد لله الذى كفاكم مؤونه عدوكم و قتله خليفتمكم، إن الله بلطفه أتاح لعلى بن أبى طالب رجلا من عباده فاغتاله فقتله فترك أصحابه متفرقين مختلفين، و قد جاءتنا كتب أشرفهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم و عشائرهم، فأقبلوا إلينا حين يأتيكم كتابى هذا بجهدكم و جندكم و حسن عدتكم، فقد أصبتم بحمد الله الثأر، و بلغتم الأمل، و أهلك الله أهل البغى و العدوان..» (١).

و لما وصلت هذه الرسالة إلى عماله و ولائه قاموا بتحريض الناس و حثهم على الخروج و الاستعداد لحرب ریحانه رسول الله (صلّى الله عليه و آله) و سبطه، و فى أقرب وقت التحقت به قوى كبيره لا ينقصها شىء من العده و العدد.

و لما توفرت لمعاويه تلك القوه من المضللين و أصحاب المطامع؛ زحف بهم نحو العراق و تولى بنفسه قياده الجيش، و أناب عنه فى عاصمته الضحاك بن قيس الفهري، و قد كان عدد الجيش الذى نزع معه ستين ألفا، و قيل أكثر من ذلك، و مهما كان عدده فقد كان مطيعا لقوله، ممثلا لأمره، منفذا لرغباته... و طوى معاويه البيداء بجيشه الجزار، فلما انتهى إلى جسر منبج (٢) أقام فيه، و جعل يحكم أمره.. (٣).

و بدأ الإمام (عليه السلام) من جانبه يستنهض الكوفه للجهاد و السير لقتال معاويه بعد أن بلغه توجهه نحو العراق، فبعث حجر بن عدى يأمر العمال و الناس بالتهيؤ للمسير و نادى المنادى الصلاه جامعه فأقبل الناس يتوثبون و يجتمعون «فقال الإمام الحسن (عليه السلام) للمنادى: «إذا رضيت جماعه الناس

ص: ١٢٨

١- (١) مقاتل الطالبين: ٣٨-٣٩.

٢- (٢) جسر منبج: بلد قديم، المسافه بينه و بين حلب يومان.

٣- (٣) حياه الإمام الحسن: ٧١/٢.

فأعلمنى» وجاء سعيد بن قيس الهمداني فقال: اخرج فخرج الإمام الحسن (عليه السلام) فصعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه ثم قال (١):

«..أما بعد، فإن الله كتب الجهاد على خلقه و سَمَّاهُ كَرْهًا، ثُمَّ قَالَ لِأَهْلِ الْجِهَادِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ: إِصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ فَلَسْتُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- نَائِلِينَ مَا تَحْتَوْنَ إِلَّا -بِالصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ، إِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنَّ مَعَاوِيَةَ بَلَغَهُ أَنَّا كُنَّا أَزْمَعْنَا الْمَسِيرَ إِلَيْهِ فَتَحَرَّكَ لَذَلِكَ، فَاخْرَجُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى مَعْسَكِرِكُمْ بِالنَّخِيلَةِ..» فسكتوا (٢).

٦- استنكار الموقف المتخاذل:

و هكذا وقف أهل الكوفة هذا الموقف المتخاذل من قائدهم و إمامهم، إذ سكتوا حيث طلب منهم الإجابة على ندائه بالخروج إلى معسكرهم في النخيلة، فتحوّلت أعينهم و هلعت قلوبهم، فلمّا رأى ذلك عدى بن حاتم الطائي قام فقال:

«أنا ابن حاتم، سبحان الله! ما أقبح هذا المقام! ألا تجيبون إمامكم و ابن بنت نبيكم؟ أين خطباء المصر الذين أُلستهم كالمخاريق في الدعة، فإذا جدّ الجدّ فرؤا غون كالثعالب؟ أما تخافون مقت الله، و لا عيبها و عارها؟».

ثم استقبل الإمام الحسن بوجهه، فقال:

«أصاب الله بك المرشد و جنبك المكاره و وفّقك لما تحمد و رده و صدره، قد سمعنا مقاتلك و انتهينا إلى أمرك و سمعنا لك و أطعنا فيما قلت و رأيت و هذا وجهي إلى معسكرك، فمن أحبّ أن يوافيني فليواف» ثم مضى لوجهه، فخرج من المسجد و دابته بالباب فركبها و مضى إلى النخيلة

ص: ١٢٩

١- (١) صلح الإمام الحسن: ٦٥، دار الغدير للطباعة و النشر - بيروت - ط. ١٩٧٣.

٢- (٢) أعيان الشيعة: ١٩/٤.

و أمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه، و كان عدى بن حاتم أول الناس عسكرا (١).

و قام قيس بن سعد بن عباده الأنصارى و معقل بن قيس الرياحى و زياد ابن صعصعه التيمى فأثبوا الناس و لاموهم و حرّضوهم و كلّموا الإمام الحسن بمثل كلام عدى بن حاتم فى الإجابة و القبول، فقال لهم الإمام الحسن (عليه السّلام):

«صدقتم رحمكم الله ما زلت أعرّفكم بصدق التّيه و الوفاء و القبول و المودّة الصحيحة فجزاكم الله خيرا» (٢)، ثم نزل و خرج الناس فعسكروا و نشطوا للخروج، و خرج الإمام الحسن (عليه السّلام) إلى المعسكر و استخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب و أمره باستحثاث الناس و إشخاصهم اليه، فجعل يستحثّهم و يخرجهم حتى يلتئم العسكر و سار الإمام (عليه السّلام) فى عسكر عظيم و عدّه حسنه حتى انتهى إلى النخيلة.

و هكذا بدأت المسيره، و لكن دون أن يكون دافع الحركة اختياريا بشاقل و إكراه تفرضه طبيعه الموقف المتخاذل، و لو لا الصفوه الخيره و الثّله المؤمنه؛ لا نقلب ميزان الموقف و انتصرت عوامل الضعف عاجلا، و لكن موقف هؤلاء المتصلّب المنطلق من إيمانهم الجاد بحكمه القائد و لزوم اتباعه و أحقيّته بالخلافه، كان من أقوى الأسباب التى حفظت للجيش تماسكه و انقياده و بعث النشاط و الحماس فيه.

٧- الاتجاهات المتضاده فى جيش الإمام (عليه السّلام):

كان جيش الإمام (عليه السّلام) يتكوّن من خليط غريب، فقد تجمّعت فيه عدّه اتجاهات مختلفه و عناصر متضاده، و يمكن بالنظره الاولى تصنيفه إلى فئات:

ص: ١٣٠

١- (١) أعيان الشيعة: ١٩/٤-٢٠.

٢- (٢) المصدر السابق.

أ-الخوارج:و هم الذين خرجوا عن طاعة الإمام عليّ (عليه السّلام)و حاربوه و ناوؤه و نصبوا له العداوه،فكانوا قد وجدوا من الإمام الحسن (عليه السّلام) حلاً وسطاً،فانضموا اليه لمحاربه معاويه،و هؤلاء اناس تستشيرهم أدنى شبهه عارضه فيتعجلون الحكم عليها،و سنرى أنهم كيف و ثبوا على الإمام الحسن (عليه السّلام)فيما بعد.

ب-الفئه الممالئه للحكم الاموى،و هى على قسمين:

١-و هم الذين لم يجدوا فى حكومه الكوفه ما يشبع نهمهم و يروى من ظمئهم فيما يحلمون به من مطامع يطمحون اليها،فأضمروا ولاءهم للشام مترقبين سnoch الفرصه للوثوب على الحكم و تسليم الأمر لمعاويه.

٢-و هم الذين حقدوا على حكومه الكوفه لضغائن فى نفوسهم أورثتها العهود السالفه أو حسابات شخصيه.

و سنرى فيما بعد خيانه هؤلاء و كتابتهم لمعاويه تزلفاً و طمعا فى الحظوه عنده.

ج-الفئه المتأرجحه،التي ليس لها مسلك معين أو جهه خاصه مستقله، و إنما هدفها ضمان السلامه و بعض المطامع عند الجهه التي ينعقد لها النصر، فهى تترقب عن كذب إلى أى جهه تنقلب الامور ليميلوا معها.

د-الفئه التي تثيرها بعض العصبيات القبليه أو الإقليميه.

ه-الغوغاء،و هى الفئه التي لا تستند فى موقفها إلى أساس متين.

و-الفئه المؤمنه المخلصه،و هى القله الخيره التي يذوب صوتها فى زحام الأصوات الاخرى المعاكسه لها و المتناحره فيما بينها.

فجيش الإمام (عليه السّلام)خليط لا يربط بين فئاته هدف واحد،و هو معرض للانقسام و التفكك لدى أى بادره للانقسام من شأنها أن تفسد أى خطه مهما

كانت حنكه القائد الذى وضع تلك الخطه، و قد شعر الإمام (عليه السلام) بخطوره هذا الموقف بين هذا الخليط الذى يحمل عوامل الانقسام على نفسه.

و ذكر السيد ابن طاووس -رضوان الله تعالى عليه- فى «الملاحم و الفتن» كلاما يؤثر عنه (عليه السلام) يعبر عن ضعف ثقته بجيشه، و كان من أبلغ ما أفضى به فى هذا الصدد، و ذلك فى خطابه الذى خاطب به جيشه فى المدائن قائلا:

«..و كنتم فى مسيركم إلى صفين، و دينكم أمام دنياكم، و أصبحتم اليوم و دنياكم أمام دينكم، و أنتم بين قتيلين: قتيل بصفين تبكون عليه، و قتيل بالنهروان تطلبون منّا بثأره، و أمّا الباقي فخاذل، و أمّا الباكي فثائر» (١).

و كان معاويه قد عرف نقاط الضعف التى ابتلى بها جيش الإمام (عليه السلام)، فرسم للموقف خطه حاسمه ابتكرتها له الظروف الموضوعيه من شأنها أن تحسم الأمر بينه و بين الإمام، و ذلك بدعوته للصلح و التظاهر بإعطائه الشروط التى يريد، فإن يقبل بذلك فإنّ أحبولته التى حاكها حول قاده الإمام و رؤساء جيشه كافيه لأن تمنع الالتحام بين المعسكرين، و تدفع بالإمام الحسن (عليه السلام) إلى الرضا بالأمر الواقع.

٨- طلائع جيش الإمام الحسن (عليه السلام):

انتهى الإمام الحسن (عليه السلام) بجيشه إلى النخيله، فأقام فيها و نظّم الجيش، ثم ارتحل عنها و سار حتى انتهى إلى «دير عبد الرحمن» فأقام به ثلاثه أيام ليلتحق به المتخلفون من جنده، و أرسل مقدمه جيشه للاستطلاع على حال

ص: ١٣٢

العدو و إيقافه في محلّه، واختار إلى مقدّمته خلّص أصحابه و خيره عناصر جيشه، و كان عددهم اثني عشر ألفاً، و أعطى القيادة العامه إلى ابن عمّه عبيد الله بن العباس، و قد زوّده قبل تحرّكه بهذه الوصيه القيمه و هي:

«يا ابن العمّ! إنني باعث معك اثني عشر ألفاً من فرسان العرب و قزاة المصر، الرجل منهم يزيد الكتيبه، فسر بهم، و ألن لهم جانبك، و ابسط لهم وجهك، و افرش لهم جناحك، و أدنهم من مجلسك، فإنهم بقيه ثقات أمير المؤمنين، و سر بهم على شطّ الفرات، ثم امض حتى تستقبل بهم معاويه، فإن أنت لقيته فاحتبسه حتى آتيك، فإنني على أترك و شيكا، وليكن خبرك عندي كلّ يوم، و شاور هذين - قيس بن سعد و سعيد بن قيس - إذا لقيت معاويه فلا تقاتله حتى يقاتلك فإن فعل فقاتله، و إن أصبت فقيس بن سعد على الناس، فإن أصيب فسعيد بن قيس على الناس» (١).

٩- خيانه قائد الجيش:

وصل عبيد الله بن العباس إلى «مسكن» (٢) فعسكر فيها، و قابل العدوّ وجهاً لوجه، و عندها بدأت تظهر بوادر الفتنه بوضوح، و انطلقت دسائس معاويه تشقّ طريقها إلى المعسكر حيث تجد المجال الخصب بوجود المنافقين و من يؤثرون العافيه، و كانت الشائعه الكاذبه «أنّ الحسن يكاتب معاويه على الصلح فلم تقتلون أنفسكم؟» (٣).

و ارتبك الموقف أمام قائد الجيش و سرت همهمه في الجيش عن

ص: ١٣٣

١- (١) حياه الإمام الحسن: ٧٦/٢.

٢- (٢) موضع قريب من «أوانا» على نهر الدجيل، و بها كانت الوقعه بين عبد الملك بن مروان و مصعب بن الزبير سنه ٧٢ هـ.

٣- (٣) شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ٤٢/١٦.

صدق الشائعه أو كذبها، فبين مصدق لها و بين مكذب، و بين من يحاول إثباتها على أى حال، و لم يحاول القائد عبيد الله أن يتأكد من كذب هذه الشائعه و بعدها عن الواقع، لأن الإمام الحسن (عليه السلام) كان مشغولاً في تلك الأثناء ببعث الرسل إلى الأطراف و تهيئه الكتائب اللاحقه بالطلائع و مكاتبه معاويه بالحرب و بعث الحماس بخطبه اللاهيه المحرضه على القتال، و لم يكتب في صلح و لم يكن من رأيه آنذاك أبداً.

فسرت الحيره في نفس قائد الجيش مميًا دفعه للانطواء، فأخذ يفكر في مصيره، و كان قد بلغه تخاذل الكوفيين عن التحرك نحو المعركه و تباطؤهم عن تلبيه نداء الجهاد، فبدت في نفسه بعض التصورات من أنه في موقف لا يغبط عليه، و أن هذه الطلائع من جيش الكوفه و التي تقف في مواجهه جيش الشام المكتظ لا يمكن أن تقاوم تلك الجموع الحاشده أو تلتحم معها في معركه مع فقدان توازن القوى بينها.

و بينا هو يعيش هذه الحيره و تلك الأوهام و وصلته رسائل معاويه و هي تحمل في طياتها عوامل الإغراء التي تمس الوتر الحساس في نفس ابن عباس من حبه للتعاظم و تطلعه للسبق، و كان معاويه قد خير نقاط الضعف التي يحملها عبيد الله هذا.

و كانت رساله معاويه تحمل: «أن الحسن قد راسلني في الصلح، و هو مسلم الأمر إلي، فإن دخلت في طاعتي كنت متبوعاً، و إلا دخلت و أنت تابع» و جعل له فيها ألف ألف درهم (١).

و كان أسلوب معاويه في حربته مع أعدائه هو استغلال نقاط الضعف في

ص: ١٣٤

خصومه، واستغلال كل ما من شأنه أن يوهن العزيمه و يشل القوى فيهم.

و هكذا انكفأ عبید الله بن عباس على نفسه و استجاب لداعى الخيانه، ملتصبا لعدوه الذى و تره بابنيه، مخلفا وراءه لعنه التاريخ، و قد شاء لنفسه أن ينحدر إلى هذا المستوى الساقط فيدخل حمى معاويه ليلا دخول المهزوم المخذول، الذى ياباه كل حرّ ينبض عنده الضمير.

و ينبلج الصبح عن افتقاد المعسكر قائده، فترقص قلوب المنافقين و المسالمين، و تدمى عيون المخلصين، هذا و الحسن (عليه السلام) لا يزال فى موقفه الصلب بضروره مقاتله معاويه.

و يكاد الأمر ينتقض على الإمام (عليه السلام) فى مسكن، و لكن القائد الشرعى - هو الرجل المؤمن الصامد قيس بن سعد بن عباده الذى جعله الإمام (عليه السلام) خلفا لعبيد الله بن العباس إذا غاب عن القياده - حاول جادا فى أن يحافظ على البقيه الباقية من معنويات الجيش المنهاره بانضمام القائد و إقرار التماسك بين فرقه و أفراده، فقام فيهم خطيبا و قال:

«أيها الناس! لا يهولتكم و لا يعظمنّ عليكم ما صنع هذا الرجل المولّه، إنّ هذا و أباه و أخاه لم يأتوا بيوم خير قطّ، إنّ أباه عمّ رسول الله خرج يقاتله ببدر، فأسرّه أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصارى، فأتى به رسول الله فأخذ فداءه فقسمه بين المسلمين، و إنّ أخاه ولّاه على البصره فسرق ماله و مال المسلمين، فاشتري به الجوارى و زعم أنّ ذلك له حلال، و إنّ هذا ولّاه على اليمن فهرب من بسر بن أرطاه، و ترك ولده حتى قتلوا، و صنع الآن هذا الذى صنع» (١).

ص: ١٣٥

و هكذا اندفع قيس الصامد فى موقفه، المؤمن بهدفه، يودع سلفه بهذه الكلمات الساخره اللاذعه التى تكشف عن الماضى الهزيل له، و عن نفسه الساقطه التى دفعته للتردى فى هذا المنحدر السحيق.

و قد فعل قيس فى نفوس سامعيه ما أراد، فانطلقت الحناجر بحماس و توثب تنادى: «الحمد لله الذى أخرجه من بيننا» (١) فصنع قيس حاله من الشد و العزيمه فى ذلك الموقف الذى كان للانهيال المؤلم الوشيك عرضه، و عاد النظام يسيطر على عناصر الجيش، و اطمأن الناس لقائدهم الجديد.

١٠- توالى الخيانات فى جيش الإمام (عليه السلام):

وصلت أنباء استسلام عبيد الله لعدوه إلى المدائن، و شاع جوّ من المحنه فى النفوس، و شعر الإمام (عليه السلام) بالطعنه فى الصميم تأتية من أقرب الناس اليه و أخصهم به، و تسرّبت اليه أنباء عن مكاتبه بعض رؤساء الأجناد و القواد لمعاويه و طلبهم الأمان لأنفسهم و عشائريهم، و مكاتبه معاويه لبعضهم بالأمان و المواعيد (٢).

و ممّا يذكر: «أنّ معاويه دسّ إلى عمرو بن حريث و الأشعث بن قيس و حجار بن أبجر و شيبث بن ربعى دسيسا أفرد كلّ واحد منهم بعين من عيونهم: أنّك إذا قتلت الحسن فلك مائه ألف درهم، و جند من أجناد الشام، و بنت من بناتى».

فبلغ الحسن (عليه السلام) ذلك فاستلأم و لبس درعا و سترها، و كان يحترز و لا يتقدّم للصلاه إلا كذلك، فرماه أحدهم فى الصلاه بسهم فلم يثبت

ص: ١٣٦

١- (١) مقاتل الطالبين: ٣٥.

٢- (٢) أعيان الشيعة: ٢٢/٤.

فيه لما عليه من اللامه (١).

وهكذا توالى الخيانات فى جيش الإمام، ومن ذلك: «أنّ الحسن بعث إلى معاوية قائدا من كنده فى أربعة آلاف، فلما نزل الأنبار بعث إليه معاوية بخمسائه ألف درهم، وعده بولايه بعض كور الشام و الجزيرة، فصار إليه فى مائتين من خاصيته، ثم بعث رجلا من مراد ففعل كالأول بعد ما حلف الأيمان التى لا تقوم لها الجبال أنه لا يفعل، وأخبرهم الحسن أنه سيفعل كصاحبه» (٢).

ويقف الإمام الحسن (عليه السلام) أمام هذه النكبات و المحن المتتاليه، متظامنا على نفسه ناظرا فى أمره، و إلى أين ستنتهى به هذه المسيره.

والذى يظهر لنا من بعض النصوص أنّ ابن عباس لم يفترّ وحده، بل خرج معه عدد وفير من الزعماء و القواد و الجند، و هو أمر يمكن أن يساعد عليه الجوّ المشحون بالتشاؤم و اليأس من توقّع انتصار الإمام (عليه السلام) على عدوّه.

وهكذا أخذت الأنباء تتوارد على الإمام فى المدائن بفرار الخاصه من القواد و الزعماء، و قد تبع انهزام هؤلاء فرار كثير من الجند، حيث كان انهزامهم سببا لحدوث تمرّد و فوضى شامله فى الجيش.

وقد ارتفعت أرقام الفارين إلى معاوية بعد فرار عبيد الله و خاصيته إلى ثمانيه آلاف، كما يذكر يعقوبى فى تاريخه فيقول: «إنّه -يعنى معاوية- أرسل إلى عبيد الله بن عباس، و جعل له ألف ألف درهم، فصار إليه فى ثمانيه آلاف من أصحابه، و أقام قيس بن سعد على محاربتة» (٣).

ص: ١٣٧

١- (١) أعيان الشيعة: ٢٢/٤.

٢- (٢) المصدر السابق.

٣- (٣) صلح الإمام الحسن (عليه السلام): ٨٠.

و إذا أخذنا فى اعتبارنا أنّ الجيش الذى كان فى «مسكن» إثنى عشر ألفا فستكون نسبة الفارّين منه إلى معاويه و هى ثلثا الجيش نسبة كبيره، فى حين كان الجيش الذى يقوده معاويه لمواجهه الحسن (عليه السّلام) ستين ألفا تضاف اليه آلاف الفارّين من جيش الحسن (عليه السّلام).

و حقّا أنّها لصدمه رهيبه و محنه حادّه تتداعى أمامها القوى، و تنفرج بها أنياب الكارثه عن مأساه مرعبه يتحمّل جزء كبيراً من مسؤوليتها عبيد الله بن العباس أمام الله و التاريخ.

و الشىء الذى يمكن فهمه من هذا الفرار الجماعى هو وجود تأمر على الخيانه فى أوساط جملة من الزعماء و الوجوه، و إلّا فبأى قاعده منطقيه يمكن تفسير فرار ثمانيه آلاف مقاتل من جيش يستعد للقتال فى فتره قصيره، و هل يكون ذلك إلّا عن سابق تفكير و إحكام لخطه خائنه؟!.

و يقف الإمام (عليه السّلام) باحثاً عن المخرج من هذا المأزق الذى تداعت به معنويات جيشه فى «مسكن» و تزلزلت منه قوى جيشه فى المدائن، خاصه إذا نظر بعين الموازنه بين جيشه و جيش عدوه من حيث العدد.

فكان جيشه يتألف من عشرين ألفاً فقط كما أجمعت عليه المصادر التاريخيه (1) بينما يتألف جيش عدّوه من ستين ألفاً، و بعد لحاظ الآلاف الثمانيه التى التحقت بمعاويه فى «مسكن» بعد خيانه عبيد الله يصبح جيش الحسن (عليه السّلام) خمس جيش عدوه، و هذا انهيار كبير حسب الموازين و الحسابات العسكريه، هذا فضلاً عمّا تقوله بعض المصادر بخصوص فرار بعض أفراد الجيش فى المدائن ممّن استهوتهم المطامع بالاستيلاء على

ص: ١٣٨

المغانم و جاؤوا رغبه فيها إذا قدّر الانتصار لجيش الإمام الحسن (عليه السّلام)، فواكبوا مسيره الجيش، ثم فرّوا بعد أن أحسّوا تفوّق الطرف الآخر عسكرياً في العده و العدد.

و ميّا زاد في انهيار الموقف حرب الإشاعات الكاذبه التي شتّها معاويه للقضاء على البقيه الباقيه من معنويات الجيش في مسكن و المدائن، و نذكر هنا بعض هذه الشائعات و مدى تأثيرها على المعنويات العامه في جيش الإمام الحسن (عليه السّلام) بكلا شقيّيه في المدائن و مسكن.

و قد عمل معاويه بكلّ ما أمكنه من خبث و مكر من أجل الوقيعه بالجيش الكوفي و تفتيت قواه، و كان اختياره للأكاذيب ينمّ عن خبره دقيقه في حبكها و انتقائها، فأرسل من يدسّ في معسكر المدائن: «... بأنّ قيس ابن سعد و هو قائد مسكن بعد فرار ابن عباس قد صالح معاويه و صار معه...» (١).

«و يوجّه إلى عسكر قيس في مسكن من يتحدّث أنّ الحسن قد صالح معاويه و أجابه...» ٢.

ثم ينشر في المدائن إشاعه هي: «... ألا إنّ قيس بن سعد قد قتل فانفروا، فانفروا بسرّادق الحسن فنهبوا متاعه فنازعوه بساطا تحته، فازداد لهم بغضا و منهم ذعرا، و دخل المقصوره البيضاء في المدائن...» (٢).

و هكذا طوّقت موجه الشائعات المتدفّقه بمكر معاويه و خبثه جناحي الجيش في المدائن و مسكن، و فصمت ما تبقيّ فيه من تماسك، و كانت سببا في زلّله فئات كثيره من غوغاء الناس المتأرجحين بين الطاعه و العصيان

ص: ١٣٩

١- (٢١) تاريخ اليعقوبي: ١٩١/٢.

٢- (٣) تاريخ ابن الأثير: ٢٠٣/٣.

و ما الذى ينتظر أن تفعله الشائعات فى جيش كجيش المدائن الذى سبق و أنه علم بخيانه قائد «مسكن» الذى لم يكن قيس بمنزلته فى نظره، فلم لا يصدق خيانه قائدها الثانى أو خبر قتله؟ و ليس جيش مسكن بأقلّ حظًا من تأثره بهذه الشائعات، و قد سبق و أنه اصيب بخيانه قائده من قبل.

و فى غمره هذه الأحداث جاء وفد يمثّل أهل الشام مؤلّف من المغيره ابن شعبه و عبد الله بن كرز و عبد الرحمن بن الحكم و هو يحمل كتب أهل العراق ليطلع الإمام الحسن (عليه السّلام) عليها و ما تكنّه ضمائر بعض أصحابه من السوء، و أنّهم تطوّعوا فى صفوف جيشه لإذكاء نار الفتنة عندما يحين موعدها المرتقب، و تنشر الكتب بين يدي الإمام (عليه السّلام) و لم تكن لتريده يقينا على ما يعرف من أصحابها من دخيله السوء و حبّ الفتنة، و كانت خطوطهم و تواقعهم واضحة لديه و صريحه.

و عرض الصلح على الإمام بالشروط التى يراها مناسبة، و لكنّ الإمام لم يشأ أن يعطيهم من نفسه ما يرضى به طموح معاويه، و كان دقيقا فى جوابه، بحيث لم يشعرهم فيه بقبول الصلح أو ما يشير إلى ذلك، بل اندفع يعظهم و يدعوهم إلى الله عز و جل و ما فيه نصح لهم و للائمه و يذكرهم بما هم مسؤولون به أمام الله و رسوله فى حقّه.

و حين رأى المغيره و رفاقه أنّ الدور الأول من الروايه التى حاولها مكر معاويه قد فشلت فى إقناع الإمام (عليه السّلام) بالصلح بل بقى موقفه صامدا أمام هذه المؤثرات القويه انتقلوا لتنفيذ حلقة ثانيه من سلسله المحاولات المعده من قبل معاويه و إن آتت اكلها لاحقا، فلا أقل من أنّها ستترك أثرا سيّئا يزيد موقف الإمام حراجه و إن لم يتحقّق منها إقناع الإمام بالصلح.

و غادر الوفد مقصوره الإمام مستعرضا مضارب الجيش الذى كان يترقّب نتائج المفاوضات، فرجع أحد أفراد الوفد صوته ليسمعه الناس: «إِنَّ اللَّهَ قد حقن بآبن رسول الله الدماء و سكّن الفتنة و أجاب إلى الصلح..» (١).

و هكذا مثّلوا دورهم أروع تمثيل، و خلقوا جوا لاهبا من المأساه تدهور على أثرها الموقف، و تفجّرت كوامن الفتنة و اضطرب تماسك الجيش و لاحت فى الاق بوادر المحنة، فأبى غائله هذه التى ألهب نارها المغيره و رفاقه؟.

١١- محاولات اغتيال الإمام (عليه السلام):

و لم تقف محنة الإمام (عليه السلام) فى جيشه إلى هذا الحدّ، فقد أقدم المرتشون و الخوارج على قتله، و جرت ثلاث محاولات لاغتياله (عليه السلام) و سلم منها، و هى كما يلي:

١- إنّه (عليه السلام) كان يصلّى فرماه شخص بسهم فلم يؤثّر شيئا فيه (٢).

٢- طعنه الجراح بن سنان فى فخذه، و قال الشيخ المفيد: «إنّ الحسن أراد أن يمتحن أصحابه ليرى طاعتهم له و ليكون على بصيره من أمره، فأمر أن ينادى بالصلاه جامعه، فلما اجتمع الناس قام خطيبا فقال:

«...أما بعد، فأبى و الله لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله و منّه و أنا أنصح خلق الله لخلقه، و ما أصبحت محتملا على مسلم ضعيفه، و لا مريدا له بسوء و لا غائله، و أنّ ما تكرهون فى الجماعه خير لكم ممّا تحبون فى الفرقه، و أنّى ناظر لكم خير من نظركم

ص: ١٤١

١- (١) تاريخ يعقوبى: ١٩١/٢.

٢- (٢) حياه الإمام الحسن: ١٠٦/٢.

لأنفسكم فلا تخالفوا أمرى، ولا تردّوا علىّ رأبى، غفر الله لى و لكم، و أرشدنى و إياكم لما فىه المحبّه و الرضا».

و نظر الناس بعضهم إلى بعض و هم يقولون ما ترونه يريدون؟ و اندفع بعضهم يقول: و الله يريد أن يصلح معاويه و يسلم الأمر اليه، فقالوا: كفر و الله الرجل.

ثم شدّوا على فسطاطه و انتهبوه حتى أخذوا مصلاًه من تحته، ثم شدّ عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن جعال الأزدي فنزع مطرفه عن عاتقه فبقى جالسا متقلّدا السيف بغير رداء، ثم دعا بفرسه فركبه و أحدق به طوائف من خاصّيته و شيعته و منعوا منه من أراده، فقال: ادعوا إلىّ ربيعه و همدان، فدعوا فأطافوا به و دفعوا الناس عنه (عليه السلام) و سار و معه شعوب من غيرهم، فلما مرّ فى مظالم ساباط بدر اليه رجل من بنى أسد يقال له «الجراح بن سنان» فأخذ بلجام بغلته و بيده مغول و قال: الله أكبر أشركت يا حسن كما أشرك أبوك من قبل، ثم طعنه فى فخذه فشقه حتى بلغ العظم، ثم اعتنقه الحسن (عليه السلام) و خرّا جميعا إلى الأرض، فوثب اليه رجل من شيعة الحسن (عليه السلام) يقال له «عبد الله ابن خطل الطائى» فانترع المغول من يده و خضخض به جوفه فأكبّ عليه آخر يقال له «ظبيان بن عماره» ففقطع أنفه فهلك من ذلك، و اخذ آخر كان معه فقتل و حمل الحسن (عليه السلام) على سرير إلى المدائن...» (١).

٣- طعنه بخنجر فى أثناء الصلاة (٢).

ص: ١٤٢

١- ((١)) الإرشاد: ١٩٠.

٢- ((٢)) ينابيع الموده: ٢٩٢.

قال الشيخ المفيد: «..و نظر (الإمام الحسن) (عليه السلام) في أمورهم (أى فى أمور الناس) فإزدادت بصيره الحسن (عليه السلام) بخذلان القوم له و فساد نيات المحكمه فيه بما أظهره له من السب و التكفير له و استحلال دمه و نهب أمواله، و لم يبق معه من يأمن غوايله إلا خاصيته من شيعة أبيه و شيعة و هم جماعه لا تقوم لأجناد الشام، فكتب اليه معاويه فى الهدنه و الصلح، و أنفذ اليه بكتب أصحابه الذين ضمنوا له فيها الفتك به و تسليمه اليه، فاشترط له على نفسه فى إجابته إلى صلحه شروطا كثيره، و عقد له عقودا كان فى الوفاء بها مصالح شامله، فلم يثق به الحسن (عليه السلام) و علم باحتياله بذلك و اغتياله، غير أنه لم يجد بدا من إجابته إلى ما التمس من ترك الحرب و إنفاذ الهدنه لما كان عليه أصحابه مما وصفناه من ضعف البصائر فى حقّه و الفساد عليه و الخلف منهم له و ما انطوى عليه كثير منهم فى استحلال دمه و تسليمه إلى خصمه و ما كان من خذلان ابن عمّه له و مصيره إلى عدوّه و ميل الجمهور منهم إلى العاجله و زهدهم فى الآجله...» (١).

ص: ١٤٣

إشاره

تعتبر المرحله التي صلح فيها الإمام الحسن (عليه السّلام) معاويه بن أبى سفيان من أصعب مراحل حياته (عليه السّلام) و أكثرها تعقيدا و حساسيه و أشدها إيلاما، بل إنها كذلك و على مدى حياه أهل بيت رسول الله (عليه السّلام)، و قد أصبح صلح الإمام (عليه السّلام) من أهم الأحداث في التاريخ الإسلامى بما تستبطنه من موقف بطولى للإمام المعصوم (عليه السّلام)، و بما أدى اليه من تطورات و اعتراضات و تفسيرات مختلفه طوال القرون السالفه و حتى عصرنا الحاضر، و ألف الباحثون المسلمون فى توضيح و تحليل الصلح كتبا عديده، و أصدر الأعداء و الأصدقاء أحكامهم بشأنه.

و قد انبرى باحثون معاصرون من الطراز الممتاز مثل المرحوم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء و الشيخ راضى آل ياسين و الشيخ باقر شريف القرشى للكتابه عن الإمام (عليه السّلام) و صلحه الذى قام به من أجل الإسلام.

و سنبدأ بالحديث عمّا ورد عن هذا الصلح تاريخيا، ثم نقل كلمات الإمام (عليه السّلام) فى الأسباب الكامنه وراء قبوله بالصلح، و بعد ذلك نقوم بالتحليل.

إنمام الحجّه:

ذكر المؤرّخون: أنّ الإمام الحسن (عليه السّلام) بعد أن رأى خيانات جيشه و المحيطين به و نفاقهم، مع أنه لم يبق له ثمّه أمل فى ثباتهم و صمودهم فى

مواجهه العدو، و مع انكشاف ما تنطوى عليه تلك الضمائر من رغبات، لكنّه (عليه السلام) و لكى يتمّ الحجه ألقى فيهم الخطاب الآتى:

«ويلكم! والله إن معاويه لا يفي لأحد منكم بما ضمنه فى قتلى، و إنى أظنّ إن وضعت يدي فى يده فأسلمه لم يتركنى أدين بدين جدى، و إنى اقدر أن أعبد الله عز و جلّ وحدى، و لكن كأتى أنظر إلى أبنائكم واقفين على أبواب أبنائهم يستسقونهم و يطعمونهم بما جعل الله لهم فلا يسقون و لا يطعمون، فبعدا و سحقا لما كسبته أيديهم، و سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون» (١).

و مرّه اخرى، و قبل أن يقبل باقتراح معاويه للصلح قام الإمام (عليه السلام) بإتمام الحجّه، من خلال خطاب يتضمّن استطلاعا لآراء أصحابه، و استخبارا لتيّاتهم، فقد قال (عليه السلام) بعد أن حمد الله تعالى و أثنى عليه:

«أما و الله ما ثننا عن قتال أهل الشام ذلّه و لا قلّه، و لكن كنا نقاتلهم بالسلامه و الصبر، فشبب السلام بالعداوه، و الصبر بالجزع، و كنتم تتوجهون معنا و دينكم أمام دنياكم، و قد أصبحتم الآن و دنياكم أمام دينكم، و كنا لكم و كنتم لنا، و قد صرتم اليوم علينا، ثم أصبحتم تصدّون قتيلىن: قتيلا بصقّين تبكون عليهم، و قتيلا بالنهروان تطلبون بثأرهم، فأما الباكي فخاذل، و أما الطالب فتائر» (٢).

و بعد ذلك عرض عليهم اقتراح معاويه الصلح، فقال (عليه السلام):

«و إنّ معاويه قد دعا إلى أمر ليس فيه عزّ و لا نصفه، فإن أردتم الحياه قبلناه منه، و أغضضنا على القذى، و إن أردتم الموت بذلناه فى ذات الله، و حاكمناه إلى الله؟» (٣).

و أضاف الراوى: «فنادى القوم بأجمعهم: بل البقيه و الحياه» (٤).

ص: ١٤٥

١- ((١)) تاريخ الطبرى: ١٢٢/٤، و تذكره الخواص لابن الجوزى: ١١٢.

٢- ((٢ و٣ و٤)) بحار الأنوار: ٢١/٤٤.

لم يبق أمام الإمام الحسن (عليه السّلام) سبيل غير القبول بالصلح، وترك أمر الحكم لمعاويه فتره من الزمن، و يتبين من خلال التمعّن في بنود معاهده الصلح أنّ الإمام (عليه السّلام) لم يقدّم أى امتياز لمعاويه، وأنّه (عليه السّلام) لم يعترف به رسمياً باعتباره خليفه و حاكماً للمسلمين، بل إنّما اعتبر الحكم القياده حقّه الشرعى، مثبتاً بطلان ادعاءات معاويه بهذا الصدد.

بنود معاهده الصلح:

لم تذكر المصادر التاريخيه نصّاً صريحاً لكتاب الصلح، الذى يعتبر الوثيقه التاريخيه لنهايه مرحله من أهم مراحل التاريخ الإسلامى، و بخاصه فى عصوره الاول، و لا نعرف سبباً وجيهاً لهذا الإهمال.

و قد اشتملت المصادر المختلفه على ذكر بعض النصوص مع إهمال البعض الآخر، و يمكن أن تؤلف من مجموعها صورته الشروط التى أخذها الإمام (عليه السّلام) على معاويه فى الصلح، و قد نسّقها بعض الباحثين و أوردها على صورته مواد خمس، و نحن نوردها هنا كما جاءت، و نهمل ذكر المصادر التى ذكرها فى الهامش اعتماداً عليه (١).

و هى كما يلى:

١- تسليم الأمر إلى معاويه على أن يعمل بكتاب الله و بسنّه رسوله (صلى الله عليه و آله) و بسيره الخلفاء الصالحين.

ص: ١٤٦

١- (١) يراجع صلح الحسن، لآل ياسين: ص ٢٥٩، و قد اعتمد فى نقله على امهات الكتب و المصادر التاريخيه كالطبرى و ابن الاثير و ابن قتبيبه و المقاتل و غيرها.

٢- أن يكون الأمر للحسن من بعده، فإن حدث به حدث فلاخيه الحسين، وليس لمعاويه أن يعهد إلى أحد.

٣- أن يترك سب أمير المؤمنين و القنوت عليه بالصلاه، و أن لا يذكر عليًا إلا بخير.

٤- استثناء ما فى بيت مال الكوفه و هو خمسه آلاف ألف، فلا- يشمله تسليم الأمر، و على معاويه أن يحمل إلى الحسن ألفى ألف درهم، و أن يفضّل بنى هاشم فى العطاء و الصلوات على بنى عبد شمس، و أن يفرّق فى أولاد من قتل مع أمير المؤمنين يوم الجمل، و أولاد من قتل معه بصقّين ألف ألف درهم، و أن يجعل ذلك من خراج دار أبحر.

٥- على أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله فى شامهم و عراقهم و حجازهم و يمنهم، و أن يؤمن الأسود و الأحمر، و أن يحتمل معاويه ما يكون من هفواتهم، و أن لا يتبع أحدا بما مضى، و لا يأخذ أهل العراق بإحنه.

و على أمان أصحاب عليّ حيث كانوا، و أن لا ينال أحدا من شيعة عليّ بمكروه، و أن أصحاب عليّ و شيعته آمنون على أنفسهم و أموالهم و نسائهم و أولادهم، و أن لا- يتعقّب عليهم شيئا و لا- يتعرّض لأحد منهم بسوء، و يوصل إلى كلّ ذى حقّ حقّه، و على ما أصاب أصحاب عليّ حيث كانوا.

و على أن لا يبغى للحسن بن عليّ و لأخيه الحسين و لأحد من أهل بيت رسول الله غائله، سرّا و لا جهرا، و لا يخيف أحدا منهم فى افق من الآفاق.

و قد اعتبر بعض الباحثين المادة الرابعه من موضوعات الامويين أو العباسيين لتشويه صورته أهل البيت (عليهم السلام) و بخاصه الإمام الحسن (عليه السلام)،

باعتبار أنّ هذه المادة لا تتناسب و شأن الإمام الحسن (عليه السلام) و مقامه (١). و الله أعلم.

هذه إذن هي المواد الخمس التي أوصلها لنا التاريخ كاسس للصلح بين الحسن و معاويه، أو على الأقلّ أنّها تمثل طبيعه الشروط التي أملاها الإمام (عليه السلام) على معاويه.

أسباب الصلح كما تصوّرّها النصوص عن الإمام الحسن (عليه السلام):

١- روى الشيخ الصدوق في «علل الشرايع» بسنده عن أبي سعيد عقيصا الذي سأل الإمام الحسن (عليه السلام) عن السبب الذي دفعه إلى الصلح مع معاويه من أنّه (عليه السلام) يعلم أنّه على الحقّ و أنّ معاويه ضالّ و ظالم، فأجابه الإمام (عليه السلام): «يا أبا سعيد، أأست حجّج الله تعالى ذكره على خلقه، و إماما عليهم بعد أبي (عليه السلام)؟ قلت: بلى، قال: أأست الذي قال رسول الله (صلّى الله عليه و آله) لى و لأخى: الحسن و الحسين إمامان قاما أو قعدا؟ قلت: بلى، قال: فأنا إذن إمام لو قمت، و أنا إمام إذا قعدت، يا أبا سعيد عله مصالحتى لمعاويه عله مصالحه رسول الله (صلّى الله عليه و آله) لبنى ضميره و بنى أشجع، و لأهل مكه حين انصرف من الحديبيه، اولئك كفّار بالتنزيل و معاويه و أصحابه كفّار بالتأويل، يا أبا سعيد إذا كنت إماما من قبل الله تعالى ذكره لم يجب أن يسفّه رأيى فيما أتيته من مهادنه أو محاربه، و إن كان وجه الحكمة فيما أتيته ملتبسا، ألا ترى الخضر (عليه السلام) لَمّا خرق السفينه و قتل الغلام و أقام الجدار سخط موسى (عليه السلام) فعله؟ لا شتبه وجه الحكمة عليه حتى أخبره فرضى. هكذا أنا، سخطتم علىّ بجهلكم بوجه الحكمة فيه، و لو لا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلاّ قتل» (٢).

ص: ١٤٨

١- (١) زندگانی امام حسن: ٢٢٣.

٢- (٢) علل الشرايع: ٢٠٠.

و نقل الطبرسى فى «الاحتجاج» (١) شبيه هذا السبب عن الإمام الحسن (عليه السلام).

٢- ذكر زيد بن وهب الجهنى أنه بعد أن جرح الإمام (عليه السلام) فى المدائن، سألته عن موقفه الذى سيأخذ فى هذه الظروف، فأجاب (عليه السلام):

«أرى و الله معاويه خيرا لى من هؤلاء، يزعمون أنهم لى شيعه، ابتغوا قتلى و انتهبوا ثقلى، و أخذوا مالى، و الله لأن آخذ من معاويه عهدا أحقن به دمي و آمن به فى أهلى خير من أن يقتلوني فيضيع أهل بيتى و أهلى، و الله لو قاتلت معاويه لأخذوا بعنقى حتى يدفعونى اليه سلما، فو الله لأن اسالمه و أنا عزيز خير من أن يقتلنى و أنا أسيره أو يمنّ على فتكون سبّه على بنى هاشم إلى آخر الدهر، و معاويه لا يزال يمنّ بها و عقبه على الحىّ منّا و الميت...» (٢).

٣- ذكر سليم بن قيس الهلالى أنه عندما جاء معاويه إلى الكوفه؛ صعد الإمام الحسن (عليه السلام) المنبر بحضوره، و بعد أن حمد الله تعالى و أثنى عليه، قال:

«أيها الناس إنّ معاويه زعم أنّى رأيت للخلافه أهلا، و لم أر نفسى لها أهلا، و كذب معاويه، أنا أولى الناس بالناس فى كتاب الله و على لسان نبيّ الله، فاقسم بالله لو أنّ الناس بايعونى و أطاعونى و نصرونى لأعطيهم السماء قطرها، و الأرض بركتها، و لما طمعت فيها يا معاويه، و قد قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): ما وّلت أمه أمرها رجلا- قطّ و فيهم من هو أعلم منه إلا- لم يزل أمرهم يذهب سفلا، حتى يرجعوا إلى مله عبده العجل...» (٣).

٤- عن سبب الصلح روى العلامة القندوزى فى «ينابيع الموده» أنّ الإمام الحسن (عليه السلام) ألقى فى الناس خطبا جاء فيه: «أيها الناس قد علمتم أنّ الله

ص: ١٤٩

١- (١) بحار الأنوار: ١٩/٤٤.

٢- (٢) الاحتجاج للطبرسى: ١٤٨.

٣- (٣) بحار الأنوار: ٢٢/٤٤.

-جلّ ذكره و عزّ اسمه-هداكم بجدي و أنقذكم من الضلاله، و خلّصكم من الجهاله، و أعزّكم به بعد الذلّه، و كثركم به بعد القلّه، و أنّ معاويه نازعني حقًا هو لى دونه، فنظرت لصلاح الامّه و قطع الفتنة، و قد كنتم بايعتموني على أن تسالموا من سالمى و تحاربوا من حاربنى، فرأيت أن اسالم معاويه و أضع الحرب بينى و بينه، و قد صالحته و رأيت أنّ حقن الدماء خير من سفكها، و لم أرد بذلك إلاّ صلاحكم و بقاءكم و إنّ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَ مَتَاعٌ إِلَيَّ حِينَ « (١).

٥- فى روايه نقلها السيد المرتضى -رحمه الله عليه- أنّ حجر بن عدى اعترض على الإمام (عليه السلام) بعد موافقته على الصلح و قال له: «سوّدت وجوه المؤمنين» فأجابه الإمام (عليه السلام): «ما كلّ أحد يحبّ ما تحبّ و لا رأيّه كراييك، و إنّما فعلت ما فعلت إبقاء عليكم».

و بعد ذلك أشار إلى أنّ شيعة الإمام (عليه السلام) اعترضوا على الصلح و أعربوا عن تأسّفهم لقرار الإمام (عليه السلام)، و من بينهم سليمان بن صرد الخزاعى الذى قال للإمام: «ما ينقضى تعجّبنا من بيعتك معاويه، و معك أربعون ألف مقاتل من أهل الكوفه، كلّهم يأخذ العطاء، و هم على أبواب منازلهم، و معهم مثلهم من أبنائهم و أتباعهم، سوى شيعتك من أهل البصره و الحجاز، ثم لم تأخذ لنفسك ثقه فى العقد، و لا حظًا من العطيّه، فلو كنت إذ فعلت ما فعلت أشهدت على معاويه وجوه أهل المشرق و المغرب، و كتبت عليه كتابا بأنّ الأمر لك بعده، كان الأمر علينا أيسر، و لكنّه أعطاك شيئًا بينك و بينه لم يف به، ثم لم يلبث أن قال على رؤوس الأشهاد: «إنّى كنت شرطت شروطا و وعدت عداه إرادته لإطفاء نار الحرب، و مداراه لقطع الفتنة، فلمّا أن جمع

ص: ١٥٠

اللّٰه لنا الكلم و الألفه فإنّ ذلك تحت قدمي» و اللّٰه ما عنى بذلك غيرك، و ما أراد إلّا ما كان بينك و بينه، و قد نقض، فإذا شئت فأعد، الحرب خدعه، و ائذن لي في تقدّمك الى الكوفه، فأخرج عنها عامله و اظهر خلعه و تنبذ اليه على سواء، إنّ اللّٰه لا يحبّ الخائنين، و تكلمّ الباقون بمثل كلام سليمان.

فأجابه الإمام (عليه السلام): «أنتم شيعتنا و أهل مودتنا، فلو كنت بالحزم في أمر الدنيا أعمل، و لسلطانها أركض و أنصب، ما كان معاويه بأبأس منّي بأساء، و لا- أشدّ شكيمه و لا أمضى عظيمه، و لكنّي أرى غير ما رأيتم، و ما أردت بما فعلت إلّا حقن الدماء فارضوا بقضاء اللّٰه، و سلّموا لأمره و الزموا بيوتكم و أمسكوا» (١).

تحليل لأسباب الصلح:

التحليل الأوّل:

لقد حاول معاويه أن يظهر نفسه بأنّه رجل مسالم يدعو إلى السلام و الصلح، و ذلك عبر رسائله إلى الإمام الحسن (عليه السلام) التي يدعو فيها إلى الصلح مهما كانت شروط الإمام (عليه السلام)، و قد اعتبر الباحثون أنّ الخطاب السلمي لمعاويه كان أخطر حيله فتت عضد الإمام (عليه السلام)، الأمر الذي أزم ظروفه (عليه السلام) و لم يكن للإمام خيار غير القبول بالصلح.

و في هذا الصدد يقول الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء:

«... فوجد- أي الإمام الحسن (عليه السلام)- أنّه لو رفض الصلح و أصرّ على الحرب فلا يخلو:

إمّا أن يكون هو الغالب و معاويه المغلوب، و هذا و إن كانت تلك

ص: ١٥١

الأوضاع و الظروف تجعله شبه المستحيل، و لكن فليكن بالفرض هو الواقع، و لكن هل مغبه ذلك إلاّ تظلم الناس لبنى اميه؟ و ظهورهم بأوجع مظاهر المظلوميه؟ فماذا يكون موقف الحسن إذا لو افترضناه هو الغالب؟

أما لو كان هو المغلوب فأول كلمه تقال من كلّ متكلم: إنّ الحسن هو الذى ألقى بنفسه إلى التهلكه، فإنّ معاويه طلب منه الصلح الذى فيه حقن الدماء فأبى و بغي، و على الباغى تدور الدوائر، و حينئذ يتمّ لمعاويه و أبى سفيان ما أرادا من الكيد للإسلام و إرجاع الناس إلى جاهليتهم الاولى و عباده اللآئت و العزى، و لا- يبقى معاويه من أهل البيت نافخ ضرمه، بل كان نظر الإمام الحسن (عليه السلام) فى قبول الصلح أدقّ من هذا و ذاك، أراد أن يفتك به و يظهر خبيثه حاله، و ما ستره فى قراره نفسه قبل أن يكون غالبا أو مغلوبا، و بدون أن يزيح الناس فى حرب، و يحملهم على ما يكرهون من إراقه الدماء».

إنّ معاويه المسلم ظاهرا العدوّ للإسلام حقيقه و واقعا، كان يخدع الناس بغشاء رقيق من الدين خوفا من رغبه الناس إلى الحسن و أبيه من قبل، فأراد الحسن أن يخلى له الميدان، حتى يظهر ما يبطن، و هكذا فعل.

وفور إبرام الصلح؛ صعد المنبر فى جمع غفير من المسلمين، و قال:

«إني ما قاتلتكم لتصوموا و لا لتصلوا..!!»

انظر ما صنع الإمام الحسن بمعاويه فى صلحه، و كيف هدّ جميع مساعيه و هدم كلّ مبانيه حتى ظهر الحقّ و زهق الباطل، و خسّر هنالك المبطلون، فكان الصلح فى تلك الظروف هو الواجب المتعين على الحسن، كما أنّ الثوره على «يزيد» فى تلك الظروف كان هو الواجب المتعين على أخيه الإمام الحسين، كلّ ذلك للتفاوت بين الزمانين،

و الاختلاف بين الرجلين (أى: معاوية و ابنه).

و لو لا صلح الإمام الحسن-الذى فضح معاوية و شهادته الإمام الحسين (عليه السلام) التى قضت على يزيد و انقضت بها الدوله السفينيه بأسرع وقت-لذهبت جهود جدهما بطرفه عين، و لصار الدين دين آل أبى سفیان، دين الغدر و الفسق و الفجور، دين إباده الصالحين و استبقاء الفجره الفاسقين.

و لو قيل: لما ذا لم ينتهج الإمام الحسن (عليه السلام) سبيل الشهاده كما فعل الإمام الحسين (عليه السلام)، فإنّ الحسين (عليه السلام) أيضا كان يعلم أنه لن يستطيع تحقيق النصر العسكرى على يزيد؟

فالجواب:

١- إنّ معاوية كان يظهر الإسلام، و يزيد كان يتجاهر بالفسق و الفجور، فضلا عن دهاء الأب و بلاده الابن.

٢- مثلت خيانه الكوفيين بالنسبه إلى الحسين (عليه السلام) خطوته الموقفه فى التمهد لنجاحه المطرد فى التاريخ، و لكنّها كانت بالنسبه إلى أخيه الحسن (عليه السلام) (يوم مسكن و المدائن) عقبته الكؤود عن تطبيق عمليه الجهاد، فإنّ حوادث نقض بيعه الحسين كانت قد سبقت تعبئته للحرب، فجاء جيشه الصغير يوم وقف به للقتال، منخولا من كلّ شائبه تضيره كجيش إمام له أهدافه المثلى (١).

التحليل الثانى:

إن معاوية كان قد نشط فى عهد الخليفين الثانى و الثالث بإمارته على الشام عشرين سنه، تمكّن بها فى أجهزه الدوله، و صانع الناس فيها و أطمعهم

ص: ١٥٣

١- ((١)) صلح الحسن للشيخ راضى آل ياسين: ٣٧١-٣٧٢.

به فكانت الخاصه فى الشام كلّها من أعوانه، و عظم خطره فى الإسلام، و عرف فى سائر الأقطار بكونه من قريش اسره النبى (صلّى الله عليه و آله) و أنّه من أصحابه، حتى كان فى هذه أشهر من كثير من السابقين الأولين الذين رضى الله عنهم و رضوا عنه، كأبى ذرّ و عمّار و المقداد و أضرابهم.

هكذا نشأت «الامويه» مرّه اخرى، تغالب الهاشميه باسم الهاشميه فى علنها، و تكيد لها كيدها فى سرّها، فتندفع مع انطلاق الزمن تخدع العامه بدهائها، و تشتري الخاصه بما تغدقه عليهم من أموال الامّه، و بما تؤثّرهم به من الوظائف التى ما جعلها الله للخونه من أمثالهم، تستغل مظاهر الفتح و إحراز الرضا من الخلفاء، حتى إذا استتبّ أمر «الامويه» بدهاء معاويه، انسلت إلى أحكام الدين انسلال الشياطين، تدسّ فيها دسّها، و تفسد إفسادها، راجعه بالحياه إلى جاهليه تبعث الاستهتار و الزندقه وفق نهج جاهلى و خطه نفعيه ترجوها «الامويه» لاستيفاء منافعها، و تسخّر لها لحفظ امتيازاتها (١).

و الناس عامه لا يفتنون لشيء من هذا، فإنّ القاعده المعمول بها فى الإسلام - أعنى قولهم: الإسلام يجب ما قبله - ألقت على فطاع «الامويه» سترًا حجبها، و لا سيما بعد أن عفا عنها رسول الله و تألّفها، و بعد أن قرّبها الخلفاء منهم، و اصطفوها بالولايات على المسلمين، و أعطوها من الصلاحيات ما لم يعطوا غيرها من ولائهم، فسارت فى الشام سيرتها عشرين عاما لا يتناهون عن منكر فعلوه و لا يبنون.

و قد كان الخليفه الثانى عظيم المراقبه لبعض عمّاله دقيق المحاسبه لهم

ص: ١٥٤

١- ((١)) للتعرف على عداة معاويه و موبقاته التى تمثّلت فى تعطيله الحدود الإلهيه و تحريف الأحكام الشرعيه و شرائه لأديان الناس و ضمائرهم و خلاعته و مجونه و افتعاله للحديث و غيرها من المنكرات الفظيعة، راجع حياه الإمام الحسن: ١٤٥/٢ - ٢١٠.

دون بعض، لا يأخذه في ذلك مانع من الموانع أصلاً، تتعج بخالد بن الوليد عامله على «قنسرين» إذ بلغه أنه أعطى الأشعث عشرة آلاف، فأمر به فعقله «بلال الحبشي» بعمامته، وأوقفه بين يديه على رجل واحده مكشوف الرأس على رؤوس الأشهاد من رجال الدوله و وجوه الشعب في المسجد الجامع بحمص، يسأله عن العشره آلاف أهي من ماله أم من مال الامة؟ فإن كانت من ماله فهو الإسراف و الله لا يحب المسرفين، و إن كانت من مال الامة فهي الخيانه و الله لا يحب الخائنين، ثم عزله فلم يولّه بعد حتى مات.

و كم لعمر مع بعض عمّاله من أمثال ما فعله بخالد و أبي هريره يعرفها المتتبعون! لكنّ معاويه كان أثيره و خلصه، على ما كان من التناقض في سيرتهما، ما كفّ يده عن شيء و لا ناقشه الحساب في شيء، و ربّما قال له:

«لا آمرك و لا أنهاك»، يفوّض له العمل برأيه، فشده مراقبه الخليفه الثاني و دقه محاسبته كانت من نصيب بعض عمّاله، و لم تشمل الجميع على حدّ سواء، إذ أنّ معاويه- هو عامله على الشام- كان طليق اليدين يفعل ما تشاء أهواؤه و ما تبغيه شهواته.

و هذا ما أطغى معاويه، و أرفه عزمه على تنفيذ خططه «الامويه» و قد وقف الحسن و الحسين من دهائه و مكروه إزاء خطر فظيع، يهدّد الإسلام باسم الإسلام، و يطغى على نور الحقّ باسم الحقّ، فكانا في دفع هذا الخطر أمام أمرين لا- ثالث لهما: إمّا المقاومه و إمّا المسالمة، و قد رأيا أنّ المقاومه في دور الحسن تؤدي لا محاله إلى فناء هذا الصفّ المدافع عن الدين و أهله، و الهادي إلى الله عزّ و جل و إلى صراطه المستقيم.

و من هنا رأى الحسن (عليه السلام) أنّ يترك معاويه لطغيانه، و يمتحنه بما يصبو اليه من الملك، لكن أخذ عليه في عقد الصلح أن لا يعدو الكتاب

و السنّه فى شىء من سيرته و سيره أعوانه، و أن لا يطلب أحدا من الشيعة بذنب أذنبه مع الامويه، و أن يكون لهم من الكرامه و سائر الحقوق ما لغيرهم من المسلمين، و أن، و أن، و أن، إلى غير ذلك من الشروط التى كان الإمام الحسن عالما بأنّ معاويه لا يفى له بشىء منها و أنّه سيقوم بنقائضها.

هذا ما أعدّه (عليه السّلام) لرفع الغطاء عن الوجه «الاموى» الممّوه، و لصهر الطلاء عن مظاهر معاويه الزائغه، ليبرز حينئذ هو و سائر أبطال «الامويه» كما هم جاهليون لم تخفق صدورهم بروح الإسلام لحظه، تأريون لم تنسهم مواهب الإسلام و مراحمه شيئا من أحقاد بدر و احد و الأحزاب.

و بالجمله: فإنّ هذه الخطّه ثوره عاصفه فى سلم لم يكن منه بدّ، أملاه ظرف الإمام الحسن (عليه السّلام) إذا التبس الحقّ بالباطل، و تسنى للطغيان فيه سيطره مسلّحه ضاربه، ما كان الحسن (عليه السّلام) يبادئ هذه الخطه و لا بخاتمها، بل أخذها فيما أخذه من إرثه، و تركها مع ما تركه من ميراثه، فهو كغيره من أئمه هذا البيت (عليهم السّلام) يسترشد الرساله فى إقدامه و إحجامه، امتحن بهذه الخطّه فرضخ لها صابرا محتسبا و خرج منها ظافرا طاهرا.

تهيأ للحسن (عليه السّلام) بهذا الصلح أن يفرش فى طريق معاويه كميناً من نفسه يثور عليه من حيث لا يشعر فيرديه، و تسنى له أن يلغم نصر الامويه بارود الامويه نفسها، فيجعل نصرها جفاء و ربحها هباء.

لم يطل الوقت حتى انفجرت اولى القنابل المغروسه فى شروط الصلح، انفجرت من نفس معاويه يوم نشوته بنصره، إذ انضمّ جيش العراق إلى لوائه فى النخيله، فقال- و قد قام خطيبا فيهم-: «يا أهل العراق! إننى و الله لم اقاتلكم لتصلّوا و لا لتصوموا و لا لتزكّوا، و لا لتحجّوا، و إنّما قاتلتكم لأتأمر عليكم، و قد أعطانى الله ذلك و أنتم كارهون، ألا و أنّ كلّ شىء أعطيته للحسن

ثم تتابعت سياسته معاويه، تتفجر بكل ما يخالف الكتاب و السنه من كل منكر في الإسلام، قتلا للأبرار و هتكاً للأعراض و سلباً للأموال و سجننا للأحرار، ختم معاويه منكراته هذه بحمل خليعه المهتوك على رقاب المسلمين، يعيث في دينهم و دنياهم، فكان من خليعه ما كان يوم الطف، و يوم الحزّه، و يوم مکه إذ نصب عليهم العزادات و المجانيق.

و مهما يكن من أمر فالمهم أنّ الحوادث جاءت تفسّر خطّه الإمام الحسن و تجلوها، و كان أهمّ ما يرمى اليه سلام الله عليه أن يرفع اللثام عن هؤلاء الطغاه، ليحول بينهم و بين ما يبيّتون لرساله جدّه من الكيد، و قد تمّ له كلّ ما أراد، حتى برح الخفاء و آذن أمر الامويه بالجلاء، و الحمد لله رب العالمين.

و بهذا استتبّ لصنوه سيد الشهداء أن يثور ثورته التي أوضح الله بها الكتاب، و جعله فيها عبره لاولى الألباب.

و قد كانا (عليهما السلام) وجهين لرساله واحده، كلّ وجه منهما في موضعه منها، و في زمانه من مراحلها، يكافئ الآخر في النهوض بأعبائها و يوازنه بالتضحيه في سبيلها، فالحسن (عليه السلام) لم يبخل بنفسه، و لم يكن الحسين (عليه السلام) أسخى منه بها في سبيل الله، و إنّما صان نفسه يجنّدها في جهاد صامت، فلمّا حان الوقت كانت شهاده كربلاء شهاده حسنيه قبل أن تكون حسيّته. و كان يوم ساباط أعرق بمعاني التضحيه من يوم الطفّ لدى اولى الألباب ممّن تعمّق، لأنّ الإمام الحسن (عليه السلام) اعطى من البطوله دور الصابر على احتمال

ص: ١٥٧

المكاره فى صورته مستكين قاعده، و كانت شهاده الطّف حسّيّه أولا و حسّيّته ثانيا؛ لأنّ الحسن أنضح نتائجها و مهّد أسبابها.

و قد وقف الناس -بعد حادثتى ساباط و الطّف- يمعنون فى الأحداث؛ فيرون فى هؤلاء الامويين عصبه جاهليه منكروه، بحيث لو مثلت العصبيات الجلفه النذله الظلوم لم تكن غيرهم، بل تكون دونهم فى الخطر على الإسلام و أهله... (١).

زبده المخض:

إذن تتلخّص أسباب الصلح فيما يلى:

١- ضعف أنصار الإمام و تخاذلهم و عدم انصياعهم لأوامره بعد تأثير دسائس معاويه فيهم، و بهذا سوف لا تجدى المقاومه بل سوف تتحتّم الانتكاسه للخط الرسالى أمام مكر معاويه، و على الإمام أن يحافظ على بقاء هذا الخط و تناميه فى مجتمع يسوده مكر معاويه و خدائعه.

٢- و يترتب على انتكاسه جيش الإمام الحسن (عليه السّلام) استشهاده مع الخلّص من أهل بيته و أصحابه أو أسرهم و بقاؤهم أحياء فى سجن معاويه أو إطلاق سراحهم مع بقائهم فى موقع الضعف بعد الامتنان عليهم بالحريّه، و كل هذه النتائج غير محموده.

فإنّ الاستشهاد إذا لم يترتب عليه أثر مشروع عاجل أو آجل فلا مبرر له، و لا سيما إذا اقترن بتصفيه الخط الإمامى و إبادته الشامله.

٣- صيانته اللّه المؤمنه بحقانيه أهل البيت (عليهم السّلام) و حفظهم من التصفيه

ص: ١٥٨

١- (١) راجع مقدمه صلح الإمام الحسن للشيخ راضى آل ياسين.

و الإباده الامويه الشامله بعد إحراز بقاء الحقد الاموى لبنى هاشم و من يحدو حدوهم، كما أثبتته حوادث التاريخ الإسلامى الدامى.

٤-حقن دماء المسلمين حيث لا تجدى الحرب مع الفئه الباغيه.

٥-كشف واقع المخطط الاموى الجاهلى و تحصين الامه الإسلاميه ضدّه بعد أن مهّدت الخلافه لسيطره صبيان بنى اميه على زمام قياده الامه المسلمه و التلاعب بمصير الكيان الإسلامى و مصادره الثوره النبويه المباركه.

٦-ضروره تهيئه الظروف الملائمه لمقارعه الكفر و النفاق المستتر من موقع القوه.

لقد خفيت الأسباب الحقيقيه التى كانت تكمن وراء الموقف الإلهى الذى اتّخذّه الإمام المعصوم على كثير من الناس المعاصرين للحدث و على بعض اللاحقين من أصحاب الرؤى السطحيه أو المضللين الذين وقعوا تحت تأثير التزييف للحقائق، لكن الأحداث التى أعقبت الصلح و السياسات العدوانيه التى انتهجها معاويه و بقيه الحكام الامويين و التى ألحقت أضرارا جسيمه بالإسلام و المسلمين كشفت عن بعض أسرار موقف الإمام الحسن (عليه السلام).

ص: ١٥٩

الاجتماع فى الكوفه:

بعد توقيع الصلح بين الإمام الحسن (عليه السلام) و معاويه اتفقا على مكان يلتقيان به، ليكون هذا اللقاء تطبيقا عمليا للصلح، و ليعترف كل منهما على سماع من الناس بما أعطى صاحبه من نفسه و بما يلتزم له من الوفاء بعهوده، فاختارا الكوفه فقصدا اليها، و قصدت معهما سيول من الناس غصت بهم العاصمه الكبرى، و كان أكثر الحاضرين جند الفريقين، تركوا معسكريهما و حفوا لليوم التاريخى الذى كتب على طالع الكوفه النحس أن تشهده راغمه أو راغبه.

و نودى فى الناس إلى المسجد الجامع، ليستمعوا هناك إلى الخطيبين الموقعين على معاهده الصلح، و كان لابدّ لمعاويه أن يستبق إلى المنبر، فسبق اليه و جلس عليه (١)، و خطب فى الناس خطبته الطويله التى لم ترو المصادر منها إلا فقراتها البارزه فقط.

منها: «أما بعد، ذلكم فإنه لم تختلف أمه بعد نبيها إلا غلب باطلها حقها!!» قال الراوى: و انتبه معاويه لما وقع فيه، فقال: إلا ما كان من هذه الامه، فإن حقها غلب باطلها (٢).

و منها: «يا أهل الكوفه! أترونى قاتلتكم على الصلاه و الزكاه و الحج

ص: ١٦٠

١- (١) قال جابر بن سمره: «ما رأيت رسول الله يخطب إلا- و هو قائم، فمن حدثك أنه خطب و هو جالس فكذب» رواه الجزائرى فى آيات الأحكام: ٧٥، و الظاهر أن معاويه أول من خطب و هو جالس.

٢- (٢) تاريخ يعقوبى: ١٩٢/٢.

وقد علمت أنكم تصلون و تزكون و تحجون؟ ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم و ألى رقابكم، و قد آتاني الله ذلك و أنتم كارهون! ألا إن كل دم أصيب في هذه الفتنة مطلول، و كل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين!!...» (١).

و روى أبو الفرج الأصفهاني عن حبيب ابن أبي ثابت مسندا: أنه ذكر في هذه الخطبة عليا فقال منه، ثم نال من الحسن (٢).

ثم قام الإمام الحسن (عليه السلام) فخطب في هذا الموقف الدقيق خطبته البليغة الطويلة التي جاءت من أروع الوثائق عن الوضع القائم بين الناس و بين أهل البيت (عليهم السلام) بعد وفاه رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و عظم و نصح و دعا المسلمين في أولها -إلى المحبة و الرضا و الاجتماع، و ذكّرهم في أواسطها -مواقف أهله بل مواقف الأنبياء، ثم ردّ على معاوية في آخرها -دون أن يناله بسب أو شتم، و لكنّه كان بأسلوبه البليغ أوجع شاتم و سائب.

و كان ممّا قاله (عليه السلام) (٣): «أيها الذاكر عليا! أنا الحسن و أبي علي، و أنت معاوية و أبوك صخر، و امي فاطمه و امك هند، و جدّي رسول الله و جدك عتبة بن ربيعة، و جدتي خديجة، و جدتك فتيلة، فلن الله أحمّلنا ذكرا، و الأمانة حسبا، و شرنا قديما و حديثا، و أقدمنا كفرا و نفاقا».

المعارضون للصلح:

أ- قيس بن سعد بن عبادة:

اشتهر قيس بموالاه أهل البيت (عليهم السلام) و كان أمير المؤمنين (عليه السلام) قد عينه

ص: ١٦١

١- (١) صلح الإمام الحسن: ٢٨٥ عن المدائني.

٢- (٢) شرح نهج البلاغة: ١٦/٤.

٣- (٣) نقل نص الخطاب الشيخ آل ياسين في «صلح الإمام الحسن»: ٢٨٦-٢٨٩.

واليا على مصر في أوائل خلافته و عندما سمع قيس بن سعد نبأ التوقيع على الصلح بين الإمام (عليه السلام) و معاويه غشيته سحب من الأحران، و استولت عليه موجه من الهموم، لكنّه عاد إلى الكوفه في نهايه المطاف.

و كان معاويه بعد أن خدع عبید الله بن العباس؛ قد بعث رساله إلى قيس يمنيّه و يتوعّده، فأجابه قيس: «لا و الله لا تلقاني إلا بيني و بينك السيف أو الرمح...» (١)، فغضب معاويه لهذا الجواب القاطع فأرسل اليه رساله يشتمه فيها و يتوعّده و جاء فيها: «أما بعد، فإنك يهودى تشقى نفسك، و تقتلها فيما ليس لك، فإن ظهر أحبّ الفريقين اليك نبذك و غدرك، و إن ظهر أبغضهم اليك نكل بك و قتلك، و قد كان أبوك أوتر غير قوسه، و رمى غير غرضه، فأكثر الجذ، و أخطأ المفصل، فخذله قومه، و أدركه يومه، فمات بحوران غريبا، و السلام» (٢).

فأجابه قيس: «أما بعد، فإنما أنت وثن ابن وثن، دخلت في الإسلام كرها، و أقمت فيه خرقا، و خرجت منه طوعا، و لم يجعل الله لك فيه نصيبا، لم يقدم إسلامك، و لم يحدث نفاقك، لم تزل حربا لله و لرسوله، و حزبا من أحزاب المشركين، و عدوا لله و لنبيه و للمؤمنين من عباده، و ذكرت أبى فلعمري ما أوتر إلا قوسه، و لا رمى إلا غرضه، فشغب عليه من لا تشقّ غباره، و لا تبلغ كعبه، و زعمت أنّى يهودى ابن يهودى و قد علمت و علم الناس أنّى و أبى أعداء الدين الذى خرجت منه -يعنى الشرك- و أنصار الدين الذى دخلت فيه و صرت اليه، و السلام» (٣).

ص: ١٦٢

١- (١) حياه الإمام الحسن: ٢٦٧/٢.

٢- (٢) نفس المصدر: ٢٦٧/٢-٢٦٨.

٣- (٣) نفس المصدر: ٢٦٨.

وَلَمَّا عَلِمَ مَعَاوِيَةَ بَعُودَهُ قَيْسَ إِلَى الْكُوفَةِ دَعَاهُ إِلَى الْحُضُورِ لِمَبَايَعَتِهِ، لَكِنْ قَيْسٌ رَفَضَ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ عَاهَدَ اللَّهَ أَنْ لَا يَجْتَمِعُ مَعَهُ إِلَّا - وَبَيْنَهُمَا السَّيْفُ أَوْ الرَّمْحُ، فَأَمَرَ مَعَاوِيَةَ بِإِحْضَارِ سَيْفٍ وَرَمْحٍ لِيَجْعَلَ بَيْنَهُمَا حَتَّى يَبْرَّ قَيْسٌ بِيَمِينِهِ وَلَا يَحْنُثَ، وَوَقْتِذَاكَ حَضَرَ قَيْسُ الْجَمْعِ وَبَايَعَ مَعَاوِيَةَ (١).

ب- حجر بن عدى:

وَهُوَ مِنْ كِبَارِ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَآمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَ مِنْ أَسْدَالِ عَصْرِهِ، وَحَسَبُ ابْنِ الْأَثِيرِ الْجَزْرِيُّ فِي «أَسَدِ الْغَابَةِ» وَغَيْرِهِ، أَنَّهُ وَصَلَ مَقَامًا فِي الْقُرْبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِحَيْثُ أَصْبَحَ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ، وَ قَدْ قُتِلَ شَهِيدًا فِي «مَرْجِ عَدْرَاءَ» وَهِيَ إِحْدَى قُرَى الشَّامِ، بِأَمْرِ مَعَاوِيَةَ وَبِوَسْطِهِ أَزْلَامُهُ، وَ قَدْ انْدَلَعَتْ إِثْرَ شَهَادَتِهِ مَوْجَهُ مِنَ الْإِحْتِجَاجَاتِ عَلَى سِيَاسَاتِ مَعَاوِيَةَ وَحَتَّى نَدَّدَتْ عَائِشَةُ وَآخَرُونَ بِالْجَرِيمَةِ (٢).

وَ بِالرَّغْمِ مِنَ الْحَبِّ وَ الْوَلَاءِ لِلَّذِينَ يَكْنَهُمَا «حَجْر» لِلْإِمَامِ الْحَسَنِ وَ أَبِيهِ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)، إِلَّا أَنَّ الْإِنْفِعَالَاتِ دَفَعَتْ بِهِ إِلَى ظُلْمَاتِ الْيَأْسِ وَ الْقَنُوطِ فِي اللَّحْظَاتِ الَّتِي تَمَّ فِيهَا قَرَارُ الصَّلْحِ، مِنْ هُنَا خَاطَبَ الْإِمَامُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَ فِي حُضُورِ مَعَاوِيَةَ بِقَوْلِهِ: «أَمَّا وَاللَّهِ لَوُدِدْتُ أَنَّكَ مَتَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَ مَتْنَا مَعَكَ، وَ لَمْ نَرِ هَذَا الْيَوْمَ، فَإِنَّا رَجَعْنَا رَاغِمِينَ بِمَا كَرِهْنَا، وَ رَجَعُوا مُسْرُورِينَ بِمَا أَحْبَبُوا».

وَ حَسَبُ الْمَدَائِنِيِّ أَنَّ كَلَامَ «حَجْر» تَرَكَ فِي نَفْسِ الْإِمَامِ بِالْغِ الْأَسَى وَ الْحُزْنَ، فَانْبَرَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَ بَعْدَ أَنْ فَرَّغَ الْمَسْجِدَ مَبِينًا لَهُ الْعَلَّةَ الَّتِي صَالِحٌ مِنْ أَجْلِهَا قَاتَلَا: «يَا حَجْر! قَدْ سَمِعْتَ كَلَامَكَ فِي مَجْلِسِ مَعَاوِيَةَ، وَ لَيْسَ كُلُّ إِنْسَانٍ يَحِبُّ مَا

ص: ١٦٣

١- ((١)) راجع لمزيد من التفصيل مقاتل الطالبين. و حياه الإمام الحسن.

٢- ((٢)) أسد الغابة: ٣٨٦/١.

تَحَبُّ و لا رأيه كرايكم، و إني لم أفعل ما فعلت إلا إبقاء عليكم، و الله تعالى كل يوم هو في شأن» (١).

ج- عدى بن حاتم:

و عدى من الشجعان و المخلصين لأهل البيت (عليهم السّلام)، و قد نقل أنه قال للإمام و قد ذابت حشاه من الحزن و المصاب: «يا بن رسول الله! لوددت أنني متّ قبل ما رأيت، أخرجتنا من العدل إلى الجور، فتركنا الحقّ الذي كنّا عليه، و دخلنا في الباطل الذي كنّا نهرب منه، و أعطينا الدنيّة من أنفسنا، و قبلنا الخسيس التي لم تلق بنا» فأجابه الإمام (عليه السّلام): «يا عدى! إنني رأيت هوى معظم الناس في الصلح و كرهوا الحرب، فلم أحبّ أن أحملهم على ما يكرهون، فرأيت دفع هذه الحروب إلى يوم ما، فإنّ الله كل يوم هو في شأن» (٢).

د- المسيّب بن نجبه و سليمان بن صرد:

و عرفا بالولاء و الإخلاص لأهل البيت (عليهم السّلام)، و قد تألّما من الصلح فأقبلا- إلى الإمام و هما محزونان النفس فقالا: ما ينقضى تعجّبنا منك! بايعت معاويه و معك أربعون ألف مقاتل من الكوفة سوى أهل البصره و الحجاز»، فقال الإمام للمسيّب: «ما ترى؟» قال: و الله أرى أن ترجع لأنّه نقض العهد، فأجابه الإمام: «إنّ الغدر لا خير فيه و لو أردت لما فعلت..» (٣).

و جاء في روايه اخرى أنّ الإمام (عليه السّلام) أجابه: «يا مسيّب! إنني لو أردت- بما

ص: ١٦٤

١- (١) شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ١٥/١٦.

٢- (٢) حياه الإمام الحسن: ٢٧٤/٢.

٣- (٣) مناقب ابن شهر آشوب: ٣٥/٤، طبعه قم.

فعلت-الدنيا لم يكن معاويه بأصبر عند اللقاء و لا أثبت عند الحرب منّي،و لكن أردت صلاحكم و كفّ بعضكم عن بعض» (١).

إلى يثرب:

بقى الإمام الحسن (عليه السّلام) في الكوفة أياما، ثمّ عزم على مغادره العراق، و الشخوص إلى مدينه جدّه، و قد أظهر عزمه و نيته إلى أصحابه، و لما اذيع ذلك دخل عليه المسيّب بن نجبه الفزاري و ظبيان بن عماره التميمي ليودّعا، فالتفت لهما قائلا: «الحمد لله الغالب على أمره، لو أجمع الخلق جميعا على أن لا- يكون ما هو كائن ما استطاعوا.. إنّه و الله ما يكبر علينا هذا الأمر إلا أن تضاموا و تنتقصوا، فأما نحن فإنّهم سيطلبون مودّتنا بكلّ ما قدروا عليه».

و طلب منه المسيّب و ظبيان المكث في الكوفة فامتنع (عليه السّلام) من إجابته قائلا: «ليس إلى ذلك من سبيل» (٢).

ولدى توجّهه (عليه السّلام) و أهل بيته إلى عاصمه جدّه (صلّى الله عليه و آله)؛ خرج أهل الكوفة بجمع طبقاتهم إلى توديعه و هم ما بين باك و آسف (٣).

و سار موكب الإمام و لكنّه لم يبعد كثيرا عن الكوفة حتى أدركه رسول معاويه يريد أن يرده إلى الكوفة ليقاتل طائفه من الخوارج قد خرجت عليه، فأبى (عليه السّلام) أن يعود و كتب إلى معاويه: «و لو آثرت أن اقاتل أحدا من أهل القبله لبدأت بقتالك، فإنّي تركتك لصلاح الامّه و حقن دماؤها» (٤).

و انتهت قافله الإمام إلى يثرب، فلما علم أهلها بتشريفه (عليه السّلام) خفّوا

ص: ١٦٥

١- (١) حياه الإمام الحسن: ٢٧٧/٢.

٢- (٢) حياه الإمام الحسن: ٢٨٥/٢-٢٨٦.

٣- (٣) تحفه الأنام للفاخوري: ٦٧.

٤- (٤) حياه الإمام الحسن: ٢٨٧/٢.

جميعا لاستقباله، فقد أقبل اليهم الخير و حلت في ديارهم السعادة و الرحمه، و عاودهم الخير الذى انقطع عنهم منذ أن نزع أمير المؤمنين (عليه السلام) عنهم.

جاء الحسن (عليه السلام) مع إخوته و أهل بيته إلى يثرب، فاستقام فيها عشر سنين، فمألاً رباعها بعطفه المستفيض و رقيق حنانه و حلمه، و نقدّم عرضاً موجزاً لبعض أعماله و شؤونه فيها.

مرجعية الإمام الحسن (عليه السلام) العلميه و الدينيه:

و تمثّلت في تربيته لكوّبه من طلاب المعرفة، و تصدّيه للانحرافات الدينيه التي كانت تؤدي إلى مسخ الشريعة، كما تصدّى لمؤامره مسخ السنّه النبويه الشريفه التي كان يخطّط لها معاويه بن أبى سفيان من خلال تنشيط وضع الأحاديث و المنع من تدوين الحديث النبويّ.

مدرسه الإمام و نشاطه العلمى:

أنشأ الإمام مدرسته الكبرى في يثرب، و راح يعمل مجدداً في نشر الثقافه الإسلاميه فى المجتمع الإسلامى، و قد انتمى لمدرسته كبار العلماء و عظماء المحدّثين و الرواه، و وجد بهم خير عون لأداء رسالته الإصلاحيه الخالده التي بلورت عقليه المجتمع. و أيقظته بعد الغفله و الجمود، و قد ذكر المؤرّخون بعض أعلام تلامذته و رواه حديثه و هم:

ابنه الحسن المثنى، و المسيّب بن نجبه، و سويد بن غفله، و العلا بن عبد الرحمن، و الشعبي، و مبيره بن بركم، و الأصمغ بن نباته، و جابر بن خلد، و أبو الجوزاء، و عيسى بن مأمون بن زراره، و نفاله بن المأموم، و أبو يحيى عمير ابن سعيد النخعي، و أبو مريم قيس الثقفي، و طحرب العجلي، و اسحاق بن

يسار والد محمد بن اسحاق، و عبد الرحمن بن عوف، و سفين بن الليل، و عمرو بن قيس الكوفيون (١)، و قد ازدهرت يثرب بهذه الكوكبه من العلماء و الرواه فكانت من أخصب البلاد الإسلاميه علما و أدبا و ثقافه.

و كما كان يتولّى نشر العلم فى يثرب كان يدعو الناس إلى مكارم الأخلاق و محاسن الأعمال و التأدّب بسنّه النبى (صلّى الله عليه و آله)، و قد رفع (عليه السّلام) منار الأخلاق التى جاء بها جدّه الرسول لإصلاح المجتمع و تهذيبهم، فمن سمّو أخلاقه أنّه كان يصنع المعروف و الإحسان حتى مع أعدائه و مناوئيه، و قد بلغه أنّ الوليد بن عقبه قد ألّمّ به السقم فمضى لعيادته مع ما عرف به الوليد من البغض و العدا لآل البيت، فلمّا استقرّ المجلس بالإمام انبرى اليه الوليد قائلاً:

«إني أتوب إلى الله تعالى ممّا كان بينى و بين جميع الناس إلّا ما كان بينى و بين أبيك فإنّي لا أتوب منه» (٢).

و أعرّض الإمام عنه و لم يقابله بالمثل، و لعلّه أوصله ببعض أطفاه و هداياه (٣).

مرجعيتّه الاجتماعيه:

اشاره

و التى تمثّلت فى عطفه على الفقراء و إحسانه و بذله المعروف، و تجلّت فى استجاره المستجيرين به للتخلّص من ظلم الامويين و أذاهم.

أ- عطفه على الفقراء:

و أخذ (عليه السّلام) يفيض الخير و البرّ على الفقراء و البائسين، ينفق جميع ما

ص: ١٦٧

١- (١) تاريخ ابن عساکر: ج ١٢، صوره فوتوغرافيه فى مكتبه الإمام أمير المؤمنين.

٢- (٢) شرح ابن أبى الحديد: ١/٣٦٤.

٣- (٣) حياه الإمام الحسن: ٢/٢٨٨-٢٨٩.

عنده عليهم، و قد ملأ قلوبهم سرورا بإحسانه و معروفه، و من كرمه أنه جاءه رجل في حاجه فقال له: «اكتب حاجتك في رقعه و ادفعها إلينا»، فكتبها ذلك الشخص و رفعها إليه، فأمر (عليه السلام) بضعفها له، قال بعض الحاضرين: ما كان أعظم بركه هذه الرقعه عليه يا بن رسول الله؟! فأجاب (عليه السلام): «بركتها علينا أعظم، حين جعلنا للمعروف أهلاً، أما علمت أن المعروف ما كان ابتداء من غير مسأله، فأما من أعطيته بعد مسأله فإتماً أعطيته بما بذل لك من وجهه، و عسى أن يكون بات ليلته متململاً- أرقاً يميل بين اليأس و الرجاء، لا- يعلم بما يرجع من حاجته، أبكآ به أم بسرور النجح، فيأتيك و فرائضه ترعد، و قلبه خائف يخفق، فإن قضيت له حاجته فيما بذلك من وجهه فإن ذلك أعظم مما نال من معروفك».

لقد كان مؤثلاً- للفقراء و المحرومين، و ملجأ للأرامل و الأيتام، و قد تقدمت بعض بوادر جوده و معروفه التي كان بها مضرب المثل للكرم و السخاء.

ب- الاستجاره به:

كان (عليه السلام) في عاصمه جدّه (صلّى الله عليه و آله) كهفاً منيعاً لمن يلجأ إليه، و ملاذاً حصيناً لمن يلوذ به، قد كرس أوقاته في قضاء حوائج الناس، و دفع الضيم و الظلم عنهم، و قد استجار به سعيد بن أبي سرح من زياد فأجاره، فقد ذكر الرواه أنه كان معروفاً بالولاء لأهل البيت (عليهم السلام) فطلبه زياد من أجل ذلك فهرب إلى يثرب مستجيراً بالإمام، و لما علم زياد ذلك عمد إلى أخيه و ولده و زوجه فحبسهم، و نقض داره، و صادر أمواله، و حينما علم الإمام الحسن ذلك شقّ عليه الأمر، فكتب رساله إلى زياد يأمره فيها بأن يعطيه الأمان،

و يَحْلَى سبيل عياله و أطفاله، و يشيد داره، و يردّ عليه أمواله (١).

مرجعته السياسيّه:

لقد صالح الإمام الحسن (عليه السّلام) معاويه من موقع القوّه، كما نصّت المعاهده على أن يكون الأمر من بعده للحسن و لا ينبغي له الغوائل و المكائد.

إذن من الطبيعي أن يكون الإمام محور المعارضه و الشوكه التي تنغص على بنى اميه و معاويه ملكهم و تكدر صفوهم، و نجد في أدعيه الإمام و لقاءاته بالحاكمين و بطانتهم و رسائله و خطبه نشاطا سياسيا واضحا تمثّل في:

أ-مراقبته للأحداث و متابعتها و مراقبه سلوك الحاكّمين و عمّالهم، و أمرهم بالمعروف و ردعهم عن المنكر، كما لاحظنا في مراسلته لزياد لرفع الضغط عن سعيد بن أبي سرح، و لومه لحبيب بن مسلمه و هو في الطواف على إطاّعته لمعاويه (٢).

ب-النشاط السياسي المنظم و الذي كان يتمثّل في استقباله لوفود المعارضه، و توجيههم و دعوتهم إلى الصبر، و أخذ الحزم و انتظار أوامر الإمام التي ستصدر في الفرصه المناسبه، كما تمثّل في تأكيده المستمرّ على الدور القيادي لأهل البيت (عليهم السّلام) و استحقاقه للخلافه و الإمامه.

و يرى الدكتور طه حسين أنّ الإمام قد شكّل حزبا سياسيا حين مكّنه في المدينه، و تولّى هو رئاسته و توجيهه الوجهه المناسبه لتلك الظروف.

ج-عدم تعاطفه مع أركان النظام الحاكم بالرغم من محاولاتهم لكسب عطف الإمام أو تغطيه نشاطاته أو إدانتها، و قد تمثّل هذا الجانب في رفضه

ص: ١٦٩

١- ((١)) حياه الإمام الحسن: ٢٨٩/٢-٢٩٠.

٢- ((٢)) راجع حياه الإمام الحسن: ٢٩٣/٢.

لمصاهره الامويين و فضحه لخططهم و كشفه لواقعهم المنحرف و عدم استحقاق معاويه للخلافه، و تجلّى بوضوح فى مناظراته مع معاويه و بطانته فى المدينه و دمشق على حدّ سواء، و نكتفى بالإشاره إلى بعض مواقفه.

رفض الإمام (عليه السلام) مصاهره الامويين:

و رام معاويه أن يصاهر بنى هاشم ليحوز بذلك الشرف و المجد، فكتب إلى عامله على المدينه مروان بن الحكم أن يخطب ليزيد زينب بنت عبد الله ابن جعفر على حكم أبيها فى الصداق، و قضاء دينه بالغما ما بلغ، و على صلح الحيين بنى هاشم و بنى اميه، فبعث مروان خلف عبد الله، فلما حضر عنده فاوضه فى أمر كريمته، فأجابه عبد الله: إن أمر نساؤنا بيد الحسن بن على فاخطب منه، فأقبل مروان إلى الإمام فخطب منه ابنه عبد الله، فقال (عليه السلام):

«اجمع من أردت» فانطلق مروان فجمع الهاشميين و الامويين فى صعيد واحد و قام فيهم خطيبا، و بين أمر معاويه له.

فردّ الإمام (عليه السلام) عليه، فقال بعد حمد الله و الثناء عليه: «أمّا ما ذكرت من حكم أبيها فى الصداق فإنّا لم نكن لنرغب عن سنّه رسول الله (صلّى الله عليه و آله) فى أهله و بناته (1)، و أمّا قضاء دين أبيها فمتى قضت نساؤنا ديون آبائهن؟ و أمّا صلح الحيين فإنّا عاديناكم لله و فى الله فلا نصالحكم للدنيا...».

و فى ختام كلمته قال الإمام (عليه السلام): «و قد رأينا أن نزوجها (يعنى زينب) من ابن عمّها القاسم بن محمد بن جعفر، و قد زوجتها منه، و جعلت مهرها ضيعتى التى لى بالمدينه، و قد أعطانى معاويه بها عشره آلاف دينار».

ص: ١٧٠

١- (١) كانت سنّه رسول الله (صلّى الله عليه و آله) فى مهر أزواجه و بناته أربعمائه درهم.

و رفع مروان رساله إلى معاويه أخبره بما حصل، فلما وصلت إليه قال: «خطبنا إليهم فلم يفعلوا، و لو خطبوا إلينا لما رددناهم» (١).

من مواقف الإمام الحسن (عليه السلام) مع معاويه و بطانته:

أ- مع معاويه في المدينه:

روى الخوارزمي أنّ معاويه سافر إلى يثرب فرأى تكريم الناس و حفاوتهم بالإمام و إكبارهم له ممّا ساءه ذلك، فاستدعى أبا الأسود الدؤلى و الضحّاك بن قيس الفهري، فاستشارهم فى أمر الحسن و أنّه بماذا يوصمه ليّخذ من ذلك و سيله للحطّ من شأنه و التقليل من أهمّيته أمام الجماهير، فأشار عليه أبو الأسود بالترك قائلاً:

«رأى أمير المؤمنين أفضل، و أرى ألاّ يفعل فإنّ أمير المؤمنين لن يقول فيه قولاً إلاّ أنزله سامعوه منه به حسداً، و رفعوا به سعداً، و الحسن يا أمير المؤمنين معتدل شبابه، أحضر ما هو كائن جوابه، فأخاف أن يرد عليك كلامك بنوافذ تردع سهامك، فيقرع بذلك ظنوبك (٢)، و يبدى به عيوبك، فإنّ كلامك فيه صار له فضلاً، و عليك كلاماً، إلاّ أن تكون تعرف له عيباً فى أدب، أو وقيعه فى حسب، و إنّ له المهذب، قد أصبح من صريح العرب فى عزّ لبابها، و كريم محتدها، و طيب عنصرها، فلا تفعل يا أمير المؤمنين».

و قد أشار عليه أبو الأسود بالصواب، و منحه النصيحة، فأبى نقص أو عيب فى الإمام حتى يوصمه به، و هو المطهر من كلّ رجس و نقص كما نطق

ص: ١٧١

١- (١) مقتل الحسين للخوارزمي: ١٢٤/١.

٢- (٢) الظنوب: العظم اليابس من الساق.

بذلك الذكر الحكيم؟ ولكن الضحّاك بن قيس قد أشار على معاوية بعكس ذلك فحبّد له أن ينال من الإمام و يتناول عليه قائلًا:

«امض يا أمير المؤمنين فيه برأيك و لا- تنصرف عنه بدائكك، فإنّك لو رميته بقوارص كلامك و محكم جوابك لذلّ لك كما يذلّ البعير الشارف (١) من الإبل».

و استجاب معاوية لرأى الضحّاك، فلمّا كان يوم الجمعة صعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه، و صلّى على نبيّه، ثم ذكر أمير المؤمنين و سيّد المسلمين على بن أبي طالب (عليه السلام) فانتقصه، ثم قال:

«أيها الناس! إنّ صبيه من قريش ذوى سفه و طيش و تكدر من عيش أتعبتهم المقادير، فاتخذ الشيطان رؤوسهم مقاعد، و ألسنتهم مبارد، فأباض و فرخ فى صدورهم، و درج فى نحورهم، فركب بهم الزلل، و زين لهم الخطل، و أعمى عليهم السبل، و أرشدهم إلى البغى و العدوان و الزور و البهتان، فهم له شركاء و هو لهم قرين و من يكّن الشيطان له قريناً فساء قريناً و كفى لهم مؤذبا، و المستعان الله».

فوثب إليه الإمام الحسن مندفعاً كالسيل راذاً عليه افتراءه و أباطيله قائلًا:

«أيها الناس! من عرفنى فقد عرفنى، و من لم يعرفنى فأنا الحسن بن على بن أبى طالب، أنا ابن نبيّ الله، أنا ابن من جعلت له الأرض مسجداً و طهوراً، أنا ابن السراج المنير، أنا ابن البشير النذير، أنا ابن خاتم النبيّين، و سيّد المرسلين، و إمام المتّقين، و رسول ربّ العالمين، أنا ابن من بعث إلى الجنّ و الإنس، أنا ابن من بعث رحمه للعالمين».

ص: ١٧٢

و شقّ على معاوية كلام الإمام فبادر إلى قطعه قائلاً: «يا حسن اعليّك بصفه الرطب»، فقال (عليه السّلام): «الريح تلقحه و الحرّ ينضجه، و الليل ييرده و يطيبه، على رغم أنفك يا معاوية» ثم استرسل (عليه السّلام) فى تعريف نفسه قائلاً:

«أنا ابن مستجاب الدعوه، أنا ابن الشفيح المطاع، أنا ابن أول من ينفذ رأسه من التراب، و يقرع باب الجنّه، أنا ابن من قاتلت الملائكه معه و لم تقاتل مع نبىّ قبله، أنا ابن من نصر على الأحزاب، أنا ابن من ذلّت له قريش رغمًا».

و غضب معاوية و اندفع يصيح: «أما أنّك تحدّث نفسك بالخلافه».

فأجابه الإمام (عليه السّلام) عمّن هو أهل للخلافه قائلاً: «أما الخلافه فلمن عمل بكتاب الله و سنّه نبويه، و ليست الخلافه لمن خالف كتاب الله و عطّل السنّه، إنّما مثل ذلك مثل رجل أصاب ملكاً فتمتّع به، و كأنه انقطع عنه و بقيت تبعاته عليه».

و راوغ معاوية، و انحط كبرياؤه فقال: «ما فى قريش رجل إلا و لنا عنده نعم جزيله و يد جميله».

فردّ (عليه السّلام) قائلاً: «بلى، من تعزّزت به بعد الذلّه، و تكثّرت به بعد القلّه».

فقال معاوية: «من اولئك يا حسن؟»، فأجابه الإمام (عليه السّلام): «من يلهيك عن معرفتهم».

ثم استمر (عليه السّلام) فى تعريف نفسه إلى المجتمع فقال:

«أنا ابن من ساد قريشا شابا و كهلاء أنا ابن من ساد الورى كرما و نبلاء أنا ابن من ساد أهل الدنيا بالجدود الصادق، و الفرع الباسق، و الفضل السابق، أنا ابن من رضاه رضى الله، و سخطه سخطه، فهل لك أن تساميه يا معاوية؟»، فقال معاوية: أقول لا تصديقا لقولك، فقال الحسن: «الحق أبلج، و الباطل لجلج، و لم يندم من ركب الحقّ، و قد خاب من ركب الباطل (و الحقّ يعرفه ذوو الألباب)» فقال معاوية على عادته من

ب- في دمشق:

اتفق جمهور المؤرخين على أنّ الإمام الحسن (عليه السلام) قد وفد على معاوية في دمشق، و اختلفوا في أنّ وفادته كانت مره واحده أو أكثر، و إطاله الكلام في تحقيق هذه الجبهه لا تغنيا شيئا، و إنّما المهم البحث عن سرّ سفره، فالذى نذهب اليه أنّ المقصود منه ليس إلّا نشر مبدأ أهل البيت (عليهم السلام) و إبراز الواقع الاموى أمام ذلك المجتمع الذى ضلّله معاويه و حرّفه عن الطريق القويم، أمّا الاستدلال عليه فإنّه يظهر من مواقفه و مناظراته مع معاويه، فإنّه قد هتك بها حجابيه.

أمّا الداهيون إلى أنّ سفره كان لأخذ العطاء فقد استندوا إلى احدى الروايات الموضوعه فيما نحسب، و هذه الروايه لا يمكن الاعتماد عليها؛ لأنّ الإمام قد عرف بالعزّه و الإباء و الشمم، على أنّه كان فى غنى عن صلوات معاويه؛ لأنّ له ضياعا كبيره فى يثرب كانت تدرّ عليه بالأموال الطائله، مضافا إلى ما كان يصله من الحقوق التى كان يدفعها خيار المسلمين و صلحاؤهم.

على أنّ الأموال التى كان يصله بها معاويه على القول بذلك لم يكن ينفقها على نفسه و عياله، فقد ورد أنّه لم يكن يأخذ منها مقدار ما تحمله الدابه بفيها (٢).

و روى الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام): «أنّ الحسن و الحسين كانا لا يقبلان جوائز معاويه بن أبى سفيان» (٣).

١- (١) راجع حياه الإمام الحسن: ٢٩٧/٢-٢٩٩ عن الخوارزمى.

٢- (٢) جامع أسرار العلماء، مخطوط بمكتبه كاشف الغطاء العامه.

٣- (٣) حياه الإمام الحسن: ٣٠٣/٢-٣٠٤.

و ضاق معاويه ذرعا بالإمام الحسن (عليه السلام) حينما كان في دمشق بعد الذي رآه من إقبال الناس و احتفائهم به، فعقد مجالس حشدها بالقوى المنحرفه عن أهل البيت (عليهم السلام) و المعاديه لهم مثل: ابن العاص و المغيره بن شعبه و مروان بن الحكم و الوليد بن عقبه و زياد بن أبيه و عبد الله بن الزبير، و أوعز لهم بالتطاول على ربحانه رسول الله (صلى الله عليه و آله) و النيل منه، ليزهد الناس فيه، و يشفى نفسه من ابن فاتح مكه و محطّم أو ثنان قريش، و قد قابله هؤلاء الأوغاد بمراره القول و بداءه الكلام، و كان (عليه السلام) يسدّد لهم سهاماً من منطقته الفياض فيسكتهم.

و لقد كان الإمام في جميع تلك المناظرات هو الظافر المنتصر، و خصومه الضعفاء قد اعترتهم الاستكانه و الهزيمه و الذهول.

المناظره الاولى:

أقبل معاويه على الإمام (عليه السلام) فقال له: «يا حسن أنا خير منك!» فقال له الإمام (عليه السلام): «و كيف ذاك يا ابن هند؟»، فقال معاويه: لأنّ الناس قد أجمعوا عليّ، و لم يجمعوا عليك.

فقال له الإمام (عليه السلام): «هيهات، لشرّ ما علوت يا ابن آكله الأكباد، المجتمعون عليك رجلاً: بين مطيع و مكره، فالطائع لك عاص لله، و المكره معذور بكتاب الله، و حاشا لله أن أقول أنا خير منك لأنّك لا خير فيك، فإنّ الله قد برّأني من الرذائل كما برّأك من الفضائل» (١).

المناظره الثانيه:

و هناك موقف آخر، و لعلّه من أروع ما نقله التأريخ من مواقف

ص: ١٧٥

١- (١) حياه الإمام الحسن: ٣٠٦/٢، عن روضه الواعظين للنيسابورى.

الإمام (عليه السّلام)، فقد اجتمع لدى معاوية أربعة من أعمده حكمه و مروّجى جاهليّته، وهم: عمرو بن العاص و الوليد بن عقبه بن أبي معيط و عتبه بن أبي سفيان و المغيرة بن شعبه، و طلبوا منه إحضار الإمام (عليه السّلام) لكي يعيبوه و ينالوا منه، بعد ما ساء لهم إلتفاف الناس حوله يلتمسون منه عطاء العلم و الدين.

و يقال: إنّ معاوية رفض أن يرسل اليه، و قال: «لا- تفعلوا، فوالله ما رأيته قطّ جالسا عندي إلّا- خفت مقامه و عيبه لي، و قال: إنّ ألسن بني هاشم» فعزموا عليه بأن يرسل اليه.

فقال: إنّ بعثت اليه لأنصفته منكم، فقال ابن العاص: أتخشى أن يأتي باطله على حقنا؟! قال معاوية: أما إنّني إن بعثت اليه لآمرنه أن يتكلّم بلسانه كلّه، و اعلموا أنّهم أهل بيت، لا- يعيبهم العائب، و لا يلصق بهم العار، و لكن اذفوه بحجره، تقولون له: إنّ أباك قتل عثمان، و كره خلافه الخلفاء قبله.

ثم أرسل إلى الامام من يدعوه، فحضر فأكرمه معاوية و أعظمه، و قال له: إنّني كرهت أن أدعوك، و لكن هؤلاء حملوني على ذلك، و إنّ لك منهم النصف و منّي، و إنّنا دعوناك لنقرّرك أنّ عثمان قتل مظلوما، و أنّ أباك قتله، فأجبههم، و لا تمنعك وحدتك و اجتماعهم أن تتكلّم بكلّ لسانك.

فتكلّم عمرو بن العاص، فذكر عليا، و تجاوز في سبّه و شتمه، ثم ثنى بالحسن و عابه و أغرق في الخدشه، و ممّا قاله:

«...يا حسن، تحدّث نفسك أنّ الخلافه صائرته اليك، و ليس عندك عقل ذلك و لا لثبه و إنّما دعوناك لنسبّك أنت و أباك...».

ثم تكلم الوليد بن عقبه فشتّع و أبان عن عنصريته، و نال من بني هاشم.

ثم تكلم عتبه بن أبي سفيان، فأفصح عن حقه و لومه، و ممّا قال:

«...يا حسن، كان أبوك شرّ قريش لقريش، أسفكه لدمائها، وأقطعه لأرحامها، طویل السيف و اللسان، يقتل الحيّ و يصيب الميت، و أما رجاؤك الخلافه فلست في زندها قادما، و لا في ميزانها راجحا».

ثم تكلم المغيره بن شعبه، فشم عليا و قال: «و الله ما أعيبه في قضيه بخون، و لا في حكم بميل، و لكنّه قتل عثمان.

ثم سكتوا، فتكلم الإمام (عليه السلام)، و ممّا قال:

«أما بعد يا معاويه، فما هؤلاء شتموني، و لكنّك شتمتني، فحشا ألفتة، و سوء رأى عرفت به، و خلقا سيئا ثبت عليه، و بغيا علينا عداوه لمحمد و آله، و لكن اسمع يا معاويه و اسمعوا فلاقولنّ فيك و فيهم ما هو دون ما فيكم».

ثم أخذ في المقارنه بين مواقف أبيه و مواقف معاويه و أبيه، فقال:

«انشدكم الله، هل تعلمون أنّه أول الناس إيمانا، و أنّك يا معاويه و أباك من المؤلّفه قلوبهم، تسرّون الكفر، و تظهرون الإسلام، و تستمالون بالأموال.

و إنّ كان صاحب رايه رسول الله (صلّى الله عليه و آله) يوم بدر، و إنّ رايه المشركين كانت مع معاويه و مع أبيه، ثم لقيكم يوم احد و يوم الأحزاب، و معه رايه رسول الله (صلّى الله عليه و آله)، و معك و مع أبيك رايه الشرك، و في كلّ ذلك يفتح الله له، و يفلج حجّته، و ينصر دعوته، و يصدق حديثه، و رسول الله (صلّى الله عليه و آله) في تلك المواطن كلّها عنه راض، و عليك و على أبيك ساخط».

و أخذ (عليه السلام) في تعداد فضائل أبيه و ما ورد فيه من الأحاديث على لسان رسول الله (صلّى الله عليه و آله) و مواقفه العظيمة التي نصر بها الدين و أذلّ بها المشركين، ثم قال: «و جاء أبوك على جمل أحمر يوم الأحزاب يحرض الناس و أنت تسوقه و أخوك عتبه هذا يقوده، فرآكم رسول الله (صلّى الله عليه و آله) فلعن الراكب و القائد و السائق، و أنت يا معاويه، دعا عليك رسول الله لئما أراد أن يكتب كتابا إلى بني خزيمه فبعث اليك، فنهمك إلى يوم القيامة

فقال: اللهم لا تشبهه».

ثم أخذ في بيان بعض مواقف أبيه مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) والمواطن السبعة التي لعن فيها النبي (صلى الله عليه وآله) أبا سفيان، و بعد أن أنهى خطابه لمعاوية، التفت إلى عمرو بن العاص فقال:

و أما انت يا ابن الناغه، فادعاك خمسه من قريش، غلب عليك الأمهم حسبا و أحبثهم منصبا، و ولدت على فراش مشترك، ثم قام أبوك فقال: أنا شانى محمد الأبتز، فأنزل الله فيه إِنَّ شَانِيكَ هُوَ الْأَبْتَرُ و قاتلت رسول الله في جميع المشاهد و هجوته، و آذيته في مكه و كدته، و كنت من أشد الناس له تكذيبا و عداوه.

ثم خرجت تريد النجاشي، لتأتى بجعفر و أصحابه، فلما أخطأك ما رجوت و رجعتك الله خائبا، و أكذبتك و اشيا، جعلت حدك على صاحبك عماره بن الوليد، فوشيت به إلى النجاشي، ففضحكك الله، و فضح صاحبك، فأنت عدو بني هاشم في الجاهليه و الإسلام.

و هجوت رسول الله (صلى الله عليه وآله) بسبعين بيتا من الشعر، فقال: اللهم إني لا أقول الشعر و لا ينبغي لى، اللهم العنه بكل حرف ألف لعنه.

و أما ما ذكرت من أمر عثمان، فأنت سعت عليه الدنيا نارا، ثم لحقت بفلسطين، فلما أتاك قتله، قلت: أنا أبو عبد الله إذا نكأت قرحه أدميتها، ثم حبست نفسك إلى معاوية و بعث دينك بدنياه، فلسنا نلومك على بغض، و لا نعاتبك على وء، بالله ما نصرت عثمان حبا، و لا غضبت له مقتولا...».

و التفت (عليه السلام) إلى الوليد فقال له:

«فوالله ما ألومك على بغض عليّ و قد قتل أباك بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) صبيرا، و جلدك ثمانين في الخمر لئما صليت بالمسلمين سكران، و سماك الله في كتابه فاسقا، و سمى أمير المؤمنين مؤمنا، حيث تفاخرتما...».

ثم التفت إلى عتبه بن أبي سفيان، و قال له:

«وَأَمَّا أَنْتَ يَا عْتَبَةَ، فَوَاللَّهِ مَا أَنْتَ بِحَصِيفٍ فَاجِبِيكَ، وَلَا عَاقِلٌ فَاحَاوِرْكَ وَاعَاتِبْكَ، وَمَا عِنْدَكَ خَيْرٌ يَرْجِي، وَلَا شَرٌّ يَتَّقِي، وَمَا عَقْلُكَ وَعَقْلُ أُمَّتِكَ إِلَّا سَوَاءٌ، وَمَا يَضُرُّ عَلِيًّا لَوْ سَبَبْتَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ، وَأَمَّا وَعِيدُكَ إِيَّايَ بِالْقَتْلِ فَهَلَّا قَتَلْتَ اللَّحْيَانِي إِذْ وَجَدْتَهُ عَلَى فَرَاشِكَ... وَكَيْفَ أَلُومُكَ عَلَيَّ بِغَضِّ عَلِيٍّ؟ وَقَدْ قَتَلَ خَالَكَ الْوَلِيدَ مَبَارِزَهُ يَوْمَ بَدْرٍ، وَشَرَكَ حَمْزَهُ فِي قَتْلِ جَدِّكَ عْتَبَةَ، وَأَوْحَدَكَ مِنْ أَخِيكَ حَنْظَلَةَ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ».

ثم التفت إلى المغيرة بن شعبه، وقال له:

«وَأَمَّا أَنْتَ يَا مَغِيرَةَ، فَلَمْ تَكُنْ بِخَلِيقٍ أَنْ تَقَعَ فِي هَذَا وَشَبَّهَهُ.. وَاللَّهِ... لَا يَشُقُّ عَلَيْنَا كَلَامُكَ وَإِنَّ حَدَّ اللَّهِ عَلَيْكَ فِي الزَّانَا لثَابِتٌ، وَلَقَدْ دَرَأَ عَمْرٌ عَنْكَ حَقًّا، اللَّهُ سَائِلُهُ عَنْهُ، وَلَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) هَلْ يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى الْمَرْأَةِ يَرِيدُ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا، فَقَالَ: لَا بَأْسَ بِذَلِكَ يَا مَغِيرَةَ، مَا لَمْ يَنُوحِ الزَّانَا، لَعَلَّمَهُ بِأَنَّكَ زَانٌ».

وَأَمَّا فَخْرُكُمْ عَلَيْنَا بِالْإِمَارَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: **وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمْزَنَّا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَنَدَمْنَا بِهَا تَدْمِيرًا** (١).

ثم قام الحسن (عليه السلام) فنفض ثوبه وانصرف، فتعلق عمرو بثوبه وقال: يا أمير المؤمنين، قد شهدت قوله في، وأنا مطالب له بحد القذف، فقال معاوية:

حل عنه، لا جزاك الله خيرا... فتركه.

فقال معاوية: قد أنبأتكم أنه ممن لا تطاق عارضته، ونهيتكم أن تسبوه فعصيتموني، والله ما قام حتى أظلم على البيت قوموا عني، فلقد فضحككم الله، وأخزاكم بترككم الحزم، وعدولكم عن رأي الناصح المشفق (٢).

و ينتهي هنا الحوار الفريد الذي ذكرناه بطوله رغم اختصارنا له، واحتفاظنا بالنقاط الأساسية التي يهمننا أن نضعها بين يدي القارئ، ليتعرف

ص: ١٧٩

١- (١) الإسراء (١٧): ١٦.

٢- (٢) أعيان الشيعة: ٣٥/٤، وراجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد أيضا: ١٠١/٢.

على الملامح الواقعيه لتلك الزمره المتسلطه التي تنكرت لكل القيم الأخلاقيه، و سلكت طريق الشيطان.

و بهذا الحوار أعطى الإمام(عليه السلام)للمعارضه زخما جديدا و فاعليه كبيره، حيث كشف للائمّه عن الواقع المرير الذي اكتنف الحكم الإسلامى بتسلط هذه النماذج المنحرفه فى اصولها، و المنفعله برواسبها الجاهليه، و التي لا يمثّل عندها الإسلام إلا الوسيله الفريده للتسلط على رقاب الناس، و تلافى النقائص الذاتيه التي قدر لهم أن يرزحوا تحت عبئها البغيض.

و أثبت الإمام(عليه السلام)أنه ما يزال يقف فى موقفه الصامد الذي انطلق منه فى صراعه مع الجاهليه الامويه. و إن ألجأته ظروف المحنه إلى وضع السيف فى غمده و تخطى مرحله الحرب؛فإن كلمه الحق الصارخه التي تصم آذان الباطل لا يمكن أن يدعها تموت فى زحام أراجيف الضلال.

و هكذا ينطلق الإمام فى خطاه الرساليه-التي هى امتداد لخطى جدّه الرسول الأعظم(صلى الله عليه و آله)-و عليه تقع مسؤوليه حفظ المبادئ الأصيله التي جاءت من أجلها رساله؛لترتفع كلمه الله فى الأرض.

ص: ١٨٠

إخلاق معاويه بالشروط:

كان الشرط الأول-و كما مرّ علينا-هو أن يسلم الإمام الأمر لمعاويه على أن يعمل بكتاب الله و سنّه نبيّه و سيره الخلفاء الصالحين.

وقد وقف الإمام الحسن (عليه السلام) عند عهده رغم الضغوط الكثيره من أصحابه و مخلصيه، مع أنّ الإمام كان في حلّ من شرطه لو أراد؛ لأنّ التسليم كان مشروطاً، و لم يف معاويه بأيّ واحد من الشروط التي أخذت عليه.

أمّا معاويه فلم يلتزم بالشرط الأول، و أمّا عن الشرط الثاني-و هو أن يكون الأمر من بعده للحسن ثمّ للحسين و أن لا يعهد إلى أحد من بعده- فقد أجمع المؤرّخون على أنّ معاويه لم يف بشرطه هذا، بل نقضه بجعل الولاية لابنه يزيد من بعده (١).

و فيما يتعلّق بالشرط الثالث-و هو رفع السبّ عن الإمام عليّ (عليه السلام) مطلقاً أو في حضور الإمام الحسن خاصة- فقد عزّ على معاويه الوفاء به، لأنّ سبّ عليّ يمثّل لديه الأساس القوي الذي يعتمد عليه في إبعاد الناس عن بني هاشم، و قد ركّز معاويه بعناد و قوه على لزوم اتّباع طريقته في سبّ أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصاياه و كتبه لعمّاله (٢).

و بخصوص الشرط الرابع فقد قيل: إنّ أهل البصره حالوا بين الإمام

ص: ١٨١

١- (١) صلح الإمام الحسن: ١٤٢.

٢- (٢) شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ١٥/٣.

الحسن و بين خراج أجرة، وقالوا: فيتنا (١)، و كان منهم بأمر من معاويه لهم (٢).

و أما الشرط الخامس - هو العهد بالأمان العام، و الأمان لشيعة عليّ على الخصوص، و أن لا يبغى للحسين (عليهما السلام) و أهل بيتهما غائله سراً و لا - جهراً - للمؤرخين فيما يرجع إلى موضوع هذا الشرط نصوص كثيره، بعضها وصف للكوارث الداجيه التي جوبه بها الشيعة من الحكام الامويين فى عهد معاويه، و بعضها قضايا فرديه فيما نكب به معاويه الشخصيات الممتازه من أصحاب أمير المؤمنين، و بعضها خيانتته تجاه الحسن و الحسين خاصه (٣).

و أكد جميع المؤرخين أن الصلح بشروطه الخمسه لم يلق من معاويه أيه رعايه تناسب تلك العهود و المواثيق و الأيمان التي قطعها على نفسه، و لكنّه طالع المسلمين بشكل عام بالأوليات البكر و الأفاعيل النكراء من بوائقه، و شيعة أهل البيت (عليهم السلام) بشكل خاص، فكان أول رأس يطاف به فى الإسلام منهم - أى من الشيعة - بأمره يطاف به، و كان أول إنسان يدفن حياً فى الإسلام منهم، و بأمره يفعل به ذلك.

و كانت أول امرأه تسجن فى الإسلام منهم، و هو الأمر بسجنها، و كانت أول مجموعه من الشهداء يقتلون صبراً فى الإسلام منهم، و هو الذى قتلهم، و استقصى معاويه بنود المعاهده كلها بالخلف، فاستقصى أيمانه المغلظه بالحث، و مواثيقه المؤكده التي واثق الله تعالى عليها بالنقض، فأين

ص: ١٨٢

١- (١) صلح الإمام الحسن: ١٥٤.

٢- (٢) الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ١٦٢/٣.

٣- (٣) راجع: صلح الإمام الحسن: ٣١٧، فى فصل الوفاء بالشروط، و حياه الإمام الحسن: ٣٥٦/٢ - ٤٢٣.

هي الخلافة الدينيه يا ترى؟! (١).

و بقى آخر شقّ من الشروط و هو الأدقّ و الأكثر حساسيه، و كان عليه إذا أساء الصنيع بهذا الشقّ أن يتحدّى القرآن صراحه و رسول الله (صلّى الله عليه و آله) مباشره، فصبر عليه ثمانى سنين، ثم ضاق به ذرعا، و ثارت به امويّته التي جعلته ابن أبى سفيان حقا بما جاء به من فعلته التي أنست الناس الرزايا قبلها.

و هي أول ذلّ دخل على العرب، و كانت بطبيعتها أبعد مواد الصلح عن الخيانه، كما كانت بطروفها و ملابساتها أجدرها بالرعايه، و كانت بعد نزع السلاح و الالتزام من الخصم بالوفاء، أفضح جريمه فى تاريخ معاويه الحافل بالجرائم.

تأمّر معاويه على الإمام الحسن (عليه السلام):

لقد حاول معاويه أن يجعل الخلافه ملكا عضوضا وراثه فى أبنائه، و قد بذل جميع جهوده و صرف الأموال الطائله لذلك، فوجد أنّه لا يظفر بما يريد و الحسن بن عليّ (عليه السلام) حتى ينتظر المسلمون حكمه العادل و خيره العميم، و من هنا قرّر اغتيال الإمام المجتبى (صلّى الله عليه و آله) بما اغتال به من قبل مالِك الأشر و سعد بن أبى وقاص و غيرهما.

فأرسل الى الإمام غير مرّه سَمّا فاتكا حين كان فى دمشق فلم ينجح حتى راسل ملك الروم و طلب منه بإصرار أن يرسل له سَمّا فاتكا، و حصل عليه بعد امتناعه حين أفهمه أنّه يريد قتل ابن من خرج بأرض تهامه لتحطيم عروش الشرك و الكفر و الجاهليه و هدّد سلطان أهل الكتاب.

ص: ١٨٣

إنَّ بائقَه الأب هذه كانت هي السبب الذي بعث روح القدوه في طموح الابن ليشتركا-متضامنين-في إنجاز أعظم جريمه في تاريخ الإسلام، تلك هي قتل سيدي شباب أهل الجنة اللذين لا- ثالث لهما، و ليتعاوننا معا على قطع «الواسطه الوحيده» التي انحصر بها نسل رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و الجريمه-بهذا المعنى-قتل مباشر لحياه رسول الله (صلى الله عليه و آله) بامتدادها التاريخي.

نعم، و القاتلان-مع ذلك-هما الخليفتان في الإسلام!!!

فواضيعه الإسلام إن كان خلفاؤه من هذه النماذج!!!

و كان الدهاء المزعوم لمعاويه هو الذي زين له اسلوبا من القتل قصير عنه ابنه يزيد، فكان هذا «الشاب المغرور» و كان ذاك «الداهيه المحنك في تصريف الامور»!!! و لو تنفس العمر بأبي سفيان إلى عهد ولديه هذين لأيقن أنهما قد أجادا اللعبه التي كان يتمناها لبنى اميه.

كيف استشهد الإمام الحسن (عليه السلام)؟

لقد دعا معاويه مروان بن الحكم إلى إقناع جعده بنت الأشعث بن قيس الكندي-و كانت من زوجات الإمام الحسن (عليه السلام)-بأن تسقى الحسن السم و كان شربه من العسل بماء رومه (1)، فإن هو قضى نجه زوجها بيزيد، و أعطها مائه ألف درهم.

و كانت جعده هذه بحكم بنوتها للأشعث بن قيس-المنافق المعروف الذي أسلم مرتين بينهما ردّه منكروه-أقرب الناس روحا إلى قبول هذه المعامله النكراء.

ص: ١٨٤

١- (١) صلح الإمام الحسن: ٣٦٥. و قد اشتهرت كلمه معاويه: «إنَّ لله جنودا من عسل».

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): «إِنَّ الْأَشْعَثَ شَرَكٌ فِي دَمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام)، وَابْنَتُهُ جَعْدَةٌ سَمَّتَ الْحَسَنَ، وَابْنَهُ مُحَمَّدَ شَرَكٌ فِي دَمِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام)» (١).

و هكذا تمّ لمعاوية ما أراد، و كانت شهادته (عليه السلام) بالمدينة يوم الخميس لليلتين بقيتا من صفر سنة خمسين من الهجرة أو تسع و أربعين. و حكم معاوية بفعلته هذه على مصير امه بكاملها، فأغرقها بالنكبات و أغرق نفسه و بنيه بالذحول و الحروب و الانقلابات، و تمّ له بذلك نقض المعاهدة إلى آخر سطر فيها.

و قال الإمام الحسن (عليه السلام) و قد حضرته الوفاة: «لقد حاقت شربته، و بلغ امنيته، و الله ما وفى بما وعد، و لا صدق فيما قال» (٢).

و ورد بريد مروان إلى معاوية بتنفيذ الخطّة المسمومة فلم يملك نفسه من إظهار السرور بموت الإمام الحسن (عليه السلام)، «و كان بالخضراء فكبر و كبر معه أهل الخضراء، ثم كبر أهل المسجد بتكبير أهل الخضراء، فخرجت فاخته بنت قرظ بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف [زوج معاوية] من خوخيها، فقالت: سرّك الله يا أمير المؤمنين، ما هذا الذي بلغك فسررت به؟ قال: موت الحسن بن علي، فقالت: إنا لله و إنا إليه راجعون، ثم بكت و قالت: مات سيّد المسلمين و ابن بنت رسول الله (صلّى الله عليه و آله)» (٣).

و النصوص على اغتيال معاوية للإمام الحسن (عليه السلام) بالسّم متضافره كأوضح قضيه فى التاريخ (٤).

ص: ١٨٥

- ١- ((١)) صلح الإمام الحسن: ٣٦٥.
- ٢- ((٢)) المسعودى، بهامش ابن الأثير: ٥٥/٦.
- ٣- ((٣)) هى الكوه التى تؤدى الضوء إلى البيت، و الباب الصغير فى الباب الكبير.
- ٤- ((٤)) صلح الإمام الحسن: ٣٦٥-٣٦٦.
- ٥- ((٥)) راجع طبقات ابن سعد و مقاتل الطالبين و مستدرک الحاكم و شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ١٧/٤، و تذكره الخواص: ٢٢٢، و الاستيعاب: ٣٧٤/١، و كلّها مصادر غير إماميه.

أ-وصيته لجناده:

دخل جناده بن أبي أمية-الصحابي الجليل-على الإمام عائدا له، فالتفت إلى الإمام قائلا:عظني يا بن رسول الله.

فأجاب(عليه السلام)طلبته و هو في أشد الأحوال حراجه،و أقساها ألما و محنه،فأتحفه بهذه الكلمات الذهبية التي هي أعلى و أتمن من الجوهر و قد كشفت عن اسرار إمامته،قائلا:

«يا جناده!استعد لسفرك،و حصل زادك قبل حلول أجلك،و اعلم أنك تطلب الدنيا و الموت يطلبك،و لا تحمل همّ يومك الذي لم يأت على يومك الذي أنت فيه،و اعلم أنك لا تكسب من المال شيئا فوق قوتك إلا كنت فيه خازنا لغيرك،و اعلم أن الدنيا في حلالها حساب،و في حرامها عقاب،و في الشبهات عتاب،فأنزل الدنيا بمنزلة الميتة،خذ منها ما يكفيك،فإن كان حلالا كنت قد زهدت فيه،و إن كان حراما لم يكن فيه وزر فأخذت منه كما أخذت من الميتة،و إن كان العقاب فالعقاب يسير،و اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، و اعمل لآخرتك كأنك تموت غدا،و إذا أردت عزّا بلا عشيره و هيبه بلا سلطان فاخرج من ذلّ معصيه الله إلى عزّ طاعه الله عزّ و جلّ،و إذا نازعتك إلى صحبه الرجال حاجه فاصحب من إذا صحبته زانك،و إذا أخذت منه صانك،و إذا أردت منه معونه أعانك و إن قلت صدق قولك،و إن صلت شدّ صولتك،و إن مددت يدك بفضل مدّها،و إن بدت منك ثلمه سدّها، و إن رأى منك حسنه عدّها،و إن سألت أعطاك،و إن سكت عنه ابتدأك،و إن نزلت بك إحدى الملمات واساك من لا تأتيك منه البوائق،و لا تختلف عليك منه الطرائق،

و لا يخذلك عند الحقائق، و إن تنازعتما منقسما آثر ك» (١).

و يشتدّ الوجع بالإمام (عليه السّلام) و يسعر عليه الألم فيجزع، فيلتفت اليه بعض عوّاده قائلاً له: يا بن رسول الله، لم هذا الجزع؟ أ ليس الجدّ رسول الله (صلّى الله عليه و آله) و الأب علي و الامّ فاطمه، و أنت سيّد شباب أهل الجنه؟!.

فأجابه بصوت خافت: «أبكي لخصلتين: هول المطلع، و فراق الأحبّه» (٢).

ب- وصيته للإمام الحسين (عليه السّلام):

و لمّا ازداد ألمه و ثقل حاله استدعى أخاه سيّد الشهداء فأوصاه بوصيته و عهد اليه بعهدده، و هذا نصّه:

«هذا ما أوصى به الحسن بن عليّ إلى أخيه الحسين، أوصى أنّه يشهد أن لا إله إلاّ الله، و وحده لا شريك له، و أنّه يعبده حقّ عبادته، لا شريك له في الملك، و لا وليّ له من الدّلّ، و أنّه خلق كلّ شيء فقدره تقديراً، و أنّه أولى من عبده، و أحقّ من حمد، من أطاعه رشد، و من عصاه غوى، و من تاب اليه اهتدى، فإنّي أوصيك يا حسين بمن خلفت من أهلي و ولدي و أهل بيتك، أن تصفح عن مسيئهم، و تقبل من محسنهم، و تكون لهم خلفاً و والداً، و أن تدفني مع رسول الله (صلّى الله عليه و آله) فإنّي أحقّ به و بيته، فإن أبوا عليك فأنشذك الله و بالقرابه التي قرب الله منك و الرحم الماسّه من رسول الله (صلّى الله عليه و آله) أن لا يهراق من أمرى محجمه من دم حتى تلقى رسول الله فتخصمهم و تخبره بما كان من أمر الناس إلينا» (٣).

ج- وصيته لمحمد بن الحنفية:

و أمر الإمام (عليه السّلام) قنبراً أن يحضر أخاه محمد بن الحنفية، فمضى اليه مسرعاً فلمّا رآه محمد ذعر فقال: هل حدث إلّا خير؟، فأجابه بصوت

ص: ١٨٧

١- ((١)) أعيان الشيعة: ٨٥/٤.

٢- ((٢)) أمالي الصدوق: ١٣٣.

٣- ((٣)) أعيان الشيعة: ٧٩/٤.

خافت: «أجب أبا محمد».

فذهل محمّد و اندهش و خرج يعدو حتى أنّه لم يسوّ شسع نعله من كثره ذهوله، فدخل على أخيه و هو مصفرّ الوجه قد مشت الرعدة بأوصاله فالتفت (عليه السّلام) له:

«إجلس يا محمد، فليس يغيب مثلك عن سماع كلام تحيي به الأموات و تموت به الأحياء. كونوا أوعيه العلم و مصابيح الدجى؛ فإنّ ضوء النهار بعضه أضوء من بعض، أما علمت أنّ الله عزّ و جلّ جعل ولد إبراهيم أئمه، و فضّل بعضهم على بعض، و أتى داود زبوراً؟ و قد علمت بما استأثر الله به محمداً (صلّى الله عليه و آله)، يا محمد بن عليّ إنّني لا أخاف عليك الحسد، و إنّما وصف الله به الكافرين، فقال تعالى: كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ، و لم يجعل الله للشيطان عليك سلطاناً. يا محمد بن عليّ! ألا اخبرك بما سمعت من أبيك فيك؟».

قال محمد: بلى، فأجابه الامام (عليه السّلام): «سمعت أباك يقول يوم البصره: من أحبّ أن يبزني في الدنيا و الآخرة فليبرّ محمداً. يا محمد بن عليّ! لو شئت أن اخبرك و أنت نطفه في ظهر أبيك لأخبرتكم. يا محمد بن عليّ! أما علمت أن الحسين بن عليّ بعد وفاه نفسى و مفارقه روحى جسدى إمام بعدى، و عند الله في الكتاب الماضى وراثته النبويّ (صلّى الله عليه و آله) أصابها في وراثته أبيه و امه؟ علم الله أنّكم خير خلقه فاصطفى منكم محمداً، و اختار محمد علياً، و اختارني عليّ للإمامه، و اخترت أنا الحسين».

فانبرى اليه محمّد مظهراً له الطاعه و الانقياد (١).

ص: ١٨٨

و ثقل حال الإمام (عليه السلام) واشتدّ به الوجد فأخذ يعاني آلام الإحتضار، فعلم أنه لم يبق من حياته الغاليه إلا بضعة دقائق فالتفت إلى أهله قائلاً:

«أخرجوني إلى صحن الدار أنظر في ملكوت السماء».

فحملوه إلى صحن الدار، فلما استقرّ به رفع رأسه إلى السماء وأخذ يناجي ربّه و يتضرع إليه قائلاً:

«اللهم إني احتسب عندك نفسي، فإنّها أعزّ الأنفس عليّ لم أصب بمثلها، اللهم آنس صرعتي، و آنس في القبر وحدتي».

ثم حضر في ذهنه غدر معاويه به، و نكته للعهد، و اغتياله إياه فقال:

«لقد حاقت شربته، و الله ما وفي بما وعد، و لا صدق فيما قال» (١).

و أخذ يتلو آي الذكر الحكيم و يبتهل إلى الله و يناجيه حتى فاضت نفسه الزكية إلى جنّه المأوى، و سمت إلى الرفيق الأعلى، تلك النفس الكريمة التي لم يخلق لها نظير فيما مضى من سالف الزمن و ما هو آت حلما و سخاء و علما و عطفاً و حناناً و براءً على الناس جميعاً.

لقد مات حلیم المسلمین، و سيّد شباب أهل الجنّه، و ريحانه الرسول و قرّه عينه، فأظلمت الدنيا لفقده، و أشرقت الآخرة بقدومه (٢).

ص: ١٨٩

١- ((١)) تذكره الخواص: ٢٣، و تاريخ ابن عساكر: ٢٢٦/٤، و حليه الأولياء: ٣٨/٢، و صفوه الصفوه: ٣٢٠/١.

٢- ((٢)) اختلف المؤرّخون في السنه التي توفي فيها الإمام فقيل: سنه ٤٩ هـ، ذهب إلى ذلك ابن الأثير و ابن حجر في تهذيب التهذيب، و قيل: سنه ٥١ هـ، ذهب إلى ذلك الخطيب البغدادي في تاريخه و ابن قتيبه في الإمامه و السياسه، و قيل غير ذلك، و أمّا الشهر الذي استشهد فيه فقد اختلف فيه أيضاً، فقيل: في ربيع الأول لخمس بقين منه، و قيل: في صفر ليلتين بقيتا منه، و قيل: يوم العاشر من المحرم يوم الأحد سنه ٤٥ من الهجره كما في المسامرات (ص ٢٦)، و ثمّه قول آخر: إنّه استشهد (عليه السلام) في السابع من صفر.

و ارتفعت الصيحه من بيوت الهاشميين، و علا- الصراخ و العويل من بيوت يثرب، و هرع أبو هريره و هو باكى العين مدهول اللب إلى مسجد رسول الله (صلى الله عليه و آله) و هو ينادى بأعلى صوته:

«يا أيها الناس! مات اليوم حب رسول الله (صلى الله عليه و آله) فابكوا» (١).

و صدعت كلماته القلوب، و تركت الأسي يحز في النفوس، و هرع من في يثرب نحو ثوى الإمام و هم ما بين واجم و صائح و مشدوه و نائح قد نخب الحزن قلوبهم على فقد الراحل العظيم الذى كان ملاذا لهم و ملجأ و مفرعا إن نزلت بهم كارثة أو حلت بهم مصيبه.

تجهيز الإمام و تشييعه:

و أخذ سيد الشهداء فى تجهيز أخيه، و قد أعانه على ذلك عبد الله بن عباس و عبد الرحمن بن جعفر و على بن عبد الله بن عباس و أخواه محمد بن الحنفية و أبو الفضل العباس، فغسّله و كفّنه و حنّطه و هو يذرف من الدموع مهما ساعدته الجفون، و بعد الفراغ من تجهيزه؛ أمر (عليه السلام) بحمل الجثمان المقدس إلى مسجد الرسول لأجل الصلاة عليه (٢).

و كان تشييع الإمام تشييعا حافلا لم تشهد نظيره عاصمه الرسول، فقد بعث الهاشميون إلى العوالى و القرى المحيطه يثرب من يعلمهم بموت الإمام، فنزحوا جميعا إلى يثرب ليفوزوا بتشيع الجثمان العظيم (٣) و قد حدّث ثعلبه ابن مالك عن كثره المشيعين فقال:

ص: ١٩٠

١- (١) تهذيب التهذيب: ٣٠١/٢، و تاريخ ابن عساكر: ٢٢٧/٤.

٢- (٢) أعيان الشيعة: ٨٠/٤.

٣- (٣) تاريخ ابن عساكر: ٢٢٨/٨.

«شهدت الحسن يوم مات، ودفن في البقيع، ولو طرح فيه إبره لما وقعت إلا على رأس إنسان» (١).

وقد بلغ من ضخامه التشيع أن البقيع ما كان يسع أحدا من كثره الناس.

دفن الإمام (عليه السلام) وفتنه عائشه:

و لم يشك مروان و من معه من بنى اميه أنهم سيدفونونه عند رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فتجمعوا لذلك و لبسوا السلاح، فلما توجه به الحسين (عليه السلام) إلى قبر جدّه رسول الله (صلى الله عليه و آله) ليجدّد به عهدا؛ أقبلوا اليهم فى جمعهم، و لحقتهم عائشه على بغل و هى تقول: ما لى و لكم تريدون أن تدخلوا بيتى من لا احبّ؟ و جعل مروان يقول: يا ربّ هيجا هى خير من دعه، ايدفن عثمان فى أقصى المدينه و يدفن الحسن مع النبى؟! الا يكون ذلك أبدا و أنا أحمل السيف.

و كادت الفتنه أن تقع بين بنى هاشم و بنى اميه فبادر ابن عباس إلى مروان فقال له: ارجع يا مروان من حيث جئت فإننا ما نريد دفن صاحبنا عند رسول الله (صلى الله عليه و آله) لكننا نريد أن نجدّد به عهدا بزيارته ثم نردّه إلى جدّته فاطمه بنت أسد فندفنه عندها بوصيته بذلك، و لو كان أوصى بدفنه مع النبى (صلى الله عليه و آله) لعلمت أنك أقصر باعا من ردنا عن ذلك، لكنّه (عليه السلام) كان أعلم بالله و برسوله و بحرمة قبره من أن يطرق عليه هدمًا، كما طرق ذلك غيره و دخل بيته بغير إذنه.

ثم أقبل على عائشه و قال لها: وا سواتاه! يومًا على بغل و يومًا على

ص: ١٩١

جمل، تريدین أن تطفئ نور الله و تقاتلی أولیاء الله، ارجعی فقد کفیت الذی تخافین و بلغت ما تحبین و الله منتصر لأهل البيت و لو بعد حین.

و قال الحسین (علیه السلام): «و الله لو لا عهد الحسن بحقن الدماء و أن لا اهریق فی أمره محجمه دم لعلمتم کیف تأخذ سیوف الله منکم مأخذها و قد نقضتم العهد بیننا و بینکم و أبطلتم ما اشترطنا علیکم لأنفسنا».

و مضوا بالحسن فدفنوه بالبقیع عند جدته فاطمه بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف رضی الله عنها (١).

و وقف الإمام الحسین (علیه السلام) علی حافه القبر، و أخذ یؤبّن أخاه قائلاً:

«رحمک الله یا أبا محمد، إن كنت لتباصر الحقّ مظانّه، و تؤثر الله عند التداحض فی مواطن التقیه بحسن الرویه، و تستشف جلیل معازم الدنیا بعین لها حاقره، و تفیض علیها یدا طاهره الأطراف، نقیه الأسره، و تردع بادره غرب أعدائك بأیسر المؤونه علیک، و لا غرو فأنت ابن سلاله النبوه و رضیع لبان الحکمه، فإلی روح و ریحان، و جنّه و نعیم، أعظم الله لنا و لکم الأجر علیه، و وهب لنا و لکم حسن الأسی عنه» (٢).

ص: ١٩٢

١- (١) حیاه الإمام الحسین: ٢/٤٩٩ عن کفایه الطالب: ٢٦٨.

٢- (٢) حیاه الإمام الحسین: ٢/٥٠٠.

إشاره

تراث الإمام المجتبي (عليه السلام)

١- نظره عامه في تراث الإمام المجتبي (عليه السلام):

الإمام المجتبي (عليه السلام) كأبيه المرتضى و جدّه المصطفى قائد مبدئي تتلخّص مهمّاته القيادية في كلمه موجزه ذات معنى واسع و أبعاد شتى هي:

«الهدايه بأمر الله تعالى» انطلاقا من قوله تعالى: وَ جَعَلْنَا هُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَ إِقَامَ الصَّلَاةِ وَ إِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَ كَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (١).

و الهدايه بأمر الله سبحانه تتجلى في تبيان الشريعة و تقديم تفاصيل الأحكام العامه أو المطلقة التي نصّ عليها القرآن الكريم و الرسول العظيم، كما تتجلى في تفسير القرآن الحكيم و ايضاح مقاصد الرسول الكريم.

و تتجلى الهدايه في تطبيق أحكام الله تعالى على الامّة المسلمه و صيانه الشريعة و النصوص الإلهيه من أى تحريف أو تحوير يتصدى له الضالّون المضلّون.

و الثوره التي فجرها الإسلام العظيم هي ثوره ثقافيه قبل أن تكون ثوره اجتماعيه أو اقتصاديه، فلا- غرو أن تجد الأئمّه من أهل البيت (عليهم السلام) يفرغون أنفسهم لتربيّه الامّه و تثقيفها على مفاهيم الرساله و قيمها، و هم

ص: ١٩٣

يرون أنّ مهمّتهم الأولى هي التربيّه و التثقيف انطلاقاً من النصّ القرآنيّ الصريح في بيان أهداف رسالته و الرسول الذي يرى الإمام نفسه استمراراً له و قيماً على ما أثمرته جهود الرسول (صلى الله عليه و آله) من «رسالته» و «أمته» و «دوله»، قال تعالى مفضّلاً لأهداف رسالته و مهمّات الرسول: يَنْتَلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ (١).

و لئن غصّ الإمام المجتبيّ الطرف عن الخلافه لأسباب دينيه و مبدئيّه؛ فهو لم يترك الساحة و موارث الرسول (صلى الله عليه و آله) لتنهب بأيدي الجاهليّين، بل نجده قد تصدّى لتربيّه القاعده التي على أساسها تقوم الدوله و عليها تطبّق أحكام الشريعه.

و قد خلف الإمام المجتبيّ تراثاً فكرياً و علمياً ثراً من خلال ما قدّمه من نصوص للامّه الإسلاميه على شكل خطب أو وصايا أو احتجاجات أو رسائل أو أحاديث ووصلتنا في فروع المعرفه المختلفه، ممّا يكشف عن تنوّع اهتمامات الإمام الحسن وسعه علمه و إحاطته بمتطلّبات المرحله التي كانت تعيشها الامّه المسلمه في عصره المحفوف بالفتن و الدواهي التي قلّ فيها من كان يعي طبيعه المرحله و متطلّباتها إلا أن يكون محفوفاً برعايه الله و تسديده.

و نستعرض صوراً من اهتمامات الإمام العلميه، و نلتقط شيئاً من المفاهيم و القيم المثلّي التي ظهرت على لسانه و عبّر عنها ببلغ بيانه، أو تجلّت في تربيته لتلامذته و أصحابه.

ص: ١٩٤

٢- في رحاب العلم و العقل:

أقال (عليه السلام) في الحثّ على طلب العلم و كيفية طلبه و اسلوب تنميته:

١- «تعلّموا العلم، فإنّكم صغار في القوم، و كبارهم غدا، و من لم يحفظ منكم فليكتب» (١).

٢- «حسن السؤال نصف العلم» (٢).

٣- «علّم الناس، و تعلّم علم غيرك، فتكون قد أتقنت علمك و علمت ما لم تعلم» (٣).

٤- «قطع العلم عذر المتعلّمين».

٥- «اليقين معاذ السلامة».

٦- «أوصيكم بتقوى الله و إدامه التفكّر، فإنّ التفكّر أبو كلّ خير و أمّه» (٤).

ب- إنّ العقل أساس العلم، و من هنا فقد عرّف العقل من خلال لوائمه و آثاره العلميّه و مدى أهميته و دوره في كمال الإنسان بقوله:

١- «العقل حفظ القلب كلّ ما استرعيته» (٥).

٢- «لا- أدب لمن لا- عقل له، و لا- مودّه لمن لا- همّه له، و لا- حياء لمن لا دين له، و رأس العقل معاشره الناس بالجميل، و بالعقل تدرك سعادته الدارين، و من حرم العقل حرمهما جميعا».

٣- «لا يغشّ العقل من استنصحه».

ص: ١٩٥

١- (١) عن الفصول المهمه لابن الصباغ المالكي: ١٤٢.

٢- (٢) نور الأبصار: ١١٠.

٣- (٣) الأئمه الاثنا عشر: ٣٧.

٤- (٤) حياه الإمام الحسن: ١/٣٤٣، ٣٤٦.

٥- (٥) حياه الإمام الحسن: ١/٣٥٧.

أقال (عليه السلام) في بيان حقيقه القرآن و رسالته و أهدافه و فضله و كيفية الارتواء من معينه الثر:

١- «إنّ هذا القرآن فيه مصابيح النور، و شفاء الصدور، فليجل جال بضوئه و ليلجم الصفه قلبه؛ فإنّ التفكير حياه قلب البصير، كما يمشى المستنير في الظلمات بالنور» (١).

٢- «ما بقى من هذه الدنيا بقيه غير هذا القرآن فاتخذوه إماما، و إنّ أحقّ الناس بالقرآن من عمل به و إن لم يحفظه، و أبعدهم عنه من لم يعمل به و إن كان يقرؤه» ٢.

٣- «.. و اعلموا علما يقينا أنّكم لن تعرفوا التقى حتى تعرفوا صفه الهدى، و لن تمسكوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذى نبذه، و لن تتلوا الكتاب حقّ تلاوته حتى تعرفوا الذى حرّفه، فإذا عرفتم ذلك؛ عرفتم البدع و التكلف و رأيتم الفريه على الله و رأيتم كيف يهوى من يهوى، و لا يجهلنكم الذين لا يعلمون، و التمسوا ذلك عند أهله فإنّهم خاصه نور يستضاء بهم و أئمه يقتدى بهم، بهم عيش العلم و موت الجهل» (٢).

٤- «.. كتاب الله فيه تفصيل كلّ شىء، لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، و المعول عليه فى كلّ شىء، لا يخطئنا تأويله، بل نتيقن حقايقه، فأطيعونا فإطاعتنا مفروضه إذ كانت بطاعه الله و الرسول و اولى الأمر مقرونه..».

ب- و روى المؤرّخون نماذج من تفسير الإمام المجتبى للقرآن الكريم، و إليك نموذجا واحدا منها:

«جاء رجل إلى مسجد الرسول (صلى الله عليه و آله) ليسأل عن تفسير قوله تعالى:

و شَاهِدٍ وَ مَشْهُودٍ فَرَأَى ثَلَاثَةَ أَشْخَاصٍ قَدْ احْتَفَّ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ جَمْعٌ مِنْ

ص: ١٩٦

١- (١ و ٢) حياه الإمام الحسن دراسه و تحليل: ٣٤٦-٣٤٧ عن كشف الغمه و إرشاد القلوب.

٢- (٣) المصدر السابق: ٣٦٠/١ عن تحف العقول.

الناس يحدّثهم عمّا سمعه من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فسأل أحدهم عن الشاهد والمشهود فقال: الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفه، ثم سأل الآخر فقال له: الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر، ثم سأل الثالث فأجابه: الشاهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) والمشهود يوم القيامة لقوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وقوله تعالى عن يوم القيامة: ذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ، فسأل عن الأول ف قيل له: عبد الله بن عباس، وسأل عن الثاني ف قيل له:

عبد الله بن عمر، وسأل عن الثالث ف قيل له: الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) (١).

إنّ المتتبع لخطب الإمام ومواعظه يلمس فيها الاستدلال والاستشهاد الدقيق بآيات الذكر الحكيم، ممّا يفيدنا مدى إحاطته صلوات الله عليه بمقاصد القرآن وأسواره وبواطن آياته، وسوف تلاحظ نماذج من ذلك فيما سيأتي من كلامه.

٤- في رحاب الحديث النبوي والسيرة الشريفة:

لقد اهتمّ الإمام الحسن المجتبي بنشر حديث النبي (صلى الله عليه وآله) وسيرته ومكارم أخلاقه، ونختار من الأحاديث التي رواها عن جدّه (صلى الله عليه وآله) ما يلي:

١- «إنّ من واجب المغفرة إدخالك السرور على أخيك المسلم...».

٢- «يا مسلم! أضمن لي ثلاثاً أضمن لك الجنّة: إن أنت عملت بما افترض عليك في القرآن فأنت أعبد الناس، وإن قنعت بما رزقت فأنت أغنى الناس، وإن اجتنبت ما حرّم الله فأنت أروع الناس...».

ص: ١٩٧

١- (١) حياه الإمام الحسن: ٣٦٢/١ عن الفصول المهمة لابن الصبّاغ المالكي: ١٦٠.

٣- «من صَلَّى الفجر فجلس في مصلاه إلى طلوع الشمس ستره الله من النار».

٤- «حيثما كنتم فصلوا عليّ، فإنّ صلاتكم تبلغني».

٥- «جاءت امرأه إلى النبي (صلى الله عليه وآله) ومعها ابناها فسألته فأعطاها ثلاث تمرات، فأعطت كلّ واحد منهما تمره فأكلاها، ثم نظرا إلى أمهما فشقت التمره اثنتين فأعطت كلّ واحد منهما شقّ تمره، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): رحمها الله برحمتها ابنيها».

٦- «و دعا (صلى الله عليه وآله) بهذا الدعاء: اللهم أقلني عثرتي، و آمن روعتي، و اكفني من بغى عليّ، و انصرني على من ظلمني، و أرني ثأري منه...».

و أما ما يخصّ سيره النبي (صلى الله عليه وآله) و مكارم أخلاقه فقد اهتمّ السبط المجتبي بنشرها تاره عن خاله هند بن أبي هاله التميمي ربيب رسول الله (صلى الله عليه وآله) و أخ الزهراء من أمّها؛ إذ كان دقيقا في وصفه لحليه النبي (صلى الله عليه وآله) و مكارم أخلاقه، و ممّا جاء في وصفه لمنطق الرسول (صلى الله عليه وآله) قوله:

«كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) متواصل الأحزان، دائم الفكره، ليست له راحه، لا يتكلم في غير حاجه، طويل السكوت، يفتح الكلام و يختمه بأشداق (١)، و يتكلم بجوامع الكلم، فصل لا فضول و لا تقصير، دمثا ليس بالجافي و لا المهين، يعظم المنه و إن دقت، لا يذمّ منها شيئا، و لا يذمّ ذوّاقا و لا يمدحه، و لا تغضبه الدنيا و ما كان لها، فإذا تعوطى الحقّ لم يعرفه أحد، و لم يستقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، إذا أشار بكفه أشار بكفه كلّها، و إذا تعجّب قلبها، و إذا تحدّث أتصل بها فضرب براحته اليمنى باطن ابهامه اليسرى، و إذا غضب أعرض و أشاح، و إذا فرح غصّ طرفه، جلّ ضحكه التبسم، و يفتر عن مثل حبّ الغمام...».

و اعتنى الإمام المجتبي بهذه السيره المباركه أيما اعتناء، فسأل أباه المرتضى الذي كان ربيب الرسول و تلميذه و صهره و أخاه و شريكه في

حمل

ص: ١٩٨

أعباء الرساله، وهو الذى لازمه من قبل بعثته حتى رحلته، وطلب منه أن يصف له سيره رسول الله فأجابه أمير المؤمنين إجابته تتضمن منهاجا كاملا للإنسان المسلم الذى يريد الاقتداء بسيرته (صلى الله عليه وآله).

قال الإمام على صلوات الله عليه: «كان النبي (صلى الله عليه وآله) إذا أوى إلى منزله جزأً دخوله ثلاثه أجزاء: جزء لله جل ثناؤه، و جزء لأهله، و جزء لنفسه، ثم جزأً جزأه بينه و بين الناس، فيرد ذلك على العامه بالخاصه و لا يدخر عنهم شيئاً، و كان من سيرته فى جزء الامه إثارة أهل الفضل بإذنه، و قسمه على قدر فضلهم فى الدين، فمنهم ذو الحاجه، و منهم ذو الحاجتين، و منهم ذو الحوائج فيتشغل بهم و يشغلهم فيما أصلحهم و الامه من مسألتهم و أخبارهم بالذى ينبغى لهم، و يقول: ليبلغ الشاهد الغائب، و ابلغونى حاجه من لا يستطيع إبلاغ حاجته، فإن من أبلغ سلطانا حاجه من لا يستطيع إبلاغها إياه ثبت الله قدميه يوم القيامة، لا يذكر عنده إلا ذلك، و لا يقبل من أحد غيره، يدخلون روادا و لا يفترون إلا عن ذواق، و يخرجون أدله..».

قال الإمام الحسن (عليه السلام): «فسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه؟» فقال:

«كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يخزن لسانه إلا ممّا يعينهم، و يؤلفهم و لا يفزقهم، أو قال:

ينفرهم، و يكرم كريم كل قوم، و يوليه عليهم و يحذر الناس، و يحترس منهم، من غير أن يطوى عن أحد بشره و لا خلقه، يتفقّد أصحابه، و يسأل عمياً فى الناس، فيحسن الحسن و يقويه، و يقبح القبيح و يوهنه، معتدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافه أن يغفلوا أو يميلوا لكل حال عنده عتاب، لا يقصّر عن الحقّ و لا يجوزه، الذين يلونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمهم نصيحته، و أعظمهم عنده منزله أحسنهم مواساه و مؤازره..».

قال الإمام الحسن (عليه السلام): «فسألته عن مجلسه، فقال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يجلس و لا يقوم إلا على ذكر الله و لا يوطن الأماكن، و ينهى عن إيطانها، و إذا انتهى إلى قوم

جلس حيث ينتهي به المجلس، و يأمر بذلك و يعطى كلاً من جلسائه نصيبه، فلا يحسب جلسيه أن أحدا أكرم عليه منه، من جالسه أو قارنه فى حاجه صابره حتى يكون هو المنصرف، و من سأله حاجه لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، و قد وسع الناس منه بسطه و خلقه فصار لهم أبا، و صاروا عنده فى الحق سواء، مجلسه مجلس حلم و حياء و صبر و أمانه، لا ترفع عنده الأصوات، و لا تؤن فيه الحرم، و لا تثنى فلتاته، ترى جلاسه متعادلين، يتفاضلون فيه بالتقوى، متواضعين يوقرون الكبير، و يرحمون الصغير، و يؤثرون ذا الحاجه، و يحفظون الغريب..».

قال الإمام الحسن (عليه السلام): «قلت له: كيف سيرته فى جلسائه؟ قال (عليه السلام): كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) دائم السرور، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ و لا غليظ و لا صحاب و لا فحاش و لا عتاب و لا مداح، يتغافل عما لا يشتهى، و لا يؤيس منه، و لا يجيب فيه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء و الإكثار و ما لا يعنيه، و ترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحدا، و لا يعيره و لا يطلب عثرته، و لا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه، و إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، و إذا سكت تكلموا، و لا يتنازعون عنده، من تكلم أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم، يضحك مميّا يضحكون منه، و يتعجب مميّا يتعجبون منه، و يصبر للغريب على الجفوه فى منطقه و مسألته، حتى أن كان أصحابه ليستجلبوا منهم و يقول: إذا رأيتم طالب الحاجه يطلبها فاردوه، و لا يقبل الثناء إلا من مكافئ، و لا يقطع على أحد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بنهى أو قيام..».

قال الإمام الحسن (عليه السلام): «كيف كان سكوته؟ قال (عليه السلام): كان سكوت رسول الله (صلى الله عليه و آله) على أربع: الحكم، و الحذر، و التقدير، و التفكير.

فأما تقديره ففي تسويته للنظر بين الناس و استماعه منهم.

و أما تفكيره ففيما يبقى و يفنى.

و جمع له الحلم فى الصبر، فكان لا يعصيه شىء و لا يستقره.

و جمع له الحذر فى أربع:أخذه بالحسن ليقتمدى به،و تركه القيسح لينتهى عنه، و اجتهاده الرأى فيما أصلح أمته،و القيام فيما جمع لهم الدنيا و الآخره...» (١).

٥- فى رحاب العقيدة:

١-التوحيد:أمر الإمام على المرتضى(عليه السلام)نجله المجتبى(عليه السلام)ليخطب الناس فى مسجد الكوفه،فصعد المنبر،و قال:

«الحمد لله الواحد بغير تشبيه،و الدائم بغير تكوين،القائم بغير كلفه،الخالق بغير منصبه،و الموصوف بغير غايه،المعروف بغير محدود،العزير،لم يزل قديما فى القدم، ردعت القلوب لهيبته،و ذهلت العقول لعزته،و خضعت الرقاب لقدرته،فليس يخطر على قلب بشر مبلغ جبروته،و لا يبلغ الناس كنه جلاله،و لا يفصح الواصفون منهم لكنه عظمته، و لا تبلغه العلماء بألبابها،و لا أهل التفكير بتدابير امورها،أعلم خلقه به الذى بالحد لا يصفه، يدرك الأبصار و هو اللطيف الخبير...» (٢).

و جاء اليه رجل فقال له:يا بن رسول الله!صف لى ربك كأتى انظر اليه، فأطرق الحسن مليا ثم رفع رأسه فأجابه:«الحمد لله الذى لم يكن له أول معلوم و لا- آخر متناه،و لا قبل مدرك و لا بعد محدود و لا أمد بحتى،و لا شخص فيتجزأ،و لا اختلاف صفه فيتناهى،فلا تدرك العقول و أوهامها،و لا- الفكر و خطراتها،و لا- الألباب و أذهانها، صفته فيقول:متى،و لا بدئ ممّا،و لا ظاهر على ما،و لا باطن فيما،و لا تارك فهلا،خلق الخلق فكان بدينا بديعا،ابتدأ ما ابتدع،و ابتدع ما ابتدأ،و فعل ما أراد،و أراد ما استراد،

ص:٢٠١

١- (١) راجع الموفقيات:٣٥٤-٣٥٩، أنساب الأشراف:٣٩٠/١ و المختصر فى الشمائل المحمديه للترمذى:٣٩.

٢- (٢) بحار الأنوار:٣٥١/٤٣.

ذلك الله رب العالمين» (١).

٢- إبطال الجبر: رفع أهالي البصره اليه (عليه السلام) رساله يطالبون منه رأيه في مسأله الجبر فأجابهم (عليه السلام): «من لم يؤمن بالله و قضائه و قدره فقد كفر، و من حمل ذنبه على ربه فقد فجر، إن الله لا يطاع استكراها و لا يعصى لقلبه؛ لأنه المليك لما ملكهم، و القادر على ما أقدرهم، فإن عملوا بالطاعة لم يحل بينهم و بين ما فعلوا، فليس هو الذى أجبرهم على ذلك، فلو أجبر الله الخلق على الطاعة لأسقط عنهم الثواب، و لو أجبرهم على المعاصى لأسقط عنهم العقاب، و لو أهملهم لكان عجزا فى قدره، و لكن فيهم المشيئه التى غيبتها عنهم، فإن عملوا بالطاعات كانت له المنه عليهم، و إن عملوا بالمعصيه كانت الحجه عليهم» (٢).

٣- تفسير صفاته تعالى: و سأله رجل عن معنى الجواد فقال: «... و إن كنت تسأل عن الخالق فهو الجواد إن أعطى، و هو الجواد إن منع، لأنه إن أعطى عبدا أعطاه ما ليس له، و إن منع ما ليس له» (٣).

٦- فى رحاب ولايه أهل البيت (عليهم السلام):

١- قال (عليه السلام) مبينا لحقيقه الثقلين و موقع كل منهما من الآخر:

«... و اعلموا علما يقينا أنكم لن تعرفوا التقى حتى تعرفوا صفه الهدى، و لن تمسكوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذى نبذه، و لن تتلوا الكتاب حق تلاوته حتى تعرفوا الذى حرقه، فإذا عرفتم ذلك عرفتم البدع و التكلف، و رأيتم الفريه على الله، و رأيتم كيف يهوى من يهوى، و لا يجهلنكم الذين لا يعلمون، و التمسوا ذلك عند أهله فإنهم خاصه نور

ص: ٢٠٢

١- (١) حياه الإمام الحسن: ١/٣٣٥-٣٤٠ عن توحيد الصدوق.

٢- (٢) رسائل جمهوره العرب: ٢/٢٥.

٣- (٣) مجمع البحرين: «ماده جود».

يستضاء بهم و أئمه يقتدى بهم، بهم عيش العلم و موت الجهل، و هم الذين أخبركم حلمهم عن علمهم، و حكم منطقتهم عن صمتهم، و ظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الحقّ و لا يختلفون فيه، و قد خلت لهم من الله سابقه، و مضى فيهم من الله حكم: (إنّ في ذلك لذكرى للذاكرين) (١).

٢- «أيها الناس، اعقلوا عن ربّكم، إنّ الله عزّ و جلّ اصطفى آدم و نوحا و آل إبراهيم و آل عمران على العالمين، ذرّيه بعضها من بعض و الله سميع عليم، فنحن الذرّيه من آدم و الاسره من نوح و الصفوه من إبراهيم و السلالة من اسماعيل و آل محمد (صلّى الله عليه و آله)، نحن فيكم كالسما المرفوعه و الأرض المدحوه و الشمس الضاحيه، و كالشجره الزيتونه لا شقيه و لا غربيه التي بورك زيتها، النبيّ أصلها و علىّ فرعها، و نحن و الله ثمر تلك الشجره، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا، و من تخلف عنها فالى النار هوى...» (٢).

٣- و خطب قائلا بعد حمد الله و الثناء عليه: «إنّ الله لم يبعث نبيا إلاّ اختار له نفسا و رهطا و بيتا، فوالذي بعث محمّدا بالحقّ لا ينتقص من حقنا أهل البيت أحد إلاّ نقصه الله من عمله مثله، و لا يكون علينا دوله إلاّ و تكون لنا العاقبه: وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ» (٣).

٤- و قال (عليه السلام): «نحن حزب الله المفلحون، و عتره رسول الله (صلّى الله عليه و آله) الأقربون، و أهل بيته الطاهرون الطيبون، و أحد الثقلين اللذين خلّفهما رسول الله (صلّى الله عليه و آله) و الثاني كتاب الله... فأطيعونا فإطاعتنا مفروضه، إذ كانت بطاعه الله و الرسول و اولى الأمر مقرونه...» (٤).

ص: ٢٠٣

١- ((١)) حياه الإمام الحسن: ٣٦٠/١، عن تحف العقول.

٢- ((٢)) جلاء العيون: ٣٢٨/١.

٣- ((٣)) مروج الذهب: ٣٠٦/٢.

٤- ((٤)) حياه الإمام الحسن: ٣٦٣/١.

٥- وخطب (عليه السّلام) فتحدّث عن فلسفه التشريع و عن ارتباط الأحكام بولاية أهل البيت، ثم قال: «و لو لا محمد (صلى الله عليه و آله) و أوصياؤه كنتم حيارى، لا تعرفون فرضا من الفرائض، و هل تدخلون دارا إلا من بابها».

و بعد أن استدللّ (عليه السّلام) على كمال الدين و إتمام النعمة و أشار إلى حقوق أولياء الله و دور أداء هذه الحقوق فى سلامه الحياه و نمائها و أنّ البخیل هو من يبخل بالموده بالقربى... قال: «سمعت جدّى (صلى الله عليه و آله) يقول: خلقت أنا من نور الله، و خلق أهل بيتى من نورى، و خلق محبّوهم من نورهم، و سائر الناس من الناس» (١).

٧- البشارة بالإمام المهدي المنتظر (عليه السلام):

١- قال (عليه السّلام) بعد أن صالح معاويه و دخل عليه الناس و لامه بعضهم على بيعته: «...أما علمتم أنّه ما منّا من أحد إلا و يقع فى عنقه بيعه لطاغية زمانه، إلاّ القائم الذى يصلّى روح الله عيسى بن مريم خلفه، فإنّ الله يخفى ولادته و يعّيب شخصه، لئلا يكون لأحد فى عنقه بيعه إذا خرج، ذلك التاسع من ولد أخى الحسين، ابن سيده الإمام، يطيل الله عمره فى غيبته ثم يظهره بقدرته فى صورته شاب دون أربعين سنة...» (٢).

٢- روى (عليه السّلام) حديثا عن أبيه (عليه السّلام) أخبره فيه عن ولاية بنى اميه و بدعهم و فتكهم بأعدائهم حتى قال: «...حتى يبعث الله رجلا فى آخر الزمان و كلب من الدهر و جهل من الناس، يؤيّده الله بملائكته، و يعصم أنصاره و ينصره بآياته، و يظهره على أهل الأرض حتى يدينوا طوعا و كرها، يملؤها قسطا و عدلا و نورا و برهانا، يدين له عرض البلاد و طولها، لا يبقى كافر إلا آمن به، و لا طالح إلا صلح، و تصطلح فى ملكه السباع، و تخرج الأرض نبتها، و تنزل السماء بركتها، و تظهر له الكنوز، يملك ما بين الخافقين أربعين عاما، فطوبى لمن أدرك أيامه و سمع كلامه» (٣).

ص: ٢٠٤

١- (١) حياه الإمام الحسن: ٣٦٥/١، نقلا عن ينابيع المودّه: ١٥١/٣.

٢- (٢) راجع معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام): ١٦٥/٣ لتقف على مصادر هذا الحديث.

٣- (٣) معجم أحاديث الإمام المهدي: ١٦٧/٣.

٨- في رحاب الأخلاق و التريبه:

عن جابر (رضي الله عنه) قال: سمعت الحسن (عليه السلام) يقول: «مكارم الأخلاق عشرة:

صدق اللسان، وصدق البأس، و إعطاء السائل، و حسن الخلق، و المكافأة بالصنائع، و صلته الرحم، و التذم على الجار (١)، و معرفه الحق للصاحب، و قرى الضيف، و رأسهن الحياء» (٢).

و عرّف الإمام المجتبي (عليه السلام) مجموعه من (مكارم الأخلاق) في إجابته على أسئلة أبيه المرتضى (عليه السلام) نختار منها ما يلي:

١- السداد: دفع المنكر بالمعروف.

٢- الشرف: اصطناع العشيره و حمل الجريه (موافقه الإخوان) (٣).

٣- المروءه: العفاف و إصلاح المرء ماله (إصلاح الرجل أمر دينه، و حسن قيامه على ماله، و إفشاء السلام و التحبب إلى الناس) (٤).

٤- السماحه: البذل في العسر و اليسر.

٥- الإخاء: الوفاء في الشده و الرخاء.

٦- الغنيمه: الرغبه في التقوى و الزهاده في الدنيا.

٧- الحلم: كظم الغيظ و ملكك النفس.

٨- الغنى: رضى النفس بما قسم الله و إن قل، فإتما الغنى غنى النفس.

٩- المنعه: شده البأس و مقارعه أشد الناس.

ص: ٢٠٥

١- ((١)) أى: أخذه تحت حمايته.

٢- ((٢)) راجع تاريخ اليعقوبى: ٢٠٦/٢.

٣- ((٣)) حياه الإمام الحسن: ٣٤٣/١.

٤- ((٤)) الجواب الثانى كان على سؤال معاويه، راجع تاريخ اليعقوبى: ٢٠٢.

١٠-الصمت:ستر العيب و زين العرض، و فاعله فى راحه، و جلسه آمن (١).

١١-المجد:أن تعطى فى الغرم، و أن تعفو عن الجرم.

١٢-العقل:حفظ القلب كل ما استرعته(استوعبته)أو حفظ القلب لكل ما استتر فيه (٢).

١٣-الثناء:إتيان الجميل و ترك القبيح.

١٤-الحزم:طول الأناه و الرفق بالولاه و الاحتراس من الناس بسوء الناس.

١٥-الكرم:العطيه قبل السؤال و التبرع بالمعروف و الإطعام فى المحل (٣).

١٦-النجده:الذبّ عن الجار و المحاماه فى الكريهه و الصبر عند الشدائد ٤.

و أجااب الإمام بكل استرسال و عدم تكلف على مجموعه اخرى من أسئله أليه فيما يخصّ (مساوى الأخلاق) و نختار منها ما يلى:

١-الدينئه:النظر فى اليسير و منع الحقير.

٢-اللؤم:احتراز المرء نفسه(ماله) و بذله عرسه(عرضه) (٤).

٣-الشحّ:أن ترى ما فى يدك شرفا و ما أنفقته تلفا.

ص: ٢٠٦

١- (١) الإمام المجتبى (حسن المصطفى): ٢٤٥ عن مطالب السؤل.

٢- (٢) راجع حياه الإمام الحسن: ٣٤٣/١.

٣- (٣ و ٤) المصدر السابق: ٣٤٤-٣٤٥.

٤- (٥) المصدر السابق: ٣٤١/١ و أجااب فى نص آخر عن الذلّ و اللؤم قائلا: «من لا يغضب من الحقوه و لا يشكر على النعمه».

٤- الجبن: الجراًه على الصديق و النكول عن العدوّ.

٥- الفقر: شره النفس فى كلّ شىء.

٦- الجراًه: موافقه الأقران.

٧- الكلفه: كلامك فيما لا يعينك.

٨- الخرق: معاداتك إمامك و رفعك عليه كلامك.

٩- السفه: اتباع الدناه و مصاحبه الغواه.

١٠- الغفله: تركك المسجد و طاعتك المفسد.

١١- الحرمان: تركك حظك و قد عرض عليك (١).

١٢- شرّ الناس: من لا يعيش فى عيشه أحد (٢).

و تحدّث الإمام عن اصول الجرائم الأخلاقية و امّهات الرذائل قائلاً:

هلاك الناس فى ثلاث: الكبر، الحرص، الحسد.

الكبر: به هلاك الدين و به لعن ابليس.

الحرص: عدو النفس و به اخرج آدم من الجنّه.

الحسد: رائد السوء و به قتل هابيل قابيل (٣).

٩- فى رحاب المواعظ الحكيمه:

١- قال (عليه السلام) فى تعريف التقوى و الحثّ عليها: «إنّ الله لم يخلقكم عبثاً، و ليس بتارككم سدى، كتب آجالكم، و قسم بينكم معاشكم ليعرف كلّ ذى منزله منزلته، و إنّ ما قدّر له أصابه، و ما صرف عنه فلن يصيبه، قد كفاكم مؤونه الدنيا، و فرغكم لعبادته،

ص: ٢٠٧

١- ((حياه الإمام الحسن: ٣٤١/١-٣٤٤، عن تاريخ ابن كثير: ٣٩/٨.

٢- ((تاريخ يعقوبى: ٢٠٢/٢.

٣- ((حياه الإمام الحسن: ٣٤٥/١، عن نور الأبصار: ١١٠.

و حثكم على الشكر، و افترض عليكم الذكر، و أوصاكم بالتقوى، و جعل التقوى منتهى رضاه، و التقوى باب كل توبه و رأس كل حكمه و شرف كل عمل، بالتقوى فاز من فاز من المتقين، قال الله تبارك و تعالى: إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا وَقَالَ: وَ يُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ الشُّوْءُ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ، فاتقوا الله عباد الله، و اعلموا أن من يتق الله يجعل له مخرجا من الفتن، و يسدده في أمره، و يهيئ له رشده، و يفلجه بحجته، و يبئض وجهه، و يعطه رغبته مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين، و حسن اولئك رفيقا» (١).

٢- و جاءه رجل من الأثرياء فقال له: يا بن رسول الله! إنني أخاف من الموت، فقال له (عليه السلام): «ذاك لأنك أخرت مالك، و لو قدمته لسرك أن تلحق به» (٢).

٣- و قال (عليه السلام) عن طلب الرزق: «لا تجاهد الطلب جهاد الغالب، و لا تشكل على القدر إشكال المستسلم؛ فإن ابتغاء الفضل من السنه، و الإجمال في الطلب من العفه، و ليست العفه بدافعه رزقا، و لا الحرص بجالب فضلا، فإن الرزق مقسوم، و استعمال الحرص استعمال المآثم» (٣).

٤- و قال في الحث على الالتزام بالمساجد: «من أدام الاختلاف إلى المسجد أصاب ثمان خصال: آيه محكمه، و أخا مستفادا، و علما مستطرفا، و رحمه منتظره، و كلمه تدل على هدى، أو تردعه عن ردى، و ترك الذنوب حياء، أو خشيه» (٤).

٥- و حدّد السياسة تحديدا جامعا و دقيقا بقوله (عليه السلام): «هي أن ترعى حقوق الله و حقوق الأحياء و حقوق الأموات.

ص: ٢٠٨

١- (١) تحف العقول: ٥٥.

٢- (٢) تاريخ يعقوبى: ٢٠٢/٢.

٣- (٣) تحف العقول: ٥٥.

٤- (٤) عيون الاخبار لابن قتيبه: ٣/٣.

فأما حقوق الله: فأداء ما طلب و الاجتناب عما نهى.

و أمّا حقوق الأحياء: فهي أن تقوم بواجبك نحو إخوانك، ولا تتأخر عن خدمه امتك، و أن تخلص لولئ الأمر ما أخلص لامته، و أن ترفع عقيرتك في وجهه إذا حاد عن الطريق السوى.

و أما حقوق الأموات: فهي أن تذكر خيراتهم، و تتغاضى عن مساوئهم، فإن لهم ربًا يحاسبهم» (١).

و من قصار كلماته الحكيمه و غرر حكمه الثمينه:

١- إن من طلب العباده تزكى لها.

٢- المصائب مفاتيح الأجر.

٣- النعمه محنه فإن شكرت كانت كنزا و إن كفرت كانت نقمه.

٤- أشد من المصيبه سوء الخلق.

٥- من تذكّر بعد السفر اعتدّ.

٦- العار أهون من النار.

٧- خير المال ما وقى به العرض.

٨- الفرصه سريعه الفوت بطيئه العود.

٩- المسؤول حرّ حتى يعد و مسترقّ بالوعد حتى ينجز.

١٠- فضح الموت الدنيا، اجعل ما طلبت من الدنيا فلم تظفر به بمنزله ما لم يخطر ببالك.

١١- فوت الحاجه خير من طلبها إلى غير أهلها.

ص: ٢٠٩

١- (١) حياه الإمام الحسن: ٣٥١/١.

١- عن عاصم بن ضميره قال: كنت أسير مع الحسن بن عليّ على شاطئ الفرات و ذلك بعد العصر و نحن صيام و ماء الفرات يجري على رضراض (١) و الماء صاف و نحن عطاش، فقال الحسن بن عليّ (عليهما السّلام): «لو كان معي مئزر لدخلت الماء» قلت: إزارى اعطيكه، قال: «فما تلبس أنت؟» قلت:

أدخل كما أنا، قال: «فذاك الذي أكره، إنّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول: إنّ للماء عوامر من الملائكة كعوامر البيوت استحيوهم و هابوهم و أكرمهم إذا دخلتم عليهم الماء فلا تدخلوا إلّا بمئزر» (٢).

٢- قال: «أمرنا رسول الله (صلى الله عليه و آله) في العيدين أن نلبس أجود ما نجد و أن نتطيّب بأجود ما نجد، و أن نضحّي بأسمن ما نجد، البقره عن سبعة و الجزور عن عشرة، و أن نظهر التكبير و علينا السكينة و الوقار» (٣).

٣- قال: «علّمني رسول الله (صلى الله عليه و آله) قنوت الوتر: ربّ اهدنى فيمن هديت، و عافنى فيمن عافيت، و تولّنى فيمن توليت، و بارك لى فيما أعطيت، و قنى شرّ ما قضيت، إنك تقضى و لا يقضى عليك، إنّه لا يذل من و اليت (تباركت) ربّنا و تعاليت» (٤).

٤- قال (عليه السّلام): «إذا أضرتّ النوافل بالفريضة فاتركوها» (٥).

٥- قال (عليه السّلام): «لا طلاق إلّا من بعد نكاح» (٦).

ص: ٢١٠

١- (١) رضراض: ما صغر من الحصى.

٢- (٢) رجال إصبهان: ٣٣١/١.

٣- (٣) مستدرک الحاكم: ٢٣٠/٤.

٤- (٤) التهذيب لابن عساكر: ١٩٩/٤.

٥- (٥) حياه الإمام الحسن: ٣٦٨/١.

٦- (٦) سنن البيهقي: ٣٢٠/٧.

و للإمام الحسن بن عليّ (عليهما السّلام) أنواع من الأدعيه و الابتهالات تدلّ على مدى اتّصاله باللّه و مدى تعلّقه به و انقطاعه اليه، و اليك بعض نماذجها:

١- كان (عليه السّلام) يدعو بهذا الدعاء الشريف في قنوته، و كان يبدو عليه الخضوع و الخشوع أمام اللّه، و هذا نصه:

«يا من بسلطانه ينتصر المظلوم، و بعونه يعتصم المكلوم، سبقت مشيئتك، و تمّت كلمتك، و أنت على كلّ شيء قدير، و بما تمضيه خبير، يا حاضر كلّ غيب و عالم كلّ سرّ و ملجأ كلّ مضطرّ، ضلّت فيك الفهوم، و تقطّعت دونك العلوم، أنت اللّه الحيّ القيوم، الدائم الدّيوّم، قد ترى ما أنت به عليم، و فيه حكيم، و عنه حلّيم، و أنت القادر على كشفه، و العون على كفه غير ضائق، و إليك مرجع كلّ أمر، كما عن مشيئتك مصدره، و قد أبنت عن عقود كلّ قوم، و أخفيت سرّات آخريّن، و أمضيت ما قضيت، و أخرت ما لا- فوت عليك فيه، و حملت العقول ما تحملت في غيبك، ليهلك من هلك عن بينه و يحيى من حيّ عن بينه، و إنّك أنت السميع العليم، الأحد البصير، و أنت اللّه المستعان، و عليك التوكّل، و أنت وليّ من تولّيت، لك الأمر كلّ، تشهد الانفعال، و تعلم الاختلال، و ترى تخاذل أهل الخبال، و جنوحهم إلى ما جنحوا إليه من عاجل فان، و حطام عقباه حميم آن، و قعود من قعد، و ارتداد من ارتد.. و خلوى من النصار و انفرادى عن الظهار، و بك اعتصم، و بحبك استمسك، و عليك أتوكّل.

اللهمّ فقد تعلم أنّي ما ذخرت جهدي، و لا منعت وجدى، حتى انفلّ حدّى، و بقيت وحدي، فاتبعت طريق من تقدّمنى في كفّ العاديه و تسكين الطاغيه عن دماء أهل المشايعه، و حرسه أوليائي من أمر آخرتى و دنيائى، فكنت ككظمهم أكظم، و بنظامهم أنظم، و لطريقتهم أتسنّم، و بميسمهم أتسم حتى يأتى نصرك، و أنت ناصر الحقّ و عونى، و إن بعد المدى عن المرتاد، و نأى الوقت عن إفناء الأضداد اللهمّ صل على محمّد

و آل محمّديد، و امزجهم مع النصاب في سرمد العذاب، و أعم عن الرشد أبصارهم، و سكعهم في غمرات لذاتهم حتى تأخذهم البغته و هم غافلون، و سحره و هم نائمون، بالحقّ الذي تظهره، و اليد (التي) تبطش بها، و العلم الذي تبديه، إنك كريم عليم...» (١).

و يلمس في الفقرات الأخيره من دعائه الآلام المرهقه التي كان يعانيتها من الحكم الاموى، و قد دعا الله أن يأخذ الامويين أخذ عزيز مقتدر على انتهاكهم لحرمة و حرمت رسوله.

٢- و كان يدعو بهذا الدعاء على الظالمين له و المعتدين عليه، و يطلب من الله أن يكفيه شرهم و يعلوه عليهم:

«اللهم يا من جعل بين البحرين حاجزا و برزخا، و حجرا محجورا، يا ذا القوه و السلطان، يا علىّ المكان، كيف أخاف و أنت أملئ، و كيف أضام و عليك متكلى، فغطّني من أعدائك بسترك، و أظهرني على أعدائي بأمرك، و أيدني بنصرك، إليك ألجأ و نحوك الملتجأ، فاجعل لى من أمرى فرجا و مخرجا، يا كافي أهل الحرم من أصحاب الفيل، و المرسل عليهم طيرا أبابيل، ترميهم بحجاره من سجّيل، إرم من عاداني بالتنكيل.

اللهم إنى أسألك الشفاء من كلّ داء، و النصر على الأعداء، و التوفيق لما تحبّ و ترضى، يا إله السماء و الأرض و ما بينهما و ما تحت الثرى، بك استشفى، و بك استعفى، و عليك أتوكل فسيكفيكهم الله و هو السميع العليم» (٢).

١٢- في رحاب أدب الإمام المجتبي (عليه السلام):

إشاره

كتب الحسن البصرى -و هو من أبرز الشخصيات المعاصره للإمام- معرّفا بأدب الإمام (عليه السلام) و ثقافته:

ص: ٢١٢

١- ((١)) مهج الدعوات: ٤٧.

٢- ((٢)) مهج الدعوات: ٢٩٧.

«أما بعد، فإنكم معشر بني هاشم الفلك الجارية في اللجج الغامرة و الأعلام التيره الشاهره أو كسفينه نوح (عليه السلام) التي نزلها المؤمنون و نجا فيها المسلمون، كتبت اليك يابن رسول الله عند اختلافنا في القدر و حيرتنا في الاستطاعه فأخبرنا بالذي عليه رأيك و رأى آبائك، فإن من علم الله علمكم و أنتم شهداء على الناس و الله شاهد عليكم ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١)».

كما تتجلى لنا مقدره الإمام الفتيه و البلاغيه من خلال محاوله معاويه لأن يقاطع ذات يوم خطاب الإمام (عليه السلام) حتى لا يفتتن الجمهور ببلاغته بعد أن اقترح ابن العاص على معاويه أن يخطب الحسن (عليه السلام) ليظهر عدم مقدرته (٢).

و قد أسهم الإمام الحسن (عليه السلام) في صياغه الخطب العسكريه في عهد أبيه و بعده، كما مرّ علينا، و قد لاحظنا إحكام البناء و التطعيم بالعنصر الإيقاعي و الصوري بشكل واضح.

و تميّزت رسائل الإمام و مكاتباته بالاقتصاد اللغوي و بتكثيف عنصر (الإشاره الداله) أي العبارة المنطويه على شفرات دلاليه، و هذا ما نجده مثلا في رسالته إلى معاويه و رسالته إلى زياد بن أبيه، حيث لم تتجاوز كلّ منهما السطرين، فالأول - هو معاويه - بعث رجلين يتجسّسان، فكتب (عليه السلام):

«أمرًا بعد، فإنك دسست الرجال كأنك تحبّ اللقاء، لا أشكّ في ذلك، فتوقّعه إن شاء الله، و بلغني أنك شمتّ بما لم تشمت به ذوو الحجى» (٣).

ص: ٢١٣

١- (١) تحف العقول: ٢٣١.

٢- (٢) راجع حياه الإمام الحسن: ٢٩٨/٢-٣٠٠.

٣- (٣) الإرشاد للمفيد: ١٨٩.

و أمّا الرساله الاخرى فقد بعثها إلى زياد حيث نكل بأحد المؤمنين، فطالبه (عليه السلام) بالكفّ عن ذلك، فردّ زياد برساله إلى الحسن (عليه السلام) جاء فيها:

«من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن بن فاطمه: أمّا بعد، فقد أتاني كتابك تبدأ فيه بنفسك قبلي، و أنت طالب حاجه و أنا سلطان» (١).

واضح أنّ هذه الرساله من زياد تعبير عن إحساسه المرضي بعقده الحقاره و النقص، فهو ينسب نفسه إلى أبي سفيان، و ينسب الحسن (عليه السلام) إلى فاطمه (عليهما السلام)، إلا أنّ الحسن (عليه السلام) أجابه بسطرين، نحسب أنّهما مزّاه كلّ التمزيق، حيث كتب (عليه السلام):

«من الحسن بن فاطمه إلى زياد بن سمّيه، أمّا بعد، فإنّ رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال: الولد للفراش، و للعاهر الحجر» (٢).

من أدبه (عليه السلام) المنظوم:

١- قال (عليه السلام) في التذكير بالموت:

قل للمقيم بغير دار إقامه حان الرحيل فودّع الأحبابا

إنّ الذين لقيتهم و صحبتهم صاروا جميعا في القبور ترابا

٢- و قال (عليه السلام) في الزهد في الدنيا:

لكسره من خسيس الخبز تشبعتني و شربه من قراح الماء تكفيني

و طمره من رقيق الثوب تسترني حيا و إن متّ تكفيني لتكفيني

ص: ٢١٤

١- (١) جمهره الرسائل: ٣/٢.

٢- (٢) المصدر نفسه: ٣٧.

٣- له (عليه السلام) في السخاء:

إنَّ السخاء على العباد فريضه لله يقرأ في كتاب محكم

وعد العباد الأسخياء جنانه و أعدّ للبخلاء نار جهنّم

من كان لا تندى يدها بنائل للراغبين فليس ذاك بمسلم (١)

٤- وبلغه (عليه السلام) سبّ ابن العاص له في مجلس معاويه، فقال (عليه السلام):

أ تأمر يا معاوى عبد سهم بشتى و الملا منّا شهود؟

إذا أخذت مجالسها قريش فقد علمت قريش ما تريد

أ أنت تظّل تشتمنى سفاها لضغن ما يزول و ما يبىد؟

فهل لك من أب كأبى تسامى به من قد تسامى أو تكيد؟

و لا جدّ كجدى يا ابن حرب رسول الله إن ذكر الجدود

و لا امّ كأمى فى قريش إذا ما حصّل الحسب التليد

فما مثلى تهكم يا ابن حرب و لا مثلى ينهنه الوعيد

فمهلا لا تهيج بنا امورا يشيب لهولها الطفل الوليد (٢)

٥- له (عليه السلام) في الاستغناء عن الناس:

اغن عن المخلوق بالخالق تغن عن الكاذب و الصادق

و استرزق الرحمن من فضله فليس غير الله بالرازق

من ظنّ أنّ الناس يغنونه فليس بالرحمن بالوائق

من ظنّ أنّ الرزق من كسبه زلّت به النعلان من حالق (٣)

ص: ٢١٥

١- ((١)) بحار الأنوار: ٩٥/١٠.

٢- ((٢)) حياه الإمام الحسن: ٢٦٠/٢.

٣- ((٣)) نور الأبصار: ١٧٥.

الفهرس التفصلى

فهرس إجمالى ٥

مقدمه المجمع ٧

الباب الأول:

الفصل الأول: الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) فى سطور ١٧

الفصل الثانى: انطباعات عن شخصيه الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) ٢٣

١- مكانه الإمام (عليه السلام) فى آيات الذكر الحكيم ٢٣

٢- مكانه الإمام (عليه السلام) لدى خاتم المرسلين ٢٦

٣- مكانه الإمام (عليه السلام) لدى معاصريه ٢٧

٤- مكانه الإمام (عليه السلام) لدى العلماء و المؤرخين ٣٠

الفصل الثالث: من فضائل الإمام المجتبى (عليه السلام) و مظاهر شخصيته ٣٣

١- عبادته ٣٣

٢- حلمه و عفوه ٣٥

٣- كرمه و جوده ٣٦

٤- تواضعه و زهده ٣٨

ص: ٢١٧

الفصل الأول:نشأة الإمام الحسن المجتبي(عليه السلام)٤٣

١-تاريخ ولادته ٤٣

٢-كيفية ولادته ٤٣

٣-سنن الولادة ٤٤

٤-رضاعه ٤٤

٥-كنيته و ألقابه ٤٥

٦-نقش خاتمه ٤٥

٧-حليته و شمائله ٤٥

الفصل الثاني:مراحل حياة الإمام المجتبي(عليه السلام)٤٧

الفصل الثالث:الإمام المجتبي(عليه السلام)فى ظلّ جدّه(صلّى الله عليه و آله)و أبيه(عليه السلام)٤٩

المرحلة الاولى:حياته فى عهد جدّه(صلّى الله عليه و آله)٤٩

١-يوم المباهله و مداليه ٥٢

٢-شهادة الحسين(عليهما السلام)على كتاب لثقيف ٥٨

٣-حضور الحسين(عليهما السلام)بيعه الرضوان ٥٩

٤-الحسن و الحسين إمامان ٥٩

المرحلة الثانية:حياه الإمام(عليه السلام)فى عهد الخلفاء ٦٠

أفى عهد أبى بكر و عمر ٦٠

١-الحسان و فدك ٦١

٢-اعتراضه على أبى بكر ٦٢

٣-الإمام و أسئلته الأعرابي ٦٢

٤-الإمام فى الشورى ٦٣

ب-فى عهد عثمان ٦٥

١-الإمام فى وداع أبى ذر ٦٥

٢-هل اشترك الإمام فى الفتوح؟ ٦٦

٣-الإمام و حصار عثمان ٧١

٤-هل جرح الإمام فى الدفاع عن عثمان؟ ٧٥

٥-هل كان الإمام عثمانياً؟ ٧٦

المرحلة الثالثة:حياته(عليه السلام)فى عهد الدولة العلوية ٨٠

١-البيعة لأمير المؤمنين(عليه السلام)بالخلافه ٨٠

٢-استنجد الإمام على(عليه السلام)بالكوفه ٨٤

٣-ايفاد الإمام الحسن(عليه السلام) ٨٦

٤-التقاء الفريقين فى البصره و خطاب الإمام الحسن(عليه السلام) ٨٩

٥-الإمام على(عليه السلام)فى الكوفه بعد حرب الجمل ٩٠

٦-خطاب الإمام الحسن(عليه السلام) ٩١

٧-تهيؤ الإمام على(عليه السلام)لجهاد معاويه ٩٢

٨-فى معركة صفين ٩٣

٩-املكوا عنى هذا الغلام ٩٤

١٠-الإمام الحسن و التحكيم ٩٥

١١-وصيه الإمام على(عليه السلام)الى ابنه الحسن(عليه السلام) ٩٧

ص: ٢١٩

١٢- النهروان و مؤامره قتل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ١٠٢

١٣- فى ليله استشهاد الإمام على (عليه السلام) ١٠٣

١٤- الإمام الحسن (عليه السلام) بجوار والده الجريح ١٠٤

١٥- آخر وصايا أمير المؤمنين (عليه السلام) ١٠٧

١٦- الإمام على (عليه السلام) ينصّ على خلفه ابنه الحسن (عليه السلام) ١٠٩

١٧- إلى الرفيق الأعلى ١٠٩

١٨- تجهيز الإمام الشهيد و دفنه ١١٠

الباب الثالث:

الفصل الأول: عصر الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) ١١٣

الفصل الثانى: مواقف الإمام و إنجازاته ١٢١

البحث الأول: من البيعه إلى الصلح ١٢١

١- خطبه الإمام الحسن (عليه السلام) يوم استشهاد أبيه (عليه السلام) ١٢١

٢- بيعه الإمام الحسن (عليه السلام) ١٢٢

٣- الإمام يقتصّ من قاتل أبيه (عليه السلام) ١٢٣

٤- جهاد الإمام الحسن (عليه السلام) ١٢٣

٥- تحرك معاوية نحو العراق و موقف الإمام (عليه السلام) ١٢٧

٦- استنكار الموقف المتخاذل ١٢٩

٧- الاتجاهات المتضاده فى جيش الإمام (عليه السلام) ١٣٠

٨- طلائع جيش الإمام الحسن (عليه السلام) ١٣٢

٩- خيانه قائد الجيش ١٣٣

ص: ٢٢٠

١٠-توالى الخيانات فى جيش الإمام (عليه السلام) ١٣٦

١١-محاولات اغتيال الإمام (عليه السلام) ١٤١

١٢-موقف الإمام الحسن (عليه السلام) ١٤٣

البحث الثانى: فى الصلح و أسبابه و نتائجه ١٤٤

١-إتمام الحججه ١٤٤

٢-القبول بالصلح ١٤٤

٣-بنود معاهده الصلح ١٤٤

٤-أسباب الصلح ١٤٨

٥-تحليلان لأسباب صلح الإمام الحسن (عليه السلام) ١٥١

٦-زبده المخض ١٥٨

البحث الثالث: ما بعد الصلح حتى الشهاده ١٦٠

١-الاجتماع فى الكوفه ١٦٠

٢-إلى يثرب ١٦٥

٣-مرجعيه الإمام العلميه و الدينيه ١٦٦

٤-مرجعيته الاجتماعيه ١٦٧

٥-مرجعيته السياسيه ١٦٩

٦-رفضه لمصاهره الامويين ١٧٠

٧-من مواقفه مع معاويه و بطانته ١٧١

البحث الرابع: مصير شروط الصلح و شهاده الإمام الحسن (عليه السلام) ١٨١

١-إخلال معاويه بالشروط ١٨١

٢-تآمر معاويه على الإمام الحسن (عليه السلام) ١٨٣

٣- كيف استشهد الإمام الحسن (عليه السلام)؟ (١٨٤٤)

٤- وصاياه الأخيره ١٨٦

٥- إلى الرفيق الأعلى ١٨٩

٦- تجهيز الإمام و تشييعه ١٩٠

٧- دفن الإمام (عليه السلام) و فتنه عائشه ١٩١

الفصل الثالث: تراث الإمام المجتبي (عليه السلام) ١٩٣

١- نظره عامه في تراث الإمام المجتبي (عليه السلام) ١٩٣

٢- في رحاب العلم و العقل ١٩٥

٣- في رحاب القرآن الكريم ١٩٦

٤- في رحاب الحديث النبوي و السيره الشريفه ١٩٧

٥- في رحاب العقيدته ٢٠١

٦- في رحاب ولايه أهل البيت (عليهم السلام) ٢٠٢

٧- البشاره بالإمام المهدي المنتظر (عليه السلام) ٢٠٤

٨- في رحاب الأخلاق و التربيه ٢٠٥

٩- في رحاب المواعظ الحكيمه ٢٠٧

١٠- في رحاب الفقه و أحكام الشريعه ٢١٠

١١- في رحاب أدعيه الإمام المجتبي (عليه السلام) ٢١١

١٢- في رحاب أدب الإمام المجتبي (عليه السلام) ٢١٢

الفهرس التفصيلي ٢١٧

ص: ٢٢٢

عنوان و نام پديدآور: اعلام الهدايه/المولف لجنه التاليف فى المعاونه الثقافيه للمجمع العالمى لاهل البيت (ع).

مشخصات نشر: بيروت: المجمع العالمى لاهل البيت (ع)، المعاونه الثقافيه، ۱۴۳۰ق = ۱۳۸۹.

مشخصات ظاهرى: ۱۴ج.

يادداشت: عربى.

يادداشت: چاپ ششم.

يادداشت: كتابنامه.

مندرجات: ج. ۱. محمد المصطفى صلى الله عليه و آله و سلم خاتم الانبياء. ج. ۲. أمير المومنين على بن أبى طالب عليه السلام. ج. ۳. سيده النساء فاطمه الزهراء عليه السلام. ج. ۴. الامام الحسن المجتبى عليه السلام. ج. ۵. الامام الحسين عليه السلام سيد الشهداء. ج. ۶. الامام على بن الحسين زين العابدين عليه السلام. ج. ۷. الامام محمد بن على الباقر عليه السلام. ج. ۸. الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام. ج. ۹. الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام. ج. ۱۰. الامام على بن موسى الرضا عليه السلام. ج. ۱۱. الامام محمد بن على الجواد عليه السلام. ج. ۱۲. الامام على بن محمد الهادى عليه السلام. ج. ۱۳. الامام الحسن العسكرى عليه السلام. ج. ۱۴. خاتم الاوصياء الامام المهدي عليه السلام.

موضوع: چهارده معصوم -- سرگذشتنامه

شناسه افزوده: مجمع جهانى اهل بيت (ع). معاونت فرهنگى

رده بندى كنگره: BP۳۶/الف ۵۸ ۱۳۸۹

رده بندى ديويى: ۲۹۷/۹۵

شماره كتابشناسى ملي: ۳۸۶۲۲۵۴

ص: ۱

كلمه المجمع العالمى لأهل البيت عليهم السلام ٧

الباب الأول:

الفصل الأول:الإمام الحسين عليه السلام فى سطور ١٧

الفصل الثانى:انطباعات عن شخصيته عليه السلام ٢٥

الفصل الثالث:مظاهر من شخصيته عليه السلام ٣٧

الباب الثانى:

الفصل الأول:نشأه الإمام الحسين عليه السلام ٥١

الفصل الثانى:مراحل حياه الإمام الحسين عليه السلام ٥٧

الفصل الثالث:الإمام الحسين عليه السلام من الولاده إلى الامامه ٥٩

الباب الثالث:

الفصل الأول:عصر الإمام الحسين عليه السلام ٩١

الفصل الثانى:مواقف و إنجازات الإمام عليه السلام ١١١

الفصل الثالث:نتائج الثورة الحسينيه ٢٠٧

الفصل الرابع:من تراث الإمام الحسين عليه السلام ٢١٣

ص:٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداه لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء و سيد الرسل و الأصفياء أبو القاسم المصطفى محمد (صلى الله عليه و اله) و على آله الميامين النجباء.

لقد خلق الله الإنسان و زوّده بعنصرى العقل و الإرادة، فبالعقل يبصر و يكتشف الحقّ و يميزه عن الباطل، و بالإرادة يختار ما يراه صالحا له و محققا لأغراضه و أهدافه.

و قد جعل الله العقل المميز حجّة له على خلقه، و أعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته؛ فإنّه هو الذى علّم الإنسان ما لم يعلم، و أرشده إلى طريق كماله اللائق به، و عرّفه الغايه التى خلقه من أجلها، و جاء به إلى هذه الحياه الدنيا من أجل تحقيقها.

و أوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحه معالم الهدايه الربّانيه و آفاقها و مستلزماتها و طرقها، كما بيّن لنا عللها و أسبابها من جهه، و أسفر عن ثمارها و نتائجها من جهه اخرى.

قال تعالى:

ص: ٧

قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى [الأنعام (٦): ٧١].

وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [البقره (٢): ٢١٣].

وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ [الأحزاب (٣٣): ٤].

وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هَدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [آل عمران (٣): ١٠١].

قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ [يونس (١٠): ٣٥].

وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَ يَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ [سبأ (٣٤): ٦].

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ [القصص (٢٨): ٥٠].

فالله تعالى هو مصدر الهدايه. و هدايته هي الهدايه الحقيقيه، و هو الذى يأخذ بيد الإنسان إلى الصراط المستقيم و إلى الحق القويم.

و هذه الحقائق يؤيدها العلم و يدر كها العلماء و يخضعون لها بملء وجودهم.

و لقد أودع الله فى فطره الإنسان النزوع إلى الكمال و الجمال ثم منّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به، و أسبغ عليه نعمه التعرّف على طريق الكمال، و من هنا قال تعالى: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** [الذاريات (٥١): ٥٦].

و حيث لا تتحقّق العباده الحقيقيه من دون المعرفه، إذ كانت المعرفه و العباده طريقا منحصرًا و هدفا و غايه موصله إلى قمّه الكمال.

و بعد أن زوّد الله الإنسان بطاقتى الغضب و الشهوه ليحقّق له و قود الحركه نحو الكمال؛ لم يؤمن عليه من سيطره الغضب و الشهوه و الهوى الناشئ منهما، و الملازم لهما. فمن هنا احتاج الإنسان-بالإضافه إلى عقله و سائر

أدوات المعرفة-الى ما يضمن له سلامه البصيره و الرؤيه؛كى تتم عليه الحجّه، و تكمل نعمه الهدايه،و تتوفّر لديه كلّ الأسباب التى تجعله يختار طريق الخير و السعاده،أو طريق الشرّ و الشقاء بملء إرادته.

و من هنا اقتضت سنّه الهدايه الربّانيه أن يسند عقل الإنسان عن طريق الوحي الإلهي،و من خلال الهداه الذين اختار هم الله لتولّى مسؤوليه هدايه العباد،و ذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفه و إعطاء الإرشادات اللازمه لكلّ مرافق الحياه.

و قد حمل الأنبياء و أوصياؤهم مشعل الهدايه الربّانيه منذ فجر التاريخ و على مدى العصور و القرون،و لم يترك الله عباده مهملين دون حجّه هاديه و علم مرشد و نور مضىء،كما أفصحت نصوص الوحي-مؤيّدته لدلائل العقل-بأنّ الأرض لا تخلو من حجّه لله على خلقه،لئلا يكون للناس على الله حجّه،فالحجّه قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق،و لو لم يبق فى الأرض إلاّ اثنان؛لكان أحدهما الحجّه.و صرّح القرآن-بشكل لا يقبل الريب-قائلا:

إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ [الرعد(١٣):٧].

و يتولّى أنبياء الله و رسله و أوصياؤهم الهداه المهديون مهمّه الهدايه بجميع مراتبها،و التى تتلخّص فى:

١-تلقى الوحي بشكل كامل و استيعاب الرساله الإلهيه بصوره دقيقه.

و هذه المرحله تتطلّب الاستعداد التام لتلقى الرساله،و من هنا يكون الاصطفاء الإلهي لرسله شأننا من شؤونه،كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلا:اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ [الانعام(٦):١٢٤]وَاللَّهُ يَجْتَبِيْ مِنْ رُّسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ [آل عمران(٣):١٧٩].

٢- إِبْلَاحُ الرِّسَالَةِ الإِلَهِيَّةِ إِلَى البَشَرِيَّةِ وَ لِمَنْ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ، وَ يَتَوَقَّفُ الإِبْلَاحُ عَلَى الكِفَاءَةِ التَّامَّةِ الَّتِي تَتِمُّثَلُ فِي «الإِسْتِيعَابِ وَ الإِحَاطَةِ اللّازِمَةِ» بِتَفَاصِيلِ الرِّسَالَةِ وَ أَهْدَافِهَا وَ مَتَطَلِّبَاتِهَا، وَ «العَصْمَةُ» عَنِ الخَطَأِ وَ الإِنْحِرَافِ مَعًا، قَالَ تَعَالَى: كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ [البقره (٢): ٢١٣].

٣- تَكْوِينُ أُمَّةٍ مُؤْمِنَةٍ بِالرِّسَالَةِ الإِلَهِيَّةِ، وَ إِعْدَادُهَا لِدَعْمِ القِيَادَةِ الهَادِيَةِ مِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِ أَهْدَافِهَا وَ تَطْبِيقِ قَوَانِينِهَا فِي الحَيَاةِ، وَ قَدْ صرَّحَتْ آيَاتُ الذِّكْرِ الحَكِيمِ بِهَذِهِ المَهْمَةِ مَسْتَحْدِمَةً عُنْوَانِي التَّرْكِيهِ وَ التَّعْلِيمِ، قَالَ تَعَالَى: يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ [الجمعه (٦٢): ٢] وَ التَّرْكِيهِ هِيَ التَّرْبِيَةُ بِاتِّجَاهِ الكَمَالِ اللّائِقِ بِالإِنْسَانِ. وَ تَتَطَلَّبُ التَّرْبِيَةُ القِدْوَةَ الصّالِحَةَ الَّتِي تَتَمَتَّعُ بِكُلِّ عُنَاوَرِ الكَمَالِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [الأحزاب (٣٣): ٢١].

٤- صِيَانَةُ الرِّسَالَةِ مِنَ الزِّيغِ وَ التَّحْرِيفِ وَ الضِّياعِ فِي الفَتْرَةِ المَقْرَرَةَ لَهَا، وَ هَذِهِ المَهْمَةُ أَيْضًا تَتَطَلَّبُ الكِفَاءَةَ العِلْمِيَّةَ وَ النَفْسِيَّةَ. وَ الَّتِي تَسْمَى العَصْمَةَ.

٥- العَمَلُ لِتَحْقِيقِ أَهْدَافِ الرِّسَالَةِ المَعْنَوِيَّةِ وَ تَثْبِيتِ القِيَمِ الأخْلَاقِيَّةِ فِي نَفُوسِ الأَفْرَادِ وَ أَرْكَانِ المَجْتَمَعَاتِ البَشَرِيَّةِ وَ ذَلِكَ بِتَنْفِيزِ الاطْرُوحَةِ الرِّبَانِيَّةِ، وَ تَطْبِيقِ قَوَانِينِ الدِّينِ الحَنِيفِ عَلَى المَجْتَمَعِ البَشَرِيِّ مِنْ خِلَالِ تَأْسِيسِ كِيَانِ سِيَاسِيٍّ يَتَوَلَّى إِدارَةَ شُؤُونِ الأُمَّةِ عَلَى أَسَاسِ الرِّسَالَةِ الرِّبَانِيَّةِ لِلبَشَرِيَّةِ، وَ يَتَطَلَّبُ التَّنْفِيزُ قِيَادَةَ حَكِيمَةٍ، وَ شَجَاعَةَ فَائِقَةٍ، وَ صَمُودًا كَبِيرًا، وَ مَعْرِفَةَ تَامَّةً بِالنَّفُوسِ وَ بَطَبَقَاتِ المَجْتَمَعِ وَ التِّيَّارَاتِ الفِكْرِيَّةِ وَ السِّيَاسِيَّةِ وَ الإِجْتِمَاعِيَّةِ وَ قَوَانِينِ الإِدارَةِ وَ التَّرْبِيَةِ وَ سُنَنِ الحَيَاةِ، وَ نَلْخِصُهَا فِي الكِفَاءَةِ العِلْمِيَّةِ لِإِدارَةِ دَوْلَةٍ عَالَمِيَّةٍ دِينِيَّةٍ، هَذَا فَضْلًا عَنِ العَصْمَةِ الَّتِي تَعْبُرُ عَنِ الكِفَاءَةِ النَفْسِيَّةِ الَّتِي تَصُونُ القِيَادَةَ

الدينه من كل سلوك منحرف أو عمل خاطئ بإمكانه أن يؤثر تأثيراً سلبياً على مسيره القياده و انقياد الامه لها بحيث يتنافى مع أهداف الرساله و أغراضها.

و قد سلك الأنبياء السابقون و أوصياؤهم المصطفون طريق الهدايه الدامى، و اقتحموا سبيل التريه الشاق، و تحمّلوا فى سبيل أداء المهام الرساليه كل صعب، و قدّموا فى سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهيه كل ما يمكن أن يقدمه الإنسان المتفانى من أجل مبدئه و عقيدته، و لم يتراجعوا لحظه، و لم يتلكأوا طرفه عين.

و قد توجّ الله جهودهم و جهادهم المستمرّ على مدى العصور برساله خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه و اله) و حمّله الأمانه الكبرى و مسؤوليه الهدايه بجميع مراتبها، طالبا منه تحقيق أهدافها. و قد خطا الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و اله) فى هذا الطريق الوعر خطوات مدهشه، و حقّق فى أقصر فتره زمنيّه أكبر نتاج ممكن فى حساب الدعوات التغييريه و الرسالات الثوريه، و كانت حصيله جهاده و كدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلى:

١- تقديم رساله كامله للبشريه تحتوى على عناصر الديمومه و البقاء.

٢- تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ و الانحراف.

٣- تكوين امه مسلمه تؤمن بالإسلام مبدأً، و بالرسول قائداً، و بالشريعه قانوناً للحياه.

٤- تأسيس دوله إسلاميه و كيان سياسى يحمل لواء الإسلام و يطبق شريعه السماء.

٥- تقديم الوجه المشرق للقياده الربانيه الحكيمه المتمثله فى قيادته (صلّى الله عليه و اله).

و لتحقيق أهداف الرساله بشكل كامل كان من الضروري:

أ- أن تستمر القيادة الكفوءه فى تطبيق الرساله و صيانتها من أيدي العابثين الذين يتربصون بها الدوائر.

ب- أن تستمر عمليه التربيه الصحيحه باستمرار الأجيال؛على يد مربّ كفوء علميا و نفسيا حيث يكون قدوه حسنه فى الخلق و السلوك كالرسول(صلى الله عليه و اله)،يستوعب الرساله و يجسدها فى كل حركاته و سكناته.

و من هنا كان التخطيط الإلهيّ يحتّم على الرسول(صلى الله عليه و اله)إعداد الصفوه من أهل بيته،و التصريح بأسمائهم و أدوارهم؛لتسلّم مقاليد الحركه النبويّه العظيمه و الهدايه الرّيانيه الخالده بأمر من الله سبحانه و صيانه للرساله الإلهيه التى كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين و كيد الخائنين،و تربيه الأجيال على قيم و مفاهيم الشريعه المباركه التى تولّوا تبيين معالمها و كشف أسرارها و ذخاثرها على مرّ العصور،و حتى يرث الله الأرض و من عليها.

و تجلّى هذا التخطيط الربّانيّ فى ما نصّ عليه الرسول(صلى الله عليه و اله)بقوله:«إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّيتم بهما لن تضلّوا:كتاب الله و عترتي،و إنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض».

و كان أئمّه أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عزّفهم النبي الأكرم(صلى الله عليه و اله)بأمر من الله تعالى لقياده الامّه من بعده.

إن سيره الأئمّه الاثنى عشر من أهل البيت(عليهم السلام)تمثّل المسيره الواقعيه للإسلام بعد عصر الرسول(صلى الله عليه و اله)،و دراسه حياتهم بشكل مستوعب تكشف لنا عن صورته مستوعبه لحركه الإسلام الأصيل الذى أخذ يشقّ طريقه إلى أعماق الامّه بعد أن أخذت طاقتها الحراريه تتضاءل بعد وفاه الرسول(صلى الله عليه و اله)،

فأخذ الأئمة المعصومون (عليهم السّلام) يعملون على توعيه الأئمة و تحريك طاقتها باتجاه إيجاد و تصعيد الوعي الرساليّ للشريعة و لحركة الرسول (صلى الله عليه و اله) و ثورته المباركة، غير خارجين عن مسار السنن الكونية التي تتحكّم في سلوك القيادة و الأئمة جمعاء.

و تبلورت حياة الأئمة الراشدين في استمرارهم على نهج الرسول العظيم (صلى الله عليه و اله) و انفتاح الأئمة عليهم و التفاعل معهم كأعلام للهداية و مصايح لإناره الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلاء على الله و على مرضاته، و المستقرّين في أمر الله، و التأمين في محبته، و الذائبين في الشوق إليه، و السابقين إلى تسلّق قمم الكمال الإنسانيّ المنشود.

و قد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد و الصبر على طاعة الله و تحمّل جفاء أهل الجفاء؛ حتّى ضربوا أعلى أمثله الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالى، ثم اختاروا الشهادة مع العزّ على الحياة مع الدّلّ فيها، حتّى فازوا بقاء الله سبحانه بعد كفاح عظيم و جهاد كبير.

و لا يستطيع المؤرّخون و الكتّاب أن يلمّوا بجميع زوايا حياتهم العطرة و يدّعوا دراستها بشكل كامل. و من هنا فإنّ محاولتنا هذه إنّما هي إعطاء قبسات من حياتهم، و لقطات من سيرتهم و سلوكهم و مواقفهم التي دوّنها المؤرّخون، و استطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسة و التحقيق، عسى الله أن ينفع بها إنّه وليّ التوفيق.

إنّ دراستنا لحركة أهل البيت (عليهم السّلام) الرسالية تبدأ برسول الإسلام و خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و اله) و تنتهي بخاتم الأوصياء، محمد بن الحسن العسكري المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه و أنار الأرض بعدله.

و يختص هذا الكتاب بدراسه حياه الإمام الحسين بن عليّ (عليهما السّلام) و هو المعصوم الخامس من أعلام الهدايه و الثالث من الأئمّه الاثنى عشر بعد رسول الله (صلّى الله عليه و اله) الذي روّى بدمه الطاهر و دماء أهل بيته و أصحابه الأبرار شجره الإسلام العظيمه، و صانها من الذبول و الانهيار، فكان- كما أخبر عنه المصطفى (صلّى الله عليه و اله)- مصباح الهدى و سفينه النجاه لأئمّه جدّه (صلّى الله عليه و اله) من طوفان الطغاه و الظالمين.

و لا بدّ لنا من تقديم الشكر الى كلّ الاخوه الأعزّاء الذين بذلوا جهدا و افرا و شاركوا في إنجاز هذا المشروع المبارك و إخراجّه إلى عالم النور، لا سيما أعضاء لجنه التّأليف بإشراف سماحه السيّد منذر الحكيم حفظه الله تعالى.

و لا يسعنا إلا أن نبتهل إلى الله تعالى بالدعاء و الشكر لتوفيقه على إنجاز هذه الموسوعه المباركه فإنه حسبنا و نعم النصير.

المجمع العالمى لأهل البيت عليهم السّلام قم المقدسه

الباب الأول

إشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

الإمام الحسين (عليه السلام) في سطور

الفصل الثاني:

انطباعات عن شخصيته (عليه السلام)

الفصل الثالث:

مظاهر من شخصيته (عليه السلام)

ص: ١٥

الإمام الحسين الشهيد (عليه السلام) في سطور

*-الإمام أبو عبد الله الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهما السلام) الشهيد بكر بلاء، ثالث أئمة أهل البيت بعد رسول الله (صلى الله عليه و اله) و سيّد شباب أهل الجنة بإجماع المحدّثين، و أحد اثنين نسلت منهما ذرية الرسول (صلى الله عليه و اله) و أحد الأربعة الذين باهل بهم رسول الله (صلى الله عليه و اله) نصارى نجران، و من أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا، و من القريبى الذين أمر الله بمودّتهم، و أحد الثقلين اللذين من تمسكك بهما نجا و من تخلف عنهما ضلّ و غوى.

*-نشأ الحسين مع أخيه الحسن (عليهما السلام) فى أحضان طاهره و حجور طيبه و مباركه امّيا و أبيا و جدّا، فتغذى من صافى معين جدّه المصطفى (صلى الله عليه و اله) و عظيم خلقه و وابل عطفه، و حظى بوافر حنانه و رعايته حتى أنّه ورّثه أدبه و هديه و سؤدده و شجاعته، ممّا أهله للإمامه الكبرى التى كانت تنتظره بعد إمامه أبيه المرتضى و أخيه المجتبى (عليهم السلام) و قد صرّح بإمامته للمسلمين فى أكثر من موقف بقوله (صلى الله عليه و اله): «الحسن و الحسين إمامان قاما أو قعدا»، «اللهم إنى احبهما فأحب من يحبهما».

*-لقد التقى فى هذا الإمام العظيم رافدا النبوه و الإمامه، و اجتمع فيه

شرف الحسب و النسب، و وجد المسلمون فيه ما وجدوه في جدّه و أبيه و أمّه من طهر و صفاء و نبيل و عطاء، فكانت شخصيته تذكر الناس بهم جميعاً؛ فأحبّوه و عظّموه، و كان الى جانب ذلك كلّ مرجعهم الأوحّد بعد أبيه و أخيه فيما كان يعترضهم من مشاكل الحياه و امور الدين، لا سيما بعد أن دخلت الامّه الإسلاميه حياه حافله بالمصاعب نتيجة سيطره الحكم الاموى الجاهلى، حتّى جعلتهم فى مأزق جديد لم يجدوا له نظيراً من قبل، فكان الحسين (عليه السّلام) هو الشخصيه الإسلاميه الرساليه الوحيده التى استطاعت أن تخلّص امّه محمّد (صلّى الله عليه و اله) خاصّه و الإنسانيه عامّه من براثن هذه الجاهليه الجديده و أدرانها.

*-لقد كان الحسين بن عليّ (عليهما السّلام) كأبيه المرتضى و أخيه المجتبى فى جميع مراحل حياته و مواقفه العمليه مثالا للإنسان الرسالى الكامل، و تجسيدا حيّاً للخلق النبوى الرفيع فى الصبر على الأذى فى ذات الله، و السماحه و الجود و الرحمه و الشجاعه و إباء الضيم و العرفان و التعيّد و الخشيه لله و التواضع للحقّ و الثوره على الباطل، و رمزا شامخا للبطوله و الجهاد فى سبيل الله و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و اسوه مثلى للإيثار و التضحيه لإحياء المثل العليا التى اجتمعت فى شريعته جدّه سيّد المرسلين، حتّى قال عنه جدّه المصطفى (صلّى الله عليه و اله): «حسين مئى و أنا من حسين» معبّراً بذلك بأبلغ التعبير عن سموّ هذه الشخصيه العظيمه التى ولدها (صلّى الله عليه و اله) و ربّاهما بيديه الكريمتين.

*-بقى الحسين بن عليّ (عليهما السّلام) بعد جدّه فى رعايه الصديقه الزهراء سيّده النساء فاطمه (عليها السّلام) و فى كنف أبيه المرتضى سيّد الوصيّين و إمام المسلمين الذى عاش محنه الانحراف فى قياده الامّه المسلمه بعد وفاه رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و قد حفّت بأبيه و امّه نكبات هذه المحنه و الصراع مع الذين صادروا هذه الإمامه الكبرى بكل صلف و دون حجّه أو برهان...لقد عاش الحسين

مع أخيه الحسن و أبيه عليّ و أمّه الزهراء (عليهم السّلام) هذه المحنه و تجرّع مرارتها، و هو لا يزال في سنّ الطفوله، و لكنّه كان يعي جيّدا عمق المحنه و شدّه المصيبه.

*-شَبَّ الإمام أبو عبد الله الحسين أيّام خلافه عمر، و انصرف مع أبيه و أخيه عن السياسة و التصدى للحكم في ظاهر الأمر، و أقبل على تثقيف الناس و تعليمهم معالم دينهم في خطّ الرساله الصحيح، و الذي كان يتمثّل في سلوك والده عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) و مواقفه المبدئيه المشرفه.

*-وقف الإمام الحسين (عليه السّلام) الى جانب أبيه (عليه السّلام) في عهد عثمان، و هو في عنفوان شبابه يعمل مخلصا لأجل الإسلام، و يشترك مع أبيه في وضع حدّ للفساد الذي أخذ يستشري في جسم الامّه و الدوله معا في ظلّ حكم عثمان و بطانته، و لم يتعدّ مواقف أبيه (عليه السّلام) طيله هذه الفتره؛ بل عمل كجندى مخلص للقياده الشرعيه التي أناطها رسول الله (صلّى الله عليه و اله) بأبيه المرتضى (عليه السّلام).

*-و في عهد الدوله العلويه المباركه وقف الحسين الى جانب أبيه (عليهما السّلام) في جميع مواقفه و حروبه، و لم يتوان عن قتال الناكثين و القاسطين و المارقين، بينما كان أبوه حريصا على حياته و حياه أخيه الحسن (عليه السّلام) خشيه انقطاع نسل رسول الله (صلّى الله عليه و اله) بموتهما، و بقيا الى جانب أبيهما حتى آخر لحظه، و هما يعانيان من أهل العراق ما كان يعانیه أبو هما المرتضى (عليه السّلام) حتّى استشهد في بيت من بيوت الله، و فاز بالشهاده و هو في محراب العباده بمسجد الكوفه، و في أقدس لحظات حياته، أعنى لحظه العباده و التوجه الى ربّ الكعبه، حيث خرّ صريعا و هو يقول: «فزت و ربّ الكعبه».

*-ثمّ وقف الى جانب أخيه الحسن المجتبي (عليهما السّلام) بعد أن بايعه بالخلافه كما بايعه عامّه المسلمين في الكوفه من المهاجرين و الأنصار

والتابعين لهم بإحسان، ولم يتعدّ مواقف أخيه الذى نصّ على إمامته كلّ من جدّه و أبيه (عليهما السّلام) بالرغم من كلّ المغريات التى كان يستعملها معاوية لإسقاط الإمام الحسن (عليه السّلام) و تفتيت قواه و القضاء على حكومته المشروعه.

*-لقد كان الحسين (عليه السّلام) يعى مواقف أخيه الحسن (عليه السّلام) بشكل تامّ و النتائج المترتبه على تلك المواقف، لأنه كان يدرك حراجه الظرف الذى كان يكتنف الأئمه الإسلاميه آنذاك و بعد استشهاد الإمام عليّ (عليه السّلام) بشكل خاص، حيث انطلت ألعيب معاويه و شعاراته الزائفه على جماعه كبيره من السّدج و البسطاء، ممّن كانوا يشكّلون القاعده العظمى فى مجتمع الكوفه و مركز الخلايفه الإسلاميه، فأصبحوا يشكّون و يشكّون فى حقّانیه خطّ الإمام عليّ ابن أبى طالب (عليه السّلام) بعد ذلك التّضليل الإعلامى الذى قام به معاويه و بطانته و عمّاله فى صفوف الجيش المساند للإمام (عليه السّلام)، و لم يستطع الإمام الحسن (عليه السّلام) بكلّ ما اوتى من حنكه سياسيه و شجاعه أدبيه و رصانه منطقيه أن يقنع تلك القاعده الشعبيه، و يوقفها على زيف الشعارات الامويه فى عدم صحّه الخضوع لشعار السلم الذى كان قد تسلّح به معاويه لنيل الخلايفه بأبخس الأثمان، ممّا اضطرّ الإمام الحسن (عليه السّلام) للإقدام على الصلح من موقع القوه بعد أن نفّذ جميع الخطط السياسيه الممكنه، و بعد أن سلك جميع الطرق المعقوله التى ينبغى للقائد المحنّك أن يسلكها فى تلك الظروف السياسيه و الاجتماعيه و النفسيه التى كان يعيشها الإمام الحسن (عليه السّلام) و شيعته، فتنازل عن الخلايفه، إلا انه لم يوقّع على شرعيّه حاكميّه معاويه بالإضافه الى أنّه قد اشترط شروطا موضوعيه تفضح واقع معاويه و الحكم الاموى على المدى القريب أو البعيد.

*-و هكذا أفلح الإمام الحسن (عليه السّلام) بعد أن اختار الطريق الصعب، و تحمّل ما تحمّل من الأذى و المكروه من أقرب أفراد شيعته فضلا عن

أعدائه، حيث استطاع أن يكشف حقيقه الحكم الاموى الجاهلى الذى ارتدى لباس الإسلام و رفع شعار الصلح و السلم، ليقضى على الإسلام باسم الإسلام و بمن ينتسب الى قريش قبيله الرسول (صلى الله عليه و اله) بعد أن خطط بشكل حاذق خطه يتناسى المسلمون بسببها أن آل أبى سفيان الذين يترعون اليوم على كرسى الحكم الإسلامى، و يحكمون المسلمين باسم الرسول (صلى الله عليه و اله) و خلافته هم الذين حاربوا الإسلام بالأمس القريب.

*- و بهذا هتياً الإمام الحسن (عليه السلام) -بتوقيعه على وثيقه الصلح- الأرضيه اللازمه للثوره على الحكم الاموى الجاهلى الذى ظهر بمظهر الإسلام من جديد، و ذلك بعد أن أخلف معاويه كل الشروط التى اشترطها عليه الإمام الحسن (عليه السلام) بما فيها عدم تعيين أحد للخلافه من بعده، و عدم التعرض لشيعه على و للإمام الحسن و الحسين (عليهما السلام) بمكروه.

و لم يستطع معاويه أن يتمالك نفسه أمام هذه الشروط حتى سؤلت له نفسه أن يدس السم الفاتك الى الإمام الحسن (عليه السلام) ليستطيع توريث الخلافه لابنه الفاسق يزيد... و لكنه لم يع نتائج هذا التنكر للشروط و لنتائج هذه المؤامره القدره... و قد أيقن المسلمون -بعد مرور عقدين من الحكم الاموى- بشراسه هذا الحكم و جاهليته، مما جعل القواعد الشعبيه الشيعيه تستعد لخوض معركه جديده ضد النظام الحاكم، و بذلك تهيأت الظروف الملائمه للثوره، و اكتملت الشروط اللازمه بموت معاويه و مجيء يزيد الفاسق شارب الخمر و المستهتر بأحكام الدين الى سده الحكم، و الإقدام على أخذ البيعه من وجوه الصحابه و عامه التابعين، و الإصرار على أخذها من مثل أبى الضيم أبى عبد الله الحسين (عليه السلام) سيد أهل الإباء و إمام المسلمين.

*- لقد حكم معاويه بن أبى سفيان ما يقارب عشرين سنه متبعا سياسه

التجوع و الإرهاب و الخداع و التزوير، ممّا أدى الى انكشاف حقيقته للامّة من جهه، فى حين أنّها كانت قد ابتليت بداء موت الضمير و داء فقدان الإراده من جهه اخرى، و هكذا استيقظت الامه من سباتها و زال شكّها بحقّانيه خطّ أهل البيت (عليهم السّلام)، بعد أن ارتفع جهلها بحقيقه الامويين، و لكنّها لم تقو على مقارعه الظلم و الظالمين، و أصبحت كما قال الفرزدق للإمام الحسين (عليه السّلام) حين كان متوجّها الى العراق و مستجيبا لدعوه الكوفيين: قلوبهم معك و سيوفهم عليك.

و من هنا تأكّد الموقف الشرعى للإمام الحسين (عليه السّلام) بعد أن توفّرت كلّ الظروف اللازمه للقيام فى وجه الامويين الجاهليين، بينما لم تكن النهضه مفيده للامّه فى حاله الابتلاء بمرض الشكّ و التردد التى كانت تعانى منه فى عصر الإمام الحسن السبط (عليه السّلام). لقد تمّت الحجّه على الإمام الحسين بن علىّ (عليهما السّلام) حينما راسله أهل العراق و طلبوا منه التوجّه نحوهم، بعد أن أخرجوا عامل بنى اميه من الكوفه و تمردوا على الامويين حيث كان هذا أحد مظاهر رجوع الوعى إلى عامّه شيعة أهل البيت (عليهم السّلام).

فاستجاب الإمام الحسين (عليه السّلام) لطلبهم، و تحرّك نحوهم بالرغم من علمه بعدم ثباتهم و ضعف إرادتهم أمام إغراءات الحاكمين و اضطهادهم و إرهابهم، و ذلك لأنّه كان لا بد له من معالجه هذا المرض الجديد الذى يؤدّى باستشرائه الى ضياع معالم الرساله و فسح المجال لتحويل الخلافه الى كسرويه و قيصريه، و إعطاء المشروعيه لمثل حكم يزيد و أضرابه من الجاهليين الذين تستروا بستر الشريعه الإسلاميه لضرب الشريعه و تمزيقها.

*- بعد أن استجمعت ثوره الإمام الحسين (عليه السّلام) كلّ الشروط اللازمه

لنجاحها و بلوغ أهدافها(1)؛ نهض مستنفرا كلّ طاقاته و قدراته التي كان قد أعدّها و هيأها في ذلك الظرف التاريخي في صنع ملحمة الخالده، فحرّك ضمير الامه، و أعادها لتسلّك مسيره رسالتها، و بعث شخصيتها العقائديه من جديد، و سلب المشروعيه من الحكام الطغاه، و مزّق كلّ الأفعه الخداعه التي كانوا قد تستروا بها، و أوضح الموقف الشرعي للامه على مدى الأجيال. و لم يستطع الطغاه أن يشوّهوا معالم نهضته، كما لم يستطيعوا أن يقفوا بوجه المدّ الثوري الذي أحدثه على مدى العصور، ذلك المدّ الذي أطاح بحكم بني اميه و بني العباس و من حذا حذوهم، فكانت ثورته مصدر إشعاع رسالي لكل الامم، كما كانت القيم الرساليه التي طرحها و أكّد عليها محفّزا و معيارا لتقييم كل الحكومات و الأنظمه السياسيه الحاكمه، فسلام عليه يوم ولد و يوم استشهد و يوم يبعث حيا.

ص: ٢٣

١- ((١)) راجع الشروط الضروريه الخمسه للنجاح و التي توفّرت في ثوره الحسين (عليه السّلام) في كتاب (ثوره الحسين. النظرية-الموقف-النتائج) السيد محمد باقر الحكيم الطبعه الاولى، منشورات مؤسسه الإمام الحسين (عليه السّلام): ٦٢-٩٢، و راجع مجلّه الفكر الإسلامى العدد (١٧) مقال الشهيد السيد محمد باقر الصدر حول الثوره الحسينيه تحت عنوان (التخطيط الحسينى لتغيير أخلاقيه الهزيمه).

اشاره

انطباعات عن شخصيه الإمام الحسين (عليه السلام)

١- مكانه الإمام الحسين (عليه السلام) في آيات الذكر الحكيم:

لم تتفق كلمه المسلمين في شيء كاتفاقهم على فضل أهل البيت (عليهم السلام) وعلو مقامهم العلمى و الروحى، و انطوائهم على مجموعه الكمالات التى أراد الله للإنسانيه أن تتحلى بها.

و يعود هذا الاتفاق الى جملة من الاصول، منها تصريح الذكر الحكيم بالموقع الخاص لأهل البيت (عليهم السلام) من خلال التنصيص على تطهيرهم من الرجس، و أنهم القربى الذين تجب موذتهم كأجر للرسالة التى أتحف الله بها الإنسانيه جمعاء، و أنهم الأبرار الذين أخلصوا الطاعه لله و خافوا عذاب الله و تجلببوا بخشيتته، فضمن لهم الجنة و النجاه من عذابه.

و الإمام الحسين (عليه السلام) هو من أهل البيت (عليهم السلام) المطهّرين من الرجس بلا-ريب، بل هو ابن رسول الله بنص آيه المباهله التى جاءت فى حادثه المباهله مع نصارى نجران. و قد خلد القرآن الكريم هذا الحدث بمداليله العميقه فى قوله تعالى:

فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ

و نِسَاءً نًّا وَ نِسَاءً كُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهَلُ فَنَجْعَلُ لِعَنْتِ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (١).

و روى جمهور المحدثين بطرق مستفيضه أنها نزلت في أهل البيت، و هم: رسول الله و علي و فاطمه و الحسن و الحسين، كما صرحوا على أن الأبناء هنا هما الحسنان بلا ريب.

و تضمنت هذه الحادثة تصريحاً من الرسول بأنهم خير أهل الأرض و أكرمهم على الله، و لهذا فهو يباهل بهم، و اعترف أسقف نجران بذلك أيضاً قائلاً:

«أرى وجوها لو سأل الله بها أحد أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله» (٢).

و هكذا دلّت القصة كما دلّت الآية على عظيم منزلتهم و سموّ مكانتهم و أفضليتهم، و أنهم أحبّ الخلق الى الله و رسوله، و أنهم لا يدانهم في فضلهم أحد من العالمين.

و لم ينصّ القرآن الكريم على عصمه أحد غير النبيّ من المسلمين سوى أهل البيت (عليهم السّلام) الذين أراد الله أن يطهرهم من الرجس تطهيراً (٣).

و لئن اختلف المسلمون في دخول نساء النبيّ في مفهوم أهل البيت؛ فإنّهم لم يختلفوا قط في دخول عليّ و الزهراء و الحسين (عليهم السّلام) في ما تقصده الآية المباركة (٤).

ص: ٢٦

١- ((١)) آل عمران (٣): ٦١.

٢- ((٢)) نور الأبصار: ١٠٠، و راجع تفسير: الجلالين و روح البيان و الكشاف و البيضاوي و الرازي، و صحيح الترمذي: ١٦٦/٢، و سنن البيهقي: ٦٣/٧، و صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، و مسند أحمد: ٨٥/١، و مصابيح السنة: ٢٠١/٢.

٣- ((٣)) كما نصّت على ذلك الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

٤- ((٤)) راجع التفسير الكبير للفخر الرازي و تفسير النيسابوري، و صحيح مسلم: ٣٣/٢ و خصائص النسائي: ٤، و مسند أحمد: ١٠٧/٤، و سنن البيهقي: ١٥٠/٢، و مشكل الآثار: ٣٣٤/١، و مستدرک الحاكم: ٤١٦/٢، و اسد الغابه: ٥٢١/٥.

و من هنا نستطيع أن نفهم السرّ الكامن في وجوب موادّتهم و الالتزام بخطّهم و ترجيح حبّهم على حبّ من سواهم بنص الكتاب العزيز(١).

فإنّ عصمه أهل البيت (عليهم السّلام) أدلّ دليل على أنّ النجاه في متابعتهم حينما تتشعب الطرق و تختلف الأهواء، فمن عصمه الله من الرّجس و كان دالّاً على النجاه كان متّبعه ناجياً من الغرق.

و نصّ النّبىّ (صلّى الله عليه و اله) - كما عن ابن عباس - بأنّ آيه المودّه في القربى حينما نزلت و سأله بعض المسلمين عن المقصود من القرابه التي أوجبت على المسلمين طاعتهم بقوله: إنّهم عليّ و فاطمه و ابناهما(٢).

و لا يتركنا القرآن الحكيم حتّى يبيّن لنا أسباب هذا التفضيل في سورة «الدهر» التي نزلت لبيان عظمه الواقع النفسى الذى انطوى عليه أهل البيت عليهم السّلام و الإخلاص الذى تقترن به طاعتهم و عباداتهم بقوله تعالى: **إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَ لَا شُكُورًا** **إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبَّوْ سَاءً قَمَطِرٍ يَبِرًا** **فَوْقَاهُمْ اللَّهُ شَرٌّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَ لَقَاهُمْ نَصْرَةٌ وَ سُورًا** **وَ جَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَ حَرِيرًا** (٣).

لقد روى جمهور المفسّرين و المحدّثين أنّ هذه السورة المباركه نزلت في أهل البيت بعد ما مرض الحسنان، و نذر الإمام صيام ثلاثه أيام شكراً لله إن برئنا، فوفوا بندهرهم أيما وفاء، إنّه وفاء جسد أروع أنواع الإيثار حتّى نزل قوله تعالى: **إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا** **عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا** **يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَ يَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا** (٤) فشكر الله

ص: ٢٧

١- (١) قال تعالى في سورة الشورى الآيه ٢٣ مخاطباً رسوله الكريم: **قُلْ لَا أَشْتَكُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**. و قال في سورة سبأ: **مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ**.

٢- (٢) راجع التفسير الكبير، و تفسير الطبرى، و الدر المنثور في تفسير آيه المودّه.

٣- (٣) الانسان (٧٦): ٩-١٢.

٤- (٤) الانسان (٧٦): ٥-٧.

سعيهم على هذا الإيثار والوفاء بما أورثهم فى الآخرة و بما حباهم من الإمامه للمسلمين فى الدنيا حتّى يرث الأرض و من عليها.

٢-مكانه الإمام الحسين (عليه السلام) لدى خاتم المرسلين (صلى الله عليه و اله):

لقد خصّ الرسول الأعظم حفيديه الحسن و الحسين (عليهما السلام) بأوصاف تنبئ عن عظم منزلتهما لديه، فهما:

١-ريحانتاه من الدنيا و ريحانتاه من هذه الأمّة (١).

٢-و هما خير أهل الأرض (٢).

٣-و هما سيّدا شباب أهل الجنّة (٣).

٤-و هما إمامان قاما أو قعدا (٤).

٥-و هما من العتره (أهل البيت) التى لا تفترق عن القرآن الى يوم القيامة، و لن تضلّ أمّه تمسكت بهما (٥).

٦-كما أنّهما من أهل البيت الذين يضمنون لراكبى سفينتهم النجاه من الغرق (٦).

٧-و هما ممّن قال عنهم جدّهم: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق و أهل بيتى أمان لأهل الأرض من الاختلاف» (٧).

ص: ٢٨

١- (١) صحيح البخارى: ١٨٨/٢، و سنن الترمذى: ٥٣٩.

٢- (٢) عيون أخبار الرضا: ٦٢/٢.

٣- (٣) سنن ابن ماجه: ٥٦/١، و الترمذى: ٥٣٩.

٤- (٤) المناقب لابن شهر آشوب: ١٦٣/٣. نقلا عن مسند أحمد و جامع الترمذى و سنن ابن ماجه و غيرهم.

٥- (٥) جامع الترمذى: ٥٤١، و مستدرک الحاكم: ١٠٩/٣.

٦- (٦) حليه الأولياء: ٣٠٦/٤.

٧- (٧) مستدرک الحاكم: ١٤٩/٣.

٨- وقد استفاض الحديث عن مجموعه من أصحاب الرسول (صلى الله عليه و اله) أنهم قد سمعوا مقالته فيما يخصّ الحسين (عليهما السلام): «اللهم إنك تعلم أنّي أحبهما فأحبهما و أحبّ من يحبهما» (١).

٣- مكانه الإمام الحسين (عليه السلام) لدى معاصريه:

١- قال عمر بن الخطاب للحسين (عليه السلام): «فإنما أنبت ما ترى في رؤوسنا الله ثم أنتم» (٢).

٢- قال عثمان بن عفان في الحسن و الحسين (عليهما السلام) و عبد الله بن جعفر:

فطموا العلم فطما (٣) و حازوا الخير و الحكمه (٤).

٣- قال أبو هريره: دخل الحسين بن عليّ و هو معتم، فظننت أنّ النبيّ قد بعث (٥).

و كان (عليه السلام) في جنازه فأعيا، و قعد في الطريق، فجعل أبو هريره ينفض التراب عن قدميه بطرف ثوبه، فقال له: يا أبا هريره و أنت تفعل هذا، فقال له:

دعني، فو الله لو يعلم الناس منك ما أعلم لحملوك على رقابهم (٦).

٤- أخذ عبد الله بن عباس بركاب الحسن و الحسين (عليهما السلام)، فعوتب في ذلك، و قيل له: أنت أسنّ منهما! فقال: إنّ هذين ابنا رسول الله (صلى الله عليه و اله)، أ فليس

ص: ٢٩

١- (١) خصائص النساءى: ٢٦.

٢- (٢) الإصابه: ٣٣٣/١، و قال: سنده صحيح.

٣- (٣) فطموا العلم فطما: أى قطعوه عن غيرهم قطعاً، و جمعوه لأنفسهم جمعاً.

٤- (٤) الخصال: ١٣٦.

٥- (٥) بحار الأنوار: ٨٢/١٠.

٦- (٦) تاريخ ابن عساكر: ٣٢٢/٤.

من سعادتى أن آخذ بركابهما(١)؟

و قال له معاويه بعد وفاه الحسن (عليه السلام): يا ابن عباس أصبحت سيد قومك، فقال: أما ما أبقي الله أبا عبد الله الحسين فلا(٢).

٥- قال أنس بن مالك- وكان قد رأى الحسين (عليه السلام)-: كان أشبههم برسول الله (صلى الله عليه و اله) (٣).

٦- قال زيد بن أرقم لابن زياد- حين كان يضرب شفتى الحسين (عليه السلام)-:

اعل بهذا القضيب، فوالله الذى لا إله غيره، لقد رأيت شفتى رسول الله (صلى الله عليه و اله) على هاتين الشفتين يقبلهما، ثم بكى.

فقال له ابن زياد: أبكى الله عينك، فوالله لو لا أنك شيخ قد خرفت لضربت عنقك، فخرج و هو يقول: أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم! قتلتم

الحسين ابن فاطمه و أمّرت ابن مرجانه! فهو يقتل خياركم و يستبقى شراركم (٤).

٧- قال أبو برزه الأسلمى ليزيد حينما رآه ينكت ثغر الحسين (عليه السلام):

أتنكت بقضيبك فى ثغر الحسين؟! أما لقد أخذ قضيبك فى ثغره مأخذاً لربما رأيت رسول الله صلى الله عليه و اله يرشفه. أما إنك يا يزيد

تجىء يوم القيامة و ابن زياد شفيحك! و يجىء هذا و محمد شفيعه (٥).

٨- و حين قال معاويه لعبد الله بن جعفر: أنت سيد بنى هاشم؟ أجابه

ص: ٣٠

١- ((١) تاريخ ابن عساکر: ٣٢٢/٤.

٢- ((٢) حياه الإمام الحسين، للقرشى: ٥٠٠/٢.

٣- ((٣) أعيان الشيعة: ٥٦٣/١.

٤- ((٤) اسد الغابه: ٢١/٢.

٥- ((٥) الحسن و الحسين سبطا رسول الله: ١٩٨.

قائلا: سيّد بنى هاشم حسن و حسين (١).

و كتب اليه: إن هلك اليوم طفئ نور الإسلام فإنك علم المهتدين و رجاء المؤمنين (٢).

٩- سأل رجل عبد الله بن عمر عن دم البعوض يكون في الثوب أفيصلى فيه؟ فقال له: ممّن أنت؟ قال: من أهل العراق، فقال ابن عمر: انظروا الى هذا، يسألني عن دم البعوض و قد قتلوا ابن رسول الله (صلى الله عليه و اله) و قد سمعت رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول: هما ريحانتاي من الدنيا (٣).

١٠- قال محمد بن الحنفية: إنّ الحسين أعلمنا علما، و أثقلنا حلما، و أقربنا من رسول الله (صلى الله عليه و اله) رحما، كان إماما فقيها... (٤).

١١- مرّ الحسين (عليه السلام) بعمر بن العاص و هو جالس في ظلّ الكعبة فقال: هذا أحب أهل الأرض الى أهل الأرض و الى أهل السماء اليوم (٥).

١٢- قال عبد الله بن عمرو بن العاص و قد مرّ عليه الحسين (عليه السلام): من أحبّ أن ينظر الى أحبّ أهل الأرض الى أهل السماء فليظر الى هذا المجتاز (٦).

١٣- و حين أشار يزيد على أبيه معاوية أن يكتب للحسين (عليه السلام) جوابا عن كتاب كتبه له، على أن يصغّر فيه الحسين (عليه السلام)، قال معاوية رادّا عليه: و ما

ص: ٣١

١- ((١)) الحسن بن عليّ لكامل سليمان: ١٧٣.

٢- ((٢)) البدايه و النهايه: ١٦٧/٨.

٣- ((٣)) تاريخ ابن عساكر: ٣١٤/٤.

٤- ((٤)) بحار الأنوار: ١٤٠/١٠.

٥- ((٥)) تاريخ ابن عساكر: ٣٢٢/٤.

٦- ((٦)) بحار الأنوار: ٨٣/١٠.

عسيت أن أعيب حسيناً، و الله ما أرى للعب فيه موضعاً (١).

١٤- قال الوليد بن عتبة بن أبي سفيان (والى المدينة) لمروان بن الحكم- لَمَّا أشار عليه بقتل الحسين (عليه السّلام) إذا لم يبايع-: و الله يا مروان ما أحبُّ أن لى الدنيا و ما فيها و أتى قتلت الحسين. سبحان الله! أقتل حسيناً إن قال لا ابايع؟ و الله إني لأظنّ أنّ من يقتل الحسين يكون خفيف الميزان يوم القيامة (٢).

١٥- لَمَّا قبض ابن زياد على قيس بن مسهر الصيداوى- رسول الحسين (عليه السّلام) الى أهل الكوفة- أمره أن يصعد المنبر و يسبّ الحسين و أباه، فصعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنّ هذا الحسين بن على، خير خلق الله، و هو ابن فاطمه بنت رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، و أنا رسوله اليكم، و قد فارقت بالحاجر من بطن ذى الرمة فأجيبوه، و اسمعوا له و أطيعوا. ثم لعن عبيد الله بن زياد و أباه، و استغفر لعلّى و الحسين. فأمر به ابن زياد، فألقى من رأس القصر، فتقطّع (٣).

١٦- من خطبه ليزيد بن مسعود النهشلى (رحمه الله): و هذا الحسين بن على ابن رسول الله (عليه السّلام)، ذو الشرف الأصيل، و الرأى الأثيل، له فضل لا- يوصف، و علم لا- ينزف، و هو أولى بهذا الأمر لسابقته و سنّه و قدمه و قرابته. يعطف على الصغير، و يحنو على الكبير. فأكرم به راعى رعيتّه، و إمام قوم و جبت لله به الحجّه، و بلغت به الموعظه (٤).

ص: ٣٢

١- ((١)) أعيان الشيعة: ٥٨٣/١.

٢- ((٢)) البدايه و النهايه: ١٤٧/٨.

٣- ((٣)) المصدر السابق: ١٦٨/١٨.

٤- ((٤)) أعيان الشيعة: ٥٩٠/١.

١٧- قال عبد الله بن الحرّ الجعفي: ما رأيت أحدا قط أحسن ولا أملاً للعين من الحسين (١).

١٨- قال إبراهيم النخعي: لو كنت فيمن قاتل الحسين ثم ادخلت الجنة لاستحييت أن أنظر الى وجه رسول الله (صلى الله عليه و اله) (٢).

٤- الإمام الحسين (عليه السلام) عبر القرون و الأجيال:

١- قال الربيع بن خيثم لبعض من شهد قتل الحسين (عليه السلام): و الله لقد قتلتهم صفوه لو أدركهم رسول الله (صلى الله عليه و اله) لقبيل أفواهم، و أجلسهم في حجره (٣).

٢- قال ابن سيرين: لم تبك السماء على أحد بعد يحيى بن زكريا إلا على الحسين (عليه السلام)، و لما قتل اسودت السماء، و ظهرت الكواكب نهاراً، حتى رؤيت الجوزاء عند العصر، و سقط التراب الأحمر، و مكثت السماء سبعة أيام بلياليها كأنها علقه (٤).

٣- قال على جلال الحسيني: السيد الزكي الإمام أبو عبد الله الحسين (عليه السلام) ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) و ريحانته، و ابن أمير المؤمنين على كرم الله وجهه، و شأن بيت النبوة له أشرف نسب و أكمل نفس، جمع الفضائل و مكارم الأخلاق و محاسن الأعمال، من علو الهمة، و منتهى الشجاعه، و أقصى غايه الجود، و أسرار العلم، و فصاحه اللسان، و نصره الحق، و النهي عن المنكر، و جهاد الظلم، و التواضع عن عز، و العدل، و الصبر، و الحلم، و العفاف، و المروءه، و الورع و غيرها.

ص: ٣٣

١- ((١) أعيان الشيعة: ٤/ق ١١٨/١.

٢- ((٢) الإصابه: ٣٣٥/١.

٣- ((٣) بحار الأنوار: ٧٩/١٠.

٤- ((٤) تاريخ ابن عساكر: ٣٣٩/٤.

و اختصّ بسلامه الفطره، و جمال الخلقه، و رجاحه العقل، و قوه الجسم، و أضاف الى هذه المحامد كثره العباده و أفعال الخير، كالصلاه و الحج و الجهاد فى سبيل الله و الإحسان. و كان إذا أقام بالمدينه أو غيرها مفيدا بعلمه، مرشدا بعمله، مهذبًا بكريم أخلاقه، و مؤدبًا ببلغ بيانه، سخيا بماله، متواضعا للفقراء، معظما عند الخلفاء، موصلا للصدقه على الأيتام و المساكين، منتصفا للمظلومين، مشغلا بعبادته، مشى من المدينه على قدميه الى مكه حاجًا خمسًا و عشرين مره...

كان الحسين فى وقته علم المهتدين و نور الأرض، فأخبار حياته فيها هدى للمسترشدين بأنوار محاسنه المقتفين آثار فضله (١).

٤- قال محمد رضا المصرى: هو ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله)، و علم المهتدين، و رجاء المؤمنين (٢).

٥- قال عمر رضا كحاله: الحسين بن على، و هو سيد أهل العراق فقها و حالا و جودا و بذلا (٣).

٦- قال عبد الله العلايلى: جاء فى أخبار الحسين: أنه كان صورته احتبكت ظلالها من أشكال جدّه العظيم، فأفاض النبى (صلى الله عليه و اله) إشعاعه غامره من حبه، و أشياء نفسه، ليتم له أيضا من وراء الصورة معناها فتكون حقيقه من بعد كما كانت من قبل إنسانيه ارتقت الى نبوه (أنا من حسين) و نبوه هبطت الى إنسانيه (حسين منى) فسلام عليه يوم ولد (٤).

٧- قال عباس محمود العقاد: مثل للناس فى حلّه من النور تخشع لها

ص: ٣٤

١- ((١)) راجع كتابه «الحسين» (عليه السلام): ٦/١. و راجع أيضا: مجمع الزوائد: ٢٠١/٩ و بحار الأنوار: ١٩٣/٤٤.

٢- ((٢)) الحسن و الحسين سبطا رسول الله (صلى الله عليه و اله): ٧٥.

٣- ((٣)) أعلام النساء: ٢٨/١.

٤- ((٤)) تاريخ الحسين (عليه السلام): ٢٢٦.

الأبصار، و بآء بالفخر الذى لا- فخر مثله فى تواريخ بنى الإنسان، غير مستثنى منهم عربى و لا عجمى، و قديم و حديث، فليس فى العالم اسره أنجبت من الشهداء من أنجبتهم اسره الحسين عدّه و قدره و ذكره، و حسبه أنّه وحده فى تأريخ هذه الدنيا الشهيد ابن الشهيد أبو الشهداء فى مئات السنين (١).

٨- قال عمر أبو النصر: هذه قصه اسره من قريش. حملت لواء التضحيه و الاستشهاد و البطوله من مشرق الأرض الى مغربها. قصه ألف فصولها شباب ما عاشوا كما عاش الناس، و لا ماتوا كما مات الناس، ذلك أنّ الله شرف هذه الجماعه من خلقه بأن جعل النبوه و الوحي و الإلهام فى منازلها، و زاد ندى فلم يشأ لها حظّ الرجل العادى من عباده، و إنّما أرادها للتشريد و الاستشهاد، و أرادها للمثل العليا من الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و كتب لها أن تتزعم لواء التقوى و الصلاح الى آخر ما يكون من ذريتها (٢).

٩- قال عبد الحفيظ أبو السعود: عنوان النضال الحرّ، و الجهاد المستميت، و الاستشهاد فى سبيل المبدأ و العقيدة، و عدم الخضوع لجور السلطان و بغى الحاكمين (٣).

١٠- قال أحمد حسن لطفى: إنّ الموت الذى كان ينشده فيها كان يمثّل فى نظره مثلاً أروع من كلّ مثل الحياه، لأنّه الطريق الى الله الذى منه المبتدأ و اليه المنتهى، و لأنّه السبيل الى الانتصار و الى الخلود، فهو أعظم بطل ينتصر بالموت على الموت (٤).

ص: ٣٥

١- ((١)) أبو الشهداء الحسين بن عليّ (عليهما السلام): ١٥٠، طبعه النجف، مطبعه الغرى الحديثه.

٢- ((٢)) آل محمد فى كربلاء: ٣٠.

٣- ((٣)) سبطا رسول الله الحسن و الحسين: ١٨٨.

٤- ((٤)) الشهيد الخالد الحسين بن عليّ: ٤٧.

إشارة

مظاهر من شخصيه الإمام الحسين (عليه السلام)

ولد الإمام الحسين بن عليّ (عليهما السلام) في بيت كان محطّ الملائكة و مهبط التنزيل، في بقعه طاهره تتصل بالسماء طوال يومها بلا انقطاع، و تتناغم مع أنفاسه آيات القرآن التي تتلى آناء الليل و النهار، و ترعرع بين شخصيات مقدّسه تجلّت بآيات الله، و نهل من نيمير الرساله عذب الارتباط مع الخالق، و صاغ لبنات شخصيته نبي الرحمة (صلّى الله عليه و اله) بفيض مكارم أخلاقه و عظمه روحه.

فكان الحسين (عليه السلام) صورته لمحمّد (صلّى الله عليه و اله) في أمته، يتحرّك فيها على هدى القرآن، و يتحدّث بفكر الرساله، و يسير على خطى جدّه العظيم لبيّين مكارم الأخلاق، و يرعى للامه شؤونها، و لا يغفل عن هدايتها و نصحتها و نصرتها، جاعلا من نفسه المقدسه انموذجا حيا لما أرادته الرساله و الرسول، فكان (عليه السلام) نور هدى للضالّين و سلسيلا عذبا للراغبين و عمادا يستند إليه المؤمنون و حجّه يركن اليها الصالحون، و فيصل حقّ إذ يتخاصم المسلمون، و سيف عدل يغضب لله و يثور من أجل الله. و حين نهض كان بيده مشعل الرساله الذي حمّله جدّه النبي (صلّى الله عليه و اله) يدافع عن دينه و رسالته العظيمه.

و من الإمعان في شخصيه الإمام الحسين (عليه السلام) الفدّه تتلمّس المظاهر التاليه:

١- تواضعه (عليه السلام):

جبل أبو عبد الله الحسين (عليه السلام) على التواضع و مجافاه الأنايه، و هو صاحب النسب الرفيع و الشرف العالى و المنزله الخصيصه لى الرسول (صلّى الله عليه و اله)، فكان (عليه السلام) يعيش فى الامه لا يأنف من فقيرها و لا يترفع على ضعيفها و لا يتكبر على أحد فيها، يقتدى بجده العظيم المبعوث رحمه للعالمين، يبتغى بذلك رضا الله و تربيته الامه، و قد نقلت عنه (عليه السلام) مواقف كثيره تعامل فيها مع سائر المسلمين بكل تواضع مظهرها سماحه الرساله و لطف شخصيته الكريمه، و من ذلك:

إنه (عليه السلام) قد مرّ بمساكين و هم يأكلون كسرا (خبزا يابساً) على كساء، فسلم عليهم، فدعوه الى طعامهم فجلس معهم و قال: لولا أنه صدقه لأكلت معكم. ثم قال: قوموا الى منزلى، فأطعمهم و كساهم و أمر لهم بدراهم.

و روى: أنه (عليه السلام) مرّ بمساكين يأكلون فى الصّفه، فقالوا: الغداء، فقال (عليه السلام): إن الله لا يحب المتكبرين، فجلس و تغدى معهم ثم قال لهم: قد أجبتمكم فأجيبونى، قالوا: نعم، فمضى بهم الى منزله و قال لزوجته: أخرجى ما كنت تدخرين (١).

٢- حلمه و عفوه (عليه السلام):

تأذّب الحسين السبط (عليه السلام) بأداب النبوه، و حمل روح جده الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و اله) يوم عفى عن حاربه و وقف ضد الرساله الإسلاميه، لقد كان قلبه يتسع لكلّ الناس، و كان حريصاً على هدايتهم متغاضياً فى هذا السبيل

ص: ٣٨

١- (١) أعيان الشيعة: ٥٨٠/١، تاريخ ابن عساكر: ترجمه الإمام الحسين (عليه السلام) حديث ١٩٦، و تفسير البرهان: ٣٦٣/٢.

عن إساءة جاهلهم، يحدوه رضا الله تعالى، يقرب المذنبين ويطمئنهم ويزرع فيهم الأمل برحمة الله، فكان لا يردّ على مسيء إساءة بل يحنو عليه و يرشده الى طريق الحقّ و ينقذه من الضلال.

فقد روى عنه (عليه السّلام) أنّه قال: «لو شتمنى رجل في هذه الاذن - أو ما الى اليمنى - و اعتذر لى فى اليسرى لقبلت ذلك منه، و ذلك أنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب (عليه السّلام) حدّثنى أنّه سمع جدّى رسول الله (صلّى الله عليه و اله) يقول: لا يرد الحوض من لم يقبل العذر من محق أو مبطل (١).

كما روى أنّ غلاما له جنى جنايه كانت توجب العقاب، فأمر بتأديبه فانبرى العبد قائلا: يا مولاي و الكاظمين الغيظ، فقال (عليه السّلام): خلّوا عنه، فقال:

يا مولاي و العافين عن الناس، فقال (عليه السّلام): قد عفوت عنك، قال: يا مولاي و الله يحب المحسنين، فقال (عليه السّلام): أنت حرّ لوجه الله و لك ضعف ما كنت أعطيك (٢).

٣- جوده و كرمه (عليه السّلام):

و بنفس كبيره كان الإمام الحسين بن علي (عليهما السّلام) يعين الفقراء و المحتاجين، و يحنو على الأراامل و الأيتام، و يثلج قلوب الوافدين عليه، و يقضى حوائج السائلين من دون أن يجعلهم يشعرون بذلّ المسأله، و يصل رحمة دون انقطاع، و لم يصله مال إلا فرقه و أنفقه و هذه سجيّه الجواد و شنشنه الكريم و سمه ذى السماحه.

فكان يحمل فى دجى الليل البهيم جرابا مملوء طعاما و نقودا الى منازل الأراامل و اليتامى حتّى شهد له بهذا الكرم معاويه بن أبى سفيان، و ذلك حين

ص: ٣٩

١- ((١)) إحقاق الحقّ: ٤٣١/١١.

٢- ((٢)) كشف الغمّه: ٣١/٢، و الفصول المهمه لابن الصّبّاغ: ١٦٨ مع اختلاف يسير، و أعيان الشيعه: ٥٣/٤.

بعث لعدّه شخصيات بهدايا، فقال متنبئا: أما الحسين فيبدأ بأيتام من قتل مع أبيه بصقّين، فإن بقي شيء نحر به الجزور و سقى به اللبن (١).

و فى موقف مفعم بالطف و الإنسانيه و الحنان جعل العتق ردا للتحية، فقد روى عن أنس أنه قال:

كنت عند الحسين فدخلت عليه جاريه بيدها طاقه ريحان فحيتته بها، فقال لها: أنت حرّ لوجه الله تعالى. و انبهر أنس و قال: جاريه تجيئك بطاقه ريحان فتعتقها؟! فقال (عليه السلام): كذا أذنا الله، قال تبارك و تعالى: وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّهِ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا، و كان أحسن منها عتقها (٢).

و من كرمه و عفوه أنه وقف (عليه السلام) ليقضى دين اسامه بن زيد و ليفرّج عن همّه الذى كان قد اعتراه و هو فى مرضه (٣)، رغم أنّ اسامه كان قد وقف فى الصفّ المناوى لأبيه أمير المؤمنين (عليه السلام).

و وقف ذات مرّه سائل على باب الحسين (عليه السلام) و أنشد قائلا:

لم يخب الآن من رجاك حرّك من دون بابك الحلقة

أنت جواد أنت معتمد أبوك قد كان قاتل الفسقه

فأسرع اليه الإمام الحسين (عليه السلام) و ما أن وجد أثر الفاقه عليه حتّى نادى بقنبر و قال متسائلا: ما تبقي من نفقتنا؟ قال: مائتا درهم أمرتنى بتفرقتها فى أهل بيتك، فقال (عليه السلام): هاتها فقد أتى من هو أحقّ بها منهم، فأخذها و دفعها الى السائل معتذرا منه، و أنشد قائلا:

خذها فإنّى اليك معتذر و اعلم بأنّى عليك ذو شفقه

لو كان فى سيرنا الغداه عصا أمست سمانا عليك مندفته

ص: ٤٠

١- (١) حياه الإمام الحسين: ١٢٨/١ عن عيون الأخبار.

٢- (٢) كشف الغمّه: ٣١/٢، و الفصول المهمه: ١٦٧.

٣- (٣) بحار الأنوار: ١٨٩/٤٤، و مناقب آل أبى طالب: ٦٥/٤.

لكن ريب الزمان ذو غير و الكف منى قلبه النفقه

فأخذها الأعرابي شاكرا و هو يدعو له (عليه السلام) بالخير، و أنشد مادحا:

مطهرون نقيات جيوبهم تجرى الصلاه عليهم أينما ذكروا

و أنتم أنتم الأعلون عندكم علم الكتاب و ما جاءت به السور

من لم يكن علويًا حين تنسبه فما له في جميع الناس مفتخر(1)

٤- شجاعته (عليه السلام):

إنّ المرء ليعجز عن الوصف و القول حين يطالع صفحه الشجاعه من شخصيه الإمام الحسين (عليه السلام) فإنّه ورثها عن آباءه و تربى عليها و نشأ فيها، فهو من معدنها و أصلها، و هو الشجاع في قول الحقّ و المستبسل للدفاع عنه، فقد ورث ذلك عن جدّه العظيم محمّد (صلّى الله عليه و اله) الذي وقف أمام قوّه مشركه حتّى انتصر عليها بالعقيد و الإيمان و الجهاد في سبيل الله تعالى.

و وقف مع أبيه -أمير المؤمنين (عليه السلام) - يعيد الإسلام حاكمًا، و ينهض بالأمه في طريق دعوتها الخالصه، يصارع قوى الضلال و الانحراف بالقول و الفعل و قوه السلاح ليعيد الحقّ الى نصابه.

و وقف مع أخيه الإمام الحسن (عليه السلام) موقف الأبطال المضحين من أجل سلامه الأمه و نجاه الصفوه المؤمنه المؤمنه المتمسكه بنهج الرساله الإسلاميه.

و وقف صامدا حين تقاعست جماهير المسلمين عن نصره دينها أمام جبروت معاويه و ضلاله و أزلامه و التيار الذي قاده لتشويه الدين القويم.

و لم يخش كلّ التهديدات و لا ما كان يلوح في الافق من نهايه مأساويه

ص: ٤١

١- ((١)) تاريخ ابن عساكر: ٣٢٣/٤، و مناقب آل أبي طالب: ٤/٦٥.

نتيجة الخروج لطلب الإصلاح و إحياء رساله جدّه النبي (صلى الله عليه و اله) و الوقوف في وجه الظلم و الفساد، فخرج و هو مسلم لأمر الله و ساع لابتغاء مرضاته، و ها هو (عليه السلام) يردّ على الحرّ بن يزيد الرياحي حين قال له: اذكرك الله في نفسك فإنّي أشهد لئن قاتلت لتقتلنّ، و لئن قوتلت لتهلكنّ، فقال له الإمام أبو عبد الله (عليه السلام):

أ بالموت تخوّفتني؟ و هل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني؟ ما أدري ما أقول لك؟ و لكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمّه:

سأمضى و ما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى خيرا و جاهد مسلما

و واسى رجالا صالحين بنفسه و خالف مشورا و فارق مجرما

فإن عشت لم أندم و إن متّ لم ألم كفى بك ذلا أن تعيش و ترغما (١)

و وقف (عليه السلام) يوم الطّفّ موقفا حثّير به الألباب و أذهل به العقول، فلم ينكسر أمام جليل المصاب حتّى عند ما بقى وحيدا، فقد كان طودا شامخا لا يدنو منه العدو هيبه و خوفا رغم جراحاته الكثيره حتى شهد له عدوّه بذلك، فقد قال حميد بن مسلم:

فوالله ما رأيت مكثورا قطّ قد قتل ولده و أهل بيته و أصحابه أربط جأشا و لا أمضى جنانا منه، إن كانت الرجاله لتشدّ عليه فيشد عليها بسيفه فيكشفهم عن يمينه و شماله انكشاف المعزى إذا اشتد عليها الذنب (٢).

٥- إباؤه (عليه السلام):

لقد تجلّت صورته الثائر المسلم بأبهى صورها و أكملها في إباء الإمام

ص: ٤٢

١- (١) تاريخ الطبري: ٤/٢٥٤، و الكامل في التاريخ: ٣/٢٧٠.

٢- (٢) اعلام الوري: ١/٤٦٨، و تاريخ الطبري: ٥/٥٤٠.

الحسين (عليه السلام) ورفضه للصبر على الحيف و السكوت على الظلم، فسُنَّ بذلك للأجيال اللاحقه سنّه الإباء و التضحية من أجل العقيدة و فى سبيلها، حين وقف ذلك الموقف الرسالى العظيم يهزّ الامّه و يشجّعها أن لا- تموت هوانا و ذلاً، رافضاً بيعه الطليق ابن الطليق يزيد بن معاويه قائلاً: «إنّ مثلى لا يبايع مثله».

و ها هو يصرّح لأخيه محمد بن الحنفية مجسّداً ذلك الإباء بقوله (عليه السلام):

«يا أخى! والله لو لم يكن فى الدنيا ملجأ و لا مأوى لما بايعت يزيد بن معاويه»^(١).

و رغم أنّ الشيطان كان قد استحكّم على ضمائر الناس فأماتها حتّى رضيت بالهوان، لكن الإمام الحسين (عليه السلام) وقف صارخاً بوجه جحافل الشرّ و الظلم من جيوش الردّه الامويه قائلاً: «و الله لا اعطيكم بيدي إعطاء الذليل و لا أقرّ إقرار العبيد، إنى عدت برّبى و ربّكم أن ترجمون»^(٢).

لقد كانت كلمات الإمام أبى عبد الله الحسين (عليه السلام) تعبّر عن أسمى مواقف أصحاب المبادئ و القيم و حمله الرسالات، كما تنمّ عن عزته و اعتداده بالنفس، فقد قال (عليه السلام):

«ألا- و إنّ الدعى ابن الدعى قد ركز بين اثنتين بين السلّة و الذلّه، و هيهات منّا الذلّه، يأبى الله ذلك و رسوله و المؤمنون، و حجور طابت و طهرت، و انوف حميّة، و نفوس أبيّه من أن تؤثّر طاعه اللئام على مصارع الكرام»^(٣).

و هكذا علّم الإمام الحسين (عليه السلام) البشريه كيف يكون الإباء فى المواقف و كيف تكون التضحية من أجل الرساله.

ص: ٤٣

١- ((١)) الفتوح لابن أعمش: ٢٣/٥، و مقتل الحسين للخوارزمى: ١/١٨٨، و بحار الأنوار: ٣٢٩/٤٤.

٢- ((٢)) مقتل الحسين للمقرّم: ٢٨٠، و تاريخ الطبرى: ٣٣٠/٤، و إعلام الورى: ٤٥٩/١، و أعيان الشيعة: ٦٠٢/١.

٣- ((٣)) أعيان الشيعة: ٦٠٣/١، و الاحتجاج: ٢٤/٢، و مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمى: ٦/٢.

٦- الصراحه و الجراه فى الإصحار بالحق:

لقد كانت نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) و ثورته بركانا تفجّر فى تاريخ الرساله الإسلاميه و زلزالا صاخبا أيقظ ضمير المتقاعسين عن نصره الحق، و الكلمه الطيبه التى دعت كلّ الثائرين و المخلصين للعقيده و الرساله الإسلاميه إلى مواصله المسيره فى بناء المجتمع الصالح وفق ما أراد الله تعالى و رسوله (صلّى الله عليه و اله).

و قد نهج الإمام الحسين (عليه السلام) منهج الصراحه و المكاشفه موضّحا للامه الخلل و الزيغ و الطريق الصحيح، فها هو بكل جراه يقف أمام الطاغيه يحذّره و يمنعه عن التمادى فى الغيّ و الفساد... فهذه كتبه (عليه السلام) الى معاويه واضحه لا لبس فيها ينذره و يحذّر من الاستمرار فى ظلمه و يكشف للامه مدى ضلّاته و فساده^(١).

و بكلّ صراحه و قوه رفض البيعه ليزيد بن معاويه، و قال موضّحا للوليد ابن عتبه حين كان واليا ليزيد: «إنّا أهل بيت النبوه، و معدن الرساله، و مختلف الملائكه و محل الرحمه، بنا فتح الله و بنا ختم، و يزيد فاسق فاجر، شارب للخمر، قاتل النفس المحترمه، معلن بالفسق و الفجور، و مثلى لا يبايع مثله»^(٢).

و كانت صراحته ساطعه مع أصحابه و من أعلن عن نصرته، ففى أثناء المسير باتجاه الكوفه وصله نبأ استشهاد مسلم بن عقيل و خذلان الناس له، فقال (عليه السلام) للذين اتبعوه طلبا للعافيه: «قد خذلنا شيعتنا فمن أحبّ منكم الانصراف فلينصرف غير حرج، ليس عليه ذمام»^(٣).

ص: ٤٤

١- ((١)) الإمامه و السياسه: ١٨٩/١ و ١٩٥.

٢- ((٢)) الفتوح: ١٤/٥، و مقتل الحسين للخوارزمي: ١٨٤/١، و بحار الأنوار: ٣٢٥/٤٤.

٣- ((٣)) الإرشاد: ٧٥/٢، و تاريخ الطبرى: ٣٠٣/٣، و البدايه و النهايه: ١٨٢/٨، و بحار الأنوار: ٣٧٤/٤٤.

فتفرّق عنه ذوو الأطماع و ضعاف اليقين، و بقيت معه الصفوه الخيره من أهل بيته و أصحابه، و لم يخادع و لم يداهن في الوقت الذي كان يعزّ فيه الناصر.

و قبل وقوع المعركه أذن لكل من كان قد تبعه من المخلصين في الانصراف عنه قائلاً: «إني لا أعلم أصحاباً أصح منكم و لا أعدل و لا أفضل أهل بيت، فجزاكم الله عني خيراً، فهذا الليل قد أقبل فقوموا و اتخذوه جملاً، و ليأخذ كل رجل منكم بيد صاحبه أو رجل من إختي و تفرّقوا في سواد هذا الليل، و ذروني و هؤلاء القوم، فإنهم لا يطلبون غيري، و لو أصابوني و قدروا على قتلي لما طلبوكم» (١).

و الحق أنّ من يطالع كلّ تفاصيل نهضة الإمام الحسين (عليه السّلام) سيجد الصدق و الصراحه و الجرأه في كلّ قول و فعل في جميع خطوات نهضته المباركه.

٧- عبادته و تقواه (عليه السّلام):

إشاره

ما انقطع أبو عبد الله الحسين (عليه السّلام) عن الاتّصال برّبّه في كلّ لحظاته و سكناته، فقد بقي يجسّد اتّصاله هذا بصيغه العباده لله، و يوثّق العرى مع الخالق جلّت قدرته، و يشدّ التضحيه بالطاعه الإلهيه متفانيا في ذات الله و من أجله، و قد كانت عبادته ثمره معرفته الحقيقيه بالله تعالى.

و إنّ نظره واحده الى دعائه (عليه السّلام) في يوم عرفه تبرهن على عمق هذه المعرفه و شدّه العلاقه مع الله تعالى، و ننقل مقطعا من هذا الدعاء العظيم:

قال (عليه السّلام): «كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟! أيكون لغيرك من

ص: ٤٥

١- ((١)) الفتوح: ١٠٥/٥، و تأريخ الطبري: ٣/٣١٥، و أعيان الشيعة: ١/٦٠٠.

الظهور ما ليس لك حتّى يكون هو المظهر لك؟! متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدلّ عليك؟! و متى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل اليك؟! اعميت عين لا تراك عليها رقيباً، و خسرت صفقه عبد لم تجعل له من حبّك نصيباً...

إلهي هذا ذلّي ظاهر بين يديك، و هذا حالي لا يخفى عليك. منك أطلب الوصول اليك، و بك استدلّ عليك، فاهدني بنورك اليك، و أقمني بصدق العبوديه بين يديك...

أنت الذي أشرقت الأنوار في قلوب أوليائك حتّى عرفوك و وحيّدوك، و أنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبائك حتّى لم يحبّوا سواك و لم يلجأوا الي غيرك، أنت المؤمنس لهم حيث أو حشتمهم العوالم...

ماذا وجد من فقدك؟! و ما الذي فقد من وجدك؟!!

لقد خاب من رضى دونك بدلاً، و لقد خسر من بغى عنك متحوّلاً...

يا من أذاق أحبّاءه حلاوه المؤمنسه فقاموا بين يديه متملّقين، و يا من ألبس أوليائه ملابس هيئته فقاموا بين يديه مستغفرين...» (١).

و لقد بدا عليه عظيم خوفه من الله و شدّه مراقبته له حتّى قيل له: ما أعظم خوفك من ربّك! فقال (عليه السّلام): «لا يأمن يوم القيامه إلا من خاف من الله في الدنيا» (٢).

صور من عبادته (عليه السّلام):

إنّ العباده لأهل بيت النبوه (عليهم السّلام) هي وجود و حياه، فقد كانت لذّتهم في مناجاتهم لله تعالى، و كانت عبادتهم له متّصله في الليل و النهار و في السّرّ و العلن، و الإمام الحسين (عليه السّلام) - و هو أحد أعمده هذا البيت الطاهر - كان يقوم

ص: ٤٦

١- ((المنتخب الحسنی للأدعيه و الزيارات: ٩٢٤-٩٢٥.

٢- ((بحار الأنوار: ١٩٠/٤٤.

بين يدي الجبار مقام العارف المتيقن و العالم العابد، فإذا توضع لوناً تغير لونه و ارتعدت مفاصله، فليل له في ذلك فقال (عليه السلام): «حق لمن وقف بين يدي الجبار أن يصفّر لونه و ترتعد مفاصله» (١).

و حرص (عليه السلام) على أداء الصلاة في أخرج المواقف، حتى وقف يؤدى صلاة الظهر في قمة الملحمة في اليوم العاشر من المحرم (٢) و جيوش الضلاله تحيط به من كل جانب و ترميه من كل صوب.

و كان (عليه السلام) يخرج متذللًا لله ساعيا الى بيته الحرام يؤدى مناسك الحجّ بخشوع و تواضع، حتى حجّ خمسا و عشرين حجّه ماشيا على قدميه (٣).

و قد اشتهرت بين محدثي الشيعة و مختلف طبقاتهم مواقف الخاشعة في عرفات أيام موسم الحجّ، و مناجاته الطويله لربه و هو واقف على قدميه في مسيره الجبل و الناس حوله.

لقد كان (عليه السلام) كثير البرّ و الصدقه، فقد روى أنه ورث أرضا و أشياء فتصدّق بها قبل أن يقبضها، و كان يحمل الطعام في غلس الليل الى مساكين أهل المدينه لم يتنغ بذلك إلا الأجر من الله و التقرب اليه (٤).

ص: ٤٧

١- (١) جامع الأخبار: ٧٦، و راجع: إحقاق الحق: ١١/٤٢٢.

٢- (٢) ينابيع الموده: ٤١٠، و مقتل الحسين للخوارزمي: ١٧/٢.

٣- (٣) سير أعلام النبلاء: ٣/١٩٣، و مجمع الزوائد: ٩/٢٠١.

٤- (٤) حياه الإمام الحسين (عليه السلام): ١/١٣٥.

الباب الثاني

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

نشأه الإمام الحسين (عليه السلام) الفصل الثاني:

مراحل حياة الإمام الحسين (عليه السلام) الفصل الثالث:

الإمام الحسين (عليه السلام) من الولادة الى الإمامه

ص: ٤٩

إشاره

نشأه الإمام الحسين (عليه السلام)

هو أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ثالث أئمه أهل البيت الطاهرين، و ثاني سبطي رسول الله (صلى الله عليه و اله) و سيد شباب أهل الجنة، و ربحانه المصطفى، و أحد الخمسه أصحاب العبا و سيد الشهداء، و امه فاطمه (عليها السلام) بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله).

تأريخ الولاده:

أكد أغلب المؤرخين أنه (عليه السلام) ولد بالمدينه في الثالث من شعبان في السنه الرابعه من الهجره (١).

و تمه مؤرخون أشاروا الى أن ولادته (عليه السلام) كانت في السنه الثالثه (٢).

رؤيا ام أيمن:

أول رسول الله (صلى الله عليه و اله) رؤيا للسيدة ام أيمن - كانت قد فرعت منها حين

ص: ٥١

١- ((١)) تأريخ ابن عساكر: ٣١٣/١٤، و مقاتل الطالبين: ٧٨، و مجمع الزوائد: ١٩٤/٩، و اسد الغابه: ١٨/٢، و الإرشاد: ١٨.

٢- ((٢)) اصول الكافي: ٤٦٣/١، و الاستيعاب المطبوع على هامش الإصابه: ٣٧٧/١.

رأت أنّ بعض أعضائه (صلى الله عليه و اله) ملقى في بيتها-بولاده الحسين (عليه السلام) الذي سيحلّ في بيتها صغيرا للرضاعه، فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال:

أقبل جيران أمّ أيمن الى رسول الله (صلى الله عليه و اله) فقالوا: يا رسول الله، إنّ أمّ أيمن لم تنم البارحة من البكاء، لم تنزل تبيكى حتى أصبحت، فبعث رسول الله الى أمّ أيمن فجاءته فقال لها: يا أمّ أيمن، لا أبكى الله عينك، إنّ جيرانك أتوني و أخبروني أنّك لم تنزلى الليل تبكين أجمع، فلا أبكى الله عينك ما الذى أبكاك؟ قالت: يا رسول الله، رأيت رؤيا عظيمة شديده، فلم أزل أبكى الليل أجمع، فقال لها رسول الله (صلى الله عليه و اله): فقصّيهها على رسول الله فإنّ الله و رسوله أعلم، فقالت: تعظم علىّ أن أتكلّم بها، فقال لها: إنّ الرؤيا ليست على ما ترى، فقصّيهها على رسول الله. قالت:

رأيت في ليلتي هذه كأنّ بعض أعضائك ملقى في بيتي، فقال لها رسول الله (صلى الله عليه و اله): نامت عينك يا أمّ أيمن، تلد فاطمه الحسين فترينه و تلبينه (1) فيكون بعض أعضائي في بيتك (2).

الوليد المبارك:

و وضعت سيده نساء العالمين فاطمه الزهراء (عليها السلام) وليدها العظيم، و زوّت البشرية الى الرسول (صلى الله عليه و اله)، فأسرع الى دار عليّ و الزهراء (عليهما السلام)، فقال لأسماء بنت عميس: «يا أسماء هاتى ابني»، فحملته إليه و قد لفّ في خرقة بيضاء، فاستبشر النبي (صلى الله عليه و اله) و ضمّه اليه، و أذن في اذنه اليمنى و أقام في اليسرى، ثمّ وضعه في حجره و بكى، فقالت أسماء: فداك أبى و امى، ممّ بكاؤك؟ قال (صلى الله عليه و اله): «من ابني هذا». قالت: إنّه ولد الساعة، قال (صلى الله عليه و اله): «يا أسماء!

ص: ٥٢

١- ((١)) أى: تسقينه اللبن.

٢- ((٢)) بحار الأنوار: ٢٤٢/٤٣.

تقتله الفئة الباغية من بعدى، لا أنالهم الله شفاعتى...»(١).

ثم إن الرسول (صلى الله عليه و اله) قال لعلّى (عليه السّلام): أى شىء سمّيت ابنى؟ فأجابه علىّ (عليه السّلام): «ما كنت لأسبقك باسمه يا رسول الله». و هنا نزل الوحي على حبيب الله محمّد (صلى الله عليه و اله) حاملا اسم الوليد من الله تعالى، و بعد أن تلقّى الرسول أمر الله بتسميه وليده الميمون، التفت الى علىّ (عليه السّلام) قائلاً: «سمّه حسيناً».

و فى اليوم السابع أسرع الرسول (صلى الله عليه و اله) الى بيت الزهراء (عليها السّلام) فعقّ عن سبطه الحسين كبشاً، و أمر بحلق رأسه و التصدّق بزنه شعره فضّه، كما أمر بختنه (٢).

و هكذا أجرى للحسين السبط ما أجرى لأخيه الحسن السبط من مراسم.

اهتمام النبى (صلى الله عليه و اله) بالحسين (عليه السّلام):

لقد تضافرت النصوص الواردة عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) بشأن الحسين (عليه السّلام) و هى تبرز المكانة الرفيعة التى يمثّلها فى دنيا الرسالة و الامّة. و نختار هنا عدّة نماذج منها للوقوف على عظيم منزلته:

١- روى سلمان أنّه سمع رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول فى الحسن و الحسين (عليهما السّلام): «اللهمّ إنّى أحبّهما فأحبّهما و احبّ من أحبّهما» (٣).

٢- «من أحبّ الحسن و الحسين أحبّته، و من أحبّته أحبّه الله، و من أحبّه الله عزّ و جلّ أدخله الجنة، و من أبغضهما أبغضته، و من أبغضته أبغضه الله، و من أبغضه الله»

ص: ٥٣

١- ((١) إعلام الورى بأعلام الهدى: ٤٢٧/١.

٢- ((٢) عيون أخبار الرضا: ٢٥/٢، إعلام الورى: ٤٢٧/١.

٣- ((٣) الإرشاد: ٢٨/٢.

خَلَدَهُ فِي النَّارِ»(١).

٣- «إِنَّ ابْنَ هَذَيْنِ رِيحَاتِنَايَ مِنَ الدُّنْيَا»(٢).

٤- روى عن ابن مسعود أنه قال: كان النبي (صلى الله عليه و اله) يصلّي فجاء الحسن و الحسين (عليهما السّلام) فارتدفاه، فلمّا رفع رأسه أخذهما أخذًا رقيقًا، فلمّا عاد عادًا، فلمّا انصرف أجلس هذا على فخذه الأيمن و هذا على فخذه الأيسر، ثم قال:

«من أحبّني فليحبّ هذين»(٣).

٥- «حسین منّی و أنا من حسین، أحبّ الله من أحبّ حسينًا، حسين سبط من الأسباط»(٤).

٦- «الحسن و الحسين خير أهل الأرض بعدى و بعد أبيهما، و أمهما أفضل نساء أهل الأرض»(٥).

٧- «الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنة»(٦).

٨- عن بزه ابنه امّيه الخزاعي أنّها قالت: لمّا حملت فاطمه (عليها السّلام) بالحسن خرج النبي (صلى الله عليه و اله) في بعض وجوهه فقال لها: «إِنَّكَ ستلدين غلامًا قد هُنّأني به جبرئيل، فلا- ترضعيه حتّى أصير اليك» قالت: فدخلت على فاطمه حين ولدت الحسن (عليه السّلام) و له ثلاث ما أرضعته، فقلت لها: أعطينيّه حتّى أرضعه، فقالت: «كلا» ثمّ أدركتها رقه الامهات فأرضعته، فلمّا جاء النبي (صلى الله عليه و اله) قال لها: «ماذا صنعت؟» قالت: «أدركني عليه رقه الامهات فأرضعته» فقال: «أبى الله

ص: ٥٤

١- ((الإرشاد: ٢٨/٢).

٢- ((الإرشاد: ٢٨/٢، و صحيح البخارى: ١٨٨/٢، و سنن الترمذى: ٦١٥/٥ ح ٣٧٧٠.

٣- ((٣) مستدرک الحاكم: ١٦٦/٣، و كفايه الطالب: ٤٢٢، و إعلام الوری: ١/٤٣٢.

٤- ((٤) بحار الأنوار: ٢٦١/٤٣، و مسند أحمد: ١٧٢/٤، و صحيح الترمذى: ٦٥٨/٥ ح ٣٧٧٥.

٥- ((٥) بحار الأنوار: ٢٦١/٤٣، و عيون أخبار الرضا: ٢/٦٢.

٦- ((٦) سنن ابن ماجه: ٥٦/١، و الترمذى: ٦١٤/٥ ح ٣٧٦٨، و بحار الأنوار: ٢٦٥/٤٣.

عزّ و جلّ إلّا ما أراد».

فلَمّا حملت بالحسين (عليه السّلام) قال لها: «يا فاطمه إنّك ستلدن غلاما قد هنيأني به جبرئيل فلا- ترضعيه حتى أجيء اليك و لو أقمت شهرا»، قالت: «أفعل ذلك»، و خرج رسول الله (صلى الله عليه و اله) في بعض وجوهه، فولدت فاطمه الحسين (عليه السّلام) فما أرضعته حتى جاء رسول الله فقال لها: «ماذا صنعت؟» قالت: «ما أرضعته» فأخذه فجعل لسانه في فمه فجعل الحسين يمصّ، حتى قال النبي (صلى الله عليه و اله): «إيها حسين إيها حسين!! ثم قال: «أبى الله إلّا ما يريد، هي فيك و في ولدك» (١) يعني الإمامه.

٩- إنّ النبي (صلى الله عليه و اله) كان جالسا فأقبل الحسن و الحسين، فلَمّا رآهما النبي (صلى الله عليه و اله) قام لهما و استبطأ بلوغهما إليه، فاستقبلهما و حملهما على كتفيه، و قال: «نعم المطى مطيكما، و نعم الراكبان أنتما، و أبوكما خير منكما» (٢).

كنيته و ألقابه:

أمّا كنيته فهي: أبو عبد الله.

و أمّا ألقابه فهي: الرشيد، و الوفي، و الطيب، و السيّد، و الزكيّ، و المبارك، و التابع لمرضاة الله، و الدليل على ذات الله، و السبط. و أشهرها رتبه ما لقّبه به جدّه (صلى الله عليه و اله) في قوله عنه و عن أخيه: «أنهما سيّدا شباب أهل الجنة». و كذلك السبط لقوله (صلى الله عليه و اله): «حسين سبط من الأسباط» (٣).

ص: ٥٥

١- (١) بحار الأنوار: ٢٥٤/٤٣، و راجع: المناقب: ٥٠/٣.

٢- (٢) بحار الأنوار: ٢٨٥/٤٣-٢٨٦، راجع: ذخائر العقبى: ١٣٠.

٣- (٣) أعيان الشيعة: ٥٧٩/١.

الفصل الثانى:مراحل حياه الإمام الحسين عليه السلام

مراحل حياه الإمام الحسين (عليه السلام)

تنقسم حياه كلاً إمام من الأئمه المعصومين (عليهم السلام) الى قسمين متميزين:

الأول:من الولاده الى حين استلامه لمقاليد الإمامه و الولايه المناطه إليه من الله و المنصوص عليها على لسان رسوله و الأئمه (عليهم السلام) أنفسهم.

و الثانى:يبدأ من يوم تصديده لإداره امور المسلمين و المؤمنين الى يوم استشهاد.

و قد يشتمل كل قسم على عدّه مراحل حسب طبيعه الظروف و الأحداث التى تميّز كل مرحله.

و نحن ندرس الفتره الاولى بجميع مراحلها و أهم أحداثها-و هى فتره الولاده حتى الإمامه-فى الفصل الثالث من الباب الثانى،بينما ندرس الفتره الثانى بمراحلها المختلفه بشكل تفصيلى فى الباب الثالث.

و ينبغى أن نعرف أنّ الفتره الاولى من حياه الإمام الحسين (عليه السلام) كانت ذات أربع مراحل هى:

١-حياته فى عهد جدّه (صلى الله عليه و اله) و هى من السنه (٤) الى (١٠) هجرية.

٢-حياته فى عهد الخلفاء الثلاثه،و هى من السنه (١١) الى (٣٥) هجرية.

٣-حياته فى عهد الدوله العلويه المباركه،أى منذ البيعه مع أبيه الى يوم

استشهاده صلوات الله عليه، و هي من السنة (٣٥) الى (٤٠) هجرية.

٤- حياته في عهد أخيه الحسن المجتبي (عليه السلام) و هي عشر سنوات تقريبا، أي من أواخر شهر رمضان سنة (٤٠) هجرية الى بدايه أو نهايه صفر سنة (٥٠) هجرية حيث استشهد الحسن (عليه السلام) و تصدّى هو للأمر من بعده.

و أما الفتره الثانيه من حياته و هي التي تبدأ بعد استشهاد أخيه (عليه السلام) و تنتهي باستشهاده بأرض الطفّ يوم عاشوراء سنة (٦١) هجرية، فهي ذات مرحلتين متميزتين:

١- المرحله الاولى: مدّه حياته خلال حكم معاويه، حيث بقي -صلوات الله عليه- ملتزما بالهدنه التي عقدت مع معاويه بالرغم من تخلف معاويه عن كلّ الشروط التي اشترطت عليه من قبل الإمام الحسن (عليه السلام)، و قد جسد تمرّده على كل شروط الصلح بإيعاز السمّ الفاتك الى الإمام الحسن (عليه السلام) ليتخلّص من رقيب مناهض و يزيل الموانع عن ترشيح ولده الفاسق يزيد.

٢- المرحله الثانيه: و تبدأ بفرض معاويه ابنه يزيد حاكما متحكّما في رقاب المسلمين بعد موت أبيه و سعيه لأخذ البيعه من الحسين (عليه السلام) للقضاء على المعارضه التي كان قد عرف جذورها أيام أبيه. و من هنا تبدأ نهضته التي كانت بركانا تحت الرماد، فانفجرت بانفجار الفسق و الفجور و ظهورهما على مسرح القيادة و جهاز الحكم، فبدأ حركته من المدينه إلى مكّه ثم الى العراق، و توجّ صبره و جهاده بدمائه الطاهره و دماء أهل بيته و أصحابه الأصفياء التي قدّمها في سبيل الله تعالى.

ص: ٥٨

اشاره

الإمام الحسين (عليه السلام) من الولاده إلى الإمامه

الإمام الحسين (عليه السلام) في عهد الرسول (صلى الله عليه و اله)

اشاره

في حياه النبي (صلى الله عليه و اله) و الرساله الإسلاميه مساحه واسعه لبيت علي و فاطمه و أبنائهما (عليهم السلام) و معاني و دلالات عميقه حيث إنّه البيت الذي سيحتضن الرساله و يتحمّل عبء الخلافه و مسؤوليه صيانه الدين و الامه.

و كان لا بدّ لهذا البيت أن ينال القسط الأوفى و الحظّ الأوفر من فيض حبّ النبي (صلى الله عليه و اله) و رعايته و ابوّته، فلم يدّخر النبي (صلى الله عليه و اله) و سعا أن يرؤى شجرته المباركه في بيت علي (عليه السلام) و يتعهّدها صباح مساء مبيّناً أنّ مصير الامه مرهون بسلامه هذا البيت و طاعه أهله كما يتجلّى ذلك في قوله (صلى الله عليه و اله): «إنّ عليا رايه الهدى بعدى و إمام أوليائي و نور من أطاعني» (١).

و حين أشرقت الدنيا بولاده الحسين (عليه السلام)؛ أخذ مكانته الساميه في قلب النبي (صلى الله عليه و اله) و موضعه الرفيع في حياه الرساله.

ص: ٥٩

١- ((١)) حليه الأولياء: ١/٦٧، و نظم درر السمطين: ١١٤، و تاريخ ابن عساكر: ٢/١٨٩ ح ٦٨٠، و مقتل الخوارزمي: ١/٤٣، و جامع الجوامع (للسيوطي): ٦/٣٩٦، و منتخب الكنز: ٦/٩٥٣ ح ٢٥٣٩، و الفصول المهمه لابن الصباغ: ١٠٧، و تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٧٣، و مجمع الزوائد: ٩/١٣٥، و كنز العمال: ٥/١٥٣، و صحيح الترمذي: ٥/٣٢٨ ح ٣٨٧٤، و اسد الغابه: ٢/١٢.

و بعين الخبير البصير و المعصوم المسدّد من السماء و جد النبيّ (صلى الله عليه و اله) في الوليد الجديد و ريثا للرساله بعد حين، نائرا في الامه بعد زيغ و سكون، مصلحا في الدين بعد انحراف و اندثار، محياا للسنه بعد تضييع و إنكار، فراح النبيّ (صلى الله عليه و اله) يهيئه و يعدّه لحمل الرساله الكبرى مستعينا في ذلك بعواطفه و ساعات يومه، و بهديه و علمه؛ إذ عمّا قليل سيضطلع بمهام الإمامه في الرساله الخاتمه بأمر الله تعالى.

فها هو (صلى الله عليه و اله) يقول: «الحسن و الحسين ابناى من أحبهما أحبني، و من أحبني أحبّه الله، و من أحبّه الله أدخله الجنّه، و من أبغضهما أبغضني، و من أبغضني أبغضه الله، و من أبغضه الله أدخله النار» (١).

و هل الحب إلّا مقدمه الطاعه و قبول الولايه؟ بل هما بعينهما في المآل.

لقد كان النبيّ (صلى الله عليه و اله) يتألّم لبكائه و يتفقّده في يقظته و نومه، يوصى امّه الطاهره فاطمه صلوات الله عليها أن تغمر ولده المبارك بكلّ مشاعر الحنان و الرفق (٢).

حتّى إذا درج الحسين (عليه السلام) صبيا يتحرّك شرع النبيّ (صلى الله عليه و اله) يلفت نظر الناس إليه و يهيئ الأجواء لأن تقبل الامه وصايه ابن النبيّ (صلى الله عليه و اله) عليها، فكم تأتّى النبيّ (صلى الله عليه و اله) في سجوده و الحسين يعلو ظهره (صلى الله عليه و اله) ليظهر للامه حبه له و كذا مكانته، و كم سارع النبيّ يقطع خطبته ليلقف ابنه القادم نحوه متعثرا فيرفعه معه على منبره (٣)؟ كلّ ذلك ليدلّ على منزلته و دوره الخطير في مستقبل الامه.

ص: ٦٠

١- ((١)) مستدرک الحاکم: ١٦٦/٣، و تاریخ ابن عساکر: ترجمه الإمام الحسين (عليه السلام)، و إعلام الوری: ٤٣٢/١.

٢- ((٢)) مجمع الزوائد: ٢٠١/٩، و سير أعلام النبلاء: ١٩١/٣، و ذخائر العقبی: ١٤٣.

٣- ((٣)) مسند أحمد: ٣٥٤/٥، و إعلام الوری: ٤٣٣/١، و كنز العمال: ١٦٨/٧، و صحیح الترمذی: ٥/١٦٦/٥ ح/٣٧٧٤.

و حين قدم وفد نصارى نجران يحاجج النبي (صلى الله عليه و اله) فى دعوته إلى الإسلام و عقيدته التوحيد الخالص و امتنع عن قبولها رغم وضوح الحق أمر الله تعالى بالمباهلة، فخرج النبي (صلى الله عليه و اله) إليهم و معه خير أهل الأرض تقوى و صلاحاً و أعزهم على الله مكانه و منزله: علي و فاطمه و الحسن و الحسين (عليهم السّلام)، ليباهل بهم أهل الكفر و الشرك و انحراف المعتقد، و مدلاً بذلك فى نفس الوقت - على أنّهم أهل بيت النبوه و بهم تقوم الرساله الإسلاميه، فعطاؤهم من أجل العقيدته لا ينضب (1).

و ما كان من النصارى إذ رأوا وجوها مشرقه و طافحه بنور التوحيد و العصمه؛ إلا أن تراجعوا عن المباهله و قبلوا بأن يعطوا الجزيه عن يد و هم صاغرون.

لقد كانت هذه الفتره القصيره التى عاشها الحسين (عليه السّلام) مع جدّه (صلى الله عليه و اله) من أهمّ الفترات و أروعها فى تاريخ الإسلام كله، فقد وطّد الرسول (صلى الله عليه و اله) فيها أركان دولته المباركه، و أقامها على أساس العلم و الإيمان، و هزم جيوش الشرك، و هدم قواعد الإلحاد، و أخذت الانتصارات الرائعه تترى على الرسول (صلى الله عليه و اله) و أصحابه الأوفياء حيث أخذ الناس يدخلون فى دين الله أفواجا.

و فى غمره هذه الانتصارات فوجئت الاعمّه بالمصاب الجلل حين توفى رسول الله (صلى الله عليه و اله)، فخيم الأسى العميق على المسلمين و بخاصه على أهل بيته (عليهم السّلام) الذين أضنتهم المأساه، و لسعتهم حراره المصيبه بغياب شخص النبي (صلى الله عليه و اله).

ص: ٦١

١- ((١)) مسند أحمد: ١/١٨٥، و صحيح مسلم: كتاب الفضائل باب فضائل علي: ٣٦٠/٢، و صحيح الترمذى: ٢٩٣/٤ ح ٢٠٨٥، و المستدرک على الصحيحين: ٣/١٥٠.

ميراث النبي (صلى الله عليه و اله) لسبطيه (عليهما السلام):

ولما علمت سيده نساء العالمين أن لقاء أبيها بربه عزّ وجلّ قريب أتت بابنيها الحسن و الحسين (عليهما السلام) فقالت: يا رسول الله، هذان إبناك فوزّتهما شيئاً، فقال (صلى الله عليه و اله): أمّا الحسن فإنّ له هيبتي و سؤددى، و أمّا الحسين فإنّ له شجاعتى و جودى (١).

وصيه النبي (صلى الله عليه و اله) بالسطين (عليهما السلام):

و وصّى النبي (صلى الله عليه و اله) الإمام عليّاً برعايه سبطيه، و كان ذلك قبل موته بثلاثة أيام، فقد قال له: سلام الله عليك أبا الريحانين، اوصيك بريحانتي من الدنيا، فعن قليل ينهدّ ركناك، و الله خليفتي عليك، فلما قبض رسول الله (صلى الله عليه و اله) قال عليّ:

هذا أحد ركنى الذى قال لى رسول الله (صلى الله عليه و اله)، فلما ماتت فاطمه (عليها السلام) قال عليّ:

هذا الركن الثانى الذى قال لى رسول الله (٢).

لوعه النبي (صلى الله عليه و اله) على الحسين (عليه السلام):

حضر الإمام الحسين (عليه السلام) عند جدّه الرسول (صلى الله عليه و اله) حينما كان يعانى آلام المرض و يقترب من لحظات الاحتضار، فلما رآه ضمّه الى صدره و جعل يقول: «ما لى و ليزيد؟! لا- بارك الله فيه». ثم غشى عليه طويلاً، فلتمّ أفاق أخذ يوسع الحسين تقبيلاً و عيناه تفيضان بالدموع، و هو يقول: «أما إنّ لى و لقاتلك موقفاً بين يدى الله عزّ و جلّ» (٣).

ص: ٦٢

١- ((١)) بحار الأنوار: ٢٦٣/٤٣، و مناقب آل أبى طالب: ٤٦٥/٢ و نظم درر السمطين: ٢١٢.

٢- ((٢)) بحار الأنوار: ٢٦٢/٤٣.

٣- ((٣)) حياه الإمام الحسين (عليه السلام)، باقر شريف القرشى: ٢١٨/١، نقلاً عن مثير الأحران.

و فى اللحظات الأخرىه من عمره الشرفى (صلّى الله علىه و اله) ألقى السبطن (علىهما السلام) بأنفسهما علىه و هما يذرفان الدموع و النبى (صلّى الله علىه و اله) يوسعهما تقبيلاً فأراد أبوهما أمير المؤمنين (علىه السلام) أن ينحىهما عنه فأبى (صلّى الله علىه و اله) و قال له: «دعهما يتزودا منى و أتزود منهما فستصبيهما بعدى إثره» (١).

ثم التفت (صلّى الله علىه و اله) الى عواده فقال لهم: قد خلّفت فيكم كتاب الله و عترتى أهل بيتى، فالمضيع لكتاب الله كالمضيع لسنّتى، و المضيع لسنّتى كالمضيع لعترتى، إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض (٢).

ص: ٦٣

١- ((١)) مقتل الحسين للخوارزمى: ١١٤/١.

٢- ((٢)) المصدر السابق.

الحسين (عليه السلام) في عهد أبي بكر:

إشاره

لقد كان أهل البيت (عليهم السّلام) بما فيهم الحسن و الحسين (عليهما السّلام) مفجوعين بوفاه الرسول (صلى الله عليه و اله)، و ألم المأساه يهيمن على قلوبهم و هم مشغولون بجهاز أعظم نبى عرفه التاريخ الإنسانى، إذ توجّهت إليهم صدمه اخرى ضاعفت آلامهم و بدّدت آمالهم التى غرسها رسول الله (صلى الله عليه و اله) فى نفوسهم و نفوس الأّمه.

إنها صدمه مصادره الخلافه و تنحيه الإمام على (عليه السّلام) عن مسرح القيادة و مصادره المنصب الذى نصبه فيه الرسول (صلى الله عليه و اله) بأمر الله تعالى.

و كانت هذه الصدمه العنيفه بدايه لمسلسل القلق و الاضطهاد الذى فرضه الخط الحاكم بعد الرسول (صلى الله عليه و اله) على أهل بيت الرسول (صلى الله عليه و اله)؛ لتحقيق العزل التام و الإبعاد الكامل لهم عن موقع القيادة بعد الرسول (صلى الله عليه و اله).

لوعه شهاده الزهراء (عليها السلام):

كان لوفاه الرسول (صلى الله عليه و اله) وقع مؤلم فى روح الإمام الحسين الطاهره، و هو لم يكن بعد قد أنهى ربيع الثامن.

و ما هى إلا مدّه قصيره و إذا بالحسين (عليه السّلام) يفجع باستشهاد امّه فاطمه بنت رسول الله بتلك الصوره المأساويه بعد أن ظلّت تعاني من الظلم و القهر و ألم اغتصاب حقّها طوال الأيام التى عاشتها بعد أبيها (صلى الله عليه و اله) فكانت تنعكس معاناتها فى روحه اللطيفه؛ إذ كان كلّما نظر الى امّه بعد وفاه أبيها شاهدا باكيه محزوناه القلب منكسره الخاطر.

و قد روى: أنّها سلام الله عليها ما زالت بعد أبيها معصية به الرأس، ناحله الجسم، منهذه الركن، باكية العين، محترقه القلب، يغشى عليها ساعه بعد ساعه، و تقول لولديها: أين أبو كما الذى كان يكرمكما و يحملكما مره بعد مره؟ أين أبو كما الذى كان أشد الناس شفقه عليكما، فلا يدعكما تمشيان على الأرض؟ و لا أراه يفتح هذا الباب أبدا و لا يحملكما على عاتقه كما لم يزل يفعل بكما (١).

و روى أن الزهراء (عليها السلام) بعد وفاه أبيها (صلى الله عليه و اله) كانت تصطحب الحسين معها الى البقيع حيث تظل تبكى الى المساء، فيأتى أمير المؤمنين (عليه السلام) فيعود بهم الى البيت.

و نقل الرواه عن أسماء بنت عميس قصه استشهادها مفصلا، و قد جاء فيها أن الحسن و الحسين (عليهما السلام) دخلا البيت بعيد وفاه أمهما فقالا: يا أسماء! ما ينيم أمنا فى هذه الساعه؟! قالت: يا ابنى رسول الله ليست أمكما نائمه، بل فارقت روحها الدنيا. فوقع عليها الحسن يقبلها مره و يقول: يا أمه كلمينى قبل أن تفارق روحى بدنى. قالت و أقبل الحسين يقبل رجلها و يقول: يا أمه أنا ابنك الحسين كلمينى قبل أن يتصدع قلبى فأموت. قالت لهما أسماء: يا ابنى رسول الله! انطلقا الى أبيكما على فأخبراه بموت أمكما، فخرجا حتى إذا كانا قرب المسجد رفعا أصواتهما بالبكاء، فابتدرهما جميع الصحابه، فقالوا: ما يبكيكما يا ابنى رسول الله؟ لا أبكى الله أعينكما (٢).

و جاء فى نص آخر أنه بعد أن فرغ أمير المؤمنين (عليه السلام) من تغسيل الزهراء (عليها السلام) نادى: يا أم كلثوم! يا زينب! يا سكينه! يا فضه! يا حسن! يا حسين! هلموا

ص: ٦٥

١- (١) بحار الأنوار: ١٨١/٤٣.

٢- (٢) المصدر السابق: ١٨٦.

تزودوا من أمتكم، فهذا الفراق، واللقاء الجنّة. فأقبل الحسن والحسين (عليهما السّلام) وهما يناديان: وا حسره لا تنطفئ أبدا من فقد جدنا محمد المصطفى و أمنا فاطمه الزهراء! فقال أمير المؤمنين عليّ (عليه السّلام): إنّي اشهد الله أنّها قد حنّت و أنت و مدّت يديها و ضمّتهما الى صدرها مليا، و إذا بهاتف من السماء ينادى: يا أبا الحسن! ارفعهما فلقد أبكيا و الله ملائكة السماوات (١).

و ذكرت أكثر الروايات أنّ الحسن و الحسين (عليهما السّلام) حضرا مراسم الصلاة على جنازه أمهما (عليها السّلام) و تولّى غسلها و تكفينها أمير المؤمنين (عليه السّلام)، و أخرجها من بيتها و معه الحسن و الحسين فى الليل، و صلّوا عليها... (٢).

لقد فجع الحسين (عليه السّلام) و خلال فترة قصيره بحادثتين عظيمتين مؤلمتين: الاولى وفاه جدّه رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، و الثانيه استشهاد والدته فاطمه بنت الرسول (صلّى الله عليه و اله) بعد ما جرى عليها من أنواع الجفاء و الظلم.

و إذا أضفنا الى ذلك مأساه غضب حقوق أبيه أمير المؤمنين (عليه السّلام) و مأساه إبعاده عن المسرح السياسى ليصبح جليس بيته؛ تجلّت لنا شدّه المحن و المصائب التى أحاطت بالحسين (عليه السّلام) و هو فى صغر سنّه.

و لقد تعمّقت مصائب الإمام الحسين (عليه السّلام) بسبب أنواع الحصار المفروض من قبل خطّ الخلافه و قتذاك على أصحاب الرسول (صلّى الله عليه و اله) الأوفياء لخطّه الرسالى و على بن أبى طالب أمير المؤمنين (عليه السّلام) بشكل خاص، مثل منع الخمس و سائر الحقوق من الوصول اليه، كما تجلّى ذلك بوضوح فى تأميم «فدك» و الذى كان من أهدافه ممارسه ضغوط ماليه اخرى على أهل بيت النبيّ (صلّى الله عليه و اله) و أبناء أمير المؤمنين (عليهم السّلام).

ص: ٦٦

١- (١) بحار الأنوار: ١٧٩/٤٣.

٢- (٢) المصدر السابق: ٢١٢.

و في عهد عمر بن الخطاب اتّخذ الحصار أبعادا أكثر خطوره، فقد ذكر المؤرّخون أنّ عمر حظر على أصحاب الرسول (صلّى الله عليه و اله) الخروج من المدينة إلّا- بترخيص منه، و قد طال الحظر أمير المؤمنين على بن أبي طالب (عليه السّلام) حتى مثّل هذا الأمر نمطا آخر من الضغوط التي مورست على أهل بيت الوحي الطاهرين.

أجل لقد أدّت هذه الممارسات القهريه و المواقف الظالمه الى إقصاء على أمير المؤمنين (عليه السّلام)، و جعلته جليس بيته، و من ثمّ تغييره عن الميادين السياسيّه و الاجتماعيّه حتى صار نسيا منسيا، و إن كان الخليفه يرجع إليه في بعض المسائل أحيانا، و لعلّ السبب في عدم إبعاده عن المدينة، هو حاجته إليه في القضايا التي كانت تستجد للخليفه، و لم يكن بمقدور أحد غير على (عليه السّلام) أن يقدّم الحلّ المقبول لها.

و بالحكمه السديده و الصبر الجميل كظم أمير المؤمنين (عليه السّلام) غيظه متغاضيا عن حقّه الذي استأثر به عمر بعد أبي بكر من دون حقّ شرعي و لا حجّه بالغه، و في كلّ ذلك عاش الحسين (عليه السّلام) مع آلام أبيه (عليه السّلام)، و رأى كيفيه تعامله مع الحدث، و هو يحمل هموم الامّه الإسلاميه و يقلقه مصيرها، إنّه يتذكّر كيف كان رسول الله (صلّى الله عليه و اله) يؤثّر علينا على كل من عداه و يوصي به الامّه المرّه بعد المرّه، و لكنّه الآن مقصّي عن مقامه، فما كان يملك إلّا أن يكتّم أحاسيسه و مشاعره.

يروى: أنّ عمر ذات يوم كان يخطب على المنبر فلم يشعر إلّا و الحسين (عليه السّلام) قد صعد إليه و هو يهتف: «انزل عن منبر أبي و اذهب إلى منبر أبيك»،

و بهت عمر و استولت الحيره عليه، و راح يصدّقه و يقول له: صدقت لم يكن لأبى منبر، و أخذه فأجلسه إلى جنبه، و جعل يفحص عمّن أو عز إليه بذلك قاتلا له: من علمك؟ فأجابه الإمام الحسين (عليه السلام): «و الله ما علمنى أحد» (١).

و قد كان الحق يقضى بأن لا- يكتفى عمر بالتصديق الكلامى للحسين من دون إعادته حقه فى فدك و الخمس إليه، و إعادته حقّ والده فى الخلافه إليه، إطاعه لله و للرسول (صلّى الله عليه و اله).

و يروى أيضا: أنّ عمر كان معنيا بالإمام الحسين (عليه السلام) حتى طلب منه أن يأتيه إذا عرض له أمر. و قصده الحسين (عليه السلام) يوما و معاويه عنده، و رأى ابنه عبد الله فطلب (عليه السلام) الإذن منه فلم يأذن له فرجع معه، و التقى به عمر فى الغد فقال له: ما منعك يا حسين أن تأتينى؟ قال الحسين (عليه السلام): «إنى جئت و أنت خال بمعاويه فرجعت مع ابن عمر» قال عمر: أنت أحقّ من ابن عمر، فإنّما أنبت ما ترى فى رؤوسنا الله ثم أنتم (٢).

الحسين (عليه السلام) فى عهد عثمان:

إشاره

بخلق الرساله و آداب النبوه و بالفضائل الساميه أطلّ الإمام الحسين (عليه السلام) على مرحله الرجوله فى العقد الثالث من العمر، يعيش أجواء أبيه المحتسب و هو يرى اللعبه السياسيه تتلوّن و الهدف واحد، و هو أن لا- يصل علىّ (عليه السلام) و بنوه إلى زعامه الدوله الإسلاميه بل تبقى الخلافه بعيده عنهم، فهاهو ابن الخطّاب لا- يكتفى بحمل الامّه على ما لا تطيق من جفاء رأيه و طبعه و أخطاء اجتهاداته؛ حتى ابتلاها بالشورى السداسيه التى انبثقت منها خلافه عثمان.

ص: ٦٨

١- (١) الإصابه: ٣٣٢/١.

٢- (٢) المصدر السابق.

و لقد وصف الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) هذه المرحلة و هو الذى آثر مصلحه الدين و الامه على حقه الخاص فى الزعامه فصبر صبيرا مرًا حتى قال:

فصبرت و فى العين قذى، و فى الحلق شجاء، أرى تراثى نهبا، حتى مضى الأوّل لسيله، فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده، فصيرها فى حوزة خشناء يغلظ كلمها و يخشن مستيها، و يكشر العثار فيها، فصبرت على طول المدّه و شدّه المحنه، حتى إذا مضى لسيله جعلها فى جماعه زعم أنى أحدهم، فىا لله و للشورى، متى اعترض الريب فىّ مع الأوّل منهم حتى صرت اقرن إلى هذه النظائر؟! (١).

و ازدادت محنه أهل البيت (عليهم السلام) و تضاعفت مهمتهم صعوبه، و هم يواجهون عصرا جديدا من الانحراف بالخلافه، و هو عصر يتطلب جهودا أضخم و سعيًا أكبر لكى لا تضيع الامه و الرساله، و لكنّ لونا متميزا من المعاناه القاسيه بدأ واضحا يصبغ حياه الامه الإسلاميه، فإنّ خيار رجالها من صحابه رسول الله (صلّى الله عليه و اله) يهانون و يضربون و ينفون فى الوقت الذى تتسابق على مراكز الدوله شرارها من الطلقاء و أبنائهم، تحت ظلّ ضعف عثمان و جهله بالامور أحيانا و عصبيته القبليه الامويه أحيانا اخرى (٢).

و عاش الحسين (عليه السلام) معاناه الامه و هى تنتفض على فساد حكم عثمان فى مخاض عسير، فتمتدّ الأيدى المظلومه لتريح الخليفه الحاكم بقوه السيف.

و فى خطبه الإمام عليّ (عليه السلام) المعروفه بالشقشقيه و التى وصف فيها محنه الامه بتولّى الخلفاء الثلاثه دفعه الحكم قبله تصوير دقيق لما جرى فى حكم عثمان بن عفّان؛ إذ قال (عليه السلام):

ص: ٦٩

١- (١) نهج البلاغه: الخطبه الشقشقيه.

٢- (٢) تاريخ الخلفاء: ٥٧.

إلى أن قام ثالث القوم نافجا حُضْنِيهِ (١) بين نثيله (٢)، و معتلفه (٣)، و قام معه بنو أبيه يخضمون (٤) مال الله خضمه الإبل نبتة الربيع (٥)، إلى أن انتكث عليه فتله (٦)، و أجهز (٧) عليه عمله، و كبت (٨) به بطنته (٩).

موقف مع أبي ذر الغفاري:

أمعن الخليفة عثمان بن عفان في التنكيل بالمعارضين و المنّدين بسياسته غير مراعاة حرمه أو كرامته أحد من صحابه الرسول (صلى الله عليه و اله) الذين طالتهم يده، فصبّ عليهم جام غضبه و بالغ في ظلمهم و إرهابهم، و كان أبو ذر الغفاري -و هو أقدم أصحاب الرسول (صلى الله عليه و اله) الذين سبقوا إلى الإسلام- واحدا من المنّدين بسياسة عثمان و الرافضين لها، و قد نهاه عثمان عن ذلك فلم ينته، فالتاع عثمان و ضاق به ذرعا فأبعده إلى الشام، و في الشام أخذ أبو ذر يوقظ الناس و يدعوهم إلى الحذر من السياسة الاموية التي كان ينتهجها معاوية ابن أبي سفيان و إلى عثمان الاموي على الشام.

لقد غضب معاوية على حركة أبي ذرّ و كتب إلى عثمان يخبره بخطرته عليه، فاستدعاه إلى المدينة، لكن هذا الصحابي الجليل واصل مهمته الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و التحذير من خطر الاموية الدخيلة على

ص: ٧٠

١- (١) نافجا حُضْنِيهِ: رافعهما، و الحُضْن: ما بين الإبط و الكشح.

٢- (٢) النثيل: الروث و قدر الدواب.

٣- (٣) المعتلف: موضع العلف.

٤- (٤) الخضم: أكل الشيء الرطب.

٥- (٥) النبتة- بكسر النون -: كالنبات في معناه.

٦- (٦) انتكث عليه فتله: انتقض.

٧- (٧) أجهز عليه: تمّم قتله.

٨- (٨) كبت به: من كبا الجواد إذا سقط بوجهه.

٩- (٩) البطنه- بالكسر -: البطر و الأشر و التخمة.

الاسلام و المسلمين، فرأى عثمان أن خير وسيله للتخلص من معارضة أبي ذر هي نفيه الى جهة نائية لا سكن فيها، فأمر بإبعاده الى الربذه موعزا الى مروان بن الحكم بأن يمنع المسلمين من مشايعته و توديعه، و لكن أهل الحق أبوا إلا مخالفة عثمان، فقد انطلق لتوديعه - بشكل علني - الإمام علي (عليه السلام) و الحسنان (عليهما السلام) و عقيل و عبد الله بن جعفر و عمار بن ياسر رضى الله عنهم. و قد نقل المؤرخون كلمات حكيمة و ساخنة للمودعين استنكروا خلالها الحكم العثماني الجائر ضده، و قد جاء في كلمة الإمام الحسين (عليه السلام) ما نصه:

يا عمّاه! إنّ الله تبارك و تعالى قادر أن يغيّر ما قد ترى، إنّ الله كلّ يوم هو في شأن، و قد منعك القوم دنياهم، و منعتهم دينك، فما أغناك عمّا منعوك، و أحوجهم الى ما منعتهم؟ فاسأل الله الصبر، و استعدّ به من الجشع و الجزع، فإنّ الصبر من الدين و الكرم، و إنّ الجشع لا يقدّم رزقا و الجزع لا يؤخّر أجلا (١).

و بكى أبو ذر بكاء مزا، فألقى نظره الوداع الأخير على أهل البيت (عليهم السلام) الذين أخلص لهم الودّ و أخلصوا له، و خاطبهم بقوله:

«رحمكم الله يا أهل بيت الرحمه، إذا رأيتكم ذكرت بكم رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، ما لي بالمدينه سكن و لا شجن غيركم، إنّي ثقلت على عثمان بالحجاز كما ثقلت على معاويه بالشام، و كره أن اجاور أخاه و ابن خاله بالمصريين فافسد الناس عليهما فسيرني الى بلد ليس لي به ناصر و لا دافع إلا الله، و الله ما اريد إلا الله صاحبا، و ما أخشى مع الله و حشه» (٢).

ص: ٧١

١- ((١)) بحار الأنوار: ٢٢/٤١٢، و راجع: مروج الذهب: ٢/٣٥٠.

٢- ((٢)) المصدر السابق.

انتهى حكم الخلفاء الثلاثة بمقتل عثمان، و انتهت بذلك خمسه و عشرون عاما، من العناء الناشئ عن إقصاء الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن الحياه السياسيه و الاجتماعيه للمسلمين.

و قد أيقن المسلمون أنّ الإمام عليا (عليه السلام) هو القائد الذي يحقّق آمالهم و أهدافهم و يعيد لهم كرامتهم، و أنّهم سينعمون في ظلال حكمه بالحرية و المساواه و العدل فأصروا على مبايعته بالخلافه.

لكن و للأسف الشديد فقد جاءت قناعه الامّه هذه متأخره كثيرا، حيث اصيبت الامّه بأمراض خطيره و انحرافات كبيره، و غابت عنها الروح التضحيه و القيم الإيمانيه، و تسربلت بالأطماع و المنافع الشخصيه، و انحدرت نحو التوجهات الفئويه الضيقه. من هنا أعلن الإمام علي (عليه السلام) رفضه الكامل لخلافتهم قائلا لهم: لا حاجه لي في أمركم، فمن اخترتم رضيت. (١).

و ذلك لعلمه (عليه السلام) بأنّه من الصعب جدّا أن يعيد الى المجتمع الأحكام الإسلاميه التي بدّلها الخلفاء و غيروها باجتهاداتهم الخاطئه، فإنّه (عليه السلام) كان يعرف جيدا أنّ المجتمع الذي نشأ على تلك الأخطاء سيقف بوجهه و سيعمل جاهدا على مناجزته و الحيلولة بينه و بين تحقيق مخططاته السياسيه الهادفه الى تحقيق العدل و القضاء على الجور. هذا و إنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) مع سابقته الفريده الى الإسلام و حنكته السياسيه و مؤهلاته القياديه العظيمة لم يستطع الوقوف بوجه الانحراف الذي سرى الى جميع مفاصل المجتمع

ص: ٧٢

الإسلامي، و لم يتمكّن من إعادته هذا المجتمع الى طريق الحقّ و العدالة اللّاحب، إذ وقفت في وجهه فئات من المنافقين و النفعيين و من كان يحمل في نفسه البغض و الكره لله و لرسوله، و قد أكّد ذلك في خطبته الشقشقيه بقوله (عليه السّلام): فلمّا نهضت بالأمر نكثت طائفه (١) و مرقت (٢) اخرى و قسط آخرون (٣) كأنهم لم يسمعوا كلام الله سبحانه يقول: تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٤) بلى و الله لقد سمعوها و وعوها و لكنهم حليت الدنيا في أعينهم و راقهم زبرجها (٥).

مع أبيه (عليه السّلام) في إصلاح الامه:

لقد بادر الإمام عليّ (عليه السّلام) الى إعادته الحقّ إلى نصابه و العدل إلى سيادته، محييا سنّه رسول الله (صلّى الله عليه و اله) في الامه منتهجا الطريق القويم.

و ما أسرع ما وقفت قوى الضلال ضد إصلاحات الإمام (عليه السّلام) في مجال الإدارة و في مجال توزيع الأموال و في مجال العدل في القضاء و في مجال مراعاة شؤون الرساله و شؤون المسلمين!

و لم يتردد (عليه السّلام) في التحرك لفضح خط النفاق و القضاء على الفساد و اجتثاث جذوره لتسلم الرساله و الاقمه منه، و قام هو و أهل بيته (عليهم السّلام) يخوضون غمار الحروب دفاعا عن الإسلام مقتدين برسول الله (صلّى الله عليه و اله). و شارك الإمام الحسين (عليه السّلام) في جميع الحروب التي شنها المنافقون ضدّ الإمام عليّ (عليه السّلام)

ص: ٧٣

١- (١) نكثت طائفه: نقضت عهدا، و أراد (عليه السّلام) بتلك الطائفه الناكثه أصحاب الجمل.

٢- (٢) مرقت: خرجت، و أراد (عليه السّلام) بتلك الطائفه المارقة الخوارج أصحاب النهروان.

٣- (٣) قسط: جار، و أراد (عليه السّلام) بالجائرين أصحاب صفين.

٤- (٤) القصص (٢٨): ٨٣.

٥- (٥) نهج البلاغه: الخطبه الشقشقيه.

و كان يبرز إلى ساحه القتال بنفسه المقدسه كلما اقتضى الأمر و سمح له والده (عليه السّلام) و قد سجّل المؤرّخون خطابا للإمام الحسين (عليه السّلام) ووجه لأهل الكوفه لدى تحركهم الى صفّين، جاء فيه بعد حمد الله تعالى و الثناء عليه: يا أهل الكوفه! أنتم الأحبّه الكرماء و الشعار دون الدثار، جدّوا في إطفاء ما وتر بينكم و تسهيل ما توغرّ عليكم، ألا إنّ الحرب شرّها و ريع و طعمها فظيع، فمن أخذ لها اهبتها و استعدّ لها عدّتها، و لم يألم كلومها قبل حلولها فذاك صاحبها، و من عاجلها قبل أو ان فرصتها و استبصار سعيه فيها فذاك قمن أن لا ينفع قومه و إن يهلك نفسه، نسأل الله بقوّته أن يدعمكم بالفيئه (١).

حرص الإمام عليّ (عليه السّلام) على سلامه الحسين (عليهما السّلام):

قاتل الإمام الحسين (عليه السّلام) في معركة صفّين كما قاتل في معركة الجمل، مع أنّ بعض الروايات أفادت بأنّ أمير المؤمنين (عليه السّلام) كان يمنع الحسين (عليهما السّلام) من النزول الى ساحه القتال خشيه أن ينقطع نسل رسول الله (صلّى الله عليه و اله)؛ إذ كان (عليه السّلام) يقول: إملكوا عنّي هذا الغلام لا يهدّني، فإنّني أنفس بهذين -يعنى الحسن و الحسين (عليهما السّلام) - على الموت لثلا ينقطع بهما نسل رسول الله (صلّى الله عليه و اله) (٢).

و جاء في نصوص اخرى أنّ أمير المؤمنين (عليه السّلام) كان يبعث ابنه محمّد ابن الحنفية الى ساحات القتال مرّات عديده دون أن يسمح للحسين (عليهما السّلام) بذلك، و قد سئل ابن الحنفية عن سرّ ذلك فأجاب: «إنّهما عيناها و أنا يمينه فهو يدفع عن عينه بيمينه» (٣). و يعكس هذا الجواب مدى ما كان يحظى به

ص: ٧٤

١- (١) شرح نهج البلاغه، لابن أبي الحديد: ٢٨٤/١.

٢- (٢) نهج البلاغه: من كلام له (عليه السّلام) في بعض أيام صفّين، و قد رأى ابنه الحسن يتسرّع الى الحرب. باب خطب أمير المؤمنين: ٢٠٧.

٣- (٣) شرح نهج البلاغه، لابن أبي الحديد: ١١٨/١.

الحسنان عند الإمام على (عليه السلام).

و تفيد الأخبار بأن الإمام الحسين (عليه السلام) ظلّ مع أبيه بعد صقّين أيضا في جميع الأحداث مثل قضية التحكيم و معركة النهروان.

و معلوم أنّ الأحداث التي عايشها الإمام الحسين مع أبيه (عليهما السلام) كانت مأساويه و مرّه جدّا، و قد بلغت المأساه ذروتها عند ما تأمر الخوارج على قتل أسمى نموذج للإنسان الكامل - بعد رسول الله (صلى الله عليه و اله) - أي عند ما ضرب المجرم عبد الرحمن بن ملجم المرادى الخارجي إمامه أمير المؤمنين (عليه السلام) على رأسه بالسيف و هو في محراب العباده.

وصايا أمير المؤمنين (عليه السلام) للإمام الحسين (عليه السلام):

تدلّ وصايا أمير المؤمنين (عليه السلام) لولده الحسين (عليه السلام) على شدّه اهتمامه به و محبّته له، و قد جاء في نهج البلاغه أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) لما ضربه ابن ملجم - لعنه الله - أوصى للحسن و الحسين بالوصيه التاليه:

«أوصيكم بتقوى الله، و أن لا تبغيا الدنيا و إن بغتكما، و لا تأسفا على شيء منها زوى عنكما، و قولا بالحق، و اعملا للأجر و كونا للظالم خصما، و للمظلوم عوناً. أوصيكم و جميع ولدي و أهلي و من بلغه كتابي بتقوى الله و نظم أمركم و صلاح ذات بينكم؛ فإنّي سمعت جدّ كما (صلى الله عليه و اله) يقول: «صلاح ذات البين أفضل من عامه الصلاه و الصيام» الله الله في الأيتام! فلا تغبوا أفواههم، و لا يضيعوا بحضرتكم. و الله الله في حيرانكم! فإنّهم وصيّه نبيّكم، ما زال يوصى بهم حتى ظنّنا أنّه سيورّثهم. و الله الله في القرآن! لا يسبقكم بالعمل به غيركم. و الله الله في الصلاه! فإنّها عمود دينكم. و الله الله في بيت ربّكم! لا تخلوه ما بقيتم، فإنّه إن ترك لم تناظروا. و الله الله في الجهاد بأموالكم و أنفسكم و ألسنتكم في سبيل الله! و عليكم بالتواصل و التبادل، و إياكم و التدابر و التقاطع، لا تتركوا الأمر بالمعروف و النهي

عن المنكر فيولّي عليكم شراركم، ثمّ تدعون فلا- يستجاب لكم. ثم قال: يا بنى عبد المطلب! لا- ألقىنكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً تقولون: قتل أمير المؤمنين. ألا- لا تقتلنّ بى إلا قتلى. انظروا إذا أنا متّ من ضربته هذه فاضربوه ضربه بضربه، ولا تمثّلوا بالرجل؛ فإنّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول: «إياكم و المثله و لو بالكلب العقور» (١).

و ثمّه وصيه اخرى قيمه و جامعه خاصّه بالإمام الحسين (عليه السّلام) ذكرها ابن شعبه فى تحف العقول، و نحن ننقلها لأهمّيّتها حيث تضمّنت حكماً عزاء و وصايا أخلاقيه خالده. و إليك نصّ ما رواه ابن شعبه عن الإمام عليّ (عليه السّلام):

«يا بنى! اوصيك بتقوى الله فى الغنى و الفقر، و كلمه الحقّ فى الرضى و الغضب، و القصد فى الغنى و الفقر، و بالعدل على الصديق و العدو، و بالعمل فى النشاط و الكسل، و الرضى عن الله فى الشّدّه و الرّخاء، أى بنى ما شر بعده الجنّه بشرّ، و لا خير بعده النار بخير، و كلّ نعيم دون الجنه محقور، و كلّ بلاء دون النار عافيه.

و اعلم يا بنى! أنّه من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره، و من تعزّى من لباس التقوى لم يستتر بشيء من اللباس، و من رضى بقسم الله لم يحزن على ما فاته، و من سلّ سيف البغى قتل به، و من حفر بئراً لأخيه وقع فيه، و من هتك حجاب غيره انكشفت عورات بيته، و من نسى خطيئته استعظم خطيئته غيره، و من كابد الامور عطب، و من اقتحم الغمرات غرق، و من أعجب برأيه ضلّ، و من استغنى بعقله زلّ، و من تكبر على الناس ذلّ، و من خالط العلماء وقرّ. و من خالط الأندال حقر. و من سفه على الناس شتم، و من دخل مداخل السوء اتهم، و من مزح استخفّ به، و من أكثر من شيء عرف به، و من كثر كلامه كثر خطؤه، و من كثر خطؤه قلّ حياؤه، و من قلّ حياؤه قلّ ورعه، و من قلّ ورعه مات قلبه، و من مات قلبه

ص: ٧٦

أى بنى! من نظر فى عيوب الناس و رضى لنفسه بها فذاك الأحمق بعينه، و من تفكّر اعتبر، و من اعتبر اعتزل، و من اعتزل سلم، و من ترك الشهوات كان حرّاء، و من ترك الحسد كانت له المحبه عند الناس.

أى بنى! عزّ المؤمن غناه عن الناس، و القناعه مال لا ينفد، و من أكثر من ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير، و من علم أنّ كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فيما ينفعه.

أى بنى! العجب ممّن يخاف العقاب فلم يكفّ، و رجا الثواب فلم يتب و يعمل.

أى بنى! الفكره تورث نورا و الغفله ظلمه و الجهاله ضلاله، و السعيد من وعظ بغيره، و الأدب خير ميراث، و حسن الخلق خير قرين، ليس مع قطيعه الرحم نماء و لا مع الفجور غنى. أى بنى! العافيه عشره أجزاء تسعه منها فى الصمت إلا بذكر الله، و واحده فى ترك مجالسه السفهاء.

أى بنى! من تزيا بمعاصى الله فى المجالس أورثه الله ذلّا، و من طلب العلم علم. أى بنى! رأس العلم الرفق، و آفته الخرق، و من كنوز الإيمان الصبر على المصائب، و العفاف زينه الفقر، و الشكر زينه الغنى، كثره زياره تورث الملاله، و الطمأنينه قبل الخيره ضد الحزم، و إعجاب المرء بنفسه يدلّ على ضعف عقله. أى بنى، كم نظره جلبت حسره، و كم من كلمه سلبت نعمه.

أى بنى! لا شرف أعلى من الاسلام، و لا كرم أعزّ من التقوى، و لا معقل أحرز من الورع، و لا شفيع أنجح من التوبه، و لا لباس أجمل من العافيه، و لا مال أذهب بالفاقه من الرضى بالقوت، و من اقتصر على بلغه الكفاف تعجّل الراحة و تبوّأ خفض الدعاه.

أى بنى! الحرص مفتاح التعب و مطيه النصب و داع الى التقصّم فى الذنوب، و الشره جامع لمساوى العيوب، و كفاك تأديبا لنفسك ما كرهته من غيرك، لأخيك عليك مثل الذى

لك عليه، و من تورّط في الامور بغير نظر في العواقب فقد تعرّض للنوائب، التدبير قبل العمل يؤمنك الندم، من استقبال وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ، الصبر جنّه من الفاقة، البخل جلباب المسكنه، الحرص علامه الفقر، وصول معدم خير من جاف مكتر، لكل شىء قوت و ابن آدم قوت الموت.

أى بنى! لا تؤيس مذنباً، فكم من عاكف على ذنبه ختم له بخير، و كم من مقبل على عمله مفسد في خر عمره، صائر الى النار.

أى بنى! كم من عاص نجا، و كم من عامل هوى، من تحرّى الصدق خفت عليه المؤمن، في خلاف النفس رشدها، الساعات تنتقص الأعمار، وويل للباغين من أحكم الحاكمين و عالم ضمير المضميرين.

يا بنى! بس الزاد الى المعاد العدوان على العباد، في كل جرعه شرق، و في كل أكله غصص، لن تنال نعمه إلا بفراق اخرى.

ما أقرب الراحة من النصب، و البؤس من النعيم، و الموت من الحياه، و السقم من الصحة! فطوبى لمن أخلص لله عمله و علمه و حبه و بغضه و أخذه و تركه و كلامه و صمته و فعله و قوله، و يخ لعالم عمل فجّد، و خاف البيات فأعدّ و استعدّ، إن سئل نصح، و إن ترك صمت، كلامه صواب، و سكوته من غير عى جواب.

و الويل لمن بلى بحرمان و خذلان و عصيان، فاستحسن لنفسه ما يكرهه من غيره، و أزرى على الناس بمثل ما يأتى.

و اعلم أى بنى! أنه من لانت كلمته و جبت محبته، و فقك الله لرشدك، و جعلك من أهل طاعته بقدرته، إنه جواد كريم (١).

ص: ٧٨

كان آخر ما نطق به أمير المؤمنين (عليه السلام) هو قوله تعالى: **لِيُمَثِّلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ**، ثم فاضت روحه الزكية، تحفها ملائكة الرحمن، فمادت أركان العدل في الأرض، وانظمت معالم الدين.

لقد مات ملاذ المظلومين و المحرومين الذي كرس جهده لإقامه دوله تنهى دور الإثره و الاستغلال و تقييم العدل و الحق بين الناس.

و قام سبطا رسول الله (صلى الله عليه و اله) بتجهيز أبيهما المرتضى (عليه السلام) فغسلاه و أدرجاه في أكفانه. و فى الهزيع الأخير من الليل حملاه الى قبره فى النجف الأشرف، و قد واروا أكبر رمز للعداله و القيم الإنسانيه المثلئ كما اعترف بذلك خصومه. و كتب المؤرخون: أن معاويه لما بلغه مقتل الإمام على (عليه السلام) خرج و اتخذ يوم قتله عيداً فى دمشق! فقد تحقّق له ما كان يأمله، و تمّ له ما كان يصبو إليه من اتخاذ الملك و سيله لاستعباد المسلمين و إرغامهم على ما يكرهون (1).

ص: ٧٩

حاله الامه قبل الصلح مع معاويه:

لم يكن تفتت أركان المجتمع الإسلامي-الذي كان يؤمن بأقدس رساله سماويه و أعظمها و أشملها-فى ظلّ حكم معاويه بن أبى سفيان وليد جهود آتية، فقد بدأ الانحراف من يوم السقيفه، إذ تولّى زمام امور الامّه من كان لا- يملك الكفاءه و القدره المطلوبه، و إنّما تصدّى لها من تصدّى على أساس العصبية القبليه(١). و يشهد لذلك قول أبى بكر: وليت أمركم و لست بخيركم(٢).

و انحدرت الامّه فى واد آخر يوم ميّز عمر بن الخطاب فى العطاء بين المسلمين مخالفا سنّه رسول الله(صلى الله عليه و اله) و مبتدعا نظاما طبقيا جديدا، حتى إذا حكم عثمان بن عفان؛ استفحل الفساد و استشرى فى جهاز الحكم و الاداره، حين سيطر فساق الناس و شرارهم على امور الناس فراحوا يعيثون فى الامّه فسادا كالوليد بن عقبه و الحكم بن العاص و عقبه بن أبى معيط و سعيد بن العاص و عبد الله بن سعد بن أبى سرح(٣).

و أصبحت العائله الامويه التى لم تفتح على الإسلام لتشكّل قوه اقتصاديه جرّاء نهبهم لثروات الامّه، و عطايا عثمان لهم بغير حق، و تغلغلوا فى أجهزه الحكم، و تمكّن معاويه بن أبى سفيان خلال ولايته على الشام منذ عهد عمر أن ينشئ مجتمعا وفق ما تهوى نفسه الحاقده على الإسلام و النبى(صلى الله عليه و اله)

ص: ٨٠

١- (١) الإمامه و السياسه: ٦/١.

٢- (٢) على و الحاكمون: ١٠٩، و تاريخ الخلفاء: ٧١.

٣- (٣) تاريخ يعقوبى: ٤١/٢، و العقد الفريد: ٢٦١/٢، و أنساب الأشراف: ٣٨/٥، و شرح النهج: ٦٧/١.

و أهل بيته (عليهم السّلام)، فقد دخل هو و أبوه الإسلام مقهورين موتورين يوم فتح مكه، و دخل في عداد الطلقاء، بعد أن كان قد فقد جدّه و خاله و أخاه في الصراع ضد الإسلام قبل فتح مكّه.

على أنّ طوال هذه الفتره- منذ وفاه الرسول (صلّى الله عليه و اله) الى نهايه حكم عثمان -لم يعتن النظام الحاكم بالدعوه الإسلاميه و نشرها و ترسيخها في النفوس، و لم يسع لاجتثاث العقد و الأمراض و العادات القبليه، بل كان همّ الحاكمين هو الاندفاع في الفتوحات طمعا في توسعه الدوله و زياده الأموال. و قد عمل الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) منذ وفاه الرسول (صلّى الله عليه و اله) جاهدا على أن لا تفقد الامّه شخصيتها الإسلاميه و حاول تقليل انحرافها، فكان يتدخّل و يعين الفئه الحاكمه تاره باللين و اخرى بالشّدّه متجنّبا الصدام المباشر معهم، لأجل استرداد حقّه الشرعي في الخلافه، مؤثرا مصلحه الإسلام العامّه على ما سواها من المصالح (1).

لقد فجعت الامّه بمصلحها الكبير- يوم استشهد الإمام علي (عليه السّلام)- و انهارت بين يدي الإمام الحسن بن علي (عليهما السّلام) بعد أن أنهكتها حروب الإصلاح ضد الناكثين و القاسطين و المارقين؛ إذ أسرع القوي النفعيه و المنافقه و الحاقده على الإسلام إلى الوقوف في وجه الإمام علي (عليه السّلام) متنكره لأوامر الله سبحانه و رسوله (صلّى الله عليه و اله) غير مباليه بمصلحه الامّه، بالرغم من تجسيده للزعامة الحقيقيه التي تقود إلى منهج الحقّ و العدل الإلهي، و هم يعلمون بشرعيته التي اكتسبها من الرساله و الرسول (صلّى الله عليه و اله). و هذا ما كان يشكّل خطرا حقيقيا من شأنه أن يلغى وجودهم من المجتمع الإسلامى، و لهذا كانت حروب: الجمل و صفّين ثم النهروان.

ص: ٨١

و رأى الإمام الحسن (عليه السّلام) أن ينهض بالأمّة مواصلا مسيره الإصلاح و مواجهه الانحراف، و لكنّ الجموع آثرت السلامه و الركون إلى الراحة^(١)، فاضطرّ الإمام الحسن (عليه السّلام) إلى الصلح و المهادنه مع معاويه-و هو المتحصّن القوىّ فى بلاد الشام-على شروط و عهود مهمّه، ليضمن سلامه الصفوه الخيره من الامّه، و لينيى قاعده جماهيريه أكثر و عيا و أعمق إيمانا برسالتها الإسلاميه، كى لا يمسخ المجتمع المسلم و لا تمحق الرساله؛ إذ ليس السيف دائما هو الفيصل فى حالات النزاع، فربما كان للكلمه و المعاهده أثر أبلغ فى مرحله خطره، حيث الهدف هو صيانته الرساله الإسلاميه و حفظ الامّه الإسلاميه فى كلّ الأحوال، و ليتّضح دور النفاق و العداة الذى كان يتّسم به بنو اميّة و ما كان يضمّره حكّامهم للإسلام.

و لقد وقف الإمام الحسين (عليه السّلام) الى جانب أخيه الإمام الحسن (عليه السّلام) و عايش جميع الأحداث التى مرّ بها أخوه، و كانا على اتّفاق تامّ فى الرأى و الموقف، بعاضده فى توجيه الامّه و إنقاذها بعد أن رأى كيف أنّ انحراف السقيفه تكاملت أدواره فى هذه المرحله، و قد سرى هذا الانحراف فى جسد الامّه حتى غدت لا تتحفّز لنهضة الإمام الحسن (عليه السّلام) و لا تستجيب لأوامره.

و أحاط الإمام الحسن (عليه السّلام) بكلّ مادّبّره معاويه من المكائد و الدسائس، و أصبحت الأكثرية من جيش العراق فى قبضه معاويه بن أبى سفيان و طغمته، بعد أن كان يمثّل جيش العراق العمود الفقريّ لجيش الإمام عليّ (عليه السّلام).

و لم يكن ليخفى على الإمام الحسين (عليه السّلام) أنّ المعركة-لو قدر للإمام الحسن أن يدخلها مع معاويه-ستكون لصالح الأخير، و ستنتهى حتما إمّا بقتل

ص: ٨٢

الحسن و الحسين و جميع الهاشميين و خلص شيعتهم، أو ستنهى بأسرهم، فى الوقت الذى تحتاج فيه الامه الإسلاميه إلى وجود الإمام المعصوم بينها لإنقاذ ما تبقى و بناء ما تهدم؛ فإنّ رساله الإسلاميه خاتمه الرسالات و لا بدّ من إتمام ما بناه الرسول (صلّى الله عليه و اله) و الإمام على بن أبى طالب (عليه السلام).

و من ذلك تبين أنّ ما رواه بعض المؤرّخين من أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) كان كارها لما فعله الإمام الحسن (عليه السلام) و أنّه قال له: «انشدك الله أن لا تصدق احدثه معاويه و تكذب احدثه أبيك» و أنّ الحسن قال له: «اسكت أنا أعلم منك»... يتبين أنّ هذه المرويّات لا أساس لها من الصّحه (١).

هذا بالاضافه الى أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) كان أبعد نظرا و أعمق غورا فى الامور و معطياتها من أفذاذ عصره الذين قدّروا للحسن (عليه السلام) موقفه الحكيم الذى لم يكن هناك مجال لاختيار موقف سواه، و كان (عليه السلام) أرفع شأنًا من أن تخفى عليه المصلحه التى أدركها غيره فيما فعله أخوه حتى يقف منه ذلك الموقف المزعوم.

و لا يشكّ المعتقدون بإمامه و عصمه الإمامين الحسنين (عليهما السلام) فى عدم صحه الروايات التى تحدّثت عن معارضة الإمام الحسين (عليه السلام) لموقف أخيه الإمام الحسن (عليه السلام) من الصلح مع معاويه.

فإذا كان الحسنان (عليهما السلام) إمامين مفترضى الطاعه؛ كان كلّ ما قاما به هو محض التكليف الإلهي، و طبقا لما أَرادَه اللهُ تعالى لهما، فليس ثمّه مجال لمثل تلك الروايات.

و يشهد على قولنا هذا روايات معتبره تعارض تلك الروايات غير الصّحيحه، منها ما يلى:

ص: ٨٣

١- قال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام): نحن قوم فرض الله طاعتنا، وأنتم تأتمون بمن لا يعذر الناس بجهالته (١).

٢- سأل رجل أبا الحسن الإمام الرضا (عليه السلام) فقال: طاعتك مفترضة؟ فقال: نعم، قال: مثل طاعة علي بن أبي طالب (عليه السلام)؟ فقال: نعم ٢.

٣- عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال له حمران: جعلت فداك، أرأيت ما كان من أمر علي والحسن والحسين (عليهم السلام) وخرجهم وقيامهم بدين الله عز وجل وما أصيبوا من قتل الطواغيت إيّاهم والظفر بهم حتى قتلوا أو غلبوا؟ فقال أبو جعفر (عليه السلام): يا حمران! إن الله تبارك وتعالى قد كان قدّر ذلك عليهم وقضاه وأمضاه وحتمه ثم أجراه، فبتقدّم علم ذلك اليهم من رسول الله (صلى الله عليه واله) قام علي والحسن والحسين وبعلم صمت من صمت منّا (٢).

٤- عن عظيم أخلاق الحسين (عليه السلام) واحترامه لأخيه الحسن (عليه السلام) قال الإمام محمد الباقر (عليه السلام): ما تكلم الحسين بين يدي الحسن إعظاماً له (٣).

٥- قال أبو عبد الله (عليه السلام): إن معاوية كتب الى الحسن بن علي صلوات الله عليهما أن أقدم أنت والحسين وأصحاب علي، فخرج معهم قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري فقدموا الشام، فأذن لهم معاوية، وأعدّ لهم الخطباء... ثم قال:

يا قيس! قم فبايع، فالتفت الى الحسين (عليه السلام) ينظر ما يأمره، فقال: يا قيس! إنّه إمامي (يعني الحسن (عليه السلام)) (٤).

ص: ٨٤

١- ((٢١)) اصول الكافي: ١/١٤٣، باب فرض طاعة الأئمّه.

٢- ((٣)) اصول الكافي: ١/٢٢١-٢٢٢، باب أنّ الأئمّه (عليهم السلام) لم يفعلوا شيئاً ولا يفعلون إلّا بعهد من الله عز وجل وأمر منه لا يتجاوزونه.

٣- ((٤)) حياه الإمام الحسين: ٢/٢٥٢.

٤- ((٥)) بحار الأنوار: ٤٤/٦١.

احترام الإمام الحسين (عليه السلام) لبنود صلح الإمام الحسن (عليه السلام):

استشهد الإمام الحسن (عليه السلام) سنة (٤٩) أو (٥٠) للهجرة، و مات معاوية سنة (٦٠) للهجرة، و في هذه المدة كانت الإمامة و القيادة للإمام الحسين (عليه السلام) و لم تجب عليه طاعه أحد، لكنّه (عليه السلام) ظلّ ملتزماً ببند معاهده الصلح التي عقدها أخوه الإمام الحسن (عليه السلام) مع معاوية، فلم يصدر عنه أى موقف ينتهك به بنود المعاهده المذكوره. بل لَمَّا طالبه بعض الشيعة بالقيام و الثوره على معاوية، أوصاهم بالصبر و التقيه مشيراً الى التزامه بالمعاهده، و أنّه سيكون في حلّ من المعاهده بموت معاوية.

رساله جعده بن هبيرة إلى الإمام الحسين (عليه السلام):

كان جعده بن هبيرة بن أبى وهب من أخلص الناس للإمام الحسين (عليه السلام) و أكثرهم موّدّه له، و قد اجتمعت عنده الشيعة و أخذوا يلحون عليه فى مراسله الإمام للقدوم الى مصرهم الكوفه ليعلن الثوره على حكومه معاوية، فدفع جعده رساله إلى الإمام الحسين (عليه السلام) هذا نصها: «أما بعد، فإن من قبلنا من شيعتك متطلّعه أنفسهم اليك، لا يعدلون بك أحداً، و قد كانوا عرفوا رأى الحسن أخيك فى الحرب، و عرفوك باللين لأوليائكك و الغلظه على أعدائكك و الشدّه فى أمر الله، فإن كنت تحبّ أن تطلب هذا الأمر فاقدم علينا، فقد وطّنا أنفسنا على الموت معك» (١).

فأجابه الإمام الحسين (عليه السلام) بقوله: «أما أخى فإننى أرجو أن يكون الله قد

ص: ٨٥

وَفَقَّهَ وَ سَدَّدَهُ، وَ أَمْرًا أَنَا فَلَيْسَ رَأَى الْيَوْمَ ذَاكَ، فَالْصَّقُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ بِالْأَرْضِ، وَ اكْمُنُوا فِي الْبُيُوتِ، وَ احْتَرَسُوا مِنَ الظَّنِّ مَا دَامَ مَعَاوِيَةَ حَيًّا، فَإِنْ يَحْدُثُ اللَّهُ بِهِ حَدِثًا وَ أَنَا حَيٌّ كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ بِرَأْيِي، وَ السَّلَامُ».

يَتَبَيَّنُ مِمَّا تَقَدَّمَ أَنَّ الْإِمَامَ الْحُسَيْنَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) -انطلاقًا من مسؤوليته الشرعيه- اتَّبَعَ أَخَاهُ الْإِمَامَ الْحَسَنَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي مَسْأَلَةِ الصَّلْحِ مَعَ مَعَاوِيَةَ، وَ قَدْ قَبَلَهُ وَ التَّزَمَ بِهِ طِيلَهُ حُكْمَ مَعَاوِيَةَ، بَلْ إِنَّ عَشْرَاتِ الشَّوَاهِدِ تَوَكَّدَتْ أَنَّهُمَا كَانَا مَنْسَجِمِينَ فِي تَفْكِيرِهِمَا وَ نَظَرْتَهُمَا إِلَى الْأُمُورِ وَ مَعْطِيَاتِهَا وَ مَتَّفِقِينَ فِي كُلِّ مَا جَرَى وَ تَمَّ التَّوَصُّلُ إِلَيْهِ.

وَ كَمَا نَسَبُوا إِلَى الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ذَلِكَ فَقَدْ نَسَبُوا إِلَى الْإِمَامِ الْحَسَنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَيْضًا أَنَّهُ كَانَ عَلَى خِلَافٍ مَعَ أَبِيهِ! فِي كَثِيرٍ مِنْ مَوَاقِفِهِ السِّيَاسِيَةِ قَبِيلَ خِلَافَتِهِ وَ خِلَالِهَا. وَ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ الْهَدَفَ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْمَزَاعِمِ هُوَ زَرْعُ الشُّكِّ فِي نَفُوسِ الْأُمَّةِ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَوْجِعِ الرَّيَادِيِّ لِلْإِمَامِينَ الشَّرْعِيِّينَ الْحَسَنَ وَ الْحُسَيْنَ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) بِغِيهِ إِيجَادِ الْفِرْقَةِ وَ الْاِخْتِلَافِ كَيْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ عَنْهُمَا.

استشهاد الإمام الحسن (عليه السلام):

أَقَامَ الْإِمَامَ الْحَسَنَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بِالْكُوفَةِ أَيَّامًا بَعْدَ أَنْ صَالِحَ مَعَاوِيَةَ، ثُمَّ عَادَ مَعَ أَخِيهِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَ جَمِيعِ أَهْلِ بَيْتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَقَامَ بِهَا كَاطْمًا غِيْظُهُ لِأَزْمَا مَنْزَلِهِ مَتَنْظَرًا لِأَمْرِ رَبِّهِ جَلَّ اسْمُهُ (١). وَ كَمَا ذَكَرْنَا فَإِنَّ الْإِمَامَ الْحُسَيْنَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) رَفَضَ التَّحَرُّكَ ضِدَّ مَعَاوِيَةَ مَا دَامَ حَيًّا، التَّرَامَا بِمَعَاهِدَةِ الصَّلْحِ الَّتِي كَانَ قَدْ عَقَدَهَا أَخُوهُ الْحَسَنَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مَعَهُ.

ص: ٨٦

وقد اهتمّ الإمامان (عليهما السلام) في المدينة بالعباده و ترسيخ العقيدته الإسلاميه في نفوس الناس و توضيح الأحكام الإسلاميه للناس و إرشادهم و هدايتهم و العمل من أجل تربيته جيل واع يتحمّل مسؤوليته تجاه الظلم و الفساد و الانحراف الحاصل في مسيره الامّه. و في هذه السنوات العشر- كما دوّنته جملته من مصادر التاريخ الإسلامى- قد حدثت عدّه مناقشات كلاميه من جانب الإمامين الحسن و الحسين (عليهما السلام) بالنسبه لتصرفات معاويه و جملته من عناصر بلاطه.

ص: ٨٧

الباب الثالث

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

عصر الإمام الحسين (عليه السلام)

الفصل الثاني:

مواقف الإمام (عليه السلام) وإنجازاته

الفصل الثالث:

نتائج الثورة الحسينيه

الفصل الرابع:

من تراث الإمام الحسين (عليه السلام)

ص: ٨٩

إشاره

عصر الإمام الحسين (عليه السلام)

البحث الأول: حكمه معاويه و دورها في تشويه الإسلام:

إشاره

أمسك معاويه و الطغمه الفاسده من بنى اميّه بزمام الحكم، و أكملوا بذلك الانحراف الذى حصل من السقيفه، حيث حوّل معاويه الخلافه إلى ملك عضوض مستبدّ، حين صرّح بعدائه للامه الإسلاميه و اعترف بعدم رضى الامه به حاكما بقوله: و الله ما وليتها- أى الخلافه- بمحبّه علمتها منكم و لا مسرّه بولايتي و لكن جالدتكم بسيفي(١).

و لكنّ معاويه و التيار الذى تزعمه واجه عقبه كؤودا، هى تطبيق الإمام عليّ (عليه السلام) لأحكام الشريعه الإسلاميه بصورتها الصحيحه. مضافا إلى أنه لم يترك الامه حتى عمّق العقيده فى النفوس، فأحبتّه الجماهير- و خصوصا أهل العراق- و كان فى ذلك حريصا على الرساله و الامه الإسلاميه و مفتندا مزاعم أرباب السقيفه حين عبّر أبو بكر عن عجزه و اعتذره عن كثره أخطائه بقوله: فإننى قد وليت عليكم و لست بخيركم(٢). فإنّ هذا الاعتذار قد يفهم منه

ص: ٩١

١- (١) تاريخ الخلفاء: ٧١.

٢- (٢) المصدر السابق.

عدم إمكان التطبيق التام للشريعة الإسلامية. ولكن الإمام علياً (عليه السلام) قد قدّم النموذج الحي للقيادة الكفوءة الواعية والمعصومه بعد الرسول (صلى الله عليه و اله)، فكانت الأمة المسلمة تتوقع قائدا كعلي بن أبي طالب (عليه السلام).

ولكن معاوية شرع في تشويه هذه القيم الإسلامية و محاربه القوى المتعاطفه مع أهل البيت (عليهم السلام) و هدم كل ما بناه الإمام علي (عليه السلام) في الأمة الإسلامية من قيم فتفقد إرادتها و يموت ضميرها لئلا تكون قادره على مواجهه أهواء الحكام المخالفه للدين الحنيف. لقد أعلن معاوية- منذ أول خطوه- أن هدفه الأساس هو استلام زمام الحكم حتى لو أريق من أجله دماء المسلمين المحرّمه بكلمته المعروفه: و الله ما قاتلتكم لتصلوا و لا لتصوموا و لا لتحجوا و لا لتركوا، و إنما قاتلتكم لأتأمر عليكم (١).

منهج معاوية لمحاربه الإسلام:

إشاره

و لا- بد لنا من دراسه موجزه للمخططات الشيطانيه التي تبناها معاوية و ما رافقها من الأحداث الجسام، فإنها من أهم الأسباب في ثوره الإمام الحسين (عليه السلام).

لقد رأى الامام (عليه السلام) ما وصل اليه حال المسلمين من التردى عقائديا و أخلاقيا و اجتماعيا و اقتصاديا و سياسيا.

و كان كل هذا التردى من جزاء السياسات التي أبعدت الأمة عن مسار الإسلام الأصيل من خلال ممارسات معاوية التي بلغت ذروتها في فرض يزيد بالقوه خليفه على المسلمين، فهت-سلام الله عليه- بعد هلاك معاوية الى

ص: ٩٢

تفجير ثورته الكبرى التي أدت الى إيقاظ النفوس و تحريك إرادته الاممه.

و اليك بعض معالم سياسات الجاهليه الامويه التي تصدى لتنفيذها معاويه:

١- سياسته الاقتصاديه:

لم تكن لمعاويه أئيه سياسته اقتصاديه فى المال حسب المعنى المتداول لهذه الكلمه، و إنما كان تصرّفه فى جبايه الأموال و إنفاقها خاضعا لرغباته و أهوائه، فهو يهب الثراء العريض للمؤيدين له و يحرم معارضيه من العطاء، و يأخذ الأموال و يفرض الضرائب بغير حق، و قد شاع فى عصر معاويه الفقر و الحرمان عند الأكثرية الساحقه من المسلمين، فيما تراكمت الثروات عند فئه قليله راحت تتحكّم فى مصير المسلمين و شؤونهم، و هذه بعض الخطوط الرئيسيه فى سياسته الاقتصاديه:

أ- الحرمان الاقتصادى:

أشاع معاويه الحرمان الاقتصادى فى الأقطار التى كانت تضمّ الجبهه المعارضه له، مثل:

* يثرب:

لم ينفق معاويه على أهل يثرب أى شىء من المال، لأنّ فيهم كثيرا من الشخصيات المعارضه للاسره الأمويه و الطامعه فى الحكم، يقول المؤرخون:

إن معاويه أجبرهم على بيع أملاكهم فاشتراها بأبخس الأثمان، و قد أرسل قيما على أملاكه لتحصيل وارداتها فمنعوه عنها، و قابلوا حاكمهم عثمان بن محمد و قالوا له: إنّ هذه الأموال لنا كلّها، و إنّ معاويه آثر علينا فى عطائنا، و لم يعطنا

درهما حتّى مَضُنَّ الزمان و نالتنا المجاعه،فاشترها بجزء من مائه من ثمنها، فردّ عليهم حاكم المدينه بأقسى القول و أمره(١).

و قد نصب معاويه على الحجاز مروان بن الحكم تاره و سعيد بن العاص مرّه اخرى،و كان يعزل الأول و يولّي الثاني،و قد جهدا معا فى إذلال أهل المدينه و إفقارهم.

*العراق:

فرض معاويه على أهل العراق عقوبات اقتصاديه بصفته المركز الرئيسى للمعارضه،و كان واليه المغيره بن شعبه يحبس العطاء و الأرزاق عن أهل الكوفه،و قد سار الحكّام الامويون بعد معاويه على هذا النهج فى اضطهاد أهل العراق و حرمانهم(٢)،باعتبارهم الثقل الأكبر فى الخطّ الواعى الذى وقف مع أمير المؤمنين(عليه السلام).

ب- استخدام المال لتثبيت ملكه:

استخدم معاويه بيت المال لتثبيت ملكه و سلطانه،و اتّخذ المال سلاحا يمكنه من التسلّط على الامّة،فقد كان من عناصر سياسه الامويين استخدام المال سلاحا للإرهاب و أداءه للتقريب،فحرم منه فته من الناس،و أغدق أضعافا مضاعفه لطائفه اخرى ثمنا لضمائرهم و ضمانا لصمتهم(٣).

و وهب معاويه خراج مصر لعمر و بن العاص،و جعله طعمه له مادام

ص: ٩٤

١- ((١)) حياه الإمام الحسين(عليه السلام): ١٢٣/٢.

٢- ((٢)) حياه الإمام الحسين(عليه السلام): ١٢٥/٢، و راجع العقد الفريد: ٢٥٩/٤.

٣- ((٣)) المصدر السابق: ١٢٧/٢، نقلا عن اتجاهات الشعر العربى: ٢٧، د. محمد مصطفى.

حيًا، و ذلك لتعاونه معه على مناجزته أمير المؤمنين (عليه السلام) (١).

ج- شراء الذمم:

فتح معاوية بابا جديدا في سياسته الاقتصادية و هي شراء الذمم، فقد أعلن عن ذلك بكل دناءة قائلا: والله لأستميلنّ بالأموال ثقات عليّ، و لا قسمنّ فيهم الأموال حتى تغلب دنياى آخرته (٢).

كما روى أنه وفد عليه جماعه من أشرف العرب فأعطى كل واحد منهم مائه ألف درهم، و أعطى الحتات عمّ الفرزدق سبعين ألفا، فلما علم الحتات بذلك رجع مغضبا الى معاوية، فقال له بلا خجل و لا حياء: إننى اشتريت من القوم دينهم، و وكلتك الى دينك.

فقال الحتات: اشترى منى دينى. فأمر له بإتمام الجائزه (٣).

د- ضريبه النيروز:

فرض معاوية على المسلمين ضريبه النيروز فى بدعه سنّها من غير دليل فى الشريعة الاسلاميه، ليسدّ بها نفقاته، و بالغ فى إرهاب الناس و اضطهادهم على أدائها، و قد بلغت فيما يقول المؤرخون: عشره ملايين درهم، و هى من الضرائب التى يألفها المسلمون، و قد اتخذها الحكام من بعده سنّه فأرغموا المسلمين على أدائها (٤).

ص: ٩٥

١- ((١)) حياه الإمام الحسين (عليه السلام): ١٢٧/٢.

٢- ((٢)) راجع وقعه صقّين لنصر بن مزاحم: ٤٩٥، و شرح نهج البلاغه: ٢٩٣/٢.

٣- ((٣)) حياه الإمام الحسين (عليه السلام): ١٢٨/٢-١٢٩.

٤- ((٤)) المصدر السابق: ١٣١/٢، و راجع: الحياه الفكرية فى الاسلام: ٤٢.

٢-سياسه التفرقه:

بنى معاويه سياسته على تفریق كلمه المسلمين، إيماننا منه بأنّ الحكم لا يستقرّ له إلاّ بإشاعه العداة بين أبناء الأّمه الإسلاميه، «و كانت لمعاويه حيلته التي كزرها و أتقنها و برع فيها، و استخدمها مع خصومه في الدوله من المسلمين و غير المسلمين، و كان قوام تلك الحيله، العمل الدائب على التفرقه و التخذيل بين خصومه بإلقاء الشبهات بينهم و إثارة الإحن فيهم، و منهم من كان من أهل بيته و ذوى قرياه... كان لا يطيق أن يرى رجلين ذوى خطر على وفاق، و كان التنافس الفطري بين ذوى الأخطار ممّا يعينه على الإيقاع بهم» (١).

أ-اضطهاد الموالى:

بالغ معاويه في اضطهاد الموالى و إذلالهم، و قد رام أن يببدهم إباده شامله. يقول المؤرخون: إنّه دعا الأحنف بن قيس و سمره بن جندب و قال لهما: إنّي رأيت هذه الحمراء قد كثرت، و أراها قد قطعت على السلف، و كأنّي أنظر الى وثبه منهم على العرب و السلطان، فقد رأيت أن أقتل شطرا منهم، و أدع شطرا لإقامه السوق و عماره الطريق (٢).

ب-العصبيه القبليه:

أحيى معاويه العصبيات القبليه، و قد ظهرت في الشعر العربي صور مريعه و مؤلمه من ألوان الصراع الذي كانت السلطه الامويه تختلقه لإشغال الناس عن التدخّل في الشؤون السياسيه، و قال المؤرخون:

ص: ٩٦

١- (١) حياه الإمام الحسين (عليه السلام): ١٣٥/٢، عن العقّاد في كتابه «معاويه في الميزان»: ٦٤.

٢- (٢) العقد الفريد: ٢٦٠/٢.

إنّ معاوية عمد الى إثارة الأحقاد القديمه بين الأوس و الخزرج محاولا- بذلك التقليل من أهميتهم،و إسقاط مكانتهم أمام العالم العربي و الإسلامي، كما تعصّب لليمتئين على المضرّيين،و أشعل نار الفتنة فيما بينهم حتى لا تتحد لهم كلمه تضرّ بمصالح دولته(١).

٣-سياسه البطش و الجبروت:

ساس معاويه الامّه بسياسه البطش و القمع،فاستهان بمقدّراتها و كرامتها،و قد أعلن-بعد الصلح-أنه قاتل المسلمين و سفك دماءهم كي يتأمر عليهم،و قد أدلى بتصريح عبر فيه عن كبريائه و غطرسته فقال:نحن الزمان، من رفعناه ارتفع،و من وضعناه اتّضع(٢).

و سار عمّاله و ولاته على هذه الخطه الغادره،فقد خاطب عتبه بن أبي سفيان المصريين بقوله:فوالله لأقطعن بطون السياط على ظهوركم.

و جاء في خطاب لخالد القسري في أهل مكه:فإئني و الله ما اوتى لي بأحد يطعن على إمامه (يعني معاويه)إلا صلبته في الحرم(٣).

٤-الخلاعه و المعجون و الاستخفاف بالقيم الدينيه:

عرف معاويه بالخلاعه و المعجون،يقول ابن أبي الحديد:كان معاويه أيام عثمان شديد التهتك موسوما بكلّ قبيح،و كان في أيام عمر يستر نفسه قليلا؛خوفا منه إلا-أنه كان يلبس الحرير و الديباج و يشرب في آنيه الذهب و الفضة،و يركب البغلات ذوات السروج المحلّات بها-أى بالذهب-و عليها جلال الديباج و الوشى...

ص:٩٧

١- (١) حياه الإمام الحسين (عليه السلام):١٣٧/٢.

٢- (٢) حياه الإمام الحسين (عليه السلام):١٣٨/٢-١٣٩،و العقد الفريد:١٥٩/٢.

٣- (٣) الأغاني لأبي الفرج الإصفهاني:٣٨٢/٢٢ طبعه بيروت.

و نقل الناس عنه في كتب السيره أنه كان يشرب الخمر في أيام عثمان في الشام(١).

و روى عن عبد الله بن بريده قوله: دخلت أنا و أبي على معاوية فأجلسنا على الفراش، ثم اوتينا بالطعام فأكلنا ثم اوتينا بالشراب فشرب معاوية! ثم ناول أبي فقال: ما شربته منذ حرّمه رسول الله (صلى الله عليه و اله) (٢).

و ثمة روايات عديدة تحدّثت عن أكل معاوية للربا، منها: أنّ معاوية باع سقايه من ذهب أو ورق بأكثر من وزنها، فقال له أبو الدرداء: سمعت رسول الله (صلى الله عليه و اله) نهى عن مثل هذا إلاّ مثلاً بمثل، فقال معاوية: ما أرى به بأساً.

فقال له أبو الدرداء: من يعذرني من معاوية؟ أنا أخبره عن رسول الله و هو يخبرني عن رأيه! لا اسألك بأرض أنت بها. ثم قدم أبو الدرداء على عمر بن الخطّاب فذكر له ذلك، فكتب عمر الى معاوية: أن لا تبع ذلك إلاّ مثلاً بمثل و وزناً بوزن (٣).

و من مظاهر استخفاف معاوية بالقيم الاسلاميه استلحاقه زياد بن عبيد الرومي و إلصاقه بنسبه من دون بينه شرعيته، و إنّما اعتمد على شهاده أبي مريم الخمار و هو ممّا لا يثبت به نسب شرعي، و قد خالف بذلك قول رسول الله (صلى الله عليه و اله): «الولد للفراش و للعاهر الحجر» (٤).

٥- إظهار الحقد على النبي (صلى الله عليه و اله) و العداء لأهل بيته (عليهم السلام):

حقد معاوية على النبي (صلى الله عليه و اله) فقد مكث في أيام خلافته أربعين جمعه لا- يصلى عليه، و سأله بعض أصحابه عن ذلك فقال: لا يمنعني عن ذكره إلاّ أن

ص: ٩٨

١- (١) حياه الإمام الحسين (عليه السلام): ١٤٤/٢-١٤٥.

٢- (٢) مسند أحمد بن حنبل: ٣٤٧/٥.

٣- (٣) سنن النسائي: ٢٧٩/٧.

٤- (٤) راجع قصه الاستلحاق و أسبابها و آثارها في (حياه الإمام الحسن بن علي): ١٧٤/٢-١٩٠.

تشمخ رجال بآنافها»(١). وسمع المؤذن يقول: «أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله...» واندفع يقول: لله أبوك يا ابن عبد الله، لقد كنت على الهمة، ما رضيت لنفسك إلا أن يقرن اسمك باسم رب العالمين(٢).

و سخر معاويه جميع أجهزته للحط من قيمه أهل البيت(عليهم السلام)الذين هم وديعه رسول الله(صلى الله عليه و اله) حتى استخدم أخطر الوسائل في محاربتهم و إقصائهم عن واقع الحياه الإسلاميه، و كان من بين ما استخدمه في ذلك:

١-تسخير الوعاظ ليحولوا القلوب عن أهل البيت(عليهم السلام).

٢-افتعال الأخبار على لسان النبي(صلى الله عليه و اله)للحط من قيمه أهل البيت(عليهم السلام) و قد استفاد من أبي هريره الدوسى، و سمره بن جندب، و عمرو بن العاص، و المغيره بن شعبه، حيث اختلقوا مئات الأحاديث على لسان النبي(صلى الله عليه و اله).

٣-استخدم معاويه معاهد التعليم و أجهزه الكتاتيب لتغذيه النشء ببغض أهل البيت(عليهم السلام) و خلق جيل معاد لهم.

و تمادى معاويه فى عدائه لأمر المؤمنين(عليه السلام) فأعلن سبه و لعنه فى نواديه العامه و الخاصه، و أوعز الى جميع عماله و ولاته أن يذيعوا سبه بين الناس، و سرى سب الإمام فى جميع أنحاء العالم الإسلامى، و قد خطب معاويه فى أهل الشام فقال لهم: أيها الناس، إن رسول الله(صلى الله عليه و اله) قال لى: إنك ستلى الخلافه من بعدى فاختر الأرض المقدسه-يعنى الشام-فإن فيها الأبدال و قد اخترتكم فالعنوا أبا تراب(٣).

ص: ٩٩

١- (١) حياه الإمام الحسين(عليه السلام): ١٥١/٢، عن النصائح الكافيه: ٩٧.

٢- (٢) شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ١٠١/١٠.

٣- (٣) حياه الإمام الحسين(عليه السلام): ١٦٠/٢، و شرح نهج البلاغه: ٣٦١/٣.

٦- العنف مع شيعة أهل البيت (عليهم السلام):

اضطهدت الشيعة أيام معاوية اضطهاداً رسمياً، و مورس معهم أشد أنواع القمع و القهر. و قد وصف الإمام محمد الباقر (عليه السلام) الإرهاب الاموى بقوله (عليه السلام): «و قتلت شيعتنا بكلّ بلده و قطعت الأيدي و الأرجل على الظنّه، و كان من يذكر بحبنا و الانقطاع الينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره» (١).

و عمد معاوية الى إبادة القوى المفكّره و الواعيه من الشيعة، و قد ساق أفواجا منهم الى ساحات الإعدام، من قبيل: حجر بن عدى و رشيد الهجرى و عمرو بن الحمق الخزاعى و أوفى بن حصن.

و لم يقتصر معاوية على تنكيله برجال الشيعة، و إنّما تجاوز ظلمه الى نساءهم، فأشاع الذعر و الإرهاب فى العديد منهم مثل: الزرقاء بنت عدى و سوده بنت عماره و ام الخير البارقيه.

و أو عز معاوية الى جميع عمّاله بهدم دور الشيعة و محو أسمائهم من الديوان و قطع عطائهم و رزقهم، كذلك عهد الى عمّاله بعدم قبول شهادتهم فى القضاء و غيره مبالغه فى إذلالهم و تحقيرهم.

إنّ انحرافات معاوية و جرائمه لا يمكن استيعابها فى هذه الإشارات السريعه، و هى تتطلّب كتابا خاصا بها لكثرتها و سعتها، و لقد كنّا نرمى فى الدرجه الاولى من هذه الإشارات الى التمهيد للتطرّق الى ذكر جريمته الكبرى التى أدّت بالإمام الحسين (عليه السلام) الى إعلان ثورته، هذه الجريمه التى تمثّلت فى فرض ابنه يزيد الفاسق وئيا للعهد.

ص: ١٠٠

١- (١) شرح نهج البلاغه: ١٥/٣، و الطبقات الكبرى: ٩٥/٥.

٧- فرض البيعه بالقوه ليزيد الفاجر:

لقد كانت الخلافة أيام بكر و عمر و عثمان ذات مسحة إسلاميه و كانوا يحكمون تحت شعار خلافة الرسول (صلى الله عليه و اله).

على أن معاويه حينما بدأ بالسيطره على زمام السلطه فإنه-رغم الخداع و التضليل الذى عرفنا شيئا عنه-لم يجترئ على تحدى الرسول (صلى الله عليه و اله) و رسالته بشكل علنى و صريح فى بدايه حكمه؛ إذ كان يستغل المظاهر الإسلاميه لإحكام القبضه و لتحقيق مزيد من السيطره على رقاب أبناء الامه الإسلاميه.

و من هنا وصف معاويه بالدهاء و الذكاء المفرط؛ لأنه كان يلبس باطله لباسا إسلاميا.

و لكن تحميله ليزيد الفاجر المعلن بفسقه على الامه جاء هتكا صريحا للقيم الإسلاميه و استهتارا واضحا لعرف المسلمين؛ و ذلك لما عرفه المسلمون جميعا من أن الخلافة الإسلاميه ليست حكما قيصريا و لا كسرويا لينتقل بالوراثة، و لا يستحق هذا المنصب إلا العالم بالكتاب و السنه، العامل بهما و القادر على تحقيق أهداف الرساله الاسلاميه و تطبيق أحكامها.

هذا مضافا إلى أن فرض البيعه ليزيد على المسلمين كان جريمه كبرى ذات أبعاد اجتماعيه و سياسيه خطيره تنتهى بتصفيه الاسلام و محوه من على وجه الأرض، لو لا ثوره الإمام الحسين (عليه السلام) سبط الرسول الأعظم (صلى الله عليه و اله) الحافظ لدين جدّه من الضياع و الدمار.

و لأجل الوقوف على عظمه هذه الجريمه؛ لا بد أن نعرف أولا من هو يزيد؟ و ما هو السبب الذى جعله غير صالح للخلافة؟ و لما ذا يكون فرض بيعته عدوانا صريحا على الاسلام و ارتدادا عنه و عوده الى الجاهليه التى ناهضها الاسلام؟

قبل الحديث عن تولّى يزيد للحكم و موقف الإمام الحسين (عليه السّلام) من ذلك لا- بدّ و أن نعرف من هو يزيد في منظار الإسلام و المسلمين؟ و ما هو رأى الإسلام في البيت الاموى بصوره عامه؟

لا يشك أحد من الباحثين و المؤرّخين في أنّ الامويّين كانوا من الدّ أعداء الإسلام و أنكذ خصومه منذ أن بزغ فجره و حتى آخر مرحله من مراحل حكمهم. و أنهم لم يدخلوا فيه إلّا- بعد أن استنفدوا جميع إمكاناتهم في محاربتة حتّى باؤوا بالفشل. و لما دخلوا فيه مرغمين أخذوا يخطّطون لتشويه معالمه و إعادته مظاهر الجاهليه بكلّ أشكالها بأسلوب جديد و تحت ستار الإسلام.

و كان معاوية يرتعش جزعا و يضجر عندما كان يسمع النداء باسم النبي محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه و اله) و يشعر بانطلاق هذا الاسم المبارك في أجواء العالم الإسلامي من أعلى المآذن في كلّ يوم.

و هكذا كان غيره من حكام ذلك البيت الذين حكموا باسم الإسلام و هم يعملون على تقويضه و إبرازه على غير واقعه و تشويه قوانينه و تشريعاته و مثله.

و يزيد بن معاوية الذى وقف الإمام الحسين (عليه السّلام) منه ذلك الموقف الخالد كان كما يصفه المؤرّخون و المحدّثون مستهترا الى حدّ الإسراف فى الاستهتار، و ممعنا فى الفحشاء و المنكرات الى حدّ الغلوّ فى ذلك(١).

ص: ١٠٢

ولد يزيد سنة (٢٥ أو ٢٦ هـ) (١) و أمه ميسون بنت بجدل الكلبيه، وقد ذكر المؤرّخون: أنّ ميسون بنت بجدل الكلبيه أمكنت عبد أبيها من نفسها، فحملت بيزيد-لعنه الله- إلى هذا أشار النشابه الكلبي بقوله:

فإن يكن الزمان أتى علينا بقتل الترك و الموت الوحي

فقد قتل الدعى و عبد كلب بأرض الطف أولاد النبي

أراد بالدعوى عبيد الله بن زياد لعنه الله... و مراده بعبد كلب يزيد بن معاوية، لأنّه من عبد بجدل الكلبي (٢).

و فيما يتصل بصفاته الجسميّة فقد وصفه ابن كثير-في بدايته- بأنّه كان كثير اللحم عظيم الجسم و كثير الشعر مجدورا (٣).

أمّا صفاته النفسية فقد ورث صفات الغدر و النفاق و الطيش و الاستهتار من سلفه، حتّى قال المؤرّخون: و كان يزيد قاسيا غدارا كأبيه، (إن كان من معاوية طبعاً) و لكنّه ليس داهيه مثله، كانت تنقصه قدره على تغليف تصرّفات القاسية بستر من اللباقة الدبلو ماسية الناعمه، و كانت طبيعته المنحلّه و خلقه المنحطّ لا تتسرّب اليها شفقّه و لا عدل. كان يقتل و يعدّب نشوانا للمتعه و اللذّه التي يشعر بها، و هو ينظر الى آلام الآخرين، و كان يؤرّه لأبشع الرذائل، و ها هم ندماءؤه من الجنسين خير شاهد على ذلك، لقد كانوا من حثاله المجتمع (٤).

ص: ١٠٣

١- (١) حياه الإمام الحسين (عليه السلام): ١٧٩/٢.

٢- (٢) بحار الأنوار: ٣٠٩/٤٤.

٣- (٣) سيره الأئمّه الاثنى عشر: ٤٢/٢.

٤- (٤) حياه الإمام الحسين: ١٨١/٢-١٨٢.

و قد نشأ يزيد عند أخواله فى البادية من بنى كلاب الذين كانوا يعتنقون المسيحية قبل الاسلام، و كان مرسل العنان مع شبابهم الماجنين فتأثر بسلوهم الى حد بعيد، فكان يشرب معهم الخمر و يلعب معهم بالكلاب.

ولع يزيد بالصيد:

و من مظاهر صفات يزيد ولعه بالصيد، فكان يقضى أغلب أوقاته فيه، قال المؤرخون: كان يزيد بن معاوية كلفا بالصيد لاهيا به، و كان يلبس كلاب الصيد الأساور من الذهب و الجلال المنسوجه منه، و يهب لكل كلب عبدا يخدمه (١).

شغفه بالقرد:

و كان يزيد-فيما أجمع عليه المؤرخون-ولعا بالقرد، و كان له قرد يجعله بين يديه و يكتبه بأبى قيس، و يسقيه فضل كأسه، و يقول: هذا شيخ من بنى اسرائيل أصابته خطيئه فمسخ، و كان يحمله على أتان وحشيه و يرسله مع الخيل فى حلبه السباق، فحمله يوما فسبق الخيل فسرّ بذلك و جعل يقول:

تمسك أبى قيس بفضل زمامها فليس عليها إن سقطت ضمان

فقد سبقت خيل الجماعه كلها و خيل أمير المؤمنين أتان

و أرسله مرّه فى حلبه السباق فطحته الريح فمات فحزن عليه حزنا شديدا، و أمر بتكفينه و دفنه كما أمر أهل الشام أن يعزّوه بمصابه الأليم، و أنشأ راثيا له:

كم من كرام و قوم ذوو محافظه جاؤا لنا ليعزوا فى أبى قيس

ص: ١٠٤

١- ((١)) راجع الفخرى لابن الطقطقى: ٤٥، و تاريخ اليعقوبى: ٢٣/٢، و تاريخ الطبرى: ٣٦٨/٤، و البدايه و النهايه: ٢٣٦/٨-٢٣٩.

شيخ العشيره أمضاها و أجملها على الرؤوس و فى الأعناق و الرئيس

لا يبعد الله قبرا أنت ساكنه فيه جمال و فيه لحيه التيس(١)

و ذاع بين الناس هيامه و شغفه بالقرد حتى لقبوه بها، و يقول رجل من تنوخ هاجيا له:

يزيد صديق القرد ملّ جوارنا فحنّ الى أرض القرد يزيد

فتبا لمن أمسى علينا خليفه صحابته الأذنون منه قرد(٢)

إدمانه على الخمر:

و الظاهره البارزه من صفات يزيد إدمانه على الخمر حتى أسرف فى ذلك الى حد كبير، فلم ير فى وقت إلا و هو ثمل لا يعى من فرط السكر، و من شعره فى الخمر:

أقول لصحب ضمت الخمر شملهم و داعى صبايات الهوى يترنم

خذوا بنصيب من نعيم و لذه فكلّ و إن طال المدى يتصرّم(٣)

و ينقل المؤرخون عن عبد الله بن حنظله الذى خرج على يزيد بعد أن اصطحب وفدا من أهل المدينه الى الشام فى أعقاب استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) وصفه ليزيد بقوله: و الله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجاره من السماء، إنه رجل ينكح الامهات و البنات و الأخوات، و يشرب الخمر و يدع الصلاه، و الله لو لم يكن معى أحد من الناس لأبليت لله بلاء حسنا(٤).

ص: ١٠٥

١- (١) حياه الإمام الحسين (عليه السلام): ١٨٢/٢، نقلا عن جواهر المطالب: ١٤٣.

٢- (٢) أنساب الأشراف: ٢/٢.

٣- (٣) حياه الإمام الحسين: ١٨٣/٢، نقلا عن تأريخ المظفرى.

٤- (٤) تأريخ ابن عساكر: ٣٧٢/٧، و تأريخ الخلفاء للسيوطى: ٨١.

و قال أعضاء الوفد: قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر و يعزف بالطنابير و يلعب بالكلاب(١).

و نقل عن المنذر بن الزبير قوله فى وصفه: و الله إنه ليشرب الخمر، و الله إنه ليسكر حتى يدع الصلاة(٢).

و وصفه أبو عمر بن حفص بقوله: و الله رأيت يزيد بن معاوية يترك الصلاة مسكرا... (٣)

و يتبدى الكفر فى وصفه للخمر فى الآيات الآتية:

شميسه كرم برجها قعدنّها و مشرقها الساقى و مغربها فمى

إذا انزلت من دنّها فى زجاجه حكّت نفرا بين الحطيم و زمزم

فإن حرمت يوما على دين أحمد فخذها على دين المسيح ابن مريم(٤).

و عنه قال المسعودى: و كان يزيد صاحب طرب و جوارح و كلاب و قرود و فهود و منادمه على الشراب، و جلس ذات يوم على شرابه و عن يمينه ابن زياد و ذلك بعد قتل الحسين، فأقبل على ساقيه فقال:

إسقنى شربه ترؤى مشاشى ثم مل فاسق مثلها ابن زياد

صاحب السرّ و الأمانة عندى و لتسديد مغنمى و جهادى

ثم أمر المغنّين فغنّوا، و غلب على أصحاب يزيد و عماله ما كان يفعل من الفسوق، و فى أيامه ظهر الغناء بمكة و المدينة، و استعملت الملاهى و أظهر الناس شرب الشراب(٥).

ص: ١٠٦

١- (١) تاريخ ابن عساكر: ٣٧٢/٧، و تاريخ الخلفاء للسيوطى: ٨١.

٢- (٢) البدايه و النهايه: ٢١٦/٨، الكامل لابن الأثير: ٤٥/٤.

٣- (٣) المصدر السابق.

٤- (٤) تتمه المنتهى: ٤٣.

٥- (٥) مروج الذهب: ٩٤/٢.

و يؤكّد في مكان آخر: و كان يسمّى يزيد السكران الخمير(١).

و كان ليزيد جماعه من الندماء الخليعين و الماجنين يقضى معهم لياليه الحمراء بين الشراب و الغناء«و في طليعه ندمائه الأخطل الشاعر المسيحي الخليع، فكانا يشربان و يسمعان الغناء، و إذا أراد السفر صحبه معه، و لَمّا هلك يزيد و آل أمر الخلافه الى عبد الملك بن مروان قَرَبه، فكان يدخل عليه بغير استئذان، و عليه جنبه خزّ، و في عنقه سلسله ذهب، و الخمر يقطر من لحيته»(٢).

إن مطالعه الحياه الماجنه ليزيد في حياه أبيه تكفي لفهم دليل امتناع عامه الصحابه و التابعين من الرضوخ لبيعه يزيد بالخلافه.

إنّ نوايا يزيد و نزعاته المنحرفه قد تجلّت بشكل واضح خلال فتره حكمه القصيره، حتى أنّه لم يبال بإظهار ما كان يضمّره من حقد للرسول(صلى الله عليه و اله) و ما كان ينطوى عليه من إحداد برسالته(صلى الله عليه و اله) بعد أن دَنَسَ يديه بقتل سبط الرسول و ريحانته أبي عبد الله الحسين(عليه السلام) و هو متسلّط-بالقهر-على رقاب المسلمين باسم الرسول الأعظم(صلى الله عليه و اله).

إحداد يزيد و حقدّه على رسول الله(صلى الله عليه و اله):

لقد أترعت نفس يزيد بالحقّد على الرسول(صلى الله عليه و اله) و البغض له، لأنّه و تره باسرتّه يوم بدر، و لَمّا أباد العتره الطاهره جلس على أريكه الملك جذلان مسرورا، فقد استوفى ثأره من النبي(صلى الله عليه و اله) و تمّنى حضور أشياخه ليروا كيف أخذ بثأرهم، و جعل يترنّم بأبيات عبد الله بن الزبيرى:

ليت أشياخى ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

ص: ١٠٧

١- (١) مروج الذهب: ٩٤/٢.

٢- (٢) الأغاني لأبي الفرج الإصفهاني: ١٧٠/٧.

لأهلوا واستهلوا فرحا ثم قالوا يا يزيد لا تشل

قد قتلنا القرم من أشياخهم و عدلناه بيدر فاعتدل

لعبت هاشم بالملك فلا خير جاء ولا وحى نزل

لست من خندف إن لم أنتقم من بنى أحمد ما كان فعل(١)

بل إنَّ يزيدا جاهر بالحاده و كفره عندما تحرّك عبد الله بن الزبير ضدّه في مكه، فقد وجّه جيشا لإجهاض تحرّك ابن الزبير و زوّده برسالة اليه، ورد فيها البيت الآتي:

ادع إلهك في السماء فإنني أدعو عليك رجال عك و أشعرا(٢)

جرائم حكم يزيد:

ذكر المؤرّخون أنّ يزيد ارتكب خلال فتره حكمه القصيره التي لم تتجاوز ثلاث سنين و نصف، ثلاث جرائم مروّعه لم يشهد لها التاريخ نظيرا، بحيث لم تسوّد تاريخ الامويين الى الأبد فحسب؛ و إنّما شوّهت تاريخ العالم الإسلامي كذلك، و من هذه الجرائم:

١- انتهاك حرمة أهل بيت الوحي بقتل الإمام الحسين السبط (عليه السّلام) و من معه من اسرته و أصحابه و سبي نسائه و أطفاله و عرضهم على الجماهير من بلد الى بلد سنة (٦١هـ) و هم ذرية رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و ملايين المسلمين تقدّسهم و تذكر فيهم الرسول (صلّى الله عليه و اله) و كلّ ما في الإسلام من حقّ و خير.

٢- إقدامه بعد ملحمة عاشوراء على انتهاك حرمة مدينه الرسول (صلّى الله عليه و اله) و قتل أهلها و إباحه أعراضهم لجيش الشام، لأنّهم استعظموا قتل الإمام

ص: ١٠٨

١- ((١)) حياه الإمام الحسين (عليه السّلام): ١٨٧/٢، نقلا عن البدايه و النهايه: ١٩٢/٨.

٢- ((٢)) مروج الذهب: ٩٥/٢.

الحسين (عليه السلام) و أنكره عليه.

٣- إقدامه على حصار مكه و تدمير الكعبه و قتل آلاف الأبرياء فى الحرم الذى جعله الله حراما و آمنا.

السز الكامن وراء نزعات يزيد الشريه:

رئح بعض المؤرخين أن بعض نساطره النصارى تولى تربيه يزيد و تعليمه، فنشأ نشأ سيئه ممزوجه بخشونه الباديه و جفاء الطبع، و قالوا: إنه كان من آثار تربيته المسيحيه أنه كان يقرب المسيحيين و يكثر منهم فى بطانته الخاصه، و بلغ من اطمئنانه إليهم أن عهد بتربيه ولده الى مسيحي، كما اتفق على ذلك المؤرخون (١).

و لا يمكن أن تعلل هذه الصله الوثيقه و تعلقه الشديد بالأخطل و غيره إلا بتربيته ذات الصبغه المسيحيه. هكذا حاول بعض المؤرخين و الكتاب أن يعلل استهتار يزيد بالإسلام و مقدساته و حرمانه.

و هذا التعليل يمكن أن يكون له ما يسوغه لو كانت لحياه الباديه و للتربيه المسيحيه تلك الصبغه الشاذة التى برزت فى سلوك يزيد من مطلع شبابه إلى أن أصبح ولنا لعهد أبيه و حاكما من بعده.

فى حين أن العرب فى حاضرتهم و باديتهم كانت لهم عادات و أعراف كريمه قد أقرها الإسلام كالوفاء و حسن الجوار و الكرم و النجده و صون الأعراض و غير ذلك مما تحدت به التاريخ عنهم، و لم يعرف عن يزيد شىء من ذلك، كما و أن التاريخ لم يحدت عنهم بأنهم استحلوا نكاح الأخوات و العمات كما حدت التاريخ عنه. و الذين ولدوا فى الباديه على النصرانيه طيله

ص: ١٠٩

١- (١) سيره الأئمه الاثنى عشر: ٤٢/٢ و راجع أيضا: حياه الإمام الحسين (عليه السلام): ١٨٠/٢. عن المناقب: ٧١ للفاضى نعمان المصرى، و سمو المعنى فى سمو الذات: ٥٩ العلائلى.

حياتهم قبل الفتح الإسلامى و عاشوا فى ظلّ أعرافها و عاداتها حينما دخلوا فى الإسلام تغلبوا على كلّ ما اعتادوه و ألفوه عن الآباء و الأجداد.

فلا بدّ إذن من القول بأنّ لذلك الانحراف الشديد و الوبىء فى شخصيه يزيد و سلوكه سببا وراء التريه و الحضانه المسيحيه.

الى هنا نكون قد وقفنا على صورته واضحه عن واقع شخصيه يزيد المنحرفه عن خطّ الاسلام انحرافا لا يسوغ لأى مسلم الانقياد لها و السكوت عليها ما دام الاسلام يمنع الإباحيه و الفسق و يدعو الى العدل و التقوى، و يحاول تحقيق مجتمع عامر بالتقوى، و يريد للمسلمين قياده تحرص على تحقيق أهداف الإسلام المثلى.

و من هنا كان علينا أن نطالع بدقّه كل مواقف الإمام الحسين (عليه السلام) باعتباره القائد الرسالى الحريص على مصالح الرساله و الامه الاسلاميه و ندرس تخطيطه الرسالى للوقوف أمام الانحراف الهائل الذى كان يمتدّ بسرعه فى أعماق المجتمع الاسلامى آنذاك.

ص: ١١٠

إشاره

مواقف الإمام الحسين (عليه السلام) و إنجازاته

البحث الأول: موقفه (عليه السلام) من البيعه ليزيد

١- دعوته انتهازيه و خطئه شيطانيه:

عند ما ارتفعت رايه الحقّ مرفرفه فوق ربوع مكّه و معلنه عن انتصارها؛ دخل أبو سفيان و معاويه في الإسلام و نار الحقد تستعر في قلوبهما و نزعه الثأر من الرسول (صلّى الله عليه و اله) و أهل بيته (عليهم السّلام) تكمن في صدريهما، فتحوّلا- من كونهما كافرين الى كونهما مستسلمين طليقين من طلقاء الرسول (صلّى الله عليه و اله). و لم يطل العهد حتى حكم عثمان بن عفان فتسرّب ما كان مختبئا في القلب و ظهر على لسان أبي سفيان و هو يخاطب عثمان بقوله: صارت إليك بعد تيم و عدوّ فأدرها كالكره فإنّما هو الملك و لا أدري ما جنّه و لا نار(١).

و خاطب أبو سفيان بني امّيه ثانيه: يا بني امّيه! تلقّفوها تلقّف الكره، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم، و لتصيرنّ إلى صبيانكم ورثه(٢).

و حين أطلّ معاويه من نافذه السقيفه على كرسى الحكم بانّت نتائج

ص: ١١١

١- (١) الاستيعاب: ٢/٦٩٠.

٢- (٢) مروج الذهب: ١/٤٤٠، تاريخ ابن عساکر: ٦/٤٠٧.

الانحراف و اتّضحت خطورته؛ فإنّه قد لا- حظ، أنّ أبا بكر و عمر و عثمان قد ملكوا قبله و لم تسمح لهم الظروف بإعادة صرح الجاهليه من جديد، و لا زال صوت الحقّ هادرا كلّ يوم بالتوحيد و بالرساله لمحمّد بن عبد الله (صلّى الله عليه و اله) (١).

كما أنّ الانحراف السياسى الذى و لدته السقيفه و تربّت عليه فئات من الامّه استثمره معاويه أيما استثمار، فقد احتجّ على الناس بأنّ أبا بكر ببيع بدون نصّ سماوىّ أو أمر من رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و أنّه خالف سيره رسول الله (صلّى الله عليه و اله) إذ جعل عمر خليفه من بعده، و صنع عمر ما لم يصنعه قبله و خالف بذلك الله و رسوله و أبا بكر. و وفق هذا المنطق فإنّ الامّه و مصير الرساله الإسلاميه تكون العوبه بيد معاويه يسوسها كيف يشاء. من هنا قرّر أن يبايع بالخلافه ليزيد (٢) من بعده.

و قد خلت الساحة السياسيه للزمره الامويه بعد فتن و مصاعب أشعلها معاويه مستغلاً جهاله طبقات من الامّه، و موظفا كلّ الطاقات التى وقفت ضدّ الإمام عليّ (عليه السلام) لصالحه فى مواجهه تيار الحقّ بقياده الإمام الحسن (عليه السلام).

و استأثر بالحكم بعد قتله للإمام الحسن (عليه السلام) و استهتاره بقيم الإسلام و تعاليمه.

و كان حاذقا فى إحكام سيطرته و ملكه، و لكنّه لم يجرؤ لإعلان خطّته تثبيتا لملكك بنى اميه باستخلاف يزيد من بعده و فى الامّه من هو صاحب الخلافه الشرعيه و هو الإمام الحسن (عليه السلام) و من بعده أخوه الإمام الحسين (عليه السلام) الذى كان على الامّه أن تعود لقيادته بعد افتقادها للحسن (عليه السلام).

يضاف إلى ذلك أنّ أحدا من الخلفاء الثلاثة لم يوص بالخلافه لولده من بعده. و نظرا لما كان ينطوى عليه يزيد من ضعف و استهتار و مجون

ص: ١١٢

١- (١) مروج الذهب: ٣٤٣/٢، و شرح النهج: ٣٥٧/٢.

٢- (٢) الإمامه و السياسه: ١٨٩/١.

فقد مضى معاويه بكلّ جدّ ليجبك الأمر و يدبّره بطريقه يخدع بها الامه، بل يقهرها على قبول البيعه ليزيد. من هنا بادر إلى قتل الإمام الحسن السبط (عليه السلام) و خيار المؤمنين فى خطوه اولى ليرفع بذلك أهمّ الموانع التى كانت تحول بينه و بين تنفيذ خطته.

على أنّ أصحاب النفوس الرذيله و المطامع الدنيويه على استعداد تام لبلوغ أتفه المطامع من أى طريق كان. فقد روى أنّ المغيره بن شعبه-الذى كان واليا من قبل معاويه على الكوفه-علم بأنّ معاويه ينوى عزله فأسرع إلى نسج خيوط مؤامره جلبت الولايات على الامه الإسلاميه و ليكون بذلك سمسارا يوافق على ما لا يملك؛ إذ همس فى أذن يزيد يمّنيه بخلافه أبيه و يزيّن له الأمر و يسهّله. و وجد معاويه أنّ خطّه شيطانيه يمكن أن يكون المغيره عاملا لتنفيذها(1)، فسأله مخادعا: و من لى بهذا؟ فردّ عليه المغيره:

أكيفك أهل الكوفه و كيفيك زياد أهل البصره، و ليس بعد هذين المصرين أحد يخالفك. و هكذا قبض المغيره على ربح عاجل لصفقه مؤجله، و رجع الى الكوفه بكلّ قوه لينفذ الخطه و هو يقول: لقد وضعت رجل معاويه فى غرز بعيد الغايه على امه محمّد(2).

و رفض زياد بن أبيه هذه الخطه الخبيثه؛ و لعلّه لما كان يلمسه من ردائل فى شخصيه يزيد بحيث تجعله غير صالح لزعامه الامه. و قد أثارت هذه الخطه مطامع أطراف اخرى من بنى اميه، فمدّ كل من مروان بن الحكم و سعيد بن عثمان بن عفان عنقه لذلك(3).

ص: ١١٣

١- ((١)) الكامل فى التاريخ: ٢٤٩/٣، و تاريخ يعقوبى: ١٩٥/٢، و الإمامه و السياسه: ٢٦٢/٢.

٢- ((٢)) الكامل فى التاريخ: ٢٤٩/٣.

٣- ((٣)) و فيات الأعيان: ٣٨٩/٥، و الإمامه و السياسه: ١٨٢/١، و تاريخ يعقوبى: ١٩٦/٢.

و جَمَد معاويه رسميا و بشكل مؤقت خَطَّته لأخذ البيعه ليزيد؛ و ذلك لِيَتَّخِذ إجراءات اخرى تمهيداً للإعلان الرسمي و في الفرصه المناسبه لذلك.

٢- أساليب معاويه لإعلان بيعه يزيد:

لمس معاويه رفض العائله الامويه المنحرفه لحكم يزيد من بعده، فكيف بصاحب الحق الشرعي-الإمام الحسن (عليه السَّلام) و من بعده الإمام الحسين (عليه السَّلام)- و عدد من أبناء الصحابه؟!

من هنا مضى جاداً باتخاذ سبل اخرى تتراوح بين مخادعه الامه و بين قهرها بالقوه على بيعه الخليع يزيد، و من تلك السبل:

أ- استخدام الشعراء لإسباغ فضائل على يزيد و لبيان مقدرته و إشاعه أمره، لكي تخضع الامه لولايته (١)، و أوعز الى ولاته و الخطباء في الأمصار لنشر تلك الفضائل المفتعله.

ب- بذل الأموال الطائله و شراء ذمم المعارضين ممن كان يقف ضدّ يزيد لا بدافع العقيدة و الحرص على الإسلام و إنما بدوافع شخصيه و ذاتيه (٢).

ج- استخدام وفود من وجهاء الأنصار^٣ و مناقشه قضيه يزيد معهم لمعرفة الرفض و المؤيد منهم، و معرفه نقاط الضعف لكي ينفذ منها إليهم.

د- إيقاع الخلاف بين عناصر بنى اميه الطامعين في الحكم كي يضعف منافستهم ليزيد، فقد عزل عامله على يثرب سعيد بن العاص و استعمل مروان ابن الحكم مكانه، ثم عزل مروان و استعمل سعيداً (٣).

ه- اغتيال الشخصيات الإسلاميه البارزه و التي كانت تحظى باحترام

ص: ١١٤

١- ((١)) الأغاني: ٧١/٨، و شعراء النصرانيه بعد الاسلام: ٢٣٤: اللويس شيخو اليسوعي.

٢- ((٣ و ٢)) الكامل في التاريخ: ٢٥٠/٣.

٣- ((٤)) تاريخ الطبري: ١٨/٤.

كبير فى نفوس الجماهير، فاغتال الإمام الحسن (عليه السلام) و سعد بن أبى وقاص و عبد الرحمن بن خالد و عبد الرحمن بن أبى بكر (١).

و-استخدام سلاح الحرمان الاقتصادي ضدّ بنى هاشم للضغط عليهم و إضعاف دورهم، فقد حبس عنهم العطاء سنه كامله (٢)؛ إذ وقفوا مع الإمام الحسين (عليه السلام) يرفضون البيعه ليزيد.

٣- محاولات الإمام الحسين (عليه السلام) لإيقاظ الامه:

اشاره

لم يخلد الإمام الحسين (عليه السلام) إلى السكون و الخمول حتى عند إقراره الصلح مع معاويه، فقد تحرّك انطلاقاً من مسؤوليته تجاه الشريعه و الامه الإسلاميه و بصفته و ريث النبوه -بعد أخيه الإمام الحسن (عليه السلام)- مراعيًا ظروف الامه و ساعياً إلى المحافظه عليها. و قد عمل الإمام (عليه السلام) فى فتره حكم معاويه على تحصين الامه ضدّ الانهيار التام فأعطاها من المقومات المعنويه القدر الكافى، كى تتمكّن من البقاء صامده فى مواجهه المحن. و إليك جملة من هذه المواقف:

١- مواجهه معاويه و بيعه يزيد.

٢- محاوله جمع كلمه الامه.

٣- فضح جرائم معاويه.

٤- استعادته حقّ مضيّع.

٥- تذكير الامه بمسؤولياتها.

ص: ١١٥

١- ((١)) مقاتل الطالبيين: ٢٩، و تاريخ الطبرى: ٥/٢٥٣، و الكامل فى التاريخ: ٣/٣٥٢.

٢- ((٢)) الكامل فى التاريخ: ٣/٢٥٢، و الإمامه و السياسه: ١/٢٠٠.

أعلن الإمام الحسين (عليه السلام) رفضه القاطع لبيعه يزيد و كذا زعماء يثرب، فقرّر معاويه أن يسافر إلى يثرب ليتولّى بنفسه إقناع المعارضين، فاجتمع بالإمام و عبد الله بن عباس، فأشاد بالنبي (صلى الله عليه و اله) و أثنى عليه، و عرض بيعه ابنه و منحه الألقاب الفخمة و دعاهما إلى بيعته، فانبرى الإمام (عليه السلام) فحمد الله و أثنى عليه ثم قال:

«أما بعد يا معاويه فلن يؤدّي المادح و إن أطنب في صفه الرسول (صلى الله عليه و اله) و قد فهمت ما لبست به الخلف بعد رسول الله (صلى الله عليه و اله) من إيجاز الصفة، و التنكّب عن استبلاغ النعت، و هيهات هيهات يا معاويه!! فضح الصبح فحمة الدجى، و بهرت الشمس أنوار السرج، و لقد فضّلت حتى أفرطت، و استأثرت حتى أجحفت، و منعت حتى بخلت، و جرت حتى تجاوزت، ما بذلت لذي حقّ من اسم حقّه من نصيب، حتى أخذ الشيطان حظّه الأوفر و نصيبه الأكمل.

و فهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله، و سياسته لأمّه محمّد (صلى الله عليه و اله)، تريد أن توهم الناس في يزيد كأنك تصف محجوبا أو تنعت غائبا، أو تخبر عمّا كان ممّا احتويته بعلم خاص، و قد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استفرائه الكلاب المهارشه عند التحارش، و الحمام السبق لأترابهنّ، و القيان ذوات المعازف، و ضروب الملاهي، تجده ناصرا.

ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر ممّا أنت لاقية! فو الله ما برحت تقدح باطلا في جور و حنقا في ظلم حتى ملأت الأسقيه، و ما بينك و بين الموت إلا غمضه، فتقدم على عمل محفوظ في يوم مشهود، و لات حين مناص، و رأيته

عَرَضَتْ بنا بعد هذا الأمر، و منعنا عن آباءنا تراثا و لعمر الله لقد أورثنا الرسول (صلى الله عليه و اله) و لادده، و جئت لنا بما حججتم به القائم عند موت الرسول (صلى الله عليه و اله) فأذعن للحججه بذلك و ردّه الإيمان الى النصف.

فر كبتم الأعاليل و فعلتم الأفاعيل، و قلمت كان و يكون حتى أتاك الأمر يا معاويه من طريق كان قصدها لغيرك، فهناك فاعتبروا يا اولي الأبصار.

و ذكرت قياده الرجل القوم بعهد رسول الله (صلى الله عليه و اله) و تأميره له، و قد كان ذلك لعمر و ابن العاص يومئذ فضيله بصحبه الرسول و بيعته له و ما صار لعمر و يومئذ حتى أنف القوم إمرته و كرهوا تقديمه و عدوا عليه أفعاله، فقال (صلى الله عليه و اله) لا جرم يا معشر المهاجرين لا- يعمل عليكم بعد اليوم غيري، فكيف تحتج بالمنسوخ من فعل الرسول في أوكد الأحكام و أولاهها بالمجتمع عليه من الصواب؟ أم كيف ضاهيت بصاحب تابعا و حولك من يؤمن في صحبته، و يعتمد في دينه و قرابته، و تتخطأهم الى مسرف مفتون؟ تريد أن تلبس الناس شبيهه يسعد بها الباقي في دنياه و تشقى بها في آخرتك، إن هذا لهو الخسران المبين، و أستغفر الله لي و لكم.

و ذهل معاويه من خطاب الإمام (عليه السلام)، و ضاقت عليه جميع السبل فقال لابن عباس: ما هذا يا ابن عباس؟ فقال ابن عباس: لعمر الله إنّها لذريه رسول الله (صلى الله عليه و اله) و أحد أصحاب الكساء و من البيت المطهر، فأسأله عما تريد فإن لك في الناس مقنعا حتى يحكم الله بأمره و هو خير الحاكمين. (١).

و قد اتسم موقف الإمام الحسين (عليه السلام) مع معاويه بالشده و الصرامه، و أخذ يدعو المسلمين علنا الى مقاومه معاويه، و يحذّرهم من سياسته الهدامة التي تحمل الدمار الى الاسلام.

ص: ١١٧

وأخذت الوفود تترى على الإمام من جميع الأقطار الإسلاميه وهى تعج بالشكوى وتستغيث به نتيجة الظلم والجور الذى حلّ بها، وتطلب منه القيام بإنقاذها من الاضطهاد، ونقلت العيون فى يثرب الى السلطه المحليه أبناء تجمّع الناس واختلافهم إلى الإمام (عليه السّلام) وكان الوالى مروان بن الحكم، ففرغ من ذلك وخاف من عواقبه جدا، فرفع مذّكره الى معاويه جاء فيها: أمّا بعد فقد كثر اختلاف الناس الى الحسين، والله إننى لأرى لكم منه يوما عصيبا(١).

واضطرب معاويه من تحرّك الإمام الحسين (عليه السّلام) فكتب اليه رساله جاء فيها: أمّا بعد، فقد انهيته إلى عنك امور، إن كانت حقًا فإنى لم أظنّها بك رغبه عنها، وإن كانت باطله فأنت أسعد الناس بمجانبتها، وبحظ نفسك تبدأ، وبعهد الله توفى فلا تحملنى على قطيعتك والإساءه إليك، فإنك متى تنكرنى أنكرك، ومتى تكدننى أكدك، فاتق الله يا حسين فى شقّ عصا الأئمة، وأن تردّهم فى فتنه(٢).

فضح جرائم معاويه:

كتب الإمام (عليه السّلام) الى معاويه مذّكره خطيره كانت ردّا على رسالته يحمله فيها مسؤوليات جميع ما وقع فى البلاد من سفك الدماء و فقدان الأمن و تعريض الأئمة للأزمات. وتعدّ من أروع الوثائق الرسميه التى حفلت بذكر الأحداث التى صدرت من معاويه، وهذا نصّها: «أمّا بعد، بلغنى كتابك تذكر فيه أنه انتهت اليك عنى امور أنت عنها راغب و أنا بغيرها عندك جدير، وأنّ الحسنات لا يهدى لها

ص: ١١٨

١- (١) حياه الإمام الحسين: ٢٢٣/٢.

٢- (٢) المصدر السابق: ٢٢٤/٢.

و لا- يسدّد إليها إلا الله تعالى. أما ما ذكرت أنه رقى اليك عنّي فإنه إنّما رقاها إليك الملائقون المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الجمع، و كذب الغاؤون، ما أردت لك حربا و لا عليك خلافا، و إنّى لأحشى الله في ترك ذلك منك، و من الإعداء فيه إليك و إلى أوليائك القاسطين حزب الظلمه.

ألست القاتل حجر بن عدى أخا كنده و أصحابه المصلّين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم، و يستعظمون البدع، و يأمرّون بالمعروف و ينهون عن المنكر، و لا- يخافون في الله لومه لائم؟ قتلتم ظلما و عدوانا من بعد ما أعطيتهم الأيمان المغلظه و المواثيق المؤكّده، جرأه على الله و استخفافا بعهده.

أ و لست قاتل عمرو بن الحمق الخزاعي صاحب رسول الله (صلّى الله عليه و اله) العبد الصالح الذى أبلته العباده فنحل جسمه و اصفرّ لونه؟ فقتلته بعد ما أمّنته و أعطيته ما لو فهمته العصم لتزلت من رؤوس الجبال.

أ و لست بمدعى زياد بن سميه المولود على فراش عبيد ثقيف، فزعمت أنّه ابن أبيك؟ و قد قال رسول الله (صلّى الله عليه و اله) «الولد للفراش و للعاهر الحجر» فتركت سنّه رسول الله (صلّى الله عليه و اله) تعمّدا، و تبعت هواك بغير هدى من الله، ثم سلّطته على أهل الإسلام يقتلهم و يقطع أيديهم و أرجلهم و يسمل أعينهم و يصلبهم على جذوع النخل، كأنك لست من هذه الامّه و ليسوا منك.

أ و لست قاتل الحضرمي الذى كتب فيه اليك زياد أنّه على دين عليّ كرم الله وجهه، فكتبت إليه أن اقتل كلّ من كان على دين عليّ؟ فقتلهم و متّل بهم بأمرك، و دين عليّ هو دين ابن عمّه (صلّى الله عليه و اله) الذى أجلسك مجلسك الذى أنت فيه، و لولا ذلك لكان شرفك و شرف آبائك تجشّم الرحلتين رحله الشتاء و رحله الصيف.

و قلت فيما قلت: انظر لنفسك و دينك و لامّه محمّد (صلّى الله عليه و اله) و اتق شقّ عصا هذه الامّه

و أن تردّهم الى فتنه، و إنى لا- أعلم فتنه أعظم على هذه الامة من ولايتك عليها، و لا- أعظم لنفسى ولدينى و لامة محمّد (صلّى الله عليه و اله) أفضل من أن اجاهرك، فإن فعلت فإنه قربه الى الله، و إن تركته فإنى استغفر الله لدينى و أسأله توفيقه لإرشاد أمرى.

و قلت فيما قلت: إنى إن أنكرتكَ تنكرنى، و إن أكدك تكدننى، فكدننى ما بدا لك، فإنى أرجو أن لا يضرّنى كيدك، و أن لا يكون على أحد أضرّ منه على نفسك، لأنك قد ركبت جهلك و تحرّصت على نقض عهدك، و لعمرى ما وفيت بشرط، و لقد نقضت عهدك بقتل هؤلاء النفر الذين قتلهم بعد الصلح و الأيمان و العهود و الموائيق، فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا أو قتلوا، و لم تفعل ذلك بهم إلا- لذكرهم فضلنا و تعظيمهم حقنا، مخافة أمر لعلك إن لم تقتلهم متّ قبل أن يفعلوا، أو ماتوا قبل أن يدركوا.

فأبشر يا معاويه بالقصاص، و استيقن بالحساب، و اعلم أنّ لله تعالى كتابا لا- يغادر صغيره و لا كبيره إلا أحصاها، و ليس الله بناس لأخذك بالظنّه، و قتلك أولياءه على التّهم، و نفيك إياهم من دورهم الى دار الغربه، و أخذك الناس ببيعه ابنك الغلام الحدث، يشرب الشراب، و يلعب بالكلاب، ما أراك إلا قد خسرت نفسك، و بترت دينك، و غششت رعيتك، و سمعت مقالة السفية الجاهل، و أخفت الورع التقى» (١).

و لا توجد وثيقه سياسيه فى ذلك العهد عرضت لعبث السلطه و سجّلت الجرائم التى ارتكبتها معاويه غير هذه الوثيقه، و هى صرخه فى وجه الظلم و الاستبداد.

استعاده حقّ مضيع:

و كان معاويه ينفق أكثر أموال الدوله لتدعيم ملكه، كما كان يهب

ص: ١٢٠

١- (١) حياه الإمام الحسين (عليه السلام): ٢٣٥/٢ عن الإمامه و السياسه: ٢٨٤/١، و الدرجات الرفيعه: ٣٣٤، و راجع الغدير: ١٦١/١٠.

الأموال الطائله لبنى اميّه لتقويه مركزهم السياسى و الاجتماعى، و كان الإمام الحسين (عليه السّلام) يشجب هذه السياسه، و يرى ضروره إنقاذ الأموال من معاويه الذى يفتقد حكمه لأى أساس شرعى، و لا يقوم إلا على القمع و التزييف و الإغراء. و قد اجتازت على يثرب أموال من اليمن مرسوله الى خزينه دمشق، فعمد الإمام (عليه السّلام) الى الاستيلاء عليها و وزّعها على المحتاجين، و كتب الى معاويه: «من الحسين بن على الى معاويه بن أبى سفيان، أمّا بعد فإنّ عيرا مرّت بنا من اليمن تحمل مالا و حللا و عنبرا و طيبا اليك لتودعها خزائن دمشق و تعلّ بها بعد النّهل بنى أيبك، و إني احتجتها اليها فأخذتها، و السلام» (١).

فأجاب معاويه: من عبد الله معاويه أمير المؤمنين الى الحسين بن على، سلام عليك، أمّا بعد فإنّ كتابك ورد علىّ تذكر أنّ عيرا مرّت بك من اليمن تحمل مالا و حللا و عنبرا و طيبا إلى لأودعها خزائن دمشق و اعلّ بها بعد النهل بنى أبى، و إنّك احتجت اليها فأخذتها، و لم تكن جديرا بأخذها إذ نسبتها إلى لأنّ الوالى أحقّ بالمال ثم عليه المخرج منه، و أيم الله لو تركت ذلك حتى صار إلى لم أبخسك حظك منه، و لكنّى قد ظننت يا ابن أحمى أنّ فى رأسك نزوه و بودى أن يكون ذلك فى زمانى، فأعرف لك قدرك و أتجاوز عن ذلك، و لكنّى و الله أتخوف أن تبلى بمن لا ينظرك فواق ناقه (٢).

إنّ الإمام الحسين (عليه السّلام) دلّل بعمله على أن ليس من حقّ الخليفه غير الشرعى أن يتصرّف فى أموال المسلمين، و أنّ ذلك من حقوق الحاكم الشرعى، و الحاكم الشرعى هو الإمام الحسين (عليه السّلام) نفسه الذى ينفق أموال بيت

ص: ١٢١

١- (١) نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ٣٢٧/٤، الطبعه الاولى، و ناسخ التواريخ: ١/١٩٥.

٢- (٢) شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ٣٢٧/٤، و ناسخ التواريخ: ١/١٩٥.

المال وفق المعايير الإسلامية. وقد أكد (عليه السلام) في رسالته على أنه لا يعترف رسمياً بخلافه معاوية؛ إذ لم يصفه بأمر المؤمنين كما كان يصفه الآخرون. ومن هنا حاول معاوية الالتفاف على موقف الإمام (عليه السلام) فوصف نفسه في رسالته الجوابية بأمر المؤمنين ووالي المسلمين ولكنه فشل في محاولته تلك، فقد بات موقف الإمام الحسين (عليه السلام) معياراً إسلامياً وملاكاً فارقاً وفاضلاً بين الصواب والخطأ للمسلمين جميعاً على مدى التاريخ، في حين لم يعر المسلمون لموقف معاوية أى اهتمام ولم يعتبروه سوى أنه تشويه للحقيقة وتضليل للرأى العام.

لقد كان موقف الإمام (عليه السلام) هذا إشارة واضحة للاعتراض على تصرفات وحكم معاوية والمطالبه بسياده الحق والعدل الإلهي.

تذكير الأئمة بمسؤوليتهم:

عقد الإمام (عليه السلام) في مكة مؤتمراً سياسياً عاماً دعا فيه جمهوراً غفيراً ممن شهد موسم الحج من المهاجرين والأنصار والتابعين وغيرهم من سائر المسلمين، فأنبرى (عليه السلام) خطيباً فيهم، وتحدث عما ألمّ بهترة النبي (صلى الله عليه و اله) وشيعتهم من المحن والإحزن التي صبها عليهم معاوية، وما اتخذته من الإجراءات المشددة في إخفاء فضائلهم، وستر ما اثر عن الرسول (صلى الله عليه و اله) في حقهم، وألزم الحاضرين بإذاعه ذلك بين المسلمين، وفيما يلي ما رواه سليم بن قيس عن هذا المؤتمر ونص خطاب الإمام (عليه السلام) حيث قال: ولما كان قبل موت معاوية بسنة حج الحسين بن عليّ و عبد الله بن عباس و عبد الله بن جعفر، فجمع الحسين بنى هاشم و نساءهم و مواليتهم و من حج من الأنصار ممن

يعرفهم الحسين و أهل بيته، ثم أرسل رسلا و قال لهم: لا تدعوا أحدا حجّ العام من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و اله) المعروفين بالصلاح و النسك إلاّ اجمعوهم لى، فاجتمع اليه بمنى أكثر من سبعمائه رجل و هم فى سرادق، عامتهم من التابعين، و نحو من مائتى رجل من أصحاب النبى (صلى الله عليه و اله) فقام فيهم خطيبا فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإنّ هذا الطاغية-يعنى معاوية-قد فعل بنا و بشيعتنا ما قد رأيتم و علمتم و شهدتم، و إني أريد أن أسألکم عن شىء فإن صدقت فصدّقونى، و إن كذبت فكذبونى، اسمعوا مقالتي و اکتبوا قولى، ثم ارجعوا الى أمصاركم و قبائلکم فمن أمنتكم من الناس، و وثقتم به فادعوهم الى ما تعلمون، فإنّي أخاف أن يندرس هذا الحقّ و يذهب، و الله متمّ نوره و لو كره الكافرون».

قال الراوى: فما ترك الحسين شيئا ممّا أنزل الله فيهم إلاّ تلاه و فسّره، و لا شيئا ممّا قاله رسول الله (صلى الله عليه و اله) فى أبيه و أخيه و امّه و فى نفسه و أهل بيته إلاّ رواه، و فى كلّ ذلك يقول أصحابه: اللهمّ نعم قد سمعنا و شهدنا، و ممّا ناشدهم (عليه السلام) أن قال:

«انشدکم الله، أتعلمون أنّ عليّ بن أبى طالب كان أخا رسول الله حين آخى بين أصحابه فأخى بينه و بين نفسه، و قال: أنت أخى و أنا أخوك فى الدنيا و الآخرة؟ قالوا: اللهمّ نعم، قال: انشدکم هل تعلمون أنّ رسول الله اشترى موضع مسجده و منزله فابتناه ثم ابنتى فيه عشره منازل تسعه له، و جعل عاشرها فى وسطها لأبى، ثم سدّ كلّ باب شارع الى المسجد غير بابه؟ فتكلّم فى ذلك من تكلّم، فقال: ما أنا سدّدت أبوابکم و فتحت بابه، و لكنّ الله أمرنى بسدّ أبوابکم و فتح بابه، ثم نهى الناس أن يناموا فى المسجد غيره، و كان بجنب فى المسجد و منزله فى منزل رسول الله، فولد لرسول الله و له فيه أولاد، قالوا: اللهمّ نعم، قال:

أفتعلمون أنّ عمر بن الخطاب حرص على كوه قدر عينه يدعها فى منزله الى المسجد فأبى

عليه، ثم خطب فقال: إنَّ الله أمرني أن أبني مسجدا طاهرا لا يسكنه غيري و غير أخي و بنيه؟ قالوا: اللّهُمَّ نعم، قال: انشءكم الله أن تعلمون أن رسول الله قال في غزوه تبوك: أنت مني بمنزله هارون من موسى، و أنت ولي كل مؤمن بعدى؟ قالوا: اللّهُمَّ نعم، قال: انشءكم الله أن تعلمون أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) حين دعا النصارى من أهل نجران الى المباحلة لم يأت إلا به و بصاحبه و ابنه؟ قالوا: اللّهُمَّ نعم، قال: انشءكم الله أن تعلمون أن رسول الله دفع اليه اللواء يوم خيبر، ثم قال: لأدفعه إلى رجل يحويه الله و رسوله و يحب الله و رسوله كزار غير فزار، يفتحها الله على يديه؟ قالوا: اللّهُمَّ نعم، قال: أن تعلمون أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) بعثه ببراءة و قال: لا يبلغ عني إلا أنا أو رجل مني؟ قالوا: اللّهُمَّ نعم، قال:

أ تعلمون أن رسول الله لم تنزل به شدة قط إلا قدمه لها ثقة به و أنه لم يدعه باسمه قط، إلا يقول يا أخي؟ قالوا: اللّهُمَّ نعم، قال:

أ تعلمون أن رسول الله قضى بينه و بين جعفر و زيد فقال: يا علي أنت مني و أنا منك و أنت ولي كل مؤمن بعدى؟ قالوا: اللهم نعم، قال:

أ تعلمون أنه كانت له من رسول الله (صلى الله عليه و اله) كل يوم خلوه، و كل ليلة دخله، إذا سأله أعطاه، و إذا سكت أبداه؟ قالوا: اللّهُمَّ نعم، قال:

أ تعلمون أن رسول الله فضله على جعفر و حمزه حين قال لفاطمه (عليها السلام): زوّجتك خير أهل بيتي أقدمهم سلما و أعظمهم حلما و أكثرهم علما؟ قالوا: اللّهُمَّ نعم، قال:

أ تعلمون أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) قال: أنا سيّد ولد آدم، و أخي علي سيّد العرب، و فاطمه سيّده نساء أهل الجنّة؟ و الحسن و الحسين ابناي سيّدا شباب أهل الجنّة، قالوا:

اللّهُمَّ نعم، قال:

أ تعلمون أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) أمره بغسله، و أخبره أن جبرئيل يعينه عليه؟ قالوا:

اللّهُمَّ نعم، قال:

أ تعلمون أنّ رسول الله (صلى الله عليه و اله) قال فى آخر خطبه خطبها: أيها الناس! إننى تركت فىكم الثقلين كتاب الله و أهل بيته فتمسكوا بهما لن تضلوا! قالوا: اللهم نعم.

فلم يدع (صلى الله عليه و اله) شيئاً أنزله الله فى عالى بن أبى طالب خاصه و فى أهل بيته من القرآن و لا على لسان نبيه إلا ناشدهم فيه فيقول الصحابه: اللهم نعم قد سمعناه، و يقول التابعى: اللهم قد حدثني من أثق به فلان و فلان.

ثم ناشدهم أنهم قد سمعوه يقول: من زعم أنه يحبني و يبغض علياً فقد كذب، ليس يحبني و هو يبغض علياً، فقال له قائل: يا رسول الله و كيف ذلك؟ قال: لأنّه مني و أنا منه، من أحبّه فقد أحبني و من أحبني فقد أحبّ الله، و من أبغضه فقد أبغضني، و من أبغضني فقد أبغض الله! فقالوا: اللهم نعم، قد سمعناه، و تفزقوا على ذلك (١).

موت معاويه:

لقد كان موت معاويه بن أبى سفيان فى سنه ستين من الهجره (٢).

و استقبال معاويه الموت غير مطمئن، فكان يتوجع و يظهر الجزع على ما اقترفه من الإسراف فى سفك دماء المسلمين و نهب أموالهم، و قد و افاه الأجل فى دمشق محروماً عن رؤيه ولده الذى اغتصب له الخلافه و حمله على رقاب المسلمين، و كان يزيد فيما يقول المؤرخون مشغولاً عن أبيه - فى أثناء وفاته - برحلات الصيد و غارقاً فى عربدات السكر و نغمه العيدان (٣).

ص: ١٢٥

١- (١) كتاب سليم بن قيس: ٣٢٣، تحقيق محمد باقر الأنصارى.

٢- (٢) سيره الأئمه الاثنى عشر: ٥٤/٢.

٣- (٣) حياه الإمام الحسين (عليه السلام): ٢٣٩/٢ - ٢٤٠.

بدايات النهضة:

ذكرنا أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) وبالرغم من معارضته الشديدة لحكم معاوية بن أبي سفيان -و التي نقلنا صوراً عديدة منها- رفض التحرك لخلع معاوية؛ التزاماً منه بالعهد الذي وقّعه أخوه الإمام الحسن (عليه السلام) مع معاوية.

وقد سجّل المؤرّخون هذا الموقف المبدئي للإمام الحسين (عليه السلام) فقالوا:

لَمَّا مات الحسن (عليه السلام) تحرّكت الشيعة بالعراق، وكتبوا إلى الحسين (عليه السلام) في خلع معاوية و البيعه له فامتنع عليهم، و ذكر أنّ بينه و بين معاوية عهداً و عقداً لا يجوز له نقضه حتى تمضي المدّة، فإذا مات معاوية نظر في ذلك (١).

من هنا كان معلوماً لشيئته و للجهاز الحاكم أيضاً أنّ موت معاوية يعني بالنسبة للإمام الحسين (عليه السلام) أنه في حلّ من أيّ التزام، و من ثمّ فإنّه سيطلق ثورته على نظام الحكم العاشم الذي استلمه يزيد الفاسق، لذلك كان الإمام الحسين (عليه السلام) يمثّل الهاجس الأكبر للطغمة الحاكمة.

رسالة يزيد إلى حاكم المدينة:

قال المؤرّخون: إنّ يزيد كتب فور موت أبيه إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان -و كان والياً على المدينة من قبل معاوية- أن يأخذ على الحسين (عليه السلام) بالبيعه له و لا يرخص له في التأخّر عن ذلك (٢). و ذكرت مصادر

ص: ١٢٦

١- (١) الإرشاد: ٣٢/٢.

٢- (٢) المصدر السابق.

تأريخيه اخرى أنه جاء في رساله: إذا أتاك كتابي هذا فأحضر الحسين بن عليّ و عبد الله بن الزبير فخذهما بالبيعه، فإن امتنعا فاضرب أعناقهما و ابعث إليّ برأسيهما و خذ الناس بالبيعه، فمن امتنع فأنفذ فيه الحكم(١).

الوليد يستشير مروان بن الحكم:

حار الوليد في أمره، إذ يعرف أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) لا يبيع ليزيد مهما كانت النتائج، فرأى أنه في حاحه لى مشوره مروان بن الحكم عميد الاسره الامويه فبعث إليه، فأشار مروان على الوليد قائلا له: ابعث اليهم(٢) في هذه الساعه فتدعوهم الى البيعه و الدخول فى طاعه يزيد، فإن فعلوا قبلت ذلك منهم، و إن أبوا قدّمهم و اضرب أعناقهم قبل أن يدروا بموت معاويه؛ فإنّهم إن علموا ذلك و ثبت كلّ رجل منهم فأظهر الخلاف و دعا الى نفسه، فعند ذلك أخاف أن يأتيك من قبلهم ما لا قبل لك به، إلاّ عبد الله بن عمر فإنه لا ينازع فى هذا الأمر أحدا، مع أنّى أعلم أنّ الحسين بن علي لا يجيبك الى بيعه يزيد، و لا يرى له عليه طاعه. و الله لو كنت فى موضعك لم اراجع الحسين بكلمه واحده حتى أضرب رقبتك كائنا فى ذلك ما كان(٣).

و عظم ذلك على الوليد و هو أكثر بنى اميه حنكه، فقال لمروان: يا ليت الوليد لم يولد و لم يك شيئا مذكورا(٤).

فسخر منه مروان و راح يندّد به قائلا: لا تجزع ممّا قلت لك؛ فإنّ

ص: ١٢٧

١- (١) تاريخ يعقوبى: ٢١٥/٢.

٢- (٢) المقصود هنا الإمام الحسين (عليه السلام) و عبد الله بن الزبير و عبد الله بن عمر، باعتبار أنّ بعض المصادر التأريخيه أفادت بأنّ رساله يزيد تضمّنت أسماءهم جميعا مثل تاريخ الطبرى: ٨٤/٦.

٣- (٣) حياه الإمام الحسين (عليه السلام): ٢٥/٢.

٤- (٤) المصدر السابق: ٢٥١/٢.

آل أبي تراب هم الأعداء من قديم الدهر(١)، ونهره الوليد فقال له: ويحك يا مروان إعزب عن كلامك هذا، وأحسن القول في ابن فاطمه فإنه بقيه النبوه(٢).

و اتفق رأيهما على استدعاء الإمام(عليه السلام)و عرض الأمر عليه لمعرفة موقفه من السلطه.

الإمام(عليه السلام)في مجلس الوليد:

أرسل الوليد إلى الحسين(عليه السلام)يدعوه إليه ليلا،فجاءه الرسول و هو في المسجد،و لم يكن قد شاع موت معاويه بين الناس،و جال في خاطر الحسين(عليه السلام)أنّ الوليد قد استدعاه ليخبره بذلك و يأخذ منه البيعه إلى الحاكم الجديد بناء على الأوامر التي جاءته من الشام،فاستدعى الحسين مواليه و إخوته و بنى عمومته و أخبرهم بأنّ الوالى قد استدعاه اليه و أضاف:إني لا- آمن أن يكلفنى بأمر لا- اجيبه عليه(٣).

و قال الإمام(عليه السلام)لمواليه بعد أن أمرهم بحمل السلاح:«كونوا معى فإذا دخلت اليه فاجلسوا على الباب فإن سمعتم صوتى قد علا فادخلوا عليه»(٤).

و دخل الإمام(عليه السلام)على الوليد فرأى مروان عنده و كانت بينهما قطيعه، فقال(عليه السلام):«الصله خير من القطيعه،و الصلح خير من الفساد،و قد آن لكما أن تجتمعا، أصلح الله ذات بينكما»(٥)ثم نعى اليه الوليد معاويه،فاسترجع الإمام الحسين(عليه السلام)

ص:١٢٨

١- (١) حياه الإمام الحسين(عليه السلام)٢/٢٥١.

٢- (٢) المصدر السابق.

٣- (٣) إعلام الورى:١/٤٣٤، و روضه الواعظين:١٧١، و مقتل أبى مخنف:٢٧، و تذكره الخواص:٢١٣.

٤- (٤) الإرشاد:٢/٣٣.

٥- (٥) حياه الإمام الحسين(عليه السلام):٢/٢٥٤.

ثم قرأ عليه كتاب يزيد و ما أمره فيه من أخذ البيعه منه له، فقال الحسين (عليه السلام):

«إني لا أراك تقنع ببيعتي ليزيد سرًا حتى ابايعه جهراً».

فقال الوليد: أجل، فقال الحسين (عليه السلام): «فتصبح و ترى رأيك في ذلك»، فقال له الوليد: انصرف على اسم الله تعالى حتى تأتينا مع جماعه الناس، فقال له مروان: والله لئن فارقك الحسين الساعه و لم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبدا حتى تكثر القتلى بينكم و بينه، إحبس الرجل فلا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه. فوثب الحسين (عليه السلام) عند ذلك و قال: «أنت يا ابن الزرقاء تقتلني أم هو؟! كذبت و الله و أثمت». و خرج يمشى و معه مواليه حتى أتى منزله.

فقال مروان للوليد: عصيتني. لا و الله لا يمكّنك مثلها من نفسه أبدا.

فقال له الوليد: و يح غيرك يا مروان! إنك اخترت لى التى فيها هلاك دينى. و الله ما احب أن لى ما طلعت عليه الشمس و غربت عنه من مال الدنيا و ملكها و إني قتلت حسينا. سبحان الله! أقتل حسينا لما أن قال: لا ابايع؟ و الله إني لأظنّ امرءا يحاسب بدم الحسين خفيف الميزان عند الله يوم القيامة (١).

و ثم روايات أفادت بأنّ النقاش قد احتدم بين الإمام (عليه السلام) و بين مروان، حتى أعلن (عليه السلام) رأيه لمروان بصراحه قائلا: «إنا أهل بيت النبوه و معدن الرساله و مختلف الملائكه و محل الرحمه، بنا فتح الله و بنا ختم، و يزيد رجل فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحترمه معلى بالفسق، و مثلى لا يبايع مثله، و لكن نصب و تصبحون و نظروا علينا أحقّ بالخلافه و البيعه» (٢).

ص: ١٢٩

١- (١) الإرشاد: ٣٣/٢-٣٤.

٢- (٢) مقتل الحسين للمقرّم: ١٤٤، و إعلام الورى: ١/٤٣٥.

و التقى الإمام الحسين (عليه السلام) في أثناء الطريق بمروان بن الحكم في صبيحه تلك الليلة التي أعلن فيها رفضه لبيعه يزيد، فبادره مروان قائلاً: إني ناصح فأطعني ترشد و تسدد. فقال الإمام (عليه السلام): «و ما ذاك يا مروان؟».

قال مروان: إني أمرت ببيعه أمير المؤمنين يزيد فيأنه خير لك في دينك و دنياك. فردّ عليه الإمام (عليه السلام) ببلغ منطقته قائلاً: «على الإسلام السلام إذ قد بليت الأمه براع مثل يزيد... سمعت جدّي رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول: الخلافة محرّمه على آل أبي سفيان و على الطلقاء و أبناء الطلقاء فإذا رأيتم معاويه على منبرى فابقروا بطنه، فوالله لقد رآه أهل المدينة على منبر جدّي فلم يفعلوا ما امروا به» (١).

حركة الإمام (عليه السلام) في الليلة الثانية:

ذكر المؤرخون أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) أقام في منزله تلك الليلة و هي ليلة السبت لثلاث بقين من رجب سنة ستين من الهجرة، و اشتغل الوليد بن عتبة بمراسله ابن الزبير في البيعه ليزيد و امتناعه عليهم، و خرج ابن الزبير من ليلته عن المدينة متوجّها الى مكة، فلمّا أصبح الوليد سرح في أثره الرجال فبعث راكبا من موالى بنى امية في ثمانين راكبا، فطلبوه و لم يدركوه فرجعوا، فلمّا كان آخر نهار يوم السبت بعث الرجال الى الحسين (عليه السلام) ليحضر فيبايع الوليد ليزيد بن معاويه، فقال لهم الحسين (عليه السلام): اصبحوا ثم ترون و نرى.

فكفّوا تلك الليلة عنه و لم يلحوا عليه.

ص: ١٣٠

فخرج (عليه السلام) من تحت ليلته و هي ليله الأحد ليومين بقيا من رجب متوجها نحو مكة و معه بنوه و بنو أخيه و إخوته و جلّ أهل بيته إلاّ محمد بن الحنفية - رحمه الله - فإنه لما علم عزمه على الخروج عن المدينة لم يدر أين يتوجه، فقال له: يا أخى أنت أحبّ الناس إلىّ و أعزهم عليّ و لست أدخر النصيحة لأحد من الخلق إلاّ لك و أنت أحقّ بها، تنحّ بيعتك عن يزيد بن معاوية و عن الأمصار ما استطعت، ثم ابعث رسلك الى الناس فادعهم الى نفسك فإن بايعك الناس و بايعوا لك حمدت الله على ذلك، و إن اجتمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك و لا عقلك و لا تذهب به مروّتك و لا فضلك، إنى أخاف عليك أن تدخل مصرا من هذه الأمصار فيختلف الناس بينهم، فمنهم طائفة معك و اخرى عليك، فيقتتلوا فتكون لأوّل الأسنة غرضا، فإذا خير هذه الامّة كلّها نفسا و أبا و اما، أضيعها دما و أدلّها أهلا.

فقال له الحسين (عليه السلام): فأين أذهب يا أخى؟ قال: انزل مكة فإن اطأنت بك الدار بها فسييل ذلك، و إن (نبت بك) (١) لحقت بالرمال و شعف الجبال و خرجت من بلد الى بلد حتى تنظر الى ما يصير أمر الناس إليه؛ فإنك أصوب ما تكون رأيا حين تستقبل الأمر استقبالا.

فقال الإمام (عليه السلام): «يا أخى، قد نصحت و أشفقت و أرجو أن يكون رأيك سديدا موقفا» (٢). فسار الحسين (عليه السلام) الى مكة و هو يقرأ فخرج منها خائفا يتربّط قال ربّ نجّني من القوم الظالمين (٣).

ص: ١٣١

١- ((١)) أى لم تجد بها قرارا و لم تطمئن عليها. انظر لسان العرب: ٣٠٢/١٥: ماده نبأ.

٢- ((٢)) الإرشاد: ٣٥/٢.

٣- ((٣)) القصص (٢٨): ٢١.

لقد كتب الإمام (عليه السلام) قبل خروجه من المدينة عدّه وصايا، منها: وصيه لأخيه هذا نصّها: «هذا ما أوصى به الحسين بن عليّ إلى أخيه محمد بن الحنفية، أنّ الحسين يشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمدا عبده ورسوله جاء بالحق من عنده، وأنّ الجنة حق والنار حق، والساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور، وإنّي لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمه جدّي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهاي عن المنكر وأسير بسيره جدّي وأبي عليّ بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحقّ فالله أولى بالحقّ، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضى الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين» (١).

ومنها: وصيته لام المؤمنين ام سلمه حيث أوصاها بما يرتبط بإمامه الإمام من بعده. روى أنّه لما عزم على الخروج من المدينة أتته ام سلمه (رضي الله عنها) فقالت: يا بني لا تحزني بخروجك إلى العراق، فإنّي سمعت جدّك يقول: يقتل ولدي الحسين (عليه السلام) بأرض العراق في أرض يقال لها: كربلاء. فقال لها: «يا امّاه وأنا والله أعلم ذلك، وأنّي مقتول لا محاله، وليس لي من هذا بدّ، وإنّي والله لأعرف اليوم الذي اقتل فيه، وأعرف من يقتلني، وأعرف البقعة التي ادفن فيها، وإنّي أعرف من يقتل من أهل بيتي وقرابتي وشيعتي، وإن أردت يا امّاه اريكي حفرتي ومضجعي».

ثم أشار إلى جهه كربلاء، فانخفضت الأرض حتى أراها مضجعه ومدفنه وموضع عسكره وموقفه ومشهده، فعند ذلك بكّت ام سلمه بكاء شديدا

ص: ١٣٢

و سلّمت أمره إلى الله.

فقال لها: «يا أمّاه قد شاء الله عزّ وجلّ أن يراني مقتولا مذبوحا ظلما وعدوانا، وقد شاء أن يرى حرمي و رهطى و نسائي مشرّدين، و أطفالي مذبحين مظلومين مأسورين مقيدون، و هم يستغيثون فلا يجدون ناصرا و لا معينا».

و فى روايه اخرى: قالت امّ سلمه: و عندي تره دفعها الى جدّك فى قاروره، فقال: «و الله إننى مقتول كذلك، و إن لم أخرج إلى العراق يقتلونى أيضا» ثم أخذ تره فجعلها فى قاروره و أعطها إياها، و قال: «اجعلها مع قاروره جدّى فإذا فاضتا دما فاعلمى أنّى قد قتلت» (١).

و روى الطوسى عن الحسين بن سعيد عن حماد بن عيسى عن ربعى بن عبد الله عن الفضيل بن يسار قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): «لما توجه الحسين (عليه السلام) إلى العراق و دفع إلى امّ سلمه زوجته النّبىّ (صلّى الله عليه و اله) الوصيه و الكتب و غير ذلك قال لها: «إذا أتاك أكبر و لدى فادفعى إليه ما قد دفعت اليك»، فلمّا قتل الحسين (عليه السلام) أتى علىّ بن الحسين (عليه السلام) ام سلمه فدفعت إليه كلّ شىء أعطهاها الحسين (عليه السلام)» (٢).

و روى علىّ بن يونس العاملى فى كتاب الصراط المستقيم النّصّ علىّ بن الحسين (عليه السلام) فى حديث ثم قال: و كتب الحسين (عليه السلام) وصيّته و أودعها امّ سلمه و جعل طلبها منها علامه على إمامه الطالب لها من الأنام فطلبها الإمام زين العابدين (عليه السلام) (٣).

ص: ١٣٣

١- (١) بحار الأنوار: ٣٣١/٤٤، و العوالم: ١٧/١٨٠، و ينابيع الموده: ٤٠٥... إلى قوله: بكت امّ سلمه بكاء شديدا.

٢- (٢) الغيبه للطوسى: ١١٨ حديث ١٤٨، و اثبات الهداه: ٥/٢١٤.

٣- (٣) إثبات الهداه: ٥/٢١٤ حديث ٨.

قال المؤرخون: إن الإمام الحسين (عليه السلام) عندما توجه الى مكة لزم الطريق الأعظم، فقال له أهل بيته: لو تنكبت الطريق الأعظم كما فعل ابن الزبير كي لا يلحقك الطلب، فقال: لا والله لا افارقه حتى يقضى الله ما هو قاض (١). ولما دخل الإمام الحسين (عليه السلام) مكة كان دخوله إليها ليله الجمعة لثلاث مضين من شعبان دخلها وهو يقرأ ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى أن يهدى سبيل (٢).

ثم نزلها فأقبل أهلها يختلفون اليه و من كان بها من المعتمرين و أهل الآفاق، و ابن الزبير بها قد لزم جانب الكعبة و هو قائم يصلى عندها و يطوف، و يأتي الحسين (عليه السلام) فيمن يأتيه، فيأتيه اليومين المتواليين و يأتيه بين كل يومين مره، و هو أثقل خلق الله على ابن الزبير، قد عرف أن أهل الحجاز لا يبايعونه ما دام الحسين (عليه السلام) فى البلد و أن الحسين (عليه السلام) أطوع فى الناس منه و أجل (٣).

ص: ١٣٤

١- (١) الفتوح: ٢٤/٥، و ينابيع الموده: ٤٠٢ الإرشاد للمفيد: ٣٥/٢.

٢- (٢) القصص (٢٨): ٢٢.

٣- (٣) الإرشاد: ٣٦/٢، و بحار الأنوار: ٣٣٢/٤٤.

إنّه من الصعب أن نقف على جميع الأسباب لثوره امتدّت في عمق الزمن، ولا زالت تنبض بالدفق و الحيويّه مثيره في النفوس روح الإباء و التضحيه، و تأخذ بيد الثائرين على مرّ الزمن بالاستمرار في طريق الحقّ و بذل النفس و النفيس لبلوغ الأهداف الساميه، إنّها الثورة التي أحييت الرساله الإسلاميه بعد أن كادت تضيع وسط أهواء و رغبات الحكّام الفاسدين، و أثارت في الامّه الإسلاميه الوعي حتّى صارت تطالب بإعاده الحقّ الى أهله و موضعه.

إنّ أفضل ما نستخلص منه أسباب و دوافع الثورة الحسينيه هي النصوص المأثوره عن الحسين الثائر (عليه السّلام) و كذا آثار الثورة، الى جانب معرفتنا بشخصيته (عليه السّلام) فهذا هو الحسين (عليه السّلام) يخاطب جيش الحرّ بن يزيد الرياحي الذي تعجّل لمحاصرته و لم يسمح له بتغيير مساره قائلاً:

«أيّها الناس، إنّ رسول الله (صلّى الله عليه و اله) قال: من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله (صلّى الله عليه و اله) يعمل في عباد الله بالإثم و العدوان فلم يغيّر عليه بفعل و لا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله. ألا و إنّ هؤلاء قد لزموا طاعه الشيطان و تركوا طاعه الرحمن و أظهروا الفساد و عطّلوا الحدود و استأثروا بالفيء و أحلّوا حرام الله و حرّموا حلاله و أنا أحقّ من غيري، و قد أتتني كتبكم و قدمت عليّ رسلكم ببيعتكم، و إنكم لا تسلّموني و لا تخذلوني، فإن تمتمت عليّ بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن عليّ و ابن فاطمه بنت رسول الله (صلّى الله عليه و اله) نفسي مع أنفسكم، و أهلي

مع أهليكم، فلکم فی أسوه» (١).

و فی خطاب آخر بعد أن توضّحت نوايا الغدر و الخذلان و الإصرار علی محاربه الإمام (عليه السّلام) و طاعه يزيد الفاسق قال (عليه السّلام): «فسحقا لكم يا عبيد الامه و شدّاذ الأحزاب و نبذه الكتاب و نفثه الشيطان و عصبه الآثام و محرّفى الكتاب و مطفئى السنن و قتله أولاد الأنبياء و مييدى عتره الأوصياء و ملحقى العهار بالنسب و مؤذى المؤمنين و صراخ أئمه المستهزئين الذين جعلوا القرآن عضيّن، و لبئس ما قدّمت لهم أنفسهم و فى العذاب هم خالدون...».

ثم قال (عليه السّلام): «ألا- و إنّ الدعىّ ابن الدعىّ قد ركز بين اثنتين بين السّله و الذّله، و هيهات منّا الذّله! يا أبى الله لنا ذلك و رسوله و المؤمنون، و جدود طابت و حجور طهرت و انوف حميّه و نفوس أبيه لا تؤثر طاعه اللّثام على مصارع الكرام...» (٢).

من هنا يمكن أن نخلص الى أسباب ثوره الإمام الحسين (عليه السّلام) كما يلي:

١- فساد الحاكم و انحراف جهاز الحكومه:

لم يعد فى مقدور الإمام الحسين (عليه السّلام) أن يتوقّف عن الحركه و هو يرى الانحراف الشامل فى زعامه الامه الاسلاميه، فإذا كانت السقيفه قد زحزحت الخلافه عن صاحبها الشرعى و هو الإمام علىّ (عليه السّلام) و تذرّع أتباعها بدعوى حرمة نقض البيعه و لزوم الجماعه و حرمة تفريق كلمه الامه و وجوب إطاعه الإمام المنتخب بزعمهم، فقد كان الإمام علىّ (عليه السّلام) يسعى بنحو أو بآخر لإصلاح ما فسد من جزاء فعل الخليفه غير المعصوم، و قد شهد الإمام الحسين (عليه السّلام) جانبا من ذلك بوضوح خلال فتره حكم عثمان.

و لقد كانت بنود الصلح تضع قيودا على تصرّفات معاويه الذى اتّخذ

ص: ١٣٦

١- ((١)) تاريخ الطبرى: ٣٠٤/٤، و الكامل فى التّاريخ: ٢٨٠/٣.

٢- ((٢)) أعيان الشيعه: ٦٠٣/١.

اسلوب الخداع و التستر بالدين سيلا لتمرير مخططاته، أما الآن فإن الأمر يختلف؛ إذ بعد موت معاوية لم يبق أى علاج إلا الصدام المباشر فى نظر الإمام المعصوم و صاحب الحق الشرعى -الحسين (عليه السلام)- فلم يعد فى الإمكان و لو نظريا القبول بصلاحيه يزيد و بنى اميه للحكم.

على أن نتائج انحراف السقيفه كانت تنذر بالخطر الماحق للدين، فقد قال الإمام (عليه السلام): «أيتها الناس! إن رسول الله (صلى الله عليه و اله) قال: من رأى منكم سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله (صلى الله عليه و اله) يعمل فى عباد الله بالإثم و العدوان فلم يغير عليه بقول و لا بفعل كان حقا على الله أن يدخله مدخله».

و قد كان يزيد يتصف بكل ما حذر منه الرسول (صلى الله عليه و اله) و كان الحسين (عليه السلام) و هو الوريث للنبي و حامل مشعل الرساله -أحق من غيره بالمواجهه و التغيير.

٢- مسؤوليه الإمام تجاه الامه:

كان الإمام الحسين (عليه السلام) يمثل القائد الرسالى الشرعى الذى يجسد كل القيم الخيره و الأخلاق الساميه.

و بحكم مركزه الاجتماعى -حيث إنه هو سبط الرسول (صلى الله عليه و اله) و وريثه- فإنه مسؤول عن هذه الامه، و قد وقف (عليه السلام) فى عهد معاويه محاولا إصلاح الامور بطريقه سلميه، فحاجج معاويه و فضح مخططاته (١) و نبه الامه الى مسؤولياتها و دورها (٢)، بل خطا خطوه كبيره لتحفيز الامه على رفض الظلم (٣)،

ص: ١٣٧

١- (١) الإمامه و السياسه: ٢٨٤/١.

٢- (٢) كتاب سليم بن قيس: ١٦٦.

٣- (٣) شرح نهج البلاغه: ٣٢٧/٤.

و حاول جمع كلمه الامه فى وجه الظالمين ١.

ولما استنفد كل الإجراءات الممكنة لتغيير الأوضاع الاجتماعيه فى الامه تحرك بثقله و أهل بيته للقيام بعمل قوى فى مضمونه و دلالاته و أثره و عطائه لينهض بالامه لتغيير واقعها الفاسد.

٣- الاستجابة لراى الجماهير النائرة:

لم يكن بوسع الإمام الحسين (عليه السلام) أن يقف دون أن يقوم بحركه قويه، و قد تكاثرت عليه كتب الرافضين لبيعه يزيد بن معاويه تطلب منه قياده زمام امورها و النهوض بها، و قد حملته المسئوليه أمام الله إذا لم يستجب لدعواتهم، و كانت دعوه أهل الكوفه للإمام الحسين (عليه السلام) بمثابة الغطاء السياسى الذى يعطى الصفه الشرعيه لحركته، فلم تكن حركته بوازع ذاتى و لا مطمع شخصى، لا سيما بعد إتمام الحجّه عليه من قبل هؤلاء المسلمين.

٤- محاوله إرغامه (عليه السلام) على الذلّ و المساومه:

لقد كان الإمام الحسين (عليه السلام) يحمل روحا صاغها الله بالمثل العليا و القيم الرفيعه، ففاضت إباءا و عزّه و كرامه، و فى المقابل تدنّت نفسيّه يزيد الشريره و نفسيات أزلامه، فأرادوا من الإمام الحسين (عليه السلام) أن يعيش ذليلا فى ظلّ حكم فاسد: و قد صرّح (عليه السلام) قائلا: «ألا و إنّ الدعى ابن الدعى قد ركز بين اثنتين بين السله و الذله، و هيهات منّا الذله إياى الله لنا ذلك و رسوله و نفوس أبيه و انوف حميه من أن تؤثر طاعه اللئام على مصارع الكرام».

و فى موقف آخر قال (عليه السلام): «لا أرى الموت إلا سعادة و الحياه مع الظالمين إلا برما».

بهذه الصوره الرائعه سنّ الإمام الحسين (عليه السّلام) سنّه الإباء لكلّ من يدين بقيم السماء و ينتمى إليها و يدافع عنها، و انطلق من هذه القاعده ليغيّر الواقع الفاسد.

٥-نوايا الغدر الاموى و التخطيط لقتل الحسين (عليه السّلام):

استشفّ الإمام الحسين (عليه السّلام) -و هو الخير الضليع بكلّ ما كان يمرّ في معترك الساحة السياسيه و المتغيّرات الاجتماعيه التي كانت تتفاعل في الامّه- نوايا الغدر و الحقد الاموى على الإسلام و أهل البيت (عليهم السّلام) و تجارب السنين الاولى من الدعوه الاسلاميه، ثم ما كان لمعاويه من مواقف مع الإمام على (عليه السّلام) و من بعده مع الإمام الحسن (عليه السّلام).

و أيقن الحسين (عليه السّلام) أنّهم لا- يكفّون عنه و عن الفتك به حتى لو سالمهم، فقد كان يمثّل بقيه النبوه و الشخصيه الرساليه التي تدفع الحركه الإسلاميه في نهجها الحقيقى و طريقها الصحيح.

و لم يستطع يزيد أن يخفى نزعه الشرّ في نفسه، فقد روى أنّه صرّح قائلاً في وقاحه:

لست من خندف إن لم انتقم من بنى أحمد ما كان فعل

و قد أعلن الإمام الحسين (عليه السّلام) أنّ بنى اميه لا يتركونه بحال من الأحوال فقد صرّح لأخيه محمد بن الحنفية قائلاً: «لو دخلت في جحر هامّه من هذه الهوامّ لاستخرجونى حتى يقتلونى».

و قال (عليه السّلام) لجعفر بن سليمان الضبعى: «و الله لا يدعونى حتى يستخرجوا هذه العلقه-يعنى قلبه الشريف-من جوفى».

فتحرّك الإمام (عليه السّلام) من مكه مبكراً ليقوم بالثوره قبل أن تتمكّن يد الغدر من قتله و تصفيته، و هو بعد لم يتمكّن من أداء دوره المفروض له فى الامّه آنذاك، و سعى لتفويت أيّ فرصه يمكن أن يستغلّها الامويون للغدر به، و الظهور بمظهر المدافع عن أهل بيت النبوه.

٦- انتشار الظلم و فقدان الأمن:

قام الحكم الاموى على أساس الظلم و القهر و العدوان، فمنذ أن برز معاويه و زمريته كقوّه فى العالم الإسلامى برز و هو باغ على خليفه المسلمين و إمام الامّه بعد رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، و أسرف فى ممارساته الظالمه التى جلبت الويل للامّه، فقد سفك الدماء الكثيره، و استعمل شرار الخلق لإداره الامور يوم تفرّد بالحكم، بل و قيل أن يتسلّط على الامّه كانت كلّ العناصر المواليه له تشيع الخوف و القتل حتى قال الناس فى ولايه زياد بن أبيه: «انج سعد، فقد هلك سعيد» للتدليل على ضياع الأمن فى جميع أنحاء البلاد (١).

و من جانب آخر أمعت السلطه الامويه فى احتقار فئات و قطاعات كبيره من الامّه بنظره استعلائيّه قبيله (٢)، كما مارس معاويه فى سياسته التى ورثها يزيد أنواع الفتك و التعذيب و التهجير للمسلمين و بالأخص من عرف منه ولاء أهل البيت (عليهم السّلام) (٣).

و بكلّ جرأه على الحقّ و استهتار بالقيم يقول معاويه للإمام الحسين (عليه السّلام): يا أبا عبد الله، علمت أنّا قتلنا شيعه أبيك فحنّطناهم و كفّناهم

ص: ١٤٠

١- (١) تاريخ الطبرى: ٧٧/٦، و تاريخ ابن عساكر: ٢٢٢/٣، و الاستيعاب: ٦٠/١، و تاريخ ابن كثير: ٣١٩/٧.

٢- (٢) العقد الفريد: ٢٥٨/٢، و طبقات ابن سعد: ١٧٥/٦، و نهايه الإرب: ٨٦/٦.

٣- (٣) شرح النهج: ٤٤/١١، و تاريخ الطبرى: ١٩٨/٤.

و صلينا عليهم و دفنناهم(١). أمام هذه المظالم لم يقف الإمام الحسين (عليه السلام) مكتوف اليدين، فقد احتج على معاوية ثم ثار على ولده يزيد، إذ لم ينفع النصيح و الاحتجاج لينقذ الامه من الجور الهائل.

٧- تشويه القيم الإسلاميه و محو ذكر أهل البيت (عليهم السلام):

اجتهد الحكم الاموي أن يغير الصورة الصحيحه للرساله الإسلاميه و التركيب الاجتماعى للمجتمع المسلم، فقد عمد الامويون إلى إشاعه الفرقه بين المسلمين و التمييز بين العرب و غيرهم و بث روح التناحر القبلى، و العمل على تقريب قبيله دون اخرى من البلاط وفق المصالح الامويه فى الحكم.

و كان للمال دور مهم فى إشاعه الروح الانتهازيه و الازدواج فى الشخصيه و الإقبال على اللهو(٢).

ولما كان لأهل البيت (عليهم السلام) الأثر الكبير فى تجذير العقيدته الإسلاميه و رعايه هموم الرساله الإسلاميه؛ فقد عمد الامويون و منذ تفرّد معاويه بالحكم بأسلوب مبرمج إلى محو ذكر أهل البيت (عليهم السلام) و قد تكاملت هذه الخطوه فى أواخر حكم معاويه و محاوله استخلافه ليزيد(٣).

٨- الاستجابه لأمر الله و رسوله (صلّى الله عليه و اله):

إن عقيدته ساميه و رساله خاتمه لكل الرسالات كرساله الإسلام لا يمكن أن يتركها قائدها الكبير و مبلّغها العظيم (صلّى الله عليه و اله) و هو النبى المعصوم و المسدّد من السماء دون تخطيط و عنايه و دون قيم يرفعى شؤونها و أحوالها، يخلص لها فى قوله و عمله، و يوجهها نحو هدفها المنشود مستعينا بدرايته و بعلمه الشامل

ص: ١٤١

١- (١) تاريخ يعقوبى: ٢٠٦/٢.

٢- (٢) تاريخ الطبرى: ٢٨٨/٨، و الأغانى: ١٢٠/٤.

٣- (٣) نهج البلاغه: ٥٩٥/٣ و ٦١/٤ و ٤٤/١١.

بأحكامها، وافتديها بكلّ غال و نفيس من أجل أن تحيي و تبقى كلمه الله هي العليا. و المتتبع لسيره الرسول و أهل بيته-صلوات الله عليهم- يلمس بوضوح ترابط الأدوار التي قام بها المعصومون من آل النبي و تكاملها، و هم مستسلمون لأمر الله و رسوله غاية التسليم.

و قد أدلى الإمام الحسين (عليه السلام) بذلك حينما أشار المشفقون عليه بعدم الخروج إلى العراق، فقال (عليه السلام): «أمرني رسول الله بأمر و أنا ماض له» (١).

كما أنّ النبي (صلى الله عليه و اله) كان قد أخبر بمقتل الإمام الحسين (عليه السلام) بأيدي الظلمه الفاسقين حين ولادته حتى بات ذلك من الامور المتيقنه لدى المسلمين (٢).

أهداف منظوره في ثوره الإمام الحسين (عليه السلام):

إشاره

إنّ أهداف الرجال العظام هي عظيمه في التاريخ، و تزداد رفعة و سموًا حين تنبعث من عمق رساله ساميه. و نحن حين نقف أمام الحسين (عليه السلام) الذي يمثّل أعظم رجل في عصره و هو يحمل ميراث النبوه و ثقل رساله الخاتمه الخالده مسدداً بالتسديد الإلهي في القول و الفعل، و أمام سيرته لنبحث عن أهداف نهضته المقدسه-التي فداها بنفسه و بأهل بيته و خيره أصحابه-لا نجد من السهل لنا أن نحيط علما بكلّ ذلك، لكننا نبحث بمقدار إدراكنا و وعينا للحدث وفق ما تتحمّله عقولنا طبعاً.

لقد تفانى الحسين (عليه السلام) في الله و من أجل دينه، فكانت أهدافه-التي

ص: ١٤٢

١- ((١)) البدايه و النهايه: ١٧٦/٨، و تاريخ ابن عساكر: ترجمه الإمام الحسين (عليه السلام)، و مقتل الحسين للخوارزمي: ٢١٨/١، و الفتوح: ٧٤/٥.

٢- ((٢)) مستدرك الحاكم: ٣٩٨/٤ و ١٧٦/٣، و كنز العمال: ١٠٦/٧، و مجمع الزوائد: ١٨٧/٩، و ذخائر العقبى: ١٤٨، و سير أعلام النبلاء: ١٥/٣.

تمثّل رضى الله و طاعته-ساميه جليله، كما أنّها كانت واسعه و عديده.و يمكننا أن نذكر بعض أهداف الإمام الحسين (عليه السلام) من ثورته كما يلي (١):

١- تجسيد الموقف الشرعى تجاه الحاكم الظالم:

لقد أصابت الامّه حاله من الركود حتى أنّها لم تعد تتحرّك لآخذ موقف عملى واقعى تجاه الحاكم الظالم، فالجميع يعرف من هو يزيد و بماذا يتّصف من رذائل الأخلاق ممّا تجعله غير لائق أبدا بأن يتزعّم الامّه الإسلاميه.

فى مثل هذا الطرف وقف الكثيرون حيارى يتردّدون فى قرارهم، فتحرك الإمام الحسين (عليه السلام) ليجسد الموقف الرسالى الرافض للظلم و الفساد، فى حركه قويه واضحه مقرونه بالتضحيه و الفداء، من أجل العقيدته الإسلاميه، لتتخذ الامّه الموقف ذاته تجاه الظلم و العدوان.

٢- فضح بنى اميه و كشف حقيقتهم:

إنّ الحكام الذين تولّوا امور المسلمين و لم يكونوا معصومين و لا شرعيين كانوا يغطّون تصرفاتهم بغطاء ذى مسحه شرعيه عند الجماهير. و كان بنو اميه من أكثر الحكام المستفيدين من هذا الاسلوب الماكر؛ إذ لم يتردّد معاويه فى وضع الأحاديث المفتعله لتدعيم حكمه، بل سعى بكلّ وسيله لتضليل الامّه، و تمكّن من فعل ذلك مع عامه الناس.

و أصبح الأمر أكثر خطوره حين تولّى يزيد ولايه الحكم بطريقه لم يقرها الإسلام، و لهذا كان لا بدّ من فضح التيار الاموى و تصويره على حقيقته، لتتضح الصوره للعالم الإسلامى فيعى دوره و رسالته و يقوم بواجبه و وظيفته،

ص: ١٤٣

١- (١) للمزيد من التفصيل راجع: أضواء على ثوره الحسين (عليه السلام) للسيد محمد الصدر: ٥٧.

فتحرّك الحسين (عليه السّلام) بصفته الإمام المعصوم ليواجه زيف الحكم و ضلالته.

و فعلا- أسفر التيار الاموى عن مكنون حقه بارتكابه الجريمة البشعه فى كربلاء بقتل خير الناس و أصحابه و أهل بيته من الرجال و النساء و الأطفال، ثم أعقب ذلك بقصف الكعبه بالمنجنيق فى واقعه الحره و إباحه المدينه ثلاثه أيام قتلا و نهبا و سلبا و اعتداء على الأموال و النساء و الأطفال بشكل بشع لم يسبق له مثيل(1).

و انتبه المسلمون الى انحراف الفئه الحاكمه الضالّه و الى فساد أعمالها، و سعوا من خلال محاولات عديده الى تطهير الجهاز الحاكم المتوغّل فى الظلم و الطغيان، حتى غدت ثوره الإمام الحسين (عليه السّلام) نموذجا يحتذى به لمقارعه و مقاومه كلّ نظام يستشرى فيه الفساد، و قد أفصح الإمام (عليه السّلام) عن الصفات التى يجب أن يتحلّى بها الحاكم بقوله:

«فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب، و الآخذ بالقسط، و الدائن بالحقّ، و الحابس نفسه على ذات الله»(2).

٣- إحياء السنّه و إمامته البدعه:

انحدرت الامّه الإسلاميه فى منحدر صعب يوم انحرفت الخلافه عن مسارها الشرعى فى يوم السقيفه، فإنّها قبلت بعد وفاه الرسول (صلّى الله عليه و اله) أن يتولّى أمرها من يحتاج الى المشوره و النصيحه و يخطئ فى حقّها و يعتذر، فكانت النتيجة بعد خمسين عاما من غياب النبى (صلّى الله عليه و اله) أن يتولّى أمرها رجل لا يتورّع عن محارم الله، بل و يظهر الحقد على الإسلام و المسلمين، فتعرّض الإسلام

ص: ١٤٤

١- ((١)) راجع: الفتوح لابن أعمش: ٣٠١/٥، و الإمامه و السياسه للدينورى: ١٩/٢، مروج الذهب: ٨٤/٢.

٢- ((٢)) تاريخ الطبرى: ١٩٧/٦.

-عقيدته و كيانه و امه-للخطر الحقيقى و التشويه المقيت المغير لكل شىء،على غرار ما حدث لبعض الرسالات السماويه السابقه.

فى مثل هذا المنعطف الخطير وقف الإمام الحسين (عليه السّلام) و معه أهل بيته و أصحابه، و أطلق صرخه قويّه و مدوّيه محدّرا الامّه، مفتديا العقيدته و الامّه بدمه الطاهر الزكى، و من قبل قال فيه جدّه رسول الله (صلّى الله عليه و اله): «إنّ الحسين مصباح الهدى و سفينه النجاه». كما قال غير مرّه: «حسين منّى و أنا من حسين». فكان الحسين (عليه السّلام) و نهضته التجسيد الحقيقى للإسلام الحقّ، فقد كان الخط الحقيقى للإسلام المحمدى متمثلا فى الحسين (عليه السّلام) و أهل بيته و أصحابه رضوان الله تعالى عليهم.

و قد صرّح الإمام الحسين (عليه السّلام) فى رسالته التى بعثها الى أهل البصره بكل وضوح الى أنّ السنّه قد ماتت حين وصل الانحراف الى حدّ ظهور البدع و إجرائها.

٤- الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر:

لقد كان غياب فريضه الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر نتيجة طبيعیه لتولّى الزعامه المنحرفه، و قد حدث هذا تحت عناوين متعدده منها:

لزوم إطاعه الوالى و حرمة نقض بيعه تتم حتى لو كانت منحرفه، و كذلك حرمة شقّ وحده الكلمه، و قد وصف الإمام (عليه السّلام) هذه الحاله بقوله: «ألا ترون أنّ الحقّ لا يعمل به و أنّ الباطل لا يتناهى عنه؟! اليرغب المؤمن فى لقاء الله» (١). لذا تطلّب الأمر أن يبرز ابن النبى (صلّى الله عليه و اله) للجهاد و هو يحمل السيف فى محاوله لإعاده الحقّ الى نصابه من خلال الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و قد أدلى (عليه السّلام)

ص: ١٤٥

بذلك فى وصيته لأخيه محمد بن الحنفية حين كتب له: «إني لم أخرج أشرا و لا بطرا و لا ظالما و لا مفسدا، وإنما خرجت لطلب الإصلاح فى أمة جدى اريد أن أمر بالمعروف و أنهى عن المنكر».

إن الإصلاح المقصود هو الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فى كل جوانب الدين و الحياه، و قد تحقق ذلك من خلال النهضه العظيمه التى قام (عليه السلام) بها فكانت الهدايه و الرعايه للبشر دينا و معنويا و إنسانيا و اخرويا بمقتله و شهادته، و تلك النهضه التى عليها تربت أجيال من الامة، و تخرجت من مدرستها الأبطال و الصناديد، و لا زالت و ستبقى المشعل الوضاء ينير درب الحق و العدل و الحريه و طاعه الله إلى يوم القيامه.

٥- إيقاظ الضمائر و تحريك العواطف:

فى أحيان كثيره لا يستطيع أصحاب العقائد و دعاه الرسالات أن يحاوروا العقل و الذهن مجردا معزولا عن عنصر العاطفه لأجل تعميق المعتقد و الفكر لدى الجماهير، و قد ابتليت الامة الإسلاميه فى عهد الإمام الحسين (عليه السلام) و بعد تسلط يزيد بحاله من الجمود و القسوه و عدم التحسس للأخطار التى تحيط بها و بفقدان الإراده فى مواجهه التحديات ضد العقيدته الإسلاميه، لهذا لم يكتف الإمام الحسين (عليه السلام) بتثبيت الموقف الشرعى و توضيحه عمليا من خلال موقفه الجهادى بل سعى إلى إيقاظ ضمائر الناس و تحريك وجدانهم و أحاسيسهم ليقوموا بالمسؤوليه، فسلك سبيل البذل و العطاء و التضحيه من أجل العقيدته و الدين، و اتخذ اسلوب الاستشهاد الذى يدخل بعمق و حراره فى قلوب الجماهير، و قد ضرب لنا مثلا رائعا حينما برزت ثورته أن التضحيه لم تكن مقصوره على فئه أو مستوى معين من

الأمّة، فللطفل كما للمرأة و الشيخ دور فاعل فضلا عن الشباب.

و ما أسرع ما بان الأثر على أهل الكوفة إذ أظهروا الندم و الإحساس بالتقصير تجاه الإمام و الإسلام، فكانت ثوره التّوّابين التي أعقبت ثوره أهل المدينة التي وقعت في السنة الثانيه من بعد واقعه الطفّ.

لقد كانت واقعه الطفّ تأكيدا حقيقيا على أنّ المصاعب و المتاعب لا تمنع من قول الحقّ و العمل على صيانه الرساله الإسلاميه، كما أنّها زرعت روح التضحية في سبيل الله في نفوس أبناء الأمّة الإسلاميه، و حرّرت إرادتها و دفعتها إلى التصدّي للظلم و الظالمين، و لم تبق عذرا للتهرّب من مسؤوليه الجهاد و الدفاع عن العقيدة و المقاومه لإعلاء كلمه الله.

لماذا لم ينهض الإمام الحسين بالنوره في حكم معاويه؟

اشاره

إن الأحداث السياسيه التي عصفت بالأمّة الإسلاميه بعد وفاه الرسول (صلّى الله عليه و اله) كانت ثقيله الوطأه عليها، و بلغت غايه الشدّه أيام تسلّط معاويه على الشام و محاربه الإمام عليّ (عليه السّلام) و بالتالي اضطرار الإمام الحسن (عليه السّلام) لإبرام صلح معه لأسباب موضوعيه كانت تكتنف الأمّة، و لكننا نلاحظ أنّ الإمام الحسين (عليه السّلام) لم يغيّر من موقفه المتطابق مع موقف الإمام الحسن (عليه السّلام) تجاه معاويه حتى بعد استشهاد الإمام الحسن (عليه السّلام)، فلم يعلن ثورته، و ما كان ذلك إلا لبقاء نفس الأسباب التي دفعت بالإمام الحسن (عليه السّلام) الى قبول الصلح فمن ذلك:

١- حاله الأمّة الإسلاميه:

كان الوضع النفسى و الاجتماعى للأمّة الإسلاميه متأزما، إذ كانت تتطلع الى حاله السلم بعد أن أرهاقها معاويه و المنافقون بحروب دامت طوال حكم

ص: ١٤٧

الإمام عليّ (عليه السلام)، فكان رأى الإمام الحسن (عليه السلام) هو أن يرّبي جيلا جديدا و ينهض بعد حين، فقد قال (عليه السلام):

«إني رأيت هوى عظم الناس فى الصلح و كرهوا الحرب، فلم أحب أن أحملهم على ما يكرهون، فصالحت بقيا على شيعتنا خاصة من القتل، و رأيت دفع هذه الحرب إلى يوم ما، فإنّ الله كلّ يوم هو فى شأن» (١).

و هو نفسه موقف الإمام الحسين (عليه السلام) بسبب ما كان يعيه و يدركه من واقع الامة، فكان قوله لمن فاوضه فى الثورة إذ قعد الإمام الحسن (عليه السلام) عنها:

«صدق أبو محمد، فليكن كلّ رجل منكم حلّسا من أحلاس بيته ما دام هذا الإنسان حيّا».

و بقى هذا موقفه نفسه بعد استشهاد الإمام الحسن (عليه السلام) لبقاء نفس الأسباب، فقد كتب (عليه السلام) يردّ على أهل العراق حين دعوه للثورة:

«أما أخى فأرجو أن يكون الله قد وفقه و سدّده فيما يأتى، و أما أنا فليس رأى اليوم ذلك، فالصقوا رحمكم الله بالأرض، و اكنموا فى البيوت، و احترسوا من الظنّه ما دام معاويه حيّا» (٢).

٢- شخصيته معاويه و سلوكه المتلون:

لقد كانت زعامه الامة الإسلاميه بعد وفاه الرسول (صلّى الله عليه و اله) بأيدى مسؤولين غير كفونين لفته طويله. و مراجعه بسيطه لأحداث و وقائع تلك الفتره توضّح ذلك. و لكنّ معاويه كان أشدّ مكررا و مراوغه و دهاء، إذ كان يتلاعب ببراعه سياسيه، و يتوسّل بكلّ وسيله من أجل أن يبقى زمام السلطه

ص: ١٤٨

١- ((الأخبار الطوال: ٢٢١.

٢- ((المصدر السابق: ٢٢٢.

بيده مَتَّخِذاً من التظاهر بالدين سترًا يَغْطِي جرائمه الأخلاقية و اللإنسانيه و التي منها فتكه بخيار المسلمين، و مخادعه عوام الناس في مجاراته لعواطفهم و معتقداتهم، و هو يحمل حقدا لا ينقطع على الإسلام و الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) (١).

و قد تمكَّن معاويه من القضاء على المعارضين له من دون اللجوء إلى القتال و الحرب، فهو الذي اغتال الإمام الحسن (عليه السَّلام) و سعد بن أبي وقاص (٢) و قضى على عبد الرحمن بن خالد (٣) و من قبله على مالك الأشتر، و قد أوجز اسلوبه هذا في كلمته المشهوره: «إِنَّ لَّهِ جُنُودًا مِنْهَا الْعَسَلُ» (٤).

كما أَنَّ معاويه كان يضع كَلِّ من يلمس منه أيه معارضه أو تحرَّك تحت مجهر المراقبه و الإرصاء، فترفع إليه التقارير عن كَلِّ ما يحدث فيستعجل في القضاء عليه.

في مثل هذا الاسلوب -أى التصرّف تحت ستار الإسلام- لو قام الإمام الحسين (عليه السَّلام) بحركه واسععه و نشاط سياسى بعد وفاه الإمام الحسن (عليه السَّلام) مباشرة؛ لما كان قادرا على فضح معاويه و إقناع كَلِّ الجماهير بشرعيته ثورته، و لكان معاويه متمكِّنا من القضاء عليه من دون ضجيج، و عندها كانت الثوره تموت في مهدها و تضيع جهود كبيره، كان من شأنها أن تبني في الامه تيارا و اعباء و يختنق الصوت الذى كان في مقدوره أن يبقى مدوِّيا في تاريخ الإنسانيه كما حصل في واقعه الطفّ. و ما كان الإمام الحسين (عليه السَّلام) ليتمكَّن من توضيح كَلِّ أهدافه و غاياته من الثوره (٥) المتمثله في إنقاذ الامه من الظلم و صيانته الرساله

ص: ١٤٩

١- (١) شرح النهج لابن أبى الحديد: ٣٥٧/٢.

٢- (٢) مقاتل الطالبين: ٢٩، و مختصر تاريخ العرب: ٦٢.

٣- (٣) التمدن الإسلامى، لجرجى زيدان: ٧١/٤.

٤- (٤) عيون الأخبار: ٢٠١/١.

٥- (٥) للتفصيل راجع: ثوره الحسين، ظروفها الاجتماعيه و آثارها النفسيه: ١٢٢.

الإسلاميه من التحريف لو كان يسرع بثورته فى أيام معاويه.

و أمّا حينما اعتلى يزيد عرش الخلافة و هو من قد عرفه الناس باللهو و الفسق و الشغف بالقروود و شرب الخمر، و عدم صلاحيته للخلافه لتجاوزه و عدوانه على كل المقاييس الشرعيه و العرفيه لدى المسلمين. فالثوره عليه تعدّ ثوره مشروعته عند عامه المسلمين، كما أثبت التاريخ ذلك بكلّ وضوح.

٣- احترام صلح الإمام الحسن (عليه السلام):

لقد كان العهد و الميثاق الذى تم بين معاويه و بين الإمام الحسن (عليه السلام) ورقه رابحه يلوّحها معاويه لكلّ تحرّك فعّال مضاد تجاه تربّعه على مسند السلطه، صحيح أنّه عهد غير حقيقى و ما كان برضا الإمامين (عليهما السلام) و تم فى ظروف كان لا بد من تغييرها، لكنّ المجتمع لم يكن يتقبل نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) مع وجود هذا العهد، و حتى لو كان هذا العهد صحيحا فإنّ معاويه نقضه بممارسته العدائيه بملاحقه رجال الشيعة، و لم يرع أىّ حقّ فى سياسته الاقتصاديه.

و قد سارع معاويه لاستغلال هذا العهد فى التشهير بالإمام الحسين (عليه السلام) و إظهاره بموقف الناقض للعهد، فقد كتب إلى الإمام (عليه السلام):

أما بعد، فقد انتهت إلى امور عنك، إن كانت حقا فإني أربب بك عنها.

و لعمر الله إنّ من أعطى عهد الله و ميثاقه لجدير بالوفاء، و إنّ أحقّ الناس بالوفاء من كان مثلك فى خطرک و شرفک و منزلتك التى أنزلک الله بها، و نفسك فاذكر، و بعهد الله أوف، فإنّك متى تنكرنى أنكرک، و متى تكدننى أكدك، فاتق شقّ عصا هذه الامه (١).

ص: ١٥٠

١- (١) الإمامه و السياسه: ١/١٨٨، و الأخبار الطوال: ٢٢٤، و أعيان الشيعة: ١/٥٨٢.

من هنا لجأ الإمام الحسن (عليه السّلام) و من بعده الحسين (عليه السّلام) إلى اسلوب آخر لنشر الدعوه و التهيؤ للثوره التي غداها معاويه بظلمه و جوره و بعده عن تمثيل الحكم الإسلامى الصحيح، حتى إذا مات معاويه كان كثير من الناس و عامه أهل العراق-بشكل خاص- يرون بغض بنى اميه و حب أهل البيت لأنفسهم ديناً(١).

المواقف من ثوره الحسين (عليه السّلام) قبل انطلاقها:

لم تكن نهضة الإمام الحسين (عليه السّلام) و ثورته حركه آنيه أو ردّه فعل مفاجئه؛ بل كان الحسين (عليه السّلام) فى الامه يمثّل بقيه النبوه و كان وريث الرساله و حامل رايه القيم الساميه التي أوجدها الإسلام فى الامه و أرسى قواعدها، كما أنّ العهد قريب برحيل النبى (صلّى الله عليه و اله) الذى كان يكثر الثناء و التوضيح لمقام الإمام الحسين (عليه السّلام). و فى الوقت نفسه كانت قد ظهرت مقاصد الامويين الفاسده تجاه رساله النبى (صلّى الله عليه و اله) الإسلاميه و امته المؤمنه برسالته.

و قد وقف أهل البيت (عليهم السّلام) بصلابه يدافعون عن الحقّ و العدل و إحياء الرساله الإسلاميه، و المحافظه عليها بكلّ وسيله ممكنه و مشروعه.

و فى عصر الإمام الحسين (عليه السّلام) كان لتراخى و فتور الامه عن نصره الحقّ الى جانب تسلط المنافقين و نفوذهم فى أجهزه الدوله دور كبير لإيجاد حاله مرضيه يمكن تسميتها بفقدان الإراده و موت الضمير، و من ثمّ تباينت المواقف تجاه اسلوب الدفاع عن العقيدة الإسلاميه و صيانتها و سياده الحقّ و العدل.

ص: ١٥١

١- ((١)) الفتنة الكبرى-على و بنوه، طه حسين: ٢٩٠، و للمزيد من التفصيل راجع: ثوره الحسين (عليه السّلام)، ظروفها الاجتماعيه و آثارها النفسيه: ١٢٧.

و لكن لم يشك أحد في مشروعيه و عداله موقف الإمام الحسين (عليه السلام) تجاه الانحراف المستشري في كل مفاصل الدوله، و تجاه التغيير الحاصل في بنيه الامه الإسلاميه، إلا أن موقف الاستعداد الكامل للنصره باتخاذ قرار ثورى يزيح عن الامه الظلم و الفساد لم يكن يتكامل بعد لدى الجميع.

و قد كانت هذه المواقف تتراوح بين التأييد مع إعلان الاستعداد للثوره مهما كانت النتائج، و بين الحذر من الفشل و عدم نجاح الثوره، و بين التشييط و فتّ العزائم.

و تبني شيعه أهل البيت (عليهم السلام) الذين اکتوتوا بجحيم البيت الأموى المتحكّم في رقاب المسلمين موقف التأييد و إعلان الاستعداد، و إن غلب الخوف على بعضهم فيما بعد، و اودع البعض الآخر السجن أو حوَصر من قبل قوّات السلطه الامويه.

كما تبني آخرون من أقرباء الإمام (عليه السلام) -مثل عبد الله بن عباس و محمّد ابن الحنفية- موقف الحذر، و رجّحوا للإمام الحسين (عليه السلام) الهجره إلى اليمن؛ نظرا لبعده اليمن عن العاصمه، و لتوفّر جمع من شيعته و شيعه أبيه فيها (١).

و تبني آخرون موقف التشييط و فتّ العزائم و التخويف من معبته الثوره على الحاكم، فنصحوا الإمام (عليه السلام) بالدخول فيما دخل فيه الناس، و الصبر على الظلم، كما تمثّل ذلك في نصيحه عبد الله بن عمر للإمام الحسين (عليه السلام) (٢).

ص: ١٥٢

١- ((١)) مقتل الحسين (الخوازمي): ١٨٧/١ و ٢١٦، و مروج الذهب: ٦٤/٣.

٢- ((٢)) مقتل الحسين (الخوازمي): ١٩١/١.

إشاره

خرج الإمام الحسين (عليه السلام) من المدينة متوجّها إلى مكة بأهله وإخوته وبنى عمومته وبعض الخواص من شيعته، ولم يبق إلا أخوه محمد بن الحنفية، وأفادت بعض المصادر التاريخية بأن الإمام (عليه السلام) أقام في بيت العباس بن عبد المطلب (١)، فيما تحدّثت مصادر أخرى عن إقامته (عليه السلام) في شعب عليّ (٢)، و أقام الإمام (عليه السلام) في مكة أربعة أشهر و أياما من ذى الحجة، كان فيها مهوى القلوب، فالتفت حوله المسلمون يأخذون عنه الأحكام ويتعلّمون منه الحلال والحرام، ولم يتعرّض له أمير مكة يحيى بن حكيم بسوء، وحيث ترك الإمام (عليه السلام) وشأنه فقد عزله يزيد بن معاوية عنها، واستعمل عليها عمرو بن سعيد بن العاص. وفي شهر رمضان من تلك السنه (٥٦٠هـ) ضمّ إليه المدينة، وعزل عنها الوليد بن عتبة، لأنه كان معتدلا في موقفه من الإمام (عليه السلام) ولم يستجب لطلب مروان (٣).

رسائل أهل الكوفة إلى الإمام (عليه السلام):

إشاره

وقد عرف الناس في مختلف الأقطار امتناع الإمام الحسين (عليه السلام) عن البيعه، فأتجهت إليه الأنظار وبخاصه أهل الكوفة، فقد كانوا يومذاك من أشدّ الناس نغمه على يزيد وأكثرهم ميلا إلى الإمام (عليه السلام) فاجتمعوا في دار سليمان ابن صرد الخزاعي فقام فيهم خطيبا فقال: «إنّ معاوية قد هلك، وإنّ حسينا قد تقبّض على القوم ببيعته، وقد خرج إلى مكة، وأنتم شيعته وشيعه أبيه، فإن كنتم

ص: ١٥٣

١- (١) تاريخ ابن عساكر: ٦٨/١٣.

٢- (٢) الأخبار الطوال: ٢٠٩.

٣- (٣) سيره الأئمة الاثني عشر: ٥٨/٢.

تعلمون أنكم ناصروه و مجاهد و عدوه،فاكتبوا إليه و أعلموه،و إن خفتم الفشل و الوهن فلا تغرّوا الرجل في نفسه،قالوا:لا،بل نقاتل عدوه و نقتل أنفسنا دونه.قال:فاكتبوا إليه،فكتبوا إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

«للحسين بن عليّ (عليهما السلام) من سليمان بن صرد و المسيّب بن نجبه و رفاعه بن شدّاد البجلي و حبيب بن مظاهر و شيعة من المؤمنين و المسلمين من أهل الكوفة.

سلام عليك،فإننا نحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد،فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد،الذي انتزى على هذه الائمة فابتزها أمرها،و غضبها فيئها،و تأمر عليها بغير رضى منها،ثم قتل خيارها و استبقى شرارها،و جعل مال الله دوله بين جبارتها و أغنيائها،فبعدا له كما بعدت ثمود،إنه ليس علينا إمام غيرك،فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ،و انّ النعمان بن بشير فى قصر الإمارة،و أننا لم نجتمع معه فى جمعه و لا نخرج معه الى عيد،و لو قد بلغنا أنك قد أقيمت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله تعالى».

ثم سرّحوا بالكتاب مع عبد الله بن مسمع الهمداني و عبد الله بن وال و أمروهما بالنجاء(1)،فخرجوا مسرعين حتى قدما على الحسين(عليه السلام)بمكة لعشر مضين من شهر رمضان،و لبث أهل الكوفة يومين بعد تسريحهم بالكتاب،و أنفذوا قيس بن مسهر الصيداوى و عبد الله و عبد الرحمن ابني

ص: ١٥٤

شداد الأرحبى و عماره بن عبد السلولى إلى الحسين (عليه السلام) و معهم نحو من مائه و خمسين صحيفه من الرجل و الاثنين و الأربعة، ثم لبثوا يومين آخرين و سرّحوا إليه هانى بن هانى السبيعى و سعيد بن عبد الله الحنفى، و كتبوا إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

«للحسين بن على (عليهما السلام) من شيعته من المؤمنين و المسلمين.

أما بعد، فإنّ الناس ينتظرونك، لا رأى لهم غيرك، فالعجل العجل، ثم العجل العجل، و السلام.»

ثم كتب شبت بن ربيعى و حجار بن أبجر و يزيد بن الحارث بن رويم و عروه بن قيس و عمرو بن الحجاج الزبيدى و محمد بن عمير التميمى:

«أما بعد، فقد اخضرّ الجناب و أينت الثمار، فإذا شئت فاقدم على جند لك مجنّده، و السلام» (١).

جواب الإمام (عليه السلام) على رسائل الكوفيين:

تتابعت كتب الكوفيين كالسيل إلى الإمام الحسين (عليه السلام) و هى تدعوه الى المسير و القدوم إليهم لإنقاذهم من ظلم الامويين و بطشهم، و كانت بعض تلك الرسائل تحمّله المسؤوليه أمام الله و الامّه إن تأخّر عن إجابتهم، و رأى الإمام - قبل كلّ شىء - أن يختار للقياهم سفيرا له يعرّفه بأجاساتهم و صدق نياتهم، و قد اختار ثقته و كبير أهل بيته مسلم بن عقيل، و هو من أمهر الساسه

ص: ١٥٥

١ - ((١)) الإرشاد: ٣٨/٢، و روضه الواعظين: ١٧١، و تذكره الخواص: ٢١٣، و تاريخ الطبرى: ٢٦٢/٤، و الفتوح لابن أعثم: ٣٣/٥، و مقتل الحسين للخوارزمى: ١٩٥/١.

و أكثرهم قدره على مواجهه الظروف الصعبة و الصمود أمام الأحداث الجسماء، و زوده برسالة رويت بصور متعدده، من بينها النص الذي رواه صاحب الإرشاد، و هي كما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

«من الحسين بن علي إلى الملاء من المؤمنين و المسلمين:

أما بعد، فإن هانئا و سعيدا قدما علي بكتبكم، و كانا آخر من قدم علي من رسلكم، و قد فهمت كل الذي اقتصصتم و ذكرتم، و مقاله جللكم: أنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق و الهدى، و إنني باعث إليكم أخي و ابن عمي و ثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل، فإن كتب إلي أنه قد اجتمع رأي ملئكم و ذوى الحجى و الفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم، و قرأت في كتبكم فإنني أقدم إليكم و شيكا إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب القائم بالقسط الدائن بدين الحق الحابس نفسه على ذات الله، و السلام» (١).

تحرك مسلم بن عقيل نحو الكوفة:

لقد أكد المؤرخون أن الإمام الحسين (عليه السلام) أرسل مسلم بن عقيل مع قيس بن مسهر الصيداوى و عماره بن عبد الله السلولى و عبد الله و عبد الرحمن ابني شداد الأرحبى إلى الكوفة، بعد أن أمره «بالتقوى و كتمان أمره و اللطف بالناس، فإن رأى الناس مجتمعين مستوسقين عجل إليه بذلك» (٢).

و فى النصف من شهر رمضان انطلق مسلم من مكة نحو الكوفة، فعرج

ص: ١٥٦

١- ((١)) الإرشاد: ٣٩/٢، و إعلام الورى: ٤٣٦/١، و الفتوح لابن أعمش: ٣٥/٥، و مقتل الحسين للخوارزمى: ١٩٥/١.

٢- ((٢)) الفتوح: ٣٦/٥، و مقتل الحسين للخوارزمى: ١٩٦/١.

على المدينة فصلى في مسجد رسول الله (صلى الله عليه و اله) و ودع من أحب من أهله و واصل مسيره الى الكوفه.

و تعددت أقوال المؤرخين بشأن المكان الذى نزل فيه مسلم بن عقيل بعد أن وصل إلى الكوفه، فتمه من قال: إنه نزل في دار المختار بن أبى عبيده (١)، و قيل: نزل في بيت مسلم بن عوسجه (٢)، و قيل: في بيت هانىء بن عروه (٣).

و عندما علم الكوفيون بوصول مبعوث الحسين (عليه السلام) إلى مدينتهم؛ ازدحموا للقائه و بيعته، و حسب قول بعض المؤرخين فقد أقبلت الشيعة تختلف إليه، فلمّا اجتمع إليه منهم جماعه قرأ عليهم كتاب الحسين (عليه السلام) و هم يبكون و بايعه الناس، حتى بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً (٤).

رساله مسلم بن عقيل إلى الإمام الحسين (عليه السلام):

ظّل مسلم بن عقيل يجمع القواعد الشيعيه و يأخذ البيعه للإمام (عليه السلام) و توالى الوفود تقدم و لاءها، و الجماهير تعلن عن استبشارها. و قد لا حظنا كيف أنّ الناس كانوا يبكون و هم يسمعون مسلماً يقرأ عليهم رساله الإمام الحسين (عليه السلام) التي فيها يحييهم، و يعلن استعداده للقدوم اليهم و قياده الثوره على الحكم الطاغى.

و بعد أن لاحظ مسلم كثره الأنصار؛ بادر بالكتابه إلى الإمام (عليه السلام) ناقلاً اليه صورته حيّه للأحداث و الوقائع التي تجرى أمام عينيه في الكوفه، و قيم له

ص: ١٥٧

١- (١) الإرشاد: ٤١/٢، و إعلام الورى: ٤٣٧/١.

٢- (٢) الإصابه: ٣٣٢/١.

٣- (٣) تهذيب التهذيب: ٣٤٩/٢.

٤- (٤) الإرشاد: ٤١/٢، و مناقب آل أبى طالب: ٩٠/٤، و تذكره الخواص: ٢٢٠.

الموقف و أعرب عن تفاؤله و سأله القدوم.

و قد جاء فى رساله مسلم للإمام (عليه السلام): «أما بعد، فإن الرائد لا يكذب أهله، و قد بايعنى من أهل الكوفه ثمانيه عشر ألفا، فعجل حين يأتىك كتابى، فإنّ الناس كلّهم معك، ليس لهم فى آل معاويه رأى و لا هوى» (١).

رساله الإمام (عليه السلام) إلى زعماء البصره:

إشاره

و ذكر المؤرخون أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) -بعد أن قرّر التوجّه إلى العراق- بعث رساله إلى زعماء البصره جاء فيها: «أما بعد، فإنّ الله اصطفى محمّدا (صلّى الله عليه و اله) من خلقه، و أكرمه بنبوّته، و اختاره لرسالته، ثم قبضه إليه، و قد نصّح لعباده، و بلغ ما ارسل به، و كنّا أهله و أولياءه و أوصياءه و ورثته و أحقّ الناس بمقامه، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا و كرهنا الفرقة و أحببنا العافيه، و نحن نعلم أنّ أحقّ بذلك الحقّ المستحقّ علينا ممّن تولّاه، و قد بعثت رسولى إليكم بهذا الكتاب، و أنا أدعوكم إلى كتاب الله و سنّه نبيّه، فإنّ السنّه قد أميتت و البدعه قد أحييت، فإنّ تسمعوا قولى أهدكم إلى سبيل الرشاد» (٢).

و قد بعث (عليه السلام) عدّه نسخ من هذه الرساله الى كلّ من: مالك بن مسمع البكرى، و الأحنف بن قيس، و المنذر بن الجارود، و مسعود بن عمرو، و قيس ابن الهيثم، و عمرو بن عبيد بن معمر، و يزيد بن مسعود النهشلى، و أرسل الإمام (عليه السلام) النسخ مع مولى له يقال له: سليمان أبو رزين.

و لم يجب على رساله الإمام (عليه السلام) غير الأحنف بن قيس و يزيد بن مسعود، أما المنذر بن الجارود فقد سلّم رسول الحسين الى ابن زياد- و كان

ص: ١٥٨

١- (١) حياه الإمام الحسين: ٣٤٨/٢، عن تاريخ الطبرى: ٢٢٤/٦.

٢- (٢) مقتل الحسين للمقرّم: ١٥٩-١٦٠، و تاريخ الطبرى: ٢٦٦/٤، و أعيان الشيعة: ١/٥٩٠.

حينها واليا على البصره-فصلبه عشيه الليله التي خرج في صبيحتها إلى الكوفه ١.و كانت ابنه المنذر زوجه ابن زياد فزعم المنذر أنه كان يخشى أن يكون الرسول مدسوسا من ابن زياد لكشف نواياه.

جواب الأحنف بن قيس:

و أمّا الأحنف بن قيس - وهو أحد زعماء البصره- فقد أجاب على رساله الإمام (عليه السلام) برساله كتب فيها هذه الآية الكريمه و لم يزد عليها: فَأَضْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٢.

و هذا الجواب يعكس مدى تخاذله و تقاعسه في مواجهه الظلم و المنكر.

جواب يزيد بن مسعود النهشلي:

و استجاب الزعيم الكبير يزيد بن مسعود النهشلي إلى تلييه نداء الحق، فاندفع بوحى من إيمانه و عقيدته الى نصره الإمام، فعقد مؤتمرا عاما دعا فيه القبائل المواليه له و هى: ١- بنو تميم. ٢- بنو حنظله. ٣- بنو سعد.

و انبرى فيهم خطيبا فكان ممّا قال: إنّ معاويه مات، فأهون به و الله هالكا و مفقودا، ألا إنّه قد انكسر باب الجور و الإثم، و تضعضعت أركان الظلم، و كان قد أحدث بيعه عقد بها أمرا ظنّ أنّه قد أحكمه، و هيئات الذى أراد، اجتهد و الله ففشل، و شاور فخذل، و قد قام يزيد شارب الخمر و رأس الفجور يدعى الخلافه للمسلمين، و يتأمرّ عليهم بغير رضى منهم مع قصر حلم و قلّه علم، لا يعرف من الحقّ موطأ قدميه، فأقسم بالله قسما مبرورا لجهاده على

وهذا الحسين بن عليّ و ابن رسول الله (صلى الله عليه و اله) ذو الشرف الأصيل، و الرأي الأئيل. له فضل لا يوصف، و علم لا ينزف. و هو أولى بهذا الأمر لسابقتة و سنّه، و قدمه و قرابته من رسول الله (صلى الله عليه و اله). يعطف على الصغير، و يحسن إلى الكبير، فأكرم به راعى رعيه، و إمام قوم و جبت لله به الحجّه، و بلغت به الموعظه. فلا تعشوا عن نور الحقّ، و لا تسكعوا فى وهد الباطل... و الله لا يقصّر أحدكم عن نصرته إلاّ أورثه الله الذلّ فى ولده، و القلّه فى عشيرته، و ها أنا قد لبست للحرب لامتها و أدرعت لها بدرعها. من لم يقتل يمّ، و من يهرب لم يفت، فأحسنوا رحمكم الله ردّ الجواب».

و لما أنهى النهشلى خطابه؛ انبرى و جهاء القبائل فأظهروا الدعم الكامل له، فرفع النهشلى رساله للإمام (عليه السّلام) دلّت على شرفه و نبه و هذا نصّها:

«أما بعد، فقد وصل إلى كتابك و فهمت ما ندبتني إليه و دعوتني له من الأخذ بحظّي من طاعتك و الفوز بنصيبى من نصرتك، و إنّ الله لم يخل الأرض قط من عامل عليها بخير و دليل على سبيل نجاه، و أنتم حجّه الله على خلقه و وديعته فى أرضه، تفرّعتم من زيتونه أحمديه، هو أصلها و أنتم فرعها، فأقدم سعديت بأسعد طائر، فقد دلّت لك أعناق بنى تميم، و تركتهم أشدّ تابعا فى طاعتك من الإيل الضمأى لورود الماء يوم خمسها، و قد دلّت لك رقاب بنى سعد، و غسلت درن قلوبها بماء سحابه مزن حين استهلّ برقها فلمع» (١).

و يقول بعض المؤرّخين: إنّ الرساله انتهت إلى الإمام (عليه السّلام) فى اليوم العاشر من المحرم بعد مقتل أصحابه و أهل بيته، و هو وحيد فريد قد أحاطت

ص: ١٦٠

به القوى الغادره، فلما قرأ الرساله قال (عليه السلام): «آمنك الله من الخوف، و أرواك يوم العطش الأكبر».

و لما تجهّز ابن مسعود لنصره الإمام بلغه قتله فجزع لذلك، و ذابت نفسه أسى و حسرات (١).

موقف والى الكوفه:

كان النعمان بن بشير واليا على الكوفه و قتذاك، و مع أنه كان عثمانى الهوى و اموىّ الرغبه لكنّه لم يكن راضيا عن خلافه يزيد، و بعد موت معاويه انضم الى عبد الله بن الزبير و قاتل و قتل معه.

و عليه فإنه لم يتخذ موقفا متشددا من نشاطات مسلم بن عقيل فى الكوفه، و لم ينقل عنه فى تلك المرحله الحساسه سوى خطاب ألقاه فى جمع الكوفيين كان - كما يتصور - لرفع العتب و التظاهر بأنه يقوم بواجبه كوال تابع لحكومته الشام، و قد ذكر فى خطابه:

«أمرًا بعد، فاتقوا الله عباد الله و لا- تسارعوا إلى الفتنة و الفرقه، فإن فيها تهلك الرجال و تسفك الدماء و تغضب الأموال، إنى لا اقاتل من لا يقاتلنى، و لا آتى على من لم يأت على، و لا اتبه نائمكم و لا أتحرش بكم و لا آخذ بالقرف و لا الظنه و لا التهمه، و لكنكم إن أبديتم صفحتكم لى و نكتتم بيعتكم و خالفتم إمامكم، فو الله الذى لا إله غيره لأضربنكم بسيفى ما ثبت قائمه فى يدى و لو لم يكن لى منكم ناصر، أما أنى أرجو أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممن يرديه الباطل» (٢).

ص: ١٦١

١- ((١)) اللهوف: ٣٨، و أعيان الشيعة: ٥٩٠/١، و بحار الأنوار: ٣٣٩/٤٤.

٢- ((٢)) الكامل فى التاريخ: ٢٦٧/٣.

فقام إليه عبد الله بن مسلم بن ربيعة الحضرمي حليف بني اميه فقال: إنه لا يصلح ما ترى أيها الأمير إلا الغشم، وأن هذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوك رأى المستضعفين، فقال له النعمان: لئن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب إلي من أن أكون من الأعزّين في معصية الله (١).

أنصار الامويين يتداركون أمورهم:

كانت الكوفه تضم آنذاك فئه من أنصار الامويين و المعارضين لأهل البيت (عليهم السلام) و بين هذه الفئه كان بعض المنافقين الذين يتظاهرون بالتشيع لأمير المؤمنين (عليه السلام) فيما كانوا يبطنون محبه الامويين، الأمر الذي ساعدهم في اختراق صفوف شيعة أهل البيت (عليهم السلام) و التجسس لصالح الحكم الاموي، و كان من بين هؤلاء عبد الله الحضرمي، الذي عاب على النعمان رأيه كما لا حظنا قبل قليل، فقد كتب رساله إلى يزيد جاء فيها: «أما بعد، فإنّ مسلم بن عقيل قد قدم الكوفه و بايعته الشيعة للحسين بن عليّ بن أبي طالب، فإن يكن لك في الكوفه حاجه فابعث إليها رجلا قويًا ينفذ أمرك، و يعمل مثل عملك في عدوك، فإنّ النعمان بن بشير رجل ضعيف أو هو يتضعّف» (٢).

و يضيف المؤرّخون أنّه كتب إليه -يعنى إلى يزيد- عماره بن عقبه بنحو كتابه -يعنى كتاب الحضرمي- ثم كتب إليه عمر بن سعد بن أبي وقاص مثل ذلك (٣).

ص: ١٦٢

١- (١) الإرشاد: ٤٢/٢، و أنساب الأشراف: ٧٧، و الفتوح: ٧٥/٥، و العوالم للبحراني: ١٨٢/١٣.

٢- (٢) الإرشاد: ٤٢/٢، و إعلام الوري: ٢٣٧/١.

٣- (٣) المصدر السابق.

قلق يزيد كثيرا من الأخبار التي وصلته من الكوفة، وهي تتحدث عن موقف الكوفيين من الحكم الاموى و مبايعتهم للإمام الحسين (عليه السلام) فدعا يزيد السيرجون الذي كان يعدّ غلاما لمعاوية فقال له: ما رأيك؟- إن حسينا قد أنفذ إلى الكوفة مسلم بن عقيل يبيع له، و قد بلغني عن النعمان ضعف و قول سىء، فمن ترى أن أستعمل على الكوفة؟، و كان يزيد عاتبا على عبيد الله بن زياد (٢)، فقال له السيرجون: أ رأيت لو يشير إليك معاوية حيا هل كنت آخذا برأيه؟ قال: بلى. فأخرج السيرجون عهد عبيد الله بن زياد على الكوفة،

ص: ١٦٣

١- ((١)) السيرجون غلام نصراني كان معاوية قد اتخذه كاتبا و مستشارا له. و استمر في منصبه الخطير في عهد يزيد الذي كان قد نشأ على التربيه النصرانيه و كان أقرب منها الى غيرها. و ليس هذا أول مورد نلاحظ فيه بصمات أصابع أهل الكتاب في صنع مواقف هؤلاء الحكام تجاه الرساله و العقيده و الامه الاسلاميه و قاداتها الامناء عليها. لقد كان لكل من تميم الدارى (الراهب النصراني) و كعب الأحبار (اليهودى) موقع متميز عند عمر حيث كان يحترهما و يستشيرهما و يسمح لهما بالتحدث كل اسبوع قبل صلاه الجمعه فضلا عن تدريس التوراه و تفسير القرآن الكريم، فى وقت كان لا يسمح للصحابه بكتابه حديث الرسول (صلّى الله عليه و اله) و لا التحديث به، بل كان يحبسهم فى المدينه لئلا ينشروا حديث الرسول (صلّى الله عليه و اله). (راجع كنز العمال الحديث رقم ٤٨٦٥ و تذكره الحفاظ بترجمه عمر و تاريخ ابن كثير: ١٠٧/٨). و قد عظم نفوذ هؤلاء القصاصين بعد عمر و تعاضم فى عهد الامويين و استمر فى عهد العباسيين بالرغم من أن الإمام عليّنا (عليه السلام) كان قد طردهم من مساجد المسلمين. و لا يبعد أن يكون دخول عقائد منحرفه كالتجسيم و عدم عصمه الأنبياء و غيرها من المفاهيم المنحرفه إلى مصادر المسلمين نتيجة هذا الحضور الفاعل منهم فى الساحة الاسلاميه و تحت شعار الاسلام و نصح الحكام. و قد تميّز معاوية باتخاذ بطانه واسعه من أهل الكتاب حيث تلاحظ أن كاتبه و مستشاره نصراني، و هو (السيرجون) كما أنّ طبيبه كان نصرانيا و هو (أثال) و شاعره أيضا كان نصرانيا و هو (الأخطل)، و الشام هى عاصمه نصارى الروم البيزنطيين قبل دخول الاسلام اليها. (راجع معالم المدرستين ٥١/٢-٥٣).

٢- ((٢)) لأنّ عبيد الله بن زياد كان معارضا لمعاوية فى توليه العهد ليزيد، انظر البدايه و النهايه: ١٥٢/٨.

وقال: هذا رأى معاوية، مات وقد أمر بهذا الكتاب، فضمّ المصريين (يعنى الكوفه والبصره و التي كان واليا عليها أيام معاوية) إلى عبيد الله، فقال له يزيد:

أفعل. إبعث بعهد عبيد الله ابن زياد إليه... ثم دعا مسلم بن عمرو الباهلي و كتب إلى عبيد الله معه كتابا جاء فيه:

«أما بعد، فإنه كتب إليّ شيعتي من أهل الكوفه يخبرونني أنّ ابن عقيل فيها، يجمع الجموع ليشق عصا المسلمين، فسر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي الكوفه فتطلب ابن عقيل طلب الخرز حتى تتقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه، والسلام» (١).

توجه عبيد الله بن زياد إلى الكوفه:

استلم عبيد الله بن زياد كتاب يزيد بن معاوية، فانطلق في اليوم الثاني نحو الكوفه و معه مسلم بن عمرو الباهلي و شريك بن الأعور الحارثي و حشمه و أهل بيته (٢)، حيث ينتظر أهلها قدوم الإمام الحسين (عليه السلام) و معظمهم لا يعرف شخصيه الإمام و لم تكن قد التقت من قبل، و قد تعجل ابن زياد الانتقال إلى الكوفه ليصلها قبل الإمام الحسين (عليه السلام).

باغت ابن زياد جماهير الكوفه و هو يخفي معالم شخصيته و يتستر على ملامحه، فقد تلثم و لبس عمامه سوداء، و راح يخترق الكوفه و الناس ترحب به و تسلّم عليه و تردّد: مرحبا بك يا ابن رسول الله قدمت خير مقدم (٣).

فساءه ما سمع و راح يواصل السير نحو قصر الإمارة، فاضطرب النعمان

ص: ١٦٤

١- (١) الإرشاد: ٤٢/٢-٤٣، و إعلام الوري: ٤٣٧/١، و سير أعلام النبلاء: ٢٠١/٣.

٢- (٢) إعلام الوري: ٤٣٧/١.

٣- (٣) الإرشاد: ٤٣/٢، و إعلام الوري: ٤٣٨/١.

و أطلّ من شرفات القصر يخاطب عبید الله بن زياد، و كان هو أيضا قد ظلّ أنّه الإمام، فخاطبه: انشدك الله إلّا ما تنخيت، و الله ما أنا بمسلّم إليك أمانتي، و ما لي في قتالك من إرب... (١).

صمت ابن زياد و راح يقترب من باب القصر، حتى شخّص النعمان أنّ القادم هو ابن زياد، ففتح الباب و دخل ابن زياد القصر و أغلق بابه و بات ليلته، و بات الكوفه على وجل و ترقّب و في منعطف سياسي خطير.

محاولات ابن زياد للسيطره على الكوفه:

فوجئ أهل الكوفه بابن زياد عند الصباح و هو يحتلّ القصر بالنداء:

الصلاه جامعه، فقام خطيبا في الجموع المحتشده و راح يمّنى المطيع و السائر في ركب السياسه القائمه بالأمانى العريضه، و يهدّد و يتوعّد المعارضه و المعارضين و الرافضين لحكومته يزيد، حتى قال: ...سوطى و سيفى على من ترك أمرى و خالف عهدى (٢).

ثم فرض على الحاضرين مسؤوليه التجسس على المعارضين، و هدّد من لم يساهم في هذه العمليه و ينفذ هذا القرار بالعقوبه و قطع المخصّصات الماليه، فقال: «...فمن يجيء لنا بهم فهو برىء، و من لم يكتب لنا أحد فليضمن لنا في عرفته أن لا يخالفنا منهم مخالف، و لا يبغى علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمه و حلال لنا دمه و ماله، و أيما عريف وجد في عرفته من بغيه أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلّا صلب على باب داره و الغيت

ص: ١٦٥

١- (١) الإرشاد: ٤٣/٢، و روضه الواعظين: ١٧٣، و مقتل الحسين للخوارزمي: ١٩٨، و تهذيب التهذيب: ٣٠٢/٢.

٢- (٢) مقاتل الطالبين: ٩٧، و إعلام الوری: ٤٣٨/١.

وقد كان ابن زياد معروفا في أوساط الكوفيين بالقسوه و الشده، فكان من الطبيعي أن يحدث قدومه و خطابه الشديد اللهجه هزه عند المعارضين لسياسته، فلاحت بوادر النكوص و التخاذل و الإرجاف تظهر على الكوفيين و قياداتهم، من هنا اعتمد مسلم بن عقيل و سيله جديده للسير في حركته نحو الهدف المطلوب. فانتقل الى دار هانيء بن عروه و جعل يتستر في دعوته و تحركاته إلا عن خلص أصحابه، و هانيء يومذاك سيد بني مراد و صاحب الكلمه المسموعه في الكوفه و الرأي المطاع(٢).

موقف مسلم من اغتيال ابن زياد:

لقد كان مسلم بن عقيل -رضوان الله تعالى عليه- يحمل رساله ساميه و أخلاقا فاضله اكتسبها من بيت النبوه، كما كان يملك درايه بكل تقاليد و أعراف المجتمع الذي كان يتحرك فيه، ففي موقف كان يمكن فيه لمسلم ابن عقيل أن يغتال ابن زياد رفض ذلك لاعتبارات شتى.

فقد روى أن شريك بن الأعور حين نزل في دار هانيء بن عروه مرضا شديدا، و حين علم عبيد الله بن زياد بذلك قدم لعيادته، و هنا اقترح شريك على مسلم أن يغتال ابن زياد، فقال: إنما غايتك و غايه شيعتك هلاك هذا الطاغيه، و قد أمكنك الله منه و هو صائر إلى ليعودني، فقم و أدخل الخزانة حتى إذا اطمأن عندى فاخرج إليه فاقتله، ثم صر إلى قصر الإمارة فاجلس فيه،

ص: ١٦٦

١- (١) الإرشاد: ٤٥/٢، و الفصول المهمه: ١٩٧، و الفتوح لابن أعثم: ٦٧/٥.

٢- (٢) مروج الذهب: ٨٩/٢، و الأخبار الطوال: ٢١٣، و إعلام الوری: ٤٣٨/١.

فإنه لا ينازعنك فيه أحد من الناس.

و لمس مسلم كراهيه هانىء أن يقتل عبيد الله فى داره، و لم يأخذ مسلم باقتراح شريك، و حين خرج عبيد الله قال شريك بحسره و ألم لمسلم: ما منعك من قتله؟ قال مسلم: منى منه خلتان: أحدهما كراهيه هانىء لقتله فى منزله، و الاخرى قول رسول الله (صلّى الله عليه و اله): «إنّ الإيمان قيد الفتك لا يفتك مؤمن» (١).

الغدور بمسلم بن عقيل:

اتخذ ابن زياد كلّ وسيله مهما كانت دينيه للقضاء على الوجود السياسى و التحرك الذى برز منذرا بالخطر بوجود مسلم بن عقيل على النظام الاموى، و سارع للقضاء على مسلم بن عقيل و كلّ المواليين له قبل وصول الإمام الحسين (عليه السلام) و ليتمكن بذلك من إفشال الثوره، فدبر خطه للتجسس على تحركات مسلم و مكانه و المواليين له، و استطاع أن يكتشف مخابأه و أن يعلم بمقره (٢) فكانت بدايه تخاذل الناس عن الصمود فى مواجهه الظلم.

لقد استطاع الوالى الجديد عبيد الله بن زياد أن يحكم الحيله و الخداع ليقبض على هانىء بن عروه الذى آوى رسول الحسين (عليه السلام) و أحسن ضيافته و اشترك معه فى الرأى و التدبير، فقبض عليه و قتله بعد حوار طويل جرى بينهما، و ألقى بجثمانه من أعلى القصر إلى الجماهير المحتشده حوله، فاستولى الخوف و التخاذل على الناس، و ذهب كلّ إنسان إلى بيته

ص: ١٦٧

١- ((١)) الأخبار الطوال: ١٨٧، و مقاتل الطالبين: ٩٨، و إعلام الورى: ٤٢٨/١.

٢- ((٢)) إعلام الورى: ٤٤٠/١، و الأخبار الطوال: ١٧٨، و مناقب آل أبى طالب: ٩١/٤، و الفتوح لابن أعمش: ٦٩/٥، و تاريخ الطبرى: ٢٧١/٤، و أنساب الأشراف: ٧٩.

و كأنَّ الأمر لا يعنيه(١).

و لَمَّا علم مسلم بما جرى لهانيء و رأى تخاذل عشيرته مذحج الغنیه بعددها و عدَّتْها خرج في أصحابه و نادى مناديه في الناس و سار بهم لمحاصره القصر، و اشدَّ الحصار على ابن زياد و ضاق به أمره، و لكنَّه استطاع بدهائه و مكره أن يتغلَّب على المحنه و يخدِّل الناس عن مسلم(٢).

لقد دسَّ ابن زياد في أوساط الناس أشخاصا يخدِّلونهم و يتظاهرون بالدعوه إلى حفظ الأمن و الاستقرار و عدم إراقه الدماء، و يحذِّرون من قدوم جيش جرَّار من الشام بهدف كسب الوقت و تفتيت قوى الثوار. و استمرَّ الموقف كذلك و الناس تنصرف و تتفرَّق عن مسلم. و بدخول الليل صلَّى بمن بقي معه و خرج من المسجد الجامع وحيدا لا- ناصر له و لا- مؤازر و لا- من يدلُّه على الطريق، و أقفل الناس أبوابهم في وجهه، فمضى يبحث عن دار يأوى إليها في ليلته تلك، و فيما هو يسير في ظلمه الليل وجد امرأه على باب دارها و كأنَّها تنتظر شيئا، فعرفها بنفسه و سألتها المبيت عندها إلى الصباح، فرحبت به و أدخلته بيتها، و عرضت عليه العشاء فأبى أن يأكل شيئا، و عرف ولدها بمكانه و كان ابن زياد قد أعدَّ جائزه لمن يخبره عنه، و ما كاد الصبح يتنقَّس حتى أسرع ولدها إلى القصر و أخبر محمد بن الأشعث بمكان مسلم بن عقيل، و فور وصول النبأ إلى ابن زياد أرسل قوَّه كبيره من جنده(٣) بقيادة ابن الأشعث إلى المكان الذي فيه مسلم، و ما أن سمع بالضجَّه حتى أدرك أنَّ القوم

ص: ١٦٨

١- (١) الكامل في التاريخ: ٢٧١/٣، و الفتوح لابن اعثم: ٨٣/٥، و إعلام الوری: ٤٤١/١.

٢- (٢) سيره الأئمه الاثنى عشر، القسم الثاني: ٦٣، و إعلام الوری: ٤٤١/١، و مناقب آل أبي طالب: ٩٢/٤، و الكامل في التاريخ: ٢٧١/٣.

٣- (٣) جاء في «الإرشاد» أنهم كانوا سبعين رجلا.

يطلبونه فخرج إليهم بسيفه.

وقد اقتحموا عليه الدار فشدّ عليهم يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من الدار، ثم عادوا إليه فشدّ عليهم كذلك، مع أنّهم تكاثروا عليه بعد أن ائخن بالجراح قطعنه رجل من خلفه فخرّ الى الأرض فاخذ أسيرا و حمل على بلغه و انتزع الأشعث سيفه و سلاحه و أخذوه الى القصر فادخل على ابن زياد و لم يسلم عليه، و جرى بينهما حوار طويل كان فيه ابن عقيل -رضوان الله عليه- رابط الجأش منطلقا في بيانه قوى الحجج، حتى أعياه أمره و انتفخت أوداجه و جعل يشتم عليّا و الحسن و الحسين، ثم أمر أجهزته أن يصعدوا به الى أعلى القصر و يقتلوه و يرموا جسده إلى الناس و يسحبوه في شوارع الكوفة ثم يصلبوه إلى جانب هانيء بن عروه، هذا و أهل الكوفة و قوف في الشوارع لا يحزّ كون ساكنا و كأنهم لا يعرفون من أمره شيئا.

و كان مسلم قد طلب من ابن الأشعث أن يكتب إلى الحسين (عليه السلام) يخبره بما جرى في الكوفة و ينصحه بعدم الشخوص اليهم، فوعده ابن الأشعث بذلك، و لكنّه لم يف بوعده (١).

ص: ١٦٩

١- (١) يراجع في تفصيلاته الى: اعيان الشيعة: ٥٩٢/١، إعلام الوري: ٤٤٢/١، و الكامل في التاريخ: ٣٢/٤، و الفتوح: ٨٨/٥، و تاريخ الطبري: ٢٨٠/٤، و مقاتل الطالبين: ٩٢.

إشاره

و ترك الكوفه يعبث بها ابن زياد و يتتبع شيعة الإمام الحسين (عليه السلام) و يطاردهم، و نعود إلى مكه لتتابع السير مع ركب الحسين (عليه السلام) حتى الطفّ حيث المأساه الكبرى. قال المؤرّخون: كان خروج مسلم بن عقيل رحمه الله عليه بالكوفه يوم الثلاثاء لثمان مضيّن من ذى الحجه سنه ستين، و قتله يوم الأربعاء لتسع خلون منه يوم عرفه، و كان توجه الحسين صلوات الله عليه من مكه الى العراق فى يوم خروج مسلم بالكوفه - و هو يوم الترويه - بعد مقامه بمكه بقيه شعبان و شهر رمضان و شوال - و ذا القعدة و ثمانى ليال خلون من ذى الحجه سنه ستين، و كان (عليه السلام) قد اجتمع إليه مده مقامه بمكه نفر من أهل الحجاز و نفر من أهل البصره انضمّوا إلى أهل بيته و مواليه.

ولما أراد الحسين (عليه السلام) التوجه إلى العراق طاف بالبيت و سعى بين الصفا و المروه و أحلّ من إحرامه و جعلها عمره، لأنه لم يتمكّن من تمام الحجّ مخافه أن يقبض عليه بمكه فينفذ به إلى يزيد بن معاويه، فخرج (عليه السلام) مبادرا بأهله و ولده و من انضمّ إليه من شيعته، و لم يكن خبير مسلم قد بلغه (١).

لما ذا اختار الإمام الحسين (عليه السلام) الهجره إلى العراق؟

رغم كلّ ما قيل من تحليل و دراسه لوضع المجتمع الكوفى و ما ينطوى عليه من إثاره سلبيات يتكهّن بأغلبها المحلّلون من دون جزم فإننا نرى أنّ اختيار الإمام الحسين (عليه السلام) الهجره الى العراق كان لأسباب منها:

١- إنّ التكليف الإلهى برفع الظلم و الفساد و الأمر بالمعروف و النهى عن

ص: ١٧٠

المنكر يشمل جميع المسلمين بلا استثناء، إذ أننا لا نجد في النصوص التاريخية ما يدل على قيام قطر من الأقطار الاسلاميه بمحاوله لمواجهه الحكم الاموى سوى العراق الذى وقف ضدّهم منذ أن ظهر الامويون فى الساحة السياسيه و حتى سقوطهم.

٢- إنّ الإمام الحسين (عليه السّلام) لم يعلن دعوته لمواجهه ظلم الامويين و فسادهم و النهوض لإحياء الرساله يوم طلب منه مبايعه يزيد، بل كانت تمتدّ دعوته فى العمق الزمنى إلى أبعد من ذلك، و لكن لم نر نصوصا تاريخيه تدلّ على استجابته شعب من شعوب العالم الإسلامى لنداء الإمام الحسين (عليه السّلام) و نهضته غير العراق، فكانت الدعوات الكثيره و الملحّه موجّهه إليه تعلن الولاء و الاستعداد لتأييد النهضه و مواجهه الحكم الاموى الفاسد.

٣- لم يكن أمّام الحسين (عليه السّلام) من خيار لاختيار بلد آخر غير العراق، لأنّ بقيه الأقطار إمّا أنها كانت مؤيّده للامويين فى توجّهاتهم و سياساتهم، أو خاضعه مقهوره، أو أنها كانت غير متحضّره و غير مستعدّه للاستجابته للنهضه الحسينيه. على أنّ كثيرا من شعوب العالم الإسلامى كانت فى ذلك الحين إمّا كافره أو حديثه عهد بالإسلام، أو غير عربيّه بحيث يصعب التعايش و التعامل معها؛ ممّا كان سببا لتضييع ثوره الإمام و جهوده.

٤- كانت الكوفه تضمّ الجماعه الصالحه التى بناها الإمام على (عليه السّلام) و القاعده الجماهيريه التى تتعاطف مع أهل البيت (عليهم السّلام)، فأراد الإمام الحسين (عليه السّلام) أن لا يضيع دمه و هو مقتول لا- محاله، كما أراد أن يعمّق الإيمان فى النفوس و يجنّد الولاء لأهل البيت (عليهم السّلام)، و كان العراق أخصب أرض تستجيب لذلك، و سرعان ما بدأت الثورات فى العراق بعد استشهاد

الإمام الحسين (عليه السّلام)، وأصبح العراق القاعده العريضه لنشر مبادئ و فضائل أهل البيت (عليهم السّلام) إلى العالم الاسلامى فى السنين اللاحقه.

٥- إن اختيار أى بلد غير العراق سيكون له أثره السلبي، إذ يتّخذ أعداء الاسلام و أهل البيت (عليهم السّلام) أداه عار و شنار للنيل من مقام الإمام و أهدافه الساميه، و يفتّير خروجيه إليه على أنه هروب من المواجهه الحتميه، فى الوقت الذى كان يهدف الإمام (عليه السّلام) الى إحياء حركه الرساله و المثل الأخلاقيه و تأجيج روح المواجهه و التصدى للظلم و الظالمين. و حتى على فرض اختياره (عليه السّلام) بلدا آخر فإن سلطه الامويين ستنال منه و تقضى عليه دون أن يحقّق أهداف رسالته التى جاء من أجلها.

٦- لمّا كان العراق يصارع الامويين كانت أجواؤه مهيتّه لنشر الإعلام الثورى لنهضة الحسين (عليه السّلام) و أفكاره، و من ثمّ فضح بنى اميه و تستّهم بالشرعيه و غطاء الدين، و حتى النزعه العاطفيه المزعومه فى العراقيين فقد كانت سببا فى ديمومه و هج الثوره و أفكارها كما نرى ذلك حتّى عصرنا هذا.

و لعلّ هناك أسبابا لا ندركها، لا سيما و نحن نرى أنّ الإمام الحسين (عليه السّلام) كان على بينه و اطلاع من نتيجته الصراع، و كان على معرفه بالظروف الموضوعيه المحيطه بمسيرته و على علم بطبيعته التكوين الاجتماعى و السياسى للمجتمع الذى كان يتوجّه إليه من خلال وعيه السياسى الحاذق، و النصائح التى قدّمها إليه عدد من الشخصيات فضلا عن عصمته عن الزلل و الأهواء، كما نعتقد؛ فلم يكن اختياره العراق منطلقا لثورته العظيمة، إلّا عن درايه و تخطيط رغم الجريمه النكراء التى نتجت عن تخاذل الناس و تركهم نصره إمامهم و لحوق العار بهم فى الدنيا و الآخره.

صدرت عن الإمام الحسين (عليه السلام) عدده تصريحات عند ما كان يعتزم مغادره مكة و التوجه إلى العراق، و كانت بعض هذه التصريحات تمثل أجوبته (عليه السلام) على من أشفق عليه أو من ندد بخروجه، و قد تمثل خطابه للناس بصوره عامه، فنذكر منها هنا:

١- روى عبد الله بن عباس عن الإمام الحسين بشأن حركته نحو العراق قوله (عليه السلام): «و الله لا يدعونى حتى يستخرجوا هذه العلقه من جوفى، فإذا فعلوا سلط عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من فرم المرأه» (١).

٢- كان محمد بن الحنفية فى يثرب فلما علم بعزم الإمام (عليه السلام) على الخروج إلى العراق توجه إلى مكة، و قد وصل إليها فى الليله التى أراد (عليه السلام) الخروج فى صبيحتها إلى العراق، و قصده فور وصوله فبادره قائلا: «يا أخى إن أهل الكوفه قد عرفت غدركم بأبيك و أخيك، و يساورنى خوف أن يكون حالك حال من مضى، فإن أردت أن تقيم فى الحرم فإنتك أعز من بالحرم و أمنهم».

فأجابه الإمام (عليه السلام): «خفت أن يغتالنى يزيد بن معاويه، فأكون الذى تستباح به حرمه هذا البيت» فقال محمد: «فإن خفت ذلك فسر إلى اليمن أو بعض نواحي البر فإنتك أمنع الناس به، و لا يقدر عليك أحد»، قال الحسين (عليه السلام): «أنظر فيما قلت».

و لما كان وقت السحر بلغه شخوصه إلى العراق و كان يتوضأ فبكى،

ص: ١٧٣

وأسرع محمد إلى أخيه فأخذ بزمام ناقته و قال له: «يا أخي، ألم تعدني فيما سألتك؟» قال الإمام (عليه السلام): «بلى و لكنني أتاني رسول الله (صلى الله عليه و اله) بعد ما فارتكتك و قال لي:

يا حسين، اخرج فإن الله شاء أن يراك قتيلًا»، فقال محمد: فما معنى حمل هؤلاء النساء و الأطفال، و أنت خارج على مثل هذا الحال؟ فأجابه الإمام (عليه السلام): «قد شاء الله أن يراهن سبايا» (١).

و لم يكن اصطحاب الحسين (عليه السلام) لعيالاته حاله غريبه على المجتمع العربي و الإسلامي، فقد كان العرب يصطحبون نساءهم في الحروب و كذا فعل النبي (صلى الله عليه و اله) في غزواته فقد كان يقرع بين نسائه، أمّا بالنسبة إلى الإمام الحسين (عليه السلام) فإن اصطحابه لعائلته في حركته إنما كان لأجل أن يكون وجودها معه بمثابة حجة قوية على المسلمين لنصرتهم، فمن تولى الحسين (عليه السلام) و يسعى لنصرتهم و الدفاع عنه فأولى له أن يدافع عنه و هو بين أهله. و إن اختلف مع الحسين (عليه السلام) فما ذنب عيالاته و هنّ بنات النبي (صلى الله عليه و اله) خاصة أنّ الخلاف بزعم الامويين إنما هو لأجل الخلافه.

٣- ذكر المؤرخون أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) لمّا أراد الخروج من مكة ألقى خطابا فيها، جاء فيه: «خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلاده على جيد الفتاه، و ما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، و خيّر لي مصرع أنا لاقية، كآني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس و كربلاء، فيملائن مني أكراشا جوفاً و أجره سغبا، لا محيص عن يوم خطّ بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه و يوفينا أجور الصابرين، لن تشدّ عن رسول الله (عليهم السلام) لحمته، و هي مجموعه له في حظيره القدس، تقربهم عينه، و ينجزهم وعده، من كان باذلا فينا مهجته و موطننا على لقاء الله نفسه فليرحل معنا،

ص: ١٧٤

١- ((١)) اللهوف على قتلى الطفوف: ٢٧، و أعيان الشيعة: ١/٥٩٢، و بحار الأنوار: ٣٦٤/٤٤.

فإني راحل مصبحا إن شاء الله تعالى»(١).

يبين الإمام الحسين (عليه السلام) في هذه التصريحات أنه مصمم على عدم مبايعه يزيد؛ قايما بتكليفه الإلهي، موضحا سبب خروجه من مكة، مخبرا عن المصير الذي ينتظره وأهل بيته جميعا، داعيا إلى الالتحاق به من كان موطنا على لقاء الله نفسه، معلنا أن الله تعالى قرن رضاه برضا أهل البيت (عليهم السلام).

خلاصه الثورة في رساله:

بوعى القائد الرسالى و الفدائى العظيم و الثائر من أجل العقيدة صمّم الإمام الحسين (عليه السلام) بحنكه و درايه المسير من مكه الى العراق، بعد أن أوضح جانبا كبيرا من أهدافه و أسباب نهضته، و قد تطايرت أخباره إلى أرجاء العالم الإسلامى.

و كتب الإمام (عليه السلام) الى بنى هاشم فى يثرب رساله يدعوهم فيها إلى الفرصه الأخيره لنصره الإسلام و المبادئ و القيم الإلهيه و التألق فى سماء التضحيه فى الدنيا، و خلود الذكر الطيب و البقاء عنوانا للحقّ و العدل و الإباء و الفوز فى أعلى درجات الجنّه فى الآخرة، فقد جاء فيها بعد البسملة:

«من الحسين بن عليّ إلى أخيه محمد و من قبله من بنى هاشم: أمّا بعد، فإنّه من لحق بى منكم استشهد، و من لم يلحق بى لم يدرك الفتح، و السلام»(٢).

و لمّا وردت رساله الإمام (عليه السلام) الى بنى هاشم فى يثرب، بادرت طائفه منهم إلى الالتحاق به ليفوزوا بالفتح و الشهاده بين يدي ربحانه رسول الله (صلّى الله عليه و اله) (٣).

ص: ١٧٥

١- ((١)) إحقاق الحق: ٥٩٨/١١، و كشف الغمه: ٢٠٤/٢.

٢- ((٢)) مناقب آل أبى طالب: ٧٦/٤، و بصائر الدرجات: ٤٨١، و دلائل الإمامه: ٧٧.

٣- ((٣)) راجع تاريخ ابن عساكر: ترجمه الإمام الحسين (عليه السلام).

و لم يبعد الإمام (عليه السلام) كثيرا عن مكه حتى لاحقته مفرزه من الشرطه بقياده يحيى بن سعيد، فقد بعثها و الى مكه عمرو بن سعيد لصدّ الإمام (عليه السلام) عن السفر، و جرت بينهما مناوشات حتى تدافع الفريقان و اضطربوا بالسياط و امتنع الحسين و أصحابه منهم امتناعا قويا (١).

فى التنعيم:

و مضى ركب الإمام الحسين (عليه السلام) لا يلوى على شىء، و فى طريقهم بمنطقة التنعيم (٢) صادفوا إبلا قد يّممت وجهها شطر الشام و هى تحمل الهدايا ليزيد بن معاوية قادمه من اليمن، فاستأجر من أهلها جمالا لرحله و أصحابه و قال لأصحابها: من أحبّ أن ينطلق معنا إلى العراق و فيناه كراءه و أحسنّا صحبتته، و من أحبّ أن يفارقنا فى بعض الطريق أعطيناه كراءه على ما قطع من الطريق، فمضى معه قوم و امتنع آخرون (٣).

فى الصفاح:

و واصل الإمام مسيره حتى وصل الصفاح (٤) فالتقى الفرزدق الشاعر فسأله عن خبر الناس خلفه فقال الفرزدق: قلوبهم معك و السيوف مع بنى أمية،

ص: ١٧٦

١- (١) الإرشاد: ٦٨/٢.

٢- (٢) التنعيم: موضع بمكه فى الحلّ يقع بين مكه و سرف على فرسخين من مكه، جاء ذلك فى معجم البلدان: ٤٩/٢.

٣- (٣) الإرشاد: ٦٨/٢.

٤- (٤) الصفاح: موضع بين حنين و أنصاب الحرم على يسره الداخلى الى مكه من مشاش... جاء ذلك فى معجم البلدان: ٤١٢/٣.

و القضاء ينزل من السماء. فقال أبو عبد الله (عليه السلام): صدقت، لله الأمر، والله يفعل ما يشاء، وكل يوم ربنا هو في شأن، إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه و هو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يتعد من كان الحق نبيته و التقوى سريره (١).
ثم واصل الإمام (عليه السلام) مسيرته بعزم و ثبات، و لم يثنه عن عزمته قول الفرزدق في تخاذل الناس عنه و تجاوبهم مع الامويين.

كتاب الإمام (عليه السلام) لأهل الكوفة:

و لما وافى الإمام الحسين (عليه السلام) الحاجر من بطن ذى الرّمه - و هو أحد منازل الحجّ من طريق البادية - كتب كتابا لشيعته من أهل الكوفة يعلمهم بالقدوم إليهم، و لم يكن (عليه السلام) قد وصله خبر ابن عقيل، هذا نصّه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن على إلى إخوانه من المؤمنين و المسلمين:

سلام عليكم، فإننى أحمد اليكم الله الذى لا إله إلا هو.

أمّا بعد، فإنّ كتاب مسلم بن عقيل جاءنى يخبرنى فيه بحسن رأيكم و اجتماع ملئكم على نصرنا و الطلب بحقنا، فسألت الله أن يحسن لنا الصنيع، و أن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر، و قد شخصت اليكم من مكه يوم الثلاثاء لثمان مضيّن من ذى الحجّه يوم الترويه،

ص: ١٧٧

١- (١) مقتل الحسين للمقرّم: ٢٠٣، البدايه و النهايه، ابن كثير: ٨/١٨٠، صفه مخرج الحسين (عليه السلام) الى العراق.

فإذا قدم عليكم رسولى فانكمشوا(١) فى أمركم و جدوا، فإننى قادم عليكم فى أيامى هذه، و السلام عليكم و رحمه الله و بركاته(٢).

و قد بعث(عليه السلام)الكتاب بيد قيس بن مسهر الصيداوى.

إجراءات الامويين:

سرى نبأ مسير الإمام(عليه السلام)نحو الكوفة بين الناس فاضطرب الموقف الاموى، و شعرت السلطات بالخوف و الحرج، و تحدّثت الركبان بأنباء الثائر العظيم، فتناهى الخبر إلى عبيد الله بن زياد، فأعدّ رجاله و جنده، و وضع خطّه لقطع الطريق أمام الحسين(عليه السلام)و الحيلولة دون وصوله إلى الكوفة، فبعث مدير شرطته الحصين بن نمير التميمى، مكلفاً إيّاه بتنفيذ المهمّة، فاخترت الحصين موقعا استراتيجيا يسيطر من خلاله على طريق مرور الإمام(عليه السلام)، فنزل بالقادسيه و اتخذها مقراً لقيادته.

اعتقال الصيداوى و قتله:

انطلق قيس بن مسهر الصيداوى برسالة الإمام نحو الكوفة، و حينما وصل القادسيه اعتقله الحصين بن نمير، فبعث به إلى عبيد الله بن زياد، فقال له عبيد الله: إصعد فسبّ الكذّاب الحسين بن علىّ، فصعد قيس فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: أيّها الناس، إنّ هذا الحسين بن علىّ خير خلق الله ابن فاطمه بنت رسول الله(صلّى الله عليه و اله) و أنا رسوله اليكم، و قد فارقتة فى الحاجر فأجيبوه، ثم لعن عبيد الله بن زياد و أباه، و استغفر لعلىّ بن أبى طالب و صلّى عليه، فأمر عبيد الله

ص: ١٧٨

١- ((١)) انكمشوا: بمعنى أسرعوا.

٢- ((٢)) الإرشاد: ٧٠/٢، و البدايه و النهايه: ١٨١/٨، و بحار الأنوار: ٣٦٩/٤٤.

أن يرمى به من فوق القصر، فرموا به فتقطع (١).

و روى: أنه وقع على الأرض مكتوفاً فتكسرت عظامه وبقى به رمق، فجاء رجل يقال له عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه، فقيل له فى ذلك و عيب عليه، فقال: أردت أن اريحه.

مع زهير بن القين:

و انتهت قافلته الإمام الى «زرود» فأقام (عليه السلام) فيها بعض الوقت، و قد نزل بالقرب منه زهير بن القين البجلي و كان عثمانى الهوى، و قد حج بيت الله فى تلك السنه، و كان يساير الإمام فى طريقه و لا يحب أن ينزل معه مخافه الاجتماع به إلاّ. أنه اضطرّ إلى النزول قريبا منه، فبعث الإمام (عليه السلام) إليه رسولا يدعوه إليه، و كان زهير مع جماعته يتناولون الطعام، فأبلغه الرسول مقاله الحسين فدعر القوم و طرحوا ما فى أيديهم من طعام، و كأنّ على رؤوسهم الطير، فقالت له امرأته: سبحان الله! أبيعك إليك ابن بنت رسول الله ثم لا تأتيه؟ لو أتيته فسمعت من كلامه ثم انصرفت. فأتاه زهير بن القين، فما لبث أن جاء مستبشرا قد أشرق وجهه، فأمر بفسطاطه و ثقله و راحلته و متاعه، فقوض و حمل إلى الحسين (عليه السلام) ثم قال لامرأته: أنت طالق، إلحقى بأهلك، فإننى لا أحب أن يصيبك بسببى إلاّ خيرا. و قال لأصحابه: من أحبّ منكم أن يتبعنى و إلاّ فهو آخر العهد، إننى سأحدثكم حديثا: إننا غزونا البحر ففتح الله علينا و أصبنا غنايم، فقال لنا سلمان الفارسى رحمه الله عليه: أفرحتم بما فتح الله عليكم و أصبتم من الغنائم؟ قلنا: نعم، فقال: إذا أدر كنتم سيد شباب آل محمد فكونوا أشدّ فرحا بقتالكم معه ممّا أصبتم اليوم من الغنائم. فأما

ص: ١٧٩

أنا فأستودعكم الله. قالوا: ثم -و الله- مازال في القوم مع الحسين (عليه السلام) حتى قتل رحمه الله عليه (١).

أنباء الانتكاسه تتوارد على الإمام (عليه السلام):

ها هي الكوفه تضطرب و تموج، و الانتكاسه الخطيره قد لاحت ملامحها، و بدأ ميزان القوى يميل لصالح السلطه الامويه، و الوهن بدأ يدبّ و الانحلال يسرى في أوساط المعارضه، و بدأ الإرهاب و التجسس و الرشوه تفعل فعلتها، فتلاشت المعارضه و نكص المبايعون، و قتل مسلم بن عقيل و هانيء بن عروه و قيس بن مسهر الصيداوى، و سجن المختار بن عبيده الثقفي، و انقلبت أوضاع الكوفه على أعقابها.

و واصل الإمام الحسين (عليه السلام) المسير، و ليس لديه معلومات جديده عن تطور الأحداث، فأرسل عبد الله بن يقطر إلى مسلم بن عقيل ليستجلى الموقف، إلا أنّ الحسين اخبر في الطريق في موضع يدعى «الثعلبيه» بانتكاسه الثوره و استشهاد مسلم بن عقيل، أمّا رسوله الثاني هذا إلى مسلم فقد وقع أسيرا أيضا بيد جنود الحصين فنقل إلى ابن زياد في الكوفه، و كان كرسول الحسين (عليه السلام) السابق مثالا للصلابه و الجراه و الإخلاص.

و وصل خبر أسر الرسول و استشهاده إلى الإمام (عليه السلام) في موضع يدعى «زباله» و هكذا راحت تتوارد على الإمام أنباء الانتكاسه، و لاحت له بوادر النكوص الخطير، و شعر بالخذلان و نقض العهد، فوقف في أصحابه و أهل بيته يبلغهم بما استجدّ من الحوادث، و يضع أمامهم الحقائق، ليكونوا على بصيره من الأمر، فقال لهم: «بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد، فإنّه قد أتانا خبر فظيع

ص: ١٨٠

١- ((١)) الإرشاد: ٧٢/٢-٧٣، و الكامل في التاريخ: ٣/١٧٧، و الأخبار الطوال: ٢٤٦.

قتل مسلم بن عقيل و هانىء بن عروه و عبد الله بن يقطر، و قد خذلنا شيعتنا، فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف فى غير حرج ليس معه ذمام».

فتفرق الناس عنه و أخذوا يمينا و شمالا، حتى بقى فى أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة و نفر يسير ممن انضموا إليه، و إنما فعل ذلك لأنه (عليه السلام) علم أن الأعراب الذين اتبعوه إنما اتبعوه و هم يظنون أنه يأتى بلدا قد استقامت له طاعه أهله، فكره أن يسيروا معه إلا و هم يعلمون على ما يقدمون (١). فلما كان السحر أمر أصحابه فاستقوا ماء و أكثروا، ثم ساروا.

لقاء الإمام الحسين (عليه السلام) مع الحر:

و بينما كان الإمام (عليه السلام) يسير بمن بقى معه من أصحابه المخلصين و أهل بيته و بنى عمومته؛ إذا بهم يرون أشباحا مقبله من مسافات بعيدة، و ظنّها بعضهم أشباح نخيل، و لكن لم يكن الذى شاهدوه أشجار النخيل، و لكنّها جيوش زاحفه، فبعد قليل تبين لهم أن تلك الأشباح المقبله عليهم هى ألف فارس من جند ابن زياد بقياده الحرّ بن يزيد الرياحى، أرسلها ابن زياد لتقطع الطريق على الحسين (عليه السلام) و تسيره كما يريد، و لما اقتربوا من ركب الحسين (عليه السلام) سألهم عن المهمّة التى جاءوا من أجلها، فقال لهم الحرّ: لقد امرنا أن نلازمكم و نجعجع بكم حتى ننزلكم على غير ماء و لا حصن، أو تدخلوا فى حكم يزيد و عبيد الله بن زياد (٢).

ص: ١٨١

١- ((الإرشاد: ٧٥/٢-٧٦، و البدايه و النهايه: ١٨٢/٨، و أعيان الشيعة: ٥٩٥/١.

٢- ((تاريخ الطبرى: ٣٠٥/٣، و مقتل الحسين للخوارزمى: ٢٢٩/١، و البدايه و النهايه: ١٨٦/٨، و بحار الأنوار: ٣٧٥/٤٤.

و جرى حوار طويل بين الطرفين و جدال لم يتوصّلا فيه الى نتيجة حاسمه ترضى الطرفين، فلقد أبى الحرّ أن يمكّن الحسين من الرجوع إلى الحجاز أو سلوك الطريق المؤدّيه إلى الكوفه، و أبى الحسين (عليه السّلام) أن يستسلم ليزيد و ابن زياد(1)، و كان ممّا قاله الحسين و هو واقف بينهم خطيبا: «أيها الناس! إنّي لم آتكم حتى أتتني كتبكم و قدمت عليّ رسلكم، أن أقدم علينا، فإنه ليس لنا إمام، لعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى و الحقّ، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم فأعطوني ما أطمئن إليه من عهدكم و موثيقكم، و إن لم تفعلوا و كنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي جئت منه إليكم». فسكتوا عنه و لم يتكلّم أحد منهم بكلمه، فقال للحرّ: «أتريد أن تصلّي بأصحابك؟» قال: لا، بل تصلّي أنت و نصلّي بصلاتك، فصلّي بهم الحسين (عليه السّلام)(2).

و بعد أن صلّى الإمام (عليه السّلام) بهم العصر خاطبهم بقوله: «أما بعد، فإنكم إن تتقوا الله و تعرفوا الحقّ لأهله تكونوا أرضى لله عنكم، و نحن أهل بيت محمّد و أولى بولايه هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم و السائرين فيكم بالجور و العدوان، و إن أبيتتم إلّا الكراهيه لنا و الجهل بحقّنا، و كان رأيكم الآن غير ما أتتني به كتبكم و قدمت به عليّ رسلكم انصرفت عنكم»(3)، فقال له الحرّ: أنا و الله ما أدري ما هذه الكتب و الرسل التي تذكر، فقال الحسين (عليه السّلام) لبعض أصحابه: «يا عقبه بن سمرعان، أخرج الخرجين اللّذين فيهما كتبهم إليّ» فأخرج خرجين مملوءين صحفا فنثرت بين يديه. فقال له الحرّ: إننا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك و قد أمرنا إذا نحن لقيناك ألاّ

ص: ١٨٢

١- (١) تاريخ الطبري: ٣/٣٠٥، مقتل الحسين (عليه السّلام) للخوارزمي: ١/٢٢٩، البدايه و النهايه: ٨/١٨٦، بحار الأنوار: ٤٤/٣٧٥.

٢- (٢) الإرشاد: ٢/٧٩، و الفتوح لابن أعثم: ٥/٨٥، و مقتل الحسين للخوارزمي: ١/٥٩٦.

٣- (٣) الفتوح لابن أعثم: ٥/٨٧، و تاريخ الطبري: ٣/٢٠٦، و مقتل الحسين للخوارزمي: ١/٣٣٢.

نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله.

فقال له الحسين (عليه السلام): «الموت أدنى إليك من ذلك» ثم قال لأصحابه:

«قوموا فاركبوا»، فركبوا وانتظروا حتى ركبت نساؤهم، فقال لأصحابه:

«انصرفوا»، فلما ذهبوا لينصرفوا حال القوم بينهم وبين الانصراف، فقال الحسين (عليه السلام) للحزب: «ثكلتكم أمك ما تريد؟»، قال له الحزب: «أما لو غيرك من العرب يقولها لى وهو على مثل الحال التى أنت عليها ما تركت ذكر أمه بالثكل كائنا من كان، ولكن والله ما لى إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما نقدر عليه (1)».

النزول فى أرض الميعاد:

أقلقت الأخبار عن تقدّم الإمام الحسين (عليه السلام) نحو الكوفة ابن زياد و أعوان السلطه الامويه، فأسرع بكتابه إلى الحزب بن يزيد الرياحى يطلب فيه أن لا يسمح بتقدّم الإمام حتى تلتحق به جيوش بنى اميه و تلتقى به بعيدا عن الكوفة خشيه أن يستنهض أهلها ثانيه، و ليستغل ابن زياد ظروف المنطقه الصعبه للضغط على الإمام (عليه السلام) و استسلامه.

و بغباء المنحرف الساذج و جهالته ردّ حامل كتاب ابن زياد على أحد أصحاب الحسين (عليه السلام) -يزيد بن مهاجر- مدافعا عمّا جاء به قائلا: أظعت إمامى و وفيت بيعتى، فقال له ابن مهاجر: بل عصيت ربك و أظعت إمامك فى هلاك نفسك و كسبت العار و النار، و بئس الإمام إمامك، قال الله تعالى:

ص: ١٨٣

وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ (١).

و حالت جنود ابن زياد قافله الإمام الحسين (عليه السّلام) دون الاستمرار فى المسير، فقد منعهم جيش الحرّ بن يزيد و أصرّوا على أن يدفعوا الإمام (عليه السّلام) نحو عراء لا خضره فيها و لا ماء.

و كان زهير بن القين متحمّسا لقتال جيش الحرّ قبل أن يأتيهم المدد من قوات بنى امية، فقال للحسين (عليه السّلام): «إنّ قتالهم الآن أيسر علينا عن قتال غيرهم»، و لكنّ الإمام (عليه السّلام) رفض هذا الرأى لأنّ القوم لم يعلنوا حربا عليه بعد، و ما كان ذلك الموقف النبيل إلّا لما كان يحمله الإمام من روح تتسع للامّة جمعاء، و أيضا لعظيم رسالته التى يدافع عنها و قيمه التى كان يسعى الى بنائها فى الامّة رغم أنّها بدت تظهر العداء سافرا ضدّه، فقال (عليه السّلام): «ما كنت لأبدأهم بقتال».

و كان نزول الإمام فى كربلاء فى يوم الخميس الثانى من محرم سنة إحدى و ستين (٢)، ثم اقترح زهير على الإمام (عليه السّلام) أن يلجأوا الى منطقته قريبه يبدو فيها بعض ملامح التحصين لمواجهة الجيش الاموى لو نشبت المعركة.

و سأل الإمام (عليه السّلام) عن اسم هذه المنطقة فقيل له: كربلاء، عندها دمعت عيناه و هو يقول: «اللهم أعوذ بك من الكرب و البلاء»، ثم قال: «ذات كرب و بلاء، و لقد مرّ أبى بهذا المكان عند مسيره الى صفّين و أنا معه فوقف، فسأل عنه فاخبر باسمه فقال: ها هنا محطّ ركبهم، و ها هنا مهراق دمائهم، فسئل عن ذلك فقال: ثقل لآل بيت محمد

ص: ١٨٤

١- (١) القصص (٢٨): ٤١.

٢- (٢) تاريخ الطبرى: ٣/٣٠٩، و معجم البلدان: ٤/٤٤٤، و إعلام الورى: ١/٤٥١، و الأخبار الطوال: ٢٥٢، و بحار الأنوار: ٤٤/٣٨٠.

ينزلون هاهنا»(١).

وقبض الإمام الحسين (عليه السلام) قبضه من ترابها فشَمَّها وقال: «هذه و الله هي الأرض التي أخبر بها جبرئيل رسول الله أنني اقتل فيها، أخبرتنى ام سلمة»(٢).

فأمر الإمام (عليه السلام) بالنزول و نصب الخيام إلى حين يتضح الأمر و يتخذ القرار النهائي لمسيرته.

جيش الكوفة ينطلق بقيادة عمر بن سعد:

و في تلك الأثناء خرج عمر بن سعد من الكوفة في جيش قدرته بعض المصادر بثلاثين ألفاً، و بعضها بأكثر من ذلك، و في روايه ثلثه: إن ابن زياد قد استنفر الكوفة و ضواحيها لحرب الحسين و توعد كل من يقدر على حمل السلاح بالقتل و الحبس إن لم يخرج لحرب الحسين.

و كان من نتائج ذلك أن امتلأت السجون بالشيعة و اختفى منهم جماعه، و خرج من خرج لحرب الحسين من أنصار الامويين و أهل الأطماع و المصالح الذين كانوا يشكّلون أكبر عدد في الكوفة، أما روايه الخمسه آلاف مقاتل التي تبناها بعض المؤرخين فمع أنها من المراسيل، لا تؤيدها الظروف و الملابسات التي تحيط بحادث من هذا النوع الذي لا يمكن لأحد أن يقدم عليه إلا بعد أن يعدّ العده لكل الاحتمالات، و يتخذ جميع الاحتياطات، و بخاصه إذا كان خبيراً بأهل الكوفة و تقلباتهم و عدم ثباتهم

ص: ١٨٥

١- ((١)) مجمع الزوائد: ١٩٢/٩، و الأخبار الطوال: ٢٥٣، و حياه الحيوان للدميري: ٦٠/١.

٢- ((٢)) تذكره الخواص: ٢٦٠، و نفس المهموم: ٢٠٥، و ناسخ التواريخ: ١٦٨/٢، و ينابيع الموده: ٤٠٦.

على أمر من الأمور(١).

و توالى قطعات الجيش الأموى بزعامه عمر بن سعد فأحاطت بالحسين(عليه السّلام) وأهله وأصحابه، وحالت بينهم وبين ماء الفرات القريب منهم.

وقد جرت مفاوضات محدوده بين عمر بن سعد والإمام الحسين(عليه السّلام) أوضح فيها الإمام(عليه السّلام) لهم عن موقفه وموقفهم ودعوتهم له، وألقى عليهم كل الحجج فى سبيل إظهار الحق، و بين لهم سوء فعلهم هذا و غدرهم و نقضهم للوعود التى وعدوه بها من نصرته و تأييده، و ضروره القضاء على الفساد.

ولكن عمر بن سعد كان أداه الشر المنفذه للفساد و الظلم الاموى، فكانت غايه همته هى تنفيذ أوامر ابن زياد بانتزاع البيعه من الإمام(عليه السّلام) ليزيد أو قتله و أهل بيته و أصحابه(٢)، متجاهلا- حرمة البيت النبوى بل و حاقدا عليه كما جاء فى رسالته لعمر: أن حل بين الحسين و أصحابه و بين الماء، فلا يذوقوا قطره كما صنع بالتقى الزكى عثمان بن عفان(٣).

ص: ١٨٦

١- (١) سيره الائمه الاثنى عشر القسم الثانى: ٦٨.

٢- (٢) الارشاد للمفيد: ٨٥/٢، الفتوح: ٩٧/٥، بحار الأنوار: ٢٨٤/٤٤، إعلام الورى: ٤٥١/١، البدايه و النهايه: ١٨٩/٨، مقتل الحسين للخوارزمى: ٢٤٥/١.

٣- (٣) إعلام الورى: ٤٥٢/١.

نهض عمر بن سعد إلى الحسين (عليه السلام) عشية يوم الخميس لتسع مضين من المحرم، وجاء شمر حتى وقف على أصحاب الحسين (عليه السلام) فقال: أين بنو اختنا؟ يعنى العباس و جعفر و عبد الله و عثمان أبناء عليّ (عليه السلام). فقال الحسين (عليه السلام): أجيوبه و إن كان فاسقا فإنه بعض أحوالكم؛ و ذلك أنّ أمّ البنين كانت من بنى كلاب و شمر بن ذى الجوشن من بنى كلاب أيضا.

فقالوا له: ما تريد؟ فقال لهم: أنتم يا بنى اختى آمنون فلا- تقتلوا أنفسكم مع أخيكم الحسين و الزموا طاعه يزيد. فقالوا له: لعنك الله و لعن أمانك! أتؤمننا و ابن رسول الله لا أمان له؟

و ناداه العباس بن أمير المؤمنين تبت يداك و لعن ما جئتنا به من أمانك يا عدوّ الله! أتأمرنا أن نترك أخانا و سيّدنا الحسين بن فاطمه و ندخل فى طاعه اللعناء و أولاد اللعناء؟!

ثم نادى عمر بن سعد يا خيل الله! اركبى و بالجنه أبشرى. فركب الناس ثم زحف ابن سعد نحوهم بعد العصر و الحسين (عليه السلام) جالس أمام بيته محتب بسيفه، إذ خفق برأسه على ركبتيه، فسمعت اخته زينب الصيحه، فندت من أخيها و قالت: يا أخى! أما تسمع هذه الأصوات قد اقتربت؟ فرفع الحسين (عليه السلام) رأسه فقال: إني رأيت رسول الله (صلّى الله عليه و اله) الساعه فى المنام فقال إنك تروح إلينا، فلطمت اخته وجهها، و نادت بالويل، فقال لها الحسين (عليه السلام): ليس لك الويل، يا أخيه اسكتى، رحمك الله.

وقال له العباس: يا أخى أتناك القوم فنهض ثم قال: يا عباس اركب-بنفسى يا أخى- أنت حتى تلقاهم و تقول لهم: ما بالكم و ما بدا لكم؟ و تسألهم عمّا جاء بهم؟ فأتاهم فى نحو من عشرين فارسا منهم زهير بن القين و حبيب بن مظاهر فسألهم فقالوا: قد جاء أمر الأمير أن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو نناجزكم، قال: فلا تعجلوا حتى أرجع إلى أبى عبد الله فأعرض عليه ما ذكرتم، فوقفوا و رجع العباس إليه بالخبر و وقف أصحابه يخاطبون القوم و يعظونهم و يكفونهم عن قتال الحسين (عليه السلام).

فلما أخبره العباس بقولهم قال له: ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غدوه و تدفعهم عنّا العشيّه لعلنا نصلّى لربنا الليلة و ندعوه و نستغفره فهو يعلم أنى كنت أحبّ الصلاة له و تلاوه كتابه و كثرة الدعاء و الاستغفار.

فسألهم العباس ذلك، فتوقف ابن سعد، فقال له عمرو بن الحجاج الزبيدى: سبحان الله! و الله لو أنّهم من الترك أو الديلم و سألونا مثل ذلك لأجبناهم، فكيف و هم آل محمد؟! و قال له قيس بن الأشعث بن قيس:

أجبههم، لعمرى ليصبحنك بالقتال. فأجابوهم إلى ذلك.

و جمع الحسين (عليه السلام) أصحابه عند قرب المساء. قال الإمام زين العابدين (عليه السلام): فدنوت منه لأسمع ما يقول لهم و أنا إذ ذاك مريض، فسمعت أبى يقول لأصحابه: اثنى على الله أحسن الثناء و أحمده على السراء و الضراء، اللهم إنى أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوه و علمتنا القرآن و فقّهتنا فى الدين، و جعلت لنا أسماعا و أبصارا و أفئده فاجعلنا لك من الشاكرين.

(أما بعد) فإنى لا أعلم أصحابا أوفى و لا خيرا من أصحابى و لا أهل بيت أبرّ و لا أوصل من أهل بيتى، فجزاكم الله عنى خيرا ألا و إننى لأظنّ أنه آخر يوم لنا من هؤلاء ألا و إنى قد أذنت لكم فانطلقوا جميعا فى حلّ ليس عليكم منى ذمام، هذا الليل قد غشيكم فأتخذوه

جملاً، و ليأخذ كل واحد منكم بيد رجل من أهل بيتي و تفرقوا في سواد هذا الليل و ذروني و هؤلاء القوم؛ فإنهم لا يريدون غيري.

فقال له اخوته و أبناؤه و بنو أخيه و أبناء عبد الله بن جعفر: و لم نفعل ذلك؟ لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبداً. بدأهم بهذا القول أخوه العباس بن أمير المؤمنين و اتبعه الجماعة عليه فتكلموا بمثله و نحوه.

ثم نظر إلى بني عقيل فقال: حسبكم من القتل بصاحبكم مسلم إذهبوا قد أذنت لكم، قالوا: سبحان الله! فما يقول الناس لنا و ما نقول لهم، إننا تركنا شيخنا و سيدنا و بني عمومتنا خير الأعمام و لم نرم معهم بسهم و لم نطعن معهم برمح و لم نضرب معهم بسيف و لا ندرى ما صنعوا، لا و الله ما نفعل ذلك و لكننا نفديك بأنفسنا و أموالنا و أهلينا و نقاتل معك حتى نرد موردك، ففتح الله العيش بعدك.

و قام إليه مسلم بن عوسجه الأسدي فقال: أنحن نخلى عنك و قد أحاط بك هذا العدو؟ و بم نعتذر إلى الله في أداء حَقِّك؟ لا و الله لا يرانى الله أبداً و أنا أفعل ذلك حتى أكسر في صدورهم رمحي و أضاربهم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي، و لو لم يكن معي سلاح اقاتلهم به؛ لقد فتهم بالحجاره و لم افارقك أو أموت معك.

و قام سعيد بن عبد الله الحنفي فقال: لا و الله يا ابن رسول الله لا نخليك أبداً حتى يعلم الله أننا قد حفظنا فيك وصيته رسوله محمد (صلى الله عليه و اله) و الله لو علمت أني اقتل فيك ثم أحيا ثم احرق ثم اذرى يفعل ذلك بي سبعين مره؛ ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، و كيف لا أفعل ذلك و إنما هي قتله واحده ثم أنال الكرامه التي لا انقضاء لها أبداً.

و قام زهير بن القين و قال: و الله يا ابن رسول الله لو ددت أني قتلت ثم

نشرت ألف مره و أنّ الله تعالى يدفع بذلك القتل عن نفسك و عن نفس هؤلاء الفتیان من إخوانك و ولدك و أهل بيتك.

و تكلم بقتیه أصحابه بكلام يشبهه بعضه بعضا و قالوا: أنفسنا لك الفداء نقيك بأيدينا و وجوهنا، فإذا نحن قتلنا بين يديك نكون قد وفينا لربنا و قضينا ما علينا (١).

و أمر الحسين (عليه السلام) أصحابه أن يقربوا بين بيوتهم، و يدخلوا الأطناب بعضها في بعض، و يكونوا بين يدي البيوت كي يستقبلوا القوم من وجه واحد و البيوت من ورائهم و عن أيمنهم و عن شمائلهم قد حقت بهم إلا الوجه الذي يأتيهم منه عدوهم.

و قام الحسين (عليه السلام) و أصحابه الليل كله يصلون و يستغفرون و يدعون، و باتوا و لهم دوى كدوى النحل ما بين راع و ساجد و قائم و قاعد، فعبّر إليهم في تلك الليلة من عسكر ابن سعد اثنان و ثلاثون رجلا.

قال بعض أصحاب الحسين (عليه السلام): مرّت بنا خيل لابن سعد تحرسنا و كان الحسين (عليه السلام) يقرأ أو لا يحسب الذين كفروا أنّما نملى لهم خير لأنفسهم إنّما نملى لهم ليزدادوا إثما و لهم عذاب مهين، ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب فسمعها رجل من تلك الخيل يقال له عبد الله بن سمير فقال: نحن و ربّ الكعبة الطيبون ميزنا منكم، فقال له برير بن خضير:

يا فاسق أنت يجعلك الله من الطيبين؟! فقال له: من أنت و يلك؟ قال: أنا برير بن خضير فتسايا، فلما كان وقت السحر خفق الحسين (عليه السلام) برأسه خفقه ثم استيقظ فقال: «رأيت كأنّ كلابا قد جهدت تنهشنى و فيها كلب أبقع رأيت أشدها على و أظنّ أنّ الذي يتولى قتلى رجل أبرص» (٢).

ص: ١٩٠

١- (١) الإرشاد: ٩٣/٢.

٢- (٢) راجع أعيان الشيعة: ٦٠١/١.

انقضت ليله الهدنه، و طلع ذلك اليوم الرهيب، يوم عاشوراء، يوم الدم و الجهاد و الشهاده، و طلعت معه رؤوس الأسنّه و الرماح و الأحقاد و هي مشرعه لتلتهم جسد الحسين (عليه السّلام) و تفتك بدعاه الحق و الثوار من أجل الرساله و المبدأ.

نظر الحسين (عليه السّلام) إلى الجيش الزاحف، و لم يزل (عليه السّلام) كالطود الشامخ، قد اطمأنت نفسه، و هانت دنيا الباطل في عينه، و تصاغر جيش الباطل أمامه، و رفع يديه متضرعا إلى الله تعالى قائلا: «اللهم أنت ثقتي في كل كرب، و أنت رجائي في كل شدّه و أنت لي في كل أمر نزل بي ثقّه و عدّه، كم من همّ يضعف فيه الفؤاد و تقلّ فيه الحيله و يخذل فيه الصديق و يشمت فيه العدو، أنزلته بك و شكوته اليك، رغبه مني إليك عمّن سواك ففرّجته عني و كشفته فأنت وليّ كل نعمه و صاحب كل حسنه و منتهى كل رغبه (1).

خطاب الإمام (عليه السّلام) في جيش الكوفه:

أخذ جيش عمر بن سعد يشدّد الحصار على الإمام (عليه السّلام) و لما رأى الحسين (عليه السّلام) كثرتهم و تصميمهم على قتاله إذا لم يستسلم ليزيد بن معاويه، تعمّم بعمامه رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و ركب ناقته و أخذ سلاحه ثم دنا من معسكرهم بحيث يسمعون صوته و راح يقول: «يا أهل العراق - و جلّهم يسمعون -» فقال:

أيها الناس اسمعوا قولي و لا تعجلوا حتى أعظكم بما يحق لكم عليّ و حتى أعذر إليكم فإن أعطيتموني النّصف كنتم بذلك أسعد، و إن لم تعطوني النّصف من أنفسكم فاجمعوا رأيكم

ص: ١٩١

ثم لا يكن أمركم عليكم غمّه ثم اقضوا اليّ و لا تنظرون(إنّ وليّ الله الذي أنزل الكتاب و هو يتولى الصالحين)، ثم حمد الله و أثنى عليه و ذكر الله تعالى بما هو أهله و صلّى على النبي(صلّى الله عليه و اله)و على ملائكته و أنبيائه فلم يسمع متكلم قط قبله و لا بعده أبلغ فى منطق منه» ثم قال:«أما بعد فانسبونى فانظروا من أنا ثم ارجعوا إلى أنفسكم و عاتبوها فانظروا هل يصلح لكم قتلى و انتهاك حرمتى؟ألسنت ابن بنت نبيكم و ابن وصيته و ابن عمّه و أوّل المؤمنين المصدّق لرسول الله(صلّى الله عليه و اله)بما جاء به من عند ربه؟أو ليس حمزه سيد الشهداء عمّى؟أو ليس جعفر الطيار فى الجنّه بجناحين عمّى؟أو لم يبلغكم ما قال رسول الله(صلّى الله عليه و اله) لى و لأخى:هذان سيّدا شباب أهل الجنّه؟فإن صدقتمونى بما أقول-و هو الحق-فو الله ما تعمدت كذبا منذ علمت أن الله يمقت عليه أهله،و إن كذبتمونى فإنّ فيكم من إذا سألتموه عن ذلك أخبركم،سلوا جابر بن عبد الله الأنصارى و أبا سعيد الخدرى و سهل بن سعد الساعدى و زيد بن أرقم و أنس بن مالك يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالاه من رسول الله(صلّى الله عليه و اله)لى و لأخى،أما فى هذا حاجز لكم عن سفك دمى؟...ثم قال لهم الإمام الحسين(عليه السلام):«فإن كنتم فى شك من هذا فتشكّون أنى ابن بنت نبيكم فو الله ليس ما بين المشرق و المغرب ابن بنت نبيّ غيرى فيكم و لا-فى غيركم.و يحكم!أطلبونى بقتيل منكم قتله أو مال لكم استهلكته أو بقصاص جراحه؟فأخذوا لا يكلمونه،فنادى:يا شيبث بن ربعى!و يا حجار بن أبحر!و يا قيس بن الأشعث!و يا يزيد بن الحارث!ألم تكتبوا اليّ أن قد أينعت الثمار و اخضرّ الجناب و إنما تقدم على جند لك مجنده؟فقال له قيس بن الأشعث:ما ندرى ما تقول،و لكن انزل على حكم بنى عمّك.فقال له الحسين(عليه السلام):«لا و الله،لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل و لا أفرّ فرار العبيد».ثم نادى:

«يا عباد الله!إنى عدت برّبى و ربّكم أن ترجمون،أعوذ برّبى و ربّكم من كلّ متكبر

لا يؤمن بيوم الحساب»(١).

لقد أبى القوم إلا الإصرار على حربه و التماذى فى باطلهم، و أجابوه بمثل ما أجاب به أهل مدين نبيهم كما حكى الله عز و جل عنهم فى كتابه الكريم. مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ، وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا (٢).

الحر يخيّر نفسه بين الجنة و النار:

و تأثر الحر بن يزيد الرياحى بكلمات الإمام الحسين (عليه السّلام) و ندم على ما سبق منه معه، و راح يدنو بفرسه من معسكر الحسين تاره و يعود الى موقفه أخرى و بدا عليه القلق و الاضطراب. و عند ما سئل عن السبب فى ذلك قال:

«و الله إنى أخير نفسى بين الجنة و النار و بين الدنيا و الآخرة و لا- ينبغى لعاقل أن يختار على الآخرة و الجنة شيئاً»، ثم ضرب فرسه و التحق بالحسين (عليه السّلام) و وقف على باب فسطاطه، فخرج إليه الحسين (عليه السّلام) فانكبّ عليه الحرّ يقبل يديه و يسأله العفو و الصفح، فقال له الحسين (عليه السّلام): «نعم يتوب الله عليك و هو التّواب الرحيم». فقال له الحر: و الله لا- أرى لنفسى توبه إلا- بالقتال بين يديك حتى أموت دونك. و خطب الحر فى أهل الكوفة فوعظهم و ذكرهم موقفهم من الإمام (عليه السّلام) و دعوتهم له و حثهم على عدم مقاتله الإمام (عليه السّلام) ثم مضى إلى الحرب فتحاماه الناس، ثم تكاثروا عليه حتى استشهد (٣).

المعركة الخالده:

حصّن الإمام (عليه السّلام) مخيمه و أحاط ظهره بخندق أو قد فيه النار

ص: ١٩٣

١- ((١)) الإرشاد: ٩٨/٢، إعلام الورى: ٤٥٩/١.

٢- ((٢)) هو د(١١): ٩١.

٣- ((٣)) الإرشاد: ٩٩/٢، الفتوح: ١١٣/٥، بحار الأنوار: ١٥/٥.

ليمنع المباغته و الالتفاف عليه من الخلف، و ليحمي النساء و الأطفال من العدوان المحقق.

نظر شمر بن ذى الجوشن إلى النار فى الخندق فصاح: «يا حسين تعجلت النار قبل يوم القيامة، فرد عليه أنت أولى بها صليتا» (١)، و حاول صاحب الحسين (عليه السلام) مسلم بن عوسجه أن يرميه بسهم، فاعترضه الإمام و منعه قائلا: «لا ترمه فإنى أكره أن أبدأهم» (٢).

و يقول المؤرخون: إن بعض أصحاب الإمام خطب بالقوم بعد خطبه الإمام الاولى، و أن الإمام (عليه السلام) أخذ مصحفا و نشره على رأسه و وقف بإزاء القوم فخاطبهم للمره الثانيه بقوله: يا قوم! إن بنى و بينكم كتاب الله و سنه جدى رسول الله (صلى الله عليه و اله) ثم استشهدهم عن نفسه المقدسه و ما عليه من سيف النبى صلى الله عليه و اله و درعه و عمامته فأجابوه بالتصديق فسألهم عما أقدمهم على قتله، قالوا: طاعه للأمير عبيد الله ابن زياد، فقال (عليه السلام): «تبا لكم أيتها الجماعه و ترحا أحين استصرختمونا» (٣) والهين فأصرخناكم موجفين، سللتم علينا سيفا لنا فى أيمانكم، و حششتم علينا نارا اقتدحناها على عدونا و عدوكم فأصبحتم إلبا» (٤) لأعدائكم على أوليائكم بغير عدل أفسوه فيكم و لا أمل أصبح لكم فيهم، فهلا لكم الويلات - تركتمونا و السيف مشيم و الجأش طامن و الرأى لئما يستحصف! و لكن أسرعتم إليها كطيره الدبا» (٥)، و تداعيتهم عليها كتهافت الفراش، ثم نقضتموها فسحقا لكم يا عبيد الأئمه و شداذ الأحزاب و نبذه الكتاب و محرّفى الكلم و عصبه الإثم و نفثه الشيطان و مطفئى السنن، و يحكم! أهؤلاء تعضدون و عنا تتخاذلون؟ أجل! و الله

ص: ١٩٤

١- (١) مقتل الحسين، للمقرم: ٢٧٧.

٢- (٢) مقتل الحسين، للمقرم: ٢٧٧، تاريخ الطبرى: ٣/٣١٨.

٣- (٣) استصرختمونا: طلبتم نجدتنا.

٤- (٤) إلبا: مجتمعين متضامين ضدنا.

٥- (٥) الدبا: الجراد الصغير.

غدر فيكم قديم، وشجت عليه اصولكم و تأزرت فروعكم، فكنتمم أخبث ثمر، شجى للناظر و أكله للغاصب. ألا و إن الدعى ابن الدعى قد ركز بين اثنتين بين السيله و الذله. و هيهات منا الذله! أبى الله لنا ذلك و رسوله و المؤمنون، و حجور طابت و طهرت و انوف حميه و نفوس أبيه من أن تؤثر طاعه اللثام على مصارع الكرام. ألا و إنى زاحف بهذه الاسره على قله العدد و خذلان الناصر. ثم أنشد أبيات فروه بن مسيك المرادى:

فإن نهزم فهزامون قدما و إن نهزم فغير مهزّميننا

و ما إن طبتنا جبن و لكن منا يانا و دوله آخرينا

فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

إذا ما الموت رَفَع عن اناس كلاكله أناخ بآخرينا(١)

أما و الله لا تلبثون بعدها إلا كريثما يركب الفرس، حتى تدور بكم دور الرّحى، و تقلق بكم قلق المحور، عهد عهده إلى أبى عن جدى رسول الله (صلّى الله عليه و اله) فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَ شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَ لَا تُنظِرُونِ (٢) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٣. ثم رفع يديه نحو السماء و قال: «اللهم احبس عنهم قطر السماء و ابعث عليهم سنين كسنى يوسف و سلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأسا مصبّره، فإنهم كذبونا و خذلونا و أنت ربنا عليك توكلنا و إليك المصير»(٣).

كل ذلك و عمر بن سعد مصرّ على قتال الحسين (عليه السلام)، و الإمام الحسين (عليه السلام) يحاور و ينصح و يدفع القوم بالتى هى أحسن. و لما لم يجد النصح مجديا قال لابن سعد: «أى عمر أتزعم أنك تقتلنى و يوليئك الدعى بلاد الرى و جرجان؟

ص: ١٩٥

١- ((١)) تاريخ ابن عساكر: ٢٦٥/٦٩، اللهوف فى قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٥٩ و ١٢٤.

٢- ((٢ و ٣)) يونس (١٠): ٧١ و هود (١١): ٥٦.

٣- ((٤)) مقتل الحسين، للمقرم: ص ٢٨٩-٢٨٦، مقتل الحسين للخوارزمى: ٦/٢، تاريخ ابن عساكر، ترجمه الإمام الحسين (عليه السلام): ٢١٦، راجع إعلام الورى: ٤٥٨/١.

و الله لا تنهأ بذلك، عهد معهود، فاصنع ما أنت صانع، فإنك لا تفرح بعدى بدنيا و لا آخره، و كأنى برأسك على قصبه يتراماه الصبيان بالكوفه و يتخذونه غرضا بينهم» فصرف ابن سعد وجهه عنه مغضبا(١).

و استحوذ الشيطان على ابن سعد فوضع سهمه فى كبد قوسه ثم رمى باتجاه معسكر الحسين (عليه السلام) و قال: «إشهدوا أنى أول من رمى» ثم ارتمى الناس و تبارزوا(٢).

فخاطب الإمام (عليه السلام) أصحابه قائلا: «قوموا رحمكم الله إلى الموت الذى لا بد منه، فإن هذه السهام رسل القوم اليكم»(٣).

فتوجهوا إلى القتال كالأسود الضاريه لا- يبألون بالموت مستبشرين بلقاء الله جل جلاله، و كأنهم رأوا منازلهم مع النبيين و الصديقين و عباده الصالحين، و كان لا يقتل منهم أحد حتى يقول: السلام عليك يا أبا عبد الله و يوصى أصحابه بأن يفتدوا الإمام بالمهج و الأرواح، و احتدمت المعركة بين الطرفين، (فكان لا يقتل الرجل من أنصار الحسين (عليه السلام) حتى يقتل العشره و العشرين)(٤).

استمرت رحى الحرب تدور فى ساحه كربلاء، و استمر معه شلال الدم المقدس يجرى ليتخذ طريقه عبر نهر الخلود، و أصحاب الحسين (عليه السلام) يتساقطون الواحد تلو الآخر، و قد أثنوا جيش العدو بالجراح و أرهقوه بالقتل، فتصايح رجال عمر بن سعد: لو استمرت الحرب برازا بيننا و بينهم لأتوا على آخرنا. لنهجم عليهم مره واحده، و لنرشقهم بالنبال و الحجاره.

ص: ١٩٦

١- (١) مقتل الحسين للمقرم: ٢٨٩.

٢- (٢) الإرشاد: ١٠١/٢، اللهوف: ١٠٠، إعلام الورى: ٤٦١/١.

٣- (٣) مقتل الحسين للمقرم: ٢٩٢.

٤- (٤) سيره الأئمه الاثنى عشر: ٧٦/٢.

فبدأ الهجوم و الزحف نحو من بقى مع الحسين (عليه السلام) و أحاطوا بهم من جهات متعددة مستخدمين كل أدوات القتل و أساليبه الدينيه حتى قتلوا أكثر جنود المعسكر الحسيني من الصحابه.

و زالت الشمس و حضر وقت الصلاه، و ها هو الحسين (عليه السلام) ينادى للصلاه و قد تحول الميدان عنده محرابا للجهاد و العباده، و لم يكن فى مقدور السيوف و الأسننه أن تحول بينه و بين الحضور فى ساحه المناجاه و العروج إلى حظائر القدس و عوالم الجمال و الجلال.

و لم يزل يتقدم رجل رجل من أصحابه فيقتل، حتى لم يبق مع الحسين (عليه السلام) إلا أهل بيته خاصه. فتقدم ابنه علي بن الحسين (عليه السلام) - و امه ليلى بنت أبى مره بن عروه بن مسعود الثقفي - و كان من أصبح الناس وجهها، فشد على الناس و هو يقول:

أنا علي بن الحسين بن علي نحن و بيت الله أولى بالنبي

تالله لا يحكم فينا ابن الدعي

ففعل ذلك مرارا و أهل الكوفه يتقون قتله، فبصر به مره بن منقذ العبيدي فقال: علي آثم العرب إن مر بي يفعل مثل ذلك إن لم اثكل أباه؛ فمر يشد على الناس كما مر فى الأول، فاعترضه مره بن منقذ فطعنه فصرع، و احتوشه القوم فقطعوه بأسيا ففهم، فجاء الحسين (عليه السلام) حتى وقف عليه فقال:

«قتل الله قوما قتلوك يا بنى، ما أجرهم على الرحمن و على انتهاك حرمة الرسول!» و انهملت عيناه بالدموع ثم قال: «على الدنيا بعدك العفا» و خرجت زينب أخت الحسين مسرعه تنادى: يا أخياه و ابن أخياه، و جاءت حتى أكتبت عليه، فأخذ الحسين برأسها فردّها إلى الفسطاط، و أمر فتياه فقال: «احملوا أخاكم» فحملوه حتى وضعوه بين يدي الفسطاط الذى كانوا يقاتلون أمامه.

ثم رمى رجل من أصحاب عمر بن سعد يقال له: عمرو بن صبيح عبد الله بن مسلم بن عقيل (رحمه الله) بسهم، فوضع عبد الله يده على جبهته يتقيه، فأصاب السهم كفه و نفذ إلى جبهته فسمرها به فلم يستطع تحريكها، ثم انتحى عليه آخر برمح فطعنه في قلبه فقتله.

و حمل عبد الله بن قطبه الطائي على عون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضی الله عنه فقتله.

و حمل عامر بن نهشل التميمي على محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضی الله عنه فقتله.

و شد عثمان بن خالد الهمداني على عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب رضی الله عنه فقتله.

قال حميد بن مسلم: فإنا لكذلك إذ خرج علينا غلام كأن وجهه شقه قمر، في يده سيف و عليه قميص و إزار و نعلان قد انقطع شسع إحداهما، فقال لي عمر بن سعيد بن نفييل الأزدي: و الله لأشدن عليه، فقلت: سبحان الله، و ما تريد بذلك؟ ادعه يكفيك هؤلاء القوم الذين ما يبقون على أحد منهم؛ فقال:

و الله لأشدن عليه، فشد عليه فما ولى حتى ضرب رأسه بالسيف ففلقه، و وقع الغلام لوجهه فقال: يا عمّاه! فجلى (1) الحسين (عليه السلام) كما يجلى الصقر ثم شد شده ليث أغضب، فضرب عمر بن سعيد بن نفييل بالسييف فاتقاها بالساعد فأطنها من لدن المرفق، فصاح صيحه سمعها أهل العسكر، ثم تنحى عنه الحسين (عليه السلام). و حملت خيل الكوفة لتستنقذه فوطأته بأرجلها حتى مات.

و انجلت الغيرة فرأيت الحسين (عليه السلام) قائما على رأس الغلام و هو

ص: ١٩٨

١- ((١)) جلى ببصره: إذا رمى به كما ينظر الصقر الى الصيد. «الصحاح-جلا-٦: ٢٣٠٥».

يفحص برجله و الحسين يقول: «بعدا لقوم قتلوك و من خصمهم يوم القيامة فيك جدك» ثم قال: «عزّو الله على عمّيك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك فلا ينفعك، صوت -و الله- كثر و اتروه و قلّ ناصره» ثم حمله على صدره، فكأني أنظر إلى رجلى الغلام تخيطان الأرض، فجاء به حتى ألقاه مع ابنه عليّ بن الحسين و القتلى من أهل بيته، فسألت عنه فقيل لي: هو القاسم بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام).

ثم جلس الحسين (عليه السلام) أمام الفسطاط فاتى بابنه عبد الله بن الحسين و هو طفل فأجلسه في حجره، فرماه رجل من بنى أسد بسهم فذبحه، فتلقتى الحسين (عليه السلام) دمه، فلمّا ملاكفّه صبه في الأرض ثم قال: «ربّ إن تكن حبست عنا النّصر من السّماء فاجعل ذلك لما هو خير، و انتقم لنا من هؤلاء القوم الظّالمين» ثم حمله حتى وضعه مع قتلى أهله.

و رمى عبد الله بن عقبه الغنويّ أبا بكر بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام) فقتله.

فلما رأى العباس بن عليّ رحمه الله عليه كثره القتلى في أهله قال لإخوته من أمّه -و هم عبد الله و جعفر و عثمان- يا بنى امّى! تقدّموا حتى أراكم قد نصحتم لله و لرسوله، فإنّه لا ولد لكم. فتقدّم عبد الله فقاتل قتالا شديدا، فاختلف هو و هانيء بن ثابت الحضرميّ ضربتين فقتله هانيء لعنه الله. و تقدّم بعده جعفر بن عليّ (عليه السلام) فقتله أيضا هانيء. و تعدّد خولّي بن يزيد الأصبحيّ عثمان بن عليّ (عليه السلام) و قد قام مقام إخوته فرماه بسهم فصرعه، و شدّ عليه رجل من بنى دارم فاحتزّ رأسه.

و حملت الجماعة على الحسين (عليه السّلام) فغلبوه على عسكره، و اشتدّ به العطش، فركب المسنّاه (١) يريد الفرات و بين يديه العباس أخوه، فاعترضته خيل ابن سعد و فيهم رجل من بنى دارم فقال لهم: ويلكم حولوا بينه و بين الفرات و لا- تمكّنوه من الماء، فقال الحسين (عليه السّلام): «اللّهمّ أظمئه» فغضب الدارميّ و رماه بسهم فأثبته فى حنكه، فانتزع الحسين (عليه السّلام) السهم و بسط يده تحت حنكه فامتلاّت راحتاه بالدم، فرمى به ثمّ قال: «اللّهمّ إني أشكو إليك ما يفعل ببن بنت نبيك» ثمّ رجع إلى مكانه و قد اشتدّ به العطش.

استشهاد الإمام الحسين (عليه السّلام)

لم يبق مع الإمام الحسين (عليه السّلام) سوى أخيه العباس الذى تقدم إليه يطلب منه الإذن فى قتال القوم فبكى الحسين و عانقه ثمّ أذن له فكان يحمل على أهل الكوفة فينهزمون بين يديه كما تنهزم المعزى من الذئاب الضاريه و ضجّ أهل الكوفة من كثرة من قتل منهم، و لما قتل قال الحسين (عليه السّلام): «الآن انكسر ظهري و قلت حيلتي و شمت بى عدوى» (٢).

و فى روايه اخرى: ان الإمام الحسين (عليه السّلام) اتجه الى نهر الفرات و بين يديه أخوه العباس فاعترضته خيل ابن سعد-لعنه الله- و فيهم رجل من بنى دارم فقال لهم: ويلكم حولوا بينه و بين الفرات و لا- تمكّنوه من الماء، فقال الحسين (عليه السّلام): اللّهمّ أظمئه، فغضب الدارميّ و رماه بسهم فأثبته فى حنكه فانتزع الحسين (عليه السّلام) السهم و بسط يده تحت حنكه فامتلاّت راحتاه من الدم فرمى به ثمّ قال: «اللّهمّ إني أشكو إليك ما يفعل ببن بنت نبيك»، ثمّ رجع إلى مكانه

ص: ٢٠٠

١- (١) المسنّاه: تراب عال يحجز بين النهر و الأرض الزراعيه. «تاج العروس-سنى-١٠: ١٨٥».

٢- (٢) سيره الائمه الاثنى عشر: ٧٧/٢، بحار الأنوار: ٤٤٠/٤٥، المنتخب للطريحي: ٤٣١.

و قد اشتد به العطش و أحاط القوم بالعباس (عليه السّلام) فاقتطعوه عنه فجعل يقاتلهم وحده حتى قتل رحمه الله عليه (١).

و نظر الحسين (عليه السّلام) الى ما حوله، و مدّ ببصره إلى أقصى الميدان فلم ير أحدا من أصحابه و أهل بيته إلا و هو يسبح بدم الشهاده، مقطّع الأوصال و الأعضاء.

و هكذا بقي الإمام (عليه السّلام) وحده يحمل سيف رسول الله (صلى الله عليه و اله) و بين جنبيه قلب علي (عليه السّلام) و بيده رايه الحق البيضاء، و على لسانه كلمه التقوى.

الحسين (عليه السّلام) وحيدا في الميدان:

حينما التفت أبو عبد الله الحسين (عليه السّلام) يمينا و شمالا و لم ير أحدا يذّب عن حرم رسول الله أخذ ينادى هل من ذابّ يذّب عنا؟ فخرج الإمام زين العابدين (عليه السّلام) من الفسطاط و كان مريضا لا يقدر أن يحمل سيفه و ام كلثوم تنادى خلفه: يا بني ارجع. فقال: «يا عمّته! ذريني اقاتل بين يدي ابن رسول الله (صلى الله عليه و اله)».

و إذا بالحسين (عليه السّلام) ينادى: «يا ام كلثوم! اخذيه لثلاثا تبقى الأرض خاليه من نسل آل محمد (صلى الله عليه و اله)» (٢).

و يقول المؤرخون: إنه لما رجع الحسين (عليه السّلام) من المسنّاه إلى فسطاطه تقدم إليه شمر بن ذى الجوشن في جماعه من أصحابه، فأحاطوا به فأسرع منهم رجل يقال له مالك بن النسر الكندي فشمّ الحسين (عليه السّلام) و ضربه على رأسه بالسيف و كان عليه قلنسوه فقطعها حتى وصل إلى رأسه فأدماه

ص: ٢٠١

١- (١) الإرشاد: ١٠٩/٢.

٢- (٢) بحار الأنوار: ٤٦/٤٥.

فامتلات القلنسوه دما، فقال له الحسين (عليه السلام): «لا أكلت بيمينك و لا شربت بها و حشرك الله مع القوم الظالمين».

ثم ألقى القلنسوه و دعا بخرقه فشدّ بها رأسه و استدعى قلنسوه اخرى فلبسها و اعتمّ عليها، و رجع عنه شمر بن ذى الجوشن و من كان معه إلى مواضعهم، فمكث هنيهة ثم عاد و عادوا إليه و أحاطوا به» (١).

حمل الإمام الحسين (عليه السلام) سيفه و راح يرفع صوته على عاده الحروب و نظامها فى البراز، و راح ينازل فرسانهم، و يواجه ضرباتهم ببسالة نادرة و شجاعه فده، فما برز إليه خصم إلا و ركع تحت سيفه ركوع الذل و الهزيمة.

قال حميد بن مسلم: فوالله ما رأيت مكثرًا قط قد قتل ولده و أهل بيته و أصحابه أربط جأشًا و لا أمضى جناحًا منه، أن كانت الرجاله لتشدّ عليه فيشدّ عليها بسيفه فتتكشف عن شماله انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب (٢).

و لما عجزوا عن مقاتلته، لجأوا إلى أساليب الجبناء؛ فقد استدعى شمر الفرسان فصاروا فى ظهور الرجاله، و أمر الرماة أن يرموه فرشقوه بالسهم حتى صار جسمه كالقنفذ فأحجم عنهم، فوقفوا بإزائه و خرجت أخته زينب إلى باب الفسطاط فنادت عمر بن سعد بن أبى وقاص: و يلك يا عمر! أيقتل أبو عبد الله و أنت تنظر إليه؟! فلم يجبه عمر بشىء، فنادت و يحكم! أما فيكم مسلم؟ فلم يجبه أحد بشىء. و نادى شمر بن ذى الجوشن الفرسان و الرجاله فقال: و يحكم! ما تنتظرون بالرجل؟ ثكلتكم أمهاتكم، فحملوا عليه من كل جانب.

فضربه زرعه بن شريك على كتفه اليسرى فقطعها، و ضربه آخر منهم على عاتقه فكبامنها لوجهه، و طعنه سنان بن أنس النخعى بالرمح فصرعه،

ص: ٢٠٢

١- ((الإرشاد: ١١٠/٢، إعلام الورى: ٤٦٧/١.

٢- ((الإرشاد: ١١١/٢، إعلام الورى: ٤٦٨/١.

و بدر إليه خولى بن يزيد الأصبحى فنزل ليحتز رأسه فأرعد فقال له شمر: فتّ الله فى عضدك، مالك ترعد؟

و نزل شمر إليه فذبحه ثم رفع رأسه إلى خولى بن يزيد فقال: إحمله إلى الأمير عمر بن سعد.

ثم أقبلوا على سلب الحسين (عليه السلام) فأخذ قميصه اسحاق بن حيوه الحضرمى، وأخذ سراويله أبحر بن كعب، وأخذ عمامته أخنس بن مرثد، وأخذ سيفه رجل من بنى دارم، و انتهبوا رحله و إبله و أثقاله و سلبوا نساءه (١).

امتداد الحمرة فى السماء:

و ماتت الأرض و اسودّت آفاق الكون و امتدت حمرة رهيبة فى السماء كانت نذيرا من الله لاولئك السفّاكين المجرمين الذين انتهكوا جميع حرّمات الله (٢).

و صبغ فرس الحسين (عليه السلام) ناصيته بدم الإمام الشهيد المظلوم و أقبل يركض مدعورا نحو خيام الحسين (عليه السلام) ليعلم العيال بمقتله و استشهاده، و قد صوّرت زياره الناحية المقدّسه هذا المشهد المأساوى كما يلي:

«فلما نظرت النساء الى الجواد مخزيا و السرج عليه ملويا خرجن من الخدور ناشرات الشعور، على الخدود لاطمات و للوجوه سافرات و بالعويل داعيات و بعد العز مذلّلات و إلى مصرع الحسين مبادرات».

و نادت عقيله بنى هاشم زينب بنت على بن أبى طالب (عليه السلام) و هى ثكلى:

وا محمداه! وا أبتاه! وا عليها! وا جعفره! وا حمزته! هذا حسين بالعراء، صريع

ص: ٢٠٣

١- (١) الإرشاد: ١١٢/٢، إعلام الورى: ٤٦٩/١.

٢- (٢) راجع كشف الغمه: ٩/٢، سير أعلام النبلاء: ٣/٣١٢، تاريخ الاسلام للذهبي: ١٥، حوادث سنه ٦١، إعلام الورى: ٤٢٩/١.

بكر بلاء، ليت السماء أطبقت على الأرض! وليت الجبال تدكدكت على السهل!! (١)

حرق الخيام و سلب حرائر النبوه:

و عمد المجرمون اللثام إلى حرق خيام الإمام أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) غير حافلين بمن في الخيام من بنات الرساله و عقائل النبوه. قال الإمام زين العابدين (عليه السلام): «و الله ما نظرت إلى عمّاتي و أخواتي إلا و خنقتني عبره و تذكّرت فرارهن يوم الطف من خيمه إلى خيمه و من خباء إلى خباء، و منادى القوم ينادى: أحرقوا بيوت الظالمين!!» (٢).

و عمد أراذل جيش الكوفه إلى سلب حرائر النبوه و عقائل الرساله فنهبوا ما عليهن من حلّي و حلل، كما نهبوا ما في الخيام من متاع.

الخيل تدوس الجثمان الطاهر:

لقد بانت حسّه الامويين لكل ذى عينين، و عبّرت عن مسخ في الوجدان الذي كانوا يحملونه و ماتت الإنسانيه فتحولت الأجساد المتحرّكه إلى وحوش دنيئه لا تملك ذرّه من رحمه و لا يزعها وازع من بقيه ضمير إنساني.

فحين حاصرت جيوش الضلاله أهل بيت النبوه (عليهم السلام) في عرصات كربلاء كتب ابن زياد إلى عمر بن سعد كتابا و هو يبيّن له ما يستهدفه من نتيجة للمعركه، و ما تنطوى عليه نفسه الشريره من حقد دفين على الرساله و الرسول (صلّى الله عليه و اله)، و كل ما يمتّ اليهما بصله أو قرابه، و قد جاء فيه ما يلي:

أما بعد: فإنّي لم أبعثك إلى الحسين لتكفّ عنه، و لا لتطاوله، و لا لتمنيّه السلامه و البقاء، و لا لتعقد له عندى شافعا، انظر فإن نزل حسين و أصحابه على

ص: ٢٠٤

١- (١) مقتل الحسين للمقرم: ٣٤٦.

٢- (٢) حياه الإمام الحسين عليه السلام، نقلا عن تاريخ المظفرى: ٢٣٨.

الحكم واستسلموا فابعث بهم سلما، وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم و تمثل بهم فإنهم لذلك مستحقون، فإن قتل الحسين فأوطئ الخيل صدره و ظهره، فإنه عاق مشاق قاطع ظلوم و ليس فى هذا أن يضر بعد الموت شيئا، و لكن على قول، لو قد قتلتة فعلت هذا به (١).

على أن ابن زياد كان من أعمده الحكم الاموى. و لا- نعلم أوامر صدرت من أحد أفرادة بحيث كانت ترعى حرمه أو تقديرا لمقام ابن النبى (صلى الله عليه و اله) الذى لم يكن خافيا على أحد من الامويين.

و هكذا انبرى ابن سعد بعد مقتل ريحانه رسول الله (صلى الله عليه و اله) لينفذ أوامر سيده الحاقدا ابن زياد، فنادى فى أصحابه: من ينتدب للحسين فيوطئه فرسه؟

فانتدب عشره، فداسوا جسد الحسين (عليه السلام) بخيولهم حتى رصوا ظهره (٢).

عقيله بنى هاشم أمام الجثمان العظيم:

و وقفت حفيده الرسول (صلى الله عليه و اله) و ابنه أمير المؤمنين (عليه السلام) العقيله زينب (عليها السلام) على جثمان أخيها العظيم، و هى تدعو قائله: «اللهم تقبل هذا القربان» (٣).

إنّ الإنسانية لتحنى إجلالا و خضوعا أمام هذا الإيمان الذى هو السر الوحيد فى خلود تضحية الحسين (عليه السلام) و أصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

ص: ٢٠٥

١- (١) تاريخ الطبرى: ٣١٤/٤، إعلام الورى: ٤٥٣/١.

٢- (٢) إعلام الورى: ٤٧٠/١، مقتل الحسين للخوارزمى: ٣٩/٢.

٣- (٣) حياه الإمام الحسين بن على (عليه السلام): ٣٠٤/٣.

اشاره

نتائج الثورة الحسينيه

انبعثت ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) من ضمير الامة الحى و من وحى رساله الإسلاميه المقدسه و من البيت الذى انطلقت منه الدعوه الإسلاميه للبشريه جمعاء، البيت الذى حمى رساله و الرسول و دافع عنهما، حتى استقام عمود الدين. و أحدثت هذه الثورة المباركه فى التاريخ الإنسانى عاصفه تقوض الذل و الاستسلام و تدك عروش الظالمين، و أضحت مشعلا ينير الدرب لكل المخلصين من أجل حياه حرّه كريمه فى ظل طاعه الله تعالى.

و لا يمكن لأحد أن يغفل عما تركته هذه الثورة من آثار فى الأيام و السنوات التى تلتها رغم كل التشويه و التشويش الذى يحاول أن يمنع من سطوع الحقيقه لناشدها. و بالإمكان أن نلاحظ بوضوح آثارا كثيره لهذه الثورة العظيمه عبر الأجيال و فى حياه رساله الإسلاميه بالرغم من أننا لا نحيط علما بجميعها طبعاً. و أهم تلك الآثار هى:

١- فضح الامويين و تحطيم الإطار الدينى المزيّف:

بفعل ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) تكشفت للناس حقيقه النزعه الامويه المتسلطه على الحكم، و نسفت تضحيات الثائرين كل الاطر الدينيه المزيّفه

ص: ٢٠٧

التى استطاع الامويون من خلالها تحشيد الجيوش للقضاء على الثورة، مستعينين بحاله غياب الوعي و شيوع الجهل الذى خلفته السقيفه. و نلمس هذا الزيف فى قول مسلم بن عمرو الباهلى يؤنب مسلم بن عقيل ربيب بيت النبوه و العبد الصالح لخروجه على يزيد الفاسق، و يفتخر بموقفه قائلاً: أنا من عرف الحق إذ تركته، و نصح الأئمه و الإمام إذ غششته، و سمع و أطاع إذ عصيته(١).

و هذا عمرو بن الحجاج الزبيدى-من قاده الجيش الأموى- يحفز الناس لمواجهة الإمام الحسين(عليه السلام) حين وجد منهم ترددا و تباطؤا عن الأوامر قائلا:

يا أهل الكوفه إلموا طاعتكم و جماعتكم، و لا تترابوا فى قتل من مرق من الدين، و خالف الإمام(٢).

فالدين فى دعوى الامويين طاعه يزيد و مقاتله الحسين(عليه السلام).

و لكن حركه الإمام الحسين(عليه السلام) و رفضه البيعه و تضحياته الجليله نبهت الامه، و أوضحت لها ما طمس بفعل التضليل. فقد وقف الإمام الحسين(عليه السلام) يخاطبهم و يوضح مكانته فى الرساله و المجتمع الاسلامى: أما بعد فانسونى، فانظروا من أنا؟ ثم ارجعوا إلى أنفسكم فعاتبوها و انظروا هل يصلح لكم قتلى و انتهاك حرمتى؟ ألسنت ابن بنت نبيكم(صلّى الله عليه و اله) و ابن وصيه و ابن عمه و أول المؤمنين بالله و المصدق لرسوله بما جاء من عند ربه؟!

هذا بالإضافة إلى كل الخطب و المحاورات التى جرت فى وضع متوتر حساس أوضح للناس مكانه طرفى النزاع. ثم ما آلت إليه نتيجة المعركة من

ص: ٢٠٨

١- (١) تاريخ الطبرى: ٢٨١/٤.

٢- (٢) المصدر السابق: ٣٣١/٤.

بشاعه فى السلوك و الفكر فاتضحت خسه الامويين و دناءتهم و دجلهم.

و كان الأثر البالغ فى مواصلة الثوره الحسينيه بدون سلاح دموى حين واصلت العقيله زينب بنت أمير المؤمنين(عليه السلام)فضح الجرائم التى ارتكبتها بنو اميه و من ثم توضيح رساله الإمام الحسين(عليه السلام).

إنّ جميع المسلمين متفقون-على اختلاف مذاهبهم و آرائهم-بأن الموقف الحسينى كان يمثّل موقفا إسلاميا شرعيا،و أن يزيد كان مرتدّا و متمرّدًا على الإسلام و الشرع الإلهى و الموازين الدينيه.

٢- إحياء الرساله الإسلاميه:

لقد كان استشهاد الإمام الحسين(عليه السلام)هزّه لضمير الامه و عامل بعث لإرادتها المتخاذله و عامل انتباه مستمر للمنحدر الذى كانت تسير فيه بتوجيه من بنى اميه و من سبقهم من الحكّام الذين لم يحرصوا على وصول الإسلام نقيا الى من يليهم من الأجيال.

لقد استطاع سبط الرسول(صلّى الله عليه و اله)أن يبيّن الموقف النظرى و العملى الشرعى للامه تجاه الانحراف الذى يصيبها حينما يستبدّ بها الطغاه،فهل انتصر الحسين(عليه السلام)فى تحقيق هذا الهدف؟لعلنا نجد الجواب فيما قاله الإمام زين العابدين(عليه السلام)،حينما سأله إبراهيم بن طلحه بن عبد الله قائلا:من الغالب؟قال(عليه السلام):«إذا دخل وقت الصلاه فأذن و أقم تعرف الغالب»(١).

لقد كان الحسين(عليه السلام)هو الغالب إذ تحقّق أحد أهم أهدافه الساميه بعد محاولات الجاهليه لإماتته و إخراجهم من معترك الحياه.

ص: ٢٠٩

١- ((١)) حياه الإمام الحسين بن على(عليهما السلام): ٣/٤٤٠ عن أمالى الشيخ الطوسى.

٣- الشعور بالإثم و شيوخ النقمه على الامويين:

اشتعلت شراره الشعور بالإثم فى نفوس الناس، و كان يزيدا توهجا و اشتعالا خطابات الإمام عليّ بن الحسين (عليهما السلام) و زينب بنت عليّ بن أبي طالب و بقيه أفراد عائله النبىّ (صلى الله عليه و اله) التى ساقها الطغاه الامويون كسبايا من كربلاء الى الكوفه فالشام.

فقد وقفت زينب (عليها السلام) فى أهل الكوفه حين احتشدوا يحدّقون فى موكب رؤوس الشهداء و السبايا، و سيكون ندما على ما فرطوا و ما حصل لآل النبىّ (صلى الله عليه و اله) فأشارت إليهم أن اسكتوا فسكتوا فقالت:

أما بعد:

يا أهل الكوفه أتبيكون؟ فلا سكنت العبره و لا هدأت الزنه، إنما مثلكم مثل التى نقضت غزلها من بعد قوه أنكاثا، تتخذون أيمانكم دخلا بينكم إلا- ساء ما ترون، أى و الله، فابكوا كثيرا و اضحكوا قليلا، فلقد ذهبتم بعارها و شنارها فلن ترضوها بغسل أبدا، و كيف ترضون قتل سبط خاتم النبوه، و معدن الرساله و مدار حجّتكم، و منار محجّتكم، و هو سيد شباب أهل الجنّه؟».

و تكلم عليّ بن الحسين (عليهما السلام) فقال:

أيها الناس! ناشدكم الله، هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبى و خدعتموه، و أعطيتموه من أنفسكم العهد و الميثاق و البيعه و قاتلتموه؟ فتبا لكم لما قدمتم لأنفسكم و سوأه لرأيكم، بأى عين تنظرون إلى رسول الله إذ يقول لكم قتلتم عترتى، و انتهكتم حرمتى؟ فلستم من امتى (١).

ص: ٢١٠

١- ((١)) حياه الإمام الحسين بن عليّ (عليهما السلام): ٣/٣٤١ عن مشير الأحران.

و روى أيضا أن يزيد بن معاوية فرح فرحا شديدا و أكرم عبيد الله بن زياد و لكن ما لبث أن ندم و وقع الخلاف بينه و بين ابن زياد حين علم بحال الناس و سخطهم عليه، و لعنهم و سبهم (١).

و لقد كان الشعور بالإثم يمثّل موقفا عاطفيا مفعما بالحراره و الحيويه و الرغبه الشديده بالانتقام من الحكم الاموى، مما دفع بالكثير فى الجماعات الإسلاميه إلى العمل للتكفير عن موقفهم المتخاذل عن نصره الإمام الحسين (عليه السلام) بصيغه ثوره مسلحه لمواجهة الحكم الاموى الظالم.

صحيح أنه لا يمكننا أن نعتبر موقف المسلمين هذا موقفا عقليا نابعا من إدراك فساد الحكم الاموى و بعده عن الرساله الإسلاميه إلا أنه كان موقفا صادقا يصعب على الحاكمين السيطره عليه كالسيطره على الموقف العقلانى، فكان الحكام الظلمه و عبر مسيره العداة لأهل البيت النبوى (عليهم السلام) يحسبون له ألف حساب.

٤- إحياء إرادته الأتمه و روح الجهاد فيها:

(٢)

كانت ثوره الإمام الحسين (عليه السلام) السبب فى إحياء الإراده لدى الجماهير المسلمه و انبعاث الروح النضاليه، و هزّه قويه فى ضمير الإنسان المسلم الذى ركن الى الخنوع و التسليم، عاجزا عن مواجهه ذاته و مواجهه الحاكم الظالم الذى يعبث بالأتمه كيف يشاء، مؤطرا تحركه بغطاء دينى يحوكه بالدجل و النفاق، و بأيدى و عاظ السلاطين أحيانا و اخرى بحذقه و مهارته فى المكر و الحيله.

فتعلم الإنسان المسلم من ثوره الحسين (عليه السلام) أن لا يستسلم و لا يساوم،

ص: ٢١١

١- ((١)) تاريخ الطبرى: ٣٨٨/٤، تاريخ الخلفاء: ٢٠٨.

٢- ((٢)) للمزيد من التفصيل راجع ثوره الحسين (النظريه، الموقف، النتائج) للسيد محمد باقر الحكيم: ١٠٠.

و أن يصرخ معبراً عن رأيه و رغبته في حياه أفضل في ظل حكم يتمتع بالشرعيه أو على الأقل برضا الجماهير.

و نجد انطلاقات عديده لثورات على الحكم الأموى و إن لم يكتب لها النجاح؛ إلا أنها توالى حتى سقط النظام. و رغم أن أهدافها كانت متفاوتة إلا أنها كانت تستلهم من معين ثورة الحسين (عليه السّلام)، أو تستعين بالظرف الذى خلقته. فمن ذلك ثورة التوابين (١) التى كانت ردّه فعل مباشره للثوره الحسينيه، و ثورة المدينه (٢)، و ثورة المختار الثقفى (٣) الذى تمكن من محاكمه المشاركين فى قتل الحسين (عليه السّلام) و مجازاتهم بأفعالهم الشنيعه و جرائمهم الفضيحه، ثم ثورة مطرف بن المغيره، و ثورة ابن الأشعث، و ثورة زيد بن علىّ ابن الحسين (عليهما السّلام) (٤) و ثورة أبى السرايا (٥).

لقد أحيى الثوره الحسينيه روح الجهاد و أوجتها، و بقى النبض النائر فى الامه حياً رغم توالى الفشل اللاحق ببعض تلكم الثورات. إلا أن الامه الإسلاميه أثبتت حيويّتها و تخلّصت من المسخ الذى كاد أن يطيح بها بأيدي الامويين و أسلافهم.

ص: ٢١٢

١- (١) تاريخ الطبرى: ٤/٤٢٦، ٤٤٩.

٢- (٢) المصدر السابق: ٤/٤٦٤.

٣- (٣) المصدر السابق: ٤/٤٨٧.

٤- (٤) مقاتل الطالبين: ١٣٥.

٥- (٥) المصدر السابق: ٥٢٣.

إشاره

من تراث الإمام الحسين (عليه السلام)

نظرة عامه في تراث الإمام الحسين (عليه السلام):

الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهما السلام) قائد مبدئي و أحد أعلام الهدايه الربانيه الذين اختارهم الله لحفظ دينه و شريعته، و جعلهم امناء على تطبيقها، و طهرهم من كل رجس ليصونوها من أى تحريف أو تحوير.

إن المحنه التي عاشها الأئمة الثلاثة عليّ و الحسن و الحسين (عليهم السلام) كانت أكبر محنه للعقيدة و الأمة؛ لأنها قد بدأت بانحراف القيادة عن خط الرسالة؛ و لكنها لم تقتصر على الانحراف عن المبدأ الشرعى فى ممارسه الحكم فحسب؛ و إنما كانت تمتد أبعادها إلى أعماق الأمة و الشريعة.

إن هذا الانحراف الخطير قد زاد فى عزمه هؤلاء الأئمة الهداه، ممّا جعلهم يهتمون بإحكام قواعد الشريعة فى الامه و تعليمها و تربيتها بما يحول دون تسرب الانحراف اليها بسرعه، و بما يحول دون تفتيتها و تمزيق قواها.

و من هنا كانت تربيته الجماعه الصالحه و السهر على تنشئتها و الاهتمام بقضاياها أمرا فى غايه الأهميه، و يظهر للمتبع و المحقق عظمه ذلك فيما لو أراد أن يقارن بين مواقف المسلمين تجاه أهل بيت الرسول (صلّى الله عليه و اله) خلال

خمسين عاما بعد وفاه الرسول (صلى الله عليه و اله).

و من هنا كان التراث الذى تركه لنا كل من الإمام المرتضى و الحسن المجتبى و الحسين الشهيد بكر بلاء تراثا عظيما و مهما جدا.

حيث نلمس الغناء فى هذه الثروه الفكرية و العلميه التى وصلتنا عنهم (عليهم السلام).

و للمتبع أن يراجع موسوعه كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) و وثائق الثوره الحسينيه، و بلاغه الحسين و مجموعته خطبه و رسائله؛ ليقف على عظمه هذه الثروه الكبرى وقفه متأمل و مستفيد. و ها نحن نستعرض صورا من اهتمامات هذا الإمام العظيم فيما يلى من بحوث:

فى رحاب العقل و العلم و المعرفة:

قال (عليه السلام):

- ١- خمس من لم تكن فيه لم يكن فيه كثير مستمتع: «العقل و الدين و الأدب و الحياء و حسن الخلق» (١).
- ٢- و سئل عن أشرف الناس، فقال: «من أتعظ قبل أن يوعظ و استيقظ قبل أن يوقظ» (٢).
- ٣- و قال (عليه السلام): «لا يكمل العقل إلا باتباع الحق» (٣).
- ٤- «العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه، و لا يسأل من يخاف منعه و لا يثق بمن يخاف غدره، و لا يرجو من لا يوثق برجائه» (٤).

ص: ٢١٤

١- (١) موسوعه كلمات الإمام الحسين: ٧٤٣ عن حياه الإمام الحسين: ١٨١/١.

٢- (٢) المصدر السابق: ٧٤٣ عن إحقاق الحق: ٥٩٠/١١.

٣- (٣) المصدر السابق: ٧٤٢ عن اعلام الدين: ٢٩٨. و ورد هذا النص عن الإمام على (عليه السلام) أيضا.

٤- (٤) المصدر السابق: ٧٤٢ عن حياه الإمام الحسين (عليه السلام): ١٨١/١.

٥- «العلم لقاح المعرفة، وطول التجارب زياده فى العقل، والشرف التقوى، والقنوع راحه الأبدان، ومن أحتيك نهاك و من أبغضك أغراك» (١).

٦- «من دلائل العالم انتقاده لحديثه و علمه بحقائق فنون النظر» (٢).

٧- «لو أنّ العالم كلّ ما قال أحسن و أصاب لأوشك أن يجنّ من العجب، وإنّما العالم من يكثر صوابه».

٨- «فى دعاء عرفه للإمام الحسين (عليه السّلام) مقاطع بديعه ترتبط بالمعرفه البشريه و سبل تحصيلها و قيمه كل سبيل و ما ينبغى للعاقل أن يسلكه من السبل الصحيحه و الموصله الى المقصود، نختار منها نماذج ذات علاقه ببحثنا هذا:

قال (عليه السّلام):

أ- «إلهى أنا الفقير فى غناى فكيف لا أكون فقيرا فى فقرى؟ إلهى أنا الجاهل فى علمى فكيف لا أكون جهولا فى جهلى؟...».

ب- «إلهى علمت باختلاف الآثار و تنقلات الأطوار أنّ مرادك منى أن تتعرّف إلىّ فى كل شىء حتى لا أجهلك فى شىء...».

ج- «إلهى ترددى فى الآثار يوجب بعد المزار فاجمعنى عليك بحذمه توصلنى اليك، كيف يستدلّ عليك بما هو فى وجوده مفتقر اليك؟ أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك؟! متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدلّ عليك؟!». و متى بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصل إليك؟ عميت عين لا تراك عليها رقبيا، و خسرت صفقه عبد لم تجعل له من حبك نصيبا.

د- «إلهى أمرت بالرجوع إلى الآثار فأرجعنى اليك بكسوه الأنوار و هدايه الاستبصار حتى أرجع إليك منها كما دخلت إليك منها مصون السرّ عن النظر إليها و مرفوع

ص: ٢١٥

١- (١) موسوعه كلمات الإمام الحسين (عليه السّلام): ٧٤٢ و ٧٤٣ عن بحار الأنوار: ١٢٨/٧٨، الحديث ١١.

٢- (٢) المصدر السابق.

الهّمّه عن الاعتماد عليها».

ه-«منك أطلب الوصول إليك و بك استدلّ عليك فاهدني بنورك اليك و أقمني بصدق العبوديه بين يديك».

و-«إلهي علمني من علمك المخزون و صني بترك المصون.إلهي حققني بحقايق أهل القرب...».

ز-«إلهي أخرجني من ذلّ نفسي و طهرني من شكّي و شركي قبل حلول رمسي».

ح-«إلهي إنّ القضاء و القدر يمتيني،و إنّ الهوى بوثائق الشهوه اسرني،فكن أنت النصير لي حتى تنصرنى و تبصرنى».

ط-«أنت الذي أشرفت الأنوار في قلوب أوليائك حتى عرفوك و وخردوك،و أنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبائك حتى لم يحبوا سواك و لم يلجأوا إلى غيرك،أنت المؤنس لهم حيث أو حشتهم العوالم،و أنت الذي هديتهم حيث استبان لهم المعالم.ماذا وجد من فقدك؟!و ما الذي فقد من وجدك؟!».

ي-«أنت الذي لا إله غيرك،تعرفت لكلّ شيء فما جهلك شيء،و أنت الذي تعرّفت إليّ في كلّ شيء فأيتك ظاهرا في كل شيء...كيف تخفي و أنت الظاهر؟أم كيف تغيب و أنت الرقيب الحاضر؟!»(١).

في رحاب القرآن الكريم:

لقد اعتنى أهل البيت الطاهرون بالقرآن الكريم اعتناء وافرا فعكفوا على تعليمه و تفسيره و فقه آياته و تطبيقه و صيانتة عن أيدي العابثين و المحرّفين،و تجلّت عنايتهم به في سلوكهم و هديهم و كلامهم.وقد اثرت عن الإمام أبي عبد الله الحسين(عليه السلام)كلمات جليله حول التفسير و التأويل و التطبيق، و هي جديره بالمطالعه و التأمل نختار نماذج منها:

ص: ٢١٦

١- (١) موسوعه كلمات الإمام الحسين: ٨٠٣-٨٠٦ عن إقبال الأعمال: ٣٣٩.

أُتِقال (عليه السّلام): «كتاب الله عزّ و جل على أربعة أشياء: على العبارة و الإشاره و اللطائف و الحقائق، فالعبارة للعوام، و الإشاره للخواص و اللطائف للأولياء، و الحقائق للأنبياء» (١).

ب- «من قرأ آيه من كتاب الله في صلاته قائماً يكتب له بكل حرف مئه حسنه، فإن قرأها في غير صلاه كتب الله له بكل حرف عشا، فإن استمع القرآن كان له بكل حرف حسنه، و إن ختم القرآن ليلا- صلّت عليه الملائكه حتى يصبح، و إن ختمه نهارا صلّت عليه الحفظة حتى يمسي. و كانت له دعوه مستجابه و كان خيرا له ممّا بين السماء و الأرض» (٢).

ج- و عنه (عليه السّلام) في تفسير قوله تعالى: «تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ» يعني بها «أرض لم تكتسب عليها الذنوب، بارزه ليست عليها جبال و لا نبات كما دحاها أول مره» (٣).

د- و سأله رجل عن معنى (كهيعص) فقال له: لو فسرتها لك لمشيت على الماء» (٤).

ه- و قال النصر بن مالك له: يا أبا عبد الله حدّثني عن قول الله عزّ و جلّ هَذَا خِضْمَانٍ خِضْمَانٍ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ، قال: «نحن و بنو اميه اختصمنا في الله عزّ و جلّ، قلنا صدق الله، و قالوا: كذب الله، فنحن و إيّاهم الخصمان يوم القيامة» (٥).

و- في قوله تعالى: الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ قال (عليه السّلام): «هذه فينا أهل البيت» (٦).

ص: ٢١٧

١- (١) موسوعه كلمات الإمام الحسين: ٥٥١ عن جامع الأخبار: ٤٨.

٢- (٢) المصدر السابق: ٥٥١، عن الكافي: ٦١١/٢، الحديث ٣.

٣- (٣) المصدر السابق: ٥٦٠ عن تفسير البرهان: ٣٢٣/٢.

٤- (٤) المصدر السابق: ٥٦١ عن ينابيع المودّه: ٤٨٤.

٥- (٥) المصدر السابق: ٥٦٣ عن حياه الحسين: ٢٣٤/٢.

٦- (٦) المصدر السابق: ٥٦٤ عن بحار الأنوار: ١٦٦/٢٤.

زفى قوله تعالى: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ قَالَ (عليه السلام):

«إنَّ القرابه الَّتى أمر الله بصلتها و عظم حَقِّها و جعل الخير فيها قرابتنا أهل البيت الذين أوجب حَقِّنا على كلِّ مسلم» (١).

ح- و فسر النعمه فى قوله تعالى: **وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** «بما أنعم الله على النبىِّ (صلى الله عليه و اله) من دينه» (٢).

ط- و فسر الصمد بقوله: **إِنَّ اللَّهَ قَدْ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** (٣).

ى- و قال: «الصمد: الذى لا جوف له، و الصمد: الذى قد انتهى سؤدده، و الصمد:

الذى لا يأكل و لا يشرب. و الصمد: الذى لا ينام، و الصمد: الدائم الذى لم يزل و لا يزال» (٤).

ك- و روى أن عبد الرحمن السلمى علم ولد الحسين (عليه السلام) سورة الحمد، فلما قرأها على أبيه أعطاه (عليه السلام) ألف دينار و ألف حلّه و حشا فاه درًا، فقيل له فى ذلك، فقال (عليه السلام): و أين يقع هذا من عطائه؟ يعنى بذلك تعليمه القرآن (٥).

فى رحاب السنه النبويه المباركه:

لقد عاصر الحسين جدّه رسول الله (صلى الله عليه و اله) و عاش فى كنف الوحى و الرساله و ارتضع من ثدى الإيمان، فحمل هموم الرساله الخاتمه كامّه و أبيه و أخيه، و علم أن سنه الرسول و سيرته هى المصدر الثانى للإشعاع الرسالى،

ص: ٢١٨

١- (١) موسوعه كلمات الإمام الحسين: ٥٦٥ عن بحار الأنوار: ٢٣/٢٥١ الحديث ٣٧.

٢- (٢) المصدر السابق: ٥٦٧ عن المحاسن: ١/٣٤٤ الحديث ١١.

٣- (٣) المصدر السابق: ٥٦٨ عن التوحيد: ٩٠ الحديث ٥ ثم نقل تفسيرها بشكل تفصيلى فراجع.

٤- (٤) المصدر السابق: ٥٦٩ عن معادن الحكمه: ٥١/٢.

٥- (٥) المصدر السابق: ٨٢٧ عن بحار الأنوار: ١٩١/٤٤.

و أيقن بضروره الاهتمام بهما و ضروره الوقوف أمام مؤامرات التحريف و التضيع، و منع التدوين التي تزعمها جملة من كبار الصحابه و كيف و اجهوا جدّه بكل صلف، حذرا من انكشاف الحقائق التي تحول دون وصولهم للسلطه أو تعكّر عليهم صفوها.

و من هنا نجد الحسين (عليه السّلام) يقف بكل شجاعه أمام هذا التآمر على الدين، و يضحّى بأغلى ما لديه من أجل إحياء شريعته جدّه سيد المرسلين، محققا شهادته جدّه الخالده في حقّه: «حسين مَنّى و أنا من حسين»، «ألا و إن الحسين مصباح الهدى و سفينه النجاه».

و هكذا نجد في تراثه الرائع اعتناؤه البالغ بنقل السيره النبويه الشريفه، و التحديث بسنّته و العمل بها و إحيائها، و لو بلغ مستوى الثوره على من يتسلّح بها لمسخها و تشويهها.

قال صلوات الله عليه:

١- «كان رسول الله (صلّى الله عليه و اله) أحسن ما خلق الله خلقا» (١).

٢- روى الحسين (عليه السّلام) - كأخيه الحسن و صفا دقيقا للرسول (صلّى الله عليه و اله) و هديه في سيرته مع نفسه و أهل بيته و أصحابه و مجلسه و جلسائه، أخذاه من أبيهما علي (عليه السّلام) و هو الذي ربّاه الرسول (صلّى الله عليه و اله) منذ نعومه أظفاره حتى التحاقه بالرفيق الأعلى. و نشير إلى مقطع من هذه السيره. قال الحسين (عليه السّلام) فسألته عن سكوت رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، فقال:

«كان سكوته على أربع: على الحلم و الحذر و التقدير و التفكير. فأما التقدير ففي تسويه النظر و الاستماع بين الناس، و أمّا تفكره ففيما يبقى أو يفنى. و جمع له الحلم في

ص: ٢١٩

١- (١) موسوعه كلمات الإمام الحسين: ٥٧١، عن كنز العمال: ٢١٧/٧.

الصبر، فكان لا يغضبه شيء ولا يستفزّه، وجمع له الحذر في أربع: أخذه بالحسن ليقتردي به، وتركه القبيح لينتهي عنه، واجتهاده الرأي في صلاح أمته، والقيام في ما جمع له من خير الدنيا والآخرة» (١).

٣- وروى أيضا أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) أصبح وهو مهموم، فقيل له: ما لك يا رسول الله؟ فقال: «إني رأيت في المنام كأن بنى أميّه يتعاورون منبري هذا».

فقيل: يا رسول الله! لا تهتم فإنها دنيا تنالهم، فأنزل الله: ﴿مَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ...﴾ (٢).

٤- وروى أيضا أن النبي (صلى الله عليه و اله) كان إذا أكل طعاما يقول: «اللهم بارك لنا فيه، و ارزقنا خيرا منه»، وإذا أكل لبنا أو شربه يقول: «اللهم بارك لنا فيه و ارزقنا منه» (٣).

و كان يرفع يديه إذا ابتهل و دعا يفصل بينهما كما يستطعم المسكين (٤).

٥- و سئل عن الأذان و ما يقول الناس فيه، قال: «الوحي ينزل على نبيكم، و تزعمون أنه أخذ الأذان عن عبد الله بن زيد؟! بل سمعت أبي علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول: أهبط الله عزّ و جلّ ملكا حين عرج برسول الله (صلى الله عليه و اله) فأذن مثنى مثنى، و أقام مثنى مثنى، ثم قال له جبرئيل: يا محمد هكذا أذان الصلاة» (٥).

٦- وروى أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) بعث مع عليّ (عليه السلام) ثلاثين فرسا في غزاه السلاسل فقال: «يا عليّ أتلو عليك آيه في نفقه الخيل»: «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ

ص: ٢٢٠

١- (١) موسوعه كلمات الإمام الحسين (عليه السلام): ٥٧١-٥٧٥ عن مجمع الزوائد: ٢٧٤/٨ و معاني الأخبار: ٧٩.

٢- (٢) المصدر السابق: ٥٧٥ عن الغدير: ٢٤٨/٨.

٣- (٣) المصدر السابق: ٥٧٨ عن عيون أخبار الرضا: ٤٢/٢.

٤- (٤) المصدر السابق: عن بحار الأنوار: ٢٨٧/١٦.

٥- (٥) المصدر السابق: ٦٨٣ عن مستدرک الوسائل: ١٧/٤.

وَ النَّهَارِ سِرًّا وَ عَلَانِيَةً يَا عَلِيَّ هِيَ النَّفْقَةُ عَلَى الْخَيْلِ يَنْفِقُ الرَّجُلُ سِرًّا وَ عَلَانِيَةً»(١).

وقد نقل (عليه السلام) حوادث عصر الرسول (صلى الله عليه و اله) مِمَّا رآه مباشرة أو سمعه عن امه أو أبيه و هما المعصومان من الزلزل و المعتمدان في النقل(٢).

في رحاب أهل البيت (عليهم السلام):

إشاره

لقد دلّ حديث الثقلين- المتواتر و المقبول لدى عامه المسلمين- على أن خلود الاسلام رهن الأخذ بركنين متلازمين و هما: القرآن الكريم و عتره النبي المختار صلوات الله عليهم أجمعين فإنهما لن يفترقا حتى يردا الحوض على النبي (صلى الله عليه و اله). فلا بد للمسلمين من التمسك بهما ليصونوا أنفسهم عن الضلال في كل عصر و زمان.

و من هنا جهد أعداء الاسلام القدامى على التفريق بين هذين الركنين؛ تاره بدعوى تحريف القرآن لفظا أو معنى، و اخرى بالمنع عن تفسيره أو تطبيقه، و ثالثه بانتقاص العتره، و رابعه بعزلهم عن ممارسه دورهم السياسى و الاجتماعى التثيفى، و خامسه بطرح البديل عنهم و رفع شعار الاستغناء عنهم و عن علمهم و درايتهم.

و الأئمه المعصومون المؤمنون- على سلامه الرساله الاسلاميه بنص من الوحي الإلهى- كُتفوا جهودهم و ركزوا جهادهم على صيانه هذين الأساسين من أيدي العابثين و ان كلّفهم ذلك أنفسهم و أموالهم، بل كل ما يملكون تقديمه فداء للرساله المحمديه.

و نشير إلى جمله من النصوص المأثوره عن الحسين بن عليّ (عليهما السلام)

ص: ٢٢١

١- (١) موسوعه كلمات الإمام الحسين (عليه السلام): ٧١٠ عن مستدرک الوسائل: ٢٠٣/٨.

٢- (٢) راجع موسوعه كلمات الإمام الحسين و تتبع ما نقله عن رسول الله (صلى الله عليه و اله).

١- لما قضى رسول الله (صلّى الله عليه و اله) مناسكه من حجه الوداع ركب راحلته و أنشأ يقول: «لا يدخل الجنة إلا من كان مسلما. فقام إليه أبو ذر الغفارى (رحمه الله) فقال: يا رسول الله: و ما الإسلام؟ فقال (صلّى الله عليه و اله): الإسلام عريان و لباسه التقوى و زينته الحياء و ملاكه الورع، و كماله الدين، و ثمرته العمل، و لكلّ شىء أساس و أساس الإسلام حبنا أهل البيت» (١).

٢- و جاء عنه (عليه السلام) أنه قال: «من أحبنا كان منا أهل البيت». و استدلل على ذلك بقوله تعالى تقريراً لقول العبد الصالح: «فمن تبعنى فإنه منى» (٢).

و واضح أنّ من أحبهم فسوف يتبعهم و من تبعهم كان منهم.

٣- و قال (عليه السلام): «أحبونا حبّ الإسلام فإنّ رسول الله (صلّى الله عليه و اله) قال: لا ترفعونى فوق حقى؛ فإنّ الله تعالى اتخذنى عبداً قبل أن يتخذنى رسولا» (٣).

٤- و قال (عليه السلام): «ما كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله (صلّى الله عليه و اله) إلاّ ببغضهم علينا و ولده (عليهم السلام)» (٤).

٥- و روى أنّ المنذر بن الجارود مرّ بالحسين (عليه السلام) فقال: كيف أصبحت جعلنى الله فداك- يا ابن رسول الله؟ فقال (عليه السلام): «أصبحت العرب تعتدّ على العجم بأنّ محمّدا منها، و أصبحت العجم مقرّة لها بذلك، و أصبحنا و أصبحت قريش يعرفون فضلنا و لا يرون ذلك لنا، و من البلاء على هذه الامة أنّا إذا دعوناهم لم يجيبونا و إذا تركناهم لم يهتدوا بغيرنا» (٥).

ص: ٢٢٢

١- (١) موسوعه كلمات الإمام الحسين: ٥٨٢ عن أمالى الطوسى: ٨٢/١.

٢- (٢) المصدر السابق: ٥٨٢ عن نزهه الناظر و تنبيهه الخاطر: ٨٥.

٣- (٣) المصدر السابق: عن مجمع الزوائد: ٢١/٩.

٤- (٤) المصدر السابق: ٥٨٥ عن عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ٧٢/٢.

٥- (٥) المصدر السابق: ٥٨٦ عن نزهه الناظر: ٨٥.

تراكمت البشائر النبويّة حول غيبه الإمام المهدي المنتظر و ظهوره و خصائص دولته و أوصافه و نسبه الشريف، كما توضح الصحاح و المسانيد هذه الحقيقه في أبواب الملاحم و الفتن و أشراف الساعه و غيرها.

و اعتنى الأئمه من أهل البيت (عليهم السّلام) بهذه القضية اعتناء لا يقل عن عنايه الرسول الخاتم (صلى الله عليه و اله) و استمرارا للخط الذي اختطّه و المنهج الذي سلكه في التمهيد لدوله الحق التي تتكفل تحقيق آمال الأنبياء و الأوصياء جميعا و على مدى التاريخ.

و قد كثرت النصوص الواصلة إلينا عن أبي الأئمه التسعه من ولد الحسين (عليه السّلام). فروى عن جدّه رسول الله (صلى الله عليه و اله) و عن أبيه أمير المؤمنين (عليه السّلام) مجموعه فريده من التصريحات المهمّه بشأن المهدي (عليه السّلام) نختار نماذج منها:

١- قال (عليه السّلام): دخلت على جدّي رسول الله (صلى الله عليه و اله) فأجلسني على فخذه و قال لي: إنّ الله اختار من صلبك يا حسين تسعه أئمه تاسعهم قائمهم، و كلّهم في الفضل و المنزله عند الله سواء (١).

٢- و سأله شعيب بن أبي حمزه قائلا: أنت صاحب هذا الأمر؟ فأجابه:

لا، فقال له: فمن هو؟ فأجاب (عليه السّلام): «الذي يملؤها عدلا كما ملئت جورا، على فتره من الأئمه تأتي، كما أنّ رسول الله (صلى الله عليه و اله) بعث على فتره من الرسل» (٢).

٣- و قال (عليه السّلام): لصاحب هذا الأمر غيبتان إحداهما تطول حتى يقول بعضهم:

ص: ٢٢٣

١- (١) موسوعه كلمات الإمام الحسين: ٦٥٩ عن ينابيع المودّه: ٥٩٠.

٢- (٢) المصدر السابق: ٦٦٠ عن عقد الدرر: ١٥٨.

مات و بعضهم: قتل، و بعضهم: ذهب، و لا يطّلع على موضعه أحد من ولّيتي و لا غيره إلا المولى الذى يلى أمره (١).

٤- و قال (عليه السّلام): لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّّل الله عزّ و جلّ ذلك اليوم حتى يخرج رجل من ولدى فيملأها عدلا و قسطا كما ملئت جورا و ظلما، كذلك سمعت رسول الله (صلّى الله عليه و اله) يقول (٢):

٥- و قال (عليه السّلام): للمهدى خمس علامات: السفينانى و اليمانى و الصيحه من السماء و الخسف بالبيداء و قتل النفس الزكيه (٣).

٦- و قال (عليه السّلام) أيضا: «لو قام المهديّ لأنكره الناس؛ لأنّه يرجع إليهم شابا موقفا، و إنّ من أعظم البليّه أن يخرج إليهم صاحبهم شابا و هم يحسونه شيخا كبيرا» (٤).

٧- و قال (عليه السّلام): «فى التاسع من ولدى سنّه من يوسف و سنّه من موسى بن عمران (عليه السّلام) و هو قائمنا أهل البيت، يصلح الله تبارك و تعالى أمره فى ليله واحده» (٥).

٨- و قال (عليه السّلام): «إذا خرج المهديّ (عليه السّلام) لم يكن بينه و بين العرب و قريش إلا السيف، و ما يستعجلون بخروج المهديّ؟ و الله ما لباسه إلا الغليظ و لا طعامه إلا الشعير، و ما هو إلا السيف، و الموت تحت ظلّ السيف» (٦).

ص: ٢٢٤

١- (١) موسوعه كلمات الإمام الحسين: عن عقد الدرر: ١٣٤.

٢- (٢) المصدر السابق: ٦٦١ عن كمال الدين: ٣١٧.

٣- (٣) المصدر السابق: ٦٦٢ عن عقد الدرر: ١١١.

٤- (٤) المصدر السابق: ٦٦٥ عن عقد الدرر: ٤١.

٥- (٥) المصدر السابق عن كمال الدين: ٣١٧.

٦- (٦) المصدر السابق: ٦٦٣ عن عقد الدرر: ٢٢٨.

و نختار من هذه البحوث نماذج ممّا وصلنا عن أبى الشهداء الحسين بن على (عليهما السلام).

١- مما قاله عن توحيد الله سبحانه: «...و لا يقدر الواصفون كنه عظمته، و لا يخطر على القلوب مبلغ جبروته؛ لأنه ليس له فى الأشياء عديل، و لا تدركه العلماء بألبابها و لا أهل التفكير بتفكيرهم إلاّ بالتحقيق إيقانا بالغيب؛ لأنه لا يوصف بشيء من صفات المخلوقين و هو الواحد الصمد، ما تصوّر فى الأوهام فهو خلافه... يوجد المفقود و يفقد الموجود، و لا تجتمع لغيره الصفتان فى وقت، يصيب الفكر منه الإيمان به موجودا، و وجود الإيمان لا وجود صفه، به توصف الصفات لا بها يوصف، و به تعرف المعارف لا بها يعرف، فذلك الله، لا سمى له، سبحانه ليس كمثله شيء، و هو السميع البصير (١).

و مما قاله أيضا لابن الأزرق: أصف إلهى بما وصف به نفسه و أعرفه بما عرف به نفسه، «لا يدرك بالحواس و لا يقاس بالناس، فهو قريب غير ملتصق، و بعيد غير متقصّ (تقص) يوحد و لا يبعض، معروف بالآيات موصوف بالعلامات، لا إله إلاّ هو الكبير المتعال» (٢).

٢- و خرج على أصحابه فقال: «أيها الناس! إنّ الله جلّ ذكره ما خلق العباد إلاّ ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عباده ما سواه. ثم سأل رجل عن معرفه الله فقال: معرفه أهل كلّ زمان إمامهم الذى يجب عليهم طاعته» (٣).

٣- و تكلم عن ملاك التكليف قائلا: «ما أخذ الله طاقه أحد إلاّ وضع عنه

ص: ٢٢٥

١- (١) موسوعه كلمه الإمام الحسين: ٥٣٠ عن تحف العقول: ١٧٣.

٢- (٢) المصدر السابق: ٥٣٣ عن التوحيد: ٧٩.

٣- (٣) المصدر السابق: ٥٤٠ عن علل الشرايع: ٩.

طاعته، ولا أخذ قدرته إلا وضع عنه كلفته»(١).

٤- وكتب للحسن بن أبي الحسن البصرى جوابا عن سؤاله حول القدر: «إنه من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد كفر، و من حمل المعاصى على الله عز وجل فقد افتري على الله افتراء عظيمًا، إن الله تبارك وتعالى لا يطاع بإكراه ولا يعصى بغلبه ولا يهمل العباد فى الهلكه، لكنّه المالك لما ملكهم، والقادر لما عليه أقدارهم، فإن ائتمروا بالطاعة؛ لم يكن الله صاّدًا عنها مبطئًا، وإن ائتمروا بالمعصيه فشاء أن يمن عليهم فيحول بينهم وبين ما ائتمروا به فعل، وإن لم يفعل فليس هو حملهم عليها قسرا ولا كلفهم جبرا، بل بتمكينه إياهم بعد إعداره وإذاره لهم واحتجاجه عليهم طوقهم ومكنهم وجعل لهم السبيل إلى أخذ ما إليه دعاهم وترك ما عنه نهاهم...»(٢).

٥- واشتملت أدعيته (عليه السلام) على درر باهره فى التوحيد والمعرفه والهدايه الإلهيه ولا سيما دعاء العشرات المروى عنه(٣)، ودعاء عرفه الذى عرف به؛ لما يسطع به من معارف زاخره وعلوم جمّه، بل هو دوره عقائديه كامله. وإليك مطلعته:

«الحمد لله الذى ليس لقضائه دافع ولا لعطائه مانع ولا كصنعه صنع صانع، وهو الجواد الواسع، فطر أجناس البدائع وأتقن بحكمته الصنائع، لا تخفى عليه الطلائع ولا تضع عنده الودائع، أتى بالكتاب الجامع (بشرع الإسلام) النور الساطع وهو للخليقه صانع وهو المستعان على الفجائع...»(٤).

ص: ٢٢٦

١- ((١)) موسوعه كلمات الإمام الحسين: ٥٤٢ عن تحف العقول: ١٧٥.

٢- ((٢)) المصدر السابق: ٥٤٠-٥٤١ عن معادن الحكمة: ٤٥/٢.

٣- ((٣)) البلد الأمين للكفعمى: ٢٤.

٤- ((٤)) موسوعه كلمات الإمام الحسين: ٧٩٣-٨٠٦ عن إقبال الأعمال: ٣٣٩.

في رحاب الأخلاق و التربيّه الروحيه:

- ١-سئل عن خير الدنيا والآخرة فكتب(عليه السلام):بسم الله الرحمن الرحيم،أمّا بعد:فإنه من طلب رضى الله بسخط الناس كفاه الله امور الناس،و من طلب رضى الناس بسخط الله و كله الله إلى الناس.و السلام(١).
- ٢-بين(عليه السلام)أقسام العباده و درجات العباد قائلًا:إنّ قوما عبدوا الله رغبه فتلك عبادته التجار،و إنّ قوما عبدوا الله رهبه فتلك عبادته العبيد،و إنّ قوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادته الأحرار،و هي أفضل العبادته(٢).
- ٣-قال(عليه السلام)عن آثار العباده الحقيقيه:«من عبد الله حقّ عبادته آتاه الله فوق أمانيه و كفايته»(٣).
- ٤-سئل عن معنى الأدب فقال:«هو أن تخرج من بيتك فلا تلقى أحدا إلا رأيت له الفضل عليك»(٤).
- ٥-قال الإمام الحسين(عليه السلام):«مالك إن يكن لك كنت له فلا تبغ عليه؛فإنه لا يبقى عليك،و كله قبل أن يأكلك»(٥).

في رحاب مواظبه الجليله:

- ١-كتب اليه رجل:عظني بحرفين فكتب إليه:«من حاول أمرا بمعصيه الله

ص:٢٢٧

١- (١) أمالي الصدوق:١٦٧.

٢- (٢) تحف العقول:١٧٥.

٣- (٣) بحار الأنوار:١٨٤/٧١.

٤- (٤) ديوان الإمام الحسين:١٩٩.

٥- (٥) بحار الأنوار:٣٥٧/٧١.

تعالى كان أفوت لما يرجو وأسرع لمجىء ما يحذر»(١).

٢- وجاءه رجل فقال له: أنا رجل عاص ولا أصبر عن المعصية فعظني بموعظه فقال(عليه السلام): «إفعل خمسة أشياء واذنب ما شئت، فأول ذلك: لا- تأكل رزق الله واذنب ما شئت، والثاني: اخرج من ولاية الله واذنب ما شئت. والثالث: اطلب موضعا لا يراك الله واذنب ما شئت. والرابع: إذا جاء ملك الموت ليقبض روحك فادفعه عن نفسك واذنب ما شئت، والخامس: إذا أدخلك مالك النار فلا تدخل في النار واذنب ما شئت(٢).

٣- وما جاء عنه(عليه السلام) في الموعظة: يا ابن آدم! تفكر وقل: أين ملوك الدنيا وأربابها؟ الذين عمروا واحتفروا أنهارها وخرسوا أشجارها ومدنوا مدائنها، فارقوها وهم كارهون وورثها قوم آخرون، ونحن بهم عمّا قليل لا حقون. يا ابن آدم! اذكر مصرعك، وفي قبرك مضجعك وموقفك بين يدي الله تشهد جوارحك عليك يوم تزلّ فيه الأقدام وتبلغ القلوب الحناجر وتبيضّ وجوه وتسوّد وجوه وتبدو السرائر، ويوضع الميزان القسط.

يا ابن آدم! اذكر مصارع آبائك وأبنائك كيف كانوا وحيث حلّوا وكأنتك عن قليل قد حلت محلّهم وصرت عبره للمعتبر(٣).

٤- وخطب(عليه السلام) فقال: يا أيها الناس! نافسوا في المكارم، و سارعوا في المغانم، ولا تحتسبوا بمعروف لم تعجلوا، و اكسبوا الحمد بالنجح، ولا تكتسبوا بالمطل ذمًا، فمهما يكن لأحد عند أحد صنيعه له رأى أنه لا يقوم بشكرها؛ فالله له بمكافاته فإنه أجزل عطاء وأعظم أجرا.

واعلموا أن حوائج الناس اليكم من نعم الله عليكم، فلا تملّوا النعم فتحوّر نقما(٤).

ص: ٢٢٨

١- (١) الكافي: ٣٧٣/٢.

٢- (٢) بحار الأنوار: ١٢٦/٧٨.

٣- (٣) إرشاد القلوب: ٢٩/١.

٤- (٤) كشف الغمّة: ٢٩/٢.

لقد أثبت أهل البيت المعصومون جدارتهم للمرجعية الدينية بعد رسول الله (صلى الله عليه و اله) فى المجالين العلمى و السياسى معا.

و قد عمل خطّ الخلافه بشكل مدروس على حذف هذا الخطّ النبوى و عزله عن الساحة السياسيه و الاجتماعيه، و خطّ أهل البيت (عليهم السلام) لمواجهة هذه المؤامره، كما عرفت.

غير أنّ البعد العلمى قد برز و طغى على البعد السياسى حتى اتّهم أهل البيت (عليهم السلام) باعتزالهم الساحة السياسيه بعد الحسين (عليه السلام) و لكن العجز العلمى للخطّ الحاكم بالرغم من كل ما اوتى من إمكانيات مادّيه و بشريه هو الذى قد بان على مدى التاريخ، و تميّزت مرجعيه الأئمه الأطهار على من سواها من المرجعيات السائده آنذاك. و كانت حاجه الامه الاسلاميه إلى تفاصيل الأحكام الشرعيه نظرا للمستجدات المستمره هى السبب الآخر فى ظهور علم أهل البيت (عليهم السلام) و فضلهم و كمالهم.

و ما سجّلته كتب التاريخ من حقائق لا تخفى على اللبيب مثل حقيقه عدم عجزهم أمام الأسئلة المثاره، و عدم اكتسابهم العلم من أحد من أهل الفضل سوى الرسول (صلى الله عليه و اله) و أهل بيته المعصومين (عليهم السلام) للدليل واضح على تميّزهم عمّن سواهم.

و هنا نختار نماذج مما يرتبط بالفقه بمعناه المصطلح بمقدار ما يسمح به المجال.

١- ممّا يرتبط بباب الصلاه، ذكر الإمام محمّد الباقر (عليه السلام) جواز الصلاه بثوب واحد مستشهدا بأنه قد حدّثه من رأى الحسين بن على (عليهما السلام)

و هو يصلي في ثوب واحد و حدّثه أنه رأى رسول الله (صلى الله عليه و اله) يصلي في ثوب واحد (١).

٢- وجاء أن الأئمة (عليهم السّلام) كانوا يجهرون بيسم الله الرحمن الرحيم فيما يجهر فيه بالقراءة من الصلوات في أوّل فاتحه الكتاب و أوّل السوره في كل ركعه. و جاء عن الحسين (عليه السّلام) قوله: اجتمعنا ولد فاطمه (عليها السّلام) على ذلك (٢).

٣- و كان الحسين بن عليّ (عليهما السّلام) يصلي فمّر بين يديه رجل، فنهأه بعض جلسائه، فلما انصرف من صلاته قال له: لم نهيت الرجل؟ فقال: يا ابن رسول الله! خطر فيما بينك و بين المحراب، فقال (عليه السّلام): ويحك إنّ الله عزّ و جلّ أقرب إلّى من أن يخطر فيما بينى و بين أحد (٣).

٤- و كان الحسين (عليه السّلام) جالسا فمّرت عليه جنازه فقام الناس حين طلعت الجنازه، و هنا أوضح الإمام (عليه السّلام) للناس ما تصوّروه خطأ من أن القيام عند مرور الجنازه من السنّه باعتبار ما سمعوه من قيام رسول الله عند مرور الجنازه. فقال الحسين بن عليّ (عليهما السّلام): مّرت جنازه يهودى فكان رسول الله (صلى الله عليه و اله) على طريقها جالسا فكره أن تعلق رأسه جنازه يهودى فقام لذلك (٤).

و قد أحصى مؤلّف موسوعه كلمات الإمام الحسين (عليه السّلام) ما يقارب من مائتين و خمسين روايه فى الأحكام الشرعيه و ردت عن الإمام الحسين (عليه السّلام) فى مختلف أبواب الفقه الاسلامى.

ص: ٢٣٠

١- ((١) دعائم الاسلام: ١/١٧٥.

٢- ((٢) مستدرک الوسائل: ٤/١٨٩.

٣- ((٣) وسائل الشيعه: ٣/٤٣٤ الحديث ٤.

٤- ((٤) الكافى: ٣/١٩٢.

على أن سيره الإمام الحسين (عليه السلام) مثل سيره سائر الأئمة الأطهار تعتبر مصدرا من مصادر استلهام الاحكام الشرعيه لتنظيم السلوك الفردى و الاجتماعى للانسان المسلم و للمجتمع الاسلامى.

فى رحاب أدعيه الإمام الحسين (عليه السلام):

لقد تميّز تراث أهل البيت (عليهم السلام) بظاهرة الدعاء تميّزا فريدا فى جانبى الكَمّ و الكيف معا.

فلاهتمام بالدعاء فى جميع الحالات و الظروف التى يمرّ بها الانسان فى الحياه كما قال تعالى: قُلْ مَا يَعْجُبُكُمْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ (١) هو المظهر الذى ميّز سلوك أهل البيت عمّن سواهم، و على ذلك ساروا فى تربيتهم لشيعتهم.

و المسلمون بشكل عام يلمسون هذه الظاهره بوضوح فى موسم الحج و غيره من مواسم العباده عند أتباع أهل البيت (عليهم السلام) و شيعتهم.

و تفرّدت أدعيه أهل البيت (عليهم السلام) فى المحتوى و المقاصد و المعانى التى اشتملت عليها أدعيّتهم؛ فإنّها تفصح بوضوح عن البون الشاسع بينهم و بين غيرهم فأين الثرى و أين الثرىّاء؟

و تدلّنا بعض النصوص المؤثوره عن الإمام الحسين (عليه السلام) على سر هذا الاهتمام البليغ منهم بالدعاء.

١- قال (عليه السلام): أعجز الناس من عجز عن الدعاء، و أبخل الناس من بخل بالسلام (٢).

٢- و جاء عنه أنه كان يدعو فى قنوت الوتر بالدعاء الذى علّمه

ص: ٢٣١

١- (١) الفرقان (٢٥): ٧٧.

٢- (٢) بحار الأنوار: ٢٩٤/٩٣.

رسول الله (صلى الله عليه و اله) و هو: اللهم إنك ترى و لا- ترى و أنت بالمنظر الأعلى و إن اليك الرجعى و إن لك الآخرة و الأولى، اللهم إنا نعوذ بك من أن نذلّ و نخزى(١).

٣- من الأدعية القصيره المأثوره عنه قوله (عليه السلام): «اللهم لا تستدرجنى بالإحسان و لا تؤدبني بالبلاء»(٢).

و قال فى معنى الاستدراج: الاستدراج من الله لعبده أن يسبغ عليه النعم و يسلبه الشكر(٣).

٤- من أدعيته فى قنوته: «اللهم من آوى إلى مأوى فأنت مأوى، و من لجأ الى ملجأ فأنت ملجأ اللهم صلّ على محمّد و آل محمّد و اسمع ندائى و أجب دعائى و اجعل ما بى عندك و مثاوى، و احرسنى فى بلواى من افتتان الامتحان و لمة الشيطان بعظمتك التى لا يشوبها و لى نفس بتفتين، و لا- وارد طيف بتظنين و لا- يلتم بها فرج حتى تقلبنى اليك بإرادتك غير ظنين و لا- مظنون و لا- مراب و لا- مرتاب، إنك أنت أرحم الراحمين»(٤).

٥- له دعاء آخر كان يدعو به فى قنوته هو: «اللهم منك البدء و لك المشيئه و لك الحول و لك القوه، و أنت الله الذى لا إله إلا أنت جعلت قلوب أوليائك مسكنا لمشيئتك و مكمنا لإرادتك، و جعلت عقولهم مناصب أوامرك و نواهيك فأنت إذا شئت ما نشاء حرّكت من أسرارهم كوامن ما أبطنت فيهم، و أبدأت من إرادتك على ألسنتهم ما أفهمتهم به عنك فى عقودهم بعقول تدعوك و تدعو اليك بحقائق ما منحتهم به، و إنى لأعلم ممّا علمتنى ممّا أنت المشكور على ما منه أريتنى و إليه آويتنى».

٦- له دعاء يسمّى ب(العشرات).

ص: ٢٣٢

١- ((١) كنز العمال: ٨٢/٨، و مسند الإمام أحمد: ٢٠١/١).

٢- ((٢) بحار الأنوار: ١٢٨/٧٨).

٣- ((٣) تحف العقول: ١٧٥).

٤- ((٤) نهج الدعوات: ٤٩).

٧-و له دعاء كان يدعو به حين كان يمسك الركن اليماني و يناجى ربّه هو:إلهى أنعمتنى فلم تجدنى شاكرا و أبلتتى فلم تجدنى صابرا،فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر،و لا أدمت الشدّه بترك الصبر إلهى ما يكون من الكريم إلا الكرم(١).

٨-و روى أن شريحا دخل مسجد الرسول(صلى الله عليه و اله)فوجد الحسين(عليه السلام)فى المسجد ساجدا يعفّر خدّه على التراب و هو يقول:«سيدى و مولاي المقامع الحديد خلقت أعضائى؟ أم لشرب الحميم خلقت أمعائى؟إلهى لئن طالبتنى بذنوبى لا طالبنك بكرمك،و لئن حبستنى مع الخاطئين لأخبرنهم بحبى لك،سيدى!إنّ طاعتى لا تنفعك،و معصيتى لا تضرّك،فهب لى ما لا ينفعك و اغفر لى ما لا يضرّك فإنك أرحم الراحمين»(٢).

٩-و كان من دعائه إذا دخل المقابر:اللهم ربّ هذه الأرواح الفانيه و الأجساد الباليه،و العظام النخره التى خرجت من الدنيا و هى بك مؤمنه أدخل عليهم روحا منك و سلاما منى،و قال(عليه السلام):إذا دعا أحد بهذا الدعاء كتب الله له بعدد الخلق من لدن آدم الى أن تقوم الساعه حسنات(٣).

١٠-و من دعائه فى الصباح و المساء قوله:«بسم الله الرحمن الرحيم،بسم الله و بالله و من الله و إلى الله و فى سبيل الله و على ملة رسول الله و توكلت على الله و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم.اللهم إنى أسلمت نفسى إليك و وجهت وجهى إليك و فوضت أمرى إليك،إياك أسأل العافيه من كل سوء فى الدنيا و الآخرة،اللهم إنك تكفينى من كلّ أحد و لا يكفينى أحد منك فاكفنى من كلّ أحد ما أخاف و أحذر،و اجعل لى من أمرى فرجا و مخرجا إنك تعلم و لا أعلم و تقدر،و لا أقدر،و أنت على كل شىء قدير برحمتك

ص:٢٣٣

١- (١) إحقاق الحق:٥٩٥/١١.

٢- (٢) المصدر السابق:٤٢٤/١١.

٣- (٣) مستدرک الوسائل:٣٧٣/٢ الحديث ٢٣٢٣.

يا أرحم الراحمين»(١).

و أمّا دعاء عرفه المروي عن الإمام الحسين (عليه السلام) فهو من غرر الأدعية المطوّله و التي تستدرّ الرحمة الإلهيه بما تمليه على الإنسان من أسباب الإنابه و التوبه و شموخ المعرفة، و قد أشرنا الى مقاطع منه في بحوث سابقه.

و إليك مقطعا آخر من هذا الدعاء:

«الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا فيكون موروثا، و لم يكن له شريك في الملك فيضاده فيما ابتدع، و لا ولي من الدّل فيرفده فيما صنع، سبحانه سبحانه سبحانه لو كان فيهما آلهه إلا الله لفسدتا و تفترتا، فسبحان الله الواحد الحقّ الأحد الصمد الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد، الحمد لله حمدا يعدل حمد ملائكته المقرّبين، و أنبيائه المرسلين، و صلّى الله على خيرته من خلقه محمّد خاتم النبيّين و آله الطاهرين المخلصين، اللهم اجعلني أخشاك كأثني أراك، و أسعدني بتقواك، و لا تشقني بمعصيتك، و خزلني في قضائك، و بارك لي في قدرك حتّى لا أحبّ تعجيل ما أخرت، و لا تأخير ما عجلت»(٢).

في رحاب أدب الإمام الحسين (عليه السلام):

لا ريب في أن الإمام الحسين (عليه السلام) يعدّ امتدادا لجده و أبيه و أخيه من حيث المعرفة و من حيث الاقتدار الفنى في التعبير.

و قد جاء على لسان خصومهم «أنهم أهل بيت قد زفّوا العلم زفّا»، و «أنها ألسنه بنى هاشم التي تفلق الصخر و تعرف من البحر»(٣).

و علّق عمر بن سعد يوم عاشوراء على خطبه للإمام الحسين (عليه السلام): «إنّه

ص: ٢٣٤

١- ((١)) مهج الدعوات: ١٥٧.

٢- ((٢)) بحار الأنوار: ٢١٨/٩٨-٢١٩.

٣- ((٣)) المجالس السنيه: ٢١، ٢٨، ٣٠.

ابن أبيه، و لو وقف فيكم هكذا يوما جديدا، لما انقطع و لما انقطع و لما حصر» (١).

و قال أصحاب المقاتل عن كلماته و خطبه في كربلاء و يوم عاشوراء أنه لم يسمع متكلم قط قبله و لا بعده أبلغ في منطقه من الحسين (عليه السلام) (٢).

و بالرغم من قصر المدّة الزمّية لإمامته و عدم إتاحة الفرصه السياسيّه التي تفرض صياغه الخطب عاده بخاصّه أنه (عليه السلام) التزم بالهدنه التي عقدها أخوه (عليه السلام) في زمن معاويه، فقد اثر عنه (عليه السلام) في ميدان الخطبه و غيرها أكثر من نموذج فضلا عن أنه (عليه السلام) في زمن أبيه (عليه السلام) قد ساهم في خطب المشاوره و الحرب (٢)، و حشد فيها كل السمات الفنّيه التي تتناسب و الغرض الذي استهدف توصيله الى الجمهور (٣).

و أمّا خطب المعركه التي خاضها في الطف أو كربلاء، حيث فجّرت هذه المناسبه عشرات الخطب منذ بدايتها إلى نهايتها، فقد تنوّعت صياغه و مضمونها، و تضمّنت التذكير بكتبهم التي أرسلوها إليه و بطاعه الله و بنصرته و بالتخلّي عن قتاله. و ممّا جاء في أحدها: «تبّا لكم أيّها الجماعه و ترحا، أحين استصرختمونا و الهين، فأصرخناكم موجفين مؤدّين مستعدّين سللتم علينا سيفا لنا في أيمانكم و حششتم علينا نارا قد حناها على عدوّكم و عدوّنا فأصبحتم إلبا على أوليائكم و يدا عليهم لأعدائكم بغير عدل أفسوه فيكم و لا- أمل أصبح لكم فيهم إلا الحرام من الدنيا أنالوكم و خسيس عيش طمعتم فيه...».

و احتشدت هذه الخطبه بعناصر الفن المتنوعه بالإضافة الى عنصري المحاكمه و العاطفه. و بمقدور المتدوّق الفنّي الصرف أن يلحظ ما تتضمّنه من

ص: ٢٣٥

١- (٢١) المجالس السنيه: ٢١، ٢٨، ٣٠.

٢- (٣) راجع حياه الإمام الحسين في عهد أبيه، في هذا الكتاب.

٣- (٤) تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي: ٣٠٧-٣١١.

دهشه فنيّه مشيره كل الإثاره(١).

و الأشكال الأدبيّه الاخرى التى طرفها أدب الإمام الحسين (عليه السلام) هى الرسائل و الخواطر و المقاله و الأدعيه و الشعر(٢) و الحديث الفنى.

و نشير الى نموذجين من شعره بما يتناسب مع المجال هنا:

-١-

تبارك ذو العلا و الكبرياء تفرد بالجلال و بالبقاء

و سوى الموت بين الخلق طراو كلهم رهائن للفناء

و ديانا-و إن ملنا اليهاو طال بها المتاع-الى انقضاء

ألا إن الركون على غرورالى دار الفناء من الفناء

و قاطنها سريع الظعن عنهاو إن كان الحريص على الثواء(٣)

-٢-

اغن عن المخلوق بالخالقتغن عن الكاذب و الصادق

و استرزق الرحمن من فضلهفليس غير الله من رازق

من ظن أن الناس يغنونهفليس بالرحمن بالوائق

أو ظن أن المال من كسهزلت به النعلان من حائق(٤)

و الحمد لله رب العالمين

ص: ٢٣٦

١- ((١)) تاريخ الأدب العربى فى ضوء المنهج الإسلامى: ٣١١-٣٠٣.

٢- ((٢)) للاطلاع التفصيلى على خصائص كل شكل فى أدب الحسين (عليه السلام) راجع تاريخ الأدب العربى فى ضوء المنهج الإسلامى للدكتور محمود البستاني.

٣- ((٣)) عن ديوان الإمام الحسين: ١١٥/٤.

٤- ((٤)) عن البدايه و النهايه: ٢٢٨/٨.

مقدمه المجمع العالمى لأهل البيت عليهم السلام ٧

الباب الأول:

الفصل الأول: الإمام الحسين الشهيد عليه السلام فى سطور ١٧

الفصل الثانى: انطباعات عن شخصيه الإمام الحسين عليه السلام ٢٥

١-مكانه الإمام الحسين عليه السلام فى آيات الذكر الحكيم ٢٥

٢-مكانه الإمام الحسين عليه السلام لدى خاتم المرسلين صلى الله عليه و اله ٢٨

٣-مكانه الإمام الحسين عليه السلام لدى معاصريه ٢٩

٤-الإمام الحسين عليه السلام عبر القرون و الأجيال ٣٣

الفصل الثالث: مظاهر من شخصيه الإمام الحسين عليه السلام ٣٧-١-تواضعه عليه السلام ٣٨

٢-حلمه و عفوه عليه السلام ٣٨

٣-جوده و كرمه عليه السلام ٣٩

٤-شجاعته عليه السلام ٤١

٥-إبأؤه عليه السلام ٤٢

٦-الصراحه و الجرأه فى الإصحار بالحق ٤٤

٧-عبادته و تقواه عليه السلام ٤٥

صور من عبادته عليه السلام ٤٦

الباب الثاني:

الفصل الأول:نشأة الإمام الحسين عليه السلام ٥١

تاريخ الولادة ٥١

رؤيا ام أيمن ٥١

الوليد المبارك ٥٢

اهتمام النبي صَلَّى الله عليه و اله بالحسين عليه السلام ٥٣

كنيته عليه السلام و ألقابه ٥٥

الفصل الثاني:مراحل حياة الإمام الحسين عليه السلام ٥٧

الفصل الثالث:الإمام الحسين عليه السلام من الولادة الى الإمامه ٥٩

الإمام الحسين عليه السلام فى عهد الرسول صَلَّى الله عليه و اله ٥٩

ميراث النبي صَلَّى الله عليه و اله لسبطيه عليهما السلام ٦٢

وصيه النبي صَلَّى الله عليه و اله بالسبطين عليهما السلام ٦٢

لوعه النبي صَلَّى الله عليه و اله على الحسين عليه السلام ٦٢

الإمام الحسين عليه السلام فى عهد الخلفاء ٦٤

الحسين عليه السلام فى عهد أبى بكر ٦٤

لوعه شهادة الزهراء عليها السلام ٦٤

الحسين عليه السلام فى عهد عمر بن الخطاب ٦٧

الحسين عليه السلام فى عهد عثمان ٦٨

موقف مع أبى ذر الغفارى ٧٠

الحسين عليه السلام فى عهد الدوله العلويه ٧٢

مع أبيه عليه السلام فى إصلاح الأئمه ٧٣

حرص الإمام على عليه السلام على سلامه الحسنين عليهما السلام ٧٤

وصايا أمير المؤمنين للإمام الحسين عليهما السلام ٧٥

الإمام الحسين مع أبيه عليه السلام فى لحظاته الأخيره ٧٩

الحسين عليه السلام فى عهد أخيه الحسن المجتبى عليه السلام ٨٠

حاله الأئمّه قبل الصلح مع معاويه ٨٠

احترام الإمام الحسين عليه السلام لبنود صلح الإمام الحسن عليه السلام ٨٥

رساله جعده بن هبيرة الى الإمام الحسين عليه السلام ٨٥

استشهاد الإمام الحسن عليه السلام ٨٦

الباب الثالث:

الفصل الأول: عصر الإمام الحسين عليه السلام ٩١

البحث الأول: حكمه معاويه و دورها فى تشويه الاسلام ٩١

منهج معاويه لمحاربه الاسلام ٩٢

١- سياسته الاقتصادية ٩٣

أ- الحرمان الاقتصادي ٩٣

ب- استخدام المال لتثبيت ملكه ٩٤

ج- شراء الذمم ٩٥

د- ضربه النيروز ٩٥

٢- سياسته التفرقه ٩٦

أ- اضطهاد الموالى ٩٦

ب- العصبية القبليه ٩٦

٣- سياسته البطش و الجبروت ٩٧

٤- الخلاعه و المجون و الاستخفاف بالقيم الدينيه ٩٧

٥- اظهار الحقد على النبى صلى الله عليه و اله و العداة لأهل بيته عليهم السلام ٩٨

٦-العنف مع شيعة أهل البيت عليهم السّلام ١٠٠

٧-فرض البيعه بالقوه ليزيد الفاجر ١٠١

البحث الثاني:من هو يزيد بن معاوية؟ ١٠٢

ولاده يزيد و نشأته و صفاته ١٠٣

ولع يزيد بالصيد و شغفه بالقروود ١٠٤

إدمانه على الخمر ١٠٥

إلحاد يزيد و حقه على رسول الله صلّى الله عليه و اله ١٠٧

جرائم حكم يزيد ١٠٨

السّر الكامن من وراء نزعات يزيد الشّريره ١٠٩

الفصل الثاني:مواقف الإمام الحسين عليه السّلام و إنجازاته ١١١

البحث الأول:موقفه عليه السّلام من البيعه ليزيد ١١١

١-دعوه انتهازيه و خطه شيطانيه ١١١

٢-أساليب معاوية لإعلان بيعه يزيد ١١٤

٣-محاولات الإمام الحسين عليه السّلام لإيقاظ الامّه ١١٥

مواجهه معاوية و بيعه يزيد ١١٦

محاولة جمع كلمه الامّه و الاستجابه لحركه الجماهير ١١٨

فضح جرائم معاوية ١١٨

استعادته حق مضيّع ١٢٠

تذكير الامّه بمسؤوليتها ١٢٢

موت معاوية ١٢٥

البحث الثاني:حكومه يزيد و نهضة الإمام الحسين عليه السّلام ١٢٦

بدايات النهضة ١٢٦

رساله يزيد الى حاكم المدينه ١٢٦

ص: ٢٤٠

الوليد يستشير مروان بن الحكم ١٢٧

الإمام عليه السّلام فى مجلس الوليد ١٢٨

الإمام عليه السّلام مع مروان ١٣٠

حركة الامام عليه السّلام ١٣٠

وصايا الإمام عليه السّلام ١٣٢

توجّه الإمام عليه السّلام إلى مكة ١٣٤

البحث الثالث: أسباب و دوافع الثورة ١٣٥

١-فساد الحاكم و انحراف جهاز الحكومه ١٣٦

٢-مسؤوليه الإمام عليه السّلام تجاه الامة ١٣٧

٣-الاستجابة لرأى الجماهير النائرة ١٣٨

٤-محاولة إرغامه عليه السّلام على الذل و المساومه ١٣٨

٥-نوايا الغدر الاموى و التخطيط لقتل الحسين عليه السّلام ١٣٩

٦-انتشار الظلم و فقدان الأمن ١٤٠

٧-تشويه القيم الإسلاميه و محو ذكر أهل البيت عليهم السّلام ١٤١

٨-الاستجابة لأمر الله و رسوله صلى الله عليه و اله ١٤١

أهداف منظوره فى ثوره الإمام الحسين عليه السّلام ١٤٢

١-تجسيد الموقف الشرعى تجاه الحاكم الظالم ١٤٣

٢-فضح بنى اميه و كشف حقيقتهم ١٤٣

٣-إحياء السنّه و إمامته البدعه ١٤٤

٤-الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ١٤٥

٥-إيقاظ الضمائر و تحريك العواطف ١٤٦

لماذا لم ينهض الإمام الحسين عليه السّلام بالثوره فى حكم معاويه؟ ١٤٧

١- حاله الائمة الاسلاميه ١٤٧

٢- شخصيه معاويه و سلوكه المتلون ١٤٨

٣- احترام صلح الإمام الحسن عليه السلام ١٥٠

المواقف من ثوره الحسين عليه السلام قبل انطلاقها ١٥١

البحث الرابع: توجه الإمام الحسين (عليه السلام) الى مكة ١٥٣

رسائل أهل الكوفه إلى الإمام عليه السلام ١٥٣

جواب الإمام (عليه السلام) على رسائل الكوفيين ١٥٥

تحرك مسلم بن عقيل نحو الكوفه ١٥٦

رساله مسلم بن عقيل الى الإمام الحسين عليه السلام ١٥٧

رساله الإمام (عليه السلام) الى زعماء البصره ١٥٨

جواب الأحنف بن قيس ١٥٩

جواب يزيد بن مسعود النهشلي ١٥٩

موقف و الى الكوفه ١٦١

أنصار الامويين يتداركون امورهم ١٦٢

قلق يزيد و استشاره السيرجون ١٦٣

توجه عبيد الله بن زياد الى الكوفه ١٦٤

محاولات ابن زياد للسيطره على الكوفه ١٦٥

موقف مسلم بن عقيل من اغتيال ابن زياد ١٦٦

الغدر بمسلم بن عقيل (رضي الله عنه) ١٦٧

البحث الخامس: حركه الإمام الحسين عليه السلام الى العراق ١٧٠

لماذا اختار الإمام الحسين عليه السلام الهجره الى العراق؟ ١٧٠

تصريحات الإمام عليه السلام عند وداعه مكة ١٧٣

- خلاصه الثورة فى رساله ١٧٥
- ملاحقه السلطه للإمام عليه السّلام ١٧٦
- كتاب الإمام عليه السّلام لأهل الكوفه ١٧٧
- إجراءات الامويين ١٧٨
- اعتقال الصيداوى و قتله ١٧٨
- مع زهير بن القين ١٧٩
- أبناء الانتكاسه تتوارد على الإمام عليه السّلام ١٨٠
- لقاء الإمام الحسين عليه السّلام بالحرّ بن يزيد الرياحى ١٨١
- التزول فى أرض الميعاد ١٨٣
- جيش الكوفه ينطلق بقياده عمر بن سعد ١٨٥
- البحث السادس:ماذا جرى فى كربلاء؟ ١٨٧
- ليله عاشوراء ١٨٧
- يوم عاشوراء ١٩١
- خطاب الإمام عليه السّلام فى جيش الكوفه ١٩١
- الحرّ يخيّر نفسه بين الجنه و النار ١٩٣
- المعركه الخالده ١٩٣
- استشهاد الإمام الحسين عليه السّلام ٢٠٠
- الحسين عليه السّلام وحيدا فى الميدان ٢٠١
- امتداد الحمرة فى السماء ٢٠٣
- حرق الخيام و سلب حرائر النبوه ٢٠٤
- الخيل تدوس الجثمان الطاهر ٢٠٤

عقيله بنى هاشم أمام الجثمان العظيم ٢٠٥

الفصل الثالث: نتائج الثورة الحسينيه ٢٠٧

١- فضح الامويين و تحطيم الإطار الدينى ٢٠٧

٢- إحياء الرسالة الإسلاميه ٢٠٩

٣- الشعور بالإثم و شيوع التقمه على الامويين ٢١٠

٤- إحياء إرادته الأّمه و روح الجهاد فيها ٢١١

الفصل الرابع: من تراث الإمام الحسين عليه السلام ٢١٣

فى رحاب العقل و العلم و المعرفه ٢١٤

فى رحاب القرآن الكريم ٢١٦

فى رحاب السنه النبويه المباركه ٢١٨

فى رحاب أهل البيت عليهم السلام ٢٢١

بشائر الحسين عليه السلام بالمهدى عليه السلام و دولته ٢٢٣

فى رحاب العقيدته و الكلام ٢٢٥

فى رحاب الأخلاق و التربيه الروحيه ٢٢٧

فى رحاب مواعظه الجليله ٢٢٧

فى رحاب الفقه و الأحكام الشرعيه ٢٢٩

فى رحاب أدعيه الإمام الحسين عليه السلام ٢٣١

فى رحاب أدب الإمام الحسين عليه السلام ٢٣٤

الفهرس التفصيلى ٢٣٧

ص: ٢٤٤

عنوان و نام پديدآور: اعلام الهدايه/المؤلف لجنه التاليف فى المعاونه الثقافيه للمجمع العالمى لاهل البيت (ع).

مشخصات نشر: بيروت: المجمع العالمى لاهل البيت (ع)، المعاونه الثقافيه، ۱۴۳۰ق = ۱۳۸۹.

مشخصات ظاهرى: ۱۴ج.

يادداشت: عربى.

يادداشت: چاپ ششم.

يادداشت: كتابنامه.

مندرجات: ج. ۱. محمد المصطفى صلى الله عليه و آله و سلم خاتم الانبياء. ج. ۲. أميرالمؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام. ج. ۳. سيده النساء فاطمه الزهراء عليه السلام. ج. ۴. الامام الحسن المجتبى عليه السلام. ج. ۵. الامام الحسين عليه السلام سيدالشهداء. ج. ۶. الامام على بن الحسين زين العابدين عليه السلام. ج. ۷. الامام محمد بن على الباقر عليه السلام. ج. ۸. الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام. ج. ۹. الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام. ج. ۱۰. الامام على بن موسى الرضا عليه السلام. ج. ۱۱. الامام محمد بن على الجواد عليه السلام. ج. ۱۲. الامام على بن محمد الهادى عليه السلام. ج. ۱۳. الامام الحسن العسكرى عليه السلام. ج. ۱۴. خاتم الاوصياء الامام المهدي عليه السلام.

موضوع: چهارده معصوم -- سرگذشتنامه

شناسه افزوده: مجمع جهانى اهل بيت (ع). معاونت فرهنگى

رده بندى كنگره: BP۳۶/الف ۵۸ ۱۳۸۹

رده بندى ديويى: ۲۹۷/۹۵

شماره كتابشناسى ملي: ۳۸۶۲۲۵۴

ص: ۱

الباب الأول:

الفصل الأول: الإمام زين العابدين عليه السلام فى سطور ١٧

الفصل الثانى: انطباعات عن شخصيته الإمام عليه السلام ٢١

الفصل الثالث: مظاهر من شخصيه الإمام عليه السلام ٢٧

الباب الثانى:

الفصل الأول: نشأه الإمام زين العابدين عليه السلام ٤٣

الفصل الثانى: مراحل حياه الإمام زين العابدين عليه السلام ٤٧

الفصل الثالث: الإمام زين العابدين عليه السلام من الولاده الى الإمامه ٤٩

الباب الثالث:

الفصل الأول: الإمام عليه السلام من كربلاء إلى المدينه ٥٩

الفصل الثانى: حياه الإمام عليه السلام فى المدينه ٦٩

الفصل الثالث: استشهاد الإمام زين العابدين عليه السلام ٨٥

الباب الرابع:

الفصل الأول: نظره عامه فى مسيره أهل البيت عليهم السلام الرساليه ٨٩

الفصل الثانى: ملامح عصر الإمام زين العابدين عليه السلام ١٠٥

الفصل الثالث: تخطيط الإمام زين العابدين عليه السلام و جهاده ١٠٩

الفصل الرابع: ظواهر فذه فى حياه الإمام زين العابدين عليه السلام ١٢٣

الباب الخامس:

الفصل الأول: من تراث الإمام زين العابدين عليه السلام ١٥٩

الفصل الثانى: رساله الحقوق ١٩٣

الفصل الثالث: فى رحاب الصحيفه السجديه ٢٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداه لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء و سيد الرسل و الأصفياء أبو القاسم المصطفى محمد (صلى الله عليه و اله) و على آله الميامين النجباء.

لقد خلق الله الانسان و زوده بعنصرى العقل و الإرادة، فبالعقل يبصر و يكتشف الحق و يميزه عن الباطل، و بالإرادة يختار ما يراه صالحا له و محققا لأغراضه و أهدافه.

و قد جعل الله العقل المميز حجه له على خلقه، و أعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته؛ فإنه هو الذى علم الإنسان ما لم يعلم، و أرشده إلى طريق كماله اللائق به، و عرفه الغايه التى خلقه من أجلها، و جاء به إلى هذه الحياه الدنيا من أجل تحقيقها.

و أوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحه معالم الهدايه الربانيه و آفاقها و مستلزماتها و طرقها، كما بين لنا عللها و أسبابها من جهه، و أسفر عن ثمارها و نتائجها من جهه أخرى.

قال تعالى:

ص: ٧

قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى [الأنعام (٦): ٧١].

وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [البقره (٢): ٢١٣].

وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ [الأحزاب (٣٣): ٤].

وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هَدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [آل عمران (٣): ١٠١].

قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ [يونس (١٠): ٣٥].

وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَ يَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ [سبأ (٣٤): ٦].

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ [القصص (٢٨): ٥٠].

فالله تعالى هو مصدر الهدايه. و هدايته هي الهدايه الحقيقيه، و هو الذى يأخذ بيد الإنسان إلى الصراط المستقيم و إلى الحق القويم.

و هذه الحقائق يؤيدها العلم و يدر كها العلماء و يخضعون لها بملء وجودهم.

و لقد أودع الله فى فطره الانسان النزوع إلى الكمال و الجمال ثم منّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به، و أسبغ عليه نعمه التعرّف على طريق الكمال، و من هنا قال تعالى: ﴿مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات (٥١): ٥٦]. و حيث لا- تتحقّق العباده الحقيقيه من دون المعرفه؛ إذ كانت المعرفه و العباده طريقا منحصرًا و هدفا و غايه موصله إلى قمّه الكمال.

و بعد أن زوّد الله الانسان بطاقتى الغضب و الشهوه ليحسّق له و قود الحركه نحو الكمال؛ لم يؤمن عليه من سيطره الغضب و الشهوه و الهوى الناشئ منهما، و الملازم لهما. فمن هنا احتاج الانسان-بالإضافه إلى عقله و سائر

أدوات المعرفة-الى ما يضمن له سلامه البصيره و الرؤيه؛كى تتم عليه الحجّه، و تكمل نعمه الهدايه،و تتوفّر لديه كلّ الأسباب التى تجعله يختار طريق الخير و السعاده،أو طريق الشرّ و الشقاء بملء إرادته.

و من هنا اقتضت سنّه الهدايه الربّانيه أن يسند عقل الانسان عن طريق الوحي الإلهي،و من خلال الهداه الذين اختارهم الله لتولّى مسؤوليه هدايه العباد و ذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفه و إعطاء الارشادات اللازمه لكلّ مرافق الحياه.

و قد حمل الأنبياء و أوصياؤهم مشعل الهدايه الربّانيه منذ فجر التاريخ و على مدى العصور و القرون،و لم يترك الله عباده مهملين دون حجه هاديه و علم مرشد و نور مضيء،كما أفصحت نصوص الوحي-مؤييده لدلائل العقل-بأنّ الأرض لا تخلو من حجه لله على خلقه،لئلا يكون للناس على الله حجّه،فالحجّه قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق،و لو لم يبق فى الأرض إلا اثنان لكان أحدهما الحجّه،و صرح القرآن-بشكل لا يقبل الريب-قائلا:

إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ [الرعد(١٣):٧].

و يتولّى أنبياء الله و رسله و أوصياؤهم الهداه المهديون مهمه الهدايه بجميع مراتبها،و التى تتلخّص فى:

١-تلقى الوحي بشكل كامل و استيعاب الرساله الإلهيه بصوره دقيقه.

و هذه المرحله تتطلب الاستعداد التام لتلقى الرساله،و من هنا يكون الاصطفاء الإلهي لرسله شأننا من شؤونه،كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلا: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ [الانعام(٦):١٢٤]و اللَّهُ يَجْتَبِي مَنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ [آل عمران(٣):١٧٩].

٢-إبلاغ الرسالة الإلهية الى البشرية و لمن ارسلوا إليه،و يتوقف الإبلاغ على الكفاءة التامة التي تتمثل في «الاستيعاب و الإحاطة اللازمه»بتفاصيل الرسالة و أهدافها و متطلباتها،و«العصمه»عن الخطأ و الانحراف معاً،قال تعالى: **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ [البقره(٢):٢١٣].**

٣-تكوين امه مؤمنه بالرساله الإلهيه،و إعدادها لدعم القياده الهاديه من أجل تحقيق أهدافها و تطبيق قوانينها في الحياه،و قد صرحت آيات الذكر الحكيم بهذه المهمه مستخدمه عنواني التزكيه و التعليم،قال تعالى: **يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ [الجمعه(٦٢):٢]**و التزكيه هي التريه باتجاه الكمال اللائق بالإنسان.و تتطلب التريه القدوه الصالحه التي تتمتع بكل عناصر الكمال،كما قال تعالى: **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [الاحزاب:(٣٣):٢١].**

٤-صيانه الرساله من الزيغ و التحريف و الضياع في الفتره المقرره لها، و هذه المهمه أيضا تتطلب الكفاءه العلميه و النفسيه.و التي تسمى العصمه.

٥-العمل لتحقيق أهداف الرساله المعنويه و تثبيت القيم الأخلاقيه في نفوس الأفراد و أركان المجتمعات البشريه و ذلك بتنفيذ الاطروحه الربانيه، و تطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشري من خلال تأسيس كيان سياسى يتولى إداره شؤون الامه على أساس الرساله الربانيه للبشريه،و يتطلب التنفيذ قياده حكيمة،و شجاعه فائقه،و صمودا كبيرا،و معرفه تامه بالنفوس و بطبقات المجتمع و التيارات الفكرية و السياسيه و الاجتماعيه و قوانين الإدارة و التريه و سنن الحياه،و نلخصها في الكفاءه العلميه لإداره دوله عالميه دينيه،هذا فضلا عن العصمه التي تعبر عن الكفاءه النفسيه التي تصون القياده

الدينه من كل سلوك منحرف أو عمل خاطئ بإمكانه أن يؤثر تأثيراً سلبياً على مسيره القياده و انقياد الامه لها بحيث يتنافى مع أهداف الرساله و أغراضها.

و قد سلك الأنبياء السابقون و أوصياؤهم المصطفون طريق الهدايه الدامى، و اقتحموا سبيل التريه الشاق، و تحمّلوا فى سبيل أداء المهام الرساليه كل صعب، و قدّموا فى سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهيه كل ما يمكن أن يقدمه الإنسان المتفانى فى مبدئه و عقيدته، و لم يتراجعوا لحظه، و لم يتلكأوا طرفه عين.

و قد توجّ الله جهودهم و جهادهم المستمرّ على مدى العصور برساله خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه و اله) و حمّله الأمانه الكبرى و مسؤوليه الهدايه بجميع مراتبها، طالبا منه تحقيق أهدافها. و قد خطا الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و اله) فى هذا الطريق الوعر خطوات مدهشه، و حقّق فى أقصر فتره زمنيّه أكبر نتاج ممكن فى حساب الدعوات التغييريه و الرسالات الثوريّه، و كانت حصيله جهاده و كدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلى:

١- تقديم رساله كامله للبشريه تحتوى على عناصر الديمومه و البقاء.

٢- تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ و الانحراف.

٣- تكوين امه مسلمه تؤمن بالإسلام مبدأً، و بالرسول قائداً، و بالشريعه قانوناً للحياه.

٤- تأسيس دوله إسلاميه و كيان سياسى يحمل لواء الإسلام و يطبق شريعه السماء.

٥- تقديم الوجه المشرق للقياده الربانيه الحكيمه المتمثله فى قيادته (صلّى الله عليه و اله).

و لتحقيق أهداف الرساله بشكل كامل كان من الضروري:

أ- أن تستمر القيادة الكفوءه فى تطبيق الرساله و صيانتها من أيدي العابثين الذين يتربصون بها الدوائر.

ب- أن تستمر عمليه التربيه الصحيحه باستمرار الأجيال؛ على يد مربّ كفوء علميا و نفسيا حيث يكون قدوه حسنه فى الخلق و السلوك كالرسول(صلى الله عليه و اله)، يستوعب الرساله و يجسدها فى كل حركاته و سكناته.

و من هنا كان التخطيط الإلهي يحتّم على الرسول(صلى الله عليه و اله) إعداد الصفوه من أهل بيته، و التصريح بأسمائهم و أدوارهم؛ لتسلم مقاليد الحركه النبويه العظيمه و الهدايه الربانيه الخالده بأمر من الله سبحانه و صيانه للرساله الإلهيه التى كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين و كيد الخائنين، و تربيه للأجيال على قيم و مفاهيم الشريعه المباركه التى تولّوا تبين معالمها و كشف أسرارها و ذخائرها على مرّ العصور، و حتى يرث الله الأرض و من عليها.

و تجلّى هذا التخطيط الرباني فى ما نصّ عليه الرسول(صلى الله عليه و اله) بقوله: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله و عترتي، و إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض».

و كان أئمه أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عرفهم النبي الأكرم(صلى الله عليه و اله) بأمر من الله تعالى لقياده الامه من بعده.

إن سيره الأئمه الاثنى عشر من أهل البيت(عليهم السلام) تمثل المسيره الواقعيه للاسلام بعد عصر الرسول(صلى الله عليه و اله)، و دراسه حياتهم بشكل مستوعب تكشف لنا عن صورته مستوعبه لحركه الاسلام الأصيل الذى أخذ يشق طريقه إلى أعماق الامه بعد أن أخذت طاقتها الحراريه تتضاءل بعد وفاه الرسول(صلى الله عليه و اله)،

فأخذ الأئمة المعصومون (عليهم السّلام) يعملون على توعيه الامه و تحريك طاقتها باتجاه إيجاد و تصعيد الوعي الرساليّ للشريعه و لحركه الرسول (صلى الله عليه و اله) و ثورته المباركه، غير خارجين عن مسار السنن الكونيه التي تتحكّم فى سلوك القياده و الامه جمعاء.

و تبلورت حياه الأئمة الراشدين فى استمرارهم على نهج الرسول العظيم و انفتاح الامه عليهم و التفاعل معهم كأعلام للهدايه و مصابيح لإناره الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلاء على الله و على مرضاته، و المستقرّين فى أمر الله، و التامّين فى محبته، و الدائبين فى الشوق اليه، و السابقين إلى تسلّق قمم الكمال الإنسانيّ المنشود.

و قد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد و الصبر على طاعه الله و تحمّل جفاء أهل الجفاء حتّى ضربوا أعلى أمثله الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالى، ثم اختاروا الشهاده مع العزّ على الحياه مع الدلّ، حتى فازوا بقاء الله سبحانه بعد كفاح عظيم و جهاد كبير.

و لا يستطيع المؤرّخون و الكتّاب أن يلمّوا بجميع زوايا حياتهم العطره و يدّعوا دراستها بشكل كامل، و من هنا فإنّ محاولتنا هذه إنّما هى إعطاء قبسات من حياتهم، و لقطات من سيرتهم و سلوكهم و مواقفهم التي دوّنها المؤرّخون و استطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسه و التحقيق، عسى الله أن ينفع بها إنّه وليّ التوفيق.

إنّ دراستنا لحركه أهل البيت (عليهم السّلام) الرساليه تبدء برسول الإسلام و خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و اله) و تنتهى بخاتم الأوصياء، محمد بن الحسن العسكري المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه و أنار الأرض بعدله.

و يختص هذا الكتاب بدراسه حياه الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين (عليه السّلام) و هو المعصوم السادس من أعلام الهدايه و الرابع من الأئمه الأثنى عشر بعد رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و الذي جسّد الاسلام المحمّدى بكل أبعاده فى حياته الفرديه و الاجتماعيه فى ظروف اجتماعيه و سياسيه عصبيه فحقق القيم الاسلاميه المثلى فى الفكر و العقيدة و الخلق و السلوك و كان نبراسا يشعّ ايمانا و طهرا و بهاء للعالمين.

و لا بدّ لنا من تقديم الشكر الى كلّ الاخوه الأعزاء الذين بذلوا جهدا و افرا و شاركوا فى إنجاز هذا المشروع المبارك و إخراجة إلى عالم النور، لا سيما أعضاء لجنة التأليف بإشراف سماحه السيد منذر الحكيم حفظه الله تعالى.

و لا يسعنا إلا أن نبتهل الى الله تعالى بالدعاء و الشكر لتوفيقه على إنجاز هذه الموسوعه المباركه فإنه حسنا و نعم النصير.

المجمع العالمى لأهل البيت عليهم السّلام قم المقدسه

الباب الأول

إشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

الإمام زين العابدين (عليه السلام) في سطور الفصل الثاني:

انطباعات عن شخصيه الإمام (عليه السلام) الفصل الثالث:

مظاهر من شخصيه الإمام زين العابدين (عليه السلام)

ص: ١٥

الإمام زين العابدين (عليه السلام) في سطور

*هو الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) رابع أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، و جدّه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وصيّ رسول الله (صلى الله عليه و اله)، و أوّل من أسلم و آمن برسالته، و كان منه بمنزله هارون من موسى، كما صحّ في الحديث عنه (١).

و جدّته فاطمه الزهراء بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) و بضعته، و فلذه كبده، و سيّده نساء العالمين كما كان أبوها يصفها.

*و أبوه الإمام الحسين (عليه السلام) أحد سيّدى شباب أهل الجنّة، سبط الرسول و ريحانته و من قال فيه جدّه (صلى الله عليه و اله): «حسين منّي و أنا من حسين»، و هو الذى استشهد في كربلاء يوم عاشوراء دفاعاً عن الإسلام و المسلمين.

*و هو أحد الأئمّة الاثنى عشر (عليهم السلام) الذين نصّ عليهم النبي (صلى الله عليه و اله) كما جاء في صحيحى البخارى و مسلم و غيرهما، إذ قال: «الخلفاء بعدى اثنا عشر كلّهم من قریش» (٢).

*و قد ولد الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) في سنة ثمان و ثلاثين للهجرة،

ص: ١٧

١- ((١)) صحيح مسلم: ١٢١/٧.

٢- ((٢)) إثبات الهداه: ٣٢٠/٢ حديث ١١٦.

و قيل قبل ذلك بسنه أو سنتين .

*و عاش سبعة و خمسين سنة تقريبا، قضى ما يقارب سنتين أو أربع منها فى كنف جدّه الإمام عليّ (عليه السّلام)، ثمّ ترعرع فى مدرسه عمّه الحسن و أبيه الحسين (عليهما السّلام) سبطى الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و اله)، و ارتوى من نمير العلوم النبويه، و استقى من ينبوع أهل البيت الطاهرين .

*برز على الصعيد العلمى إماما فى الدين و منارا فى العلم، و مرجعا لأحكام الشريعة و علومها، و مثالا أعلى فى الورع و العباده و التقوى، و اعترف المسلمون جميعا بعلمه و استقامته و أفضليّته، و انقاد الواعون منهم إلى زعامته و فقهه و مرجعيّته .

*كان للمسلمين عموما تعلق عاطفى شديد بهذا الإمام، و ولاء روحى عميق له، و كانت قواعده الشعبيّه ممتدّه فى كلّ مكان من العالم الإسلامى، كما يشير إلى ذلك موقف الحجيج الأعظم منه، حينما حجّ هشام بن عبد الملك (١).

*لم تكن ثقّه الائمّه بالإمام زين العابدين (عليه السّلام) -على اختلاف اتجاهاتها و مذاهبها- مقتصره على الجانب الفقهى و الروحى فحسب، بل كانت تؤمن به مرجعا و قائدا، و مفزعا فى كلّ مشاكل الحياه و قضاياها، بوصفه امتدادا لآبائه الطاهرين .

و من هنا نجد أنّ عبد الملك بن مروان قد استنجد بالإمام زين العابدين (عليه السّلام) لحلّ مشكله التعامل بالنقود الروميه إبان تهديد الملك الرومانى

ص: ١٨

١- ((١)) اختيار معرفه الرجال: ١٢٩-١٣٢ ح ٢٠٧، و الجاحظ فى البيان و التبیین: ٢٨٦/١، الأغانى: ٧٥/١٤ و ٤٠/١٩، و ابن خلكان فى وفيات الأعيان: ٣٣٨/٢ ط ايران .

*وقد قدّر للإمام زين العابدين أن يتسلّم مسؤولياته القيادية و الروحيه بعد استشهاد أبيه (عليه السّلام) فمارسها خلال النصف الثاني من القرن الأول، في مرحلة من أدقّ المراحل التي مرّت بها الامه وقتئذ، و هي المرحلة التي أعقبت موجه الفتوح الاولى، فقد امتدّت هذه الموجه بزخمها الروحي و حماسها العسكري و العقائدي، فزلزلت عروش الأكاسره و القياصره، و ضمّت شعوباً مختلفه و بلاداً واسعاً إلى الدعوه الجديده، و أصبح المسلمون قادة الجزء الأعظم من العالم المتمدّن وقتئذ خلال نصف قرن.

*تعرضت الامه الإسلاميه في عصر هذا الإمام (عليه السّلام) لخطرين كبيرين:

الخطر الأول: هو خطر الانفتاح على الثقافات المتنوعه، و الذي قد ينتهي بالامه إلى التميّع و الذوبان و فقدان أصالتها، فكان لا بدّ من عمل علمي يؤكّد للمسلمين أصالتهم الفكرية و شخصيتهم التشريعيه المتميزه المستمدّه من الكتاب و السنّه. و كان لا بدّ من تأصيل للشخصيه الاسلاميه، و ذلك من خلال زرع بذور الاجتهاد.

و هذا ما قام به الإمام علي بن الحسين (عليه السّلام) فقد بدأ حلقة من البحث و الدرس في مسجد الرسول (صلّى الله عليه و اله) و أخذ يحدّث الناس بصنوف المعرفه الإسلاميه، من تفسير و حديث و فقه و تربيّه و عرفان، وراح يفيض عليهم من علوم آباءه الطاهرين.

و هكذا تخرّج من هذه الحلقة الدرسيّه عدد مهمّ من فقهاء المسلمين،

و كانت هذه الحلقة المباركه هي المنطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس الفقه الإسلامى و كانت الأساس لحركه الفقه الناشطه.

*الخطر الثانى: هو الخطر الناجم عن موجه الرخاء و الانسياق مع ملذات الحياه الدنيا و الإسراف فى زينه هذه الحياه المحدوده، و بالتالى ضمور الشعور بالقيم الخلقية.

و قد اتخذ الإمام زين العابدين (عليه السلام) من الدعاء أساسا هذا الخطر الكبير الذى ينخر فى الشخصيه الإسلاميه و يهزها من داخلها هزاً عنيفا و يحول بينها و بين الاستمرار فى أداء رسالتها. و من هنا كانت «الصحيحه السجديه» تعبيراً صادقاً عن عمل اجتماعى عظيم كانت ضروره المرحله تفرضه على الإمام (عليه السلام)، إضافة إلى كونها تراثاً ربانياً فريداً يظلّ على مرّ الدهور مصدر عطاء و مشعل هدايه و مدرسه أخلاق و تهذيب، و تظلّ الإنسانيه بحاجه إلى هذا التراث المحمّدى العلوى، و تزداد إليه حاجه كلما ازداد الشيطان للإنسانيه إغراء و الدنيا فتنه له (1).

ص: ٢٠

١- (١) السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدّس سرّه) فى مقدمته للصحيحه السجديه.

إشارة

انطباعات عن شخصيته الإمام زين العابدين (عليه السلام)

اتفق المسلمون على تعظيم الإمام زين العابدين (عليه السلام) و أجمعوا على الاعتراف له بالفضل، و أنه علم شاهر في هذه الدنيا، لا يدانيه أحد في فضائله و علمه و تقواه، و كان من مظاهر تبجيلهم له: أنهم كانوا يتبركون بتقبيل يده و وضعها على عيونهم (١)، و لم يقتصر تعظيمه على الذين صحبوه أو التقوا به، و إنما شمل المؤرخين على اختلاف ميولهم و اتجاهاتهم، فقد رسموا بإعجاب و إكبار سيرته، و أضفوا عليه جميع الألقاب الكريمة و النعوت الشريفه.

أقوال و آراء معاصريه فيه (عليه السلام):

عبر المعاصرون للإمام (عليه السلام) من العلماء و الفقهاء و المؤرخين بانطباعاتهم عن شخصيته، و كلها إكبار و تعظيم له، سواء في ذلك من أخلص له في الودّ أو أضمر له العداوه و البغضاء، و فيما يلي نبذه من كلماتهم:

١- قال الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري: ما رؤى في أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين (عليه السلام)... (٢).

ص: ٢١

١- (١) العقد الفريد: ٢/٢٥١.

٢- (٢) حياه الإمام زين العابدين، دراسه و تحليل: ١/١٢٦.

٢- كان عبد الله بن عباس على تقدّمه فى السنّ يجلّ الإمام (عليه السّلام) و ينحنى خضوعاً له و تكريماً، فإذا رآه قام تعظيماً و رفع صوته قائلاً: مرحباً بالحبيب ابن الحبيب (١).

٣- وصف محمّد بن مسلم القرشى الزهرى بالفقيه، و أحد الأئمّة الأعلام و عالم الحجاز و الشام (٢) و قد كان على خطّ غير أهل البيت (عليهم السّلام) و لكنّه أدلى بمجموعه من الكلمات القيّمه أعرب فيها عمّا يتصف به الإمام (عليه السّلام) من القيم الكريمة و المثل العظيمة، و هذه بعض كلماته:

أ- ما رأيت هاشمياً مثل علىّ بن الحسين... (٣).

ب- لم أدرك فى أهل البيت رجلاً كان أفضل من على بن الحسين (٤).

ج-... ما رأيت أحداً أفقه منه ٥.

٤- سعيد بن المسيّب: و هو من الفقهاء البارزين فى يثرب، و قال عنه الرواه: إنّه ليس من التابعين من هو أوسع منه علماً (٥)، و قد صحب الإمام (عليه السّلام) و وقف على ورعه، و شدّه تحرّجه فى الدين، و قد سجّل ما رآه بهذه الكلمات:

أ- ما رأيت قطّ أفضل من علىّ بن الحسين (عليه السّلام)، و ما رأيت قطّ إلاّ مقتّ نفسى... (٦).

ب- ما رأيت أروع منه... (٧).

ج- كان سعيد جالساً و إلى جانبه فتى من قریش، فطلع الإمام (عليه السّلام) فسأل

ص: ٢٢

١- ((١)) تاريخ دمشق: ١٤٧/٣٦، و تذكره الخواص: ٣٢٤.

٢- ((٢)) تهذيب التهذيب: ٤٤٥/٩.

٣- ((٣)) الأغاني: ٣٢٥/١٥.

٤- ((٤ و ٥)) شذرات الذهب: ١٠٥/١.

٥- ((٥)) تهذيب التهذيب: ٨٥/٤.

٦- ((٦)) تاريخ يعقوبى: ٤٦/٣.

٧- ((٧)) العبر فى خبر من غبر: ١١١/١.

القريشي سعيدا عنه، فأجابه سعيد: هذا سيّد العابدين (١).

٥- زيد بن أسلم: و كان في طليعه فقهاء المدينة، و من مفسري القرآن (٢)، و قد أدلى بعدّه كلمات بشأن الإمام (عليه السلام) منها:

أ- ما جالست في أهل القبله مثله (٣).

ب- ما رأيت مثل عليّ بن الحسين فيهم (أي: في أهل البيت) ٤.

ج- ما رأيت مثل عليّ بن الحسين فهما حافظا (٤).

٦- حماد بن زيد: و هو من أبرز فقهاء البصره، اعتبر من أئمه المسلمين (٥)، قال فيه: كان عليّ بن الحسين أفضل هاشمي أدركته (٦).

٧- يحيى بن سعيد: و هو من كبار التابعين، و من أفاضل الفقهاء و العلماء (٧)،

و قد قال: سمعت عليّ بن الحسين و كان أفضل هاشمي رأيت (٨).

٨- لقد تعدّى الاعتراف بالفضل للإمام (عليه السلام) إلى أعدائه و مبغضيه، فهذا يزيد بن معاويه و بعد أن ألح عليه أهل الشام في أن يخطب الإمام (عليه السلام) أبدى مخاوفه منه قائلاً: إنّه من أهل بيت زوّوا العلم زقاً، إنّه لا ينزل إلّا بفضيحتي و فضيحه آل أبي سفيان... (٩)

ص: ٢٣

-
- ١- (١) الفصول المهمه: ١٨٩.
 - ٢- (٢) تهذيب التهذيب: ٣٩٥/٣.
 - ٣- (٣ و ٤) حياه الإمام زين العابدين: ١٢٩/١ عن تأريخ دمشق: ١٢/١ ق ١/الورقه ١٩.
 - ٤- (٥) طبقات الفقهاء: ٣٤/٢.
 - ٥- (٦) تهذيب التهذيب: ٩/٣.
 - ٦- (٧) تهذيب اللغات و الأسماء، القسم الأول: ٣٤٣.
 - ٧- (٨) حياه الإمام زين العابدين (دراسه و تحليل): ١٣٠/١ عن تهذيب التهذيب.
 - ٨- (٩) المصدر السابق عن تهذيب الكمال م ٧/٢ ق ٢/الورقه ٣٣٦.
 - ٩- (١٠) نفس المهموم: ٤٤٨-٤٥٢ ط قم عن مناقب آل أبي طالب: ١٨١/٤ عن كتاب الأحمر عن الأوزاعي: الخطبه بدون المقدمه، و المقدمه عن الكامل للبهائي: ٢٩٩/٢-٣٠٢ و انظر حياه الإمام زين العابدين للقرشي: ١٧٥/١.

٩-عبد الملك بن مروان: وهذا عدوّ آخر يقول للإمام (عليه السّلام):...إنّك لذو فضل عظيم على أهل بيتك و عصرك، ولقد اوتيت من الفضل و العلم و الدين و الورع ما لم يؤته أحد مثلك و لا قبلك إلا من مضى من سلفك... (١).

١٠-منصور الدوانقي: وهذا عدوّ آخر أيضا لأهل البيت (عليهم السّلام) قد أشاد بفضل الإمام (عليه السّلام) في رسالته إلى ذى النفس الزكية بقوله: و لم يولد فيكم (أى فى العلويين) بعد وفاه رسول الله (صلّى الله عليه و اله) مولود مثله (أى مثل زين العابدين) (٢).

آراء العلماء و المؤرخين فيه (عليه السّلام):

١-قال يعقوبى: كان أفضل الناس و أشدّهم عباده، و كان يسمّى: زين العابدين، و كان يسمّى أيضا: ذا الثغفات، لما كان فى وجهه من أثر السجود... (٣).

٢-قال الحافظ أبو القاسم على بن الحسن الشافعى المعروف بابن عساكر: فى ترجمه الإمام (عليه السّلام): كان على بن الحسين ثقّه مأمونا، كثير الحديث، عاليا رفيعا... (٤).

٣-قال الذهبى: كانت له جلاله عجيبه، و حقّ له و الله ذلك، فقد كان أهلا للإمامه العظمى؛ لشرفه و سؤدده و علمه و تألّه و كمال عقله... (٥).

٤-قال الحافظ أبو نعيم: قال: على بن الحسين بن على بن أبى طالب (عليهم السّلام)

ص: ٢٤

١- (١) بحار الأنوار: ٧٥/٤٦.

٢- (٢) الكامل للمبرد: ٤٦٧/٢، العقد الفريد: ٣١٠/٥.

٣- (٣) تاريخ يعقوبى: ٤٦/٣.

٤- (٤) تاريخ دمشق: ١٤٢/٣٦.

٥- (٥) سير أعلام النبلاء: ٢٤٠/٤.

زين العابدين و منار القانتين، كان عابدا وفيا و جوادا صفتيا... (١).

٥- قال صفى الدين: كان زين العابدين عظيم الهدى و السميت الصالح... (٢).

٦- قال النووى: و أجمعوا على جلالته فى كل شىء... (٣).

٧- قال عماد الدين إدريس القرشى: كان الإمام على بن الحسين زين العابدين أفضل أهل بيت رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و أشرفهم بعد الحسن و الحسين عليهم جميعا الصلاة و السلام، و أكثرهم ورعا و زهدا و عباده (٤).

٨- قال النسابة الشهير ابن عنبه: و فضائله (عليه السلام) أكثر من أن تحصى أو يحيط بها الوصف (٥).

٩- قال الشيخ المفيد: كان على بن الحسين أفضل خلق الله بعد أبيه علما و عملا، و قال: قد روى عنه فقهاء العامّة من العلوم ما لا يحصى كثره، و حفظ عنه من المواعظ و الأدعية و فضائل القرآن و الحلال و الحرام و المغازى و الأيام ما هو مشهور بين العلماء... (٦).

١٠- و قال ابن تيمية: أما على بن الحسين فمن كبار التابعين و ساداتهم علما و ديناً... و له من الخشوع و صدقه السرّ و غير ذلك من الفضائل ما هو معروف (٧).

١١- قال الشيخانى القادري: سيدنا زين العابدين على بن الحسين بن أبى طالب اشتهرت أياديه و مكارمه، و طارت بالجوّ فى الجود محاسنه، عظيم القدر، رحب الساحة و الصدر، و له الكرامات الظاهره ما شوهد بالأعين الناظره

ص: ٢٥

١- (١) حليه الأولياء: ٣/١٣٣.

٢- (٢) وسيله المآل فى عدّ مناقب الآل: ٢٨٠.

٣- (٣) عن تهذيب اللغات و الأسماء: ق ١/٣٤٣.

٤- (٤) عيون الأخبار و فنون الآثار: ١٤٤.

٥- (٥) عمدته الطالب: ١٩٣.

٦- (٦) الإرشاد: ٢/١٣٨ و ١٥٣.

٧- (٧) منهاج السنّه: ٢/١٢٣.

و ثبت بالآثار المتواتره... (١).

١٢- قال محمد بن طلحه القرشي الشافعي: هذا زين العابدين، قدوه الزاهدين، وسيد المتقين، وإمام المؤمنين، شيمته تشهد له أنه من سلاله رسول الله (صلى الله عليه و اله) و ستمه يثبت مقام قربه من الله زلفاً، و ثنناته تسجل له كثره صلواته و تهجده، و إعراضه عن متاع الدنيا ينطق بزهده فيها، درّت له أخلاق التقوى فتفوقها، و أشرقت له أنوار التأييد فاهتدى بها، و آلفته أوراد العباده فأنس بصحبته، و حالفته و ظايف الطاعه فتحلّى بحليتها، طالما اتّخذ الليل مطيّه ركبها لقطع طريق الآخره، و ضمّاً الهواجر دليلاً استرشد به فى مسافه المسافره، و له من الخوارق و الكرامات ما شوهد بالأعين الباصره و ثبت بالآثار المتواتره و شهد له أنه من ملوك الآخره... (٢).

١٣- قال الإمام الشافعي: إنّ عليّ بن الحسين أفضه أهل المدينه (٣).

١٤- قال الجاحظ: و أمّا عليّ بن الحسين فلم أر الخارجى فى أمره إلا كالشيعى، و لم أر الشيعى إلا كالمعتزلى، و لم أر المعتزلى إلا كالعامى، و لم أر العامى إلا كالخاصى، و لم أجد أحدا يمارى فى تفضيله و يشك فى تقديمه... (٤).

١٥- قال سبط ابن الجوزى: و هو أبو الأئمه و كنيته أبو الحسن و يلقب بزین العابدين و سمّاه رسول الله (صلى الله عليه و اله) سيد العابدين... و السجاده و ذى الثننات، و الزكى و الأمين، و الثننات: ما يقع على الأرض من أعضاء البعير إذا استناخ و غلظ كالركبتين فكان طول السجود قد أثر فى ثنناته (٥).

ص: ٢٦

١- ((١)) الصراط السوى الورقه ١٩.

٢- ((٢)) مطالب السؤل: ٤١/٢.

٣- ((٣)) رسائل الجاحظ: ١٠٦.

٤- ((٤)) عمده الطالب: ١٩٣-١٩٤.

٥- ((٥)) تذكره الخواص: ٣٢٤.

إشاره

مظاهر من شخصيه الإمام زين العابدين (عليه السلام)

الحلم:

كان الإمام من أعظم الناس حلما، وأكظمهم للغيظ، فمن صور حلمه التي رواها المؤرخون:

١- كانت له جاريه تسكب على يديه الماء إذا أراد الوضوء للصلاه، فسقط الإبريق من يدها على وجهه الشريف فشجّه، فبادرت الجاريه قائله: إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَأَسْرَعَ الْإِمَامَ قَاتِلًا- «كظمت غيظي»، وطمعت الجاريه في حلم الإمام ونبله، فراحت تطلب منه المزيد قائله:

وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ فَقَالَ الْإِمَامُ (عليه السلام): «عَفَا اللَّهُ عَنْكَ»، ثم قالت: وَاللَّهِ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ فقال (عليه السلام) لها: «إذهبي فأنت حرّه» (١).

٢- سبه لثيم فأشاح (عليه السلام) بوجهه عنه، فقال له اللثيم: إياك أعنى... وأسرع الإمام قاتلا: «و عنك اغضى...» و تركه الإمام و لم يقابله بالمثل (٢).

٣- و من عظيم حلمه (عليه السلام): أن رجلا افتري عليه و بالغ في سبه،

ص: ٢٧

١- (١) أمالي الصدوق: ١٦٨ ح ١٢ و الارشاد: ١٤٦/٢، و مناقب آل أبي طالب: ١٥٧/٤، تاريخ دمشق: ١٥٥/٣٦ و ابن منظور في مختصره: ٢٤٠/١٧، و

سير أعلام النبلاء: ٣٩٧/٤، و نهاية الارب: ٣٢٦/٢١.

٢- (٢) مناقب آل أبي طالب: ١٧١/٤، و البدايه و النهايه: ١٠٥/٩.

فقال (عليه السلام) له: «إِنْ كُنَّا كَمَا قَلْتَ فَتَسْتَغْفِرُ اللَّهُ، وَإِنْ لَمْ نَكُنْ كَمَا قَلْتَ فَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ...» ١.

السَّخَاءُ:

أجمع المؤرِّخون على أنَّه كان من أسخى الناس و أندا هم كفا، و أبرهم بالفقراء و الضعفاء، و قد نقلوا نوادر كثيره من فيض جوده، منها:

١- مرض محمّد بن اسامه فعاده الإمام (عليه السّلام)، و لَمَّا استقرّ به المجلس أجهش محمّد بالبكاء، فقال له الإمام (عليه السّلام): ما بيكيك؟ فقال: عليّ دين، فقال له الإمام: كم هو؟ فأجاب: خمسه عشر ألف دينار، فقال له الإمام (عليه السّلام): هي عليّ، و لم يقم الإمام من مجلسه حتى دفعها له ٢.

٢- و من كرمه و سخائه أنَّه كان يطعم الناس إطعاما عامّا في كلّ يوم، و ذلك في وقت الظهر في داره ٣.

٣- و كان يعول مائه بيت في السّرّ، و كان في كلّ بيت جماعه من الناس ٤.

تعامله مع الفقراء:

أ- تكريمه للفقراء: كان (عليه السلام) يحتفي بالفقراء و يرعى عواطفهم و مشاعرهم، فكان إذا أعطى سائلا قبله، حتى لا يرى عليه أثر الذلّ

و الحاجة (١)؛ و كان إذا قصده سائل رَحِب به و قال له: «مرحبا بمن يحمل زادى إلى دار الآخرة» (٢).

ب-عطفه على الفقراء: كان (عليه السّلام) كثير العطف و الحنان على الفقراء و المساكين، و كان يعجبه أن يحضر على مائده طعامه اليتامى و الأضراء و الزمنى و المساكين الذين لا حيله لهم، و كان يناولهم بيده، كما كان يحمل لهم الطعام أو الحطب على ظهره حتى يأتي بابا من أبوابهم فيناولهم إيّاه (٣). و بلغ من مراعاته لجانب الفقراء و العطف عليهم أنّه كره اجتذاذ النخل فى الليل؛ و ذلك لعدم حضور الفقراء فى هذا الوقت فيحرمون من العطاء، فقد قال (عليه السّلام) لقهرمانه و قد جدّ نخلا له من آخر الليل: «لا تفعل، ألا تعلم أنّ رسول الله (صلى الله عليه و اله) نهى عن الحصاد و الجذاذ بالليل؟!». و كان يقول: «الضغث تعطيه من يسأل فذلك حقه يوم حصاده» (٤).

ج- نهيه عن ردّ السائل: و نهى الإمام (عليه السّلام) عن ردّ السائل؛ و ذلك لما له من المضاعفات السيّئه التى منها زوال النعمه و فجأه النقمه.

و أكد الإمام (عليه السّلام) على ضروره ذلك فى كثير من أحاديثه، فقد روى أبو حمزه الثمالى، قال: صليت مع علىّ بن الحسين الفجر بالمدينه يوم جمعه، فلتمّيا فرغ من صلاته نهض إلى منزله و أنا معه، فدعا مولاه له تسمّى سكينه، فقال لها: «لا- يعبر على بابى سائل إلاّ أطعمتموه فإنّ اليوم جمعه»، فقال له أبو حمزه: ليس من يسأل مستحقا، فقال (عليه السّلام): «أخاف أن يكون بعض من يسألنا مستحقا فلا نطعمه،

ص: ٢٩

١- (١) حليه الأولياء: ١٣٧/٣، و عنه فى مناقب آل أبى طالب: ١٦٧/٤.

٢- (٢) كشف الغمه: ٢٨٨/٣ عن مطالب السؤل للشافعى عن حليه الأولياء للاصفهانى.

٣- (٣) مناقب آل أبى طالب: ١٦٦/٤ و ١٦٧ عن الباقر (عليه السّلام).

٤- (٤) بحار الأنوار: ٦٢/٤٦.

و نرّده فينزل بنا أهل البيت ما نزل بيعقوب و آله، أطمعموهم، أطمعموهم، إنّ يعقوب كان يذبح كلّ يوم كبشاً فيتصدّق منه، و يأكل منه هو و عياله، و إنّ سائلاً مؤمناً صوّماً مستحقّاً، له عند الله منزله اجتاز على باب يعقوب يوم جمعه عند أوان إفطاره، فجعل يهتف على بابه:

أطعموا السائل الغريب الجائع من فضل طعامكم، و هم يسمعون، قد جهلوا حقّه، و لم يصدّقوا قوله، فلَمّا ينس منهم و غشيه الليل مضى على وجهه، و بات طاوياً يشكو جوعه إلى الله، و بات يعقوب و آل يعقوب شباعاً بطاناً و عندهم فضله من طعامهم، فأوحى الله إلى يعقوب في صبيحه تلك الليلة: لقد أذلت عبدى ذله استجرت بها غضبي، و استوجبت بها أدبى و نزول عقوبتي، و بلواى عليك و على ولدك، يا يعقوب أحبّ أنبيائي إلّى و أكرمهم علىّ من رحم مساكين عبادى و قربهم إليه و أطمعهم و كان لهم مأوى و ملجأ، أما رحمت عبدى المجتهد فى عبادته، القانع باليسير من ظاهر الدنيا؟! أما و عزّتى لأنزلنّ بك بلواى، و لأجعلنّك و ولدك غرضاً للمصائب. فقال أبو حمزه: جعلت فداك متى رأى يوسف الرؤيا؟ قال (عليه السلام): فى تلك الليلة التى بات فيها يعقوب و آله شباعاً و بات السائل الفقير طاوياً جائعاً» (١).

صدقاته:

و كان من أعظم ما يصبو إليه الامام زين العابدين (عليه السلام) فى حياته الصدقه على الفقراء لانعاشهم و رفع البؤس عنهم، و كان (عليه السلام) يحثّ على الصدقه؛ و ذلك لما يترتب عليها من الأجر الجزيل، فقد قال: «ما من رجل تصدّق على مسكين مستضعف فدعا له المسكين بشيء فى تلك الساعه إلاّ استجيب له» (٢).

و نشير إلى بعض ألوان صدقاته و جميل خصاله:

ص: ٣٠

١- (١) علل الشرائع: ١/٦١ ب ٤٢ ح ١ ط بيروت.

٢- (٢) وسائل الشيعه: ٢٩٦/٦.

أ-التصدّق بثيابه: كان (عليه السّلام) يلبس في الشتاء الخزّ، فإذا جاء الصيف تصدّق به أو باعه و تصدّق بثمنه، و كان يلبس في الصيف ثوبين من متاع مصر و يتصدّق بهما إذا جاء الشتاء (١)، و كان يقول: «إني لأستحي من ربّي أن آكل ثمن ثوب قد عبدت الله فيه» (٢).

ب-التصدّق بما يحبّ: كان يتصدّق باللوز و السكر، فسئل عن ذلك فتلا قوله تعالى: لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ (٣).

و روى أنّه كان يعجبه العنب، و كان صائماً فقدّمت له جاريتته عنقوداً من العنب وقت الإفطار، فجاء سائل فأمر بدفعه إليه، فبعثت الجارية من اشتراه منه، و قدّمته إلى الامام، فطرق سائل آخر الباب، فأمر (عليه السّلام) بدفع العنقود إليه، فبعثت الجارية من اشتراه منه و قدّمته للإمام، فطرق سائل ثالث الباب فدفعه الإمام إليه (٤).

ج-مقاسمه أمواله: و قاسم الإمام أمواله مرّتين فأخذ قسماً له، و تصدّق بالقسم الآخر على الفقراء و المساكين (٥).

ص: ٣١

١- ((١)) تاريخ دمشق: ١٦١/٣٦.

٢- ((٢)) مناقب آل أبي طالب: ١٦٧/٤ عن حليه الأولياء: ١٣٦/٣-١٤٠.

٣- ((٣)) مناقب آل أبي طالب: ١٦٧/٤.

٤- ((٤)) المحاسن: ٣٦١/٢ طبعه المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السّلام)، و فروع الكافي: ٣٥٠/٦.

٥- ((٥)) مناقب آل أبي طالب: ١٦٧/٤ عن حليه الأولياء: ١٤٠/٣، و جمهره الأولياء: ٧١/٢، و خلاصه تهذيب الكمال: ٢٣١.

د-صدقاته في السرّ: و كان أحبّ شيء عند الإمام (عليه السّلام) الصدقه في السرّ، لئلاّ يعرفه أحد، وقد أراد أن يربط نفسه و من يعطيهم من الفقراء برباط الحبّ في الله تعالى، و توثيقا لصلته بإخوانه الفقراء بالإسلام، و كان يحثّ على صدقه السرّ و يقول: «إنّها تطفئ غضب الربّ» (١).

و قد اعتاد الفقراء على صله لهم في الليل، فكانوا يقفون على أبوابهم ينتظرونه، فإذا رأوه تباشروا و قالوا: جاء صاحب الجراب (٢).

و كان له ابن عم يأتيه بالليل فيناوله شيئا من الدنانير فيقول له العلوي: إنّ عليّ بن الحسين لا يوصلني، و يدعو عليه، فيسمع الإمام ذلك و يغضى عنه، و لا يعرفه بنفسه، و لما توفّي (عليه السّلام) فقد الصله، فعلم أنّ الذي كان يوصله هو الإمام عليّ بن الحسين (عليه السّلام) فكان يأتي قبره باكيا و معتذرا منه (٣).

و قال ابن عائشه: سمعت أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقه السرّ حتى مات عليّ بن الحسين (٤).

و كان (عليه السّلام) شديد التكتّم في صلاته و هباته، فكان إذا ناول أحدا شيئا غطّى وجهه لئلاّ يعرفه (٥).

و قال الذهبي: إنّ كان كثير الصدقه في السرّ (٦).

ص: ٣٢

١- ((١)) مناقب آل أبي طالب: ١٦٥/٤ عن الثمالي و الثوري، و في تذكره الحفاظ: ٧٥/١ و اخبار الدول: ١١٠ و نهايه الإرب: ٣٢٦/٢١، و كشف الغمه: ٢٨٩/٢ عن مطالب السؤل عن حليه الأولياء. و في الكشف: ٣١٢/٢ عن الجنابذي عن الثوري عنه (عليه السّلام) كان يقول: إنّ الصدقه تطفئ غضب الرب. بدون قيد السرّ.

٢- ((٢)) مناقب آل أبي طالب: ١٦٦/٤.

٣- ((٣)) كشف الغمه: ٣١٩/٢ عن نثر الدرر للآبي.

٤- ((٤)) حليه الأولياء و عنه في مناقب آل أبي طالب: ١٦٦/٤ و كشف الغمه: ٢٩٠/٢ عن مطالب السؤل عن الحليه: ١٣٦/٤ و في البدايه و النهايه لابن كثير: ١١٤/٩، و صفه الصفوه: ٥٤/٢، الإتحاف بحب الأشراف: ٤٩ و الأغاني: ٣٢٦/١٥.

٥- ((٥)) مناقب آل أبي طالب: ١٦٦/٤ عن الباقر (عليه السّلام).

٦- ((٦)) تذكره الحفاظ: ٧٥/١.

وكان (عليه السلام) يجعل الطعام الذي يوزّعه على الفقراء في جراب و يحمله على ظهره، وقد ترك أثرا عليه (١).

هـ- ابتغاؤه مرضاه الله: لم يكن الإمام (عليه السلام) يبتغي في بزه و إحسانه إلى الفقراء إلا وجه الله عزّ و جلّ و الدار الآخرة، و لم تكن عطاياه و صدقاته (عليه السلام) مشوبه بأيّ غرض من أغراض الدنيا.

قال الزهري: رأيت عليّ بن الحسين في ليله بارده و هو يحمل على ظهره دقيقا، فقلت له: يا بن رسول الله! ما هذا؟ فأجابته (عليه السلام): «أريد سفرا، أعدّ له زادا أحمله إلى موضع حرير» فقال: هذا غلامى يحمله عنك، فامتنع الإمام من إجابتها، و تصرّح الزهري إليه أن يحمله هو بنفسه عنه، إلا أن الإمام أصرّ على ما ذهب إليه، و قال له: «و لكننى لا أرفع نفسى عمّا ينجينى فى سفرى، و يحسن ورودى على ما أرد عليه، أسألك بحق الله لَمَا مضيت لحاجتك».

و انصرف الزهري عن الإمام، و بعد أيام التقى به، و قد ظنّ أنه كان على جناح سفر و لم يع مراده فقال له: يا بن رسول الله، لست أرى لذلك السفر الذى تركته أثرا.

فأجابته الإمام (عليه السلام): «يا زهري، ليس ما ظننت، و لكنّه الموت و له أستعدّ، إنّما الاستعداد للموت تجنّب الحرام و بذل الندى فى الخير» (٢).

العزّه و الإباء:

و من صفات الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) العزّه و الإباء،

ص: ٣٣

١- (١) تاريخ يعقوبى: ٣٠٣/٢ ط بيروت.

٢- (٢) علل الشرائع: ٢٧/١ و عنه فى بحار الأنوار: ٤٦/٤٥-٤٦.

فقد ورثها من أبيه الحسين سيد الشهداء (عليه السلام) الذي تحدّى طغاه عصره قائلاً:

«و الله لا اعطيكم بيدي إعطاء الدليل، و لا أقزّ لكم إقرار العبيد» (١).

و قد تمثّلت هذه الظاهره الكريمه فى شخصيّه الإمام زين العابدين (عليه السلام) فى قوله: «ما أحبّ أنّ لى بذلّ نفسى حمر النعم» (٢).

و قال فى عزه النفس: «من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا» (٣).

و يقول المؤرخون: إنّ أحدهم أخذ منه بعض حقوقه بغير حق، و كان الإمام (عليه السلام) بمكّه، و كان الوليد بن عبد الملك حينئذ متربعا على كرسى الخلافة و قد حضر موسم الحج، فقيل له: لو سألت الوليد أن يردّ عليك حقك؟ فقال لهم كلمته الخالده فى دنيا العزّ و الإياء: «ويحك أفى حرم الله عزّ و جلّ أسأل غير الله عزّ و جلّ؟! إنى آنف أن أسأل الدنيا من خالقها، فكيف أسألها مخلوقا مثلى؟!» (٤).

و من عزّته: أنّه ما أكل بقربته من رسول الله (صلى الله عليه و آله) درهما قطّ (٥).

الزهد:

لقد اشتهر فى عصره (عليه السلام) أنّه من أزهّد الناس حتى أنّ الزهريّ حينما سئل عن أزهّد الناس قال: عليّ بن الحسين (٦).

و رأى (عليه السلام) سائلا يبكى فتألّم له وراح يقول: «لو أنّ الدنيا كانت فى كفّ هذا

ص: ٣٤

١- (١) وقعه الطف: ٢٠٩.

٢- (٢) الكافي: ١٠٩/٢ و ١١١ و الخصال: ٢٣/١ و عن الكافي فى بحار الأنوار: ٤٠٦/٧١ و معه بيان المؤلف فى صفحه كامله.

٣- (٣) بحار الأنوار: ١٣٥/٧٨.

٤- (٤) بحار الأنوار: ٤٦٤/٤٦ عن علل الشرائع: ٢٧٠/١ ط بيروت.

٥- (٥) مجالس ثعلب ٢: ٤٦٢، و عنه فى حياه الإمام زين العابدين للقرشى: ٨١/١ و فى مناقب آل أبى طالب: ١٧٥/٤ عن نافع: شيئا، بدل: درهما.

٦- (٦) بحار الأنوار: ٤٦٢/٤٦ عن علل الشرائع: ٢٧٠/١ ط بيروت.

ثم سقطت منه لما كان ينبغي له أن يبكي عليها» (١).

وقال سعيد بن المسيب: كان علي بن الحسين (عليه السلام) يعظ الناس ويزهدهم في الدنيا ويرغبهم في أعمال الآخرة بهذا الكلام في كل جمعه في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحفظ عنه وكتب، وكان يقول:

«أيها الناس، اتقوا الله واعلموا أنكم إليه ترجعون... يا ابن آدم، إن أجلك أسرع شيء إليك، قد أقبل نحوك حثيثا يطلبك ويوشك أن يدركك، وكان قد أوفيت أجلك وقبض الملك روحك وصرت إلى قبرك وحيدا، فرد اليك فيه روحك، واقتحم عليك فيه ملكان ناكر و نكير لمساءلتك و شديد امتحانك... فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن الله عز وجل لم يحب زهره الدنيا و عاجلها لأحد من أوليائه، و لم يرغبهم فيها و في عاجل زهرتها و ظاهر بهجتها، وإنما خلق الدنيا و أهلها ليلوهم فيها أيهم أحسن عملا لآخرته، و أيم الله لقد ضرب لكم فيه الأمثال، و عزف الآيات لقوم يعقلون، و لا قوه إلا بالله، فازهدوا فيما زهدكم الله عز وجل فيه من عاجل الحياه الدنيا... و لا تركنوا إلى زهره الدنيا و ما فيها ركون من اتخذها دار قرار و منزل استيطان، فإنها دار بلغه، و منزل قلعه، و دار عمل، فترودوا الأعمال الصالحه فيها قبل تفرق أيامها، و قبل الإذن من الله في خرابها... جعلنا الله و إياكم من الزاهدين في عاجل زهره الحياه الدنيا، الراغبين لأجل ثواب الآخرة، فإنما نحن به و له...» (٢).

الإنباه إلى الله تعالى:

إنّ اشتهاار الإمام بلقب زين العابدين و سيّد الساجدين ممّا يشير إلى وضوح عنصر الإنباة إلى الله و الانقطاع إليه في حياه الإمام و سيرته

ص: ٣٥

١- ((١)) كشف الغمه: ٣١٨/٢ عن نثر الدرر للآبي، و الفصول المهمه: ١٩٢.

٢- ((٢)) الكافي: ٧٢/٨-٧٦، و تحف العقول: ٢٤٩-٢٥٢.

و شخصيته.

على أن أدعيه الصحيفه السجّاديه هي الدليل الآخر على هذه الحقيقه، فإنّ إلقاء نظره سريعه و خاطفه على عناوين الأدعيه يكشف لنا مدى التجاء الإمام إلى الله في شؤون حياته، فما من موقف إلاّ و للإمام فيه دعاء و ابتهاج و تضرّع، هذا فضلا عن مضامين الأدعيه التي يكاد ينفرد بها هو (عليه السّلام) في هذه الصحيفه المعروفه و غيرها، لقد ذاب الإمام في محبّه الله و أخلص له أعظم الإخلاص، و قد انعكس ذلك على جميع حرّكاته و سكناته.

و ميّا رواه المؤرخون: أنّه اجتاز على رجل جالس على باب رجل ثريّ فبادره الإمام قائلا: «ما يقعدك على باب هذا المترف الجبار؟ فقال الرجل: البؤس (أى: الفقر)، فقال له (عليه السّلام): قم فارشدك إلى باب خير من بابه و إلى ربّ خير لك منه...»

و نهض معه الرجل إلى مسجد رسول الله (صلّى الله عليه و آله) و علّمه ما يعمله من الصلاه و الدعاء و تلاوه القرآن و طلب الحاجه من الله و الالتجاء إلى حصنه الحرّيز (١).

سيرته في بيته:

كان الإمام زين العابدين (عليه السّلام) من أرف الناس و أبرهم و أرحمهم بأهل بيته، و كان لا يتميّز عليهم، و قد اثر عنه أنّه قال: «لئن أدخل إلى السوق و معي دراهم ابتاع بها لعيالي لحما و قد قرموا (٢) أحبّ إلى من أن أعتق نسمة» (٣).

و كان يبكر في خروجه مصبحا لطلب الرزق لعياله، فقيل له: إلى أين

ص: ٣٦

١- ((١)) حياه الإمام زين العابدين (عليه السّلام) دراسه و تحليل: ٩٣/١.

٢- ((٢)) قرموا: اشتدّ شوقهم إلى اللحم.

٣- ((٣)) بحار الأنوار: ٤٦/٤٦ عن الكافي: ١٢/٢.

تذهب؟ فقال: أتصدق لعيالي قبل أن أتصدق. ثم قال: من طلب الحلال، فإنه من الله عزّ وجلّ صدقه عليهم (١).

و كان (عليه السّلام) يعين أهله في حوائجهم البيّتيه، ولا يأمر أحدا منهم فيما يخصّ شأننا من شؤونه الخاصه، كما كان يتولّى بنفسه خدمه نفسه خصوصا فيما يخصّ إلى شؤون عبادته، فإنه لم يك يستعين بها أو يعهد إلى أحد في قضائها.

مع أبويه:

و قابل الإمام المعروف الذى أسدته إليه مرّيته بكلّ ما تمكّن عليه من أنواع الإحسان، و قد بلغ من جميل برّه بها أنّه امتنع أن يؤاكلها فلامه الناس، و أخذوا يسألونه بالراح قائلين: أنت أبرّ الناس و أوصلهم رحما، فلما ذا لا تؤاكل امك؟ فأجابهم جواب من لم تشهد الدنيا مثل أدبه و كماله قائلا: «أخشى أن تسبق يدى إلى ما سبقت إليه عينها فأكون عاقا لها» (٢).

و من برّه لأبويه دعاؤه لهما، و هو من أسمى القواعد فى الترييه الإسلاميه الهادفه، و هذه مقاطع من هذه اللوحه الخالده من دعائه (عليه السّلام):

«... و اخصص اللهمّ والديّ بالكرامه لديك و الصلاه منك يا أرحم الراحمين...»

و ألهمنى علم ما يجب لهما علىّ إلهاما، و اجمع لى علم ذلك كلّه تماما، ثم استعملنى بما تلهمنى منه، و وفّقنى للنفوذ فيما تبصرنى من علمه... اللهم اجعلنى أهابهما هيبه السلطان العسوف، و أبرهما برّ الام الرؤوف، و اجعل طاعتى لوالديّ و برّى بهما أقرّ لعينى من رقه

ص: ٣٧

١- (١) بحار الأنوار: ٤٦/٤٦٧ عن الكافي: ١٢/٢.

٢- (٢) الكامل للمبرد: ٣٠٢/١، و شذرات الذهب: ١٠٥/١، و مناقب آل أبى طالب: ١٧٦/٤ عن أمالى النيشابورى.

الوسنان، و أثلج لصدري من شربه الضمان، حتى اوثر على هواي هواهما، و أقدم على رضاي رضاهما، و استكثر بزيهما بي و إن قل، و استقل بزي بهما و إن كثر، اللهم خفض لهما صوتي، و أطب لهما كلامي، و ألن لهما عريكتي، و اعطف عليهما قلبي، و صيرني بهما رفيقا و عليهما شقيقا... اللهم اشكر لهما تربيتي، و أثبهما على تكرمتي، و احفظ لهما ما حفظاه مني في صغري... اللهم لا تنسني ذكرهما في أذبار صلواتي، و في إنا من آناء ليلي، و في كل ساعه من ساعات نهاري.. اللهم صل على محمد و آله، و اغفر لي بدعائي لهما، و اغفر لهما بزيهما بي...» (١).

مع أبنائه:

أما سلوك الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) مع أبنائه فقد تميّز بالتربية الإسلامية الرفيعة لهم، فغرس في نفوسهم نزعاته الخيرة و اتجاهاته الإصلاحية العظيمة، و قد صاروا بحكم تربيتهم لهم من ألمع رجال الفكر و العلم و الجهاد في الإسلام.

فكان ولده الإمام محمد الباقر (عليه السلام) أشهر أئمة المسلمين، و أكثرهم عطاء للعلم.

و أما ولده عبد الله الباقر فقد كان من أبرز علماء المسلمين في فضله و سمو منزلته العلمية.

أما ولده زيد فقد كان من أجّل علماء المسلمين، و قد برع في علوم كثيرة كعلم الفقه و الحديث و التفسير و علم الكلام و غيرها، و هو الذي تبنى حقوق المظلومين المضطهدين، و قاد مسيرتهم الدامية في ثورته التي نشرت الوعي السياسي في المجتمع الإسلامي، و ساهمت مساهمة إيجابية و فعّالة

ص: ٣٨

و زود الإمام (عليه السلام) أبناءه ببعض الوصايا التربويه لتكون منهجا يسرون عليه، قال (عليه السلام):

١- «يا بنى، انظر خمسه فلا تصاحبهم ولا تحادثهم ولا ترافقهم فى طريق» فقال له ولده: من هم؟ قال (عليه السلام): «إياك و مصاحبه الكذاب، فإنه بمنزله السراب، يقرب لك البعيد و يبعيد لك القريب. و إياك و مصاحبه الفاسق، فإنه بايعك بأكله أو أقل من ذلك. و إياك و مصاحبه البخيل، فإنه يخذلك فى ماله، و أنت أحوج ما تكون إليه. و إياك و مصاحبه الأحمق، فإنه يريد أن ينفحك فيضرك. و إياك و مصاحبه القاطع لرحمه، فإنه وجدته ملعونا فى كتاب الله...» (٢).

٢- قال (عليه السلام): «يا بنى، اصبر على النائبه، و لا تتعرض للحقوق، و لا تجب أخاك إلى شىء مضرتك عليك أعظم من منفعتك لك...» (٣).

٣- قال (عليه السلام): «يا بنى، إن الله لم يرضك لى فأوصاك بى، و رضينى لك فحدرنى منك، و اعلم أن خير الآباء للأبناء من لم تدعه المودّه إلى التفريط فيه، و خير الأبناء للآباء من لم يدعه التقصير إلى العقوق له» (٤).

ص: ٣٩

١- (١) حياه الإمام زين العابدين، دراسه و تحليل: ٥٥-٥٦.

٢- (٢) اصول الكافى: ٣٧٦/٢، و الاختصاص: ٢٣٩، و تحف العقول: ٢٧٩، و البدايه و النهايه: ١٠٥/٩.

٣- (٣) البيان و التبیین: ٧٦/٢، العقد الفريد: ٨٨/٣.

٤- (٤) العقد الفريد: ٨٩/٣.

و سار الإمام (عليه السّلام) مع مماليكه سيره تتسم بالرفق و العطف و الحنان، فكان يعاملهم كأبنائه، و قد وجدوا في كنفه من الرفق ما لم يجدوا في ظلّ آبائهم، حتّى أنّه لم يعاقب أمه و لا عبدا فيما إذا اقترفا ذنبا (١).

و قد كان له مملوك فدعاه مرّتين فلم يجبه، و في الثالثه قال له الإمام برفق و لطف: «يا بنى، أما سمعت صوتي؟» قال: بلى...، فقال له (عليه السّلام): «لم تجبني؟» فقال: أمنت منك، فخرج الإمام وراح يحمد الله و يقول: «الحمد لله الذى جعل مملوكي يأمنني...» (٢).

ص: ٤٠

١- ((١)) اقبال الأعمال: ١/٤٤٣-٤٤٥ باسناده عن التلعكبرى عن ابن عجلان عن الصادق (عليه السّلام) و عنه في بحار الأنوار: ١٠٣/٤٦-١٠٥. و ١٨٦/٩٨-١٨٧.

٢- ((٢)) الإرشاد: ١٤٧/٢، و مناقب آل أبي طالب: ١٧١/٤ و في تاريخ دمشق: ٣٦/١٥٥.

الباب الثاني

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

نشأه الإمام زين العابدين (عليه السلام)

الفصل الثاني:

مراحل حياه الإمام زين العابدين (عليه السلام) الفصل الثالث:

حياه الإمام زين العابدين (عليه السلام) من الولاده الى الإمامه

ص: ٤١

نشأه الإمام زين العابدين (عليه السلام)

لقد توفرت للإمام زين العابدين (عليه السلام) جميع المكوّنات التربويه الرفيعه التي لم يظفر بها أحد سواه، وقد عملت على تكوينه و بناء شخصيته بصوره متميزه، جعلته في الرعيّل الأول من أئمه المسلمين الذين منحهم الرسول (صلى الله عليه وآله) ثقته، وجعلهم قادة لأمته و امناء على أداء رسالته.

نشأ الامام في أرفع بيت و أسماءه ألا و هو بيت النبوه و الإمامه الذي أذن الله أن يرفع و يذكر فيه اسمه (1)، و منذ الأيام الاولى من حياته كان جده الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) يتعاهده بالرعايه و يشعّ عليه من أنوار روحه التي طبّق شذاها العالم بأسره، فكان الحفيد-بحقّ-صوره صادقه عن جدّه، يحاكيه و يضاويه في شخصيته و مكوّناته النفسيه.

كما عاش الإمام (عليه السلام) في كنف عمّه الزكي الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) سيّد شباب أهل الجنّه و ريحانه رسول الله (صلى الله عليه وآله) و آله) و سبطه الأول، إذ كان يغدق عليه من عطفه و حنانه، و يغرس في نفسه مثله العظيمه و خصاله الساميه، و كان الإمام (عليه السلام) طوال هذه السنين تحت ظلّ والده العظيم أبي الأحرار و سيّد

ص: ٤٣

١- ((١)) إشاره لقوله تعالى: فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرَفَّعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ. النور (٢٤): ٣٦-٣٧.

الشهداء الإمام الحسين بن عليّ (عليهما السّلام) الذي رأى في ولده عليّ زين العابدين (عليه السّلام) امتدادا ذاتيا و مشرقا لروحانيته النبوه و مثل الإمامه، فأولاه المزيد من رعايته و عنايته، و قدّمه على بقيه أبنائه، و صاحبه في أكثر أوقاته.

لقد ولد الإمام زين العابدين (عليه السّلام) في المدينة في اليوم الخامس من شعبان سنة (٣٦ هـ) (١) يوم فتح البصره، حيث إنّ الإمام عليّ (عليه السّلام) لم ينتقل بعد بعاصمته من المدينة الى الكوفه. و توفّي بالمدينه سنة (٩٤ أو ٩٥ هـ).

و هناك من المؤرخين ذكر أنّه ولد في سنة (٣٨ هـ) و في مدينه الكوفه حيث كان جدّه الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) قد اتخذها عاصمه لدولته بعد حرب الجمل، فمن الطبيعي أن يكون الحسين السبط (عليه السّلام) مع أهله عن أبيه (عليه السّلام) في هذه الفتره بشكل خاص (٢).

أمّه:

اسمها «شهربانو» أو «شهربانويه» أو «شاه زنان» بنت يزدجرد آخر ملوك الفرس (٣)، و ذكر البعض أنّ امه قد أجابت نداء ربّها أيام نفاسها فلم تلد سواه (٤).

ص: ٤٤

١- (١) الإرشاد: ١٣٧/٢، و مناقب آل أبي طالب: ١٨٩/٤، و الإقبال: ٦٢١، و مصباح الكفعمي: ٥١١، و الأنوار البهيه: ١٠٧ قال: سنة ٣٦ يوم فتح البصره.

٢- (٢) تاريخ أهل البيت، لابن أبي الثلج البغدادي م ٣٢٥: ٧٧.

٣- (٣) رغم أنّ أغلب المؤرخين متفقون على أنّ ام الإمام السجاد (عليه السّلام) هي ابنه الملك يزدجرد إلاّ أنّ هناك من يعتبر ذلك مجرد اسطوره، راجع زندگانی علی بن الحسين (عليه السّلام) للسيد جعفر الشهيدى. و الإسلام و ايران للشهيد مطهرى: ١٠٠-١٠٩ و حول السيده شهربانو للشيخ اليوسفى الغروى فى مجله رساله الحسين (عليه السّلام): ١٤/٢٤-٣٩، و الثابت أنّ ام الإمام السجاد (عليه السّلام) سيّته من سبايا الفرس، و لا يثبت أكثر من هذا.

٤- (٤) سيره رسول الله (صلّى الله عليه و آله) و أهل بيته (عليهم السّلام): ١٨٩/٢، المجمع العالمى لأهل البيت (عليهم السّلام) الطبعة الاولى ١٤١٤

أبو الحسن، أبو محمد، أبو الحسين، أبو عبد الله (١).

ألقابه:

«زين العابدين» و«ذو الثفنيات» و«سيد العابدين» و«قدوه الزاهدين» و«سيد المتقين» و«إمام المؤمنين» و«الأمين» و«السجاد» و«الزكي» و«زين الصالحين» و«منار القانتين» و«العدل» و«إمام الامه» و«البكاء»، وقد اشتهر بلقبى «السجاد» و«زين العابدين» أكثر من غيرهما.

إن هذه الألقاب قد منحها الناس للإمام عند ما وجدوه التجسيد الحى لها، والمصداق الكامل ل: **وَ عِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٢)**، وبعض الذين منحوه هذه الألقاب لم يكونوا من شيعته، ولم يكونوا يعتبرونه إماما من قبل الله تعالى، لكنهم ما استطاعوا أن يتجاهلوا الحقائق التي رأوها فيه.

لقد ذكر المؤرخون ما يبين لنا بعض العلل التاريخية لجمله من هذه الألقاب المباركه:

١- روى عن الصحابى الجليل جابر بن عبد الله الانصارى أنه قال: كنت جالسا عند رسول الله (صلى الله عليه و اله) و الحسين فى حجره و هو يلاعبه فقال (صلى الله عليه و اله):

«يا جابر، يولد له مولود اسمه على، إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم (سيد العابدين)

ص: ٤٥

١- (١) حياه الإمام زين العابدين، دراسه و تحليل: ٣٩٠.

٢- (٢) الفرقان (٢٥): ٦٣.

فيقوم ولده، ثم يولد له ولد اسمه محمّد، فإن أنت أدركته يا جابر فاقرأه منّي السلام» (١).

٢- كان الزهري إذا حدّث عن عليّ بن الحسين (عليه السلام) قال: حدّثني «زين العابدين» عليّ بن الحسين، فقال له سفيان بن عيينه: و لم تقول له زين العابدين؟ قال: لأنني سمعت سعيد بن المسيب يحدث عن ابن عباس أنّ رسول الله (صلّى الله عليه و اله) قال: «إذا كان يوم القيامة ينادى مناد أين زين العابدين؟ فكأني أنظر إلى ولدي عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب يخطر (يخطو) بين الصفوف» (٢).

٣- وجاء عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنّه قال: «كان لأبي في مواضع سجوده آثار ناتئة، و كان يقطعها في السنه مرتين، في كلّ مره خمس ثغفات، فسّمى ذا الثغفات لذلك» (٣).

٤- كما جاء عنه عن كثره سجود أبيه: ما ذكر لله عزّ و جلّ نعمه عليه إلّا و سجد، و لا دفع الله عنه سوء إلّا و سجد، و لا فرغ من صلاه مفروضه إلّا و سجد، و كان أثر السجود في جميع مواضع سجوده فسّمى بالسجاد (٤).

ص: ٤٦

١- ((١)) إحقاق الحق: ١٢/١٣-١٦، و البدايه و النهايه لابن كثير: ١٠٦/٩.

٢- ((٢)) علل الشرائع: ١/٢٦٩، و الأمالي: ٣٣١ و عنهما في بحار الأنوار: ٢/٤٦ الحديث ١ و ٢.

٣- ((٣)) علل الشرائع: ١/٢٧٣ و معاني الأخبار: ٦٥ و عنهما في بحار الأنوار: ٦/٤٦.

٤- ((٤)) علل الشرائع: ١/٢٧٢ و عنه في بحار الأنوار: ٦/٤٦ ح ١٠.

الفصل الثانی: مراحل حیاہ الإمام زین العابدین علیہ السلام

مراحل حیاہ الإمام زین العابدین (علیہ السلام)

تنقسم حیاہ الإمام زین العابدین (علیہ السلام) - كما تنقسم حیاہ سائر الأئمة (عليهم السلام) - إلى مرحلتين متميزتين:

١- مرحله ما قبل التصدي للإمامه و الزعامه.

٢- مرحله التصدي و ممارسه القيادة حتى الشهاده.

لقد عاش الإمام زین العابدین (علیه السلام) فی المرحله الاولى من حیاته فی ظلال جدّه الإمام أمير المؤمنین، و عمّه الإمام الحسن المجتبی و أبیہ الإمام الحسین سید الشهداء (علیهم السلام) مدّه تناهز العقدين و نصف العقد، حیث قضی فی کنف جدّه الإمام علی (علیه السلام) ما یزید قليلا عن أربع سنوات، و ما لا یقل عن سنتین لو كانت ولادته سنه (٣٨ هـ).

بینما قضی عقدا آخر من حیاته فی کنف عمّه و أبیہ (علیہما السلام) حیث استشهد عمّه الإمام الحسن السبط (علیه السلام) سنه ٥٠ هجریه.

كما قضی عقدا ثانيا فی ظلّ قياده أبیہ الحسین السبط (علیه السلام) و هی الفتره الواقعه بین مطلع سنه (٥٠ هـ) و بدايه سنه (٦٠ هـ).

لقد عاش الإمام زین العابدین (علیه السلام) فتره المخاض الصعب خلال المرحله الاولى من حیاته و قضاهها مع کل من جدّه و عمّه و أبیہ (علیهم السلام)، و استعدّ

بعدها لتحمل أعباء الإمامة والقيادة بعد استشهاد أبيه و الصفوه من أهل بيته و أصحابه في ملحمة عاشوراء الخالده التي مهّدت لها معاوية بن أبي سفيان و تحمّل وزرها ابنه يزيد المعلن بفسقه و المستأثر بحكم الله في أرض الإسلام المباركه.

و أمّا المرحلة الثانيه من حياته الكريمة قد ناهزت ثلاثه عقود و نصف عقد من عمره الشريف، و عاصر خلالها كلاً من حكم يزيد بن معاوية و معاوية بن يزيد و مروان بن الحكم و عبد الملك بن مروان، ثم اغتالته الأيدي الامويه الأثيمه بأمر من الحاكم وليد بن عبد الملك بن مروان و استشهد في (٢٥) من المحرم أو ما يقرب منه سنه (٩٤) أو (٩٥) هجريه عن عمر يناهز (٥٧) سنه أو دونها قليلا فكانت مدّه إمامته و زعامته حوالى (٣٤) سنه.

و في هذه الدرسته نقسم المرحلة الثانيه من حياه هذا الإمام الحافله بأنواع الجهاد الى قسمين متميزين من الكفاح و الجهاد:

الأول: جهاده بعد ملحمة عاشوراء و قبل استقراره في المدينه.

الثاني: جهاده بعد استقراره في المدينه.

و على هذا التقسيم سوف ندرس حياته ضمن مراحل ثلاث:

المرحلة الاولى: حياته قبل استشهاد أبيه (عليه السلام).

المرحلة الثانيه: حياته بعد استشهاد أبيه و قبل استقراره في المدينه.

المرحلة الثالثه: حياته بعد استقراره في المدينه.

إشاره

الإمام زين العابدين (عليه السلام) من الولادة الى الإمامه

و تتضمّن استعراض عصر الإمام (عليه السلام) و حياته قبل كربلاء، أى من الولادة حتى استشهاد أبيه (عليه السلام)، من سنه (٣٨ أو ٣٦ هـ) إلى سنه (٦١ هـ).

لقد عاصر الإمام زين العابدين (عليه السلام) فى مرحلتى الطفوله و الفتوه حكم معاويه بن أبى سفيان الذى تميّز بالاضطراب أولاً، ثمّ تلاه القمع فى العراق، و التأزم فى الحجاز، و إقصاء السنّه و ظهور البدعه.

و لقد استشهد الإمام أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) فى الكوفه فى شهر رمضان من سنه أربعين للهجره، فيما كان يعبئ الناس لحرب جديده مع معاويه، و إثر استشهاده (عليه السلام) بايع أهل العراق ولده الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) خليفه عليهم، إلا أنّ قلوب أغلب المبايعين لم تكن تصدّق ألسنتهم، فلا ينتظر من المتظاهرين بالتشيع فى الكوفه و فى جيش الإمام عليّ (عليه السلام) -الذين آذوه إلى الدرجه التى تمنى فيها غير مرّه الموت- أن يكون سلوكهم مع ولده الحسن (عليه السلام) أفضل ممّا كان معه.

و كانت الكوفه فى السنوات الأخيره من عمر الإمام عليّ (عليه السلام) تضمّ مختلف الاتجاهات و الجماعات، فكان هنالك اللاهثون وراء السلطه،

الطامعون فى أن يوليهم الخليفه الجديد منصبا ما و المسلمون الجدد الذين دفعتهم الآمال الكبيره إلى الإعراض عن مدنهم و التوجه إلى عاصمه الخلافه على أمل الحصول على عمل يحقق رغباتهم، و الانتهازيون من الموالى الذين تحالفوا مع هذه القبيله العربيه أو تلك لتغطى على تأمرهم؛ إذ لا يجرؤون على التحرك دون غطاء عربى.

لقد تقوّم المجتمع الكوفى و قنذاك بهذه الجماعات التى وَّجَّهت قدرتها لإيجاد العراقيل و العقبات أمام حركة الإمام الحسن السبط (عليه السّلام) عند ما اشترط قيس بن سعد بن عباده بيعته للإمام الحسن (عليه السّلام) بمحاربه أهل الشام، لكنّ الإمام اضطرّ إلى الصلح مع معاويه بعد أن كشفت أكثر قوات الإمام ما كانت تضم من أهداف تأمرية على شخص الإمام، و المخلصين من أصحابه بإنصواء بعضهم تحت لواء معاويه، و بثّهم الإشاعات التى أسفرت عن التخاذل المقيت، حتى كتب من كتب منهم إلى معاويه بتسليمهم إمامهم و قائدهم إلى معاويه.

لقد امتازت الفتره الواقعه بين سنه (٤١ هـ) و سنه (٦٠ هـ) بتشديد القهر و القمع على أتباع أهل البيت (عليهم السّلام) فى العراق، و يتبين من خلال تعامل معاويه مع زعماء هذه المنطقه-الذين كانوا يلتقونه بين الحين و الآخر- الدرجه التى بلغها سخطه على أهل العراق. و قد انكفأ السياسيون العراقيون-الذين خدعوا فى حرب صفين و سلطوا أهل الشام على مقدراتهم-فى بيوتهم إبان حكم معاويه، لكنهم كانوا ينتظرون أن تسنح لهم فرصه جديده للتحرك.

و من جهه اخرى لحق بالمسلمين المخلصين-الذين نشأوا على التربيه الإسلاميه النقيه و ارتفعوا عن المنظار القومى و القبلى أو نظروا من خلاله

بالشكل الذى لم يضرّ بدِينهم-أذى أكبر ممّا لحق بالطائفة الاولى، إذ كانوا يرون فى عهد معاوية-الذى امتدّ نحو عشرين عاما-اندراس سنّه النبىّ (صلّى الله عليه و اله).

لقد ظهرت البدعه و ساد النظام الملكى عوضا عن الخلافه، و استلم مقاليد امور المسلمين أفراد اسره قامت بكلّ ما يوسعها من أجل القضاء على الإسلام و المسلمين، حتى أنّ ولدا غير شرعىّ من آل ثقيف يصبح-و بشهاده بائع خمر-أخا لمعاويه ١.

و خلافا لصريح القرآن الكريم لقد بتّ معاويه الجواسيس بين الناس ليحصوا عليهم أنفاسهم، و نسخ الوفاء بالعهد و الإيمان، فقتلوا حجر بن عدى بعد كلّ الضمانات التى أعطوها له، و بمؤامره نسج خيوطها معاويه دسّت جعده بنت الأشعث بن قيس السّم لزوجها الإمام الحسن المجتبى سبط رسول الله (صلّى الله عليه و اله).

إلى عشرات الممارسات الأخرى المخالفه لصريح القرآن و سنّه النبىّ (صلّى الله عليه و اله) التى كان يتّسم بها ذلك العهد.

فكانت النتيجة أنّه لم يبق أىّ مظهر اسلامىّ للحكومته الإسلاميه فى الشام و العراق اللّذين كانا يمثّلان أخطر مركزين فى الدوله آنذاك، كما اقتصر فقه المسلمين على الصلاه و الصوم و الحجّ و الزكاه و ما يسمّى بالجهاد، و كان المتديّتون المخلصون يتألّمون بشدّه لتفشّى البدع، فكانوا يتربّصون الفرص التى تتيح لهم إقصاء ما ابتدعه معاويه فى عصره باسم الإسلام.

و عندما مات معاوية اعتبر الفريقان المتنفّذان في العراق أنّ الفرصه باتت مؤاتيه:

أ- فريق أهل الدين الذين عاشوا آلام المسلمين و أحزنهم غياب سنه النبيّ (صلّى الله عليه و اله)، و كانوا يستهدفون القضاء على النظام الملكي و إعادة الحكومه الإسلاميه كما كانت في عصر الخلفاء السابقين على الأقلّ.

ب- السياسيون المحترفون اللاهثون وراء السلطه الذين كانوا يرومون وضع حدّ لتحكّم الشام بالعراق.

و في الأيام التي كان العراق فيها يغصّ بالأحداث الخطيره كان للأجواء في الشام طابع آخر.

كان يزيد في قريه حوارين (1) عندما هلك والده معاوية، فعاد بمساعي والي الشام «الضحّاك بن قيس» إلى دمشق ليعلن نفسه خليفه للمسلمين، و أسرع إلى محاوله تبديد مخاوفه من الأشخاص الذين سيعارضونه، فكتب في الأيام الاولى من خلافته رساله إلى حاكم المدينه طلب منه فيها أن يأخذ البيعه له من الحسين بن عليّ (عليه السّلام) و عبد الله بن عمر و عبد الله بن الزبير، و كان واضحاً من البدايه أنّ الحسين (عليه السّلام) لن يبيع يزيد، و اعتبر ابن الزبير نفسه خليفه، إلّا أنّ الناس تجاهلوه، و لم يكن لابن عمر أيّ دور في الأوضاع، فلن تحقّق بيعته أو عدمها أيّ ضرر بخلافه يزيد، من هنا فإنّ يزيد لا يخشى إلّا

ص: ٥٢

١- (١) قريه تقع بين تدمر و دمشق.

الحسين بن عليّ (عليه السّلام) و يتعجّل أن يتبيّن موقفه.

و في تلك الفتره كان من الطبيعي أن يختار العراق-الذي كان يتحين الفرص-ابن بنت النبيّ (صلّى الله عليه و اله)قائدا له ليحقّق أهداف المؤمنين المخلصين و السياسيين المحترفين في آن واحد، باعتباره الشخص الوحيد الذي يمكنه إحياء سنّه النبيّ (صلّى الله عليه و اله) و القضاء على البدع، و أنّه الوحيد القادر على استقطاب قلوب الناس بشرافه نسبه و جلاله قدره و كرامه نفسه و تقواه، و هو الأشدّ رفضا للظلم، و لهذا السبب رفض مبايعه يزيد.

و من هنا تشكّلت المجالس و انعقدت الجماعات في الكوفه فكانت النتيجة أن وُجّهت الدعوه إلى الحسين بن عليّ ابن بنت النبيّ (صلّى الله عليه و اله) في الحجاز لينتقل إلى العراق، و تضمّنت الدعوه المؤكده بأنّ أهل الكوفه على اهبة الاستعداد لقتال الأمويّين الذين غضبوا الحكم تحت رايه الحسين (عليه السّلام).

و قد بعث الحسين (عليه السّلام) ابن عمّه مسلم بن عقيل إلى الكوفه و معه إجابات الإمام الحسين (عليه السّلام) على رسائل الكوفيين. و قد التف الكوفيون حول ابن عقيل و رحّبوا به و أكّدوا له مرّه اخرى استعدادهم لخوض الحرب ضدّ طغاه الشام تحت قياده الحسين، فأرسل إلى الحسين (عليه السّلام) رساله أوضح فيها أنّ في الكوفه مئه ألف رجل يتعهّدون بمناصره الإمام مشددا على ضروره إسراع الإمام في التحرك إلى العراق.

و المدهش أنّ رسائل بعثت في تلك الأيام من الكوفه إلى الشام تؤكّد ليزيد أنّه إذا أراد الكوفه فإنّ عليه أن يبعث عليها حاكما مقتدرا، لأنّ حاكمها النعمان بن بشير أظهر ضعفا في تعاطيه مع الأحداث.

وقد تباحث يزيد في هذا الأمر مع مستشاره الرومى السيرجون،الذى أشار عليه بتعيين عبيد الله بن زياد حاكما على الكوفة،و بوصول ابن زياد الى الكوفة تخلّى أهلها عن مسلم،و أتاحوا لابن زياد قتله مع مضيّفه هانئ بن عروه،و من جهة اخرى كان الإمام الحسين و أهل بيته(عليهم السّلام)و عدد من أنصاره فى الطريق إلى العراق،و الإمام زين العابدين(عليه السّلام)يرافق والده فى كل هذه الظروف العصيبه حتى وصلوا العراق (١).

النصّ على إمامه زين العابدين(عليه السّلام)

لقد نصّ رسول الله(صلّى الله عليه و اله)على إمامه اثنى عشر إماما من أهل بيته الأطهار،و عيّنهم بذكر أسمائهم و أوصافهم،كما هو المعروف من حديث الصحابى جابر بن عبد الله الأنصارى و غيره عند العامّة و الخاصّه (٢).

كما نصّ كلّ إمام معصوم على الإمام الذى يليه قبل استشهاده فى مواطن عديده بما يتناسب مع ظروف عصره،و قد كان النصّ يكتب و يودع عند أحد سزّاءو يجعل طلبه دليلا على الاستحقاق،و نلاحظ تكرر هذه الظاهره فى حياه أبى عبد الله الحسين(عليه السّلام)بالنسبه لابنه زين العابدين(عليه السّلام)تاره فى المدينه و اخرى فى كربلاء قبيل استشهاده.

و ممّا روى من النصّ على إمامه ولده(عليه السّلام)ما رواه الطوسى،عن أبى جعفر الباقر(عليه السّلام):أنّ الحسين لما خرج الى العراق دفع الى امّ سلمه زوجه

ص: ٥٤

-
- ١- ((١)) اقرأ أخبار هذه الأحداث مسنده موثقه فى:وقعه الطف لأبى مخنف: ٧٠-١٤١،تحقيق محمد هادى اليوسفى الغروى.
 - ٢- ((٢)) راجع:منتخب الأثر: ٩٧،الباب الثامن،و الإرشاد و إعلام الورى بأعلام الهدى: ١٨١/٢،١٨٢،النصوص على الأئمه الاثنا عشر،قادتنا: ١٤/٥،و إثبات الهداه بالنصوص و المعجزات: ٢٨٥/٢،النصوص العامه على الأئمه،و إحقاق الحقّ و ملحقاته ج ١-٢٥.

النبي (صلى الله عليه و اله) الوصيه و الكتب و غير ذلك و قال لها: «إذا أتاك أكبر ولدى فادفعي إليه ما قد دفعت إليك». فلما قتل الحسين (عليه السلام) أتى علي بن الحسين (عليه السلام) أم سلمه فدفعت إليه كل شيء أعطها الحسين (عليه السلام).

و في نص آخر: أنه (عليه السلام) جعل طلبها منها علامه على إمامه الطالب لها من الأنام فطلبها زين العابدين (عليه السلام) (١).

و روى الكليني عن أبي الجارود عن الإمام الباقر (عليه السلام): أن الحسين (عليه السلام) لما حضره الذي حضره دعا ابنته فاطمه الكبرى فدفعت إليها كتابا ملفوفا و وصيه ظاهره، و كان علي بن الحسين (عليه السلام) مريضا لا يرون أنه يبقى بعده، فلما قتل الحسين (عليه السلام) و رجع أهل بيته إلى المدينة دفعت فاطمه الكتاب إلى علي بن الحسين (عليه السلام) (٢).

و سوف نلاحظ في احتجاج الإمام (عليه السلام) مع عمه محمد بن الحنفية أنه قال له: «إن أبي صلوات الله عليه أوصى إلي قبل أن يتوجه إلى العراق و عهد إلي في ذلك قبل أن يستشهد بساعه» (٣).

الإمام زين العابدين (عليه السلام) يوم عاشوراء:

إن أشد ما كان يحز في نفوس أهل بيت الرسالة و محبيهم ما رواه حميد ابن مسلم، و هو شاهد عيان بعد ظهر اليوم العاشر من المحرم إثر استشهاد

ص: ٥٥

١- (١) الكافي: ٣/٢٤٢/١، و الغيبة للطوسي: ١١٨ الحديث ١٤٨، و اثبات الهداه: ٥/٢١٤-٢١٦.

٢- (٢) الكافي: ١/٢٤١/١، و اثبات الوصيه: ١٤٢، و إعلام الوري: ١/٤٨٢-٤٨٣.

٣- (٣) الاحتجاج: ١٤٧/٢، احتجاجات الإمام زين العابدين (عليه السلام).

الإمام الحسين (عليه السلام) إذ قال:

لقد كنت أرى المرأة من نساءه و بناته و أهله تنازع ثوبها من ظهرها حتى تغلب عليه فيذهب به منها.

ثم انتهينا إلى علي بن الحسين (عليه السلام) و هو منبسط على فراش و هو شديد المرض، و مع شمر جماعه من الرجال، فقالوا له: ألا تقتل هذا العليل؟ فقلت:

سبحان الله أيقتل الصبيان؟! إنما هذا صبي و إنه لما به، فلم أزل حتى دفعتهم عنه.

و جاء عمر بن سعد فصاحت النساء في وجهه و بكين، فقال لأصحابه: لا يدخل أحد منكم بيوت هؤلاء النسوة و لا تتعرضوا لهذا الغلام المريض... من أخذ من متاعهن شيئاً فليردّه عليهن، فو الله ما ردّ أحد منهم شيئاً (١).

و هكذا شارك الإمام زين العابدين (عليه السلام) أباه الحسين السبط (عليه السلام) في جهاده ضد الطغاة و لكنه لم يرزق الشهادة مع أبيه و الأبرار من أهل بيته و أصحابه، فإنّ الله سبحانه كان قد حفظه ليتولّى قياده الامّة بعد أبيه (عليه السلام) و يقوم بالدور المعدّ له لصيانته رساله جده (صلّى الله عليه و اله) من أيدي العتاه العابثين و انتحال الضالّين المبطلين و من التيارات الوافده على حضيره الإسلام التي أخذت رقعته بالتّساع و الانتشار السريع.

ص: ٥٦

١- ((١)) الإرشاد: ١١٢/٢، و انظر وقعه الطف لأبي مخنف: ٢٥٦، ٢٥٧.

الباب الثالث

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

الإمام زين العابدين (عليه السلام) من كربلاء إلى المدينة

الفصل الثاني:

الإمام زين العابدين (عليه السلام) في المدينة الفصل الثالث:

استشهاد الإمام زين العابدين (عليه السلام)

ص: ٥٧

إشاره

الإمام زين العابدين (عليه السلام) من كربلاء إلى المدينة

الإمام زين العابدين (عليه السلام) بعد ملحمه عاشوراء:

ذكر المؤرّخون عن شاهد عيان أنّه قال: قدمت الكوفه في المحرّم من سنه احدى و ستين، منصرف عليّ بن الحسين (عليه السلام) بالنسوه من كربلاء و معه الأجناد يحيطون بهم، و قد خرج الناس للنظر اليهم، فلَمّا اقبل بهم على الجمال بغير وطاء جعل نساء الكوفه يبكين، و يلتدمن (١)، فسمعت عليّ بن الحسين و هو يقول بصوت ضئيل و قد نهكته العله و في عنقه الجامعه و يده مغلولة إلى عنقه: «إنّ هؤلاء النسوه يبكين فمن قتلنا؟!» (٢).

و عندما أدخلوا الإمام السجاد (عليه السلام) على ابن زياد سأله من أنت؟ فقال:

«أنا عليّ بن الحسين»، فقال له: أليس قد قتل الله عليّ بن الحسين؟ فقال عليّ (عليه السلام): «قد كان لي أخ يسمّى عليّا قتله الناس، فقال ابن زياد: بل الله قتله، فقال عليّ بن الحسين (عليه السلام): الله يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا، فغضب ابن زياد و قال:

و بك جراً لجوابي و فيك بقيه للردّ عليّ؟! اذهبوا به فاضربوا عنقه (٣).

ص: ٥٩

١- ((١)) التدمت المرأة: ضربت صدرها في النياحه، و قيل: ضربت وجهها في المآتم.

٢- ((٢)) الأمالى للطوسي: ٩١.

٣- ((٣)) الإرشاد للمفيد: ٢٤٤، و وقع الطف: ٢٦٢، ٢٦٣.

فتعلقت به عمته زينب و قالت: يا ابن زياد، حسبك من دماننا، واعتنقتة و قالت: لا- و الله لا- افارقه فإن قتلته فاقتلني معه، فقال لها عليّ (عليه السلام): اسكني يا عمه حتى اكلمه، ثم أقبل عليه فقال: أ بالقتل تهددني يا ابن زياد؟ أما علمت أن القتل لنا عادة و كرامتنا من الله الشهادة؟ ثم أمر ابن زياد بعلی بن الحسين (عليه السلام) و أهل بيته فحملوا إلى دار بجنب المسجد الأعظم، و لما أصبح ابن زياد أمر برأس الحسين (عليه السلام) فطيف به في سلك الكوفة كلها و قبائلها، و لما فرغ القوم من الطواف به في الكوفة ردوه إلى باب القصر (١).

ثم إن ابن زياد نصب الرؤوس كلها بالكوفة على الخشب، كما أنه كان قد نصب رأس مسلم بن عقيل من قبل بالكوفة.

و كتب ابن زياد إلى يزيد يخبره بقتل الحسين (عليه السلام) و خبر أهل بيته (٢).

كما بعث إلى عمرو بن سعيد بن العاص أمير المدينة- و هو من بنى أمية- يخبره بقتل الحسين (عليه السلام).

و لَمَّا وصل كتاب ابن زياد إلى الشام أمره يزيد بحمل رأس الحسين (عليه السلام) و رؤوس من قتل معه إليه، فأمر ابن زياد بنساء الحسين (عليه السلام) و صبيانهم فجهزوا، و أمر بعلی بن الحسين (عليهما السلام) فغُلَّ بغلَّ إلى عنقه، ثم سرح بهم في أثر الرؤوس مع مجفر بن ثعلبة العائذي و شمر بن ذي الجوشن، و حملهم على الأفتاب، و ساروا بهم كما يسار بسبايا الكفار، فانطلقوا بهم حتى لحقوا بالقوم الذين معهم الرؤوس، فلم يكلم عليّ بن الحسين (عليه السلام) أحدا منهم في الطريق بكلمه حتى بلغوا الشام (٣).

ص: ٦٠

١- ((١)) مقتل الخوارج: ٢/٤٣٣، و اللهوف على قتلى الطفوف: ١٤٥.

٢- ((٢)) الكامل في التاريخ للجزري: ٤/٨٣، و إن أول رأس حمل في الإسلام هو رأس عمر بن الحمق الخزاعي الى معاوية.

٣- ((٣)) عن طبقات ابن سعد في ذيل تاريخ دمشق ترجمه الإمام الحسين (عليه السلام): ١٣١، و أنساب الأشراف: ٢١٤، و الطبري: ٥/٤٦٠ و ٤٦٣، و الإرشاد: ٢/١١٩ و اللفظ للأخير.

خضعت الشام منذ فتحها بأيدي المسلمين لحكام مثل خالد بن الوليد و معاوية بن أبي سفيان، فلم يشاهد الشاميون النبي (صلى الله عليه و اله) و لم يسمعوا حديثه الشريف منه مباشرة، و لم يطلعوا على سيره أصحابه عن كتب، أما النفر القليل من صحابه رسول الله (صلى الله عليه و اله) الذين انتقلوا إلى الشام و أقاموا فيها فلم يكن لهم أثر في الناس، فكانت النتيجة أن أهل الشام اعتبروا سلوك معاوية بن أبي سفيان و أصحابه سنة للمسلمين، و لما كانت الشام خاضعة للإمبراطورية الرومية قرونا طويله، فقد كانت حكومات العصر الإسلامي أفضل من سابقاتها بالنسبة للشاميين.

و من هنا ليس أمرا عجيبا أن نقرأ في كتب التاريخ أن شيئا شاميا دنا من الإمام السجاد (عليه السلام) عند دخول سبايا آل محمد (صلى الله عليه و اله) الشام و قال له: الحمد لله الذي أهلككم و أمكن الأمير منكم.

فقال له الإمام (عليه السلام): يا شيخ أقرأت القرآن؟

فقال الشيخ: بلى.

فقال له الإمام (عليه السلام): أقرأت قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى؟

فقال الشيخ: بلى.

فقال له الإمام (عليه السلام): فنحن القربى، يا شيخ!

ثم قال له: فهل قرأت و آت ذا القربى حقه؟

قال: قد قرأت ذلك.

قال (عليه السلام): فنحن القربى يا شيخ، فهل قرأت هذه الآية: و اعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسته و للرسول و لذي القربى؟

قال: نعم.

قال الإمام (عليه السلام): نحن القربى.

يا شيخ! هل قرأت [□] إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً؟

قال الشيخ: بلى.

قال له الإمام (عليه السلام): نحن أهل البيت الذين اختصنا الله بآية الطهاره.

قال الشيخ: بالله إنكم هم!؟

قال الإمام (عليه السلام): تالله إننا لنحن هم من غير شكّ وحقّ جدّنا رسول الله (صلى الله عليه و اله) إننا لنحن هم.

فبكى الشيخ ورمى عمامته، ثم رفع رأسه إلى السماء و قال: اللهم إنى أبرأ اليك من عدوّ آل محمّد (1).

و ذكر المؤرّخون أنّه لما قدم على بن الحسين (عليه السلام) و قد قتل الحسين بن على (عليه السلام) استقبله ابراهيم بن طلحه بن عبيد الله و قال: يا على بن الحسين، من غلب؟ و هو مغطّ رأسه و هو فى المحمل، فقال له على بن الحسين: إذا أردت أن تعلم من غلب و دخل وقت الصلاة فأذن ثم أقم (2).

لقد كان جواب على بن الحسين (عليه السلام) أنّ الصراع إنّما هو على الأذان و تكبير الله تعالى و الإقرار بوحدانيته و ليس على رئاسه بنى هاشم، و أنّ استشهاد الحسين و الصفوه من أهل بيته و أصحابه هو سبب بقاء الإسلام المحمّدى و ثباته أمام جاهليه بنى أمّيه و من حذا حذوهم ممّن لم يذوقوا حلاوه الإيمان و الإسلام.

ص: ٦٢

١- (١) مقتل الخوارزمى ٢: ٦١، و اللهوف على قتلى الطفوف: ١٠٠، و مقتل المقرم: ٤٤٩ عن تفسير ابن كثير و الآلوسى.

٢- (٢) أمالى الطوسى: ٦٧٧.

ادخل رأس الحسين (عليه السلام) ونساؤه و من تخلف من أهله على يزيد و هم مقرنون في الحبال و زين العابدين (عليه السلام) مغلول، فلما وقفوا بين يديه على تلك الحال تمثل يزيد بشعر حصين بن حمام المرى قائلا:

نفلق هاما من رجال أعزه علينا و هم كانوا أعق و أظلما (١)

فرد عليه الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) بقوله تعالى: مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢).

و تميز يزيد غضبا، فتلا قوله تعالى: مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ (٣).

و ينقل المؤرخون عن فاطمة بنت الحسين (عليه السلام) قولها: فلما جلسنا بين يدي يزيد رق لنا فقام إليه رجل من أهل الشام أحمر، فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه الجارية -يعينى- فأرعدت و ظننت أن ذلك جائر لهم فأخذت بثياب عمتي زينب و كانت تعلم أن ذلك لا يكون.

فقال عمتي للشامي: كذبت و الله و لو مت و الله، ما ذاك لك و لا له!

فغضب يزيد و قال: كذبت إن ذلك لي و لو شئت أن أفعل لفعلت!

قالت: كلا و الله ما جعل الله لك ذلك إلا أن تخرج من ملتنا و تدين بغيرها، فاستطار يزيد غضبا، و قال: إياي تستقبلين بهذا؟ إنما خرج من الدين

١- ((الارشاد: ١١٩/٢ و ١٢٠، و وقع الطيف لأبي مخنف: ١٦٨ و ٢٧١، و العقد الفريد: ١٢٤/٥.

٢- ((الحديد (٥٧): ٢٢-٢٣.

٣- ((الشورى (٤٢): ٣٠.

قالت: بدين الله و دين أبى و دين أخى اهتديت أنت و جدك و أبوك إن كنت مسلماً، قال: كذبت يا عدوّه الله!

قالت: أنت أمير تشتم ظالماً و تقهر بسطانك، فكأنه استحيى و سكت.

فعاد الشامى فقال: هب لى هذه الجاربه، فقال يزيد: اعزب، وهب الله لك حتفا قاضيا (١).

و يبدو أنّ اعتماد يزيد لهجه أقلّ قسوه و شراسه من لهجه ابن زياد فى الكوفه يعود إلى أنّ الأخير كان يريد أن يدلّل على إخلاصه لسيدّه، بينما لا يحتاج يزيد ذلك، و لعلّ يزيد أدرك أنّه قد ارتكب خطأ كبيراً فى قتله الحسين (عليه السّلام) و سببه أهل بيت النبوه، من هنا فإنّه أراد تخفيف مشاعر السخط تجاهه.

و فى تلك الأيام أو عز يزيد إلى خطيب دمشق أن يصعد المنبر و يبالغ فى ذمّ الحسين و أبيه (عليهما السّلام) فانبرى اليه الإمام زين العابدين (عليه السّلام) فصاح به:

«و يلك أيها الخاطب، إشتريت رضاء المخلوق بسخط الخالق فتبواً مقعدك من النار».

و اتّجه الإمام نحو يزيد فقال له: «أتأذن لى أن أصعد هذه الأعواد فأتكلم بكلمات فيهنّ لله رضى، و لهؤلاء الجالسين أجر و ثواب...».

و بهت الحاضرون و عجبوا من هذا الفتى العليل الذى ردّ على الخطيب و الأمير و هو أسير، فرفض يزيد إجابته، و ألحّ عليه الجالسون بالسماح له فلم يجد بداً من إجابتهم فسمح له، و اعتلى الإمام أعواد المنبر، و كان من جمله ما

«أيها الناس، اعطينا ستاً، وفضّلنا بسبع: اعطينا العلم والحلم والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبّة في قلوب المؤمنين، وفضّلنا بأن منّا النبيّ المختار محمّداً (صلى الله عليه و اله) و منّا الصّدّيق و منّا الطيّار و منّا أسد الله و أسد الرسول (صلى الله عليه و اله) و منّا سيّده نساء العالمين فاطمه البتول، و منّا سبطا هذه الأئمّه و سيّدا شباب أهل الجنّه».

و بعد هذه المقدّمه التعريفية لاسرته أخذ (عليه السّلام) في بيان فضائلهم، قائلاً:

«فمن عرفنى فقد عرفنى، و من لم يعرفنى أنبأته بحسبى و نسبى».

أنا ابن مكّه و منى، أنا ابن زمزم و الصفا، أنا ابن من حمل الزكاه بأطراف الرداء، أنا ابن خير من اتترز و ارتدى، أنا ابن خير من انتعل و احتفى، أنا ابن خير من طاف و سعى، أنا ابن خير من حجّ و لبى، أنا ابن من حمل على البراق فى الهواء، أنا ابن من اسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فسبحان من أسرى، أنا ابن من بلغ به جبرئيل إلى صدره المنتهى، أنا ابن من دنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلى بملائكته السماء، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمّد المصطفى، أنا ابن على المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا: لا إله إلا الله.

أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله (صلى الله عليه و اله) بسيفين، و طعن برمحين، و هاجر الهجرتين، و بايع البيعتين، و قاتل ببدر و حنين، و لم يكفر بالله طرفه عين.

أنا ابن صالح المؤمنين، و وارث النبيين، و قاطع الملحدين، و يعسوب المسلمين، و نور المجاهدين، و زين العابدين، و تاج البكّائين، و أصبر الصابرين، و أفضل القائميين من آل ياسين و رسول ربّ العالمين.

أنا ابن المؤيّد بجبرئيل، المنصور بميكائيل، أنا ابن المحامى عن حرم المسلمين و قاتل الناكثين و القاسطين و المارقين، و المجاهد أعداءه الناصيين، و أفخر من مشى من قریش أجمعين، و أوّل من أجاب و استجاب لله من المؤمنين، و أقدم السابقين، و قاصم

المعتدين، و مبير المشركين، و سهم من مرامى الله، و بستان حكمه الله... ذاك جدى على بن أبى طالب.

أنا ابن فاطمه الزهراء، أنا ابن سيده النساء، أنا ابن الطهر البتول، أنا ابن بضعه الرسول (صلى الله عليه و اله)، أنا ابن المرمّل بالدماء، أنا ابن ذبيح كربلاء، أنا ابن من بكى عليه الجنّ فى الظلماء، و ناحت عليه الطير فى الهواء.

و لم يزل الإمام يقول: أنا أنا حتى ضجّ الناس بالبكاء، و خشى يزيد من وقوع الفتنة و حدوث ما لا تحمد عقباه، فقد أوجد خطاب الإمام انقلابا فكريا إذ عزّف الإمام نفسه لأهل الشام و أحاطهم علما بما كانوا يجهلون.

فأوعز يزيد إلى المؤذن أن يؤذّن ليقطع على الإمام كلامه، فصاح المؤذن «الله أكبر» فالتفت إليه الامام فقال له: «كبرت كبيرا لا يقاس، و لا يدرك بالحواس، لا شىء أكبر من الله»، فلما قال المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله قال الإمام (عليه السلام): «شهد بها شعري و بشرى و لحمى و دمي و مخى و عظمى»، و لما قال المؤذن: أشهد أنّ محمدا رسول الله التفت الإمام إلى يزيد فقال له:

«يا يزيد! محمّد هذا جدّى أم جدّك؟ فإن زعمت أنّه جدّك فقد كذبت، و إن قلت: أنّه جدّى فلم قتلت عترته (١)؟!»

و وجم يزيد و لم يجر جوابا، فإنّ الرسول العظيم (صلى الله عليه و اله) هو جدّ سيّد العابدين، و أمّا جدّ يزيد فهو أبو سفيان العدوّ الأوّل للنبيّ (صلى الله عليه و اله)، و تبيّن لأهل الشام أنّهم غارقون فى الإثم، و أنّ الحكم الاموىّ قد جهد فى إغوائهم و إضلالهم، و تبيّن بوضوح أنّ الحقد الشخصىّ و غياب النضج السياسىّ هما السببان لعدم

ص: ٦٦

١- (١) نفس المهموم: ٤٤٨-٤٥٢ ط قم عن مناقب آل أبى طالب: ١٨١/٤ عن كتاب الأحمر عن الأوزاعى: الخطبه بدون المقدمه. و المقدمه عن الكامل للبهائى: ٢/٢٩٩-٣٠٢، و انظر حياه الإمام زين العابدين للقرشى: ١٧٥-١٧٧.

إدراك يزيد عمق ثوره الإمام الحسين (عليه السلام) مما أدى إلى توهمه بأنها لن تؤدي إلى نتائج خطيره على حكمه.

و لعل أكبر شاهد على هذا التوهم هو رساله يزيد في بدايات تسلّمه الحكم لواليه على المدينة و التي أمره فيها بأخذ البيعه من الحسين (عليه السلام) أو قتله و بعث رأسه إلى دمشق إن رفض البيعه.

و في سياق الحديث عن حسابات يزيد الخاطئه نشير أيضا إلى عمليه نقل أسرى أهل البيت (عليهم السلام) إلى الكوفه، و من ثم إلى الشام، و ما تخلّل ذلك من ممارسات إرهابيه عكست نزعتة الإجراميه، و لم يلتفت يزيد إلى خطوره الجريمه التي ارتكبها إلا بعد أن تدفقت عليه التقارير التي تتحدّث عن ردود الفعل و الاحتجاجات على قتله ريحانه رسول الله (صلى الله عليه و اله)، و لذلك حاول أن يلقى مسؤوليه الجريمه البشعه على ابن مرجانه، قائلا للإمام السجاد (عليه السلام): لعن الله ابن مرجانه، أما و الله لو أتى صاحب أبيك ما سألتني خصله أبدا إلا أعطيته إياها، و لدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت، و لكن الله قضى الله ما رأيت، كاتبني من المدينة و أنه كل حاجه تكون لك (١).

و التقى الإمام السجاد (عليه السلام) خلال وجوده في الشام بالمنهال بن عمرو، فبادره قائلا: كيف أمسيت يا ابن رسول الله؟ فرمقه الإمام بطرفه و قال له:

«أمسينا كمثل بنى إسرائيل في آل فرعون، يذبحون أبناءهم، و يستحيون نساءهم، أمست العرب تفتخر على العجم بأن محمدا منها، و أمست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمدا منها، و أمسينا أهل بيته مقتولين مشردين، فإنّا لله و إنّنا إليه راجعون» (٢).

ص: ٦٧

١- ((١)) تاريخ الطبري: ٤٦٢/٥، و الارشاد: ١٢٢/٢.

٢- ((٢)) اللهوف في قتلى الطفوف: ٨٥، و رواه ابن سعد في الطبقات مسندا عن المنهال بن عمرو الكوفي في الكوفه و ليس الشام، و الخبر أكثر من هذا و إنّما هذا مختصر الخبر.

و عهد يزید إلى النعمان بن بشیر أن یصاحب ودائع رسول الله (صلی الله علیه و اله) و عقائل الرساله فیردھنّ إلى یثرب (١) و أمر بإخراجھنّ لیلا
خوفا من الفتنه و اضطراب الأوضاع (٢).

ص: ٦٨

١- (١) الطبری: ٤٦٢/٥، و الارشاد: ١٢٢/٢ و عنھما فی وقعه الطف لأبى مخنف: ٢٧٢.

٢- (٢) عن تفسیر المطالب فی أمالی أبى طالب: ٩٣، و الحدائق الوردیة: ١٣٣/١.

إشاره

الإمام زين العابدين (عليه السلام) في المدينة

بدأت ردود الفعل على مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) بالظهور مع دخول سبايا أهل البيت (عليهم السلام) إلى الكوفه. فبالرغم من القمع و الإرهاب اللذين مارسهما ابن زياد مع كل من كان يبدى أدنى معارضة ليزيد، فإن أصواتا بدأت ترتفع محتججه على الظلم السائد.

فعندما صعد ابن زياد المنبر و أثنى على يزيد و حزبه و أساء إلى الحسين (عليه السلام) و أهل بيت الرسالة «قام إليه عبد الله بن عفيف الأزدي و قال له: يا عدو الله إن الكذاب أنت و أبوك و الذي ولاكك و أبوه يابن مرجانه، تقتل أولاد النبيين و تقوم على المنبر مقام الصديقين؟!»

فقال ابن زياد: عليّ به، فأخذته الجلاوزه فنادى بشعار الأزدي، فاجتمع منهم سبعمائه فانترعوه من الجلاوزه، فلما كان الليل أرسل إليه ابن زياد من أخرجه من بيته فضرب عنقه و صلبه» ١، و مع أنّ هذه المواجهه انتهت لصالح ابن زياد لكنّها كانت مقدّمه لاعتراضات اخرى.

و ظهرت في الشام أيضا بوادر السخط و الاستياء، الأمر الذي جعل يزيد ينحو باللأئمه في قتل الحسين (عليه السلام) على ابن زياد، إلا أنّ أشدّ ردود الفعل كانت تلك التي برزت في الحجاز، فقد انتقل عبد الله بن الزبير إلى مكه في الأيام الاولى من حكمه يزيد، و اتخذها قاعده لمعارضته للشام، و قام بتوظيف

فاجعه كربلاء للتنديد بنظام يزيد، وألقى خطابا وصف فيه العراقيين بعدم الوفاء، وأثنى على الحسين بن عليّ (عليه السّلام) ووصفه بالتقوى و العباده.

و فى المدينة ألقى الإمام زين العابدين (عليه السّلام) خطابا فى أهلها لدى عودته من الشام و العراق، يقول المؤرّخون: إنّ الإمام (عليه السّلام) جمع الناس خارج المدينة قبل دخوله اليها، و خطب فيهم قائلا:

«الحمد لله ربّ العالمين مالك يوم الدين بارئ الخلائق أجمعين، الذى بعد فارتفع فى السماوات العلى، و قرب فشهد النجوى، نحمده على عظام الامور، و فجائع الدهور، و مضاضه اللواذع، و جليل الرزء، و عظيم المصائب الفاضحه الكاظه الفادحه الجائحه.

أيها القوم، إنّ الله - له الحمد - ابتلانا بمصائب جليله، و ثلمه فى الإسلام عظيمه، قتل أبو عبد الله الحسين (عليه السّلام) و سبى نساؤه و صبيته، و داروا برأسه فى البلدان من فوق عامل السنان، و هذه الرزيه التى لا مثلها رزيه.

أيها الناس، فأىّ رجالات منكم يسرون بعد قتله؟! أم أىّ فؤاد لا يحزن من أجله؟! أم أىّ عين منكم تحبس دمعها و تضنّ عن انهما لها؟! فلقد بكت السبع الشداد لقتله، و بكت البحار بأواجها، و السماوات بأركانها، و الأرض بأرجائها، و الأشجار بأغصانها، و الحيتان و لجج البحار و الملائكه المقربون و أهل السماوات أجمعون.

يا أيها الناس، أىّ قلب لا ينصدع لقتله؟! أم أىّ فؤاد لا يحنّ إليه؟! أم أىّ سمع يسمع هذه الثلمه التى ثلمت فى الإسلام و لا يصمّ؟!!

أيها الناس، أصبحنا مطرودين مشرّدين مذودين و شاسعين عن الأمصار، كأننا أولاد ترك و كابل، من غير جرم اجترماه، و لا مكروه ارتكبناه، و لا ثلمه فى الإسلام ثلمناها، ما سمعنا بهذا فى آباءنا الأولين، إنّ هذا إلاً اختلاق.

و الله، لو أنّ النبىّ تقدّم اليهم فى قتالنا كما تقدم اليهم فى الوصايه بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا، فإنّا لله و إنّنا إليه راجعون، من مصيبه ما أعظمها و أوجعها و أفجعها و أكظّها

و أفضعها و أمرها و أفذحها! فعند الله نحتسب فيما أصابنا و أبلغ بنا، فإنه عزيز ذو انتقام» (١).

لقد جسّد هذا الخطاب-على قصره-واقعه كربلاء على حقيقتها مركزاً على المظلوميه التي لحقت بأهل البيت(عليهم السّلام) في قتل الحسين بن عليّ(عليه السّلام) من جانب، و أسر أهل بيته من جانب آخر، بالإضافة إلى المظلوميه التي لحقتهم بعد واقعه الطفّ، إذ حملت رؤوس الشهداء بما فيهم سيدهم الحسين(عليه السّلام) فوق الأسنّه من بلد إلى بلد.

و عبّ الإمام زين العابدين(عليه السّلام)-بلمحه سريعة و معبّره و مؤثّره- واصفا ما لقيه آل البيت من السبي و التشريد و التعامل السيّء و المهين، و هم أهل بيت الوحي و معدن الرساله، و هم قادة أهل الايمان و أبواب الخير و الرحمه و الهدايه.

و أنهى الإمام خطابه بوصف في منتهى الدقّه عن عظمه الجرائم التي ارتكبتها جيش السلطه الامويه في حقّ أهل البيت(عليهم السّلام)، فإن الرسول(صلّى الله عليه و اله) لو كان يأمر هؤلاء بالتمثيل بأهل البيت و تعذيبهم؛ لما كانوا يزيدون على ما فعلوا، فكيف بهم و قد نهاهم عن التمثيل حتى بالكلب العقور؟! و كيف يمكن توجيه كلّ ما فعلوه و قد أوصاهم النبيّ(صلّى الله عليه و اله) بحفظه في عترته، و لم يطالبهم بأجر للرساله سوى المودّه في قرباه؟!

فالإمام زين العابدين(عليه السّلام) حاول في خطابه هذا تكريس مظلوميه أهل البيت لاستنهاض الروح الثوريه في أهل المدينه، و تحريك الوعي النهضوى ضدّ الظلم و الجبروت الاموى و الطغيان السفيناني.

و لم تكن الأوضاع هادئه في المدينه في هذه السنه التي كانت تحت

ص: ٧١

إداره الوليد بن عتبه بن أبي سفيان، و أوضح شاهد على اضطراب الأوضاع فى المدينه هو استبدال ثلاثه ولاءه خلال عامين، و استبدال يزيد الوليد بن عتبه بعثمان بن محمد بن أبي سفيان (١).

و أراد عثمان أن يدلل على كفاءته فى إداره المدينه و يكسب رضا وجوهها عن يزيد و عنه فأرسل و فدا من أبناء المهاجرين و الأنصار إلى دمشق، ليشاهدوا الخليفه الشاب عن كتب و ينالوا نصيبهم من هداياه، إلا أن الوفد رأى فى سلوكك يزيد ما يشين و يقبح.

و لما رجعوا إلى المدينه أظهروا شتم يزيد و عيبه، و قالوا: قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، و يضرب بالطنابير، و تعزف عنده القيان، و يلعب بالكلاب، و يسمر عنده الحراب - و هم اللصوص - و إننا نشهدكم أننا قد خلعناه.

و قال عبد الله بن حنظله: لو لم أجد إلا بنى هؤلاء لجاهدته بهم، و قد أعطانى و أكرمنى و ما قبلت عطاءه إلا لآتقوى به.

فخلعه الناس و بايعوا عبد الله بن حنظله الغسيل على خلع يزيد و ولوه عليهم (٢).

ثوره أهل المدينه:

إن نقد الوفد المدنى ليزيد لم يكن هو الدليل الوحيد عند أهل المدينه على انحراف يزيد و تنكره للإسلام و جوره و طغيانه، بل إنهم كانوا قد لمسوا جور يزيد و عماله على البلدان الإسلاميه و فسقهم و شدّه بطشهم و استهتارهم

ص: ٧٢

١- (١) تاريخ الطبرى: ٤٧٩/٥، ٤٨٠.

٢- (٢) الطبرى: ٤٨٠/٥ و عنه فى الكامل فى التاريخ: ١٠٣/٤.

بالحرمت الإلهية التي لا مجال لتأويلها، إذ كيف يمكن تأويل ما ارتكبه من القتل الفظيع في حقّ الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ربحانه الرسول و سيّد شباب أهل الجنة و ما اقترفه من السبى لأهله و حرمه؟ و كيف يمكن تأويل ما أظهره من شربه للخمر التي حرّمها الله بالنصّ الصريح؟!

هذا، فضلاً عن حقد الامويين على الأنصار، و الذي لم يتردّد الامويون في إظهاره لهم، و من هنا لم يتلکأ أهل المدينة في اخراج عامل يزيد عليها، فحاصروا بنى اميه و أتباعهم، و كلّم مروان بن الحكم - و هو العدوّ اللدود لآل الرسول (صلّى الله عليه و اله) - الإمام زين العابدين (عليه السلام) في منح الأمان له، فاستجاب الإمام (عليه السلام) لهذا الطلب تكزّماً (١) و إغضاء عن كلّ ما ارتكبه هذا العدوّ في حقّ أهل البيت (عليهم السلام)، في دفن الإمام الحسن (عليه السلام) و في الضغط على الإمام الحسين (عليه السلام) من أجل أخذ البيعه ليزيد.

و لما بلغ أمر الثورة إلى مسامع يزيد أرسل مسلم بن عقبة ليقضى على ثورة أهل المدينة - و هي مدينة رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و مهبط وحي الله - و زوّده بتعليمات خاصّة تجاههم قائلاً له:

ادع القوم ثلاثاً فإن أجابوك و إلّا - فقاتلهم، فإذا ظهرت عليهم فأبجها - أى المدينة - ثلاثاً، فما فيها من مال أو دابّة أو سلاح أو طعام فهو للجنّد (٢).

و أمره أن يجهز على جريحهم و يقتل مدبرهم (٣).

وصل جيش يزيد إلى المدينة، و بعد قتال عنيف مع أهلها استبسل فيه الثائرون دفاعاً عن دينهم، و استشهد أغلب المدافعين بمن فيهم عبد الله بن

ص: ٧٣

١- (١) تاريخ الطبرى: ٤/٤٨٥، و الكامل فى التاريخ: ٤/١١٣.

٢- (٢) الطبرى: ٥/٤٨٤ و عنه فى الكامل.

٣- (٣) التنبيه و الاشراف: ٢٦٣ ط. القاهرة.

حفظه و مجموعه من صحابه رسول الله (صلى الله عليه و اله) و نفذ قائد الجيش أوامر سيده يزيد، و أوعز إلى جنوده باستباحه المدينة، فهجم الجند على البيوت و قتلوا الأطفال و النساء و الشيوخ، كما أسروا آخرين.

قال المؤرخ ابن كثير: أباح مسلم بن عقبه -الذي يقول فيه السلف (مسرف بن عقبه) قبحه الله من شيخ سوء ما أجهله -المدينة ثلاثة أيام كما أمره يزيد -لا جزاء الله خيرا -و قتل خلقا من أشرفها و قرانها، و انتهب أموالا كثيرة منها... و جاءته امرأة فقالت: أنا مولاتك و ابني في الاسارى، فقال:

عجلوه لها، فضرب عنقه، و قال: اعطوها رأسه، و وقعوا على النساء حتى قيل:

إنه حبلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج.

قال المدائني، عن هشام بن حسان: ولدت ألف امرأة من أهل المدينة بعد وقعه الحره من غير زوج. و روى عن الزهري أنه قال: كان القتل يوم الحره سبعمائه من وجوه الناس من المهاجرين و الأنصار، و وجوه الموالى ممن لا أعرف من حرّ و عبد و غيرهم عشرة آلاف (١).

و حدث مره أن دخلت الجيوش الشاميه أحد البيوت، فلما لم يجدوا فيه إلا امرأة و طفلا سألوها إن كان فى البيت شىء ينهبونه، فقالت: إنه ليس لديها مال، فأخذوا طفلها و ضربوا رأسه بالحائط فقتلوه بعد أن انتثر دماغه من أثر الضرب بالحائط (٢).

ثم نصب كرسي لمسلم بن عقبه، و جىء بالاسارى من أهل المدينة فكان يطلب من كل واحد منهم أن يبايع و يقول: إننى عبد مملوك ليزيد بن

ص: ٧٤

١- (١) البدايه و النهايه: ٢٢٠/٨، و تاريخ الخلفاء: ٢٣٣. أما الطبرى فلم يذكر إلا إباحه القتال و الأموال ثلاثة أيام: ٤٩١/٥ و ترك ذكر الفروج و تبعه الجزرى فى الكامل.

٢- (٢) تاريخ ابن عساكر: ١٣/١٠، المحاسن و المساوى: ١٠٤/١.

معاويه يتحكّم فيّ و في دمي و في مالي و في أهلي ما يشاء (١).

و كلّ من كان يمتنع و لم يبايع بالعبوديه ليزيد و كان يصرّ على القول بأنّه عبد لله-سبحانه و تعالى- كان مصيره القتل (٢).

و جيء له بيزيد بن عبد الله-و جدّته امّ سلمه زوج رسول الله(صلّى الله عليه و اله)- مع محمد بن حذيفه العدوي، فطلب اليهما أن يبايعا، فقالا: نحن نبايع على كتاب الله و سنّه نبيّه، فقال مسلم: لا و الله لا اقبلكم هذا أبدا، فقدّمهما فضرب أعناقهما.

فقال مروان بن الحكم-و كان حاضرا-: سبحان الله! أتقتل رجلين من قريش أتيا ليؤمنا فضربت أعناقهما؟! فنحس مسلم مروان بالقضيب في خاصرته، ثم قال له: و أنت و الله لو قلت بمقاتلتهما ما رأيت السماء إلا برقه.

(أى لقتلت) (٣).

ثم جيء بأخر فقال: إني ابايع على سنّه عمر، فقال: اقتلوه، فقتل (٤).

و اتى بزبن العابدين (عليه السلام) إلى مسلم بن عقبه، و هو مغتاض عليه فتبرّأ منه و من آبائه. فلما رآه و قد أشرف عليه ارتعد و قام له، و أَعَدّه إلى جانبه، و قال له: سلني حوائجك، فلم يسأله في أحد ممّن قدّم إلى السيف إلا شَفَّعه فيه، ثم انصرف عنه.

ص: ٧٥

-
- ١- (١) تاريخ الطبري ٤٩٣/٥ و ٤٩٥ و عنه في الكامل في التاريخ: ١١٨/٤ و في مروج الذهب ٧٠:٣، الكامل في التاريخ ١١٨:٤، و البدايه و النهايه ٢٢٢:٨. و قد جاء في تاريخ اليعقوبي ٢:٢٥١: كان الرجل من قريش يؤتى به فيقال: بايع على أنّك عبد قنّ ليزيد، فيقول: لا. فيضرب عنقه.
 - ٢- (٢) الكامل في التاريخ: ١١٨/٤، مروج الذهب: ٧٠/٣.
 - ٣- (٣) تاريخ الطبري: ٤٩٢/٥ و عنه في الكامل في التاريخ: ١١٨/٤.
 - ٤- (٤) تاريخ الطبري: ٤٩٣/٥، الاخبار الطوال: ٢٦٥.

فَقِيلَ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): رَأَيْتَ كَيْفَ تَحْرُكُ شَفْتَيْكَ، فَمَا الَّذِي قَلْتَ؟

قال: «قلت: اللهم ربّ السماوات السبع و ما أظللن، و الأَرْضين السبع و ما أقلن، ربّ العرش العظيم، ربّ محمّد و آله الطاهرين، أعوذ بك من شرّه، و أدراً بك في نحره، أسألك أن تؤتيني خيره، و تكفيني شرّه».

قيل لمسلم: رأيناك تسبّ هذا الغلام و سلفه، فلما أتى به إليك رفعت منزلته؟ فقال: ما كان ذلك لرأى منى، لقد ملئ قلبى منه رعباً، و لم يبايع الإمام (عليه السّلام) ليزيد كما لم يبايع على بن عبد الله بن العباس، حيث امتنع بأخواله من كنده، فالحصين بن نمير نائب مسلم بن عقبة قال: لا يبايع ابن اختنا إلاّ كيّعه على بن الحسين (١).

و ذكر المؤرّخون: أنّ الإمام زين العابدين (عليه السّلام) كفل فى واقعه الحرّه أربعمئة امرأة من عبد مناف، و ظلّ ينفق عليهنّ حتى خرج جيش مسلم من المدينة (٢).

و جاء الحديث من غير وجه: أنّ مسرف بن عقبة لما قدم المدينة أرسل إلى على بن الحسين (عليهما السّلام) فأثاه، فلما صار إليه قرّبه و أكرمه و قال له: أوصانى أمير المؤمنين ببك و تميّزك من غيرك... (٣).

و واضح أنّ البيعه إذا ما عرضت بشرطها الاستعبادى على الإمام (عليه السّلام) فإنّه سيستمرّ على نهجه الراض، و أنّ معنى الرفض هنا إنّ يتصرّج بدماثة الزكيه، و هذا يعنى دخول صورته من صور النقمه العارمه ضد الممارسات

ص: ٧٦

١- (١) النظرية السياسية لدى الإمام زين العابدين، محمود البغدادي: ٢٧٣. المجمع العالمى لأهل البيت (عليهم السّلام) - الطبعة الاولى سنة ١٤١٥ هـ.

٢- (٢) كشف الغمه: ٣١٩/٢ عن نثر الدرر للآبى (ق ٤ هـ) عن ابن الأعرابى.

٣- (٣) الإرشاد: ١٥٢/٢.

الامويه القمعيه التي سوف تزلزل أعمده الكيان الحاكم.

و بعد انتهاء الأيام الداميه على مدينه الرسول (صلى الله عليه و اله) قال مسلم بن عقبه:

اللهم إني لم أعمل عملا قط بعد شهاده لا إله إلا الله، و أنّ محمدا عبده و رسوله أحبّ إليّ من قتل أهل المدينه، و لا أرجى عندي في الآخره (١).

كان مسلم في تلك الأيام قد تجاوز التسعين من عمره، أي أنّه كان قريبا جدا من حتفه و قد هلك بعيد وقعه الحرّه و قبل أن يصل إلى مكه، و كان من الذين لم يحملوا من الإسلام إلاّ اسمه، و وظّفوا ظاهر القرآن و الحديث لتسويغ جرائمهم، فقد كان من المخلصين لمعاويه بن أبي سفيان، و في صفّين كان يقود معسكر معاويه بن أبي سفيان ضد الخليفه الشرعي للمسلمين، ألا و هو الإمام عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين (عليه السلام) (٢).

و لعلّه لم يسمع حديث الرسول (صلى الله عليه و اله) الذي جاء فيه: «من أخاف أهل المدينه أخافه الله، و عليه لعنه الله و الملائكه و الناس أجمعين» (٣).

و لعلّه قد سمع هذا الحديث، لكنّه لمّا وجد من يعتبر نفسه خليفه للنبيّ (صلى الله عليه و اله) قد تجرّأ على قتل ابن بنت النبيّ (صلى الله عليه و اله) و سبى بناته من مدينه إلى اخرى، دون أن يعترض عليه أحد، فممّ يخشى هو إن اعتدى على مدينه النبيّ (صلى الله عليه و اله)؟!!

و بعد أن قمع بوحشيّه ثوره أهل المدينه و أجهض انتفاضتهم؛ توجّه مسلم إلى مكه التي أعلن فيها عبد الله بن الزبير ثورته على الحكم الاموي،

ص: ٧٧

١- ((١)) تاريخ الطبري: ٤٩٧/٥ و عنه في الكامل في التاريخ: ١٢٣/٤.

٢- ((٢)) وقعه صفين: ٢٠٦ و ٢١٣ و في الإصابه: ٤٩٣/٣-٤٩٤.

٣- ((٣)) البدايه و النهايه: ٢٢٣/٨، رواه عن النسائي، و روى مثله عن أحمد بن حنبل. انظر أحاديث اخرى عن هذا الموضوع في كتر العمال، كتاب الفضائل الحديث ٣٤٨٨٦، و وفاء الوفاء: ٩٠، و سفينه البحار: ٣٨/٨، ٣٩ عن دعائم الإسلام.

لكنه لقي حتفه في الطريق، فتسلم الحصين بن نمير قيادة الجيش الاموي بناء على أوامر يزيد، وعند ما وصل أطراف مكة فرض حصارا عليها و ضرب الكعبة بالمنجنيق و أحرقها (١).

و في الوقت الذي كانت فيه مكة تحت حصار الجيش الاموي لقي يزيد حتفه، فعقد قائد الجيش الاموي-الذي لم يكن و قنذاك يعرف زعيمه الذي يقاتل معه-ماوضات مع ابن الزبير أعرب له فيها عن استعداده لقبول بيعته شريطه أن يرافقه إلى الشام، إلا أن ابن الزبير رفض الشرط، فعاد الحصين و جيشه إلى الشام.

انشقاق البيت الاموي:

مات يزيد في ربيع الأول من سنة (٦٤ هـ) و هو في سن الثامنة و الثلاثين من عمره في حوارين، و كانت صحيفه أعماله في مده حكمه-الذي استمر ثلاث سنوات و بضعه أشهر-مسوده بقتل ابن بنت النبي و أسر أهل بيت الوحي و حرائر رساله إلى جانب القتل الجماعي لأهل المدينة و هدم الكعبة المشرفة.

و بعد موت يزيد بايع أهل الشام ولده معاويه، إلا أن حكمه لم يستمر أكثر من أربعين يوما، إذ أعلن تنازله عن العرش، و مات بعدها في ظروف غامضة، فانشقت القيادات المؤيدة لبني اميه على نفسها إلى كتلتين: كتله أيدت زعامه مروان بن الحكم، و قد مثل هذا الاتجاه القبائل اليمانية بقيادة حسان الكلبى، بينما أيدت قوى القيسيين بقيادة الضحّاك بن قيس الفهري،

ص: ٧٨

١- (١) تاريخ الطبرى: ٤٩٨/٥ و عنه فى الكامل فى التاريخ: ٢٤/٤ عن الكلبي عن عوانه بن الحكم، ثم روى أخبارا عن ابن عمر تحاول نسبه الحرق إلى أصحاب ابن الزبير خطأ، فى محاوله لتبرير يزيد الشّيرير.

عبد الله بن الزبير.

و إبان خلافه يزيد القصيره امتدت؛ أيدي الكليبيين تدريجيا إلى مراكز السلطه، فمارسوا ضغوطا شديده على القيسيين، الأمر الذي أزعج الضحّاك كثيرا فانتهاز الفرصه بعد موت يزيد ليبيع ابن الزبير - وهو من العرب العدنانيه - و اشتبك الكليبيون و القيسيون في «مرج راهط» (1) في معركة أسفرت عن انتصار الكليبيين، فأصبح مروان بن الحكم خليفه، و استقرت الأوضاع المضطربه في الشام نسبيا.

تزايد المعارضه للحكم الاموي:

صعد عبد الله بن الزبير معارضته للشام التي بدأها بعد موت معاويه، حيث كان قد دعا الحجازيين لمبايعته كخليفه للمسلمين، فاستجابت له الأكثرية الساحقه منهم، و شهد العراق من جديد تحركات ضد الحكم الاموي.

و يبدو أن الذين دعو الإمام الحسين (عليه السلام) إلى العراق عبر الرسائل المتواليه و رحبوا بممثله اليهم ثم تخلّوا عنه و عن الحسين (عليه السلام) بتلك الصوره المنخزيه ندموا على موقفهم المذلّ ذاك، لكن هل الذين تحرّكوا ضدّ الشام كانوا نادمين جميعا؟

الجواب: كلاً، فليس جميع الذين تحرّكوا بعد موت يزيد كانوا يحملون همّ الإسلام، فقد كان هناك من يريد إخضاع الشام للعراق و إعادته عاصمه الخلافه إلى العراق.

و على أيّ حال، فقد أعلن المتدينون و السياسيون معارضتهم ضد حكم

ص: ٧٩

الشام، لكنهم لم يحققوا شيئاً يذكر (١) على صعيد إسقاط الحكم على المدى القريب، فقتل سليمان بن صرد قائد التّوآيين، ورجع من بقي من جيشه إلى الكوفة، وفي تلك الغضون أظهر المختار بن أبي عبيدة الثقفي دعوته حاملاً شعاراً لثارات الحسين (عليه السّلام).

بدأ المختار بإعداد الشيعة للثورة بعد فشل ثوره التّوآيين، وكان يعرف جيداً أنّ أيّ تحرّك شيعي يقتضى زعامه من أهل بيت الرسالة (عليهما السّلام)، وأنّ الانطلاق ينبغي أن يتمّ باسمهم و من أفضل من عليّ بن الحسين (عليه السّلام)؟ وإن رفض الإمام الاستجابة لذلك فليس أمامه غير محمد بن علي بن أبي طالب وهو عمّ الإمام السّجاد (عليه السّلام).

من هنا كاتب المختار الإمام زين العابدين (عليه السّلام) وعمّه معا، أمّا الإمام (عليه السّلام) فلم يعلن عن تأييده الصريح له، لكنّه (عليه السّلام) أمضى عمله عند ما ثار من قتله أبيه الحسين (عليه السّلام). أمّا عمه محمد بن الحنفية فقد أجاب على سؤال الوفد الذي جاء من الكوفة ليستفسر عن مدى شرعية الانصواء تحت رايه المختار قائلاً: أما ما ذكرت من دعاء من دعاكم الى الطلب بدمائنا فوالله لو ددت أنّ الله انتصر لنا من عدوّنا بمن شاء من خلقه (٢).

و فهم الوفد تأييد ابن الحنفية لحركة المختار وهكذا استطاع المختار أن يستقطب كبار الشيعة مثل ابراهيم بن مالك الأشتر وغيره.

ص: ٨٠

١- (١) زندگانی علی بن الحسین: ٩٢- حیاة الإمام علی بن الحسین (عليه السّلام).

٢- (٢) تاریخ الطبری: ١٢/٦-١٤ بروایه ابي مخنف. و ابن نما الحلّي فی کتابه: شرح الثأر روى عن والده: أنّه قال لهم: قوموا بنا إلى إمامي و إمامكم علی بن الحسین، فلمّا دخلوا علیه و أخبروه خبرهم الذي جاؤوا لأجله قال لعمّه محمّد: يا عمّ، لو أنّ عبداً زنجياً تعصّب لنا أهل البيت لوجب علی الناس مؤازرته، و قد وليتک هذا الأمر فاصنع ما شئت. فخرجوا و هم يقولون: قد أذن لنا زين العابدين و محمّد بن الحنفية، كما روى عنه فی بحار الأنوار: ٣٦٥/٤٥.

و أرسل المختار رأسى عبيد الله بن زياد و عمر بن سعد إلى الإمام فسجد (عليه السلام) شكرا لله تعالى و قال:

«الحمد لله الذى أدرك لى تأرى من أعدائى و جزى الله المختار خيرا» (١).

و قال يعقوبى: و وجه المختار بالرأس الخبيث (أى: رأس ابن زياد) إلى الإمام على بن الحسين، و عهد إلى رسوله بأن يضع الرأس بين يدى الإمام وقت ما يوضع الطعام على الخوان بعد الفراغ من صلاة الظهر، و جاء الرسول إلى باب الإمام، و قد دخل الناس لتناول الطعام، فرفع الرجل عقيرته و نادى:

يا أهل بيت النبوة! و معدن الرسالة، و مهبط الملائكة، و منزل الوحي! أنا رسول المختار بن أبى عبيده الثقفى و معى رأس عبيد الله بن زياد... و لم تبق علويه فى دور بنى هاشم إلا صرخت (٢)، و يقول المؤرخون: إن الامام زين العابدين (عليه السلام) لم ير ضاحكا منذ أن استشهد أبوه إلا فى اليوم الذى رأى فيه رأس ابن مرجانه (٣).

و عن بعض المؤرخين: أنه لما رأى الإمام رأس الطاغية قال:

«سبحان الله، ما اغتر بالدنيا إلا من ليس لله فى عنقه نعمه، لقد ادخل رأس أبى عبد الله على ابن زياد و هو يتغدى» (٤).

سنوات المحن و الاضطرابات:

كانت الفتره الممتده بين عامى (٦٦ و ٧٥ هـ) بالنسبه للشام و الحجاز

ص: ٨١

١- (١) رجال الكشى: ١٢٧ ح ٢٠٣ و عنه فى. المختار الثقفى: ١٢٤.

٢- (٢) تاريخ يعقوبى: ٢٥٩/٢ ط بيروت.

٣- (٣) المصدر السابق.

٤- (٤) العقد الفريد: ١٤٣/٥.

و العراق فتره محن و اضطرابات، فلم يتحقق في هذه المناطق الهدوء و الأمن.

و شهد الحجاز هجوم قوات عبد الملك على مكة و مقتل عبد الله بن الزبير، إلا- أن نصيب العراق من الاضطرابات كان أكبر من المنطقتين السابقتين. و يمكن القول بجرأه أن ما لحق بأهل العراق كان هو النتيجة الطبيعية لدعاء سبط الرسول الأعظم (صلى الله عليه و اله) عليهم، إذ رفع الإمام الحسين (عليه السلام) يده بالدعاء في كربلاء و قال:

«اللهم احبس عنهم قطر السماء و ابعث عليهم سنين كسنتى يوسف و سلط عليهم غلام ثقيف فيسومهم كأسا مصبّره فإنهم كذبونا و خذلونا...» (١).

و انتقم الله تعالى من أهل العراق الذين كذبوا الحسين بن علي (عليه السلام) و خذلوه بواسطة رجل ارهابى مستبد هو الحجاج بن يوسف الثقفى الذى كان «لا يصبر عن سفك الدماء، و ارتكاب امور لا يقدر عليها غيره» (٢).

و اتخذ الحجاج سجونا لا تقى من حرّ و لا برد، و كان يعدّب المساجين بأقسى ألوان العذاب و أشدّه، فكان يشدّ على يد السجين القصب الفارسى المشقوق، و يجر عليه حتى يسيل دمه.

يقول المؤرّخون: إنّه مات فى حبسه خمسون ألف رجل، و ثلاثون ألف امرأه منهنّ ستّ عشره ألف مجرّدات، و كان يحبس الرجال و النساء فى موضع واحد (٣) و احصى فى سجنه ثلاثه و ثلاثون ألف سجين لم يحبسوا فى دين و لا تبعه (٤)، و كان يمرّ على أهل السجن فيقول لهم: إخشأوا فيها و لا

ص: ٨٢

-
- ١- (١) تاريخ الطبرى: ٤٥١/٥ و عنه فى وقعه الطف: ٢٥٤ و قريبا منه فى الإرشاد: ١١١، ١١٠/٢. و ليس فيه: سنين كسنتى يوسف، و لا غلام ثقيف.
 - ٢- (٢) حياه الحيوان: ١٦٧.
 - ٣- (٣) حياه الحيوان: ١٧٠/١.
 - ٤- (٤) معجم البلدان: ٣٤٩/٥.

وقد كان يسخر من المسلمين الذين يزورون قبر النبي (صلى الله عليه و اله) ويقول: تبا لهم، إنّما يطوفون بأعواد و رمّه باليه، هلاً طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك! ألا يعلمون أنّ خليفه المرء خير من رسوله (٢)؟!

و عهد عبد الملك بن مروان بالملك من بعده إلى ولده الوليد، و أوصاه بالإرهايى الحجاج خيراً، و قال له: و انظر الحجاج فأكرمه، فإنّه هو الذى وطأ لكم المنابر و هو سيفك يا وليد و يدك على من ناواك، فلا تسمعنّ فيه قول أحد و أنت إليه أحوج منه إليك، و ادع الناس إذا متّ إلى البيعه، فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا... (٣).

و مثلت هذه الوصيه اندفاعاته نحو الشرّ حتى الساعات الأخيره من حياته، إذ لم يبق بعدها إلاّ لحظات حتى وافته المتيه، و كانت وفاته فى شوال سنه (٨٦ هـ) (٤) و قد سئل عنه الحسن البصرى فقال: ما أقول فى رجل كان الحجاج سيئه من سيئاته (٥).

ص: ٨٣

-
- ١- (١) تهذيب التهذيب: ٢١٢/٢.
 - ٢- (٢) شرح النهج: ٢٤٢/١٥ عن كتاب: افتراق هاشم و عبد شمس للدباس. و قد ورد الخبر قبله فى الكامل للمبرّد: ٢٢٢/١. و فى سنن أبى داود: ٢٠٩/٤ و البدايه و النهايه: ١٣١/٩ و النصائح الكافيه لابن عقيل: ١١ عن الجاحظ، و فى رسائل الجاحظ: ١٦/٢.
 - ٣- (٣) تاريخ الخلفاء: ٢٢٠.
 - ٤- (٤) البدايه و النهايه: ٦٨/٩.
 - ٥- (٥) مروج الذهب: ٩٦/٣.

استشهاد الإمام زين العابدين (عليه السلام)

و تقلد الوليد أزمه الملك بعد أبيه عبد الملك بن مروان، وقد وصفه المسعودي بأنه كان جبارا عنيدا ظلوما غشوما (١)، حتى طعن عمر بن عبد العزيز الأموي في حكومته، فقال فيه: إنه ممن امتلأت الأرض به جورا (٢).

وفي عهد هذا الطاغية الجبار استشهد العالم الإسلامي الكبير سعيد بن جبير على يد الحجاج بن يوسف الثقفي أعتى عامل اموى.

وقد كان الوليد من أحقد الناس على الإمام زين العابدين (عليه السلام) لأنه كان يرى أنه لا يتم له الملك و السلطان مع وجود الإمام زين العابدين (عليه السلام).

فقد كان الإمام (عليه السلام) يتمتع بشعبية كبيرة، حتى تحدثت الناس بإعجاب و إكبار عن علمه و فقهه و عبادته، و عجت الأندية بالتحدث عن صبره و سائر ملكاته، و احتل مكانا كبيرا في قلوب الناس و عواطفهم، فكان السعيد من يحظى برؤيته، و يتشرف بمقابلته و الاستماع إلى حديثه، و قد شق على الامويين عامه هذا الموقع المتميز للإمام (عليه السلام)، و أقض مضاجعهم، و كان من

ص: ٨٥

١- (١) مروج الذهب: ٩٦/٣.

٢- (٢) تاريخ الخلفاء: ٢٢٣.

أعظم الحاقدين عليه الوليد بن عبد الملك (١)الذى كان يحلم بحكومه المسلمين و خلافه الرسول(صلى الله عليه و اله).

و روى الزهرى:عن الوليد أنه قال:لا راحه لى و على بن الحسين موجود فى دار الدنيا (٢).

فأجمع رأيه على اغتيال الإمام زين العابدين(عليه السلام)حينما آل اليه الملك، فبعث سماء قاتلا- إلى عامله على يثرب،و أمره أن يدسّيه للإمام(عليه السلام) (٣)و نفذ عامله ذلك،فسمت روح الإمام العظيمه إلى خالقها بعد أن أضاءت آفاق هذه الدنيا بعلمومها و عباداتها و جهادها و تجرّدها من الهوى.

و قام الإمام أبو جعفر محمد الباقر(عليه السلام)بتجهيز جثمان أبيه،و بعد تشييع حافل لم تشهد يثرب نظيرا له؛و جىء بجثمانه الطاهر إلى بقيع الفرقد،فحفروا قبرا بجوار قبر عمّه الزكى الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام)سيّد شباب أهل الجنه و ريحانه رسول الله(صلى الله عليه و اله)-و أنزل الإمام الباقر(عليه السلام)جثمان أبيه زين العابدين و سيّد الساجدين(عليه السلام)فواراه فى مقرّه الأخير.

فسلام عليه يوم ولد و يوم استشهد و يوم يبعث حيا

ص:٨٦

١- ((١)) هناك من المؤرّخين من يرى أنّ هشام بن عبد الملك هو الذى دسّ السمّ للإمام(عليه السلام)،راجع بحار الأنوار:١٥٣/٤٦،و يمكن الجمع بين الرأيين فيكون أحدهما أمرا و الآخر منقّدا للجريمه.

٢- ((٢)) راجع:حياه الإمام زين العابدين:٦٧٨.

٣- ((٣)) بحار الأنوار:١٥٣/٤٦ عن الفصول المهمه لابن الصباغ المالكى:١٩٤.

الباب الرابع

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

نظرة عامّة في مسيره أهل البيت (عليهم السّلام) الرساليه

الفصل الثاني:

ملامح عصر الإمام زين العابدين (عليه السّلام)

الفصل الثالث:

تخطيط الإمام زين العابدين و جهاده (عليه السّلام)

الفصل الرابع:

ظواهر فذّه في حياه الإمام زين العابدين (عليه السّلام)

ص: ٨٧

اشاره

نظره عامه فى مسيره أهل البيت (عليهم السلام) الرساليه

للوصل إلى التصور الصحيح عن المسيره الرساليه لأهل البيت (عليهم السلام) الرساليه لابد أن نجيب على الأسئلة التاليه:

١- ما هى الرساله الإسلاميه؟

٢- ما هى الأخطار التى كانت تواجهها؟

٣- ما هى التحصينات التى كان ينبغى أخذها ضد تلك الأخطار.

و قبل الإجابة نقول: هناك نظرتان أساسيتان للكون و لموقف الإنسان منه.

النظرة الاولى: أن الكون مملكه لمليك قدير يراقب من وراء الستار مراقبه غير منظوره. و الإنسان فى الكون هو الأمين و الخليفه لا- الأصيل و المتحكم؛ لأن هذه مملكه غيره بكل ما فيها من وجود بما فيها نفس الإنسان. و الإنسان إنما يقوم بأعباء الخلافه و الأمانه. و هذه الخلافه و الأمانه تستبطن ضروره استيحاء الأمر و النهى و التدبير و التقدير و التقديم من قبل ذلك المليك القدير. و الأمين لابد له أن يطبق على الأمانه التى استؤمن عليها قرارات المالك. فلا بد للإنسان إذن أن يكون رهن أوامر ذلك المليك القدير.

و الجزء الآخر لهذه النظرية الأساسية: أن المسؤولية تستبطن الحساب و الثواب و العقاب. و هما يستبطنان وجود عالم آخر وراء هذا العالم لتحقيق نتائج هذه المراقبه المستوره. و حينئذ لا يكون الإنسان قيد هذا الشوط القصير في الدنيا، بل يكون رهن خط طويل، و على مستوى أهداف كبيره لا يستطيع هو أن يستنزفها؛ إذ تكون أوسع من عمر الإنسان في هذه الدنيا.

و إذا أصبحت البشريه على مستوى الأهداف الكبيره-لأنها انطلقت في غاياتها و في ثباتها إلى أكثر من حدود هذه الدنيا الفانيه-حينئذ تستطيع أن تقوم بأعباء تلك الأهداف الكبيره.

و الحضاره الإسلاميه عباره عن هذه النظره الأساسيه بكلّ شعبها و فروعها التي ترجع بالنهايه إلى تجسيد كامل للعلاقه مع الله سبحانه و تعالى في تفاعل الإنسان في كلّ مجالاته الحيويه و الكونيه.

و النظره الثانيه: هي أن يرى الإنسان نفسه أصيلاً في هذا الكون، و أن هذا الكون غير خاضع لمليك و مراقبه من وراء الستار. و حينما تتركز في نظره هذه الأصاله و هذا الاستقلال بهذا الكون تنعدم المسؤوليه، و إذا انعدمت المسؤوليه بقي عليه هو أن يتحمل المسؤوليه بنفسه.

فهو بدلاً من أن يشعر بأنه مسؤول و مراقب امام جهه عليا تضعه أمام أهداف كبرى في سبيل الثواب الكبير و العقاب الكبير، هو يصنع لنفسه المسؤوليه. و حينما يحتّم هو وضع المسؤوليه تكون هذه المسؤوليه نتاج نفسه فينعكس فيما وضعه تمام ما في نفسه، أي تمام المحتوى الداخلي و الروحي و الحسى بكل ما فيه من نقص و انحراف.

و حينما يريد الإنسان أن يحدد لنفسه مسؤولياته؛ فإنّما يحددها على ضوء أهدافه التي سوف يحددها على ضوء ما يراه من الطريق الذي يريد سلوكه.

و حيث ان طريقه محدود في نطاق المادة فسوف تكون الأهداف على مستوى الطريق المحدود...و حينئذ سوف يخسر القيم الأخلاقية و يتولد عن ذلك طبعاً-ألوان من الصراع و النزاع بين البشريه.

و جاء الإسلام ليربي الإنسان على النظرية الاولى بحيث تصبح جزء من وجوده و تجرى مع دمه و عروقه و فكره و عواطفه و تنعكس على كل مجالات تصرفه و سلوكه مع الله سبحانه و تعالى و مع نفسه و مع الآخرين.

و لا بد للإسلام حينئذ أن يهيمن على هذا الإنسان،و على كل طاقاته و علاقاته ليستطيع أن يربيه؛و كلما كانت الهيمنة أوسع نطاقا كانت التربيه أكثر نجاحا.فإن الأب قد لا ينجح في تربيه ابنه لأن وجود ابنه ليس كله تحت هيمنته؛لأن هذا الابن هو ابنه و ابن المجتمع أيضا مادام يتفاعل معه و يتأثر به و يؤثر فيه و يتبادل معه العواطف و المشاعر و الأفكار و الانفعالات،و قد يقيم معه علاقات في الحقول الأخلاقية و الاجتماعيه و السياسيه و الاقتصاديه و غير ذلك من مجالات حياته،فهو ليس ابنه وحده بل ابن المجتمع أيضا.

و من الطبيعي أن يعجز كثير من الآباء عن تربيه أبنائهم في المجتمع الفاسد.

اذن فالتربيه الكامله لا تتحقق إلا إذا هيمن المربي على الإنسان هيمنه كامله،على كل علاقاته الاجتماعيه مع غيره بحيث يصبح تمام هذا الوجود تحت سيطره هذا المربي،فيصير شخص واحد هو الأب و هو المجتمع.

و حينئذ يصبح هذا مربيًا كاملا.

و هذا ما صنعه رسول الله(صلى الله عليه و اله)حين هيمن على العلاقات الاجتماعيه لأنه تزعم المجتمع بنفسه،فأنشأ مجتمعا و قاده بنفسه و وقف يخطط لهذا المجتمع و يبنى كل العلاقات داخل الاطار الاجتماعى:علاقه الإنسان مع نفسه و علاقته مع ربّه و علاقته مع عائلته و علاقته مع بقيه أبناء مجتمعه.و لهذا

صارت كل هذه الأمور تحت هيمنته و بهذا استكمل الشرط الأساسى للتربية الناجحه (١).

و بالرغم من أن النبى (صلّى الله عليه و اله) قد مارس عمليه التغيير الشامله للمجتمع و أعرافه و أنظمتة و مفاهيمه، لكن الطريق لم يكن قصيرا أمام عمليه التغيير الشامله هذه، بل كان طريقا ممتدا بامتداد الفواصل المعنويه الضخمه بين الجاهليه و الإسلام، فكان على النبى (صلّى الله عليه و اله) أن يبدأ بإنسان الجاهليه فتنشئه إنشاء جديدا و يجعل منه الإنسان الإسلامى الذى يحمل النور الجديد و يجتث منه كل جذور الجاهليه و رواسبها.

و قد خطا الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و اله) بعمليه التغيير هذه خطوات مدهشه فى برهه قصيره جدّا (٢) حتّى و أنتجت التربية النبويه انتاجا عظيما و حققت تحولا فريدا.

و لكن الامه الإسلاميه - ككل - لم تكن قد عاشت فى ظل عمليه التغيير هذه إلا عقدا واحدا من الزمن على أكثر تقدير، و هذا الزمن لا يكفى عاده فى منطق الرسالات العقائديه و الدعوات التغييريه ليرتفع الجيل الذى عاش فى كنف الرساله عشر سنوات فقط إلى درجه من الوعى و الموضوعيه و التحرر من رواسب الماضى و الاستيعاب لمعطيات الرساله الجديده استيعابا يؤهله للقيومه على الخط الرسالى و تحمّل مسؤوليات الدعوه الى الله تعالى على بصيره تامّه و مواصله عمليه التغيير الشامله بدون قائد رسالى.

بل ان منطق الرسالات العقائديه يفرض أن تمر الامّه بوصايه عقائديه فتره أطول من الزمن تهيؤها للارتفاع إلى مستوى تلك القيمومه (٣).

ص: ٩٢

١- (١) أهل البيت تنوع أدوار و وحده هدف: ١١٧-١٢٢، طبعه دار التعارف.

٢- (٢) بحث حول الولاية: ١٥، طبعه دار التعارف.

٣- (٣) المصدر السابق: ٥٩.

و باعتبار أن الاسلام كان يريد تحقيق أهدافه كامله كان ينبغي أن يستمر تطبيقه على يد الرسول(صلى الله عليه و اله) نفسه فيمتدّ به العمر حتى يستكمل كلّ الشروط اللازمه للتربيه الشامله فى فتره زمنيه كافيه أو يوكل أمر تطبيق الإسلام إلى من يخلفه من القاده الأكفاء الذين بلغوا درجه العصمه فى مستواهم العقائدى و الفكرى و العملى ليصونوا أمر التربيه من أى انحراف أو انهيار.

اذن منطلق العمل التغييرى على مسار التاريخ كان يفرض على النبى(صلى الله عليه و اله) أن يصون تجربته من أى ضعف أو اندحار، و ذلك من خلال استمرار الوصايه على التجربه الانقلابيه الجديده و هكذا كان فقد تمثّلت مهمّه صيانته للتجربه الفتيه فى أهل بيته المعصومين(عليهم السلام)الذين أعدّهم بنفسه إعدادا رساليا و قياديا خاصا ليكونوا قادرين على مواصله عمليه التغيير الشامله بالشكل المطلوب، و المنسجم مع أهداف الرساله الكبرى.

الأخطار التى كان يواجهها الإسلام:

لم يكن الإسلام نظريه بشرية لكى تتحدّد فكريا من خلال الممارسه و التطبيق و تبلور مفاهيمه عبر التجربه المخلصه، و إنما هو رساله الله التى حدّدت فيها الأحكام و المفاهيم و زوّدت ربّانيا بكلّ التشريعات العامه التى تتطلبها التجربه، فلا بدّ لزعامه هذه التجربه من استيعاب الرساله بحدودها و تفاصيلها و وعى كامل لأحكامها و مفاهيمها، و إلا كانت مضطره إلى استلها م سبقاتها الذهنيه و مرتكزاتها القبليه و ذلك يؤدّى إلى نكسه فى مسيره التجربه و بخاصه إذا لا حظنا أن الإسلام كان هو الرساله الخاتمه من رسالات السماء التى يجب أن تمتد مع الزمن و تعدى كل الحدود الوقتيه و الاقليميه و القوميه، الأمر الذى لا يسمح بأن تمارس زعامته-التي تشكل الأساس لكلّ ذلك الإمتداد-تجارب الخطأ و الصواب التى تتراكم فيها الأخطاء عبر فتره من

الزمن حتى تشكل ثغره تهدد التجربه بالسقوط و الانهيار (١).

وقد برهنت الأحداث بعد وفاه الرسول(صلى الله عليه و اله)على هذه الحقيقه و تجلت بعد نصف قرن أو أقل من خلال ممارسه جيل المهاجرين الذين لم يرشحوا من قبل الرسول(صلى الله عليه و اله)لإمامه الدعوه و لم يكونوا مؤهلين للقيومه عليها.

و لم يمض ربع قرن حتى بدأت الخلافه الراشده تنهار تحت وقع الضربات الشديده التى وجهها أعداء الإسلام القدامى فاستطاعوا أن يتسللوا إلى مراكز النفوذ فى التجربه بالتدريج و يشغلوا القياده غير الواعيه ثم صادروا بكل وقاحه و عنف تلك القياده و أجبروا الامه و جيلها الطليعى الرائد على التنازل عن شخصيته و قيادته و تحولت الزعامه إلى ملك موروث يستهتر بالكرامات و يقتل الأبرياء و يبعثر الأموال و يعطل الحدود و يجمد الأحكام و يتلاعب بمقدرات الناس و أصبح الفيء و السواد بستانا لقريش،و الخلافه كره يتلاعب بها صبيان بنى أميه (٢).

مضاعفات الانحراف فى القياده الإسلاميه:

و هكذا واجه الإسلام بعد النبى(صلى الله عليه و اله)انحرافا خطيرا فى صميم التجربه الإسلاميه التى أنشأها النبى(صلى الله عليه و اله)للمجتمع الإسلامى و الامه الإسلاميه.و هذا الانحراف فى التجربه الاجتماعيه و السياسيه للامه فى الدوله الإسلاميه كان بحسب طبيعه الاشياء من المفروض أن يتسع ليتعمق بالتدريج على مر الزمن؛اذ الانحراف يبدأ بذره ثم تنمو هذه البدره،و كلما تحققت مرحله من الانحراف؛مهّدت هذه المرحله لمرحله أوسع و أرحب.

فكان من المفروض أن يصل هذا الانحراف إلى خط منحن طوال

ص:٩٤

١- (١) بحث حول الولاية: ٥٧-٥٨.

٢- (٢) المصدر السابق: ٦٠-٦١.

عملية تاريخيه زمنيه طويله المدى يصل به إلى الهاويه فتمر التجربه الإسلاميه للمجتمع و الدوله لتصبح مليئه بالتناقضات من كل جهه و من كل صوب، و تصبح عاجزه عن مواكبه الحدّ الأدنى من حاجات الامّه و مصالحها الإسلاميه و الإنسانيه.

و حينما يتسلسل الانحراف فى خط تصاعدى فمن المنطقى أن تتعرض التجربه بعد مدى من الزمن لانهييار كامل. إذن الدوله الإسلاميه و المجتمع الإسلامى و الحضاره الإسلاميه لقياده المجتمع كان من المفروض أن تتعرض كلّها للانهييار الكامل؛ لأن هذه التجربه حين تصبح مليئه بالتناقضات و حين تصبح عاجزه عن مواجهه وظائفها الحقيقيه؛ تصبح عاجزه عن حمايه نفسها؛ لأن التجربه تكون قد استنفدت إمكانيه البقاء و الاستمرار على مسرح التاريخ، كما أن الامّه ليست على مستوى حمايتها؛ لأن الامّه لا تجنى من هذه التجربه الخير الذى تفكّر فيه و لا تحقق عن طريق هذه التجربه الآمال التى تصبو اليها فلا ترتبط بأى ارتباط حياتى حقيقى معها، فالمفروض أن تنهار هذه التجربه فى مدى من الزمن كنتيجه نهائيه حتميه لبذره الانحراف التى غرست فيها.

مضاعفات انهيار الدوله الإسلاميه:

و معنى انهيار الدوله الإسلاميه أن تسقط الحضاره الإسلاميه و تنخلى عن قياده المجتمع و يتفكك المجتمع الإسلامى، و يقصى الإسلام عن مركزه كقائد للمجتمع و كقائد للامّه، لكن الامّه تبقى طبعاً، حين تفشل تجربه المجتمع و الدوله، لكنها سوف تنهار أمام أول غزو يغزوها، كما انهارت أمام الغزو التترى الذى واجهته الخلفه العباسيه.

و هذا الانهييار يعنى: أن الدوله و التجربه قد سقطت و أن الامّه بقيت،

لكن هذه الامه أيضا بحسب تسلسل الأحداث من المحتوم أن تنهار كأمه تدين بالإسلام و تؤمن به و تتفاعل معه؛ لأن هذه الامه قد عاشت الإسلام الصحيح زمنا قصيرا جدا و هو الزمن الذى مارس فيه الرسول الأعظم (صلى الله عليه و اله) زعامه التجربه و بعده عاشت الامه التجربه المنحرفه التى لم تستطع أن تعمق الإسلام و تعمق المسؤوليه تجاه عقيدتها و لم تستطع أن تثقفها و تحضنها و تزودها بالضمانات الكافيه لئلا تنهار أمام الحضاره الجديده و الغزو الجديده و الأفكار الجديده التى يحملها الغازى إلى بلاد الإسلام. و لم تجد هذه الامه نفسها قادره على تحصين نفسها بعد انهيار التجربه و الدوله و الحضاره بعدما اهينت كرامتها و حطمت ارادتها و غلت أيادها عن طريق الزعامات التى مارست تلك التجربه المنحرفه و بعد أن فقدت روحها الحقيقيه، لأن تلك الزعامات كانت تريد اخضاعها لزعامتها القسريه.

إن هذه الامه من الطبيعى أن تنهار بالاندماج مع التيار الكافر الذى غزاها و سوف تذوب الامه و تذوب الرساله و العقيدته أيضا و تصبح الامه خيرا بعد أن كانت أمرا حقيقيا على مسرح التاريخ و بهذا ينتهى دور الإسلام نهائيا (١).

لقد كان هذا هو التسلسل المنطقى لمسيره الدوله و الامه و الرساله بقطع النظر عن دور الأئمه المعصومين الذين اوكلت لهم مهمه صيانته التجربه و الدوله و الامه و الرساله جميعا.

و يتلخص دور الأئمه الراشدين الذين اختارهم الله و نص عليهم الرسول (صلى الله عليه و اله) لصيانته الإسلام و تطبيقه و تربيته الإنسانيه على أساسه و صيانته دوله الرسول الخاتم من الانهيار و التردى فى أمرين مهمين و خطين أساسيين بعد أن كانت التجربه الإسلاميه تشتمل على عناصر ثلاثه باعتبارها

ص: ٩٦

١- (١) راجع: أهل البيت تنوع أدوار و وحده هدف: ١٢٧-١٢٩.

عملية تربية تتكوّن من (فاعل) هو المربي و من (تنظيم) تقدّمه الشريعة و من (حقل لهذا التنظيم) و هو الأمة (١).

و الانحراف الذى بدأ يغيّر هذه العناصر الثلاثة انطلق من افتقاد المربي الكفوء للأمة بوفاه سيد المرسلين (صلى الله عليه و اله).

و كان انهدام هذا العنصر كفيلا بهدم العنصرين الآخرين إذ لم يكن من جاء بعد النبي (صلى الله عليه و اله) لقياده التجربه كفوءا لقيادتها كالنبي نفسه علما و عصمه و نزاهه و قدره و شجاعه و كمالا، و إنّما تزعمها من لم يكن معصوما و منصهرا فى حقيقه الرساله و لم يكن مالكا للضمانات اللازمه لصيانتها من الانحراف عن الخط الذى رسمه رسول الله (صلى الله عليه و اله) لهذه الأمة، ذلك الانحراف الذى لم يتصور المسلمون مدى عمقه و مدى تأثيره السلبى على الدوله و الامّه و الشريعه جميعا على طول الخط؛ إذ لعلهم كانوا قد اعتبروه تغيير شخص لا تغيير خط.

و الخطان الرئيسان اللذان عمل الأئمه عليهما و كان عليهم أن يوظفوا نشاطهم لهما هما:

١-خط تحصين الأمة ضد الانهيار بعد سقوط التجربه، و اعطائها من المقومات القدر الكافى لكى تبقى واقفه على قدميها بقدم راسخه و بروح مجاهده و بإيمان ثابت.

٢-خط محاوله تسلّم زمام التجربه و زمام الدوله و محو آثار الانحراف و ارجاع القياده إلى موضعها الطبيعى لتكتمل عناصر التربيّه و لتتلاحم الأمة و المجتمع مع الدوله و القياده الرشيدّه (٢).

أما الخط الثانى فكان على الأئمه الراشدين ان يقوموا بإعداد طويل

ص: ٩٧

١- ((١)) أهل البيت تنوّع أدوار و وحده هدف: ١٢٢.

٢- ((٢)) المصدر السابق: ٥٩.

المدى له، من أجل تهيئه الظروف الموضوعيه اللازمه التى تتناسب و تتفق مع مجموعه القيم و الأهداف و الأحكام الأساسيه التى جاءت بها الرساله الإسلاميه و أريد تحقيقها من خلال الحكم و ممارسه الزعامه باسم الإسلام القيم و باسم الله المشرّع للإنسان ما يوصله إلى كماله اللائق.

و من هنا كان رأى الأئمه فى استلام زمام الحكم أن الانتصار المسلح الآنئى غير كاف لإقامه دعائم الحكم الإسلامى المستقر بل يتوقف ذلك على اعداد جيش عقائدى يؤمن بالإمام و بعصمته ايماناً مطلقاً يعيش أهدافه الكبيره و يدعم تخطيطه فى مجال الحكم و يحرس ما يحققه للأئمه من مصالح أرادها الله لها.

و أما الخط الأول فهو الخط الذى لا يتنافى مع كل الظروف القاهره و كان يمارسه الأئمه (عليهم السلام) حتى فى حاله الشعور بعدم توفر الظروف الموضوعيه التى تهيئ الإمام لخوض معركه يتسلم من خلالها زمام الحكم من جديد.

إن هذا الدور و هذا الخط هو تعميق الرساله فكرياً و روحياً و سياسياً للأئمه نفسها بغية إيجاد تحصين كاف فى صفوفها ليؤثر فى تحقيق مناعتها و عدم انهيارها بعد تردى التجربه و سقوطها و ذلك بايجاد قواعد واعيه فى الأئمه و ايجاد روح رساليه فيها و ايجاد عواطف صادقه تجاه هذه الرساله فى الأئمه (١).

و استلزم عمل الأئمه (عليهم السلام) فى هذين الخطين قيامهم بدور رسالى ايجابى و فعال على طول الخط لحفظ الرساله و الأئمه و الدوله و حمايتها باستمرار. و كلما كان الانحراف يشتد؛ كان الأئمه يتخذون التدابير اللازمه

ص: ٩٨

١- ((١)) أهل البيت تنوع ادوار و وحده هدف: ١٣١-١٣٢ و ١٤٧-١٤٨.

ضد ذلك و كلما وقعت محنه للعقيده أو التجربه الإسلاميه و عجزت الزعامات المنحرفه من علاجها-بحكم عدم كفاءتها-بأدر الأئمة إلى تقديم الحل و وقايه الأمه من الأخطار التي كانت تهددها. فالأئمة (عليهم السّلام) كانوا يحافظون على المقياس العقائدى فى المجتمع الإسلامى إلى درجه لا تنتهى بالأئمة إلى الخطر الماحق لها (١).

و من هنا تنوع عمل الأئمة (عليهم السّلام) فى مجالات شتى باعتبار تعدد العلاقات و تعدّد الجوانب و المهام التي تهمهم كقياده واعيه رشيديه تريد تطبيق الإسلام و حفظه و ضمان خلوده للإنسانيه جمعاء.

فالأئمة مسؤولون عن صيانته تراث الرسول (صلى الله عليه و اله) الأعظم و ثمار جهوده الكريمه المتمثله فى:

١- الشريعه و الرساله التي جاء بها الرسول الأعظم من عند الله و المتمثله فى الكتاب و السنه الشريفين.

٢- الأئمة التي كوّنها و رباها الرسول الكريم بيديه الكريمتين.

٣- المجتمع السياسى الإسلامى الذى أوجده النبى محمد (صلى الله عليه و اله) أو الدوله التي أسسها و شيّد أركانها.

٤- القياده النموذجيه التي حققها بنفسه و ربّى من يكون كفوء لتجسيدها من أهل بيته الطاهرين.

لكنّ عدم امكان الحفاظ على المركز القيادى الذى رشح له الأئمة المعصومون من قبل رسول الله (صلى الله عليه و اله) و انتخابوا لاستلامه و تربيه الأئمة من خلاله لا- يحول دون الاهتمام بمهمه الحفاظ على المجتمع الإسلامى السياسى و صيانته الدوله الإسلاميه من الانهيار بالقدر الممكن الذى يتسنى لهم بالفعل

ص: ٩٩

١- ((١)) أهل البيت تنوع أدوار و وحده هدف: ١٤٤.

و بمقدار ما تسمح به الظروف الواقعيه المحيطه بهم.

كما أن سقوط الدوله الإسلاميه لا يحول دون الاهتمام بالأمه كأمه مسلمه و دون الاهتمام بالرساله و الشريعه كرساله الهيه و صيانتها من الانهيار و الاضمحلال التام.

و على هذا الأساس تنوعت مجالات عمل الأئمه جميعا بالرغم من اختلاف ظروفهم من حيث نوع الحكم القائم و من حيث درجه ثقافه الامه و مدى وعيها و ايمانها و معرفتها بالأئمه (عليهم السّلام) و مدى انقيادها للحكام المنحرفين و من حيث نوع الظروف المحيطه بالكيان الإسلامى و الدوله الإسلاميه و من حيث درجه التزام الحكّام بالإسلام و من حيث نوع الأدوات التى كان يستخدمها الحكّام لدعم حكمهم و إحكام سيطرتهم.

فللأئمه (عليهم السّلام) نشاط مستمر تجاه الحكم القائم و الزعامات المنحرفه و قد تمثّل فى إيقاف الحاكم عن المزيد من الانحراف، بالتوجيه الكلامى، أو بالثوره المسلّحه ضد الحاكم حينما كان يشكّل انحرافه خطرا ماحقا-كثوره الإمام الحسين (عليه السّلام) ضد يزيد بن معاويه-إن كلفهم ذلك حياتهم، أو عن طريق إيجاد المعارضه المستمره و دعمها بشكل و آخر من أجل زعزعه القياده المنحرفه بالرغم من دعمهم للدوله الإسلاميه بشكل غير مباشر حينما كانت تواجه خطرا ماحقا أمام الكيانات الكافره.

و كان للأئمه (عليهم السّلام) نشاط مستمر فى مجال تربيّه الامه عقائديا و أخلاقيا و سياسيا و ذلك من خلال تربيّه الأصحاب العلماء و بناء الكوادر العلميه و الشخصيات النموذجيه التى تقوم بمهمه نشر الوعى و الفكر الإسلامى و تصحيح الأخطاء المستجده فى فهم الرساله و الشريعه، و مواجهه التيارات الفكرية الوافده المنحرفه أو التيارات السياسيه المنحرفه أو الشخصيات العلميه المنحرفه التى كان يستخدمها الحاكم المنحرف لدعم زعامته، كما

قدّموا البديل الفكرى والأخلاقى والسياسى للزعامة المنحرفه والذى كان يتمثل فى زعامة أهل البيت الأطهار المشروعه، و تصعيد درجه معرفه الامه لهم والإيمان بهم والوعى اللازم تجاه إمامتهم وزعامتهم.

هذا فضلا عن نزول الأئمه (عليهم السّلام) إلى ساحه الحياه العامه والارتباط بالامه بشكل مباشر والتعاطف مع قطاع واسع من المسلمين؛ فإن الزعامة الجماهيريه الواسعه النطاق التى كان يتمتع بها ائمه أهل البيت (عليهم السّلام) على مدى قرون لم يحصل عليها أهل البيت صدفة أو لمجرد الانتماء لرسول الله (صلى الله عليه واله)؛ وذلك لوجود كثير ممن كان ينتسب إلى رسول الله (صلى الله عليه واله) ولم يكن يحظى بهذا الولاء؛ لأن الامه لا تمنح على الأغلب الزعامة مجاناً ولا يملك الفرد قيادتها وميل قلوبها من دون عطاء سخى منه فى مختلف مجالات اهتمام الامه ومشاكلها وهمومها.

وهكذا خرج الإسلام على مستوى النظرية سليماً من الانحراف وإن تشوّهت معالم التطبيق، وتحوّلت الامه إلى امه عقائديه تقف بوجه الغزو الفكرى والسياسى الكافر واستطاعت أن تسترجع قدرتها وروحها على المدى البعيد كما لاحظناه فى هذا القرن المعاصر بعد عصور الانهيار والتردى.

وقد حقق الأئمه المعصومون (عليهم السّلام) كل هذه الانتصارات بفضل اهتمامهم البليغ بتربيته الكتله الصالحه التى تؤمن بهم وياممهم فأشرفوا على تنميه و عيها و ايمانها من خلال التخطيط لسلوكها و حمايتها باستمرار و اسعافها بكل الأساليب التى كانت تساعد على صمودها فى خضمّ المحن و ارتفاعها إلى مستوى جيش عقائدى رسالى يعيش هموم الرساله و يعمل على صيانتها و نشرها و تطبيقها ليل نهار.

و إذا رجعنا إلى تاريخ أهل البيت (عليهم السّلام) و الظروف المحيطة بهم و لا- حظنا سلوكهم و مواقفهم العامه و الخاصه استطعنا أن نصنّف ظروفهم و مواقفهم إلى مراحل و عصور ثلاثه يتميز بعضها عن بعض بالرغم من اشتراكهم في كثير من الظروف و المواقف و لكن الأدوار تتنوع باعتبار مجموعه الظواهر العامه التي تشكل خطًا فاصلا و مميزا لكل عصر.

فالمرحلة الاولى من حياه الأئمة (عليهم السّلام) و هي (مرحلة تفادى صدمه الانحراف) بعد وفاه رسول الله (صلّى الله عليه و اله) تجسّدت في سلوك و مواقف الأئمة الأربعة: على و الحسن و الحسين و على بن الحسين (عليهم السّلام) فقاموا بالتحصينات اللازمه لصيانته العناصر الأساسيه للرساله و إن لم يستطيعوا القضاء على القياده المنحرفه. لكنهم استطاعوا كشف زيفها و المحافظه على الرساله الإسلاميه نفسها. و بالطبع إنهم لم يهملوا الأئمة أو الدوله الإسلاميه بشكل عام من رعايتهم و اهتماماتهم فيما يرتبط بالكيان الاسلامى و الامه المسلمه فضلا عن سعيهم البالغ في بناء و تكوين الكتله الصالحه المؤمنه بقيادتهم.

و تبدأ المرحله الثانيه بالشرط الثاني من حياه الإمام السجاد السياسيه حتى الإمام الكاظم (عليه السّلام) و تتميز بأمرين أساسيين:

١- أما فيما يرتبط بالخلافه المزيّفه فقد تصدى هؤلاء الأئمة لتعريتها عن التحصينات التي بدأ الخلفاء يحصّون بها أنفسهم من خلال دعم طبقه من المحدّثين و العلماء (و هم و عاظ السلاطين) لهم و تقديم التأييد و الولاء لهم من أجل إسباغ الصبغه الشرعيه على زعامتهم بعد أن استطاع الأئمة في المرحله الاولى أن يكشفوا زيف خط الخلافه و أن يحصّوا الامه بمضاعفات الانحراف الذي حصل في مركز القياده بعد الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و اله).

٢- و أما فيما يرتبط ببناء الكتله الصالحه الذي ارسيت دعائمه في المرحله الاولى فقد تصدى الأئمة المعصومون في هذه المرحله إلى تحديد

الاطار التفصيلي و إيضاح معالم الخط الرسالي الذي أوّتمن الأئمة الأطهار (عليهم السّلام) عليه و الذي تمثّل في تبين و نشر معالم النظرية الإسلامية الإمامية و تربيته عده أجيال من العلماء على أساس الثقافة الإسلامية الإمامية الناصعه في قبال الخط العلمائي الخلفائي (و هو خط وعاظ السلاطين).

هذا فضلا عن تصديهم لدفع الشبهات و كشف زيف الفرق المذهبيه التي استحدثت من قبل خط الخلافة أو غيره.

و الأئمة في هذه المرحلة لم يتوانوا في زعزعه الزعامات و القيادات المنحرفه من خلال دعم بعض خطوط المعارضه للسلطه و لا سيما بعض الخطوط الثوريه منها التي كانت تتصدى لمواجهه من ترّبع على كرسىّ خلافة الرسول (صلّى الله عليه و اله) بعد ثوره الإمام الحسين (عليه السّلام).

و أما فيما يخص المرحلة الثالثه من حياه الأئمة من أهل البيت (عليهم السّلام) بدء بشطر من حياه الإمام الكاظم (عليهم السّلام) و انتهاء بالإمام المهدي (عليه السّلام) فإنهم بعد وضع التحصينات اللازمه للكتله الصالحه و رسم المعالم و الخطوط التفصيليه لها عقائديا و اخلاقيا و سياسيا في المرحلة الثانيه قد بدا للخلفاء أن قياده أهل البيت (عليهم السّلام) أصبحت بمستوى تسلّم زمام الحكم و العوده بالمجتمع الإسلامي إلى حظيره الإسلام الحقيقي، مما خلّف ردود فعل للخلفاء تجاه الأئمة (عليهم السّلام)، و كانت مواقف الأئمة تجاه الخلفاء تبعا لنوع موقف الخليفه تجاههم و تجاه قضيتهم.

و أما فيما يرتبط بالكتله الصالحه التي أوضحوها لها معالم خطها فقد عمل الأئمة (عليهم السّلام) على دفعها نحو الثبات و الاستقرار و الانتشار من جهه لتحسينها من الانهيار و اعطائها درجه من الاكتفاء الذاتي من جهه اخرى، و كان يقدر الأئمة أنهم بعد مواجهه المستمره للخلفاء سوف لا يسمح لهم بالمكث بين ظهرانيمهم و سوف لن يتركهم الخلفاء أحرارا بعد أن تبين زيفهم و دجلهم و اتضح لهم المكانه الشعبيه للأئمة الذين كانوا يمثلون الزعامه

و دجلهم و اتضحت لهم المكانه الشعبيه للأئمه الذين كانوا يمثلون الزعامه الشرعيه و الواقعيه للأئمه الإسلاميه.

و من هنا تجلّت ظاهره تربيّه الفقهاء بشكل واسع ثم ارجاع الناس اليهم و تدريبيهم على مراجعتهم فى قضاياهم و شؤونهم العامه تمهيدا للغيه التى لا يعلم مداها إلا الله سبحانه و التى أخبر الرسول (صلى الله عليه و اله) عن تحققها و أملت الظروف عليهم الانصياع اليها.

و بهذا استطاع الأئمه (عليهم السّلام) -ضمن تخطيط بعيد المدى- أن يقفوا بوجه التسلسل الطبيعى لمضاعفات انحراف القياده الإسلاميه و التى كانت تنتهى بتنازل الأئمه عن الإسلام الصحيح و بالتالى ضمور الشريعه و انهيار رساله الالهيه بشكل كامل.

فالذى جعل الأئمه لا تتنازل عن الإسلام هو أن الإسلام قدّم له مثل آخر واضح المعالم، أصيل المثل و القيم، أصيل الأهداف و الغايات، و قدّمت هذه الاطروحه من قبل الواعين من المسلمين بزعامه الأئمه من أهل البيت المعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا.

إن هذه الاطروحه التى قدّمها الأئمه الطاهرين (عليهم السّلام) للإسلام لم تكن تتفاعل مع الشيعة المؤمنين بإمامه أهل البيت (عليهم السّلام) فقط، بل كان لها صدى كبير فى كل العالم الإسلامى، فالأئمه الأطهار كانت لهم اطروحه للإسلام و كانت لهم دعوى لإمامتهم، و هذه الدعوى و ان لم يطلبوا لها إلا عددا ضئيلا من مجموع الأئمه الإسلاميه و لكن الأئمه بمجموعها تفاعلت مع هذه الاطروحه التى تمثّل النموذج و المخطط الواضح الصحيح الصريح للإسلام فى كل المجالات العامه و الخاصه اجتماعيا و سياسيا و اقتصاديا و خلقيا و عباديا... مما جعل المسلمين على مرّ الزمن يسهرون على الإسلام و يقيمونه و ينظرون اليه بمنظار آخر غير منظار الواقع الذى كانوا يعيشونه من خلال الحكم القائم (١).

ص: ١٠٤

١- ((١)) أهل البيت تنوع أدوار و وحده هدف: ٧٩-٨٠.

ملامح عصر الإمام زين العابدين (عليه السلام)

تبيّن بوضوح من خلال البحوث السابقه أنّ الإمام زين العابدين (عليه السلام) قد عاش أسمى فتره من الفترات التي مرّت على القاده من أئمّه أهل البيت (عليهم السلام)، لأنّه عاصر قمّه الإنحراف الذي بدأ بعد وفاه الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و اله).

و ذلك أنّ الانحراف في زمن الإمام زين العابدين (عليه السلام) قد أخذ شكلا صريحا، لا على مستوى المضمون فقط بل على مستوى الشعارات المطروحه أيضا من قبل الحكّام في مجال العمل و التنفيذ، و انكشف واقع الحكّام لدى الجماهير المسلمه بعد مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) و لم يبق ما يستر عوره حكّمهم أمام الأئمّه التي خبرت واقعهم و حقيقتهم المزريه.

و قد عاصر الإمام (عليه السلام) كلّ المحن و البلايا التي وقعت أيام جدّه أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام)، إذ ولد قبل استشهاد الإمام عليّ (عليه السلام) و تفتحت عيناه و جدّه (عليه السلام) في محنته في خط الجهاد مع الناكثين و القاسطين و المارقين، و من ثمّ عاش مع عمّه الإمام الحسن (عليه السلام) في محنته مع معاويه و عمّاله و عملائه، و مع أبيه الحسين (عليه السلام) و هو في محنته الفاجعه إلى أن استقلّ بالمحنه وجها لوجه، و قد وصلت به المحنه ذروتها عندما رأى جيوش بني اميه تدخل مسجد رسول الله (صلّى الله عليه و اله) في المدينه و تربط خيولها في المسجد، هذا المسجد

الذى كان منطلقا للرسالة و أفكارها إلى العالم أجمع، وقد أصاب هذا المسجد فى عهد الإمام زين العابدين (عليه السلام) كثير من الذلّ و الهوان على يد الجيش الاموى الذى أباح المدينة و المسجد معا، و هتك حرّامات النبىّ (صلّى الله عليه و اله) فىهما جميعا.

و كان القتل هو أبسط الوسائل التى استعملت فى ذلك العصر مع المعارضين، إذ كان التمثيل الانتقامى و الصلب على الأشجار و تقطيع الأيدى و الأرجل و ألوان العقاب البدنى لغه الحديث اليومى.

و انغمس الامويون فى الترف، و قد ذكر المؤرّخون نوادر كثيرة من ترفهم و تلاعبهم باقتصاد الامّة و ثرواتها (١)، حتى بالغوا فى هباتهم للشعراء و أجزلوا العطاء للمغنّين (٢)، و سادت حياه اللهو و العبث و المجون فى كثير من أنحاء العالم الإسلامى و خصوصا فى مكّه و المدينة، و عمدت السلطات الامويه إلى إشاعه ذلك فىهما لإسقاط هيبتهما من نفوس المسلمين.

لقد شاع الغناء فى مدينة الرسول (صلّى الله عليه و اله) بشكل يندى له جبين الإنسان المؤمن بالله و برسوله، حتى صارت مركزا له.

قال أبو الفرج: إنّ الغناء فى المدينة لا ينكره عالمهم، و لا يدفعه عابدهم (٣).

و قال أبو يوسف لبعض أهالى المدينة: ما أعجب أمركم يا أهل المدينة فى هذه الأغانى! ما منكم شريف و لا دنىء يتحاشى عنها (٤)!!

و كان العقيق إذا سال و أخذ المغنّون يلقون أغانيهم لم تبق فى المدينة

ص: ١٠٦

١- (١) حياه الإمام زين العابدين دراسه و تحليل: ٦٦٥.

٢- (٢) الأغانى: ١/٥٥، ٤/٤٠٠، ٥/١١١.

٣- (٣) الأغانى: ٨/٢٢٤.

٤- (٤) العقد الفريد: ٣/٢٣٣.

مختبأه و لا شابه و لا شاب و لا كهل إلا خرج ببصره لسمع الغناء (١).

نعم غدت المدينة في ذلك العصر مركزا من مراكز الغناء في الحاضر الإسلامي و أصبحت معهدا متميزا لتعليم الجوارى الغناء (٢). بينما كانت الشريعة الإسلامية قد حاربت اللهو و المجنون و دعت الإنسان المسلم الى حياه الجد و الاجتهاد و الكدح من أجل إعمار حياته الدنيا و حياته الأخرى بالصالحات و استباق الخيرات و تسلق قمم الكمال و الحرص على أئمن لحظات عمره في هذه الحياه و صيانتها من الضياع و الخسران.

أما الحياه العلميه في عصر الإمام زين العابدين (عليه السلام) فقد كانت مشلوله بما حوته هذه الكلمه من معنى، إذ كان الخط السياسي الذي سارت عليه الدوله الامويه منذ تأسيسها يرتكز على مجافاه العلم، و إقصاء الوعي و الثقافه من حياه المسلمين، و جرّهم الى منحدر سحيق من الجهل؛ لأنّ بلوره الوعي العام و إشاعه العلم بين المسلمين كان يهدّد مصالحهم و دوام ملكهم القائم على استغلال الجهل و الغفله التي روج لها من تقمص الخلافه بعد رسول الله (صلى الله عليه و اله).

أما الطابع الخاص للحياه الأدبيه فتعرفه ممّا جرى على لسان شعراء ذلك العصر، فهو لم يمثّل أيّ مشكله اجتماعيه من مشاكل ذلك العصر على كثرتها، كما أنّه لم يمثّل أيّ جدّ في الحياه العقليه و الأدبيه، و إنّما كان شعرا قبلتيا يحكى فيه كلّ شاعر ما امتازت به قبيلته من كرم الضيافه و وفره المال و العدد، كما غدا الأدب سوقا للهجاء المرّ و التنازب بالألقاب (٣).

ص: ١٠٧

١- ((١)) العقد الفريد: ٢٤٥/٣.

٢- ((٢)) راجع: الأغاني: ٢٢٦/٢، ٣٠٧/٣، ٢٢٢/٤، ٢١/٦، ٣١٦/٧، و ٢٢٧/٨، ٣٣٢، ٥٧/١٠. و الشعر و الغناء في المدينة و مكه: ٢٥٠.

٣- ((٣)) حياه الإمام زين العابدين، دراسه و تحليل: ٦٧٢-٦٧٣.

إشاره

تخطيط الإمام زين العابدين (عليه السلام) و جهاده

نجد في سيره الأئمة (عليهم السلام) العديد من الأدلة التي أوضحوا من خلالها للناس سبب الاختلاف في أساليبهم في قياده الحركة الإسلامية من إمام لآخر.

فالإمام السجاد (عليه السلام) قال له عبّاد البصرى و هو في طريق مكّه: تركت الجهاد و صعوبته و أقبلت على الحجاج و لينه، و إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم (١) فأجابه الإمام (عليه السلام): اقرأ بعدها: التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون المؤمنون بالمعروف و الناهون عن المنكر و الحافظون لحدود الله و بشر المؤمنين، ثم قال (عليه السلام): إذا ظهر هؤلاء -يعنى المؤمنين حسب مواصفاتهم في الآية- لم تؤثر على الجهاد شيئا (٢).

و بهذه الإجابة حدّد الإمام (عليه السلام) بشكل صارم سياسته و لون كفاحه، و وجهه حركته في عصره، و من ثمّ الأسباب الموجبه لذلك المسار، فإنّ عدوله عن الكفاح المسلح و المواجهه العسكريه للحكم الاموى لم تأت حبا في الحياه و نعيمها كما تصوّر عبّاد البصرى، و إنّما جاء ذلك لأنّ مستلزمات العمل العسكري الناجح غير متوفره، و لأنّ النتائج من أى تحدّد للسلطان في تلك الظروف تكون عكسيه تماما.

ص: ١٠٩

١- ((١)) التوبه (٩): ١١١.

٢- ((٢)) من لا يحضره الفقيه: ١٤١/٢، و مناقب آل أبي طالب: ١٧٣/٤ باختلاف يسير في الألفاظ.

و بعد ملحمة كربلاء مباشرة تبنى الإمام السجاد (عليه السلام) و كرائم أهل البيت كزينب و أم كلثوم -عليهم صلوات الله و سلامه- سياسه إسقاط الأئمة التي كان الامويون قد غطوا وجوه سياستهم الكالحة الخطيره بها، و حملوا الامه كذلك مسؤوليتها التاريخيه أمام الله و رساله.

و من هنا نلاحظ بوضوح أن الخطب و التصريحات التي صدرت عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) و عقائل أهل البيت (عليهم السلام) في العراق قد انصبّت على مخاطبه ضمائر الناس كمجموع، و إلفات نظر الناس إلى جسامه الخطر الذي حاق بهم، و إلى حجم الجريمه التي ارتكبتها بنو اميه بحق رساله الله تعالى.

و في الشام ركزت كلمات الإمام السجاد (عليه السلام) على التعريف بالسبايا ذاتهم، و أنهم آل الرسول (صلى الله عليه و اله)، ثم فضح الحكم الاموى و تعريته أمام أهل الشام الذين أضلهم عن رؤيه الواقع.

و قبل دخوله المدينه عمل الإمام السجاد (عليه السلام) على إثارة الرأى و الوعى العام الإسلامى و توجيهه الى محنه رساله التي تمثلت في فاجعه الطف، فقد كان خطابه الذي ألقاه بالناس يستبطن هذه المعانى.

و لقد أعطت تجربه كربلاء مؤشرا عمليا على أن الامه المسلمه في حاله ركود و تبلد مما جعل الروح الجهاديه لديها في حاله غياب إن لم نقل إنها كانت معدومه نهائيا، و من أجل ذلك فإنّ السجاد (عليه السلام) -باعتباره إمام الامه الذي انتهت إليه مرجعيه الامه- أخذ تلك الظاهره بعين الاعتبار، و لذلك مارس دوره من خلال العمل على تنميه التيار الرسالى في الامه، و توسيع دائرته في الساحة الإسلاميه، و العمل على رفع مستوى الوعى الإسلامى و الإنفتاح العملى في قطاعات الامه المختلفه، و خلق قيادات متميزه تحمل الفكر الإسلامى النقى، لا الفكر الذى يشيعه الحكم الاموى.

و لهذا النهج مبرراته الموضوعيه، فإن قوى الانحراف عبر سنوات عديده من سيطرتها على مراكز التوجيه الفكرى و الاجتماعى توقرت على صنع أجيال ذائبه فى الانحراف، الأمر الذى أصبح فيه من المتعذر على التيار الإسلامى السليم مواجهتها، بالنظر لضخامه تلك القوى، و توفر الغطاء الوافى لها من مؤسسات و قدرات؛ و لتعرض التيار الإسلامى ذاته للخسائر المتتاليه.

و من هنا، فإن أمر تكثيف التيار الإسلامى و إثارته كما و كيفا مسأله لا تقبل التأجيل، ما دام أمر بقاء الرساله حيّه-فكرا و عملا- متوقفا على بقاء سلامه هذا التيار فى كيان الامّه و قواعدها الشعبيه، طالما لم يتسنّ له تسلّم المرجعيه العامه فى الإداره و الحكم.

و لقد نجحت خطط الإمام (عليه السلام) على شتى الأصعدة و حسبما خطط لها، و فيما يلى مصداقان عمليان على ذلك:

ففى المجال الاجتماعى أثمرت خطّه الإمام (عليه السلام) حيث حظى بإجلال القطاعات الواسعه من الامّه و ولائها، و المصادر التاريخيه مجمعه على ذلك.

قال ابن خلكان: لما حجّ هشام بن عبد الملك فى أيام أبيه، فطاف و جهد أن يصل الحجر ليستلمه، فلم يقدر عليه لكثره الزحام، فنصب له منبر و جلس عليه ينظر إلى الناس، و معه جماعه من أعيان أهل الشام، فبينما هو كذلك إذ أقبل زين العابدين علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب «رضى الله عنهم»، و كان من أحسن الناس وجها و أطيبهم أرجا، فطاف بالبيت، فلما انتهى إلى الحجر تنحى له الناس حتى استلم، فقال رجل من أهل الشام: من هذا الذى قد هابه الناس هذه الهيئه؟ فقال هشام: لا أعرفه، مخافه أن يرغب فيه أهل الشام، و كان الفرزدق حاضرا فقال: أنا أعرفه، فقال الشامى: من هذا يا أبا فراس؟ فقال:

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته و البيت يعرفه و الحلّ و الحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا النقيّ التقى الطاهر العلم

إذا رأته قريش قال قائلها إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

مشتقّه من رسول الله نبعته طابت عناصره و الخيم و الشيم

هذا ابن فاطمه إن كنت جاهله بجده أنبياء الله قد ختموا

الله شرفه قدما و عظمه جرى بذاك له في لوحه القلم

فليس قولك من هذا بضائره العرب تعرف من انكرت و العجم

من معشر حبيهم دين و بغضهم كفر و قربهم منجى و معتصم

إن عدّ أهل التقى كانوا أئمتهم أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

أى الخلائق ليست فى رقابهم لأوليه هذا أو له نعم؟

من يعرف الله يعرف أوليه ذا و الدين من بيت هذا ناله الأمم

فلما سمع هشام هذه القصيدة غضب و حبس الفرزدق، و أنفذ له الإمام زين العابدين (عليه السلام) اثني عشر ألف درهم، فردّها و قال: مدحته لله تعالى لا للعطاء، فقال الإمام (عليه السلام): «إنا أهل بيت إذا وهبنا شيئا لا نستعيده»، فقبلها منه الفرزدق (١).

إن هذه الحادثة توضّح أنّ الإمام (عليه السلام) كان قد حظى بولاء جماهيرى حقيقى واسع النطاق، بشكل جعل ذلك الولاء يتجسّد حيا حتى فى أقدس ساعه، و فى موقف عبادى مشهود، فما أن تلتقى الجماهير الكثيفه بإمامها الحقّ حتى توسّع له، لكى يؤدّى مناسكه دون أيه مضايقه عفويه منها، بالرغم من أنّ الامّه تدرك عداء الحكم الاموى لأهل البيت (عليهم السلام) و ما يترتب على ذلك

ص: ١١٢

١- (١) القصيدة طويله و هى مذكوره فى كثير من المصادر التاريخيه و الأدبيه، انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: ٩٦/٦، الإرشاد للمفيد: ١٥١/٢ عن محمّد بن اسماعيل بن جعفر الصادق (عليه السلام) و راجع غيرهما من المصادر فى أوائل الفصل الأول من الباب الأول.

العداء من موقف تجاه أنصار أهل البيت (عليهم السّلام) و أتباعهم.

و حقّق النشاط العلمى للإمام (عليه السّلام) غاياته المتوخّاه، فالمسجد النبوى الشريف و دار الإمام (عليه السّلام) شهدا طوال خمسه و ثلاثين عاما- و هى فتره إمامته- نشاطا فكريا من الطراز الأول، حيث استقطب الإمام (عليه السّلام) طلاب المعرفة الإسلاميه فى جميع حقولها، لا فى المدينه المنوره و مكّه المكرمه و حدهما، و إنّما فى الساحة الإسلاميه بأكملها، حتى استطاع أن يخلق نواه مدرسه فكريه لها طابعها و معالمها المميّزه، و تخرّج منها قاده فكر و محدّثون و فقهاء.

إنّ انفصام عرى الشيعه بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السّلام) و تشتّت قواهم كان من أعظم الأخطار التى واجهها الإمام زين العابدين (عليه السّلام) باتّجاه استجماع القوى و تكميل الإعداد من جديد، و قد كان هذا الهدف بحاجه إلى إعداد نفسى و عقيدى و إحياء الأمل فى القلوب و بثّ العزم فى النفوس.

و قد تمكّن الإمام زين العابدين (عليه السّلام) بعمله الهادئ و المنظّم أن يشرف على تكميل هذه الاستعاده، و على هذا الإعداد بكل قوه و بحكمه و بسلامه و جدّ.

و قد أطلق الإمام (عليه السّلام) نهجا جهاديا ينهض بأعباء متطلبات المرحلة الخطيره آنذاك. و يمكن الحديث عن هذا النهج عبر مستويات متعدّده:

١- الجهاد الفكرى و العلمى:

من المعلوم أنّ الفكر السليم هو أحد مقومات كلّ حركة سياسيه صحيحه، فثقيف الجماهير و توعيتها لتكون على علم بما يجرى عليها و حوالها و ما يجب لها و عليها من حقوق و واجبات هو الركيّزه الاولى لصدّ

الأنظمة الحاكمة الفاسده التي تسعى على طول التاريخ فى إبعاد الناس عن الحقّ و التعاليم الأصيله.

و قد قام الإمام زين العابدين (عليه السّلام) بأداء دور مهمّ فى هذا الميدان، حيث تصدّى للوقوف بوجه المنع السلطوى لروايه الحديث (١) فأمر بروايه الحديث و حثّ على ذلك، و كان يطبق السنّه و يدعو إلى تطبيقها و العمل بها، و قد روى عنه قوله (عليه السّلام): إنّ أفضل الأعمال ما عمل بالسنّه و إن قلّ (٢).

و فى الظروف التى عاشها الإمام (عليه السّلام) - حيث كان الحكّام بصدد اجتثاث الحقّ من جذوره و اصوله و الذى تمثّل فى حفظه القرآن و مفسّريه - كانت الدعوه إلى الاعتصام بالقرآن من أهم الواجبات آنذاك، و لقد قام الإمام زين العابدين (عليه السّلام) بجهد وافر فى هذا المجال.

قال (عليه السّلام): «عليك بالقرآن، فإنّ الله خلق الجنّه بيده لبنه من ذهب و لبنه من فضه، و جعل ملاطها المسك و ترابها الزعفران و حصاها اللؤلؤ، و جعل درجاتها على قدر آيات القرآن، فمن قرأ منها قال له: إقرأ و ارق، و من دخل الجنّه لم يكن فى الجنّه أعلى درجه منه، ما خلا النبيين و الصّديقين» (٣). و كان يقول: «لو مات من بين المشرق و المغرب ما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي» (٤).

كما كان يسعى فى تمجيد القرآن عمليا و بأشكال مختلفه، و كان أحسن الناس صوتا بالقرآن (٥)، كما كان يرشد الامّه من خلال تفسيره للقرآن

ص: ١١٤

١- (١) كانت عمليه منع الحديث - تدويننا و روايه - قد بدأت بعد وفاه الرسول (صلّى الله عليه و اله) مباشرة.

٢- (٢) المحاسن: ٢٢١ ح ١٣٣.

٣- (٣) تفسير البرهان: ١٥٦/٣.

٤- (٤) بحار الأنوار: ١٠٧/٤٦.

٥- (٥) المصدر السابق: ٧٠، ب ٥، ح ٤٥.

و بذل الإمام (عليه السلام) جهوداً جبّارة لتثبيت قواعد التوحيد الإلهي و تشييد أركانه عبر الاستدلال على ذلك بما يوافق الفطره و العقل السليمين، و الردّ على الأفكار المنحرفه التي غذّأها الحكّام - مثل فكره الجبر الإلهي - بهدف التمكّن من السلطه و السيطرة التامه على مصير الناس و الهيمنه على الأفكار بعد السيطرة على الأفواه و الأجسام، و قد ذكرنا أنّ الإمام (عليه السلام) قال لابن زياد الذي أراد أن ينسب قتل عليّ بن الحسين إلى الله: «إنّ الله يتوفّى الأنفس حين موتها»، فالإمام تحدّى الحاكم في مجلسه حين ردّ على الانحراف العقائدي بتلك الصراحه، و بيّن الفرق بين التوفّى للأنفس و استرجاعها - الذي نسبه القرآن إلى الله تعالى حين حلول الأجل و الموت حتف الأنف - و بين القتل الذي هو إزهاق الروح من قبل القاتل قبل حلول الموت المذكور.

و في جوابه (عليه السلام) عن سؤال: أبقدر يصيب الناس ما أصابهم أم بعمل؟ قال (عليه السلام): «إنّ القدر و العمل بمنزله الروح و الجسد... و لله فيه العون لعباده الصالحين»، ثمّ قال (عليه السلام): «ألا من أجور الناس من رأى جوره عدلاً، و عدل المهتدي جوراً» (٢).

و هكذا تصدّى الإمام (عليه السلام) لعقيده التشبيه و التجسيم (٣)، و فكره الإرجاء (٤).

و على صعيد الإمامه و الولايه أعلن الإمام (عليه السلام) عن إمامته بنفسه بكلّ وضوح و صراحه و من دون أيّ تقيّه أو سرّيّه، و قد تعدّدت الأحاديث

ص: ١١٥

١- ((١)) الاحتجاج: ٣١٢-٣١٩.

٢- ((٢)) التوحيد للصدوق: ٣٦٦.

٣- ((٣)) كشف الغمه: ٨٩/٢.

٤- ((٤)) جهاد الإمام السجاد: ١٠٧.

المصرّحه بهذا الإعلان، منها قوله (عليه السّلام): «نحن أئمة المسلمين، و حجج الله على العالمين، و سادته المؤمنين و قاده الغرّ المحجلين و موالى المؤمنين، و نحن أمان أهل الأرض، كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء... و لو لا ما فى الأرض منّا لساخت بأهلها، و لم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجّه لله فيها، ظاهر مشهور أو غائب مستور، و لا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجّه لله فيها، و لو لا ذلك لم يعبد الله» (١).

و قال أبو المنهال نصر بن أوس الطائى: قال لى على بن الحسين (عليه السّلام):

«إلى من يذهب الناس؟» قال: قلت: يذهبون هاهنا و هاهنا، قال: «قل لهم يجيئون إلى» (٢).

و قال له أبو خالد الكابلى: يا مولاي، أخبرنى كم يكون الأئمة بعدك؟ قال: «ثمانية لأنّ الأئمة بعد رسول الله (صلى الله عليه و اله) اثنا عشر إماما، عدد الأسباط، ثلاثه من الماضين، و أنا الرابع، و ثمانية من ولدى...» (٣).

و الإنحراف الذى حصل عن أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) لم ينحصر فى إقصائهم عن الحكم و الولاية فقط، بل انتهى إلى الجهل بأحكام الشريعة التى كان الأئمة هم المرجع الواقعى و الصحيح للتعرف عليها.

فالإمام ليس وليا للأمر و حاكما على البلاد و العباد فحسب، و إنّما هو مصدر يرجع اليه لفهم الشريعة و تبين أحكامها، باعتبار معرفته التامه بالشريعة الخاتمه و ارتباطه الوثيق بمصادرها الحقيقيه.

و كما أقصى الحكام أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) عن الحكم و الولاية؛ حاولوا كذلك نفى مرجعيتهم الدينيه و العلميه و إبعاد الناس عنهم، لذلك اهتمّ الأئمة

ص: ١١٦

١- ((١)) أمالى الصدوق: ١١٢، الاحتجاج: ٣١٧.

٢- ((٢)) تاريخ دمشق: الحديث ٢١.

٣- ((٣)) كفايه الأثر: ٢٣٦-٢٣٧.

و أتباعهم بإرشاد الناس إلى هذا المعين الصافي للشريعة الإسلامية كي ينهلوا منه، و كان اهتمام الإمام السجاد (عليه السلام) ببلغا بهذا الأمر حتى قال (عليه السلام) لرجل شاجره في مسأله شرعيه فقهيه: «يا هذا، لو صرت إلى منازلنا لأريناك آثار جبرئيل في رحالنا، أكون أحد أعلم بالسنة منا» (١).

وقال (عليه السلام): «إنّ دين الله لا يصاب بالعقول الناقصه و الآراء الباطله و المقاييس الفاسده، لا يصاب إلاّ بالتسليم، فمن سلّم لنا سلم، و من اقتدى بنا هدى، و من كان يعمل بالقياس و الرأي هلك، و من وجد في نفسه -مما نقوله أو نقضى به- حرجا كفر بالذى أنزل السبع المثاني و القرآن العظيم و هو لا يعلم» (٢).

٢- الجهاد الاجتماعي و العملي:

إشاره

إنّ أهم أهداف القاده الإلهيين هو إصلاح المجتمع البشريّ بتربيته على التعاليم الالهيه، و لا- بدّ للمصلح أن يمرّ بمراحل من العمل الجادّ و المضني في هذا الطريق الشائك، فعليه:

- ١- أن يربّي جيلا من المؤمنين على التعاليم الحقه التي جاء بها الدين و الأخلاق القيمه التي ينبغي التخلّق بها، لكي يكونوا له أعوانا على الخير.
- ٢- أن يدخل المجتمع بكلّ ثقله، و يحضر بين الناس، و يواجه الظالمين و الطغاه بتعاليمه، و يبلغهم رسالات الله.
- ٣- أن يقاوم الفساد الذي يبته الظالمون في المجتمع بهدف شلّ قواه، و تفريره من المعنويات، و إبعاده عن فطرته السليمه المعتمده على الحقّ و الخير.

ص: ١١٧

١- ((١)) نزّه الناظر: ٤٥.

٢- ((٢)) إكمال الدين: ٣٢٤، الباب ٣١، الحديث ٩.

كان للإمام (عليه السلام) نشاط واسع في كل هذه المجالات، بحيث يعدّ -بحقّ- في صدر قائمه المصلحين الالهيين بالرغم من تميّز عصره بتحكّم طغاه بنى اميه على الامّه و على مقدّراتها و جسم الخلافة الإسلاميه التي تقتل من يعارضها و تهدر دمه تحت عنوان الخروج على الإسلام.

و يمكن الحديث عن أوجه نشاطه (عليه السلام) العملي في الجانب الإجتماعي على عدّه أوجه منها:

أ- الأخلاق و التريبه (على مستوى الامّه و أتباع أهل البيت عليهم السلام):

ضرب الإمام زين العابدين (عليه السلام) أروع الأمثله في تجسيد الخلق المحمدي العظيم في التزاماته الخاصه و في سيرته مع الناس، بل مع كلّ ما حوله من الموجودات.

فكانت تتبلور فيه شخصيه القائد الإسلامي المحنّك الذي جمع بين القابليه العلميه الراقيه، و الشرف السامق، و القدره على جذب القلوب و امتلاكها، و مواجهه المشاكل و الوقوف لصدّها بكلّ صبر و أناة و هدوء.

فالصبر الذي تحلّى به و تجلّى لنا من خلال ما تحمّله في مأساه كربلاء أكبر شاهد على عظمه صبره.

و مثابرتة و مداومته على العمل الإسلامي بارزه للعيان، و هذا الفصل يمثّل جزءا من نشاطه السياسي و الإجتماعي الجادّ.

و حديث مواساته للإخوان و الفقراء و المساكين و الأرامل و الأيتام بالبذل و العطاء و الإنفاق ممّا اشتهر عند الخاصّ و العامّ.

و حنوّه و حنانه على العبيد و على الأقارب و الأبعد بل على أعدائه و خصومه ممّا سارت به الركبان.

و أخبار عبادته و خوفه من الله جلّ جلاله و إعلانه ذلك في كلّ مناسبة ملأت الصحف حتى خصّ بلقب «زين العابدين» و «سيد الساجدين».

و ستحدّث عن بعض ذلك فيما بعد بإذنه تعالى، كما أنّنا أشرنا إلى جانب بسيط جدّاً من ذلك سابقاً.

ب- الإصلاح و الدوله:

لقد شاع عند بعض المؤرّخين أنّ الأئمّه من أبناء الحسين (عليهم السّلام) قد اعتزلوا بعد مذبحة كربلاء السياسه، و انصرفوا إلى الإرشاد و العباده و الإنقطاع إلى الدنيا (١).

و يدلّون على قولهم هذا بتأريخ حياه الإمام السّجاد (عليه السّلام) و دعوى انعزاله عن الحياه الإسلاميه العامه، و يبدو أنّ سبب هذه التصوّرات الخاطئه لدى المؤرّخين هو ما بدا لهم من عدم احتدام الأئمّه بعد الحسين (عليه السّلام) على عمل مسلّح ضدّ الوضع الحاكم مع إعطائهم الجانب السياسى من قياده معنى ضيقاً لا ينطبق إلا على عمل مسلّح من هذا القبيل.

إنّ ما يقال من أنّ الأئمّه من أهل البيت (عليهم السّلام) من أبناء الحسين (عليه السّلام) اعتزلوا السياسه و انقطعوا عن الدنيا فهو زعم يكذبّه و ينفيه واقع حياه الأئمّه الزاخره كلّها بالشواهد على ايجابيه المشاركه الفعّاله التي كانوا يمارسونها.

فمن ذلك علاقات الإمام زين العابدين (عليه السّلام) بالأئمّه و الزعامه الجماهيريه الواسعه النطاق و التي كان يتمتّع بها على طول الخط (٢)؛ فإنّ هذه الزعامه لم يكن ليحصل عليها الإمام (عليه السّلام) صدفة أو على أساس مجرد الانتساب إلى

ص: ١١٩

١- (١) نشأه الشيعه و التشيع، للشهيد السيد محمد باقر الصدر.

٢- (٢) قد أشرنا إلى حادثه استلام الإمام (عليه السّلام) للحجر بعد أن انفرج الحجيج له، راجع الصفحه ١١١ من الكتاب.

الرسول (صلى الله عليه و اله) بل على أساس العطاء و الدور الايجابى الذى كان يمارسه الإمام فى الامه بالرغم من إقصائه عن مركز الحكم؛ فإن الامه لا تمنح-على الأغلب-الزعامة مجاناً، و لا يمتلك الفرد قيادتها و يحتلّ قلوبها بدون عطاء سخى منه تستشعره الامه فى مختلف مجالاتها، و تستفيد منه فى حلّ مشكلاتها و الحفاظ على رسالتها.

و مع أنّ مزاولات الإمام (عليه السلام) الدينيه كلّها من صميم العمل السياسى و خاصّه فى عصره حيث لم يسمع نغم الفصل بين السياسه و الدين بعد، نجد فى طيّات حياه الإمام (عليه السلام) عتبات واضحه من التدخّلات السياسيه الصريحه، فهو كما يبدو من النصوص الصادره عنه تجده رجلاً مشرفاً على الساحه السياسيه، يدخل محاورات حادّه، و يتابع مجريات الأحداث، و يدلى بتصريحات خطيره ضد الأوضاع الفاسده التى تعيشها الامه و إليك بعض النماذج على ذلك:

١-قال عبد الله بن الحسن بن الحسن: كان على بن الحسين بن على بن أبى طالب يجلس كلّ ليله هو و عروه بن الزبير فى مؤخر مسجد النبى (صلى الله عليه و اله) بعد العشاء الآخره، فكنت أجلس معهما، فتحدّثا ليله، فذكروا جور من جار من بنى اميه و المقام معهم، فقال عروه لعلّى: يا علىّ إنّ من اعتزل أهل الجور و الله يعلم منه سخطه لأعمالهم، فكان منهم على ميل ثم أصابتهم عقوبه الله رضى له أن يسلم ممّا أصابهم. قال: فخرج عروه، فسكن العقيق.

قال عبد الله بن الحسن: و خرجت أنا فنزلت سويقه (١).

ص: ١٢٠

١- (١) مختصر تاريخ دمشق: ٢١/١٧.

أما الإمام (عليه السلام) فلم يخرج، بل آثر البقاء في المدينة طوال حياته؛ لأنه كان يعدّ مثل هذا الخروج فرارا من الزحف السياسي و إخلاء للساحة الاجتماعية للظالمين، يجولون فيها و يصلون (١).

و لعلّ اقتراح عروه بن الزبير - هو من أعداء أهل البيت (عليهم السلام) (٢) - كان تدبيرا سياسيا منه أو من قبل الحكّام لإبعاد الإمام (عليه السلام) عن الحضور في الساحة السياسيّة و الاجتماعيّة، لكنّه (عليه السلام) لم يخرج و ظلّ يواصل مسيرته الجهادية.

٢- قال (عليه السلام): «إنّ للحقّ دولة على العقل، و للمنكر دولة على المعروف، و للشّرّ دولة على الخير، و للجهل دولة على الحلم، و للجزع دولة على الصبر، و للخرق دولة على الرفق، و للبؤس دولة على الخصب، و للشدّه دولة على الرخاء، و للرغبة دولة على الزهد، و للسيوت الخبيثه دولة على بيوتات الشرف، و للأرض السبخه دولة على الأرض العذبه، فنعوذ بالله من تلك الدول و من الحياه في النقمات» (٣).

و إذا كانت الدوله في اللسان العربي هي الغلبه و الاستيلاء - و هي من أبرز مقومات السلطه الحاكمه - فإنّ الإمام (عليه السلام) يكون قد أدرج قضيه السلطه السياسيّه في سائر القضايا الحيويه و الطبيعيّه التي يهتمّ بها و يفكر في إصلاحها.

فمن يا ترى؟ و من هي البيوتات الشريفه المغلوبه في عصره (عليه السلام)؟ و هل التعوذ بالله تعالى من دوله السلطان يعني أمرا غير رفض وجوده و التنديد بسلطته؟ و هل يتصوّر السياسي أن يكون له حضور أقوى من هذا في مثل

ص: ١٢١

١- ((١)) جهاد الإمام السجاد (عليه السلام): ١٥٤.

٢- ((٢)) لاحظ تنقيح المقال: ٢/٢٥١.

٣- ((٣)) تاريخ دمشق: ٤١/٤١٠، مختصر ابن منظور: ١٧/٢٥٥.

ظروف الإمام (عليه السلام) و موقعه و ضمن تخطيطه الشامل في قياده حركته الإسلام؟ و هل يصدر مثل هذا من رجل ادعى أنه ابتعد عن السياسة أو اعتزلها؟.

ج-مقاومه الفساد:

و إذا كان من أهم واجبات المصلح و خاصه المصلح الإلهي مقاومه الفساد و محاربه المفسدين في الأرض؛ فإن الإمام زين العابدين (عليه السلام) قام بدور بارز في أداء هذا الواجب.

و قد تميّز عصره (عليه السلام) بمشاكل اجتماعيه من نوع خاص، و قد تكون موجوده في كثير من العصور، إلا أن بروزها في عصره كان واضحا و مكثفا، كما أن الإمام (عليه السلام) قام بمعالجتها بأسلوبه الخاص، ممّا أعطاه صبغه فريده تميّزت في جهاد الإمام (عليه السلام) و أهمها مشكله الفقر العام و مشكله الرقّ و العبيد.

و سنعرض لهما في فصل قادم إن شاء الله تعالى.

ص: ١٢٢

اشاره

ظواهر فِذَه في حياه الإمام زين العابدين (عليه السلام)

تميّزت حياه الإمام زين العابدين (عليه السلام) بمظاهر فِذَه، وهي وإن كانت متوفره في حياه آبائه الطاهرين و أبنائه الأئمه المعصومين (عليهم السلام) إلا أنّها برزت في سيرته (عليه السلام) بشكل أكثر وضوحا و أوسع دورا، ممّا دعانا إلى تسليط الضوء عليها أشدّ من غيرها، وهي:

أ-ظاهرة العباده.

ب-ظاهرة الدعاء.

ج-ظاهرة البكاء.

د-ظاهرة الإعتاق.

فإذا سيرنا حياه الأئمه (عليهم السلام) وجدناهم -كلّهم- يتميّزون في هذه المظاهر على أهل زمانهم، إلا أنّها في حياه الإمام زين العابدين (عليه السلام) تجلّت بقوه، حتى كان (عليه السلام) فريدا في كلّ منها.

ظاهرة العباده في حياه الإمام (عليه السلام):

أجمع معاصروا الإمام زين العابدين (عليه السلام) على أنّه كان من أعبد الناس و أكثرهم طاعه لله تعالى، و لم ير الناس مثله في عظيم إنابته و عبادته، و قد بهر

بها الممتقون و الصالحون، و حسبه أنه وحده الذي قد لُقّب بزین العابدین و سید الساجدين في تاريخ الإسلام.

أما عبادته (عليه السلام) فكانت ناشئة عن إيمانه العميق بالله تعالى و كمال معرفته به، و قد عبده لا طمعا في جنته و لا خوفا من ناره، و إنما وجدته أهلا للعبادة فعبده، و شأنه في ذلك شأن جدّه أمير المؤمنين و سید العارفين و إمام المتقين، و قد أعرب (عليه السلام) عن عظيم إخلاصه في عبادته بقوله: «إني أكره أن أعبد الله و لا- غرض لي إلا- ثوابه، فأكون كالعبد الطامع إن طمع عمل و إلا- لم يعمل، و أكره أن أعبده لخوف عذابه، فأكون كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل...».

فانبرى إليه بعض الجالسین فقال له: فيم تعبده؟ فأجابه عن خالص إيمانه: «و أعبده لما هو أهله بأياديه و إنعامه» (١).

و لقد ملأ حبّ الله تعالى قلب الإمام (عليه السلام) و سخر عواطفه فكان مشغولا بعبادة الله و طاعته في جميع أوقاته، و قد سئلت جاريه له عن عبادته فقالت:

اطنب أو أختصر؟

قيل لها: بل اختصري.

فقالت: ما أتيت به بطعام نهارا قطّ، و ما فرشت له فراشا بليل، قطّ (٢).

لقد قضى الإمام (عليه السلام) معظم حياته صائما نهارة، قائما ليله، مشغولا تاره بالصلاه، و اخرى بالدعاء.

ص: ١٢٤

١- (١) حياه الإمام زين العابدین: ١٨٧ نقلا عن تفسير الإمام الحسن العسكري.

٢- (٢) الخصال: ٤٨٨.

١- وضوؤه:

الوضوء هو نور و طهاره من الذنوب، و المقدمه الاولى للصلاه، و كان الإمام (عليه السلام) دوما على طهاره، و قد تحدّث الرواه عن خشوعه لله في وضوئه، فقالوا: إنّه إذا أراد الوضوء اصفرّ لونه، فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء؟ فيجيبهم قائلا: «أندرون بين يدي من أقوم؟!» (١).

٢- صلاته:

اشاره

أمّا الصلاه فمعراج المؤمن و قربان كلّ تقى كما في الحديث الشريف، و كانت الصلاه من أهم الرغبات النفسيه للإمام (عليه السلام) فقد اتخذها معراجا ترفعه إلى الله تعالى، و كانت تأخذه رعه إذا أراد الشروع في الصلاه، فقيل له في ذلك فقال: «أندرون بين يدي من أقوم، و من اناجى؟!» (٢). و نعرض لبعض شؤونه في حال صلاته.

أ- تطيبه للصلاه:

و كان الإمام إذا أراد الصلاه تطيب من قاروره كان قد جعلها في مسجد صلاته (٣).

ص: ١٢٥

١- ((١)) نهايه الإرب: ٣٢٦/٢١، سير أعلام النبلاء: ٢٣٨/٤.

٢- ((٢)) الخصال: ٦٢٠/٢.

٣- ((٣)) بحار الأنوار: ٥٨/٤٦.

ب- لباسه في صلاته:

و كان الإمام (عليه السلام) إذا أراد الصلاة لبس الصوف و أغلظ الثياب (١)، مبالغه منه في إذلال نفسه أمام الخالق العظيم.

ج- خشوعه في صلاته:

كانت صلاته تمثّل الانقطاع التام إلى الله جلّ جلاله و التجرد من عالم الماديات، فكان لا يحسّ بشيء من حوله، بل لا يحسّ بنفسه فيما تعلّق قلبه بالله تعالى، و وصفه الرواه في حال صلاته، فقالوا: كان إذا قام إلى الصلاة غشى لونه بلون آخر، و كانت أعضاؤه ترتعد من خشية الله، و كان يقف في صلاته موقف العبد الذليل بين يدي الملك الجليل، و كان يصلّي صلاه مودّع يرى أنّه لا يصلّي بعدها أبداً (٢).

و تحدّث الإمام الباقر (عليه السلام) عن خشوع أبيه في صلاته فقال: «كان عليّ بن الحسين إذا قام في الصلاة كأنّه ساق شجره لا يتحرك منه شيء إلا ما حركت الريح منه» (٣).

و نقل أبان بن تغلب إلى الإمام الصادق (عليه السلام) صلاه جدّه الإمام السجاد (عليه السلام) فقال له: إنّي رأيت عليّ بن الحسين إذا قام في الصلاة غشى لونه بلون آخر، فقال له الإمام الصادق (عليه السلام): «و الله إنّ عليّ بن الحسين كان يعرف الذي يقوم بين يديه...» (٤).

و كان من مظاهر خشوعه في صلاته أنّه إذا سجد لا يرفع رأسه حتى

ص: ١٢٦

١- (١) بحار الأنوار: ١٠٨/٤٦.

٢- (٢) حياه الإمام زين العابدين (عليه السلام): ١٩٠.

٣- (٣) وسائل الشيعة: ٦٨٥/٤.

٤- (٤) المصدر السابق.

يرفض عرقاً (١) أو كأنه غمس في الماء من كثرة دموعه و بكائه (٢)، و نقل عن أبي حمزة الثمالي أنه رأى الإمام قد صلى فسقط الرداء عن أحد منكبيه فلم يسوّه فسأله أبو حمزة عن ذلك فقال له: «و يحكك، أتدري بين يدي من كنت؟ إنَّ العبد لا يقبل من صلاته إلا ما أقبل عليه منها بقلبه» (٣).

د- صلاة ألف ركعة:

و أجمع المترجمون للإمام (عليه السلام) أنه كان يصلي في اليوم و الليلة ألف ركعة (٤)، و أنه كانت له خمسمائة نخله، فكان يصلي عند كل نخله ركعتين (٥) و نظراً لكثرة صلاته؛ فقد كانت له ثغفات في مواضع سجوده كثغفات البعير، و كان يسقط منها في كل سنة، فكان يجمعها في كيس، و لما توفي (عليه السلام) دفنت معه (٦).

ه- كثرة سجوده:

إنَّ أقرب ما يكون العبد من ربه و هو في حال سجوده كما في الحديث الشريف، و كان الإمام (عليه السلام) كثير السجود لله تعالى خضوعاً و تذلاً له، و روى:

أنه خرج مرّه إلى الصحراء فتبعه مولى له فوجده ساجداً على حجاره خشنه، فأحصى عليه ألف مرّه يقول: «لا إله إلا الله حقاً، لا إله إلا الله تعبدوا و رقاً، لا إله إلا الله إيماناً و صدقاً» (٧).

ص: ١٢٧

١- (١) تهذيب الأحكام: ٢٨٦/٢ ح ١١٤٦.

٢- (٢) بحار الأنوار: ١٠٨/٤٦.

٣- (٣) علل الشرائع: ٨٨، بحار الأنوار: ٦١/٤٦.

٤- (٤) تهذيب التهذيب: ٣٠٦/٧، نور الأبصار: ١٣٦، الإنحاف بحب الأشراف: ٤٩، و مصادر اخرى.

٥- (٥) بحار الأنوار: ٦١/٤٦، الخصال: ٤٨٧.

٦- (٦) الخصال: ٤٨٨.

٧- (٧) وسائل الشيعة: ٩٨١/٤.

و كان يسجد سجده الشكر، و يقول فيها مئة مرّة: «الحمد لله شكراً»، ثمّ يقول: «يا ذا المنّ الذي لا ينقطع أبداً، و لا يحصيه غيره عدداً، و يا ذا الجود الذي لا ينفد أبداً، يا كريم، يا كريم» و يتضرّع بعد ذلك و يذكر حاجته (١).

و- كثره تسيّحه:

و كان دوماً مشغولاً بذكر الله تعالى و تسيّحه و حمده، و كان يسبّح الله بهذه الكلمات: «سبحان من أشرق نوره كلّ ظلمه، سبحان من قدّر بقوته كلّ قدره، سبحان من احتجب عن العباد بطرائق نفوسهم فلا شيء يحجبه، سبحان الله و بحمده» (٢).

ز- ملازمته لصلاه الليل:

من النوافل التي كان لا يدعها الإمام (عليه السلام) صلاه الليل، فكان مواظباً عليها في السفر و الحضر (٣) إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى.

ح- دعاؤه بعد صلاه الليل:

و كان (عليه السلام) إذا فرغ من صلاه الليل دعا بهذا الدعاء الشريف، و هو من غرر أدعيه أئمّه أهل البيت (عليهم السلام)، و إليك بعض مقاطعه:
«اللهم يا ذا الملك المتأبد بالخلود و السلطان، الممتنع بغير جنود و لا أعوان، و العزّ الباقي على مرّ الدهور و خوالي الأعوام (٤) و مواضى الأزمان و الأيام، عزّ سلطانتك عزاً لا حدّ له بأوليّه و لا منتهى له بأخريه، و استعلي ملكك علوّاً سقطت الأشياء دون بلوغ أمدّه (٥) و لا

ص: ١٢٨

١- (١) وسائل الشيعة: ١٠٧٩/٤.

٢- (٢) دعوات القطب الراوندي: ٣٤.

٣- (٣) عن صفه الصفوه: ٥٣/٢ و كشف الغمه: ٢٦٣/٢.

٤- (٤) خوالي الأعوام: مواضيها.

٥- (٥) أمدّه: غايته.

يبلغ أدنى ما استأثرت من ذلك أقصى نعت الناعتين، ضلّت فيك الصفات و تفسّخت (١) دونك النعوت، و حارت في كبريائك لطائف الأوهام، كذلك أنت الله الأوّل في أوّليتك، و على ذلك أنت دائم لا تزول، و أنا العبد الضعيف عملا الجسيم أملا، خرجت من يدي أسباب الوصلات (٢) إلّا ما وصله رحمتك، و تقطعت عنّي عصم (٣) الآمال إلّا ما أنا معتمصم به من عفوك، قلّ عندى ما أعتد به من طاعتك، و كثر على ما أبوء (٤) به من معصيتك، و لن يضيق عليك عفو عن عبدك، و إن أساء فاعف عنّي...».

«اللهمّ إنّي أعوذ بك من نار تغلّظت بها على من عصاك، و توعدت بها على من صدق (٥) عن رضاك، و من نار نورها ظلمه، و هتينا أليم، و بعيدها قريب، و من نار يأكل بعضها بعض، و يصول (٦) بعضها على بعض، و من نار تذر (٧) العظام رميما (٨)، و تسقى أهلها حميما (٩)، و من نار لا تبقى على من تضرّع إليها، و لا ترحم من استعطفها، و لا تقدر على التخفيف عمّن خشع لها و استسلم إليها، تلقى سكانها بأحرّ ما لديها من أليم النكال (١٠) و شديد الوبال (١١)...» (١٢).

ص: ١٢٩

- ١- (١) تفسخت: أى تقطعت و تمزّقت و بطلت، فإنك فوق نعت الناعتين.
- ٢- (٢) الوصلات: وصله-بالضم- و هى ما يتوصل به إلى المطلوب، يعنى أنه قد فاتتني الأسباب التي يتوصل بها إلى السعادات الاخرويه إلّا السبب الذي هو رحمتك فانه لا يفوت من أحد، لأنها وسعت كلّ شيء.
- ٣- (٣) عصم: جمع عصمه، و هى الوقايه و الحفظ.
- ٤- (٤) ما أبوء: أقرّ و أرجع.
- ٥- (٥) صدق: خرج و أعرض.
- ٦- (٦) يصول: من الصوله بمعنى الحمله.
- ٧- (٧) تذر: تترك.
- ٨- (٨) رميما: بالياء.
- ٩- (٩) حميما: ماء شديد الحراره.
- ١٠- (١٠) النكال: العقوبه.
- ١١- (١١) الوبال: الوخامه و سوء العاقبه.
- ١٢- (١٢) الصحيفه الكامله السجديه: الدعاء ٣٢.

و ذبل الإمام (عليه السلام) من كثرة العبادة و أجهدهته أى إجهاده، و قد بلغ به الضعف أن الريح كانت تميله يمينا و شمالا بمنزله السنبله (١) التي تميلها الريح.

و قال ابنه عبد الله: كان أبى يصلى بالليل فإذا فرغ يزحف إلى فراشه (٢).

و أشفق عليه أهله و محبوه من كثرة ما بان عليه من الضعف و الجهد من كثرة عبادته، فكلموه فى ذلك لكنّه (عليه السلام) أصرّ على شدّه تعبده حتى يلحق بآبائه، قال له أحد أبنائه: يا أبت كم هذا الدؤوب (يعنى الصلاه)؟ فأجابه الإمام (عليه السلام): «أتجيب إلى ربّى» (٣).

و قال جابر بن عبد الله الأنصارى للإمام (عليه السلام): يا ابن رسول الله! أما علمت أن الله تعالى إنما خلق الجنه لكم و لمن أحبكم، و خلق النار لمن أبغضكم و عاداكم، فما هذا الجهد الذى كلفته نفسك؟ فأجابه الإمام (عليه السلام): «يا صاحب رسول الله، أما علمت أن جدى رسول الله (صلى الله عليه و اله) قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه و ما تأخر، فلم يدع الإجهاد له، و تعبّد بأبى و امى - حتى انتفخ ساقه و ورم قدمه، و قد قيل له: أتفعل هذا و قد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك و ما تأخر؟ فقال (صلى الله عليه و اله): أفلا أكون عبدا شكورا؟».

فقال له جابر: يا ابن رسول الله، البقيا على نفسك، فإنك من اسره بهم يستدفع البلاء، و بهم يستكشف الأدواء، و بهم تستمطر السماء... فأجابه الإمام (عليه السلام): «لا أزال على منهاج أبوى متأسيا بهما حتى ألقاهما...» (٤).

ص: ١٣٠

١- (١) الإرشاد: ٢٧٢، روضه الواعظين: ٢٣٧/١.

٢- (٢) بحار الأنوار: ٩٩/٤٦.

٣- (٣) المصدر السابق: ٩٩/٤٦.

٤- (٤) مناقب آل أبى طالب: ١٦١/٤، ١٦٢.

وقضى الإمام معظم أيام حياته صائماً، وقد قالت جاريته حينما سئلت عن عبادته: «ما قدمت له طعاماً في نهار قطّ» وقد أحبّ الصوم وحثّ عليه إذ قال (عليه السلام): «إنّ الله تعالى و كلّ ملائكة بالصائمين» ١، وكان (عليه السلام) لا يفطر إلاّ في يوم العيدين وغيرهما ممّا كان له عذر.

وكان له شأن خاص في شهر رمضان، أنّه لم يترك نوعاً من أنواع البرّ والخير إلاّ أتى به، وكان لا يتكلم إلاّ بالتسبيح والإستغفار والتكبير، وإذا أفطر قال: «اللّهم إن شئت أن تفعل فعلت» ٢.

وكان (عليه السلام) يستقبل شهر رمضان بشوق و رغبة لانه ربيع الأبرار، وكان يدعو لدى دخول شهر الله تعالى بدعاء نقتطف منه بعض الفقرات، قال (عليه السلام):

«الحمد لله الذي هدانا لحمده و جعلنا من أهله؛ لنكون لإحسانه من الشاكرين، و ليجزينا على ذلك جزاء المحسنين.

و الحمد لله الذي حباننا بدينه، و اختصنا بملته، و سبّلنا ٣ في سبيل إحسانه، لنسلكها بمته إلى رضوانه... و الحمد لله الذي جعل من تلك السبل شهره شهر رمضان شهر الصيام و شهر الإسلام و شهر الطهور و شهر التمحيص و شهر القيام...

اللّهم صلّ على محمد و آله، و ألهمنا معرفه فضله، و إجلال حرّمته، و التحفّظ ممّا حظرت فيه، و أعنا على صيامه بكفّ الجوارح عن معاصيك، و استعمالها فيه بما يرضيك، حتى لا نصغى بأسماعنا إلى لغو، و لا نسرع بأبصارنا إلى لهو، و حتى لا نبسط أيدينا إلى محظور، و لا نخطو بأقدامنا إلى محجور، و حتى لا تعي بطوننا إلاّ ما أحللت، و لا تنطق ألسنتنا

إلّا- بما مثلت، و لا- تتكلّف إلّا- ما يدنى من ثوابك، و لا- نتعاطى إلّا- الذى يقى من عقابك، ثم خلّص ذلك كلّ من رثاء المرأين و سمعه المسمعين، لا نشرك فيه أحدا دونك، و لا نبتغى فيه مرادا سواك...

اللهم اشحنه (١) بعبادتنا إيتاك، و زين أوقاتنا بطاعتنا لك، و أعنا فى نهاره على صيامه، و فى ليله على الصلاة و التضرع اليك و الخشوع لك و الذلّه بين يديك حتى لا يشهد نهاره علينا بغفله و لا ليله بتفريط.

اللهم و اجعلنا فى سائر الشهور و الأيام كذلك ما عمّرتنا...» (٢).

و كان الإمام زين العابدين (عليه السّلام) فى كلّ يوم من أيام شهر رمضان يأمر بذيح شاه و طبخها... فإذا نضجت يقول: «هاتوا القصاع» و يأمر بأن يفرّق على الفقراء و الأرامل و الأيتام حتى يأتى على آخر القدور و لا يبقى شيئا لإفطاره، و كان يفطر على خبز و تمر (٣).

و من مبرّات الإمام (عليه السّلام) فى شهر رمضان المبارك كثره عتقه و تحرير أرقائه من رقّ العبوديه، على أنهم كانوا يعيشون فى ظلاله محترمين، فكان يعاملهم كأبنائه، و كان (عليه السّلام) لا يعاقب أمه و لا عبدا إذا اقترفا ذنبا، و إنّما كان يسجّل اليوم الذى أذنبوا فيه، فإذا كان آخر شهر رمضان جمعهم و أظهر الكتاب الذى سجّل فيه ذنوبهم، و يقول:

«ارفعوا أصواتكم و قولوا: يا علىّ بن الحسين! إنّ ربّك قد أحصى عليك كلّ ما عملت، كما أحصيت علينا ما عملناه، و لديه كتاب ينطق بالحقّ لا يغادر صغيره و لا كبيره ممّا أتيت إلّا أحصاها، و تجد كلّ ما عملت لديه حاضرا، كما وجدنا كلّ ما عملنا لديك حاضرا،

ص: ١٣٢

١- (١) أى: املاّه بعبادتنا إيتاك.

٢- (٢) الصحيفه الكامله السجديه: الدعاء ٤٤.

٣- (٣) بحار الأنوار: ٧٢/٤٦.

فاعف و اصفح، كما تـرجو من المـليـك العـفو، و كما تحب أن يعفو المـليـك عنك، فاعف عـنـا تجده عـفوـا، و بك رحـيـما و لك غـفـورا، و لا يظلم ربك أحدا... كما لديك كتاب ينطق بالحق علينا، لا يغادر صغيره و لا كبيره مـمـا أتيناه إلا أحصاها، فاذكر يا علي بن الحسين ذل مقامك بين يدي ربك الحكم العدل الذي لا يظلم مثقال حبه من خردل، و يأتي بها يوم القيامة، و كفى بالله حسيبا و شهيدا، فاعف و اصفح يعف عنك المليك و يصفح، فإنه يقول: وَ لِيَعْفُوا وَ لِيُصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ (١).

و كان يلقنهم بتلك الكلمات التي تمثل انقطاعه التام إلى الله تعالى و اعتصامه به، و هو واقف بيكي من خشيته تعالى و يقول:

«رب إنك أمرتنا أن نعوذ من ظلمنا، و قد عفونا عمن ظلمنا كما أمرت فاعف عـنـا فإنك أولى بذلك منـا و من المأمورين، و أمرتنا أن لا نرد سائلا عن أبواننا، و قد أتيناك سؤالا و مساكين، و قد أنخنا بفنائك و باباك نطلب نائلك و معروفك و عطاءك فامنن بذلك علينا، و لا تخيننا فإنك أولى بذلك منـا و من المأمورين، إلهي كرمت فأكرمني، إذ كنت من سؤالك و جدت بالمعروف فأخطني بأهل نوالك يا كريم...».

ثم يقبل عليهم بوجهه الشريف و قد تبلل من دموع عينيه قائلا لهم بعطف و حنان: «قد عفوت عنكم، فهل عفوتم عني؟ و مما كان مني من سوء ملكه، فإنني مليك سوء لئيم ظالم، مملوك لمليك كريم جواد عادل محسن متفضل...» و ينبري العبيد قائلين له: قد عفونا عنك يا سيدنا، فيقول لهم: «قولوا: اللهم اعف عن علي بن الحسين كما عفا عـنـا، فاعتقه من النار كما أعتق رقابنا من الرق».

فيقولون ذلك، و يقول بعدهم: «اللهم آمين رب العالمين، اذهبوا فقد عفوت عنكم، و أعتقت رقابكم رجاء للعفو عني و عتق رقبتني» فإذا كان يوم عيد الفطر

ص: ١٣٣

٤-دعاؤه:

أ-دعاؤه في الأسفار:

و كان الإمام(عليه السلام) ينادي ربه و يدعو بتضرّع و إخلاص في سحر كل ليلة من ليالي شهر رمضان بالدعاء الجليل الذي عرف بدعاء أبي حمزه الثمالي؛ لأنه هو الذي رواه عنه، و هو من غرر أدعية أهل البيت(عليهم السلام) و هو يمثل مدى إنابته و انقطاعه إلى الله تعالى كما أنّ فيه من المواعظ ما يوجب صرف النفس عن غرورها و شهواتها، كما يمتاز بجمال الاسلوب و روعه البيان و بلاغه العرض، و فيه من التذلل و الخشوع و الخضوع أمام الله تعالى ما لا يمكن صدوره إلا عن إمام معصوم.

و قد احتلّ هذا الدعاء مكانه مهمّ في نفوس الأخيار و الصلحاء من المسلمين، إذ و اظبوا على الدعاء به، و ممّا قاله الإمام(عليه السلام) في دعائه:

«إلهي، لا- تؤدّبني بعقوبتك، و لا تمكر بي في حيلتك، من أين لي الخير يا ربّ و لا يوجد إلا من عندك؟ و من أين لي النجاه و لا تستطاع إلا بك؟ لا الذي أحسن استغنى عن عونك و رحمتك، و لا الذي أساء و اجترأ عليك و لم يرضك خرج عن قدرتك...»

بك عرفتك و أنت دللتني عليك و دعوتني اليك، و لو لا أنت لم أدر ما أنت.

الحمد لله الذي أدعوه فيجيبني و إن كنت بطيئًا حين يدعوني، و الحمد لله الذي أسأله فيعطيني و إن كنت بخيلًا حين يستقرضني...

أدعوك يا سيدي بلسان قد أخرسه ذنبه، ربّ اناجيك بقلب قد أوبقه جرمه، أدعوك يا ربّ راهبا راغبا راجيا خائفًا، إذا رأيت مولاي ذنوبي فزعت، و إذا رأيت كرمك طمعت...

ص: ١٣٤

يا واسع المغفرة، يا باسط اليدين بالرحمة، فو عزّتك يا سيدي لو نهرتني ما برحت (١) من بابك و لا كفتت عن تملكك (٢) لما انتهى إلي من المعرفة بوجودك و كرمك...

اللهم إني كلما قلت قد تهيتأت و تعيأت و قمت للصلاه بين يديك و ناجيتك ألقيت علي نعاسا إذا أنا صليت و سلبتني مناجاتك إذا أنا ناجيت، ما لي كلما قلت قد صلحت سريرتي (٣) و قرب من مجالس التوابين مجلسي عرضت لي بليه أزالته قدمي و حالت بيني و بين خدمتك. سيدي لعلمك عن بابك طردتني، و عن خدمتك نحتني، أو لعلمك رأيتني مستخفا بحقك فأقصيتني، أو لعلمك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني، أو لعلمك رأيتني في الغافلين فمن رحمتك آيستني، أو لعلمك رأيتني آلف مجالس البطالين فيبني و بينهم خلّيتني، أو لعلمك لم تحب أن تسمع دعائي فباعدتني، أو لعلمك بجرمي و جريرتي كافيتني، أو لعلمك بقله حيائي منك جازيتني...

إلهي، لو قرنتني بالأصفاة و منعتني سيبك (٤) من بين الأشهاد و دللت علي فضايحي عيون العباد و أمرت بي إلى النار و حلت بيني و بين الأبرار؛ ما قطعت رجائي منك، و ما صرفت تأميلي للعفو عنك، و لا خرج حُبك من قلبي...

ارحم في هذه الدنيا غربتي، و عند الموت كربتي، و في القبر وحدتي، و في اللحد وحشتي، و إذا نشرت للحساب بين يديك ذلّ موقفي، و اغفر لي ما خفي علي الآدميين من عملي، و أدم لي ما به سترتني، و ارحمني صريعا علي الفراش، تقلبني أيدي أحبتي، و تفضل علي ممدودا علي المغتسل يقلبني صالح جيرتي، و تحنّ علي محمولا. قد تناول الأقرباء أطراف جنازتي، و جد علي منقولا قد نزلت بك و حيدا في حفرتي، و ارحم في ذلك البيت

ص: ١٣٥

١- (١) برح المكان و منه: زال عنه.

٢- (٢) تملكك: التودّد اليك.

٣- (٣) سريرتي: نيتي.

٤- (٤) السيب: العطاء.

الجدید غربتی، حتی لا أستأنس بغيرک...» (١).

و كان الإمام (عليه السلام) يتأثر إذا انطوت أيام شهر رمضان؛ لأنه عيد أولياء الله تعالى، و كان يودّعه بدعاء جليل نقتطف منه ما يلي:

«السلام عليك يا شهر الله الأكبر و يا عيد أوليائه.

السلام عليك يا أكرم مصحوب من الأوقات، و يا خير شهر في الأيام و الساعات.

السلام عليك من شهر قربت فيه الآمال، و نشرت فيه الأعمال.

السلام عليك من قرين جلّ قدره موجودا، و أفجع فقده مفقودا، و مرجو ألم فراقه.

السلام عليك من أليف آنس مقبلا فسرّ، و أوحش منقضا فمضّ (٢).

السلام عليك من مجاور رقّت فيه القلوب، و قلّت فيه الذنوب.

السلام عليك من ناصر أعان على الشيطان.

السلام عليك و على ليله القدر التي هي خير من ألف شهر.

السلام عليك ما كان أحرصنا بالأمس عليك، و أشدّ شوقنا غدا إليك.

اللهم اسلخنا بانسلاخ هذا الشهر (٣) من خطايانا، و أخرجنا بخروجه من سيئاتنا، و اجعلنا من أسعد أهله به، و أجزلهم قسما فيه، و أوفرهم حظّا منه...» (٤).

٥- حَجَّه (عليه السلام):

اشاره

و كان يحثّ على الحج و العمره بقوله: حجّوا و اعتمروا تصحّ أجسادكم، و تتسع أرزاقكم، و يصلح إيمانكم، و تكفوا مؤونه الناس و مؤونه عيالكم» (٥).

ص: ١٣٦

١- (١) راجع: مفاتيح الجنان «الدعاء المعروف بدعاء أبي حمزه الثمالي».

٢- (٢) مضّ: ألم.

٣- (٣) انسلخ الشهر: مضى.

٤- (٤) راجع: الصحيفه السجاديّه «الدعاء في وداع شهر رمضان».

٥- (٥) وسائل الشيعة: ٥/٨.

وقال (عليه السلام): «الحاج مغفور له، و موجب له الجنة، و مستأنف به العمل، و محفوظ في أهله و ماله» (١).

وقال (عليه السلام): «الساعي بين الصفا و المروه تشفع له الملائكة» (٢).

و كان (عليه السلام) يدعو إلى تكريم الحجّاج إذا قدموا من بيت الله الحرام و يقول: «استبشروا بالحجّاج إذا قدموا و صافحوهم، و عظموهم تشاركوهم في الأجر قبل أن تخالطهم الذنوب» (٣).

و حجّ (عليه السلام) غير مرّة ماشيا كما حجّ أبوه و عمّه الحسن (عليهم السلام)، و حجّ على ناقته عشرين حجّجه و كان يرفق بها كثيرا.

وقال ابراهيم بن عليّ: حججت مع عليّ بن الحسين فتلكأت ناقته فأشار اليها بالقضيب، ثم ردّ يده، و قال: «آه من القصاص...» (٤).

و كان الإمام (عليه السلام) إذا أراد السفر إلى بيت الله الحرام احتفّ به القراء و العلماء؛ لأنّهم كانوا يتزوّدون منه العلوم و المعارف و الحكم و الآداب، و قال سعيد بن المسيب: إنّ القراء كانوا لا يخرجون إلى مكّه حتى يخرج عليّ بن الحسين، فخرج و خرجنا معه ألف راكب (٥).

و اذا انتهى الإمام إلى إحدى المواقيت التي يحرم منها؛ يأخذ بعمل سنن الإحرام، و إذا أراد التلبيه عند عقد الإحرام اصفرّ لونه و اضطرب و لم يستطع أن يلبّي، فاذا قيل له: ما لك لا تلبّي؟ قال: «أخشى أن أقول: لبيك،

ص: ١٣٧

١- (١) فروع الكافي: ٢٥٢/٤.

٢- (٢) من لا يحضره الفقيه: ٢٠٨/٢ ح ٢١٦٨.

٣- (٣) بحار الأنوار: ٣٨٦/٩٩ مع اختلاف في اللفظ.

٤- (٤) الفصول المهمة: ١٨٩.

٥- (٥) حياه الإمام زين العابدين: ٢٢٧.

فيقال لي: لا ليبيك».

و إذا لبى غشى عليه من كثره خوفه من الله تعالى، و يسقط من راحلته، و لا يزال يعتريه هذا الحال حتى يقضى حجه (١).

و كان الإمام (عليه السلام) إذا أذى مناسكه في البيت الحرام؛ أقبل على الصلاة تحت ميزاب الرحمة. و رآه طاووس اليماني في ذلك المكان قائما و هو يدعو الله و يبكي من خشية الله، فلما فرغ من صلاته قال له طاووس: رأيتك على حاله من الخشوع و لك ثلاثة أمور، أرجو أن تؤمنك من الخوف، أحدها:

أتك ابن رسول الله (صلى الله عليه و اله)، الثاني: شفاعه جدك، الثالث: رحمه الله.

فأجابه الإمام (عليه السلام) قائلا: «يا طاووس، أما أني ابن رسول الله (صلى الله عليه و اله) فلا يؤمنني و قد سمعت الله تعالى يقول: **فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ** (٢)، و أما شفاعه جدي فلا تؤمنني؛ لأن الله تعالى يقول: **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى** (٣) و أما رحمه الله فالله يقول: **إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ** (٤) و لا أعلم أني محسن» (٥).

و قال طاووس: رأيت علي بن الحسين يطوف من العشاء إلى السحر و يتعبد، فإذا لم ير أحدا رمق السماء بطرفه و قال: «الهي، غارت نجوم سماواتك، و هجعت عيون أنامك، و أبوابك مفتحة للسائلين، جئتك لتغفر لي و ترحمني و تريني وجه جدي محمد (صلى الله عليه و اله) في عرصات القيامة» ثم بكى و قال: «أما و عزتك و جلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، و ما عصيتك إذ عصيتك و أنا بك شاك، و لا بنكالك جاهل، و لا لعقوبتك

ص: ١٣٨

١- (١) نهایه الإرب: ٣٢٦/٢١.

٢- (٢) المؤمنون (٢٣): ١٠١.

٣- (٣) الأنبياء (٢١): ٢٨.

٤- (٤) الأعراف (٧): ٥٦.

٥- (٥) بحار الأنوار: ١٠١/٤٦.

متعرّض، و لكن سؤلت لى نفسى، و أعاننى على ذلك سترك المرخى به على، فأنا الآن من عذابك من يستنقذنى، و بحبل من اعتصم إن قطعت حبلك عنى...». ثم خرّ إلى الأرض ساجدا، فدنوت منه و رفعت رأسه و وضعتة فى حجرى، فوقعت قطرات من دموعى على خدّه الشريف فاستوى جالسا، و قال بصوت خافت: «من هذا الذى أشغلنى عن ذكر ربي؟».

فأجابه طاووس بخضوع و إجلال: أنا طاووس يا ابن رسول الله، ما هذا الجزع و الفزع و نحن يلزمننا أن نفعل مثل هذا و نحن عاصون جانون؟ أبوك الحسين بن على و امك فاطمه الزهراء و جدك رسول الله.

فأجابه الإمام (عليه السلام): «هيها هيهات يا طاووس، دع عنك حديث أبى و امى و جدى، خلق الله الجنة لمن أطاعه و أحسن و لو كان عبدا حبشيا، و خلق النار لمن عصاه و لو كان سيدا قرشيا، أما سمعت قوله تعالى: فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ؟ و الله لا ينفعك غدا إلا ما تقدّمه من عمل صالح» (١).

دعاؤه فى يوم عرفه:

و كان الإمام (عليه السلام) فى عرفات يقوم بالصلاه و الدعاء و تلاوه القرآن الكريم، و كان يدعو بدعاء جليل و هو من غرر أذعيه أئمه أهل البيت (عليهم السلام)، و فيما يلى بعض المقتطفات منه:

«الحمد لله ربّ العالمين، اللهم لك الحمد بديع السماوات و الأرض (٢) ذا الجلال و الإكرام، ربّ الأرباب، و إله كلّ مألوه، و خالق كلّ مخلوق، و وارث كلّ شىء ليس كمثلته

ص: ١٣٩

١- (١) مناقب آل أبى طالب: ١٦٣/٤، ١٦٤، و بحار الأنوار: ٨١/٤٦.

٢- (٢) بديع السماوات و الأرض: مخترعها لا عن مثال سابق، أو أنّ السماوات و الأرض بديعه، أى عديمه النظير.

شىء، و لا يعزب (١) عنه علم شىء، و هو بكل شىء محيط، و هو على كل شىء رقيب.

أنت الله لا- إله إلا- أنت الأحد المتوحد الفرد، و أنت الله لا إله إلا أنت الكريم المتكرم العظيم المتعظم الكبير المتكبر، و أنت الله لا إله إلا أنت العليّ المتعال الشديد المحال (٢).

أنت الذى قصرت الأوهام عن ذاتيتك، و عجزت الأفهام عن كفييتك، و لم تدرك الأبصار موضع أبيتك، أنت الذى لا تحد فتكون محدودا، و لم تمثل فتكون موجودا، و لم تلد فتكون مولودا.

لك الحمد حمدا يدوم بدوامك، و لك الحمد حمدا خالدا بنعمتك، و لك الحمد حمدا يوازي صنعك، و لك الحمد حمدا يزيد على رضاك، و لك الحمد حمدا مع حمد كل حامد.

ربّ صلّ على محمد و آله صلاه زاكية لا تكون صلاه أزكى منها، و صلّ عليه صلاه ناميه لا تكون صلاه أنمى منها، و صلّ عليه صلاه راضيه لا تكون صلاه فوقها.. ربّ صلّ على أطائب أهل بيته الذين اخترتهم لأمرك، و جعلتهم خزنة علمك و حفظه دينك، و خلفاءك فى أرضك، و حججك على عبادك، و طهرتهم من الرجس و الدنس تطهيرا بإرادتك، و جعلتهم الوسيله إليك و المسلك إلى جنتك.

اللهم إنك أيدت دينك فى كلّ أوان يمام أقمته علما لعبادك و منارا فى بلادك، بعد أن وصلت حبله بحبلك، و جعلته الذريعه إلى رضوانك، و افترضت طاعته، و حدّرت معصيته، و أمرت بامثال أوامره و الانتهاء عند نهيه، و ألا يتقدّمه متقدّم و لا يتأخّر عنه متأخّر، فهو عصمه اللاندين، و كهف المؤمنين، و عروه المتمسكين، و بهاء العالمين.

و انزع من قلبى حبّ دنيا دنيه تنهى عما عندك، و تصدّ عن ابتغاء الوسيله إليك، و تذهل عن التقرب منك، و زين لى التفرد بمناجاتك بالليل و النهار، و هب لى عصمه تدنيني من خشيتك، و تقطعنى عن ركوب محارمك، و تفكّنى من أسر العظامم، و هب لى التطهير من

ص: ١٤٠

١- ((١)) لا يعزب: لا يغيب.

٢- ((٢)) المحال: الأخذ.

دنس العصيان، و أذهب عني درن الخطايا، و سربلني (١) بسربال عافيتك.

و لا تكلني إلى حولي و قوتي دون حولك و قوتك، و لا تخزني يوم تبعثني للقائك، و لا تفضحني بين يدي أوليائك، و لا تنسني ذكرك، و لا تذهب عني شكرك... و اجعل رغبتى إليك فوق رغبة الراغبين، و حمدي إياك فوق حمد الحامدين، و لا تخذلني عند فاقتى إليك.

اجعل هيبتي في وعيدك، و حذري من إعدارك و إنذارك، و رهبتى عند تلاوه آياتك، و امر ليلي بإيقاظي فيه لعبادتك، و تفردي بالتهجد لك، و تجردى بسكوني إليك و إنزال حوائجى بك و منازلتي إياك (٢) فى فكاك رقتى من نارك، و إجاتى ممّا فيه أهلها من عذابك، و لا تذرني فى طغيانى عامها (٣) و لا فى غمرتى (٤) ساهيا حتى حين، و لا- تجعلنى عظه لمن أتعظ، و لا نكالا لمن اعتبر، و لا فتنه لمن نظر، و لا تمكر بى فيمن تمكر به، و لا تستبدل بى غيرى... و اجعل قلبى واثقا بما عندك، و همى مستغرقا لما هو لك، و استعملنى بما تستعمل به خالصتك، و أشرب قلبى عند ذهول العقول طاعتك... و صن وجهى عن الطلب إلى أحد من العالمين، و ذبني عن التماس ما عند الفاسقين و لا تجعلنى للظالمين ظهيرا و لا لهم على محو كتابك يدا و نصيرا...» (٥).

دعاؤه يوم عيد الأضحى:

كان الإمام زين العابدين (عليه السلام) يستقبل يوم عيد الأضحى بالابتهاج إلى الله و التضرع إليه، طالبا منه أن يتفضل عليه بقبول مناسكه و سائر طاعاته

ص: ١٤١

١- (١) سربلني: قمصني، و السربال: القميص.

٢- (٢) منازلتي إياك: أى مراجعتى.

٣- (٣) عامها: العمه فى البصيره كالعمى فى البصر.

٤- (٤) و لا فى غمرتى: أى إغمائى و غفلتى، ناظرا إلى قوله سبحانه: فَذَرُهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ

٥- (٥) الصحيفه الكامله السجديه: الدعاء ٤٧.

و عباداته، و أن يمنحه المغفرة و الرضوان، و من دعائه فى هذا اليوم المبارك:

«اللهم هذا يوم مبارك ميمون و المسلمون فيه مجتمعون.

اللهم إليك تعمدت بحاجتى، و بك أنزلت اليوم فقرى و فاقتى و مسكنتى، و إئتى بمغفرتك و رحمتك أوثق منى بعملى، و لمغفرتك و رحمتك أوسع من ذنوبى، فصلّ على محمد و آل محمد، و تولّ قضاء كلّ حاجه هى لى بقدرتك عليها، و بتيسير ذلك عليك، و بفقرى إليك، و فناك عنى، فإنى لم أصب خيراً قطّ إلا منك، و لم يصرف عنى سوءاً قطّ أحد غيرك، و لا أرجو لأمر آخرتى و دنياى سواك.

اللهم فصلّ على محمد و آل محمد، و لا تخبّ اليوم ذلك من رجائى، يا من لا يحفيه سائل (١) و لا ينقصه نائل، فإنى لم آتک ثقه منى بعمل صالح قدّمته، و لا شفاعه مخلوق رجوته إلاّ شفاعه محمد و أهل بيته صلواتك عليه و عليهم و سلامك، أتيتك مقرّاً بالجرم و الإساءه إلى نفسى، أتيتك أرجو عظيم عفوك الذى عفوت به عن الخاطئين ثم لم يمنعك طول عكوفهم (٢) على عظيم الجرم أن عدت (٣) عليهم بالرحمه و المغفراه.

اللهم إنّ هذا المقام (٤) لخلفائك (٥) و أصفيائك و مواضع امنائك (٦) فى الدرجه الرفيعه التى اختصصتهم بها قد ابتزوها (٧) و أنت المقدر لذلك، لا يغالب أمرک، و لا يجاوز

ص: ١٤٢

١- (١) لا- يحفيه سائل: أى لا يستقصيه فى السؤال، إذ كلما سأله شيئاً فما بقى عنده فهو أكثر منه بكثير، بل لا نسبه بينهما، لنهايه أحدهما و لا نهايه الآخر.

٢- (٢) عكوفهم: إقامتهم و مواظبتهم.

٣- (٣) أن عدت: أى عن أن عدت، و حذف مثله قياسى، و «أن» مصدرية يعنى العود.

٤- (٤) إنّ هذا المقام: أى مقام صلاه الجمععه أو العيد.

٥- (٥) لخلفائك: أى الأئمه المعصومين (عليهم السّلام)، يعنى هم المستحقّون لذلك، و أن يكون أزمته بأيديهم، فأمّا يجعلونه لأنفسهم كما فى زمن حضورهم و بلد شهادتهم و أمنهم من الضرر، أو يأذنون لمن يرونه أهلاً له عموماً أو خصوصاً، كما فى زمن غيبتهم أو تقيتتهم، و فى غير بلد حضورهم.

٦- (٦) و مواضع امنائك: نصب عطف على «هذا المقام»، و «لخلفائك» متعلق بهذا «المقام»، أو خبر له.

٧- (٧) قد ابتزوها: الابتزاز و البرّ: السلب و النزاع و أخذ الشىء بجفاء و قهر، و العائد للدرجه أو للمواضع أو للمقام باعتبار اكتساب تأنيث الدرجه.

المحتوم من تدبيرك، كيف شئت و أنى شئت...» (١).

ظاهرة الدعاء و المناجاة في حياة الإمام (عليه السلام):

قال تعالى: قُلْ مَا يَعْجُبُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (٢).

قال السيد ابن طاووس رضوان الله تعالى عليه في مقام بيان ما تفيده الآية المباركة: فلم يجعل لهم لولا الدعاء محلاً و لا مقاما فقد صار مفهوم ذلك أن محل الإنسان و منزلته عند الله جلّ جلاله على قدر دعائه و قيمته بقدر اهتمامه بمناجاته و ندائه (٣).

و في ضوء هذه الحقيقة القرآنية نجد أن الإمام زين العابدين (عليه السلام) كان يدعو الله تعالى و يناجيه في كل آن و على كل حال، مجسداً فقره المطلق إلى الله جلّ جلاله، و هو ما يستبطن قدر الإمام و مكانته باعتبار أن المقام عند الله تعالى على قدر دعائه و مناجاته أو على قدر إدراكه لفاقته و حاجته إلى الله عز و جلّ، و العمل بما يقتضيه هذا الإدراك من انقطاع تام إلى الله تعالى و الإعراض عن كل ما سواه.

و نكتطف هنا بعض النصوص الشريفة من أدعيه و مناجات الإمام (عليه السلام) التي تبين ذروه حالات اليقين و الغنى التي يمكن أن يصلها الإنسان إذا رسيخ في عقله و قلبه حقيقة (أن لا- مؤثر في الوجود إلا- الله تعالى) فلا يتعلق قلبه بغيره سبحانه، و لا يرجو شيئاً من سواه تعالى، و لا يحب شيئاً غيره و يعمر

ص: ١٤٣

١- (١) الدعاء: ٤٨ من الصحيفة الكاملة السجادية.

٢- (٢) الفرقان (٢٥): ٧٧.

٣- (٣) فلاح السائل للسيد ابن طاووس: ٢٦، طبعه مكتب الإعلام الإسلامي للحوزه العلمية في قم المقدسه.

أوقاته كلّها بذكره تعالى و العمل بطاعته:

قال (عليه السّلام): «اللهم صلّ على محمّد و آله، و اجعل سلامه قلوبنا في ذكر عظمتك، و فراغ أبداننا في شكر نعمتك، و انطلق ألسنتنا في وصف متّك، اللهم صلّ على محمّد و آله، و اجعلنا من دعائك الداعين إليك، و هدايتك الدالّين عليك، و من خاصّيتك الخاصّين لديك يا أرحمّ الرّحمين» (١).

إنّه الانقطاع التامّ و الكامل فكرا و ذكرا و سلوكا و خلقا لله جلّ جلاله.

و قال (عليه السّلام) مناجيا الله جلّ جلاله: «كيف أرجو غيرك و الخير كله بيدك؟! و كيف أوّمل سواك و الخلق و الأمر لك؟! أأقطع رجائي منك و قد أوليتني ما لم أسأله من فضلك أم تفقرني إلى مثلي و أنا اعتصم بحبلك؟! يا من سعد برحمته القاصدون، و لم يشق بنقمة المستغفرون، كيف أنساك و لم تزل ذاكري؟! و كيف ألهو عنك و أنت مراقبي؟!» (٢).

لقد انقطع (عليه السّلام) إلى الله عز و جلّ كأعظم ما يكون الإنقطاع، فلم يأمل في جميع اموره غيره معتقدا بأنّ الأمل بما في يد غيره سراب.

و ناجى ربّه عز و جل بقوله (عليه السّلام): «إلهي أذهلني عن إقامة شكرك تتابع طولك (٣)، و أعجزني عن إحصاء ثنائك فيض فضلك، و شغلني عن ذكر محامدك ترادف (٤) عوائدك (٥)، و أعياني عن نشر عوارفك توالي أياديك.

إلهي تصاغر عند تعاضم آلائك شكري، و تضاءل في جنب إكرامك إتيائي ثنائى و نشرى (٦).

ص: ١٤٤

١- ((١)) الدعاء الخامس من الصحيحه الكامله.

٢- ((٢)) مناجاه الراجين.

٣- ((٣)) طولك: فضلك.

٤- ((٤)) ترادف: تتابع.

٥- ((٥)) عوائدك: جمع عائده و هى المعروف و المنفعه.

٦- ((٦)) نشرى: يعنى هنا بسط الحديث بالمدح.

جلّلتني (١) نعمك من أنوار الإيمان حلالاً، و ضربت عليّ لطائف برك من العزّ كلالاً (٢)، و قلّدتني مننك قلائد لا تحلّ، و طوّقتني أطواقاً لا تفلّ (٣)، فالأؤك جمّه ضعف لسانی عن إحصائها، و نعمأؤك كثيره قصر فهمی عن ادراكها فضلاً عن استقصائها، فكيف لي بتحصيل الشكر و شكری إياك يفتقر إلى شكر؟! فكلّما قلت: لك الحمد و جب عليّ لذلك أن أقول:

لك الحمد... (٤).

و هكذا يعلمنا الإمام (عليه السّلام) كيف نشكر الله تعالى على ما أولانا من جزیل النعم، و أنّ الانسان مهما بالغ في شكره فإنّه عاجز و قاصر عن أداء الشكر.

و قال (عليه السّلام): «اللهمّ احملنا في سفن نجاتك، و متّعنا بلذیذ مناجاتك، و أوردنا حياض حبّك، و أذقنا حلاوه و ذكّك و قربك، و اجعل جهادنا فيك، و همّنا في طاعتك، و أخلص نياتنا في معاملتك، فإنّا بك و لك و لا وسیله لنا إليك إلا أنت...» (٥).

و هكذا طلب (عليه السّلام) من الله تعالى أن يخلص نيّته في معاملته و يبلغه أعزّ أمانیه و هی ابتغاء رضوانه جلّ جلاله.

و قال (عليه السّلام): «...إلهی فاسلك بنا سبیل الوصول إليك، و سيرنا في أقرب الطرق للوفود عليك، قرب علينا البعيد، و سهّل علينا العسير الشدید، و ألحقنا بعبادك الذين هم بالبدار (٦) إليك يسارعون، و بابك على الدوام يطرقون، و إياك في الليل و النهار يعبدون، و هم من هيبتك مشفقون، الذين صقيت لهم المشارب، و بلّغتهم الرغائب، و أنجحت لهم

ص: ١٤٥

١- (١) جلّلتني: غطّنتني، و غمرتني.

٢- (٢) كلالاً: ككل جمع الكلّه و هی بيت أو خيمه رقيقه تضرب للمبيت تمنع من الذباب و البعوض و إنّما ذلك لأرباب النعمه.

٣- (٣) لا تفلّ: لا تتلم.

٤- (٤) مناجاه الشاكرين.

٥- (٥) مناجاه المطيعين.

٦- (٦) البدار: السباق.

المطالب، و قضيت لهم من فضلک المآرب (١)، و ملأت لهم ضمائرهم من حَتِّک، و رویتهم من صافی شربک، فبک إلى لذیذ مناجاتک و صلوا، و منک أفضی مقاصدهم حصلوا.

فأنت لا غیرک مرادی، و لک لا لسواک سهری و سهادی، و لقاءک قرّه عینی، و وصلک منی نفسی، و إلیک شوقی، و فی محبتک و لهی (٢)، و إلى هواک صبابتی (٣)، و رضاک بغیتی، و رؤیتک حاجتی، و جوارک طلبی، و قربک غایه سؤلی، و فی مناجاتک روحی (٤) و راحتی، و عندک دواء علّتی، و شفاء غلّتی (٥)، و برد لوعتی (٦)، و کشف کربتی (٧) ...» (٨).

و هكذا انقطع (عليه السلام) إلى الله جلّ جلاله، و تعلّقت به روحه و عواطفه، فلم يبصر غيره، و لا يجد شافيا لغلّته سواه.

و قال (عليه السلام): «إلهی کسری لا یجبره إلا لطفک و حنانک، و فقری لا یغنيه إلا عطفک و إحسانک، و روعتی لا یسکنها إلا أمانک، و ذلّتی لا یعزّها إلا سلطانک، و امیتتی لا یبلغنيها إلا فضلک، و خلّتی (٩) لا یسدّها إلاّ طولک، و حاجتی لا یقضیها غیرک، و کربی لا یفرّجه سوى رحمتک، و ضرّی لا یکشفه غیر رأفتک، و غلّتی لا یبزّدها إلاّ وصلک، و لوعتی لا یطفیها إلاّ لقاءک، و شوقی إلیک لا یبله إلاّ النظر إلى وجهک، و قراری لا یقرّدون دنوی منک» (١٠).

لقد أبدى الإمام (عليه السلام) فقره وفاقته إلى الله سبحانه، و قد هام (عليه السلام) بحبّ

ص: ١٤٦

١- ((١)) المآرب: جمع مآرب و مأربه أى الحاجه.

٢- ((٢)) ولهی: تحیرى من شدّه الوجد.

٣- ((٣)) صبابتی: شوقی.

٤- ((٤)) الروح: الفرح و الراحه.

٥- ((٥)) غلّتی: عطشى الشدید.

٦- ((٦)) لوعتی: حرقه حزنی و هواى و وجدی.

٧- ((٧)) کربتی: همی و غمی.

٨- ((٨)) مناجاه المریدین.

٩- ((٩)) خلّتی: حاجتی و فقری.

١٠- ((١٠)) مناجاه المفتقرین.

سَيِّدِهِ وَ مَوْلَاهُ خَالِقِ الْكَوْنِ وَ وَاهِبِ الْحَيَاةِ، فَعَقَدَ جَمِيعَ آمَالِهِ عَلَيْهِ وَ رَجَاهُ فِي قَضَاءِ جَمِيعِ أُمُورِهِ كَأَعْظَمِ مَا يَكُونُ الرَّجَاءُ.

تَجَلِّيَاتِ الْعِرْفَانِ الْإِلَهِيِّ:

وَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «إِلَهِي مَا أَلَذَّ خَوَاطِرِ الْإِلَهَامِ بِذِكْرِكَ عَلَى الْقُلُوبِ، وَ مَا أَحْلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكَ بِالْأَوْهَامِ فِي مَسَالِكِ الْغُيُوبِ، وَ مَا أَطْيَبَ طَعْمِ حَبِيْبِكَ، وَ مَا أَعْدَبَ شَرْبِ قُرْبِكَ! فَأَعِدْنَا مِنْ طَرْدِكَ وَ إِبْعَادِكَ، وَ اجْعَلْنَا مِنْ أَحْصَى عَارْفِيكَ وَ أَصْلَحِ عِبَادِكَ وَ أَصْدَقِ طَائِعِيكَ وَ أَخْلَصِ عِبَادِكَ» ١.

حَقًّا إِنَّ الْإِمَامَ زَيْنَ الْعَابِدِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) سَيِّدَ الْمُؤَخِّدِينَ وَ زَعِيمَ الْعَارِفِينَ بِاللَّهِ، وَ لَمْ تَكُنْ عِبَادَتُهُ تَقْلِيدًا، وَ إِنَّمَا كَانَتْ نَاشِئَةً عَنِ كَمَالِ مَعْرِفَتِهِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَ قَدْ أَعْرَبَ فِي النَّصِّ الْمَذْكُورِ عَنِ كَمَالِ بَغِيْتِهِ أَلَا وَ هُوَ الْإِخْلَاصُ فِي عِبَادَتِهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى.

وَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «إِلَهِي فَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ فِي الْخَلَاءِ ٢ وَ الْمَلَاءِ ٣ وَ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ الْإِعْلَانَ وَ الْإِسْرَارَ، وَ فِي السَّرَّاءِ وَ الضَّرَّاءِ، وَ أَنْسِنَا بِالذِّكْرِ الْخَفِيِّ، وَ اسْتَعْمَلْنَا بِالْعَمَلِ الزَّكِيِّ وَ السَّعْيِ الْمَرْضِيِّ.

أَنْتَ الْمَسْبُوحُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَ الْمَعْبُودُ فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَ الْمَوْجُودُ فِي كُلِّ أَوَانٍ، وَ الْمَدْعُوعُ بِكُلِّ لِسَانٍ، وَ الْمَعْظَمُ فِي كُلِّ جَنَانٍ ٤، وَ اسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ بِغَيْرِ ذِكْرِكَ، وَ مِنْ كُلِّ رَاحَةٍ بِغَيْرِ انْسِكَ، وَ مِنْ كُلِّ سُرُورٍ بِغَيْرِ قُرْبِكَ، وَ مِنْ كُلِّ شُغْلٍ بِغَيْرِ طَاعَتِكَ...» ٥.

و يأخذنا الذهول حينما نقرأ هذا النصَّ السَّجَّادى الذى أعطانا فيه صورته واضحه متميزه عن تضرّعه و تذللّه أمام الله سبحانه الذى لا تخفى عليه خافيه فى الأرض و لا فى السماء.

إنَّ المعرفة الحقيقية بأنَّ الإنسان فقير إلى الله تعالى- كما جيّدته النصوص السابقة- تجعله يلتجئ إلى الله تعالى دائماً، و من هنا نجد أنّ للإمام السَّجَّاد(عليه السَّلام) أدعيه فى أوقات و حالات متعدّده بالإضافة إلى ما أوردناه، فله(عليه السَّلام) دعاء فى الصلاه على محمّد و آله، و فى الصلاه على حملة العرش، و فى اللجوء إلى الله تعالى، و فى طلب الحوائج، و عند المرض، و فى مكارم الأخلاق، و لجيرانه، و لأوليائه، و لأهل الثغور، و فى الإستخاره، و فى التوبه، و إذا نظر إلى الهلال، و فى يوم عيد الفطر، و فى التذلل، و عند الشدّه، و عند ذكر الموت، و فى الرهبه، و فى استكشاف الهموم.

و تجلّى من خلال الفصول السابقه أنّ سيره الإمام زين العابدين(عليه السَّلام) جمعت له روح الثوره ضدّ الطغيان و الحماس الجهادى إلى جانب المعرفة الإلهيه الحقّه و شدّه التعيّد لله جلّ جلاله، فكانت سيرته(عليه السَّلام) توضيحاً للإجابة عن التساؤلات التى تثار عن إمكانيه الجمع بين الدعاء و المناجاة من جهه و الروح النهضويه و التضحيه من جهه اخرى.

و لعلّ منشأ تلك التساؤلات هو توهم البعض أنّ تفرّغهم للجهاد الأكبر و مجاهده النفس و الرياضات الشرعيه و الممارسات العباديه يغنيهم عن القتال و العمل الثورى و الروح الجهاديه باعتبارها جهاداً أصغر، إذ يغفلون عن حقيقه هى: أنّ القيام بالجهاد الأصغر هو أحد المحاور الأساسيه للعمل بالجهاد الأكبر فى إطاره الأوسع، و أنّ تركّ الجهاد ناشئ فى معظم الحالات عن هزيمه خفيّه فى أحد ميادين الجهاد الأكبر، فالتلازم بين شدّه التقويه

و شدّه البأس أصيل، إذ يعبر عن حقيقه شموليه الشريعه و الدين الالهى الحنيف لكافه أبعاد حياه الإنسان الفرديه و الاجتماعيه.

فالمعرفه التوحيديه و النهضه صفتان واضحتان جسدهما أئمه أهل البيت (عليهم السّلام)، إذ لم تخل سيرتهم أبدا من اجتماعهما، و يتّضح ذلك من خلال التّمعّن في مناجاتهم (عليهم السّلام) و خطبهم في ميادين الحرب و مواقفهم ضد الحكّام المنحرفين، و نلحظ ذلك عند الإمام السّجاد (عليه السّلام) في روحه الجهاديه الناهضه التي لاحظناها من خلال تصريحاته في الشام و في مجلس يزيد بن معاويه و هو الأسير المكبل بالسلاسل، و الردّ الحاسم منه في دار الإمارة بالكوفه على من هدّده بالقتل بقوله: «أبا لقتل تهدّدنا و إنّ كرامتنا الشهاده» إنّ هذه الروح هى التى نطقت بأدعيه الصحيفه السجديه و بالمناجاه الخمس عشره ٢، و في هذا خير شاهد على اجتماع روح الحماسه و روح الدعاء و المناجاه و العباده.

و هذه الحقيقه أدت بدورها إلى أن تحمل أدعيه الإمام (عليه السّلام) جوانب سياسيه، و جهاديه، و اجتماعيه، و أخلاقيه، إلى جوار جوانبها العقائديه و المعرفيه و العباديه، فكانت ذات أهداف تغييريه شامله.

لقد كانت للأدعيه السجديه أبعاد فكريه واسعه المدى بالنصوص الحاسمه لقضايا عقائديه إسلاميه، كانت بحاجه إلى البتّ فيها بنص قاطع، بعد أن عصفت بالعقيده تيارات الإلحاد كالتشبيه و الجبر و الإرجاء و غيرها ممّا كان الامويون وراء بعثها و إثارتها و ترويجها، بهدف تحريف مسيره التوحيد و العدل، تمهيدا للردّه عن الإسلام و الرجوع إلى الجاهليه الاولى.

و في حاله القمع و الإباده و مطارده كلّ المناضلين الأحرار و تتبع آثارهم

و خفق أصواتهم كان قرار الإمام زين العابدين (عليه السّلام) باتّباع سياسة الدعاء أنجح وسيله لبثّ الحقائق و تخليدها، و أمن طريقه و أبعدها من إثارة السلطه الغاشمه، و أقوى أداه اتّصال سرّيه مكتوبه هادئه موثوقه (١).

ظاهره البكاء فى حياه الإمام (عليه السّلام):

تختلف دواعى البكاء عند الإنسان، فقد يبكى شوقا إلى المحبوب، و قد يبكى اعتراضا و صرخه فى وجه النظام الغشوم، و من هنا يمكن تفسير و فهم ما جاء من: «أنّ البكاء على الإمام أبى عبد الله الحسين و سيّد الشهداء (عليه السّلام) من عوامل السعاده الخالده و الزلفى إلى المهيمن سبحانه».

و لم يزل خاتم الأنبياء محمّد المصطفى (صلّى الله عليه و اله) يبكيه فى بيته و فى المسجد وحده تاره و مع أصحابه تاره اخرى، و يجيب من يسأله قائلا:

«أخبرنى جبرئيل بقتل ولدى الحسين فى جماعه من أهل بيته و أرانى التربه التى يقتل فيها» (٢).

مضافا إلى ما فى البكاء عليه من التعريف بالقساوه التى استعملها الامويون و لفيهم، و من هنا كان الأئمّه يحثّون شيعتهم على عقد المحافل لذكر حادثه الطفّ و استدرار الدموع لكارثتها المؤلمه، و أكثروا من بيان الاجور المترتبه عليه إلى حد بعيد.

و غير خفى أنّ إكثار الإمام زين العابدين (عليه السّلام) من البكاء على أبيه سيّد الشهداء طيله حياته لم يكن لمحض الرّقّه و العاطفه، بل إنّه (عليه السّلام) لاحظ به غايه ساميه و هى تعريف الأجيال المتعاقبه الواقعيه لهذا الخطب الجليل و هو (عليه السّلام)

ص: ١٥٠

١- ((١)) جهاد الإمام السّجاد: ٢٢٤-٢٢٥.

٢- ((٢)) كشف الغمه: ٧/٢-١٢.

شاهد حال بما جاء به الامويون من القساوه و الفظاعه و خروجهم عن الدين و الشريعه و تنمرهم تجاه العدل و المروءه و الإنسانيه...

لقد بكى علي عليه السلام في حياها حتى قال له مولاہ: إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين، فقال: إنيما أشكوا بتي و حزني إلى الله و أعلم من الله ما لا تعلمون، إني لم أذكر مصرع بنى فاطمه إلا خنقتني العبره» ١.

و قال له آخر: أما آن لحزنك أن ينقضى؟ فقال (عليه السلام): «و يلك لقد شكا يعقوب إلى ربّه في أقلّ ممّا رأيت حين قال: يا أسفني و لم يفقد إلا ابنا واحدا و هو حيّ في الدنيا و أنا رأيت أبي و جماعه أهل بيتي يذبّحون حولي» ٢.

و كان (عليه السلام) إذا أخذ الإناء ليشرب الماء تذكّر عطش أبيه و من معه فيبكي حتى يمزجه من دموعه، فإذا قيل له في ذلك يقول: «كيف لا أبكي و قد منع أبي من الماء الذي هو مطلق للوحوش و السباع» ٣.

و كثيرا ما كان يحدث أصحابه بفوائد الحزن في مصابهم و البكاء على ما انتابهم من المحن فيقول: «أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين حتى تسيل على خده؛ بؤاه الله في الجنة غرفا» ٤ فكان صلوات الله عليه بإدامته البكاء على أبيه يؤجج في الأفئده نارا لما ارتكبه اولئك الطغاه من الجرائم و المآثم، يأبى الحنان البشري أن يكون صاحبها إنسانا فضلا عن أن يقود أمه أو يرأس رعيه، و فضلا عن أن يكون خليفه في دين أو متبعا في دنيا.

و حيث لم تسعه المجاهره بمواقف من اغتصبهم الخلافه الإلهيه و جرّ

إليهم الويلات و نكل بهم؛ أتخذ (عليه السّلام) البكاء طريقاً لتنبية الناس بتلكم الجرائم، وهذا منه أكبر جهاد ناجح في تحطيم عرش من أهلك الحرث و النسل و عاث في البلاد فساداً و خبالاً، فكان بكاءه متمماً للنهضة المقدسه.

و قد سبقته إلى هذا الجهاد الأكبر جدّته الصديقه الزهراء (عليها السّلام) و حاولوا إسكاتها معتذرين بأنّ نفوسهم لا تطيب بطعام و لا شراب و عزيزه الرسول (صلى الله عليه و اله) تنوح الليل و النهار فلم تهدأ عن البكاء، فاضطر سيّد الأوصياء (عليه السّلام) إلى إخراجها إلى البقيع بعد أن بنى لها بيتاً من جريد النخل سمّاه «بيت الأحران»، فإنّ الغرض تعريف الامّه من كان مستحقاً للخلافه الإلهيه و قد اغتصبت منه.

فالبكاء يوجب إلفات نظر الناس إلى الأسباب الباعثه عليه، و بهذا التفحص تتجلى لهم الحقيقه و يسطع بصيص من ألق الحقّ المحجوب بظلم الجائرين... (١).

لقد كان البكاء واحداً من الأساليب التي جعلها الإمام السجّاد (عليه السّلام) وسيله لإحياء ذكرى كربلاء، كما استعمل أساليب اخرى:

منها: زياره الحسين (عليه السّلام) و الحثّ عليها.

قال أبو حمزه الثمالي: سألت عليّ بن الحسين عن زياره الحسين (عليه السّلام) فقال: «زره كلّ يوم، فإن لم تقدر فكلّ جمعه، فإن لم تقدر فكلّ شهر، فمن لم يزره فقد استخفّ بحقّ رسول الله (صلى الله عليه و اله)» (٢)!

ص: ١٥٢

١- (١) الإمام زين العابدين للسيد الموسوي المقمّم: ٣٦٠-٣٦٥، نشر دار الشبستري للمطبوعات. و في النص مقاطع أخذها من مصادر اخرى ذكرها في الكتاب.

٢- (٢) جهاد الإمام السجّاد: ٢٢٠.

و منها: الاحتفاظ بتراب قبر الحسين (عليه السلام) للسجود عليه ١.

و منها: أنه (عليه السلام) كان يتختم بخاتم أبيه الحسين (عليه السلام) ٢.

ظاهرة الإعتاق في حياة الإمام (عليه السلام):

العقظ ظاهره فريده جاءت بها الشريعة الإسلامية، وقد اعتنى بها الأئمة الأطهار إعتناء تاماً، إلا أن تحرير الرقيق يشكل ظاهره بارزه في حياة الإمام زين العابدين (عليه السلام) بالخصوص بشكل ليس له مثيل في تاريخ الإمامه، فهو أمر يسترعى الإنتباه و الملاحظه الفاحصه.

و إذا دققنا في الظروف و الملابسات التي عاشها الإمام (عليه السلام) و قمنا ببعض المقارنات بين أعماله (عليه السلام) و الأحداث التي كانت تجرى من حوله و الظروف التي اكتنفت عملية الإعتاق الواسعه التي تبناها الإمام (عليه السلام)؛ أتضحت الصوره الحقيقيه لأهدافه (عليه السلام) من ذلك.

فيلاحظ أولاً: أن أعداد الرقيق و العبيد كانت تتواتر على البلاد الإسلامية، فكان الموالي في ازدياد بالغ مذهل على أثر توالي الفتوحات.

ثانياً: كان الامويون ينتهجون سياسه التمييز العنصرى، إذ كانوا يعتبرون الموالي شبه الناس ٣.

ثالثاً: أن الجهاز الحاكم على الدوله الإسلاميه ابتداء من الخليفه نفسه و مرورا بالامراء و الوزراء و انتهاء بموظفى الدوله كانوا لا يمتثلون للإسلام، و إنما كانوا بالضدّ و النقيض مع أحكامه و أخلاقه و آدابه و إن كانت تلهج

ألسنتهم باسمه و تعلق بشهاداته.

رابعاً: أن انتشار العبيد و الموالى و بالكثرة الكثيره و من دون أى تحصين أخلاقى أو تربيه إسلاميه كان يؤدى إلى شيوع البطاله و الفساد، و هو ما ترمى إليه الدوله الظالمه.

و يلاحظ فيما يتصل بالإمام (عليه السلام):

١- أن الإمام (عليه السلام) كان يشتري العبيد و الإمام و لكن لا يبقى أحدهم عنده أكثر من سنه واحده فقط، و هذا يعنى أنه كان مستغنيا عن خدمتهم، فكان يعتقهم بحجج متعدده و فى مناسبات مختلفه.

٢- أن الإمام (عليه السلام) كان يعامل الموالى -لا كعبيد أو إماء- بل يعاملهم معاملة إنسانيه مثاليه، ممّا يعزّز فى نفوسهم الأخلاق الكريمه و يحبب اليهم الإسلام و أهل البيت (عليهم السلام).

٣- أن الإمام (عليه السلام) كان يعلم الرقيق أحكام الدين و يغذّيهم بالمعارف الإسلاميه، بحيث يخرج الواحد من عنده محصّياً بالمعلومات التى تفيده فى حياته و يدفع بها الشبهات و لا ينحرف عن الإسلام الصحيح.

٤- كان الإمام (عليه السلام) يزود من يعتقه بما يغنيه، فيدخل المجتمع ليزاول الأعمال الحرّه كأى فرد من الامه، و لا يكون عاله على المجتمع.

فالإمام (عليه السلام) كان يستهدف إسقاط السياسه التى كان يزاولها الامويون فى معاملتهم للرقيق، فقد حقّق عمل الإمام (عليه السلام) النتائج التالیه:

أ- حرّر مجموعه كبيره من عباد الله و إمامه الذين وقعوا فى الأسر، و تلك حاله استثنائيه، و مع أن الإسلام كان قد أقزّها لامور يعرف بعضها من خلال قراءه التأريخ الإسلامى، إلا أن الشريعه وضعت طرقاً عديده لتخليص الرقيق و إعطائهم الحرّيه، و قد استفاد الإمام (عليه السلام) من كلّ الظروف و المناسبات

لتطبيق تلك الطرق، و تحرير العبيد و الإماماء، ففي عمل الإمام (عليه السلام) تطبيق للشريعة الإسلاميه.

ب- إنَّ الرقيق المعتقدين يشكّلون جيلا- من الطلّاب الذين تربّوا في بيت الإمام (عليه السّلام) و على يده بأفضل صورته، و عاشوا معه حياه مفعمه بالحقّ و المعرفه و الصدق و الإخلاص و بتعاليم الإسلام من عقائد و شرائع و أخلاق كريمه.

فقد كانت جماعه الرقيق تحتفظ بكلّ ذلك في قرارات نفوسهم، في شعورهم أو لا شعورهم، و ينقلونه إلى الأجيال اللاحقه، و في ذلك حفظ للإسلام المحمدي الذي كلف أهل البيت (عليهم السّلام) مسؤوليه حفظه و إيصاله إلى الأجيال اللاحقه.

و لا ريب أنّ الإمام (عليه السّلام) لو أراد أن يفتح مدرسه لتعليم مجموعه من الناس فلا بدّ أنّه كان يواجه منعا من الجهاز الحاكم أو عرقله لعمله أو رقابه شديده في أقلّ تقدير، بينما كان حزّا في هذا المجال عن طريق توظيف ظاهره طبيعيه و عاديه و هي شراء الرقيق و عتقهم في ذلك الظرف الذي كان يستساغ فيه مثل هذا العمل.

ج- لقد استقطب الإمام (عليه السّلام) ولاء الأعداد الكبيره من هؤلاء الموالى المحرّرين، إذ لا يزال ولاء العتق يربطهم بالإمام (عليه السّلام) و لا بعد فيه إذا لاحظنا من يعتق مع من يرتبط به من أعضاء اسرته و عائلته و أقربائه الذين سوف يوجدون و يرتبطون به عاطفيا و عقائديا و سياسيا بشكل طبيعي.

الباب الخامس

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

من تراث الإمام زين العابدين (عليه السلام) الفصل الثاني:

رساله الحقوق الفصل الثالث:

فى رحاب الصحيفه السجديه الفصل الرابع:

مدرسه الإمام زين العابدين (عليه السلام)

ص: ١٥٧

من تراث الإمام زين العابدين (عليه السلام)

لم يذكر التاريخ أنّ الأئمة من أهل البيت (عليه السلام) قد درسوا عند أحد أو تتلمذوا عند شخصيه علميه سوى ما ورثوه من آبائهم الكرام عن النبي (صلى الله عليه و اله).

وقد تميزوا بعلومهم الزاخره و معارفهم الباهره و التي ظهر شيء منها في الأوساط التي اكتفتهم و نقل لنا بعض ما ظهر منهم.

كما أجمع المؤرخون على أنّ الأئمة المعصومين (عليهم السلام) كانوا من أوسع الناس علما و أكثرهم درايه في أكثر من مجال علمي.

إنّ الإمامه و القيادة الرشيده للأئمة الإسلاميه و للإنسانيه المفتقره إلى الهدايه الربانيه تتطلب إحاطه الإمام بكل علم يرتبط بمجال عمله و دائره مسؤوليته، و قد أثبت أئمة أهل البيت (عليهم السلام) هذه الحقيقه بشكل عملي قد سجّله التاريخ لنا بكلّ وضوح، ممّا أدى إلى إثارة التيارات المخالفه لخط أهل البيت (عليهم السلام) و لا سيما الخلفاء الذين كانوا يرون الأئمة أندادا لهم لا يضاھيهم ند و لا شريك باعتبار تفوقهم علما و عملا، و انتهت هذه الإثارات إلى السعي لاختبار الأئمة (عليهم السلام) في أكثر من مجال و في أكثر من عصر، بحيث سجّلت هذه الاختبارات في التاريخ الإسلامى و دخلت مصادر التاريخ، و لم تترك مجالا للريب في جداره الأئمة من أهل البيت للقياده الربانيه، باعتبار ما أثبتوه للأئمة

بكلّ وضوح وحقّوقه من مرجعيتهم العلميه على مختلف الأصعدة لكلّ من حاول اختبارهم و أراد الاطلاع على واقع عملهم.

وقد جاء فى نصوص الأحاديث الشريفه أنّ المؤمن ينظر بنور الله، وهو تعبير آخر عمّا جاء فى قوله تعالى: **وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ يُعَلِّمَكُمُ اللَّهُ (١)**، فلا بعد فيما يعتقدّه الشيعة الإماميّة فى أئمتهم (عليهم السّلام) من أنّهم ملهون بإلهام إلهى و تعليم ربّانى، وقد ورّثهم الرسول (صلّى الله عليه و اله) علمه و أدبه و كماله، و هم أهل بيت الوحى و الرساله، فهم أجدر من غيرهم بوراثه العلم و الكمال الربّانى المتبلورين فى شخصيته الرسول (صلّى الله عليه و اله) القياديه و فى شخصيته كلّ إمام من أهل البيت (عليهم السّلام) الذين عيّنهم الرسول (صلّى الله عليه و اله) بأمر من الله لتلك المهمّه الكبرى و المسؤوليّة العظمى، و قد قال تعالى: **وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٢)**.

إنّ العلماء الذين تتلمذوا على الأئمه من أهل البيت (عليهم السّلام) و رووا عنهم بعض معارفهم خير شاهد على سعه علوم الأئمه و تميّزها عن علوم غيرهم ممّن عرفوا بالعلم و الدرايه.

و يمكن أن نصنّف بعض ما روى عن الإمام زين العابدين (عليه السّلام) إلى علوم القرآن و الحديث و الفقه و الأخلاق و السيره و التاريخ و العقائد، بالإضافة إلى ما أفاضه فى طيات أدعيته و وصاياه و احتجاجاته فى علوم النفس و الاجتماع و التريبه و العرفان و الإدارة و الاقتصاد إلى غيرها من العلوم الطبيعيه و الإنسانيه.

و نعرض بإيجاز صورته عن معارفه و علومه التى سجّلها لنا التاريخ.

ص: ١٦٠

١- ((١)) البقره (٢): ٢٨٢.

٢- ((٢)) النجم (٥٣): ٣-٤.

القرآن الكريم هو الوحي الإلهي الخالص و المعجزه الخالده لنبوه سيد المرسلين و شريعته خاتم النبیین و ينبوع الثر لكل علم و معرفه، و عنه قال رسول الله (صلی الله عليه و اله): «إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض، و عترتي أهل بيتي، و إنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» (١).

و قد شغف الإمام زين العابدين (عليه السلام) كآبائه الكرام- بشكل ملفت للنظر- بالقرآن الكريم و علومه، و تمثل ذلك في سلوكه اليومي و أدعيته و اهتماماته، تلاوه و تدبراً و تفسيراً و تعليماً و عملاً، بما لا يدع مجالاً للريب في أن الإمام (عليه السلام) كان هو القرآن الناطق و التجسيد الحي لكل آيات القرآن الباهره و المعجزه الإلهيه الخالده.

و هنا نحن نعرض بعض ما يشير إلى مدى اهتمام الإمام (عليه السلام) بالقرآن العظيم من خلال دعائه عند ختم القرآن بالإضافه الى ما مرّ في البحوث السابقه.

قال (عليه السلام): «اللهم إنك أعنتني على ختم كتابك الذي أنزلته نورا، و جعلته مهيمنا على كل كتاب أنزلته، و فضّلته على كل حديث قصصته، و فرقانا فرقت به بين حلالك و حرامك، و قرآنا أعربت به عن شرائع أحكامك، و كتابا فضّلته لعبادك تفصيلاً، و حيا أنزلته على نبيك محمد صلواتك عليه و اله تنزيلاً، و جعلته نورا نهتدي من ظلم الضلاله و الجهاله

ص: ١٦١

١- (١) راجع مصادر و أسانيد و نصوص هذا الحديث الشريف و المتواتر عند الفريقين في الأعداد ٤ إلى ٩ من مجله رساله الثقلين، و حديث الثقلين، طبعه دار التقريب بين المذاهب الإسلاميه، مصر: ٩.

بأتباعه، وشفاء لمن أنصت بفهم التصديق إلى استماعه، و ميزان قسط (١) لا يحيف (٢) عن الحق لسانه، و نور هدى لا يطفأ عن الشاهدين برهانه، و علم نجاه لا يضلّ من أم قصد سنّته، و لا تنال أيدي الهلكات من تعلق بعروه عصمته.

اللهمّ فإذا أهدتنا المعونه على تلاوته، و سهلت جواسى ألسنتنا (٣) بحسن عبادته، فاجعلنا ممّن يرعاه حقّ رعايته، و يدين لك باعتماد التسليم لمحكم آياته، و يفزع إلى الإقرار بمتشابهه و موضّحات بيناته، اللهمّ إنك أنزلته على نبيك محمّد (صلّى الله عليه و اله)، و ألهمته علم عجائبه مكملًا، و ورثتنا علمه مفسّرا و فضّلتنا على من جهل علمه، و قوّيتنا عليه لترفعنا فوق من لم يطق حمله.

اللهمّ فكما جعلت قلوبنا له حمله و عرفتنا برحمتك شرفه و فضله فصلّ على محمّد الخطيب به و على آله الخزّان له، و اجعلنا ممّن يعترف بأنّه من عندك حتى لا يعارضنا الشكّ فى تصديقه، و لا يختلجنا الزبغ عن قصد طريقه (٤).

إنّ القرآن هو معجزه الإسلام الكبرى، و قد تحدّث سليل النبوه فى هذا المقطع عن بعض معالمه و أنواره و هى:

١- إنّ الله تعالى أنزل القرآن الكريم نورا يهدى به الضالّ، و يرشد به الحائر، و يوضّح به القصد.

٢- إنّ الله تعالى جعل القرآن الحكيم مهيمنا و مشرفا على جميع كتبه التى أنزلها على أنبيائه، فهو يكشف عمّا حدث فيها من التغيير و التبديل و التحريف من قبل المنحرفين و دعاه الضلال.

ص: ١٦٢

١- ((١)) القسط: العدل.

٢- ((٢)) لا يحيف: لا يميل.

٣- ((٣)) جواسى: جمع جاسيه و هى الغليظه، و المراد غلاظ الألسنه.

٤- ((٤)) الصحيفه السجادية: من دعائه فى ختم القرآن (٤٢).

٣- إنَّ الله تعالى فضّل كتابه العزيز على كلّ حديث عرض فيه قصص الأنبياء و شؤونهم، فقد تناول الذكر الحكيم بصوره موضوعيه و شامله أحوالهم و شؤونهم و اقتباس العبر منهم.

٤- إنَّ القرآن الكريم باعتباره منهجا و دستورا عاَمًا للحياه يفرّق بين الحلال و الحرام، و يعرب عن شرائع الأحكام، و يفصّل جميع ما يحتاجه الناس تفصيلا واضحا لا لبس فيه و لا غموضا.

٥- إنَّ الله تعالى كما جعل كتابه الحكيم نورا يهتدى به فى ظلم الضلاله و الجهاله كذلك جعله شفاء من الأمراض و العاهات النفسيه، و ذلك لمن آمن به و صدّقه.

٦- إنَّ الذكر الحكيم ميزان عدل و قسط، ليس فيه ميل عن الحقّ، و لا اتّباع لهوى، و إنّ من تمسّك به و اعتصم؛ فقد سلك الطريق القويم الذى لا التواء فيه، و نجا من الهلاك.

٧- طلب الإمام (عليه السّلام) من الله جلّ جلاله أن يتفضل عليه برعايه كتابه و التسليم لمحكم آياته و الإقرار بمتشابهاته.

٨- إنَّ الله تعالى قد منح نبيّه العظيم فهم عجائب ما فى القرآن الكريم و علّمه تفسيره، كما أشاد بأئمّه الهدى من عتره الرسول (صلّى الله عليه و اله) الذين رفعهم الله عزّ و جلّ و أعلى درجاتهم، فجعلهم خزنه علمه و الأدلّاء على كتابه.

نماذج من تفسير الإمام زين العابدين (عليه السّلام):

كان الإمام (عليه السّلام) من ألمع المفسّرين للقرآن الكريم، و قد استشهد علماء التفسير بالكثير من روائع تفسيره، و يقول المؤرّخون أنّه كان صاحب مدرسه

ص: ١٦٣

لتفسير القرآن، وقد أخذ عنه ابنه الشهيد زيد في تفسيره للقرآن (١) كما أخذ عنه ابنه الإمام أبو جعفر محمد الباقر (عليه السلام) الذي رواه عنه زياد بن المنذر (٢) الزعيم الروحي للفرقة الجارودية. وهذه نماذج من تفسيره (عليه السلام) لكتاب الله العزيز.

١- روى الإمام محمد الباقر عن أبيه (عليهما السلام)، في تفسير الآية الكريمة:

الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا (٣)، أَنَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الْأَرْضَ مَلَأْتُمْ لَطْبَاعَكُمْ، مُوَافِقَهُ لِأَجْسَادِكُمْ، وَلَمْ يَجْعَلْهَا شَدِيدَةً الْحَمَاءَ (٤) وَالْحَرَارَةَ فَتَحْرِقُكُمْ، وَلا شَدِيدَةً الْبُرُودَ فَتَجْمَدُكُمْ، وَلا شَدِيدَةً طَيْبَ الرِّيحِ فَتَصْدَعُ هَامَاتِكُمْ، وَلا شَدِيدَةً النَّتْنِ فَتَعْطِبُكُمْ (٥)، وَلا شَدِيدَةً اللَّيْنَ كَالْمَاءِ فَتَغْرِقُكُمْ، وَلا شَدِيدَةً الصَّلَابَةَ فَتَمْتَنِعُ عَلَيْكُمْ فِي دُورِكُمْ وَأَبْنِيَّتِكُمْ وَقُبُورِ مَوْتَاكُمْ، وَلَكِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ فِيهَا مِنَ الْمَتَانَةِ (٦) مَا تَنْتَفُونَ بِهِ، وَتَتَمَاسِكُونَ عَلَيْهَا أَبْدَانَكُمْ وَبَنِيَانَكُمْ، وَجَعَلَ فِيهَا مَا تَنْقَادُ بِهِ لِدُورِكُمْ وَقُبُورِكُمْ وَكَثِيرٍ مِنْ مَنَافِعِكُمْ، فَلِذَلِكَ جَعَلَ الْأَرْضَ فِرَاشًا لَكُمْ، ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: وَالسَّمَاءُ بِنَاءٌ أَيْ سَقْفًا مِنْ فَوْقِكُمْ، مَحْفُوظًا يَدِيرُ شَمْسَهَا وَقَمَرَهَا وَنَجُومَهَا لِمَنَافِعِكُمْ، ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَعْنِي الْمَطَرَ يَنْزِلُهُ مِنْ عَلٍ لِيَبْلُغَ قُلُلَ جِبَالِكُمْ وَتَلَالِكُمْ وَأَوْهَادِكُمْ (٧) ثُمَّ فَرَّقَهُ رِذَاذًا وَوَابِلًا وَهَطَلًا (٨) لِتَنْشِفَهُ أَرْضُوكُمْ، وَلَمْ يَجْعَلْ ذَلِكَ الْمَطَرَ نَازِلًا عَلَيْكُمْ قَطْعَهُ

ص: ١٦٤

١- (١) حياه الإمام زين العابدين (عليه السلام): ٣٢/٢.

٢- (٢) حياه الإمام الباقر: ١١/١، نقلًا عن الفهرست للشيخ الطوسي: ٩٨.

٣- (٣) البقره (٢): ٢٢.

٤- (٤) الحمأ: شدّه حراره الشمس.

٥- (٥) تعطبكم: أى تهلككم.

٦- (٦) المتانته: ما صلب من الأرض وارتفع.

٧- (٧) الأوهاد: الأرض المنخفضه.

٨- (٨) الهطل: المطر الضعيف الدائم.

واحدہ فیفسد ارضیکم و اشجارکم و زروعکم و ثمارکم، ثم قال عز و جل:

فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ يَعْنِي مِمَّا يَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا أَىْ أَشْبَاهًا وَ أَمْثَالًا مِنَ الْأَصْنَامِ الَّتِي لَا تَعْقِلُ وَلَا تَسْمَعُ وَلَا تَبْصُرُ وَلَا تَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهَا لَا تَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ النِّعَمِ الْجَلِيلَةِ الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ رَبُّكُمْ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى (١).

و حوت هذه القطعه الذهبية من كلام الإمام زين العابدين (عليه السلام) أروع أدله التوحيد و أوثقها، فقد أعطت صورته متكامله مشرقه من خلق الله تعالى للأرض، فقد خلقها بالكيفية الرائعة التي ليست صلبه و لا شديده ليسهل على الإنسان العيش عليها، و الانتفاع بخيراتها و ثمراتها التي لا تحصى، فالأرض بما فيها من العجائب كالجبال و الأودية و المعادن و البحار و الأنهار و غير ذلك من أعظم الأدله و أوثقها على وجود الخالق العظيم الحكيم.

كما استدلل الإمام (عليه السلام) على عظمه الله تعالى بخلقه السماء و ما فيها من الشمس و القمر و سائر الكواكب التي تزود هذه الأرض بأشعتها. إن أشعه الشمس لها الأثر البالغ فى تكوين الحياه النباتيه، كما أن أشعه القمر لها الأثر على البحار فى مدّها و جزرها، و كذلك لأشعه سائر الكواكب، فإن الأثر التام فى منح الحياه العامه لجميع الموجودات الحيوانيه و النباتيه فى الأرض، و هذه الظواهر الكونيه التي لم تكتشف إلا فى هذه العصور الحديثه، إلا أن الإمام (عليه السلام) ألمح إليها فى كلامه، فكان حقًا هو و آباؤه و أبناءه المعصومون الرواد الأوائل الذين رفعوا رايه العلم، و ساهموا فى تكوين الحضاره الإنسانيه.

ص: ١٦٥

و أعطى الإمام (عليه السّلام) صورته متميزه عن الأمطار، و أنّها تتساقط بصورة رتيبه و فى أوقات خاصه، و ذلك لإحياء الأرض و إخراج ثمراتها، و لو دام المطر و نزل دفعه واحده؛ لأهلك الحرث و النسل.

و بعدما أقام الإمام الأدلّه المحسوسه على وجود الخالق الحكيم؛ دعا إلى عبادته و توحيده و نبذ الأصنام و الأنداد التى تدعو إلى انحطاط الفكر و جمود الوعى، لأنّها لا تضّرّ و لا تنفع و لا تملك أى قدره فى إداره هذا الكون و تصريف شؤونه.

٢- فسر (عليه السّلام) الآية الكريمة: «أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً» (١) بقوله: «السلم هو ولاية أمير المؤمنين (عليه السّلام)» (٢). و لا شك أنّ ولاية الإمام أمير المؤمنين و باب مدينه علم النّبى (صلى الله عليه و اله) هى السلم الحقيقى الذى ينعم الناس فى ظلاله بالأمن و الرخاء و الاستقرار، و لو أنّ المسلمين كانوا قد دانوا بهذه الولاية بعد وفاه النّبى (صلى الله عليه و اله) لما داهمتهم الأزمات فى حياتهم السياسيه و الاجتماعيه.

٣- روى الإمام الصادق (عليه السّلام) عن جدّه الإمام زين العابدين (عليه السّلام) فى تفسير قوله تعالى: «يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ» (٣) أنّه قال: «إنى ضامن على ربّى تعالى أنّ الصدقه لا تقع فى يد العبد حتى تقع فى يد الربّ تعالى»، و كان يقول:

«ليس من شىء إلا و كل به ملك، إلا الصدقه فإنّها تقع فى يد الله تعالى» (٤).

٤- سأل رجل الإمام زين العابدين (عليه السّلام) عن الحقّ المعلوم الذى ورد فى قوله تعالى: «وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ» (٥)، فقال (عليه السّلام):

ص: ١٦٦

١- ((١)) البقره (٢): ٢٠٨.

٢- ((٢)) تفسير البرهان: ١٢٩/١.

٣- ((٣)) التوبه (٩): ١٠٥.

٤- ((٤)) تفسير البرهان: ١/٤٤١، تفسير الصافى: ٣٧٢/٢-٣٧٣.

٥- ((٥)) المعارج (٧٠): ٢٤ و ٢٥.

«الحقّ المعلوم الشئ الذي يخرج من ماله ليس من الزكاه و الصدقه المفروضتين»، فقال له الرجل: فما يصنع به؟ فقال (عليه السلام): «يصل به رحماً، و يقوى به ضعيفاً، و يحمل له كلاً، أو يصل أخاه له في الله، أو لنائبه تنوبه» و بهر الرجل من علم الإمام و راح يقول له: الله أعلم حيث يجعل رسالته في من يشاء (١).

٥- فسر الإمام (عليه السلام) الآية الكريمة: فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (٢) بأنه العفو من غير عتاب (٣).

في رحاب الحديث الشريف:

للحديث الشريف أهميه بالغه في العلوم الإسلاميه، فقد بنى معظم الفقه الإسلامى عليه، فإنه يعرض بصوره موضوعيه و شامله لتفصيل الأحكام الشرعيه الوارده في القرآن الكريم، فيذكر أنواعها من الوجوب و الحرمة و الاستحباب و الكراهه و الإباحه، كما يذكر أجزاءها و شرائطها و موانعها و سائر ما يعتبر فيها، و يعرض لمعومات الكتاب و مطلقاته فيخصصها و يقيددها، و بالإضافة إلى ذلك يتناول آداب السلوك و قواعد الأخلاق، و يعطى البرامج الوافيه لسعاده الإنسان و بناء شخصيته.

و قد كان الإمام زين العابدين (عليه السلام) في عصر التابعين من أعظم الرواه و أهمهم فضلاً عن كونه أحد مصادر بيان الأحكام و المعارف الإلهيه باعتقاد الشيعة الإماميه باعتبار أنّ أحاديث الأئمه (عليهم السلام) هي أحاديث رسول الله (صلى الله عليه و اله)، و قد قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام): «علمنى رسول الله ألف باب من

ص: ١٦٧

١- ((١)) لآلى الأخبار: ٣/٣، وسائل الشيعة: ٦٩/٦.

٢- ((٢)) الحجر (١٥): ٨٥.

٣- ((٣)) وسائل الشيعة: ٥١٩/٥.

العلم فتح لى من كلّ باب ألف باب» (١). و أزيد التاريخ هذا المعنى فيما روى عن عليّ (عليه السّلام) من العلوم و المعارف و أقرّت الصحابه بفضل عليّ و بمرجعيتّه العلميه هو و الأئمّه من بنيه، و لا- غرو فى ذلك بعد أن جعلهم الله أبواب الهدى و سفن النجاه كما صحّ عن رسول الله (صلّى الله عليه و اله) أنّه قال: «مثل أهل بيتى فيكم كمثل سفينه نوح من ركبها نجا و من تخلف عنها غرق» (٢).

و النصوص التى وصلتنا عن الإمام زين العابدين (عليه السّلام) قد صرّح فى بعضها بأنّها عن رسول الله (صلّى الله عليه و اله) أو عن جدّه أمير المؤمنين، هذا فضلا عمّا رواه عن أبيه الحسين (عليه السّلام).

و قد اعتنى أئمّه الحديث بأحاديثه اعتناء فائقا باعتباره الرائد العلمى فى عصر التابعين، و لو لا- مدرسته العلميه و جهوده الثقيفيه المباركه؛ لاندست أعلام الدين فى عصر طغت فيه الميوعة و روّجت فيه الشهوات، و اريد للامّه الإسلاميه أن تعود إلى جاهليه جهلاء.

ص: ١٤٨

١- (١) بحار الأنوار: ٢٢/٤٧٠.

٢- (٢) المصدر السابق: ٢٣/١١٩.

كان الإمام (عليه السلام) فى زمانه وحيد عصره فى الإجابة على الأسئلة العقائديه المعقّده و لا سيّما ما تعرضت له الأئمة الإسلاميه من تيارات فكريه مستورده أو دخيله تحاول زعزعه كيان العقيدة الخالصة كمباحث القضاء و القدر و الجبر و الإختيار التى ظهرت بوادرها فى حياه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) و أخذت بالنمو و الانتشار بحيث شكّلت ظاهره فكريه تستدعى الانتباه و تتطلّب العلاج.

و برز الإمام علىّ بن الحسين (عليهما السلام) على الصعيد العلمى بروزا جعله منارا يشار إليه، و آمن به المسلمون جميعا حتى قال الزهرى عنه: ما رأيت هاشميا أفضل من علىّ بن الحسين و لا أفقه منه.

وقد اعترف بهذه الحقيقه حكّام عصر الإمام من خلفاء بنى اميه-و هم لا يعترفون بالفضل لمن يطاولهم فى الخلافه و السلطان-حتى قال عبد الملك ابن مروان للإمام زين العابدين (عليه السلام): و لقد اوتيت من العلم و الدين و الورع ما لم يؤته أحد مثلك قبلك إلا من مضى من سلفك. و وصفه عمر بن عبد العزيز بأنّه سراج الدنيا و جمال الإسلام.

و ممّا ورد عنه فى القضاء و القدر أنّ رجلا سأله: جعلنى الله فداك، أبقدر يصيب الناس ما أصابهم أم بعمل؟

فأجابه (عليه السلام): «إنّ القدر و العمل بمنزله الروح و الجسد، فالروح بغير جسد لا تحسّ، و الجسد بغير روح صورته لا حراك بها، فإذا اجتمعا قويا و صلحا، كذلك العمل و القدر، فلو لم يكن القدر واقعا على العمل لم يعرف الخالق من المخلوق، و كان القدر شيئا لا يحسّ، و لو لم يكن العمل بموافقته من القدر؛ لم يمض و لم يتمّ و لكنهما باجتماعهما، و لله

فيه العون لعباده الصالحين» ثم قال (عليه السلام):

«ألا إنَّ من أجور الناس من رأى جوره عدلا و عدل المهتدى جورا، ألا إنَّ للبعد أربعة أعين: عينان يبصر بهما أمر آخرته، و عينان يبصر بهما أمر دنياه، فإذا أراد الله عز و جل بعبد خيرا؛ فتح له العينين اللتين فى قلبه فأبصر بهما العيب، و إذا أراد غير ذلك ترك القلب بما فيه» ثم التفت إلى السائل عن القدر فقال: «هذا منه، هذا منه» (١).

و قال (عليه السلام) فى بيان استحاله أن يوصف الله تعالى بالمحدوديه التى هى من صفات الممكن:

«لا يوصف الله تعالى بالمحدوديه عظم الله ربنا عن الصفه، و كيف يوصف بمحدوديه من لا يحدّ، و لا تدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار و هو اللطيف الخبير» (٢)؟

الإمام زين العابدين (عليه السلام) ينص على الأئمة من بعده و يبشّر بالمهدى (عليه السلام):

١- روى (عليه السلام) عن جابر بن عبد الله الأنصارى حديثا طويلا- جاء فيه: أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) أشار إلى سبطه الحسين قائلا لجابر: «و من ذريته هذا رجل يخرج فى آخر الزمان يملأ الأرض عدلا كما ملئت ظلما و جورا...» (٣).

٢- و قال (عليه السلام) عن المهديّ (عليه السلام): «إنّ الإسلام قد يظهره الله على جميع الأديان عند قيام القائم» (٤).

٣- و قال (عليه السلام): «إذا قام القائم؛ أذهب الله عن كل مؤمن العاهه و ردّ إليه قوته» (٥).

ص: ١٧٠

١- (١) التوحيد للشيخ الصدوق: ٣٦٦-٣٦٧ منشورات جامعه المدرّسين فى الحوزه العلميه فى قم المقدسه، الطبعة السادسة.

٢- (٢) حياه الإمام زين العابدين: ٣٠٤.

٣- (٣) معجم أحاديث الإمام المهديّ (عج): ١٩٠/٣.

٤- (٤) المصدر السابق: ١٩١/٣.

٥- (٥) المصدر السابق: ١٩٣/٣.

٤- ذكر (عليه السلام) أنّ سنن الأنبياء تجرى في القائم من آل محمد (صلى الله عليه و اله):

فمن آدم و نوح طول العمر، و من إبراهيم خفاء الولاده و اعتزال الناس، و من موسى الخوف و الغيبه، و من عيسى (عليه السلام) اختلاف الناس فيه، و من أيوب الفرج بعد البلوى، و من محمد (صلى الله عليه و اله) الخروج بالسيف (١).

٥- قال عن خفاء ولادته على الناس: «القائم منا تخفى ولادته على الناس حتى يقولوا لم يولد بعد ليخرج حين يخرج و ليس لأحد في عنقه بيعه» (٢).

٦- عن أبي حمزه الثمالي عن أبي خالد الكابلي (٣) قال:

دخلت على سيدي علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) فقلت له: يا بن رسول الله! أخبرني بالذين فرض الله طاعتهم و موذتهم، و أوجب على خلقه الاقتداء بهم بعد رسول الله (صلى الله عليه و اله).

فقال لي: «يا أبا كنكر! إنّ أولى الأمر الذين جعلهم الله أئمة الناس و أوجب عليهم طاعتهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ثم انتهى الأمر إلينا» ثم سكت.

فقلت له: يا سيدي! روى لنا عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّه قال: «لا تخلو الأرض من حجه لله على عباده» فمن الحجه و الإمام بعدك؟

قال: «ابني (محمد) و اسمه في التوراه (باقر) يقر العلم بقراءه، هو الحجه و الإمام بعدى، و من بعد محمد ابنه (جعفر) اسمه عند أهل السماء (الصادق)».

فقلت له: يا سيدي فكيف صار اسمه: (الصادق)، و كلكم صادقون؟

ص: ١٧١

١- ((١)) معجم أحاديث الإمام المهدي (عج): ١٩٤/٣.

٢- ((٢)) المصدر السابق.

٣- ((٣)) في الكنى و الألقاب للشيخ عباس القمي: ٦٠/١ قال: «قال الفضل بن شاذان: و لم يكن في زمن علي بن الحسين (عليه السلام) في أول أمره إلا خمسه أنفس: سعيد بن جبير، سعيد بن المسيب، محمد بن جبير بن مطعم، يحيى بن أم الطويل، أبو خالد الكابلي و اسمه وردان و لقبه كنكر. ثم قال: و في خبر الحواريين أنّه من حوارى علي بن الحسين (عليه السلام) و قد شاهد كثيرا من دلائل الأئمة (عليهم السلام).

فقال: «حدّثني أبي عن أبيه أنّ رسول الله قال: «إذا ولد ابني جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب فسموه الصادق، فإنّ الخامس من ولده الذي اسمه جعفر يدعى الإمامه اجترأ على الله و كذبا عليه، فهو عند الله (جعفر الكذاب) المفترى على الله، المدعى لما ليس له بأهل، المخالف على أبيه، والحاسد لأخيه، ذلك الذي يكشف سرّ الله عند غيبه وليّ الله».

ثم بكى عليّ بن الحسين بكاء شديدا، ثم قال:

«كأني بجعفر الكذاب و قد حمل طاغيه زمانه على تفتيش أمر وليّ الله، و المغيب في حفظ الله، و التوكيل بحرم أبيه جهلا منه بولادته، و حرصا على قتله إن ظفر به، طمعا في ميراث أبيه حتى يأخذه بغير حقّه».

قال أبو خالد: فقلت له: يا ابن رسول الله و إنّ ذلك لكائن؟

فقال: «أى و ربّي إنّه المكتوب عندنا في الصحيفة التي فيها ذكر المحن التي تجرى علينا بعد رسول الله (صلّى الله عليه و اله)».

قال أبو خالد: فقلت: يا ابن رسول الله ثم يكون ماذا؟

قال: «ثمّ تمتد الغيبة بوليّ الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله و الأئمة بعده، يا أبا خالد! إن أهل زمان غيبته القائلين بإمامته و المنتظرين لظهوره أفضل أهل كلّ زمان، لأنّ الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول و الأفهام و المعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، و جعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله بالسيف، اولئك المخلصون حقّا، و شيعتنا صدقا، و الدعاه إلى دين الله سرّا و جهرا». و قال (عليه السلام): «انتظار الفرج من أعظم الفرج» (١).

ص: ١٧٢

١- ((١)) الاحتجاج: ٤٨/٢-٥٠ احتجاجات الإمام عليّ بن الحسين (عليه السلام).

كانت الحلقة الدراسية التى أسسها الإمام زين العابدين (عليه السلام) حلقة حافلة بصنوف المعرفة الإسلامية، و كان يفيض فيها الإمام من علومه و علوم آباءه الطاهرين و يمزّن النابهين منهم على الفقه و الاستنباط، و قد تخرّج من هذه الحلقة الدراسية عدد كبير من فقهاء المسلمين.

و استقطب الإمام عن هذا الطريق الجمهور الأعظم من القراء و حملة الكتاب و السنّة حتى قال سعيد بن المسيّب: إنّ القراء كانوا لا يخرجون إلى مكّة حتى يخرج عليّ بن الحسين، فخرج و خرجنا معه ألف راكب.

و علم الفقه بالمعنى المعروف فعلا- هو العلم بأحكام أفعال المكلفين على ضوء مصادر الشريعة الإسلامية، و كان الإمام هو المرجع الوحيد فى عصره لإعطاء تفاصيل الأحكام الشرعية، و تعليم طريقه استنباطها من مصادرها الإسلامية، و المربي الفدّ الذى تخرّج على يديه فقهاء المدينة، و كانت مدرسته هى المنطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس فقهية.

و قد قال عنه الزهري: ما رأيت هاشميا أفضل من زين العابدين و لا أفقه منه (١). و عدّه الشافعى أفقه أهل المدينة.

و روى المؤرّخون: أنّ الزهري كان يعترف بالفضل و الفقه للإمام عليّ ابن الحسين (عليهما السلام) و كان ممّن يرجع إليه فى ما يهّمه من الأحكام الشرعية، و روى أنّه رأى فى منامه كأنّ يده مخصوبه، و فسّرت له رؤياه بأنّه يبتلى بدم خطأ، و كان فى ذلك الوقت عاملا لبني امية، فعاقب رجلا فمات فى العقوبه،

ص: ١٧٣

١- (١) راجع ترجمه الإمام زين العابدين (عليه السلام) من تاريخ دمشق، تحقيق محمد باقر المحمودى: ٢٧.

ففرع و خاف من الله، و فرّ هارباً فدخل في غار يتعتد فيه، و كان الإمام (عليه السلام) قد مضى حاجباً إلى بيت الله الحرام فاجتاز على الغار الذي فيه الزهري، فقبل له:

هل لك في الزهري حاجه؟ فأجابهم إلى ذلك، و دخل عليه فرآه فزعا خائفاً، قانطاً من رحمه الله، فقال (عليه السلام) له: «إني أخاف عليك من القنوط ما لا أخاف عليك من ذنبك، فابعث بديه مسلّمه إلى أهله، و اخرج إلى أهلك و معالم دينك».

فاستبشر الزهري و قال له: فزجت عني يا سيدي، الله أعلم حيث يجعل رسالته في من يشاء (١).

و دخل الزهري مع جماعه من الفقهاء على الإمام زين العابدين (عليه السلام)، فسأل الإمام الزهري عما كانوا يخوضون فيه فقال له: تذاكرنا الصوم فأجمع رأبي و رأى أصحابي على أنه ليس من الصوم واجب إلا شهر رمضان.

فنعى عليهم الإمام (عليه السلام) قلّه معلوماتهم بشؤون الشريعة و أحكام الدين، و بين لهم أقسام الصوم قائلاً:

«ليس كما قلتم، الصوم على أربعين وجهاً، عشره منها واجبه كوجوب شهر رمضان، و عشره منها صومهنّ حرام، و أربعة عشر وجهاً صيامهنّ بالخيار، إن شاء صام و إن شاء أفطر، و صوم الإذن على ثلاثة أوجه، و صوم التأذّب و صوم الإباحه و صوم السفر و المرض».

و بهر الزهري و بقيه الفقهاء من سعه علم الإمام (عليه السلام) و إحاطته بأحكام الدين، و طلب منه الزهري ايضاح تلك الوجوه و بيانها، فقال (عليه السلام): «أما الواجب فصيام شهر رمضان، و صيام شهرين متتابعين لمن أفطر يوماً من شهر رمضان متعمداً، و صيام شهرين في قتل الخطأ لمن لم يجد العتق، و واجب، قال الله تعالى: وَ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَ دِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ - إلى قوله: - فَمَنْ لَمْ يَجِدْ

ص: ١٧٤

و صيام شهرين متتابعين في كفاره الظهار (٢) لمن لم يجد العتق. قال الله تعالى:

وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تَوْعُظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا (٣).

و صيام ثلاثة أيام: فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارُهُ أَيَّمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ (٤)، كل ذلك تتابع وليس بمفترق.

و صيام أذى الحلق (حلق الرأس) واجب، قال الله تبارك و تعالى: فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ (٥)، و صاحبها فيها بالخيار بين صيام ثلاثة أيام أو صدقه أو نسك.

و صوم دم المتعه واجب لمن لم يجد الهدى، قال الله تبارك و تعالى: فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَ سَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ (٦).

و صوم جزاء الصيد واجب، قال الله تبارك و تعالى: وَ مَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ مَتَعِدًا فِجْرًا مِثْلَ مَثَلٍ قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا (٧) (٨).

ص: ١٧٥

١- (١) النساء (٤): ٩٢.

٢- (٢) الظهار: أن يقول الرجل لزوجته: أنت علي كظهر امي.

٣- (٣) المجادلة (٥٨): ٣-٤.

٤- (٤) المائدة (٥): ٨٩.

٥- (٥) البقرة (٢): ٩٦.

٦- (٦) البقرة (٢): ١٩٦.

٧- (٧) المائدة (٥): ٩٥.

٨- (٨) المقنعه، الشيخ المفيد: ٣٦٣.

ثم قال (عليه السلام): «أو تدرى كيف يكون عدل ذلك صياما يا زهرى؟» فقال: لا أدري، قال (عليه السلام): «تقوم الصيد قيمه ثم تفضى تلك قيمه على البر، ثم يكال ذلك البر أصواعا، فيصوم لكل نصف صاع يوما.

و صوم النذر واجب، و صوم الاعتكاف واجب (١).

و أما الصوم الحرام فصوم يوم الفطر، و يوم الأضحى، و ثلاثه أيام من أيام التشريق (٢) و صوم يوم الشك أمرنا به و نهينا عنه، أمرنا أن نصومه من شعبان و نهينا أن ينفرد الرجل بصيامه في اليوم الذى يشك فيه الناس».

و التفت الزهرى إلى الإمام (عليه السلام) قائلا: جعلت فداك فإن لم يكن صام من شعبان شيئا كيف يصنع؟ قال (عليه السلام): «ينوى ليله الشك أنه صائم من شعبان، فإن كان من شهر رمضان أجزا عنه، و إن كان من شعبان لم يضرب».

و أشكل الزهرى على الإمام: كيف يجزى صوم تطوع عن فريضة؟ فأجابه الإمام (عليه السلام): «لو أن رجلا صام يوما من شهر رمضان تطوعا و هو لا يدري و لا يعلم أنه من شهر رمضان ثم علم بعد ذلك أجزا عنه، لأن الفرض إنما وقع على اليوم بعينه».

ثم استأنف الإمام حديثه فى بيان أقسام الصوم قائلا:

«و صوم الوصال حرام (٣)، و صوم الصمت حرام (٤)، و صوم النذر للمعصية حرام، و صوم الدهر حرام.

و أما الصوم الذى صار صاحبه فيه بالخيار فصوم يوم الجمعة و الخميس و الاثنين

ص: ١٧٦

١- ((١)) الاعتكاف إنما يجب بعد مضى يومين منه فيتعين اليوم الثالث، و كذلك يجب بالنذر و شبهه.

٢- ((٢)) أيام التشريق: هى أيام منى و هى الحادى عشر و الثانى عشر و الثالث عشر بعد يوم النحر.

٣- ((٣)) صوم الوصال: و هو أن يصوم الليل و النهار، و حرمة حرمة تشريعيه.

٤- ((٤)) صوم الصمت: هو أن يمسك الإنسان فيه عن الكلام، و قد كان الكلام محرما على الصائم فى الشرائع السابقه، كما أعلن القرآن ذلك فى قصه مريم، قال تعالى: إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا إِلَّا أَنَّهُ نَسَخَ فِي الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ.

و صوم الأيام البيض (١) و صوم سته أيام من شوال بعد شهر رمضان و يوم عرفه و يوم عاشوراء، كل ذلك صاحبه فيه بالخيار، إن شاء صام و إن شاء أفطر.

و أما صوم الإذن فإن المرأة لا تصوم تطوعاً إلا بإذن زوجها، و العبد لا يصوم تطوعاً إلا بإذن سيده، و الضيف لا يصوم تطوعاً إلا بإذن مضيفه، قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): فمن نزل على قوم فلا يصوم تطوعاً إلا بإذنهم.

و أمّا صوم التأديب فإنه يؤمر الصبي إذا راهق تأديباً و ليس بفرض، و كذلك من أفطر لعله أول النهار، ثم قوى بعد ذلك أمر بالإمساك بقيه يومه تأديباً، و ليس بفرض، و كذلك المسافر إذا أكل من أول النهار ثم قدم أهله أمر بالإمساك بقيه يومه تأديباً و ليس بفرض.

و أما صوم الإباحه فمن أكل أو شرب أو تقيأ من غير تعمد أباح الله ذلك و أجزأ عنه صومه.

و أمّا صوم السفر و المرض فإن العامه اختلفت فيه، فقال قوم: يصوم، و قال قوم: لا- يصوم، و قال قوم: إن شاء صام و إن شاء أفطر، و أمّا نحن فنقول: يفطر في الحالتين جميعاً، فإن صام في السفر أو في حال المرض فعليه القضاء في ذلك، لأن الله عزّ و جلّ يقول:

فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ... (٢)».

و انتهى هذا البحث الفقهي الذي ألقاه الإمام على العلماء و الفقهاء، و قد كشف عن مدى إحاطه الإمام بأحكام الشريعة و فروع الفقه، فقد فزع على الصوم هذه الفروع المهمه التي غفل عنها العلماء، و من الجدير بالذكر أنّ فقهاء الإماميه استندوا إلى هذه الروايه في فتاواهم بأحكام الصوم.

ص: ١٧٧

١- ((١)) الأيام البيض: و هي الثالث عشر و الرابع عشر و الخامس عشر، و سميت لياليها بيضا لأن القمر يطلع فيها من أولها الى آخرها. جاء ذلك في مجمع البحرين (ماده: بيض).

٢- ((٢)) فروع الكافي: ١/١٨٥، الخصال: ٥٠١-٥٠٤، تفسير القمي: ١٧٢-١٧٥، المقنعه: ٥٨، التهذيب: ١/٤٣٥.

بالرغم من أنّ الصحيفه السجّاديه وظّفت أدعيّتها لتربيه الإنسان و ترشيد حركته الفرديه و الاجتماعيه و لكنّها تضمّنت جملة من الحقائق العلميه التى تنبئ عن إحاطه الإمام بالحقائق العلميه و شموخ مقامه العلمى - كما تضمّنت خطب الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) و دعاء عرفه للإمام الحسين (عليه السّلام) قسما كبيرا من العلوم و المعارف - فيما يرتبط بتركيبه الإنسان الجسميه و كيفيه خلقه أو كيفيه خلق أنواع الكائنات الاخرى الأرضيه و السماويه.

قال (عليه السّلام): «سبحانك تعلم وزن السماوات، سبحانك تعلم وزن الأرضين، سبحانك تعلم وزن الشمس و القمر، سبحانك تعلم وزن الظلمه و النور، سبحانك تعلم وزن الفىء و الهواء» (١).

كلّ ذلك فى عصر لم تكن مثل هذه المفاهيم مطروحه فى الأوساط العلميه فى دنيا الإسلام أو غيرها.

و أشار (عليه السّلام) إلى إمكانيه وجود الجراثيم فى المياه و الأطحمه فى دعائه لأهل الثغور، داعيا على الأعداء:

«اللهمّ و امزج مياههم بالوباء، و أطعمتهم بالأدواء» (٢).

و تجد فى كثير من أدعيّته (عليه السّلام) إشارات واضحه إلى أمثال هذه الحقائق العلميه.

ص: ١٧٨

١- ((١)) الدعاء ٥١ من الصحيفه الثانيه التى جمعها الشيخ الحرّ العاملى.

٢- ((٢)) دعاءه لأهل الثغور فى الصحيفه الكامله أو الجامعه.

إنّ الإمام السجّاد توفّر على نتاج فتّى ضخّم يجيء-من حيث الكمّ-بعد الإمام عليّ (عليه السّلام) كما يجيء-من حيث الكيف-متميّزا بسمات خاصه، و في مقدمه ذلك أدب الدعاء الذي منحه السجّاد (عليه السّلام) خصائص فكريه و فتّيه تفرّد بها (١).

اتّجه الإمام في أدبه الخاصّ إلى نقد الأوضاع المنحرفه، و إلى بناء الشخصيه الإسلاميه في المستويين الفردي و الإجتماعي، بحيث يمكن القول بأنّ أدبه كان تجسيدا للحركه الإسلاميه مقابل الأدب الدنيوي الذي بدأ ينحرف مع انحرافات السلطه، و ينحدر إلى ما هو عابث و مظلم و منحرف ٢.

و جاء في الصحيفه السجّاديه الجامعه نقلا عن الأصمعيّ أنّه قال: كنت أطوف حول الكعبه ليله، فإذا شابّ ظريف الشمال و عليه ذؤابتان و هو متعلّق بأستار الكعبه و يقول: «نامت العيون و غارت النجوم و أنت الملك الحيّ القيوم، غلّقت الملوك أبوابها و أقامت عليها حراسها، و بابك مفتوح للسائلين، جئتك لتنظر إليّ برحمتك يا أرحم الراحمين».

ثم أنشأ يقول:

يا من يجيب دعاء المضطرّ في الظلم يا كاشف الضرّ و البلوى مع السقم

قد نام و فدك حول البيت قاطبه و أنت وحدك يا قيوم لم تنم

أدعوك ربّ دعاء قد أمرت به فارحم بكائي بحقّ البيت و الحرم

إن كان عفوك لا يرجوه ذو سرف فمن وجود على العاصين بالنعم؟

ص: ١٧٩

قال:فاقتفتيته فإذا هو زين العابدين(عليه السلام).

كما جاء فيها عن طاووس اليماني أنه قال:رأيت في جوف الليل رجلا متعلقا بأستار الكعبه و هو يقول:

«ألا يا أيها المأمول في كلِّ حاجه شكوت إليك الضّرّ فاسمع شكايتي

ألا يا رجائي أنت كاشف كربتي فهب لي ذنوبي كلّها واقض حاجتي

فزادى قليل لا أراه مبلّغى أَلزاد أبكى أم لبعء مسافتي

أتيت بأعمال قباح رديه فما في الورى خلق جنى كجنائتي

أتحرقنى في النار يا غايه المنى فأين رجائي منك، أين مخافتي؟

قال:فتأملتته فإذا هو عليّ بن الحسين(عليهما السلام).

و من أدبه المنظوم أيضا ما ذكره أحمد فهمى محمد فى كتاب الإمام زين العابدين عن فضل أهل البيت(عليهم السلام)و مكانتهم:

لنحن على الحوض رواده نذود و نسقى و راده

و ما فاز من فاز إلا بنا و ما خاب من حَبنا زاده

و من سرّنا نال منّا السرور و من ساءنا ساء ميلاده

و من كان غاصبنا حقّنا فيوم القيامة ميعاده

احتجاجات الإمام زين العابدين(عليه السلام):

إنّ فن الاحتجاج و المناظره العلميه فنّ جليل لما ينبغى أن يتمتّع به المناظر من مقدره علميه و إحاطه و دقّه و لياقه أدبيه.

وقد تميّز أئمّه أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين بهذا الفنّ، و استطاعوا من خلال هذا المجال إفحام خصومهم و إثبات جدارتهم العلميه

بنحو لا يدع مجالا للريب فى أنّهم مؤيّدون بتأييد ربّانى،و كما عبّر بعض

أعدائهم:أنهم أهل بيت قد زوّوا العلم زقًا.

وقد جمع العلامه الطبرسى جمله من احتجاجات المعصومين الأربعة عشر:الرسول(صلى الله عليه وآله)والزهراء(عليها السلام)والأنثمه الاثنى عشر(عليهم السلام)فى كتابه المعروف بالاحتجاج،ونشير هنا إلى بعض احتجاجات الإمام زين العابدين(عليه السلام).

١-جاء رجل من أهل البصره إلى على بن الحسين(عليه السلام)فقال:

يا على بن الحسين!إن جدك على بن أبى طالب قتل المؤمنين،فهملت عينا على بن الحسين دموعا حتى امتلأت كفه منها،ثم ضرب بها على الحصى،ثم قال:

«يا أخا أهل البصره،لا والله ما قتل على مؤمنا،ولا قتل مسلما،وما أسلم القوم ولكن استسلموا وكنتموا الكفر وأظهروا الإسلام،فلما وجدوا على الكفر أعوانا أظهروه،وقد علمت صاحبه الجذب والمستحفظون من آل محمد(صلى الله عليه وآله)أن أصحاب الجمل وأصحاب صفين وأصحاب النهروان لعنوا على لسان النبى الأسمى،وقد خاب من افترى».

فقال شيخ من أهل الكوفه:يا على بن الحسين!إن جدك كان يقول:

«إخواننا بغوا علينا».

فقال على بن الحسين(عليه السلام):«أما تقرأ كتاب الله وإلى عادِ أخاهم هوداً فهم مثلهم أنجى الله عز وجل هودا والذين معه وأهلك عادا بالريح العقيم»(١).

٢-عن أبى حمزه الثمالى قال:دخل قاض من قضاة أهل الكوفه على على بن الحسين(عليه السلام)فقال له:جعلنى الله فداك،أخبرنى عن قول الله عز وجل: وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّبِيلَ سَبِيلًا

ص:١٨١

١- (١) الاحتجاج للطبرسى:احتجاجات الإمام زين العابدين(عليه السلام).

فِيهَا لِيَالِي وَ أَيَّاماً آمِنِينَ (١).

قال له (عليه السلام): «ما يقول الناس فيها قبلكم؟».

قال: يقولون إِنَّهَا مَكَّة.

فقال (عليه السلام): «و هل رأيت السرق في موضع أكثر منه بمكَّه».

قال: فما هو؟

قال (عليه السلام): «إِنَّمَا عَنِ الرِّجَالِ».

قال: و أين ذلك في كتاب الله؟

فقال (عليه السلام): «أو ما تسمع إلى قوله عز و جل: وَ كَأَيُّنْ مِنْ قَرْبَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَ رُسُلِهِ (٢) و قال: وَ تِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَا هُمْ لَمَّا ظَلَمُوا (٣) و قال: وَ سَنَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَ الْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا (٤) أَيْسَأَلُ الْقَرْيَةَ أَوْ الرِّجَالَ أَوْ الْعِيرَ؟

قال: و تلا عليه آيات في هذا المعنى.

قال: جعلت فداك! فمن هم؟

قال: نحن هم.

فقال (عليه السلام): «أو ما تسمع إلى قوله: سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَ أَيَّاماً آمِنِينَ؟».

قال (عليه السلام): «آمنين من الزبيغ» (٥).

٤- و روى: أَنَّ زَيْنَ الْعَابِدِينَ (عليه السلام) مَرَّ بِالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَ هُوَ يَعِظُ النَّاسَ بِمَنْى، فَوَقَفَ (عليه السلام) عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ:

«أَمْسِكْ، أَسْأَلُكَ عَنِ الْحَالِ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا مَقِيمٌ، أَتَرْضَاهَا لِنَفْسِكَ فِيمَا

ص: ١٨٢

١- (١) سبأ (٣٤): ١٨.

٢- (٢) الطلاق (٦٥): ٨.

٣- (٣) الكهف (١٨): ٥٩.

٤- (٤) يوسف (١٢): ٨٢.

٥- (٥) الاحتجاج ٢: احتجاجات الإمام زين العابدين (عليه السلام).

بينك و بين الله إذا نزل بك غدا؟».

قال: لا.

قال: «أفتحدّث نفسك بالتحوّل و الانتقال عن الحال التي لا ترضاها لنفسك إلى الحال التي ترضاها؟» قال: فأطرق مليا ثم قال: إنّي أقول ذلك بلا حقيقه.

قال: «أفترجو نبيا بعد محمّد (صلّى الله عليه و آله) يكون لك معه سابقه؟».

قال: لا.

قال: «أفترجو دارا غير الدار التي أنت فيها ترد إليها فتعمل فيها؟».

قال: لا.

قال: «أفأريت أحدا به مسكه عقل رضى لنفسه من نفسه بهذا؟ إنك على حال لا ترضاها و لا تحدّث نفسك بالانتقال إلى حال ترضاها على حقيقه، و لا ترجو نبيا بعد محمّد، و لا دارا غير الدار التي أنت فيها فترد إليها فتعمل فيها، و أنت تعظ الناس»، قال: فلمّا ولى (عليه السّلام) قال الحسن البصرى: من هذا؟

قالوا: على بن الحسين.

قال: أهل بيت علم، فما رى الحسن البصرى بعد ذلك يعظ الناس (١).

٥- عن أبي حمزه الثمالى قال: سمعت على بن الحسين (عليه السّلام) يحدث رجلا من قريش قال:

لما تاب الله على آدم واقع حواء و لم يكن غشيها منذ خلق و خلقت إلّا فى الأرض، و ذلك بعد ما تاب الله عليه، قال: و كان آدم يعظّم البيت و ما حوله من حرمة البيت، فكان إذا أراد أن يغشى حواء خرج من الحرم و أخرجها معه، فإذا جاز الحرم غشيها فى الحلّ، ثمّ يغتسلان إعظاما منه للحرم، ثمّ يرجع إلى فناء البيت.

ص: ١٨٣

١- (١) الاحتجاج للطبرسى: احتجاجات الإمام زين العابدين (عليه السّلام).

قال: فولد لآدم من حواء عشرون ذكرا و عشرون انثى، فولد له فى كل بطن ذكر و انثى، فأول بطن ولدت حواء «هايبيل» و معه جاريه يقال لها: «أقليما»، قال: و ولدت فى البطن الثانى «قاييل» و معه جاريه يقال لها: «لوزا»، و كانت لوزا أجمل بنات آدم، (قال):
فلما أدركوا خاف عليهم آدم الفتنة فدعاهم إليه فقال: اريد أن انكحك يا هاييل لوزا، و انكحك يا قاييل أقليما.

قال قاييل: ما أرضى بهذا، أتتكحني أخت هاييل القبيحه، و تنكح هاييل اختى الجميله؟

قال: فأنا أقرع بينكما، فإن خرج سهمك يا قاييل على لوزا و خرج سهمك يا هاييل على أقليما زوجت كل واحد منكما التى خرج سهمه عليها، قال: فرضيا بذلك فاقترعا، قال:

فخرج سهم هاييل على لوزا اخت قاييل، و خرج سهم قاييل على أقليما اخت هاييل، قال:

فزوجهما على ما خرج لهما من عند الله، قال: ثم حرم الله نكاح الأخوات بعد ذلك».

قال: فقال له القرشى: فأولداهما؟

قال: نعم.

قال: فقال القرشى: فهذا فعل المجوس اليوم!

قال: فقال على بن الحسين: «إن المجوس إنما فعلوا ذلك بعد التحريم من الله».

ثم قال له على بن الحسين (عليه السلام): «لا تنكر هذا، إنما هى الشرايع جرت، أليس الله قد خلق زوجه آدم منه ثم أحلها له؟! فكان ذلك شريعته من شرايعهم، ثم أنزل الله التحريم بعد ذلك» (1).

٦- روى عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام) قال: «لَمَّا قَتَلَ الْحُسَيْنُ بِنَ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَرْسَلَ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَنْفِيَةَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَخَلَا بِهِ ثُمَّ قَالَ:

ص: ١٨٤

١- (١) الاحتجاج: احتجاجات الإمام زين العابدين (عليه السلام).

يابن أخي إقد علمت أنّ رسول الله كان جعل الوصية والإمامه من بعده لعليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ثمّ إلى الحسن، ثمّ إلى الحسين، وقد قتل أبوك (رضي الله عنه) و صلى عليه و لم يوص، و أنا عمّك و صنو أبيك، و أنا في سنيّ و قدمتي أحقّ بها منك في حدثك، فلا تنازعني الوصية و الإمامه و لا تخالفني.

فقال له عليّ بن الحسين (عليه السلام): «اتق الله و لا تدع ما ليس لك بحقّ، إنّني أعظك أن تكون من الجاهلين، يا عمّ! إنّ أبي صلوات الله عليه أوصى إليّ قبل أن يتوجه إلى العراق، و عهد إليّ في ذلك قبل أن يستشهد بساعه، و هذا سلاح رسول الله (صلى الله عليه و آله) عندي، فلا تعرض لهذا فإنّي أخاف عليك بنقص العمر و تشتت الحال، و إنّ الله تبارك و تعاليّ أبي إلّا- أن يجعل الوصية و الإمامه إلّا- في عقب الحسين، فإن أردت أن تعلم فانطلق بنا إلى الحجر الأسود حتى نتحاكم إليه و نسأله عن ذلك».

قال الباقر (عليه السلام): «و كان الكلام بينهما و هما يومئذ بمكة، فانطلقا حتى أتيا الحجر الأسود، فقال عليّ بن الحسين (عليه السلام) لمحمّد:

إبدأ فابتهل إلى الله و أسأله أن ينطق لك الحجر ثمّ سله، فابتهل محمّد في الدعاء و سأل الله ثمّ دعا الحجر فلم يجبه، فقال عليّ بن الحسين (عليه السلام):

«أما إنّك يا عمّ لو كنت وصيّاً و إماماً؛ لأجابك».

فقال له محمّد: فادع أنت يابن أخي، فدعا الله عليّ بن الحسين (عليه السلام) بما أراد ثمّ قال: «أسألك بالذي جعل فيك ميثاق الأنبياء و ميثاق الأوصياء و ميثاق الناس أجمعين لما أخبرتنا بلسان عربيّ مبين من الوصيّ و الإمام بعد الحسين بن عليّ»، فتحرّك الحجر حتى كاد أن يزول عن موضعه، ثمّ أنطقه الله بلسان عربيّ مبين فقال:

اللهمّ إنّ الوصية و الإمامه بعد الحسين بن عليّ بن أبي طالب إلى عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، و ابن فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فانصرف محمّد و هو يتولّى

علی بن الحسین (علیه السلام) (١).

و عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه علی بن الحسین (عليهم السلام) قال:

«نحن أئمة المسلمين، و حجج الله على العالمين، و سادة المؤمنين، و قادة الغر المحجلين، و موالى المؤمنين، و نحن أمان لأهل الأرض، كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء، و نحن الذين بنا يمسك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه، و بنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها، و بنا ينزل الغيث، و ينشر الرحمة، و يخرج بركات الأرض و لو لا ما فى الأرض منّا؛ لساخت الأرض بأهلها».

ثمّ قال: «و لم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجّه لله فيها، ظاهر مشهور أو غائب مستور، و لا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجّه الله، و لو لا ذلك لم يعبد الله» ٢.

من غرر حكم الإمام (عليه السلام) و مواعظه:

قد عرفت أنّ الإمام زين العابدين (عليه السلام) لم يترك مدينة جدّه الرسول (صلّى الله عليه و آله) بل بقى مرابطا فيها مشغولا بتربيته الامه تربيته فكريه و أخلاقيه، و كان كلّ جمعه يعظهم و يحذّرهم من الدنيا و حائلها و مكائدها التي جعلت كثيرا من أهل عصره فى أسرها، و ممّا قاله فى التحذير من الدنيا و التزهيد فيها (٢):

١- «كفانا الله و إياكم كيد الظالمين و بغى الحاسدين و بطش الجبارين، أيها المؤمنون لا يفتننكم الطواغيت و أتباعهم من أهل الرغبه فى الدنيا المائلون إليها، المفتونون بها، المقبلون عليها و على حطامها (٣) الهامد (٤) و هشيمها البائد غدا، و احذروا ما حذركم الله منها،

ص: ١٨٦

١- ((٢١ و ٢)) الاحتجاج: احتجاجات الإمام زين العابدين (عليه السلام).

٢- ((٣)) تحف العقول لابن شعبه الحرّانى: ١٨٢-١٨٤ ط. مؤسسه الأعلمی-بيروت.

٣- ((٤)) الحطام: القشر، و المعنى: أنّ ما فيها من مال كثير أو قليل يغنى و لا يبقى.

٤- ((٥)) الهامد: اليابس.

و ازهدوا فيما زهيدكم الله فيه منها، و لا تركنوا إلى ما فى هذه الدنيا ركون من أعدّها دارا و قرارا (١)، و بالله إنّ لكم ممّا فيها عليها دليلا من زينتها و تصريف أيامها (٢) و تغيير انقلابها و مثلاتها و تلاعبها بأهلها، إنّها لترفع الخميل و تضع الشريف، و تورّد النار أقواما غدا، ففى هذا معتبر و مختبر و زاجر لمنتهه».

٢- الوصية بالتقوى و الإنابه الى الله تعالى و التحذير من معونه الظلمه:

«فاتقوا الله و استقبلوا من إصلاح أنفسكم و طاعة الله و طاعه من تولّونه فيها، لعلّ نادما قد ندم على ما قد فرط بالأمس فى جنب الله، و ضيع من حقّ الله، و استغفروا الله و توبوا إليه، فإنّه يقبل التوبه، و يعفو عن السيئات، و يعلم ما تفعلون، و إيّاكم و صحبه العاصين و معونه الظالمين و مجاوره الفاسقين، احذروا فتنّهم، و تباعدوا من ساحتهم».

٣- موالاه أولياء الله عزّ و جلّ:

«و أعلموا أنّه من خالف أولياء الله و دان بغير دين الله و استبدّ بأمره دون أمر وليّ الله فى نار تلتهب، تأكل أبدانا قد غابت عنها أرواحها، و غلبت عليها شقوتها، فهم موتى لا يجدون حرّ النار، فاعتبروا يا اولى الأبصار، و احمّدوا الله على ما هداكم، و اعلموا أنّكم لا تخرجون من قدره الله إلى غير قدرته، و سيرى الله عملكم ثم تحشرون، فانتفعوا بالعظه، و تأدّبوا بآداب الصالحين».

٤- «إنّ علامه الزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الآخره تركهم كلّ خليط (٣) و خليل، و رفضهم كلّ صاحب لا يريد ما يريدون. ألا و إنّ العامل لثواب الآخره هو الزاهد فى عاجل زهره الدنيا، الآخذ للموت اهبتّه، الحاتّ على العمل قبل فناء الأجل و نزول ما لا بدّ من

ص: ١٨٧

١- (١) القرار: ما قرّ فيه أى فعل فيه السكن أو السكون.

٢- (٢) تصريف أيامها: تحوّلها من وجه إلى وجه.

٣- (٣) خليط: مخالط، مجالس.

لقائه، و تقديم الحذر قبل الحين، فإن الله عز و جل يقول: حَتَّىٰ إِذَا لَاجَأَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتَ قَالَتْ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۗ ١، فلينزل أحدكم اليوم نفسه في هذه الدنيا كمنزله المكرور إلى الدنيا، النادم على ما فرط فيها من العمل الصالح ليوم فاقتته.»

٥- «و اعلموا عباد الله أنه من خاف البيات تجافى عن الوساد، و امتنع من الرقاد، و أمسك عن بعض الطعام و الشراب من خوف سلطان أهل الدنيا، فكيف؟ و يحكك يابن آدم من خوف بيات سلطان رب العزة، و أخذه الأليم، و بياته لأهل المعاصي و الذنوب مع طوارق المنايا بالليل و النهار، فذلك البيات الذى ليس منه منجى، و لا دونه ملتجأ و لا منه مهرب، فخافوا الله أيها المؤمنون من البيات خوف أهل التقوى، فإن الله يقول: ذَلِكُمْ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَ خَافَ وَعِيدِ ٢، فاحذروا زهره الحياه الدنيا و غرورها و شرورها، و تذكروا ضرر عاقبه الميل إليها، فإن زينتها فتنة و حبهها خطيئته.

٦- «فأتقوا الله عباد الله و تفكروا، و اعملوا لما خلقتم له فإن الله لم يخلقكم عبثا و لم يترككم سدى، قد عزفكم نفسه، و بعث إليكم رسوله، و أنزل عليكم كتابه، فيه حلاله و حرامه و حججه و أمثاله، فاتقوا الله فقد احتج عليكم ربكم فقال: أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَ لِسَانًا وَ شَفَتَيْنِ * وَ هَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ٣، فهذه حججه عليكم، فاتقوا الله ما استطعتم، فإنه لا قوة إلا بالله و لا تكلان إلا عليه، و صلى الله على محمد نبينه و آله.»

٧- «إن الدنيا قد ارتحلت مدبره، و إن الآخرة قد ترحلت مقبله، و لكل واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة و لا تكونوا من أبناء الدنيا، فكونوا من الزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الآخرة، لأن الزاهدين فى الدنيا اتخذوا الأرض بساطا، و التراب فراشا، و المدر و سادا، و الماء طيبا، و قرضوا المعاش من الدنيا تقريضا، اعلموا أنه من اشتاق إلى الجنة

سارع الى الحسنات و سلا عن الشهوات، و من أشفق من النار؛ رجع عن المحرمات، و من زهد في الدنيا هانت عليه مصائبها و لم يكرهها، و إن لله عزّ و جلّ لعبادا قلوبهم معلقه بالآخرة و ثوابها و هم كمن رأى أهل الجنّة في الجنّة مخلصين منّمين، و كمن رأى أهل النار في النار معذبين، شرورهم مأمونه، و قلوبهم محزونه، أنفسهم عفيفه، و حوائجهم خفيفه، صبروا أيّما قليله فصاروا بعقبى راحه طويله، أمّيا الليل فصافون أقدامهم، تجرى دموعهم على خدودهم، و هم يجأرون إلى ربّهم (١)، يسعون في فكاك رقابهم، و أمّيا النهار فحلما علماء برره أتقياء، كأنهم القداح (٢) قد براهم الخوف من العباده، ينظر إليهم الناظر فيقول: مرضى، و ما بالقوم من مرض أم خولطوا فقد خالط القوم أمر عظيم من ذكر النار و ما فيها».

و من غرر كلماته (عليه السلام) :

(٣)

«الخير كلّ صيانه الإنسان نفسه».

«الرضى بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين».

«من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا».

«من قنع بما قسم الله له فهو من أغنى الناس».

«لا يقلّ عمل مع تقوى، و كيف يقلّ ما يتقبل؟»

«قيل له: من أعظم الناس خطرا (٤)؟ فقال (عليه السلام): «من لم ير الدنيا خطرا لنفسه».

و قال بحضرته رجل: اللهم أغنى عن خلقك، فقال (عليه السلام): «ليس هكذا، إنّما

ص: ١٨٩

١- (١) يجأرون إلى ربّهم: يتضرّعون اليه تعالى.

٢- (٢) القداح: مفردا قدح و هو السهم قبل أن ينصل و يراش.

٣- (٣) كل ما جاء تحت هذا العنوان نقلناه عن تحف العقول ٢٠٠-٢٠٥.

٤- (٤) خطرا: قدرا و شرفا.

الناس بالناس، ولكن قل: اللهم أغنني عن شرار خلقك».

«أتقوا الكذب، الصغير منه، والكبير، في كل جدّ و هزل، فإنّ الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير».

«كفى بنصر الله لك أن ترى عدوك يعمل بمعاصي الله فيك».

وقال له رجل: ما الزهد؟ فقال (عليه السلام): «الزهد عشره أجزاء، فأعلى درجات الزهد أدنى درجات الورع، وأعلى درجات الورع أدنى درجات اليقين، وأعلى درجات اليقين أدنى درجات الرضا، وإنّ الزهد في آية من كتاب الله: لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ» (١).

«طلب الحوائج إلى الناس مذله للحياه و مذهبه للحياء و استخفاف بالوقار و هو الفقر الحاضر، و قله طلب الحوائج من الناس هو الغنى الحاضر».

«إنّ أحبكم إلى الله أحسنكم عملاً، وإنّ أعظمكم عند الله عملاً أعظمكم فيما عند الله رغبه، وإنّ أنجاكم من عذاب الله أشدكم خشيه لله، وإنّ أقربكم من الله أوسعكم خلقاً، وإنّ أرضاكم عند الله أسبغكم (٢) على عياله، وإنّ أكرمكم على الله أتقاكم».

«يا بنى، انظر خمسه فلا- تصاحبهم ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق، إياك و مصاحبه الكذّاب، فإنّه بمنزله السراب يقرب لك البعيد و يبعد لك القريب، و إياك و مصاحبه الفاسق، فإنّه بايعك بأكله أو أقلّ من ذلك، و إياك و مصاحبه البخيل، فإنّه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه، و إياك و مصاحبه الأحمق، فإنّه يريد أن ينفعك فيضرك، و إياك و مصاحبه القاطع لرحمه، فإنّي وجدتته ملعوناً في كتاب الله».

«إنّ المعرفة و كمال دين المسلم تركه الكلام فيما لا يعنيه، و قله مرأته، و حلمه، و صبره، و حسن خلقه».

ص: ١٩٠

١- ((١)) الحديد(٥٧):٢٣.

٢- ((٢)) أسبغكم: أوسعكم.

«ابن آدم، إنَّكَ لا- تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك، و ما كانت المحاسبه من همِّك، و ما كان الخوف لك شعاراً، و الحذر لك دثاراً (١)، ابن آدم إنَّكَ ميّت و مبعوث و موقوف بين يدي الله جلّ و عزّ، فأعدّ له جواباً».

«لا- حسب لقرشيّ و لا- لعربيّ إلاّ- بتواضع، و لا كرم إلاّ بتقوى، و لا عمل إلاّ بتيّه، و لا عباده إلاّ بالتفقه، ألا و إنّ أبغض الناس إلى الله من يقتدى بسنّه إمام و لا يقتدى بأعماله».

«المؤمن من دعائه على ثلاث: إمّا أن يدخر له، و إمّا أن يعجل له، و إمّا أن يدفع عنه بلاء يريد أن يصيبه».

«إنّ المنافق ينهى و لا- ينتهى، و يأمر و لا- يأتي، إذا قام إلى الصلاه اعترض، و إذا ركع ربح، و إذا سجد نقر، يمسى و همّه العشاء و لم يصم، و يصبح و همّه النوم و لم يسهر، و المؤمن خلط عمله بحلمه، يجلس ليعلم، و ينصت ليسلم، لا- يحدث بالأمانه للأصدقاء، و لا- يكتتم الشهاده للبعدهاء، و لا يعمل شيئاً من الحقّ رياء و لا يتركه حياء، إن زكى خاف ممّا يقولون، و يستغفر الله لما لا يعلمون، و لا يضّرّه جهل من جهله».

«كم من مفتون بحسن القول فيه، و كم من مغرور بحسن الستر عليه؟»

«ربّ مغرور مفتون يصبح لاهياً ضاحكاً، يأكل و يشرب و هو لا يدري لعلّه قد سبقت له من الله سخطه يصلى بها نار جهنم».

«إنّ من أخلاق المؤمن الإنفاق على قدر الإقتار، و التوسّع على قدر التوسّع، و إنصاف الناس من نفسه، و ابتداءؤه إياهم بالسلام».

«ثلاث منجيات للمؤمن: كفّ لسانه عن الناس و اغتياهم، و إشغاله نفسه بما ينفعه لآخرته و دنياه، و طول بكائه على خطيئته».

«نظر المؤمن في وجه أخيه المؤمن للمودّه و المحبه له عباده».

ص: ١٩١

١- ((١)) الدثار: ما يتغطّى به النائم.

«ثلاث من كنّ فيه من المؤمنين كان في كنف الله (١)، وأظله الله يوم القيامة في ظلّ عرشه، وآمنه من فزع اليوم الآخر: من أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم لنفسه، ورجل لم يقدّم يدا ولا رجلا حتى يعلم أنّه في طاعة الله قدّمها أو في معصيته، ورجل لم يعب أخاه بعيب حتى يترك ذلك العيب من نفسه، وكفى بالمرء شغلا بعيبه لنفسه عن عيوب الناس».

«ما من شيء أحبّ إلى الله بعد معرفته من عَفَّ بطن و فرج، و ما [من] شيء أحبّ إلى الله من أن يسأل».

«افعل الخير إلى كلّ من طلبه منك، فإن كان أهله فقد أصبت موضعه، وإن لم يكن بأهل كنت أنت أهله، وإن شتمك رجل عن يمينك ثم تحوّل إلى يسارك واعتذر إليك فاقبل عذره».

«مجالس الصالحين داعية إلى الصلاح، وآداب العلماء زياده في العقل، وطاعه و لاه الأمر تمام العزّ، واستنماء المال تمام المروءه، وإرشاد المستشار قضاء لحقّ النعمه، وكفّ الأذى من كمال العقل وفيه راحة للبدن عاجلا أو آجلا».

و كان عليّ بن الحسين (عليهما السلام) إذا قرأ الآية: **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا** (٢) يقول: «سبحان من لم يجعل في أحد من معرفه نعمه إلاّ المعرفه بالتقصير عن معرفتها، كما لم يجعل في أحد من معرفه إدراكه أكثر من العلم بأنّه لا يدركه، فشكر عزّ و جلّ معرفه العارفين بالتقصير عن معرفته، و جعل معرفتهم بالتقصير شكرا، كما جعل علم العالمين أنّهم لا يدركونه إيمانا، علما منه أنّه قدّر وسع العباد فلا يجاوزون ذلك».

«سبحان من جعل الاعتراف بالنعمه له حمدا، سبحان من جعل الاعتراف بالعجز عن الشكر شكرا».

ص: ١٩٢

١- (١) في كنف الله: في حرزه و رحمته.

٢- (٢) ابراهيم (١٤): ٣٤.

رساله الحقوق

تكفلت رساله الحقوق تنظيم أنواع العلاقات الفرديه و الاجتماعيه للإنسان فى هذه الحياه بنحو يحقّق للفرد و المجتمع سلامه العلاقات، و يجمع لهما عوامل الاستقرار و الرقى و الازدهار.

«لقد نظر الإمام الحكيم (عليه السلام) بعمق و شمول للإنسان، و درس جميع أبعاد حياته و علاقاته مع خالقه و نفسه و أسرته و مجتمعه و حكومته و معلّمه» (1) و كلّ من يرتبط به أدنى ارتباط.

و يمكن أن نقول: إنّ تنظيم العلاقات الاجتماعيه على أساس تعيين مجموعه الحقوق بشكل دقيق هو الرصيد الأول للنظام الاجتماعى الإسلامى، و هو المبنى المعقول للتشريعات الإسلاميه عامه، فإنّ الذى يفهم بعمق هذه الرساله و يدرس بدقّه حقوق الخالق و حقوق المخلوقين بعضهم تجاه بعض يتسنى له أن يفهم أسرار التشريع الإسلامى و فلسفه الأحكام التى جاءت بها الشريعه الإسلاميه لتنظيم حياه الإنسان فردا و مجتمعا.

إنّ العدالة الاجتماعيه أو الاقتصاديه أو الإداريه لن تتحقّق ما لم يطبّق نظام الحقوق بشكل دقيق أولاً، و تنظّم الأحكام و التشريعات على أساس تلك

ص: ١٩٣

الحقوق، و فيما نعلم أنّ الإمام (عليه السّلام) قد سبق العلماء و القانونيين جميعا فى دنيا الإسلام بل فى دنيا الإنسان فى هذا المضمّار الذى على أساسه ترتكز اصول الأخلاق و الترييه و نظم الاجتماع.

و قد كتب الإمام زين العابدين (عليه السّلام) هذه الرساله العظيمه و اتحف بها بعض أصحابه، و رواها العالم الكبير ثقه الإسلام ثابت بن أبى صفيه المعروف بأبى حمزه الثمالى تلميذ الإمام (عليه السّلام) كما رواها عنه بسنده المحدث الصدوق فى كتابه «الخصال» و ثقه الإسلام الكلينى فى «الكافى» و الحسن بن على بن الحسين بن شعبه الحرّانى فى «تحف العقول» و هى من المصادر القديمه الموثوقه.

و الإمام (عليه السّلام) قبل بيانه للحقوق يشير إلى أنّ هناك حقوقا محيطه بالإنسان، و لا بد له من معرفتها، ثم يبيّن أكبر الحقوق و هو ما يرتبط باللّه سبحانه بالنسبه لعبده، ثم يفرّع عليها حقوق الإنسان المفروضه من اللّه تجاه نفس الإنسان، فيبيّن أنواع علاقته الإنسان بنفسه من خلال المنظار الآلهى، ثم ينتهى الى أنواع علاقته بين الإنسان و بيئته التى تشتمل على قياده و مقودين و رعاه و رعيه، مع بيانه لأنواع الأئمه و المأمورين و درجاتهم، ثم يبيّن سائر العلاقات مع الأرحام و الاسره و أعضائها، ثم من تشتمل عليه الاسره من الموالى و الجوارى، ثم سائر ذوى الحقوق كالمؤذن و الإمام فى الصلاه و الجليس و الشريك و الغريم و الخصم و المستشار و المشير و المستنصح و الناصح و السائل و المسؤول و الصغير و الكبير.. حتى ينتهى إلى من يشترك مع الإنسان فى دينه من بنى الإنسان، ثم حقوق من يشترك مع الإنسان فى إنسانيه و فى النظام السياسى الذى يخضع له و إن لم يكن من أهل ملّته و دينه.

و فيما يلي نصّ الرساله كما وردت في الخصال ١:

عرض إجمالي للحقوق:

«اعلم، أنّ لله عزّ و جلّ عليك حقوقاً محيطه بك في كلّ حركه تحرّكتها، أو سكنه سكنتها، أو حال حلتها، أو منزله نزلتها، أو جارحه قلبتها، أو آله تصرّفت فيها، فأكبر حقوق الله تبارك و تعالى عليك ما أوجب عليك لنفسه من حقّه الذي هو أصل الحقوق، ثمّ ما أوجب الله عزّ و جلّ عليك لنفسك من قرئك إلى قدمك على اختلاف جوارحك، فجعل عزّ و جلّ لسانك عليك حقّاً، و لسمعك عليك حقّاً، و لبصرك عليك حقّاً، و ليدك عليك حقّاً، و لرجلك عليك حقّاً، و لبطنك عليك حقّاً، و لفرجك عليك حقّاً، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال، ثمّ جعل عزّ و جلّ لأفعالك عليك حقوقاً، فجعل لصلاتك عليك حقّاً، و لصومك عليك حقّاً، و لصدقتك عليك حقّاً، و لهديك عليك حقّاً، و لأفعالك عليك حقّاً.

ثمّ تخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذوى الحقوق الواجبه عليك، فأوجبها عليك حقوق أئمتك، ثمّ حقوق رعيتك، ثمّ حقوق رحمك، فهذه حقوق تنشعب منها حقوق، فحقوق أئمتك ثلاثه، أو جبهها عليك حقّ سائسك بالسلطان، ثمّ حقّ سائسك بالعلم، ثمّ حقّ سائسك بالملك، و كلّ سائس إمام.

و حقوق رعيتك ثلاثه، أو جبهها عليك حقّ رعيتك بالسلطان، ثمّ حقّ رعيتك بالعلم، فإنّ الجاهل رعيه العالم، ثمّ حقّ رعيتك بالملك من الأزواج و ما ملكت الأيمان، و حقوق رعيتك كثيره متّصله بقدر اتّصال الرحم في

القرابه، و أوجبها عليك حق أميك، ثم حق أبيك، ثم حق ولدك، ثم حق أخيك، ثم الأقرب فالأقرب و الأولى فالأولى، ثم حق مولاك المنعم عليك، ثم حق مولاك الجاربه نعمته عليك (1)، ثم حق ذوى المعروف لديك، ثم حق مؤذنبك لصلاتك، ثم حق إمامك فى صلاتك، ثم حق جلسك، ثم حق جارك، ثم حق صاحبك، ثم حق شريكك، ثم حق مالك، ثم حق غريمك الذى تطالبه؟ ثم حق غريمك الذى يطالبك، ثم حق خليطك، ثم حق خصمك المدعى عليك، ثم حق خصمك الذى تدعى عليه، ثم حق مستشيرك، ثم حق المشير عليك، ثم حق مستصحك، ثم حق الناصح لك، ثم حق من هو أكبر منك، ثم حق من هو أصغر منك، ثم حق سائلك، ثم حق من سأله، ثم حق من جرى لك على يديه مساءه بقول أو فعل عن تعمد أو غير تعمد، ثم حق أهل ملتك عليك، ثم حق أهل ذمتك، ثم الحقوق الجاربه بقدر علل الأحوال و تصرف الأسباب.

فطوبى لمن أعانه الله على قضاء ما أوجب عليه من حقوقه، و وفقه لذلك و سدده.

تفصيل الحقوق:

حق الله:

فأما حق الله الأكبر عليك: فأن تعبده لا تشرك به شيئاً، فإذا فعلت بالإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا و الآخرة.

حق النفس:

و حق نفسك عليك: أن تستعملها بطاعه الله عز و جل.

ص: ١٩٦

١- (١) و الظاهر تصحيفه، و الصواب كما سيأتى فى تفصيله (عليه السلام) هذه الحقوق (حق مولاك الجاربه نعمتك عليه).

حقوق الأعضاء:

- ١- وحقّ اللسان: إكرامه عن الخنى، و تعويده على الخير، و ترك الفضول التي لا فائده لها، و البرّ بالناس، و حسن القول فيهم.
- ٢- وحقّ السمع: تنزيهه عن سماع الغيبة، و سماع ما لا يحلّ سماعه.
- ٣- وحقّ البصر: أن تغضّه عمّا لا يحلّ لك و تعتبر بالنظر به.
- ٤- وحقّ يدك: أن لا تبسطها إلى ما لا يحلّ لك.
- ٥- وحقّ رجلك: أن لا تمشى بهما إلى ما لا يحلّ إليك، فبهما تقف على الصراط، فانظر أن لا تزلّ بك فتردى في النار.
- ٦- وحقّ بطنك: أن لا تجعله و عاء للحرام، و لا تزيد على الشبع.
- ٧- وحقّ فرجك: أن تحصنه عن الزنا، و تحفظه من أن ينظر إليه.

حقوق الأفعال:

- ١- وحقّ الصلاة: أن تعلم أنّها وفاده إلى الله عزّ و جلّ و أنت فيها قائم بين يدي الله عزّ و جلّ، فإذا علمت ذلك قمت مقام العبد الذليل الحقير الراغب الراهب الراجي الخائف المستكين المتضرّع المعظم لمن كان بين يديه بالسكون و الوقار، و تقبل عليها بقلبك، و تقيمها بحدودها و حقوقها.
- ٢- وحقّ الحجّ: أن تعلم أنّه وفاده إلى ربّك، و فرار إليه من ذنوبك، و به قبول توبتك، و قضاء الفرض الذي أوجبه الله عليك.
- ٣- وحقّ الصوم: أن تعلم أنّه حجاب ضربه الله على لسانك و سمعك و بصرك و بطنك و فرجك ليسترك به من النار، فإن تركت الصوم خرقت ستر الله عليك.

٤-و حقّ الصدقه: أن تعلم أنّها ذخرك عند ربك عزّ وجلّ، و وديعتك التي لا تحتاج الإشهاد عليها، فإذا علمت ذلك كنت بما تستودعه سرّاً أوثق منك بما تستودعه علانيه، و تعلم أنّها تدفع البلايا و الأسقام عنك في الدنيا، و تدفع عنك النار في الآخرة.

٥-و حقّ الهدى: أن تريد به وجه الله عزّ وجلّ، و لا تريد به خلقه، و لا تريد به إلاّ التعرض لرحمه الله و نجاه روحك يوم تلقاه.

حقوق الأئمه:

١-و حقّ السلطان: أن تعلم أنّك جعلت له فتنه، و أنّه مبتل فيك بما جعله الله عزّ وجلّ له عليك من السلطان، و أنّ عليك أن لا تتعرض لسخطه فتلقى بيدك الى التهلكه، و تكون شريكاً له فيما يأتي إليك من سوء.

٢-و حقّ سائسك بالعلم: التعظيم له، و التوقير لمجلسه، و حسن الاستماع إليه، و الإقبال عليه، و أن لا ترفع عليه صوتك، و أن لا تجيب أحدا يسأله عن شيء حتى يكون هو الذى يجيب، و لا- تحدّث فى مجلسه أحدا، و لا تغتاب عنده أحدا، و أن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء، و أن تستر عيوبه، و تظهر مناقبه، و لا تجالس له عدوّاً، و لا تعادى له ولياً، فإذا فعلت ذلك شهد لك ملائكه الله بأنك قصدته و تعلّمت علمه لله جلّ اسمه لا للناس.

٣-و أمّا حقّ سائسك بالملك: فأن تطيعه و لا تعصيه إلاّ فيما يسخط الله عزّ وجلّ، فإنّه لا طاعه لمخلوق فى معصيه الخالق.

حقوق الرعيه:

١-و أمّا حقّ رعيّتك بالسلطان: فأن تعلم أنّهم صاروا رعيّتك لضعفهم

و قوّتك، فيجب أن تعدل فيهم و تكون لهم كالوالد الرحيم، و تغفر لهم جهلهم، و لا تعاجلهم بالعقوبه، و تشكر الله عزّ و جلّ على ما آتاك من القوّه عليهم.

٢- و أمّا حقّ رعيّتك بالعلم: فإنّ تعلم أنّ الله عزّ و جلّ إنّما جعلك قيما لهم فيما آتاك من العلم، و فتح لك من خزائنه، فإنّ أحسنت في تعليم الناس و لم تخرق بهم و لم تفجر عليهم زادك الله من فضله، و إنّ أنت منعت الناس علمك أو خرقت بهم عند طلبهم العلم منك كان حقّا على الله عزّ و جلّ أن يسلبك العلم و بهاءه، و يسقط من القلوب محلّك.

٣- و أمّا حقّ الزوجه: فإنّ تعلم أنّ الله عزّ و جلّ جعلها لك سكنا و انسا، فتعلم أنّ ذلك نعمه من الله عليك، فتكرّمها و ترفق بها، و إنّ كان حقّك عليها أو جب فإنّ لها عليك أن ترحمها، لأنّها أسيرك و تطعمها و تكسوها، فإذا جهلت عفوت عنها.

٤- و أمّا حقّ مملوكك: فإنّ تعلم أنّه خلق ربّك و ابن أبيك و أمّك و لحمك و دمك، لم تملكه لأنّك صنعته دون الله، و لا خلقت شيئا من جوارحه و لا- أخرجت له رزقا، و لكنّ الله عزّ و جلّ كفّاك ذلك، ثمّ سخّره لك و ائتمنك عليه و استودعك إياه، ليحفظ لك ما تأتيه من خير إليه فأحسن إليه كما أحسن الله إليك، و إنّ كرهته استبدلت به، و لم تعذب خلق الله عزّ و جلّ، و لا قوّه إلاّ بالله.

حقوق الرحم:

١- و حقّ أمّك: أن تعلم أنّها حملتك حيث لا يحتمل أحد أحدا، و أعطتك من ثمره قلبها ما لا يعطى أحد أحدا، و وقتك بجميع جوارحها، و لم تبال أن تجوع و تطعمك، و تعطش و تسقيك، و تعرى و تكسوك، و تضحي و تظلمك، و تهجر النوم لأجلك، و وقتك الحرّ و البرد لتكون لها، فإنّك لا تطيق شكرها

إلّا بعون الله تعالى و توفيقه.

٢-و أمّا حقّ أبيك:فأن تعلم أنّه أصلك،و أنّه لولا له لم تكن،فمهما رأيت في نفسك ممّا يعجبك فاعلم أنّ أباك أصل النعمه عليك فيه،فاحمد الله و اشكره على قدر ذلك،و لا قوّه إلّا بالله.

٣-و أمّا حقّ ولدك:فأن تعلم أنّه منك و مضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره و شرّه،و أنّك مسؤول عمّا وليته من حسن الأدب،و الدلاله على ربّه عزّ و جلّ، و المعونه له على طاعته،فاعمل في أمره عمل من يعلم أنّه مثاب على الإحسان إليه،معاقب على الإساءه إليه.

٤-و أمّا حقّ أخيك:فأن تعلم أنّه يدك و عزّك و قوّتك،فلا تتخذة سلاحا على معصيه الله،و لا عدّه للظالم لخلق الله،و لا تدع نصرته على عدوّه و النصيحه له،فإن أطاع الله و إلّا فليكن الله أكرم عليك منه،و لا قوّه إلّا بالله.

٥-و أمّا حقّ مولاك المنعم عليك:فأن تعلم أنّه أنفق فيك ماله،و أخرجك من ذلّ الرقّ و وحشته إلى عزّ الحريه و انسها،فأطلقك من أسر الملكه،و فكّ عنك قيد العبوديه، و أخرجك من السجن،و ملكك نفسك،و فرغك لعباده ربّك،و تعلم أنّه أولى الخلق بك في حياتك و موتك،و أنّ نصرته عليك واجبه بنفسك و ما احتاج إليه منك،و لا قوّه إلّا بالله.

٦-و أمّا حقّ مولاك الذى أنعمت عليه:فأن تعلم أنّ الله عزّ و جلّ جعل عتقك له و سيله إليه،و حجابا لك من النار،و أنّ ثوابك في العاجل ميراثه إذا لم يكن له رحم مكافأه بما أنفقت من مالك و في الآجل الجنّه.

حقوق عامه الناس و الأشياء:

١-و أمّا حقّ ذى المعروف عليك:فأن تشكره و تذكر معروفه و تكسبه

ص:٢٠٠

المقاله الحسنه و تخلص له الدعاء فيما بينك و بين الله عز و جل، فإذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سرًا و علانيه، ثم إن قدرت على مكافأته يوما كافيته.

٢-و أمّا حقّ المؤدّن: أن تعلم أنه مذكر لك ربك عزّ و جلّ، وداع لك إلى حظّك، و عونك على قضاء فرض الله عليك، فاشكره على ذلك شكر ك للمحسن إليك.

٣-و أمّا حقّ إمامك في صلاتك: فإن تعلم أنه قد تقلّد السفاره فيما بينك و بين ربك عزّ و جلّ، و تكلم عنك و لم تتكلم عنه، و دعا لك و لم تدع له، و كفاك هول المقام بين يدي الله عزّ و جلّ، فإن كان به نقص كان به دونك، و إن كان تماما كنت شريكه، و لم يكن له عليك فضل فوقى نفسك بنفسه و صلاتك بصلاته فتشكر له على قدر ذلك.

٤-و أمّا حقّ جلسك: فإن تلين له جانبك، و تنصفه في مجازاه اللفظ، و لا تقوم من مجلسك إلا بإذنه، و من يجلس إليك يجوز له القيام عنك بغير إذنك، و تنسى زلّاته، و تحفظ خيراته، و لا تسمعه إلا خيرا.

٥-و أمّا حقّ جارك: فحفظه غائبا، و إكرامه شاهدا، و نصرته إذا كان مظلوما، و لا تتبّع له عوره، فإن علمت عليه سوءا سترته عليه، و إن علمت أنه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك و بينه، و لا تسلّمه عن شديده، و تقبل عشرته، و تغفر ذنبه، و تعاشره معاشره كريمه، و لا قوه إلا بالله.

٦-و أمّا حقّ الصاحب: فإن تصحبه بالتفضّل و الإنصاف، و تكرمه كما يكرمك، و كن عليه رحمه، و لا تكن عليه عذابا، و لا قوه إلا بالله.

٧-و أمّا حقّ الشريك: فإن غاب كفيته، و إن حضر رعيته، و لا تحكم دون حكمه، و لا تعمل رأيك دون مناظرته، و تحفظ عليه ماله، و لا تخونه فيما عزّ أو هان من أمره، فإن يد الله تبارك و تعالى على الشريكين ما لم يتخاونا، و لا

٨-وَأَمَّا حَقُّ مَالِكَ:فَأَنْ لَا تَأْخُذَهُ إِلَّا مِنْ حَلِّهِ،وَلَا تَنْفِقَهُ إِلَّا فِي وَجْهِهِ،وَلَا تُؤَثِّرَ عَلَى نَفْسِكَ مِنْ لَا يَحْمَدُكَ،فَاعْمَلْ فِيهِ بَطَاعَةَ رَبِّكَ،وَلَا تَبْخُلْ بِهِ فِتْبَاءً بِالْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ مَعَ السَّعَةِ،وَلَا قَوْهَ إِلَّا بِاللَّهِ.

٩-وَأَمَّا حَقُّ غَرِيمِكَ الَّذِي يَطَالِبُكَ:فَإِنْ كُنْتَ مُوسِرًا أَعْطَيْتَهُ،وَأِنْ كُنْتَ مَعْسِرًا لِرِضِيَّتِهِ بِحَسَنِ الْقَوْلِ،وَرَدَدْتَهُ عَنِ نَفْسِكَ رَدًّا لَطِيفًا.

١٠-وَحَقُّ الْخَلِيطِ:أَنْ لَا تَغْرَهُ،وَلَا تَغْشَهُ وَلَا تَخْذَعَهُ،وَتَتَّقَى اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَمْرِهِ.

١١-وَحَقُّ الْخَصْمِ الْمَدْعَى عَلَيْكَ:فَإِنْ كَانَ مَا يَدْعَى عَلَيْكَ حَقًّا كُنْتَ شَاهِدَهُ عَلَى نَفْسِكَ وَلَمْ تَظْلَمْهُ،وَأَوْفَيْتَهُ حَقَّهُ،وَأِنْ كَانَ مَا يَدْعَى بِاطِّلا رَفَقْتَ بِهِ،وَلَمْ تَأْتِ فِي أَمْرِهِ غَيْرَ الرَّفْقِ،وَلَمْ تَسْخَطْ رَبِّكَ فِي أَمْرِهِ،وَلَا قَوْهَ إِلَّا بِاللَّهِ.

١٢-وَحَقُّ خَصْمِكَ الَّذِي تَدْعَى عَلَيْهِ:إِنْ كُنْتَ مُحَقَّقًا فِي دَعْوَتِكَ أَجْمَلْتَ مَقَاوِلَتَهُ وَلَمْ تَجْجِدْ حَقَّهُ،وَأِنْ كُنْتَ مَبْطَلًا فِي دَعْوَتِكَ اتَّقَيْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَتَبَّتَ إِلَيْهِ وَتَرَكْتَ الدَّعْوَى.

١٣-وَحَقُّ الْمُسْتَشِيرِ:إِنْ عَلِمْتَ أَنَّ لَهُ رَأْيًا أَشْرْتَ عَلَيْهِ،وَأِنْ لَمْ تَعْلَمْ أُرْشِدْتَهُ إِلَى مَنْ يَعْلَمُ.

١٤-وَحَقُّ الْمَشِيرِ عَلَيْكَ:أَنْ لَا تَتَّهَمَهُ فِيمَا لَا يُوَافِقُكَ مِنْ رَأْيِهِ،فَإِنْ وَافَقَكَ حَمَدْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ.

١٥-وَحَقُّ الْمُسْتَنْصَحِ:أَنْ تُوَدِّيَ إِلَيْهِ النَّصِيحَةَ وَلِيَكُنْ مَذْهَبُكَ الرَّحْمَةَ لَهُ وَالرَّفْقَ بِهِ.

١٦-وَحَقُّ النَّاصِحِ:أَنْ تَلِينَ لَهُ جَنَاحَكَ،وَتَصْغَى إِلَيْهِ بِسَمْعِكَ،فَإِنْ أَتَى الصَّوَابَ حَمَدْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ،وَأِنْ لَمْ يُوَافِقْ رَحْمَتَهُ وَلَمْ تَتَّهَمْهُ،وَعَلِمْتَ أَنَّهُ

أخطأ، و لم تؤاخذه بذلك إلا أن يكون مستحقاً للتهمة فلا تعبا بشيء من أمره على حال، و لا قوه إلا بالله.

١٧- و حقّ الكبير: توقيره لسنّه، و إجلاله لتقدّمه فى الإسلام قبلك، و ترك مقابله عند الخصام، و لا تسبقه إلى طريق و لا تتقدّمه، و لا تستجهله، و إن جهل عليك احتملته و أكرمته لحقّ الإسلام و حرمة.

١٨- و حقّ الصغير: رحمته فى تعليمه و العفو عنه و الستر عليه و الرفق به و المعونه له.

١٩- و حقّ السائل: إعطاؤه على قدر حاجته.

٢٠- و حقّ المسؤول: إن أعطى فاقبل منه بالشكر و المعرفة بفضلّه، و إن منع فاقبل عذره.

٢١- و حقّ من سرك لله تعالى ذكره: أن تحمد الله عزّ و جلّ أوّلا ثمّ تشكره.

٢٢- و حقّ من أساءك: أن تعفو عنه، و إن علمت أنّ العفو عنه يضّرّ انتصرت، قال الله تبارك و تعالى: (و لَمَنْ ائْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (١)).

٢٣- و حقّ أهل ملّتك: إضمار السلامه و الرحمه لهم، و الرفق بمسيئهم، و تألّفهم و استصلاحهم، و شكر محسنهم، و كفّ الأذى عنهم، و تحبّ لهم ما تحبّ لنفسك، و تكره لهم ما تكره لنفسك، و أن يكون شيوخهم بمنزله أبيك، و شبّانهم بمنزله إخوتك، و عجائزهم بمنزله أمك، و الصغار بمنزله أولادك.

٢٤- و حقّ أهل الذمّه: أن تقبل منهم ما قبل الله عزّ و جلّ، و لا تظلمهم ما وفوا لله عزّ و جلّ بعهد.

ص: ٢٠٣

و قد تصدّى جملة من العلماء (1) والقانونيين لشرح هذه الرسالة الفريده و بشتى اللغات و على مختلف المستويات، و إن شئت التفصيل و الاستضاءه بأنوارها- أكثر مما مرّ فراجعها.

ص: ٢٠٤

١- (١) منهم العلامة السيد حسن القبانچى فقد شرحها فى جزئين كبيرين باسم: شرح رساله الحقوق.

إشاره

في رحاب الصحيفة السجادية

لقد خَطَّ القرآن الكريم لثوره ثقافيه عظيمه، و كانت آياته الاولى تبشّر بحركه كبرى في عالم العلم و المعرفه، حيث ابتدأ الوحي الربّاني بالأمر بالقراءه أمرا مؤكّداً و الإشاره بنعمه التعليم الإلهي و الاهتمام بظاهرتي القلم و الكتابه في التعليم و تدوين المعرفه و نقلها و تطويرها و تطوير الإنسان من خلال تكامل المعرفه و تطوّر العلوم.

و الرسول الأمين و إن عرف عنه بأنّه لم يتعلّم القراءه و الكتابه المتعارفه و لكنّه قد حثّ على طلب العلم و نشره و تدوينه بإلهام إلهي، و بالرغم من أنّ الجهاز الحاكم الذي خلف الرسول (صلى الله عليه و اله) أصدر قرارا بمنع تدوين حديث الرسول (صلى الله عليه و اله) و بذلك وجه ضربه كبيره للثقافه الإسلاميه المتمثله في أحاديث الرسول الأعظم، لكنّها قد تدوركت بعد أن خلّفت مضاعفات كبيره لا زال العالم الإسلامى و الإنسانى يدفع ضربيتها حتى يومنا هذا بعد أن لمسوا تلك المضاعفات الكبرى التي ترتبت على مثل هذا القرار.

و أمّا الأئمّه من أهل البيت (عليهم السّلام) حيث كانوا قد أدركوا في وقت مبكّر مضاعفات منع التدوين و النكسه التي سوف يصاب بها العالم الإسلامى بل الإنسانى، فبادروا إلى التدوين و شجّعوا أصحابهم على عمليه التدوين

بالرغم من أنه كان ذلك يشكّل تحدّيًا للسلطات آنذاك، لأنّ حفظ الشريعة و الدفاع عنها يعدّ من أعظم الأهداف التي جعل الأئمّه المعصومون حراسًا لها أمناء عليها.

فالأئمّه الأطهار (عليهم السّلام) هم الرّواد الأوائل الذين خطّطوا لمسيره الأئمّه الثقافيه، وفجّروا لها ينابيع العلم و الحكمه على هدى الكتاب الحكيم و تعاليم الرسول العظيم، و لم يقتصر النشاط الثقافى للأئمّه (عليهم السّلام) على جانب خاص، و إنّما تناول أنواع العلوم و شتى مجالات معرفه.

فالإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب (عليه السّلام) هو رائد هذه النهضه العلميه و الفاتح لأبواب العلوم العقليه و النقليه و المؤسس لاصولها و قواعدها، و قد اعترف بهذه الحقيقه جملة من العلماء الكبار و ألف السّيد حسن الصدر كتابه «تأسيس الشيعه لعلوم الإسلام» فأثبت فيه تاريخيا صحه هذه الدعوى.

و ممّن اعترف بذلك الاستاذ عباس محمود العقّاد فى كتابه «عبقريه الإمام عليّ» قائلا: إنّ الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) قد فتق أبواب اثنين و ثلاثين علما، فوضع قواعدها و اسس اصولها.

و قال العلامه ابن شهر آشوب فى كتابه «معالم العلماء»: الصحيح أنّ أول من صنّف الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) ثمّ سلمان ثمّ أبو ذر ثمّ الأصبغ بن نباته ثمّ عبيد الله بن أبى رافع، ثمّ صنّفت الصحيفه الكامله.

فالصحيفه السجّاديه من ذخائر التراث الإسلامى و من مناجم كتب البلاغه و الترييه و الأخلاق و الأدب فى الإسلام، و من هنا سمّيت ب«إنجيل أهل البيت» و «زبور آل محمد» (١).

ص: ٢٠٦

١-إنّها تمثّل التجردّ التام من عالم المادّة و الانقطاع الكامل إلى الله تعالى و الاعتصام به،و الذى هو أئمن ما فى الحياه.

٢-إنّها تكشف عن كمال معرفه الإمام(عليه السلام)بالله تعالى و عميق إيمانه به.

٣-امتازت الصحيفة السجادية على سائر أدعيه المعصومين(عليهم السّلام) بتكرار الصلاه على محمّد و آل محمد لأنّه من الأرجح أن هذه الأدعيه انشئت فى أعقاب واقعه كربلاء التى كان منشؤها يزيد الذى كان هو و أبوه و جدّه و من ورائهم بنو اميه يسعون فى إطفاء النور المحمّدى(صلّى الله عليه و اله).

و الأرجح ان الإمام كان يريد من خلال هذه الأدعيه تكريس مبادئ الإسلام و ترسيخها فى النفوس فى مواجهه المساعى الامويه الهدامة.

٤-فتحت الصحيفة للإنسان المسلم أبواب الأمل و الرجاء برحمه الله الواسعه.

٥-كما فتحت للمناظرات البديعه مع الله تعالى بابا مهمّا يتضمّن أنواع الحجج البالغه لاستجلاب عفو الله و غفرانه،مثل قوله(عليه السلام):«إلهى إن كنت لا تغفر إلّا لأوليائك و أهل طاعتك فإلى من يفرع المذنبون؟!و إن كنت لا تكرم إلّا أهل الوفاء لك فبمن يستغيث المسيئون?!».

و هكذا قوله:«إلهى إنى امرؤ حقير و خطرى يسير و ليس عذابى ممّا يزيد فى ملكك مثقال ذرّه...».

٦-تضمّنت الصحيفة برامج أخلاقيه روحيه و سلوكيه مهمّه لتربيه الإنسان،و رسمت له اصول الفضائل النفسيه و الكمالات المعنويّه.

٧- احتوت على حقائق علميه لم تكن معروفه فى عصره. و قد أشرنا إلى بعض منها (١).

٨- كما تصدّت الصحيفه لمواجهه الفساد الفردى و الإجتماعى و السياسى فى عصر أشاعت فيه السياسه الامويه الفساد الأخلاقى و الخلاعه و المجون بين المسلمين، فكانت الصحيفه خير وسيله للإصلاح فى أحلك الظروف التى أتبع فيها الامويون سياسه القمع و الإرهاب.

٩- و الصحيفه بعد هذا هى منجم من مناجم البلاغه و الفصاحه و ينبوع ثرّ للأدب الإسلامى الهادف، فهى لا تفترق عن «نهج البلاغه» فى هذا المضمار.

١٠- و قد ضمّن الإمام زين العابدين (عليه السلام) أدعيته- التى تمثّلت فى الصحيفه الكامله و سائر الأدعيه التى وصلت عنه و جمعت مؤخرًا فى ما سُمى ب«الصحيفه الجامعه»- منهاجا كاملا للحياه الإنسانيه الفريده، و لم يترك الإمام جانبا ممّا تحتاجه الأئمه الإسلاميه إلّا و تعرّض له و عالجه بأسلوبه الفدّ و بلاغته البديعه.

الدور التاريخى للصحيفه السجّاديه:

قلنا: إنّ المسلمين فى عصر الإمام زين العابدين (عليه السلام) واجهوا «خطرين كبيرين خارج النطاق السياسى و العسكرى، و كان لابدّ من البدء بعمل حاسم للوقوف فى وجههما:

أحدهما: الخطر الذى نجم عن انفتاح المسلمين على ثقافات متنوّعه

ص: ٢٠٨

١- (١) راجع فصل: من علوم الإمام (عليه السلام)، حقائق علميه فى الأدعيه السجّاديه.

و أعراف تشريعيه و أوضاع اجتماعيه مختلفه بحكم تفاعلهم مع الشعوب التي دخلت في دين الله أفواجا،و كان لا بدّ من عمل على الصعيد العلمى يؤكّد في المسلمين أصالتهم الفكرية و شخصيتهم التشريعيه المتميزه المستمدّه من الكتاب و السنّه،و كان لا بدّ من حركة فكريه اجتهاديه تفتح آفاقهم الذهنيه ضمن ذلك الإطار لكي يستطيعوا أن يحملوا مشعل الكتاب و السنّه بروح المجتهد البصير و الممارس الذكيّ الذى يستطيع أن يستنبط منها ما يفيدّه في كلّ ما يستجدّ له من حالات.

كان لا بدّ إذن من تأصيل للشخصيه الإسلاميه و من زرع بذور الاجتهاد،و هذا ما قام به الإمام عليّ بن الحسين (عليه السّلام)فقد بدأ حلقه من البحث و الدرس في مسجد الرسول(صلى الله عليه و اله)...

و أمّا الخطر الآخر:فقد نجم عن موجّه الرخاء التي سادت المجتمع الإسلامى في أعقاب ذلك الامتداد الهائل،لأنّ موجات الرخاء تعرّض أىّ مجتمع إلى خطر الانسياق مع ملذّات الدنيا و الإسراف في زينه هذه الحياه المحدوده و انطفاء الشعور الملتهب بالقيم الخلقية و الصله الروحيه بالله و اليوم الآخر،و بما تضعه هذه الصله أمام الإنسان من أهداف كبيره،و هذا ما وقع فعلا،و تكفى نظره واحده في كتاب الأغاني لأبى الفرج الأصبهاني ليّتضح الحال.

و قد أحسّ الإمام عليّ بن الحسين بهذا الخطر،و بدأ بعلاجه،و اتّخذ من الدعاء أساسا لهذا العلاج،و كانت الصحيفه السجديه من نتائج ذلك،فقد استطاع هذا الإمام العظيم بما اوتى من بلاغه فريده و قدره فائقه على أساليب التعبير العربى و ذهنيه ربّانيه تتفتّق عن أروع المعانى و أدقّها في تصوير صله الإنسان برّبّه و وجده بخالقه و تعلقه بمبدئه و معاده و تجسيد ما يعبر عنه ذلك

من قيم خلقه و حقوق و واجبات.

أقول: قد استطاع الإمام عليّ بن الحسين بما أوتي من هذه المواهب أن ينشر من خلال الدعاء جواراً روحياً في المجتمع الإسلامي يساهم في تثبيت الإنسان المسلم عند ما تعصف به المغريات، وشدّه إلى ربّه حينما تجرّه الأرض إليها و تأكيد ما نشأ عليه من قيم روحية، لكي يظلّ أميناً عليها في عصر الغنى و الثروة كما كان أميناً عليها و هو يشدّ حجر المجاعة على بطنه.

و هكذا نعرف أنّ الصحيفة السجّادية تعتبر عن عمل إجتماعي عظيم كانت ضروره المرحله تفرضه على الإمام، إضافة إلى كونها تراثاً ربّانياً فريداً يظلّ على مرّ الدهور مصدر عطاء و مشعل هداية و مدرسة أخلاق و تهذيب و تظلّ الإنسانية بحاجة إلى هذا التراث المحمّدي العلوي، و تزداد حاجه كلّما ازداد الشيطان إغراء و الدنيا فتنه» (١).

سند الصحيفة السجّادية:

ينتهي سند الصحيفة إلى الإمام أبي جعفر محمد الباقر (عليه السّلام) و إلى أخيه الشهيد زيد بن عليّ بن الحسين (عليهما السّلام)، و قد ذكرت سلسلة السند في مقدمه الصحيفة، و حظى هذا السند بالتواتر، و ما زال العلماء يتلقّونها موصوله الإسناد بالإسناد.

قال السيّد محسن الأمين العاملي: «و بلاغه ألفاظها- أي الصحيفة- و فصاحتها التي لا تبارى و علوّ مضامينها و ما فيها من أنواع التذللّ لله تعالى و الثناء عليه و الأساليب العجيبه في طلب عفوه و كرمه و التوسّل اليه أقوى شاهد على صحّحه نسبتها، و إنّ هذا الدرّ من ذلك البحر، و هذا الجوهر من ذلك

ص: ٢١٠

١- ((١)) نقلاً عن مقدمه السيّد الشهيد محمد باقر الصدر على الصحيفة السجّادية الكامله.

المعدن، وهذا الثمر من ذلك الشجر، مضافاً إلى اشتهاها شهره لا تقبل الريب، وتعدّد أسانيدھا المتّصله إلى منشئها صلوات اللّٰه عليه و على آباءه و أبناؤه الطاهرين، فقد رواها الثقات بأسانيدهم المتعدّده المتّصله إلى زين العابدين (عليه السّلام) وقد كانت منها نسخه عند زيد الشهيد ثم انتقلت إلى أولاده، و إلى أولاد عبد اللّٰه بن الحسن المثنى، كما هو مذكور في أوّلها، مضافاً إلى ما كان عند الباقر (عليه السّلام) من نسختها، و قد اعتنى بها عامّة الناس فضلاً عن العلماء اعتناء بروايتها و ضبط ألفاظها و نسخها، و اطلبوا على الدعاء بأدعيتها في الليل و النهار و العشى و الإيكار» (١).

شرح الصحيفة السجّاديه:

عكف العلماء على دراسه الصحيفة السجّاديه و شرحها و إيضاح مقاصدها، و قد ألفت في ذلك مجموعه من الكتب القيمه ذكرها شيخ المحقّقين الشيخ آغا بزرك الطهراني في موسوعته المعروفه ب«الذريعه إلى تصانيف الشيعة»، و قد أحصى ستّ و ستين شرحاً لها.

وصف الصحيفة ب«الكامله»:

١- ذكروا أنّ سبب تسميه هذه الصحيفة ب«الكامله» هو أنّ لدى الزيديه نسخه ناقصه من هذه الصحيفة تصل إلى نصفها، و لذلك عرفت هذه الصحيفة بالكامله (٢).

٢- ذهب البعض الى أنّ السبب في إطلاق هذه الصفه على الصحيفة

ص: ٢١١

١- (١) حياه الإمام زين العابدين: ٣٧٥، و راجع شجره طرق أسانيد الصحيفة السجّاديه المطبوعه في مؤسسه الإمام المهدي (عليه السّلام) بإشراف السيد الأبطحي.

٢- (٢) حياه الإمام زين العابدين (عليه السّلام): ١٩٠.

هو كونها تمثل مجموعه كامله تنتظم حاجات العبد من الله تعالى في أغلب الموارد و حول أغلب المتطلبات (١).

الصحيفه السجّاديه الجامعه:

قال جامعها: ويستفاد من ديباجه نسخ الصحيفه السجّاديه المتداوله أنّ عدد أدعيّتها «٧٥» دعاء إلاّ- أنّ عدد الأدعيه الموجوده فيها الآن بروايه محمد ابن أحمد المطهري هي «٥٤» دعاء.

وقد ألفت صحائف اخرى جمعت أدعيّته (عليه السلام) و ذكر في بعضها تلك الأدعيه الساقطه.

ثمّ ذكر خمس صحائف اخرى، و من هنا بادرت مؤسسه الإمام المهدي (عليه السلام) إلى جمع أدعيّته و تنظيمها بالشكل الذي حافظ على سلامه ترتيب الأدعيه الموجوده في الصحيفه الكامله المتداوله.

قال: و لَمّا كانت الصحيفه الكامله تعدّ من المتواترات لاختصاصها بالإجازه و الروايه في كلّ طبقه و عصر لذلك جمعت بعض أسانيدھا و إجازاتها المتكثّره، و رتبت شجره للأسانيد على غرار شجره الأنساب مع ترجمه أكثر رواه السند المتداول للصحيفه الكامله، و عمل لها مجموعه من الفهارس الفتيّه اللازمه فازدانت بها جمالا و كمالا.

و للتحقق ممّا قلناه من أنّها «مجموعه كامله تنتظم حاجات العبد من الله تعالى» يجدر بنا أن نلقى نظره سريعه إلى الخطوط العريضه على الفهرس الموضوعى لهذه الصحيفه الجامعه (٢).

ص: ٢١٢

١- (١) حياه الإمام زين العابدين (عليه السلام) السيد جعفر شهيدى: ١٩١.

٢- (٢) راجع مقدمه الصحيفه السجّاديه الجامعه.

- ١- أدعيته (عليه السلام) في التحميد و التوحيد و التمجيد، و فيها (٨) أدعيه.
- ٢- أدعيته في الصلوات، و هي (١٤) دعاء.
- ٣- دعاؤه لنفسه و خاصّته.
- ٤- أدعيته في الصباح و المساء، و فيها (٨) أدعيه.
- ٥- أدعيته في المهمّات و الكربات و الاستعاذه، و فيها (٦) أدعيه.
- ٦- أدعيته في الاعتراف و الاستغفار، و فيها (٩) أدعيه.
- ٧- أدعيته في طلب الحوائج و قضائها، و فيها (٥) أدعيه.
- ٨- أدعيته إذا اعتدى عليه، و فيها دعاءان.
- ٩- أدعيته في الأمراض و البلياء، و فيها (٣) أدعيه.
- ١٠- دعاؤه في الاستقاله.
- ١١- دعاؤه في الاستعاذه من الشيطان.
- ١٢- أدعيته في الحذر، و فيها دعاءان.
- ١٣- أدعيته في الاستسقاء، و فيها دعاءان.
- ١٤- أدعيته في مكارم الأخلاق، و فيها دعاءان.
- ١٥- أدعيته في الحزن و الشده، و فيها (٤) أدعيه.
- ١٦- أدعيته في العافيه، و فيها دعاءان.
- ١٧- أدعيته فيمن دعا لهم، و هم: الأبوان و الولد و الجيران و الأولياء و أهل الثغور و جمله من الأشخاص.
- ١٨- أدعيته فيمن دعا عليهم.
- ١٩- أدعيته في الفزع إلى الله، و فيها دعاءان.

- ٢٠- أدعيته فى الرزق و قضاء الدين، و فيها (٤) أدعيه.
- ٢١- أدعيته فى التوبه، و فيها دعاءان.
- ٢٢- أدعيته فى التهجد، و فيها (١٥) دعاء.
- ٢٣- أدعيته فى الإستخاره، و فيها (٣) أدعيه.
- ٢٤- دعاؤه فى الإبتلاء.
- ٢٥- دعاؤه فى الرضا.
- ٢٦- دعاؤه عند النظر إلى آيات الله.
- ٢٧- دعاؤه عند رؤيه الهلال.
- ٢٨- أدعيته فى الشكر، و فيها دعاءان.
- ٢٩- أدعيته فى الاعتذار من التبعات، و فيها دعاءان.
- ٣٠- أدعيته فى طلب الرحمه و ذكر الموت، و فيها (٧) أدعيه.
- ٣١- دعاؤه فى طلب الستر و الوقايه.
- ٣٢- دعاؤه عند ختم القرآن.
- ٣٣- أدعيته فى الأشهر الثلاثه، و فيها (٣٤) دعاء.
- ٣٤- أدعيته فى الأيام المباركه، و فيها (٨) أدعيه.
- ٣٥- دعاؤه فى الملتزم.
- ٣٦- أدعيته لدفع الأعداء، و فيها (١٠) أدعيه.
- ٣٧- أدعيته فى الاحتجاب و الرهبه، و فيها دعاءان.
- ٣٨- أدعيته فى التضرع و التذلل، و فيها (٨) أدعيه.
- ٣٩- أدعيته لكشف الهموم و دفع المصائب و الاحتراز، و فيها (١١) دعاء.
- ٤٠- أدعيته فى المناجاه، و فيها (٣٩) دعاء.
- ٤١- أدعيته فى الاستجابه و القنوت، و فيها (٣) أدعيه.

٤٢- أدعيته فى السجود، و فيها (١٠) أدعيه.

٤٣- أدعيته فى الأيام، و فيها (٣٦) دعاء.

٤٤- أدعيته فى الزيارات، و فيها دعاءان.

٤٥- أدعيته فى مطالب الدنيا و الآخرة، و فيها (٣) أدعيه.

٤٦- أدعيته عند الطعام، و فيها (٣) أدعيه.

٤٧- أدعيته فى صدر الموعظه و آخرها، و فيها دعاءان.

٤٨- أدعيته إذا خرج من منزله أو آوى إلى فراشه أو طلى بالنوره.

٤٩- دعاؤه عند محاكمته محمد بن الحنفية إلى الحجر الأسود.

٥٠- دعاؤه الذى فيه الاسم الأعظم.

مدرسة الإمام زين العابدين (عليه السلام)

إنّ حالة الجمود الفكرى و الركود العلمى التى أصابت الامّة الإسلاميه بسبب سيطره بنى أميه على الحكم كانت تستدعى حركة فكرية اجتهاديه تفتح الآفاق الذهنيه للمسلمين كى يستطيعوا أن يحملوا مشعل الكتاب و السنّه بروح المجتهد البصير، و هذا ما قام به الإمام زين العابدين (عليه السلام) فانبرى إلى تأسيس مدرسه علميه و إيجاد حركة فكرية بما بدأه من حلقات البحث و الدرس فى مسجد الرسول (صلّى الله عليه و اله) و بما كان يثريه فى خطبه فى صلوات الجمع اسبوعياً.

أخذ الإمام (عليه السلام) يحدّث بصنوف المعرفه الإسلاميه من تفسير و حديث و فقه و عقائد و أخلاق، و يفيض عليهم من علوم آباءه الطاهرين و يمرّن النابهين منهم على التفقّه و الاستنباط.

و قد تخرّج من هذه الحلقة عدد مهمّ من فقهاء المسلمين، و كانت هذه الحلقة هى المنطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس فقيهيه و شخصيات علميه (1).

و نلمس من خلال ما ورد عن الإمام (عليه السلام) من أحاديث ترتبط بالعلم و العلماء أنّه قد خطّط لهذه الحركة العلميه تخطيطاً بارعاً، فهو بالإضافة إلى

ص: ٢١٧

١- (١) راجع مقدمه السيد الشهيد محمد باقر الصدر للصحيحه السجّاديه.

تفرّغه للتعليم-بالرغم من جميع الهموم و الآلام التي تركتها له واقعه الطفّ الأليمه و ما تلاها من حوادث مؤلمه فى العالم الإسلامى-نجده يشيد بفضل العلم و يحثّ المستعدّين للتعلّم حتّى أكيدا قولاً و عملاً، و تكريماً من جهه، كما نجده يرسم للمتعلّمين آداب التعلّم، و يبيّن حقوق المعلمّ و المتعلّم، و يرغّبهما فى تحمّل هذا العبء ببيان ثواب التعلّم و التعليم، بحيث استطاع أن يجمع عددا كبيرا من طلاب المعرفة الذين عرفوا بالقراء باعتبار أنّ قراءه القرآن و حفظه و تعليم تفسيره كانت هى المحور فى التعلّم و التعليم حينذاك، و لم يكن للحديث أو السيره أو الفقه تدوين و تأليف باعتبار الحظر الذى أوجده السلطه بعد غياب الرسول(صلى الله عليه و اله)، فلم يكن الخط العام فى صالح هذه الحركه الفكرية.

و مع كلّ هذا نلاحظ احتفاء القراء و الفقهاء و العلماء بالإمام بنحو لا نجد له نظيرا فى غيره من العصور، فإنّ القراء كانوا لا يفارقونه فى حضر أو سفر حتى قال سعيد بن المسيّب: إنّ القراء كانوا لا يخرجون إلى مكّه حتّى يخرج علىّ بن الحسين، فخرج و خرجنا معه ألف راكب (١).

قال(عليه السلام)مشيدا بفضل العلم و ثوابه و أهميته:

«لو يعلم الناس ما فى طلب العلم لطلبوه و لو بسفك المهج و خوض اللجج، إنّ الله تبارك و تعالى أوحى إلى دانيال: إنّ أمقت عبيدى إلى الجاهل المستخفّ بحقّ أهل العلم، التارك للاقتداء بهم، و إنّ أحبّ عبيدى إلى التقى الطالب للثواب الجزيل اللازم للعلماء التابع للعلماء القابل عن الحكماء» (٢).

«طالب العلم إذا خرج من منزله لم يضع رجلا على رطب و لا يابس

ص: ٢١٨

١- ((١)) من مقدمه السيد الشهيد محمد باقر الصدر للصحيحه السجّاديه.

٢- ((٢)) اصول الكافى: ٣٥/١.

من الأرض إلا سبحت له الأرضون السبع» (١).

و كان (عليه السلام) يكرم طلاب العلوم و يرفع منزلتهم و يرحب بهم قائلا:

«مرحبا بوصيّه رسول الله (صلّى الله عليه و اله)». و كان إذا نظر إلى الشباب و هم يطلبون العلم أدناهم إليه و قال: «مرحبا بكم أنتم ودايع العلم، و يوشك إذ أنتم صغار قوم أن تكونوا كبار آخرين» (٢).

و قد لاحظنا ما جاء في رساله الحقوق من الإشاده بفضل العالم و حقوقه على المتعلّمين من التعظيم له و التوقير لمجلسه و حسن الإستماع إليه و الإقبال عليه و عدم رفع الصوت عليه و الدفاع عنه و ستر عيوبه و إظهار مناقبه و عدم مجالسه أعدائه و عدم معاداه أوليائه.

كما نلاحظ تأكيده على عدم كتمان العلم و عدم التجبر بالنسبه للمتعلّمين و حسن الإتقان في فنّ التعليم و عدم ابتغاء الأجر المادّي على التعاليم.

كلّ هذا يشير إلى تخطيط واضح في سلوك الإمام (عليه السلام) لايجاد حركه ثقافيه واسعه و تأسيس تيار ثقافى يتسنّى له أن يقف أمام التيارات المنحرفه و التخطيط الاموى الذى لم يرق له تفتح الوعى الإسلامى عند أبناء المسلمين.

و قد خرّجت مدرسه الإمام زين العابدين (عليه السلام) كوكبه من العلماء الفقهاء و المفسّرين الذين سطعت أسماؤهم فى العالم الإسلامى، و إليهم يعود الفضل فى دفع عجله الإحياء العلمى فى ذلك العصر الرهيب و ما تلاه من عصور. و نشير فيما يلي إلى الأسماء اللّامعه فى هذا الصدد:

٣-١- و فى مقدمتهم الإمام أبو جعفر الباقر (عليه السلام) و أخواه: زيد

ص: ٢١٩

١- ((١)) حياه الإمام زين العابدين: ٢٣.

٢- ((٢)) الدرّ النظيم: ١٧٣.

و الحسين ابنا عليّ بن الحسين بن عليّ (عليهم السّلام).

٤-أبان بن تغلب بن رباح، أبو سعيد البكرى الجريرى: كوفىّ المولد و النشأه، و كان نابها و مقدّما فى كلّ فن، من قرآن و حديث و أدب و لغه و نحو، و تتلمذ عند الأئمّه الثلاثة: السّجاد و الباقر و الصادق (عليهم السّلام)، و كان يقول له الإمام الباقر (عليه السّلام): «اجلس فى مسجد المدينه و افت الناس فىائى احبّ أن يرى فى شيعتى مثلك» و ألف أبان فى تفسير غريب القرآن و فى فضائل أهل البيت كما روى ما يناهز ثلاثين ألف حديث عن أئمّته (عليهم السّلام) (١).

٥-إسماعيل بن عبد الخالق: وجه من وجوه أصحاب الأئمّه و فقيه من فقهاءهم، و أدرك الإمام الصادق (عليه السّلام) و روى عنه و عن الإمام الباقر و السّجاد أيضا (٢).

٦-ثابت بن أبى صفيه: و هو أبو حمزه الثمالى، عالم جليل و روع تقىّ، تربى بأداب أهل البيت و حمل علومهم و معارفهم، و أجمع المترجمون على و ناقله و أنه كسلمان الفارسى فى زمانه، و كانت الشيعة ترجع إليه فى الكوفه لإحاطته بفقّه أهل البيت (عليهم السّلام).

٧-رشيد الهجرى: من أبطال الإسلام و أعلام الجهاد، و قد صلبه الامويّون من أجل عقيدته و ولائه لأهل البيت (عليهم السّلام).

٨-زيد بن الحسن بن عليّ بن أبى طالب، كان يتولّى صدقات رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، و كان جليل القدر كريم الطبع زكىّ النفس كثير البرّ.

٩-سعيد بن جبيرة، أبو محمد مولى بنى و اله: كوفىّ تابعى نزل مكّه و هو من أعلام المجاهدين، و كان من أبرز علماء عصره فى التفسير و الفقه

ص: ٢٢٠

١- ((١)) راجع ترجمته بالتفصيل فى حياه الإمام زين العابدين: ٥٢٢-٥٢٧.

٢- ((٢)) المصدر السابق: ٥٢٩.

و أنواع العلوم، و استشهد بأمر الحجّاج في شعبان (٩٥هـ).

١٠- سعيد بن المسيّب المخزومي: من كبار التابعين، و قال فيه الإمام زين العابدين (عليه السّلام): إنّه أعلم الناس بما تقدّمه من الآثار و أفصحهم في زمانه، و كان يبجل الإمام كثيرا (١).

إنّ هؤلاء بعض تلامذته و الرواه عنه، على أنّ الإمام (عليه السّلام) كان يرّبي الموالى بشكل ليس له نظير، و كلّ من أعتقه الإمام يمكن أن يعدّ ممّن تربّى على يد الإمام، فلا- ينحصر تراث الإمام فيما كتب و ما روى عنه فقط، بل يمكن أن يتّسع لكلّ عمل تربوى صدر عن الإمام و بقيت آثاره في المجتمع الإسلامى و لو كان متجسّدا في سلوك هؤلاء الموالى و أفكارهم و اتجاهاتهم.

ص: ٢٢١

١- ((١)) راجع تفصيل البحث عن رواه حديث الإمام و تلامذته (حياه الإمام زين العابدين: ٥١٧-٥٨٧).

الفهرس التفصلى

فهرس إجمالى ٥

مقدمه المجمع ٧

الباب الأول:

الفصل الأول: الإمام زىن العابدىن (علله السلام) فى سطور ١٧

الفصل الثانى: انطباعات عن شخصلته الإمام زىن العابدىن (علله السلام) ٢١

آراء العلماء و المؤرخىن ٢٤

الفصل الثالث: مظاهر من شخصلته الإمام زىن العابدىن (علله السلام) ٢٧

الحلم ٢٧

السخاء ٢٨

تعامله مع الفقراء ٢٨

أ- تكرىمه للفقراء ٢٨

ب- عطفه على الفقراء ٢٩

ج- نهيه عن ردّ السائل ٢٩

صدقاته ٣٠

أ- التصدق بثىابه ٣١

ب- التصدق بما يحب ٣١

ص: ٢٢٣

ج-مقاسمه أمواله ٣١

د-صدقاته فى السرّ ٣٢

هـ-ابتغاؤه مرضاه الله ٣٣

العزّه و الإباء ٣٣

الزهد ٣٤

الإنباه الى الله ٣٥

سيرته فى بيته ٣٦

مع أبويه ٣٧

مع أبنائه ٣٨

مع مماليكه ٣٩

الباب الثانى:

الفصل الأول:نشأه الإمام زين العابدين(عليه السلام)٤٣

أمّه ٤٤

كناه ٤٥

ألقابه ٤٥

الفصل الثانى:مراحل حياه الإمام زين العابدين(عليه السلام)٤٧

الفصل الثالث:الإمام زين العابدين(عليه السلام)من الولاده إلى الإمامه ٤٩

الوضع السياسى فى العراق عند موت معاويه ٥٢

النصّ على إمامه زين العابدين(عليه السلام)٥٤

الإمام زين العابدين(عليه السلام)يوم عاشوراء ٥٥

ص:٢٢٤

الباب الثالث:

الفصل الأول: الإمام زين العابدين (عليه السلام) من كربلاء إلى المدينة ٥٩

الإمام زين العابدين بعد ملحمة عاشوراء ٥٩

سبايا آل البيت (عليهم السلام) في دمشق ٦١

الإمام (عليه السلام) في مجلس يزيد ٦٣

الفصل الثاني: الإمام (عليه السلام) في المدينة ٦٩

ثوره أهل المدينة ٧٢

انشقاق البيت الاموى ٧٨

تزايد المعارضه للحكم الاموى ٧٩

سنوات المحن و الاضطرابات ٨١

الفصل الثالث: استشهاد الإمام زين العابدين (عليه السلام) ٨٥

الباب الرابع:

الفصل الأول: نظره عامه فى مسيره أهل البيت (عليهم السلام) الرساليه ٨٩

الأخطار التى كان يواجهها الاسلام ٩٣

مضاعفات الانحراف فى القيادة الإسلاميه ٩٤

مضاعفات انهيار الدوله الإسلاميه ٩٥

مراحل حركه الأئمه الطاهرين (عليهم السلام) ١٠٢

الفصل الثانى: ملامح عصر الإمام زين العابدين (عليه السلام) ١٠٥

الفصل الثالث: تخطيط الإمام زين العابدين (عليه السلام) و جهاده ١٠٩

١- الجهاد الفكرى و العلمى ١١٣

٢-الجهاد الاجتماعى و العملى ١١٧

أ-الأخلاق و التريه ١١٨

ب-الإصلاح و الدوله ١١٩

ج-مقاومه الفساد ١٢٢

الفصل الرابع:ظواهر فذّه فى حياه الإمام زين العابدين(عليه السلام)١٢٣

ظاهره العباده فى حياه الإمام(عليه السلام)١٢٣

عباده الإمام ١٢٥

١-وضوؤه ١٢٥

٢-صلاته ١٢٥

أ-تطيه للصلاه ١٢٥

ب-لباسه فى صلاته ١٢٦

ج-خشوعه فى صلاته ١٢٦

د-صلاه ألف ركعه ١٢٧

ه-كثره سجوده ١٢٧

و-كثره تسبيحه ١٢٨

ز-ملازمته لصلاه الليل ١٢٨

ح-دعاؤه بعد صلاه الليل ١٢٨

٣-صومه ١٣١

دعاؤه فى السحر ١٣٤

٤-حجّه(عليه السلام)١٣٦

دعاؤه فى يوم عرفه ١٣٩

دعاؤه يوم عيد الأضحى ١٤١

ظاهرة الدعاء و المناجاة فى حياة الإمام (عليه السلام) ١٤٣

تجليات العرفان الإلهى ١٤٧

ظاهرة البكاء فى حياة الإمام (عليه السلام) ١٥٠

ظاهرة الاعتقاد فى حياة الإمام ١٥٣

الباب الخامس:

الفصل الأول: من تراث الإمام زين العابدين (عليه السلام) ١٥٩

فى رحاب القرآن الكريم ١٦١

فى رحاب الحديث الشريف ١٦٧

فى رحاب اصول العقيدة و مباحث الكلام ١٦٩

الإمام (عليه السلام) ينص على الأئمة من بعده و يبشر بالمهدى (عليه السلام) ١٧٠

فى رحاب الفقه و أحكام الشريعة ١٧٣

حقائق علميه فى الأدعية السجادية ١٧٨

أدب الإمام زين العابدين (عليه السلام) ١٧٩

احتجاجات الإمام زين العابدين (عليه السلام) ١٨٠

من غرر حكم الإمام على (عليه السلام) و مواعظه ١٨٦

الفصل الثانى: رساله الحقوق ١٩٣

عرض إجمالى للحقوق ١٩٥

تفصيل الحقوق ١٩٦

حق الله ١٩٦

حق النفس ١٩٦

ص: ٢٢٧

حقوق الأعضاء ١٩٧

حقوق الأفعال ١٩٧

حقوق الأئمة ١٩٨

حقوق الرعيه ١٩٨

حقوق الرحم ١٩٩

حقوق عامه الناس و الأشياء ٢٠٠

الفصل الثالث: في رحاب الصحيفه السجاديّه ٢٠٥

مميزات الصحيفه السجاديّه ٢٠٧

الدور التاريخي للصحيفه السجاديّه ٢٠٨

سند الصحيفه السجاديّه ٢١٠

شروح الصحيفه السجاديّه ٢١١

وصف الصحيفه ب«الكامله» ٢١١

الصحيفه السجاديّه الجامعه ٢١٢

الموضوعات العامه للصحيفه الجامعه ٢١٣

الفصل الرابع: مدرسه الإمام زين العابدين (عليه السلام) ٢١٧

الفهرس التفصيلي ٢٢٣

ص: ٢٢٨

عنوان و نام پدیدآور: اعلام الهدایه/المولف لجنه التالیف فی المعاونیه الثقافیه للمجمع العالمی لاهل البیت (ع).

مشخصات نشر: بیروت: المجمع العالمی لاهل البیت (ع)، المعاونیه الثقافیه، ۱۴۳۰ق = ۱۳۸۹.

مشخصات ظاهری: ۱۴ج.

یادداشت: عربی.

یادداشت: چاپ ششم.

یادداشت: کتابنامه.

مندرجات: ج. ۱. محمد المصطفی صلی الله علیه و آله و سلم خاتم الانبیاء. ج. ۲. أمير المومنین علی بن أبی طالب علیه السلام. ج. ۳. سیده النساء فاطمه الزهراء علیه السلام. ج. ۴. الامام الحسن المجتبی علیه السلام. ج. ۵. الامام الحسین علیه السلام سید الشهداء. ج. ۶. الامام علی بن الحسین زین العابدین علیه السلام. ج. ۷. الامام محمد بن علی الباقر علیه السلام. ج. ۸. الامام جعفر بن محمد الصادق علیه السلام. ج. ۹. الامام موسی بن جعفر الکاظم علیه السلام. ج. ۱۰. الامام علی بن موسی الرضا علیه السلام. ج. ۱۱. الامام محمد بن علی الجواد علیه السلام. ج. ۱۲. الامام علی بن محمد الهادی علیه السلام. ج. ۱۳. الامام الحسن العسکری علیه السلام. ج. ۱۴. خاتم الاوصیاء الامام المهدي علیه السلام.

موضوع: چهارده معصوم -- سرگذشتنامه

شناسه افزوده: مجمع جهانی اهل بیت (ع). معاونت فرهنگی

رده بندی کنگره: BP۳۶/الف ۵۸ ۱۳۸۹

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵

شماره کتابشناسی ملی: ۳۸۶۲۲۵۴

ص: ۱

الباب الأول:

الفصل الأول: الإمام محمد الباقر (عليه السلام) فى سطور ١٧

الفصل الثانى: انطباعات عن شخصيه الإمام الباقر (عليه السلام) ٢١

الفصل الثالث: مظاهر من شخصيه الإمام الباقر (عليه السلام) ٢٥

الباب الثانى:

الفصل الأول: نشأه الإمام محمد الباقر (عليه السلام) ٣٩

الفصل الثانى: مراحل حياه الإمام محمد الباقر (عليه السلام) ٤٥

الفصل الثالث: الإمام الباقر فى ظل جدّه و أبيه (عليهم السلام) ٤٧

الباب الثالث:

الفصل الأول: جهاد أهل البيت (عليهم السلام) و دور الإمام الباقر (عليه السلام) ٥٥

الفصل الثانى: ملامح و أحداث هامه فى عصر الإمام الباقر (عليه السلام) ٦٥

الفصل الثالث: دور الإمام الباقر (عليه السلام) فى اصلاح الواقع الفاسد ١٠٥

الباب الرابع:

الفصل الأول: دور الإمام (عليه السلام) فى بناء الجماعه الصالحه ١٣٩

الفصل الثانى: اغتيال و استشهاد الإمام محمد الباقر (عليه السلام) ٢٠٩

الفصل الثالث: من تراث الإمام محمد الباقر (عليه السلام) ٢١٥

ص: ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداه لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء و سيد الرسل و الأصفياء أبو القاسم المصطفى محمد (صلى الله عليه و آله) و على آله الميامين النجباء.

لقد خلق الله الإنسان و زوّده بعنصرى العقل و الإرادة، فبالعقل يبصر و يكتشف الحقّ و يميّزه عن الباطل، و بالإرادة يختار ما يراه صالحا له و محققا لأغراضه و أهدافه.

و قد جعل الله العقل المميّز حجه له على خلقه، و أعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته؛ فإنّه هو الذى علّم الإنسان ما لم يعلم، و أرشده إلى طريق كماله اللائق به، و عرّفه الغايه التى خلقه من أجلها، و جاء به إلى هذه الحياه الدنيا من أجل تحقيقها.

و أوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحه معالم الهدايه الربّانيه و آفاقها و مستلزماتها و طرقها، كما بيّن لنا عللها و أسبابها من جهه، و أسفر عن ثمارها و نتائجها من جهه اخرى.

قال تعالى:

ص: ٧

قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى [الأنعام(٦):٧١].

وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [البقره(٢):٢١٣].

وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ [الاحزاب(٣٣):٤].

وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هَدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [آل عمران(٣):١٠١].

قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ [يونس(١٠):٣٥].

وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَ يَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ [سبأ(٣٤):٦].

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ [القصص(٢٨):٥٠].

فإن الله تعالى هو مصدر الهدايه. و هدايته هي الهدايه الحقيقيه، و هو الذى يأخذ بيد الإنسان إلى الصراط المستقيم و إلى الحق القويم.

و هذه الحقائق يؤيدها العلم و يدر كها العلماء و يخضعون لها بملء وجودهم.

و لقد أودع الله فى فطره الإنسان النزوع إلى الكمال و الجمال ثم منّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللاتق به، و أسبغ عليه نعمه التعرّف على طريق الكمال، و من هنا قال تعالى: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات(٥١):٥٦].**

و حيث لا تتحقّق العباده الحقيقيه من دون المعرفه، كانت المعرفه و العباده طريقا منحصرًا و هدفا و غايه موصله إلى قمّه الكمال.

و بعد أن زوّد الله الإنسان بطاقتى الغضب و الشهوه ليحقّق له و قود الحركه نحو الكمال؛ لم يؤمن عليه من سيطره الغضب و الشهوه؛ و الهوى الناشئ منهما، و الملازم لهما فمن هنا احتاج الإنسان-بالإضافه إلى عقله

و سائر أدوات المعرفة-الى ما يضمن له سلامه البصيره و الرؤيه؛كى تتمّ عليه الحجّه،و تكمل نعمه الهدايه،و تتوفّر لديه كلّ الأسباب التى تجعله يختار طريق الخير و السعاده،أو طريق الشرّ و الشقاء بملء إرادته.

و من هنا اقتضت سنّه الهدايه الربّانيه أن يسند عقل الانسان عن طريق الوحي الإلهي،و من خلال الهداه الذين اختارهم الله لتولّى مسؤوليه هدايه العباد و ذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفه و إعطاء الارشادات اللازمه لكلّ مرافق الحياه.

و قد حمل الأنبياء و أوصياؤهم مشعل الهدايه الربّانيه منذ فجر التاريخ و على مدى العصور و القرون،و لم يترك الله عباده مهملين دون حجه هاديه و علم مرشد و نور مضىء،كما أفصحت نصوص الوحي-مؤيّده لدلائل العقل-بأنّ الأرض لا تخلو من حجه لله على خلقه،لئلا يكون للناس على الله حجّه،فالحجّه قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق،و لو لم يبق فى الأرض إلا اثنان لكان أحدهما الحجّه،و صرح القرآن-بشكل لا يقبل الريب-قائلا:

إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ [الرعد(١٣):٧].

و يتولّى أنبياء الله و رسله و أوصياؤهم الهداه المهديون مهمّه الهدايه بجميع مراتبها،و التى تتلخّص فى:

١-تلقى الوحي بشكل كامل و استيعاب الرساله الإلهيه بصوره دقيقه.

و هذه المرحله تتطلب الاستعداد التام لتلقى الرساله،و من هنا يكون الاصطفاء الإلهي لرسله شأننا من شؤونه،كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلا: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ [الانعام(٦):١٢٤]و اللَّهُ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ [آل عمران(٣):١٧٩].

٢-إبلاغ الرساله الإلهيه الى البشره و لمن ارسلوا إليه،و يتوقف الإبلاغ

على الكفاءة التامة التي تتمثل في «الاستيعاب والإحاطة اللازمه» بتفاصيل الرسالة و أهدافها و متطلباتها، و«العصمه» عن الخطأ و الانحراف معا، قال تعالى: كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ [البقره (٢): ٢١٣].

٣- تكوين امه مؤمنه بالرساله الإلهيه، و إعدادها لدعم القيادة الهاديه من أجل تحقيق أهدافها و تطبيق قوانينها في الحياه، و قد صرّحت آيات الذكر الحكيم بهذه المهمه مستخدمه عنواني التزكيه و التعليم، قال تعالى: يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ [الجمعه (٦٢): ٢] و التزكيه هي التربيه باتجاه الكمال اللائق بالإنسان. و تتطلّب التربيه القدوه الصالحه التي تتمتع بكلّ عناصر الكمال، كما قال تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [الاحزاب (٣٣): ٢١].

٤- صيانه الرساله من الزيغ و التحريف و الضياع في الفتره المقرره لها، و هذه المهمه أيضا تتطلّب الكفاءه العلميه و النفسيه، و التي تسمى بالعصمه.

٥- العمل لتحقيق أهداف الرساله المعنويه و تثبيت القيم الأخلاقيه في نفوس الأفراد و أركان المجتمعات البشريه و ذلك بتنفيذ الاطروحه الربانيه، و تطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشري من خلال تأسيس كيان سياسيّ يتولّى إداره شؤون الامه على أساس الرساله الربانيه للبشريه، و يتطلّب التنفيذ قياده حكيمة، و شجاعه فائقه، و صمودا كبيرا، و معرفه تامه بالنفوس و طبقات المجتمع و التيارات الفكرية و السياسيه و الاجتماعيه و قوانين الإدارة و التربيه و سنن الحياه، و نلخصها في الكفاءه العلميه لإداره دوله عالميه دينيه، هذا فضلا عن العصمه التي تعبّر عن الكفاءه النفسيه التي تصون القيادة الدينيه من كلّ سلوك منحرف أو عمل خاطئ، بإمكانه أن يؤثّر تأثيرا سلبيا على

على مسيره القيادة و انقياد الامه لها بحيث يتنافى مع أهداف الرساله و أغراضها.

و قد سلك الأنبياء السابقون و أوصياؤهم المصطفون طريق الهدايه الدامى، و اقتحموا سبيل التربيه الشاق، و تحمّلوا فى سبيل أداء المهام الرساليه كلّ صعب، و قدّموا فى سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهيه كلّ ما يمكن أن يقدمه الإنسان المتفانى فى مبدئه و عقيدته، و لم يتراجعوا لحظه، و لم يتلكأوا طرفه عين.

و قد توجّ الله جهودهم و جهادهم المستمرّ على مدى العصور برساله خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و اله) و حمّله الأمانه الكبرى و مسؤوليه الهدايه بجميع مراتبها، طالبا منه تحقيق أهدافها. و قد خطا الرسول الأعظم (صلى الله عليه و اله) فى هذا الطريق الوعر خطوات مدهشه، و حقّق فى أقصر فتره زمينه أكبر نتاج ممكن فى حساب الدعوات التغييريه و الرسالات الثوريه، و كانت حصيله جهاده و كدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلى:

١- تقديم رساله كامله للبشريه تحتوى على عناصر الديمومه و البقاء.

٢- تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ و الانحراف.

٣- تكوين امه مسلمه تؤمن بالإسلام مبدأ، و بالرسول قائدا، و بالشريعه قانونا للحياه.

٤- تأسيس دوله إسلاميه و كيان سياسى يحمل لواء الإسلام و يطبّق شريعه السماء.

٥- تقديم الوجه المشرق للقياده الربانيه الحكيمه المتمثله فى قيادته (صلى الله عليه و اله).

و لتحقيق أهداف الرساله بشكل كامل كان من الضروري:

أ- أن تستمر القيادة الكفوءه فى تطبيق الرساله و صيانتها من أيدي العابثين الذين يتربصون بها الدوائر.

ب- أن تستمر عمليه التربيه الصحيحه باستمرار الأجيال؛ على يد مربّ كفوء علميا و نفسيا حيث يكون قدوه حسنه فى الخلق و السلوك كالرسول(صلى الله عليه و اله)، يستوعب الرساله و يجسدها فى كل حركاته و سكناته.

و من هنا كان التخطيط الإلهي يحتّم على الرسول(صلى الله عليه و اله) إعداد الصفوه من أهل بيته، و التصريح بأسمائهم و أدوارهم؛ لتسلم مقاليد الحركه النبويه العظيمه و الهدايه الربانيه الخالده بأمر من الله سبحانه و صيانه للرساله الإلهيه التى كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين و كيد الخائنين، و تربيه للأجيال على قيم و مفاهيم الشريعه المباركه التى تولّوا تبين معالمها و كشف أسرارها و ذخائرها على مرّ العصور، و حتى يرث الله الأرض و من عليها.

و تجلّى هذا التخطيط الرباني فى ما نصّ عليه الرسول(صلى الله عليه و اله) بقوله: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسيكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله و عترتي، و إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض».

و كان أئمه أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عرفهم النبي الأكرم(صلى الله عليه و اله) بأمر من الله تعالى لقياده الامه من بعده.

إن سيره الأئمه الاثنى عشر من أهل البيت(عليهم السلام) تمثل المسيره الواقعيه للإسلام بعد عصر الرسول(صلى الله عليه و اله)، و دراسه حياتهم بشكل مستوعب تكشف لنا عن صورته مستوعبه لحركه الإسلام الأصيل الذى أخذ يشق طريقه إلى أعماق الامه بعد أن أخذت طاقتها الحراريه تتضاءل بعد وفاه الرسول(صلى الله عليه و اله)،

فأخذ الأئمة المعصومون (عليهم السّلام) يعملون على توعيه الامه و تحريك طاقتها باتجاه إيجاد و تصعيد الوعي الرساليّ للشريعه و لحركه الرسول (صلى الله عليه و اله) و ثورته المباركه، غير خارجين عن مسار السنن الكونيه التي تتحكّم فى سلوك القياده و الامه جمعاء.

و تبلورت حياه الأئمة الراشدين فى استمرارهم على نهج الرسول العظيم و انفتاح الامه عليهم و التفاعل معهم كأعلام للهدايه و مصابيح لإناره الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلاء على الله و على مرضاته، و المستقرّين فى أمر الله، و التامّين فى محبته، و الدائبين فى الشوق اليه، و السابقين إلى تسلّق قمم الكمال الإنسانيّ المنشود.

و قد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد و الصبر على طاعه الله و تحمّل جفاء أهل الجفاء حتّى ضربوا أعلى أمثله الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالى، ثم اختاروا الشهاده مع العزّ على الحياه مع الدلّ، حتى فازوا بقاء الله سبحانه بعد كفاح عظيم و جهاد كبير.

و لا يستطيع المؤرّخون و الكتّاب أن يلمّوا بجميع زوايا حياتهم العطره و يدّعوا دراستها بشكل كامل، و من هنا فإنّ محاولتنا هذه إنّما هى إعطاء قبسات من حياتهم، و لقطات من سيرتهم و سلوكهم و مواقفهم التي دوّنها المؤرّخون و استطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسه و التحقيق، عسى الله أن ينفع بها إنّه وليّ التوفيق.

إنّ دراستنا لحركه أهل البيت (عليهم السّلام) الرساليه تبدء برسول الإسلام و خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و اله) و تنتهى بخاتم الأوصياء، محمد بن الحسن العسكري المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه و أنار الأرض بعدله.

و يختص هذا الكتاب بدراسه حياه الإمام محمد بن على الباقر (عليه السلام)، خامس أئمه أهل البيت (عليهم السلام) و هو المعصوم السابع من أعلام الهدايه الذى جسد الكمالات النبويه فى العلم و الهدايه و العمل و الترييه و توسّعت بجهوده العلميه الجباره مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) و اتّضحت معالمها و أبنعت ثمارها و لا زلنا نتفتياً ظلالها حتى عصرنا هذا.

و لا بدّ لنا من تقديم الشكر الى كلّ الاخوه الأعزّاء الذين بذلوا جهداً وافراً و شاركوا فى إنجاز هذا المشروع المبارك و إخراجّه إلى عالم النور، لا سيما أعضاء لجنه التأليف بإشراف سماحه السيد مندر الحكيم حفظه الله تعالى.

و لا يسعنا إلا أن نبتهل الى الله تعالى بالدعاء و الشكر لتوفيقه على إنجاز هذه الموسوعه المباركه فإنه حسنا و نعم النصير.

للمجمع العالمى لأهل البيت عليهم السلام قم المقدسه

الباب الأول

إشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

الإمام محمد الباقر (عليه السلام) في سطور الفصل الثاني:

انطباعات عن شخصيته الإمام محمد الباقر (عليه السلام) الفصل الثالث:

مظاهر من شخصيته الإمام محمد الباقر (عليه السلام)

ص: ١٥

الإمام محمد الباقر (عليه السلام) في سطور

*الإمام محمد الباقر (عليه السلام) هو خامس الأئمة الاطهار الذين نصّ عليهم رسول الله (صلى الله عليه و اله) ليخلفوه في قياده الأمة الاسلاميه و يسيروا بها الى شاطئ الأمن و السلام الذي قدّر الله لها في ظلال قياده المعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا.

و لقد انحدر الإمام الباقر (عليه السلام) من سلالة طاهره مطهره ارتقت سلّم المجد و الكمال و كان أفرادها قمما شامخه في دنيا الفضائل بعد أن حازت على جميع مقومات الشخصيه الانسانيه المتكامله في مجال الفكر و العقيدة و العقل و العاطفه و الاراده و السلوك، حيث أخلصوا لله تعالى و ذابوا في محبته و انصهروا في قيم الرساله الاسلاميه و كانوا ربانيين بحق، و بذلك أصبحوا عدلا للقرآن الكريم بنصّ الرسول الأمين، والقده الشامخه بعد الرسول (صلى الله عليه و اله) و الامناء على تطبيق الرساله الاسلاميه و القاده المعصومون المؤهلون لتوجيه الامه و تربيتها و إداره شؤونها و تلبية متطلبات تكاملها و تحقيق سعادتها دنيا و آخره.

*ولد الإمام الباقر (عليه السلام) من أبوين علويين طاهرين زكيين فاجتمعت فيه خصال جدّيه السبطين الحسن و الحسين (عليهما السلام) و عاش في ظلّ جدّه

الحسين (عليه السلام) بضع سنوات و ترعرع فى ظلّ أبيه على بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) حتى شبّ و نما و بلغ ذروه الكمال و هو ملازم له حتى استشهاده فى النصف الأول من العقد العاشر بعد الهجره النبويه المباركه.

لقد كان أبوه على بن الحسين (عليه السلام) القدوه الشامخه للباقر بعد جدّه الحسين (عليه السلام) و قد عرف بـ «زين العابدين» و «سيد الساجدين» و «قدوه الزاهدين» و «سراج الدنيا» و «جمال الدين»، فكان أهلا للامامه العظمى لشرفه و سؤدده و علمه و تألقه و كمال عقله، كما شهد له بذلك كل من عاصره.

* و لقد نهل الإمام محمد بن على الباقر (عليهما السلام) العلوم و المعارف من هذا الوالد العظيم حتى فاق و أبدع فى كل العلوم فكان كما شهد له بذلك جدّه رسول الله (صلّى الله عليه و اله) حيث لُقّب به بالباقر قائلا: إنّه يبقر العلم بقرا، عندما بشر المسلمين بولادته و بدوره الفاعل فى إحياء علوم الشريعة و فى عصر كانت قد عصفت العواصف بالامه الاسلاميه إثر الفتوح المتتاليه و التمازج الحضارى و التبادل الثقافى الذى طال الامه الاسلاميه و هى فى عنفوان حركتها الثقافيه و العلميه التى فجّرها الإسلام فى وجودها، و كانت قد حرمت من الارتواء من معين الرساله الفياض الذى تجسّد فى أهل البيت (عليهم السلام).

* لقد عاش الإمام محمّد الباقر (عليه السلام) طيله حياته فى المدينه يفيض من علمه على الأمه المسلمه، و يرمى شؤون الجماعه الصالحه التى بذر بذرتها رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، و ربّاهها الإمام على ثمّ الإمامان الحسن و الحسين (عليهم السلام) كما غدّاهما من بعدهم أبوه على بن الحسين (عليهما السلام) مقدّما لها كل مقوّمات تكاملها و أسباب رشدها و سموّها.

* لقد عانى الإمام الباقر من ظلم الامويين منذ أن ولد و حتى استشهد، ما عدا فتره قصيره جدّا هى مدّه خلافه عمر بن عبد العزيز التى

فعاصر أشدّ أدوار الظلم الأموى، كما أشرف على افول هذا التيار الجاهلى و تجرّع من غصص الآلام ما ينفرد به مثله و عيا وعظمه و كمالا.

*و لكنه استطاع أن يربّى أعدادا كثيره من الفقهاء و العلماء و المفسّرين حيث كان المسلمون يقصدونه من شتى بقاع العالم الاسلامى و قد دانوا له بالفضل بشكل لا نظير له، و لم يعيش منعزلا عن أحداث الساحة الإسلاميه و إنّما ساهم بشكل ايجابى فى توعيه الجماهير و تحريك ضمائرهما و سعى لرفع شأنها و إحياء كرامتها بالبذل المادى والعطاء المعنوى كأبائه الكرام و أجداده العظام و لم يقصر عنهم عباده و تقوى و صبرا و إخلاصا فكان قدوه شامخه للجيل الذى عاصره و لكل الأجيال التى تلتته.

فسلام عليه يوم ولد و يوم جاهد بالعلم و العمل و يوم استشهد و يوم يبعث حيا.

الفصل الثانى: انطباعات عن شخصيه الإمام الباقر (عليه السلام)

انطباعات عن شخصيه الإمام محمّد الباقر (عليهما السلام)

١- قال له الأبرش الكلبي: أنت ابن رسول الله حقا. ثم صار الى هشام فقال: دعونا منكم يا بنى أميه؛ إن هذا أعلم أهل الأرض بما فى السماء و الأرض، فهذا ولد رسول الله (١).

٢- قال أبو اسحاق: لم أر مثله قط (٢).

٣- قال عبد الله بن عطاء المكي: ما رأيت العلماء عند أحد قطّ أصغر منهم عند أبى جعفر محمد بن على بن الحسين، و لقد رأيت الحكم بن عتيبه -مع جلالته فى القوم- بين يديه كأنه صبى بين يدي معلّمه (٣).

٤- قال الحكم بن عتيبه فى قوله تعالى: إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ:

كان و الله محمد بن على منهم (٤).

٥- كتب عبد الملك بن مروان الى عامل المدينة: ابعث إلى محمد بن على مقتيدا.

فكتب إليه العامل: ليس كتابى هذا خلافا عليك يا أمير المؤمنين، و لا ردّا لأمرك، و لكن رأيت أن اراجعك فى الكتاب نصيحه لك، و شفقه عليك. إنَّ

ص: ٢١

١- (١) المناقب: ٢/٢٨٦.

٢- (٢) ائمتنا: ١/٣٩٦، عن أعيان الشيعة: ٤ ق ٢٠/٢.

٣- (٣) بحار الانوار: ١١/٨٢.

٤- (٤) كشف الغمه: ٢١٢.

الرجل الذى أردته ليس اليوم على وجه الأرض أَعْفَى مِنْهُ و لا أَزْهَد و لا أَوْع مِنْهُ، و إِنَّهُ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ، و أَرْقَى النَّاسِ، و أَشَدَّ النَّاسِ اجْتِهَادًا و عِبَادَةً، و كَرِهَتْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ التَّعَرُّضَ لَهُ فِإِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُعَيَّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ. فَسَرَّ عَبْدُ الْمَلِكِ بِمَا أَنْهَى إِلَيْهِ الْوَالِيَّ وَ عَلِمَ أَنَّ قَدْ نَصَحَهُ (١).

٦- قال له هشام بن عبد الملك: و الله ما جرت عليك كذبا (٢). و قال له أيضا: لا تزال العرب و العجم يسودها قريش ما دام فيهم مثلك (٣).

٧- قال له قتاده بن دعامة البصرى: لقد جلست بين يدي الفقهاء، و قدّام ابن عباس، فما اضطرب قلبي قدّام أحد منهم ما اضطرب قدّامك (٤).

٨- قال له عبد الله بن معمر الليثي: ما أحسب صدوركم إلا منابت أشجار العلم، فصار لكم ثمره و للناس ورقه (٥).

٩- قال شمس الدين محمد بن طولون: أبو جعفر محمد بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضى الله عنه)، الملقب بالباقر، و هو والد جعفر الصادق (رضى الله عنهما)، كان الباقر عالما، سيّدا كبيرا، و إنما قيل له الباقر لأنه تبقر في العلم، أى توسّع، و التبقر التوسيع، و فيه يقول الشاعر:

يا باقر العلم لأهل التقى و خير من لبي على الأجل (٦)

١٠- قال محمد بن طلحة الشافعي: هو باقر العلم و جامع و شاهر علمه و رافعه، و منمّق درّه و واضعه. صفا قلبه، و زكا علمه، و طهرت نفسه، و شرفت أخلاقه، و عمرت بطاعه الله أوقاته، و رسخت في مقام التقوى قدمه، و ظهرت

ص: ٢٢

١- ((١)) ائمتنا: ٣٩٦/١، عن اعيان الشيعة: ٤ ق ٨٥/٢.

٢- ((٢)) المناقب: ٢٧٨/٢.

٣- ((٣)) بحار الانوار: ٨٨/١١.

٤- ((٤)) في رحاب أئمة أهل البيت: ١٠/٤.

٥- ((٥)) كشف الغمّة: ٢٢١.

٦- ((٦)) الأئمة الاثنا عشر: ٨١.

عليه سمات الازدلاف، و طهاره الاجتباء (١).

١١- قال ابن أبي الحديد فى شرح النهج: كان محمد بن على بن الحسين سيد فقهاء الحجاز، و منه و من ابنه جعفر تعلم الناس الفقه (٢).

١٢- قال أبو نعيم الإصبهاني: الحاضر الذاكر، الخاشع الصابر، أبو جعفر، محمد بن على الباقر، كان من سلالة النبوه، و من جمع حسب الدين و الابوه، تكلم فى العوارض و الخطرات، و سفح الدموع و العبرات، و نهى عن المرء و الخصومات (٣).

١٣- قال أحمد بن يوسف الدمشقي القرمانى: منبع الفضائل و المفاخر، الإمام محمد بن على الباقر (رضى الله عنه) و إنما سمي بالباقر لانه بقر العلم، و قد قيل:

لقب بالباقر لما روى عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): يا جابر يوشك أن تلحق بولد من ولد الحسين، اسمه كاسمى يقر العلم بقراء، أى يفجره تفجيراً، فإذا رأيت فقرأه منى السلام. و كان خليفه أبيه من بين إخوته، و وصيه و القائم بالإمامه من بعده (٤).

١٤- قال على بن محمد بن أحمد المالكي - المعروف بابن الصباغ -:

و كان محمد بن على بن الحسين (عليهم السلام) مع ما هو عليه من العلم و الفضل و السؤدد و الرياسه و الامامه، ظاهر الجود فى الخاصه و العامه، و مشهور الكرم فى الكافه، معروف بالفضل و الاحسان مع كثره عياله و توسط حاله (٥).

١٥- قال ابن خلكان: أبو جعفر محمد بن على زين العابدين بن الحسين ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين المقلب بالباقر، أحد الأئمه

ص: ٢٣

١- ((١)) مطالب السؤل: ٨٠، كشف الغمه: ٣٢٩/٢ و الصواعق المحرقة: ٣٠٤ مع اختلاف يسير.

٢- ((٢)) المدخل الى موسوعه العتبات المقدسه ٢٠١.

٣- ((٣)) حليه الأولياء: ١٨٠/٣.

٤- ((٤)) اخبار الدول: ١١١.

٥- ((٥)) الفصول المهمه: ٢٠١.

الاثنى عشر...و كان الباقر عالما سيدا كبيرا (١).

١٦-قال أحمد بن حجر:وارثه-أى وارث الإمام زين العابدين-منهم عباده و علما،و زهاده ابو جعفر محمد الباقر سمي بذلك من بقر الأرض،أى شقها و أثار مخبآتتها و مكامنها،فلذلك هو أظهر من مخبآت كنوز المعارف، و حقائق الأحكام و الحكم و اللطائف،ما لا يخفى إلا على منظمس البصيره،أو فاسد الطينه و السريره ؛و من ثم قيل فيه:هو باقر العلم و جامعه و شاهر علمه و رافعه،صفا قلبه،و زكا علمه و عمله،و طهرت نفسه،و شرف خلقه،و عمرت أوقاته بطاعه الله.و له من الرسوم فى مقامات العارفين ما تكلم عنه ألسنه الواصفين.و له كلمات كثيره فى السلوك و المعارف لا تحملها هذه العجاله و كفاه شرفا أن ابن المدينى روى عن جابر أنه قال له-و هو صغير:-

رسول الله(صلى الله عليه و اله)يسلم عليك،فقيل له:و كيف ذلك؟قال:كنت عند رسول الله(صلى الله عليه و اله)جالسا،و الحسين فى حجره و هو يداعبه،فقال:يا جابر يولد له مولود اسمه على،إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم سيد العابدين فيقوم ولده،ثم يولد له ولد اسمه محمد،فاذا أدركته يا جابر فاقرأه منى السلام (٢).

١٧-قال محمد أمين البغدادي السويدي:لم يظهر عن أحد من أولاد الحسين من علم الدين و السنن و السير و فنون الأدب،ما ظهر عن أبى جعفر(رضى الله عنه) (٣).

ص:٢٤

١- ((١)) وفيات الاعيان:٣/٣١٤.

٢- ((٢)) الصواعق المحرقة:٣٠٥.

٣- ((٣)) سبائك الذهب:٧٢.

إشاره

مظاهر من شخصيه الإمام محمد الباقر (عليه السلام)

لقد توفرت في شخصيه الإمام أبي جعفر (عليه السلام) جميع الصفات الكريمه التي أهلت له لزعامة هذه الأمة.

حيث تميز هذا الإمام العظيم بمواهبه الروحيه و العقلية العظيمة و فضائله النفسيه و الأخلاقية الساميه مما جعل صورته صورته متميزه من بين العظماء و المصلحين، كما تميز بحسبه الوضّاح، بكل ما يمكن أن يسمو به هذا الانسان.

و لقد احتاط النبي (صلّى الله عليه و اله) كأشد ما يكون الاحتياط في شأن أمته، و لم يرض أن تكون في ذيل قافلة الأمم و الشعوب، فقد أراد لها العزّه و الكرامه، و أراد أن تكون خير أمه أخرجت للناس، فأولى مسأله الخلافه و الامامه المزيده من اهتمامه، و نادى بها أكثر من أيه قضيه اخرى من القضايا الدينيه لأنها القاعده الصلبه لتطور أيه امه في مجالاتها الفكرية و الاجتماعيه و السياسيه، و قد خصّ بها الأئمه الطاهرين من أهل بيته الذين لم يخضعوا في أي حال من الأحوال لأيه نزعه ماديه، و إنما آثروا طاعه الله و مصلحه الامه على كل شيء.

و كان الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام) جامعاً للكمالات الانسانيه في

سيرته و سلوكه، فكان أهلاً للإمامه الكبرى بعد أبيه زين العابدين.

و ما دوتته كتب التاريخ من فضائله الجمه هي غيظ من فيض، و نشير إلى شيء يسير منها تباعاً:

حلمه:

كان الحلم من أبرز صفات الإمام أبي جعفر (عليه السلام) فقد أجمع المؤرخون على أنه لم يسيء إلى من ظلمه و اعتدى عليه، و إنما كان يقابله بالبر و المعروف، و يعالمه بالصفح و الاحسان، و قد روي صوراً كثيرة عن عظيم حلمه، كان منها:

١- إن رجلاً كتبها هاجم الإمام (عليه السلام) و اعتدى عليه، و خاطبه بمراً القول:

«أنت بقراً!»

فلطف به الإمام، و قابله ببسمات طافحه بالمرءه قائلاً:

«لا أنا باقر!»

و راح الرجل الكتابي يهاجم الإمام قائلاً:

«أنت ابن الطباخه!»

فتبسم الإمام، و لم يثره هذا الاعتداء بل قال له:

«ذاك حرفتها.»

و لم ينته الكتابي عن غيئه، و إنما راح يهاجم الإمام قائلاً:

«أنت ابن السوداء الزنجيه البذيه!»

و لم يغضب الإمام (عليه السلام)، و إنما قابله باللطف قائلاً:

«إن كنت صدقت غفر الله لها، و إن كنت كذبت غفر الله لك.»

و بهت الكتابي، و انبهر من أخلاق الإمام (عليه السلام) التي ضارعت أخلاق

الأنبياء فأعلن إسلامه (١) واختار طريق الحق.

٢- من تلك الصور الرائعة المدهشه من حلمه: أن شاميا كان يختلف إلى مجلسه، و يستمع إلى محاضراته، و قد أعجب بها، فأقبل يشتد نحو الإمام و قال له:

يا محمّد إنما أغشى مجلسك لا حبا منى إليك، و لا أقول: إن أحدا أبغض إليّ منكم أهل البيت، و اعلم أن طاعه الله، و طاعه أمير المؤمنين فى بغضكم، و لكنى أراك رجلا فصيحاً لك أدب و حسن لفظ، فإنما اختلف إليك لحسن أدبك!!.

و نظر إليه الإمام (عليه السلام) بعطف و حنان، و أخذ يغدق عليه ببرّه و معروفه حتى تبيّه الرجل و تبين له الحق، و انتقل من البغض الى الولاء للإمام (عليه السلام) و ظلّ ملازماً له حتى حضرته الوفاة فأوصى أن يصلى عليه (٢).

و حاكى الإمام الباقر (عليه السلام) بهذه الأخلاق الرفيعه جدّه الرسول (صلى الله عليه و اله) الذى استطاع بسموّ أخلاقه أن يؤلّف بين القلوب، و يوحد بين المشاعر و العواطف و يجمع الناس على كلمه التوحيد بعد ما كانوا فرقا و أحزابا.

صبره:

لقد كان الصبر من الصفات الذاتيه للأئمه الطاهرين من أهل البيت (عليهم السلام) فقد صبروا على مكاره الدهر، و نوائب الأيام، و صبروا على تجرّع الخطوب التى تعجز عن حملها الجبال، فقد استقبل الإمام الحسين (عليه السلام) على صعيد كربلاء أمواجاً من المحن الشاقه التى تدهل كل كائن حى، مترئماً

ص: ٢٧

١- ((١)) مناقب آل أبى طالب: ٣/٣٣٧، بحار الأنوار: ٤٦/٢٨٩، الأنوار البهية: ١٤٢، مستدرک البحار: ٢/٣٨٣.

٢- ((٢)) بحار الانوار: ١١/٦٦.

بقوله (عليه السلام): «صبرا على قضائك يا رب، لا معبود سواك».

و صبر الإمام الباقر (عليه السلام) كآبائه على تحمل المحن و الخطوب. و إليك بعض تلك المحن:

١- انتقاص السلطه لآبائه الطاهرين، و إعلان سبهم على المنابر و المآذن، و هو (عليه السلام) يسمع ذلك، و لا يتمكن أن ينسب بنت شفه فصبر و كظم غيظه، و أوكل الأمر الى الله الحاكم بين عباده بالحق.

٢- من بين المحن الشاقه التي صبر عليها التنكيل الهائل بشيعة أهل البيت (عليهم السلام) و ملاحقتهم تحت كل حجر و مدر و قتلهم بأيدي الجلادين من عملاء السلطه الامويه، و هو لا يتمكن أن يحرك ساكنا، و قد فرضت عليه السلطه الرقابه الشديده، و رفضت كل طلب له في شأن شيعته.

٣- و روى المؤرخون عن عظيم صبره انه كان جالسا مع أصحابه إذ سمع صيحه عاليه في داره، فأسرع اليه بعض مواليه فأسرّ إليه بشيء فقال (عليه السلام):

«الحمد لله على ما أعطى، و له ما أخذ، إنهم عن البكاء، و خذوا في جهازه، و اطلبوا السكينه، و قولوا لها: لا ضير عليك أنت حره لوجه الله لما تداخلك من الروع...».

و رجع إلى حديثه، فتهيب القوم سؤاله، ثم أقبل غلامه فقال له: قد جهّزناه، فأمر أصحابه بالقيام معه للصلاه على ولده و دفنه، و أخبر أصحابه بشأنه فقال لهم: إنه قد سقط من جاريه كانت تحمله فمات (١).

٤- و روى أيضا: أنه كان للإمام (عليه السلام) ولد و كان أثيرا عنده فمرض فخشى على الإمام لشده حبه له، و توفي الولد فسكن صبر الإمام، فقيل له: خشينا عليك يا ابن رسول الله (صلى الله عليه و اله)، فأجاب و هو ملئ بالاطمئنان و الرضا بقضاء الله قائلا:

ص: ٢٨

١- (١) عيون الاخبار و فنون الآثار: ٢١٨.

«إنا ندعو الله فيما يحب فإذا وقع ما نكره لم نخالف الله فيما يحب» (١).

لقد تسلّح الإمام (عليه السلام) بالصبر أمام نواب الدنيا وقابل كوارث الدهر بإرادته صلبه، وإيمان راسخ، وتحمل الخطوب في غير ضجر ولا سأم محتسبا في ذلك الأجر عند الله تعالى.

كرمه و سخاؤه:

إشاره

الكرم من أوضح الفضائل والمكارم لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) فقد بسطوا أيديهم بسخاء نادر إلى الفقراء والسائلين، وفيهم يقول الشاعر:

لو كان يوجد عرف مجد قبلهم لوجدته منهم على أميال

إن جنتهم أبصرت بين بيوتهم كرما يقيقك مواقف التسأل

نور النبوه و المكارم فيهم متوقد في الشيب و الاطفال (٢).

لقد فطر الإمام محمد الباقر (عليه السلام) على حب الخير وصله الناس و إدخال السرور عليهم.

أ- كرامه الفقراء:

و من معالى أخلاقه أنه كان يبجل الفقراء، و يرفع من شأنهم لثلا يرى عليهم ذلّ الحاجه، و يقول المؤرخون: انه عهد لأهله إذا قصدهم سائل أن لا يقولوا له: يا سائل خذ هذا، و إنما يقولون له: يا عبد الله بورك فيك (٣) و قال:

سمّوهم بأحسن أسمائهم (٤).

ص: ٢٩

١- (١) تاريخ دمشق: ٥٢/٥١، عيون الاخبار لابن قتيبه: ٥٧/٣.

٢- (٢) الفصول المهمه: ٢٢٧.

٣- (٣) عيون الاخبار: ٢٠٨/٣.

٤- (٤) البيان و التبيين: ١٥٨.

و كان الإمام الباقر (عليه السّلام) شغوفاً بعتق العبيد، و إنقاذهم من رقّ العبودية، فقد أعتق أهل بيت بلغوا أحد عشر مملوكاً (١) و كان عنده ستون مملوكاً فأعتق ثلثهم عند موته (٢).

ج- صلته لأصحابه:

و كان أحب شيء إلى الإمام (عليه السّلام) في هذه الدنيا صلته لإخوانه فكان لا يمل من صلتهم و صلّه قاصديه و راجيه و مؤمليه، و قد عهد لابنه الإمام الصادق (عليه السّلام) أن ينفق من بعده على أصحابه و تلاميذه ليتفرّغوا إلى نشر العلم و إذاعته بين الناس (٣).

د- صدقاته على فقراء المدينة: و كان الإمام (عليه السّلام) كثير البر و المعروف على فقراء يثرب، و قد احصيت صدقاته عليهم فبلغت ثمانية آلاف دينار (٤). و كان يتصدق عليهم في كل يوم جمعه بدينار و يقول: «الصدقة يوم الجمعة تضاعف الفضل على غيره من الأيام» (٥).

و ذكر المؤرخون: انه كان أقل أهل بيته مالا و أعظمهم مؤونه (٦)، و مع ذلك كان يوجد بما عنده لإنعاش الفقراء و المحرومين. و قد نقل الرواه بوادر كثيره من هذا الجود و إليك نماذج منها:

١- روى سليمان بن قرم فقال: كان أبو جعفر يجيزنا الخمسمائة درهم

ص: ٣٠

١- (١) عن شرح شافيه أبي فراس: ١٧٦/٢.

٢- (٢) المصدر السابق.

٣- (٣) حياه الإمام محمد الباقر (عليه السّلام): ١٢٤/١.

٤- (٤) شرح شافيه أبي فراس: ١٧٦/٢.

٥- (٥) في رحاب ائمه اهل البيت (عليهم السّلام): ١٢/٤.

٦- (٦) المصدر السابق.

إلى الستمائة درهم إلى الألف، و كان لا يملّ من صله الإخوان و قاصديه و راجيه (١).

٢- قال الحسن بن كثير: شكوت الى أبي جعفر محمد بن علي الحاجه و جفاء الاخوان، فتأثر (عليه السلام) و قال: بنس الأخ يرداك غنيا، و يقطعك فقيرا، ثم أمر غلامه فأخرج كيسا فيه سبعمائة درهم، و قال: استنفق هذه فإذا نفذت فأعلمني (٢).

٣- و كان (عليه السلام) يحبو قوما يغشون مجلسه من المائة إلى الألف، و كان يحبّ مجالستهم، منهم عمرو بن دينار، و عبد الله بن عبيد. و كان يحمل اليهم الصلّه و الكسوه، و يقول: هيتأناها لكم من أول السنه (٣).

٤- روت مولاته سلمى فقالت: كان يدخل عليه إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيب، و يلبسهم الثياب الحسنه، و يهب لهم الدارهم، و قد عدلته سلمى عن ذلك فقال لها: يا سلمى ما يؤمل في الدنيا بعد المعارف و الاخوان... (٤) و كان يقول: «ما حسنت الدنيا إلا صله الاخوان و المعارف» (٥).

عبادته:

كان الإمام ابو جعفر الباقر (عليه السلام) من أئمة المتقين في الإسلام، فقد عرف الله معرفه استوعبت دخائل نفسه، فأقبل على ربه بقلب منيب، و أخلص في طاعته كأعظم ما يكون الاخلاص. أما مظاهر عبادته فيمكن الإشارة الى بعضها كما يلي:

ص: ٣١

١- (١) الارشاد: ٢٩٩.

٢- (٢) صفه الصفوه: ٦٣/٢.

٣- (٣) عيون الاخبار و فنون الآثار: ٢١٧، و الارشاد: ٢٢٩.

٤- (٤) صفه الصفوه: ٦٣/٢.

٥- (٥) المصدر السابق.

أخشوعه في صلاته: فقد عرف عنه أنه كان إذا أقبل على الصلاة اصفرّ لونه (١) خوفاً من الله و خشيه منه، ولا غرو في ذلك فقد عرف عظمه الله تعالى، الذي فطر الكون و وهب الحياه، فعبده عباده المتقين المنيبين.

ب- كثره صلاته: و كان كثير الصلاة حتى كان يصلى في اليوم و الليله مائه و خمسين ركعه (٢) و لم تشغله شؤونه العلميه و مرجعيته العامه للامه عن كثره الصلاة، التي كانت أعزّ شيء عنده؛ لأنها الصله و الرباط الوثيق بينه و بين الله تعالى.

ج- دعاؤه في سجوده: إنّ أقرب ما يكون العبد فيه الى ربه أن يكون ساجداً، من هنا كان الإمام (عليه السلام) في سجوده يتجه بقلبه و كلّ عواطفه نحو الله و يناجيه بانقطاع و اخلاص، و قد أثرت عنه بعض الادعيه في سجوده:

١- روى اسحاق بن عمار عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال: كنت امهّداً لأبي فرشه فانتظره حتى يأتي، فإذا آوى الى فراشه و نام قمت الى فراشي. و قد أبطأ عليّ ذات ليله فأتيت المسجد في طلبه، و ذلك بعد ما هدأ الناس، فإذا هو في المسجد ساجداً، و ليس في المسجد غيره فسمعت حنينه و هو يقول: «سبحانك اللهم، أنت ربي حقاً حقاً، سجدت لك يا رب تعتيداً و رقا، اللهم إنّ عملي ضعيف فضاعفه لي... اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك، و تب عليّ إنك أنت التواب الرحيم» (٣).

٢- روى أبو عبيده الحدّاء فقال: سمعت أبا جعفر يقول: -و هو ساجداً-: «سألك بحق حبيبك محمد (صلى الله عليه و اله) إلا بدلت سيّاتي حسنات، و حاسبتني حساباً

ص: ٣٢

١- (١) راجع تاريخ ابن عساكر: ٤٤/٥١.

٢- (٢) تذكره الحفاظ: ١٢٥/١، تاريخ ابن عساكر: ٤٤/٥١، حليه الأولياء: ١٨٢/٣.

٣- (٣) فروع الكافي: ٣٢٣/٣.

ثم قال فى السجده الثانيه: «أسألك بحق حبيبك محمد (صلى الله عليه و اله) إلا ما كفىتنى مؤونه الدنيا، و كلّ هول دون الجنه».

ثم قال فى الثالثه: «أسألك بحق حبيبك محمد (صلى الله عليه و اله) لَمَا غفرت لى الكثير من الذنوب و القليل، و قبلت مئى عملى اليسير».

ثم قال فى الرابعه: «أسألك بحق حبيبك محمد (صلى الله عليه و اله) لَمَا أدخلتنى الجنه، و جعلتنى من سكَانها، و لَمَا نجيتنى من سفعات النار (١) برحمتك، و صلى الله على محمد و آله» (٢).

و تكشف هذه الأدعيه عن شده تعلقه بالله و عظيم إنابته إليه.

حججه:

و كان الإمام أبو جعفر (عليه السلام) اذا حجّ البيت الحرام انقطع الى الله و أناب اليه و ظهرت عليه آثار الخشوع و الطاعه، و قد قال مولاه أفلح: حججت مع أبى جعفر محمد الباقر فلما دخل الى المسجد رفع صوته بالبكاء فقلت له: «أبى أنت و أمى إن الناس ينتظرونك فلو خفضت صوتك قليلاً».

فلم يعتن الإمام و راح يقول له: «ويحك يا أفلح إنى أرفع صوتى بالبكاء لعلّ الله ينظر إلى برحمه فأفوز بها غدا».

ثم إنه طاف بالبيت، و جاء حتى ركع خلف المقام، فلما فرغ و إذا بموضع سجوده قد ابتلّ من دموع عينيه (٣). و حج (عليه السلام) مره و قد احتفّ به الحجيج،

ص: ٣٣

١- ((١)) سفعات النار: هى لفحات السعير التى تغير بشره الانسان لشده حرارتها.

٢- ((٢)) فروع الكافى: ٣/٣٢٢.

٣- ((٣)) صفه الصفوه: ٢/٦٣، نور الأبصار: ١٣٠.

و ازدحموا عليه و هم يستفتونه عن مناسكهم و يسألونه عن أمور دينهم، و الإمام يجيبهم. و بهر الناس من سعه علومه حتّى أخذ بعضهم يسأل بعضا عنه فانبرى اليهم واحد من أصحابه فعرفه قائلا:

« ألا إنّ هذا باقر علم الرسل، و هذا مبيّن السبل، و هذا خير من رسخ فى أصلاب أصحاب السفينه، هذا ابن فاطمه الغزّاء العذراء الزهراء، هذا بقيه الله فى أرضه، هذا ناموس الدهر، هذا ابن محمّد و خديجه و على و فاطمه، هذا منار الدين القائم» (١).

مناجاة مع الله تعالى:

كان الإمام (عليه السلام) يناجى الله تعالى فى غلس الليل البهيم، و كان مما يقوله فى مناجاته: «أمرتنى فلم أثمر، و زجرتنى فلم أزدجر، هذا عبدك بين يديك» (٢).

ذكره لله تعالى:

لقد كان دائم الذكر لله تعالى، و كان لسانه يلهج بذكر الله فى أكثر أوقاته، فكان يمشى و يذكر الله، و يحدث القوم و ما يشغله ذلك عن ذكره تعالى. و كان يجمع ولده و يأمرهم بذكر الله حتى تطلع الشمس، كما كان يأمرهم بقراءة القرآن، و من كان لا يقرأ منهم كان يأمره بذكر الله تعالى (٣).

ص: ٣٤

١- ((١)) مناقب ابن شهر آشوب: ١٨٣/٤.

٢- ((٢)) حليه الأولياء: ١٨٦/٣، ترجمه محمّد بن على الباقر (عليه السلام)، رقم ٢٣٥؛ صفه الصفوه: ٦٣/٢.

٣- ((٣)) فى رحاب أئمه أهل البيت (عليهم السلام): ٦/٤.

و زهد الإمام أبو جعفر (عليه السلام) فى جميع مباحج الحياه و أعرض عن زينتها فلم يتخذ الرياش فى داره، و إنما كان يفرش فى مجلسه حصيرا (١).

لقد نظر الى الحياه بعمق و تبصر فى جميع شؤونها فزهد فى ملاذها، و أتجه نحو الله تعالى بقلب منيب.

فعن جابر بن يزيد الجعفى: قال لى محمد بن على (عليه السلام): «يا جابر إنى لمحزون، و إنى لمشتغل القلب».

فأبرى اليه جابر قائلا: «ما حزنك؟ و ما شغل قلبك؟».

فأجابه (عليه السلام) قائلا: «يا جابر إنه من دخل قلبه صافى دين الله عزّ و جلّ شغله عمّا سواه. يا جابر ما الدنيا؟ و ما عسى أن تكون؟ هل هى إلا مركب ركبتة؟ أو ثوب لبسته؟ أو امرأه أصبتها؟!» (٢).

و أثرت عنه كلمات كثيره فى الحث على الزهد، و الإقبال على الله تعالى، و التحذير من غرور الدنيا و آثامها.

و بهذا ينتهى بنا الحديث عن بعض مظاهر شخصيته المشرقه.

ص: ٣٥

١- (١) دعائم الإسلام: ١٥٨/٢.

٢- (٢) البدايه و النهايه: ٣١٠/٩، حياه الإمام محمد الباقر: ١١٥/١-١٣٤ بتصرف.

الباب الثاني

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

نشأه الإمام محمد الباقر (عليه السلام) الفصل الثاني:

مراحل حياة الإمام الباقر (عليه السلام) الفصل الثالث:

الإمام الباقر في ظل جدّه و ابيه (عليهما السلام)

ص: ٣٧

نشأه الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام)

لقد ازدهرت الحياه الفكرية و العلمية فى الإسلام بهذا الإمام العظيم الذى التقت فيه عناصر الشخصيه من السبطين الحسن و الحسين (عليهما السلام) و امتزجت به تلك الاصول الكريمة و الاصلاح الشامخه، و الارحام المطهره، التى تفرع منها.

فالأب: هو سيد الساجدين و زين العابدين و ألمع سادات المسلمين.

و الأم: هى السيده الزكيه الطاهره فاطمه بنت الإمام الحسن سيد شباب أهل الجنة، و تكنى أم عبد الله (1) و كانت من سيدات نساء بنى هاشم، و كان الإمام زين العابدين (عليه السلام) يسميها الصديقه (2) و يقول فيها الإمام أبو عبد الله الصادق (عليه السلام): «كانت صديقه لم تدرك فى آل الحسن مثلها» (3) و حسبها سموًا أنها بضعه من ريحانه رسول الله، و أنها نشأت فى بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه، ففى حجرها الطاهر تربى الإمام الباقر (عليه السلام).

المولود المبارك: و أشرق الدنيا بمولد الإمام الزكى محمد الباقر الذى بشر به النبى (صلّى الله عليه و اله) قبل ولادته، و كان أهل البيت (عليهم السلام) ينتظرونه بفارغ الصبر لأنه من أئمه المسلمين الذين نص عليهم النبى (صلّى الله عليه و اله) و جعلهم قاده

ص: ٣٩

١- (١) تهذيب اللغات و الاسماء: ٨٧/١، وفيات الاعيان: ٣٨٤/٣.

٢- (٢) عن الدر النظيم من مصورات مكتبه الإمام أمير المؤمنين تسلسل (٢٨٧٩).

٣- (٣) أصول الكافى: ٤٦٩/١.

لامته، وقرنهم بمحكم التنزيل و كانت ولادته فى يثرب فى اليوم الثالث من شهر صفر سنة (٥٥٦هـ) (١) و قيل سنة (٥٥٧هـ) فى غره رجب يوم الجمعة (٢) و قد ولد قبل استشهاد جده الإمام الحسين (عليه السلام) بثلاث سنين (٣) و قيل بأربع سنين كما أدلى (عليه السلام) بذلك (٤) و قيل بسنتين و أشهر (٥).

و قد أجريت له فور ولادته مراسيم الولاده كالاذان و الاقامه فى اذنيه و حلق رأسه و التصديق بزنه شعره فضه على المساكين، و العق عنه بكبش و التصديق به على الفقراء.

و كانت ولادته فى عهد معاويه و البلاد الاسلاميه تعج بالظلم، و تموج بالكوارث و الخطوب من ظلم معاويه و جور ولاته الذين نشروا الإرهاب و أشاعوا الظلم فى البلاد.

تسميته: و سماه جده رسول الله (صلى الله عليه و اله) بمحمد، و لقبه بالباقر قبل أن يولد بعشرات السنين، و كان ذلك من أعلام نبوته، و قد استشف (صلى الله عليه و اله) من وراء الغيب ما يقوم به سبطه من نشر العلم و اذاعته بين الناس فبشر به أمته، كما حمل له تحياته على يد الصحابى الجليل جابر بن عبد الله الانصارى.

كنيته: «أبو جعفر» (٦) و لا كنيه له غيرها.

لقابه الشريفه: و قد دلت على ملامح من شخصيته العظيمه و هى:

١- الأمين.

ص: ٤٠

١- (١) وفيات الاعيان: ٣/٣١٤، تذكره الحفاظ: ١/١٢٤.

٢- (٢) دلائل الامامه: ٩٤.

٣- (٣) اخبار الدول: ١١١، وفيات الاعيان: ٣/٣١٤.

٤- (٤) تاريخ يعقوبى: ٢/٣٢٠.

٥- (٥) عن عيون المعجزات للحسين بن عبد الوهاب من مخطوطات مكتبه الإمام الحكيم تسلسل (٩٧٥).

٦- (٦) دلائل الامامه: ٩٤.

٢- الشبيه: لأنه كان يشبه جده رسول الله (صلى الله عليه و اله) (١).

٣- الشاكر.

٤- الهادي.

٥- الصابر.

٦- الشاهد (٢).

٧- الباقر (٣). وهذا من اكثر ألقابه ذيوعا و انتشارا، و قد لقب هو و ولده الإمام الصادق ب (الباقرين) كما لقبا ب (الصادقين) من باب التغليب (٤).

و يكاد يجمع المؤرخون و المترجمون للإمام على أنه إنما لقب بالباقر لانه بقر العلم أى شقه، و توسع فيه فعرف أصله و علم خفيه (٥).

و قيل: إنما لُقّب به لكثرة سجوده فقد بقر جبهته أى فتحها و وسعها (٦).

تحيات النبي (صلى الله عليه و اله) الى الباقر (عليه السلام): و يجمع المؤرخون على أن النبي (صلى الله عليه و اله و سلم) حمل الصحابي العظيم جابر بن عبد الله الأنصاري تحياته، الى سبطه الإمام الباقر، و كان جابر ينتظر ولادته بفارغ الصبر ليؤدى اليه رساله جده، فلما ولد الإمام و صار صبيا يافعا التقى به جابر فأدى اليه تحيات النبي (صلى الله عليه و اله) و قد روى المؤرخون ذلك بصور متعدده و هذا بعضها:

١- روى ابن عساكر ان الإمام زين العابدين (عليه السلام) و معه ولده الباقر دخلا على جابر بن عبد الله الأنصاري، فقال له جابر: من معك يا ابن رسول الله؟ قال:

ص: ٤١

١- ((١)) اعيان الشيعة: ق ١/٤٦٤/٤٦٤.

٢- ((٢)) راجع جنات الخلود، و ناسخ التواريخ. حياه الإمام الباقر (عليه السلام).

٣- ((٣)) تذكره الحفاظ: ١/١٢٤، نزّهه المجلس: ٣٦/٢.

٤- ((٤)) عن جامع المقال للشيخ الطريحي.

٥- ((٥)) عيون الاخبار و فنون الآثار: ٢١٣، عمده الطالب: ١٨٣.

٦- ((٦)) عن مرآه الزمان فى تواريخ الاعيان: ٧٨/٥ من مصورات مكتبه الإمام الحكيم.

معى ابنى محمد، فأخذه جابر و ضمّه اليه و بكى، ثم قال: اقترب اجلى، يا محمد! رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقرؤك السلام. فسئل: و ما ذاك؟ فقال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول: للحسين بن على يولد لابنى هذا ابن يقال له على بن الحسين، و هو سيد العابدين إذا كان يوم القيامة ينادى مناد ليقم سيد العابدين فيقوم على بن الحسين، و يولد لعلى بن الحسين ابن يقال له: محمد اذا رأته يا جابر فاقرأه منى السلام، يا جابر اعلم ان المهدي من ولده، و اعلم يا جابر أن بقاءك بعده قليل» (١).

٢- روى تاج الدين بن محمد نقيب حلب بسنده عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: «دخلت على جابر بن عبد الله فسلمت عليه. فقال لى من أنت؟ و ذلك بعد ما كف بصره، فقلت له: محمد بن على بن الحسين، فقال: بأبى أنت و أمى، ادن منى فدنوت منه، فقبل يدي ثم أهوى الى رجلى فاجتذبتها منه، ثم قال: إن رسول الله يقرؤك السلام، فقلت و على رسول الله (صلى الله عليه و اله) السلام و رحمه الله و بركاته، و كيف ذلك يا جابر؟ قال: كنت معه ذات يوم فقال لى: يا جابر لعلك تبقى حتى تلقى رجلا من ولدى يقال له محمد بن على بن الحسين يهب له الله النور و الحكمه فاقرأه منى السلام...» (٢).

٣- ذكر صلاح الدين الصفدى قال: «كان جابر يمشى بالمدينه و يقول:

يا باقر متى ألقاك؟ فمرّ يوماً فى بعض سكك المدينه فناولته جاربه صبيا فى حجرها فقال لها: من هذا؟ فقالت: محمد بن على بن الحسين، فضمّه الى صدره، و قبل رأسه و يديه، و قال: يا بنى، جدك رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقرئك

ص: ٤٢

١- (١) عن تاريخ ابن عساكر: ٤١/٥١ من مصورات مكتبه الإمام أمير المؤمنين.

٢- (٢) غايه الاختصار: ٦٤.

السلام ثم قال: يا باقر نعت إلى نفسي فمات في تلك الليلة» (١).

ملاحه: كانت ملامح الإمام محمد الباقر (عليه السلام) كملاح رسول الله (صلى الله عليه و اله) و شمائله (٢) و كما شابه جده النبي (صلى الله عليه و اله) في معالي أخلاقه التي امتاز بها على سائر النبيين فقد شابهه في هذه الناحية أيضا.

و وصفه بعض المعاصرين له فقال: إنه كان معتدل القامه اسمر اللون (٣) رقيق البشرة له خال، ضامر الكشح، حسن الصوت مطرق الرأس (٤).

ذكاؤه المبكر: و كان (عليه السلام) في طفولته آيه من آيات الذكاء حتى أن جابر ابن عبد الله الانصاري على شيخوخته كان يأتيه فيجلس بين يديه فيعلمه...

و قد بهر جابر من سعه علوم الإمام و معارفه و طفق يقول:

«يا باقر لقد اوتيت الحكم صبيا» (٥).

و قد عرف الصحابه ما يتمتع به الإمام منذ نعومه أظفاره من سعه الفضل و العلم الغزير فكانوا يرجعون إليه في المسائل التي لا يهتدون إليها و يقول المؤرخون ان رجلا- سأل عبد الله بن عمر عن مسألة فلم يقف على جوابها فقال للرجل: اذهب إلى ذلك الغلام- و أشار الى الإمام الباقر- فاسأله، و أعلمني بما يجيبك فبادر نحوه و سأله فأجابه (عليه السلام) عن مسأله و خف الى ابن عمر فاخبره بجواب الإمام، و راح ابن عمر يبدي اعجابه بالإمام قائلا:

ص: ٤٣

١- ((١)) الوافي بالوفيات: ١٠٣/٤.

٢- ((٢)) اصول الكافي: ٤٦٩/١.

٣- ((٣)) اخبار الدول: ١١١، جوهره الكلام في مدح الساده الاعلام: ١٣٢.

٤- ((٤)) اعيان الشيعة: ق ١/٤/٤٧١. الكشح: ما بين الخاصره الى الضلع الخلف، و الضامر هو الهزيل و الخفيف اللحم. راجع مختار الصحاح.

٥- ((٥)) علل الشرائع: ٢٣٤.

«انهم أهل بيت مفهّمون» (١).

لقد خص الله أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) بالعلم و الفضل، و زوّدهم بما زوّد أنبياءه و رسله من الفهم و الحكمة حتّى أنه لم يخف عليهم جواب مسأله تعرض على أحد منهم، و يقول المؤرخون ان الإمام كان عمره تسع سنين و قد سئل عن أدق المسائل فأجاب عنها.

هيئته و وقاره: و بدت على ملامح الإمام (عليه السّلام) هيئه الأنبياء و وقارهم، فما جلس معه أحد إلا هابه و اكبره و قد تشرف قتاده و هو فقيه أهل البصره بمقابلته فاضطرب قلبه من هيئته و أخذ يقول له:

«لقد جلست بين يدي الفقهاء و أمام ابن عباس فما اضطرب قلبي من أى أحد منهم مثل ما اضطرب قلبي منك» (٢).

نقش خاتمه: «العزه لله جميعا» (٣) و كان يتختم بخاتم جده الإمام الحسين (عليه السّلام) و كان نقشه «إن الله بالغ أمره» (٤) و ذلك مما يدل على إنقطاعه التام إلى الله و شده تعلقه به.

ص: ٤٤

١- (١) المناقب: ١٤٧/٤.

٢- (٢) اثبات الهداه: ١٧٦/٥.

٣- (٣) حليه الأولياء: ١٨٩/٣.

٤- (٤) فى رحاب ائمه أهل البيت (عليهم السّلام): ٤/٤.

مراحل حياة الإمام محمد الباقر (عليه السلام)

تنقسم حياة الإمام محمد الباقر (عليه السلام) -على غرار سائر الأئمة المعصومين (عليهم السلام)- إلى مرحلتين متميزتين:

المرحلة الأولى: مرحلة ما قبل التصدي للقيادته الشرعية العامة والتي تشمل القيادة الفكرية والسياسية معا وهي مرحلة الولادة والنشأة حتى استشهاد أبيه (عليه السلام).

وقد عاش الإمام محمد الباقر (عليه السلام) في هذه المرحلة مع جده وأبيه (عليهما السلام) ففضى مع جده الحسين (عليه السلام) فترة قصيرة جدا لا تزيد على خمس سنين في أكثر التقادير، ولا تقل عن ثلاث سنين.

وعاش مع أبيه الإمام زين العابدين (عليه السلام) مدة تقرب من أربع و ثلاثين سنة، وكانت سنينا عجافا؛ إذ كانت الدولة الأموية في ذروه بطشها وجبروتها، وكان الإمام الباقر (عليه السلام) في هذه المدة رهن إشارة أبيه زين العابدين (عليه السلام) في جميع مواقفه ونشاطاته.

وقد عاصر فيها كلا من معاوية بن أبي سفيان و يزيد بن معاوية و معاوية ابن يزيد و مروان بن الحكم و عبد الله بن الزبير و عبد الملك بن مروان و الشطر الأكبر من حكم الوليد بن عبد الملك.

و أما المرحلة الثانية فتبدأ باستشهاد أبيه (عليه السلام) في الخامس والعشرين من

محرم الحرام سنه (٩٥هـ) و هي مرحله التصدى لمسؤوليه القيادة الروحيه و الفكرية و السياسيه العامه و هي الإمامه الشرعيه حسب مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) و هي لا تنحصر فى القيادة الروحيه فقط كما لا تقتصر على القيادة السياسيه بمعنى مزاوله الحكم و إداره الدوله الإسلاميه.

و استغرقت هذه المرحله ما يقرب من تسعه عشر عامًا، و اصل فيها مسيره الأئمه الهداه من قبله مستلهمًا- من أجداده الطاهرين و علومهم و العلوم التى حباها الله بها- الاسلوب الصحيح لتحقيق أهداف الرساله المحمديه.

و استطاع هذا الإمام العظيم خلال تلكم الأعوام أن يقدم للامه معالم مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) فى جميع مجالات الحياه و يربى عده أجيال من الفقهاء و الرواه و يبنى القاعده الصلبه من الجماعه الصالحه التى تتبنى خط أهل البيت (عليهم السلام) الرسالى السليم و تسعى جاهده لتحقيق أهدافهم المثلى.

و قد عاصر فى هذه المرحله الأيام الأخيره من حكم الوليد بن عبد الملك و سليمان بن عبد الملك و عمر بن عبد العزيز و يزيد بن عبد الملك و شطرا من حكم هشام بن عبد الملك و استشهد فى حكم هشام هذا و على يد أحد عماله الظالمين.

و أقام الإمام (عليه السلام) طيله حياته فى المدينه المنوره، فلم يبرحها إلى بلد آخر، و قد كان فيها المعلم الأول، و الرائد الأكبر للحركه العلميه و الثقافيه، و قد اتخذ الجامع النبوى مدرسه له فكان يلقى فى رحابه بحوثه على تلاميذه.

و قد تخرجت من مدرسه هذا الإمام العملاق مجموعه من العلماء الكبار الذين جابوا شرق الأرض و غربها ناشرين فيها العلم و المعرفة و طأطأت لشخصياتهم المتفوقه الامه الاسلاميه بشتى قطاعاتها.

الإمام محمّد الباقر (عليه السلام) في ظلّ جدّه وأبيه (عليهما السلام)

مرّ الإمام الباقر (عليه السلام) بمرحلة رافقت الكثير من الأحداث و الظواهر في ظلّ جده وأبيه (عليهما السلام) ويمكن تلخيصها بالشكل التالي:

١- عاش الإمام الباقر (عليه السلام) في ظلّ جدّه الحسين (عليه السلام) منذ ولادته و حتى الرابعه من عمره الشريف و قد مكّنه ذلك من الإطلاع على الأحداث و الوقائع الاجتماعيه و السياسيه و إدارك طبيعه سيرها و فهم اتجاه حركتها بما اوتى من ذكاء و فهم منذ صباه.

لقد عاش الإمام الباقر (عليه السلام) في مقتبل عمره حادثه مصرع أعمامه و أهل بيته الطاهرين و شاهد بام عينيه ملحمة عاشوراء و مقتل جدّه الحسين (عليه السلام) و اخذ مأسورا الى طواغيت الكوفه و الشام و شارك سبأيا أهل البيت (عليهم السلام) فيما جرى عليهم من المحن و المصائب الأليمه التي تتصدّع لها القلوب.

كما استمع إلى أقوال أبيه الساخنه و هو يخاطب الطاغيه المتغطرس يزيد في الشام و التي كان منها قوله (عليه السلام): يا يزيد! و محمد هذا جدى أم جدك؟ فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت و كفرت، و إن زعمت أنه جدى فلم قتلت عترته؟! (١).

٢- و عاصر الإمام الباقر (عليه السلام) في سنه (٦٣ هـ) واقعه الحزّه التي ثار

ص: ٤٧

فيها أهل المدينة على حكم يزيد و هو فى السادسة من عمره الشريف، حيث شاهد نقض أكابر أهل المدينة و فقهاءها لبيعه يزيد الفاجر (١) و رأى مدينة جدّه عندما أباحها يزيد لجيشه الجاهلى ثلاثة أيام متواليات يقتلون أهلها، و ينهبون أموالهم و يهتكون أعراضهم (٢).

٣-عاصر الإمام الباقر (عليه السلام) فى هذه المرحلة من حياته الانحراف الفكرى الذى تسبب الامويون فى إيجاده مثل بثهم للعقائد الباطله كالجبر و التفويض و الإرجاء خدمه لسلطانهم؛ لأن هذه المفاهيم تستطيع أن تجعل الامه مستسلمه للحكام الطغاه ما دامت تبرّز طغيانهم و عصيانهم لأوامر الله و رسوله.

٤-و من الظواهر التى عاصرها الإمام محمّد الباقر (عليه السلام) و هو فى ظلّ أبيه السجّاد (عليه السلام) ظاهره الانحراف السياسى و تتمثل فى تحويل الامويين للخلافه إلى ملكك عضوض يتوارثه الأبناء عن الآباء، و يوزعون فيه المناصب الحكوميه على ذويهم و أقاربهم.

لقد عاش (عليه السلام) محنه عدااء الامويين للعلويين و الذى تتمثل فى ظاهره سبّهم لجدّه الإمام على بن أبى طالب (عليه السلام) على المنابر طيله سته عقود.

٥-و من الأحداث البارزه فى حياه الإمام الباقر (عليه السلام) توالى الثورات المسلحه ضد الحكم الاموى بعد واقعه كربلاء الخالده، فى سنه (٦٣ هـ) ثار أهل المدينة فى سنه (٦٥ هـ) ثار التوابون، و فى سنه (٦٦ هـ) ثار المختار بن أبى عبيده الثقفى و ثار الزبيريون، و فى سنه (٧٧ هـ) ثار المطرف بن المغيره بن شعبه، و فى سنه (٨١ هـ) تمرد عبد الرحمن بن

ص: ٤٨

١- ((١)) تاريخ الخميس: ٣٠٠/٢.

٢- ((٢)) الكامل فى التاريخ: ١١٣/٤.

محمّد بن الأشعث على حكومه عبد الملك بن مروان (١).

٦- وانتشرت في هذه الفترة ظاهره وضع الحديث المؤلمه فقد ركز الامويون على هذه الأداة لخدمه سلطانهم، حتّى روى ابن طرفة المعروف بنفطويه في تأريخه أن أكثر الأحاديث الموضوعه في فضائل الصحابه كانت في أيام بنى اميّه تقرّبا إليهم بما يظنون أنهم يرغمون انوف بنى هاشم (٢).

٧- أما الانحراف الأخلاقي والاجتماعي فقد استشرى في أوساط الامه حيث اشتهر يزيد بن معاويه بفسقه إذ كان يشرب الخمر و يلعب بالكلاب والقروود و يقضى أوقاته بين المغنّين و المغنّيات و شاع عنه ذلك و عرفه عامّه الناس. و كان مروان بن الحكم أيضا فاحشا بذيتا، كما كان أولاده و أحفاده على شاكلته (٣).

و أشاع الامويون بين المسلمين روح التعصّب فقزّبوا العرب و أبعّدوا غير العرب و أثاروا الشعبيه فمزّقوا بذلك وحده الصف الإسلامي و أثاروا الأحقاد و زرعوا بذور الشر في قلوب أبناء المجتمع الاسلامي.

٨- وعاش الإمام الباقر (عليه السّلام) في هذه المرحله من حياته في ظلّ سيره أبيه (عليه السّلام) بكل وجوده الذي كان يركز نشاطه على إعادته بناء المجتمع الإسلامي و تشييد دعائم العقيدته الاسلاميه القويمه، حيث كان يحاول الإمام زين العابدين (عليه السّلام) من خلال بثّ القيم العقائديه و الأخلاقيه عبر الأدعيه و توجيه رسائل الحقوق و ما شابه ذلك صياغه كيان الجماعه الصالحه التي كان عليها أن تتولى عمليته التغيير في المجتمع الذي راح يتردّى باستمرار.

ص: ٤٩

١- ((١)) البدايه و النهايه: ١٣٨/٩.

٢- ((٢)) شرح نهج البلاغه: ١٣٨/٩.

٣- ((٣)) المصدر السابق: ٤٦/١١.

و كان يشارك أباه السجّاد (عليه السلام) فى أهدافه و خطواته و أساليبه المتعدده فى المرحله التى استغرقت ثلاثه و ثلاثين عاما و التى تمثّلت فى الدعاء و الانفاق و العتق و الترييه المباشره للرقيق و الأحرار باعتبارها نشاطا بارزا للإمام زين العابدين (عليه السلام) خلال هذه المرحله.

٩-وقف الإمام الباقر (عليه السلام) مواقف أبيه من الثورات و الحركات المسلحه التى كانت تهدف إلى إسقاط النظام الفاسد إذ كان يرشدها و يقودها بصوره غير مباشره من دون أن يعطى للحكام أى دليل يدل على التنسيق من الإمام (عليه السلام) مع الثوّار ضد الحكم الاموى الغاشم.

١٠-و كان للإمام الباقر دور بارز و هو فى ظلّ أبيه فى حركته لتأسيس صرح العلم و المعرفه الاسلاميه حيث كان يحضر المحافل العامه ليحدّث الناس و يرشدهم، كما كان يفسّر القرآن و يعلم الناس الأحاديث النبويّه الشريفه و يتقّفهم بالسيره النبويّه المباركه.

١١-ان التنصيب من الإمام السجّاد (عليه السلام) على إمامه ابنه الباقر يعود تأريخيا الى النصوص التى وردت عن رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و الأئمه من بعده و نصّت على إمامه اثنى عشر إماما بعد رسول الله كلهم من قريش و بنى هاشم، و تداولها الصحابه و التابعون و استند إليها أهل البيت (عليهم السلام).

و من تلك النصوص التى ورد فيها اسم الإمام الباقر (عليه السلام) بشكل خاص هو النص الذى رواه جابر بن عبد الله الأنصارى و قد جاء فى هذا النص ما يلى:

«...فقال: يا رسول الله و من الأئمه من ولد على بن أبى طالب؟ قال: «الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنه، ثم سيد العابدين فى زمانه على بن الحسين، ثم الباقر محمد بن على»

و ستدرکه یا جابر، فاذا أدركته فاقراه مني السلام» (١).

و جاء في نص آخر أنّ رسول الله (صلى الله عليه و اله) قال لجابر بن عبد الله الأنصاري:

«يولد لابني هذا-يعني الحسين-ابن يقال له:علي، و هو سيد العابدين...و يولد له محمد، اذا رأيته يا جابر فاقراه (عليه السلام) مني السلام، و اعلم أنّ المهدي من ولده...» (٢).

و قد تناقل الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) الوصية إماما بعد إمام، فقد أوصى الإمام علي (عليه السلام) ولده الإمام الحسن (عليه السلام) قائلا: «يا بني إنه أمرني رسول الله (صلى الله عليه و اله) أن أوصي اليك، و أدفع اليك كتيبي و سلاحي، كما أوصى النبي و دفع النبي كتيبه و سلاحه، و أمرني أن أمرك اذا حضرك الموت أن تدفعها الى أخيك الحسين، ثم أقبل على ابنه الحسين، فقال: و أمرك رسول الله أن تدفعها الى ابنك هذا، ثم أخذ بيد علي بن الحسين و قال: و أمرك رسول الله (صلى الله عليه و اله) أن تدفعها الى ابنك محمد بن علي فاقراه من رسول الله و مني السلام» (٣).

١٢- و كان الإمام زين العابدين (عليه السلام) يوجّه الانظار الى امامه ابنه الباقر (عليه السلام)، و يستثمر الفرص لإعلانها أمام أبنائه أو بعض أبنائه أو خاصته و ثقاته، يصرّح تاره بها و يلمّح إليها تاره اخرى.

فحينما سأله ابنه عمر عن سرّ اهتمامه بالباقر (عليهما السلام) أجابه: «انّ الإمامه في ولده الى أن يقوم قائمنا (عليه السلام) فيملاها قسطا و عدلا، و انه الإمام أبو الأئمة...» (٤).

و عن الحسين ابن الإمام زين العابدين (عليهما السلام) قال: سألت رجلا أباي (عليه السلام) عن الأئمة، فقال: «اثنا عشر سبعة من صلب هذا، و وضع يده على كتف أخي محمد» (٥).

ص: ٥١

١- (١) كفايه الأثر: ١٤٤-١٤٥.

٢- (٢) مختصر تاريخ دمشق: ٧٨/٢٣، تاريخ اليعقوبي: ٣٢٠/٢، سير أعلام النبلاء: ٤٠٤/٤.

٣- (٣) إعلام الوري بأعلام الهدى: ٢٠٧.

٤- (٤) كفايه الأثر: ٢٣٧.

٥- (٥) المصدر السابق: ٢٣٩.

و كان يصرح لابنه الباقر (عليهما السلام) بامامته و يقول له: «يا بني ائتني جعلتك خليفتي من بعدى» (١).

و روى عن ابي خالد أنه قال: قلت لعلي بن الحسين: من الإمام بعدك؟ قال: «محمد بنى يبقر العلم بقرا» (٢).

و فى مرضه الذى توفى فيه سأله الزهرى قائلاً: فإلى من نختلف بعدك؟ فأجاب (عليه السلام): «يا أبا عبد الله الى ابنى هذا- وأشار الى محمد ابنه- انه وصي و وارثى و عييه علمى و معدن العلم و باقر العلم»، فقال له الزهرى: يا ابن رسول الله هلاً أوصيت إلى أكبر اولادك؟ فقال (عليه السلام): «يا أبا عبد الله ليست الامامه بالصغر و الكبر، هكذا عهد الينا رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و هكذا وجدنا مكتوباً فى اللوح و الصحيفه» (٣).

و فى أيامه الأخيره جمع الإمام زين العابدين (عليه السلام) أولاده: محمد و الحسن و عبد الله و عمر و زيد و الحسين، و أوصى الى ابنه محمد... و جعل أمرهم اليه (٤).

و فى الساعات الأخيره من حياته التفت (عليه السلام) الى ولده و هم مجتمعون عنده، ثم التفت الى ابنه الباقر (عليه السلام) فقال: «يا محمد هذا الصندوق اذهب به الى بيتك». اما أنه لم يكن فيه دينار و لا درهم، و لكن كان مملوءاً علماً (٥).

ص: ٥٢

١- (١) كفايه الأثر: ٢٤١.

٢- (٢) بحار الانوار: ٣٢٠/٤٦.

٣- (٣) كفايه الاثر: ٢٤٣.

٤- (٤) كفايه الأثر: ٢٣٩.

٥- (٥) الكافي: ٣٠٥/١.

الباب الثالث

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

جهاد أهل البيت (عليهم السلام) و دور الإمام الباقر (عليه السلام) الفصل الثاني:

وقائع و أحداث هامه فى عصر الإمام محمد الباقر (عليه السلام) الفصل الثالث:

دور الإمام الباقر (عليه السلام) فى إصلاح الواقع الفاسد

ص: ٥٣

إشاره

جهاد أهل البيت (عليهم السلام) و دور الإمام الباقر (عليه السلام)

ترتكز العمليه التربويه على ثلاثه عناصر أساسيه هي: المربي و النظام التربوي و المتربي. و حينما تفتقد العمليه التربويه المربي الكفوء أو النظام التربوي الصالح فإنها سوف تنحرف و لا تؤتي ثمارها الصالحه.

و قد جاء الإسلام ليربي المجتمع البشري بقيادة الرسول الخاتم المصطفى محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و اله) و خطى النبي (صلى الله عليه و اله) في طريق التريه الشاق خطوات كبيره، و استطاع في ظل الشريعة الاسلاميه و نظام الإسلام التربوي أن يربي من تلك الجماعات الجاهليه امه صالحه و رشيده.

و لكن فقدت الامه الاسلاميه المربي الكفوء حين غادرها الرسول (صلى الله عليه و اله) الى ربه، و بهذا انهدم العنصر الأول من عناصر التريه الثلاثه.

و كان انهدام هذا العنصر كفيلا بهدم العنصرين الآخرين إذ لم يكن من تزعم قياده التجربه بعد النبي (صلى الله عليه و اله) كفوءا لها ككفاءه النبي نفسه، علما و عصمه و نزاهه و قدره و شجاعه و كمالا.

أجل؛ لقد تزعم التجربه من لم يكن معصوما و لا- منصهرا في مفاهيم رساله و لا قادرا على حفظ الامه من الانحراف عن الخط الذي رسمه الرسول (صلى الله عليه و اله) و سلم لها، ذلك الانحراف الذي لم يعرف المسلمون مدى عمقه

و مدى تأثيره السلبي على الدوله و الامه و الشريعه على طول الخط و لعلهم اعتبروه تغييرا فى شخص القائد لا تغييرا فى خط قياده.

و قد قام الأئمه من أهل البيت (عليهم السّلام) بدور جبار لصيانته الإسلام و الحفاظ على تجربه الاسلاميه و على دوله الرسول و حاولوا جهد إمكانهم حفظ الامه المسلمه من التمدادى فى الانحراف و الانهيار، و عملوا بشكل عام على خطين رئيسين للوقوف بوجه هذا الانحراف الكبير الذى لم يدرك إلا الرسول (صلى الله عليه و اله) و أهل بيته الأطهار مدى عمقه و خطورته على الشريعه و الدوله و الامه جميعا.

و الخطان الرئيسان اللذان عمل الأئمه (عليهم السّلام) عليهما و كان عليهم أن يوظفوا لذلك نشاطهم يتمتّلان فى:

١- خط تحصين الامه ضد الانهيار بعد وقوع تجربه، بأيدى اناس غير مؤهلين لقيادتها، و اعطائها القدر الكافى من المقومات لكى تواصل مسيرتها فى الاتجاه الصحيح، و بقدم راسخه.

٢- خط محاوله تسلّم زمام تجربه و زمام الدوله و محو آثار الانحراف و إرجاع القياده الكفوءه إلى موضعها الطبيعى لتكتمل عناصر التربيه و لتتلاحم الامه و المجتمع مع الدوله و القياده الرشيد (١).

اما الخط الثانى فكان على الأئمه الراشدين أن يقوموا له بإعداد طويل المدى، من أجل تهيئه الظروف الموضوعيه اللازمه التى تتناسب مع مجموعته القيم و الأهداف و الأحكام الاساسيه التى جاءت بها رساله الاسلاميه و أريد تحقيقها من خلال الحكم و ممارسه الزعامه باسم الإسلام القيم و باسم الله المشرّع للانسان تشريعا يوصله إلى كماله اللائق به.

ص: ٥٦

١- (١) أهل البيت، تنوع أدوار و وحده هدف: ٥٩.

و من هنا كان رأى الأئمة الأطهار فى استلام زمام الحكم هو: أن الانتصار المسلح الآنئى غير كاف لإقامه دعائم الحكم الاسلامى المستقر، بل يتوقف ذلك على إعداد جيش عقائدى يؤمن بالامام و بعصمته إيماناً مطلقاً و يعيش جميع أهدافه الكبيره، و يدعم تخطيطه فى مجال الحكم، و يحرس ما يحققه للامه من مصالح أرادها الله لها فى هذه الحياه.

و أما الخط الأول فهو الخط الذى لا يتنافى مع كل الظروف القاهره و المؤاتيه، و كان يمارسه الأئمه (عليهم السلام) حتى فى حاله الشعور بعدم توفر الظروف الموضوعيه التى تسمح للإمام بخوض معركه يتسلم من خلالها زمام الحكم من جديد.

ان هذا الخط يتمثل فى تعميق الرساله فكرىاً و روحياً و سياسياً فى الامه نفسها؛ بغيه إيجاد تحصين كاف فى صفوفها ضد الانهيار، بعد تردى تجربته و سقوطها، و ذلك بايجاد قواعد و اعليه فى الامه و ايجاد روح رساليه فيها و ايجاد عواطف صادقه تجاه هذه الرساله فى الامه (1).

و استلزم عمل الأئمة الأطهار (عليهم السلام) فى هذين الخطين قيامهم بدور رسالى إيجابى و فعال على طول الخط لحفظ الرساله و الامه و الدوله و حمايتها جميعاً باستمرار.

و كلما كان الانحراف يشتد كان الائمه الأطهار يتخذون التدابير اللازمه ضد ذلك، و كلما وقعت محنه للعقيده أو تجربه الاسلاميه و عجزت الزعامات المنحرفه من علاجها-بحكم عدم كفاءتها- بادر الأئمه (عليهم السلام) إلى تقديم الحل و وقايه الامه من الأخطار التى كانت تهددها.

ص: ٥٧

١- (١) أهل البيت، تنوع ادوار و وحده هدف: ١٣١-١٣٢ و ١٤٧-١٤٨.

فالأئمة المعصومون (عليهم السّلام) كانوا يحافظون على المقياس العقائدى فى المجتمع الاسلامى إلى درجه لا تنتهى بالامه إلى الخطر الماحق لها (١).

و من هنا تنوّع عمل الأئمة (عليهم السّلام) فى مجالات شتى باعتبار تعدّد العلاقات و تعدّد الجوانب و المهامّ التى تهتمّهم باعتبارهم القيادة الواعيه الرشيده التى تريد تطبيق الإسلام و حفظه للانسانيه جمعاء.

فالأئمة الأطهار (عليهم السّلام) مسؤولون عن صيانته تراث الرسول الاعظم (صلّى الله عليه و اله) و ثمار جهوده الكريمه المتمثله فى النقاط الأربع التاليه:

١- الشريعه و الرساله التى جاء بها الرسول الأعظم من عند الله تعالى و المتمثله فى الكتاب الكريم و السنه الشريفه.

٢- الامه التى كوّننها و ربّاه الرسول الكريم بيديه الكريمتين.

٣- الكيان السياسى الاسلامى الذى أوجده النبى (صلّى الله عليه و اله) و الدوله التى أسسها و شيّد أركانها.

٤- القيادة النموذجيه التى حققها بنفسه و ربّى من يكون كفوء لتجسيدها من أهل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

لكنّ عدم امكان الحفاظ على هذا المركز القيادى و تفويت الفرصه على القيادة التى عينها الرسول (صلّى الله عليه و اله) بأمر من الله تعالى لا يمنع من ممارسه مسؤوليه الحفاظ على المجتمع الاسلامى السياسى و صيانته الدوله الاسلاميه من الانهيار بالقدر الممكن الذى يتسنى للقيادة الشرعيه بالفعل و بمقدار ما تسمح به الظروف الراهنه.

كما ان سقوط الدوله الاسلاميه لا يحول دون الاهتمام بالامه المسلمه

ص: ٥٨

١- ((١)) أهل البيت تنوع أدوار و وحده هدف: ١٤٤.

و دون الاهتمام بالرسالة و الشريعة الإسلاميه و صيانتها من الانهيار و الاضمحلال التام.

و على هذا الاساس تنوّعت مجالات عمل الائمه الطاهرين (عليهم السّلام) بالرغم من اختلاف ظروفهم من حيث نوع الحكم القائم، و من حيث درجه ثقافه الأئمه و مدى و عيها، و مدى إيمانها و معرفتها بالأئمه (عليهم السّلام)، و مدى انقيادها للحكام المنحرفين، و من حيث نوع الظروف المحيطه بالكيان الاسلامى و الدوله الاسلاميه، و من حيث درجه التزام الحكّام بالاسلام، و من حيث نوع الأدوات التى كانوا يستخدمونها لدعم حكمهم و إحكام سيطرتهم على رقاب الأئمه.

فقد كان لائمه أهل البيت (عليهم السّلام) نشاط مستمر تجاه الحكم القائم و الزعامات المنحرفه، و قد تمثّل فى إيقاف الحاكم عن المزيد من الانحراف، بالتوجيه الكلامى، أو بالثوره المسلحه ضد الحاكم حينما كان يشكّل انحرافه، خطرا ما حقا، كثوره الإمام الحسين (عليه السّلام) ضد يزيد بن معاويه و ان كلّفهم ذلك حياتهم، أو عن طريق إيجاد المعارضه المستمره و دعمها بشكل و آخر من أجل زعزعه القيادة المنحرفه بالرغم من دعمهم للدوله الاسلاميه بشكل غير مباشر حينما كانت تواجه خطرا ما حقا أمام الكيانات الكافره.

و كان لهم (عليهم السّلام) نشاط مستمر كذلك فى مجال تربيه الامه عقائديا و أخلاقيا و سياسيا و ذلك من خلال تربيه الأصحاب العلماء و بناء الكوادر العلميه و الشخصيات النموذجيه التى تقوم بمهمه نشر الوعى و الفكر الاسلامى و تصحيح الأخطاء الحاصله فى فهم الرساله و الشريعه، و مواجهه التيارات الفكرية الوافده أو التيارات السياسيه المنحرفه أو الشخصيات العلميه المنحرفه التى كان الحكام الجائرون يستخدمونهم لدعم حكوماتهم. و كانت

من جمله مهامهم دعوه الناس الى السير وراء القيادة الإلهيه بعد الرسول (عليهم السّلام) و المتمثله فى إمامه أهل البيت الأطهار، و تصعيد درجه معرفه الامه و الايمان بهم و الوعى اللازم تجاه امامتهم و زعامتهم.

هذا بالإضافة الى نزول الأئمه (عليهم السّلام) إلى ساحه الحياه العامه و الارتباط بالامه بشكل مباشر و التعاطف مع قطاع واسع من المسلمين؛ فإن الزعامه الجماهيريه الواسعه النطاق التى كان يتمتع بها أئمه أهل البيت (عليهم السّلام) على مدى قرون لم يحصلوا عليها صدفة، أو لمجرد الانتماء الى رسول الله (صلى الله عليه و اله)؛ و ذلك لوجود كثير ممن كان ينتسب إلى رسول الله (صلى الله عليه و اله) و لم يكن يحظى بهذه المكانه عند الناس؛ لأن الامه لا تمنح ولاءها لأحد مجانا، و لا يملك أحد قيادتها و ميل قلوبها من دون عطاء سخى منه فى مختلف مجالات الحياه، و خاصه عند الأزمات، و المشاكل.

و هكذا خرج الإسلام على مستوى النظرية سليما من الانحراف و ان تشوّهت معالم التطبيق، كما أنّ بفضل قياده أهل البيت الفكرية و المعنويه تحوّلت الامه إلى امه عقائديه تقف بوجه الغز و الفكرى و السياسى الكافر و استطاعت أن تسترجع قدرتها و تماسكها على المدى البعيد كما لاحظناه فى القرن المعاصر بعد عصور الانهيار و التردى.

و قد حقق الأئمه المعصومون (عليهم السّلام) كل هذه الانتصارات بفضل اهتمامهم البالغ بتربيته الكتله الصالحه التى آمنت بهم و بإمامتهم و بفضل إشرافهم على تنميه و عى هذه الكتله و ايمانها من خلال التخطيط لسلوكها و حمايتها باستمرار و اسعافها بكل الأساليب التى كانت تساعد على صمودها فى خضمّ المحن و ارتفاعها إلى مستوى جيش عقائدى رسالى يعيش هموم الرساله و يعمل على صيانتها و نشرها و تطبيقها ليل نهار.

و إذا رجعنا إلى تاريخ أهل البيت (عليهم السّلام) و الظروف المحيطة بهم و لاحظنا سلوكهم و مواقفهم العامه و الخاصه استطعنا أن نصنّف ظروفهم و مواقفهم إلى مراحل و عصور ثلاثه يتميز بعضها عن بعض بالرغم من اشتراكهم في كثير من الظروف و المواقف و لكن الأدوار تتنوع باعتبار مجموعه الظواهر العامه التي تشكل خطًا فاصلا و مميزا لكل عصر.

فالمرحلة الاولى من حياه الأئمة (عليهم السّلام) و هي (مرحلة تفاعلية صدمه الانحراف) بعد وفاه رسول الله (صلى الله عليه و اله و سلم) تجسّدت في سلوك و مواقف الأئمة الأربعة: علي و الحسن و الحسين و علي بن الحسين (عليهم السّلام) إذ قاموا بالتحصينات اللازمه لصيانته العناصر الاساسيه للرساله و ان لم يستطيعوا القضاء على القيادة المنحرفه. لكنهم استطاعوا كشف زيفها و المحافظه على الرساله الاسلاميه نفسها. و بالطبع انهم لم يهملوا أمر الامه أو الدوله الاسلاميه بشكل عام و لم يحرموها من رعايتهم و اهتمامهم إذا ارتبط الأمر بالكيان الاسلامي و الامه المسلمه، هذا فضلا عن سعيهم البليغ في بناء و تكوين الكتله الصالحه المؤمنه بقيادتهم.

و تبدأ المرحلة الثانيه بالشرط الثاني من حياه الإمام السجاد السياسيه حتى الإمام الكاظم (عليهما السّلام) و تتميز بأمرين اساسيين:

١- فيما يرتبط بالخلافه المزيّفه فقد تصدى هؤلاء الأئمة لتعريتها عمّا بدأ الخلفاء يحصّون به أنفسهم و يبرّون أفعالهم، من خلال دعم طبقه من المحدثين و العلماء (من وعاظ السلاطين) لهم و تقديم التأييد و الولاء لهم من أجل اسباغ الصبغه الشرعيه على زعامتهم بعد أن استطاع الأئمة في
المرحلة

الاولى أن يكشفوا زيف خط الخلافه و أن يحسّسوا الأئمه بمضاعفات الانحراف الذى حصل فى مركز القيادة بعد الرسول الاعظم (صلى الله عليه و اله و سلم).

٢- فيما يرتبط ببناء الجماعه الصالحه الذى ارسيت دعائمه فى المرحله الاولى فقد تصدى الأئمه المعصومون فى هذه المرحله إلى تحديد الاطار التفصيلى و ايضاح معالم الخط الرسالى الذى أوّتمن الأئمه الأطهار (عليهم السّلام) عليه و الذى تمثّل فى تبين و نشر معالم النظرية الاسلاميه الاماميه و تربيته عدّه أجيال من العلماء على أساس هذه النظرية فى قبال خط علماء البلاط و الذين عرفوا بوعاظ السلاطين.

هذا فضلا عن تصديهم لدفع الشبهات و كشف زيف الفرق المذهبيه التى استحدثت من قبل خط الخلافه أو غيره.

و الأئمه فى هذه المرحله لم يتوانوا فى زعزعه قواعد الزعامات و القيادات المنحرفه من خلال دعم بعض الخطوط المعارضه للسلطه و لا سيما الثوريه منها التى كانت تتصدى لمواجهه من ترّبع على كرسىّ خلافه الرسول (صلى الله عليه و اله و سلم) بعد ثوره الإمام الحسين (عليه السّلام).

و المرحله الثالثه من حياه الأئمه من أهل البيت (عليهم السّلام) تبدأ بشطر من حياه الإمام الكاظم (عليه السّلام) و تنتهى بالإمام المهدي (عليه السّلام)؛ فانهم بعد وضع التحصينات اللازمه للكتله الصالحه و رسم المعالم و الخطوط التفصيليه لها - عقائديا و اخلاقيا و سياسيا فى المرحله الثانيه - قد بدا للخلفاء أن قياده أهل البيت (عليهم السّلام) أصبحت بمستوى تسلّم زمام الحكم و العوده بالمجتمع الاسلامى إلى حظيره الإسلام الحقيقى، و هو أمر استتبع ردود فعل من جانب الخلفاء تجاه الأئمه (عليهم السّلام)، و كانت مواقف الأئمه تجاه الخلفاء تابعه و مناسبه لنوع موقف الخليفه تجاههم و تجاه قضيتهم.

و أما فيما يرتبط بالكتلة الصالحة التي أوضحتها لها معالم منهجها فقد عمل الأئمة (عليهم السلام) على دفعها نحو الثبات و الاستقرار و الانتشار من أجل تحصينها من الانهيار و إعطائها درجة من الاكتفاء الذاتى، و كان فى تقدير الأئمة انهم بعد مواجهه المستمره للخلفاء سوف لا يسمح لهم بالمكث بين ظهرانيهم و سوف لن يتركهم الخلفاء أحرارا بعد أن تبين للأئمة عدم شرعيتهم و اتضحت لهم المكانه الشعبيه للأئمة (عليهم السلام) الذين كانوا يمثلون الزعامه الشرعيه و الاهتمام الحقيقى بشؤون الامه الاسلاميه.

و من هنا تجلت حكمه تربيه الفقهاء على نطاق واسع ثم إرجاع الناس إليهم و تدريبهم على مراجعتهم فى قضاياهم و شؤونهم العامه تمهيدا للغيه التى لا- يعلم مداها إلا- الله سبحانه و التى اخبر الرسول (صلى الله عليه و اله و سلم) عن تحققها و فرضت الظروف على الأئمة و أتباعهم الانصياع لها.

و بهذا استطاع الأئمة (عليهم السلام) و ضمن تخطيط بعيد المدى أن يقفوا فى وجه المسلسل الطبيعى للمضاعفات الناشئه عن الانحراف فى القيادة و التى كانت تنتهى بتنازل الامه عن الإسلام الصحيح، و بالتالى ضمور الشريعه و انهيار رساله الإلهيه بشكل كامل.

فالذى جعل الامه لا تتنازل عن الإسلام هو تقديم مثل آخر للإسلام و اوضح المعالم، أصيل المثل و القيم، أصيل الأهداف و الغايات، و قد قدمت هذه الاطروحه للأئمة من قبل الواعين من المسلمين بزعامه الأئمة من أهل البيت المعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا.

إن هذه الاطروحه التى قدمها الأئمة (عليهم السلام) للإسلام المحمدي لم تكن لتتفاعل مع الشيعة المؤمنين بإمامه أهل البيت (عليهم السلام) فقط، بل كان لها صدى كبير فى كل العالم الاسلامى، فالأئمة الأطهار كانت لهم اطروحه للإسلام

و كانت لهم دعوى لإمامتهم و هذه الدعوى و ان لم يطلبوا لها إلا عددا ضئيلا من مجموع الامه الاسلاميه و لكن الامه بمجموعها تفاعلت مع هذه الاطروحه التي تمثل النموذج الواضح و المخطط الصحيح للصريح للإسلام فى كل المجالات العامه و الخاصه، ثقافيا و اجتماعيا و سياسيا و اقتصاديا و خلقيا، مما جعل المسلمين على مرّ الزمن يسهرون على الإسلام و يقيمونه و ينظرون اليه بمنظار آخر غير منظار الواقع الذى كانوا يعيشونه من خلال الحكم القائم الذى تلاعب بالإسلام و غير معالمه (١).

هذا و ستكون لنا وقفه تفصيليه مع الاطروحه الكامله التي طُبِّقها و المنهج الذى انتهجه الإمام (عليه السلام) لبناء الجماعه الصالحه فى الباب الرابع إن شاء الله تعالى.

ص: ٦٤

١- (١) أهل البيت، تنوع ادوار و وحده هدف: ٧٩-٨٠ مع بعض التصرف.

إشاره

وقائع و أحداث هامه فى عصر الإمام الباقر (عليه السلام)

إذا اردنا أن نقف على ملامح المرحله التى مارس فيها الإمام الباقر (عليه السلام) قيادته للامه الاسلاميه بعد والده الإمام زين العابدين (عليهما السلام) ووجب أن نقف على أهم الأحداث التى مهّدت لتلك المرحله و نلاحظ مدى علاقتها بالإمام الباقر (عليه السلام) كمرشح للقياده فى حياه والده و ممارس لها بعد ذلك.

لقد شيدت اسس الحكم الاموى المروانى أيام عبد الملك بن مروان باعتباره أول حاكم مقتدر للحكم المروانى. و قد رسمت إجراءاته السياسيه ملامح المرحله التى نريد دراستها.

قال بعض المؤرخين: إن عبد الملك بن مروان قبل أن يتقلد الخلافه كان يظهر النسك و العباده، فلما بشر بالملك كان بيده المصحف الكريم فأطبقه و قال: هذا آخر العهد بك، أو قال: هذا فراق بينى و بينك (١).

و لقد اتصف عبد الملك بأخس الصفات و أحطها و التى كان من بينها:

١- الطغيان و الجبروت: قال المنصور: كان عبد الملك جبارا لا يبالى ما صنع (٢) و كان فاتكا لا يعرف الرحمه و العدل، و قد قال: فى خطبته بعد قتله

ص: ٦٥

١- ((١)) تاريخ ابن كثير: ٢٦٠/٨.

٢- ((٢)) النزاع و التخاصم للمقرئى: ٨.

لابن الزبير: لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامى هذا إلا ضربت عنقه (١)، وهو أول من نهى عن الكلام بحضرة الخلفاء (٢).

٢-الغدر و نكث العهد: فقد أعطى الأمان لعمرو بن سعيد الأشدق على أن تكون الخلافة له من بعده إلا أنه غدر به، و قتل ورمى برأسه الى أصحابه (٣) و لم يرع و شيجه النسب التي كانت تربطه بعمرو.

لقد خاف عبد الملك من الأشدق، إذ لو كان حيا لاتخذ التدابير للقضاء على حكم بني مروان و لكن عبد الملك تغدى به قبل أن يتعشى به عمر، و قد انتقم الله منه؛ لأنه كان جبارا مسرفا فى إراقه دماء المسلمين و إشاعه الخوف و الرعب فيهم.

٣-القسوة و الجفاء: حيث انعدمت من نفسه الرحمة و الرأفة، حتى أنه بالغ فى إراقه الدماء و سفكها بغير حق، و قد اعترف بذلك هو حين قالت له أم الدرداء: بلغنى أنك شربت الطلى -يعنى الخمر- بعد العباد و النسك، فقال لها غير متأثم: «إى و الله و الدماء شربتها» (٤).

و قد نشر الثكل و الحزن و الحداد فى بيوت المسلمين أيام حكمه الرهيب حتى أنه خطب فى يثرب بعد قتله لابن الزبير خطابا قاسيا أعرب فيه عما كان يحمله فى قراره نفسه من القسوة و السوء قائلا: «إنى لا اداوى أدواء هذه الامه إلا بالسيف حتى تستقيم لى قناتكم...» (٥).

ص: ٦٦

١- (١) تاريخ الخلفاء للسيوطى: ٢١٩.

٢- (٢) المصدر السابق: ٢١٨.

٣- (٣) تاريخ اليعقوبى: ١٩٠/٢، ط ١، الأعلمى بيروت، ١٤١٣ هـ.

٤- (٤) مختصر تاريخ دمشق: ٢١٩/١٥، ترجمه عبد الملك بن مروان رقم ٢١٠.

٥- (٥) تاريخ ابن كثير: ٦٤/٩.

٤-البخل: فكان يسمى (رشح الحجاره) لشده شحه و بخله (١) و قد عانت الامه فى أيام حكمه الجوع و الفقر و الحرمان.

من بدع عبد الملك: خاف عبد الملك أن يتصل ابن الزبير بأهل الشام فيفسدهم عليه فمنعهم من الحج، فقالوا له: أئمنعنا من الحج و هو فريضه فرضها الله، فقال: قال ابن شهاب الزهري أنّ رسول الله (صلى الله عليه و اله) قال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، و مسجدى، و مسجد بيت المقدس.

و صرفهم بذلك عن الحج الى بيت الله الحرام، و صيره الى بيت المقدس و قد استغل الصخره التى فيه، و روى فيها أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) قد وضع قدمه عليها حين صعوده الى السماء فأقامها لهم مقام الكعبه فبنى عليها قبه و على فوقها ستور الديباج، و أقام لها سدنه، و أمر الناس أن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبه (٢).

و انتقص عبد الملك سلفه من حكام بنى اميه، و قد أدلى بذلك فى خطابه الذى ألقاه فى يثرب، إذ جاء فيه: «إني و الله ما أنا بالخليفه، المستضعف-يعنى عثمان- و لا بالخليفه المداهن-يعنى معاويه- و لا بالخليفه المأفون (٣)-يعنى يزيد».

و علق ابن أبى الحديد على هذه الكلمات بقوله: «و هؤلاء سلفه و أئمته، و بشفعتهم قام ذلك المقام، و بتقدمهم و تأسيسهم نال تلك الرياسه، و لو لا العاده المتقدمه، و الأجناد المجنده و الصنائع القائمه، لكان أبعد خلق الله من ذلك

ص: ٦٧

١- (١) تاريخ القضاعى: ٧٢.

٢- (٢) اليعقوبى: ٣١١/٢.

٣- (٣) المأفون: الضعيف الرأى.

المقام، وأقربهم إلى المهلكة إن رام ذلك الشرف...» (١).

من جرائم عبد الملك: وأخطر عمل قام به عبد الملك توليته للسفّاك المعروف الحجاج بن يوسف الثقفي، فقد عهد بأمور المسلمين إلى هذا الانسان الممسوخ الذي اشتهر بقساوته و شهوته في إراقه الدماء.

لقد منحه عبد الملك صلاحيات واسعة النطاق، فجعله يتصرف في امور الدوله حسب رغباته التي لم تكن تخضع إلاّ لمنطق البطش و الاستبداد، وقد أمعن هذا الأثيم في النكايه بالناس، وقهرهم و إذلالهم، و قد خلق في البلاد الخاضعه لنفوذه جوا من الأزمات السياسيه التي لا عهد للناس بمثلها.

و نغم علماء المسلمين و خيارهم على الحجاج، و كان عمر بن عبد العزيز من الناقمين على الحجاج، و الساخطين عليه، حتى قال فيه: «لو جاءت كل امه بخبيثها، و جئنا بالحجاج لغلبناهم» (٢).

و قال عاصم: «ما بقيت لله عزّ و جل حرمه إلاّ و قد ارتكبها الحجاج» (٣).

و قال طاووس: «عجبت لمن يسمى الحجاج مؤمنا» (٤).

و قال ابن عماد الحنبلي عنه: «سنه خمس و تسعين فيها أراح الله العباد و البلاد بموت الحجاج بن يوسف الثقفي في ليله مباركه على الامه... كان لا يصبر عن سفك الدماء و انه اكبر لذاته و له مقحّمات عظام» (٥).

و لما أراد الحج ولى على العراق شخصا اسمه محمد، و قد خطب بين الناس فقال لهم: إنى قد استعملت عليكم محمدا، و قد أوصيته فيكم خلاف

ص: ٦٨

١- (١) شرح ابن أبي الحديد: ٢٥٧/١٥.

٢- (٢) نهايه الإرب: ٣٣٤/٢١.

٣- (٣) تاريخ ابن كثير: ١٣٢/٩.

٤- (٤) تهذيب التهذيب: ٣١١/٢.

٥- (٥) شذرات الذهب: ١٠٦/١-١٠٧.

وصيه رسول الله (صلى الله عليه و اله) بالأنصار فانه قد أوصى أن يقبل من محسنهم، و يتجاوز عن مسيئهم، و قد أوصيته أن لا يقبل من محسنكم، و لا يتجاوز عن مسيئكم...» (١).

و قال الدميرى: «كان الحجاج لا يصبر عن سفك الدماء، و كان يخبر عن نفسه أن اكبر لذاته إراقتة للدماء، و ارتكاب امور لا يقدر عليها غيره» (٢).

و قد بالغ فى قتل الناس بغير حق، فقد كان عدد من قتلهم صبوا-سوى من قتل فى حروبه-مائه و عشرين ألفا (٣) و قيل مائه و ثلاثين ألفا (٤).

و قد اعترف رسميا بسفك الدماء بغير حق فقد قال: «و الله ما أعلم اليوم رجلا على ظهر الأرض هو أجرأ على دم منى» (٥).

و انكر عليه عبد الملك إسرافه فى ذلك إلا أنه لم يعن به (٦).

و قد وضع سيفه فى رقاب القراء و العباد لأنهم أيدوا ثوره ابن الأشعث، و كان من جمله من قتلهم صبوا سعيد بن جبير أحد أبرز علماء الكوفه و زهادها، و لما بلغ الحسن البصرى نبأ قتله قال: و الله لقد مات سعيد بن جبير يوم مات و أهل الأرض من مشرقها الى مغربها محتاجون لعلمه (٧).

و حكم جماعه من اعلام المسلمين بكفره و إلحاده، منهم سعيد بن جبير النخعى، و مجاهد، و عاصم بن أبى النجود، و الشعبى و غيرهم (٨).

ص: ٦٩

١- (١) مروج الذهب: ٨٦/٣.

٢- (٢) حياه الحيوان للدميرى: ١٦٧/١.

٣- (٣) تهذيب التهذيب: ٢١١/٢، تيسير الوصول: ٣١/٤، التنبيه و الاشراف: ٣١٨، معجم البلدان: ٣٤٩/٥.

٤- (٤) حياه الحيوان: ١٧٠/١، تاريخ الطبرى.

٥- (٥) طبقات ابن سعد: ٦٦/٦.

٦- (٦) مروج الذهب: ٧٤/٣.

٧- (٧) حياه الحيوان: ١٧١/١.

٨- (٨) تهذيب التهذيب: ٢١١/٢.

و ذلك لأنّ الحجاج قد استهان بالنبي العظيم (صلى الله عليه و اله) حتى فضّل عبد الملك ابن مروان عليه و ذلك حين خاطب الله تعالى أمام الناس قائلاً: «أرسولك أفضل -يعنى النبي- أم خليفتك -يعنى عبد الملك؟ (١)».

و كان ينقم و يسخر من الذين يزورون قبر النبي (صلى الله عليه و اله) و يقول: «تيا لهم إنما يطوفون بأعواد و رمه باليه، هلاًّ- طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك، ألا يعلمون أنّ خليفه المرء خير من رسوله!؟ (٢)».

و حفل حكم هذا الخبيث بالجرائم و الموبقات فقد نكّل بشيعة آل البيت (عليهم السّلام) و أذاع فيهم القتل، و أشاع فى بيوتهم الثكل و الحزن و الحداد، فى الوقت الذى كان عبد الملك قد كتب اليه: «جنبني دماء بنى عبد المطلب فليس فيها شفاء من الحرب، و إنى رأيت آل بنى حرب قد سلبوا ملكهم لما قتلوا الحسين بن على» (٣).

و لكن الحجاج قد تعرض للعلويين و شيعتهم فانطلقت يده فى الفتك بهم و سفك دمائهم حتى أن الرجل كان أحب اليه أن يقال له زنديق من أن يقال له من شيعة على (٤). و قال المؤرخون: إن خير وسيلة للتقرب الى الحجاج كانت انتقاص الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) عنده فقد أقبل إليه بعض المرتزقة من أوغاد الناس و أجلافهم و هو رافع عقيرته قائلاً:

«أيها الأمير، إن أهلى عقونى فسمونى علياً، و إنى فقير بئس، و أنا الى صله الأمير محتاج...». فسّر الحجاج بذلك و قال: «للطف ما توصلت به، فقد

ص: ٧٠

١- (١) النزاع و التخاصم للمقرئى: ٢٧، رسائل الجاحظ: ٢٩٧.

٢- (٢) شرح النهج: ٢٤٢/١٥.

٣- (٣) العقد الفريد: ١٤٩/٣.

٤- (٤) شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ١١/٤٣-٤٤، تاريخ الشيعة: ٤٠.

و لیتک موضع کذا» (۱).

و علی أى حال فقد أصبح أتباع أهل البيت (عليهم السلام) فى عهد هذا الجلاد طعمه للسيوف و الرماح، إذ نكل بهم و قتلهم و لا حقهم تحت كل حجر و مدر و أودع الكثيرين منهم السجون، و أثار جوا من الارهاب، لم نشهد له مثيلا حتى فى أيام الطاغية زياد بن أبيه و ابنه عبيد الله.

و امتحنت الكوفه فى أيام هذا الجبار كأشد ما تكون المحنه، فقد أخذ يقتل على الظنه و التهمه، و خطب فى الكوفه خطابا قاسيا، لم يحمد الله فيه، و لم يثن عليه، و لم يصل على النبي (صلى الله عليه و اله) و كان من جمله ما قال فيه:

«يا أهل العراق، يا أهل الشقاق، و النفاق، و المراق، و مساوىء الاخلاق ان امير المؤمنين - يعنى عبد الملك - قتل كنانته فعجمها عودا عودا، فوجدنى من أمرها عودا، و أصعبها كسرا، فرماكم بى، و انه قلدى عليكم سوطا و سيفا، فسقط السوط و بقى السيف (۲). ثم قال: إني و الله لأرى أبصارا طامحه، و أعناقا متطاولة، و رؤوسا قد أينعت، و حان قطافها، و إني أنا صاحبها كأني أنظر الى الدماء تترقق بين العمائم و اللحي (۳) ثم أنشد:

أنا ابن جلا و طلاع الثنايا متى أضع العمامه تعرفونى

و من جرائم هذا الطاغية: انه قاد جيشا مكثفا الى مكه لمحاربه ابن الزبير، و قد حاصر البيت الحرام ستة أشهر و سبع عشره ليله، و قد أمر برمى الكعبه المشرفه فرميت من جبل أبى قبيس بالمنجنيق (۴).

ص: ٧١

١- (١) حياه الإمام الحسن بن على: ٣٣٦/٢.

٢- (٢) تاريخ يعقوبى: ٦٨/٣.

٣- (٣) مروج الذهب: ٦٨/٣.

٤- (٤) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر: ٥٠/٤، تاريخ الخلفاء للسيوطى: ٨٤، تاريخ ابن كثير: ٦٣/٩.

و اتخذ الحجاج سجونا لا تقى من حر و لا برد، و كان يعذب المساجين بأقسى ألوان العذاب، حتى قال المؤرخون: انه مات فى حبسه خمسون الف رجل، و ثلاثون الف امرأه منهن ستة عشر الفا مجردات و كان يحبس الرجال و النساء فى موضع واحد (١) و احصى فى محبسه ثلاث و ثلاثون الف سجين لم يحبسوا فى دين و لا- تبعه (٢) و كان يقول لأهل السجن: «اخشأوا فيها و لا تكلمون» (٣) تشبيها لهم بأهل النار، و تشبيها لنفسه بالخالق تعالى، عتوا و تكبرا منه.

و تلقى المسلمون نبأ وفاته بمزيد من السرور و الأفراح، و كانت الشنائم تلاحقه من يوم وفاته حتى يرث الله الأرض و من عليها.

الإمام الباقر (عليه السلام) مع عبد الملك بن مروان:

أوعز عبد الملك الى عامله على يثرب باعتقال الإمام محمّد الباقر (عليه السلام) و إرساله إليه مخفورا، و تردد عامله فى اجابته و رأى أن من الحكمة اغلاق ما أمر به فأجابه بما يلي:

«ليس كتابى هذا خلافا عليك، و لا ردّا لأمرك، و لكن رأيت أن أراجعك فى الكتاب نصيحه و شفقه عليك، فان الرجل الذى أردته ليس على وجه الأرض اليوم أعف منه، و لا أزهده، و لا أروع منه، و أنه ليقراً فى محرابه فيجتمع الطير و السباع إليه تعجبا لصوته، و إن قراءته لتشبه مزامير آل داود، و إنه لمن أعلم الناس، و أرف الناس، و أشد الناس اجتهادا و عباده، فكرهت لأمير

ص: ٧٢

١- (١) حياه الحيوان للدميرى: ١٧٠/١.

٢- (٢) معجم البلدان: ٣٤٩/٥.

٣- (٣) تهذيب التهذيب: ٢١٢/٢.

المؤمنين التعرض له، فإن الله لا يغير ما بقوم، حتى يغيروا ما بأنفسهم...».

ان هذه الرساله لما وافت عبد الملك عدل عن رأيه فى اعتقال الإمام(عليه السلام) و رأى أن الصواب فيما قاله عامله (١).

الإمام الباقر(عليه السلام) و تحرير النقد الاسلامى:

قام الإمام أبو جعفر(عليه السلام) بأسمى خدمه للعالم الاسلامى، فقد حَزَرَ النقد من التبعية للإمبراطوريه الروميه، حيث كان النقد يصنع هناك و يحمل شعار الروم النَّصارى، و قد جعله الإمام(عليه السلام) مستقلا بنفسه يحمل الشعار الاسلامى، و قطع الصله بينه و بين الروم.

أما السبب فى ذلك فهو أن عبد الملك بن مروان نظر الى قرطاس قد طرز بمصر فأمر بترجمته الى العربيه، فترجم له، و قد كتب عليه الشعار المسيحى الألب و الابن و الروح فأنكر ذلك، و كتب الى عامله على مصر عبد العزيز بن مروان بإبطال ذلك و أن يحمل المطرزين للثياب و القراطيس و غيرها على أن يطرزوها بشعار التوحيد، و يكتبوا عليها «شهد الله أنه لا إله إلا هو» و كتب الى عماله فى جميع الآفاق بإبطال ما فى أعمالهم من القراطيس المطرزه بطراز الروم، و معاقبه من وجد عنده شىء بعد هذا النهى.

و قام المطرزون بكتابه ذلك، فانتشرت فى الآفاق، و حملت الى الروم و لما علم ملك الروم بذلك انتفخت أوداجه، و استشاط غيظا و غضبا فكتب الى عبد الملك أن عمل القراطيس بمصر، و سائر ما يطرز إنما يطرز بطراز الروم الى أن أبطلته، فان كان من تقدمك من الخلفاء قد أصاب فقد أخطأت، و إن كنت

ص: ٧٣

١- (١) الدر النظيم: ١٨٨، ضياء العالمين الجزء الثانى فى أحوال الإمام الباقر(عليه السلام).

قد أصبت فقد أخطأوا، فاختر من هاتين الحالتين أيهما شئت و أحببت، و قد بعثت إليك بهديه تشبه محللك، و أحببت أن تجعل رد ذلك الطراز الى ما كان عليه فى جميع ما كان يطرز من أصناف الاعلاق حاله أشكرك عليها و تأمر بقبضه الهديه.

و لما قرأ عبد الملك الرساله أعلم الرسول أنه لا- جواب له عنده كما رد الهديه، و قفل الرسول راجعا الى ملك الروم فأخبره الخبر، فضعف الهديه و كتب إليه ثانيا يطلب باعاده ما نسخته من الشعار، و لما انتهى الرسول الى عبد الملك ردّه، مع هديته، و ظل مصمما على فكرته، فمضى الرسول الى ملك الروم و عرفه بالأمر، فكتب الى عبد الملك يتهدده و يتوعده و قد جاء فى رسالته:

«أنك قد استخففت بجوابى و هديتى، و لم تسعفنى بحاجتى فتوهمتكم استقللت الهديه فأضعفتها، فجريت على سبيلك الأول و قد أضعفتها ثالثه و أنا أحلف بالمسيح لتأمرن برد الطراز الى ما كان عليه أو لآمرن بنقش الدنانير و الدراهم، فانك تعلم أنه لا ينقش شىء منها إلا ما ينقش فى بلادى، و لم تكن الدراهم و الدنانير نقشت فى الإسلام، فينقش عليها شتم نبيك، فاذا قرأته إرفض جبينك عرقا، فأحب أن تقبل هديتى، و ترد الطراز الى ما كان عليه، و يكون فعل ذلك هديه تودنى بها، و تبقى الحال بينى و بينك...».

و لما قرأ عبد الملك كتابه ضاقت عليه الأرض، و حار كيف يصنع، و راح يقول: أحسبني أشأم مولود فى الإسلام، لأنى جنيت على رسول الله (صلى الله عليه و اله) من شتم هذا الكافر، و سيبقى على هذا العار الى آخر الدنيا فان النقد الذى توعدنى به ملك الروم إذا طبع سوف يتناول فى جميع أنحاء العالم.

و جمع عبد الملك الناس، و عرض عليهم الأمر فلم يجد عند أحد رأيا حاسما، و أشار عليه روح بن زباع، فقال له: إنك لتعلم المخرج من هذا الأمر،

و لكنك تتعمد تركه، فأنكر عليه عبد الملك و قال له: ويحك! من؟ فقال له:

عليك بالباقر من أهل بيت النبي (صلى الله عليه و اله).

فأذن عبد الملك، و صدقه على رأيه، و عرفه أنه غاب عليه الأمر، و كتب من فوره الى عامله على يثرب يأمره بإشخاص الإمام و أن يقوم برعايته و الحتفاء به، و أن يجهزه بمائه ألف درهم، و ثلاثمائه ألف درهم لنفقته، و لما انتهى الكتاب الى العامل قام بما عهد اليه، و خرج الإمام من يثرب الى دمشق فلما سار إليها استقبله عبد الملك، و احتفى به و عرض عليه الأمر فقال (عليه السلام):

«لا يعظم هذا عليك فإنه ليس بشيء من جهتين: إحداهما ان الله عزّ و جلّ لم يكن ليطلق ما تهدد به صاحب الروم في رسول الله (صلى الله عليه و اله) و الاخرى وجود الحيله فيه».

فقال: ماهي؟

قال (عليه السلام): تدعو في هذه الساعه بصناع فيضربون بين يديك سككا للدارهم و الدنانير، و تجعل النقش صورته التوحيد و ذكر رسول الله (صلى الله عليه و اله) احدهما في وجه الدرهم، و الآخر في الوجه الثاني، و تجعل في مدار الدرهم و الدينار ذكر البلد الذي يضرب فيه و السنه التي يضرب فيها، و تعمد الى وزن ثلاثين درهما عددا من الأصناف الثلاثة الى العشره منها وزن عشره مثاقيل، و عشره منها وزن سته مثاقيل، و عشره منها وزن خمسه مثاقيل، فتكون أوزانها جميعا واحدا و عشرين مثقالا، فتجزئها من الثلاثين فيصير العده من الجميع وزن سبعة مثاقيل، و تصب صنجات من قوارير لا تستحيل الى زياده و لا نقصان، فتضرب الدراهم على وزن عشره، و الدنانير على وزن سبعة مثاقيل... و أمره بضرب السكه على هذا اللون في جميع مناطق العالم الاسلامي، و أن يكون التعامل بها، و تلغى السكه الاولى، و يعاقب بأشد العقوبه

ص: ٧٥

من يتعامل بها، و ترجع الى المعامل الاسلاميه لتصب ثانيا على الوجه الإسلامى.

و امثل عبد الملك ذلك، ف ضرب السكه حسبما رآه الإمام (عليه السلام) و لما فهم ملك الروم ذلك سقط ما فى يده، و خاب سعيه، و ظل التعامل بالسكه التى صممها الإمام (عليه السلام) حتى فى زمان العباسيين (١).

و ذكر ابن كثير ان الذى قام بهذه العمليه الإمام زين العابدين (عليه السلام) (٢).

و لا مانع من أن يكون الإمام زين العابدين قد نفذ الخطه بواسطه ابنه محمد الباقر (عليه السلام).

و على أى حال فان العالم الاسلامى مدين للإمام أبى جعفر الباقر (عليه السلام) بما أسداه إليه من الفضل بإنقاذ نقه من تبعيه الروم المسيحيين.

و مرض عبد الملك بن مروان مرضه الذى هلك فيه، و عهد بالخلافه من بعده الى ولده الوليد، و أوصاه بالحجاج خيرا، و قال له: و انظر الحجاج فأكرمه، فإنه هو الذى وطأ لكم المنابر، و هو سيفك يا وليد، و يدك على من ناواك، فلا تسمعن فيه قول أحد، و أنت إليه أحوج منه إليك. و ادع الناس إذا مت الى البيعه، فمن قال برأسه هكذا، فقل: بسيفك هكذا...» (٣).

و مثلت هذه الوصيه اندفاعاته نحو الشر حتى فى الساعه الأخيره من حياته. و قد سئل عنه الحسن البصرى فقال: ما أقول فى رجل كان الحجاج سيئه من سيئاته (٤).

ص: ٧٦

١- (١) حياه الحيوان للدميرى: ٩١/١-٩٢، المحاسن و الأضداد للبيهقى، المطالعه العربيه: ٣١/١.

٢- (٢) البدايه و النهايه: ٦٨/٩.

٣- (٣) تاريخ الخلفاء للسيوطى: ٢٢٠.

٤- (٤) تاريخ أبى الفداء: ٢٠٩/١.

و استولى الوليد بن عبد الملك على الحكم بعد هلاك أبيه في النصف من شوال سنة (٨٦ هـ) ولم تكن فيه أية صفة من صفات النبيل بحيث تؤهله للخلافه، وإنما كان جبارا ظالما (١) وكان يغلب عليه اللحن، وقد خطب في المسجد النبوي، فقال: يا أهل المدينة-بالضم-مع أن القاعده تقتضى نصبه لأنه منادى مضاف.

و خطب يوما فقال: يا ليتها كانت القاضيه-و ضم التاء-فقال عمر بن عبد العزيز: عليك و أراحتنا منك (٢). و عاتبه أبوه على إلحانه، و قال: إنه لا يلي العرب إلا من يحسن كلامهم، فجمع أهل النحو و دخل بيتا فلم يخرج منه ستة أشهر، ثم خرج منه، و هو أجهل منه يوم دخل (٣).

و طعن عمر بن عبد العزيز في حكومته فقال: إنه ممن امتلأت الأرض به جورا (٤). و يقول المؤرخون: إنه كان كثير النكاح و الطلاق إذ يقال: إنه تزوج ثلاثا و ستين امرأة (٥) غير الإماء.

و في عهد الوليد قتل الحجاج سعيد بن جبير التابعى صبورا و كان قتله من الأحداث الجسام التى روع بها العالم الإسلامى.

و كانت مده خلافته تسع سنين و سبعة أشهر، توفى بدير مروان

ص: ٧٧

١- (١) تاريخ الخلفاء: ٢٢٣.

٢- (٢) تاريخ ابن الأثير: ١٣٨/٤.

٣- (٣) المصدر السابق.

٤- (٤) تاريخ الخلفاء للسيوطى: ٢٢٣.

٥- (٥) الاناقه فى مآثر الخلافه: ١/١٣٣.

سنه (٩٦ هـ) و كان عمره خمسا و أربعين سنه (١).

ثم بوع سليمان بن عبد الملك بعهد من أبيه بعد هلاك أخيه في جمادى الآخرة سنه (٩٦ هـ) فاستلم الحكم و نكل بآل الحجاج تنكيلا فظيعا، و عهد بتعذيبهم الى عبد الملك بن المهلب (٢) و عزل جميع عمال الحجاج و اطلق في يوم واحد من سجنه واحدا و ثمانين ألفا، و أمرهم أن يلحقوا بأهاليهم، و وجد في السجن ثلاثين ألفا ممن لا ذنب لهم و ثلاثين ألف امرأة (٣) و كانت هذه من مآثره و أطفاه على الناس.

لكنه كان مجحفا أشد الاجحاف في جبايه الخراج فقد كتب الى عامله على مصر اسامه بن زيد التنوخي رساله جاء فيها: «احلب الدر حتى ينقطع، و احلب الدم حتى ينصرم». و قدم عليه اسامه بما جباه من الخراج، و قال له: إني ما جئتك حتى نهكت الرعيه و جهدت فان رأيت أن ترفق بها و ترفه عليها، و تخفف من خراجها ما تقوى به على عماره بلادها فافعل فانه يستدرك ذلك في العام المقبل فصاح به سليمان: «هبلتك امك احلب الدر، فاذا انقطع فاحلب الدم» (٤).

و دلت هذه البادره على تجرده من الرحمه و الرأفه على رعيته، فقد أمات الحركه الاقتصاديه، و أشاع الفقر و البؤس في البلاد.

و كان شديد الاعجاب بنفسه، حتى أنه لبس يوما أفخر ثيابه و راح يقول: أنا الملك الشاب المهاب، الكريم، الوهاب، و تمثلت أمامه إحدى

ص: ٧٨

١- (١) تاريخ ابن الأثير: ١٣٨/٤.

٢- (٢) المصدر السابق: ١٣٨/٤.

٣- (٣) تاريخ ابن عساكر: ٨٠/٥.

٤- (٤) الجهشيارى: ٣٢.

جواريه فقال لها: كيف ترين أمير المؤمنين؟!؟

فقلت: أراه منى النفس، وقره العين، لو لا ما قال الشاعر...

فقال لها: ما قال؟:

قالت: إنه قال:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان

ليس فيما بدا لنا منك عيب عابه الناس غير أنك فاني

فكانت هذه الأبيات كالصاعقه على رأسه، فقد تبدد جبروته و إعجابه بنفسه، و لم يمكث إلا زمنا يسيرا حتى هلك (١) و كانت خلافته سنتين و
خمسه أشهر و خمسه أيام، و توفي يوم الجمعة لعشر ليال بقين من صفر سنه (٩٩ هـ) (٢).

عمر بن عبد العزيز

ثم تقلد الحكم الاموى عمر بن عبد العزيز بعهد من سليمان بن عبد الملك فى يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنه (٩٩ هـ) (٣) و لمس الناس
فى عهده القصير الأمن، و الرفاه، بشكل نسبي، فقد أزال عنهم شيئا من جور بنى مروان و طغيانهم، و كان محنكا، قد هذبتة التجارب، و قد ساس
المسلمين سياسه لم يألوها مَمَن قبله.

و كانت لعمر بن عبد العزيز إنجازات عديده ميّزته عن سائر الحكّام الامويين و يمكن تلخيصها فيما يلى:

ص: ٧٩

١- (١) مروج الذهب: ٣/١١٣.

٢- (٢) تاريخ ابن الأثير: ٤/١٥١.

٣- (٣) نهايه الإرب: ٢١/٣٥٥.

١- إيدانه سب الإمام علي (عليه السّلام) و لعنه: كانت الحكومه الامويه منذ تأسيسها قد تبنت بصوره جادّه سب الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) و انتقاصه، فان معاويه كان يرى ان هذا السبّ هو السبب في بقاء دولتهم و سلطانتهم (١)، لأن مبادئ الإمام (عليه السّلام) كانت تطاردهم و تفتح أبواب النضال الشعبي ضد سياستهم القائمه على الظلم و الجور و الطغيان فكان لا بدّ من إسقاط شخصيته، و اعتباره.

و قد أدرك عمر بن عبد العزيز أن السياسه التي انتهجها آباؤه ضد الإمام (عليه السّلام) لم تكن حكيمة و لا رشيدة، فقد جرّت للامويين الكثير من المصاعب و المشاكل، و ألقتهم في شر عظيم، فعزم على أن يمحو هذه الخطيئه، فأصدر أوامره الحاسمه الى جميع أنحاء العالم الاسلامي بترك سبّ عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) و أن يقرأ عوض السبّ قوله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ.**

و قد علّل عمر نفسه السبب في تركه لما سنّه آباؤه من انتقاص الإمام بقوله: كان أبي إذا خطب فنال من علي تلجلج، فقلت: يا أبت إنك تمضي في خطبتك فاذا أتيت علي ذكر علي عرفت منك تقصيرا، قال: أو فطنت لذلك؟ قلت: نعم، فقال: يا بني إن الذين حولنا لو يعلمون من علي ما نعلم تفرّقوا عنا الى أولاده.

فلما ولي عمر الخلفه لم يكن عنده من الرغبه في الدنيا مثل إبطال ظاهره سب الإمام (٢).

و قد أثارت هذه المكرمه إعجاب الجميع، و أخذ الناس يتحدثون عنه

ص: ٨٠

١- (١) تاريخ دمشق: ٤٧/٢، تاريخ الامم و الملوك: ١٦٧/٥-١٦٨.

٢- (٢) تاريخ ابن الأثير: ١٥٤/٤، حوادث سنه ٩٩ هـ.

بأطيب الحديث و يذكرون شجاعته النادرة في مخالفته لسلفه الطغاه البغاه.

٢-صلته للعلويين:جهدت الحكومه الامويه منذ تأسيسها على حرمان أهل البيت عليهم السّلام من حقوقهم و إشاعه الفاقه فى بيوتهم،حتى عانوا الفقر و الحرمان،و لكن لما ولى الحكم عمر بن عبد العزيز أجزل لهم العطاء فقد كتب الى عامله على يثرب أن يقسم فيهم عشره آلاف دينار،فأجاباه عامله:ان عليا قد ولد له فى عده قبائل من قريش،ففى أى ولده؟فكتب اليه:إذا أتاك كتابى هذا،فاقسم فى ولد على من فاطمه رضوان الله عليهم عشره آلاف دينار، فطالما تخطّتهم حقوقه» (١).و كانت هذه أول صله تصلهم أيام الحكم الاموى.

٣-رد فدك:رد عمر فدكا الى العلويين بعد أن صودرت منهم،و اخذت تتعاقب عليها الأيدي،و تتناهب الرجال و ارداتها،و آل النبي (صلّى الله عليه و اله)قد حرموا منها،و قد روى ردّه لها بصور متعدده منها:

ألف:إن عمر بن عبد العزيز زار مدينة النبي (صلّى الله عليه و اله)و أمر مناديه أن ينادى:

من كانت له مظلمه أو ظلامه فليحضر.

فقصده الإمام أبو جعفر(عليه السّلام)فقام إليه عمر تكريما و احتفى به فقال الإمام(عليه السّلام)له:«إنما الدنيا سوق من الأسواق يبتاع فيها الناس ما ينفعهم و ما يضرهم،و كم قوم ابتاعوا ما ضرّهم،فلم يصبحوا حتى أتاهم الموت فخرجوا من الدنيا ملومين لما لم يأخذوا ما ينفعهم فى الآخرة،فقسم ما جمعوا لمن لم يحمدهم و صاروا الى من لا يعذرهم، فنحن و الله حقيقون أن ننظر الى تلك الأعمال التى نتخوف عليهم منها،فنكف عنها،و اتق الله،و اجعل فى نفسك اثنتين،انظر الى ما تحب أن يكون معك إذا قدمت على ربك فقدمه بين يديك،و انظر الى ما تكره معك إذا قدمت على ربك فارمه وراءك،و لا ترغبن فى سلعه

ص:٨١

بارت على من كان قبلك، فترجو أن يجوز عنك، وافتح الأبواب، و سهل الحجاب، و انصف المظلوم، و رد الظالم، ثلاثه من كن فيه استكمل الايمان بالله من إذا رضى لم يدخله رضاه فى باطل، و من إذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق، و من اذا قدر لم يتناول ما ليس له...» (١).

و لما سمع عمر كلام الإمام (عليه السلام) أمر بدواه و بياض، و كتب بعد البسملة:

«هذا ما رد عمر بن عبد العزيز ظلامه محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب بفدك».

ب- إنه لما ولى الخلفه أ حضر قريشا و وجوه الناس، فقال لهم: إن فدكا كانت بيد رسول الله (صلى الله عليه و اله)، فكان يضعها حيث أراه الله، ثم وليها أبو بكر كذلك، ثم عمر كذلك، ثم أقطعها مروان (٢) ثم انها صارت إلى، و لم تكن من مالى أعود على، و إنى أشهدكم أنى قد رددتها على ما كانت عليه فى عهد رسول الله (صلى الله عليه و اله) (٣).

و ليس فى هذه الروايه أنه ردها الى العلويين، و إنما وضعها حيث كان رسول الله (صلى الله عليه و اله) يضعها و من المعلوم أن رسول الله أقطعها الى بضعته سيده نساء العالمين فاطمه الزهراء (عليها السلام) و تصرفت بها فى حياه رسول الله (صلى الله عليه و اله) و لكن القوم رغبوا فى مصادرتها لمصالح سياسيه دعتهم الى ذلك.

ج- إن عمر بن عبد العزيز لما أعلن رد فدك إلى العلويين نقم عليه بنو اميه فقالوا له: نقمتم على الشيخين-يعنى أبا بكر و عمر- فعلهما و طعنت عليهما، و نسبتهما الى الظلم، فقال: قد صح عندى و عندكم أن فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) ادعت فدكا، و كانت فى يدها، و ما كانت لتكذب على

ص: ٨٢

١- (١) المناقب: ٢٠٧/٤-٢٠٨.

٢- (٢) هكذا فى الأصل و الصحيح ثم أقطعها عثمان مروان.

٣- (٣) تاريخ بن الأثير: ١٦٤/٤.

رسول الله (صلى الله عليه و اله) مع شهاده على، و ام أيمن و ام سلمه، و فاطمه عندى صادقته فيما تدعى، و إن لم تقم البيئه و هى سيده نساء الجنة، فأنا اليوم أردّها على ورثتها أتقرب بذلك الى رسول الله (صلى الله عليه و اله) و أرجو أن تكون فاطمه و الحسن و الحسين يشفعون لى يوم القيامة، و لو كنت بدل أبى بكر و ادعت فاطمه (عليها السلام) كنت أصدقها على دعوتها، ثم سلمها الى الإمام الباقر (عليه السلام) (١).

الإمام محمد الباقر (عليه السلام) و عمر بن عبد العزيز

و كانت للإمام أبى جعفر (عليه السلام) بخلافه عمر بن عبد العزيز:

منها: تنبؤ الإمام بخلافه عمر: قال أبو بصير: كنت مع الإمام أبى جعفر (عليه السلام) فى المسجد إذ دخل عمر بن عبد العزيز، و عليه ثوبان ممصّران متكيا على مولى له، فقال (عليه السلام): ليلين هذا الغلام، فيظهر العدل (٢). إلا أنه قدح فى ولايته من جهه وجود من هو أولى منه بالحكم.

و منها: وصاياہ لعمر حين الخلفه: و لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلفه كترّم الإمام أبى جعفر (عليه السلام) و عظّمه و أرسل خلفه فنون بن عبد الله بن عتبه بن مسعود، و كان من عبّاد أهل الكوفه، فاستجاب له الإمام (عليه السلام) و سافر الى دمشق، فاستقبله عمر استقبالا رائعا، و احتفى به، و جرت بينهما أحاديث، و بقى الإمام أياما فى ضيافته و لما أراد الإمام الانصراف الى يثرب خف الى توديعه فجاء الى البلاط الاموى و عزّف الحاجب بأمره فأخبر عمر بذلك، فخرج رسوله فنادى أين أبو جعفر ليدخل، فاشفق الإمام أن يدخل خشيه أن لا يكون هو، فقفّل الحاجب الى عمر و أخبره بعدم حضور الإمام، فقال له: كيف قلت؟ قال: قلت: أين

ص: ٨٣

١- (١) سفينه البحار: ٢٧٢/٢.

٢- (٢) بحار الأنوار: ٢٥١/٤٤.

أبو جعفر؟ فقال له: اخرج و قل: أين محمد بن علي؟ ففعل ذلك، فقام الإمام (عليه السلام)، و دخل عليه و حدّثه ثم قال له: إني أريد الوداع، فقال له عمر:

أوصني.

فقال (عليه السلام): «أوصيك بتقوى الله، و اتخذ الكبير أبا، و الصغير ولدا و الرجل أخا...».

و بهر عمر من وصيه الإمام و راح يقول باعجاب: «جمعت لنا و الله، ما إن أخذنا به، و أماتنا الله عليه استقام لنا الخير».

و خرج الإمام من عنده، و لما أراد الرحيل بادره رسول عمر فقال له: إن عمر يريد أن يأتيك. فانتظره الإمام حتى أقبل فجلس بين يدي الإمام مبالغه في تكريمه و تعظيمه، ثم انصرف عنه (١).

و منها: تقرّظه لعمر: و نقلت مباحث الامويين الى عمر أن الإمام أبا جعفر (عليه السلام) هو بقيه أهله العظماء الذين رفعوا رايه الحق و العدل في الأرض، و قد أراد عمر أن يختيره فكتب اليه، فأجابه الإمام (عليه السلام) برسالة فيها موعظه و نصيحه له، فقال عمر: اخرجوا كتابه الى سليمان. فاخرج كتابه، فوجده يقرّظه، و يمدحه، فأنفذه الى عامله على المدينة، و أمره أن يعرضه عليه مع كتابه الى عمر، و يسجل ما يقوله الإمام (عليه السلام).

و عرضه العامل على الإمام فقال (عليه السلام): إن سليمان كان جبارا كتبت اليه ما يكتب الى الجبارين، و ان صاحبك أظهر أمرا، و كتبت اليه بما شاكه.

و كتب العامل هذه الكلمات الى عمر فلما قرأها أظهر إعجابه بالإمام (عليه السلام)، و راح يقول: «إن أهل هذا البيت لا يخليهم الله من فضل...» (٢).

و وجهت لعمر بن عبد العزيز بعض المؤاخذات رغم جميع مآثره:

ص: ٨٤

١- (١) تاريخ دمشق: ٢٧٠/٥٤.

٢- (٢) تاريخ يعقوبي: ٤٨/٢.

منها: أنه أقر القطن التي أقطعها من سبقه من أهل بيته، و هي من دون شك كانت بغير وجه مشروع.

و منها: أن عماله و ولاته على الأقطار و الأقاليم الاسلاميه قد جهدوا في ظلم الناس و ابتزاز أموالهم.

حتى أن عمر كان يخطب على المنبر فانبرى إليه رجل فقطع عليه خطابه، و قال له:

إن الذين بعثت في أقطارها نذوا كتابك و استحل المحرم

طلس الثياب على منابر أرضنا كل يجور و كلهم يتظلم

و أردت أن يلي الأمانه منهم عدل و هيئات الأمين المسلم (١).

منها: أنه أقر العطاء الذي كان للأشراف، فلم يغيره في حين أنه كان يتنافى مع المبادئ الإسلاميه التي ألزمت بالمساواه بين المسلمين، و ألغت التمايز بينهم.

و منها: أنه زاد في عطاء أهل الشام عشره دنانير، و لم يفعل مثل ذلك في أهل العراق (٢). و لا وجه لهذا التمييز الذي يتصادم مع روح الإسلام.

و ألمت الأمراض بعمر بن عبد العزيز، و قالوا: إنه امتنع من التداوى فقبل له: لو تداويت؟ فقال: لو كان دوائي في مسح أذني ما مسحتها، نعم المذهوب اليه ربي (٣).

و تنص بعض المصادر على أنه سقى السم من قبل الامويين لأنهم علموا أنه إن امتدت أيامه فسوف يخرج الأمر منهم، و لا يعهد بالخلافه إلا لمن

ص: ٨٥

١- (١) حياه الإمام موسى بن جعفر: ٣٥٠/١.

٢- (٢) تاريخ يعقوبى: ٤٨/٢.

٣- (٣) تاريخ ابن الأثير: ١٦١/٤.

يصلح لها فعاجلوه (١). و توفي في دير سمعان في شهر رجب (٢) سنة (١٠١ هـ).

يزيد بن عبد الملك

و استولى يزيد بن عبد الملك على الحكم بعهد من أخيه سليمان، و أقام أربعين يوماً يسير بين الناس بسياسة عمر بن عبد العزيز، فشق ذلك على بني أمية، فأتوه بأربعين شيخاً فشهدوا بأنه ليس على الخلفاء حساب و لا عقاب (٣).

فعدل عن سياسة عمر، و ساس الناس سياسة عنف و جبروت، و عمد إلى عزل جميع ولاة عمر، و كتب مرسوماً إلى عماله جاء فيه:

«أما بعد فإنّ عمر بن عبد العزيز كان مغروراً، فدعوا ما كنتم تعرفون من عهده، و أعيدوا الناس إلى طبقتهم الأولى، أخصبوا أم أجذبوا، أحبوا أم كرهوا، حيوا أم ماتوا...» (٤).

و عاد الظلم على الناس بأبشع صورته و ألوانه، و انتشر الجور، و عم الطغيان جميع أنحاء البلاد.

لقد كان يزيد بن عبد الملك جاهلاً، حقوداً على أهل العلم، حتى أنّه كان يحتقر العلماء، و يسمى الحسن البصري بالشيخ الجاهل (٥) كما كان مسرفاً في اللهو و المجون حتى هام بحب حبابه، و قد ثمل يوماً، فقال: دعوني أطيّر، فقالت حبابه: على من تدع الامة؟ قال: عليك. و خرجت معه إلى الأردن يتنزهان فرماها بحبه عنب فدخلت حلقها فشرقت، و مرضت، و ماتت فتركها

ص: ٨٦

١- (١) الانافه في مآثر الخلافه: ١/١٤٢.

٢- (٢) تاريخ ابن الأثير: ١٦١/٤.

٣- (٣) المصدر السابق: ٢٣٢/٩.

٤- (٤) العقد الفريد: ١٨٠/٣.

٥- (٥) الطبقات الكبرى: ٩٥/٥.

ثلاثه أيام لم يدفنها حتى أنتت، و هو يشمها، و يقبلها، و ينظر إليها و يبكي، فكلم في أمرها حتى أذن في دفنها، و عاد الى مقره كئيها حزينا (١).

و له أخبار كثيره مخزيه في الدعاره و اللهو أعرضا عن ذكرها، و هلك سنه (١٠٥ هـ).

هشام بن عبد الملك

استولى هشام بن عبد الملك على الحكم في اليوم الذي هلك فيه أخوه يزيد لخمس بقين من شوال و هو المعروف بأحول بنى اميه و كان حقوقا على ذوى الاحساب العريقه، و مبغضا لكل شريف.

و من مظاهر بخله انه كان يقول: ضع الدرهم على الدرهم يكون مالا (٢) و قد جمع من المال ما لم يجمعه خليفه قبله (٣).

و قال: ما ندمت على شىء ندامتى على ما أهب، إن الخلافه تحتاج الى الأموال كاحتياج المريض الى الدواء (٤).

و دخل الى بستان له فيها فاكهه فجعل أصحابه يأكلون من ثمرها، فأو عز الى غلامه بقلع الأشجار و زراعه الزيتون لئلا يأكل منه أحد (٥).

و وصفه يعقوبى بأنه بخيل فظ ظلوم شديد القسوه، و هو الذى قتل زيد ابن على، و تعرض الإمام أبو جعفر (عليه السلام) فى عهده الى ضرور من المحن و الآلام و التى كان من بينها ما يلي:

ص: ٨٧

١- (١) الكامل فى التاريخ: ١٢١/٥.

٢- (٢) البخلء: ١٥٠.

٣- (٣) اخبار الدول: ٢٠٠/٢.

٤- (٤) انساب الأشراف: ٣٩٩/٨ طبعه دار الفكر المحققه ١٤١٧ هـ.

٥- (٥) البخلء: ١٥٠.

لقد أمر الطاغية هشام عامله على المدينة بحمل الإمام الى دمشق و قد روى المؤرخون فى ذلك روايتين:

الروايه الاولى: ان الإمام (عليه السلام) لما انتهى الى دمشق، و علم هشام بقدمه أو عز الى حاشيته أن يقابلوا الإمام بمزيد من التوهين و التوبيخ عندما ينتهى حديثه معه.

و دخل الإمام (عليه السلام) على هشام فسلم على القوم و لم يسلم عليه بالخلافه، فاستشاط هشام غضبا، و أقبل على الإمام (عليه السلام) فقال له:

«يا محمد بن على لا يزال الرجل منكم قد شق عصا المسلمين، و دعا الى نفسه، و زعم أنه الإمام سفها و قله علم...».

ثم سكت هشام فأنبرى عملاؤه و جعلوا ينالون من الإمام و يسخرون منه. و هنا تكلم الإمام (عليه السلام) فقال:

«أيها الناس: أين تذهبون؟ و أين يراد بكم؟ بنا هدى الله أولكم و بنا يختم آخركم، فان يكن لكم ملك معجل، فان لنا ملكا مؤجلا، و ليس بعد ملكنا ملك، لأننا أهل العاقبه، و العاقبه للمتقين...» (١).

و خرج الإمام بعد أن ملأ نفوسهم حزنا و أسى، و لم يستطيعوا الرد على منطقته القوي.

و ازدحم أهل الشام على الإمام (عليه السلام) و هم يقولون: هذا ابن ابى تراب، فرأى الإمام أن يهديهم الى سواء السبيل، و يعرفهم بحقيقته أهل البيت، فقام

ص: ٨٨

فيهم خطيباً، فحمد الله واثني عليه، و صلى على رسول الله ثم قال:

اجتنبوا أهل الشقاق، وذريه النفاق، وحشو النار، وحصب جهنم عن البدر الزاهر، والبحر الزاخر، والشهاب الثاقب، وشهاب المؤمنين، والصراط المستقيم، من قبل أن نطمس وجوها فنردّها على أدبارها أو يلعنوا كما لعن أصحاب السبت، وكان أمر الله مفعولاً...

ثم قال بعد كلام له:

أبصنو رسول الله (صلى الله عليه و اله) -يعنى الإمام أمير المؤمنين- تستهزئون؟ أم يبعسوب الدين تلمزون؟ و أى سبيل بعده تسلكون؟! و أى حزن بعده تدفعون؟

هيئات برز-و الله- بالسبق و فاز بالخصل و استولى على الغايه، و أحرز على الختار (١) فانحسرت عنه الأبصار، و خضعت دونه الرقاب، و فرع الذروه العليا، فكذب من رام من نفسه السعى، و أعياه الطلب، فأنتى لهم التناوش (٢) من مكان بعيد؟!

ثم قال: فأنتى يسدّ ثلمه أخى رسول الله (صلى الله عليه و اله) إذ شفعا، و شقيقه إذ نسبوا و ندىه إذ قتلوا، و ذى قرنى كنتها إذ فتحوا، و مصلى القبلتين إذ تحرفوا، و المشهود له بالإيمان إذ كفروا، و المدعى لنبذ عهد المشركين إذ نكلوا و الخليفة على المهاد ليله الحصار إذ جزعوا، و المستودع الاسرار ساعه الوداع...» (٣).

و لما ذاع فضل الإمام بين أهل الشام، أمر الطاغية باعتقاله و سجنه.

و حين احتف به السجناء و أخذوا يتلقون من علومه و آدابه، خشى مدير السجن من الفتنة فبادر الى هشام فأخبره بذلك فأمره بإخراجه من السجن، و إرجاعه إلى بلده (٤).

الروايه الثانيه: و هى التى رواها لوط بن يحيى الأسدى عن عماره بن زيد

ص: ٨٩.

١- (١) الختار: الغدر.

٢- (٢) التناوش: التناول.

٣- (٣) مناقب آل أبى طالب: ٢٠٣/٤-٢٠٤.

٤- (٤) بحار الأنوار: ٧٥/١١.

الواقدي حيث قال: حجج هشام بن عبد الملك بن مروان سنه من السنين (١)، و كان قد حج فيها الإمام محمّد بن علي الباقر و ابنه الإمام جعفر الصادق (عليهما السلام) فقال جعفر أمام حشد من الناس فيهم مسلمه بن عبد الملك:

«الحمد لله الذي بعث محمدا بالحق نبيا، و أكرمنا به، فنحن صفوه الله على خلقه، و خيرته من عباده، فالسعيد من تبعنا، و الشقي من عادانا و خالفنا...».

و بادر مسلمه بن عبد الملك الى أخيه هشام فأخبره، بمقاله الإمام الصادق (عليه السلام) فأسرّها هشام في نفسه، و لم يتعرض للإمامين بسوء في الحجاز إلا أنه لما قفل راجعا الى دمشق أمر عامله على يثرب بإشخاصهما إليه و لما انتهى الى دمشق حججهما ثلاثه أيام، و لم يسمح لهما بمقابلته استهانه بهما، و في اليوم الرابع أذن لهما في مقابلته، و كان مجلسا مكتظا بالامويين و سائر حاشيته، و قد نصب ندماؤه برجاسا (٢) و أشياخ بني اميه يرمونه.

يقول الإمام الصادق (عليه السلام): «لما دخلنا، كان أبي أمامي و أنا خلفه» فنادى هشام:

«يا محمد ارم مع أشياخ قومك».

فقال أبي: «قد كبرت عن الرمي، فإن رأيت أن تعفيني».

فصاح هشام: «و حق من أعزنا بدينه، و نبيّه محمّد لا أعفيك...».

و ظن الطاغية أن الإمام سوف يخفق في رمايته فيتخذ ذلك وسيلة للحط من شأنه أمام الغوغاء من أهل الشام، و أوما الى شيخ من بني اميه أن يتناول الإمام (عليه السلام) قوسه. فناولوه، و تناول معه سهما فوضعه في كبد القوس، و رمى به الغرض فأصاب وسطه، ثم تناول سهما فرمى به فشق السهم الأول الى نصله.

ص: ٩٠

١- (١) ذكر اليعقوبي أن هشاما حجّ سنه ١٠٦ هجرية.
٢- (٢) البرجاس: جاء في معجم المعرّيات الفارسيه: أن (البرجاس) هدف، «شى في الهواء، معلق على رأس رمح أو نحوه» و هو معرّب و يراد به: هدف السهم.

و تابع الإمام الرمي حتى شق تسعه أسهم بعضها في جوف بعض، و لم يحصل بعض ذلك لأعظم رام في العالم. و أخذ هشام يضطرب من الغيظ، و ورم أنفه، فلم يتمالك أن صاح:

«يا أبا جعفر أنت أرمى العرب و العجم!! و زعمت أنك قد كبرت!!» ثم ادركته الندامة على تقريظه للإمام، فأطرق برأسه الى الأرض و الإمام واقف.

و لما طال وقوفه غضب (عليه السلام) و بان ذلك على سحنات وجهه الشريف. و كان إذا غضب نظر الى السماء.

و لَمَّا بصر هشام غضب الإمام قام إليه و اعتنقه، و أجلسه عن يمينه، و أقبل عليه بوجهه قائلاً: «يا محمد لا تزال العرب و العجم تسودها قريش، مادام فيها مثلك. لله درك!! من علمك هذا الرمي؟ و في كم تعلمته؟ أيرمي جعفر مثل رميك؟...».

فقال أبو جعفر (عليه السلام): «إنا لنحن نتوارث الكمال».

و ثار الطاغية، و احمر وجهه، و هو يتميز من الغيظ، و أطرق برأسه الى الأرض، ثم رفع رأسه، و راح يقول: «السنا بنو عبد مناف نسبنا و نسبكم واحد؟».

ورد عليه الإمام مزاعمه قائلاً: «نحن كذلك، و لكن الله اختصنا من مكنون سرّه، و خالص علمه بما لم يخص به أحدا غيرنا».

و طفق هشام قائلاً: «أليس الله بعث محمداً (صلى الله عليه و اله) من شجره عبد مناف إلى الناس كافة أبيضها و أسودها و أحمرها، فمن أين ورثتم ما ليس لغيركم؟ و رسول الله مبعوث الى الناس كافة، و ذلك قول الله عزّ و جل: وَ لِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ؟ فمن أين ورثتم هذا العلم و ليس بعد محمد نبيّ، و لا أنتم أنبياء؟!»

و ردّ عليه الإمام ببالحججه قائلاً: من قوله تعالى لَنَبِيِّهِ لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ

لَتَعَجَّلَ بِهِ فَالذِي لَمْ يَحْرُكْ بِهِ لِسَانَهُ لَغَيْرِنَا أَمْرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَخْصِنَا بِهِ مِنْ دُونَ غَيْرِنَا، فَلِذَلِكَ كَانَ يَنَاجِي أَخَاهُ عَلِيًّا مِنْ دُونَ أَصْحَابِهِ، وَ أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِ قُرْآنًا فِي قَوْلِهِ: وَ تَعَيَّبْنَا أُذُنًا وَ أَعْيَبْنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَهَا أذُنَكَ يَا عَلِيُّ، فَلِذَلِكَ قَالَ عَلِيُّ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْعِلْمِ يَفْتَحُ مِنْ كُلِّ بَابٍ أَلْفَ بَابٍ، خَصَّهُ بِهِ النَّبِيُّ مِنْ مَكْنُونِ سِرِّهِ، كَمَا خَصَّ اللَّهُ نَبِيَّهُ، وَ عَلَّمَهُ مَا لَمْ يَخْصُ بِهِ أَحَدًا مِنْ قَوْمِهِ، حَتَّى صَارَ إِلَيْنَا فَتَوَارَثْنَاهُ مِنْ دُونَ أَهْلِنَا».

وَ التَّاعِ هِشَامُ مِنْ هَذَا الْجَوَابِ، فَالْتَفَتَ إِلَى الْإِمَامِ - وَ هُوَ غَضَبَانٌ - قَائِلًا: إِنَّ عَلِيًّا كَانَ يَدَّعِي عِلْمَ الْغَيْبِ وَ اللَّهُ لَمْ يُطَلِّعْ عَلِيًّا غَيْبَهُ أَحَدًا، فَكَيْفَ ادَّعَى ذَلِكَ؟ وَ مِنْ أَيْنَ؟

فَأَجَابَهُ الْإِمَامُ قَائِلًا: «إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّهِ كِتَابًا بَيْنَ دَفْتَيْهِ فِيهِ مَا كَانَ وَ مَا يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ وَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: مَا فَزَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ وَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَ مَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ وَ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى نَبِيِّهِ أَنْ لَا يَبْقَى فِي عَيْبِهِ سِرٌّ، وَ مَكْنُونٌ عِلْمُهُ شَيْئًا إِلَّا يَنَاجِي بِهِ عَلِيًّا، فَأَمْرُهُ أَنْ يُؤَلِّفَ الْقُرْآنَ مِنْ بَعْدِهِ، وَ يَتَوَلَّى غَسْلَهُ وَ تَحْنِيطَهُ مِنْ دُونَ قَوْمِهِ، وَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: حَرَامٌ عَلَى أَصْحَابِي وَ قَوْمِي أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى عَوْرَتِي غَيْرِ أَخِي عَلِيٍّ، فَانْهَى عَنْ ذَلِكَ، وَ أَنَا مِنْهُ، لَهُ مَا لِي، وَ عَلَيْهِ مَا عَلَيَّ، وَ هُوَ قَاضِي دِينِي، وَ مَنْجِزُ مَوْعِدِي، ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يُقَاتِلُ عَلِيًّا تَأْوِيلَ الْقُرْآنِ كَمَا قَاتَلْتَ عَلِيًّا تَنْزِيلَهُ، وَ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ أَحَدٍ تَأْوِيلَ الْقُرْآنِ بِكَمَالِهِ وَ عَامَّتِهِ إِلَّا - عِنْدَ عَلِيٍّ، وَ لِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «أَقْضَاكُمْ عَلِيُّ» أَيُّهُ قَاضِيكُمْ، وَ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: لَوْ لَا عَلِيُّ لَهْلَكَ عُمَرُ، يَشْهَدُ لَهُ عُمَرُ وَ يَجْحَدُهُ غَيْرُهُ!».

وَ أَطْرَقَ هِشَامٌ بِرَأْسِهِ إِلَى الْأَرْضِ، وَ لَمْ يَجِدْ مَنْفَذًا يَسْلُكُ فِيهِ لِلرَّدِّ عَلَى الْإِمَامِ، فَقَالَ لَهُ: «سَلِّ حَاجَتَكَ».

قَالَ الْإِمَامُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «خَلَّفْتُ أَهْلِي وَ عِيَالِي مَسْتَوْحِشِينَ لَخُرُوجِي».

قال هشام: أنس الله وحشتهم برجوعك إليهم، فلا تقم و سر من يومك» (١).

و هذه الروايه لم تشر الى ما جرى على الإمام من الاعتقال فى دمشق، و لكنها تشير الى خروج الإمام من المدينه فى حاله غير طبيعيه بحيث استوحش أهله من خروجه.

الإمام الباقر (عليه السلام) مع قسيس نصرانى

و التقى الإمام أبو جعفر (عليه السلام) فى الشام مع قسيس من كبار علماء النصارى جرت بينهما مناظره اعترف القسيس فيها بعجزه، و عدم استطاعته على محاججه الإمام و مناظرته.

قال أبو بصير: قال أبو جعفر (عليه السلام): مررت بالشام، و أنا متوجه الى بعض خلفاء بنى اميه فاذا قوم يمرون، قلت: أين تريدون؟ قالوا: الى عالم لم نر مثله، يخبرنا بمصلحه شأننا، قال (عليه السلام): فتبعتهم حتى دخلوا بهوا عظيما فيه خلق كثير، فلم ألبث أن خرج شيخ كبير متوكئ على رجلين، قد سقطت حاجباه على عينيه، و قد شدهما فلما استقرّ به المجلس نظر الى و قال: منا أنت أم من الامه المرحومه؟

قلت: من الامه المرحومه. فقال: أمن علمائها أو من جهّالها؟

قلت: لست من جهّالها. فقال: أنتم الذين تزعمون أنكم تذهبون الى الجنه فتأكلون و تشربون و لا تحدثون!!؟

قلت: نعم. فقال: هات على هذا برهانا.

فقلت: نعم، الجنين يأكل فى بطن امه من طعامها، و يشرب من شرابها، و لا يحدث. فقال: ألست زعمت أنك لست من علمائها؟

ص: ٩٣

قلت:لست من جهّالها.فقال:أخبرني عن ساعه ليست من النهار،ولا من الليل.

فقلت:هذه ساعه من طلوع الشمس،لا نعدّها من ليلنا،ولا من نهارنا وفيها تفيق المرضى.

و بهر القسيس،و راح يقول للإمام:ألست زعمت أنك لست من علمائها؟!

فقلت:إنما قلت:لست من جهّالها.فقال:و الله لأسألك عن مسأله ترتطم فيها.

فقلت:هات ما عندك.فقال:أخبرني عن رجلين ولدا في ساعده واحده، و ماتا في ساعه واحده؟عاش أحدهما مائه و خمسين سنه،و عاش الآخر خمسين سنه؟

فقلت:ذاك عزيز و عزره،ولدا في يوم واحد،ولما بلغا مبلغ الرجال مرّ عزيز على حماره بقريه و هي خاويه على عروشها،فقال:أنتى يحيى الله هذه بعد موتها،و كان الله قد اصطفاه و هداه،فلما قال ذلك غضب الله عليه و أماته مائه عام ثم بعته،فقيل له:كم لبثت؟قال:يوما أو بعض يوم.و عاش الآخر مائه و خمسين عاما،و قبضه الله و أخاه في يوم واحد.

و صاح القسيس بأصحابه،و الله لا- اكلّمكم،و لا ترون لى وجهها اثنى عشر شهرا (1)،حيث توهم أنهم تعمّدوا إدخال الإمام أبى جعفر(عليه السلام)عليه لإفحامه و فضحه،فنهض الإمام أبو جعفر(عليه السلام)و أخذت أنديه الشام تتحدث عن وفور فضله،و عن قدراته العلميه.

ص:٩٤

و هنا أمر الطاغية بمغادره الإمام أبي جعفر (عليه السلام) لمدينه دمشق خوفا من أن يفتتن الناس به، و ينقلب الرأى العام ضد بنى اميه، و لكنه أو عز الى أسواق المدن و المحلات التجاربه الواقعه فى الطريق أن تغلق محلاتها بوجهه، و لا تبع عليه أيه بضاعه، و أراد بذلك هلاك الإمام (عليه السلام) و القضاء عليه.

و سارت قافله الإمام (عليه السلام) و قد أضناها الجوع و العطش فاجتازت على بعض المدن فبادر أهلها الى إغلاق محلاتهم بوجه الإمام، و لما رأى الإمام ذلك صعد على جبل هناك، و رفع صوته قائلا:

«يا أهل المدينه الظالم أهلها أنا بقيه الله، يقول الله تعالى: [□]بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ* وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ.

و ما أنهى الإمام هذه الكلمات حتى بادر شيخ من شيوخ المدينه فنادى أهل قريته قائلا:

«يا قوم هذه و الله دعوه شعيب، و الله لئن لن تخرجوا الى هذا الرجل بالأسواق لتؤخذن من فوقكم، و من تحت أرجلكم فصدقوني هذه المره، و أطيعوني، و كذبوني فيما تستأنفون فانى ناصح لكم...».

و فزع أهل القريه فاستجابوا لدعوه الشيخ الذى نصحهم، ففتحو حوانيتهم و اشترى الإمام ما يريد من المتاع (1) و فسدت مكيدته الطاغيه و ما دبره للإمام (عليه السلام) و قد انتهت إليه الأنباء بفشل مؤامرتة. و لم يقف عند هذا الحد فقد أخذ يطلب له الغوائل حتى دس إليه السم القاتل، كما سنذكر ذلك فيما بعد.

١- فى الفتره الواقعه بين سنه (٩٥-٩٧هـ) و فى بدايه تصدى الإمام محمد الباقر (عليه السلام) للامامه كان الحاكم الاموى: الوليد بن عبد الملك قد بدأ باتخاذ بعض الاساليب لا متصاص النقمه الشعبيه التى خلقتها السياسه الارهابيه التى انتهجها السفّاك الأثيم الحجاج بن يوسف و بعض الولاة الآخرين (١).

٢- تصدّعت الجبهه الداخليه للبيت الاموى المروانى، و دبّ الخلاف بين الوليد و أخيه سليمان، حيث أراد الوليد خلعه و مبايعه ابنه عبد العزيز، فأبى عليه عليه سليمان، و لم يجبه للبيعه جميع الولاة باستثناء الحجاج و قتيبه بن مسلم و بعض الخواصّ من الناس، فعزم الوليد على السير إليه ليخلعه بالقوّه فمات قبل ذلك (٢).

٣- و فى بدايه حكمه سليمان بن عبد الملك انشغل سليمان بمتابعه و لاه الوليد و عزلهم عن مناصبهم (٣) و حاول إصلاح بعض الاوضاع المترديه تقربا إلى الناس، فأطلق المعتقلين و فكّ الأسرى (٤).

٤- كانت الدوله محاطه بجمله من المخاطر من الدخل و الخارج (٥).

فانشغل الحكّام و الولاة عن ملاحقه أو محاصره الإمام الباقر (عليه السلام) خوفا من

ص: ٩٦

١- (١) المنتظم فى تاريخ الأمم و الملوك: ٣/٧.

٢- (٢) المصدر السابق: ١٢/٧.

٣- (٣) الكامل فى التاريخ: ١١/٥.

٤- (٤) المنتظم: ١٣/٧.

٥- (٥) الكامل فى التاريخ: ١٣/٥ و ما بعدها.

قاعده الشعيه العريضة و المتناميه فتصدي (عليه السّلام) للإمامه و قام بأداء دوره الاصلاحى و التغييرى فى أوساط الامه الاسلاميه، بعيدا عن المواجهه السياسيه العليه للنظام القائم.

مظاهر الانحراف فى عصر الإمام الباقر (عليه السلام):

اشاره

إن إقصاء أهل البيت (عليهم السّلام) عن موقع القيادة و إمامه المسلمين أدى الى الانحراف فى جميع مجالات الحياه، و ترك تأثيره السلبى على جميع مقومات الشخصيه، فى الفكر و العاطفه و السلوك، فعَمَّ الانحراف الدوله و الامه معا، كما عمّ التصورات و المبادئ، و الموازين و القيم، و الأوضاع و التقاليد، و العلاقات و الممارسات العمليه جميعا.

نعم تغلغل الانحراف فى ميدان النفس، و ميدان الحياه الاجتماعيه، و تحوّل الإسلام الى طقوس ميته لا تمتّ الى الواقع بصله، خلافا لأهداف الإسلام الذى جاء من أجل تقرير المنهج الإلهى فى الحياه. فانحسر عن الكثير من تلك المجالات ليصبح علاقه فرديّه بين الإنسان و خالقه فحسب.

أولا: الانحراف الفكرى و العقائدى

ازداد الانحراف فى عهود الملوك المتعاقبين على الحكم، و كان للافكار و العقائد نصيبها الاكبر من هذا الانحراف، و لم يكثر الحكام بهذا الانحراف بل شجّعوا عليه؛ لأنه كان يخدم مصالح الحكم القائم، و يشغل المسلمين عن همومهم الأساسيه و بخاصه التفكير فى مجال تغيير الاوضاع و إعادتها الى ما كانت عليه فى عهد رسول الله (صلى الله عليه و اله) و عهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام).

فكثرت فى عهد الامويين الانحرافات الفكرية و العقائديه و تعددت

و تعاضمت، و أصبح لها أتباع و أنصار، و تحولت الى تيارات و كيانات خالف الكثير منها الاسس الواضحه للعقيده الاسلاميه، و ابتدعوا ما لا يجوز من الامور المخالفه للقرآن الكريم و للسنه النبويه، فانتشرت أفكار الجبر و التفويض و الإرجاء، كما انتشرت أفكار التجسيم و تشبيه الله تعالى بخلقه، و كثرت الشبهات حول ثوابت العقيدة، و كثر الحديث حول ماهيه الله تعالى و ذاته، و تنوعت تيارات الغلو، حتى زعم البعض حلول الذات الإلهيه فى قوم من الصالحين، و قالوا بالتناسخ، و انتشرت الزندقه، فجددوا البعث و النشور، و أسقطوا الثواب و العقاب و زوّرت الأحاديث و الروايات و اختلق كثير منها؛ لدعم التسلط الاموى، كما راج اختلاق الفضائل لصالح المنحرفين من الصحابه، و طرحت نظريه عداله جميع من صحب رسول الله (صلّى الله عليه و اله) أو رآه أو ولد فى عهده، بينما منعوا- من جانب آخر- من نشر فضائل أهل البيت (عليهم السلام).

و كان للحكام دور كبير فى تشجيع هذا الانحراف المتمثل فى اختلاق النصوص و قد وصف الإمام على بن موسى الرضا (عليه السلام) ذلك قائلا: «إنّ مخالفينا وضعوا أخبارا فى فضائلنا و جعلوها على ثلاثه أقسام: أحدها: الغلو. و ثانيها: التقصير فى أمرنا. و ثالثها: التصريح بمثالب أعدائنا» (١).

و انتشرت ظاهره الإفتاء بالرأى، و راج القياس فى الأحكام و التفسير بالرأى لآيات القرآن المجيد، كما انتشرت أفكار التصوّف و الاعتزال عن الحياه، و فصل الدين عن السياسه.

و أشغل الحكام كثيرا من الناس بالجدل فى المسائل العقليه التى لا فائده فيها، و شجّعوا على اقامه مجالس المناظره و الجدل العقيم فى ذات الله تعالى و فى الملائكه، و فى قدم القرآن أو حدوثة.

ص: ٩٨

و هكذا كان للحكام دور كبير فى خلق المذاهب المنحرفه و التشجيع عليها، لا سيما بعض المذاهب التى كانت تحمل شعار الانتساب الى أهل البيت (عليهم السلام) كالكيسانيه لغرض شق صفوف أتباع أهل البيت (عليهم السلام) الذين كانوا يستهدفون الواقع السياسى المنحرف.

ثانيا: الانحراف السياسى

أتبع الحكام الامويون سياسه من سبقهم فى تحويل الخلافه الى ملك يتوارثه الأبناء عن الآباء دون سابقه علم أو تقوى، و توزيع المناصب المهمه و الحساسه فى الدوله على ابنائهم و اقربائهم و المتملقين لهم، و استبدوا بالأمر فلا شورى و لا استشاره إلا مع المنحرفين و الفساق من بطانتهم. و لشعورهم بعدم الاحقيه بالخلافه استمروا على نهج من سبقهم فى اتخاذ الارهاب و التنكيل و سيله لتثبيت سلطانهم، فحينما وجد الوليد بن عبد الملك أن ولايه عمر بن عبد العزيز على مكه و المدينه قد أصبحت ملجأ للهاربين من ظلم بقيه الولاه، قام بعزله (1) تنكيلا منه بالمعارضين و اربابهم و غلق منافذ السلامه أمامهم.

و كان سليمان بن عبد الملك محاطا بثله من الرجال الذين عرفوا بفسقهم و انحرافهم و سوء سيرتهم كما وصفهم أعرابى عنده، بعد أن أخذ منه الأمان، فقال له: يا أمير المؤمنين، انه قد تكفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم، و ابتاعوا دنياهم بدينهم، و رضاك بسخط ربهم، خافوك فى الله، و لم يخافوا الله فيك، حرب للآخره و سلم للدنيا، فلا تأمنهم على ما يأمنك الله عليه، فإنهم لم يأتوا إلا ما فيه تضييع و للامه خسف و عسف، و أنت مسؤول عما اجتموا،

ص: ٩٩

و ليسوا مسؤولين عمّا اجترمت، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك (١).

و اتبع ابناء عبد الملك الوليد و سليمان سيره أبيهم، و التزموا بوصيته فى قتل الرافضين للبيعه، و التى جاء فيها: ادع الناس الى البيعه، فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا (٢).

و أقرّ كثير من الفقهاء سياسه الحكّام الأمويين خوفاً أو طمعا أو استسلاما للأمر الواقع، فقد أقرّوا ما ابتدعوا من ممارسات فى توليه الحكم كالعهد الى اثنين أو أكثر، فقد عهد سليمان بالحكم الى عمر بن عبد العزيز و من بعده ليزيد بن عبد الملك، فأقرّ كثير من الفقهاء ذلك، حتى أصبحت نظريه من نظريات تولّى الحكم (٣).

و حينما تولّى عمر بن عبد العزيز الحكم حدث انفراج نسبى فى السياسه الامويه، كما لاحظنا، و قام ببعض الاصلاحات و منح الحريه النسبيه للمعارضين، و ألغى بدعه سبّ أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السّلام) و ردّ الى أهل البيت (عليهم السّلام) بعض حقوقهم، و اعترف بالممارسات الخاطئه لأسلافه من الحكّام، حتى امتدحه الإمام الباقر (عليه السّلام) على ذلك (٤).

و لكن حكمه لم يدم طويلا؛ إذ عاد الوضع الى ما كان عليه.

و امتازت هذه المرحله بسرعه تبدل الحكّام، فقد حكم سليمان ثلاث سنين، و حكم عمر بن عبد العزيز ثلاث سنين أو أقل، و حكم يزيد بن عبد الملك أربع سنين، و كان كل حاكم ينشغل بالإجهاز على ولاه من سبقه، و كثرت الاختلافات فى داخل البيت الاموى تنافسا على الحكم، كما كثرت

ص: ١٠٠

١- (١) الكامل فى التاريخ: ١٧٨/٣.

٢- (٢) البدايه و النهايه: ١٦١/٩.

٣- (٣) الاحكام السلطانيه: ١٣، الماوردى.

٤- (٤) الكامل فى التاريخ: ٦٢/٥.

الفتن الداخليه فى عهدهم،حتى قام قتيبه بن مسلم بخلع سليمان و الاستقلال فى خراسان (١).

و قام يزيد بن المهلب فى سنه (١٠١ هـ) بخلع يزيد بن عبد الملك و جهّز اليه يزيد من قتله و قتل أتباعه.

و أحاط يزيد نفسه بالمتملّقين الذين يبررون له انحرافاتة حتى افتوا له انه ليس على الخلفاء حساب (٢).

و هكذا كانت الامه الاسلاميه محاطه بالمخاطر من كل جانب،ففى سنه (١٠٤ هـ) ظفر الخزر بالمسلمين و انتصروا عليهم فى بعض الثغور.

و فى عهد هشام بن عبد الملك ازداد الارهاب و التنكيل بأهل البيت (عليهم السّلام) و أتباعهم و سائر المعارضين،حتى اجترأ هشام بن عبد الملك على سجن الإمام الباقر (عليه السّلام) و أقدم على اغتياله (٣). و أصدر أوامره بقتل بعض أتباع الإمام الباقر (عليه السّلام) إلا أنّ الإمام استطاع أن يتقدّم من القتل (٤).

و التجأ الكثير الى العمل السرى للإطاحه بالحكم الاموى،فكان العباسيون يعدّون العدّه و يبثون دعواتهم فى الاقاليم البعيده عن مركز الحكومه و خصوصا فى خراسان،و أخذ زيد ابن الإمام زين العابدين (عليه السّلام) يعدّ العدّه للثوره على الامويين فى وقتها المناسب،لأنّ الامويين كانوا قد أحصوا نفاس الناس عليهم لكى لا يتطرقوا إلى انحرافاتهم السياسيه أو يعلنوا عن معارضتهم لها.

ص: ١٠١

١- (١) تاريخ ابن خلدون: ١٥١/٥.

٢- (٢) البدايه و النهايه: ٩/٢٣٢.

٣- (٣) مناقب آل أبى طالب: ٤/٢٠٦.

٤- (٤) بحار الانوار: ٤٦/٢٨٣.

لقد حوّل الامويون الانظار الى الغزوات، و حشدوا جميع الطاقات البشريه و الماديه باتجاه الغزوات؛ و ذلك من أجل إشغال المسلمين عن التحدّث حول الاوضاع المنحرفه، و عن التفكير فى العمل السياسى أو الثورى لاستبدال نظام الحكم بغيره، و لم يكن هدفهم نشر مفاهيم و قيم الإسلام كما يتصوّر البعض ذلك، لأنهم كانوا قد خالفوا هذه المفاهيم و القيم فى سياستهم الداخليه، و داسوا كثيرا من المقدرات الاسلاميه، و شجّعوا على الانحرافات الفكرية.

و أدى توسع عمليات الفتح و الغزو الى خلق الاضطرابات فى المجتمع الإسلامى و تشتيت الاسر بغياب المعيل أو فقدانه، كما كثرت الجوارى والغلمان ممّا أدى الى التشجيع على الانحراف باقتناء الأثرياء للجوارى المغنّيات و تملك المخنثين، و انتقل الانحراف من البلاط الى الامه تبعاً لانحراف الحكّام و فسقهم، فقد انشغلوا باللهو و الانسياق وراء الشهوات دون حدود أو قيود حتى كثر الغزل و التشيب بالنساء فى عهد الوليد بن عبد الملك بشكل خاص (١).

و كانت همّه سليمان بن عبد الملك فى النساء، و انعكس ذلك على المجتمع حتى كان الرجل يلقى صاحبه فيقول له: كم تزوجت؟ و ماذا عندك من السرارى؟ (٢).

و قد وصف أبو حازم الاعرج الوضع الاجتماعى و الاخلاقى مجيباً سليمان بن عبد الملك على سؤاله: ما لنا نكره الموت؟ بقوله: لأنكم عمّرتم

ص: ١٠٢

١- (١) الاغانى: ٢١٩/٦.

٢- (٢) البدايه و النهايه: ١٦٥/٩.

دنياكم و أخرجتم آخرتكم،فأنتم تكرهون النقلة من العمران الى الخراب (١).

و كان سليمان يسابق بين المغنيين و يمنح السابقين الجوائز الثمينه (٢)، و يجزل العطاء للمغنيات. كما ازداد عدد المخنثين فى عهده (٣).

و أقبل يزيد بن عبد الملك على شرب الخمر و اللهو (٤)،و لم يتب من الشراب إلا اسبوعا حتى عاد اليه بتأثير من جاريته حنابه (٥).

و كان يقول:ما يقَرَّ عيني ما أوتيت من أمر الخلافه حتى اشترى سلامه و حنابه فارسى من يشتريهما له (٦).

و هكذا وصل الانحراف الى ذروته،حينما أصبح اللهو و المجون من اولى هموم حكام الدوله.

و ليس غريبا أن تنحرف الامه بانحراف حكامها و ولائهم و أجهزه الدوله،و بهذا الانحراف كانت تبتعد الاغلبيه من الناس عن الاهداف الكبرى التى حددها المنهج الاسلامى،و لا تكثرث بالاحداث و المخاطر المحيطه بالوجود الاسلامى.

رابعاً: الانحراف فى الميدان الاقتصادى

لقد تصرف الحكام بالأموال العامه و كأنها ملك شخصى لهم،فكانوا ينفقونها حسب رغباتهم و اهوائهم،على ملذاتهم و شهواتهم و كان للجوارى و المغنيين نصيب كبير فى بيت المال،كما كانوا ينفقون الأموال لشراء الذمم

ص: ١٠٣

١- ((١)) مروج الذهب: ١٧٧/٣.

٢- ((٢)) الاغانى: ٣١٧/١.

٣- ((٣)) المصدر السابق: ٢٧٢/٤.

٤- ((٤)) مروج الذهب: ١٩٦/٣.

٥- ((٥)) الاغانى: ٢٩٥/١٥.

٦- ((٦)) المصدر السابق: ٣٤٦/٨.

و الضمائر، و يمنحونها لمن يشترك في تثبيت سلطانهم أو مدحهم و الثناء عليهم، فقد مدح النابغه الشيباني يزيد بن عبد الملك فأمر له بمائه ناقه، و كساه و أجزل صلته (١).

فتنافس الشعراء فيما بينهم للحصول على مزيد من الأموال كما تنافس المغنون لنيل الهدايا من الحكام أو ولاتهم.

و كان الحكام يعيشون في أعلى مراتب الترف و البذخ، و يبذرون أموال المسلمين على لهوهم و شهواتهم، و على المقربين لهم، في وقت كان كثير من الناس يعيشون حياه الفقر و الجوع و الحرمان.

و ازداد التمييز الطبقي حينما عطل مبدأ التكافل الاجتماعي، و لم تكثر الدوله بمعاناه الناس و همومهم و لم تتدخل في الحث على الانفاق.

و قد ضاعف الحكام من الضرائب، فاضافوا ضرائب جديده على الصناعات و الحرف و خصوصا في عهد هشام بن عبد الملك، الذي كان ينفق ما تجمّع لديه على الشعراء المادحين له (٢).

و قد وصف سليمان بن عبد الملك حالات الترف و المجون التي و صلوا اليها قائلا: قد أكلنا الطيب، و لبسنا اللين، و ركبنا الفاره، و لم يبق لي لذه إلا صديق أطرح معه فيما بيني و بينه مؤنه التحفظ (٣).

و هكذا انساق الناس -و خصوصا- أتباع الامويين وراء شهواتهم و رغباتهم، و انشغل الكثير في السعي للحصول على الأموال بأي وجه أمكن.

ص: ١٠٤

١- (١) الاغانى: ١٠٩/٧.

٢- (٢) المصدر السابق: ٣٣٩/١.

٣- (٣) مروج الذهب: ٧٦/٣.

اشاره

دور الإمام محمّد الباقر (عليه السلام) في اصلاح الواقع الفاسد

على الرغم من انحراف الحكّام و أجهزتهم الاداريه و السياسيه عن المبادئ الثابته التي أرسى دعائمها القرآن الكريم و السنّه النبويّه؛ إلا- أنّ القاعدة الفكرية و التشريعيه للدوله بقيت متبناه من قبل الحاكم و أجهزته في مظاهرها العامه، و على ضوء ذلك فإنّ دور الإمام (عليه السلام) كان دورا اصلاحيا لإعاده الحاكم و أجهزته و إعاده الامه إلى الاستقامه في العقيدته و الشريعه، و جعل الإسلام بمفاهيمه و قيمه هو الحاكم على الأفكار و العواطف و المواقف.

و كان اسلوب الإمام (عليه السلام) الاصلاحى متفاوتا تبعا لتفاوت الظروف التي كانت تحيط به، و بالحكم القائم، و بالامه المسلمه.

لقد كان الإمام (عليه السلام) مقصد العلماء من كل بلاد العالم الاسلامى. و ما زار المدينة أحد إلا عرّج على بيته يأخذ من فضائله و علومه، و كان يقصده كبار رجالات الفقه الاسلامى: كسفيان الثورى، و سفيان بن عيينه، و أبى حنيفه.

و كان دوره (عليه السلام) في الاصلاح يتركز على اتجاهاين متزامنين:

الاتجاه الأول: التحرك في أوساط الامه و عموم الناس، بما فيهم المسلمون و أصحاب الديانات الاخرى، فضلا عن التحرك على الحكّام و أجهزتهم لإعادتهم الى خطّ الاستقامه أو الحدّ من انحرافاتهم

و حصرها فى نطاق محدود.

الاتجاه الثانى: بناء الجماعة الصالحة لتقوم بدورها فى إصلاح الأوضاع العامه للامه و لدوله طبقا للاسس و القواعد الثابته التى أرسى دعائمها أهل البيت(عليهم السلام) بما ينسجم مع القرآن الكريم و السنّه النبويه الشريفه.

محاور الحركه الإصلاحيه العامه للإمام الباقر (عليه السلام)

أولا: الإصلاح الفكرى و العقائدى

إشاره

من الأزمات التى خلّفتها سيره الحكّام السابقين هى أزمه ارتباك المفاهيم و ما رافقها من تقليد و سطحيه فى الفكر، فلم تتجلّ حقيقه التصور الاسلامى عند الكثير من المسلمين لكثرة التيارات الهدّامه و نشاطها فى تحريف المفاهيم السليمه و تزييف الحقائق، فكان دور الإمام(عليه السلام) هو حمل النفوس على التمييز ما هو أصيل من العقيدته عمّا هو زيف، و على تحكيم الأفكار و المفاهيم الأصلية فى عالم الضمير و عالم السلوك على حد سواء، و الاستقامه على المنهج الذى يريده الله تعالى للإنسان.

و قد مارس الإمام(عليه السلام) عدّه نشاطات لإصلاح الأفكار و العقائد، نشير الى أهمّها كما يلى:

١- الردّ على الافكار و العقائد الهدّامه و المذاهب المنحرفه

وجد المنحرفون لأفكارهم و عقائدهم الهدّامه أو ساطا تتقبلها و تروّج لها- جهلا- أو طمعا أو تأمرا على الإسلام الخالد- و فى عهد الإمام الباقر(عليه السلام) نشطت حركه الغلاه بقيادة المغيره بن سعيد العجلي.

روى على بن محمد النوفلى أن المغيره استأذن على أبى جعفر(عليه السلام)

وقال له: أخبر الناس أنني أعلم الغيب، وأنا أطعمك العراق، فزجره الإمام (عليه السلام) زجرا شديدا وأسمعه ما كره فانصرف عنه، ثم أتى أبا هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية فقال له مثل ذلك، فوثب عليه، فضربه ضربا شديدا أشرف به على الموت، فلما برئ أتى الكوفة و كان مشعبا فدعا الناس الى آرائه و استغواهم فأتبعه خلق كثير (١).

و استمر الإمام (عليه السلام) في محاصره المغيره و التحذير منه و كان يلعنه أمام الناس و يقول: «لعن الله المغيره بن سعيد كان يكذب علينا» (٢).

و لعن (عليه السلام) بقيه رؤساء الغلاه و منهم بنان التبان، فقال: «لعن الله بنان التبان، و ان بنانا لعنه الله كان يكذب على أبي» (٣).

و كان (عليه السلام) يحذّر المسلمين و خصوصا أنصار أهل البيت (عليهم السلام) من افكار الغلو، و يرشدهم الى الاعتقاد السليم، بقوله:

«لا تضعوا عليا دون ما وضعه الله، و لا ترفعوه فوق ما رفعه الله» (٤).

و كان (عليه السلام) يخاطب أنصاره قائلا: «يا معشر الشيعة شيعه آل محمد كونوا النمرقه الوسطى: يرجع اليكم الغالى، و يلحق بكم التالى» (٥).

و حذّر (عليه السلام) من المرجئه و لعنهم حين قال: «اللهم العن المرجئه فإنهم أعداؤنا فى الدنيا و الآخرة» (٦).

و كان (عليه السلام) يحذّر من افكار المفوضه و المجبره. و من اقواله فى ذلك: «إياك

ص: ١٠٧

١- (١) شرح نهج البلاغه: ١٢١/٨.

٢- (٢) بحار الانوار: ٢٩٧/٢٥.

٣- (٣) المصدر السابق: ٢٩٧/٢٥.

٤- (٤) المصدر السابق: ٢٨٣/٢٥.

٥- (٥) المصدر السابق: ١٠١:٦٧.

٦- (٦) المصدر السابق: ٢٩١/٤٦.

أن تقول بالتفويض! فإنَّ الله عزَّ و جلَّ لم يفوض الأمر الى خلقه و هنا و ضعفا، و لا أجبرهم على معاصيه ظلما» (١).

و فى عرض هذا الردِّ القاطع الصريح كان الإمام(عليه السَّلام) يبيِّن الافكار السليمة حول التوحيد لكى تتعرف الامه على عقيدتها السليمة.

و كان ممَّا ركَّز عليه الإمام(عليه السَّلام) فى هذا المجال بيان مقومات التوحيد و نفى التشبيه و التجسيم لله تعالى.

قال(عليه السَّلام):«يا ذا الذى كان قبل كل شىء، ثم خلق كل شىء، ثم يبقى و يفنى كل شىء، و يا ذا الذى ليس فى السموات العلى و لا فى الارضين السفلى، و لا فوقهنَّ، و لا بينهما، و لا تحتهنَّ إله يعبد غيره» (٢).

و فى جوابه(عليه السَّلام) للسائلين عن جواز القول بأنَّ الله موجود، قال:«نعم، تخرجه من الحدِّين: حدَّ الابطال، و حدَّ التشبيه» (٣).

و قال(عليه السَّلام):«ان ربِّي تبارك و تعالى كان لم يزل حيا بلا كيف، و لم يكن له كان، و لا كان لكونه كيف، و لا كان له أين، و لا كان فى شىء، و لا كان على شىء و لا ابتدع له مكانا» (٤).

كما ركَّز الإمام الباقر(عليه السَّلام) على العبوديه الخالصة لله و نهى عن الممارسات التى تتضمَّن الشرك بالله تعالى.

قال(عليه السَّلام):«لو انَّ عبدا عملا يطلب به وجه الله عزَّ جلَّ و الدار الآخرة، فأدخل فيه رضى أحد من الناس كان مشركا» (٥).

ص: ١٠٨

١- (١) بحار الانوار: ٢٩٨/٥.

٢- (٢) المصدر السابق: ٢٨٥/٣.

٣- (٣) المصدر السابق: ٢٦٥/٣.

٤- (٤) المصدر السابق: ٣٢٦/٣.

٥- (٥) المصدر السابق: ٢٩٧/٦٩.

كما دعا الى الانقطاع الكامل لله تعالى بقوله: «لا يكون العبد عابدا لله حق عبادته؛ حتى ينقطع عن الخلق كله اليه» (١).

و نهى الإمام (عليه السلام) عن التكلم في ذات الله تعالى، وذلك لأنَّ الإنسان المحدود لا يحيط بغير المحدود فلا ينفعه البحث عن الذات اللامحدوده إلا بعدا، و من هنا كان التكلم عن ذاته تعالى عبثا لا جدوى وراءه، فنهى (عليه السلام) عن ذلك، و حذر منه بقوله: «ان الناس لا يزال لهم المنطق، حتى يتكلموا في الله، فاذا سمعتم ذلك فقولوا: لا اله إلا الله الواحد الذي ليس كمثلته شيء» (٢).

و مما ركز عليه الإمام الباقر (عليه السلام) الردع من اتباع المذاهب المنحرفة و الأفكار الهدامة هو بيان عاقبه أهل الشبهات و الأهواء و البدع، و استهدف الإمام (عليه السلام) من التركيز على عاقبه المنحرفين فكريا و عقائديا إبعاد المسلمين عن التأثير بهم، و إزالة حاله الانس و الالفه بينهم و بين الأفكار و العقائد المنحرفة.

قال (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: «هَلْ تَبْتَكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا: هُم النَّصَارَى وَ الْقَيْسِيُونَ وَ الرَّهْبَانِ وَ أَهْلَ الشَّبَهَاتِ وَ الْأَهْوَاءِ مِنْ أَهْلِ الْقَبْلَةِ وَ الْحُرُورِيَّةِ وَ أَهْلِ الْبِدْعِ» (٣).

٢- الحوار مع المذاهب و الرموز المنحرفة

يعتبر الحوار احدى الوسائل التى تقع فى طريق اصلاح الناس، حيث تزعزع المناظره الهادفه و الحوار السليم الأفكار و المفاهيم المنحرفه.

ص: ١٠٩

١- ((١)) بحار الأنوار: ٢١١/٦٧.

٢- ((٢)) المصدر السابق: ٢٦٤/٣.

٣- ((٣)) المصدر السابق: ٢٩٨/٢.

من هنا قام الإمام (عليه السلام) بمحاورة بعض رؤوس المخالفين، لتأثيرهم الكبير على أتباعهم لو صلحوا و استقاموا على الحقّ. و إليك بعض مناظراته:

مع علماء النصارى: حينما أخرج هشام بن عبد الملك الإمام (عليه السلام) من المدينة الى الشام كان (عليه السلام) يجلس مع أهل الشام في مجالسهم، فبينما هو جالس و عنده جماعه من الناس يسألونه، اذ نظر الى النصارى يدخلون في جبل هناك، فسأل عن حالهم، فأخبر انهم يأتون عالما لهم في كل سنة في هذا اليوم يسألون عمّا يريدون و عمّا يكون في عامهم، و قد أدرك هذا العالم أصحاب الحواريين من اصحاب عيسى (عليه السلام)، فقال الإمام (عليه السلام): فهلتم نذهب إليه؟ فذهب (عليه السلام) الى مكانهم، فقال له النصراني: أسألك أو تسألني؟ قال (عليه السلام): تسألني، فسأله عن مسائل عديده حول الوقت، و حول أهل الجنّة، و حول عزره و عزير، فأجابه (عليه السلام) عن كل مسأله.

فقال النصراني: يا معشر النصارى ما رأيت أحدا قط أعلم من هذا الرجل لا تسألوني عن حرف و هذا بالشام ردّوني فردّوه الى كهفه، و رجع النصارى مع الإمام (عليه السلام).

و في روايه: أنه أسلم و أسلم معه أصحابه على يد الإمام (عليه السلام) (١).

مع هشام بن عبد الملك: ناظره هشام بن عبد الملك في مسائل متنوعه تتعلق بمقامات أهل البيت (عليهم السلام) و ميراثهم لعلم رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و ادعاء الإمام على (عليه السلام) علم الغيب، فأجابه الإمام (عليه السلام) عن مسائله المتنوعه و ناظره في اثبات مقامات أهل البيت (عليهم السلام) مستشهدا بالآيات القرآنيه و الاحاديث

ص: ١١٠

الشريفه، فلم يستطع هشام ان يردّ عليه، وناظره فى مواضع اخرى، فقال له هشام: (اعطنى عهد الله و ميثاقه ألا ترفع هذا الحديث الى أحد ما حيث)، قال الإمام الصادق (عليه السلام): فأعطاه أبى من ذلك ما أرضاه (١).

و قد ذكرنا تفصيل المناظرتين فى بحث سابق فراجع (٢).

مع الحسن البصرى: قال له الحسن البصرى: جئت لأسألك عن أشياء من كتاب الله تعالى.

و بعد حوار قصير قال له (عليه السلام): بلغنى عنك أمر فما أدرى أكذاك أنت؟ أم يكذب عليك؟ قال الحسن: ما هو؟

قال (عليه السلام): زعموا أنك تقول: إن الله خلق العباد ففوض اليهم امورهم.

فسكت الحسن... ثم وضح له الإمام (عليه السلام) بطلان القول بالتفويض و حذره قائلاً: وإياك أن تقول بالتفويض، فإن الله عز و جل لم يفوض الأمر إلى خلقه، و هنا منه و ضعفا، و لا أجبرهم على معاصيه ظلماً (٣).

و له (عليه السلام) مناظرات مع محمد بن المنكدر - من مشاهير زهاد ذلك العصر - مع نافع بن الأزرق أحد رؤساء الخوارج، و مع عبد الله بن معمر الليثى، و مع قتاده بن دعامة البصرى (٤) و احتجاجات لا يتحمل شرحها هذا المختصر.

ص: ١١١

١- (١) بحار الأنوار: ٣٠٨/٤٦، ٣١٦.

٢- (٢) راجع مبحث ملامح و أبعاد هامه فى عصر الإمام الباقر (عليه السلام).

٣- (٣) الاحتجاج: ١٨٤/٢.

٤- (٤) أعيان الشيعة: ١/٦٥٣.

جاء قتاده بن دعامة البصرى الى الإمام (عليه السّلام) وقد هتّى له أربعين مسألة ليمتحنه بها، فقال له (عليه السّلام): أنت فقيه أهل البصره؟ قال قتاده: نعم، فقال (عليه السّلام):

«ويحك يا قتاده إنّ الله عزّ وجل خلق خلقاً، فجعلهم حججاً على خلقه، فهم أوتاد فى أرضه، قوام بأمره، نجباء فى علمه اصطفاهم قبل خلقه»، فسكت قتاده طويلاً، ثم قال:

أصلحك الله، والله لقد جلست بين يدي الفقهاء، وقدام ابن عباس، فما اضطرب قلبي قدام أحد منهم ما اضطرب قدامك (١).

و أدان الإمام الباقر (عليه السّلام) أبا حنيفة لقوله بالقياس، و علق الاستاذ محمد أبو زهره على هذه الإدانه قائلاً: تتبين إمامه الباقر للعلماء، يحاسبهم على ما يبدو منهم، و كأنه الرئيس يحاكم مرؤوسيه ليحملهم على الجاده، و هم يقبلون طائعين تلك الرئاسه (٢).

٤- الدعوه الى أخذ الفكر من مصادره النقيّه

لقد حدّر الإمام (عليه السّلام) الناس من الوقوع فى شرك الافكار و الآراء و العقائد المنحرفه، و حدّر من البدع و جعلها أحد مصاديق الشرك فقال:

«أدنى الشرك أن يبتدع الرجل رأياً فيحبّ عليه و يبغض» (٣).

كما حدّر من الإفتاء بالرأى فقال: «من أفتى الناس بغير علم و لا هوى من الله لعنته ملائكه الرحمه و ملائكه العذاب، و لحقه وزر من عمل بفتياه» (٤).

ص: ١١٢

١- ((١)) بحار الأنوار: ٣٥٧/٤٦.

٢- ((٢)) تاريخ المذاهب الاسلاميه: ٦٨٩.

٣- ((٣)) المحاسن: ٢٠٧.

٤- ((٤)) المصدر السابق: ٢٠٥.

و من هنا كان يدعو الناس الى اخذ العلم و الفكر من منابعه النقيه و هم أهل البيت المعصومون من كل زيغ و انحراف. قال (عليه السّلام) لسلمه بن كهيل و للحكم بن عتيبه: «شَرْقا و غَرْبا فلا تجدان علما صحيحا إلا شيئا خرج من عندنا» (١).

و كان يحذّر من مجالسه أصحاب الخصومات و يقول: «لا تجالسوا أصحاب الخصومات، فإنهم يخوضون في آيات الله» (٢).

كما كان يشجع على ذكر مقامات أهل البيت (عليهم السّلام) و فضائلهم فإنّها من أسباب نشر الحق و الفضيله، فعن سعد الاسكاف، قال: قلت لأبي جعفر (عليه السّلام):

انى اجلس فأقصّ، و اذكر حقكم و فضلكم. فقال (عليه السّلام): «ووددت أنّ على كل ثلاثين ذراعا قاصّا مثلك» (٣).

٥- نشر علوم أهل البيت (عليهم السّلام)

لقد فتح الإمام (عليه السّلام) أبواب مدرسته العلميه لعامه أبناء الامه الإسلاميه، حتى وفد اليها طلاب العلم من مختلف البقاع الإسلاميه، و أخذ عنه العلم عدد كبير من المسلمين بشتى أّتجاهاتهم و ميولهم، منهم: عطاء بن أبي رباح، و عمرو بن دينار، و الزهري، و ربيع الرأى، و ابن جريج، و الاوزاعى، و بسام الصيرفى (٤)، و أبو حنيفه و غيرهم (٥).

و فى ذلك قال عبد الله بن عطاء: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علما

ص: ١١٣

١- (١) الكافي: ٣٩٩/١.

٢- (٢) كشف الغمّه: ١٢٠/٢.

٣- (٣) رجال الكشى: ٢١٥.

٤- (٤) سير أعلام النبلاء: ٤٠١/٤.

٥- (٥) تاريخ المذاهب الإسلاميه: ٣٦١.

منهم عند أبي جعفر، لقد رأيت الحكم عنده كأنه متعلم (١).

و كانت أحاديثه مسنده عن آبائه عن رسول الله (صلى الله عليه و اله)، كما كان يرسل الحديث و لا يسنده. و حينما سئل عن ذلك، قال: إذا حدّثت بالحديث فلم اسنده، فسندي فيه أبي زين العابدين عن أبيه الحسين الشهيد عن أبيه علي بن أبي طالب عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) عن جبرئيل عن الله عزّ و جلّ (٢).

ثانياً: تأسيس المدرسه الفقيهه النموذجيه

اشاره

(٣)

لقد جهد الإمام الباقر و ولده الصادق (عليهما السلام) على نشر الفقه الاسلامي و تبنيًا نشره بصورة إيجابيه في وقت كان المجتمع الاسلامي غارقاً في الأحداث و الاضطرابات السياسيه، حيث أهملت الحكومات في تلك العصور الشؤون الدينيه إهمالاً تاماً، حتى لم تعد الشعوب الاسلاميه تفقه من أمور دينها القليل و لا- الكثير، يقول الدكتور علي حسن: «و قد أدى تتبعنا للنصوص التأريخيه إلى امثله كثيره تدل على هذه الظاهره- أي إهمال الشؤون الدينيه- التي كانت تسود القرن الأول سواء لدى الحكام أو العلماء أو الشعب، و نعى بها عدم المعرفه بشؤون الدين، و التراجع و عدم الجزم و القطع فيها حتى في العبادات، فمن ذلك ما روى أن ابن عباس خطب في آخر شهر رمضان على منبر البصره فقال: اخرجوا صدقه صومكم فكان الناس لم يعلموا، فقال: من ها هنا من أهل المدينه؟ فقوموا إلى إخوانكم فعلموهم، فإنهم لا يعلمون فرض رسول الله (صلى الله عليه و اله) (٤).

ص: ١١٤

١- (١) مختصر تاريخ دمشق: ٧٩/٢٣.

٢- (٢) اعلام الوری: ٢٩٤.

٣- (٣) راجع حياه الإمام محمد الباقر (عليه السلام)، باقر شريف القرشي ٢١٥/١-٢٢٦.

٤- (٤) الاحكام في أصول الاحكام لابن حزم: ١٣١/٢.

فأهل البلاد الاسلاميه لم يعرفوا شؤون دينهم معرفه كافيه، وقد كان يوجد فى بلاد الشام من لا يعرف عدد الصلوات المفروضه، حتى راحوا يسألون الصحابه عن ذلك (١).

إن الدور المشرق الذى قام به الإمام الباقر و الصادق (عليهما السّلام) فى نشر الفقه و بيان أحكام شريعه الله كان من اعظم الخدمات التى قدّماها للعالم الاسلامى.

و سعى إلى الأخذ من علومها أبناء الصحابه و التابعون، و رؤساء المذاهب الاسلاميه كأبى حنيفه و مالك و غيرهما، و تخرج على يد الإمام أبى جعفر (عليه السّلام) جمهوره كبيره من الفقهاء كزراره بن اعين، و محمد بن مسلم و ابان ابن تغلب، و إليهم يرجع الفضل فى تدوين أحاديث الإمام (عليه السّلام) و قد أصبحوا من مراجع الفتيا بين المسلمين، و بذلك أعاد الإمام أبو جعفر (عليه السّلام) للإسلام نضارته و حافظ على ثرواته الدينيه من الضياع و الضمور.

و من الجدير بالذكر أن الشيعة هم أول من سبق إلى تدوين الفقه. فقد قال مصطفى عبد الرزاق: «و من المعقول أن يكون النزوع إلى تدوين الفقه كان أسرع إلى الشيعة لأن اعتقادهم العصمه فى أئمتهم أو ما يشبه العصمه كان حريا إلى تدوين أفضيتهم و فتاواهم» (٢).

و بذلك فقد ساهمت الشيعة فى بناء الصرح الاسلامى، و حافظت على أهم ثرواته... و لا بد لنا من وقفه قصيره للنظر فى فقه أهل البيت (عليهم السّلام) الذى هو مستمد من الرسول الاعظم (صلّى الله عليه و اله).

ص: ١١٥

١- ((١)) سنن النسائى: ٤٢/١.

٢- ((٢)) تمهيد لتأريخ الفيلسفه الاسلاميه: ص ٢٠٢.

١-الاتصال بالنبي(صلى الله عليه و اله):و الشيء المهم فى فقه أهل البيت(عليهم السلام)هو أنه يتصل اتصالا مباشرا بالنبي(صلى الله عليه و اله)فطريقه إليه أئمه أهل البيت(عليهم السلام)الذين اذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا،و جعلهم النبي(صلى الله عليه و اله)سفن النجاه، و أمن العباد،و عدلاء الذكر الحكيم حسبما تواترت الاخبار بذلك.

قال(عليه السلام):«لو إننا حدثنا برأينا ضللنا كما ضل من قبلنا،و لكننا حدثنا بينه من ربنا بينها لنبيه(صلى الله عليه و اله)فبينها لنا»(١).

٢-المرونه:إن فقه أهل البيت يساير الحياه،و يواكب التطور،و لا يشذ عن الفطره و يتمشى مع جميع متطلبات الحياه،فليس فيه-و الحمد لله-حرج و لا ضيق،و لا ضرر،و لا إضرار،و إنما فيه الصالح العام،و التوازن فى جميع مناحى تشريعاته،و قد نال اعجاب جميع رجال القانون،و اعترفوا بأنه من أثرى ما قن فى عالم التشريع عمقا و أصاله و إبداعا.

٣-فتح باب الاجتهاد:إن من أهم ما تميز به فقه أهل البيت(عليهم السلام)هو فتح باب الاجتهاد،فقد دل ذلك على حيويه فقه أهل البيت،و تفاعله مع الحياه و استمراره فى العطاء لجميع شؤون الانسان،و إنه لا يقف مكتوفا أمام الاحداث المستجده التى يبتلى بها الناس خصوصا فى هذا العصر الذى برزت فيه كثير من الأحداث و استحدثت فيه كثير من الموضوعات،و قد أدرك كبار علماء المسلمين من الأزهر مدى الحاجه الملته إلى فتح باب الاجتهاد، و متابعه الشيعه الإماميه فى هذه الناحيه.

ص:١١٦

قال السيد رشيد رضا: «و لا نعرف فى ترك الاجتهاد منفعه ما، و أمّا مضارّه فكثيره، و كلها ترجع إلى إهمال العقل، و قطع طريق العلم، و الحرمان من استغلال الفكر، و قد أهمل المسلمون كل علم بترك الاجتهاد، فصاروا إلى ما نرى» (١).

٤- الرجوع الى حكم العقل: انفرد فقهاء الاماميه عن بقيه المذاهب الاسلاميه فجعلوا العقل واحدا من المصادر الأربعة لاستنباط الاحكام الشرعيه، و قد أضفوا عليه أسمى ألوان التقديس فاعتبروه رسول الله الباطنى، و إنه مما يعبد به الرحمن، و يكتسب به الجنان. و من الطبيعى ان الرجوع إلى حكم العقل إنما يجوز إذا لم يكن فى المسأله نص خاص أو عام و إلا فهو حاكم عليه، و إن للعقل مسرحة كبيرا فى علم الاصول الذى يتوقف عليه الاجتهاد.

ثالثا: الاصلاح السياسى

اشاره

استثمر الإمام (عليه السلام) بعض ظروف الانفراج السياسى النسبى من أجل بناء و توسعه القاعده الشعبيه، و تسليحها بالفكر السياسى السليم المنسجم مع رؤيه أهل البيت (عليهم السلام)، و تعبئه الطاقات لاتخاذ الموقف المناسب فى الوقت المناسب، و لهذا لم تنطلق أى ثوره علويه فى عهده، لعدم اكتمال شروطها من حيث العده و العدد.

و كان الإمام (عليه السلام) يقدم للامه المفاهيم و الافكار السياسيه الأساسيه مع الحيطه و الحذر؛ و كانت له مواقف سياسيه صريحه من بعض الحكام لإعادتهم الى جاده الصواب.

و قد تجلّى دوره الاصلاحى فى الممارسات التاليه:

ص: ١١٧

١-الدعوة الى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر

الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر يحزّران الانسان و المجتمع من الوان الانحراف فى الفكر و العاطفه و السلوك، و يحوّلان المفاهيم و القيم الاسلاميه الثابته الى ممارسات سلوكيه واضحه المعالم، تترجم فيها الآراء و النصوص الى مشاعر و عواطف و أعمال و حركات و علاقات متجسده فى الواقع لكى تكون الامه و الدوله بمستوى المسؤوليه فى الحياه، و المسؤوليه هى حمل الأمانه الإلهيه و خلافه الله تعالى فى الأرض.

و من هنا جاءت تأكيدات الإمام (عليه السّلام) على هذه الفريضه التى جعلها شامله لجميع مرافق الحياه الانسانيه حيث قال: «ان الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر سبيل الأنبياء و منهاج الصالحين، فريضه عظيمه بها تقام الفرائض، و تأمن المذاهب، و تحلّ المكاسب، و تردّ المظالم و تعمّر الأرض، و ينتصف من الاعداء و يستقيم الأمر، فأنكروا بقلوبكم، و الفظوا بألسنتكم، و صكّوا بها جباههم، و لا تخافوا فى الله لومه لائم...» (١).

و حدّر (عليه السّلام) من مغبه التخلّى عن المسؤوليه، و مدهنه المنحرفين حكّاما كانوا أم من سائر أفراد الأمه فقال: «أوحى الله تعالى الى شعيب النبى (عليه السّلام) إني لمعذب من قومك مائه ألف: أربعين ألفا من شرارهم، و ستين ألفا من خيارهم، فقال: يا ربّ هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟

فأوحى الله عز و جل إليه: إنهم داهنوا أهل المعاصى، و لم يعضبوا لغضبى» (٢).

و حث (عليه السّلام) على هذه المسؤوليه و بين آثار التخلّى عنها فقال: «الأمر

ص: ١١٨

١- ((١)) تهذيب الاحكام: ١٨٠/٦.

٢- ((٢)) المصدر السابق: ١٨١/٦.

بالمعروف و النهى عن المنكر خلقان من خلق الله عزّ و جلّ، فمن نصرهما أعزّه الله، و من خذلهما خذله الله عزّ و جلّ» (١).

٢- نشر المفاهيم السياسيّه السليمه

وجّه الإمام (عليه السّلام) الأنظار الى دور أهل البيت (عليهم السّلام) في قياده الامه، و توجيهها نحو الاستقامه و الرشاد فقال: «نحن ولاء أمر الله و خزائن علم الله، و ورثه و حى الله، و حمله كتاب الله، طاعتنا فريضه، و حبنا إيمان، و بغضنا كفر، محبنا فى الجنه، و مبغضنا فى النار» (٢).

و حدّر الامه من الابتعاد عن نهج أهل البيت (عليهم السّلام) فقال (عليه السّلام): «برئ الله ممن يبرأ منّا، لعن الله من لعننا، أهلك الله من عادانا» (٣).

و حتّ (عليه السّلام) على نصرتهم فقال: «من أعاننا بلسانه على عدوّنا أنطقه الله بحجته يوم موقفه بين يديه عزّ و جلّ» (٤).

و وضّح (عليه السّلام) حدود الموالاه لهم، و بيّن المعيار لمعرفة الموالاه و الموالين فى حاله التباس المفاهيم و اختلاط المعايير، فقال: «أما محبتنا، فيخلص الحبّ لنا كما يخلص الذهب بالنار لا كدر فيه، من أراد أن يعلم حبنا، فليمتحن قلبه فإن شاركه فى حبنا حبّ عدوّنا، فليس منّا و لسنا منه» (٥).

و أكد على أنّ طرق تولّى الإمام لمنصب الامامه منحصره بالنصّ و الوصيه، و لا عبره بما هو الشائع من البيعه و العهد و الغلبه، و مما جاء فى ذلك قوله (عليه السّلام): «كل من دان الله عزّ و جلّ بعباده يجهد فيها نفسه و لا إمام له من الله فسعيه غير

ص: ١١٩

١- ((١)) الخصال: ٤٢/١.

٢- ((٢)) مناقب آل أبى طالب: ٢٢٣/٤.

٣- ((٣)) بحار الانوار: ٢٢٢/٢٧.

٤- ((٤)) المصدر السابق: ١٣٥/٢.

٥- ((٥)) المصدر السابق: ٥١/٢٧.

مقبول، وهو ضالّ متحير، والله شانئ لأعماله...» (١).

و بين مواصفات الإمام لكي تتمكن الامه من التمييز و التشخيص في خضم الاحداث التي حرّفت فيها المفاهيم و زوّرت فيها الحقائق فقال(عليه السلام):

«ان الإمامه لا- تصلح الآ- لرجل فيه ثلاث خصال:ورع يحجزه عن المحارم،و حلم يملك به غضبه،و حسن الخلافه على من ولي،حتى يكون له كالوالد الرحيم» (٢).

و رسم قاعده كليه في أساسيات حقوق و واجبات الإمام تجاه الامه، لكي تدرك الامه مدى قرب و بعد الحكّام عن أداء مسؤوليتهم،فقال(عليه السلام):

«حقّه عليهم أن يسمعوا و يطيعوا...و حقهم عليه:يقسم بينهم بالسويه و يعدل في الرعيّه» (٣).

و في خضم الاحداث الصاخبه و ما طرأ من تشويه و تدليس في الحقائق، بين(عليه السّلام)المفهوم الحقيقي للتشيع،لكي لا يعطى مبرراً للحكّام الامويين لتشويه سمعه أنصار أهل البيت(عليهم السّلام)في المحافل المختلفه،و استغلال بعض السلبيات للطعن في مفاهيم الولاء و التولي،فقال(عليه السّلام):«فو الله ما شيعتنا الآ- من اتقى الله و أطاعه،و ما كانوا يعرفون الآ- بالتواضع،و التخشع،و الامانه،و كثره ذكر الله، و الصوم،و الصلاه،و البر بالوالدين،و التعاهد للجيران من الفقراء و أهل المسكنه، و الغارمين،و الأيتام،و صدق الحديث و تلاوه القرآن،و كفّ الألسن عن الناس الآ من خير، و كانوا امناء عشائهم في الأشياء» (٤).

و التشيع ليس ادعاء بل هو ممارسه عمليه محسوسه في الواقع،و الشيعي هو مثال التدين و الاخلاص و الطّاعه لله تعالى.

و لم يكتف الإمام الباقر(عليه السلام)ببيان المظاهر الخارجيه لمن ينتسب

ص: ١٢٠

١- (١) الكافي: ١/١٨٤.

٢- (٢) الخصال: ١/١١٦.

٣- (٣) بحار الانوار: ٢٧/٢٤٤.

٤- (٤) الكافي: ٢/٧٤.

لمدرسه أهل البيت (عليهم السّلام) و إنّما تعدّى ذلك الى مجموعه من المعالم الفريده لشيعتهم، فقال (عليه السّلام): «أنّما شيعة علي (عليه السّلام) الشاحبون الناحلون الذابلون، ذابله شفاههم، خميصه بطونهم، متغيره ألوانهم، مصفرّه وجوههم، إذا جنّهم الليل اتّخذوا الأرض فراشا، و استقبلوا الأرض بجباههم، كثير سجودهم، كثيره دموعهم، كثير دعاؤهم، كثير بكائهم، يفرح الناس و هم محزونون» (١).

٣- فضح الواقع الاموى

كشف الإمام (عليه السّلام) حقيقه الحكم الاموى و كيفيه وصوله الى الحكم، و ما مارسه من أعمال لإدامه السيطره على رقاب المسلمين، و وضّح الجرائم التى ارتكبتها سلف هؤلاء الحكّام فى حق أهل البيت (عليهم السّلام) و أنصارهم، فبعد أن بيّن ملابسات الخلافه، و كيفيه الاستحواذ عليها و إقصاء أهل البيت (عليهم السّلام) عن موقعهم فيها، قال: «... و كان عظم ذلك و كبره زمن معاويه بعد موت الحسن (عليه السّلام) فقتلت شيعتنا بكل بلده، و قطعت الأيدى و الأرجل على الظنّه، و كان من يذكر بحبّنا و الانقطاع الينا سجن أو نهب ماله، أو هدمت داره، ثم لم يزل البلاء يشتد و يزداد الى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين (عليه السّلام) ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتله، و أخذهم بكل ظنّ و تهمه، حتى أنّ الرجل ليقال له: زنديق أو كافر، أحبّ اليه من أن يقال: شيعة عليّ، و حتى صار الرجل الذى يذكر بالخير - و لعلّه يكون و رعا صدوقا - يحدث بأحاديث عظيمه عجيبه، من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة، و لم يخلق الله تعالى شيئا منها، و لا كانت و لا وقعت و هو يحسب أنّها حقّ لكثرة من قد رواها ممّن لم يعرف بكذب، و لا بقله و رع» (٢).

ص: ١٢١

١- (١) بحار الانوار: ١٤٩/٦٥.

٢- (٢) شرح نهج البلاغه: ١١/٤٢، ٤٤.

دعا(عليه السّلام)الى مقاطعه الحكم الجائر و نهى عن إسناده بأى شكل من أشكال المسانده و إن كانت لا تتعلق بسياستهم،فقال(عليه السّلام)-
فى معرض جوابه عن العمل معهم:-«و لا مده قلم،إنّ أحدهم لا يصيب من دنياهم شيئاً إلاّ أصابوا من دينه مثله» (١).

و وضح أساسيات التعامل مع الحكام الجائرين و الفاسقين بقوله:«لا دين لمن دان بطاعه من عصى الله» (٢).

و أكد(عليه السّلام)على أن تكون العلاقه معهم علاقه التوجيه و الارشاد،و القيام بأداء مسؤوليه الوعظ فقال:«من مشى الى سلطان جائر،فأمره
بتقوى الله،و خوفه و وعظه كان له مثل أجر الثقلين من الجن و الانس،و مثل أعمالهم» (٣).

و استثنى(عليه السّلام)المواقف التى تتخذ من أجل مصلحه الإسلام الكبرى، فجوز إسنادهم بالسلاح إن كان القتال مع أعداء الإسلام،لأنهم
يدفعون بالسلاح العدو المشترك،قال(عليه السّلام)لمن كان يحمل إليهم السلاح:«إحمل إليهم،فإنّ الله يدفع بهم عدونا و عدوكم-يعنى الروم-
و بعهم،فإذا كانت الحرب بيننا فلا تحملوا» (٤).

و قال(عليه السّلام)فى حق حكام الجور:«ان ائمه الجور و اتباعهم لمعزولون عن دين الله و الحق،قد ضلوا بأعمالهم التى يعملونها» (٥).

ص: ١٢٢

١- ((١) الكافي: ١٠٧/٥.

٢- ((٢) بحار الانوار: ١٢٢/٢.

٣- ((٣) بحار الأنوار: ٣٧٥/٧٢.

٤- ((٤) الكافي: ١١٢/٥، كتاب المعيشه،باب بيع السلاح منهم.

٥- ((٥) المحاسن: ٩٣.

٥-مواقفه المباشره من الحكام المنحرفين

انّ دور الإمام الحقيقى هو دور القدوه،و من أهم المسؤوليات الملقاه على عاتقه إصلاح الحاكم و الامه معاً،و القضاء على الانحراف فى مهده.أو الحيلولة دون التماذى فيه،و هذا الدور تختلف أساليبه و برامجه تبعاً للعوامل و الظروف السياسيه المحيطة بالامام،و تتغير المواقف تبعاً للمقومات التاليه:

أ-المصلحه الاسلاميه العامه.

ب-المصلحه الاسلاميه الخاصه،و التى تتعلق بالحفاظ على منهج أهل البيت(عليهم السّلام)و رفده بالعناصر التزييه،لضمان استمرار حركته فى الامه.

ت-الظروف العامه و الخاصه من حيث قوه الحاكم،و قوه القاعده الشعبيه لأهل البيت(عليهم السّلام).

و كانت التقيّه اسلوباً يتخذه الإمام(عليه السّلام)فى مواقفه من الحاكم الجائر عندما لا تكون المواجهه العلنيه مفيده و مثمره،و أوضح الإمام حدودها بقوله:

«التقيه فى كل ضروره» (١).و قال(عليه السّلام):«إنما جعلت التقيه ليحقن بها الدماء،فإذا بلغ الدم فلا تقيه» (٢).

و فى العهود التى سبقت عهد عمر بن عبد العزيز،كان الإمام(عليه السّلام)يتقى المواجهه مع الحاكم حفاظاً على كيان أهل البيت(عليهم السّلام)و إبعاداً لأنصاره عن حراب الحاكم و أعوانه،و لم يتدخل(عليه السّلام)فى شؤون الحاكم الآ فى حدود ضيقه، و حينما وصل الأمر الى عمر بن عبد العزيز و تبدلت الاوضاع و الظروف تقرب عمر بن عبد العزيز إلى أهل البيت(عليهم السّلام)و فضّلهم على بنى أميه،قائلاً:

افضّلهم لأنى سمعت...أن رسول الله(صلّى الله عليه و اله)كان يقول:«إنما فاطمه شجنه (٣)مئى

ص:١٢٣

١- (١) بحار الانوار:٣٩٩/٧٢.

٢- (٢) المصدر السابق.

٣- (٣) الشجن:القرع من كل شىء.

يسرني ما سرها، و يسوؤني ما أساءها، فأنا ابتغي سرور رسول الله (صلى الله عليه و اله) و أتقى مساءته» (١).

و استثمر الإمام (عليه السلام) هذه الحرية النسبية، فقام بدوره في اصلاح الحاكم و أجهزته و إرشاده و حثه على الاستقامه في التعامل مع الرعيه.

و حينما بعث اليه ان يقدم عليه، لبى (عليه السلام) الدعوه و اجتمع معه، و أخذ ينصحه و يطلب منه أن يوفق بين ممارساته و بين القيم الاسلاميه في مجال التعامل، و ممّا جاء في نصائحه له قوله (عليه السلام): «...فاتق الله، و اجعل في قلبك اثنتين تنظر الذي تحب أن يكون معك إذا قدمت على ربك، فقدّمه بين يديك، و تنظر الذي تكرهه أن يكون معك إذا قدمت على ربك، فابتغ به البدل، و لا تذهبن إلى سلعه قد بارت على من كان قبلك ترجو أن تجوز عنك، و اتق الله يا عمر و افتح الأبواب و سهّل الحجاب، و انصر المظلوم و ردّ المظالم» (٢).

و استشاره عمر في بعض الأمور، و حينما أراد الرجوع الى المدينه قال له عمر: فأوصني يا أبا جعفر، فقال (عليه السلام): «أوصيك بتقوى الله و اتّخذ الكبير أبا، و الصغير ولدا، و الرجل أخا» (٣).

و في عهد هشام بن عبد الملك كان (عليه السلام) يتحرك تبعاً لمواقف هشام من حيث اللين و الشده، فحينما دخل هشام المسجد الحرام نظر الى الإمام (عليه السلام) و قد أحدق الناس به، فقال: من هذا؟ فقيل له: محمد بن علي بن الحسين، فقال:

هذا المفتون به أهل العراق؟ فأرسل اليه، و سأله بعض الاسئله، فأفحمه الإمام (عليه السلام) و ظهر عليه أمام أتباعه (٤).

ص: ١٢٤

١- (١) بحار الأنوار: ٣٢٠/٤٦.

٢- (٢) المصدر السابق: ١٨٢/٧٥.

٣- (٣) مختصر تاريخ دمشق: ٧٧/٢٣.

٤- (٤) المصدر السابق: ٧٩/٢٣.

ولمّا حمل الى الشام و أراد هشام أن ينتقص منه، نهض قائما ثم قال:

«أيها الناس أين تذهبون و أين يراد بكم؟ بنا هدى الله أولكم، و بنا يخرمكم، فإن يكن لكم ملك معجل، فإن لنا ملكا مؤجلا...» (١).

٦- موقفه من الثورة المسلحة

وقف الإمام (عليه السلام) موقف الحياد من الثورات التي قادها الخوارج، فلم يصدر منه تأييد و لا معارضة، لكي لا يستثمر قادة الثورات أو الحكام موقف الإمام (عليه السلام) لصالحهم، و لكي تستمر روح الثورة في النفوس.

و في عهده (عليه السلام) لم تنطلق أي ثورة علوية يقودها أحد أهل البيت (عليهم السلام) أو أحد أنصارهم، لأن الإمام (عليه السلام) كان مشغولا ببناء و توسعة القاعدة الشعبية، لكي تنطلق فيما بعد، أي بعدا كمال العده و العدد، و كان (عليه السلام) يوجه الانظار الى ثورة أخيه زيد التي أخبر أنها ستنتقل في المستقبل القريب.

و كان يربط بين موقف زيد المستقبلي و بين موقفه (عليه السلام) منه فيقول:

«أما عبد الله فيدي التي أبطش بها، و أما عمر فبصرى الذي أبصر به، و أما زيد فلساني الذي أنطق به (٢)...» (٣).

ص: ١٢٥

١- ((١)) مناقب آل أبي طالب: ٢٠٦/٤.

٢- ((*)) عبد الله الباهر أخو الإمام الباقر (عليه السلام)، كان من أبرز علماء المسلمين في فضله، و سمو منزلته العلميه، و قد روى عن أبيه علوما شتى، و كتب الناس عنه ذلك. «غايه الاختصار ١٠٦». و أما عمر بن علي بن الحسين (عليه السلام) فهو أخو الإمام الباقر (عليه السلام) أيضا كان فاضلا جليلا و ولى صدقات النبي (صلى الله عليه و اله) و صدقات أمير المؤمنين (عليه السلام) و كان ورعا سخيًا، و يروى عنه، قال: يشترط على من ابتاع صدقات علي (عليه السلام) أن يثلم في الحائط كذا و كذا ثلمه لا يمنع من دخله أن يأكل منه. و كذلك زيد الشهيد فإنه ثالث إخوته، و كان من أجّل علماء المسلمين و قد تخصص في علوم كثيره كعلم الفقه و الحديث و التفسير و علم الكلام و غيرها، و هو الذي تبنى حقوق المظلومين و المضطهدين، و قاد سيرتهم النضاليه في ثروته الخالده التي نشرت الوعي السياسى في المجتمع الإسلامى و ساهمت مساهمه إيجابيه و فعّاله في الإطاحه بالحكم الاموى.

٣- ((٢)) سفينه البحار: ٢٧٣/٢.

و كان (عليه السّلام) يحذّر من خذلان زيد و محاربهه فيقول: «ان أخى زيد بن علي خارج فمقتول على الحق، فالويل لمن خذله، و الويل لمن حاربه، و الويل لمن قاتله» (١).

و كان (عليه السّلام) هو الموجّه لحركه أخيه زيد، و كان زيد أحد المنضوين تحت لواء إمامته، و كانت حركته العسكريه ذراعا واقعا لأهل البيت (عليهم السّلام) ليقاوموا من خلالها انحراف الحكّام بعد عجز الاساليب الاخرى عن التأثير.

و ممّا يؤكّد هذه التبعية قول زيد رحمه الله:

ثوى باقر العلم فى ملحد إمام الورى طيب المولد

فمن لى سوى جعفر بعده إمام الورى الأوحد الأمجد (٢)

فتأجلت الثوره المسلحه الى وقتها المناسب و تفجّرت بعد أقلّ من عشر سنين من استشهاد الإمام محمد الباقر (عليه السّلام).

رابعاً: الاصلاح الاخلاقى و الاجتماعى

اشاره

بذل الإمام (عليه السّلام) عنايه فائقه لاصلاح الاخلاق و تغيير الاوضاع الاجتماعيه باتجاه القواعد و الموازين و القيم العليا الثابته فى الشريعه الاسلاميه، و كانت مهمته التركيز على اصلاح جميع الوجودات القائمه، بدء بالمقربين منه ثم الاوساط الاجتماعيه ثم المؤسسات الحكوميه و اتباع الحاكم.

و كان (عليه السّلام) يستثمر جميع الفرص المتاحة للاصلاح و التغيير و بناء واقع جديد، و لهذا تعددت اساليبه الاصلاحيه و التغييريه فى المجال الاخلاقى و الاجتماعى. و إليك بعض نشاطاته فى هذا المجال:

١- الدعوه لتطبيق السنّه النبويه

ص: ١٢٦

١- (١) مقتل الخوارزمى: ١١٣/٢.

٢- (٢) مناقب آل أبى طالب: ٢١٣/٤.

قام الإمام (عليه السلام) بنشر الاحاديث الشريفه النبويه المرتبطه بالجوانب الاخلاقيه و الاجتماعيه لكي تكون هي الحاكمه على الممارسات السلوكيه و العلاقات الاجتماعيه، و لكي تكون نبراسا لافراد المجتمع بمختلف طبقاتهم في مسيرتهم الانسانيه، تنطلق بهم نحو السمو و التكامل، و الارتقاء للوصول الى المقامات العاليه التي وصل اليها الصالحون و الاولياء.

و كان (عليه السلام) -من خلال نشر هذه الاحاديث النبويه- يشير الى العوامل الاساسيه في صلاح الاخلاق و الاوضاع الاجتماعيه، و هي صلاح الفقهاء و الامراء، فقد روى (عليه السلام) قول جدّه (صلى الله عليه و اله): «صنّفان من امتي إذا صلحا صلحت امتي، و اذا فسدا فسدت امتي... الفقهاء و الامراء» (١).

و دعا (عليه السلام) الى اخلاص النصيحه و الايثار في الممارسه الاصلاحيه على ضوء ما جاء عن جدّه رسول الله (صلى الله عليه و اله): «لينصح الرجل منكم أخاه كنصيحته لنفسه» (٢).

و أكد (عليه السلام) على دعوته رسول الله (صلى الله عليه و اله) الى العفّة و تعجيل الخير بقوله:

«ان الله يحبّ الحييّ الحليم العفيف المتعفف» (٣). و قوله (صلى الله عليه و اله): «ان الله يحب من الخير ما يعجل» (٤).

و أكد (عليه السلام) على الاحاديث الداعيه الى حسن الخلق و الكف عن أعراض المؤمنين منها قوله (عليه السلام): «و الذى لا اله الا هو ما اعطى مؤمن قط خير الدنيا و الآخرة الاّ بحسن ظنّه بالله و رجائه له، و حسن خلقه، و الكف عن اغتياب المؤمنين» (٥).

ص: ١٢٧

١- ((١)) الخصال: ٢٦/١.

٢- ((٢)) الكافي: ٢٠٨/٢.

٣- ((٣)) المصدر السابق: ١١٢/٢.

٤- ((٤)) المصدر السابق: ١٤٢/٢.

٥- ((٥)) المصدر السابق: ٧٢/٢.

وقال (عليه السلام): «ان رسول الله (صلى الله عليه و اله) نهى عن القيل و القال، و فساد المال، و كثره السؤال» (١).

و دعا (عليه السلام) الى ادخال السرور على المؤمن كما ورد فى قول رسول الله (صلى الله عليه و اله): «من سرّ مؤمنا فقد سرنى و من سرنى فقد سر الله» (٢).

و حث (عليه السلام) على صله الرحم بقوله (صلى الله عليه و اله): «ان أعجل الخير ثوبا صله الرحم» (٣).

و ذكر (عليه السلام) عشرات الاحاديث الشريفه التى تدعو الى مكارم الاخلاق فى الصدق و الايثار و التعاون و الوفاء بالعهد و حسن التعامل مع المسلمين و غيرهم، اضافته الى الاحاديث الناهيه عن الممارسات السلبيه كالكذب و البهتان و التعيير و نقض العهد، و الخيانه و الاعتداء على الاعراض و النفوس.

و مما جاء فى ذلك قول رسول الله (صلى الله عليه و اله): «سباب المؤمن فسوق، و قتاله كفر، و أكل لحمه معصيه» (٤).

وقال (عليه السلام): سئل رسول الله (صلى الله عليه و اله) عن خيار العباد، فقال: «الذين إذا أحسنوا استبشروا، و اذا أسأوا استغفروا، و إذا أعطوا شكروا و إذا ابتلوا صبروا، و إذا غضبوا غفروا» (٥).

و لم يكتف (عليه السلام) بنشر الاحاديث الشريفه و الدعوه الى تجسيد محتواها فى الواقع، و إنما قام بأداء دور القدوة فى ذلك فكان بنفسه قمه فى جميع المكارم و المآثر، و قد أبرز للمسلمين من خلال سلوكه نموذجا من أرقى

ص: ١٢٨

١- ((١)) الكافي: ١/٦٠.

٢- ((٢)) المصدر السابق: ٢/١٨٨.

٣- ((٣)) المصدر السابق: ٢/١٥٢.

٤- ((٤)) المحاسن: ١٠٢.

٥- ((٥)) الخصال: ١/٣١٧.

نماذج الخلق الاسلامى الرفيع، فكان (عليه السلام) القمه الساميه فى الصدق و الوفاء بالعهد، و أداء الأمانه، و فى التواضع و احترام الآخريين، و الاهتمام بامور المسلمين، و قضاء حوائج المحتاجين، فكانت معالجته للواقع معالجه عمليه من خلال سلوكه النموذجى مع مختلف أصناف الناس موالين، و مخالفين.

٢- الدعوه الى مكارم الأخلاق

كثّف الإمام (عليه السلام) دعوته الى اصلاح مكارم الاخلاق لتكون هى العلامه الفارقه لتعامل المسلمين فيما بينهم، فكان (عليه السلام) يدعو الى افشاء السلام و هو مظهر من مظاهر روح الإخاء و الودّ و المحبه و الصفاء فى العلاقات الاجتماعيه حتى قال (عليه السلام): «ان الله يحب افشاء السلام» (١).

و دعا الى العفّه و اعتبرها افضل العباده، فقال: «أفضل العباده عَفّة البطن و الفرج» (٢).

و دعا الى تطهير اللسان و تقييده بقيود شرعيه، لإدامه العلاقات بين الناس، فقال (عليه السلام): «قولوا للناس أحسن ما تحبّون أن يقال لكم، فإنّ الله يبغض اللعان السيّاب الطّعان على المؤمنين، الفاحش المتفحّش، السائل الملحف، و يحبّ الحى الحليم العفيف المتعفّف» (٣).

و وضح كيفيه التعامل مع مختلف طبقات المجتمع فقال: «صانع المناق بلسانك، و أخلص مودتك للمؤمن، و إن جالسك يهودى فأحسن مجالسته» (٤).

و بيّن اسس التعامل مع مختلف الأصناف من الناس فقال: «اربع من كنّ

ص: ١٢٩

١- (١) تحف العقول: ٢٢٠.

٢- (٢) المصدر السابق: ٢١٧.

٣- (٣) المصدر السابق: ٢٢٠.

٤- (٤) المصدر السابق: ٢١٣.

فيه بنى الله له بيتا فى الجنة، من آوى اليتيم، ورحم الضعيف، و أشفق على والديه، و رفق بمملوكه» (١).

و دعا (عليه السّلام) الى الارتباط بأهل التقوى و تعميق أو اصر العلاقات معهم لما اختصوا به من خصائص تؤثر على المصاحبين لهم تأثيرا إيجابيا لتجسيد المثل و القيم الاسلاميه فى الواقع، قال (عليه السّلام): «ان أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونه و أكثرهم لك معونه، إن نسيت ذكروك، و إن ذكرت أعانوك، قوالين بحق الله، قوامين بأمر الله» (٢).

و وضح (عليه السّلام) بعض حقوق المؤمن على المؤمن فقال: «إنّ المؤمن أخ المؤمن لا يشتمه و لا يحرمه و لا يسىء به الظن» (٣).

و قال (عليه السّلام): «من اغتیب عنده أخوه المؤمن فنصره و أعانه نصره الله فى الدنيا و الآخرة، و من لم ينصره، و لم يدفع عنه و هو يقدر على نصرته و عونته خفضه الله فى الدنيا و الآخرة» (٤).

و حدّر من ظلم الآخرين أو الاعانه على ظلمهم فقال: «من أعان على مسلم بشرط كلمه كتب بين عينيه يوم القيامة آيس من رحمه الله» (٥).

و دعا الى مقابله الاساءه و القطيعه بالاحسان و الصلحه فقال: «ثلاثه من مكارم الدنيا و الآخرة: أن تعفو عمّن ظلمك و تصل من قطعك، و تحلم إذا جهل عليك» (٦).

ص: ١٣٠

١- (١) الخصال: ٢٢٣/١.

٢- (٢) صفه الصفوه: ١٠٩/٢.

٣- (٣) تحف العقول: ٢١٦.

٤- (٤) المحاسن: ١٠٣.

٥- (٥) المصدر السابق.

٦- (٦) تحف العقول: ٢١٤.

لم يكن الإمام (عليه السلام) على رأس سلطه حتى يستطيع اصلاح الاوضاع الاقتصاديه اصلاحا عمليا و جذريا، و لذا اقتصر (عليه السلام) على نشر المفاهيم الاسلاميه المرتبطه بالحياه الاقتصاديه السليمه متمثله فى النظام الاقتصادى الاسلامى، و التى تعصم مراعاتها الانسان و المجتمع من الانحراف الاقتصادى التى من أسبابها: الانسياق وراء اشباع الشهوات اشباعا مخلا بالتوازن الاقتصادى، فحدّد الإمام (عليه السلام) الاهداف المتوخاه من التصرف بالاموال، إذ جعل الله المال وسيله لتحقيق الهدف الذى خلق الانسان من أجله، و هو الوصول الى عباده الله تعالى، و تطبيق منهجه فى الحياه، قال (عليه السلام): «نعم العون الدنيا على طلب الآخره» (١).

و أوضح الأهداف المشروعه التى يتبغى طلب المال من أجلها، فقال (عليه السلام): «من طلب الرزق فى الدنيا استعفافا عن الناس، و توسيعا على أهله، و تعطفوا على جاره؛ لقي الله عزّ و جلّ يوم القيامة و وجهه مثل القمر ليله البدر» (٢).

و استعان (عليه السلام) بالأحاديث الشريفه الوارده فى ضروره المشروعيه فى التصرفات الاقتصاديه، فروى عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) أنّه قال: «العباده سبعون جزءا أفضلها طلب الحلال» (٣).

و أكّد (عليه السلام) على حرمة جملة من التصرفات الماليه كالتطيف فى المكيال، إذ قال (عليه السلام): «انزل فى الكيل: وئيل للمُطَفِّينَ، و لم يجعل الويل لأحد

ص: ١٣١

١- (١) الكافي: ٧٣/٥.

٢- (٢) المصدر السابق: ٧٨/٥.

٣- (٣) المصدر السابق.

حتى يسميه كافرا...» (١).

كما دعا (عليه السلام) الى استصلاح المال و تنمية الثروه بشكل صحيح بقوله (عليه السلام): «من المرءه استصلاح المال» (٢).

و قدّم اشباع حاجات المسلمين و سد ثغرات حياتهم على أهم العبادات المستحبّه و هو الحج تطوعاً، فقال (عليه السلام): «لأن أحجّ حجه أحبّ إليّ من أن أعتق رقبه و رقبه- حتى انتهى الى سبعين-، و لأن أعول أهل بيت من المسلمين، أشبع جوعتهم و أكسو عورتهم و أكفّ وجوههم عن الناس أحبّ إليّ من أن أحجّ حجه و حجه- حتى انتهى الى عشر و عشر و عشر و مثلها حتى انتهى الى سبعين-» (٣).

و دعا (عليه السلام) الى الترفع عن الحرص و الطمع حيث روى عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) أنّه قال: «... لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله و أجملوا في الطلب، و لا يحمل أحدكم استبطاء شيء من الرزق أن يطلبه بغير حله، فإنّه لا يدرك ما عند الله إلاّ بطاعته» (٤).

و وجه الأنظار الى الآثار السلبيه للحرص فقال: «مثل الحريص على الدنيا، كمثل دوده القزّ، كلّما ازدادت على نفسها لفاً؛ كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غمّاً» (٥).

و أكّد على زوال المال ما دام الانسان مخلوقاً للآخرة و معرّضاً للفناء فقال: «ملك ينادى كل يوم: ابن آدم؛ لد للموت، و اجمع للفناء، و ابن للخراب» (٦).

ص: ١٣٢

١- (١) تفسير نور الثقلين: ٥٢٧/٥.

٢- (٢) الخصال: ١٠/١.

٣- (٣) الكافي: ٢/٤.

٤- (٤) المصدر السابق: ٧٤/٢.

٥- (٥) المصدر السابق: ١٣٤/٢.

٦- (٦) المصدر السابق: ١٣١/٢.

و كان (عليه السلام) يحث على القناعة لأنها إحدى مقدمات السعادة الروحية، و قد تجلّى ذلك في سلوكه و قوله (عليه السلام): «من قنع بما أوتى قرّت عينه» (١).

و دعا الى مراعاة القصد و الوسطية و تجنّب الإفراط و التفريط في الطرف و الإنفاق في مختلف الظروف و اعتبره من المنجيات، فقال (عليه السلام): «أما المنجيات فخوف الله في السر و العلانية، و القصد في الغنى و الفقر» (٢).

كما حدّد الإمام (عليه السلام) لكل انسان حقه، و حذّر من الاعتداء على أموال الآخرين لأنها تؤدي الى الخلل الاقتصادي فضلا عما لها من تأثيرات سلبية اخرى على المستقبل الاخرى للفرد و المجتمع، نلاحظ ذلك في قوله (عليه السلام):

«من أصاب مالا من أربع لم يقبل منه أربع: من أصاب مالا من غلول أو ربا أو خيانه أو سرقة؛ لم يقبل منه في زكاه و لا صدقه و لا في حجّ و لا في عمره» (٣).

و من أجل تحقيق التوازن الاقتصادي، و رفع المستوى المعاشي لعموم الناس دعا (عليه السلام) الى الالتزام بالإنفاق الواجب، فقال: «ان الله تبارك و تعالى قرن الزكاه بالصلاه... فمن أقام الصلاه، و لم يؤت الزكاه، فكأنه لم يقم الصلاه» (٤).

و روى عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) قوله: «ملعون كل مال لا يزكى» (٥).

و بين الآثار السلبية لمنع الزكاه فقال (عليه السلام): «وجدنا في كتاب عليّ (عليه السلام) قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): إذا منعت الزكاه منعت الأرض بركاتها» (٦).

و حدّد (عليه السلام) حدود البذل بأنه الإيصال الى مرتبه إغناء الفقير لإنقاذه من الفقر و آثاره السلبية، فقال (عليه السلام): «إذا أعطيته فأغنه» (٧).

ص: ١٣٣

١- ((١)) سفينة البحار: ٢/٤٥٢.

٢- ((٢)) الخصال: ١/٨٤.

٣- ((٣)) أمالي الصدوق: ٣٥٩.

٤- ((٤)) الكافي: ٣/٥٠٦.

٥- ((٥)) وسائل الشيعة: ٩/٢٩.

٦- ((٦)) الكافي: ٣/٥٠٥.

٧- ((٧)) المصدر السابق: ٣/٥٤٨.

و لا يتحقق التوازن الاقتصادى و لا التكافل الاجتماعى إلا باشتراك جميع الناس فى ممارسات مكثفه لرفع المستوى الاقتصادى لجميع الفقراء و المعوزين، من خلال القيام بالايثار و الانفاق التطوعى مضافا الى أداء الحق الشرعى الواجب، لذا حث (عليه السلام) على الاحسان و أداء اعمال البر و الصدقه فقال:

«البرّ و الصدقه ينفيان الفقر و يزيدان فى العمر، و يدفعان سبعين ميته سوء» (١).

و حث على معونه الاخوان و قضاء حوائجهم فقال (عليه السلام): «من بخل بمعونه أخيه المسلم و القيام فى حاجته؛ ابتلى بمعونه من يأثم عليه و لا يؤجر» (٢).

و روى عن رسول الله (صلّى الله عليه و اله) أنّه قال: «داووا مرضاكم بالصدقه... و حصنوا أموالكم بالزكاه» (٣).

و حدّد الإمام (عليه السلام) موارد الانفاق المنسجمه مع الشريعة الإسلاميه، و أثبت انحراف الاسلوب الذى قام به الحكّام حيث قاموا بتوزيع الأموال حسب أهوائهم و رغباتهم دون التقيد بالقيود التى وضعها المنهج الاسلامى.

فقد روى عن رسول الله (صلّى الله عليه و اله) قوله: «خمسه لعنتهم و كلّ نبيّ مجاب...»

و ذكر منهم: المستأثر بالفىء و المستحل له» (٤).

كما حدّد (عليه السلام) موارد اعطاء الصدقات فقال: «ان الصدقه لا تحلّ لمحترف، و لا لذى مرّه سوى قوى...» (٥).

و كان (عليه السلام) يقوم بانفاق ما يحصل عليه على الفقراء و المعوزين لتقتدى به الامه، و تعرف انحراف الممارسات الماليه التى كان يقوم بها الحكّام و المخالفه للاسس الإسلاميه و القواعد الثابته للانفاق.

ص: ١٣٤

١- (١) الخصال: ٤٨/١.

٢- (٢) المحاسن: ٩٩.

٣- (٣) وسائل الشيعه: ٢٩/٩.

٤- (٤) الكافى: ٢٩٣/٢.

٥- (٥) وسائل الشيعه: ٢٣١/٩.

الباب الرابع

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

الإمام الباقر (عليه السلام) و بناء الجماعة الصالحة الفصل الثاني:

اغتيال الإمام محمد الباقر (عليه السلام) و استشهاده الفصل الثالث:

تراث الإمام محمد الباقر (عليه السلام)

ص: ١٣٥

إشاره

الإمام الباقر (عليه السلام) و بناء الجماعة الصالحة

(١)

إن إصلاح الأوضاع الاجتماعيه يتوقف على وجود جماعه صالحه تقوم بمهمه الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و الدعوه الى الإسلام و الى المنهج السليم الذى تبناه أهل البيت (عليهم السلام) استنادا الى الأوامر الإلهيه فى تشكيل الامه الأمره بالمعروف و الناهيه عن المنكر.

و لهذا سعى الائمة المعصومون (عليهم السلام) الى بناء الجماعة الصالحة و رسم المعالم و الملامح اللازمه لها لتكون الطليعه الواعيه المخلصه لتبني مسؤوليه الاصلاح و التغيير طبقا لمنهج أهل البيت (عليهم السلام).

و قد شرع أهل البيت (عليه السلام) فى تكوين الجماعة الصالحة منذ عهد رسول الله (صلى الله عليه و اله) فإنه الى جانب تبليغه العام قام بإعداد مجموعه صالحه تهتم بالدعوه الى الله على بصيره و وعى و أبدى لهم عنايه فائقه حيث خصص لهم أوقاتا خاصه، و كلف الإمام عليا (عليه السلام) بإعداد آخرين.

و استمر الإمام على (عليه السلام) بعد رحيل رسول الله (صلى الله عليه و اله) بانجاز هذه المهمه، و كرس جهوده لتهيئه الطليعه و الكوادر الرساليه. و قد أثمرت نشاطاته حينما

ص: ١٣٧

١- ((١)) اعتمدنا فى هذا البحث بشكل اساسى على الكتاب القيم الذى نشره المجمع العالمى لأهل البيت (عليهم السلام) «دور أهل البيت (عليهم السلام) فى بناء الجماعة الصالحة» لسماحه السيد محمد باقر الحكيم (دام عزه) و استخلصنا منه ما يناسب حياه الإمام محمد الباقر (عليه السلام) بشكل خاص من هذه الموسوعه.

عادت له السلطه، و كان لتلك الكتله الصالحه دور كبير فى إخماد الفتن الداخليه و تقرير منهج أهل البيت (عليهم السلام) فى الواقع العملى.

و واصل الإمام الحسن (عليه السلام) مسيره جده و أبيه، حيث كان أحد بنود الهدنه مع معاويه هو إيقاف الملاحقه لأنصاره و أنصار أبيه، و تفرغ الإمام (عليه السلام) بعد الهدنه لتوسيع قاعده الجماعه الصالحه لتقوم بأداء دورها فى الوقت و الظرف المناسب. و بالفعل قامت بالتصدى للانحراف الاموى فى عهد يزيد، و شاركت مع الإمام الحسين (عليه السلام) فى حركته المسلحه للاطاحه بالحكم الجائر.

و كان للجماعه الصالحه دور كبير فى قياده الثورات المسلحه ضد الحكم الاموى على طول الخط، كثوره أهل المدينه، و ثوره المختار، و ثوره التوابين، التى أعقبت ثوره الإمام الحسين (عليه السلام) الإصلاحيه و كان لمجموعها دور كبير فى إرساء دعائم منهج أهل البيت (عليهم السلام) و تعميقه و تجذيره فى العقول و القلوب و الممارسات السلوكيه و التعجيل فى زوال الحكومات الجائره.

و استمر الإمام زين العابدين (عليه السلام) فى استثمار الفرص المتاحة لتكملة البناء الذى شيده من سبقه من الائمة الأطهار، فقد تمتع بحريه نسيبه فى إعداد الطليعه الرساليه فى عهد عبد الملك بن مروان، لتكون ذراعاً لحركه أهل البيت (عليهم السلام) فى عهده.

و استمر الإمام الباقر (عليه السلام) فى تشييد هذا الصرح و رفده بعناصر جديده لتستمر الحركه الإصلاحيه على منهج أهل البيت (عليهم السلام) و تقريره فى واقع الحياه، فقد ربى (عليه السلام) مجموعه من الفقهاء المصلحين و على رأسهم: زراره بن أعين، و معروف بن خربوذ، و أبو بصير الأسدى، و الفضيل بن يسار، و محمد بن مسلم الطائفى، و بريد بن معاويه العجلي.

و ربي طبقه ثانيه التي تلى المتقدمين و منهم: حمران بن أعين، و اخوته، و عبد الله بن ميمون القدّاح، و محمد بن مروان الكوفي، و اسماعيل ابن الفضل الهاشمي، و ابو هارون المكفوف... و آخرون (١).

و تنوّعت مهمه الجماعه الصالحه، فمنهم الفقهاء، و منهم قاده الثورات، و منهم المصلحون الذين كانوا يجوبون الأمصار لتعميق منهج أهل البيت (عليهم السلام) في القلوب و النفوس.

و فيما يلي سوف نستعرض بعض مظاهر حركة الإمام (عليه السلام) في بناء الجماعه الصالحه، و إعدادها إعدادا شموليا بشمول الإسلام و شمول منهج أهل البيت (عليهم السلام) لجميع مرافق الحياه الانسانيه.

و قد أوضحنا أن المهمه الأساسيه للإمام الباقر (عليه السلام) بعد العقود الثلاثه من النشاط المستمر للإمام زين العابدين (عليه السلام) بهذا الاتجاه هي رسم المعالم التفصيليه للجماعه الصالحه و بيان كل ما يلزم لتكوين المجتمع الاسلامي النموذجي في وسط التيارات المنحرفه التي ملأت الساحه الإسلاميه العامه، و هي الى جانب كونها النموذج المطلوب للامه المسلمه الرائدته تكون الذراع الحقيقي للأئمه (عليهم السلام) لإقرار الإسلام الشامل في المجتمع الإسلامي الآخذ بالتمادي في الانحراف و الانهيار؛ إذ من خلالها يكون النشاط الحقيقي للإمام الباقر (عليه السلام) في مرحلته الخاصه التي تجلّت في رسم هذه المعالم و إقرارها و تربيته الأجيال عليها. و هي المهمه التي اشترك فيها أبوه الإمام زين العابدين و ابنه الإمام الصادق و حفيده الإمام الكاظم (عليهم السلام).

و قد لخصنا هذا البحث الأساسي في عشر نقاط أساسيه ترتبط بالجماعه الصالحه و توضح معالمها الرئيسيه.

ص: ١٣٩

١- العقيدة السليمه

فى خضم الأحداث و المواقف المتباينه و المتناقضه جراء تعدد التيارات الفكرية و العقائديه، و اضطراب عقول الكثير من المسلمين، لابتعادهم عن إدراك اسس العقيدة السليمه، قام الإمام (عليه السلام) بدور كبير فى بيان العقيدة السليمه للجماعه الصالحه؛ لتقوم بدورها فى اصلاح المفاهيم و الافكار، و نشر عقيدة أهل البيت (عليهم السلام) فى مختلف الاوساط و على جميع المستويات.

لقد بين (عليه السلام) الاسس العامه للتوحيد، فعن حريز بن عبد الله، و عبد الله بن مسكان قالاً: قال أبو جعفر (عليه السلام): «لا يكون شىء فى الارض و لا فى السماء إلا بهذه الخصال السبعه: بمشيئه، و اراده، و قضاء، و إذن، و كتاب، و أجل، فمن زعم أنه يقدر على نقض واحده منهم فقد كفر» (١).

و بين حقيقه التوحيد تميزاً لعقيدة أهل البيت (عليهم السلام) عن العقائد الاخرى فقال (عليه السلام): «لم تره الأبصار بمشاهده العيان، و لكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، لا يدرك بالحواس و لا يقاس بالناس، معروف بالآيات، منعوت بالعلامات، لا يجور فى قضيته، بان من الاشياء و بانت الأشياء منه» (٢).

و بين حدود الوصف لله تعالى فنهى عن التكلم فى ذات الله و ما يتفرع عنه من آراء و مفاهيم، فقال (عليه السلام): «تكلّموا فيما دون العرش، و لا تكلّموا فيما فوق

ص: ١٤٠

١- (١) المحاسن: ٢٤٤.

٢- (٢) مختصر تاريخ دمشق: ٨١/٢٣.

العرش، فإنَّ قوما تكلموا في الله فتأهوا...» (١).

و بين (عليه السلام) معيارى الايمان و الإسلام فقال: «الايمان إقرار و عمل، و الإسلام إقرار بلا عمل» (٢).

و قال (عليه السلام): «الإيمان ما كان فى القلب، و الإسلام ما عليه التناكح و التوارث و حقنت به الدماء، و الايمان يشرك الإسلام، و الإسلام لا يشرك الايمان» (٣).

و بين الأصل الأساسى من اصول العقيدة بعد أصل التوحيد و هو الولاية و الإمامة المجعلوه من الله تعالى؛ لأن الولى و الإمام يقوم بدور الحجّه نيابه عن الله تعالى، و بين مصير من لا يتولّى من نصّبه الله تعالى، فقال: «إنّ من دان الله بعباده يجهد فيها نفسه بلا إمام عادل من الله، فإنّ سعيه غير مقبول و هو ضالّ متحير، و مثله كمثل شاه لا راعى لها ضلّت عن راعيها و قطيعها فتأهت ذاهبه و جائيه يومها، فلما أن جنّها الليل بصرت بقطيع غنم مع راعيها فجاءت اليها فباتت معها فى ربضتها متحيره تطلب راعيها و قطيعها، فبصرت بسرح قطيع غنم آخر فعمدت نحوه و حتّت اليها، فصاح بها الرّاعى الحقى بقطيعك فإنّك تأهه متحيره قد ضللت عن راعيك و قطيعك، فهجمت ذعره متحيره لا راعى لها يرشدها الى مرعاها و يردها، فبينما هى كذلك اذ اغتتم الذئب ضيعتها فأكلها، و هكذا يا محمّد بن مسلم من أصبح من هذه الامه و لا إمام له من الله عادل أصبح تأهها متحيرا، إن مات على حاله تلك مات ميتة كفر و نفاق، و اعلم يا محمد أنّ أمّه الحقّ و أتباعهم على دين الله...» (٤).

و بين حدود ولاية أهل البيت (عليهم السلام) و حدود شفاعتهم فقال: «يا جابر!

ص: ١٤١

١- ((١) المحاسن: ٢٣٨.

٢- ((٢) تحف العقول: ٢١٧.

٣- ((٣) المصدر السابق: ٢١٨.

٤- ((٤) المحاسن: ٩٢، ٩٣.

فو الله ما يتقرب الى الله تبارك و تعالى إلا بالطاعة، و ما معنا براءه من النار، و لا على الله لأحد من حجّه، من كان لله مطيعا فهو لنا ولي، و من كان لله عاصيا فهو لنا عدو، و لا تنال و لا يتنا إلا بالعمل و الورع» (١).

و حذر اتباعه من التأثر بآفكار و اعتقادات الغلاة لأنها مخالفة للتوحيد، و مخالفه للمنهج العقائدي لأهل البيت (عليهم السلام).

٢- مرجعية أهل البيت (عليهم السلام)

ان المنهج الاسلامي هو منهج واقعي للحياه، بكل ما للحياه من تشكيلات و تنظيمات و أوضاع و قيم و أخلاق و آداب و عبادات و شعائر، و هو كمنهج نظري يراد تطبيقه في الواقع بحاجه الى قدوه تجسده في الواقع كي يقتدى بها الناس ليندفعوا اشواطا الى الأمام في مسيره التنفيذ و التطبيق، و لهذا ركز الإمام (عليه السلام) على القدوه الناطقه بالكتاب و السنّه و هم أهل البيت (عليهم السلام) تمييزا عن غيرهم من الذين تنكبوا طريق الاستقامه و انحرفوا عن المنهج انطلاقا من أهوائهم و مصالحهم التي تخدم السلاطين و الحكّام و انفلاتا من قيود العقيدته و الشريعه.

فقد أكد الإمام (عليه السلام) على الولايه باعتبارها أهم أركان الإسلام فقال: «بنى الإسلام على خمس: على الصلاه و الزكاه و الصوم و الحج و الولايه، و لم يناد بشيء كما نودى بالولايه» (٢)، التي أوضحتها في نص آخر بأنها الولايه لأهل البيت (عليهم السلام) (٣).

و أورد الاحاديث الشريفه عن رسول الله (صلّى الله عليه و اله) التي تؤكد على ولايه

ص: ١٤٢

١- (١) الكافي: ٧٤/٢.

٢- (٢) المصدر السابق: ١٨/٢.

٣- (٣) الخصال: ٢٧٨/١.

أهل البيت (عليهم السّلام) و مرجعيتهم فى الامه، و منها توجيه الانظار الى ولايه أول الاثمه أعنى الإمام على بن أبى طالب (عليه السّلام) متمثله بالولاء العاطفى له، قال رسول الله (صلى الله عليه و اله). «ما من مؤمن إلا و قد خلص ودى الى قلبه، و ما خلص ودى الى قلب أحد إلا و قد خلص ودى الى قلبه، كذب يا على من زعم أنه يحبني و يبغضك» (١).

و فسّر الآيات النازله فى حق أهل البيت (عليهم السّلام) و بين مؤداهها بشكل دقيق و هو مرجعيه أهل البيت (عليهم السّلام) فى جميع شؤون الحياه فكريه و عاطفيه و سلوكيه.

ففى قوله تعالى:

فَسئَلُوا أَهْلَ الدُّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢)، قال (عليه السّلام): نحن أهل الذكر.

و فى قوله تعالى: لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ (٣)، قال (عليه السّلام): نحن هم.

و فى قوله تعالى: وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا (٤)، قال (عليه السّلام): نحن الامه الوسط.

و فى قوله تعالى: وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (٥)، قال (عليه السّلام): أى مع آل محمد (٦).

و أمّا أحاديثه التى رواها عن رسول الله حول ولايه أهل البيت (عليهم السّلام) و مرجعيتهم للامه فمنها قوله (صلى الله عليه و اله): «أنا رسول الله الى الناس أجمعين و لكن سيكون بعدى أئمه على الناس من أهل بيتى من الله، يقومون فى الناس فيكذبونهم و يظلمونهم أئمه الكفر و الضلال و أشياعهم، ألا فمن والا هم و اتبعهم و صدقهم فهو منى و معى و سيلقانى، ألا

ص: ١٤٣

١- ((١)) المحاسن: ١٥١.

٢- ((٢)) النحل (١٦): ٤٣.

٣- ((٣)) البقره (٢): ١٤٣.

٤- ((٤)) البقره (٢): ١٤٣.

٥- ((٥)) التوبه (٩): ١١٩.

٦- ((٦)) مناقب آل أبى طالب: ١٩٤/٤، ١٩٥.

و من ظلمهم و أعان على ظلمهم و كذبهم، فليس منى و لا معى و أنا منه برىء» (١).

و حتّ (عليه السّلام) على الرجوع الى القرآن و السنّه، و أكّد مرجعيه أهل البيت (عليهم السّلام) باعتبار أنّ سنّتهم امتداد للسنّه النبويّه الشريفه، و باعتبار أعلميتهم بمنهج القرآن الكريم و سيره النبي العظيم؛ فإنّهم أهل بيت الوحي و الرساله فهم أدري بما فى البيت.

٣- خصائص الانتماء لأهل البيت (عليهم السّلام)

بين الإمام (عليه السّلام) خصائص الانسان الشيعى و هو الإنسان الموالى و المتّبع لأهل البيت (عليهم السّلام) تميّزا له عمّن سواه ممّن يحمل شعار الولاء و المشايعه لهم، قال (عليه السّلام): «فو الله ما شيعتنا إلّا من اتقى الله و اطاعه...» (٢).

و قال أيضا: «لا تذهب بكم المذاهب، فو الله ما شيعتنا إلّا من اطاع الله عزّ و جلّ» (٣).

و بين الخصائص الولائيه و السلوكيه للجماعه الصالحه من حيث علاقاتهم فيما بينهم و علاقاتهم مع الآخرين. فقال (عليه السّلام): «إنما شيعه على:

المتبادلون فى ولايتنا. المتحابّون فى مودّتنا. المتراورون لإحياء أمرنا.

الذين إذا اغضبوا لم يظلموا. و إذا رضوا لم يسرفوا. بركه على من جاوروا. سلم لمن خالطوا» (٤).

و قال أيضا: «إنما شيعه على: من لا يعدو صوته سمعه، و لا شحناؤه بدنه، لا يمدح لنا قاليا. و لا يواصل لنا مبغضا. و لا يجالس لنا عابثا» (٥).

ص: ١٤٤

١- (١) المحاسن: ١٥٥.

٢- (٢) الكافي: ٧٤/٢.

٣- (٣) المصدر السابق: ٧٣/٢.

٤- (٤) تحف العقول: ٢٢٠.

٥- (٥) بحار الأنوار: ١٦٨/٦٥.

و قال أيضا: «إنما شيعه عليّ: الحلماء العلماء، الذبيل الشفاه، تعرف الرهبانيه على وجوههم» (١).

و قال أيضا: «إنما المؤمن الذي إذا رضى لم يدخله رضاه فى إثم و لا باطل، و إذا سخط لم يخرجه سخطه من قول الحقّ، و الذى إذا قدر لم تخرجه قدرته إلى التعديّ الى ما ليس له بحقّ» (٢).

و بين (عليه السّلام) اسس التقييم الموضوعى لمن يريد إثبات صحه انتمائه للجماعه الصالحه. و من هذه الاسس عرض الإنسان نفسه على كتاب الله.

قال (عليه السّلام): «يا جابر و اعلم بأنك لا- تكون لنا وليا حتى لو اجتمع عليك أهل مصرك، و قالوا: انك رجل سوء لم يحزنك ذلك، و لو قالوا: انك رجل صالح لم يسرك ذلك. و لكن اعرض نفسك على كتاب الله؛ فإن كنت سالكا سبيله زاهدا فى تزهيد راعبا فى ترغيبه خائفا من تخويله فاثبت و أبشر، فإنه لا يضرك ما قيل فيك. و ان كنت مبائنا للقرآن فما الذى يغرك من نفسك؟!...» (٣).

و العلامه المميزه لأفراد الجماعه الصالحه هى التزامهم بمبادئ القرآن الكريم و قيمه فى مختلف مجالات الحياه الإسلاميه، فى العباده و الارتباط بالله تعالى، و فى العلاقات الاجتماعيه، و قد بين ذلك بقوله (عليه السّلام) - كما مرّ سابقا:-

«فو الله ما شيعتنا إلا- من اتقى الله و أطاعه، و ما كانوا يعرفون يا جابر إلا بالتواضع و التخشع و الأمانه. و كثره ذكر الله و الصوم و الصلاه. و البر بالوالدين و التعاهد للجيران من الفقراء، و أهل المسكنه، و الغارمين، و الأيتام. و صدق الحديث و تلاوه القرآن. و كفّ الألسن عن الناس إلا من خير. و كانوا امناء عشائهم فى الأشياء» (٤).

ص: ١٤٥

١- (١) بحار الأنوار: ١٨٩/٦٥.

٢- (٢) الكافي: ٢٣٤/٢.

٣- (٣) تحف العقول: ٢٠٦، مستدرک الوسائل: ١/٤٦٠.

٤- (٤) الكافي: ٧٤/٢.

١-مقومات التزكيه عند الإمام الباقر(عليه السلام):

اشاره

لا- تتحقق التزكيه إلا- بعد أن تنطلق من القلب و الضمير و تتفاعل مع الشعور بخشييه مستمره و حذر دائم و توقّ من الرغائب و الشهوات،و المطامع و المطامح،فلا- بد و أن تكون شعورا في الضمير،و حاله في الوجدان،وضعا في المشاعر لتتهيأ النفوس لتلقى اسسها و تقريرها في الواقع،و لهذا ركّز الإمام(عليه السلام)في الجانب النظرى على أهم المقومات التى تدفع النفس للتزكيه و هى:

أ-تحكيم العقل.

ب-تبعيه الإراده الإنسانيه للإراداه الإلهيه.

ج-استشعار الرقابہ الإلهيه.

د-التوجه الى اليوم الآخر.

أ-تحكيم العقل:

ان الله تعالى خلق الانسان مزودا بعقل و شهوه،و منحه معرفه سبل الهدايه من خلال البيئات و الحقائق الثابته،و هو مكلف بإعداد القلب للتلقى و الاستجابہ و التطلع الى افق اعلى و اهتمامات أرفع من الرغبات و الشهوات الحسيه،و لهذا ركّز الإمام(عليه السلام)على تحكيم العقل على جميع الرغبات و الشهوات،ليكون للإنسان واعظ من نفسه يعينه على تزكيه نفسه.

قال(عليه السلام):«من لم يجعل الله له من نفسه واعظا،فإن مواعظ الناس لن تغنى

عنه شيئاً» (١).

و قال أيضاً: «من كان ظاهره أرجح من باطنه خفّ ميزانه» (٢).

ب-تبعيه الإرادة الإنسانية للإرادة الإلهية:

ان تكامل النفس لا يتم إلا من خلال التطابق بين الإرادة الإنسانية و الإرادة الإلهية و ذلك باتباع المنهج الإلهي في الحياه، و هذا التطابق يحتاج الى مجاهده الهوى و الهيمنه على الشهوات و تقييدها بقيود شرعيه؛ فإن مجاهده النفس تجعل الإنسان مستعداً بالفعل لتلقى الفيض الإلهي لإكمال نفسه و تزكيتها على أساس المنهج الرباني للإنسان في هذه الحياه.

قال الإمام الباقر (عليه السلام): «يقول الله عزّ و جلّ: و عزّتي و جلالتي، لا يؤثر عبد هواى على هواه إلا جعلت غناه في قلبه، و همّه في آخرته...» (٣).

ج-استشعار الرقابه الإلهيه:

لا- تتم التزكيه إلا- باستشعار الرقابه الإلهيه في العقل و الضمير و الوجدان، و الإحساس بأنّ الله تعالى محيط بالإنسان، يحصى عليه حركاته و سكناته، و لهذا ركّز الإمام الباقر (عليه السلام) على هذه الرقابه لتكون هي الدافع لاصلاح النفس و تزكيتها، ففي موعظته لجماعه من أنصاره قال: «ويلك... كلّمنا عرضت لك شهوه أو ارتكاب ذنب سارعت اليه و أقدمت بجهلك عليه، فارتكبتك كأنك لست بعين الله، أو كأن الله ليس لك بالمرصاد!...» (٤).

ص: ١٤٧

١- (١) تحف العقول: ٢١٤.

٢- (٢) المصدر السابق.

٣- (٣) جامع الأخبار: ٢٧٠.

٤- (٤) تحف العقول: ٢١٢.

د- التوجه الى اليوم الآخر:

إن التوجه الى الحياه الاخرى الخالده يمنع الانسان من الانحراف و يدفعه لتخليص النفس من ربقه الشهوات و ظلمه المطامع و أدناس الهوى. وقد وجه الإمام(عليه السلام)الجماعه الصالحه الى ذلك اليوم ليجعلوه نصب أعينهم ليكون حافزا لهم لاصلاح النفس و تركيتها،و مما جاء فى موعظته لجماعه منهم قوله(عليه السلام):«...يا طالب الجَنَّة ما أطول نومك و أكل مطيتك،و أوهى همتك،فلله أنت من طالب و مطلوب! و يا هاربا من النار ما أحت مطيتك إليها و ما أكسبك لما يوقعك فيها!

يا ابن الأيام الثلاث:يومك الذى ولدت فيه،و يومك الذى تنزل فيه قبرك، و يومك الذى تخرج فيه إلى ربك،فيا له من يوم عظيم!يا ذوى الهيئه المعجبه و الهيم المعطنه ما لى أرى أجسامكم عامره و قلوبكم دامره؟!»(١).

و بين الإمام(عليه السلام)ان الدنيا دار بلاء و امتحان،و ان هذا الابتلاء يتناسب مع درجه إيمان الإنسان فقال:«إنما يبتلى المؤمن فى الدنيا على قدر دينه»(٢).

٢- منهج التزكيه عند الإمام الباقر(عليه السلام)

اشاره

رسم الإمام(عليه السلام)للجماعه الصالحه منهجا واقعيا متكاملا و شاملا لتزكيه النفس و تربيتها بحيث يكون كفيلا بتحقيقها عند مراعاته بشكل دقيق.

و تتحدد معالم هذا المنهج بالنقاط التاليه:

ص:١٤٨

١- (١) تحف العقول:٢١٢،٢١٣.

٢- (٢) جامع الاخبار:٣١٣.

الارتباط بالله تعالى والاستسلام له والعزم على طاعته من شأنه أن يمحص القلوب، ويطهر النفوس، لأنه ينقل الإنسان من مرحلة التفكر والتدبر في عظمة الله تعالى وهيمنته وراقبته الى مرحلة العمل الصالح في ظل هذا التدبر، فالعزم يتبعه العون منه تعالى، ويتبعه الثبوت على المضى في طريق تزييه النفس.

و الارتباط بالله تعالى يبدأ بمعرفته التي تحول بين الإنسان و بين مخالفه ربّه و خالقه، قال (عليه السلام): «ما عرف الله من عصاه» (١).

فإن المعرفة تنتج الحبّ و الحبّ الصادق يحول بين الإنسان و بين مخالفه محبوبه.

و الارتباط بالله تعالى يتجسد في مراتب عديده منها: حسن الظن بالله و رجاء رحمته، فقد روى عن جدّه رسول الله (صلى الله عليه و اله) أنه قال: «و الذي لا اله إلا هو ما اعطى مؤمن قط خير الدنيا و الآخرة إلا بحسن ظنه بالله و رجائه له و حسن خلقه و الكف عن اغتياب الناس» (٢).

و يتحقق الارتباط بالله تعالى أيضا عن طريق المداومه على العبادات و قد حثّ الإمام (عليه السلام) الجماعة الصالحه على كثرة العباده، حتى جعلها احدي خصائصهم - كما تقدم -.

و حثّ (عليه السلام) على قراءه القرآن الكريم و السير على منهاجه.

كما حثّ (عليه السلام) على جعل الروابط و العلاقات الاجتماعيه قائمه على أساس القرب و البعد من الله تعالى، فقد أورد أحاديث لرسول الله (صلى الله عليه و اله) تؤكد

ص: ١٤٩

١- (١) تحف العقول: ٢١٥.

٢- (٢) الكافي: ٧٢/٢.

على ذلك و منها قوله (صلى الله عليه و اله): «وَدَّ الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ فِي اللَّهِ مِنْ أَكْثَرِ شَيْءٍ يُؤْمِنُ بِهِ، وَ مِنْ أَحَبِّ فِي اللَّهِ، وَ أَبْغَضَ فِي اللَّهِ، وَ أَعْطَى فِي اللَّهِ، وَ مَنَعَ فِي اللَّهِ؛ فَهُوَ مِنْ أَصْفِيَاءِ اللَّهِ» (١).

ب- الاقرار بالذنب و التوبه

ان منهج أهل البيت (عليهم السلام) يهدف الى علاج النفوس البشريه، و استجاشه عناصر الخير فيها، و الى مطارده عوامل الشر و الضعف و الغفله. و الطبيعه البشريه قد تستقيم مره و تنحرف مره اخرى، و لهذا فإنَّ العوده الى الاستقامه تقتضى محاسبه النفس باستمرار، و الاقرار بالأخطاء، ثم التوبه، و العزم على عدم العود، و لذا أكد الإمام (عليه السلام) على هذه المقومات، و بدأ بالاقرار بالذنب كمقدمه للنجاه منه، فقال (عليه السلام): «و الله ما ينجو من الذنب إلا من أقرَّ به» (٢).

و قال (عليه السلام): «كفى بالندم توبه» (٣).

و الاقرار يتبعه الغفران بعد طلبه من الله تعالى، قال (عليه السلام): «لقد غفر الله لرجل من أهل البادية بكلمتين دعا بهما قال: اللهم إن تعذبنى فأهل ذلك أنا، و إن تغفر لى فأهل ذلك أنت، فغفر له» (٤).

و التوبه تمحى الذنب فيعود الانسان من خلالها الى الاستقامه ثانيه، قال (عليه السلام): «التائب من الذنب كمن لا ذنب له، و المقيم على الذنب و هو مستغفر منه كالمستهزئ» (٥).

ص: ١٥٠

١- (١) المحاسن: ٢٦٣.

٢- (٢) الكافي: ٣١١/٢.

٣- (٣) وسائل الشيعه: ٥٩/١٦.

٤- (٤) المصدر السابق: ٦٠/١٦.

٥- (٥) الكافي: ٣١٦/٢.

ج- الحذر من التورط بالذنوب

الحذر و الحيطه من الذنوب ضروره ملحه فى تزكيه النفس، و هى تتطلب الدقه فى تناول كل خالجه و كل حركه و كل موقف، و تتطلب التحليل الشامل للأسباب و الظواهر، و العوامل المسببه للموقف، و تعالى بالنفس فى ميادينها الباطنيه، و لهذا دعا الإمام (عليه السلام) الى الحذر و الحيطه من جميع الممارسات فقال: «إنّ الله خبياً ثلاثة أشياء فى ثلاثة أشياء: خبياً رضاه فى طاعته، فلا تحقرن من الطاعه شيئاً فلعلّ رضاه فيه، و خبياً سخطه فى معصيته فلا تحقرن من المعصيه شيئاً فلعلّ سخطه فيه، و خبياً أولياءه فى خلقه، فلا تحقرن أحداً فلعلّه ذلك الولي» (١).

و دعا (عليه السلام) الى الاحتياط فى القول فى الحكم على الاشخاص و الاعمال و الممارسات فقال: «لا يسلم أحد من الذنوب حتى يخزن لسانه» (٢).

و قال (عليه السلام) لاحد أصحابه: «يا فضيل بلغ من لقيت من موالينا عنّا السلام، و قل لهم: إني أقول: أنى لا- أغنى عنكم من الله شيئاً إلا بورع، فاحفظوا سنتكم، و كفوا أيديكم، و عليكم بالصبر و الصلاه؛ ان الله مع الصابرين» (٣).

د- تعميق الحياء الداخلى

ان موجبات التزكيه كامنه فى النفس ذاتها، قبل التأثر بالعوامل الخارجيه، و التزكيه ليست مجرد كلمات و رؤى نظريه بل هى ممارسه و سلوك عملى، يجب ان تنطلق من داخل النفس الانسانيه، و لا بد ان يتسلح الانسان

ص: ١٥١

١- (١) كشف الغمه: ١٤٨/٢.

٢- (٢) تحف العقول: ٢١٨.

٣- (٣) تفسير العياشى: ٦٨/١.

بالواعز الذاتى الذى يصدّه عن فعل القبيح، ولذا أكد الإمام (عليه السّلام) على الحياء لأنه حصن حصين يردع الأهواء و الشهوات من الانطلاق اللامحدود، قال (عليه السلام): «الحياء و الإيمان مقرونان فى قرن، فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه» (١).

هـ- كسر الألفه بين الانسان و سلوكه الجاهلى

حينما يعتاد الانسان على السلوك الجاهلى فإنه سيأنس به، و يألفه حتى يصبح و كأنه جزء من كيانه، ترضاه نفسه، و يقبله قلبه، و لهذا فهو بحاجة الى كسر هذه الألفه و هذا الأنس إن أراد أن يزكى نفسه و يسمو بها الى مشارف الكمال، و لذا أكد الإمام (عليه السّلام) على بعض الخطوات التى تكسر هذه الالفه، فقال: «ان الله يبغض الفاحش المتفحش» (٢).

و زرع فى النفس كراهيه الطمع و الرغبات المذله، فقال: «بئس العبد عبد يكون له طمع يقوده، و بئس العبد عبد له رغبه تذله» (٣).

و من أجل زرع الكراهيه للشر روى عن رسول الله (صلّى الله عليه و اله) قوله: «ألا إن شرار امتى الذين يكرمون مخافه شرهم، الا و إنّ من أكرمه الناس اتقاء شره فليس منى» (٤).

و قال (عليه السّلام): «...إنّ أسرع الشر عقوبه البغى، و كفى بالمرء عيبا أن يبصر من الناس ما يعمى عليه من نفسه، و أن يأمر للناس بما لا يستطيع التحول عنه، و أن يؤذى جلسيه بما لا يعنيه» (٥).

فإذا كسرت الالفه بين الانسان و سلوكه الجاهلى فإنه سيقلع عنه، و يكون مهينًا لتقبل السلوك الاسلامى.

ص: ١٥٢

١- (١) تحف العقول: ٢١٧.

٢- (٢) الكافي: ٢/٢٤٥.

٣- (٣) وسائل الشيعة: ١٦/٢٤.

٤- (٤) الخصال: ١/١٥.

٥- (٥) مختصر تاريخ دمشق: ٢٣/٨٦.

و-إزالة الحاجز النفسى بين الانسان والسلوك السليم

قد يحدث حاجز نفسى بين الانسان و السلوك السليم بسبب ضغط الأهواء و الشهوات، أو بسبب الهواجس و الوسواس المطبقه عليه، و سوء التصور، و رواسب الجاهليه، و الضعف البشرى، فلا بد من ازاله هذه الحواجز أولا ثم التمرين على ممارسه السلوك السليم ثانيا.

فقد حَبَّب الإمام (عليه السَّلام) الى اصحابه السلوك الصالح، بربطه بالعباده و طلب العون من الله تعالى، فقال: «ما من عباده أفضل من عَفَه بطن و فرج، و ما من شىء أحب الى الله من أن يسأل، و ما يدفع القضاء إلا الدعاء، و إن اسرع الخير ثوابا البر...» (١).

و حَبَّب الى النفوس حسن الخلق و الرفق، فقال: «من اعطى الخلق و الرفق، فقد اعطى الخير كله، و الراحة، و حسن حاله فى دنياه و آخرته، و من حرم الرفق و الخلق كان ذلك له سبيلا الى كل شرّ و بليته إلا من عصمه الله تعالى» (٢).

و حَبَّب الى نفوس أصحابه الأدب و حسن السيره، فقال: «ما استوى رجلان فى حسب و دين قط إلا كان أفضلهما عند الله آدبهما» (٣).

و روى (عليه السَّلام) عن الإمام على (عليه السَّلام) قوله: «إنّ من أعون الأخلاق على الدين الزهد فى الدنيا» (٤).

و حتّ (عليه السَّلام) على أداء العبادات المندوبه لكى تتجذر فى النفوس و فى الاراده، لأنها تساعد على اصلاح النفس و تركيتها، و بين ثواب من عمل بها،

ص: ١٥٣

١- ((١)) مختصر تاريخ دمشق: ٨٦/٢٣.

٢- ((٢)) حليه الاولياء: ١٨٧/٣.

٣- ((٣)) مختصر تاريخ دمشق: ٨٥/٢٣.

٤- ((٤)) وسائل الشيعة: ١٢/١٦.

و استمر على أدائها فى جميع الظروف و الأحوال.

و حثّ على التمرّن على الأخلاق الفاضله و الخصائص الحميده، فقال (عليه السّلام): «عليكم بالورع و الاجتهاد، و صدق الحديث، و أداء الأمانه الى من ائتمنكم عليها برا كان أو فاجرا، فلو أن قاتل عليّ بن أبى طالب (عليه السّلام) ائتمنى على أمانه لأديتها اليه (١).»

ثالثا: المنهج التثقيفى عند الإمام الباقر (عليه السّلام)

إشاره

العلم خير و سيله لتجليه حقيقه التصور الاسلامى، و المنهج الإلهى فى الحياه الانسانيه. و هو الوسيله المثلى لتوجيه الجماعه الصالحه للارتفاع بها الى مستوى الامانه العظيمه التى ناطها الله بها. و لذا كان أهل البيت (عليهم السّلام) يتشدّدون مع الجماعه الصالحه فى أمر تلقى العلوم المرتبطه بالعقيده و الشريعه من مصادرها الأصيله و هى القرآن و السنه الشريفه.

و فى منهج الإمام الباقر (عليه السّلام) التثقيفى و التعليمى المعد للجماعه الصالحه نلاحظ التأكيد على الامور التاليه:

١- الحث على طلب العلم

حثّ الإمام (عليه السّلام) على طلب العلم، و خصوصا علم الفقه فقال: «الكمال كل الكمال: التفقه فى الدين، و الصبر على النائبه و تقدير المعيشه» (٢).

و حثّ (عليه السّلام) على السؤال باعتباره مفتاح العلم، و روى عن

ص: ١٥٤

١- (١) تحف العقول: ٢١٩.

٢- (٢) الكافى: ٣٢/١.

رسول الله (صلى الله عليه و اله) قوله: «العلم خزائن و مفتاحها السؤال، فاسئلوا يرحمكم الله، فانه يؤجر فيه أربعة: السائل، و المعلم، و المستمع، و المجيب لهم» (١).

٢- موقع العلماء المتميز و فضلهم

بين الإمام الباقر (عليه السلام) فضل العالم و قدمه على العابد، لأن العلم الحقيقي يجعل الانسان على وعى كامل بالحقائق و التصورات و بالاحداث و المواقف، فلا يختلط عليه أمر بأمر و لا- موقف بموقف فيكون قادرا على التمييز و التشخيص، و إصابه الواقع في جميع مجالاته، قال (عليه السلام): «عالم ينتفع بعلمه أفضل من ألف عابد» (٢).

و قال (عليه السلام): «و الله لموت عالم أحب الى ابليس من موت سبعين عابدا» (٣).

و بين (عليه السلام) خصائص العالم فقال: «إنّ الفقيه حق الفقيه: الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، المتمسك بسنة النبي» (٤).

٣- الاخلاص في طلب العلم

حث (عليه السلام) على إخلاص النية في طلب العلم، بأن يكون الهدف النهائي من طلبه للعلم هو الوصول الى الحق، و تقريره في عقول الناس و قلوبهم تقربا الى الله تعالى، و تجسيدها لمنهجه في الحياة.

قال (عليه السلام): «من طلب العلم ليباهى به العلماء، أو يمارى به السفهاء، أو يصرف به وجه الناس اليه، فليتبوء مقعده من النار، إن الرئاسه لا تصلح إلا لأهلها» (٥).

ص: ١٥٥

١- (١) حليه الاولياء: ٣/١٩٢.

٢- (٢) المصدر السابق: ٣/١٨٣.

٣- (٣) تذكره الخواص: ٣٠٤.

٤- (٤) الكافي: ١/٧٠.

٥- (٥) المصدر السابق: ١/٤٧.

٤- ضرورة نشر العلم و تثقيف الناس

حث الإمام (عليه السّلام) على نشر العلم و تعليمه للناس، و إشاعته في الأوساط المختلفه، نهى عن كتمانها، بقوله (عليه السّلام): «من علّم باب هدى فله أجر من عمل به، و لا ينقص اولئك من اجورهم شيئا...» (١).

و قال (عليه السّلام): «رحم الله عبدا أحيا العلم... يذاكر به أهل الدين و أهل الورع» (٢).

و جعل على العلم زكاه فقال: «زكاه العلم أن تعلّمه عباد الله» ٣.

كما جعل تذاكره و مدارسته صلاه، فقال: «تذاكر العلم دراسه، و الدراسه صلاه حسنه» ٤.

٥- مزالق و آفات المتعلمين

ان الانسان مهما اوتى من علم فإنه يبقى بحاجة الى المزيد، و يبقى في كثير من الأحيان جاهلا ببعض الحقائق، لذا حثّ الإمام (عليه السّلام) على الاحتياط في الاجابه لكي يأمن الانحراف، و لا تؤدي الى تغرير الآخرين، قال (عليه السّلام):

«الوقوف عند الشبهه خير من الاقتحام في الهلكه، و تركك حديثا لم تروه خير من روايتك حديثا لم تحصه» (٣).

و قال: «ما علمتم فقولوا، و ما لم تعلموا فقولوا: الله اعلم، ان الرجل ليسترع الآيه من القرآن يخزّ فيها أبعد ما بين السماء و الأرض» (٤).

و جعل هذا الاحتياط حقا لله على العباد، فقال: «حق الله على العباد: أن

ص: ١٥٦

١- ((١) الكافي: ٣٥/١.

٢- ((٢ و٣ و٤)) المصدر السابق: ٤١/١.

٣- ((٥)) المصدر السابق: ٥٠/١.

٤- ((٦)) المصدر السابق: ٤٢/١.

يقولوا ما يعلمون، و يقفوا عند ما لا يعلمون» (١).

٦- المرجعية العلمية

من الحقائق المشهورة عند المسلمين أنّ عليا (عليه السّلام) أعلم الصحابه بكتاب الله و سنه رسوله (صلى الله عليه و اله)، و هو باب علم الرسول (صلى الله عليه و اله)، و قد علم أبناءه ما تعلمه من رسول الله (صلى الله عليه و اله) و كانوا يتوارثون العلم فيما بينهم، من هنا كان أهل البيت (عليهم السّلام) أعلم الناس بالقرآن و السنّه، و لهذا أكد الإمام الباقر (عليه السّلام) على مرجعيه أهل البيت (عليهم السّلام) العلميه، و بين أن علمهم موروث منذ آدم الى يومه هذا، فقال: «ان العلم الذى نزل مع آدم (عليه السّلام) لم يرفع، و العلم يتوارث، و كان على (عليه السّلام) عالم هذه الامه، و انه لم يهلك منّا عالم قط إلا خلفه من أهله من علم مثل علمه، أو ما شاء الله» (٢).

و بين اختصاص أهل البيت (عليهم السّلام) بعلم القرآن ظاهره و باطنه فقال: «ما يستطيع أحد ان يدعى أنّ عنده جميع القرآن كلّ ظاهره و باطنه غير الاوصياء» (٣).

كما بين أنّ علمهم (عليهم السّلام) علم صائب، فقال: «ليس عند أحد من الناس حقّ و لا صواب و لا أحد من الناس يقضى بقضاء حقّ إلا ما خرج منّا أهل البيت» (٤).

و قد أثبت الواقع أهليّتهم (عليهم السّلام) للمرجعيه العلميه العامه للمسلمين جميعا، فكانوا مقصد العلماء من جميع أمصار العالم الاسلامى.

و كان (عليه السّلام) يحث الجماعه الصالحه على الرجوع لأهل البيت الأطهار

ص: ١٥٧

١- (١) الكافي: ٤٣/١.

٢- (٢) المصدر السابق: ٢٢٢/١.

٣- (٣) المصدر السابق: ٢٢٨/١.

٤- (٤) المصدر السابق: ٣٩٩/١.

تجسيدا لهذه المرجعية و تحصيلنا لهم من الزيغ و الانحراف (١).

و كان أيضا يرشد اصحابه الى مراجعه العلماء الذين أخذوا العلم من أهل البيت (عليهم السلام) و اتقنوا فنونه و اسسه و قواعده (٢).

٧- المؤسسات الثقافية

كان للإمام الباقر (عليه السلام) دور كبير في توسيع المؤسسات الثقافية، فقد أسس عدة مدارس في أهم الامصار الإسلامية:

* مدرسة المدينة: و كان يشرف عليها مباشرة، و ينتقى منها الفقهاء ليواصلوا حمل العلم و نشره.

* مدرسة الكوفة: و كان يشرف عليها من تتلمذ على يديه، و تخرّج من مدرسته، و قد اثمرت هذه المدرسة في نشر علوم أهل البيت (عليهم السلام) و ارجاع الناس اليهم، حتى اعترف الحاكم الاموي هشام بن عبد الملك بهذه الحقيقة، فقد أشار إلى الإمام (عليه السلام) قائلا: هذا المفتون به أهل العراق (٣).

و لذا أمر الامويون بمنع أهل العراق من الالتقاء بالإمام (عليه السلام) (٤).

* مدرسة قم: و كان يشرف عليها بعض من تتلمذ على يدي الإمام (عليه السلام) و هي متفرعة من مدرسة الكوفة.

و تأثرت بمدرسة الكوفة و قم مدارس اخرى في الشرق الإسلامي، كمدرسه الري و خراسان (٥).

ص: ١٥٨

١- ((١) المحاسن: ٢١٣.

٢- ((٢) بحار الانوار: ٣٢٨/٤٦.

٣- ((٣) مختصر تاريخ دمشق: ٧٩/٢٣.

٤- ((٤) المصدر السابق: ٨٣/٢٣.

٥- ((٥) دور أهل البيت (عليهم السلام) في بناء الجماعة الصالحة: ١/١٣٣.

و هنالك مدارس جواله كان يؤسسها طلابه أينما حلوا و هي محدوده بحدود عدد الأفراد المشرفين و بمقدار الاستجابة لهم من قبل الناس .

و المؤسسات الثقافيه كان لها دور كبير فى تخريج الفقهاء و المبلغين من مختلف الأمصار .

و كانت أساليب الإمام الثقفييه متنوعه، بعضها ذو طابع فردى و الآخر ذو طابع جماعى . كما كان الثقفيي يتم عن طريق التدريس، و اخرى عن طريق الرسائل و الوصايا .

و لم يكن ثقفييه و تعليمه مقتصرًا على الفقه و الاصول أو العلوم الدينيه بشكل خاص، بل كان شاملا لجميع العلوم المعروفه آنذاك (١).

رابعاً: الإمام الباقر (عليه السلام) و إحياء الروح الثوريه فى الامه

اشاره

كانت ثوره الإمام الحسين (عليه السلام) ذات دور كبير فى إحياء الروح الثوريه، و إلهاب الحماس فى النفوس المؤمنه بالله و رسوله ضدّ الحكّام الظالمين، و لهذا نشط الإمام الباقر (عليه السلام) ليجعل الثوره حيّه تمنح الناس طاقه ثوريه لخوض المواجهه فى وقتها و ظرفها المناسب .

و قد تجسد إحياءه للروح الثوريه هذه فى مظهرين:

الأول: إقامه الشعائر الحسينيه

كان الإمام (عليه السلام) يقوم بنفسه باحياء الشعائر الحسينيه، حيث كان يقيم مجالس العزاء فى منزله، دون معارضه من قبل الحكّام الامويين لأنهم لا يستطيعون منع مجلس عزاء يقيمه الإمام (عليه السلام) على جدّه، و لأنهم كانوا

ص: ١٥٩

يحاولون إلقاء اللوم فى قتل الحسين و أهل بيته و صحبه على آل أبى سفيان.

و تجسدت الشعائر الحسينيه بالممارسات التاليه:

١- الحزن و إقامه مجالس العزاء: شجّع الإمام على البكاء لمصاب جدّه الإمام الحسين (عليهما السّلام) و أهل بيته، و الأبرار من صحابته من أجل أن تتجذّر الرابطة العاطفيه به (عليه السّلام) فى المشاعر، و كان يقول: «من ذرفت عيناه على مصاب الحسين و لو مثل البعوضه غفر الله له ذنوبه» (١).

٢- الزياره: حثّ الإمام الباقر (عليه السّلام) على زياره قبر جدّه الإمام الحسين (عليه السّلام) لتعميق الارتباط به شخصا و منهجا، و استلهام روح الثوره منه، و معاهدته على الاستمرار على نهجه.

و كان يؤكّد لمحبيه و المؤمنين بقيادته الاهتمام بها، و يقول: «مروا شيعتنا بزياره الحسين بن على، و زيارته مفروضه على من أقرّ للحسين بالإمامه» (٢).

و أكّد (عليه السّلام) على لزوم اقتران حب أهل البيت (عليهم السّلام) بزياره قبر الحسين (عليه السّلام) كما جاء فى قوله: «من كان لنا محبّا فليرغب فى زياره قبر الحسين (عليه السّلام)، فمن كان للحسين زوّارا عرفناه بالحب لنا أهل البيت» (٣).

٣- إنشاء الشعر: كما كان (عليه السّلام) يشجع على قول الشعر فى الإمام الحسين (عليه السّلام) و قد بذل من أمواله لنوادب يندبن بمنى أيام الموسم (٤).

و قد أثمر هذا الحثّ إحياء روح الثوره و النهوض، حتى أن الثورات

ص: ١٦٠

١- ((١)) بحار الأنوار: ١/٩٨.

٢- ((٢)) المصدر السابق: ٢٩٣/٤٤.

٣- ((٣)) المصدر السابق: ٤/٩٨.

٤- ((٤)) مقتل الحسين للمقرّم: ١٠٦.

التي انطلقت بعد عصر الإمام الباقر (عليه السلام) كانت تنطلق في عاشوراء؛ إذ كان الثوار يتزودون من قبره (عليه السلام) ثم ينطلقون بثورتهم وحرکتهم المسلّحه غالباً.

الثاني: إحياء الإيمان بقضية الإمام المهدي (عليه السلام)

إن الصراع بين الإسلام و الجاهلية، و بين الحق و الباطل لا ينتهي ما دام كل منهما موجوداً و له كيان و قياده و أنصار. و يستمر الصراع الى أن ينتصر الحق على الباطل في نهاية الشوط. و يمثل ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) و ثورته ضد الظلم العالمي الشامل آخر حلقة من حلقات الصراع المستمره حيث يختفي الباطل و لا يبقى له كيان مستقل.

و انتظار الإمام المهدي الثائر (عليه السلام) هو حركة ايجابية و تعبير عن حيويّة الروح الثوريّة و هو يتطلّب تعبئه الافكار و الطاقات للاشتراك في علميه الخلاص و الانقاذ الشامل.

و قد أكد جميع الائمة من أهل البيت (عليهم السلام) على هذه الحقيقة لا سيّما الإمام الباقر (عليه السلام)؛ و ذلك لكي تتعمق هذه القضية الكبرى في العقول و النفوس جميعاً.

قال (عليه السلام): «إنما نجومكم كنجوم السماء كلما غاب نجم طلع نجم حتى اذا أشرتم بأصابعكم، و ملتّم بحواجيبكم غيب الله عنكم نجمكم و استوت بنو عبد المطلب فلم يعرف أيّ من أيّ فإذا طلع نجمكم، فاحمدوا ربّكم» (١).

و اعتبر ثوره الإمام المهدي (عليه السلام) من الأمر الإلهي المحتوم، حين قال:

«من المحتوم الذي حتمه الله قيام قائمنا» (٢).

ص: ١٦١

١- ((١)) بحار الأنوار: ١٣٨/٥١.

٢- ((٢)) المصدر السابق: ١٣٩/٥١.

وقال (عليه السّلام): «لا تزالون تمدّون أعناقكم الى الرجل منّا تقولون هو هذا، فيذهب الله به، حتى يبعث الله لهذا الأمر من لا تدرون ولد أم لم يولد، خلق أو لم يخلق» (١).

وكان يهَيء الاذهان للتعبئه الى ذلك اليوم و يقول: «إذا قام قائمنا و ظهر مهدينا كان الرجل أجراً من ليث و أمضى من سنان» (٢).

خامساً: الإمام الباقر (عليه السلام) و تشخيص هويته الجماعه الصالحه

إشاره

اهتم الإمام الباقر (عليه السّلام) بتشخيص هويته الجماعه الصالحه، و تمييزها عن غيرها من الهويات التي ترافق سائر الوجودات و الكيانات و التيارات القائمه في الواقع.

وقد كان للجماعه الصالحه وجود مميز من حيث الاسم و الصفات و من حيث الولاء و الاقتداء، و من حيث التقييم و الدرجه و المرتبه من بين الدرجات و المراتب، فهي تنتمي الى الإسلام أولاً و الى منهج أهل البيت ثانياً.

و تشخيص الهويه له آثار ايجابية على تجذر الانتماء و إدامته، و له آثار عمليه على الافكار و العواطف و الممارسات السلوكيه، حيث انها تتبع الانتماء، و تتحرك على ضوء الاهداف المحدده للهويه المشخصه، و من هذه الآثار:

١- الشعور بالانتماء و هو أمر فطري يدفع الانسان للاعتزاز بانتمائه، لأنه يشعر بأن شخصيته و وجوده يحددها الانتماء و الهويه الظاهره.

٢- ان لتشخيص الهويه دوراً كبيراً من وحده الاهداف و وحده البرامج، و وحده المصير، و وحده المصالح، و لهذه الوحده دور أساسي في

ص: ١٦٢

١- (١) بحار الأنوار: ١٤٠/٥١.

٢- (٢) حليه الأولياء: ١٨٤/٣.

تحريك المنتمين الى العمل الجاد و الحركه الدؤوبه لتحقيق الأهداف المنشوده و التضحيه من أجلها.

٣-ان لتشخيص الهويه دورا كبيرا فى تعميق علاقات الاخوه داخل الجماعه الصالحه،و دفعها نحو التأزر و التكاتف و التعاون من أجل رفع مستواها الفكرى و السياسى و الاجتماعى و الاقتصادى، كما يمنحها القوه و المنعه و العزّه.

٤-إنّ تشخيص الهويه و الشعور بالانتماء الموحد يدفع الحركه باتّجاه توسيع قاعدتها الشعبيه على أساس تقويه مظاهر الهويه فى الواقع الموضوعى و يدفعها نحو التنافس المشروع مع الوجودات القائمه لربط بقيه أفراد الامه بالمفاهيم و القيم الصالحه،و تجسيدها فى الواقع.

معاور الانتماء فى الجماعه الصالحه

الإسلام هو المحور الاساسى للانتماء عند الجماعه الصالحه،و هو المحرك الأول للعمل و الحركه و للسلوك و للعلاقات،و المصلحه الإسلاميه العليا هى الحاكمه على جميع المصالح.

و الإسلام هو الانتماء الاساسى الذى يدفع بالمنتمين إليه نحو التعالى على الأواصر الضيقه و الروابط الثانويه،و يوجّه الانظار و المواقف الى الهدف المشترك و الى الافق الأرحب الذى تنضوى تحته جميع الانتماءات،لتكون العلاقات فى ظله قائمه على أساس التكافل و التراحم و التناصح،و الأمانه و العدل و السماحه و الموده و الاحسان،و هذه العلاقات تتطلب التحرر من ضغط القيم و الاوضاع المحدوده،و المصالح و المطامع الذاتيه العارضه.

ص: ١٦٣

و الإسلام هو الانتماء الأرحب الذى يضم جميع من نطق بالشهادتين، فهو فى رأى الإمام الباقر (عليه السّلام): «...و الإسلام ما عليه التناكح و التوارث و حقنت به الدماء» (١).

و على ذلك فإن الجماعة الصالحة هى جزء من المجتمع الاسلامى الكبير بمختلف تياراته و مذاهبه الفكرية و السياسيه، و مسؤوله عن الحفاظ على هذا الوجود من التصدّع.

و الفكر المشترك أو العقيدة المشتركة بين الجماعة الصالحة و سائر الجماعات القائمه هى: الايمان بالله و رسله و كتبه، و الايمان برساله خاتم الأنبياء (صلّى الله عليه و اله) و الايمان بيوم القيامة.

و الانتماء الى منهج أهل البيت (عليهم السّلام) هو الهوية المشخصه للجماعه الصالحة لتمييزها عن غيرها من الجماعات التى تنتمى الى مناهج اخرى.

و الانتماء الى أهل البيت (عليهم السّلام) يعنى الولاء لهم بجميع مراتبه و مصاديقه المتمثله فى حبّهم و نصرتهم، و الاستسلام لأوامرهم و نواهيهم التى هى أوامر الله و رسوله للإنسان المسلم على مدى الحياه و فى جميع مجالسه الحياه؛ بحيث تكون العقول و القلوب و الأفعال منسجمه مع منهجهم العقائدى و السياسى فى آن واحد، لأنهم الامتداد الحقيقى للرساله الإسلاميه و هم القيّمون على المنهج الإلهى الذى أرسى دعائمه رسول الله (صلّى الله عليه و اله) فى حديث الثقلين و غيره من النصوص النبويه الشريفه. و هنا قال الإمام الباقر (عليه السّلام): «نحن أهل بيت الرحمه و شجره النبوه و معدن الحكمه، و مختلف الملائكه و مهبط الوحى» (٢).

و هذا الانتماء يجعل جميع أفراد الجماعة الصالحة مكلفين بأداء دور القدوه ازاء الانتماء الرحب و هو الإسلام، فينبغى أن يكونوا قدوه لغيرهم،

ص: ١٦٤

١- (١) تحف العقول: ٢١٧-٢١٨.

٢- (٢) الارشاد: ٢٦٦.

وقد وصفهم الإمام (عليه السلام) في أحاديث متقدمه بمواصفات خاصه و منها: طاعه الله، و التقوى، و أداء الواجبات و اجتناب المحرمات، و حسن الخلق، و حسن السيره، و أكد على أن هذا الانتماء لا يتحقق إلا بالتقوى و الورع و العمل الصالح.

مشخصات الهويه

الأول: الاسم

أطلق الإمام الباقر (عليه السلام) تبعاً لآبائه و أجداده (عليهم السلام) عدداً من الاسماء و العناوين لتشخيص هويه الجماعه الصالحه و فرزها و تمييزها عن غيرها في خضم الالتباس في المفاهيم و الخلط في العناوين، و منها (١).

١- شيعه عليّ.

٢- شيعه فاطمه.

٣- شيعه آل محمد.

٤- شيعه ولد فاطمه.

و اسم الشيعه هو مورد اعتزاز الجماعه الصالحه لمشايعتهم أهل البيت (عليهم السلام) المطهّرين من كل رجس و دنس.

و قد بشّر الإمام الباقر (عليه السلام) افراد الجماعه الصالحه بهذا الاسم، فعن أبي بصير، قال: «ليهنكم الاسم، قلت: ما هو جعلت فداك؟ قال: «و إن من شيعته لإبراهيم» (٢) و قوله: «فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ» (٣)، فليهنكم الاسم (٤).

ص: ١٦٥

١- (١) بحار الأنوار: ١٤/٦٥، ٤٨، ٦٠، ٥٦.

٢- (٢) الصافات (٣٧): ٨٣.

٣- (٣) القصص (٢٨): ١٥.

٤- (٤) بحار الأنوار: ١٢/٦٥-١٣.

فهذا الاسم اسم شريف سمى به الله تعالى أتباع الأنبياء السابقين.

و أقرّ (عليه السّلام) اسم الرافضة على الجماعة الصالحة بعد أن سمّاهم به اتباع السلطان، فحينما شكى اليه بعض أصحابه هذه التسميه قال له: «و أنا من الرافضة» قالها ثلاثا (١).

و عن أبي بصير، قال: قلت لأبي جعفر (عليه السّلام): جعلت فداك اسم سمّينا به استحلّت به الولاه دماءنا و أموالنا و عذابنا قال: و ما هو، قال: الرّافضة، فقال أبو جعفر (عليه السّلام): «إنّ سبعين رجلا من عسكر فرعون رفضوا فرعون فأتوا موسى (عليه السّلام) فلم يكن في قوم موسى (عليه السّلام) أشدّ اجتهادا و لا أشدّ حبا لهارون منهم، فسّمّاهم قوم موسى الرّافضة، فأوحى الله الى موسى: أن ثبت لهم هذا الاسم في التوراه، فإنّي قد نحلّتهم، و ذلك اسم قد نحلّكموه الله» (٢).

و هنالك أسماء اخرى ذكرها الإمام الباقر (عليه السّلام) و هي: المؤمن و الموالى (٣).

الثاني: الصفات

وصف الإمام الباقر (عليه السّلام) أفراد الجماعة الصالحة بمواصفات خاصه تشخصهم بها عن غيرهم (٤) و منها:

١- أصحاب اليمين.

٢- خير البريه.

٣- أولياء الله.

ص: ١٦٦

١- (١) المحاسن: ١٥٧.

٢- (٢) المصدر السابق: ١٥٧.

٣- (٣) بحار الأنوار: ١٦/٦٥.

٤- (٤) المصدر السابق: ٢٩/٦٥، ٣٠، ٥٨، ٤٤.

٤- شرط الله.

٥- أعوان الله.

الثالث: منزله الجماعه الصالحه

ذكر الإمام (عليه السلام) للجماعه الصالحه التي تحمل اسم شيعه أهل البيت (عليهم السلام) منزله و مرتبه في كلتا الحياتين: الدنيا و الآخره.

١- منزله الجماعه الصالحه في الحياه الدنيا: ان الجماعه الصالحه مرّت بمراحل من التمحيص في داخل النفس و في مكنون الضمير، و في الواقع العملي، فخرجت مستقره على الحق، و اتبعت منهج أهل البيت (عليهم السلام) في وقت كان فيه قاده مطاردين ملاحقين محاصرين من جهات شتى، و استقرارها على الحق هذا جعل لها منزله و مرتبه في دار الاختبار و الامتحان، و قد أوضح الإمام (عليه السلام) هذه الفضيله بقوله: «انّ الله عزّ و جلّ أعطى المؤمن ثلاث خصال: العزّ في الدنيا و الدين، و الفلج في الآخره، و المهابه في صدور العالمين» (١).

و دخل الإمام المسجد الحرام فوجد فيه جماعه من أصحابه، فدنا منهم و سلّم ثم قال لهم: «و الله أنّي لأحبّ ربحكم و أرواحكم... انتم شرط الله، و أنتم أعوان الله، و أنتم أنصار الله، و أنتم السابقون الأولون و السابقون الآخرون... قال أمير المؤمنين (عليه السلام) ألا و إنّ لكلّ شيء شرفاً، و شرف الدين الشيعه، ألا و إنّ لكلّ شيء عمادا و عماد الدين الشيعه، الا و إنّ لكلّ شيء سيّدا و سيّد المجالس مجلس شيعتنا...» (٢).

و الجماعه الصالحه هي المعيار العملي في الولاء لأهل البيت (عليهم السلام)

ص: ١٦٧

١- (١) بحار الأنوار: ١٦/٦٥.

٢- (٢) بشاره المصطفى: ١٦.

لقوله (عليه السلام): «كونوا النمرقة الوسطى يرجع اليكم الغالى و يلحق بكم التالى» (١).

٢- منزله الجماعه الصالحه فى الحياه الآخره: إنّ للجماعه الصالحه منزله فى الحياه الاخرى، لأنها اجتازت الامتحان الإلهى بنجاح، و ثبتت على المنهج الإلهى فى جميع الأبعاد: فى الفكر و العاطفه و السلوك، و بذلت الغالى و النفيس دفاعا عن القيم الإسلاميه الثابته التى ارسى دعائمها القرآن و رسول الإسلام (صلّى الله عليه و اله) و أهل بيته الأطهار (عليهم السلام).

و من هذه المنازل و المراتب هى كرامتهم عند الله تعالى، قال الإمام الباقر (عليه السلام): «ان الله سبحانه يبعث شيعتنا يوم القيامة من قبورهم... و جوههم كالقمر ليله البدر، مسكنه روعاتهم، مستوره عوراتهم، قد اعطوا الأمن و الأمان، يخاف الناس و لا يخافون، و يحزن الناس و لا يحزنون، يحشرون على نوق لها أجنحه من ذهب تتلألأ قد ذلّت من غير رياضه أعناقها من ياقوت أحمر، ألين من الحرير، لكرامتهم على الله» (٢).

قال (عليه السلام): «و فى شيعه ولد فاطمه أنزل الله هذه الآيه خاصه قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٣)» (٤).

و روى (عليه السلام) عن رسول الله (صلّى الله عليه و اله) قوله: «انّ عليا و شيعته هم الفائزون» (٥).

و هذه المنازل و المراتب سينالها أفراد الجماعه الصالحه المتّبعين منهج ائمتهم المطيعين لله تعالى إذ جسّدوا القيم الإلهيه فى واقع الحياه.

ص: ١٦٨

١- (١) بحار الأنوار: ١٧٨/٦٥.

٢- (٢) بشاره المصطفى: ٥٦، ٥٥.

٣- (٣) الزمر (٣٩): ٥٣.

٤- (٤) قرب الاستناد: ٢٩.

٥- (٥) بحار الأنوار: ٣١/٦٥.

اشاره

الجماعه الصالحه لها قياده و طليعه و قاعده ترتبط فيما بينها بعلاقات تحددها المفاهيم و القيم الحاكمه على جميع الافراد و من مختلف المستويات.

و لكل من مراتب الجماعه علاقات مع الجماعات الاخرى تحددها الاهداف و المصالح المشتركه ضمن الافق الأرحب و المصير الأكبر. و تربطها علاقات مع اتباع الاديان الاخرى من المعاهدين و أهل الذمه.

١-العلاقات داخل الجماعه الصالحه

اشاره

أ-العلاقه بين القياده و الطليعه:القياده تتمثل فى الإمام المعصوم(عليه السّلام)الذى يشرف على بناء و توجيه الجماعه الصالحه،و تنظيم شؤونها المختلفه،و هو المرجع فى إصدار الأوامر و اتخاذ الخطط و القرارات.

و بما ان الجماعه الصالحه لها امتداد فى جميع البلدان و الامصار،لذا فإنّ العلاقه بين أفرادها و بين الإمام(عليه السّلام)تكون عن طريق الطليعه الواعيه المخلصه و التى تتمثل بالوكلاء،و هم المقربون من الإمام(عليه السّلام)و المختصون به،و هم بدورهم يشرفون على باقى افراد الجماعه.

و قد كان الإمام(عليه السّلام)يخصص كثيرا من وقته لتوجيه الطليعه و ارشادها عن طريق اللقاءات المباشره اليوميه،و اللقاءات الدوريه،و عن طريق المراسلات.

ب-العلاقة بين القيادة و القاعدة: كانت للإمام (عليه السّلام) علاقات مباشرة و غير مباشرة مع قواعده فى المدينة، و فى مختلف الامصار، و كان أهل المدينة و غيرهم يلتقون به و يزورونه، و كان يقوم (عليه السّلام) بزيارتهم و الالتقاء بهم، أما المقيمون فى بلدان اخرى فكانوا يلتقون به فى موسم الحج و غيره، و كان (عليه السّلام) يرسل بعضهم، لتدوم العلاقة بينه و بينهم، و قد رسم لهم منهاجا فى العلاقات، و جعل عليهم أن يزوروه، حين قال (عليه السّلام): «إنما امر الناس أن ياتوا هذه الاحجار، فيطوفوا بها، ثم يأتونا فيخبرونا بولايتهم و يعرضوا علينا نصرهم» (١).

و قال أيضا: «تمام الحج لقاء الإمام» (٢).

و كانت العلاقة مستمره بين الإمام (عليه السّلام) و القاعدة عن طريق الطليعه (الوكلاء)، و عن طريق المراسله.

ج-العلاقة بين الافراد: حث الإمام (عليه السّلام) على ادامة العلاقة بين افراد الجماعه الصالحه، و قال: «تزاوروا فى بيوتكم، فإن ذلك حياه لأمرنا، رحم الله عبدا أحى أمرنا» (٣).

و نهى (عليه السّلام) عن المقاطعه و الهجران فقال: «ما من مؤمنين اهتجرا فوق ثلاث إلا و برئت منهما فى الثالثه»، فقبل له: يا ابن رسول الله هذا حال الظالم، فما بال المظلوم؟ فقال (عليه السّلام): «ما بال المظلوم لا يصير الى الظالم؟ فيقول: أنا الظالم حتى يصطلحا» (٤).

ص: ١٧٠

١- (١) الكافي: ٤/٥٤٩.

٢- (٢) المصدر السابق.

٣- (٣) الخصال: ١/٢٢.

٤- (٤) المصدر السابق: ١/١٨٣.

أطاعه الإمام (عليه السّلام): الإمام المعصوم هو القائد الربّاني للجماعه الصالحه، و هو المشرف على جميع شؤونها، وان جميع البرامج و الخطط لا يمكن تحقيقها بالصوره المشروعه إلا بالرجوع اليه و امتثال أوامره و الاخلاص له في النصيحه، و قد روى الإمام الباقر (عليه السّلام) عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) أنّه قال: «ما نظر الله عزّ و جلّ الى وليّ له يجهد نفسه بالطاعه لإمامه و النصيحه إلاّ كان معنا في الرفيق الاعلى» (١).

ب- قاعده الحب في الله و البغض في الله: و روى الإمام الباقر (عليه السّلام) عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) أنّه قال: «ودّ المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شعب الإيمان، و من أحبّ في الله، و أبغض في الله، و أعطى في الله، و منع في الله فهو من أصفياء الله» (٢).

ج- اخلاص المودّه: إن الحب و المودّه هي أساس العلاقات داخل الجماعه الصالحه؛ لذا قال (عليه السّلام): «و اخلاص مودتك للمؤمن» (٣).

د- الايثار من أجل حقوق الاخوان: قال (عليه السّلام): «أشرف أخلاق الأئمه و الفاضلين من شيعتنا استعمال التقيه و أخذ النفس بحقوق الاخوان» (٤).

ص: ١٧١

١- ((١)) الكافي: ١/٤٠٤.

٢- ((٢)) المحاسن: ٢٦٣.

٣- ((٣)) تحف العقول: ٢١٣.

٤- ((٤)) جامع الاخبار: ٢٥٢.

ه-التكافل الاجتماعى

و-التناصر و التآزر

ز-ادامه العلاقه:قال(عليه السلام):«ثلاثه من مكارم الدنيا و الآخره:أن تعفو عمّن ظلمك،و تصل من قطعك،و تحلم إذا جهل عليك» (١).

و قال(عليه السلام):«ان المؤمن أخ المؤمن لا يشتمه و لا يحرمه و لا يسىء به الظن» (٢).

٢-العلاقات مع الجماعات الإسلاميه الأخرى

١-إنّ التعايش و الانفتاح مع عامه المسلمين و جمهورهم الذين ليس لهم عداة لأهل البيت(عليهم السلام)-و إن كانوا لا يرون لهم حق الولاية و الإمامه-هو من سيره الإمام(عليه السلام)و قد كانت للجماعه الصالحه علاقات واسعاه مع جماعات عديده من المسلمين.

٢-العلاقه السلبيه مع اعداء أهل البيت(عليهم السلام):إنّ المقاطعه هى السمه الغالبه للعلاقات مع من نصب العداة لأهل البيت(عليهم السلام)،و يلحق بها مقاطعه أصحاب البدع،و الغلاه،و أعوان النظام الجائر ممّن أبغض أهل البيت(عليهم السلام).

و درجه المقاطعه تتحكم بها الظروف عاداه،فإذا كانت الظروف غير مؤاتيه فالمصانعه هى العلاقه المختاره،فقد قال(عليه السلام):«صانع المنافق بلسانك» (٣).

٣-إنّ المشاركه فى النشاطات العامه التى فيها مصلحة للاسلام و مصلحة الجماعه الصالحه هى أمر مطلوب و محمود و لا يضرّ بالانتماء لأهل البيت(عليهم السلام).

ص:١٧٢

١- (١) تحف العقول:٢١٤.

٢- (٢) المصدر السابق:٢١٦.

٣- (٣) المصدر السابق:٢١٣.

٣-العلاقة مع أهل الذمه

رسم الإمام(عليه السّلام)منهجاً لعلاقه الجماعه الصالحه مع أهل الذّمّه،على أساس المعايشه و عدم الاعتداء،قال(عليه السّلام):«...فإذا قبلوا الجزية على أنفسهم حرم علينا سبيهم،و حرمت أموالهم و حلّت لنا مناكحهم»(١).

وقال(عليه السّلام):«ما من رجل أمن رجلا على ذمه ثم قتله إلا جاء يوم القيامة يحمل لواء الغدر»(٢).

و حرّم(عليه السّلام)الاعتداء على أموالهم و ممتلكاتهم بغضب أو سرقة أو غش(٣).

و أوصى باحترام احكامهم الفقيهيه و المدينه و أحكام القضاء و المواريث،و ان كانت مخالفه للشريعه الإسلاميه(٤).

٤-العلاقة مع الكفار

إنّ علاقته مع الكفّار قائمه على أساس قاعده البراءه،و هى المفاصله بين الإسلام و الكفر،فلا تجوز المعاونه لهم بأى لون،و يحرم إسنادهم بأى شكل من أشكال الإسناد.

و البراءه تستدعى المقاومه بل المواجهه معهم أحيانا،و لذا كان(عليه السّلام) يشجع على بيع السلاح لمن يحارب به الكفّار و ان كان مخالفاً أو معاديا لأهل

ص: ١٧٣

١- (١) تحف العقول: ٢١٠، و المعروف عند علماء مدرسه أهل البيت(عليهم السّلام)أن النكاح الجائر مع أهل الذّمّه هو النكاح المؤقت فحسب.

٢- (٢) الكافي: ٣١/٥.

٣- (٣) المصدر السابق: ٥٦٨/٥.

٤- (٤) وسائل الشيعه: ٣١٩:٢٦.

البيت (عليهم السّلام) وللجماعه الصالحه؛ فإنّ هذا العمل فى رأى الإمام (عليه السّلام) يتم به دفع العدو المشترك، وإبعاد خطره الذى يهدّد الكيان الاسلامى.

سابعا: الإمام الباقر (عليه السّلام) والنظام الأمنى للجماعه الصالحه

إشاره

أولى الإمام (عليه السّلام) اهتماما خاصا بالنظام الأمنى للجماعه الصالحه، حفاظا على سلامه أفرادها و كيانها من التصدّع أو التصفيه الجسديه، لبقى أفرادها أحرار فى حركتهم الاصلاحيه و التغييريه. و الاحتياط و الحذر الأمنى له آثار ايجابيه على سلامه العقيده و سلامه الشريعه و سلامه القيم الإسلاميه، فإنّ أى خلل فى الوضع الأمنى يؤدى الى سجن أو قتل أو تهجير من له تأثير ايجابى فى الامه، و بالتالى يكون خير فرصه للمنحرفين لنشر عقائدهم و افكارهم لبلبله الأفكار و خلق الاضطراب فى العقول و القلوب و النفوس، بعد خلو الميدان من المصلحين الذين ينتمون الى الجماعه الصالحه.

و الاهتمام بالنظام الأمنى يضمن للجماعه الصالحه بقاء القياده و هى المعصومه (عليه السّلام) بين ظهرانيمهم، ترشدهم و توجيههم و تربيتهم، و تعلّمهم أحكام الدين و سبل الشريعه.

و للنظام الأمنى معالم و مظاهر يمكن تحديدها فى النقاط التاليه:

١- التقية

التقيه عمليه مشروعه لما لها من آثار ايجابيه على سير الجماعه الصالحه و توجيه حركتها نحو اصلاح الواقع و تغييره دون عرقله أو منع أو تحجيم.

و للتقيه موارد عديده تحددها طبيعه الظروف المحيطه بالفرد

ص: ١٧٤

و بالجماعه الصالحه، من حيث القوه و الضعف، و من حيث موقف الحكام و أجهزته من الإمام (عليه السلام) و من الجماعه الصالحه.

و القاعده الاساسيه فى استخدام التقيه هى قول الإمام (عليه السلام): «التقيه فى كل ضروره» (١).

فالضروره هى التى تحدّد استثمارها و استخدامها من حيث الوجوب و الاستحباب، و من حيث المره و التكرار.

و الهدف من التقيه هو حقن الدماء و حفظها فى مواقف ليست ضروريه، و ليس لها تأثير على سير حركه الاصلاح و التغيير، أما إذا لم تحقق هدفها ذاك فلا ينبغى ممارستها.

قال الإمام الباقر (عليه السلام): «إنما جعلت التقيه ليحقن بها الدماء، فإذا بلغ الدّم فلا تقيه» (٢).

و من موارد التقيه:

أ- كتمان المعتقد بالاسلام إذا كان المجتمع مجتمعا غير اسلامى محاربا للمسلمين، و كتمان المعتقد بمذهب أهل البيت (عليه السلام) إذا كان المجتمع مخالفا أو معاديا لهم، و يستحل قتل أو تعذيب من يروج له أو يعلن الانتماء اليه.

أو كان الاعلان عن المعتقد يؤدي الى عزل المؤمن عن المجتمع و عدم التأثير بقوله و فعله، أى فى حال عرقله مهمه الاصلاح و التغيير.

ب- كتمان الأحكام الفقهيّه إن أدت الى الضرر الكبير.

ت- كتمان الآراء السياسيه.

ث- كتمان الأسرار السياسيه.

ص: ١٧٥

١- (١) بحار الأنوار: ٣٩٩/٧٢.

٢- (٢) المصدر السابق: ٣٩٩/٧٢.

ج-كتمان البرامج و الخطط المعدّه لاصلاح الواقع و تغييره.

و التقية قد تكون بكتمان هذه الموارد، أو التظاهر بغيرها. و بعبارة اخرى: ان التقية هي المصانعة مع المخالفين أو المعادين للجماعة الصالحة تخلّصا من عدوانهم و أذاهم، أو إضرارهم بالعمل.

و التقية هي الموقف المتوازن بين الانعزال عن المجتمع و الابتعاد عن ميدان الاصلاح و التغيير، و بين المواجهه و الصراع، لأنّ عدم ممارستها يؤدي الى واحد من الموقفين، و في كليهما لا- يحقق الانسان اهدافه في الحياه الاجتماعيه، و قد يؤدي احيانا الى النكوص و التراجع أو التخلّي نهائيا عن المنهج السليم، أو الانحراف عنه.

فالانعزال قد يؤدي الى الوقوع في حبال الغلو، و التحول إلى الباطنيه كما حدث للحركة الاسماعيليه.

و المواجهه قد تؤدي الى الضعف أمام أساليب الإرهاب و الإغراء و الخداع و التضليل ان كانت الجماعة الصالحة غير مهينه لخوض غمار الصراع و المواجهه.

و قد استطاع الإمام (عليه السلام) أن يحافظ على أمن الجماعة الصالحة بتأكيده على التقية، حيث استطاع أن يوسّع قاعدته الشعبيه، و يرفد الجماعة الصالحة بأفراد جدد، و بكوادر جديده، و استطاع أن ينشر علوم أهل البيت (عليه السلام) و ان يشيع الفضائل و المكارم في المجتمع، دون ان يمنح للحكّام فرصه لاغتياله أو اعتقاله أو منعه من نشاطاته العامه في التدريس، و اللقاءات، و الزيارات.

و التقية قد تتوقف احيانا و في حدود خاصه على تظاهر الانسان بالجنون حفاظا على نفسه و الجماعة التي ينتمي اليها، و هي حاله نادره أمر بها الإمام (عليه السلام) جابر بن يزيد الجعفي، حيث كتب اليه كتابا في ذلك، فلما دخل

الكوفه، لم ير ضاحكا و لا مسرورا، و تظاهر بالجنون، و بعد أيام من كتاب الإمام (عليه السّلام) جاء كتاب هشام بن عبد الملك يأمر بقتله، فتركه الوالى و لم يقتله، بعد أن أخبره الناس بجنونه (١).

٢- كتمان الاسرار

ان الظروف المحيطة بالإمام (عليه السّلام) و بالجماعه الصالحه جعلت الإمام (عليه السّلام) يأمر بكتمان الاسرار، قال (عليه السّلام): «أكتموا اسرارنا و لا تحمّلوا الناس على أعناقنا» (٢).

و الجماعه الصالحه محاطه بجماعات و تيارات و أجهزه أمنيه تتابع أقوالها و أفعالها و ممارساتها العمليه، و تستثمر الثغرات و الفرص المتاحه لتشويه سمعتها فى عقيدتها و فى أحكامها و فى سلوكها، و تحجيم دورها فى الحياه؛ و لهذا فهى بحاجه الى عنايه اضافيه بكتمان الاسرار، سواء كانت ممّا يتعلق بفضائل و مكارم أهل البيت (عليهم السّلام) التى لا تتحملها عقول المخالفين، أو ممّا يتعلق بتنظيم الجماعه الصالحه من حيث العده و العدد، و أسماء الوكلاء، أو الطليعه المؤثره على سير الأحداث، أو كانت من أسرار العلاقات و اللقاءات، أو الأسرار السياسيه المتعلقه بالبرامج و الخطط الموضوعه لاصلاح و تغيير الواقع السياسى و الاجتماعى، أو الأسرار المتعلقه بساعات التنفيذ و ما شابه ذلك.

فالإمام (عليه السّلام) كان يتكتم على المواقف المهمه، فحينما حرّم الدخول الى السلاطين و التعاون معهم، كان هذا التحريم محدودا لم يبلغ به إلا

ص: ١٧٧

١- (١) بحار الأنوار: ٢٨٣/٤٦.

٢- (٢) المصدر السابق: ٢٢٥/٧١.

المقربين منه.

و كان يخطط لثوره زيد دون أن تعلم به السلطات، و دون علم كثير من أفراد الجماعه الصالحه، و كان يكتفى بمدح شخصيه زيد ليوجه الانظار بصوره غير مباشره اليه و الي مواقف المستقبلية.

و كان يثنى على المختار مقراً بثورته و ولائه لأهل البيت(عليهم السلام) و لكن في نطاق محدود أمام بعض أصحابه.

و لم يعلن(عليه السلام) عن إمامه الإمام الصادق(عليه السلام) إلا في نطاق محدود لمن كان يثق به و يعتمد عليه في عدم كشف السرّ إلا في وقته المناسب.

٣- التوازن في العلاقة مع الحكّام

إنّ مقاطعه الحاكم الجائر هي إحدى الخصائص التي اختص بها أئمه أهل البيت(عليهم السلام)، و قد كانت ارشادات و أوامر الإمام الباقر(عليه السلام) الى أفراد الجماعه الصالحه تؤكد على المقاطعه في جميع صورها، لأنّ العمل مع الجائر يؤدي الى احتمالات واقعيه، هي:

أ- تقويته و دعم أركان دولته المنحرفه.

ب- ممارسه الاعمال المنحرفه التي يملئها الواقع المنحرف.

ت- تأثر العامل معه- في بعض الأحيان- بالأغراء المتنوع، بالأموال و المناصب و الجاه، و قد يؤدي هذا إلى التخلي عن الانتماء الى الجماعه الصالحه.

ث- تحول العامل الى عدو للجماعه الصالحه في بعض الاحيان.

ص: ١٧٨

و لهذا أمر(عليه السّلام)بمقاطعه الحاكم الجائر (١).و جعل العمل مع الجائر دليلا على كراهيه الجنّه،تشديدا منه على عدم الدخول معه فى الاعمال.عن عقبه ابن بشير الأسدى،قال:دخلت على أبى جعفر(عليه السّلام)فقلت له:انى من الحسب الضخم من قومى،و أنّ قومى كان لهم عريف فهلك،فأرادوا ان يعرفونى عليهم،فما ترى لى؟

قال(عليه السّلام):«فإن كنت تكره الجنه و تبغضها،فتعرّف على قومك،ياخذ سلطان جائر يامرئ مسلم يسفك دمه،فتشركهم فى دمه،و عسى أن لا تنال من دنياهم شيئا» (٢).

و على الرغم من أوامره فى مقاطعه الحاكم الجائر إلا أنّه راعى المصلحه الإسلاميه العليا فى موارد عديده،فجوز(عليه السّلام)بيع السلاح أو حملة الى اتباع السلطان (٣)للمساهمه فى ردّ أعداء الكيان الاسلامى،و لإثبات حسن التعامل للحاكم إن سمع أو لاحظ هذه الإسناد.

و كان(عليه السّلام)لا يمتنع إن دعاه الحاكم للقاء به،و لا يمنع أصحابه من ذلك،حفاظا على أمنهم،لأنّ التمرد على طلبه قد يؤدى الى كشف نواياهم فى المعارضه و عدم الرضى بحكمه.

و لم يمنع(عليه السّلام)أفراد الجماعه الصالحه من المشاركه فى الغزوات التى كان يقودها حكام الجور المسلمون فى مختلف الأزمان.

ص: ١٧٩

١- (١) كفايه الأثر: ٢٥١.

٢- (٢) رجال الكشى: ٢٠٤.

٣- (٣) الكافى: ١١٢/٥.

راعى الإمام(عليه السّلام)فى أوامره و تعليماته،و فى اشراك أفراد الجماعه الصالحه فى النشاطات و الاعمال المختلفه،تفاوت مستويات الأفراد المختلفه من حيث الطاقات و الامكانيات،و من حيث الوعى و الادراك،و درجه التحمّل،و القدره على أداء الواجب أو الاستمرار فى الأعمال،و حدّد لكل فرد مستواه؛لكى يكلف بقدر مستواه.

عن سدير قال:قال لى أبو جعفر(عليه السّلام):«ان المؤمنين على منازل،منهم على واحده،و منهم على اثنين،و منهم على ثلاث،و منهم على أربع،و منهم على خمس،و منهم على ست،و منهم على سبع،فلو ذهبت تحمّل على صاحب الواحده ثنتين لم يقو،و على صاحب الثنتين ثلاثا لم يقو،و على صاحب الثلاث أربعا لم يقو...»(١).

و كذا الحال فى اعطاء الاسرار المتعلقة بالفئاضل و الكرامات لأهل البيت(عليهم السّلام)أو الاسرار السياسيه،فلكل فرد حسب طاقته العقليه و العاطفيه و البدنيه.

ثامنا:الإمام الباقر(عليه السّلام)و النظام الاقتصادى للجماعه الصالحه

اشاره

للاقتصاد دور كبير فى حركه الامم و الجماعات،من حيث النمو و الثبات و التكامل،و مدّها بالقدره على مواجهه الصعاب التى تقع فى طريق النمو و التكامل،فهو أحد العوامل الاساسيه فى بناء الحضارات و رفدها باسّس البقاء و الاستمرار،حتى ان الإسلام فى جميع مراحلها لم يحقق أهدافه القريبه أو البعيده إلا بالاستعانه بالاقتصاد،و بالمال الذى هو العصب الاساسى له.

ص: ١٨٠

و أكد الإمام الباقر (عليه السلام) في توجيهاته و ارشاداته للجماعه الصالحه على أهميه المال في نجاح أعمالها، و استقامه شؤونها، و قوه كيانها، فقال (عليه السلام):

«... هي الدنانير و الدراهم خواتيم الله في أرضه، جعلها الله مصلحه لخلقه، و به تستقيم شؤونهم و مطالبهم» (١).

التأكيد على أهميه العامل الاقتصادي

و حث الإمام (عليه السلام) على العمل لكسب الرزق، و الاستغناء عن الناس.

حين حث على التجاره و الزراعه و الصناعه و على تعلم الحرفه، و كان (عليه السلام) يعمل بنفسه و يرى أنّ في العمل طاعه لله، فعن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال:

إنّ محمّد بن المنكدر كان يقول: ما كنت أرى أنّ عليّ بن الحسين (عليه السلام) يدع خلفاً أفضل منه، حتى رأيت ابنه محمد بن عليّ (عليه السلام) فأردت أن أعظه فوعظني، فقال له أصحابه: بأيّ شيء وعظك؟ قال: خرجت الى بعض نواحي المدينه في ساعه حاره، فلقيني أبو جعفر محمد بن عليّ، و كان رجلاً بادنًا ثقيلًا و هو متكئ على غلامين أسودين أو موليين، فقلت في نفسي:

سبحان الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعه على هذه الحال في طلب الدنيا، أما و الله لأعظنه، فدنوت منه فسلمت عليه فردّ عليّ بنهر، و هو يتصبّب عرقاً، فقلت: أصلحك الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعه على هذه الحال في طلب الدنيا رأيت لو جاء أجلك و أنت على هذه الحال ما كنت تصنع؟

فقال (عليه السلام): لو جاءني الموت و أنا على هذه الحاله جاءني و أنا في طاعه من طاعه الله عز و جل؛ أكفّ بها نفسي و عيالي عنك و عن الناس، و إنما كنت أخاف أن لو جاءني الموت و أنا على معصيه من معاصي الله.

ص: ١٨١

فقلت: صدقت يرحمك الله أردت أن أعظك فوعظتني (١).

و كان (عليه السلام) يستشهد بسيره آبائه و أجداده للحث على العمل و طلب الرزق، فقد روى (عليه السلام): أن رجلا لقي أمير المؤمنين (عليه السلام) و تحته و سق من نوى، فقال له: ما هذا يا أبا الحسن تحتك؟ فقال: مائه عذق ان شاء الله، فغرسه فلم يغادر منه نواه واحده (٢).

و كان ينهى عن الكسل و التقاعس عن العمل، و قد جعل الكسل عن الآخره ملازما للكسل عن طلب الدنيا، فقال: «إننى لأبغض الرجل - أو أبغض للرجل - أن يكون كسلانا عن أمر دنياه، و من كسل عن أمر دنياه، فهو عن أمر آخرته أكسل» (٣).

و بين ان الرزق من الله تعالى، و هو الذى حدّد لكل نفس رزقها، فما على الانسان إلا السعى لطلبه، قال (عليه السلام): «ليس من نفس إلا و قد فرض الله عزّ و جلّ لها رزقا حلالا يأتيها فى عافيه، و عرض لها بالحرام من وجه آخر، فإن هى تناولت شيئا من الحرام قاصّها به من الحلال الذى فرض لها، و عند الله سواهما فضل كثير، و هو قوله عزّ و جلّ: وَ سَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ (٤) ...» (٥).

و نهى عن جمع المال من المكاسب المحرّمه و منها الغلول، فقد سأله عمّار بن مروان عنها فقال: «كل شىء غلّ من الإمام فهو سحت، و أكل مال اليتيم و شبهه سحت، و السحت أنواع كثيره: منها أجور الفواجر، و ثمن الخمر و النبيذ، و المسكر، و الربا بعد البيئه، فأما الرشا فى الحكم، فإنّ ذلك الكفر بالله العظيم و برسوله» (٦).

ص: ١٨٢

١- ((١)) الكافى: ٧٣/٥-٧٤.

٢- ((٢)) المصدر السابق: ٧٥/٥.

٣- ((٣)) المصدر السابق: ٨٥/٥.

٤- ((٤)) النساء: (٤) ٣٢.

٥- ((٥)) الكافى: ٨٠/٥.

٦- ((٦)) المصدر السابق: ١٢٦/٥.

و نهى (عليه السلام) عن الربا لأن فيه غضبا لحقوق الآخرين، وإضعافا لروح الوُدِّ والإخاء، وأماته لروح الزهد فى الدنيا والاحسان للآخرين، و لذا اعتبره (عليه السلام) من أخبث المكاسب، فقال (عليه السلام): «أخبث المكاسب كسب الربا» (١).

و لم يحبذ لانصاره العمل غير اللائق بهم و ان كان حلالا كالعمل فى الحجامة (٢).

التوازن بين طلب الرزق و طلب المكارم

حثّ الإمام (عليه السلام) على العمل و طلب الرزق كمقدمه للاستغناء عن الناس، و إشباع النفس و العيال لكى يتفرغوا للهدف الكبير الذى خلقوا من أجله و هو حمل الأمانة الإلهيه، و تبليغها للناس جميعا، و تقرير اسسها و قواعدها فى الواقع، فقد أراد من أتباعه التطلع الى افق أعلى، و الى اهتمامات أرفع لتكون القيم المعنويه هى الحاكمة على جميع تصرفاتهم المالىه، و لكى لا ينساقوا وراء الشهوات و ينشغلوا باشباعها، قال (عليه السلام): «ان أهل التقوى هم الأغنياء، أغناهم القليل من الدنيا، فمؤنتهم يسيره... أخرّوا شهواتهم و لذاتهم خلفهم» (٣).

و بين فى دعاء له الأهداف المتوخاه من طلب الرزق و حدوده، و التوازن بينه و بين القيم المعنويه، و من دعائه قوله (عليه السلام): «...اسألك اللهم الرفاهيه فى معيشتى ما أبقيتني، معيشه اقوى بها على طاعتك، و أبلغ بها رضوانك، و أصير بها بمنك الى دار الحيوان، و لا ترزقنى رزقا يطغينى، و لا تبلىنى بفقر أشقى به، مضيقا علىّ، أعطنى حظا و افرا فى آخرتى، و معاشا و اسعا هنيئا مريئا فى دنياى...» (٤).

ص: ١٨٣

١- (١) الكافى: ١٤٧/٥.

٢- (٢) المصدر السابق: ١١٦/٥.

٣- (٣) تحف العقول: ٢٠٩.

٤- (٤) بحار الأنوار: ٣٧٩/٩٤، طبعه ثانيه: ٣٧٩/٩٧.

و بين (عليه السلام) الميزان الاقتصادي و المالى للجماعه الصالحه لتوزن به درجه قريها و بعدها عن العمل للآخره فقال: «أنا لنحب الدنيا و لا نؤتاها، و هو خير لنا، و ما أوتى عبد منها شيئا إلا كان أنقص لحظه فى الآخره، و ليس من شيعتنا من له مائه ألف و لا خمسون ألفا و لا أربعون ألفا، و لو شئت أن أقول ثلاثون ألفا لقلت، و ما جمع رجل قط عشره آلاف من حلها» (١).

و دعا (عليه السلام) الى الاقتصاد فى اشباع الرغبات و الشهوات لكى لا تصبح هدفا بذاتها، فقال (عليه السلام): «إذا شبع البطن طغى» (٢).

و قال أيضا: «ما من شيء أبغض الى الله عزّ و جلّ من بطن مملوء» (٣).

الموارد المالىة للجماعه الصالحه

الأول: الزكاه: الزكاه هى أحد الموارد المالىة للجماعه الصالحه، و هى عباده اقتصاديه أمر الله تعالى بها لاشباع الجياع و كسوتهم و رفع المستوى المعاشى للفقراء و المحتاجين، و ايجاد التوازن بين الطبقات لكى لا يحدث تفاوت فاحش بين مستويات الناس الاقتصاديه، و لكى لا تتكدر الأموال عند طبقه معينه.

و قد حثّ (عليه السلام) على اعطاء الزكاه، و مما جاء فى ذلك قوله (عليه السلام): «فرض الله الزكاه مع الصلاه» (٤).

و بين (عليه السلام) الآثار المترتبه على منع الزكاه و منها منع البركات

ص: ١٨٤

١- ((١)) بحار الأنوار: ٦٩/٦٦، طبعه ثانيه: ٦٦/٧٢.

٢- ((٢)) الكافى: ٦/٢٧٠.

٣- ((٣)) المصدر السابق.

٤- ((٤)) الكافى: ٣/٤٩٨.

فقال (عليه السلام): «وجدنا في كتاب عليّ (عليه السلام) قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): إذا منعت الزكاه منعت الأرض بركاتها» (١).

و من آثار منعها في الحياه الاخرى هو العذاب الإلهي، قال (عليه السلام): «إن الله تبارك و تعالي يبعث يوم القيامه ناسا من قبورهم مشدوده ايديهم الى اعناقهم لا يستطيعون أن يتناولوا بها قيس أنمله، معهم ملائكه يعيرونهم تعبيراً شديداً، يقولون:

هؤلاء الذين منعوا خيراً قليلاً من خير كثير، هؤلاء الذين اعطاهم الله، فمنعوا حقّ الله في أموالهم» (٢).

الثاني: الخمس: حثّ الإمام (عليه السلام) على اعطاء الخمس لأنّه فريضه ثابتة في الشريعة الإسلاميه، و هي حقّ ثابت فمن لم يعطه فقد أكل حقاً، و من تصرّف به فقد تصرف بأموال ليست له، قال (عليه السلام): «من اشترى شيئاً من الخمس لم يعذره الله، اشترى ما لا يحلّ له» (٣).

و قال (عليه السلام): «لا يحلّ لأحد أن يشتري من الخمس شيئاً حتّى يصل إلينا حقّنا» (٤).

و قد بين (عليه السلام) هذا الحق المغتصب و غيره من الحقوق، و أوضح قاعده عامه فقال: «ما كان للملوك فهو للإمام» (٥).

و من الموارد الماليه الواجبه: الكفّارات، و هنالك موارد ثانويه غير واجبه كالهدايا و الصدقات و الانفاق في وجه الخير.

ص: ١٨٥

١- (١) الكافي: ٥٠٥/٣.

٢- (٢) المصدر السابق: ٥٠٦/٣.

٣- (٣) تهذيب الاحكام: ١٣٦/٤.

٤- (٤) الكافي: ٤٥٨/١.

٥- (٥) المصدر السابق: ٤٥٨/١.

الجماعة الصالحة لها كياناتها المستقل و مواردها المستقلة التي سبق ذكرها، و أنّ انفاق الأموال في مواردها التي وضعها الله تعالى تؤدي الى التكافل داخل الجماعة الصالحة.

فالزكاة تدفع للفقراء و المساكين و العاملين عليها، و في عتق الرقاب المؤمنه، و للمثقلين بالديون، و ابن السبيل و تدفع للمؤلفه قلوبهم للاسلام و لمذهب أهل البيت (عليهم السلام) أو دفع شرهم، و لها موارد انفاق تقع تحت عنوان (في سبيل الله).

و هي تدفع لهم مباشرة دون إذن الإمام (عليه السلام) كما يفهم من أحاديثه الشريفه (١).

و هي في الأصل تدفع إلى من ينتمى الى الجماعة الصالحة، فعن ضريس قال: سأل المدائني أبا جعفر (عليه السلام) قال: ان لنا زكاة نخرجها من أموالنا، ففيمن نضعها؟

فقال (عليه السلام): في أهل ولايتك.

فقال: اني في بلاد ليس فيها أحد من أوليائك.

فقال (عليه السلام): «ابعث بها الى بلدهم تدفع اليهم، و لا تدفعها الى قوم ان دعوتهم غدا إلى أمرك لم يجيبوك» (٢).

و قال (عليه السلام): «إنما موضعها أهل الولاية» (٣).

ص: ١٨٦

١- (١) من لا يحضره الفقيه: ٣٠/٢.

٢- (٢) الكافي: ٥٥٥/٣.

٣- (٣) المصدر السابق: ٥٤٥/٣.

و كان يقدّم المهاجرين و أصحاب العقل و الفقه على غيرهم، فحينما سئل (عليه السلام) عن كيفية العطاء فقال (عليه السلام): «اعطهم على الهجره فى الدين و العقل و الفقه» (١).

أما الرقاب و سهم المؤلفه قلوبهم فلا يشترط فيها الانتماء الى الجماعه الصالحه كما هو المشهور.

و الزكاه الواجبه تختص بالمحتاجين و غير القادرين على العمل، فلا ينبغي إعطاؤها لغيرهم، قال (عليه السلام): «ان الصدقه لا تحلّ لمحترف، و لا لذي مرّه سوى قوى، فتنزهوا عنها» (٢).

و قد حدّد (عليه السلام) أصناف و أوصاف المستحقين فقال: «المحروم: الرجل الذى ليس بعقله بأس، و لم ييسط له فى الرزق و هو محارف» (٣).

«الفقير الذى لا يسأل، و المسكين الذى هو أجهد منه الذى يسأل» (٤).

و يجب اعطاء الزكاه مصحوبا بالتكريم، فعن أبى بصير قال: قلت لأبى جعفر (عليه السلام): الرجل من أصحابنا يستحى أن يأخذ من الزكاه، فاعطيه من الزكاه و لا اسمى له أنّها من الزكاه؟

فقال (عليه السلام): «اعطه و لا تسم له و لا تذلل المؤمن» (٥).

و العطاء ينبغي أن يكون الى حد الإغناء بحيث لا يبقى محتاجا،

ص: ١٨٧

١- ((١) الكافى: ٥٤٩/٣.

٢- ((٢) وسائل الشيعة: ٢٣١/٩.

٣- ((٣) الكافى: ٥٠٠/٣.

٤- ((٤) المصدر السابق: ٥٠٢/٣.

٥- ((٥) المصدر السابق: ٥٦٤/٣.

قال (عليه السلام): «إذا أعطيته فأغنه» (١).

أما مصرف الخمس فهو عائد للإمام قال (عليه السلام): «و الخمس لله و للرسول و لنا» (٢).

و الخمس ملك للإمام (عليه السلام) باعتبار منصبه، و ليست ملكا شخصيا له، و قد دلت سيره الإمام الباقر (عليه السلام) و سيره من سبقه من الأئمة (عليهم السلام) على ذلك، فكانوا يأخذونه و ينفقونه لا على أنفسهم، حيث كان ما ينفق على أنفسهم و عيالهم شيئا يسيرا، بالقياس الى ضخامة الأموال التي تجبى اليهم، و مع ذلك كان بعضهم محتاجا، لأنه كان ملكا للمنصب و ليس للشخص.

و من أجل احياء روح التكافل الاقتصادى و الاجتماعى حث الإمام (عليه السلام) على الصدقة و هى الزكاة المستحبه فقال: «ان الصدقة لتدفع سبعين بليته من بلايا الدنيا مع ميتة السوء» (٣).

و قال (عليه السلام): «ان صنائع المعروف تدفع مصارع السوء» (٤).

و حث (عليه السلام) على اطعام الطعام و ذبح الذبائح و اشباع الفقراء و المحتاجين منها فقال: «ان الله عز و جل يحب اطعام الطعام و اراقه الدماء» (٥).

و حث على الجود و السخاء، و الانفاق، و الهدية و القرض، و انظار المعسر فى تسديد دينه، كما ورد فى مختلف كتب الحديث عنه (عليه السلام).

و كان يتصدق فى كل جمعه و يقول: «الصدقة يوم الجمعة تضاعف لفضل

ص: ١٨٨

١- ((١)) الكافي: ٥٤٨/٣.

٢- ((٢)) المصدر السابق: ٥٣٩/١.

٣- ((٣)) المصدر السابق: ٦/٤.

٤- ((٤)) المصدر السابق: ٢٩/٤.

٥- ((٥)) المصدر السابق: ٥١/٤.

يوم الجمعة على غيره من الأيام» (١).

و كان ينفق الأموال على أصحابه، فقد أمر غلامه بإعطاء الأسود بن كثير سبعمائة درهم، و قال له: استنفق هذه فإذا فرغت فأعلمنى (٢).

و عن سلمى مولا-ته قالت: كان يدخل عليه إخوانه فلا- يخرجون من عنده، حتى يطعمهم الطعام الطيب، و يكسوهم الثياب الحسنه فى بعض الاحيان، و يهب لهم الدراهم، فأقول له فى ذلك ليقّل منه.

فيقول: يا سلمى ما حسنه الدنيا إلاّ صلّه الاخوان و المعارف (٣).

و جعل (عليه السلام) الانفاق مقياسا للاخوه، حين قال لجماعه من أصحابه:

يدخل أحدكم يده فى كمّ أخيه يأخذ حاجته؟ فقالوا: لا.

قال (عليه السلام): ما أنتم بإخوان (٤).

و نهى عن السؤال و مع ذلك شجّع على عدم رد السائل فقال: «لو يعلم السائل ما فى المسأله ما سأل أحد أحدا، و لو يعلم المعطى ما فى العطيّه ما ردّ أحد أحدا» (٥).

و جعل التعامل الاقتصادى فيما بين الجماعه الصالحه أو غيرها من الجماعات قائما على أساس قاعده (لا ضرر و لا ضرار)، التى رواها عن جدّه رسول الله (٦).

ص: ١٨٩

١- (١) ثواب الاعمال: ١٦٨.

٢- (٢) صفه الصفوه: ١١٢/٢.

٣- (٣) الفصول المهمه: ٢١٥.

٤- (٤) مختصر تاريخ دمشق: ٨٥/٢٣.

٥- (٥) الكافى: ٢٠/٤.

٦- (٦) المصدر السابق: ٢٩٢/٥.

اشاره

النظام الاجتماعي للجماعه الصالحه هو مصداق حقيقي للنظام الاجتماعي الاسلامي الذي أرسى دعائمه القرآن الكريم، و خاتم المرسلين (صلى الله عليه و اله) و هو قائم على اسس خلقيه فى التعامل و العلاقات، و على رأسها حسن الخلق، قال الإمام الباقر (عليه السلام): «إِنَّ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا» (١).

و من حسن الخلق تلقى الآخرين بوجه منبسط، فقد قال (عليه السلام): «أتى رسول الله رجل فقال: يا رسول الله أوصنى، فكان فيما أوصاه أن قال: الق أخاك بوجه منبسط» (٢).

و من مصاديق حسن الأخلاق الرفق بجميع أصناف الناس قال (عليه السلام):

«من قسم له الرفق قسم له الإيمان» (٣).

و وضع لكل وحده اجتماعيه نظامها الخاص بها، و علاقاتها مع الوحدات الاجتماعيه الاخرى، ابتداءا بالاسره و انتهاءا بالمجتمع الكبير.

١- الاسره

الاسره هى المؤسسه الاولى و الاساسيه من بين المؤسسات الاجتماعيه المتعدده، و هى المسؤوله عن رفد المجتمع بالعناصر الصالحه، و هى نقطه البدء التى تزاوّل انشاء و تنشئه العنصر الانسانى. و قد وضع القواعد الأساسيه

ص: ١٩٠

١- (١) الكافي: ٩٩/٢.

٢- (٢) المصدر السابق: ١٠٣/٢.

٣- (٣) المصدر السابق: ١١٨/٢.

فى تنظيمها و ضبط شؤونها، ابتداءً باختيار شريك الحياه المناسب على أساس التدبّين و حسن الخلق و الانحدار من اسره صالحه، كما وضع برنامجاً للحقوق و الواجبات على كل من الزوجين، و مراعاتهما من قبلهما كفيل بإشاعه الاستقرار و الطمأنينه فى أجواء الاسره.

فقد روى عن رسول الله (صلّى الله عليه و اله) حق الزوج على الزوجه بقوله: «أن تطيعه و لا- تعصيه، و لا- تتصدق من بيتها بشىء إلا بإذنه، و لا تصوم تطوعاً إلا بإذنه، و لا تمنعه نفسها و إن كانت على ظهر قتب، و لا تخرج من بيتها إلا بإذنه...» (١).

و قال (عليه السلام): «جهاد المرأه حسن التبعل» (٢).

و دعا إلى تحمّل أذى الزوج من أجل إدامه العلاقه الزوجيه، و عدم تفكك الاسره من خلال عدم مقابله الأذى بأذى، بقوله (عليه السلام): «و جهاد المرأه أن تصبر على ما ترى من أذى زوجها و غيرته» (٣).

و وضع الإمام (عليه السلام) واجبات على الزوج اتجاه زوجته، و هو مسؤول عن تنفيذها لكى يتعمق الودّ بينهما، و يكون الاستقرار و الهدوء هو السائد فى أجواء الاسره، و من هذه الحقوق، الاطعام و ما تحتاجه من ثياب، قال (عليه السلام):

«من كانت عنده امرأه فلم يكسها ما يوارى عورتها و يطعمها ما يقيم صلبها كان حقاً على الإمام أن يفرّق بينهما» (٤).

و أكد على الاهتمام بالزوجه و مراعاتها، فقد روى عن رسول الله (صلّى الله عليه و اله) قوله: «أوصانى جبرئيل بالمرأه حتى ظننت أنه لا ينبغى طلاقها إلا من

ص: ١٩١

١- (١) مكارم الأخلاق: ٢١٤.

٢- (٢) من لا يحضره الفقيه: ٣/٢٧٨.

٣- (٣) مكارم الاخلاق: ٢١٥.

٤- (٤) المصدر السابق: ٢١٧.

و حثّ على تحمل الأذى من المرأة، و عدم مقابله الأذى بالأذى لأن ذلك يؤدي إلى تردّي العلاقات و تشنّجها، فقال (عليه السّلام): «من احتمل من امرأته و لو كلمه واحده أعتق الله رقبتة من النار و أوجب له الجنة...» (٢).

و قد كان (عليه السّلام) اسوه في تحمل الأذى، حتى قال الإمام الصادق (عليه السّلام):

«كانت لأبي امرأة و كانت تؤذيه و كان يغفر لها» (٣).

و وضع (عليه السّلام) منهجاً للحقوق و الواجبات بين الأبناء و والديهم، فالواجب على الوالدين تربيته أولادهم على المفاهيم و القيم الإسلاميه (٤). و ابعادهم عن الانحرافات بمختلف الوانها (٥).

و وضع (عليه السّلام) برنامجاً للتربيته في مختلف مراحل حياه الاطفال ابتداءً بالطفولة المبكره حتى بلوغ و سن التكليف و الرشد (٦).

و حثّ (عليه السّلام) على التعامل المتوازن مع الاطفال فقال (عليه السّلام): «شرّ الآباء من دعاه التقصير الى العقوق و شرّ الآباء من دعاه البر الى الافراط» (٧).

و أمر (عليه السّلام) بربّ الوالدين، فقال: «ثلاثه لم يجعل الله عزّ و جلّ فيهنّ رخصه:

أداء الأمانه الى البرّ و الفاجر، و الوفاء بالعهد للبرّ و الفاجر، و برّ الوالدين برّين كانا أو فاجرين» (٨).

ص: ١٩٢

١- (١) مكارم الأخلاق: ٢١٦.

٢- (٢) المصدر السابق: ٢١٦.

٣- (٣) من لا يحضره الفقيه: ٢٧٩/٣.

٤- (٤) مكارم الاخلاق: ٢٢٢.

٥- (٥) المصدر السابق: ٢٢٣.

٦- (٦) مراجعه كتاب: تربيته الطفل في الإسلام، اصدار مركز الرساله.

٧- (٧) تاريخ يعقوبى: ٣٢٠/٢.

٨- (٨) الكافي: ١٦٢/٢.

و كانت أوامره مؤكده على برّ الوالدين و ان كانا منحرفين أو فاجرين و ذلك لحقوقهما على الابن.

و نهى عن العقوق مهما كانت الظروف، و ان كان الوالدان مسيئين للأبناء، فقد روى عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) قوله: «اياكم و عقوق الوالدين، فإنّ ريح الجنّة توجد من مسيره ألف عام، و لا يجدها عاقّ...» (١).

٢- الأرحام

الأرحام هم كل من يرتبط بالاسره بعلاقه نسبيه و هم الاخوان و الأخوات و الأعمام و الأخوال، و الأجداد، و سائر أفراد العشيره القريين بالنسب أو البعيدين. لقد حتّ الإمام (عليه السّلام) على صلتهم بزياره أو لقاء، و ما يترتّب على هذه العلاقات من حقوق. و هم مقدّمون على غيرهم فى الاحسان إليهم، و إدخال السرور فى قلوبهم، و مساعدتهم فى حلّ مشاكلهم.

و بين (عليه السّلام) الآثار الايجابيه المترتبه على صله الارحام، فقال: «صله الارحام تزكّى الاعمال، و تدفع البلوى، و تنمى الاموال، و تنسى له فى عمره، و توسّع فى رزقه، و تحبّب فى أهل بيته، فليتّق الله و ليصل رحمه» (٢).

و قال (عليه السّلام) لأحد أصحابه: «أما إنه قد حضر أجلك غير مرّه و لا مرتين، كلّ ذلك يؤخّر الله بصلتك قرابتك» (٣).

٣- الجيران

أكّد الإمام (عليه السّلام) على حسن التعامل مع الجيران فقال: «قرأت فى كتاب

ص: ١٩٣

١- ((١) الكافي: ٣٤٩/٢.

٢- ((٢) المصدر السابق: ١٥٢/٢.

٣- ((٣) رجال الكشى: ٢٢٤.

علّي (عليه السّلام): أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) كتب بين المهاجرين و الانصار و من لحق بهم من أهل يثرب، أن الجار كالنفس غير مضار و لا اثم، و حرمة الجار على الجار كحرمة امّه» (١).

و نهى عن أذى الجيران و تضييع حقوقهم، فقد روى عن أمير المؤمنين (عليه السّلام) عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) أنه قال: «من آذى جاره حرّم الله عليه ريح الجنة، و مأواه جهنّم و بثس المصير، و من ضييع حق جاره فليس منّا، و ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه...» (٢).

و روى عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) قوله: «ما آمن بي من أمسى شعبانا و أمسى جاره جائعا» (٣).

و الجار فى منهج أهل البيت (عليه السّلام) هو مطلق الانسان سواء كان من أفراد الجماعة الصالحة، أو من غيرهم، و سواء كان مسلما أم غير مسلم، كما هو المشهور فى الروايات الصادرة عنهم (عليهم السّلام).

٤- أفراد الجماعة الصالحة

إشاره

النظام الاجتماعى فى داخل الجماعة الصالحة يقوم على أساس وحده التصورات و المبادئ، و وحده الموازين و القيم، و وحده الشرائع و القوانين، و وحده الاوضاع و التقاليد، لأنّ مجموع الجماعة الصالحة تتلقى منهج حياتها من جهة واحده و هى أهل البيت (عليهم السّلام)، و تجمعها وحده الطريقه التى تتلقى بها، و وحده المنهج الذى تفهم به ما تتلقى من أفكار و عواطف و ممارسات.

و النظام الاجتماعى قائم على أساس القاعده الثابته، و هى قول الإمام

ص: ١٩٤

١- (١) وسائل الشيعه: ١٢/١٢٦.

٢- (٢) المصدر السابق: ١٢/١٢٧.

٣- (٣) المحاسن: ٩٨.

الباقر(عليه السّلام):«المؤمن أخو المؤمن لأبيه و امه» (١).

فقد جعل العلاقة بين أفراد الجماعة الصالحة كالعلاقة النسبية التي تترتب عليها حقوق و واجبات، كالسعى في حوائج المؤمنين، و تفرّج كربهم، و النصيحة لهم، و الدعاء لهم بالتوفيق، و ستر عيوبهم (٢).

و العلاقة القائمته تنطلق من الايثار و تحكيم الحق في النفس، قال(عليه السّلام):

«ان لله جنه لا يدخلها إلا ثلاثة أحدهم من حكم في نفسه بالحق» (٣).

و يقوم النظام الاجتماعي على قاعده تعظيم و توقير أفراد الجماعة الصالحة لكي يتعمق الودّ و الاخاء، قال(عليه السّلام):«عظموا اصحابكم و قروهم و لا يتجهم بعضكم بعضا، و لا تضاروا و لا تحاسدوا، و اياكم و البخل، و كونوا عباد الله المخلصين» (٤).

و حتّ الإمام(عليه السّلام) على اشاعه الودّ و المحبّه من خلال ممارسات متنوّعه، قال(عليه السّلام):«تبسّم الرجل في وجه أخيه حسنه، و صرف القذى عنه حسنه، و ما عبد الله بشيء أحبّ الى الله من ادخال السرور على المؤمن» (٥).

و وضع مجموعه من الحقوق المتبادله عليهما فقال:«من حقّ المؤمن على أخيه المؤمن أن يشبع جوعته و يوارى عورته و يفرّج عنه كربته و يقضى دينه، فإذا مات خلفه في أهله و ولده» (٦).

و حتّ على العوامل التي تؤدي الى التقريب بين القلوب و تزيد في

ص: ١٩٥

١- ((١) الكافي: ١٦٦/٢.

٢- ((٢) الكافي: ١٩٨/٢، ١٩٩، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨.

٣- ((٣) وسائل الشيعة: ٢٨٥/١٥.

٤- ((٤) الكافي: ١٧٣/٢.

٥- ((٥) المصدر السابق: ١٨٨/٢.

٦- ((٦) المصدر السابق: ١٦٩/٢.

الاخوه و التآلف و التأزر. عن أبي حمزه الثمالي قال: زاملت أبا جعفر (عليه السلام) فحططنا الرحل، ثم مشى قليلا، ثم جاء فأخذ بيدي فغمزها غمزه شديده، فقلت: جعلت فداك أو ما كنت معك في المحمل؟! فقال: أما علمت أن المؤمن إذا جال جوله ثم أخذ بيد أخيه نظر الله اليهما بوجهه، فلم يزل مقبلا عليهما بوجهه، ويقول للذنوب: تتحاتّ عنهما، فتتحاتّ -يا أبا حمزه- كما يتحاتّ الورق عن الشجر، فيفترقان و ما عليهما من ذنب» (١).

و قال (عليه السلام): «ينبغي للمؤمنين إذا توارى أحدهما عن صاحبه بشجره ثم التقيا أن يتصافحا» (٢).

روى عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) قوله: «إذا التقيتم فتلقوا بالتسليم و التصافح، و إذا تفرقتم فتفرّقوا بالاستغفار» (٣).

و حتّ (عليه السلام) على تبادل الزيارات لأنها تؤدي الى تجذر روح الإخاء و زرع الودّ في القلوب و النفوس، و رغب فيها بتبيان آثارها الايجابيه على المتزاورين، حين قال: «أيما مؤمن خرج الى أخيه يزوره عارفا بحقه كتب الله له بكلّ خطوه حسنه، و محيت عنه سيئه، و رفعت له درجه، و اذا طرق الباب فتحت له أبواب السماء، فاذا التقيا و تصافحا و تعانقا أقبل الله عليهما بوجهه، ثم باهى بهما الملائكه، فيقول:

انظروا الى عبدى تزاورا و تحاببا فيّ، حقّ عليّ الأ- اعذبهما بالنار بعد هذا الموقف، فإذا انصرف شيعه الملائكه عدد نفسه و خطاه و كلامه، يحفظونه من بلاء الدنيا و بوائق الآخرة الى مثل تلك الليله من قابل، فإن مات فيما بينهما اعفى من الحساب، و ان كان المزور

ص: ١٩٦

١- (١) الكافي: ١٨٠/٢.

٢- (٢) المصدر السابق: ١٨١/٢.

٣- (٣) المصدر السابق.

يعرف من حقّ الزائر ما عرفه الزائر من حقّ المزور؛ كان له مثل أجره» (١).

ونهى (عليه السلام) عن جميع الممارسات التي تؤدّي الى الكراهية و التنافر و التقاطع كالغيبه و البهتان و التحقير و التعيير و التنازع باللقاب، و السباب، و الاعتداء على الأموال و الأعراس و غير ذلك.

و دعا الى الاصلاح بين المؤمنين و حثهم على التآلف فقال (عليه السلام): «ان الشيطان يغرى بين المؤمنين ما لم يرجع أحدهم عن دينه، فإذا فعلوا ذلك استلقى على قفاه و تمدّد، ثم قال: فزت، فرحم الله امرئ ألف بين و لئيين لنا، يا معشر المؤمنين تألفوا و تعاطفوا» (٢).

و نهى (عليه السلام) عن احصاء عثرات الآخرين و زلاتهم، فقال: «ان أقرب ما يكون العبد الى الكفر أن يؤاخى الرجل الرجل على الدين، فيحصى عليه عثراته و زلّاته ليعتفه بها يوماً ما» (٣).

و نهى عن الطعن بالمؤمنين و نبزهم بالكفر فقال: «ما شهد رجل على رجل بكفر قطّ إلا باء به أحدهما، ان كان شهد به على كافر صدق، و ان كان مؤمناً رجع الكفر عليه، فإياكم و الطعن على المؤمنين» (٤).

و نهى عن النميمة فقال: «محزّمه الجنّه على القتاتين المشائين بالنميمة» (٥).

و نهى (عليه السلام) عن الاذاعه و كشف الاسرار الخاصه بالمؤمنين فقال:

« يحشر العبد يوم القيامة و ما ندى دما، فيدفع اليه شبه المحجمه أو فوق ذلك، فيقال له:

هذا سهمك من دم فلان، فيقول: يا ربّ إنك لتعلم أنك قبضتني و ما سفكت دما.

ص: ١٩٧

١- (١) الكافي: ١٨٣/٢، ١٨٤.

٢- (٢) المصدر السابق: ٣٤٥/٢.

٣- (٣) المصدر السابق: ٣٥٥/٢.

٤- (٤) المصدر السابق: ٣٦٠/٢.

٥- (٥) المصدر السابق: ٣٦٩/٢.

فيقول: بلى سمعت من فلان روايه كذا و كذا، فرويتها عليه فنقلت حتى صارت الى فلان الجبار فقتله عليها و هذا سهمك من دمه» (١).

٥-مجتمع المسلمين

الإسلام هو الافق الواسع الجامع لمن شهد الشهادتين، و هو الميدان الرحب لتجميع الطاقات و توحيد الامكانيات لتنتقل في مصالح واحده و مصير واحد، و لهذا فالاسلام محوره و حدوده مجتمع المسلمين جميعا.

و النظام الاجتماعى لمجتمع المسلمين قائم على أساس الإخاء و التآلف و التآزر من أجل تحقيق الأهداف الكبرى و الحفاظ على الكيان الاسلامى من التصدع و التمزق.

و لذا حث الرسول و أهل بيته (عليهم السّلام) على الاهتمام بامور المسلمين و مشاركتهم فى آمالهم و آلامهم، و الاهتمام بالعوامل التى تؤدى الى التقريب و الاتفاق على القواسم المشتركة فى الفكر و العاطفه و السلوك.

و وضع الإمام (عليه السّلام) قاعده كليه فى التعامل و هى تعميق مفهوم الولايه بين المسلمين. عن زراره قال: دخلت أنا و حمران على أبى جعفر (عليه السّلام)، فقلت له: إننا نمدّ المطمار... فمن وافقنا من علوى أو غيره تولّيناه، و من خالفنا من علوى أو غيره برئنا منه، فقال لى: يا زراره قول الله أصدق من قولك، فأين الذين قال الله عزّ و جلّ: **إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ...**

أين المرجون لأمر الله؟ أين الذين خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا؟ أين أصحاب الاعراف؟ أين المؤلفه قلوبهم؟ (٢).

ص: ١٩٨

١- (١) الكافى: ٣٧١/٢.

٢- (٢) المصدر السابق: ٣٨٢/٢.

فليس المقياس عند الإمام (عليه السلام) هو الانتماء الى الجماعه الصالحه فقط، و إنما المقياس هو الانتماء الى الإسلام.

و من خلال سيره أهل البيت (عليهم السلام) و من خلال متابعه أحاديثهم و بالخصوص أحاديث الإمام الباقر (عليه السلام) المنتشره فى بطون الكتب نستطيع أن نقسم الولايه الى أربعة اقسام:

الأول: ولايه الله تعالى.

الثانى: ولايه رسول الله (صلى الله عليه و اله).

الثالث: ولايه أهل البيت (عليهم السلام).

الرابع: الولايه بين المسلمين.

فمن لم يؤمن بولايه الله و ولايه الرسول فهو كافر باجماع المسلمين، أميا الذى يؤمن بهما، و لا- يؤمن بولايه أهل البيت (عليهم السلام)- أى بإمامتهم- فلا- يجوز سلب صفه الإسلام منه فتبقى ثابتة له- ما لم يبغضهم- و تبقى الولايه بين أتباع أهل البيت (عليهم السلام) و غيرهم من المسلمين ثابتة لا يجوز خرمها و قطعها.

و بهذه الروح الإسلاميه تعامل الإمام الباقر (عليه السلام) مع سائر المسلمين.

و من خلال هذا المفهوم بين (عليه السلام) الاسس العامه فى التعامل الاجتماعى، فحث على التعاون مع سائر المسلمين، و من مصاديق التعاون، ما رواه عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) أنه قال: «من أطعم ثلاثه نفر من المسلمين أطعمه الله من ثلاث جنان فى ملكوت السماوات: الفردوس، و جنة عدن، و طوبى» (١).

و روى عنه (صلى الله عليه و اله) قوله: «من كسا أحدا من فقراء المسلمين ثوبا من عرى أو أعانه بشيء مما يقوته من معيشته، و كل الله عزّ و جلّ به سبعين ألف ملك من الملائكه

ص: ١٩٩

١- (١) الكافى: ٢٠١/٢.

يستغفرون لكل ذنب عمله الى أن ينفخ في الصور» (١).

و نهى (عليه السّلام) عن وضع حجاب بين المسلم و المسلم. عن أبي حمزه، عن أبي جعفر (عليه السّلام) قال: قلت له: جعلت فداك ما تقول في مسلم أتى مسلماً زائراً أو طالب حاجه و هو في منزله، فاستأذن عليه فلم يأذن له و لم يخرج اليه؟.

قال (عليه السّلام): «يا أبا حمزه أيما مسلم أتى مسلماً زائراً أو طالب حاجه و هو في منزله، فاستأذن له و لم يخرج اليه؛ لم يزل في لعنه الله حتّى يلتقيا».

فقلت: جعلت فداك في لعنه الله حتّى يلتقيا؟

قال: نعم يا أبا حمزه (٢).

و نهى (عليه السّلام) عن تتبع عورات المسلمين، و روى عن رسول الله (صلّى الله عليه و اله) قوله: «يا معشر من أسلم بلسانه و لم يخلص الإيمان الى قلبه لا تدموا المسلمين و لا تتبعوا عوراتهم فإنّه من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته، و من تتبع الله عورته يفضحه و لو في بيته» (٣).

و روى عنه (صلّى الله عليه و اله) قوله: «ليس منّا من ماكر مسلماً» (٤).

و دعا الإمام (عليه السّلام) الى حسن التعامل و الصبر على الأذى و عدم مقابله الاساءه بالاساءه، و الظلم بالظلم، و القطيعه بالقطيعه، فدعا الى العفو فقال:

«الندامه على العفو أفضل و أيسر من الندامه على العقوبه» (٥).

و قال (عليه السّلام): «ثلاث لا يزيد الله بهنّ المرء المسلم إلا عزّاً: الصّبح عمّن ظلمه،

ص: ٢٠٠

١- (١) الكافي: ٥٠٢/٢.

٢- (٢) المصدر السابق: ٣٦٥/٢.

٣- (٣) المصدر السابق: ٣٥٤/٢.

٤- (٤) وسائل الشيعة: ٢٤٢/١٢.

٥- (٥) المصدر السابق: ١٧٠/١٢.

و اعطاء من حرمه، و الصله لمن قطعته» (١).

و حَبِّبَ (عليه السَّلام) طلب مرضات الناس و سائر المسلمين، بالتقرب اليهم بحسن المعامله و حسن السيره، و يجب أن لا تكون مرضاه الناس مسخظه لله تعالى، فقد روى عن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قوله: «من طلب مرضاه الناس بما يسخط الله كان حامده من الناس ذاقاً، و من آثر طاعه الله بغضب الناس كفاه الله عداوه كل عدو، و حسد كل حاسد، و بغى كل باغ، و كان الله عزّ و جلّ له ناصرًا و ظهيرًا» (٢).

و فى الوقت الذى شجّع فيه على إقامه العلاقات مع سائر المسلمين و سائر الناس حذّر من مصاحبه أصناف منهم، فقد روى عن أبيه الإمام زين العابدين (عليه السَّلام) وصيته له: «يا بنى انظر خمسه فلا تصاحبهم، و لا تحدثهم، و لا ترافقهم فى طريق.

إياك و مصاحبه الكذاب فإنه بمنزله الشراب يقرب لك البعيد، و يباعد لك القريب.

و إياك و مصاحبه الفاسق فإنه بائعك بأكله أو أقلّ من ذلك.

و إياك و مصاحبه البخيل فإنه يخذلك فى ماله.

و إياك و مصاحبه الأحمق فإنه يريد أن ينفحك فيضرك» (٣).

و نهى (عليه السَّلام) عن الخصومه، و دعا الى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، ليكون المؤمن فى وسط الميدان الاجتماعى و يكون قدوة لغيره بعمله و اخلاصه لله، و حسن سيرته. قال (عليه السَّلام): «المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده... المؤمن من ائتمنه المسلمون على أموالهم و أنفسهم، و المسلم حرام على

ص: ٢٠١

١- (١) وسائل الشيعه: ١٢/١٧٣.

٢- (٢) الكافي: ٢/٣٧٢.

٣- (٣) المصدر السابق: ٢/٣٧٦.

المسلم أن يظلمه أو يخذله، أو يدفعه دفعه تعنته» (١).

و دعا الى المجامله حفاظا على الأفق العام من العلاقات فقال:

«خالطوهم بالبرّانية و خالفوهم بالجوّانية ان كانت الامر صبيانية» (٢).

عاشرا: الإمام الباقر (عليه السلام) و مستقبل الجماعة الصالحة

من أهم مقومات نجاح مسيره الجماعات وجود قياده تقوم بالاشراف على حركتها التكاملية، و تتبنى التغيير الشامل، و تقوم بتنسيق البرامج و الخطط، و تشرف على تنفيذها فى الواقع، و تمدّها بالقوه الروحيه و الشحنه المعنويه للوصول الى اهدافها و آمالها، و القياده فى منهج أهل البيت (عليهم السّلام) هى قياده ربّانية نصّ عليها الله تعالى و أبلغها لرسوله (صلّى الله عليه و اله) و أبلغها رسول الله (صلّى الله عليه و اله) لأمير المؤمنين (عليه السّلام) و تدرج الوصيه من إمام الى إمام حتى تصل الى خاتم الأوصياء و الائمه (عليهم السّلام).

و قد أولى الإمام الباقر (عليه السّلام) الإمامه من بعده أهميه خاصه و وجّه أنظار أصحابه اليها، فى شروطها و خصائصها، و فى تشخيصها فى الواقع، فأعلن عنها تاره إعلانا جليا و آخر خفيا، ابتداء من أول مراحل إمامته، حتى أواخر أيامه الشريفه، و كان يستثمر الفرص المناسبه للاشاره اليها و تأكيد الاقتداء بها.

و كان الاعلان عن إمامه الإمام جعفر الصادق (عليه السّلام) مصحوبا بالسريه، و فى نطاق محدود لم يخبر بها إلا أصحابه المخلصين المقربين له، حفاظا على سلامه الإمام من بعده.

ص: ٢٠٢

١- (١) الكافى: ٢/٢٣٤.

٢- (٢) المصدر السابق: ٢/٢٢٠.

روى عن محمد بن مسلم أنه قال: كنت عند أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام)، إذ دخل جعفر ابنه و علي رأسه ذؤابه، و في يده عصا يلعب بها، فأخذه و ضمّه اليه ضمًا، ثم قال: بأبي أنت و امي لا تلهو و لا تلعب.

ثم قال: «يا محمد هذا إمامك بعدى، فاقتد به، و اقتبس من علمه، و الله انه لهو الصادق الذي وصفه لنا رسول الله (صلى الله عليه و اله) ...» (١).

و عن همام بن نافع قال: قال أبو جعفر لأصحابه يوماً: «إذا افتقدتموني فاقتدوا بهذا فإنه الإمام بعدى»، و أشار الى ابنه جعفر (عليه السلام) (٢).

و سئل الإمام الباقر (عليه السلام) عن القائم ف ضرب بيده على أبي عبد الله جعفر ابن محمد (عليه السلام) (٣).

و عن فضيل بن يسار، قال: كنت عند أبي جعفر (عليه السلام) فأقبل أبو عبد الله (عليه السلام) فقال: «هذا خير البرية بعدى» (٤).

و عن عبد الغفار بن القاسم - في حديث طويل - جاء فيه قوله للإمام الباقر (عليه السلام): «أنى قد كبرت سنّى و دق عظمى و لا أرى فيكم ما أسره، أراكم مقتلين مشردين خائفين، و إنى أقمت على قائمكم منذ حين أقول: يخرج اليوم أو غدا.

فقال له - الإمام الباقر (عليه السلام) -: «يا عبد الغفار أنّ قائمنا (عليه السلام) هو السابع من ولدى، و ليس هو أوان ظهوره، و لقد حدثنى أبى عن أبيه عن آبائه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): إنّ الأئمة بعدى اثنا عشر عدد نقباء بنى اسرائيل، تسعه من صلب الحسين،

ص: ٢٠٣

١- (١) كفايه الأثر: ٢٥٣.

٢- (٢) المصدر السابق: ٢٥٤.

٣- (٣) اثبات الوصية: ١٥٢.

٤- (٤) المصدر السابق: ١٥٥.

و التاسع قائمهم، يخرج في آخر الزمان فيملأها عدلا كما ملئت جورا و ظلما».

قلت: فإن كان هذا كائن يا ابن رسول الله، فيألي من بعدك؟.

قال (عليه السلام): إلى جعفر و هو سيد أولادى و أبو الائمه، صادق فى قوله و فعله (١).

و عن أبى الصباح الكناني، قال: نظر أبو جعفر الى أبى عبد الله يمشى، فقال: ترى هذا؟. هذا من الذين قال الله تعالى: وَ نُريدُ أَنْ نُمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٢)(٣).

و عن زراره قال: إنَّ أبا جعفر (عليه السلام) أحضر أبا عبد الله (عليه السلام) و هو صحيح لا عله به، فقال له: انى اريد أن آمرک بأمر، فقال له: مرنى بما شئت، فقال: ايتنى بصحيفه و دواه، فأتاه بها، فكتب له وصيته الظاهره، ثم أمر أن يدعو له جماعه من قريش، فدعاهم و أشهدهم على وصيته اليه (٤).

فهذا الاعلان أمر طبعى لأنه وصيه ظاهره مألوفه عاده و هى أن يوصى الموصى الى أحد أبنائه و خصوصا الأكبر منهم، فعن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: إنَّ أبى استودعنى ما هناك، و ذلك أنه لما حضرته الوفاه قال: «ادع لى شهودا فدعوت له أربعة، منهم: نافع مولى عبد الله بن عمر، فقال: اكتب: هذا ما أوصى به يعقوب بنىه، يا بنى إنَّ الله اصطفى لكم الدين فلا تموتنَّ إلا و أنتم مسلمون و أوصى محمد بن على ابنه جعفر و أمره أن يكفنه فى بردته- التى كان فيها يصلّى الجمعه- و قميصه و أن يعممه بعمامته و ان يرفع قبره مقدار أربع أصابع، و أن يحل أطماره عند دفنه.

ثم قال للشهود: انصرفوا رحمكم الله.

ص: ٢٠٤

١- (١) كفايه الاثر: ٢٥٢.

٢- (٢) القصص (٢٨): ٥.

٣- (٣) الكافي: ٣٠٦/١.

٤- (٤) اثبات الوصيه: ١٥٥.

فقلت: يا أبت ما كان في هذا حتى يشهد عليه؟ قال: يا بني كرهت أن تغلب، و أن يقال: لم يوص، فأردت أن يكون ذلك الحجّه» (١).

و أدخل الإمام الباقر (عليه السّلام) الأمل في قلوب أصحابه و أتباعه و جميع افراد الجماعه الصالحه فأخبرهم بقرب زوال حكم بني اميه (٢).

و بالفعل بعد استشهاد الإمام (عليه السّلام) بثمانيه عشر عاما سقطت الدوله الامويه و انتهى حكم الامويين على يد بني العباس.

و كان الإمام الصادق (عليه السّلام) هو القائم بالأمر من بعده، و كما وصفه المستشار عبد الحلیم الجندی: الإمام جعفر الصادق نتاج قرن كامل من العظائم يحنى لها الوجود البشرى هاماته و يدين بحضارته... (٣).

و قال أيضا: شجره باسقه تترعرع في كل ورقه من أوراقها خصيصه من خصائص أهل البيت في عصر جديد للعلم، تعاونت فيه أجيال ثلاثه متتابعه منه و من أبيه و جده (٤).

ص: ٢٠٥

١- ((١)) الفصول المهمه: ٢٢٢. و في الكافي: ٣٠٧/١ أن تكون لك الحجّه.

٢- ((٢)) مناقب آل ابي طالب: ٢٠٣/٤، الصواعق المحرقة: ٣٠٧.

٣- ((٣)) الإمام جعفر الصادق: ٤.

٤- ((٤)) المصدر السابق: ٤٣.

إشاره

اغتيال الإمام محمد الباقر (عليه السلام) واستشهاده

و لم يمت الإمام أبو جعفر (عليه السلام) حتف أنفه، وإنما اغتالته بالسم أيد امويّه أئيمه لا تؤمن بالله، ولا باليوم الآخر، وقد اختلف المؤرخون في الأئيم الذي أقدم على اقتراف هذه الجريمة.

فمنهم من قال: إن هشام بن الحكم هو الذي أقدم على اغتيال الإمام فدىّس اليه السم (١) والأرجح هو هذا القول لأن هشاماً كان حاقداً على آل النبي بشده و كانت نفسه مترعه بالبغض لهم و هو الذي دفع بالشهيد العظيم زيد بن علي (عليه السلام) الى إعلان الثوره عليه حينما استهان به، و قابله بمزيد من الجفاء، و التحقير. و من المؤكد أن الإمام العظيم أبا جعفر قد أفصّ مضجع هذا الطاغية، و ذلك لذيوع فضله و انتشار علمه، و تحدث المسلمين عن مواهبه، و من هنا أقدم على اغتياله ليتخلص منه.

و منهم من قال: إنّ الذي أقدم على سم الإمام هو ابراهيم بن الوليد (٢).

و يرى السيد ابن طاووس أنّ ابراهيم بن الوليد قد شرك في دم

ص: ٢٠٧

١- (١) بحار الأنوار: ٣١٢/٤٦.

٢- (٢) أخبار الدول: ١١١.

الإمام (عليه السلام) (١) ومعنى ذلك أن إبراهيم لم ينفرد وحده باغتيال الإمام (عليه السلام) وإنما كان مع غيره.

و أهملت بعض المصادر اسم الشخص الذى اغتال الإمام (عليه السلام) و اكتفت بالقول إنه مات مسموما (٢).

دوافع اغتيال الإمام الباقر (عليه السلام):

أما الأسباب التى أدت بالامويين الى اغتيال الإمام (عليه السلام) فهى:

١- سمو شخصيه الإمام الباقر (عليه السلام): لقد كان الإمام أبو جعفر (عليه السلام) أسمى شخصيه فى العالم الإسلامى فقد أجمع المسلمون على تعظيمه، و الاعتراف له بالفضل، و كان مقصد العلماء من جميع البلاد الإسلاميه.

لقد ملك الإمام (عليه السلام) عواطف الناس و استأثر بأكبارهم و تقديريهم لأنه العلم البارز فى الاسره النبويه، و قد أثارت منزلته الاجتماعيه غيظ الامويين و حقدهم فأجمعوا على اغتياله للتخلص منه.

٢- أحداث دمشق:

لا يستبعد الباحثون و المؤرخون أن تكون أحداث دمشق سببا من الأسباب التى دعت الامويين الى اغتياله (عليه السلام) و ذلك لما يلى:

أ- تفوق الإمام فى الرمي على بنى اميه و غيرهم حينما دعاه هشام الى الرمي ظانا بأنه سوف يفشل فى رميه فلا يصيب الهدف فيتخذ ذلك وسيله للحط من شأنه و السخريه به أمام أهل الشام. و لما رمى الإمام و أصاب الهدف عدة مرات بصوره مذهله لم يعهد لها نظير فى عمليات الرمي فى العالم، ذهل

ص: ٢٠٨

١- (١) بحار الأنوار: ٢١٦/٤٤.

٢- (٢) نور الأبصار: ١٣١، الأئمه الاثنى عشر لابن طولون: ٢٨١.

الطاغية هشام، وأخذ يتميز غيظاً، وضاق عليه الأرض بما رحبت، وصمم منذ ذاك الوقت على اغتياله.

ب-مناظرته مع هشام في شؤون الإمامة، وتفق الإمام عليه حتى بان عليه العجز مما أدى ذلك إلى حقه عليه.

ج-مناظرته مع عالم النصارى، وتغلبه عليه حتى اعترف بالعجز عن مجاراته أمام حشد كبير منهم معترفاً بفضل الإمام وتفوقه العلمي في أمه محمد (صلى الله عليه و اله)، وقد أصبحت تلك القضية بجميع تفاصيلها الحديث الشاغل لجماهير أهل الشام (١). و يكفي هذا الصيت العلمي أيضاً أن يكون من عوامل الحقد على الإمام (عليه السلام) والتخطيط للتخلص من وجوده.

نصه على الإمام الصادق (عليه السلام):

و نصّ الإمام أبو جعفر (عليه السلام) على الإمام من بعده قبيل استشهاده فعين الإمام الصادق (عليه السلام) مفخره هذه الدنيا، و رائد الفكر و العلم في الإسلام، و جعله مرجعاً عاماً للإمام من بعده، و أوصى شيعته بلزوم اتباعه و طاعته.

و كان الإمام أبو جعفر (عليه السلام) يشيد بولده الإمام الصادق (عليه السلام) بشكل مستمر و يشير إلى امامته، فقد روى أبو الصباح الكناني، أن أبا جعفر نظر إلى أبي عبد الله يمشى، فقال: ترى هذا؟ هذا من الذين قال الله عزّ و جلّ: وَ نُريدُ أَنْ نُمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٢).

كل هذه الامور بل و بعضها كان يكفي أن يكون وراء اغتياله (عليه السلام) على

ص: ٢٠٩

١- ((١)) راجع بحار الأنوار: ٣٠٩/٤٦-٣١١.

٢- ((٢)) اصول الكافي: ٣٠٦/١.

أيدى زمره جاهليه، افتقرت الى أبسط الصفات الإنسانيه، و حرمت من أبسط المؤهلات القياديه.

وصاياہ:

و أوصى الإمام محمد الباقر (عليه السلام) الى ولده الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) بعده وصايا كان من بينها ما يلي:

١- انه قال له: يا جعفر أوصيك بأصحابي خيرا، فقال له الإمام الصادق:

جعلت فداك و الله لأدعنهم، و الرجل منهم يكون في المصر فلا يسأل أحدا (١).

٢- أوصى ولده الصادق (عليه السلام) أن يكفنه في قميصه الذي كان يصلى فيه (٢) ليكون شاهد صدق عند الله على عظيم عبادته، و طاعته له.

٣- إنه أوقف بعض أمواله على نوادب تندبه عشر سنين في منى (٣). و لعل السبب في ذلك يعود الى أن منى أعظم مركز للتجمع الاسلامي، و وجود النوادب فيه مما يبعث المسلمين الى السؤال عن سببه، فيخبرون بما جرى على الإمام أبي جعفر (عليه السلام) من صنوف التنكيل من قبل الامويين و اغتيالهم له، حتى لا يضيع ما جرى عليه منهم و لا تخفيه أجهزه الاعلام الاموى.

و سرى السم في بدن الإمام أبي جعفر (عليه السلام)، و أثر فيه تأثيرا بالغا، و أخذ يدنو اليه الموت سريعا، و قد اتجه في ساعاته الأخيره بمشاعره و عواطفه نحو الله تعالى، فأخذ يقرأ القرآن الكريم، و يستغفر الله، فوافاه الأجل المحتوم

ص: ٢١٠

١- (١) اصول الكافي: ٣٠٦/١.

٢- (٢) صفه الصفوه: ٦٣/٢، تاريخ ابن الوردي: ١٨٤/١، تاريخ أبي الفداء: ٢١٤/١.

٣- (٣) بحار الأنوار: ٦٢/١١.

و لسانه مشغول بذكر الله فارتفعت روحه العظيمة الى خالقها، تلك الروح التي أضاءت الحياه الفكرية و العلميه فى الإسلام و التي لم يخلق لها نظير فى عصره.

و قد انطوت برحيله أروع صفحه من صفحات الرساله الإسلاميه التي أمّدت المجتمع الاسلامى بعناصر الوعى و الازدهار.

و قام ولده الإمام الصادق (عليه السّلام) بتجهيز الجثمان المقدس فغسّله و كفنه، و هو يذرف أحر الدموع على فقد أبيه الذى ما أظلت على مثله سماء الدنيا فى عصره علما و فضلا و حريجه فى الدين.

و نقل الجثمان العظيم -محفوظا بإجلال و تكريم بالغين من قبل الجماهير- الى بقيع الغرقد، فحفر له قبرا بجوار الإمام الأ-عظم أبيه زين العابدين (عليه السّلام) و بجوار عم أبيه الإمام الحسن سيد شباب أهل الجنه (عليه السّلام) و أنزل الإمام الصادق أباه فى مقرّه الأخير فواراه فيه، و قد وارى معه العلم و الحلم، و المعروف و البر بالناس.

لقد كان فقد الإمام أبى جعفر (عليه السّلام) من أفجع النكبات التي منى بها المسلمون فى ذلك العصر، فقد خسروا القائد، و الرائد، و الموجه الذى بذل جهدا عظيما فى نشر العلم، و بلوره الوعى الفكرى و الثقافى بين المسلمين.

و المشهور بين الرواه أنه توفى و عمره الشريف ٥٨ سنه.

و كانت سنه وفاته -بحسب الرأى المشهور- سنه ١١٤ هـ.

تعزیه المسلمین للإمام الصادق (عليه السّلام):

هرع المسلمون و قد قطع الحزن قلوبهم الى الإمام الصادق (عليه السّلام) و هم يعزونه بمصابه الأليم، و يشاركونه اللوعه و الأسى بفقد أبيه، و ممن وفد عليه يعزیه سالم بن أبى حفصه، قال: لما توفى أبو جعفر محمد بن على الباقر (عليهما السّلام)

قلت لأصحابي انتظروني حتى أدخل على أبي عبد الله جعفر بن محمد فأعزبه به، فدخلت عليه فعزيتة، وقلت له: إنا لله و إنا إليه راجعون، ذهب و الله من كان يقول رسول الله (صلى الله عليه و اله): فلا يسأل عمن بينه و بين رسول الله (صلى الله عليه و اله) و الله لا يرى مثله أبدا قال: و سكت الإمام أبو عبد الله (عليه السلام) ساعه، ثم التفت الى أصحابه فقال لهم: قال الله تعالى: «إن من عبادى من يتصدق بشق من تمره فاريها له، كما يربى أحدكم فلوه» (١).

و خرج سالم و هو منبهه فالتفت الى أصحابه قائلا: ما رأيت أعجب من هذا!! كنا نستعظم قول أبى جعفر (عليه السلام) قال رسول الله (صلى الله عليه و اله) بلا واسطه، فقال لى أبو عبد الله (عليه السلام) قال الله بلا واسطه (٢).

ص: ٢١٢

١- (١) الفلو بفتح الفاء، و ضم اللام و تشديد الواو-المهر الصغير، و الاثنى فلوه، و الجمع أفلا.

٢- (٢) أمالى الشيخ الطوسى: ١٢٥، راجع حياه الإمام محمد الباقر لفضيله الشيخ باقر شريف القرشى: ٣٨٦/٢-٣٩٥.

إشاره

تراث الإمام محمد الباقر (عليه السلام)

علمنا أن الرسول الأعظم (صلى الله عليه و اله) قد تتبأ بأن حفيده محمد بن علي ابن الحسين (عليه السلام) سوف يبقر العلم بقرا و يفجره تفجيرا.

و قد شهد معاصر و الإمام (عليه السلام) بهذه الظاهره التي كانت ملفته للنظر و تناقلها المؤرخون جيلا بعد جيل.

و التراث الذى تركه لنا هذا الإمام الهمام لهو خير دليل على صحه ما شهد به هؤلاء المؤرخون على مدى القرون و الأجيال و دليل من دلائل نبوه جدّه رسول الله (صلى الله عليه و اله).

لقد كانت المرحله التي عاشها الإمام الباقر (عليه السلام) تتطلب منه أن يقوم بتشديد اسس الحضاره الإسلاميه و تحصين الامه المسلمه بروافد المعرفه الإسلاميه لتقف فى وجه المدّ الثقافى الذى كان يخترق الحياه الإسلاميه بسبب الفتوحات و الانفتاح الحضارى على ثقافات الامم الوافده على الدوله الإسلاميه العظمى.

و من هنا نستطيع أن نقول: إن المعالم الرئيسيه لرساله الأئمه بعد الحسين (عليه السلام) تتلخص فى التحصين المعرفى و الثقافى للامه المسلمه بشكل

عام و للجماعه الصالحه بشكل خاص.

فإن الوقوف على تراثهم الذى قدّموه للامه الإسلاميه خلال النصف الثانى من القرن الأول الهجرى و حتى بدايه القرن الثالث الهجرى يكشف عن عظمه هذا التراث و تفرّده عمّا سواه من التراث الذى نجده لدى عامه الفرق الإسلاميه، و يتميّز عن كل ذلك بالاستيعاب لكل حقول المعرفه، و سلامه المصدر، و نقاء المحتوى، و وضوح الارتباط بمصادر المعرفه الربانيه المتمثله بكتاب الله و سنّه رسوله (صلّى الله عليه و اله).

و لا بد أن ينعكس ثراء هذا التراث و عظمته فى هذه الموسوعه رغم اختصارها و عدم استيعابها لكل تراث الإمام الباقر (عليه السلام).

و قد اخترنا من تراثه الثرّ نماذج فى مختلف حقول العلم و المعرفه الإسلاميه بمقدار ما تقتضيه صفحات هذا الجزء الخاص بالإمام الباقر (عليه السلام) أخذنا بالميسور و الله من وراء القصد و هو الموفق للصواب.

التراث التفسيري للإمام محمد الباقر (عليه السلام)

إشاره

لا ريب فى ان القرآن الكريم هو أول مصادر التشريع الاسلامى و أهم مصادر الثقافه الإسلاميه التى تعطى للامه الإسلاميه و لرساله الإلهيه هويّتها الخاصه و تسيّر بالامه الى حيث الكمال الانسانى المنشود.

و قد اعتنى الإمام الباقر (عليه السلام) كسائر الأئمه من أهل البيت (عليهم السلام) بالقرآن الكريم تلاوه و حفظا و تفسيرا و صيانته له عن أيدي العابثين و انتحال المبطلين، فكانت محاضراته التفسيريه للقرآن الكريم تشكّل حقلًا خصبا لنشاطه المعرفى و جهاده العلمى و هو يرسم للامه المسلمه معالم هويتها

الخاصه .و من هنا خصص الإمام(عليه السلام)للتفسير وقتا من أوقاته و تناول فيه جميع شؤونه.و قد أخذ عنه علماء التفسير على اختلاف آرائهم و ميولهم- الشيء الكثير (١)فكان من ألمع المفسرين للقرآن الكريم فى دنيا الإسلام.

و قد نهج الإمام الباقر(عليه السلام)فى تفسير القرآن الكريم منهجا علميًا خاصا متسقا مع أهداف رساله و اصولها و نعى على أهل الرأى و الاستحسان و أهل التأويل و الظنون،فكان مما اعترض به على قتاده أن قال له:

بلغنى أنك تفسر القرآن!

فقال له:نعم.

فانكر عليه الإمام(عليه السلام)قائلا:«يا قتاده إن كنت قد فسرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت و أهلكت،و إن كنت قد فسرتة من الرجال فقد هلكت و أهلكت،يا قتاده ويحك إنما يعرف القرآن من خوطب به» (٢).

و قد قصر الإمام أبو جعفر(عليه السلام)معرفة الكتاب العزيز على أهل البيت(عليهم السلام)فهم الذين يعرفون المحكم من المتشابه،و الناسخ من المنسوخ و ليس عند غيرهم هذا العلم،فقد ورد عنهم(عليهم السلام)«انه ليس شىء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن،الآيه يكون أولها فى شىء و آخرها فى شىء و هو كلام متصل ينصرف الى وجوه» (٣).

أما الأخذ بظواهر الكتاب فلا يعد من التفسير بالرأى المنهى عنه.

و ألف الإمام الباقر(عليه السلام)كتابا فى تفسير القرآن الكريم نص عليه

ص: ٢١٥

١- ((١)) حياه الإمام محمد الباقر،باقر شريف القرشى: ١٧٤/١.

٢- ((٢)) البيان فى تفسير القرآن: ٢٦٧.

٣- ((٣)) فوائد الاصول: ٢٨.

محمد بن اسحاق النديم في «الفهرست» عند عرضه للكتب المؤلفة في تفسير القرآن الكريم حيث قال: «كتاب الباقر محمد بن علي بن الحسين رواه عنه أبو الجارود زياد بن المنذر رئيس الجاروديه». وقال السيد حسن الصدر: وقد رواه عنه أيام استقامته جماعه من ثقاه الشيعة منهم أبو بصير يحيى بن القاسم الأسدي، وقد أخرجه علي بن ابراهيم بن هاشم القمي في تفسيره من طريق أبي بصير (١).

نماذج من تفسيره:

فسّر الإمام الباقر (عليه السلام) الهدايه في قوله تعالى: **وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى** (٢) بالولاية لأنمه أهل البيت حين قال: فوالله لو أن رجلا عبد الله عمره ما بين الركن والمقام، ولم يجيء بولایتنا إلا أكبه الله في النار على وجهه (٣).

٢- عن قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ** (٤).

قال (عليه السلام): إن الله أوحى إلى نبيه أن يستخلف عليا فكان يخاف أن يشق ذلك على جماعه من أصحابه فأنزل الله تعالى هذه الآية تشجيعا له على القيام بما أمره الله بأدائه (٥).

٣- في قوله تعالى: **تَنزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا** (٦) قال (عليه السلام): تنزل الملائكة والكتبه الى سماء الدنيا فيكتبون ما يكون في السنه من أمور ما يصيب العباد،

ص: ٢١٦

١- (١) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٣٢٧، الفهرست للشيخ الطوسي: ٩٨، وحقق هذا التفسير المحامي السيد شاکر الغرابوي إلا انه لم يقدمه للنشر.

٢- (٢) طه (٢٠): ٨٢.

٣- (٣) مجمع البيان: ٢٣/٧ طبع بيروت.

٤- (٤) المائدة (٥): ٦٧.

٥- (٥) مجمع البيان: ٢٢٣/٤.

٦- (٦) القدر (٩٧): ٤.

و الأمر عنده موقوف له فيه على المشيئة، فيقدم ما يشاء، و يؤخر ما يشاء، و يثبت، و عنده أم الكتاب» (١).

٤- في قوله تعالى: فَكَبِّجُوا فِيهَا هُمْ وَ الْعَاوُونَ (٢)، قال الإمام أبو جعفر (عليه السلام): «إنها نزلت في قوم وصفوا عدلا بألستهم ثم خالفوه الى غيره» (٣).

٥- في قوله تعالى: فَشِئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤). روى محمد ابن مسلم قال: قلت للإمام أبي جعفر إن من عندنا يزعمون أن المعنيين بالآية هم اليهود و النصارى. قال: إذا يدعونكم إلى دينهم! ثم أشار (عليه السلام) الى صدره فقال: نحن أهل الذكر و نحن المسؤولون (٥).

٦- في قوله تعالى: يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِيمَانِهِمْ (٦). روى جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال: لما نزلت هذه الآية قال المسلمون: يا رسول الله ألسنت إمام الناس كلهم أجمعين؟ فقال (صلى الله عليه و اله): أنا رسول الله الى الناس أجمعين، و لكن سيكون من بعدى أئمة على الناس من أهل بيتي يقومون في الناس فيكذبون، و يظلمهم أئمة الكفر و الضلال و أشياعهم، فمن والاهم و اتبعهم، و صدقهم فهو مني و معي، و سيلقاني، ألا و من ظلمهم و كذبهم فليس مني، و لا معي، و أنا منه بريء» (٧).

٧- و سئل الإمام أبو جعفر عن قوله تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ

ص: ٢١٧

١- ((١) دعائم الإسلام: ٣٣٤/١.

٢- ((٢) الشعراء (٢٦): ٩٤.

٣- ((٣) اصول الكافي: ٤٧/١.

٤- ((٤) الانبياء (٢١): ٧.

٥- ((٥) اصول الكافي: ٢١١/١.

٦- ((٦) الاسراء (١٧): ٧١.

٧- ((٧) اصول الكافي: ٢١٥/١.

إِضْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْذِنُ اللَّهُ (١) فقال (عليه السلام): السابق بالخيرات الإمام، والمقتصد العارف للإمام، والظالم لنفسه الذي لا يعرف الإمام (٢).

٨- عن المتوسمين في قوله تعالى: إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ (٣)، قال (عليه السلام): قال أمير المؤمنين (عليه السلام): كان رسول الله (صلى الله عليه و اله) المتوسم، وأنا من بعده والأئمة من ذريتي المتوسمون (٤).

٩- في قوله تعالى: وَ أَنْ لَوْ اِشْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا (٥) قال (عليه السلام): «يعنى لو استقاموا على ولايه على بن أبى طالب أمير المؤمنين (عليه السلام) والأوصياء من ولده، وقبلوا طاعتهم فى أمرهم ونهيهم لأسقيناهم ماء غدقا يعنى أشربنا قلوبهم الإيمان، والطريقه: هى الإيمان بولايه على والأوصياء» (٦).

١٠- فى ما يرتبط بقوله تعالى: قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (٧)، سأل بريد بن معاويه الإمام أبا جعفر (عليه السلام) عن المعنيين بقوله تعالى: وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ؟ فقال (عليه السلام): «إيانا عنى، و على أولنا، و أفضلنا و خيرنا بعد النبى (صلى الله عليه و اله)» (٨).

ص: ٢١٨

- ١- (١) فاطر (٣٥): ٣٢.
- ٢- (٢) اصول الكافي: ١/٢١٤.
- ٣- (٣) سورة الحجر (١٥): ٧٥.
- ٤- (٤) اصول الكافي: ١/٢١٩.
- ٥- (٥) الجن (٧٢): ١٦.
- ٦- (٦) اصول الكافي: ١/٢٢٠.
- ٧- (٧) الرعد (١٣): ٤٣.
- ٨- (٨) اصول الكافي: ١/٢٢٩ مجمع البيان: ٣٠١/٦ روى عن أبى جعفر أنها نزلت فى آل البيت (عليهم السلام).

يعدّ الحديث النبوى الشريف المصدر الثانى من مصادر التشريع الإسلامى بعد القرآن الكريم، و له أهميته البالغه و دوره الكبير فى بناء الصرح الثقافى للإمامه الإسلاميه بشكل عام و بناء الصرح الفقهى و التشريع العملى للحياه الانسانيه بشكل خاص.

و قد زاد من اهتمام أهل البيت (عليهم السّلام) بنشر سنّه رسول الله و تبليغها ما واجهه الحديث النبوى الشريف من مآسى الدس و التزوير و الوضع و التضيع خلال فتره منع الخلفاء من تدوينه و كتابته بل التحديث به فى بعض الأحيان.

و اعتنى الإمام الباقر (عليه السّلام) بشكل خاص بحديث الرسول (عليه السّلام) حتى روى عنه جابر بن يزيد الجعفى سبعين ألف حديث (١)، كما روى عنه أبان بن تغلب و غيره من تلامذته و أصحابه مجموعه كبيره من هذا التراث الضخم.

و لم يكتف الإمام بنقل الحديث و نشره بل دعا الى الاهتمام بفهم الحديث و الوقوف على معانيه، حتى جعل المقياس فى فضل الراوى هو فهم الحديث و درايته بمعانيه و أسراره.

روى يزيد الرزّاز عن أبيه عن عبد الله الصادق عن أبيه الباقر (عليهما السّلام) أنه قال له: «اعرف منازل الشيعة على قدر رواياتهم و معرفتهم؛ فإن المعرفة هى الدرايه للروايه، و بالدرايه للروايه يعلو المؤمن الى أقصى درجات الإيمان» (٢).

و قد عرضنا نماذج من رواياته عن جدّه رسول الله (صلّى الله عليه و اله) فيما مرّ من بحوث سابقه فراجع (٣).

ص: ٢١٩

١- (١) اصول الكافى: ١/١٤٠، و راجع مقدمه صحيح مسلم.

٢- (٢) حياه الإمام محمد الباقر (عليه السّلام)، للاستاذ باقر شريف القرشى: ١٤٠-١٤١ عن ناسخ التواريخ: ٢/٢١٩.

٣- (٣) الخصال: ص ٤.

و بحث الإمام أبو جعفر في كثير من محاضراته المسائل الكلاميه، و سئل عن أعقد المسائل و أدقها في بحوث هذا العلم فأجاب عنها.

و من الجدير بالذكر أن عصر الإمام كان من أشد العصور الإسلاميه حساسيه فقد امتدّ فيه الفتح الاسلامي الى اغلب مناطق العالم و شعوب الارض فأثار ذلك موجة من الحقد في نفوس المعادين للإسلام من الشعوب المغلوبه على أمرها، فقاموا بحمله دعائيه ضد العقيدته الإسلاميه و أذاعوا الشكوك بين أبناء المسلمين، و قد شجعت الحكومات الامويه التيارات ذات الافكار المعاديه للإسلام؛ إذ لم يؤثر عن أى واحد من ملوك بني اميه أنه قاومها أو تصدى لإيقافها بين المسلمين، و لم يكن هناك أحد قد انبرى الى انقاذ المسلمين في ذلك العصر سوى الإمام أبي جعفر (عليه السلام) حيث تصدى لتزييفها و الرد عليها وبالغ الحجه و البرهان.

و اليك نماذج من بحوثه:

١- عجز العقول عن إدراك حقيقه الله:

سئل (عليه السلام) عن قوله تعالى: لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ (١) فقال (عليه السلام): «أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند و الهند و البلدان التي لم تدخلها، و لا تدركها ببصرك. و أوهام القلوب لا تدركه فكيف أبصار العيون؟!» (٢).

و سأله عبد الرحمن بن أبي النجران عن الله تعالى فقال: إني أتوهم شيئاً، فقال (عليه السلام) له: «نعم، غير معقول و لا محدود، فما وقع وهمك عليه من شيء فهو

ص: ٢٢٠

١- (١) الانعام (٦): ١٠٣.

٢- (٢) نسب هذا الحديث الى الإمام الجواد (عليه السلام).

خلافه، و لا يشبهه شيء، و لا تدركه الأوهام، كيف تدركه الأوهام و هو خلاف ما يعقل، و خلاف ما يتصور في الأوهام، إنما يتوهم شيء، غير معقول و لا محدود» (١).

٢- ازليه واجب الوجود:

سأله رجل فقال له: أخبرني عن ربك متى كان؟ فأجابه الإمام (عليه السلام):

«ويلك! إنما يقال لشيء لم يكن، متى كان؟ إن ربي تبارك و تعالى كان و لم يزل حيا بلا كيف، و لم يكن له كان، و لا كان لكونه كون. كيف! و لا كان له أين، و لا كان في شيء، و لا كان على شيء، و لا ابتدئ لمكانه مكانا، و لا قوى بعد ما كَوّن الأشياء، و لا كان ضعيفا قبل أن يكون شيئا، و لا كان مستوحشا قبل أن يبتدع شيئا، و لا يشبه شيئا مذكورا، و لا كان خلوا من الملك قبل انشاءه، و لا يكون منه خلوا بعد ذهابه، لم يزل حيا بلا- حياه، و ملكا قادرا قبل أن ينشئ شيئا، و ملكا جبارا بعد انشاءه للكون، فليس لكونه كيف و لا له أين، و لا له حد، و لا يعرف بشيء يشبهه، و لا يهرم لطول البقاء، و لا يصعق (٢) لشيء، بل لخوفه تصعق الأشياء كلها. كان حيا بلا حياه حادثه، و لا كون موصوف و لا كيف محدود، و لا- أين موقوف عليه، و لا- مكان جاور شيئا، بل حى يعرف، و ملك لم يزل له القدره و الملك، أنشأ ما شاء حين شاء بمشيئته، لا يحد و لا يبعث، و لا يفنى، كان أولا بلا كيف، و يكون آخرا بلا أين، و كل شيء هالك إلا وجهه، له الخلق و الأمر تبارك الله رب العالمين.

ويلك أيها السائل!! إن ربي لا تغشاه الأوهام، و لا تنزل به الشبهات، و لا يحار، و لا يجاوزه شيء، و لا تنزل به الاحداث، و لا يسأل عن شيء، و لا يندم على شيء، و لا تأخذه سنه و لا نوم له ما في السماوات و ما في الارض و ما بينهما، و ما تحت الثرى» (٣).

ص: ٢٢١

١- ((١)) اصول الكافي: ٨٢/١.

٢- ((٢)) يصعق: أى يهلك، و يضعف.

٣- ((٣)) اصول الكافي: ٨٨/١-٨٩.

طاعة الإمام واجب ديني أعلنه القرآن الكريم بقوله تعالى: **أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ** (١) و تواترت الأخبار بذلك، و روى زراره عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال: «ذروه الأمر و سنامه، و مفتاحه، و باب الأشياء، و رضا الرحمن تبارك و تعالى، الطاعة للإمام بعد معرفته... إن الله تبارك و تعالى يقول: **مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَ مَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا** (٢).

التراث التاريخي للإمام الباقر (عليه السلام)

إشاره

و تحدث الإمام أبو جعفر الباقر (عليه السلام) كثيرا عن حكم الأنبياء و سننهم و لا سيما السيره النبويه المباركه و تأريخ العصر النبوى، و قد نقل عنه المختصون بهذه البحوث الشيء الكثير، و فيما يلي بعضها:

١- من وحي الله لآدم:

عرض الإمام (عليه السلام) لأصحابه ما أوحى الله به لآدم من الحكم و معالى الأخلاق فقال (عليه السلام): «أوحى الله تبارك و تعالى لآدم انى اجمع لك الخير كله فى أربع كلمات: واحده منهن لى، و واحده لك، و واحده فيما بينى و بينك، و واحده فيما بينك و بين الناس، فأما التى لى فتعبدنى، و لا- تشرك بى شيئا، و أما التى لك فأجازيك بعملك فى وقت أحوج ما تكون إليه و أما التى بينى و بينك فعليك الدعاء و على الإجابة، و أما التى بينك و بين الناس فترضى للناس ما ترضى لنفسك» (٣).

ص: ٢٢٢

١- (١) النساء (٤): ٥٩.

٢- (٢) اصول الكافى: ١/١٨٥.

٣- (٣) أمالى الصدوق: ٥٤٤.

٢- حكمه لسليمان:

و حكى (عليه السلام) لأصحابه حكمه رائعه لنبى الله سليمان بن داود فقال (عليه السلام):

«قال سليمان بن داود: اوتينا ما اوتى الناس، و ما لم يؤتوا، و علمنا ما علم الناس و ما لم يعلموا، فلم نجد شيئا أفضل من خشية الله فى الغيب و المشهد، و القصد فى الغنى و الفقر، و كلمه الحق فى الرضا و الغضب، و التضرع الى الله عزّ و جلّ فى كل حال» (١).

٢- حكمه فى التوراه:

و نقل (عليه السلام) لأصحابه حكمه مكتوبه فى التوراه فقال (عليه السلام): «إنّ فى التوراه مكتوبا يا موسى إني خلقتك، و اصطفتك، و قويتك، و أمرتك بطاعتي و نهيتك عن معصيتي فإن أطعتني اعنتك على طاعتي، و إن عصيتني لم أعنك على معصيتي، يا موسى و لى المنه عليك فى طاعتك لى، و لى الحجه عليك فى معصيتك لى» (٢).

٤- تسميه نوح بالعبد الشكور:

روى محمد بن مسلم عن الإمام أبى جعفر (عليه السلام) أنه قال: «إنّ نوحا إنما سمى عبدا شكورا لأنه كان يقول إذا أمسى و أصبح: اللهم إني اشهدك أنه ما أمسى و أصبح بى من نعمه أو عافيه فى دين أو دنيا فممنك وحدك لا شريك لك، لك الحمد و الشكر بها على حتى ترضى» (٣).

٥- دعاء نوح على قومه:

سأل سدير الإمام أبى جعفر (عليه السلام) عن دعاء نوح على قومه فقال له:

ص: ٢٢٣

١- (١) الخصال: ٢١٩.

٢- (٢) أمالى الصدوق: ٢٧٤.

٣- (٣) علل الشرائع: ٢٩.

أرأيت نوحا حين دعا على قومه فقال: رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا إِنَّه كان عالما بهم؟

فأجابه (عليه السلام): «أوحى الله اليه: انه لا يؤمن من قومك إلا من قد آمن. فعند ذلك دعا عليهم بهذا الدعاء» (١).

٦- اسماعيل أول من تكلم بالعربية:

و نقل الإمام أبو جعفر (عليه السلام) لأصحابه أن نبي الله إسماعيل هو أول من فتق لسانه باللغه العربيه الميينه إسماعيل، و هو ابن عشر سنه» (٢).

٨- نفى الاميه عن النبي الأكرم (صلى الله عليه و اله):

روى على بن اسباط فقال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام): إن الناس يزعمون أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) لم يكتب، و لم يقرأ أفأنكر (عليه السلام) ذلك و قال:

«أنى يكون ذلك؟! و قد قال الله تعالى: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣). كيف يعلمهم الكتاب و الحكمة و ليس يحسن أن يقرأ و يكتب؟!»

و انبرى على بن اسباط فقال للإمام: لم سمى النبي الامي؟

فأجابه الإمام: «لأنه نسب الى مكه، و ذلك قول الله عز و جل: لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا فام القرى مكه، فقيل امي» (٤).

ص: ٢٢٤

١- (١) علل الشرائع: ٣١.

٢- (٢) البيان و التبيين: ٢٩٠/٣.

٣- (٣) الجمععه (٦٢): ٢.

٤- (٤) علل الشرائع: ١٢٥.

١- استعاره النبي (صلى الله عليه و اله) السلاح من صفوان:

و روى الطبرى بسنده عن الإمام أبى جعفر الباقر (عليه السّلام) أنّه قال: لما أجمع رسول الله (صلى الله عليه و اله) السير الى هوازن ليلقاهم ذكر له أن عند صفوان بن اميه أدراعا و سلاحا، فأرسل اليه فقال: يا أبا اميه- و هو يومئذ مشرك- أعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدونا غدا.

فقال له صفوان: أعصبا يا محمد؟ قال: بل عاريه مضمونه، حتى تؤديها إليك، قال: ليس بهذا بأس، فأعطاه مائه درع بما يصلحها من السلاح، و زعموا أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) سأله أن يكفيه حملها ففعل.

قال الإمام أبو جعفر (عليه السّلام): فمضت السنّه أن العاريه مضمونه (١).

و قد أجمع الإمام الى أن هذه الحادئه قد استفيد منها القاعده الفقهيّه و هو ان العاريه مضمونه مع التفريط، فمن استعار شيئا فقد ضمنه حتى يؤديه الى صاحبه.

٢- مسيره خالد الى بنى جذيمه:

و روى ابن هشام بسنده عن الإمام أبى جعفر (عليه السّلام): ان رسول الله (صلى الله عليه و اله) بعث خالد بن الوليد الى بنى جذيمه حين فتح مكه داعيا الى الله، و لم يبعثه مقاتلا- إلا- أنّ خالدًا أغار عليهم فأوجسوا منه خيفه فبادروا الى أسلحتهم فحملوها، فلما رأى خالد ذلك قال لهم: ضعوا السلاح، فإن الناس قد أسلموا،

ص: ٢٢٥

و وثقوا بقوله، فوضعوا سلاحهم، إلا أنه غدر بهم، فأمر بتكثيفهم ثم عرضهم على السيف، فقتل منهم من قتل، و لما انتهى خبرهم الى النبي (صلى الله عليه و اله) بلغ به الحزن أقصاه و رفع يديه بالدعاء، و قال:

«اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد». و دعا النبي (صلى الله عليه و اله) الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال له: «اخرج الى هؤلاء القوم، فانظر في أمرهم، و اجعل أمر الجاهليه تحت قدميك».

و خرج عليّ (عليه السلام) حتى جاءهم، و معه مال، فودى لهم الدماء، و ما اصيب لهم من الأموال، حتى انه ليدى ميلغه الكلب (1) حتى إذا لم يبق شيء من دم و لا مال إلا و داه، و بقيت معه بقيه من المال، فقال لهم عليّ: هل بقي لكم بقيه من دم أو مال لم يؤدّ لكم؟ قالوا: لا. قال: فيأني اعطيكم هذه البقيه من هذا المال، احتياطا لرسول الله (صلى الله عليه و اله) مما يعلم و لا تعلمون، فأعطاهم ثم رجع الى رسول الله (صلى الله عليه و اله) فأخبره الخبر، فقال (صلى الله عليه و اله): أصبت و أحسنت، و قام رسول الله (صلى الله عليه و اله) فاستقبل القبله شاهرا يديه، حتى كان يرى ما تحت منكيه، و هو يقول: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد» و كرر ذلك ثلاث مرات (2).

هذه بعض رواياته عن السيره النبويه المباركه، و قد آثرنا الايجاز و الإشاره فحسب.

ص: ٢٢٤

١- ((١)) الميلغه: الاناء يبلغ فيه الكلب أو يسقى فيه. فقد أعطى عليّ (عليه السلام) ديته.

٢- ((٢)) السيره النبويه لابن هشام: ٢/٤٢٩-٤٣٠.

و تحدث الإمام أبو جعفر (عليه السلام) في كثير من أحاديثه عن سيره جدّه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) رائد الحق و العدالة بعد رسول الله (صلى الله عليه و اله) و إليك نموذجاً من ما رواه:

روى زراره بن أعين عن أبيه، عن الإمام أبي جعفر (عليه السلام) قال: كان علي (عليه السلام) إذا صلى الفجر لم يزل معقبا الى أن تطلع الشمس، فإذا طلعت اجتمع إليه الفقراء و المساكين و غيرهم من الناس فيعلمهم الفقه و القرآن، و كان له وقت يقوم فيه من مجلسه ذلك، فقام يوماً، فمرّ برجل فرماه بكلمه هجر - و لم يسم أبو جعفر ذلك الرجل - فرجع الإمام، و صعد المنبر، و أمر فنودي الصلاة جامعه، فلما حضر الناس، حمد الله و أثنى عليه، و صلى على نبيه، ثم قال: «أيها الناس انه ليس شيء أحب الى الله، و لا أعم نفعاً من حلم إمام و فقهه، و لا شيء أبغض الى الله، و لا أعم ضرراً من جهل إمام و خرقه، ألا - و إنه من لم يكن له من نفسه و اعظ لم يكن له من الله حافظ، ألا - و انه من انصف من نفسه لم يزد الله، إلا عزاً، ألا و ان الذل في طاعة الله أقرب الى الله من التعزز في معصيته، ثم قال: أين المتكلم آناً؟ فلم يستطع الإنكار، فقال: ها أناذا يا أمير المؤمنين، فقال: أما إنى لو أشاء لقلت. فقال: إن تعف و تصفح فأنت أهل لذلك فقال:

«قد عفوت و صفحت» (١).

ص: ٢٢٧

١- قال أبو جعفر الدوانيقي: كنت هاربا من بنى اميه أنا و أخي أبو العباس فمررنا بمسجد النبي (صلى الله عليه و اله) و محمد بن علي جالس، فقال (عليه السلام) لرجل إلى جانبه: كأني بهذا الأمر قد صار إلى هذين، و أشار إلينا، فجاء الرجل و أخبرنا بمقاتلته، فملنا إليه و قلنا له: يا بن رسول الله! ما الذي قلت؟ فقال (عليه السلام):

«هذا الأمر صائر إليكم عن قريب و لكنكم تسيئون إلى ذريتي، و عترتي فالويل لكم» (١).

فكان كما أخبر (عليه السلام) و قد أساء المنصور حينما ولى الخلافة إلى ذريته رسول الله (صلى الله عليه و اله) و عترته، فنكل بهم كأفطع ما يكون التنكيل و قد قاست عتره رسول الله (صلى الله عليه و اله) في عهد هذا الطاغية من صنوف العذاب ما لم تره عين في عهد الامويين فقد كانت أيامه عليهم كلها محنة و ألما و عذابا.

٢- مما أنبأ عنه الإمام أبو جعفر (عليه السلام) أنه أخبر عن الحجر الأسود و أنه يعلق في الجامع الأعظم في الكوفة (٢). و تحقق ذلك أيام القرامطة فقد أخذوه من الكعبة، و جعلوه في جامع الكوفة؛ معتقدين أن الحج يدور مداره، و قد أرادوا ان يكون الحج إلى مسجد الكوفة، و بقي فيه مده تقرب من عشرين عاما ثم ارجع إلى مكانه.

٣- من الملاحم التي أخبر عنها: غزو نافع بن الأزرق لمدينه النبي (صلى الله عليه و اله)، و إباحتها لجنوده، يقول الإمام الصادق (عليه السلام): «كان أبي في مجلس عام إذ اطرق برأسه إلى الأرض ثم رفعه و قال: يا قوم كيف أنتم إذا جاءكم رجل يدخل

ص: ٢٢٨

١- (١) دلائل الامامه: ٩٦.

٢- (٢) اتعاض الحنفاء للمقريزي: ٢٤٥.

عنوان و نام پدیدآور: اعلام الهدایه/المولف لجنه التالیف فی المعاونیه الثقافیه للمجمع العالمی لاهل البیت (ع).

مشخصات نشر: بیروت: المجمع العالمی لاهل البیت (ع)، المعاونیه الثقافیه، ۱۴۳۰ق = ۱۳۸۹.

مشخصات ظاهری: ۱۴ج.

یادداشت: عربی.

یادداشت: چاپ ششم.

یادداشت: کتابنامه.

مندرجات: ج. ۱. محمد المصطفی صلی الله علیه و آله و سلم خاتم الانبیاء. ج. ۲. أمير المومنین علی بن أبی طالب علیه السلام. ج. ۳. سیده النساء فاطمه الزهراء علیه السلام. ج. ۴. الامام الحسن المجتبی علیه السلام. ج. ۵. الامام الحسین علیه السلام سید الشهداء. ج. ۶. الامام علی بن الحسین زین العابدین علیه السلام. ج. ۷. الامام محمد بن علی الباقر علیه السلام. ج. ۸. الامام جعفر بن محمد الصادق علیه السلام. ج. ۹. الامام موسی بن جعفر الکاظم علیه السلام. ج. ۱۰. الامام علی بن موسی الرضا علیه السلام. ج. ۱۱. الامام محمد بن علی الجواد علیه السلام. ج. ۱۲. الامام علی بن محمد الهادی علیه السلام. ج. ۱۳. الامام الحسن العسکری علیه السلام. ج. ۱۴. خاتم الاوصیاء الامام المهدي علیه السلام.

موضوع: چهارده معصوم -- سرگذشتنامه

شناسه افزوده: مجمع جهانی اهل بیت (ع). معاونت فرهنگی

رده بندی کنگره: BP۳۶/الف ۵۸ ۱۳۸۹

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵

شماره کتابشناسی ملی: ۳۸۶۲۲۵۴

ص: ۱

الباب الأول:

الفصل الأول: الإمام الصادق (عليه السلام) فى سطور ١٧

الفصل الثانى: انطباعات عن شخصيته (عليه السلام) ٢١

الفصل الثالث: مظاهر من شخصيته (عليه السلام) ٢٥

الباب الثانى:

الفصل الأول: نشأه الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) ٣٧

الفصل الثانى: مراحل حياه الإمام الصادق (عليه السلام) ٤٧

الفصل الثالث: الإمام الصادق فى ظل جدّه و أبيه (عليهم السلام) ٤٩

الباب الثالث:

الفصل الاول: ملامح عصر الإمام الصادق (عليه السلام) ٧١

الفصل الثانى: متطلبات عصر الإمام الصادق (عليه السلام) ٩٩

الفصل الثالث: دور الإمام (عليه السلام) فى بناء الجماعه الصالحه ١٣٥

الباب الرابع:

الفصل الأول: نهايه الحكم الاموى و بدايه الحكم العباسى ١٦٣

الفصل الثانى: حكمه المنصور و استشهاد الإمام الصادق (عليه السلام) ١٩٩

الفصل الثالث: تراث الإمام الصادق (عليه السلام) ٢٢٧

ص: ٥

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداه لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء وسيد الرسل والأصفياء أبو القاسم المصطفى محمد (صلى الله عليه و آله) وعلى آله الميامين النجباء.

لقد خلق الله الانسان و زوّده بعنصرى العقل و الإراده، فبالعقل يبصر و يكتشف الحقّ و يميّزه عن الباطل، و بالإراداه يختار ما يراه صالحا له و محققا لأغراضه و أهدافه.

و قد جعل الله العقل المميّز حجه له على خلقه، و أعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته؛ فإنّه هو الذى علّم الإنسان ما لم يعلم، و أرشده إلى طريق كماله اللائق به، و عرّفه الغايه التى خلقه من أجلها، و جاء به إلى هذه الحياه الدنيا من أجل تحقيقها.

و أوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحه معالم الهدايه الربّانيه و آفاقها و مستلزماتها و طرقها، كما بيّن لنا عللها و أسبابها من جهه، و أسفر عن ثمارها و نتائجها من جهه اخرى.

قال تعالى:

ص: ٧

قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى [الانعام(٦):٧١].

وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [البقره(٢):٢١٣].

وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ [الاحزاب(٣٣):٤].

وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [آل عمران(٣):١٠١].

قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ [يونس(١٠):٣٥].

وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَ يَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ [سبأ(٣٤):٦].

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ [القصص(٢٨):٥٠].

فالله تعالى هو مصدر الهدايه. و هدايته هي الهدايه الحقيقيه، و هو الذى يأخذ بيد الانسان إلى الصراط المستقيم و إلى الحق القويم.

و هذه الحقائق يؤيدها العلم و يدر كها العلماء و يخضعون لها بملء وجودهم.

و لقد أودع الله فى فطره الانسان النزوع إلى الكمال و الجمال ثم منّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به، و أسبغ عليه نعمه التعرّف على طريق الكمال، و من هنا قال تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات(٥١):٥٦].

و حيث لا تتحقّق العباده الحقيقيه من دون المعرفه، كانت المعرفه و العباده طريقا منحصرًا و هدفًا و غايه موصله إلى قمه الكمال.

و بعد أن زوّد الله الانسان بطاقتى الغضب و الشهوه ليحتمق له و قود الحركه نحو الكمال؛ لم يؤمن عليه من سيطره الغضب و الشهوه؛ و الهوى الناشئ منهما، و الملازم لهما فمن هنا احتاج الانسان-بالإضافه إلى عقله و سائر

أدوات المعرفة-الى ما يضمن له سلامه البصيره و الرؤيه؛كى تتم عليه الحجّه، و تكمل نعمه الهدايه،و تتوفّر لديه كلّ الأسباب التى تجعله يختار طريق الخير و السعاده،أو طريق الشرّ و الشقاء بملء إرادته.

و من هنا اقتضت سنّه الهدايه الربّانيه أن يسند عقل الانسان عن طريق الوحي الإلهي،و من خلال الهداه الذين اختارهم الله لتولّى مسؤوليه هدايه العباد و ذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفه و إعطاء الارشادات اللازمه لكلّ مرافق الحياه.

و قد حمل الأنبياء و أوصياؤهم مشعل الهدايه الربّانيه منذ فجر التاريخ و على مدى العصور و القرون،و لم يترك الله عباده مهملين دون حجه هاديه و علم مرشد و نور مضىء،كما أفصحت نصوص الوحي-مؤيّده لدلائل العقل-بأنّ الأرض لا تخلو من حجه لله على خلقه،لئلا يكون للناس على الله حجّه،فالحجّه قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق،و لو لم يبق فى الأرض إلاّ اثنان لكان أحدهما الحجّه،و صرح القرآن-بشكل لا يقبل الريب-قائلا:

إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ [الرعد(١٣):٧].

و يتولّى أنبياء الله و رسله و أوصياؤهم الهداه المهديون مهمّه الهدايه بجميع مراتبها،و التى تتلخّص فى:

١-تلقى الوحي بشكل كامل و استيعاب الرساله الإلهيه بصوره دقيقه.

و هذه المرحله تتطلّب الاستعداد التام لتلقى الرساله،و من هنا يكون الاصطفاء الإلهي لرسله شأننا من شؤونه،كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلا: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ [الانعام(٦):١٢٤]و اللَّهُ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ [آل عمران(٣):١٧٩].

٢- إِبْلَاحُ الرِّسَالَةِ الإِلَهِيَّةِ إِلَى الْبَشَرِيَّةِ وَ لِمَنْ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ، وَ يَتَوَقَّفُ الإِبْلَاحُ عَلَى الْكِفَاءَةِ التَّامَّةِ الَّتِي تَتِمُّثَلُ فِي «الِاسْتِيعَابِ وَ الإِحَاطَةِ اللَّازِمَةِ» بِتَفَاصِيلِ الرِّسَالَةِ وَ أَهْدَافِهَا وَ مَتَطَلَّبَاتِهَا، وَ «العصمه» عَنِ الْخَطَا وَ الانْحِرَافِ مَعًا، قَالَ تَعَالَى: كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ [البقره (٢): ٢١٣].

٣- تَكْوِينُ أُمَّةٍ مُؤْمِنَةٍ بِالرِّسَالَةِ الإِلَهِيَّةِ، وَ إِعْدَادُهَا لِدَعْمِ الْقِيَادَةِ الْهَادِيَةِ مِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِ أَهْدَافِهَا وَ تَطْبِيقِ قَوَانِينِهَا فِي الْحَيَاةِ، وَ قَدْ صَرَّحَتْ آيَاتُ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ بِهَذِهِ الْمَهْمَةِ مُسْتَحْدِمَةً عُنْوَانِي التَّزْكِيَةِ وَ التَّعْلِيمِ، قَالَ تَعَالَى: يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ [الجمعه (٦٢): ٢] وَ التَّزْكِيَةُ هِيَ التَّرْبِيَةُ بِاتِّجَاهِ الْكَمَالِ اللَّائِقِ بِالْإِنْسَانِ. وَ تَتَطَلَّبُ التَّرْبِيَةُ الْقُدُوهَ الصَّالِحَةَ الَّتِي تَتَمَتَّعُ بِكُلِّ عُنَاوَرِ الْكَمَالِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [الاحزاب (٣٣): ٢١].

٤- صِيَانَةُ الرِّسَالَةِ مِنَ الزَّيْغِ وَ التَّحْرِيفِ وَ الضِّيَاعِ فِي الْفَتْرَةِ الْمَقْرَّرَةِ لَهَا، وَ هَذِهِ الْمَهْمَةُ أَيْضًا تَتَطَلَّبُ الْكِفَاءَةَ الْعِلْمِيَّةَ وَ النَّفْسِيَّةَ، وَ الَّتِي تَسْمَى بِالْعَصْمَةِ.

٥- الْعَمَلُ لِتَحْقِيقِ أَهْدَافِ الرِّسَالَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَ تَثْبِيتِ الْقِيَمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ فِي نَفُوسِ الْأَفْرَادِ وَ أَرْكَانِ الْمَجْتَمَعَاتِ الْبَشَرِيَّةِ وَ ذَلِكَ بِتَنْفِيزِ الْإِطْرُوحَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَ تَطْبِيقِ قَوَانِينِ الدِّينِ الْحَنِيفِ عَلَى الْمَجْتَمَعِ الْبَشَرِيِّ مِنْ خِلَالِ تَأْسِيسِ كِيَانٍ سِيَاسِيٍّ يَتَوَلَّى إِدَارَةَ شُؤُونِ الْأُمَّةِ عَلَى أَسَاسِ الرِّسَالَةِ الرَّبَّانِيَّةِ لِلْبَشَرِيَّةِ، وَ يَتَطَلَّبُ التَّنْفِيزُ قِيَادَةَ حَكِيمَةً، وَ شَجَاعَةً فَائِقَةً، وَ ثَبَاتًا كَبِيرًا، وَ مَعْرِفَةً تَامَةً بِالنَّفُوسِ وَ بَطْبَقَاتِ الْمَجْتَمَعِ وَ التِّيَّارَاتِ الْفِكْرِيَّةِ وَ السِّيَاسِيَّةِ وَ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَ قَوَانِينِ الْإِدَارَةِ وَ التَّرْبِيَةِ وَ سُنَنِ الْحَيَاةِ، وَ نَلْخُصُّهَا فِي الْكِفَاءَةِ الْعِلْمِيَّةِ لِإِدَارَةِ دَوْلَةٍ عَالَمِيَّةٍ دِينِيَّةٍ، هَذَا فَضْلًا عَنِ الْعَصْمَةِ الَّتِي تَعْبُرُ عَنِ الْكِفَاءَةِ النَّفْسِيَّةِ الَّتِي تَصُونُ الْقِيَادَةَ

الدينه من كل سلوك منحرف أو عمل خاطئ بإمكانه أن يؤثر تأثيراً سلبياً على مسيره القياده و انقياد الامه لها بحيث يتنافى مع أهداف الرساله و أغراضها.

و قد سلك الأنبياء السابقون و أوصياؤهم المصطفون طريق الهدايه الدامى، و اقتحموا سبيل التريه الشاق، و تحمّلوا فى سبيل أداء المهام الرساليه كل صعب، و قدّموا فى سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهيه كل ما يمكن أن يقدمه الإنسان المتفانى فى مبدئه و عقيدته، و لم يتراجعوا لحظه، و لم يتلكأوا طرفه عين.

و قد توجّ الله جهودهم و جهادهم المستمر على مدى العصور برساله خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه و آله) و حمّله الأمانه الكبرى و مسؤوليه الهدايه بجميع مراتبها، طالبا منه تحقيق أهدافها. و قد خطا الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و آله) فى هذا الطريق الوعر خطوات مدهشه، و حقّق فى أقصر فتره زمنيه أكبر نتاج ممكن فى حساب الدعوات التغييريه و الرسالات الثوريه، و كانت حصيله جهاده و كدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلى:

١- تقديم رساله كامله للبشريه تحتوى على عناصر الديمومه و البقاء.

٢- تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ و الانحراف.

٣- تكوين امه مسلمه تؤمن بالإسلام مبدءاً، و بالرسول قائداً، و بالشريعه قانوناً للحياه.

٤- تأسيس دوله إسلاميه و كيان سياسى يحمل لواء الإسلام و يطبق شريعه السماء.

٥- تقديم الوجه المشرق للقياده الربانيه الحكيمه المتمثله فى قيادته (صلّى الله عليه و آله).

و لتحقيق أهداف الرساله بشكل كامل كان من الضروري:

أ- أن تستمر القيادة الكفوءه فى تطبيق الرساله و صيانتها من أيدي العابثين الذين يتربصون بها الدوائر.

ب- أن تستمر عمليه التربيه الصحيحه باستمرار الأجيال؛ على يد مربّ كفوء علميا و نفسيا حيث يكون قدوه حسنه فى الخلق و السلوك كالرسول(صلى الله عليه و آله)، يستوعب الرساله و يجسدها فى كل حركاته و سكناته.

و من هنا كان التخطيط الإلهيّ يحتّم على الرسول(صلى الله عليه و آله) إعداد الصفوه من أهل بيته، و التصريح بأسمائهم و أدوارهم؛ لتسلّم مقاليد الحركه النبويّه العظيمه و الهدايه الرّيانيه الخالده بأمر من الله سبحانه و صيانه للرساله الإلهيه التى كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين و كيد الخائنين، و تربيه للأجيال على قيم و مفاهيم الشريعه المباركه التى تولّوا تبين معالمها و كشف أسرارها و ذخاثرها على مرّ العصور، و حتى يرث الله الأرض و من عليها.

و تجلّى هذا التخطيط الرّبانيّ فى ما نصّ عليه الرسول(صلى الله عليه و آله) بقوله: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله و عترتي، و إنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض».

و كان أئمه أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عزّفهم النبي الأكرم(صلى الله عليه و آله) بأمر من الله تعالى لقياده الامّه من بعده.

إن سيره الأئمه الاثنى عشر من أهل البيت(عليهم السّلام) تمثّل المسيره الواقعيه للاسلام بعد عصر الرسول(صلى الله عليه و آله)، و دراسه حياتهم بشكل مستوعب تكشف لنا عن صورته مستوعبه لحركه الاسلام الأصيل الذى أخذ يشقّ طريقه إلى أعماق الامه بعد أن أخذت طاقتها الحراريه تتضاءل بعد وفاه الرسول(صلى الله عليه و آله)،

فأخذ الأئمة المعصومون (عليهم السّلام) يعملون على توعيه الامه و تحريك طاقتها باتجاه إيجاد و تصعيد الوعي الرساليّ للشريعه و لحركه الرسول (صلى الله عليه و آله) و ثورته المباركه، غير خارجين عن مسار السنن الكونيه التي تتحكّم في سلوك القيادة و الامه جمعاء.

و تبلورت حياه الأئمة الراشدين في استمرارهم على نهج الرسول العظيم و انفتاح الامه عليهم و التفاعل معهم كأعلام للهدايه و مصابيح لإناره الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلاء على الله و على مرضاته، و المستقرّين في أمر الله، و التامين في محبته، و الدائبين في الشوق اليه، و السابقين إلى تسلّق قمم الكمال الإنسانيّ المنشود.

و قد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد و الصبر على طاعه الله و جفاء أهل الجفاء حتّى ضربوا أعلى أمثله الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالى، ثم اختاروا الشهاده مع العزّ على الحياه مع الذلّ، حتى فازوا بقاء الله سبحانه بعد كفاح عظيم و جهاد كبير.

و لا يستطيع المؤرّخون و الكتاب أن يلمّوا بجميع زوايا حياتهم العطره و يدّعوا دراستها بشكل كامل، و من هنا فإنّ محاولتنا هذه إنّما هي إعطاء قبسات من حياتهم، و لقطات من سيرتهم و سلوكهم و مواقفهم التي دوّنها المؤرّخون و استطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسه و التحقيق، عسى الله أن ينفع بها إنّه وليّ التوفيق.

إنّ دراستنا لحركه أهل البيت (عليهم السّلام) الرساليه تبدأ برسول الإسلام و خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و آله) و تنتهي بخاتم الأوصياء، محمد بن الحسن العسكري المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه و أنار الأرض بعدله.

و يختص هذا الكتاب بدراسه حياه الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السّلام) سادس أئمه أهل البيت (عليهم السّلام) الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهّهم تطهيرا و هو المعصوم الثامن من أعلام الهدايه الربّانيه فى دين الاسلام. و كل مذاهب المسلمين مدينه الى علمه و فقهه كما ان الحضاره الانسانيه فى عصرنا هذا ترى نفسها مستظله بظلال علومه و معارفه.

و لا بدّ لنا من ذكر كلمه شكر لكلّ العاملين الذين بذلوا جهدا فى إخراج هذا المشروع، لا سيما لجنة التّأليف بإشراف سماحه السيد منذر الحكيم حفظه الله تعالى.

و أخيرا نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لإتمام سائر أجزاء هذه الموسوعه المباركه، و هو حسينا نعم المولى و نعم النصير.

المجمع العالمى لأهل البيت (عليهم السّلام) قم المقدسه

الباب الأول

إشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

الإمام الصادق (عليه السلام) في سطور الفصل الثاني:

انطباعات عن شخصيته (عليه السلام) الفصل الثالث:

مظاهر من شخصيته (عليه السلام)

ص: ١٥

الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) سادس الأئمة الأطهار من أهل البيت المعصومين الذين نص الرسول (صلى الله عليه وآله) على خلافتهم من بعده.

ولد في سنة (٥٨٣هـ) وترعرع في ظلال جدّه زين العابدين و أبيه محمد الباقر (عليهم السلام) و عنهما أخذ علوم الشريعة و معارف الإسلام. فهو يشكّل مع آبائه الطاهرين حلقات نوريه متواصله لا- يفصل بينها غريب أو مجهول، حتّى تصل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، لذا فهو يغترف من معين الوحي و منبع الحكمة الإلهيه.

و بهذا تميزت مدرسه أهل البيت التي أشاد بناءها الأئمة الأطهار و لا سيما الإمام الباقر و الإمام الصادق (عليهما السلام) فهي مدرسه الرساله المحمديه التي حفظت لنا أصاله الإسلام و نقاءه.

و هكذا تبوّأ الإمام الصادق مركز الإمامه الشرعيه بعد آبائه الكرام و برز إلى قمه العلم و المعرفه في عصره مرموقا مهايا فطأطأت له رؤوس العلماء اجلالا و إكبارا حتّى عصرنا هذا.

لقد كان عامه المسلمين و علماءهم يرون جعفر بن محمد (عليه السلام) سليل

النّبوة و عميد أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا.

فهو الرمز الشرعى للمعارضه التى قادها أهل بيت الوحى (عليهم السّلام) ضد الظلم و الطغيان الاموى و العباسى معا.

كما كان العلماء يرونه بحرا زاخرا و إماما لا- ينازعه أحد فى العلم و المعرفة و استاذا فذا فى جميع العلوم التى عرفها أهل عصره و التى لم يعرفوها آنذاك.

لقد عايش الإمام الصادق (عليه السّلام) الحكم الاموى مدته تقارب (أربعه) عقود و شاهد الظلم و الارهاب و القسوه التى كانت لبنى اميه ضد الامه الإسلاميه بشكل عام و ضد أهل بيت الرسول (صلى الله عليه و آله) و شيعتهم بشكل خاص.

و كان من الطبيعى- بعد ثوره الإمام الحسين (عليه السّلام)- أن يكون آل البيت هم الطليعه و القياده المحبوبه لدى الجماهير المسلمه، و من هنا بدأت فصائل العباسيين تتحرك باسم أهل البيت و تدعو إلى الرضا من آل محمّد (صلى الله عليه و آله) و خلايفه ذريه فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله).

لقد انسحب الإمام الصادق (عليه السّلام) من المواجهه المكشوفه و لم تنطل عليه الشعارات التى كان يستخدمها بنو العباس للوصول إلى الحكم بعد سقوط بنى اميه بعد أن ازداد ظلمهم و عتوهم و ارهابهم و تعاظمت نقمه الامه عليهم.

لقد سقط سلطان بنى اميه سنه (١٣٢ هـ)، ثم آلت الخلافه إلى بنى العباس فعاصر حكم أبى العباس السفّاح و شطرا من حكم المنصور الدوانيقى بما يقرب من عشر سنوات.

لقد انصرف الإمام الصادق (عليه السّلام) عن الصراع السياسى المكشوف إلى بناء الامه الاسلاميه علميا و فكريا و عقائديا و أخلاقيا، بناءا يضمن سلامه

الخط الاسلامى على المدى البعيد بالرغم من استمرار الانحرافات السياسيه و الفكرية فى اوساط المجتمع الاسلامى.

لقد انتشرت الفرق الاسلاميه كالمعتزله و الاشاعره و الخوارج و الكيسانيه و الزيديه فى عصره و اشتد الصراع بينها، كما بدأت الزندقه تستفحل و تخترق اجواء المجتمع الاسلامى فتصدى الإمام الصادق(عليه السّلام) للردّ على الملاحده من جهه و تصدى لمحاكمه الفرق المنحرفه من جهه اخرى.

لقد اهتمّ الإمام(عليه السّلام) ببناء الجماعه الصالحه التى تتحمّل مسؤوليه تجذير خط أهل البيت فى الامه الاسلاميه إلى جانب اهتمامه ببناء جامعه أهل البيت الاسلاميه و تخريج العلماء فى مختلف فنون المعرفه و لا سيما علماء الشريعه الذين يضمنون للامه سلامه مسيرتها على مدى المستقبل القريب و البعيد و يزرعون بذور الثوره ضد الطغيان.

و لم يغفل الإمام(عليه السّلام) عن تقويه الخط الثورى و الجهادى فى اوساط الامه من خلال تأييده لمثل ثوره عمه زيد بن على بن الحسين(عليهما السّلام) و من تلاه من ثوار البيت العلوى الكرام.

و لم يكن الإمام الصادق(عليه السّلام) ليسلم من هذه المحنه-محنه الثوره على الظلم العباسى-فقد كان المنصور يطارده الخوف من الإمام الصادق(عليه السّلام) و يتصور أنه اليد التى تحرك كل ثوره ضد حكمه، ممّا أدى إلى استدعائه إلى العراق أربع مرات و ضيق عليه و أجرى عليه محاكمه يجلب الإمام عن مثلها ليشعره بالرقابه و المتابعه ثم خلّى سبيله.

بل قد ذكرت بعض المصادر أن المنصور قد نوى قتله أكثر من مرّه الا أن الله سبحانه حال بينه و بين ما أراد.

و هكذا عاش الإمام الصادق (عليه السّلام) الفتره الأخيره من حياته- و بعد أن استقرّت دعائم الحكم العباسى- حياه الاضطراب و الارهاب، و فى جوّ مشحون بالعداء و الملاحقه، إلا أنه استطاع أن يؤدى رسالته بحكمه و حنكه و قوّه عزم و يفجّر ينابيع العلم و المعرفه و بينى الامه الاسلاميه من داخلها و يرّبى العلماء و الفقهاء الامناء على حلاله و حرامه و يشيد بناء شيعه أهل البيت الذين يمثّلون الجماعه الصالحه التى عليها تتكىّ دعائم الخطّ النبوى لتحقيق مهامّه الرساليه بعد أن عصفت الرياح الجاهليه بالرساله الخاتمه و تصدّى لقياده الامه رجال لم يكونوا مؤهلين لذلك.

أشاد الإمام الباقر (علیه السلام) أمام أعلام شیعته بفضل ولده جعفر الصادق (علیه السلام) قائلاً: هذا خير البریه (١).

و أفصح عمه الشهيد زيد ابن الإمام علی زين العابدين (رضی الله عنه) عن عظیم شأنه فقال: فی كل زمان رجل منا أهل البيت یحتج الله به علی خلقه، و حجه زماننا ابن أخی جعفر لا یضلل من تبعه و لا یهتدی من خالفه (٢).

و قال مالک بن أنس: ما رأت عین و لا سمعت أذن و لا خطر علی قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق علما و عباده و ورعا (٣).

و قال المنصور الدوانیقی مؤثنا الإمام الصادق (علیه السلام): إن جعفر بن محمد كان ممن قال الله فيه: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا و كان ممن اصطفى الله و كان من السابقين بالخیرات (٤).

قال عبد الرحمن بن أبی حاتم الرازی (٣٢٧ هـ): سمعت أبی یقول:

ص: ٢١

١- (١) الكافی: ٣٠٧/١.

٢- (٢) المصدر السابق: ٣٠٦.

٣- (٣) تهذیب التهذیب: ١٠٤/٢.

٤- (٤) تاریخ یعقوبی: ١٧/٣.

جعفر بن محمد ثقة لا يسأل عن مثله.

وقال: سمعت أبا زرعه و سئل عن جعفر بن محمد عن أبيه و سهيل بن أبي صالح عن أبيه و العلاء عن أبيه أيما أصح؟ قال: لا يقرن جعفر بن محمد إلى هؤلاء (١).

و قال ابو حاتم محمد بن حبان (٣٥٤هـ) عنه: كان من سادات أهل البيت فقها و علما و فضلا (٢).

و قال أبو عبد الرحمن السلمى (٣٢٥-٤١٢هـ) عنه: فاق جميع أقرانه من أهل البيت (عليهم السلام) و هو ذو علم غزير و زهد بالغ فى الدنيا و ورع تام عن الشهوات و أدب كامل فى الحكمه (٣).

و عن صاحب حليه الأولياء (٤٣٠هـ): و منهم الإمام الناطق ذو الزمام السابق أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق، أقبل على العباده و الخضوع و أثر العزله و الخشوع و نهى عن الرئاسه و الجموع (٤).

و أضاف الشهرستانى (٤٧٩-٥٤٨هـ) على ما قاله السلمى عنه: و قد أقام بالمدينه مدته يفيد الشيعة المنتمين إليه و يفيض على الموالين له أسرار العلوم ثم دخل العراق و أقام بها مدته، ما تعرض للإمامه قط، و لا نازع فى الخلافه أحدا (٥)، و من غرق فى بحر المعرفة لم يطمع فى شط، و من تعلّى إلى ذروه الحقيقه لم يخف من حطّ (٦).

ص: ٢٢

١- (١) الجرح و التعديل: ٤٨٧/٢.

٢- (٢) الثقات: ١٣١/٦.

٣- (٣) الإمام الصادق و المذاهب الأربعة: ٥٨/١.

٤- (٤) حليه الأولياء: ٧٢/١.

٥- (٥) إن كان يقصد بذلك التعرض الظاهر للإمامه الظاهره كما يفهم من قول: «و لا نازع فى الخلافه»، فهذا صحيح و إلا فلا.

٦- (٦) الملل و النحل: ١٤٧/١.

و ذكر الخوارزمي (٥٦٨ هـ) في مناقب أبي حنيفة أنه قال: ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد. و قال: لو لا السنتان لهلك النعمان. مشيراً إلى السنتين اللتين جلس فيهما لأخذ العلم عن الإمام جعفر الصادق (١).

و قال ابن الجوزي (٥١٠-٥٩٧ هـ): جعفر بن محمد بن علي بن الحسين كان مشغولاً بالعبادة عن طلب الرئاسة (٢).

و قال محمد بن طلحة الشافعي (٦٥٢ هـ) عنه: هو من عظماء أهل البيت (عليهم السّلام) و ساداتهم ذو علوم جمّه و عباده موفوره و أوراد متواصله و زهاده بينه، و تلاوه كثيره، يتتبع معاني القرآن الكريم و يستخرج من بحره جواهره و يستنتج عجائبه، و يقسم أوقاته على أنواع الطاعات بحيث يحاسب عليها نفسه، رؤيته تذكر الآخرة، و استماع كلامه يزهد في الدنيا، و الاقتداء بهديه يورث الجنة، نور قسماته شاهد أنه من سلاله النبوه، و طهاره أفعاله تصدع أنه من ذريه الرساله، نقل عنه الحديث و استفاد منه العلم جماعه من الأئمه و أعلامهم و عدّوا أخذهم عنه منقبه شرفوا بها و فضيله اكتسبوها.

و اما مناقبه و صفاته فتكاد تفوت عدّ الحاصر و يحار في أنواعها فهم اليقظ الباصر حتّى أنّ من كثره علومه المفاضه على قلبه من سجال التقوى، صارت الأحكام التي لا تدرك عللها، و العلوم التي تقصر الأفهام عن الإحاطه بحكمها، تضاف إليه و تروى عنه.

و قد قيل أنّ كتاب الجفر الذي بالمغرب و يتوارثه بنو عبد المؤمن هو من كلامه (عليه السّلام) و ان في هذه لمنقبه ستيه، و درجه في مقام الفضائل عليه، و هي

ص: ٢٣

١- (١) مناقب أبي حنيفة: ١/١٧٢، و التحفه الاثني عشرية: ٨.

٢- (٢) صفوه الصفوه: ٩٤/٢.

نبذه يسيره مما نقل عنه (١).

و فى تهذيب الأسماء (٦٣١-٦٧٦هـ) عن عمرو بن أبى المقدام قال:

كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلاله النبیین (٢).

و قال ابن خلکان (٦٠٨-٦٨١هـ): أبو عبد الله جعفر الصادق...أحد الأئمة الاثنى عشر على مذهب الإماميه و كان من سادات أهل البيت، و لقب بالصادق لصدقه فى مقالته، و فضله أشهر من أن يذكر و له كلام فى صنعه الكيمياء، و الزجر و الفال...و دفن بالبقيع فى قبر فيه أبوه محمد الباقر و جدّه على زين العابدين و عمّ جده الحسن بن على (رضى الله عنهم اجمعين) فلله درّه من قبر ما أكرمه و أشرفه (٣).

و قال البخارى فى فصل الخطاب (٧٥٦-٨٢٢هـ): اتفقوا على جلاله الصادق (عليه السلام) و سيادته (٤).

و قال ابن الصبّاغ المالکى (٧٨٤-٨٥٥هـ): نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، و انتشر صيته و ذكره فى سائر البلدان، و لم ينقل من العلماء عن أحد من أهل بيته ما نقل عنه من الحديث.

و روى عنه جماعه من أعيان الامه...وصى إليه أبو جعفر (عليه السلام) بالإمامه و غيرها وصيته ظاهره، و نصّ عليها نصّاً جلياً (٥).

ص: ٢٤

١- (١) مطالب السؤل: ٥٦/٢.

٢- (٢) تهذيب الاسماء: ١٤٩/١.

٣- (٣) وفيات الأعيان: ٣٢٧/١.

٤- (٤) ينابيع المودّه: ١٦٠/٣، و هذا البخارى هو محمد خواجه پارساى.

٥- (٥) الفصول المهمّه: ٢٢٢.

إشاره

مظاهر من شخصيه الإمام الصادق (عليه السلام)

سعه علمه:

لقد شقق الإمام الصادق (عليه السلام) العلوم بفكره الثاقب و بصره الدقيق، حتى ملأ الدنيا بعلومه، وهو القائل: «سلوني قبل أن تفقدوني فإنه لا يحدثكم أحد بعدى بمثل حديثي» (١). و لم يقل أحد هذه الكلمه سوى جده الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام).

و أدلى (عليه السلام) بحديث أعرب فيه عن سعه علومه فقال: «و الله إنى لأعلم كتاب الله من أوله إلى آخره كأنه فى كفى، فيه خبر السماء و خبر الأرض، و خبر ما كان، و خبر ما هو كائن، قال الله عزّ و جلّ: (فيه تبيان كل شيء)» (٢).

و قد كان من مظاهر سعه علمه أنه قد ارتوى من بحر علومه أربعة آلاف طالب و قد أشاعوا العلم و الثقافة فى جميع الحواضر الإسلاميه و نشروا معالم الدين و أحكام الشريعه (٣).

ص: ٢٥

١- ((١)) تاريخ الإسلام للذهبي: ٤٥/٦، تذكرة الحفاظ: ١٥٧/١، تهذيب الكمال فى أسماء الرجال: ٧٩/٥.

٢- ((٢)) اصول الكافي: ٢٢٩/١.

٣- ((٣)) الارشاد: ١٧٩/٢ و عنه فى إعلام الورى: ٣٢٥، و مناقب آل أبى طالب: ٢٤٧/٤ و المعتبر للمحقق الحلى: ٥.

لقد كان الإمام الصادق (عليه السلام) من أندى الناس كفاء، و كان يوجد بما عنده لإنعاش الفقراء و المحرومين، و قد نقل الرواه بوادر كثيره من كرمه، كان من بينها ما يلي:

١- دخل عليه أشجع السلمى فوجده عليلاً، و بادر أشجع فسأل عن سبب علته، فقال (عليه السلام): تعدّ عن العله، و اذكر ما جئت له فقال:

ألبسك الله منه عافيه فى نومك المعترى و فى أرقك

يخرج من جسمك السقام كما أخرج ذل السؤال من عنقك

و عرف الإمام حاجته فقال لغلامه: أى شىء معك؟ فقال: أربعمائه. فأمره بإعطائها له (١).

٢- دخل عليه المفضل بن رمانه و كان من ثقاه أصحابه و رواته فشكا إليه ضعف حاله، و سأله الدعاء، فقال (عليه السلام) لجاريتته: هات الكيس الذى وصلنا به أبو جعفر، فجاءته به، فقال له: هذا كيس فيه أربعمائه دينار فاستعن به، فقال المفضل:

لا و الله جعلت فداك ما أردت هذا، و لكن أردت الدعاء، فقال (عليه السلام): لا أدع الدعاء لك (٢).

٣- سأله فقير فأعطاه أربعمائه درهم، فأخذها الفقير، و ذهب شاكرًا، فقال (عليه السلام) لخدمته: ارجعه، فقال الخادم: سئلت فأعطيت، فما ذا بعد العطاء؟ قال (عليه السلام): قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): «خير الصدقه ما أبقت غنى»، و إننا لم نغنه، فخذ هذا الخاتم فاعطه فقد أعطيت فيه عشرة آلاف درهم، فإذا احتاج فليبعه بهذه القيمه (٣).

ص: ٢٦

١- ((١)) أمالى الطوسى: ٢٨٧/١، مناقب آل أبى طالب: ٢٩٦/٤.

٢- ((٢)) اختيار معرفه الرجال للكشى: ٤٢٢/٢ ح ٣٢٢ ترجمه مفضل بن قيس بن رمانه.

٣- ((٣)) الإمام جعفر الصادق، أحمد مغنيه: ٤٧.

٤- من بوادر جوده و سخائه و حبه للبر و المعروف أنه كانت له ضيعة قرب المدينة تسمى (عين زياد)، فيها نخل كثير، فإذا نضج التمر أمر الوكلاء أن يتلموا في حيطانها التلم، ليدخل الناس و يأكلوا من التمر (١).

و كان يأمر لجيران الضيعة الذين لا يقدرّون على المعجىء كالشيخ و العجوز و المريض لكل واحد منهم بمدّ من التمر، و ما بقى منهم يأمر بحمله إلى المدينة فيفترق أكثره على الضعفاء و المستحقين، و كانت قيمة التمر الذى تنتجه الضيعة أربعة آلاف دينار، فكان ينفق ثلاثة آلاف منها، و يبقى له ألف (٢).

٥- من بوادر كرمه أنه كان يطعم و يكسو حتى لم يبق لعياله شىء من كسوه أو طعام (٣).

و من كرمه أنه مرّ به رجل، و كان (عليه السّلام) يتغذى، فلم يسلم الرجل فدعاه الإمام إلى تناول الطعام، فأنكر عليه بعض الحاضرين، و قال له: السنه أن يسلم ثم يدعى، و قد ترك السلام على عمد... فقابله الإمام (عليه السّلام) ببسمات مليئه بالبشر و قال له: هذا فقه عراقى، فيه بخل... (٤).

صدقاته فى السرّ:

أما الصدقات فى السرّ فإنها من أفضل الأعمال و أحبها لله لأنها من الأعمال الخالصة التى لا يشوبها أى غرض من أغراض الدنيا، و قد ندب إليها أئمه أهل البيت (عليهم السّلام)، كما أنها كانت منهجا لهم، فكل واحد منهم كان يعول

ص: ٢٧

١- (١) الإمام جعفر الصادق: ٤٧.

٢- (٢) المصدر السابق.

٣- (٣) تاريخ الإسلام: ٤٥/٦، مرآة الزمان: ١٦٠/٦، تهذيب الكمال: ٨٧/٥.

٤- (٤) حياه الإمام الصادق (عليه السّلام): ٦٤/١ عن نثر الدرر.

جماعه من الفقراء و هم لا يعرفونه. و كان الإمام الصادق (عليه السلام) يقوم فى غلس الليل البهيم فىأخذ جرابا فيه الخبز و اللحم و الدراهم فىحمله على عاتقه و يذهب به إلى أهل الحاجه من فقراء المدينه فىقسمه فىهم، و هم لا يعرفونه، و ما عرفوه حتّى مضى إلى الله تعالى فافتقدوا تلك الصلوات فعلموا أنها منه (١).

و من صلواته السريه ما رواه إسماعيل بن جابر قائلا: أعطانى أبو عبد الله (عليه السلام) خمسين دينارا فى صره، و قال لى: «ادفعها إلى شخص من بنى هاشم، و لا- تعلمه أنى أعطيتك شيئا»، فأتيتها و دفعتها إليه فقال لى: من أين هذه؟ فأخبرته أنها من شخص لا يقبل أن تعرفه، فقال العلوى: ما يزال هذا الرجل كل حين يبعث بمثل هذا المال، فنعيش بها إلى قابل، و لكن لا يصلنى جعفر بدرهم مع كثره ماله (٢).

تكريمه للضيوف:

و من بوادر كرمه و سخائه حبه للضيوف و تكريمه لهم، و قد كان يشرف على خدمه ضيوفه بنفسه، كما كان يأتهم بأشهى الطعام و ألذّه، و أوفره، و يكرر عليهم القول وقت الأكل: «أشدكم حبا لنا أكثركم أكلا عندنا...».

و كان يأمر فى كل يوم بوضع عشر ثنات (٣) من الطعام يتغدى على كل ثبته عشره (٤).

ص: ٢٨

١- (١) الإمام جعفر الصادق: ٤٧.

٢- (٢) مجموعه ورام: ٨٢/٢.

٣- (٣) الثنات: مفردا ثبته و هى الوعاء الذى يوضع فيه الطعام.

٤- (٤) الإمام جعفر الصادق: ٤٦.

تواضعه:

و من مظاهر شخصيته العظيمة نكرانه للذات و حبه للتواضع و هو سيد المسلمين، و إمام الملايين، و كان من تواضعه أنه كان يجلس على الحصير (١)، و يرفض الجلوس على الفرش الفاخرة، و كان ينكر و يشجب المتكبرين حتى قال ذات مره لرجل من إحدى القبائل: «من سيد هذه القبيله؟ فبادر الرجل قائلاً:

أنا، فأنكر الإمام (عليه السلام) ذلك، و قال له: لو كنت سيدهم ما قلت: أنا..» (٢).

و من مصاديق تواضعه و نكراته للذات: أن رجلاً من السواد كان يلزمه، فافتقده فسأل عنه، فبادر رجل فقال مستهيناً بمن سأل عنه: إنه نبطى... فردّ عليه الإمام قائلاً: «أصل الرجل عقله، و حسبه دينه، و كرمه تقواه، و الناس فى آدم مستون...».

فاستحيى الرجل (٣).

سمو أخلاقه:

كان الإمام الصادق (عليه السلام) على جانب كبير من سمو الأخلاق، فقد ملك القلوب، و جذب العواطف بهذه الظاهره الكريمه التى كانت امتداداً لأخلاق جده رسول الله (صلى الله عليه و آله) الذى سما على سائر النبيين بمعالي أخلاقه.

و كان من مكارم أخلاق الإمام و سمو ذاته أنه كان يحسن الى كل من أساء إليه، و قد روى أن رجلاً من الحجاج توهم أن هميانه (٤) قد ضاع منه، فخرج

ص: ٢٩

١- (١) النجوم الزاهره: ١٧٦/٥.

٢- (٢) الطبقات الكبرى: ٣٢١/١.

٣- (٣) حياه الإمام الصادق (عليه السلام): ٦٦/١ عن مطالب السؤل.

٤- (٤) الهميان: و هو كيس يجعل فيه و يشدّ على الوسط، و جمعه هميين، و هو معرّب عن الفارسيه، كما نقله الطريحي عن الأزهرى فى مجمع البحرين: ٣٣٠/٦.

يفتش عنه فرأى الإمام الصادق (عليه السلام) يصلى فى الجامع النبوى فتعلق به، و لم يعرفه، و قال له: أنت أخذت هميانى؟

فقال له الإمام بعطف و رفق: ما كان فيه؟

قال: ألفت دينار، فأعطاه الإمام ألف دينار، و مضى الرجل إلى مكانه فوجد هميانه فعاد إلى الإمام معتذرا منه، و معه المال فأبى الإمام قبوله و قال له:

شئ خرج من يدى فلا يعود إلى، فبهر الرجل و سأل عنه، فقيل له: هذا جعفر الصادق، و راح الرجل يقول بإعجاب: لا جرم هذا فعال أمثاله (١).

إن شرف الإمام (عليه السلام) الذى لا حدود له هو الذى دفعه إلى تصديق الرجل و دفع المال له.

و قال (عليه السلام): «إنا أهل بيت مروءتنا العفو عمن ظلمنا» (٢).

و كان يفيض بأخلاقه النديه على حضار مجلسه حتى قال رجل من العامه: و الله ما رأيت مجلسا أنبل من مجالسته (٣).

صبره:

و من الصفات البارزه فى الإمام (عليه السلام) الصبر و عدم الجزع على ما كان يلاقيه من عظيم المحن و الخطوب، و من مظاهر صبره أنه لما توفى ولده إسماعيل الذى كان ملاً العين فى أدبه و علمه و فضله - دعا (عليه السلام) جمعا من أصحابه فقدم لهم مائده جعل فيها أفر الأطمه و أطيب الألوان، و لما فرغوا من تناول الطعام سأله بعض أصحابه، فقال له: يا سيدى لا أرى عليك أثرا من

ص: ٣٠

١- (١) الإمام جعفر الصادق: ٤٨.

٢- (٢) الخصال: ١٠/١.

٣- (٣) اصول الكافى: ٤٥٧/٢.

آثار الحزن على ولدك؟ فأجابه (عليه السلام): «و ما لى لا أكون كما ترون، و قد جاء فى خير أصدق الصادقين - يعنى جده رسول الله (صلى الله عليه و آله) - إلى أصحابه: إنى ميت و إياكم» (١).

إقباله على العباده:

أما الإقبال على عباده الله تعالى و طاعته فإنه من أبرز صفات الإمام، فقد كان من أعبد الناس لله فى عصره، و قد أخلص فى طاعته لله كأعظم ما يكون الإخلاص، و إليك صورته موجزه عن عباداته:

أ- صلواته: ان الصلاة من أفضل العبادات و أهمها فى الإسلام، و قد أشاد بها الإمام الصادق (عليه السلام) فى كثير من أحاديثه:

قائلاً (عليه السلام): «ما تقرب العبد إلى الله بعد معرفه أفضل من الصلاة» (٢).

و قال (عليه السلام): «إن أفضل الأعمال عند الله يوم القيامة الصلاة، و ما أحسن من عبد توضع فأحسن الوضوء» (٣).

و قال (عليه السلام): «الصلاة قربان كل تقى» (٤).

و قال (عليه السلام): «أحب الأعمال إلى الله عزّ و جلّ الصلاة، و هى آخر وصايا الأنبياء، فما أحسن الرجل يغتسل أو يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم ينتحى حيث لا يراه أنيس فيشرف الله عليه و هو راكع أو ساجد إن العبد إذا سجد فأطال السجود نادى إبليس: يا ويله أطاعوا و عصيت، و سجدوا و أبيت» (٥).

و قال أبو بصير: دخلت على ام حميده - زوجه الإمام الصادق (عليه السلام) -

ص: ٣١

١- (١) الإمام جعفر الصادق: ٤٩.

٢- (٢) مجموعه ورام: ٨٦/٢.

٣- (٣) وسائل الشيعة: ٤٣٢/٦ و ١٢٩/٨.

٤- (٤) المصدر السابق: ٤٣-٤٤ و ٢٦٢/٧.

٥- (٥) المصدر السابق: ٢٦/٣.

اعزّيهما بأبي عبد الله (عليه السلام) فبكت و بكيت لبكائها، ثم قالت: يا أبا محمّد لو رأيت أبا عبد الله عند الموت لرأيت عجا ففتح عينيه ثم قال: «اجمعوا كل من بيني وبينه قرابه». قالت فما تركنا أحدا إلا جمعناه، فنظر إليهم ثم قال: «إن شفاعتنا لا تنال مستخفا بالصلاه» (١).

و من الجدير بالذكر أن الإمام (عليه السلام) لم يدع نافله من نوافل الصلاه إلا أتى بها بخشوع وإقبال نحو الله.

و كان (عليه السلام) إذا أراد التوجه إلى الصلاه اصفرّ لونه، و ارتعدت فرائضه خوفا من الله تعالى و رهبه و خشيه منه. و قد أثرت عنه مجموعه من الأدعية في حال وضوئه، و توجهه إلى الصلاه و في قنوته، و بعد الفراغ من صلاته (٢).

ب- صومه: إن الصوم من العبادات المهمة في الإسلام، و ذلك لما يترتب عليه من الفوائد الاجتماعية و الصحيه و الأخلاقيه، «و هو جنة من النار» - كما قال الإمام الصادق (عليه السلام) - (٣).

و قد حث الإمام الصادق (عليه السلام) الصائم على التحلي بالأخلاق و الآداب التاليه، قال (عليه السلام): «و إذا صمت فليصم سمعك، و بصرك، و لسانك من القبيح و الحرام، و دع المرء، و أذى الخادم، و ليكن عليك وقار الصيام، و لا تجعل يوم صومك مثل يوم فطرك سواء..» (٤).

و كان (عليه السلام) صائما في أغلب أيامه تقربا إلى الله تعالى. أما شهر رمضان المبارك فكان يستقبله بشوق بالغ، و قد أثرت عنه بعض الأدعية المهمة عند رؤيته لهلاله، كما أثرت عنه بعض الأدعية في سائر أيامه و في ليالي القدر

ص: ٣٢

١- (١) وسائل الشيعة: ١٧/٣.

٢- (٢) راجع الصحفيه الصادقيه. و هي مجموعه الأدعية المأثوره عن الإمام الصادق (عليه السلام).

٣- (٣) وسائل الشيعة: ٢٩٠/٣.

٤- (٤) المصدر السابق: ١٦٥/١.

المباركه و فى يوم عيد الأضحى الأغرّ (١).

ج-حجّه: أما الحج فهو بالإضافة إلى قدسيته فإنه من أهم المؤتمرات العبادية السياسية التي تعقد في العالم الإسلامي، حيث تعرض فيه أهم المشاكل التي تواجه المسلمين سواء أكانت من الناحية الاقتصادية أم الاجتماعية أو المشاكل السياسية الداخلية والخارجية، مضافاً إلى أنه من أهم الروابط التي يعرف بها المسلمون بعضهم بعضاً.

وقد حجّ الإمام الصادق (عليه السلام) مرات متعددة و التقى بكثير من الحجاج المسلمين، و قد كان المعلم و المرشد لهم على مسائل الحج، فقد جهد هو و أبوه الإمام محمد الباقر (عليهما السلام) على بيان أحكام الحجّ بشكل تفصيلي، و عنهما أخذ الرواه و الفقهاء أحكام هذه الفريضة، و لو لا هما لما عرفت مسائل الحجّ و أحكامه.

و كان الإمام الصادق (عليه السلام) يؤدّي بخضوع و خشوع مراسيم الحج من الطواف، و الوقوف في عرفات و منى، و قد روى بكر بن محمد الأزدي فقال:

خرجت أطوف، و إلى جنبى الإمام أبو عبد الله الصادق (عليه السلام) حتى فرغ من طوافه ثم مال فصلّى ركعتين بين ركن البيت و الحجر، و سمعته يقول فى أثناء سجوده: «سجد وجهى لك تعديداً و رقماً، لا إله إلا أنت حقاً حقاً، الأول قبل كل شىء، و الآخر بعد كل شىء، و ها أنا ذا بين يديك، ناصيتي بيدك فاغفر لى إنه لا يغفر الذنب العظيم غيرك، فاغفر لى، فإنى مقرّ بذنوبى على نفسى، و لا يدفع الذنب العظيم غيرك».

ثم رفع رأسه الشريف، و وجهه كأنما غمس فى الماء من كثرة البكاء (٢).

و روى حماد بن عثمان فقال: رأيت أبا عبد الله جعفر بن محمد

ص: ٣٣

١- (١) راجع صحيفه الصادقيه، باقر شريف القرشى: ١١٩/٥-١٤٧.

٢- (٢) قرب الإسناد: ٢٨.

بالموقف رافعا يده إلى السماء...و كان في موقف النبي (صلى الله عليه و آله) و ظاهر كفيّه إلى السماء (١).

و كان (عليه السّلام) إذا خرج من الكعبة المقدسه يقول: «اللّهُ أَكْبَرُ، اللّهُ أَكْبَرُ، اللّهُ أَكْبَرُ، اللهم لا تجهد بلاءنا، و لا تشمت بنا أعداءنا، فإنك أنت الضار النافع» (٢).

و روى حفص بن عمر-مؤذن علي بن يقطين- فقال: كنا نروى أنه يقف للناس في الحجّ سنه (١٤٠ هـ) خير الناس، فحججت في تلك السنه، فإذا إسماعيل بن عبد الله بن العباس واقف فداخلنا من ذلك غمّ شديد، فلم نلبث، و إذا بالإمام أبي عبد الله (عليه السّلام) واقف على بغله له، فرجعت أبشّر أصحابي، و قلت: هذا خير الناس الذي كنا نرويه (٣).

و كان من أعظم الخاشعين و الداعين في مواقف الحجّ، فقد روى أنّ سفيان الثوري قال: و الله رأيت جعفر بن محمّد (عليه السّلام) و لم أر حاجبا وقف بالمشاعر، و اجتهد في التضرّع و الابتهاال أكثر منه، فلمّا وصل عرفات أخذ من الناس جانبا، و اجتهد في الدعاء في الموقف (٤).

ص: ٣٤

١- (١) قرب الاسناد: ٣١.

٢- (٢) المصدر السابق: ٣.

٣- (٣) المصدر السابق: ٩٨.

٤- (٤) حياه الإمام الصادق (عليه السّلام): ٧١/١ نقلا عن ضياء العالمين.

الباب الثاني

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

نشأه الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) الفصل الثاني:

مراحل حياته الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) الفصل الثالث:

الإمام الصادق (عليه السلام) في ظل جدّه و أبيه

ص: ٣٥

إشاره

نشأه الإمام جعفر الصادق(عليه السلام)

الاسره الكريمة:

إنَّ اسره الإمام الصادق(عليه السّلام)،هي أجَلّ و أسمى أسره في دنيا العرب و الإسلام،فإنَّها تلك الأسره التي أنجبت خاتم النبيين و سيد المرسلين محمّد(صلّى الله عليه و آله)،و أنجبت أيضا عظماء الأئمه و أعلام العلماء،و هي على امتداد التاريخ لا تزال مهوى أفئده المسلمين،و مهبط الوحي و الإلهام.

من هذه الأسره التي أغناها الله بفضلله،و القائمه في قلوب المسلمين و عواطفهم تفرّع عملاق هذه الامه،و مؤسس نهضتها الفكرية و العلميه الإمام جعفر بن محمّد الصادق(عليه السّلام)،و قد ورث من عظماء أسرته جميع خصالهم العظيمة فكان ملء فم الدنيا في صفاته و كمالاته.

الأب الكريم:

هو الإمام محمد بن علي الباقر(عليهما السّلام)سيد الناس لا في عصره،و إنما في جميع العصور على امتداد التاريخ علما و فضلا و تقوى،و لم يظهر من أحد في ولد الإمامين الحسن و الحسين(عليهما السّلام)من علم الدين و السنن و علم القرآن

و السير، و فنون الأدب و البلاغه مثل ما ظهر منه (١).

لقد فجر هذا الإمام العظيم ينابيع العلم و الحكمة فى الأرض، و ساهم مساهمه إيجابيه فى تطوير العقل البشرى، و ذلك بما نشره من مختلف العلوم.

لقد أزهرت الدنيا بهذا المولود العظيم الذى تفرّع من شجره النبوه و دوحه الإمامه و معدن الحكمة و العلم، و من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا.

الام الزكيه:

هى السیده المهذبّه الزكيه (ام فروه) بنت الفقيه القاسم (٢) بن محمّد بن أبى بكر (٣) و كانت من سيدات النساء عفه و شرفا و فضلا، فقد تربت فى بيت أبيها و هو من الفضلاء اللامعين فى عصره، كما تلقت الفقه و المعارف الإسلاميه من زوجها الإمام الأعظم محمّد الباقر (عليه السلام)، و كانت على جانب كبير من الفضل، حتى أصبحت مرجعا للسيدات من نساء بلدها و غيره فى مهام امورهن الدينيه و حسبها فخرا و شرفا أنها صارت اما لأعظم إمام من أئمه المسلمين، و كانت تعامل فى بيتها بإجلال و احترام من قبل زوجها، و باقى أفراد العائله النبويه.

ص: ٣٨

١- (١) الفصول المهمه: ١٩٢.

٢- (٢) اصول الكافى: ٤٧٢/١، و تاريخ أهل البيت: ١٢٢، و الارشاد: ١٨٠/٢، و تذكره الخواص: ٣٠٦ و ٣٠٧.

٣- (٣) القاسم بن محمد بن أبى بكر كان من الفقهاء الأجلاء، و كان عمر بن عبد العزيز يجله كثيرا و قد قال: لو كان لى من الأمر شىء لو لى لى القاسم بن محمّد الخلافة، و قد عمر طويلا و ذهب بصره فى آخر عمره، و لما احتضر قال لابنه: سن على التراب سنا- أى ضعه على سهلا- و سؤى على قبرى، و الحق بأهلك، و إياك أن تقول: كان أبى. و كانت وفاته بمكان يقال له قديد، و هو إسم موضع يقع ما بين مكه و المدينه، راجع ترجمته فى صفه الصفوه: ٥١/٢-٥٢ و المعارف: ١٠٢، و معجم البلدان: ٣١٣/٣، و وفيات الأعيان: ٥٩/٤.

و لم تمض فتره طويله من زواج السيده (ام فروه) بالإمام محمد الباقر (عليه السلام) حتّى حملت، و عمّت البشرى أفراد الأسره العلويه، و تطلّعوا إلى المولود العظيم تطلّعهم لمشرق الشمس، و لما أشرقت الأرض بولاده المولود المبارك سارعت القابله لتزف البشرى إلى أبيه فلم تجده في البيت، و إنما وجدت جده الإمام زين العابدين (عليه السلام) فهنّأته بالمولود الجديد، و غمرت الإمام موجات من الفرح و السرور لأنّه علم أن هذا الوليد سيجدد معالم الدين، و يحيى سنّه جدّه سيّد المرسلين (صلّى الله عليه و آله) و أخبرته القابله بأن له عينين زرقاوين جميلتين، فتبسم الإمام (عليه السلام) و قال: «إنه يشبه عيني والدتي» (١).

و بادر الإمام زين العابدين (عليه السلام) إلى الحجره فتناول حفيده فقبله، و أجرى عليه مراسيم الولاده الشرعيه، فأذن في اذنه اليمنى، و أقام في اليسرى.

لقد كانت البدايه المشرقه للإمام الصادق (عليه السلام) أن استقبله جدّه الذي هو خير أهل الأرض، و همس في أذنه:

«الله أكبر»

«لا إله إلا الله»

و قد غذاه بهذه الكلمات التي هي سرّ الوجود لتكون أنشودته في مستقبل حياته.

ص: ٣٩

تاريخ ولادته:

اختلف المؤرخون في السنه التي ولد فيها الإمام الصادق(عليه السلام) فمن قائل إنه ولد بالمدينه المنوره سنه (٨٠ هـ) (١).

وقال آخرون إنه ولد سنه (٨٣ هـ) يوم الجمعة أو يوم الإثنين لثلاث عشره ليله بقيت من شهر ربيع الأول (٢).

وقال ثالث إنه ولد سنه (٨٦ هـ) (٣).

تسميته و ألقابه:

أما اسمه الشريف فهو(جعفر)و نصّ كثير من المؤرخين على أن النبيّ (صلى الله عليه و آله)هو الذي سمّاه بهذا الاسم، ولقّبه بالصادق (٤).

لقد لُقّب الإمام(عليه السلام)بألقاب عديده يمثل كل منها مظهرا من مظاهر شخصيته و إليك بعض هذه الألقاب الكريمه:

١-الصادق:لقّبه بذلك جدّه الرسول(صلى الله عليه و آله)باعتباره أصدق إنسان في حديثه و كلامه (٥).

وقيل:إن المنصور الدوانيقي الذي هو من ألد أعدائه،هو الذي أضفى عليه هذا اللقب،و السبب في ذلك:أن أبا مسلم الخراساني طلب من الإمام

ص:٤٠

-
- ١- ((١)) تاريخ ابن الوردي:١/٢٦٦،الاتحاف بحب الأشراف:٥٤،سر السلسله العلويه لأبي نصر البخاري:٣٤، ينابيع الموده:٤٥٧،تذكره الحفاظ:١/١٥٧،نور الأبصار للشبلنجي:١٣٢،وفيات الأعيان:١/١٩١.
 - ٢- ((٢)) اصول الكافي:١/٤٧٢،و تاريخ أهل البيت:٨١،و الارشاد:٢/١٧٩ و إعلام الوري:١/٥١٤.
 - ٣- ((٣)) مناقب آل أبي طالب:٢٠٨/٤.
 - ٤- ((٤)) موسوعه الإمام الصادق(عليه السلام)القزويني:١/١٦٢.
 - ٥- ((٥)) قال السمعاني في أنسابه:٣/٥٠٧،الصادق لقب لجعفر الصادق لصدقه في مقاله.

الصادق (عليه السلام) أن يدلّه على قبر جده الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فامتنع، وأخبره أنه إنما يظهر القبر الشريف في أيام رجل هاشمي يقال له أبو جعفر المنصور، وأخبر أبو مسلم المنصور بذلك في أيام حكومته وهو في الرصافه ببغداد، وفرح بذلك، وقال: هذا هو الصادق (١).

٢-الصابر (٢):و لقب بذلك لأنه صبر على المحن الشاقّة و الخطوب المريره التي تجرّعها من خصومه الامويين و العباسيين.

٣-الفاضل (٣):لقّب بذلك لأنه كان أفضل أهل زمانه و أعلمهم لا- في شؤون الشريعة فحسب و إنما في جميع العلوم،فهو الفاضل و غيره المفضل.

٤-الطاهر (٤):لأنه أظهر إنسان في عمله و سلوكه و اتجاهاته في عصره.

٥-عمود الشرف (٥):لقد كان الإمام (عليه السلام) عمود الشرف، و عنوان الفخر و المجد لجميع المسلمين.

٦-القائم (٦):لأنه كان قائما بإحياء دين الله و الذبّ عن شريعة سيد المرسلين.

٧-الكافل (٧):لأنه كان كافلا للفقراء و الأيتام و المحرومين،فقد قام بالإنفاق عليهم و إعالتهم.

ص: ٤١

١- (١) موسوعه الإمام الصادق: ٢٢/١.

٢- (٢) تذكرة الخواص: ٣٠٧، مرآة الزمان: ٥/ورقه ١٦٦ من مصورات مكتبه الإمام أمير المؤمنين.

٣- (٣) تاريخ أهل البيت: ١٣١، و تذكرة الخواص: ٣٠٧.

٤- (٤) مرآة الزمان: ٥/ورقه ١٦٦.

٥- (٥) سر السلسله العلويه: ٣٤.

٦- (٦) مناقب آل أبي طالب: ٢٨١/٤.

٧- (٧) مناقب آل أبي طالب: ٢٨١/٤.

٨-المنجى (١):من الضلاله،فقد هدى من التجأ إليه،و أنقذ من اتصل به.

فهذه بعض ألقابه الكريمة التى تحكى بعض صفاته،و معالم شخصيته.

كناه:

و كنى الإمام الصادق(عليه السلام)بأبى عبد الله،و أبى إسماعيل،و أبى موسى (٢).

ذكاؤه:

كان الإمام الصادق(عليه السلام)فى سنّه المبكر آيه من آيات الذكاء،فلم يجاربه أحد بمثل سنّه على امتداد التاريخ بهذه الظاهره التى تدعو إلى الإعجاب و الإكبار،و التى كان منها أنه كان يحضر دروس أبيه و هو صبى يافع لم يتجاوز عمره الثلاث سنين،و قد فاق بتلقيه لدروس أبيه جميع تلاميذه من كبار العلماء و الرواه.و من الجدير بالذكر أن دروس أبيه و بحوثه لم تقتصر على الفقه و الحديث،و تفسير القرآن الكريم،و إنما شملت جميع أنواع العلوم،و قد أتم بها الإمام الصادق(عليه السلام)أحسن إلمام.و يدلّ على ذلك ما نقله الرواه من أن الوليد بن عبد الملك أمر عامله على المدينة عمر بن عبد العزيز بتوسعه المسجد النبوى،فأنجز عمر قسما كبيرا منه،و أعلمه بذلك،و سافر الوليد إلى المدينة ليطلع بنفسه على ما أنجزه عمر من أعمال التعمير و التوسيع،و قد استقبله عمر من مسافه خمسين فرسخا،و أعدّ له استقبالا رسميا،و خرجت أهالى المدينة بجميع طبقاتها لاستقباله و الترحيب به، و بعد ما انتهى إلى المدينة دخل إلى الجامع النبوى ليشاهد ما أنجز من أعمال

ص:٤٢

١- (١) مناقب آل أبى طالب:٢٨١/٤.

٢- (٢) المصدر السابق.

التعمير، و قد رأى الإمام الباقر (عليه السلام) على المنبر، و هو يلقي محاضره على تلاميذه فسلم عليه، فرد الإمام السلام عليه، و توقف عن التدريس تكريما له، فأصر عليه الوليد أن يستمر في تدريسه، فأجابه إلى ذلك، و كان موضوع الدرس (الجغرافيا) فاستمع الوليد، و بهر من ذلك، فسأل الإمام: ما هذا العلم؟

فأجابه الإمام: «إنه علم يتحدث عن الأرض و السماء، و الشمس و النجوم».

و وقع نظر الوليد على الإمام الصادق، فسأل عمر بن عبد العزيز: من يكون هذا الصبي بين الرجال؟

فبادر عمر قائلا: إنه جعفر بن محمد الباقر...

و أسرع الوليد قائلا: هل هو قادر على فهم الدرس و استيعابه؟

فعرفه عمر بما يملكه الصبي من قدرات علميه، قائلا: إنه أذكي من يحضر درس الإمام و أكثرهم سؤالا و نقاشا.

و بهر الوليد، فاستدعاه، فلما مثل أمامه بادر قائلا: «ما اسمك؟».

و أجابه الصبي بطلاقه قائلا: «اسمى جعفر».

و أراد الوليد امتحانه، فقال له: «أتعلم من كان صاحب المنطق - أى مؤسسها -؟»

فأجابه الصبي: «كان أرسطو ملقبا بصاحب المنطق، لقبه إياه تلامذته، و أتباعه».

و وجه الوليد إليه سؤالا ثانيا قائلا: «من صاحب المعز؟».

فأنكر عليه الإمام و قال: «ليس هذا اسما لأحد، و لكنه اسم لمجموعه من النجوم، و تسمى ذو الأعنه» (١).

و استولت الحيره و الدهول على الوليد، فلم يدر ما يقول، و تأمل كثيرا ليستحضر مسأله اخرى يسأل بها سليل النبوه، و حضر في ذهنه السؤال الآتى

ص: ٤٣

١- (١) هذه المجموعه من النجوم تسمى فى اصطلاح العلم الحديث «أوريكا» أو «أريجا».

فقال له: «هل تعلم من صاحب السواك؟».

فأجابه الإمام فوراً: «هو لقب عبد الله بن مسعود صاحب جدى رسول الله (صلى الله عليه وآله)».

و لم يستحضر الوليد مسأله يسأل بها الإمام، و وجد نفسه عاجزاً أمام هذا العملاق العظيم، فراح ييذى إكباره و إعجابه بالإمام، و يرحب به، و أمسك بيده، و دنا من الإمام الباقر (عليه السلام)، يهتته بولده قائلاً: إن ولدك هذا سيكون علامه عصره (١).

و صدق توسم الوليد، فقد أصبح الإمام الصادق (عليه السلام) أعلم علماء عصره على الإطلاق، بل أعلم علماء الدنيا على امتداد التاريخ، و ليس هناك تعليل مقنع لهذه الظاهره التى أتصف بها سليل النبوه فى حال طفولته، إلا القول بما تذهب إليه الشيعة من أن الله تعالى منح أئمه أهل البيت (عليهم السلام) العلم و الحكمه فى جميع أدوار حياتهم كما منح أنبياءه و رسله.

معرفة بجميع اللغات:

و كان فى سنّه المبكر عارفاً بجميع لغات العالم إذ كان يتكلم مع كل أهل لغة كأنه واحد منهم. و إليك نماذج تشير الى ذلك:

١- روى يونس بن زبيان النبطى أن الإمام الصادق (عليه السلام) تحدّث معه باللغه النبطيه فأخبره عن أول خارجه خرجت على موسى بن عمران، و على المسيح، و على الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بالنهروان، و أعقب كلامه بقوله:

«مالح ديربير ما كى مالح»، و معناه أن ذلك عند قريتك التى هى بالنبطيه (٢).

ص: ٤٤

١- (١) الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: ١٠٨-١١٢.

٢- (٢) الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: ٤٨.

٢- روى عامر بن على الجامعى، قال: قلت لأبى عبد الله (عليه السلام): جعلت فداك، إنا نأكل كل ذبائح أهل الكتاب، و لا ندرى أيسمّون عليها أم لا؟ فقال (عليه السلام): إذا سمعتموهم قد سمّوا فكلوا، أندرى ما يقولون على ذبائحهم؟

فقلت: لا.

فقرأ شيئاً لم أعرفه ثم قال: بهذا امروا.

فقلت: جعلت فداك إن رأيت أن نكتبها.

قال (عليه السلام): اكتب «نوح أيوا ادينو بلهيز مالحوا عالم اشرسوا أورصو بنوا (يوسعه) موسق ذعال اسطحوا» (١).

و فى روايه اخرى أنّ النص كالآتى «باروح أنا ادوناي إيلو هنوا ملخ عولام اشرفدشنوا عبسوتا و سينوانوا على هشخيطا» و معناه تباركت أنت الله مالک العالمين، الذى قدسنا بأوامره، و أمرنا على الذبح (٢).

٣- روى أبو بصير قال: كنت عند أبى عبد الله (عليه السلام) و عنده رجل من أهل خراسان و هو يكلمه بلسان لا أفهمه (٣) و كانت الفارسيه.

و وفد عليه قوم من أهل خراسان، فقال (عليه السلام) لهم: «من جمع مالا- يحرسه عذبه الله على مقداره» فقالوا له باللغه الفارسيه: لا- نفهم العربيه، فقال (عليه السلام) لهم:

«هرکه درم اندوزد جزایش دوزخ باشد» (٤).

٤- روى أبان بن تغلب قال: غدوت من منزلى بالمدينه و أنا أريد أبا عبد الله فلما صرت بالباب وجدت قوما عنده لم أعرفهم، و لم أر قوما أحسن زياً منهم، و لا أحسن سيماء منهم كأن الطير على رؤوسهم، فجعل

ص: ٤٥

١- ((١)) الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: ٤٧.

٢- ((٢)) المصدر السابق: ٤٨.

٣- ((٣)) الاختصاص: ١٨٣.

٤- ((٤)) الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: ٤٦.

أبو عبد الله (عليه السلام) يحدثنا بحديث فخرنا من عنده، وقد فهم خمسة عشر نفراً، متفرقي الألسن، منهم العربي، و الفارسي، و النبطي، و الحبشي، و الصقلي، فقال العربي: حدثنا بالعربية، و قال الفارسي: حدثنا بالفارسيه، و قال الحبشي:

حدثنا بالحبشيه، و قال: الصقلي: حدثنا بالصقليه و أخير (عليه السلام) بعض أصحابه بأن الحديث واحد، و قد فسر له لكل قوم بلغتهم (١).

٥- و دار الحديث بين الإمام (عليه السلام) و بين عمار الساباطي باللغه النبطيه فبهر عمار و راح يقول: (ما رأيت نبطيا أفصح منك بالنبطيه).

فقال (عليه السلام) له: «يا عمار و بكل لسان» (٢).

هيئته و وقاره:

كانت الوجوه تعنو لهيبه الإمام الصادق (عليه السلام) و وقاره، فقد حاكى هيئه الأنبياء، و جلاله الأوصياء، و ما رآه أحد إلا هابه إذ كانت تعلوه روحانيه الإمامه، و قداسه الأولياء. و كان ابن مسكان و هو من خيار الشيعة و ثقاتها لا يدخل عليه شفقه أن لا يوافيه حق إجلاله و تعظيمه، فكان يسمع ما يحتاج إليه من امور دينه من أصحابه، و يأبى أن يدخل عليه (٣).

ص: ٤٦

١- ((١)) الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: ٤٦-٤٧.

٢- ((٢)) الاختصاص: ٢٨٣.

٣- ((٣)) الاختصاص: ٢٠٣.

الفصل الثانی: مراحل حياه الإمام الصادق (عليه السلام)

ولد الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) في مرحلة ازدهار الدولة الامويه حين ابتعد الخلفاء كثيرا عن طريق الحق و ترسيخت صيغته الملك المتوارث.

عاصر جدّه إثننا عشره سنه في المدينه و عاش مع أبيه بعد جدّه تسع عشره سنه. نهل خلالها جميع العلوم و المعارف من أبيه (عليه السلام) وفاق الجميع بسعه إدراكه و شدّه ذكائه.

و شارك أباه محنه الصبر على تولّى الظالمين و التعرض للبلاء كما ساهم مع أبيه في نشر العلوم الإسلاميه من خلال حلقات الدرس التي أسسها لكي لا تضيع الرساله و تدرس معالم الدين.

و تمكّن من أن يواصل بعد أبيه (عليه السلام) خلال مدته إمامته التي استمرّت أربعاً و ثلاثين سنه تربيته أجيال عديده من العلماء و الفقهاء الصالحين ممن ينهج نهج أهل البيت (عليهم السلام).

و كما عاصر الإمام الصادق (عليه السلام) مرحله انحطاط الدولة الامويه و افولها عاصر كذلك ظهور الدولة العباسيه التي تعجّلت في ممارسه الظلم بالنسبه لأهل البيت (عليهم السلام) و التعدى عليهم.

و تمكّن الإمام الصادق (عليه السّلام) في هذه الفتره من المعتزك السياسى المرير ان يحافظ على كيان المذهب الشيعى و سلامه الجماعه الصالحه و تنميتها، تلك الجماعه التى عمل على بنائها و توسعتها آباؤه الطاهرون.

و من هنا نقسّم حياته إلى عصرين متميزين:

١-عصر ما قبل التصدّى للإمامه و قد عاصر فيه كلاً من الوليد بن عبد الملك و سليمان بن عبد الملك و عمر بن عبد العزيز و يزيد بن الوليد و هشام بن عبد الملك و ينقسم إلى مرحلتين:

المرحله الاولى:حياته مع جدّه و أبيه (٨٣-٩٥ هـ).

المرحله الثانيه:حياته مع أبيه الباقر(عليه السّلام)(٩٥-١١٤ هـ).

٢-عصر امامته(عليه السّلام)و ينقسم إلى مرحلتين أيضاً:

المرحله الاولى:فتره انهيار الدوله الامويه حتّى افولها(١١٤-١٣٢ هـ).

و المرحله الثانيه:فتره تأسيس الدوله العباسيه حتى استشهاده(١٣٢-١٤٨ هـ).

و عاصر فى المرحله الاولى منهما كلاً من:هشام بن عبد الملك و الوليد بن يزيد ثم يزيد بن الوليد المعروف بالناقص ثم أخيه إبراهيم بن الوليد ثم مروان بن محمد المعروف ب(مروان الحمار)آخر ملوك الدوله الامويه التى عاثت فى الأرض فسادا.

كما عاصر فى الثانيه منهما كلاً من:السفاح و أبى جعفر المنصور، و استشهد فى حكم المنصور العباسى بعد اجراءات قاسيه قام بها هذا الحاكم الذى تربّع على كرسى الخلفه باسم أهل البيت(عليهم السّلام).

و سنوا فى القارىء الكريم بتفاصيل ما جرى على الإمام(عليه السّلام)فى هذه المرحله القاسيه من حياته الشريفه.

إشاره

الإمام الصادق في ظل جدّه و أبيه (عليهم السلام)

ملاحح عصر الإمام زين العابدين (عليه السلام) و مواقفه

لقد واجه الإمام زين العابدين (عليه السلام) بعد استشهاد أبيه الحسين (عليه السلام) ما يلي:

- ١- التعاطف مع أهل البيت (عليهم السلام) تعاطفاً كان يفتقد الوعي و يقتصر على الشعور الإيجابي بالولاء مع خلوه عن الموقف العملي الجاد.
 - ٢- ثورات انتقاميه كانت تتحرّك نحو هدف محدود، و ثورات نفعيه مصلحيه، و نشوء حركات منافقه، و ظهور و غاظ السلاطين لاسباغ الشرعيه على السلطه القائمه.
 - ٣- بروز ظاهره الشعور بالإثم عند الامه بسبب ما ارتكبته من خذلان لأبيه الحسين السبط (عليه السلام) لكن هذا الشعور كما هو معروف كان بلا ترشيد واضح، و العقليات المدبّره للثوره على الوضع القائم كانت تفكّر بالتأثر فحسب.
- و هنا خطّ الإمام زين العابدين (عليه السلام) لعمله على مرحلتين أو خطوتين:
- الخطوه الاولى: تناول الإمام (عليه السلام) ظاهره الشعور بالاثم و عمل على ترشيدها بعد أن عمّقها بشكل متواصل عبر تذكيره الامه بمأساه كربلاء و المظالم التي لحقت بآل البيت (عليهم السلام). و قد استغرق هذا التذكير زمنا طويلا،

حيث حاول إعطاء ظاهره الشعور بالإثم بعدا فكريا صحيحا ليجعل منه أداة دفع و تأثير في عملية البناء و التغيير.

و بعد أن تراكم هذا الشعور شكّل في نهايه الأمر خزينا داخليا كانت لا تقوى الامّه أن تصبر عليه طويلا و أصبح الإلحاح على مخرج تعبّر به الامّه عن ألمها أمرا جدّيا، حتّى حدثت الثورة الكبرى. و طبعى أنّ هذا الجوّ المشحون الذى كان ينبئ بالثوره و الاطاحه بالامويين جعلهم يشدّدون الرقابه على الإمام زين العابدين (عليه السّلام) باعتباره الرأس المدبّر لهذه المطالبه و لكونه الوريث الشرعى للخلافه بعد أبيه الحسين (عليه السّلام). و من هنا كانت الحكومه الامويّه تفسّر أى حركه تصدر من الإمام (عليه السّلام) على أنها تمهيد للثوره.

الخطوه الثانيه: توزّع نشاط الإمام (عليه السّلام) فى هذه الخطوه على عدّه اتّجاهات.

الاتجاه الأول: قام الإمام (عليه السّلام) ببلوره العواطف الهائجه و حاول أن يدفعها باتّجاه الفكر الصحيح و يضع لها الاسس العقائديّه و يجعل منها مقدمه لعمليه التغيير التى ينشدها الإمام (عليه السّلام)، و قد تمثّلت فى إيجاد الفكر الإسلامى الصحيح الذى طالما تعرّض للتشويه و التحريف. ثم إعداد الطليعه الواعيه التى تشعر بالمسؤوليه و تكون أهلا لحمل الأمانه الإلهيه.

الاتّجاه الثانى: تحرّك الإمام زين العابدين (عليه السّلام) انطلاقا من مسؤوليته فى حمايه الإسلام و بقائه كشريعته دون تحريف و تشويه لمحتواه ضمن عدّه نشاطات:

١- النشاط الاول: واجه الإمام (عليه السّلام) الحركات الانحرافيه و الفرق الضالّه و المغاليه التى كانت تستهدف الفكر الإسلامى و تعتمد الاسرائيليات و النظريات الهنديه و اليونانيه حول الكون و الحياه فى فهم القرآن و الحديث

الشريف، و قام بنشر مختلف العلوم و الفنون و تبيان الصيغه الصحيحه للعلاقات الاجتماعيه و السياسيه و الاخلاقيه التي كان قد أصابها الفساد، كما يتضح ذلك بجلاء في رسالته المعروفه برسالة الحقوق، كما ساهم في حلّ المشاكل التي كانت تهدّد كرامه الدوله الإسلاميه كما يلاحظ ذلك جليًا فيما حدث في جوابه على رساله ملك الروم حين هدّد الخليفه بالحصار الاقتصادي (١).

النشاط الثاني: إن الامويين كانوا قد ضيقوا على حركه الإمام (عليه السّلام) و نشاطه مع الأئمّه إلا أن الإمام (عليه السّلام) استخدم الدعاء سلاحا للارتباط الفكرى و المعنوى بها. و حيث أنّ هذا السلاح لم يستهدف الامويين مباشرة، توفّر للإمام (عليه السّلام) مجال أوسع لمعالجه الظواهر المرضيه و الانحرافات الأخلاقيه.

الاتجاه الثالث: التأكيد على أهميه العمل الثورى و مكافحه الظلم و الانحراف و ايقاد روح الجهاد التي كانت خدمت في الأئمّه عبر سنوات الانحراف، كما يتجلّى ذلك في دعائه للمختار الذى طالب بثار الحسين و كان على اتصال دائم بالإمام (عليه السّلام) أثناء ثورته من خلال عمّه محمد بن الحنفية.

الاتجاه الرابع: لم يكن موقف الإمام (عليه السّلام) من الحكّام موقف المواجهه و التحدى المباشر؛ إذ لو كان قد فعل الإمام زين العابدين (عليه السّلام) ذلك لما كان يستطيع أن يحقّق ما حقّقه من مكاسب فى الامه فى مجال الترييه، و لما توفّرت أجواء سليمه و فرص واسعه لنشاط الإمام الباقر (عليه السّلام) من بعده و للجماعه الصالحه التي ربّاه.

لكنّ هذا لا يعنى أن الإمام (عليه السّلام) لم يوضّح رأيه فى الحكومه فلم يترك

ص: ٥١

الأمر ملتبساً على شيعته بل كانت للإمام زين العابدين (عليه السلام) مواقف مع الحكام سوف نشير إلى بعض منها، وكان هدفه منها إعطاء خطّ في التريه و التغيير حفاظاً على الشيعة من الضياع؛ إذ لم تكن الجماعة الصالحة على سبيل المواجهه و لكنّها كانت كافيّه فى التحصين فى تلك المرحلة على مستوى التريه و الإعداد و تأسيساً لمستقبل سياسى أفضل.

و نستطيع أن نلاحظ موقف الإمام (عليه السلام) مع السلطه من خلال رسالته الجوابيه إلى عبد الملك حين لام عبد الملك الإمام (عليه السلام) على زواجه بأتمته التى كان قد أعتقها.

إن ردّ الإمام (عليه السلام) على عبد الملك كان يتضمّن تحدياً للخليفه الذى كان يفكّر بعقليه جاهليه؛ فإنّ الإمام (عليه السلام) وضح فيها الموقف الإسلامى الذى يلغى كل الامتيازات التى وضعتها الجاهليه بقوله (عليه السلام): «فلا لوم على امرئ مسلم إنّما اللوم لوم الجاهليه».

يظهر هذا التحدى مِمّا جاء فى مصادر التاريخ من أن الخليفه الاموى بعد أن قرأها هو و ابنه سليمان، قال الابن: يا أمير المؤمنين لشد ما فخر عليك على بن الحسين! فردّ الخليفه على ابنه قائلاً: «يا بنى لا- تقل ذلك فإنّها ألسن بنى هاشم التى تفلق الصخر و تغرف من بحر، إنّ على بن الحسين يا بنى يرتفع من حيث يتّضع الناس (١)».

و فى هذا الجواب إشاره إلى أنّ المواجهه مع الإمام من قبل الخليفه لا تخدم سلطان بنى اميه.

و من مواقف الإمام زين العابدين (عليه السلام) تجاه السلطه أيضاً موقفه من

ص: ٥٢

١- ((١)) بحار الأنوار: ١٦٥/٤٦ عن فروع الكافى: ٣٤٤/٥، و العقد الفريد: ١٢١/٧.

الزهرى ذلك المحدث الذى كان مرتبطا بالبلاط الاموى-فقد أرسل إليه الإمام(عليه السلام)رسالة قرعه فيها على شنيع فعله (١)،و ان كان قد علم الإمام بأنه غارق إلى هامته فى موائد السلطان و لهوه،إلا أنها رساله للأجيال.

و من الأحاديث التى وضعها هذا الرجل دعما لسياسه بنى اميه حينما منعوا حج بيت الله الحرام لما كان ابن الزبير مسيطرا على الحرمين الشريفين ما رواه عن النبي(صلى الله عليه و آله)بقوله:لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة:مسجدى هذا و المسجد الحرام و المسجد الأقصى.

ملاحح عصر الإمام محمد الباقر(عليه السلام)

استشهد الإمام زين العابدين(عليه السلام)سنه(٩٥هـ)فى أيام حكم الوليد بن عبد الملك و تولّى الإمام محمد بن على الباقر(عليهما السلام)مسؤوليه الإمامه بوصيه من أبيه حيث أعلن عن امامته أمام سائر أبنائه و عشيرته حين سلّمه صندوقا فيه سلاح رسول الله(عليه السلام)و قال له:«يا محمّد هذا الصندوق فاذهب به إلى بيتك،ثم قال(عليه السلام):أما إنه لم يكن فيه دينار و لا درهم و لكنه مملوء علما» (٢).

إذن فهو صندوق يرمز لمسؤوليه القيادة الفكرية و العلميه كما أنّ السلاح يرمز لمسؤوليه القيادة الثوريه.

و بالرغم من توالى الثورات التى تلت واقعه الطف و التى كان الإمام الباقر(عليه السلام)قد عاصرها جميعا مع أبيه(عليه السلام)بقى موقف الأعم الأغلب من الناس الاستجابه لمنطق السيف الاموى إلى جانب القسم الآخر الذى آمن بأنّ الحكّام الامويين يمثلون الخلفه الإسلاميه.

ص:٥٣

١- (١) تحف العقول:٢٧٢-٢٧٧.

٢- (٢) بصائر الدرجات:٤/٤٤ و ٤٨،و اصول الكافي:١/٣٠٥ ح ١ و ٢ و عنهما فى بحار الأنوار:٢٢٩/٤٦.

كما أنه عاصر عمليات الهدم الفكرى و التحريف و المسخ الثقافى الذى مارسه الامويون بحق الرساله و القيم الإسلاميه.

و عند مجيء سليمان بن عبد الملك إلى الحكم بعد وفاه أخيه الوليد بن عبد الملك سنة (٩٦ هـ) أصدر قرارات جديده استراحت الأئمه بسببها قليلا حيث أمر بالتنكيل بآل الحجاج بن يوسف الثقفى و طرد كل عماله و ولاته (١) كما أطلق سراح المسجونين فى سجون الحجاج (٢).

و فى سنة (٩٩ هـ) تقلد الحكم الاموى عمر بن عبد العزيز فازدادت الحرّيات فى مدّه خلافته القصيره، كما يراه بعض المؤرخين، كما انه عالج مشكله الخراج التى قال عنها بأنها سنّه خبيثه سنّها عمال سوء (٣).

و عامل العلويين معامله خالف فيها أسلافه فقد جاء فى كتابه لعامله على المدينة: «أقسم فى ولد على من فاطمه رضوان الله عليهم عشره آلاف دينار فطالما تخطّتهم حقوقهم» (٤) و ردّ فدكا-التى كان قد صادرها الخليفه الأوّل-على الإمام الباقر (عليه السلام) (٥) و رفع سب الإمام على (عليه السلام) الذى كان قد سنّه معاويه (٦).

أما الناحيه الفكرية: فتبعاً للتغيّرات السياسيه نلمس تطوّرا فى الجانب الفكرى أيضا. فقد برزت فى هذا الظرف تيارات فكرية جديده و أتجه الناس

ص: ٥٤

- ١- (١) الكامل لابن الأثير: ١٣٨/٤.
- ٢- (٢) تاريخ ابن عساكر: ٨٠/٤.
- ٣- (٣) تاريخ الطبرى: ١٣٩/٨، و عنه فى الكامل لابن الأثير: ٢٩/٥.
- ٤- (٤) مروج الذهب: ١٩٤/٣.
- ٥- (٥) الكامل: ١٦٤/٤، و المناقب: ٢٢٥/٤ و سفينه البحار: ٤٩٤/٦ و ٤٥/٧ عن المجلد الثامن من بحار الأنوار الطبعة الحجرية و ٣٢٠/٤٦ و ٣٢٧، و فى الكامل للجزرى: ١٦٤/٤.
- ٦- (٦) انظر الفكر السامى: ٢٧٦/١ عن صحيح مسلم، و تاريخ يعقوبى: ٢٢٣/٢ و ٢٣٠ و ٢٣٥ و ٣٠٥، و شرح النهج للمعتزلى: ٩٨/١٥ فى قنوت معاويه على على و الحسن و الحسين! تاريخ الخميس: ٣١٧/٢.

للبحث و الدرس و تلقى المعرفة الإسلاميه و رفع المنع الحكومى عن تدوين الحديث النبوى و بدأت تتميز مدرسه أهل الحديث عن مدرسه أهل الرأى و مال الموالى من غير العرب إلى مدرسه أهل الرأى فى الكوفه، و تزعم أبو حنيفه هذه المدرسه فى حينها ضدّ مدرسه أهل الحديث فى المدينه (١).

و كنتيجته طبيعياً للإخفاق الذى سجّلته الحركات الفكرية، ظهرت فكره الاعتزال التى نادى بها واصل بن عطاء فى البصره عندما اعتزل حلقه و درس استاذة الحسن البصرى و هى تعتبر تعديلاً لفكره الخوارج التى لم تلق رواجاً حينما قالت بكفر مرتكب الكبيره (٢) و المرجئه التى قالت بأنه لا تضرّ مع الإيمان معصيه (٣) فقال واصل (مؤسس اتجاه الاعتزال و المتوفى فى (١٣١ هـ): إنّ صاحب الكبيره ليس بمؤمن بإطلاق بل هو فى منزله بين منزلتين أى أنّ مرتكب الكبيره ليس بمؤمن و لا كافر لكنّه فاسق و الفاسق يستحق النار بفسقه (٤).

هذه صورته مجمله عن الواقع الذى عايشه الإمام الصادق (عليه السلام) خلال مرحله قياده أبيه الباقر (عليه السلام).

متطلبات عصر الإمام الباقر (عليه السلام)

إشاره

و نلخص دور الإمام الباقر (عليه السلام) فى ثلاثه خطوط أساسيه:

الخط السياسى، و إكمال بناء الجماعه الصالحه و تأسيس جامعته أهل البيت (عليهم السلام) العلميه.

ص: ٥٥

١- (١) ضحى الإسلام ل احمد امين: ١٧٨/٢.

٢- (٢) الملل و النحل: ١٥٨/١.

٣- (٣) تاج العروس، ماده رجأ.

٤- (٤) الأغاني: ١٥/٧.

لقد كان الخيار السياسي للإمام الباقر (عليه السلام) في فترة تصديبه للإمامه هو الابتعاد عن الصدام و المواجهه مع الامويين. و هذا واضح من خلال تصريحه الذي تضمن بياناً للجوّ السائد و حاله الامه و مستوى وعيها آنذاك حيث قال (عليه السلام): «إن دعوناهم لم يستجيبوا لنا» (١).

كما نجده فيما بعد يستوعب سياسه الانفتاح و الاعتدال التي أبداها عمر ابن عبد العزيز، سواء كان هذا الاعتدال بدافع ذاتي لعلاقته بالإمام (عليه السلام) أم بدافع الضغوط الخارجيّه و خوفه من انهيار الدوله الامويه.

إنّ الإمام قد رسم خطّه السياسي مع عمر بن عبد العزيز عبر اسلوبين:

الاسلوب الأول: التصريح برأيه حول عمر بن عبد العزيز و حكومته قبل تصديبه للخلافه. فعن أبي بصير، قال: كنت مع أبي جعفر الباقر (عليه السلام) في المسجد و دخل عمر بن عبد العزيز و عليه ثوبان ممّصّيران (٢) متكئاً على مولى له فقال (عليه السلام): «ليلين هذا الغلام! أي سوف يتولّى السلطه! فيظهر العدل و يعيش أربع سنين (كذا) ثم يموت فيكي عليه أهل الأرض و يلعنه أهل السماء!

قال أبو بصير: فقلنا: يا ابن رسول الله أليس ذكرت إنصافه و عدله؟!

فقال: يجلس في مجلسنا و لا حقّ له فيه» (٣).

الاسلوب الثاني: اسلوب المراسله و اللقاء. فقد روى أنّ عمر بن

ص: ٥٦

١- ((١)) الارشاد، للشيخ المفيد: ١٦٧/٢، ١٦٨، و عنه في مناقب آل أبي طالب: ٢٠٦/٤ و عنهما في بحار الأنوار: ٢٨٨/٤٦.

٢- ((٢)) الممّصّر: الثوب المصبوغ بصفره خفيفه-النهايه: ٣٣٦/٤.

٣- ((٣)) الخرائج و الجرائح: ٢٧٦/١ ح ٧ و عنه في بحار الأنوار: ٢٥١/٤٦ و ٣٢٧ و عنه في سفينه البحار: ٤٩٥/٦ و ٤٩٦.

عبد العزيز كرم الإمام أبا جعفر (عليه السلام) وعظمه و أرسل خلفه فنون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود و كان من عبّاد أهل الكوفة فاستجاب له الإمام (عليه السلام) و سافر إلى دمشق فاستقبله عمر استقبالا رائعا و احتفى به و جرت بينهما أحاديث و بقى الإمام الباقر (عليه السلام) أياما فى ضيافته (١).

و روى أيضا أنه كتب عمر للإمام (عليه السلام) بقصد الاختبار فأجابه الإمام برسالة فيها موعظه و نصيحه له (٢).

و لكن سياسته الابتعاد عن الصدام المباشر لم تمنع الإمام الباقر (عليه السلام) من أن يقف من الامه بشكل عام و من الامويين و هشام بن عبد الملك بشكل خاص موقف التحدى الفكرى و العقائدى و العلمى لبيان الحق المغتصب و كشف ستار الباطل الذى كان قد أسدله الحكام على الحق و رموزه.

فحين حجّ هشام بن عبد الملك بن مروان سنة من السنين و كان قد حجّ فى تلك السنة محمّد بن على الباقر (عليه السلام) و ابنه جعفر، قال جعفر بن محمد (عليه السلام) فى بعض كلامه: «الحمد لله الذى بعث محمّدا نبيا و أكرمنا به، فنحن صفوه الله على خلقه و خيرته من عباده فالسعيد من اتبعنا و الشقى من خالفنا، و من الناس من يقول: إنه يتولانا و هو يتولّى أعدائنا و من يليهم من جلسائهم و أصحابهم، فهو لم يسمع كلام ربنا و لم يعمل به...» (٣).

فبين الإمام (عليه السلام) مفهوم القيادة الإلهيه و مصداقها الحقيقى و الذى كان يمثلها هو آنئذ.

و هذا الطرح و ان كان فيه نوع مجابهه صريحه للحاكم و ما كان يدور فى

ص: ٥٧

١- (١) تاريخ دمشق: ٣٨/٥١.

٢- (٢) تاريخ يعقوبى: ٣٠٥/٢.

٣- (٣) دلائل الامامه: ١٠٤-١٠٩، بحار الأنوار: ٣٠٦/٤٤.

أذهان الناس لكنه لم يكن مغامرته؛ لأنَّ الظرف كان بحاجة إلى مثل هذا الطرح و التوضيح بالرغم من أنه قد أدى-فيما بعد-إلى أن يستدعى هشام،الإمامين الباقر و الصادق(عليهما السّلام)إلى الشام.

٢- إكمال بناء الجماعة الصالحة

لم تكن عملية بناء الجماعة الصالحة وليده عصر الإمام الباقر(عليه السّلام)فقد باشرها الرسول(صلى الله عليه و آله)ثم الإمام علي(عليه السّلام)،حيث نجد لمالك الأشر و هاشم المرقال،و محمد بن أبي بكر،و حجر بن عدى،و ميثم التمار،و كميل بن زياد، و عبد الله بن العباس دورا كبيرا فى الصراع الذى خاضه الإمام علي(عليه السّلام)مع مناوئيه،و هؤلاء يشكّلون اللبنة الاولى للجماعة الصالحة فى عصر الإمام علي(عليه السّلام).

و استمرت عملية البناء هذه بشكل فاعل فى عصر الإمامين الحسن و الحسين(عليهما السّلام)ثم تقلص النشاط المباشر فى بناء هذه القاعده و توسيعها،ثم استمرت عملية البناء فى العقود الأخيره من حياه الإمام زين العابدين(عليه السّلام).

و تكاملت فى عصر الإمام الباقر(عليه السّلام)حيث سنحت الفرصه له بأن يتحرّك نحو تطوير الجماعة الصالحة بتوضيح أهدافها التى تمثلت فى الدفاع عن المجتمع الإسلامى و حفظ الشريعة الإسلاميه من التحريف إلى جانب توسيع القاعده كما مع تطويرها كيفا.

و نقتصر فيما يلي على بعض ما قام به الإمام الباقر(عليه السّلام)من خطوات:

الخطوه الاولى:أخذ الإمام(عليه السّلام)يعمّق و يوضح صفات الجماعة الصالحة المواليه لأهل البيت(عليهم السّلام)و دورها فى المجتمع فقد جاء فى وصفه لهذه الجماعة قوله(عليه السّلام):«إنما شيعتنا-شيعه على-المتبازلون فى ولايتنا المتحابون فى

مودتنا، المتزاورون لإحياء أمرنا الذين إذا غضبوا لم يظلموا، وإذا رضوا لم يسرفوا، بركة على من جاوروا، سلم لمن خالطوا» (١)، و قال أيضا: «شيعتنا من أطاع الله» ٢.

و بهذا أراد الإمام (عليه السلام) أن يرسخ الكمالات الإنسانية في جانبي الأخلاق و العباده التي تعرّضت للضياع طيله سنوات المحنه، و يوضّح أن الانتماء لخطّ أهل البيت (عليهم السلام) هو بالعمل و التحلى بهذه الصفات.

الخطوة الثانيه: قام الإمام (عليه السلام) -بالإضافه إلى توضيح مستوى الروح الإيمانيه التي ينبغي أن يتمتّع بها أفراد الجماعه الصالحه- بشحن هممها و تربيتها على روح الصبر و المقاومه لكي تمتلك القدره على مواصلة العمل في سبيل الله و مواجهه التحديات المستمره و عدم التنازل أمام الإغراءات أو الضغوط الظالمه، فقد جاء في كلامه (عليه السلام) لرجل حين قال له: و الله إنى لاحتبكم أهل البيت. فقال (عليه السلام): «فأخذ للبلاء، جلبابا، فو الله إنه لأسرع إلينا و إلى شيعتنا من السيل في الوادي، و بنا يبدو البلاء ثم بكم، و بنا يبدو الرخاء ثم بكم (٢).

هكذا رسم الإمام (عليه السلام) معالم الطريق الشائك أمامه، إنه طريق مفروش بالدماء و الدموع، و الإمام رائد المسيره على هذا الطريق يصيبه البلاء أولا قبل أن يصيب شيعته.

و قد كان الإمام (عليه السلام) يذكرهم بمعاناه شيعتهم و أتباعهم قبل هذا الظرف بقوله (عليه السلام): «قتلت شيعتنا بكلّ بلده و قطعت الأيدي و الأرجل على الظنه و كان من يذكر بحبنا و الانقطاع إلينا سجن و نهب ماله و هدمت داره» (٣).

و من الأعمال التي قام بها الإمام (عليه السلام) في بناء الجماعه الصالحه هو إلزام

ص: ٥٩

١- (٢١ و) تحف العقول: ٢٩٥ و ٣٠٠.

٢- (٣) أمالي الشيخ الطوسي: ٩٥، و عنه في بحار الأنوار: ٣٦٠/٤٦.

٣- (٤) حياه الإمام الحسن (عليه السلام) دراسه و تحليل: ٢٥٧/٢.

أتباعه و خاصيته بمبدأ التقية حفاظا عليهم من القمع و الإرهاب و الإبادة التي طالما تعرّضوا لها. و قد اعتبر هذا المبدأ من الواجبات الشرعية ذات العلاقة بالإيمان، فكان يوصيهم بالتقية قائلا: «التقية من ديني و دين آبائي، و لا إيمان لمن لا تقية له» (١).

و من المبادئ التي تتداخل مع التقية: مبدأ كتمان السرّ، فقد جاء عنه (عليه السّلام) في وصيته لجابر بن يزيد الجعفي في أوّل لقاء له بالإمام (عليه السّلام): أن لا يقول لأحد أنه من أهالي الكوفة، و ليظهر بمظهر رجل من أهل المدينة... و جابر الجعفي هذا قد أصبح فيما بعد صاحب سرّ الإمام (عليه السّلام)، و لشده فاعليته و تأثيره في الامه أمر هشام بن عبد الملك و اليه في الكوفة بأن يأتيه برأس جابر، لكنّ جابرا قد تظاهر بالجنون قبل أن يصدر الأمر بقتله حسب إرشادات الإمام الباقر (عليه السّلام) التي كانت تصله سرّا، فقد جاء في كتاب هشام إلى و اليه: أن انظر رجلا يقال له:

جابر بن يزيد الجعفي، فاضرب عنقه و ابعث إلى برأسه.

فالتفت الوالى إلى جلسائه فقال لهم: من جابر بن يزيد الجعفي؟

قالوا: أصلحك الله، كان رجلا له علم و فضل و حديث و حجّ فجنّ و هو ذا في الرحبه مع الصبيان على القصب يلعب معهم.

فأشرف عليه فإذا هو مع الصبيان يلعب على القصب. فقال: الحمد لله الذي عافاني من قتله (٢).

و كان في هذه المرحلة رجال كتموا تشيعهم و ما رسوا نشاطات مؤثره في حياه الامه فكريه و عسكريه و فقهيّه مع الاحتفاظ بعلاقاتهم. منهم:

سعيد بن المسيّب، و القاسم بن محمد، فقد كانا بارزين بين علماء ذلك العصر

ص: ٦٠

١- (١) اصول الكافي: ٢/٢١٩.

٢- (٢) اصول الكافي: ١/٣٩٦ و عنه في بحار الأنوار: ٤٦/٢٨٢.

فى الفقه و غيره إلا أنه لم تكن لهم صبغه التشيع الصريح، فقد شاع عن سعيد ابن المسيب أنه كان يجيب أحياناً برأى غيره من علماء عصره أو برأى من سبقه من الصحابه مخافه أن يصيبه ما أصاب سعيد بن جبير و يحيى بن أم الطويل، و غيرهما ممن تعرضوا للقتل و التشريد بسبب تشيعهم.

و هذا موسى بن نصير من رجالات الكوفه العسكريين و زهادها المؤمنين ممن عرف بولائه لأهل البيت (عليهم السلام) هو و أبوه نصير، و لقد غضب عليه معاويه؛ إذ لم يخرج معه لصفين، و موسى هو الذى فتح الفتوحات العظيمه فى بلاد المغرب و كان تحت امرته مولاه طارق بن زياد و ولده عبد العزيز و بسبب تشيعه غضب عليه سليمان بن عبد الملك و قبل أن يقتله عرضة لأنواع العذاب فقتل ولده أمامه و ألزمه بدفع مبلغ كبير (١).

و كان لجابر الجعفى و زراره و أبان بن تغلب و غيرهم دور بالغ فى نجاح حركه الإمام الباقر (عليه السلام) الفكرية و أصبحوا فيما بعد النواه لجامعته و بقى هؤلاء بعد وفاته بصحبه ولده الإمام الصادق (عليه السلام) ليمارسوا مسؤولياتهم بحجم أكبر كما سيأتى توضيحه.

٣- تأسيس جامعه أهل البيت (عليهم السلام)

لقد أصبح تشكيل النواه الاولى لجامعه علميه إسلاميه فى هذه المرحله ضروره حضاريه لمواجهة التحدى الحاضر و نسف البنى الفكرية لكل الاطروحات السابقه التى وجدت فى ظروف المحنه مناخا مناسباً لبث أفكارها.

إن من الضرورى وجود تيار فكرى يبلور الأفكار الإسلاميه الأصليه

ص: ٦١

و يعتبى بها ذهن الامه و يفوت الفرصه على الظالمين فى حاله تبدل الظروف.

و يمكن تلخيص الاسباب التى شكّلت عاملا مهماً فى التهيئه لنجاح هذه الجامعه فيما يلى:

١- لقد ابعدت الامه عن تبئى أفكار الأئمه من أهل البيت (عليهم السّلام) وفقههم أكثر من قرن و بقيت تتناقله الخواصّ فى هذه الفتره عن طريق الكتابه و الحفظ شفاهاً و بالطرق السريه.

٢- فى هذه الفتره طرحت على العالم الإسلامى تساؤلات فكريه و مستجدات كثيره لم تمتلك الامه لها حلاً بسبب اتساع البلاد الإسلاميه و تبدل الظروف و حاجات المسلمين.

٣- شعر المسلمون فى هذا الظرف بأهميه البحث عن مبدأ فكري يتكفل حلّ مشكلاتهم؛ لأنّ النصّ المحرّف و اجتهادات الصحابه أصبح متخلفاً عن المواكبه بل أصبح بنفسه مشكله أمام المسلم لتعارضه مع العقل و الحياه.

٤- فى هذا العصر ظهرت مدارس فكريه متطرّفه مثل مدرسه الرأى القائله بالقياس و الاستحسان. زاعمه أنّ النصوص التى نقلت عن الرسول (صلّى اللّهُ عليه و آله) قليله (١) لا تفى بالغرض، الأمر الذى تسرّب فيه العنصر الذاتى للمجتهد و دخل الإنسان بذوقه الخاص إلى التشريع (٢)، كما ظهرت مدرسه الحديث قبال

ص: ٦٢

١- ((١)) هذا فى غير مدرسه أهل البيت (عليهم السّلام) الذين حرصوا على نقل تراث الرسول (صلّى اللّهُ عليه و آله) و واجهوا منع تدوين السنّه النبويه بالحثّ على التدوين و النقل و التعليم لئلاّ تدرس معالم الدين. للمزيد يراجع ج ١ من دروس فى فقه الإماميه للدكتور الشيخ الفضلى، و مقدمتى القول السديد فى الاجتهاد و التقليد، و الروضه البهيه، للشيخ الآصفى، و تدوين السنه الشريفه للسيد الحسينى الجلالى.

٢- ((٢)) فقد عرف عن أبى حنيفه أنه لم يصح عنده من أحاديث الرسول الفقيهيه سوى سبعة عشر حديثاً. راجع الإمام الصادق و المذاهب الأربعة: ٢٩٦/١ نقلا عن مقدمه ابن خلدون: ٣٧٢.

مدرسه الرأى و التى عرفت بالجمود على ظاهر النص و لم تتفرغ لتمييز صحيح النصوص من غيره.

٥- غياب القدوة الحسنه و الجماعه الصالحه التى تشكل مناخا لنمو الفضيله و زرع الأمل فى نفوس الامة باتجاه الأهداف الربانيه.

فى هذا الظرف الذى ذهب فيه الخوف و استطاع المسلم أن يبحث عن المعرفه و عن حلّ لمشكلاته الفكرية، قام الإمام الباقر (عليه السّلام) بتشكيل حلقاته العلميه فى مسجد الرسول (صلّى الله عليه و آله) فكان وجوده (عليه السّلام) مركز جذب لقلوب طلاب الحقيقه فالتفّ حوله صحابه أبيه الإمام زين العابدين (عليه السّلام)، و بدأ منذ ذلك الحين بالتركيز على بناء الكادر العلمى آملا أن يواجه به المشكلات الفكرية التى بدأت تغزو الامة المسلمه. و كان يشكّل هذا الكادر فيما بعد الأرضيه اللازمه لمشروع الإمام الصادق (عليه السّلام) المرتقب فتناول الإمام (عليه السّلام) أهمّ المشكلات الفكرية التى كان لها ارتباط وثيق بحياه الناس العقائديه و الأخلاقيه و السياسيه.

و زجّ الإمام بكادره العلمى وسط الامه بعد أن عبأه بكل المؤهلات التى تمكنه من خوض المعركه الفكرية حينما قال لأبان بن تغلب: «جالس أهل المدينه فانى أحبّ أن يرى فى شيعتنا مثلك» (١).

و عندما يدرك الاصحاب مغزى هدف الإمام من هذا التوجيه و ضروره الحضور مع الناس يتصدى هؤلاء بأنفسهم لمعالجه المشكلات الفكرية و إبطال الشبهه عن طريق الحوار و المناظره حسب الخطّ الذى رسمه لهم الإمام (عليه السّلام) فى وقت سابق.

ص: ٦٣

١- (١) اختيار معرفه الرجال للكشى: ٢/٦٢٢، ح ٦٠٣ مولى بنى جرير، و عن رجال النجاشى: ١٠، حرف الألف برقم ٧: «اجلس فى مسجد المدينه و أفّت الناس فانى أحبّ أن يرى فى شيعتى مثلك».

قال عبد الرحمن بن الحجاج: كُنَّا فِي مَجْلِسِ أَبَانَ بْنِ تَغْلِبِ فَجَاءَ شَابٌ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ أَخْبِرْنِي كَمْ شَهِدَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)؟ وَ أَدْرَكَ أَبَانَ مَرَادَهُ فَاثْبَرَى قَائِلًا: كَأَنَّكَ تَرِيدُ أَنْ تَعْرِفَ عَلِيًّا بِمَنْ تَبِعَهُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ؟ فَقَالَ هُوَ ذَاكَ.

فأجابهُ أبان: وَ اللَّهُ مَا عَرَفْنَا فَضْلَهُمْ - أَيْ الصَّحَابَةَ - إِلَّا بِاتِّبَاعِهِمْ إِيَّاهُ.

وَ تَعْمِيقًا لِهَذَا التَّوْجِيهِ وَ بِنَفْسِ السِّيَاقِ يَبَادِرُ مَحْبُوبَ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وَ لِسَانَهُمْ مُؤْمِنِ الطَّاقِ لِيُوجِهُ أَفْكَارَ الْخَوَارِجِ وَ يَرُدَّ عَلَيَّ جَرَائِمَهُمْ فِي التَّشْكِيكِ بِمَوْقِفِ الْإِمَامِ عَلِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مِنْ مَسْأَلَةِ التَّحْكِيمِ (١).

فَقَدْ دَخَلَ مُؤْمِنِ الطَّاقِ عَلَيَّ بَعْضُ زَعَمَاءِ الْخَوَارِجِ فِي الْكُوفَةِ فَقَالَ لَهُ: أَنَا عَلِيُّ بِصِيرِهِ مِنْ دِينِي وَ قَدْ سَمِعْتُكَ تَصِفُ الْعَدْلَ فَأَحْبَبْتُ الدَّخُولَ مَعَكَ، فَقَالَ الْخَارِجِيُّ لِأَصْحَابِهِ: إِنْ دَخَلَ هَذَا مَعَكُمْ نَفَعَكُمْ.

فَقَالَ لَهُ مُؤْمِنِ الطَّاقِ: لَمْ تَبْرَأْتُمْ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَ اسْتَحْلَلْتُمْ قَتْلَهُ وَ قَتَالَهُ؟

فَأَجَابَهُ الْخَارِجِيُّ: لِأَنَّهُ حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي دِينِ اللَّهِ.

فَقَالَ لَهُ: وَ كُلٌّ مِنْ حَكَّمَ فِي دِينِ اللَّهِ اسْتَحْلَلْتُمْ قَتْلَهُ؟

فَأَجَابَ الْخَارِجِيُّ: نَعَمْ.

فَقَالَ لَهُ: أَخْبِرْنِي عَنِ الدِّينِ الَّذِي جِئْتَ أَنْظَارَكَ بِهِ لِأَدْخُلَ مَعَكَ فِيهِ، إِنْ غَلَبَتْ حِجَّتِي حِجَّتَكَ، مِنْ يَوْقِفِ الْمَخْطُئِ مَنَّا عَنْ خَطئِهِ وَ يَحْكُمُ لِلْمَصِيبِ بِصَوَابِهِ؟

فَأَشَارَ الضَّحَّاكَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَ قَالَ: هَذَا هُوَ الْحَكْمُ بَيْنَنَا.

ص: ٦٤

١- (١) معجم رجال الحديث: ٢١/١-٢٢ و تنقيح المقال: ٤/١.

هنا توجه مؤمن الطاق إلى من كان حاضرا من الخوارج و قال: زعيمكم هذا قد حَكَمَ في دين الله (١). و هكذا أفحمهم بحجته البالغة و منطقته القويم.

و قبل أن تنتهي من حياه الإمام الباقر (عليه السّلام) نشير إلى ثلاث وقائع تاريخيه لها صلته بالمرحله التي سوف يتصدى لها الإمام الصادق (عليه السّلام).

الواقعه الاولى: ان هشام بن عبد الملك هو واحد من الحكّام الامويين الذين نصبوا العداوه لأهل البيت (عليهم السّلام)، بل نراه قد زاد على غيره حتّى أنه على أثر الخطبه التي خطبها الإمام الصادق (عليه السّلام) في مكه و التي أوضح فيها معنى القيادة و لمن تكون القيادة، بأمر هشام فور رجوعه إلى الشام بجلب الإمامين الباقر و الصادق (عليهما السّلام) إلى دمشق لغرض التنكيل بهما.

و بعد اللقاء بهشام تفوَّق الإمام الباقر (عليه السّلام) في البلاط الاموى في الحوار الذي أجراه مع هشام ثم حواراه مع عالم النصارى في الشام، يسمح لهما هشام بالرجوع إلى المدينه و لكنّه يأمر أمير (مدين) -و هي المدينه الواقعه في طريقهما- بإيذائهما فقد جاء في رسالته: إنّ ابني أبي تراب الساحرين محمّد بن على و ابنه جعفر الكذابين فيما يظهران من الإسلام، قد وردا علىّ فلما صرفتهما إلى المدينه مالا إلى القسيسين و الرهبان من كفار النصارى، و تقرّبا إليهم بالنصرانيه فكرهت أن انكل بهما لقرابتهما، فإذا قرأت كتابي هذا فناد في الناس: برئت الذمّه ممّن يشار بهما، أو يبايعهما، أو يوافقهما، أو يسلمّ عليهما فإنّهما قد ارتدّا عن الإسلام، و رأى أمير المؤمنين أن تقتلها و دوابّهما و غلمانهما و من معها شرّ قتله و السلام (٢).

و لم يترك هشام الإمام الباقر (عليه السّلام) حزا يتحرّك في المدينه، و لم يسترح

ص: ٦٥

١- (١) الإمام الصادق و المذاهب الأربعة: ٧٢/٢.

٢- (٢) دلائل الإمامه: ١٠٤-١٠٩ و عنه في بحار الأنوار: ٣٠٦/٤٦.

من تواجدته فى الساحة الإسلاميه حتّى أقدم على قتله غيلة بالسّم سنة (١١٤ هـ) (١).

الواقعه الثانيه:فى هذه الفتره تحفّز زيد بن على بن الحسين (عليه السّلام) و صمّم على الثوره ضد هشام بن عبد الملك على أثر تصرّفات الامويين، و لا سيّما تصرّف هشام المهين بحقّ زيد، و النيل من كرامته، و ما كان يفعله هشام بحقّ الشيعه بشكل خاص.

لقد دخل زيد على هشام فسلمّ عليه بالامرّه فلم يردّ السلام إهانه له، بل أغلظ فى الكلام و لم يفسح له فى المجلس.

فقال زيد: السلام عليك يا أحول، فإنّك ترى نفسك أهلا لهذا الاسم.

فغضب هشام و جرت بينهما محاوره كان نصيب هشام فيها الفشل، و خرج زيد و هو يقول: ما كره قوم حرّ السيوف إلاّ ذلّوا.

و أمر هشام برده. و قال له: اذكر حوائجك فقال زيد: أما و أنت ناظر على امور المسلمين فلا. و خرج من عنده و قال: من أحبّ الحياه ذلّ (٢).

و مضى زيد إلى الكوفه ثمّ خطّط للثوره و استشار بذلك الإمام الباقر (عليه السّلام).

قال الإمام الصادق (عليه السّلام): إنّ عمى أتى أبى فقال إني أريد الخروج على هذا الطاغيه.

و لمّا أزمع على الخروج أتاه جابر بن يزيد الجعفى فقال له: إني سمعت أحاكك أبا جعفر يقول: إن أخى زيد بن على خارج و مقتول و هو على الحقّ فالويل لمن خذله، و الويل لمن حاربه، و الويل لمن يقتله.

فقال له زيد: يا جابر لم يسعنى أن أسكت و قد خولف كتاب الله تعالى

ص: ٦٦

١- (١) شذرات الذهب: ١٤٩/١ تاريخ ابن الاثير: ٢١٧/٤ طبقات الفقهاء: ٣٦.

٢- (٢) تاريخ الطبرى: حوادث سنة (١٢١) و تاريخ ابن عساکر: ٢٢/٦-٢٣.

و تحوكم بالجبوت و الطاغوت (١).

الواقع الثالثه: لَمَّا قربت وفاه الإمام محمّد الباقر (عليه السّلام) دعا بأبى عبد الله جعفر الصادق (عليه السّلام) فقال له: إن هذه الليله التى وعدت فيها. ثم سلّم إليه الاسم الأعظم و مواريث الأنبياء و السلاح و قال له: يا أبا عبد الله، الله الله فى الشيعة! فقال أبو عبد الله: لا تركتهم يحتاجون إلى أحد... (٢).

بهذا العرض تنتهى من تصوير حياه الإمام الصادق مع أبيه الباقر (عليهما السّلام) لتبدأ مرحلة تصديّه للإمامه، و بها يبدأ عصر جديد من العمل و الجهاد و الاصلاح.

ص: ٦٧

١- (١) راجع تيسير المطالب: ١٠٨-١٠٩.

٢- (٢) اثبات الهداه: ٥/٣٣٠.

الباب الثالث

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

ملامح عصر الإمام الصادق (عليه السلام) الفصل الثاني:

دور الإمام (عليه السلام) في تثبيت معالم الرسالة الفصل الثالث:

دور الإمام (عليه السلام) في بناء الجماعه الصالحه

ص: ٦٩

ملاحح عصر الإمام الصادق (عليه السلام)

(١٣٢-١١٤ هـ)

تصدى الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) لموقع الإمامه بعد أبيه محمد الباقر (عليه السلام) سنه (١١٤ هـ) فكان مرجعا فى الدين و السياسه و الفكر و الثقافه للمسلمين عامه و لأتباع أهل البيت (عليهم السلام) بشكل خاص.

و هذا الأمر نجده واضحا فى جوابه لأبيه عند ما أوصاه بصحابته و خاصيته. قال الإمام الصادق (عليه السلام): لما حضرت أبى الوفاء قال: يا جعفر اوصيك بأصحابى خيرا. قلت: «جعلت فداك و الله لأدعنهم و الرجل منهم يكون فى مصر فلا يسأل أحدا» (١).

بهذا المستوى العالى من الإقدام الشجاع أعرب الإمام (عليه السلام) عن نواياه و برنامجه الذى أعدّه لمستقبل الشيعة فى ظل إمامته و الخطه التى تؤهلهم لأن يكونوا ذلك النموذج السامى فى المجتمع الإسلامى حيث يتحرّك كل منهم برؤى واضحة المسار، بلا فوضى فى الاختيار و لا ضلاله فى الفكر و السلوك؛ لأنّ هذا الإعداد العلمى و الثقافى يجعلهم أغنياء عن الأخذ من غيرهم و يرتقى

ص: ٧١

١- (١) الارشاد: ٤٠/١، و عنه فى بحار الأنوار: ١٢/٤٧.

بهم إلى مستوى استغنائهم عن سؤال أحد من المسلمين وغير المسلمين ماداموا قد تمسّكوا بالحبل المتصل بالله و هو حبل أهل بيت الرسالة الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا.

و كان الإمام الباقر (عليه السلام) قبل هذا الوقت قد هتأ الشيعة و أعدّهم لأخذ معالم الشريعة من الإمام الصادق (عليه السلام) عندما قال: «إذا افتقدتموني فاقتدوا بهذا فإنه الإمام و الخليفة بعدى و أشار إلى ابنه جعفر» (١).

و باشر الإمام الصادق (عليه السلام) مسؤولياته بدءا بالتعريف بإمامته و إثباتها بشكل علمى و عملى.

جاء عن عبد الرحمن بن كثير: أنّ رجلا دخل المدينة يسأل عن الإمام، فدّلوه على عبد الله بن الحسن، فسأله هنيهة ثمّ خرج، فدّلوه على جعفر بن محمد (عليه السلام) فقصده فلمّا نظر إليه جعفر (عليه السلام) قال: «يا هذا إنك كنت دخلت مدينتنا هذه، تسأل عن الإمام، فاستقبلك فتيه من ولد الحسن فأرشدوك إلى عبد الله بن الحسن، فسألته هنيهة ثم خرجت، فإن شئت أخبرتك عما سألته، و ما ردّ عليك. ثم استقبلك فتيه من ولد الحسين، فقالوا لك: يا هذا إن رأيت أن تلقى جعفر بن محمد فافعل فقال: صدقت كان كما ذكرت» (٢).

و هكذا أخذ الإمام (عليه السلام) يمارس ألوانا من الأساليب لثلا يضيع أتباع أهل البيت بين القيادات المتعدّده إلى أن تبلور فى الأذهان أنّ الإمام جعفر بن محمد (عليه السلام) هو الرمز الإلهى و القائد الحقيقى للامة بعد

ص: ٧٢

١- ((١)) كفايه الأثر: ٢٥٤، و بحار الأنوار: ١٥/٤٧.

٢- ((٢)) المناقب لابن شهر آشوب: ٢٤١/٤ و عنه فى بحار الأنوار: ١٨٤/٢٥، و ١٢٥/٤٧.

أبيه الباقر (عليه السلام).

و استمرّ الإمام بتعزيز خطواته فتحركّ بأسلوب آخر بغية تعميق العلاقة بينه و بين الوجود الشيعي الذي أعدّ تفاصيله و رسم معالمه الإمام الباقر (عليه السلام).

و من هنا نجد الإمام الصادق (عليه السلام) يشحذ هممهم و يثير في نفوسهم الحماس و يخاطب مواطن الخير و القوه فيها مشيرا إلى أنّ الكثره من الناس قد خذلتهم و جهلت حقّهم. و إنّ المسلم الذي تحمّل ساعه الشده و بقى ملازما لهم حتّى صقلته التجارب و لم يستجب للإغراءات لهو جدير بحمل الأمانه و مواصلة الطريق معهم.

و لنقرأ النص الثاني الذي يرتبط بجماعه مواليه لأهل البيت (عليهم السّلام) قدمت من الكوفه و دخلت على الإمام الصادق (عليه السّلام) في المدينه بعد استشهاد أبيه. قال عبد الله بن الوليد: دخلنا على أبي عبد الله (عليه السّلام) في زمن بنى مروان، فقال ممن أنتم؟ قلنا: من الكوفه. قال: ما من البلدان أكثر محبّا لنا من أهل الكوفه، لا سيّما هذه العصابة (١)، إنّ الله هداكم لأمر جهله الناس فأحببتونا و أبغضنا الناس، و بايعتمونا و خالفنا الناس، و صدّقتمونا و كذّبنا الناس، فأحياكم الله محيانا، و أماتكم مماتنا (٢).

بعد هذا العرض الموجز للمرحله التي انتهى منها الإمام الباقر (عليه السّلام) و بدأها الإمام الصادق (عليه السّلام)، لا بدّ أن نقف على ملامح عصر الإمام الصادق (عليه السلام) في شتى النواحي و المجالات.

ص: ٧٣

١- ((١)) يقصد الشيعة لأنها أخص.

٢- ((٢)) امالى الشيخ الطوسى: ١٤٤ ح ٢٣٤ و ٦٧٨ ح ١٤٤٠ و عنه فى بحار الأنوار: ٢٠/٦٨ ح ٣٤.

لم يكن الوضع السياسي الذي يريد أن يتحرّك في وسطه الإمام الصادق (عليه السلام) قد تبدّل. فهشام بن عبد الملك الذي أقدم على اغتيال الإمام الباقر (عليه السلام) لا زال هو الحاكم و سياسته مع الإمام الصادق (عليه السلام) و شيعته هي السياسة نفسها و هي سياسة قائمه على أساس الحقد الجاهلي و تتلخّص في التشريد و الاضطهاد.

إنّ زيد بن علي (رضي الله عنه) قد كشف لنا عمق المأساه التي كانت تعيشها الامه آنذاك، حين تعرّض في زمن الإمام الباقر (عليه السلام) للإذلال و توهين من قبل هشام باعتباره أحد رجال الشيعة و من رموزها البارزين.

أخذ زيد يزداد قناعه بضروره الثوره ضد الامويين حتى صمّم على ذلك بلا تردّد، و بدوافع إسلاميه خالصه.

قد مرّ أن جابر بن يزيد الجعفي حين أوضح ليزيد رأى أخيه الباقر (عليه السلام) بثورته و سلامه قراره و ذكر له أنه مقتول لا محاله. قال له زيد:

يا جابر لم يسعني أن أسكت، و قد خولف كتاب الله و تحوكم بالجبت و الطاغوت، و ذلك أتى شاهدت هشاماً و رجل عنده يسبّ رسول الله. فقلت للسائب: ويلك يا كافر! أما إنى لو تمكّنت منك لاختطفت روحك و عجلتكَ إلى النار. فقال لي هشام: مه، جلسنا يا زيد!

ثم قال زيد لجابر: فو الله لو لم يكن إلا أنا و يحيى ابني لخرجت عليه و جاهدته حتّى أفنى (١).

و الروايه التاليه أيضا تصوّر لنا حقيقه دوافع زيد و مدى عزمه على مناهضه بنى اميه:

فعن محمّد بن عمر بن علي (عليه السّلام) قال: كنت مع زيد بن علي (عليه السّلام) حين بعث بنا هشام إلى يوسف بن عمر، فلما خرجنا من عنده و سرنا حتى كُنّا بالقادسيه قال زيد: اعزلوا متاعى عن أمتعتكم، فقال له ابنه: ما تريد أن تصنع؟

قال: اريد أن أرجع إلى الكوفه، فو الله لو علمت أن رضى الله عزّ و جلّ عنى فى أن أقدح ناراً بيدى حتّى إذا اضطرت رميت نفسى فيها لفعلت، و لكن ما أعلم شيئاً لله عزّ و جلّ عنى أفضل من جهاد بنى اميه (١).

و التحق بزيد كثير من الفقهاء و المحدثين و القضاة من أصحاب الإمامين الباقر و الصادق (عليهما السّلام) (٢).

و عند ما قرّر الثوره، لم يتجاوز إمام عصره حيث طرح الأمر على الإمام الصادق (عليه السّلام).

قال الإمام موسى الكاظم (عليه السّلام): سمعت أبى يقول: رحم الله عمى زيدا...

لقد استشارنى فى خروجه، فقلت له: يا عمّ إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسه فشأنك (٣).

و هكذا أقرّ الإمام الصادق (عليه السّلام) سلامه قراره كما أخبره بنياً شهادته.

أمّا توجيهات الإمام الصادق (عليه السّلام) للمخلصين من أصحابه حيال الثوره بشكل عام فكانت من نوع آخر حيث لا يريد الإمام (عليه السّلام) أن يلقى بكلّ ثقل

ص: ٧٥

١- (١) تيسير المطالب: ١٠٨-١٠٩.

٢- (٢) راجع كتاب زيد الشهيد للسيد عبد الرزاق المقرم حيث تجد قائمه باسماء الشخصيات التى شاركت مع زيد فى ثورته.

٣- (٣) الكناسه اسم محله بالكوفه. راجع الاحتجاج: ١٣٥/٢، بحار الأنوار: ١٧٤/٤٦، مسند الإمام الرضا: ٥٠٥/٢.

وجوده فى معركة واحده.

فعن أبى بكر الحضرمى أنه قال: ذكرنا أمر زيد و خروجه عند أبى عبد الله (عليه السلام) فقال: «عمى مقتول. إن خرج قتل، فقرّوا فى بيوتكم، فو الله ما عليكم بأس»، فقال رجل من القوم: إن شاء الله (١).

زيد يعلن الثورة

و جمع زيد بن على الأنصار و الدعاه فأعلن ثورته و التحق به عدد غفير.

لكن المنتبج للوضع السياسى و الأخلاقى لتلك المرحلة، يرى أنّ الاضطراب العقائدى و الأخلاقى كان سمة من سمات ذلك العصر بالرغم من وجود قناعه كانت تعيشها الامه و هى التذمر من بنى اميه و جورهم من جهه و توجههم إلى أنّ البديل السياسى المرتقب هو الخط العلوى الذى كافح الظلم و تحيّل ألوان العذاب من الحكم الاموى المنحرف. لكن هاتين القناعتين - كما سترى - لا تفيان بكامل الشروط الموضوعيه لنجاح الثورة.

غير أنّ الثورة على مستوى حاجه مسيره الامه تعتبر ضروره اجتماعيه و سياسيه لثلاث تنازلات الامه مطلقا للظالمين عن حقوقها و شخصيتها و لتحافظ على هويتها الإسلاميه من حيث الحيويه و الحساسيه ضد الباطل بشكل عام.

من هنا كان العمل الثورى مفيدا للامه و إن لم تنجح الثورة على المدى القريب. و هكذا نجد الإمام (عليه السلام) مع علمه بنتائج الثورة يعتمق هذا المفهوم فى

ص: ٧٤

١- ((١)) كشف الغمه: ١٩٨/٢-١٩٩، بحار الأنوار: ١٤٨/٤٧.

نفوس الشيعة و يدعم الثوار كما سنرى.

لقد فجر زيد ثورته و حقق نصرا حاسما ضد الامويين بعد ان خاض حربا طاحنه كادت ان تنتهى لصالح زيد لو لا وقوع الفتنه فى صفوف أتباعه حيث احتال عليه بعض من كان يهوى هشاما فدخلوا عليه و قالوا: ما تقول فى أبى بكر و عمر؟ فقال زيد: رحم الله أبى بكر و عمر صاحبى رسول الله (صلى الله عليه و آله) ثم قال: أين كنتم قبل اليوم؟

لقد كان الغرض من إلقاء السؤال فى ذلك الموقف الحرج و فى ساحه الحرب هو أحد أمرين و فى كليهما نجاح تلك الخدعه و تحقيق تلك المؤامره، فإما أن يتبرأ زيد من الشيخين فيكون حينئذ أقوى لقتل زيد؛ لأنه يسىء القول فى الشيخين و تلك وسيله أتخذها الامويون و من بعدهم للقضاء على خصومهم. و إما أن لا يتبرأ ممن ظلم أهل البيت حقهم فيكون جوابه على أى حال سببا لايجاد الخلاف بين أصحابه.

و بالفعل نجحت المؤامره و تفرق أهل الغدر و ذوو الأطماع و كانت هذه الحيله من الوالى يوسف بن عمر أقوى سلاح لجأ إليه، كما أغرى بعض جواسيسه بالأموال ليتعرف على أصحاب زيد (١).

و خذل زيد و تفرق جيشه حتى قال: أراها حسنيه. و بعد قتله حملت جثته و صلبت بالكناسه بالكوفه (٢) و ذلك فى سنه (١٢١ هـ).

ص: ٧٧

١- (١) تاريخ الامم و الملوك: ٢٧٧/٨.

٢- (٢) أنساب الأشراف: ٤٣٩/٣ و ٤٤٦، و النزاع و التخاصم للمقريزى: ٣١.

يقول مهزم الأسدی دخلت على الإمام الصادق (عليه السلام) فقال: «يا مهزم ما فعل زيد؟» قال: قلت: صلب، قال: «أين؟» قلت: في كناسه بنى أسد. قال:

«أنت رأيته مصلوبا في كناسه بنى أسد؟» قال: قلت: نعم، فبكى حتى بكت النساء خلف الستور (١).

نجد الإمام الصادق (عليه السلام) في مواقف متعدده يتبنى الدفاع عن عمه زيد و يترحم عليه و يوضح منطلقاته و أهدافه و يرسخ في النفوس مفهوما اسلاميا عن ثورته حيث يعتبر هذه الثورة جزءا من حركة الإمام (عليه السلام) و ليس حدثا خارجا عنها، كما نجده يردّ على الإعلام المضاد للثورة ضمن عدّه مواقف و تصريحات:

١- يقول الفضيل بن يسار: بعد قتل زيد ذهبت إلى المدينة لألتقي بالإمام الصادق (عليه السلام) و أخبره بنتائج الثورة، و بعد أن التقيته و سمع مني ما دار في المعركة قال: يا فضيل شهدت مع عمي قتال أهل الشام؟ قلت: نعم. قال: فكم قتلت منهم؟ قلت: ستّة. قال: فلعلّك شكّ في دمائهم؟ قال: فقلت: لو كنت شكّا ما قتلتهم. ثمّ قال: سمعته يقول: أشركني الله في تلك الدماء، مضى و الله زيد عمي و أصحابه شهداء، مثل ما مضى عليه عليّ بن أبي طالب و أصحابه (٢).

٢- يقول عبد الرحمن بن سيّابه: دفع إليّ أبو عبد الله الصادق (عليه السلام) ألف دينار و أمرني أن أقسمها في عيال من أصيب مع زيد بن علي بن الحسين (عليهما السلام)، فقسّمتها فأصاب عبد الله أخا الفضيل الرّسان أربعة

ص: ٧٨

١- ((١)) أمالي الطوسي: ٦٧٢/٢، بحار الأنوار: ٢٠١/٤٦.

٢- ((٢)) أمالي الصدوق: ٢٨٦.

هكذا كان الإمام (عليه السلام) يتابع ثوره عمه زيد و يتحمل نتائجها و أعباءها.

و تكشف لنا الروايتان عن مستوى علاقته القائم بين الإمام (عليه السلام) و الشيعة الثائرين عند ما يأمر أحدهم بإحصاء عوائل الشهداء و توزيع المال عليهم.

٣- أمر الإمام (عليه السلام) شيعته بدفن زيد، لأنّ الامويين كانوا قد علّقوه على أعواد المشانق، قال سليمان بن خالد: سألتني الإمام الصادق (عليه السلام) فقال: ما دعاكم إلى الموضوع الذي وضعت فيه زيد؟ قلت: خصال ثلاثة: أما إحداهنّ فقله من تخلف معنا (٢) إنّما كنا ثمانية نفر، أما الأخرى فالذي تخوّفنا من الصباح أن يفضحنا، و أما الثالثة فإنّه كان مضجعه الذي كان سبق إليه فقال: كم إلى الفرات من الموضوع الذي وضعتموه فيه؟ قلت: قذفه حجر. فقال: سبحان الله أفلا كنتم أو قرتموه حديدا و قذفتموه في الفرات و كان أفضل؟ (٣)

الإمام (عليه السلام) و هشام بن عبد الملك

في هذا الجوّ المشحون بتزاحم الإيرادات و حدوث تمرد على الحكومه هنا و هناك، خصوصا بعد ثوره زيد (رحمه الله) و الإمام الصادق (عليه السلام) مشغول بترتيب أوضاعه الرساليه، و التهم تثار ضدّ الشيعة تارة بالخروج على السلطان و اخرى بالزندقة و جواز سبّ الخلفاء، يدخل هشام إلى المدينه و يستقبله بنو العباس بالشكوى على الإمام الصادق (عليه السلام) بأنّه أخذ تركات ماهر الخصى دوننا. هنا يخطب أبو عبد الله الصادق (عليه السلام) فيقول: كان أبوكم طليقنا و عتيقنا و أسلم كارها تحت سيوفنا، لم يهاجر إلى الله و رسوله هجره قط فقطع الله ولايته منّا بقوله: وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ

ص: ٧٩

١- (١) أمالي الصدوق: ٢٧٥.

٢- (٢) أي من اتباع زيد فان بعضهم قتل و بعضهم هرب.

٣- (٣) الكافي: ٢٥٠/٨-٢٥١ ح ٣٥١.

يُهَاجِرُوا لِمَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ (١) ثم قال: هذا مولى لنا مات فحزنا تراثه، إذ كان مولانا، ولأننا ولد رسول الله (عليه السلام) وامننا فاطمه أحرزت ميراثه (٢).

و بعد موت هشام بن عبد الملك تولّى الخلافة الوليد بن يزيد سنة (١٢٥ هـ) وكان يسمّى بالفاسق إذ لم يكن فى بنى اميّه أكثر إدمانا للشراب و السماع و لا أشد مجونا و تهتكاً و استخفافاً بأمر الامّه منه، حتّى إنه واقع جاريه له و هو سكران و جاءه المؤذّنون يؤذّنونه بالصلاه فحلف أن لا يصلّى إلّا هي، فلبست ثيابه، و صلّت بالمسلمين و هى جنب و سكرانه.

و كان قد اصطنع بركه من الخمر، فكان إذا طرب ألقى نفسه فيها و كان يشرب منها حتّى يبين النقص فى أطرافها (٣).

و مما كان من فسقه أنه نكح أمّهات أولاد أبيه، و تفائل يوماً بالمصحف الكريم فخرجت الآية: وَ اسْتَفْتَحُوا وَ حَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ فمزّق المصحف و أنشأ يقول:

أتوعد كل جبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا ربّ مَرَفَى الوليد (٤)

و قد تمادى فى الغيّ حتّى قال له هشام: و يحكك و الله ما أدرى أعلى دين الاسلام أنت أم لا؟!!

بدايه الاقالات

لم تكن هذه اللحظات التأريخيه من حياه الامّه التى بدأت فيها بالمطالبه

ص: ٨٠

١- (١) الأنفال(٨): ٧٢.

٢- (٢) المناقب لأبن شهر آشوب: ٣٢١/١، و بحار الأنوار: ١٧٦/٤٧ ح ٢٢.

٣- (٣) حياه الحيوان: ٧٢/١.

٤- (٤) مروج الذهب: ٢١٦/٣.

بإزاحه بنى امية من مركز الحكم لتتحقق بشكل عفوى، و انما جاءت نتيجة لفعاليات ثوريه بدأت من ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)، و استمرت حتى ثورة زيد التي أطاحت بهيه هشام بن عبد الملك الاموى و طغيانه.

و فى هذا الظرف كتب عامل الوليد بن يزيد فى خراسان: بتردى الأوضاع و حدوث ثورات فأجابه: إني مشغول بالعريض و معبد و ابن أبى عائشه، و هم المغنون الذين كان قد أحضرهم عنده (١).

و قد صرح الإمام الصادق (عليه السلام) بعاقبه هذا الانحدار و التردى و التمرد على حرمة الله قائلا: «إن الله عزّ ذكره، أذن فى هلاك بنى اميه بعد إحراقهم زيدا بسبعه أيام» (٢).

و كان الوليد هو الذى أمر بإنزال جثمان زيد الشهيد-بعد أن بقى أربع سنوات على أعواد المشانق-و أمر بإحراقه. و كان تشديد الحراسه من السلطه على جثمان زيد-خشيه إنزاله من قبل العلويين-دليلا- على وجود فعاليات منظمه ضد الحكم القائم، و كان الإمام الصادق (عليه السلام) يعاتب الشيعة على عدم تصدّيبهم لإنزال جثمان زيد الشهيد.

و عندما اشتدت المعارضة كتب الوليد إلى عامله فى الكوفه يوسف بن عمر: خذ عجل أهل العراق فأنزله جذعه (يعنى زيد بن علي (عليه السلام)) و أحرقه بالنار ثم انسه فى اليم.

و نفذ يوسف ما أمره سيده فأحرق جسد زيد بن علي و ذره فى نهر الفرات (٣).

ص: ٨١

١- ((١)) تاريخ الإسلام للذهبي: ١٧٨/٥.

٢- ((٢)) الكافي: ١٦١/٨، و تفسير العياشى: ٣٢٥/١.

٣- ((٣)) تاريخ يعقوبى: ٣٩١/٢، و الطبرى: ١٢٢/٨، و ابن الأثير: ١٢٧/٥.

كانت السلطه الحاكمه عندما تريد الانتقام من خصومها تلقي عليهم تهما مستهجنه فى نظر عامه الناس، مثل شق عصا المسلمين، و تهمة الزندقه تكون مسؤغا لاستباحه دمائهم و تحشيد البسطاء من الناس عليهم.

و من هنا قالوا بأن ثوره زيد بن علي (عليه السلام) هى خروج على سلطان زمانه «هشام بن عبد الملك» المفروضه طاعته من قبل الله الأهداف كان يريد ها زيد لنفسه.

و هذا الاتهام قد ردّ عليه الإمام الصادق (عليه السلام) و حاربه حين قال: لا تقولوا خرج زيد، فإنّ زيدا كان عالما صدوقا، و لم يدعكم إلى نفسه، إنّما دعاكم إلى الرضى من آل محمد (صلّى الله عليه و آله)، و لو ظفر لوفى بما دعاكم إليه، إنّما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه (١).

و حدث حوار بين يحيى بن زيد و رجل شيعى و كان الرجل يستفهم عن موقف زيد من يحيى بن زيد. قال الرجل: قلت: يا بن رسول الله إنّ أباك قد ادعى الإمامه و خرج مجاهدا، و قد جاء عن رسول الله (صلّى الله عليه و آله) فيمن ادعى الإمامه كاذبا! فقال: مه يا عبد الله. إنّ أبى كان أعقل من أن يدعى ما ليس له بحق، و إنّما قال: أدعوكم إلى الرضى من آل محمد (صلّى الله عليه و آله) عنى بذلك ابن عمى جعفر. قلت:

فهو اليوم صاحب الأمر؟ قال: نعم هو أفقه بنى هاشم (٢).

مقتل يحيى بن زيد

و فى أيام الوليد بن يزيد قتل يحيى بن زيد أيضا، و ذلك أنّ يحيى خرج من الكوفه بعد مقتل أبيه و توجه إلى خراسان، فسار إلى الرى، و منها أتى

ص: ٨٢

١- (١) الحور العين: ١٨٨.

٢- (٢) السرائر، الحاوى لابن ادريس الحلّى: (المستطرفات) ٣/ ٥٥٠، فما بعدها.

سرخس، ثم خرج و نزل بلخ على الحريش بن عبد الرحمن الشيباني و لم يزل عنده حتى هلك هشام و ولي الوليد (١).

و كتب والى الكوفه إلى نصر بن سيار يخبره بأن يحيى بن زيد موجود فى منزل الحريش، و هنا طلب نصر من الحريش بأن يسلم إليه يحيى، فردّ الحريش على والى نصر بن سيار قائلا: لا علم لى به. و لهذا السبب ضرب الحريش ستمائه سوط. ثم قال الحريش: و الله لو أنه تحت قدمي ما رفعتهما (٢).

و بقيت أجهزه النظام تراقبه، و جرت بعد ذلك حوادث يطول ذكرها و أخيرا أرسل نصرا جيشا يقدر بعشره آلاف فارس و كان يحيى فى سبعين رجلا، و فى المعركه الأخيره اصيب يحيى بسهم فى جبهته فقتل و قتل أصحابه-رضوان الله عليهم- عن آخرهم و أخذوا رأس يحيى و سلبوه قميصه (٣) و كان ذلك فى سنه (١٢٥ هـ) و صلب جسده الشريف بالجوزجان و لم يزل مصلوبا حتى ظهر أبو مسلم الخراسانى فأنزله و صلى عليه و دفنه (٤).

و فى سنه (١٢٦ هـ) قتل الوليد بن يزيد من قبل الامويين أنفسهم و تولى الخلفه من بعده يزيد بن الوليد بن عبد الملك. و فى هذه الفتره حدثت فوضى سياسيه لم تشهد من قبل حيث تحرّك كل من كان له أدنى طمع فى الرئاسه؛ لأنّ الامه فى هذا الظرف كانت مستعده لأن تستجيب لأى لافته تدعى العداله، و تريد الانتقام من الامويين، فكانت تتقبل هذه الدعوات بلا فحص و لا تدقيق، و لهذا ظهرت فى هذا الظرف مذاهب سياسيه شتى!

ص: ٨٣

١- (١) زيد بن على، للسيد عبد الرزاق المقرم: ١٧٦.

٢- (٢) الكامل لأبن الأثير: ١٢٧/٥.

٣- (٣) المصدر السابق.

٤- (٤) المصدر السابق: ١٢٧/٥.

و هذا الواقع السياسى لم يمكن مسكه و لا السيطرة عليه و تكريسه باتجاه واحد من قبل الإمام(عليه السلام).

من هنا نجد أنّ موقفه(عليه السلام) من هذا الوضع كان موقف المصلح المرشد حيث نراه تارة يحذّر من الاندفاع وراء أهل المذاهب الاخرى، و تارة يدعو للموقف الثورى لكن للذى يعتمد العقيدة الصحيحه إن وجد.

فالإمام(عليه السلام)محيط بتفاصيل واقعه؛لأنه كان على رأس حركة لم تكن وليده الساعه و إن جاءت كردّ فعل للواقع المنحرف. و لا تخفى عليه حركة التيارات الطارئة فى هذا الظرف و لا الاطماع التى تحرّك رؤساءها.

فهو إذن يعلم جيدا ما كان يستتر خلف هذه اللافتات من نوايا و أهداف كشعار بنى العباس الذى خدعوا به الامه، من هنا حذّر الإمام(عليه السلام) من الانسياق وراء تلك الدعوات، و أكد ضروره الالتزام بالقيم و المبادئ المفقوده، و أعطى ملامح الخط السياسى الذى كان ينسجم مع المرحلة لكن ليس على حساب العمل الجهادى الذى يستهدف الامويين، و هذا ما شاهدناه من خلال مواقفه(عليه السلام) من ثوره زيد و دعمه لها.

موقف الإمام(عليه السلام)إزاء الأحداث السياسيه

و يمكن تلخيص الموقف السياسى الذى خطّه الإمام(عليه السلام)إزاء الأحداث و إزاء العروض التى تقدّمت بها جماعات مواليه و اخرى متعاطفه فى نقطتين:

الاولى:موقفه من العروض التى تقدّمت بها فئات مختلفه من الامه.

الثانيه:تأكيده على الموقف المبدئى و تحذير الشيعة من الموقف الانفعالى و الانحراف وراء الأحداث.

العرض الأول: روى عن عبد الحميد بن أبي الديلم أنه قال: كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) فأتاه كتاب عبد السلام بن عبد الرحمن بن نعيم، وكتاب الفيض بن المختار و سليمان بن خالد يخبرونه أنّ الكوفة شاغره (١) برجها و أنّه إن أمرهم أن يأخذوها أخذوها. فلما قرأ (عليه السلام) كتابهم رمى به، ثم قال: ما أنا لهؤلاء بإمام، أما علموا أنّ صاحبهم السفيناني؟ (٢).

العرض الثاني: هو الذي تقدّم به جماعه من منطقه خراسان إلى الإمام الصادق (عليه السلام) و لم يكن في الحقيقة عرضاً من أجل الثورة و دعوه الناس لمبايعه الإمام (عليه السلام) و إنّما كان استفساراً حول الدعوه التي قد أشاعها شخص كان قد جاء من الكوفة و ادّعى أنّه يمثّل الإمام و هو رسوله إليهم.

لنستمع الى كلام راوى الحدث-الحارث بن حصيره الازدى- حيث قال: قدم رجل من أهل الكوفة الى خراسان فدعا الناس إلى ولاية جعفر بن محمد (صلى الله عليه و آله) قال: ففرقه أطاعته و أجابت، و فرقه جحدت و أنكرت، و فرقه ورعت و وقفت. قال: فخرج من كلّ فرقه رجل فدخلوا على أبي عبد الله (عليه السلام)- و قد كان في بعض القوم جاريه فخلا بها الرجل الذي كان يعرف بالورع و وقع عليها- فلما دخلنا على أبي عبد الله (عليه السلام) و كان الرجل الذي خلا بالجاريه هو المتكلم فقال لأبي عبد الله (عليه السلام): أصلحك الله قدم علينا رجل من أهل الكوفة فدعا الناس إلى طاعتك و ولايتك فأجاب قوم، و أنكر قوم، و ورع

ص: ٨٥

١- ((١)) شاغره: شجر البلد شغورا: إذا خلى من حافظ يمنع.

٢- ((٢)) اختيار معرفه الرجال: ٣٥٣ ح ٦٦٢ و عنه في بحار الأنوار: ٣٥١/٤٧.

قوم و وقفوا. قال: فمن أى الثلاث أنت؟ قال: أنا من الفرقة التى ورعت و وقفت قال: فأين كان ورعك ليله كذا و كذا؟ قال: فارتاب الرجل (١).

العرض الثالث: أوضح الإمام الصادق (عليه السّلام) سياسته فى هذه المرحلة أمام حشد من معارضى الامويين و اشار بشكل غير مباشر إلى الخلل العقائدى و الفكرى و الأهداف التى كان يسعى لها بعض عناصر المعارضة. نلاحظ ذلك فيما روى أن عمرو بن عبيد و واصل بن عطاء و غيرهم من كبار المعتزلة التقوا بالإمام الصادق (عليه السّلام) و طرحوا عليه فكره القيام بالثورة و الاستيلاء على الحكم و طلبوا منه التأييد لهم و الانضمام معهم.

هنا لم يجب الإمام على نفس السؤال و لم يلبّ طلبهم و إنّما عالج مسأله اخرى هى أهمّ من الاستجابة لطلبهم مستخدما نفس الطريقه السابقه؛ فإنّ العمل المسلّح لا ينفع إذا كانت نوازع الثائرين لا- تختلف عن مباني نوازع الامويين فى الحكم، و لهذا شخّص الإمام (عليه السّلام) لهؤلاء الداء الذى سبّب تلك العواقب المظلمه و الانحرافات التى ألّمت بالمجتمع الاسلامى.

و الحدث كما يرويه لنا عبد الكريم بن عتبه الهاشمى هو كما يلى:

قال: كنت عند أبى عبد الله (عليه السّلام) بمكه إذ دخل عليه اناس من المعتزله فيهم عمرو بن عبيد و واصل بن عطاء و حفص بن سالم و اناس من رؤسائهم، و ذلك حين قتل الوليد بن يزيد و اختلف أهل الشام بينهم، فتكلّموا فأكثرُوا، و خطبوا فأطالوا، فقال لهم أبو عبد الله جعفر بن محمد (عليه السّلام): إنكم قد أكثرتم على فأطلتم، فأسندوا أمركم إلى رجل منكم، فليتكلم بحجتكم و ليوجز. فأسندوا أمرهم إلى عمرو بن عبيد، فأبلغ و أطال فكان فيما قال: قتل أهل الشام خليفتهم، و ضرب الله بعضهم ببعض و تشّت أمرهم، فنظرنا فوجدنا رجلا له دين و عقل و مروءه،

ص: ٨٦

و معدن للخلافه، و هو محمد بن عبد الله بن الحسن، فأردنا أن نجتمع معه فبنايعه، ثم نظهر أمرنا معه، و ندعوا الناس اليه، فمن بايعه كُنّا معه، و كان منّا، و من اعتزلنا كففنا عنه، و من نصب لنا جاهدناه و نصبنا له على بغيه، و نرده إلى الحق و أهله، و قد أحببنا أن نعرض ذلك عليك فإنه لا غنى بنا عن مثلك، لفضلك و كثره شيعتك.

فلما فرغ، قال أبو عبد الله (عليه السلام): «أكلّكم على مثل ما قال عمرو؟ قالوا: نعم.

فحمد الله و أثنى عليه و صَلَّى على النبي (صَلَّى الله عليه و آله) و احتج عليهم بحجج ثم أقبل على عمرو، و قال: إتق الله يا عمرو، و أنتم أيها الرهط، فأتقوا الله فإنّ أبى حدّثنى - و كان خير أهل الأرض و أعلمهم بكتاب الله و سنّه رسوله-: أنّ رسول الله (صَلَّى الله عليه و آله) قال: من ضرب الناس بسيفه و دعاهم إلى نفسه، و فى المسلمين من هو أعلم منه فهو ضال متكلّف» (١).

فهؤلاء مع اعترافهم بفضل الإمام (عليه السلام) و تقدّمه على من سواه كيف كانوا يفكّرون فى مبايعه غيره و يتوقّعون تأييد الإمام (عليه السلام) لهم؟! و قد دعاهم إلى أمر معقول و مشروع فلا بدّ لهم من إعادته النظر فيما يريدون الإقدام عليه.

الإمام (عليه السلام) يحذّر الشيعة من المواقف الانفعاليه

و لإيضاح هذه النقطه نطالع بعض النماذج التاليه:

النموذج الأول: و يتضمّن تأكيد الإمام (عليه السلام) على التثبّت و التحقيق و عدم التسرّع فى الاستجابه لكل من يرفع شعار الثوره حتى و لو كان هذا الشعار هو شعار أهل البيت (عليهم السلام)؛ لأنّ الانسان إن لم يتثبّت لكان هو الخاسر و لكانت الخساره عظيمه جدًّا؛ لانه سوف يخسر الحياه التى سيحاسب على صغيرها

ص: ٨٧

١- (١) بحار الأنوار: ٢١٣/٤٧-٢١٦ عن الكافى: ٥٥٤/٣، و الاحتجاج: ١١٨/٢-١٢٢، و التهذيب: ١٤٨/٦٧.

إنّ الظواهر الفكرية و العقائديه السائده فى عصر الإمام الصادق (عليه السّلام) -مثل الزندقه، الغلو، و الاعتزال، و الجبر، و الرأى، و ما نتج عنها من ظهور صيغ جديده لفهم الرساله فى مجال الفقه و تفسير الحديث و القرآن الكريم- لم تكن وليده الظرف الذى عاصره الإمام و لم تأتى بالمصادفه، و إنما يعود وجودها الى ذلك المنهج الذى خطّه الأمويون و من سبقهم من الخلفاء الذين اجتنبوا منهج أهل البيت (عليهم السّلام) و سلكوا طريقا آخر طيله عشره عقود أو اكثر، فعكس للأجيال صورته مزيفه عن الدين لا يتجاوز كونه أداة موجهه بيد الحكّام يحمون به سلطانهم و يوظّفونه حسب ما تتطلبه سياستهم، ضد المستضعفين حين أصبح المسلم آنذاك لا يرى إلاّ صورته المقيته عن الدين، و لهذا كانت الزندقه ردّه فعل لهذا الانحراف بعد تلاعب الحكّام بالدين و قد لقيت رواجاً فى هذا الوسط الدينى المضطرب و الملىء بالمفاهيم الخاطئه.

إنّ اضطراب الموازين و القيم قد أدّى الى التشكيك حتى فى السنّه النبويه بل فى فهم الكتاب الإلهى العظيم و الركون الى الرأى و الاستحسان و التجاوز عن مداليل النصوص المأثوره بلا قانون علمى قويم.

فاذا أردنا أن نحاكم الأفكار المنحرفه التى انتشرت فى عصر الإمام الصادق (عليه السّلام) كان علينا أن نعرف الخلفيات التى انتهت بالامه الى هذا الاضطراب.

من هنا نتناول مفردات من المنهج الاموى التحريفى و دوره التخريبى

فى فهم القرآن و السنه و حوادث التاريخ، مقتصرين على ذكر بعض النماذج فى كل مجال.

تحريف مصادر التشريع و التاريخ:

أ- التحريف فى مجال تفسير القرآن الكريم

كان التعامل مع النص القرآنى و تفسيره يعتمد الرأى أو الروايات الاسرائيليه و يوظف لصالح سياسه الخليفه و من الامثله على ذلك:

١- استخدم المجتبه النصوص القرآنيه لتأييد نظريتهم المنحرفه مثل قوله تعالى: **وَ اللّٰهُ خَلَقَكُمْ وَ مَا تَعْمَلُونَ** (١)، زاعمين أن القرآن يدلّ على أن الله يجبر العباد على أعمالهم..

٢- اما عقيدته التجسيم التى بنيت على التعامل مع القرآن على اساس الجمود على ظواهر النصوص فلا تتجاوز المعنى الحرفى للفظ حتى أخذت تصرّح بأن لله يدا و وجهها محتجّه بقوله تعالى: **يَدُ اللّٰهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** (٢) و قوله:

وَ يَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ (٣) و قالوا بالرؤيه البصريه لله تعالى استنادا الى قوله تعالى: **وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ اِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** (٤).

و اعتماد هذه التفاسير و القصص الاسرائيليه فى تفسير الآيات المباركه هو السبب فى هذه الصور المشوهه. فقد جاء فى تفسير القرطبي عن كعب الأحبار أنه قال: لما خلق الله العرش قال العرش: لم يخلق الله أعظم منى و اهتز

ص: ٩٠

١- (١) الصافات (٣٧): ٩٦.

٢- (٢) الفتح (٤٨): ١٠.

٣- (٣) الرحمن (٥٥): ٢٧.

٤- (٤) القيامة (٧٥): ٢٢-٢٣.

تعاظما فطوّقه الله تعالى بحيه لها سبعون ألف جناح، في كل جناح سبعون ألف ريشه، في كل ريشه سبعون ألف وجه، في كل وجه سبعون ألف فم، في كل فم سبعون ألف لسان يخرج من أفواهها كل يوم من التسييح عدد قطر المطر، و عدد ورق الشجر، و عدد الحصى و الثرى، و عدد أيام الدنيا و عدد الملائكة أجمعين، و التوت الحيه على العرش، فالعرش الى نصف الحيه و هي ملتويه عليه فتواضع عند ذلك (١).

و قال معاويه لكعب أنت تقول: إن ذا القرنين كان يربط خيله بالثريا؟ فقال له كعب: إن كنت قلت ذلك فإن الله قال: **وَ آتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا** (٢).

هذا هو التراث الحديثي و التفسيري و التأريخي المخلوط بالاسرائيليات و افتراءات الوضّاعين خدمه للحكّام. و قد دوّن هذا التراث بعد قرن من وفاه الرسول (صلّى الله عليه و آله) بعد رفع الحظر من عمر بن عبد العزيز و اعتمدت مدرسه الحديث اعتمادا مطلقا على ما روى بدون تحكيم العقل حتى قالوا: إن السنه تنسخ القرآن و القرآن أحوج الى السنه من السنه الى القرآن، أما من يقول بأنّنا نعرض الاحاديث على القرآن فهذا من أقوال الزنادقه كما يزعمون! (٣).

و من هنا نقف على بعض أسباب نشوء الانحرافات الفكرية و انتشارها بسرعه في المجتمع الاسلامي مثل الجبر و الزندقه و الغلو. و نشير الى كل منها تباعا.

ب- التحريف في مجال الحديث النبوي الشريف:

١- جاء في صحيح الترمذى عن النبي (صلّى الله عليه و آله) أنه قال لمعاويه: اللهم

ص: ٩١

١- (١) الجامع لأحكام القرآن: ٢٩٥/١٥.

٢- (٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ١٠٦/٣.

٣- (٣) بحوث في الممل و النحل، جعفر السبحاني: ١٢٩/١.

إجعله هاديا مهديا واهد به (١).

٢-و عن عمير بن سعيد قال: لا تذكروا معاويه إلا بخير فإنى سمعت رسول الله يقول: اللهم أهد به؟ (٢).

٣-و روى أحمد و أبو داود و البغوى و الطبرانى و غيرهم أن النبى قال:

«عليكم بالشام فإنها خيرها لله من أرضه، يجتنبى إليها خيرته من عباده، إن الله قد توكل بالشام و أهله (٣).

٤-و عن كعب الأخبار: أن النبى قال: أهل الشام سيف من سيوف الله ينتقم الله بهم ممن عصاه (٤).

٥-وروى عن النبى (صلى الله عليه و آله) أنه قال: «و صاحب سرى معاويه بن أبى سفيان» (٥).

٦-و قيل: إن ابن أبى العوجاء (و هو أحد الزنادقه) لما اخذ لتضرب عنقه، قال: وضعت فيكم أربعة آلاف حديث، احرم فيها الحلال و أحل الحرام (٦).

ج-التحريف فى المجال التاريخى

حاولت مجموعه من الروايات الموضوعه أن ترسم لنا شخصيه الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله) بصورة هزيله و متناقضه فى سلوكها. منها:

ص: ٩٢

١- (١) صحيح الترمذى: ٦٨٧/٥، باب مناقب معاويه.

٢- (٢) كنز العمال: ١٤٩/١٤.

٣- (٣) المصدر السابق.

٤- (٤) اضواء على السنه المحمديه: ١٢٩ عن دلائل النبوه للبيهقى.

٥- (٥) تطهير الجنان و اللسان: ١٧.

٦- (٦) الموضوعات لابن الجوزى، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان: ٣٧/١.

١- إن النبي كان يستمع الى الجوارى يغنين و يضربن الدفوف!

٢- إن النبي (صلى الله عليه و آله) كان يحمل زوجته عائشه على عاتقه لتنظر الى لعب السودان و خده على خدها!

٣- إن النبي (صلى الله عليه و آله) قد عشق زوجه ابنه بالتبني بعد أن رآها بصورة مثيره! (١)

الاتجاهات الفكرية المنحرفة

١- الجبر: عندما دعت الحاجة لصياغة علم الكلام و الفقه و التفسير رجع المنظرون لهذه الأفكار الى التراث الحديثي الذي قد يبدو منه الجبر من قبل الله للعباد فاستخدموه لخدمه الامويين تثبيتاً لدعائم سلطانهم فرّجوا عقيدته أن الجبر التي تعنى نفى الفعل حقيقه عن العبد و إضافته الى الرب تعالى فكل ما يصدر من العبد من خير أو شر ينسب الى الله سبحانه و يقولون انه ليس لنا صنع أى لسنا مخيرين بل نسير باراده الله و مشيئته فاذا شاء الله أن نصلي صلينا و اذا شاء أن نشرب الخمر شربناها. و استدلوا على ذلك بآيات قرآنيه منها قوله تعالى: وَمَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ (٢). و قوله تعالى: فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا (٣) و من الواضح أن المعتنق لهذه العقيدة يسمح لنفسه بارتكاب كل جريمه و معصيه من ترك الواجبات و انتهاك المحرمات مثل شرب الخمر و ارتكاب الزنا و السرقة

ص: ٩٣

١- (١) صحيح البخارى: ١/١٦٩، و صحيح مسلم باب صلاه العيدين: ٢/٦٠٧، و مسند أحمد: ٦/٣٨.

٢- (٢) الانسان (٧٦): ٣٠.

٣- (٣) الانعام (٦): ١٢٥.

و القتل ثم يقول شاء الله أن أسرق فسرق و شاء الله أن أزنى فزنى و بهذا لا يكون للانسان كسب و لا إرادته و لا اختيار و لا تصرف فيما وهبه الله من نعمه العقل، فكيف يكون له مطمع في ثواب أو خوف من عقاب (١).

٢-الزندقة:و من الافكار التي ظهرت في عصر الإمام الصادق(عليه السلام)فكره الالحاد و الزندقة،و لا يستغرب أحد من نشوء هذه الفكره المنحرفه في العالم الاسلامي و هو عالم التوحيد الخالص و إبان قوته و في وقت تتطلع سائر الامم للرساله الاسلاميه الخاتمه.

إنّ الظلم و الفساد الذي أشاعه الامويون في كل ميادين الحياه كان هو السبب في ظهور هذه الافكار المناقضه للفكر الاسلامي.

عن حماد بن عثمان قال:سمعت أبا عبد الله(عليه السلام)يقول:تظهر الزنادقه سنه ثمانيه و عشرين و مائه لأنى نظرت في مصحف فاطمه(عليها السلام) (٢).

لقد كان السؤال و المناقشه للفكر الذي يتبناه الحكام ذنبا لا يغتفر و على الانسان أن يسمع و لا يفكر.أما الخلافه الاسلاميه فتبلورت في طواغيت بني أميه و فراعنه بني العباس.

إنّ هذا الفساد الذي عمّ ميادين الفكر و السلوك شجع ظهور الفكر الالحادي كرفض للواقع الفاسد.

و من هنا نشاهد ابن أبي العوجاء يعقد حلقاته الفكرية لغرض التشكيك في التوحيد و في مسجد رسول الله(صلى الله عليه و آله) إذ كان ينكر أصل الوجود و يقول:إن الوجود بدأ بإهمال.و كان الجعد بن درهم ممعنا في الكفر و مبتدعا و متفانيا

ص:٩٤

١- ((١)) الإمام الصادق و المذاهب الأربعة:١٢٢/٢.

٢- ((٢)) بصائر الدرجات:١٧٢، و بحار الأنوار:١٢٣/٢٦ و اثبات الهداه:١٧٥/٥.

فى الزندقة و كان يعلن الالحد (١)و من بدعه أنه جعل فى قاروره ترابا و ماء فاستحال دودا و هواما فقال لاصحابه:إنى خلقت ذلك لأنى كنت سبب كونه و بلغ ذلك الإمام الصادق(عليه السلام)فردّه بأبلغ البرهان قائلا:«إن كان خلقه فليقل كم هو؟و كم الذكران منه و الاناث؟و كم وزن كل واحده منهن؟و ليأمر الذى يسعى الى هذا الوجه أن يرجع الى غيره» (٢).

٣-الاعتزال:لقد تطرّف الخوارج و المرجئه فى حكم مرتكب الكبيره، بعد تعارض التراث الحديثى و التفسيرى مع العقل،ثم عجزت الثقافه التى جمدت على ظواهر الحديث و القرآن من الإجابه على الاسئله التى فرضتها حاله الانفتاح على الحضارات الاخرى.و من هنا تبلورت افكار المعتزله تلبيه لحاجه التطور المدنى فى البلاد الاسلاميه و كثره الاستفهامات التى كانت تثيرها الحركات الإلحاديه فظهرت فى هذا العصر فكره الاعتزال التى رفضت الاعتماد على الحديث بشكل مطلق و هاجمت أهل الحديث لتعطيلهم العقل، و تكفيرهم كل من يبحث و يناقش.

الخط السياسى للاعتزال:كان الاعتزال مساندا للحكم القائم فى تلك العصور و قد خدم سياسه الحكام عندما أخذ يهاجم المقدسات فى ضمير الامه و تفكيرها و ذلك حين أقر المعتزله بأن الإمامه و الخلافه تتم للمفضول و يجوز تقديمه على الفاضل و بهذا استدلوا على شرعيه خلافه الامويين و العباسيين.

قال أحمد أمين:إنّ جرأه المعتزله فى نقد الرجال هو بمثابة تأييد قوى

ص:٩٥

١- ((١)) ميزان الاعتدال:٣٩٩/١،لسان الميزان:١٠٥/٢.

٢- ((٢)) أمالى المرتضى:٢٨٤/١.

للامويين لأن نقد الخصوم و وضعهم موضع التحليل و تحكّم العقل في الحكم عليهم أولهم يزيد على الأقل فكره تقديس على (عليه السلام) التي كانت شائعه عند جماهير الناس (١).

و لذا نالوا التأييد المطلق و الدعم الشامل من قبل الامويين و بعد إنهيار الحكم الاموى انضموا الى الحكم العباسى فكانوا من أجهزته و اعوانه و كان المنصور يكبر عمرو بن عبيد أحد كبار المعتزله (٢).

أما علاقتهم مع الشيعة فكانت في غايه من الخصومه. و ترى الشيعة أن الاعتزال فكر طارئ على الاسلام لأن تقديم المفضول على الفاضل معناه الخروج عن منطوق الحق و إماتة المواهب و القدرات فضلا عن أنّ هذا الاتجاه يعارض القرآن الكريم الذي يقول: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٣).

إنّ الكوارث التي عانتها الامه على مدى تأريخها بعد الرسول (صلى الله عليه و آله) تعود الى تقديم المفضول على الفاضل، و لو لا ذلك لسار الفاضل بالامه سيرا سجحا و لأوردتهم منهلا رويًا تطفح ضفتاه كما تتبأت بذلك بضعه الرسول (صلى الله عليه و آله) فاطمه الزهراء (عليها السلام) في خطابها المبكر بعد تسنّم أبي بكر الخلافة و الترتّب على منبر رسول الله (صلى الله عليه و آله) و عزل على بن أبي طالب (عليه السلام) عن هذا الموقع الريادي الذي عينه فيه رسول الاسلام.

٤- الغلو: تعتبر حركه الغلاه في نظر المؤرخين من أخطر الحركات هدمًا

ص: ٩٦

١- (١) فجر الاسلام: ٢٩٥.

٢- (٢) تاريخ بغداد: ١٤٨/٤-١٥٠.

٣- (٣) الزمر (٣٩): ٩.

و ضرراً للمجتمع الإسلامي آنذاك لأنها حركة سياسيه عقائديه قد استهدفت ضرب الاسلام من الداخل، كما أنّ دراسه هذه الحركه من قبل المؤرّخين لا زالت غامضه حتى اليوم؛ إذ لم تدوّن أفكار هذه الحركه بأقلام دعائها.

و حركه الغلاه لم تدم طويلاً- لأنها ظهرت على المسرح السياسى ثم اختفت بسرعه و قد حاصرها الإمام الصادق (عليه السّلام) حيث أدرك خطورتها فأعلن البراءه منها و من مبادئها و لعن دعائها كأبى الخطاب و حدّر الناس من أهدافها الخبيثه.

لقد نشطت هذه الحركه فى أواخر الحكم الاموى فبثّ أبو الخطّاب أفكاره بسرّيّه فى مدينه الكوفه فى الوقت الذى كانت تموج بها التيارات السياسيه، و الدعوه العباسيه ناشطه فى شقّ طريقها الى النجاح. و كان اختيار أبى الخطاب للكوفه لعلمه بأنها قاعده لتجمع الموالين لأهل البيت (عليهم السّلام) و بهذا يمكن تشويه هذه القاعده الواعيه و ضرب أتباع أهل البيت عن هذا الطريق.

قال أبو عباس البغوى: دخلنا على فتيون النصرانى و كان فى دار الروم بالجانب الغربى، فجرى الحديث الى أن سألته عن ابن كلاب فقال فتيون:

رحم الله عبد الله (ابن كلاب القطن) كان يجيئنى فيجلس الى تلك الزاويه - و أشار الى ناحيه من البيعه و هى الكنيسه - و عنى أخذ هذا القول، و لو عاش لنصّرنا المسلمين (1) (أى لجعلناهم نصارى).

و يعتقد الغلاه أن ظهور الروحاني بالجسد الجسماني أمر لا ينكره عاقل.

أما فى جانب الخير، فكظهور جبرئيل (عليه السّلام) ببعض الأشخاص، و التصوير بصوره أعرابى، و التمثل بصوره البشر.

ص: ٩٧

١- (١) الفهرست لابن النديم: ٢٥٥-٢٥٦، كما يشهد هذا النصّ على أنّ لأهل الكتاب دوراً مهمّاً فى نشر ظاهره الغلوّ بين المسلمين.

و أما فى جانب الشر، فكظهور الشيطان بصورة إنسان، حتى يعمل الشر بصورة و ظهور الجن بصورة بشر حتى يتكلم بلسانه. فكذلك يقال: إن الله تعالى ظهر بصورة أشخاص و لما لم يكن بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) شخص أفضل من على (رضى الله عنه) و بعده أولاده المخصوصون و هم خير البرية فظهر الحق بصورتهم و نطق بلسانهم و أخذ بأيديهم فعن هذا أطلقوا اسم الإلهية عليهم!! و انما أثبتوا هذا الاختصاص «لعلى» (رضى الله عنه) دون غيره لأنه كان مخصوصا بتأييد إلهى من عند الله تعالى فيما يتعلق بباطن الاسرار (١).

ثم زعم أبو الخطّاب أن الأئمة أنبياء ثم آلهة! و قال بإلهية جعفر بن محمد! و إلهية آبائه (رضى الله عنهم) و هم أبناء الله و أحباؤه! و الإلهية نور فى النبوه و النبوه نور فى الإمامه، و لا- يخلو العالم من هذه الآثار و الأنوار. و زعم أن جعفر هو الإله فى زمانه!! و ليس هو المحسوس الذى يرونه! و لكن لما نزل الى هذا العالم لبس تلك الصورة فرآه الناس فيها (٢)!

هذه هى أهم الاتجاهات الفكرية المنحرفة التى كانت قد راجت فى عصر الإمام الصادق (عليه السلام)، و سوف نتابع مواقف الإمام (عليه السلام) منها و أساليبه فى كيفية التعامل معها بغية معالجه هذا الداء الذى أخذ يستشرى فى المجتمع الإسلامى آنذاك.

ص: ٩٨

١- (١) الملل و النحل للشهرستانى: ١/١٦٨.

٢- (٢) المصدر السابق: ١/١٥٩.

متطلبات عصر الإمام الصادق(عليه السلام)

بعد الوقوف على مظاهر الفساد والانحراف التي عمّت ميادين الحياه في عصر الإمام الصادق(عليه السلام)نستطيع ان ندرك عمق المأساه التي كان الإمام(عليه السلام)قد واكبها منذ نشأته حتى هذا التاريخ.

و في هذا الظرف الذي خفّت فيه المراقبه بسبب ضعف الدوله الامويه و وجد الإمام(عليه السلام)أنّ جانبا كبيرا من الاسلام قد أقصى عن واقع الحياه و أنّ قيم الجاهليه قد عادت تظهر للوجود،و أنّ الصيغ الغريبه عن الدين أخذت تدخل في فهم القرآن و السنه الشريفه و تسببت في تغيير مضمون الرساله و جوهرها، لاحظ أنّ الأمر أخذ يزداد تفاقما في أواخر العهد الاموى الذى نمت فيه مدارس فكريه و تيارات سياسيه بعيده عن الاسلام،و كان يرى(عليه السلام)أنّ الأ-كثريه الساحقه من الامه قد ركنت الى الطمع بسبب ما شاهده من صور الظلم و التعسف الذى قد ارتكب بحق كل من كان يعترض على سياسه الحكّام المنحرفين عن الدين. كل هذه الامور قد لاحظها الإمام(عليه السلام)بدقّه و بدأ يعالجها بكل أناه. لنقرأ معا حوار سدير الصيرفى مع الإمام(عليه السلام):

قال سدير الصيرفى:دخلت على ابى عبد الله(عليه السلام)فقلت له:و الله

ما يسعك القعود. فقال (عليه السلام): و لم يا سدير؟ قلت: لكثرة مواليك و شيعتك و أنصارك، و الله لو كان لأمير المؤمنين (عليه السلام) مالك من الشيعة و الأنصار و الموالي ما طمع فيه تيم و لا عدى.

فقال: يا سدير! و كم عسى أن يكونوا؟ قلت: مائه ألف. قال: مائه الف! قلت: نعم، و مائتي ألف؟ فقال: و مائتي ألف؟ قلت: نعم، و نصف الدنيا. قال:

فسكت عني ثم قال: يخفّ عليك أن تبلغ معنا الى ينبع (١)؟ قلت: نعم. فأمر بحمار و بغل أن يسرجا، فبادرت، فركبت الحمار فقال: يا سدير! أتري، إنزل بنا نصلي، ثم قال: هذه أرض سبخة لا تجوز الصلاة فيها فسرنا حتى صرنا الى أرض حمراء، و نظر الى غلام يرعى جداء (٢).

فقال: و الله يا سدير! لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعني القعود.

و نزلنا و صلينا فلما فرغنا من الصلاة عطفت على الجداء، فعددتها فاذا هي سبعة عشر! (٣).

فالامام (عليه السلام) إزاء هذا الواقع المملوء بالفساد و الضياع قد وجد أن الأمر أحوج ما يكون الى إيجاد تيار اسلامي أصيل يحمل قيم الرساله التي جاء بها الرسول (صلى الله عليه و آله)، و لا بد أيضا أن يتم عزل الأمه عن الحكومات الظالمه لئلا تكون مرتعا لمظالمها، فعن طريق غرس القيم الاسلاميه و ايجاد تيار فاعل يساهم في اجتثاث المظالم او تقليلها يمكن التحرك لاصلاح الواقع الفاسد حيث إنه قد يرغم الولاه على العدل استجابته لاراده قطاع كبير من

ص: ١٠٠

١- ((١)) ينبع حصن له عيون و نخيل و زروع بطريق حاج مصر.

٢- ((٢)) الجدى: من أولاد المعز.

٣- ((٣)) الكافي: ٢/٢٤٢، و بحار الأنوار: ٣٧٢/٤٧.

الامه حينما يرفض هذا القطاع الكبير الاستبداد و يدعو الى العدل بوعى اسلامى عميق.

لقد تخلى الإمام الصادق(عليه السلام) عن ممارسه العمل المسلح ضد الحكام المنحرفين بشكل مباشر و كان موقفه هذا تعبيراً واقعياً عن اختلاف صيغ العمل السياسى التى تحددها الظروف الموضوعيه و إدراكاً عميقاً لطبيعته العمل التغييرى.

فالإمام(عليه السلام)حاول أن ينشر قيمه و مفاهيمه و دعوته بعيداً عن التصريحات السياسيه الثوريه و اتجه نحو بناء تيار شعبى عام فى الامه كما ركز على بناء الجماعه الصالحه الممثله لخطأ أهل البيت(عليهم السلام)و الإشراف عليها و تنظيم أساليب عملها فى مواجهه الانحراف المستشرى بحيث يجعلها كتله مترابطه فى العمل و التغيير و إعداد أرضيه صالحه تؤدى الى قلب الواقع الفاسد على المدى القريب أو البعيد.

و قد استهدف الإمام(عليه السلام)فى نشاطه الرسالى لونين من الانحراف:

اللون الأول:الانحراف السياسى المتمثل فى زعامة الدوله، و اللون الثانى:الانحراف العقائدى و الفكرى و الاخلاقى ثم الانحراف السياسى عند الامه.

كما اتجه الإمام(عليه السلام)فى حركته التغييريه الشامله الى حقلين مهمين:

أحدهما:الانفتاح العام و الشامل على طوائف الامه و اتجاهاتها السياسيه و الفكريه.

ثانيهما:مواصله بناء جامعته أهل البيت(عليهم السلام)العلميه.

و كلا الحقلين يعتبران من حقول النشاط العام.و سوف نبثه فى هذا

و أما حقل النشاط الخاص بمحاورة المتعدده فيتلخص في إكمال بناء الجماعه الصالحه. و هذا ما سوف نبثه في الفصل الثالث من هذا الباب.

الانفتاح على الاتجاهات الفكرية و السياسية

و يقع البحث في هذا الحقل ضمن عدّه محاور:

١-المحور العقائدي السياسي:

و في هذا المحور ركّز الإمام على عدّه نشاطات:

النشاط الأول:التثقيف على عدم شرعيه الحكومات الجائره و رتبّ على ذلك تحريم الرجوع اليها لحل النزاع و الخصومات كما ورد عنه:«إياكم أن يحاكم بعضكم بعضا الى أهل الجور،و لكن انظروا الى رجل منكم يعلم شيئا من قضايانا فاجعلوه بينكم فأنتي قد جعلته قاضيا فتحاكموا اليه» (١).

و قال أيضا: «إيما مؤمن قدّم مؤمنا في خصومه الى قاض أو سلطان جائر ففضى عليه بغير حكم الله فقد شركه في الاثم» (٢).

و عن أبي بصير عنه(عليه السلام)قال:«أيما رجل كان بينه و بين أخ له ممارات في حق فدعاه الى رجل من اخوانه ليحكم بينه و بينه فأبى إلا أن يرافعه الى هؤلاء،كان بمنزله الذين قال الله عزّ و جل: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ

ص:١٠٢

١- (١) وسائل الشيعة:١٣/٢٧ ح ٥ عن الكافي و الفقيه و التهذيب.

٢- (٢) المصدر السابق:١١/٢٧ ح ١ المصادر السابقه.

فَبَلِّغْهُمْ رِيسَالَهُمْ أَنْ يَتَّحِقُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ (١).

و عن عمر بن حنظله قال: سألت أبا عبد الله عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعه في دين أو ميراث فتحاكما الى السلطان أو الى القضاء أيحل ذلك؟ فقال: من تحاكم اليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم الي طاغوت و ما يحكم له فانما يأخذ سحتا و إن كان حقه ثابتا، لأنه أخذه بحكم الطاغوت، و قد أمر الله أن يكفر به قال الله تعالى: يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّحِقُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ (٢).

و في توجيه آخر حرم أيضا التعاون مع الأنظمة الجائرة فمن توصياته بهذا الخصوص، قوله (عليه السلام): «إن أعوان الظلمه يوم القيامة في سرادق من نار حتى يحكم الله بين العباد» (٣).

و قال (عليه السلام): لا تعنهم - أي حكام الجور - على بناء مسجد (٤).

و قال (عليه السلام) لبعض أصحابه: «يا عذافر نبئت أنك تعامل أبا أيوب و الربيع فما حالك إذا نودى بك في أعوان الظلمه؟!» (٥).

و عن علي بن حمزه، قال كان لي صديق من كتّاب بنى اميه فقال لي:

استأذن لي على أبي عبد الله (عليه السلام) فاستأذنت له، فلما دخل سلم و جلس، ثم قال:

جعلت فداك انى كنت في ديوان هؤلاء القوم فأصبت من دنياهم مالا كثيرا، و أغمضت في مطالبه.

فقال ابو عبد الله (عليه السلام): «لو أن بنى اميه لم يجدوا من يكتب لهم، و يجبى لهم

ص: ١٠٣

١- ((١)) النساء (٤): ٦٠ و الخبر في وسائل الشيعة: ١٢/٢٧ ح ٥.

٢- ((٢)) النساء (٤): ٦٠، و وسائل الشيعة: ١٣/٢٧ ح ٤ عن الكافي و التهذيب.

٣- ((٣)) وسائل الشيعة: ١٧٩/١٧ ح ٦ عن الكافي و التهذيب.

٤- ((٤)) المصدر السابق: ١٧٠/١٧ ح ٨ عن التهذيب.

٥- ((٥)) المصدر السابق: ١٧٨/١٧ ح ٣ عن الكافي.

الفتىء (١) و يقاآل عنهم، و يشهد جماعآتهم، لما سلبونا آقنا، و لو تركهم الناس و ما فى ايدىهم، ما وجدوا شىئا إلا- وقع فى ايدىهم». فقال الفتىء: جعلآ فداك فهل لى من مخرج منه؟

قال: إن قلت لك تفعل؟ قال: أفعل، قال: «أخرج من جميع ما كسبآ فى دواوينهم، فمن عرفآ منهم رددآ عليه ماله، و من لم تعرفآ تصدقآ به» (٢).

النشاط الثانى: مارس فى الآقفىء على الصىغه السلىمه من آلال آبان موقع الولايه المغآصب، و اسآخدم الآطاب القرآنى فى هذا المجال الذى حاولآ فى المدارس الفكرىه الاآرى آجمىء النص بآدود الظاهر. فقد علق (عليه السلىام) على قوله آعالى: وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدى الظَّالِمِينَ (٣).

بأن الله عزّ و آل آآخذ ابراهىم عبدا قبل أن ىآخذه نبىءا، و ان الله آآخذه نبىءا قبل أن ىآخذه رسولا و ان الله آآخذه رسولا قبل أن ىآخذه آلىلا و أن الله آآخذه آلىلا قبل أن ىآخذه إماما، فلما جمع له الأشىاء قال: إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا.

قال (عليه السلىام): «فمن عظمهآ- أى الامامه- فى عىن ابراهىم (عليه السلىام) قال: و من ذرّىآى؟ قال: لا ىنال عهدى الظالمىن، قال: لا ىكون السفىه إمام الآقى» (٤).

كما فسّر (عليه السلىام) قوله آعالى: صِبْغَةَ اللَّهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَ نَحْنُ لَهُ

ص: ١٠٤

١- ((١)) الفىء: الآراج.

٢- ((٢)) الكافى: ١٠٦/٥ و المناقب لابن شهر آشوب: ٣/٣٦٥، آجار الأنوار: ١٣٨/٤٧.

٣- ((٣)) البقره (٢): ١٢٤.

٤- ((٤)) المىزان: ١/٢٧٦.

للْعَابِدُونَ (١) بأن الصبغ هو الاسلام (٢) و في قول آخر عنه (عليه السلام) بأن الصبغ هو صبغ المؤمنين بالولاية-يعنى الولاية لإمام الحق أمير المؤمنين (عليه السلام)- في الميثاق (٣).

و علق العلامة الطباطبائي على ذلك بقوله: و هو من باطن الآية (٤).

كما نجده (عليه السلام) يتحدث عن الإمام أمير المؤمنين و يذكر الناس بحديث الغدير، ذلك الحدث السياسي الخطير في حياة الأمة، و يذكرهم به لثلاث- يتعرض هذا الحدث للنسيان و الإلغاء. قال في حق علي (عليه السلام) «المدعو له بالولاية المثبت له الامامه يوم غدير خم، بقول الرسول (صلى الله عليه و آله) عن الله عزّ و جلّ: أَلَسْتُ أَوْلَىٰ بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ؟ قالوا: بلى قال: فمن كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم و ال من والاه و عاد من عاداه و انصر من نصره و اخذل من خذله و أعن من أعانه (٥).

و عندما التقى وفد من المعتزله في مستوى رفيع ضمّ أعلامهم و رؤوسهم فكان من بينهم عمرو بن عبيد و واصل بن عطاء و حفص بن سالم، و ذلك بعد قتل الوليد و اختلاف أهل الشام، و قد أجمع رأى المعتزله على محمد بن الحسن للخلافه الاسلاميه و بعد أن اسندوا أمرهم في الرأى الى زعيمهم الروحى عمرو بن عبيد و دار حوار طويل بينه و بين الإمام خاطبه الإمام قائلاً: «يا عمرو لو أنّ الامّه قلدتكَ أمرها فملكته بغير قتال و لا مؤنه فقيل لك: و لها من شئت، من كنت تولّى؟»

ص: ١٠٥

١- ((١)) البقره (٢): ١٣٨.

٢- ((٢)) تفسير الصافي: ١٧٦/١.

٣- ((٣)) تفسير العياشى: ٦٢/١.

٤- ((٤)) الميزان: ٣١٥/١.

٥- ((٥)) عوالم العلوم و المعارف: ٣/١٥-٢٧٠-٢٧١، و شواهد التنزيل: ١٨٧/١، و الدر المنثور: ٢/٢٩٨، و فتح القدير: ٣/٥٧، و روح المعانى: ٦/١٦٨.

و بادر عمرو فقال: أجعلها شورى بين المسلمين.

قال: «بين كلهم؟» قال: نعم. قال: «بين فقهاءهم و خيارهم؟» قال: نعم... قال:

«قريش و غيرهم؟» قال: قال له: العرب و العجم؟

قال (عليه السلام): أخبرني يا عمرو، أتتولّى أبا بكر و عمر؟ أو تتبرأ منهما؟ قال:

أتولّاهما.

فقال له الإمام (عليه السلام): «يا عمرو إن كنت رجلاً تتبرأ منهما فإنه يجوز لك الخلاف عليهما، و إن كنت تتولّاهما فقد خالفتهما. فقد عهد عمر الى أبى بكر فبايعه، و لم يشاور أحداً، ثم ردّها أبو بكر عليه و لم يشاور احداً، ثم جعلها عمر شورى بين سته، فأخرج منها الانصار غير اولئك الستة من قريش، ثم أوصى الناس فيهم - أى فى الستة الذين انتخبهم - بشيء ما أراك ترضى أنت و لا أصحابك به.

و سأل عمرو الإمام (عليه السلام) عما صنع عمر قائلاً: ما صنع؟

قال الإمام (عليه السلام): «أمر صهيياً أن يصلّى بالناس ثلاثة أيام، و أن يتشاور اولئك الستة ليس فيهم أحد سواهم إلا ابن عمر، و يشاورونه، و ليس له من الأمر شيء، و أوصى من كان بحضرته من المهاجرين و الأنصار إن مضت ثلاثة أيام و لم يفرغوا و يبائعوا، أن تضرب أعناق الستة جميعاً و ان اجتمع أربعة قبل أن يمضى ثلاثة أيام و خالف اثنان أن يضرب أعناق الاثنين.. أفترضون بذا فيما تجعلون من الشورى بين المسلمين؟» (1).

ص: ١٠٦

١- (١) بحار الأنوار: ٢١٣/٤٧-٢١٦ عن الكافي: ٥٥٤/٣ و الاحتجاج: ١١٨/٢-١٢٢.

ألف-مواجهه التيارات الإلحاديه:

و من الخطوات التي خطاها الإمام(عليه السّلام) هي مواجهه الافكار الالحاديه سابقه الذكر حيث ناقشها بعده أساليب حتى استفرغ محتواها و وقف امام تحقيقها لأهدافها.

نختار نماذج من تحرك الإمام و نشاطه في هذا المجال.

١-جرت بين الإمام و أحد أقطاب حركة الكفر و الالحاد(أبو شاعر الديصاني)عده مناظرات أفحمه الإمام فيها و أبطل مزاعمه الواهيه و كان من بينها المناظره التي وجّه فيها أبو شاعر السؤال التالي للإمام(عليه السلام):قائلا:

ما الدليل على أنّ لك صانعا؟

فأجابه الإمام(عليه السلام):«وجدت نفسى لا تخلو من إحدى جهتين:إما أن أكون صنعتها أنا أو صنعتها غيرى.فان كنت صنعتها فلا أخلو من أحد معينين:إما أن اكون صنعتها و كانت موجوده فقد استغنيت بوجودها عن صنعتها،و إن كانت معدومه فإنك تعلم أنّ المعدوم لا يحدث شيئا،فقد ثبت المعنى الثالث:أنّ لى صانعا و هو ربّ العالمين» (١).

٢-دخل الديصاني على الإمام الصادق(عليه السّلام)فقال له:يا جعفر بن محمد دلّنى على معبودى...و كان الى جانب الإمام غلام بيده بيضه فأخذها منه، و قال له:«يا ديصانى هذا حصن مكنون له جلد غليظ و تحت الجلد الغليظ جلد رقيق، و تحت الجلد الرقيق ذهبه مائه و فضه ذائبه فلا الذهبه المائعه تختلط بالفضه الذائبه و لا الفضة الذائبه تختلط بالذهب المائعه،فهى على حالها لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن

ص:١٠٧

صلاحها، ولا دخل فيها داخل مفسد فيخبر عن فسادها، لا يدري للذكر خلقت أم للانثى، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس، أترى لها مدبراً؟».

و أطرق الديصاني ملينا الى الارض، و اعلن التوبه و البراءه ممّا قاله (١).

٣- وفد زنديق آخر على الإمام (عليه السلام) وهو من الزنادقة البارزين في عصر الإمام الصادق (عليه السلام) وقد قدّم للإمام عدّه مسائل حسّاسه فأجاب عنها الإمام (عليه السلام) نذكر بعضها منها:

١- سأله: كيف يعبد الله الخلق و لم يروه؟

فأجابه (عليه السلام): «رأته القلوب بنور الايمان، و أثبتته العقول بيقظتها اثبات العيان و أبصرته الأبصار بما رأته من حسن التركيب و إحكام التأليف، ثم الرسل و آياتها، و الكتب و محكماتها، و اقتصرت العلماء على ما رأته من عظمتها دون رؤيته» (٢).

و يتضمّن جواب الإمام (عليه السلام) بعض الأدله الوجدانيه على وجود الخالق من خلقه للمجرات في الفضاء و التي لا تعتمد على شيء سوى قدره الله تعالى. ثم إنّ العقول الواعيه و القلوب المطمئنّه بالإيمان هي التي ترى الله بما تبصره من بدائع مخلوقاته، إذ الأثر يدلّ على المؤثر و المعلول يدلّ على علته.

٢- و سأله: من أين أثبت أنبياء و رسلا؟

فأجاب (عليه السلام): «إنا لما اثبتنا أنّ لنا خالقاً، صانعاً، متعالياً عنّا، و عن جميع ما خلق و كان ذلك الصانع حكيماً، لم يجز أن يشاهده خلقه، و لا أن يلامسوه و لا أن يباشروهم و يباشروه، و يحاجّهم و يحاجّوه، ثبت أنّ له سفراء في خلقه، و عباد يدلّونهم على مصالحهم

ص: ١٠٨

١- ((١)) اصول الكافي: ٨٠/١، و الاحتجاج: ٧١/٢-٧٢.

٢- ((٢)) الاحتجاج: ٧٧/٢.

و منافعهم، و ما به بقاؤهم، و فى تركه فناؤهم. فثبت الآمرون و الناهون عن الحكيم العليم فى خلقه، و ثبت عند ذلك أن له معتبرين هم أنبياء الله و صفوته من خلقه، حكماء مؤدبين بالحكمه مبعوثين عنه، مشاركين للناس فى أحوالهم على مشاركتهم لهم فى الخلق و التركيب، مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمه و الدلائل و البراهين و الشواهد من إحياء الموتى و إبراء الأكمه و الأبرص، فلا تخلو الارض من حجه يكون معه علم يدل على صدق مقال الرسول و وجود عدالته.

و أضاف الإمام الصادق (عليه السلام) قائلا: «نحن نزعم أن الأرض لا تخلو من حجه و لا تكون الحججه إلا من عقب الانبياء و ما بعث الله نبيا قط من غير نسل الانبياء، و ذلك أن الله شرع لبنى آدم طريقا منيرا، و أخرج من آدم نسلا طاهرا طيبا، أخرج منه الانبياء و الرسل، هم صفوه الله و خلص الجوهر، طهروا فى الاصلاب، و حفظوا فى الارحام، لم يصبهم سفاح الجاهليه و لا شاب أنسابهم، لأن الله عز و جل جعلهم فى موضع لا يكون أعلى درجه و شرفا منه، فمن كان خازن علم الله، و أمين غيبه، و مستودع سره، و حجته على خلقه، و ترجمانه و لسانه لا يكون إلا بهذه الصفه، فالحججه لا تكون إلا من نسلهم، يقوم مقام النبى (صلّى الله عليه و آله) فى الخلق بالعلم الذى عنده و ورثه عن الرسول، إن جحدته الناس سكت، و كان بقاء ما عليه الناس قليلا مما فى أيديهم من علم الرسول على اختلاف منهم فيه، قد أقاموا بينهم الرأى و القياس، و أنهم إن أقروا به و أطاعوه و أخذوا عنه ظهر العدل، و ذهب الاختلاف و التشاجر، و استوى الأمر، و أبان الدين، و غلب على الشكك اليقين، و لا يكاد أن يقرّ الناس به،

و لا يطيعوا له، أو يحفظوا له بعد فقد الرسول، و ما مضى رسول و لا نبى قط لم تختلف أمته من بعده».

٣- و سأله: ما يصنع بالحججه إذا كان بهذه الصفه؟

فأجابه (عليه السلام): «يقتدى به، و يخرج عنه الشىء بعد الشىء، مكانه منفعه الخلق،

و صلاحهم فإن أحدثوا في دين الله شيئاً أعلمهم، وإن زادوا فيه أخبرهم، وإن نقصوا منه شيئاً أفادهم» (١).

و بهذا المستوى من الحوار و عمقه يستمرّ الإمام (عليه السّلام) في أجوبته العملاقة حتى تصل الأسئلة و الأجوبه الى خمسة و تسعين (٢)، و نظرا لسعتها اقتصرنا على الثالث الاول منها.

ب- مواجهه تيار الغلوّ

لقد كان موقف الإمام الصادق (عليه السّلام) من تيار الغلوّ و حركة الغلاة حازما و صارما، فقال لسدير: «يا سدير سمعي و بصري و شعري و بشري و لحمي و دمي من هؤلاء براء، برئ الله منهم و رسوله ما هؤلاء على ديني و دين آبائي و الله لا يجمعني و آياهم يوم إلا و هو عليهم ساخط» (٣).

و قال ميسره: ذكرت أبا الخطاب عند أبي عبد الله (عليه السّلام) و كان متكأ فرفع إصبعه الى السماء ثم قال: «على أبي الخطاب لعنه الله و الملائكه و الناس أجمعين فأشهد بالله أنه كافر فاسق مشرك، و أنه يحشر مع فرعون في أشدّ العذاب غدوا و عشيا، ثم قال: و الله و الله إنني لأنفس على أجساد أصيبت معه النار» (٤).

و قال عيسى بن أبي منصور: سمعت أبا عبد الله (عليه السّلام) يقول- و قد ذكر أبا الخطاب-: «اللهم العن أبا الخطاب فإنه خوّفني قائما و قاعدا و على فراشي اللهم

ص: ١١٠

١- (١) الاحتجاج للطبرسي: ٧٧/٢-٧٨.

٢- (٢) الاحتجاج: ٧٧/٢-١٠٠ عن يونس بن ظبيان و عبد الدين سنان، و لم يسمّيا الزنديق و لم يرويا توبته!

٣- (٣) اصول الكافي: ٢٦٩/١.

٤- (٤) اختيار معرفة الرجال للكشي: ٢٦٩ ح ٥٢٤.

و كان موقفه (عليه السّلام) صلباً أمام هذه الطائفة الخطيره على الاسلام، و ما كان ليستريح طرفه عين حتى أحبط مؤامرتها و ما ضمّته من الحقد اليهودى و دسائسه التّاريخيه على الاسلام، و لو كان قد تراخى و فتر عنها لحظه لكانت تقصم ظهر الشيع.

و نلمس فى الروايتين التاليتين حرقه الامام و ألمه الشديد و مخافته من تأثير هذه الدعوه الضالّه على الائمّه و شعارها المزيف بحبّها لأهل البيت (عليهم السّلام)، فعن عنبسه بن مصعب قال: قال لى أبو عبد الله (عليه السّلام): «أى شىء سمعت من أبى الخطاب؟» قلت: سمعته يقول: انك وضعت يدك على صدره و قلت له: عه و لا تنس. و أنت تعلم الغيب. و أنك قلت هو عيبه علمنا و موضع سرّنا أمين على أحيائنا و أمواتنا.

فقال الإمام الصادق: «لا و الله ما مسّ شىء من جسدى جسده، و أما قوله أنى قلت: إنى اعلم الغيب فو الله الذى لا إله إلا هو ما أعلم الغيب (٢) و لا- آجرنى الله فى أمواتى و لا- بارك لى فى أحيائى إن كنت قلت له! و أمّا قوله إنى قلت: هو عيبه علمنا و موضع سرّنا و أمين على أحيائنا و أمواتنا فلا آجرنى الله فى أمواتى و لا بارك لى فى أحيائى إن كنت قلت له من هذا شيئاً من هذا قط» (٣).

و قال الإمام (عليه السّلام) لمرّام: «قل للغاليه توبوا الى الله فإنكم فسّاق كفّار مشركون».

ص: ١١١

١- ((١)) اختيار معرفه الرجل: ٢٩٠ ح ٥٠٩ و عنه فى عوالم العلوم و المعارف: ٢/٢٠ ح ١١٥١.

٢- ((٢)) و الإمام (عليه السّلام) هنا فى مقام نفى العلم بالغيب الاستقلالى الذى يدّعيه الغلاة، لا العلم بالغيب الممنوح للنبي (صلّى الله عليه و آله) و لهم منه سبحانه.

٣- ((٣)) اختيار معرفه الرجال للكشى: ٢٩٢ ح ٥١٥ و عنه فى الإمام الصادق و المذاهب الأربعة: ٣٧٥/٢.

و قال (عليه السّلام) له: «إذا قدمت الكوفة فإت بشار الشعيرى و قل له: يقول لك جعفر بن محمد: يا كافر يا فاسق أنا برىء منك. قال: مرارم فلما دخلت الكوفة قلت له: يقول لك جعفر بن محمد: يا كافر يا فاسق يا مشرك أنا برىء منك. قال بشار: و قد ذكرنى سيدى؟ قلت: نعم ذكرك بهذا. قال: جزاك الله خيرا» (١).

لاحظ الخبث و طول الأناه و عمق التخطيط حيث يذهب هذا الخبيث ليلتقى بالامام (عليه السّلام) بعد كل الذى سمعه. و لما دخل بشار الشعيرى على الإمام (عليه السّلام) قال له: «اخرج عنى لعنك الله و الله لا يظلنى و إياك سقّف أبدا». فلما خرج، قال (عليه السّلام): «ويله ما صغر الله أحدا تصغير هذا الفاجر، إنه شيطان خرج ليغوى أصحابى و شيعتى فاحذروه، و ليبلغ الشاهد الغائب إنى عبد الله و ابن أمتة ضمتنى الأصبلا ب و الأرحام و إتنى لميت و مبعوث ثم مسؤول» (٢).

ج- طرح المنهج الصحيح لفهم الشريعة:

إنّ الإمام الصادق (عليه السّلام) فى الوقت الذى كان يواجه هذه التيارات الالحادية الخطيره على الامه كان مشغولا أيضا بمواجهه التيارات التى تتبى المناهج الفقهيه التى تنافى مع روح التشريع الاسلامى، و التى تكمن خطورتها فى كونها تعرّض الدين الى المحق الداخلى و التغيير فى محتواه، من هنا كان الإمام (عليه السّلام) ينهى أصحابه عن العمل بها حتى قال لأبان: «يا أبان! إن السنه إذا قيست محق الدين» (٣).

و كان للإمام نشاط واسع لإثبات بطلان هذه المناهج و بيان عدم شرعيتها.

ص: ١١٢

١- ((١)) اختيار معرفه الرجال للكشى: ٣٩٨ ح ٧٤٤ و عنه فى الإمام الصادق و المذاهب الأربعة: ٣٧٥/٢.

٢- ((٢)) المصدر السابق: ٤٠٠ ح ٧٤٦ و عنه فى الإمام الصادق و المذاهب الأربعة: ٢٣٥/١.

٣- ((٣)) بحار الأنوار: ٤٠٥/١٠٤ عن المحاسن للبرقى.

لقد كان أبو حنيفة يتبني مذهب القياس و يعمل به كمصدر من مصادر التشريع في استنباط الاحكام، لكن الإمام (عليه السلام) كان ينكر عليه ذلك و يبين له بطلان مذهبه.

و إليك بعض المحاورات التي جرت بينه و بين الإمام (عليه السلام):

ذكروا أنه وفد ابن شبرمه مع أبي حنيفة على الإمام الصادق (عليه السلام) فقال لابن شبرمه: «من هذا الذي معك؟»

فأجابه قائلاً: رجل له بصر، و نفاذ في أمر الدين.

فقال له (عليه السلام): «لعله الذي يقيس أمر الدين برأيه؟» فأجابه: نعم.

و التفت الإمام (عليه السلام) الى أبي حنيفة قائلاً له: «ما اسمك؟» فقال: النعمان.

فسأله (عليه السلام): «يا نعمان! هل قست رأسك؟»

فأجابه: كيف أقيس رأسي؟.

فقال له (عليه السلام): «ما أراك تحسن شيئاً. هل علمت ما الملوحة في العينين؟ و المرارة في الاذنين، و البرودة في المنخرين و العذوبه في الشفتين؟»

فبهر أبو حنيفة و أنكر معرفه ذلك و وجه الإمام إليه السؤال التالي: «هل علمت كلمه أولها كفر، و آخرها إيمان؟» فقال: لا.

و التمس أبو حنيفة من الإمام أن يوضح له هذه الامور فقال له (عليه السلام):

«أخبرني أبي عن جدّي رسول الله (صلى الله عليه و آله) أنه قال: إن الله تعالى بفضله و منّه جعل لابن آدم الملوحة في العينين ليلتقطا ما يقع فيهما من القذى، و جعل المرارة في الاذنين حجاباً من الدوابّ فإذا دخلت الرأس دايّيه، و التمسّت الى الدماغ، فإن ذاقت المرارة التمسّت الخروج، و جعل الله البروده في المنخرين يستنشق بهما الريح و لو لا ذلك لانتن الدماغ، و جعل العذوبه في الشفتين ليجد لذه استطعام كل شيء».

و التفت أبو حنيفة الى الإمام(عليه السلام)قائلا:أخبرني عن الكلمة التي أوّلها كفر و آخرها إيمان؟

فقال له(عليه السلام):«إن العبد إذا قال:لا إله فقد كفر فإذا قال إلاّ الله فهو الإيمان».

و أقبل الإمام على أبي حنيفة ينهاه عن العمل بالقياس حيث قال له:

«يا نعمان حدثني أبي عن جدي رسول الله(صلى الله عليه و آله)إنه قال:أول من قاس أمر الدين برأيه إبليس،قال له الله تعالى:اسجد لآدم فقال: **أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**» (١).

و التقى أبو حنيفة مرّة اخرى بالإمام الصادق(عليه السلام)فقال له الإمام:

«ما تقول في محرم كسر رباعيه ظبي؟».

فأجابه أبو حنيفة:يا ابن رسول الله ما أعلم ما فيه.

فقال له(عليه السلام):«ألا تعلم أن الظبي لا تكون له رباعيه،و هو ثني أبدأ؟!» (٢).

ثم التقى أبو حنيفة مرّة ثالثة بالإمام الصادق،و سأله الإمام(عليه السلام)عن بعض المسائل،فلم يجبه عنها.

و كان من بين ما سأله الإمام هو:«أيهما أعظم عند الله القتل أو الزنا؟» فأجاب:بل القتل.

فقال(عليه السلام):«كيف رضى في القتل بشاهدين،و لم يرض في الزنا إلاّ بأربعة؟»

و هنا لم يمتلك أبو حنيفة جوابا حيث ردّ الإمام قياسه بشكل واضح.

ثم وجه الإمام(عليه السلام)الى أبي حنيفة السؤال التالي:«الصلوة أفضل أم الصيام؟»فقال:بل الصلاه أفضل.

ص: ١١٤

١- (١) اصول الكافي: ٥٨/١ ح ٢٠ و عنه في بحار الأنوار: ٢٢٦/٤٧ ح ١٦.

٢- (٢) مرآة الجنان: ٣٠٤/١، و نزّهة المجلس: ٥٧/٢.

فقال الإمام (عليه السلام): «فيجب على قياس قولك -على الحائض قضاء ما فاتها من الصلاة في حال حيضها دون الصيام، وقد أوجب الله تعالى قضاء الصوم دون الصلاة؟!».

و بهذا أراد الإمام أن يثبت لأبي حنيفة أن الدين لا يدرك بالقياس والاستحسان. ثم أخذ الإمام يركّز على بطلان مسلكه القياسي فوجه له سؤالاً آخر هو: «البول أقدر أم المنى؟» فقال له: البول أقدر.

فقال الإمام (عليه السلام): «يجب على قياسك أن يجب الغسل من البول؛ لأنه أقدر، دون المنى، وقد أوجب الله تعالى الغسل من المنى دون البول».

ثم استأنف الإمام (عليه السلام) حديثه في الردّ عليه قائلاً: «ما ترى في رجل كان له عبد فتزوج، وزوج عبده في ليله واحده فدخلاً بأمراتيهما في ليله واحده، ثم سافرا وجعلوا -إمرأتيهما في بيت واحد و ولدتا غلامين فسقط البيت عليهم فقتلت المرأتان، وبقى الغلامان أيهما في رأيك المالك؟ و أيهما المملوك و أيهما الوارث؟ و أيهما الموروث؟».

و هنا أيضا صرح أبو حنيفة بعجزه قائلاً: إنما أنا صاحب حدود.

و هنا وجه إليه الإمام السؤال التالي: «ما ترى في رجل أعمى فقأ عين صحيح، و قطع يد رجل كيف يقام عليهما الحد؟».

و اعترف مره اخرى بعجزه فقال: أنا رجل عالم بمباعد الانبياء...

و هنا وجه له الإمام السؤال التالي: «أخبرني عن قول الله لموسى و هارون حين بعثتهما الى فرعون لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿١﴾ -و لعلّ منك شك؟» فقال: نعم. فقال له الإمام (عليه السلام): «و كذلك من الله شكّ إذ قال: لعله؟!» فقال: لا علم لي.

و أخذ الإمام باستفراغ كل ما في ذهن أبي حنيفة من القياس قائلاً له:

ص: ١١٥

«تزعّم أنك تفتى بكتاب الله، و لست ممّن ورثه، و تزعّم أنك صاحب قياس، و أوّل من قاس إبليس لعنه الله و لم بين دين الاسلام على القياس و تزعّم أنك صاحب رأى، و كان الرأى من رسول الله (صلّى الله عليه و آله) صواباً و من دونه خطأ، لأنّ الله تعالى قال: (فاحكم بينهم بما أراك الله) و لم يقل ذلك لغيره، و تزعّم أنك صاحب حدود، و من أنزلت عليه أولى بعلمها منك و تزعّم أنك عالم بمباعد الانبياء، و خاتم الانبياء أعلم بمباعدتهم منك.

لو لا أن يقال دخل على ابن رسول الله (صلّى الله عليه و آله) فلم يسأله عن شىء ما سألتك عن شىء. ففس إن كنت مقيساً.

و هنا قال أبو حنيفة للإمام (عليه السّلام): لا أتكلّم بالرأى و القياس فى دين الله بعد هذا المجلس.

و أجابه الإمام (عليه السّلام): «كلّا إنّ حبّ الرئاسه غير تاركك كما لم يترك من كان قبلك» (١).

و هكذا وقف الإمام (عليه السّلام) موقفاً لا هواده فيه ضدّ هذه التوجّهات الخطيره على الاسلام فكثّف من نشاطه حولها و لاحق العناصر التى كانت تتبّنى هذه الافكار الدخيله ليغيّر من قناعاتها.

و نجد للإمام (عليه السّلام) موقفاً مع ابن أبى ليلى و هو القاضى الرسمى للحكومه الامويه و كان يفتى بالرأى قبل أبى حنيفة و قد قابل الإمام الصادق (عليه السّلام) و كان معه سعيد بن أبى الخضيب فقال (عليه السّلام): «من هذا الذى معك؟» قال سعيد: ابن أبى ليلى قاضى المسلمين.

فسأله الإمام (عليه السّلام) قائلاً: «تأخذ مال هذا فتعطيه هذا و تفرّق بين المرء و زوجته و لا تخاف فى هذا أحداً؟!» قال: نعم.

ص: ١١٦

قال: «بأى شيء تقضى؟» قال: بما بلغنى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعن أبي بكر وعمر.

قال: فبلغك أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «أقضاكم علىّ بعدى؟» قال: نعم قال: «كيف تقضى بغير قضاء علىّ، وقد بلغك هذا؟»

وهكذا عرف ابن أبي ليلى أنه قد جانب الحق فيما حكم وأفتى به.

ثم قال له الإمام (عليه السلام): «التمس مثلاً لنفسك، فوالله لا أكلّمك من رأسى كلمة أبداً» (١).

وقال نوح بن درّاج (٢) لابن أبي ليلى: أكنت تاركا قولاً - قلته أو قضاء قضيته لقول أحد؟ قال: لا، إلاّ رجل واحد، قلت: من هو؟ قال: جعفر بن محمد (عليه السلام) (٣).

د- مواجهه التحريف والاستغلال السياسى للقرآن و مفاهيمه:

قام الإمام الصادق (عليه السلام) بحمايه القرآن و صيانتته من عمليه التوظيف السياسى التى تجعل النص القرآنى خادماً لأغراض سياسيه مشبوهه تحاول إسباغ طابع شرعى على الحكم الظالم و شل روح الثوره و اطفاء روح المقاومه فى نفوس الامه و بالتالى إسقاط شرعيه القوى الراضه لهذه النظم الظالمه حتى قيل فى تفسير قوله تعالى: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَيْهِ مَا فِي قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ* وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ

ص: ١١٧

١- ((١)) الاحتجاج: ١٠٢/٢.

٢- ((٢)) نوح بن درّاج من أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام)/تنقيح المقال: ٢٧٥/٣ و ابن أبي ليلى هو محمد بن عبد الرحمن مفتى الكوفه و قاضيهما، راجع سير اعلام النبلاء: ٣١٠/٦.

٣- ((٣)) حليه الاولياء: ١٩٣/٣.

«أنها قد نزلت في علي بن أبي طالب» (عليه السلام) (٢).

كما زَيَّف الإمام (عليه السلام) النظرة الجامده للنصّ القرآني و التي تحاول تعطيله عن المواكبه للواقع المتغيّر و المتطور و حبسه في حدود الظاهر، و لم يسمح بالتأويل الباطني الفاسد. كما قاوم بعنف التفسير الذي يعتمد الرأي بعيدا عن الأحاديث الصحيحه الوارده عن الرسول (صلى الله عليه و آله) و أهل بيته المعصومين (عليهم السلام).

قال (عليه السلام): «من فسّر القرآن برأيه إن أصاب لم يؤجر، و إن أخطأ كان إثمه عليه» (٣).

قال (عليه السلام): «الراسخون في العلم أمير المؤمنين و الأئمه من بعده» (٤) و قال أيضا:

«نحن الراسخون في العلم و نحن نعلم تأويله» (٥) و جاء عن زيد بن معاويه عن الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسير قول الله عزّ و جلّ: وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ (٦)، «فرسول الله (صلى الله عليه و آله) أفضل الراسخين في العلم قد علمه الله عزّ و جلّ جميع ما أنزل عليه من التنزيل و التأويل، و ما كان الله ليتزل عليه شيئا لم يعلمه تأويله و أوصياؤه من بعده يعلمونه كلّ» (٧).

و جاء عنه (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ

ص: ١١٨

١- (١) البقره (٢): ٢٠٤-٢٠٥.

٢- (٢) شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ٧٣/٤ عن أبي جعفر الاسكافي: ٢٤٠.

٣- (٣) تفسير العياشي: ١٧/١ و عنه في تفسير الصافي: ٢١/١.

٤- (٤) اصول الكافي: ٢١٣/١.

٥- (٥) المصدر السابق.

٦- (٦) آل عمران (٣): ٧.

٧- (٧) اصول الكافي: ٢١٣/١.

الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ (١)، «أنهم» هم الأئمة» (٢).

و دخل عليه الحسن بن صالح بن حبي ف قال له: يا بن رسول الله! ما تقول في قوله تعالى: أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولى الأَمْرِ مِنْكُمْ (٣)؟ من اولو الأمر الذين أمر الله بطاعتهم؟ قال: «العلماء».

فلما خرجوا قال الحسن: ما صنعنا! ألا سألناه من هؤلاء العلماء!؟

فرجعوا إليه، فسأله فقال: «الأئمة منا أهل البيت» (٤).

لقد ثبت (عليه السلام) بأن فهم القرآن لا يتم إلا بالرجوع الى ما جاء عن الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) لأنه يضمن الفهم الصحيح لنصوص القرآن الكريم.

كما أنه فتح آفاقاً جديدة لفهم القرآن و علومه و أحكامه فحدّد المحكم و المتشابه و التأويل و التفسير و المطلق و المقيّد و الجرى و الانطباق... الى غيرها من شؤون القرآن الكريم.

٣- المحور الروحي و الأخلاقي

إشاره

لاحظ الإمام الصادق (عليه السلام) تأثير موجات الانحراف الفكرى و السياسى على الأئمة و مدى إفسادها لعقول الناس، و ما لعبته سياسه الامويين من خلق أجواء ملائمه لطغيان النزعات الإلحاديه و القبليه حتى عمّ الانفلات

ص: ١١٩

١- (١) العنكبوت (٢٩): ٤٩.

٢- (٢) تفسير الصافى: ١٢/١.

٣- (٣) النساء (٤): ٥٩.

٤- (٤) بحار الأنوار: ٢٩/٤٧.

الأخلاقى، كما كثر فى زمانه (عليه السّلام) رفع شعار الورع و التقوى. كل ذلك أفقد الامه قيمها و أبعدها عن الأخلاق التى أمر بها الرسول (صلّى الله عليه و آله) و أرادها لامته.

من هنا كان دور الإمام (عليه السّلام) و توجهه الروحى و الاخلاقى مع الامه فى عدّه أبعاد:

البعد الأوّل: كونه (عليه السّلام) القدوه الصالحه و المثال الواقعى الذى تتجسّد فى شخصه أخلاق الرساله؛ مما يكون موقعا لإشعاع الفضيله و نموّها، و يكشف من جانب آخر زيف الأنانيه و نزعات الذات.

البعد الثانى: تقديم مجموعه من الوصايا و الرسائل و التوجيهات التربويّه و الاخلاقيه التى عالج من خلالها الخواء الروحى و الانحراف الأخلاقى الذى نما فى سنوات الانحراف.

أما فى البعد الأوّل فنجد الإمام (عليه السّلام) كان يدعو الناس الى الفضيله برفق و لين و يجادلهم بالتى هى أحسن، و كان يسمح للسانين بطرح اسئلتهم مهما كانت و كان يوضّح لهم ما كان غامضا عليهم.

كما كان لا يقبل من مقرّبيه أن يتشدّدوا بدعوتهم حيث كان يقول لهم:

«الأحملنّ ذنوب سفهائكم على علمائكم، ما يمنعكم إذا بلغكم عن الرجل منكم ما تكرهون، و ما يدخل به الأذى علينا، أن تأتوه فتؤنّبوه و تعذّلوه و تقولوا له قولا بليغا» فقال له بعض أصحابه إذا لا يقبلون منّا، قال: اهجروهم و اجتنبوا مجالسهم (١).

فالإمام هنا يوصى العالم من أصحابه أن لا يتخلى عن رسالته فى إرشاد الإنسان الجاهل المنتمى الى مدرسه أهل البيت (عليهم السّلام) بحجه تماديه و جرأته بارتكاب المخالفات مما يعكس الوجه السلبى لاتباع الإمام فيؤذى دعاه

ص: ١٢٠

ففى نظر الإمام (عليه السّلام) لا يجوز تركه و إهماله إلا بعد اليأس من إصلاحه و ازاله الشك من ذهنه.

البعد الثالث: و كان يحرص على شدّ أواصر المجتمع الإسلامى و إشاعه الفضيله بين الناس ليقضى على العداوه و البغضاء، فكان (عليه السّلام) يدفع الى بعض أصحابه من ماله ليصلح بين المتخاصمين على شىء من حطام الدنيا من أجل القضاء على المقاطعه و الهجران لئلا يدفعهم التخاصم الى الترافع لحكام الجور و الذى كان قد نهى (عليه السّلام) عنه.

قال سعيد بن بيان: مرّ بنا المفضّل بن عمر و أنا و ختنى تتشاجر فى ميراث، فوقف علينا ساعه ثم قال لنا: تعالوا الى المنزل، فأتيناه فأصلح بيننا بأربعمائه درهم فدفعها إلينا من عنده حتّى اذا استوتق كل واحد منّا من صاحبه قال المفضّل: أما إنها ليست من مالى، و لكنّ أبا عبد الله (عليه السّلام) أمرنى إذا تنازع رجلان من أصحابنا فى شىء أن اصلح بينهما و أفتديهما من ماله، فهذا من مال أبى عبد الله (عليه السّلام) (1).

و هذا الاسلوب يأتى كخطوه عمليّه ترفد ذاك التوجيه الذى تضمّن حرمة الترافع إلى حكّام الجور.

و كان (عليه السّلام) يحثّهم على صله الرحم. و من حسن سيرته و مكارم أخلاقه أنّه كان يصل من قطعه و يعفو عمّن أساء اليه، كما ورد أنه وقع بينه و بين عبد الله بن الحسن كلام، فأغلظ عبد الله فى القول ثم افترقا و ذهبا الى المسجد فالتقيا على الباب فقال الصادق (عليه السّلام) لعبد الله بن الحسن: كيف أمسيت يا أبا

ص: ١٢١

محمد؟ فقال عبد الله: -بخير (كما يقول المغضب) - قال الصادق (عليه السلام):

«يا أبا محمد أما علمت أنّ صلّه الرحم تخفّف الحساب؟» ثمّ تلى قوله تعالى:

وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (١).

فقال عبد الله: فلا تراني بعدها قاطعا رحما (٢). فكان يصل رحمه و يبذل لهم النصح، كما كان يصل الفقراء في الليل سرا و هم لا يعرفونه.

قال هشام بن الحكم (رحمه الله) كان أبو عبد الله إذا أعتم و ذهب الليل شطره، أخذ جرابا فيه خبز و لحم و دراهم فحمله على عنقه ثم ذهب الى أهل الحاجه من أهل المدينة فقسّمه فيهم و هم لا يعرفونه و ما عرفوه حتى مضى الى الله تعالى (٣).

و قال مصادف: كنت مع أبي عبد الله (عليه السلام) ما بين مكة و المدينة فمررنا على رجل في أصل شجره. و قد ألقى بنفسه، فقال (عليه السلام): «مل بنا الى هذا الرجل فيأني أخاف أن يكون قد أصابه العطش». فملنا إليه فإذا هو رجل من النصارى طويل الشعر، فسأله الإمام (عليه السلام): أعطشان أنت؟ فقال: نعم، فقال الإمام (عليه السلام):

«انزل يا مصادف فاسقه». فنزلت و سقيته ثم ركبت و سرنا. فقلت له: هذا نصراني، أفنتصدق على نصراني؟ فقال: نعم إذا كانوا بمثل هذه الحالة» (٤).

و كان يرى (عليه السلام) أن الإعراض عن المؤمن المحتاج للمساعدة استخفاف به، و الاستخفاف بالمؤمن استخفاف بهم (عليهم السلام)، فقد كان عنده جماعه من أصحابه فقال لهم: «ما لكم تستخفون بنا؟! فقام إليه رجل من أهل

ص: ١٢٢

١- ((١)) الرعد (١٣): ٢١.

٢- ((٢)) كشف الغمه: ٣٧٥/٢ عن الجنابذي، و عنه في بحار الأنوار: ٢٧٤/٤٧.

٣- ((٣)) بحار الأنوار: ٣٨/٤٧ عن فروع الكافي: ٨/٤.

٤- ((٤)) وسائل الشيعة: ٢٨٥/٦ الحديث ٣.

خراسان فقال: معاذ الله أن نستخفَّ بك أو شيء من أمرك! فقال (عليه السلام): «إنك أحد من استخفَّ بي».

فقال الرجل: معاذ الله أن أستخفَّ بك! فقال له (عليه السلام): «و يحك ألم تسمع فلانا و نحن بقرب الجحفة و هو يقول لك: إحملنى قدر ميل فقد و الله أعيت. فو الله ما رفعت له رأسا، لقد إستخففت به و من استخفَّ بمؤمن فينا استخفَّ و ضييع حرمه الله عزَّ و جلَّ» (١).

أما البعد الثانى: فكما قلنا كان يتمثل فى مجموعه الوصايا و الرسائل و المناظرات و التوجيهات التى عالج الإمام (عليه السلام) من خلالها الإخفاق الروحى الذى كانت الامه قد تعرّضت لا يصلها الى المستوى الايمانى الذى كانت تريده الرساله.

فقد خاطب (عليه السلام) شيعته و أصحابه قائلا: «فإنَّ الرجل منكم إذا ورع فى دينه، و صدق الحديث، و أدى الأمانه و حسن خلقه مع الناس، قيل: هذا جعفرى، فيسرّنى ذلك، و يدخل علىّ منه السرور و قيل: هذا أدب جعفر، و إذا كان على غير ذلك دخل علىّ بلاؤه، و عاره و قيل: هذا أدب جعفر...» (٢).

و أراد الإمام (عليه السلام) أن يعزّز فى نفوسهم صحه مذهبهم باعتباره يمثل الخط الإلهى، فانتقد من جانب الاتجاهات المنحرفه عن خطّ الرساله و فتح شيعته آفاقا توجيهيه قائلا: «أما و الله ما أحد من الناس أحبّ الىّ منكم و إن الناس قد سلكوا سبلا شتى فمنهم من أخذ برأيه، و منهم من أتبع هواه، و منهم من اتبع الروايه، و انكم أخذتم بأمر له أصل فعليكم بالورع و الاجتهاد و اشهدوا الجنائز، و عودوا المرضى و احضروا مع قومكم فى مساجدهم للصلاه، أما يستحى الرجل أن يعرف جاره حقه،

ص: ١٢٣

١- ((١)) الإمام الصادق و المذاهب الأربعة: ٢/٢٩٦.

٢- ((٢)) اصول الكافى: ٢/٦٣٦ و عنه فى وسائل الشيعه: ١٢/٥ ح ٢، نهج السعاده: ٣٢/٨.

و لا يعرف حق جاره» (١).

كما أوصى أحد أصحابه بأن لا ينتقدوا من هو ضعيف الايمان من بينهم بل يجب شدّ أزره و تقويم ضعفه مادام قد اختار طريق الحقّ و ذلك كما فى قوله (عليه السّلام): «يا ابن جندب لا تقل فى المذنبين من أهل دعوتكم إلّا خيراً، و استكينوا الى الله فى توفيقهم، و سلوا التوبه لهم، فكل من قصدنا و ولانا، و لم يوال عدوّنا، و قال ما يعلم و سكت عما لا يعلم أو اشكل عليه فهو فى الجنه» (٢) و تجد الإمام يغرس فى أصحابه صفه التواضع التى من علاماتها السلام على كل من يلقاه فإنّ ذلك يتمّ عن سلامه النفس، و اعتبر من التواضع ترك المناقشه العقيمه خصوصاً فى المسائل العلميه فيما اذا كانت تنطلق من الشعور بالتفوّق، و اعتبر أيضاً من علامات التواضع أن لا يجب الشخص بأن يمتدح على ما يتمتع به من علم و أدب و تقوى فإنّ حبّه لذلك حبّ للظهور و العظمه و ليس من التواضع فى شىء.

قال (عليه السّلام): «من التواضع أن ترضى بالمجلس دون المجلس و أن تسلّم على من تلقى و أن تترك المرء و ان كنت محقاً، و لا تحب أن تحمد على التقوى» (٣).

و كان (عليه السّلام) يوصى أصحابه بالتسليم للحق فى الحوار أو النقد و عدم التأثير بالعصبيه للقوم أو العشيره أو المذهب فىكون الانحياز حائلاً دون سماع الحقيقه التى هى شعار أهل البيت (عليهم السّلام) فقال: «المسلم للحق أوّل ما يصل الى الله...» (٤).

ص: ١٢٤

١- ((١)) اصول الكافى: ١٤٦/٨ ح ١٢١ و عنه الف حديث فى المؤمن، للشيخ هادى النجفى.

٢- ((٢)) تحف العقول: وصيته (عليه السّلام) لعبد الله بن جندب: ٣٠٢.

٣- ((٣)) الحكم الجعفرىه: ٣٥.

٤- ((٤)) المصدر السابق: ٦٠.

البعد الرابع: و من الامور التربويه التي أكدها الإمام (عليه السّلام) في نفوس أصحابه-ليكونوا بالمستوى المطلوب من النضج و السلامه في التفكير و لئلا تكون مشاريعهم و تخطيطاتهم عرضه للفساد-هي الدعوه الى التثبّت في الامور.

قال (عليه السّلام): «مع التثبّت تكون السلامه و مع العجله تكون الندامه، و من ابتدأ بعمل في غير وقته كان بلوغه في غير حينه» (١).

مواصله بناء جامعه أهل البيت الاسلاميه

لقد واصل الإمام الصادق (عليه السّلام) تطويره للمدرسه التي أسّسها الأئمّه (عليهم السّلام) من قبله و انتقل بها إلى آفاق أرحب فاستقطبت الجماهير من مختلف البلاد الإسلاميه، لأنها قد لبّت الرغبه في نفوسهم وسعت لملء الفراغ الذي كانت تعانيه الامّه آنذاك.

خصائص جامعه أهل البيت (عليهم السّلام)

١- من مميّزات مدرسه الإمام الصادق (عليه السّلام) و اختلافها عن باقي المدارس أنّها لم تنغلق في المعرفه على خصوص العناصر الموائيه فحسب و إنّما انفتحت لتضمّ طلاب العلم من مختلف الاتجاهات، فهذا أبو حنيفه الذي كان يخالف منهج الإمام (عليه السّلام) حيث سلك في القياس مسلكا استوجب شدّه الإنكار عليه و على أصحابه و هو الذي أطلق على مؤمن الطاق اسم شيطان الطاق كان مّمن يختلف إلى الإمام الصادق (عليه السّلام) و يسأله عن كثير من المسائل

ص: ١٢٥

وقد روى عن الإمام الصادق (عليه السلام) وحدث عنه و اتصل به في المدينة مدّة من الزمن، و ناصر زيد بن علي و ساهم في الدعوه الى الخروج معه و كان يقول ضاها خروج زيد خروج رسول الله (صلى الله عليه و آله) يوم بدر (١).

٢- انفتحت مدرسه الإمام (عليه السلام) على مختلف فروع المعرفة الاسلاميه و الإنسانيه فاهتمت بالقرآن و السنه و الفقه و التأريخ و الاصول و العقيدة و الكلام و الفلسفه الاسلاميه كما اهتمت بعلم اخرى مثل علم الفلك، و الطب، و الحيوان، و النبات، و الكيمياء، و الفيزياء.

٣- لم تتخذ مدرسه الإمام طابع الانتماء الى الدوله الامويه أو العباسيه و لم تتلوث بسياسه الحاكمين و لم تكن أداة لخدمه الحكام، بل رأت الامه أن هذه المدرسه هي التي تحقق لها تطّعاتها؛ إذ كانت ترى على رأسها وريث النبوه و عملاق الفكر المحمّدى الإمام أبا عبد الله الصادق (عليه السلام) المعروف بمواقفه و استقامته حتى لُقّب بالصادق لسموّ أخلاقه و عدم مساومته و خضوعه لسياسه الحكام المنحرفين.

من هنا شكّلت مدرسته حصنا سياسيا و فكريًا يلوذ به طلاب الحقيقه و من كان يشعر بالمسؤوليه و يريد التخلص من التيه الذي خلفته التيارات الفكرية و السياسيه المتضاربه فى أهدافها و مساراتها.

٤- و تميّزت أيضا جامعه الإمام الصادق (عليه السلام) بمنهجها السليم و عمقها الفكرى و لم تكن اطروحتها فى الإعداد العلمى مبتنيه على حشو الذهن، و إنّما كانت تعتمد الفكر و التعمق و الأصاله و نموّ الكفاءات العلميه و تعتبرها اسسا مهمّه فى المنهج العلمى و التربوى.

ص: ١٢٦

٥- أنتجت هذه الجامعه رموزا للعلم و التقوى و الاستقامه و عرفت بالعطاء العلمى و الدينى للامه و بما أبدعته فى تخصّصاتها العلميه و ما حققته من إنجازات على صعيد الدعوه و الاصلاح بين الناس، و أصبح الانتساب الى مدرسه الإمام(عليه السّلام) مفخره للمنتسب، كما ناهز عدد طلابها الأربعة آلاف طالب.

٦- و اتّسعت هذه المدرسه فيما بعد و شكّلت عدّه فروع لها فى الكوفه و البصره، و قم، و مصر.

٧- إنّ الإمام(عليه السّلام) لم يجعل من جامعته العلميه و الجهد المبذول فيها نشاطا منفصلا عن حركته التغييريه و انشطته الاخرى، بل كانت جزءا من برنامج الاصلاحى، لأنها كانت تساهم بحقّ فى خلق المناخ المناسب لبناء الفرد الصالح، و كانت امتدادا واعيا و مؤثرا فى المسيره العامه للامه فضلا عن النتائج السياسيه الايجابيه الخاصه حيث نجد الكادر العلمى الحاضر فى مدرسه الإمام(عليه السّلام) هو نفسه الذى يحضر فى نشاطات الإمام الخاصه.

٨- تميّزت مدرسه الإمام الصادق(عليه السّلام) بالارتباط المباشر بمصادر التشريع و المعرفه و هما الكتاب الكريم و السنّه النبويه الشريفه بنحو لا مثيل له.

و من هنا حرص الإمام الصادق(عليه السّلام) على أن يحقّق من خلال مدرسته إنجازا بخصوص تدوين الحديث و الحفاظ على مضمونه، بعد أن كان الحديث قد تعرّض فى وقت سابق للضياع و التحريف و التوظيف السياسى المنحرف، بسبب المنع من تدوينه. و لم يستجب الأئمّه المعصومون(عليهم السّلام) لقرار المنع بالرغم من كل الشعارات التى رفعت لتجعل الهدف من حظر

تدوين الحديث هو الحفاظ على القرآن و سلامته من التحريف.

بينما كان الهدف البعيد من منع تدوين الحديث هو تغييب الحديث النبوي الذي كان يؤكد ربط الامه بأهل البيت (عليهم السّلام) فاستهدف الحكّام صرف الناس عن أهل البيت (عليهم السّلام)؛ لأنّ الحديث حين كان يؤكد الارتباط بهم كان يحول بينهم و بين الانسياق وراء كلّ ناعق سياسى أو حاكم جائر.

يقول الإمام الصادق (عليه السّلام): «...أما و الله إنّ عندنا ما لا نحتاج الى أحد و الناس يحتاجون الينا. إن عندنا الكتاب ياملء رسول الله (صلّى الله عليه و آله)، و خطّه على بيده صحيفه طولها سبعون ذراعا فيها كل حلال و حرام» (١).

و جاء عنه (عليه السّلام) أنه قال: «علمنا غاير، و مزبور و نكت في القلوب و نقر في الاسماع و إن عندنا الجفر الاحمر، و الجفر الابيض، و مصحف فاطمه (عليها السّلام) و ان عندنا الجامعه فيها جميع ما يحتاج الناس اليه» (٢).

٩- و تميزت أيضا مدرسه الإمام (عليه السّلام) بالاهتمام بالتدوين بشكل عام بل و مدارس العلم لإنمائه و إثرائه.

فكان (عليه السّلام) يأمر طلابه بالكتابه و يؤكد لهم ضروره التدوين و الكتابه كما تجد ذلك في قوله (عليه السّلام): «إحتفظوا بكتبكم فإنكم سوف تحتاجون اليها» (٣).

و كان يشيّد بنشاط زواره الحديثي إذ كان يقول: «رحم الله زواره بن أعين لو لا زواره لا ندرست أحاديث أبي».

ص: ١٢٨

١- ((١)) بصائر الدرجات: ١٤٩.

٢- ((٢)) الارشاد: ١٨٦/٢ و عنه في مناقب آل أبي طالب: ٣٩٦/٤، و الاحتجاج: ١٣٤/٢، و بحار الأنوار: ٢٦/٤٧ و زادوا فيه: فسئل عن تفسير هذا الكلام فقال: أما الغاير فالعلم بما يكون.

٣- ((٣)) الكافي: ٥٢/١.

وقال فيه و في جماعه من أصحابه منهم أبو بصير، و محمد بن مسلم، و بريد العجلي: «لو لا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هذا الفقه، هؤلاء حفاظ الدين و اماناء أبي (عليه السلام) على حلاله و حرامه و هم السابقون الينا في الدنيا و الآخرة» (١).

و كان يأمر طلابه أيضا بالتدارس و المباحثه فقد قال للمفضل بن عمر:

«اكتب و بث علمك في إخوانك، فإن مت فأورث كتبك بنيك، فإنه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلا بكتبهم» (٢).

و على هذا الاساس اهتم أصحابه بكتابه الأحاديث و تدوينها حتى تألفت و اجتمعت الاصول الاربعمائه المعروفه (٣)، و التي شكّلت المجاميع الحديثيه الاولى عند الشيعة الإماميه.

١٠- و ممّا تميّزت به مدرسه الإمام الصادق (عليه السلام) هو إنماء الفكر الإسلامي و تطويره من خلال التخصص العلمي في مختلف فروع المعرفة الإسلاميه و سوف نشير الى هذه الميزه بالتفصيل.

التخصص العلمي في مدرسه الإمام (عليه السلام)

و التفت الإمام في تلك المرحله لأهميه الاختصاص و دوره في إنماء الفكر الإسلامي و تطويره، و قدرته في استيعاب الطاقات الكثيره الوافده على مدرسته، و بالتخصّص تتنوع عطاءاته، فيكون الابداع أعمق نتاجا و أكثر احتواء، لذا وجه الإمام (عليه السلام) طلابه نحو التخصصات العلميه، و تصدى بنفسه

ص: ١٢٩

١- (١) وسائل الشيعة: ٥٧/٨-٥٩.

٢- (٢) اصول الكافي: ٥٢/١.

٣- (٣) وسائل الشيعة: ٥٧/١٨-٥٩.

للإشراف فكان يعالج الإشكالات التي تستجد، و يدفع مسيره الحركة العلميه الى الأمام. و لا- يمكن في هذا البحث أن نستوعب كل هذه التخصصات و إنما نقتصر على ذكر بعض النماذج فيما يأتي:

أخى الطب: سئل الإمام عن جسم الإنسان فقال (عليه السلام): «ان الله خلق الانسان على إثني عشر وصلا و على مائتين و ثمانيه و اربعين عظما، و على ثلاثمائة و ستين عرقا، فالعروق هي التي تسقى الجسد كله، و العظام تمسكه و اللحم يمسك العظام و العصب تمسك اللحم، و جعل في يديه اثنتين و ثمانين عظما في كل يد إحدى و أربعين عظما، منها في كفه خمس و ثلاثون عظما و في ساعده إثنان، و في عضده واحد، و في كتفه ثلاثه، فذلك إحدى و أربعون، و كذلك في الاخرى، و في رجله ثلاثه و أربعون عظما، منها في قدمه خمس و ثلاثون عظما و في ساقه إثنان، و في ركبتيه ثلاثه، و في فخذه واحد و في وركه إثنان و كذلك في الاخرى، و في صلبه ثمانى عشر فقاره و في كل واحد من جنبيه تسعه أضلاع و في وقصته ثمانيه و في رأسه سته و ثلاثون عظما و في فيه ثمانى و عشرون عظما أو اثنان و ثلاثون عظما» (١).

يقول الشيخ ميرزا محمد الخليلي: و لعمرى إن هذا الحصر و التعداد هو عين ما ذكره المشرحون في هذا العصر، لم يزيدوا و لم ينقصوا (٢).

و شرح الإمام الصادق (عليه السلام) كيفيه دوران الدم في الجسم و لأول مره في حديثه مع المفضل بن عمر، و قد سبق بذلك العالم (هارفي) الذي عرف بأنه مكتشف الدورة الدمويه.

قال (عليه السلام): «فكر يا مفضل في وصول الغذاء الى البدن و ما فيه من التدبير، فإن

ص: ١٣٠

١- ((١) المناقب: ٢٥٦/٤، و بحار الأنوار: ١٤/٤٨٠.

٢- ((٢) طب الإمام الصادق (عليه السلام): ٣.

الطعام يصير الى المعده فتطبخه، و تبعث بصفوه الى الكبد فى عروق رقاق و اشجه بينها، قد جعلت كالمصفى للغذاء، لكيلا يصل الى الكبد منه شىء فينكأها و ذلك أن الكبد رقيقه لا تحتمل العنف، ثم إن الكبد تقبله فيستحيل فيها بلطف التدبير دما، فينفذ فى البدن كله، فى مجار مهياًه لذلك بمنزله المجارى التى تهيأ للماء حتى يطرد فى الارض كلها و ينفذ ما يخرج منه من الخبث و الفضول الى مغايض أعدت لذلك فما كان منه من جنس المرّه الصفراء جرى الى المراره، و ما كان من جنس السوداء جرى الى الطحال و ما كان من جنس البله و الرطوبه جرى الى المثانه فتأمل حكمه التدبير فى تركيب البدن، و وضع هذه الاعضاء منه موضعها، و اعداد هذه الأوعيه فيه لتحمل تلك الفضول لئلا تنتشر فى البدن فتسقمه و تنهكه، فتبارك من أحسن التقدير و أحكم التدبير» ١.

ب- فى الوقايه الصحيه: حذر الإمام من الامراض المعديه و أوصى بعدم الاختلاط بالمصابين بمثل مرض الجذام حيث قال فيه: «لا يكلم الرجل مجذوماً إلا أن يكون بينهما قدر ذراع» ٢، و قد جاء فى الطب الحديث أنّ ميكروب الجذام ينتشر فى الهواء حول المصاب اكثر من مسافه متر.

و قال (عليه السلام) أيضاً: «كلّ داء من التخمه» ٣.

و قال (عليه السلام): «اغسلوا أيديكم قبل الطعام و بعده» ٤ فإنّ غسل اليدين قبل الطعام تعقيم من الجراثيم المحتمله و الغسل بعد الطعام يعدّ من النظافه.

ج- علم الحيوان: قال (عليه السلام) فى مملكه النمل: «انظر الى النمل و احتشاده فى

جمع القوت و إعداده فإنك ترى الجماعه منها اذا نقلت الحب الى زبيتها (١) بمنزله جماعه من الناس ينقلون الطعام أو غيره، بل للنمل فى ذلك من الجد و التشمير ما ليس للناس مثله. أما تراهم يتعاونون على النقل كما يتعاون الناس على العمل، ثم يعمدون الى الحب فيقطعونه لكيلا ينبت فيفسد عليهم (٢) فإن أصابه ندى أخرجوه فنشروه حتى يجف ثم لا يتخذ النمل الزبييه إلا فى نشر من الارض كيلا يفيض السيل فيغرقها، و كل هذا منه بلا عقل، و لا رويّه بل خلقه خلق عليها لمصلحه من الله عزّ و جلّ (٣).

و تكلم الإمام أيضا فى كل من علوم: النبات، و الفلك، و الكيمياء، و الفيزياء و العلاجات النباتيه (٤) كما تكلم فى الفلسفه و الكلام و مباحث الإمامه و السياسه و المعرفه و الفقه و اصوله و الحديث و التفسير و التأريخ.

و تخصص من طلاب الإمام (عليه السلام) فى مباحث الكلام كلّ من: هشام بن الحكم، و هشام بن سالم، و مؤمن الطاق، و محمد بن عبد الله الطيّار، و قيس الماهر و غيرهم.

و تخصص فى الفقه و اصوله و تفسير القرآن الكريم: زراره بن أعين، و محمد بن مسلم، و جميل بن درّاج، و بريد بن معاويه، و اسحاق بن عمّار و عبد الله الحلبي، و أبو بصير، و أبان بن تغلب، و الفضيل بن يسار، و أبو حنيفه، و مالك بن أنس، و محمد بن الحسن الشيباني، و سفيان بن عيينه، و يحيى بن سعيد، و سفيان الثورى.

ص: ١٣٢

١- ((١)) الزبييه-بضم فسكون-الزاييه لا يعلوها ماء، جمعها زبي.

٢- ((٢)) اذا خشى النمل من الحبه المدخره أن تنبت فى الارض فلقتها نصفين، و قد تفلق بعض الحبوب كحب الكزبره الى اربعة أقسام لأن نصف الكزبره أيضا بنبت.

٣- ((٣)) التوحيد للمفضل: ٦٦، و بحار الأنوار: ٦١/٣ و ١٠٢/٦٢.

٤- ((٤)) راجع حياه الإمام الصادق للشيخ باقر شريف القرشى: ٢/٢٨٩ و ما بعدها.

كما تخصص في الكيمياء: جابر بن حيان الكوفي.

و تخصص في حكمه الوجود: المفصل بن عمر الذي أملى عليه الإمام الصادق (عليه السلام) كتابه الشهير المعروف (بتوحيد المفصل).

و نشط طلاب الإمام في نتاجاتهم كل حسب اختصاصه في التأليف و المناظره، يدل على ذلك ما جمعه السيد حسن الصدر عن مؤلفات الشيعة في هذه الفتره و قد ذكر أنها وصلت الى ستة آلاف و ستمائه كتاب (١).

و برز في المناظره: هشام بن الحكم و كان الإمام الصادق (عليه السلام) مسرورا بمناظرات هشام و حين استمع مناظراته مع زعيم المعتزله- عمرو بن عبيد- و أخبره بانتصاره عليه قال له الإمام (عليه السلام): «يا هشام من علمك هذا قال: يا بن رسول الله جرى على لساني قال الإمام (عليه السلام): «هذا و الله مكتوب في صحف إبراهيم و موسى» (٢).

و من الاهداف الكبرى التي خطط لها الإمام (عليه السلام) في مدرسته الى جانب الاختصاصات الاخرى هو تنشيط حركه الاجتهاد الفقهي الخاص الى جانب التفقه في الدين بشكل عام.

من هنا نجد تأصيل منهج الاجتهاد الفقهي و استنباط أحكام الشريعة، قد تمثل في الرسائل العلميه التي دونها أصحابه في خصوص اصول الفقه و في الفقه و الحديث و التي تميّزت بالاعتماد على مدرسه أهل بيت الوحي (عليهم السلام) و اتّخاذها أساسا للفقه و الإفتاء دون الرأى و الاستحسان.

قال (عليه السلام): «حديثي حديث أبي و حديث أبي حديث جدى، و حديث جدى

ص: ١٣٣

١- (١) تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام: ٢٨٨.

٢- (٢) راجع الاحتجاج: ١٢٥/٢-١٢٨.

حديث الحسين و حديث الحسين حديث الحسن و حديث الحسن حديث أمير المؤمنين و حديث أمير المؤمنين حديث رسول الله (صلى الله عليه و آله) و حديث رسول الله قول الله عزّ و جلّ «(١)».

و قال (عليه السلام): «إنا لو كنّا نفتى الناس برأينا و هو انا لکنّا من الهالكين و لكنّا نفتيهم بآثار من رسول الله (صلى الله عليه و آله) و اصول علم عندنا نتوارثها كابر عن كابر، نكنزها كما يکنز هؤلاء ذهبهم و فضّتهم» (٢).

و قد تكفّلت كتب اصول الفقه بيان قواعد استنباط الأحكام و مناهجها و كيفه التعامل مع الأحاديث المدوّنه فى عامه موسوعات الحديث و اصوله.

و علّم طلابه كيفه استنباط الأحكام من مصادر التشريع كما علّمهم كيفه التعامل مع الأحاديث المتعارضه. قال (عليه السلام) فيما عارض القرآن: «ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف» (٣) و قال أيضا: «إنّ على كل حق حقيقه، و على كل صواب نورا فما وافق كتاب الله فخذوه و ما خالف كتاب الله فدعوه» (٤).

و فى حاله تعارض الاحاديث فيما بينها قال (عليه السلام): «إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهدا من كتاب الله أو من قول رسول الله (صلى الله عليه و آله) و إلا فالذى جاءكم به أولى به» (٥).

و قال (عليه السلام): «إنّما علينا أن نلقى إليكم الاصول و عليكم أن تفرّعوا» (٦).

ص: ١٣٤

١- ((١)) اصول الكافي: ٥٣/١-٥٨.

٢- ((٢)) بصائر الدرجات: ٣٠٠.

٣- ((٣)) الوسائل: ٧٨/١٨.

٤- ((٤)) اصول الكافي: ٦٩/١.

٥- ((٥)) المصدر السابق.

٦- ((٦)) بحار الأنوار: ٢٤٥/٢ ح ٥٣.

اشاره

دور الإمام الصادق (عليه السلام) في بناء الجماعه الصالحه

لقد تحدّثنا عن طبيعه الظروف السياسيه و تناقضاتها و المظاهر الحياتيه المضطربه، و الدور التخريبي الذي لعبته التيارات الفكرية و السياسيه المنحرفه في ضمير الامه و فكرها و ثقافتها. و على رأس هذا المدّ المنحرف كانت سياسه الامويين الظالمه التي استمرّت لزمان طويل نسبيا.

كما تحدّثنا عن خطّ الإمام (عليه السلام) و منهجه الإصلاحى العام مع الامه، حيث كانت الجامعه العلميه إحدى حلقات منهجه الإصلاحى الشامل.

و لم يقتصر نشاط الإمام (عليه السلام) على بناء الجامعه العلميه و غيرها من الأنشطة العامه؛ لأنّه كان يدرك جيدا أنّ هدفه الكبير هو الحفاظ على الإسلام الذى سوف يتعرّض للتعطيل إذا اقتصر على ذلك و لم يستهدف المحتوى الداخلى للأفراد و لم يسع لبناء الشخصيات الصالحه التى تمدّ الساحة الاسلاميه العامه بعوامل القوّه و البقاء و الحفاظ على الامه و الدفاع عن مقدّساتها.

من هنا كان تحرك الإمام نحو بناء الجماعه الصالحه بهدف تغيير المجتمع الإسلامى وفق اطروحه أهل البيت(عليهم السلام)؛ لأنّ وجود مثل هذا التيار المتماسك يوفرّ جملته من المكاسب و المنافع و الأهداف التي كان يسعى الإمام(عليه السلام) لتحقيقها في حركته الرساليه. إنّ الجماعه الصالحه تحقّق ديمومه خط أهل البيت(عليهم السلام) حيث يشكّل وجودها خطوه عمليه باتّجاه مشروعهم الكبير. و نلخص فيما يلي بعض النقاط التي يحققها وجود هذه الجماعه الصالحه (١).

١- المحافظه على المجتمع الاسلامى

إنّ وجود هذا الخط في وسط الامه سوف يوسّع من دائره الأفراد الصالحين و الواعين و كلّما اتّسعت هذه الدائره كان الإمام(عليه السلام) اكثر اقتدارا على التغيير و اداره العمل السياسى الذى يخوضه مع الحكّام. و يمثّل هذا الخط القوه التي تقف بوجه التحدى الفكرى و الأخلاقى الذى واجهه العالم الاسلامى حينذاك و قد كان من المشهود تاريخيا ما لهذه الجماعه الصالحه من دور فعّال و متميّز في تزييف البنى الفكرية و السياسيه

ص: ١٣٦

١- (١) راجع للتفصيل: السيد محمد باقر الحكيم/ دور أهل البيت(عليهم السلام) في بناء الجماعه الصالحه، الجزء الأول.

التي تعتمد على الفرق الضالة من خلال مطارحاتهم و مناقشاتهم مع أقطاب تلك الفرق كالزنادقة و المجبره و المرجئه و غيرها.

و امتاز أصحاب الإمام الصادق (عليه السّلام) عن غيرهم بالمواقف الشجاعه و التمسك بالمثل و القيم العليا و عدم المداهنه و عدم الركون لإغراءات السلاطين، و تحمّلوا جزاء التزامهم بالقيم المثلى شتى ألوان القمع و الاضطهاد و كان لمواقفهم الشجاعه الأثر الكبير فى ثبات و مقاومه المجتمع الإسلامى أمام موجات الانحراف.

لقد كان الإمام الصادق (عليه السّلام) يطلب من شيعته أن يكون كلّ منهم القدوة و المثل الأعلى فى الوسط الذى يعيش فيه، فقد روى عن زيد الشّحام أنه قال: قال لى أبو عبد الله (عليه السّلام): «إقرأ على من ترى أنه يطيعنى منهم و يأخذ بقولى السلام، و اوصيكم بتقوى الله عزّ و جلّ و الورع فى دينكم، و الاجتهاد لله و صدق الحديث، و أداء الأمانه، و طول السجود، و حسن الجوار، فبهذا جاء محمد (صلّى الله عليه و آله) و أدوا الأمانه إلى من ائتمنكم عليها بزا أو فاجرا، فإنّ رسول الله (صلّى الله عليه و آله) كان يأمر بأداء الخيط و المخيط، صلوا عشائركم و اشهدوا جنازهم و عودوا مرضاهم و أدوا حقوقهم فإنّ الرجل منكم إذا ورع فى دينه و صدق الحديث و أدى الأمانه و حسن خلقه مع الناس، قيل: هذا جعفرى» (١).

و كان الإمام (عليه السّلام) يأمر شيعته بالاهتمام بوحده الصف الإسلامى و الانفتاح على المذاهب الاخرى و ترسيخ روح التعايش و المحبّه و تأكيد التماسك بين الجماعات الإسلاميه فنجده يحرضهم على التضامن و التكافل و الوفاء بالعهود مع باقى المسلمين، قال (عليه السّلام): «عليكم بالصلاه فى المساجد و حسن الجوار للناس و إقامة الشهاده و حضور الجناز، إنّه لا بدّ لكم من الناس، إنّ أحدا لا

ص: ١٣٧

يستغنى عن الناس في حياته، والناس لا بدّ لبعضهم من بعض» (١).

و كان (عليه السلام) يطرح للشيعه الافق الإسلامى الرحيب فى السلوك ليتحرّكوا بأنجاهه و أن لا يكتفوا بالمستويات الدانيه مخافه أن تهزّهم ريح التحدّى و الإغراء فيصف الشيعة لهم قائلاً: «فإنّ أبى حدّثنى أنّ شيعتنا أهل البيت كانوا خيار من كانوا منهم: ان كان فقيه كان منهم، و إن كان مؤدّن كان منهم، و إن كان إمام كان منهم، و إن كان كافل يتيّم كان منهم، و ان كان صاحب أمانه كان منهم، و ان كان صاحب وديعه كان منهم، و كذلك كونوا، حبّونا الى الناس و لا تبغضونا إليهم» (٢).

٢- الحفاظ على الشريعة الإسلاميه

وقف الإمام الصادق (عليه السلام) ضدّ حملات التشويه التى أرادت أن تعصف بالشريعة الإسلاميه و تعرّضها للانحراف الذى أصاب الشرايع الاخرى من خلال دخول أفكار غريبه عن الشريعة بين أتباعها و استخدام أدوات جديده لفهم الشريعة كالتقياس و الاستحسان و المصالح المرسله.

و نتيجة للمستوى العلمى الرفيع الذى كان يتمتّع به أصحاب الإمام و شيعته لم تصبح مسأله الافتاء و الاستنباط خاضعه لمصلحه السلاطين و أهوائهم أو منسجمه مع متبنيّاتهم الفكرية، بل بقى الفهم الصحيح للكتاب و السنّه مستقلا عن تلك المؤثرات و بعيدا عن استخدام تلك الأدوات الدخيله على التشريع. و عندما استخدمت الجماعات الاخرى تلك الأدوات الاجتهاديه أدّت هذه الجراه الى آثار سلبيه ممّا اضطرّها الى أن تلجأ الى

ص: ١٣٨

١- ((١)) وسائل الشيعة: ١٢/٦ ح ٥ عن الكافى: ٢/٤٦٤ ح ١.

٢- ((٢)) مشكاه الأنوار: ١٤٦، و بحار الأنوار: ٧٤/١٦٢.

غلق باب الاجتهاد،و كان هذا القرار قد ترك هو الآخر آثارا سلبية فى المجتمع الاسلامى لعدم قدرتها على معالجة التطورات الجديده التى كانت تواجهها البلاد الاسلاميه فيما بعد.

لقد أكد الإمام الصادق(عليه السّلام)قضيه مهمّه و اعتبرها رصيذا مهمّا لفهم النصوص و تبيينها و الاستنباط منها و تلك هى ملكه التقوى و العدالة التى لا بدّ للفقيه أن يتمتع بها ليكون حارسا أميناً للشريعه و الامه التى تريد تطبيقها فى الحياه.

و العدالة عند الإمام(عليه السّلام) شرط فى كثير من الممارسات الحياتيه فهى شرط فى إمام الجماعه و فى شهود الطلاق و فى القاضى و الحاكم و الوالى.

و هذه المزيّه لها دور كبير فى حفظ الشريعه و حفظ النصوص الاسلاميه بحيث تميز هذه المدرسه عن غيرها كما أنّ أصحاب الإمام(عليه السّلام)لم يتعاملوا مع النصوص الوارده عن الرسول(صلّى الله عليه و آله)و الأئمّه(عليهم السّلام)كما تعاملوا مع النص القرآنى القطعى الصدور،بل تناولوها بالدراسه و النقد و التحليل لأنّ الراوى قد لا يكون معصوما عندهم بالرغم من إيمانهم بعصمه الإمام المروى عنه.

٣-المطالبه بالحكم الإسلامى

إنّ القيادة السياسيه حق مشروع للأئمّه المعصومين من أهل البيت(عليهم السّلام)وفق النصوص الإسلاميه الثابته عن الرسول(صلّى الله عليه و آله)و التى تواترت عند مدرسه أهل البيت(عليهم السّلام).

و من هنا كانت القيادة السياسيه التى تولّت الحكم بعد الرسول(صلّى الله عليه و آله)

مباشرة لا تحمل الصفة الشرعية بالرغم من نزول المسلمين عند إرادتها و عدم مواجهتها بالعنف،فضلا عن الحكّام الامويين و العباسيين الذين عاصرهم الإمام الصادق(عليه السلام)حيث مارسوا شتى الطرق لإبعاد الإمام(عليه السلام)و آباءه الكرام عن هذا الموقع الريادي.

و الإمام(عليه السلام)كان يرى ضرورة العمل من أجل إيجاد الكيان الإسلامى الصحيح و المطلوب و ذلك من خلال وجود المجتمع الاسلامى الصالح الذى يؤمن بالقياده الشرعيه الحقيقيه المتمثله فى الأئمه من أهل البيت(عليهم السلام).

و هكذا كان الإمام(عليه السلام)يلفت النظر الى ضروره وجود هذه القاعده الصالحه حين كان يجيب على التساؤلات التى كانت تدور فى نفوس أصحابه كجوابه لسدير الصير فى حيث جاء فيه بأن المطالبه بالحكم و إعلان الثوره المسلحه يعتمد الجماعه الصالحه التى تطيع و تضحى و تتحمل مسؤوليه التغيير و تكون لها القدره على التصدى لكل الانحراف.

و هكذا تبدو أهميه السعى لتكوين و ترشيد حركه الجماعه الصالحه فى هذه المرحله من حياه الإمام(عليه السلام)و توسيع رقعتها فى أرجاء العالم الإسلامى.

و سوف ندرس هذا التكوين و تكامل البناء من ثلاثه جوانب،هى:

أ-البناء الجهادى.

ب-البناء الروحى.

ج-البناء الاجتماعى.

ص: ١٤٠

ألف: البناء الجهادى

أشاره

لقد كان عطاء الثورة الحسينيه كبيراً جداً حيث أرجعت هذه الثورة الخالده الامه الاسلاميه إلى مستوى التصدى للثوره على الحكام المنحرفين و استطاعت الامه المسلمه بفضل هذه الثورة المباركه أن تتجاوز الهاله المزيّفه التي صنعها الامويون لإضفاء طابع من الشرعيه على سلطانهم، وهذا الوعي الثورى و العمل الجهادى الذى شكلته الامه خلال عدّه عقود قد يأخذ بالهبوط إذا لم يقترن بعوامل البقاء و الاستمرار و التكامل.

من هنا نجد الإمام الصادق (عليه السلام) قد تحرك نحو صياغه العمل الثورى و الجهادى و رسم هيكلته و بالتالى تجذيره فى النفوس. و يبدو هذا واضحا من خلال موقفه من ثوره عمّه زيد بن علي (عليه السلام) حيث صرّح قائلاً: «أشركنى الله فى تلك الدماء. مضى و الله زيد عمى و أصحابه شهداء مثل ما مضى عليه على بن أبى طالب و أصحابه» (١).

و هذا الموقف منه (عليه السلام) يعطى الشرعيه لثوره زيد و يرسم للجماعه الصالحه طموحات الإمام (عليه السلام) و يجعلها تعيش همّ الجهادى و الثورى الذى يريده الإمام للقاعده الصالحه التى تستطيع أن تسير بها نحو الأهداف المنشوده للقياده الربانيه المتمثله فى الإمام الصادق (عليه السلام).

فالجماعه الصالحه هى ذلك النموذج الفاضل الذى يعدّه الإمام (عليه السلام) لمهمته الاصلاح فى المجتمع و هذه الجماعه هى التى سوف تتحمل مسؤوليه

ص: ١٤١

و من هنا كان ترسيخ مبادئ و أهداف و معالم و حيويّه الثوره الحسينيه فى نفوس الجماعه الصالحه من خطوات الإمام الكبيره فى هذا الصدد.

ترسيخ مبادئ و أهداف و معالم الثوره الحسينيه

لقد ربط الإمام الصادق (عليه السّلام) العواطف بأتجاه مبادئ الثوره الحسينيه و أهدافها ليكون الرفض و مقاومه الظلم مستندا إلى الوعى الصحيح و التوجيه المنطقى. لذا نجد خطابات الإمام (عليه السّلام) و اهتماماته لم تقتصر على الإثارات الفكرية و التوجيهات الوعظيه نحو الثوره و إنما استندت إلى أساليب تعبويه و تحشيد جماهيرى يعبر بممارسته و حضوره عن الانتماء لخط الحسين (عليه السّلام).

و من أساليبه بهذا الخصوص تأكيد على جملة من الوسائل مثل الزياره و المجالس الحسينيه و البكاء. و نتكلم عن كلّ منها بايجاز:

١-الزياره: اعتبر الإمام الصادق (عليه السّلام) زياره قبر جدّه الحسين (عليه السّلام) من الحقوق اللازمه و التى يجب على كل مسلم الاهتمام بها و يلزم الخروج من عهدتها.

قال (عليه السّلام): «لو أن أحدكم حجّ دهره ثم لم يزر الحسين بن على (عليه السّلام) لكان تاركا حقًا من حقوق رسوله؛ لأنّ حقّ الحسين (عليه السّلام) فريضه من الله عزّ و جلّ واجبه على كل مسلم» (١).

ص: ١٤٢

وقال (عليه السلام): «من سرّه أن يكون على موائد النور يوم القيامة فليكن من زوّار الحسين بن علي (عليه السلام)» (١).

وقال عبد الله بن سنان: دخلت على سيدي أبي عبد الله جعفر بن محمد (عليهما السلام) في يوم عاشوراء فلقيته كاسف اللون ظاهر الحزن ودموعه تنحدر من عينيه كاللؤلؤ المتساقط فقلت: يا بن رسول الله، ممّ بكأؤك؟ لا- أبكى الله عينيك. فقال لي: أو في غفله أنت؟ أما علمت أنّ الحسين بن علي (عليه السلام) أصيب في مثل هذا اليوم؟

قلت: يا سيدي فما قولك في صومه؟ فقال لي: صمه من غير تبييت و افطره من غير تشميت، ولا- تجعله يوم صوم كاملا و ليكن إفطارك بعد صلاه العصر بساعه على شربه من ماء فإنه في مثل ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلّت الهيحاء عن آل رسول الله (صلّى الله عليه و آله) و انكشفت الملحمة عنهم و في الأرض منهم ثلاثون صريعا في مواليهم يعزّ علي رسول الله (صلّى الله عليه و آله) مصرعهم، و لو كان في الدنيا يومئذ حيا لكان صلوات الله عليه و آله هو المعزى بهم.

يا عبد الله بن سنان إنّ أفضل ما تأتي به في هذا اليوم أن تعمد إلى ثياب طاهره فتلبسها و تتسلّب. قلت: و ما التسلّب؟ قال (عليه السلام): تحلل أزرارك و تكشف عن ذراعيك كهينه أصحاب المصابيب. ثم تخرج إلى أرض مقفره أو مكان لا يراك به أحد أو تعمد إلى منزل لك خال، أو في خلوه منذ حين يرتفع النهار، فتصلّي أربع ركعات تحسن ركوعها و سجودها و تسلّم بين كلّ ركعتين تقرأ في الركعه الاولى سورة الحمد و قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ و في الثانية الحمد و قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ثم تصلّي ركعتين تقرأ في الركعه الاولى الحمد و سورة الاحزاب، و في الثانية الحمد و سورة إذا جاءك المؤمنات فقولن أو ما

ص: ١٤٣

١- (١) كامل الزيارات لابن قولويه باب: ١٢١/٤٣.

تيسر من القرآن.

ثم تسلّم و تحوّل وجهك نحو قبر الحسين (عليه السلام) و مضجعه فتمثّل لنفسك مصرعه و من كان معه من ولده و أهله و تسلّم و تصلى عليه و تلعن قاتليه فتبرأ من أفعالهم، يرفع الله عز و جل لك بذلك فى الجنّه من الدرجات و يحط عنك السيئات.

ثم تسعى من الموضع الذى أنت فيه إن كان صحراء أو فضاء أو أى شىء كان خطوات، تقول فى ذلك: إنا لله و إنا إليه راجعون رضا بقضائه و تسليمًا لأمره، و ليكن عليك فى ذلك الكآبه و الحزن و أكثر من ذكر الله سبحانه و الاسترجاع فى ذلك.

فإذا فرغت من سعيك و فعلك هذا فقف فى موضعك الذى صلّيت فيه ثم قل: اللهم عدّب الفجره الذين شاقوا رسولك و حاربوا أولياءك و عبدوا غيرك و استحلّوا محارمك و العن القاده و الأتباع و من كان منهم فخبّ و أوضع معهم أو رضى بفعلهم لعنا كثيرا اللهم و عجل فرج آل محمد و اجعل صلواتك عليهم و استنقذهم من أيدي المنافقين و المضلّين، و الكفره الجاحدين و افتح لهم فتحا يسيرا و أتح لهم روحا و فرجا قريبا، و اجعل لهم من لدنك على عدوك و عدوّهم سلطانا نصيرا» (١).

هكذا كان الإمام الصادق (عليه السلام) يؤكّد مبادئ الثوره عن طريق الزياره لتكون الزياره خطًا ثقافيا يساهم فى التربيه و تمييز الجماعه الصالحه عن غيرها، و يكون الحضور الدائم حول قبر الحسين (عليه السلام) بهذا المستوى العالى من الفهم و الانتماء كدعوه للآخرين فى أن يلتحقوا به و ينضمّوا إلى أفكاره و مبادئه.

على أنّ الحضور الدائم حول القبر يتمنّع بالخزين العاطفى المتكئ على

ص: ١٤٤

أساس فكري و هذا بطبيعته يشكّل قاعده للعمل الثوري الذي يعتمد المطالبه الواعيه بإرجاع الحقوق المسلوبه من أهل البيت (عليهم السّلام). و هذه الحقيقه كان يدركها الامويون و العباسيون و لهذا وقفوا بوجه هذا المدّ المدروس و حالوا دون الزياره بكلّ شكل ممكن.

٢-المجالس الحسينيه:و من الخطوات التي تحرك الإمام الصادق(عليه السّلام)من خلالها من أجل صياغه العمل الثوري و الجهادي و تربيته الجماعه الصالحه على ضوئه هي قضيه الرثاء التي حفظتها المجالس الحسينيه،فقد أكّده(عليه السّلام) على رثاء الإمام الحسين(عليه السّلام)كاسلوب من أساليب التربيه و التحريك العاطفي لغرض ربط الامه بالثوره الحسينيه.

و كان الإمام(عليه السّلام)يعقد هذه المجالس الخاصه لهذه الغايه و التي كان يطرح فيها إلى جانب الرثاء رؤى و ثقافه أهل البيت(عليهم السّلام)العقائديه و الاخلاقيه و التربويه و السياسيه لتكون أداه محفّزه لبثّ الوعي و العاطفه المبدئيّه.

قال(عليه السّلام)لأبي هارون المكفوف:«يا أبا هارون أنشدني في الحسين(عليه السّلام)قال فأنشدته،فبكي...فقال:أنشدني كما تنشدون يعنى بالرّفه.قال فأنشدته:

امرر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكيه

قال:فبكي ثم قال:زدني،قال:فأنشدته القصيده الاخرى،قال:فبكي و سمعت البكاء من خلف الستر.قال:فلما فرغت قال لي:«يا أبا هارون من أنشد في الحسين(عليه السّلام)شعرا فبكي و أبكي عشرا كتبت له الجنّه،و من أنشد في الحسين(عليه السّلام)شعرا فبكي و أبكي خمسّه كتبت له الجنّه،و من أنشد في الحسين(عليه السّلام)شعرا

فبكى و أبكى واحدا كتبت له الجنه» (١).

و كان يؤكد إحياء الذكرى كما نلاحظ ذلك فى قوله (عليه السلام) لفضيل:

«يا فضيل تجلسون و تتحدّثون؟ قلت: نعم سيدى قال: «يا فضيل هذه المجالس احبها، أحيوا أمرنا. رحم الله أمرا أحيأ أمرنا» (٢).

٣-البكاء: و من الأساليب التى اتّخذها الإمام الصادق (عليه السّلام) لتركيز الخط الثورى و تأجيج روح الجهاد فى نفوس خاصته و شيعته هى تعميق و تعميم ظاهره البكاء على الإمام الحسين (عليه السّلام) لأن البكاء يساهم فى الربط العاطفى مع صاحب الثوره و أهدافه و يهىء الذهن و النفس لتبنى أفكار الثوره و يمنح الفرد المسلم الحراره العاطفيه التى تدفع بالفكره نحو الممارسه و التطبيق و رفض الظلم و استمرار روح المواجهه و الحصول على روح الاستشهاد.

كما يشكّل البكاء و سيله إعلاميه سياسيه هادئه و سلميه عبّر بها الشيعى عن المآسى و المظالم التى انتابته و حلّت بأئمته و لا سيّما إذا كانت الظروف لا تسمح بالأنشطه الاخرى.

و لا يعتبر هذا البكاء عن حاله من الانهيار و الضعف و الاستسلام لإراداه الظالمين، كما لا تشكّل إحياء هذه الذكرى و البكاء فيها و سيله للتهرّب من الذنوب و الحصول على صكوك الغفران كما يحلو للبعض أن يقول: إن الحسين قد قدّم دمه الطاهر لأجل براءه الشيعه من النار و إعفائهم من تبعات الآثام و الخطايا التى يرتكبونها تشبها بالنصارى الذين أباحوا لأنفسهم اقتراف الخطايا؛ لأنّ المسيح (عليه السلام) كما يزعمون قد تكفّل بصلبه محو

ص: ١٤٦

١- (١) كامل الزيارات لابن قولويه: باب ١٠٤/٣٣.

٢- (٢) واقعه الطف لبحر العلوم: ٥٢.

خطاياهم.

فالبكاء الذى أكدّه الإمام (عليه السّلام) و تمارسه الشيعة لا يحمل واحدا من هذه العناوين بل هو تلك الحراره التى تضحّ فى الفكره روح العمل و تخرجها من حيز السكون إلى حيز الحركه فقد جاء عنه (عليه السّلام): «إن البكاء و الجزع مكروه للعبد فى كلّ ما جزع ما خلا البكاء و الجزع على الحسين بن على (عليه السّلام) فإنّه فيه مأجور» (١).

ب: البناء الروحى و الايمانى

اشاره

لقد تعرّض الواقع الايمانى و الروحى فى زمن الإمام الصادق (عليه السّلام) إلى الخواء و الذبول و بروز الأنانيه و فصل الايمان عن الأنشطة الحياتيه الاخرى و إعطائه صورته مشوّهه، و قد جاء ذلك بسبب عبث التيارات الفكرية التى استندت الى دعم السلاطين و التى كانت تؤمن هى الاخرى أيضا بلزوم طاعه الحاكم الأموى و العباسى؛ تبريرا لدعمها للحاكم.

من هنا بذل الإمام نشاطا واسعاً لاستعادته الايمان و بناء الذات و سموّها وفق الخط القرآنى و ترشيح قواعد إيمانيه رصينه، و الانطلاق بالايمان إلى آفاق أرحب و أوسع بدل التوقع و النظره الآحاديه المجزّئه للدين؛ لأن الايمان بهذا المعنى يمنح المؤمن القوه فى اقتحام الميادين الصعبه و تحمّل المسؤوليات و يمدّه بالنشاط و الحيويه فى مواصله العمل و الجهاد.

و نقتصر فيما يلى على بعض الأنشطة التى رسّخ الإمام عن طريقها الايمان فى نفوس أصحابه و خاصّته.

ص: ١٤٧

١- حذر الإمام من تكوين علاقات إيمانية مع من كانوا يسمون بالعلماء-الذين انتشروا في زمانه-و منع من الاقتداء بهم لأن ما يتحقق من خلال التعاطف معهم و المحبة لهم من دون معرفه لواقعهم النفسى و الأخلاقى يكفى لبناء صرح إيمانى خاطئ و منحرف؛ فإنّ العلم الذى يتمتع به هؤلاء أنما يكون كسراب بقيعه يحسبه الضمآن ماء.

و الإمام(عليه السّلام)يشير إلى أن هذا النوع من العلاقة ينتهى إلى فساد العلاقة مع الله و الابتعاد عنه سبحانه،قال(عليه السّلام):«أوحى الله إلى داود(عليه السّلام):لا تجعل بينى و بينك عالما مفتونا بالدنيا فيصدّك عن طريق محبّتى؛ فإنّ أولئك قطع طريق عبادى المرّدين،إنّ أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوه مناجاتى من قلوبهم»(١).

٢-و من الامور التى صحّحها الإمام(عليه السّلام)و تبه عليها أصحابه هو مفهوم الإيمان و معناه،فحاول أن يبلور صورته الصحيحه و يكشف عنه الإبهام فى نفوس أصحابه،و ذلك عن طريق تشخيص صفات المؤمن فإن المؤمن هو ذلك الإنسان الذى يعكس المفهوم الإلهى بصورته الشامله للحياه و ليس هو ذلك النموذج المستسلم فى حياته الفاقد لإرادته و الذى يطمع فيه أهل السياسه لاستثمار طاقاته باتّجاه مصالحهم.

و لهذا نرى الإمام(عليه السّلام)يشير إلى مسأله مهمّه تستبطن بعدا اجتماعيا و سياسيا ينبغى للمؤمن أن يعيها و يتحرّك بموجبهها.حين قال(عليه السّلام):«إنّ الله فوّض إلى المؤمن أمره كلّه،و لم يفوّض إليه أن يكون ذليلا،أما تسمع الله تعالى يقول:

□
وَ لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢)فالمؤمن يكون عزيزا و لا يكون ذليلا».

ص: ١٤٨

١- ((١) الكافى: ١/٤٦، و علل الشرائع: ٣٩٤ ح ١٣، و بحار الأنوار: ١٠٧/٢.

٢- ((٢) المنافقون(٦٣): ٨.

ثم قال (عليه السلام): «المؤمن أعز من الجبل، والجبل يستقل منه بالمعاول، والمؤمن لا يستقل من دينه بشيء» (١).

٣- كما بين الإمام (عليه السلام) أن القلب الخالي من مخافه الله -التي هي معيار الكمال والقوة لقلب المؤمن- ليس بشيء فالقلب المملوء خوفا من الله الكبير المتعال تتصاغر عنده سائر القوى مثل قوة السلطان وقوة المال وكل قوة بشرية، والقلب الذي لا يستشعر الرقابه الالهيه و يتغافل عن هيمنتها يكون ضعيفا وساقطا مهما بدا قويا وعظيما. إن هذا النمط من العلاقه السلبيه مع الله يؤدي إلى اهتزاز الذات و قلقها و هزيمتها أمام التحديات الصادره من تلك القوى المخلوقه الضعيفه أمام قدره الله و عظمته و جبروته.

عن الهيثم بن واقد قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «من خاف الله أخاف الله منه كل شيء و من لم يخف الله أخافه الله من كل شيء» (٢).

٤- و من جمله تنبيهاته للشيعة أنه قد حذر من الثرثرة في الكلام و أمرهم بضبط اللسان و أشار إلى خطوره الكلام و ما يترتب عليه من آثار سيئه و آثار تضرر بالايامن. كما حذر أيضا من الاستجابه لهوى النفس قائلا: «إن كان الشؤم في شيء فهو في اللسان، فاخزنوا السنتكم كما تخزنون أموالكم و احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم فليس أقتل للرجال من أتباع الهوى و حصائد السنتهم» (٣).

٥- كما لفت الإمام أنظار شيعته الى أن لا يتجاهل أحدهم الإشاعات التي يطلقها الخصوم ضد أصحابه فقد تكون مصيبه و صحيحه و لتكن مدعاه

ص: ١٤٩

١- (١) تهذيب الأحكام: ١٧٩/٦.

٢- (٢) الكافي: ٦٨/٢.

٣- (٣) وسائل الشيعة: ٥٣٤/٨.

لمراجعته النفس قال (عليه السّلام): «من لم يبال ما قال و ما قيل فيه، فهو شرك الشيطان، و من لم يبال أن يراه الناس مسيئاً فهو شرك الشيطان» (١).

مظاهر عمق الإيمان

لقد أعطى الإمام (عليه السّلام) للشيعة علائم و مؤشرات واضحة تكشف عن عمق التدين و عن مدى صحته و سلامته. فإن الإيمان أمر باطنى و لكنه له آثاره و مظاهره التى تكشف عنه. و لا معنى لإيمان بلا عطاء و لا ثبات و لا قدره على مواجهه.

فالمؤمن ذلك النموذج الذى يبرز تدينه عندما يوضع على المحك و يعرض للمصاعب و لا يثنى أمام المغريات و لا يستجيب لمخططات أهل الباطل.

و قد هاجم الإمام (عليه السّلام) تلك الشريحة التى تنتسب إلى التشيع و هى تمارس أخلاقيات مرفوضه فى نظر الإمام و أوضح بأن الإيمان كل لا يتجزأ بصفه دون اخرى مشيراً إلى أهميه الاقتداء بالائمة (عليهم السّلام) قائلاً: «إنما ينجو من أطلال الصمت عن الفحشاء، و صبر فى دوله الباطل على الأذى، أولئك النجباء الأصفياء الأولياء حقاً و هم المؤمنون، إن ابغضكم إلى المترأسون (٢) المشاؤون بالنمائم، الحسده لإخوانهم ليسوا منى و لا أنا منهم إنما أوليائى الذين سلّموا لأمرنا و اتبعوا آثارنا و اقتدوا بنا فى كل أمورنا» (٣).

ص: ١٥٠

١- (١) وسائل الشيعة: ٢٧٣/١١ ح ١٠، عن من لا يحضره الفقيه: ٤/٤١٧.

٢- (٢) أى طلاب الرئاسه.

٣- (٣) تحف العقول: ٣٠٧، و عنه فى بحار الأنوار: ٢٨٦/٧٨.

كما نجد الإمام (عليه السلام) يعطى ضابطه سلوكيه تكشف بدورها عن مستوى التدين و عمقه فى النفس قائلا: «إذا رأيتم العبد يتفقد الذنوب من الناس، ناسيا لذنبه فاعلموا أنه قد مكر به» (١).

القدوه الحسنه

و من الوسائل التى استخدمها الإمام (عليه السلام) فى منهجه التغييرى و بنائه للمجتمع الفاضل هو اهتمامه و تركيزه على النموذج الشيعى الذى يشكّل القدوه الحسنه فى سلوكه ليكون عنصرا مؤثرا و محفّزا للخير و مشجعا لنمو الفضيله فى داخل المجتمع. و قد بذل الإمام (عليه السلام) جهدا منقطع النظير فى تربيته و إعدادة للنموذج القدوه و قد سلّحه بمختلف العلوم و أحاطه بجملة من الوصايا و التوجيهات العلميه و الأخلاقيه.

و استطاع الإمام بطاقاته الإلهيه أن يصنع عددا كبيرا من هؤلاء الذين أصبحوا فيما بعد قادة و منارا تهوى إليهم القلوب لتنهل من علومهم و بقى اسمهم مخلدا فى التاريخ يتناقل المسلمون ما أثرهم جيلا بعد جيل.

و نقتصر فيما يلى على بعض التوجيهات بهذا الصدد:

١- جاء عنه (عليه السلام) فيما يخص العباده التى يتميز بها الشيعى و علاقته بالله أنه قال: «امتحنوا شيعتنا عند مواقيت الصلاه، كيف محافظتهم عليها، و إلى أسرارنا كيف حفظهم لها عند عدونا و إلى أموالهم كيف مواساتهم لإخوانهم فيها» (٢).

٢- عن محمد بن عجلان قال كنت مع أبى عبد الله (عليه السلام) فدخل رجل

ص: ١٥١

١- ((١)) تحف العقول: ٣٦٤، و بحار الأنوار: ٢٤٦/٧٨.

٢- ((٢)) وسائل الشيعه: ٨٣/٣، و بحار الأنوار: ١٤٩/٦٨ عن قرب الاسناد: ٥٢.

فسلم، فسأله، «كيف من خلقت من إخوانك؟» فأحسن الثناء و زكى و أطرى، فقال له: «كيف عياده اغنيائهم لفقرائهم؟» قال: قليله. قال: «كيف مواصله اغنيائهم لفقرائهم فى ذات أيديهم؟» فقال: إنك تذكر أخلاقا ما هى فىمن عندنا.

قال (عليه السلام): «فكيف يزعم هؤلاء أنهم لنا شيعة؟» (١).

لقد أكد الإمام (عليه السلام) أهميته القدوة الحسنه فى المجتمع. قال المفضل:

قال: أبو عبد الله و أنا معه: «يا مفضل! كم أصحابك؟» فقلت قليل. فلما انصرفت إلى الكوفه، أقبلت على الشيعة، فمزقوني كل ممزق، يأكلون لحمى، و يشتمون عرضى، حتى أن بعضهم استقبلنى فوثب فى وجهى، و بعضهم قعدلى فى سلك الكوفه يريد ضربى، و رمونى بكل بهتان حتى بلغ ذلك أبا عبد الله (عليه السلام)، فلما رجعت إليه فى السنه الثانيه، كان أول ما استقبلنى به بعد تسليمه على أن قال: يا مفضل: ما هذا الذى بلغنى أن هؤلاء يقولون لك و فيك؟ قلت: و ما على من قولهم، قال: «أجل بل ذلك عليهم، أ يغضبون؟! بؤس لهم. إنك قلت إن أصحابك قليل، لا و الله ما هم لنا شيعة، و لو كانوا لنا شيعة ما غضبوا من قولك و ما اشمأزوا منه لقد وصف الله شيعتنا بغير ما هم عليه، و ما شيعة جعفر إلا من كف لسانه، و عمل لخالقه و رجا سيده، و خاف الله حق خيفته. و يحهم!! أفهم من قد صار كالحنايا من كثره الصلاه، أو قد صار كالتائه من شده الخوف، أو كالضير من الخشوع أو كالضنى (٢) من الصيام، أو كالأخرس من طول صمت و سكوت؟! أو هل فىهم من قد أدأب ليله من طول القيام، و أدأب نهاره من الصيام، أو منع نفسه لذات الدنيا و نعيمها خوفا من الله و شوقا لينا أهل البيت؟! أنى يكونون لنا شيعة و إنهم ليخاصمون عدونا فىنا حتى يزيدوهم

ص: ١٥٢

١- (١) بحار الأنوار: ١٦٨/٦٨ ح ٢٧ عن صفات الشيعة للصدوق: ١٦٦.

٢- (٢) ضنى ضناء: اشتد مرضه حتى نحل جسمه.

عداوه، وإنهم ليهزّون هرير الكلب ويطمعون طمع الغراب. أما إنى لو لا أننى أ تخوّف عليهم أن أغريهم بك، لأمرتك أن تدخل بيتك و تغلق بابك ثم لا تنظر اليهم ما بقيت، ولكن إن جاؤوك فاقبل منهم؛ فإنّ الله قد جعلهم حجه على أنفسهم و احتجّ بهم على غيرهم.

لا تغزّكم الدنيا و ما ترون فيها من نعيمها و زهرتها و بهجتها و ملكها فإنّها لا تصلح لكم، فو الله ما صلحت لأهلها (١).

ج: البناء الاجتماعى

اشاره

رسم الإمام الصادق (عليه السلام) الخط العام للعلاقات الاجتماعيه للجماعه الصالحه، و بين نظامها و وضع الاسس و القواعد المبدئيه لهذا النظام و رسيخها فى نفوسهم ليتمكن الفرد الصالح من العيش فى المجتمع و فى الظروف الصعبه، و يمتلك القدره فى مواجهه المخططات التى تسعى لتفتيت مثل البناء الذى يهدف له الإمام و هو النظام الاجتماعى الذى خطط له الإمام و أمده بعناصر البقاء و الاستمرار ليتمتد بجذوره فى أوساط الامه.

الافتتاح على الامه

لقد أكد الإمام (عليه السلام) على محور مهمّ يمدّ الجماعه الصالحه بالقدره و الانتشار هو محور الافتتاح على الأمه و عدم الانغلاق على أنفسهم و قد حثّ الإمام شيعته على توسيع علاقاتهم مع الناس و شجعهم على الإكثار من الأصحاب و الأصدقاء فقد جاء عنه (عليه السلام) «أكثرُوا من الأصدقاء فى الدنيا فإنّهم

ص: ١٥٣

ينفعون في الدنيا و الآخرة أما في الدنيا فحوائج يقومون بها و أما في الآخرة فإنّ أهل جهنم قالوا ما لنا من شافعين و لا صديق حميم» (١).

و جاء عنه أيضا: «استكثروا من الاخوان فإن لكل مؤمن دعوته مستجابته».

و قال: «استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة» (٢) كما أكد الإمام (عليه السلام) على مواصلة هذا الانفتاح و شدّه بآداب و أخلاق تدعو للتلاحم و التعاطف بين المؤمنين فقال: «التواصل بين الإخوان في الحضر التزاوير و التواصل في السفر المكاتبه» (٣).

و قال (عليه السلام): «إنّ العبد ليخرج إلى أخيه في الله ليزوره فما يرجع حتى يغفر له ذنوبه و تقضى له حوائج الدنيا و الآخرة (٤) و من الآداب و الاخلاق التي تصبّ في رافد التواصل الاجتماعي هو المصافحه التي حث الإمام (عليه السلام) عليها فقال: تصافحوا فإنّها تذهب بالسخيمه» (٥).

و قال أيضا: «مصافحه المؤمن بألف حسنه» (٦).

و قال (عليه السلام) في التعانق: «إن المؤمنين إذا اعتنقا غمرتاهما الرحمه، فإذا التزما لا يريدان بذلك إلا وجه الله و لا يريدان غرضا من أغراض الدنيا قيل لهما: مغفور لكما، فأستأنفا، فإذا أقبلنا على المساء له قالت الملائكه بعضها لبعض تنحوا عنهما فإنّ لهما سرا و قد ستر الله عليهما، قال اسحاق: فقلت: جعلت فداك فلا يكتب عليهما لفظهما

ص: ١٥٤

١- (١) وسائل الشيعة: ٤٠٧/٧.

٢- (٢) وسائل الشيعة: ٤٠٨/٨.

٣- (٣) تحف العقول: ٣٥٨، بحار الأنوار: ٢٤٠/٧٨.

٤- (٤) مشكاة الانوار: ٢٠٩.

٥- (٥) الكافي: ١٨٣/٢، و تحف العقول: ٣٦، و بحار الأنوار: ٢٤٣/٧٨.

٦- (٦) مشكاة الانوار: ٢٠٣.

و قد قال الله عز و جل: **لَمَّا يَلْفُظْ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ!** (١) قال: فتنفس أبو عبد الله الصعداء (عليه السلام) ثم بكى حتى اخضلت دموعه لحيته و قال: يا اسحاق:

إن الله تبارك و تعالى إنما أمر الملائكة أن تعترل عن المؤمنين إذا التقيا إجلالا لهما، و انه و إن كانت الملائكة لا تكتب لفظهما و لا تعرف كلامهما فإنه يعرفه و يحفظه عليهما عالم السر و أخفى» (٢).

تأكيد علاقه الأخوة:

كان الإمام (عليه السلام) يعمق و يجذر علاقه الأخوة في الله و يضع لها التوجيهات المناسبة التي تزيد في التلاحم و التفاهم، فمنها ما قاله (عليه السلام) لخيثمه: «أبلغ موالينا السلام و أوصهم بتقوى الله و العمل الصالح و أن يعود صحيحهم مريضهم و ليعد غنيهم على فقيرهم، و أن يشهد جنازه ميتهم، و أن يتلاقوا في بيوتهم و أن يتفاوضوا علم الدين فإن ذلك حياه لأمرنا رحم الله عبدا أحيى أمرنا» (٣).

و قال (عليه السلام) في المواساه بين المؤمنين: «تقربوا إلى الله تعالى بمواساه إخوانكم» (٤).

قال محمد بن مسلم: أتاني رجل من أهل الجبل فدخلت معه على أبي عبد الله فقال له حين الوداع أوصني فقال (عليه السلام): «أوصيك بتقوى الله و بز أخيك المسلم، و أحب له ما تحب لنفسك و اكره له ما تكره لنفسك، و إن سألك فأعطه و إن كفّ عنك فأعرض عليه، لا تملّه خيرا فإنه لا يملكك و كن له عضدا فإنه لك عضد و ان وجد عليك

ص: ١٥٥

١- (١) سورة ق (٥٠): ١٨.

٢- (٢) الكافي: ١٨٤/٢ بحار الأنوار: ٣٥/٧٦ وسائل الشيعة: ٥٦٣/٨.

٣- (٣) وسائل الشيعة: ٤٠٠/٨.

٤- (٤) الخصال: ٨ و بحار الأنوار: ٣٩١/٧٤.

فلا تفارقه حتى تحلّ سخيمته (١) و ان غاب فاحفظه في غيبته، و إن شهد فاكفه و اعضده و وازره، و أكرمه و لاطفه فانه منك و أنت منه» (٢).

و قال (عليه السلام) مبيّنا صفه الاخوه في الله قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): «ستّ خصال من كنّ فيه كان بين يدي الله عزّ و جلّ و عن يمين الله. فقال له ابن يعفور: ما هنّ جعلت فداك؟ قال: يحب المرء المسلم لأخيه ما يحب لأعزّ أهله، و يكره المرء المسلم لأخيه ما يكره لأعزّ أهله و ينصحه الولايه (الى أن قال) إذا كان منه بتلك المنزله بثه همه ففرح لفرحه إن هو فرح، و حزن لحزنه إن هو حزن و إن كان عنده ما يفرج عنه فرج عنه إلا دعا له» (٣).

كما نجده يحذّر من بعض التصرفات التي من شأنها أن تفسد العلاقه.

فقد قال (عليه السلام) لابن النعمان: «إن أردت أن يصفو لك و دّ أخيك فلا تمازحنه و لا تمارينه و لا تباهينه، و لا تشارنه، و لا تطلع صديقك من سرّك الا على ما لو أطلع عليه عدوك لم يضرّك، فإن الصديق قد يكون عدوك يوما» (٤).

كما حذّر (عليه السلام) من المجامله على حساب المبدأ و التعاطف مع الخصوم فقال: «من قعد الى سبّ أولياء الله فقد عصى الله و من كظم غيضا فيما لا يقدر على إمضائه كان معنا في السنام الأعلى» (٥).

و قال أيضا: «من جالس لنا عابئا، أو مدح لنا قاليا أو واصل لنا قاطعا، أو قطع لنا واصلنا، أو والى لنا عدوا، أو عادى لنا ولينا فقد كفر بالذي أنزل السبع المثاني

ص: ١٥٦

١- ((١)) السخيمه: الحقد و الضغينه حتى تسل سخيمته و السل الانتزاع و الاخراج في رفق.

٢- ((٢)) وسائل الشيعه: ٥٤٩/٨.

٣- ((٣)) وسائل الشيعه: ٥٤٢/٨.

٤- ((٤)) الكافي: ١٦٥/١، و بحار الأنوار: ٢٨٦/٧٨.

٥- ((٥)) المصدر السابق.

و القرآن العظيم» (١).

و حذر أيضا من مرض الانقباض و الشحناء مع الاخوان و المراء و الخصومه. فقال (عليه السلام): قال امير المؤمنين (عليه السلام): «إياكم و المراء و الخصومه فإنهما يمرضان القلوب على الإخوان و ينبت عليهما النفاق» (٢).

موقف الإمام (عليه السلام) من الهجران و المقاطعه

و ندد الإمام (عليه السلام) بظاهره المقاطعه بين المؤمنين قائلا: «لا يفترق رجلان على الهجران إلا استوجب أحدهما البراءه و اللعنه، و ربما استحق ذلك كلاهما. فقال له معتب: جعلني الله فداك، هذا الظالم، فما بال المظلوم؟ قال: لأنه لا يدعو أخاه الى صلته و لا يتغامس (يتغافل) له عن كلامه، سمعت أبي يقول: إذا تنازع اثنان، فعاز أحدهما الآخر فليرجع المظلوم على صاحبه حتى يقول لصاحبه: أى أخى انا الظالم، حتى يقطع الهجران فيما بينه و بين صاحبه فان الله تبارك و تعالى حكم عدل يأخذ للمظلوم من الظالم» (٣).

الخط التربوي للإمام الصادق (عليه السلام)

اشاره

لم تكن علاقته الإمام الصادق (عليه السلام) مع جماعته و أصحابه من الناحيه التربويه قائمه على اساس الوعظ و الارشاد العام من دون تشخيص لمستويات و واقع سامعيه فكريا و روحيا و ما يحتاجون اليه، بل كان (عليه السلام) يستهدف البناء

ص: ١٥٧

١- (١) الأمالي للصدوق: ٥٥ و بحار الأنوار: ٢٢/٢٧، وسائل الشيعة: ٥٠٦/١١.

٢- (٢) وسائل الشيعة: ٤٠٦/٨، باب كراهه الانقباض من الناس.

٣- (٣) الكافي: ٣٤٤/٢ ح ١ و بحار الأنوار: ١٨٤/٧٥، وسائل الشيعة: ٥٨٤/٨.

الخاص و يميز بينهم و يرق لهم الفكره التربويه التي تحركهم نحو الواقع ليكونوا على استعداد تام لتحمل مسؤوليه اصلاح الامه فكان يزودهم بالاسس و القواعد التربويه الميدانيه التي تؤهلهم لتجاوز الضغوط النفسيه و الاقتصاديه و يمتلكوا الأمل الالهى فى تحقيق اهدافهم.

و نشير الى بعض ما رقد به الإمام أصحابه من توجيهات ضمن عدّه نقاط:

النقطه الاولى: فى الدعوه و الاصلاح

قال (عليه السلام): «إنما يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر من كانت فيه ثلاث خصال:

عالم بما يأمر، عالم بما ينهى. عادل فيما يأمر، عادل فيما ينهى. رفيق بما يأمر، رفيق بما ينهى» (١).

و اعتبر الإمام (عليه السلام) النقد البناء سببا لسد الفراغ و الضعف الذى يصيب الافراد عاده، فقال (عليه السلام): «أحبّ اخوانى إلى من أهدى إلى عيوبى» (٢).

و قال (عليه السلام): «إذا بلغك عن أخيك ما تكره، فاطلب له العذر الى سبعين عذرا فإن لم تجد له عذرا، فقل لنفسك لعل له عذرا لا نعرفه» (٣).

النقطه الثانيه: التعامل التربوى فى مجال العلم و التعلم

أكد الإمام الصادق (عليه السلام) على الخطوره التي تترتب على الرساله العلميه اذا انفكت عن قاعدتها الاخلاقيه و وظف العلم لأغراض دنيويه و ما ينجم عنه من تشويه لهذه الرساله المقدسه. و قد لعب هذا الفصل بين العلم و قاعدته

ص: ١٥٨

١- ((١)) تحف العقول: ٣٥٨، و بحار الأنوار: ٢٤٠/٧٨.

٢- ((٢)) تحف العقول: ٣٦٦، و بحار الأنوار: ٢٤٩/٧٨.

٣- ((٣)) احقاق الحق: ٢٧٩/١٢، و المشروع الروى: ٣٥/١.

الأخلاقية دورا سلبيا حيث انتج ظاهره وعاظ السلاطين التي وظفت الدين لمصلحه السلطان من هنا حذّر الإمام (عليه السّلام) من هذه الظاهره ضمن تصنيفه لطلبه العلم قائلا: «طلبه العلم ثلاثه فاعرفوهم بأعيانهم و صفاتهم: صنّف يطلبه للجهل و المرء و صنّف يطلبه للاستطاله و الختل، و صنّف يطلبه للفقّه و العقل.

فصاحب الجهل و المرء، مؤذ ممار متعرض للمقال فى أنديه الرجال بتذاكر العلم و صفه الحلم قد تسربل بالخشوع و تخلى من الورع، فدقّ الله من هذا خيشومه و قطع منه حيزومه.

و صاحب الاستطاله و الختل، ذو خبّ و ملق يستطيل على مثله من أشباهه و يتواضع للأغنياء من دونه، فهو لحوائهم هاضم، و لدينه حاطم، فأعمى الله على هذا خبره، و قطع من آثار العلماء أثره.

و صاحب الفقّه و العقل، ذو كآبه و حزن و سهر، قد تحنّك فى برنسه، و قام الليل فى حنّده، يعمل و يخشى و جلا داعيا مشفقا، مقبلا على شأنه، عارفا بأهل زمانه، مستوحشا من أوثق اخوانه فشدّ الله من هذا أركانه، و أعطاه يوم القيامة أمانه» (١).

النقطة الثالثه: الضابطه التربويه للتصدى و القياده

وضع الإمام (عليه السّلام) قاعده اخلاقية عامه و ضابطه يتعامل بها المؤمن و يطبقها فى كل ميادين الحياه، و بها تنمو الفضيله، و تكون ايضا سببا للتنافس الصحيح و البناء و التفاضل المبدئى. و بغياب هذه القاعده و استبدالها بمقاييس مناقضه لها سوف يتقدم المفضول على الفاضل و تضيع القيم و تهدر الطاقات، قال (عليه السّلام): «من دعا الناس الى نفسه، و فيهم من هو أعلم منه، فهو مبتدع ضال» (٢).

ص: ١٥٩

١- ((١)) الكافى: ١/٤٩، و بحار الأنوار: ١٩٥/٨٣.

٢- ((٢)) تحف العقول: ٣٧٥، و بحار الأنوار: ٢٥٩/٧٨.

لقد عبّر الإمام الصادق (عليه السلام) شيعته وعاهدهم في أكثر من مرّة قائلاً: إن الانتماء لخطّيه سوف يترتب عليه من الاضطهاد والابتلاء ما لا يطيقه أحد إلا من اختاره الله سبحانه، كما أن التشيع لا يستحقه إلا أولئك الذين لديهم الاستعداد للتضحية العاليه و تحمّل البلاء. وهذا اسلوب إلهي استخدمه الله مع أوليائه، فعن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) عندما ذكر عنده البلاء وما يخص به المؤمن قال: سئل رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أشد الناس بلاءاً في الدنيا؟ فقال: «النيون ثم الأمثل فالأمثل، و يبتلى المؤمن بعد على قدر إيمانه و حسن أعماله فمن صحّ إيمانه و حسن عمله اشتد بلاءه و من سخط إيمانه و ضعف عمله قلّ بلاءه» (١).

و روى الحسين بن علوان عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال و عنده سدير: «إن الله إذا أحبّ عبداً غتّه بالبلاء غتّاً» (٢).

و قال (عليه السلام): «قد عجز من لم يعد لكل بلاء صبراً، و لكل نعمه شكراً و لكل عسر يسراً، اصبر نفسك عند كل بليه و رزیه في ولد أو في مال، فإنّ الله إنما يقبض عاريتة و هبته و ليلو شكرک و صبرک» (٣).

و قال (عليه السلام): «إنا لنصبر، و إن شيعتنا لأصبر منّا، قال الراوى فاستعظمت ذلك، فقلت: كيف يكون شيعتكم أصبر منكم؟ فقال (عليه السلام): «إنا لنصبر على ما نعلم، و أنتم تصبرون على ما لا تعلمون» (٤).

ص: ١٦٠

١- (١) وسائل الشيعه: ٩٠٦/٢.

٢- (٢) المصدر السابق: ٩٠٨/٢.

٣- (٣) تحف العقول: ٣٦١، و بحار الأنوار: ٢١٦/٦٧.

٤- (٤) مشكاه الأنوار: ٢٧٤.

الباب الرابع

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

نهايه الحكم الاموى و بدايه الحكم العباسى

الفصل الثانى:

حكومه المنصور و استشهاد الإمام الصادق (عليه السلام)

الفصل الثالث:

من تراث الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)

ص: ١٦١

نهايه الحكم الاموى و بدايه الحكم العباسى

١-المستجدات السياسيه

لقد تداعا النظام الاموى فى هذه المرحله التاريخيه من حياته بعد أن فقد فى نظر الامه كل مبرراته الحضاريه، عقائديه كانت أو سياسيه، و لم يبق فى قبضته سوى منطق السيف الذى هو آخر مواطن القوه التى كان يدير بها شؤون البلاد.

و حتى هذا المنطق لم يدم طويلا أمام إرادته الامه رغم صرامه آخر ملوك الامويين (مروان) المعروف فى حسمه.

لقد استحكمت قناعه الامه و آمنت بضروره التخلص من الطغيان الاموى، و لم يبق بعد شىء بيد و عاظ السلاطين ليرتشوا به و يدافعوا عن وجه الاستبداد الاموى الكالح فيوظفوا القرآن و الحديث لصالح مملكته و لزوم طاعه الامه لحكامها، حيث تراكمت فى ذهن الامه و ضميرها تلك المظالم التى ارتكبت بحق ذريه رسول الله (صلّى الله عليه و آله) بدءا بسّم معاويه للامام الحسن (عليه السلام) و سبّه الإمام على أخى رسول الله (صلّى الله عليه و آله) و ابن عمه و زوج ابنته و جعل السبّ سنّه، ثم قتل الحسين بن على ريحانه الرسول (صلّى الله عليه و آله) و أهل بيته و خيره أصحابه

بأمر يزيد و عماله، وأخذ البيعه من أهل المدينة في واقعه الحره الأليمه على أنهم عبيد له بعد أن أباحها لجيشه ثلاثه أيام.

وقول عبد الملك بن مروان: (من أوصاني بتقوى الله ضربت عنقه) (1) و قتل الطاغية هشام لزيد بن علي (عليه السلام) و صلبه و حرق جثمانه الشريف.

و فساد الولاة الامويين بالاضافه الى جبايتهم الضرائب الظالمه و شقّ صف وحده الامه الاسلاميه و تمزيقها الى طوائف بإشاعتهم للروح القبليه حيث فرّقوا بالعطاء و استعبدوا الشعوب غير العربيه.

و هكذا ظهرت الى سطح الساحة الفكرية و الفقهية آراء لا ترى أيه شرعيه للنظام الاموي و عبرت عن ذلك في وسط الامه و أصبح مدح العلويين أمرا تتناقله الناس رغم سلبيه موقف السلطه منهم، بعد أن كان الخوف يمنعهم من التعبير عن رأيهم.

و هكذا استعدت الامه بفعل تراكم الظلم الاموي لأن تتقبل أي بديل من شأنه أن ينقذها من الكابوس الاموي، لعلها تنعم بشيء من العدل و المساواه.

و هذا الجو قد شجّع على ظهور اتجاهات و ادعاءات سياسيه تحرض الامه و تدعوها الى الانضمام تحت رايتها تحقيقا لاطماعها في الخلافة، كما تطلعت الأمه للمنقذ باحثه عن أخباره بشغف و أخذت فكره المهدي المنتظر تشقّ طريقها في اوساط الامه المظلومه.

و من جانب آخر اتسع خط الإمام (عليه السلام) و امتدّ و كثرت أنصاره و استلهمت الامه ثقافته حيث إنّه قد أثر في عقلها و قراراتها، ليس على

ص: ١٦٤

المستوى الخاص الذى يحضى برعايه الإمام فحسب أو فى دوائر محدوده، بل أصبح له وجود فى مختلف البلاد الاسلاميه و تألق الإمام الصادق(عليه السلام) و دخل صيته فى كل بيت حتى أصبح مرجعا روحيا تهوى اليه القلوب من كل مكان و تلوذ به لحل مشكلاتها الفكرية و العقائديه و السياسيه.

و لم يكن هذا الامتداد منحصرًا بين عموم الناس و سوادها بل كان الإمام(عليه السلام) مرجعا لعلمائها و مؤثلا لساستها، فهذا سفيان الثورى يقول:
دخلت على الإمام الصادق(عليه السلام) فقلت له: أوصنى بوصيه أحفظها من بعدك.

قال: «و تحفظ يا سفيان؟ قلت: أجل يا بن رسول الله. قال: يا سفيان لا مروءه لكذوب و لا راحه لحسود و لا إخاء لملول و لا خله لمختال و لا سؤدد لسيء الخلق» (١).

و دخل عليه مره اخرى يطلب منه المزيد من التعاليم فقال(عليه السلام):

«يا سفيان الوقوف عند كل شبهه خير من الاقتحام فى الهلكه، و ترك حديث لم تروه أفضل من روايتك حديثا لم تحصه، إن على كل حق حقيقه و على كل صواب نورا. ما وافق كتاب الله فخذوه و ما خالفه فدعوه» (٢). و كانت لسفيان الثورى لقاءات اخرى مع الإمام(عليه السلام) بل كانت علاقته به علاقته التلميذ باستاذه.

و كان من جمله العلماء الذين يدخلون على الإمام للاستفاده منه حفص ابن غياث و هو أحد أعلام عصره و أحد المحدثين فى وقته فكان يطلب من الإمام(عليه السلام) أن يرشده و يوصيه. فقال له الإمام(عليه السلام): «إن قدرت أن لا تعرفوا فافعلوا، و ما عليك ان لم يثن الناس عليك- الى أن قال:- إن قدرت أن لا تخرج من بيتك

ص: ١٦٥

١- (١) بحار الأنوار: ٢٦١/٧٨.

٢- (٢) اصول الكافي: ١/٦٩ ح ١ و تاريخ يعقوبى: ٣٨١/٢ و عن الكافي فى بحار الأنوار: ١٦٥/٢ و الإمام الصادق و المذاهب الأربعة: ٣٢٢/٢.

فأفعل فإنّ عليك في خروجك أن لا تغتاب، ولا تكذب و لا تحسد، ولا ترائي، ولا تداهن».

و كان ابو حنيفه يغتنم الفرص ليحضر عند الإمام و يستمع منه، و كان يقول بحق الإمام (عليه السّلام): ما رأيت افقه من جعفر بن محمد (عليه السّلام).

و كان مالك بن أنس ممّن يحضر عند الإمام (عليه السّلام) ليتأدب بأدابه و يهتدى بهديه فكان يقول: ما رأيت عين و لا سمعت اذن و لا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق علما و عباده و ورعا. و قال: اختلفت الى جعفر بن محمد زمانا فما كنت أراه إلا على احدى ثلاث خصال إمّا مصليا و إمّا صائما و إمّا يقرأ القرآن، و ما رأيت قط يحدث عن رسول الله (صلّى الله عليه و آله) إلا على طهاره، و لا يتكلم بما لا يعنيه، و كان من العلماء العبّاد و الزهاد الذين يخشون الله (١).

و شهد المنصور بحقه و هو الدّ اعدائه قائلا: إن جعفر بن محمد كان ممّن قال الله فيه ثُمَّ أَوْزَنَّا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا و كان ممن اصطفى الله و كان من السابقين بالخيرات (٢).

و لم يكن الإمام مرجعا للعلماء و الفقهاء و المحدّثين و قائدا للنهضة الفكرية و العلميه في زمانه فحسب بل كان مرجعا للساسه و الثوار حيث كان الزعيم الحقيقي للخط العلوي الثائر، حيث نجد زيدا الشهيد بن علي بن الحسين (عليهما السّلام) يرجع اليه في قضيه الثوره، كما كان زيد يقول بحق الإمام (عليه السّلام) في كل زمان رجل منّا أهل البيت يحتج الله به على خلقه، و حجه زماننا ابن اخي جعفر لا يضل من تبعه و لا يهتدى من خالفه (٣).

ص: ١٦٦

١- (١) مالك بن انس للخولي: ٩٤، و كتاب مالك، محمد ابو زهره: ٢٨.

٢- (٢) تاريخ يعقوبى: ٣٨٣/٢ و قد أخذ هذا عن الصادق (عليه السّلام) نفسه، كما عنه في مناقب آل أبي طالب: ١٤٢/٤.

٣- (٣) المناقب لابن شهر آشوب: ٢٩٩/٤.

و لم يكن الإمام جزءاً منفصلاً عن الثوره فقد كان يدعم الثوره بالمال و الدعاء و التحريض و التوجيه كما مرّ في البحوث السابقه (١) أما العلويون من آل الحسن أمثال عبد الله بن الحسن و عمر الأشرف بن الإمام زين العابدين فهم كانوا يرجعون اليه و يستشيرونه في مسائل حياتهم، و لم يتجاوزوه أحد في الأعمال المسلحه و النشاطات الثوريه.

من هنا فإنّ القناعه السائده آنذاك في اوساط الامه هي أن البديل للحكم الاموى هو الخط الذي يتزعمه الإمام (عليه السلام). و هذه الحقيقه لم يمكن تغافلها، كما سوف يتضح أن أهم قاده الحركه العباسيه و رؤساؤها و المدبرون لها أو قادتها العسكريون كانوا يعتقدون في قراره أنفسهم بأن الإمام (عليه السلام) هو الأولى من غيره، و صاحب القوه و القدره و الحنكه في اداره الثوره و قيادتها؛ و ذلك لطاقتاه الإلهيه و ثقله الشعبى، و لهذا فاتحه بالمبايعه كخليفه كلاً من أبى سلمه الخلال و أبى مسلم الخراسانى، و قد ألح عليه بعض أصحابه أيضاً مؤكداً ضروره اعلان الثوره.

و الجدير بالانتباه أنّ الإمام (عليه السلام) لم يتبوّأ هذا الموقع المقدس من القلوب بسبب المعادلات السياسيه الآنيه، فإنّ الأحداث و الظروف المختلفه هي التي كانت قد خلقت هذا الجوّ و أكّدت بأن يكون الإمام (عليه السلام) لا غيره في هذا الموقع و يصبح هو البديل اللائق سياسياً و فكرياً و الخليفه الشرعى للمسلمين بدل الحكم الاموى الظالم.

و إنّ العمل الدؤوب و المنهج الاصلاحى الذى خطّه الإمام (عليه السلام) و من سبقه من ائمه أهل البيت (عليهم السلام)، و بناء الأجيال الطليعيه أدّى الى ارتفاع هذا

ص: ١٦٧

١- (١) راجع ص: ٧٩-٨٠ حول موقف الإمام الصادق من ثوره زيد.

الوعى عند الامه و خلق منعطفًا تاريخيًا فى حياه الامه ممّا أدى الى أن تنعم الامه بالثروه الفكرية التى خلفتها تلك الفتره الذهبيه لنا.

و كان الإمام(عليه السلام)فى هذا الظرف الحسّاس يراقب التحركات السلبيه التى تحاول العبث بمسار الامه و الأخذ بها الى مطبات انحرافيه جديده،من هنا أصدر جملة من التوجيهات لأصحابه و التزم الحياد إزاء العروض السياسيه الكاذبه التى تقدّم بها بعض الثوار؛و ذلك لمعرفته بالدوافع و المطامع التى كانت تحركهم.

و كان من تلك الاتجاهات التى تحركت لاقناع الناس بضروره الثوره على الامويين بهدف الاستحواذ على الخليفه و تفويت الفرصه على منافسيهم الاتجاه العباسى.

٢-الحركه العباسيه[النشأه و الأساليب]

اشاره

سبقّت الإشاره الى النواه الاولى التى دفعت بينى العباس إلى أن يطمعوا فى الخلافه و يمتنوا أنفسهم بها.

و قد مرّ فيما ذكرنا (١) أن أبا هاشم كان من رجالات أهل البيت البارزين، و كان هشام بن عبد الملك يحذره؛لوجود لياقات علميه و سياسيه عنده تؤهله للقياده،فحاول هشام اغتياله.و لمّا أحس ابو هاشم بالمكيده ضدّه احترز من ذلك فأوصى الى محمد بن على بن عبد الله بن العباس بإداره أتباعه فى مقاومه الامويين سنه(٩٩هـ)و كانت هذه الوصيه هى بذره الطمع التى حرّكت

ص:١٦٨

١- (١) راجع البحث الذى مرّ تحت عنوان(بدايه الانفلات)فى الصفحه ٨٢ من هذا الكتاب.

محمد بن على بن عبد الله بن العباس مما جعلته يشعر بأنه القائد و الخليفة مستقبلا.

و كانت الفرصه سانحه فى ذلك الوقت بالتبليغ لشخصه،لذا شرع فى بثّ الدعاه الى خراسان سرًا لهذا الغرض و استمرّ بدعوته الى أن مات سنه (١٢٥هـ) و ترك من بعده أولاده،و هم ابراهيم الإمام،و السفّاح،و المنصور (١).

و يبدو أنّ ابراهيم الإمام هو الذى كان يخطط لقيام دوله عبّاسيه لأنّه الأكثر دهاءا و حنكه و تخطيطا من أخويه كما سيتضح ذلك.

نشط ابراهيم بالدعوه و أخذ يتحدّث بأهميه الثوره و إنقاذ المنكوبين، و شارك البسطاء من الناس آلامهم و أخذ يعطف على المظلومين و يلعن الظالمين.و انتشر دعاه ابراهيم فى بلاد خراسان و كان لهم الأثر الكبير هناك و كان منهم زياد مولى همدان،و حرب بن قيس،و سليمان بن كثير،و مالك بن الهيثم و غيرهم،و قد تعرض الدعاه العبّاسيون للقتل فى سبيل دعوتهم و مثل بعضهم و حبس البعض الآخر (٢)و كان فى طليعه الدعاه نشاطا و قوه و دهاء ابو مسلم الخراسانى (٣).

و تضمّن المنهج السياسى العبّاسى-لتضليل الامه-عده أساليب كانت منسجمه مع الواقع و مقبوله عند الناس؛لذا لقيت الدعوه استجابه سريعه و انضم المحرومون و المضطهدون اليها.

و نشير الى بعض هذه الأساليب فيما يلى:

ص:١٦٩

١- (١) الآداب السلطانيه:١٢٧.

٢- (٢) تاريخ ابن الساعى:٣.

٣- (٣) تاريخ يعقوبى:٣٤٠/٢-٣٤٤.

حرّك العباسيون العواطف بقوّه و حاولوا اقناع الناس بأن الهدف من

دعوتهم هو الانتصار لأهل البيت (عليهم السّلام)

الذين تعرّضوا للظلم و الاضطهاد و اريقت دماؤهم فى سبيل الحق، و ركّز العباسيون بين صفوف دعائهم بأن الهدف المركزى من دعوتهم هو رجوع الخلافه المغتصبه الى اهلها.

و لهذا تفاعل الناس مع شعار (الرضى من آل محمد) و وجدوا فى هذا الشعار ضالّتهم.

و كان يعتقد الدعاه أن هذه الدعوه تنبئ بظهور عهد جديد يضمن لهم حقوقهم كما عرفوه من عداله على (عليه السّلام). و قد حقق هذا الشعار نجاحا باهرا خصوصا فى البلاد التى كانت قد لاقى البؤس و الحرمان و كانت تترقب ظهور الحق على يد أهل بيت النبوه.

و كانت ثقافتهم السياسيه التى يروّج لها دعائهم بين الناس تأتى على شكل تساؤلات، منها: «هل فيكم أحد يشك أن الله عزّ و جلّ بعث محمدا و اصطفاه؟ فيقولون: لا، فيقال: أفتشكّون أن الله أنزل عليه كتابه فيه حلاله و حرامه و شرائعه؟ فيقولون: لا، فيقال: أفتظنون خلفه عند غير عترته و أهل بيته؟ فيقولون: لا، فيقال: أفتشكّون أن أهل البيت هم معدن العلم و أصحاب ميراث رسول الله الذى علمه الله؟ فيقال: لا... (1).

بهذه الإثارات العامه التى لا تعين المصداق و تكتفى بالايحاء و تتكى

ص: ١٧٠

على الغموض حصلوا على مكاسب جماهيريه هائله حتى من غير المسلمين.

و كان هذا الاسلوب يشكّل سرقة لجهود الائمه (عليهم السلام) حيث يوظفونها لمصالحهم فى الأوساط غير الواعيه لطبيعته الصراع.

الاسلوب الثانى:

و من الأساليب الى سلكها الدعاه العباسيون و نفذوا من خلالها الى

اوساط الامه النبوءات الغيبية

التي كانت تكشف عن احداث المستقبل، و كان لهذا الاسلوب الماكر الأثر الكبير فى كسب البسطاء و اندفاع المتحمسين للدعوه و انضمامهم اليها اعتقادا منهم بصحة ما يدعون اليه، فمن تلك النبوءات الغيبية التي أشاعوها فى ذلك الحين أنّ (ع) ابن (ع) سيقتل (م) ابن (م)، ثم تأولوا ان المراد بالأول هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس و الثانى هو مروان بن محمد بن مروان، كما ادّعوا ايضا حسب زعمهم أن النبي (صلى الله عليه و آله) كان يبشّر بدوله هاشميه على انه (صلى الله عليه و آله) قال لعنه العباس: إنها تكون فى ولدك.

و من تلك الدعايات التي كانت تريد اضفاء الشرعيه على دعوتهم هو زعمهم بأن لديهم كتبا تؤكد انتقال الخلافه الى بنى العباس لكن لا يجوز اخراجها و كشفها لكل الناس. و إنّما يطلع عليها النقباء من خواصهم. و هذا الاسلوب كان قد زاد الدعاه تقديسا لدعوتهم كما انها قد زادتهم اندفاعا لها (١).

الاسلوب الثالث: [اخفاء اسم الخليفه الذى يدعون اليه]

و استخدموا اسلوبا لم يكن مألوفاً من قبل و هو فى غايه من الدهاء السياسى حيث استطاعوا بواسطته أن يكسبوا الجوله و يوظفوا الجهود و القناعات المختلفه نحو هدف واحد و هو أنّهم كانوا يتشدّدون فى اخفاء اسم الخليفه الذى يدعون اليه، من هنا التزموا بكتمان أمره و وعدوا الناس بأنّ

ص: ١٧١

الخليفه لا يمكن اظهار اسمه إلا بعد زوال سلطان الامويين حيث يعلق اسمه الذى تعرفه القواد والنقباء (١).

الاسلوب الرابع:

اشاره

و من الأساليب التى استخدمها العباسيون فى دعوتهم هو-لبس

السواد-

حيث كانوا يرمزون به الى محاربه الظالمين و إظهار الحزن و التألم لأهل البيت(عليهم السلام)و الشهداء الذين لحقوا بهم.

و هكذا قامت الدعوه العباسيه باسمهم للانتقام من الامويين و تركيزا لهذا الشعار الذى كان له وقع بالغ فى النفوس أرسل إبراهيم الإمام لواء يدعى الظل أو السحاب على رمح طويل، طوله ثلاثه عشر ذراعاً، و كتب الى أبى مسلم: أنى قد بعثت اليك برايه النصر (٢) و قد تأولوا الظل أو السحاب فقالوا: إن السحاب يطبق الأرض و كما أن الأرض لا تخلو من الظل كذلك لا تخلو من خليفه عباسى (٣)، و ان ذلك يمثل لواء رسول الله (صلى الله عليه و آله) لانهم ذكروا أن لواءه فى حروبه و غزواته كان أسود.

و بعد أن حقق العباسيون بدهاء ابراهيم الامام و أبيه من قبل و انصاره فى خراسان تقديماً مشهوداً و كثرت انصارهم هناك و شكلوا مجاميع منظمه تدعو لهم، و تأكدوا من نجاح اساليبهم فى تضليل الناس و انها قد ترسخت فى نفوس دعواتهم، حينئذ تحركوا خطوه نحو منافسيهم الحقيقين و هم أهل البيت(عليهم السلام) فإنهم الذين كان العباسيون يخشونهم أشد خشيه؛ لأن دعوتهم لم تحقق أى

ص: ١٧٢

١- ((الإمام الصادق و المذاهب الاربعه: ٣٠٩/٢.

٢- ((الطبرى: ٨٢/٩.

٣- ((الطبرى: ٨٥/٩ و الكامل لابن الاثير: ١٧٠/٥.

نجاح إلا- بواسطة الشعارات التي كانت باسم أهل البيت (عليهم السّلام) إذ حاله عزل الخط العلوى و تجاهله فى بدايه الأمر سوف تحبط مخططاتهم بأجمعها، و من هنا لجأ العباسيون الى عقد اجتماع موسع يضم الطرف العباسى و العلوى بهدف احتواء الخط العلوى و زجّه فى المعترك السياسى و الايحاء للجماهير الاسلاميه بأن البيت العلوى وراء هذا النشاط الثورى.

و كان إبراهيم الإمام يعلم و عشيرته من بنى العباس، بأن الصادق (عليه السّلام) يدرك جيداً على ماذا تسير الامور و ما هو الهدف من هذا التخطيط، و ليس بمقدورهم احتواء الامام و توظيف جهده و زجّه ضمن مخططهم و سوف لن يستجيب فيما لو دعى للحضور فى الاجتماع المزمع عقده، لذا عمدوا إلى شقّ الصفّ العلوى و إغراء آل الحسن بأن تكون الخلافه لهم.

اجتماع الأبواء

و كان الهدف من عقد هذا الاجتماع الصورى بالاضافه إلى الهدف الذى ذكر أعلاه تهيئه الأجواء الوديه و إشاعه روح المحبّه و الوثام بينهم و بين العلويين و تطيننا لخواطرهم و على أقل تقدير جعلهم محايدين فى هذا الصراع، ليتّم لهم ما يهدفون إليه و يحشدوا ما استطاعوا من قوه لصالحهم.

من هنا اجتمعوا فى منطقه الابواء-التي تقع بين مكه و المدينه-و دعوا كبار العلويين و العباسيين، فحضر كل من إبراهيم الإمام و السفاح و المنصور و صالح ابن على و عبد الله بن الحسن و ابناه محمد ذى النفس الزكيه و إبراهيم و غيرهم.

وقام صالح بن علي خطيباً فقال: قد علمتم أنكم الذين تمدّ الناس أعينهم إليهم، وقد جمعكم الله في هذا الموضوع، فاعقدوا بيعه لرجل منكم تعطونه إياها من أنفسكم و توثقوا على ذلك حتى يفتح الله و هو خير الفاتحين.

ثم قام عبد الله بن الحسن فحمد الله و اثني عليه ثم قال: قد علمتم أن ابني هذا هو المهدي فهلّموا لنياعه.

فقال أبو جعفر المنصور: لأى شيء تخدعون أنفسكم؟ و الله لقد علمتم ما الناس إلى أحد أصور (١) أعناقاً، و لا أسرع إجابته منهم إلى هذا الفتى - يريد به محمد بن عبد الله - قالوا قد و الله - صدقت إن هذا لهو الذى نعلم.

فبايعوا جميعاً محمداً، و مسح على يده كل من إبراهيم الإمام و السفّاح و المنصور و كل من حضر الاجتماع (٢).

و بعد أن أنهى مؤتمرهم أعماله بتعيين: محمد بن عبد الله بن الحسن خليفه للمسلمين، أرسلوا إلى الإمام الصادق (عليه السّلام) فجاء الإمام و قال: «لماذا اجتمعتم؟ قالوا: إن نبايع محمد بن عبد الله، فهو المهدي».

قال الإمام جعفر الصادق (عليه السّلام): لا تفعلوا فإنّ الأمر لم يأت بعد، و هو ليس بالمهديّ، فقال عبد الله - رداً على الإمام (عليه السّلام) -: يحملك على هذا الحسد لا ابني! فأجابه الإمام (عليه السّلام): و الله لا يحملنى ذلك و لكن هذا و إخوته و أبناءهم دونكم و ضرب بيده على ظهر أبى العباس، ثم قال لعبد الله: ما هى إليك و لا إلى ابنيك، و لكنها لبني العباس، و ان ابنيك لمقتولان، ثم نهض (عليه السّلام) و قال: إنّ صاحب الرداء الأصفر - يقصد بذلك أبا جعفر - يقتله.

ص: ١٧٤

١- (١) أصور: أميل.

٢- (٢) مقاتل الطالبين: ٢٥٦، و اعلام الورى: ١/٥٢٧، و كشف الغمه: ٢/٣٨٦.

قال عبد العزيز: والله ما خرجت من الدنيا حتى رأيت قتلته. و انفضَّ القوم، فقال أبو جعفر المنصور للإمام جعفر الصادق (عليه السلام): تتمَّ الخلافة لى؟ فقال: نعم أقوله حقًا (١).

تحرك العباسيين بعد المؤتمر

بعد أن حقق المؤتمر غرضه و أنس الحاضرون بقراره الكاذب نشط إبراهيم الإمام فى الاتجاه الآخر ليوصل عمله بشكل مستقل عن أعضاء المؤتمر فأصدر عدّه قرارات سرّيه كعادته منها: أنه كتب إلى شيّعه فى الكوفه و خراسان: أنى قد أمرت أبا مسلم بأمرى فاسمعوا له و أطيعوا، قد أمرته على خراسان و ما غلب عليه. كان ذلك سنه (١٢٨ هـ) و كان أبو مسلم لا يتجاوز عمره التسعه عشر سنه و وصفوه بأنه كان يقظا فاتكا غادرا لا يعرف الرحمه و لا الرأفه، و كان ماهرا فى حياكه الدسائس.

و دهش الجميع لتعيين أبى مسلم فى هذا المنصب الخطير نظرا لحدائثه سنه و قله تجاربه، و أبى جمع من الدعاه طاعته و الانصياع لأوامره إلا أن إبراهيم الإمام ألزمهم السمع و الطاعه (٢) و أقدم أبو مسلم فيما بعد على إعدام جميع من عارض اختياره لقياده هذه المنطقه.

أمّا ما هو الخط الذى سوف يتحرك بموجهه أبو مسلم لإعلان ثورته هناك؟ فقد جاء هذا الخط فى وصيه إبراهيم الإمام له عندما قال: يا عبد الرحمن إنك منّا أهل البيت فاحفظ وصيتى، انظر هذا الحى من اليمن

ص: ١٧٥

١- (١) مقاتل الطالبين: ٢٥٦، الخرائج و الجرائح: ٢/٧٦٥، و عنه فى بحار الأنوار: ١٢٠/٤٧: ٢٥٦.

٢- (٢) الكامل فى التاريخ: ٤/١٩٥، و تاريخ ابن الساعى: ٣.

فأكرمهم، و حل بين ظهرانيهم، فإن الله لا يتم هذا الامر إلا بهم، و انظر هذا الحى من ربيعه فاتهمهم فى أمرهم، و انظر هذا الحى من مضر فإنهم العدو القريب الدار، فاقتل من شككت فى أمره و من وقع فى نفسك منه شىء، و إن شئت أن لا تدع بخراسان من يتكلم العربيه فافعل، فأیما غلام بلغ خمسہ أشبار فاقتله (١). و هذه الوصيه تلخص السياسه العباسيه مع المسلمين.

و قد أثر أبو مسلم الخراسانى فى الناس لتعاطفه معهم حيث كان يتمتع بصفات تؤهله لهذا الموقع، فهو خافض الصوت فصيح بالعربيه و الفارسيه حلو المنطق راويه للشعر، لم ير ضاحكا و لا- مازحا إلا- فى وقته، و لا يكاد يقطب فى شىء من أحواله تأتيه الفتوحات العظام فلا يظهر عليه أثر السرور، و تنزل به الحوادث الفادحه فلا يرى مكتئبا. و عندما سئل إبراهيم الإمام عن أهليه أبى مسلم قال: إنى قد جرّبت هذا الاصبهانى، و عرفت ظاهره و باطنه فوجدته حجر الارض (٢).

و كان محبوبا حتى عند غير المسلمين حيث نجد دهاقين المجوس اندفعوا إلى إتباعه و أظهروا الإسلام على يديه، كما استجاب للدعوه الإسلاميه عدد كبير من أهل الآراء الخارجه عن الإسلام، كل ذلك للظلم و الجور الذى لحق بهم من الولاه الامويين و بسبب ما شاهدوه من العطف من أبى مسلم الخراسانى، و لذا كان الكثير منهم يعتبرونه وحده الإمام، و اعتقدوا أنه أحد أعقاب زرادشت الذى ينتظر المجوس ظهوره، حتى أنهم لم يعتقدوا بموت أبى مسلم بل كانوا ينتظرون رجعتة (٣).

ص: ١٧٦

١- ((١)) الكامل فى التاريخ: ٢٩٥/٤.

٢- ((٢)) وفيات الأعيان: ١٤٥/٣.

٣- ((٣)) الإمام الصادق و المذاهب الأربعة: ٣١١/٢.

و من جانب آخر انه هو الذى أنزل جثمان يحيى بن زيد و صَلَّى عليه و دفنه، و بعد أن تقلد المنصب كقائد عام للعسكر توجه من فوره لخراسان ليقود الجماهير التى تنتظر الأوامر منه و كانت متحمسه قبل هذا الحين للحرب مع الامويين فخطب بالدعاء قائلاً: أشعروا قلوبكم الجراء فإنها من أسباب الظفر، و أكثروا من ذكر الضغائن، فإنها تبعث على الاقدام، و الزموا الطاعة فإنها حصن المحارب (١).

و فجر الثوره هناك، و كان يبذر الشقاق بين جنود الامويين ليحصل الانقسام بينهم. و قد استفاد بذلك و نجح فى مهمته، و قد انجفل الناس من هرات و الطالقان و مرو و بلخ و توافروا جميعاً مسودين الثياب و أنصاف الخشب التى كانت معهم (٢).

و باشر أبو مسلم إباده الأبرياء فقتل -فيما ينقل المؤرخون- ستمائه ألف عربى بالسيف صبراً عدا من قتل فى الحرب (٣).

و تقدمت جيوش أبى مسلم -بعد أن هزمت ولاه الامويين فى خراسان- نحو العراق و هى كالموج تخفق عليها الرايات السود فاحتلت العراق بدون مقاومه تذكر. و بهذا اعلن الحكم العباسى على يد أبى مسلم الخراسانى فى الكوفه سنه (١٣٢ هـ).

و الجدير بالذكر أنه قبل أن يدخل أبو مسلم الخراسانى الكوفه حدث هناك أمران ينبغى الالتفات اليهما:

ص: ١٧٧

١- (١) حياه الإمام موسى بن جعفر: ٣٢٦/١.

٢- (٢) حياه الحيوان، الدينورى: ٣٦٠.

٣- (٣) حياه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: ٣٢٦/١.

الأمر الاول: فى سنه (١٣١ هـ) بعد إعلان أبى مسلم الخراسانى الثوره فى خراسان و قبل دخوله الكوفه القى القبض على ابراهيم الإمام-الرأس المدبر للثوره-من قبل الخليفه الاموى مروان و حبسه فى حزان ثم قتله بعد ذلك فى نفس التاريخ و بهذا الحدث تعرضت الحركه العباسيه لانتكاسه كبرى.

الأمر الثانى:خاف أبو العباس السفاح و أبو جعفر المنصور و جماعه فهربوا الى الكوفه لوجود قاعده من الدعاه العباسيين فيها و على رأسهم أبو سلمه الخلال الذى كان يضاهى أبا مسلم فى الدهاء و النشاط و كان يعرف بوزير آل محمد(صلى الله عليه و آله)فأخلى لهم دارا و تولى خدمتهم بنفسه و تكتّم على أمرهم.

و لعلّ أبا سلمه الخلال كان يريد من خلال هذا الإجراء صرف الخلافه لآل على و لكنه غلب على أمره حتى فاجأته جيوش أبى مسلم الخراسانى إلى الكوفه و ظهر أمر بنى العباس فأخرجوا السفاح إلى المسجد و بايعوه يوم الجمعة ١٢ ربيع الاول سنه (١٣٢ هـ).

و استقبلت الكوفه بيعه السفاح بكثير من القلق لأنها كانت تترقب بفارغ الصبر حكومه العلويين حسب الشعارات المرفوعه ليسيظوا الأمن و الرخاء.

أما الاوساط الواعيه فى الكوفه،بل فى كل أنحاء العالم الإسلامى فقد شجبت البيعه للسفاح و أفتى الفقهاء فى يثرب بعدم شرعيتها (١).

و بعد ذلك أخذوا به إلى المسجد لغرض الصلاه و الخطبه لكنه

ص:١٧٨

١- ((١)) تاريخ الامم و الملوك:١٢٤/٩، و تاريخ ابن قتيبه:١٢٨، و الطقطقى:١٢٧.

حصر و خطب مكانه عمه داود ثم امتلك الجراه فخطب و كان من جمله ما قاله فى خطابه:

يا اهل الكوفه انتم محل محبتنا، و منزل مودتنا، انتم الذين لم تتغيروا عن ذلك، و لم يشككم عنه تحامل اهل الجور عليكم، حتى ادركنم زماننا، و اتاكم الله بدولتنا، فانتم اسد الناس بنا، و اكرمهم علينا، و قد زدكنم فى اعطياتكم مائه درهم، فانا السفاح المبيح، و الناثر المنيح (١).

ثم ارسل قواته بقياده عبد الله بن على لقتال مروان بن محمد بن مروان الحمار و لا حفته الجيوش العباسيه من بلده الى اخرى حتى حاصرته فى مصر فى قريه يقال لها (بوصير) و قتل هناك شر قتله (٢).

٣- موقف الإمام (عليه السلام) من الاحداث

اشاره

التزم الإمام الصادق (عليه السلام) إزاء المستجدات السياسيه فى هذه المرحله موقف الحياد. لكنه من جانب آخر واصل العمل فى نهجه السابق و أخذ يتحرك بقوه و يوسع من دائره الافراد الصالحين فى المجتمع تحقيقا لهدفه الذى خطه قبل هذا الوقت و حفاظا على جهده فى بناء الانسان.

و من هذا المنطلق أصدر جمله من التوصيات لشيخته التى كان من شأنها أن تجنبهم الدخول فى المعادلات السياسيه المتغيره التى تؤدى بنتيجتها إلى استنزاف الوجود الشيعى فى نظر الإمام (عليه السلام) محدرا من أساليب العنف و المواجهه كخيار لهذه المرحله.

ص: ١٧٩

١- (١) الكامل فى التاريخ: ٤١٣/٥.

٢- (٢) يعقوبى: ٣٤٦/٢ و ابن جرير و ابن الأثير فى الكامل فى التاريخ: ٤٢٦/٥.

فَعَن أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَقُولُ: «اتَّقُوا اللَّهَ وَ عَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ لِأَثْمَتِكُمْ، قُولُوا مَا يَقُولُونَ، وَ اصْمَتُوا عَمَّا صَمْتُوا، فَإِنَّكُمْ فِي سُلْطَانٍ مِنْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَ إِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لَتَرْوُلَ مِنْهُ الْجِبَالُ (١)» يَعْنِي بِذَلِكَ وَلَدَ الْعَبَّاسِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فَأَنْتُمْ فِي هُدًى، صَلُّوا فِي عَشَائِرِهِمْ وَ اشْهَدُوا جَنَائِزَهُمْ، وَ آدُوا الْأَمَانَةَ إِلَيْهِمْ» (٢).

و يمكن بلوره سيره الإمام (عليه السّلام) و منهجه السياسي- مع الاطراف الطامعه بالحكم، أو العباسيين الذين يرون في الإمام الصادق (عليه السّلام) و خطه خطرا حقيقيا على سلطانهم- من خلال المواقف التاليه:

موقف الإمام (عليه السلام) من عرض أبي سلمه الخلال

لقد أدرك أبو سلمه الخلال-أحد الدعاة العباسيين النشطين في الكوفة و الذي لعب دورا متميزا في نجاح الدعوه العباسيه و تكثير أنصارها في الكوفة، و ذلك لما امتاز به من لياقه و علم و دهاء، و ثراء حيث أنفق من ماله الخاص على رجال الدعوه العباسيه، و كانت له علاقته خاصه و اتصالات مستمره مع إبراهيم الإمام و أدرك بعد موت ابراهيم الإمام بأن الامور تسير على خلاف ما كان يطمح إليه أو لعله كان قد تغير هواه و استجد في نفسه شيء و لاحظ أن مستقبل الخلافة سيكون إلى أبي العباس أو المنصور و هما غير جديرين بالخلافة أو لطمعه بالسلطه، نراه يكتب للعلويين و في مقدمتهم الإمام الصادق (عليه السّلام) بأنه يريد البيعه لهم.

لكننا لا نفهم من رساله-أبي سلمه-للإمام (عليه السّلام) بأنها رساله ندم أو

ص: ١٨٠

١- ((١)) إبراهيم (١٤): ٤٦.

٢- ((٢)) الكافي: ٢١٠/٨.

اعتراض على النهج العباسى و خديعتهم للعلويين أو إدانته أساليبهم فى الاستيلاء على السلطه.

نعم إن الذى نجده عند مشهور المؤرخين (١) هو أنّ أبا سلمه الخلال أراد نقل الخلافه إلى العلويين و لم يوفق لذلك.

و نجد فى جواب الإمام (عليه السّلام) على رساله أبى سلمه: أن الإمام (عليه السّلام) قد رفض العرض لا بسبب كون الظروف قلقه و غير مؤاتيه فحسب بل كان الرفض يشمل أبا سلمه نفسه حيث قال: «مالى و لأبى سلمه و هو شيعه لغيرى» (٢).

و أكد الإمام (عليه السلام) رفضه القاطع عند ما قام بحرق الرساله التى بعثها له أبو سلمه جوابا لأبى سلمه:

قال المسعودى: كاتب أبو سلمه الخلال ثلاثه من أعيان العلويين و هم جعفر بن محمد الصادق (عليه السّلام) و عمر الأشرف بن زين العابدين، و عبد الله المحض، و أرسل الكتب مع رجل من مواليتهم يسمى محمد بن عبد الرحمن ابن أسلم مولى لرسول الله (صلى الله عليه و اله و سلم). و قال أبو سلمه للرسول: العجل العجل فلا تكونن كواقد عاد و قال له: اقصد أولا جعفر بن محمد الصادق فإن أجاب فأبطل الكتابين الآخرين و إن لم يجب فالتق عبد الله المحض فإن أجاب فأبطل كتاب عمر و إن لم يجب فالتق عمر.

فذهب الرسول إلى جعفر بن محمد أولا، و دفع إليه كتاب أبى سلمه فقال الإمام (عليه السّلام): «مالى و لأبى سلمه و هو شيعه لغيرى؟! فقال له الرجل:

اقرأ الكتاب، فقال لخدمه: إدن السراج منى فأدناه، فوضع الكتاب على

ص: ١٨١

١- (١) تاريخ الامم و الملوك: ١٢٤/٩. و ابن قتيبه: ١٢٨، و الطقطقى: ١٢٧.

٢- (٢) مروج الذهب: ٢٥٤/٣، و الآداب السلطانيه: ١٣٧.

النار حتى احترق، فقال الرسول: ألا تجبه؟ قال (عليه السلام): قد رأيت الجواب. عرّف صاحبك بما رأيت» (١).

موقف الإمام الصادق (عليه السلام) من العلويين

أما العلويون الذين خدعهم العباسيون في اجتماع الابطواء قبل انتصار العباسيين و بايعوا في حينه محمد بن عبد الله كخليفه للمسلمين، فقد استجاب عبد الله بن الحسن أيضا للعرض الذي تقدم به أبو سلمه و جاء للإمام الصادق مسرورا يبشره بهذا العرض.

قال المسعودي: فخرج الرسول من عند الإمام الصادق و أتى عبد الله بن الحسن، و دفع إليه الكتاب و قرأه و ابتهج، فلما كان غد ذلك اليوم الذي وصل إليه فيه الكتاب ركب عبد الله حتى أتى منزل أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) فلما رآه أبو عبد الله أكبر مجيئه، و قال: يا أبا محمد (و هي كنيه عبد الله المحض) أمر ما أتى بك؟ قال: نعم هو أجل من أن يوصف، فقال له:

و ما هو يا أبا محمد؟

قال: هذا كتاب أبي سلمه يدعوني للخلافه، و قد قدمت عليه شيعتنا من أهل خراسان، فقال له أبو عبد الله: يا أبا محمد و متى كان أهل خراسان شيعه لك؟ أنت بعثت أبا مسلم إلى خراسان؟ و انت أمرتهم بلبس السواد؟ هؤلاء الذين قدموا العراق أنت كنت سبب قدومهم أو وجهت فيهم؟ و هل تعرف منهم أحدا؟

فنازعه عبد الله بن الحسن الكلام إلى أن قال: إنما يريد القوم ابني محمدا لأنه مهدي هذه الامه.

فقال أبو عبد الله جعفر الصادق: «ما هو مهدي هذه الامه و لئن شهر سيفه

ص: ١٨٢

ليقتلن».

فقال عبد الله: كان هذا الكلام منك لشيء.

فقال الصادق (عليه السلام): «قد علم الله أنى أوجب النصيحة على نفسى لكل مسلم فكيف أدخره عنك فلا تمنّ نفسك الا باطيل، فإن هذه الدوله ستتم لهؤلاء و قد جاءنى مثل الكتاب الذى جاءك» (١).

نهايه أبى سلمه الخلال

و لم يخف أمر أبى سلمه الخلال على العباسيين فقد أحاطوه بالجواسيس التى تسجل جميع حركاته و أعماله و ترفعها إلى العباسيين، فاتفق السفاح و أخوه المنصور على أن يخرج المنصور لزياره أبى مسلم و يحدثه بأمر أبى سلمه، و يطلب منه القيام باغتياله، فخرج المنصور، و التقى بأبى مسلم، و عرض عليه أمر أبى سلمه فقال، أبو مسلم: أفعلها أبو سلمه؟ أنا أكفيكموه؟

ثم دعا أحد قواده (مرار بن أنس الضبى)، و قال له: انطلق إلى الكوفه فاقتل أبا سلمه حيث لقيته. فسار إلى الكوفه مع جماعه من جنوده و كان أبو سلمه يسمر عند السفاح الذى تظاهر باعلان العفو و الرضا عنه، و اختفى مرار مع جماعته فى طريق أبى سلمه فلما خرج من عند السفاح بادر إلى قتله، و أشاعوا فى الصباح: أن الخوارج هى التى قتلتة (٢).

ص: ١٨٣

١- ((١)) مروج الذهب: ٣/٢٥٤، ٢٥٥ و نحوه فى اليعقوبى: ٣٤٩/٢، و الآداب السلطانيه: ١٣٧ و نحوه الحلبى فى مناقب آل أبى طالب: ٢٤٩/٤ عن ابن كادش العكبرى فى مقاتل العصابه العلويه.

٢- ((٢)) اليعقوبى: ٣٥٤/٢ و تاريخ الامم و الملوک، احداث سنه (١٣٢) قتل ابو سلمه فى الخامس عشر من شهر رجب بعد هزيمه مروان بشهر واحد.

أما أبو مسلم الخراساني الذي قاد الانقلاب على الامويين في خراسان و تم تأسيس الدولة العباسيه على يديه نجده في الأشهر الاولى من انتصار العباسيين و اعلان البيعه لأبي العباس السفاح بالكوفه يكتب للإمام الصادق (عليه السلام) رساله يريد بها البيعه للإمام (عليه السلام) فقد جاء فيها: إنى قد أظهرت الكلمه، و دعوت الناس عن موالاه بنى اميه إلى موالاه أهل البيت فإن رغبت فلا مزيد عليك (١).

لا شك أن أبا مسلم الخراساني المعروف بولائه و إخلاصه للعباسيين و هو صنيعتهم حينما تصدر رساله من عنده بهذه اللهجه تعتبر مفاجأه و لا بد أن تتأثر بعوامل طارئه قد غيرت من قناعاته، سواء كانت تلك العوامل ذاتيه أو موضوعيه. و إلا فما هي الجبهه التي تربطه بالإمام (عليه السلام)؟

لم يحدثنا التاريخ عن أى علاقته بينه و بين الإمام (عليه السلام) عقائديا أو سياسيا سوى لقاء واحد لم يتم فيه التعارف بينهما أو التفاهم. نعم كان الإمام (عليه السلام) قد عرفه و ذكر اسمه و مستقبله السياسى قبل إعلان العباسيين ثورتهم (٢).

أما موقف الإمام من عرض أبي مسلم الخراساني فيمكن معرفته من جواب الإمام على الرساله فقد جاء فى جوابه (عليه السلام) «ما أنت من رجالى و لا الزمان

ص: ١٨٤

١- ((١)) الملل و النحل للشهرستاني: ٢٤١/١، و فى روضه الكافى: ٢٢٩ جوابه لرسول أبى مسلم بكتابه إليه. و عنه فى بحار الأنوار: ٢٩٧/٤٧.

٢- ((٢)) اعلام الورى: ٥٢٨/٢ و عنه فى مناقب آل أبى طالب: ٢٥٩/٤ و بحار الأنوار: ٢٧٤/٤٧ ح ١٥.

زمانى» (١).

كلمات مختصره و معبره عن تفسير الإمام للمرحله و تشخيصه لأبى مسلم؛ لأن أبا مسلم لم يكن من تربيته الإمام، و لا من الملتزمين بمذهبه، فهو قبل أيام قد سفك من الدماء البريئه ما لا يحصى و قيل لعبد الله بن المبارك:

أبو مسلم خير أو الحجاج؟ قال: لا أقول أن أبا مسلم كان خيرا من أحد و لكن الحجاج كان شرا منه (٢) و كان لا يعرف أحدا من خط أهل البيت و مواليهم؛ إذ كانت علاقته محصوره بدائره ضيقه كما قد حددها له مولاة إبراهيم الإمام عندما أمره أن لا يخالف سليمان بن كثير، فكان أبو مسلم يختلف ما بين إبراهيم و سليمان (٣).

كما نجده بعد مقتل إبراهيم الإمام الذى كان يدعو له يتحول بولائه لأبى العباس السفاح و من بعده لأبى جعفر المنصور، علما أن العلقه كانت بينه و بين المنصور سيئه و كان أبو مسلم يستصغر المنصور أيام حكمه السفاح (٤) إلا أن المنصور ثار لنفسه أيام حكمته فقتله شر قتله.

أما المرحله التى سادها الاضطراب فلم تكن فى نظر الإمام (عليه السلام) و تقديره صالحه لتقبل اطروحتة إذ قال له: (عليه السلام) «و لا الزمان زمانى» (٥).

٤- منهج الإمام (عليه السلام) فى هذه المرحله

اشاره

قد أملت الظروف السياسيه الساخنه و ساهمت فى ايجاد بعض

ص: ١٨٥

١- ((١)) الملل و النحل للشهرستانى: ١٤٢/١.

٢- ((٢)) وفيات الاعيان: ١٤٥/٣ و تاريخ مختصر الدول لابن العبرى: ١٢١: سئل بعضهم...

٣- ((٣)) وفيات الأعيان: ١٤٥/٣.

٤- ((٤)) تاريخ اليعقوبى: ٣٦٧/٢ و المسعودى: ٢٩١/٣ و تاريخ مختصر الدول: ١٢١.

٥- ((٥)) الملل و النحل للشهرستانى: ١٥٤/١، تاريخ اليعقوبى: ٣٤٩/٢.

التصورات و الارهاصات عند أصحاب الإمام (عليه السلام) اسوه بباقي الناس، و قد لاحظ هؤلاء بأن الظرف مناسب لتفجير الوضع و استلام الحكم لضخامه ما كانوا يشاهدونه من شعبيه الإمام و كثره الناس التي تواليه. جاءت التصورات و التساؤلات عن ضروره الثوره عند ما ورد إلى الإمام كتاب أبي مسلم الخراساني، فعن الفضل الكاتب قال كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) فأتاه كتاب أبي مسلم فقال (عليه السلام): ليس لكتابك جواب اخرج عنا- و قد مرّ جواب الإمام على العرض الذي تقدم به أبو مسلم فجعلنا يسار بعضنا بعضا فقال: «أى شىء تسأرون يا فضل؟ إن الله عز ذكره لا يعجل لعجله العباد، و لإزاله جبل عن موضعه أيسر من زوال ملك لم ينقض أجله». ثم قال: إن فلان بن فلان، حتى بلغ السابع من ولد فلان.

قلت: فما العلامه فيما بيننا و بينك جلعت فداك؟ قال: «لا تبرح الارض يا فضل حتى يخرج السفيناني، فإذا خرج السفيناني فأجيبوا إلينا- يقولها ثلاثا- و هو من المحتوم» (١).

و ينقل المعلى بأنه جاء إلى الإمام بكتب كثيره من شيعته تطالبه بالنهوض (٢). و قد مر جواب الإمام (عليه السلام) في البحوث السابقه بما حاصله أن الكثره المزعومه و ذلك العدد الذي لا يستهان به لهو أحوج إلى الاخلاص و رسوخ العقيدته في النفوس فلا- يمكن للإمام أن يخوض المعركه بالطريقه التي يفكر بها فضل الكاتب أو سهل الخراساني و غيرهم، فإن المغامره من هذا النوع و الدخول في اللعب السياسيه استغلالا للظرف سيؤول إلى نتائج لم يدركها هؤلاء إذ تشكل تجربته كأداء تعطل المخطط الالهى الذي التزمه الإمام (عليه السلام) حتى فى حاله نجاح الإمام (عليه السلام) و تسلمه مقاليد الحكم.

ص: ١٨٦

١- ((١)) روضه الكافى: ٢٢٩ و عنه فى بحار الأنوار: ٢٩٧/٤٧، و مسائل الشيعه: ٣٧/١١.

٢- ((٢)) الكافى: ٢٧٤/٨.

و بعد أن تولى أبو العباس السفاح الحكم و صار أول حاكم عباسي قام بتعيين الولاة في البلاد الإسلامية فعين عمه داود بن علي بن العباس واليا على يثرب و مكة و اليمن. و قد خطب داود أول توليه المنصب خطابا في أهالي المدينة و تضمن خطابه التهديد و الوعيد بالقتل و التشريد قائلا: أيها الناس أغركم الامهال حتى حسبتموه الالهال، هيهات منكم، و كيف بكم؟ و السوط في كفى و السيف مشهر.

حتى يبید قبيله فقبيله و يعرض كل مثقف بالهام

و يقمن ربات الخدور حواسرا يمسحن عرض ذوائب الأيتام (1)

و كان تعيين داود بن علي عم السفاح واليا على المدينة له الأثر السلبي على حركة الإمام الصادق (عليه السلام) فقد بادر هذا الاحمق بمواجهه الإمام عن طريق اعتقال مولى الإمام (المعلى بن خنيس) و التحقيق معه لغرض انتزاع أسماء الشيعة. و قد امتنع هذا المخلص و صمم على الشهادة و لم يذكر أى اسم حتى استشهد.

عن أبي بصير قال: فلما ولي داود المدينة، دعا المعلى و سأله عن شيعة أبي عبد الله (عليه السلام) فكتمه، فقال ا تكتمنى؟! أما إنك إن كتمتني قتلتك.

فقال المعلى: أبا القتل تهددني؟! و الله لو كانوا تحت قدمي ما رفعت قدمي عنهم، و إن أنت قتلتني لتسعدني و لتشقين، فلما أراد قتله، قال المعلى أخرجني إلى الناس، فإن لي أشياء كثيرة، حتى أشهد بذلك.

ص: ١٨٧

فأخرجه إلى السوق، فلما اجتمع الناس، قال: أيها الناس، إشهدوا أن ما تركت من مال عين، أو دين، أو أمه، أو عبد، أو دار، أو قليل أو كثير، فهو لجعفر بن محمد (عليه السلام) فقتل (١).

لقد تألم الإمام الصادق (عليه السلام) كثيرا لمقتل المعلّى بن خنيس و لما التقى الإمام (عليه السلام) بداود بن علي بن العباس قال له: قتلت قيمى فى مالى و عيالى، ثم قال لأدعونّ الله عليك. قال داود: اصنع ما شئت.

فلما جنّ الليل قال (عليه السلام): «اللهم ارمه بسهم من سهامك فألق به قلبه» فأصبح و قد مات داود و الناس يهنتونه بموته... (٢).

لقد أدرك الإمام الصادق (عليه السلام) أن الظرف ينبئ بالخطر و أن الحاضر يحمل فى داخله كثيرا من التعقيدات و المشاكل التى سوف يلقاها عن قريب، لكن الوقت لا زال فيه متسع من النشاط و التحرك و يمكن للإمام (عليه السلام) أن يثبت ما بقى من منهجه و يرسخه فى ذهن الامه و يمدّها بالآفاق الرساليه التى تحصنها فى المستقبل؛ لأن العباسيين الآن مشغولون بملاحقه الامويين، لذا نجده (عليه السلام) لم يصطدم مع داود بن على بسبب قتله للمعلّى بالطرق المتوقّعه و لم يعلنها ثوره، كما لم ينسحب للمنطق الذى أبداه داود فى تصعيده الموقف مع الإمام و الذى كان يستهدف جهد الإمام و حركته، بل قابله بمنطق أقوى يعجز من مثل داود أن يواجهه به.

إن لجوء الإمام (عليه السلام) إلى الدعاء سوف يدرك العباسيون من خلاله أن الإمام لا يريد المواجهه العسكريه، لكن مثل هذه الاعمال لا تثنيه عن

ص: ١٨٨

١- ((١)) اختيار معرفه الرجال للكشى: ٣٧٧ ح ٧٠٨ و ٧١٣ و عنه فى المناقب لابن شهر اشوب: ٣/٣٥٢، و بحار الأنوار: ١٢٩/٤٧.

٢- ((٢)) الكافى: ٥١٣/٢ و الخرائج و الجرائح: ٦١١/٢، و بحار الانوار: ٢٠٩/٤٧.

مواصله نشاطه.و من فوائد دعاء الإمام أنه كان يستبطن إحياء لهم بأن الإمام(عليه السّلام)لا يمتلك تلك القوه التي تمكنه من أن يقوم بعمل عسكري مثلا يهدّد به كيانهم،و هذا تصوّر الناشئ من هذا الموقف يطمئن العباسيين و يتيح للإمام(عليه السّلام)فرصا جديده من النشاط.

ثم نجد الإمام(عليه السّلام)بعد أن أنهى مشكله المعلى بن خنيس بالطريقه التي مرّت و تفادى المواجهه،يسافر إلى الكوفه التي يكثر فيها انصاره و شيعته.

و لعلم الإمام بأن السّفاح ليس بمقدوره مواجهه الإمام فى الوقت الحاضر و ليس من صالح سياسته المستفيدة من اسم الإمام(عليه السّلام)هذه المواجهه،بل نجد السّفاح لا يفكّر حتى فى مواجهه بنى الحسن الذين وصلته عنهم معلومات تفيد أنهم يخططون للشوره.

و بعد أن وصل الإمام الى الكوفه قام ببعض النشاطات،منها:

أنّ الإمام(عليه السّلام)أوضح لخواصّ الشيعة بأن الحكومه الجديده لم تختلف عن سابقتها،لأن البعض من الشيعة كان قد التبس عليه الأمر و ظنّ أن علاقه بين الإمام و بنى العباس طيبه لذا طلب بعض الخواصّ من الإمام أن يتوسط له ليكون موظّفا فى حكومه بنى العباس.

و لتيا امتنع الإمام عن إجابه ظنّ بأن الإمام منعه مخافه أن توقعه الوظيفه فى الظلم،لذا قال:فانصرفت إلى منزلى،ففكّرت فقلت:ما أحسبه منعنى إلاّ مخافه أن اظلم أو أجور،و الله لاآتيه و لأعطيّه الطلاق و العتاق و الأيمان المغلّظه أن لا أظلم أحدا و لا أجور و لأعدلنّ.

قال:فأتيته فقلت:جعلت فداك إني فكّرت فى إبانك(امتناعك)علىّ فظننت أنك إنما منعتنى و كرهت ذلك مخافه أن أجور أو أظلم و إنّ كلّ امرأه لى طالق،و كل مملوك لى حرّ علىّ و علىّ إن ظلمت أحدا أو جرت عليه،و إن

لم أعدل.

فقال: كيف قلت؟ قال: فأعدت عليه الأيمان، فرفع رأسه إلى السماء فقال: «تناول السماء أيسر عليك من ذلك!!» (١).

ثم نجد الإمام الصادق (عليه السلام) يؤكد بأن لقب «أمير المؤمنين» خاص بالإمام علي (عليه السلام) ولا يجوز إطلاقه على غيره حتى من ولده الأئمة (عليه السلام) فكيف بمن هو ظالم لهم.

جاء في كتاب مناقب آل أبي طالب: لم يجوز أصحابنا أن يطلق هذا اللفظ لغيره (أي لغير الإمام علي) من الأئمة (عليهم السلام).

وقال رجل -للسادق (عليه السلام): يا أمير المؤمنين. قال: «مه، فانه لا يرضى بهذه التسميه أحد إلا ابتلى ببلاء أبي جهل» (٢).

ثم نجد للإمام توصيات كثيرة تحرم التعاون مع الظلمه و التحاكم اليهم.

لكن لا يمكن تحديد زمنها.

لقد كان موقف الإمام من الحكومتين واحدا. قال (عليه السلام): «لا تعنهم -أي حكام الجور- على بناء مسجد» (٣).

و كان يقول لبعض أصحابه: «يا عذافر! تبئت أنك تعامل أبا أيوب و الربيع. فما حالك إذا نودي بك في أعوان الظلمه؟!» (٤).

و كان حضور الإمام الصادق (عليه السلام) في الحيره -المدينه القريبه من الكوفه- قد لفت أنظار الامه جميعا و اتجهت الناس حوله لتنهل من علومه و تستفيد

ص: ١٩٠

١- (١) الكافي ١٠٧/٥.

٢- (٢) مناقب آل أبي طالب: ٦٧/٣.

٣- (٣) وسائل الشيعة: ١٣٠/٦.

٤- (٤) وسائل الشيعة: ١٢٨/٦.

من توصياته و توجيهاته حتى قال محمد بن معروف الهلالي: مضيت إلى الحيره إلى جعفر بن محمد فما كان لي من حيله من كثره الناس فلما كان اليوم الرابع رأني، فأدناني... (١).

و هذا الحشد الجماهيري الكبير الذي يؤمن بأهليته الإمام و أعلميته و التفافه المستمر حول الإمام قد دفع بالحكومة العباسيه الى أن تحدّ من هذه الظاهره. لكن الإمام (عليه السّلام) و انطلاقا من محافظته على مسيره الامه و دفاعا عن الإسلام نجده قد مارس مع السّفاح اسلوبا مرنا. فعن حذيفه بن منصور قال:

كنت عند أبي عبد الله (عليه السّلام) بالحيره، فأتاه رسول أبي العباس السّفاح الخليفه يدعوه فدعى بممطر أحد وجهيه أسود و الآخر أبيض، فلبسه، ثم قال أبو عبد الله (عليه السّلام): «أما إنني ألبسه، و أنا أعلم أنه لباس أهل النار» (٢).

و جاء عن رجل قال: قال أبو عبد الله (عليه السّلام): «دخلت على أبي العباس بالحيره فقال: يا أبا عبد الله ما تقول في الصيام اليوم؟ فقلت: ذاك الى الإمام إن صمت صمنا و إن أفطرت أفطرتنا فقال: يا غلام على بالمائه فأكلت معه و أنا أعلم و الله إنّه من شهر رمضان فكان إفطاري يوما و قضاؤه أيسر عليّ من أن يضرب عنقي و لا يعبد الله» (٣).

و من جانب آخر قد انتقد الإمام القتل الجماعي للامويين و طلب من السّفاح الكفّ عن قتلهم بعدما أخذ الملك من أيديهم. و دهش السّفاح و تعجّب من موقف الإمام تجاه أعدائه الذين صبّوا على أهل البيت (عليهم السّلام) ألوان الظلم. لأن الإمام لا ينطلق من العصبية الجاهليه و روح التشقّي (٤).

ص: ١٩١

١- (١) فرحه الغرى: ٥٩.

٢- (٢) الكافي: ٤٤٩/٦، و بحار الأنوار: ٤٥/٤٧.

٣- (٣) الكافي: ٨٣/٤.

٤- (٤) حياه الإمام جعفر الصادق: ٨٠/٧.

و انعكست إجراءات العباسيين للحدّ من ظاهره الالتفاف حول الإمام و الاستفادة من علومه، فقد روى هارون بن خارجه، فقال: كان رجل من أصحابنا طلق امرأته ثلاثا فسأل أصحابنا، فقالوا: ليس بشيء، فقالت امرأته لا أرضى حتى تسأل أبا عبد الله (عليه السلام) و كان فى الحيره إذ ذلك أيام أبى العباس السفّاح. قال: فذهبت إلى الحيره و لم أقدر على كلامه، إذ منع الخليفه الناس من الدخول على أبى عبد الله و أنا أنظر كيف التمس لقاءه فإذا سوادى (١) عليه جنبه صوف يبيع خيارا، فقلت له: بكم خيارك هذا كله؟ قال بدرهم، فأعطيته درهما، و قلت له أعطيني جبتك هذه، فأخذتها و لبستها و ناديت: من يشتري خيارا؟ و دنوت منه! فإذا غلام من ناحيه ينادى يا صاحب الخيار! فقال لى لّما دنوت منه: ما أجود ما احتلت إلى حاجتك؟

قلت: إنى ابتليت: فطلّقت أهلى فى دفعه ثلاثا، فسأل أصحابنا فقالوا:

ليس بشيء، و إن المرأه قالت: لا أرضى حتى تسأل أبا عبد الله (عليه السلام) فقال:

«ارجع إلى أهلك فليس عليك شيء» (٢).

لقد لاحظ الإمام الصادق (عليه السلام) الدهاء العباسى و قدراته السياسيه التى حقّق بها نصرا حاسما على خصومه الامويين، و علم بأن المعركه سوف تنتقل إليه و إلى أصحابه باعتبارهم الثقل الاكبر و الخطر الداخلى الحقيقى الذى يخشاه العباسيون، كما لاحظ (عليه السلام) أن القاعده الشعبيه الكبيره التى تؤيده سوف تكون سببا لانهايار حركته إذا لم تزود بتعاليم جديده خصوصا للجماعه الصالحه لأن سعه دائره الانصار تسمح بدخول الأدعياء و المنتفعين الذين يحسبون للظرف السياسى و مستقبله.

ص: ١٩٢

١- (١) سوادى: نسبه الى العراق الذى سمي بأرض السواد أو إلى اسواديه قريه بالكوفه.

٢- (٢) الخرائج و الجرائح: ٢/٦٤٢، و بحار الأنوار: ١٧١/٤٧.

وقد صنّف الإمام (عليه السّلام) جمهوره قائلًا: «افترق الناس فينا على ثلاث فرق، فرقه أحبّونا انتظار قائمنا ليصيبوا دنيانا»، وهذا هو الانتماء السياسي - ليس هو الانتماء القلبي - للتشيع والذى يطمع أصحابه للمواقع السياسيّه فيه مستقبلًا، أما نشاط هؤلاء فيقول عنه الإمام: «فقالوا و حفظوا كلامنا و قصّروا عن فعلنا فسيحشرهم الله إلى النار».

و يشير الإمام (عليه السّلام) إلى الفرقة الثانيه التي تؤيّد حركة الإمام و تحبّه لكنّها تستهدف المنافع الدنيويّه من هذا التأييد.

قال (عليه السّلام): «أحبّونا و اسمعوا كلامنا و لم يقصّروا عن فعلنا» هذه هي حركتهم و نشاطهم، أما هدفهم فيقول الإمام (عليه السّلام): ليستأكلوا الناس بنا فيملاً الله بطونهم نارا و يسלט عليهم الجوع و العطش.

و أخيرا يشير الإمام إلى الفرقة المخلصه قائلًا: «و فرقه أحبّونا و حفظوا قولنا، و أطاعوا أمرنا، لم يخالفوا فعلنا فأولئك منا و نحن منهم» (1).

فالمستقبل ينذر بمعركة شرسة تريد استئصال حركة الإمام (عليه السّلام) من الجذور، قد بدأها داود بن علي و من علائقها التضييق على الإمام في الحيره، فلا بدّ للإمام أن ينشّط باتجاه تثقيف الشيعة بمبادئ تكون كفيله بالحفاظ عليهم و تمكّنهم من مواصلة العمل البناء و التعايش مع الامه بسلام - كمبدأ التقيّه و كتمان السرّ - و تفوّت على الظالمين نواياهم كما أنّ الالتزام بها يحافظ على صحّه المعتقدات و الأحكام الشرعيّه. لذا نجده و هو في معرض تربيته للخواصّ يقول: «رحم الله عبدا سمع بمكنون علمنا فدفعه تحت قدميه و الله إنى لأعلم بشراركم من البيطار (2) بالدواب، شراركم الذين لا يقرأون القرآن

ص: ١٩٣

١- ((١)) تحف العقول: ٥١٤، و بحار الأنوار: ٣٨٠/٧٨.

٢- ((٢)) البيطار: في الأصل معرّب بهدار بالفارسيه أى الصحّه، و لكنه اختصّ في العربيّه بطبّ الحيوان. انظر بديع اللغه، و المعرّب من لغه العرب للجواليقي.

إلا هجرا (١) ولا- يأتون الصلاه إلا دبرا ولا يحفظون ألسنتهم، إعلم أن الحسن بن علي (عليه السلام) لما طعن، و اختلف الناس عليه، سلم الأمر لمعاويه فسلمت عليه الشيعة: عليك السلام يا مذل المؤمنين. فقال (عليه السلام): ما أنا بمذل المؤمنين، ولكنى معز المؤمنين. إنى لما رأيتمكم ليس بكم عليهم قوه، سلمت الأمر لأبقى أنا و أنتم بين أظهرهم كما عاب العالم السفينه لتبقى لأصحابها، وكذلك نفسى و أنتم لنبقى بينهم» (٢).

فالإمام (عليه السلام) يضرب المثل بالإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) الذى مارس التقية باسلوب دفاعى مع معاويه لغرض مواصلة العمل، فلم يصالح الإمام على أساس المبادئ و الأحكام بل كان من أجلها و من أجل إبراز هويه شيعة الإمام و الاعتراف بحقوقهم المغصوبه و لتفتح لهم مجالا واسعا للتبليغ.

من هنا جاءت مهمه تثبيت هذه المبادئ و تربيه الشيعة عليها و وجوب العمل بها ليس لأنها مبادئ تخص نخبه من الناس و إنما باعتبارها مبادئ إسلاميه عامه و مشروعه حسب النصوص الثابته فى القرآن و السنه. لكن الظروف السيئه حالت دون اظهارها و أساءت فهمها، لأنها لا تخدم الحكام و تعارض سياستهم.

يصف الإمام (عليه السلام) دور التقية فى الجمع ذاك قائلا: «إتقوا على دينكم و أحيوه بالتقيه فإنه لا- إيمان لمن لا تقيه له. إنما أنتم من الناس كالنحل فى الطير، و لو أن الطير يعلم ما فى أجواف النحل ما بقى منها شىء إلا أكلته، و لو أن الناس علموا ما فى أجوافكم أنكم تحبونا أهل البيت لأكلوكم بألسنتهم، و لنحلوكم بالسرّ و العلانيه، رحم الله عبدا منكم كان على ولايتنا (٣).

ص: ١٩٤

١- (١) هجر: تباعد. و يقال هجر الفحل: ترك الضراب.

٢- (٢) تحف العقول: ٣٠٧، و البحار: ٢٨٦/٧٨.

٣- (٣) وسائل الشيعة: ٤٦١/١١.

و بعد أن ثبت الإمام هذا المبدأ بوصايا و توجيهات متعدده أتبعه بنشاطات تربويه مخافه أن يساء فهمه أثناء التطبيق، فحذّر (عليه السّلام) من أن تكون التقية في مورد من موارد تطبيقها سببا إلى التهاون و الضعف و الجبن و الاستسلام و خذلان المؤمنين و تضييع الشريعة و أحكامها. قال (عليه السّلام): «لم تبق الأرض إلّا و فيها منّا عالم، فإذا بلغت التقية الدم فلا تقية. و أيم الله لو دعيتم لتنصرونا قلتم لا نفع لنا إنما نتقى!! و لكنت التقية أحب إليكم من آبائكم و أمهاتكم، و لو قد قام القائم ما احتاج إلى مساءلتكم عن ذلك، و لأقام في كثير منكم من أهل النفاق حدّ الله» (١).

و من وسائله التربويه لترشيد هذا المبدأ الحساس في مجال العلاقات بين المؤمنين حذرا من أن تؤدى التقية إلى التفكيك بينهم، نقرأ روايه إسحاق بن عمّار الصيرفي، قال: دخلت على أبي عبد الله (عليه السّلام) و كنت تركت التسليم على أصحابنا في مسجد الكوفة و ذلك لتقية علينا فيها شديده، فقال لي أبو عبد الله: «يا إسحاق متى أحدثت هذا الجفاء لإخوانك! تمرّ بهم فلا تسلّم عليهم؟!»

فقلت له: ذلك لتقية كنت فيها.

فقال: «ليس عليك في التقية ترك السلام، و إنما عليك في التقية الإذاعة.

إن المؤمن ليمرّ بالمؤمنين فيسلمّ عليهم فتردّ الملائكة: سلام عليك و رحمه الله و بركاته» (٢).

كما أكد الإمام الصادق (عليه السّلام) على ضروره كتمان السرّ و جعله مرتبنا بالإمان و العقيدة و ذمّ إفشاء السرّ و إذاعته بين الناس حتى قال (عليه السّلام): «إن المذيع ليس كقاتلنا بسيفه بل هو أعظم وزرا، بل هو أعظم وزرا» (٣).

كما اثني على الذي يكتتم السر بقوله (عليه السّلام) «رحم الله قوما كانوا سراجا و منارا، كانوا

ص: ١٩٥

١- (١) وسائل الشيعة: ٤٨٣/١١.

٢- (٢) كشف الغمّة: ١٩٧/٢.

٣- (٣) تحف العقول: ٢٣٨ و عنه في بحار الأنوار: ٢٨٨/٧٨.

دعاه الينا بأعمالهم،و مجهود طاقتهم،ليس كمن يذيع أسرارنا» (١).

و شدّد الإمام على أهميّة الكتمان و بين أبعاده و علاقته برسالة الإمام و دوره في نجاحها بعكس الإفشاء و اذاعه الأسرار التي سببت عرقله المسيره و إضاعه فرص النجاح و تأخير النصر قائلا لابن النعمان: «إن العالم لا يقدر أن يخبرك بكل ما يعلم؛ لأنه سرّ الله الذي أسرّه جبرئيل (عليه السلام) و أسرّه جبرئيل (عليه السلام) إلى محمد (صلّى الله عليه و آله) و أسرّه محمد إلى علي و أسرّه علي إلى الحسن و أسرّه الحسن إلى الحسين و أسرّه الحسين إلى علي و أسرّه علي إلى محمد و أسرّه محمد إلى من أسرّه، فلا- تعجلوا فو الله لقد قرب هذا الأمر- ثلاث مرات- فأذتموه، فأخره الله، و الله مالكم سرّ إلا و عدوّكم أعلم به منكم...» (٢).

الحضور في أجهزه السلطه

و من الخطوات التي تحرّك نحوها الإمام الصادق (عليه السلام) في هذه المرحله و أسس لها عمليا هي الحضور المحدود في أجهزه السلطه لغرض الحفاظ على المسيره الإسلاميه من التحريف و الدفاع عنها عن طريق رصد المعلومات و المخططات و المواقف التي يفكر بها الحكّام بواسطة هذا النشاط ليتسنى للإمام دفع الأخطار و إحباط المؤامرات. ثم يوفّر هذا النشاط للإمام ردّ المظالم و القيام ببعض الخدمات للمحرومين، و لهذا نجد الإمام (عليه السلام) يصدر رساله شفويه لبعض الشيعة تتضمّن توجيهات و تحذيرات للعاملين في هذا الميدان ردّا على رساله شيعي يطلب من الإمام توضيحا لهذه المهمّة إذ جاء فيها:

و حاجتي أن تهدي إليّ من تبصيرك على مداراه هذا السلطان و تدبير أمرى

ص: ١٩٦

١- ((١)) بحار الأنوار: ٢٨٠/٧٨ عن تحف العقول: ٢٢١.

٢- ((٢)) تحف العقول: ٢٢٨ و عنه في بحار الأنوار: ٢٨٩/٧٨.

كحاجتى إلى دعائك لى.

فقال (عليه السّلام) لرسوله: قل له، إحدّر أن يعرفك السلطان: بالطعن عليه فى اختيار الكفاه و إن أخطأ فى اختيارهم أو مصافات من يباعد منهم، و إن قربت الاواصر (١) بينك و بينه، فإن الاولى تغريه (٢) بك و الاخرى توحشه، و لكن تتوسط فى الحالين، و اكتف بعيب من اصطفوا له و الامساك عن تقيظهم عنده و مخالفه من اقصوا بالتنائى عن تقييهم. و إذا كدت فتأن فى مكايديك... إلى أن قال فلا تبلغ بك نصيحه السلطان أن تعادى له حاشيته و خاصته فإن ذلك ليس من حقّ عليك، و لكن الاقصى لحقه و الأدعى إليك للسلامه أن تستصلحهم جهدك... (٣).

و قد برز هذا النشاط بشكل ملحوظ زمن الإمام الكاظم (عليه السّلام) بينما نجد الإمام الصادق (عليه السّلام) قد حدّر كثيرا و حرّم على شيعةه التعاون مع الظالمين و الاشتراك فى أجهزتهم حفاظا على الوجود الإسلامى من الضياع و التحريف فقد جاء عنه (عليه السّلام) «لا تعنهم -حكّام الجور- على بناء المسجد» (٤) و قال لبعض أصحابه: «يا عذافر تبتت أنك تحامل أبا أيّوب و الربيع فما حالك إذا نودى بك فى اعوان الظلمه؟!». (٥)

الإمام الصادق يرسخ الاعتقاد بالإمام المهدي (عليه السلام)

من المبادئ التى سعى الإمام الصادق (عليه السّلام) لترسيخها فى نفوس الشيعة و ضمن الدور المشترك الذى مارسه الأئمة (عليهم السّلام) من قبله هى مسألة القيادة

ص: ١٩٧

١- ((١)) بمعنى العهود.

٢- ((٢)) غرى بالشىء: أوع به و لزمه.

٣- ((٣)) نزّه الناظر: ١١٤، و مستدرک الوسائل: ١٢/١٨٨.

٤- ((٤)) وسائل الشيعة: ١٧/١٨٠ ح ٨ عن تهذيب الأحكام للطوسى.

٥- ((٥)) المصدر السابق: ١٧/١٧٨ ح ٣ عن الكافى.

العالمية المهذوية التي تمثل الإمتداد الشرعي لقيادة الرسول (صلى الله عليه وآله) لأنها العقيدة التي تجسد طموحات الأنبياء والأئمة حسب التفسير الإسلامي للتأريخ الذي يؤكد بأن ورائه الأرض سوف تكون للصالحين من عباده قال تعالى: **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** (١).

و ترسيخ فكره الإمام المهدي و تربيته الشيعة على الاعتقاد الدائم بها تمنح الإنسان الشيعي الناصر روح الأمل الذي لا يتوقف و القدره على الصمود و المصابرة و عدم التنازل للباطل، فكان الإمام الصادق (عليه السلام) يقول: «إذا قام القائم المهدي لا تبقى أرض إلا نودي فيها شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله» (٢).

و بالإيمان بقضيه الإمام المهدي (عليه السلام) يشعر الإنسان المسلم إلى جانب الدعم الغيبي بأن أهدافه التي سعى لاجادها سوف تتحقق و أن النصر حليفه مهما طال الزمن، فقد سأل عبد الله بن عطاء المكي الإمام الصادق (عليه السلام) عن سيره المهدي كيف تكون؟ قال: «يصنع كما صنع رسول الله (صلى الله عليه وآله) و اله و سلم) يهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله أمر الجاهلية، و يستأنف الإسلام جديدا» (٣).

و بهذه الحقيقه التاريخية يزداد الشيعي اعتقادا بأن جهده سوف يكون جزءا من الحركة الإلهية بجهوده المستمرة سوف يقترب من الهدف المنشود و يرى الاضطهاد الذي يتعرض له الشيعة و المسلمون سيزول حتما حين ينتقم اصحاب الحق ممن ظلمهم و تعم العدالة وجه الأرض جميعا.

ص: ١٩٨

١- (١) الأنبياء (٢١): ١٠٥.

٢- (٢) بحار الأنوار: ٣٤٠/٥٢.

٣- (٣) المصدر السابق: ٣٥٢/٥٢.

إشارة

حكمه المنصور و استشهاد الإمام الصادق (عليه السّلام)

المنصور و التضييق على الإمام الصادق (عليه السّلام)

إشارة

حين تولّى الحكم أبو جعفر المنصور بعد أخيه أبي العباس السفّاح سنة (١٣٦ هـ) عبّر عن مكنون حقه على الإمام الصادق (عليه السّلام) و صحبه من العلويين و غيرهم، و قال عنه المؤرّخون: و كان المنصور خدّاعا لا يتردّد في سفك الدماء و كان سادرا في بطشه مستهترا في فتكه (١).

و وصفه ابن هبيرة و هو أحد معاصريه بقوله: ما رأيت رجلا في حرب أو سلم أمكر و لا أنكر و لا أشدّ تيقّظا من المنصور (٢).

لقد بادر المنصور إلى قتل أبي مسلم الخراساني الذي كان يبغضه، و أبو مسلم هو القائد الأوّل للإنقلاب العبّاسي، و ذلك بعد أن أعدّ له المنصور مكيدة و أغراه بالمجيء إلى بغداد. و جرّده من جميع مناصبه العسكريه.

ولمّا دخل أبو مسلم الخراساني على المنصور قابله بقساوه بالغه و أخذ يعدّد عليه أعماله و أبو مسلم يعتذر عن ذلك.

ثمّ صفّق المنصور عاليا حسب الاتّفاق مع حرّاسه لتكون الصفقه بمثابة

ص: ١٩٩

١- ((١)) الكامل في التّاريخ: ٣٥٥/٤.

٢- ((٢)) تّاريخ يعقوبي: ٣٩٩/٢.

ساعه الصفرة، فدخل الحزاس و بأيديهم السيوف فقال: أبو مسلم للمنصور متوسلاً استبقني لعدوك. فصاح به: و أئى عدو أعدى لى منك؟!!

و بمثل هذا الاسلوب أيضا قد غدر بعمة عبد الله بن على حيث ارسل عليه بعد أن أعطاه الأمان ثم قتله بعد ذلك (١).

أما مخططة الخيىث ضد الإمام الصادق (عليه السلام) و نهضته الإسلاميه بشكل عام فقد أخذ ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأول:

اتخذ المنصور فى هذا الاتجاه اسلوبا مرنا محاولا فيه الاستفادة من جهد الإمام (عليه السلام) و احتوائه ضمن سياسه الخلافه العباسيه فقد كتب إليه: «لم لا تغشانا كما يغشانا سائر الناس؟»

فأجابه الإمام (عليه السلام): «ليس لنا ما نخافك و لا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له، و لا أنت فى نعمه فنهنتك بها و لا تراها نغمه فنعزبك بها، فما نضع عنك؟!»

فكتب إليه: تصحبنا لتصحنا.

فأجابه (عليه السلام): «من أراد الدنيا لا ينصحك، و من أراد الآخرة لا يصحبك».

قال: المنصور: و الله لقد ميز عندى منازل الناس، من يريد الدنيا ممن يريد الآخرة و إنه ممن يريد الآخرة لا الدنيا (٢).

و من أساليب المنصور مع الإمام (عليه السلام) فى هذا الاتجاه ما جاء عن عبد الوهاب عن أبيه حيث قال:

بعث أبو جعفر المنصور إلى أبى عبد الله جعفر بن محمد (عليه السلام) و أمر

ص: ٢٠٠

١- (١) تاريخ يعقوبى: ٣٦٩/٢ و تاريخ الامم و الملوك: ٢٦٦/٦.

٢- (٢) كشف الغمه: ٤٢٠/٢ عن تذكره ابن حمدون، و عنه فى بحار الأنوار: ١٨٤/٤٧.

بفرش فطرحت له إلى جانبه، فأجلسه عليها ثم قال عليّ بمحمد، عليّ بالمهدى. فأقبل المنصور على جعفر (عليه السلام) فقال: يا أبا عبد الله حديث حدّثنيه في صله الرحم، اذكره، يسمعه المهدى.

قال: «نعم، حدّثني أبي، عن أبيه، عن جدّه عن علي (عليه السلام) قال، قال رسول الله (صلى الله عليه و اله و سلّم): ان الرجل ليصل رحمه و قد بقى من عمره ثلاث سنين، فيصيرها الله عزّ و جلّ ثلاثين سنة و يقطعها و قد بقى من عمره ثلاثون سنة، فيصيرها الله ثلاث سنين» ثم تلا (عليه السلام):

يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (١).

قال: هذا حسن يا أبا عبد الله، و ليس إياه أردت، قال أبو عبد الله (عليه السلام):

نعم حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه عن علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): صله الرحم تعمّر الديار و تزيد في الاعمار و ان كان أهلها غير أختار.

قال هذا حسن يا أبا عبد الله، و ليس هذا أردت.

فقال أبو عبد الله (عليه السلام): «نعم حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه عن علي (عليه السلام) قال، قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) صله الرحم تهوّن الحساب و تقى ميتة السوء».

قال المنصور: نعم إياه أردت (٢).

إنّ السلاطين يخافون الموت، فالإمام (عليه السلام) ركّز على هذه الناحية و ربطها بصله الرحم لتعالج الحقد و الكيد الذي يشغل ذهن المنصور ضدّ الإمام و العلويين من أهل بيته، لذا أكّد (عليه السلام) عن طريق الأحاديث بأن طول العمر يرتبط بصله الرحم.

ص: ٢٠١

١- ((١)) الرعد (١٣): ٣٩.

٢- ((٢)) أمالي ابن الشيخ: ٤٨٠ ح ١٠٤٩ و عنه في بحار الأنوار: ١٦٣/٤٧، و البرهان: ٢/٢٩٩.

كما تحرك المنصور بقوه نحو الإمام (عليه السلام) عن طريق نشر عيونه و جواسيسه التي كانت تراقب حركة الإمام الصادق و ترصد نشاطاته لتزوده بآخر المعلومات، ليأخذ منها مسوغا للليل من الإمام (عليه السلام) و التضييق على حركته التي كان يرى فيها المنصور خطرا حقيقيا على سلطانه و بالتالي تمهيدا له تلك التقارير أن يصوغ ما يريد من الاتهامات لأجل أن يتخذها ذريعه في قتله. و قد تضمن هذا الاتجاه جملة من الاساليب.

الاسلوب الأول: عن رزام بن مسلم مولى خالد القسري قال: بعثني أبو جعفر المنصور إلى المدينة، و أمرني إذا دخلت المدينة أن أفص الكتاب الذي دفعه إليّ و أعمل بما فيه؛ قال: فما شعرت إلا بركب قد طلعا عليّ حين قربت من المدينة، و إذا رجل قد صار إلى جانبي، فقال: يا رزام اتق الله، و لا تشرك في دم آل محمّد قال: فأنكرت ذلك فقال لي: دعاك صاحبك نصف الليل، و خاط رقعه في جانب قباك، و أمرك إذا صرت إلى المدينة، تفضها و تعمل بما فيها.

قال: فرميت بنفسي من المحمل، و قبلت رجليه، و قلت: ظننت أن ذلك صاحبي و أنت يا سيدي صاحبي، فما أصنع؟ قال: ارجع إليه، و اذهب بين يديه و تعال، فإنه رجل نساء، و قد أنسى ذلك، فليس يسألك عنه، قال:

فرجعت إليه، فلم يسألني عن شيء، فقلت صدق مولاي (١).

و عن مهاجر بن عمار الخزاعي، قال: بعثني أبو الدوانيق إلى المدينة، و بعث معي بمال كثير، و أمرني أن أتضرع لأهل هذا البيت، و أتحمفم مقاتلهم، قال: فلزمت الزاويه التي مما يلي القبلة، فلم أكن أتخى منها في وقت الصلاة، لا في ليل و لا في نهار.

قال: و أقبلت أطرح إلى السؤال الذين حول القبر الدارهم و من هو فوقهم الشيء بعد الشيء حتى ناولت شبابا من بني الحسن و مشيخه [منهم] حتى ألفتهم في السر.

قال: و كنت كلما دنوت من أبي عبد الله (عليه السلام) يلاطفني و يكرمني حتى إذا كان يوما من الايام -بعد ما نلت حاجتي ممن كنت أريد من بني الحسن و غيرهم- دنوت من أبي عبد الله (عليه السلام) و هو يصلي، فلما قضى صلاته، التففت إلى و قال:

تعال يا مهاجر! -و لم أكن أتسمى [باسمي] و لا أتكنى بكنيتي- فقال:

قل لصاحبك: يقول لك جعفر: «كان أهل بيتك إلى غير هذا أحوج منهم إلى هذا، تجيء إلى قوم شباب محتاجين فتدس إليهم، فلعل أحدهم يتكلم بكلمه تستحل بها سفك دمه، فلو بررتهم و وصلتهم [و اثلتهم] و اغنيتهم، كانوا إلى هذا أحوج مما تريد منهم».

قال: فلما أتيت أبا الدوانيق، قلت له: جئتك من عند ساحر، كذاب كاهن كان من أمره كذا و كذا فقال: صدق و الله لقد كانوا إلى غير هذا أحوج، و إياك أن يسمع هذا الكلام منك انسان (٢).

ص: ٢٠٣

١- ((١)) دلائل الإمامه: ١٢٩، و مدينه المعاجز: ٣٦٤، و اثبات الهداه: ٤٥٦/٥.

٢- ((٢)) الخرائج و الجرائح: ٦٤٦/٢، و بحار الأنوار: ١٧٢/٤٧.

الاسلوب الثانى: و من اساليبه بأتجاه سياسه التضييق التى فرضها على الإمام(عليه السلام)محاولة تسليط الضوء على بعض الشخصيات ليجعل منها بدائل علميه تغطى على الإمام و تؤيد سياسته و تساهم من جانب آخر فى تضعيف القدسيه و الانجذاب الجماهيرى نحو الإمام و تؤدى بالنتيجه إلى شق وحده التيار الاسلامى الذى يقرّ بزعامه الإمام(عليه السلام)و أعلميته و ايجاد الفرقه و الاختلاف.

و قد نجح المنصور بهذه الخطوه فكسب البعض من طلاب الإمام(عليه السلام) حين أحاطهم بهاله من الاحترام و التقدير و خلق منهم وجودا قبال مذهب الإمام و نهجه الاسلامى الاصيل.

ذكر أبو القاسم البغّار فى مسند أبى حنيفه فقال:قال الحسن بن زياد سمعت أبا حنيفه و قد سئل:من أفقه من رأيت؟قال جعفر بن محمد،لما أقدمه المنصور بعث إليّ،فقال يا أبا حنيفه!ان الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد فهىء له من مسائلك الشداد.

فهيات له أربعين مسأله،ثم بعث إليّ أبى جعفر و هو بالحيره فأتيته.

فدخلت عليه،و جعفر جالس عن يمينه،فلما بصرت به دخلنى من الهيئه لجعفر ما لم يدخل لأبى جعفر،فسلّمت عليه،فأومى إليّ فجلست،ثم التفت إليه،فقال:

يا أبا عبد الله:هذا أبو حنيفه،قال:نعم أعرفه.ثم التفت إليّ فقال:

يا أبا حنيفه ألق على أبى عبد الله(عليه السلام)من مسائلك.

فجعلت ألقى عليه فيجيبنى،فيقول:«أنتم تقولون كذا،و أهل المدينه

يقولون كذا و نحن نقول كذا» فربما تابعنا، و ربما تابعهم، و ربما خالفنا جميعا حتى أتيت على الاربعين مسأله، فما أخلّ منها بشيء ثم قال أبو حنيفه:

أليس إن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس؟! (١).

الاسلوب الثالث: لقد كانت سياسه الإمام (عليه السلام) ازاء حكومه المنصور ذات طابع غير ثورى، و إنما سلك الإمام نفس نهجه السابق فى التغيير و الاصلاح، و قد أوحى للمنصور فى وقت سابق بأنه لم يكن بصدد التخطيط للثوره ضده بل صرّح له فى اكثر من مره بذلك، إلا أن المنصور لم يطمئن لعدم تحرك الإمام و ثورته التغييريه و ذلك بسبب ما كان يشاهده من كثره مؤيديه.

يحدثنا الإمام الصادق (عليه السلام) عن الشكوك و التساؤلات التى أثارها المنصور بوجه الإمام عند لقائه به كما فى النصّ التالى:

عن حمران قال: «قال أبو عبد الله (عليه السلام) و بعد ذكر هؤلاء عنده و سوء حال الشيعة عندهم فقال: «إنى سرت مع أبى جعفر المنصور و هو فى موكبه، و هو على فرس و بين يديه خيل و من خلفه خيل، و أنا على حمار إلى جانبه، فقال لى:

يا أبا عبد الله! قد كان ينبغى لك أن تفرح بما أعطانا الله من القوه و فتح لنا من العزّ، و لا تخبر الناس أنك أحق بهذا الأمر منا و أهل بيتك، فتغرينا بك و بهم.

قال: فقلت: «و من رفع هذا إليك عنى فقد كذب». فقال: أتحلف على ما تقول؟

قال: فقلت: «إن الناس سحره يحبون أن يفسدوا قلبك على، فلا تمكّنهم من

ص: ٢٠٥

١- (١) سير اعلام النبلاء: ٥٤٣/٩ و مناقب آل أبى طالب: ٢٧٧/٤ عن مسند أبى حنيفه لأبى القاسم البغار.

سمعك، فأنا إليك أحوج منك إلينا».

فقال لي: تذكر يوم سألتك هل لنا ملكك؟ فقلت: نعم طويل عريض شديد، فلا تزالون في مهله من أمركم وفسحه في دنياكم حتى تصيبوا منّا دما حراما في شهر حرام في بلد حرام!

فعرفت أنه قد حفظ الحديث، فقلت: لعَلَّ الله (عزَّ و جلَّ) أن يكفيك، فإنني لم أخصك بهذا، وإنما هو حديث رؤيته، ثم لعَلَّ غيرك من أهل بيتك يتولَّى ذلك، فسكت عنِّي (١).

الاتجاه الثالث:

و استخدم المنصور مع الإمام (عليه السّلام) أيضا سياسة الاستدعاء و المقابله المصحوبه بالتهم و الافتراءات، أو الاستدعاءات الفارغه من أى سؤال، محاولا- عن طريق هذه السياسه شلّ حركة الإمام و جعله تحت ضوء رقابه أجهزته ليضمن المنصور من خطر الإمام، كما استخدم بعض الاساليب التى من شأنها أن تنال من كرامه الإمام (عليه السّلام)، فمن أساليبه بهذا الاتجاه:

١- ما جاء عن بشير الثبالي أنه قال: كنت على الصفا و أبو عبد الله (عليه السّلام) قائم عليها إذ انحدر و انحدرت معه، و أقبل أبو الدوانيق على حمارته، و معه جنده على خيل و على إبل، فزاحموا أبا عبد الله (عليه السّلام) حتى خفت عليه من خيلهم و أقبلت أقيه بنفسى و أكون بينهم و بينه، قال: فقلت فى نفسى: يا رب عبدك و خير خلقك فى أرضك، و هؤلاء شرّ من الكلاب قد كانوا يفتنونه!

ص: ٢٠٦

١- (١) روضه الكافي: ٣١ حديث الصادق مع المنصور فى موكبه، و عنه فى بحار الأنوار: ٢٥٥/٥٢، و اثبات الهداه: ٣٥١/٥.

قال:فالتفت إليّ و قال:«يا بشير!قلت:ليبيك.قال:ارفع طرفك لتنظر».

قال:فإذا-والله-واقية من الله أعظم مما عسيت أن أصفه.

قال فقال:يا بشير!إنا اعطينا ما ترى،و لكننا امرنا أن نصبر،فصبرنا»(١).

٢-ما جاء عن المفضل بن عمر أنه قال:إن المنصور قد كان همّ بقتل أبي عبد الله(عليه السلام)غير مرّه،فكان إذا بعث إليه و دعاه ليقتله،فإذا نظر إليه هابه و لم يقتله،غير أنه منع الناس عنه،و منعه من القعود للناس،و استقصى عليه أشدّ الاستقصاء حتى أنه كان يقع لأحدهم مسأله في دينه،في نكاح أو طلاق أو غير ذلك فلا يكون علم ذلك عندهم،و لا يصلون إليه،فيعتزل الرجل أهله.

فشقّ ذلك على شيعته و صعب عليهم،حتى ألقى الله عزّ و جلّ في روع المنصور أن يسأل الصادق(عليه السلام)ليتحفه بشيء من عنده،لا يكون لأحد مثله، فبعث إليه بمخصره (٢)كانت للنبي(عليه السلام)طولها ذراع،وفرّح بها فرحا شديدا، و أمر أن تشق له أربعة أرباع،و قسّمها في أربعة مواضع.

ثم قال له:ما جزاؤك عندي إلا أن اطلق لك،و تفشى علمك لشيعتك،و لا أتعرض لك،و لا لهم،فاقعد غير محتشم،و افت الناس،و لا تكن في بلد أنا فيه،ففشى العلم عن الصادق(عليه السلام) (٣).

٣-و عن عبد الله بن أبي ليلى،قال:كنت بالريذه مع المنصور،و كان قد وجه إلى أبي عبد الله(عليه السلام)فاتى به،و بعث إليّ المنصور فدعاني،فلما انتهيت إلى الباب سمعته يقول:عجلوا عليّ به قتلني الله إن لم أقتله،سقى الله الارض

ص:٢٠٧

١- (١) الاصول الستة عشر: ١٠٠، و اثبات الهداه: ٤٦٥/٥.

٢- (٢) المخصره: شيء كالسوط ما يتوكأ عليه كالعصا.

٣- (٣) المناقب لابن شهر آشوب: ٢٥٩/٤ و عنه في بحار الأنوار: ١٨٠/٤٧.

من دمی إن لم أسق الارض من دمه.

فسألت الحاجب من يعنى؟ قال: جعفر بن محمد (عليه السلام). فإذا هو قد أتى به مع عدّه جلاوزه (١)، فلما انتهى إلى باب-قبل أن يرفع الستر- رأيت أنه قد تملمت شفتاه عند رفع الستر، فدخل.

فلما نظر إليه المنصور قال: مرحبا يا بن عمّ، مرحبا يا بن رسول الله. فما زال يرفعه حتى أجلسه على و سادته، ثم دعا بالطعام، فرفعت رأسى، وأقبلت أنظر إليه، وجعل يلقمه جيّدا باردا، وقضى حوائجه، وأمره بالانصراف.

فلما خرج، قلت له: قد عرفت موالاتى لك، وما قد ابتليت به فى دخولى عليهم، وقد سمعت كلام الرجل و ما كان يقول، فلما صرت إلى الباب رأيتك قد تملمت شفتاك، وما أشك أنه شىء قلته، ورأيت ما صنع بك، فإن رأيت أن تعلّمنى ذلك، فأقوله إذا دخلت عليه.

قال: نعم، قلت: «ما شاء الله، ما شاء الله، لا يأتى بالخير إلاّ الله، ما شاء الله، ما شاء الله، لا يصرف السوء إلاّ الله...» (٢).

تحرّك العلويين نحو الثوره

بعد أن تأكّد المنصور عن طريق المعلومات التى كانت تصله من جواسيسه بأن الساده الحسينيين يخططون للثوره عليه، انتظر المنصور موسم الحجّ فلما حان الموسم سافر هو و حاشيته إلى بيت الله الحرام، و بعد انتهائه من

ص: ٢٠٨

١- (١) الجلاوزه: جمع الجلاوز معرّب من الفارسيه: كلوبازاى المفتوح الجيب كناية عن الشرطى المستعد لتنفيذ الأوامر.

٢- (٢) كشف الغمه: ٢/٤٠٧ عن الدلائل للحميرى، و عنه فى بحار الأنوار: ١٨٣/٤٧.

مناسك الحجّ رجع إلى يثرب و قد صحب معه عقبه بن مسلم الجاسوس الذى عينه المنصور لمراقبه تحرك آل الحسن و كان قد أوصاه قبل سفره فقال له:

إذا لقينى بنو الحسن و فيهم عبد الله فأنا مكرمه و رافع محمله و داع بالغذاء فإذا فرغنا من طعامنا فلحظتك فامثل بين يديه فإنه سيصرف عنك بصره، فاستدر حتى ترمز ظهره بإبهام رجلك حتى يملأ عينه منك.

ولما انتهى المنصور إلى يثرب استقبله الساده الحسيتون و فيهم عبد الله ابن الحسن، فأجلسه المنصور إلى جانبه و دعا بالغذاء فأصابوا منه فقام عقبه، و نفذ ما عهد إليه المنصور، و جلس أمامه ففرغ منه عبد الله و قال للمنصور:

أقلنى أقالك الله...

فصاح به: لا أقالنى الله إن أقلتك (١).

و أمر أن يكبل بالحديد و يزجّ فى السجن فكبل مع جماعه من العلويين و حبس فى بيت مروان.

و أرادوا من عبد الله أن يخبر بمكان ولديه: محمد ذى النفس الزكيه و أخيه إبراهيم و إن لم يخبر بمكانهما فسوف يتعرّض للانتقام و القتل.

و قد عبّر عبد الله عن عمق هذه المأساه للحسن بن زيد قائلاً: يا بن أخى، و الله لبليتى أعظم من بليتة إبراهيم (عليه السلام)؛ إن الله عزّ و جلّ أمر إبراهيم أن يذبح ابنه، و هو لله طاعه، فقال إبراهيم: **إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (٢)**. و إنكم جئتمونى فى أن آتى بابنى هذا الرجل فيقتلها و هو لله جلّ و عزّ معصيه... (٣).

ص: ٢٠٩

١- (١) الكامل فى التاريخ: ٣٧١/٤.

٢- (٢) الصافات (٣٧): ١٠٦.

٣- (٣) مقاتل الطالبين: ١٩١-١٩٤ تحقيق السيد أحمد صقر.

و بقى الساده الحسينيون فى السجن لمدته ثلاث سنين، و فى سنة (١٤٢ هـ) سافر المنصور مرّه اخرى إلى الحجّ لغرض تدارك الوضع فى المدينة و الوقوف أمام التصعيد الثورى هناك، و بعد أن أنهى مناسكه اتّجه نحو الربذه التى تبعد ثلاثة أميال عن المدينة و بعد وصوله إليها أمر بإشخاص الساده الحسينين و من معهم من العلويين إليه و قد تكفّل عقبه بن مسلم بعملية إخراجهم من السجن و السير بهم نحو الربذه.

و بعد إخراجهم من السجن وضع الحديد فى أيديهم و جىء بهم إلى مسجد رسول الله (صلّى الله عليه و اله و سلّم) حيث ازدحم الناس عليهم و هم بين باك و متأسّف و الشرطه تشتمهم و قد طلبت من الناس أن يشتموهم.

لكن الذى حدث كان على العكس من ذلك إذ أخذ الناس يسّبون عقبه ابن مسلم و المنصور و يترحمون على العلويين... (١).

موقف الإمام (عليه السلام) من آل الحسن

و كتب الإمام الصادق (عليه السلام) إلى عبد الله بن الحسن رساله يعزّيه فيها و يصبره على المصاب الذى جرى عليه و على أصحابه.

عن اسحاق بن عمّار الصيرفى أنه قال: إن أبا عبد الله جعفر بن محمد (عليه السلام) كتب إلى عبد الله بن الحسن حين حمل هو و أهل بيته، يعزّيه عمّا صار إليه: «بسم الله الرحمن الرحيم، إلى الخلف الصالح، و الذريّه الطيبه من ولد أخيه و ابن عمّه: أما بعد: فلئن كنت قد تفردت أنت و أهل بيتك- ممّن حمل معك- بما أصابكم، ما انفردت- بالحزن و الغيظ و الكآبه، و أليم و جع القلب- دونى و لقد نالنى من ذلك من

ص: ٢١٠

الجزع و القلق، و حرّ المصيبة مثل ما نالك و لكن رجعت الى ما أمر الله -جلّ جلاله- به المتقين من الصبر، و حسن العزاء، حين يقول لنبينه (صلى الله عليه و آله): وَ اضْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا (١). و حين يقول: فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْأُخُوتِ (٢) إلى أن قال: (و اعلم أي عمّ و ابن عمّ إن الله -جلّ جلاله- لم يبالي بضرّ الدنيا لوليه ساعه قط و لا شيء أحبّ إليه من الضرر و الجهد و الأذى مع الصبر. و انه تعالى لم يبالي بنعم الدنيا لعدوّه ساعه قط و لو لا ذلك ما كان أعداؤه يقتلون أولياءه و يخوفونهم و يمنعونهم و أعداؤه آمنون مطمئنون عالون ظاهرون و لو لا ذلك لما قتل زكريا و احتجب يحيى ظلما و عدوانا في بغى من البغايا. و لو لا ذلك لما قتل جدّك على بن أبى طالب (عليه السلام) لما قام بأمر الله -جلّ و عزّ - ظلما، و عمّك الحسين بن فاطمه اضطهادا و عدوانا» (٣).

و اعترف المنصور بسياسته الغاشمه ضد العلويين القائمه على القتل و الإباده لذريته رسول الله (صلى الله عليه و اله و سلّم) حيث يقول: قتلت من ذرية فاطمه ألفا أو يزيدون و تركت سيدهم و مولاهم جعفر بن محمد (٤).

نوره محمد بن عبد الله (ذى النفس الزكية)

إن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي الملقب بذي النفس الزكية قد رشح باتفاق الهاشميين للخلافه، و كان المنصور يسير بخدمته و يسوّى عليه ثيابه و يمسك له دابته تقربا إليه، و قد بايعه مع أخيه السفّاح مرّتين. و بعد اختلاس العباسيين للحكم و استبدادهم و شياع ظلمهم تألم محمد

ص: ٢١١

١- (١) الطور (٥٢): ٤٨.

٢- (٢) القلم (٦٨): ٤٨.

٣- (٣) إقبال الاعمال: ٥٧٨، و بحار الأنوار: ٢٩٨/٤٧.

٤- (٤) الأدب فى ظل التشيع لعبد الله نعمه: ٦٣، نقلا عن شرح القصيده الشافيه لأبى فراس: ١٦١.

فأخذ يدعو الناس إلى نفسه فاستجاب له الناس و ظلّ مختفياً مع أخيه إبراهيم، و قد انتشرت دعواتهم في البلاد الإسلاميه داعيه المسلمين إلى بيعه محمد هذا.

و لما انتهت الأنبياء بشهاده عبد الله و سائر الساده الذين كانوا معه الى محمد؛ أعلن محمد ثورته في المدينه و بايعه الناس و حتى الفقهاء منهم و قد استبشروا ببيعتة، و حينما انتشر الأمر سارع أهالي اليمن و مكه إلى بيعته و قام خطيباً فيهم فقال:

اما بعد: أيها الناس فإنه كان من أمر هذا الطاغيه عدوّ الله أبي جعفر ما لم يخف عليكم من بنائه القبة الخضراء التي بناها معاندا لله في ملكه تصغيراً للكعبة الحرام، و إنما اخذ فرعون حين قال: أنا ربكم الأعلى، و إن أحق الناس بالقيام بهذا الدين أبناء المهاجرين و الأنصار المواسين.

اللهم إنهم قد أحلّوا حرامك و حرّموا حلالك و آمنوا من أخفت و أخافوا من آمنت، اللهم فاحصهم عدداً، و اقتلهم بدداً و لا تغادر منهم أحداً (١).

و لما علم المنصور بالثوره وجه جيشاً يقدر بأربعة آلاف فارس بقيادة عيسى بن موسى، و بعد أن اندلعت الحرب بين الفريقين خارج المدينه- رغبه من محمد و حفاظاً على سكانها من عبث جيش المنصور و اصيب محمد بن عبد الله بجراح خطيره بسبب تفرّق جنده، و برك إلى الأرض، فبادر الأئيم حميد بن قحطبه فاحتز رأسه الشريف (٢).

ص: ٢١٢

١- ((١)) تاريخ الامم و الملوك: ١٨٨/٦-١٨٩.

٢- ((٢)) اليعقوبى: ٣٧٦/٢ و المسعودى: ٢٩٤/٣-٢٩٦ و عن الطبرى في الكامل في التاريخ: ٥٤٩/٥.

موقف الإمام (عليه السلام) من الثورة:

لقد حذر الإمام الصادق (عليه السلام) عبد الله بن الحسن من الترويج لابنه محمد علي أساس أنه المهدي لهذه الامة، وأخبر (عليه السلام) بمستقبل الأحداث ونبه على أنها ستنتهي باستشهاد محمد وأخيه إبراهيم، وأن الخلافة بعد أبي العباس السفاح ستكون للمنصور العباسي.

و حينما سئل (عليه السلام) عن محمد بن عبد الله و دعوته قبل أن يعلن محمد ثورته أجاب (عليه السلام): «إن عندي كتابين فيها اسم كل نبي و كل ملك يملك، لا و الله ما محمد بن عبد الله في أحدهما» (١).

و لما ثار محمد بن عبد الله (ذو النفس الزكية) ترك الإمام الصادق (عليه السلام) المدينة، و ذهب إلى أرض له بالفرع، فلم يزل هناك مقيما حتى قتل محمد فلما قتل و اطمأن الناس و أمنوا رجع إلى المدينة (٢).

الإمام الصادق يهتء الخط الشيعى للمواصله

لقد كانت الفتره الأخيره من حياه الإمام الصادق (عليه السلام) مع حكومه المنصور فتره تشدد و مراقبه لحركه الإمام، تخللتها محاولات اغتيال عديده، لكن الإمام (عليه السلام) علم أن المنصور قد صمم على قتله، و لهذا مارس جملة من الانشطة ليهتء فيها الخط الشيعى لمواصله الطريق من بعده.

ص: ٢١٣

١- (١) بحار الأنوار: ١١٥/٢٦ عن بصائر الدرجات: ١٦٩.

٢- (٢) كشف الغمه: ١٦٢/٢، عنه في بحار الأنوار: ٥/٤٧.

النشاط الأول: حاول الإمام الصادق (عليه السلام) أن يجعل من الصف الشيعي صفًا متماسكا في عمله و نشاطه، و ركّز على قياده الإمام الكاظم (عليه السلام) من بعده فيما لو تعرّض لعملية قتل من قبل المنصور. و قد قطع الطريق أمام المنتفعين و الادعياء الذين كانوا يتربّصون الفرص؛ لأن اسماعيل ابن الإمام الصادق (عليه السلام) الذي كان قد توفّي في هذه الفترة كان يصلح كفكره لتفتيت الصفّ الشيعي باعتباره الابن التقى الأكبر للإمام (عليه السلام).

و الغريب أنا نجد- رغم التأكيدات المتكرّره- و الحزن الذي أبداه الإمام (عليه السلام) و التصريح الذي أبداه أمام حشد كبير من أعيان الشيعة بأن اسماعيل قد توفّي و دفن استغلال بعضهم لقضيه اسماعيل و زعمهم بأن الإمامه تقع في اسماعيل و أنه حيّ و قد خرج في البصره و شاهده بعض الناس.

و هنا يقوم الإمام الصادق (عليه السلام) بجمله من الخطوات لمعالجه هذه المشكله التي سوف تفتت الصفّ الشيعي من بعده.

١- قال زراره بن أعين: دعا الإمام الصادق (عليه السلام) داود بن كثير الرقي و حمران بن أعين، و أبا بصير، و دخل عليه المفضّل بن عمر و أتى بجماعه حتى صاروا ثلاثين رجلا- فقال: «يا داود اكشف عن وجه اسماعيل»، فكشف عن وجهه، فقال: «تأمله يا داود، فانظره أحيّ هو أم ميّت؟» فقال: بل هو ميّت. فجعل يعرضه على رجل رجل حتى أتى على آخرهم فقال: «اللهم اشهد». ثم أمر بغسله و تجهيزه.

ثم قال: «يا مفضّل احسر عن وجهه، فحسر عن وجهه»، فقال: «أحيّ هو أم ميّت؟» انظروه أجمعكم» فقال: بل هو يا سيدنا ميّت.

فقال: «شهدتم بذلك و تحققتموه؟» قالوا: نعم، و قد تعجبوا من فعله.

فقال: «اللهم أشهد عليهم». ثم حمل إلى قبره، فلما وضع في لحدّه، قال:

«يا مفضّل، اكشف عن وجهه» فكشف، فقال للجماعه: «انظروا أحيّ هو أم

ميت؟ فقالوا: بل ميت، يا وليّ الله.

فقال: «اللهم اشهد فإنه سيرتاب المبطلون يريدون أن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ» - ثم أومى إلى موسى (عليه السلام) وقال: وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ.

ثم حثوا عليه التراب، ثم اعاد علينا القول فقال: «الميت المكفن المدفون في هذا اللحد من هو؟» قلنا: اسماعيل ولدك.

فقال: «اللهم أشهد». ثم أخذ بيد موسى فقال: «هو حق، و الحق معه و منه، إلى أن يرث الله الأرض و من عليها» (١).

٢- قال عنبسه العابد: لما مات اسماعيل بن جعفر بن محمد (عليهما السلام) و فرغنا من جنازته، جلس الصادق (عليه السلام) و جلسنا حوله و هو مطرق، ثم رفع رأسه فقال:

«أيها الناس: إن هذه الدنيا دار فراق، و دار التواء لا دار استواء على أن فراق المألوف حرقه لا تدفع، و لوعه لا ترد، و إنما يتفاضل الناس بحسن العزاء و صحة الفكر، فمن لم يشكل أخاه شكله أخوه، و من لم يقدم ولدا هو المقدم دون الولد»، ثم تمثّل بقول أبي خراش الهذلي يرثي أخاه.

و لا تحسبى أنى تناسيت عهده و لكن صبرى يا أميم جميل (٢)

٣- قال اسحاق بن عمار: وصف إسماعيل أخى لأبى عبد الله (عليه السلام) دينه و اعتقاده فقال: إنى أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله و انكم - و وصفهم يعنى الأئمة - واحدا واحدا حتى انتهى إلى أبى عبد الله. ثم قال:

و اسماعيل من بعدك! قال: «أما اسماعيل فلا» (٣).

ص: ٢١٥

١- ((المناقب لابن شهر آشوب: ٣٢٧/١ عن الصدوق و عنه فى بحار الأنوار: ٢٥٣/٤٧.

٢- ((كمال الدين: ٧٣، ٧٢ و أمالى الصدوق: ١٩٧ و عنهما فى بحار الأنوار: ٢٤٥/٤٧.

٣- ((الغيبه للنعمانى: ٢٢٤، و عنه فى بحار الأنوار: ٢٤١/٤٧.

النشاط الثانى: رغم الحرب الباردة التى كانت بين المنصور و الإمام الصادق (عليه السّلام) نلاحظ أن الإمام قد مارس بعض الأدوار مع السلطه لغرض الحفاظ على الامه و سلامه مسيرتها و ابقاء روح الرضى قائمه فى نفوسها، مخافه أن تسبب ممارسات المنصور حاله من الانكسار للشيعه حين الاستجابه لمخططاته.

١- قال أبو جعفر المنصور للإمام الصادق (عليه السّلام): إنى قد عزمت على أن أخرب المدينه و لا أدع فيها نافخ ضرمه.

فقال: «يا أمير المؤمنين! لا أجد بدا من النصاحه لك، فاقبلها إن شئت أولاً».

ثم قال (عليه السّلام): «إنه قد مضى لك ثلاثه أسلاف: أيوب (عليه السّلام) ابنتلى فصير، و سليمان (عليه السّلام) اعطى فشكر، و يوسف (عليه السّلام) قدر فغفر. فاقتد بأيهم شئت». قال:

قد عفوت (١).

٢- قال عبد الله بن سليمان التميمى: لما قتل محمد و إبراهيم ابنا عبد الله ابن الحسن صار إلى المدينه رجل يقال له شبّه عقال، ولأه المنصور على أهلها، فلما قدمها و حضرت الجمعه صار الى المسجد فرقى المنبر و حمد الله و أثنى عليه ثم قال:

أما بعد فإن على بن أبى طالب شقّ عصا المسلمين، و حارب المؤمنين، و أراد الأمر لنفسه، و منعه أهله فحرّمه الله عليه و أماته بغصّته. و هؤلاء ولده يتبعون أثره فى الفساد و طلب الأمر بغير استحقاق له، فهم فى نواحي الارض مقتولون، و بالدماء مضرّجون.

ص: ٢١٦

١- ((١)) أمالى الطوسى: ٥٠ ح ٦٦ و عنه فى بحار الأنوار: ١٨٤/٤٧ و انظر مناقب آل أبى طالب: ٢٥١/٤، كشف الغمه: ٢/٤٢٠.

قال: فعظم هذا الكلام منه على الناس، ولم يجسر أحد منهم أن ينطق بحرف. فقام إليه رجل عليه إزار قومسى سخين فقال: ونحن نحمد الله و نصلى على محمد خاتم النبيين و سيد المرسلين و على رسل الله و أنبيائه أجمعين. أمّا ما قلت من خير فنحن أهله، و ما قلت من سوء فأنت و صاحبك به أولى و أحرى. يا من ركب غير راحلته و أكل غير زاده، ارجع مأزورا.

ثم أقبل على الناس، فقال: ألا آتيتكم بأخفّ الناس ميزانا يوم القيامة، و أبينهم خسرانا؟ من باع آخرته بدنيا غيره، و هو هذا الفاسق. فأسكت الناس، و خرج الوالى من المسجد و لم ينطق بحرف.

فسألت عن الرجل: فقيل لى: هذا جعفر بن محمد بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب (عليهم السّلام) (1).

النشاط الثالث: و هو نشاط الإمام الصادق (عليه السّلام) الخاص مع الشيعة فى هذا الظرف العصبى و أساليب الاتّصال معهم.

و قد ذكرنا فى البحوث السابقه أن الإمام قد ركّز على مبادئ اسلاميه و ممارسات إصلاحيه فى نفوس شيعته، مثل التقيّه، و كتمان السر، و العلاقه بالثوره الحسينيه لتحافظ هذه المبادئ و الممارسات على الوجود الشيعى و تقيه من الضربات و المخططات الخارجيه.

و الروايه التاليه تصوّر لنا نشاط الإمام السرى مع صحبه فى هذه الفتره.

روى أن الوليد بن صبيح قال: كنا عند أبى عبد الله (عليه السّلام) فى ليله إذ طرق الباب طارق، فقال للجاريه: انظرى من هذا؟

ص: ٢١٧

١- (١) امالى الشيخ الطوسى: ٦٦، و بحار الأنوار: ١٦٥/٤٧ و حليه الأبرار: ٢١٥/٢.

فخرجت ثم دخلت فقالت: هذا عمك عبد الله بن علي (عليه السلام) فقال:

أدخله. وقال لنا: ادخلوا البيت فدخلنا بيتا، فسمعنا منه حسا، ظننا أن الداخل بعض نساته، فلصق بعضنا ببعض، فلما دخل أقبل علي أبي عبد الله (عليه السلام) فلم يدع شيئا من القبيح إلا قاله في أبي عبد الله (عليه السلام) ثم خرج وخرجنا، فأقبل يحدثنا من الموضوع الذي قطع كلامه.

فقال بعضنا: لقد استقبلك هذا بشيء ما ظننا أن أحدا يستقبل به أحدا، حتى لقد هم بعضنا أن يخرج إليه فيوقع به.

فقال (عليه السلام) مه، لا تدخلوا فيما بيننا.

فلما مضى من الليل ما مضى، طرق الباب طارق فقال للجارية: انظري من هذا؟ فخرجت، ثم عادت، فقالت: هذا عمك عبد الله بن علي (عليه السلام) فقال لنا: عودوا إلى مواضعكم، ثم اذن له.

فدخل بشهيق و نحيب و بكاء و هو يقول: يا بن أخي، اغفر لي غفر الله لك، اصفح عني صفح الله عنك.

فقال: غفر الله لك يا عم، ما الذي أحوجك إلى هذا؟

قال: إني لما أويت إلى فراشي أتاني رجلان أسودان فشدّا و ثاقى، ثم قال أحدهما للآخر: انطلق به إلى النار: فانطلق بي، فمررت برسول الله فقلت:

يا رسول الله، لا أعود. فأمره فخلّى عني، و أنى لأجد ألم الوثاق.

فقال أبو عبد الله (عليه السلام): أوص.

قال: بم أوصي؟ ما لي مال، و إن لي عيالا كثيره و عليّ دين.

فقال أبو عبد الله (عليه السلام): دينك عليّ، و عيالك عيالي، فأوص.

فما خرجنا من المدينة حتى مات، و ضمّ أبو عبد الله (عليه السلام) عياله إليه،

و قضى دينه، و زوج ابنه ابنته (١).

و أغلب الظن أن نشاط الإمام الصادق (عليه السلام) من هذا النوع قد تركّز أيام المنصور لكثرة الجواسيس و العيون التي كانت ترصد حركه الإمام (عليه السلام) ممّا دفع بالامام الى أن يلجأ إلى عقد الاجتماعات في بيته سرّاً لغرض مواصلة دوره الالهى مع الامه عن طريق توجيه النخبه الصالحه التي وفقت لهذا الدور.

محاصره الإمام (عليه السلام) قبيل استشهاده

صعد المنصور من تضييقه على الإمام الصادق (عليه السلام)، و مهّد لقتله.

فقد روى الفضل بن الربيع عن أبيه، فقال: دعاني المنصور، فقال: إن جعفر بن محمد يلحد في سلطاني، قتلني الله إن لم أقتله. فأتيته، فقلت:

أجب أمير المؤمنين. فتطهّر و لبس ثيابا جددا.

فأقبلت به، فاستأذنت له فقال: أدخله، قتلني الله إن لم أقتله.

فلما نظر إليه مقبلا، قام من مجلسه فتلقاه و قال: مرحبا بالتقى الساحة البريء من الدغل و الخيانه، أخى و ابن عمى.

فأفعدته على سريره، و أقبل عليه بوجهه، و سأله عن حاله، ثم قال:

سلني حاجتك، فقال (عليه السلام): أهل مكّه و المدينة قد تأخّر عطاؤهم، فتأمر لهم به.

قال: أفعل، ثم قال: يا جاريه! اثنتى بالتحفه فأنته بمدهن زجاج، فيه غاليه، فغلفه بيده و انصرف فأتبعته، فقلت:

ص: ٢١٩

١- ((١)) الخرائج و الجرائح: ٢/٦١٩ و عنه في بحار الأنوار: ٩٦/٤٧، و اثبات الهداه: ٥/٤١٠ ح ١٤٣.

يا بن رسول الله! أتيت بك و لا أشك أنه قاتلك، فكان منه ما رأيت، وقد رأيتك تحرك شفتيك بشيء عند الدخول، فما هو؟

قال: قلت: «اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، و اكنفني بركنك الذي لا يرام، و احفظني بقدرتك عليّ، و لا تهلكني و انت رجائي...» (١).

و لم يكن هذا الاستدعاء للإمام من قبل المنصور هو الاستدعاء الأول من نوعه بل إنّه قد أرسل عليه عدّه مرات و فى كل منها أراد قتله (٢).

لقد صور لنا الإمام الصادق (عليه السلام) عمق المأساه التي كان يعانيتها فى هذا الظرف بالذات و الاذى الّذى كان المنصور يصبه عليه، حتى قال (عليه السلام) - كما ينقله لنا عنبيه - قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «أشكو إلى الله وحدتى و تقلقى من أهل المدينة حتى تقدموا (٣) و أراكم أسرّ بكم، فليت هذا الطاغية أذن لى فاتخذت قصرا فى الطائف فسكنته، و أسكنتكم معى، و أضمن له أن لا يجيء من ناحيتنا مكروه أبدا» (٤).

الإمام الصادق (عليه السلام) فى ذمّه الخلود

و تتابعت المحن على سليل النبوّه و عملاق الفكر الإسلامى - الإمام الصادق (عليه السلام) - فى عهد المنصور الدوانيقى - فقد رأى ما قاساه العلويون و شيعتهم من ضروب المحن و البلاء، و ما كابده هو بالذات من صنوف

ص: ٢٢٠

١- (١) سير اعلام النبلاء: ٢٦٦/٦، ملحقات احقاق الحق: ٥١٣/١٩، و الفرج بعد الشده: ٧٠ عن التذكرة لابن الجوزى: ٣٠٨، ٣٠٩ مسندا.

٢- (٢) الكافى: ٥٥٩/٢ و ٤٤٥/٦ و عنه فى الخرائج و الجرائح: ١٩٥/٢ و تاريخ مدينة دمشق: ٥١٦/١٩.

٣- (٣) الموالمون لأهل البيت أو خاصه الإمام.

٤- (٤) الكافى: ٢١٥/٨ و رجال الكشى: ٣٦٥ و بحار الأنوار: ٨٥/٤٧.

الإرهاق و التنكيل، فقد كان الطاغية يستدعيه بين فتره و أخرى، و يقابله بالشتيم و التهديد و لم يحترم مركزه العلمى، و شيخوخته، و انصرافه عن الدنيا الى العباده، و إشاعه العلم، و لم يحفل الطاغية بذلك كله، فقد كان الإمام شبحاً مخيفاً له... و نعرض -بإيجاز- للشؤون الأخيره من حياه الإمام و وفاته.

و أعلن الإمام الصادق (عليه السلام) للناس بدنوّ الأجل المحتوم منه، و ان لقاءه برّبّه لقريب، و إليك بعض ما أخبر به:

أقال شهاب بن عبد ربّه: قال لى أبو عبد الله (عليه السلام): كيف بك إذا نعانى إليك محمد بن سليمان؟ قال: فلا و الله ما عرفت محمد بن سليمان من هو. فكنّت يوماً بالبصره عند محمد بن سليمان، و هو والى البصره إذ ألقى إليّ كتاباً، و قال لى:

يا شهاب، عظم الله أجرك و أجرنا فى إمامك جعفر بن محمد. قال: فذكرت الكلام فخنقتنى العبره (١).

ب- أخبر الإمام (عليه السلام) المنصور بدنوّ أجله لَمّا أراد الطاغية أن يقتله فقد قال له: ارفق فو الله لقلّ ما أصحّبك. ثم انصرف عنه، فقال المنصور لعيسى بن عليّ: قم أسأله، أبى أم به؟ -و كان يعنى الوفاء-.

فلحقه عيسى، و أخبره بمقاله المنصور، فقال (عليه السلام): لا بل بى (٢).

و تحقّق ما تتبأ به الإمام (عليه السلام) فلم تمض فتره يسيره من الزمن حتى وافته المنيه.

كان الإمام الصادق (عليه السلام) شجى يعترض فى حلق الطاغية الدوانيقى، فقد ضاق ذرعاً منه، و قد حكى ذلك لصديقه و صاحب سرّه محمد بن عبد الله

ص: ٢٢١

١- (١) اختيار معرفه الرجال: ٤١٤ ح ٧٨١ و دلائل الإمامه: ١٣٨ و إعلام الورى: ١/٥٢٢، ٥٢٣ و مناقب آل أبى طالب: ٤/٢٤٢.

٢- (٢) مهج الدعوات: ٢٣١.

يقول محمد: دخلت على المنصور فرأيتة مغتماً، فقلت له: ما هذه الفكرة؟

فقال: يا محمد لقد هلك من أولاد فاطمه (عليها السلام) مقدار مائه ويزيدون - وهؤلاء كلهم كانوا قد قتلهم المنصور - وبقى سيدهم وإمامهم.

فقلت: من ذلك؟

فقال: جعفر بن محمد الصادق.

و حاول محمد أن يصرفه عنه، فقال له: إنه رجل أنحلته العباده، و اشتغل بالله عن طلب الملائك و الخلافه.

و لم يرتض المنصور مقالته فردّ عليه: يا محمد قد علمت أنك تقول به، و إمامته و لكن الملك عقيم (١).

و أخذ الطاغية يضيق على الإمام، و أحاط داره بالعيون و هم يسجلون كل بادره تصدر من الإمام، و يرفعونها له، و قد حكى الإمام (عليه السلام) ما كان يعانيه من الضيق، حتى قال: «عزّت السلامه، حتى لقد خفى مطلبها، فإن تكن في شىء فيوشك أن تكون في الخمول، فإن طلبت في الخمول فلم توجد فيوشك أن تكون في الصمت، و السعيد من وجد في نفسه خلوه يشتغل بها» (٢).

لقد صمّم على اغتياله (٣) غير حافل بالعار و النار، فدرّس اليه سمّاً فاتكا على يد عامله فسقاه به، و لئما تناوله الإمام (عليه السلام) تقطعت أمعاؤه و أخذ يعانى الآلام القاسيه، و أيقن بأن النهايه الأخيره من حياته قد دنت منه.

ص: ٢٢٢

١- ((١)) مهج الدعوات: ٢٤٧.

٢- ((٢)) حياه الإمام موسى بن جعفر: ١/٤١٢.

٣- ((٣)) نور الأبصار: ١٣٣، الإتحاف بحب الاشراف: ٥٤، سائك الذهب: ٧٢.

ولمّا شعر الإمام (عليه السّلام) بدنوّ الأجل المحتوم منه أوصى بعده وصايا كان من بينها ما يلي:

أ- إنه أوصى للحسن بن علي المعروف بالأفطس بسبعين ديناراً، فقال له شخص: أتعطي رجلاً حمل عليك بالشفرة؟ فقال عليه السّلام له: ويحك ما تقرأ القرآن؟! وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ، وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (١).

لقد أخلص الإمام (عليه السّلام) كأعظم ما يكون الإخلاص للدين العظيم، و آمن بجميع قيمه و أهدافه، و ابتعد عن العواطف و الأهواء، فقد أوصى بالبرّ لهذا الرجل الذي رام قتله لأن في الإحسان اليه صله للرحم التي أوصى الله بها.

ب- إنه أوصى بوصاياه الخاصّة، و عهد بأمره أمام الناس الى خمسة أشخاص: و هم المنصور الدوانيقي، و محمد بن سليمان، و عبد الله، و ولده الإمام موسى، و حميده زوجته.

و إنما أوصى بذلك خوفاً على ولده الإمام الكاظم (عليه السّلام) من السلطه الجائره، و قد تبين ذلك بوضوح بعد وفاته، فقد كتب المنصور الى عامله على يثرب، بقتل وصي الإمام، فكتب إليه: إنه أوصى الى خمسة، و هو أحدهم، فأجابه المنصور: ليس الى قتل هؤلاء من سبيل (٢).

ج- إنه أوصى بجميع وصاياه الى ولده الإمام الكاظم (عليه السّلام) و أوصاه بتجهيزه و غسله و تكفينه، و الصلاه عليه، كما نصبه إماماً من بعده، و وجّه خواصّ شيعته إليه و أمرهم بلزوم طاعته.

ص: ٢٢٣

١- ((١)) الغيبة للطوسي: ١٩٧، بحار الأنوار: ٢٧٦/٤٧.

٢- ((٢)) الكافي: ٣١٠/١ و انظر مناقب آل أبي طالب: ٣٤٥/٤.

د- إنه دعا السيّد حميده زوجته، وأمرها بحضور جماعه من جيرانه، و مواليه، فلما حضروا عنده قال لهم: «إن شفاعتنا لا تنال مستخفا بالصلاه...»
(١).

و أخذ الموت يدنو سريعا من سليل النبوه، و رائد النهضه الفكرية فى الإسلام، و فى اللحظات الأخيره من حياته أخذ يوصى أهل بيته بمكارم الأخلاق و محاسن الصفات، و يحذّرهم من مخالفه أوامر الله و أحكامه، كما أخذ يقرأ سورا و آيات من القرآن الكريم، ثم ألقى النظره الأخيره على ولده الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)، و فاضت روحه الزكيه الى بارئها.

لقد كان استشهاد الإمام من الأحداث الخطيره التى منى بها العالم الإسلامى فى ذلك العصر، فقد اهتزت لهوله جميع ارجائه، و ارتفعت الصيحه من بيوت الهاشميين و غيرهم و هرعت الناس نحو دار الإمام و هم ما بين واجم و نائح على فقد الراحل العظيم الذى كان ملاذا و مفرعا لجميع المسلمين.

و قام الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)، و هو مكلوم القلب، فأخذ فى تجهيز جثمان أبيه، فغسل الجسد الطاهر، و كفنه بثوبين شطويين (٢) كان يحرم فيهما، و فى قميص و عمامه كانت لجدّه الإمام زين العابدين (عليه السلام)، و لّفه ببرد اشتراه الإمام موسى (عليه السلام) بأربعين ديناراً و بعد الفراغ من تجهيزه صلى عليه الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) و قد إتمّ به مئات المسلمين.

و حمل الجثمان المقدّس على أطراف الأنامل تحت هاله من التكبير، و قد غرق الناس بالبكاء و هم يذكرون فضل الإمام و عائدته على هذه الامه بما بثّه من الطاقات العلميه التى شملت جميع أنواع العلم. و جىء بالجثمان العظيم

ص: ٢٢٤

١- ((١)) بحار الأنوار: ٢/٤٧ عن عقاب الأعمال للصدوق: ٢٧٢ ط طهران-الصدوق.

٢- ((٢)) شطويين: مفرده شطا إحدى قرى مصر.

الى البقيع المقدّس، فدفن في مقرّه الأخير بجوار جدّه الإمام زين العابدين و أبيه الإمام محمد الباقر (عليهما السّلام) وقد و اروا معه العلم و
الحلم، و كل ما يسمّو به هذا الكائن الحيّ من بنى الإنسان (١).

و يناسب أن نختم الكلام عن الإمام الصادق (عليه السّلام) برثائه على لسان أحد أصحابه و هو أبي هريره العجلي بقوله:

أقول و قد راحوا به يحملونه على كاهل من حاملية و عاتق

أتدرون ماذا تحملون الى الثرى ثبيرا ثوى من رأس علياء شاهق

غداه حتى الحاثون فوق ضريحه ترابا، و أول كان فوق المفارق (٢)

ص: ٢٢٥

١- (١) عصر الإمام الصادق، باقر شريف القرشي: ١٦٧-١٧٠.

٢- (٢) مقتضب الأثر في النصّ على الأئمة الاثني عشر، للجوهري: ٥٢.

إشاره

تراث الإمام الصادق (عليه السلام)

إنَّ الحقبة الزمنية التي نشط فيها الإمام الصادق (عليه السلام) لإرساء دعائم منهج أهل البيت (عليهم السلام) ورسم خطوطه التفصيلية تبلغ ثلاثه عقود و نصف عقد تقريبا.

وقد تميّزت بأنها كانت تعاصر نهايات الدولة الامويه و بدايات الدولة العباسيه و هي فتره ضعف الدولتين سياسيًا و بالتالى كانت فرصه متميزه و فريده لنشر الوعي و الثقافه الإسلاميه الأصيله. و قد عرف أتباع أهل البيت (عليهم السلام) بأنهم أتباع و شيعه جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)، و وسم الشيعى بأنه جعفرى؛ و لهذا الوسام دلالاته التاريخيه و مغزاه الثقافى.

من هنا نعرف السرّ فى عظمه التراث الذى خلّفه لنا الإمام الصادق (عليه السلام) و مدى سعته و ثرائه فى جانبى الكمّ و الكيف معا، الى جانب كثره من تتلمذ على يدي الإمام أبى عبد الله الصادق (عليه السلام) ممّن حمل تراثه و رواه الى الأجيال المتعاقبه. و بهذا الصدد ينقل لنا الشيخ المظفر جمله من الاشادات و التصاريح التى أدلى بها كبار رواه أهل السنّه و علمائهم بفضل الإمام الصادق و رجوع أئمه المذاهب و أهل الحديث إليه، و إليك بيانها.

« كان رواه أبى عبد الله (عليه السلام) أربعة آلاف أو يزيدون كما أشرنا إليه غير

مرّه، قال الشيخ المفيد طاب ثراه في الإرشاد: فإنّ أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواه عنه من الثقات على اختلافهم في الآراء و المقامات، فكانوا أربعة آلاف رجل (١). و ذكر ابن شهر آشوب أن الجامع لهم ابن عقده و زاد غيره أن ابن عقده ذكر لكل واحد منهم روايه، و أشار الى عددهم الطبرسي في أعلام الوري، و المحقق الحلّي في المعبر، و ذكر أسماءهم الشيخ الطوسي طاب رسمه في كتاب الرجال.

و لا- يزيدده كثره الرواه عنه رفعة و جلاله قدره، و إنّما يزداد الرواه فضلا و علوّ شأن بالروايه عنه، نعم إنّما يكشف هذا عن علوّ شأنه في العلم و انعقاد الخناصر على فضله من طلاب العلم و الفضيله على اختلافهم في المقالات و النحل.

أعلام السنّه الذين أخذوا عن الإمام الصادق (عليه السلام):

أخذ عنه عدّه من أعلام السنّه و أئمتهم، و ما كان أخذهم عنه كما يأخذ التلميذ عن الاستاذ، بل لم يأخذوا عنه إلا و هم متفقون على إمامته و جلالته و سيادته، كما يقول الشيخ سليمان في الينايع، و النووي في تهذيب الأسماء و اللغات، بل عدّوا أخذهم عنه منقبه شرفوا بها، و فضيله اكتسبوا كما يقول الشافعي في مطالب السؤل، و نحن اولاء نورد لك شطرا من اولئك الأعلام.

أبو حنيفه: منهم أبو حنيفه النعمان بن ثابت بن زوطي من الموالى و أصله من كابل ولد بالكوفه، و بها نشأ و درس، و كانت له فيها حوزة و انتقل الى بغداد و بها مات عام ١٥٠، و قبره بها معروف، و هو أحد المذاهب الأربعة عند أهل السنّه، و حاله أشهر من أن يذكر.

و أخذه عن الصادق (عليه السلام) معروف، و ممّن ذكر ذلك الشبلنجي في نور

ص: ٢٢٨

الأبصار، و ابن حجر فى الصواعق، و الشيخ سليمان فى الينابيع، و ابن الصبّاغ فى الفصول، الى غير هؤلاء، و قال الآلوسى فى مختصر التحفه الاثنى عشرية (ص ٨): و هذا أبو حنيفه و هو هوبين أهل السنّه كان يفتخر و يقول بأفصح لسان: «لولا الستتان لهلك النعمان» يريد الستين اللتين صحب فيها - لأخذ العلم - الإمام جعفر الصادق (عليه السلام).

مالك بن أنس: و منهم مالك بن أنس المدنى أحد المذاهب الأربعة أيضا، قال ابن النديم فى الفهرست: هو ابن أبى عامر من حمير و عداده فى بنى تيم بن مرّه من قريش، و حمل به ثلاث سنين، و قال: و سعى به الى جعفر بن سليمان العباسى و كان و الى المدينة فقيل له: إنّه لا يرى ايمان بيعتكم، فدعى به و جرّده و ضربه أسواط و مدّده فانخلع كتفه و توفى عام (١٧٩ هـ) عن (٨٤) سنه، و ذكر مثله ابن خلكان.

و أخذه عن أبى عبد الله (عليه السلام) معلوم مشهور، و ممّن أشار الى ذلك النووى فى التهذيب، و الشبلنجى فى نور الأبصار، و السبط فى التذكرة، و الشافعى فى المطالب، و ابن حجر فى الصواعق، و الشيخ سليمان فى الينابيع، و أبو نعيم فى الحليه، و ابن الصبّاغ فى الفصول، الى ما سوى هؤلاء.

سفيان الثورى: و منهم سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى الكوفى، ورد بغداد عدّه مرّات، و روى عن الصادق (عليه السلام) جملة أشياء، و أوصاه الصادق بامور ثمينه مرّت فى الوصايا، و ناظر الصادق فى الزهد كما سلف، و ارتحل الى البصره و بها مات (١٦١ هـ)، و ولادته فى نيف و تسعين، قيل شهد وقعه زيد الشهيد و كان فى شرطه هشام بن عبد الملك.

جاء أخذه عن الصادق (عليه السلام) في التهذيب، و نور الأبصار، و التذكرة، و المطالب، و الصواعق، و الينابيع، و الحليه، و الفصول المهمه، و غيرها، و ذكره الرجاليون من الشيعة في رجاله (عليه السلام).

سفيان بن عيينه: و منهم سفيان بن عيينه بن أبي عمران الكوفي المكي ولد بالكوفه عام (١٠٧ هـ) و مات بمكة عام (١٩٨ هـ)، و دخل الكوفه و هو شاب على عهد أبي حنيفة.

ذكر أخذه عن الصادق (عليه السلام) في التهذيب، و نور الأبصار، و المطالب، و الصواعق، و الينابيع، و الحليه، و الفصول، و ما سواها، و ذكر ذلك الرجاليون من الشيعة أيضا.

يحيى بن سعيد الأنصاري: و منهم يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري من بني النجار تابعي، كان قاضيا للمنصور في المدينة، ثم قاضي القضاة، مات بالهاشمية عام (١٤٣ هـ).

انظر المصادر المتقدمه في روايته عن الصادق (عليه السلام) و ما عداها كما ذكر ذلك الرجاليون من الشيعة.

ابن جريح: و منهم عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح المكي، سمع جمعا كثيرا من العلماء، و كان من علماء العامه، الذين يرون حليه المتعه كما رأى حليتها آخرون منهم، و جاء في طريق الصدوق في باب ما يقبل من الدعاوى بغير بينه، و جاء في الكافي في باب ما أحل الله من المتعه سؤال أحدهم من الصادق (عليه السلام) عن المتعه فقال: «التي عبد الملك بن جريح فأسأله عنها فإنّ عنده منها علما»، فأتاه فأملى عليه شيئا كثيرا عن المتعه و حليتها.

و قال ابن خلكان: عبد الملك أحد العلماء المشهورين، و كانت ولادته

سنه (٨٠هـ) و قدم بغداد على أبي جعفر المنصور، و توفي سنه (١٤٩هـ) و قيل (١٥٠هـ)، و قيل (١٥١هـ).

و ذكرت المصادر السابقه أخذه عن الصادق (عليه السلام)، كما ذكرته رجال الشيعة.

القطن: و منهم أبو سعيد يحيى بن سعيد القطن البصرى، كان من أئمة الحديث بل عدّ محدث زمانه، و احتجّ به أصحاب الصحاح الستة و غيرهم، توفي عام (١٩٨هـ)، و حكى عن ابن قتيبه عداه في رجال الشيعة، و لكن الشيعة لا تعرفه من رجالها.

ذكره في رجال الصادق (عليه السلام) التهذيب، و الينابيع، و غيرهما من السنّه، و الشيخ، و ابن داود، و النجاشى، و غيرهم من الشيعة.

محمد بن إسحاق: و منهم محمد بن إسحاق بن يسار صاحب المغازى و السير، و مدنى سكن مكّه، أنثى عليه ابن خلكان كثيرا، و كان بينه و بين مالك عدا، فكان كلّ منهما يطعن فى الآخر، قدم الحيره على المنصور فكتب له المغازى.

و قدم بغداد و بها مات عام (١٥١هـ) على المشهور، ذكر أخذه عن الصادق (عليه السلام) فى التهذيب، و الينابيع، و غيرهما من السنّه، و الشيخ فى رجاله، و العلّامه فى الخلاصه، و الكشى فى رجاله، و غيرهم من الشيعة.

شعبه بن الحجّاج: و منهم شعبه بن الحجّاج الأزدي كان من أئمة السنّه و أعلامهم و كان يفتى بالخروج مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن، و قيل كان

ممن خرج من أصحاب الحديث مع إبراهيم بن عبد الله.

و عدّه في أصحاب الصادق (عليه السّلام) جماعه من السنّه منهم صاحب التهذيب، و الصواعق، و الحليه، و الينابيع، و الفصول، و التذكره و غيرها، و ذكرته كتب الشيعة في رجاله أيضا.

أيوب السجستاني: و منهم أيوب بن أبي تميمه السجستاني البصري، و قيل السختياني، و الأول أشهر، مولى عمّار بن ياسر و عدّوه في كبار الفقهاء التابعين، مات عام (١٣١ هـ) بالطاعون بالبصره عن (٦٥ هـ) سنه.

عدّه في رجال الصادق (عليه السّلام) في نور الأبصار، و التذكره، و المطالب، و الصواعق، و الحليه، و الفصول، و غيرها، و ذكرته كتب رجال الشيعة في أصحابه أيضا.

و هؤلاء بعض من نسبوه الى تلمذه الصادق (عليه السّلام) من أعلام السنّه و فقهاءهم البارزين، و قد عدّوا غير هؤلاء فيهم أيضا، انظر في ذلك حليه الأولياء، على أن غير أبي نعيم أشار الى غير هؤلاء بقوله و غيرهم، أو ما سوى ذلك ممّا يؤدّي هذا المفاد» (١)(٢).

إنّ الحضاره الإنسانيه اليوم- بما فيها الحضاره الأوربيّه- مدنيه الى تراث الإمام الصادق (عليه السّلام) بشكل خاص، باعتبار عنايته الفائقه بجمله من العلوم الطبيعيه التي لاحظنا نماذج منها خلال بحوث هذا الكتاب.

ص: ٢٣٢

١- ((١)) الإمام الصادق (عليه السّلام)، محمد حسين المظفر: ١٢٧-١٣٠.

٢- ((٢)) و رغم اعترافات علماء أهل السنّه و أشاداتهم بالإمام الصادق (عليه السّلام) و أنّ أئمه مذاهبهم و كبار علمائهم قد تتلمذوا على يديه و نقلت الرواه ما يملئ الخافقين من الأحاديث، نجد البخاري الذي يروى للخوارج و الفساق و المجاهيل لم يرو عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السّلام) و لا حديثا واحدا.

إن التراث الذى جمعه علماء مدرسه أهل البيت (عليهم السّلام) و الذى رووه عن الإمام الصادق (عليه السّلام) يفوق تراث كل واحد من المعصومين من حيث الكمّ و من حيث الاهتمام بشتّى العلوم الإنسانيه و الطبيعيه جميعا.

و قد وقفنا على شىء من اهتماماته الواسعه فى بحوث سبقت فى هذا الكتاب، مثل: جامعه أهل البيت (عليهم السّلام) و الجماعه الصالحه. و إتماما للفائده و اتساقا مع سائر أجزاء هذه الموسوعه سوف نلّم بطرف آخر من رواياته و تراثه فى شتّى فروع المعرفه الإسلاميه.

مصادر المعرفه و آثارها

١- عن على بن الحكم، عن هشام، عن أبى عبد الله (عليه السّلام) قال: «لما خلق الله العقل استنطقه، ثم قال له: أقبل فأقبل، فقال له: أدبر فأدبر، فقال: و عزّتى و جلالى ما خلقت خلقا هو أحبّ إليّ منك، بك آخذ، و بك اعطى و عليك اثيب» (١).

٢- عن عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليهما السّلام) فقلت: الملائكه أفضل أم بنو آدم؟ فقال: «قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السّلام): إنّ الله ركّب (٢) فى الملائكه عقلا- بلا- شهوه، و ركّب فى البهائم شهوه بلا- عقل، و ركّب فى بنى آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكه و من غلب شهوته عقله فهو شرّ من البهائم» (٣).

٣- عن عبد الله بن سنان، عن أبى عبد الله (عليه السّلام) قال: «حجّه الله على العباد

ص: ٢٣٣

١- (١) المحاسن: ١/١٩٢، كتاب مصابيح الظلم، باب ١، باب العقل، ح ٧.

٢- (٢) ركّب: أى خلق.

٣- (٣) علل الشرائع: ١/٤، باب ٦.

النبي، والحجّه فيما بين العباد وبين الله العقل» (١).

الأنبياء والأئمة

١- عن أبي حمزه الثمالي، قال أبو عبد الله (عليه السلام): «إياك والرياسة وإياك أن تطأ أعقاب الرجال- إلى أن قال: -إياك أن تنصب رجلاً دون الحجّه، فتصدقه في كل ما قال» (٢).

٢- عن الفضيل، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عزّ وجل: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» فقال: «كل إمام هادٍ للقرن الذي هو فيهم» (٣).

٣- عن عمار الساباطي، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الإمام، يعلم الغيب؟ قال: «لا ولكن إذا أراد أن يعلم الشيء، أعلمه الله ذلك» (٤).

٤- عن بريده بن معاوية، عن أحدهما (عليهما السلام)، في قول الله عزّ وجل: «مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، «فرسول الله أفضل الراسخين في العلم قد علمه الله جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلمه تأويله، وأوصياؤه من بعده يعلمونه كلّ، إلى أن قال: والقرآن خاص و عام و محكم و متشابه و ناسخ و منسوخ، فالراسخون في العلم يعلمونه» (٥).

الإسلام والإيمان

١- عن جميل بن صالح، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) أخبرني عن

ص: ٢٣٤

١- ((١)) الكافي: ٢٥/١، كتاب العقل و الجهل: ٢٢.

٢- ((٢)) معاني الأخبار: ١٦٤/١، باب معنى وطء أعقاب الرجال.

٣- ((٣)) الكافي: ١٩١/١، كتاب الحجّه، باب أن الأئمة عليهم السلام هم الهداه، ح ١.

٤- ((٤)) الكافي: ٢٥٧/١، كتاب الحجّه، باب نادر فيه ذكر الغيب، ح ٤.

٥- ((٥)) الكافي: ٢١٣/١، كتاب الحجّه، باب أن الراسخين في العلم هم الأئمة عليهم السلام، ح ٢.

الإسلام و الإيمان، أهما مختلفان؟ قال: «إنَّ الإيمان يشارك الإسلام، و الإسلام لا يشارك الإيمان، فقلت: فصفهما لى قال: «الإسلام شهادة أن لا إله إلاّ الله و التصديق برسول الله (صلى الله عليه و آله)، به حققت الدماء و عليه جرت المناكح و المواريث و على ظاهره جماعه الناس، و الإيمان الهدى و ما ثبت فى القلوب من صفه الإسلام و ما ظهر من العمل، و الإيمان أرفع من الإسلام بدرجة» (١).

٢- عن عبد الرحيم القصير، قال كتبت مع عبد الملك بن أعين الى أبى عبد الله (عليه السلام): أسأله عن الإيمان ما هو؟ فكتب (عليه السلام) إلى مع عبد الملك بن أعين:

«سألت يرحمك الله عن الإيمان، و الإيمان هو الإقرار باللسان و عقد فى القلب و عمل بالأركان و الإيمان بعضه من بعض، و هو دار، و كذلك الإسلام دار، و الكفر دار، فقد يكون العبد مسلماً قبل أن يكون مؤمناً، و لا يكون مؤمناً حتى يكون مسلماً، فالإسلام قبل الإيمان و هو يشارك الإسلام» (٢).

٣- عن عبد الله بن مسكان، عن بعض أصحابه، عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال:

قلت له: ما الإسلام؟ قال: «دين الله، اسمه الإسلام و هو دين الله قبل أن تكونوا حيث كنتم و بعد أن تكونوا، فمن أقرّ بدين الله فهو مسلم، و من عمل بما أمر الله عزّ و جل فهو مؤمن» (٣).

ص: ٢٣٥

١- (١) الكافي: ٢/٢٥، كتاب الإيمان و الكفر باب أن الإيمان يشارك الإسلام، ح ١.

٢- (٢) الكافي: ٢/٢٧، كتاب الإيمان و الكفر، باب أن الإسلام قبل الإيمان، ح ١.

٣- (٣) الكافي: ٢/٣٨، كتاب الإيمان و الكفر، باب ٣٠، باب أن الإيمان مبثوث لجوارح البدن كلّها، ح ٤.

١- عن عبد الرحمن بن زيد عن أبيه عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه و اله: طلب العلم فريضه على كل مسلم، ألا و أن الله يحب بغاه العلم» (١).

٢- عن أبي جعفر الأحول عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «لا يسع الناس حتى يسألوا و يتفقهوا و يعرفوا إمامهم. و يسعهم أن يأخذوا بما يقول و إن كان تقيته» (٢).

٣- عن جميل، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سمعته يقول: «يغدو الناس على ثلاثه أصناف: عالم و متعلم و غشاء، فنحن العلماء و شيعتنا المتعلمون و سائر الناس غشاء» (٣).

٤- عن أبي البختری، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إن العلماء ورثه الأنبياء، و ذاك أن الأنبياء لم يورثوا درهما و لا ديناراً، و إنما ورثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظاً وافراً، فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه فإنّ فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً، ينفون عنه تحريف الغالين و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين» (٤).

مصادر التشريع الإسلامي

١- عن حمّاد، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سمعته يقول: «ما من شيء إلا و فيه كتاب أو سنّه» (٥).

٢- عن مرّام عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إنّ الله تبارك و تعالى أنزل في القرآن تبيان كل شيء، حتى و الله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد، حتى لا يستطيع عبد أن يقول: لو

ص: ٢٣٦

- ١- ((١)) الكافي: ٣٠/١، كتاب فضل العلم، الباب ١، باب فرض العلم، ح ١.
- ٢- ((٢)) الكافي: ٤٠/١، كتاب فضل العلم، الباب ٩، باب سؤال العالم و تذاكره، ح ٤.
- ٣- ((٣)) الكافي: ٣٤/١، كتاب فضل العلم، الباب ٣، باب أصناف الناس، الحديث ٤.
- ٤- ((٤)) الكافي: ٣٢/١، كتاب فضل العلم، الباب ٢، باب فضل العلماء، الحديث ٢.
- ٥- ((٥)) الكافي: ٥٩/١، كتاب فضل العلم، الباب ٢٠، باب الرد الى الكتاب، ح ٤.

كان هذا أنزل في القرآن، إلا وقد أنزل الله فيه» (١).

٣- عن المعلى بن خنيس قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «ما من أمر يختلف فيه اثنان، إلا - و له أصل في كتاب الله و لكن لا - تبلغه عقول الرجال» (٢).

علم الأنمة (عليهم السلام)

١- عن عبد الأعلى بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: قد ولدني (٣) رسول الله (صلى الله عليه وآله)، و أنا أعلم كتاب الله و فيه بدء الخلق و ما هو كائن الى يوم القيامة و فيه خبر السماء و الأرض، و خبر الجنة، و خبر النار، و خبر ما كان و ما هو كائن، أعلم ذلك كآنى انظر الى كفى، ان الله يقول: (فيه تبيان كل شيء) (٤).

٢- عن أبى بصير، عن أبى عبد الله (عليه السلام) فى حديث، قال: «علم رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليا (عليه السلام) ألف باب، يفتح كل باب منها ألف باب، الى أن قال: فإن عندنا الجامعة، صحيفه طولها سبعون ذراعا بذراع رسول الله (صلى الله عليه وآله) و إملائه من فلق فيه (٥) و خط على (عليه السلام) يمينه، فيها كل حلال و حرام و كل شيء يحتاج إليه الناس حتى الأرش فى الخدش، و ضرب بيده، الذى فقال لى: تأذن لى يا أبا محمد؟ قال: قلت: جعلت فداك، إنما أنا لك، فاصنع ما شئت، قال: فغمزنى بيده ثم قال: «حتى أرش هذا - كأنه مغضب» (٦).

٣- عن الحسين بن أبى العلاء قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إن

ص: ٢٣٧

١- (١) الكافى: ٥٩/١، كتاب فضل العلم، الباب ٢٠، باب الرد الى الكتاب، ح ١.

٢- (٢) المصدر السابق: ٦٠/١، ح ٦.

٣- (٣) أى حصلنى.

٤- (٤) الكافى: ٦١/١، كتاب فضل العلم، الباب ٢٠، باب الرد إلى الكتاب، الحديث ٨.

٥- (٥) أى من شق فمه.

٦- (٦) الكافى: ٢٣٨/١، كتاب الحجج، باب فيه ذكر الصحيفه، ح ١.

عندى الجفر الأبيض»، قال: قلت: فأى شىء فيه؟ قال: «زبور داود، و تورا موسى، و إنجيل عيسى، و صحف إبراهيم و الحلال و الحرام، و مصحف فاطمه، ما ازعم أن فيه قرآنا (١) و فيه ما يحتاج الناس إلينا، و لا نحتاج الى أحد حتى فيه الجلده، و نصف الجلده، و ربع الجلده، و ارش الخدش» (٢).

المناهج المنحرفه

١- قال الصادق (عليه السلام): «دع القياس و الرأى و ما قال قوم فى دين الله ليس له برهان» (٣).

٢- عن أبى شبيهه الخراسانى قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام)، يقول: «إن أصحاب المقاييس طلبوا العلم بالمقاييس، فلم تزدهم المقاييس من الحق إلا بعدا، و ان دين الله لا يصاب بالمقاييس» (٤).

٣- و جاء فى رساله له الى أصحاب الرأى و المقاييس: «و قالوا لا- شىء إلا ما أدركته عقولنا و أدركته ألباننا، فولأهم الله ما تولوا و أهملهم و خذلهم، حتى صاروا عبده أنفسهم من حيث لا- يعلمون، و لو كان الله رضى منهم ارتياءهم و اجتهادهم فى ذلك، لم بيعث الله إليهم رسولا فاصلا لما بينهم و لا زاجرا عن وصفهم...» (٥).

٤- و فى وصيه المفضل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام)، يقول:

«من شكَّ أو ظنَّ فأقام على أحدهما، فقد حبط عمله، أن حجَّه الله هى الحجَّه الواضحه» (٦).

ص: ٢٣٨

- ١- (١) يعنى: لا أقول فيه قرآنا، بل فى الجفر علم ما كان و ما يكون الى يوم القيامه.
- ٢- (٢) الكافى: ١/٢٤٠، كتاب الحججه، باب فيه ذكر الصحيفه، الحديث ٣.
- ٣- (٣) علل الشرائع: ١/٨٨، الباب ٨١، باب علله المراره فى الاذنين...، ح ٤.
- ٤- (٤) الوسائل عن الكافى: ٢٧/٤٣، القضاء، باب ٦، من أبواب صفات القاضى ح ١٨.
- ٥- (٥) المحاسن: ١/٢٠٩، كتاب مصابيح الظلم، الباب ٧، ح ٧٦.
- ٦- (٦) الكافى: ٢/٤٠٠، كتاب الإيمان و الكفر، باب الشكِّ، ح ٨.

٥- عن مسعده بن صدقه، عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إياكم والظن فإن الظن أكذب الكذب» (١).

نماذج من الفهم الخاطئ

١- عن عبد المؤمن الأنصارى، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): إن قوما يروون عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال: «اختلاف امتي رحمه، فقال: «صدقوا»، فقلت:

إن كان اختلافهم رحمه فاجتماعهم عذاب افعال: «ليس حيث تذهب وذهبوا، إنما أراد، قول الله عز وجل: فَلَوْ لَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ الآية. فأمرهم أن ينفروا الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيتعلموا، ثم يرجعوا الى قومهم فيعلموهم، إنما أراد اختلافهم من البلدان لا اختلافاً في دين الله، إنما الدين واحد، إنما الدين واحد» (٢).

٢- عن اسماعيل بن مخلد السراج، قال: خرجت هذه الرسالة من أبي عبد الله عليه السلام الى أصحابه و ذكر الرسالة، الى أن قال: «وقد عهد إليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل موته فقالوا: نحن بعد ما قبض الله عز وجل رسوله (صلى الله عليه وآله)، يسعنا أن نأخذ بما اجتمع عليه رأى الناس بعد قبض الله رسوله (صلى الله عليه وآله)، و بعد عهده الذى عهدته إلينا و أمرنا به، مخالفنا لله و لرسوله، فما أحد اجراً على الله و لا أبين ضلاله ممن أخذ بذلك و زعم أن ذلك يسعه» الى أن قال:

«و كما أنه لم يكن لأحد من الناس مع محمد (صلى الله عليه وآله) أن يأخذ بهواه و لا رأيه و لا مقاييسه خلافاً لأمر محمد (صلى الله عليه وآله) و آله، كذلك لم يكن لأحد بعد محمد (صلى الله عليه وآله) أن يأخذ بهواه و لا رأيه و لا مقاييسه»، ثم قال: «و اتبعوا آثار رسول الله و سنته فخذوا بها و لا تتبعوا أهواءكم و رأيكم، فإن أضل الناس عند الله من اتبع هواه و رأيه بغير هدى من الله».

ص: ٢٣٩

١- (١) قرب الأسناد: ٢٩، الأحاديث المتفرقة، ح ٩٤.

٢- (٢) معانى الأخبار: ١/١٥٧ فى معنى قوله اختلاف امتى رحمه، و الايه فى التوبه: ١٢٢.

وقال: «أيتها العصابة، عليكم بآثار رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسنته، وآثار الأئمة الهداه من أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) من بعده و سنتهم، فإنه من أخذ بذلك فقد اهتدى و من ترك ذلك و رغب عنه ضلّ..». و ذكر الرساله بطولها (١).

منهج التفقه في الدين

١- عن هشام بن سالم، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): ما حقّ الله على خلقه؟ قال: «أن يقولوا ما يعلمون و يكفّوا عمّا لا يعلمون، فإذا فعلوا ذلك فقد أذوا الى الله حقّه» (٢).

٢- عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إنما علينا أن نلقى إليكم الاصول و عليكم التفريع» (٣).

٣- عن ابن مسكان، عن حبيب قال: قال لنا أبو عبد الله (عليه السلام): «ما أحد أحبّ إليّ منكم، إن الناس سلكوا سبلا شتى (٤) منهم من أخذ بهواه، و منهم من أخذ برأيه و إنكم أخذتم بأمر له أصل» (٥).

٤- عن هشام، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قيل له: روى عنكم أنّ الخمر و الميسر و الأنصاب و الأزلام رجال؟ فقال: «ما كان الله ليخاطب خلقه بما لا يعقلون» (٦).

ص: ٢٤٠

١- (١) روضه الكافي: ٢/٨، كتاب الروضه، رساله أبي عبد الله، ح ١.

٢- (٢) المحاسن: ٢٠٤/١، كتاب مصابيح الظلم، الباب ٤، حق الله عزّ و جلّ في خلقه، الحديث ٥٣.

٣- (٣) السرائر: ٥٧٥/٣، ما استطرفه من جامع البنظي.

٤- (٤) شتى: أى متفرقا.

٥- (٥) المحاسن: ٢٥٤/١، كتاب الصفوه و النور و الرحمه، باب ٢٣، باب الأهواء، ح ٨٨، ط المجمع العالمى لأهل البيت (عليهم السلام).

٦- (٦) الوسائل: ١٦٧/١٧، الباب ٣٥، من أبواب ما يكتسب به، الحديث ١٣.

٥- عن عمر بن حنظله قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعه في دين أو ميراث، فقال: «ينظران من كان منكم ممن قد روى حديثنا و نظر في حلالنا و حرامنا و عرف أحكامنا فليرضوا به حكما، فإنني قد جعلته عليكم حاكما، فإذا حكم بحكمتنا فلم يقبل منه، فإنما استخفّ بحكم الله و علينا ردّ، و الرادّ علينا الرادّ على الله و هو على حدّ الشرك بالله...» (١).

و عن عمر بن حنظله، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في الحديث السابق قال:

قلت: فإن كان كل واحد منهما اختار رجلا من أصحابنا فرضيا أن يكونا الناظرين في حقهما، فاختلفا فيما حكما و كلاهما اختلفا في حديثكم.

فقال (عليه السلام): الحكم ما حكم به عدلها و أفقهما و أصدقهما في الحديث و أورعهما، و لا يلتفت الى ما يحكم به الآخر.

فقلت: فإنهما عدلان مرضيان عند أصحابنا لا يفضل واحد منهما على صاحبه؟

فقال (عليه السلام): ينظر الى ما كان من روايتهما عنّا في ذلك الذي حكما به المجمع عليه من أصحابك فيؤخذ به من حكمتنا، و يترك الشاذّ الذي ليس بمشهور عند أصحابك فإن المجمع عليه لا ريب فيه، الى أن قال:

قلت: فإن كان الخبران عنكم مشهورين، قد رواهما الثقات عنكم؟

قال (عليه السلام): ينظر، فما وافق حكمه حكم الكتاب و السنّة و خالف العامّة فيؤخذ به، و يترك ما خالف حكمه حكم الكتاب و السنّة و وافق العامّة.

قلت: جعلت فداك، أرايت إن كان الفقيهان عرفا حكمه من الكتاب و السنّة، و وجدنا أحد الخبرين موافقا للعامّة و الآخر مخالفا لهم، بأى

ص: ٢٤١

١- (١) من لا يحضره الفقيه: ٨/٣، القضايا و الأحكام، باب الاتفاق على عدلين في الحكومه، ح ٣٢٣٣.

الخبرين يؤخذ؟

فقال (عليه السلام): ما خالف العامه ففیه الرشاد.

فقلت: جعلت فداك، فان وافقهما الخبران جميعا؟ قال: ينظر الى ما هم اليه أميل، حکامهم و قضاتهم فيترك و يؤخذ بالآخر.

قلت: فإن وافق حکامهم الخبرين جميعا؟ قال: إذا كان ذلك، فارجئه حتى تلقى امامك (١)، فان الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام فى الهلكات» (٢).

قواعد فقهيه عامه

١- عن موسى بن بكر، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام)، الرجل يغمى عليه يوما أو يومين أو الثلاثة أو الأربعة أو أكثر من ذلك، كم يقضى من صلاته؟ قال:

«ألا أخبرك بما يجمع لك هذه الأشياء كلها؟ كلما غلب الله عليه من أمر فالله أعذر لعبده» (٣).

٢- عن محمد بن على بن الحسين قال: قال الصادق (عليه السلام): «كل شيء مطلق حتى يرد فيه نهى» (٤).

٣- عن داود بن فرقد قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «أنتم أفقه الناس إذا عرفتم معانى كلامنا، إن الكلمه لتتصرف على وجوه، فلو شاء إنسان لصرف كلامه كيف شاء و لا يكذب» (٥).

٤- عن أبى اسحاق الارجاني رفعه قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «أتدرى لم أمرتم بالأخذ بخلاف ما تقول العامه؟ فقلت: لا أدرى، فقال: إن عليا (عليه السلام) لم يكن يدين

ص: ٢٤٢

١- (١) الى أن تلقى إمام زمانك.

٢- (٢) الكافي: ١/٦٧، كتاب فضل العلم، باب اختلاف الحديث، الحديث ١٠.

٣- (٣) الخصال: ٢/٦٤٤، أبواب ما بعد الألف، ح ٢٤.

٤- (٤) الفقيه: ١/٣١٧، باب وصف الصلاه... القنوت و استحبابه، الحديث ٩٣٧.

٥- (٥) معانى الأخبار: ١/١، الباب ١.

اللّه بدين إلا خالف عليه الامه الى غيره، إرادته لإبطال أمره و كانوا يسألون المؤمنين (عليه السلام) عن الشيء الذي لا يعلمونه فإذا أفتاهم جعلوا له ضدًا من عندهم ليلبسوا على الناس» (١).

٥- عن منصور بن حازم قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «الناس مأمورون و منهيون و من كان له عذر، عذره الله» (٢).

٦- عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن المريض هل تمسك له المرأة شيئًا فيسجد عليه؟ قال: «لا، إلا أن يكون مضطربًا ليس عنده غيرها و ليس شيء مما حرم الله إلا و قد أحله لمن اضطرب إليه» (٣).

٧- عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «اللّه أكرم من أن يكلف الناس ما لا يطيقون و اللّه أعز من أن يكون في سلطانه ما لا يريد» (٤).

٨- عن عبد الأعلى مولى آل سام قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): «عشرت، فانقطع ظفري فجعلت على اصبعي مراره فكيف أصنع بالوضوء؟» فقال:

«تعرف هذا و أشباهه من كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ امْسَحْ عَلَيْهِ﴾ (٥).

٩- عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «كل شيء فيه حلال و حرام، فهو لك حلال، حتى تعرف الحرام منه بعينه فتدعه» (٦).

١٠- عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) حين فرغ من طوافه و ركعتيه، قال: «ابدءوا بما بدأ الله عز و جل به من اتيان الصفا، أن الله

ص: ٢٤٣

١- (١) علل الشرائع: ٥٣١/٢، الباب ٣١٥، العله التي من أجلها يجب الأخذ بخلاف... الحديث ١.

٢- (٢) المحاسن: ٢٤٥/١، كتاب مصايح الظلم، الباب ٢٦، باب الأمر و النهي، الحديث ٢٤٢.

٣- (٣) التهذيب: ١٧٧/٣، الباب ١٤، باب صلاة الغريق و المتوخل و المضطرب بغير ذلك، الحديث ١.

٤- (٤) الكافي: ١٦٠/١، كتاب التوحيد، باب الجبر و القدر و الامر بين الأمرين، الحديث ١٤.

٥- (٥) التهذيب: ٣٦٣/١، الباب ١٦، باب في صفة الوضوء و الفرض منه، الحديث ٢٧.

٦- (٦) من لا يحضره الفقيه: ٣٤١/٣، باب الذبائح و المآكل، ح ٤٢٠٨.

يقول: إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنَ شَعَائِرِ اللَّهِ « (١).

١١- عن زكريا بن يحيى، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «ما حجب الله علمه عن العباد، فهو موضوع عنهم» (٢).

١٢- عن حريز، عن زراره، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الحلال والحرام؟ فقال: «حلال محمّد حلال الى يوم القيامة، وحرامه حرام الى يوم القيامة، لا يكون غيره ولا يجيء غيره» (٣).

نماذج من فقه الإمام الصادق (عليه السلام)

١- عن ابن اذينة، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال: «ما تروى هذه الناصبه؟ فقلت: جعلت فداك فيماذا؟ فقال: في أذانهم وركوعهم و سجودهم، فقلت: إنهم يقولون: إن ابني بن كعب رآه في النوم، فقال: كذبوا، فإن دين الله اعزّ من أن يرى في النوم» (٤).

٢- عن عيص بن القاسم، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إذا خرج الرجل في شهر رمضان مسافرا أفطر، وقال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) خرج من المدينة الى مكّة في شهر رمضان و معه الناس و فيهم المشاه، فلما انتهى الى كراع الغميم (٥) دعا بقدح من ماء فيما بين الظهر و العصر، فشربه و أفطر ثم أفطر الناس معه و تمّ ناس على صومهم، فسمّاهم العصاه و إنّما يؤخذ بآخر أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله)» (٦).

ص: ٢٤٤

١- ((١)) التهذيب: ١٤٥/٥، الباب ١٠، الحديث ٦.

٢- ((٢)) التوحيد: ٩/٤١٣، الباب ٦٤، باب التعريف و البيان و الحجّ و الهدايه.

٣- ((٣)) الكافي: ٥٨/١، كتاب فضل العلم باب البدع و الرأى و المقاييس، ح ١٩.

٤- ((٤)) الكافي: ٤٨٢/٣، كتاب الصلاه، باب النوادر.

٥- ((٥)) و هى على ثلاثه أميال من المدينه.

٦- ((٦)) الكافي: ١٢٧/٤، كتاب الصيام، باب كراهيه الصوم فى السفر، ح ٥.

٣-قال الصادق(عليه السلام):«خلق الله الماء طهورا لا ينجسه شيء إلا ما غيّر لونه أو طعمه أو ريحه».

٤-قال الصادق(عليه السلام):«إذا كان الماء قدر كتر، لم ينجسه شيء».

٥-قال(عليه السلام):«اغسل ثوبك من بول كل ما لا يؤكل لحمه».

٦-قال الصادق(عليه السلام):«إذا نامت العين و الاذن و القلب و جب الوضوء»، قيل:

فإن حرّك الى جنبه شيء و لم يعلم به، قال:«لا حتى يستيقن أنه قد نام حتى يجيء من ذلك أمر بين، وإلا فإنه على يقين من وضوئه، و لا تنقض اليقين أبدا بالشك و إنما تنقضه بيقين آخر».

٧-و قال(عليه السلام):«لا ينقض الوضوء إلا حدث و النوم حدث».

٨-قال أبو عبد الله(عليه السلام):«إن سمعت الأذان و أنت على الخلا، فقل مثل ما يقول المؤذن و لا تدع ذكر الله في تلك الحال، لأن ذكر الله حسن على كل حال».

٩-و قال(عليه السلام):«إذا شككت في شيء من الوضوء و قد دخلت في غيره فليس شكك بشيء، إنما الشك إذا كنت في شيء لم تجزه».

١٠-و سئل أبو عبد الله(عليه السلام) عن الجنب يجلس في المساجد؟ قال:«لا، و لكن يمرّ فيها كلها، إلا المسجد الحرام و مسجد النبي(صلى الله عليه و آله)».

١١-قال الصادق(عليه السلام):«صلّ على من مات من أهل القبلة و حسابه على الله».

١٢-قال الصادق(عليه السلام):«كلّ ما جعل على القبر من غير تراب القبر (١) فهو ثقل على الميت».

١٣-قال رجل للصادق(عليه السلام):«إني اعير الدمى ثوبى و أنا أعلم أنه يشرب الخمر و يأكل لحم الخنزير، فيردّه علىّ فاغسله قبل أن اصلى فيه؟ فقال أبو»

ص: ٢٤٥

١- (١) و سائل الشيعة: ج ٢ أبواب الدفن، الباب ٣٦ «باب أنه يكره أن يوضع على القبر من غير ترابه».

عبد الله (عليه السلام): صلّ فيه ولا تغسله، من أجل أنك اعترته إياه وهو طاهر ولم تستيقن أنه قد نجسه، فلا بأس أن تصلّي فيه حتى تستيقن أنه نجسه».

١٤- وقال الصادق (عليه السلام): «لكلّ صلاة وقتان وأول الوقت أفضلهما».

١٥- قال الصادق (عليه السلام): «إنما النافلة بمنزلة الهدية، متى ما أتا بها قبلت».

١٦- قال (عليه السلام): «السجود لا يجوز إلا على الأرض أو على ما أنبتت الأرض إلا ما أكل أو لبس».

١٧- وقال (عليه السلام): «من صلى الصلوات الخمس جماعة، فظنوا به كلّ خير» (١).

١٨- سئل الصادق عليه السلام عن القراءة خلف الإمام؟ فقال: «لا، إن الإمام ضامن للقراءة وليس يضمن الإمام صلاة الذين خلفه إنما يضمن القراءة».

١٩- وقال الصادق (عليه السلام): «ما فرض الله على هذه الأمة شيئاً أشدّ عليهم من الزكاة وفيها تهلك عاقتهم».

٢٠- وقال الصادق (عليه السلام): «ما ضاع مال في برّ ولا بحر إلا بتضييع الزكاة ولا يصاد من الطير إلا ما ضيعت سيححه».

٢١- وقال (عليه السلام): «إنما فرض الله الصيام ليستوى به الغنى والفقير».

٢٢- قال (عليه السلام): «لا صيام في السفر إلا الثلاثة أيام التي قال الله في الحجّ» (٢).

٢٣- وقال الصادق عليه السلام: «إذا جئت بصوم شهر رمضان لم تسئل عن صوم».

٢٤- وقال (عليه السلام): «إن صوم شهر رمضان لم يفرض الله صيامه على أحد من الامم قبلنا».

٢٥- وسئل عن قوله تعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ

ص: ٢٤٦

١- (١) وسائل الشيعة: ج ٥ كتاب الصلاة، أبواب صلاة الجماعة، الباب ١١ (باب تأكّد استحبابها في الفرائض و عدم وجوبها فيما عدا الجمعة و العيدين).

٢- (٢) وسائل الشيعة: أبواب من يصح منه الصوم، الباب ١١ (باب عدم جواز صوم شهر من الواجب في السفر إلا النذر المعين سفراً و حضراً و ثلاثه أيام...).

قِيلَ كَمْ؟ قَالَ: «إِنَّمَا فَرَضَ اللَّهُ صِيَامَ شَهْرِ رَمَضَانَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ دُونَ الْأُمَمِ فَفَضَّلَ بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ فَجَعَلَ صِيَامَهُ فَرِضًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ عَلَى أُمَّتِهِ)».

٢٦- وَقِيلَ لِلصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «لِيَلَهُ الْقَدْرُ كَانَتْ أَوْ تَكُونُ فِي كُلِّ عَامٍ؟ فَقَالَ:

«لَوْ رَفَعْتَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، لَرَفَعَ الْقُرْآنُ».

٢٧- قَالَ الصَّادِقُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «لَوْ تَرَكَ النَّاسُ الْحَجَّ لَمَّا نَوَظَرُوا الْعَذَابَ».

٢٨- وَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «لَا يَزَالُ الدِّينُ قَائِمًا مَا قَامَتِ الْكَعْبَةُ».

٢٩- وَقَالَ الصَّادِقُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «لَوْ أَنَّ النَّاسَ تَرَكَوا الْحَجَّ لَكَانَ عَلَى الْوَالِي أَنْ يُجْبِرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَعَلَى الْمَقَامِ عِنْدَهُ، وَلَوْ تَرَكَوا زِيَارَةَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ عَلَى أُمَّتِهِ) لَكَانَ عَلَى الْوَالِي أَنْ يُجْبِرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَعَلَى الْمَقَامِ عِنْدَهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَالٌ أَنْفَقَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ».

٣٠- وَقَالَ الصَّادِقُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «الْمُعْتَمِرُ يَعْتَمِرُ فِي أَيِّ شَهْرٍ السَّنَةِ، وَأَفْضَلُ الْعَمْرَةِ عَمْرَةُ رَجَبٍ».

٣١- قَالَ الصَّادِقُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ عَلَى أُمَّتِهِ) يَسْتَلِمُ الْحَجَرَ فِي كُلِّ طَوَافٍ فَرِيضَةً، وَ نَافِلَةً».

نماذج من مواعظ الإمام الصادق (عليه السلام)

١- قَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «لَيْسَ مَنًّا وَلَا كِرَامَةً مَنْ كَانَ فِي مِصْرٍ فِيهِ مِائَةٌ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ وَ فِيهِمْ مَنْ هُوَ أَوْرَعُ مِنْهُ».

٢- قَالَ الصَّادِقُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «أَيُّمَا أَهْلٍ بَيْتٍ أَعْطَوْا حَظَّهُمْ (١) مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ، وَ الرِّفْقُ فِي تَقْدِيرِ الْمَعِيشَةِ خَيْرٌ مِنَ السَّعَةِ فِي الْمَالِ، وَ الرِّفْقُ لَا يَعْجِزُ عَنْهُ شَيْءٌ، وَ التَّبْذِيرُ لَا يَبْقَى مَعَهُ شَيْءٌ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ».

ص: ٢٤٧

١- ((١)) وسائل الشيعة: كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس و ما يناسبه، الباب ٢٧ (باب استحباب الرفق في الامور). الجديد،

١٥/٢٧٠/٥ [٢٠٤٤٩]؛ القديم، ١١: ٥/٢٠٦.

٣- قال الصادق (عليه السلام) لرجل: «أوصيك إذا أنت هممت بامر فتدبر عاقبته، فإن يك رشدا فأمضه و إن يك غيا فانتبه عنه».

٤- وقال الصادق (عليه السلام): «ليس من عرق يضرب ولا نكبه ولا صداع ولا مرض إلا بذنب و ما يعفو الله أكثر».

٥- وقال (عليه السلام): «إن الذنب يحرم العبد الرزق».

و قال الصادق (عليه السلام): «لا صغيره مع الاصرار و لا كبيره مع الاستغفار».

٦- قال الصادق (عليه السلام): «الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر واجبان على من أمكنه ذلك و لم يخف على نفسه و لا على أصحابه».

٧- قال (عليه السلام): «من شهد أمرا فكرهه، كان كمن غاب عنه، و من غاب عن أمر فرضيه، كان كمن شهد».

٨- قال الصادق (عليه السلام): «إن الله فوض الى المؤمن كل شيء إلا اذلال نفسه».

٩- وقال (عليه السلام): «لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه»، قيل: كيف يذل نفسه؟ قال:

«يتعرض لما لا يطيق».

١٠- قال الصادق (عليه السلام): «لا يتكلم الرجل بكلمه حق فيؤخذ بها إلا كان له مثل أجر من أخذ بها، و لا يتكلم بكلمه ضلال يؤخذ بها إلا كان عليه مثل وزر من أخذ بها».

١١- وقال (عليه السلام): «المسلمون عند شروطهم، إلا كل شرط خالف كتاب الله، فلا يجوز».

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كلمه المجمع العالمى لأهل البيت (عليهم السّلام) ٧

الباب الأوّل:

الفصل الاول: الإمام الصادق (عليه السّلام) فى سطور ١٧

الفصل الثانى: انطباعات عن شخصيّه الإمام الصادق (عليه السّلام) ٢١

الفصل الثالث: مظاهر من شخصيّه الإمام الصادق (عليه السّلام) ٢٥

سعه علمه ٢٥

كرمه وجوده ٢٦

صدقاته فى السرّ ٢٧

تكريمه للضيوف ٢٨

تواضعه ٢٩

سمو أخلاقه ٢٩

صبره ٣٠

إقباله على العباده ٣١

أ-صلاته ٣١

ب-صومه ٣٢

ج-حجّه ٣٣

ص: ٢٤٩

الباب الثاني الفصل الأول:نشأه الإمام الصادق(عليه السلام) ٣٧

الاسره الكريمه ٣٧

الأب الكريم ٣٧

الأم الزكيه ٣٨

ولاده النور ٣٩

تاريخ ولادته ٤٠

تسميته و ألقابه ٤٠

كناه ٤٢

ذكاؤه ٤٢

معرفته بجميع اللغات ٤٤

هيئته و وقاره ٤٦

الفصل الثاني:مراحل حياه الإمام الصادق(عليه السلام) ٤٧

الفصل الثالث:الإمام الصادق فى ظل جدّه و أبيه(عليهم السلام) ٤٩

ملامح عصر الإمام زين العابدين و مواقفه(عليه السلام) ٤٩

ملامح عصر الإمام محمد الباقر(عليه السلام) ٥٣

متطلّبات عصر الإمام الباقر(عليه السلام) ٥٥

١-الخط السياسى للإمام الباقر(عليه السلام) ٥٦

٢-إكمال بناء الجماعه الصالحه ٥٨

٣-تأسيس جامعته أهل البيت(عليهم السلام) ٦١

ص: ٢٥٠

الفصل الأول: ملامح عصر الإمام الصادق (عليه السلام) ٧١

١-الوضع السياسي ٤٧

زيد يعلن الثورة ٧٦

موقف الإمام الصادق (عليه السلام) من ثورة زيد ٧٨

الإمام (عليه السلام) و هشام بن عبد الملك ٧٩

بدايه الانفلات ٨٠

الإمام الصادق (عليه السلام) يشيد بثوره عمه زيد ٨٢

مقتل يحيى بن زيد ٨٢

موقف الإمام (عليه السلام) إزاء الأحداث السياسيه ٨٤

٢-الوضع الفكرى ٨٩

تحريف مصادر التشريع و التاريخ ٩٠

الاتجاهات الفكرية المنحرفه ٩٣

الفصل الثانى: متطلبات عصر الإمام الصادق (عليه السلام) ٩٩

١-المحور العقائدى السياسى ١٠٢

النشاط الأول ١٠٢

النشاط الثانى ١٠٤

٢-المحور الثقافى و الفكرى ١٠٧

الف-مواجهه التيارات الإلحاديه ١٠٧

ب-مواجهه تيار الغلو ١١٠

ج-طرح المنهج الصحيح لفهم الشريعه ١١٢

٣-المحور الروحي و الأخلاقي ١١٩

البعد الأول:تجسيد القدوه الصالحه ١٢٠

البعد الثاني:تقديم التوجيهات التربويه ١٢٠

البعد الثالث:شد أواصر المجتمع الإسلامى ١٢١

البعد الرابع:الدعوه الى التثبث فى الامور ١٢٥

خصائص جامعه أهل البيت(عليهم السلام) ١٢٥

التخصص العلمى فى مدرسه الإمام(عليه السلام) ١٢٩

الفصل الثالث:دور الإمام الصادق(عليه السلام)فى بناء الجماعه الصالحه ١٣٥

الهدف من ايجاد الجماعه الصالحه ١٣٦

١-المحافظه على المجتمع الاسلامى ١٣٦

٢-الحفاظ على الشريعه الإسلاميه ١٣٨

٣-المطالبه بالحكم الإسلامى ١٣٩

الدور الخاص للإمام الصادق(عليه السلام)فى بناء الجماعه الصالحه ١٤١

ألف:البناء الجهادى ١٤١

ترسيخ مبادئ و أهداف و معالم الثوره الحسينيه ١٤٢

ب:البناء الروحي و الإيمانى ١٤٧

مظاهر عمق الإيمان ١٥٠

القدوه الحسنه ١٥١

ج:البناء الاجتماعى ١٥٣

الانفتاح على الامه ١٥٣

تأكيد علاقته الاخوه ١٥٥

ص:٢٥٢

موقف الإمام (عليه السلام) من الهجران و المقاطعه ١٥٧

الخطّ التربوي للإمام الصادق (عليه السلام) ١٥٧

١- في الدعوه و الاصلاح ١٥٨

٢- في مجال العلم و التعلّم ١٥٨

٣- الضابطه التربويه للتصدّي و القياده ١٥٩

٤- المحنه و القدره على المقاومه ١٦٠

الباب الرابع:

الفصل الأول: نهايه الحكم الاموى و بدايه الحكم العباسى ١٦٣

١- المستجدات السياسيه ١٦٣

٢- الحركه العباسيه: [النشأه و الأساليب] ١٦٨

٣- مواقف الإمام (عليه السلام) من الأحداث ١٧٩

٤- منهج الإمام (عليه السلام) في هذه المرحله ١٨٥

الحضور في أجهزه السلطه ١٩٦

الإمام الصادق (عليه السلام) يرسخ الاعتقاد بالإمام المهدي (عليه السلام) ١٩٧

الفصل الثاني: حكومه المنصور و استشهاد الإمام الصادق (عليه السلام) ١٩٩

المنصور و التضييق على الإمام الصادق (عليه السلام) ١٩٩

الاتجاه الأول ٢٠٠

الاتجاه الثاني ٢٠٢

الاتجاه الثالث ٢٠٦

تحرك العلويين نحو الثورة ٢٠٨

موقف الإمام من آل الحسن ٢١٠

ص: ٢٥٣

ثوره محمد(ذى النفس الزكيه) ٢١١

موقف الإمام(عليه السلام)من الثوره ٢١٣

الإمام الصادق(عليه السلام)يهيئ الخط الشيعى للمواصله ٢١٣

محاصره الإمام(عليه السلام)قبيل استشهاده ٢١٩

الإمام الصادق(عليه السلام)فى ذمه الخلود ٢٢٠

الفصل الثالث:تراث الإمام الصادق(عليه السلام) ٢٢٧

اعلام أهل السنه الذين اخذوا عنه(عليه السلام) ٢٢٨

مصادر المعرفه و آثارها ٢٣٣

الأنبياء و الأئمه ٢٣٤

الإسلام و الإيمان ٢٣٤

التفقه فى الدين ٢٣٦

مصادر التشريع الإسلامى ٢٣٦

علم الأئمه(عليهم السلام) ٢٣٧

المناهج المنحرفه ٢٣٨

نماذج من الفهم الخاطئ ٢٣٩

منهج التفقه فى الدين ٢٤٠

قواعد فقهيه عامه ٢٤٢

نماذج من فقه الإمام الصادق(عليه السلام) ٢٤٤

نماذج من مواعظ الإمام الصادق(عليه السلام) ٢٤٧

الفهرس التفصيلى ٢٤٩

ص: ٢٥٤

عنوان و نام پدیدآور: اعلام الهدایه/المولف لجنه التالیف فی المعاونیه الثقافیه للمجمع العالمی لاهل البیت (ع).

مشخصات نشر: بیروت: المجمع العالمی لاهل البیت (ع)، المعاونیه الثقافیه، ۱۴۳۰ق. = ۱۳۸۹.

مشخصات ظاهری: ۱۴ج.

یادداشت: عربی.

یادداشت: چاپ ششم.

یادداشت: کتابنامه.

مندرجات: ج. ۱. محمد المصطفی صلی الله علیه و آله و سلم خاتم الانبیاء. ج. ۲. أمير المومنین علی بن أبی طالب علیه السلام. ج. ۳. سیده النساء فاطمه الزهراء علیه السلام. ج. ۴. الامام الحسن المجتبی علیه السلام. ج. ۵. الامام الحسین علیه السلام سید الشهداء. ج. ۶. الامام علی بن الحسین زین العابدین علیه السلام. ج. ۷. الامام محمد بن علی الباقر علیه السلام. ج. ۸. الامام جعفر بن محمد الصادق علیه السلام. ج. ۹. الامام موسی بن جعفر الکاظم علیه السلام. ج. ۱۰. الامام علی بن موسی الرضا علیه السلام. ج. ۱۱. الامام محمد بن علی الجواد علیه السلام. ج. ۱۲. الامام علی بن محمد الهادی علیه السلام. ج. ۱۳. الامام الحسن العسکری علیه السلام. ج. ۱۴. خاتم الاوصیاء الامام المهدي علیه السلام.

موضوع: چهارده معصوم -- سرگذشتنامه

شناسه افزوده: مجمع جهانی اهل بیت (ع). معاونت فرهنگی

رده بندی کنگره: BP۳۶/الف ۵۸ ۱۳۸۹

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵

شماره کتابشناسی ملی: ۳۸۶۲۲۵۴

ص: ۱

الباب الأول:

الفصل الأول: الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) فى سطور ١٧

الفصل الثانى: انطباعات عن شخصيه الإمام الكاظم (عليه السلام) ٢١

الفصل الثالث: مظاهر من شخصيه الإمام الكاظم (عليه السلام) ٢٧

الباب الثانى:

الفصل الأول: نشأه الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) ٤١

الفصل الثانى: مراحل حياه الإمام الكاظم (عليه السلام) ٤٧

الفصل الثالث: الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) فى ظل أبيه (عليه السلام) ٥١

الباب الثالث:

الفصل الأول: ملامح عصر الإمام الكاظم (عليه السلام) ٦٣

الفصل الثانى: مواقف الإمام (عليه السلام) فى عهد المنصور ٧٥

الفصل الثالث: الإمام الكاظم (عليه السلام) و حكمه المهدي العباسى ٩١

الباب الرابع:

الفصل الأول: ملامح عهد الرشيد و موقفه من الإمام الكاظم (عليه السلام) ١٢١

الفصل الثانى: موقف الإمام الكاظم (عليه السلام) من حكم الرشيد ١٣٩

الفصل الثالث: اعتقالات الإمام (عليه السلام) حتى استشهاده ١٥٩

الفصل الرابع: تراث الإمام الكاظم (عليه السلام) ١٨٣

ص: ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداه لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء و سيد الرسل و الأصفياء أبو القاسم المصطفى محمد (صلى الله عليه و اله) و على آله الميامين النجباء.

لقد خلق الله الانسان و زوده بعنصرى العقل و الإرادة، فبالعقل يبصر و يكتشف الحق و يميزه عن الباطل، و بالإرادة يختار ما يراه صالحا له و محققا لأغراضه و أهدافه.

و قد جعل الله العقل المميز حجه له على خلقه، و أعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته؛ فإنه هو الذى علم الإنسان ما لم يعلم، و أرشده إلى طريق كماله اللائق به، و عرفه الغايه التى خلقه من أجلها، و جاء به إلى هذه الحياه الدنيا من أجل تحقيقها.

و أوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحه معالم الهدايه الربانيه و آفاقها و مستلزماتها و طرقها، كما بين لنا عللها و أسبابها من جهه، و أسفر عن ثمارها و نتائجها من جهه اخرى.

قال تعالى:

ص: ٧

قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى [الأنعام (٦): ٧١].

وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [البقره (٢): ٢١٣].

وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ [الأحزاب (٣٣): ٤].

وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [آل عمران (٣): ١٠١].

قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ [يونس (١٠): ٣٥].

وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَ يَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ [سبأ (٣٤): ٦].

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ [القصص (٢٨): ٥٠].

فإن الله تعالى هو مصدر الهداية. وهداياته هي الهداياه الحقيقيه، و هو الذى يأخذ بيد الانسان إلى الصراط المستقيم و إلى الحق القويم.

و هذه الحقائق يؤيدها العلم و يدر كها العلماء و يخضعون لها بملء وجودهم.

و لقد أودع الله فى فطره الانسان النزوع إلى الكمال و الجمال ثم منّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللاتق به، و أسبغ عليه نعمه التعرّف على طريق الكمال، و من هنا قال تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات (٥١): ٥٦].

و حيث لا تتحقق العباده الحقيقيه من دون المعرفه، كانت المعرفه و العباده طريقا منحصرًا و هدفًا و غايه موصله إلى قمه الكمال.

و بعد أن زوّد الله الانسان بطاقتى الغضب و الشهوه ليحقق له و قود الحركه نحو الكمال؛ لم يؤمن عليه من سيطره الغضب و الشهوه؛ و الهوى الناشئ منهما، و الملازم لهما فمن هنا احتاج الانسان-بالإضافه إلى عقله و سائر

أدوات المعرفة-الى ما يضمن له سلامه البصيره و الرؤيه؛كى تتم عليه الحجّه، و تكمل نعمه الهدايه،و تتوفّر لديه كلّ الأسباب التى تجعله يختار طريق الخير و السعاده،أو طريق الشرّ و الشقاء بملء إرادته.

و من هنا اقتضت سنّه الهدايه الربّانيه أن يسند عقل الانسان عن طريق الوحي الإلهي،و من خلال الهداه الذين اختارهم الله لتولّى مسؤوليه هدايه العباد و ذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفه و إعطاء الارشادات اللازمه لكلّ مرافق الحياه.

و قد حمل الأنبياء و أوصياؤهم مشعل الهدايه الربّانيه منذ فجر التاريخ و على مدى العصور و القرون،و لم يترك الله عباده مهملين دون حجه هاديه و علم مرشد و نور مضىء،كما أفصحت نصوص الوحي-مؤيّده لدلائل العقل-بأنّ الأرض لا تخلو من حجه لله على خلقه،لئلا يكون للناس على الله حجّه،فالحجّه قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق،و لو لم يبق فى الأرض إلاّ اثنان لكان أحدهما الحجّه،و صرح القرآن-بشكل لا يقبل الريب-قائلا:

إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ [الرعد(١٣):٧].

و يتولّى أنبياء الله و رسله و أوصياؤهم الهداه المهديون مهمّه الهدايه بجميع مراتبها،و التى تتلخّص فى:

١-تلقى الوحي بشكل كامل و استيعاب الرساله الإلهيه بصوره دقيقه.

و هذه المرحله تتطلب الاستعداد التام لتلقى الرساله،و من هنا يكون الاصطفاء الإلهي لرسله شأننا من شؤونه،كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلا: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ [الأنعام(٦):١٢٤]و اللَّهُ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ [آل عمران(٣):١٧٩].

٢- إِبلاغ الرساله الإلهيه الى البشرىه و لمن ارسلوا إليه، و يتوقّف الإِبلاغ على الكفاءه التامه التى تتمثّل فى «الاستيعاب و الإحاطه اللازمه» بتفاصيل الرساله و أهدافها و متطلّباتها، و «العصمه» عن الخطأ و الانحراف معاً، قال تعالى: **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ** [البقره (٢): ٢١٣].

٣- تكوين امه مؤمنه بالرساله الإلهيه، و إعدادها لدعم القياده الهاديه من أجل تحقيق أهدافها و تطبيق قوانينها فى الحياه، و قد صرّحت آيات الذكر الحكيم بهذه المهمه مستخدمه عنوانى التزكيه و التعليم، قال تعالى: **يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ** [الجمعه (٦٢): ٢] و التزكيه هى التربيه باتجاه الكمال اللائق بالإنسان. و تتطلّب التربيه القدوه الصالحه التى تتمتع بكلّ عناصر الكمال، كما قال تعالى: **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** [الاحزاب (٣٣): ٢١].

٤- صيانته الرساله من الزيغ و التحريف و الضياع فى الفتره المقرره لها، و هذه المهمه أيضاً تتطلّب الكفاءه العلميه و النفسيه، و التى تسمى بالعصمه.

٥- العمل لتحقيق أهداف الرساله المعنويه و تثبيت القيم الأخلاقيه فى نفوس الأفراد و أركان المجتمعات البشرىه و ذلك بتنفيذ الاطروحه الرّبانيه، و تطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشرى من خلال تأسيس كيان سياسى يتولّى إداره شؤون الامه على أساس الرساله الرّبانيه للبشرىه، و يتطلّب التنفيذ قياده حكيمة، و شجاعه فائقه، و ثباتاً كبيراً، و معرفه تامه بالنفوس و طبقات المجتمع و التيارات الفكرىه و السياسيه و الاجتماعيه و قوانين الإداره و التربيه و سنن الحياه، و نلخصها فى الكفاءه العلميه لإداره دوله عالميه دينيه، هذا فضلاً عن العصمه التى تعبّر عن الكفاءه النفسيه التى تصون القياده

الدينه من كل سلوك منحرف أو عمل خاطئ بإمكانه أن يؤثر تأثيراً سلبياً على مسيره القياده و انقياد الامه لها بحيث يتنافى مع أهداف الرساله و أغراضها.

و قد سلك الأنبياء السابقون و أوصياؤهم المصطفون طريق الهدايه الدامى، و اقتحموا سبيل التريه الشاق، و تحمّلوا فى سبيل أداء المهام الرساليه كل صعب، و قدّموا فى سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهيه كل ما يمكن أن يقدمه الإنسان المتفانى فى مبدئه و عقيدته، و لم يتراجعوا لحظه، و لم يتلكأوا طرفه عين.

و قد توجّ الله جهودهم و جهادهم المستمرّ على مدى العصور برساله خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه و اله) و حمّله الأمانه الكبرى و مسؤوليه الهدايه بجميع مراتبها، طالبا منه تحقيق أهدافها. و قد خطا الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و آله) فى هذا الطريق الوعر خطوات مدهشه، و حقّق فى أقصر فتره زمنيه أكبر نتاج ممكن فى حساب الدعوات التغييريه و الرسالات الثوريه، و كانت حصيله جهاده و كدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلى:

١- تقديم رساله كامله للبشريه تحتوى على عناصر الديمومه و البقاء.

٢- تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ و الانحراف.

٣- تكوين امه مسلمه تؤمن بالإسلام مبدأً، و بالرسول قائداً، و بالشريعه قانوناً للحياه.

٤- تأسيس دوله إسلاميه و كيان سياسى يحمل لواء الإسلام و يطبق شريعه السماء.

٥- تقديم الوجه المشرق للقياده الربانيه الحكيمه المتمثله فى قيادته (صلّى الله عليه و اله).

و لتحقيق أهداف الرساله بشكل كامل كان من الضروري:

أ- أن تستمر القيادة الكفوءه فى تطبيق الرساله و صيانتها من أيدي العابثين الذين يتربصون بها الدوائر.

ب- أن تستمر عمليه التربيه الصحيحه باستمرار الأجيال؛ على يد مربّ كفوء علميا و نفسيا حيث يكون قدوه حسنه فى الخلق و السلوك كالرسول(صلى الله عليه و اله)، يستوعب الرساله و يجسدها فى كل حركاته و سكناته.

و من هنا كان التخطيط الإلهي يحتّم على الرسول(صلى الله عليه و اله) إعداد الصفوه من أهل بيته، و التصريح بأسمائهم و أدوارهم؛ لتسلم مقاليد الحركه النبويه العظيمه و الهدايه الربانيه الخالده بأمر من الله سبحانه و صيانه للرساله الإلهيه التى كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين و كيد الخائنين، و تربيه للأجيال على قيم و مفاهيم الشريعه المباركه التى تولّوا تبين معالمها و كشف أسرارها و ذخائرها على مرّ العصور، و حتى يرث الله الأرض و من عليها.

و تجلّى هذا التخطيط الرباني فى ما نصّ عليه الرسول(صلى الله عليه و اله) بقوله: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسيكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله و عترتي، و إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض».

و كان أئمه أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عرفهم النبي الأكرم(صلى الله عليه و اله) بأمر من الله تعالى لقياده الامه من بعده.

إن سيره الأئمه الاثنى عشر من أهل البيت(عليهم السلام) تمثل المسيره الواقعيه للاسلام بعد عصر الرسول(صلى الله عليه و اله)، و دراسه حياتهم بشكل مستوعب تكشف لنا عن صورته مستوعبه لحركه الاسلام الأصيل الذى أخذ يشق طريقه إلى أعماق الامه بعد أن أخذت طاقتها الحراريه تتضاءل بعد وفاه الرسول(صلى الله عليه و اله)،

فأخذ الأئمة المعصومون (عليهم السّلام) يعملون على توعية الامه و تحريك طاقتها باتجاه إيجاد و تصعيد الوعي الرساليّ للشريعة و لحركة الرسول (صلى الله عليه و اله) و ثورته المباركه، غير خارجين عن مسار السنن الكونيه التي تتحكّم في سلوك القيادة و الامه جمعاء.

و تبلورت حياه الأئمّه الراشدين في استمرارهم على نهج الرسول العظيم و انفتاح الامه عليهم و التفاعل معهم كأعلام للهدايه و مصابيح لإناره الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلاء على الله و على مرضاته، و المستقرّين في أمر الله، و التامّين في محبته، و الدائبين في الشوق اليه، و السابقين إلى تسلّق قمم الكمال الإنسانيّ المنشود.

و قد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد و الصبر على طاعه الله و تحمّل جفاء أهل الجفاء حتّى ضربوا أعلى أمثله الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالى، ثم اختاروا الشهاده مع العزّ على الحياه مع الدلّ، حتى فازوا بقاء الله سبحانه بعد كفاح عظيم و جهاد كبير.

و لا يستطيع المؤرّخون و الكتّاب أن يلمّوا بجميع زوايا حياتهم العطره و يدّعوا دراستها بشكل كامل، و من هنا فإنّ محاولتنا هذه إنّما هي إعطاء قبسات من حياتهم، و لقطات من سيرتهم و سلوكهم و مواقفهم التي دوّنها المؤرّخون و استطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدرّاسه و التحقيق، عسى الله أن ينفع بها إنّه وليّ التوفيق.

إنّ دراستنا لحركة أهل البيت (عليهم السّلام) الرساليه تبدأ برسول الإسلام و خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و اله) و تنتهي بخاتم الأوصياء، محمد بن الحسن العسكري المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه و أنار الأرض بعدله.

و يختص هذا الكتاب بدراسه حياه الإمام موسى بن جعفر، التاسع من أعلام الهدايه الذى جسّد الكمالات النبويه فى العلم و الهدايه و العمل و التريه و توسعت بجهوده العلميه الجباره مدرسه أهل البيت (عليهم السّلام) و اتضحت معالمها و أینعث ثمارها و لا زلنا نتفتأ ظلالها حتى عصرنا هذا.

و لا بدّ لنا من تقديم الشكر الى كلّ الاخوه الأعزاء الذين بذلوا جهدا و افرا و شاركوا فى إنجاز هذا المشروع المبارك و إخراجہ إلى عالم النور، لا سيما أعضاء لجنه التأليف بإشراف سماحه السيد منذر الحكيم حفظه الله تعالى.

و لا يسعنا إلا أن نبتهل الى الله تعالى بالدعاء و الشكر لتوفيقه على إنجاز هذه الموسوعه المباركه فإنه حسنا و نعم النصير.

المجمع العالمى لأهل البيت (عليهم السّلام) قم المقدسه

ص: ١٤

الباب الأول

إشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

الإمام الكاظم (عليه السلام) فى سطور الفصل الثانى:

انطباعات عن شخصيه الإمام الكاظم (عليه السلام) الفصل الثالث:

مظاهر من شخصيه الإمام الكاظم (عليه السلام)

ص: ١٥

الإمام موسى بن جعفر المعروف بالكاظم الغيظ سابع أئمة المسلمين بعد رسول الله (صلى الله عليه و اله) و أحد أعلام الهدايه الربانيه فى دنيا الاسلام و شمس من شمس المعرفة فى دنيا البشريه التى لا زالت تشع نورا و بهاء فى هذا الوجود.

إنه من العتره الطاهره الذين قرنهم الرسول الأعظم (صلى الله عليه و اله) بمحكم التنزيل و جعلهم قدوه لاولى الألباب و سفنا للنجاه و أمنا للعباد و أركاناً للبلاد.

إنه من شجره النبوه الباسقه و الدوحه العلويه اليانعه و محط علم الرسول و باب من أبواب الوحي و الايمان و معدن من معادن علم الله.

ولد الإمام موسى بن جعفر فى نهايه العهد الاموى سنه (١٢٨ هـ) و عاصر أيام انهيار هذا البيت الذى عاث باسم الخلافه النبويه فى أرض الاسلام فسادا.

و عاصر أيضا بدايات نشوء الحكم العباسى الذى استولى على مركز قياده فى العالم الإسلامى تحت شعار الدعوه الى الرضى من آل محمد (صلى الله عليه و اله).

و عاش فى ظل أبيه الصادق (عليه السلام) عقدين من عمره المبارك و تفتياً بظلال علوم والده الكريم و مدرسته الربانيه التى استقطبت بأشعتها النافذه العالم الإسلامى بل الإنسانى أجمع.

فعاصر حكم السّفاح ثم حكم المنصور الذي اغتال أباه في الخامس و العشرين من شوال سنه (١٤٨ هـ) و تصدّى لمنصب الإمامه بعد أبيه الصادق (عليه السّلام) في ظروف حرجه كان يخشى فيها على حياته.

و قد أحكم الإمام الصادق (عليه السّلام) التدبير للحفاظ على ولده موسى ليضمن استمرار حركه الرساله الإلهيه في أقسى الظروف السياسيّه حتى أينعت ثمار هذه الشجره الباسقه خلال ثلاثه عقود من عمره العامر بالهدى، و تنفّس هواء الحرّيه بشكل نسبي في أيام المهدي العبّاسي و ما يقرب من عقد في أيام حكم الرشيد.

لقد عاش الإمام موسى الكاظم (عليه السّلام) ثلاثه عقود من عمره المبارك و الحكم العبّاسي لَمّا يستفحل، و لكنه قد عانى من الضغوط في عقده الأخير ضغوطاً قلّما عاناها أحد من أئمه أهل البيت (عليهم السّلام) من الأمويين و ممن سبق الرشيد من العبّاسيين من حيث السجن المستمرّ و الاغتيالات المتتاليه حتى القتل في سبيل الله على يدي عملاء السلطه الحاكمه باسم الله و رسوله. و قد روى أنّ الرشيد خاطب الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و اله) معتذراً منه في اعتقال سبطه موسى بن جعفر (عليه السّلام). زاعماً أنّ وجوده بين ظهراني الامه سبب للفرقه...

و هكذا تحكّم القبضه على رقاب المسلمين بل و أئمه المسلمين.. فإنّا لله و إنا إليه راجعون.

لقد سار الإمام موسى الكاظم (عليه السّلام) على منهاج جدّه رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و آبائه المعصومين على أمير المؤمنين و الحسن و الحسين و علي و محمد و جعفر... في الاهتمام بشؤون الرساله الالهيه و صيانتها من الضياع و التحريف، و الجّد في صيانه الامه من الانهيار و الاضمحلال و مقارعه الظالمين و تأييد الأمرين بالمعروف و الناهين عن المنكر للصدّ من تمادى

وقد كانت مدرسته العلميه الزاخره بالعلماء و طلاب المعرفه تشكّل تحديًا اسلاميًا حضاريًا و تقف أمام تراث كل الحضارات الوافده و تربى الفطاحل من العلماء و المجتهدين و تبلور المنهج المعرفى للعلوم الإسلاميه و الإنسانيه معا.

كما كانت نشاطاته التربويه و التنظيميه تكشف عن عنايته الفائقه بالجماعه الصالحه و تخطيطه لمستقبل الامه الإسلاميه الزاهر و الزاخر بالطبيعهِ الواعيه التى حفظت لنا تراث ذلك العصر الذهبى العامر بمعارف أهل البيت (عليهم السلام) و علوم مدرستهم التى فاقت كل المدارس العلميه فى ذلك العصر و أخذت تزهر و تزدهر يوما بعد يوم حتى عصرنا هذا.

لقد اشتهر الإمام موسى بالكاظم الغيظ لشده حلمه و بالعابد و التقى و باب الحوائج الى الله، و لم يستسلم لضغوط الحكام العباسيين و لألوان تعسفهم من أجل تحجيم نشاطه الربانى الذى كانت تفرضه عليه ظروف المرحله صيانهِ للرساله و الدوله الإسلاميه من الانهيار و تحقيقاً لهويهِ الامه و محافظه على الجماعه الصالحه من التحديات المستمره و المتزايدة يوما بعد يوم.

لقد بقى هذا الإمام العظيم ثابتاً مقاوماً على خط الرساله و العقيدهِ لا تأخذه فى الله لومه لائم حتى قضى نجبهِ مسموماً شهيداً محتسباً حياته مضحياً بكل ما يملك فى سبيل الله و إعلاء لِكلمهِ الله و دين جده المصطفى محمد (صلى الله عليه و اله) فى الخامس و العشرين من رجب سنه (١٨٣) أو (١٨٤ هـ).

فسلام عليه يوم ولد و يوم جاهد فى سبيل الله و يوم استشهد و يوم يبعث حياً.

انطباعات عن شخصيه الإمام موسى الكاظم (عليه السّلام)

أجمع المسلمون على اختلاف نحلهم و مذاهبهم -على أفضليه أئمّه أهل البيت عليهم الصلاه و السلام، و أعلميتهم، و سموّ مقامهم، و رفعه منزلتهم، و قدسيّه ذواتهم و قرب مكانتهم من الرسول الأ-عظم (صلّى الله عليه و اله) حتّى تنافسوا في الكتابه عنهم، و ذكر أحاديث الرسول الأ-عظم (صلّى الله عليه و اله) فيهم، و بيان سيرهم، و أخلاقهم، و ذكر ما ورد من حكمهم و تعاليمهم.

و لا غرو في ذلك بعد أن قرنهم الرسول الأ-عظم (صلّى الله عليه و اله) بالقرآن الكريم - كما ورد في حديث الثقلين - و وصفهم النبي (صلّى الله عليه و اله) بسفينه نوح التي من ركبها نجا، و من تخلف عنها غرق و هوى، و مثلهم بباب حطّه الذي من دخله كان آمنا. الى كثير من أحاديثه (صلّى الله عليه و اله) في بيان فضلهم، و التنويه بعظمه مقامهم.

و نقدّم في هذا الفصل بعض الانطباعات ممّن عاصر الإمام الكاظم (عليه السّلام) عنه و ممّن تلا عصره.

١- قال عنه الإمام الصادق (عليه السّلام): «فيه علم الحكم، و الفهم و السخاء و المعرفه فيما يحتاج الناس إليه فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم، و فيه حسن الخلق، و حسن الجوار، و هو باب من أبواب الله عزّ و جلّ» (١).

ص: ٢١

١- ((١)) بحار الأنوار: ١٢/٤٨ عن عيون أخبار الرضا (عليه السّلام).

٢- قال هارون الرشيد لابنه المأمون و قد سأله عنه: هذا إمام الناس، و حجّجه الله على خلقه، و خليفته على عباده (١).

و قال له أيضا: يا بنيّ هذا وارث علم النبيين، هذا موسى بن جعفر، إن أردت العلم الصحيح فعند هذا (٢).

٣- قال المأمون العباسي في وصفه: قد أنهكته العبادة، كأنه شنّ بال، قد كلم السجود وجهه و أنفه (٣).

٤- كتب عيسى بن جعفر للرشيد: لقد طال أمر موسى بن جعفر و مقامه في حبسى، و قد اختبرت حاله و وضعت عليه العيون طول هذه المدّة، فما وجدته يفتّر عن العبادة، و وضعت من يسمع منه ما يقوله في دعائه فما دعا عليك و لا علىّ، و لا ذكرنا بسوء، و ما يدعو لنفسه إلاّ بالمغفرة و الرحمة، فإن أنت انفذت التيّ من يتسلّمه مني و إلاّ خليت سبيله، فإنّي متحرّج من حبسه (٤).

٥- قال أبو عليّ الخلال-شيخ الحنابلة-: ما همّنى أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسّلت به، إلاّ و سهّل الله تعالى لى ما أحبّ (٥).

٦- قال أبو حاتم: ثقّه صدوق، إمام من ائمّه المسلمين (٦).

٧- قال الخطيب البغدادي: كان سخيا كريما، و كان يبلغه عن الرجل أنّه يؤذيه، فيبعث إليه بصرّه فيها ألف دينار، و كان يصرّ الصرر: ثلاثمائة دينار، و أربعمائه دينار، و مائتي دينار ثم يقسمها بالمدينه، و كان مثل صرر

ص: ٢٢

١- (١) أئمتنا: ٦٥/٢ عن أعيان الشيعة.

٢- (٢) أمالي الشيخ الصدوق: ٣٠٧ و المناقب: ٣١٠/٤.

٣- (٣) الأنوار البهيه: ١٩٣ عن عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ٨٨/١ ح ١١ ب ٧.

٤- (٤) المناقب لابن شهر آشوب: ٣٥٢/٤.

٥- (٥) تاريخ بغداد: ١٢٠/١.

٦- (٦) تهذيب التهذيب: ٢٤٠/١٠.

موسى بن جعفر إذا جاءت الإنسان الصره فقد استغنى (١).

٨- قال ابن الصباغ المالكي: و أمّا مناقبه و كراماته الظاهره، و فضائله و صفاته الباهره، تشهد له بأنه افترع قبه الشرف و علاها، و سما الى أوج المزايا فبلغ علاها، و ذلكت له كواهل السياه و امتطاهها، و حكم فى غنائم المجد فاختر صفاياها فأصطفاها... (٢)

٩- قال سبط ابن الجوزى: موسى بن جعفر بن محمد ابن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (عليهم السلام)، و يلقب بالكاظم و المأمون و الطيب و السيد، و كنيته أبو الحسن، و يدعى بالعبد الصالح لعبادته، و اجتهاده و قيامه بالليل (٣).

١٠- قال كمال الدين محمد بن طلحه الشافعى: هو الإمام الكبير القدر، العظيم الشأن، الكبير المجتهد الجاد فى الاجتهاد، المشهور بالعباده، المواظب على الطاعات، المشهور بالكرامات، يبيت الليل ساجدا و قائما، و يقطع النهار متصدقا و صائما، و لفرط حلمه و تجاوزه عن المعتدين عليه دعى (كاظما).

كان يجازى المسىء باحسانه إليه، و يقابل الجانى بعفوه عنه، و لكثره عبادته كان يسمى ب(العبد الصالح) و يعرف فى العراق ب(باب الحوائج الى الله) لنجح مطالب المتوسلين الى الله تعالى به. كراماته تحار منها العقول، و تقضى بان له عند الله قدم صدق لا تزال و لا تزول (٤).

١١- قال أحمد بن يوسف الدمشقى القرمانى: هو الإمام الكبير القدر،

ص: ٢٣

١- (١) تاريخ بغداد: ٢٧/١٣ و مقاتل الطالبين: ٤٩٩.

٢- (٢) الفصول المهمه: ٢١٧ و كشف الغمه: ٤٦/٣.

٣- (٣) تذكره الخواص: ٣١٢.

٤- (٤) مطالب السؤل: ٨٣.

الأوحد، الحجّة، الساهر ليله قائما، القاطع نهاره صائما، المسمّى لفرط حلمه و تجاوزه عن المعتدين (كاظما) و هو المعروف عند أهل العراق ب(باب الحوائج) لأنه ما خاب المتوسّل به فى قضاء حاجه قط... له كرامات ظاهره، و مناقب باهره، افترع قمه الشرف و علاها، و سما الى اوج المزايا فبلغ علاها (١).

١٢- قال محمد بن أحمد الذهبي: كان موسى من أجود الحكماء، و من عباد الله الاتقياء، و له مشهد معروف ببغداد، مات سنه ثلاث و ثمانين و له خمس و خمسون سنه (٢).

١٣- قال ابن الساعي: الإمام الكاظم: فهو صاحب الشأن العظيم، و الفخر الجسيم، كثير التهجيد، الجادّ فى الاجتهاد، المشهود له بالكرامات، المشهور بالعبادات، المواظب على الطاعات، يبيت الليل ساجدا و قائما، و يقطع النهار متصدقا و صائما (٣).

١٤- قال عبد المؤمن الشبلنجي: كان موسى الكاظم رضى الله عنه أعبد أهل زمانه، و أعلمهم، و اسخاهم كفا، و أكرمهم نفسا، و كان يتفقّد فقراء المدينة فيحمل إليهم الدراهم و الدنانير الى بيوتهم ليلا، و كذلك النفقات، و لا يعلمون من أىّ جهه وصلهم ذلك، و لم يعلموا بذلك إلا بعد موته. و كان كثيرا ما يدعو:

«اللهم إني أسألك الراحة عند الموت، و العفو عند الحساب» (٤).

١٥- قال عبد الوهاب الشعراني: احد الأئمة الاثني عشر، و هو ابن جعفر

ص: ٢٤

١- ((١)) اخبار الدول: ١١٢.

٢- ((٢)) ميزان الاعتدال: ٢٠٩/٣.

٣- ((٣)) مختصر تاريخ الخلفاء: ٣٩.

٤- ((٤)) نور الأبصار: ٢١٨.

ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم أجمعين، كان يكنى ب(العبد الصالح) لكثرة عبادته و اجتهاده و قيامه الليل، و كان إذا بلغه عن احد يؤذيه يبعث إليه بمال (١).

١٦- قال عبد الله الشيراوى الشافعى: كان من العظماء الاسخياء، و كان والده جعفر يحبه حبا شديدا، قيل له: ما بلغ من حبك لموسى؟

قال: ووددت أن ليس لى ولد غيره، لئلا يشرك فى حبنى أحد.

ثم تحدث عن الإمام(عليه السلام) و نقل بعض كلامه (٢).

١٧- قال محمد خواجه البخارى: و من أئمة أهل البيت: أبو الحسن موسى الكاظم بن جعفر الصادق رضى الله عنهما، كان رضى الله عنه صالحا، عابدا، جوادا، حليفا، كبير القدر، كثير العلم، كان يدعى ب(العبد الصالح) و فى كل يوم يسجد لله سجده طويله بعد ارتفاع الشمس الى الزوال.

و بعث الى رجل يؤذيه صرّه فيها ألف دينار.

طلبه المهدي بن المنصور من المدينة الى بغداد فحبسه، فرأى المهدي فى النوم عليا كرم الله وجهه يقول: يا مهدي «فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا فى الارض و تقطعوا أرحامكم» فأطلقه.. (٣).

١٨- قال محمد أمين السويدى: هو الإمام الكبير القدر، الكثير الخير، كان يقوم ليله، و يصوم نهاره، و سمي (كاظما) لفرط تجاوزه عن المعتدين... له كرامات ظاهره، و مناقب لا يسع مثل هذا الموضوع ذكرها (٤).

ص: ٢٥

١- (١) الكامل فى التاريخ: ١٦٤/٦، و تذكره الخواص: ٣٤٨.

٢- (٢) الأتحاف بحب الأشراف: ٥٤.

٣- (٣) ينابيع الموده: ٤٥٩.

٤- (٤) سبائك الذهب: ٧٣.

١٩- قال محمود بن وهيب القراغولي البغدادي الحنفي: هو موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، وكنيته أبو الحسن، والقابله أربعة: الكاظم، والصابر، والصالح، والأمين، الأول هو الأشهر، وصفته معتدل القامة أسمر، وهو الوارث لأبيه رضي الله عنهما علما ومعرفة وكمالا وفضلا سمي ب (الكاظم) لكظمه الغيظ، وكثره تجاوزه وحلمه. وكان معروفا عند أهل العراق ب (باب قضاء الحوائج عند الله) وكان أعبد أهل زمانه، وأعلمهم، وأسماهم (١).

٢٠- قال محمد أمين غالب الطويل: وكان العلويون يقتدون بالرجل العظيم، الإمام موسى الكاظم، والمشهور بالتقوى، وكثره العبادة، حتى سماه المسلمون (العبد الصالح) وكان يلقب أيضا ب (الرجل الصالح) تشبيها له بصاحب موسى بن عمران، المذكور في القرآن، وكان الإمام الكاظم كريما وسخيا (٢).

ص: ٢٦

١- (١) جوهره الكلام: ١٣٩.

٢- (٢) تاريخ العلويين: ١٥٨.

إشاره

مظاهر من شخصيه الإمام الكاظم (عليه السلام)

١- وفور علمه:

لقد شهد للإمام موسى الكاظم (عليه السلام) بوفور علمه أبوه الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) إذ قال عنه:

«إنّ ابني هذا لو سألته عمّا بين دفتي المصحف لأجابك فيه بعلم».

و قال أيضا: «و عنده علم الحكمة، و الفهم، و السخاء، و المعرفة بما يحتاج إليه الناس فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم».

و يكفي لمعرفة وفور علومه روايه العلماء عنه جميع الفنون من علوم الدين و غيرها مما ملأوا به الكتب، و ألفوا المؤلفات الكثيره، حتى عرف بين الرواه بالعالم.

و قال الشيخ المفيد: و قد روى الناس عن أبي الحسن موسى فأكثر، و كان أفقه أهل زمانه (١).

ص: ٢٧

نشأ الإمام موسى (عليه السلام) في بيت القداسه و التقوى، و ترعرع في معهد العباده و الطاعه، بالاضافه الى أنه قد ورث من آبائه حب الله و الايمان به و الاخلاص له فقد قدموا نفوسهم قرابين في سبيله، و بذلوا جميع إمكانياتهم في نشر دينه و القضاء على كلمه الشرك و الضلال فأهل البيت أساس التقوى و معدن الايمان و العقيدته، فلولاهم ما عبد الله عابد و لا وَّحده موحد. و ما تحققت فريضته، و لا أقيمت سنه، و لا ساغت في الاسلام شريعته.

لقد رأى الإمام (عليه السلام) جميع صور التقوى ماثله في بيته، فصارت من مقومات ذاته و من عناصر شخصيته، و حدث المؤرخون أنه كان أعبد أهل زمانه (١) حتى لُقّب بالعبد الصالح، و بزین المجتهدين إذ لم تر عين انسان نظيرا له قط في الطاعه و العباده. و نعرض انموذجا من مظاهر طاعته و عبادته:

أ-صلاته: إنَّ أجمل الساعات و أئمنها عند الإمام (عليه السلام) هي الساعات التي يخلو بها مع الله عزَّ اسمه فكان يقبل عليه بجميع مشاعره و عواطفه و قد ورد:

أنه إذا وقف بين يدي الله تعالى مصليا أو مناجيا أو داعيا ارسل ما في عينيه من دموع، و خفق قلبه، و اضطرب موجهه و خوفا منه، و قد شغل أغلب أوقاته في الصلاه «فكان يصلّي نوافل الليل و يصلها بصلاه الصبح، ثم يعقب حتى تطلع الشمس، و يختر لله ساجدا فلا يرفع رأسه من الدعاء و التمجيد حتى يقرب زوال الشمس (٢)، من مظاهر طاعته أنه دخل مسجد النبي (صلى الله عليه و اله) في أول الليل فسجد سجده واحده و هو يقول بنبرات تقطر إخلاصا و خوفا منه:

ص: ٢٨

١- (١) جوهره الكلام: ١٣٩.

٢- (٢) الارشاد: ٢٣١/٢ و عنه في كشف الغمه: ١٨/٣.

«عظم الذنب من عبدك، فليحسن العفو من عندك» (١).

و لَمَّا أودعه طاغية زمانه الملك هارون الرشيد في ظلمات السجون تفرغ للطاعة والعبادة حتى بهر بذلك العقول و حير الالباب، فقد شكر الله على تفرغه لطاعته قائلاً:

«اللهم اننى كنت أسألك أن تفرغنى لعبادتك، اللهم وقد فعلت فلك الحمد» (٢).

لقد ضرب الإمام المثل الأعلى للعبادة فلم يضارعه أحد في طاعته و اقباله على الله، فقد هامت نفسه بحبه تعالى، و انطبع في قلبه الايمان العميق.

و حدّث الشيباني (٣) عن مدى عبادته، فقال: كانت لأبى الحسن موسى (عليه السلام) فى بضع عشر سنه سجده فى كل يوم بعد ابيضاض الشمس الى وقت الزوال (٤)، و قد اعترف عدوه هارون الرشيد بأنه المثل الأعلى للاتباع و الايمان، و ذلك حينما أودعه فى سجن الربيع (٥) فكان يطل من أعلى القصر فيرى ثوبا مطروحا فى مكان خاص من البيت لم يتغير عن موضعه فيتعجب

ص: ٢٩

١- (١) وفيات الأعيان: ٢٩٣/٤، و كنز اللغه: ٧٦٦، و تاريخ بغداد: ٢٧/١٣ و عنه فى الأنوار البهيه: ١٩٠.

٢- (٢) مناقب آل أبى طالب: ٣٤٣/٤، و وفيات الأعيان: ٢٩٣/٤.

٣- (٣) الشيباني: هو أبو عبد الله محمد بن الحسن مولى لبني شيبان حضر مجلس أبى حنيفه سنين، و تفقه على أبى يوسف، و صنف الكتب الكثيره و نشر علم أبى حنيفه و قال الشافعي: حملت من علم محمد بن حسن و قر بعير و قال أيضا: ما رأيت أحدا يسأل عن مسأله فيها نظر الا تبينت فى وجهه الكراهه الا محمد بن الحسن. توفى بالرى سنه (١٨٧ هـ) و هو ابن ثمان و خمسين سنه كما جاء فى طبقات الفقهاء: ص ١١٤.

٤- (٤) حياه الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام): ١٤٠/١ عن بحار الأنوار.

٥- (٥) الربيع بن يونس كان حاجبا للمنصور ثم صار وزيرا له بعد أبى أيوب، و كان المنصور كثير الميل إليه حسن الاعتماد عليه قال له يوما: ويحك يا ربيع ما أطيب الدنيا لو لا الموت، فقال له الربيع: ما طابت الدنيا إلا بالموت، قال له: و كيف ذلك؟ فأجابه لو لا الموت لم تقعد هذا المقعد، فقال له: صدقت، و قال له المنصور لَمَّا حضرته الوفاه: بعنا الآخره بنومه، و يقال إن الربيع لم يكن له أب يعرف، و ان بعض الهاشميين وفد على المنصور فجعل يحدثه و يقول له: كان أبى رحمه الله، و كان، و كان، و أكثر من الترحم عليه، فقال له الربيع: كم تترحم على أبيك بحضره أمير المؤمنين؟ فقال له الهاشمي: أنت معذور لانك لا تعرف مقدار الآباء فخجل أشد الخجل. توفى الربيع سنه (١٧٠ هـ) جاء ذلك فى وفيات الأعيان: (ج ١ ص ٢٣١-٢٣٣) ط. بولاق.

من ذلك و يقول للربيع:

«ما ذاك الثوب الذى أراه كل يوم فى ذلك الموضع»؟!

-يا أمير المؤمنين: ما ذاك ثوب، وإنما هو موسى بن جعفر، له فى كل يوم سجده بعد طلوع الشمس الى وقت الزوال.

فبهر هارون و انطلق يبدى إعجابه.

-أما إنَّ هذا من رهبان بنى هاشم!!

و التفت إليه الربيع بعد ما سمع منه اعترافه بزهد الإمام و عزوفه عن الدنيا طالبا أن يطلق سراحه و لا يضيق عليه قائلًا:

يا أمير المؤمنين: ما لك قد ضيقت عليه فى الحبس!!؟

فأجابه هارون بما انطوت عليه نفسه من عدم الرحمة و الرأفة قائلًا:

«هيئات: لا بد من ذلك!» (١).

ب-صومه: كان الإمام (عليه السلام) يصوم فى النهار و يقوم مصليًا فى الليل، خصوصًا لما سجنه هارون فإنه لم يبارح العباده الاستجابيه بجميع أنواعها من صوم و غيره، و هو يشكر الله و يحمده على هذا الفراغ الذى قضاه فى عبادته.

ج-حجّه: و ما من شىء يحبه الله و ندب إليه إلا فعله الإمام عن رغبه و اخلاص، فمن ذلك أنه حج بيت الله ماشيا على قدميه، و النجائب تقاد بين يديه، و قد حج معه أخوه على بن جعفر و جميع عياله أربع مرات، و حدّث على بن جعفر عن الوقت الذى قطعوا به طريقهم فقال: كانت السفرة الاولى ستا و عشرين يوما، و الثانيه كانت خمسا و عشرين يوما، و الثالثه كانت أربعا و عشرين يوما، و الرابعه كانت إحدى و عشرين يوما (٢).

ص: ٣٠

١- ((١)) عيون أخبار الرضا: ٩٥/١ ح ١٤ و عنه فى الأنوار البهيه: ١٨٩.

٢- ((٢)) بحار الأنوار: ١٠٠/٤٨ ح ٢ عن قرب الاسناد.

د-تلاوته للقرآن: كان الذكر الحكيم رفيق الإمام في خلواته، وصاحبه في وحشته و كان يتلوه بامعان و تدبر، و كان من أحسن الناس صوتا به، فاذا قرأ يحزن، و يبكي السامعون لتلاوته (١).

و حدث حفص عن كيفية تلاوته للقرآن فقال: و كان قراءته حزنا فاذا قرأ فكأنه يخاطب إنسانا (٢) بهذه الكيفية كان يتلو آيات الذكر الحكيم فكان يمعن في تعاليمه و يمعن في آدابه، و يتبصر في أوامره و نواهيه و أحكامه.

ه-عتقه للعبيد: و من مظاهر طاعه الإمام (عليه السلام) عطفه و احسانه على الرقيق فقد أعتق الف مملوك (٣) كل ذلك لوجه الله، و ابتغاء مرضاته، و التقرب إليه.

٣- زهده:

كان الإمام في طليعه الزاهدين في الدنيا و المعرضين عن نعيمها و زخارفها فقد اتجه الى الله و رغب فيما أعدّه له في دار الخلود من النعيم و الكرامه، و قد حدثنا عن مدى زهده ابراهيم بن عبد الحميد فقال: دخلت عليه في بيته الذي كان يصلى فيه، فاذا ليس في البيت شيء سوى خصفه، و سيف معلق، و مصحف (٤)، لقد كان عيشه زهيدا، و بيته بسيطا فلم يحتو على شيء حتى من الأمتعه البسيطه التي تضمها بيوت الفقراء الأمر الذي دل على تجرده من الدنيا، و إعراضه عنها. على أنه كانت تجبى له الأموال الطائله، و الحقوق الشرعيه من العالم الشيعي، بالاضافه الى أنه كان يملك البصريه و غيرها من

ص: ٣١

١- (١) المناقب: ٣٤٨/٤.

٢- (٢) اصول الكافي: ٦٠٦/٢ و عنه في بحار الأنوار: ١١١/٤٨.

٣- (٣) عن الدر النظيم، في مناقب الأئمه اللهايمم ليوسف بن حاتم الشامي، مخطوط في مكتبه الإمام الحكيم العامه (النجف الاشرف).

٤- (٤) بحار الأنوار: ١٠٠/٤٨، ح ١ عن قرب الاسناد.

الأراضى الزراعيه التى تدر عليه بالاموال الخطيره، وقد أنفق جميع ذلك بسخاء على البائسين و المحرومين فى سبيل الله و ابتغاء مرضاته، و كان (عليه السلام) دوما يتلو على أصحابه سيره أبى ذر الصحابى العظيم الذى ضرب المثل الاعلى لنكران الذات و التجرد عن الدنيا و الزهد فى ملاذها، فقال (عليه السلام):

«رحم الله أبا ذر. فلقد كان يقول: جزى الله الدنيا عنى مذمه بعد رغيفين من الشعير، أتغدى بأحدهما، و أتعشى بالآخر، و بعد شملتى الصوف أتتر باحدهما و ارتدى بالآخرى...» (١).

٤- جوده و سخاؤه:

لقد تجلّى الكرم الواقعى، و السخاء الحقيقى فى الإمام فكان مضرب المثل فى الكرم و المعروف، فقد فزع إليه البائسون و المحرومون لينقذهم من كابوس الفقر و جحيم البؤس و قد أجمع المؤرخون أنه أنفق (عليه السلام) جميع ما عنده عليهم كل ذلك فى سبيل الله لم يتبغ من أحد جزاء أو شكورا، و كان (عليه السلام) فى صلاته يتطلب الكتمان و عدم الذبوح لئلا يشاهد على الآخذ ذله الحاجه، و كان يلتمس فى ذلك وجه الله و رضاه، و لهذا كان يخرج فى غلس الليل البهيم فيصل الطبقة الضعيفه بيزه و إحسانه و هى لا تعلم من أى جهه تصلها تلك المبره، و كان يوصلهم بصراره التى تتراوح ما بين المائتى دينار الى الاربعمائه دينار (٢) و كان يضرب المثل بتلك الصرار فكان أهله يقولون:

«عجبا لمن جاءته صرار موسى و هو يشتكى القله و الفقر!!» (٣).

ص: ٣٢

١- (١) اصول الكافى: ١٣٤/٢.

٢- (٢) تاريخ بغداد: ٢٨/١٣.

٣- (٣) عمده الطالب: ١٨٥.

و بلغ من عطفه المستفيض أنه إذا بلغه عن شخص يؤذيه و يسىء إليه بعث له بصره فيها ألف دينار (١). و قد قامت هباته السريه و صلواته الخفيه بإعاشه فقراء يثرب، فكانوا جميعا يرتعون بنعمته و يعيشون من عطاياه.

و حدّث عيسى بن محمّد القرطى قال: «زرعت بطيخا و قثاء و قرعا (٢) فى موضع بالجوائيه (٣) على بئر يقال لها ام عظام.

فلما استوى الزرع بغتنى الجراد، فأتى على الزرع كله، و كنت قد غرمت عليه مع ثمن جمليين مائه و عشرين دينارا. فبينما أنا جالس إذ طلع على الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) فسلمّ ثم قال لى: كيف حالك؟

فقلت: أصبحت كالصريم بغتنى الجراد فأكل كل زرعى.

فقال: كم غرمت فيه؟

فقلت: مائه و عشرين دينارا مع ثمن الجمليين.

فالتفت (عليه السلام) لعرفه و قال له: زن لابن المغيث مائه و خمسين دينارا. ثم قال لعيسى: فربحك ثلاثون دينارا مع الجمليين» (٤).

٥- حلمه:

و كان الحلم من أبرز صفات الإمام موسى (عليه السلام) فقد كان مضرب المثل فى حلمه و كظمه للغيط، و كان يعفو عمن أساء إليه، و يصفح عمن اعتدى عليه، و لم يكتف بذلك و انما كان يحسن لهم و يغدق عليهم بالمعروف ليمحو بذلك روح الشر و الانانيه من نفوسهم، و قد ذكر المؤرخون بوادر كثيره من حلمه

ص: ٣٣

١- (١) تاريخ بغداد: ٢٧/١٣.

٢- (٢) القرع: نوع من اليقطين، الواحد قرعه.

٣- (٣) منطقه قرب المدينه.

٤- (٤) تاريخ بغداد: ٢٩/١٣، و كشف الغمه: ٢١٧/٢.

فقد رووا: «أن شخصا من احفاد عمر بن الخطاب كان يسىء للإمام، و يكيل السب و الشتم لجدّه أمير المؤمنين (عليه السّلام) فأراد بعض شيعة الإمام اغتياله فنهاهم (عليه السّلام) عن ذلك و رأى أن يعالجه بغير ذلك فسأل عن مكانه فقيل: أنه يزرع فى بعض نواحي المدينة، فركب (عليه السّلام) بغلته و مضى إليه متنكرا، فوجده فى مزرعته فأقبل نحوه، فصاح به: لا تطأ زرعنا و استمر الإمام حتى وصل إليه، و لما انتهى إليه جلس الى جنبه و أخذ يلاطفه و يحدّثه بأطيب الحديث، و قال له بلطف و لين:

-كم غرمت فى زرعك هذا؟

-مائة دينار.

-كم ترجو أن تصيب منه؟.

-أنا لا أعلم الغيب!!

-انما قلت لك: كم ترجو أن يجيئك منه؟

-أرجو أن يجيئني منه مئتا دينار.

فأعطاه (عليه السّلام) ثلاثمائة دينار، و قال: هذه لك و زرعك على حاله فتغير العمرى، و خجل من نفسه على ما فرط من قبل فى حق الامام، و تركه (عليه السّلام) و مضى الى الجامع النبوى، فوجد العمرى قد سبقه، فلما رأى الإمام مقبلا قام إليه تكريما و انطلق يهتف:

□
اللَّهُ أَغْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ فِي مَنْ يَشَاءُ.

فبادر إليه اصحابه منكرين عليه هذا الانقلاب، فأخذ يخاصمهم، و يتلو عليهم مناقب الإمام و مآثره، و يدعو له، فالتفت (عليه السّلام) إلى أصحابه قائلا:

أيما كان خيرا؟ ما أردتم أو ما أردت أن أصلح أمره بهذا المقدار؟» (١).

ص: ٣٤

١- ((١)) تاريخ بغداد: ٢٨/١٣-٢٩، و الارشاد: ٢/٢٣٣ و عنه فى اعلام الورى: ٢/٢٦، ٢٧، و كشف الغمه: ٣/١٨، ١٩ و اختصر فى مناقب آل أبى طالب: ٣٤٤/٤.

و من آيات حلمه (عليه السّلام) أنه اجتاز على جماعه من حسّاده و أعدائه، و كان فيهم ابن هياج فأمر بعض اتباعه أن يتعلّق بلجام بغله الإمام و يدّعيها فمضى الرجل الى الإمام و تعلق بزمام بغلته فادعاها له فعرف الإمام غايته فنزل عن بغلته و أعطّاها له (١). لقد أقام (عليه السّلام) بذلك أسمى مثل للانسانيه الفدّه و الحلم الرفيع.

و كان (عليه السّلام) يوصى أبناءه بالتحلّي بهذه الصفه الرفيعه و يأمرهم بالصفح عن أساء إليهم فقد جمعهم و أوصاهم بذلك فقال:

«يا بنّي: إني أوصيكم بوصيه من حفظها انتفع بها، إذا أتاكم آت فأسمع أحدكم في الاذن اليمنى مكروها ثم تحوّل الى اليسرى فاعتذر لكم، و قال: إني لم أقل شيئاً فاقبلوا عذره» (٢).

٦- ارشاده و توجيهه:

إنّ إرشاد الناس الى الحق و هدايتهم الى الصواب من أهم الأمور الاصلاحيه التي كان الإمام يعنى بها، فقد قام بدور مهم في انقاذ جماعه ممن أغرّتهم الدنيا و جرفتهم بتياراتها، و ببركه ارشاده و وعظه لهم تركوا ما هم فيه من الغيّ و الضلال و صاروا من عيون المؤمنين. و قد ذكر المؤرخون بوادر كثيره له في هذا المجال فقد رووا قصته مع بشر الحافي، إذ كان في بدايه أمره -فيما يقول الرواه- يتعاطى الشراب و يقضى ليليه و أيامه في المجون و الدعاره فتاب ببركه إرشاد الإمام (عليه السّلام) و توجيهه كما سوف نشير الى قصّته مع الإمام (عليه السّلام) فيما سيأتي (٣).

ص: ٣٥

١- (١) بحار الأنوار: ١٤٨/٤٨ عن فروع الكافي: ٨٦/٨.

٢- (٢) كشف الغمه: ٨/٣ عن الجنازدي، و الفصول المهمه لابن الصباغ: ٢٣٥.

٣- (٣) راجع تمام القصه في الفصل الثّاني من الباب الثّالث: ٨٠.

و ممن أرشدهم الإمام (عليه السّلام) الى طريق الحق: الحسن بن عبد الله، فقد كان شخصيه مرموقه عند الملوک زاهدا في الدنيا، يأمر بالمعروف و ينهى عن المنکر لا تأخذه في الله لومه لائم، فاجتمع بالامام فقال (عليه السّلام) له:

يا أبا علي، ما أحب اليّ ما أنت عليه، و أسرنى به، إلا أنه ليست لك معرفه فاطلب معرفه.

قال: و ما معرفه؟

فقال له: تفقّه و اطلب الحديث.

فذهب الرجل فكتب الحديث عن مالك و عن فقهاء أهل المدينه، و عرضه على الإمام فلم يرض (عليه السّلام)، و أرشده الى فقه أهل البيت و أخذ الأحكام منهم، و الاعتراف لهم بالامامه فانصاع الرجل لذلك و اهتدى (1).

لقد كان (عليه السّلام) يدعو الناس الى فعل الخير و يدلّهم على العمل الصالح و يحذرهم لقاء الله و اليوم الآخر، فقد سمع رجلا يتمنى الموت فانبرى (عليه السّلام) له قائلا: «هل بينك و بين الله قرابه يحاييك لها؟

فقال: لا.

فقال له (عليه السّلام): فأنت إذن تتمنى هلاك الأبد» (2).

٧- احسانه الى الناس:

و كان الإمام بارًا بالمسلمين محسنا إليهم، فما قصده أحد في حاجه إلا- قام بقضائها، فلا ينصرف منه إلا و هو ناعم الفكر مثلوج القلب، و كان (عليه السّلام) يرى أن إدخال الغبطه على الناس و قضاء حوائجهم من أهم أفعال الخير فلذا لم

ص: ٣٦

١- ((المناقب لابن شهر آشوب: ٣١٢/٤.

٢- ((الاتحاف بحب الأشراف: ٥٥.

يتوان قط في إجابته المضطر، و رفع الظلم عن المظلوم، و قد أباح لعلى بن يقطين الدخول في حكمه هارون و جعل كفاره عمل السلطان الاحسان الى الاخوان مبزرا له، و قد فزع إليه جماعه من المنكوبين فكشف آلامهم و ملأ قلوبهم رجاء و رحمه.

و من هؤلاء الذين أغاثهم الامام (عليه السلام) شخص من أهالي الري (1) كانت عليه أموال طائله لحكومته الري فلم يتمكن من أدائها، و خاف على نعمته أن تسلب منه، فأخذ يطيل الفكر فيما يعمل، فسأل عن حاكم الري، فأخبر أنه من الشيعة، فطوى نيته على السفر الى الإمام ليستجير به فسافر الى المدينة فلما انتهى اليها تشرف بمقابله الإمام فشكى إليه حاله، فزوده (عليه السلام) برسالة الى والي الري جاء فيها بعد البسملة:

إعلم أن لله تحت عرشه ظلالا يسكنه إلا من أسدى الى أخيه معروفا، أو نفس عنه كربه، أو أدخل على قلبه سرورا، و هذا أخوك و السلام.

و أخذ الرساله، و بعد أدائه لفريضه الحج، أتجه الى وطنه، فلما وصل، مضى الى الحاكم ليلا، فطرق عليه باب بيته فخرج غلامه، فقال له: من أنت؟

فقال: رسول الصابر موسى؟

فهرع الى مولاه فأخبره بذلك فخرج حافي القدمين مستقبلا له، فعانقه و قبّل ما بين عينيه، و جعل يكرر ذلك، و يسأله بلهفه عن حال الامام، ثم إنه ناوله رساله الإمام فقبلها و قام لها تكريما، فلما قرأها أحضر أمواله و ثيابه فقاسمه في جميعها و أعطاه قيمه ما لا يقبل القسمه و هو يقول له: يا أخي هل سررتك؟

فقال له: أي و الله و زدت على ذلك!!

ص: ٣٧

١- (١) كان يدعى: علي بن طاهر الصوري كما في مصدر الخبر.

ثم استدعى السجل فشطب على جميع الديون التي عليه و أعطاه براءه منها، و خرج الرجل و قد طار قلبه فرحا و سرورا، و رأى أن يجازيه على إحسانه و معروفه فيمضى الى بيت الله الحرام فيدعو له، و يخبر الإمام بما أسداه إليه من البر و المعروف، و لما أقبل موسم الحج مضى إليه ثم أتجه الى يثرب فواجه الإمام و أخبره بحديثه، فسرّ (عليه السلام) بذلك سرورا بالغاً، فقال له الرجل:

يا مولاي: هل سرّك ذلك؟

فقال الإمام (عليه السلام): إي، و الله! لقد سرّني، و سرّ أمير المؤمنين، و الله لقد سرّ جدى رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، و لقد سرّ الله تعالى..»
(١).

و قد دلّ ذلك على اهتمامه البالغ بشؤون المسلمين و رغبته الملحة في قضاء حوائج الناس.

ص: ٣٨

١- ((١)) اعتمدنا في هذا الفصل على ما كتبه الاستاذ باقر شريف القرشي، راجع حياه الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام): ١٣٨/١-١٦٢. و خبر الصوريّ من أهل الرىّ رواه المجلسى في بحار الأنوار: ١٧٤/٤٨ ح ١٦ عن كتاب قضاء حقوق المؤمنين المنشور في نشره تراثنا: ١٨٦/٣٤ ح ٢٤.

الباب الثاني

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

نشأه الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)

الفصل الثاني:

مراحل حياة الإمام الكاظم (عليه السلام)

الفصل الثالث:

الإمام الكاظم في ظلّ أبيه (عليهم السلام)

ص: ٣٩

هو سابع أئمه أهل البيت (عليهم السّلام)، الكبير القدر العظيم الشأن، الجاد في العباده المشهور بالكرامات، الكاظم الغيظ و العافى عن الناس، العبد الصالح و باب الحوائج الى الله كما هو المعروف عند أهل العراق.

١- الأب: هو سادس أئمه أهل البيت بعد الرسول (صلى الله عليه و اله) أبو عبد الله جعفر ابن محمد الصادق معجزه الاسلام و مفخره الإنسانيه على مرّ العصور و عبر الأجيال، لم تسمع الدنيا بمثله فضلا و نبلا و علما و كمالا.

٢- الام: لقد كانت ام الإمام موسى الكاظم (عليه السّلام) من تلكم النسوة اللاتي جلبن لأسواق يثرب و قد خصّيه الله بالفضل و عنها بالشرف فصارت وعاء للإمامه و الكرامه و تزوّج بها أبو عبد الله، فكانت من أعزّ نسائه و احبّهن إليه، و آثرهن عنده.

و اختلف المؤرخون اختلافا كثيرا في نسبها ف قيل أنّها اندلسيه، و تكنى لؤلؤه (١) و قيل إنّها روميه (٢)، و قيل أنّها من أجل بيوت الأعاجم (٣)، و كانت

ص: ٤١

١- ((١)) مرآه العقول: ١/٤٥١، معالم العتره.

٢- ((٢)) تحفه الأزهار و زلال الأنهار، للسيد ضامن ابن شديق، مخطوط، يوجد في قسم المخطوطات، من مكتبه الإمام كاشف الغطاء في النجف الأشرف.

٣- ((٣)) الأنوار البهيه: ١٥٢.

السيدة حميده تعامل فى بيتها معامله كريمه، فكانت موضع عنايه و تقدير عند جميع العلويات، كما ان الإمام الصادق (عليه السلام) كان يغدق عليها بمعروفه، و قد رأى فيها وفور العقل و الكمال، و حسن الايمان و أثنى عليها ثناء عاطراً، فقال فيها: «حميده مصفاة من الأنداس كسيكه الذهب، ما زالت الأملاك تحرسها حتى اديت إلى كرامه من الله و للحجه من بعدى...» (١)، و قد غدّاه الإمام الصادق بعلمه حتى أصبحت فى طليعه نساء عصرها علما و ورعا و ايماناً، و عهد إليها بتفقيه النساء المسلمات و تعليمهن الأحكام الشرعيه (٢)، و اجدر بها أن تحتل هذه المكانه، و ان تكون من ألمع نساء عصرها فى العفه و الفقه و الكمال.

٣- الوليد المبارك: و امتدّ الزمن بعد زواج الإمام بها، و سافر الإمام أبو عبد الله الى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج، فحملها معه، و بعد الانتهاء من مراسيمه قفلوا راجعين الى يثرب، فلما انتهوا الى «الأبواء» (٣). أحست حميده بالطلق فأرسلت خلف الإمام تخبره بالأمر، لأنه قد عهد اليها أن لا تسبقه بشأن وليده، و كان أبو عبد الله يتناول طعام الغداء مع جماعه من أصحابه، فلما وافاه النبأ المسرّ قام مبادراً اليها فلم يلبث قليلاً حتى وضعت حميده سيدها من سادات المسلمين، و إماماً من أئمه أهل البيت (عليهم السلام).

لقد أشرقت الدنيا بهذا المولود المبارك الذى ما ولد فى عصره -أيمن، و لا أكثر عائدته و لطفاً على الاسلام منه.

لقد ولد أبرّ الناس، و أعطفهم على الفقراء، و أكثرهم عناء و محنه فى

ص: ٤٢

١- ((١)) بحار الأنوار: ٤٨/٦، اصول الكافي: ١/٤٧٧، أعيان الشيعة: ٥/٢.

٢- ((٢)) الأنوار الإلهيه: ١٥٣.

٣- ((٣)) الأبواء: بالفتح ثم السكون، و واو و الف ممدوده، قريه من أعمال الفرع بالمدينه، و به قبر الزاكيه آمنه بنت وهب أم النبى العظيم (صلّى الله عليه و اله).

سبيل الله و أعظمهم عباده و خوفا من الله.

و بادر الإمام أبو عبد الله فتناول وليده فأجرى عليه مراسيم الولادة الشرعية فأذن في اذنه اليمنى، و أقام في اليسرى.

و انطلق الإمام أبو عبد الله عائدا الى أصحابه، و قد علت على ثغره ابتسامه فبادره أصحابه قائلين:

أسرّك الله، و جعلنا فداك، يا سيدنا ما فعلت حميده؟

فبشرهم بمولوده المبارك، و عزّفهم عظيم أمره قائلا:

«قد وهب الله لى غلاما، و هو خير من برأ الله».

أجل انه خير من برأ الله علما و تقوى و صلاحا، و تحرّجا في الدين و أحاط الإمام أصحابه علما بأن وليده من أئمه أهل البيت (عليهم السلام) الذين فرض الله طاعتهم على عباده قائلا لهم:

«فدونكم، فو الله هو صاحبكم» (١).

و كانت ولادته في سنة (١٢٨ هـ) (٢) و قيل سنة (١٢٩ هـ) (٣) و ذلك في أيام حكم عبد الملك بن مروان.

٤- حب و تكريم: و قطع الإمام موسى شوطا من طفولته و هو ناعم البال يستقبل الحياه كل يوم بحفاوه و تكريم، فأبوه يغدق عليه بعطفه المستفيض، و جماهير المسلمين تقابله بالعناية و التكريم، و قد قدمه الإمام الصادق (عليه السلام) على بقيه ولده، و حمل له من الحب ما لا يحمله لغيره، فمن مظاهر ودّه

ص: ٤٣

١- ((١)) بحار الأنوار: ٢/٤٨، عن بصائر الدرجات: ١٢٩، ب ١٢، ح ٩.

٢- ((٢)) مناقب آل أبي طالب: ٣٤٩/٤، و تهذيب التهذيب: ٣٤/١٠.

٣- ((٣)) اعيان الشيعة: ٥/٢، و عن تحفه الأزهار أنه ولد قبل طلوع فجر يوم الثلاثاء من صفر سنة (١٢٧ هـ) و عن بحر الانساب أنه ولد يوم الاحد لسبع ليال خلون من صفر.

أنه وهب له قطعه من أرض تسمى البسريه، كان قد اشتراها بست و عشرين ألف دينار (١).

و تكلم الإمام موسى و هو طفل بكلام أثار اعجاب أبيه فاندفع أبوه قائلاً:

«الحمد لله الذى جعلك خلفا من الآباء، و سرورا من الأبناء، و عوضا عن الأصدقاء» (٢).

٥-صفته: كان أسمر شديد السمره (٣)، ربع القامه، كث اللحيه (٤) و صفه شقيق البلخى فقال: كان حسن الوجه، شديد السمره، نحيف الجسم.

و حاكى الإمام موسى فى هيئته هيئه الانبياء، و بدت فى ملامح شكله سيماء الأئمه الطاهرين من آبائه، فما رآه أحد إلا هابه و أكبره.

٦-نقش خاتمه: «الملك لله وحده» (٥).

٧-كناه: أبو الحسن الأول، أبو الحسن الماضى، أبو ابراهيم، أبو على، أبو اسماعيل.

٨-ألقابه: أمّا القابه فتدل على بعض مظاهر شخصيته، و جمله من جوانب عظمته، و هى كما يلي:

الصابر: لأنه صبر على الآلام و الخطوب التى تلقاها من حكام الجور، الذين قابلوه بجميع ألوان الاسائه و المكروه.

الزاهر: لأنه زهر بأخلاقه الشريفة و كرمه المضىء الذى مثل به خلق جده الرسول (صلى الله عليه و اله).

ص: ٤٤

١- (١) دلائل الإمامه: ٤٩-٥٠.

٢- (٢) بحار الأنوار: ٢٤/٤٨، عن عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ٢٩/١.

٣- (٣) الفصول المهمه لابن الصباغ المالكي: ٢٢٢، أخبار الدول: ١١٢.

٤- (٤) مناقب آل أبي طالب: ٣٤٨/٤.

٥- (٥) أخبار الدول: ١١٢.

العبد الصالح: و لقب بالعبد الصالح لعبادته، و اجتهاده فى الطاعه، حتى صار مضرب المثل فى عبادته على ممزّ العصور و الاجيال و قد عرف بهذا اللقب عند رواه الحديث فكان الراوى عنه يقول: حدثنى «العبد الصالح».

السيد: لانه من سادات المسلمين، و إمام من أئمتهم، و قد مدحه بهذا اللقب الشاعر الشهير أبو الفتح بقوله:

أنا للسيد الشريف غلام حيثما كنت فليبلغ سلامى

و إذا كنت للشريف غلاما فأنا الحر و الزمان غلامى (١)

الوفى: لأنه أوفى إنسان خلق فى عصره، فقد كان وفيا بارًا باخوانه و شيعته و بارًا حتى باعدائه و الحاقدين عليه.

الأمين: و كل ما للفظ الأمانه من معنى قد مثل فى شخصيته العظيمه فقد كان أميناً على شؤون الدين و أحكامه، و أميناً على امور المسلمين و قد حاز هذا اللقب كما حازه جده الرسول الأعظم من قبل، و نال به ثقه الناس جميعاً.

الكاظم: و انما لُقّب بذلك لما كظمه من الغيظ عما فعل به الظالمون من التنكيل و الارهاق حتى قضى شهيدا مسموما فى ظلمات السجون لم يبد لاحد آلامه و أشجانه بل قابل ذلك بالشكر لله و الثناء عليه، و يقول ابن الاثير: «انه عرف بهذا اللقب لصبره، و دماثة خلقه، و مقابله الشر بالاحسان» (٢).

ذو النفس الزكيه: و ذلك لصفاء ذاته التى لم تتلوث بمآثم الحياه و لا بأقذار الماده حتى سمت، و انبتت عن النظر.

باب الحوائج: و هذا أكثر ألقابه ذكراً، و أشهرها ذيوها و انتشاراً، فقد اشتهر بين العام و الخاص أنه ما قصده مكروب أو حزين إلا فرج الله آلامه

ص: ٤٥

١- (١) أخبار الدول: ١١٣.

٢- (٢) مختصر تاريخ العرب: ٢٠٩.

و أحزانه و ما استجار أحد بضريحه المقدس إلا قضيت حوائجه، و رجع الى أهله مثلوج القلب مستريح الفكر مما ألم به من طوارق الزمن و فجائع الايام، و قد آمن بذلك جمهور شيعته بل عموم المسلمين على اختلاف طبقاتهم و نزعاتهم، فهذا شيخ الحنابلة و عميدهم الروحى أبو على الخلال يقول:

«ما همنى أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر الآ سهل الله تعالى لى ما أحب» (١).

و قال الإمام الشافعى: «قبر موسى الكاظم الترياق المجرب» (٢).

لقد كان الإمام موسى فى حياته مفزعا و ملجأ لعموم المسلمين و كذلك كان بعد وفاته حصنا منيعا لمن استجار به (٣).

ص: ٤٦

١- (١) تاريخ بغداد: ١/١٣٣ طبعه دار الكتب العلميه بيروت.

٢- (٢) تحفه العالم: ٢/٢٠٠.

٣- (٣) لقد اعتقد أغلب المسلمين أن الله يكشف البلاء، و يدفع الضرر بالانتجاع الى ضريح الامام (عليه السلام)، و قال ابن شهر آشوب فى مناقبه: رؤى فى بغداد امرأه تهول فليل: الى أين؟ قالت: الى موسى بن جعفر فأنه حبس ابنى، فقال لها حنبلى: أنه قد مات فى الحبس، فقالت: بحقّ المقتول فى الحبس ان ترينى القدره، فاذا بابنها قد اطلق و اخذ ابن المستهزئ بجنايته. المناقب: ٤/٣٠٥.

تبعاً لطبيعته الظروف التي مرّ بها الإمام الكاظم (عليه السلام) في حياته تنقسم الدراسة عن حياته الى ثلاث مراحل متميّه:

المرحلة الاولى: إذا اعتبرنا المرحلة الاولى من حياه الإمام (عليه السلام) هي مرحله ما قبل التصدي للامامه الشرعيه أي منذ ولادته في سنه (١٢٨) أو (١٢٩ هـ) حتى استشهاد أبيه الصادق (عليه السلام) سنه (١٤٨ هـ).

فالمرحلة الاولى: هي مرحله نشأته و حياته في ظلّ أبيه (عليهما السّلام) و هي تناهز العقدين من عمره الشريف. و قد تميزت هذه المرحلة بظهور علمه الربّاني و قدرته الفائقة على الحوار و الحجاج حتى أفحم مثل أبي حنيفه و هو صبي لم يتجاوز نصف العقد الواحد من عمره المبارك.

المرحلة الثانيه: و تبدأ بتسلّمه لزام الامور الدينيه (العلميه و السياسيه و التربويه) بعد استشهاد أبيه في ظروف سياسيه قاسيه كان يخشى فيها على حياته المباركه حتى اضطر الإمام الصادق (عليه السّلام) لان يجعله واحداً من خمسه أوصياء في وصيته المشهوره التي بدّد فيها تخطيط المنصور لاغتيال وصي الإمام الصادق (عليه السلام).

و استمرت هذه المرحلة حتى مات المنصور سنه (١٥٨ هـ) و استولى

المهدى ثم الهادى سنة (١٦٩ هـ) على مركز السلطه فهى تبلغ حوالى عقدين أو ما يزيد عليهما بقليل و كانت مرحله انفراج نسبي لأهل البيت (عليهم السّلام) و أتباعهم سيما فى عهد المهدي العباسى.

المرحلة الثالثه: و هى مرحله معاصرتة لحكم الرشيد حيث استولى على زمام الحكم سنة (١٧٠ هـ) و هو المعروف بحقده للعلويين بعد أخيه الهادى و أبيه المهدي. و استمرت هذه المرحلة حتى سنة (١٨٣ هـ) و هى سنة استشهاد الإمام الكاظم بيد أحد عمّال الرشيد. و هذه المرحلة هى من أخرج مراحل حياه الإمام (عليه السّلام) و أدقّها من حيث تشديد التضييق عليه، و لم ينته العقد الأول من حكم الرشيد إلّا و الإمام فى مطامير سجونته، تاره فى البصره و اخرى فى بغداد. و تميّزت هذه السنوات العجاف بالتخطيط المستمر من قبل الرشيد لادائه الإمام (عليه السّلام) و السعى المتواصل لسجنه و اغتياله.

و قد أخذ الإمام يكتف نشاطه ضد الحكم القائم. فيما إذا قيس الى مواقفه من المنصور و المهدي و انتهت هذه المرحلة بالتضييق و التشديد على أهل البيت (عليهم السّلام) و أتباعهم و الإمام الكاظم بشكل خاص بالرغم من عدم قيام العلويين بالثوره ضد هارون الرشيد. و لكن الإمام قد استثمر كل طاقاته لبلوغ أهدافه رغم حراجه الظرف و تشديد القبضه على العلويين. و كان الإمام فيها يعلم بسياسه هارون و قراره النهائى باغتيال الإمام (عليه السّلام) مهما كلف الأمر حتى انه لم يتقبل و ساطه أى واحد من مقربى بلاطه.

و انتهت هذه المرحلة بمقاومه الإمام (عليه السّلام) و ثباته على مواقفه و عدم تنازله عند رغبات الرشيد و محاولاته لاستئلال الإمام (عليه السّلام) بشكل و آخر ليركع أمام جبروته لقاء تنفّسه هواء الحريه خارج السجن.

ولكن الإمام باشر مهامه بكل إحكام و اتقان و أوصى الى ابنه الرضا و ضمن للجماعه الصالحه استمرار المسيره، و قضى مسموما صابرا محتسبا.

مكلا جهاده بالشهاده فى سبيل الله تعالى.

تأريخ الاستشهاد: استشهاد مظلوما فى حبس السندى بن شاهك فى ٢٥ من رجب سنه (١٨٣ هـ) و دفن فى مقابر قريش فى بغداد.

ص: ٤٩

الإمام موسى الكاظم في ظلّ أبيه (عليهما السلام)

لقد تميّزت المرحلة التي نشأ فيها الإمام موسى الكاظم (عليه السّلام) وعاصرها مع أبيه - منذ ولادته سنة (١٢٨ هـ) حتى وفاه أبيه سنة (١٤٨ هـ) بعدّه منعطفات تاريخيه و نشاطات نوعيه من قبل الإمام الصادق (عليه السّلام) حيث استطاع بقدراته الإلهيه و حنكته الربائيه أن يتجاوز تلك التحدّيات، و يرسم الخط الإلهي الأصيل و ينجز مهامّ الإمامه و يهيئ لولده الإمام الكاظم (عليه السّلام) الطريق لكي يمارس دوره المستقبلي.

ولمّا كنّا بصدد إلقاء الضوء على أهم ما امتازت به حياه الإمام الكاظم مع أبيه (عليهما السّلام) لتنتصّر من خلالها الأدوار المقبله له أثناء تصديّه للإمامه كان من الأهميه أن نلخص الظواهر البارزه في هذه المرحلة من حياته مع أبيه (عليه السّلام) كما يلي:

١- ظاهره التمرد على السلطه و الاعتقاد بأهميه الثوره، و الندم على موقف السكوت أمام الباطل، و الدعوه للعلويين الذين يشكّلون الخط المناهض للحكم الاموي، فظاهره التمرد أفقدت المركزيه للسلطه و انتهت الى عدم الطاعه للامرء، حتى أصبح شعار الدعوه الى الرضى من آل محمد (صلّى الله عليه و اله) في هذه المرحلة حديث الساعه الذي كان يتداوله الناس هنا و هناك.

و هذه الظاهره أتاحه للإمام الصادق(عليه السّلام) أن ينفذ من خلالها لتطبيق برنامجه ما دامت السلطه مشغوله بالاضطرابات التي خلفتها الثوره الحسينيه.

٢- فى هذه الفتره ظهرت على المسرح السياسى مقدمات نشوء الدوله العباسيه، حيث استغلّ العباسيون هذه الأجواء و عقدوا اجتماعهم بالأبواء و قرّروا فى ظاهر الأمر أن يكون الخليفه محمدا ذا النفس الزكيه و روجوا الدعوه للرّضى من آل محمّد(صلّى الله عليه و اله) لكنهم دعوا الناس الى البيعه للعباسيين سرّاً، و عيّن إبراهيم الإمام فى حينها غلامه أبا مسلم الخراسانى قائدا عسكريا على خراسان و أوصاه بالقتل و الإباده الجماعيه و الأخذ على الظنّه و التهمه لخصومه الامويين.

و كان موقف الإمام الصادق(عليه السّلام) من هذه الحركه العباسيه هو الحياد و عدم المشاركه فيها و عدم دعمها و إخباره و تبوّه بنتائجها، مع عدم توفر الظرف الملائم للثوره العلويه و ذلك لفقدان الشروط الموضوعيه لها، و قد تجلّى ذلك بوضوح من خلال مواقفه(عليه السّلام) من العروض التي تقدّم بها قاده الدعوه العباسيه للإمام(عليه السّلام) أمثال أبى سلمه و أبى مسلم الخراسانى حيث صرّح لهم مرّه بأن الزمان ليس بزمانه، و مرّه اخرى أحرق الرساله التي وصلتته من أحدهم. لقد كانت عروضاً سياسيه مصلحيه و كان الإمام(عليه السّلام) يدرك خلفياتها. و بهذا تخلّص الإمام(عليه السّلام) من هذه المنزلقات و خلّص شيعته ليفتح لهم آفاقاً أرحب للعمل و الجهاد فى سبيل الله تعالى.

٣- تركّزت نشاطات الإمام الصادق(عليه السّلام) نحو البناء الخاص و معالجه التحدّيات التي كانت تعصف بالوجود الشيعى ضمن عدّه اتّجاهات:

أ- التغيير الثقافى و الفكرى: حين قرّر الإمام(عليه السّلام) لزوم الحياد السياسى كان قد أعدّ برنامجه الذى يستوعب عن طريقه طاقات الامه و يلبى حاجاتها

الاجتماعيه و الأخلاقية من خلال جامعه أهل البيت (عليهم السّلام) و التي أسّسها و طوّرها كي يتمكّن عن طريقها من مواجهه المدّ الفكرى المنحرف الذى روج له الامويون. و بسبب عجز التيار السياسى عن معالجه الانحرافات استقطب مختلف الشرائح و الاتجاهات، و تشكّلت لهذه الجامعه فروع فى البلاد الإسلاميه و أصبحت تياراً ثقافياً يروج للاتجاه الجعفرى الذى كان يمثّل خطّ أهل بيت الرساله، و كان للإمام الكاظم (عليه السّلام) دور بارز فى مدرسه أبيه (عليه السّلام) فى هذا الظرف بالذات.

ب- و فى الوقت الذى كان الإمام (عليه السّلام) يتطور هذا التيار الفكرى كان يهتّى الأذهان الخاصّه لقبول قياده الإمام الكاظم (عليه السّلام) و الإيمان بإمامته فقد جاء عن المفضّل بن عمر أنه قال: كنت عند أبى عبد الله (عليه السّلام) فدخّل أبو ابراهيم موسى و هو غلام فقال لى أبو عبد الله (عليه السّلام): استوص به وضع أمره عند من تثق به من أصحابك (1).

ج- و تحرّك الإمام الصادق (عليه السّلام) لقطع الطريق أمام الدعوات المشبوهه التى كانت تهدف إلى تمزيق وحده الصفّ الشيعى و تطرح نفسها كبديل للإمام (عليه السّلام)، فمن أساليبه (عليه السّلام) خلال مواجهته للتيار الإسماعيلى إخباره الشيعة بأنّ إسماعيل ليس هو الإمام من بعده، و عند ما توفّى إسماعيل أحضر الإمام الصادق (عليه السّلام) حشداً من الشيعة ليخبرهم بحقيقه موت إسماعيل لئلا يستغلّ المنحرفون موت إسماعيل لتمزيق الكيان الشيعى بالتدريج.

٤- عاصر الإمام الكاظم (عليه السّلام) معاناه أبيه الصادق (عليه السّلام) و شاهد الاستدعاءات المتكرّره له من قبل المنصور حتى استشهاده (عليه السّلام) بعد الوصيه

ص: ٥٣

لابنه الإمام الكاظم (عليه السلام) وإبلاغها لخواص شيعته و ربط عامه الشيعة بإمامته.

٥- الإمامه منصب ربّاني يتقوّم بجداره الإنسان المرشّح للإمامه و قابليته لتحمل أعباء هذه المسؤوليه الكبرى، و لهذا يعتبر فيها الاجتباء الربّاني و الاصطفاء الإلهي، و من هنا كان النصّ على كل واحد من الأئمه ضروره لا بدّ منها.

و النصوص العامه و الخاصه قد بلّغها الرسول (صلّى الله عليه و اله) الى صحابته و أهل بيته و تناقلتها كتب الحديث و الأخبار. و لكن النصوص المباشرة من كل امام على الذي يليه من أبنائه لها ظروفها الخاصه التي تكتنفها فتؤثر في كيفية التنصيص و أساليب التعبير و دلالاتها التي تتراوح بين الإشاره تاره و التصريح تاره اخرى.

و من يتابع نصوص الإمام الصادق (عليه السلام) على إمامه ابنه أبي الحسن موسى الكاظم (عليه السلام) و يلاحظها بتسلسلها التاريخي يكتشف جانبا من أساليب الإمام الصادق و إضاءاته المكتفّه تجاه تقرير إمامه ابنه أبي الحسن موسى من بعده مراعيها فيها تقلّبات و تطوّرات الواقع الاجتماعى الذى عاشه الإمام (عليه السلام) خلال عقدين من الزمن قبل وفاته أى من حين ولاده ابنه موسى و الذى ولد من امّ ولد أندلسيه فى الوقت الذى كان قد ولد له أبناء آخرون من زوجته فاطمه بنت الحسين الأصغر (الأثرم) عمّ الإمام الصادق (عليه السلام) فكان أكبرهم اسماعيل و الذى كان يحبه أبو عبد الله حبّا شديدا، و كان قوم من شيعته يظنون أنّه القائم بعد أبيه.

و قد توفّي اسماعيل سنة (١٤٢ هـ) و كان عبد الله بن جعفر المعروف بالأفطح أكبر أولاد الصادق بعد أخيه اسماعيل.

و من هنا كان النصّ على إمامه موسى تكتنفه ملابسات عديده بعضها

تعود الى أبناء الإمام و بعضها الى أصحابه و جملة منها ترتبط بالوضع السياسى القائم آنذاك.

من هنا نقف قليلا عند نصوص الإمام الصادق على إمامه ابنه موسى (عليهما السلام) مراعين تسلسل صدورهما قدر الإمكان.

نصوص الإمام الصادق (عليه السلام) على إمامه موسى الكاظم (عليه السلام)

١- عن يعقوب السراج قال: دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) وهو واقف على رأس أبي الحسن موسى وهو فى المهد، فجعل يساره طويلا، فجلست حتى فرغ، ففقت إليه فقال لى: «ادن من مولاك فسلم، فدنوت فسلمت عليه فردّ على السلام بلسان فصيح، ثم قال لى: اذهب فغير اسم ابنتك التى سميتها أمس، فانه اسم يبغضه الله، و كان ولدت لى ابنه سميتها بالحميراء. فقال أبو عبد الله: انتة الى أمره ترشد، فغيرت اسمها» (١).

٢- عن سليمان بن خالد قال: دعا أبو عبد الله (عليه السلام) أبا الحسن (عليه السلام) يوما و نحن عنده فقال لنا: «عليكم بهذا، فهو و الله صاحبكم بعدى» (٢).

٣- عن فيض بن المختار قال: «انى لعند أبي عبد الله (عليه السلام) اذ أقبل أبو الحسن موسى (عليه السلام) - و هو غلام - فالتزمته و قبلته فقال أبو عبد الله (عليه السلام): أنتم السفينه و هذا ملاحها، قال: فحججت من قابل و معى الفا دينار فبعثت بألف الى أبي عبد الله (عليه السلام) و ألف إليه، فلما دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) قال: يا فيض عدلته بى؟ قلت: أنما فعلت ذلك لقولك، فقال: أما و الله ما أنا فعلت ذلك. بل الله عزّ

ص: ٥٥

١- (١) اصول الكافى: ٣١٠/١، ح ١١.

٢- (٢) اصول الكافى: ٣١٠/١، ح ١٢.

و جَلَّ فعله به» (١).

٤- عن الفيض بن المختار قال: قلت لابي عبد الله (عليه السلام): خذ بيدي من النار من لنا بعدك؟ فدخل عليه أبو ابراهيم (عليه السلام)، وهو يومئذ غلام، فقال: «هذا صاحبكم، فتمسك به» (٢).

٥- عن معاذ بن كثير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت له: أسأل الله الذي رزق أباك منك هذه المنزلة أن يرزقك من عقبك قبل الممات مثلها، فقال: «قد فعل الله ذلك». قال: قلت من هو جعلت فداك؟ فأشار الى العبد الصالح وهو راقد فقال (عليه السلام): «هذا الراقد وهو غلام» (٣).

٦- عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: سألت عبد الرحمن في السنه التي أخذ فيها أبو الحسن الماضي (عليه السلام) فقلت له: إن هذا الرجل قد صار في يد هذا وما ندرى الى ما يصير؟ فهل بلغك عنه في أحد من ولده شيء؟ فقال لي: ما ظننت ان أحدا يسألني عن هذه المسأله، دخلت على جعفر بن محمد في منزله فاذا هو في بيت كذا في داره في مسجد له وهو يدعو، وعلى يمينه موسى بن جعفر (عليه السلام) يؤمن على دعائه، فقلت له: جعلني الله فداك قد عرفت انقطاعي اليك و خدمتي لك، فمن ولي الناس بعدك؟ فقال: «إن موسى قد لبس الدرع و ساوى عليه» فقلت له: لا أحتاج بعد هذا الى شيء (٤).

٧- عن يعقوب بن جعفر الجعفرى قال: حدثني اسحاق بن جعفر قال:

كنت عند أبي يوماء، فسأله على بن عمر بن على فقال: جعلت فداك الى من

ص: ٥٦

١- ((١)) اصول الكافي: ٣١١/١، ح ١٦.

٢- ((٢)) اصول الكافي: ٣٠٧/١، ح ١، و الارشاد: ٢١٧/٢.

٣- ((٣)) اصول الكافي: ٣٠٨/١، ح ٢، و الارشاد: ٢١٧/٢.

٤- ((٤)) اصول الكافي: ٣٠٨/١، ح ٣، و الارشاد: ٢١٧/٢.

نفرع و يفرع الناس بعدك؟ فقال: «إلى صاحب الثوبين الاصفرين و الغديرين -يعنى الذؤابتين- و هو الطالع عليك من هذا الباب، يفتح البابين بيده جميعاً»، فما لبثنا ان طلعت علينا كَفَّان آخذه بالبابين ففتحهما ثم دخل علينا ابو ابراهيم (١).

٨- عن صفوان الجمّال، عن أبي عبد الله (عليه السّلام) قال: قال له منصور بن حازم: بأبى أنت و امى إنّ الانفس يغدا عليها و يراح، فاذا كان ذلك، فمن؟ فقال أبو عبد الله (عليه السّلام): «إذا كان ذلك فهو صاحبكم»، و ضرب بيده على منكب أبي الحسن (عليه السّلام) الأيمن -فى ما أعلم- و هو يومئذ خماسى و عبد الله بن جعفر جالس معنا (٢).

٩- عن المفضل بن عمر قال: ذكر أبو عبد الله (عليه السّلام) أبا الحسن (عليه السّلام) -و هو يومئذ غلام- فقال: «هذا المولود الذى لم يولد فينا مولود أعظم بر كه على شيعتنا منه ثم قال لى: لا تجفوا اسماعيل» (٣).

١٠- عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب (عليه السّلام)، عن أبى عبد الله (عليه السّلام) قال: قلت له: «ان كان كون- و لا أرانى الله ذلك- فبمن أئتم؟ قال: فأوماً الى ابنه موسى (عليه السّلام). قلت: فان حدث بموسى حدث فبمن أئتم؟ قال: بولده. قلت: فان حدث و ترك أخا كبيراً و ابناً صغيراً فبمن أئتم؟ قال: بولده، ثم قال: هكذا ابداء، قلت: فان لم أعرفه و لا أعرف موضعه؟ قال: تقول: اللهم إنى أتولى من بقى من حججك من ولد الإمام الماضى، فان ذلك يجزيك ان شاء الله» (٤).

ص: ٥٧

١- ((١)) اصول الكافى: ٣٠٨/١، ح ٥، و الارشاد: ٢٢٠/٢.

٢- ((٢)) اصول الكافى: ٣٠٩/١، ح ٦، و الارشاد: ٢١٨/٢.

٣- ((٣)) اصول الكافى: ٣٠٩/١، ح ٨.

٤- ((٤)) اصول الكافى: ٣٠٩/١، ح ٧، و الارشاد: ٢١٨/٢.

١١- عن فيض بن المختار في حديث طويل في أمر أبي الحسن (عليه السلام) حتى قال له أبو عبد الله (عليه السلام): «هو صاحبك الذي سألت عنه، فقم إليه فاقتر له بحقه، فقمته حتى قبلت رأسه و يده و دعوت الله عزّ و جلّ له، فقال أبو عبد الله (عليه السلام):

أما انه لم يؤذن لنا في أوّل منك، قال: قلت: جعلت فداك فأخبر به احدا؟

فقال: نعم أهلّك و ولدك، و كان معي أهلي و ولدي و رفقائي و كان يونس بن ظبيان من رفقائي، فلما اخبرتهم حمدوا الله عزّ و جلّ و قال يونس:

لا و الله حتى أسمع ذلك منه و كانت به عجله، فخرج فاتبعته، فلما انتهيت الى الباب، سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول له: -و قد سبقني إليه- يا يونس الأمر كما قال لك فيض. قال: فقال: سمعت و أطعت، فقال لي أبو عبد الله (عليه السلام): خذه اليك يا فيض» (١).

١٢- عن صفوان الجمال قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن صاحب هذا الأمر فقال: «إنّ صاحب هذا الأمر لا يلهو و لا يلعب، و أقبل أبو الحسن موسى و هو صغير و معه عناق مكّيه و هو يقول لها: اسجدي لربك، فأخذه أبو عبد الله (عليه السلام) و ضمّه إليه و قال: بأبي و امي من لا يلهو و لا يلعب» (٢).

١٣- روى زيد النرسي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنّه قال: «اني ناجيت الله و نازلته في اسماعيل ابني أن يكون بعدى فأبى ربي إلا أن يكون موسى ابني» (٣).

١٤- عن يزيد بن أسباط قال: دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) في مرضته التي مات فيها، قال (عليه السلام):

«يا يزيد أترى هذا الصبي؟ -و أشار لولده موسى- إذا رأيت الناس قد اختلفوا

ص: ٥٨

١- ((١)) اصول الكافي: ٣٠٩/١، ح ٩.

٢- ((٢)) اصول الكافي: ٣١١/١، ح ١٥، و الارشاد: ٢١٩/٢.

٣- ((٣)) أصل زيد النرسي: ق ٣٩.

فيه، فاشهد علىّ بأنى أخبرتك أن يوسف إنما كان ذنبه عند اخوته حتى طرحوه فى الجب، الحسد له، حين أخبرهم أنه رأى أحد عشر كوكبا و الشمس و القمر و هم له ساجدين، وكذا لا بد لهذا الغلام من أن يحسد، ثم دعا موسى و عبد الله و اسحاق و محمد و العباس، وقال لهم:

هذا وصى الأوصياء و عالم علم العلماء و شهيد على الأموات و الأحياء، ثم قال: يا يزيد سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَ يُسْئَلُونَ (١)(٢).

ص: ٥٩

١- (١) الزخرف (٤٣): ١٩.

٢- (٢) بحار الأنوار: ٢٠/٤٨، ح ٣١، نقلا عن مناقب آل أبى طالب لابن شهر آشوب.

الباب الثالث

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

ملامح عصر الإمام الكاظم (عليه السلام) الفصل الثاني:

مواقف الإمام الكاظم (عليه السلام) في عهد المنصور الفصل الثالث:

الإمام الكاظم (عليه السلام) و حكمه المهدي

ص: ٦١

إشاره

ملاح عصر الإمام الكاظم (عليه السلام)

لم يغير المنصور من سياسته ضد العلويين بعد قتله للإمام الصادق (عليه السلام)، و بعد قضائه على الثورات العلويه فى زمانه، بل بقى هاجس الخوف و القلق يلاحقه، و لم تهدأ ذاته المليئه بالحقد عليهم، فاستمر فى اضطهادهم، فزجّ الأبرياء فى السجون المظلمه و هدمها عليهم، و دفن البعض و هم أحياء فى اسطوانات البناء، و بثّ الجواسيس، لاجل أن يحيط علما بكل نشاطهم، و أخذت عيونهم ترصد كل حركه بعد تحويرها و تحريفها بالكذب لتنسجم مع رغبات الخليفه فكانوا يرفعونها له مكتوبه كما سمح للتيارات الالحاديه كالغلاه و الزنادقه فى أن تأخذ طريقها بين عامه الناس لاضلالهم. كما استعمل بعض العلماء و استغلّهم لتأييد سياسته و اسباغ الطابع الشرعى على حكمه.

و يمكن استجلاء هذا الوضع ضمن عدّه نقاط:

النقطه الأولى:

إنّ وصيه الإمام الصادق (عليه السلام) التى عهد بها أمام الناس لخمسه أشخاص، هم أبو جعفر المنصور، محمد بن سليمان، و عبد الله، و موسى، و حميده، مع كتابه المنصور لعامله فى المدينه بأن يقتل وصى الإمام الصادق (عليه السلام) ان كان

معينا، يتضح-من هذه الوصيه مع أوامر المنصور بقتل الوصى-نوع الطريقه التي كان يتحرك بها المنصور تجاه الإمام موسى (عليه السّلام) ثم يتضح أيضا حجم النشاط و حجم الاهتمام الذي كان يعطيه المنصور للإمام (عليه السّلام) لمراقبه حركته.

و لكن الإمام الصادق (عليه السّلام) كان يستشف من وراء الغيب ما تحمله الأيام المقبله من أخطار لابنه موسى (عليه السّلام) و من هنا فقد خاطب شيعته بلغه خاصه ضمّنها الحقيقه التي اراد ايصالها اليهم و ان كان ذلك يستلزم الالتباس عند بعض، و التحير في معرفه ولى الأمر من بعده لفتهه تقصر أو تطول؛ لأن حفظ الوصى و ولى عهده و الإمام المفترض الطاعه في تلك الظروف العصيه كان أمرا ضروريا بلا ريب لأن استمرار الخط لا يمكن ضمانه إلا بحفظ الإمام المعصوم بما يتناسب مع طبيعه تلك الظروف.

و لكن الواعين و النابهين من صحابه الإمام الصادق (عليه السّلام) لم تلبس عليهم حقيقه وصيه الإمام (عليه السّلام) التي تضمّنت الوصيه للإمام الكاظم (عليه السّلام).

قال داود بن كثير الرقى: وفد من خراسان و افد يكنى أبا جعفر، اجتمع إليه جماعه من أهل خراسان، فسألوه أن يحمل لهم أموالا و متاعا و مسائلهم في الفتاوى و المشاوره، فورد الكوفه و نزل و زار قبر أمير المؤمنين (عليه السّلام)، و رأى في ناحيه المسجد رجلا حوله جماعه.

فلما فرغ من زيارته قصدهم فوجدهم شيعه فقهاء يسمعون من الشيخ، فقالوا: هو أبو حمزه الثمالى.

قال: فبينما نحن جلوس اذ أقبل اعرابى، فقال: جئت من المدينه، و قد مات جعفر بن محمد (عليه السّلام) فشهب أبو حمزه ثم ضرب بيده الارض، ثم سأل الاعرابى:

هل سمعت له بوصيه؟

قال: أوصى الى ابنه عبد الله و الى ابنه موسى، و الى المنصور.

فقال: الحمد لله الذى لم يضلنا، دلّ على الصغير و بين على الكبير، و ستر الأمر العظيم. و وثب الى قبر أمير المؤمنين (عليه السلام) فصلى و صلينا.

ثم أقبلت عليه و قلت له: فسّر لى ما قلته؟

قال: بين أن الكبير ذو عاهه و دلّ على الصغير أن أدخل يده مع الكبير، و ستر الأمر العظيم بالمنصور حتى إذا سأل المنصور: من وصيته؟ قيل أنت.

قال الخراسانى: فلم أفهم جواب ما قاله (١).

فذهب بعد ذلك الى المدينة ليطلع بنفسه على الوصى من بعد الإمام جعفر بن محمد (عليه السلام).

النقطة الثانية:

لقد شدّدت السلطات فى المراقبه على الشيعة بعد استشهاد الإمام الصادق (عليه السلام) و عمّ الارتباك أوساطهم و شحنت الأجواء بالحذر و التحسّب.

و عن هذه الفتره الزمنيه المهمه فى التاريخ الشيعى يحدّثنا هشام بن سالم أحد رموز الشيعة قائلا:

كنا فى المدينة بعد وفاه أبى عبد الله (عليه السلام) أنا و مؤمن الطاق (أبو جعفر) و الناس مجتمعون على أنّ عبد الله (الافطح) صاحب (الامام) بعد أبيه، فدخلنا عليه أنا و صاحب الطاق، و الناس مجتمعون عند عبد الله و ذلك انهم رووا عن أبى عبد الله (عليه السلام): أن الأمر فى الكبير ما لم يكن به عاهه فدخلنا نسأله عمّا كنا نسأل عنه أباه، فسألناه عن الزكاه فى كم تجب؟ قال: فى مائتين خمسسه، قلنا:

ص: ٦٥

ففى مائه؟ قال: درهمان و نصف درهم (١).

قلنا له: والله ما تقول المرجئه هذا. فرفع (الافطح) يده الى السماء،

فقال: لا، والله ما أدري ما تقول المرجئه!

قال: فخرجنا من عنده ضلّالاً، لا ندري الى أين نتوجه أنا و أبو جعفر الأحول (٢) فقعدهنا فى بعض أزقه المدينة باكين حيارى لا ندري الى من نقصد و الى أين نتوجه؟!

نقول: (نذهب) الى المرجئه؟ الى القدرية؟ الى الزيدية؟ الى المعتزله؟ الى الخوارج (٣)؟

قال: فنحن كذلك اذ رأيت رجلاً شيخاً لا أعرفه يومئ الى بيده، فخفت أن يكون عينا (جاسوساً) من عيون أبى جعفر (المنصور الدوانيقى). و ذلك أنه كان له بالمدينة جواسيس ينظرون على من اتفق شيعه جعفر (الصادق) فيضربون عنقه، فخفت أن يكون (الرجل الشيخ) منهم.

فقلت لأبى جعفر (مؤمن الطاق): تنح فإنى خائف على نفسى و عليك، و انما يريدنى (الشيخ) ليس يريدك، فتنح عنى، لا تهلك و تعين على نفسك.

فتنحى غير بعيد، و تبعت الشيخ، و ذلك انى ظننت أنى لا- أقدر على التخلص منه، فما زلت أتبعه حتى ورد بى على باب أبى الحسن موسى (الكاظم) (عليه السلام) ثم خلانى و مضى، فاذا خادم بالباب فقال لى: ادخل، رحمك الله.

قال: فدخلت فاذا أبو الحسن (الكاظم) (عليه السلام) فقال لى ابتداء: لا الى المرجئه، و لا

ص: ٦٦

١- ((١)) من الثابت عند المسلمين أن لا زكاه فى أقل من مائتى درهم، و لكن الافطح كان يجهل هذا الحكم.

٢- ((٢)) مؤمن الطاق، أبو جعفر، صاحب الطاق و الأحول، كلها ألقاب لرجل واحد (محمد بن على بن النعمان)، اختيار معرفه الرجال: ٢/٤٢٥.

٣- ((٣)) الإرشاد للمفيد: ٢/٢٢١، مدينة المعاجز: ٦/٢٠٨.

الى القدرية، و لا الى الزيدية، (و لا الى المعتزلة)، و لا الى الخوارج، الى الى الى .

قال (هشام): فقلت له: جعلت فداك مضى أبوك؟ قال: نعم.

قلت: جعلت فداك مضى فى موت؟ قال: نعم، قلت: جعلت فداك فمن لنا بعده؟ فقال: ان شاء الله يهديك هداك.

قلت: جعلت فداك، إن عبد الله (الافطح) يزعم أنه (إمام) من بعد أبيه فقال: يريد عبد الله-الافطح- أن لا يعبد الله.

قال: قلت له: جعلت فداك، فمن لنا بعده؟ فقال: ان شاء الله أن يهديك هداك أيضا.

قلت: جعلت فداك، أنت هو (الإمام)؟ قال: ما أقول ذلك

قلت فى نفسى-لم أصب طريق المسألة (أى أخطأت فى كيفية السؤال).

قال (هشام): قلت: جعلت فداك، عليك إمام؟ قال: لا. فدخلنى (دخل قلبى) شىء لا يعلمه إلا الله اعظاما له و هيبه، أكثر ما كان يحلّ بى من (هيبه) أبيه (الإمام الصادق) إذا دخلت عليه.

قلت: جعلت فداك، أسألك عما كان يسأل أبوك؟ قال: سل تخبر، و لا تدع (أى لا تنشر الخبر) فان أذعت فهو الذبح.

قال (هشام): فسألته فاذا هو بحر!

قال (هشام): قلت جعلت فداك، شيعتك و شيعه أبيك ضلال، فالقى إليهم (اخبرهم) و أدعوهم إليك؟ فقد أخذت على بالكتمان.

فقال (الإمام): من آنت منهم رشاء، فألق عليهم-أخبرهم- و خذ عليهم

بالكتمان، فان اذاعوا فهو الذبح -و أشار بيده الى حلقه-» (١).

إن هذا الحديث الذى أدلى به هشام يكشف لنا عده حقائق:

١- كثره انتشار الجواسيس، و جو الرعب، و الحذر، و الخوف، و فقدان الأمن الذى عمّ أبناء الامه و اخيارها خصوصا سكان المدينه.

٢- كما يكشف لنا عن أنّ اعلان الإمامه لموسى (عليه السلام) و إخبار الشيعة بإمامته، لم يكن ظاهرا لعامه الناس بل كان محدودا ببعض الخواص من الشيعة (٢) بحيث تجد حتى مثل هشام لا يعلم أن الأمر لمن، إلا بعد حين، و قد حصل عليه بالطرق الشرعيه و العقليه، و هذه الممارسات و غيرها جعلت الشيعة تتدرب و تتمرس على الاساليب التى تقيها من سيف الظالمين مثل السريه و التقيه، لذا نجد الرواه عند نقلهم لخبار الإمام موسى (عليه السلام) لا يصرحون باسمه الصريح بل كانوا يقولون: «قال العبد الصالح»، أو «قال السيد»، أو «قال العالم» و نحو ذلك.

٣- إنّ الحقن الظالم و الممنوعات السلطانيه و الحبس الفكرى و ملاحقه من يخالف، و بثّ الاشاعات المضادّه و الكاذبه، كل هذه الامور خلقت مناخا يتنفس فيه الأدياء و هواه الرذيله و الذين زاد نشاطهم و شاع صيتهم و تعددت فرقهم فى هذه الفتره فطرحوا أنفسهم قاده للامه فى الفكر و الفقه و الحديث بتشجيع من الخليفه. لذا نجد هشام بن سالم فى حديثه يعدد لنا الفرق فى زمانه حيث يقول: نذهب الى المرجئه؟ الى القدرية؟ الى الزيدية؟ الى المعتزله؟ الى الخوارج؟

ص: ٤٨

١- ((١)) اختيار معرفه الرجال: ٥٦٥/٢، ح ٥٠٢، و الارشاد: ٢٢١/٢-٢٢٢ و عنه فى إعلام الورى: ١٦/٢-١٧، و كشف الغمه: ١٢/٣ و ١٣، و بحار الأنوار: ٥٠/٤٨.

٢- ((٢)) منهم زراره و داود بن كثير الرقى، و حمران، و أبى بصير، و المفضل بن عمر و غيرهم.

٤-مارس الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) اسلوباً في هذا الحديث يميزه عن غيره من مدّعي الإمامة (مثل عبد الله الأفتح) وذلك بأخباره عن الكلام الذي دار بين هشام و مؤمن الطاق في أحد أزقه المدينة المنوره حيث قال الإمام لهما: «لا الى المرجئه و لا الى القدرية...الى الى الى».

النقطه الثالثه:

من الحقائق التاريخيه التي تكشف سياسه المنصور القائمه على الخنق و الإباده و القتل للعلويين هو حديث الخزانة.

حيث يكشف لنا هذا الحديث التاريخي عن سياسه المنصور الخشنه مع العلويين، و التي أراد بها الإيحاء لابنه المهدي بأن الخلافه لا تستقيم إلا بهذه الطريقه، ثم تكشف لنا هذه الروايه عن معاناه الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) لانه كان بالتأكيد على علم بهذه الاعداد المؤمنه الخيره من أبناء الشيعة و هي تساق الى السجون لتقتل بعد ذلك صبراً، و هذا الحديث ملئ بالشجون و الأسى فقد ملأ خزانه برؤوس العلويين شيوخا و شبابا و أطفالا و أوصى ريطه زوج المهدي أن لا تفتحها للمهدي و لا يطلع عليها إلا بعد هلاكه، و قد دونه الطبري في تاريخه و هذا نصها:

«لما عزم المنصور على الحج دعا ريطه بنت أبي العباس امراه المهدي و كان المهدي بالرى قبل شخوص أبي جعفر فأوصاها بما أراد»، و عهد اليها و دفع اليها مفاتيح الخزائن، و تقدم اليها و أحلفها و وكّد الايمان أن لا تفتح بعض تلك الخزائن، و لا تطلع عليها أحداً إلا المهدي، و لا هي إلا أن يصح عندها موته، فاذا صح ذلك اجتمعت هي و المهدي و ليس معهما ثالث حتى

يفتحا الخزانة، فلما قدم المهدي من الرى الى مدينه السلام دفعت إليه المفاتيح و أخبرته أنه تقدم إليها أن لا تفتحه و لا تطلع عليه أحدا حتى يصح عندها موته فلما انتهى الى المهدي موت المنصور و ولى الخلافة فتح الباب و معه ريطه، فاذا أزعج كبير فيه جماعه من قتلى الطالبين، و فى آذانهم رقع فيها أنسابهم و إذا فيهم أطفال، و رجال شباب، و مشايخ عده كثيره، فلما رأى ذلك المهدي ارتاع لما رأى و أمر فحفرت لهم حفيره فدفنوا فيها، و عمل عليهم دكانا» (١).

النقطه الرابعه:

و من المشاكل التى اثرت فى مطلع تسلّم الإمام موسى (عليه السلام) لمسؤوليه الإمامه، و التى كانت تهدف لتمزيق الطائفه الشيعيه و إثارة البلبله و التخريب فى صفوفها، هى التشكيك فى مسأله القياده فانها لمن تكون بعد الإمام الصادق (عليه السلام) بسبب ما ادّعاه (عبد الله الافطح) أخو الإمام موسى الاكبر بعد اسماعيل، و هذا بطبيعته الحال يضيف معاناه أخرى للإمام، لان أجهزه المنصور العدوانيّه كانت تعدّ عليه الانفاس و تشكّ فى أى حركه تصدر منه (٢).

النقطه الخامسه:

و من الاساليب التى استخدمتها السلطات العباسيه عامه و المنصور بشكل خاص، سياسه اتّخاذ (و عاظ السلاطين) بعد أن غيب الإمام

ص: ٧٠

١- ((١)) الطبرى: ٣٤٣/٦ و ٣٤٤ مؤسسه الأعلمى للمطبوعات.

٢- ((٢)) سيره الأئمه الاثني عشر: ٣٢٥/٢ فصل حياه الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليهما السلام) ط دار التعارف للمطبوعات-بيروت، و الارشاد: ٢٠٩/٢ ذكر أولاد أبى عبد الله (عليه السلام) و عددهم و اسمائهم و طرف من أخبارهم، ط مؤسسه آل البيت لإحياء التراث-قم المقدسه.

موسى الكاظم (عليه السّلام) عن المسرح السياسى و الفكرى، و ظاهره و غاظه السلاطين هى بديل يرعاه الخليفه و يدعّمه بما أوتى من قوه ليغطّى له الفراغ من جانب و تؤيد له سياسته من جانب آخر اذ يوحى للامه بأنه مع الخط الإسلامى السائر على نهج السنه النبويّه، و وجد من (مالك بن أنس) و أمثاله ممن تناغم معه فى الاختيار العقائدى الذى لا يصطدم مع سياسته، و وجد من تجاوب مع رغبته و كمال له و لا سرته المديح و الثناء، الأمر الذى دفع بالمنصور أن يفرض (الموطأ) على الناس بالسيف ثم جعل لمالك السلطه فى الحجاز على الولاة و جميع موظفى الدوله فازدحم الناس على بابه و هابته الولاة و الحكّام و حينما وفد الشافعى عليه فشقّع بالوالى لكى يسهّل له أمر الدخول عليه فقال له الوالى:

انى أمشى من المدينه الى مكه حافيا راجلا أهون علىّ من أن أمشى الى باب مالك. و لست أرى الذل حتى أقف على باب داره (1).

النقطه السادسه:

انتشرت فى هذه المرحله عقائد خاطئه و تأسست فرق منحرفه من الالحاد و الزندقه و الغلو، و الجبريه، و الارجاء عقائد خاطئه ذات اصحاب تدافع عنها و لم تكن كل هذه الإعتقادات وليده هذا الظرف بالذات، و انما نشطت فى هذا الجوّ المساعد لنموها، حيث كان بعض الخلفاء يتبنى بعضا منها و يسمح لانتشار البعض الآخر.

فالغلاه يعتقدون بنبوّه الأئمه، و بعده بالهيه جعفر بن محمد الصادق

ص: ٧١

١- ((١)) الأئمه الأربعة لمصطفى الشكعه: ١٠٠/٢، حياه مالك بن أنس، الفصل الخامس، باب ٦ مهابه مالك، سيره الأئمه الاثنى عشر، هاشم معروف الحسنى: ٣٢٦/٢، حياه الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليهما السّلام).

و الهيه آبائه، و هؤلاء قد تبرأ منهم الإمام الصادق و لعنهم لعنا مشددا.

لكن السلطات شجعت من جانب، و الصقت التهمه بهم من جانب آخر بهدف التشويه لحقيقه الشيعة، كما استخدموا هذه التهمه فيما بعد ذريعه و مادّه حكم تبرر لهم اضطهاد الشيعة تحت هذا الاسم فأطلقوا على الشيعة اسم زنادقه و يحق للدولة أن تطاردهم.

لقد عاصر الإمام الكاظم (عليه السلام) تيارا آخر كان خطيرا على الامه حاضرا و مستقبلا و كان قد وقف بوجهه الإمام الصادق (عليه السلام) و حذّر منه الشباب خاصة ألا وهم المرجئه الذين يقولون بتأخير و ارجاء صاحب المعصيه الكبيره الى يوم القيامه فلا يحكمون عليه بحكم ما فى الدنيا من كونه من أهل الجنه أو من أهل النار.

و يحاول أصحاب هذا الإعتقاد أن يخلطوا الأوراق و يدمجوا بين سلوك الخير و سلوك الشر فلا يفرّق بين سلوك الإمام على (عليه السلام) و سلوك معاويه و لا بين موقف الحسين (عليه السلام) و موقف يزيد؛ لان الحكم عليهم فى الدنيا ليس من شؤوننا و انما يترك الأمر ليوم القيامه.

ثم تبنت هذه الفرقة اعتقادا آخر لا يقلّ خطوره عن سابقه اذ تكمن خطورته على الشباب خاصة لان هذا الإعتقاد يفسّر معنى الايمان المراد عند الله بأنه الايمان القلبى لا السلوك الخارجى، لان السلوك الخارجى قد يخادع به الانسان فالايان الذى ينظر إليه الله تعالى هو الايمان القلبى أما الممارسات الخارجيه فلا اعتبار لها، فإذا زنا الانسان أو شرب الخمر أو قتل نفسا فهذه تصرفات خارجيه و المهم أن الانسان يعتقد قلبيا بالله تعالى.

كما روج فى هذه الفتره لفكره الجبر و التى نشأت فى زمن معاويه

و استفاد منها بنو العباس حيث تقول بأننا لسنا مخيرين فى أفعالنا فإذا شاء الله أن نصلّى صلينا و إذا شاء أن نشرب الخمر شربنا و هكذا.

الملاحظ فى كل هذه العقائد و الافكار و أصحابها أنها تخدم السلطة كل واحد بطريقتها حيث تبرّر للحكام تصرفاتهم البعيده عن الاسلام بأفكار و أحكام اعتقاديّه و تهدئ الجمهور الإسلامى حين توجهه بهذه الافكار.

من هنا ندرك السبب الذى جعل من الحكام أن يسمحوا بالانتشار لهذه التيارات الناشئه من أفكار منحرفه جاء بها اليهود و غيرهم الى العالم الإسلامى.

هذا هو عرض مختصر للظواهر و الاحداث السياسيه و الثقافيه و الفكرية، التى برزت فى عصر المنصور و كان الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) معاصرا لها.

أما ما هو منهج الإمام و أساليبه و مواقفه فى خضم هذه الاجواء المملؤه بالشبهات و التهم و التضيق؟!!

هذا ما سوف نتناوله فى الفصل الثانى ان شاء الله تعالى.

اشاره

مواقف الإمام الكاظم (عليه السلام) في عهد المنصور

إن حركة الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) ونشاطه إزاء هذه الظروف التي تحدثنا عنها لم يسعفنا التاريخ بتفاصيلها و لم يحدّد لنا بالأرقام بشكل واضح حركة الإمام فيها، إلا أنّ بعض الروايات التاريخية تشير إلى ان الإمام (عليه السلام) قد مارس امورا في سنوات حكم المنصور العشره بعد استشهاد الإمام الصادق (عليه السلام).

وقد انتقينا بعض ممارسات الإمام (عليه السلام) التي لا تتعارض مع هذه الفتره و تنسجم مع ظروفها. ثم حاولنا بعد ذلك التركيز على الخط الذي سلكه الإمام بشكل عام تاركين التعرض للتفاصيل.

كما أنّ الخط العام و النهج الذي اتّخذه الإمام في هذه الفتره يتضمّن ما كان يهدف إليه من اسلوب علاجي لبعض الظواهر الانحرافية، كما يتضمّن ما كان يريد أن يؤسس فيه لثوابت مستقبلية. من هنا يقع الكلام في هذا البحث ضمن عدّه اتجاهات:

و نتناول في هذا الاتجاه دور الإمام (عليه السلام) في إبرازه للقدرات الغيبية التي تميز الإمام عن غيره من الادعياء و زعماء الفرق و الطوائف الضالّة في زمانه، و بهذا قد لفت أنظار الامه و أعطاهما حسًا تقارن و تحاكم به هذه التيارات و تفرز بين الحق و الباطل بما امتلكته من مقاييس مستلهمه من مشاهد مثيره حسيه كان قد حققها الإمام (عليه السلام).

و هذا ينبى عن محاولات إسقاط الحيره الفكرية السائده في هذه الفتره.

و النشاطات التي قام بها الإمام (عليه السلام) في هذا الاتجاه هي كما يلي:

النشاط الأول: إخبار الإمام موسى (عليه السلام) لعامة الناس ببعض الغيبات التي لا يمكن للانسان العادى أن يتوصل اليها، و الروايات التي تتضمن هذا النوع من الإخبار كثيره جدا ننقل بعضها منها:

المثال الأول: عن اسحاق بن عمار قال: «سمعت العبد الصالح (عليه السلام) ينعى الى رجل من شيعته نفسه، فقلت في نفسى: و إنه ليعلم متى يموت الرجل من شيعته! فالتفت الى شبه المغضب فقال: يا اسحاق قد كان رشيد الهجرى يعلم علم المنايا و البلايا و الإمام أولى بعلم ذلك، ثم قال: يا اسحاق اصنع ما أنت صانع فإنّ عمرك قد فنى و قد بقى منه دون سنتين... فلم يلبث اسحاق بعد هذا المجلس إلا يسيرا حتى مات» (١).

المثال الثانى: قال خالد بن نجیح: قلت لموسى (عليه السلام) إنّ أصحابنا قدموا من الكوفه و ذكروا أنّ المفضّل شديد الوجع، فادع الله له. فقال (عليه السلام): «قد استراح».

ص: ٧٤

١- (١) اصول الكافي: ١/٤٨٤، ح ٧، و فى الخرائج و الجرائح: ١/٣١٠، ح ٣: اسحاق بن منصور، و فى اثبات الهداه: ٥/٥٤١، ح ٧٨: اسماعيل بن منصور عن أبيه. و فى بحار الأنوار: ٤٨/٤٨، ح ٩٠-٩١ عن الكافي و الخرائج.

و كان هذا الكلام بعد موته بثلاثة أيام (١).

المثال الثالث: قال ابن نافع التفليسي: خلفت والدي مع الحرم في الموسم و قصدت موسى بن جعفر (عليه السلام) فلما أن قربت منه هممت بالسلام عليه فأقبل عليّ بوجهه و قال: «برّ حجك يا ابن نافع، آجرك الله في أيبك فإنه قد قبضه إليه في هذه الساعة، فارجع فخذ في جهازه، فبقيت متحيراً عند قوله، و قد كنت خلفته و ما به عله، فقال: يا ابن نافع أفلا تؤمن؟ فرجعت فإذا أنا بالجوارى يلظمن خدودهنّ فقلت: ما ورا كنّ؟ قلن: أبوك فارق الدنيا، قال ابن نافع: فجئت إليه أسأله عمّا أخفاه ورائي فقال لي: أبدا ما أخفاه ورائك، ثم قال: يا ابن نافع ان كان في امينتك كذا و كذا أن تسأل عنه فأنا جنب الله و كلمته الباقية و حجته البالغه» (٢).

النشاط الثاني: و من قدرات الإمام (عليه السلام) الخارقه للعادة و التي تميّزه أيضا عن غيره هي تكلمه بعدّه لغات من غير أن يتعلّمها بالطرق الطبيعيه للتعلّم، و إنّما بالالهام. و في هذا المجال تطالعنا مجموعه من الشواهد:

الشاهد الأول: عن أبي بصير قال: دخلت على أبي الحسن الماضي (عليه السلام)، ما لبثت أن دخل علينا رجل من أهل خراسان فتكلم الخراساني بالعربيه، فأجابه هو بالفارسيه.

فقال له الخراساني: أصلحك الله ما معنى أن اكلمك بكلامي إلا أني ظننت أنك لا تحسن فقال: «سبحان الله! إذا كنت لا أحسن أن أجيبك فما فضلي عليك؟!»

ثم قال: «يا أبا محمد إنّ الإمام لا يخفي عليه كلام أحد من الناس و لا طير و لا بهيمه

ص: ٧٧

١- (١) بصائر الدرجات: ٢٦٤ ح ١٠، و اخبار معرفه الرجال: ٣٢٩ ح ٥٩٧، و الخرائج و الجرائح: ٧١٥/٢ ح ١٣، و عنه في بحار الأنوار: ٧٢/٤٨.

٢- (٢) مناقب آل أبي طالب: ٣١١/٤ ح ١٣، و عنه في بحار الأنوار: ٧٢/٤٨.

ولا شيء فيه روح بهذا يعرف الامام، فاذا لم تكن فيه هذه الخصال فليس هو بإمام» (١).

الشاهد الثاني: روى عن أبي حمزه أنه قال: كنت عند أبي الحسن موسى (عليه السلام) اذ دخل عليه ثلاثون مملوكا من الحبشه اشتروا له، فتكلم غلام منهم - وكان جميلا - بكلام فأجابه موسى (عليه السلام) بلغته فتعجب الغلام و تعجبوا جميعا و ظنوا أنه لا يفهم كلامهم.

فقال له موسى (عليه السلام): «انى أدفع اليك مالا، فادفع الى كل (واحد) منهم ثلاثين درهما».

فخرجوا و بعضهم يقول لبعض: «إنه أفصح منا بلغتنا، وهذه نعمه من الله علينا».

قال على بن أبي حمزه: فلما خرجوا قلت: يا ابن رسول الله! رأيتك تكلم هؤلاء الحبشيين بلغاتهم! قال: نعم. و أمرت ذلك الغلام من بينهم بشيء دونهم؟

قال: نعم أمرته أن يستوصى بأصحابه خيرا و أن يعطى كل واحد منهم فى كل شهر ثلاثين درهما، لأنه لما تكلم كان أعلمهم، فانه من أبناء ملوكهم، فجعلته عليهم، و أوصيته بما يحتاجون إليه، و هو مع هذا غلام صدق.

ثم قال: لعلك عجبت من كلامى أياهم الحبشيه؟ قلت: اى و الله.

قال (عليه السلام): لا تعجب فما خفى عليك من أمرى أعجب و أعجب» (٢).

الشاهد الثالث: قال بدر - مولى الإمام الرضا (عليه السلام) - : «إن اسحاق بن عمار دخل على موسى بن جعفر (عليه السلام) فجلس عنده اذ استأذن عليه رجل خراسانى

ص: ٧٨

١- ((١)) قرب الاسناد: ٢٦٥، ح ١٢٦٣ و عنه فى بحار الأنوار: ١٣٣/٢٥، ح ٥، و اثبات الهداه: ٥٣٥/٥ ح ٧٢.

٢- ((٢)) قرب الاسناد: ٢٦٢، ح ١٢٥٧ و عنه فى بحار الأنوار: ١٩٠/٢٦ و ١٠٠/٤٨، و دلائل الإمامه: ١٦٩، و الخرائج و الجرائح: ٣١٢/١، ح ٥ و عنه فى بحار الأنوار: ٧٠/٤٨.

يكلّمه بكلام لم يسمع مثله قطّ كأنه كلام الطير.

قال اسحاق: فأجابه موسى (عليه السلام) بمثله وبلغته الى أن قضى وطره في مساء لته، فخرج من عنده، فقلت: ما سمعت بمثل هذا الكلام.

قال: هذا كلام قوم من أهل الصين و ليس كل كلام أهل الصين مثله.

ثم قال: أتعجب من كلامي بلغته؟ قلت: هو موضع التعجب.

قال (عليه السلام): أخبرك بما هو أعجب منه أنّ الإمام يعلم منطق الطير، و منطق كلّ ذى روح، و ما يخفى على الإمام شيء» (١).

الاتجاه الثاني: الإمام الكاظم (عليه السلام) ومعالجه الانهيار الاخلاقي

لقد أصاب القيم الإسلاميه-بفعل الاسباب التي ذكرناها- اهتزاز كبير و تعرّضت الامه الى هبوط معنوى و تميع مشهود، تغدّيه و تحركه أيد سلطانيه هادفه، هنا سلك الإمام الكاظم (عليه السلام) سبيلين من أجل أن يحدّ من هذا الانهيار الذي تعرّضت له الامه.

الأول عام. و الثاني يختص بالجماعه الصالحه.

و قد اتّخذ الإمام (عليه السلام) أساليب عديده للموعظه و الإرشاد و معالجه الانهيار الأخلاقي الذي أخذ ينتشر و يستحكم في أعظم الحواضر الإسلاميه التي كان الإمام (عليه السلام) يتواجد فيها.

و استطاع الإمام (عليه السلام) من خلال توجيهه لمجموعه من طلاب الحقيقه و تأثيره عليهم أن يربّي في المجتمع الإسلامى نماذج حيّه تكون قدوة للناس في كبح جماح الشهوات الهائجه و إطفاء نيران الهوى المشتعله بسبب

ص: ٧٩

١- ((١)) دلائل الإمامه: ١٧١ و عنه في مدينه المعاجز: ٤٣٨ ح ٣٨، و الخرائج و الجرائح: ٣١٣/١، ح ٦ و عنه في كشف الغمه: ٢٤٧/٢ و بحار الأنوار: ٧٠/٤٨، ح ٩٤.

المغريات المتنوّعه و التي كان يؤججها انسياب الحكّام في وادي الهوى نتيجة للثروات التي كانوا يحرصون على جمعها و يفترون في إنفاقها إلا على شهواتهم الى جانب اقتدارهم السياسي و العسكري.

و ممّن تأثر بالإمام الكاظم (عليه السّلام) و لمع اسمه في حواضر المجتمع الإسلامي؛ أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن المروزي الأصل البغدادي المسكن و الذي أصبح من العرفاء الزهاد بعد أن كان من أهل المعازف و الملاهي، حيث تاب على يدى الإمام الكاظم (عليه السّلام) (١).

و قد ذكر المؤرخون في سبب توبته أن الإمام (عليه السّلام) حين اجتاز على داره ببغداد سمع الملاهي و أصوات الغناء و القصب تعلق من داره، و خرجت منها جاريه و بيدها قمامه فرمت بها في الطريق، فالتفت الإمام إليها قائلاً: «يا جاريه:

صاحب هذه الدار حر أم عبد؟

فأجابت: (حر).

فقال (عليه السّلام): صدقت، لو كان عبدا لخاف من مولاه.

و دخلت الجاريه الدار، و كان بشر على مائدة السكر، فقال لها: ما أبطأك؟ فنقلت له ما دار بينها و بين الإمام (عليه السّلام) فخرج بشر مسرعا حتى لحق الإمام (عليه السّلام) فتاب على يده، و اعتذر منه و بكى (٢) و بعد ذلك أخذ في تهذيب نفسه و اتصل بالله عن معرفه و إيمان حتى فاق أهل عصره في الورع و الزهد.

و قال فيه ابراهيم الحربي: ما أخرجت بغداد أتم عقلا، و لا أحفظ لسانا، من بشر بن الحارث كان في كل شعره منه عقل (٣).

ص: ٨٠

١- ((١)) الكنى و الألقاب: ٦٧/٢.

٢- ((٢)) الكنى و الألقاب: ١٦٧/٢.

٣- ((٣)) تاريخ بغداد: ٧٣/٧.

نعم لقد أعرض بشر ببركه توجيه الإمام الكاظم (عليه السلام) له و تنبيهه عن غفلته حتى أعرض عن زينه الحياه الدنيا و رضى بالقناعه و قال فيها: لو لم يكن فى القناعه شيء إلا التمتع بعز الغناء (الغنى) لكان ذلك يجرى.

و قال: «مروءه القناعه أشرف من مروءه البذل و العطاء» (١).

و ممّا رواه الخطيب البغدادي عنه أنه جعل يبكي يوماً و يضطرب و يقول: «اللهم إن كنت شهرتني فى الدنيا و نوّهت باسمى و رفعتني فوق قدرى على أن تفضحنى فى القيامة، الآن فعجل عقوبتى و خذ منى بقدر ما يقوى عليه بدنى» (٢).

و روى عن حجاج بن الشاعر أنه كان يقول لسليمان اللؤلؤى: رؤى بشر ابن الحارث فى النوم فقيل له: ما فعل الله بك يا أبا نصر؟ قال: غفر لى، و قال:

يا بشر: ما عبدتنى على قدر ما نوّهت باسمك (٣).

و إذا تتبعنا ما أثر عن الإمام الكاظم (عليه السلام) من كلمات وجدنا نصوصاً تشير الى اهتمامه بمعالجه الفساد الأخلاقى بشتى نواحيه، فضلاً عن سيرته العطره و سلوكه السوى الذى كان قبله للعارفين و اسوه للمتمقين و شمساً مضيئه للمؤمنين و قمراً متألئناً للمسلمين.

و نختار ممّا قاله الإمام (عليه السلام) بصدد معالجه الانهيار الأخلاقى ما يلى:

١- «إنّ العاقل: الذى لا يشغل الحلال شكره و لا يغلب الحرام صبره».

٢- «من سلط ثلاثاً على ثلاث فكأنما أعان هواه على هدم عقله».

«من أظلم نور فكره بطول أملة، و محاطائف حكيمته بفضول كلامه و أطفأ

ص: ٨١

١- (١) تاريخ بغداد: ٧٩/٧.

٢- (٢) تاريخ بغداد: ٨١/٧.

٣- (٣) تاريخ بغداد: ٨٣/٧.

نور عبرته بشهوات نفسه فكأنما أعان هواه على هدم عقله، و من هدم عقله أفسد عليه دينه و دنياه».

٣- «رحم الله من استحيا من الله حقَّ الحياء، فحفظ الرأس و ما حوى و البطن و ما وعى و ذكر الموت و البلى و علم أن الجنة محفوفة بالمكاره و النار محفوفة بالشهوات».

٤- «من رضى من الله بالدنيا فقد رضى بالخسيس».

٥- «من لم يعمل بالخطيئة أروح هما مَمَّن عمل الخطيئة، و إن أخلص التوبه و أناب».

٦- «إنَّ صغار الذنوب و محقراتها من مكائد إبليس يحقِّرها لكم و يصعِّرها فى أعينكم فتجتمع و تكثر و تحيط بكم».

٧- «إنَّ الله حرَّم الجنة على كلِّ فاحش بذيء قليل الحياء لا يبالي ما قال و لا ما قيل فيه» (١).

و للإمام الكاظم (عليه السَّلام) معالجه شامله و أساسيه ذات اسس قرآنيه و تاريخيه عريقه سوف تجدها بالتفصيل فى وصيته القيمه لهشام فى فصل تراثه (عليه السَّلام).

الاتجاه الثالث: الإمام الكاظم و التحديات الداخليه

و هنا ندرس بعض مواقف الإمام موسى الكاظم (عليه السَّلام) من جمله من التحديات الداخليه التى كان لها تأثير سلبى مباشر على المذهب، و منها تحديات السلطه لمرجعيه الإمام العلميه.

الموقف الاول: إنَّ موقف الإمام الكاظم (عليه السَّلام) من أخيه عبد الله (الافطح) لم يكن موقفا عدائيا سافرا رغم أنه ادعى الإمامه لنفسه (٢) بعد أبيه. و هذا

ص: ٨٢

١- ((١)) تجد هذه النماذج و غيرها فى فصل تراثه (عليه السَّلام).

٢- ((٢)) بصائر الدرجات: ٢٥١، ح ٤، و اصول الكافي: ٣٥١/١، ح ٧، و اختيار معرفه الرجال: ٢٨٢، ح ٥٠٢، و الارشاد: ٢٢١/٢.

الادعاء الخطير يؤثر على الوجود الشيعي و مستقبله، فلم يكرّس (عليه السّلام) كامل جهده و طاقاته لحلّ هذه المشكله، و لم يسلك مسارا يضغط به من الخارج على الخصم، و لم يفرض على الصف الشيعي أن ينقسم الى فريقين الى أنصار و خصوم.

كما أنه (عليه السّلام) لم يدخل الحرب النفسيه و لا الكلاميه و انما عالج هذا الشرخ الجديد بأسلوب هادئ، و كفيل بعلاج هذه الأزمه. و يتضح ذلك مما يلي:

أولاً: ترك للشيعه و علمائها الحريه فى أن تكتشف بنفسها كفاءه هذا المدّعى و علميته أو تكتشف غيرها من الطاقات فيما إذا كان يمتلكها، عن طريق الفحص المباشر، أو المقارنه بينه و بين الإمام موسى (عليه السّلام) كما حدث مع مؤمن الطاق و هشام بن سالم الذين تقدم ذكرهما.

ثانياً: أبقى الإمام (عليه السّلام) علاقته مع أخيه و ذيه و لم يجعل من المشكله سببا للمقاطعه بدليل أنه دعاه للحضور فى منزله كما تذكره الروايه التى سنذكرها بعد قليل.

ثالثاً: استخدم الإمام (عليه السّلام) اسلوب المعجزه التى تميّزه عن عبد الله باعتباره (عليه السّلام) اماماً مفترض الطاعه فقام (عليه السّلام) بإثبات ذلك أمام جمع من خواصّ الشيعه.

فقد قال المفضّل بن عمر: لما قضى الصادق (عليه السّلام) كانت وصيته فى الإمامه الى موسى فادّعى أخوه عبد الله الإمامه و كان أكبر ولد جعفر فى وقته ذلك هو المعروف بالافطح فأمر موسى (عليه السّلام) بجمع حطب كثير فى وسط داره فأرسل الى أخيه عبد الله يسأله أن يصير إليه فلمّا صار عنده و مع موسى (عليه السّلام) جماعه من وجوه الإماميه و جلس إليه أخوه عبد الله، أمر موسى (عليه السّلام) أن يجعل النار فى ذلك الحطب كله فأحترق كله و لا يعلم الناس السبب فيه، حتى

صار الحطب كله جمرا ثم قام موسى (عليه السّلام) بثيابه في وسط النار و أقبل يحدث الناس ساعه، ثم قام فنفض ثوبه و رجع الى المجلس، فقال لآخيه عبد الله: «ان كنت تزعم انك الإمام بعد أبيك فاجلس في ذلك المجلس»، فقالوا: رأينا عبد الله قد تغير لونه، فقام يجزّ رداءه حتى خرج من دار موسى (عليه السّلام) (١).

و الجدير بالذكر أن الطائفة التي اتبعته قد رجع أكثرهم بعد ذلك الى القول بإمامه أخيه «موسى الكاظم» لما تبينوا ضعف دعواه و قوّه رأى أبى الحسن «موسى الكاظم» و دلاله حقه، و براهين امامته (٢).

الموقف الثانى: موقف الإمام موسى (عليه السّلام) من العناصر التي تصدّت للمرجعيه العلميه و الدينيه، و أصبحت فيما بعد مرجعا عاما يدعم من قبل السلطان و يحظى برعايته، ليجعل منهم أدوات طيّعه تبرّر له سلوكه و خلافته.

و انطلاقا من ضروره الحفاظ على الصيغ الاصيله، و مخافه أن تتعرض الشريعه للتحريف بسبب الاتجاهات و المناهج التي وجدت في مدرسه الخلفاء.

تصدّى الإمام موسى الكاظم (عليه السّلام) لتلك المناهج و الاتجاهات و حاول أن يسلبها الصيغه الشرعيه الزائفه التي كان يتمتع بها أصحابها حينما جعلوا في مواقع الفتيا في الدوله.

قال يونس بن عبد الرحمن: قلت: لأبى الحسن الأول (و هو الإمام الكاظم): بم أوحى الله؟

فقال (عليه السّلام): «يا يونس لا تكونن مبتدعا، من نظر برأيه هلك، و من ترك أهل بيت نبيّه ضلّ، و من ترك كتاب الله و قول نبيّه كفر» (٣).

ص: ٨٤

١- (١) الخرائج و الجرائح: ٣٠٨/١، ح ٢ و عنه في بحار الأنوار: ٦٧/٤٨ و ٢٥١/٤٧.

٢- (٢) الارشاد: ٢١٠/٢-٢١١.

٣- (٣) اصول الكافي: ٥٦/١-٥٨.

و قال الإمام الكاظم فى موضع آخر: «ما لكم و القياس؟! إنما هلك من هلك من قبلكم بالقياس» (١).

و لم يقتصر الإمام (عليه السلام) على إدانته هذا الاتجاه فحسب و إنما حاول أن يعرف مواقع الخطأ و الانحراف بشكل تفصيلى.

فمن محمد الرافعى أنه قال: كان لى ابن عم يقال له (الحسن بن عبد الله) و كان زاهدا و كان من أعبد أهل زمانه، و كان يلقاه السلطان، و ربّما استقبله بالكلام الصعب يعظه و يأمر بالمعروف، و كان السلطان يحتمل له ذلك لصلاحه.

فلم يزل على هذه الحالة، حتى كان يوما دخل أبو الحسن موسى (عليه السلام) المسجد فرآه فأدناه إليه، ثم قال له: «يا أبا على، ما أحبّ اللى ما أنت فيه و أسرّنى بك، إلا أنه ليست لك معرفه، فاذهب فاطلب المعرفه.

قال: جعلت فداك و ما المعرفه؟

قال: اذهب و تفقه و اطلب الحديث.

قال: عمن؟

قال: عن مالك بن أنس و عن فقهاء أهل المدينة، ثم اعرض الحديث علىّ.

قال: فذهب فتكلّم معهم، ثم جاءه فقراءه عليه فأسقطه كلّهم» (٢).

ص: ٨٥

١- (١) اصول الكافى: ١/٥٧، ح ١٦ و عنه فى وسائل الشيعة: ٢٧/٤٢ ح ١٥.

٢- (٢) بصائر الدرجات: ٢٥٤، و ط: ٢/٢٧٤، ح ٦، و اصول الكافى: ١/٣٥٢، ح ٨ باسم محمد الواقفى، و الارشاد: ٢/٢٢٣ باسم الرافعى و عنه فى اعلام الورى: ٢/١٨، ١٩، و كشف الغمه: ٣/١٣، ١٤، و الخرائج و الجرائح: ٢/٦٥٠ ح ٢، و فى بحار الأنوار: ٤٨/٥٢، ح ٤٨ عن البصائر و الارشاد و الاعلام و الخرائج.

اشاره

رَكَز الإمام موسى الكاظم (عليه السّلام) على مسأله القيادة و الولاية الشرعيه المتمثله بالإمام المعصوم و الموقف من القيادة السياسيّه المنحرفه، و تعريف الخواص بالإمامه و القيادة الحقّه عبر أساليب تربويّه.

و في هذا الاتجاه قام الإمام (عليه السّلام) تعميقاً لهذا المعنى -بعده نشاطات:

النشاط الأول: في المجال الفكري

فقد عمق الإمام (عليه السّلام) الاسس و الثوابت العقائديه و الفكريه التي أسّس لها الأئمه (عليهم السّلام) من قبله، و التي تشكّل تحصينات وقائيه تطرد بدورها الفكر المضاد و الدخيل الذي تعتمده الخلافه العباسيه في نظريه الحكم و التي تحاول به الخلط بين ما هو أصيل و دخيل بهدف تضليل الامه بعد ما رفعت شعار الدعوه الى الرضى من آل محمّد.

لذا أعطى الإمام (عليه السّلام) مقياساً واضحاً تميّز به الامه و تطبقه على كل من يدعى القيادة و الخلافه الشرعيه.

فعن أبي بصير عن أبي الحسن الماضي (عليه السّلام) قال: دخلت عليه فقلت له:

جعلت فداك بم يعرف الإمام؟ فقال: «بخصال: أمّا أولهن فشيء تقدم من أبيه فيه، و عرّفه الناس، و نصّب به لهم علماً، حتى يكون حجّه عليهم، لأن رسول الله نصّب علياً (عليه السّلام) علماً و عرّفه الناس، و كذلك الأئمه يعرفونهم الناس و ينصبونهم لهم حتى يعرفوه، و يسأل فيجيب، و يسكت عنه فيبتدى، و يخبر الناس بما في غد، و يكلم الناس بكلّ لسان» (١).

ص: ٨٦

١- (١) قرب الاسناد: ٢٦٥ ح ١٢٦٣، و اصول الكافي: ٢٨٥/١ ح ٧، و الإرشاد: ٢٢٤/٢، و دلائل الإمامه: ١٦٩ و عن الإرشاد في اعلام الوري: ٢٢/٢، و في بحار الأنوار: ٤٧/٤٨ ح ٣٣ عن قرب الإسناد و الإرشاد و الاعلام و الخرائج.

و جاء عن أبي خالد الزبالي أنه قال: «نزل أبو الحسن (عليه السلام) (موسى الكاظم) منزلنا في يوم شديد البرد في سنة مجدبه، و نحن لا نقدر على عود نستوقد به فقال: يا أبا خالد اتنا بحطب نستوقد به.

قلت: و الله ما أعرف في هذا الموضع عودة واحدا.

فقال: كلاً يا أبا خالد! ترى هذا الفج؟ خذ فيه فإنك تلقى أعرابيا معه حملان حطبا فاشترهما منه و لا تماسكه.

قال: فركبت حمارى و انطلقت نحو الفج الذى وصف لى فإذا اعرابى معه حملان حطبا فاشتريتهما منه و أتيته بهما، فاستوقدوا منه يومهم ذلك. و أتيته بطرف ما عندنا فطعم منه.

ثم قال: يا أبا خالد! انظر خفاف الغلمان و نعالهم فأصلحها حتى نقدم عليك في شهر كذا و كذا.

قال أبو خالد: فكتبت تاريخ ذلك اليوم فركبت حمارى في اليوم الموعد حتى جئت الى لرق ميل (1) و نزلت فيه فإذا أنا براكب مقبل نحو القطار فقصدت إليه فإذا يهتف بى و يقول: يا أبا خالد!

قلت: لبيك جعلت فداك.

قال: أتراك و فيناك بما وعدناك؟ ثم قال: يا أبا خالد! ما فعلت بالقبتين اللتين كنا نزلنا فيهما؟

فقلت: جعلت فداك قد هياتهما لك. و انطلقت معه حتى نزل فى القبتين اللتين كان نزل فيهما.

ص: ٨٧

١- (١) اللزق بالكسر: اللصق يقال «هو بلزقى» أى بجنبى.

ثم قال: ما حال خفاف الغلمان و نعالهم؟ قلت: قد أصلحناها فأتيته بهما.

فقال (عليه السلام): يا أبا خالد سلني حاجتك؟

فقلت: جعلت فداك أخبرك بما كنت فيه. كنت زیدی المذهب حتى قدمت علی و سألتني الحطب، و ذكرت مجيئك في يوم كذا، فعلمت أنك الإمام الذي فرض الله طاعته.

فقال (عليه السلام): يا أبا خالد من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية و حوسب بما عمل في الإسلام» (١).

النشاط الثاني: في المجال العملي

إشارة

كان الإمام (عليه السلام) يحاسب شيعته و اتباعه المتعاطفين مع الحكام و الولاه و لا يسمح لهم بالانخراط في دائره الظالمين و اعوان الظالمين إلا في موارد خاصه كان هو الذي يأمر بها و يشرف على سيرها و تصرفاتها.

قال زياد بن أبي سلمه دخلت على أبي الحسن موسى (عليه السلام) فقال لي:

يا زياد، أنك لتعمل عمل السلطان؟

قال: قلت أجل: قال لي: و لم؟!

قلت: أنا رجل لي مروءة و علي عيال و ليس وراء ظهري شيء.

فقال لي: يا زياد لا ين أسقط من علي حائق (المكان الشاهق) فأقطع قطعه قطعه، أحب إلي من أن أتولى لاحد منهم عملا- أو أطأ بساط رجل منهم، إلا، لماذا؟

قلت: لا أدرى جعلت فداك.

قال: إلا لتفريج كربه عن مؤمن، أو فك أسره، أو قضاء دينه.

ص: ٨٨

يا زياد! إنَّ أهون ما يصنع الله بمن تولَّى لهم عملاً أن يضرب عليه سرادقا من نار الى أن يفرغ من حساب الخلائق.

يا زياد! فان وليت شيئا من أعمالهم، فأحسن الى اخوانك، فواحده بواحد و الله من وراء ذلك.

يا زياد! أيما رجل منكم تولى لاحد منهم عملا، ثم ساوى بينكم و بينهم، فقولوا له:

أنت متحل كذاب.

يا زياد! اذا ذكرت مقدرتك على الناس فاذكر مقدره الله عليك غدا و نفاذ ما أتيت اليهم عنهم، و بقاء ما أتيت اليهم عليك» (١).

و يأتي إخبار الإمام الكاظم (عليه السلام) بامور مستقبلية-مثل إخباره بموت المنصور قبل تحقّقه و هو في أوج قدرته-دليلا عمليا و حسيا آخر على مبدأ إمامته، فضلا عن ما يفرزه هذا الإخبار بالمستقبل من آمال بانفراج الأزمه التي كانت تتمثل في عتوّ المنصور و جبروته.

الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) يخبر بموت المنصور

و أراد أبو جعفر المنصور الذهاب الى مكه-و ذلك قبيل وفاته- فأخبر الإمام (عليه السلام) بعض خواص الشيعة بموته قبل أن يصل اليها. و فعلا مات قبل الوصول اليها كما أخبر به الإمام (عليه السلام).

قال على بن أبي حمزه: سمعت أبا الحسن موسى (عليه السلام) يقول: «لا و الله لا يرى أبو جعفر بيت الله أبدا.

فقدمت الكوفه فأخبرت أصحابنا، فلم نلبث ان خرج فلما بلغ الكوفه

ص: ٨٩

قال لى أصحابنا فى ذلك فقلت: لا و الله لا يرى بيت الله أبدا.

فلما صار الى البستان اجتمعوا أيضا الى فقالوا: بقى بعد هذا شىء؟ قلت: لا و الله لا يرى بيت الله أبدا.

فلما نزل بئر ميمون أتيت أبا الحسن (عليه السلام) فوجدته فى المحراب قد سجد فأطال السجود ثم رفع رأسه الى فقال: اخرج فانظر ما يقول الناس.

فخرجت فسمعت الواعیه على أبى جعفر فأخبرته. قال: الله أكبر ما كان ليرى بيت الله أبدا» (١).

و هكذا انتهت حياه المنصور العباسى و استولى على الحكم من بعده ابنه المهدي و ذلك فى سنه (١٥٨ هـ)، و بذلك بدأ عهد سياسى جديد له ملامحه و خصائصه. و سوف نرى مواقف الإمام الكاظم (عليه السلام) الرساليه فى هذا العهد الجديد.

ص: ٩٠

١- (١) قرب الاسناد: ٢٦٤ ح ١٢٥٩ و عنه فى بحار الأنوار: ٤٥/٤٨.

اشاره

الإمام الكاظم (عليه السلام) و حكمه المهدي العباسي

ملاحح عهد المهدي العباسي

و يمكن أن نوجز ملاحح حكومته و عهده فيما يلي:

أولاً: لم يطرأ على سياسيه الخليفه العباسي المهدي أيّ تغيير يعول عليه، فقد التزم بالنهج العباسي كخط ثابت و استوحى منه ما يجب أن يعمله من تفصيلات قد تستحدث أثناء سلطته، و سار على ما سار عليه الخلفاء العباسيون من قبله، نعم طرأ بعض التغيير لصالح العلويين بعد ذلك التضييق الشديد من المنصور على العلويين فكانت مصلحه الحكم تقتضى شيئاً من المرونة، الأمر الذي دعا الإمام (عليه السلام) أن يستغل هذه المرونة التي اتخذها المهدي العباسي لصالح اتباعه و توسعه نشاطه و محاور تحرّكه.

ثانياً: إنّ المرونة التي طرأت على سياسه المهدي العباسي مع العلويين كانت في بدايه حكمه و تمثلت فيما أصدره من عفو عام عن جميع المسجونين و في ردّ جميع الاموال المنقوله و غير المنقوله و التي كان قد صادرها أبوه ظلماً و عدواناً الى أهلها، فردّ على الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) ما صادره أبوه من أموال الإمام الصادق (عليه السلام).

ثالثا: بعد أن نشط الإمام (عليه السلام) و دأع صيته خلال حكم المهدي استخدم المهدي سياسته التشدد على الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)، فلقد استدعاه إلى بغداد و حبسه فيها ثم رده إلى المدينة (١).

و كان ذلك في أواخر حكم المهدي تقريبا. كما خطط في هذه المره لقتل الإمام عن طريق حميد بن قحطبه، حيث دعا المهدي حميد بن قحطبه نصف الليل و قال: إن إخلاص أبيك و أخيك فينا أظهر من الشمس، و حالك عندي موقوف.

فقال: أفديك بالمال و النفس، فقال هذا لسائر الناس.

قال: أفديك بالروح و المال و الأهل و الولد، فلم يجبه المهدي.

فقال أفديك بالمال و النفس و الأهل و الولد و الدين فقال: لله درك.

فعاذه المهدي على ذلك و أمره بقتل الإمام الكاظم (عليه السلام) في السحره (٢) بغته، فنام فرأى في منامه عليا يشير اليه و يقرأ: فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ تَقَطُّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٣).

فانتبه مذعورا، و نهى حميدا عما أمره، و أكرم الإمام الكاظم (عليه السلام) و وصله (٤).

رابعا: شجع المهدي الوضّاعين في زمنه فقام هؤلاء بدور اعلامي تضليلي فأحاطوا السلاطين بهاله من التقديس و أبرزوهم في المجتمع

ص: ٩٢

١- (١) قرب الاسناد: ١٤٠، البحار: ٢٢٨/٤٨ ح ٣٢ و اخرجه المالكي في الفصول المهمه: ٢١٦ و الشبلنجي في نور الأبصار: ١٦٥.

٢- (٢) السحره بالضم: السحر.

٣- (٣) محمد (٤٧): ٢٢.

٤- (٤) المناقب: ٣٢٥/٤ و عنه في بحار الأنوار: ١٣٩/٤٨ ح ١٥، تاريخ بغداد: ٣٠/١٣، و عنه في تذكره الخواص: ٣١٣ و وفيات الاعيان: ٣٠٨/٥.

على أنهم يمثلون اراده الله في الارض و أن الخطأ لا يمسه فمثل غياث بن ابراهيم الذي عرف هوى المهدي في الحمام و عشقه لها فحدثه عن أبي هريره أنه قال:

لا سبق إلا في حافر أو نصل -و زاد فيه- أو جناح.

فأمر له المهدي عوض افتعاله للحديث بعشره آلاف درهم، و لما ولى عنه قال لجلسائه:

أشهد أنه كذب على رسول الله (صلى الله عليه و اله) ما قال رسول الله ذلك و لكنه أراد أن يتقرب الي (١).

و أسرف المهدي في صرف الاموال الضخمه من أجل انتقاص العلويين و الحط من شأنهم فتحرك الشعراء و المنتفعون و أخذوا يلققون الأكاذيب في هجاء العلويين و من جمله هؤلاء الزنديق مروان بن أبي حفصه الذي دخل على المهدي ذات يوم و أنشده قائلاً:

يا ابن الذي ورث النبي محمداً دون الأقارب من ذوى الأرحام

الوحى بين بنى البنات و بينكم قطع الخصام فلات حين خصام

ما للنساء مع الرجال فريضه نزلت بذلك سوره الانعام

أنى يكون و ليس ذاك بكائن لبني البنات وراثه الأعمام

فأجازه المهدي على ذلك بسبعين ألف درهم تشجيعاً له و لغيره على انتقاص أهل البيت (عليهم السلام).

و لما سمع الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) بقصيده مروان تأثر أشد التأثر، و فى الليل سمع هاتفاً يتلو عليه آياتاً تجيب على آيات بشار و هى:

ص: ٩٣

أنى يكون و لا يكون و لم يكن للمشركين دعائم الاسلام

لبنى البنات نصيبهم من جدهم و العم متروك بغير سهام

ما للتطبيق و للتراث و انما سجد الطليق مخافه الصمصام

و بقى ابن نثله واقفا متلدا فيه و يمنعه ذوو الأرحام

إنّ ابن فاطمه المنوّه باسمه حاز التراث سوى بنى الاعمام (١).

خامسا: لقد شاع اللهو و انتشر المجون و سادت الميوعة و التحلل فى حكم المهدي العباسى. و بلغ المهدي حسن صوت ابراهيم الموصلى و جوده غناؤه فقرّبه اليه و أعلى من شأنه (٢).

و لقد استغرق المهدي فى المجون و اللهو و ظن الناس به الظنون و اتهموه بشتى التهم و الى ذلك أشار بشار بن برد فى هجائه آياه.

خليفه يزنى بعمّاته يلعب بالدف و بالصولجان

أبدلنا الله به غيره و دسّ موسى فى حر الخيزران (٣)

سادسا: إنّ جميع ما أخذه المنصور من أبناء الامه ظلما و عدوانا و جمعه فى خزائنه و بخل عن بذله لإعمار البلاد و اصلاح حال الامه قد بذله المهدي على شهواته حتى أسرف فى ذلك بالرغم من كل ما شاهد من البؤس و الفقر التى كانت حاضره أمام الناظرين أيام حكومته.

و قد روى من بذخه و اسرافه ما بذله لزواج ابنه هارون من زبيده حتى قال معتز عن بدله ليله الزفاف: بأن هذا شىء لم يسبق اليه أكاسره الفرس و لا قياصره الروم و لا ملوك الغرب (٤).

ص: ٩٤

١- ((١)) الاحتجاج للطبرسى: ١٦٧/٢، ١٦٨.

٢- ((٢)) الاغانى: ٥/٥.

٣- ((٣)) شذرات الذهب: ٣٦٥/١.

٤- ((٤)) راجع حياه الإمام موسى بن جعفر: ١/٤٣٩-٤٤٠.

سابعاً: إنّ السّفاح و المنصور لم يسمحا لنسائهما بالتدخل فى شؤون الدوله و لكن المهدي لّمّا استولى على الحكم بدأ سلطان المرأه ينفذ الى البلاط فزوجته الخيزران أصبحت ذات نفوذ قوى على القصر تقرب من تشاء و تبعّد من تشاء. و من هذا العصر أخذ نفوذ المرأه يزداد و يقوى فى بلاط الحكّام العباسيين حتى بلغ نهايته فى أواسط العهد العباسى و استمر حتى نهايه حكمهم (١).

ثامناً: إنّ انشغال المهدي باللهو من جانب و حاجته الى الاموال من جانب آخر شجّع عمّاله على نهب الاموال و سلب ثروات الامه حتى انتشرت الرشوه عند الموظفين و تشدّد ولاته فى أخذ الخراج. بل عمد المهدي نفسه الى الاجحاف بالناس فأمر بجبايه أسواق بغداد و جعل الأجره عليها (٢).

هذه هى بعض الظواهر التى جاء بها عصر المهدي لتضيف كاهلاً آخر للتركة التاريخيه المؤلمه التى خلفها بنو العباس و الأمويون من قبلهم على الامه.

و قد نشط الإمام الكاظم (عليه السلام) مستغلاً هذه الفرصه المحدوده فكان برنامجه يتوزّع على خطين:

١- خط التحرك العام فى دائره الامه و الانفتاح عليها بهدف إصلاحها ضمن صيغ و أساليب سياسيه و تربويه من شأنها إعادته الامه الى وعيها الإسلامى و قيمها الرساليه.

٢- خط بناء الجماعه الصالحه و تأصيل الامتداد الشيعى فتوجه خلال هذه الفتره القصيره بكل قوه نحو هذا الخط حتى جاء دور الرشيد فضيق على الإمام (عليه السلام) و سجنه ثم قام بتصفيه نشاطه و حياته (عليه السلام).

ص: ٩٥

١- (١) حياه الإمام موسى بن جعفر: ٤٤١/١.

٢- (٢) تاريخ يعقوبى: ٣٩٩/٢.

كان الغالب على حياه الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) عدم الانفتاح على الامه فى حركته العامه.

و جاءت هذه المحدوديه فى الانفتاح على الامه بسبب تشدد الخلفاء العباسيين و مراقبه أجهزتهم التجسسيه له التى كانت تشك فى أى حركه تصدر منه (عليه السلام).

و مع ذلك فقد تنوعت نشاطات الإمام فى مجالات شتى يمكن أن نشير إليها فيما يلى:

١- المجال السياسى:

قال الإمام (عليه السلام) بتوضيح موقفه تجاه الخلفاء و الخلافه للامه، و ان كلفه الموقف ثمنا قد يؤدى بحياته.

لقد كان هذا التحرك من الإمام (عليه السلام) لثلاث يتسرب الفهم الخاطئ للنفس و يكون تقريراً منه للوضع الحاكم أو يتخذ سكوتة ذريعه لتبرير المواقف الانهزاميه.

من هنا نجد للإمام (عليه السلام) المواقف التاليه:

الموقف الأول: لقد ذكرنا بأن المهدي العباسى عند تسلّمه زمام الحكم من أبيه المنصور أبدى سياسه مرنه مع العلويين أراد بها كسبهم و حاول أن ينسب من خلالها المظالم العباسيه الى العهد البائد، و يوحى من جانب قوه الخلافه و شرعيتها و عدالتها عند ما أعلن اعاده حقوق العلويين لهم و أصدر عفوا عاما للمسجونين، و أرجع أموال الإمام الصادق (عليه السلام) الى الإمام الكاظم (عليه السلام).

من هنا وجد الإمام (عليه السّلام) فرصته الذهبية لاستغلال هذه البادرة فبادر بمطالبه المهدي بارجاع فدك باعتبارها تحمل قيمه سياسيه و رمزا للصراع التاريخي بين خط السقيفه و خط أهل البيت (عليهم السّلام).

فدخل على المهدي فرآه مشغولا بردّ المظالم فقال له الإمام (عليه السّلام):

«ما بال مظلمتنا لا ترد؟!»

فقال المهدي: و ما ذاك يا أبا الحسن؟ قال: إنّ الله تبارك و تعالى لمّا فتح على نبيّه (صلّى الله عليه و اله) فدك و ما والاها لم يوجف عليه بخيل و لا ركاب فأنزل الله على نبيه (صلّى الله عليه و اله):

وَ آتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ (١) فلم يدر رسول الله (صلّى الله عليه و اله) من هم؟ فراجع في ذلك جبرئيل و راجع جبرئيل (عليه السّلام) ربّه فأوحى الله اليه: ان ادفع فدك إلى فاطمه (عليها السّلام).

فدعاها رسول الله (صلّى الله عليه و اله) فقال لها: يا فاطمه إنّ الله أمرني أن أدفع إليك فدك، فقالت:

قد قبلت يا رسول الله من الله و منك. فلم يزل وكلاؤها فيها في حياه رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، فلمّا ولى أبو بكر أخرج عنها وكلاءها فأنته فسألته أن يردها عليها فقال لها: ايتيني بأسود أو أحمر يشهد بذلك، فجاءت بأمر المؤمنين (عليه السّلام) و أم أيمن فشهدا لها، فكتب لها بترك التعرّض فخرجت و الكتاب معها. فلقيها عمر فقال: ما هذا معك يا بنت محمد؟ قالت: كتاب كتبه لى ابن أبي قحافه، قال: أرنيه فأبت، فانتزعه من يدها و نظر فيه ثم تغل فيه و محاه و خرقة، فقال لها: هذا لم يوجف عليه أبوك بخيل و لا ركاب فضعى الجبال فى رقابنا.

فقال له المهدي: حدّها لى.

فقال (عليه السّلام): حدّ منها جبل احد، و حد منها عريش مصر، و حد منها سيف البحر، و حدّ منها دومه الجندل.

فقال المهدي: كل هذه حدود فدك؟!

ص: ٩٧

فقال له الإمام (عليه السلام): نعم يا أمير المؤمنين هذا كله، إنَّ هذا كله ممَّا لم يوجف أهله على رسول الله بخيل ولا ركاب.

فتغيّر المهدي و بدا الغضب على وجهه حيث أعلن له الإمام (عليه السلام):

أَنَّ جميع أقاليم العالم الإسلامي قد اخذت منهم، فانطلق قائلاً: هذا كثير و أنظر فيه» (١).

الموقف الثاني: في هذه المرحلة كان الإمام (عليه السلام) حريصاً على تماسك الوجود الشيعي في وسط المجتمع الإسلامي و وحده صفه، لان الظروف الصعبة، تشكّل فرصه لنفوذ النفوس الضعيفه و الحاقده بقصد التخريب.

و ظاهره القرابه و المحسوبيه كانت أهم الركائز التي اعتمد عليها بناء الحكم العباسي، و كانت هي الحاكمه فوق كل المقاييس.

لذا نجد موقف الإمام (عليه السلام) من خطوره هذه الظاهره كان حاسماً، إذ نراه يعلن عن مقاطعه عمّه محمّد بن عبد الله الأرقط أمام الناس تطهيراً للوجود الشيعي من أيّ عنصر مضر مهما كان نسبه قريباً من الإمام (عليه السلام)، فلم يسمح له بالتسلق وصولاً للمواقع أو استغلالاً لها.

فعن عمر بن يزيد قال: كنت عند أبي الحسن (عليه السلام) فذكر محمد بن عبد الله الأرقط فقال: «اني حلفت ان لا يظلني و إياه سقف بيت.

فقلت في نفسي: هذا يأمر بالبرّ و الصله و يقول هذا لعمّه!

قال: فنظر اليّ فقال: هذا من البر و الصله، أنّه متى يأتيني و يدخل عليّ فيقول

ص: ٩٨

١- (١) اصول الكافي: ٥٤٣/١ ح ٢، بحار الأنوار: ١٥٦/٤٨. و نقل السبط في تذكره الخواص: ٣١٤ عن ربيع الأبرار للزمخشري: أن ذلك لم يكن من المهدي بل من هارون كان يقول لموسى الكاظم: خذ فدكا، و هو يمتنع و يقول: إنَّ حددتها لم تردها، فلما ألح عليه قال: ما أخذها إلاّ بحدودها، قال: و ما حدودها؟ فقال... فعند ذلك استلقى أمره و عزم على قتله.

يصدّقه الناس و إذا لم يدخل عليّ، لم يقبل قوله إذا قال» (١).

و زاد فى روايه ابراهيم بن المفضّل بن قيس: «فاذا علم الناس أن لا اكلمه لم يقبلوا منه و أمسك عن ذكرى فكان خيرا له» (٢).

الموقف الثالث: هو موقف الإمام الكاظم (عليه السّلام) من ثوره الحسين بن على ابن الحسن -صاحب ثوره فخ- بن الحسن المثنى ابن الحسن المجتبى (عليه السّلام).

إن الإمام الكاظم (عليه السّلام) بالرغم من امتداد شيعه أبيه فى أرجاء العالم الإسلامى لم يعمل فى هذه المرحله بصيغه المواجهه المسلّحه طيله أيام حياته، حتى أعلن عن موقفه هذا من حكمه المهدي عند ما حبسه المهدي و رأى الإمام عليا (عليه السّلام) فى عالم الرؤيا و قصّ رؤياه على الإمام (عليه السّلام) و قرر إطلاق سراحه، قال له: أفتؤمننى أن تخرج عليّ أو على أحد من ولدى؟ فقال الإمام (عليه السّلام): «والله لا فعلت ذلك و لا هو من شأنى» (٣).

و هذا الموقف للإمام (عليه السّلام) بقى كما هو مع حكمه موسى الهادى لأسباب موضوعيه سبقت الاشاره الى بعضها إلّا- أن الإمام (عليه السّلام) مارس دور الاسناد و التأييد لثوره الحسين -صاحب فخ- من أجل تحريك

ضمير الامه و الاراده الإسلاميه ضد التنازل المطلق عن شخصيتها و كرامتها للحكام المنحرفين.

و لَمَّا عزم الحسين على الثوره قال له الإمام (عليه السّلام): «إنك مقتول فأحد الضراب فإنّ القوم فساق يظهرون إيماننا و يضمرون نفاقا و شركا فإنّا لله و إنّنا إليه راجعون

ص: ٩٩

١- (١) بحار الأنوار: ١٦٠/٤٨ عن بصائر الدرجات: ٦٤ ب ١٠ ح ٥.

٢- (٢) بحار الأنوار: ١٥٩/٤٨ عن قرب الاسناد: ٢٣٢ ح ١١٧٤.

٣- (٣) تاريخ بغداد، و عنه فى تذكره الخواص: ٣١١ و مطالب السؤل لابن طلحه الشافعى: ٨٣ و عن الجنابدى فى كشف الغمه: ٢/٣-٣ و عنه فى بحار الأنوار: ١٤٨/٤٨ ح ٢٢.

و عند الله أحتسبكم من عصبه» (١).

و لما سمع الإمام الكاظم بمقتل الحسين رضى الله عنه بكاه و أبته بهذه الكلمات: «إنا لله و إنا إليه راجعون، مضى و الله مسلما صالحا، صواما قواما، آمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، ما كان فى أهل بيته مثله» (٢).

٢- المجال الاخلاقى و التربوى:

لقد أشاع الحكماء العباسيون أخلاقا و ممارسات جاهليه أصابت القيم و الاخلاق الإسلاميه بالاهتزاز و عرّضت المثل العليا للضياع.

و هذا المخطط كان يستهدف المسخ الحضارى للامه الإسلاميه و لم يكن حاله عقوبه أفرزتها نزوه الخليفه فقط و أنّما هى ذات رصيد تاريخى و جزء من تخطيط جاهلى هادف لتغيير معالم الحضاره و الامه الإسلاميه التى ربّاهها القرآن العظيم و الرسول الكريم.

من هنا واجه الإمام (عليه السّلام) هذا المخطط بأسلوب أخلاقى يتناسب مع أهداف الرساله يذكر الامه بأخلاقه الرسول (صلّى الله عليه و اله) و يعيد لها صورا من مكارم أخلاقه.

هنا نشير الى نماذج من نشاطه:

النموذج الأول: عن حماد بن عثمان قال: بينا موسى بن عيسى فى داره التى تشرف على المسعى، إذ رأى أبا الحسن موسى (عليه السّلام) مقبلا من المروه على بغله فأمر ابن هياج-رجل من همدان منقطعاً اليه- أن يتعلّق بلجامه و يدعى البغله، فأتاه فتعلّق باللجام و ادعى البغله، فثنى أبو الحسن (عليه السّلام) رجله فنزل عنها

ص: ١٠٠

١- ((١)) اصول الكافى: ٣٦٦/١ و عنه فى بحار الأنوار: ١٦١/٤٨، ح ٦.

٢- ((٢)) بحار الأنوار: ١٦٥/٤٨ عن مقاتل الطالبين لأبى الفرج الاصفهانى.

و قال لغلمانہ:خذوا سرجها و ادفعوها اليه،فقال و السرج أيضا لى،فقال له أبو الحسن (عليه السلام):«كذبت عندنا البئنه بأنه سرج محمد بن على،و أما البغله فانا اشتريتها منذ قريب و أنت أعلم و ما قلت» (١).

النموذج الثانى:خرج عبد الصمد بن على و معه جماعه فبصر بأبى الحسن (عليه السلام)مقبلا راكبا بغلا،فقال لمن معه:مكانكم حتى أضحككم من موسى بن جعفر،فلما دنا منه قال له:ما هذه الدابّه التى لا تدرك عليها الثأر،و لا تصلح عند النزال؟فقال له أبو الحسن (عليه السلام):«تطأطأت عن سموّ الخيل و تجاوزت قموء العير،و خير الامور أوسطها».فافحم عبد الصمد فما أحرار جوابا (٢).

النموذج الثالث:عن الحسن بن محمد:أن رجلا من ولد عمر بن الخطاب كان بالمدينه يؤذى أبا الحسن (عليه السلام)فكان يسبّه إذا رآه و يشتم عليا(عليه السلام).

و قد لاحظنا حسن تعامل الإمام معه و كيف أدى ذلك الى صلاح رؤيته و تعامله مع الإمام(عليه السلام) (٣).

٣-المجال العلمى

١-قال أبو يوسف للمهدى-و عنده موسى بن جعفر(عليه السلام)-:«تأذن لى أن أسأله عن مسائل ليس عنده فيها شىء؟فقال له:نعم.فقال لموسى ابن جعفر(عليه السلام)أسألك؟قال:نعم.

قال:ما تقول فى التظليل للمحرم؟قال:لا يصلح.قال:فيضرب الخباء فى الارض و يدخل البيت؟قال:نعم.

ص:١٠١

١- (١) بحار الأنوار:١٤٨/٤٨، ح ٢٣ عن فروع الكافى:٨٦/٨.

٢- (٢) بحار الأنوار:١٥٤/٤٨، ح ٢٦ عن فروع الكافى:٥٤٠/٦.

٣- (٣) راجع الفصل الثالث من الباب الأول،مبحث حلمه(عليه السلام)ص ٣٤ من هذا الكتاب.

قال: فما الفرق بين هذين؟ قال أبو الحسن (عليه السلام): ما تقول في الطامث أتقضى الصلاة؟ قال: لا. قال: فتقضى الصوم؟ قال: نعم، قال: ولم؟ قال: هكذا جاء.

قال أبو الحسن (عليه السلام): وهكذا جاء هذا.

فقال المهدي لابي يوسف: ما أراك صنعت شيئاً؟ قال: رمانى بحجر دامغ» (١).

٢- وكان أحمد بن حنبل يروى عن الإمام موسى بن جعفر عن أبيه حتى يسنده الى النبي (صلى الله عليه و اله) ثم يقول: وهذا اسناد لو قرئ على مجنون أفاق» (٢).

٣- وحج المهدي فصار في قبر (قصر) (٣) العبادى ضج الناس من العطش فأمر أن يحفر بئر فلما بدا قريباً من القرار هبت عليهم ريح من البئر فوقت الدلاء و منعت من العمل فخرجت الفعله خوفاً على أنفسهم.

فأعطى على بن يقطين لرجلين عطاء كثيراً ليحفرا فتزلاً فأبطأ ثم خرجا مرعوبين قد ذهبت ألوانهما فسألتهما عن الخير. فقالا: إنا رأينا آثاراً و أثاثاً و رأينا رجالاً و نساءً فكلما أو مانا الى شىء منهم صار هباءً، فصار المهدي يسأل عن ذلك و لا يعلمون.

فقال موسى بن جعفر (عليه السلام): «هؤلاء أصحاب الاحقاف غضب الله عليهم

ص: ١٠٢

١- (١) عيون أخبار الرضا: ٧٨/١ و عنه فى بحار الأنوار: ١٠٨/٨١. و نقله فى المناقب: ٣٣٨/٤ عن الفقيه، و ليس فيه لا- فى الحيض و لا- فى التظليل! و فى الكنى و الألقاب: ١٨٨/١ عن الكلينى. و نقل نحوه المفيد فى الارشاد: ٢٣٥/٢ عن محمد بن الحسن الشيبانى بمحضر الرشيد، و رواهما فى الاحتجاج: ١٦٨/٢.

٢- (٢) المناقب: ٣٤١/٤.

٣- (٣) قبر العبادى: منزل فى طريق مكة من القادسيه الى الغديب: و فى الاحتجاج: (قصر العبادى): ٣٣٣/٢.

فساخت بهم ديارهم و أموالهم» (١).

٤-و عن هشام بن الحكم قال موسى بن جعفر (عليه السلام) لأبره النصراني:

«كيف علمك بكتابك؟»

قال: أنا عالم به و بتأويله.

فابتدأ موسى (عليه السلام) يقرأ الانجيل. فقال أبره: و المسيح لقد كان يقرأها هكذا، و ما قرأ هكذا إلا المسيح و أنا كنت أطلبه منذ خمسين سنة، فأسلم علي يديه» (٢).

٥-و قال الشيخ المفيد: و قد روى الناس عن أبي الحسن (عليه السلام) فاكثروا، و كان أفقه أهل زمانه.. و أحفظهم لكتاب الله و احسنهم صوتا بالقرآن (٣).

٦-أمر المهدي بتوسعه المسجد الحرام و الجامع النبوي سنة (١٦١ هـ) فامتنع أرباب الدور المجاورين للجامعين من بيعها على الحكومه و قال فقهاء عصره بعدم جواز اجبارهم على ذلك فأشار عليه علي بن يقطين أن يسأل الإمام موسى بن جعفر عن ذلك فجاء جواب الإمام ما نصه بعد البسملة: «إن كانت الكعبة هي النازله بالناس فالناس أولى ببنائها، و إن كان الناس هم النازلون بفناء الكعبة فالكعبة أولى بفنائها»، و لمّا انتهى الجواب الى المهدي أمر بهدم الدور و اضافتها الى ساحه المسجدين (٤).

٧-طلب المهدي من الإمام الكاظم (عليه السلام) أن يستدل له على تحريم الخمر من كتاب الله تعالى قائلا له: «هل الخمر محرّمه في كتاب الله؟ فان الناس

ص: ١٠٣

١- ((١)) مناقب آل أبي طالب: ٣٣٦/٤ و عنه في بحار الأنوار: ١٠٤/٤٨ و في الاحتجاج: ١٥٩/٢-١٦١ أكثر تفصيلا.

٢- ((٢)) مناقب آل أبي طالب: ٣٣٥/٤ و عنه في بحار الأنوار: ١٠٤/٤٨.

٣- ((٣)) الارشاد: ٣٣٥/٢ و عنه في كشف الغمه: ٢٠/٣.

٤- ((٤)) حياه الإمام موسى بن جعفر: ٤٥١/١-٤٥٢.

إنما يعرفونها و لا يعرفون التحريم.

فقال الإمام (عليه السلام): بل هي محرمة في كتاب الله. فقال المهدي في أي موضع هي محرمة؟

فقال (عليه السلام): قوله عزّ و جلّ: **إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَ الْبَغْيَ بَعْدَ الْحَقِّ...** و استشهد على أن (الاثم) هي الخمره بعينها بقوله تعالى:

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنَافِعٌ لِلنَّاسِ. فالاثم في كتاب الله هو الخمر و الميسر و اثمهما كبير، كما قال الله عزّ و جلّ.

و التفت المهدي الى علي بن يقطين قائلاً له: هذه و الله فتوى هاشميه.

فقال علي بن يقطين: صدقت و الله يا أمير المؤمنين. الحمد لله الذي لم يخرج هذا العلم منكم أهل البيت. فلذعه هذا الكلام فلم يملك صوابه فاندفع قائلاً: صدقت يا رافضي [\(١\)](#).

الإمام الكاظم (عليه السلام) و بناء الجماعه الصالحه

اشاره

كزس الإمام الكاظم (عليه السلام) جهده لإكمال بناء الجماعه الصالحه التي يهدف من خلالها الى الحفاظ على الشريعه من الضياع و يطرح النموذج الصالح الذي يتولّى عمليه التغيير و البناء في الامه، حيث مارس الإمام (عليه السلام) تحرّكا مشهودا في هذا المجال و قدّم للامه النموذج الصالح الذي صنعته مدرسه أهل البيت (عليهم السلام).

ص: ١٠٤

إشارة

١- الانتماء السياسي: ركز الإمام (عليه السلام) على بعد الانتماء لخط أهل البيت (عليهم السلام) ولا سيما الانتماء السياسي لهم و تحرك الإمام على مستوى تجويز اندساس بعض أتباعه في جهاز السلطة الحاكمة، و أبرز مثال لذلك توظيف علي بن يقطين و وصوله الى مركز الوزارة؛ و ذلك لتحقيق عدّه أهداف في هذه المرحلة السياسيّه الحرجه و هي كما يلي:

الهدف الأول: الإحاطه بالوضع السياسي

إنّ الاقتراب من أعلى موقع سياسي، من أجل الإحاطه بالمعلومات السياسيّه و غيرها التي تصدر من البلاط الحاكم أمر ضروري جدّاً و ذلك ليتخذ التدابير و الحيطه اللازمه لئلا يتعرّض الوجود الشيعي للإباده أو الانهيار.

و الشاهد على ذلك:

أنّه لما عزم موسى الهادي على قتل الإمام موسى (عليه السلام) بعد ثوره الحسين -صاحب فخ- و تدخل أبو يوسف القاضي في تغيير رأى الهادي عند ما قال له بأن موسى الكاظم (عليه السلام) لم يكن مذهبه الخروج و لا مذهب أحد من ولده حيث استطاع أبو يوسف أن يقنع الخليفه.

هنا كتب علي بن يقطين الى أبي الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) بصوره الأمر (١) من أجل أن يكون الإمام علي علم بنشاطاته و سترى في المرحلة التاليه الدور الفاعل الذي لعبه علي بن يقطين في خلافة الرشيد لمصالح الإمام الكاظم (عليه السلام) و الشيعة المواليين له.

ص: ١٠٥

إنّ قضاء حوائج المؤمنين بخطّ أهل البيت و الذين يعيشون فى ظلّ دوله ظالمه تطاردهم و تريد القضاء على وجودهم يشكّل هدفا مهمّا يصب فى رافد بقاء و استمرار وجود هذه الجماعه الصالحه.

و قد طلب على بن يقطين من الإمام الكاظم (عليه السّلام) التخلّى عن منصبه أكثر من مره، و قد نهاه الإمام (عليه السّلام) قائلا له:

«يا على إنّ لله تعالى أولياء مع أولياء الظلمه ليدفع بهم عن أوليائه و أنت منهم يا على» (١).

و قال له فى مره اخرى: «لا- تفعل فإن لنا بك انسا و لإخوانك بك عزّا و عسى الله أن يجبر بك كسيرا أو يكسر بك نائره المخالفين عن أوليائه. يا على كفاره أعمالكم الاحسان الى اخوانكم.. اضمن لى واحده أضمن لك ثلاثا، اضمن لى أن لا تلقى أحدا من أوليائنا إلا قضيت حاجته و اكرمه أضمن لك أن لا يظلك سقف سجن أبدا و لا ينالك حد السيف أبدا و لا يدخل الفقر بيتك أبدا...» (٢).

و عن على بن طاهر الصورى: قال: ولى علينا بعض كتاب يحيى بن خالد و كان علىّ بقايا يطالبنى بها و خفت من الزامى اياها خروجا عن نعمتى، و قيل لى: انه ينتحل هذا المذهب، فخفت أن أمضى اليه فلا يكون كذلك، فأقع فيما لا أحبّ.

فاجتمع رأبى على أنى هربت الى الله تعالى، و حججت و لقيت مولاى الصابر- يعنى موسى بن جعفر (عليه السّلام)- فشكوت حالى اليه فاصحبنى

ص: ١٠٦

١- ((١)) اختيار معرفه الرجال: ٤٣٣ ح ٨١٧.

٢- ((٢)) خبر الضمان فى اختيار معرفه الرجال: ٤٣٣ ح ٨١٨ و عنه فى حياه الإمام موسى بن جعفر: ٢٨٦/٢-٢٨٧.

«بسم الله الرحمن الرحيم اعلم أنّ لله تحت عرشه ظلال لا يسكنه إلا من أسدى الى أخيه معروفاً، أو نفّس عنه كربه، أو أدخل على قلبه سروراً، وهذا أخوك، والسلام» (١).

و من مصاديق قضاء حوائج الاخوان المؤمنين: جبايه الاموال جهراً و إرجاعها إليهم سرا.

عن علي بن يقطين قال: قلت لأبي الحسن (عليه السلام) ما تقول في أعمال هؤلاء؟

قال: «ان كنت لا بدّ فاتق الله في أموال الشيعة».

قال الراوى: فأخبرني علي انه كان يجيبها من الشيعة علانيه و يردّها عليهم في السرّ (٢).

الهدف الثالث: التأثير في السياسه العامه (عليه السلام)

استخدم الإمام آليات متقنه و محكمه في نشاطه الاستخبارى و تأمين الاتصال السرى مع علي بن يقطين أو غيره من الشيعة المندسين في مراكز النظام الحاكم، و لعل الهدف من هذا الاختراق و مسك مواقع متقدمه من السلطه إمّا للتأثير في السياسه العامه للسلطه أو لإنجاز أعمال سياسيه أو فقهيّه لصالح الامّه من خلال قربه لهذه المواقع.

يحدّثنا اسماعيل بن سلام عن آليات هذا الارتباط و ما يتضمّنه من نشاط في النصّ التالى:

ص: ١٠٧

١- ((١)) راجع تمام الخبر و مصادره فى: ٣٦-٣٨ من هذا الكتاب.

٢- ((٢)) الكافى: ١١٠/٥، ح ٣، و عنه فى البحار: ١٥٨/٤٨، ح ٣١، و فى اختيار معرفه الرجال: ٤٣٥ ح ٨٢٠ عن كاتبه اميه و غيره.

قال اسماعيل بن سلام و ابن حميد: بعث الينا على بن يقطين فقال:

اشترينا راحلتين، و تجنّب الطريق. و دفع الينا أموالا و كتبنا حتى توصلنا ما معكما من المال و الكتب الى أبي الحسن موسى (عليه السّلام) و لا يعلم بكما أحد، قال:

فأتينا الكوفة و اشترينا راحلتين و تزوّدنا زادا، و خرجنا نتجنّب الطريق حتى إذا صرنا بطن الرّمه شدّدنا راحلتنا، و وضعنا لها العلف، و قعدنا نأكل فيينا نحن كذلك، إذ راكب قد أقبل و معه شاكري، فلما قرب منا فاذا هو أبو الحسن موسى (عليه السّلام) فقمنا اليه و سلمنا عليه و دفعنا إليه الكتب و ما كان معنا فأخرج من كمّه كتبنا فناولنا أيّاهما فقال: هذه جوابات كتبكم (١)...

ثانيا: التقيف السياسي

إنّ النشاط السياسي الذي يقوم به أصحاب الإمام (عليه السّلام) في هذه المرحلة و لما يمتاز به من صعوبات كان يحتاج الى لون خاص من الوعي و دقه في الملاحظه و عمق في الايمان، ممّا دفع بالإمام (عليه السّلام) الى أن يرعى و يشجع الخواص و يعمق في نفوسهم روح التدبّر و يمنحهم سقفا خاصا من المستوى الايماني و يدفعهم الى افق سياسي يتحرّكون به ضد الخصوم بشكل سليم و يوفرّ لهم قوه تمنحهم قدره المواصله و سموّ النفس.

و في هذا المجال نلاحظ ما يلي:

١- شخّذ الإمام (عليه السّلام) الهمم التي آمنت بالحق موضعا أنّ الأمر لا يتعلق بكثرة الانصار أو قلتها.

فعن سماعه بن مهران قال: قال لي العبد الصالح (عليه السّلام): «يا سماعه أمنوا على

ص: ١٠٨

١- ((١)) اختيار معرفه الرجال: ٤٣٦ ح ٨٢١ و الخرائج و الجرائح: ٣٢٧/١ و عنهما في بحار الأنوار: ٣٤/٤٨، ح ٥.

فرشهم، وأخافوني أما والله لقد كانت الدنيا وما فيها إلا واحدا يعبد الله، ولو كان معه غيره لاضافه الله عز وجل إليه حيث يقول: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَ لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١) فصبر بذلك ما شاء الله. ثم إن الله آنسه باسماعيل و اسحاق، فصاروا ثلاثة.

أما والله إن المؤمن لقليل، وإن أهل الباطل لكثير أتدرى لم ذلك؟ فقلت: لا أدري جعلت فداك. فقال: صيروا انسا للمؤمنين يبتون اليهم ما فى صدورهم، فيستريحون الى ذلك و يسكنون إليه» (٢).

٢- لقد سعى الإمام (عليه السلام) لتربيته شيعته على أساس تقويه أو اصر الاخوه و المحبه الايمانيه بحيث تصبح الجماعه الصالحه قوه اجتماعيه متماسكه لا يمكن زعزعتها أو تضعيفها لقوه الترابط العقائدى و الروحى فيما بينها.

لنقرأ النص التالى معا:

سأل الإمام موسى (عليه السلام) يوما أحد أصحابه قائلاً له: «يا عاصم كيف أنتم فى التواصل و التبار؟ فقال: على أفضل ما كان عليه أحد.

فقال (عليه السلام): «أأتى أحدكم عند الضيقه منزل أخيه فلا يجده، فيأمر باخراج كيسه فيخرج فيفضّ ختمه فيأخذ من ذلك حاجته، فلا ينكر عليه؟ قال: لا، قال: لستم على ما أحب من التواصل و الضيقه و الفقر» (٣).

ص: ١٠٩

١- ((١)) النحل (١٦): ١٢٠.

٢- ((٢)) الكافى: ٢/٢٤٣ و عنه فى بحار الأنوار: ٣٧٣/٤٧، ح ٩٤ و ١٦٢/٦٧ قال المجلسى معلقا و مفسرا على هذا الخبر: اى انما جعل الله تعالى هؤلاء المنافقين فى صوره المؤمنين مختلطين بهم لئلا يتوحش المؤمنون لقلتهم.

٣- ((٣)) مكارم الأخلاق: ١٦٥ و فى ط: ١٤٤/٢ عن بصائر الدرجات، و فى بحار الأنوار: ١١٩/٤٨، ح ٣٥ و فى وسائل الشيعه: ٣٥/٢٥.

رَكَّز الإمام الكاظم (عليه السلام) فى تربيته للجماعه الصالحه على ضروره الانتماء الفكرى و المعرفى لمدرسه أهل البيت (عليهم السلام)، و تحرك الإمام (عليه السلام) بهذا الاتجاه مستغلا للنهضة الفكرية التى حَقَّقَهَا الإمام الصادق (عليه السلام) من قبل فقام باكمال عمل أبيه فى بناء الكادر المتخصص فامتدَّت قواعده من هذا النوع حتى ذكر له (٣١٩) صحابيا (١) كل منهم تلقى العلم و المعرفة من الإمام الكاظم (عليه السلام) و قد خضعت هذه الجماعه بانتمائها الفكرى الى برمجه متقنه يمكنها مواجهه التحديات الثقافيه و الفقهيه و الابداع فى ميدانها الخاص.

و فيما يلى نشير الى جانب من نشاط الإمام (عليه السلام) بهذا الاتجاه:

قام الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) بإعداد نخبه من الفقهاء و رواه الحديث تقدَّر كما ذكرنا ب (٣١٩) شخصا لكن قد تميَّز من بين أصحابه ستة بالصدق و الأمانة و أجمع الرواه على تصديقهم فيما يروونه عن الأئمه (عليهم السلام) على أنه اشتهر بين المحدثين ثمانية عشر فقيها و محدثا من أصحاب الأئمه الثلاثة:

(الباقر و الصادق و الكاظم) و هم المعروفون بأصحاب الاجماع، ستة من أصحاب «أبى جعفر» و ستة من أصحاب «أبى عبد الله» و ستة من أصحاب «أبى الحسن موسى (عليهم السلام)»، و هم: «يونس بن عبد الرحمن»، و «صفوان بن يحيى بياح السابري»، و «محمد بن أبى عمير»، و «عبد الله بن المغيرة»، و «الحسن ابن محبوب السَّراد»، و «أحمد بن محمد بن أبى نصر البزنطى» (٢) هذا فى المجال الفقهى أما الميادين الفكرية الاخرى مثل الكلام و القرآن، و اللغه و ما شاكل ذلك فلها أيضا نخبه متخصصة فيها.

ص: ١١٠

١- ((الإمام موسى الكاظم لباقر شريف القرشى: ٢٢٣/٢.

٢- ((انظر اختيار معرفه الرجال: ٥٥٦ ح ١٠٥٠.

لقد عرفنا عداء المهدي للعلويين بشكل عام بل لمن يتولاهم، وما كان اخراجهم من السجون إلا لأنه أحس بأن حكومته لا تدوم لو استمر على سيره أبيه المنصور في التضييق عليهم، وقد أعرب عن سياسته بقوله:

انى أرى التأديب بالصفح أبلغ منه بالعقوبه، والسلامه مع العفو أكثر منها مع العاجله، والقلوب لا تبقى لوال لا يعطف اذا استعطف و لا يعفو إذا قدر، و لا يغفر إذا ظفر، و لا يرحم اذا استرحم، من قلت رحمته و اشتدت سطوته و جب مقتته و كثر مبغضوه (١).

و لكن مع كل هذا نجد المهدي ينكل بوزيره المحبوب عنده (يعقوب بن داود) لأنه كان ذا ميل للعلويين، و بعد أن اختبره قال له: قد حل لي دمك و لو آثرت اراقته لأرقته ثم أمر بسجنه مؤبدا و صادر جميع أمواله (٢).

و من هنا نستطيع أن نكتشف أن سبب أمر المهدي العباسي باعتقال الإمام موسى إنما كان شيوع ذكر الإمام (عليه السلام) و انتشار اسمه و علمه في الآفاق مما جعله يتصور أن بقاء ملكه لا يتم إلا باعتقاله.

و قد عرفت أن المهدي اضطر إلى اطلاق سراح الإمام (عليه السلام) بعد أن رأى في المنام أمير المؤمنين على بن أبي طالب (عليه السلام) متأثرا حزينا مخاطبا إياه:

ص: ١١١

١- ((١)) تاريخ يعقوبى: ٣٩٩/٢-٤٠٠.

٢- ((٢)) حياه الإمام موسى بن جعفر: ٤٤٧/١-٤٤٩ و فى تاريخ يعقوبى: ٤٠١/٢: و كان يعقوب جميل المذهب ميمون النقيه، محبا للخير، كثير الفضل، حسن الهدى، ثم سخط عليه فعزله و حبسه، فلم يزل محبوسا حتى مات المهدي. و فى مروج الذهب: ٣/٣١٢: ثم اختص به يعقوب بن داود السلمى فكان يصل إليه فى كل وقت دون كل الناس.. ثم اتهمه بشيء من أمر الطالبين.. فبقى فى حربه إلى أيام الرشيد فأطلقه، ثم نقل فيه أقوالا اخرى.

«يا محمد! فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ» ففرغ المهدي من نومه..و أمر باحضار الإمام و قصّ عليه رؤياه و طلب منه أن لا يخرج عليه أو على أحد من ولده. ثم أعطاه ثلاثه آلاف دينار وردّه الى المدينة (١).

و مات المهدي لثمان بقين من المحرم سنه (١٦٩ هـ) و هو ابن ثمان و أربعين سنه بعد أن خرج الى الصيد و دخل خربه أصاب بابها عمود ظهره أو أن بعض جواريه كانت قد دسّت له السم لانها كانت تغار من جاريه كان يهواها و يخلص لها (٢).

و هكذا انتهت حياته بعد أن كان قد أخذ البيعه لابنه موسى و هارون بالخلافه من بعده.

الإمام الكاظم (عليه السلام) في حكمه موسى الهادي العباسي

ثم استولى على الحكم موسى الهادي بعد وفاه أبيه المهدي في العشر الأخير من محرم سنه (١٦٩ هـ) و توفي في السنه (١٧٠ هـ) و كان عمره (٢٦) سنه (٣) و بالرغم من قصر المدّه التي حكم فيها موسى الهادي إلّا أنها قد تركت آثارا سيئته على الشيعة و امتازت بحدث مهم في التاريخ الاسلامي و هو «واقعه فخ» التي قال عنها الإمام الجواد (عليه السلام): «لم يكن لنا بعد الطف مصرع أعظم من فخ» (٤) فكانت سياسه الهادي قد امتازت بنزعات شريره ظهرت في سلوكه

ص: ١١٢

١- ((١)) تاريخ بغداد: ٣٠/١٤-٣١، و المناقب: ٣٢٥/٤.

٢- ((٢)) تاريخ يعقوبى: ٤٠١/٢ و حياه الإمام موسى بن جعفر: ٤٥٤/١.

٣- ((٣)) تاريخ يعقوبى: ٤٠١/٢-٤٠٦.

٤- ((٤)) الإمام موسى الكاظم: ٤٥٧/٢.

حتى نغم عليه القريب و البعيد و أبغضه الناس جميعا و قد حقدت عليه امه الخيزران حتى بلغ بها الغيظ له نهايته، قيل أنها هي التي قتلتها (١).
و لقد نكل بالعلويين و أذاع الخوف و الرعب فى صفوفهم و قطع ما أجراه لهم المهدي من الارزاق و الاعطيات و كتب الى جميع الآفاق فى طلبهم و حملهم الى بغداد (٢).

ثوره فخ

اشاره

إنّ الذى فجّر الثوره على الحاكم العباسى هو «الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب (عليه السلام)».

أسباب الثوره

و الأسباب التى أدت الى الثوره عديده، نذكر منها سببين:

الأول: الاضطهاد و الإذلال الذى مارسه الخلفاء العباسيون ضد العلويين و استبداد موسى الهادى على وجه الخصوص.

الثانى: الولاه الذين عينهم موسى الهادى على المدينه مثل تعيينه اسحاق ابن عيسى بن على الذى استخلف عليها رجلا من ولد عمر بن الخطاب يعرف بعبد العزيز.

و قد بالغ هذا الأثيم فى اذلال العلويين و ظلمهم فالزمهم بالمشول عنده كل يوم، و فرض عليهم الرقابه الشخصيه فجعل كل واحد منهم يكفل صاحبه

ص: ١١٣

١- (١) عمده الطالب فى أنساب آل أبى طالب: ١٧٢ عن سر السلسله العلويه: ١٤. و نقل القول الاصفهانى فى مقاتل الطالبين و عنه فى بحار الأنوار: ١٦٥/٤٨.

٢- (٢) تاريخ يعقوبى: ٤٠٤/٢.

بالحضور، و قبضت شرطته على كل من الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن، و مسلم بن جندب و عمر بن سلام، و ادعت الشرطه انها وجدتهم على شراب فأمر بضربهم، و جعل فى أعناقهم حبالا، و أمر أن يطاف بهم فى الشوارع ليفضحهم (١).

و فى سنة (١٦٩ هـ) عزم الحسين بن على -صاحب فخ- على الخروج و فاتح الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) بالأمر و طلب منه المبايعه فقال له الإمام (عليه السلام):

«يا ابن عم لا- تكلفنى ما كلف ابن عمك، عمك أبا عبد الله فيخرج منى ما لا- أريد، كما خرج من أبى عبد الله ما لم يكن يريد». فقال له الحسين: إنما عرضت عليك أمرا فان أردته دخلت فيه. و ان كرهته لم أحملك عليه و الله المستعان، ثم ودّعه.

فجمع الحسين أصحابه مثل يحيى، و سليمان، و ادريس بن عبد الله بن الحسن، و عبد الله بن الحسن الالفطس و غيرهم.

فلما أذن المؤذن الصبح دخلوا المسجد و نادوا أحد أحد، و صعد الالفطس المناره، و أجبر المؤذن على قول: حتى على خير العمل و صلى الحسين بالناس الصبح.

فخطب بعد الصلاه و بايعه الناس، و بعد أن استولى على المدينه توجه نحو مكه و بعد أن وصل الى (فخ) فعسكر فيه و كان معه (٣٠٠) مقاتل و لحقته الجيوش العباسيه و بعد صراع رهيب استشهد الحسين و أصحابه و أرسلت رؤوس الأبرار الى الطاغيه موسى الهادى، و معهم الأسرى و قد قيدوا بالحبال و السلاسل و وضعوا فى أيديهم و أرجلهم الحديد، و أمر الطاغيه بقتلهم فقتلوا صبورا و صلبوا على باب الحبس (٢).

ص: ١١٤

١- (١) بحار الأنوار: ١٦١/٤٨ عن الاصفهانى فى مقاتل الطالبين.

٢- (٢) تاريخ الطبرى: ٢٩/١٠ و بحار الأنوار: ١٦١/٤٨-١٦٥ عن مقاتل الطالبين.

بعد ان انتهت الثورة باستشهاد «الحسين صاحب فخ» و صحبه أخذ الهادى يتوعد الأحياء منهم، وقد ذكر سيدهم الإمام موسى قاتلاً: و الله ما خرج حسين إلا عن أمره، و لا أتبع إلا محبته، لأنه صاحب الوصيه فى أهل هذا البيت. قتلنى الله ان أبقيت عليه (١).

و كتب على بن يقطين الى الإمام موسى (عليه السلام) بصورة الأمر فورد الكتاب، فلما أصبح أحضر أهل بيته و شيعته فاطلعهم على ما ورد عليه من الخبر فقال: ما تشيرون فى هذا؟

فقالوا: نشير عليك- أصلحك الله- و علينا معك أن تباعد شخصك عن هذا الجبار و تغيب شخصك دونه.

فتبسم الإمام موسى (عليه السلام) ثم تمثل بيت كعب بن مالك أخى بنى سلمه و هو:

زعمت سخينه أن ستغلب ربها فليغلب مغالب الغلاب

و أقبل الإمام نحو القبلة و دعا بدعاء الجوشن الصغير المعروف الوارد عنه (عليه السلام) ثم قال (عليه السلام): «قد- و حرمه هذا القبر- مات فى يومه هذا و الله إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون (٢)».

قال الراوى: ثم قمنا الى الصلاة و تفرق القوم فما اجتمعوا إلا لقراءه الكتاب الوارد بموت الهادى و البيعه للرشيد (٣).

ص: ١١٥

١- ((١)) بحار الأنوار: ١٥٠/٤٨-١٥٣ عن ابن طاووس فى مهج الدعوات: ٢١٧.

٢- ((٢)) الذاريات (٥١): ٢٣.

٣- ((٣)) بحار الأنوار: ٢١٧/٤٨، ح ١٧ عن مهج الدعوات لابن طاووس.

لقد استعرضنا فيما سبق نشاط الإمام لاكمال بناء الجماعة الصالحة لا يصلها الى المستوى العالى من العقيدة و الايمان و الوعى السياسى الذى يهئى الأرضيه لانجاز المشروع التغييرى الإسلامى الكبير.

أما العامل الثانى الذى يتكامل به انجاز هذا المشروع، فهو تحريك ضمير الامه و تحرير ارادتها الى حد يمنحها القوه و الصلابه و يمنعها من التنازل عن كرامتها، و الذوبان فى سياسه الظالمين و ذلك من خلال استمرار العمل الثورى ضد الحكومات الظالمه، فانطلاقا من هذه الضروره يمكن أن نلخص موقف الإمام موسى من واقعه (فخر) بما يلى:

١- لم يكن موقف الإمام (عليه السلام) فى هذه المرحله موقفا ثوريا ضد نظام الحكم القائم.

٢- صرح الإمام (عليه السلام) بموقفه من الثوره لزعيمها (الحسين) عند ما طلب منه المبايعه و ذكره بموقف الإمام الصادق (عليه السلام) من ثوره محمد ذى النفس الزكيه، و سوف يكون موقفه كأبيه فيما اذا أصرّ الحسين على ضروره المبايعه (١).

٣- عند ما استولى الحسين على المدينه و صلى بالناس صلاه الصبح لم يتخلف عنه أحد من الطالبين إلا الحسن بن جعفر بن الحسن و موسى بن جعفر (عليه السلام) (٢).

٤- صدر من الإمام تأييد و مسانده صريحه لحركه الحسين و ثورته

ص: ١١٦

١- ((١)) اصول الكافى: ٣٦٦/١ و عنه فى بحار الأنوار: ١٦١/٤٨.

٢- ((٢)) بحار الأنوار: ١٦٣/٤٨ عن الاصفهانى فى مقاتل الطالبين.

عند ما عزم عليها في قوله (عليه السلام): «إِنَّكَ مَقْتُولٌ فَأَحَدُ الضَّرَابِ»، فإنا نلحظ في القوم فساق يظهرون إيماناً و يضمرون نفاقاً و شركاً، فإننا لله و إنا إليه راجعون و عند الله أحتسبكم من عصبه» (١).

٥- و لما سمع الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) بمقتل الحسين (رض) بكاه و ابته بهذه الكلمات: «إِنَّا لِلَّهِ و إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»، مضى و الله مسلماً صالحاً صَوَّاماً قَوَّاماً، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، ما كان في أهل بيته مثله» (٢).

موسى الهادي يحاول عزل الرشيد من ولاية العهد:

قال اليعقوبي: و شجرت بين موسى و أخيه الوحشه فعزم على خلعه و تصيير ابنه جعفر ولي العهد، و دعا القواد الى ذلك، فتوقف عامتهم و أشاروا عليه أن لا يفعل، و سارع بعضهم و قوا عزمته في ذلك و أعلموه أن الملك لا يصلح إن صار إلى هارون، فكان ممن سعى في خلعه أبو هريره محمد بن فروخ الأزدي القائد من الأزد، و قد كان موسى ووجه به في جيش كثير يستنفر من بالجزيره و الشام و مصر و المغرب و يدعو الناس الى خلع هارون، فمن أبى جرد فيهم السيف فسار حتى صار الى الرقه فأتاه الخبر بوفاه موسى (٣).

و مات موسى الهادي لاربع عشر ليله خلت من شهر ربيع الأول سنة (١٧٠ هـ) (٤).

ص: ١١٧

١- ((١)) اصول الكافي: ٣٦٦/١ و عنه في بحار الأنوار: ١٦٠/٤٨، ح ٦.

٢- ((٢)) بحار الأنوار: ١٦٥/٤٨ عن الاصفهاني في مقاتل الطالبين.

٣- ((٣)) تاريخ اليعقوبي: ٤٠٥/٢.

٤- ((٤)) تاريخ اليعقوبي: ٤٠٧/٢.

الباب الرابع

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

ملامح عهد الرّشيد و سياسته مع الإمام (عليه السلام) الفصل الثّاني:

موقف الإمام الكاظم (عليه السلام) من حكم الرّشيد الفصل الثّالث:

اعتقالات الإمام الكاظم (عليه السلام) حتى استشهاده الفصل الرابع:

تراث الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)

ص: ١١٩

إشاره

ملاحح عهد الرشيد و سياسته مع الإمام الكاظم (عليه السلام)

تعتبر السنوات الأخيره من عمر الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) من أعقد مراحل حياته و أشدّها صعوبه و أذى على الإمام (عليه السلام) بالقياس الى المراحل الاخرى التى سبقتها، و قد عاصر فيها هارون الرشيد لمدته (١٤) سنه و أشهرها (١) و كانت حافله بالآلام و المصاعب.

و قد صبّ فيها هارون كلّ الحقد الجاهلى و ما تطويه نفسه الخبيثه من لؤم و دهاء على أهل البيت (عليهم السلام) فقد صمّم سياسه ظالمه تميّز بها عن غيره من الخلفاء، حتى كان من شأنها أن شل حركه الإمام (عليه السلام) و عزله عن الامه تمهيدا لقتله فيما بعد داخل السجن، و بهذا تشكل حياه الإمام موسى لجوؤه لأساليب اخرى من العمل مرحله جديده بالنسبه لحركه الأئمه (عليهم السلام) الذين سبقوه.

و يكون الحديث عن هذه المرحله من حياه الإمام الكاظم (عليه السلام) فى عده فصول:

الأول: عن عهد الرشيد و عن أساليبه التى استخدمها مع الإمام (عليه السلام).

ص: ١٢١

١- (١) إعلام الورى: ٧/٢ و عنه فى بحار الأنوار: ١/٤٨، ح ١.

الثانى: موقف الإمام (عليه السلام) من حكم و سياسه الرشيد و نشاط الإمام (عليه السلام) مع الامه.

الثالث: عن اعتقالات الإمام و دوره فى داخل السجن حتى استشهاده (عليه السلام) فى سنه (١٨٣ هـ).

و يقع الكلام فى هذا الفصل ضمن بحثين:

البحث الأول: ملامح عهد الرشيد:

سبقت الإشارة الى الظواهر الانحرافيه التى اجتاحت البلاد الإسلاميه و السياسه الظالمه ضد أهل البيت (عليهم السلام) التى جاء بها العباسيون فى منهجهم الجاهلى.

ولا يسعنا أن نستعرض كل الاحداث و الظروف التى أحاطت بالإمام (عليه السلام) فى عصر حكومه الرشيد بل نحاول أن نقف على أهم ما امتازت به المرحله من ظواهر لعلها تكون كافيه لاعطاء الصوره الواقعيه و حجم المأساه التى يعانىها الإمام (عليه السلام).

إذا لاحظنا الأموال التى كانت تجبى له من أطراف البلاد لوجدناها تفوق ضخامتها و رقمها أموال كل من سبقه من الخلفاء و كانت تنفق على غير مصالح المسلمين مثل التفتن فى المملدات حتى أسرف هارون فى هباته للمغنين و أغدق عليهم الأموال الطائله فقد أنشده أبو العتاهيه هذه الأبيات:

بأبى من كان فى قلبى له مره حب قليل فسرق

يا بنى العباس فيكم ملك شعب الاحسان منه تفترق

إنما هارون خير كله مات كل الشر مذ يوم خلق

ص: ١٢٢

و غنّاه ابراهيم الموصلي بها فأعطى كل واحد منهما مائه ألف درهم و مائه ثوب (١).

و كان هارون مولعا بالجوارى حريصا على الاستمتاع و التلذذ بهنّ حتى أفرط فى ذلك و كان له قصه مع الجارية (غادر) جاريه أخيه الهادى و كانت حسناء من أحسن الناس وجها و غناء و كان الهادى يحبها و شك ذات يوم بأن الرشيد سيتزوجها حال مماته فقال للرشيد أريد أن تحلف بأنك لا- تتزوجها بعدى فحلف و استوفى عليه الايمان من الحج راجلا و طلاق الزوجات و عتق المماليك و تسبيل ما يملكه، ثم أحلفها بمثل ذلك فحلفت فلم يمض على ذلك الا شهر فمات الهادى و بويع الرشيد فبعث الى (غادر) و خطبها (٢).

و كان الرشيد شديد الولى بالغنّاء فاشتمل قصره على مختلف الآلات الموسيقية و قد أمر المغنّين أن يختاروا له مائه صوت فاختروها ثم أمرهم باختيار عشره فاختروها، ثم أمرهم باختيار ثلاثه ففعلوا (٣) و انقطع إبراهيم عن الغناء لأنه عاهد الهادى بعدم الغناء بعده، لكن الرشيد أمره أن يغنّى فامتنع فرماه فى السجن و لم يطلق سراحه حتى غنّى فى مجلسه (٤).

و كان هارون من المدمنين على شرب الخمره، و كان يدعو خواصّ جواريه إذا أراد الشراب (٥).

قال حماد بن اسحاق عن أبيه: أرسل إلى الرشيد ذات ليله فدخلت عليه

ص: ١٢٣

١- (١) الاغانى: ٧٤/٤.

٢- (٢) نساء الخلفاء: ٤٦.

٣- (٣) الاغانى: ٧/١.

٤- (٤) الاغانى: ١٦٢/١.

٥- (٥) التاج: ٣٧.

فإذا هو جالس و بين يديه جاريه عليها قميص موزد و سراويل موزده، فلما غنت، فقال: لمن هذا اللحن؟ فقلت: لى يا أمير المؤمنين فقال: هات لحن ابن سريج فغنته إياه فطرب و شرب رطلا و سقى الجاريه رطلا و سقانى رطلا (١).

و كان الرشيد شديد التعلق بلعب القمار(النرد)و(الشطرنج) (٢)و بذل الأموال الطائله من أجل هذه الألعاب.

أما موقفه من العلويين فكان الرشيد شديد العدا و الحقد عليهم و قد أقسم حين تولى الخلافه على استئصالهم و قتلهم فقال: و الله لاقتلنهم-أى العلويين-و لأقتلن شيعتهم (٣)و فعلا نفذ قسمه بقتل طائفه كبيره من أعلام العلويين هم خيره المسلمين علما و ورعا فى الدين.

و عند ما رأى جماهير غفيره من الامه الإسلاميه تتهافت على زياره مرقد الحسين(عليه السلام)قام بهدم الدور المجاوره له، و اقتلاع السدره التى كانت الى جانب القبر الشريف (٤)كما أمر بحرث أرض كربلاء ليمحو بذلك كل أثر للقبر المطهر، و قد انتقم الله منه فإنه لم يدر عليه الحول حتى هلك فى خراسان (٥).

و امتد سلوك هذا الحاكم الفاسد الى الامه، حيث اشيع فى البلاد الإسلاميه كل أنواع الفساد، و تحوّلت بغداد عاصمه الخلافه الإسلاميه فى عصره الى مسرح للهوى، و الرقص، و حانات الخمر و دور المجون، حتى أصبحت هذه

ص: ١٢٤

١- (١) الاغانى: ١٢٦/٥-١٢٧.

٢- (٢) الاغانى: ١٢٦/٩-١٢٧.

٣- (٣) الاغانى: ٢٢٥/٥.

٤- (٤) المناقب: ١٩/٢، و الامالى: ٢٠٦.

٥- (٥) تاريخ كربلاء: ١٩٨.

المظاهر سمه بارزه يتميز بها ذلك العصر، وعكس لنا الشعراء انطباعاتهم و أحاسيسهم باللهو و حبّ الجوارى و التلذذ بالخمره، و كرس أبو نؤاس مجهوده الفكرى فى وصف الأكواب و الكؤوس و السقاه و الخمارين و الندماء و افتتن الناس بخمرياتة.

و امتاز عصر هارون بالفقر و البؤس، الذى عم الملايين فنجد جموع المسلمين تعرى و تجوع، فيما زخرت بغداد بأموال المسلمين و التى تكثر عند طبقه خاصه من الخلفاء و أبنائهم و عشيرتهم و وزراءهم و المغنين و الجوارى و الخمارين و الوشاه و المنتفعين من مائده الخلافه.

و حيث ظهر الفقر و البؤس فى موطن كان منشأ للكفر. فقد ظهرت فى ذلك العصر حركات إحدايه نشطت بين البسطاء.

يقول (فلهوزن): إن هناك صله وثيقه بين الدعوه العباسيه و الزنادقه، و يقول: إن العباسيين فى ذلك الوقت جمعوا الزنادقه حولهم و لم يندوهم إلا فيما بعد (١).

و الغريب أن هذه الحركات الهدامه التى انتشرت فى البلاد الإسلاميه مثل «المزديكيه» و غيرها كانت تدعو للتحلل من جميع القيم و هى نوع من أنواع الشيوعيه، يقول الشهرستاني: إن مزدك أحلّ النساء و أباح الأموال و جعل الناس شركه كاشتراكهم فى المال و النار و الكلاء (٢).

ص: ١٢٥

١- (١) الدوله العرييه: ٤٨٩.

٢- (٢) الملل و النحل: ٢٢٩/١.

إشاره

كان الرشيد شديد الحساسيه و الحقد على الإمام موسى الكاظم (عليه السّلام) بالنسبه الى الخلفاء العبّاسيين الذين سبقوه، من هنا بدأ بمحاصره الإمام و مراقبته بغيه شل حركته و نشاطه، بطرق و أساليب متعدده و ملتويه و متطوره تمثّلت في الاستدعاءات المتعدّده للبلاط ثم الاعتقالات المتكرّره، و محاولات الاغتيال بتصفيه أتباع الإمام (عليه السّلام) و شيعته، و زجّ البعض في السجن بعد بثّه للجواسيس بشكل مكثّف و رصد و متابعه كل حركه تصدر من الإمام و أصحابه و إكرام الوشاه و تشجيعهم فيما إذا جاءوا بمعلومه سرّيه عن الإمام حتى انه كانت تقدم رؤوس العلويين كهدايا للرشيد باعتبارها من الامور الثمينه عنده.

و استخدم الرشيد سياسته هذه مع الإمام على المدى البعيد و أراد فيها تطويق الإمام (عليه السّلام) و عزله بشكل تام و قطع كل أواصر الارتباط مع الامه.

و اتّسمت سياسه الرشيد العدوانيه مع الإمام بأنها كانت منذ بويح للخلافه تراوحت بين السجن و الاتّهام السياسى مرّه و الاكرام و التعظيم نفاقا مره اخرى.

و سوف نستعرض مجموعه النصوص التي وردت في هذا الصدد لنقف على مجموعه الأساليب الصريحه و الملتويه و المتطوره التي سلكها هذا الطاغيه لتصفيه حركه أهل البيت (عليهم السّلام) و أتباعهم.

الطائفة الاولى:

تتضمّن أساليب الرشيد مع الإمام و التي تدور بين اكرام الإمام مره

و التخطيط لقتله مرّه اخرى، و الاعتراف بكونه الإمام المفترض الطاعة مرّه ثالثه.

١- جاء عن الفضل أنه قال: «كنت أحجب الرشيد، فأقبل عليّ يوماً غضباناً، و بيده سيف يقبله. فقال لي: يا فضل بقرابتى من رسول الله (صلّى الله عليه و اله) لئن لم تأتني بآبى عمى لآخذن الذى فيه عيناك.

فقلت: بمن أجيئك؟ فقال: بهذا الحجازى. قلت: و أى الحجازيين؟ قال:

موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب.

قال الفضل: فخفت من الله عزّ و جلّ إن جئت به إليه، ثم فكرت فى النقمه، فقلت له: أفعل. فقال: ائتنى بسوطين و حصارين (١) و جلادين.

قال: فأتيته بذلك و مضيت الى منزل أبى ابراهيم موسى بن جعفر (عليه السلام) فأتيت الى خربه فيها كوخ (٢) من جرائد النخل فإذا أنا بسلام أسود.

فقلت له: استأذن لي على مولاك يرحمك الله. فقال لي: ليج (٣) ليس له حاجب و لا- بواب. فولجت إليه، فإذا أنا بسلام أسود بيده مقص يأخذ اللحم من جبينه و عرنين أنفه من كثره سجوده.

فقلت له: السلام عليك يا ابن رسول الله، أجب الرشيد.

فقال: ما للرشيد و ما لي؟ أما تشغله نعمته عني؟ ثم قام مسرعاً، و هو يقول:

لولا أنى سمعت فى خبر عن جدى رسول الله (صلّى الله عليه و اله): إن طاعه السلطان للتقيه واجبه (٤) إذن ما جئت.

ص: ١٢٧

١- (١) آله العصر و الكبس.

٢- (٢) بيت من قصب.

٣- (٣) ولج البيت دخل فيه.

٤- (٤) روى الصدوق فى أماليه: ٢٧٧/ح ٢ باسناده عن أنس قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه و اله): «طاعه السلطان واجبه، و من ترك طاعه السلطان فقد ترك طاعه الله، و دخل فى نهيه، ان الله عز و جل يقول: [□] وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ. البقره (٢): ١٩٥.»

فقلت له: استعد للعقوبه يا أبا ابراهيم رحمك الله، فقال (عليه السلام): أليس معي من يملك الدنيا والآخرة، ولن يقدر اليوم على سوء لى ان شاء الله.

قال الفضل بن الربيع: فرأيتُه و قد أدار يده يلوح بها على رأسه ثلاث مرات.

فدخلت على الرشيد، فإذا هو كأنه امرأه ثكلى قائم حيران فلما رأني قال لى: يا فضل. فقلت: لبيك. فقال: جئتنى بابت عمى؟ قلت: نعم. قال: لا تكون أزعجتة؟ قلت: لا. قال: لا تكون أعلمته أنى عليه غضبان؟ فإنى قد هيجت على نفسى ما لم أرد، أنذن له بالدخول. فأذنت له.

فلما رآه وثب إليه قائما و عانقه و قال له: مرحبا بابت عمى و أختى و وارث نعمتى، ثم أجلسه على مخدّه و قال له: ما الذى قطعك عن زيارتنا؟ فقال (عليه السلام): سعه ملكك و حبك للدنيا.

فقال: ائتونى بحقه الغاليه (١) فاتى بها فغلفه بيده، ثم أمر أن يحمل بين يديه خلع و بدرتان دنانير.

قال الفضل: فتبعته (عليه السلام) فقلت له: ما الذى قلت حتى كفت أمر الرشيد؟

فقال: دعاء جدى على بن أبى طالب (عليه السلام) كان إذا دعا به، ما برز الى عسكر إلا هزمه و لا الى فارس إلا قهره، و هو دعاء كفايه البلاء. قلت: و ما هو؟ قال: قل:

اللهم بك أساور، و بك أحاول (و بك أحاور)، و بك أصول، و بك انتصر، و بك أموت، و بك أحياء، أسلمت نفسى اليك، و فوّضت أمرى اليك، لا حول و لا قوه إلا

ص: ١٢٨

١- ((١)) الغاليه: جمعها غوال: اخلاط من الطيب و تغلى: تطيب بالغاليه.

بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

اللهم انك خلقتني و رزقتني و سترتني، و عن العباد بلطف ما حوّلتني أغيتني، و إذا هويت رددتني، و إذا عثرت قومتي، و إذا مرضت شفيتني، و إذا دعوت اجبتني يا سيدي ارض عنى فقد أرضيتني» (١).

٢-يصوّر لنا عبد الله المأمون بن الرشيد ذلك المستوى من الفهم الذى يمتلكه الرشيد ازاء الإمام. و الذى اعترف به من خلال الاكرام و الاجلال الذى قام به الرشيد للإمام الكاظم (عليه السلام) و الذى يستبطن مدى الحقد و البغض، و يكشف هذا المشهد ثقل الإمام الشعبى الذى دفع بالرشيد الى أن يفتعل هذا المشهد من أجل اضلال الجماهير.

قال المأمون: لقد حججت معه (الرشيد) سنة فلما صار الى المدينة تقدم الى حجابيه و قال: لا يدخل عليّ رجل من أهل المدينة و مكه من أبناء المهاجرين و الانصار و بنى هاشم و سائر بطون قريش إلاّ نسب نفسه، فكان الرجل اذا أراد أن يدخل عليه يقول: أنا فلان ابن فلان حتى ينتهى الى جدّه من هاشم أو قريش و غيرهما فيدخل و يصله الرشيد بخمسة آلاف و ما دونها الى مائتى دينار على قدر شرفه و هجره آباءه.

فبينما أنا ذات يوم واقف إذ دخل الفضل بن الربيع فقال: يا أمير المؤمنين على الباب رجل زعم انه موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (عليهم السلام) فأقبل علينا و نحن قيام على رأسه و الأمين و المؤمن و سائر القواد، و قال احفظوا على أنفسكم.

ص: ١٢٩

١- ((١)) عيون أخبار الرضا: ٧٦/١، ح ٥ و عنه فى بحار الأنوار: ٢١٥/٤٨، ح ١٦.

ثم قال لآذنه ائذن له ولا ينزل إلا على بساطي، فأنا كذلك إذ دخل شيخ قد انهكته العبادة كأنه شن بال قد كلم السجود وجهه و أنفه، فلما رأى الرشيد رمى بنفسه عن حمار كان يركبه فصاح الرشيد: لا- والله إلا- على بساطي فمنعه الحجاب من الترجل، و نظرنا إليه بأجمعنا بالاجلال و الاعظام، فما زال يسير على حماره حتى سار الى البساط و الحجاب و القواد محذون به.

فنزل و قام اليه الرشيد و استقبله الى آخر البساط و قبل وجهه و رأسه و أخذ بيده حتى جرّه في صدر المجلس و أجلسه معه و جعل يحدثه و يقبل عليه و يسأله عن أحواله.

ولما قام الرشيد لقيامه و ودّعه، ثم أقبل على و على الأمين و المؤمن، و قال: يا عبد الله و يا محمد و يا ابراهيم: سيروا بين يدي عمّكم و سيّدكم و خذوا بركابه و سوّوا عليه ثيابه (١).

٣- قال المأمون: فلما خلا المجلس قلت: يا أمير المؤمنين من هذا الرجل الذي عظمته و أجللته، و قمت من مجلسك إليه فاستقبلته، و أقعدته في صدر المجلس، و جلست دونه، ثم أمرتنا بأخذ الركاب له؟!

قال: هذا إمام الناس، و حجه الله على خلقه، و خليفته على عباده.

فقلت: يا أمير المؤمنين أو ليست هذه الصفات كلّها لك و فيك؟!

فقال: أنا إمام الجماعة في الظاهر و الغلبه و القهر، و موسى بن جعفر إمام حق.

و الله يا بنى انه لأحقّ بمقام رسول الله (صلى الله عليه و اله) منى و من الخلق جميعا، و الله

ص: ١٣٠

١- ((١)) عيون أخبار الرضا: ٨٨/١، ح ١، بحار الأنوار: ١٢٩/٤٨، ح ٤، و حليه الأبرار: ١٦٩/٢، و مدينته المعاجز: ٤٤٩ ح ٧٤، و مستدرک الوسائل: ٥٢/٢. إثبات الهداه: ٥١١/٥، ح ٢٩.

لو نازعتنى هذا الأمر لآخذت الذى فيه عيناك فإن الملك عقيم (١).

و نلاحظ أن هذا التصريح من الرشيد و الاعتراف بحقانيه امامه الكاظم (عليه السلام) كان أمرا سريا.

٤- قال المأمون: فلما أراد الرشيد الرحيل من المدينة الى مكة أمر بصره فيها مائتا دينار، ثم أقبل على الفضل بن الربيع فقال له: اذهب بهذه الى موسى ابن جعفر (عليه السلام) و قل له: يقول لك أمير المؤمنين نحن فى ضيق و سيأتيك بزنا بعد هذا الوقت.

فقلت فى صدره فقلت: يا أمير المؤمنين تعطى أبناء المهاجرين و الأنصار و سائر قريش، و بنى هاشم، و من لا يعرف حسبه و نسبه خمسه الآف دينار الى ما دونها و تعطى موسى بن جعفر- و قد أعطيته مائتى دينار- أحسن عطيه أعطيتها أحدا من الناس!؟

فقال: اسكت لا أم لك، فإنى لو أعطيت هذا ما ضمنته له، ما كنت آمنه أن يضرب وجهى غدا بمائه الف سيف من شيعة و مواليه، و فقر هذا و أهل بيته أسلم لى و لكم من بسط أيديهم و أعينهم (٢).

الطائفة الثانية:

نختار فى هذه الطائفة ما يصور لنا أساليب الرشيد مع الإمام و التى بيتغى من ورائها احراج الإمام مره و الاستهانه به مره أخرى لعله يعجزه أمام الناس

ص: ١٣١

-
- ١- ((١)) عيون أخبار الرضا: ٨٨/١ ح ١١، و بحار الأنوار: ١٢٩/٤٨ ح ٤، و مدينة المعاجز: ٤٩٩/٧٤ ح ٧٤، و حليه الأبرار: ٢٦٩/٢، و اثبات الهداه: ٥١١/٥ ح ٢٩، و مستدرک الوسائل: ٥٢/٢ ح ٥.
- ٢- ((٢)) عيون أخبار الرضا: ٨٨/١ ح ١١، البحار: ١٢٩/٤٨ ح ٤.

و يثبت لهم فشله و عدم جدارته.

و لنرى موقف الإمام (عليه السلام) ازاء هذه الاحراجات و الاستهانات و كيف تخلّص منها منتصرا.

١- من أساليب الرشيد مع الإمام (عليه السلام) التي كان يهدف منها تخويف الإمام (عليه السلام) و استضعافه، هو اتهامه بأعمال سياسيه محظوره بنظر الخلافه، مثل جبابه الخراج.

و عن هذا الإتهام يحدّثنا الإمام موسى (عليه السلام) نفسه حيث يقول: «لما ادخلت على الرشيد سلّمت عليه فردّ عليّ السلام ثم قال: يا موسى بن جعفر خليفتين يجيبى اليهما الخراج؟!»

فقلت: يا أمير المؤمنين أعيذك بالله أن تبوء بإثمي و إثمك، و تقبل الباطل من أعدائنا علينا، فقد علمت أنه قد كذب علينا منذ قبض رسول الله (صلّى الله عليه و اله) بما علم ذلك عندك، فإن رأيت بقرابتك من رسول الله (صلّى الله عليه و اله) أن تأذن لي أحدثك بحديث أخبرني به أبي، عن آباءه، عن جدى رسول الله (صلّى الله عليه و اله)؟ فقال: قد أذنت لك فقلت: أخبرني أبي عن آباءه عن جدى رسول الله (صلّى الله عليه و اله) أنه قال: إنّ الرحم إذا مسّت الرحم تحرّكت و اضطربت.

ثم سأله الرشيد عن أفضليه أهل البيت (اولاد على) على بنى العباس فأجابه الإمام (عليه السلام) عن الأدله على هذا التفضيل بعد أن أخذ منه الأمان. ثم أطلق سراحه» (١).

و إليك نصّ ما دار بين الإمام (عليه السلام) و بين الرشيد كما رواه الصدوق:

قال الرشيد للإمام (عليه السلام):

ص: ١٣٢

١- ((١)) عيون أخبار الرضا: ١/٨١، ح ٩ و عنه فى بحار الأنوار: ١٢٥/٤٨.

«أريد أن أسألك عن أشياء تتلجلج في صدري منذ حين، لم أسأل عنها أحدا فإن أنت أجبتني عنها خلّيت عنك، و لم أقبل قول أحد فيك، و قد بلغني أنك لم تكذب قطّ فاصدقني عمّا أسألك ممّا في قلبي.

فقلت: ما كان علمه عندي فأني مخبرك به ان أنت آمنتني؟ قال: لك الأمان ان صدقتني و تركت التقيّه التي تعرفون بها معشر بني فاطمه.

فقلت ليسأل أمير المؤمنين عمّا شاء؟ قال: أخبرني لم فضّلتم علينا و نحن و أنتم من شجره واحده و بنو عبد المطلب و نحن و أنتم واحد، أنا بنو العباس و أنتم ولد أبي طالب، و هما عمّا رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و قرابتهما منه سواء؟

فقلت: نحن أقرب. قال: و كيف ذلك؟

قلت: لأن عبد الله و أبا طالب لأب و أمّ و أبوكم العباس ليس هو من أم عبد الله، و لا من أمّ أبي طالب قال: فلم ادّعيتم أنكم ورثتم النبي (صلّى الله عليه و اله)؟ و العمّ يحجب ابن العمّ، و قبض رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و قد توفي أبو طالب قبله، و العباس عمه حيّ؟

فقلت له: ان رأى أمير المؤمنين أن يعفيني من هذه المسأله و يسألني عن كلّ باب سواه يريد فقل: لا أو تجيب.

فقلت: فأمنّي؟ قال: قد آمنتك قبل الكلام.

فقلت: إن في قول علي بن أبي طالب (عليه السّلام) اذن ليس مع ولد الصّيب ذكرا كان أو انثى لأحد سهم إلاّ للأبوين و الزوج و الزوجه، و لم يثبت للعم مع ولد الصلب ميراث، و لم ينطق به الكتاب، إلاّ أنّ تيمّا وعديا و بنى أميه قالوا: العم والد رأيا منهم بلا حقيقه، و لا أثر عن النبي (صلّى الله عليه و اله).

و من قال بقول علي (عليه السّلام) من العلماء قضاياهم خلاف قضايا هؤلاء، هذا نوح بن دراج يقول في هذه المسأله بقول علي (عليه السّلام) و قد حكم به، و قد ولّاه أمير المؤمنين المصريين

الكوفه و البصره، و قد قضى به فأنهى الى أمير المؤمنين فأمر باحضاره و احضار من يقول بخلاف قوله منهم سفيان الثوري، و ابراهيم المدني و الفضيل بن عياض فشهدوا أنه قول علي (عليه السلام) في هذه المسأله فقال لهم - فيما أبلغني بعض العلماء من أهل الحجاز-: فلم لا تفتون به و قد قضى به نوح بن درّاج؟ فقالوا جسر نوح و جينا و قد أمضى أمير المؤمنين قضّيته بقول قدماء العامه عن النبي (صلّى الله عليه و اله) أنه قال: علي أقضاكم، و كذلك قال عمر بن الخطاب علي أقضانا، و هو إسم جامع لأن جميع ما مدح به النبي (صلّى الله عليه و اله) أصحابه من القراءه و الفرائض و العلم داخل في القضاء. قال: زدني يا موسى.

قلت: المجالس بالأمانات و خاصه مجلسك؟ فقال: لا بأس عليك.

فقلت: إن النبي (صلّى الله عليه و اله) لم يورث من لم يهاجر، و لا أثبت له ولايه حتى يهاجر فقال:

ما حجّتك فيه؟

قلت: قول الله تبارك و تعالى: وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا (١) و إنّ عمى العيّاس لم يهاجر، فقال لي: أسألك يا موسى هل أفتيت بذلك أحدا من أعدائنا؟ أم أخبرت أحدا من الفقهاء في هذه المسأله بشيء؟

فقلت: اللهم لا، و ما سألتني عنها إلا أمير المؤمنين. ثم قال: لم جوّزتم للعامه و الخاصه أن ينسبوكم الى رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و يقولون لكم: يا بني رسول الله، و أنتم بنو علي و أنّما ينسب المرء الى أبيه و فاطمه أنّما هي و عاء، و النبي (صلّى الله عليه و اله) جدّكم من قبل أمكم؟

فقلت: يا أمير المؤمنين لو أن النبي (صلّى الله عليه و اله) نشر فخطب اليك كريمتك هل كنت تجيبه؟

ص: ١٣٤

فقال: سبحان الله و لم لا أجيئه؟! بل أفتخر على العرب و العجم و قریش بذلك.

فقلت: لكنّه (صلّى الله عليه و اله) لا يخطب الی و لا أزوجه، فقال: و لم؟

فقلت: لأنه ولدنی و لم يلدك، فقال: أحسنت يا موسى. ثم قال: كيف قلتم أنا ذريه النبي، و النبي (صلّى الله عليه و اله) لم يعقب؟ و أنما العقب للذكر لا للانثى، و أنتم ولد الابنه، و لا يكون لها عقب؟

فقلت: أسألك بحق القرابه و القبر و من فيه إلا ما أعفيتني عن هذه المسأله.

فقال: لا أو تخبرني بحجتكم فيه يا ولد على، و أنت يا موسى يعسوبهم، و إمام زمانهم، كذا انهى الی، و لست أعفيك في كل ما أسألك عنه، حتى تأتيني فيه بحجه من كتاب الله، فأنتم تدعون معشر ولد على أنه لا يسقط عنكم منه شيء (ألف و لا واو) إلا و تأويله عندكم، و احتججتكم بقوله عزّ و جلّ مَا فَزَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ (١) و قد استغنيتم عن رأى العلماء و قياسهم.

فقلت: تأذن لي في الجواب؟ قال: هات.

فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم و مِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَ سُُلَيْمَانَ وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسَى وَ هَارُونَ وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَ زَكَرِيَّا وَ يَحْيَى وَ عِيسَى (٢) من أبو عيسى يا أمير المؤمنين؟ فقال: ليس لعيسى أب.

فقلت: أنما ألحقناه بذراري الأنبياء (عليهم السّلام) من طريق مريم (عليها السّلام)، و كذلك ألحقنا بذراري النبي (صلّى الله عليه و اله) من قبل أمنا فاطمه (عليها السّلام). أزيدك يا أمير المؤمنين؟ قال: هات.

قلت: قول الله عزّ و جلّ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ

ص: ١٣٥

١- (١) الانعام (٦): ٣٨.

٢- (٢) الانعام (٦): ٨٤-٨٥.

أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهَلُ فَنَجْعَلُ لِعَنْتِ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (١) و لم يدع أحد أنه أدخل النبي (صلى الله عليه و اله) تحت الكساء عند مباهله النصارى إلا- على بن أبى طالب و فاطمه، و الحسن، و الحسين (عليهم السّلام) فكان تأويل قوله عزّ و جلّ أبناءنا:

الحسن و الحسين، و نساءنا: فاطمه، و أنفسنا: على بن أبى طالب.

إنّ العلماء قد أجمعوا على أنّ جبرئيل قال يوم احد: يا محمد إنّ هذه لهي المواساه من على قال: لأنه منى و أنا منه فقال جبرئيل: و أنا منكما يا رسول الله ثم قال: «لا سيف إلا ذو الفقار و لا فتى إلا على»، فكان كما مدح الله عزّ و جلّ به خليفه (عليه السّلام) إذ يقول: فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٢) أنا معشر بنى عمك نفتخر بقول جبرئيل أنه منّا. فقال:

أحسنت يا موسى ارفع الينا حوائجك.

فقلت له: أوّل حاجه أن تأذن لابن عمك أن يرجع الى حرم جدّه (عليه السّلام) و الى عياله فقال: ننظر ان شاء الله» (٣).

٢- اتّهام الإمام بانحرافات فكرية لكسر هيبة الإمام (عليه السّلام) و تبرير اضطهاده.

قال هارون للإمام الكاظم (عليه السّلام): «بقى مسأله تخبرنى بها و لا تضجر.

فقال له الإمام (عليه السّلام) سل. فقال: خبرونى أنكم تقولون أن جميع المسلمين عبيدنا، و جوارينا، و أنكم تقولون: من يكون لنا عليه حق و لا يوصله الينا فليس بمسلم.

ص: ١٣٦

١- (١) آل عمران (٣): ٦١.

٢- (٢) الأنبياء (٢١): ٦٠.

٣- (٣) عيون أخبار الرضا (عليه السّلام): ٨١/١.

فقال له موسى (عليه السلام): كذب الذين زعموا أننا نقول ذلك، و إذا كان الأمر كذلك فكيف يصح البيع و الشراء عليهم و نحن نشترى عبيدا و جوارى و نقعد معهم و نأكل معهم و نشترى المملوك و نقول له: يا بنى، و للجارية: يا بنتى و نقعدهم يأكلون معنا تقربا الى الله سبحانه فلو انهم عبيدنا و جوارينا ما صح البيع و الشراء...» (١).

٣- هناك محاولة اخرى لإخراج الإمام (عليه السلام) و الاستهانه به و كانت فى مجلس هارون الرشيد حينما حضره حكيم هندي، و يبدو أن الرشيد قد قصد حضور هذا الحكيم الهندي مع الإمام و خطط لادانه الإمام عمليا. كما يبدو ذلك من خلال تعليقه الرشيد بعد استسلام الحكيم الهندي لعلم الإمام (عليه السلام).

«حضر مجلس الرشيد هندي حكيم، فدخل الإمام الكاظم (عليه السلام) فرفع الرشيد مقامه، فحسده الهندي و قال: اغتيت بعلمك عن غيرك، فكنت كما قال تعالى: كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَبَ (٢).

فقال (عليه السلام) أخبرني، الصور الصدفية إذا تكاملت فيها الحرارة الكليه، و تواترت عليها الحركات الطبيعية، و استحكمت فيها القوى العنصرية، صارت اخصا صا عقليه، أم أشباحا و هميه؟

فبهت الهندي و قبل رأس الإمام (عليه السلام) و قال: كلمتني بكلام لاهوت، من جسم ناسوت.

فقال الرشيد: كلما أردنا ان نضع أهل هذا البيت أبى الله إلا أن يرفعه.

فقال (عليه السلام): يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ

ص: ١٣٧

١- (١) بحار الأنوار: ١٤٦/٤٨.

٢- (٢) العلق (٩٦): ٦-٧.

٤- يبرز لنا هذا المشهد احدى محاولات الاغتيال التي كان قد أعدها الرشيد للإمام موسى (عليه السلام) و فشلها بالتسديد الإلهي.

لَمَّا هَمَّ هَارُونَ الرَّشِيدُ بِقَتْلِ الْإِمَامِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) دَعَا الْفَضْلَ بْنَ الرَّبِيعِ وَقَالَ لَهُ: قَدْ وَقَعَتْ لِي الْيَكُّ حَاجَهُ أَسْأَلُكَ أَنْ تَقْضِيَهَا وَ لَكَ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ.

قال: فخرّ الفضل عند ذلك ساجدا و قال، أمر أم مسأله؟ قال: بل مسأله.

ثم قال: أمرت بأن تحمل الى دارك في هذه الساعه مائه ألف درهم، و أسألك أن تصير الى دار موسى بن جعفر و تأتيني برأسه.

قال الفضل: فذهبت الى ذلك البيت فرأيت فيه موسى بن جعفر و هو قائم يصلي، فجلست حتى قضى صلاته، و أقبل (عليه السلام) اليّ و تبسّم و قال: «عرفت لماذا حضرت، أمهلني حتى اصلي ركعتين».

قال: فأمهلته فقام و توضأ فأسبغ الوضوء، و صلى ركعتين و أنتم الصلاة بحسن ركوعها و سجودها، و قرأ خلف صلاته بهذا الحرز فاندرس و ساخ في مكانه، فلا أدري أرض ابتلعتة؟ أم السماء اختطفته؟

فذهبت الى هارون و قصص عليه القصة. قال: فبكي هارون، ثم قال:

قد أجاره الله مني (٣).

ص: ١٣٨

١- (١) ((الصف: (٦١): ٨.

٢- (٢) ((عوامل العلوم: الإمام موسى بن جعفر: ٣١٤/١، عن الصراط المستقيم: ١٩٤/٢.

٣- (٣) ((بحار الأنوار: ٣٣٢/٩٤ عن مهج الدعوات: ٣٠-٣٣، و عوامل العلوم (الإمام موسى بن جعفر): ٢٨٤.

اشاره

موقف الإمام الكاظم (عليه السلام) من حكم الرشيد

لقد استعرضنا أساليب الرشيد و سياسته الظالمه مع الإمام (عليه السلام)، و الآن نريد الحديث عن موقف الإمام (عليه السلام) قبال هذه السياسه.

الإمام (عليه السلام) و سياسته الرشيد

إن سيره الإمام (عليه السلام) و مواقفه من الرشيد لم تكن استسلاميه بل كان الإمام (عليه السلام) صلبا في مواقفه يتحدى بها الرشيد، و ان كان في بعضها شيء من المرونه في بعض الأحيان و ذلك لمعرفة الإمام (عليه السلام) به و بنواياه فكان يراعى في مواقفه المصالح العليا.

و نختار بعض المشاهد التي تعبر عن حقيقه موقف الإمام (عليه السلام) من حكومه الرشيد.

المشهد الأول: عن محمد بن طلحه الأنصاري قال: كان مما قال هارون لأبي الحسن (عليه السلام) حين ادخل عليه:

«ما هذه الدار؟»

فقال (عليه السلام): هذه دار الفاسقين، قال الله تعالى: سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُؤُوفًا لَا يَوْمِنُوا بِهَا وَ
إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۝١.

فقال (عليه السلام): هذه دار الفاسقين، قال الله تعالى: سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعِجْيِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا (١).

فقال له هارون: فدار من هي؟ قال (عليه السلام): هي لشيعتنا فتره و لغيرهم فتنه.

قال: فما بال صاحب الدار لا يأخذها؟

فقال: «أخذت منه عامره و لا يأخذها إلا معموره».

قال: فأين شيعتك؟ فقراً أبو الحسن (عليه السلام): لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ الْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (٢).

قال: فقال له: فنحن كفار؟ قال (عليه السلام): لا، ولكن كما قال الله الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَ أَحْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ (٣).

فغضب عند ذلك و غلظ عليه إذ قد لقيه أبو الحسن (عليه السلام) بمثل هذه المقالة، و ما ربه و هذا خلاف قول من زعم أنه هرب منه من الخوف (٤).

المشهد الثاني: عن الإمام الكاظم (عليه السلام) قال: «قال لي هارون: أتقولون أن الخمس لكم؟

قلت: نعم.

قال: انه لكثير.

قال: قلت: إن الذي أعطانا علم أنه لنا غير كثير» (٥).

المشهد الثالث: إن هارون الرشيد كان يقول لموسى بن جعفر (عليه السلام): «حدّ فدكا حتى أردّها إليك، فأبى حتى ألحّ عليه.

ص:

١- (١) الأعراف (٧): ١٤٦.

٢- (٢) البينة (٩٨): ١.

٣- (٣) ابراهيم (١٤): ٢٨.

٤- (٤) تفسير العياشي: ٢٩/٢ الأذيله و عنه في بحار الأنوار: ١٣٨/٤٨، ح ١٣ و الاختصاص: ٢٥٦، بحار الأنوار: ١٥٦/٤٨.

٥- (٥) بحار الأنوار: ١٥٨/٤٨ عن كتاب الاستدراك.

فقال (عليه السلام): لا آخذها إلا بحدودها. قال: و ما حدودها؟

قال (عليه السلام): ان حددتها لم تردّها. قال: بحق جدّك إلا فعلت.

قال (عليه السلام): أمّا الحد الأول فعدن. فتغير وجه الرشيد و قال: ايها.

قال (عليه السلام): و الحد الثاني سمرقند. فأربد وجهه.

قال (عليه السلام): و الحد الثالث افريقيه. فأسودّ وجهه و قال: هيه

قال (عليه السلام): و الرابع سيف البحر مما يلي الجزر و أرمينيه. قال الرشيد: فلم يبق لنا شيء، فتحوّل الى مجلسي!

قال موسى (عليه السلام): قد أعلمتك أنني ان حددتها لم تردّها. فعند ذلك عزم على قتله» (١).

المشهد الرابع: و لما دخل هارون الرشيد المدينة توجه لزياره النبي (صلى الله عليه و اله) و معه الناس فتقدم الرشيد الى قبر رسول الله (صلى الله عليه و اله) و قال: السلام عليك يا رسول الله يا ابن عمّ، مفتخرا بذلك على غيره.

فتقدم أبو الحسن (عليه السلام) فقال «السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبه» فتغير وجه الرشيد و تبين الغيظ فيه» (٢).

الإمام (عليه السلام) و الجماعة الصالحه

إشاره

بعد أن عرفنا موقف الإمام موسى (عليه السلام) من الرشيد، بقى أن نعرف نشاطه و لا سيّما فيما يخصّ الجماعة الصالحه حيث كان الإمام (عليه السلام) قد قطع

ص: ١٤١

١- (١) تاريخ بغداد: ٣١/١٣ و عنه في تذكره الخواص: ٣١٣ و في مناقب آل أبي طالب: ٣٤٦/٤ و عنه في بحار الأنوار: ١٤٤/٤٨.

٢- (٢) كامل الزيارات: ١٨ ب ٣ و عنه في بحار الأنوار: ١٣٦/٤٨، و في مناقب آل أبي طالب: ٣٤٥/٤.

أشواط في منهجه التربوي في مراحل سابقة، فلا بد أن يواصل بناءه في هذه المرحلة، لتعميق ما أسس له سابقاً، و لتوجيه الطاقات باتجاه الأهداف الكبرى التي كان يسعى لها الأئمة (عليهم السلام) من تأصيل الامتداد الشيعي في وسط الامه، و امتلاكه القدره على مواجهه التحديات و الوقوف أمام عمليات الابداه التي بدأ الخلفاء بالتخطيط لها كلما شعروا بتوسيع دائره أتباع الأئمة (عليهم السلام) و قد لاحظنا هارون يصرّح بأنه لو أعطى الإمام عطاءه اللائق به لم يأمن أن يشهر الإمام ضدّه مائه ألف سيف لا زاله ملكه.

و نطالع نشاط الإمام (عليه السلام) في عده مجالات:

المجال السياسي:

اشاره

قام الإمام موسى (عليه السلام) بعده خطوات تربويه مع شيعته في هذا المجال.

الخطوه الاولى: تأكيد الانتماء السياسي لخط أهل البيت:

إنّ خطّ أهل البيت (عليهم السلام) و منهجهم هو خط الرفض للظلم و الظالمين، و لقد تشدّد (عليه السلام) على محبيه و شيعته و حرّم عليهم الانفتاح أو التعاون مع السلطات العباسيه الظالمه، و أخذ يعمّق في نفوسهم النزاهه و الدقه في رفض الظلم، ليملكوا و عيا سياسيا يحصّيه من الانجراف مع التيار الحاكم أو الاستجابه لمخططات الاحتواء بشكل و آخر.

إنّ موقفه (عليه السلام) مع صفوان الجمال يكشف دقّه المنهج التربوي عند الإمام مع شيعته في هذه المرحلة و تصعيد الإمام (عليه السلام) لمستوى المواجهه مع الجهاز الحاكم من جهه و حرصه على تفتيت دعائم الحكم القائم حيث أخذ الرشيد يحصى على أهل البيت (عليهم السلام) و شيعتهم أنفاسهم و يخطط لآبادتهم.

دخل صفوان بن مهران الأسدي على الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) فقال له:

«يا صفوان، كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً». قال: جعلت فداك، أى شيء هو؟

قال (عليه السلام): اكرأوك جمالك من هذا الرجل، يعنى هارون الرشيد!

قال: والله ما أكريته أشراً ولا بطراً، ولا للصيد، ولا للهو، ولكن لهذا الطريق -يعنى طريق مكة- ولا أتولاه بنفسى و لكن أبعث معه غلمانى.

قال (عليه السلام): يا صفوان أيقع كراك عليهم؟ قال: نعم جعلت فداك.

قال (عليه السلام): أتحب بقاءهم حتى يخرج كراك؟ قال: نعم.

قال (عليه السلام): من أحب بقاءهم فهو منهم، و من كان منهم فهو وارد للنار.

و قام صفوان فى الوقت فباع جماله و أعرض عن مهنته فبلغ ذلك هارون فأرسل خلفه، فلما مثل عنده قال له -و هو يتميز من الغيظ-: يا صفوان! بلغنى أنك بعثت جمالك، قال: نعم قال: و لم؟ قال: أنا شيخ كبير، و إنَّ الغلمان لا يفون بالأعمال.

قال: هيهات هيهات!!! انى لا علم من أشار عليك بهذا، أشار عليك موسى بن جعفر.

قال: ما لى و لموسى بن جعفر. قال: دع عنك هذا، فوالله لو لا حسن صحبتك لقتلتك» (١).

الخطوه الثانيه: التأكيد على مبدأ التقيه:

و من الخطوات التى خطاها الإمام موسى (عليه السلام) مع شيعته هو التشديد على

ص: ١٤٣

١- ((١)) رجال النجاشى: ١٩٨ برقم ٥٢٥، و كان من موالى بنى أسد بالكوفه. و الخبر من اختيار معرفه الرجال: ٤٤٠ ح ٨٢٨.

أهميه الالتزام بالتقيه كقيمه تحصينيه، تحافظ على الوجود الشيعى و تقيه من الضربات الخارجيه.

روى معمر بن خلاد قال: سألت أبا الحسن موسى (عليه السلام) عن القيام للولاه، فقال (عليه السلام): قال أبو جعفر (عليه السلام): «التقيه دينى و دين آبائى، و لا ايمان لمن لا تقيه له» (١).

و حدّث درست بن أبى منصور، قال: كنت عند أبى الحسن موسى (عليه السلام) و عنده الكميت بن زيد، فقال له الإمام (عليه السلام): «أنت الذى تقول:

فالآن صرت الى أميه و الامور الى مصائر

فقال الكميت: قد قلت ذلك، و الله ما رجعت عن ايمانى، و انى لكم لموال و لعدوكم لقال، و لكن قد قلته على التقيه فقال (عليه السلام): «إنّ التقيه لتجوز على شرب الخمر» (٢).

الخطوه الثالثه: النفوذ فى الجهاز الحاكم

و نشط الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) عن طريق أصحابه، بالنفوذ و الاندساس فى مواقع السلطه، فقد تصدّر أصحاب الإمام (عليه السلام) مواقع سياسيه مهمه فى الحكومه العباسيه، و كان الإمام (عليه السلام) يثنى و يثمن عمل هؤلاء، لكن كان يشترط التعاون و قضاء حوائج المؤمنين و الآفانه ينتفى غرض المهمه.

و اليك قائمه باسماء أصحاب الإمام (عليه السلام) الذين شغلوا مواقع مهمه فى السلطه العباسيه، و كانوا من أعظم العلماء و أجلائهم منهم:

١- على بن يقطين: نشأ يقطين بالكوفه و كان يبيع الازرار و كان يقول بالإمامه، و قد اتّصل بأبى العباس السفاح و المنصور و المهدي، و لمّا انتقل

ص: ١٤٤

١- ((١)) الوسائل: ٢٠٤/١٦ رقم ح ٢١٣٥٩ باب ٢٤ كتاب الأمر و النهى.

٢- ((٢)) اختيار معرفه الرجال: ٤٦٥/١، ح ٣٦٤.

يقتطِن الى دار الحق قام ولده على مقامه فاتصل اتصالا وثيقا بالعباسيين، و تولّى المناصب المهمّة فى الدولة و كان عوناً للمؤمنين، و قام بتزويج عدد منهم و كان يعيل قسماً كبيراً منهم.

فقد حدّث سليمان كاتبه فقال: أحصيت لعلّى من يحدّث عنه فى عام واحد مائة و خمسين رجلاً أقلّ من أعطاه منهم سبعمائة درهم و أكثر من أعطاه عشره آلاف درهم و زوج ثلاثه أو أربعة من أولاد الإمام الكاظم (عليه السّلام) و انفق أموالاً ضخمة فى وجوه البرّ و الإحسان. و تقلّد أعلى منصب فى أيام المهديّ و من بعده عيّنه هارون وزيراً له (١) و كان على اتّصال سرّيّ و دائم مع الإمام (عليه السّلام).

٢- حفص بن غياث الكوفى، و لى القضاء ببغداد الشّرقية من قبل هارون ثم تولّى قضاء الكوفة و توفى سنة (١٩٤ هـ) (٢).

٣- عبد الله بن ستان بن طريف، كان خازناً للمنصور و المهديّ و الهاديّ و الرشيد (٣).

٤- الفضل بن سليمان الكاتب البغداديّ، كان يكتب للمنصور و المهديّ (٤).

٥- محمد بن اسماعيل بن بزيع من صلحاء الطائفة و من عيونها و أحد

ص: ١٤٥

١- ((١)) اختيار معرفة الرجال: ٤٣٠ ح ٨٠٥ و ٤٣٣ ح ٨١٥ و ٤٣٤ ح ٨١٩ و ٨٢٠ و ٤٣٧ ح ٨٢٤، و الفهرست لابن النديم: ٣٢٨.

٢- ((٢)) رجال النجاشى: ١٣٤ برقم ٣٤٦ و فى الكشى: ٣٩٠ ح ٧٣٢ قال: هو عامّى و فى تنقيح المقال: ٣٥٥/١.

٣- ((٣)) اختيار معرفة الرجال: ٤١١ ح ٧٧١ و فى النجاشى: ٢١٤ برقم ٥٥٨ من موالى بنى العباس، و جامع الرواه: ٤٨٧/١.

٤- ((٤)) النجاشى: ٣٠٦ رقم ٨٣٧.

رواه حديث الإمام موسى (عليه السلام) كان، مولى للمنصور و أحد وزراء الدولة العباسية (١).

٦- الحسن بن راشد مولى بنى العباس: كان وزيرا للمهدى و موسى الهادى و هارون الرشيد (٢).

لقد كان هؤلاء بعض أصحاب الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) و رواه حديثه.

و من هنا نستطيع أن نقدّر مدى حنكه الإمام (عليه السلام) و تخطيطه للمحافظة على المواقع المهمة لأبناء الجماعه الصالحه فى جهاز السلطه من اقرار فضلاء صحابته على قبولهم ولايه الحاكم الجائر فإنهم أعلم بهذا الخط و شؤونه من عامه المؤمنين.

المجال التربوى:

إنّ وصايا الإمام الكاظم (عليه السلام) و توجيهاته لشيعته تلاحظ حاجه الواقع الموجود لاكمال بناء هذه الجماعه الصالحه باتجاه الاهداف النهائيه التى رسمها أهل البيت (عليهم السلام) لها.

و من هنا نجد الإمام (عليه السلام) يتابع شيعته و يشرف على تكامل بناء هذه الجماعه و أفرادها فيقوم بتطبيق ما يدعو اليه عمليا لتشكيل خطواته نموذجيا و منارا يهتدى به أبناء مدرسته. و لهذا المجال يمكن أن نستشهد بعده أمثله:

المثال الأول: «موقفه (عليه السلام) من على بن يقطين عند ما أراد أحد المؤمنين أن يدخل على على بن يقطين و لم يأذن له لنلاحظ تعبير الإمام (بأخيكَ) ليؤكد

ص: ١٤٦

١- (١) اختيار معرفه الرجال: ٥٦٤ ح ١٠٦٥ و فى رجال النجاشى: ٣٣٠ برقم ٨٩٣.

٢- (٢) انظر ترجمته فى فهرست أعلام الكشى: ٢٦ فى أخبار عديده. و فى النجاشى: ٣٨ برقم ٧٦ و فى منهج المقال: ٩٨.

أن وجودك يا على في هذا المنصب هو لخدمه هؤلاء لا- لشيء و من هنا أذن له الإمام بالبقاء بل أمره بالبقاء عند ما أراد أن يعتزل من هذا الموقع.

عن محمد بن على الصوفى قال: استأذن ابراهيم الجمال-رضى الله عنه-على أبى الحسن على بن يقطين الوزير فحجبه.

فحج على بن يقطين فى تلك السنه فاستأذن بالمدينه على مولانا موسى ابن جعفر(عليه السلام)فحجبه.

فرآه ثانى يومه فقال على بن يقطين:يا سيدى ما ذنبى؟ فقال(عليه السلام):

حجبتك لأنك حجبت أخاك ابراهيم الجمال و قد أبى الله أن يشكر سعيك أو يغفر لك ابراهيم الجمال.

فقلت:سيدى و مولاى من لى بابراهيم الجمال فى هذا الوقت و أنا بالمدينه و هو بالكوفه؟

فقال(عليه السلام):إذا كان الليل فامض الى البقيع وحدك من غير أن يعلم بك أحد من أصحابك و غلمانك و اركب نجيبا هناك مسرّجا.

قال:فوافى البقيع و ركب النجيب و لم يلبث أن أناخه على باب ابراهيم الجمال بالكوفه.

فقرع الباب و قال:أنا على بن يقطين

فقال ابراهيم الجمال من داخل الدار:و ما يعمل على بن يقطين الوزير ببابى!؟

فقال على بن يقطين:يا هذا إنّ أمرى عظيم و آلى عليه أن يأذن له،فلَمّا دخل قال:يا ابراهيم إنّ المولى(عليه السلام)أبى أن يقبلنى أو تغفر لى،فقال:

يغفر الله لك.

ص:١٤٧

فآلى على بن يقطين على ابراهيم الجمال أن يطأ خده فامتنع ابراهيم من ذلك فآلى عليه ثانيا ففعل.

فلم يزل ابراهيم يطأ خده و على بن يقطين يقول: اللهم اشهد، ثم انصرف و ركب النجيب، و أناخه فى ليلته بباب المولى موسى بن جعفر (عليه السلام) بالمدينه فأذن له و دخل عليه فقبله» (١).

المثال الثانى: حرص الإمام موسى (عليه السلام) على قضاء حوائج المؤمنين و اهتم بها و هو فى أحلك الظروف و أشدها قساوه، فقد حث الشيعة على التمسك بهذا المبدأ الأخلاقى، بل أمر بعض الخواص بالبقاء فى جهاز السلطه الظالمه لأجل قضاء حوائج المؤمنين.

من هنا ندرک مستوى اهتمامه و مدى سعيه لتحقيق هذا المبدأ فى فكر و سلوك أبناء الجماعه الصالحه.

عن محمد بن سالم قال: «لما حمل سيدى موسى بن جعفر (عليه السلام) الى هارون جاء إليه هشام بن ابراهيم العباسى، فقال له: يا سيدى قد كتب لى صك الى الفضل بن يونس تسأله أن يروح أمرى.

قال: فركب إليه أبو الحسن (عليه السلام) فدخل عليه حاجبه فقال: يا سيدى! أبو الحسن موسى بالباب فقال: فإن كنت صادقاً فأنت حرّ و لك كذا و كذا!

فخرج الفضل بن يونس حافياً يعدو حتى خرج إليه: فوقع على قدميه يقبلهما ثم سأله أن يدخل، فدخل فقال له: اقض حاجه هشام بن ابراهيم»، فقضاها (٢).

ص: ١٤٨

١- ((١)) بحار الأنوار: ٨٥/٤٨ ح ١٠٥ عن عيون المعجزات: ٩٠.

٢- ((٢)) اختيار معرفه الرجال: ٥٠٠ ح ٩٥٧ و كان الفضل من الشيعة فطلبتهم السلطه فاختلفى و كتب كتابا على مذهب الروانديه العباسيه باثبات الإمامه للعباس فدسّه الى السلطان فأمنه و استعمله. بحار الأنوار: ١٠٩/٤٨.

المثال الثالث: تسديد الإمام (عليه السلام) لمهمه على بن يقطين و دعمه له:

روى عن على بن يقطين: «أنه كتب الى موسى بن جعفر (عليه السلام): اختلف في المسح على الرجلين، فإن رأيت أن تكتب ما يكون عملي عليه فعلت.

فكتب أبو الحسن (عليه السلام): الذي أمرك به أن تتمضمض ثلاثاً و تستنشق ثلاثاً، و تغسل وجهك ثلاثاً، و تخلل شعر لحيتك ثلاثاً، و تغسل يديك ثلاثاً، و تمسح ظاهر أذنيك و باطنها و تغسل رجليك ثلاثاً، و لا تخالف ذلك الى غيره، فامثل أمره و عمل عليه.

فقال الرشيد: أحب أن أستبرئ أمر على بن يقطين، فإنهم يقولون انه رافضى، و الرافضة يخفون في الوضوء. فناطه بشيء من الشغل في الدار، حتى دخل وقت الصلاة، و وقف الرشيد وراء حائط الحجره بحيث يرى على بن يقطين و لا يراه هو، و قد بعث اليه بالماء للوضوء فتوضأ كما أمره موسى (عليه السلام).

فقام الرشيد و قال: كذب من زعم أنك رافضى.

فورد على بن يقطين كتاب موسى بن جعفر (عليه السلام) توضأ من الآن كما أمر الله: اغسل وجهك مره فريضه، و الأخرى اسباغاً، فاغسل يديك من المرفقين كذلك، و امسح مقدم رأسك، و ظاهر قدميك من فضل نداوه وضوئك، فقد زال ما يخاف عليك» (١).

و عن ابن سنان «أن الرشيد حمل في بعض الأيام الى على بن يقطين ثياباً أكرمه بها و كان في جملتها دراعه خز سوداء من لباس الملوك مثقله بالذهب.

فأنفذ على بن يقطين جل تلك الثياب الى أبي الحسن موسى

ص: ١٤٩

١- ((١)) الإرشاد: ٢٢٧/٢-٢٢٩ و عنه في إعلام الوري: ٢٢، ٢١/٢ و كشف الغمه: ١٥/٣-١٧ و في الخرائج و الجرائح: ٣٣٥/١ ح ٢٦ و عنه في بحار الأنوار: ١٣٦/٤٨ ح ١١.

ابن جعفر (عليه السلام) و انفذ في جملتها تلك الدراعه، و أضاف اليها مالا كان أعدّه له على رسم له فيما يحمله اليه من خمس ماله.

فلما وصل ذلك الى أبي الحسن قبل المال و الثياب، و ردّ الدراعه على يد الرسول الى على بن يقطين و كتب اليه: ان احتفظ بها، و لا تخرجها عن يدك، فسيكون لك بها شأن، تحتاج اليها معه، فارتاب على بن يقطين بردها عليه، و لم يدر ما سبب ذلك، فاحتفظ بالدراعه.

فلما كان بعد أيام تغير على بن يقطين على غلام كان يختص به فصرفه عن خدمته، و كان الغلام يعرف ميل على بن يقطين الى أبي الحسن (عليه السلام) و يقف على ما يحمله اليه في كل وقت من مال و ثياب و أطاف و غير ذلك.

فسعى به الى الرشيد فقال: انه يقول بإمامه موسى بن جعفر، و يحمل خمس ماله في كل سنه و قد حمل اليه الدراعه التي أكرمه بها أمير المؤمنين في وقت كذا و كذا.

فاستشاط الرشيد لذلك، و غضب غضبا شديدا، و قال لا كشفن عن هذه الحال فإن كان الأمر كما يقول أزهقت نفسه.

و أنفذ في الوقت باحضار على بن يقطين فلما مثل بين يديه، قال له: ما فعلت بالدراعه التي كسوتك بها؟

قال: هي يا أمير المؤمنين عندي في سفظ مختم، فيه طيب، و قد احتفظت بها، و قلما أصبحت الآ و فتحت السفظ، فنظرت اليها تبركا بها، و قبلتها و رددتها الى موضعها و كلما أمسيت صنعت مثل ذلك.

فقال: أحضرها الساعة قال: نعم يا أمير المؤمنين، و استدعى بعض خدمه، و قال له: إمض الى البيت الفلاني من الدار، فخذ مفتاحه من خزانتي فافتحه و افتح الصندوق الفلاني، و جئني بالسفظ الذي فيه بختمه.

فلم يلبث الغلام أن جاءه بالسفط مختوما فوضع بين يدي الرشيد فأمر بكسر ختمه و فتحه.

فلما فتح نظر الى الدراعه فيه بحالها، مطويه مدفونه في الطيب.

فسكن الرشيد من غضبه ثم قال لعلى بن يقطين: ارددتها الى مكانها فلن أصدق عليك بعدها ساعيا.

و أمر أن يتبع بجائزه سنيه، و تقدم بضرب الساعى ألف سوط، فضرب نحو من خمسمائه فمات في ذلك» (١).

المجال العلمى و الفكرى:

اشاره

لقد كان عهد الصادقين (عليهما السّلام) عهد الانفراج النسبى لمدرسه أهل البيت (عليهم السّلام) حيث استطاعت أن تنشر علوم أهل البيت (عليهم السّلام) و تخرّج الاساتذه و العلماء المسؤولين و الامناء على حفظ تراث هذا الخطّ الرسالى بين أبناء الامه الإسلاميه.

و من هنا فقد تكاملت لانباء هذه المدرسه فى عهدهما الاسس المتينه التى أرساها الرسول الاعظم (صلى الله عليه و اله) و الإمام على بن أبى طالب (عليه السّلام) من بعده فى المنهج و المحتوى و الاسلوب.

و كان عصر الإمام الكاظم (عليه السّلام) الذى استمر ثلاثه عقود أو ما يزيد عليها قليلا - استمرارا للمسيره العلميه و الثقافيه التى حقّقها الصادقان (عليهما السّلام) حتى تخرج فى عهده (عليه السّلام) عدد مهم من الفقهاء الرواه الذين أصبحوا بمستوى

ص: ١٥١

١- (١) الإرشاد: ٢٢٥/٢-٢٢٧ و عنه فى إعلام الورى: ١٩/٢-٢٠ و كشف الغمه: ١٤/٣-١٥ و فى الخرائج و الجرائح: ٣٣٤/١ ح ٢٥. عن الإرشاد فى بحار الأنوار: ١٣٨/٤٨، ح ١٢.

العطاء الذى قدمه الإمام الكاظم (عليه السلام) للإمامه الإسلاميه فى حقلى النظرية و التطبيق معا- كما سيتضح ذلك فيما سوف نراه من تبلور كثير من القواعد الاصوليه و الفقيهيه فى مجال الاجتهاد الفقهي فى هذه المدرسه العملاقه.

ثم إن انتشار التشيع و اتساع حجم الولاء و الانتماء لخط أهل البيت (عليهم السلام) بالمعنى الخاص الذى يتميز عن الخط العباسى بعد جهود الصادقين (عليهما السلام) كان من نصيب عهد الإمام الكاظم (عليه السلام).

و اتساع القاعده كان يتطلب توسع نشاط القيادة فى رعايه شؤون الاتباع و صيانه الجماعه الصالحه من أنواع المزالق و الانحرافات و العقبات.

على أن كثره السؤال عن قضايا الشريعة اصولا- و فروعا لاتساع دائره الانتماء و لتطور الزمن مع استعداد مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) للاستجابه للمستجدات، كل هذا تطلب نشاطا أكبر و أوسع من قياده الممثله فى الإمام الكاظم (عليه السلام) بالرغم من حراجه الطرف بعد استشهاد الإمام الصادق (عليه السلام) و عدم التوجيه العام حول إمامه موسى الكاظم (عليه السلام) لكل أبناء الطائفه...

من هنا كان الإمام (عليه السلام) بحاجة الى توظيف عدد من أصحابه الاخصياء به لادراة شؤون الجماعه الصالحه بتقيل الوكاله عن الإمام و التحرك لجمع الأموال و الحقوق التى رسم لها أهل البيت نظاما و منهجا خاصا يكفل للجماعه الصالحه استمرار وجودها و تطورها و استحكام اسسها بنحو يجعلها قادره على مواجهه التحديات المستمره.

و هذا هو الذى كان يخشاه الخلفاء، كل بمقدار نباهته و غوره الى عمق هذا الخط.. حتى أثار هذا النشاط الواسع و الخط الثقيفى المعمق حفيظه هارون الرشيد تجاه شخص الإمام الكاظم (عليه السلام) حيث كان يراه الند الحقيقى الذى يهدد سلطانه.

و كان هارون جريئاً في الاقدام على سجن الإمام و عزله عن قواعده.

و لكن أصحاب الإمام (عليه السلام) كانوا على اتصال مستمر به و هو في قيد السجن.

و كان هذا التخطيط يعدّ تطوراً واضحاً في التعامل مع الأحداث و استغلالاً للظروف الحرجه أحسن استغلال لا كمال المسيره الربانيه الى حيث الاهداف المبتغاه منها.

و قد تمثل العطاء العلمي و الفكري للإمام الكاظم (عليه السلام) في مجالات:

١- الروايه

٢- التدريس

٣- المناظره

٤- التأليف

كما تنوّعت مجالات الروايه و التأليف و المناظره و التدريس الى الحقول العلميه المختلفه، كما يشهد لذلك تنوّع التراث الذي وصلنا عن الإمام الكاظم (عليه السلام)، و نستطيع أن نلمس ذلك بكل وضوح من خلال مطالعه مسنده الذي يبلغ ثلاثه أجزاء فيما يقرب من ألف صفحه تقريباً.

و قد اشتمل على أنواع المعرفه العقائديه و التأريخيه و التربويه و الأخلاقيه و الاحكام الشرعيه و الأدعيه و الزيارات و ما يرتبط بمجال توثيق الرجال و سائر ما يرتبط ببيان عصر الإمام الكاظم (عليه السلام) و احتجاجاته مع الحكام و المخالفين أو ما يرتبط بمدرسته العلميه المتمثله في المتخرجين من طلابه و النابهين من صحابته.

و قد بلغت بعض تأليفات أصحاب الإمام حجماً هائلاً- مثل ما ألّفه هشام ابن الحكم و صفوان بن يحيى يتباع السابري و الحسن بن محمد بن سماعه

ص: ١٥٣

الكندى حيث بلغت الكتب المؤلفة لكل منهم ثلاثين مؤلفاً.

كما ألف على بن الحسن الطاطرى أربعة عشر كتاباً و الحسن بن محبوب السراد ستة كتب و عبد الله بن جبه سبعة كتب و على بن يقطين ثلاثة كتب. و هذا هو بعض النشاط العلمى لصحابه الإمام (عليه السلام) (١).

منهج الاستنباط و التفقه فى الدين:

و نلتقى فى تراث الإمام الكاظم (عليه السلام) بنصوص ترتبط بحرمه القول بغير علم و حجيه الظواهر و حجيه خبر الواحد و نصوص ترتبط بعلاج حالات التعارض بين الأحاديث و نصوص ترتبط بالمنع من القياس و نصوص ترتبط بأصالة البراءة و وجوب الموافقة القطعية فى أطراف العلم الاجمالى و الاستصحاب و عدم جواز الرجوع الى الأصل قبل الفحص عن الدليل.. و هذه النصوص تشير الى أن الإمام (عليه السلام) كان يصدد ارساء قواعد و منهج الاستنباط و التفقه فى دين الله.

و إذا لاحظنا النصوص التى تقدم لنا مجموعها مهمه من القواعد الفقيهيه الى جانب غيرها من النصوص التى تتضمن الأحكام الفقيهيه التى اثرت عنه (عليه السلام) فإننا نستيقن بأن الإمام (عليه السلام) كان يخطط لتكامل المدرسه الفقيهيه الاجتهاديه و يربى العلماء على منهجها بحيث يضمن للرساله خلودها و لخط أهل البيت (عليهم السلام) الدوام و الحضور الفاعل فى ميادين الحياه رغم كل التحديات (٢).

ص: ١٥٤

١- (١) راجع الفهرست للشيخ الطوسى: ٩٦، ١٠٣، ١٤٦، ١٥٥، ١٥٦، ٢٥٨.

٢- (٢) راجع: لمحات على القواعد الفقيهيه فى الاحاديث الكاظميه فى مجموعها الآثار للمؤتمر العالمى الثالث للإمام الرضا (عليه السلام) و مسند الإمام الكاظم (عليه السلام).

من الأنشطة الفكرية الواسعة الصيت فى عصر الإمام الكاظم (عليه السلام) و المؤثره فى تبلور فكر الامه هى المناظره العلميه، و كان الإمام الصادق (عليه السلام) ثم الإمام الكاظم (عليه السلام) من بعده قد استثمرا هذه الظاهره و أعدّا لها نخبه من العلماء المتخصصين فى هذا الميدان تعاهدوا للدفاع عن مذهب أهل البيت (عليهم السلام) و تعريفه للناس و استطاعوا رغم المنع السلطوى و الحصار الفكرى ضدهم أن يروجوا للمذهب و يحققوا انتصارات مشهوده. كما قد نشطوا من جانب فى دحض الشبهات و الإتهامات التى كانت تثار ضد الفكر الإسلامى أو الشيعى و استطاعوا أن يقفوا بوجه الموجات الفكرية الانحرافيه و الحركات الالحدايه.

و من جمله أصحاب الإمامين الصادق و الكاظم (عليهما السلام) البارزين فى هذا الميدان هشام بن الحكم.

كان هشام بن الحكم من أفذاذ الامه الإسلاميه و من كبار علمائها و فى طليعه المدافعين عن خط أهل البيت (عليهم السلام).

جاهد طويلا لنصره الحق خصوصا فى عصر الرشيد، الذى انعدمت فيه الحريات، و كان الذاكر لفضائل أهل البيت (عليهم السلام) عرضه للانتقام و التنكيل من قبل السلطه.

كان من أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) و بعد وفاته اتصل بالامام الكاظم (عليه السلام).

و اختص فى علم الكلام فكان من كبار المتكلمين فى عصره، و شهد له

بذلك ابن النديم.

و نظرا لاختصاصه في هذا الفن فقد زين يحيى بن خالد البرمكى مجلسه به و جعله قيما لمجالس كلامه (١).

و خاض هشام مع علماء الأديان و المذاهب مستدلا على صحة مبدأه و بطلان أفكارهم.

و نظرا لخطوره استدلاله و قوه حجته كان الرشيد يحضر من وراء الستار فيصغى اليها و يعجب بها، و لقد خاض في عدة مناظرات مع زعيم المعتزلة الروحي عمرو بن عبيد (٢).

و وجه يحيى بن خالد البرمكى سؤالاً- لهشام بحضرة الرشيد من أجل احراجه قائلاً له: أخبرنى عن على و العباس لما اختصما الى أبى بكر فى الميراث أيهما كان المحق من المبطل؟

فاستولت الحيره على هشام لأنه قال فى نفسه: ان قلت عليا كان مبطلا كفرت و ان قلت العباس كان مبطلا ضرب الرشيد عنقى.

فقال هشام: لم يكن من أحدهما خطأ و كانا جميعا محقين، و لهذا نظير قد نطق به القرآن فى قصة داود (عليه السلام) حيث يقول الله: وَ هَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ، الى قوله تعالى: خَصْمَانِ بَغِي بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَي الْمَلَكَيْنِ كَانَ مَخْطِئًا؟ و أيهما كان مصيبا؟ أم تقول: انهما كانا مخطئين فجوابك فى ذلك جوابى بعينه.

فقال يحيى: لست أقول: الملكين أخطأ، بل أقول انهما أصابا و ذلك انهما لم يختصما فى الحقيقه و لا اختلفا فى الحكم و إنما أظهرنا ذلك ليبيها داود

ص: ١٥٦

١- (١) الفهرست لابن النديم: ٢٦٣.

٢- (٢) الكشى: ٢٢٥ ح ٢٨٠، ٤٧٥، ٥٠٠، و الأمالى: ٥٥/١، و مروج الذهب: ١٩٤/٣ و ٢١/٤-٢٣.

على الخطيئه و يعرّفاه الحكم و يوقفاه عليه.

فقال هشام: كذلك على و العباس لم يختلفا فى الحكم و لا اختصما فى الحقيقه و انما أظهرها الاختلاف و الخصومه ليتها أبا بكر على غلطه و يوقفاه على خطيئته و يدلّاه على ظلمه فى الميراث و لم يكونا فى ريب من أمرهما.

فتحير يحيى و لم يطق جوابا، و استحسّن الرشيد هذا البيان الرائع الذى تخلص به هشام (١).

و له مناظرات من هذا القبيل مع العالم النظام (٢) و مع ضرار الضبى (٣) فراجع مناظراته فى موسوعه بحار الأنوار فى ما يختص بحياه صحابه الإمام الكاظم (عليه السلام).

و هكذا استطاع أهل البيت (عليهم السلام) من خلال خيره أصحابهم أن يحفظوا للامه المسلمه هويتها و يدافعوا عن شخصيتها المعنويه و استقلال كيانها الفكرى و الدينى.

ص: ١٥٧

١- (١) الفصول المختاره: ٤٢ و وردت المناظره باختصار فى عيون اخبار الرضا: ١٥/٢.

٢- (٢) الكشى: ٢٧٤ ح ٤٩٣ فى الخلود فى الجنه و عدمها.

٣- (٣) كمال الدين: ٣٦٢/٢-٣٧٠ و عنه فى بحار الأنوار: ١٩٩/٤٨ ح ٧.

إشارة

اعتقالات الإمام (عليه السلام) حتى استشهاده

التخطيط لسجن الإمام (عليه السلام)

لسنا الآن بصدد التعرض الى تفاصيل أسباب سجن الإمام من قبل الرشيد. لأن سلوك الإمام وتأثيره في الامه كما عرفت كان كافيا لأن يدفع بالرشيد الذي لا يتبنى حكمه على اصول مشروعه ليخطط لسجن الإمام (عليه السلام) و بالتالى اغتياله، هذا فضلا عن كون الرشيد قد قطع على نفسه بدايه تسلّمه للحكم بأن سوف يستأصل الوجود العلوى فإذا كان هذا شعاره أول الأمر مع كل العلويين فكيف بزعيم العلويين وقائدهم و سيدهم.

و ينبغي أن نفرق بين الاسباب الواقعيه و بين الاسباب التي كان يتذرع بها الرشيد لتبرير سلوكه العدائى مع الإمام (عليه السلام).

لقد أصبح الإمام بعد عقد من حكم الرشيد وجودا ثقيلا على هارون لقوه تأثيره في الامه و اتساع الامتداد الشيعى حتى وجدناه يقدر المتطوعين فى جيش الإمام بمائه ألف سيف. من هنا ضاق صدره و ازعجه انتشار صيت الإمام لأن الناس غدت تتناقل مآثر الإمام و علمه و أخلاقه.

و كانت حادثه زياره هارون لقبر الرسول (صلّى الله عليه و اله) و لقاء الإمام به بحيث أغضب الرشيد حتى قال بعدها مخاطبا الرسول (صلّى الله عليه و اله): «أبى أنت و امى إنى

اعتذر اليك من أمر عزمت عليه، أني أريد أن آخذ موسى بن جعفر فأحبسه لأنني قد خشيت أن يلقي بين امتك حربا يسفك بها دماءهم» (١).

و كان للوشاه دور سلبي ضد الإمام (عليه السلام) فلقد تحرك يحيى بن خالد قبل ذلك ليهيئ مقدمات الاعتقال للإمام فأغرى ابن أخ الإمام محمد بن اسماعيل أو علي بن اسماعيل لغرض الوشايه بالإمام.

لنلاحظ موقف الإمام السامى ازاء تصرف ابن أخيه الشنيع بعد أن استجاب محمد لاغراء يحيى و التقى بالطاغيه فى بغداد و طعن بالإمام (عليه السلام) بما يرغب به الرشيد.

عن علي بن جعفر بن محمد (عليه السلام) قال: «جاءني محمد بن اسماعيل بن جعفر (٢) يسألني أن أسأل أبا الحسن موسى (عليه السلام) أن يأذن له فى الخروج الى العراق و أن يرضى عنه، و يوصيه بوصيه.

قال: فتحتيت حتى دخل المتوضأ و خرج و هو وقت يتهاى لى أن أخلو به و أكلمه.

قال: فلما خرج قلت له: إن ابن أخيك محمد بن اسماعيل سألك أن تأذن له بالخروج الى العراق، و أن توصيه، فأذن له (عليه السلام).

فلما رجع الى مجلسه قام محمد بن اسماعيل و قال: يا عم أحب أن توصيني.

فقال (عليه السلام): أوصيك أن تتقى الله فى دمي.

فقال: لعن الله من يسعى فى دمك ثم قال: يا عم أوصنى فقال (عليه السلام):

أوصيك أن تتقى الله فى دمي.

ص: ١٦٠

-
- ١- (١) عيون أخبار الرضا: ٧٣ ح ٣ و الغيبة للطوسي: ٢٨ و عن العيون فى بحار الأنوار: ٢١٣/٤٨ ح ١٣.
- ٢- (٢) فى بعض الروايات «محمد بن اسماعيل» و فى بعضها «علي بن اسماعيل»

قال: ثم ناوله أبو الحسن صره فيها مائه و خمسون ديناراً فقبضها محمد، ثم ناوله أخرى فيها مائه و خمسون ديناراً فقبضها، ثم أعطاه صره أخرى فيها مائه و خمسون ديناراً فقبضها، ثم أمر له بألف و خمسمائه درهم كانت عنده.

فقلت له في ذلك، و استكثرته. فقال: هذا ليكون أوكد لحجتي إذا قطعني و وصلته.

قال: فخرج الى العراق، فلما ورد حضره هارون أتى باب هارون بثياب طريقه من قبل أن ينزل، و استأذن على هارون، و قال للحاجب: قل لأمر المؤمنين أن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بالبواب.

فقال الحاجب: انزل أولاً و غير ثياب طريقك و عد لادخلك عليه بغير إذن، فقد نام أمير المؤمنين في هذا الوقت. فقال: أعلم أمير المؤمنين أنني حضرت و لم تأذن لي.

فدخل الحاجب و أعلم هارون قول محمد بن اسماعيل، فأمر بدخوله، فدخل و قال: يا أمير المؤمنين خليفتان في الأرض: موسى بن جعفر بالمدينه يجيبى له الخراج، و أنت بالعراق يجيبى لك الخراج؟! فقال: و الله؟! فقال: و الله!

قال: فأمر له بمائه ألف درهم فلما قبضها و حمل الى منزله، أخذته الذبحه في جوف ليلته فمات، و حوّل من الغد المال الذى حمل اليه» (١).

هذه هي بعض الأساليب التي كان قد خطط لها يحيى بايعاز من الرشيد.

و أخيراً تم اعتقال الإمام (عليه السلام) بسرعه و اخفاء و تعمييه على الامه لثلاث تعرف محل سجن الإمام (عليه السلام).

ص: ١٦١

١- ((١)) اختيار معرفه الرجال: ٢٦٣ ح ٤٧٨ و راجع اصول الكافي: ١/٨٥ ح ٨، و اللفظ هنا له و في الارشاد: ٢/٢٣٧ و الغيبه للطوسى: ٢٧ و فى مناقب آل أبى طالب: ٤/٣٣٢ باسم على بن اسماعيل، و فى: ٤/٣٥٢ باسم محمد بن اسماعيل. و عن الكشى فى بحار الأنوار: ٤٨/٢٣٩ ح ٤٨.

و بعد زياره الرشيد لقبر الرسول (صلى الله عليه و اله) و لقائه بالإمام (عليه السلام) أمر الطاغية هارون باعتقال الإمام (عليه السلام) و فعلا القى القبض على الإمام و هو قائم يصلى عند رأس جدّه النبي (صلى الله عليه و اله) و لم يمهله لإتمامها.

فحمل و قيد فشكى الإمام لجدّه الرسول (صلى الله عليه و اله) قائلاً: «البيك أشكو يا رسول الله» (١) و بعد اعتقال الإمام غدت الناس تتحدث فيما بينها باستنكار هذا الحدث المهم، فتألّمت الامه كثيرا فلم يبق قلب الآ و تصدّع من الأسى و الحزن فخافت السلطات أن يكون اعتقال الإمام محفزا للثوره عليها. فحمل جميلين، واحدا الى البصره و الثانى الى الكوفه لغرض الايهاام على الناس، أى:

لثلاً يعرف محل حمل الإمام فى أيهما.

الإمام (عليه السلام) فى سجن البصره:

كان المأمور بحراسه الإمام (عليه السلام) أثناء الطريق من المدينه الى البصره حسان السروى (٢) و قبل أن يصل الى البصره تشرّف بالمشول بين يديه عبد الله ابن مرحوم الازدى فدفع له الإمام كتبا و أمره بايصالها الى وليّ عهده الإمام الرضا و عرّفه بأنه الإمام من بعده (٣) و سارت القافله تطوى البيداء حتى وصلت البصره، و أخذ حسان الإمام و دفعه الى عيسى بن أبى جعفر فحبسه فى بيت من بيوت المحبس و أقفل عليه أبواب السجن فكان لا يفتحها الآ فى حالتين:

ص: ١٦٢

١- (١) عيون أخبار الرضا: ٨٥/١ ح ١٠.

٢- (٢) عيون أخبار الرضا: ٨٥/١ ح ١٠.

٣- (٣) عيون أخبار الرضا: ٢٧/١ ح ١٣.

احدهما فى خروجہ للطهور، و الاخرى لادخال الطعام له (عليه السلام)

أما نشاطه (عليه السلام) فى داخل السجن:

فلقد انقطع (عليه السلام) الى الله فى عبادته فكان يصوم النهار و يقوم الليل و كان يقضى وقته فى الصلاه و السجود و الدعاء، و لم يضجر و لم يسأم من السجن و اعتبر التفرغ للعباده من أعظم النعم، و كان يقول فى دعائه: «اللهم انك تعلم انى كنت اسألك ان تفرغنى لعبادتك، اللهم و قد فعلت فلك الحمد» (١).

و لما شاع خبر اعتقال الإمام فى البصره و علم الناس بمكانه هبت اليه العلماء و غيرهم لغرض الاتصال به من طريق خفيّ فاتصل به ياسين الزيات الضريير البصرى و روى عنه (٢).

الايحاز لعيسى باغتيال الإمام (عليه السلام)

و أوعز الرشيد الى عيسى يطلب منه فوراً القيام باغتيال الإمام لكن لما وصلت أوامر الرشيد لعيسى باغتيال الإمام (عليه السلام) ثقل عليه الأمر، و جمع خواصه و ثقته فعرض عليهم الأمر فأشاروا عليه بالتحذير من ارتكاب الجريمة فاستصوب رأيهم، و كتب الى الرشيد رساله يطلب فيها اعفاءه عن ذلك.

حمل الإمام (عليه السلام) الى بغداد

و استجاب الرشيد لطلب عيسى و خاف من عدم تنفيذة لطلبه أن يساهم فى اطلاق سراح الإمام (عليه السلام) و يخلى سبيله، فأمره بحمله الى بغداد و فرح عيسى

ص: ١٦٣

١- ((١)) المناقب: ٣٤٣/٤.

٢- ((٢)) النجاشى: ٤٥٣ برقم ١٢٢٧.

بذلك، ولما وصل الإمام الى بغداد أمر الرشيد باعتقاله عند الفضل فأخذه و حبسه فى بيته.

و أشرف هارون على سجن الإمام (عليه السلام) إذ كان يتوجس فى نفسه الخوف من الإمام (عليه السلام) فلم يثق بالعيون التى وضعها عليه فى سجنه فكان يراقبه و يتطلع على شؤونه خوفا من أن يتصل به أحدا و يكون الفضل قد رقه عليه، فأطل من أعلى القصر على السجن فرأى ثوبا مطروحا فى مكان خاص لم يتغير عن موضعه.

فقال للفضل: ما ذاك الثوب الذى أراه كل يوم فى ذلك الموضع؟!

فقال الفضل: يا أمير المؤمنين، و ما ذاك بثوب، و إنما هو موسى بن جعفر له فى كل يوم سجده بعد طلوع الشمس الى وقت الزوال، فانبهر هارون و قال: أما إن هذا من رهبان بنى هاشم!

و التفت اليه الربيع بعد ما سمع منه اعترافه بعباده و زهد الإمام قائلا له:

يا أمير المؤمنين مالك قد ضيقت عليه فى الحبس؟! فأجابه هارون قائلا: هيهات، لا بد من ذلك (١).

دعاء الإمام (عليه السلام) و اطلاق سراحه

و لما طالت مده الحبس على الإمام (عليه السلام) و هو رهين السجن، قام فى غلس الليل البهيم فجدد طهوره و صلى لربه أربع ركعات و أخذ يدعو بهذا الدعاء:

«يا سيدى: نجنى من حبس هارون، و خلصنى من يده، يا مخلص الشجر من بين رمل و طين، و يا مخلص النار من بين الحديد و الحجر، و يا مخلص اللبن من بين فرث و دم،

ص: ١٦٤

١- (١) عيون أخبار الرضا: ٩٥/١، و عنه فى بحار الأنوار: ٢٢٠/٤٨.

و يا مخلص الولد من بين مشيمه و رحم، و يا مخلص الروح من بيت الاحشاء و الامعاء، خلصنى من يد هارون».

و استجاب الله دعاء العبد الصالح فأنقذه من سجن الطاغية هارون و أطلقه فى غلس الليل (١).

لقد مكث الإمام (عليه السلام) فى سجن الفضل مدة طويله من الزمن لم يعينها لنا التاريخ.

و بقى (عليه السلام) بعد إطلاق سراحه فى بغداد لم يخرج منها الى يثرب و كان يدخل على الرشيد فى كل اسبوع مره يوم الخميس (٢).

الاعتقال الثانى للإمام (عليه السلام)

و لَمَّا شاع ذكر الإمام (عليه السلام) و انتشرت فضائله و مآثره فى بغداد، ضاق الرشيد من ذلك ذرعاً، و خاف منه فاعتقله ثانياً فاودعه فى بيت الفضل بن يحيى.

و لما رأى الفضل عباده الإمام (عليه السلام) و اقباله على الله و انشغاله بذكره أكبر الإمام، و لم يضيق عليه و كان فى كل يوم يبعث اليه بمائده فاخره من الطعام، و قد رأى (عليه السلام) من السعه فى سجن الفضل ما لم يرها فى بقية السجون.

و لَمَّا أوز الرشيد للفضل باغتيال الإمام (عليه السلام) امتنع و لم يجبه الى ذلك و خاف من الله لأنه كان ممتن يذهب الى الإمامه و يدين بها، و هذا هو الذى سبب تنكيل الرشيد بالفضل و اتهام البرامكه بالتشيع (٣).

ص: ١٦٥

١- (١) عيون أخبار الرضا: ٩٤/١ ح ١٣ و راجع المناقب: ٣٣٠/٤.

٢- (٢) عيون أخبار الرضا: ٩٣/١ ح ١٣، و عنه فى بحار الأنوار: ٢١٩/٤٨ ح ٢٠.

٣- (٣) راجع مقاتل الطالبين: ٥٠٣-٥٠٤.

الإمام (عليه السلام) في سجن السندي بن شاهك

و بعد سجن الفضل أمر هارون بنقل الإمام (عليه السلام) الى سجن السندي بن شاهك و أمره بالتضييق عليه فاستجاب هذا الاثيم لذلك فقابل الإمام (عليه السلام) بكل جفوه و قسوه، و الإمام صابر محتسب فأمره الطاغية أن يقيد الإمام (عليه السلام) بثلاثين رطلا من الحديد و يقفل الباب في وجهه و لا يدعه يخرج إلا للوضوء.

و امثل السندي لذلك فقام بإرهاق الإمام (عليه السلام) و بذل جميع جهوده للتضييق عليه، و وكل بشّارا مولاه، و كان من أشد الناس بغضا لآل أبي طالب و لكنه لم يلبث أن تغير حاله و آب الى طريق الحق؛ و ذلك لما رآه من كرامات الإمام (عليه السلام) و معاجزه، و قام ببعض الخدمات له (١).

نشاط الإمام (عليه السلام) داخل السجن

اشاره

و قام الإمام بنشاط متميز من داخل السجن، و فيما يلي نلخص ذلك ضمن عدة نقاط:

١- عبادته داخل السجن:

أقبل الإمام كما قلنا على عباده الله تعالى فكان يصوم النهار و يقوم الليل و لا يفتر عن ذكر الله.

و هذه اخت الجالاد السندي بن شاهك تحدّثنا عمّا رآته من اقبال الإمام و طاعته لله و التي أثرت في نفسها و أصبحت فيما بعد من الصالحات فكانت تعطف على الإمام (عليه السلام) و تقوم بخدمته و إذا نظرت اليه أرسلت ما في عينيها من

ص: ١٦٦

١- (١) اختيار معرفة الرجال: ٤٣٨ ح ٨٢٧.

دموع و هي تقول: خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل (١).

٢- اتصال العلماء به:

و اتصل جماعه من العلماء و الرواه بالإمام (عليه السّلام) من طريق خفي فانتهلوا من نمير علومه فمنهم موسى بن إبراهيم المروزي، و قد سمح له السندي بذلك لأنه كان معلّمًا لولده، و قد ألف موسى بن إبراهيم كتابا مما سمعه من الإمام (٢).

٣- إرسال الاستفتاءات إليه:

و كانت بعض الأقاليم الإسلاميه التي تدين بالإمامه ترسل عنها مبعوثا خاصا للإمام (عليه السّلام) حينما كان في سجن السندي، فتروده بالرسائل فكان (عليه السّلام) يجيبهم عنها، و ممن جاءه هناك علي بن سويد، فقد اتصل بالإمام (عليه السّلام) و سلّم إليه الكتب فأجابه (عليه السّلام) (٣).

٤- نصب الوكلاء:

و عين الإمام (عليه السّلام) جماعه من تلامذته و أصحابه، فجعلهم وكلاء له في بعض البلاد الإسلاميه، و أرجع إليهم شيعته لأخذ الأحكام الإسلاميه منهم، كما و كلّمهم في قبض الحقوق الشرعيه، لصرفها على الفقراء و البائسين من الشيعة و انفاقها في وجوه البر و الخير، فقد نصب المفضل بن عمر و كيلا له في قبض الحقوق و أذن له في صرفها على مستحقيها (٤).

و من هنا بدأت ظاهره الوكاله في تخطيط أهل البيت (عليهم السّلام) لإداره

ص: ١٦٧

١- (١) تاريخ بغداد: ٣١/١٣.

٢- (٢) النجاشي: ٤٠٧ برقم ١٠٨٢.

٣- (٣) حياه الإمام موسى الكاظم: ٤٩٢/٢.

٤- (٤) حياه الإمام موسى الكاظم: ٤٩٣/٢.

الجماعه الصالحه و تطوّرت فيما بعد بمرور الزمن. كما سوف نلاحظ ذلك في حياه الإمام الجواد و الهادى و العسكرى و الإمام المهدي(عليهم السلام).

٥- تعيينه لولى عهده:

و نصب الإمام(عليه السلام) من بعده ولده الإمام الرضا(عليه السلام)فجعله علما لشيئته و مرجعا لآمه جدّه،فقد حدّث الحسين بن المختار،قال:لَمَّا كان الإمام موسى(عليه السلام)فى السجن خرجت لنا ألواح من عنده و قد كتب فيها«عهدى الى أكبر ولدى»(١).

٦- وصيته(عليه السلام):

و أوصى الإمام(عليه السلام)ولده الإمام الرضا(عليه السلام)و عهد إليه بالأمر من بعده على صدقاته و نيابته عنه فى شؤونه الخاصه و العامه و قد أشهد عليها جماعه من المؤمنين و قبل أن يدلى بها و يسجلها أمر باحضار الشهود.

٧- صلابه الإمام و شموخه أمام ضغوط الرّشيد:

و بعد ما مكث الإمام(عليه السلام)زمنًا طويلا فى سجن هارون تكلم معه جماعه من خواصّ شيئته فطلبوا منه أن يتكلم مع بعض الشخصيات المقرّبه عند الرّشيد ليتوسط فى اطلاق سراحه،فامتنع(عليه السلام)و ترفّع عن ذلك و قال لهم:

«حدثنى أبى عن آباءه أن الله عزّ و جلّ أوحى الى داود،يا داود إنه ما اعتصم عبد من عبادى بأحد من خلقى دونى،و عرفت ذلك منه الآقطعت عنه أسباب السماء، و أسخت الأرض من تحته»(٢).

ص: ١٦٨

١- ((١)) عيون أخبار الرضا: ٣٠/١، و مسند الإمام الكاظم: ١٤٧/٢ ح ٣٦.

٢- ((٢)) تاريخ اليعقوبى: ٣٦١/٢، وفاه موسى بن جعفر، تحقيق عبد الأمير مهنا. ط بيروت منشورات مؤسسه الأعلمى للمطبوعات.

إشارة

لقد تنوعت ضغوط هارون على الإمام هو في السجن، و نجد الإمام (عليه السلام) و هو في أوج المحنة يتحدّى كبرياء هارون بكل صلابه و شدّه حتى فشل هارون بكل ما اوتى من حول و قوّه و لم يجد أمامه حلاًّ ينسجم مع نزعاته إلاّ سمّ الإمام (عليه السلام) و اغتياه. و إليك جملة من ضغوط هارون على الإمام الكاظم (عليه السلام) و هو في السجن:

١- إرسال جاريه له

«أنفذ هارون الى الإمام (عليه السلام) جاريه و ضاءه بارعه في الجمال و الحسن، أرسلها بيد أحد خواصّه لتتولى خدمه الإمام ظاناً أنه سيفتن بها، فلما وصلت إليه قال (عليه السلام) لمبعوث هارون:

قل لهارون: بل أنتم بهديتكم تفرحون، لا حاجه لى فى هذه و لا فى أمثالها.

فرجع الرسول و معه الجاريه و أبلغ هارون قول الإمام (عليه السلام) فالتاع غضبا و قال له:

ارجع إليه، و قل له: ليس برضاك حسناك و لا برضاك أخدمناك و اترك الجاريه عنده، و انصرف.

فرجع ذلك الشخص و ترك الجاريه عند الإمام (عليه السلام) و أبلغه بمقالته.

و أنفذ هارون خادما له الى السجن ليتفحص عن حال الجاريه، فلما انتهى إليها رآها ساجده لربّها لا- ترفع رأسها و هى تقول فى سجودها: قدوس، قدوس.

فمضى الخادم مسرعا فأخبره بحالها فقال هارون: سحرها و الله موسى ابن جعفر، علىّ بها.

فجئى بها إليه، و هى ترتعد قد شخصت ببصرها نحو السماء و هى تذكر الله و تمجده، فقال لها هارون:

ما شأنك؟!

قالت: شأنى الشأن البديع، إني كنت عنده واقفه و هو قائم يصلى ليله و نهاره، فلما انصرف من صلاته قلت له: هل لك حاجه أعطيكها؟

فقال الإمام (عليه السلام): و ما حاجتى إليك؟

قلت: إني ادخلت عليك لحوائجك.

فقال الإمام (عليه السلام): فما بال هؤلاء و اشار بيده الى جهه - فالتفت فاذا روضه مزهره لا أبلغ آخرها من أولها بنظري، و لا أولها من آخرها، فيها مجالس مفروشه بالوشى و الديداج، و عليها و صفاء و وصايف لم أر مثل وجوههن حسنا، و لا - مثل لباسهن لباسا، عليهن الحرير الأخضر، و الاكاليل و الدر و الياقوت، و فى أيديهن الابريق و المناديل، و من كل الطعام، فخررت ساجده حتى أقامنى هذا الخادم، فرأيت نفسى حيث كنت.

فقال لها هارون و قد اترعت نفسه بالحق:

يا خبيثه لعلك سجدت، فنمت فرأيت هذا فى منامك!

قالت لا و الله يا سيدى، رأيت هذا قبل سجودى، فسجدت من أجل ذلك.

فالتفت الرشيد الى خادمه، و أمره باعتقالها و اخفاء الحادث لئلا يسمعه أحد من الناس، فأخذها الخادم، و اعتقلها عنده، فأقبلت على العباده و الصلاه، فاذا سئلت عن ذلك قالت: هكذا رأيت العبد الصالح» (١).

ص: ١٧٠

١- ((١)) الحلبي فى مناقب آل أبى طالب: ٣٢٢/٤ عن العامرى فى كتاب الأنوار.

٢- محاولة سم الإمام (عليه السلام)

و لم يتحمل الرشيد سماعه لمناقب الإمام و مآثره و انتشارها بين الناس فعزم على قتله، فدعا برطب و أخذ رطبه من ذلك الرطب المهيباً له، فوضع فيها سما، و قال لخادمه احمله الى موسى بن جعفر و قل له:

إن أمير المؤمنين أكل من هذا الرطب و يقسم عليك بحقه لما أكلته عن آخره فاني اخترته لك بيدي و لا تتركه يبقى شيئاً و لا يطعم منه أحداً.

فحمل الخادم الرطب و جاء به الى الإمام (عليه السلام) و أبلغه برسالة هارون فأخذ الإمام يأكل من الرطب و كانت للرشيد كلبه عزيزه عنده، فجذبت نفسها و خرجت تجرّ بسلاسلها الذهبية حتى حاذت الإمام (عليه السلام) فبادر بالخلال الى الرطبه المسمومه و رمى بها الى الكلبه فأكلتها فلم تلبث أن ضربت بنفسها الأرض و ماتت، و استوفى الإمام باقى الرطب و باء مخطط الرشيد بالفشل و الخيبة فلم تنجح محاولته فى اغتيال الإمام (عليه السلام) فأنقده الله منه و صرف عنه سوء (١).

٣- توسط لإطلاق سراحه

و استدعى الرشيد وزيره يحيى بن خالد (٢) فقال له:

يا أبا على أما ترى ما نحن فيه من هذه العجائب؟ ألا تدبّر فى أمر هذا الرجل تدبيراً تريحنا من غمّه؟

فأشار عليه بالصواب و أرشده الى الخير فقال له:

ص: ١٧١

١- ((١)) عيون أخبار الرضا: ١٠١/١-١٠٢ و عنه فى بحار الأنوار: ٢٢٣/٤٨ ح ٢٦.

٢- ((٢)) أبو الفضل البرمكى مرّيبى الرشيد و مؤدّبّه و معلّمه، ولد سنة ١٢٠ و توفى فى سنة ١٩٠ هـ.

الذى أراه لك يا أمير المؤمنين إن تمنن عليه و تصل رحمه فقد و الله أفسد علينا قلوب شيعتنا و كان يحيى يتولاه و هارون لا يعلم ذلك.

فاستجاب الرشيد لنصحه و قال له:

انطلق إليه و أطلق عنه الحديد و أبلغه عنى السلام و قل له: يقول لك ابن عمك:

إنه قد سبق منى فيك يمين أنى لا- أخليك حتى تقرّ لى بالإساءه و تسألنى العفو عمّا سلف منك و ليس عليك فى اقرارك عار و لا فى مسألتك إياى منقصه، و هذا يحيى بن خالد ثقتى و وزيرى و صاحب أمرى فاسأله بقدر ما أخرج من يمينى. و انصرف راشدا.

و لم يخف على الإمام ذلك لأنه يريد أن يأخذ من الإمام (عليه السلام) اعترافا بالإساءه ليتخذها وسيله الى التشهير به و مبرّرا لسجنه له.

فلما مثل يحيى عنده و أخبره بمقاله الرشيد.

فقال له الإمام (عليه السلام): «أولا سيجرى عليك أنت و اسرتك من زوال النعمه على يد هارون، و حدّره من بطشه» ثم ردّ ثانيا على مقاله الرشيد قائلا:

«يا أبا على، أبلغه عنى: يقول لك موسى بن جعفر: يأتيك رسولى يوم الجمعة فيخبرك بما ترى- أى بموته- و ستعلم غدا إذا جاثيتك بين يدى الله من الظالم و المعتدى على صاحبه و السلام» (١).

٤- رساله الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) لهارون:

و كتب الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) رساله من داخل السجن لهارون جوابا

ص: ١٧٢

١- ((١)) الغيبه للطوسى: ٢٤، و ٢٥ ح ٤ و ٥ عن ابن خالد البرقى عن ابن عباد المهلبى عن ابن يحيى البرمكى. و عن الغيبه فى بحار الأنوار: ٢٣١/٤٨ باب ٤٣ ح ٣٧.

منه (عليه السلام) لمحاولات هارون الفاشله بالاغراء أو التنكيل بالإمام بأنها لا تقدم ولا تؤخر شيئاً.

عن محمد بن اسماعيل قال: بعث موسى بن جعفر (عليه السلام) الى الرشيد من الحبس رساله كانت: «انه لن ينقضى عنى يوم من البلاء إلا انقضى عنك معه يوم من الرخاء، حتى نقضى جميعاً الى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون» (١).

اغتيال الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)

لقد عانى الإمام الكاظم (عليه السلام) أقسى ألوان الخطوب و التنكيل، فتكبيلاً بالقيود، و تضيق شديد فى التعامل معه و منعه من الاتصال بالناس، و أذى مرهق، و بعد ما صب الرشيد عليه جميع أنواع الأذى أقدم على قتله بشكل لم يسبق له نظير محاولاً التخلص من مسؤوليه قتله و ذهب أكثر المؤرخين و المترجمين للإمام الى أن الرشيد أو عز الى السندي بن شاهك الأثيم بقتل الإمام (عليه السلام) فاستجابت نفسه الخبيثه لذلك و أقدم على تنفيذ أفضع جريمه فى الإسلام فاغتيال حفيد النبى العظيم (صلى الله عليه و اله).

فعمد السندي الى رطب فوضع فيه سما فاتكا و قدمه للإمام فأكل منه عشر رطبات فقال له السندي «زد على ذلك» فرمقه الإمام بطرفه و قال له:

«حسبك قد بلغت ما تحتاج اليه».

و لما تناول الإمام تلك الرطبات المسمومه تسمم بدنه و أخذ يعانى آلاماً شديده و اوجاعاً قاسيه، قد حفت به الشرطه القساه و لازمه السندي بن شاهك

ص: ١٧٣

١- (١) تاريخ بغداد: ٣٢٢/١٣ و عنه فى تذكره الخواص: ٣١٤، و كشف الغمه: ٨/٣ عن الجنابدى عن أحمد بن اسماعيل و عنه فى بحار الأنوار: ١٤٨/٤٨، و الفصول المهمه: ٢٢٢ و البدايه و النهايه: ١٨٣/١٠، و الكامل: ١٦٤/٦ و سير اعلام النبلاء: ٢٨٣/٦.

الخبيث فكان يسمعه في كل مره أخشن الكلام و أغلظه و منع عنه جميع الاسعافات ليعجل له النهايه المحتومه.

و في الاتناء استدعى السندي بعض الشخصيات و الوجوه المعروفه في قاعه السجن، و كانوا ثمانين شخصا كما حدثت بذلك بعض شيوخ العامه-حيث يقول:أحضرنا السندي فلما حضرنا انبرى إلينا فقال:

انظروا الى هذا الرجل هل حدث به حدث؟ فإنّ الناس يزعمون أنّه قد فعل به مكروه، و يكترون من ذلك، و هذا منزله و فراشه موسع عليه غير مضيق، و لم يرد به أمير المؤمنين-يعنى هارون-سوءا و إنما ينتظره أن يقدم فيناظره، و ها هو ذا موسع عليه في جميع اموره فاسألوه.

يقول الراوى: و لم يكن لنا هم سوى مشاهده الإمام(عليه السلام) و مقابله فلما دنونا منه لم نر مثله قطّ في فضله و نسكه فانبرى إلينا و قال لنا:

«أما ما ذكر من التوسع، و ما أشبه ذلك، فهو على ما ذكر، غير أنى أخيركم أيها النفر أنى قد سقيت السمّ في تسع تمرات، و انى اصفر غدا و بعد غد أموت».

و لما سمع السندي ذلك انهارت قواه و اضطرب مثل السعفه التي تلعب بها الرياح العاصفه (1) فقد أفسد عليه ما رامه من الحصول على البراءه من المسؤوليه في قتله.

إلى الرفيق الأعلى

و بعد أكله للطيب سرى السمّ في جميع أجزاء بدن الإمام(عليه السلام) و قد علم أنّ لقاءه برّبّه قد حان فاستدعى السندي. «فلما مثل عنده أمره أن يحضر مولى

ص: ١٧٤

له ينزل عند دار العباس بن محمد فى مشرعه القصب لىتولى غسله، و سأله السندي أن يأذن له فى تكفينه فأبى و قال (عليه السلام):

إنا أهل بيت مهور نساننا و حجّ ضرورتنا و أكفان موتانا من طاهر أموالنا، و عندي كفى (١).

و احضر له السندي مولاه، و ثقل حال الإمام (عليه السلام)، و أشرف على النهايه المحتومه، فأخذ يعانى آلام الموت فاستدعى المسيب بن زهره فقال له:

إنى على ما عزفتك من الرحيل الى الله عزّ و جلّ فإذا دعوت بشربه من ماء فشربتها و رأيتنى قد انتفخت، و اصفرّ لوني و احمرّ و اخضرّ و تلون ألوانا فاخبر الطاغيه بوفاتي.

قال المسيب: فلم أزل أراقب وعده حتى دعا (عليه السلام) بشربه فشربها ثم استدعاني، فقال لى:

يا مسيب، إن هذا الرجس السندي بن شاهك سيزعم أنه يتولى غسلى و دفنى.

و هيهات هيهات أن يكون ذلك أبدا.

فإذا حملت الى المقبره المعروفه بمقابر قريش فالحدونى بها، و لا ترفعوا قبرى فوق أربعه أصابع مفرجات، و لا تأخذوا من تربتى شيئا لتتبركوا به فإنّ كل تربه لنا محرّمه إلاّ تربه جدّى الحسين بن على فإنّ الله عزّ و جل جعلها شفاءا لشيعتنا و أولياتنا.

قال المسيب: ثم رأيت شخصا أشبه الاشخاص به جالسا الى جانبه، و كان عهدى بسيدى الرضا (عليه السلام) و هو غلام، فأردت أن أسأله، فصاح بى سيدى موسى، و قال: أليس قد نهيتك؟

ثمّ إنّ ذلك الشخص قد غاب عنى، فجئت الى الإمام و إذا به جثّه هامده قد فارق الحياه فأنهيت الخبر الى الرشيد بوفاته.

ص: ١٧٥

١- (١) مقاتل الطالبين: ٣٣٣ و عنه فى الغيبه للطوسى: ٢٦-٣١ و عنه فى بحار الأنوار: ٢٣٤/٤٨ ح ٣٨.

لقد لحق الإمام بالرفيق الأعلى وفاضت نفسه الزكية الى بارئها فاضلمت الدنيا لفقده و أشرقت الآخرة بقدمه، و قد خسر الإسلام و المسلمون أجمع شخصيه كانت تذبّ عن كيان الإسلام، و تنافح عن كلمه التوحيد و تطالب بحقوق المسلمين و تشجب كل اعتداء غادر عليهم. فسلام عليك يا بن رسول الله، يوم ولدت، و يوم استشهدت، و يوم تبعث حيا.

و المشهور أن وفاه الإمام (عليه السلام) كانت سنه (١٨٣ هـ) لخمس بقين من شهر رجب (١) و قيل سنه (١٨٦ هـ) (٢).
و كانت وفاته فى يوم الجمعة و عمره الشريف كان يوم استشهاده خمسا و خمسين سنه (٣) أو أربعا و خمسين سنه (٤).

التحقيق فى قتل الإمام (عليه السلام)

إشاره

بعد قتل الإمام (عليه السلام) حاول هارون أن يتخلى عن مسؤوليه قتله للإمام و أشاع بين الناس بأن الإمام قد مات حتف أنفه، و أنّ هارون و أجهزته لا علاقه لهما بالحادث و ذلك ضمن خطوتين:

ص: ١٧٦

-
- ١- (١) عمده الطالب: ٨٥، و الطبرى: ٧٠/١٠ و الكامل فى التاريخ: ٥٤/٦ و تاريخ بغداد: ٣٢/٣ و تاريخ أبى الفداء: ١٧/٢، و وفيات الأعيان: ١٧٣/٢ و ميزان الاعتدال: ٢٠٩/٣ و تهذيب التهذيب: ٣٤٠/١٠.
 - ٢- (٢) مروج الذهب: ٣٥٥/٣.
 - ٣- (٣) الفصول المهمه: ٢٥٥.
 - ٤- (٤) المناقب: ٣٤٩/٤.

قام السندی بن شاهك بالخطوة الاولى من مسلسل التخلي ليمهد الأجواء لسيدة هارون في أن يتخلى فيما بعد بنفسه عن مسؤوليه هذه الجريمة.

يحدثنا عمر بن واقد عن تحرك السندی و كيفية تنصّله عن الحادث،قال:

أرسل إليّ السندی بن شاهك في بعض الليل و أنا ببغداد يستحضرني،فخشيت أن يكون ذلك لسوء يريد بي، فأوصيت عيالي بما احتجت إليه، وقلت: إنّا لله و أنا إليه راجعون، ثم ركبت إليه.

فلما رأني مقبلا،قال: يا أبا حفص لعلنا أربعناك و أفزعناك؟

قلت: نعم قال: فليس هناك إلا خير.

قلت: فرسول تبعته الى منزلي يخبرهم خبري. فقال نعم.

ثم قال: يا أبا حفص أتدرى لم أرسلت إليك؟ فقلت: لا.

فقال: أتعرف موسى بن جعفر؟ فقلت إي و الله، اني لأعرفه، و بيني و بينه صداقه منذ دهر.

فقال: من هاهنا ببغداد يعرفه ممن يقبل قوله؟ فسميت، و جاء بهم كما جاء بي، فقال: هل تعرفون قوما يعرفون موسى بن جعفر؟

فسموا له قوما، فجاء بهم، فاصبحنا و نحن في الدار نيفا و خمسين رجلا ممن يعرفون موسى بن جعفر (عليه السلام) قد صحبه.

قال: ثم قام فدخل و صلينا، فاخرج كاتبه طومارا، فكتب أسماءنا و منازلنا و أعمالنا و حلالنا، ثم دخل إليه السندی.

قال: فخرج السندی فضرب يده إليّ فقال: قم يا أبا حفص فنهضت

و نهض أصحابنا و دخلنا.

فقال لي: يا أبا حفص اكشف الثوب عن وجه موسى بن جعفر فكشفته فرأيته ميتا، فبكيت و استرجعت.

ثم قال للقوم: انظروا إليه فدنا واحد بعد واحد فنظروا إليه.

ثم قال: تشهدون كلكم أنّ هذا موسى بن جعفر بن محمد؟ فقلنا: نعم، نشهد أنه موسى بن جعفر بن محمد.

ثم قال: يا غلام اطرح على عورته منديلا و اكشفه، قال: ففعل.

فقال: أترون به أثرا تنكرونه؟ فقلنا: لا، ما نرى شيئا و لا نراه إلا ميتا.

ثم سجّل شهادتهم و انصرفوا (١).

الخطوة الثانية:

و في الخطوة الثانية قام هارون بنفسه ليعلن أمام حشد من وجوه الشيعة بأنه بريء من جريمة قتل الإمام.

عن محمد بن صدفة العنبري، قال: لما توفي أبو ابراهيم موسى ابن جعفر (عليه السلام) جمع هارون الرشيد شيوخ الطالبية و بنى العباس و سائر أهل المملكة و الحكّام و احضر أبا ابراهيم موسى بن جعفر (عليه السلام) فقال: هذا موسى ابن جعفر قد مات حتف انفه، و ما كان بيني و بينه ما استغفر الله منه في أمره - يعني في قتله - فانظروا إليه.

فدخل عليه سبعون رجلا من شيعته، فنظروا الى موسى بن جعفر و ليس به أثر جراحه و لا خنق، و كان في رجله أثر الحناء (٢).

ص: ١٧٨

١- (١) كمال الدين: ٣٧، و عيون اخبار الرضا: ١/٩٧ ح ٣، عنهما في بحار الأنوار: ٢٢٥/٤٨ ح ٣٧.

٢- (٢) كمال الدين: ٣٩، و عيون الأخبار: ١/١٠٥ ح ٨، و عنهما في بحار الأنوار: ٢٢٨/٤٨ ح ٣١.

و حسب الأوامر المعدّه سلفا من قبل هارون كما تدل عليها القرائن، لاجل أن يتنصل عن قتله للإمام، ليس أمام الشيعة فحسب و إنما أمام الامه الإسلاميه كلّها، و أن تكون طريقه التخلى من مسؤوليه الحادث بأن يستبطن أن المقتول ما هو إلا رجل عادى لا وزن له، فعلام هذا التضخيم و التهويل و التشكيك بموته؟

فتخطى السندي بن شاهك بالاسلوب التالي: حيث وضع الإمام على جسر الرصافه و هو ميت ينظر إليه القريب و البعيد و تتفرج عليه الماره قد أحاطت بجثمانه المقدس شرطه الطاغيه القاتل و كشفت وجهه للناس قاصدين بذلك انتهاك حرمة (عليه السلام) و الحط من كرامته و التشهير به.

و قد أمر السندي جلاوزته أن ينادوا على جثمان الإمام بذلك النداء المؤلم الذى تذهب النفوس لهوله أسى و حسره: «هذا إمام الرافضه فاعرفوه» هذا موسى بن جعفر الذى تزعم الرافضه أنه لا يموت فانظروا إليه ميتا.

متى قالت الشيعة إنّ الإمام موسى لا يموت؟

نعم قالت الواقفيه بذلك و الشيعة منهم براء و هارون و جلاوزته أعلم من غيرهم بهذه الحقيقه. لكنه وسيله من وسائل التشهير و إصاق التهم بالشيعة بسبب أن الواقفيه تذهب الى أن الإمام موسى حى لم يموت و أنه رفع الى السماء كما رفع المسيح عيسى بن مريم.

بهذا الاسلوب حاولت الاجهزه الحاكمه أن تنسب هذا الرأى للشيعة ظلما، و تبرر الإهانه و الازلال و قد لحق النداء المذكور بهذا المقطع: ألا من

أراد أن يرى الخبيث بن الخبيث موسى بن جعفر فليخرج (١).

وقد حاول هارون بهذا الأسلوب-بالإضافة إلى احتقار الشيعة واذلالهم-الوقوف على العناصر الفعّالة منهم و التعرف على مدى نشاطها و حماسها، عن طريق هذا الاستفزاز الصارخ و الاعتداء على كرامه الإمام(عليه السّلام) أمامها كأسلوب مآكر للتخلّص من خطرهم ليساقوا بعد ذلك للسجون و القبور.

يقول الشيخ باقر القرشي: و أكبر الظن أنّ الشيعة قد عرفت هذا القصد، فلذا لم تقم بأيّ عمل إيجابى ضده (٢).

مبادره سليمان

كان سليمان بن أبي جعفر المنصور رجلا-محنكا و ذا عقل متزن. و قد رأى أنّ الأعمال التي قام بها هارون ما هي إلا لطمحه سوداء في جبين العباسيين؛ فإنّ هارون لم يكتف باغتتيال الإمام و دسّ السمّ إليه بل ارتكب جملة من الأعمال الوحشية التي تدل على أنه لا عهد له بالشرف و النبل و المعروف و الإنسانيه من هنا بادر سليمان-حين سمع نبأ اخراج جنازه الإمام الى الجسر و النداء الفظيع على جثمانه الطاهر-و حاول أن يتلافى الموقف بالتى هي أحسن.

إنّ قصر سليمان كان مطلاً على نهر دجلة و حين سمع النداء و الضوضاء و رأى بغداد قد اضطربت، قال لولده و غلمانته: ما هذا؟

قالوا: السندي بن شاهك ينادى على موسى بن جعفر، و أخبروه بذلك

ص: ١٨٠

١- (١) كمال الدين: ٣٨، عيون الاخبار: ١/٩٩/٥، و عنهما في بحار الأنوار: ٢٢٧/٤٨ ح ٢٩ و الفصول المهمة: ٥٤.

٢- (٢) حياه الإمام موسى بن جعفر: ٥٢٣/٢.

فصاح بولده قائلًا: انزلوا مع غلمانكم فخذوه من أيديهم فان مانعواكم فأضربوهم، و خرقوا ما عليهم من سواد-و هو لباس الشرطه و الجيش-.

و انطلق أبناء سليمان و غلمانه الى الشرطه فأخذوا جثمان الإمام منهم، و لم تبد الشرطه معهم أيه معارضه، فسليمان عم الخليفه و أهم شخصيه لامعه فى الاسره العباسيه و أمره مطاع عند الجميع، و حمل الغلمان نعش الإمام (عليه السلام) فجاءوا به الى سليمان فأمر فى الوقت أن ينادى فى شوارع بغداد:

ألا من أراد أن يحضر جنازه الطيب بن الطيب موسى بن جعفر فليحضر (١).

و أكبر الظن أن سليمان خاف من انتفاضه شعبيه أو تمرد عسكري لأن الشيعة لم تكن قله فى ذلك العصر فقد اعتنق التشيع خلق كثير من رجال الدوله و قاده الجيش و كبار الموظفين و الكتاب لذا تدارك سليمان الموقف و قام بهذه المهمه و أنقذ حكمه هارون من الاضطراب و الثوره (٢).

و خرج الناس على اختلاف طبقاتهم لتشيع جثمان الإمام و خرجت الشيعة فعبّرت عن حزنها و أساها بعد هذا التشيع الكبير.

تجهيز الإمام (عليه السلام)

و قام سليمان بتجهيز الإمام فغسله، و كّفنه، و لّفه بحبره قد كتب عليها القرآن الكريم بأسره كلفته الفين و خمسمائه دينار (٣).

و قال المسيب بن زهره: و الله لقد رأيت القوم يعينى و هم يظنون أنهم

ص: ١٨١

١- (١) كمال الدين: ٣٨، عيون الاخبار: ١/٩٩/٥، و عنهما فى بحار الأنوار: ٤٨/٢٢٧/٢٩.

٢- (٢) حياه الإمام موسى بن جعفر: ٥٢٦/٢.

٣- (٣) كمال الدين: ٣٨، عيون الاخبار: ١/٩٩ ح ٥.

يغسلونه فلا تصل أيديهم إليه و يظنون أنهم يحنطونه و يكفّنونه و أراهم أنهم لا يصنعون شيئاً، و رأيت ذلك الشخص الذي حضر وفاته -و هو الإمام الرضا(عليه السّلام)- هو الذي يتولّى غسله و تحنيطه و تكفينه، و هو يظهر المعاونه لهم، و هم لا يعرفونه فلما فرغ من أمره إلتفت إلى فقال(عليه السّلام):

«يا مسيب مهما شككت في شيء فلا تشكّن فيّ، فإنّي إمامك و مولاك و حجه الله عليك بعد أبي.

يا مسيب متلى مثل يوسف الصديق و مثلهم مثل إخوته حين دخلوا عليه و هم له منكرون (1) و بعد انتهاء الغسل حمل الإمام الى مرقده».

تشيع الإمام(عليه السّلام) و دفنه

و بعد الغسل هرعت جماهير بغداد الى تشيع الإمام فكان يوماً مشهوداً لم تر مثله في أيامها فقد خرج البر و الفاجر لتشيع جثمان الإمام(عليه السّلام) و الفوز بحمل جثمانه، و سارت المواكب و هي تجوب شوارع بغداد و تردد أهاليها الحزن و اللوعة، متّجهه نحو باب التبن يتقدمهم سليمان حافياً حاسراً متسلّباً (2) مشقوق الجيب الى مقابر قريش، و حفر له قبر فيها و أنزله سليمان بن أبي جعفر.

و بعد الفراغ من الدفن أقبلت الناس تعزيه بالمصاب الأليم (3).

ص: ١٨٢

١- (١) عيون الاخبار: ١/١٠٠/٦ ح ٦. و عنه في بحار الأنوار: ٢٢٢/٤٨ ح ٢٩.

٢- (٢) أى متسلّباً من الملابس الرسميّة الفاخرة لابسا لباس الحداد، كما في اللغة.

٣- (٣) كمال الدين: ٣٨، عيون الاخبار: ١/٩٩/٥ ح ٥، و عنهما في بحار الأنوار: ٢٢٧/٤٨ ح ٢٩.

إشاره

تراث الإمام الكاظم (عليه السلام)

لقد ورث الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) مدرسه أبيه الصادق (عليه السلام) وحظيت منه بالتوجيه والرعايه الشامله لتلامذته و أصحابه بالرغم من قساوه الظروف و تغيرها خلال ثلاثه عقود و نصف من العمل العلمى الدؤوب و تربيته مستمره للنابهين من صحابته و طلاب المعرفة من أتباعه و شيعته.

و قد أثرت عن الإمام الكاظم (عليه السلام) عدده مجموعات روائيه مثل: مسائل على بن جعفر، و الاشعثيات و تصدّى المعنيون بتراث أهل البيت (عليهم السلام) بجمع التراث المأثور عن أهل البيت (عليهم السلام) و تنظيمه و تبويبه من مختلف المصادر و تسميته بالمسند. و هذا عمل يشكر عليه عامله لأنه يوفر للباحثين الفرصه الكافيه للغور فى هذا التراث و دراسته دراسه معمقه بالأرقام.

و فيما يخص الإمام موسى (عليه السلام) نلاحظ آخر ما جمع من كلامه و ما يرتبط به من نصوص قد بلغ ثلاث مجلدات يناهز مجموعها الألف صفحه مبوّبه حسب تبويب الموسوعات الحديثيه مع فارق أو أكثر. فالمقدمه تشتمل على مجموعه من النصوص التى تخص نشأه الإمام و حياته و سيرته.

ثم يقسّم تراثه الحديثى الى أبواب العقائد و الأخلاق و الأحكام و السير و التاريخ و الرجال.

و فيما يخصّ مسند الإمام الكاظم (عليه السّلام) إذا مررنا عليه مروراً عابراً و سريعاً أيضاً كفى ذلك لنقف على عظمه الدور الفكرى و العطاء العلمى الذى قدّمه هذا الإمام العظيم الى الامه الإسلاميه بشكل عام و الى الجماعه الصالحه و طلاب المعرفه المؤمنين بخط أهل البيت (عليهم السّلام) بشكل خاص، لا سيما إذا لاحظنا قساوه الظروف السياسيه و الاجتماعيه التى مرّ بها الإمام موسى (عليه السّلام) و أصحابه و شيعته خلال ثلاثه عقود و نصف تقريباً.

لقد ترجم هذا المسند (٦٣٨) شخصاً من رواه الإمام الكاظم (عليه السّلام) و هو رقم كبير جداً بالنسبه للمده الزمنيه التى عرفناها و الظروف التى وقفنا عليها.

و قد اشتمل الفهرس على عدد نصوص كل باب من أبواب المعرفه. و تتراوح هذه النصوص بين نصوص متأثوره بواسطه الإمام الكاظم (عليه السّلام) عن آباءه عن رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و هى تكشف عن مدى اهتمامه بسيره و حديث جدّه (صلّى الله عليه و اله) و بين نصوص لا يسندها الى أحد مما يمكن أن نعتبرها من تراثه الخاص كما نلاحظ ذلك فى رساله الكبيره التى أثرت عنه حول العقل و لعلها رساله الوحيد الجامعه لما يخصّ العقل من شؤون فى الكتاب و السنه و هى لوحدها تراث جامع و أثر خالد يتضمّن المنهج المعرفى القرآنى و الحديثى لأهل البيت (عليهم السّلام) كما سوف نراها بنصّها الكامل فى ما سيأتى إن شاء الله تعالى.

و الجزء الأول من هذا المسند قد اشتمل على الأبواب التاليه:

العقل و العلم فى (١٠ أبواب)، التوحيد فى (١٤ باباً)، تاريخ الأنبياء و الأئمّه فى (١٤ باباً)، و النبوه و الإمامه فى (٢٢ باباً) و التعريف بالصحابه فى (٤١ باباً) و التعريف برواه الإمام الكاظم فى (٦٣٨ باباً) و أبواب الإيمان و الكفر فى (٤٢ باباً) و الأخلاق و العشره فى (١٥٢ باباً).

كما تضمن الجزء الثاني: كتاب القرآن بأبوابه ال(٥١ بابا) و كتاب الدعاء فى (٥١ بابا) و الاحتجاجات فى (٨ أبواب) و معظم كتب الفقه، فكتاب الطهاره فى (٧٣ بابا) و كتاب الصلاه فى (٤١ بابا) و كتاب الصوم فى (٢٥ بابا) و كتاب الزكاه فى (٢٨ بابا) و كتاب المعيشه فى (٥٩ بابا) و كتاب السفر فى (٨ أبواب) و كتاب الحج فى (٦٨ بابا) و كتاب الزياره فى (٧ أبواب) و كتاب الجهاد فى (٥ أبواب) و كتاب النكاح فى (٤٠ بابا) و كتاب الطلاق فى (٣٠ بابا).

و تضمن الجزء الثالث من المسند: كتاب الأولاد فى (١٢ بابا) و كتاب التجمل و الزينه فى (٤٣ بابا) و كتاب الرواتب فى (١٢ بابا) و كتاب الأطمعه فى (٦٨ بابا) و كتاب الاشربه فى (١٣ بابا) و كتاب العتق فى (١٢ بابا) و كتاب الايمان و الندور فى (٩ أبواب) و كتاب الحدود فى (١٨ بابا) و كتاب اللديات فى (١٦ بابا) و كتاب الوصيه فى (١٥ بابا) و كتاب الارث فى (١١ بابا) و كتاب الجنائز فى (٢٩ بابا) و كتاب الحشر و المعاد و الآداب و السنن.

إنّ هذا التنوع فى أبواب المعرفه التى اثرت عنه لدليل آخر على الجانب الموسوعى فى هذا التراث بالإضافة الى وضوح التكامل فى المسيره العلميه التى بدأها أهل البيت (عليهم السّلام) و سهروا على إرساء قواعدها و اشاده اصولها و معالمها و التخطيط لاثمارها و الحرص على إنجاز دورها التغييرى فى المجتمع الإسلامى عامه و فى الجماعه الصالحه بشكل خاص.

و إليك بعض النصوص المختاره من هذا التراث العظيم فى الأبواب التاليه:

اصول العلم و مراتب المعرفة:

١- قال الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام): «وجدت علم الناس في أربع، أولها: أن تعرف ربك، والثانية: أن تعرف ما صنع بك، والثالثة: أن تعرف ما أراد منك، والرابعة: أن تعرف ما يخرجك من دينك» (١).

٢- قال (عليه السلام): «أولى العلم بك ما لا يصلح لك العمل إلا به و أوجب العمل عليك ما أنت مسؤول عن العمل به، و ألزم العلم لك ما دلك على صلاح قلبك؛ و أظهر لك فساد، و أحمد العلم عاقبه ما زاد في علمك العاجل، فلا تشتغلن بعلم ما لا يضرك جهله، و لا تغفلن عن علم ما يزيد في جهلك تركه» (٢).

٣- قال (عليه السلام): «فقيه واحد ينقذ يتيما من أيتامنا المنقطعين عنا و عن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج إليه أشد على إبليس من ألف عابد...» (٣).

مصادر المعرفة و منهجها:

١- عن سماعه، عن أبي الحسن موسى (عليه السلام)، قال: قلت له: أكل شيء في كتاب الله و سنه نبيه (صلى الله عليه و اله)؟ أو تقولون فيه؟ قال: «بل كل شيء في كتاب الله و سنه نبيه (صلى الله عليه و اله)» (٤).

٢- عن سماعه، عن العبد الصالح قال: سألته فقلت: إن أناسا من أصحابنا قد لقوا أباك و جدك و سمعوا منهما الحديث فرما كان شيء يبتل به بعض

ص: ١٨٦

١- (١) كشف الغمه: ٢/٢٥٥.

٢- (٢) بحار الأنوار: ٣٣٦/٧٥.

٣- (٣) الاحتجاج: ٨/١.

٤- (٤) الكافي: ١/٦٢.

أصحابنا و ليس فى ذلك عندهم شىء يفتىه و عندهم ما يشبهه، يسعهم أن يأخذوا بالقياس؟ فقال: «لا إنما هلك من كان قبلكم بالقياس»، فقلت له: لم لا يقبل ذلك؟ فقال: «لأنه ليس من شىء إلا و جاء فى الكتاب و السنة» (١).

٣- عن موسى بن بكر، قال: قال أبو الحسن (عليه السلام): «من افتى الناس بغير علم لعنته ملائكة الأرض و ملائكة السماء» (٢).

٤- عن عثمان بن عيسى، قال: سألت أبا الحسن موسى (عليه السلام) عن القياس فقال: «ما لكم و القياس إن الله لا يسأل كيف أحلّ و كيف حرّم» (٣).

٥- عن يونس بن عبد الرحمن، قال: قلت لابي الحسن الأول (عليه السلام): بما اوحى الله؟ فقال: «يا يونس لا تكونن مبتدعا، من نظر برأيه هلك، و من ترك أهل بيت نبيه (صلى الله عليه و اله) ضلّ، و من ترك كتاب الله و قول نبيه كفر» (٤).

٦- إن من غرر أحاديث الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) فى مجال العقل كمصدر معرفى أساس هو وصيته الثمينه لهشام بن الحكم و التى سميت برسالة العقل عند الإمام (عليه السلام)، و إليك نصّ الرسالة:

قال (عليه السلام): «إن الله تبارك و تعالى بشر أهل العقل و الفهم فى كتابه فقال: ... فَبَشِّرْ عِبَادِ* الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَ أُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ (٥).

يا هشام بن الحكم إن الله عزّ و جلّ أكمل للناس الحجج بالعقول و أفضى إليهم بالبيان

ص: ١٨٧

١- ((١)) الاختصاص: ٢٨١.

٢- ((٢)) المحاسن: ٢٠٥/١، و بحار الأنوار: ١٢٢/٢.

٣- ((٣)) المحاسن: ٢١٤/١.

٤- ((٤)) اصول الكافي: ٥٦/١.

٥- ((٥)) الزمر (٣٩): ١٧-١٨.

و دلّهم على ربوبيته بالأدلاء، فقال: وَ إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ* إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ - الى قوله - لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١).

يا هشام قد جعل الله عزّ و جلّ ذلك دليلاً على معرفته بأنّ لهم مدبراً فقال: وَ سَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢). وقال: حم* وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ* إِذَا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) وقال: وَ مِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبُرُوقَ حُوفًا وَ طَمَعًا وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْجِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤).

يا هشام ثمّ وعظ أهل العقل و رغّبهم في الآخرة فقال: وَ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ لَلدَّارِ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَ فَلَآ تَعْقِلُونَ (٥). وقال: وَ مَا أَوْتَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ زِينَتُهَا وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَ أَبْقَى أَ فَلَآ تَعْقِلُونَ (٦).

يا هشام ثمّ خوّف الذين لا يعقلون عذابه فقال عزّ و جلّ: ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ وَ إِنَّا كُنْمُ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ* وَ بِاللَّيْلِ أَ فَلَآ تَعْقِلُونَ (٧).

يا هشام ثمّ بين أن العقل مع العلم فقال: وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَ مَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (٨).

يا هشام ثمّ ذمّ الذين لا يعقلون فقال: وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ

ص: ١٨٨

١- (١) البقره (٢): ١٦٣-١٦٤.

٢- (٢) النحل (١٦): ١٢.

٣- (٣) الزخرف (٤٣): ١-٣.

٤- (٤) الروم (٣٠): ٢٤.

٥- (٥) الأنعام (٦): ٣٢.

٦- (٦) القصص (٢٨): ٦٠.

٧- (٧) الصافات (٣٧): ١٣٧-١٣٨.

٨- (٨) العنكبوت (٢٩): ٤٣.

مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ الْبَاءَ أَ أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١). وقال: إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (٢). وقال: وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣).

ثم ذم الكثرة فقال: وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ (٤) وقال: وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥). «و أكثرهم لا يشعرون» (٦).

يا هشام ثم مدح القلة فقال: وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (٧) وقال: وَقَلِيلٌ مِمَّا هُمْ (٨) وقال: وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (٩).

يا هشام ثم ذكر أولى الالباب بأحسن الذكر و حلاهم بأحسن الحليه، فقال: يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (١٠).

يا هشام إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ (١١) يعنى العقل.

وقال: وَ لَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ (١٢) قال: الفهم و العقل.

يا هشام إِنَّ لُقْمَانَ، قال لابنه: تواضع للحق تكن أعقل الناس». يا بنى إِنَّ الدنیا بحر عمیق قد غرق فيه عالم كثير فلتكن سفینتک فیها تقوی الله و حشوها الإیمان و شرعها التوکل

ص: ١٨٩

١- (١) البقره (٢): ١٧٠.

٢- (٢) الأنفال (٨): ٢٢.

٣- (٣) لقمان (٣١): ٢٥.

٤- (٤) الأنعام (٦): ١١٦.

٥- (٥) الأنعام (٦): ٣٧.

٦- (٦) مضمون مأخوذ من آى القرآن.

٧- (٧) سبأ (٣٤): ١٣.

٨- (٨) ص (٣٨): ٢٤.

٩- (٩) هود (١١): ٤٠.

١٠- (١٠) البقره (٢): ٢٦٩.

١١- (١١) ق (٥٠): ٣٧.

١٢- (١٢) لقمان (٣١): ١١.

و قيمتها العقل. و دليلها العلم و سكاها الصبر.

يا هشام لكل شىء دليل و دليل العاقل التفكر و دليل التفكر الصمت. و لكل شىء مطيه و مطيه العاقل التواضع و كفى بك جهلا، أن تركب ما نهيت عنه.

يا هشام لو كان فى يدك جوزه و قال الناس (فى يدك) لؤلؤه ما كان ينفعك و أنت تعلم أنها جوزه. و لو كان فى يدك لؤلؤه و قال الناس: أنها جوزه ما ضرّك و أنت تعلم أنها لؤلؤه.

يا هشام ما بعث الله أنبياءه و رسله الى عباده إلا ليعقلوا عن الله، فأحسنهم استجابته أحسنهم معرفه لله. و أعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلا. و أعقلهم أرفعهم درجه فى الدنيا و الآخرة.

يا هشام ما من عبد إلا و ملك آخذ بناصيته، فلا يتواضع إلا رفعة الله و لا يتعاضم إلا وضعه الله.

يا هشام إن لله على الناس حجتين حجه ظاهره و حجه باطنه، فأما الظاهره فالرسل و الأنبياء و الأئمه. و أما الباطنه فالعقول.

يا هشام إن العاقل، الذى لا يشغل الحلال شكره و لا يغلب الحرام صبره.

يا هشام من سلط ثلاثا على ثلاث فكأنما أعان هواه على هدم عقله: من أظلم نور فكره بطول أمله، و محا طرائف حكمته بفضول كلامه. و أطفأ نور عبرته بشهوات نفسه، فكأنما أعان هواه على هدم عقله. و من هدم عقله أفسد عليه دينه و دنياه.

يا هشام كيف يزكو عند الله عملك و أنت قد شغلت عقلك عن أمر ربك و أطعت هواك على غلبه عقلك.

يا هشام الصبر على الوحده علامه قوه العقل، فمن عقل عن الله تبارك و تعالى اعتزل أهل الدنيا و الراغبين فيها. و رغب فيما عند ربه—و كان الله—آنسه فى الوحشه و صاحبه فى

الوحده. و غناه فى العيله و معزه فى غير عشيره (١).

يا هشام نصب الخلق لطاعه الله (٢). و لا نجاه إلا بالطاعه. و الطاعه بالعلم و العلم بالتعلم. و التعلم بالعقل يعتقد (٣) و لا علم إلا من عالم ربانى و معرفه العالم بالعقل.

يا هشام قليل العمل من العاقل مقبول مضاعف. و كثير العمل من أهل الهوى و الجهل مردود.

يا هشام إن العاقل رضى بالدون من الدنيا مع الحكمه. و لم يرض بالدون من الحكمه مع الدنيا، فلذلك ربحت تجارتهم.

يا هشام إن كان يغنيك ما يكفيك فأدنى ما فى الدنيا يكفيك. و إن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس شىء من الدنيا يغنيك.

يا هشام إن العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب. و ترك الدنيا من الفضل و ترك الذنوب من الفرض.

يا هشام إن العقلاء زهدوا فى الدنيا و رغبوا فى الآخرة لأنهم علموا أن الدنيا طالبه و مطلوبه و الآخرة طالبه و مطلوبه، فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفى منها رزقه.

و من طلب الدنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه و آخرته.

يا هشام من أراد الغنى بلا مال و راحه القلب من الحسد و السلامه فى الدين فليترضع الى الله فى مسأله بأن يكمل عقله، فمن عقل قنع بما يكفيه و من قنع بما يكفيه استغنى و من لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنى أبدا.

يا هشام إن الله جلّ و عزّ حكى عن قوم صالحين، أنهم قالوا: رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ

ص: ١٩١

١- ((١)) العيله: الفاقه.

٢- ((٢)) نصب- من باب ضرب على صيغه المجهول- بمعنى وضع أو من باب التفعيل من نصب الامير فلانا وآه منصبا.

٣- ((٣)) اعتقد الشىء: نقيض حله.

إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (١) حين علموا أنّ القلوب تزيغ و تعود الى عماها و رداها أنّه لم يخف الله من لم يعقل عن الله و من لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفه ثابتة يبصرها و يجد حقيقتها فى قلبه. و لا يكون أحد كذلك إلا من كان قوله لفعله مصدقا، و سرّه لعلايته موافقا، لأنّ الله لم يدلّ على الباطن الخفى من العقل إلا بظاهر منه و ناطق عنه.

يا هشام كان أمير المؤمنين (عليه السلام)، يقول: ما من شىء عبد الله به أفضل من العقل و ما تمّ عقل امرء حتى يكون فيه خصال شتى، الكفر و الشر منه مأمونان (٢). و الرشيد و الخير منه مأمولان (٣). و فضل ماله مبذول. و فضل قوله مكفوف. نصيبه من الدنيا القوت. و لا يشبع من العلم دهره. الذلّ أحب إليه مع الله من العزّ مع غيره. و التواضع أحب إليه من الشرف.

يستكثر قليل المعروف من غيره و يستقل كثير المعروف من نفسه. و يرى الناس كلهم خيرا منه و أنّه شرّهم فى نفسه و هو تمام الأمر (٤).

يا هشام من صدق لسانه زكى عمله. و من حسنت نيته زيد فى رزقه. و من حسن برّه باخوانه و أهله مدّ فى عمره.

يا هشام لا تمنحوا الجهال الحكمة فتظلموها (٥)، و لا تمنعوها أهلها فتظلموهم.

يا هشام كما تركوا لكم الحكمة فاتركوا لهم الدنيا.

يا هشام لا دين لمن لا مروءه له. و لا مروءه لمن لا عقل له. و أنّ أعظم الناس قدرا الذى

ص: ١٩٢

١- (١) آل عمران (٣): ٧.

٢- (٢) الكفر فى الاعتقاد و الشر فى القول و العمل و الكل ينشأ من الجهل.

٣- (٣) الرشيد فى الاعتقاد و الخير فى القول و الكل ناشئ من العقل.

٤- (٤) أى ملاك الامر و تمامه فى أن يكون الانسان كاملا تام العقل هو كونه متصفا بمجموعه هذه الخصال.

٥- (٥) لا تمنحوا الجهال أى لا تعطوهم و لا تعلموهم. و المنحه: العطاء.

لا يرى الدنيا لنفسه خطرا (١)، أما إنَّ أبدانكم ليس لها ثمن إلا الجنة، فلا تبيعوها بغيرها... (٢)

يا هشام إنَّ أمير المؤمنين (عليه السّلام) كان يقول: «لا يجلس في صدر المجلس إلا رجل فيه ثلاث خصال: يجيب اذا سئل و ينطق اذا عجز القوم عن الكلام، ويشير بالرأى الذى فيه صلاح أهله، فمن لم يكن فيه شيء منهنّ فجلس فهو أحمق».

وقال الحسن بن علي (عليهما السّلام): «اذا طلبتم الحوائج فاطلبوها من أهلها» قيل:

يا ابن رسول الله و من أهلها؟ قال: «الذين قصّ الله في كتابه و ذكرهم، فقال: **إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ** (٣). قال: هم أولوا العقول».

وقال علي بن الحسين (عليهما السّلام): «مجالسه الصالحين داعيه الى الصلاح و أدب العلماء زياده فى العقل، و طاعه و لاه العدل تمام العز و استثمار المال (٤) تمام المروه. و ارشاد المستشار قضاء لحق النعمه. و كف الاذى من كمال العقل و فيه راحه البدن عاجلا و آجلا».

يا هشام إنَّ العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه و لا يسأل من يخاف منعه. و لا يعد ما لا يقدر عليه. و لا يرجو ما يعنّف برجائه (٥) و لا يتقدم على ما يخاف العجز عنه.

و كان أمير المؤمنين (عليه السّلام) يوصى أصحابه يقول: «أوصيكم بالخشيه من الله

ص: ١٩٣

١- (١) معادلا و موازيا فى الخطر أى القدر و الرفعه.

٢- (٢) ههنا كلام نقله صاحب الوافى عن استاذه -رحمهما الله- قال: و ذلك لأن الأبدان فى التناقص يوما فيوما لتوجه النفس منها الى عالم آخر فان كانت النفس سعيدة كانت غايه سعيه فى هذه الدنيا و انقطاع حياته البدنيه الى الله سبحانه و الى نعيم الجنة لكونه على منهج الهدايه و الاستقامه فكأنه باع بدنه بثمان الجنة معامله مع الله تعالى و لهذا خلقه الله عزّ و جلّ و ان كانت شقيته كانت غايه سعيه و انقطاع أجله و عمره الى مقارنه الشيطان و عذاب النيران لكونه على طريق الضلاله فكأنه باع بدنه بثمان الشهوات الفانيه و اللذات الحيوانيه التى ستصير نيرانا محرقه مؤلمه و هى اليوم كامنه مستوره عن حواسّ أهل الدنيا و ستبرز يوم القيامه وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَىٰ معامله مع الشيطان و خسر هنالك المبطلون.

٣- (٣) الزمر (٣٩): ١٢.

٤- (٤) أى استنماؤه بالكسب و التجاره.

٥- (٥) التعنيف: اللؤم و التوبيخ و التقرير. و المراد إنَّ العاقل لا يرجو فوق ما يستحقه و ما لم يستعده.

فى السر و العلانيه،و العدل فى الرضا و الغضب،و الاكتساب فى الفقر و الغنى،و أن تصلوا من قطعكم،و تعفوا عمن ظلمكم،و تعطفوا على من حرمكم و ليكن نظركم عبرا.و صمتكم فكرا.و قولكم ذكرا و طبيعتكم السخاء،فإنه لا يدخل الجنة بخيل و لا يدخل النار سخي».

يا هشام رحم الله من استحيا من الله حق الحياء،فحفظ الرأس و ما حوى (١)و البطن و ما وعى،و ذكر الموت و البلى،و علم أن الجنة محفوفه بالمكاره (٢).و النار محفوفه بالشهوات.

يا هشام من كف نفسه عن أعراض الناس أقاله الله عثرته يوم القيامة.و من كف غضبه عن الناس كف الله عنه غضبه يوم القيامة.

يا هشام إن العاقل لا يكذب و ان كان فيه هواه.

يا هشام وجد فى ذؤابه (٣)سيف رسول الله(صلى الله عليه و اله):إن أعتى الناس على الله من ضرب غير ضاربه و قتل غير قاتله.و من تولى غير مواليه فهو كافر بما أنزل الله على نبيه محمد(صلى الله عليه و اله)و من أحدث حدثا (٤)،أو آوى محدثا لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفا و لا عدلا.

يا هشام أفضل ما يتقرب به العبد الى الله بعد معرفه به الصلاه،و بر الوالدين،و ترك

ص: ١٩٤

١- ((١)) (و ما حوى) أى ما حواه الرأس من الاوهام و الافكار بأن يحفظها و لا يبيديها و يمكن أن يكون المراد ما حواه الرأس من العين و الاذن و سائر المشاعر بأن يحفظها عما يحرم عليه.و ما وعى أى ما جمعه من الطعام و الشراب بأن لا يكون من حرام.و البلى-بالكسر-:الاندراس و الاضمحلال.

٢- ((٢)) هذا الكلام مشهور معروف بين الفريقين متواتر منقول عن النبي و أهل بيته صلوات الله عليهم. و المحفوفه:المحيطه.و المكاره:جمع مكرهه-بفتح الراء و ضمها-:ما يكرهه الانسان و يشق عليه.و المراد أن الجنة محفوفه بما يكره النفس من الاقوال و الافعال فتعمل بها،فمن عمل بها دخل الجنة،و النار محفوفه بلذات النفس و شهواتها،فمن أعطى نفسه لذتها و شهوتها دخل النار.

٣- ((٣)) الذؤابه من كل شىء:أعلاه.و من السيف:علاقته.و من السوط:طرفه.و من الشعر:ناصيته.و عتا يعتو عتوا،و عتى يعتى عتيا بمعنى واحد اى استكبر و تجاوز الحد،و العتو:الطغيان و التجاوز عن الحدود و التجبر.

٤- ((٤)) الحدث:الأمر الحادث الذى ليس بمعتاد و لا معروف فى السنه.

يا هشام أصلح أيامك الذى هو أمامك، فانظر أى يوم هو و أعد له الجواب، فانك موقوف و مسؤول. و خذ موعظتك من الدهر و أهله، فإن الدهر طويله قصيره فاعمل كأنك ترى ثواب عملك لتكون أطمع فى ذلك. و اعقل عن الله و انظر فى تصرف الدهر و أحواله، فإن ما هو آت من الدنيا، كما ولى منها، فاعتبر بها.

و قال على بن الحسين (عليهما السلام): «أن جميع ما طلعت عليه الشمس فى مشارق الارض و مغاربها بحرها و برّها و سهلها و جبلها عند ولى من أولياء الله و أهل المعرفة بحق الله كفىء الظلال- ثم قال (عليه السلام): «أولا حرّ يدع (هذه) اللماظة لاهلها (١)- يعنى الدنيا- فليس لانفسكم ثمن إلا الجنّه فلا تبيعوها بغيرها، فإنه من رضى من الله بالدنيا فقد رضى بالخييس».

يا هشام انّ كل الناس يبصر النجوم و لكن لا يهتدى بها إلا من يعرف مجاريها و منازلها. و كذلك أنتم تدرسون الحكمة و لكن لا يهتدى بها منكم إلا من عمل بها.

يا هشام انّ المسيح (عليه السلام) قال للحواريين: «يا عبيد السوء يهولكم طول النخلة» (٢) و تذكرون شوكتها و مؤونه مراقيها و تنسون طيب ثمرها و مرافقها (٣). كذلك تذكرون مؤونه عمل الآخرة فيطول عليكم أمده (٤) و تنسون ما تفضون اليه من نعيمها و نورها و ثمرها.

يا عبيد السوء نقوا القمح و طيبوه و أدقوا طحنه تجدوا طعمه و يهنئكم أكله، كذلك فأخلصوا الايمان و أكملوه تجدوا حلاوته و ينفعكم غبّه (٥).

- ١- ((١)) اللماظة- بالضم-: بقيه الطعام فى الفم. و أيضا بقيه الشىء القليل. و المراد بها هنا الدنيا.
- ٢- ((٢)) يهولكم أى يفزعكم و عظم عليكم.
- ٣- ((٣)) مؤونه المراقى: شدة الارتقاء، و المرافق: المنافع و هى جمع مرفق- بالفتح-: ما انتفع به.
- ٤- ((٤)) الامد: الغايه و منتهى الشىء، يقال: طال عليهم الامد أى الأجل. و النور- بالفتح-: الزهره.
- ٥- ((٥)) الغبّ- بالكسر-: العاقبه، و أيضا بمعنى البعد.

بحقّ أقول لكم: لو وجدتم سراجا يتوقد بالقطران (١) في ليله مظلمه لاستضاءتم به و لم يمنعكم منه ريح ننته. كذلك ينبغي لكم أن تأخذوا الحكمة ممن وجدتموها معه و لا يمنعكم منه سوء رغبته فيها.

يا عبيد الدنيا بحق أقول لكم: لا تدركون شرف الآخرة إلا بترك ما تحبون، فلا تنظروا بالتوبه غدا، فإنّ دون غد يوما و ليله و قضاء الله فيهما (٢) يغدوا و يروح.

بحقّ أقول لكم: إنّ من ليس عليه دين من الناس أروح و أقلّ همّا ممّن عليه الدين و ان أحسن القضاء، و كذلك من لم يعمل الخطيئه أروح هما ممن عمل الخطيئه و ان أخلص التوبه و أناب. و أنّ صغار الذنوب و محقراتها من مكائد ابليس، يحقرها لكم و يصغرّها في أعينكم فتجتمع و تكثر فتحيط بكم.

بحقّ أقول لكم: إنّ الناس في الحكمة رجلاين: فرجل أتقنها بقوله و صدّقها بفعله. و رجل أتقنها بقوله و ضيّعها بسوء فعله، فشتان بينهما، فطوبى للعلماء بالفعل و ويل للعلماء بالقول.

يا عبيد السوء اتّخذوا مساجد ربّكم سجونا لاجسادكم و جباهكم. و اجعلوا قلوبكم بيوتا للتقوى و لا تجعلوا قلوبكم مأوى للشهوات.

انّ أجزعكم عند البلاء لاشدّكم حبا للدنيا. و انّ أصبركم على البلاء لازهدكم في الدنيا.

يا عبيد السوء لا تكونوا شبيها بالحداء الخاطفه (٣) و لا بالثعالب الخادعه و لا بالذئاب

ص: ١٩٦

١- ((١)) القطران- بفتح القاف و سكون الطاء و كسرهما أو بكسر القاف و سكون الطاء- سيال دهني شبيه النفط، يتخذ بعض الاشجار كالصنوبر و الارز فيهنأ به الابل الجربى و يسرع فيه اشعال النار. و قوله: (ننته) أى خبت رائحته.

٢- ((٢)) كناية عن الموت فإنه يأتي في الغداه و الرواح.

٣- ((٣)) الحداء- بالكسر- جمع حدأه- كعنبه- طائر من الجوارح و هو نوع من الغراب يخطف الاشياء و الخاطفه من خطف الشئ يخطف كعلم يعلم- استلبه بسرعه و الغادره: الخائنه و العاتى: الجبار.

الغادره ولا بالاسد العاتيه كما تفعل بالفرائس (١) كذلك تفعلون بالناس، فريقا تخطفون و فريقا تخذعون و فريقا تغدرون بهم.

بحق أقول لكم: لا يغنى عن الجسد أن يكون ظاهره صحيحا و باطنه فاسدا. كذلك لا تغنى أجسادكم التي قد أعجبتكم و قد فسدت قلوبكم. و ما يغنى عنكم أن تنقوا جلودكم و قلوبكم دنسه. لا- تكونوا كالمنخل (٢) يخرج منه الدقيق الطيب و يمسك النخاله. كذلك أنتم تخرجون الحكمة من أفواهكم و يبقى الغلّ في صدوركم.

يا عبيد الدنيا أنما مثلكم مثل السراج يضىء للناس و يحرق نفسه.

يا بنى اسرائيل زاحموا العلماء في مجالسهم و لو جثوا على الركب (٣)، فإنّ الله يحيى القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيى الارض الميتة بوابل المطر (٤).

يا هشام مكتوب في الإنجيل «طوبى للمتراحمين، أولئك المرحمون يوم القيامه طوبى للمصلحين بين الناس، أولئك هم المقربون يوم القيامه، طوبى للمطهره قلوبهم، أولئك هم المتقون يوم القيامه، طوبى للمتواضعين في الدنيا، أولئك يرتقون مناير الملك يوم القيامه».

يا هشام قلّه المنطق حكيم عظيم، فعليكم بالصمت، فإنّه دعه حسنه و قلّه وزر و خفّه من الذنوب. فحصنوا باب الحلم، فإنّ بابه الصبر، و إنّ الله عزّ و جلّ يبغض الضحّاك من غير

ص: ١٩٧

١- ((١)) الفريسه: ما يفترسه الاسد و نحوه.

٢- ((٢)) المنخل- بضم الميم و الخاء أو بفتح الخاء-: ما ينخل به. و النخاله- بالضم-: ما بقى في المنخل من القشر و نحوه.

٣- ((٣)) جثا يجثو و جثى يجثى: جلس على ركبتيه أو قام على أطراف الاصابع. و فى بعض النسخ (حبوا) أى پ زحفا على الركب من حبا يحبو و حبى يحبى: اذا مشى على أربع.

٤- ((٤)) الوابل: المطر الشديد الضخم القطر.

عجب و المشاء الى غير أرب (1)و يجب على الوالى أن يكون كالراعى لا يغفل عن رعيته و لا يتكبر عليهم.فاستحيوا من الله فى سرائركم، كما تستحيون من الناس فى علانيتكم.

و اعلموا انّ الكلمه من الحكمه ضالّه المؤمن،فعليكم بالعلم قبل أن يرفع و رفعه غيبه عالمكم بين أظهركم.

يا هشام تعلم من العلم ما جهلت.و علم الجاهل ممّا علّمت.عظّم العالم لعلمه و دع منازعته.و صغّر الجاهل لجهله و لا تطرده و لكن قربه و علمه.

يا هشام انّ كل نعمه عجزت عن شكرها بمنزله سيئه تؤاخذ بها.و قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه:«انّ لله عبادا كسرت قلوبهم خشيته فأسكتتهم عن المنطق و أنّهم لفصحاء عقلاء،يستبقون الى الله بالاعمال الزكيه،لا يستكثرون له الكثير و لا يرضون لهم من أنفسهم بالقليل،يرون فى أنفسهم أنهم أشرار و أنّهم لا كياس و أبرار» (2).

يا هشام الحياء من الإيمان،و الإيمان فى الجنّه و البذاء من الجفاء (3)و الجفاء فى النار.

يا هشام المتكلمون ثلاثه:فرايح و سالم و شاجب (4)،فأما الرايح فالذاكر لله و أما السالم فالساکت،و أما الشاجب فالذى يخوض فى الباطل،انّ الله حرّم الجنه على كلّ فاحش بذى قليل الحياء لا يبالى ما قال و لا ما قيل فيه.و كان أبو ذرّ-رضى الله عنه-يقول:

«يا مبتغى العلم انّ هذا اللسان مفتاح خير و مفتاح شر،فاختم على فيك كما تختم على ذهبك و ورقك».

ص: ١٩٨

١- (١) المشاء:الكثير المشى.و أيضا المنام و المراد ههنا الاول.و الارب-بفتحتين -:الحاجه.و فى بعض النسخ (الى غير أدب).

٢- (٢) الاكياس:جمع كيس- كسيّد-الفتن،الظريف،الحسن الفهم و الادب.

٣- (٣) البذاء:الفحش.و البذى-على فعيل -:السفيه و الذى أفحش فى منطقه.

٤- (٤) الشاجب:الهذاء المكثار أى كثير الهديان و كثير الكلام.و أيضا الهالك و هو الانسب.

يا هشام بئس العبد يكون ذا وجهين و ذا لسانين، يطرى أخاه إذا شاهده (١) و يأكله إذا غاب عنه، إن أعطى حسده و ان ابتلى خذله. ان اسرع الخير ثوبا البر، و أسرع الشر عقوبه البغى. و ان شر عباد الله من تكره مجالسته لفحشه. و هل يكب الناس على مناخرهم فى النار إلا حصائد السنتهم. و من حسن اسلام المرء ترك ما لا يعنيه.

يا هشام لا يكون الرجل مؤمنا حتى يكون خائفا راجيا. و لا يكون خائفا راجيا حتى يكون عاملا لما يخاف و يرجو.

يا هشام قال الله جلّ و عزّ: و عزّتى و جلالى و عظمتى و قدرتى و بهائى و علوى فى مكانى لا يؤثر عبد هواى على هواه إلا جعلت الغنى فى نفسه. و همّه فى آخرته. و كفت عليه (فى) ضيعته (٢) و ضمنت السماوات و الأرض رزقه و كنت له من وراء تجاره كلّ تاجر.

يا هشام الغضب مفتاح الشر و أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا، و ان خالطت الناس فان استطعت ان لا تخالط أحدا منهم إلا من كانت يدك عليه العليا (٣) فافعل.

يا هشام عليك بالرفق، فان الرفق يمن و الخرق شؤم، ان الرفق و البرّ و حسن الخلق يعمر الديار و يزيد فى الرزق.

يا هشام قول الله: هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (٤) جرت فى المؤمن و الكافر و البرّ و الفاجر. من صنع اليه معروف فعليه أن يكافئ به، و ليست المكافأه أن تصنع كما صنع حتى ترى فضلك، فان صنعت كما صنع فله الفضل بالابتداء (٥).

ص: ١٩٩

١- ((١)) أى يحسن الثناء و بالغ فى مدحه اذا شاهده: و يعيبه بالسوء و يذمه اذا غاب.

٢- ((٢)) الضيعه-بالفتح-: هذا من قبيل تسميه الشىء باسم ضده كالمفازة للصحراء التى يخاف فيها الهلاك، فالضيعة هنا يعنى موطن الإنسان كما لا زال يستعمل بهذا المعنى فى عامه بلاد الشام. و كفت عليه أى رزقته الكفاف و هو فى وطنه غير مسافر فى طلب الرزق.

٣- ((٣)) اليد العليا: المعطيه المتعلقه.

٤- ((٤)) الرحمن (٥٥): ٦٠.

٥- ((٥)) أى له الفضيله بسبب ابتدائه بالاحسان، فهو أفضل منك.

يا هشام إنّ مثل الدنيا مثل الحيّه مسّها لئين و فى جوفها السّم القاتل، يحذرّها الرّجال ذوو العقول و يهوى اليها الصّبيان بأيديهم.

يا هشام اصبر على طاعه الله و اصبر عن معاصى الله، فأنّما الدنيا ساعه، فما مضى منها فليس تجد له سرورا و لا حزنا، و ما لم يأت منها فليس تعرفه، فاصبر على تلك الساعه التى انت فيها فكأنك قد اغتبطت (١).

يا هشام مثل الدنيا مثل ماء البحر كلّما شرب منه العطشان ازداد عطشا حتى يقتله.

يا هشام اياك و الكبر، فإنّه لا يدخل الجنه من كان فى قلبه مثقال حبه من كبر. الكبر رداء الله، فمن نازعه رداءه أكبه الله فى النار على وجهه.

يا هشام ليس منا من لم يحاسب نفسه فى كلّ يوم، فإن عمل حسنا استزد منه. و ان عمل سيئا استغفر الله منه و تاب اليه.

يا هشام تمثلت الدنيا للمسيح (عليه السّلام) فى صورته امرأه زرقاء فقال لها: كم تزوجت؟ فقالت: كثيرا، قال: فكلّ طلقك؟ قالت: لا بل كلا قتلت. قال المسيح (عليه السّلام): فويح لزوجك الباقي، كيف لا يعتبرون بالماضين.

يا هشام إنّ ضوء الجسد فى عينه، فإن كان البصر مضيئا استضاء الجسد كله. و إنّ ضوء الروح العقل، فإذا كان العبد عاقلا كان عالما بربه و اذا كان عالما بربه أبصر دينه. و ان كان جاهلا بربه لم يقم له دين. و كما لا يقوم الجسد إلّا بالنفس الحيّه، فكذلك لا يقوم الدين إلّا بالتيه الصادقه، و لا تثبت التيه الصادقه إلّا بالعقل.

يا هشام إنّ الرّزق ينبت فى السهل و لا ينبت فى الصفا (٢). فكذلك الحكمه تعمر فى قلب المتواضع و لا تعمر فى قلب المتكبر الجبار، لأنّ الله جعل المتواضع آله العقل و جعل

ص: ٢٠٠

١- ((١)) اغتبط: كان فى مسره و حسن حال.

٢- ((٢)) الصفا: الحجر الصلد الضخم.

التكبر من آله الجهل، ألم تعلم أنّ من شمخ إلى السقف (١) برأسه شجّه (٢). و من خفض رأسه استظلّ تحته و أكنّه. و كذلك من لم يتواضع لله خفضه الله و من تواضع لله رفعه.

يا هشام ما أقبح الفقر بعد الغنى، و أقبح الخطيئه بعد النسك، و أقبح من ذلك العابد لله ثم يترك عبادته.

يا هشام لا خير فى العيش الا لرجلين: لمستمع واع، و عالم ناطق.

يا هشام ما قسّم بين العباد أفضل من العقل، نوم العاقل أفضل من سهر الجاهل و ما بعث الله نبيا إلا عاقلا حتى يكون عقله أفضل من جميع جهد المجتهدين و ما أدّى العبد فريضه من فرائض الله حتى عقل عنه (٣).

يا هشام قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «إذا رأيتم المؤمن صموتا فادنوا منه، فإنه يلقى الحكمة. و المؤمن قليل الكلام كثير العمل و المنافق كثير الكلام قليل العمل».

يا هشام أوحى الله تعالى إلى داود (عليه السلام) قل لعبادى: لا يجعلوا بينى و بينهم عالما مفتونا بالدنيا فيصدهم عن ذكرى و عن طريق محبتى و مناجاتى، أولئك قطاع الطريق من عبادى، أنّ أدنى ما أنا صانع بهم أن انزع حلاوه محبتى و مناجاتى من قلوبهم.

يا هشام من تعظم فى نفسه لعنته ملائكة السماء و ملائكة الارض. و من تكبر على اخوانه و استطال عليهم فقد ضاد الله (٤) و من ادعى ما ليس له فهو [أ]عنى لغير رشده (٥).

يا هشام أوحى الله تعالى الى داود (عليه السلام) يا داود حدّر، و أنذر أصحابك عن حبّ الشهوات، فإنّ المعلقه قلوبهم بشهوات الدنيا قلوبهم محجوبه عنى.

ص: ٢٠١

١- (١) شمخ- من باب منع-: علا و رفع.

٢- (٢) أى كسره و جرحه.

٣- (٣) أى عرفه إلى حدّ التعقل.

٤- (٤) استطال عليهم: أى تفضل عليهم.

٥- (٥) عنى- بصيغه المجهول أو المعلوم- بالأمر كلف ما يشقّ عليه. و فى بعض النسخ (أعنى لغيره) أى يدخل غيره فى العناء و التعب. هذا و يحتمل أن يكون الأصل (فهو لغى لغير رشده) فصحف.

يا هشام اتيك و الكبر على أوليائي و الاستطاله بعلمك فيمقتك الله، فلا تنفحك بعد مقته دنياك و لا آخرتك. و كن في الدنيا كساكن دار ليست له، أنما ينتظر الرحيل.

يا هشام مجالسه أهل الدين شرف الدنيا و الآخره. و مشاوره العاقل الناصح يمن و بركه و رشد و توفيق من الله، فإذا أشار عليك العاقل الناصح فإياك و الخلاف فإنّ في ذلك العطب (١).

يا هشام اتيك و مخالطه الناس و الانس بهم إلا أن تجد منهم عاقلا و مأونا فأنس به و اهرب من سايرهم كهربيك من السباع الضاربه (٢). و ينبغي للعقل اذا عمل عملا أن يستحيى من الله. و اذا تفرّد له بالنعم ان يشارك في عمله أحدا غيره (٣). و اذا مرّ بك أمران لا تدري أيهما خير و أصوب، فانظر أيهما أقرب الى هواك فخالفه، فإنّ كثير الصواب في مخالفه هواك. و اياك أن تغلب الحكمة و تضعها في أهل الجهاله (٤) قال هشام: فقلت له: فان وجدت رجلا طالبا له غير أن عقله لا يتسع لضبط ما القى اليه؟

قال (عليه السلام): فتلطف له بالنصيحه، فإن ضاق قلبه [ف] لا تعرضن نفسك للفتنه، و احذر ردّ المتكبرين، فإنّ العلم يذلّ على أن يملى على من لا يفوق (٥) قلت: فان لم أجد من يعقل السؤال عنها؟ قال (عليه السلام): فاغتنم جهله عن السؤال حتى تسلم من فتنه القول و عظيم فتنه الردّ. و اعلم أنّ الله لم يرفع المتواضعين بقدر تواضعهم و لكن رفعهم بقدر عظمتهم و مجده. و لم يؤمن الخائفين بقدر خوفهم و لكن آمنهم بقدر كرمه و جوده. و لم يفرح

ص: ٢٠٢

١- ((١)) العطب: الهلاك.

٢- ((٢)) الضارى: الحيوان السبع، من ضرّ الكلب بالصيد يضرّو: تعودّه و أولع به. و أيضا: تطعم بلحمه و دمه.

٣- ((٣)) أى إذا اختص العاقل بنعمه ينبغي له أن يشارك غيره فى هذه النعمه بأن يعطيه منها.

٤- ((٤)) قال المجلسى (رحمه الله) كأنّ فيه حذفاً و ايصالاً أى تغلب على الحكمة أى يأخذها منك قهراً من لا يستحقها بأن يقرأ على صيغه المجهول أو على المعلوم أى تغلب على الحكمة فانها تأبى عنّ لا يستحقها. و يحتمل أن يكون بالفاء و التاء من الافلات بمعنى الاطلاق فانهم يقولون: انفلت منى كلام أى صدر بغير رويّه.

٥- ((٥)) الافاقه: الرجوع عن الكسر و الاغماء و الغفله الى حال الاستقامه.

المحزونين بقدر حزنهم و لكن بقدر رأفته و رحمته،فما ظنك بالرؤوف الرحيم الذى يتودّد الى من يؤذيه بأوليائه فكيف بمن يؤذى فيه، و ما ظنك بالتواب الرحيم الذى يتوب على من يعاديه،فكيف بمن يترضاه (1)و يختار عداوه الخلق فيه.

يا هشام من أحبّ الدنيا ذهب خوف الآخرة من قلبه و ما أوتى عبد علما فازداد للدنيا حبا إلاّ ازداد من الله بعدا و ازداد الله عليه غضبا.

يا هشام إنّ العاقل اللبيب من ترك ما لا طاقة له به، و أكثر الصواب فى خلاف الهوى.

و من طال أمّله ساء عمله.

يا هشام لو رأيت مسير الأجل لالهالك عن الأمل.

يا هشام اتياك و الطمع، و عليك باليأس مما فى أيدي الناس. و أمت الطمع من المخلوقين، فإنّ الطمع مفتاح للذل و اختلاس العقل و اخلاق المروات (2). و تدنيس العرض، و الذهاب بالعلم، و عليك بالاعتصام برّبك و التوكل عليه. و جاهد نفسك لتردّها عن هواها، فإنّه واجب عليك كجهاد عدوّك.

قال هشام: فقلت له فأىّ الاعداء أوجبهم مجاهده؟ قال (عليه السلام): أقربهم اليك و أعداهم لك و أضرّهم بك و أعظمهم لك عداوه و أخفاهم لك شخصا مع دنوه منك، و من يحزّض أعداءك عليك و هو ابليس الموكل بوسواس القلوب فله فلتشتد عداوتك و لا يكونن أصبر على مجاهدته لهلكتك منك على صبرك لمجاهدته، فإنّه أضعف منك ركنا فى قوّته (3) و أقلّ منك ضررا فى كثره شرّه. إذا أنت اعتصمت بالله فقد هديت الى صراط مستقيم.

ص: ٢٠٣

١- ((١)) يترضاه: أى يطلب رضاه.

٢- ((٢)) الاختلاق: الافتراء. و فى بعض النسخ (و اخلاق) و الظاهر أنه جمع خلق- بالتحريك- أى البالى. و العرض: النفس و الخليقة المحموده- أيضا: ما يفتخر الانسان من حسب و شرف.

٣- ((٣)) الركن: العزّ و المنعه. و أيضا: ما يقوى به. و الأمر العظيم. أى لا يكن صبره فى المجاهده أقوى منك. فانك إذا كنت على الاستقامه فى مخالفته يكون مع قوّته أضعف منك ركنا و ضررا.

يا هشام من أكرمهم الله بثلاث فقد لطف به: عقل يكفيه مؤونه هواه و علم يكفيه مؤونه جهله و غنى يكفيه مخافه الفقر.

يا هشام احذر هذه الدنيا و احذر أهلها، فإنّ الناس فيها على أربعة أصناف: رجل متردّ معانق لهواه و متعلم متقرّى كلما ازداد علما ازداد كبيرا، يستعلي بقرائه و علمه على من هو دونه، و عابد جاهل يستصغر من هو دونه في عبادته يحبّ أن يعظّم و يوقّر. و ذى بصيره عالم عارف بطريق الحق يحب القيام به، فهو عاجز أو مغلوب و لا يقدر على القيام بما يعرف [ه] فهو محزون مغموم بذلك، فهو أمثل أهل زمانه (١) و أوجههم عقلا.

يا هشام اعرف العقل و جنده، و الجهل و جنده تكن من المهتدين، قال هشام: فقلت:

جعلت فداك لا نعرف إلا ما عرّفتنا.

يا هشام إنّ الله خلق العقل و هو أول خلق خلقه الله من الروحانيين (٢) عن يمين العرش من نوره فقال له: أدبر، فأدبر ثم قال له: أقبل فأقبل. فقال الله جلّ و عزّ: خلقتك خلقا (عظيما) و كرّمتك على جميع خلقى. ثم خلق الجهل من البحر الاجاج الظلماني، فقال له:

أدبر، فأدبر ثم قال له: أقبل، فلم يقبل فقال له: استكبرت فلعنه، ثم جعل للعقل خمسة و سبعين جندا، فلمّا رأى الجهل ما كرّم الله به العقل و ما أعطاه أضمر له العداوه، فقال الجهل:

يا ربّ هذا خلق مثلى خلقتة و كرّمته و قوّيته و أنا ضده و لا قوّه لى به أعطنى من الجند مثل ما أعطيته فقال تبارك و تعالى، نعم، فان عصيتنى بعد ذلك أخرجتك و جندك من جوارى و من رحمتى، فقال: قد رضيت. فأعطاه الله خمسة و سبعين جندا فكان مما أعطى العقل من الخمسة و السبعين جندا: الخير و هو وزير العقل و جعل ضده الشر و هو وزير الجهل.

ص: ٢٠٤

١- (١) الامثل: الافضل.

٢- (٢) أى هو أول مخلوق من المنسويين الى الروح فى مدينه بنيه الانسان المتمركزين بأمر الربّ و السلطان فى مقرّ الحكومه العقلية. فهو أولها و رأسها ثم يوجد بعده و بسببه جندا فجندا إلى أن يكمل للانسان جوده العقل.

الإيمان، الكفر. التصديق، التكذيب. الاخلاص، النفاق.

الرجاء، القنوط. العدل، الجور. الرضى، السخط.

الشكر، الكفران. اليأس، الطمع. التوكل، الحرص.

الرأفة، الغلظة. العلم، الجهل. العفة، التهتك.

الزهد، الرغبة. الرفق، الخرق. الرهبة، الجرأه.

التواضع، الكبر. التؤده، العجله. الحلم، السفه.

الصمت، الهذر. الاستسلام، الاستكبار. التسليم، التجبر.

العفو، الحقد. الرحمه، القسوه. اليقين، الشك.

الصبر، الجزع. الصفتح، الانتقام. الغنى، الفقر.

التفكر، السهو. الحفظ، النسيان. التواصل، القطيعه.

القناعه، الشره. المؤاساه، المنع. الموده، العداوه.

الوفاء، الغدر. الطاعه، المعصيه. الخضوع، التطاول.

السلامه، البلاء. الفهم، الغباوه. المعرفه، الانكار.

المداراه، المكاشفه. سلامه الغيب، المماكره. الكتمان، الافشاء.

البر، العقوق. الحقيقه، التسوييف. المعروف، المنكر.

التقيه، الاذاعه. الانصاف، الظلم. التقى، الحسد.

النظافه، القدر. الحياء، القحه. القصد، الاسراف.

الراحه، التعب. السهوله، الصعوبه. العافيه، البلوى.

القوام، المكاثره. الحكمه، الهوى. الوقار، الخفه.

السعاده، الشقاء. التوبه، الاصرار. المحافظه، التهاون.

الدعاء، الاستنكاف. النشاط، الكسل. الفرح، الحزن.

الالفه، الفرقه. السخاء، البخل. الخشوع، العجب.

صون الحديث النميمه. الاستغفار، الاغترار. الكياسه، الحمق.

ص: ٢٠٥

يا هشام لا تجمع هذه الخصال إلا لنبي أو وصي أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان.

و أما سائر ذلك من المؤمنين فإن أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود من أجناد العقل حتى يستكمل العقل و يتخلص من جنود الجهل. فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الأنبياء و الأوصياء (عليهم السلام) وفقنا الله و إياكم لطاعته (١).

التوحيد و أسس التدبير الإلهي:

١- عن محمد بن أبي عمير، قال: دخلت على سيدي موسى ابن جعفر (عليهما السلام)، فقلت له: يا ابن رسول الله علمني التوحيد فقال: «يا أبا أحمد لا تتجاوز في التوحيد ما ذكره الله تعالى ذكره في كتابه فتهلك».

و اعلم أن الله تعالى واحد، أحد، صمد، لم يلد فيورث، و لم يولد فيشارك، و لم يتخذ صاحبه و لا ولدا و لا شريكا، و انه الحي الذي لا يموت، و القادر الذي لا يعجز، و القاهر الذي لا يغلب، و الحليم الذي لا يعجل، و الدائم الذي لا يبيد، و الباقي الذي لا يفنى، و الثابت الذي لا يزول، و الغني الذي لا يفتقر، و العزيز الذي لا يذل. و العالم الذي لا يجهل، و العدل الذي لا يجور، و الجواد الذي لا يبخل، و انه لا تقدره العقول، و لا تقع عليه الأوهام، و لا تحيط به الاقطار، و لا يحويه مكان، و لا تدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار و هو اللطيف الخبير، و ليس كمثله شيء و هو السميع البصير.

مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا وَ هُوَ الْأَوَّلُ الَّذِي لَا شَيْءَ قَبْلَهُ، وَ الْآخِرُ الَّذِي لَا شَيْءَ بَعْدَهُ، وَ هُوَ الْقَدِيمُ وَ مَا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ مُحَدَّثٌ، تَعَالَى عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ عُلْوًا كَبِيرًا (٢).

٢- عن زكريا بن عمران، عن أبي الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام)، قال:

ص: ٢٠٦

١- ((١)) بحار الأنوار: ٢٩٦/٧٥-٣١٩.

٢- ((٢)) بحار الأنوار: ٢٩٦/٧٥-٣١٩، التوحيد: ٧٦.

«لا يكون شيء في السماوات ولا في الأرض إلا بسبح: بقضاء و قدر و اراده و مشيئه و كتاب و أجل و إذن، فمن زعم غير هذا فقد كذب على الله أو ردّ على الله عزّ و جلّ» (١).

٣- عن محمد بن حكيم قال: كتب أبو الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) إلى أبي: «أن الله أعلا و أجل و أعظم من أن يبلغ كنه صفته. فصفوه بما وصف به نفسه، و كفّوا عما سوى ذلك» (٢).

٤- و قال (عليه السلام): «إن الله تعالى لا يشبهه شيء، أي فحش أو خنى أعظم من قول من يصف خالق الأشياء بجسم أو صوره أو بخلقه أو بتحديد و أعضاء، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً» (٣).

من سيره الرسول (صلى الله عليه و اله) و تاريخ حياته:

١- روى ابن طاووس في كتاب الطرف نقلاً من كتاب الوصيه للشيخ عيسى بن المستفاد الضرير عن موسى بن جعفر، عن أبيه (عليهما السلام) قال: «لما حضرت رسول الله (صلى الله عليه و اله) الوفاة دعا الأنصار و قال: يا معشر الأنصار! قد حان الفراق، و قد دعيت و أنا مجيب الداعي، و قد جاورتهم فأحسنتهم الجوار، و نصرتهم فأحسنتهم النصره، و واسيتهم في الأموال، و وسعتهم في المسلمين، و بذلتهم لله مهج النفوس و الله يجزيكم بما فعلتم الجزاء الأوفى، و قد بقيت واحده و هي تمام الأمر و خاتمه العمل العمل معها مقرون إنى أرى أن لا أفترق بينهما جميعاً لو قيس بينهما بشعره ما انقاست، من أتى بواحدة و ترك الأخرى كان جاحداً للاولى و لا يقبل الله منه صرفاً و لا عدلاً قالوا: يا رسول الله فأين لنا بمعرفتها، فلا تمسك عنها فضل و نرتد عن الإسلام، و النعمه من الله و من

ص: ٢٠٧

١- ((١)) اصول الكافي: ١/١٤٩ و الخصال: ٣٥٩.

٢- ((٢)) اصول الكافي: ١/١٠٢.

٣- ((٣)) اصول الكافي: ١/١٠٥.

رسوله علينا، فقد أنقذنا الله بك من الهلكة يا رسول الله، وقد بلغت و نصحت و أدبت و كنت بنا رؤوفا رحيمًا شفيقا.

فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «كتاب الله و أهل بيته فإن الكتاب هو القرآن و فيه الحجّة و النور و البرهان، كلام الله جديد غض طرى شاهد و محكم عادل و لنا قائد بحلاله و حرامه و أحكامه يقوم غدا فيحاج أقواما فيزل الله به أقدامهم عن الصراط، و احفظوني معاشر الأنصار فى أهل بيته، فإن اللطيف الخبير أخبرنى أنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض، ألا و ان الإسلام سقّف تحتة دعامه، لا يقوم السقّف إلاّ بها.

فلو أن أحدكم أتى بذلك السقّف ممدودا لا دعامه تحتة فأوشك أن يخزّ عليه سقّفه فيهوى فى النار، أيها الناس! الدعامة: دعامة الإسلام، و ذلك قوله تعالى: **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ فَالْعَمَلُ الصَّالِحُ طاعة الإمام و لى الأمر و التمسك بجبله، أيها الناس! أفهمتم؟ الله الله فى أهل بيته! مصابيح الظلم، و معادن العلم، و ينابيع الحكم، و مستقر الملائكة.**

منهم وصيى و أمينى و وارثى، و هو منى بمنزله هارون من موسى ألا هل بلغت معاشر الأنصار؟ ألا فاسمعوا و من حضر، ألا إنّ فاطمه بابها بابى و بيتها بيتى، فمن هتكه فقد هتك حجاب الله.

قال عيسى: فبكى أبو الحسن (عليه السلام) طويلا، و قطع بقيه كلامه، و قال:

هتك و الله حجاب الله، هتك و الله حجاب الله، هتك و الله حجاب الله...

ثم قال (عليه السلام): أخبرنى أبى، عن جدى محمد بن على قال: قد جمع رسول الله (صلى الله عليه و اله) المهاجرين فقال لهم: «أيها الناس إنى قد دعيت، و إنى مجيب دعوه الداعى، قد اشتقت الى لقاء ربى و اللحوق باخوانى من الأنبياء و إنى أعلمكم أنى قد أوصيت الى وصيى، و لم أهملكم إهمال البهائم، و لم أترك من أموركم شيئا» فقام إليه عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله! أوصيت بما أوصى به الأنبياء من قبلك؟

قال: نعم، فقال له: فبأمر من الله أوصيت أم بأمرك؟!

قال له: «اجلس يا عمر، أوصيت بأمر الله، وأمره طاعته، وأوصيت بأمرى وأمرى طاعه الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن عصى وصيتي فقد عصاني، ومن أطاع وصيتي فقد أطاعني، ومن أطاعني فقد أطاع الله لا ما تريد أنت وصاحبك» ثم التفت الى الناس و هو مغضب فقال: «أيها الناس! اسمعوا وصيتي، من آمن بي و صدقني بالنبوه و أنى رسول الله فأوصيه بولايه على بن أبى طالب و طاعته و التصديق له. فإن ولايته ولايتي، و ولايه ربى، قد أبلغتكم فليبلغ الشاهد الغائب إن على بن أبى طالب هو العلم، فمن قصير دون العلم فقد ضل، و من تقدمه تقدم الى النار، و من تأخر عن العلم يمينا هلك، و من أخذ يسارا غوى و ما توفيقى إلا بالله، فهل سمعتم؟» قالوا: نعم.

٢- و عن الإمام الكاظم (عليه السلام) أنه قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه و اله) لعلي (عليه السلام) حين دفع إليه الوصيه: اتخذ لها جوابا غدا بين يدي الله تبارك و تعالى ربّ العرش. فاني محاجّك يوم القيامة بكتاب الله حلاله و حرامه، و محكمه و متشابهه على ما أنزل الله، و على ما أمرتك، و على فرائض الله كما أنزلت و على الاحكام من الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و اجتنابه، مع اقامه حدود الله و شروطه، و الامور كلها، و اقام الصلاة لوقتها، و ايتاء الزكاه لأهلها، و حجّ البيت، و الجهاد فى سبيل الله، فما أنت قائل يا على؟

فقال على (عليه السلام): بأبى أنت و أمى أرجو بكرامه الله لك و منزلتك عنده و نعمته عليك أن يعينى ربى، و يثبتنى فلا ألقاك بين يدي الله مقصرا و لا- متوانيا و لا- مفرطا، و لا- أمعز و جهك وقاه و جهى و وجوه آبائى و أمهاتى بل تجدننى بأبى أنت و أمى مستمرا متبعا لوصيتك و منهاجك و طريقك مادمت حيا حتى أقدم بها عليك، ثم الأول فالأول من ولدى لا مقصرين و لا مفرطين.

قال على (عليه السلام): ثم انكبيت على وجهه و على صدره و أنا أقول: و اوحشته بعدك،

بأبى أنت و أمى، و وحشه ابنتك و بنيك بل و اطول غمى بعدك يا أخى، انقطعت من منزلى أخبار السماء، و فقدت بعدك جبرئيل و ميكائيل، فلا أحس أثرا و لا أسمع حسا، فأغمى عليه طويلا ثم أفاق (صلى الله عليه و اله).

قال أبو الحسن (عليه السلام) فقلت لأبى: فما كان بعد افاقته؟ قال: دخل عليه النساء يبكين و ارتفعت الأصوات و ضج الناس بالبواب من المهاجرين و الأنصار، فبيناهم كذلك اذ نودى: أين على؟ فأقبل حتى دخل عليه، قال على (عليه السلام): فانكبت عليه فقال: يا أخى افهم فهمك الله و سدّدك و أرشدك و وفقك و أعانك و غفر ذنبك و رفع ذكرك.

اعلم يا أخى أنّ القوم سيشغلهم عنى ما يشغلهم، فإنما مثلك فى الامه مثل الكعبه، نصبها الله للناس علما، و إنما تؤتى من كلّ فيج عميق، و نأى سحيق و لا تأتى، و إنما أنت علم الهدى، و نور الدين، و هو نور الله يا أخى، و الذى بعثنى بالحق لقد قدمت إليهم بالوعيد بعد أن أخبرتهم رجلا رجلا ما افترض الله عليهم من حقك، و ألزمهم من طاعتك، و كلّ أجاب و سلم إليك الأمر، و إنى لأعلم خلاف قولهم.

فإذا قبضت و فرغت من جميع ما أوصيك به و غيبتنى فى قبرى فالزم بيتك، و اجمع القرآن على تأليفه، و الفرائض و الأحكام على تنزيله ثم امض على غير لائمه على ما أمرتك به، و عليك بالصبر على ما ينزل بك منهم حتى تقدم على (١).

٣- قال عيسى الضرير: ... فسألت موسى [يعنى الكاظم (عليه السلام)] أو قلت: إنّ الناس قد أكثروا فى أن النبى (صلى الله عليه و اله) أمر أبا بكر أن يصلى بالناس، ثم عمر،

ص: ٢١٠

١- ((١)) خصائص الأئمه للشريف الرضى: ٧٢، ٧٣ و عنه فى الطرف لابن طاووس: ٢٥-٢٧ و عنه فى بحار الأنوار: ٢٢/٤٨٢-٤٨٤ و الخبر كالسابق عن رساله الوصيه لعيسى بن المستفاد أبى موسى الضرير البجلي البغدادي المضعف فى النجاشى: ٢٩٧ برقم ٨٠٩.

فأطرق عني طويلا، ثم قال: «ليس كما ذكروا، ولكنك يا عيسى كثير البحث عن الامور، و لا ترضى عنها إلا بكشفها، فقلت: بأبي أنت و أمي إنما أسأل عما أنتفع به في ديني و أتفقه مخافه أن أضل، و أنا لا أدري، و لكن متى أجد مثلك يكشفها لي.

فقال (عليه السّلام): إنّ النبي (صلى الله عليه و اله) لمّا ثقل في مرضه دعا عليا فوضع رأسه في حجره، و أغمى عليه و حضرت الصلاة فأوذن بها، فخرجت عائشه، فقالت: يا عمر اخرج فصلّ بالناس فقال: أبوك أولى بها، فقالت: صدقت، و لكنه رجل لئيم، و أكره أن يواثبه القوم فصلّ أنت.

فقال لها عمر: بل يصلى هو و أنا أكفيه إن وثب واثب أو تحرك متحرك، مع أن محمدا (صلى الله عليه و اله) مغمى عليه لا أراه يفيق منها، و الرجل مشغول به لا يقدر أن يفارقه، يريد عليا (عليه السّلام) فبادره بالصلاه قبل أن يفيق، فإنه إن أفاق خفت أن يأمر عليا بالصلاه، فقد سمعت مناجاته منذ الليله، و في آخر كلامه: الصلاه الصلاه قال: فخرج أبو بكر ليصلى بالناس فأنكر القوم ذلك.

ثم ظنوا أنه بأمر رسول الله (صلى الله عليه و اله) فلم يكبر حتى أفاق (صلى الله عليه و اله) و قال: ادعوا الى العباس، فدعى فحمله هو و علي، فأخرجاه حتى صلى بالناس، و انه لقاعد، ثم حمل فوضع على منبره، فلم يجلس بعد ذلك على المنبر، و اجتمع له جميع أهل المدينه من المهاجرين و الانصار حتى برزت العواتق من خدورهنّ، فبين باك و صائح و صارخ و مسترجع و النبي (صلى الله عليه و اله) يخطب ساعه، و يسكت ساعه، و كان مما ذكر في خطبته أن قال:

يا معشر المهاجرين و الأنصار و من حضرني في يومى هذا و فى ساعتى هذه من الجن و الإنس فليبلغ شاهدكم الغائب، ألا قد خلّفت فيكم كتاب الله، فيه النور و الهدى و البيان، ما فرّط الله فيه من شىء، حجه الله لى عليكم، و خلّفت فيكم العلم الأكبر علم الدين و نور الهدى وصيى على بن أبى طالب، ألا هو حبل الله فاعتصموا به جميعا و لا تفرّقوا عنه،

و اذكروا نعمه الله عليكم اذ كنتم اعداء فآلف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا.

أيها الناس هذا على بن أبي طالب كثر الله اليوم و ما بعد اليوم، من أحبه و تولاه اليوم و ما بعد اليوم فقد أوفى بما عاهد عليه الله، و أدى ما وجب عليه، و من عاداه اليوم و ما بعد اليوم جاء يوم القيامة أعمى و أصم، لا حجه له عند الله، أيها الناس لا تأتونى غدا بالدنيا تزفونها زفا، و يأتي أهل بيتى شعنا غبرا مقهورين مظلومين، تسيل دماؤهم أمامكم و بيعات الضلاله و الشورى للجهااله.

ألا و إن هذا الأمر له أصحاب و آيات قد سّماهم الله فى كتابه، و عرّفتم و بلّغتم ما أرسلت به إليكم و لكنى أراكم قوما تجهلون، لا ترجعن بعدى كفارا مرتدين متأولين للكتاب على غير معرفه، و تبدعون السنه بالهوى، لأن كلّ سنّه و حدث و كلام خالف القرآن فهو ردّ و باطل.

القرآن إمام هدى، و له قائد يهدى إليه و يدعو إليه بالحكمه و الموعظه الحسنه ولى الأمر بعدى و ليه، و وارث علمى و حكمتى و سرى و علانيتى، و ما ورثه النبيون من قبلى، و أنا وارث و مورث فلا تكذبنكم أنفسكم، أيها الناس! الله الله فى أهل بيتى، فإنهم أركان الدين، و مصابيح الظلم، و معدن العلم، علىّ أخى و وارثى، و وزيرى و أمينى و القائم بأمرى و الموفى بعهدى على سنتى.

أول الناس بى ايماناً، و آخرهم عهداً عند الموت، و أوسطهم لى لقاء يوم القيامة، فليبلغ شاهدكم غائبكم، ألا و من أمّ قوما امامه عمياء و فى الامّه من هو أعلم منه فقد كفر، أيها الناس و من كانت له قبلى تبعه فيها أنا، و من كانت له عده فليأت فيها على ابن أبى طالب، فانه ضامن لذلك كله حتى لا يبقى لاحد علىّ تباعه» (١).

ص: ٢١٢

١- (١) خصائص الأئمه للشريف الرضى: ٧٣-٧٥ و عنه فى الطرف: ٢٩-٣٤ و عنه فى بحار الأنوار: ٢٢/٤٨٤-٤٨٧. و الخبر كسابقه عن رساله الوصيه لعيسى بن المستفاد أبى موسى الضرير البجلي البغدادي المضعف فى النجاشى: ٢٩٧ برقم ٨٠٩.

- ١- عن داود الرقى، عن العبد الصالح (عليه السلام) قال: «إِنَّ الْحِجَّةَ لَا تَقُومُ لِلَّهِ عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا بِإِمَامٍ حَيٍّ يَعْرِفُ» (١).
- ٢- عن أبي علي بن راشد، قال: قال أبو الحسن (عليه السلام): «إِنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو مِنْ حِجَّةٍ وَأَنَا وَاللَّهُ ذَلِكَ الْحِجَّةُ» (٢).
- ٣- عن علي بن جعفر، عن أبي الحسن (عليه السلام)، قال: قال لي: «نَحْنُ فِي الْعِلْمِ وَالشَّجَاعَةِ سَوَاءٌ وَفِي الْعَطَايَا عَلِيٌّ قَدْرَ مَا نُوْمِرُ» (٣).
- ٤- عن هارون بن خارجه، قال: قال لي أبو الحسن (عليه السلام): «نَحْنُ الْمَثَانِي الَّتِي أَرِيهَا رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَنَحْنُ وَجْهَ اللَّهِ نَتَقَلَّبُ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ، فَمَنْ عَرَفْنَا وَ مَنْ لَمْ يَعْرِفْنَا فَأَمَامَهُ الْيَقِينُ» (٤).
- ٥- عن أبي الحسن موسى الكاظم (عليه السلام) في قول الله تبارك و تعالى:
 أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ قَالُوا: «نَحْنُ الْمَحْسُودُونَ» (٥).
- ٦- عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن (عليه السلام) في قوله: «وَأَنَّ الْمُسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا» قال: «هَمُّ الْأَوْصِيَاءِ» (٦).
- ٧- عن سيف بن عميرة، قال: سمعت العبد الصالح أبا الحسن (عليه السلام) ينعي

ص: ٢١٣

١- ((١)) الاختصاص: ٢٦٩.

٢- ((٢)) اصول الكافي: ١٧٩/١.

٣- ((٣)) اصول الكافي: ٢٧٥/١.

٤- ((٤)) البصائر: ٦٦.

٥- ((٥)) اصول الكافي: ٢٠٦/١.

٦- ((٦)) اصول الكافي: ٤٢٥/١.

الى رجل نفسه فقلت فى نفسى و انه ليعلم متى يموت الرجل من شيعته فقال -شبهه المغضب-: «يا اسحاق قد كان رشيد الهجرى يعلم علم المنيا و البلايا فالإمام أولى بذلك» (١).

٨- عن معاويه عن اسحاق قال: كنت عند أبى الحسن (عليه السّلام) و دخل عليه رجل فقال له أبو الحسن (عليه السّلام): «يا فلان انك تموت الى شهر قال: فاضمرت فى نفسى كأنه يعلم آجال شيعته فقال (عليه السّلام): يا اسحاق و ما تنكرون من ذلك و قد كان رشيد الهجرى مستضعفا و كان يعلم علم المنيا و البلايا فالإمام أولى بذلك.

ثم قال (عليه السّلام): يا اسحاق تموت الى سنتين و يشّت أهلک و ولدک و عيالک و أهل بيتک و يفلسون افلاسا شديدا» (٢).

٩- عن على بن جعفر، عن أخيه موسى (عليه السّلام) فى قوله تعالى: وَ بئْرٍ مَّعْطَلَةٍ وَ قَصْرِ مَمْنُونٍ قال: «البئر المعطلة الإمام الصامت و القصر المشيد الإمام الناطق» (٣).

١٠- حدثنا يعقوب بن جعفر، قال: كنت مع أبى الحسن (عليه السّلام) بمكة فقال له رجل: انك لتفسر من كتاب الله ما لم نسمع به.

فقال أبو الحسن (عليه السّلام): «علينا نزل قبل الناس و لنا فسر قبل أن يفسر فى الناس فنحن نعرف حلاله و حرامه و ناسخه و منسوخه و سفريه و حضريه و فى أى ليله نزلت كم من آيه و فيمن نزلت و فيما نزلت فنحن حكماء الله فى أرضه و شهداؤه على خلقه و هو قول الله تبارك و تعالى ستكتب شهادتهم و يسألون فالشهادة لنا و المسأله للمشهود عليه فهذا علم ما قد انهيته إليك و أديته إليك ما لزمنى فإن قلت فاشكر و إن تركت فإن الله على كل شىء

ص: ٢١٤

١- (١) بصائر الدرجات: ٢٦٤.

٢- (٢) بصائر الدرجات: ٢٦٥.

٣- (٣) اصول الكافي: ١/٤٢٧، و المناقب: ٣/١٠٧ و معه نحوه عن أبيه الصادق عن النبي (صلّى الله عليه و اله) فى على (عليه السّلام).

١١- عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: «ولايه عليّ (عليه السلام) مكتوبه في جميع صحف الانبياء و لن يبعث الله رسولا إلا بنبوه محمد (صلى الله عليه و اله) و وصيه علي (عليه السلام)» (٢).

١٢- عن علي بن سويد السابى قال: كتب اليّ أبو الحسن الأول (عليه السلام) في كتاب: «أن أول ما أنعى إليك نفسى فى لىالى هذه غير جازع و لا نادم و لا شاك فيما هو كائن مما قضى الله و حتم فاستمسك بعروه الدين آل محمد- صلوات الله عليه و عليهم- و العروه الوثقى الوصى بعد الوصى و المسالمه و الرضا بما قالوا» (٣).

١٣- عن سعيد بن (ابى) سعيد البلخى قال: سمعت أبا الحسن (عليه السلام) يقول: «إن لله عزّ و جلّ فى وقت كل صلاه يصلّيها هذا الخلق لعنه قال: قلت: جعلت فداك و لم ذاك؟ قال لجحودهم حقنا و تكذيبهم إيانا» (٤).

١٤- عن صفوان بن يحيى، عن أبي الحسن الأول- يعنى موسى ابن جعفر (عليهما السلام)- قال: «ما ترك الله عزّ و جلّ الأرض بغير إمام قطّ منذ قبض آدم (عليه السلام) يهتدى به الى الله عز و جل و هو الحجّه على العباد من تركه ضلّ و من لزمه نجا حقا على الله عزّ و جلّ» (٥).

١٥- حدثنا عبد الله بن قدامه الترمذى، عن أبي الحسن (عليه السلام)، قال: «من شكّ فى أربعه فقد كفر بجميع ما أنزل الله تبارك و تعالى أحدها: معرفه الإمام فى كل زمان

ص: ٢١٥

١- (١) بصائر الدرجات: ١٩٨.

٢- (٢) الكافى: ١/٤٣٧.

٣- (٣) قرب الاسناد: ١٤٢.

٤- (٤) علل الشرايع: ٢/٢٨٩، و عقاب الأعمال: ٢٤٨.

٥- (٥) كمال الدين: ٢٢٠.

و أوأن بشخصه و نعته (١).

١٦- عن عمر بن يزيد، عن أبي الحسن الأول (عليه السلام)، قال: سمعته يقول:

«من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية، إمام حي يعرفه. فقلت: لم أسمع أباك يذكر هذا - يعني إماما حيا - فقال: قد والله قال ذاك رسول الله (صلى الله عليه و اله) قال: و قال رسول الله (صلى الله عليه و اله):

من مات و ليس له إمام يسمع له و يطيع مات ميتة جاهلية» (٢).

١٧- عن داود الرقي، عن العبد الصالح (عليه السلام)، قال: «إنَّ الحِجَّةَ لا تقوم لله على خلقه إلاَّ بإمام حي يعرف» (٣).

١٨- عن محمد بن حكيم، قال: سألت أبا الحسن (عليه السلام) عن الإمام هل يسئل عن شيء من الحلال و الحرام و الذي يحتاج الناس و لا يكون فيه شيء، قال: «لا و لكن يكون عنده و لا يجيب ذاك إليه إن شاء أجاب و إن شاء لم يجيب» (٤).

١٩- عن صفوان بن يحيى قال: قلت لأبي الحسن (عليه السلام) يكون الإمام في حال يسئل عن الحلال و الحرام و الذي يحتاج الناس إليه فلا يكون عنده شيء، قال: «لا و لكن قد يكون عنده و لا يجيب» (٥).

٢٠- عن علي السائي عن أبي الحسن الأول موسى (عليه السلام)، قال: قال: «مبلغ علمنا على ثلاثه وجوه: ماض و غابر و حادث فأما الماضي فمفسر، و أما الغابر فمزبور و أما الحادث فقذف في القلوب، و نقر في الاسماع و هو أفضل علمنا و لا نبئ بعد نبينا» (٦).

ص: ٢١٦

١- ((١)) كمال الدين: ٤١٣.

٢- ((٢)) الاختصاص: ٢٦٨.

٣- ((٣)) الاختصاص: ٢٦٩.

٤- ((٤)) البصائر: ٤٤.

٥- ((٥)) البصائر: ٤٤.

٦- ((٦)) اصول الكافي: ٢٦٤/١.

٢١- عن محمد بن علي بن خالد الجواز، قال: دخلت على أبي الحسن (عليه السلام) وهو في عرصه داره وهو يومئذ بالرمليه فلما نظرت إليه قلت:

بابي أنت و أمي يا سيدي مظلوم مغصوب مضطهد في نفسي ثم دنوت منه فقبلت بين عينيه و جلست بين يديه فالتفت إلي فقال: «يا بن خالد نحن أعلم بهذا الأمر فلا تتصور هذا في نفسك».

قال: قلت جعلت فداك و الله ما أردت بهذا شيئاً، قال: فقال: «نحن أعلم بهذا الأمر من غيرنا لو أردنا اذن إلينا و أن لهؤلاء القوم مدّه و غايه لا بدّ من الانتهاء إليها قال:

فقلت لا أعود و اصبر في نفسي شيئاً أبداً قال: فقال: لا تعد أبداً» (١).

٢٢- عن محمد بن حكيم عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: «انما هلك من كان قبلكم بالقياس إنّ الله تبارك و تعالى لم يقبض نبيه حتى أكمل له جميع دينه في حاله و حرامه فجاءكم مما تحتاجون إليه في حياته و تستغيثون به و باهل بيته بعد موته و انها مصحف عند اهل بيته حتى ان فيه لارش خدش الكفّ ثم قال: ان ابا حنيفه لعنه الله ممن يقول: قال علي و انا قلت» (٢).

٢٣- عن عبد الله بن جندب انه كتب اليه أبو الحسن (عليه السلام): «إننا نعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقه الإيمان و بحقيقه النفاق» (٣).

٢٤- عن الحسين بن علي بن يقطين عن أبيه، قال: سألت أبا الحسن (عليه السلام) عن شيء من أمر العالم فقال: «نكت في القلب و نقر في الاسماع و قد يكونان معا» (٤).

ص: ٢١٧

١- ((١)) بصائر الدرجات: ١٢٦.

٢- ((٢)) البصائر: ١٤٧.

٣- ((٣)) البصائر: ٢٨٨.

٤- ((٤)) البصائر: ٣١٦.

١- عن الحسين بن نعيم الصحاف قال: كنت أنا و هشام بن الحكم و علي بن يقطين ببغداد، فقال علي بن يقطين: كنت عند العبد الصالح جالسا فدخل عليه ابنه علي، فقال لي: «يا علي بن يقطين هذا علي سيد ولدي. أما إني قد نحلته كنييتي». فضرب هشام بن الحكم براحه جيته، ثم قال: ويحك كيف قلت؟ فقال علي بن يقطين: سمعت و الله منه كما قلت. فقال هشام: أخبرك أن الأمر فيه من بعده (١).

٢- عن نعيم القابوسي عن أبي الحسن، أنه قال: «إن ابني عليا أكبر ولدي و أبّهم عندي و أحبهم إليّ و هو ينظر معي في الجفر و لم ينظر فيه إلا نبّي أو وصي نبّي» (٢).

٣- عن داود الرقي، قال: قلت لأبي ابراهيم (عليه السلام): جعلت فداك إني قد كبر سنّي فخذ بيدي من النار، قال: فأشار الي ابنه أبي الحسن (عليه السلام) فقال: «هذا صاحبكم من بعدى» (٣).

٤- عن محمد بن اسحاق بن عمار قال: قلت لأبي الحسن الأوّل (عليه السلام): ألا تدلّني الي من آخذ عنه ديني؟ فقال: «هذا ابني علي. إن أبي قد أخذني فأدخلني الي قبر رسول الله (صلّى الله عليه و اله) فقال: يا بني إن الله عزّ و جلّ، قال: إني لجاعل في الأرض خليفه و ان الله عزّ و جلّ إذا قال قولاً و في به» (٤).

٥- عن داود الرقي قال: قلت لأبي الحسن موسى (عليه السلام): إني قد كبرت

ص: ٢١٨

١- ((١)) اصول الكافي: ٣١١/١.

٢- ((٢)) اصول الكافي: ٣١٢/١.

٣- ((٣)) اصول الكافي: ٣١٢/١.

٤- ((٤)) اصول الكافي: ٣١٢/١.

سنى و دقّ عظمى و انى سألت أباك (عليه السّلام) فأخبرنى بك، فأخبرنى من بعدك؟ فقال: «هذا أبو الحسن الرضا» (١).

٦- عن زياد بن مروان القندى و كان من الواقفه قال: دخلت على أبى إبراهيم و عنده ابنه أبو الحسن (عليه السّلام) فقال لى: «يا زياد هذا ابنى فلان، كتابه كتابى و كلامه كلامى و رسوله رسولى و ما قال فالقول قوله» (٢).

٧- عن محمد بن الفضيل قال: حدثنى المخزومى و كانت امه من ولد جعفر بن أبى طالب (عليه السّلام) قال: «بعث الينا أبو الحسن موسى (عليه السّلام) فجمعنا، ثم قال لنا: أتدرون لم دعوتكم؟ فقلنا: لا، فقال: اشهدوا أنّ ابنى هذا وصيى و القيم بأمرى و خليفتى من بعدى، من كان له عندى دين فليأخذه من ابنى هذا، و من كانت له عندى عدّه فليتّى فليجزها منه و من لم يكن له بدّ من لقائى فلا يلقنى إلا بكتابه» (٣).

٨- عن الحسين بن المختار، قال: خرج إلينا من أبى الحسن (عليه السّلام) بالبصره ألواح مكتوب فيها بالعرض: «عهدى الى أكبر ولدى، يعطى فلان كذا، و فلان كذا، و فلان كذا، و فلان لا يعطى حتى أجيء أو يقضى الله عز و جلّ على الموت، إنّ الله يفعل ما يشاء» (٤).

٩- عن داود بن زربى، قال: جئت الى أبى إبراهيم (عليه السّلام) بمال، فأخذ بعضه و ترك بعضه، فقلت: أصلحك الله لاي شىء تركته عندى؟ قال: «إنّ صاحب هذا الأمر يطلبه منك».

فلما جاءنا نعيه بعث الىّ أبو الحسن (عليه السّلام) ابنه، فسألنى ذلك،

ص: ٢١٩

١- (١) اصول الكافى: ٣١٢/١.

٢- (٢) اصول الكافى: ٣١٢/١.

٣- (٣) اصول الكافى: ٣١٢/١.

٤- (٤) اصول الكافى: ٣١٣/١.

١٠- عن سليمان بن حفص المروزي قال: دخلت على أبي الحسن موسى بن جعفر (عليهما السّلام) وأنا أريد أن أسأله عن الحجّه على الناس بعده، فلمّا نظر إليّ ابتدأني و قال: «يا سليمان إنّ عليّا ابني و وصيي و الحجّه على الناس بعدى، و هذا أفضل و لى فإن بقيت بعدى فاشهد له بذلك عند شيعتى و أهل ولايتى المستخبرين عن خليفتى من بعدى» (٢).

الإمام المهدي المنتظر (عجل الله فرجه):

١- عن على بن موسى، عن أبيه موسى بن جعفر بن محمّد (عليهم السّلام)، قال:

«لا يكون القائم إلّا إمام ابن إمام و وصى ابن وصى» (٣).

٢- عن محمد بن على بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر (عليه السّلام)، قال:

«إذا فقد الخامس من ولد السابع فالله الله في أديانكم لا يزيلكم أحد عنها يا بني انه لا بد لصاحب هذا الأمر من غيبه حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به انما هي محنه من الله عزّ و جلّ امتحن بها خلقه و لو علم آباؤكم و اجدادكم دينا أصح من هذا لا تبعوه. فقلت: يا سيدى من الخامس من ولد السابع؟ قال: يا بني عقولكم تصغر عن هذا و أحلامكم تضيق عن حملة و لكن إن تعيشوا فسوف تدر كوه» (٤).

٣- عن على بن أبى حمزه، عن أبى عبد الله و أبى الحسن (عليهما السّلام)، قال: «لو قد قام القائم لحكم بثلاث لم يحكم بها أحد قبله، يقتل الشيخ الزانى، و يقتل مانع الزكاه،

ص: ٢٢٠

١- (١) اصول الكافي: ٣١٣/١.

٢- (٢) عيون الأخبار: ٢٦/١.

٣- (٣) عيون الأخبار: ١٣١/٢.

٤- (٤) علل الشرايع: ٢٣٣/١، و الكافي: ٣٣٦/١، و غيبه النعماني: ١٥٤.

و يورث الاخ أخاه فى الاظه» (١).

٤- عن العباس بن عامر القصبانى، قال: سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) يقول: «صاحب هذا الأمر، من يقول الناس لم يولد بعد» (٢).

٥- عن على بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر (عليهما السلام)، قال: قلت: ما تأويل قول الله عزّ وجلّ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصَيْبَكُمْ مَاءٌ مِّنْ سَمَوَاتٍ مَّا تَأْتِيكُمْ بِهِمْ لَبِيبٌ فَلَا يَدْرُونَ أَيُّهَا الشَّيْطَانُ مَا يُصْنَعُونَ» (٣).

٦- عن داود بن كثير الرقى قال: سألت أبا الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) عن صاحب هذا الأمر قال: «هو الطريد الوحيد الغريب الغائب عن أهله، الموتور بأبيه» (عليه السلام) (٤).

٧- عن يونس بن عبد الرحمن، قال: دخلت على موسى بن جعفر (عليهما السلام) فقلت له: يا ابن رسول الله أنت القائم بالحق؟ فقال: «أنا القائم بالحق ولكن القائم الذى يطهر الارض من أعداء الله عزّ وجلّ ويملاها عدلا كما ملئت جورا وظلما هو الخامس من ولدى له غيبه يطول أمدها خوفا على نفسه، يرتد فيها أقوام ويثبت فيها آخرون. ثم قال (عليه السلام): طوبى لشيعتنا، المتمسكين بحبلنا فى غيبه قائمنا، الثابتين على مولاتنا والبراءه من أعدائنا، أولئك منا ونحن منهم، قد رضوا بنا أئمه، ورضينا بهم شيعة، فطوبى لهم، ثم طوبى لهم، وهم والله معنا فى درجاتنا يوم القيامة» (٥).

٨- عن أبى أحمد محمد بن زياد الأزدي، قال: سألت سيدي موسى

ص: ٢٢١

١- ((١)) الخصال: ١٦٩.

٢- ((٢)) كمال الدين: ٣٦٠.

٣- ((٣)) كمال الدين: ٣٦٠.

٤- ((٤)) كمال الدين: ٣٦١.

٥- ((٥)) كمال الدين: ٣٦١.

ابن جعفر (عليهما السلام) عن قول الله عزّ وجلّ: **وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَ بَاطِنَةً** فقال (عليه السلام): «النعمة الظاهره الإمام الظاهر، الباطنه الإمام الغائب، فقلت له: و يكون فى الأئمه من يغيب؟ قال: نعم يغيب عن أبصار الناس شخصه، و لا يغيب عن قلوب المؤمنين ذكره، و هو الثانى عشر منّا، يسهّل الله له كلّ عسير، و يذلّل له كلّ صعب، و يظهر له كنوز الارض، و يقربّ له كلّ بعيد، و يبير به كلّ جبار عنيد و يهلك على يده كلّ شيطان مرید، ذلك ابن سيده الاماء الذى تخفى على الناس ولادته، و لا يحلّ لهم تسميته حتى يظهره الله عزّ و جلّ فيملا الأرض قسطا و عدلا كما ملئت جورا و ظلما» (١).

صحابه الرسول (صلى الله عليه و اله) و الأئمه (عليهم السلام)

عن أسباط بن سالم، قال: قال أبو الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام): «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين حواري محمد بن عبد الله رسول الله الذين لم ينقضوا العهد و مضوا عليه؟ فيقوم سلمان و المقداد و أبو ذر.

ثم ينادى مناد: أين حواري على بن أبى طالب (عليه السلام) وصى محمد بن عبد الله رسول الله (صلى الله عليه و اله) فيقوم عمرو بن الحمق الخزاعي و محمد بن أبى بكر و ميثم بن يحيى التمار مولى بنى أسد و أويس القرنى.

قال: ثم ينادى المنادى: أين حواري الحسن بن على (عليه السلام) ابن فاطمه بنت محمد بن عبد الله رسول الله؟ فيقوم سفيان بن أبى ليلى الهمداني و حذيفه بن اسيد الغفاري.

قال: ثم ينادى المنادى أين حواري الحسين بن على (عليهما السلام)؟ فيقوم كل من استشهد معه و لم يتخلف عنه.

قال: ثم ينادى المنادى أين حواري على بن الحسين (عليهما السلام)؟ فيقوم جبير بن مطعم

ص: ٢٢٢

و يحيى ابن ام الطويل و أبو خالد الكابلي و سعيد بن المسيب.

ثم ينادى المنادى أين حواري محمد ابن على و حواري جعفر بن محمد؟ فيقوم عبد الله بن شريك العامري و زرار بن أعين و بريد ابن معاوية العجلي و محمد بن مسلم و ابو بصير ليث بن البختری المرادي و عبد الله بن أبي يعفور و عامر بن عبد الله بن جذاعة و حجر بن زائده و حمران بن أعين.

ثم ينادى: أين سائر الشيعة مع سائر الأئمة (عليهم السلام) يوم القيامة فهؤلاء المتحورون أول السابقين و أول المقربين و أول المتحورين من التابعين» (١).

الإيمان و الكفر و الشكّ

١- عن حماد بن عمرو النصيبى، قال: سألت رجل العالم (عليه السلام) فقال: أيها العالم أخبرني أي الأعمال أفضل عند الله؟ قال: «ما لا يقبل عمل إلا به، فقال: وما ذلك؟ قال: الإيمان بالله، الذي هو أعلى الأعمال درجة و أسناها حظا و أشرفها منزله، قلت:

أخبرني عن الإيمان أقول و عمل أم قول بلا- عمل؟ قال: الإيمان عمل كله، و القول بعض ذلك العمل بفرض من الله بينه في كتابه، واضح نوره، ثابتة حجته، يشهد به الكتاب و يدعو إليه، قلت: صف لي ذلك حتى أفهمه.

فقال: إن الإيمان حالات و درجات و طبقات و منازل فمنه التام المنتهى تماما و منه الناقص المنتهى نقصانه و منه الزائد الراجح زيادته، قلت: و إن الإيمان ل يتم و يزيد و ينقص؟ قال: نعم، قلت: و كيف ذلك؟ قال: إن الله تبارك و تعالى فرض الإيمان على جوارح بني آدم و قسّمه عليها و فرّقها عليها فليس من جوارحهم جارحه إلا و هي موكله من الإيمان بغير ما وكتبت به أختها.

ص: ٢٢٣

فمنها قلبه الذى به يعقل و يفقه و يفهم و هو أمير بدنه الذى لا تورد الجوارح و لا تصدر الآ عن رأيه و أمره، و منها يده اللتان يبطش بهما و رجلاه اللتان يمشى بهما و فرجه الذى الباه من قبله و لسانه الذى ينطق به الكتاب و يشهد به عليها؛ و عيناه اللتان يبصر بهما؛ و أذناه اللتان يسمع بهما و فرض على القلب غير ما فرض على اللسان و فرض على اللسان غير ما فرض على العينين و فرض على العينين غير ما فرض على السمع.

و فرض على السمع غير ما فرض على اليدين و فرض على اليدين غير ما فرض على الرجلين و فرض على الرجلين غير ما فرض على الفرج و فرض على الفرج غير ما فرض على الوجه، فأما ما فرض على القلب من الإيمان فالأقرار و المعرفة و التصديق و التسليم و العقد و الرضا بأن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، أحدا، صمدا، لم يتخذ صاحبه و لا ولدا و أن محمدا (صلى الله عليه و اله) عبده و رسوله (١).

٢- عن موسى بن جعفر، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «ما من شىء أحب الى الله تعالى من الإيمان به، و العمل الصالح، و ترك ما أمر به أن يتركه» (٢).

٣- عن الفضيل، قال: قلت لأبى الحسن (عليه السلام): أى شىء أفضل ما يتقرب به العباد الى الله فيما افترض عليهم؟ فقال: «أفضل ما يتقرب به العباد الى الله طاعه الله و طاعه رسوله، و حب الله و حب رسوله (صلى الله عليه و اله) و أولى الأمر، و كان أبو جعفر (عليه السلام) يقول:

حَبْنَا إِيمَانَ وَ بَغَضْنَا كُفْرًا» (٣).

٤- إبراهيم بن أبى بكر قال: سمعت أبا الحسن موسى (عليه السلام) يقول: «إنَّ

ص: ٢٢٤

١- ((١)) اصول الكافي: ٣٨/٢.

٢- ((٢)) بحار الأنوار: ٢٠٨/٧١.

٣- ((٣)) المحاسن: ١٥٠.

عليا(عليه السّلام)باب من أبواب الهدى،فمن دخل من باب على كان مؤمنا و من خرج منه كان كافرا و من لم يدخل فيه و لم يخرج منه كان في الطبقة الذين لله فيهم المشيئة» (١).

٥-عن بكر بن موسى الواسطي،قال:سألت أبا الحسن موسى(عليه السّلام)عن الكفر و الشرك أيهما أقدم؟فقال:«ما عهدى بك تخاصم الناس،قلت:أمرنى هشام بن الحكم أن أسألك عن ذلك فقال لي:الكفر أقدم و هو الجحود قال لابليس:

أَبِي وَ اسْتَكْبَرَ وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ» (٢).

٦-عن الحسين بن الحكم،قال:«كتبت الى العبد الصالح(عليه السّلام)أخبره أنى شاك و قد قال إبراهيم(عليه السّلام):رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَيُوتِي و انى أحب أن تربي شيئا،فكتب(عليه السّلام):إن إبراهيم كان مؤمنا و أحب أن يزداد إيمانا و أنت شاك و الشاك لا-خير فيه، و كتب:انما الشك ما لم يأت اليقين فإذا جاء اليقين لم يجز الشك،و كتب:إنَّ الله عزَّ و جلَّ يقول: وَ مَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَ إِنَّا وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ، قال:نزلت في الشاك» (٣).

٧-عن محمد بن سنان،عن أبي خديجه،قال:دخلت على أبي الحسن(عليه السّلام)فقال لي:«إنَّ الله تبارك و تعالى أيد المؤمن بروح منه تحضره في كل وقت يحسن فيه و يتقى،و تغيب عنه في كل وقت يذنب فيه و يعتدى.فهى معه تهتر سرورا عند احسانه و تسيخ في الشرى عند اساءته،فتعاهدوا عباد الله نعمه باصلاحكم أنفسكم تزدادوا يقينا و تربحوا نفيسا ثمينا،رحم الله امرئ هم بخير فعله أو هم بشر فارتدع عنه،ثم قال:

نحن نؤيد الروح بالطاعة لله و العمل له» (٤).

ص:٢٢٥

١- (١) اصول الكافي:٣٨٨/٢.

٢- (٢) تفسير العياشى:٣٤/١.

٣- (٣) اصول الكافي:٣٩٩/٢.

٤- (٤) اصول الكافي:٢٦٨/٢.

١- عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: «حق على الله أن لا يعصى في دار إلا أضحاها للشمس حتى تطهرها» (١).

٢- عن ابن عرفه عن أبي الحسن (عليه السلام)، قال: «إن لله عزّ وجلّ في كل يوم و ليله مناديا ينادى مهلا مهلا عباد الله عن معاصي الله، فلو لا بهائم رتع، و صبيه رضع، و شيوخ ركع، لصبّ عليكم العذاب صبا، ترضّون به رضًا» (٢).

٣- عن ابن محبوب، قال: كتب معي بعض أصحابنا الى أبي الحسن (عليه السلام) يسأله عن الكبائر كم هي و ما هي؟ فكتب: «من اجتنب ما وعد الله عليه النار كفّر عنه سيئاته اذا كان مؤمنا و السبع الموجبات قتل النفس الحرام و عقوق الوالدين و أكل الربا، و التعرب بعد الهجره، و قذف المحصنات، و أكل مال اليتيم، و الفرار من الزحف» (٣).

٤- عن محمد بن حكيم، قال: قلت لأبي الحسن (عليه السلام): الكبائر تخرج من الايمان؟ فقال: «نعم و ما دون الكبائر، قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه و اله): «لا يزني الزاني و هو مؤمن و لا يسرق السارق و هو مؤمن» (٤).

٥- عن سماعه، قال: سمعت أبا الحسن (عليه السلام) يقول: «لا تستكثروا كثير الخير و لا تستقلوا قليل الذنوب، فإن قليل الذنوب يجتمع حتى يكون كثيرا و خافوا الله في السر حتى تعطوا من أنفسكم النصف» (٥).

٦- عن علي بن جعفر، عن أبي الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام)، قال:

ص: ٢٢٦

١- (١) اصول الكافي: ٢٧٢/٢.

٢- (٢) اصول الكافي: ٢٧٦/٢.

٣- (٣) اصول الكافي: ٢٧٦/٢.

٤- (٤) بحار الأنوار: ٢٣٣/٧٤.

٥- (٥) اصول الكافي: ٢٣٥/٧٤.

«حرّمت الجنه على ثلاثة النمام، و مدمن الخمر، و الديوث و هو الفاجر» (١).

حفظ اللسان

١- عن عثمان بن عيسى، عن أبي الحسن صلوات الله عليه، قال: «إن كان في يدك هذه شيء فإن استطعت أن لا تعلم هذه فافعل؛ قال: و كان عنده إنسان فتذاكروا الإذاعه، فقال: احفظ لسانك تعزّ، و لا تمكّن الناس من قياد رقبتك فتدلّ» (٢).

و قال: حضرت أبا الحسن صلوات الله عليه و قال له رجل: أوصني فقال له: «احفظ لسانك تعزّ و لا تمكّن الناس من قيادك فتدلّ رقبتك» (٣).

٢- عن موسى بن اسماعيل بن موسى بن جعفر، عن أبيه عن آباءه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «رحم الله عبدا قال خيرا فغنم، أو سكت عن سوء فسلم» (٤).

٣- و عنه: بهذا الإسناد قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «الرجل الصالح يجيء بخبر صالح، و الرجل السوء يجيء بخبر سوء» (٥).

٤- عن أبان، عن يحيى الأزرق، قال: قال لي أبو الحسن صلوات الله عليه: «من ذكر رجلا من خلفه بما هو فيه ممّا عرفه الناس لم يغبه، و من ذكره من خلفه بما هو فيه مما لا يعرفه الناس اغتابه و من ذكره بما ليس فيه فقد بهته» (٦).

٥- قال عبد المؤمن الأنصاري: دخلت على موسى بن جعفر (عليهما السلام) و عنده محمد بن عبد الله الجعفرى، فتبسّمت إليه فقال: «أتجبه؟ فقلت: نعم، و ما أحببته إلا لكم، فقال (عليه السلام): هو أخوك و المؤمن أخو المؤمن لأمه و لأبيه، و ان لم

ص: ٢٢٧

١- (١) معانى الأخبار: ٢٤٣.

٢- (٢) اصول الكافي: ٢/٢٢٥.

٣- (٣) اصول الكافي: ٢/١١٣.

٤- (٤) بحار الأنوار: ٧١/٢٩٣.

٥- (٥) بحار الأنوار: ٧١/٢٩٣.

٦- (٦) اصول الكافي: ٢/٣٥٨.

يلده أبوه، ملعون من اتهم أخاه، ملعون من غش أخاه، ملعون من لم ينصح أخاه، ملعون من اغتاب أخاه، وقال الصادق (عليه السلام): إياك و الغيبه فإنها إدام كلاب النار» (١).

٦- عن عبد الله بن عبد الرحمن عن أبي الحسن أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) قال:

«اركبوا و ارموا و إن ترموا أحب إلي من أن تركبوا، ثم قال: كل أمر للمؤمن باطل إلا في ثلاث في تأديبه الفرس و رميه عن قوسه و ملاعبته امرأته، فانهن حق إن الله ليدخل بالسهم الواحد الثلاثة الجنة: عامل الخشب و المقوى به في سبيل الله و الرامي به في سبيل الله» (٢).

الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر

١- عن محمد بن عمر بن عرفه، قال: سمعت أبا الحسن (عليه السلام) يقول:

«لتأمرن بالمعروف و لتنهن عن المنكر أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم» (٣).

٢- عن موسى بن جعفر (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و اله):

«لا يأمر بالمعروف و لا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه ثلاث خصال، رفيق بما يأمر به، رفيق فيما ينهى عنه، عدل فيما يأمر به، عدل فيما ينهى عنه، عالم بما يأمر به، عالم بما ينهى عنه» (٤).

٣- عنه، بهذا الإسناد قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «من يشفع شفاعه حسنه أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو دل على خير أو أشار به فهو شريك، و من أمر بسوء أو دل عليه أو أشار به فهو شريك» (٥).

ص: ٢٢٨

١- (١) بحار الأنوار: ٢٦٢/٧٥.

٢- (٢) التهذيب: ١٧٥/٦.

٣- (٣) اصول الكافي: ٥٦/٥، و التهذيب: ١٧٦/٦.

٤- (٤) بحار الأنوار: ٨٧/١٠٠.

٥- (٥) بحار الأنوار: ٨٧/١٠٠.

١- عن موسى بن جعفر، عن آبائه (عليهم السّلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «إنّ فوق كلّ برِّ برٍّ حتى يقتل الرجل شهيدا في سبيل الله، و فوق كلّ عقوق عقوقا حتى يقتل الرجل أحد و الدية» (١).

٢- قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «خيول الغزاه في الدنيا هي خيولهم في الجنه» (٢).

٣- و قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «حمله القرآن عرفاء أهل الجنه، و المجاهدون في الله تعالى قواد أهل الجنه، و الرسل سادات أهل الجنه» (٣).

٤- و قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «دعا موسى و أمّن هارون و أمّنت الملائكه فقال الله سبحانه استقيما فقد أجيبت دعوتكما، و من غزا في سبيلي استجبت له الى يوم القيامه» (٤).

٥- و قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «كلّ نعيم مسؤول عنه يوم القيامه إلاّ ما كان في سبيل الله تعالى» (٥).

٦- و قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «إنّ أبخل الناس من بخل بالسّلام، و أجود الناس من جاد بنفسه و ماله في سبيل الله» (٦).

٧- و قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «أوصى أمّتى بخمس: بالطاعه و الهجره و الجهاد و الجماعه، و من دعا بدعاء الجاهليه فله حثوه من حتى جهنم» (٧).

ص: ٢٢٩

١- (١) بحار الأنوار: ١٥/١٠٠.

٢- (٢) بحار الأنوار ١٥/١٠٠.

٣- (٣) بحار الأنوار ١٥/١٠٠.

٤- (٤) بحار الأنوار ١٥/١٠٠.

٥- (٥) بحار الأنوار ١٥/١٠٠.

٦- (٦) بحار الأنوار ١٥/١٠٠.

٧- (٧) بحار الأنوار ١٥/١٠٠.

١- عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: «يؤخذ الخمس من الغنائم فيجعل لمن جعله الله عز وجل و يقسم أربعة أخصاس بين من قاتل عليه و ولى ذلك، قال: و للإمام صفو المال أن يأخذ الجارية الفارهة و الدابة الفارهة و الثوب و المتاع مما يحب و يشتهي فذلك له قبل قسمه المال و قبل اخراج الخمس، قال: و ليس لمن قاتل شىء من الأرضين و لا- ما غلبوا عليه إلا ما احتوى عليه العسكر و ليس للأعراب من الغنيمه شىء و إن قاتلوا مع الإمام لأن رسول الله (صلى الله عليه و اله) صالح الأعراب أن يدعهم فى ديارهم و لا يهاجروا على أنه إن دهم رسول الله (صلى الله عليه و اله) من عدوه دهم أن يستفزهم فيقاتل بهم و ليس لهم فى الغنيمه نصيب و سنه جاريه فيهم و فى غيرهم و الأرض التى أخذت عنوه بخيل أو ركاب فهى موقوفه متروكه فى يدى من يعمرها و يحييها و يقوم عليها على ما يصلحهم الوالى على قدر طاقتهم من الحق النصف و الثلث و الثلثين، على قدر ما يكون لهم صالحا و لا يضرهم» (١).

العمل و المعيشه:

١- عن الحسن بن على بن أبى حمزه، عن أبيه، قال: «رأيت أبا الحسن (عليه السلام) يعمل فى أرض له قد استنقعت قدماء فى العرق، فقلت له: جعلت فداك أين الرجال؟ فقال: يا على قد عمل باليد من هو خير منى فى أرضه و من أبى، فقلت له: و من هو؟ فقال: رسول الله (صلى الله عليه و اله) و أمير المؤمنين و آبائى (عليهم السلام) كلهم كانوا قد عملوا بأيديهم و هو من عمل النبيين و المرسلين و الأوصياء و الصالحين» (٢).

٢- عن موسى بن بكر، قال: قال لى أبو الحسن (عليه السلام): «من طلب هذا الرزق

ص: ٢٣٠

١- ((١)) اصول الكافي: ٤٤/٥.

٢- ((٢)) اصول الكافي: ٧٥/٥، و الفقيه: ١٦٢/٣.

من حلّه ليعود به على عياله و نفسه كان كالمجاهد في سبيل الله عز و جل، فإن غلب عليه ذلك، فليستدن على الله عز و جل و على رسوله ما يقوت به عياله.

فإن مات و لم يقضه كان على الإمام قضاؤه، فإن لم يقضه كان عليه وزره إن الله تعالى يقول: **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ الْمَسْكِينِ وَ الْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَ فِي الرِّقَابِ فَهُوَ فَقِيرٌ مَسْكِينٌ مَغْرَمٌ** (١).

٣-قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «طوبى لمن أسلم و كان عيشه كفافا و قوله سدادا» (٢).

٤-قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «اللهم ارزق محمدا و آل محمد و من أحب محمدا و آل محمد العفاف و الكفاف، و ارزق من أبغض محمدا و آل محمد كثره المال و الولد» (٣).

٥-عن موسى بن جعفر، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «أربع من سعادته المرء: الخلطاء الصالحون، و الولد البار، و المرأة المؤاتية، و أن تكون معيشته في بلده» (٤).

٦-قال الكاظم (عليه السلام): «من ولده الفقر أبطره الغنا» (٥).

٧-قال رجل لأبي الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام): عدنى قال: كيف اعدك؟ و أنا لما لا أرجوا أجي منى لما أرجو» (٦).

٨-عن يحيى الحداء، قال: قلت لأبي الحسن (عليه السلام): ربما اشتريت الشيء بحضرة أبي فأرى منه ما أعتم به فقال: «تنكبه و لا تشتريه بحضرة فإذا كان لك على

ص: ٢٣١

١- (١) التهذيب: ١٨٤/٦.

٢- (٢) بحار الأنوار: ٦٧/٧٢.

٣- (٣) بحار الأنوار: ٦٧/٧٢.

٤- (٤) بحار الأنوار: ٨٦/١٠٣.

٥- (٥) بحار الأنوار: ٨٦/١٠٣.

٦- (٦) الفقيه: ١٦٥/٣.

رجل حق فقل له: فليكتب و كتب فلان بن فلان بخطه و أشهد الله على نفسه و كفى بالله شهيدا فإنه يقضى في حياته أو بعد وفاته» (١).

الدعاء والزيارة:

١- عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) قال: «عليكم بالدعاء؛ فإن الدعاء و الطلب الى الله عز و جل يردّ البلاء و قد قدر و قضى فلم يبق إلا إمضاؤه، فإنه إذا دعا الله و سأله صرف البلاء صرفا» (٢).

٢- قال: «لكل داء دواء فسئل عن ذلك؟ فقال: لكل داء دعاء، فإذا بهم المريض الدعاء فقد أذن الله في شفائه. و قال: أفضل الدعاء الصلاة على محمد و آل محمد (صلى الله عليه و اله) - صلى الله عليهم - ثم الدعاء للاخوان ثم الدعاء لنفسك فيما أحببت، و أقرب ما يكون العبد من الله سبحانه إذا سجد».

و قال: الدعاء أفضل من قراءه القرآن؛ لأن الله عز و جل يقول: قُلْ مَا يَعْجُبُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ و إنّ الله عز و جل ليؤخر إجابته المؤمن شوقا الى دعائه و يقول: صوت أحب أن اسمعه، و يعجل إجابته المنافق و يقول: صوت أكره سماعه» (٣).

٣- عمر بن يزيد، عن أبي ابراهيم (عليه السلام)، قال: سمعته يقول: «إنّ الدعاء يردّ ما قدر و ما لم يقدر قال: قلت: جعلت فداك هذا ما قدر قد عرفناه أفرأيت ما لم يقدر؟ قال: حتى لا يقدر» (٤).

٤- قال أبو الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام): «أدنى ما يتاب به زائر

ص: ٢٣٢

١- (١) اصول الكافي: ٣١٨/٥.

٢- (٢) مكارم الاخلاق: ٣١٦.

٣- (٣) مكارم الأخلاق: ٤٤٨.

٤- (٤) بحار الأنوار: ٢٩٧/٩٣.

أبي عبد الله (عليه السلام) بشطّ الفرات إذا عرف حقّه و حرّمته و ولايته أن يغفر له ما تقدّم من ذنبه و ما تأخّر» (١).

٥- عن الحسن بن الجهم قال: قلت لأبي الحسن (عليه السلام): ما تقول في زياره قبر الحسين (عليه السلام)؟ فقال لي: «ما تقول أنت فيه؟ فقلت: بعضنا يقول: حجّه و بعضنا يقول: عمره، فقال: هي عمره مبروره (مقبوله)» (٢).

٦- روى أحمد بن جعفر البلدى عن محمد بن يزيد البكرى، عن منصور بن نصر المدائنى، عن عبد الرحمن بن مسلم، قال: دخلت على الكاظم (عليه السلام) فقلت له: أيّما أفضل زياره الحسين بن على أو أمير المؤمنين (عليهما السلام) أو لفلان و فلان- و سميت الأئمه واحدا واحدا- فقال لي:

«يا عبد الرحمن من زار أولنا فقد زار آخرنا، و من زار آخرنا فقد زار أولنا، و من تولّى أولنا فقد تولّى آخرنا، و من تولّى آخرنا فقد تولّى أولنا و من قضى حاجه لأحد من أوليائنا فكأنما قضاها لأجمعنا.

يا عبد الرحمن احبنا و احب من يحبنا و احبّ فينا و احب لنا و تولنا و تولّ من يتولانا و ابغض من يبغضنا ألا و إنّ الرادّ علينا كالراد على رسول الله جدّنا و من ردّ على رسول الله (صلّى الله عليه و اله) فقد ردّ على الله ألا يا عبد الرحمن و من ابغضنا فقد ابغض محمدا و من ابغض محمدا فقد ابغض الله و من ابغض الله عزّ و جلّ و كان حقا على الله ان يصلية النار و ماله من نصير» (٣).

٧- عن عمرو بن عثمان الرازى، قال: سمعت أبا الحسن الاول (عليه السلام) يقول: «من لم يقدره أن يزورنا فليزر صالحى موالينا يكتب له ثواب زيارتنا و من لم يقدر

ص: ٢٣٣

١- (١) ثواب الأعمال: ١١١-١١٢.

٢- (٢) ثواب الأعمال: ١١١-١١٢.

٣- (٣) كامل الزيارات: ٣٣٥.

على صلتنا فليصل صالحى موالينا يكتب له ثواب صلتنا» (١).

٨- عن اسحاق بن عمار عن أبي الحسن (عليه السلام)، قال: قلت له: المؤمن يعلم بمن يزور قبره، قال: «نعم ولا يزال مستأنسا به ما زال عنده فإذا قام وانصرف من قبره دخله من انصرافه عن قبره وحشه» (٢).

٩- عن علي بن عثمان الرازى، قال: سمعت أبا الحسن الاول (عليه السلام) يقول: «من لم يقدر على زيارتنا فليزر صالح اخوانه يكتب له ثواب زيارتنا، ومن لم يقدر أن يصلنا فليصل صالح اخوانه يكتب له ثواب صلتنا» (٣).

من مواعظ و حكم الإمام الكاظم (عليه السلام):

روى عن الكاظم (عليه السلام) أنه قال: «صلاه النوافل قربان الى الله لكل مؤمن».

و الحج جهاد كل ضعيف.

و لكل شىء زكاه، و زكاه الجسد صيام النوافل.

و أفضل العباده بعد المعرفه انتظار الفرج.

و من دعا قبل الثناء على الله و الصلاه على النبى (صلّى الله عليه و اله) كان كمن رمى بسهم بلا وتر.

و من أيقن بالخلف جاد بالعطيه، و ما عال امرئ اقتصد.

و التدبير نصف العيش.

و التودّد الى الناس نصف العقل.

و كثره الهم يورث الهم، و العجله هى الخرق.

و قله العيال أحد اليسارين.

ص: ٢٣٤

١- (١) كامل الزيارات: ٣١٩.

٢- (٢) كامل الزيارات: ٣٢١.

٣- (٣) التهذيب: ١٠٤/٦.

و من أحزن والديه فقد عقَّهما.

و من ضرب بيده على فخذه، أو ضرب بيده الواحده على الاخرى عند المصيبة فقد حبط أجره، و المصيبة لا تكون مصيبة يستوجب صاحبها أجرها إلا بالصبر.

و الاسترجاع عند الصدمه.

و الصنيعه لا تكون صنيعه إلا عند ذى دين أو حسب.

و الله ينزل المعونه على قدر المؤونه، و ينزل الصبر على قدر المصيبة.

و من اقتصد و قنع بقيت عليه النعمه، و من بدر و أسرف زالت عنه النعمه.

و أداء الأمانه و الصدق يجلبان الرزق، و الخيانه و الكذب يجلبان الفقر و النفاق.

و اذا أراد الله بالذره شرا أنبت لها جناحين فطارت فأكلها الطير.

و الصنيعه لا تتم صنيعه عند المؤمن لصاحبها إلا بثلاثه أشياء: تصغيرها و سترها و تعجيلها، فمن صغَّر الصنيعه عند المؤمن فقد عظم أخاه، و من عظم الصنيعه عنده فقد صغَّر أخاه، و من كتم ما أولاه من صنيعه فقد كرم فعاله.

«و من عَجَل ما وعد فقد هنى العطيئه» (١).

قال أبو الحسن الماضى (عليه السلام): «قل الحقَّ و ان كان فيه هلاكك فان فيه نجاتك و دع الباطل و ان كان فيه نجاتك فانَّ فيه هلاكك» (٢).

قال (عليه السلام): «ينبغى لمن عقل عن الله أن لا يستبطئه (٣) فى رزقه و لا يتَّهمه فى قضائه».

و قال رجل: سألته عن اليقين؟ فقال (عليه السلام): «يتوكَّل على الله، و يسلم لله، و يرضى بقضاء الله، و يفوض الى الله».

ص: ٢٣٥

١- (١) تحف العقول: ٤٠٣.

٢- (٢) الاختصاص: ٣٢.

٣- (٣) أى لا يجده بطيئا.

و قال عبد الله بن يحيى (١): كتبت إليه في دعاء «الحمد لله منتهى علمه» فكتب (عليه السلام): «لا تقولن منتهى علمه، فإنه ليس لعلمه منتهى. و لكن قل: منتهى رضا» (٢).

و سأله رجل عن الجواد؟ فقال (عليه السلام): «إن لكلامك وجهين، فإن كنت تسأل عن المخلوقين، فإن الجواد الذي يؤدى ما افترض الله عليه، و البخيل من بخل بما افترض الله، و إن كنت تعنى الخالق فهو الجواد إن أعطى، و هو الجواد إن منع، لأنه إن أعطاك أعطاك ما ليس لك و إن منعك منعك ما ليس لك».

و قال لبعض شيعته: «أى فلان! اتق الله و قل الحق و ان كان فيه هلاكك فإن فيه نجاتك، أى فلان! اتق الله و دع الباطل و إن كان فيه نجاتك، فإن فيه هلاكك».

و قال له و كيله: و الله ما خنتك فقال (عليه السلام) له: «خيانتك و تضييعك على مالى سواء و الخيانة شرهما عليك».

و قال (عليه السلام): «إياك أن تمنع فى طاعة الله، فتنفق مثله فى معصية الله».

و قال (عليه السلام): «المؤمن مثل كفتى الميزان كلما زيد فى إيمانه زيد فى بلائه».

و قال (عليه السلام): «عند قبر حضره: «ان شيئا هذا آخره لحقيق أن يزهد فى أوله. و ان شيئا هذا أوله لحقيق أن يخاف آخره».

و قال (عليه السلام): «من تكلم فى الله هلك، و من طلب الرئاسه هلك. و من دخله العجب هلك».

و قال (عليه السلام): «اشتدت مؤونه الدنيا و الدين: فأما مؤونه الدنيا فإنك لا تمد يداك الى شىء منها إلا وجدت فاجرا قد سبقك إليه. و أما مؤونه الآخرة فإنك لا تجد أعوانا

ص: ٢٣٦

١- (١) رواه الصدوق رحمه الله فى التوحيد، باب العلم، باسناده عن الكاهلى عن موسى بن جعفر (عليه السلام). و عبد الله ابن يحيى الكاهلى الاسدى الكوفى، أخو اسحاق بن يحيى من وجوه أصحاب الصادق و الكاظم (عليهما السلام) و له كتاب.

٢- (٢) بحار الأنوار: ٣١٩/٧٥.

يعينونك عليه».

وقال (عليه السلام): «أربعة من الوسواس: أكل الطين وفَتَّ الطين. و تقليم الأظفار بالأسنان، و أكل اللّحية. و ثلاث يجلين البصر: النظر الى الخضره و النظر الى الماء الجارى و النظر الى الوجه الحسن».

وقال (عليه السلام): «ليس حسن الجوار كفّ الاذى و لكن حسن الجوار الصبر على الأذى».

وقال (عليه السلام): «لا تذهب الحشمه بينك و بين أخيك (١). و أبق منها، فإنّ ذهابها ذهاب الحياء».

وقال (عليه السلام): «لبعض ولده: «يا بنى إِيّاك أن يراك الله فى معصيه نهاك عنها. و إِيّاك أن يفقدك الله عند طاعه أمرك بها. و عليك بالجد. و لا تخرجنّ نفسك من التقصير فى عباده الله و طاعته، فإنّ الله لا يعبد حق عبادته. و إِيّاك و المزاح؛ فإنّه يذهب بنور إيمانك و يستخفّ مروّتك. و إِيّاك و الضّجر و الكسل، فإنّهما يمنعان حظّك من الدنيا و الآخره».

وقال (عليه السلام): «إذا كان الجور أغلب من الحق لم يحلّ لاحد أن يظنّ بأحد خيرا حتى يعرف ذلك منه».

وقال (عليه السلام): «ليس القبله على الفم إلاّ للزوجه و الولد الصغير».

وقال (عليه السلام): «اجتهدوا فى أن يكون زمانكم أربع ساعات: ساعه لمناجاه الله.

و ساعه لأمر المعاش. و ساعه لمعاشره الاخوان و الثقات الذين يعرفونكم عيوبكم و يخلصون لكم فى الباطن. و ساعه تخلون فيه للذاتكم فى غير محرّم و بهذه الساعه تقدرّون على الثلاث ساعات. لا تحدّثوا أنفسكم بفقر و لا بطول عمر، فإنّه من حدّث نفسه بالفقر بخل. و من حدّثها بطول العمر يحرص. اجعلوا لأنفسكم حظّا من الدنيا باعطانها ما تشتهى

ص: ٢٣٧

من الحلال و مالا يثلم المرؤه و ما لا سرف فيه. و استعينوا بذلك على أمور الدين، فإنه روى:

ليس منّا من ترك ديناه لدينه أو ترك دينه لديناه».

و قال (عليه السّلام): «تفقهوا في دين الله فإنّ الفقه مفتاح البصيره و تمام العباده و السبب الى المنازل الرفيعه و الرتب الجليله فى الدين و الدنيا. و فضل الفقيه على العابد كفضل الشمس على الكواكب. و من لم يتفقه فى دينه لم يرض الله له عملا».

و قال (عليه السّلام) لعلى بن يقطين: «كفّاره عمل السلطان الاحسان الى الاخوان».

و قال (عليه السّلام): «كلما أحدث الناس من الذنوب ما لم يكونوا يعملون أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعدّون».

و قال (عليه السّلام): «إذا كان الإمام عادلا كان له الأجر و عليك الشكر و إذا كان جائرا كان عليه الوزر و عليك الصبر» (١).

و رأى رجلين يتسابان فقال (عليه السّلام): «البادى أظلم و وزره و وزر صاحبه عليه ما لم يعتد المظلوم».

و قال (عليه السّلام): «ينادى مناد يوم القيامة: ألا من كان له على الله أجر فليقم، فلا يقوم إلا من عفا و أصلح فأجره على الله».

و قال (عليه السّلام): «السخى الحسن الخلق فى كنف الله، لا يتخلى الله عنه حتى يدخله الجنة. و ما بعث الله نبيا إلا سخيا. و ما زال أبى يوصينى بالسخاء و حسن الخلق حتى مضى».

و قال السندي بن شاهك - و كان الذى و كله الرشيد بحبس موسى (عليه السّلام) - لما حضرته الوفاة: دعنى أكفّنك. فقال (عليه السّلام): «أنا أهل بيت، حجّ ضرورتنا (٢) و مهور نساءنا و أكفاننا من طهور أموالنا».

ص: ٢٣٨

١- ((١)) تحف العقول: ٤٠٨-٤١١.

٢- ((٢)) الصرور- بالصاد المهملة- الذى لم يتزوج أو لم يحج.

وقال (عليه السّلام) لفضل بن يونس: «أبلغ خيرا و قل خيرا و لا تكن امّعه (١) قلت: و ما الامّعه؟ قال: لا تقل: أنا مع النّاس و أنا كواحد من النّاس. أن رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، قال: يا أيها النّاس إنّما هما نجدان نجد خير و نجد شر فلا يكن نجد الشرّ أحبّ إليكم من نجد الخير ٢.

و روى أنه مرّ برجل من أهل السواد دميم المنظر ٣، فسلمّ عليه و نزل عنده و حادثه طويلا، ثم عرض (عليه السّلام) عليه نفسه فى القيام بحاجه إن عرضت له، فقيل له: يا ابن رسول الله أتزل الى هذا ثم تسأله عن حوائجك و هو إليك أحوج؟ فقال (عليه السّلام): «عبد من عبيد الله و أخ فى كتاب الله و جار فى بلاد الله، يجمعنا و إياه خير الآباء آدم (عليه السّلام) و أفضل الأديان الإسلام و لعلّ الدهر يردّ من حاجاتنا إليه، فيرانا-بعد الزهو عليه ٤- متواضعين بين يديه. ثم قال (عليه السّلام):

نواصل من لا يستحق وصالنا مخافه أن نبقى بغير صديق ٥

و الى هنا نكتفى بهذه الجوله السريعه فى تراث الإمام الكاظم (عليه السّلام) راجين من الله التوفيق للسير على هدى أهل البيت (عليهم السّلام) الذى يمثل النبع الصافى و الهدى الربانى السليم فى ظلمات الهوى و الوهم.

و آخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

ص: ٢٣٩

١- ((١)) الامّع و الامّعه-بالكسر فالتشديد-قيل: أصله (أنى معك).

مقدمه المجمع العالمى لأهل البيت (عليهم السلام) ٧

الباب الأول الفصل الأول: الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) فى سطور ١٧

الفصل الثانى: انطباعات عن شخصيه الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) ٢١

الفصل الثالث: مظاهر من شخصيه الإمام الكاظم (عليه السلام) ٢٧

١- وفور علمه ٢٧

٢- عبادته و تقواه ٢٨

٣- زهده ٣١

٤- جوده و سخاؤه ٣٢

٥- حلمه ٣٣

٦- ارشاده و توجيهه ٣٥

٧- احسانه الى الناس ٣٦

الباب الثانى الفصل الأول: نشأه الإمام الكاظم (عليه السلام) ٤١

الفصل الثانى: مراحل حياه الإمام الكاظم (عليه السلام) ٤٧

الفصل الثالث: الإمام الكاظم فى ظل أبيه (عليهما السلام) ٥١

النص على إمامه الكاظم (عليه السلام) ٥٥

الباب الثالث الفصل الأول: ملامح عصر الإمام الكاظم (عليه السلام) ٦٣

الفصل الثاني: مواقف الإمام الكاظم (عليه السلام) في عهد المنصور ٧٥

الاتجاه الأول: الإمام الكاظم (عليه السلام) وإحكام المواقع ٧٦

الاتجاه الثاني: الإمام الكاظم (عليه السلام) والانهيار الأخلاقي ٧٩

الاتجاه الثالث: الإمام الكاظم (عليه السلام) والتحديات الداخلية ٨٢

الموقف الأول ٨٢

الموقف الثاني ٨٤

الاتجاه الرابع: الإمام الكاظم (عليه السلام) وتركيز قيادته الشرعية ٨٦

النشاط الأول: في المجال الفكري ٨٦

النشاط الثاني: في المجال العلمي ٨٨

الإمام الكاظم (عليه السلام) يخبر بموت المنصور ٨٩

الفصل الثالث: الإمام الكاظم (عليه السلام) وحكومته المهدي العباسي ٩١

ملامح عصر المهدي العباسي ٩١

النشاط العام للإمام الكاظم (عليه السلام) ٩٦

١- المجال السياسي ٩٦

٢- المجال الأخلاقي والتربوي ١٠٠

٣- المجال العلمي ١٠١

الإمام الكاظم (عليه السلام) وبناء الجماعة الصالحة ١٠٤

أولاً: تركيز الانتماء لخط أهل البيت (عليهم السلام) ١٠٥

ثانياً: التثقيف السياسي ١٠٨

ثالثاً: البناء العملي والانتماء الفكري ١١٠

اعتقال الإمام الكاظم (عليه السلام) ١١١

الإمام الكاظم (عليه السلام) في حكمومه موسى الهادي العباسي ١١٢

ثوره فح ١١٣

أسباب الثوره ١١٣

نتائج الثوره ١١٥

تحليل ثوره فح و موقف الإمام الكاظم (عليه السلام) منها ١١٦

موسى الهادي يحاول عزل الرشيد من ولايه العهد ١١٧

الباب الرابع الفصل الأول: ملامح عصر الرشيد و سياسته مع الإمام (عليه السلام) ١٢١

البحث الأول: ملامح عهد الرشيد ١٢٢

البحث الثاني: موقف الرشيد من الإمام الكاظم (عليه السلام) ١٢٦

الفصل الثاني: موقف الإمام الكاظم (عليه السلام) من حكم الرشيد ١٣٩

الإمام (عليه السلام) و سياسه الرشيد ١٣٩

الإمام (عليه السلام) و الجماعه الصالحه ١٤١

المجال السياسى ١٤٢

المجال التربوى ١٤٦

المجال العلمى و الفكرى ١٥١

منهج الاستنباط و التفقه فى الدين ١٥٤

المناظرات فى عصر الإمام الكاظم (عليه السلام) ١٥٥

الفصل الثالث: اعتقال الإمام حتى اشتشهاده ١٥٩

التخطيط لسجن الإمام (عليه السلام) ١٥٩

اعتقال الإمام (عليه السلام) ١٦٢

ص: ٢٤٣

الإمام (عليه السلام) في سجن البصره ١٦٢

الإيعاز لعيسى باغتيال الإمام (عليه السلام) ١٦٣

حمل الإمام الى بغداد ١٦٣

دعاء الإمام و اطلاق سراحه ١٦٤

الاعتقال الثانى للإمام (عليه السلام) ١٦٥

الإمام فى سجن السندى بن شاهك ١٦٦

نشاط الإمام (عليه السلام) داخل السجن ١٦٦

الإمام الكاظم (عليه السلام) يتحدّى كبرياء هارون ١٦٩

اغتيال الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) ١٧٣

الى الرفيق الأعلى ١٧٤

التحقيق فى قتل الإمام (عليه السلام) ١٧٦

وضع الإمام على الجسر ١٧٩

مبادره سليمان ١٨٠

تجهيز الإمام ١٨١

تشيع الإمام و دفنه ١٨٢

الفصل الرابع: تراث الإمام الكاظم (عليه السلام) ١٨٣

اصول العلم و مراتب المعرفة ١٨٦

مصادر المعرفة و منهجها ١٨٦

التوحيد و اسس التدبير الإلهى ٢٠٦

من تاريخ الرسول (صلى الله عليه و اله) و سيرته ٢٠٧

الإمامه و النصّ ٢١٣

الوصى بعد الإمام الكاظم (عليه السلام) ٢١٨

الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام) ٢٢٠

صحابه الرسول (عليه السلام) والأئمة (عليهم السلام) ٢٢٢

الإيمان والكفر والشك ٢٢٣

الذنوب ٢٢٤

حفظ اللسان ٢٢٧

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٢٨

الشهيد والمجاهد في سبيل الله ٢٢٩

الغنائم ٢٣٠

العمل والمعيشه ٢٣٠

الدعاء والزياره ٢٣٢

من مواظ و حكم الإمام الكاظم (عليه السلام) ٢٣٤

الفهرس التفصیلی ٢٤١

ص: ٢٤٥

عنوان و نام پدیدآور: اعلام الهدایه/المولف لجنه التالیف فی المعاونیه الثقافیه للمجمع العالمی لاهل البیت (ع).

مشخصات نشر: بیروت: المجمع العالمی لاهل البیت (ع)، المعاونیه الثقافیه، ۱۴۳۰ق = ۱۳۸۹.

مشخصات ظاهری: ۱۴ج.

یادداشت: عربی.

یادداشت: چاپ ششم.

یادداشت: کتابنامه.

مندرجات: ج. ۱. محمد المصطفی صلی الله علیه و آله و سلم خاتم الانبیاء. ج. ۲. أمير المومنین علی بن أبی طالب علیه السلام. ج. ۳. سیده النساء فاطمه الزهراء علیه السلام. ج. ۴. الامام الحسن المجتبی علیه السلام. ج. ۵. الامام الحسین علیه السلام سید الشهداء. ج. ۶. الامام علی بن الحسین زین العابدین علیه السلام. ج. ۷. الامام محمد بن علی الباقر علیه السلام. ج. ۸. الامام جعفر بن محمد الصادق علیه السلام. ج. ۹. الامام موسی بن جعفر الکاظم علیه السلام. ج. ۱۰. الامام علی بن موسی الرضا علیه السلام. ج. ۱۱. الامام محمد بن علی الجواد علیه السلام. ج. ۱۲. الامام علی بن محمد الهادی علیه السلام. ج. ۱۳. الامام الحسن العسکری علیه السلام. ج. ۱۴. خاتم الاوصیاء الامام المهدي علیه السلام.

موضوع: چهارده معصوم -- سرگذشتنامه

شناسه افزوده: مجمع جهانی اهل بیت (ع). معاونت فرهنگی

رده بندی کنگره: BP۳۶/الف ۵۸ ۱۳۸۹

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵

شماره کتابشناسی ملی: ۳۸۶۲۲۵۴

ص: ۱

الباب الأول:

الفصل الأول: الإمام الرضا (عليه السلام) فى سطور ١٧

الفصل الثانى: انطباعات عن شخصيه الإمام الرضا (عليه السلام) ١٩

الفصل الثالث: مظاهر من شخصيه الإمام الرضا (عليه السلام) ٢٥

الباب الثانى:

الفصل الأول: نشأه الإمام الرضا (عليه السلام) ٤٥

الفصل الثانى: مراحل حياه الإمام الرضا (عليه السلام) ٤٩

الفصل الثالث: الإمام الرضا فى ظل أبيه الكاظم (عليه السلام) ٥١

الباب الثالث:

الفصل الأول: الإمام الرضا و محنه أبيه الكاظم (عليهما السلام) ٦٥

الفصل الثانى: مظاهر الانحراف فى عصر الإمام الرضا (عليه السلام) ٧١

الفصل الثالث: دور الإمام الرضا (عليه السلام) قبل ولايه العهد ٨٩

الباب الرابع:

الفصل الأول: الإمام الرضا (عليه السلام) و ظاهره ولايه العهد ١١٧

الفصل الثانى: نشاطات الإمام الرضا (عليه السلام) بعد البيعه بولايه العهد ١٤٥

الفصل الثالث: مدرسه الإمام الرضا (عليه السلام)، احتجاجاته و تراثه ١٧٣

ص: ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداه لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء و سيد الرسل و الأصفياء أبو القاسم المصطفى محمد (صلى الله عليه و اله) و على آله الميامين النجباء.

لقد خلق الله الانسان و زوده بعنصرى العقل و الإراده، فبالعقل يبصر و يكتشف الحق و يميزه عن الباطل، و بالإراده يختار ما يراه صالحا له و محققا لأغراضه و أهدافه.

و قد جعل الله العقل المميز حجه له على خلقه، و أعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته؛ فإنه هو الذى علم الإنسان ما لم يعلم، و أرشده إلى طريق كماله اللائق به، و عرفه الغايه التى خلقه من أجلها، و جاء به إلى هذه الحياه الدنيا من أجل تحقيقها.

و أوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحه معالم الهدايه الربانيه و آفاقها و مستلزماتها و طرقها، كما بين لنا عللها و أسبابها من جهه؛ و أسفر عن ثمارها و نتائجها من جهه اخرى.

قال تعالى:

ص: ٧

قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى [الانعام(٦):٧١].

وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [البقره(٢):٢١٣].

وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ [الاحزاب(٣٣):٤].

وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [آل عمران(٣):١٠١].

قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ [يونس(١٠):٣٥].

وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَ يَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ [سبأ(٣٤):٦].

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ [القصص(٢٨):٥٠].

فالله تعالى هو مصدر الهدايه. و هدايته هي الهدايه الحقيقيه، و هو الذى يأخذ بيد الانسان إلى الصراط المستقيم و إلى الحق القويم.

و هذه الحقائق يؤيدها العلم و يدر كها العلماء و يخضعون لها بملء وجودهم.

و لقد أودع الله فى فطره الانسان النزوع إلى الكمال و الجمال ثم منّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللاتق به، و أسبغ عليه نعمه التعرّف على طريق الكمال، و من هنا قال تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات(٥١):٥٦].

و حيث لا تتحقّق العباده الحقيقيه من دون المعرفه، صارت المعرفه و العباده طريقا منحصرًا و هدفًا و غايه موصله إلى قمّه الكمال.

و بعد أن زوّد الله الانسان بطاقتى الغضب و الشهوه ليحقّق له و قود الحركه نحو الكمال؛ لم يؤمن عليه من سيطره الغضب و الشهوه؛ و الهوى الناشئ منهما، و الملازم لهما فمن هنا احتاج الانسان-بالإضافه إلى عقله و سائر

أدوات المعرفة-الى ما يضمن له سلامه البصيره و الرؤيه؛كى تتم عليه الحجّه، و تكمل نعمه الهدايه،و تتوفّر لديه كلّ الأسباب التى تجعله يختار طريق الخير و السعاده،أو طريق الشرّ و الشقاء بملء إرادته.

و من هنا اقتضت سنّه الهدايه الربّانيه أن يسند عقل الانسان عن طريق الوحي الإلهي،و من خلال الهداه الذين اختارهم الله لتولّى مسؤوليه هدايه العباد و ذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفه و إعطاء الارشادات اللازمه لكلّ مرافق الحياه.

و قد حمل الأنبياء و أوصياؤهم مشعل الهدايه الربّانيه منذ فجر التاريخ و على مدى العصور و القرون،و لم يترك الله عباده مهملين دون حجه هاديه و علم مرشد و نور مضيء،كما أفصحت نصوص الوحي-مؤيّده لدلائل العقل-بأنّ الأرض لا تخلو من حجه لله على خلقه،لئلا يكون للناس على الله حجّه،فالحجّه قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق،و لو لم يبق فى الأرض إلاّ اثنان لكان أحدهما الحجّه،و صرح القرآن-بشكل لا يقبل الريب-قائلا:

إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ [الرعد(١٣):٧].

و يتولّى أنبياء الله و رسله و أوصياؤهم الهداه المهديون مهمّه الهدايه بجميع مراتبها،و التى تتلخّص فى:

١-تلقى الوحي بشكل كامل و استيعاب الرساله الإلهيه بصوره دقيقه.

و هذه المرحله تتطلّب الاستعداد التام لتلقى الرساله،و من هنا يكون الاصطفاء الإلهي لرسله شأننا من شؤونه،كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلا: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ [الأنعام(٦):١٢٤]و اللَّهُ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ [آل عمران(٣):١٧٩].

٢- إِبْلَاحُ الرِّسَالَةِ الإِلَهِيَّةِ إِلَى البَشَرِيَّةِ وَ لَمَنْ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ، وَ يَتَوَقَّفُ الإِبْلَاحُ عَلَى الكِفَاءَةِ التَّامَّةِ الَّتِي تَتِمُّثَلُ فِي «الإِسْتِيعَابِ وَ الإِحَاطَةِ اللّازِمَةِ» بِتَفَاصِيلِ الرِّسَالَةِ وَ أَهْدَافِهَا وَ مَتَطَلَّبَاتِهَا، وَ «العَصْمَةُ» عَنِ الخَطَأِ وَ الإِنْحِرَافِ مَعًا، قَالَ تَعَالَى: كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ [البقره (٢): ٢١٣].

٣- تَكْوِينُ أُمَّةٍ مُؤْمِنَةٍ بِالرِّسَالَةِ الإِلَهِيَّةِ، وَ إِعْدَادُهَا لِدَعْمِ القِيَادَةِ الهَادِيَةِ مِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِ أَهْدَافِهَا وَ تَطْبِيقِ قَوَانِينِهَا فِي الحَيَاةِ، وَ قَدْ صَرَّحَتْ آيَاتُ الذِّكْرِ الحَكِيمِ بِهَذِهِ المَهْمَةِ مَسْتَحْدِمَةً عُنْوَانِي التَّرْكِيبِ وَ التَّعْلِيمِ، قَالَ تَعَالَى: يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ [الجمعه (٦٢): ٢] وَ التَّرْكِيبُ هِيَ التَّرْبِيَةُ بِاتِّجَاهِ الكَمَالِ اللَّائِقِ بِالإِنْسَانِ. وَ تَتَطَلَّبُ التَّرْبِيَةُ القِدْوَةَ الصَّالِحَةَ الَّتِي تَتَمَتَّعُ بِكُلِّ عُنَاوَرِ الكَمَالِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [الاحزاب (٣٣): ٢١].

٤- صِيَانَةُ الرِّسَالَةِ مِنَ الزَّيْغِ وَ التَّحْرِيفِ وَ الضِّيَاعِ فِي الفَتْرَةِ المَقْرَّرَةِ لَهَا، وَ هَذِهِ المَهْمَةُ أَيْضًا تَتَطَلَّبُ الكِفَاءَةَ العِلْمِيَّةَ وَ النَفْسِيَّةَ، وَ الَّتِي تَسْمَى بِالعَصْمَةِ.

٥- العَمَلُ لِتَحْقِيقِ أَهْدَافِ الرِّسَالَةِ المَعْنَوِيَّةِ وَ تَثْبِيتِ القِيَمِ الأَخْلَاقِيَّةِ فِي نَفُوسِ الأَفْرَادِ وَ أَرْكَانِ المَجْتَمَعَاتِ البَشَرِيَّةِ وَ ذَلِكَ بِتَنْفِيزِ الأَطْرُوحِ الرِّبَّانِيَّةِ، وَ تَطْبِيقِ قَوَانِينِ الدِّينِ الحَنِيفِ عَلَى المَجْتَمَعِ البَشَرِيِّ مِنْ خِلَالِ تَأْسِيسِ كِيَانِ سِيَاسِيٍّ يَتَوَلَّى إِدَارَةَ شُؤُونِ الأُمَّةِ عَلَى أَسَاسِ الرِّسَالَةِ الرِّبَّانِيَّةِ لِلبَشَرِيَّةِ، وَ يَتَطَلَّبُ التَّنْفِيزُ قِيَادَةَ حَكِيمَةٍ، وَ شَجَاعَةَ فَائِقَةٍ، وَ صَمُودًا كَبِيرًا، وَ مَعْرِفَةَ تَامَةً بِالنَّفُوسِ وَ بِطَبَقَاتِ المَجْتَمَعِ وَ التِّيَّارَاتِ الفِكْرِيَّةِ وَ السِّيَاسِيَّةِ وَ الإِجْتِمَاعِيَّةِ وَ قَوَانِينِ الإِدَارَةِ وَ التَّرْبِيَةِ وَ سُنَنِ الحَيَاةِ، وَ نَلْخُصُّهَا فِي الكِفَاءَةِ العِلْمِيَّةِ لِإِدَارَةِ دَوْلَةٍ عَالَمِيَّةٍ دِينِيَّةٍ، هَذَا فَضْلًا عَنِ العَصْمَةِ الَّتِي تَعْبُرُ عَنِ الكِفَاءَةِ النَفْسِيَّةِ الَّتِي تَصُونُ القِيَادَةَ

الدينه من كل سلوك منحرف أو عمل خاطئ بإمكانه أن يؤثر تأثيراً سلبياً على مسيره القياده و انقياد الامه لها بحيث يتنافى مع أهداف الرساله و أغراضها.

و قد سلك الأنبياء السابقون و أوصياؤهم المصطفون طريق الهدايه الدامى، و اقتحموا سبيل التريه الشاق، و تحمّلوا فى سبيل أداء المهام الرساليه كل صعب، و قدّموا فى سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهيه كل ما يمكن أن يقدمه الإنسان المتفانى فى مبدئه و عقيدته، و لم يتراجعوا لحظه، و لم يتلكؤوا طرفه عين.

و قد توجّ الله جهودهم و جهادهم المستمرّ على مدى العصور برساله خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه و اله) و حمّله الأمانه الكبرى و مسؤوليه الهدايه بجميع مراتبها، طالبا منه تحقيق أهدافها. و قد خطا الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و اله) فى هذا الطريق الوعر خطوات مدهشه، و حقّق فى أقصر فتره زمنيّه أكبر نتاج ممكن فى حساب الدعوات التغييريه و الرسالات الثوريه، و كانت حصيله جهاده و كدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلى:

١- تقديم رساله كامله للبشريه تحتوى على عناصر الديمومه و البقاء.

٢- تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ و الانحراف.

٣- تكوين امه مسلمه تؤمن بالإسلام مبدأً، و بالرسول قائداً، و بالشريعه قانوناً للحياه.

٤- تأسيس دوله إسلاميه و كيان سياسى يحمل لواء الإسلام و يطبق شريعه السماء.

٥- تقديم الوجه المشرق للقياده الربانيه الحكيمه المتمثله فى قيادته (صلّى الله عليه و اله).

و لتحقيق أهداف الرساله بشكل كامل كان من الضروري:

أ- أن تستمر القيادة الكفوءه فى تطبيق الرساله و صيانتها من أيدي العابثين الذين يتربصون بها الدوائر.

ب- أن تستمر عمليه التربيه الصحيحه باستمرار الأجيال؛ على يد مربّ كفوء علميا و نفسيا حيث يكون قدوه حسنه فى الخلق و السلوك كالرسول(صلى الله عليه و اله)، يستوعب الرساله و يجسدها فى كل حركاته و سكناته.

و من هنا كان التخطيط الإلهي يحتّم على الرسول(صلى الله عليه و اله) إعداد الصفوه من أهل بيته، و التصريح بأسمائهم و أدوارهم؛ لتولى مهمه إدامه الحركه النبويه العظيمه و الهدايه الربانيه الخالده بأمر من الله سبحانه و صيانه للرساله الإلهيه التى كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين و كيد الخائنين، و تربيه للأجيال على قيم و مفاهيم الشريعه المباركه التى تولّوا تبين معالمها و كشف أسرارها و ذخاثرها على مرّ العصور، و حتى يرث الله الأرض و من عليها.

و تجلّى هذا التخطيط الرباني فى ما نصّ عليه الرسول(صلى الله عليه و اله) بقوله: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسيّكنم بهما لن تضلّوا، كتاب الله و عترتي، و إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض».

و كان أئمه أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عزّفهم النبي الأكرم(صلى الله عليه و اله) بأمر من الله تعالى لقياده الامه من بعده.

إن سيره الأئمه الاثنى عشر من أهل البيت(عليهم السلام) تمثّل المسيره الواقعيه للاسلام بعد عصر الرسول(صلى الله عليه و اله)، و دراسه حياتهم بشكل مستوعب تكشف لنا عن صورته مستوعبه لحركه الاسلام الأصيل الذى أخذ يشقّ طريقه إلى أعماق الامه و وجدانها بعد أن أخذت طاقتها الحراريه تتضاءل بعد وفاه

الرسول (صلى الله عليه و اله)، فأخذ الأئمة المعصومون (عليهم السلام) يعملون على توعية الامه و تحريك طاقتها باتجاه إيجاد و تصعيد الوعي الرسالى للشريعه و لحركه الرسول (صلى الله عليه و اله) و ثورته المباركه، غير خارجين عن مسار السنن الكونيه التى تتحكّم فى سلوك القيادة و الامه جمعاء.

و تبلورت سيره الأئمة الراشدين فى استمرارهم على نهج الرسول العظيم و انفتاح الامه عليهم و التفاعل معهم كأعلام للهدايه و مصابيح لإناره الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلاء على الله لنيل مرضاته، و المستقرّين فى أمر الله، و التأمين فى محبته، و الذائبين فى الشوق اليه، و السابقين إلى تسلق قمم الكمال الإنسانى المنشود.

و قد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد و الصبر على طاعه الله و تحمّل جفاء أهل الجفاء حتّى ضربوا أعلى أمثله الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالى، ثم اختاروا الشهاده مع العزّ على الحياه مع الذلّ، حتى فازوا بقاء الله سبحانه بعد كفاح عظيم و جهاد كبير.

و لا يستطيع المؤرّخون و الكتّاب أن يلمّوا بجميع زوايا سيرتهم العطره و يدعوا دراستها بشكل كامل، و من هنا فإنّ محاولتنا هذه إنّما هى إعطاء قبسات من سيرتهم و سلوكهم و مواقفهم التى دوّنها المؤرّخون و استطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسه و التحقيق، عسى الله أن ينفع بها إنّه ولىّ التوفيق.

إنّ دراستنا لحركه أهل البيت (عليهم السلام) الرساليه تبدأ برسول الإسلام و خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و اله) و تنتهى بخاتم الأوصياء، محمد بن الحسن العسكرى المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه و أنار الأرض بعدله.

و يختص هذا الكتاب بدراسه حياه الإمام على بن موسى الرضا(عليه السلام)، ثامن أئمه أهل البيت(عليهم السلام) بعد رسول الله(صلى الله عليه و اله) و هو المعصوم العاشر من أعلام الهدايه و الذى تمثلت فى حياته كل جوانب الشريعة، فكان نبراسا و مثلا أعلى للبشرية بعد خاتم المرسلين و آباءه الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا.

و لا بد لنا من تقديم الشكر الى كل الاخوه الأعزاء الذين بذلوا جهدا و افرا و شاركوا فى إنجاز هذا المشروع المبارك و إخراجة إلى عالم النور، لا سيما أعضاء لجنة التأليف بإشراف سماحة السيد منذر الحكيم حفظه الله تعالى.

و لا يسعنا إلا أن نبتهل الى الله تعالى بالدعاء و الشكر لتوفيقه على إنجاز هذه الموسوعة المباركة فإنه حسنا و نعم النصير.

المجمع العالمى لأهل البيت عليهم السلام قم المقدسه

ص: ١٤

الباب الأول

إشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

الإمام الرضا(عليه السلام) فى سطور الفصل الثانى:

انطباعات عن شخصيته الإمام(عليه السلام) الفصل الثالث:

مظاهر من شخصيته الإمام(عليه السلام)

ص: ١٥

الإمام على بن موسى الرضا (عليه السلام) هو الثامن من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا. وهم الثقل الذي لا يفارق القرآن الكريم، ولا يضل المتمسك بهما معا، وهم سفينة النجاه التي من ركبها نجا و من تخلف عنها غرق. وقد ولد هذا الإمام العظيم -الذي بشر به رسول الله (صلى الله عليه و اله) - في عصر المنصور العباسي و بعد استشهاد جدّه الصادق (عليه السلام) و نشأ في أكرم بيت من بيوتات قريش ألا و هو البيت الهاشمي العلوي، بيت الامامه و الشهاده. و ترعرع في أحضان أبيه الكاظم (عليه السلام) و عاش معه أكثر من ثلاثه عقود، و عاصر فيها كلاً من المنصور و المهدي و الهادي و الرشيد من خلفاء بني العباس الذين لم يألوا جهدا في إطفاء نور هذا البيت الرفيع. و برز الإمام الرضا (عليه السلام) على مسرح الحياه السياسيه الإسلاميه كألمع سياسي عرفه التاريخ الإسلامى في عصره. لقد كان الرضا (عليه السلام) صلبا في مواقفه السياسيه و صريحا كلاً الصراحه. و لم تخذعه الأساليب الخبيثه و المزيّفه التي سلكها أذكي الخلفاء العباسيين و هو المأمون الذي رشّحه للخلافه أولا ثم فرض عليه قبول ولايه العهد ثانيا في عصر كانت الانتفاضات العلويه تزلزل عرش الأكاسره العباسيين.

إنّ دوافع المأمون غير النزيهه لم تخف على الإمام الرضا(عليه السّلام)، كما لم تخف عليه متطلبات الظرف الذى كان يعيشه صلوات الله عليه، و قد اكره على قبول ولايه العهد، و لكنّه فوّت الفرص الذهبيّه التى كان يطمع المأمون بتحقيقها من خلال اكراهه على قبول ولايه العهد. فاعتنم الإمام الرضا(عليه السّلام) هذا الظرف الذهبى الذى جاء به ولايه العهد على الوجه الأكمل بهدف نشر معالم الإسلام الحق و تثبيت دعائم اطروحه مذهب أهل البيت(عليهم السّلام)، متحدّيًا كل الخطوط الفكرية و المذهبيه المنحرفه آنذاك.

و قد أدرك المأمون عمق الخطر الذى كان يحيق به و بحكومته من خلال تواجد الإمام الرضا(عليه السّلام) فى مركز حكمه، كما لاحظ نموّ و شموخ خطّ الولاء لأهل البيت(عليهم السّلام). فلم يجد بدًا بحسب مقيسه الباطله من القضاء على شخص الإمام و اغتياله بطريقه خبيثه.

و قد استشهد هذا الإمام العظيم بعد أن أرسى قواعد رساله و المذهب الحق لفهم الإسلام و تبليغه، كما ربّى عدّه أجيال من العلماء النابهين الذين حملوا مشعل الهدايه فى تلك الظروف العصبيه التى عانت منها الامّه الإسلاميه فى ظلّ الحكم العباسى.

و أسفرت مدرسه الإمام الرضا(عليه السّلام) العلميه عن تخريج كوكبه من العلماء الذين كان عددهم يناهز الثلاثمائه.

و الذى يراجع مسند الإمام الرضا(عليه السّلام) و يلاحظ النصوص التى وصلتنا عنه يعرف حجم نشاطه العلمى و يلمس عمق المستوى الذى بلغته مدرسه الإمام الفكرية و ما أبدعه هذا الإمام العظيم من قواعد و أساليب لتحقيق أهداف مدرسه أهل البيت للوصول إلى القمه التى كانت تستهدفها حركه أهل البيت رساليته فى مجالى العلم و السياسه معا.

فسلام عليه يوم ولد و يوم استشهد و يوم يبعث حيًا.

الفصل الثّاني: انطباعات عن شخصيّة الإمام الرضا (عليه السّلام)

إنّ شخصيّة الإمام أبي محمّد الرضا (عليه السّلام) قد احتلت عواطف العلماء و المؤلّفين في كلّ جيل و عصر، و تمثّل ذلك في جمل الثناء و التعظيم على شخصيّته، و إليك بعض ما ورد من الثناء عليه:

الإمام الكاظم (عليه السّلام):

لقد أشاد الإمام الكاظم (عليه السّلام) بولده الإمام الرضا، و قدّمه على السادة الأجلّاء من أبنائه، و أوصاهم بخدمته، و الرجوع إليه في امور دينهم، فقال لهم:

«هذا أخوكم على بن موسى عالم آل محمد (صلّى الله عليه و اله)، سلوه عن أديانكم، و احفظوا ما يقول لكم، فيأتي سمعت أبي جعفر بن محمد (عليه السّلام) يقول لي: إنّ عالم آل محمد (صلّى الله عليه و اله) لفي صلبك، و ليتني أدركته فإنّه سمى أمير المؤمنين...» (١).

المأمون:

و أعلن المأمون العباسي فضل الإمام الرضا (عليه السّلام) في كثير من المناسبات:

١- قال المأمون للفضل بن سهل و أخيه: «ما أعلم أحدا افضل من هذا الرجل -يعنى الإمام على بن موسى- على وجه الأرض» (٢).

ص: ١٩

١- ((١)) كشف الغمّة: ١٠٧/٣، أعيان الشيعه: ٤/٤ ق/٢/١٠٠.

٢- ((٢)) الارشاد: ٢٦١/٢، أعيان الشيعه: ٤/٤ ق/٣/١٣٣.

٢- اشاد المأمون بالإمام الرضا(عليه السلام) أيضا في رسالته التي بعثها للعباسيين الذين نقموا عليه بولايه العهد للإمام(عليه السلام) قائلا:

«ما بايع له المأمون-أى للإمام الرضا-إلا مستبصرا فى أمره عالما بأنه لم يبق أحد على ظهرها-أى على ظهر الأرض-أبين فضلا، و لا أظهر عفة، و لا أروع ورعا، و لا أزهد زهدا فى الدنيا، و لا أطلق نفسا، و لا أرضى فى الخاصه و العامه، و لا أشد فى ذات الله منه، و ان البيعه له لموافقه لرضى الرب» (١).

قال أبو الصلت عبد السلام الهروى، و هو من أعلام عصره:

«ما رأيت أعلم من على بن موسى الرضا، و لا رآه عالم إلا شهد له بمثل شهادتى، و لقد جمع المأمون فى مجلس له عددا من علماء الأديان، و فقهاء الشريعه و المتكلمين فغلبهم عن آخرهم، حتى ما بقى منهم أحد إلا أقر له بالفضل و أقر على نفسه بالقصور...» (٢)

و قال زعيم الشيعة الشيخ محمد بن محمد النعمان العكبرى البغدادى الملقب بالشيخ المفيد:

«و كان الإمام القائم بعد أبى الحسن موسى بن جعفر(عليه السلام)ابنه أبى الحسن على بن موسى الرضا(عليه السلام)لفضله على جماعه اخوته، و أهل بيته، و ظهور علمه و حلمه و ورعه، و اجتماع الخاصه و العامه على ذلك فيه، و معرفتهم به منه» (٣).

و قال جمال الدين أحمد بن على النسابة، المعروف بابن عنبه:

ص: ٢٠

١- (١) الطرائف: ٢٧٩.

٢- (٢) اعلام الورى: ٦٤/٢ و عنه فى كشف الغمه: ١٠٦/٣، ١٠٧.

٣- (٣) الإرشاد: ٢٤٧/٢.

«الإمام الرضا يكنى أبا الحسن و لم يكن فى الطالبين فى عصره مثله، بايع له المأمون بولاية العهد، و ضرب اسمه على الدراهم و الدنانير، و خطب له على المنابر» (١).

و قال جمال الدين، أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى: «الإمام أبو الحسن الهاشمى العلوى، الحسينى، كان إماما عالما. و كان سيد بنى هاشم فى زمانه، و أجلهم، و كان المأمون يعظمه و يبجله و يخضع له، و يتغالى فيه، حتى جعله ولي عهد...» (٢).

و قال ابن ماجه: «كان- أى الإمام الرضا- سيد بنى هاشم، و كان المأمون يعظمه، و يبجله، و عهد له بالخلافه، و اخذ له العهد...» (٣).

قال ابن حجر: «كان الرضا من أهل العلم و الفضل مع شرف النسب...» (٤).

قال الياضى: «الإمام الجليل المعظم، سلاله الساده الأكارم: على بن موسى الرضا، أحد الأئمه الإثنى عشر، أولى المناقب الذين انتسبت الاماميه إليهم، و قصروا بناء مذهبهم عليهم...» (٥).

و الذهبى الذى عرف بالبغض و العداة لأهل البيت (عليهم السلام) لم يسعه إلا الاعتراف بفضل الإمام الرضا (عليه السلام)، بقوله:

«الإمام أبو الحسن بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب الهاشمى العلوى.. و كان

ص: ٢١

١- (١) عمده الطالب: ١٩٨.

٢- (٢) مسند الإمام الرضا: ١/١٣٦.

٣- (٣) أعيان الشيعة: ٤/٢٨٥.

٤- (٤) تهذيب التهذيب: ٧/٣٨٩.

٥- (٥) مرآة الجنان: ٢/١١.

سيد بنى هاشم فى زمانه، و أحلمهم، و أنبلهم، و كان المأمون يعظّمه، و يخضع له و يتغالى فيه، حتى انه جعله ولى عهده..» (١).

قال الشبراوى: «كان رضى الله عنه كريما جليلا، مهابا موّقرا و كان أبوه موسى الكاظم (عليه السّلام) يحبّه حبّا شديدا» (٢).

مدحه أبو نؤاس-الشاعر المشهور-الذى ترك مدحه إعظاما له، و قد أجاد فيما قال، حين عوتب على عدم مدحه الإمام الرضا (عليه السّلام) بعد توليته لولا يه العهد (٣) فقال مجيبا:

قيل لى أنت أوحد الناس طرّا فى فنون من المقال النبیه

لك من جوهر الكلام نظام يثمر الدر فى یدى مجتته

فلماذا تركت مدح ابن موسى و الخصال التى تجمّعن فيه

قلت: لا اهتدى لمدح إمام كان جبريل خادما لأبيه

و خرج الإمام الرضا (عليه السّلام) يوما على بغله فارهه، فدنا منه أبو نؤاس، و سلّم عليه و قال له: «يا ابن رسول الله! قلت فيك أبياتا أحب أن تسمعها منى»

فقال له: «قل». فانبرى أبو نؤاس قائلا:

مطّهرون نقيّات ثيابهم تجرى الصلاه عليهم كلّما ذكروا

من لم يكن علويّا حين تنسبه فما له فى قديم الدهر مفتخر

اولئك القوم أهل البيت عندهم علم الكتاب و ما جاءت به السور (٤)

ص: ٢٢

١- (١) تاريخ الإسلام: ٣٤/٨.

٢- (٢) الاتحاف بحب الأشراف: ص ٨٨.

٣- (٣) الاثمه الاثنى عشر، لابن طولون: ٩٨-٩٩.

٤- (٤) خلاصه الذهب المسبوك: ٢٠٠.

و أعجب الإمام (عليه السلام) بهذه الأبيات فقال لأبي نؤاس:

«قد جئنا بأبيات ما سبقك إليها أحد...».

ثم التفت الى غلامه فقال له: ما معك من فاضل نفقتنا؟ فقال: ثلاثمائة دينار، قال: ادفعها له. فلما ذهب الى بيته، قال لغلامه: لعلّه استقلّها، سقى إليه البغله (١).

و هام دعبل الخزاعي في الإمام الرضا (عليه السلام)، و كان مما قاله فيه:

لقد رحل ابن موسى بالمعالي و سار بيسره العلم الشريف

و تابعه الهدى و الدين طرا كما يتتبع الالف الأليف (٢)

ص: ٢٣

١- (١) الاتحاف بحب الاشراف: ٦٠، نزهة الجليس: ١٠٥/٢، كشف الغمه: ١٠٧/٣.

٢- (٢) ديوان دعبل: ١٠٨.

إشاره

مظاهر من شخصيته الإمام الرضا (عليه السلام)

لقد كانت شخصيته الإمام الرضا (عليه السلام) ملتقى للفضائل بجميع أبعادها وصورها، فلم تبق صفه شريفه يسمو بها الإنسان إلا وهي من نزعاته، فقد وهبه الله كما وهب آباءه العظام وزينه بكل مكرمه، وحباه بكل شرف وجعله علما لامه جده، يهتدى به الحائر، ويسترشد به الضال، وتستنير به العقول.

إن مكارم أخلاق الإمام الرضا (عليه السلام) نفحه من مكارم أخلاق جده الرسول الأعظم (صلى الله عليه و اله) الذي امتاز على سائر النبيين بهذه الكمالات، فقد استطاع (صلى الله عليه و اله) بسمو أخلاقه أن يطور حياه الإنسان، وينقذه من أحلام الجاهليه الرعناء، وقد حمل الإمام الرضا (عليه السلام) أخلاق جده، وهذا ابراهيم بن العباس يقول عن مكارم أخلاقه:

«ما رأيت، ولا سمعت بأحد أفضل من أبي الحسن الرضا (عليه السلام)، ما جفا أحدا قط، ولا قطع على أحد كلامه، ولا رد أحدا عن حاجه، و ما مدّ رجله بين جلسه، ولا اتكأ قبله، ولا شتم مواليه و مماليكه، ولا قهقهه في ضحكه، و كان يجلس على مائدته مماليكه و مواليه، قليل النوم بالليل، يحيى أكثر لياليه من

أولها الى آخرها، كثير المعروف و الصدقه، و أكثر ذلك في الليالي المظلمه» (١).

و من معالى أخلاقه انه كما تقلد ولايه العهد التى هى أرقى منصب فى الدوله الإسلاميه لم يأمر أحدا من مواليه و خدمه فى الكثير من شؤونه و إنما كان يقوم بذاته فى خدمه نفسه، حتى قيل: إنه احتاج الى الحمام فكره أن يأمر أحدا بتهيئته له، و مضى إلى حمام فى البلد لم يكن صاحبه يظن أن ولى العهد يأتى الى الحمام فى السوق فيغسل فيه، و إنما حمامات الملوك فى قصورهم.

و لما دخل الإمام الحمام كان فيه جندى، فأزال الإمام عن موضعه، و أمره أن يصب الماء على رأسه، ففعل الإمام ذلك، و دخل الحمام رجل كان يعرف الإمام فصاح بالجندي هلكت، أتستخدم ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله)؟! فذعر الجندي، و وقع على الإمام يقبل أقدامه، و يقول له متضرعا:

«يا ابن رسول الله! هلا عصيتنى إذ أمرتك؟».

فتبسم الإمام فى وجهه و قال له، برفق و لطف:

«إنها لمثوبه، و ما أردت أن أعصيك فيما أثناب عليه» (٢).

و من سموا أخلاقه أنه اذا جلس على مائده أجلس عليها مماليكه حتى السائس و البواب و قد اعطى بذلك درسا لهم، لقاء التمايز بين الناس، و انهم جميعا على صعيد واحد، و يقول ابراهيم بن العباس: سمعت على بن موسى الرضا (عليه السلام) يقول: «حلفت بالعتق، و لا احلف بالعتق الآأأعتقت رقبه، و أعتقت بعدها جميع ما املك، ان كان يرى أنه خير من هذا، و أوما الى عبد أسود من غلمانه، اذا كان ذلك

ص: ٢٤

١- (١) عيون أخبار الرضا: ١/١٨٤ و عنه فى بحار الأنوار: ٩٠/٩١، و عنه فى حياه الإمام محمد الجواد (عليه السلام) للقرشى: ٣٥.

٢- (٢) نور الأبصار: ١٣٨، عيون التواريخ: ٣/٢٢٧ مصور.

بقراه من رسول الله (صلى الله عليه و اله)، إلا أن يكون له عمل صالح فأكون أفضل به منه» (١).

و قال له رجل: و الله ما على وجه الأرض أشرف منك أبا.

فقال (عليه السلام): «التقوى شرفتهم، و طاعه الله احفظتهم».

و قال له شخص آخر: أنت و الله خير الناس...

فردّ عليه قائلا: «لا تحلف يا هذا! خير منى من كان أتقى لله عز و جل، و أطوع له، و الله ما نسخت هذه الآية و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم» (٢).

زهد:

و من صفات الإمام الرضا (عليه السلام) الزهد فى الدنيا، و الاعراض عن مباحجها و زينتها، و قد تحدث عن زهده محمد بن عباد حيث قال: كان جلوس الرضا على حصيره فى الصيف، و على مسح (٣) فى الشتاء، و لباسه الغليظ من الثياب حتى إذا برز للناس تزيا (٤).

و التقى به سفيان الثورى - و كان الإمام قد لبس ثوبا من خز - فأنكر عليه ذلك و قال له: لو لبست ثوبا ادنى من هذا. فأخذ الإمام (عليه السلام) يده برفق، و أدخلها فى كمه فإذا تحت ذلك الثوب مسح، ثم قال له:

«يا سفيان! الخز للخز، و المسح للحق...» (٥).

ص: ٢٧

١- (١) عيون أخبار الرضا: ٢/٩٥، ٩٦ و عنه فى بحار الأنوار: ٩٥/٤٩-٩٦.

٢- (٢) عيون أخبار الرضا: ٢/٢٣٦ و عنه فى بحار الأنوار: ٩٥/٤٩.

٣- (٣) المسح: الكساء من الشعر.

٤- (٤) عيون أخبار الرضا: ٢/١٧٨، المناقب: ٣٨٩/٤.

٥- (٥) المناقب: ٣٨٩/٤-٣٩٠.

و حينما تقلد ولاية العهد لم يحفل بأى مظهر من مظاهر السلطه، و لم يقيم لها أى وزن، و لم يرغب فى أى موكب رسمى، حتى لقد كره مظاهر العظمه التى كان يقيّمها الناس لملوكهم.

سخاؤه:

و لم يكن شىء فى الدنيا أحبّ الى الإمام الرضا (عليه السّلام) من الإحسان الى الناس و البر بالفقراء. و قد ذكرت بوادر كثيره من جوده و إحسانه، و كان منها ما يلى:

١- أنفق جميع ما عنده على الفقراء، حينما كان فى خراسان، و ذلك فى يوم عرفه فأنكر عليه الفضل بن سهل، و قال له: إنّ هذا لمغرم...

فأجابه الإمام (عليه السّلام): «بل هو المغنم لا تعدّ مغرماً ما ابتغيت به أجرا و كرماً» (١).

انه ليس من المغرم فى شىء صله الفقراء و الإحسان الى الضعفاء ابتغاء مرضاه الله تعالى، و إنّما المغرم هو الإنفاق بغير وجه مشروع كإنفاق الملوّك و الوزراء الأموال الطائله على المغنّين و العابثين.

٢- وفد عليه رجل فسلم عليه، و قال له: «أنا رجل من محبيك و محبى آبائك و أجدادك (عليهم السّلام)، و مصدرى من الحج، و قد نفدت نفقتى، و ما معى ما أبلغ مرحله، فإن رأيت أن ترجعنى الى بلدى، فإذا بلغت تصدقت بالذى تعطينى عنك، فقال له: اجلس رحمك الله. و أقبل على الناس يحدّثهم حتى تفرّقوا، و بقى هو و سليمان الجعفرى، و خيّمه، فاستأذن الإمام منهم و دخل الدار ثم خرج و ردّ الباب و أخرج من أعلى الباب صرّه، و قال: أين الخراسانى؟ فقام إليه

ص: ٢٨

فقال (عليه السلام) له: خذ هذه المائتي دينار و استعن بها في مؤنتك و نفقتك، و لا تتصدق بها عني.

و انصرف الرجل مسرورا قد غمرته نعمه الإمام. و التفت إليه سليمان فقال له:

جعلت فداك لقد أجزلت و رحمت، فلماذا سترت وجهك عنه؟

فأجابه الإمام (عليه السلام): إنما صنعت ذلك مخافة أن أرى ذل السؤال في وجهه لقضائي حاجته، أما سمعت حديث رسول الله (صلى الله عليه و اله): المستتر بالحسنه تعدل سبعين حجه، و المذيع بالسيئه مخذول... أما سمعت قول الشاعر:

متى آتته يوما لأطلب حاجتي رجعت الى أهلي و وجهي بمائه» (١).

٣- و كان إذا أتى بصحفه طعام عمد الى أطيب ما فيها من طعام، و وضعه في تلك الصحف ثم يأمر بها الى المساكين، و يتلو قوله تعالى: فَلَا أَفْتَحُمُ الْعَقَبَةَ ثم يقول: «علم الله عزّ و جلّ أن ليس كل إنسان يقدر على عتق رقبه فجعل له السبيل الى الجنة» (٢).

٤- و روى: «أن فقيرا قال له: أعطني على قدر مروّتك.

فأجابه الإمام (عليه السلام): «لا يسعني ذلك».

و التفت الفقير الى خطأ كلامه فقال ثانيا: اعطني على قدر مروّتي.

و هنا قابله الإمام (عليه السلام) ببسمات فياضه بالبشر قائلا له: اذن نعم.

ثم قال: يا غلام! أعطه مائتي دينار» (٣).

٥- و من معالي كرمه ما رواه أحمد بن عبيد الله عن الغفاري، قائلا: كان لرجل من آل أبي رافع -مولى رسول الله (صلى الله عليه و اله) - على حق فتقاضاني، و ألحّ

ص: ٢٩

١- ((١)) الكافي: ٢٣/٤ و ٢٤ و مناقب آل أبي طالب: ٣٩٠/٤، و عن الكافي في بحار الأنوار: ١٠١/٤٩، ح ١٩.

٢- ((٢)) المحاسن للبرقي: ١٤٦/٢، ح ٢٠ و عنه في بحار الأنوار: ٩٧/٤٩، ح ١١.

٣- ((٣)) مناقب آل أبي طالب: ٣٩٠/٤.

علّي، فلما رأيت ذلك صليت الصبح في مسجد رسول الله (صلى الله عليه و اله) ثم توجهت نحو الإمام الرضا (عليه السلام) و كان في العريض، فلما قربت من بابه خرج و عليه قميص و رداء فلما نظرت إليه، استحييت منه، و وقف لما رأني فسلمت عليه و كان ذلك في شهر رمضان، فقلت له: جعلت فداك لمولاك - فلان - عليّ حق، شهرني. فأمرني بالجلوس حتى يرجع فلم أزل في ذلك المكان حتى صليت المغرب، و أنا صائم و قد مضى بعض الوقت فهممت بالانصراف، فاذا الإمام قد طلع و قد أحاط به الناس، و هو يتصدّق على الفقراء و المحوجين، و مضيت معه حتى دخل بيته، ثم خرج فدعاني فقمتم إليه، و أمرني بالدخول الى منزله فدخلت، و أخذت أحدثه عن أمير المدينة فلما فرغت من حديثي قال لي:

ما أظنّك أفطرت بعد، قلت: لا، فدعا لي بطعام، و أمر غلامه أن يتناول معي الطعام و لما فرغت من الإفطار أمرني أن أرفع الوساده، و آخذ ما تحتها، فرفعتها، فاذا دنانير فوضعتها في كمي، و أمر بعض غلمانها أن يبلغوني الى منزلي، فمضوا معي، و لما صرت الى منزلي دعوت السراج و نظرت الى الدنانير، فاذا هي ثمانية و أربعون ديناراً، و كان حق الرجل على ثمانية و عشرين ديناراً، و قد كتب على دينار منها: إن حقّ الرجل عليك ثمانية و عشرون ديناراً و ما بقي فهو لك (1).

تكريمه للضيوف: كان (عليه السلام) يكرم الضيوف، و يغدق عليهم بنعمه و احسانه و كان يبادر بنفسه لخدمتهم، و قد استضافه شخص، و كان الإمام يحدثه في بعض الليل فتغيّر السراج فبادر الضيف لاصلاحه فوثب الإمام،

ص: ٣٠

١- ((١)) اصول الكافي: ٤٨٦/١، ح ٤، و عنه في الإرشاد: ٢٥٥/٢ و عنه في بحار الأنوار: ٩٧/٤٩، ح ١٢.

و أصلحه بنفسه، وقال لضيفه: «إنا قوم لا نستخدم أضيافنا» (١).

عتقه للعبيد: و من أحب الامور الى الإمام الرضا(عليه السلام)عتقه للعبيد، و تحريرهم من العبوديه، و يقول الرواه: انه اعتق ألف مملوك (٢).

احسانه الى العبيد: و كان الإمام(عليه السّلام) كثير البر و الاحسان الى العبيد، و قد روى عبد الله بن الصلت عن رجل من أهل (بلخ)، قال: كنت مع الإمام الرضا(عليه السّلام) فى سفره الى خراسان فدعا يوما بمائده فجمع عليها مواليه، من السودان و غيرهم، فقلت: جعلت فداك لو عزلت لهؤلاء مائده، فانكر عليه ذلك و قال له:

«مه ان الربّ تبارك و تعالى واحد، و الام واحد، و الأب واحد و الجزاء بالأعمال...» (٣).

ان سيره أئمه أهل البيت(عليهم السّلام) كانت تهدف الى الغاء التمايز العرقى بين الناس، و انهم جميعا فى معبد واحد لا يفضل بعضهم على بعض إلا بالتقوى و العمل الصالح.

علمه:

و الشىء البارز فى شخصيه الإمام الرضا(عليه السّلام) هو احاطته التامه بجميع أنواع العلوم و المعارف، فقد كان باجماع المؤرخين و الرواه اعلم أهل زمانه،

ص: ٣١

١- (١) الكافى: ٢٨٣/٦ و عنه فى بحار الأنوار: ١٠٢/٤٩، ح ٢٠.

٢- (٢) الاتحاف بحب الاشراف: ٥٨.

٣- (٣) الكافى: ٢٣/٤ و عنه فى بحار الأنوار: ١٠١/٤٩، ح ١٨.

و افضلهم و ادراهم باحكام الدين، و علوم الفلسفه و الطب و غيرها من سائر العلوم، و قد تحدّث عبد السلام الهروى عن سعه علومه، و كان مرافقا له، يقول:

«ما رأيت اعلم من على بن موسى الرضا، ما رآه عالم إلاّ شهد له بمثل شهادتى، و لقد جمع المأمون فى مجالس له عددا من علماء الاديان، و فقهاء الشريعة و المتكلمين، فغلبهم عن آخرهم حتى ما بقى منهم أحد إلاّ أقز له بالفضل، و اقر له على نفسه بالقصور، و لقد سمعته يقول: كنت أجلس فى (الروضه) و العلماء بالمدينه متوافرون فاذا عى الواحد منهم عن مسأله أشاروا الىّ بأجمعهم، و بعثوا الىّ المسأله فاجيب عنها..» (١).

لقد كان الإمام أعلم أهل زمانه، كما كان المرجع الاعلى فى العالم الاسلامى الذى يرجع اليه العلماء و الفقهاء فيما خفى عليهم من احكام الشريعة، و الفروع الفقهيّه.

قال ابراهيم بن العباس: «ما رأيت الرضا يسأل عن شىء قط إلاّ- علم، و لا- رأيت اعلم منه بما كان فى الزمان الأول، الى وقته و عصره، و كان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شىء فيجيبه الجواب الشافى» (٢).

قال المأمون: «ما أعلم احدا افضل من هذا الرجل -يعنى الإمام الرضا- على وجه الأرض...» (٣)

ص: ٣٢

١- ((١)) اعلام الورى: ٦٤/٢ و عنه فى كشف الغمه: ١٠٦/٣-١٠٧ و عنهما فى بحار الأنوار: ١٠٠/٤٩.

٢- ((٢)) عيون أخبار الرضا: ١٨٠/٢، الفصول المهمّه: ٢٥١.

٣- ((٣)) الإرشاد: ٢٦١/٢.

و ظاهره اخرى من علومه هي: معرفته التامه، و احاطته الشامله بجميع اللغات، قال أبو اسماعيل السندی: «سمعت بالهند ان لله في العرب حجه، فخرجت في طلبه، فدللت على الرضا (عليه السلام) فقصدته و أنا لا احسن العرييه، فسلمت عليه بالسنديه، فرد عليّ بلغتي، فجعلت اكلمه بالسنديه، و هو يرد عليّ بها، و قلت له: اني سمعت ان لله حجه في العرب، فخرجت في طلبه، فقال (عليه السلام): انا هو، ثم قال لي: سل عما اردته فسألته عن مسائل فاجابني عنها بلغتي» (١).

و قد أكد هذه الظاهره الكثيرون ممن اتصلوا بالامام، يقول ابو الصلت الهروي: كان الرضا (عليه السلام) يكلم الناس بلغاتهم، فقلت له: في ذلك فقال:

يا أبا الصلت أنا حجه لله على خلقه، و ما كان الله ليتخذ حجه على قوم، و هو لا يعرف لغاتهم. أو ما بلغك قول امير المؤمنين (عليه السلام): اوتينا فصل الخطاب، و هل هو إلا معرفته اللغات. (٢)

و روى ياسر الخادم فقال: كان لأبي الحسن (عليه السلام) في البيت صقالبه، و روم، و كان ابو الحسن قريبا منهم فسمعهم يتكلمون بالصقليه و الروميه، و يقولون: انا كنا نفصد كل سنه في بلادنا، و لا نفصد هاهنا، و لما كان من الغد بعث اليهم من يفصدهم (٣).

ص: ٣٣

١- ((١)) الخرائج و الجرائح: ١/٣٤٠، ح ٥ و عنه في بحار الأنوار: ٥٠/٤٩، ح ٥١.

٢- ((٢)) المناقب: ٣٦٢/٤.

٣- ((٣)) المناقب: ٣٦٢/٤، و الفصد: ضرب العرق للحجامه.

و أخبر الإمام الرضا (عليه السلام) عن كثير من الملاحم و الاحداث قبل وقوعها، و تحققت بعد ذلك على الوجه الاكمل الذى اخبر به، و هى تؤكد -بصوره واضحه- اصاله ما تذهب اليه الشيعة من ان الله تعالى قد منح ائمه أهل البيت (عليهم السلام) المزيد من الفضل و العلم، كما منح رسله، و من بين ما اخبر به ما يلى:

١- روى الحسن بن بشار فقال: «قال الرضا (عليه السلام): ان عبد الله -يعنى المأمون، يقتل محمدا يعنى الامين- فقلت له: عبد الله بن هارون يقتل محمد بن هارون، قال: نعم، عبد الله الذى بخراسان يقتل محمد بن زييده الذى هو ببغداد.. و كان يتمثل بهذا البيت:

و ان الضغن بعد الضغن يفشو عليك، و يخرج الداء الدفينا (١)

و لم تمض الأيام حتى قتل المأمون أخاه الأمين.

٢- من بين الاحداث التى أخبر عنها: «أنه لما خرج محمد بن الإمام الصادق بمكة، و دعا الناس الى نفسه، و خلع بيعه المأمون، قصده الإمام الرضا، و قال له: يا عم لا تكذب أباك، و لا أخاك -يعنى الإمام الكاظم (عليه السلام)- فإن هذا الأمر لا يتم، ثم خرج، و لم يلبث محمداً إلا قليلا حتى لاحقته جيوش المأمون بقيادة الجلودى، فانهزم محمد و من معه، و طلب الأمان، فأمنه الجلودى، و صعد المنبر و خلع نفسه، و قال: ان هذا الأمر للمأمون و ليس لى فيه حق» (٢).

٣- روى الحسين بن الإمام موسى (عليه السلام) قال: «كنا حول أبى الحسن الرضا (عليه السلام)، و نحن شبان من بنى هاشم إذ مر علينا جعفر بن عمر العلوى و هو

ص: ٣٤

١- (١) المناقب: ٣٦٣/٤، جوهره الكلام: ١٤٦.

٢- (٢) عيون أخبار الرضا: ٢٠٧/٢ و فى بحار الأنوار: ٢٤٧/٤٧ باب ٣٠، ح ٥.

رثَ الهيئه فنظر بعضنا الى بعض و ضحكنا من هيئته، فقال الرضا: لترونه عن قريب كثير المال، كثير التبع، فما مضى إلا شهر و نحوه، حتى ولى
المدينه و حسنت حاله» (١).

٤- روى محول السجستاني فقال: «لما جاء البريد باشخاص الإمام الرضا (عليه السلام) الى خراسان كنت انا بالمدينه فدخل المسجد ليودع رسول
الله (صلى الله عليه و اله)، فودعه مرارا كل ذلك يرجع الى القبر، و يعلو صوته بالبكاء و النحيب، فتقدمت اليه، و سلمت عليه، فيرد السلام، و
هنأته، فقال: ذرني فياني اخرج من جوار جدى، فأموت فى غربه، و ادفن فى جنب هارون، قال: فخرجت متبعا طريقه، حتى وافى خراسان فاقام فيها
وقتا ثم دفن بجنب هارون» (٢).

و تحقق ما أخبر به فقد مضى الى خراسان، و لم يعد منها و اغتاله المأمون العباسى، و دفن الى جانب هارون.

٥- روى صفوان بن يحيى قال: لما مضى أبو ابراهيم- يعنى الإمام الكاظم (عليه السلام)- و تكلم ابو الحسن (عليه السلام) خفنا عليه، فقيل له: انك قد
أظهرت أمرا عظيما، و أنا نخاف عليك هذا الطاغية- يعنى هارون- فقال (عليه السلام): «ليجهد جهده فلا سبيل له على» (٣).

و تحقق ذلك فإن هارون لم يتعرض له بسوء، و قد أكد الإمام هذا المعنى لبعض اصحابه، فقد روى محمد بن سنان قال: قلت لأبى الحسن الرضا
فى أيام هارون: أنك قد شهرت نفسك بهذا الأمر، و جلست مجلس ابيك، و سيف

ص: ٣٥

١- (١) الفصول المهمه: ٢٢٩، بحار الانوار: ١٣/١٢.

٢- (٢) الاتحاف بحب الأشراف: ٥٩، أخبار الدول: ١١٤.

٣- (٣) عيون أخبار الرضا: ٢/٢٢٦.

هارون يقطر الدم-اي من دماء أهل البيت و شيعتهم-فقال(عليه السّلام):«جرّأنى على هذا ما قال رسول الله(صلّى الله عليه و اله):ان اخذ ابو جهل من رأسى شعره،فاشهدوا أنى لست بنبي،و انا اقول لكم:ان أخذ هارون من رأسى شعره فاشهدوا أنى لست بإمام» (١).

لقد اعلن(عليه السّلام)غير مرّه ان هارون لا يعرض له بسوء،و أنه يدفن الى جانب هارون،فقد روى حمزه بن جعفر الارجاني:خرج هارون من المسجد الحرام من باب،و خرج على الرضا من باب فقال(عليه السّلام):«يا بعد الدار و قرب الملتقى؛إنّ طوس ستجمعنى و إياه» (٢).

و أكد الإمام دفنه بالقرب من هارون فى كثير من الاحاديث فقد روى موسى بن هارون قال:رأيت عليا الرضا فى مسجد المدينه،و هارون الرشيد يخطب،قال(عليه السّلام):«ترونى و إياه ندفن فى بيت واحد» (٣).

٦-و من الأحداث التى اخبر عنها نكبه البرامكه،فقد روى مسافر أنه كان مع ابى الحسن على الرضا،فمرّ يحيى بن خالد البرمكى،و هو مغط وجهه بمنديل من الغبار،فقال(عليه السّلام):«مساكين هؤلاء ما يدرون ما يحل بهم فى هذه السنه.

و أضاف الإمام قائلا:و أعجب من هذا انا و هارون كهاتين،و ضمّ إصبعيه السبابه و الوسطى».

قال مسافر:فو الله ما عرفت معنى حديثه فى هارون إلا بعد موت الرضا، و دفنه بجانبه (٤).

٧-روى محمد بن عيسى عن ابى حبيب النجاشى فقال:رأيت

ص:٣٦

١- ((١)) مناقب آل أبى طالب:٣٦٨/٤ و عنه فى بحار الأنوار:٥٩/٤٥.

٢- ((٢)) الإتحاف بحب الأشراف:٥٩.

٣- ((٣)) الإتحاف بحب الأشراف:٥٩.

٤- ((٤)) الإتحاف بحب الأشراف:٥٩.

رسول الله (صلى الله عليه و اله) في المنام، قد وافى النبا (١) و نزل في المسجد الذي ينزله الحجاج في كل سنة و كأني مضيت إليه، و سلمت عليه، و كان بين يديه طبق من خوص فيه تمر صيحاني، و كأنه قبض قبضه من ذلك التمر فناولني فعّدته فكان ثمانى عشر تمره، فتأولت الرؤيا بأنى اعيش بعدد كل تمره سنه فلتّما كان عشرين يوما كنت فى أرض تعمر لى بالزراعة، إذ جئنى من اخبرنى بقدم الرضا (عليه السّلام) من المدينة و نزوله فى ذلك المسجد، و رأيت الناس يسعون إليه، فمضيت نحوه فإذا هو جالس فى الموضع الذى كنت رأيت رسول الله (صلى الله عليه و اله) فيه فى المنام، و بين يديه طبق من خوص فيه تمر صيحاني، فسلمت عليه، فرد علىّ السلام، و استدانى فناولنى قبضه من ذلك التمر فعّدته فإذا هو بعدد ما ناولنى رسول الله (صلى الله عليه و اله) فقلت: زدنى يا بن رسول الله، فقال: «لو زادك رسول الله (صلى الله عليه و اله) لزدناك» (٢).

٨- روى جعفر بن صالح قال: «أتيت الرضا (عليه السّلام)، فقلت: امرأتى حامل فادع الله ان يجعله ذكرا، فقال: هما اثنان، فانصرفت و قلت: اسمى احدهما محمدا، و الآخر عليا، ثم اتيت فقال لى: سمّ واحدا عليا و الآخر امّ عمرو فلما قدمت الكوفة رأيتها ولدت غلاما و بنتا، فسّميت الذكر عليا، و الانثى امّ عمرو» (٣).

ص: ٣٧

-
- ١- ((١)) النبا: منزل لحجاج البصره.
 - ٢- ((٢)) عيون أخبار الرضا: ٢/٢١٠، و دلائل الإمامه: ١٨٩، و اعلام الورى: ٢/٥٤٤ عن الحاكم الحسكاني، كشف الغمه: ٣/١٠٣، جامع كرامات الأولياء: ٢/١٥٦.
 - ٣- ((٣)) جوهره الكلام: ١٤٦.

و من ابرز ذاتيات الإمام الرضا(عليه السلام) انقطاعه الى الله تعالى، و تمسّكه به، و قد ظهر ذلك في عبادته، التي مثلت جانبا كبيرا من حياته الروحية التي هي نور، و تقوى و ورع، يقول إبراهيم بن عباس في حديث: «...كان(عليه السلام) قليل النوم بالليل، كثير السهر، يحيى أكثر لياليه من أولها الى الصبح و كان كثير الصيام فلا يفوته صيام ثلاثه أيام في الشهر...» (١).

و يقول الشبراوى عن عبادته: إنه كان صاحب وضوء و صلاه، و كان في ليله كلّ يتوضّأ و يصلّى، و يرقد هكذا الى الصباح (٢).

لقد كان الإمام(عليه السلام) أتقى أهل زمانه، و أكثرهم طاعه لله تعالى. لنقرأ ما يرويه رجاء بن أبي الضحاك عن عباده الإمام، إذ كان المأمون قد بعثه الى الإمام ليأتي به الى خراسان، فكان معه في المدينة المنوره الى مرو يقول:

و الله ما رأيت رجلا كان اتقى لله منه، و لا أكثر ذكرا له في جميع أوقاته منه، و لا أشدّ خوفا لله عزّ و جلّ، كان إذا أصبح صلّى الغداه فإذا سلّم جلس في مصلاه يسبح الله، و يحمده و يكبره، و يهلله، و يصلّى على النبي و آله(صلّى الله عليه و اله) حتى تطلع الشمس، ثم يسجد سجده يبقي فيها حتى يتعالى النهار، ثم يقبل على الناس يحدثهم، و يعظهم الى قرب الزوال، ثم جدد وضوءه، و عاد الى مصلاه، فإذا زالت الشمس قام و صلى ست ركعات يقرأ في الركعه الأولى الحمد، و قل يا أيها الكافرون، و في الثانية الحمد و قل هو الله أحد، و يقرأ في

ص: ٣٨

١- ((١)) بحار الأنوار: ٩١/٤٩ عن عيون أخبار الرضا: ١٨٤/٢.

٢- ((٢)) الاتحاف بحب الاشراف: ٥٩.

الأربع في كل ركعة الحمد لله، وقل هو الله أحد، ويسلم، وفي كل ركعتين يقنت في الثانية قبل الركوع و بعد القراءة، ثم يؤذن، ثم يصلى ركعتين ثم يقيم، و يصلى الظهر، فإذا سلم سبّح الله و حمّده، و كبره، و هلّله ما شاء الله، ثم يسجد سجده الشكر، و يقول فيها مائة مره شكراً لله، فإذا رفع رأسه قام فصلّى ست ركعات، يقرأ في كل ركعة الحمد لله، و قل هو الله أحد، و يسلم في كل ركعتين، و يقنت في ثانيه كل ركعتين قبل الركوع و بعد القراءة، ثم يؤذن، ثم يصلى ركعتين و يقنت في الثانية، فإذا سلم قام و صلى العصر، فإذا سلم جلس في مصلاه يسبّح الله، و يحمّده، و يكبره، و يهلّله، ثم يسجد سجده يقول فيها:

مائة مره حمدا لله، فإذا غابت الشمس، توضأ و صلى المغرب ثلاثاً بأذان و اقامه، و قنت في الثانية قبل الركوع و بعد القراءة، فإذا سلم جلس في مصلاه يسبّح الله و يحمّده، و يكبره، و يهلّله ما شاء الله، ثم يسجد سجده الشكر، ثم يرفع رأسه و لا يتكلم، حتى يقوم و يصلى اربع ركعات بتسليمتين، يقنت في كل ركعتين في الثانية قبل الركوع و بعد القراءة، و كان يقرأ في الاولى من هذه الأربع الحمد و قل يا ايها الكافرون، و في الثانية الحمد و قل هو الله أحد، ثم يجلس بعد التسليم في التعقيب ما شاء الله حتى يمسي، ثم يفطر، ثم يلبث حتى يمضي من الليل قريب من الثلث، ثم يقوم فيصلّى العشاء الآخرة اربع ركعات، و يقنت في الثانية قبل الركوع و بعد القراءة فإذا سلم جلس في مصلاه يذكر الله عز و جل و يسبّحه و يحمّده و يكبره و يهلّله ما شاء الله، و يسجد بعد التعقيب سجده الشكر ثم يأوى الى فراشه.

و اذا كان الثلث الأخير من الليل قام من فراشه بالتسبيح و التحميد و التكبير و التهليل و الاستغفار، فاستاك [استعمل السواك] ثم توضأ ثم قام الى

صلاه الليل، فصلّى ثمان ركعات و يسلم في كل ركعتين، يقرأ في الأولين منها في كل ركعه الحمد و ثلاثين مره قل هو الله أحد.

و يصلّى صلاه جعفر بن أبي طالب اربع ركعات يسلم في كل ركعتين، و يقنت في كل ركعتين في الثانيه قبل الركوع، و يحتسب بها من صلاه الليل، ثم يصلّى الركعتين الباقيتين، يقرأ في الاولى الحمد و سوره الملك، و في الثانيه الحمد و هل أتى على الإنسان، ثم يقوم فيصلّى ركعتي الشفع، يقرأ في كل ركعه الحمد مره و قل هو الله أحد ثلاث مرات، و يقنت في الثانيه، ثم يقوم فيصلّى الوتر ركعه يقرأ فيها الحمد، و قل هو الله أحد ثلاث مرات و قل اعوذ برب الفلق مره واحده، و قل اعوذ برب الناس مره واحده، و يقنت فيها قبل الركوع و بعد القراءه، و يقول في قنوته:

«اللهم صلّ على محمد و آل محمد، اللهم اهدنا فيمن هديت و عافنا فيمن عافيت، و تولنا فيمن توليت، و بارك لنا فيما اعطيت، و قنا شرّ ما قضيت، فإنك تقضى و لا يقضى عليك انه لا يذل من واليت، و لا يعز من عاديت، تباركت و تعاليت...».

ثم يقول: «استغفر الله و أسأله التوبه» سبعين مره، فاذا سلم جلس في التعقيب ما شاء الله، و اذا قرب الفجر قام فصلّى صلاه الفجر يقرأ في الاولى الحمد و قل يا أيها الكافرون و في الثانيه الحمد و قل هو الله أحد، فاذا طلع الفجر أذن و أقام و صلّى الغداه ركعتين، فاذا سلم جلس في التعقيب حتى تطلع الشمس، ثم سجد سجده الشكر حتى يتعالى النهار... (1).

لقد سرى حب الله في قلب الإمام، و تفاعل في عواطفه و مشاعره حتى صار من خصوصيات شخصيته.

ص: ٤٠

١- (١) عيون أخبار الرضا: ١٨٠/٢-١٨٣ و عنه في بحار الأنوار: ٩٣/٤٩ و في الحديث بقيه الى بيان بعض أذكاره و عباداته و قرائته لبعض السور في صلواته المندوبه.

و من مظاهر حياه الإمام الروحيه تسلحه بالدعاء الى الله و التجاؤه إليه فى جميع أمورهِ، و كان يجد فيه متعه روحيه لا تعادلها أيه متعه من متع الحياه.

و أثرت عن الإمام الرضا(عليه السلام) كوكبه من الأدعيه الشريفه كان من بينها ما يلى:

١-قال(عليه السلام):«يا من دلّنى على نفسه، و دلّ قلبى بتصديقه، أسألك الأمن و الإيمان فى الدنيا و الآخره..» (١).

و حفل هذا الدعاء على إيجازه، بظاهره من ظواهر التوحيد و هى أنّ الله تعالى دلّ على ذاته، و عرّف نفسه لخلقه، و ذلك بما أودعه، و أبدعه فى هذا الكون من العجائب و الغرائب، و كلها تنادى بوجوده.

٢-وقال(عليه السلام):«اللهم أعطنى الهدى و ثبتنى عليه، و احشرنى عليه آمناً، أمن من لا-خوف عليه، و لا حزن و لا جزع إنك أهل التقوى، و أهل المغفره..» (٢).

لقد دعا الإمام(عليه السلام) بطلب الهدايه، و الانقياد الكامل الى الله الذى هو من أعلى درجات المقربين و المنيين إلى الله تعالى.

ص: ٤١

١- (١) اصول الكافي: ٥٧٩/٢.

٢- (٢) أعيان الشيعة: ٤/١٩٧/٢.

الباب الثاني

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

نشأه الإمام الرضا(عليه السلام) الفصل الثاني:

مراحل حياة الإمام الرضا(عليه السلام) الفصل الثالث:

الإمام الرضا في ظل أبيه الكاظم(عليهما السلام)

ص: ٤٣

انحدر الإمام على بن موسى الرضا (عليه السلام) من سلاله طاهره مطهره، ارتقت سلم المجد و الكمال، و كان ابناؤها قمه فى جميع مقومات الشخصية الإنسانية؛ فى الفكر و العاطفه و السلوك، فهم نجوم متألقه فى المسيره الإنسانية، و القدوه الشامخه فى تاريخ الإسلام، استسلموا لله و اقتدوا برسول الله (صلى الله عليه و اله) و كانوا عدلا للقرآن الكريم.

أبوه الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) الوارث لجميع الخصال و المآثر الحميده كما وصفه ابن حجر الهيثمى قائلا: «وارث أبيه علما و معرفه و كمالا و فضلا، سمي الكاظم لكثرة تجاوزه و حلمه، و كان معروفا عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله، و كان أعبد أهل زمانه و أعلمهم و أسخاهم» (١).

و أمه أم ولد سميت بأسماء عديده منها: نجمه، و أروى، و سكن، و سمان، و تكتم، و هو آخر أساميها (٢)، و لما ولدت الرضا (عليه السلام) سماها

ص: ٤٥

١- (١) الصواعق المحرقة: ٣٠٧.

٢- (٢) عيون أخبار الرضا: ١٧/١.

الإمام الكاظم (عليه السلام) بالطاهره (١).

ولد (عليه السلام) في مدينة رسول الله (صلى الله عليه و اله) سنة (١٤٨ هـ) (٢)، و قيل سنة (١٥١ هـ) و قيل: (١٥٣ هـ) (٣)، و القول الأول هو الأشهر (٤).

و حينما ولد هنأ أبوه أمه قائلاً لها: «هنئنا لك يا نجمة كرامه ربك»، فناولته إياه في خرقة بيضاء، فأذن في اذنه اليمنى و أقام في اليسرى، و دعا بماء الفرات فحنكه به، ثم قال: «خذيه، فإنه بقيه الله تعالى في أرضه» (٥)، و سمّاه باسم جدّه أمير المؤمنين (عليه السلام).

و قد لُقّب باللقاب كريمه أشهرها: الرضا، الصابر، الزكي، الوفي، سراج الله، قره عين المؤمنين، مكيد الملاحدين، الصديق، و الفاضل (٦).

و أشهر كناه: أبو الحسن. و للتمييز بين الإمام الكاظم (عليه السلام) و الرضا (عليه السلام) يقال للأب: أبو الحسن الماضي، و للأبن: أبو الحسن الثاني (٧).

ولد (عليه السلام) بعد ستة عشر عاماً من سقوط الدولة الاموية و تأسيس الدولة العباسية، في ظروف اتسع فيها الولاء لأهل البيت (عليهم السلام) و تجذرت مفاهيمهم في عقول الاغلبية العظمى من المسلمين، و كان التعاطف معهم قائماً على قدم و ساق، و ذلك واضح من حوار هارون العباسي مع الإمام الكاظم (عليه السلام) حيث قال له: أنت الذي تبايعك الناس سرّاً؟ فأجاب (عليه السلام): «أنا إمام

ص: ٤٦

١- (١) عيون أخبار الرضا: ١٥/١.

٢- (٢) الوافي بالوفيات: ٢٢/٢٤٨.

٣- (٣) شذرات الذهب: ٦/٢.

٤- (٤) الحياه السياسيّه للإمام الرضا: ١٤٠.

٥- (٥) عيون أخبار الرضا: ٢٠/١.

٦- (٦) حياه الإمام علي بن موسى الرضا: ٢٣/١-٢٥.

٧- (٧) حياه الإمام علي بن موسى الرضا: ١٢٥/١.

و كانت الأنظار متوجهة الى الوليد الجديد الذى سيكون له شأن فى المسيره الإسلاميه؛ لترعرعه فى أحضان العلم و الفضائل و المكارم.

و كان الرضا(عليه السّلام) كثير الرضاع، تام الخلق، فقالت أمّه: أعينونى بمرضع، فقيل لها: أنقص الدرّ؟! فقالت: ما أكذب، و الله ما نقص الدرّ، و لكن على ورد من صلاتى و تسبيحى، و قد نقص منذ ولدت (٢).

و فى ظلّ المكارم و المآثر ترعرع الإمام الرضا(عليه السّلام)، و تجسّدت فيه جميع القيم الصالحه بعد أن نهلها من المعين الزاخر بالتقوى و الاخلاص و السيره الصالحه مقتديا بأبيه الكاظم للغيظ و أجداده العظام، و كان الإمام الكاظم(عليه السّلام) يحيطه برعايه فائقه و عنايه خاصه.

فعن المفصّل بن عمر قال: «دخلت على أبى الحسن موسى بن جعفر(عليه السّلام)، و على ابنه فى حجره، و هو يقبله و يمصّ لسانه و يضعه على عاتقه و يضمه اليه، و يقول: بأبى أنت و أمى ما أطيب ريحك و أطهر خلقك و أبين فضلك! قلت: جعلت فداك لقد وقع فى قلبى لهذا الغلام من المودّه ما لم يقع لأحد إلاّ لك، فقال(عليه السّلام): يا مفضل هو منى بمنزلتى من أبى(عليه السّلام) ذريه بعضها من بعض و الله سميع عليم، قلت: هو صاحب هذا الأمر من بعدك؟ قال: نعم» (٣).

و كان الإمام الكاظم(عليه السّلام) يحيط ابنه الرضا(عليه السّلام) بالمحبه و التقدير و التكريم و يخاطبه بلقبه و كنيته، فعن سليمان بن حفص المروزى قال: «كان موسى بن جعفر بن محمد...يسمى ولده عليا(عليه السّلام): الرضا، و كان يقول: «ادعوا

١- ((١)) الصواعق المحرقة: ٣٠٩.

٢- ((٢)) عيون أخبار الرضا: ٢٤/١.

٣- ((٣)) عيون أخبار الرضا: ٣٢/١.

الى ولدى الرضا، وقلت لولدى الرضا، وقال لى ولدى الرضا، و إذا خاطبه قال له:

يا أبا الحسن» (١).

و كان يلهج بذكره و يثنى عليه و يذكر فضله ليوجه الأنظار إلى دوره الرائد فى المستقبل القريب و كان يبتدىء بالثناء على ابنه على و يطريه، و يذكر من فضله و بزه ما لا يذكر من غيره، كأنه يريد أن يدلّ عليه (٢).

ص: ٤٨

١- (١) عيون أخبار الرضا: ١٤/١.

٢- (٢) عيون أخبار الرضا: ٣٠/١.

الفصل الثانی: مراحل حیاة الإمام الرضا (علیه السلام)

تنقسم حیاة الإمام الرضا (علیه السلام) إلى قسمین رئیسین کحیاة سائر الائمة الأطهار (علیهم السلام).

القسم الأول: مرحله ما قبل التصدی للإمامه و استلام زمام القيادة الربانیة.

القسم الثانی: مرحله التصدی للقيادة الشرعیة حتی الشهادة.

و ینقسم کل قسم منهما إلى مراحل متعددة حسب طبیعه الظروف التي تکتنف حیاة کل واحد منهم.

و الإمام الرضا (علیه السلام) قد عاش فی کنف أبيه حوالي ثلاثین سنة على أقل التقادیر، و ستّة و ثلاثین سنة على أكبر التقادیر. و هی مرحله ما قبل التصدی للإمامه.

و خلالها عاصر كلا من المنصور و المهدي و الهادي و الرشید.

و تبدء هذه المرحلة بولادته سنة (١٤٨ هـ) حتى استشهاده أبيه فی سنة (١٨٣ هـ).

و بعد التصدی للإمامه بعد استشهاده أبيه عاصر كلا من هارون الرشید

و محمد الأمين و عبد الله المأمون.

و كانت ولايه عهده فى عهد المأمون.

و من هنا أمكن تقسيم هذه الفتره الى مرحلتين متميزتين:

١-مرحلة التصدى للإمامه الإلهيه حتى ولايه العهد.

٢-مرحلة قبول ولايه العهد قسرا حتى الشهاده فى سبيل الله.

و بهذا تصبح حياه الإمام الرضا(عليه السلام) ذات مراحل ثلاث:

المرحلة الأولى: من الولاده حتى استشهاد والده الإمام الكاظم(عليه السلام) سنة (١٨٣ هـ).

المرحلة الثانية: تبدأ باستشهاد والده سنة (١٨٣ هـ) و تنتهى بولايه العهد سنة (٢٠٠ هـ).

المرحلة الثالثة: تبدأ بفرض ولايه العهد عليه سنة (٢٠٠ هـ) و تنتهى بقتله على يد المأمون العباسى سنة (٢٠٣ هـ).

ص: ٥٠

إشاره

الإمام الرضا في ظلّ أبيه الكاظم (عليهما السلام)

في المرحله التاريخيه التي عاشها الإمام الرضا مع أبيه (عليهما السلام) برزت عدّه ظواهر كانت ذات تأثير على نشاط و مواقف الإمام الرضا (عليه السلام) أثناء تصديده للإمامه. و نشير الى أهمها كما يلي:

١- الانحراف الفكري و الديني: لقد تعددت التيارات المنحرفه في تلك الفتره مثل تيار المشبهه و المجسّمه و المجبره و المفوضه، و تيار القياس و الاستحسان و الرأي، و حابي بعض الفقهاء الحكام الطغاه فكانت هذه الفتره خطيره جدّا إذ كانت الأجواء مليئه بالاختلافات الفقهيّه و التوتر السياسي الخائق.

٢- الفساد الاخلاقي و المالي: و عاصر الإمام الرضا (عليه السلام) و هو في ظلّ أبيه حكّاما يتلاعبون بأموال المسلمين و يرونها ملكا لهم، لا يردعهم أيّ تشريع أو نقد و إنما كان الإنفاق قائما على أساس هوى الحاكم العباسي و رغباته الشخصيه أو رغبات زوجاته و إمامته (١).

و قد خلّف المنصور عند وفاته ستمائه ألف ألف درهم و أربعة عشر ألف

ص: ٥١

و دخل مروان بن أبي حفصه على المهدي العباسي فأنشده شعرا مدح فيه بنى العباس و ذم أهل البيت (عليهم السّلام) فأجازه سبعين ألف درهم (٢).

و أرسل عبد الله بن مالك الى المهدي جاريه مغنيه فأرسل إليه أربعين ألفا (٣).

و كان الرشيد مولعا بالشراب مع جعفر البرمكي و مع اخته العباسه بنت المهدي، و كان يحضرها إذا جلس للشرب، ثم يقوم من مجلسه و يتركهما يشملان من الشراب (٤).

٣- الفساد السياسي: و شاهد الإمام كيفيه تعامل العباسيين مع الخلافه حيث كانوا يفهمونها على أنها موروثه لهم من قبل رسول الله (صلى الله عليه و اله) عن طريق عمه العباس، و أتبعوا اسلوب الاستخلاف دون النظر الى آراء المسلمين و لم يرجعوا الى أهلها الشرعيين الذين نصبهم الرسول (صلى الله عليه و اله) بأمر من الله تعالى.

و أخضع العباسيون القضاء لسياستهم فاستخدموا الدين ستارا يموّهون به على الناس إذ أشاعوا أنّهم الولاه من قبل الله تعالى فلا يجوز للناس نقدهم أو محاسبتهم.

٤- تعاطف المسلمين مع أهل البيت (عليهم السّلام): و عاش الإمام الرضا (عليه السّلام) روح المودّه و التآلف و الموالاته مع أهل البيت (عليهم السّلام) و هي ثمره جهود آبائه السابقين (عليهم السّلام) (٥).

ص: ٥٢

١- (١) مروج الذهب: ٣٠٨/٣.

٢- (٢) تاريخ الطبري: ١٨٢/٨.

٣- (٣) تاريخ الطبري: ١٨٥/٨.

٤- (٤) تاريخ الطبري: ٢٩٤/٨.

٥- (٥) تاريخ العلويين، محمد أمين غالب الطويل: ٢٠٠.

و اعترف بهذا هارون الرشيد نفسه حيث قال للإمام الكاظم (عليه السلام): أنت الذى تبايعك الناس سرًا (١).

كما عاش الإمام الرضا (عليه السلام) أساليب الرشيد الماكره و استدعاءاته المتكرره لأبيه الكاظم (عليه السلام) و سجنه الطويل الذى أدى الى اغتياله.

٥- الحركات المسلّحه: و من الظواهر المهمّه البارزه فى حياه الإمام الرضا مع أبيه كثره الثورات المسلّحه التى استمرت طول الفتره التى نشأ فيها فى كنف أبيه (عليه السلام)، فمن الثورات المهمه ثوره الحسين بن على بن الحسن بن الإمام الحسن (عليه السلام) المعروف بصاحب فخ الذى قاد ثوره مسلّحه ضد والى العباسى فى المدينه و التى انتهت بمقتل الحسين و أهل بيته رضوان الله تعالى عليهم.

و استمرت المعارضه المسلّحه ضد الحكم العباسى ففى سنه (١٧٦ هـ) خرج يحيى بن عبد الله بن الحسن، فبعث هارون آلاف الجنود لقتاله ثم أعطاه الأمان و حبسه فمات فى الحبس (٢).

لقد كانت هذه الثورات انعكاسا طبيعيا للسياسه العباسيه الظالمه.

هذا ملخص لأهمّ الأحداث التى برزت فى حياه الإمام الرضا (عليه السلام) و هو فى ظلّ أبيه الكاظم (عليه السلام) لنرى كيف واجهها الإمام (عليه السلام) فيما بعد و كيف مارس مسؤولياته وقت تصدّيه للإمامه فى بحوث قادمه إن شاء الله تعالى.

الإمام الكاظم و التمهيد لإمامه الرضا (عليه السلام)

حدّد رسول الله (صلّى الله عليه و اله) إحدى مسؤوليات الإمام بقوله: «فى كل خلف من امتى عدول من أهل بينى ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين، و انتحال المبطلين،

ص: ٥٣

١- ((١)) الصواعق المحرقة: ٣٠٩.

٢- ((٢)) الصواعق المحرقة: ٣٠٩.

و تأويل الجاهلين...» (١).

و الإمام الرضا (عليه السّلام) باعتباره أحد ائمه أهل البيت المعصومين (عليه السّلام) مكلف بهذه المسؤوليه، و تتأكد هذه المسؤوليه حينما يتصدى بالفعل لإمامه المسلمين، أمّا فى ظل إمامه والده الإمام الكاظم (عليه السّلام) فإن مسؤوليته تكون تبعاً لمسؤوليه الإمام المتصدى، و المتصدى هو الاولى بتحمّل الأعباء و التكاليف، و يبقى غيره صامتا إلا فى حدود خاصه، و فى هذا الصدد أجاب الإمام جعفر الصادق (عليه السّلام) عن سؤال حول تعدد الائمة فى وقت واحد، فقال: «لا، إلا و أحدهما صامت» (٢).

ففى عهد الإمام الكاظم (عليه السّلام) كان الإمام الرضا (عليه السّلام) صامتا بمعنى عدم تصديّه للإمامه، و عدم اتخاذ المواقف بشكل مستقل و اتباع مواقف الإمام المتصدى بالفعل لمنصب الامامه، و الصمت لا يعنى التوقف عن العمل الاصلاحى و التغييرى داخل الامه، فقد كان (عليه السّلام) يعمل و يتحرك داخل الامه تبعاً لمسؤوليته المحدده له، فكان (عليه السّلام) ينشر المفاهيم و القيم الاسلاميه، و يردّ على الاسئله العقائديه و الفقهيّه و كان يفتى فى مسجد رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و هو ابن نيف و عشرين سنه (٣).

و قال الذهبي: أفتى و هو شاب فى أيام مالك (٤).

و كان يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر فى عهد إمامه والده (عليه السّلام)، كما كان يروى عن والده و عن أجداده، و ينشر أحاديث أهل البيت (عليه السّلام) و سنّه

ص: ٥٤

١- (١) الصواعق المحرقة: ٢٣١.

٢- (٢) الكافي: ١٧٨/١.

٣- (٣) تهذيب التهذيب: ٣٣٩/٧.

٤- (٤) سير أعلام النبلاء: ٣٨٨/٩.

رسول الله (صلى الله عليه و اله).

و روى عنه جماعه من الرواه منهم: أبو بكر أحمد بن الحباب الحميرى، و داود بن سليمان بن يوسف الغازى، و سليمان بن جعفر و آخرون (١).

و كان الإمام الكاظم (عليه السلام) يوجه الأنظار اليه و يرجع أصحابه إليه، و مما قاله بحقه:

«هذا ابني كتابه كتابى، و كلامه كلامى، و قوله قولى، و رسوله رسولى، و ما قال فالقول قوله» (٢).

و كان يقول لبنيه: «هذا أخوكم على بن موسى عالم آل محمد فسلوه عن أديانكم و احفظوا ما يقول لكم» (٣).

و كان (عليه السلام) يهتء الأجرء للإمام الرضا (عليه السلام) ليقوم بالأمر من بعده، و مما قاله لعلى بن يقطين: «يا على بن يقطين هذا على سيد ولدى أما إنه قد نحلته كنىتى» (٤).

الوصية بالإمامه

الإمامه مسؤوليه إلهيه كبيره و لذا فهى لا تكون إلا بتعيين و نصب من الله و نص من رسول الله (صلى الله عليه و اله) و لا اختيار للمسلمين فيها لعدم قدرتهم على تشخيص الإمام المعصوم الذى أكد الله عصمته بقوله تعالى: لا يَنالُ عَهْدِي

ص: ٥٥

١- ((١)) تهذيب الكمال: ١٤٨/٢١.

٢- ((٢)) اصول الكافى: ٣١٢/١، و عيون أخبار الرضا: ٣١/١، و الارشاد: ٢٥٠/٢ و الغيبة للطوسى: ٣٧. و روضه الواعظين: ٢٢٢/١، الفصول المهمه: ٢٤٤

٣- ((٣)) اعلام الورى: ٦٤/٢ و عنه فى كشف الغمه: ١٠٧/٣ و عنهما فى بحار الأنوار: ١٠٠/٤٩.

٤- ((٤)) الارشاد: ٢٤٩/٢ و عنه فى اعلام الورى: ٤٣/٢ و عن الارشاد فى كشف الغمه: ٦٠/٣ و عن العيون فى بحار الأنوار: ١٣/٤٩.

الظَّالِمِينَ (١)، وقد أكدت الروايات النبويّة على هذه الحقيقة، ومنها ما صرّح به رسول الله (صلى الله عليه و اله) في بدايه الدعوه بقوله: «انّ الأمر لله يضعه حيث يشاء» (٢).

و صرّح رسول الله (صلى الله عليه و اله) في غير مرّه بأنّ الائمة اثني عشر و أنّ جميعهم من قریش، و قد ورد النص على ذلك بألفاظ عديده (٣). و وردت روايات تؤكد أن الائمة من بنى هاشم و من تلك النصوص قول رسول الله (صلى الله عليه و اله): «بعدي اثني عشر خليفة... كلهم من بنى هاشم» (٤).

و وردت روايات عديده لتفسّر بنى هاشم بعلي بن ابي طالب (عليه السلام) و أولاده، ثم تحصرها بالحسين (عليه السلام) و ذريته (٥).

و وردت روايات عديده عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) ذكر فيها اسماء الائمة الاثني عشر، بعضه عام و بعضها خاص، و من هذه الروايات قول رسول الله (صلى الله عليه و اله):

«الائمة من بعدي اثنا عشر، أولهم علي و رابعهم عليّ و ثامنهم علي...» (٦).

و على ضوء ذلك فإن الإمامه تعين بالوصيه، فكل امام يوصى الى الإمام من بعده بعهد معهود من رسول الله (صلى الله عليه و اله) يتناقله كل امام عن الإمام قبله.

قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «أ ترون الأمر الينا نضعه حيث نشاء! كلاً و الله إنّ لعهد معهود من رسول الله (صلى الله عليه و اله) الى رجل فرجل، حتى ينتهي الى صاحبه» (٧).

و في خصوص تعيين الإمام الرضا (عليه السلام) إماماً للمسلمين، فإنّ الإمام الكاظم (عليه السلام) قد نصّ عليه تلميحاً و تصريحاً لخاصه أصحابه ليقوموا بدورهم

ص: ٥٦

١- (١) البقره (٢): ١٢٤.

٢- (٢) تاريخ الطبري: ٣٥٠/٢، السيره الحلبيه: ٣/٢، السيره النبويه لابن كثير: ١٥٩/٢.

٣- (٣) مسند أحمد: ٦٥٧/١، سنن ابي داود: ١٠٦/٤، سنن الترمذي: ٥٠١/٤، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١١، كنز العمال: ٣٢/١٢.

٤- (٤) ينابيع الموده: ٣٠٨/١، موده القربى: ٤٤٥، احقاق الحق: ٣٠/١٣.

٥- (٥) كفايه الاثر: ٣٥، ٢٩، ٢٣.

٦- (٦) جامع الأخبار: ٦٢.

٧- (٧) بحار الأنوار: ٧٠/٢٣، عن الصدوق في كمال الدين.

فى إثبات امامته فى الامه، و لم يعلن عن إمامته أمام الملائم لأن ظروف الملاحقه و المطارده من قبل السلطه العباسيه كانت تحول دون ذلك.

و قد تظافت النصوص على تعيين الإمام الكاظم (عليه السلام) لابنه الإمام الرضا (عليه السلام) اماما و قائما بالأمر من بعده.

فعن نعيم بن قابوس قال: قال لى ابو الحسن (عليه السلام): «على ابني اكبر ولدى و أسمعهم لقولى و أطوعهم لأمرى، ينظر معى فى كتاب الجفر و الجامعه، و ليس ينظر فيه إلا نبي أو وصى نبي» (١).

و قد صرح (عليه السلام) بامامته منذ نشأته الأولى، ففى روايه قال المفضل بن عمر للإمام الكاظم (عليه السلام): «جعلت فداك لقد وقع فى قلبى لهذا الغلام من الموده ما لم يقع لأحد إلا لك، فقال: يا مفضل هو منى بمنزلتى من أبى (عليه السلام) ذريه بعضها من بعض و الله سميع عليم، قلت: هو صاحب هذا الأمر من بعدك؟ قال: نعم» (٢).

الوصيه فى المراحل الاولى (١٥٠-١٧٨ هـ)

فى المراحل الاولى من تصدى الإمام الكاظم (عليه السلام) للإمامه نجده يوصى بإمامه ولده على الرضا (عليه السلام) لخاصه اصحابه و للثقات الذين يحفظون الاسرار و لا ييوجون بها فى المحافل العامه، و كان يصرح أحيانا و يلمح اخرى.

فعن داود بن رزين قال: «حملت الى ابى ابراهيم مالا فأخذ منى بعضه، و رد على الباقي، فقلت له: جعلت فداك لم رددت على هذا، فقال: امسكه حتى يطلبه منك صاحبه بعدى، فلما مضى موسى (عليه السلام) بعث الى الرضا (عليه السلام) أن:

ص: ٥٧

١- (١) اصول الكافى: ٣١١/١ ح ٢ و عيون أخبار الرضا: ٣١/١ و الارشاد: ٢٤٩/٢ عن الكلينى، و عنه الطوسى فى الغيبه: ٣٦.

٢- (٢) عيون أخبار الرضا: ٣٢/١.

هات المال الذى قبلك فوجهت به إليه» (١).

فالإمام فى هذه الروايه لم يصرح لداود باسم الإمام الموصى اليه و إنما جعل الأمر لولده الرضا(عليه السلام) ليؤكد له إمامته فيما بعد.

و كان الإمام الكاظم(عليه السلام) يجمع بين التلميح و التصريح على امامه الرضا(عليه السلام) فى قول واحد لاختلاف المستويات الفكرية و العقلية فى درجه التلقى و الادراك.

فعن على بن عبد الله الهاشمى قال: «كنا عند القبر-أى قبر رسول الله(صلى الله عليه و اله)-نحو ستين رجلا منا و من موالينا، إذ أقبل أبو ابراهيم موسى ابن جعفر(عليه السلام) و يد على ابنه فى يده، فقال: أتدرون من أنا؟ قلنا: أنت سيدنا و كبيرنا، فقال: سموني و انسبوني، فقلنا: انت موسى بن جعفر بن محمد، فقال:

من هذا معى؟ قلنا: هو على بن موسى بن جعفر، قال: فاشهدوا أنه و كيلي فى حياتى و وصيى بعد موتى» (٢).

و هذا النص هو نص بالامامه و هو فى نفس الوقت قابل للتفسير الظاهرى و هو الوصيه العاديه للأب الى الابن، جعله الإمام(عليه السلام) من الالفاظ المتشابهه بسبب سوء الاوضاع السياسيه من إرهاب و ملاحقه و كبت للحريات.

و كان الإمام الكاظم(عليه السلام) يعلن إمامه الرضا(عليه السلام) أمام بعض الافراد أحيانا، و أمام تجمع من اصحابه و أهل بيته أحيانا اخرى تبعا لمتطلبات الظروف.

ص: ٥٨

١- (١) اصول الكافي: ٣١٣/١، و اختبار معرفه الرجال: ٣١٣، و الارشاد: ٢٥١/١، ٢٥٢، و عنه فى اعلام الورى: ٤٧/٢ و كشف الغمه: ٦٢، ٦١/٣، و الغيبه للطوسى: ٩٣ ح ١٨، و بحار الأنوار: ٢٥/٤٩.

٢- (٢) عيون أخبار الرضا: ٢٧/١.

فعن داود بن كثير الرقى، قال: «قلت لموسى الكاظم (عليه السلام) جعلت فداك انى قد كبرت سنّى فخذ بيدي و أنقذنى من النار، من صاحبنا بعدك؟ فأشار الى ابنه أبى الحسن الرضا، فقال: هذا صاحبكم بعدى» (١).

و عن حيدر بن أيوب قال: كُنّا بالمدينه فى موضع يعرف بالقبا فيه محمد بن زيد بن على، فجاء بعد الوقت الذى كان يجيئنا فيه، فقلنا له: جعلنا الله فداك ما حبسك؟ قال: دعانا ابو ابراهيم (عليه السلام) اليوم سبعة عشر رجلا من ولد على و فاطمه (عليهما السلام)، فأشهدنا لعلّى ابنه بالوصيه و الوكاله فى حياته و بعد موته، و أنّ أمره جاز على و له.

ثم وضح محمد بن زيد مقصود الإمام (عليه السلام) فقال: و الله يا حيدر لقد عقد له الامامه اليوم...» (٢).

و كان يستعمل لتثبيت إمامته ألفاظا واضحه لا تحتاج الى تأويل، فعن عبد الله بن الحارث و امه من ولد جعفر بن أبى طالب انه قال: «بعث إلينا أبو ابراهيم (عليه السلام) فجمعنا ثم قال: أتدرون لم جمعتمكم؟ قلنا: لا، قال: اشهدوا أنّ عليا ابني هذا وصيى و القيم بأمرى و خليفتى من بعدى... و من لم يكن له بد من لقائى فلا يلقنى إلا بكتابه» (٣).

هذا فى اجتماعاته الخاصه بينما كان لا- يصرح بذلك فى التجمعات العامه و انما يأتى بالفاظ متشابهه و يترك للمجتمعين حريه التأويل و التفسير لكلامه.

ص: ٥٩

١- ((١)) الفصول المهمه: ٢٤٣-٢٤٤.

٢- ((٢)) عيون أخبار الرضا: ٢٨/١.

٣- ((٣)) اصول الكافي: ٣١٢/١، و فى عيون أخبار الرضا: ٢٧/١ و الارشاد: ٢٥٠/٢، ٢٥١ عن الكليني و عنه فى اعلام الورى: ٤٥/٢ و الطوسى فى الغيبه: ٣٧ و عنها جميعا فى بحار الأنوار: ١٦/٤٩.

قال حسين بن بشير: «أقام لنا أبو الحسن موسى بن جعفر (عليهما السّلام) ابنه عليا (عليه السّلام) كما أقام رسول الله (صلى الله عليه و اله) عليا (عليه السّلام) يوم غدير خم، فقال: يا أهل المدينة أو يا أهل المسجد هذا وصي من بعدى» (١).

و فى روايه اخرى قال عبد الرحمن بن الحجاج: أوصى ابو الحسن موسى بن جعفر (عليهما السّلام) الى ابنه عليّ (عليه السّلام)، و كتب له كتابا أشهد فيه ستين رجلا من وجوه أهل المدينة (٢).

و فى سنة (١٧٨ هـ) أخبر محمد بن سنان بوصيته بامامه ابنه على الرضا (عليه السّلام) (٣).

الوصيه فى مرحله الاعتقال

لقد اعتقل الإمام الكاظم (عليه السّلام) فى سنة (١٧٩ هـ) قبل الترويه بيوم، أى فى اليوم السابع من ذى الحجه سنة (١٧٩ هـ) على روايه، و فى يوم (٢٧) رجب سنة (١٧٩ هـ) كما فى روايه أخرى (٤).

و بعد خمسين يوما من اعتقاله دخل اسحاق و على ابنا عبد الله بن الإمام جعفر الصادق (عليه السّلام) على عبد الرحمن بن أسلم و هو فى مكه و معهما كتاب الإمام الكاظم (عليه السّلام) بخطه فيه حوائج قد أمر بها، فقالا: إنه أمر بهذه الحوائج من هذا الوجه، فاذا كان من أمره شىء فادفعه الى ابنه

ص: ٦٠

١- (١) عيون أخبار الرضا: ٢٩/١.

٢- (٢) عيون أخبار الرضا: ٢٨/١.

٣- (٣) عيون أخبار الرضا: ٣٢/١.

٤- (٤) بحار الأنوار: ٢٠٦/٤٨-٢٠٧.

علیٰ فإنه خليفته و القيم بأمره (١).

و فى طريقه (عليه السّلام) الى سجن البصره أرسل على عبد الله بن مرحوم فدفع اليه كتباً و أمره ان يوصلها الى ابنه عليّ و قال له: فإنه وصيى و القيم بأمرى و خير بنى (٢).

و من داخل سجن البصره أرسل كتباً الى أصحابه يوصى بها الى ابنه الإمام الرضا (عليه السّلام):

فعن الحسين بن مختار قال: خرجت إلينا ألواح من أبى الحسن (عليه السّلام) - و هو فى الحبس - عهدى الى أكبر ولدى (٣).

فى سنة (١٨٠ هـ) - بناء على روايه بقاء الإمام سنة فى البصره - وصل الإمام الكاظم (عليه السّلام) الى بغداد، فدخل عليه على بن يقطين فوجد عنده عليّ الرضا (عليه السّلام) فقال له: «يا على بن يقطين هذا عليّ سيّد ولدى، أما إنى قد نحلته كنيته».

و حينما حدّث هشام بن الحكم بذلك قال له هشام: أخبرك أنّ الأمر فيه من بعده (٤).

و فى الفتره بين سنة (١٨١ هـ) و سنة (١٨٣ هـ) كتب من الحبس الى عليّ ابن يقطين: «ان ابنى سيد ولدى و قد نحلته كنيته» (٥).

ص: ٦١

١- (١) عيون أخبار الرضا ٣٩/١.

٢- (٢) عيون أخبار الرضا: ٢٧/١.

٣- (٣) الكافي: ٣١٢/١، و عيون أخبار الرضا: ٣٠٠/١، و الارشاد: ٢٥٠/٢ عن الكليني و عنه فى الغيبة للطوسى: ١٢/٣٦ و اعلام الورى: ٤٦/٢ و عن الارشاد فى كشف الغمه: ٦١/٣ و عن الارشاد و الاعلام و الغيبة فى بحار الأنوار: ٢٤/٤٩.

٤- (٤) الكافي: ٣١١/١ و عنه فى الارشاد: ٢٤٩/٢ و عيون أخبار الرضا: ٢١/١، و الغيبة للطوسى: ٣٥.

٥- (٥) الكافي: ٣١٣/١، يبدو أن الإبهام من الراوى فى ظرف نقل الخبر باعتبار حراجه الظرف و المقصود به الامام الرضا (عليه السّلام) فالنص هكذا: إنّ عليا ابنى سيّد ولدى.

إن الظروف التي عاشها الإمام الكاظم(عليه السلام) كانت تستدعي الكتمان و السريه في القرار و الموقف السياسي و خصوصا فيما يتعلق بالامام من بعده لذا نرى أنه كان يتكتم في إعلان ذلك، و لكنه كان قد عيّن زمنا خاصا للامام الرضا(عليه السلام) لإعلان إمامته(عليه السلام).

فعن يزيد بن سليط الزيدى قال: «لقينا أبا عبد الله(عليه السلام) في طريق مكة و نحن جماعه، فقلت له: بأبي أنت و أمي أنتم الأئمه المطهرون و الموت لا يعرى أحد منه، فأحدث الّى شيئا ألقيه الى من يخلفنى، فقال لى: نعم هؤلاء ولدى و هذا سيدهم— و اشار الى ابنه موسى(عليه السلام)—ثم لقيت أبا الحسن بعد، فقلت له: بأبي أنت و أمي أريد أن تخبرنى بمثل ما أخبرنى به أبوك، قال:

كان أبى فى زمن ليس هذا مثله،...انى خرجت من منزلى فأوصيت فى الظاهر إلى بنى فاشركتهم مع ابنى على و أفردته بوصيتى فى الباطن...يا يزيد أنّها وديعه عندك، فلا- تخبر بها إلا عاقلا أو عبدا امتحن الله قلبه للإيمان أو صادقا...و ليس له ان يتكلم إلا بعد هارون بأربع سنين، فإذا مضت أربع سنين فاسأله عما شئت يجيبك إن شاء الله تعالى» (١).

ص: ٦٢

الباب الثالث

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

الإمام الرضا(عليه السلام)و محنه أبيه الكاظم(عليه السلام)

الفصل الثاني:

مظاهر الانحراف فى عصر الإمام الرضا(عليه السلام)

الفصل الثالث:

دور الإمام الرضا(عليه السلام)قبل ولايه العهد

ص: ٦٣

إشاره

الإمام الرضا (عليه السلام) و محنه أبيه الكاظم (عليه السلام)

أدرك هارون الرشيد عمق الارتباط بين الإمام الكاظم (عليه السلام) و المسلمين، و وجد أنّ القاعده الشيعيه للإمام (عليه السلام) تتوسّع بمرور الزمن، فما دام الإمام حيّاً فإنّ المسلمين يقارنون بين منهجين: منهج الإمام الكاظم (عليه السلام) و منهج هارون، و بالمقارنه يشخّصون النهج السليم المستقيم عن النهج المنحرف.

و من هنا أدرك خطوره بقاء الإمام (عليه السلام) حرّاً نشيطاً، فأخذ يخطط لسجنه، و تجميد نشاطه و المنع من تأثيره في المسلمين.

إضافه الى ذلك فإنّ مواجهه الإمام (عليه السلام) له في أكثر من موقف و اعتراضه عليه أمر لا يمكن لشخصيه مثل هارون أن تسكت عنه، كما لم يسكت الإمام على تصرفات هارون العدوانيه على الأئمه الاسلاميه و شريعته سيد المرسلين، و تجلت المعارضه و المواجهه في مواقف و ممارسات لم يستطع هارون استيعابها، فحينما قال له: يا أبا الحسن حدّ فذك حتى أردّها عليك، فأجابه: «لا آخذها إلا بحدودها»، و قد حدّدها له ب«عدن، و سمرقند، و افريقيه، و سيف البحر مما يلي الخزر و أرمينيه»، و قد وضّح الإمام (عليه السلام) بأنّ فذكا هي الخلافه

المغتصبه، و عند ذلك عزم على قتله (١).

و سلم هارون على رسول الله (صلى الله عليه و اله) عند قبره قائلاً: السلام عليك يا رسول الله يا ابن العم، فقال الإمام الكاظم (عليه السلام): «السلام عليك يا ابيه»، فقال هارون: هذا هو الفخر. ثم لم يزل ذلك في نفسه حتى استدعاه في سنة (١٦٩ هـ) و سجنه فأطال سجنه (٢) ثم أفرج عنه بعد ذلك.

و ادخل الإمام الكاظم (عليه السلام) على هارون مرّة، فقال له ما هذه الدار؟ فقال (عليه السلام): «هذه دار الفاسقين» (٣).

و كثرت الوشايات ضد الإمام (عليه السلام) عند هارون تحرضه عليه و كانت منها و شايه يحيى البرمكى حيث قال له: إنّ الاموال تحمل إليه من المشرق و المغرب، و أنّ له بيوت أموال (٤).

فقام هارون باعتقال الإمام (عليه السلام) سنة (١٧٩ هـ) و بقى في سجن البصره سنه كامله كما تقدم.

و فى سنة (١٨٠ هـ) سجن ببغداد، و نقل من سجن الى آخر حتى اغتاله أحد عملائه و هو فى السجن.

و كان الإمام الرضا (عليه السلام) يزوره فى السنين الاولى من سجنه كما هو المستفاد من روايه على بن يقطين حول الوصيه له (٥).

و أمر الإمام الكاظم (عليه السلام) الإمام الرضا (عليه السلام) أن: «ينام على بابه فى كل ليله ما كان حياً الى أن يأتيه خبره، فمكث على هذه الحاله أربع سنين، فلما

ص: ٦٦

١- (١) ربيع الأبرار: ٣١٦/١ و عنه فى تذكره الخواص: ٣١٤.

٢- (٢) البدايه و النهايه: ١٨٣/١٠.

٣- (٣) الاختصاص: ٢٦٢ و عنه فى بحار الانوار: ١٥٦/٤٨.

٤- (٤) مقاتل الطالبين: ٤١٥.

٥- (٥) الكافى: ٣١١/١.

كان ليله من الليالي أبطاً عن فراشه و لم يأت فاستوحش العيال، فلما كان من الغد أتى الدار و دخل الى العيال و قصد الى أم أحمد زوجته أبيه، فقال لها: هات التي أودعك أبي، فصرخت و قالت: مات و الله سيدي، فكفها و قال لها: لا تكلمى بشيء و لا تطهره، حتى يجيئ الخبر الى الوالى (١).

و قد أوصل محمد بن الفضل الهاشمي خبر استشهاد الإمام الكاظم (عليه السلام) إلى الإمام الرضا (عليه السلام) بأمر منه و دفع اليه بعض الودائع لإرسالها اليه.

و فى اليوم نفسه ذهب محمد الى البصره ليبلغ خبر استشهاد الإمام (عليه السلام) ثم تبعه الإمام الرضا (عليه السلام) بعد ثلاثة أيام من وصوله، فأقر له بعض أهل البصره بالإمامه فرجع فى نفس اليوم إلى المدينة.

ثم أتجه الإمام الرضا (عليه السلام) إلى الكوفة و التقى بأتباع أبيه ثم عاد إلى المدينة (٢).

و لما شاع خبر رحيل الإمام الكاظم (عليه السلام) فى المدينة اجتمع أتباع أهل البيت (عليهم السلام) على باب أم أحمد، و اجتمعوا مع أحمد ابن الإمام الكاظم (عليه السلام) فذهب بهم إلى أخيه الإمام الرضا (عليه السلام) فبايعوه على الإمامه (٣).

و لم يتصد الإمام (عليه السلام) علنا لإمامه المسلمين، و إنما كان الأمر سرياً و لم يعلن عنه إلا بعد أربع سنين طبقاً لوصيه أبيه.

و قد عاش الإمام الرضا (عليه السلام) محنه أبيه و انتقالاته من سجن الى سجن حتى استشهاده و لم تكن الظروف ملائمه، و لم توجد مصلحة فى إعلان المعارضه، فبقى الإمام (عليه السلام) يتجرع الألم و مراره المحنه كاتما أنفاسه مراعيًا للظروف العصيبه التى تمر بالمسلمين عموماً و بأتباع أهل البيت (عليهم السلام) خصوصاً.

ص: ٦٧

١- (١) الكافي: ٣٨١/١-٣٨٢.

٢- (٢) الخرائج و الجرائح: ٣٤١/١ ح ١ و عنه فى بحار الأنوار: ٧٣/٤٩.

٣- (٣) المختار من تحفه العالم للسيد جعفر بحر العلوم، الملحق ببهار الأنوار: ٣٠٧/٤٨-٣٠٨.

لقد استشهد الإمام الكاظم مسموماً سنة (١٨٣ هـ) (١) و بايعاز من هارون الرشيد، وكان هارون يخشى تسرب خبر السم والاعتقال الى المجتمع الاسلامي. من هنا خطط لتفادي ذلك، وذلك حين جمع القواد والكتّاب والقضاة و بنى هاشم، ثم كشف عن وجه الإمام (عليه السلام) و قال: أترون أنّ به أثراً ما يدلّ على اغتيال؟ قالوا: لا (٢).

و أدخل السندي بن شاهك الفقهاء و وجوه أهل بغداد، ليتفحصوا في جثمانه، فنظروا إليه و لا أثر به من جراح أو خنق، و أشهدهم على أنه مات حتف أنفه، فشهدوا على ذلك، و أخرج الجثمان الطاهر و وضعه على الجسر ببغداد و نودي: هذا موسى بن جعفر قد مات فانظروا إليه (٣).

و بقيت الهواجس محيطه بهارون، حيث كان يحتمل أن تنفجر الأوضاع متمثلة في حركه شعبيه واسعة تهدد سلطانه، لذا اتخذ اسلوب التخفيف من محاصره الإمام الرضا (عليه السلام) و أهل بيته لامتناع النقمه الشعبيه و تقليل ردود الأفعال، و لم يتخذ أي إجراء متشدّد مع الإمام (عليه السلام)، و رفض الاستجابه لمن أراد منه قتله، كما نلاحظ في موقفه من عيسى بن جعفر حيث قال لهارون: اذكر يمينك التي حلفت بها في آل أبي طالب، فإنك حلفت إن ادعى أحد بعد موسى الإمامه ضربت عنقه صبراً، و هذا عليّ ابنه يدعى هذا الأمر، و يقال فيه ما يقال في أبيه، فنظر اليه مغضباً فقال: و ما ترى؟! تريد أن

ص: ٦٨

١- (١) مروج الذهب: ٣/٣٥٥.

٢- (٢) تاريخ يعقوبى: ٢/٤١٤.

٣- (٣) الارشاد: ٢/٢٤٢ و عنه في اعلام الورى: ٢/٣٤ و في كشف الغمه: ٣/٢٤.

أقتلهم كلهم؟! (١).

و حينما حرّضه خالد بن يحيى البرمكى على قتل الإمام الرضا (عليه السلام) قال هارون: يكفيننا ما صنعنا بأبيه، تريد أن نقتلهم جميعا؟! (٢).

إن موقف هارون هذا كان ناجما عن رغبته فى امتصاص النقمه الشعبيه أولاءو لم يلاحظ أى نشاط معارض لسلطانه من الإمام الرضا (عليه السلام) على الرغم من كثره الجواسيس و الوشائيات و شدّه المراقبه له.

التصدى للإمامه

و فى الفتره الواقعه بين سنه (١٨٣ هـ) الى سنه (١٨٧ هـ) لم يعلن الإمام الرضا (عليه السلام) عن إمامته، و لم يظهر له أى تحرّك علنى فى المدينه من خطب أو لقاءات عامّه، و لم يسجل عليه أى حضور فى المحافل العامه.

و قد أدرك هارون من خلال أخبار عيونه أنه كان بعيدا عن الأحداث، و هذا ظاهر من الروايه التاليه التى تقول:

«دخل أبو الحسن على بن موسى الرضا (عليه السلام) السوق، فاشترى كلبا و كبشا و ديكًا، فلما كتب صاحب الخبر إلى هارون بذلك، قال: قد أمنا جانبه» (٣).

و لم يصدّق هارون الأخبار الوارده عن غير طريق عيونه السريّه، كالخبر الذى أورده أحد أحفاد الزبير بن العوّام على هارون من أنه: قد فتح بابه و دعا الى نفسه، فقال هارون عند وصول الخبر: واعجبا من هذا! يكتب أنّ

ص: ٦٩

١- (١) عيون أخبار الرضا: ٢/٢٢٦.

٢- (٢) الفصول المهمه: ٢٤٥.

٣- (٣) عيون أخبار الرضا: ٢/٢٠٥.

على بن موسى (عليه السلام) قد اشترى كلبا و كبشا و ديكاً، و يكتب فيه ما يكتب (١).

فلم يلتفت إلى قول الزبيرى، و ترك الإمام الرضا (عليه السلام) و شأنه، إلى أن مضت أربع سنين من استشهاد الإمام الكاظم (عليه السلام) فقام الإمام الرضا (عليه السلام) بالأمر علنا عملا بوصيه من أبيه - كما تقدم - و كان ذلك فى سنة (١٨٧ هـ) و هى السنه التى قام فيها هارون بقتل البرامكه، و كان لقتلهم دور كبير فى خلخله الأوضاع السياسيه لأنهم كانوا أركان الحكومه و مشيدى صرحها، و بقتلهم انتهت أو خفت الوشايات على الإمام الرضا (عليه السلام) لأنهم كانوا من أشد المحرضين على قتل أهل البيت (عليهم السلام)، و هذه الظروف ساعدت الإمام (عليه السلام) على التصدى للإمامه، فقام بالأمر و هو مطمئن إلى عدم قدره هارون على سجنه أو قتله، و قد حذر بعض أنصاره من التصدى للإمامه و قالوا: إنك أظهرت أمرا عظيما و إنا نخاف عليك من هذا الطاغية فقال (عليه السلام): «ليجهدن جهده فلا سبيل له على» (٢).

و أجابهم فى موقف آخر قائلا: «إن خدشت خدشا من قبل هارون فأنا كذاب» (٣).

و تصدى الإمام الرضا (عليه السلام) لا يعنى المعارضه السياسيه، فقد تصدى الإمام (عليه السلام) لمحاربه الأفكار و العقائد الهدامه و اهتم بنشر الفكر الاسلامى السليم فى مجالى العقيده و الشريعه، و هذا الأمر لا يهّم هارون مادام الإمام (عليه السلام) لا يعارض سلطانه.

و مما ساعد على هذا الانفراج النسبى هو انتقال هارون إلى الرى سنة (١٨٩ هـ)، ثم إلى خراسان سنة (١٩٢ هـ)، ثم وفاته سنة (١٩٣ هـ).

ص: ٧٠

١- (١) عيون أخبار الرضا: ٢/٢٢٦.

٢- (٢) اعلام الورى: ٢/٦٠ و فى الفصول المهمه: ٢٤٥.

٣- (٣) عيون أخبار الرضا: ٢/٢١٣.

اشاره

مظاهر الانحراف فی عصر الإمام الرضا(علیه السلام)

نستعرض فی هذا الفصل مظاهر الانحراف المختلفه فی العهد العباسی و فی فتره حکومه هارون و ابنه محمد حتی قتله من قبل جيش أخيه المأمون سنه (١٩٨ هـ) و هي الفتره الواقعه بين سنه (١٨٣ هـ) و (١٩٨ هـ)، ثم تتبعه فی فصل آخر بيان دور الإمام الرضا(علیه السلام) لمعالجه أنواع الانحراف فی هذه الفتره.

الانحراف الفكري

اشاره

لقد راجت التيارات الفكرية المنحرفه فی عهد العباسيين، و وجدت لها اتباعا و انصارا، و كثر الجدل و المراء و انشغلت الامه بذلك، و هذا ان دلّ على شيء فإنما يدل على منهج الحکام العباسيين فی الترويج لها و تشجيع القائمين عليها؛ لاشغال الامه عن الأحداث و المواقف التي يتخذونها فی السياسه و الاقتصاد و الحياه العامه، و إبعادهم عن ما يثيرهم اتخاذ الموقف المعارض للسياسات القائمه.

فعلى مستوى أصحاب الديانات نجد اليهود و النصارى و المجوس و الصابئين و البراهمه و هكذا الملحدين و الدهريه و باقى اصناف الزنادقه كان لهم مطلق الحريه فی التعبير عن أفكارهم و عقائدهم.

و تعددت المذاهب الإسلاميه بتعدد اربابها، و انتشرت الافكار العقلية

الصرفه و الفلسفيه المثاليه، و كثر الجدل فى الجبر و التفويض و الارحاء و التجسيم و التشبيه، و تحوّلت المذاهب السياسيه الى مذاهب عقائديه.

فالزيديه و الاسماعيليه كانتا من الحركات و المذاهب السياسيه التى تتبنى الجهاد المسلح فتحوّلت الى مذاهب عقائديه و فكريه، و انتشرت الادعاءات الباطله و المزيّفه، كادعاء النبوه، و كادعاء أحد الأفراد انه ابراهيم الخليل. و لو لا تشجيع الحكّام و منح الحريه للتيارات و المذاهب المنحرفه لما انتشرت و لما استشرت هذه المذاهب فى اوساط المسلمين.

و كان الحكّام يفتعلون الآراء و النظريات أو يتبنونها لاشغال المسلمين بالجدال و النقاش و كثره القيل و القال، و كانوا يعاقبون المخالفين لآرائهم المتبنّاه بالسجن و القتل على الرغم من عدم وجود تأثير واقعى لتلك الآراء، فقد شجّع هارون على القول بأن القرآن قديم، و قام بقتل من يخالف رأيه.

فحينما سئل عن رجل مقتول بين يديه أجاب: قتلته لانه قال القرآن مخلوق (١).

و تغيّر الرأى فى عهد ابنه المأمون و ناقض قرار والده و التزم بالقول بخلق القرآن و انه ليس قديما، و كان يمتحن العلماء فى ذلك (٢).

و كان هارون يشجّع على الروايات و الاحاديث الكاذبه المنسوبه الى رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و خصوصا روايات و احاديث الخرافه و يعاقب كل من يعارض الترويج لهذه الروايات، و من الامثله على ذلك: انه دخل ابو معاويه الضرير على هارون و عنده رجل من وجوه قريش، فجرى الحديث الى ان ذكر ابو معاويه حديث ابى هريره المنسوب الى رسول الله (صلّى الله عليه و اله): «انّ موسى

ص: ٧٢

١- ((١)) البدايه و النهايه: ٢١٥/١٠.

٢- ((٢)) تاريخ الخميس: ٣٣٤/٢.

لقى آدم فقال: أنت آدم الذى اخرجتنا من الجنة»، فقال القرشى: أين لقي آدم موسى؟! فغضب هارون، وقال: النطع و السيف، زنديق و الله! يطعن فى حديث رسول الله، فما زال ابو معاويه يسكنه و يقول: كانت منه بادره، و لم يفهم يا أمير المؤمنين حتى سكنه (١).

و كان هارون يشجع و يكرم العلماء الذين ينسجمون مع آرائه و اهوائه، فى الوقت الذى كان يسجن العلماء العظام، و الاثمه من أهل البيت (عليهم السلام) و يحاصرهم. و من تشجيعه فى هذا المجال انه صب الماء على يد ابى معاويه، و قال له: اتدرى من يصب على يديك؟ قال: لا، قال: انا، قال ابو معاويه: انت يا أمير المؤمنين، قال: نعم اجلالا للعلم (٢).

و كان هارون يشجع الافكار و الآراء و الأقوال التى تلبس حكمه لباسا مقدسا، فقد انشده أحد الشعراء اربعة أبيات لقب فيها هارون بأمين الله، فأمر له لكل بيت بالف دينار، و قال: لو زدتنا لزدناك (٣)، فانساق الشعراء وراء الأموال و اخذوا يروجون لقدسياه الحكام حتى قال احدهم مادحا هارون:

حب الخليفة حب لا يدين له عاصى الاله و شار يلحق الفتنا (٤)

و قال سلم الخاسر يمدح الامين و هارون:

قد بايع الثقلان مهديّ الهدى لمحمد بن زيده ابنه جعفر

قد وفق الله الخليفة إذ بنى بيت الخلافة للهجان الأزهر

فأعطته زيده جوهرًا باعه بعشرين ألف دينار (٥).

ص: ٧٣

١- (١) تاريخ بغداد: ٨/١٤.

٢- (٢) تاريخ بغداد: ٨/١٤.

٣- (٣) مروج الذهب: ٣/٣٦٥.

٤- (٤) تاريخ الخلفاء: ٢٣٣.

٥- (٥) تاريخ الخلفاء: ٢٣٣.

و من أجل إبعاد المسلمين عن نهج أهل البيت (عليهم السلام) قام العباسيون بمحاصره الفقهاء المؤيدين لهم، و شجّعوا على نشوء التيارات الهدّامة، و هذا واضح من خلال عدم ملاحقتهم لاتباعها و أنصارها.

فقد نشأ تيار الواقفه و تيار الغلاه، و لم يبادر العباسيون الى تطويقهما في بدايه نشوئهما، سعيًا منهم لتشويه منهج أهل البيت (عليهم السلام) و تفتيت كيانهم.

و قام المأمون بترجمه كتب الفيلسفه من اليونانيه الى العربية (١) و بطبيعته الحال تؤدّي الترجمة الى انتشار الأفكار و المصطلحات المنطقيه و الفروض الذهنيه البعيده عن الواقع.

و في عهدهم كثر الافتاء بالرأى، و تفسير القرآن بالرأى، و راج القياس الباطل القائم على أساس قياس حكم فرعى بحكم فرعى آخر، و أصبحت الفتاوى تابعه لاهواء الحكّام و شهواتهم، فعن ابن المبارك أنّه قال: لما أفضت الخلافه الى الرشيد وقعت في نفسه جاريه من جوارى المهدي، فراودها عن نفسها، فقالت: لا أصلح لك، إنّ اباك قد طاف بي، فشغف بها، فارسل الى أبي يوسف، فسأله: أعندك في هذا شيء؟ فقال: يا أمير المؤمنين أو كلّما ادّعت أمه شيئًا ينبغي أن تصدّق؟ لا تصدّقها فإنّها ليست بمأمونه، قال ابن المبارك: فلم أدر ممن أعجب: من هذا الذي قد وضع يده في دماء المسلمين و أموالهم يتخرج عن حرمة أبيه؟! أو من هذه الأمه التي رغبت بنفسها عن أمير المؤمنين؟! أو من هذا فقيه الأرض و قاضيها؟! قال: اهتك حرمة ابيك، و اقض شهوتك، و صيره في رقبتى (٢).

و عن عبد الله بن يوسف قال: قال الرشيد لأبي يوسف: انى اشترت جاريه و أريد أن اطأها قبل الاستبراء، فهل عندك حيله؟ قال: نعم، تهبها

ص: ٧٤

١- (١) مآثر الانافه في معالم الخلافه: ٢٠٩/١.

٢- (٢) تاريخ الخلفاء: ٢٣٣.

لبعض ولدك، ثم تتزوجها (١).

وهكذا أصبح الفقهاء تبعاً للحكام يفتون بما ينسجم مع أهوائهم و رغباتهم باستثناء الفقهاء من أتباع أهل البيت (عليهم السلام) ممن كانت لديهم شجاعه لمقارعه الظالمين فإنهم كانوا مطاردين و ملاحقين من قبل الحكام و أعوانهم.

و نشر فقهاء البلاط مفاهيم خاطئه عن الزهد و مفاهيم التصوف المنحرف لابعاد المسلمين عن التدخل فى سياسه أو الاعتراض على مواقف الحكام، فانتشر التصوف و انزوى الكثير و اعتزلوا الحياه، و لم يقوموا بواجب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر.

التلاعب بأموال المسلمين

خالف العباسيون أسس النظام الاقتصادى الاسلامى التى تنص على أنّ الاموال هى وديعه عند الحاكم و ليست ملكا خاصا له، و انّ انفاقها يجب ان يكون مقيدا بقيود شرعيه، فكانوا يتصرفون بالاموال حسب رغباتهم و شهواتهم، فكانوا ينفقونه لشراء الذمم من أجل تثبيت سلطانهم، و كانوا يعيشون اعلى درجات البذخ و الترف، و كان للجوارى و المغنيين و المتملقين نصيب كبير فى بيت المال، و قد جىء الى هارون بخراج عظيم و اموال طائله من الموصل، فامر بصرف المال الى بعض جواريه، فاستعظم الناس ذلك و تحدّثوا به، فقال ابو العتاهيه: ايدفع هذا المال الجليل الى امرأه، و لا تتعلق كفى بشيء منه، ثم دخل على هارون فانشده ثلاثه ابيات، فاعطاه عشرين ألف درهم، و زاده الفضل بن الربيع خمسہ الآف (٢).

ص: ٧٥

١- (١) تاريخ الخلفاء: ٢٣٣.

٢- (٢) الأغاني: ٦٧/٤.

و أسمعته ابراهيم بن المهدي اغنيه فأمر له بألف ألف درهم (١).

و اشترى هارون جاريه بسبعين ألف درهم، و اشترى لها جوهرًا باثني عشر ألف دينار، ثم حلف ألا تسأله يومه ذلك شيئًا إلا اعطاها (٢).

و في مقابل ذلك نجد ان كثيرا من المسلمين كانوا يعيشون الفقر و الحرمان، كما هو ظاهر من حوار رجلين من قريش مع هارون اذ قالوا له:

نهكتنا النوائب، و أجهفت بأموالنا المصائب (٣).

و كان الترف و البذخ من نصيب الحكام و المقربين لهم، من وزراء و ولاة حتى بلغت اموال والي هارون علي خراسان ثمانين ألف ألف (٤).

و قد وصلت ملكيه هارون حدا غير متصور فقد خلف مائه ألف ألف دينار، و من الاثاث و الجوهر و الورق و الدواب ما قيمته مائه ألف ألف

دينار، و خمسه و عشرون ألف دينار (٥).

و سار اولاده علي نهجه في البذخ و الترف و التلاعب بأموال المسلمين، فقد بنى محمد الامين قبه اتخذ لها فراشا مبطنًا بأنواع الحرير و الديباج

المنسوج بالذهب الأحمر و غير ذلك من انواع الابريسم... (٦).

و في الوقت الذي يعيش فيه المسلمون اجواء الفقر و الحرمان نجد الأمين يتلاعب بالأموال دون قيود، فقد صيدت له سمكه و هي صغيره

ص: ٧٦

١- (١) الاغانى: ٩٩/١٠٠.

٢- (٢) الاغانى: ٣٤٣-٣٤٢/١٦.

٣- (٣) الاغانى: ٢٦١/١٦.

٤- (٤) تاريخ الطبرى: ٣٢٤/٨.

٥- (٥) تاريخ الخلفاء: ٢٣٧.

٦- (٦) مروج الذهب: ٣٩٢/٣.

فقرطها حلقتين من ذهب فيهما حبتا درّ، و قيل ياقوت (١)، و كان ينفق الأموال على لهوه و على جلسائه و الخصيان (٢).

و انفق المأمون فى زواجه أموالا - طائله لا حصر لها، و أمر باعطاء خراج فارس و الاهواز الى والد زوجته يجبى اليه لمدته سنه (٣)، و كان بطانه و الى بغداد فى عهده ينهبون أموال الناس و ممتلكاتهم و لا أحد يمنعهم من ذلك (٤).

الانحراف الاخلاقى

لعبت أجواء الترف و الرفاهيه دورا كبيرا فى انتشار و تفشى الانحراف الاخلاقى، عند الحاكم و مؤسساته الحكوميه و عند الامه، فكان الحاكم يعيش مظاهر اللهو و اللعب و الانسياق وراء الشهوات، فهارون أول خليفه لعب بالصوالجه و الكره و رمى الشباب فى البرجاس، و أول خليفه لعب الشرطنج من بنى العباس (٥).

و كان يجرى سباق الخيل فجاء فى أحد الايام فرسه سابقا فأمر الشعراء ان يقولوا فيه شعرا فسبقهم ابو العتاهيه، فاجزل صلته (٦).

و بعض هذه الامور و ان كانت مباحه إلا انها لا تليق بالحاكم الذى يحكم دوله إسلاميه متراميه الأطراف، و معرضه لمخاطر و مؤامرات من قبل اعداء الإسلام.

ص: ٧٧

١- (١) مروج الذهب: ٣/٣٩٤.

٢- (٢) الكامل فى التاريخ: ٦/٢٩٤.

٣- (٣) مروج الذهب: ٣/٤٤٣.

٤- (٤) تاريخ الطبرى: ٨/٥٥١.

٥- (٥) تاريخ الخلفاء: ٢٣٧.

٦- (٦) الاغانى: ٤/٤٣.

و كان مولعا بالغناء، و من اهتمامه و تشجيعه للغناء ان جعل للمغنين مراتب و طبقات (١).

و كان ينفق الأموال و الهدايا على المغنين- كما تقدّم- و كان مولعا بحب ثلاث من الجوارى المغنيات حتى انشد شعرا فى ذلك قال فيه:

ملك الثلاث الأنسات عنانى و حللن من قلبى بكلّ مكان

مالى تطاوعنى البريه كلها و أطيعهنّ و هنّ فى عصيانى

ما ذاك إلا ان سلطان الهوى و به غلبت غرزن من سلطانى (٢)

و فى الوقت الذى يذهب الآف الجنود ضحايا فى الغزوات تجده لا- يكثرث من كثره القتلى و المعوقين و إنّما يؤلمه موت جاريه من جواريه تسمى هيلانه، فيرثيها بأبيات شعر:

فلها تبكى البواكى و لها تشجى المراثى

خلقت سقما طويلا جعلت ذاك تراثى (٣)

و كان مدمنا على شرب الخمر و ربما كان يتولّى بنفسه سقايه ندمائه (٤).

و كان من حبه للضحك و الفكاهه ان اختص بابن ابى مريم المدنى، و كان لا يصبر عن فراقه و لا يملّ من محادثته، و بلغ من خاصته به أن يؤأه منزلا فى قصره، و خلطه بحريمه و بطانته و مواليه و غلمانه (٥).

و كان لا يتحرّج من سماع الفاظ الفحش و البذاء فى مجلسه، فحينما اهدى له العباس بن محمد اناء من خزف فيه مسك و عنبر وهبه هارون الى

ص: ٧٨

١- (١) تاريخ الخلفاء: ٢٣٧.

٢- (٢) الاغانى: ٣٤٥/١٦، فوات الوفيات: ٢٢٦/٤

٣- (٣) فوات الوفيات: ٢٢٦/٤.

٤- (٤) حياه الإمام على بن موسى الرضا: ٢٢٤/٢.

٥- (٥) تاريخ الطبرى: ٣٤٩/٨.

ابن ابى مريم، فتألم العباس و قال لابن أبى مريم: امه فاعله ان دهن به الأ إسته، فضحك هارون، ثم وثب ابن ابى مريم، و أدخل يده فى الاناء ثم دهن بها عورتها و جميع جوارحه ثم أمر غلامه ان يذهب بما تبقى الى زوجته و ان يقول لها: ادهنى بها حرك الى أن انصرف فأ... و هارون يضحك و هو يسمع الفاظ الفحش، و لم يكتف بذلك و إنما وهب لابن ابى مريم مائه الف درهم (١).

و لما وصل الأمين الى منصبه فى رئاسه الحكومه طلب الخصيان و ابتاعهم و غالى فيهم، فصيرهم لخلوته ليله و نهاره... و فرض لهم فرضا، ثم وجه الى جميع البلدان فى طلب الملهين، و ضمهم اليه، و أجرى عليهم الأرزاق، و احتجب عن أخويه و أهل بيته، و استخف بهم و بقواده، و قسم ما فى بيوت الأموال و ما بحضرته من الجواهر فى خصيانه، و جلسائه، و محدثيه، و أمر ببناء مجالس لمتنزهاته، و مواضع خلواته و لهوه و لعبه، و عمل خمس حراقات فى دجله على صوره الأسد و الفيل و العقاب و الحيه و الفرس، و أنفق فى عملها مالا عظيما (٢).

و أمر ان يفرش له على دكان فى ساحه مفتوحه، ففرش عليها أفخر الفراش، و هبى من آنيه الذهب و الفضة و الجواهر أمر عظيم، و أمر قيمه جواربه أن تهبى له مائه جاريه صانعه فتصعد اليه عشرا عشرا بأيديهن العيدان، يغنين بصوت واحد... (٣).

و ذكر الأمين عند الفضل بن سهل بخراسان فقال: كيف لا يستحل قتل محمد و شاعره يقول فى مجلسه:

ص: ٧٩

١- (١) تاريخ الطبرى ٣٤٩/٨-٣٥٠.

٢- (٢) الكامل فى التاريخ: ٢٩٣/٦-٢٩٤.

٣- (٣) الكامل فى التاريخ: ٢٩٥/٦.

الافاسقنى خمرا و قل لى هى الخمر

و لا تسقنى سزا اذا أمكن الجهر (١)

و قال ابن الاثير واصفا له:و لم نجد فى سيرته ما يستحسن ذكره من حلم،أو معدله،أو تجربه،حتى نذكرها (٢).

و تابع المأمون أباه و أخاه فى اللهو و اللعب و حب الغناء و الطرب،قال اسحاق بن ابراهيم بن ميمون:و كان المأمون من أشغف خلق الله بالنساء، و أشدهم ميلا اليهنّ و استهتارا بهنّ (٣).

و كان يشرب الشراب مع ندمائه فيأخذ الشراب منهم مأخذا (٤).

و أخرج من طرق عده أن المأمون كان يشرب النبيذ (٥).

و كان يسهر الليالى مع الجوارى و المغنيين فى شراب و غناء حتى الصباح، ففى ليله من الليالى كان محمد بن حامد واقفا على رأس المأمون و هو يشرب،فاندفعت عريب فعنت...فأنكر المأمون أن لا- تكون ابتدأت بشىء...فقال محمد بن حامد:أنا يا سيدى أو مات اليها بقبله...فقال المأمون:....

لقد زوجت محمد بن حامد عريب مولاتى،و مهرتها عنه اربعمائه درهم...فلم تزل تغنيه الى السحر و ابن حامد على الباب (٦).

و من مصاديق الانحراف الاخلاقى ان أحد قضاة الأمين ثم المأمون كان يمارس اللواط حتى اشتهر به،فاشتكى المسلمون الى المأمون منه فأجابهم:

ص: ٨٠

١- (١) الكامل فى التاريخ:٢٩٥/٦.

٢- (٢) الكامل فى التاريخ:٢٩٥/٦.

٣- (٣) العقد الفريد:١٥٦/٨.

٤- (٤) الكامل فى التاريخ:٤٣٧/٦.

٥- (٥) تاريخ الخلفاء:٢٦٠.

٦- (٦) تاريخ الخلفاء:٢٦٠.

لو طعنوا عليه في أحكامه قبل ذلك منهم، و بعد ازدياد الشكاوى عليه عزله، ثم أصبح فيما بعد من ندمائه و رخص له في أمور كثيره (١).

و كان الانحراف واضحا لدى المقربين من الحكام، ففي بدايه عهد المأمون كان بعض الجنود و الشرطه في بغداد و الكرخ يجهرون بالفسق و قطع الطريق و أخذ الغلمان و النساء علانيه من الطرق... و كانوا يجتمعون فيأتون القرى... و يأخذون ما قدروا عليه من متاع و مال و غير ذلك، لا سلطان يمنعهم، و لا يقدر على ذلك منهم، لان السلطان كان يعتز بهم، و كانوا بطانته (٢).

الانحراف السياسي

١- الأوضاع السياسيه في عهد هارون

اشاره

عاصر الإمام الرضا (عليه السلام) في مرحله امامته حكومه هارون عشر سنين من سنه (١٨٣ هـ) الى سنه (١٩٣ هـ)، و لم تختلف سياسه هارون عن سياسه من سبقه من الحكام، و لا- عن سياسته السابقه في مرحله الإمام الكاظم (عليه السلام) إلا انه لم يتعرض تعرضا مباشرا للإمام الرضا (عليه السلام)؛ لأن الظروف و الأوضاع السياسيه لم تساعده على ذلك، فاعتقال الإمام الكاظم (عليه السلام) مسموما لا زال يثير هواجسه خوفا من ردود فعل الحركات المسلحه المرتبطه بأهل البيت (عليهم السلام)، و لذا نجده في بدايه استشهاد الإمام (عليه السلام) أحضر القواد و الكتّاب و الهاشميين و القضاء، ثم كشف عن وجهه، و قال: أترون به اثرا أو ما يدل على اغتيال؟ (٣).

ص: ٨١

١- (١) مروج الذهب: ٣/٤٣٥.

٢- (٢) تاريخ الطبري: ٨/٥٥١.

٣- (٣) تاريخ يعقوبى: ٢/٤١٤.

ولهذا لم يقدم على اتخاذ نفس السلوب مع الإمام الرضا (عليه السلام) ورفض الاستجابة لمن حرضه على قتله - كما تقدم - و اضافة الى ذلك فإن الإمام الرضا (عليه السلام) اتخذ اسلوبا واعيا فى التحرك السياسى، و لم يعط لهارون أى مبرر للتخوف من تحركه، على أن أغلب الرسائل التى رفعت إليه لم تتطرق الى نشاط سياسى ملحوظ للإمام الرضا (عليه السلام).

إذن كان حكم هارون أكثر هدوء و سلاما مع الإمام الرضا (عليه السلام)، و إن كان قد اتسم بالمظاهر التالية:

أولاً: الارهاب

إن وصول هارون للحكم كغيره من بنى اميه و بنى العباس لم يكن بنص من رسول الله (صلى الله عليه و اله) و لا - باختيار من المسلمين، و لم يختاره أهل الحل و العقد طبقا للنظريات السائدة آنذاك. و إنما وصل عن طريق العهد و الاستخلاف من قبل من سبقه، و هذا الشعور دفعه للتشبث بالحكم بأى اسلوب أمكن، و لهذا استخدم الارهاب الى جانب الاغراء فى تثبيت حكمه، فلم يسمح لأى معارضة و ان كانت سلميه كما لم يسمح لأى نصح أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر، ففى أحد خطبه قام اليه رجل فقال: كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (١)، فأمر بضربه مائة سوط (٢).

و فى سنة (١٨٨ هـ) أخذ هارون أحد المقرّبين الى أحمد بن عيسى العلوى، و ضربه حتى مات - على الرغم من تجاوزه التسعين من عمره - لأنه لم يعلمه بمكان العلوى (٣).

ص: ٨٢

١- (١) سورة الصف (٦١): ٣.

٢- (٢) العقد الفريد: ٥١/١.

٣- (٣) تاريخ يعقوبى: ٤٢٣/٢.

و طارد هارون يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، ثم آمنه، و حينما حمل اليه، سجنه و بقى فى السجن الى ان مات فيه، و قيل ان الموكل به منعه من الطعام اياما فمات جوعا (١).

و فى عهده قتل حميد بن قحطبه الطائى ستين علويا و رماهم فى البئر بأمر من هارون حينما كان بطوس (٢).

و على الرغم من ممارساته للارهاب و قتله للعلويين إلا انه لم يقدم على قتل الإمام (عليه السلام)، و إنما كان يكتفى بالتهديد أو التخطيط لقتله دون تنفيذ، ففى أحد المواقف قال: لاخرجن العام الى مكه و لاخذن على ابن موسى و لأوردنّه حياض أبيه، و حينما وصل الخبر الى الإمام (عليه السلام) قال:

«ليس علىّ منه بأس» (٣).

و حينما طلبه هارون للمثول أمامه قال (عليه السلام) لمن معه: «انه لا يدعونى فى هذا الوقت إلا لداهيه، فو الله لا يمكنه أن يعمل بى شيئا اكرهه» و لما دخل على هارون اكرمه و طلب منه ان يكتب حوائج أهله، و حينما خرج (عليه السلام) قال هارون:

أردت و أراد الله و ما أراد الله خير (٤).

و بقى الإمام (عليه السلام) تحت رقابه شديده من قبل عيون و جواسيس هارون، و كانوا ينقلون له كل ما يقوله، و كل ما يفعله، و يحصون عليه لقاءاته و زيارته، إلا انه كان شديد الحذر من أجل ان يأمن هارون جانبه.

ص: ٨٣

١- ((١)) تاريخ يعقوبى: ٤٠٨/٢.

٢- ((٢)) عيون أخبار الرضا: ١٠٩/١.

٣- ((٣)) اثبات الوصيه: ١٧٤.

٤- ((٤)) بحار الانوار: ١١٦/٤٩، عن مهج الدعوات.

لقد استبد هارون بالحكم وجعله موروثاً لأولاده الثلاث من بعده، واختار ابنه محمداً بن زييده ارضاء لها على الرغم من اعترافه بعدم أهليه محمد للخلافه، حيث اعترف بذلك قائلاً: وقد قدمت محمداً... و انى لأعلم أنه منقاد الى هواه مبذر لما حوته يداه، يشارك في رأيه الاماء و النساء، و لو لا ام جعفر-يعنى زييده-و ميل بنى هاشم اليه لقدمت عبد الله عليه (١).

فاختار ابن زييده لهواها فيه، و لم يكثر مما سيحل بالمسلمين من كوارث جراء التنافس بين ولديه الذى ذهب ضحيته الآف المسلمين فى قتال دموى و إنفاق لأموال المسلمين فى ذلك القتال.

و من مظاهر الاستبداد هو اسناد المناصب الحكوميه و العسكريه الى اقربائه و خواصه و المتملقين اليه دون النظر الى مؤهلاتهم الدينيه و الخلقيه و الإداريه.

ثالثاً: الأخطار الخارجيه

كانت الدوله و الحكومه محاطه بمخاطر خارجيه ففى بدايه عهد الإمام الرضا (عليه السلام) أوقع الخزر بالمسلمين وقعه شديده الوطأه، قتل فيها الآلاف و أسر فيها من النساء و الرجال أكثر من مائه ألف، و كما يقول المؤرخون:

جرى على الإسلام أمر عظيم لم يسمع قبله بمثله أبداً (٢).

و كان الروم يتحينون الفرص للوثوب على المسلمين، و كانوا ينقضون الصلح بين فتره و اخرى، و لا يرجعون إليه إلا بمعارك طاحنه، و كان الغزو غير

ص: ٨٤

١- ((١)) تاريخ الخميس ٣٣٤/٢٦.

٢- ((٢)) تاريخ الاسلام للذهبي حوادث سنه (١٨١، ١٩١): ١٢.

قائم على أسس نشر الإسلام و توسيع رقعه الدوله الاسلاميه،و إنما الدافع إليه هوى الحاكم و رغبته فى السيطرة على أكبر مساحه و أكثر عدد من الناس، و اضافته الى اشغال المسلمين و ابعادهم عن السياسه و المعارضه و سلوكك هارون خير شاهد على هذه الحقيقه،فالحريص على الإسلام و المسلمين لا ينشغل بالجوارى و الامسيات الفكاهيه،و لا ينشغل بالترف و الملذات.

رابعاً: إختلال الجبهه الداخليه

بسبب السياسات الخاطئه التى مارسها هارون فى مرحله حكمه،ظهر الخلل و الاضطراب فى الجبهه الداخليه،ففى سنه (١٨٤ هـ)خرج ابو عمرو حمزه الشارى،و استمر فى خروجه الى سنه (١٨٥ هـ)،و قمع هارون حركته بعد مقتل عشره آلاف من أنصاره و الخارجين معه.

و فى السنه قتل أهل طبرستان والى هارون.

و فى السنه نفسها خرج ابو الخصيب للمره الثانيه و سيطر على نسا و أبيورد و طوس و نيسابور و زحف الى مرو و سرخس و قوى أمره،و لم تنته حركته إلا بمقتل الآلاف من الطرفين سنه (١٨٦ هـ) (١).

و توسع الخلل فى الجبهه الداخليه سنه (١٨٧ هـ)حينما قام هارون بقتل البرامكه و هم أركان الحكم و المشيدون له (٢)،و قد كان لهم دور كبير فى القضاء على خصوم العباسيين و مخالفهم.

و فى السنه نفسها سجن هارون بن عبد الملك بن صالح بن على العباسى، لسعى ابنه به و ادعائه بانه يطلب الخلافه (٣).

ص: ٨٥

١- (١) تاريخ الطبرى: ٢٧٢/٨-٢٧٣.

٢- (٢) تاريخ الطبرى: ٢٨٧/٨.

٣- (٣) الكامل فى التاريخ: ١٨٠/٦.

وقتل ابراهيم بن عثمان بن نهيك لطلبه بثار البرامكه (١).

و فى سنه (١٨٩ هـ) توجه هارون الى الرى بعد ما وصلته الاخبار بأن على بن عيسى بن ماهان-والى خراسان-قد أجمع على خلافه،اضافه الى القطيعه بينه وبين أهل خراسان،و عاد بعد اربعه اشهر الى بغداد دون أن يعزله (٢).

و كان هارون كثير العزل و الاقصاء لقاده الاجهزه الحساسه فى الحكومه،فمنصب قائد الشرطه قد تناوب عليه ثمانيه اشخاص يعزل أحدهم و يستبد له بثنان و هكذا (٣).

و السياسه الخاطئه أدت الى ضعف العلاقه بين هارون و الامه،و التى وصلت الى حد الكراهيه و البغضاء،فعند مرور هارون على فضيل بن عياض بمكه قال فضيل:الناس يكرهون هذا (٤).

و خلاصه القول انّ الاوضاع السياسيه التى كان يمرّ بها حكم هارون جعلته يستثنى من قتل الإمام الرضا(عليه السلام)لقرب العهد بمقتل والده مسجوناً، إضافة الى أنّ عهد الإمام كان خالياً من الثورات العلويه التى قد تنسب مسؤوليتها الى الإمام(عليه السلام)لو كانت قائمه.

و كان دور الإمام(عليه السلام)فى هذه المرحله هو الاصلاح الهادئ لجميع الاوضاع،و من اعماله القيام بتوضيح المفاهيم السياسيه السليمه دون اعلان المعارضه الصريحه.

ص: ٨٦

١- (١) الكامل فى التاريخ:١٨٦/٦.

٢- (٢) الكامل فى التاريخ:١٩١/٦،١٩٢.

٣- (٣) تاريخ يعقوبى:٢/٤٢٩.

٤- (٤) تاريخ بغداد:١٢/١٤.

عاصر الإمام (عليه السلام) حكومه محمد بن هارون خمس سنين، من سنه (١٩٣ هـ) الى سنه (١٩٨ هـ)، و فى هذه المرحله لم تظهر من محمد بن هارون أى مبادره إرهابيه باتجاه الإمام (عليه السلام) و باتجاه أهل البيت عموماً، فلم يهدّد بقتله و قتل بقيه العلويين، و لم يذكر لنا التاريخ تصريحاً منه بالتفكير فى ذلك، و لعلّ الظروف و الاوضاع التى أحاطت به لم تساعد على ذلك، ففى بدايه حكومته بدأ الخلاف بينه و بين أخيه عبد الله المأمون، و انقسمت الدوله الاسلاميه فى الحكم الى قسمين، فلكل منهما أنصار و أتباع و مصادر قوه من أموال و سلاح.

و فى سنه (١٩٤ هـ) تمرد أهل حمص على الحكومه العباسيه فقام قائد جيش محمد الامين بقتل وجوه أهالى حمص و سجن أهاليها و القاء النار فى نواحيها، و لم ينته التمرد إلا بعد مزيد من القتلى و الخراب الاقتصادى.

و فى السنه نفسها أمر الأمين بالدعاء على المنابر لابنه موسى بولايه العهد من بعده، ثم أمر أخاه المأمون أن يقدم ابنه موسى عليه فرفض.

و فى سنه (١٩٥ هـ) أرسل جيشاً الى خراسان لقتال أخيه المأمون و لكن منى جيشه بالهزيمه، و استمر بارسال الجيوش تباعاً الى سنه (١٩٧ هـ) و لم تفلح جيوشه بالسيطره على خراسان بل عادت متقهقره، و لاحقته جيوش المأمون إلى ان حاصرت بغداد حصاراً شديداً دام سنه كامله.

و فى سنه (١٩٨ هـ) سيطرت جيوش المأمون على بغداد بعد قتال دام ذهب ضحيته عشرات الآلاف من الطرفين، و قتل الامين و من بقى معه من أصحابه، و أصبح المأمون هو الحاكم الوحيد الذى لا ينازعه منازع

و هذه الظروف أدت إلى عدم توفر فرصه لملاحقه الإمام الرضا(عليه السّلام) و غيره من العلويين. و بطبيعته الحال، كان الإمام(عليه السلام) يستثمر هذه الظروف لإصلاح ما أمكن إصلاحه مما فسد فى المجتمع الاسلامى و القيام بتوسيع القاعده الشيعيه الشيعيه، و نشر المفاهيم و الافكار السليمه. و كان العلويون يقومون بإعادة بناء تنظيماتهم العسكريه، و الإعداد لمرحله مقبله تبعا للظروف التى تمر بها الحكومه و الامه الإسلاميه معا.

إشاره

دور الإمام الرضا (عليه السلام) قبل ولايه العهد

لقد كان الإمام (عليه السلام) محطّ أنظار الفقهاء و مهوى أفئده طلاب العلم، و يشهد لذلك قوله (عليه السلام): «كنت أجلس في الروضه، و العلماء بالمدينه متوافرون فإذا أعيى الواحد منهم عن مسأله أشاروا علىّ بأجمعهم و بعثوا اليّ بالمسائل فأجبت عنها» (١).

و كان (عليه السلام) يأمر أتباعه بمداراه عقول الناس و عدم تحميلها ما لا تطيق من افكار و عقائد، فقد قال لمحمد بن عبيد: «قل للعباسي: يكفّ عن الكلام في التوحيد و غيره، و يكلم الناس بما يعرفون، و يكفّ عمّا ينكرون» (٢).

الإصلاح الفكري والديني

إشاره

وضّح الإمام (عليه السلام) حقيقه التآمر الفكري في بلبه عقول المسلمين، و أعطى قاعده كلييه في الأساليب و الممارسات التي يستخدمها أعداء الاسلام لتشويه الافكار و المفاهيم الاسلاميه فقال (عليه السلام): «انّ مخالفتنا وضعوا أخبارا في فضائلنا و جعلوها على ثلاثة أقسام أحدها: الغلو، و ثانيها: التقصير في أمرنا، و ثالثها:

التصريح بمثالب أعدائنا، فإذا سمع الناس الغلوّ فينا كفّروا شيعتنا و نسبوهم الى القول

ص: ٨٩

١- ((١) إعلام الوري: ٦٤/٢ و عنه في كشف الغمه: ١٠٧/٣ و في بحار الأنوار: ١٠٠/٤٩.

٢- ((٢) التوحيد: ٩٥.

برويتنا، و اذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، و اذا سمعوا مثالب أعدائنا باسمائهم؛ ثلبونا باسمائنا...» (١).

و اتخذ الإمام (عليه السلام) عدّه أساليب في مجال الاصلاح الفكرى و إليك إيضاحها:

أولاً: الرد على الانحرافات الفكرية

قام الإمام (عليه السلام) بالرد على جميع ألوان الانحراف الفكرى من أجل كسر الالفه بين المنحرفين و بينها، و كان يستهدف الافكار و الاقوال تاره، كما يستهدف الواضعين لها و المتأثرين بها تاره اخرى.

ففى ردّه على المشبّهه قال (عليه السلام): «الهى بدت قدرتك و لم تبد واهيه فجهلوك، و قدروك و التقدير على غير ما به وصفوك و إننى برىء يا الهى من الذين بالتشبيهه طلبوك ليس كمثلك شىء» (٢).

و فى ردّه على المجبره و المفوضه قال (عليه السلام): «من زعم أنّ الله يفعل أفعالنا ثم يعذبنا عليها، فقد قال بالجبر، و من زعم أنّ الله عز و جل فوض أمر الخلق و الرزق إلى حججه عليهم السلام، فقد قال بالتفويض، و القائل بالجبر كافر، و القائل بالتفويض مشرك» (٣).

و له ردود عديده على الغلاة و المجتبه و أصحاب التفسير بالرأى و القياس، كما ان ردودا على الفرق غير الاسلاميه كالزنادقه و اليهود و النصرارى و غيرهم.

و قد الإمام (عليه السلام) جميع الروايات التى يعتمد عليها المنحرفون، و وضّح

ص: ٩٠

١- (١) عيون أخبار الرضا: ٣٠٤/١.

٢- (٢) عيون أخبار الرضا: ١١٧/١.

٣- (٣) عيون أخبار الرضا: ١٢٤/١.

بطلان صدورها عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) و أرشد المسلمين الى الروايات الصحيحه، ففي رده على الروايه المفتعله و المنسوبه الى رسول الله (صلى الله عليه و اله) و التي جاء فيها: «ان الله تبارك و تعالى ينزل كل ليله جمعه الى السماء الدنيا»، قال (عليه السلام): «لعن الله المحرّفين الكلم عن مواضعه، و الله ما قال رسول الله كذلك، و أنّما قال: إنّ الله تعالى ينزل ملكا الى السماء الدنيا كل ليله في الثلث الاخير، و ليله الجمعه في أول الليل فيأمره فينادى هل من سائل فأعطيه، هل من تائب فاتوب عليه، هل من مستغفر فاغفر له... حدثني بذلك أبي عن جدى عن آبائه عن رسول الله (صلى الله عليه و اله)» (١).

كما دعا الإمام الرضا (عليه السلام) الى مقاطعه المنحرفين كالمجبره و المفوضه و الغلاه مقاطعه كليه لمنع تأثيرهم فى الامه، و أسند هذه الأوامر الى أجداده (عليهم السلام) تاره و اليه ابتداء تاره اخرى.

قال (عليه السلام): «حدثني أبى موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد (عليهما السلام)، انه قال:

من زعم أنّ الله تعالى يجبر عباده على المعاصى أو يكلفهم ما لا يطيقون، فلا تأكلوا ذبيحته، و لا تقبلوا شهادته، و لا تصلّوا ورائه، و لا تعطوه من الزكاه شيئا» (٢).

و قال (عليه السلام) عن مقاطعه الغلاه و المفوضه: «الغلاه كفّار و المفوضه مشركون، من جالسهم أو خالطهم أو واكلهم، أو شاربهم، أو واصلهم، أو زوّجهم، أو تزوّج منهم، أو آمنهم، أو ائتمنهم على أمانه أو صدّق حديثهم، أو أعانهم بشرط كلمه خرج من ولايه الله عزّ و جل و ولايه رسول الله (صلى الله عليه و اله) و ولايتنا أهل البيت» (٣).

بل أمر بمقاطعه جميع أصناف الغلاه فقال (عليه السلام): «لعن الله الغلاه الا كانوا يهودا، الا كانوا مجوسا، الا كانوا نصارى، الا كانوا قدرّيه، الا كانوا مرجئه، الا كانوا

ص: ٩١

١- (١) عيون أخبار الرضا: ١٢٦/١، ١٢٧.

٢- (٢) عيون أخبار الرضا: ١٢٤/١.

٣- (٣) عيون أخبار الرضا: ٢٠٣/٢.

حروريه... لا تقاعدوهم ولا تصادقوهم، و ابرؤوا منهم برئ الله منهم» (١).

و أما موقفه (عليه السلام) من الواقفه فيمكن تلخيصه بما يلي:

بعد أن استشهد الإمام الكاظم (عليه السلام) طالب الإمام الرضا (عليه السلام) جماعه من وكلائه بارسال المال الذي كان بحوزتهم اليه، و لكنهم طمعوا به، فأجابوه: إن أباك صلوات الله عليه لم يمتهن و هو حي قائم، و من ذكر أنه مات فهو مبطل (٢).

و استطاع هؤلاء ان يستميلوا بعض الناس لترويج فكره أن الإمام الكاظم (عليه السلام) لم يمتهن و أنه القائم المنتظر.

و كان دور الإمام (عليه السلام) هو إثبات موت أبيه في المرحلة الاولى من مواجهه هذه الافكار الهدامة.

و استمر في مواجهتهم بشتى الاساليب، و كانت الحكومه آنذاك تشجع مثل هذه الافكار الهدامة لتفتيت التآزر و التآلف بين اتباع أهل البيت (عليهم السلام).

و ما كان من الإمام (عليه السلام) إلا ان يعلن المواجهه مع الواقفه للقضاء عليهم، فقد لعنهم أمام أصحابه فقال (عليه السلام): «لعنهم الله ما أشد كذبهم» (٣).

و أمر بعدم مجالستهم تحجيماً لأفكارهم و مدعياتهم، فقال لمحمد بن عاصم: «بلغني أنك تجالس الواقفه؟» قال: نعم، جعلت فداك اجالسهم و أنا مخالف لهم، قال: «لا تجالسهم» (٤).

و قال (عليه السلام) فيمن سأله عن الواقفه: «الواقف حائد عن الحق و مقيم على سيئه إن مات بها كانت جهنم مأواه و بس المصير» (٥).

ص: ٩٢

١- (١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ٢٠٢/٢.

٢- (٢) الغيبة للطوسي: ٦٥ ح ٦٧ و عنه في بحار الانوار: ٢٥٣/٤٨.

٣- (٣) رجال الكشي: ٤٥٨ ح ٨٦٨.

٤- (٤) رجال الكشي: ٤٥٧ ح ٨٦٤.

٥- (٥) رجال الكشي: ٤٥٥ ح ٨٦٠.

و أمر بمنع الزكاه عنهم فعن يونس بن يعقوب قال: قلت لابي الحسن الرضا (عليه السّلام) اعطى هؤلاء الذين يزعمون ان اباك حي من الزكاه شيئا؟ قال:

«لا تعطهم فانهم كفار مشركون زنادقه» (١).

و بذلك استطاع تحجيم دورهم و ايقاف حركتهم داخل كيان أنصار أهل البيت (عليهم السّلام)، و لم تنتشر افكارهم إلا عند أصحاب المطامع و الأهواء.

ثانيا: نشر الافكار السليمه

ابتدأ الإمام (عليه السّلام) بالرد على الافكار المنحرفه ثم أمر بمقاطعها واضعها و القائلين بها و المتأثرين بها؛ لتطويقها في مهدها و الحيلولة دون استشرائها في الواقع، ثم عمل على نشر الافكار السليمه لتتم المحاصره من جميع الجوانب.

فكان (عليه السّلام) يقوم بتفسير الآيات القرآنيه التي تتناول اصول و قواعد العقيده و الشريعه، و يهتم بنشر الاحاديث الشريفه عن آباءه و عن رسول الله (صلّى الله عليه و اله) لكي تكون هي الحاكمه على أفكار و تصورات المسلمين.

و كان يستثمر جميع الفرص المتاحة لتبيان الفكر السليم و المفاهيم الشرعيه الصحيحه.

ففي مجال التوحيد قال (عليه السّلام): «حسبنا شهاده أن لا اله الا الله أحدا صمدا لم يتخذ صاحبه و لا ولدا، قيوما سميعا بصيرا قويا قائما باقيا نورا، عالما لا يجهل، قادرا لا يعجز، غنيا لا يحتاج، عدلا لا يجور، خلق كل شىء، ليس كمثل شىء، لا شبه له، و لا ضدّ، و لا ندّ، و لا كفو» (٢).

و صنّف (عليه السّلام) أصناف القائلين بالتوحيد فقال: «للناس في التوحيد ثلاثه

ص: ٩٣

١- (١) رجال الكشي: ٤٥٦ ح ٨٦٢.

٢- (٢) تحف العقول: ٣١٠.

مذاهب: نفى و تشبيه و إثبات بغير تشبيه، فمذهب النفي لا يجوز، و مذهب التشبيه لا يجوز لأن الله تبارك و تعالى لا يشبهه شىء، و السبيل فى الطريقه الثالثه اثبات بلا تشبيه» (١).

و سئل (عليه السلام): أيكلف الله العباد ما لا يطيقون؟ فقال: «هو أعدل من ذلك»، قيل له: فيستطيعون أن يفعلوا ما يريدون؟ قال: «هم أعجز من ذلك» (٢).

و نشر الافكار الاسلاميه يشكّل الركن الاساسى فى الاصلاح الفكرى لانه يستبدل فكرا بفكر و رأيا برأى و تشريعا بتشريع.

ثالثا: إرجاع الامه الى العلماء

بعد توسع القاعده الشعبيه لأهل البيت (عليهم السلام) و صعوبه الالتقاء بالإمام (عليه السلام) باستمرار، قام الإمام (عليه السلام) بإرجاع الامه الى عدد من العلماء لأخذ معالم دينهم، فعن عبد العزيز بن المهتدى قال: سألت الرضا، فقلت انى لا ألقاك فى كل وقت فعن من أخذ معالم دينى؟ قال: «أخذ من يونس بن عبد الرحمن» (٣).

و كان له اتباع من الفقهاء منتشرين فى جميع الأمصار، يرجع لهم انصاره و سائر المسلمين لأخذ معالم الدين من عقائد و تشريعات و احكام.

منهم: أحمد بن محمد البنظى، و محمد بن الفضل الكوفى، و عبد الله بن جندب البجلي، و الحسين بن سعيد الاهوازى.

و كان يتابع حركه الرواه لكى لا يكذبوا عليه أو على آباءه، فكان يقول عن يونس مولى على بن يقطين: «كذب- لعنه الله- على أبى» (٤).

ص: ٩٤

١- (١) بحار الانوار: ٢٦٣/٣.

٢- (٢) الوافى بالوفيات: ٢٤٩/٢٢.

٣- (٣) رجال الكشى: ٤٨٣ ح ٩١٠.

٤- (٤) بحار الانوار: ٢٦١/٤٩-٢٦٢ عن السرائر: ٥٨٠/٣.

لم يكن الإمام (عليه السلام) على رأس سلطه حتى يستطيع اصلاح الاوضاع الاقتصادية اصلاحا فعليا، و لذا اكنفى بنشر المفاهيم الاسلاميه المتعلقه بالحياه الاقتصاديه و النظام الاقتصادي الاسلامي، فقد حدّد جوامع الشريعة فى رساله له طويله اعتبر الانحراف عن نهج الاسلام الاقتصادي من الكبائر التى يعاقب عليها الانسان، و مما جاء فى هذه الرساله: «و اجتناب الكبائر، و هى... اكل مال اليتامى ظلما... و أكل الربا و السحت بعد البيئه، و الميسر، و البخس فى الميزان و المكيال...»

و حبس الحقوق من غير عسر... و الاسراف و التبذير» (١).

و كان يدعو الى دفع الزكاه فيقول: «ان الله أمر بثلاثة مقرون بها ثلاثه أخرى:

أمر بالصلاه و الزكاه، فمن صلّى و لم يزكّ لم تقبل منه صلاته...» (٢).

و كان يوضّح اسباب الظواهر السلبيه و منها حبس الزكاه فيقول: «اذا كذبت الولاة حبس المطر، و اذا جار السلطان هانت الدوله، و اذا حبست الزكاه ماتت المواشى» (٣).

و كان (عليه السلام) يدعو الى ايصال الزكاه الى مستحقيها، فحينما سئل عن اعطاء الزكاه فيمن لا يعرف -اي بالايمان- قال: «لا، و لا زكاه الفطره» (٤).

و كان يقول:

«و زكاه الفطره فريضه... لا يجوز أن تعطى غير أهل الولاية لأنها فريضه» (٥).

ص: ٩٥

١- (١) تحف العقول: ٣١٦.

٢- (٢) عيون أخبار الرضا: ٢٥٨/١.

٣- (٣) وسائل الشيعة ٣١/٩، عن امالى الطوسى: ٧٧/١.

٤- (٤) وسائل الشيعة: ٢٢١/٩، عن الكافى: ٥٤٧/٣.

٥- (٥) وسائل الشيعة: ٣٣٩/٩.

و هذا تصريح يكشف التلاعب بأموال المسلمين من قبل الحكام بتوزيعهم الأموال حسب أهوائهم و رغباتهم دون التقيد بميزان شرعى.

و كان يدعو الى اعطاء الخمس الى الإمام الحقّ و ليس الى الحاكم المغتصب للخلافه ففى كتابه الى أحد تجار فارس ردّا على سؤال له يقول:

«...لا- يحلّ مال إلا- من وجه أحله الله، ان الخمس عوننا على ديننا و على عيالاتنا و على موالينا، و ما نبذله و نشترى من اعراضنا ممّن نخاف سطوته، فلا تزووه عنّا... فإنّ اخراجه مفتاح رزقكم، و تمحيص ذنوبكم...» (١).

و كان يدعو الى التكافل الاقتصادى و يحثّ عليه قال (عليه السلام): «السخى يأكل من طعام الناس ليأكلوا من طعامه» (٢).

و قال لعلى بن يقطين: «اضمن لى الكاهلى و عياله و اضمن لك الجنّه» (٣).

و كان يحارب الاسراف و التبذير، فعن ياسر الخادم قال: أكل الغلمان يوما فأكهه، فلم يستقصوا أكلها و رموا بها فقال لهم ابو الحسن (عليه السلام): «سبحان الله ان كنتم استغنيتم فإنّ اناسا لم يستغنوا، اطعموه من يحتاج اليه» (٤).

و كان ينفق ما يصل اليه من أموال على الفقراء و المعوزين حتى انه وزع جميع ما يملك فى يوم عرفه (٥).

و كان قدوة فى الصدقه و العطاء لتقتدى به الأمه، و يكون عمله ميزانا تزن به الامه ممارسات الحكام المالىه، لتمييز بين منهجين اقتصاديين، منهج أهل البيت (عليهم السلام) و منهج الحكام المتلاعبين بأموال المسلمين.

ص: ٩٦

١- (١) وسائل الشيعة: ٥٣٨/٩، عن الكافى ١/٤٦٠.

٢- (٢) فرائد السمطين: ٢/٢٢٣.

٣- (٣) رجال الكشى: ٤٣٥ ح ٨٢٠.

٤- (٤) الكافى: ٦/٢٩٧.

٥- (٥) بحار الانوار: ١٠٠/٤٩، عن مناقب آل أبى طالب: ٤/٣٩٠.

و كان يحارب التصوّف و مفاهيم الزهد الخاطئ،الذى شجّع عليه الحكّام لابعاد الامه عن المطالبه بحقوقها،أو الدعوه الى التوازن الاقتصادى، فكان(عليه السّلام)يجلس فى الصيف على حصير و فى الشتاء على بساط من شعر، و يلبس الغليظ من الثياب حتى اذا برز للناس تزيّن لهم (١). و دخل عليه قوم من الصوفيه فقالوا له:..و الاثمه تحتاج الى من يأكل الجشب و يلبس الخشن و يركب الحمار و يعود المريض؟فأجابهم بالقول: «كان يوسف نيبا يلبس أقبية الديقاج المزرده بالذهب و يجلس على متكئات آل فرعون، و يحكم،انما يراد من الإمام قسطه و عدله،إذا قال صدق و اذا حكم عدل،و اذا وعد أنجز، أنّ الله لم يحرم لبوسا و لا مطعما...» (٢).

و الدعوه الى رفض المفاهيم الخاطئه للزهد هى معارضه صامته للحكّام الذين سمحوا بانتشار هذه المفاهيم.

الاصلاح الاخلاقى

اشاره

كان الإمام(عليه السّلام)يستثمر جميع الفرص المتاحة للاصلاح و التغيير الاخلاقى و الاجتماعى و بناء واقع جديد مغاير لما عليه عامه الناس،و لهذا تعددت اساليبه التربويه الاصلاحيه فكانت كما يلى:

أولاً:احياء روح الاقتداء برسول الله(صلى الله عليه و اله)

قام الإمام(عليه السّلام)بتوجيه الانظار و القلوب للاقتداء بارقى النماذج البشريه و هو رسول الله(صلى الله عليه و اله)،فهو قدوه للحكّام باعتباره حاكما و رئيس دوله،و قدوه

ص:٩٧

١- (١) عيون أخبار الرضا:١٧٨/٢.

٢- (٢) كشف الغمه:٣/١٠٠ عن الأبى فى نثر الدرر،الفصول المهمه:٢٥٤.

و اذا كانت الحكومات المعاصره للإمام (عليه السلام) تضيّق الخناق على الإمام (عليه السلام) فى حاله التدخل فى السياسه فانها لا تستطيع أن تمنعه من الحديث المتعلق باخلاق رسول الله (صلى الله عليه و اله) و خصوصا اخلاقه كحاكم، و لذا وجد (عليه السلام) الظروف مناسبه للدعوه الى الاقتداء به (صلى الله عليه و اله)، فقد كان يذكر الاحاديث عن أجداده حول أخلاق رسول الله (صلى الله عليه و اله)، و منها الحديث المروى عن الإمام الحسن (عليه السلام) عن ابيه (عليه السلام) فى صفات رسول الله (صلى الله عليه و اله) الاخلاقيه:

«... و كان من سيرته فى جزء الامه ايثار أهل الفضل بإذنه، و قسمه على قدر فضلهم فى الدين، فمنهم ذو الحاجه، و منهم ذو الحاجتين، و منهم ذو الحوائج، فيشاغل و يشغلهم فيما أصلحهم و أصلح الامه من مسألته عنهم و اخبارهم بالذى ينبغى، و يقول: ليبلغ الشاهد منكم الغائب، و ابلغونى حاجه من لا يقدر على ابلاغ حاجته... كان رسول الله (صلى الله عليه و اله) يخزن لسانه الآ عما يعنيه... و يكرم كريم قوم و يوليه عليهم... و يتفقد أصحابه و يسأل الناس عما فى الناس... خيارهم عنده و أعمهم نصيحه للمسلمين، و اعظمهم عنده منزله أحسنهم مواساه و موازره... و قد وسع الناس منه خلقه و صار لهم أبا رحيمًا، و صاروا عنده فى الحق سواء... كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب... و ترك من الناس من ثلاث كان لا يذم أحدا و لا يعيره و لا يطلب عثراته و لا عورته... و جمع له الحلم مع الصبر، فكان لا يغضبه شىء و لا يستغفه، و جمع له الحذر مع أربع: اخذه الحسن ليقتدى به، و تركه الباطل ليتتهى عنه، و اجتهاده الرأى فى اصلاح امته و القيام فيما جمع لهم من خير الدنيا و الآخرة» (١).

و هذه الدعوه دعوه صامته لتقوم الامه بتشخيص منهجين فى الاخلاق:

منهج الحكّام و منهج رسول الله (صلى الله عليه و اله) الذى هو منهج أهل البيت (عليهم السلام). و قد

فوت الإمام (عليه السلام) على الحكام فرصه منعه من التحدث عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) في الجانب الخلقى. و هكذا كانت الدعوه الى الاقتداء برسول الله (صلى الله عليه و اله) دعوه صامته و سلميه لكشف حقيقه أخلاق الحكام.

ثانيا: القيام بدور القدوه

ان دور الإمام (عليه السلام) هو دور القدوه، و قد ادى الإمام (عليه السلام) هذا الدور اداء مطابقا لقيم الاسلام الثابته، و أبرز للمسلمين نموذجا من ارقى نماذج الخلق الاسلامى الرفيع، و كان قمه فى الصدق و اداء الامانه و الوفاء بالعهد، و التواضع، و احترام الآخرين، و الاهتمام بالمسلمين، و قضاء حوائجهم.

و كان يعالج الواقع الفاسد فى العلاقات معالجه عمليه، و من مواقفه العمليه انه دعا يوما بمائده، فجمع عليها مواليه من السودان و غيرهم، فقيل له:

لو عزلت لهؤلاء مائده، فقال: «ان الربّ تبارك و تعالى واحد و الام واحده و الأب واحد و الجزاء بالأعمال» (١).

و قال لخدّامه: «ان قمت على رؤوسكم و أنتم تأكلون، فلا تقوموا حتى تفرغوا».

و كان لا يستخدم أحدا من خدّامه حتى يفرغ من طعامه (٢).

و وصفه ابراهيم بن العباس: ما رأيت و لا سمعت بأحد افضل من أبى الحسن الرضا (عليه السلام)، ما جفا أحدا و لا قطع على أحد كلامه، و لا ردّ أحدا عن حاجه، و ما مدّ رجله بين يدي جليس، و لا اتكى قبله، و لا شتم مواليه و مماليكه، و لا قهقهه فى ضحكه، و كان يجلس على مائده مماليكه... كثير

ص: ٩٩

١- ((١)) بحار الانوار: ١٠٢/٤٩ عن فروع الكافى.

٢- ((٢)) الكافى: ٢٨٩/٦.

المعروف و الصدقه فى السر... (١).

و كان متواضعا للناس، دخل الحمام فقال له بعض الناس: دلكنى يا رجل. فجعل يدلّكه فعرفوه، فجعل الرجل يعتذر منه، و هو يطيب قلبه و يدلّكه (٢).

و كان (عليه السّلام) كثير العفو و الصفح لا- يقابل الاساءه بالاساءه، رحيمًا لا- يحمل حقدا و لا- عداا لمن يؤذيه من عامه الناس أو من خواصهم، فقد عفى عن الجلودى الذى سلب حلى نساء أهل البيت (عليهم السّلام) عند ما هجم على دار الإمام الرضا (عليه السّلام) فى عهد هارون، و طلب من المأمون أن لا يمسه بسوء (٣).

و قال شعرا يصف به اخلاقه الكريمه لتقتدى به الامه:

إذا كان من دونى بليت بجهله أبيت لنفسى أن اقابل بالجهل

و ان كان مثلى فى محلّى من النهى أخذت بحلمى كى أجلّ عن المثل

و ان كنت أدنى منه فى الفضل و الحجى عرفت له حق التقدّم و الفضل (٤).

ثالثا: الدعوه الى مكارم الاخلاق

كان (عليه السّلام) يدعو الى التمسك بمكارم الاخلاق و محاسنها، و يعمق هذه الدعوه من خلال نشر أحاديث رسول الله (صلّى الله عليه و اله) التى ترسم للمسلمين المنهج السلوكى السليم، و من تلك الاحاديث التى رواها:

قال رسول الله (صلّى الله عليه و اله): «المستتر بالحسنه يعدل سبعين حسنه، و المذيع بالسيئه

ص: ١٠٠

١- ((١)) اعلام الورى: ٢/٦٤ و عنه فى كشف الغمه: ٣/١٠٦ و فى مناقب آل أبى طالب: ٤/٣٨٩.

٢- ((٢)) مناقب آل أبى طالب: ٤/٣٩١.

٣- ((٣)) اعيان الشيعة: ٢/٢٥.

٤- ((٤)) مناقب آل أبى طالب: ٤/٤٠٢.

مخدول، والمستتر بها مغفور له» (١).

وقال (صلى الله عليه و اله): «ان الله بعثنى بالرحمة لا بالعقوق» (٢).

وقال (صلى الله عليه و اله): «عده المؤمن نذر لا كفاره لها» (٣).

و كان (عليه السلام) يدعو للانذكاك بقيم الاسلام و السنن الصادره من الله تعالى و من رسوله (صلى الله عليه و اله) و من اولياء الله فيقول: «لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون فيه ثلاث خصال: سنه من ربه، و سنه من نبيه، و سنه من وليه، فأما سنه من ربه فكتمان أمره...

و أما السنه من نبيه فمداراه الناس... و اما السنه من وليه فالصبر في البأساء و الضراء» (٤).

و حدّد (عليه السلام) المفهوم الحقيقي للتواضع و الذى هو حركه سلوكيه شامله، تبدأ بالنفس و تنتهى بالمجتمع، فقال: «التواضع درجات، منها: ان يعرف المرء قدر نفسه فينزلها منزلتها بقلب سليم، و لا يحب أن يأتي الى أحد الأمثل ما يؤتى اليه، ان رأى سيئه درأها بالحسنه، كاظم الغيظ، عاف عن الناس، و الله يحب المحسنين» (٥).

و كان يضرب الامثال فى خطوات الاصلاح و يقصّ قصص الصالحين لتبقى شاخصه فى العقول و النفوس، و مما جاء فى ذلك قوله (عليه السلام): «إن رجلا- كان فى بنى اسرائيل عبد الله تبارك و تعالى أربعين سنه، فلم يقبل الله منه، فقال لنفسه: ما اتيت إلا منك، و لا الذنب إلا لك، فأوحى الله تبارك و تعالى اليه: ذمك نفسك أفضل من عبادته أربعين سنه» (٦).

و كان ينشد الشعر لتأثيره السريع على الاسماع و الممارسات،

ص: ١٠١

١- ((١) الكافي: ٢/٤٢٨.

٢- ((٢) الكافي: ٢/١٥٩.

٣- ((٣) كشف الغمه: ٣/٥٨ عن الجنابدى عن النبي (صلى الله عليه و اله).

٤- ((٤) الكافي: ٢/٢٤٢.

٥- ((٥) الكافي: ٢/١٢٤.

٦- ((٦) قرب الاستاد: ٣٩٢.

و يستخدمه كوسيله لاصلاح الاخلاق، و مما انشده (عليه السلام) فى العلاقات الاجتماعيه:

اعذر أخاك على ذنوبه و استر و غطّ على عيوبه

و اصبر على بهت السفيه و للزمان على خطوبه

ودع الجواب تفضلا و كل الظلوم الى حسيه (١)

و انشد شعرا لربط المسلمين باليوم الآخر و عدم الانخداع بالامانى، و لاستحضار اليوم الآخر فى الازهان باعتبار تأثيره الكبير فى اصلاح الاخلاق قال (عليه السلام):

كلنا يأمل مدا فى الأجل و المنايا هنّ آفات الأمل

لا تغرنك أباطيل المنى و الزم القصد و دع عنك العلل

إنما الدنيا كظل زائل حل فيه راكب ثم ارتحل (٢)

و كان (عليه السلام) يدعو المسلمين الى اقامه العلاقات الاجتماعيه الصالحه و يدعو الى الإخاء و التآلف و التآزر، و يدعو الى نبذ الاخلاق الطالحه التى تؤدى الى التقاطع و التدابر، أو تؤدى الى ارباك العلاقات، كالكذب و الغيبه و النميمه و البهتان، و الاعتداء على أموال الناس و ارواحهم و أعراضهم، و ينهى عن جميع الانحرافات الاخلاقيه، لكى تكون الاخلاق مطابقه للمنهج الاسلامى السليم، الذى ارسى دعائمه رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و أهل بيته (عليهم السلام).

رابعاً: بناء الجماعه الصالحه

إشاره

كان الإمام (عليه السلام) يقوم بأداء دوره التربوى على مستويين:

ص: ١٠٢

١- ((١)) عيون أخبار الرضا: ١٧٦/٢ ح ٤ و كشف الغمه: ٥٩/٣ و: ١١٩ عن اعلام الورى: ٦٩/٢.

٢- ((٢)) البدايه و النهايه: ٢٥٠/١٠.

فعلى المستوى الأول كان الإمام(عليه السّلام) يوجه الامه للالتزام بالاخلاق الفاضله و الخصائص الحميده،و يبعدها عن مزالق الانحراف و الرذيله،تنفيذا لمسؤوليته فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر،و مجموع الامه يشمل الحكّام و المحكومين و هم جميع المسلمين بما فيهم اتباع أهل البيت(عليهم السّلام).

و على المستوى الثانى فإنّ الإمام(عليه السّلام)مسؤول عن بناء الجماعه الصالحه التى تتبنى مذهب أهل البيت(عليهم السّلام)منهاجا فى الحياه،لكى يربّى كوادرا و نماذج رساليه تقوم بدورها فى اصلاح الأخلاق و تغيير الانحراف السائد فى المجتمع،و هو فى هذا المستوى يقوم بأداء دوره بصوره اكثف، و يبدى عنايه اضافيه و وقتا اضافيا ليربى عددا اكبر من المصلحين القادرين على انجاح مهمات الاصلاح و التغيير،لذا نجده(عليه السّلام)يعمل ليل نهار،و يلتقى بالافراد فردا فردا أو جماعه جماعه من انصاره،و يراسل و كلاءه و اتباعه فى الأمصار ليقوم سلوكهم و يهدّب أخلاقهم.

و كان يرسم لاتباعه المنهج السلوكى القويم،فعن الحسن بن الحسين انه قال:استحل أحمد بن حمّاد منّى مالا له خطر،فكتبت رقعته الى أبى الحسن(عليه السّلام)و شكوت فيها أحمد بن حمّاد،فوقّع فيها:خوفه بالله!،فعلت و لم ينفع،فعاودته برقعته أخرى أعلمته أنّى قد فعلت ما أمرتنى به فلم انتفع، فوقع:اذا لم يحلّ فيه التخويف بالله،فيكف تخوفه بأنفسنا (١).

و كان(عليه السّلام)يشترى العبيد ثم يعتقهم بعد أن يعدّهم اعدادا تربويا فى

ص:١٠٣

داره فقد اعتق الف مملوك (١) طول سنى حياته، و هذا العدد الكبير له تأثير فى سير الاخلاق، حيث يصبح هؤلاء بعد التربيه و الاعداد الخلقى تيارا من المخلصين الواعين يعمل فى وسط الامه، و يقوم بأداء دور الاصلاح مبتدءا بنفسه و اسرته ثم المجتمع الكبير.

و قد تخرج من هذا الاعداد مئات المرين و المصلحين، و ازداد اتباع الإمام (عليه السّلام) فى عصره و توسعت قاعدته الشعيه فى مساحه واسعاه من الدوله الاسلاميه.

الاصلاح السياسى

١- الإمام الرضا (عليه السلام) و قياده الحركه الرساليه

للتعرف على اسلوب الإمام الرضا (عليه السلام) فى قياده الحركه الرساليه ينبغى إلقاء صوره مختصره واضحه عن أساليب الائمة (عليهم السّلام) فى قيادتهم للحركه الرساليه، لتعرف من خلالها على أساليب قياده الإمام (عليه السّلام) للحركه الرساليه فى عصره.

أنّ من مسؤوليه الإمام القائد هى بناء الإنسان و المجتمع بناء عقائديا، و خلقيا، و اجتماعيا، و سياسيا، و يتم البناء عن طريق بناء قاعده شعيه تقتدى بنهج أهل البيت (عليهم السّلام) و نظرتهم الإسلاميه الى الكون و الحياه و المجتمع، و لذلك لم يقتصر العمل على التحرك السياسى أو الوصول الى قمه السلطه و الحكومه، و أنّما كان العمل السياسى جزءا من كل، و السلطه وسيله من وسائل تحقيق الأهداف و ليست هدفا بحد

ص: ١٠٤

ذاتها. و من هذا المنطلق كان عمل الائمه (عليهم السّلام).

و اذا سمحت الظروف للائمه الثلاث الإمام على و الحسن و الحسين (عليهم السّلام) بقياده الحركه الرساليه بجميع مجالاتها قياده مباشره، فإنها قد تغيرت فى عهد الإمام على بن الحسين زين العابدين (عليه السّلام) و بقيه الائمه (عليهم السّلام)، لذا نجدهم قد التجأوا الى الاشراف غير المباشر على سير الأحداث و خصوصا الأوضاع السياسيه و العسكريه منها، فكانوا يقودون جميع خطوط الحركه الرساليه فى آن واحد، دون أن تصل الحكومه الى معرفه خطوط الحركه و نشاطاتها التنظيميه و مدى قربها و بعدها من الإمام (عليه السّلام) و مدى إشرافه عليها.

و العوامل التى كانت تحدد اسلوب التحرك لديهم تتمثل بما يلى:

أولاً: المصلحه الاسلاميه العامه.

ثانياً: المصلحه الاسلاميه الخاصه بحركه أهل البيت (عليهم السّلام) باعتبارهم مسؤولين عن اصلاح الأوضاع.

ثالثاً: الظروف العامه و الخاصه من حيث قوه الحركه و قوه القاعده الشعبيه.

و بذلك فإن الائمه (عليهم السّلام) قد قادوا جميع النشاطات فى آن واحد بما فيها الحركات المسلحه و لكن باسلوب غير مباشر تحيطه السريه و الكتمان، من أجل أن لا يتعرض الإمام (عليه السّلام) إلى القتل فى بدايه إمامته، لأنّ إصلاح الامه و تربيتها مقدّم على كل شىء، فلو قاد الإمام (عليه السّلام) حركه عسكريه أو ثوريه فإنه سيقتل و تبقى الامه بحاجه إلى من يرفدها بالفكر السليم باعداد الفقهاء و العلماء، و من يرفدها ببناء طليعه من العباد و الزهاد و السياسيين و قادة الحركات الثوريه.

و بتعبير آخر: إنّ الإمام (عليه السّلام) كان يقود خطين من خطوط

الخط الفكري: ومهمته طلب العلم ونشره، وأداء مسؤوليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأسلوب هادئ سلميّ.

خط المواجهه: ومهمته إعلان التمرد على الحكومات الجائره، واستخدام القوة لإيقاف انحرافها عن النهج الإسلامي الأصيل.

و هذا الاسلوب يتّضح من خلال سيره الائمة (عليهم السّلام)، فالإمام زين العابدين (عليه السّلام) بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السّلام) و سبى نسائه أتبع هذا الاسلوب، لأنّ الظروف السياسيّه قد تغيّرت، إضافة الى توسّع القاعده الشعبيه لأهل البيت (عليهم السّلام) و اختلاف أتباعه و انصاره في قدراتهم و طاقاتهم. فالتّوايون ثاروا في عهده، و لكن لم تحصل الحكومه الامويه على دليل واحد تثبت فيه علاقه الإمام (عليه السّلام) بهم، و ثار المختار في عهده، و فاتحه عمّه محمد بن الحنفية حول تأييده للثوره، فقال (عليه السّلام):

«يا عم لو أنّ عبدا زنجيا تعصّب لنا أهل البيت، لوجب على الناس مؤازرته، و قد وليتكم هذا الأمر، فاصنع ما شئت» (١).

و قد كان هذا التخطيط سرّيّا للغاية و لم يتسرّب إلّا الى بعض أتباع أهل البيت (عليهم السّلام).

و حينما جاء البعض الى محمد بن الحنفية حتّمهم على الاشتراك مع المختار، و ارسل كتابا إلى ابراهيم الاشرى يحثّه على ذلك (٢).

و حينما حاصر عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية و توّعه بالقتل

ص: ١٠٦

١- (١) رساله ذوب النصارى فى شرح الثار لجعفر بن نما الحلّى روايه عن والده محمد بن نما، و عنه فى بحار الأنوار: ٣٦٣/٤٥-٣٦٤.

٢- (٢) الكامل فى التاريخ: ٢١٤/٤-٢١٥.

و الإحراق كتب إلى المختار طالبا نجدته فأرسل له المختار جيشا فانقذه ممّا هو فيه (١).

و تدلنا هذه الوقائع على أن الإمام زين العابدين (عليه السّلام) قد عين ابن الحنفية قائدا للخط و الجناح العسكري، و كانت الأوامر تصدر منه مباشرة و ليست من الإمام (عليه السّلام).

و حينما سيطر المختار على الكوفة و انتهت سيطره الامويين على العراق و الحجاز و بعض الامصار أعلن الإمام (عليه السّلام) عن ثنائه على المختار لبعض المقربين اليه فقال: «الحمد لله الذي ادرك لى تأرى من أعدائى و جزى المختار خيرا» (٢).

و فى الوقت نفسه كان الإمام (عليه السّلام) قد أرفد الامه بعدد من العلماء و الفقهاء و الرواه، كعبد الله بن الحسن، و الزهرى، و عمرو بن دينار، و على بن زيد بن جدعان، و يحيى بن أم الطويل (٣).

و استمر الإمام باعداد القاده للمرحله القادمه، فقد أعدّ ابنه محمدا الباقر (عليه السّلام) للإمامه و القيادة العامه، و أعدّ ابنه زيدا لقياده الثوره و الحركه المسلحه.

و حينما أراد زيد الخروج أتى إلى الإمام محمد الباقر (عليه السّلام) للقيام بالثوره أجابه (عليه السّلام): «لا تفعل يا زيد فإنى اخاف ان تكون المقتول المصلوب بظهر الكوفه» (٤)، و لم يخرج زيد فى عهده.

ص: ١٠٧

١- (١) الكامل فى التاريخ: ٢٥٠/٤-٢٥١.

٢- (٢) رجال الكشى: ١٢٧ ح ٢٠٣.

٣- (٣) سير اعلام النبلاء: ٣٩١/٤.

٤- (٤) الخرائج و الجرائح: ٢٨١/١.

و زيد معترف بإمامه الباقر(عليه السلام) و من بعده الإمام جعفر الصادق(عليه السلام) كما يظهر ذلك في شعره التالي:

ثوى باقر العلم فى ملحد إمام الورى طيب المولد

فمن لى سوى جعفر بعده إمام الورى الأوحد الأمجد (١)

و تصريح الإمام الباقر(عليه السلام) حول نصره زيد شاهد على أنّ الأئمة(عليهم السلام) كانوا يقودون الخط العسكرى بصوره غير مباشره.

قال(عليه السلام):«انّ اخى زيد بن على خارج فمقتول على الحق، فالويل لمن خذله، و الويل لمن حاربه، و الويل لمن يقتله» (٢).

و فى عهد الإمام الصادق(عليه السلام) جاءته جماعه قبل خروج زيد فأخبرته ببيعه زيد، فقال(عليه السلام):«بايعوه» (٣).

و كان(عليه السلام) يقول:«اشركنى الله فى تلك الدماء مضى و الله عمى زيد و اصحابه شهداء مثل ما مضى عليه على بن أبى طالب و أصحابه» (٤).

و كان الثّوار لا يحدّدون اسم الإمام القائد و إنّما يكتفون بالدعوه الى الرضى من آل محمد(صلّى الله عليه و اله)؛ لأن الظروف كانت تستوجب عدم التصريح، و كان الإمام(عليه السلام) يحذّر اصحابه من الخروج مع غير المرتبطين به و كان يقول:

«اذا اتاكم آت منّا فانظروا على أى شىء تخرجون؟ و لا تقولوا: خرج زيد، فإنّ زيدا كان عالما و كان صدوقا، و لم يدعكم الى نفسه، و انما دعاكم الى الرضى من آل محمد(صلّى الله عليه و اله) و لو ظهر لوفى بما دعاكم اليه...» (٥).

ص: ١٠٨

١- ((١) مناقب آل أبى طالب: ٢١٣/٤ و عنه فى بحار الأنوار: ٢٩٦/٤٦.

٢- ((٢) مقتل الحسين للخوارزمى: ١١٣/٢.

٣- ((٣) الكامل فى التاريخ: ٢٤٣/٥.

٤- ((٤) عيون أخبار الرضا: ٢٥٣/١.

٥- ((٥) فروع الكافى: ٢٦٤/٨.

و الخط العسكرى هو درع الأئمه من جهتين:

الاولى: الاحتفاظ بالحاله الثوريه للمجتمع كى تبقى مستعداه للقيام و التضحيه.

الثانيه: انه من خلاله يمكن الاستمرار فى العمل الاصلاحى. و بانشغال الحاكم بمطاردته اتباع هذا الخط يكون المجال مفتوحا لجميع الاعمال غير العسكريه، و يضمن وجوده سلامه أهل البيت (عليهم السّلام) و اتباعهم، لأن الحاكم يخشى من تشديد الملاحقه و الارهاب الذى قد يؤدى الى انخراط الجميع فى الخط العسكرى، فكان يعطى قدرا من الحريه لمن لا يحمل السلاح و يتظاهر بطلب العلم أو التجاره أو غير ذلك.

و قد عبر الإمام الصادق (عليه السّلام) عن هذه الظاهره بقوله: «كفّوا السننكم و الزموا بيوتكم، فإنّه لا يصيبكم أمر تخصّون به أبدا، و لا تزال الزيديه لكم و قاء أبدا» (١).

و يبقى الاشراف على الخط العسكرى من قبل الإمام (عليه السّلام) فى طى الكتمان، و فى اقصى غايات السريه، و لا يطلع عليه الا من له دور مؤثر فى العمل الرسالى، و لم تستطع السلطه كشف العلاقه بين الثوار و الإمام من حيث التخطيط و التنسيق و التنفيذ إلاّ- انها كانت تتهم الإمام المعصوم (عليه السّلام) باسناد الثورات أو تحريكها و لكن لا دليل لها عليه، و كان ابو جعفر المنصور يقول:

من يعذرني من جعفر هذا؟ قدّم رجلا و أخر اخرى، و يقول: اتنحى عن محمد ابن عبد الله بن الحسن فإن ظفر فأئما الأمر لى، و ان تكن الاخرى فكنت قد احرزت نفسى (٢).

و كان قاده الخط العسكرى لا يصّرّحون بذكر اسم الإمام (عليه السّلام) و أنّما

ص: ١٠٩

١- (١) اصول الكافى: ٢/٢٢٥.

٢- (٢) مهج الدعوات: ١٨٨ و عنه فى بحار الانوار: ١٩٢/٤٧.

يلمّحون بذلك أمام أتباعهم، فعن الحسين بن علي صاحب فخّ و يحيى بن عبد الله بن الحسن قالوا: ما خرجنا حتى شاورنا أهل بيتنا، و شاورنا موسى بن جعفر فأمرنا بالخروج (١).

و كان الإمام الكاظم (عليه السّلام) يقول للحسين بن علي: «أنتك مقتول فأحدّ الضراب... فأنّا لله و انا اليه راجعون، و عند الله عزّ و جل احتسبكم من عصبه» (٢).

و كان الحاكم العباسى موسى الهادى يهدّد بقتل الإمام الكاظم (عليه السّلام) و يقول: و الله ما خرج حسين إلا عن أمره، و لا أتبع إلا محبته؛ لأنّه صاحب الوصيه فى أهل هذا البيت، فقتلنى الله ان ابقيت عليه، فاقنعه ابو يوسف القاضى بعدم صحه ذلك، فسكن غضبه (٣).

و أتبع الإمام الرضا (عليه السّلام) نفس الاسلوب فى التحرك الرسالى فكان يقود جميع الخطوط فى آن واحد دون ان تعلم السلطه بخفايا التحرك العسكرى حيث كان محاطا بسرّيه تامه يصعب التعرف على خصوصياته.

إنّ تأكيد المأمون فيما بعد على أن ينزل الإمام الرضا (عليه السّلام) عند رغبه المأمون فى قضيه ولايه العهد تعتبر شاهدا على مخاوف المأمون من تحرّكات العلويين و يكون قبول الإمام لولايه العهد خطوه لاستيعاب هذه الحركات التى ترى فى الإمام قدوه لها و بذلك سوف يفقد العلويون مبرّرات المعارضه للحكم الذى يكون الإمام فيه وليا للعهد.

ص: ١١٠

١- (١) مقاتل الطالبين: ٣٨٣.

٢- (٢) مقاتل الطالبين: ٣٧٦.

٣- (٣) مهج الدعوات: ٢١٧ و عنه فى بحار الانوار: ١٥١/٤٨.

استثمر الإمام (عليه السلام) أجواء و ظروف الانفراج السياسي النسبي لبناء و توسعه القاعده الشعبيه، و تسليحها بالفكر السياسي السليم المنسجم مع رؤيه أهل البيت (عليهم السلام)، و تعبئه الطاقات لاتخاذ الموقف المناسب في الوقت المناسب، و لهذا لم تنفجر اى ثوره علويه في هذين العهدين لعدم اكتمال العده و العدد.

و كان الإمام (عليه السلام) يقدم للامه المفاهيم و الافكار السياسيه بأسلوب حذر لكي لا يعطى للحكام مبررا لمنعه أو سجنه أو قتله، فقد أكد (عليه السلام) على ضروره الامامه في كل زمن و نقل عن آباءه و اجداده الروايات التي تتعلق بهذا المفهوم السياسي الذي هو جزء من عقيدته أهل البيت (عليهم السلام)، فنقل عبر السلسله الذهبيه عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) انه قال:

«يدعى كل اناس بامام زمانهم و كتاب ربهم و سنه نبئهم» (١).

و حدّد (عليه السلام) علامات الإمام لكي تتمكن الامه من تشخيص الإمام الحق في ظرف كثر فيه التدليس و قلب الحقائق فقال (عليه السلام):

«للإمام علامات: يكون أعلم الناس، و احكم الناس، و أتقى الناس، و أحلم الناس، و اشجع الناس، و اسخى الناس، و اعبد الناس...» (٢).

و يؤكّد الإمام الرضا (عليه السلام) على وحده الإمامه فلا بد من نصب إمام واحد غير متعدد (٣)، و يذكر العله من ذلك و هي توحيد جميع الاعمال و المواقف و الحيلولة دون حدوث الاضطراب في الدوله و الامه. و هذا يعنى ان تعدد الائمه مخالف لاسس العقيدته الاسلاميه في السياسه و الحكم، و في هذه الحاله

ص: ١١١

١- (١) مناقب آل ابى طالب: ٨٠/٣.

٢- (٢) عيون أخبار الرضا: ٢١٣/١.

٣- (٣) عيون أخبار الرضا: ١٠١/٢.

لا بد و ان يكون أحد الائمة إمام حق و البقيه ائمه ضلاله لا تجب طاعتهم و إن كانوا فى قمه السلطه الزمنيه.

و قام الإمام(عليه السّلام)بنشر الأحاديث المتعلقة بفضائل أهل البيت(عليهم السّلام) و دورهم فى الحياه الاسلاميه،فقد روى عن آبائه عن رسول الله(صلى الله عليه و اله)أنه قال:

«مثل أهل بيتى فيكم كمثل سفينه نوح من ركبها نجا و من تخلف عنها زج فى النار» (١).

و قال(صلى الله عليه و اله):«النجوم أمان لأهل السماء،و أهل بيتى أمان لامتى» (٢).

و روى عنه(صلى الله عليه و اله)انه قال:«يا على أنت قسيم الجنه و النار...» (٣).

و وجه(عليه السّلام)الانظار الى أهل البيت(عليهم السّلام)و الى موقعهم القيادى فى الامه،ثم وجه الانظار الى فضائل انصار أهل البيت(عليهم السّلام)كعمار و ابى ذر و المقداد و سلمان؛ليتيم تشخيص أهل الحق و أهل الباطل على طول الأجيال، فقد روى عن رسول الله(صلى الله عليه و اله)انه قال،لعلى بن أبى طالب(عليه السّلام):«الجّه تشتاق اليك و إلى عمار و سلمان و أبى ذر و المقداد» (٤).

و حدّث عنه(صلى الله عليه و اله)انه قال:«تقتل عمارا الفئه الباغيه» (٥).

كما أكّد على أهميته و لايه أهل البيت(عليهم السّلام)و البراءه من اعدائهم بقوله(عليه السّلام):«كمال الدين و لايتنا و البراءه من عدونا» (٦).

و حتّ الامه على تكريم ذريّه الرسول(صلى الله عليه و اله)بما حدّث به عن آبائه عن رسول الله(صلى الله عليه و اله)انه قال:

ص: ١١٢

١- (١) كنز العمال: ٩٨/١٢ ح ٣٤١٧٠.

٢- (٢) كنز العمال: ج ١٢، ح ٣٤١٥٥.

٣- (٣) عوالم العلوم: ٢٩٥/٢٢، باب فضل أمير المؤمنين على(عليه السّلام).

٤- (٤) سنن الترمذى: ٥٩٤/٥، مناقب الإمام على(عليه السّلام) ح ٣٧١٨.

٥- (٥) كنز العمال: ج ١١، ح ٣٣٥٥٥.

٦- (٦) انس العالم للصفوانى فى مستطرفات السرائر: ٣/٦٤٠ و عنه فى بحار الانوار: ٥٨/٢٧.

«أربعه أنا لهم شفيع يوم القيامة:المكرم لذريتى من بعدى،و القاضى لهم حوائجهم،و الساعى لهم فى امورهم عند اضطرارهم اليه،و المحب لهم بقلبه و لسانه» (١).

و فى خضم الاحداث الصاخبه و ما طرأ من تشويه و تدليس فى الحقائق و المعتقدات،بين الإمام(عليه السّلام)للامه المفهوم الحقيقى للتشيع،و شخص النماذج المجسده له فى الواقع فقال فى شيعة على(عليه السّلام): «انما شيعة الحسن و الحسين و أبو ذر و سلمان و المقداد و محمد بن أبى بكر،الذين لم يخالفوا شيئاً من أوامره،و لم يركبوا شيئاً من فنون زواجه...» (٢).

و قال(عليه السّلام):«شيعةنا الذين يقيمون الصلاه و يؤتون الزكاه،و يحجون البيت الحرام،و يصومون شهر رمضان،و يوالون أهل البيت و يتبرؤن من اعدائهم،أولئك أهل الإيمان و التقى و أهل الورع و التقوى» (٣).

و استثمر الإمام(عليه السّلام)ذكرى استشهاد الإمام الحسين(عليه السّلام)فحثّ على احيائها احياء حقيقيا ينسجم مع عمق الاهداف التى ضحى من اجلها الحسين(عليه السّلام)،ليتعمق الولاء العاطفى و السياسى لنهج الإمام الحسين الثورى، و احياء الذكرى عامل من عوامل اثاره الحس الثورى المعارض للانحراف.

قال(عليه السّلام): «ان يوم الحسين أقرح جفوننا و اسبل دموعنا و أذلّ عزيزنا...فعلى مثل الحسين فليبك الباكون،فإنّ البكاء عليه يحط الذنوب العظام» (٤).

و حثّ(عليه السّلام)على تمنى الكون مع اصحاب الحسين(عليه السّلام)و هو حثّ على تصعيد روح الثوره و التمرد على الواقع الفاسد،قال(عليه السّلام):

«إن سرّك ان يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين(عليه السّلام)فقل متى

ص: ١١٣

١- (١) عيون أخبار الرضا: ١/٢٥٣.

٢- (٢) بحار الأنوار: ١٥٨/٦٥.

٣- (٣) صفات الشيعة للصدوق: ٤.

٤- (٤) مناقب آل أبى طالب: ٩٣/٤.

ما ذكرته: يا ليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما» (١).

و حثّ (عليه السّلام) على زيارة قبر الحسين (عليه السّلام) للترؤد من مواقفه الشجاعه و لتجديد العهد معه على رفض الانحراف و الظلم و الطغيان، قال (عليه السّلام): «زيارة قبر الحسين صلوات الله عليه تعدل عمره مبروره متقبله» (٢).

و اقامه مراسيم العزاء و زياره القبر الشريف هو بمثابة معارضه و لكنها سلميه، اضافه الى ذلك فانه وسيله لجمع الانصار و المواليين بأسرع الاوقات دون ان تقوم السلطه بملاحقتهم لأن مبرر اجتماعهم هو الحزن على الحسين (عليه السّلام). و فعلا اثمر الموقف هذا، فإن الذين ثاروا فيما بعد على المأمون، انطلقوا من قبر الحسين و اعلنوا الثوره (٣).

و استطاع الإمام (عليه السّلام) بهذا الاسلوب أن يوسع القاعده المواليه لأهل البيت (عليهم السّلام) دون أن تلاحقه السلطات القائمه أو تمنع نشاطه السياسى، و استطاع (عليه السّلام) كسب عناصر جديده مقربه للحكام من وزراء و قادة جيش و فقهاء، و كانت تصل اليه الاخبار- كما تقدم- من داخل البلاط الحاكم.

و كان (عليه السّلام) يقود جميع خطط التحرك بسريه تامه- كما تقدم- و لم تقم فى عهد هارون و ابنه محمد أى ثوره مسلحه، لأن انصار أهل البيت (عليهم السّلام) كانوا منشغلين باعاده بناء قواتهم المسلحه بعد اخفاق الثورات السابقه كثوره صاحب فخ و غيره.

ص: ١١٤

١- ((١)) بحار الانوار: ٢٩٩/٤٤ عن الصدوق فى أماليه و عيون أخبار الرضا (عليه السّلام).

٢- ((٢)) بحار الأنوار: ٢٩/٩٨ و فى ط ٢ ج: ٢٩/١٠١ عن ابن قولويه فى كامل الزيارات: ١٥٤ و الصدوق فى ثواب الأعمال: ١١١-١١٥.

٣- ((٣)) بحار الأنوار: ٣٥١/١٠.

الباب الرابع

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

الإمام الرضا(عليه السلام) و ظاهره ولايه العهد

الفصل الثاني:

نشاطات الإمام(عليه السلام) بعد البيعه بولايه العهد

الفصل الثالث:

مدرسه الإمام الرضا(عليه السلام)،احتجاجاته و تراثه

ص: ١١٥

إشاره

الإمام الرضا (عليه السلام) وظاهره ولايه العهد

وقائع و أحداث سياسيّه قبل ولايه العهد

استلم المأمون زمام الحكم بعد حرب داميه استمرت خمس سنين قتل فيها آلاف القاده و الجنود، و حدث تفتت في التحالف العباسي و انقسم الى قسمين، مؤيدين و معارضين لحكم المأمون الذي قد حدث فيه انفراج سياسي للإمام الرضا (عليه السلام) و لأهل بيته بعد اربع سنين، فكان الإمام (عليه السلام) يتحدث بحريه تامه و يتحرك في دائره أوسع من قبل و هي دائره البلاط الحاكم لاتصاله بالوزراء و القاده مباشره.

و المأمون كوارث لأبيه و أجداده لم يستطع أن يخرج عن النهج السياسي السابق إلا في حدود ضيقه، و كان كسابقيه يؤطر حكمه باطار شرعي مقدس و هذا يظهر من الكتب و المخاطبات التي وجهت إليه، و منها ما كتبه اليه طاهر ابن الحسين قائد الجيش الذي قتل أخاه الأمين حيث جاء فيه:

قد قتل الله المخلوع، و أسلمه بغدره و نكثه، و أحصد لأمير المؤمنين أمره، و انجز له ما كان ينتظره من سابق وعده، و الحمد لله الراجع الى أمير المؤمنين حقّه، الكائد له فيمن خان عهده، و نقض عقده، حتى ردّ به الالفه بعد

فرقتها، و جمع له الامه بعد شتاتها، فأحيا به اعلام الدين بعد دثور سرائرها (١).

و على الرغم من إضفاء الشرعيه على حكمه و مسانده بعض الفقهاء و القضاء له، إلا ان كثيرا من المسلمين كانوا يرونه مغتصبا للخلافه، و نتيجه للظلم المتراكم على طول عهود الحكام العباسيين، و انحرافهم عن النهج الاسلامي، تفاعلت روح الثوره و التمرد في نفوس المسلمين، من قبل الثوار و من قبل المواليين لأخيه الأمين.

ففي أول سنه من حكمه و هي سنه (١٩٨ هـ) أظهر نصر بن شيث العقيلي الخلاف في حلب و تغلب على ما جاورها من البلدان، و لم ينته خلافه إلا في سنه (١٩٩ هـ) بعد القضاء عليه (٢).

و في السنه نفسها حدثت فتنه في الموصل بين اليمانيه و النزاريه قتل فيها من النزاريه نحو ستة آلاف.

و في سنه (١٩٩ هـ) انفجرت المعارك بين بني ثعلبه و بني اسامه (٣).

و كانت سنه (١٩٩ هـ) فاتحه لثوره عظيمه قادها العلويون، حيث خرج ابو السرايا السري بن منصور الشيباني بالعراق و معه محمد بن ابراهيم بن إسماعيل الحسنى، و ضرب ابو السرايا الدراهم بالكوفه و سير جيوشه الى البصره و واسط و نواحيها.

و توزعت الثوره على عدّه جهات:

جبهه البصره بقياده العباس بن محمد بن عيسى الجعفرى.

و جبهه مكه بقياده الحسين بن الحسن الأفتس.

ص: ١١٨

١- ((١)) تاريخ يعقوبى: ٤٤٢/٢.

٢- ((٢)) الكامل في التاريخ: احداث سنه (١٩٨ هـ).

٣- ((٣)) تاريخ الموصل: ٣٣٢-٣٣٦.

و جبهه اليمن بقيادة ابراهيم بن موسى بن جعفر (عليه السلام).

و جبهه فارس بقيادة اسماعيل بن موسى بن جعفر (عليه السلام).

و جبهه الاهواز بقيادة زيد بن موسى بن جعفر (عليه السلام).

و جبهه المدائن بقيادة محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن (عليه السلام).

و استمرت هذه الثورة أكثر من سنه الى أن قضى عليها (١).

و فى سنه (٢٠٠هـ) خرج محمد بن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) و لكنّه استسلم و ارسل الى المأمون (٢).

و كان لثورات العلويين أثر كبير فى تخلخل الاوضاع الداخليه و ارباك المواقف العسكريه و السياسيه.

و فى سنه (٢٠١هـ) اصاب أهل بغداد بلاء عظيم حتى كادت تتداعى بالخراب، و جلا كثير من ساكنيها بسبب النهب و السبى و الغلاء و خراب الدور (٣).

و على الرغم من اعلان المأمون العفو عن قاده الثورة من العلويين إلا- أن ذلك لا- يعنى انه كان متجنباً للارهاب، بل كان كسابقه يستخدم الارهاب لإخماد أصوات المعارضين أو من يفكر بازاله الحكم العباسى، حتى أنه اقدم على قتل هرثمه بن اعين على الرغم من اخلاصه له بدسيسه الحسن بن سهل المنافس له (٤).

و لم يسمح للمعارضه بابداء وجهات نظرها ان كانت مخالفه لمواقفه، فقد اقدم على نفى أحد الشعراء الى السند لأنه أنشد قصيده يذمّ بها قاضيا

ص: ١١٩

١- (١) الكامل فى التاريخ: ٦/أحداث سنه (١٩٩-٢٠٠هـ).

٢- (٢) عيون أخبار الرضا: ٢/٢٠٧.

٣- (٣) العبر فى خبر من غير: ١/٢٦٣.

٤- (٤) تاريخ ابن خلدون: ٥/٥٢١.

منحرفاً له علاقة مع المأمون (١).

و في مقابل الاضطراب في الوضع الداخلي كانت هنالك تحدّيات خطيره تواجه الحكومه العباسيه، فالدول الكافره و المشركه تتحين الفرص للقضاء على الحكومه و على الوجود الاسلامي، و هي تعدّ العدّه لوقتها المناسب، و لهذا اعلن المأمون العفو العام عن قادة الثورات.

الموقف السياسي للإمام الرضا (عليه السلام)

استثمر الإمام (عليه السلام) الظروف المناسبه فاتخذ ما يناسبها من مواقف، و قد عاش (عليه السلام) الانفراج الحقيقي بالانطلاق بحريه في نشر الفكر السياسي و العقيدته السياسيه لأهل البيت (عليهم السلام) لأن ظروف الاقتتال بين الأئمين و المأمون و ما أفرزته من اضطراب و خلل في الجبهه الداخليه و انقسام البيت العباسي، حالت دون ملاحظته (عليه السلام) و مطاردته أو إيقاف تحركه، و قام (عليه السلام) بتوسيع قاعدته الشعبيه في كل مصر من الامصار الاسلاميه.

و كان (عليه السلام) كآبائه و أجداده يشرف على جميع خطوط التحرك بما في ذلك خط المواجهه، و هو محاط بسريه و كتمان شديدتين، و قد اسند قيادته المباشره الى اخوانه و ابناء عمومته لكي لا يكون في موقع المواجهه العلنيه مع الحكم القائم، لأنّ القيادة المباشره تؤدّي الى قتله في معركة من المعارك أو الى قتله على ايدي اعوان الحاكم، قبل ان يهَيء الاجواء لامامه من يأتي بعده.

و من معطيات القيادة غير المباشره للمواجهه، ان جميع الأخطاء و الممارسات التي ترتكب اثناء الثوره من قبل الثوار لا تحسب على

ص: ١٢٠

١- (١) مروج الذهب: ٣/٣٤٥.

الإمام (عليه السلام) و إنما على القائد المباشر المشرف على الخط العسكرى.

و كان الإمام (عليه السلام) يحيط تحركه بسريره تامه ففى سنة (١٩٩ هـ) قبل انطلاق الثورة على المأمون، اجتمع انصار محمد بن سليمان العلوى بالمدينه و طلبوا منه ان يبعث الى الإمام الرضا (عليه السلام) و يدعوه للقيام معه، فأرسل اليه أحد المقترحين فأجابه الإمام (عليه السلام):

«إذا مضى عشرون يوماً أتيتك»، فمكثوا أياماً فلما كان يوم ثمانية عشر قامت القوات العباسيه بمحاربتهم و القضاء على ثورتهم فى مهدها (١).

و الظروف السياسيه قد تعطى انطباعاً لدى المسلمين من عدم علاقه الإمام بالثوار، و قد يكون الإمام (عليه السلام) قد اعطى صلاحيات مطلقه لقاده الخط العسكرى دون الرجوع اليه باستمرار و إنما متابعه الاحداث و المواقف عن بعد، فحينما اراد محمد بن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) الثورة فى يوم معين ارسل اليه الإمام (عليه السلام): «لا تخرج غداً فإنك ان خرجت هزمت و قتل أصحابك» (٢).

و بعد سنتين من سيطره المأمون على زمام الحكم، و بالتحديد فى سنة (٢٠٠ هـ) كتب الى الإمام الرضا (عليه السلام) يدعوه للقدوم الى خراسان، فاعتل (عليه السلام) بعلم كثيره، و استمر المأمون يكاتبه و يسأله حتى علم (عليه السلام) أنه لا يكف عنه، فاستجاب له، و أمر الموكل بالامام (عليه السلام) ان لا يسير به عن طريق الكوفه و قم، فسار به عن طريق البصره و الاهواز و فارس حتى وصل الى مرو، و هنا لك عرض عليه المأمون أن يتقلد الخلافه و الامر، فأبى (عليه السلام) ذلك، و جرت فى هذه القضيه مخاطبات كثيره دامت نحواً من شهرين، و كان الإمام (عليه السلام) يأبى أن يقبل ما يعرض عليه، فلما كثر الكلام و الخطاب فى هذه

ص: ١٢١

١- ((١)) عيون أخبار الرضا: ٢/٢٠٨.

٢- ((٢)) اصول الكافى: ١/٤٩١، مناقب آل أبى طالب: ٤/٣٦٨، و عن الكافى فى بحار الأنوار: ٥٧/٤٩.

القضيه، قال المأمون: فولايه العهد، فأجابه الإمام (عليه السّلام) بعد الالاح و التلويح بالقتل الى ذلك. و شرط (عليه السّلام) بعض الشروط و قال (عليه السّلام):

«انى ادخل فى ولايه العهد على أن لا- آمر و لا أنهى و لا أفضى و لا اغتير شيئا ممّا هو قائم و تعفينى من ذلك كله» (١). فأجابه المأمون الى ذلك، فتّمت ولايه العهد فى الخامس من رمضان سنه (٢٠١ هـ) (٢).

دوافع المأمون لفرض ولايه العهد على الإمام (عليه السّلام)

اشاره

لم تكن دوافع المأمون من جعل الإمام (عليه السّلام) وليا لعهد نابعه من ولائه لأهل البيت (عليهم السّلام)؛ لأن مغريات السلطه و الرئاسه متغلبه على جميع الولاءات و الميول، و لم يكن المأمون صادقاً فى ولائه، و كان ميله للعلويين اصطناعاً (٣)، و لا- يمكن التصديق بعمق الولاء حتى يكون دافعاً للتنازل عن الحكم و تسليمه الى الإمام الرضا (عليه السّلام) أو توليته للعهد من بعده، فهل يعقل ان يضخى المأمون بالحكم الذى قتل من أجله الالاف من الجنود و القاده، و قتل أخاه و بعض أهل بيته، ثم يسلمه الى غيره؟!

و بالفعل لم يدم الأمر طويلاً، و رحل الإمام (عليه السّلام) الى ربّه و المأمون حى يرزق، فدوافع المأمون نابعه من مصلحه حكمه و مستقبل أهل بيته، و هو حال جميع أو اغلب الحكام المتعاقبين على دفة الحكم، و الآفما معنى الالاح على الإمام (عليه السّلام) حتى وصل الى درجه التلويح بل التصريح بالقتل - كما سيأتى - و يمكن تحديد دوافع المأمون بالنقاط التاليه:

ص: ١٢٢

١- (١) عيون أخبار الرضا: ١٤٩/٢، ١٥٠.

٢- (٢) عيون أخبار الرضا: ٢٤٥/٢.

٣- (٣) شذرات الذهب: ٣/٢.

كانت الاوضاع فى عهد المأمون مضطربه للغاية، فبعد قتال دام مع أخيه و استيلائه على الحكم فوجئ بعده ثورات و حركات مسلحه، و منها ثورات العلويين، و كان المعارضون لحكمه منتشرين فى جميع الأمصار الاسلاميه، و قد وضح المأمون حقيقه الاوضاع قائلاً:

و الله ما أنزلت قيسا من ظهور خيولها إلا- و أنا أرى أنه لم يبق فى بيت مالى درهم واحد... و أمّا اليمن، فو الله ما أحببتها، و لا أحبنتى قطّ، و أمّا قضاءه فساداتها تنتظر السفينانى، حتى تكون من اشياعها، و أمّا ربيعه فساخطه على ربّها مذ بعث الله نبيّه من مضر (١).

و قد خلخلت الثورات المسلحه الوضع العسكرى و السياسى، فقد نظر فى الدواوين فوجد من قتل من اصحاب السلطان فى وقائع أبى السرايا مائتا الف رجل (٢).

فأراد المأمون من تقريب الإمام (عليه السلام) و تولّيه العهد أن يستقطب أعوانه و أنصاره، و يوقف زحفهم و نشاطهم العسكرى، بل يستميلهم الى جانبه ليتفرغ الى بقيه الثائرين و المتمردين الذين لا يعتد بهم قيسا للثوار العلويين.

و اراد كسب الاغلبيه العظمى من المسلمين لارتباطهم العاطفى و الروحى بالامام (عليه السلام) و خصوصاً أهل خراسان الذين اعانوه على احتلال بغداد، و الشاهد على ذلك استقبال الإمام (عليه السلام) من قبل العلماء و الفقهاء و أصحاب الحديث، و الذين بلغ عددهم عشرين ألفاً فى نيسابور (٣).

و بتقريب الإمام (عليه السلام) كان يمكنه امتصاص نغمه المعارضه، و تفويت

ص: ١٢٣

١- (١) الكامل فى التاريخ: ٤/٤٣٢، ٤٣٣.

٢- (٢) مقاتل الطالبين: ٥٥٠.

٣- (٣) الفصول المهمه: ٢٥١، نور الابصار: ١٧٠.

الفرصة عليها للمطالبه بالحكم، و شق صفوفها عن طريق تقريب البعض و اقناعهم بترك الثورة المسلحه دون البعض الآخر.

ثانياً: إضفاء الشريه على حكمه

إنّ شرعيه الحاكم عند المسلمين مستمده من النص عليه من قبل رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و هو رأى أهل البيت (عليهم السّلام) أو من الشورى و موافقه أهل الحل و العقد، أو العهد من قبل السابق مشروطاً برضى الامه المتأخّر عن زمن العهد و هو رأى بقيه الفقهاء، و هؤلاء الفقهاء و ان اقروا حكمه المأمون إلا أنّ اقرارهم كان نابعا من الترغيب و التهيب، أو استسلاماً منهم للأمر الواقع و عدم قدرتهم على ازالته.

من هنا فالمأمون أدرك ان حكمه بحاجة الى اضعفاء الشريه عليه، لذا اظهر استعداد التنازل عن الحكم ليقوم الإمام الرضا (عليه السّلام) بالتصدّي له، و حينما رفض الإمام (عليه السّلام) استلام الحكم عرض عليه ولايه العهد فاضطره الى قبولها، و الإمام (عليه السّلام) موضع قبول و رضى من قبل جميع المسلمين كما عبّر الإمام محمد الجواد (عليه السّلام) عن هذه الحقيقه بقوله:

«رضى به المخالفون من اعدائه كما رضى به الموافقون من اوليائه، و لم يكن ذلك لأحد من آبائه (عليهم السّلام)، فلذلك سمى من بينهم الرضا» (١).

و قبوله للعهد- فى رأى المأمون و رأى كثير من المسلمين- يعنى اعترافه بشرعيه حكم المأمون، و الرضا الظاهري بتقبّل ولايه العهد، يعنى رضاه عن الحكم الواقع و عدم معارضته له، و رضاه هو رضا الامه التى تواليه عاطفياً و فكرياً.

ص: ١٢٤

١- (١) عيون أخبار الرضا: ١٣/١ و عنه فى البحار: ٤/٤٩.

ثالثاً: منع الإمام من الدعوه لنفسه

ان الإمام (عليه السّلام) مسؤول عن دعوه الامه للارتباط بالإمام الحق و بالمنهج الحق، و المتجسّد بامامته و بمنهج أهل البيت (عليهم السّلام)، و لذلك فأنّه لا- يتوانى عن هذه المسؤوليه، و من هنا كان تفكير المأمون منصبا على منع الإمام من الدعوه لنفسه، أو تحجيم سعه الدعوه، و المتعارف عليه أنّ ولى العهد يدعو للحاكم الفعلى ثم يدعو لنفسه، و قد عبّر المأمون عن دوافعه بالقول:

قد كان هذا الرجل مستترا عتّا يدعو الى نفسه دوننا، فأردنا ان نجعله ولى عهدنا ليكون دعاؤه الينا (١).

رابعاً: إبعاد الإمام عن قواعده

وجود الإمام (عليه السّلام) فى العاصمه الى جنب المأمون يعنى ابتعاده عن قواعده الشيعيه، و تحجيم الفرص المتاحة للاجتماع بوكلائه و نوابه المنتشرين فى شرق الارض و غربها، و ابعاد الإمام (عليه السّلام) عن قواعده يعنى التقليل من التوجيه و الارشاد المباشر لها، و من خلال ذلك يمكن مراقبه الإمام (عليه السّلام) مراقبه دقيقه و معرفه تحركاته و لقاءاته اليوميه، فقد قام المأمون بتقريب هشام بن ابراهيم الراشدى، و قد كان ممّن يتقرّب الى الإمام (عليه السّلام) و يحاول الاختصاص به و ولأه حجاباه الإمام (عليه السّلام)، فكان ينقل الاخبار اليه، و كان يمنع من اتصال كثير من مواليه به، و كان لا يتكلم الإمام فى شىء إلاّ أوردته هشام على المأمون (٢).

خامساً: إيقاف خطر الإمام على الحكم القائم

ان التفاف المسلمين حول الإمام (عليه السّلام) و توسع قاعدته الشيعيه كان

ص: ١٢٥

١- (١) فرائد السمطين: ٢/٢١٤.

٢- (٢) عيون أخبار الرضا: ٢/١٥٣ ح ٢٢ و عنه فى بحار الانوار: ١٣٩/٤٩.

يشكل خطراً على الحكم القائم و خصوصاً ان الحكم قد خرج من معارك طاحنه بين الامين و المأمون، و بين المأمون و المعارضين، فقوه الإمام (عليه السلام) تعنى ضعف المأمون، و قد اعترف المأمون بذلك فقال:

و قد خشينا ان تركناه على تلك الحاله أن يفتق علينا منه ما لانسده، و يأتي علينا ما لا نطقه (١).

سادساً: تشويه سمعه الإمام (عليه السلام)

اراد المأمون من خلال توليه الإمام (عليه السلام) للعهد ان يشوه سمعته بالتدريج عن طريق عيونه و وسائل اعلامه، و قد كشف الإمام (عليه السلام) هذه الحقيقه للمأمون بقوله: «تريد بذلك ان يقول الناس انّ على بن موسى الرضا لم يزهد فى الدنيا بل زهدت الدنيا فيه، الا ترون كيف قبل ولايه العهد طمعا بالخلافه» (٢).

و صرح المأمون للعباسيين ببعض دوافعه بقوله: و لكننا نحتاج أن نضع منه قليلاً قليلاً حتى نصوّره عند الرعايا بصورة من لا يستحق هذا الأمر (٣).

سابعاً: تفتيت جبهه المعارضه

إن المعارضين لحكم المأمون سينظرون الى الإمام (عليه السلام) على أنه جزء من الحكومه القائمه، و تعمق هذه النظره حينما يجدون أن اخوه الإمام (عليه السلام) و أبناء عمومته قد اصبحوا ولاه و امراء على الأمصار، و بالفعل فقد عين المأمون العباس و ابراهيم اخوى الإمام (عليه السلام) ولاه على الكوفه و اليمن (٤).

ففى هذه الحاله اصبح باقى المعارضين وجها لوجه أمام انصار

ص: ١٢٦

١- (١) فرائد السمطين: ٢١٤/٢.

٢- (٢) علل الشرايع: ٢٣٨.

٣- (٣) فرائد السمطين: ٢١٥/٢.

٤- (٤) تاريخ ابن خلدون: ٥٣٢، ٥٢٧/٥.

الإمام (عليه السلام)، وهذا يعنى تفتيت جبهه المعارضه، فاذا ارادت المعارضه القيام بحركه مسلحه فإنها ستواجه الوالى العلوى مباشره، و يقوم الوالى باصدار الأوامر لقمعها، و تلقى المسؤوليه عليه، و كان المأمون يتمنى هذا الأمر فلجأ الى توليه الإمام (عليه السلام) ولايه العهد ليحقق هذه الامنيه، و اضافه الى ذلك فإنه أراد أن يلقي مسؤوليه بعض المفاسد الإداريه و الحكوميه على من نصّب بهم فى الامصار من أهل البيت (عليهم السلام) أو من اتباعهم.

أسباب قبول الإمام (عليه السلام) بولايه العهد

قال المأمون للإمام الرضا (عليه السلام): يا ابن رسول الله قد عرفت فضلك و علمك و زهدك و ورعك و عبادتك، و أراك أحق بالخلافه منى.

فقال الإمام (عليه السلام): «بالعبوديه لله عزّ و جل أفتخر، و بالزهد فى الدنيا أرجو النجاه من شر الدنيا، و بالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم، و بالتواضع فى الدنيا أرجو الرفعه عند الله تعالى».

فقال له المأمون: انى قد رأيت أن اعزل نفسى عن الخلافه و اجعلها لك و أبايعك!.

فقال له الرضا (عليه السلام): «ان كانت هذه الخلافه لك و جعلها الله لك فلا يجوز لك أن تخلع لباسا ألبسه الله و تجعله لغيرك، و ان كانت الخلافه ليست لك، فلا يجوز لك أن تجعل لى ما ليس لك».

فقال له المأمون: يا ابن رسول الله لا بدّ من قبول هذا الأمر.

فقال (عليه السلام): «لست افعل ذلك طايعا ابدا».

فما زال يجهد به أياما حتى يئس من قبوله، فقال له: فإن لم تقبل

الخلافه و لم تحب مبايعتى لك فكن ولى عهدى لتكون لك الخلافه بعدى.

ثم جرى بينهما كلام أوضح فيه الإمام دوافع المأمون من ذلك، فغضب المأمون ثم قال: انك تتلقانى أبدا بما اكرهه، وقد أمنت سطوتى، فبالله أقسم لئن قبلت ولايه العهد و إلا أجبرتكم على ذلك، فان فعلت و إلا ضربت عنقك.

فقال الإمام (عليه السلام): «قد نهانى الله عزّ و جلّ أن القى بيدي الى التهلكه فإن كان الأمر على هذا فافعل ما بدا لك و أنا أقبل ذلك على أن لا اولى أحدا و لا أعزل أحدا و لا أنقضن رسما و لا سنه و اكون فى الأمر بعيدا مشيرا»، فرضى منه بذلك و جعله ولىّ عهده على كراهه منه (عليه السلام) لذلك (١).

و فى روايه اخرى، ان المأمون قال له: انّ عمر بن الخطاب جعل الشورى فى سته، احدهم جدك أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) و شرط فيمن خالف منهم أن يضرب عنقه، و لا بد من قبولك ما أريده منك، فانى لا أجد محيصا منه (٢).

و قد صرح الإمام (عليه السلام) باضطراره للقبول لمن سأله أو اعترض عليه بسبب قبوله فقال (عليه السلام): «قد علم الله كراهيتى لذلك، فلما خيرت بين قبول ذلك و بين القتل اخترت القبول على القتل، و يحهم! اما علموا أن يوسف (عليه السلام) كان نبيا و رسولا، فلما دفعته الضروره الى تولّى خزائن العزيز، قال: **إِجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ** (٣)، و دفعتنى الضروره الى قبول ذلك على إكراه و إجبار بعد الاشراف على الهلاك، على انى ما دخلت فى هذا الأمر إلا دخول خارج منه، فالى الله المشتكى و هو المستعان» (٤).

و قيل له: يا ابن رسول الله ما حملك على الدخول فى ولايه العهد؟

ص: ١٢٨

١- (١) علل الشرايع: ٢٣٧-٢٣٨.

٢- (٢) الارشاد: ٢/٢٥٩، ٢٦٠.

٣- (٣) يوسف (١٢): ٥٥.

٤- (٤) عيون أخبار الرضا: ٢/١٣٩.

فقال (عليه السلام): «ما حمل جدى أمير المؤمنين (عليه السلام) على الدخول فى الشورى» (١).

و الإمام (عليه السلام) لم يستسلم للقبول خائفاً من قتل نفسه، وإنما يكون قتله خساره للحركه الرساليه، و ان الامه فى تلك المرحله بحاجة الى قيادته فى جميع مجالات الحياه، فلو قتل فإن الاضطراب و الخلل سيعم قواعده الشعبيه، و كذلك سيكون قتله فاتحه لقتل أهل بيته و اعوانه و انصاره، و قد يؤدى قتله الى قيام ثورات مسلحه دون تأنن و رويه، يدفعها طلب الثأر و الانتقام الى ثوره عاطفيه مفاجئه دون تخطيط مسبق، و بالتالى تنهار القوه العسكريه دون أن تغتير من الاحداث شيئاً.

نعم هذا هو السبب الوحيد- كما يبدو- لقبول الإمام (عليه السلام) لولايه العهد عن إكراه و اضطرار. و من هنا فالإمام (عليه السلام) لا بد أن يستثمر ما يمكنه استثماره لحياء السنن و اماته البدع و تعبئه الطاقات و إشغال خطط المأمون المستقبليه و تصحيح ما يمكنه من افكار و مفاهيم سياسيه خاطئه.

استثمار الإمام (عليه السلام) للظروف

أولاً: استثمار الظروف لاقامه الدين و احياء السنه

ان الحريه النسبيه الممنوحه للإمام (عليه السلام) و لاهل بيته و انصاره هى فرصه مناسبه لتبيان معالم الدين و احياء السنه، و نشر منهج أهل البيت (عليهم السلام) فى مختلف الاوساط الاجتماعيه و السياسيه، فالإمام (عليه السلام) يمكنه التحرك فى البلاط و الالتقاء بالوزراء و قاده الجيش و خواص المأمون، و يمكن لاخوانه الذين اصبحوا و لاه التحرك فى امصارهم، و كذلك انصاره يمكنهم التحرك فى

ص: ١٢٩

وسط الامه، و فى هذا الصدد قال (عليه السلام): «اللهم انك قد نهيتنى عن الإلقاء بيدى الى التهلكه، و قد اكرهت و اضطررت كما اشرفت من قبل عبد الله المأمون على القتل متى لم اقبل ولايه عهده... اللهم لا عهد إلاّ عهدك، و لا ولايه إلاّ من قبلك، فوقفتى لإقامه دينك، و احياء سنه نبيك محمد (صلّى الله عليه و اله)، فإنك انت المولى و أنت النصير، و نعم المولى انت و نعم النصير» (١).

و قد سمحت الظروف للإمام (عليه السلام) لتبيان المنهج السليم أمام الوزراء و القضاة و الفقهاء و أهل الديانات الذين جمعهم المأمون لمناظره الإمام، اضافه الى قيامه بتوجيه المأمون الى اتخاذ الرأى و الموقف الأصوب، و حل المسائل المستعصيه.

ثانيا: تعبئه الطاقات

بعد فشل الثورات العلويه و انكسارها عسكريا، أصبح الطرف مناسبا لاعاده بناء قوّاتها، و تعبئه الطاقات عن طريق ايقاف الملاحقه و المطارده لها، فهى بحاجة الى قسط من الراحة لادامه التحرك فيما بعد، و هذه المكاسب لا تتحقق ان لم يقبل الإمام (عليه السلام) بولايه العهد.

ثالثا: إفشال مخططات المأمون

من المتوقع أن يقوم المأمون فى حاله رفض الإمام (عليه السلام) لقبول ولايه العهد-بتوليئه العهد لأحد العلويين، و يستثنى عن اكراه الإمام (عليه السلام) و قتله، و العلوى الذى ينصبه وليا للعهد، أمّا ان يكون مساوما و انتهازيا، أو مخلصا قليل الوعى، أو مخلصا معرّضا للانزلاق فى مغريات السلطه، و فى جميع الحالات، فإنّ هذا الموقف سيؤدى الى شق

ص: ١٣٠

صفوف أنصار أهل البيت (عليهم السّلام)، أو توريط العلوي بممارسات خاطئه تؤدّي الى تشويه سمعه أهل البيت (عليهم السّلام)، أو القاء المسؤوليه عليه، و قد يؤدّي انزلاق من يتولى العهد من العلويين الى قيامه بمعارضه الإمام (عليه السّلام) أو ملاحقه اتباعه و انصاره.

و بقبول الإمام (عليه السّلام) لولاية العهد فوّت الفرصه على المأمون لامرار مخططاته فى شق صفوف انصار أهل البيت (عليهم السّلام) أو القاء تبعيه المفاسد على من ينسب اليهم.

رابعاً: تصحيح الأفكار السياسيّه الخاطئه

من الافكار السائده عند كثير من المسلمين هى عدم ارتباط الدين بالسياسه، و أنّه لا يليق بالائمّه و الفقهاء ان يكونوا سياسيين، أو يتولوا المناصب السياسيّه، و ان الزهد فى الحكومه و الخلافه هو مقياس التقييم، و قد حاول العباسيون تركيز هذا المفهوم عند المسلمين، فاراد الإمام (عليه السّلام) بقبوله بولاية العهد أن يصحح هذه الافكار السياسيّه الخاطئه و يوضّح للمسلمين وجوب التصدى للحكم ان كانت الظروف مناسبه للتصدى.

و الافكار الخاطئه حقيقه قائمه، فقد دخل أحد أنصار الإمام (عليه السّلام) عليه و قال له: يا ابن رسول الله ان الناس يقولون انك قبلت ولاية العهد، مع اظهارك الزهد فى الدنيا (١).

و لا- يمكن ازاله هذه الافكار عن طريق التريبه و التوجيه البيانى فقط لأن هذه المهمه تحتاج الى وقت طويل و نشاط اضافى، و لكنّها ستزول بالتوجيه العملى المباشر، و هو قبول ولاية العهد.

ص: ١٣١

بعد قبول الإمام الرضا (عليه السلام) بولاية العهد مضطراً، جمع المأمون خواصه من الامراء والوزراء والحجّاب والكتّاب وأهل الحل والعقد، وأمر الفضل بن سهل أن يخبرهم حول ولاية العهد، وان يلبسوا الخضرة بدلا من السواد، ثم أعطاهم استحقاقاتهم من الاموال لسنته متقدمه ثم صرفهم، وبعد اسبوع حضر الناس و جلسوا، كل في موضعه، و جلس المأمون ثم جىء بالإمام الرضا (عليه السلام) فجلس و هو لابس الخضرة و على رأسه عمامه مقلد بسيف، فأمر المأمون ابنه العباس بان يكون أول من يبايعه (عليه السلام)، فرفع الإمام (عليه السلام) يده و حطها من فوق، فقال له المأمون: بسط يدك فقال الإمام (عليه السلام): «هكذا كان يبايع رسول الله (صلى الله عليه و اله) يضع يده فوق أيديهم»، فقال المأمون: افعل ما ترى.

ثم وزعت الهدايا على الحاضرين، و قام الخطباء و الشعراء فذكروا ولاية العهد، و عدّدوا فضائل و مآثر الإمام (عليه السلام).

و طلب المأمون من الإمام (عليه السلام) أن يخطب الناس، فقام (عليه السلام) فحمد الله و اثنى عليه و على نبيه (صلى الله عليه و اله) ثم قال: «ايها الناس انّ لنا عليكم حقا برسول الله (صلى الله عليه و اله)، و لكم علينا حق به، فاذا أدّيتم الينا ذلك، و جب لكم علينا الحكم و السلام» (١).

ثم صعد المأمون المنبر فقال: (ايها الناس جاءكم بيعة على بن موسى ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، و الله لو

ص: ١٣٢

١- ((١)) الارشاد: ٢٦٢/٢ و عنه فى إعلام الورى: ٧٤/٢ و فى الفصول المهمة: ٢٥٥-٢٥٦، و انظر خطبته فى عيون أخبار الرضا: ١٤٦/٢.

قرأت هذه الاسماء على الصم البكم ليرؤوا بإذن الله عزّ وجل (١).

وقد توقع الإمام (عليه السلام) ان ولايه العهد لا تتم، فحينما رأى سرور بعض مواليه، قال له بهمس:

«لا تشغل قلبك بشيء مما ترى من هذا الأمر ولا تستبشر، فإنه لا يتم» (٢).

و بالفعل فقد صدق ما قاله، فإنه توفى قبل وفاه المأمون.

فقرات من كتاب العهد بخط المأمون

كتب المأمون كتاب العهد بخط يده، ووضّح فيه سبب اختياره للإمام (عليه السلام)، وإليك فقرات منه: وكانت خيرته... على بن موسى الرضا بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، لما رأى من فضله البارِع، و علمه الذابِع، و ورعه الظاهر الشايِع، و زهده الخالص النافع، و تخليته من الدنيا، و تفرده عن الناس، و قد استبان ما لم تزل الأخبار عليه مطبقة و الألسن عليه متفقه و الكلمه فيه جامع، و الأخبار واسع و لما لم نزل نعرفه به من الفضل، يافعا و ناشئا و حدثا و كهلا، فلذلك عقد بالعهد و الخلفه من بعده... و دعا أمير المؤمنين ولده و أهل بيته و خاصته، و قواده، و خدمه فبايعه الكل مطيعين مسارعين مسرورين... (٣).

فقرات مكتوبه بظهر كتاب العهد بخط الإمام (عليه السلام)

كتب الإمام بخطه على ظهر كتاب العهد كتابا جاء فيه «...انه جعل الئ

ص: ١٣٣

١- (١) عيون أخبار الرضا: ١٤٧/٢.

٢- (٢) الارشاد: ٢٦٣/٢ عن المؤرخ المدائني و عنه في إعلام الوری: ٧٤/٢ و عن الارشاد في بحار الأنوار: ١٤٧/٤٩ و في الفصول المهمه: ٢٥٦.

٣- (٣) الفصول المهمه: ٢٥٨.

عاهده و الامر الكبرى ان بقيت بعده...و خوفا من شتات الدين واضطراب أمر المسلمين، و حذر فرصه تنتهز و ناعقه تبتدر؛ جعلت لله على نفسى عهدا ان استرعانى أمر المسلمين و قلدىنى خلافه العمل فيهم...ان اعلم فيهم بطاعه الله تعالى و طاعه رسوله (صلى الله عليه و اله)، و لا اسفك دما حراما، و لا أبيع فرجا، و لا مالا إلا ما سفكته حدوده، و أباحته فرائضه، و أن أتخير الكفاه جهدى و طاقتى...و إن أحدثت أو غيرت أو بدلت كنت للعزل مستحقا، و للنكال متعرضا...و ما أدرى ما يفعل بى و بكم، إن الحكم إلا لله، يقص الحق و هو خير الفاصلين...» (١).

فقد وضح الإمام (عليه السلام) للامه المنهج السياسى للحاكم الإسلامى، و دوره فى تطبيق احكام الشريعة، و اسباب عزله و غير ذلك من المفاهيم السياسيه، و كان الكتابان قد كتبا فى السابع من شهر رمضان سنه (٢٠١ هـ).

أوامر المأمون بعد البيعه

أمر المأمون بطرح السواد و هو شعار العباسيين، و استبداله بالخضره، و أمر الجميع بذلك و بالبيعه للإمام (عليه السلام) و كتب الى الامصار بذلك، و ضرب الدارهم باسم الإمام، فلما وصل كتابه الى بغداد أجابه البعض و امتنع البعض الآخر (٢).

و قام المأمون بسجن ثلاثه من قواده لرفضهم البيعه (٣).

و تمرّد العباسيون على المأمون رافضين للبيعه و بايعوا لبراهيم بن المهدي فى بغداد (٤).

ص: ١٣٤

- ١- (١) الفصول المهمه: ٢٥٨-٢٥٩ و انظر صورته الكتابين فى عيون أخبار الرضا: ١٥٤/٢-١٥٩.
- ٢- (٢) الكامل فى التاريخ: ٣٢٦/٦.
- ٣- (٣) عيون أخبار الرضا: ١٥٠/٢.
- ٤- (٤) الكامل فى التاريخ: ٣٢٧/٦.

و تمرّدوا فى الكوفه و كان شعارهم يا ابراهيم يا منصور لا طاعه للمأمون (١).

و لم يستطيعوا الاستمرار فى التمرّد، فقد اطاعت جميع الامصار المأمون، و بايعت للامام بولايه العهد، و كان الدعاء للامام (عليه السّلام) بالصوره التاليه:

«ولى عهد المسلمين على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على عليهم السلام.

سته آباءهم ما هم أفضل من يشرب صوب الغمام» (٢).

أحداث ما بعد البيعه

بحلول العيد أى بعد ثلاثه و عشرين يوما من كتابه العهد بعث المأمون الى الإمام (عليه السّلام) يسأله أن يصلى بالناس صلاه العيد و يخطب ليطمئن قلوب الناس، و يعرفوا فضله، و تقرّ قلوبهم على هذه الدوله، فبعث اليه الإمام (عليه السّلام) بالقول: «قد علمت ما كان بينى و بينك من الشروط فى دخولى فى هذا الأمر»، فقال المأمون: انما اريد بهذا ان يرسخ فى قلوب العامه و الجند و الشاكرية هذا الأمر، فتطمئن قلوبهم، و يقروا بما فضلك الله به.

فلم يزل يراؤه الكلام فى ذلك، فلما الحّ عليه، قال: «...إن أعفيتنى من ذلك فهو أحبّ الىّ، و إن لم تعفنى خرجت كما كان يخرج رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و كما خرج أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام)»، فقال المأمون: اخرج كما تحب.

ص: ١٣٥

١- ((١)) تاريخ الطبرى: ٥٦٠/٨.

٢- ((٢)) عيون أخبار الرضا: ١٤٥/٢ و فى مقاتل الطالبين: ٥٦٥ و فى الارشاد: ٢٦٢/٢ و الشعر للنابعه الذبياني و المستشهد به حاكم المدينه عبد الجبار سعيد المساحقى.

و أمر المأمون القواد و الناس فقعدوا عند باب الإمام (عليه السلام) و فى الطرقات و السطوح، فلما طلعت الشمس، خرج الإمام متعمماً بعمامه بيضاء و القى طرفاً منها على صدره و طرفاً بين كتفه، و رفع ثوبه و هو حاف، و معه مواليه على نفس حاله، ثم رفع رأسه الى السماء، و كبر أربع تكبيرات، و قال: «الله أكبر الله أكبر الله أكبر على ما هدانا، الله أكبر على ما رزقنا...» و رفع صوته فأجهش الناس بالبكاء و العويل، و نزل القواد عن دوابهم و ترجلوا، و ضجت مرو ضجة واحدة، و لم يتمالك الناس من البكاء و الضجيج، و كان الإمام (عليه السلام) يمشى و يقف فى كل عشر خطوات وقفه، و لما سمع المأمون بذلك، قال له الفضل بن سهل: يا أمير المؤمنين ان بلغ الرضا المصلّى على هذا السبيل افتتن به الناس، فالرأى أن تسأله أن يرجع، فبعث اليه و سأله الرجوع، فدعا الإمام (عليه السلام) بخفّه فلبسه و رجع (1).

و استطاع الإمام (عليه السلام) بفعله هذا ان يعيد سنّه رسول الله (صلّى الله عليه و اله) فى صلاه العيد، بعد ان اندثرت معالمها لعدم اهتمام الحكّام و الولاه بها، و استطاع الإمام (عليه السلام) أن يدخل الى قلوب الناس، فى هذا العمل الآنى، فقد تأثر به الجميع بما فيهم قواد المأمون.

ص: ١٣٦

١- (١) عيون أخبار الرضا: ١٥٠/٢-١٥١.

إشاره

ان الموقف الذى يتخذه الإمام(عليه السّلام)لا بد من اشتماله على مصلحه ذات عائد مقبول للإسلام و المسلمين و لاتباع أهل البيت(عليهم السّلام)،و قد حصل الإمام(عليه السّلام)على مكتسبات عديده بعد اضطراره للقبول بولاية العهد،و لو لا قبوله لما تحققت تلك المكتسبات،و من هذه المكتسبات:

أولا: اعتراف المأمون بأحقّيه أهل البيت(عليهم السّلام)

قام الامويون و من بعدهم العباسيون بمحاولة طمس فضائل أهل البيت (عليهم السّلام)و التقليل من شأنهم،و استخدموا جميع طاقاتهم للحد من ذلك،تحت الترغيب و التهيب،و لكنّ الوضع تغيّر بعد قبول الإمام(عليه السّلام)بولاية العهد، فقد قام المأمون بتوضيح هذه الفضائل،و توضيح مظلوميه أهل البيت(عليهم السّلام) من قبل الحكّام السابقين.

فقد أجاب المأمون على كتاب كتبه له بنو هاشم،ووضّح فيه تلك الحقائق إذ جاء فيه:«...فلم يقم مع رسول الله(صلّى الله عليه و اله)أحد من المهاجرين كقيام على بن أبى طالب(عليه السّلام)فإنه آزره و وقاه بنفسه...و هو صاحب الولاية فى حديث غدیر خم،و صاحب قوله:«أنت منى بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى...» و كان احب الخلق الى الله تعالى و الى رسوله،و صاحب الباب،فتح له و سدّ ابواب المسجد،و هو صاحب الرايه يوم خيبر،و صاحب عمرو بن عبد ود فى المبارزه،و أخو رسول الله(صلّى الله عليه و اله)حين آخى بين المسلمين».

ثم وضّح فى الكتاب نفسه مظلوميه أهل البيت(عليهم السّلام)معترفا بجرائم العباسيين بحقهم فقال:«...ثم نحن و هم يد واحده كما زعمتم،حتى قضى الله

تعالى بالأمر إلينا، فأخفناهم، و ضيقنا عليهم، و قتلناهم أكثر من قتل بنى أمية إياهم» (١).

و فى موضع آخر احتجّ المأمون على الفقهاء بفضائل الإمام على (عليه السّلام) و أحقيته بالخلافه، فما كان من الفقهاء إلاّ تأييد ما قاله، فقال يحيى بن أكثم القاضى: يا أمير المؤمنين قد أوضحت الحق لمن اراد الله به الخير، و أثبت ما يقدر أحد أن يدفعه، و أتبعه الفقهاء بالقول: كلنا نقول بقول أمير المؤمنين أعزه الله (٢).

و كان المأمون يتحدّث عن فضائل أهل البيت (عليهم السّلام) فى اغلب جلساته، و هذا يعنى تشجيعا للولاه و الامراء ليتحدّثوا عن أهل البيت (عليهم السّلام) بمثل ما تحدّث به، و تشجيع لأنصار أهل البيت (عليهم السّلام) فى ذكر فضائلهم بحريه تامه، و هذا ما يزيد من توسع القاعده الشعبيه المواليه لاهل البيت فكرا و عاطفه و سلوكا.

و اعترف المأمون أيضا بأفضليه الإمام الرضا (عليه السّلام) و أحقيته بالخلافه و أخبر خواصه بأنّه: نظر فى ولد العباس و ولد علىّ رضى الله عنهم، فلم يجد فى وقته أحدا أفضل و لا احق بالأمر من على بن موسى الرضا (٣).

ثانيا: توظيف وسائل الإعلام لصالح الإمام (عليه السلام)

وظّف المأمون وسائل الاعلام لصالح الإمام (عليه السلام) فأصبح من أكثر الناس شيوعا صيته، و تحققت معرفه المسلمين و غير المسلمين به، فالولاه

ص: ١٣٨

١- ((١)) بحار الأنوار: ٢١٠/٤٩، عن كتاب: نديم الفريد، لابن مسكويه.

٢- ((٢)) العقد الفريد: ٣٥٨/٥-٣٥٩.

٣- ((٣)) مروج الذهب: ٤٤١/٣، و فى الشذرات الذهبية فى تراجم الأئمه الاثنى عشر عند الإماميه المنشور باسم: الأئمه الاثنا عشر لابن طولون: ٩٧.

و الامراء و أئمه الجمععه، يدعون له من على المنابر كل يوم و كل جمعه و كل مناسبة، اضافه الى طبع اسمه على الدارهم و الدنانير المعمول بها فى جميع الامصار، و وجد الخطباء و الشعراء الفرصه مناسبه للترويج لشخصيه الإمام (عليه السّلام) و آباءه و اجداده، فكثرت الخطب و الأشعار المادحه له، و الذاكره لفضائله و فضائل أهل بيته، و انتشرت فى جميع الامصار، و هذا إن دل على شىء فإنما يدلّ على تعميق الارتباط بالإمام (عليه السّلام) و تبني أفكاره و آرائه المطابقه للمنهج الاسلامى السليم، و لو لا قبوله بولاية العهد لما كان ذلك بالصوره الأوسع و الأمثل، مادامت وسائل الاعلام الرسميه موجوده فى جميع الأمصار، دون الحاجه الى بث الدعاه لمنهجه و منهج أهل بيته (عليهم السّلام).

و قد كان المأمون سباقا لغيره فى نظم الشعر، و مما جاء فى شعره، بعد ولاية العهد:

ألام على حب الوصيّ أبى الحسن و ذلك عندى من عجائب ذى الزمن

خليفه خير الناس و الأوّل الذى أعان رسول الله فى السر و العلن

و قال أيضا:

لا تقبل التوبه من تائب إلاّ بحب ابن أبى طالب

أخو رسول الله حلف الهدى و الأخ فوق الخل و الصاحب (١)

و هذا الشعر و غيره من مدائح المأمون لأهل البيت (عليهم السّلام) قد أثمر فيما بعد، حتى انه بعد استشهاد الإمام (عليه السّلام) بثمان سنين أى فى سنه (٢١١ هـ) أمر المأمون أن ينادى:

«برئت الذمه ممّن يذكر معاويه بخير، و أن أفضل الخلق بعد رسول الله (صلى الله عليه و اله) على بن أبى طالب» (٢).

ص: ١٣٩

١- ((١)) تذكره الخواص: ٣٢٠ عن كتاب الأوراق للصولى.

٢- ((٢)) تذكره الخواص: ٣١٩ و تاريخ الخلفاء: ٢٤٧.

منح المأمون نوعاً من الحرية للإمام (عليه السلام) للتحدث بما يؤمن به من أفكار و معتقدات و آراء سياسيه، و أمر المأمون الفضل بن سهل أن يجمع للإمام (عليه السلام) أصحاب المقالات: و منهم: الجائليق و هو رئيس الاساقفه، (معرب: كاثوليك) و رأس الجالوت عالم اليهود، و رؤساء الصابئين، و عظماء الهنود من أبناء المجوس، و أصحاب زردشت، و علماء الروم، و المتكلمين، و قد احتج الإمام (عليه السلام) بالكتب المعتره عندهم، و قد اعترف الجميع بأعلميه الإمام (عليه السلام)، بعد ان فند حججهم، فأذعنوا لقوله، و اعترفوا بصحة افكاره و آرائه.

و بعد جدال و نقاش طويل قال الجائليق: «القول قولك، و لا اله إلا الله» (١).

و بعد حوار طويل أسلم عمران الصابي و قال: «أشهد أن الله تعالى على ما وصفت و وحدت، و أشهد أن محمداً عبده المبعوث بالهدى و دين الحق ثم خرّ ساجداً نحو القبلة».

و لما نظر المتكلمون الى كلام عمران الصابي، و كان جدلاً لم يقطعه عن حجته أحد منهم قط، لم يدن من الإمام (عليه السلام) أحد منهم و لم يسألوه عن شيء (٢).

و في مجلس آخر بعث المأمون على الإمام (عليه السلام) لينظر متكلم خراسان سليمان المروزي، فتناظرا في البداء، و صفات الله تعالى و الفرق بين صفات ذات الله و صفات فعله، فأجابه الإمام (عليه السلام) على جميع اسئلته، و كان يقطعه في الحجج الى ان سكت لا يستطيع أن يجيب على آراء الإمام (عليه السلام)، فقال المأمون

ص: ١٤٠

١- ((١)) مناقب آل أبي طالب: ٣٥٢/٤.

٢- ((٢)) الاحتجاج، الطبرسي: ٤١٩/٢.

عند ذلك: «يا سليمان هذا أعلم هاشمي» (١).

و في مجلس آخر جمع المأمون عددا من علماء الأديان و أهل المقالات، فلم يتكلم أحد إلا و قد أزمه الإمام (عليه السلام) حجته، و قام اليه على بن محمد بن الجهم، و أثار الشبهات حول عصمه الأنبياء (عليهم السلام) اعتمادا على الآيات المتشابهة الواردة في القرآن الكريم، و اثار الشبهات حول عصمه رسول الله (صلى الله عليه و اله)، فأجابه الإمام (عليه السلام) و ازال الشبهات عن ذهنه، و اثبت له بالعقل و النقل عصمه جميع الأنبياء (عليهم السلام)، فبكى على بن محمد بن الجهم و قال: يا ابن رسول الله أنا تائب الى الله عزّ و جلّ من أن انطق في انبياء الله عليهم السلام بعد يومى هذا إلا بما ذكرته (٢).

و في مجلس آخر تساءل المأمون عن عصمه الانبياء و أورد الآيات المتشابهة في ذلك فأجابه الإمام (عليه السلام) جوابا شافيا، و أول له تلك الآيات على خلاف ظاهرها، فقال المأمون: «لقد شفيت صدرى يا ابن رسول الله، و أوضحت لى ما كان ملتبسا على» (٣).

و كان هدف المأمون - كما يرى الشيخ الصدوق - هو الحرص على انقطاع الرضا (عليه السلام) عن الحجج مع واحد منهم، و ذلك حدّا منه له و لمنزلته من العلم (٤).

ص: ١٤١

١- (١) عيون أخبار الرضا: ١٧٩/١-١٩١.

٢- (٢) الاحتجاج، الطبرسى: ٤٢٣/٢.

٣- (٣) الاحتجاج: ٤٣٦/٢.

٤- (٤) عيون أخبار الرضا: ١٩١/١. راجع جملة من هذه الاحتجاجات في الفصل الثالث من الباب الرابع من الكتاب.

استثمر الإمام (عليه السلام) الفرصة المتاحة له لنشر مفاهيم أهل البيت (عليهم السلام) و نشر فضائلهم، و خصوصاً بين الفقهاء و القضاء و القواد و الوزراء، و من يرتبط بالبلات الحاكم بصله.

فقد وضح الإمام (عليه السلام) تلك الفضائل بعد ان حاول الحكام طمسها، و نشر أحاديث رسول الله (صلى الله عليه و اله) بحقهم و منها:

قوله (صلى الله عليه و اله): «على امام كل مؤمن بعدى» (١).

و قوله (صلى الله عليه و اله): «يا على انت حجه الله، و انت باب الله، و أنت الطريق الى الله، و انت النبا العظيم، و انت الصراط المستقيم، و انت المثل الاعلى، يا على انت امام المسلمين و امير المؤمنين و خير الوصيين و سيد الصديقين، يا على أنت الفاروق الاعظم و أنت الصديق الأكبر... إن حزبك حزبي، و حزبي حزب الله، و إن حزب اعدائك حزب الشيطان» (٢).

و قوله (صلى الله عليه و اله): «ما زوجت فاطمه الا لما أمرني الله بتزويجها» (٣).

و تحدث الإمام (عليه السلام) عن عشرات الاحاديث الواردة في ذلك.

و في مجلس عقده المأمون لجماعه من علماء العراق و خراسان سأل عن معنى الآية الكريمة: **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا** (٤).

فأجابه العلماء: اراد الله عز و جل بذلك الامه كلها.

فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟

فقال الإمام (عليه السلام): «لا أقول كما قالوا، و لكني أقول: اراد الله عز و جل بذلك

ص: ١٤٢

١- (١) كشف اليقين، العلامة الحلي: ١٧.

٢- (٢) بحار الانوار: ١١١/٢٨.

٣- (٣) فرائد السمطين: ٩٠/١.

٤- (٤) سوره فاطر (٣٥): ٣٢.

ثم ذكر الإمام (عليه السّلام) اثني عشر آية قرآنية تدل على افضليه العترة الطاهرة، فقال المأمون والعلماء: «جزاكم الله أهل بيت نبيكم عن هذه الامه خيرا، فما نجد الشرح و البيان فيما اشتبه علينا إلا عندكم» (١).

و سأل المأمون الإمام (عليه السّلام) ان يكتب له محض الاسلام على سبيل الايجاز و الاختصار، فكتب اليه اصول العقائد و منها الامامه، و مما جاء في ذلك الكتاب: «و ان الدليل بعده و الحججه على المؤمنين و القائم بامور المسلمين و الناطق عن القرآن، و العالم باحكامه، اخوه و خليفته و وصيه و وليه، و الذي كان منه بمنزله هارون من موسى، على بن ابي طالب (عليه السّلام) امير المؤمنين و امام المتقين و قائد الغر المحجلين، و افضل الوصيين، و وارث علم النبيين و المرسلين، و بعده الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة.

ثم بين اسماء الأئمة (عليهم السلام) و قال: و من مات و لم يعرفهم مات ميتة جاهليه، و ان من دينهم الورع و العفة و الصدق و الصلاح و الاستقامه و الاجتهاد و اداء الامانه الى البر و الفاجر... (٢).

و وضح الإمام (عليه السّلام) مفاهيم الامامه و مسؤوليات الإمام فقال: ان الامامه اسن الاسلام النامي و فرعه السامى، بالإمام تمام الصلاه و الزكاه و الصيام و الحج و الجهاد و توفير الفىء و الصدقات و امضاء الحدود و الاحكام و منع الثغور و الاطراف، الإمام يحلل حلال الله و يحرم حرام الله، و يقيم حدود الله و يذب عن دين الله و يدعو الى سبيل ربه بالحكمه و الموعظه الحسنه و الحججه البالغه» (٣).

ص: ١٤٣

١- ((١)) عيون أخبار الرضا: ١/٢٢٨-٢٤٠، و فى تحف العقول: ٤٢٥-٤٣٦.

٢- ((٢)) بحار الأنوار: ٢٦٣/٤٨، ح ٢٠.

٣- ((٣)) الاحتجاج، الطبرسى: ٤٤١/٢-٤٤٢.

و ذكر (عليه السلام) في لقاءاته المختلفه و في اجوبته المتعدده صفات الإمام، و وحده الإمامه، و واجبات و حقوق الإمام لكي يعطى للامه الفرصه لتشخيص الإمام الحقّ و ان لم يكن مبسوط اليد، فليس كل من استلم الحكم أصبح اماما، و إنما الإمام له صفات خاصه ثابتة في الاسلام و منها ان يكون «أعلم الناس و أحكم الناس و اتقى الناس، و أحلم الناس، و اشجع الناس، و اسخى الناس، و أعبد الناس» (١).

و استثمر الإمام (عليه السلام) الفرصه لنشر الاحاديث التوحيديه لأهل البيت (عليهم السلام) و ردّ على جميع الشبهات العقائديه التي تتعلق بصفات الله، و بالتشبيه، و فنّد آراء المشبّهه و المجسّمه و المجبّره و المفوّضه و الغلاه.

خامسا: حقن دماء أهل البيت (عليهم السلام)

من مكتسبات قبول ولايه العهد من قبل الإمام (عليه السلام) هو حقن دماء أهل البيت (عليهم السلام)، فقد قام المأمون تقربا للإمام (عليه السلام) باعلان العفو العام عن جميع قادة الثورات، و منهم زيد اخو الإمام (عليه السلام) و ابراهيم، و محمد بن جعفر، و اردف العفو بتنصيب بعضهم و لاه في بعض الأمصار، فكانت خير فرصه لهم للقيام باصلاح الاوضاع بصوره سلميه هادئه، و خير فرصه لاعاده بناء القاعده الشعبيه المواليه لأهل البيت (عليهم السلام) و تنظيم صفوفها، و الاستفادة من الامكانيات المتاحة لتطوير الحركه الرساليه، و لولا - قبول الإمام (عليه السلام) بولايه العهد لسفكت دماء كثيره قبل أن تؤدّى دورها و مسيرتها في داخل الامه، فقد جاء قبول الإمام (عليه السلام) في وقت كان خط أهل البيت (عليهم السلام) بحاجة الى قسط من التفرغ للعمل الرسالي السلمى بعيدا عن شهر السلاح الذي يكلف كثيرا و يربك الاوضاع الداخليه له.

ص: ١٤٤

إشارة

نشاطات الإمام الرضا (عليه السّلام) بعد البيعه بولاية العهد

لم يحصل المأمون من بيعته للإمام الرضا (عليه السّلام) إلاّ على بعض الامتيازات و المكاسب و التي منها إيقاف العمليات العسكريه المسلحه، و قطع علاقته بالإمام (عليه السّلام) بأغلب قواعده الشعبيه المقيمه في العراق و في الحجاز و اليمن، و أمّا الإمام (عليه السّلام) و منهج أهل البيت (عليهم السّلام) فقد حصلوا على امتيازات واسعة، و استثمر الإمام (عليه السّلام) الفرصه للقيام باداء دوره الاصلاحى و التغييرى بشكل كبير، و تتحدد معالم هذه المرحله بالمظاهر و الممارسات التاليه:

افشال خطط المأمون

أراد المأمون ان يجعل الإمام (عليه السّلام) و سيله لاضفاء الشرعيه على حكمه، و إيقاف نشاط الحركات الأمره بالمعروف و الناهيه عن المنكر، و قد طلب من الإمام (عليه السّلام) أن يوكل أحد أتباعه على البلدان التي تمرّدت على حكمه، و لكي يوقف تمرّدها حينما يكون الوالى من أنصار و اتباع الإمام (عليه السّلام)، أو يجعل المعارضه وجهها لوجه أمام بعضها البعض.

و لكنّ الإمام (عليه السّلام) افشل خطه المأمون بهدوء طبقا للشروط التي اشترطها، كما روى عنه (عليه السّلام) انه قال: «قال لى المأمون: يا أبا الحسن انظر

بعض من تثق به تولّيه هذه البلدان التي فسدت علينا، فقلت له: تفي لى و أفي لك، فأنى انما دخلت فيما دخلت على أن لا آمر فيه و لا أنهى و لا أعزل و لا-اولى و لا-اسير، حتى يقدمنى الله قبلك، فوالله انّ الخلافه لشيء ما حدثت به نفسى، و لقد كنت بالمدينه أتردد فى طرقها على دايتى، و ان اهلها و غيرهم يسألونى الحوائج فأقضيها لهم، فيصيرون كالأعمام لى، و انّ كتيبى لنافذه فى الامصار، و ما زدتنى فى نعمه هى على من ربى، فأجابه المأمون: أفى لك».

و لم يراجع المأمون فى نفس القضييه بعد ذلك، و ليس أمامه إلا اصلاح الاوضاع العامه لتجنب الثورات و التمردات المسلحه.

و لم يتدخل الإمام (عليه السلام) فى تعيين مسؤولى سائر المناصب كالقضاء و امراء الجيش و اصحاب بيوتات الاموال، و تجنب جميع التصريحات و المواقف التى تمنح الشرعيه لحكم المأمون، و لم يتدخل إلا فى اصلاح المفاهيم و القضايا القضائيه، و كل ما فيه مصلحه للاسلام و المسلمين.

إصلاح القضاء

كان المأمون يجلس فى ديوان المظالم يوم الاثنين و يوم الخميس، و يجلس الإمام (عليه السلام) الى جانبه الايمن، فرفع اليه أن صوفيا من أهل الكوفه سرق، فأمر باحضاره فرأى عليه سيماء الخير فقال: سوء لهذه الآثار الجميله بهذا الفعل القبيح، فقال الرجل: فعلت ذلك اضطرارا لا اختيارا، و قد منعت من الخمس و الغنائم، فمنعتنى حقى و أنا مسكين و ابن السبيل و أنا من حملة القرآن.

فقال المأمون: لا اعطل حدا من حدود الله و حكما من أحكامه فى السارق من أجل اساطيرك هذه.

قال: فابدأ أولاً بنفسك فطهرها ثم طهر غيرك، و أقم حدود الله عليها ثم على غيرك.

فالتفت المأمون الى الإمام(عليه السلام) فقال: ما تقول؟

فقال(عليه السلام): «انه يقول سرقت فسرق».

فغضب المأمون ثم قال: والله لا قطعك.

قال الرجل: أتقطعني و أنت عبد لي؟ أليس أمك اشترت من مال الفيء، فأنت عبد لمن في المشرق و المغرب من المسلمين حتى يعتقوك و انا منهم و ما أعتقتك، و الأخرى ان النجس لا يطهر نجسا إنما يطهره طاهر، و من في جنبه حد لا يقيم الحدود على غيره حتى يبدأ بنفسه...

فالتفت المأمون الى الإمام(عليه السلام) فقال: ما تقول؟

قال(عليه السلام): «ان الله عز و جل قال لنبية: قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ (١) و هي التي تبلغ الجاهل فيعلمها بجهله كما يعلمها العالم بعلمه، و الدنيا و الآخرة قائمتان بالحجة و قد احتج الرجل».

فأمر المأمون باطلاق الرجل الصوفي (٢).

و كان الإمام يتدخل في مثل هذه القضية دفاعا عن المظلومين و المحرومين، و تطبيق احكام القضاء طبقا للمنهج الاسلامي السليم، ففي أحد الأيام ادخل الى المأمون رجل أراد ضرب عنقه و الإمام(عليه السلام) حاضر، فقال له المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟

فقال: «اقول ان الله لا يزيدك بحسن العفو إلا عزا»، فاتبع المأمون قول

ص: ١٤٧

١- ((١) الأنعام(٦): ١٤٩.

٢- ((٢) عيون أخبار الرضا: ٢/٢٣٧-٢٣٨، و في مناقب آل أبي طالب: ٤/٣٩٨-٣٩٩، بحار الأنوار: ٤٩/٢٨٨.

الإمام (عليه السلام) وعفى عنه (١).

و اتى المأمون بنصرانى قد فجر بهاشميه، فلما رآه المأمون أسلم النصرانى؛ فغاضه ذلك، و سأل الفقهاء فقالوا: أهدر الإسلام ما قبل ذلك، فسأل المأمون الرضا (عليه السلام) فقال: «اقتله؛ لأنه أسلم حين رأى البأس؛ قال الله عزّ وجلّ: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَّهُ (٢)».

اصلاح الأعمال الإداريه

لم يتدخل الإمام (عليه السلام) فى الشؤون الاداريه إلا فى الحالات التى كان يجد فيها مصلحه اسلاميه عامه تخص الاسلام و المسلمين، و تمنع الاعداء من اختراق الجهاز الادارى أو الحكومى، فكان يبدى نصائحه و توجيهاته القيمه فى هذا المجال.

و من هذه الشؤون، تعيين الولاة الذين اسلموا حديثا، وفى ذات مرّه دخل الفضل بن سهل على المأمون و قال له: قد وليت الثغر الفلانى فلانا التركى، فسكت المأمون، فقال الإمام (عليه السلام): «ما جعل الله تعالى لإمام المسلمين و خليفه رب العالمين القائم بامور الدين، أن يولى شيئا من ثغور المسلمين أحدا من سبى ذلك الثغر، لأن الأنفس تحنّ الى أوطانها، و تشفق على اجناسها، و تحب مصالحها، و ان كانت مخالفه لأديانها»، فقال المأمون: اكتبوا هذا الكلام بماء الذهب (٣).

فالإمام أعطى قاعده كليته فى شؤون تعيين الولاة و امراء الثغور، و ليس ذلك اعترافا بإمامه المأمون، و إنّما هو وضع قاعده كليته لمطلق إمام المسلمين و الذى ينصرف الى الإمام العادل.

ص: ١٤٨

١- (١) نثر الدر: ٣٦٢/١.

٢- (٢) سورة غافر (٤٠): ٨٤، نثر الدر: ٣٦١/١ و عنه فى بحار الأنوار: ١٧٣/٤٩.

٣- (٣) الأنوار البهيه فى تواريخ الحجج الإلهيه: ٢١٩-٢٢٠ عن الدرّ النظيم فى مناقب الأئمه عليهم السلام: ٦٨٣، الباب العاشر ذكر مولانا على بن موسى الرضا عليه السلام.

استثمر الإمام (عليه السّلام) فرصه وجوده فى البلاط الحاكم لنشر الآراء السديده فى مختلف جوانب الفكر و العقيدته، ليطلع الحاكم و وزراؤه و المقربون اليه من قاده و امراء و فقهاء و خدم و بوابين على آراء مدرسه أهل البيت (عليهم السّلام) و متبنياتهم الفكرية و العقائديه، و فضائلهم و مكارمهم.

و كان الإمام (عليه السّلام) يتحدث ابتداء حسب الظروف، و يجيب فى ظروف اخرى على الاسئله الموجهه اليه.

سأل الفضل بن سهل الإمام (عليه السّلام) فى مجلس المأمون فقال: «يا أبا الحسن؛ الخلق مجبورون؟ فقال (عليه السّلام): الله أعدل أن يجبر ثم يعذب، قال:

فمطلقون؟ قال (عليه السّلام): الله احكم، أن يهمل عبده و يكله الى نفسه (١).

و قال له المأمون: يا أبا الحسن؛ اخبرنى عن جدك على بن أبى طالب أى وجه هو قسيم الجنة و النار؟ فقال: ...الم ترو عن ابيك عن آباءه عن عبد الله بن عباس أنه قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول: «حب على ايمان و بغضه كفر» فقال الإمام (عليه السّلام): فقسمة الجنة و النار إذا كانت على حبه و بغضه، فهو قسيم الجنة و النار.

فقال المأمون: لا أبقانى الله بعدك يا أبا الحسن، اشهد أنك وارث علم رسول الله (صلى الله عليه و اله) «(٢).

و استطاع الإمام (عليه السّلام) بفكره الثاقب و اسلوبه الواعى ان يجعل المأمون و غيره يبادلونه الاسئله، و أن يعترفوا بنفسهم بفضائل أهل البيت (عليهم السّلام) تقربا

ص: ١٤٩

١- (١) نثر الدر: ٣٦١/١.

٢- (٢) نثر الدر: ٣٦٤/١.

إليه، و كان المأمون: يعقد مجالس النظر و يجمع المخالفين لاهل البيت (عليهم السّلام) و يكلمهم فى امامه أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السّلام) و تفضيله على جميع الصحابه، تقربا الى أبى الحسن على بن موسى الرضا (١).

و من الطبيعى ان لا يعترض المخالفون على اقوال المأمون رغبه أو رهبه، و هذا له تأثيره المباشر على من يحضر هذه المجالس و يرى سكوت الفقهاء و عدم اعتراضهم على الآراء المطروحه اما لضعف الدليل او استسلاما للمأمون.

فاستطاع الإمام (عليه السّلام) ان ينشر آراء أهل البيت (عليهم السّلام) فى جميع الفرص المتاحة له.

نصائح الإمام الرضا (عليه السّلام) للمأمون

و كان الإمام (عليه السّلام) يكثر وعظ المأمون اذا خلا به، و يخوفه بالله، و يقنح ما يرتكبه به، فكان المأمون يظهر قبول ذلك منه، و يبطن كراهته و استنقاله (٢).

و دخل عليه فى أحد المرات فرآه يتوضأ، و الغلام يصبّ على يده الماء، فقال (عليه السّلام): «لا تشرك بعباده ربك أحدا»، فصرف المأمون الغلام، و تولى إتمام وضوئه بنفسه (٣).

و قال له يوما: «ما التقت فئتان قط إلا نصر الله أعظمهما عفوا» (٤).

و دخل عليه المأمون و قرأ عليه كتاب فتح بعض قرى كابل، فلما فرغ،

ص: ١٥٠

١- (١) عيون أخبار الرضا: ١٨٤/٢-١٨٥.

٢- (٢) الارشاد: ٢٦٩/٢.

٣- (٣) مجمع البيان: ٧٧١/٦ و عنه فى بحار الأنوار: ٢٨٣/٦٩.

٤- (٤) تاريخ يعقوبى: ٤٥٣.

قال له الإمام (عليه السلام): «و سرّك فتح قريه من قري الشرك»، فقال المأمون: أو ليس في ذلك سرور؟ فقال الإمام (عليه السلام): «... اتق الله في امه محمد (صلّى الله عليه و اله)، و ما ولّاك الله من هذا الأمر، و خصّك به، فإنك قد ضيعت أمور المسلمين، و فوضت ذلك الى غيرك يحكم فيهم بغير حكم الله، و قعدت في هذه البلاد و تركت بيت الهجره و مهبط الوحي، و ان المهاجرين و الانصار يظلمون دونك و لا يرقبون في مؤمن إلّا- و لا- ذمه، و يأتي على المظلوم دهر يتعب فيه نفسه و يعجز عن نفقته و لا- يجد من يشكو اليه حاله، و لا يصل اليك، فاتق الله يا أمير المؤمنين في امور المسلمين و ارجع الى بيت النبوه و معدن المهاجرين و الانصار...».

قال المأمون: يا سيدى فما ترى؟

قال (عليه السلام): «ارى أن تخرج من هذه البلاد و تتحول الى موضع آبائك و أجدادك، و تنظر في امور المسلمين و لا تكلمهم الى غيرك، فإن الله سائلك عمّا ولّاك».

فقال المأمون: نعم ما قلت يا سيدى! هذا هو الرأى (1).

و قد وجد المأمون في هذه النصيحة أفضل المواقف السياسيه التى كان لا بد من اتخاذها، و بالفعل رجع الى بغداد بعد هذه النصيحة.

الحفاظ على الوجود الاسلامى

من مسؤوليات الأئمة (عليهم السلام)- بعد اقصائهم عن الخلافة- الحفاظ على الوجود الاسلامى و حمايته أمام مؤامرات الاعداء و الطامعين، فقد كانوا (عليهم السلام) يبذلون ما بوسعهم من اجل ذلك، و يقومون بحل المسائل المستعصيه على الحكّام من اجل ادامة الوجود و الكيان الاسلامى، و منعه من الانهيار و التفكك.

ص: ١٥١

و من ذلك كشف مؤامره الفضل بن سهل، حيث انه اراد قتل المأمون، فلم يسمع كلامه و لعنه و كان قصد الفضل هو السيطرة على الحكم، و استغلال الإمام (عليه السلام) لاسكات المسلمين و يبقى الإمام (عليه السلام) حاكما محجورا عليه فى البلاط، و يكون الفضل هو الحاكم الفعلى، اضافه الى ذلك فان مثل هذا العمل يؤدى الى انقسام خطير فى الكيان الاسلامى، و تفتيت لوحده الامه و الدوله، فقام الإمام (عليه السلام) بتحذير المأمون من الفضل و ان يتعامل معه بحيطه و حذر (١) لأن المقصود هو الكيان الاسلامى و ليس شخص المأمون.

و قال له ذات يوم: «ان العامه تكره ما فعلت بى، و ان الخاصه تكره ما فعلت بالفضل بن سهل، فالرأى لك أن تنحنينا عنك حتى يصلح أمرك» (٢).

و اخبر المأمون بما فيه الناس من الفتنة و القتال منذ قتل أخوه، و بما كان الفضل بن سهل يستر عنه من الاخبار، و ان الناس -خصوصا العباسيين- ينقمون عليك مكان الفضل و اخيه الحسن، و مكاني و مكان بيعتك لى من بعدك (٣).

و جاءت نصائح الإمام (عليه السلام) له مطابقه للمصلحه الاسلاميه الكبرى لأن الكيان الاسلامى معرض للإنهيار و الإنحلال ياثاره الفتن الداخليه و الحروب الداميه من اجل الحصول على كرسى الحكم.

و حينما قتل الفضل بن سهل اتهم رجاله المأمون بقتله، فاجتمعوا على بابه فقالوا: اغتاله و قتله، فلنطلبن بدمه، فقال المأمون للإمام (عليه السلام): يا سيدى ترى أن تخرج اليهم و تفرقهم، فخرج اليهم الإمام و قد اجتمعوا و جاءوا بالنيران ليحرقوا الباب، فصاح الإمام (عليه السلام) بهم، و أومى اليهم بيده، فتفرقوا،

ص: ١٥٢

١- (١) عيون أخبار الرضا: ١٦٧/٢.

٢- (٢) نثر الدر: ٣٦٣/١.

٣- (٣) تاريخ الطبرى: ٥٦٤/٨.

واقبل الناس يقع بعضهم على بعض، وما أشار الى أحد إلا هرب مسرعاً، و مرّ و لم يقف له أحد (١).

وقتل المأمون فى تلك الظروف يعنى انقسام الكيان الاسلامى الى كيانات متعدده، فأنصار الفضل سيكون لهم كيان فى خراسان، ويستقل الحسن ابن سهل بالبلاذ التى يأمرتها، وسيبايع العباسيون لابراهيم بن المهدي المغنى الشهير، اضافه الى خلخله اوضاع الجيش الذى يقطن فى الثغور، ولهذا قام الإمام (عليه السلام) بمنع احراق بيت المأمون و قتله.

إظهار الكرامات و استثمارها فى الإصلاح

و بعد البيعه ظهرت كرامات الإمام (عليه السلام) فاستثمرها (عليه السلام) فى اصلاح الناس بارشادهم و توجيههم، ففى بدايه ولايه العهد احتبس المطر، فجعل بعض حاشيه المأمون و المبغضين للإمام (عليه السلام) يقولون: انظروا لما جاءنا على بن موسى و صار ولى عهدنا، حبس الله عنا المطر، و سمع المأمون بذلك فاشتدّ عليه، و طلب من الإمام (عليه السلام) ان يدعو الله لكى يمطر الناس، فخرج (عليه السلام) الى الصحراء و خرج الناس ينظرون، فصعد المنبر، فحمد الله و اثنى عليه، ثم قال: «اللهم يا رب أنت عظمت حقنا أهل البيت، فتوسّـلوا بنا كما أمرت و املوا فضلك و رحمتك و توقّعوا احسانك و نعمتك، فاسقهم سقيا نافعا عاما غير رايت، و لا ضائر، و ليكن ابتداء مطرهم بعد انصرافهم من مشهدهم هذا الى منازلهم و مقارّهم».

و يقول الإمام محمد الجواد (عليه السلام) راوى الخبر: «فو الذى بعث محمداً بالحق نبيا لقد نسجت الرياح فى الهواء الغيوم و أرعدت و أبرقت و تحرك الناس كأنهم يريدون

ص: ١٥٣

التنحي عن المطر».

و أخبرهم الإمام (عليه السّلام) ان هذا السحاب هو للبلد الفلاني، و هكذا الى ان اقبلت سحابه حاديه عشر، فقال (عليه السّلام): «ايها الناس هذه سحابه بعثها الله عز و جل لكم، فاشكروا الله على تفضله عليكم و قوموا الى مقاركم و منازلكم فإنها مسامته لكم و لرؤوسكم ممسكه عنكم الى أن تدخلوا الى مقاركم ثم يأتيكم من الخير ما يليق بكرم الله تعالى و جلاله».

فانصرف الناس و نزل المطر بكتافه فجعل الناس يقولون: هنيئا لولد رسول الله (صلى الله عليه و اله)، كرامات الله عزّ و جل.

ثم برز اليهم الإمام (عليه السّلام) بعد تجمعهم ثانيه، و استثمر هذه الكرامه للوعظ و الارشاد، لان الناس يتأثرون بمن له كرامه عند الله و يتقبلون ما يقوله، فقام فيهم خطيبا و قال: «ايها الناس اتقوا الله في نعم الله عليكم، فلا تنفروها عنكم بمعاصيه، بل استديموها بطاعته و شكره على نعمه و أياديه، و اعلّموا انكم لا تشكرون الله تعالى بشيء بعد الايمان بالله و بعد الاعتراف بحقوق اولياء الله من آل محمد (صلى الله عليه و اله) أحب إليه من معاونتكم لإخوانكم المؤمنين على دنياهم التي هي معبر لهم الى جنان ربهم، فإنّ من فعل ذلك كان من خاصه الله تبارك و تعالى» (1) ثم حدثهم عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) بعض الأحاديث التربويه.

و ظهرت للإمام (عليه السّلام) كرامات اخرى استثمرها الإمام (عليه السّلام) في التأثير على قلوب حاضريها، و من هذه الكرامات ان بعض افراد البلاط كانوا يخدمون الإمام (عليه السّلام) و يرفعون الستر عند مجيئه و عند خروجه، فاتفقوا يوما على عدم رفع الستر له، فلما جاء على عادته لم يملكوا أنفسهم، و قاموا و رفعوا

ص: ١٥٤

الستر على عاداتهم، فلما دخل لام بعضهم بعضاً، واتفقوا ثانيه، فلما كان اليوم الثاني نَصَدُوا ما اتفقوا عليه و لم يرفعوا له الستر، فجاءت ريح شديده فرفعت حين دخوله، و حين خروجه، فقال بعضهم لبعض: ان لهذا الرجل عند الله منزله و له منه عنايه، انظروا الى الريح كيف جاءت و رفعت له الستر عند دخوله و عند خروجه من الجهتين ارجعوا الى ما كنتم عليه من خدمته (١).

و بما ان الكرامات اكثر ايقاعا فى النفس الانسانيه، نجد ان الناس قد مالت الى الإمام (عليه السلام) عاطفياً، حتى اننا نجد ان شعبيه الإمام (عليه السلام) قد اتسعت لتشمل حتى المنحرفين، و الشاهد على ذلك ان بعضهم قطع الطريق على دعبل الخزاعي ليأخذوا منه جبه الإمام (عليه السلام) التي اهداها له، لغرض التبرك بها (٢)، و فى روايه ارجعوا جميع اموال القافله بعد ما عرفوا ان دعبل معهم (٣).

تشجيع الشعراء الرساليين

و من اجل نشر فضائل أهل البيت (عليهم السلام) و دورهم الريادى فى الامه، و تبيان مظلوميتهم على مر التاريخ؛ شجّع الإمام (عليه السلام) الشعراء على نظم الشعر فى هذا الخصوص لانه خير وسيله اعلاميه فى ذلك العصر، لسرعه انتشاره و سهوله حفظه و انشاده، فقد دخل عليه الشاعر دعبل الخزاعي و انشده قصيدته التي جاء فيها:

مدارس آيات خلت من تلاوه و منزل وحي مقفر العرصات

لآل رسول الله بالخيف من منى و بالبيت و التعريف و الجمرات

ديار على و الحسين و جعفر و حمزه و السجاد ذى الثنات

ص: ١٥٥

١- ((الاتحاف بحب الاشراف: ١٥٧.

٢- ((سير اعلام النبلاء: ٣٩١/٩.

٣- ((الفصول المهمه: ٢٥٠.

منازل جبريل الأمين يحلها من الله بالتسليم و الرحمات

ائمه عدل يقتدى بفعالهم و يؤمن فيهم زله العثرات

ارى فيئهم فى غيرهم متقسما و ايديهم عن فيئهم صفرات

ثم بدأ بابرار مظلوميتهم و ما جرى عليهم من قبل الحكّام المتعاقبين على الحكم، ثم ختم القصيده بخروج الإمام العادل الذى يملأ الارض قسطا و عدلا و هو الإمام المهدي الذى تنتظره الامم و الشعوب.

و لما فرغ من انشادها، قام الإمام (عليه السلام) و انفذ اليه صره فيها مائه دينار (١)، و قيل ستمائه دينار (٢) فردها دعبل و قال: «و الله ما لهذا جئت و انما جئت للسلام عليه و التبرك بالنظر الى وجهه الميمون و انى لفى غنى فإن رأى أن يعطينى شيئا من ثيابه للتبرك فهو احب الى»، فاعطاه الإمام (عليه السلام) جبه خز و ردّ عليه الصره (٣).

النشاطات العلميه للإمام الرضا (عليه السلام)

إنّ الإمام (عليه السلام) و ان كان يعيش تحت رقابه شديده، إلا أن ذلك لم يكن ليمنعه من ممارسه دوره العلمى فى الاوساط التى كان يعيش فيها، و بالنسبه لكل من يلتقى معه من الوزراء و الفقهاء و القضاة و امراء الجيش فضلا عن الخدم و سائر الناس.

لقد كان (عليه السلام) ينشر علوم أهل البيت (عليهم السلام) على أتم صورته. و اضافته الى ذلك كان المأمون و غيره يطلبون منه أن يحدّثهم أو يجيب على أسئلتهم. و كان

ص: ١٥٦

١- ((١)) الفصول المهمه: ٢٤٩.

٢- ((٢)) اختيار معرفه الرجال: ٥٠٤ ح ٩٧٠، الارشاد: ٢٦٣/٢، ٢٦٤، و عنه فى اعلام الورى: ٦٦/٢-٦٨ و عيون أخبار الرضا: ٢٦٣/٢-٢٦٦، و كمال الدين: ٣٧٣-٣٧٦، و دلائل الإمامه: ١٨٢، و سير اعلام النبلاء: ٣٩١/٩، و انظر القصيده فى ديوان دعبل بن على الخزاعى: ١٢٤.

٣- ((٣)) الفصول المهمه: ٢٤٩-٢٥٠.

مما كتبه الإمام الرضا (عليه السلام) للمأمون رساله في محض الاسلام و شرائع الدين، و بين لآخرين علل الشرائع كالصلاه و الصوم و الحج و الزكاه و الخمس و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و أسباب تحريم الموبقات و المنكرات، كما كتب رساله في الطب و ارسلها الى المأمون فكتبها المأمون بماء الذهب.

و قام الإمام الرضا (عليه السلام) بمهمته تفسير القرآن الكريم، و علم الناس الأدعيه المأثوره عنه و عن آباءه و اجداده المعصومين، كما بين للناس التاريخ الصحيح للأنبياء و المرسلين، و للامم السابقه، و ارشدهم الى الصحيح من سيره رسول الله (صلى الله عليه و اله) و سيره الإمام علي (عليه السلام) و سيره أهل البيت (عليهم السلام) (١).

نعم إن الإمام الرضا (عليه السلام) بالرغم من ملاحظته بالعيون و التضيق السياسى عليه بشكل غير منظور لعامه الناس استطاع أن يستغل الطرف المهيأ لنشر العلم و المعبأ بالألغام ليصون شريعته جده سيد المرسلين مما يحيط بها من محاولات المسخ و التحريف و يوظف الطاقات المتوفره لديه بشكل مباشر و غير مباشر لتحقيق أهدافه الرساليه التى عينتها له الشريعته و بينها له الرسول (صلى الله عليه و اله) و آباؤه الطاهرين.

و من هنا عمد الإمام (عليه السلام) الى بيان حقيقه الخط الرسالى الذى يتزعمه أهل البيت (عليهم السلام) و بيان خصائصه و معالمه التى يتفرد بها و يتميز عن خط الخلفاء المتحكمين فى رقاب المسلمين، مؤكدا ضروره استمرار هذا الخط حتى قيام يوم الدين، و من هنا كان ينبغى له أن ينظر الى المستقبل المشرق بعين القائد الحريص على سعادته الامه و يوجه إليه عامه المسلمين.

ص: ١٥٧

ان دور الإمام (عليه السلام) لا يتحدد بحدود المرحلة الزمنية التي يعاصرها، بل يمتد بامتداد الزمان، فله دور مرحلي، و دور شمولي، فهو المسؤول عن ثبات المنهج الاسلامي و خلوده مع الزمن، و حفظه من التشويه و التحريف، و من هنا فان دور الإمام ينصب في المهام التاليه:

١- طرح الافكار و العقائد الصحيحه و تبيان الاحكام الشرعيه، و ابطال ما عداها من افكار و احكام.

٢- اصلاح الواقع طبقا للمنهج الاسلامي.

٣- رفد الامه بالعناصر الواعيه المخلصه القادره على نشر الافكار و العقائد و الاحكام، و اصلاح الواقع.

٤- تعيين الإمام التالي طبقا للنصوص و الوصايا الوارده عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) و التي ينقلها امام عن امام.

٥- توجيه الانظار و القلوب الى المستقبل المشرق الذي سيقوده الإمام المهدي (عليه السلام) في آخر الزمان، و التركيز على خصوصيات الإمام من حيث الولاده و النشأ و الغيبه، و المظاهر البارزه في دوره الرسالي.

و قد عرفت فيما مرّ الدور الذي قام به الإمام الرضا (عليه السلام) فيما يرتبط بالنقاط الثلاثه الاولى، و أما النقطه الرابعه و المهمه التي تتضمن استمرار خط الإمامه من بعده فقد نصّ على امامه ابنه محمد الجواد بحسب ما كانت تتطلبه هذه المهمه مع مراعاة مجموع الظروف المحيطه به.

نص الإمام الرضا (عليه السلام) على إمامه ابنه محمد الجواد قبل أن يولد واستمر بالتنصيص عليه رغم السنوات القليلة التي عاشها الجواد مع أبيه الرضا (عليه السلام).

و إليك صورته من تسلسل هذه النصوص و تدرجها بحسب مراحلها الزمنية.

١- عن صفوان بن يحيى قال: «قلت للرضا (عليه السلام): قد كنا نسألك قبل أن يهب الله أبا جعفر (عليه السلام) فكنت تقول: يهب الله لي غلاما، فقد وهب الله لك، فأقر عيوننا؛ فلا أرانا الله يومك، فإن كان كون فالي من؟

فأشار بيده الى أبي جعفر (عليه السلام) و هو قائم بين يديه.

فقلت: جعلت فداك، هذا ابن ثلاث سنين؟

فقال: ما يضره من ذلك فقد قام عيسى (عليه السلام) بالحججه و هو ابن ثلاث سنين» (١).

و هذه الواقعة يمكن تحديدها بسنه (١٩٨ هـ) أى بعد ولادة الإمام الجواد (عليه السلام) (١٩٥ هـ) بثلاث سنين.

و لكن هذا النص صريح فى أنّ الإمام كان يشير الى امامه ابنه الجواد (عليه السلام) حتى قبل ولادته.

نعم كان الإمام الرضا (عليه السلام) يوجه الانظار الى امامه ولده الجواد (عليه السلام) إما تلميحا أو تصریحا، فمن اقواله فى ذلك:

٢- «هذا المولود لم يولد مولود أعظم برکه على شيعتنا منه» (٢).

و قد نستفيد من هذا النص أنه كان قد صدر من الإمام الرضا (عليه السلام) بعيد ولادة الجواد (عليه السلام).

ص: ١٥٩

١- ((١)) الكافي: ٣٢١/١، الفصول المهمة ٢٦٥.

٢- ((٢)) الكافي: ٣٢١/١.

٣-و عن معمر بن خلّاد قال: سمعت الرضا(عليه السّلام) و ذكر شيئاً، فقال: «ما حاجتكم الى ذلك، هذا ابو جعفر قد أجلسه مجلسى و صيرته مكانى إنا أهل بيت يتوارث أصاغرنا عن أكابرنا القذه بالقذه» (١).

٤-و على الرغم من ابتعاد الإمام الرضا(عليه السّلام) عن المدينة الآ- انه كان دائم الاتصال بابنه الجواد(عليه السّلام) و كان يخاطبه فى رسائله بالتعظيم و التوقير، و ما كان يذكر محمداً ابنه الآ بكنيته فيقول: «كتب الى ابو جعفر، و كنت اكتب الى أبى جعفر»... فيخاطبه بالتعظيم، و كانت ترد كتب أبى جعفر(عليه السّلام) فى نهايه البلاغه و الحسن، و يضيف الراوى- ابو الحسين بن محمد بن أبى عباد- أنه سمع الرضا(عليه السّلام) يقول: «ابو جعفر وصيى و خليفتى فى أهلى من بعدى» (٢).

و كان يبدى له التوجيهات و الارشادات لكى يفهم أتباع أهل البيت(عليهم السّلام) بأنّها جاءت فى مقام اعداده للامامه من بعده، و جاءت معلله برفع الله تعالى له، فقد كتب اليه: «يا أبا جعفر، بلغنى أنّ الموالى اذا ركبت أخرجوك من الباب الصغير فأنما ذلك من بخل بهم لثلاثين منك أحد خيراً، فاستلكنك بحقى عليك لا يكن مدخلك و مخرجك الآ من الباب الكبير، و اذا ركبت فليكن معك ذهب و فضه ثم لا يسألك أحد إلا أعطيته، و من سألك من عمومته ان تبره فلا تعطه أقل من خمسين ديناراً و الكثير اليك، و من سألك من عماتك فلا تعطها أقل من خمسة و عشرين ديناراً، و الكثير اليك، انى اريد أن يرفعك الله، فانفق و لا تخش من ذى العرش اقتاراً» (٣).

و كانت النصوص على امامه الجواد(عليه السّلام) عديده و متظافره، اختلفت فى ظاهرها بسبب اختلاف الظروف السياسيه و الاجتماعيه التى تحيط بالامام

ص: ١٦٠

١- (١) الكافى: ١/٣٢٠، الفصول المهمه: ٢٦٥.

٢- (٢) الصراط المستقيم: ١٦٦/٢، و بحار الأنوار: ١٨/٥٠.

٣- (٣) عيون أخبار الرضا: ٨/٢.

الرضا(عليه السّلام) و بانه الجواد(عليه السّلام) و باتباعه و انصاره، و بسبب اختلاف أصحابه فى الوعى و درجه التلقى، و كتمان السر، و قربهم و بعدهم عن الإمام(عليه السّلام) من حيث الولاء السياسى و العاطفى.

٥- عن جعفر بن محمد النوفلى قال: «أتيت الرضا(عليه السّلام) فسلمت عليه، ثم جلست، و قلت: جعلت فداك ان أناسا يزعمون أنّ أباك حتى، فقال: كذبوا لعنهم الله... فقلت له: ما تأمرنى؟ قال: عليك بابنى محمد من بعدى، و اما انا فإنى ذاهب فى وجه الارض لا أرجع منه...» (١).

و جاء فى بحار الأنوار نقلا عن المصدر نفسه: «فإنى ذاهب فى وجه لا أرجع منه» (٢).

٦- عن البزنطى قال: قال لى ابن النجاشى: «من الإمام بعد صاحبك؟ فاحب أن تسأله حتى أعلم. فدخلت على الرضا(عليه السّلام) فأخبرته، فقال لى: الإمام ابنى» (٣).

٧- و اجتمع جماعه عند الإمام الرضا(عليه السّلام) فلما نهضوا قال لهم: «القوا أبا جعفر فسلموا عليه و أحدثوا به عهدا، ثم قال: يرحم الله المفضل انه لكان ليقنع بدون ذلك» (٤).

و فسر العلامة المجلسى قوله(عليه السّلام): «ليقنع بدون ذلك، أى: بأقل مما قلت لكم فى العلم بأنه امام بعدى، و تبهم الى أن غرضه النصّ عليه، و لم يصّرّح به تقيه و اتقاء» (٥).

ص: ١٦١

١- ((١)) بحار الأنوار: ٢٦٠/٤٨، و ٢٨٥/٤٩.

٢- ((٢)) بحار الأنوار: ١٨/٥٠.

٣- ((٣)) الكافى: ٣٢٠/١.

٤- ((٤)) الكافى: ٣٢٠/١.

٥- ((٥)) بحار الأنوار: ٢٥/٥٠.

و قد نصّ (عليه السّلام) على امامه الإمام الجواد (عليه السّلام) بالشكل الذي تثبت امامته عند المقربين من الإمام (عليه السّلام) و اتباعه المخلصين، و الكوادر الرساليه التي اعدّها للمستقبل، و وكلائه الثقاہ.

و قد اعدّ الإمام (عليه السّلام) طليعه من الكوادر لاسناد منهج أهل البيت (عليهم السّلام) و اسناد امامه الإمام الجواد (عليه السّلام) و منهم: عمّه على بن الإمام جعفر الصادق (عليه السّلام)، و صفوان بن يحيى، و أحمد بن محمد بن أبي نصر.

و انقاد اتباع الإمام الرضا (عليه السّلام) للإمام الجواد (عليه السّلام) و انقادت القاعده الشيعيه لإمامته الّا من شدّ منهم، و استقرت الامامه على الامام الجواد (عليه السّلام) طبقاً للنصوص المتظافره عليه من قبل ابيه و جده و اجداده، و لم تخف امامته حتى عند الحكومه العباسيه و ولاتها و قوادها.

الاعداد لدوله المهديّ المنتظر (عجل الله تعالى فرجه)

إنّ إمامه الإمام المهديّ (عليه السّلام) من الحقائق الثابته عند المسلمين على اختلاف مذاهبهم، و هو المصلح الاكبر و المنقذ الاعظم للبشريه من شتى أنواع الانحراف، و هو الذي يملأ الارض قسطاً و عدلاً بعد امتلائها ظلماً و جوراً.

و قام الإمام الرضا (عليه السّلام) بدوره و مسؤوليته في توجيه الانظار الى حقيقه هذا المبدأ الإسلامى المتمثّل في قضيه الإمام المهديّ (عليه السّلام)، لقرب العهد بولادته و غيبته، و قد جاءت رواياته و إخباراته مطابقه لما صدر عن رسول الله (صلّى الله عليه و اله) من روايات و أحاديث:

فقد قال رسول الله (صلّى الله عليه و اله): «لو لم يبق من الدهر إلّا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً» (١).

ص: ١٦٢

كما قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «المهدي من عترتي من ولد فاطمه» (١)، وقال: «المهدي من ولد الحسين» (٢).

ووردت روايات عن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) تصرّح بغيه الإمام المهدي (عليه السلام)، بقوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «والذي بعثني بالحق بشيرا ليغيين القائم من ولدي بعهد معهود اليه مني، حتى يقول أكثر الناس: ما لله في آل محمد حاجه، ويشك آخرون في ولادته، فمن ادرك زمانه فليتمسك بدينه، ولا يجعل للشيطان اليه سبيلا بشكّه...» (٣).

وقد قام الإمام الرضا (عليه السلام) بالترويج لهذا المبدأ الإسلامي عند المقربين لديه. وقد بلغت النصوص الخاصة بالإمام الرضا (عليه السلام) عن هذه القضية الإسلامية كما أحصاها مسند الإمام الرضا (عليه السلام) ستّة و ثلاثين نصّا.

و إليك نماذج منها:

١- عن أيوب بن نوح قال: قلت للرضا (عليه السلام): أنا لئرجو أن تكون صاحب هذا الأمر، وأن يرده الله عزّ وجل اليك من غير سيف، فقد بويك لك، و ضربت الدراهم باسمك.

فقال (عليه السلام): «ما منا أحد اختلفت اليه الكتب، و سئل عن المسائل، و أشارت اليه الأصابع، و حملت اليه الأموال الأ- اغتيل أو مات على فراشه، حتى يبعث الله عزّ وجلّ لهذا الأمر رجلا خفيّ المولد و المنشأ غير خفيّ في نسبه» (٤).

٢- عن محمد بن أبي يعقوب البلخي قال: سمعت ابا الحسن الرضا (عليه السلام) يقول: «إنه سيبتلون بما هو اشدّ و اكبر، يبتلون بالجنيين في بطن امه و الرضيع، حتى يقال:

ص: ١٦٣

١- ((١)) سنن ابي داود: ١٠٧/٤، سنن ابن ماجه: ١٣٦٨/٢، عقد الدرر: ٤٢.

٢- ((٢)) عقد الدرر: ٤٦، كفايه الطالب: ٥٠٣.

٣- ((٣)) كمال الدين و تمام النعمه: ٥١/١.

٤- ((٤)) الكافي: ٣٤١/١، كمال الدين و تمام النعمه: ٣٧٠/٢.

٣- و صرّح (عليه السلام) بخصوصية الإمام المهدي -عجل الله فرجه- بأنه الثالث من ولده فقال: «كأنى بالشيعة عند فقدهم الثالث من ولدى يطلبون المرعى فلا يجدونه، فقال له علي بن الحسن بن فضال: و لم ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: لأنّ امامهم يغيب عنهم... لئلا يكون في عنقه لأحد بيعه اذا قام بالسيف» (٢).

٤- ثم صرّح بأكثر من ذلك فحدّد اسمه فقال (عليه السلام): «لا بد من فتنه صماء صيلم يسقط فيها كل بطانه و وليجه، و ذلك عند فقدان الشيعة الثالث من ولدى، يبكى عليه أهل السماء و أهل الأرض و حزى و حزان، و كل حزين لهفان، بأبى أنت و أمى سمى جدى و شبيهى و شبيه موسى بن عمران...» (٣).

و كان العباسيون يدركون أن قضيه الإمام المهدي (عليه السلام) حقيقة إسلاميه لا بدّ منها، و يتخوفون من زوال حكمهم على يديه، لذا كانت الروايات فى شأنه فى غاية السريه و الكتمان. و لعلّ إشخاصهم للائمه (عليهم السلام) الى مركز حكمهم و عاصمتهم كان قائما على أساس ترقب ولاده المهدي (عليه السلام) و القضاء عليه فى مهده إن لم يمكنهم الحيلولة دون ولادته.

فالمأمون أشخص الإمام الرضا (عليه السلام) الى خراسان، و أشخص ابنه الإمام الجواد (عليه السلام) أيضا الى بغداد بعد انتقال مركز خلافته اليها. و لعلّ تزويجه للإمام (عليه السلام) من ابنته كان باعتبار هذا الهدف، إضافة الى محاوله اختلاط النسب بين العباسيين و ائمه أهل البيت (عليهم السلام) فضلا عن الحضور داخل حياتهم الشخصيه ليكونوا على معرفه بما يستجدّ فى حياه أهل البيت (عليهم السلام).

ص: ١٦٤

١- (١) بحار الأنوار: ١٥٥/٥١، عن الغيبة للنعماني.

٢- (٢) بحار الأنوار: ١٥٢/٥١.

٣- (٣) كمال الدين و تمام النعمه: ٣٧٢/٢، الفصول المهمه: ٢٥١.

وقد أشخص الحكّام من بعد المأمون الأئمة الباقين الى مركز حكمهم كالإمام الجواد (عليه السّلام) والإمامين الهادى والعسكرى (عليهما السّلام) (١).

ولعلّ سمّ الأئمة منهم و اغتيالهم من قبل الحكّام و عمّالهم واقع فى هذا الطريق، فالإمام الجواد (عليه السّلام) مات مسموماً و عمره خمس و عشرون سنة، و الإمام الهادى سمّ و هو فى الثانيه و الأربعين من عمره و الإمام الحسن العسكرى (عليه السّلام) مات مسموماً و عمره ثمان و عشرون سنة (٢).

و يؤيّد هذا التحليل النصّ المروى عن الإمام أبى محمد الحسن العسكرى (عليه السّلام) إذ قال: قد وضع بنو اميّة و بنو العبّاس سيوفهم علينا لعلّتين: احدهما أنّهم كانوا يعلمون ليس لهم فى الخلافة حقّ فيخافون من ادّعائنا أيّاهما، و تستقرّ فى مركزها.

و ثانيها أنّهم قد وقفوا من الأخبار المتواتره على أن زوال ملكك الجابره و الظلمه على يد القائم مّا، و كانوا لا يشكّون أنّهم من الجابره و الظلمه فسعوا فى قتل أهل بيت رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و إباده نسله طمعا منهم فى الوصول الى منع تولّد القائم (عليه السّلام) أو قتله، فأبى الله أن يكشف أمره لواحد منهم، إلا أن يتمّ نوره، و لو كره المشركون.

و بوجود الأئمة (عليهم السّلام) فى البلاط كان يسهل على الحكّام متابعه نشاطهم و حركتهم و التدخل فى شؤونهم الخاصه؛ لذا فإنّ الإمام الحسن العسكرى (عليه السّلام) و والد الإمام المهدي (عليه السّلام) لم يتزوّج زواجا عاديا و رسميا، و حينما ولد له الإمام المهدي (عليه السّلام) أخفى مولده و ستر أمره لصعوبه الوقت و شده طلب السلطان له، و اجتهاده فى البحث عن أمره، لما كان قد شاع من مذهب الشيعة الإماميه فيه و عرف ذلك من انتظارهم له (٣).

ص: ١٦٥

١- (١) و الملفت للنظر لدى الباحث التاريخى أن الأئمة من بعد الرضا (عليه السّلام) لم يولد لهم مثل ما ولد لآبائهم من قبل، و هو شاهد على مدى تحديدهم و إحكام الرقابه عليهم، و كما أنه مؤشّر الى تخوّف الحكّام منهم خشيه من ظهور المهدي الموعود من بين أبنائهم (عليهم السّلام).

٢- (٢) راجع منتخب الأثر: الباب ٣٤ من أبواب الفصل الثاني عن أربعين الخاتون آبادى.

٣- (٣) الارشاد: ٣٣٧/٢ و عنه فى بحار الأنوار: ٣٣٤/٥٠.

و هذه المواقف التي كانت تبدر من السلطه و التحفظات الكثيره هي التي جعلت الإمام المهدي(عليه السّلام) يختفى دون أن تقوم السلطات باعتقاله، و هي نتيجة للتخطيط الدقيق الذي كان قد بدأه الإمام الرضا(عليه السّلام) و تلميحاته و تصريحاته السريه في خصوص الايمان بالمهدي(عليه السّلام) و ولادته و اسمه.

و قد تابع الاثمه من بعده نفس التخطيط، دون أن تشعر بهم السلطات القائمه.

و خلاصه القول: ان الإمام الرضا(عليه السّلام) قد رسم مستقبل الرساله بالتمهيد لها من خلال الوصيه بإمامه ابنه الجواد(عليه السّلام)، ثم على الهادي ثم الحسن العسكري ثم ابنه الإمام المهدي المنتظر؛ لتواصل الامه و لاءها و تستمر في انتمائها الفكري و العاطفي و السلوكي.

اغتيال الإمام الرضا(عليه السلام)

لقد كان الإمام الرضا(عليه السّلام) يعلم بأنه سوف يقتل، و ذلك لروايات وردت عن آبائه عن رسول الله(صلى الله عليه و اله)، اضافه الى الإلهام الإلهي له، لوصله الى قمه السموّ و الارتقاء الروحي. و لا غرابه في ذلك، فقد شاهدنا في حياتنا المعاصره أنّ بعض الاتقياء يحدّدون ايام وفاتهم أو سنه وفاتهم، لرؤيا رأوها أو لإلهام إلهي غير منظور. فما المانع أن يعلم الإمام الرضا(عليه السّلام) بمقتله و هو الشخصيه العظيمه التي ارتبطت بالله تعالى ارتباطا حقيقيا في سكناتها و حركاتها، و اخلصت له اخلاصا تاما.

و قد اخبر الإمام(عليه السّلام) جماعه من الناس بأنّه سيدفن قرب هارون، بقوله(عليه السّلام): «انا و هارون كهاتين»، و ضم اصبعيه السبابه و الوسطى (1).

و كان هارون يخطب في مسجد المدينه و الإمام حاضر فقال(عليه السّلام):

ص: ١٦٦

١- ((١)) الكافي: ١/٤٩١، عيون أخبار الرضا: ٢/٢٢٥-٢٢٦، و الارشاد: ٢/٢٥٨ و عنه في اعلام الوري: ٢/٦٠ و الاتحاف بحب الاشراف: ١٥٨.

«ترونى و اياه ندفن فى بيت واحد» (١).

و فى ذات مرّه، خرج هارون من المسجد الحرام من باب، و خرج الإمام من باب آخر فقال (عليه السّلام): «يا بعد الدار و قرب الملتقى ان طوس ستجمعنى و اياه» (٢).

و قال ابن حجر: أخبر بأنّه يموت قبل المأمون، و أنّه يدفن قرب الرشيد فكان كما أخبر (٣).

و حينما اراد المأمون اشخاصه الى خراسان، جمع عياله و كان (عليه السّلام) يقول: «أنى حيث أرادوا الخروج بى من المدينه جمعت عيالى، فأمرتهم أن يبكوا علىّ حتى اسمع، ثم فرقت فيهم اثنى عشر الف دينار، ثم قلت: اما أنى لا ارجع الى عيالى أبدا» (٤).

و حينما انشده دعبل الخزاعى قصيدته-بعد ولايه العهد-و انتهى الى قوله:

«و قبر ببغداد لنفس زكيه تضمّنها الرحمن فى الغرفات

قال له الإمام (عليه السّلام): «أفلا الحق لك بهذا الموضوع بيتين بهما تمام قصيدتك؟

فقال: بلى يا ابن رسول الله، فقال (عليه السّلام):

و قبر بطوس يا لها من مصيبه توقد فى الاحشاء بالحرقات

فقال دعبل: يا ابن رسول الله هذا القبر الذى بطوس قبر من هو؟

فقال الإمام (عليه السّلام): قبرى، و لا تنقضى الايام و الليالى حتى تصير طوس مختلف شيعتى و زوارى...» (٥).

و قد تقدم انه اخبر عن عدم إتمام ولايه العهد.

ص: ١٦٧

١- ((١)) عيون أخبار الرضا: ٢/٢١٦ و كشف الغمه: ٣/٩٣ و اعلام الورى: ٢/٥٩ و الاتحاف بحبّ الاشراف: ١٥٨.

٢- ((٢)) عيون أخبار الرضا: ٢/٢١٦ و فى اعلام الورى: ٢/٥٩ و عنه فى كشف الغمه: ٣/١٠٥، و فى الاتحاف بحبّ الأشراف: ١٥٨.

٣- ((٣)) الصواعق المحرقة: ٣٠٩.

٤- ((٤)) عيون أخبار الرضا: ٢/٢١٨، اعلام الورى: ٢/٥٩-٦٠.

٥- ((٥)) عيون أخبار الرضا: ٢/٢٦٣-٢٦٤.

اختلفت الروايات فى سبب موت الإمام (عليه السّلام) بين الموت الطبيعى و بين السّم، و قال الاكثر أنّه مات مسموما، و فيما يلى نستعرض بعض الروايات -الداله على ذلك- باختصار.

قال صلاح الدين الصفدى: و آل أمره مع المأمون الى أن سمّه فى رمانه...مداراه لبنى العباس (١).

و قال يعقوبى: فقيلى ان على بن هشام اطعمه رمانا فيه سمّ (٢).

و قال ابن حبان: و مات على بن موسى الرضا بطوس من شربه سقاها اياها المأمون فمات من ساعته (٣).

و قال شهاب الدين النويرى:... و قيل ان المأمون سمّه فى عنب، و استبعد ذلك جماعه و انكروه (٤).

و قال القلقشندى: يقال انه سمّ فى رمان أكله (٥).

و كان اهل طوس يرون ان المأمون سمّه، و قد اعترف المأمون بتهمه الناس له فقد دخل على الإمام (عليه السّلام) قبيلى موته فقال: «يا سيدى و الله ما أدرى أى المصيبين أعظم على؟ فقدى لك، و فراقى اياك؟ او تهمه الناس لى انى اغتلتك و قتلتك...» (٦).

ص: ١٦٨

١- (١) الوافى بالوفيات: ٢٢/٢٥١.

٢- (٢) تاريخ الطبرى: ١٤٨/٥، احداث سنه ٢٠٣ هـ.

٣- (٣) الثقات: ٨/٤٥٧.

٤- (٤) نهايه الإرب: ٢٢/٢١٠.

٥- (٥) مآثر الانافه فى معالم الخلافه: ١/٢١١.

٦- (٦) عيون أخبار الرضا: ٢/٢٤١.

و لما كان اليوم الثاني اجتمع الناس و قالوا: ان هذا قتله و اغتاله، يعنون المأمون (١).

و من الشواهد على ان المأمون قتله مسموما، انه كان يخطط للتخلص منه.

قال المأمون لبنى العباس:...فليس يجوز التهاون في امره، و لكننا نحتاج ان نضع منه قليلا قليلا، حتى نصوره عند الرعايا بصورة من لا يستحق هذا الأمر، ثم ندبر فيه بما يحسم عنا مواد بلائه (٢).

و يأتي موت الإمام (عليه السلام) بعد قرار المأمون بالتوجه الى العراق و نقل عاصمه حكمه إليه، فقد وجد أنّ العباسيين في العراق سيقون معارضين له ما دام الإمام (عليه السلام) وليا لعهد، لذا نجده قد كتب لهم ليستميلهم: انكم نقمتم عليّ بسبب توليتي العهد من بعدى لعلى بن موسى الرضا، و ها هو قد مات، فارجعوا الى السمع و الطاعة.

و لا يستبعد من المأمون ان يقدم على قتله، و قد قتل من اجل الملك و السلطه أخاه و آلاف المسلمين من جنوده و جنود أخيه، فالملك عقيم كما أخبره ابوه من قبل.

أسباب إقدام المأمون على سَمِّ الإمام (عليه السلام) و اغتياله

من الأسباب التي دعت المأمون الى سَمِّ الإمام أنّه لم يحصل على ما أراد من توليته للعهد، فقد حدثت له فتنة جديدة و هي تمرد العباسيين عليه، و محاولتهم القضاء عليه.

ص: ١٦٩

١- (١) عيون أخبار الرضا: ٢/٢٤١.

٢- (٢) فرائد السمطين: ٢/٢١٤، ٢١٥.

و من الأسباب التي وردت عن أحمد بن علي الانصارى عن ابي الصلت الهروى فى قوله: «...و جعل له ولايه العهد من بعده ليرى الناس أنه راغب فى الدنيا؛ فيسقط محلّه من نفوسهم، فلمّا لم يظهر منه فى ذلك للناس إلا ما ازداد به فضلا عندهم، و محلّا فى نفوسهم، و جلب عليه المتكلمين من البلدان طمعا من أن يقطعه واحد منهم فيسقط محله عند العلماء، و بسببهم يشتهر نقصه عند العامة، فكان لا يكلمه خصم من اليهود و النصرارى و المجوس و الصابئيه و البراهمه و الملحدين و الدهريه، و لا خصم من فرق المسلمين المخالفين إلا قطعه و ألزمه الحجه.

و كان الناس يقولون: و الله أنه أولى بالخلافه من المأمون، فكان أصحاب الأخبار يرفعون ذلك إليه، فيغتاظ من ذلك و يشتد حسده».

و كان الرضا لا يحابى المأمون فى حق، و كان يجيبه بما يكره فى أكثر احواله؛ فيغيظه ذلك، و يحقد عليه، و لا يظهره له، فلمّا أعيتته الحيله فى أمره اغتاله فقتله بالسم (١).

و قد نصحه الإمام (عليه السلام) - كما تقدم - بأن يبعده عن ولايه العهد لبغض البعض لذلك، و قد علق ابراهيم الصولى على ذلك بالقول: كان هذا و الله السبب فيما آل الأمر اليه (٢).

اضافه الى ذلك ان بعض وزراء المأمون و قواده كانوا يبغضون الإمام (عليه السلام) و يحسدونه، فكثرت و شاياتهم على الإمام (عليه السلام)، فأقدم المأمون

ص: ١٧٠

١- ((١)) عيون أخبار الرضا: ٢/٢٣٩-٢٤٠.

٢- ((٢)) نثر الدر: ١/٣٦٣.

على سَمِّهِ (١).

و بدأت علامات الموت تظهر على الإمام (عليه السّلام) بعد ان اكل الرمان أو العنب الذى اطعمه المؤمن، و بعد خروج المؤمن ازدادت حالته الصحيه تدهورا، و كان آخر ما تكلم به: قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي يُبُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ (٢) وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا (٣).

و دخل عليه المؤمن باكيا، ثم مشى خلف جنازته حافيا حاسرا يقول:

«يا اخى لقد تلم الاسلام بموتك و غلب القدر تقديرى فيك» و شق لحد هارون و دفنه بجنبه (٤).

و قد رثاه دعبل الخزاعى قائلا:

ارى اميه معذورين ان قتلوا و لا ارى لبني العباس من عذر

اربع بطوس على قبر الزكى به ان كنت تربع من دين على خطر

قبران فى طوس خير الناس كلهم و قبر شرهم هذا من العبر

ما ينفع الرجس من قرب الزكى و ما على الزكى بقرب الرجس من ضرر (٥).

و كانت شهادة الإمام الرضا (عليه السّلام) فى آخر صفر سنة (٢٠٣ هـ) كما ذكر على ذلك اغلب الرواه و المؤرخين.

ص: ١٧١

١- (١) النصوص التوضيحية فى كيفية استشهاده راجعها فى العوالم ص ٤٨٨-٤٩٨.

٢- (٢) آل عمران (٣): ١٥٤.

٣- (٣) الأحزاب (٣٣): ٣٨.

٤- (٤) عيون أخبار الرضا: ٢/٢٤١.

٥- (٥) عيون أخبار الرضا: ٢/٢٥١.

قال ابن حبان: قد زرت مرارا كثيره، و ما حلّت بى شدّه فى وقت مقامى بطوس فزرت قبر على بن موسى الرضا، صلوات الله على جده و عليه و دعوت الله ازالته عني الا استجيب لى، و زالت عني تلك الشده، و هذا شىء جريته مرارا، فوجدته كذلك (١).

و قد اشتهرت هذه الكرامات على مدى القرون و لا سيما فى عصرنا الراهن حتى أن القائمين بشؤون الحرم الرضوى قد أسسوا قسما خاصا بتسجيل هذه الكرامات و تدوينها مع شواهدها و ذاع صيتها و اشتهر أمرها و أصبحت من الواضحات لدى عامه المؤمنين بل جمله من الأطباء الذين كانوا يشرفون على تطيب بعض المرضى الذين لا علاج لهم.

ص: ١٧٢

إشاره

مدرسه الإمام الرضا (عليه السلام)، احتياجاته و تراثه

عاش الإمام الرضا (عليه السلام) في عصر انفتاح الامه الإسلاميه على تراث الامم الاخرى التي أخذت تدخل في حاضره المسلمين و تساهم معهم في بناء صرح حضارتهم الإسلاميه.

و قد بلغ هذا الانفتاح مبلغا عظيما في عصر الإمام الرضا (عليه السلام) بشكل واضح حتى كان يهدد الثقافه الإسلاميه إن لم يتصد له المعنيون بحفظ أصاله الثقافه الإسلاميه من الذوبان في الثقافات الدخيله عليها بشكل أو آخر.

و قد اعتنى الإمام الرضا (عليه السلام) بهذا الجانب الخطير فقام باعداد و تربيه أجيال من العلماء ليحرصوا على صيانه التراث الإسلامى من الذوبان و الانهيار، و يقوموا بمهمه نشر الفكر الإسلامى الصائب فى أرجاء العالم الإسلامى و يهتموا بتربيه أجيال تحمل هذه الرساله الى العالم أجمع.

من هنا كانت للإمام الرضا (عليه السلام) مدرسه حيه تتقوم بعناصر عالمه و متعلمه و ذات ثقافه رساليه فريده.

و هذه المدرسه تعتبر جزء من التراث الحى للإمام الرضا (عليه السلام). و هى بعد متميز من تراثه الثرى.

و تأتى احتياجات الإمام الطويله و المتنوعه مع أرباب شتى المذاهب

و الأديان لتشكّل علامه فارقه اخرى فى حياه الإمام الرضا(عليه السلام) و هى الجزء الآخر من تراثه المعطاء.

كما يعتبر كل ما دوّن و روى عن الإمام الرضا(عليه السلام) من أحاديث و رسائل و كتب فى شتى ميادين المعرفة الإسلاميه الجزء الثالث من تراثه الخالد للامه الإسلاميه بل البشريه جمعاء.

من هنا سوف نتكلّم عن هذه الحقول و الأجزاء الثلاثه ضمن ثلاثه بحوث تأتي تباعا.

ص: ١٧٤

يتراوح عدد الرواه عن الإمام الرضا (عليه السلام) كما جاء في المصادر الموجودة بأيدينا بين (٣١٣) إلى (٣٦٧) راويا. وهؤلاء يعتبرون طلاب مدرسته و المتخرجين على يديه. وقد أحصى عددهم صاحب مسند الإمام الرضا و ترجم ل ٣١٣ راويا منهم بشكل موجز جدًا استنادا الى ما جاء لهم من ذكر في أسناد روايات المسند.

على أن الشيخ الطوسي (رضي الله عنه) قد ذكر ثلاثمائة و خمسة عشر رجلا من أصحاب الإمام الرضا (عليه السلام)، بينما أنهامم الشيخ باقر شريف القرشي الى (٣٦٧) راويا (١).

و نظره سريعه إلى مسند الإمام الرضا (عليه السلام) تعطينا صورة اجماليه عن اتجاهات مدرسه الإمام الرضا (عليه السلام) و ملامح عصره في مجالات التربيه العلميه و الاخلاقيه كما كانت تتطلبها الظروف التي عاشها الإمام (عليه السلام) هذا فضلا عن الإعداد الخاص للمستقبل القريب و البعيد الذي كان قد خطط له الائمة من أهل البيت (عليهم السلام) كما هو واضح لمن يتدبر مجموع ما صدر عنهم من نصوص و ما تضمنتها من التوجيه الى آفاق المستقبل المشرق الذي ينتظر أتباع أهل البيت (عليهم السلام) و هم الجماعه الصالحه التي التزمت خطهم الفكرى و السياسى و أصرت على التضحية في سبيل العقيدة الصحيحه و المبدأ الحق.

و قد ازداد النشاط العلمى لشيعة أهل البيت (عليهم السلام) في هذا العصر و تمثل

ص: ١٧٥

١- ((١)) انظر مسند الإمام الرضا، و حياه الإمام على بن موسى الرضا (عليه السلام) (دراسه و تحليل).

فى كثره التأليف و التدوين، و التدريس و الروايه و شمل جميع الحقول المعرفيه المعروفه آنذاك.

كما ازداد عدد الأفراد المنتمين لمدرسه الفقهاء الرواه من أتباع أهل البيت (عليهم السّلام)ازديادا ملحوظا، و نلمس ذلك بوضوح من خلال عدد رواه الإمام الرضا (عليه السّلام) حيث تكشف قائمه الرواه عن مدى الاهتمام منهم بانتهاال العلم من مدرسه الإمام الرضا (عليه السّلام) الرساليه فى عصره، لا سيّما إذا لاحظنا تنوّع مستوياتهم و تنوّع اتجاهاتهم و تنوع بلدانهم و اهتماماتهم العلميه من خلال تنوع الاسئله و المجالات التى رووا فيها الأحاديث عن الإمام الرضا (عليه السّلام).

و نشير فيما يلى الى بعض أصحاب الإمام و الى جمله من مؤلفاتهم.

لقد ذكرت كتب التراجم ليونس بن عبد الرحمن (1) الكتب التاليه:

١- كتاب الشرايع، ٢- جوامع الآثار، ٣- الجامع الكبير فى الفقه، ٤- الصلاه، ٥- الوضوء، ٦- يوم و ليله، ٧- السهو، ٨- الزكاه، ٩- اختلاف الحج، ١٠- العلل الكبير، ١١- علل الحديث، ١٢- الفرائض، ١٣- الفرائض الصغير، ١٤- الاحتجاج فى الطلاق، ١٥- التجارات، ١٦- المزارعات، ١٧- الآداب و الدلاله على الخير، ١٨- علل النكاح و تحليل المتعه، ١٩- البيوع، ٢٠- الدييات، ٢١- الحدود.

ص: ١٧٦

١- (١) يونس بن عبد الرحمن هو أبو محمد مولى آل يقطين ثقه من أصحاب الكاظم و الرضا (عليهم السّلام)، كان وجها فى أصحابنا متقدما عظيم المنزله قال ابن النديم: «يونس بن عبد الرحمن من أصحاب موسى بن جعفر (عليهم السّلام) من موالى آل يقطين علامه زمانه كثير التصنيف و التأليف على مذاهب الشيعه» ثم عد كتبه و كان يونس من أصحاب الإجماع ولد فى أيام هشام بن عبد الملك و رأى جعفر بن محمد (عليهم السّلام) بين الصفا و المروه و لم يروه و روى عن الكاظم و الرضا (عليهما السّلام) و كان الرضا (عليه السّلام) يشير إليه فى العلم و الفتيا و كان ممن بذل على الوقف مالا جزيلا فما قبل، مات رحمه الله سنه ٢٠٨.

و ذكرت لصفوان بن يحيى (١) ما يلي:

١- كتاب الوضوء، ٢- الصلاة، ٣- الصوم، ٤- الحج، ٥- الزكاه، ٦- النكاح، ٧- الطلاق، ٨- الفرائض، ٩- الوصايا، ١٠- الشراء و البيع، ١١- العتق و التدبير، ١٢- البشارات، ١٣- النوادر.

و ذكرت للحسن بن محبوب أيضا: ١- كتاب المشيخه، ٢- الحدود، ٣- الديات، ٤- الفرائض، ٥- النكاح، ٦- الطلاق، ٧- النوادر نحو ألف ورقه، ٨- التفسير، ٩- العتق.

كما ذكرت كتب أخرى لعثمان بن عيسى الرؤاسي و محمد بن ابى عمير و على بن يقطين و محمد بن عيسى اليقطيني حتى جاء عنه فى مناقب ابن شهر آشوب انه جمع من مسائل ابى الحسن الرضا مما سئل عنه و أجاب ثمانيه عشر ألف مسأله أو خمسه عشر ألف مسأله (٢).

ص: ١٧٧

١- (١) هو أبو محمد صفوان بن يحيى البجلي الكوفى، بياع السابرى من أصحاب الإمام السابع و الثامن (عليهما السلام) و أقروا له بالفقه و العلم، ثقته من أصحاب الإجماع و كان وكيل الرضا (عليه السلام) و صنف كتبا كثيره كان من الورع و العباده ما لم يكن احد فى طبقته. و نقل الشيخ: «إنه أوثق أهل زمانه عند اصحاب الحديث و أعبدهم كان يصلى كل يوم خمسين و مائه ركعه و يصوم فى السنه ثلاثه اشهر و يخرج زكاه ماله كل سنه ثلاث مرات و ذاك انه اشترك هو و عبد الله بن جندب و على بن النعمان فى بيت الله الحرام فتعاقدوا جميعا ان مات واحد منهم يصلى من بقى بعده صلاته و يصوم عنه و يحج عنه و يزكى عنه ما دام حيا فمات صاحبه و بقى صفوان بعدهما و كان يفى لهما بذلك و كان يصلى عنهما و يزكى عنهما و يصوم عنهما و يحج عنهما و كل شىء من البر و الصلاح يفعل لنفسه كذلك يفعل عن صاحبيه- الى ان قال:- و روى عن اربعين رجلا من اصحاب ابى عبد الله (عليه السلام). و له كتب كثيره مثل كتب الحسين بن سعيد و له مسائل عن أبى الحسن موسى (عليه السلام) و روايات». مات (رحمه الله) بالمدينه و بعث إليه أبو جعفر بحنوطه و كفته و أمر اسماعيل بن موسى بالصلاه عليه.

٢- (٢) راجع عبد الهادى الفضلى: تاريخ التشريع الاسلامى: ١٨٠.

إن انفتاح الامه الإسلاميه على الامم و الثقافات الاخرى-بأى سبب كان (١)- كان يتطلب من القيادة الرساليه التي كانت مهمتها الاولى صيانه الرساله الإسلاميه و الامه المسلمه من الانهيار و السقوط أن تقوم بتحسين الامه و المجتمع الإسلامى تحصينا علميا و ثقافيا يجعلها تصمد أمام الاختراق الثقافى المقصود أو غير المقصود.

و قد عرفنا أن عصر الإمام الرضا(عليه السلام) قد تميّز بانفتاح هذا الباب على مصراعيه، و أصبح الخطر محققا بالامه، و كان المأمون يبدى رغبه جامحه و شديده فى الحوار بين الإمام الرضا(عليه السلام) و سائر أرباب الأديان و المذاهب و الاتجاهات العامله فى المجتمع الإسلامى آنذاك.

و قد تحقق هذا الحوار المفتوح على أصعده شتى، و تحدّى فيه الإمام الرضا(عليه السلام)-باعتباره الشخصيه العلميه الوحيده اللامعه فى العالم الإسلامى- كل أصحاب الأديان و المذاهب و الفرق و فاقهم جميعا، و سجّل بذلك للعالم الإسلامى تفوقه و قيمومه العلميه بالنسبه لهم، و تالأت بذلك شخصيه الإمام

ص: ١٧٨

١- (١)) قد يكون هذا الانفتاح نتيجه طبيعيه لدخول الامم الاخرى فى الحاضره الإسلاميه بعد اعتناق الإسلام أو معاشتها للمسلمين، و قد يكون السبب محاوله الاختراق منهم رغم الفتوحات الإسلاميه التي أنتجت خضوعهم للدوله الإسلاميه، كما يحتمل أن يكون للخلفاء دور فى التشجيع على الترجمة للتراث الآخر رغبه منهم فى التوسع العلمى و الاطلاع على سائر الثقافات أو رغبه منهم لانشغال طلاب العلم بالثقافات الاخرى لثلا يتفرّغوا للتوجه الى معين أهل البيت(عليهم السلام)الرسالى، لأنّ هذا التوجه سيؤدى الى مرجعيتهم العلميه و التي تستتبعها مرجعيتهم السياسيه و لو بعد فتره طويله، و هذا مما لا يروق لهم بحال من الأحوال.

ولا ندرى هل سجّلت كتب التراث كل ساحات الحوار و نصوصه التى دارت بين الإمام الرضا(عليه السّلام) و سائر أرباب الأديان و المذاهب، غير أنّ ما وصل إلينا من حوارات غنى فى بابها و تنوّع مجالاً-ته، بالرغم من وجود شواهد تأريخيه على اصرار المأمون لحجب هذه الحوارات عن الانتشار.

و تكفّلت كتب الاحتجاج بثبت جملة من هذه الحوارات و تجدها فى كتاب الاحتجاج للطبرسى و بحار الأنوار للمجلسى فضلاً عن كتاب عيون أخبار الرضا(عليه السّلام).

و قد انتجت هذه الحوارات المهمة ما يلى:

١- تحدى أرباب الأديان و المذاهب، و إثبات التفوّق العلمى لمدرسه أهل البيت(عليهم السّلام)الرساليه.

٢-فتح الباب لانتشار ثقافه أهل البيت(عليهم السّلام)فى أوساط المجتمع الإسلامى.

٣-توجيه المسلمين الى خط أهل البيت(عليهم السّلام)الرسالى و دعوتهم للانشداد بهم دون غيرهم دعوه صامته.

٤-دعم الدوله الإسلاميه لأنها قدّمت للإنسانيه الرصيد العلمى الذى تمتلكه الحضاره الإسلاميه.

٥-و لا نستبعد أن تكون هذه الفتوحات الكبيره سببا من أسباب

ص:١٧٩

١- ((١)) و لعل هذا التفوّق كان أحد أسباب استعجال المأمون فى القضاء على شخص الإمام الرضا(عليه السّلام)بعد أن ثبت للعالم الإسلامى إشراق هذه الشخصيه، و أن المأمون لا يستطيع استيعابها و احتواءها، فيكون وجود المأمون حينئذ وجوداً هامشياً-كما هو كذلك-و لكن الملك عقيم و الخلافه منصب لا يزهده فيه أصحاب المطامع الدنيويه، من هنا تجرّأ المأمون بكل قساوه و خطّط للقضاء على هذه الشخصيه المشرقه التى أصبحت تنافسه فى أعين الناس بل أصبحت تفوقه بما لا يتحمّله من أنواع التفوّق.

الإسراع فى القضاء على شخص الإمام الرضا(عليه السّلام)، لأن تفوقه و اشراقه يعود بنتائج سلبية على شخص الخليفة، فيكون وجوده مزاحماً لمثل المأمون الذى يحمل أكبر الآمال فى إحكام السيطرة على العالم الإسلامى.

و على كل حال فقد تنوّعت مجالات الحوار فشملت التوحيد، و النبوّه و الأنبياء(عليهم السّلام) و الإمامه و الأئمه، و المذاهب الإسلاميه، و الخلافه و الصحابه، و غيرها من مسائل الخلاف بين المسلمين.

و نستعرض فيما يلى نماذج من هذه الاحتجاجات لنقف على جانب من عظمه الإمام العلميه و نشاطه الخاص فى هذا المجال الخطير.

١- حوار مع الثنويه

روى الصدوق عن الفضل بن شاذان: سأل رجل من الثنويه أبا الحسن على بن موسى الرضا(عليه السّلام) و أنا حاضر فقال له: إني أقول: إنّ صانع العالم إثنان فما الدليل على أنّه واحد؟ فقال: «قولك: إنّ إثنان دليل على أنّه واحد لأنك لم تدّع الثانى إلاّ بعد إثباتك الواحد، فالواحد مجمع عليه و أكثر من واحد مختلف فيه» (١).

ص: ١٨٠

قال الحسن بن محمد النوفلي: لما قدم على بن موسى الرضا (عليه السلام) الى المأمون أمر الفضل بن سهل أن يجمع له أصحاب المقالات مثل الجاثليق و رأس الجالوت و رؤساء الصابئين و الهريذ الأ-كبر، و أصحاب زردهشت و قسطاس الزومي و المتكلمين ليسمع كلامه و كلامهم فجمعهم الفضل بن سهل، ثم أعلم المأمون باجتماعهم، فقال: أدخلهم عليّ، ففعل، فرحب بهم المأمون.

ثم قال لهم: إنني إنما جمعتكم لخير، و أحببت أن تناظروا ابن عمي هذا المدنيّ القادم عليّ، فإذا كان بكره فاعدوا عليّ و لا يتخلف منكم أحد، فقالوا: السمع و الطاعة يا أمير المؤمنين نحن مبكرون إن شاء الله.

قال الحسن بن محمد النوفلي: فبينما نحن في حديث لنا عند أبي الحسن الرضا (عليه السلام) إذ دخل علينا ياسر الخادم و كان يتولّى أمر أبي الحسن (عليه السلام) فقال:

يا سيدي إنّ أمير المؤمنين يقرئك السلام فيقول: فداك أخوك إنه اجتمع إليّ أصحاب المقالات و أهل الأديان و المتكلمون من جميع الملل، فأريك في البكور علينا إن أحببت كلامهم و إن كرهت كلامهم فلا تتجشّم و إن أحببت أن نصير إليك خفّ ذلك علينا.

فقال أبو الحسن (عليه السلام): أبلغه السلام و قل له: قد علمت ما أردت و أنا صائر إليك

بكره إن شاء الله. قال الحسن بن محمد النوفلي: فلما مضى ياسر التفت إلينا، ثم قال لي: يا نوفلي أنت عراقي ورفقه العراقي غير غليظ فما عندك في جمع ابن عمك علينا أهل الشرك وأصحاب المقالات؟ فقلت: جعلت فداك يريد الامتحان وحب أن يعرف ما عندك، ولقد بنى على أساس غير وثيق البنيان وبئس والله ما بنى.

فقال لي: وما بناؤه في هذا الباب؟ قلت: إن أصحاب البدع والكلام خلاف العلماء وذلك أن العالم لا ينكر غير المنكر وأصحاب المقالات والمتكلمون وأهل الشرك أصحاب إنكار ومباهته، وإن احتججت عليهم بأن الله واحد قالوا:

صحيح وحدانيته وإن قلت: إن محمد (صلى الله عليه واله) رسول الله قالوا: أثبت رسالته، ثم يباهتون الرجل وهو يبطل عليهم بحجته، ويغالطونه حتى يترك قوله فاحذرهم جعلت فداك.

قال: فتبسّم (عليه السلام) ثم قال: يا نوفلي أتخاف أن يقطعوا عليّ حجّتي؟

قلت: لا والله ما خفت عليك قطّ وإنّي لأرجو أن يظفرك الله لهم إن شاء الله.

فقال لي: يا نوفلي تحب أن تعلم متى يندم المأمون؟ قلت: نعم.

قال: إذا سمع احتجاجي على أهل التوراه بتوراتهم، وعلى أهل الإنجيل بإنجيلهم، وعلى أهل الزبور بزبورهم وعلى الصابئين بعبرانيتهم وعلى الهراذة بفارسيّتهم وعلى أهل الروم بروميتهم وعلى أصحاب المقالات بلغاتهم فإذا قطعت كلّ صنف ودحضت حجّته وترك مقالته ورجع إلى قولي علم المأمون أن الموضوع الذي هو بسبيله ليس هو بمستحق له فعند ذلك تكون الندامه منه، ولا حول ولا قوه إلا بالله العلي العظيم.

فلما أصبحنا أتانا الفضل بن سهل فقال له: جعلت فداك ابن عمك ينتظرك، وقد اجتمع القوم فما رأيك في إتيانه؟

فقال الرضا (عليه السلام): تقدمني فإنّي صائر إلى ناحيتكم إن شاء الله، ثم، توضأ (عليه السلام).

وضوء الصلاة و شرب شربه سويق و سقانا منه، ثم خرج و خرجنا معه حتى دخلنا على المأمون، فإذا المجلس غاص بأهله و محمد بن جعفر في جماعه الطالبين و الهاشميين و القواد حضور.

فلما دخل الرضا(عليه السلام) قام المأمون و قام محمد بن جعفر و قام جميع بنى هاشم فما زالوا وقوفا و الرضا(عليه السلام) جالس مع المأمون حتى أمرهم بالجلوس فجلسوا، فلم يزل المأمون مقبلا عليه يحدثه ساعه، ثم التفت الى الجاثليق، فقال: يا جاثليق هذا ابن عمي علي بن موسى بن جعفر، و هو من ولد فاطمه بنت نبينا و ابن علي بن أبي طالب(عليهم السلام) فأحب أن تكلمه و تحاجه و تنصفه.

فقال الجاثليق: يا أمير المؤمنين كيف احاج رجلا يحتج علي بكتاب أنا منكره و نبي لا أؤمن به؟

فقال له الإمام الرضا(عليه السلام): يا نصراني فإن احتججت عليك بانجيلك أتقر به؟!

قال الجاثليق: و هل أقدر علي دفع ما نطق به الإنجيل، نعم و الله أقر به علي رغم أنفي.

فقال له الرضا(عليه السلام): سل عما بدا لك و افهم الجواب.

قال الجاثليق: ما تقول في نبوه عيسى(عليه السلام) و كتابه هل تنكر منهما شيئا؟

قال الرضا(عليه السلام): أنا مقر بنبوه عيسى و كتابه و ما بشر به امته و أقر به الحواريون و كافر بنبوه كل عيسى لم يقر بنبوه محمد(صلى الله عليه و اله) و كتابه و لم يبشر به امته.

قال الجاثليق: أليس إنما تقطع الأحكام بشاهدي عدل؟

قال: بلى.

قال: فأقم شاهدين من غير أهل ملتك علي نبوه محمد ممن لا تنكره النصرانيه و سلنا مثل ذلك من غير أهل ملتنا.

قال الرضا(عليه السلام): الآن جئت بالنصفه يا نصراني، ألا تقبل مني العدل المقدم عند

المسيح عيسى بن مريم؟

قال الجاثليق: و من هذا العدل؟ سمه لى؟

قال: ما تقول فى يوحنا الديللمى.

قال: بخ بخ ذكرت أحب الناس الى المسيح.

قال: فأقسمت عليك هل نطق الإنجيل أن يوحنا قال إن المسيح أخبرنى بدين محمد العربى و بشرنى، إنه يكون من بعده، فبشّرت به الحواريين فأمنوا به؟!

قال الجاثليق: قد ذكر ذلك يوحنا عن المسيح و بشر بنوّه رجل و بأهل بيته و وصيّيه و لم يلخص متى يكون ذلك و لم يسم لنا القوم فنعرفهم.

قال الرضا (عليه السلام): فإن جئناك بمن يقرأ الإنجيل فتلا عليك ذكر محمّد و أهل بيته و أمته أتؤمن به؟

قال: شديدا.

قال الرضا (عليه السلام): لقسطاس الرومى: كيف حفظك للسفر الثالث من الإنجيل؟

قال: ما احفظنى له.

ثم التفت الى رأس الجالوت فقال له: أأنت تقرأ الإنجيل؟!

قال: بلى لعمرى.

قال: فخذ على السفر الثالث، فإن كان فيه ذكر محمّد و أهل بيته و أمته سلام الله عليهم فاشهدوا لى، و إن لم يكن فيه ذكره فلا تشهدوا لى.

ثم قرأ (عليه السلام) السفر الثالث حتى إذا بلغ ذكر النبى (صلى الله عليه و اله) وقف، ثم قال: يا نصرانى إنى أسألك بحق المسيح و امه أتعلم أنى عالم بالإنجيل؟ قال: نعم، ثم تلا علينا ذكر محمّد و أهل بيته و أمته ثم قال: ما تقول يا نصرانى؟ هذا قول عيسى بن مريم فإن كذبت ما ينطق به الإنجيل فقد كذبت عيسى و موسى (عليهما السلام) و متى أنكرت هذا الذّكر و جب عليك القتل لأنك تكون قد كفرت برّبك و بنبيك و بكتابك.

ص: ١٨٤

قال الجاثليق: لا انكر ما قد بان لى فى الإنجيل و إنى لمقرّبه.

قال الرضا(عليه السّلام): اشهدوا على إقراره. ثم قال: يا جاثليق، سل عمّا بدا لك.

قال الجاثليق: اخبرنى عن حوارى عيسى بن مريم كم كان عدّتهم، و عن علماء الإنجيل كم كانوا.

قال الرضا(عليه السّلام): على الخير سقطت، أمّا الحواريون فكانوا اثنى عشر رجلا و كان أفضلهم و أعلمهم لوقا.

و أما علماء النصرارى فكانوا ثلاثة رجال: يوحنا الأكبر بأج، و يوحنا بقرقيسيا، و يوحنا الديلمى بزجان، و عنده كان ذكر النبى (صلّى الله عليه و اله) و ذكر أهل بيته و امته و هو الذى بشر امه عيسى و بنى اسرائيل به، ثم قال(عليه السّلام): يا نصرانى و الله إنّنا لنؤمن بعيسى الذى آمن بمحمد(صلّى الله عليه و اله) و ما ننقم على عيساكم شيئا إلاّ ضعفه و قلّه صيامه و صلّاته.

قال الجاثليق: أفسدت و الله علمك و ضعفت أمرك، و ما كنت ظننت إلاّ أنّك أعلم أهل الإسلام.

قال الرضا(عليه السّلام): و كيف ذلك؟

قال الجاثليق: من قولك: إنّ عيساكم كان ضعيفا قليل الصيام قليل الصلاة، و ما أفطر عيسى يوما قطّ، و لا نام بليل قطّ، و ما زال صائم الدّهر، قائم الليل.

قال الرضا(عليه السّلام): فلمن كان يصوم و يصلّى؟

قال: فخرس الجاثليق و انقطع.

قال الرضا(عليه السّلام): يا نصرانى! إنى اسألك عن مسأله.

قال: سل فإن كان عندى علمها أجبتك.

قال الرضا(عليه السّلام): ما أنكرت أنّ عيسى كان يحيى الموتى يا ذن الله عزّ و جلّ؟

قال الجاثليق: أنكرت ذلك من قبل، إنّ من أحيا الموتى و أبرأ الأكمه

و الأبرص فهو ربّ مستحق لأن يعبد.

قال الرضا(عليه السّلام): فإنّ اليسع قد صنع مثل ما صنع عيسى مشى على الماء و أحيا الموتى و أبرأ الأكمه و الأبرص، فلم يتّخذته امته ربا و لم يعبده أحد من دون الله عزّ و جل، و لقد صنع حزقيال النبي(عليه السّلام) مثل ما صنع عيسى بن مريم(عليه السّلام) فأحيا خمسه و ثلاثين ألف رجل من بعد موتهم بستين سنه.

ثم التفت الى رأس الجالوت فقال له: يا رأس الجالوت أتجد هؤلاء في شباب بنى اسرائيل فى التوراه أختارهم بخت نصر من سبى بنى اسرائيل حين غزا بيت المقدس ثم انصرف بهم الى بابل فأرسله الله عزّ و جلّ اليهم فأحياهم، هذا فى التوراه لا يدفعه إلا كافر منكم.

قال رأس الجالوت: قد سمعنا به و عرفناه.

قال: صدقت. ثم قال(عليه السلام): يا يهودى خذ على هذا السفر من التوراه فتلا(عليه السلام) علينا من التوراه آيات، فأقبل يهودى يترجّح لقراءته و يتعجّب.

ثم أقبل على النصرانى فقال: يا نصرانى أفهؤلاء كانوا قبل عيسى أم عيسى كان قبلهم؟

قال: بل كانوا قبله.

قال الرضا(عليه السّلام): لقد اجتمعت قريش الى رسول الله(صلى الله عليه و اله) فسأله أن يحيى لهم موتاهم فوجّه معهم على بن أبى طالب(عليه السّلام)، فقال له: اذهب الى الجبانه فناد باسماء هؤلاء الرهط الذين يسألون عنهم بأعلى صوتك، يا فلان و يا فلان و يا فلان، يقول لكم محمد رسول الله(صلى الله عليه و اله) قوموا بإذن الله عزّ و جل، فقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم، فأقبلت قريش تسألهم عن امورهم.

ثم أخبروهم أنّ محمّدا قد بعث نبيا، و قالوا: وددنا أنا أدركناه فنؤمن به و لقد ابرأ الأكمه و الأبرص و المجانين و كلمه البهائم، و الطير و الجن و الشياطين و لم نتخذة ربّا من دون

اللّه عزّ وجلّ ولم ننكر لأحد من هؤلاء فضلهم، فمتى اتّخذتم عيسى ربا جاء لكم أن تتخذوا اليسع و حزقيل ربا لأنهما قد صنعا مثل ما صنع عيسى من إحياء الموتى وغيره، أنّ قوما من بنى اسرائيل هربوا من بلادهم من الطاعون و هم الوف حذر الموت.

فأماتهم اللّه فى ساعه واحده فعمد أهل تلك القرية فحظروا عليهم حظيره فلم يزالوا فيها حتى نخرت عظامهم و صاروا رميما، فمرّ بهم نبي من أنبياء بنى اسرائيل فتعجب منهم و من كثره العظام الباليه فأوحى اللّه إليه: أتحبّ أن احييهم لك فتندرهم؟ قال: نعم يا ربّ، فأوحى اللّه عزّ وجلّ إليه أن نادهم.

فقال: أيتها العظام الباليه قومي ياذن اللّه عزّ وجلّ فقاموا أحياء أجمعون ينفضون التراب عن رؤوسهم ثم إبراهيم (عليه السّلام) خليل الرحمن حين أخذ الطيور و قطعهنّ قطعاً ثم وضع على كل جبل منهنّ جزء، ثم ناديهن فأقبلن سعياً إليه، ثم موسى بن عمران و أصحابه و السبعون الذين اختارهم صاروا معه الى الجبل فقالوا له: إنك قد رأيت اللّه سبحانه فأرناهُ كما رأيتهُ.

فقال لهم: إنى لم أره. فقالوا: لن نؤمن لك حتى نرى اللّه جهره، فأخذتهم الصاعقه فاحترقوا عن آخرهم و بقى موسى وحيداً، فقال: يا ربّ اخترت سبعين رجلاً من بنى اسرائيل فجئت بهم و ارجع و حدى فكيف يصدّقنى قومي بما أخبرهم به، فلو شئت أهلكتهم من قبل و إياى أفتهلكنا بما فعل السفهاء منّا، فأحياهم اللّه عزّ وجلّ من بعد موتهم.

و كل شىء ذكرته لك من هذا لا تقدر على دفعه، لأنّ التوراه و الانجيل و الزبور و الفرقان قد نطقت به، فإن كان كل من أحيى الموتى و أبرأ الأكمه و الأبرص و المجانين يتّخذ ربا من دون اللّه، فاتخذ هؤلاء كلّهم أربابا، ما تقول يا نصرانى؟

قال الجائليق: القول قولك و لا إله إلا اللّه.

ثم التفت (عليه السّلام) الى رأس الجالوت فقال: يا يهودىّ أقبل علىّ أسألك بالعشر الآيات التى انزلت على موسى بن عمران (عليه السّلام)، هل تجد فى التوراه مكتوباً نبأ محمّد و امته

إذا جاءت الامه الأخيره أتباع راكب البعير يسبحون الربّ جدا جدا تسيحا جديدا في الكنائس الجدد، فليفرغ بنو اسرائيل اليهم و الى ملكهم لتطمئن قلوبهم فإنّ بأيديهم سيوفا ينتقمون بها من الامم الكافره في أقطار الأرض. هكذا هو في التوراه مكتوب؟! قال رأس الجالوت: نعم إنّنا لنجده كذلك.

ثم قال للجاثليق: يا نصراني كيف علمك بكتاب شعيا؟ قال: أعرفه حرفا حرفا.

قال الرضا (عليه السّلام) لهما: أتعرفان هذا من كلامه: يا قوم إنّى رأيت صوره راكب الحمار لابسا جلابيب النور، و رأيت راكب البعير ضوءه مثل ضوء القمر.

فقالا: قد قال ذلك شعيا.

قال الرضا (عليه السّلام): يا نصراني هل تعرف في الإنجيل قول عيسى: إنّى ذاهب الى ربّي و ربّكم و الفار قليطا جاء هو الذي يشهد لي بالحق كما شهدت له و هو الذي يفسّر لكم كلّ شيء و هو الذي يبدى فضائح الامم، و هو الذي يكسر عمود الكفر؟

فقال الجاثليق: ما ذكرت شيئا ممّا في الإنجيل إلّا و نحن مقرّون به.

فقال: أتجد هذا في الإنجيل ثابتا يا جاثليق؟!

قال: نعم.

قال الرضا (عليه السّلام): يا جاثليق ألا تخبرني عن الإنجيل الأوّل حين افتقدتموه عند من وجدتموه و من وضع لكم هذا الإنجيل؟

قال له: ما افتقدنا الإنجيل إلّا يوما واحدا حتى وجدناه غصّا طريّا فأخرجه إلينا يوحنا و متى.

فقال له الرضا (عليه السّلام): ما أقلّ معرفتك بسرّ الإنجيل و علمائه، فإن كان كما تزعم فلم اختلفتم في الإنجيل؟ إنّما وقع الاختلاف في هذا الانجيل الذي في أيديكم اليوم فلو كان على العهد الأوّل لم تختلفوا فيه، و لكنى مفيدك علم ذلك، اعلم أنّه لمّا افتقد الإنجيل الأوّل

اجتمعت النصارى الى علمائهم فقالوا لهم: قتل عيسى بن مريم (عليه السلام) وافتقدنا الإنجيل و أنتم العلماء فما عندكم؟

فقال لهم لوقا و مرقابوس: إنَّ الإنجيل فى صدورنا، و نحن نخرجه إليكم سفرا سفرا فى كل أحد، فلا تحزنوا عليه و لا تخلّوا الكنائس، فإننا سنتلوه عليكم فى كل أحد سفرا سفرا حتّى نجعله لكم كلّ، فقعد لوقا و مرقابوس و يوحنا و متى و وضعوا لهم هذا الإنجيل بعد ما افتقدتم الإنجيل الأوّل و إنّما كان هؤلاء الأربعة تلاميذ الأوّلين، أعلمت ذلك؟

قال الجاثليق: أما هذا فلم أعلمه و قد علمته الآن، و قد بان لى من فضل علمك بالإنجيل و سمعت أشياء ممّا علمته، شهد قلبى أنّها حقّ فاستردت كثيرا من الفهم.

فقال له الرضا (عليه السلام): فكيف شهادته هؤلاء عندك؟

قال: جائزه، هؤلاء علماء الإنجيل و كلّ ما شهدوا به فهو حقّ.

فقال الرضا (عليه السلام) للمأمون و من حضره من أهل بيته و من غيرهم:

اشهدوا عليه، قالوا: قد شهدنا.

ثم قال للجاثليق: بحقّ الابن و امّه هل تعلم أنّ متى قال: إن المسيح هو ابن داود بن ابراهيم بن اسحاق بن يعقوب بن يهودا بن خضرى، و قال مرقابوس: فى نسبه عيسى بن مريم: إنه كلمه الله أحلّها فى جسد الآدمى فصارت إنسانا، و قال لوقا: إن عيسى بن مريم و امه كانا إنسانين من لحم و دم فدخل فيهما روح القدس.

ثم إنك تقول من شهادته عيسى على نفسه، حقّا أقول لكم يا معشر الحواريين إنه لا- يصعد الى السماء إلا ما نزل منها إلا ركب البعير خاتم الأنبياء، فإنه يصعد الى السماء و ينزل، فما تقول فى هذا القول؟

قال الجاثليق: هذا قول عيسى لا ننكره.

قال الرضا(عليه السلام):فما تقول فى شهاده الوقاء،و مرقابوس و متى على عيسى و ما نسبوه إليه؟

قال الجاثليق:كذبوا على عيسى.

قال الرضا(عليه السلام):يا قوم أليس قد زكّاهم و شهد أنهم علماء الإنجيل و قولهم حقّ؟

فقال الجاثليق:يا عالم المسلمين أحبّ أن تعفينى من أمر هؤلاء.

قال الرضا(عليه السلام):فإننا قد فعلنا،سل يا نصرانى،عمّا بدالك؟

قال الجاثليق:ليسألك غيرى فلا و حق المسيح ما ظننت أن فى علماء المسلمين مثلك.

فالتفت الرضا(عليه السلام)الى رأس الجالوت فقال له:تسألنى أو أسألك؟

قال:بل أسألك،و لست أقبل منك حجه إلاّ من التوراه أو من الإنجيل أو من زبور داود أو ممّا فى صحف إبراهيم و موسى.

فقال الرضا(عليه السلام):لا تقبل منى حجه إلاّ بما تنطق به التوراه،على لسان موسى بن عمران،و الإنجيل على لسان عيسى بن مريم،و الزبور على لسان داود.

فقال رأس الجالوت:من أين تثبت نبوّه محمدا؟

قال الرضا(عليه السلام):شهد بنبوّته(صلّى الله عليه و اله)موسى بن عمران و عيسى بن مريم و داود خليفه الله عزّ و جل فى الأرض.

فقال له:أثبت قول موسى بن عمران.

قال الرضا(عليه السلام):هل تعلم يا يهودىّ أن موسى أوصى بنى إسرائيل فقال لهم:إنّه سيأتىكم نبىّ هو من إخوتكم فيه فصدّقوا،و منه فاسمعوا،فهل تعلم أن لبنى اسرائيل إخوه غير ولد إسماعيل إن كنت تعرف قرابه إسرائيل من إسماعيل و النسب الذى بينهما من قبل إبراهيم(عليه السلام)؟

فقال رأس الجالوت:هذا قول موسى لا ندفعه.

فقال له الرضا(عليه السّلام):هل جاءكم من إخوه بنى إسرائيل نبي غير محمد(صلى الله عليه و اله).

قال:لا.

قال الرضا(عليه السّلام):أو ليس قد صحّ هذا عندكم؟!

قال:نعم و لكننى أحب أن تصحّحه لى من التوراه.

فقال له الرضا(عليه السّلام):هل تنكر أن التوراه تقول لكم:جاء النور من جبل طور سيناء،و أضاء لنا من جبل ساعير و استعلن علينا من جبل فاران؟

قال رأس الجالوت:أعرف هذه الكلمات و ما أعرف تفسيرها.

قال الرضا(عليه السّلام):أنا اخبرك به،أما قوله:جاء النور من جبل طور سيناء فذلك وحى الله تبارك و تعالى الذى أنزله على موسى(عليه السّلام)على جبل طور سيناء،و أما قوله:

و أضاء لنا من جبل ساعير،فهو الجبل الذى أوحى الله عزّ و جلّ الى عيسى بن مريم(عليه السّلام)و هو عليه،و أما قوله:و استعلن علينا من جبل فاران،فذلك جبل من جبال مكّه بينه و بينها يوم.

و قال شعيا النبي(عليه السّلام)فيما تقول أنت و أصحابك فى التوراه:رأيت راكبين أضاء لهما الأرض أحدهما راكب على حمار،و الآخر على جمل،فمن راكب الحمار و من راكب الجمل؟!

قال رأس الجالوت:لا أعرفهما فخبّرني بهما.

قال(عليه السّلام):أما راكب الحمار فعيسى بن مريم،و أما راكب الجمل،فمحمد(صلى الله عليه و اله) أنتنكر؟هذا من التوراه،قال لا،ما أنكره.

ثم قال الرضا(عليه السّلام):هل تعرف حيقوق النبي؟قال:نعم إننى به لعارف، قال(عليه السّلام)فإنّه قال و كتابكم ينطق به:جاء الله بالبيان من جبل فاران،و امتلأت السماوات من تسييح أحمد و امته،يحمل خيله فى البحر كما يحمل فى البرّ يأتينا بكتاب جديد بعد خراب بيت المقدّس-يعنى بالكتاب القرآن-أتعرف هذا و تؤمن به؟

ص:١٩١

قال رأس الجالوت: قد قال ذلك حيقوق (عليه السلام) ولا ننكر قوله.

قال الرضا (عليه السلام): وقد قال داود في زبوره و أنت تقرأ: اللهم ابعث مقيم السنه بعد الفتره، فهل تعرف نبيا أقام السنه بعد الفتره غير محمد (صلى الله عليه و اله)؟

قال رأس الجالوت: هذا قول داود نعرفه و لا ننكره، و لكن عنى بذلك عيسى، و أيامه هى الفتره.

قال الرضا (عليه السلام): جهلت أن عيسى لم يخالف السنه و قد كان موافقا لسنه التوراه حتى رفعه الله إليه، و فى الإنجيل مكتوب: إن ابن البره ذاهب و الفارقليطا جاء من بعده و هو الذى يخفف الآصار، و يفسر لكم كل شىء، و يشهد لى كما شهدت له، أنا جئتكم بالأمثال، و هو يأتىكم بالتأويل أتؤمن بهذا فى الأنجيل؟

قال: نعم لا أنكره.

فقال الرضا (عليه السلام): يا رأس الجالوت اسألك عن نبيك موسى بن عمران؟

فقال: سل.

قال: ما الحجج على أن موسى ثبتت نبوته؟

قال اليهودي: إنه جاء بما لم يجرى به أحد من الأنبياء قبله.

قال له: مثل ماذا؟

قال: مثل فلق البحر، و قلبه العصا حتى تسعى و ضربه الحجر فانفجرت منه العيون، و إخراج يده بيضاء للناظرين و علامات لا يقدر الخلق على مثلها.

قال له الرضا (عليه السلام): صدقت إذا كانت حجه على نبوته أنه جاء بما لا يقدر الخلق على مثله أفليس كل من ادعى أنه نبي ثم جاء بما لا يقدر الخلق على مثله و جب عليكم تصديقه؟

قال: لا؛ لأن موسى لم يكن له نظير لمكانته من ربه، و قربه منه و لا يجب علينا الإقرار بنبوه من ادعاها حتى يأتى من الأعلام بمثل ما جاء به.

قال الرضا(عليه السّلام): فكيف أقررتم بالأنبياء الذين كانوا قبل موسى(عليه السّلام) ولم يفلقوا البحر و لم يفجروا من الحجر اثنتى عشره عينا، و لم يخرجوا أيديهم بيضاء مثل إخراج موسى يده بيضاء و لم يقلب العصا حيّه تسعي؟!!

قال له اليهودى: قد خيرتك أنه متى جاءوا على دعوى نبوتهم من الآيات بما لا يقدر الخلق على مثله و لو جاءوا بما لم يجيء به موسى، أو كان على غير ما جاء به موسى و جب تصديقهم.

قال الرضا(عليه السّلام): يا رأس الجالوت فما يمنعك من الإقرار بعيسى بن مريم، و قد كان يحيى الموتى و يبرئ الأكمه و الأبرص، و يخلق من الطين كهيئه الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طيرا يا ذن الله؟
قال رأس الجالوت: يقال إنه فعل ذلك و لم نشهده.

قال له الرضا(عليه السّلام): رأيت ما جاء به موسى من الآيات شاهدته؟! أليس إنما جاء فى الأخبار به من ثقات أصحاب موسى أنه فعل ذلك.
قال: بلى.

قال: فكذلك أتكلم الأخبار المتواتره بما فعل عيسى بن مريم فكيف صدقتم بموسى و لم تصدقوا بعيسى.
فلم يحر جوابا.

قال الرضا(عليه السّلام): و كذلك أمر محمد(صلّى الله عليه و اله) و ما جاء به و أمر كلّ نبى بعثه الله و من آياته أنه كان يتيما فقيرا راعيا أجيرا لم يتعلم كتابا و لم يختلف الى معلّم، ثم جاء بالقرآن الذى فيه قصص الأنبياء و أخبارهم حرفا حرفا و أخبار من مضى و من بقى الى يوم القيامة. ثم كان يخبرهم بأسرارهم و ما يعملون فى بيوتهم، و جاء بآيات كثيره لا تحصى.

قال رأس الجالوت: لم يصحّ عندنا خبر عيسى و لا خبر محمّد و لا يجوز لنا أن تقرّ لهما بما لم يصحّ.

قال الرضا(عليه السلام): فالشاهد الذى شهد لعيسى و لمحمد(صلى الله عليه و اله) شاهد زور.

فلم يحر جوابا.

ثم دعا(عليه السلام) بالهربد الأكبر فقال له الرضا(عليه السلام): اخبرنى عن زردهشت الذى تزعم أنه نبى ما حججتك على نبوته؟

قال: إنه أتى بما لم يأتنا به أحد قبله و لم نشهده، و لكن الأخبار من أسلافنا وردت علينا بأنه أحل لنا ما لم يحلّه غيره فأتبعناه.

قال(عليه السلام): أفليس إنما أتتكم الأخبار فاتبعتموه؟!

قال: بلى.

قال: فكذلك سائر الامم السالفه أتتهم الأخبار بما أتى به النبيون، و أتى به موسى و عيسى و محمد صلوات الله عليهم فما عذركم فى ترك

الإقرار لهم، إذ كنتم أقررتم بزدهشت من قبل الأخبار المتواتره، بأنه جاء بما لم يجىء به غيره؟!

فانقطع الهربد مكانه.

فقال الرضا(عليه السلام): يا قوم إن كان فيكم أحد يخالف الإسلام و أراد أن يسأل فليسأل غير محتشم.

فقام إليه عمران الصابى و كان واحدا فى المتكلمين فقال: يا عالم الناس لو لا أنك دعوت الى مسألتك لم اقدم عليك بالمسائل، و لقد دخلت

الكوفه و البصره و الشام و الجزيره و لقيت المتكلمين فلم أقع على أحد يثبت لى واحدا ليس غيره قائما بوحدانيته افتأذن لى أن اسألك؟

قال الرضا(عليه السلام): إن كان فى الجماعه عمران الصابى فأنت هو!

فقال: أنا هو.

فقال(عليه السلام): سل يا عمران و عليك بالنصفه و إياك و الخطل و الجور!

قال: و الله يا سيدى ما اريد إلا أن تثبت لى شيئا أتعلق به فلا أجوزه.

ص: ١٩٤

قال (عليه السلام): سل عما بدا لك، فازدحم عليه الناس و انضمّ بعضهم الى بعض.

فقال عمران الصابى: أخبرنى عن الكائن الأول و عما خلق.

قال (عليه السلام): سألت فافهم أما الواحد فلم يزل واحدا كائنا لا شىء معه بلا حدود و لا أعراض، و لا يزال كذلك ثم خلق خلقا مبتدعا مختلفا بأعراض و حدود مختلفة لا فى شىء أقامه و لا فى شىء حدّه و لا على شىء حذاه و لا مثله له.

فجعل من بعد ذلك الخلق صفوه و غير صفوه و اختلافا و اتتلافا و ألوانا و ذوقا و طمعا لا لحاجه كانت منه الى ذلك و لا لفضل منزله لم يبلغها إلا به، و لا رأى لنفسه فيما خلق زياده و لا نقصانا، تعقل هذا يا عمران؟

قال: نعم و الله يا سيدى.

قال (عليه السلام): و اعلم يا عمران! أنه لو كان خلق ما خلق لحاجه لم يخلق إلا من يستعين به على حاجته و لكان ينبغى أن يخلق أضعاف ما خلق، لأنّ الأعداء كلما كثروا كان صاحبهم أقوى، و الحاجه يا عمران لا يسعها لأنّه لم يحدث من الخلق شيئا إلا حدثت فيه حاجه اخرى و لذلك أقول: لم يخلق الخلق لحاجه، و لكن نقل بالخلق الحوائج بعضهم الى بعض و فضل بعضهم على بعض بلا حاجه منه الى من فضل و لا نقمه منه على من أذل، فلهذا خلق.

قال عمران: يا سيدى هل كان الكائن معلوما فى نفسه عند نفسه؟

قال الرضا (عليه السلام): إنّما تكون المعلمه بالشىء لنفى خلافه و ليكون الشىء نفسه بما نفى عنه موجودا، و لم يكن هناك شىء يخالفه فتدعوه الحاجه الى نفى ذلك الشىء عن نفسه بتحديد علم منها، أفهمت يا عمران؟

قال: نعم و الله يا سيدى فأخبرنى بأى شىء علم ما علم أضمير أم بغير ذلك؟

قال الرضا (عليه السلام): أرايت إذا علم بضمير هل تجد بدا من أن تجعل لذلك الضمير حدا ينتهى إليه المعرفه؟!

قال عمران: لا بدّ من ذلك.

قال الرضا (عليه السلام): فما ذلك الضمير؟

فانقطع و لم يحر جوابا.

قال الرضا (عليه السلام): لا بأس، إن سألتك عن الضمير نفسه تعرّفه بضمير آخر؟!

ثم قال الرضا (عليه السلام): أفسدت عليك قولك و دعواك يا عمران، أليس ينبغي أن تعلم أنّ الواحد ليس يوصف بضمير، و ليس يقال له أكثر من فعل و عمل و صنع و ليس يتوهم منه مذاهب و تجزئه كمذاهب المخلوقين و تجزئتهم فاعقل ذلك و ابن عليه ما علمت صوابا.

قال عمران: يا سيدى ألا تخبرنى عن حدود خلقه؟ كيف هى؟ و ما معانيها؟ و على كم نوع يتكوّن؟

قال (عليه السلام): قد سألت فافهم إنّ حدود خلقه على سته أنواع: ملموس و موزون و منظور إليه، و ما لا وزن له، و هو الروح و منها منظور إليه و ليس له وزن و لا لمس و لا حسّ و لا ذوق و التقدير، و الأعراض، و الصور و العرض و الطول، و منها العمل و الحركات التى تصنع الأشياء و تعلمها و تغييرها من حال الى حال و تزيدها و تنقصها.

و أما الأعمال و الحركات فإنّها تنطلق لأنّها لا- وقت لها أكثر من قدر ما يحتاج اليه، فإذا فرق من الشىء انطلق بالحركه و بقى الأثر و يجرى مجرى الكلام الذى يذهب و يبقى أثره.

قال له عمران: يا سيدى ألا تخبرنى عن الخالق إذا كان واحدا لا شىء غيره و لا شىء معه، أليس قد تغير بخلقه الخلق.

قال الرضا (عليه السلام): لم يتغير عزّ و جل بخلق الخلق، و لكن الخلق يتغير بتغييره.

قال عمران: فبأى شىء عرفناه.

قال (عليه السلام): بغيره.

قال: فأى شىء غيره؟

ص: ١٩٦

قال الرضا(عليه السلام): مشيئته و اسمه و صفته و ما أشبه ذلك، و كل ذلك محدث مخلوق مدبر.

قال عمران: يا سيدى فأى شىء هو؟

قال(عليه السلام): هو نور بمعنى أنه هاد لخلقه من أهل السماء و أهل الأرض، و ليس لك على أكثر من توحيدى إياه.

قال عمران: يا سيدى أليس قد كان ساكتا قبل الخلق لا ينطق ثم نطق؟

قال الرضا(عليه السلام): لا يكون السكوت إلا عن نطق قبله، و المثل فى ذلك أنه لا يقال للسراج هو ساكت لا ينطق و لا يقال إن السراج ليضىء فيما يريد أن يفعل بنا، لأن الضوء من السراج ليس بفعل منه و لا كون و إنما هو ليس شىء غيره، فلما استضاء لنا قلنا قد أضاء لنا حتى استضاءنا به، فبهذا تستبصر أمرك.

قال عمران: يا سيدى فإن الذى كان عندى أن الكائن قد تغير فى فعله عن حاله بخلقه الخلق.

قال الرضا: أحلت يا عمران فى قولك: إن الكائن يتغير فى وجه من الوجوه حتى يصيب الذات منه ما يغيره، يا عمران هل تجد النار تغير نفسها؟ أو هل تجد الحرارة تحرق نفسها؟ أو هل رأيت بصيرا قط رأى بصره؟

قال عمران: لم أر هذا، ألا تخبرنى أهو فى الخلق أم الخلق فيه.

قال الرضا(عليه السلام): جل يا عمران عن ذلك ليس هو فى الخلق و لا الخلق فيه، تعالى عن ذلك، و سأعلمك و تعرفه به، و لا حول و لا قوة إلا بالله، أخبرنى عن المرآه أنت فيها أم هى فيك؟ فان كان ليس واحد منكما فى صاحبه، فأبى شىء استدلت بها على نفسك؟

قال عمران: بضوء بينى و بينها.

فقال الرضا(عليه السلام): هل ترى من ذلك الضوء فى المرآه أكثر مما تراه فى عينك؟

قال نعم.

ص: ١٩٧

قال الرضا(عليه السلام): فأرناهُ؟ فلم يحجر جواباً.

قال الرضا(عليه السلام): فلا أرى النور إلّا وقد دلّك و دلّ المرآه على أنفسكما من غير أن يكون فى واحد منكما، و لهذا أمثال كثيره غير هذا لا يجد الجاهل فيها مقالا و لله المثل الأعلى.

ثم التفت(عليه السلام)الى المأمون قال: الصلاة قد حضرت.

فقال عمران: يا سيدى لا تقطع علىّ مسألتى فقد رقى قلبى.

قال الرضا(عليه السلام): نصلى و نعود، فنهض و نهض المأمون، فصلى الرضا(عليه السلام) داخلا و صلى الناس خارجا خلف محمد بن جعفر، ثم خرجا، فعاد الرضا(عليه السلام) الى مجلسه و دعا بعمران فقال: سل يا عمران.

قال: يا سيدى ألا تخبرنى عن الله عزّ و جل هل يوحد بحقيقه أم يوحد بوصف؟

قال الرضا(عليه السلام): إنّ الله المبدئ الواحد الكائن الأول، لم يزل واحدا لا شىء معه، فردا لا ثانى معه لا معلوما و لا مجهولا، و لا محكما و لا متشابها، و لا مذكورا و لا منسيا، و لا شيئا يقع عليه اسم شىء من الأشياء غيره، و لا من وقت كان و لا الى وقت يكون و لا بشىء قام و لا الى شىء يقوم، و لا الى شىء استند، و لا فى شىء استكن، و ذلك كلّ قبل الخلق إذ لا شىء و ما أوقعت عليه من الكلّ فهى صفات محدثه و ترجمه يفهم بها من فهم.

و اعلم أنّ الابداع و المشيّه و الإراده معناها واحد، و اسمائها ثلاثه، و كان أوّل إبداعه و إرادته و مشيّه الحروف التى جعلها أصلا لكل شىء و دليلا على كلّ مدرك و فاصلا لكلّ مشكل. و تلك الحروف تفريق كلّ شىء من اسم حقّ و باطل أو فعل أو مفعول أو معنى أو غير معنى، و عليها اجتمعت الامور كلّها، و لم يجعل للحروف فى إبداعه لها معنى غير أنفسها يتناهى و لا وجود لأنها مبدعه بالإبداع، و النور فى هذا الموضع أوّل فعل الله الذى هو نور السماوات و الأرض.

و الحروف هي المفعول بذلك الفعل و هي الحروف التي عليها الكلام و العبارات كلها من الله عزّ و جل، علمها خلقه، و هي ثلاثة و ثلاثون حرفاً، فمنها ثمانية و عشرون حرفاً تدل على اللغات العربيّة، و من الثمانية و العشرين اثنان و عشرون حرفاً تدلّ على اللغات السريانيّة، و العبرانيّة، و منها خمسة أحرف متحرّفة في سائر اللغات من العجم لأقاليم اللغات كلّها و هي خمسة أحرف تحرّفت من الثمانية و العشرين الحرف من اللغات فصارت الحروف ثلاثة و ثلاثين حرفاً.

فأمّا الخمسة المختلفه فتحجج لا يجوز ذكرها أكثر ممّا ذكرناه ثمّ جعل الحروف بعد إحصائها و إحكام عدّها فعلاً منه كقوله عزّ و جل: كُنْ فَيَكُونُ و كن منه صنع و ما يكون به المصنوع، فالخلق الأوّل من الله عزّ و جل الإبداع لا وزن له و لا حركه و لا سمع و لا لون و لا حسّ.

و الخلق الثانی الحروف لا وزن لها و لا لون، و هي مسموعه موصوفه غير منظور إليها، و الخلق الثالث ما كان من الأنواع كلّها محسوساً ملموساً ذا ذوق منظوراً إليه و الله تبارك و تعالی سابق للإبداع لأنّه ليس قبله عزّ و جل شيء، و لا كان معه شيء و الإبداع سابق للحروف و الحروف لا تدلّ على غير أنفسها.

قال المأمون: و كيف لا تدلّ على غير أنفسها؟ قال الرضا (عليه السّلام): لأنّ الله تبارك و تعالی لا يجمع منها شيئاً لغير معنى أبداً، فإذا ألف منها أحرفاً أربعة أو خمسة أو ستة أو أكثر من ذلك أو أقلّ لم يؤلفها لغير معنى و لم يكك إلّا - لمعنى محدث لم يكن قبل ذلك شيئاً قال عمران: فكيف لنا بمعرفه ذلك؟

قال الرضا (عليه السّلام): أمّا المعرفه فوجه ذلك و بابه أنّك تذكر الحروف إذا لم ترد بها غير أنفسها ذكرتها فرداً فقلت: ا ب ت ث ج ح خ حتى تأتي على آخرها، فلم تجد لها معنى غير أنفسها، فإذا ألفتها و جمعت منها أحرفاً و جعلتها اسماً و صفه لمعنى ما طلبت و وجه ما عنيت كانت دليله على معانيها داعيه الى الموصوف بها، أفهمته؟ قال: نعم.

قال الرضا(عليه السلام):و اعلم أنه لا يكون صفه لغير موصوف و لا اسم لغير معنى و لا حدّ لغير محدود،و الصفات و الأسماء كلّها تدلّ على الكمال و الوجود و لا تدلّ على الإحاطه كما تدلّ على الحدود التي هي الترييع و التثليث و التسديس،لأنّ الله عزّ و جلّ و تقدّس تدرك معرفته بالصفات و الأسماء،و لا تدرك بالتحديد بالطول و العرض و القلّه و الكثره و اللّون و الوزن و ما أشبه ذلك،و ليس يحلّ بالله جلّ و تقدّس شيء من ذلك حتى يعرفه خلقه بمعرفتهم أنفسهم بالضروره التي ذكرنا.

و لكن يدلّ على الله عزّ و جلّ بصفاته و يدرك بأسمائه و يستدلّ عليه بخلقه حتى لا يحتاج في ذلك الطالب المرتاد الى رؤيه عين،و لا استماع اذن و لا لمس كفّ و لا إحاطه بقلب،فلو كانت صفاته جل ثناؤه لا تدلّ عليه و أسماءه لا تدعو إليه و المعلمه من الخلق لا تدركه لمعناه كانت العباده من الخلق لأسمائه و صفاته دون معناه،فلو لا- أنّ ذلك كذلك لمكان المعبود الموحد غير الله تعالى،لأنّ صفاته و أسماءه غيره،أفهمت؟قال:نعم يا سيدي زدني.

قال الرضا(عليه السلام):إياك و قول الجهّال أهل العمى و الضلال الذي يزعمون أن الله عزّ و جلّ و تقدّس موجود في الآخره للحساب و الثواب و العقاب،و ليس بموجود في الدنيا للطاعه و الرجاء و لو كان في الوجود لله عزّ و جلّ نقص و اهتضام لم يوجد في الآخره أبدا، و لكنّ القوم تاهوا و عموا و صمّوا عن الحقّ من حيث لا يعلمون، و ذلك قوله عزّ و جلّ:

وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا يَعْنِي أَعْمَىٰ عَنِ الْحَقَائِقِ الْمَوْجُودَةِ.

و قد علم ذوو الألباب أنّ الاستدلال على ما هناك لا- يكون إلا بما ههنا،و من أخذ علم ذلك برأيه و طلب وجوده و إدراكه عن نفسه دون غيرها لم يزد من علم ذلك إلا بعدا،لأنّ

اللّه عزّ وجل جعل علم ذلك خاصه عند قوم يعقلون و يعلمون و يفهمون (١).

قال له عمران: أخبرني عن الإبداع خلق هو أم غير خلق؟

قال الرضا(عليه السلام): بل خلق ساكن لا يدرك بالسكون و إنّما صار خلقا، لأنّه شيء محدث، و اللّه الذي أحدثه. فصار خلقا له. و إنّما هو اللّه عزّ وجلّ و خلقه لا- ثالث بينهما و لا- ثالث غيرهما، فما خلق اللّه عزّ وجل لم يعد أن يكون خلقه و قد يكون الخلق ساكنا و متحرّكا و مختلفا و مؤتلفا و معلوما و متشابها و كلّ ما وقع عليه حدّ فهو خلق اللّه عزّ وجل «(٢).

و اعلم أنّ كلّما أوجدت كالحواسّ فهو معنى مدرك للحواسّ، و كلّ حاسّه تدل على ما جعل اللّه عزّ وجل لها في إدراكها، و الفهم من القلب بجميع ذلك كلّه و اعلم أنّ الواحد الذي هو قائم بغير تقدير و لا تحديد، خلق خلقا مقدّرا بتحديد و تقدير و كان الذي خلق خلقين اثنين التقدير و المقدّر، فليس في كل واحد منهما لون و لا ذوق و لا وزن، فجعل أحدهما يدرك بالآخر و جعلهما مدركين بأنفسهما، و لم يخلق شيئا فردا قائما بنفسه دون غيره للذي أراد من الدلالة على نفسه و إثبات وجوده.

و اللّه تبارك و تعالی فرد واحد لا ثاني معه يقيمه و لا يعضده و لا يمسكه، و الخلق يمسك بعضه بعضا بإذن اللّه و مشيئته، و إنّما اختلف الناس في هذا الباب حتى تاهوا و تحيروا و طلبوا الخلاص من الظلمه بالظلمه في وصفهم اللّه بصفه أنفسهم فازدادوا من الحق بعدا.

و لو وصفوا اللّه عزّ وجل بصفاته و وصفوا المخلوقين بصفاتهم لقالوا بالفهم و اليقين و لما اختلفوا، فلما طلبوا من ذلك ما تحيروا فيه ارتبكوا و اللّه يهدي من يشاء الى صراط مستقيم.

قال عمران: يا سيدي أشهد أنّه كما و صفت، و لكن بقيت لي مسأله.

ص: ٢٠١

١- (١) مسند الإمام الرضا(عليه السلام): ٨٨/٢-٩٠.

٢- (٢) مسند الإمام الرضا(عليه السلام): ٨٨/٢-٩٠.

قال:سل عما أردت.

قال:اسألك عن الحكيم فى أى شىء هو؟ وهل يحيط به شىء؟ وهل يتحوّل من شىء الى شىء؟ أو به حاجه الى شىء؟

قال الرضا(عليه السّلام):اخبرك يا عمران فاعقل ما سألت عنه فأنّه من أغمض ما يرد على المخلوقين فى مسائلهم و ليس يفهمه المتفاوت عقله،العازب علمه و لا يعجز عن فهمه اولوا العقل المنصفون.

أما أوّل ذلك فلو كان خلق ما خلق لحاجه منه لجاز لقائل أن يقول:يتحوّل الى ما خلق لحاجته الى ذلك،و لكنه عزّ و جل لم يخلق شيئا لحاجته و لم يزل ثابتا لا- فى شىء و لا- على شىء إلا- أنّ الخلق يمسك بعضه بعضا و يدخل بعضه فى بعض و يخرج منه،و الله عزّ و جل و تقدّس بقدرته يمسك ذلك كلّه،و ليس يدخل فى شىء و لا- يخرج منه و لا يؤوده حفظه،و لا يعجز عن إمساكه،و لا يعرف أحد من الخلق كيف ذلك إلاّ الله عزّ و جل.

و من أطلعه عليه من رسله و أهل سرّه و المستحفظين لأمره و خزّانه القائمين بشريعته، و إنّما أمره كلمح البصر أو هو أقرب إذا شاء شيئا،فإنّما يقول له«كن فيكون»بمشيئته و إرادته،و ليس شىء من خلقه أقرب إليه من شىء،و لا شىء منه هو أبعد منه من شىء، أفهمت يا عمران؟

قال:نعم يا سيدى قد فهمت،و اشهد أن الله على ما وصفته و وحدته،و أن محمّدا عبده المبعوث بالهدى و دين الحقّ،ثم خزّ ساجدا نحو القبله و أسلم.

قال الحسن بن محمد النوفلى:فلما نظر المتكلمون الى كلام عمران الصابى و كان جدلا لم يقطعه عن حجّته أحد قطّ،لم يدن من الرضا(عليه السّلام)أحد منهم و لم يسألوه عن شىء و أمسيناه فنهض المأمون و الرضا(عليه السّلام)فدخلا و انصرف الناس و كنت مع جماعه من أصحابنا إذ بعث الىّ محمد بن جعفر فأتيته.

فقال لى:يا نوفلىّ أما رأيت ما جاء به صديقك لا و الله ما ظننت أنّ علىّ

ص:٢٠٢

ابن موسى خاض في شيء من هذا قط. و لا عرفناه به إنه كان يتكلم بالمدينه أو يجتمع إليه أصحاب الكلام.

قلت: قد كان الحاج يأتونه و يسألونه عن أشياء من حلالهم و حرامهم فيجيبهم، و كلمه من يأتيه لحاجه.

فقال محمد بن جعفر: يا أبا محمد إني أخاف عليه أن يحسده هذا الرجل فيسمه أو يفعل به بليته، فأشر عليه بالإمساك عن هذه الأشياء، قلت: إذا لا يقبل مني، و ما أراد الرجل إلا امتحانه ليعلم هل عنده شيء من علوم آبائه (عليهم السلام) فقال لي: قل له إن عمك قد كره هذا الباب و أحب أن تمسك عن هذه الأشياء لخصال شتى.

فلما انقلبت الى منزل الرضا (عليه السلام) أخبرته بما كان من عمه محمد بن جعفر فتبسم ثم قال: حفظ الله عمي ما أعرفني به، لم كره ذلك؟ يا غلام صر الى عمران الصابي فأنتى به.

فقلت: جعلت فداك أنا أعرف موضعه هو عند بعض اخواننا من الشيعة.

قال (عليه السلام): فلا بأس، قزبوا اليه دابته، فصرت الى عمران فأتيته به فرحب به و دعا بكسوه فخلعها عليه و حملة، و دعا بعشره آلاف درهم فوصله بها.

فقلت: جعلت فداك حكيت فعل جدك أمير المؤمنين (عليه السلام).

قال: هكذا نحب، ثم دعا (عليه السلام) بالعشاء فأجلسني عن يمينه و أجلس عمران عن يساره حتى إذا فرغنا قال لعمران: انصرف مصاحباً و بكر علينا نطعمك طعام المدينه، فكان عمران بعد ذلك يجتمع عليه المتكلمون من أصحاب المقالات فيبطل أمرهم حتى اجتنبوه، و وصله المأمون بعشره آلاف درهم، و أعطاه الفضل مالا و حملة، و ولّاه الرضا (عليه السلام) صدقات بلخ فأصاب الرغائب (1).

ص: ٢٠٣

عن علي بن إبراهيم بن هاشم عن القاسم بن محمد البرمكي عن أبي الصلت الهروي: أن المأمون لما جمع لعلي بن موسى الرضا (عليه السلام) أهل المقالات من أهل الإسلام والديانات من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين وسائر أهل المقالات فلم يبق أحد إلا وقد ألزمه حجته كأنه قد القم حجرا.

فقام إليه علي بن محمد بن الجهم فقال له: يا بن رسول الله أتقول بعصمه الأنبياء؟

قال: بلى.

قال: فما تعمل في قول الله عز وجل: وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى وقوله عز وجل: وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ وقوله في يوسف:

وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِهِ وَهَمَّ بِهَا وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي دَاوُدَ: وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ وَقَوْلُهُ فِي نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ؟

فقال الإمام الرضا (عليه السلام): ويحك يا علي! اتق الله ولا تنسب إلى أنبياء الله الفواحش ولا تتأول كتاب الله عز وجل برأيك، فإن الله عز وجل يقول: وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ.

أما قوله عز وجل في آدم (عليه السلام) وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى فإن الله عز وجل خلق آدم حجه في أرضه وخليفه في بلاده لم يخلقه للجنة وكانت المعصية من آدم في الجنة لا في الأرض لتتم مقادير أمر الله عز وجل. فلما أهبط إلى الأرض وجعل حجه وخليفه عصم بقوله عز وجل: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ.

و أما قوله عز وجل: وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ إِنَّمَا ظَنَّ أَنْ

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَضِيقُ عَلَيْهِ رِزْقُهُ أَلَا تَسْمَعُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: **وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتِلاَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ أَى ضَيَّقَ عَلَيْهِ،** ولو ظنَّ أن الله لا يقدر عليه لكان قد كفر.

و أما قوله عزَّ و جل في يوسف: **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا فَأَنبَأَهُهَا بِالْمَعْصِيَةِ وَهَمَّ يوسُفُ بِقَتْلِهَا إِنْ أَجْبَرَتْهُ لِعَظْمِ مَا دَاخَلَ،** فصرف الله عنه قتلها و الفاحشه، و هو قوله:

كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ -يعنى القتل- وَ الْفَحْشَاءَ يعنى الزنا.

و أما داود فما يقول من قبلكم فيه؟

فقال على بن الجهم يقولون: إن داود كان في محرابه يصلى إذ تصوّر له إبليس على صورته طير أحسن ما يكون من الطيور، فقطع صلاته و قام ليأخذ الطير فخرج الطير الى الدار، فخرج في أثره فطار الطير الى السطح فصعد في طلبه فسقط الطير في دار أوريا بن حنان، فاطلع داود في أثر الطير فإذا بامرأه أوريا تغتسل فلما نظر اليها هواها و كان أوريا قد أخرجه في بعض غزواته، فكتب الى صاحبه أن أقدم أوريا أمام الحرب، فقدم لظفر أوريا بالمشركين فصعب ذلك على داود.

فكتب الثانية أن قدمه أمام التابوت فقتل أوريا رحمه الله و تزوج داود بامرأته.

قال: فضرب الرضا(عليه السلام) بيده على جبهته، و قال: **إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجعون** القدر نسبتم نبياً من أنبياء الله الى التهاون بصلاته حتى خرج في أثر الطير، ثم بالفاحشه ثم بالقتل.

فقال: يا بن رسول الله! فما كانت خطيئته؟

فقال(عليه السلام): ويحك إن داود إنما ظن أن ما خلق الله عزَّ و جلّ خلقاً هو أعلم منه فبعث الله عزَّ و جلّ إليه الملكين فتسوّرا المحراب فقالا: خصمان بغى بعضنا على بعض، فاحكم بيننا بالحق و لا تشطط و اهدنا الى سواء الصراط إن هذا أخى له تسع و تسعون نعجه ولى نعجه واحده فقال أكفلنيتها و عزنى فى الخطاب، فعجل داود(عليه السلام) على المدعى عليه، فقال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه و لم يسأل المدعى البينه على ذلك، و لم يقبل

على المدعى عليه فيقول ما يقول.

فكان هذا خطيئه حكمه، لا ما ذهبتم إليه، ألا تسمع قول الله عزّ وجل يقول: يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ... إلى آخر الآيه.

فقلت: يابن رسول الله فما قصته مع اوريا؟

فقال الإمام الرضا (عليه السلام): إنّ المرأه في أيام داود إذا مات بعلها أو قتل لا تتزوج بعده أبداً، وأول من أباح الله عزّ وجل له أن يتزوج بامرأه قتل بعلها داود (عليه السلام)، فذلك الذي شقّ على اوريا، أما محمد نبيّه (صلّى الله عليه و اله) و قول الله عزّ وجل له: وَ تُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ عَرَفَ نَبِيّه (صلّى الله عليه و اله) أسماء أزواجه في دار الدنيا و أسماء أزواجه في الآخرة و إنهنّ امهات المؤمنين واحد من سمى له زينب بنت جحش و هي يومئذ تحت زيد بن حارثه.

فأخفى (صلّى الله عليه و اله) اسمها في نفسه و لم يیده له لكيلا. يقول أحد من المنافقين أنه قال في امرأه في بيت رجل أنها أحد أزواجه من امهات المؤمنين، و خشى قول المنافقين قال الله عزّ وجل: و الله أحقّ أن تخشاه في نفسك و أن الله عزّ وجل ما تولى تزويج أحد من خلقه إلاّ تزويج حواء من آدم و زينب من رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و فاطمه من علي (عليه السلام).

قال: فبكى على بن الجهم و قال: يابن رسول الله أنا تائب الى الله عزّ وجل أن أنطق في أنبياء الله بعد يومى هذا إلاّ بما ذكرته (1).

٤- حوار مع صاحب الجائليق

عن على بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن صفوان بن يحيى صاحب السابري، قال: سألتني أبو قره صاحب الجائليق أن اوصله الى الرضا (عليه السلام) فستأذنته في ذلك.

ص: ٢٠٦

فقال (عليه السّلام): أدخله عليّ. فلما دخل عليه قبل بساطه و قال: هكذا علينا في ديننا أن نفعل بأشراف أهل زماننا، ثم قال: أصلحك الله ما تقول في فرقه ادّعت دعوى فشهدت لهم فرقه اخرى معدّلون؟

قال: الدعوى لهم.

قال: فادعت فرقه اخرى دعوى، فلم يجدوا شهودا من غيرهم؟

قال: لا شيء لهم.

قال: فإننا نحن ادّعينا أنّ عيسى روح الله و كلمته ألقاها، فوافقنا على ذلك المسلمون، و ادّعى المسلمون أن محمّدا نبىّ، فلم نتابعهم عليه و ما أجمعنا عليه خير ممّا افترقنا فيه.

فقال له الرضا (عليه السّلام): ما اسمك؟

قال: يوحنا.

قال: يا يوحنا إنّنا آمنّا بعيسى بن مريم (عليه السّلام) روح الله و كلمته الذى كان يؤمن بمحمد (صلّى الله عليه و اله)، و يبشّر به، و يقرّ على نفسه أنه عبد مروبوب.

فإن كان عيسى الذى هو عندك روح الله و كلمته ليس هو الذى آمن بمحمد (صلّى الله عليه و اله)، و بشّر به، و لا هو الذى أقرّ لله عزّ و جل بالعبوديّه و الربوبيه، فنحن منه براء فأين اجتمعنا؟

فقام و قال لصفوان بن يحيى: قم فما كان أغنانا عن هذا المجلس! (١)

٥- حوار مع أرباب المذاهب الإسلاميه

لما حضر عليّ بن موسى الرضا (عليه السّلام) مجلس المأمون و قد اجتمع فيه جماعه علماء أهل العراق و خراسان. فقال المأمون: «أخبرونى عن معنى

ص: ٢٠٧

هذه الآية ثُمَّ أَوْزَعْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا (١)؟

فقلت العلماء: أراد الله الامه كلها.

فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟

فقال الرضا (عليه السلام): لا أقول كما قالوا و لكن أقول: أراد الله تبارك و تعالى بذلك العتره الطاهره (عليهم السلام).

فقال المأمون: و كيف عنى العتره دون الامه؟

فقال الرضا (عليه السلام): لو أراد الامه لكانت بأجمعها فى الجنة؛ لقول الله: فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِنُ اللَّهَ ذِكْرَكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٢). ثم جعلهم فى الجنة فقال عز و جل: جَنَّاتٌ عَرِدُنِ يَدْخُلُونَهَا (٣) فصارت الوراثه للعتره الطاهره لا لغيرهم. ثم قال الرضا (عليه السلام): هم الذين وصفهم الله فى كتابه فقال: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (٤). و هم الذين قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله و عترتي - أهل بيتي - لن يفترقا حتى يردا على الحوض. انظروا كيف تخلفونى فيهما، يا أيها الناس لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم.

قالت العلماء: أخبرنا يا أبا الحسن عن العتره هم الآل أو غير الآل؟

فقال الرضا (عليه السلام): هم الآل.

فقلت العلماء: فهذا رسول الله يؤثر عنه (٥) أنه قال: امتى آلى و هؤلاء اصحابه يقولون بالخبر المستفيض الذى لا يمكن دفعه: آل محمد امته.

ص: ٢٠٨

١- (١) سورة فاطر (٣٥): ٣٢.

٢- (٢) سورة فاطر (٣٥): ٣٢.

٣- (٣) سورة فاطر (٣٥): ٣٣.

٤- (٤) الاحزاب (٣٣): ٣٣.

٥- (٥) أى ينقل عنه: يقال أثر الحديث من أبى - ضرب و نصر - نقله.

فقال الرضا(عليه السلام):أخبروني هل تحرم الصدقه على آل محمد؟

قالوا:نعم.قال(عليه السلام):فتحرم على الامه؟قالوا:لا.

قال(عليه السلام):هذا فرق بين الآل وبين الامه.ويحكم!أين يذهب بكم؟!أصرفتكم عن الذكر صفحا أم أنتم قوم مسرفون؟!أما علمتم أنما وقعت الروايه في الظاهر على المصطفين المهتدين دون سائرهم؟!

قالوا:من أين قلت يا أبا الحسن؟

قال(عليه السلام):من قول الله وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَ إِبْرَاهِيمَ وَ جَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَ الْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (١)فصارت وراثه النبوه و الكتاب في المهتدين دون الفاسقين،أما علمتم أن نوحا سأل ربه، فقال رَبِّ إِنِّي مِنْ أَهْلِي وَ إِنِّي وَغَدِكَ الْحَقُّ (٢)و ذلك أن الله وعده أن ينجيه و أهله،فقال له ربه تبارك و تعالى: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣).

فقال المأمون:فهل فضل الله العتره على سائر الناس؟

فقال الرضا(عليه السلام):إن الله العزيز الجبار فضل العتره على سائر الناس في محكم كتابه.

قال المأمون:أين ذلك من كتاب الله؟

فقال الرضا(عليه السلام):في قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ (٤)و قال الله في موضع آخر: أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ

ص:٢٠٩

١- (١) الحديد(٥٧):٢٦.

٢- (٢) هود(١١):٤٥.

٣- (٣) هود(١١):٤٦.

٤- (٤) آل عمران(٣):٣٣-٣٤.

وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (١) ثُمَّ رَدَّ الْمُخَاطَبَهُ فِي أَثَرِ هَذَا إِلَى سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ (٢) يَعْنِي الَّذِينَ أَوْرَثَهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا يَعْنِي الطَّاعَةَ لِلْمُصْطَفِينَ الطَّاهِرِينَ وَ الْمَلِكِ هَهُنَا الطَّاعَةَ لَهُمْ.

قالت العلماء: هل فسر الله تعالى الإصطفاء فى الكتاب؟

فقال الرضا (عليه السلام): فسر الإصطفاء فى الظاهر سوى الباطن فى اثنى عشر موضعا. فأول ذلك قول الله: وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٣) - و رهطك المخلصين - هكذا فى قراءه ابى بن كعب و هى ثابتة فى مصحف عبد الله بن مسعود فلما أمر عثمان زيد ابن ثابت أن يجمع القرآن خنس هذه الآية (٤) و هذه منزله رفيعه و فضل عظيم و شرف عال حين عنى الله عزّ و جلّ بذلك الآل فهذه واحده.

و الآية الثانية فى الإصطفاء قول الله: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيرًا و هذا الفضل الذى لا يجحده معاند لأنه فضل بين.

و الآية الثالثة حين ميز الله الطاهرين من خلقه أمر نبيه فى آيه الابتهاال فقال: فَقُلْ - يا محمد - تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٥) فأبرز النبى (صلى الله عليه و اله) عليا و الحسن و الحسين و فاطمه (عليها السلام) فقرن أنفسهم بنفسه. فهل تدرّون ما معنى قوله: وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ؟ قالت العلماء: عنى به نفسه. قال أبو الحسن (عليه السلام): غلطتم، إنما عنى به عليا (عليه السلام). و مما

ص: ٢١٠

١- (١) النساء (٤): ٥٤.

٢- (٢) النساء (٤): ٥٩.

٣- (٣) الشعراء (٢٦): ٢١٤.

٤- (٤) خنس الشىء: من بابى ضرب و نصر- ستر. و من قوله: «أمر عثمان- الى قوله- و خنسه» ليست فى العيون.

٥- (٥) آل عمران (٣): ٦١، و ليس فى القرآن كلمه «يا محمد» و هو تفسير و توضيح منه (عليه السلام).

يدلّ على ذلك قول النبي (صلى الله عليه و اله) حين قال: لينتهي بنو وليعه (١) أو لأبعثنّ إليهم رجلا كنفسى يعنى عليا (عليه السلام). فهذه خصوصيته لا يتقدمها أحد. و فضل لا يختلف فيه بشر.

و شرف لا يسبقه إليه خلق؛ إذ جعل نفس علي (عليه السلام) كنفسه فهذه الثالثة.

و أما الرابعة: فأخراجه الناس من مسجده ما خلا العترة حين تكلم الناس فى ذلك، و تكلم العباس، فقال: يا رسول الله تركت عليا و أخرجتنا؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله): ما أنا تركته و أخرجتكم و لكنّ الله تركه و أخرجكم. و فى هذا بيان قوله لعلي (عليه السلام): أنت منى بمنزله هارون من موسى.

قال العلماء، فأين هذا من القرآن؟

قال أبو الحسن (عليه السلام): أوجدكم فى ذلك قرآنا أقرؤه عليكم، قالوا: هات.

قال (عليه السلام): قول الله عزّ و جلّ و أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَ اجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً (٢) ففى هذه الآية منزله هارون من موسى و فيها أيضا منزله علي (عليه السلام) من رسول الله (صلى الله عليه و اله). و مع هذا دليل ظاهر فى رسول الله (صلى الله عليه و اله) حين قال: إنّ هذا المسجد لا يحلّ لجنب و لا لحائض إلاّ لمحمد و آل محمد.

فقلت العلماء: هذا الشرح و هذا البيان لا يوجد إلاّ عندكم معشر أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه و اله)؟

قال أبو الحسن (عليه السلام): و من ينكر لنا ذلك و رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول: «أنا مدينة العلم و عليّ بابها فمن أراد مدينة العلم فليأتها من بابها». ففيما أوضحنا و شرحنا من الفضل و الشرف و التقدمه و الاصطفاء و الطهاره ما لا ينكره إلاّ معاند. و لله عزّ و جلّ الحمد على ذلك. فهذه الرابعة.

و أما الخامسة: فقول الله عزّ و جلّ: وَ آتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ (٣) خصوصيه خصّهم

ص: ٢١١

١- (١) بنو وليعه - كسفينه - حتى من كنده.

٢- (٢) يونس (١٠): ٨٧.

٣- (٣) الإسراء (١٧): ٢٦.

اللّه العزيز الجبار بها و اصطفاهم على الامّه. فلما نزلت هذه الآيه على رسول الله (صلى الله عليه و اله) قال:

ادعوا لى فاطمه فدعوها له. فقال: يا فاطمه. قالت: لبيك يا رسول الله. فقال: إن فذك لم يوجف عليها بخيل و لا ركاب و هى لى خاصه دون المسلمين. و قد جعلتها لك لما أمرنى الله به فخذها لك و لولدك. فهذه الخامسه.

و أميا السادسة: فقول الله عزّ و جلّ قُلْ لَا أَسئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴿١﴾ فهذه خصوصيه للنبي (صلى الله عليه و اله) دون الأنبياء و خصوصيه للآل دون غيرهم.

و ذلك أنّ الله حكى عن الأنبياء فى ذكر نوح (عليه السلام) ﴿١﴾ قَوْمٍ لَا أَسئَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَ مَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَ لَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢﴾ و حكى عن هود (عليه السلام) قال: ... لا- أَسئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا- عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾.

و قال لنبىه (صلى الله عليه و اله) قُلْ لَا أَسئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى. و لم يفرض الله مودتهم إلا و قد علم أنّهم لا يرتدون عن الدين أبدا و لا يرجعون إلى ضلاله أبدا.

و اخرى أن يكون الرجل و اذا للرجل فيكون بعض أهل بيته عدوا له فلا يسلم قلب فأحبّ الله أن لا يكون فى قلب رسول الله (صلى الله عليه و اله) على المؤمنين شىء. إذ فرض عليهم موده ذى القربى، فمن أخذ بها و أحبّ رسول الله (صلى الله عليه و اله) و أحبّ أهل بيته (عليهم السلام) لم يستطع رسول الله أن يبغضه. و من تركها و لم يأخذها و أبغض أهل بيت نبىه (صلى الله عليه و اله) فعلى رسول الله (صلى الله عليه و اله) أن يبغضه؛ لأنه قد ترك فريضه من فرائض الله. و أى فضيله و أى شرف يتقدم هذا. و لما أنزل الله هذه الآيه على نبىه (صلى الله عليه و اله) قُلْ لَا أَسئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى قام رسول الله (صلى الله عليه و اله) فى أصحابه، فحمد الله و أثنى عليه و قال: أيها الناس إن الله قد فرض عليكم فرضا فهل أنتم مؤدوه فلم يجبه أحد. فقام فيهم يوما ثانيا، فقال مثل ذلك. فلم

ص: ٢١٢

١- (١) الشورى (٤٢): ٢٣.

٢- (٢) هود (١١): ٢٩.

٣- (٣) هود (١١): ٥١.

يجبه أحد. فقام فيهم يوم الثالث، فقال: أيها الناس إن الله قد فرض عليكم فرضاً فهل أنتم مؤدوه فلم يجبه أحد. فقال: أيها الناس إنه ليس ذهباً ولا فضة ولا مأكولاً ولا مشروباً.

قالوا: فهاث إذا؟ فتلا عليهم هذه الآية. فقالوا: أمّا هذا فنعم. فما وفي به أكثرهم. ثم قال أبو الحسن (عليه السلام): حدثني أبي، عن جدّي، عن آبائه، عن الحسين بن علي (عليهم السلام) قال:

اجتمع المهاجرون والأنصار إلى رسول الله (صلى الله عليه و اله) فقالوا: إن لك يا رسول الله مؤونه في نفقتك و فيمن يأتيك من الوفود و هذه أموالنا مع دماننا فاحكم بها باراً مأجوراً، أعط ما شئت و أمسك ما شئت من غير حرج. فأنزل الله عزّ و جلّ عليه الروح الأمين فقال: يا محمد قلّ لا أسئلكم عليه أجرًا إلاّ- المودّة في القربى لا- تؤذوا قرابتي من بعدى، فخرجوا، فقال اناس منهم: ما حمل رسول الله على ترك ما عرضنا عليه إلا ليحسنا على قرابته من بعده إن هو إلاّ شيء افتراه في مجلسه و كان ذلك من قولهم عظيماً. فأنزل الله هذه الآية أم يقولون افتراه قلّ إن افتريته فلا تمليكون لي من الله شيئاً هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيداً بيني و بينكم و هو الغفور الرحيم (1) فبعث إليهم النبي (صلى الله عليه و اله) فقال: هل من حدث؟ فقالوا: إي و الله يا رسول الله، لقد تكلم بعضنا كلاماً عظيماً [ف] كرهناه، فتلا- عليهم رسول الله فبكوا و اشتدّ بكاؤهم، فأنزل الله تعالى و هو الذي يقبل التوبه عن عباده و يعفو عن السيئات و يعلم ما تفعلون (2) فهذه السادسة.

و أمّا السابعه فيقول الله: إن الله و ملائكته يصيّلون على النبيّ يا أيها الذين آمنوا صيّلوا عليه و سلّموا تسليماً (3) و قد علم المعاندون [منهم] أنّه لما نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله، قد عرفنا التسليم [عليك] فكيف الصلاة عليك؟ فقال: تقولون: اللهم صلّ على محمد و آل محمد كما صلّيت على إبراهيم و آل إبراهيم إنك حميد مجيد، و هل بينكم معاشر الناس في هذا اختلاف؟ قالوا: لا. فقال المأمون: هذا ما لا اختلاف فيه

ص: ٢١٣

١- (١) الأحقاف (٤٦): ٧.

٢- (٢) الشورى (٤٢): ٢٥.

٣- (٣) الأحزاب (٣٣): ٥٦.

[أصلاً] و عليه الإجماع فهل عندك في الآل شيء أوضح من هذا القرآن؟ قال أبو الحسن (عليه السلام): أخبروني عن قول الله: يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمَنْ الْمُرْسَلِينَ * عَلِيٌّ صِدِّقٌ مُسْتَقِيمٌ (١) فمن عنى بقوله: يس؟ قال العلماء: يس محمد ليس فيه شك قال أبو الحسن (عليه السلام): أعطى الله محمدا وآل محمد من ذلك فضلا لم يبلغ أحد كنه وصفه لمن عقله وذلك أن الله لم يسلم على أحد إلا - على الأنبياء [صلوات الله عليهم] فقال تبارك وتعالى: سَلَامٌ عَلَيَّ نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٢) وقال سَلَامٌ عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ (٣) وقال: سَلَامٌ عَلَيَّ مُوسَىٰ وَ هَارُونَ (٤) ولم يقل: سلام على آل نوح ولم يقل: سلام على آل إبراهيم ولا قال: سلام على آل موسى و هارون؛ وقال عز وجل:

سَلَامٌ عَلَيَّ إِيَّاهُ يَوْمَ أُنزِلَتْ بِهِ السُّورَةُ الْمَدْيَنَةُ لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ فِيهَا رَسُولًا لَكُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنْ رَبِّكُمْ يُضَاهِي عَصَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِ هَارُونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمَّا نَسُوا مَا يُنذَرُونَ إِذِ انبَدَتْ لَهُمْ سُرَابٌ مِّمَّا هُم بَدَّؤُنَّ إِذْ أَعْرَضُوا عَنْهُ فَمَتَّعُوهُمْ زَجْرًا لَّا يَمْلِكُونَ سَلَامٌ عَلَيَّ إِيَّاهُ يَوْمَ أُنزِلَتْ بِهِ السُّورَةُ الْمَدْيَنَةُ لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ فِيهَا رَسُولًا لَكُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنْ رَبِّكُمْ يُضَاهِي عَصَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِ هَارُونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمَّا نَسُوا مَا يُنذَرُونَ إِذِ انبَدَتْ لَهُمْ سُرَابٌ مِّمَّا هُم بَدَّؤُنَّ إِذْ أَعْرَضُوا عَنْهُ فَمَتَّعُوهُمْ زَجْرًا لَّا يَمْلِكُونَ

و أمّا الثامنة فقول الله عز وجل: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَىٰ (٤) فقرن سهم ذى القربى مع سهمه و سهم رسوله (صلّى الله عليه و اله) فهذا فصل بين الآل و الامّة، لأنّ الله جعلهم في حيّز و جعل الناس كلّهم في حيّز دون ذلك و رضى لهم ما رضى لنفسه و اصطفاهم فيه، و ابتدأ بنفسه ثم ثنى برسوله ثم بذى القربى في كلّ ما كان من الفىء و الغنيمه و غير ذلك مما رضى عز وجل لنفسه و رضى لهم فقال - قوله الحق: - وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَىٰ فهذا تأكيد مؤكد و أمر دائم لهم إلى يوم القيامة في كتاب الله الناطق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه

ص: ٢١٤

١- (١) يس (٣٦): ١-٤.

٢- (٢) الصافات (٣٧): ٧٧. أى سلام ثابت أو مستمر أو مستقر على نوح فى العالمين من الملائكة و الجن و الانس.

٣- (٣) الصافات (٣٧): ١٠٩.

٤- (٤) الصافات (٣٧): ١٢٠.

٥- (٥) الصافات (٣٧): ١٣٠.

٦- (٦) الأنفال (٨): ٤١.

يَدِيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ . و أما قوله: وَ الْيَتَامَىٰ وَ الْمَسَاكِينَ فَإِنَّ الْيَتِيمَ إِذَا انْقَطَعَ يَتَمَهُ (١) خرج من المغنم و لم يكن له نصيب و كذلك المسكين إذا انقطعت مسكنته لم يكن له نصيب في المغنم و لا يحلّ له أخذه و سهم ذى القربى إلى يوم القيامة قائم فيهم للغنى و الفقير، لأنه لا أحد أغنى من الله و لا من رسوله (صلى الله عليه و اله) فجعل لنفسه منها سهما و لرسوله (صلى الله عليه و اله) سهما، فما رضى لنفسه و لرسوله رضيه لهم و كذلك الفىء ما رضيه لنفسه و لنتبه (صلى الله عليه و اله) رضيه لذى القربى كما جاز لهم فى الغنيمه فبدأ بنفسه، ثم برسوله (صلى الله عليه و اله)، ثم بهم، و قرن سهم بسهم الله و سهم رسوله (صلى الله عليه و اله) و كذلك فى الطاعه قال عزّ و جلّ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ (٢) فبدأ بنفسه، ثم برسوله (صلى الله عليه و اله) ثم بأهل بيته و كذلك آيه الولايه إِنَّمَا وَرِثَ اللَّهُ الْوَالِدِينَ وَ الرَّسُولَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا (٣) فجعل ولايتهم مع طاعه الرسول مقرونه بطاعته كما جعل سهمه مع سهم الرسول مقرونا بأسهمهم فى الغنيمه و الفىء فتبارك الله ما أعظم نعمته على أهل هذا البيت، فلما جاءت قصه الصدقه نزّه نفسه عزّ ذكره و نزّه رسوله (صلى الله عليه و اله) و نزّه أهل بيته عنها فقال: إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ الْمَسَاكِينِ وَ الْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَ فِي الرِّقَابِ وَ الْعَارِمِينَ وَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ (٤) فهل تجد فى شىء من ذلك أنه جعل لنفسه سهما أو لرسوله (صلى الله عليه و اله) أو لذى القربى لأنه لما نزّههم عن الصدقه نزّه نفسه و نزّه رسوله و نزّه أهل بيته لا بل حرّم عليهم، لأن الصدقه محرّمه على محمد و أهل بيته و هى أوساخ الناس لا تحلّ لهم لأنهم طهروا من كل دنس و رسخ، فلما طهروهم و اصطفاهم رضى لهم ما رضى لنفسه و كره لهم ما كره لنفسه.

و أما التاسعه فنحن أهل الذكر الذين قال الله فى محكم كتابه: فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ

ص: ٢١٥

١- (١) اليتيم-بالضم مصدر يتم بيتم-:الانفراد.و أيضا حاله اليتيم.

٢- (٢) النساء(٤):٥٩.

٣- (٣) المائده(٥):٥٥.

٤- (٤) التوبه(٩):٦٠.

إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١) فقال العلماء (٢) إنما عنى بذلك اليهود والنصارى. قال أبو الحسن (عليه السلام): و هل يجوز ذلك؟ إذا يدعوننا الى دينهم و يقولون:

انه أفضل من دين الاسلام. فقال المأمون: فهل عندك فى ذلك شرح يخالف ما قالوا يا أبا الحسن؟ قال: نعم. الذّكر رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و نحن أهلُه و ذلك بين فى كتاب الله بقوله فى سورة الطلاق: فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولَى الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ (٣) فالذّكر رسول الله و نحن أهلُه. فهذه التاسعه.

و أما العاشره فقول الله عزّ و جلّ فى آيه التحريم: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَ بَنَاتُكُمْ وَ أَخَوَاتُكُمْ - (٤) أخبرونى هل تصلح ابنتى أو ابنه ابنتى أو ما تناسل من صلبى لرسول الله أن يتزوجها لو كان حيّاً؟ قالوا: لا. قال (عليه السلام): فأخبرونى هل كانت ابنه أحدكم تصلح له أن يتزوجها؟ قالوا: بلى. قال: فقال (عليه السلام): ففى هذا بيان أننا من آله و لستم من آله و لو كنتم من آله لحرمت عليه بناتكم كما حرمت عليه بناتى. لأننا من آله و أنتم من أمته، فهذا فرق بين الآل و الامه، إذا لم تكن الآل فليست منه. فهذه العاشره.

و أما الحاديه عشره فقول الله فى سورة المؤمن حكاية عن قول رجل: وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ (٥) فكان ابن خال فرعون فنسبه إلى فرعون بنسبه و لم يصفه إليه بدينه. و كذلك خصصنا نحن إذ كنا من آل رسول الله (صلّى الله عليه و اله) بولادتنا منه و عممنا الناس بدينه، فهذا فرق ما بين الآل و الامه فهذه الحاديه عشره.

ص: ٢١٦

١- (١) النحل (١٦): ٤٣، الأنبياء (٢١): ٧.

٢- (٢) فى العيون: (نحن أهل الذّكر فاسألونا ان كنتم لا تعلمون) فقالت العلماء... الخ.

٣- (٣) الطلاق (٦٥): ١٠-١١.

٤- (٤) النساء (٤): ٢٣.

٥- (٥) غافر (٤٠): ٢٨.

و أمّيا الثانيه عشره فقوله: وَ أَمْرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَ اضْيَاطِرُّ عَلَيَّهَا (١) فخصّنا بهذه الخصوصيه إذ أمرنا مع أمره، ثم خصّنا دون الامه، فكان رسول الله (صلّى الله عليه و اله) يجيء إلى باب عليّ و فاطمه (عليهما السّلام) بعد نزول هذه الآيه تسعه أشهر في كل يوم عند حضور كل صلاه خمس مرّات فيقول الصلاه يرحمكم الله، و ما أكرم الله أحدا من ذراري الأنبياء بهذه الكرامه التي أكرمنا الله بها و خصّنا من جميع أهل بيته فهذا فرق ما بين الآل و الامّه.

و صلّى الله على ذريته و الحمد لله رب العالمين و صلّى الله على محمد نبيه (٢).

٦- حوار مع المأمون

عن أبي الصلت الهروي قال: قال المأمون يوما للرضا (عليه السلام):

يا أبا الحسن أخبرني عن جدّك أمير المؤمنين بأى وجه هو قسيم الجنّه و النار؟ و بأى معنى؟ فقد كثر فكري في ذلك!

فقال له الرضا (عليه السلام): «يا أمير المؤمنين ألم ترو، عن أبيك، عن آباءه، عن عبد الله بن عباس أنه قال: سمعت رسول الله (صلّى الله عليه و اله) يقول: حبّ عليّ إيمان و بغضه كفر؟ فقال: بلى! فقال الرضا (عليه السلام): فقسّمه الجنه و النار إذا كانت عليّ حبه و بغضه فهو قسيم الجنّه و النار.

فقال المأمون: لا أبقاني الله بعدك يا أبا الحسن، أشهد أنك وارث علم رسول الله (صلّى الله عليه و اله).

قال أبو الصلت الهروي: فلما انصرف الرضا (عليه السلام) إلى منزله أتته، فقلت له، يا ابن رسول الله ما أحسن ما أجبت به أمير المؤمنين؟ فقال الرضا (عليه السلام): يا أبا الصلت إنما كلمته من حيث هو، و لقد سمعت أبي يحدث عن آباءه عن

ص: ٢١٧

١- ((١)) طه (٢٠): ١٣٢.

٢- ((٢)) تحف العقول: ٣١٣.

علّي (عليه السلام) أنّه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): يا علي أنت قسيم الجنة و النار يوم القيامة، تقول للنار هذا لي و هذا لك» (١).

٧- حوار مع متكلمي الفرق الإسلامية

عن الحسن بن الجهم، قال: «حضرت مجلس المأمون يوما و عنده علّي ابن موسى الرضا (عليه السلام) و قد اجتمع الفقهاء و أهل الكلام من الفرق المختلفة فسأله بعضهم، فقال له: يا ابن رسول الله بأيّ شيء تصح الإمامة لمدعيها؟

قال (عليه السلام): بالنصّ و الدليل، قال له: فدلاله الإمام فيما هي؟ قال في العلم و استجابته الدّعوة، قال: فما وجه إخباركم بما يكون قال: ذلك بعهد معهود إلينا من رسول الله (صلى الله عليه و اله) قال: فما وجه إخباركم بما في قلوب الناس.

قال (عليه السلام): أما بلغك قول الرسول (صلى الله عليه و اله) اتقوا فراسه المؤمن فإنّه ينظر بنور الله قال: بلى؛ قال: و ما من مؤمن إلّا و له فراسه ينظر بنور الله على قدر إيمانه، و مبلغ استبصاره و علمه، و قد جمع الله الأئمة منّا ما فرقه في جميع المؤمنين، و قال عزّ و جل في محكم كتابه: إِنَّ فِي ذَلِكْ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ فَأُولَ الْمُتَوَسِّمِينَ رسول الله (صلى الله عليه و اله) ثم أمير المؤمنين (عليه السلام) من بعده ثمّ الحسن و الحسين و الأئمة من ولد الحسين (عليهم السلام) إلى يوم القيامة.

قال فنظر إليه المأمون فقال له: يا أبا الحسن زدنا ممّا جعل الله لكم أهل البيت فقال الرضا (عليه السلام): إنّ الله عزّ و جل قد أيدنا بروح منه مقدّسه مطهره ليست بملكك لم تكن مع أحد ممّن مضى إلّا- مع رسول الله (صلى الله عليه و اله) و هي مع الأئمة منّا تسدّدهم و توفّقهم و هو عمود من نور بيننا و بين الله عزّ و جلّ.

قال له المأمون: يا أبا الحسن بلغني أنّ قوما يغلون فيكم و يتجاوزون

ص: ٢١٨

فيكم الحد؟ فقال الرضا (عليه السلام): «حدّثني أبي موسى بن جعفر؛ عن أبيه، عن جعفر بن محمد بن محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): لا ترفعوني فوق حقي فإن الله تبارك و تعالي اتّخذني عبدا قبل أن يتخذني نبيا.

قال الله تبارك و تعالي: مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَ التَّوْبَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لَكِنْ كُونُوا رَبَّائِنًا بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَ بِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ، وَ لَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَ النَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.

قال (عليه السلام): «يهلك في إثنان و لا ذنب لي، محب مفرط و مبغض مفرط و أنا أبرء إلى الله تبارك و تعالي ممن يغلو فينا و يرفعنا فوق حدنا كبراءه عيسى بن مريم (عليه السلام) من النصارى، قال الله تعالى: وَ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمِّي الْهَيْئِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَ لَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَ رَبَّكُمْ وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَ أَنْتَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١).

و قال عز و جل: لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَ لَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَ قال عز و جل: مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَ أُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ و معناه إنهما كانا يتغوّطان، فمن ادّعى للأنبيا ربوبية و ادّعى للاثمه ربوبية أو نبوه أو لغير الأثمه إمامه فنحن منه براء في الدنيا و الآخرة.

فقال المأمون: يا أبا الحسن فما تقول في الرجعه فقال الرضا (عليه السلام): إنها لحقّ قد كانت في الامم السالفه و نطق به القرآن و قد قال رسول الله (صلى الله عليه و اله) يكون في هذه الامه كلّ ما كان في الامم السالفه حذو النعل بالنعل و القذه بالقذه قال (عليه السلام) إذا خرج المهدي من ولدي نزل عيسى بن مريم (عليه السلام) فصلّى خلفه.

ص: ٢١٩

وقال (عليه السّلام): قال رسول الله (صلى الله عليه و اله) إنّ الإسلام بدأ غريبا و سيعود غريبا فطوبى للغرباء. قيل: يا رسول الله ثمّ يكون ماذا؟ قال: ثمّ يرجع الحق إلى أهله.

فقال المأمون يا أبا الحسن فما تقول في القائلين بالتناسخ؟

فقال الرضا (عليه السّلام): من قال بالتناسخ فهو كافر بالله العظيم مكذّب بالجنه و النار.

قال المأمون: ما تقول في المسوخ؟

قال الرضا (عليه السّلام): اولئك قوم غضب الله عليهم، فمسخهم، فعاشوا ثلاثه أيام ثم ماتوا و لم يتناسلوا، فما يوجد في الدنيا من القردة و الخنازير و غير ذلك مما وقع عليهم اسم المسوخيه فهو مثل ما لا يحلّ أكلها و الانتفاع بها.

قال المأمون: لا أبقانى الله بعدك يا أبا الحسن، فو الله ما يوجد العلم الصحيح إلا عند أهل هذا البيت و إليك انتهت علوم آبائك فجزاك الله عن الإسلام و أهله خيرا.

قال الحسن بن الجهم: فلما قام الرضا (عليه السّلام) تبعته فانصرف إلى منزله، فدخلت عليه و قلت له: يا ابن رسول الله، الحمد لله الذى وهب لك من جميل رأى أمير المؤمنين ما حملة على ما أرى من إكرامه لك و قبوله لقولك.

فقال (عليه السّلام): يا ابن الجهم لا يغرنك ما ألفيته عليه من إكرامى و الاستماع منى فإنه سيقتلنى بالسّم و هو ظالم إلىّ إنى أعرف ذلك بعهد معهود إلىّ من آبائى عن رسول الله (صلى الله عليه و اله)، فاکتم هذا ما دمت حيا.

قال الحسن بن الجهم: فما حدّثت أحدا بهذا الحديث إلى أن مضى (عليه السّلام) بطوس مقتولا بالسّم و دفن فى دار حميد بن قحطبه الطائى فى القبه التى فيها قبر هارون الرشيد الى جانبه (١).

ص: ٢٢٠

١- (١) عيون أخبار الرضا: ٢٠٠/٢.

لقد كان المأمون يحبّ سقطات الرضا(عليه السّلام) وأن يعلوه المحتج و إن أظهر غير ذلك، فاجتمع عنده الفقهاء و المتكلمون فدرس إليهم أن ناظروه في الإمامه.

فقال لهم الرضا(عليه السّلام): «اقتصروا على واحد منكم يلزمكم ما يلزمه، فرضوا برجل يعرف يحيى بن الضحّاح السمرقندي و لم يكن بخراسان مثله، فقال الرضا(عليه السّلام): يا يحيى سل عما شئت.

فقال: نتكلم في الإمامه، كيف ادّعت لمن لم يؤمّ و تركت من أمّ و وقع الرضا به؟

فقال له: يا يحيى أخبرني عن صدق كاذبا على نفسه أو كذب صادقاً على نفسه أ يكون محقاً مصيباً أو مبطلاً مخطئاً؟ فسكت يحيى.

فقال له المأمون: أجبه، فقال: يعفيني أمير المؤمنين من جوابه، فقال المأمون: يا أبا الحسن عزّنا الغرض في هذه المسأله.

فقال(عليه السّلام): لا بدّ ليحيى من أن يخبر عن أئمته أنهم كذبوا على أنفسهم أو صدقوا؟ فإن زعم أنهم كذبوا فلا أمانه لكذب، و إن زعم أنهم صدقوا، فقد قال أولهم: وليتكم و لست بخيركم، و قال تاليه كانت بيعته فلتته، فمن عاد لمثلها فاقتلوه، فو الله ما رضى لمن فعل مثل فعلهم إلا بالقتل، فمن لم يكن بخير الناس و الخيره لا تقع الا بنعوت منها العلم، و منها الجهاد، و منها ساير الفضائل و ليست فيه.

و من كانت بيعته فلتته يجب القتل على من فعل مثلها، كيف يقبل عهده الى غيره و هذه صورته؟! ثم يقول على المنبر: إنّ لى شيطاناً يعتريني، فإذا مال بي فقوموني و إذا أخطأت فارشدوني فليسوا أئمه بقولهم إن صدقوا أو كذبوا، فما عند يحيى في هذا جواب.

فَعَجِبَ الْمَأْمُونُ مِنْ كَلَامِهِ، وَقَالَ: يَا أَبَا الْحَسَنِ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ يَحْسِنُ هَذَا سِوَاكَ» (١).

٩- حوارُه مع سليمان المروزي

قال الحسن بن محمد النوفليّ: قدم سليمان المروزي متكلم خراسان على المأمون فأكرمه و وصله.

ثم قال له: إن ابن عمي على بن موسى قدم عليّ من الحجاز و هو يحبّ الكلام و أصحابه، فلا عليك أن تصير إلينا يوم الترويه لمناظرته.

فقال سليمان: يا أمير المؤمنين إنّي أكره أن أسأل مثله في مجلس في جماعه من بني هاشم، فينتقص عند القوم إذا كلّمني و لا يجوز الاستقصاء عليه.

قال المأمون: إنّما وجهت إليك لمعرفة بقوّتك و ليس مرادى إلا أن تقطعه عن حجّه واحده فقط.

فقال سليمان: حسبك يا أمير المؤمنين. اجمع بيني و بينه و خلني و إياه و ألزم.

فوجه المأمون الى الرضا (عليه السلام)، فقال: إنّه قدم علينا رجل من أهل مرو و هو واحد خراسان من أصحاب الكلام، فإن خفّ عليك أن تتجشّم المصير إلينا فعلت.

فنهض (عليه السلام) للوضوء و قال لنا: تقدّموني و عمران الصابى معنا، فصرنا الى الباب فأخذ ياسر و خالد بيديّ فأدخلاني على المأمون، فلمّا سلمت قال:

أين أخى أبو الحسن أبقاه الله؟

ص: ٢٢٢

قلت:خلفته يلبس ثيابه و أمرنا أن نتقدّم،ثم قلت:يا أمير المؤمنين إنّ عمران مولاك معى و هو بالباب.

فقال:من عمران؟قلت الصابى الذى أسلم على يدك.

قال:فليدخل،فدخل فرحّب به المأمون،ثم قال له:يا عمران لم تمت حتى صرت من بنى هاشم.

قال:الحمد لله الذى شرّفنى بكم يا أمير المؤمنين.

فقال له المأمون:يا عمران هذا سليمان المروزى متكلم خراسان.

قال عمران:يا أمير المؤمنين إنّه يزعم أنه واحد خراسان فى النظر و ينكر البداء.

قال:فلم لا تناظره؟

قال عمران:ذلك إليه.

فدخل الرضا(عليه السلام)فقال:فى أى شىء كنتم؟

قال عمران:يا بن رسول الله هذا سليمان المروزى.

فقال سليمان:أترضى بأبى الحسن و بقوله فيه؟

قال عمران:قد رضيت بقول أبى الحسن فى البداء على أن يأتينى فيه بحججه احتجّ بها على نظرائى من أهل النظر.

قال المأمون:يا أبا الحسن ما تقول فيما تشاجرا فيه؟

قال:و ما أنكرت من البداء يا سليمان؟و الله عزّ و جل يقول: أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ يَكُ شَيْئاً وَ يقول عزّ و جل: وَ هُوَ الَّذِي
يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ يَقُولُ: يَذِيقُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ يقول عزّ و جل: يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ وَ يقول: وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ وَ يقول
عزّ و جل: وَ آخِرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَ إِمَّا يُتَّوْبُ عَلَيْهِمْ وَ يقول عزّ و جل: وَ مَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَ لَا يُنْقَصُ مِنْ

عُمَرُهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ .

قال سليمان: هل رويت فيه شيئا عن آبائك؟

قال: نعم، رويت عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: «إن لله عزّ وجلّ علمين، علما مخزوننا مكنونا لا يعلمه إلا هو، من ذلك يكون البداء وعلما علّمه ملائكته ورسله، فالعلماء من أهل بيت نبيّه يعلمونه.

قال سليمان: أحبّ أن تنزعه لي من كتاب الله عزّ وجلّ.

قال (عليه السلام): قول الله عزّ وجلّ لنبيه (صلى الله عليه و اله): فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ أَرَادَ هَلَاكَهُمْ ثُمَّ بَدَأَ اللَّهُ فَقَالَ: وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ.

قال سليمان: زدني جعلت فداك.

قال الرضا (عليه السلام): لقد أخبرني أبي عن آبائه أنّ رسول الله (صلى الله عليه و اله) قال: إنّ الله عزّ وجلّ أوحى الى نبي من أنبيائه: أن أخبر فلان الملك أنّي متوفّي الى كذا و كذا فاتاه ذلك النبي فأخبره فدعا الله الملك و هو على سريره حتى سقط من السرير، فقال: يا ربّ اجلني يشبّ طفلي و أفضى أمرى فأوحى الله عزّ وجلّ الى ذلك النبي أن ائت فلان الملك فأعلمه أنّي قد أنسيت في أجله وزدت في عمره خمس عشرة سنة.

فقال ذلك النبي: يا ربّ أنّك لتعلم أنّي لم أكذب قطّ، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: إنّما أنت عبد مأمور، فأبلغه ذلك و الله لا يسأل عمّا يفعل، ثمّ التفت الى سليمان فقال: أحسبك ضاهيت اليهود في هذا الباب.

قال: أعود بالله من ذلك، و ما قالت اليهود؟

قال: قالت يدُ الله مغلولةٌ يعنون أن الله قد فرغ من الأمر فليس يحدث شيئا.

فقال الله عزّ وجلّ: غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِمَا قَالُوا و لقد سمعت قوما سألوا أبي موسى بن جعفر (عليه السلام) عن البداء فقال: و ما ينكر الناس من البداء و أن يقف الله قوما

يرجيهم لأمره.

قال سليمان: أَلَا تَخْبِرُنِي عَنْ إِيَّا أَنْزَلْنَا فِي لَيْلِهِ الْقَدْرِ فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْزَلْتُمْ؟

قال الرضا(عليه السلام): يا سليمان ليله القدر يقدر الله عزّ وجل فيها ما يكون من السنه الى السنه من حياه أو موت أو خير أو شر، أو رزق فما قدره من تلك الليله فهو من المحتوم.

قال سليمان الآن قد فهمت جعلت فداك فزدني.

قال(عليه السلام): يا سليمان إنّ من الامور امورا موقوفه عند الله تبارك و تعالي يقدم منها ما يشاء و يؤخر ما يشاء، يا سليمان إنّ عليا(عليه السلام) كان يقول: العلم علما: فعلم علمه الله ملائكته و رسله، فما علمه ملائكته و رسله فإنه يكون و لا يكذب نفسه و لا ملائكته و لا رسله.

و علم عنده مخزون لم يطلع عليه أحدا من خلقه يقدم منه ما يشاء و يؤخر منه ما يشاء و يمحو ما يشاء و يثبت ما يشاء.

قال سليمان للمأمون: يا أمير المؤمنين لا أنكر بعد يومى هذا البداء، و لا أكذب به إن شاء الله.

فقال المأمون: يا سليمان سل أبا الحسن عما بدالك و عليك بحسن الاستماع و الإنصاف.

قال سليمان: يا سيدي أسألك؟

قال الرضا(عليه السلام): سل عما بدالك.

قال: ما تقول فيمن جعل الإراده اسما و صفه مثل حيّ و سميع و بصير و قدير؟

قال الرضا(عليه السلام): إنّما قلت حدثت الأشياء و اختلف لأنه شاء و أراد و لم

تقولوا حدثت و اختلفت لأنه سميع و بصير، فهذا دليل على أنها ليست بمثل سميع و لا بصير و لا قدير.

قال سليمان: فإنه لم يزل مريدا.

قال: يا سليمان إرادته غيره؟

قال نعم.

قال: فقد أثبت معه شيئا غيره لم يزل.

قال سليمان: ما أثبت؟

قال الرضا (عليه السلام): أهي محدثه؟

قال سليمان: لا ماهي محدثه.

فصاح المأمون و قال: يا سليمان مثله يعاينا أو يكابر؟ عليك بالإنصاف أما ترى من حولك من أهل النظر ثم قال: كلمه يا أبا الحسن فإنه متكلم خراسان، فأعاد عليه المسأله.

فقال: هي محدثه، يا سليمان فإن الشيء إذا لم يكن أزليا كان محدثا، وإذا لم يكن محدثا كان أزليا.

قال سليمان: إرادته منه كما أن سمعه منه و بصره منه و علمه منه.

قال الرضا (عليه السلام): إرادته نفسه.

قال: لا.

قال (عليه السلام): فليس المرید مثل السميع و البصير.

قال سليمان: إنما أراد نفسه كما سمع نفسه و أبصر نفسه و علم نفسه.

قال الرضا (عليه السلام): ما معنى أراد نفسه أراد أن يكون شيئا أو أراد أن يكون حيا أو سميعا أو بصيرا أو قديرا؟!

قال: نعم.

ص: ٢٢٦

قال الرضا(عليه السّلام): أفبإرادته كان ذلك؟! ثمّ قال(عليه السّلام): فليس لقولك أراد، أن يكون حيا سميعا بصيرا معنى إذا لم يكن ذلك بإرادته.

قال سليمان: بلى؛ قد كان ذلك بإرادته.

فضحك المأمون و من حوله و ضحك الرضا(عليه السّلام) ثم قال لهم: ارفقوا بمتكلّم خراسان. يا سليمان فقد حال عندكم عن حاله و تغيّر عنها و هذا ممّا لا يوصف الله عزّ و جل به، فانقطع.

ثم قال الرضا(عليه السّلام): يا سليمان أسألك مسأله.

قال: سل جعلت فداك.

قال: اخبرني عنك و عن أصحابك تكلمون الناس بما يفقهون و يعرفون، أو بما لا يعرفون؟!!

قال: بل بما يفقهون و يعرفون.

قال الرضا(عليه السّلام): فالذى يعلم الناس أنّ المرید غير الإراده و أنّ المرید قبل الإراده و أنّ الفاعل قبل المفعول و هذا يبطل قولكم: إنّ الإراده و المرید شيء واحد.

قال: جعلت فداك ليس ذلك منه على ما يعرف الناس و لا على ما يفقهون.

قال(عليه السّلام): فأراكم ادعيتم علم ذلك بلا معرفه، و قلتم: الإراده كالسمع و البصر إذا كان ذلك عندكم على ما لا يعرف و لا يعقل، فلم يحرجوا.

ثم قال الرضا(عليه السّلام): يا سليمان هل يعلم الله عزّ و جل جميع ما فى الجنة و النار؟!!

قال سليمان: نعم.

قال: أفیکون ما علم الله عزّ و جل أنه يكون من ذلك؟

قال: نعم.

قال: فإذا كان حتّى لا يبقى منه شيء إلا كان، أيزيدهم أو يطويه عنهم؟!!

قال سليمان: بل يزيدهم.

ص: ۲۲۷

قال: فأراه في قولك: قد زادهم ما لم يكن في علمه أنه يكون.

قال: جعلت فداك و المزيّد لا غايه له.

قال (عليه السّلام): فليس يحيط علمه عندكم بما يكون فيهما إذا لم يعرف غايه ذلك، و إذا لم يحط علمه بما يكون فيها لم يعلم ما يكون فيها قبل أن يكون، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

قال سليمان: إنّما قلت لا يعلمه لأنّه لا غايه لهذا، لأنّ الله عزّ و جل وصفهما بالخلود، و كرهنّا أن نجعل لهما انقطاعاً.

قال الرضا (عليه السّلام): ليس علمه بذلك بموجب لانقطاعه عنهم لأنّه قد يعلم ذلك ثم يزيدهم ثم لا يقطعه عنهم، و كذلك قال الله عزّ و جل في كتابه: كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ يُدْخِلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ و قال عزّ و جل لأهل الجنة: عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ و قال عزّ و جل: وَ فَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَا مَقْطُوعَةٍ وَ لَا مَمْنُوعَةٍ فهو جلّ و عزّ يعلم ذلك و لا يقطع عنهم الزيادة رأيت ما أكل أهل الجنة و ما شربوا أليس يخلف مكانه؟ قال: بلى.

قال: أف يكون يقطع ذلك عنهم و قد أخلف مكانه؟

قال سليمان: لا.

قال: فكذلك كل ما يكون فيها إذا أخلف مكانه فليس بمقطوع عنهم.

قال سليمان: بل يقطع عنهم فلا يزيدهم.

قال الرضا (عليه السّلام): إذا بييد ما فيها، و هذا يا سليمان إبطال الخلود و خلاف الكتاب، لأنّ الله عزّ و جل يقول: لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَ لَدَيْنَا مَزِيدٌ و يقول عزّ و جل: عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ و يقول عزّ و جل: وَ مَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ و يقول عزّ و جل: خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا و يقول عزّ و جل: وَ فَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَا مَقْطُوعَةٍ وَ لَا مَمْنُوعَةٍ.

فلم يحر جواباً.

ثم قال الرضا(عليه السلام):يا سليمان ألا تخبرني عن الإرادة فعل هي أم غير فعل؟

قال:بل هي فعل.

قال:فهي محدثه لأن الفعل كله محدث.

قال:ليست بفعل.

قال:فمعه غيره لم يزل.

قال سليمان:الإرادة هي الإنشاء.

قال:يا سليمان هذا الذي ادّعيتموه على ضرار و أصحابه من قولهم:إنَّ كلَّ ما خلق الله عزَّ و جل في سماء أو أرض أو بحر أو برٍّ،من كلب أو خنزير أو قرد أو إنسان أو دابة، إرادته الله عزَّ و جل و إن إرادته الله عزَّ و جل تحيا و تموت،و تذهب،و تأكل و تشرب و تنكح و تلد،و تظلم و تفعل الفواحش و تكفر و تشرك،فتبرء منها و تعاديها،و هذا حدّها.

قال سليمان:إنّها كالسمع و البصر و العلم.

قال الرضا(عليه السلام):قد رجعت الى هذا ثانيه،فاخبرني عن السمع و البصر و العلم أمصنوع.

قال سليمان:لا.

قال الرضا(عليه السلام):فكيف نفيتموه همّره قلتم لم يرد،و مره قلتم أراد،و ليست بمفعول له؟!

قال سليمان:إنّما ذلك كقولنا مرّه علم و مره لم يعلم.

قال الرضا(عليه السلام):ليس ذلك سواء،لأنّ نفى المعلوم ليس بنفى العلم،و نفى المراد نفى الإرادة أن تكون،لأن الشئ إذا لم يرد لم يكن إرادته،و قد يكون العلم ثابتا و إن لم يكن المعلوم بمنزله البصر،فقد يكون الإنسان بصيرا و إن لم يكن المبصر،و يكون العلم ثابتا و إن لم يكن المعلوم.

قال سليمان:إنّها مصنوعه.

قال(عليه السلام):فهى محدثه لىست كالىسمع و البصر لأن اللىسمع و البصر لىسا بمصنوعىن و هذه مصنوعه.

قال سللىمان:إنها صفه من صفاته لم تزل.

قال:فىنبغى أن لىكون الإنسان لم لزل،لأن صفته لم تزل.

قال سللىمان:لا لأنه لم لفلعلها.

قال الرضا(علله السلام):لا خراسانى ما أكثر غلطك،أفلىس بارادته و قوله تكوّن الأشياء؟

قال سللىمان:لا.

قال:فاذا لم لىكن بارادته و لا مشىته و لا أمره و لا بالمباشره فكلف لىكون ذلك؟! تعالى الله عن ذلك.

فلم لىحر جوابا.

ثم قال الرضا(علله السلام):ألا- تخبرنى عن قول الله عزّ و جل: **وَ إِذا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْبَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِىها فَفَسَدُوا فِىها** لىعنى بذلك أنه لىحدث إرادته؟! **وَ إِذا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْبَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِىها فَفَسَدُوا فِىها**

قال:له نعم.

قال:فاذا أحدث إرادته كان قولك:إن الإراده هى هو أم شىء منه باطلا،لأنه لا لىكون أن لىحدث نفسه و لا لىتغىر عن حاله،تعالى الله عن ذلك.

قال سللىمان:إنه لم لىكن عنى بذلك أنه لىحدث إرادته.

قال:فما عنى به؟

قال:عنى فعل الشىء.

قال الرضا(علله السلام):وللك كم تردد هذه المسأله،و قد أخبرتك أن الإراده محدثه،لأن فعل الشىء محدث.

قال:فلىس لها معنى.

قال الرضا(علله السلام):قد وصف نفسه عندكم حتى وصفها بالإرادته بما لا معنى له،فاذا

لم يكن لها معنى قديم و لا حديث بطل قولكم: إنَّ الله لم يزل مريدا.

قال سليمان: إنما عنيت أنها فعل من الله لم يزل.

قال: ألا تعلم أن ما لم يزل لا يكون مفعولا و حديثا و قديما فى حاله واحده.

فلم يحرجوا.

قال الرضا(عليه السلام): لا بأس، أتمم مسألتك.

قال سليمان: قلت: إن الإرادة صفة من صفاته.

قال الرضا(عليه السلام): كم تردّد على أنها صفة من صفاته، و صفة محدثه أو لم تزل؟!!

قال سليمان: محدثه.

قال الرضا(عليه السلام): الله أكبر فالإرادة محدثه، و إن كانت صفة من صفاته لم تزل.

فلم يرد شيئا.

قال الرضا(عليه السلام): إن ما لم يزل لا يكون مفعولا.

قال سليمان: ليس الأشياء إرادته و لم يرد شيئا.

قال الرضا(عليه السلام): وسوست يا سليمان فقد فعل و خلق ما لم يرد خلقه و لا فعله، و هذه صفة من لا يدري ما فعل، تعالى الله عن ذلك.

قال سليمان: يا سيدى قد أخبرتك أنها كالسمع و البصر و العلم.

قال المأمون: ويحك يا سليمان كم هذا الغلط و التردّد اقطع هذا و خذ فى غيره، إذا لست تقوى على هذا الردّ.

قال الرضا(عليه السلام): دعه يا أمير المؤمنين لا تقطع عليه مسأله فيجعلها حجه، تكلم يا سليمان؟

قال: قد أخبرتك أنها كالسمع و البصر و العلم.

قال الرضا(عليه السلام): لا بأس أخبرنى عن معنى هذه، أمعنى واحد أم معان مختلفه؟!!

قال سليمان: بل معنى واحد.

قال الرضا(عليه السلام):فمعنى الإرادات كلّها معنى واحد.

قال سليمان:نعم.

قال الرضا(عليه السلام):فإن كان معناها معنى واحدا كانت إرادته القيام وإرادته القعود وإرادته الحياه وإرادته الموت إذا كانت إرادته واحده لم يتقدّم بعضها بعضا و لم يخالف بعضها بعضا،و كان شيئا واحدا.

قال سليمان:إن معناها مختلف.

قال(عليه السلام):فاخبرني عن المرید أهو الإراده أو غيرها؟

قال سليمان:بل هو الإراده.

قال الرضا(عليه السلام):فالمرید عندكم يختلف إن كان هو الإراده.

قال:يا سيدى ليس إلا إرادته المرید.

قال(عليه السلام):فالإرادته محدثه،و إلا فمعها غيره أفهم وزد فى مسألتك.

قال سليمان:فإنها اسم من أسمائه.

قال الرضا(عليه السلام):هل سمى نفسه بذلك؟

قال سليمان:لا لم يسم نفسه بذلك.

قال الرضا(عليه السلام):فليس لك أن تسميه بما لم يسم به نفسه؟

قال:قد وصف نفسه بأنه مرید.

قال الرضا(عليه السلام):ليس صفته نفسه أنه مرید إخبارا عن أنه إرادته ولا إخبارا عن أنّ الإراده اسم من أسمائه.

قال سليمان:لأنّ إرادته علمه.

قال الرضا(عليه السلام):يا جاهل فإذا علم الشىء فقد أرادته.

قال سليمان:أجل.

قال(عليه السلام):فإذا لم يردده لم يعلمه.

قال سليمان: أجل.

قال (عليه السلام): من أين قلت ذاك؟ وما الدليل على أن إرادته علمه و قد يعلم ما لا يريد أبدأ، و ذلك قوله عزّ و جلّ: **وَلَيْسَ شَيْئًا لَّنَا لَنذَهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ فَهُوَ يَعْلَمُ كَيْفَ يَذْهَبُ بِهِ وَيَذْهَبُ بِهِ أَبَدًا.**

قال سليمان: لأنه قد فرغ من الأمر فليس يزيد فيه شيئاً.

قال الرضا (عليه السلام): هذا قول اليهود، فكيف قال عزّ و جلّ: **أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ؟**

قال سليمان: إنما عنى بذلك أنه قادر عليه.

قال (عليه السلام): أفبعد ما لا يفى به؟ فكيف قال عزّ و جلّ: **يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ** و قال عزّ و جلّ: **يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ** و قد فرغ الأمر.

فلم يحر جواباً.

قال الرضا (عليه السلام): يا سليمان هل يعلم أن انسانا يكون و لا يريد أن يخلق انسانا أبداً و أن انسانا يموت اليوم و لا يريد أن يموت اليوم؟

قال سليمان: نعم.

قال الرضا (عليه السلام): فيعلم أنه يكون ما يريد أن يكون أو يعلم أنه يكون ما لا يريد أن يكون؟!

قال: يعلم أنهما يكونان جميعاً.

قال الرضا (عليه السلام): إذن يعلم أن انسانا حتى ميت، قائم قاعد، أعمى بصير في حال واحده و هذا هو المحال.

قال: جعلت فداك فإنه يعلم أنه يكون أحدهما دون الآخر.

قال (عليه السلام): لا بأس فأيهما يكون؟ الذى أراد أن يكون، أو الذى لم يرد أن يكون.

قال سليمان: الذى أراد أن يكون فضحك الرضا (عليه السلام) و المأمون

و أصحاب المقالات.

قال الرضا (عليه السلام): غلظت و تركت قولك: إنه يعلم أن إنسانا يموت اليوم و هو لا يريد أن يموت اليوم و إنه يخلق خلقا و هو لا يريد أن يكون.

قال سليمان: فأنما قولي: إن الإرادة ليست هو و لا غيره.

قال الرضا (عليه السلام): يا جاهل إذا قلت: ليست هو فقد جعلتها غيره و إذا قلت: ليست هي غيره فقد جعلتها هو.

قال سليمان: فهو يعلم، فكيف يصنع الشيء.

قال (عليه السلام): نعم.

قال سليمان: فإن ذلك إثبات الشيء.

قال الرضا (عليه السلام): أحلت، لأن الرجل قد يحسن البناء، و إن لم يبين، و يحسن الخياط و إن لم يخط، و يحسن صنعه الشيء و إن لم يصنعه أبدا.

ثم قال له: يا سليمان، هل يعلم أنه واحد لا شيء معه؟!؟

قال: نعم.

قال: أف يكون ذلك إثباتا للشيء؟!؟

قال سليمان: ليس يعلم أنه واحد لا شيء معه.

قال الرضا (عليه السلام): أف تعلم أنت ذاك؟! ثم قال: فأنت يا سليمان أعلم إذا.

قال سليمان: المسألة محال.

قال: محال عندك أنه واحد لا شيء معه، و أنه سميع بصير، حكيم، عليم، و قادر؟

قال: نعم.

قال (عليه السلام): فكيف أخبر الله عزّ و جل أنه واحد حتى سميع، بصير، عليم خبير و هو لا يعلم ذلك؟ و هذا ردّ ما قال و تكذيبه، تعالى الله عن ذلك.

ثم قال الرضا (عليه السلام): فكيف يريد صنع ما لا يدري صنعه، و لا ما هو؟! و إذا كان

الصانع لا يدري كيف يصنع الشيء قبل أن يصنعه فإنما هو متحير، تعالى الله عن ذلك.

قال سليمان: فإن الإرادة القدره.

قال الرضا (عليه السلام): هو عز وجل يقدر على ما لا يريد أبدأ، ولا بد من ذلك لأنه قال تبارك وتعالى: **وَلَكِنَّ شَيْئًا لَّنْذَهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ، فَلَوْ كَانَتِ الْإِرَادَةُ هِيَ الْقَدْرَةُ، كَانَتْ قَدْ أَرَادَ أَنْ يَذْهَبَ بِهِ لِقَدْرَتِهِ.**

فانقطع سليمان.

قال المؤمن عند ذلك: يا سليمان هذا أعلم هاشمي، ثم تفرق القوم (١).

١٠- حوار مع فقهاء المذاهب الإسلامية

حلف رجل بخراسان بالطلاق أن معاوية ليس من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و اله)، فأفتى الفقهاء بطلاقها.

فسئل الرضا (عليه السلام)، فأفتى: أنها لا تطلق.

فكتب الفقهاء رقعته و أنفذوها إليه، وقالوا له: من أين قلت يا ابن رسول الله أنها لا تطلق؟

فوقع (عليه السلام) في رقعته: قلت هذا من روايتكم، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) قال لمسلمه يوم الفتح و قد كثروا عليه: أنتم خير و أصحابي خير و لا هجره بعد الفتح، فأبطل الهجره، و لم يجعل هؤلاء أصحابا له.

قال: فرجعوا إلى قوله (عليه السلام) «(٢)».

ص: ٢٣٥

١- (١) التوحيد: ٤٤١-٤٥٤.

٢- (٢) عيون أخبار الرضا: ٨٧/٢.

إن الثروة العلمية الهائلة التي قدّمها الإمام الرضا (عليه السلام) للعالم الإسلامي بل للعالم الإنساني عامه ولأتباع أهل البيت خاصة قد شملت ألوان العلوم والمعارف من فلسفه و كلام و طب و فقه و تفسير و تاريخ و تربيه و آداب و سياسه و اجتماع...

و قد أتاح المأمون من حيث لا يشعر فرصه ذهبيه لظهور علم الإمام (عليه السلام) و بروزه إلى الساحة الاجتماعيه و تحدّيه لكل العلماء الذين جمعهم لتضعيف الإمام و تسقيطه من خلال المواجهه العلميه التي جمع من أجلها علماء الفرق و الأديان.

و قد عرفنا كيف استجاب علماء الفرق و المذاهب الاسلاميه لدعوه المأمون حتى طرحوا أعقد الأسئلة على الإمام (عليه السلام) تحقيقا لرغبه المأمون، فسألوه عمّا كان غامضا لديهم، و قد روى المؤرخون أن ما طرح على الإمام (عليه السلام) يبلغ أكثر من عشرين ألف مسأله في مختلف أبواب المعرفه فأجابهم الإمام (عليه السلام) على جميعها؛ متحدّيا جبروت المأمون و العباسيين خاصة و سائر من يجهل فضل أهل البيت (عليهم السلام) عامه.

كما أثرت عن الإمام الرضا (عليه السلام) سوى هذه الاحتجاجات مجموعه من النصوص التي نصّ عليها المعتبون بالتراجم، مثل (طب الإمام الرضا (عليه السلام))، و (مسند الإمام الرضا (عليه السلام)) (1)، أو (صحيفه الإمام الرضا (عليه السلام)) أو صحيفه

١- (١) يشتمل المسند على (٢٤٠) حديثا رواها عنه (عليه السلام) عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي.

أهل البيت و المعتر عنها بالرضويات، و(رساله جوامع الشريعة)، كما نسب إليه أيضا كتاب فقهى عرف ب(فقه الرضا(عليه السلام) (1).

إنّ حديث سلسله الذهب هو الحديث الذى رواه الإمام الرضا(عليه السلام) عن آبائه المعصومين عن جدّهم سيد المرسلين عن جبرائيل عن ربّ العزّه سبحانه و تعالى و نصّه هو:

«لا إله إلاّ الله حصنى فمن قالها دخل حصنى و من دخل حصنى أمن من عذابي».

قال أحمد بن حنبل عن مثل سند هذا الحديث: «و هذا إسناد لو قرئ على المجنون لأفاق» (2).

ثم إنّ النصوص التى جمعت فى مسند الإمام الرضا(عليه السلام) تناهز الألفين، و تتنوع على مجالات شتى، فالعقائد و الفقه و الاخلاق و التفسير و التاريخ و الاحتجاجات هى أهم الموضوعات التى رتب على أساسها المسند، و لكن المجالات المعرفيه التى اهتمت بها نصوص الإمام(عليه السلام) لا تنحصر فى هذه الأبواب.

على أنا نلاحظ اهتماما خاصا باصول العقيدة و الشريعة و لا سيّما قضايا الإمامه بتفاصيلها الكثيره التى قد نالت اهتماما خاصا كما نلاحظه فى هذه النصوص (3) و قد تصدى الإمام(عليه السلام) فى هذه النصوص الى سدّ كل الطرق و المنافذ ردّا على المذاهب و الفرق الاخرى التى ابتعدت عن مذهب أهل البيت(عليهم السلام) بشكل أو آخر.

ص: ٢٣٧

-
- ١- (١) اختلف الأصحاب فى صحه انتسابه الى الإمام(عليه السلام) على أقوال ثلاثه، راجع عبد الهادى الفضلى، تاريخ التشريع الإسلامى: ١٧٥.
 - ٢- (٢) مناقب آل أبى طالب: ٣/٤٣٣ و عنه فى بحار الأنوار: ١٠٧/٤٨ و أعيان الشيعة: ١/١٠٠١.
 - ٣- (٣) تبلغ نصوص الامامه حوالى ٥٠٠ نص و يضاف اليها ما جاء فى احتجاجاته التى دارت حول الامامه و ما جاء فى كتابى الاصطفاء و النبوه و الادعيه و تفسير القرآن مما يرتبط بالإمامه فيها فتكون حجما هائلا بالقياس الى ما سواها فهى تشكّل ربع تراث الإمام تقريبا.

فاحتجاجات الإمام(عليه السلام)صريحه و صارخه في محتواها و لا تجد فيها أى مجال للتقيه أو الاقتصار على طرح بعض الحقائق التاريخيه دون بعض، بل نجد الإمام(عليه السلام)يدخل الساحة العقائديه المذهبيه بكل ثقله و هو يعلم بأن القتل فى سبيل المبدأ و الاغتيال الذى ينتظره هو آخر الخطّ. و إنّه يدخل معترك الصراع بكل أبعاده ليقرر حقيقه المذهب و أدلّته و مبررات وجوده و انه هو الخط الوحيد الذى يمثّل رساله الله فى الأرض و انه امتداد خط الرسول(صلى الله عليه و اله)دون سواه.

و إليك بعض ما اخترناه من تراثه(عليه السلام)كنموذج للدلاله على عظمه هذا التراث و تنوع أغراضه و مجالاته.

فى رحاب العقل و العلم و المعرفه

١-«العقل حياء من الله و الأدب كلفه، فمن تكلف الأدب قدر عليه و من تكلف العقل لم يزدد إلا جهلا» (١).

٢-«ليس العباده كثره الصلاه و الصوم، و إنما العباده التفكر فى أمر الله عزّ و جل» (٢).

٣-«ما استودع الله عبدا عقلا إلا استنقذه به يوما» (٣).

ص: ٢٣٨

١- ((١)) الكافى: ٢٤/١.

٢- ((٢)) الكافى: ٥٥/٢.

٣- ((٣)) امالى الطوسى: ٥٥/١.

١- عن الحسين بن خالد، قال: قلت للرضا على بن موسى (عليهما السلام): يا ابن رسول الله أخبرني عن القرآن أخالق أو مخلوق؟ فقال: «ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنّه كلام الله عزّ وجل» (١).

٢- عن الريان بن الصلت، قال قلت للرضا (عليه السلام): ما تقول في القرآن؟ فقال: «كلام الله لا تتجاوزوه، ولا تطلبوا الهدى في غيره فتضلّوا» (٢).

٣- عن أبي حيون مولى الرضا (عليه السلام)، قال: «من ردّ متشابه القرآن الى محكمه هدى الى صراط مستقيم»، ثم قال: «إنّ في أخبارنا متشابهها كمتشابه القرآن و محكما كمحكم القرآن، فردّوا متشابهها الى محكمها، ولا تتبعوا متشابهها دون محكمها فتضلّوا» (٣).

٤- ذكر الرضا (عليه السلام) يوما القرآن فعظم الحجّه فيه والآيه والمعجزه في نظمه، فقال: «هو جبل الله المتين، وعروته الوثقى وطريقته المثلى، المؤدّى الى الجنّه، والمنجى من النار، لا يخلق على الأزمنه ولا يغيث على الألسنه، لأنه لم يجعل لزمان دون زمان، بل جعل دليل البرهان والحجّه على كل إنسان لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد» (٤).

في رحاب التوحيد

١- سأله رجل عن الدليل على حدوث العالم فقال: «أنت لم تكن ثم كنت و قد علمت أنّك لم تكوّن نفسك و لا كوّنك من هو مثلك» (٥).

ص: ٢٣٩

١- (١) التوحيد: ٢٢٣.

٢- (٢) التوحيد: ٢٢٣، و الأما لي: ٢٢٦.

٣- (٣) عيون أخبار الرضا: ١/٢٩٠.

٤- (٤) عيون أخبار الرضا: ٢/١٣٠.

٥- (٥) التوحيد: ٢٩٣.

٢- جاء رجل إلى أبي الحسن الرضا (عليه السلام) من وراء نهر بلخ، فقال: «إني أسألك عن مسأله فإن أجبتني فيها بما عندي قلت بإمامتك، فقال أبو الحسن (عليه السلام) سل عما شئت، فقال: أخبرني عن ربك متى كان؟ وكيف كان؟ و على أي شيء كان اعتماده؟

فقال أبو الحسن (عليه السلام): إن الله تبارك و تعالى أئين الأئين بلا أئين، و كيف الكيف بلا كيف، و كان اعتماده على قدرته، فقام إليه الرجل فقبل رأسه و قال: أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله و أن عليا وصي رسول الله (صلى الله عليه و اله) و القيم بعده بما قام به رسول الله، و أنكم الأئمه الصادقون و أنك الخلف من بعدهم» (١).

٣- حدثنا الحسين بن بشار، عن أبي الحسن على بن موسى الرضا (عليهما السلام) فقال: سألته أيعلم الله الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون؟ أو لا يعلم إلا ما يكون؟ فقال: «إن الله تعالى هو العالم بالأشياء قبل كون الأشياء.

٤- عن يونس بن عبد الرحمن، قال: قلت لأبي الحسن الرضا (عليه السلام):

روينا أن الله علم لا جهل فيه، حياه لا موت فيه، نور لا ظلمه فيه، قال:

«كذلك هو» (٢).

في رحاب النبوه و الأنبياء

١- قال ابن السكيت لأبي الحسن الرضا (عليه السلام) لماذا بعث الله عز و جل موسى بن عمران بالعصا و يده البيضاء و آله السحر و بعث عيسى (عليه السلام) بالطب و بعث محمدا (صلى الله عليه و اله) بالكلام و الخطب؟

فقال له أبو الحسن (عليه السلام): «إن الله تبارك و تعالى لما بعث موسى (عليه السلام) كان الأغلب على أهل عصره السحر فأتاهم من عند الله عز و جل بما لم يكن في وسع القوم مثله،

ص: ٢٤٠

١- (١) الكافي: ١/٨٨.

٢- (٢) التوحيد: ١٣٨.

و بما أبطل به سحرهم و أثبت به الحجج عليهم و إنّ الله تبارك و تعالى بعث عيسى (عليه السّلام) في وقت ظهرت فيه الزمانات و احتاج الناس إلى الطب فأتاهم من عند الله عزّ و جل بما لم يكن عندهم مثله و بما أحيا لهم الموتى و أبرأ لهم الأكمه و الأبرص بإذن الله و أثبت به الحجج عليهم.

و إنّ الله بعث محمدا (صلّى الله عليه و اله) في وقت كان الأغلب على أهل عصره الخطب و الكلام [و أظنه قال: [و الشعر، فأتاهم من كتاب الله عزّ و جلّ و مواعظه و أحكامه ما أبطل به قولهم و أثبت به الحجج عليهم، فقال ابن السكيت: تالله ما رأيت مثلك اليوم قطّ، فما الحجج على الخلق اليوم؟ فقال (عليه السّلام): العقل يعرف به الصادق على الله فيصدّقه و الكاذب على الله فيكذّبه» فقال ابن السكيت هذا و الله الجواب (١).

٢- عن أبي الحسن الرضا (عليه السّلام): «إنما سمي اولوا العزم، اولى العزم لأنهم كانوا أصحاب الشرايع و العزائم و ذلك أنّ كل نبي بعد نوح (عليه السّلام) كان على شريعته و منهاجه و تابعا لكتابه الى زمن إبراهيم الخليل (عليه السّلام).

و كل نبي كان في أيام ابراهيم و بعده كان على شريعته و منهاجه، و تابعا لكتابه إلى زمن موسى (عليه السّلام) و كل نبي كان في زمن موسى و بعده كان على شريعته موسى و منهاجه و تابعا لكتابه إلى أيام عيسى (عليه السّلام) و كل نبي كان في أيام عيسى (عليه السّلام) و بعده كان على منهاج عيسى و شريعته و تابعا لكتابه إلى زمن نبينا محمد (صلّى الله عليه و اله) فهؤلاء الخمسة اولوا العزم فهم أفضل الأنبياء و الرسل. و شريعته محمد (صلّى الله عليه و اله) لا تنسخ إلى يوم القيامة و لا نبي بعده إلى يوم القيامة، فمن ادّعى بعده التّبوّه أو أتى بعد القرآن بكتاب قدمه مباح لكلّ من سمع ذلك منه» (٢).

ص: ٢٤١

١- (١) علل الشرايع: ١/١٥، و العيون: ٢/٧٩.

٢- (٢) عيون الاخبار: ٢/٨٠.

١- عن عبد العزيز بن مسلم قال: كنا مع الرضا (عليه السلام) بمرور فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا فأداروا أمر الامامه و ذكروا اكثره اختلاف الناس فيها، فدخلت على سيدي (عليه السلام) فأعلمته خوض الناس فيه، فتبسم (عليه السلام) ثم قال: «يا عبد العزيز جهل القوم و خدعوا عن آرائهم، ان الله عز و جل لم يقبض نبيه (صلى الله عليه و اله) حتى أكمل له الدين و أنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شىء، بين فيه الحلال و الحرام، و الحدود و الاحكام و جميع ما يحتاج اليه الناس كملا، فقال عز و جل: مَا فَزَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ (١)، و أنزل في حجه الوداع و هى آخر عمره (صلى الله عليه و اله): الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا (٢) و أمر الامامه من تمام الدين، و لم يمض (صلى الله عليه و اله) حتى بين لائمه معالم دينهم و أوضح لهم سبيلهم و تركهم على قصد سبيل الحق و أقام لهم عليا (عليه السلام) علما و اماما، و ما ترك [لهم] شيئا يحتاج اليه الامه إلا بينه، فمن زعم أن الله عز و جل لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله، و من رد كتاب الله فهو كافر به.

هل يعرفون قدر الامامه و محلها من الامه فيجوز فيها اختيارهم، إن الامامه أجل قدرا و أعظم شأننا و أعلى مكانا و أمنع جانبا و أبعد غورا من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إماما باختيارهم، إن الإمامه خص الله عز و جل بها ابراهيم الخليل (عليه السلام) بعد النبوه و الخله مرتبه ثالثه، و فضيله شرفه بها و أشاد بها ذكره، فقال: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا (٣) فقال الخليل (عليه السلام) سرورا بها: وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى: لَا يَبَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ فَأَبْطَلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ إِمَامَهُ كُلِّ ظَالِمٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ صَارَتْ فِي الصَّفْوَةِ، ثم أكرمها الله تعالى بأن جعلها في ذريته أهل صفوه و الطهاره فقال:

ص: ٢٤٢

١- ((١) الأنعام (٤): ٣٨.

٢- ((٢) المائده (٥): ٣.

٣- ((٣) البقره (٢): ١٢٤.

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ
وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (١)

فلم تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرننا فقرنا حتى ورثها الله تعالى النبي (صلى الله عليه و اله)، فقال جلّ و تعالى: إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ
لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هَذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٢) فكانت له خاصه فقلدها (صلى الله عليه و اله) علينا (عليه السلام) بأمر الله تعالى على
رسم ما فرض الله، فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم و الإيمان بقوله تعالى: وَ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ الْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي
كِتَابِ اللَّهِ إِلَهِي يَوْمِ الْبَعْثِ (٣) فهي في ولد علي (عليه السلام) خاصه إلى يوم القيامة؛ إذ لا نبي بعد محمد (صلى الله عليه و اله) فمن أين يختار
هؤلاء الجهال.

إنّ الإمامه هي منزله الأنبياء، و إرث الأوصياء، أنّ الامامه خلافة الله و خلافة الرسول (صلى الله عليه و اله) و مقام أمير المؤمنين (عليه السلام) و
ميراث الحسن و الحسين (عليهما السلام)، أنّ الامامه زمام الدين، و نظام المسلمين، و صلاح الدنيا و عز المؤمنين، أنّ الامامه اس الاسلام التامى، و
فرعه السامى، بالامام تمام الصلاه و الزكاه و الصيام و الحج و الجهاد، و توفير الفىء و الصدقات، و امضاء الحدود و الأحكام و منع الثغور و
الاطراف.

الإمام يحلّ حلال الله، و يحرم حرام الله و يقيم حدود الله و يذبّ عن دين الله، و يدعو إلى سبيل ربّه بالحكمه و الموعظه الحسنه، و الحجّه
البالغه، الإمام كالشمس الطالعه المجلّله بنورها للعالم و هي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي و الأبصار، الإمام البدر المنير، و السراج الزاهر، و النور
الساطع، و النجم الهادى في غياهب الدجى و أجواز البلدان و القفار، و لجج البحار، الإمام الماء العذب على الظماء، و الدالّ على الهدى و المنجى
من الردى، الإمام النار على اليفاع، الحارّ لمن اصطلى به و الدليل في المهالك من فارقه فهالك،

ص: ٢٤٣

١- ((١)) الانبياء (٢١): ٧٢-٧٣.

٢- ((٢)) آل عمران (٣): ٦٨.

٣- ((٣)) الروم (٣٠): ٥٦.

الإمام السحاب الماطر، والغيث الهاطل، والشمس المضيئه، والسماء الظليله، والأرض البسيطة، والعين الغزيره، والغدير والروضه.

الإمام الأئيس الرفيق، والوالد الشقيق، والأخ الشقيق، والامّ البرّه بالولد الصغير، مفزع العباد فى الداهيه، الإمام أمين الله فى خلقه و حجته على عباده و خليفته فى بلاده، و الداعى الى الله، والذاب عن حرم الله.

الإمام المطهر من الذنوب، والمبرأ من العيوب، المخصوص بالعلم، الموسوم، بالحلم، نظام الدين، وعزّ المسلمين، و غيظ المنافقين، و بوار الكافرين (١).

٢- عن الحسين بن خالد، عن أبى الحسن على بن موسى الرضا، عن أبيه عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): من أحب أن يركب سفينه النجاه، و يستمسك بالعروه الوثقى و يعتصم بحبل الله المتين فليوال عليا بعدى، و ليعاد عدوّه و ليأتمم بالأئمه الهداه من ولده فإنهم خلفائى و أصيائى، و حجج الله على الخلق بعدى و ساده امتى و قاده الأتقياء إلى الجنه، حزبههم حزبى و حزبى حزب الله، و حزب أعدائهم حزب الشيطان (٢).

٣- عنه (رحمه الله) - بهذا الاسناد قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «يا على أنت أخى و وزيرى، و صاحب لوائى فى الدنيا و الآخره، و أنت صاحب حوضى، من أحببك أحببنى و من أبغضك أبغضنى (٣).

فى رحاب الغدير:

روى عن أبى الحسن الرضا فى يوم الغدير أنه قال: «و هو يوم التهنئه بهنئى بعضكم بعضا فإذا لقي المؤمن أخاه يقول: الحمد لله الذى جعلنا من المتمسكين بولايه أمير

ص: ٢٤٤

١- (١) راجع تمام الحديث فى: من لا يحضره الفقيه: ٣٠٠/٤، و الخصال: ٥٢٧، و عيون أخبار الرضا: ٢١٢/١.

٢- (٢) أمالى الصدوق: ١٣.

٣- (٣) أمالى الصدوق: ٣٧.

المؤمنين و الأئمة (عليهم السّلام)، و هو يوم التّبسّم فى وجوه الناس من أهل الإيمان فمن تبسّم فى وجه أخيه يوم الغدير نظر الله إليه يوم القيمة بالرحمة، و قضى له ألف حاجه، و بنى له قصرًا فى الجنه من درّه بيضاء و نضر وجهه.

و هو يوم الزينه فمن تزىّن ليوم الغدير غفر الله له كلّ خطيئه عملها، صغيره و كبيره و بعث الله إليه ملائكه يكتبون له الحسنات، و يرفعون له الدرجات إلى قابل مثل ذلك اليوم، فإن مات مات شهيدًا، و إن عاش سعيدًا، و من أطعم مؤمنًا كان كمن أطعم جميع الأنبياء و الصّديقين و من زار فيه مؤمنًا أدخل الله قبره سبعين نورا و وسع فى قبره و يزور قبره كلّ يوم سبعون ألف ملك و يبشرونه بالجنه.

و فى يوم الغدير عرض الله الولاية على أهل السموات السّبع، فسبق إليها أهل السماء السابعة فزىّن بها العرش، ثمّ سبق إليها أهل السّماء الرابعه، فزىّنها بالبيت المعمور، ثمّ سبق إليها أهل السماء الدنيا فزىّنها بالكواكب ثمّ عرضها على الأرضين فسبقت مكة فزىّنها بالكعبه ثمّ سبق إليها المدينه فزىّنها بالمصطفى محمد (صلّى الله عليه و اله)، ثمّ سبقت إليها الكوفه فزىّنها بأمر المؤمنين (عليه السّلام) و عرضها على الجبال فأول جبل أقرّ بذلك ثلاثه أجبل: العقيق و جبل الفيروزج و جبل الياقوت فصارت هذه الجبال جبالهن و أفضل الجواهر.

فى رحاب فقه الإمام الرضا (عليه السّلام)

إن التراث الفقهى للإمام الرضا (عليه السّلام) يتمثل فى النصوص الفقيهيه التى وصلتنا بشكل مسند. فالعبادات المتمثله فى الطهاره و الصلاه و الصوم و الزكاه و الحج و الزياره تبلغ عدد النصوص الواصله عنه (٤٣٧) نصًا. و نصوص النكاح و الطلاق تبلغ (١٦٢) نصًا و نصوص المعيشه و العيد و الاطعمه و الاشربه تبلغ (٢٥٥) نصًا و نصوص التجمل (٨٢) نصًا و الجهاد (١٢) نصًا و الحدود و الديات و القضاء و الشهاده تبلغ (٣٩) نصًا و الإيمان و النذور و الوصايا و الجنائز و الموارث تبلغ (٦٢) نصًا و يبلغ مجموع هذه النصوص

الفقيه حوالى (١٠٤٩) نصا و هذا الحجم يشكل اكثر من نصف النصوص التى وصلتنا عنه (عليه السّلام) حيث احصيناها و بلغت حوالى (٢٠٣٣) نصا.

و فى هذا دلالة واضحة على مدى الاهتمام الذى بذله الإمام (عليه السّلام) لإحكام قواعد و اصول مدرسه أهل البيت الفقيه (١).

فى رحاب مواعظه و قصار كلماته

١- قال الرضا (عليه السّلام): «لا- يكون المؤمن مؤمنا حتى تكون فيه ثلاث خصال: سنّه من ربّه و سنّه من نبيّه (صلّى الله عليه و اله) و سنّه من وليّه (عليه السّلام). فأما السنّه من ربّه فكتمان السرّ. أما السنّه من نبيّه (صلّى الله عليه و اله) فمداراه الناس. و أما السنّه من وليّه (عليه السّلام) فالصبر فى البأساء و الضراء».

٢- و قال (عليه السّلام): «صاحب النعمه يجب أن يوسّع على عياله».

٣- و قال (عليه السّلام): «من أخلاق الأنبياء التّنظف».

٤- و قال (عليه السّلام): «لم يخنك الأمين، و لكن ائتمنت الخائن».

٥- و قال (عليه السّلام): «إذا أراد الله أمرا سلب العباد عقولهم، فأنفذ أمره و تمّت إرادته.

فإذا أنفذ أمره ردّ إلى كل ذى عقل عقله، فيقول: كيف ذا و من أين ذا».

٦- و قال (عليه السّلام): «الصمت باب من أبواب الحكمة، إنّ الصمت يكسب المحبّه، إنّه دليل على كل خير».

٧- و قال (عليه السّلام): «التودّد إلى الناس نصف العقل».

٨- و قال (عليه السّلام): «إنّ الله يبغض القيل و القال و إضاعه المال و كثره السّؤال».

٩- و سئل عن خيار العباد؟ فقال (عليه السّلام): «الذين إذا أحسنوا استبشروا. و إذا

ص: ٢٤٦

١- (١) راجع فى ذلك مسند الإمام الرضا: ١٥٥/٢.

أسأوا استغفروا، و إذا اعطوا شكروا، و إذا ابتلوا صبروا، و إذا غضبوا عفوا».

١٠- و سئل (عليه السلام) عن حد التوكل؟ فقال (عليه السلام): «أن لا تخاف أحدا إلا الله».

١١- و قال (عليه السلام): «من السنّه إطعام الطعام عند الترويح».

١٢- و قال (عليه السلام): «الإيمان أربعة أركان: التوكل على الله، و الرضا بقضاء الله، و التسليم لأمر الله، و التفويض إلى الله، قال العبد الصالح: وَ أُفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ... * فَوْقَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا (١)».

١٣- و قال (عليه السلام): «صل رحمك و لو بشره من ماء. و أفضل ما توصل به الرحم كف الأذى عنها و قال في كتاب الله: لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذَى (٢)».

١٤- و قال (عليه السلام): «إن من علامات الفقه: الحلم و العلم، و الصمت باب من أبواب الحكمة إن الصمت يكسب المحبّه، إنّه دليل على كل خير».

١٥- و قال (عليه السلام): «إن الذي يطلب من فضل يكفّ به عياله أعظم أجرا من المجاهد في سبيل الله».

١٦- و قيل له: كيف أصبحت؟ فقال (عليه السلام): «أصبحت بأجل منقوص، و عمل محفوظ، و الموت في رقابنا، و النار من ورائنا، و لا ندرى ما يفعل بنا».

و نكتفى بهذه الجوله السريعه في رحاب تراثه الثر الذي لازال ينبوعا فياضا بالعلوم و المعارف الربانيه التي تأخذ المتفقه فيها الى منازل السعده.

و آخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

ص: ٢٤٧

١- (١) أراد (عليه السلام) بالعبد الصالح مؤمن آل فرعون و الآيه في سوره غافر (٤٠): ٤٤-٤٥.

٢- (٢) البقره (٢): ٢٦٦.

مقدمه المجمع العالمى لأهل البيت (عليهم السلام) ٧

الباب الأول:

الفصل الأول: الإمام الرضا (عليه السلام) فى سطور ١٧

الفصل الثانى: انطباعات عن شخصيته الإمام (عليه السلام) ١٩

الفصل الثالث: مظاهر من شخصيته الإمام الرضا (عليه السلام) ٢٥

زهده ٢٧

سخاؤه ٢٨

تكريمه للضيوف ٣١

عتقه للعبيد ٣١

احسانه الى العبيد ٣١

علمه ٣١

معرفته بجميع اللغات ٣٣

الإمام و الملاحم ٣٤

عبادته و تقواه ٣٨

تسلّحه بالدعاء ٤١

ص: ٢٤٩

الباب الثانى:

الفصل الأول:نشأه الإمام الرضا(عليه السلام) ٤٥

الفصل الثانى:مراحل حياه الإمام الرضا(عليه السلام) ٤٩

الفصل الثالث:الإمام الرضا فى ظلّ أبيه الكاظم(عليهما السلام) ٥١

١-الانحراف الفكرى و الدينى ٥١

٢-الفساد الأخلاقى و المالى ٥١

٣-الفساد السياسى ٥٢

٤-تعاطف المسلمين مع أهل البيت(عليهم السلام) ٥٢

٥-الحركات السملحه ٥٣

الإمام الكاظم(عليه السلام)و التمهيد لإمامه الرضا(عليه السلام) ٥٣

الوصيه بالإمامه ٥٥

الوصيه فى المراحل الاولى ٥٧

الوصيه فى مرحله الاعتقال ٦٠

إمامه الرضا(عليه السلام)و زمن الإعلان عنها ٦٢

الباب الثالث:

الفصل الأول:الإمام الرضا(عليه السلام)و محنه أبيه الكاظم(عليه السلام) ٦٥

الانفراج النسبى فى عهد هارون الرشيد ٦٨

التصدى للإمامه ٦٩

الفصل الثانى:مظاهر الانحراف فى عصر الإمام الرضا(عليه السلام) ٧١

الانحراف الفكرى ٧١

ص: ٢٥٠

التلاعب بأموال المسلمين ٧٥

الانحراف الأخلاقي ٧٧

الانحراف السياسي ٨١

١-الأوضاع السياسييه فى عهد هارون ٨١

أولاً:الارهاب ٨٢

ثانياً:الاستبداد ٨٤

ثالثاً:الأخطار الخارجيه ٨٤

رابعاً:اختلال الجبهه الداخليه ٨٥

٢-الأوضاع السياسييه فى عهد محمّد الأمين ٨٧

الفصل الثالث:دور الإمام الرضا(عليه السّلام)قبل ولايه العهد ٨٩

الإصلاح الفكرى و الدينى ٨٩

أولاً:الزّد على الانحرافات الفكرية ٩٠

ثانياً:نشر الأفكار السليمه ٩٣

ثالثاً:ارجاع الامه الى العلماء ٩٤

الاصلاح الاقتصادى ٩٥

الاصلاح الأخلاقى ٩٧

أولاً:احياء روح الاقتداء برسول الله(صلى الله عليه و اله) ٩٧

ثانياً:القيام بدور القدوه ٩٩

ثالثاً:الدعوه الى مكارم الأخلاق ١٠٠

رابعاً:بناء الجماعه الصالحه ١٠٢

الاصلاح السياسى ١٠٤

١-الإمام الرضا(عليه السّلام)و قياده الحركه الرساليه ١٠٤

الباب الرابع:

الفصل الأول:الإمام الرضا(عليه السلام) و ظاهره ولايه العهد ١١٧

وقائع و أحداث سياسييه قبل ولايه العهد ١١٧

الموقف السياسي للإمام الرضا(عليه السلام) ١٢٠

دوافع المأمون لفرض ولايه العهد على الإمام(عليه السلام) ١٢٢

أولا:تهدئه الأوضاع المضطربه ١٢٣

ثانيا:اضفاء الشرعيه على حكمه ١٢٤

ثالثا:منع الإمام من الدعوه لنفسه ١٢٥

رابعا:ابعاد الإمام عن قواعده ١٢٥

خامسا:إيقاف خطر الإمام على الحكم القائم ١٢٥

سادسا:تشويه سمعه الإمام(عليه السلام) ١٢٦

سابعا:تفتيت جبهه المعارضه ١٢٦

أسباب قبول الإمام(عليه السلام)بولايه العهد ١٢٧

استثمار الإمام(عليه السلام)للظروف ١٢٩

أولا:استثمار الظروف لإقامه الدين و إحياء السنّه ١٢٩

ثانيا:تعبئه الطاقات ١٣٠

ثالثا:افشال مخططات المأمون ١٣٠

رابعا:تصحيح الأفكار السياسييه الخاطئه ١٣١

كيف تحققت البيعه بولايه العهد؟ ١٣٢

فقرات من كتاب العهد بخط المأمون ١٣٣

فقرات مكتوبه بظهر كتاب العهد بخط الإمام(عليه السلام) ١٣٣

أوامر المأمون بعد البيعه ١٣٤

أحداث ما بعد البيعه ١٣٥

مكتسبات القبول بولاية العهد ١٣٧

أولاً: اعتراف المأمون بأحقية أهل البيت (عليهم السلام) ١٣٧

ثانياً: توظيف وسائل الاعلام لصالح الإمام (عليه السلام) ١٣٨

ثالثاً: حريه الإمام (عليه السلام) فى مناظره أهل الأديان و المذاهب ١٤٠

رابعاً: نشر مفاهيم أهل البيت (عليهم السلام) و فضائلهم ١٤٢

خامساً: حقن دماء أهل البيت (عليهم السلام) ١٤٤

الفصل الثانى: نشاطات الإمام الرضا (عليه السلام) بعد البيعه بولاية العهد ١٤٥

افشال خطط المأمون ١٤٥

اصلاح القضاء ١٤٦

اصلاح الأعمال الاداريه ١٤٨

نشر الآراء السديده فى داخل البلاط ١٤٩

نصائح الإمام الرضا (عليه السلام) للمأمون ١٥٠

الحفاظ على الوجود الإسلامى ١٥١

إظهار الكرامات و استثمارها فى الإصلاح ١٥٣

تشجيع الشعراء الرساليين ١٥٥

النشاطات العلميه للإمام الرضا (عليه السلام) ١٥٦

الإمام (عليه السلام) و المستقبل ١٥٨

النصّ على إمامه محمّد الجواد (عليه السلام) ١٥٩

الإعداد لدوله المهدي المنتظر - عجل الله تعالى فرجه - ١٦٢

اغتيال الإمام الرضا (عليه السلام) ١٦٦

الأدلة على شهادته مسموماً ١٦٨

أسباب إقدام المأمون على سَمِّ الإمام (عليه السلام) و اغتياله ١٦٩

ص: ٢٥٣

الفصل الثالث: مدرسة الإمام الرضا (عليه السلام)، احتجاجاته و تراثه ١٧٣

البحث الأول: مدرسة الإمام الرضا (عليه السلام) ١٧٥

البحث الثاني: احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) ١٧٨

١- حوار مع الثنويه ١٨٠

٢- حوار مع أصحاب الأديان ١٨١

٣- حوار مع علي بن الجهم ٢٠٤

٤- حوار مع صاحب الجائليق ٢٠٦

٥- حوار مع أرباب المذاهب الإسلاميه ٢٠٧

٦- حوار مع المأمون ٢١٧

٧- حوار مع متكلمي الفرق الإسلاميه ٢١٨

٨- حوار مع يحيى بن الضحاك السمرقندي ٢٢١

٩- حوار مع سليمان المروزي ٢٢٢

١٠- حوار مع فقهاء المذاهب الإسلاميه ٢٣٥

البحث الثالث: تراث الإمام الرضا (عليه السلام) ٢٣٦

في رحاب العقل و العلم و المعرفة ٢٣٨

في رحاب القرآن الكريم ٢٣٩

في رحاب التوحيد ٢٣٩

في رحاب النبوه و الأنبياء ٢٤٠

في رحاب الإمامه و الأئمه ٢٤٢

في رحاب الغدير ٢٤٤

في رحاب فقه الإمام الرضا (عليه السلام) ٢٤٥

فِي رِحَابِ مَوَاعِظِهِ وَقِصَارِ كَلِمَاتِهِ ٢٤٦

الفهرس التفصیلی ٢٤٩

ص: ٢٥٤

عنوان و نام پديدآور: اعلام الهدايه/المولف لجنه التاليف فى المعاونه الثقافيه للمجمع العالمى لاهل البيت (ع).

مشخصات نشر: بيروت: المجمع العالمى لاهل البيت (ع)، المعاونه الثقافيه، ۱۴۳۰ق = ۱۳۸۹.

مشخصات ظاهرى: ۱۴ج.

يادداشت: عربى.

يادداشت: چاپ ششم.

يادداشت: كتابنامه.

مندرجات: ج. ۱. محمد المصطفى صلى الله عليه و آله و سلم خاتم الانبياء. ج. ۲. أميرالمؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام. ج. ۳. سيده النساء فاطمه الزهراء عليه السلام. ج. ۴. الامام الحسن المجتبى عليه السلام. ج. ۵. الامام الحسين عليه السلام سيدالشهداء. ج. ۶. الامام على بن الحسين زين العابدين عليه السلام. ج. ۷. الامام محمد بن على الباقر عليه السلام. ج. ۸. الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام. ج. ۹. الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام. ج. ۱۰. الامام على بن موسى الرضا عليه السلام. ج. ۱۱. الامام محمد بن على الجواد عليه السلام. ج. ۱۲. الامام على بن محمد الهادى عليه السلام. ج. ۱۳. الامام الحسن العسكرى عليه السلام. ج. ۱۴. خاتم الاوصياء الامام المهدي عليه السلام.

موضوع: چهارده معصوم -- سرگذشتنامه

شناسه افزوده: مجمع جهانى اهل بيت (ع). معاونت فرهنگى

رده بندى كنگره: BP۳۶/الف ۵۸ ۱۳۸۹

رده بندى ديويى: ۲۹۷/۹۵

شماره كتابشناسى ملى: ۳۸۶۲۲۵۴

ص: ۱

الباب الأول:

الفصل الأول: الإمام محمّد الجواد (عليه السلام) فى سطور ١٧

الفصل الثانى: انطباعات عن شخصيه الإمام الجواد (عليه السلام) ١٩

الفصل الثالث: مظاهر من شخصيه الإمام الجواد (عليه السلام) ٢٧

الباب الثانى:

الفصل الأول: نشأه الإمام محمّد الجواد (عليه السلام) ٥١

الفصل الثانى: مراحل حياه الإمام الجواد (عليه السلام) ٥٣

الفصل الثالث: الإمام الجواد فى ظل أبيه (عليه السلام) ٥٥

الباب الثالث:

الفصل الأول: ملامح عصر الإمام الجواد (عليه السلام) ٩١

الفصل الثانى: الإمام الجواد (عليه السلام) و حكم عصره ١١٧

الفصل الثالث: متطلبات عصر الإمام الجواد (عليه السلام) ١٤٣

الباب الرابع:

الفصل الأول: الإمام الجواد (عليه السلام) و متطلبات الساحة الإسلاميه العامه ١٤٩

الفصل الثانى: الإمام الجواد (عليه السلام) و متطلبات الجماعه الصالحه ١٦٧

الفصل الثالث: مدرسه الإمام محمّد الجواد (عليه السلام) و تراثه ١٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداه لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء و سيد الرسل و الأصفياء أبو القاسم المصطفى محمد (صلى الله عليه و آله) و على آله الميامين النجباء.

لقد خلق الله الانسان و زوده بعنصرى العقل و الإرادة، فبالعقل يبصر و يكتشف الحق و يميزه عن الباطل، و بالإرادة يختار ما يراه صالحا له و محققا لأغراضه و أهدافه.

و قد جعل الله العقل المميز حجه له على خلقه، و أعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته؛ فإنه هو الذى علم الإنسان ما لم يعلم، و أرشده إلى طريق كماله اللائق به، و عرفه الغايه التى خلقه من أجلها، و جاء به إلى هذه الحياه الدنيا من أجل تحقيقها.

و أوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحه معالم الهدايه الربانيه و آفاقها و مستلزماتها و طرقها، كما بين لنا عللها و أسبابها من جهه، و أسفر عن ثمارها و نتائجها من جهه اخرى.

قال تعالى:

ص: ٧

قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى [الانعام(٦):٧١].

وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [البقره(٢):٢١٣].

وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ [الاحزاب(٣٣):٤].

وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [آل عمران(٣):١٠١].

قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ [يونس(١٠):٣٥].

وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَ يَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ [سبأ(٣٤):٦].

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ [القصص(٢٨):٥٠].

فالله تعالى هو مصدر الهدايه. و هدايته هي الهدايه الحقيقيه، و هو الذي يأخذ بيد الانسان إلى الصراط المستقيم و إلى الحق القويم.

و هذه الحقائق يؤيدها العلم و يدر كها العلماء و يخضعون لها بملء وجودهم.

و لقد أودع الله في فطره الانسان النزوع إلى الكمال و الجمال ثم منّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به، و أسبغ عليه نعمه التعرّف على طريق الكمال، و من هنا قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات(٥١):٥٦]. و حيث لا- تتحقّق العباده الحقيقيه من دون المعرفه، صارت المعرفه و العباده طريقا منحصرًا و هدفا و غايه موصله إلى قمّه الكمال.

و بعد أن زوّد الله الانسان بطاقتي الغضب و الشهوه ليحقّق له و قود الحركه نحو الكمال؛ لم يؤمن عليه من سيطره الغضب و الشهوه؛ و الهوى الناشئ منهما، و الملازم لهما فمن هنا احتاج الانسان-بالإضافه إلى عقله و سائر أدوات المعرفه- الى ما يضمن له سلامه البصيره و الرؤيه؛ كي تتمّ عليه الحجّه، و تكمل نعمه الهدايه،

و تتوفّر لديه كلّ الأسباب التي تجعله يختار طريق الخير و السعاده، أو طريق الشرّ و الشقاء بملء إرادته.

و من هنا اقتضت سنّه الهدايه الربّانيه أن يسند عقل الانسان عن طريق الوحي الإلهي، و من خلال الهداه الذين اختارهم الله لتولّي مسؤوليه هدايه العباد و ذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفه و إعطاء الارشادات اللازمه لكلّ مرافق الحياه.

و قد حمل الأنبياء و أوصياؤهم مشعل الهدايه الربّانيه منذ فجر التاريخ و على مدى العصور و القرون، و لم يترك الله عباده مهملين دون حجه هاديه و علم مرشد و نور مضىء، كما أفصحت نصوص الوحي-مؤيّده لدلائل العقل- بأنّ الأرض لا تخلو من حجه لله على خلقه، لئلا يكون للناس على الله حجه، فالحجه قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق، و لو لم يبق في الأرض إلاّ اثنان لكان أحدهما الحجه، و صرح القرآن-بشكل لا يقبل الريب-قائلاً: **إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** [الرعد(١٣):٧].

و يتولّي أنبياء الله و رسله و أوصياؤهم الهداه المهديون مهمه الهدايه بجميع مراتبها، و التي تتلخّص في:

١- تلقّي الوحي بشكل كامل و استيعاب الرساله الإلهيه بصوره دقيقه. و هذه المرحله تتطلّب الاستعداد التام لتلقّي الرساله، و من هنا يكون الاصطفاء الإلهي لرسله شأنًا من شؤونه، كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلاً: **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** [الانعام(٦):١٢٤] **وَ اللَّهُ يَجْتَبِي مَنْ يَرْسُلُهُ مَنْ يَشَاءُ** [آل عمران(٣):١٧٩].

٢- إبلاغ الرساله الإلهيه الى البشريه و لمن ارسلوا إليه، و يتوقّف الإبلاغ على الكفاءه التامه التي تتمثّل في «الاستيعاب و الإحاطه اللازمه» بتفاصيل

الرساله و أهدافها و متطلباتها، و«العصمه» عن الخطأ و الانحراف معا، قال تعالى:

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ [البقره (٢): ٢١٣].

٣- تكوين امه مؤمنه بالرساله الإلهيه، و إعدادها لدعم القياده الهاديه من أجل تحقيق أهدافها و تطبيق قوانينها فى الحياه، و قد صرحت آيات الذكر الحكيم بهذه المهمه مستخدمه عنوانى التزكيه و التعليم، قال تعالى: يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ [الجمعه (٦٢): ٢] و التزكيه هي التريبه باتجاه الكمال اللائق بالإنسان. و تتطلب التريبه القدوه الصالحه التى تتمتع بكل عناصر الكمال، كما قال تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [الاحزاب (٣٣): ٢١].

٤- صيانه الرساله من الزيغ و التحريف و الضياع فى الفتره المقرره لها، و هذه المهمه أيضا تتطلب الكفاءه العلميه و النفسيه، و التى تسمى بالعصمه.

٥- العمل لتحقيق أهداف الرساله المعنويه و تثبيت القيم الأخلاقيه فى نفوس الأفراد و أركان المجتمعات البشريه و ذلك بتنفيذ الاطروحه الربانيه، و تطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشرى من خلال تأسيس كيان سياسى يتولى إداره شؤون الامه على أساس الرساله الربانيه للبشريه، و يتطلب التنفيذ قياده حكيمة، و شجاعه فائقه، و صمودا كبيرا، و معرفه تامه بالنفوس و بطبقات المجتمع و التيارات الفكرية و السياسيه و الاجتماعيه و قوانين الإدارة و التريبه و سنن الحياه، و نلخصها فى الكفاءه العلميه لإداره دوله عالميه دينيه، هذا فضلا عن العصمه التى تعبر عن الكفاءه النفسيه التى تصون القياده الدينيه من كل سلوك منحرف أو عمل خاطئ بإمكانه أن يؤثر تأثيرا سلبيا على مسيره القياده و انقياد الامه لها بحيث يتنافى مع أهداف الرساله و أغراضها.

وقد سلك الأنبياء السابقون و أوصياؤهم المصطفون طريق الهدايه الدامى، و اقتحموا سبيل التربيه الشاق، و تحمّلوا فى سبيل أداء المهام الرساليه كلّ صعب، و قدّموا فى سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهيه كلّ ما يمكن أن يقدمه الإنسان المتفانى فى مبدئه و عقيدته، و لم يتراجعوا لحظه، و لم يتلكؤا طرفه عين.

و قد توجّ الله جهودهم و جهادهم المستمرّ على مدى العصور برساله خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه و آله) و حمّله الأمانه الكبرى و مسؤوليه الهدايه بجميع مراتبها، طالبا منه تحقيق أهدافها. و قد خطا الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و آله) فى هذا الطريق الوعر خطوات مدهشه، و حقّق فى أقصر فتره زمنيّه أكبر نتاج ممكن فى حساب الدعوات التغييريه و الرسالات الثوريّه، و كانت حصيله جهاده و كدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلى:

١- تقديم رساله كامله للبشريه تحتوى على عناصر الديمومه و البقاء.

٢- تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ و الانحراف.

٣- تكوين امه مسلمه تؤمن بالإسلام مبدأ، و بالرسول قائدا، و بالشريعه قانونا للحياه.

٤- تأسيس دوله إسلاميه و كيان سياسىّ يحمل لواء الإسلام و يطبّق شريعه السماء.

٥- تقديم الوجه المشرق للقياده الربانيه الحكيمه المتمثله فى قيادته (صلّى الله عليه و آله).

و لتحقيق أهداف الرساله بشكل كامل كان من الضرورى:

أ- أن تستمرّ القياده الكفوءه فى تطبيق الرساله و صيانتها من أيدي العابثين الذين يتربصون بها الدوائر.

ب- أن تستمرّ عملية التربيّه الصحيحه باستمرار الأجيال؛ على يد مربّ كفوء علميا و نفسيا حيث يكون قدوه حسنه فى الخلق و السلوك كالرسول (صلّى الله عليه و آله)، يستوعب الرساله و يجسدها فى كل حرركاته و سكناته.

و من هنا كان التخطيط الإلهيّ يحتمّ على الرسول (صلّى الله عليه و آله) إعداد الصفوه من أهل بيته، و التصريح بأسمائهم و أدوارهم؛ لتولى مهمه إدامه الحركه النبويّه العظيمة و الهدايه الربانيه الخالده بأمر من الله سبحانه و صيانه للرساله الإلهيه التى كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين و كيد الخائنين، و تربيّه للأجيال على قيم و مفاهيم الشريعه المباركه التى تولّوا تبين معالمها و كشف أسرارها و ذخائرها على مرّ العصور، و حتى يرث الله الأرض و من عليها.

و تجلّى هذا التخطيط الربانيّ فى ما نصّ عليه الرسول (صلّى الله عليه و آله) بقوله: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله و عترتي، و إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

و كان أئمه أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عزّفهم النبيّ الأكرم (صلّى الله عليه و آله) بأمر من الله تعالى لقياده الامّه بعده.

إنّ سيره الأئمه الاثني عشر من أهل البيت (عليهم السّلام) تمثّل المسيره الواقعيه للإسلام بعد عصر الرسول (صلّى الله عليه و آله)، و دراسه حياتهم بشكل مستوعب تكشف لنا عن صورته مستوعبه لحركه الإسلام الأصيل الذى أخذ يشقّ طريقه إلى أعماق الامه و وجدانها بعد أن أخذت طاقتها الحراريه تتضاءل بعد وفاه الرسول (صلّى الله عليه و آله)، فأخذ الأئمه المعصومون (عليهم السّلام) يعملون على توعيه الامه و تحريك طاقتها باتجاه إيجاد و تصعيد الوعي الرساليّ للشريعه و لحركه الرسول (صلّى الله عليه و آله) و ثورته المباركه، غير خارجين عن مسار السنن الكونيه التى تتحكّم فى سلوك القياده و الامه جمعا.

و تبلورت سيره الأئمة الراشدين في استمرارهم على نهج الرسول العظيم و انفتاح الامه عليهم و التفاعل معهم كأعلام للهدايه و مصابيح لإناره
الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلاء على الله لنيل مرضاته، و المستقرّين في أمر الله، و التأمين في محبته، و الذائبين في الشوق
اليه، و السابقين إلى تسلق قمم الكمال الإنساني المنشود.

و قد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد و الصبر على طاعه الله و تحمّل جفاء أهل الجفاء حتّى ضربوا أعلى أمثله الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالى، ثم
اختاروا الشهاده مع العزّ على الحياه مع الدّل، حتى فازوا بقاء الله سبحانه بعد كفاح عظيم و جهاد كبير.

و لا يستطيع المؤرّخون و الكتّاب أن يلمّوا بجميع زوايا سيرتهم العطره و يدّعوا دراستها بشكل كامل، و من هنا فإنّ محاولتنا هذه إنّما هي إعطاء
قبسات من سيرتهم و سلوكهم و مواقفهم التي دوّنها المؤرّخون و استطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسه و التحقيق، عسى الله أن ينفع بها
إنّه وليّ التوفيق.

إنّ دراستنا لحركه أهل البيت (عليهم السّلام) الرساليه تبدأ برسول الإسلام و خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه و آله) و تنتهي بخاتم
الأوصياء، محمد بن الحسن العسكري المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه و أنار الأرض بعدله.

و يختص هذا الكتاب بدراسه حياه الإمام محمّد بن علي الجواد (عليه السّلام) تاسع أئمه أهل البيت (عليهم السّلام) بعد رسول الله (صلّى الله عليه و
آله) و هو المعصوم الحادي عشر من أعلام الهدايه و الذي تمثلت كل جوانب الشريعه في حياته فكرا و خلقا و سلوكا فكان نبّراسا و مثالا أعلى
للشريه بعد سيّد المرسلين و آباؤه الطاهرين الذين أذهب الله عنهم

الرجس و طهرهم تطهيرا.

و لا بد لنا من تقديم الشكر الى كل الاخوه الأعماء الذين بذلوا جهدا وافرا و شاركوا في إنجاز هذا المشروع المبارك و إخراجة إلى عالم النور، لا سيما أعضاء لجنة التأليف بإشراف سماحة السيد منذر الحكيم حفظه الله تعالى.

و لا يسعنا إلا أن نبتهل الى الله تعالى بالدعاء و الشكر لتوفيقه على إنجاز هذه الموسوعة المباركة فإنه حسبنا و نعم النصير.

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

قم المقدسه

ص: ١٤

الباب الأول

إشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

الإمام محمّد الجواد (عليه السّلام) فى سطور

الفصل الثّانى:

انطباعات عن شخصيه الإمام الجواد (عليه السّلام)

الفصل الثّالث:

مظاهر من شخصيه الإمام الجواد (عليه السّلام)

ص: ١٥

الإمام أبو جعفر محمد بن علي الجواد (عليه السلام) هو التاسع من أئمة أهل البيت الذين أوصى إليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) -بأمر من الله سبحانه- لتولي مهام الإمامة والقيادة من بعده، بعد أن نص القرآن على عصمتهم و تواترت السنه الشريفه بذلك.

و تجسدت في شخصيه هذا الإمام العظيم-كسائر آبائه الكرام-جميع المثل العليا و الاخلاق الرفيعه التي تؤهل صاحبها للإمامه الرساليه و الزعامه الربانيه.

و تقلد الإمامه العامه و هو في السابعه من عمره الشريف و ليس في ذلك ما يدعو إلى العجب فقد تقلد عيسى بن مريم (عليه السلام) النبوه و هو في المهده.

لقد أثبت التاريخ من خلال هذه الإمامه المبكره صحه ما تذهب اليه الشيعة الإماميه في الإمامه بأنه منصب إلهي يهبه الله لمن يشاء ممن جمع صفات الكمال في كل عصر، فقد تحدى الإمام الجواد (عليه السلام) -على صغر سنّه- أكابر علماء عصره و علاهم بحجته بما أظهره الله على يديه من معارف و علوم أذعن لها علماء و حكّام عصره.

و قد احتفى به (عليه السلام) -و هو ابن سبع سنين- كبار العلماء و الفقهاء و الرواه و انتهلوا من نمير علمه و رووا عنه الكثير من المسائل العقائديه- الفلسفيه

و الكلاميه-و الفقيهيه و التفسيريه الى جانب عطائه فى سائر مجالات المعرفه البشريه.

وقد سار هذا الإمام العظيم على نهج أبيه من القيام برعايه الشيعة و تربيتهم علميا و روحيا و سياسيا بما يجعلهم قادرين على الاستمرار فى المسيره التى خططها لهم أئمتهم المعصومون حيث تنتظرهم الأيام المقبله التى تتميز بالانقطاع عن أئمتهم فكان لا بدّ لهم أن يقتربوا من حاله الاكتفاء الذاتى فى إداره شؤونهم فكريا و سياسيا و اجتماعيا و اقتصاديا.

أجل، لقد استطاع هذا الإمام-العظيم بالرغم من قصر عمره الشريف-أن يحقق أهدافا كبرى تصبّ فى الرافد الذى ذكرناه.

و يدل استشهاده-و هو فى الخامسة و العشرين من عمره-على مدى نجاحه فى حركته و تخطيطه حيث أربك حضوره فى الساحة الاجتماعيه الإسلاميه الحكام الطغاه و اضطّرهم لاغتياله و القضاء على نشاطه البناء.

ص: ١٨

إنّ مواهب الإمام التّقي محمّد بن علي الجواد (عليه السّلام) قد ملكت عقول كل من عاصره و تطّلع الي شخصيته العملاقه و اطلع علي عظمه فكره و كمال علمه. و كل من كان يراه لم يقدر أن يتمالك نفسه أمامه و يخرج من عنده إلاّ و الإعجاب و الخضوع يتسابق بين يديه.

و هنا نشير الي بعض ما وصلنا من معالم عظمته و سموّ شخصيته علي لسان من عاصره ثم من كتب عنه و أرّخ له.

١- والده الإمام الرضا (عليه السّلام): لقد وصف الإمام الرضا (عليه السّلام) ابنه الجواد بما يلي:

أقال عنه قبل ولادته للحسين بن بشار: «و الله لا تمضي الأيام و الليالي حتى يرزقني الله ولدا ذكرا يفرق به بين الحقّ و الباطل» (١).

و زاد في نص آخر: «حتى يولد ذكر من صلبى يقوم مثل مقامى يحيى الحق و يمحى الباطل» (٢).

ص: ١٩

١- (١) الكافي: ١/٣٢٠، و الارشاد: ٢/٢٧٧.

٢- (٢) رجال الكشي: ٤٦٣.

ب-و قال عنه بعد ولادته: «هذا المولود الذي لم يولد مولود أعظم بركه على شيعتنا منه» (١).

ج-و قال أيضا: «هذا أبو جعفر قد أجلسه مجلسي وصيرته مكاني» (٢).

د-و قال أيضا لصفوان بن يحيى: «كان أبو جعفر محدّثا» (٣).

٢-على بن جعفر (عمّ أبيه): «قال محمد بن الحسن بن عمّار: دخل أبو جعفر محمد بن علي الرضا (عليه السّلام) مسجد الرسول (صلّى الله عليه وآله) فوثب علي بن جعفر بلا حذاء ولا رداء، فقبّل يديه وعظّمه. فقال له أبو جعفر: يا عمّ اجلس رحمك الله، فقال: يا سيدي كيف أجلس وأنت قائم؟!»

فلما رجع علي بن جعفر الى مجلسه جعل أصحابه يوبّخونه ويقولون: أنت عمّ أبيه وأنت تفعل به هذا الفعل؟!»

فقال: اسكتوا إذا كان الله عزّ وجلّ وقبض علي لحيته -لم يؤهل هذه الشبيهة وأهل هذا الفتى و وضعه حيث وضعه، انكر فضله؟! انعوذ بالله ممّا تقولون! بل أنا له عبد» (٤).

٣-قال الشيخ المفيد: وكان المأمون قد شغف بأبي جعفر (عليه السّلام) لما رأى من فضله مع صغر سنّه و بلوغه في العلم والحكمه والأدب و كمال العقل ما لم يساوه فيه أحد من مشايخ أهل الزمان، فزوّجه ابنته أمّ الفضل و حملها معه الى المدينة، و كان متوقّرا على إكرامه و تعظيمه و إجلال قدره (٥).

ص: ٢٠

١- ((١)) الكافي: ٣٢١/١.

٢- ((٢)) الكافي: ٣٢١/١.

٣- ((٣)) اثبات الوصيه: ٢١٢.

٤- ((٤)) الكافي: ٣٢٢/١.

٥- ((٥)) الارشاد: ٢٨١/٢.

وقال فى وصف الإمام أبى جعفر (عليه السّلام) حينما أراد تزويجه و اعترض عليه العباسيون: «و أما أبى جعفر محمد بن على قد اخترته لتبريزه على كافه أهل الفضل فى العلم و الفضل مع صغر سنّه و الاعجوبه فيه بذلك.. ثم قال لهم: و يحكم إنى أعرف بهذا الفتى منكم، و إنّ هذا من أهل بيت علمهم من الله، و مواده و إلهامه، لم يزل آباؤه أغنياء فى علم الدين و الأدب عن الرعايا الناقصه عن حدّ الكمال(١)».

وقال له المأمون أيضا بعد أول لقاء معه بعد وفاه أبيه الرضا (عليه السّلام) و بعد أن اختبره—و الإمام لم يتجاوز العقد الأول من عمره—: «أنت ابن الرضا حقا و من بيت المصطفى صدقا و أخذه معه و أحسن اليه و قرّبه و بالغ فى إكرامه و إجلاله و إعظامه».

٤—و عزى أبو العيّن ابن الرضا (عليه السّلام) عن أبيه (عليه السّلام) فقال له: «أنت تجلّ عن وصفنا و نحن نقلّ عن عظتك، و فى علم الله ما كفاك، و فى ثواب الله ما عزّاك»(٢).

٥—و قال عنه العلامة سبط ابن الجوزى الحنفى المتوفى سنة (٦٥٤ هـ):

«و محمد، الإمام أبو جعفر الثانى كان على منهاج أبيه فى العلم و التقى و الزهد و الجود.. و كان يلقّب بالمرتضى و القانع...»(٣)

٦—و قال عنه الشيخ كمال الدين محمد بن طلحه الشافعى المتوفى سنة (٦٥٢ هـ): «و ان كان صغير السن فهو كبير القدر رفيع الذكر..

و قال أيضا: مناقب أبى جعفر محمد الجواد ما اتسعت حلّبات مجالها و لا

ص: ٢١

١— (١) الإرشاد: ٢٨٢/٢.

٢— (٢) المناقب: ٣٦٢/٤.

٣— (٣) تذكرة الخواص: ٣٥٨—٣٥٩.

امتدّت أوقاف آجالها بل قضت عليه الأقدار الإلهيه بقّله بقائه في الدنيا بحكمها و سجالها فقلّ في الدنيا مقامه و عجل عليه فيها حمامه فلم تطل لياليه و لا امتدّت أيامه غير أن الله خصّه بمنقبه أنوارها متألقه في مطالع التعظيم و أخبارها مرتفعه في معارج التفضيل و التكريم.. ثم ذكر تلك المنقبه التي اعترف بعدها المأمون له بالفضل و السموّ(١).

٧-و أدلى على بن عيسى الأربلي المتوفى سنة (٦٩٣هـ) في حقّه و شأنه(عليه السّلام) بكلمات أعرب فيها عن عمق ايمانه به و ولائه له صلوات الله عليه، فقال:

«الجواد(عليه السّلام) في كل أحواله جواد، و فيه يصدق قول اللغوي: جواد من الجوده من أجواد، فاق الناس بطهاره العنصر، و زكاء الميلاد، و افترع قلّه العلاء فما فاز به أحد و لا كاد.

مجده عالي المراتب، و مكانته الرفيعه تسمو على الكواكب، و منصبه يشرف على المناصب، إذا آنس الوفد ناراً قالوا: ليتها ناره، لا نار غالب.

له إلى المعالي سموّ، و إلى الشرف رواح و غدوّ، و في السيادة إغراق و غلوّ، و على هام السماك ارتفاع و علوّ، و من كل رذيله بعد، و إلى كل فضيله دنوّ.

تتأزج المكارم من أعطافه، و يقطر المجد من أطرافه، و تروى اخبار السماح عنه و عن أبنائه و أسلافه، فطوبى لمن سعى في ولائه، و الويل لمن رغب في خلافه.

إذا اقتسمت غنائم المجد و المعالي و المفاخر كان له صفاياها، و إذا امتطيت غوارب السؤدد كان له أعلاها و أسماها.

ص: ٢٢

يبارى الغيث جوداً و عطية، و يجارى الليث نجده و حميه، و يبذ السير سيره رضيه، مرضيه سريه.

إذا عدّد آباؤه الكرام، و أبناؤه (عليهم السّلام) نظم اللّثالي الأفراد في عدّه، و جاء بجماع المكارم في رسمه و حدّه، و جمع أشتات المعالي فيه، و في آباءه من قبله، و في أبناؤه من بعده، فمن له أب كأبيه أو جد كجدّه؟!.

فهو شريكهم في مجدهم، و هم شركاؤه في مجده، و كما ملأوا أيدي العفاه برفدهم، ملأ أيديهم برفده...

بهم أتضح سبل الهدى، و بهم سلم من الردى، و بحبهم ترجى النجاه و الفوز غداً، و هم أهل المعروف، و أولوا الندى.

كلّ المدائح دون استحقاقهم، و كلّ مكارم الأخلاق مأخوذة من كريم أخلاقهم و كلّ صفات الخير مخلوقه في عنصرهم الشريف و أعراقهم، فالجنه في وصالهم، و النار في فراقهم.

و هذه الصفات تصدق على الجمع و الواحد، و تثبت للغائب منهم و الشاهد، و تنتزل على الولد منهم و الوالد.

حبهم فريضه لازمه، و دولتهم باقيه دائمه، و أسواق سؤددهم قائمه، و ثغور محبيهم باسمه، و كفاهم شرفاً أن جدّهم محمد، و أبوهم على، و أمّهم فاطمه (عليهم السّلام) (١).

فمن يجاريهم في الفخر؟! و من يسابقهم في علو القدر؟

و ما تركوا غايه إلا انتهوا إليها سابقين، و لا مرتبه سؤدد إلا ارتفقوها آمنين من اللاحقين، و هذا حقّ اليقين بل عين اليقين.

ص: ٢٣

١- (١) راجع كشف الغمّه في معرفه الأئمه: الإمام محمّد الجواد: ٢/٣٧٠-٣٧١.

الناس كلهم عيال عليهم ومنتسبون انتساب العبودية اليهم.

عنهم اخذت المآثر، ومنهم تعلّمت المفاخر، و بشر فهم شرف الأوّل و الآخر.

و لو اطلت في صفاتهم لم آت بطائل، و لو حاولت حصرها نادتنى الثريا: من يد المتناول؟ و كيف تطبيق حصر ما عجز عنه الأواخر و الأوائل؟»

٨- و قال الذهبي: «كان محمّد يلقّب بالجواد و بالقانع و المرتضى، و كان من سروات آل بيت النبي (صلّى الله عليه و آله).. و كان أحد الموصوفين بالسخاء فلذلك لُقّب بالجواد...» (١).

٩- و قال عنه ابن الصبّاغ المالكي المتوفى سنة (٨٥٥هـ): «و هو الإمام التاسع.. عرف بأبي جعفر الثاني، و إن كان صغير السن فهو كبير القدر رفيع الذكر القائم بالإمامه بعد علي بن موسى الرضا.. للنص عليه و الإشاره له بها من أبيه كما أخبر بذلك جماعه من الثقات العدول» (٢).

١٠- و قال الشيخ عبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي الشافعي المتوفى سنة (١١٥٤هـ): التاسع من الأئمه محمد الجواد... ثم ذكر نسب الإمام و ولادته سنة (١٩٥هـ) ثم قال: و كراماته رضى الله عنه كثيره و مناقبه شهيره، ثم ذكر بعض مناقبه و ختم حديثه بقوله: و هذا من بعض كراماته الجليله و مناقبه الجميله (٣).

١١- و قال عنه يوسف اسماعيل النبهاني: «محمد الجواد بن علي الرضا أحد أكابر الأئمه و مصابيح الامه من ساداتنا أهل البيت...» (٤).

ص: ٢٤

١- ((١)) تاريخ الإسلام: ٨، و الوافي بالوفيات ٤: ١٠٥.

٢- ((٢)) الفصول المهمه: ٢٥١.

٣- ((٣)) الاتحاف بحب الأشراف: ١٦٨.

٤- ((٤)) جامع كرامات الأولياء: ١٠٠/١.

١٢- وصفه محمود بن وهيب البغدادي بقوله: «هو الوارث لأبيه علما و فضلا و أجل إخوته قدرا و كمالا...» (١).

١٣- ذكره الفضل بن روزبهان المتوفى سنة (٩٢٧هـ) في شرحه للصلوات التي أنشأها لبيان فضل النبي (صلى الله عليه و آله) و أهل بيته الطاهرين فقال ما نصّه:

«اللهم و صلّ و سلّم على الإمام التاسع الأئمة السجّاد، الفائق في الجود على الأجداد، مانح العطايا و الأوفاد لعامة العباد، ما حى الغوايه و العناد، قامع أرباب البغى و الفساد، صاحب معالم الهدايه و الإرشاد إلى سبل الرشاد، المقتبس من نور علومه الأفراد من الأبدال و الأوتاد أبى جعفر محمّد التقى الجواد بن على الرضا ساكن روضه الجنه بأنعم العيش، المقبور عند جدّه بمقابر قريش، اللهم صلّ على سيّدنا محمد و آل سيّدنا سيّما الإمام السجّاد محمد التقى الجواد» (٢).

١٤- و قال عنه خير الدين الزركلى: «كان رفيع القدر كأسلافه ذكيا طلق اللسان قوى البديهة..»

و للديلى محمد بن وهبان كتاب فى سيرته سمّاه: «أخبار أبى جعفر الثانى» (٣).

هذه بعض النصوص التى أدلى بها معاصر و الإمام الجواد (عليه السلام) و من جاء بعدهم فى القرون اللاحقه و هى تمثّل إعجابهم بمواهب الإمام و شخصيته الفذة التى تحكى شخصيته آباءه الكرام الذين حملوا مشاعل الهدايه و أعلامها بعد خاتم المرسلين محمد (صلى الله عليه و آله).

ص: ٢٥

١- (١) جوهره الكلام: ١٤٧.

٢- (٢) راجع: شرح الصلوات للفضل بن روزبهان، و قد سمّاه بوسيله الخادم الى المخدوم أيضا.

٣- (٣) الاعلام: ١٥٥/٧.

إشاره

مظاهر من شخصيته الإمام الجواد (عليه السلام)

لا ريب في أن فضائل الأئمة الإثني عشر المعصومين (عليهم السلام) -و الإمام الجواد منهم- كثيرة لا تحصى، كيف وقد اختارهم الله تعالى للإمامه على علم، وهذا الاختيار يكشف عن اختصاصهم بكمالات و مناقب تفردوا بها و امتازوا عن من سواهم و بذلك جعلهم حججه على خلقه و امانه على وحيه.

و لكن لم يصل إلينا -للأسف الشديد- من تلك الفضائل و المآثر الخاصه بكل إمام إلا الشيء القليل و النزر اليسير، بسبب الظروف القاسيه التي مرّ بها أهل البيت (عليهم السلام) و اتباعهم المعيتون بنقل تراثنا الاسلامى المجيد.

إن الإرهاب الفكرى و التصفيه الجسديه التي مارستها السلطات الجائره ضد أئمه أهل البيت (عليهم السلام) و ضد أتباعهم و كل من كان يحاول ان يكشف عن شيء من سيرتهم العطره، كان كافيا لضياح هذا التراث العظيم و العطاء الكبير.

و سنورد في هذا الفصل اشارات الى بعض ما ورد في أحوال الإمام الجواد (عليه السلام) و مناقبه و مكارم أخلاقه.

أ- تكلمه في المهدي:

ذكر المؤرخون أن الإمام الجواد (عليه السلام) تشهّد الشهادة لئما ولد، و انه حمد الله تعالى و صلّى على الرسول الاكرم (صلّى الله عليه و آله) و الأئمه الراشدين في يومه الثالث.

فعن حكيمه ابنه موسى بن جعفر الكاظم (عليهما السلام) قالت: «لَمَّا حملت ام أبي جعفر الجواد (عليه السلام) به كتبت اليه [يعنى: الى الإمام الرضا (عليه السلام)]: «جارتك سيكه قد علقت. فكتب الي: أنها علقت ساعه كذا، من يوم كذا، من شهر كذا، فإذا هي ولدت فالزميها سبعة أيام.

قالت: فلما ولدته، وسقط الى الأرض، قال: اشهد ان لا إله إلا الله، و ان محمدا رسول الله.

فلما كان اليوم الثالث، عطس، فقال: الحمد لله، و صلى الله على محمد و على الأئمة الراشدين» (١).

و أيضا قالت: «لما حضرت ولاده الخيزران ام أبي جعفر (عليه السلام) دعاني الرضا (عليه السلام)، فقال: يا حكيمه احضري ولادتها، و ادخلي و إياها و القابله بيتا.

و وضع لنا مصباحا، و أغلق الباب علينا، فلما أخذها الطلق طفئ المصباح، و بين يديها طست، فاغتمت بطفئ المصباح.

فبينما نحن كذلك، إذ بدر أبو جعفر (عليه السلام) في الطست، و اذا عليه شيء رقيق كهيئه الثوب يسطع نوره حتى أضاء البيت، فأبصرناه، فأخذته فوضعت في حجرى، و نزعت عنه ذلك الغشاء، فجاء الرضا (عليه السلام) و فتح الباب، و قد فرغنا من أمره، فأخذه و وضعه في المهد، و قال لى: يا حكيمه الزمى مهده.

قالت: فلما كان فى اليوم الثالث رفع بصره الى السماء ثم نظر يمينه و يساره، ثم قال: أشهد ان لا إله إلا الله، و اشهد ان محمدا رسول الله، فقامت ذعره فرعه، فأتيت أبا الحسن (عليه السلام) فقلت له: لقد سمعت من هذا الصبي عجا. فقال:

و ما ذاك؟ فأخبرته الخبر، فقال: يا حكيمه، ما ترون من عجائبه اكثر» (٢).

ص: ٢٨

١- ((١)) مستدرک عوالم العلوم: ١٥١/٢٣-١٥٢.

٢- ((٢)) مستدرک عوالم العلوم: ١٥١/٢٣-١٥٢.

أصبح الإمام الجواد (عليه السلام) خليفة الله تعالى في خلقه وإماما لهم و هو لم يزل حديث السن، و ذلك ما اقتضته مشيئته الله -جلّ جلاله- مثلما اقتضت ذلك مع عيسى و سليمان (عليهما السلام). و قد أثارت حدائثه سنه (عليه السلام) استغراب بعض الناس و تشكيكهم، الأمر الذي دعا الإمام الجواد (عليه السلام) الى توضيح الامر لهم، و هو ما نجده في الروايات الآتية:

١- قال الراوى: قلت له (لأبى جعفر الثانى (عليه السلام)): انهم يقولون فى حدائثه سنك، فقال: «ان الله تعالى أوحى الى داود أن يستخلف سليمان و هو صبى يرعى الغنم، فأنكر ذلك عبّاد بنى اسرائيل و علماءهم، فأوحى الله الى داود (عليه السلام) أن خذ عصى المتكلمين و عصا سليمان و اجعلها فى بيت و اختم عليها بخواتيم القوم فاذا كان من الغد، فمن كانت عصاه قد أورقت و أثمرت فهو الخليفة، فأخبرهم داود (عليه السلام) فقالوا: قد رضينا و سلّمنا» (١).

٢- قال الراوى: رأيت أبا جعفر (عليه السلام) و قد خرج على فأخذت أنظر اليه و جعلت انظر الى رأسه و رجله، لأصف قامته لأصحابنا بمصر، فبينما أنا كذلك حتى قعد، فقال: «يا على! ان الله احتج فى الإمامه بمثل ما احتج به فى النبوه، فقال:

وَ آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (٢) وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ (٣) وَ بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً (٤) فقد يجوز أن يؤتى الحكمه و هو صبى و يجوز أن يؤتاها و هو ابن الأربعين سنه» (٥).

١- ((١)) اصول الكافي: ٣١٤/١.

٢- ((٢)) مريم (١٩): ١٢.

٣- ((٣)) القصص (٢٨): ١٤.

٤- ((٤)) الأحقاف (٤٦): ١٥.

٥- ((٥)) اصول الكافي: ٣١٥/١.

٣-قال الراوى لأبى جعفر(عليه السّلام):يا سيدى ان الناس ينكرون عليك حدائنه سنك،فقال:«و ما ينكرون من ذلك قول الله عز و جل،لقد قال الله عزّ و جلّ لنبيه(صلى الله عليه و آله):

قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي (١)فوالله ما تبعه إلا على(عليه السّلام) و له تسع سنين و انا ابن تسع سنين»(٢).

ج-علمه:

اشاره

لا بدّ للإمام من أن يكون واسع العلم و المعرفه،فهو أعلم أهل زمانه، و أدراهم بشؤون الشريعة و أحكام الدين مع الإحاطه بالنواحي السياسيه و الاداريه و غير ذلك مما يحتاج اليه الناس.و قد دلّ الإمام الجواد(عليه السّلام)بنفسه على ذلك، إذ خاض -و هو فى سنّه المبكر-فى مختلف العلوم،و سأله العلماء و الفقهاء عن أعقد المسائل الشرعيه و العلميه فأجاب عنها بكل احاطه و دقه مما أدى ذلك الى انتشار مذهب أهل البيت(عليهم السّلام)و تزايد الاقبال عليه فى ذلك العصر و ذهب كثير من العلماء الى القول بالإمامه(٣).

و قبل ان نشير الى شىء من علمه(عليه السّلام)لا بد أن نشير الى مصادر هذا العلم الربانى الذى امتاز به أهل البيت(عليهم السّلام).

١-روى المسعودى عن عبد الرحمن بن محمد عن كلثم بن عمران أنه قال:قلت للرضا(عليه السّلام):أنت تحبّ الصبيان فادع الله أن يرزقك ولدا.فقال:«إنما ارزق ولدا واحدا و هو يرثنى.فلما ولد أبو جعفر كان طول ليلته يناغيه فى مهده، فلما طال ذلك على عدّه ليال،قلت:جعلت فداك قد ولد للناس أولاد قبل هذا فكل هذا

ص: ٣٠

١- (١) يوسف(١٢):١٠٨.

٢- (٢) اصول الكافي:١/٣١٥.

٣- (٣) حياه الإمام الجواد:٦٦.

تعوّذه! فقال: ويحك! ليس هذا عوذّه إنّما أغرّه بالعلم غرّاً» (١).

٢- وقد لا- حظنا فيما سبق ما ورد من نصوص تأريخيه تشهد بتكلمه و هو فى المهد الى جانب نصوص اخرى تشير الى أنه قد اوتى الحكم صبياً (٢).

٣- وجاء أيضا عن الإمام محمّد الجواد أبى جعفر الثانى (عليه السّلام)، انه قال:

«قال أبو جعفر الباقر (عليه السّلام): إن الأوصياء محدّثون محدّثون يحدّثهم روح القدس و لا يرونه» (٣).

و روى أيضا انه جىء بأبى جعفر الجواد (عليه السّلام) إلى مسجد رسول الله (صلّى الله عليه و آله) بعد استشهاد أبيه (عليه السّلام) و هو طفل، و جاء الى المنبر ورقى منه درجه، ثم نطق فقال: «انا محمد بن على الرضا، انا الجواد، انا العالم بأنساب الناس فى الاصلاب، أنا أعلم بسرائركم و ظواهركم، و ما أنتم صائرون اليه، علم منحنا به من قبل خالق الخلق أجمعين، و بعد فناء السماوات و الأرضين، و لو لا تظاهر أهل الباطل، و دوله أهل الضلال، و وثوب أهل الشكّ، لقلت قولا تعجّب منه الأوّلون و الآخرون.

ثم وضع يده الشريفه على فيه، و قال: يا محمد اصمت كما صمت آباؤك من قبل» (٤).

و من هنا ينبغى أن نعرض بايجاز إلى بعض ما اثر عنه من العلوم:

١- التوحيد:

اثيرت فى عصر الإمام الجواد (عليه السّلام) كثير من الشكوك و الأوهام حول قضايا التوحيد و قد أثارها من لا حريجه له فى الدين من الحاقدين على الإسلام لزعزعه

ص: ٣١

١- (١) اثبات الوصيه: ٢١٠.

٢- (٢) راجع فقرتى (أ) و (ب) من هذا الفصل.

٣- (٣) مستدرک عوالم العلوم: ١٥٩/٢٣.

٤- (٤) مستدرک عوالم العلوم: ١٥٩/٢٣.

العقيدته في نفوس المسلمين، ولتشكيكهم في مبادئ دينهم العظيم، وقد أجاب الإمام (عليه السلام) عن تلك الشبهات وفتدھا خير تفنيد، و كان من بينها ما يلي:

١- قال الراوى: «سألت أبا جعفر عن التوحيد فقلت: أتوهم شيئاً. فقال:

نعم، غير معقول و لا محدود، فما وقع وهمك عليه من شىء فهو خلافه، لا يشبهه شىء و لا تدركه الأوهام، كيف تدركه الأوهام و هو خلاف ما يعقل و خلاف ما يتصور في الأوهام؟ إنَّما يتوهم شىء غير معقول و لا محدود» (١).

٢- و قال الراوى: «سئل أبو جعفر الثانى (عليه السلام): يجوز أن يقال لله إنه شىء؟ قال: نعم يخرج من الحدين، حد التعطيل و حد التشبيه» (٢).

٣- قال الراوى: «سألت أبا جعفر محمد بن على الثانى (عليه السلام): ما معنى الواحد؟ فقال: المجتمع عليه بجميع الألسن بالوحدانيه» (٣).

٢- تفسير القرآن الكريم و تأويله:

وردت عن الإمام الجواد (عليه السلام) نصوص كثيره في تفسير و تأويل بعض آيات القرآن الكريم.

فمنها ما ورد عنه (عليه السلام) في تفسير الآيتين المباركتين: **مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِئُهَا نَاتٍ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلُهَا** - الى قوله تعالى - **وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ** (٤).

إذ قال (عليه السلام): **مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ بَأَن نَرَفَعُ حَكْمَهَا.**

ص: ٣٢

١- (١) اصول الكافي: ٦٤/١.

٢- (٢) اصول الكافي: ٦٤/١.

٣- (٣) التوحيد للصدوق: ٨٢.

٤- (٤) البقره (٢): ١٠٦-١٠٧.

أَوْ نُؤَسِّدُهَا بِأَنْ نَرْفَعَ رِسْمَهَا وَنَزِيلَ عَنِ الْقُلُوبِ حَفْظَهَا، وَ عَنِ قَلْبِكَ يَا مُحَمَّدُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: سَيُنْفِقُكَ فَلَا تَنْسَى* إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ... (١) أَنْ يَنْسِيكَ، فَرَفَعَ ذَكَرَهُ عَنِ قَلْبِكَ.

نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا يَعْنِي: بِخَيْرٍ لَكُمْ.

فَهَذِهِ الثَّانِيهِ أَعْظَمَ لثَوَابِكُمْ، وَ أَجَلَ لِمَصْلَحَتِكُمْ مِنَ الْآيَةِ الْأُولَى الْمَنْسُوخَةِ، أَوْ مِثْلِهَا مِنَ الْمَصْلَحَةِ لَكُمْ، أَيْ إِنَّا لَا نَنْسَخُ وَ لَا نَبَدِّلُ إِلَّا وَ غَرَضُنَا فِي ذَلِكَ مَصَالِحِكُمْ.

ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَانْهَ قَدِيرٌ يَقْدِرُ عَلَيَّ النَّسْخَ وَ غَيْرَهُ. أَلَمْ تَعْلَمْ - يَا مُحَمَّدُ - أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَالِمُ بِتَدْبِيرِهَا وَ مَصَالِحِهَا فَهُوَ يَدَبِّرُكُمْ بِعِلْمِهِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ يَلِي مَصْلَحَتَكُمْ إِذْ كَانَ الْعَالِمُ بِالْمَصَالِحِ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ دُونَ غَيْرِهِ وَ لَا نَصِيرَ وَ مَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرٍ يَنْصُرُكُمْ مِنْ مَكْرُوهٍ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْزَالَهُ بِكُمْ، أَوْ عِقَابٍ إِنْ أَرَادَ إِحْلَالَه بِكُمْ» (٢).

إِنَّ مِنْهَجَ الْأَسْتِهْدَاءِ بِالْقُرْآنِ نَفْسَهُ لِتَفْسِيرِ آيَاتِهِ الْكَرِيمَةِ وَاضِحٌ جَدًّا فِي هَذَا النَّصِّ.

وَ فِي مَجَالِ تَأْوِيلِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣).

فَقَدْ جَاءَ عَنِ عَبْدِ الْعَظِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ: «قُلْتُ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ): إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ تَكُونَ الْقَائِمُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) الَّذِي يَمَلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَ عَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ جُورًا وَ ظُلْمًا.

فَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): يَا أَبَا الْقَاسِمِ: مَا مَنَّا إِلَّا وَ هُوَ قَائِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ، وَ هَادِيَ دِينِ اللَّهِ،

ص: ٣٣

١- (١) الأعلی (٨٧): ٦-٧.

٢- (٢) مستدرک عوالم العلوم: ١٦٤/٢٣.

٣- (٣) البقره (٢): ١٤٨.

ولكن القائم الذى يطهر الله عزّ وجلّ به الأرض من أهل الكفر والجحود، ويملاها عدلا وقسطا هو الذى تخفى على الناس ولادته، ويغيب عنهم شخصه، ويحرم عليهم تسميته وهو سمى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكتبه، وهو الذى تطوى له الأرض، ويذلّ له كل صعب [و] يجتمع إليه من أصحابه عدّه أهل بدر ثلاثمائة و ثلاثه عشر رجلا، من أفاصى الأرض، وذلك قول الله عزّ وجلّ: **لَمَّا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**.

فاذا اجتمعت له هذه العدّه من أهل الإخلاص أظهر الله أمره، فإذا كمل له العقد وهو عشره آلاف رجل خرج بإذن الله عزّ وجلّ، فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى الله عزّ وجلّ.

قال عبد العظيم: فقلت له: يا سيدى وكيف يعلم أن الله عزّ وجلّ قد رضى؟

قال: يلقى فى قلبه الرحمه، فإذا دخل المدينة أخرج اللات والعزى فأحرقهما» (١).

٣- الحديث:

روى الإمام الجواد (عليه السلام) طائفه من الأحاديث بسنده عن جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وروى أيضا عن جدّه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وعن آبائه (عليهم السلام) وفيما يلى مختارات من ذلك التراث الذى يكشف بثّه من قبل الإمام (عليه السلام) عن اهتمامه بنشر حديث الرسول (صلى الله عليه وآله) وآبائه الميامين:

١- روى (عليه السلام) بسنده ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «إنّ فاطمه أحصنت فرجها فحزّمها الله و ذريتها على النار» (٢).

٢- روى (عليه السلام) إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «المرء مخبوء تحت لسانه» (٣).

٣- وقال (عليه السلام): «قام الى أمير المؤمنين رجل بالبصره، فقال: أخبرنا عن

ص: ٣٤

١- ((١)) كمال الدين و تمام النعمه، للصدوق القمى: ٣٧٧-٣٧٨.

٢- ((٢)) حياه الإمام محمد الجواد: ٧٩-٨٠.

٣- ((٣)) حياه الإمام محمد الجواد: ٨٠، عن بحار الأنوار: ١٠١/١٢.

الإخوان؟ فقال: الإخوان صنفان: إخوان الثقة، وإخوان المكاشرة.

فأمرًا إخوان الثقة فهم كالكفّ والجناح والأهل والمال، فإذا كنت من أحيك على ثقة فابذل له مالك و يدك و صاف من صافه و عاد من عاداه و اكرم سرّه و أعنه و اظهر منه الحسن، و اعلم أيها السائل انهم اعزّ من الكبريت الأحمر.

و أما اخوان المكاشرة فإنك تصيب منهم لذتك، فلا تقطعن ذلك منهم، و لا تطلبن ما وراء ذلك من ضميرهم، و ابذل لهم ما بذلوا لك من طلاقه الوجه و حلاوه اللسان»(١).

٤- روى (عليه السلام) عن الإمام الصادق (عليه السلام) لما سئل عن الزاهد في الدنيا، قوله: «الذي يترك حلالها مخافه حسابه، و يترك حرامها مخافه عقابه»(٢).

٥- روى (عليه السلام) عن الإمام الصادق (عليه السلام) عند ما قيل له صف لنا الموت، قوله (عليه السلام): «للمؤمن كأطيب ريح يشمه فينعس لطيبه، و ينقطع التعب و الألم كله عنه، و للكافر كلسع الأفاعى و لدغ العقارب أو أشد»(٣).

٦- قال (عليه السلام): مرض رجل من أصحاب الرضا (عليه السلام) فعاده، فقال: كيف تجدك؟ قال: لقيت الموت بعدك. يريد به ما لقيه من شدة مرضه.

فقال (عليه السلام): كيف لقيته؟ قال: شديدا أليما.

قال: ما لقيته إنما لقيت ما يبدوك به و يعرفك بعض حاله، إنما الناس رجلا: مستريح بالموت، و مستراح منه به، فجدد الايمان بالله و بالولايه تكن مستريحا(٤).

ص: ٣٥

١- (١) حياه الإمام محمد الجواد: ٨١، عن وسائل الشيعة: ٥٨/٨.

٢- (٢) الإمام محمد بن على الجواد، عبد الزهراء عثمان محمد: ١٠٦ عن معانى الأخبار: ٢٨٧.

٣- (٣) الإمام محمد بن على الجواد، عبد الزهراء عثمان محمد: ١٠٦ عن معانى الأخبار: ٢٨٧.

٤- (٤) مستدرک عوالم العلوم: ٢٨٦/٢٣.

اشاره

تشكّل الأحاديث التي تروى عن الإمام أبي جعفر الجواد (عليه السلام) مصدرا خصبا لاستنباط الأحكام الشرعية لدى فقهاء الشيعة الإمامية، لأنها تعبر عن سنة المعصومين و سنّه المعصوم هي قوله و فعله و تقريره.

و قد اثرت عنه (عليه السلام) طائفة كبيرة من الأخبار التي دوّنت في موسوعات الفقه و الحديث و قد شملت معظم أبواب الفقه نذكر بعض النماذج منها:

الصلاه:

١- قال الراوى: كتبت الى أبي جعفر الثاني (عليه السلام) «في السنجاب و الفنك و الخزّ، و قلت: جعلت فداك، أحبّ ان لا تجيبني بالتقيه في ذلك فكتب بخطه اليّ: صلّ فيها» (١).

و استدل الفقهاء بهذا الخبر و نحوه مما ورد في هذا الموضوع على جواز الصلاه في جلود هذه الحيوانات.

٢- قال الراوى: رأيت أبا جعفر (عليه السلام) صلّى حين زالت الشمس يوم الترويه ست ركعات خلف المقام، و عليه نعلاه لم ينزعهما (٢).

و استدل الفقهاء بهذه الروايه على جواز الصلاه بالنعل الطاهره المتخذة من الذبيحه المذكاه.

ص: ٣٦

١- ((١)) مستدرک عوالم العلوم: ٢٣/٢٨٦. الفنك: حيوان صغير من فصيله الكلبيات، شبيه بالثعلب، لكن اذنيه كبيرتان، لا- يتجاوز طوله اربعين سنتيمتر بما فيه الذنب، فروته من أحسن الفراء. و السمور: حيوان برّى من فصيله السموريات و رتبه اللواحم، يشبه ابن عرس و اكبر منه، لونه أحمر مائل الى السواد، تتخذ من جلده فراء ثمينه.

٢- ((٢)) مستدرک عوالم العلوم: ٢٣/٣٨٩.

الزكاة:

وردت عن الإمام الجواد (عليه السلام) عدة اخبار في فروع الزكاة كان من بينها ما يأتي: استدل الفقهاء على جواز إخراج القيمة دون العين فيما تجب فيه الزكاة بما جاء عنه (عليه السلام) في جوابه عن السؤال: «هل يجوز أن أخرج عمًا يجب في الحرث من الحنطة و الشعير، و ما يجب على الذهب دراهم بقيمه ما يسوى؟ أم لا يجوز إلا أن يخرج من كل شيء ما فيه؟

فأجاب (عليه السلام) أيما تيسر يخرج» (١).

الحج:

و استند الفقهاء في فتاواهم في بعض فروع الحج و مسائله الى ما اثر عن الإمام الجواد (عليه السلام) فيها، و فيما يأتي بعض ذلك:

١- استند الفقهاء في استحباب الحج للصبى بما جاء في الرواية التالية: قال الراوى: «سألت أبا جعفر الثانى (عليه السلام) عن الصبى متى يحرم به؟ قال: إذا أثمر» (٢).

٢- و اتفق فقهاء الإماميه على أن حج التمتع أفضل انواع الحج لمن أراد ان يحج حجا مندوبا، و قد استندوا فى ذلك الى ما ورد عن الإمام الجواد (عليه السلام) و غيره من أئمة العتره الطاهره (عليهم السلام)، حيث قال الراوى: «كان أبو جعفر (عليه السلام) يقول: المتمتع بالعمره الى الحج أفضل من المفرد السائق للهدى. و كان يقول: ليس يدخل الحاج بشيء أفضل من المتعه» (٣).

ص: ٣٧

١- (١) مستدرک عوالم العلوم: ٢٣/٤١١.

٢- (٢) مستدرک عوالم العلوم: ٢٣/٤٢٦.

٣- (٣) مستدرک عوالم العلوم: ٢٣/٤٣٠.

و كشف الإمام محمد الجواد (عليه السلام) النقاب عن بعض العلل في تشريع بعض الأحكام الشرعية و كان من بينها:

ما سأله محمد بن سليمان عن العله في جعل عدّه المطلقه ثلاث حيض أو ثلاثه أشهر، و صارت عدّه المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر و عشرا؟ فأجابه الإمام (عليه السلام) عن ذلك:

«أما عدّه المطلقه ثلاثه قروء فلاستبراء الرحم من الولد، و اما عدّه المتوفى عنها زوجها فإن الله تعالى شرط للنساء شرطا، و شرط عليهن شرطا فلم يجابهن فيما شرط لهن، و لم يجز فيما اشترط عليهن، و اما ما شرط لهن في الإيلاء أربعة أشهر إذ يقول الله عزّ و جلّ:

لِّلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةٍ أَشْهُرٍ فَلَمْ يَجُوزْ لِأَحَدٍ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةٍ أَشْهُرٍ فِي الْإِيْلَاءِ لَعَلَّمَهُ تَبَارَكَ اسْمُهُ أَنَّهُ غَايَةُ صَبْرِ الْمَرْأَةِ عَنِ الرَّجُلِ، و اما ما شرط عليهنّ فإن أمرها أن تعتد إذا مات زوجها أربعة أشهر و عشرا فأخذ منها له عند موته ما أخذ لها منه في حياتها عند الإيلاء، قال الله عزّ و جلّ: يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْرًا و لم يذكر العشره أيام في العدّه إلا مع الأربعة أشهر، و علم ان غايه المرأة الاربعه أشهر في ترك الجماع فمن ثم أوجب عليها و لها...» (١)

د- عبادته و نسكه:

اشاره

كان الإمام الجواد (عليه السلام) أعبد أهل زمانه، و أشدهم حبا لله عزّ و جلّ و خوفا منه، و أخلصهم في طاعته و عبادته، شأنه شأن الأئمة الطاهرين من آبائه (عليهم السلام)

ص: ٣٨

الذين عملوا كلّ ما يقربهم إلى الله زلفى.

و من مظاهر عباده الإمام الجواد(عليه السلام)نشير الى ما يلى:

١-نوافله:

كان(عليه السلام)كثير النوافل،ويقول المؤرخون إنه:كان يصلى ركعتين يقرأ فى كل ركعه سورة الفاتحه،و سورة الاخلاص سبعين مره(١).و انه(عليه السلام)إذا دخل شهر جديد يصلى اول يوم منه ركعتين يقرأ فى أول ركعه«الحمد»مره،و«قل هو الله أحد»لكل يوم الى آخره-يعنى ثلاثين مره-.

و فى أول الركعه الاخرى«الحمد»و«انا أنزلناه»مثل ذلك و يتصدق بما يتسهل،يشترى به سلامه ذلك الشهر كله(٢).

و جاء فى الروايه أنه صام أبو جعفر الثانى(عليه السلام)لمّا كان ببغداد يوم النصف من رجب،و يوم سبع و عشرين منه،و صام معه جميع حشمه،و أمرنا أن نصلّى بالصلاه التى هى اثنتى عشره ركعه:تقرأ فى كل ركعه الحمد و سورة،فاذا فرغت قرأت«الحمد»أربعاء،و«قل هو الله أحد»أربعاء،و المعوذتين أربعاء، و قلت:«لا إله إلا الله و الله أكبر،و سبحان الله،و الحمد لله،و لا حول و لا قوه إلا بالله العلى العظيم»أربعاء،«الله الله ربى لا اشرك به شيئاً»أربعاء،«لا اشرك برّبى أحد»أربعاء(٣).

ص:٣٩

١- (١) حياه الإمام محمّد الجواد:٦٧.

٢- (٢) مستدرک عوالم العلوم:٢٣٠/٢٣٠.

٣- (٣) مستدرک عوالم العلوم:٢٣٠/٢٢٢.

و كان الإمام (عليه السلام) كثير الحج، وقد جاء في الروايه: «رأيت أبا جعفر الثاني (عليه السلام) في سنه خمس عشره و مائتين ودّع البيت بعد ارتفاع الشمس، و طاف بالبيت يستلم الركن اليماني في كل شوط، فلما كان الشوط السابع استلمه و استلم الحجر و مسح بيده ثم مسح وجهه بيده، ثم أتى المقام، فصلّى خلفه ركعتين ثم خرج الى دبر الكعبه الى الملتزم، فالترم البيت،... ثم وقف عليه طويلا. يدعو، ثم خرج من باب الحناطين.

قال الراوى: فرأيتة في سنه (٢١٩ هـ) ودّع البيت ليلا، يستلم الركن اليماني و الحجر الاسود في كل شوط، فلما كان في الشوط السابع الترم البيت في دبر الكعبه قريبا من الركن اليماني و فوق الحجر المستطيل... ثم أتى الحجر فقبله و مسحه و خرج الى المقام فصلّى خلفه ثم مضى و لم يعد الى البيت، و كان وقوفه على الملتزم بقدر ما طاف بعض أصحابنا سبعة اشواط و بعضهم ثمانية» (١).

٣- أذكار الإمام و أدعيته و مناجاته:

اشاره

و هنا نورد بعضا من أذكار الإمام و أدعيته و مناجاته التي كان يناجى بها ربّه الأعلى كأحد مظاهر التسييح و التمجيد في محراب عبادته لله جلّ جلاله:

من أدعيته (عليه السلام) في حال القنوت:

«اللهم أنت الأول بلا اوليه معدوده، و الآخر بلا آخريه محدوده، أنشأتنا لا لعلّه اقتسارا، و اخترعتنا لا لحاجه اقتدارا، و ابتدعتنا بحكمتك اختيارا، و بلوتنا بأمرك و نهيك اختبارا، و ايدتنا بالآلات، و منحتنا بالأدوات، و كلّفتنا الطاقه، و جشمتنا الطاعه، فأمرت

ص: ٤٠

تخييرا و نهيت تحذيرا، و خوّلت كثيرا، و سألت يسيرا، فعصى أمرک فحلّمت، و جهل قدرک فتكرّمت..» (١).

من أدعيته اذا انصرف من الصلاة:

«رضيت بالله ربّاء، و بالاسلام ديناء، و بالقرآن كتاباء، و بمحمد نبيا، و بعليّ وليا، و الحسن، و الحسين، و علي بن الحسين، و محمد بن علي، و جعفر بن محمد، و موسى بن جعفر، و علي بن موسى، و محمد بن علي، و علي بن محمد، و الحسن بن علي، و الحجة بن الحسن بن علي، أمّه.

اللهم وليّك الحجة فاحفظه من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله و من فوقه و من تحته، و امدد له في عمره، و اجعله القائم بأمرک، المنتصر لدينک و أره ما يحبّ و تقرّب به عينه في نفسه و في ذريته و أهله و ماله و في شيعته و في عدوه، و أرهم منه ما يحبّ و تقرّب به عينه، و اشف به صدورنا و صدور قوم مؤمنين» (٢).

من دعائه (عليه السلام) عند الصباح و المساء لقضاء الحوائج:

قال الراوى: كتبت الى أبي جعفر الثاني (عليه السلام) أسأله ان يعلمني دعاء، فكتب اليّ:

«تقول اذا أصبحت و أمسيت: الله الله الله، ربّي الرحمن الرحيم، لا اشرك به شيئا».

و إن زدت على ذلك فهو خير، ثم تدعو بما بدا لك في حاجتك، فهو لكل شيء ياذن الله تعالى، يفعل الله ما يشاء» (٣).

ص: ٤١

١- (١) مستدرک عوالم العلوم: ٢٣/٢١٢.

٢- (٢) مستدرک عوالم العلوم: ٢٣/٢١٤-٢١٥.

٣- (٣) مستدرک عوالم العلوم: ٢٣/٢١٨.

و رغم أنّ الإمام الجواد (عليه السلام) كان معجزه بذاته، حيث تصدى لإمامه المسلمين و هو صبي لم يبلغ السابعة من عمره، فإنّ الله جلّ جلاله أجرى على يديه كرامات أخرى في مناسبات عديدة لكي يتم بها الحجج على العباد و يقطع بها ألسنة المعاندين و تطمئن بسببها قلوب الموالين. و إليك بعض مصاديقها (١):

١- قال أبو هاشم داود بن القاسم الجعفرى: «دخلت على أبي جعفر الثانى (عليه السلام) و معى ثلاث رقاع غير معنونه و اشتبهت على فاعتممت لذلك، فتناول إحداهنّ و قال: هذه رقعة ريان بن شبيب ثم تناول الثانية فقال: هذه رقعة محمد بن حمزه و تناول الثالثة، و قال: هذه رقعة فلان فبهت، فنظر الىّ و تبسم (عليه السلام).

قال: و أعطانى أبو جعفر ثلاثمائة دينار فى صرّه و أمرنى ان أحملها الى بعض بنى عمّه، و قال: أما انه سيقول لك دلتى على حريف يشتري لى بها متاعا فدلّه عليه.

قال: فأتيته بالدنانير فقال لى: «يا أبا هاشم دلتى على حريف يشتري لى بها متاعا». ففعلت.

قال أبو هاشم: و كلمنى جمّال ان اكلمه ليدخله فى بعض اموره، فدخلت عليه لا- كلمه فوجدته يأكل مع جماعه فلم يمكننى كلامه، فقال: يا أبا هاشم: كل و وضع بين يديّ ثم قال- ابتداء منه من غير مسأله-: يا غلام انظر الجمال الذى أتانا به أبو هاشم فضمه اليك».

ص: ٤٢

٢- قال أبو هاشم: ودخلت معه ذات يوم بستانا فقلت له: جعلت فداك، إني مولع بأكل الطين، فادع الله لي، فسكت ثم قال لي بعد أيام ابتداء منه-
: «يا أبا هاشم، قد أذهب الله عنك أكل الطين».

قال أبو هاشم: فما شيء أبغض إليّ منه.

٣- قال علي بن أسباط: خرج عليّ أبو جعفر حدثان موت أبيه فنظرت إلى قدّه لأصف قامته لأصحابنا فقعد، ثم قال: «يا عليّ، إن الله تعالى احتج في الإمامه بمثل ما احتج به في النبوه فقال: وَآتَيْنَاهُ الْوَحْيَ صَبِيًّا (١).

٤- قال الراوى: «مضى أبو الحسن الرضا (عليه السلام) ولى عليه أربعة آلاف درهم، لم يكن يعرفها غيرى و غيره، فأرسل إليّ أبو جعفر (عليه السلام): «إذا كان في غد فائتني. فأتيته من الغد، فقال لي: مضى أبو الحسن و لكك عليه أربعة آلاف درهم؟ فقلت: نعم.

فرفع المصلّى الذى كان تحته، فإذا تحته دنانير فدفعها إليّ، و كان قيمتها فى الوقت أربعة آلاف درهم».

٥- قال الراوى: «كنت بالمدينه، و كنت اختلف الى أبى جعفر (عليه السلام) و أبو الحسن (عليه السلام) بخراسان، و كان أهل بيته و عمومه أبيه يأتونه و يسلمون عليه، فدعا يوما الجاربه، فقال: قولى لهم: يتهاون للمأتم.

فلما تفرّقوا قالوا: ألا سألناه مأتم من؟

فلما كان من الغد فعل مثل ذلك، فقالوا: مأتم من؟

قال: مأتم خير من على ظهرها.

ص: ٤٣

فأتانا خبر أبي الحسن [الرضا] (عليه السلام) بعد ذلك بأيام، فاذا هو قد مات في ذلك اليوم».

٦- قال الراوى: كتب اللى أبو جعفر (عليه السلام): «إحملوا اللى الخمس، فإنى لست آخذه منكم سوى عامى هذا».

فقبض (عليه السلام) فى تلك السنه.

و- من مكارم اخلاقه الاجتماعيه

اشاره

لقد كان الإمام الجواد (عليه السلام) شابا فى مقتبل العمر، و كان المأمون يصدق عليه الأموال الوافره و قد بلغت مليون درهم. و كانت الحقوق الشرعيه ترد إليه من الطائفه الشيعيه التى كانت تعتقد بإمامته بالإضافة إلى الأوقاف التى كانت فى قم و غيرها إلا أنه لم يكن ينفق شيئا منها فى اموره الخاصه و إنما كان ينفقها على الفقراء و المعوزين و المحرومين.. و قد رآه الحسين المكارى فى بغداد، و كان محاطا بهاله من التعظيم و التكريم من قبل الأوساط الرسميه و الشعبيه فظن أن الإمام (عليه السلام) سوف لا- يرجع إلى وطنه يثرب بل يقيم فى بغداد راتعا فى النعم و الترف، و عرف الإمام قصده، فانعطف عليه و قال له:

«يا حسين، خبز الشعير، و ملح الجريش فى حرم جدى رسول الله (صلى الله عليه و آله) أحب إلى مما ترانى فيه..» (١).

إنه لم يكن من طلاب تلك المظاهر التى كانت تضيفها الدوله، و إنما كان كآبائه الذين طلقوا الدنيا، و اتجهوا صوب الله تعالى لا ييغون عنه بديلا.

ص: ٤٤

كان الإمام أبو جعفر (عليه السلام) من أندى الناس كفاً وأكثرهم سخاءً، وقد لُقّب بالجوّد لكثرة كرمه و معروفه و إحسانه إلى الناس و قد ذكر المؤرّخون قصصاً كثيرة من كرمه.

منها: ما روى المؤرّخون من أنّ أحمد بن حديد قد خرج مع جماعه من أصحابه إلى الحجّ، فهجم عليهم جماعه من السراق و نهبوا ما عندهم من أموال و متاع، و لما انتهوا إلى يثرب انطلق أحمد إلى الإمام محمّد الجواد و أخبره بما جرى عليهم فأمر (عليه السلام) له بكسوه و أعطاه دنائير ليفرقها على جماعته، و كانت بقدر ما نهب منهم (١).

و بهذا أنقذهم الإمام من المحنة وردّ لهم ما سلب منهم بسخاء وافر.

و اشتهر أنّ كرم الإمام و معروفه قد شمل حتى الحيوانات، فقد روى محمّد ابن الوليد الكرمانى أنّه قال: أكلت بين يدي أبى جعفر الثانى (عليه السلام) حتى إذا فرغت و رفع الخوان ذهب الغلام ليرفع ما وقع من فتات الطعام فقال (عليه السلام) له: «ما كان فى الصحراء فدعه و لو فخذ شاه، و ما كان فى البيت فتبعه و القطه» (٢).

لقد أمره (عليه السلام) بترك الطعام الذى فى الصحراء ليتناوله الطير و سائر الحيوانات التى ليس عندها طعام.

ص: ٤٥

١- ((١)) الوافى بالوفيات: ١٠٥/٤، بحار الأنوار: ١٠٩/١٢.

٢- ((٢)) وسائل الشيعة: ٤٩٩/٦.

أما الإحسان إلى الناس و البرّ بهم فإنّه من سجايا الإمام الجواد و من أبرز صفاته، و قد سجل التاريخ قصصا كثيره من إحسانه منها:

ما رواه أحمد بن زكريا الصيدلاني عن رجل من بنى حنيفه من أهالي بست و سجستان(١) قال: رافقت أبا جعفر في السنه التي حجّ فيها في أول خلافه المعتصم فقلت له: و أنا على المائده: إنّ والينا جعلت فداك يتولا- كم أهل البيت يحبّكم و عليّ في ديوانه خراج، فإن رأيت جعلني الله فداك أن تكتب إليه بالإحسان إليّ، فقال (عليه السّلام): لا- أعرفه، فقلت: جعلت فداك أنّه علي ما قلت: من محبّيتكم أهل البيت (عليه السّلام)، و كتابك ينفعني و استجاب له الإمام فكتب إليه بعد البسملة:

«أما بعد: فإنّ موصل كتابي هذا ذكر عنك مذهبا جميلا، و إنّ مالك من عملك إلا ما أحسنت فيه، فأحسن إلى اخوانك و اعلم أنّ الله عزّ و جلّ سائلك عن مثاقيل الذره و الخردل..»(٢).

و لما ورد إلى سجستان عرف الوالي و هو الحسين بن عبد الله النيسابوري أنّ الإمام قد أرسل إليه رساله فاستقبله من مسافه فرسخين، و أخذ الكتاب فقبّله،

ص: ٤٦

١- ((١)) قال محمّد بن بحر الرهني: سجستان: إحدى بلدان المشرق، لم تزل لفاحا على الضيم ممتنعه من الهضم منفرده بمحاسن، متوحده بما أثر لم تعرف لغيرها من البلدان، ما في الدنيا سوقه أصحّ منهم معامله، و لا أقلّ منهم مخاتله، و أضاف في تعداد ما أثرها أنّه لعن عليّ بن أبي طالب على منابر الشرق و الغرب، و لم يلعن علي منابرها إلا مرّه، و امتنعوا على بنى اميّه حتى زادوا في عهدهم أن لا يلعن علي منبرهم أحد.. و أى شرف أعظم من امتناعهم من لعن أخى رسول الله (صلّى الله عليه و آله) على منبرهم، و هو يلعن على منابر الحرمين مكّه و المدينه؟- معجم البلدان: ٣/١٩٠-١٩١.

٢- ((٢)) بحار الأنوار: ٨٦/٥٠.

واعتبر ذلك شرفاً له، وسأله عن حاجته فأخبره بها، فقال له: لا تؤدّ لي خراجاً ما دام لي عمل، ثمّ سأله عن عياله فأخبره بعددهم فأمر له ولهم بصله، وظلّ الرجل لا يؤدّي الخراج ما دام الوالي حياً، كما أنّه لم يقطع صلته عنه (١) كلّ ذلك ببركة الإمام و لطفه.

٣-المواساة للناس:

وأسى الإمام الجواد (عليه السّلام) الناس في البأساء والضراء، فقد ذكروا: أنه قد جرت على إبراهيم بن محمّد الهمداني مظلمة من قبل الوالي، فكتب إلى الإمام الجواد (عليه السّلام) يخبره بما جرى عليه، فتألّم الإمام و أجابه بهذه الرسالة:

«عجّل الله نصرتك على من ظلمك، و كفاك مؤنته، و ابشر بنصر الله عاجلاً إن شاء الله، و بالآخرة آجلاً، و أكثر من حمد الله...» (٢).

و من مواساته للناس: تعازيه للمنكوبين و المفجوعين، فقد بعث رساله إلى رجل قد فجع بفقد ولده، و قد جاء فيها بعد البسملة:

«ذكرت مصيبتك بعلى ابنك، و ذكرت أنّه كان أحبّ ولدك إليك، و كذلك الله عزّ و جلّ إنّما يأخذ من الولد و غيره أذكى ما عند أهله، ليعظم به أجر المصاب بالمصيبة، فأعظم الله أجرك، و أحسن عزاك، و ربط على قلبك، إنّّه قدير، و عجّل الله عليك بالخلف، و أرجو أن يكون الله قد فعل إن شاء الله...» (٣).

ص: ٤٧

١- ((١)) بحار الأنوار: ١٢/١٢٩.

٢- ((٢)) بحار الأنوار: ١٢/١٢٦.

٣- ((٣)) وسائل الشيعة: ٢/٨٧٤.

و أعربت هذه الرسالة الرقيقة عن مدى تعاطف الإمام مع الناس، و مواساته لهم فى البأساء و الضراء.

و من مواساته للناس: أنّ رجلا من شيعته كتب إليه يشكو ما ألمّ به من الحزن و الأسى لفقد ولده، فأجابّه الإمام (عليه السّلام) برسالة تعزّيه جاء فيها:

«أما علمت أنّ الله عزّ و جلّ يختار من مال المؤمن، و من ولده أنفسه ليؤجره على ذلك»..(١).

لقد شارك الناس فى البأساء و الضراء، و اساهم فى مصائبهم و محنهم، و مدّد المعونه إلى فقرائهم و ضعفائهم، و بهذا البرّ و الإحسان احتلّ القلوب و ملك العواطف و أخلص له الناس و احتبه كأعظم ما يكون الإخلاص و الحبّ.

لقد كان الإمام الجواد (عليه السّلام) يمثّل أروع صور الفضيله و الكمال فى الأرض، فلم ير الناس فى عصره من يضارعه فى علمه و تقواه و ورعه، و شدّه تحرّجه فى الدين، فقد كان نسخه لا ثانى لها فى فضائله و ماثره التى هى السرّ فى إمامته.

لقد أعجبت الأوساط الإسلاميه بالإمام الجواد (عليه السّلام) لما عرفوا مواهبه، و ملكاته العلميه التى لا تحدّ، و هى ممّا زادت الشيعه إيمانا و يقينا بصحّه ما تذهب إليه و تعتقد به من أنّ الإمام لا بدّ أن يكون أهل زمانه و أفضلهم و اتقاهم(٢).

ص: ٤٨

١- (١) وسائل الشيعه: ٨٩٣/٢.

٢- (٢) راجع حياه الإمام محمد الجواد (عليه السّلام): ٧٥-٧٠.

الباب الثاني

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

نشأه الإمام محمد الجواد (عليه السلام)

الفصل الثاني:

مراحل حياة الإمام محمد الجواد (عليه السلام)

الفصل الثالث:

الإمام الجواد في ظلّ أبيه (عليهما السلام)

ص: ٤٩

١-نسبه:الإمام محمد الجواد(عليه السّلام)من الاسره النبويه و هى أجلّ و أسمى الاسر التى عرفتها البشريه،فهو ابن الإمام على الرضا ابن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام على السجاد ابن الإمام الحسين سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله)و ابن الإمام على بن أبى طالب(عليهم السّلام).

٢-امه:هى من أهل بيت ماريه القبطيه،نوبيّه مريسيه،امها:سيبكه أو ريحانه أو درّه،و سمّاها الرضا(عليه السّلام)خيزران.

وصفها رسول الله (صلى الله عليه وآله)بأنها خيره الإمام الطيبه.وقال العسكرى(عليه السّلام):

«خلقت طاهره مطهره و هى ام ولد تكّنى بام الجواد،و ام الحسن،و كانت أفضل نساء زمانها»(١).

٣-ولادته:ولد(عليه السّلام)فى شهر رمضان من سنه خمس و تسعين و مائه لسبع عشر ليله مضت من الشهر و قيل:للنصف منه ليله الجمعه(٢)و كانت ولادته فى المدينه.

و غمرت الإمام الرضا(عليه السّلام)موجات من الفرح و السرور بوليدته المبارك،

ص:٥١

١- (١) مستدرک عوالم العلوم:٢٣/٢٠.

٢- (٢) إعلام الورى بأعلام الهدى:٩١/٢.

و طفق يقول: «قد ولد لى شبيهه موسى بن عمران فالق البحار، و شبيهه عيسى بن مريم، قدّست ام ولدته»..(١).

٤- كنيته: أبو جعفر، و هى كنيه جده الباقر (عليه السّلام) و للتمييز بينهما يكتنى بأبى جعفر الثانى، و أضاف فى دلائل الإمامه كنيه ثانيه له هى: أبو على الخاص، و فسّر المتأخرون هذه العبارة بأنّ له كنيه خاصه هى: «أبو على»، و ليست كنيته هى «أبو على الخاص» كما يبدو للناظر فى عبارته دلائل الإمامه.

٥- ألقابه: أمّا ألقابه الكريمه فهى تدل على معالم شخصيته العظيمه و سمو ذاته و هى:

١- الجواد: لقب به لكثره ما أسداه من الخير و البر و الاحسان الى الناس.

٢- التقى: لقب به لأنه اتقى الله و أناب اليه، و اعتصم به و لم يستجب لأى داع من دواعى الهوى.

٣- المرتضى.

٤- القانع.

٥- الرضى.

٦- المختار.

٧- باب المراد (٢).

نقش خاتمه: يدل نقش خاتمه (عليه السّلام) على شدة انقطاعه (عليه السّلام) الى الله سبحانه، فقد كان «العزّه لله» (٣).

ص: ٥٢

١- (١) حياه الإمام محمد الجواد (عليه السّلام): ٢٢.

٢- (٢) مستدرک عوالم العلوم: ٢٣/٢٧-٢٩.

٣- (٣) مستدرک عوالم العلوم: ٢٣/٣١.

الفصل الثانی: مراحل حیاہ الإمام محمد الجواد (علیہ السلام)

ولد الإمام محمد بن علی الجواد عام (١٩٥ هـ) أى فى السنه التى بوع فيها للمأمون العباسى، وعاش فى ظلّ أبيه الرضا (عليه السلام) حوالى سبع سنين، وعاصر أحداث البيعه بولايه العهد لأبيه الرضا (عليه السلام) وما صاحبها وتلاها من حوادث و محن حتى تجلّت آخر محن أبيه (عليه السلام) فى اغتيال المأمون للرضا (عليه السلام).

وبقى الإمام محمد الجواد (عليه السلام) بعد حادث استشهاد أبيه (عليه السلام) فى منعه من كيد المأمون الذى قتل الإمام الرضا (عليه السلام) وبقى عند الناس متهما بذلك. لكنه لم ينج من محاولات التسقيط لشخصيته و مكانته المرموقه و الساميه فى القلوب.

وقد تحدّى كل تلك المحاولات إعلاء لمنهج أهل البيت (عليهم السلام) و شيعتهم فى عقيدته الإمامه و الزعامه و ما يترتب عليها من الآثار السياسيه و الاجتماعيه.

و ينتهى عهد المأمون العباسى فى سنه (٢١٨ هـ) و يترجّع أخوه المعتصم على كرسى الخلافة حتى سنه (٢٢٧ هـ) و لم يسمح للإمام الجواد (عليه السلام) بالتحرك و يراقب- بكل دقه- النشاط الاجتماعى و السياسى للإمام (عليه السلام) ثم يغتاله على يد ابنه أخيه المأمون، المعروفه بام الفضل و التى زوّجها المأمون من الإمام الجواد (عليه السلام) و لم تنجب له من الأولاد شيئا، و ذلك فى سنه (٢٢٠ هـ)، و هكذا قضى المعتصم على رمز الخط الهاشمى و عميده، الإمام محمد التقى أبى جعفر الجواد (عليه السلام).

اذن تنقسم الحياه القصيره لهذا الإمام المظلوم الى قسمين و ثلاث مراحل:

القسم الأول:حياته فى عهد أبيه و هى المرحله الاولى من حياته القصيره و المباركه و تبلغ سبع سنوات تقريبا.

و القسم الثانى:حياته بعد استشهاد أبيه حتى شهادته.و تبلغ حوالى سبع عشره سنه.

و ينقسم هذا القسم بدوره إلى مرحلتين متميزتين:

المرحله الاولى:حياته فى عهد المأمون و هى المرحله الثانیه من حياته و تبلغ حوالى خمس عشره سنه.و هى أطول مرحله من مراحل حياته القصيره.

و المرحله الثانيه:و هى مده حياته فى عهد المعتصم العباسى و تبلغ حوالى سنتين و تمثل المرحله الثالثه من حياته الشريفه.

و هكذا تتلخص مراحل حياته(عليه السلام) كما يلى:

المرحله الاولى:سبع سنوات و هى حياته فى عهد أبيه الرضا(عليه السلام)حيث ولد سنه(١٩٥ هـ)و فى حكم محمد الأمين العباسى -و استشهاد الإمام الرضا(عليه السلام)فى صفر من سنه(٢٠٣ هـ).

المرحله الثانيه:خمس عشره سنه و هى حياته بقيه حكم المأمون من سنه (٢٠٣ هـ)الى سنه(٢١٨ هـ).

المرحله الثالثه:حياته بعد حكم المأمون و قد بلغت حوالى سنتين من أيام حكم المعتصم أى من سنه(٢١٨-٢٢٠ هـ).

إشاره

الإمام الجواد في ظل أبيه (عليهما السلام)

قامت الدوله العباسيه في بدايه أمرها-على الدعوه الى العلويين خاصه، ثم لأهل البيت (عليه السّلام)، ثم الى الرضا من آل محمد (صلّى الله عليه وآله)، و كان سرّ نجاحها في ربطها بأهل البيت (عليهم السّلام)، حيث تحكّم العباسيون و تسلّطوا على الامه بدعوى القربى النسبيه من الرسول الاكرم (صلّى الله عليه وآله).

و من هنا فإنّ من الطبيعي، أن يكون الخطر الحقيقي الذي يتهدد العباسيين و خلافتهم، هو من جهه أبناء عمّهم العلويين، الذين كانوا أقوى منهم حجه و أقرب الى النبي (صلّى الله عليه وآله) منهم نسبا و وشيجه.

فادّعاء العلويين الخلافه له مبرراته الكامله، و لا سيما و ان من بينهم من له الجداره و الاهليه، و يتمتع بأفضل الصفات و المؤهلات لهذا المنصب من العلم و العقل و الحكمه و بعد النظر في الدين و السياسه، علاوه على ما كان يكتنه الناس لهم من الاحترام و التقدير.

أضف الى ذلك كله ان رجالا من الإسلام و أبطاله، كانوا هم آل أبي طالب- رضوان الله تعالى عليه- فأبو طالب مربى النبي (صلّى الله عليه وآله) و كفيله، و على (عليه السّلام) وصيه و ظهيره، و كذلك الحسن و الحسين و على زين العابدين و بقيه الائمة (عليهم السّلام).

وقد كان الخلفاء من بنى العباس يدركون جيدا مقدار نفوذ العلويين، و يتخوفون منه، منذ أيامهم الاولى فى السلطه. فمثلا وضع السفاح من أول عهده الجواسيس على بنى الحسن، حيث قال لبعض ثقاته، وقد خرج وفد بنى الحسن من عنده: قم بانزالهم و لا تأل فى الطافهم، و كلما خلوت معهم فأظهر الميل اليهم، و التحامل علينا و على ناحيتنا و انهم أحق بالأمر منا، و احص لى ما يقولون و ما يكون منهم فى مسيرهم و مقدمهم» (١).

أجل لقد أدرك العباسيون ان الخطر الحقيقى الذى يتهددهم إنما هو من قبل العلويين و عليه كان عليهم ان يتحركوا لمواجهة الخطر المحدق بهم بكل وسيله، و بأى اسلوب كان، سيما و هم يشهدون عن كثب سرعه استجابته الناس للعلويين، و تأييدهم و مساندهم لكل دعوه من قبلهم.

سياسه العباسيين مع الرعيه:

لا نريد أن نعرض لأنواع الظلامات التى كان العباسيون يمارسونها، فإن ذلك مما لا يمكن الإلمام به و لا استقصاؤه فى هذه العجالة.

و إنما نريد فقط أن نعطى لمحة سريعه عن سيرتهم السيئه فى الناس، و مدى اضطهادهم و ظلمهم لهم، و جورهم عليهم، الأمر الذى أسهم إسهاما كبيرا فى كشف حقيقتهم أمام الملأ، حتى لقد قال أبو عطاء السندى المتوفى سنة (١٨٠ هـ):

يا ليت جور بنى مروان دام لنا و ليت عدل بنى العباس فى النار (٢).

ص: ٥٦

١- (١) الحياه السياسيه للإمام الرضا (عليه السلام): ٦٦.

٢- (٢) الحياه السياسيه للإمام الرضا (عليه السلام): ١٠٨.

إنّ المثل الأعلى للعدالة و المساواه الذى انتظره الناس من العباسيين، قد أصبح و هما من الأوهام، فشراسه المنصور و الرشيد و جشعهم، و جور أولاد على ابن عيسى و عبثهم بأموال المسلمين، يذكّرنا بالحجاج و هشام و يوسف بن عمرو الثقفى، و لقد عمّ الاستياء أفراد الشعب بعد ان استفتح أبو عبد الله المعروف ب«السفّاح» و كذلك «المنصور»، بالإسراف فى سفك الدماء، على نحو لم يعرف من قبل (١).

و يقول المؤرخون أيضا عن أبي العباس السفّاح أنّه كان سريعا الى سفك الدماء، فاتبعه عمّاله فى ذلك، فى المشرق و المغرب، و استنوا بسيرته، مثل:

محمد بن الأشعث بالمغرب، و صالح بن على بمصر، و خازم بن خزيمه، و حميد ابن قحطبه، و غيرهم.. (٢).

لقد كان أبو جعفر المنصور يعلق الناس من أرجلهم حتى يؤدّوا ما عليهم.. (٣). و وصفه آخرون بأنه كان غادرا خدّاعا، لا يتردد البتة فى سفك الدماء... كان سادرا فى بطشه، مستهترا فى فتكه، و تعتبر معاملته لأولاد على من أسوأ صفحات التاريخ العباسى (٤).

و أما الهادى فقد كان يتناول المسكر و يحب اللهو و الطرب و كان ذا ظلم و جبروت. و كان سيئ الاخلاق، قاسى القلب، جبارا، يتناول المسكر، و يلعب (٥).

ص: ٥٧

١- (١) الحياه السياسيه للإمام الرضا (عليه السلام): ١٠٨-١٠٩.

٢- (٢) مروج الذهب: ٢٢٢/٣.

٣- (٣) المحاسن و المساوي: ٣٣٩.

٤- (٤) مختصر تاريخ العرب و التمدن الاسلامى: ١٨٤.

٥- (٥) تاريخ الخميس: ٣٣١/٢.

و اما الرشيد، فيكفيه انه - كما ينص المؤرخون - يشبه المنصور في كل شيء إلا في بذل المال حيث يقولون ان المنصور كان بخيلا.

و هكذا لم يكن بقيه الخلفاء العباسيين أفضل من الذين أشرنا اليهم، ولا كانت أيامهم بدعا من تلك الأيام.

و لعل الكلمه التي تجمع صفات بنى العباس الخلقية، هي الكلمه التي كتبها المأمون، و هو في مرو في رساله منه للعباسيين، بنى أبيه في بغداد، و المأمون هو من أهل ذلك البيت، الذين هم أدري من غيرهم بما فيه، لأنهم عاشوا في خضم الأحداث، و شاهدوا كل شيء عن كثب، يقول المأمون في تلك الرساله:

«... و ليس منكم إلا - لا - لعب بنفسه، مأفون في عقله و تدبيره، إما مغنّ، أو ضارب دفّ، أو زامر، و الله لو أن بنى أميه الذين قتلتموهم بالأمس نشروا، فقيل لهم: لا تأنفوا من معائب تنالوهم بها، لما زادوا على ما صيرتموه لكم شعارا و دثارا، و صناعه و أخلاقا.

ليس منكم إلا - من إذا مسّه الشر جزع، و إذا مسّه الخير منع. و لا - تأنفون، و لا ترجعون إلا خشيه، و كيف يأنف من بيت مركوبا، و يصبح بإثمه معجبا.

كأنه قد اكتسب حمدا، غايته بطنه و فرجه، لا يبالي ان ينال شهوته بقتل ألف نبي مرسل، أو ملك مقرب، أحب الناس اليه من زين له معصيه، أو أعانه في فاحشه، تنظفه المخموره...» (1).

ص: ٥٨

الحاله السياسيه فى هذه المرحله:

لا يمكن من الناحيه التاريخيه ان يفصل دور أى إمام من ائمه أهل البيت(عليهم السّلام) عن دور من سبقه من الأئمه او دور من يليه منهم، بالنظر الى تنوع الأدوار و الأعمال و المهمّات التى ينهضون بها مع اتحاد الهدف و الغايه و المقصد.

كما ان من العناصر المهمّه فى فهم دور الإمام الجواد(عليه السّلام) فى تحريك الاوضاع فى الاتجاه الذى يخدم المصالح العليا للاسلام و المسلمين، إلماننا بالخطوط العامه للوضع السياسى فى مرحلتى تصديه للقياده بعد شهاده أبيه الإمام الرضا(عليه السّلام) و قبل التصدى عند ما كان فى ظل أبيه(عليه السّلام).

و قد عاصر الإمام فى هاتين المرحلتين خليفتين متميزين باسلوب الحكم و إن اشتركا بغصبهما لمنصب القياده الشرعيه و الكيد لها.

و كانت إمامه الجواد(عليه السّلام) واقعه فى ملك و لدى هارون الرشيد المأمون و المعتصم. و قبل تصديه للإمامه كان قد عاصر الأمين و المأمون معا.

و لأجل أن نقف على اهم ملامح المرحله الاولى من حياه هذا الإمام العظيم فلا بد لنا أن نقف على أهم الاحداث السياسيه لهذه المرحله و نلم بأهم أسبابها و ما خلفته من آثار سلبيه اجتماعيه و دينيه و اقتصاديه على الأمه الاسلاميه عامه و على الدوله الاسلاميه بشكل خاص.

و من هنا لزم الوقوف عند ما يلى:

١-الفتنه بين الأمين و المأمون.

٢-الأمين و نزعاته و اتجاهاته و سياسته.

٣-المأمون و نزعاته و اتجاهاته و سياسته.

إن الفتنة بين محمد الأمين و عبد الله المأمون ولدى هارون الرشيد تعتبر أهم حدث سياسى قد وقع فى هذه الرحله التى نتكلم عن ملامحها، و قد عبّر عنها بالفتنه الكبرى التى أدت إلى إشعال نار الحرب بينهما و كلفت المسلمين ثمنا باهضا بذلوه من دماء و أموال و طاقات فى سبيل استقرار الملك و السلطان لكل منهما.

و للوقوف على أسباب هذه الفتنة لابد أن نقف على شخصيه كل واحد من هذين الأخوين بالإضافة الى ما قام به الرشيد شخصيا لزرع بذور هذه الفتنة حيث عهد لابنائه الثلاثة: الأمين ثم المأمون ثم المؤمن و بذلك قد مهد لهم سبيل التنافس على الملك مع ما منحهم من امكانيات و قدرات ماديه يتنافسون بسببها و يأمل كل منهم حذف من سواه، و سوق منصب الخلافة لابنائه دون إخوته.

محمد الأمين: نزاعه و سياسته

لم تكن فى الأمين أيه صفه كريمه يستحق بها هذا المنصب الخطير فى الإسلام، فقد أجمع المترجمون له على أنه لم يتصف بأيه نزعه شريفه، و أمّا قلده الرشيد منصب الخلافة نظرا لتأثير زوجته السيده زبيده عليه و فيما يلي بعض صفاته:

١- كراهيته للعلم: كان الأمين ينفر من العلم، و يحتقر العلماء، و كان أميا لا يقرأ و لا يكتب (١) و إذا كان بهذه الصفه كيف قلده الرشيد الخلافة الاسلاميه؟

٢- ضعف الرأى: و كان الأمين ضعيف الرأى، و قد اعطى الملك العريض و لم يحسن سياسته، و قد وصفه المسعودى بقوله: كان قبيح السيره ضعيف الرأى

ص: ٦٠

١- ((١)) السلوك لمعرفة دول الملوك للمقرئى: ١٦/١.

يركب هواه، ويهمل أمره، ويتكلم في جليلات الخطوب على غيره، ويثق بمن لا ينصحه (١). و وصفه الكتبي بقوله: وكان قد هان عليه القبيح فاتبع هواه، ولم ينظر في شيء من عقباه.

و كان من أبخل الناس على الطعام، و كان لا يبالي أين قعد، و لا مع من شرب (٢).

و مما لا شبهه فيه أنّ أصله الفكر و الرأي من أهم الشروط التي يجب أن تتوفر فيمن يلي أمور المسلمين.

٣- احتجابه عن الرعيه: و احتجب الأمين عن الرعيه كما احتجب عن أهل بيته و امرائه و عمّاله و استخفّ بهم (٣) و انصرف إلى اللهو و الطرب، و قد عهد إلى الفضل بن الربيع أمور دولته، فجعل يتصرف فيها حسب رغباته و ميوله، و قد خفّ إلى الأمين اسماعيل بن صبيح، و كان أثيرا عنده، فقال له: يا أمير المؤمنين أنّ قوادك و جنديك و عامه رعيته، قد خبث نفوسهم، و ساءت ظنونهم و كبر عندهم ما يرون من احتجابك عنهم، فلو جلست لهم ساعه من نهار فدخلوا عليك فإنّ في ذلك تسكيناً لهم، و مراجعه لآمالهم.

و استجاب له الأمين فجلس في بلاطه و دخل عليه الشعراء فأنشدوه قصائدهم، ثم انصرف فركب الحرّاقه إلى الشماسيه، و اصطفّت له الخيل و عليها الرجال، و قد اصطفّوا على ضفاف دجله، و حملت معه المطابخ و الخزائن، أمّا الحرّاقه التي ركبها فكانت سفينه على مثال أسد و ما رأى الناس منظرا كان أبهى من ذلك المنظر.

ص: ٤١

١- (١) التنبيه و الاشراف: ٣٠٢.

٢- (٢) عيون التواريخ: ٣، ورقه: ٢١٢.

٣- (٣) سمط النجوم: ٣٠٦/٣.

لقد كان الأمين انسانا تافها قد اتجه إلى ملذاته و شهواته و لم يعن بأى شأن من شؤون الدوله الاسلاميه.

٤-خلعه للمأمون:و تقلد الأمين الخلفه يوم توفى الرشيد،وقد ورد عليه خاتم الخلفه و البرده و القضيبي التي يتسلمها كل من يتقلد الخلفه من ملوك العباسيين و حينما استقرت له الامور خلع أخاه المأمون،وجعل العهد لولده موسى و هو طفل صغير فى المهد و سماه الناطق بالحق،و أرسل إلى الكعبه من جاءه بكتاب العهد الذى علّقه فيها الرشيد،وقد جعل فيه ولايه العهد للمأمون بعد الأمين،و حينما أتى به مرفه.

الحروب الطاحنه:

و بعد ما خلع الأمين أخاه المأمون عن ولايه العهد،و أبلغه ذلك رسميا ندب إلى حربه على بن عيسى،و دفع إليه قيذا من ذهب،و قال له:أوثق المأمون، و لا تقتله حتى تقدم به إلى و أعطاه مليونى دينار سوى الأثاث و الكراع،و لما علم المأمون ذلك سمى نفسه أمير المؤمنين،و قطع عنه الخراج،و ألغى اسمه من الطراز و الدراهم و الدنانير،و أعلن الخروج عن طاعته،و ندب طاهر بن الحسين، و هرثمه بن أعين إلى حربته،و إلتقى الجيشان بالرى،و قد إلتحما فى معركة رهيبه جرت فيها أنهار من الدماء و أخيرا انتصر جيش المأمون على جيش الأمين،و قتل القائد العام للقوات المسلحه فى جيش الأمين،و انتهبت جميع أمتعته و أسلحته، و كتب طاهر بن الحسين إلى الفضل بن سهل وزير المأمون يخبره بهذا الانتصار الباهر و قد جاء فى رسالته:«كتبت إليك،و رأس على بن عيسى فى حجرى، و خاتمه فى يدى و الحمد لله رب العالمين»و دخل الفضل على المأمون فسلم عليه بالخلفه،و أخبره بالأمر،و أيقن المأمون بالنصر فبعث إلى طاهر القائد العام فى

جيشه بالهدايا و الأموال، و شكره شكرا جزيلا على ذلك، و قد سمّاه ذا اليمينين، و صاحب خيل اليمينين، و أمره بالتوجه إلى احتلال العراق و القضاء على أخيه الأمين.

و خفّت جيوش المأمون إلى احتلال بغداد بقياده طاهر بن الحسين، فحاصرت بغداد، و قد دام الحصار مده طويله تخربت فيها معالم الحضاره في بغداد، و عمّ الفقر و البؤس جميع سكانها و كثر العابثون، و الشذاذ فقاموا باغتيال الأبرياء، و نهبوا الأموال و طاردوا النساء حتى تهيأت جماعه من خيار الناس تحت قياده رجل يقال له سهل بن سلامه فمنعوا العابثين و تصدوا لهم بقوه السلاح حتى أخرجوهم من بغداد(١).

و قد زحفت جيوش المأمون إلى قصر الأمين و طوّفته و ألحقت الهزائم بجيشه، فلم تتمكّن قوّات الأمين من الصمود أمام جيش المأمون الذي كان يتمتّع بروح معنويه عاليه بالإضافة إلى ما كان يملكه من العتاد و السلاح.

قتل الأمين:

و كان الأمين في تلك المحنه مشغولا بلهوه، إذ كان يصطاد سمكا مع جماعه من الخدم و كان فيهم (كوثر) الذي كان مغرما به فكان يوافيه الأنبياء بهزيمه جنوده، و محاصره قصره فلم يعن بذلك، و كان يقول: اصطاد كوثر ثلاث سمكات و ما اصطدت إلا سمكتين!! و هجمت عليه طلائع جيش المأمون فأجهزت عليه، و حمل رأسه إلى طاهر بن الحسين فنصبه على رمح و تلا قوله تعالى: **اللَّهُمَّ مَا لِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ (٢).**

ص: ٦٣

١- ((١)) اتجاهات الشعر العربي: ٧٣.

٢- ((٢)) عيون التواريخ: ٣، ورقه: ٢١١/ حياه الإمام محمد الجواد: ١٩٣-١٩٧.

خلافه إبراهيم الخليل:

سَمِيَ إبراهيم بالخليج لأنه لم يترك لونا من ألوان المجون إلا ارتكبه، وكان مدمنا على الخمر في أكثر أوقاته، وقد نصّب به العباسيون خليفه عليهم، وذلك لحقدهم على المأمون و كراهيتهم له، وقد بايعه الغوغاء، و أهل الطرب من الناس، و من الطرايف أنّ الغوغاء، أرادوا منه المال فجعل يسوّفهم، و طال عليهم الأمر فأحاطوا بقصره فخرج إليهم رسوله فأخبرهم أنّه لا مال عنده، فقام بعض ظرفاء بغداد فنّادى: «أخرجوا إلينا خليفتنا ليغنى لأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات، و لأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات فتكون عطاء لهم...» (١).

و زحف المأمون بجيوشه نحو بغداد للقضاء على تمرد إبراهيم، فلما علم ذلك هرب، و هرب من كان يعتمد على نصرته، و ظلّ إبراهيم مختفيا في بغداد يطارده الرعب و الخوف، و قد ظفر به المأمون فعفا عنه لأنّه لم يكن له أى وزن سياسى حتى يخشى منه.

ثوره أبى السرايا:

من أعظم الثورات الشعبيه التى حدثت فى عصر الإمام أبى جعفر (عليه السلام) ثوره أبى السرايا التى استهدفت القضايا المصيريه لجميع الشعوب الإسلاميه، فقد رفعت شعار الدعوه إلى (الرضا من آل محمّد (عليه السلام)) الذين كانوا هم الأمل الكبير للمضطهدين و المحرومين، و كادت أن تعصف هذه الثوره بالدوله العباسيه، فقد استجاب لها معظم الأقطار الإسلاميه، فقد كان قائدها الملمهم أبو السرايا ممّن هدّبه الأيام، و حنّكته التجارب، و قام على تكوينه عقل كبير، فقد استطاع

ص: ٦٤

١- (١) حياه الإمام محمّد الجواد (عليه السلام): ١٩٨.

بمهارته أن يجلب الكثير من أبناء الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) و يجعلهم قاده في جيشه، ممّا أوجب اندفاع الجماهير بحماس بالغ إلى تأييد ثورته و الانضمام إليها إلا أنّ المأمون قد استطاع بمهاره سياسيه فائقه أن يقضى على هذه الحركة، و يقبرها في مهدها، فقد جلب الإمام الرضا (عليه السلام) إلى خراسان، و أرغمه على قبول ولايه العهد، و أظهر للمجتمع الإسلامى أنّه علوى الرأى، فقد رفق بالعلويين، و أوعز إلى جميع أجهزه حكومته بانتقاص معاويه و الحطّ من شأنه، و تفضيل الإمام أمير المؤمنين على جميع صحابه النبى (صلّى الله عليه و آله) فاعتقد الجمهور أنّه من الشيعة و استطاع بهذا الاسلوب الماكر أن يتغلّب على الأحداث و يخمد نار الثورة (1).

لقد عاش الإمام أبو جعفر محمّد الجواد (عليه السلام) معظم حياته فى عهد المأمون، و لم يلبث بعده إلا قليلا حتى وافاه الأجل المحتوم.. و يرى بعض المؤرّخين أنّ المأمون كان يكتنّ له أعظم الودّ و خالص الحبّ، فزوّجه من ابنته أم الفضل، و قرّ له العطاء الجزيل، و كان يحوطه، و يحميه و يخشى عليه عوادي الدهر، و يضمنّ به على المكروه، و كان يصرّح أنّه يبغى بذلك الأجر من الله، و صله الرحم التي قطعها آباؤه، و فيما أحسب أنّ ذلك التكريم لم يكن عن إيمان بالإمام أو إخلاص له، و إنّما كان لدوافع سياسيه نعرض لها فى المباحث الآتية.

و على أيه حال فلا بدّ لنا من وقفه قصيره لدراسه حياه المأمون، و الوقوف على اتّجاهاته الفكرية و العقائديه، و النظر فيما صدر منه من تكريم للإمام (عليه السلام) فإنّ ذلك ممّا يرتبط ارتباطا موضوعيا بالبحث عن حياه الإمام أبى جعفر (عليه السلام).

ص: ٦٥

عبد الله المأمون هو أبو العباس بن هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، ولد بالياسريه في ليله الجمعه منتصف ربيع الأول سنه (١٧٠ هـ) و بويح له بمر و فتوجه الى بغداد و قدمها و عمره اذ ذاك تسع و عشرون سنه و عشره أشهر و عشره أيام.

و امه ام ولد تسمى مراحل.

من أبرز نزاعات المأمون و صفاته:

١- الدهاء:

لم يعرف العصر العباسي من هو أذكى من المأمون، و لا- من هو أدري منه في الشؤون السياسيه العامه فقد كان سياسيا من الطراز الأول، حتى استطاع بحده ذكائه، و قدراته السياسيه أن يتغلب على كثير من الأحداث الرهيبه التي ألمت به، و كادت تطوى حياته، و تقضى على سلطانه، فقد استطاع أن يقضى على أخيه الأمين الذي كان يتمتع بتأييد مكثف من قبل الاسره العباسيه، و السلطات العسكريه، كما استطاع أن يقضى على أعظم حركه عسكريه مضاده له، تلك ثوره أبي السرايا التي اتسع نطاقها فشملت الأقاليم الإسلاميه حتى سقط بعضها بأيدي الثوار، و كان شعار تلك الثوره الدعوه إلى الرضى من آل محمّد (صلّى الله عليه و آله) فحمل الإمام الرضا (عليه السلام) إلى خراسان، و كان (عليه السلام) زعيم الاسره العلويّه و عميدها، فأرغمه على قبول ولايه العهد، و عهد إلى جميع أجهزه حكومته بإذاعه فضائله و مآثره، كما ضرب السكّه باسمه، فأوهم بذلك على الثوار و القوى الشعبيه المؤيدين لهم أنه جادّ فيما فعله، حتى أيقنوا أنه لا حاجه إلى الثوره و إراقه الدماء بعد أن حصل الإمام (عليه السلام) على ولايه العهد، و قضى بذلك على الثوره، و طوى معالمها، و هذا التخطيط كان من أروع المخططات السياسيه التي عرفها

العالم فى جميع مراحل التاريخ.

٢- القسوه:

وانعدام الرحمه و الرأفه من آفاق نفسه هى صفه اخرى له، و الذى يدعم ذلك فهو قتله لأخيه حينما استولت عليه قوّاته العسكريه، و لو كان يملك شيئاً من الرحمه لما قتل أخاه.

كما أنه قابل العلويين بعد قتله للإمام الرضا(عليه السلام)بمنتهى الشده و القسوه، فعهد إلى جلاديه بقتلهم و التنكيل بهم أينما وجدوا.

٣- الغدر:

فقد بايع للإمام الرضا(عليه السلام)بولاية العهد، و بعد ما تحققت مآربه السياسيه دسّ إليه السمّ فقتله ليتخلص منه.

٤- ميله إلى اللهو:

اشاره

أما الميل إلى اللهو فقد أقبل عليه بنهم و فيما يلي بعض ما أثر عنه:

لعبه بالشطرنج:

و لم يكن شىء من الملاهى أحبّ إلى المأمون من الشطرنج(١)فقد هام فى هذه اللعبه و قد وصفها بهذه الأبيات:

أرض مربّعه حمراء من آدم ما بين الفين موصوفين بالكرم

تذاكرا الحرب فاحتلالها شبها من غير أن يسعيا فيها بسفك دم

هذا يغير على هذا و ذاك على هذا يغير و عين الحرب لم تتم

فانظر إلى الخيل قد جاشت بمعركه فى عسكرين بلا طبل و لا علم(٢).

و أتمّ هذا الشعر بوصف دقيق للشطرنج، و لعلّه أسبق من نظم فيه الشعر الذى أحاط بأوصافه، و كان أبوه الرشيد مولعا بالشطرنج، و قد أهدى إلى ملك فرنسا أدواته، و توجد حاليا فى بعض متاحف فرنسا.

ص: ٦٧

١- ((١)) العقد الفريد: ٣/٢٥٤.

٢- ((٢)) المستطرف: ٢/٣٠٦.

ولعه بالموسيقى:

و كان المأمون مولعا بالغناء و الموسيقى، و كان له هوى شديد فى ذلك و كان معجبا كأشد ما يكون الإعجاب بأبى إسحاق الموصلى، الذى كان من أعظم العازفين و المغنّين فى العالم العربى، و قد قال فيه: كان لا يغنى أبدا إلا و تذهب عنى وساوسى المترائده من الشيطان(١).

و كان يحيى لياليه بالغناء و الرقص و العزف على العود، و لم يمر اسم الله و لا ذكره فى قصوره و لياليه.

٥- تظاهره بالتشيع:

اشاره

لقد تظاهر المأمون بالتشيع، حتى اعتقد الكثيرون أنه من الشيعة؛ لأنه قام بما يلى:

أ- ردّ فدك للعلويين:

بعد أن صادرتها الحكومات السابقه عليه و كان قصدها إشاعه الفقر بين العلويين، و فرض الحصار الاقتصادى عليهم حتى يشغلهم الفقر و البؤس عن مناهضه اولئك الحكّام، و قد أنعش المأمون العلويين، و رفع عنهم تلك الضائقه الاقتصاديه التى كانت آخذة بخناقهم، و اعتبر البعض هذا الإجراء دليلا على تشييعه.

ب- تفضيل الإمام على بن أبى طالب (عليه السلام) على الصحابه:

و قام المأمون بإجراء خطير فقد أعلن رسميا فضل الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) على عموم الصحابه كما أعلن الحطّ من معاويه بن أبى سفيان.

ص: ٦٨

و كان هذا الإجراء من أهم المخططات التي تلفت النظر إلى تشييعه، فقد جرى سلفه على انتقاص الإمام (عليه السلام)، و الحطّ من شأنه، و تقديم سائر الصحابه عليه.

ج- ولاية العهد للإمام الرضا (عليه السلام):

حيث قيل إنّ معناها أنه قد أخرج بذلك الخلافة من العباسيين إلى العلويين.

و يلاحظ على كل هذه الظواهر أنه إنّما صنع الامور المتقدمه تدعيما لسياسته و أغراضه، و يدلّ على ذلك ما يلي:

أولاً: إنّّه كان مختلفاً كأشدّ ما يكون الاختلاف مع الأسره العباسيه الذين كانت ميولهم مع أخيه الأمين لأنّ امّه زييده كانت من أندى الناس كفاً، و من صميم العباسيين، أمّا أمّ المأمون فهى مراحل، و كانت من إماء القصر العباسى، و كان العباسيون ينظرون إليه نظره احتقار باعتبار امّه، فأراد المأمون بما أظهره من التشيع ارغام اسرته الذين كانوا من ألدّ الأعداء لآل رسول الله (صلى الله عليه و آله) و شيعتهم.

ثانياً: إنّّه أراد كشف الشيعة، و معرفه السلطه بهم بعد ما كانوا فى الخفاء، و لم تستطع الحكومات العباسيه معرفتهم و الوقوف على أسمائهم و خلائهم، فأراد المأمون بما صدر منه من إحسان لهم أن يكشفهم، و قد دلّت على ذلك بعض الوثائق الرسميه التى صدرت منه.

ثالثاً: إنّّه أراد القضاء على الحركه الثوريه التى فجّرتها الشيعة بقياده الزعيم الكبير أبى السرايا، فرأى المأمون أن خير وسيله للقضاء عليها و شلّ فعّالياتها هو الإحسان إلى الشيعة (١).

ص: ٦٩

١- (١) راجع حياه الإمام محمد الجواد (عليه السلام): ٢٢١-٢٢٥.

كانت حياة المأمون-قبل توليه الخلافة-حياه جد و نشاط و تقشف،على العكس من أخيه الأمين،الذى كان يميل الى اللعب و البطاله اكثر منه الى الجد و الحزم.

و لعل سرّ ذلك يعود الى أن المأمون لم يكن كأخيه،يشعر بأصالة محتده، و لا كان مطمئنا إلى مستقبله،و الى رضا العباسيين به،بل كان يقطع بعدم رضاهم به خليفه و حاكما،و لهذا فقد وجد انه ليس لديه أى رصيد يعتمد عليه غير نفسه، فشم عن ساعد الجد و بدأ يخطط لمستقبله منذ أن ادرك واقعه،و المميزات التى كان يتمتع بها أخوه الأمين عليه.

و يلاحظ انه كان يستفيد من أخطاء أخيه الأمين و ان الفضل عند ما رأى اشتغال الأمين باللهو و اللعب،أشار على المأمون بإظهار الورع و الدين،و حسن السيره،فأظهر المأمون ذلك...و كان كلما اعتمد الأمين حركه ناقصه اعتمد المأمون حركه شديده.

و من هنا يتبين السرّ فيما يبدو من رسالته للعباسيين،حيث نصب فيها نفسه واعطا تقبّيا،و أضفى عليها هاله من الورع و الزهد فى الدنيا و الالتزام بأحكام الشريعة،ليروه و يراه الناس نوعيه اخرى تفضل على نوعيه أخيه الأمين.

و قد برع المأمون فى العلوم و الفنون حتى فاق أقرانه،بل فاق جميع خلفاء بنى العباس،فإنه لم يكن فى بنى العباس أعلم من المأمون(١).

و هو أعلم الخلفاء بالفقه و الكلام(٢).

و كل من تعرّض من المؤرخين و غيرهم،لشرح حال المأمون،قد شهد له

ص: ٧٠

١- (١) حياه الحيوان: ٧٢/١.

٢- (٢) الفهرست: ١٧٤، ابن النديم.

بالتقدم، و بأنه رجل خلفاء بنى العباس و واحدهم(١).

و ما يهمننا هنا، هو مجرد الاشارة الى حال المأمون، و ما كان عليه من الدهاء و السياسة و حسن التدبير.

و بالرغم من جداره المأمون فيما اذا قورن الى أخيه الأمين باعتراف أبيه الرشيد بذلك، لكن الرشيد قد اعتذر عن إسناده الأمر إلى الأمين بأن العباسيين لا يرضون بالمأمون خليفه(٢).

و يرى بعض المؤرخين أنّ السرّ في عدم رضا العباسيين بالمأمون يرجع الى ان الأمين كان عباسيًا، بكل ما لهذه الكلمة من معنى فأبوه: هارون، و أمه زبيده حفيده المنصور... و كان في كنف الفضل بن يحيى البرمكى أخى الرشيد من الرضا و اعظم رجل نفوذًا في بلاط الرشيد، و كان يشرف على مصالحة الفضل بن الربيع، العربى الذى لم يكن ثمّة من شك في ولائه للعباسيين.

أمّا المأمون فقد كان في كنف جعفر بن يحيى، الذى كان اقل نفوذًا من أخيه الفضل. و كان مؤدبه و الذى يشرف على مصالحة ذلك الرجل الذى لم يكن العباسيون يرتاحون اليه.. لأنه كان متهما بالميل الى العلويين... أما ام المأمون فخراسانية غير عربيّه... (٣).

التحدّيات التى واجهت حكم المأمون و موقفه منها

لقد جابه حكم المأمون تحديات خطيره كانت تهدد كيانه و كادت تعصف به، و كان بقاؤه فى السلطه يحتاج الى الكثير من الدهاء.

ص: ٧١

١- (١) الحياه السياسيه للامام الرضا(عليه السلام): ١٥٤.

٢- (٢) راجع الحياه السياسيه للامام الرضا(عليه السلام): ١٥٢.

٣- (٣) راجع الحياه السياسيه للامام الرضا(عليه السلام): ١٥٦-١٥٧.

و أهمّ ما كان يواجه المأمون ما يلي:

- ١- تحرك الشيعة ضده و كان تحركا عنيفا،و كانت ثوره أبى السرايا التى عمّت الكثير من الحواضر الاسلاميه آنذاك نموذجا له.
- ٢-تكتل العائله العباسيه ضد المأمون و وقفها الى جانب الأمين أولا،ثم عزلها له و تعيين عمه ابراهيم بن المهدي بعد ذلك.
- ٣-تحركات الخوارج و الفئات المناوئه الاخرى.
- ٤-وجود المخاطر الخارجيه من جانب الدول المتربصه بالدوله الاسلاميه، خصوصا الدوله البيزنطيه.

و أمام هذه التحديات قام المأمون بما يلي:

أولا-تصفيته لتحرك أخيه الأمين و القوى المتحركه القويه ضده.

ثانيا-القيام بلعبه توليه الإمام الرضا(عليه السّلام)لولاية العهد بالإكراه ليصوّر للامه انه مع القيادة الشرعيه و انه نقل الحكم اليها و هذا من شأنه أن يقلل من الروح الثوريه للامه باتجاه اقامه الحكم بقياده أهل البيت(عليهم السّلام).

ثالثا-محاربه و تصفيه ثورات العلويين.

رابعا-التصفيه الجسديه للإمام الرضا(عليه السّلام)بعد انتهائه من تصفيه الثورات الخطيره.

خامسا-التوجّه الى بغداد للقضاء على معارضه البيت العباسى.

سادسا-تصفيه مراكز القوى فى الدوله باتجاه تعزيز قوته و وضعه.

سابعا-اشاعه فتنه خلق القرآن لإشغال الناس بها عمّا يهتمهم.

ثامنا-تصفيه قوى المعارضه من قبيل الخوارج.

تاسعا-التوجه لمحاربه الدوله البيزنطيه و دفع خطرها.

إشاره

وصلت المسيره الإسلاميه اثناء إمامه الرضا (عليه السلام) الى مرحله متقدمه نتيجة الجهود العظيمه التي بذلها الأئمه السابقون على الإمام الرضا (عليه السلام) مما جعل السلطه العباسيه مضطره للدخول فيما دخلت فيه من توليه الإمام الرضا (عليه السلام) لولايه العهد و الإيحاء بتحويل الخلافه من العباسيين لأهل البيت (عليهم السلام). و لا يوضح هذا الأمر نذكر الامور التاليه:

أ- حاله الامه بلحاظ القيادة الشرعيه:

- يبدو ان الامه كانت تؤيد قياده أهل البيت (عليهم السلام) و تعتقد بها و لكن ضمن ثلاثه مستويات، هي:
- ١- عموم الامه التي اصبحت مؤمنه بقياده أهل البيت (عليهم السلام)، دون ارتباطها بهم برباط عميق واع.
- ٢- المعارضون للدوله الذين يعتمدون الكفاح المسلح لاسقاطها و اقامه الحكم الإسلامى، و ثوره أبى السرايا نموذج لذلك.
- ٣- المؤمنون الواعون بالقياده الشرعيه و هم أصحاب الإمام الرضا (عليه السلام) و انصاره.

ب- تحرك المؤمن على واقع المستويات الثلاثه:

- انتهج المؤمن سياسه المراحل فى احتواء المستويات الثلاثه و اجهاضها بحنكه و دهاء و بالشكل التالي:
- ١- التصدى لمواجهه الثوار المواليين لأهل البيت (عليهم السلام) و تصفيتهم عسكريا، ففى أيامه خرج أبو السرايا و قويت شوكته و دعا الى بعض

أهل البيت (عليهم السّلام)، فقاتله الحسن بن سهل، فكانت الغلبة لجيش المأمون و قتل أبو السرايا.

٢- احتواء التوجه الشعبى لأهل البيت (عليهم السّلام).

لقد ابتكر المأمون وسيله سياسيه بارعه لاحتواء هذا التوجه و ذلك ببيعه الإمام الرضا (عليه السّلام) وليا للعهد و التظاهر بموالاه أهل البيت (عليهم السّلام) لتشويه هذا التوجه و امتصاصه.

و كان المأمون قد أنفذ إلى جماعه من آل أبى طالب، فحملهم اليه من المدينه و فيهم الرضا على بن موسى (عليهما السّلام)، فأخذ بهم على طريق البصره حتى جاؤوا بهم إليه، و كان المتولى لإشخاصهم المعروف بالجلودى.

فقدم بهم على المأمون فانزلهم دارا، و انزل الرضا على بن موسى (عليهما السّلام) دارا، و أكرمه و عظم أمره، ثم أنفذ اليه:

أنى أريد ان اخلع نفسى من الخلافه و اقلدك اياها فما رأيك فى ذلك؟

فأنكر الرضا (عليه السّلام) هذا الأمر و قال له:

«اعيدك بالله يا أمير المؤمنين من هذا الكلام، و أن يسمع به أحد».

فرد عليه الرساله:

فإذا ابيت ما عرضت عليك فلا بد من ولايه العهد من بعدى.

فأبى عليه الرضا إباء شديدا، فاستدعاه اليه و خلا- به و معه الفضل بن سهل ذو الرئاستين، ليس فى المجلس غيرهم، و قال له: انى قد رأيت ان اقلدك أمر المسلمين، و أفسخ ما فى رقبتي و أضعه فى رقبتك. فقال له الرضا (عليه السّلام):

«اللّه الله- يا أمير المؤمنين- انه لا طاقه لى بذلك و لا قوه لى عليه» قال له:

فإنى مولىك العهد من بعدى فقال له: أعفنى من ذلك يا أمير المؤمنين.

فقال له المأمون كلاما فيه كالتهديد له على الامتناع عليه، و قال له فى كلامه: إن عمر بن الخطاب جعل الشورى فى سته أحدهم جدك أمير المؤمنين على

ابن أبي طالب و شرط فيمن خالف منهم ان تضرب عنقه، ولا بد من قبولك ما اریده منك، فإنني لا أجد محيصا عنه، فقال له الرضا(عليه السلام):

«فإني اجيبك إلى ما تريد من ولاية العهد، على انني لا آمر ولا أنهي ولا افتي ولا أفضي ولا اولي ولا اعزل ولا أعتبر شيئا مما هو قائم» فأجابته المأمون إلى ذلك كله.

وقد كان الإمام(عليه السلام) مرغما على قبول ولاية العهد أي أنه لم يكن له الخيار في رفضها فقد كان المأمون جادا في قتله لو تخلف عن قبول البيعة.

فعن الريان بن الصلت أنه قال:

دخلت على علي بن موسى الرضا(عليه السلام) فقلت له: يا ابن رسول الله، ان الناس يقولون انك قبلت ولاية العهد مع إظهارك الزهد في الدنيا؟ فقال(عليه السلام):

«قد علم الله كراهتي لذلك فلما خيرت بين قبول ذلك وبين القتل اخترت القبول على القتل، و يحهم أما علموا ان يوسف(عليه السلام) كان نبيا رسولا- فلما دفعته الضرورة إلى تولي خزائن العزيز قال له: **إِجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْم** و دفعتنى الضرورة إلى قبول ذلك على اكراه و إجبار بعد الاشراف على الهلاك، على اني ما دخلت في هذا الأمر إلا دخول خارج منه، فإلى الله المشتكى و هو المستعان»(1).

و روى عن أبي الصلت الهروي أنه قال:

«إن المأمون قال للرضا علي بن موسى(عليه السلام) يا ابن رسول الله قد عرفت فضلك و علمك و زهدك و ورعك و عبادتك و أراك احق بالخلافه مني، فقال الرضا(عليه السلام): بالعبودية لله عزّ و جل افتخر و بالزهد في الدنيا أرجو النجاه من شرّ الدنيا، و بالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم، و بالتواضع في الدنيا أرجو الرفعه عند الله عزّ و جلّ.

ص: ٧٥

فقال له المأمون: فإنني قد رأيت ان اعزل نفسي عن الخلافة، و أجعلها لك و ابايعك، فقال له الرضا(عليه السّلام): إن كانت هذه الخلافة لك و جعلها الله لك فلا- يجوز ان تخلع لباسا ألبسه الله و تجعله لغيرك، و ان كانت الخلافة ليست لك فلا- يجوز لك ان تجعل لى ما ليس لك. فقال المأمون: يا ابن رسول الله لا بدّ لك من قبول هذا الأمر، فقال: «لست أفعل ذلك طائعا أبدا». فما زال يجهد به أياما حتى يئس من قبوله، فقال له: فان لم تقبل الخلافة و لم تحبّ مبايعتى لك فكن و لىّ عهدى لتكون لك الخلافة بعدى. فقال الرضا(عليه السّلام): و الله لقد حدّثنى أبى عن آباءه عن أمير المؤمنين عن رسول الله(صلّى الله عليه و آله) أنى أخرج من الدنيا قبلك مقتولا- بالسم، مظلوما تبكى على ملائكة السماء و ملائكة الأرض، و أدفن فى أرض غربه إلى جنب هارون الرشيد. فبكى المأمون ثم قال له: يا ابن رسول الله و من الذى يقتلك أو يقدر على الإساءة اليك و أنا حيّ؟ فقال الرضا(عليه السّلام): أما انى لو أشاء أن أقول من الذى يقتلنى لقلت.

فقال المأمون: يا ابن رسول الله إنما تريد بقولك هذا التخفيف عن نفسك.

و دفع هذا الأمر عنك، ليقول الناس إنك زاهد فى الدنيا.

فقال الرضا(عليه السّلام): و الله ما كذبت منذ خلقنى ربّى عزّ و جلّ و ما زهدت فى الدنيا للدنيا و إنى لأعلم ما تريد.

فقال المأمون: و ما اريد؟ قال: الأمان على الصدق؟ قال: لك الأمان. قال:

تريد بذلك أن يقول الناس: إنّ على بن موسى لم يزهّد فى الدنيا بل زهدت الدنيا فيه، ألا ترون كيف قبل ولايه العهد طمعا فى الخلافة؟

فغضب المأمون ثم قال: إنك تتلقانى أبدا بما أكرهه. و قد أمنت سطوتى، فبالله أقسم لئن قبلت ولايه العهد و إلا أجبرتكَ على ذلك فإن فعلت و إلا ضربت عنقك. فقال الرضا(عليه السّلام): قد نهانى الله عزّ و جلّ ان القى بيدي إلى التهلكه، فإن كان الأمر على هذا، فافعل ما بدا لك، و أنا أقبل ذلك على أنى لا اولىّ أحدا و لا اعزل أحدا و لا أنقض رسما و لا سنّه، و أكون فى الأمر من بعيد مشيرا.

فرضى منه بذلك و جعله ولي عهد على كراهه منه (عليه السلام) لذلك» (١).

ج- مع المؤمنين الواعين

كان المأمون حذرا من الإمام الرضا (عليه السلام) يتحین الفرص لاغتيا له، وقد فعل ذلك في أول فرصه مناسبة فأوعز لعملائه باغتيا له، وذلك بعد نحو عامين من ولايه العهد. ففي أول شهر رمضان سنة إحدى و مائتين كانت البيعه للرضا صلوات الله عليه (٢) و قبض الرضا (عليه السلام) بطوس من أرض خراسان في صفر سنة ثلاث و مائتين و له يومئذ خمس و خمسون سنة.. (٣).

عن أحمد بن علي الانصاري قال: سألت أبا الصلت الهروي فقلت له: كيف طابت نفس المأمون بقتل الرضا (عليه السلام) مع اكرامه و محبته له و ما جعل له من ولايه العهد بعده؟

فقال: ان المأمون انما كان يكرمه و يحبه لمعرفته بفضلله و جعل له ولايه العهد من بعده ليرى الناس انه راغب في الدنيا فيسقط محله من نفوسهم، فلما لم يظهر منه في ذلك للناس إلا ما ازداد به فضلا عندهم و محلا في نفوسهم جلب عليه المتكلمين من البلدان طمعا في ان يقطعه واحد منهم فيسقط محله عند العلماء، و بسببهم يشتهر نقصه عند العامه فكان لا يكلمه خصم من اليهود و النصارى و المجوس و الصابئين و البراهمه و الملحدين و الدهريه و لا- خصم من فرق المسلمين المخالفين إلا قطعه و ألزمه الحجه، و كان الناس يقولون: و الله إنه أولى بالخلافه من المأمون، و كان أصحاب الاخبار يرفعون ذلك اليه فيغتاظ من ذلك و يشتد حسده له، و كان الرضا (عليه السلام) لا يحابى المأمون في حق و كان يجيبه بما

ص: ٧٧

١- (١) الحياه السياسيه للإمام الرضا (عليه السلام): ١٤١.

٢- (٢) الحياه السياسيه للإمام الرضا (عليه السلام): ١٤١.

٣- (٣) الحياه السياسيه للإمام الرضا (عليه السلام): ٦٦.

يكره في أكثر احواله فيغيظه ذلك و يحقده عليه و لا يظهره له، فلما أعبته الحيله في أمره اغتاله فقتله بالسهم (١).

و عن علي بن ابراهيم، عن ياسر الخادم قال: «لما كان بيننا و بين طوس سبعة منازل اعتلّ أبو الحسن (عليه السّلام) فدخلنا طوس و قد اشتدّت به العله، فبقينا بطوس أياما فكان المأمون يأتيه في كل يوم مرتين فلما كان في آخر يومه الذي قبض فيه كان ضعيفا في ذلك اليوم فقال لي بعد ما صلّى الظهر: يا ياسر أكل الناس شيئا؟ قلت: يا سيدي من يأكل ههنا مع ما أنت فيه؟ فانتصب (عليه السّلام) ثم قال: هاتوا المائدة، و لم يدع من حشمه أحدا إلا أقعده معه على المائدة يتفقد واحدا واحدا، فلما اكلوا قال: ابعثوا إلى النساء بالطعام، فحمل الطعام إلى النساء فلما فرغوا من الأكل أغمى عليه و ضعف، فوقعت الصيحه و جاءت جوارى المأمون و نساؤه حافيات حاسرات، و وقعت الوصيه (٢) بطوس و جاء المأمون حافيا و حاسرا يضرب على رأسه، و يقبض على لحيته، و يتأسف و يبكي و تسيل الدموع على خديه فوقف على الرضا (عليه السّلام) و قد أفاق فقال: يا سيدي و الله ما أدري أي المصيبتين أعظم عليّ، فقدى لك و فراقى إياك؟ أو تهمة الناس لي أنا اغتلتك و قتلتك؟ قال: فرغه طرفه إليه ثم قال: أحسن يا أمير المؤمنين معاشره أبي جعفر، فإنّ عمرك و عمره هكذا و جمع سبّابتيه.

قال: فلما كان من تلك الليله قضى (عليه السّلام) بعد ما ذهب من الليل بعضه، فلما أصبح اجتمع الخلق و قالوا: هذا قتله و اغتاله -يعنى المأمون- و قالوا: قتل ابن رسول الله و اكثروا القول و الجلبه (٣)، و كان محمد بن جعفر بن محمد (عليه السّلام) استأمن إلى المأمون و جاء إلى خراسان و كان عمّ أبي الحسن فقال له المأمون: يا أبا جعفر

ص: ٧٨

١- (١) الحياه السياسيّه للإمام الرضا (عليه السّلام): ١٠٧-١٠٨.

٢- (٢) الوصيه: الصوت يكون في الناس و غيرهم. الوصيه: الرحمه.

٣- (٣) الجلبه: اختلاط الأصوات و الصياح.

أخرج إلى الناس و أعلمهم ان أبا الحسن لا- يخرج اليوم، و كره ان يخرج فتقع الفتنة فخرج محمد بن جعفر إلى الناس فقال: ايها الناس تفرقوا فإن أبا الحسن لا يخرج اليوم، فتنفرق الناس و غسل أبو الحسن في الليل و دفن»(١).

و قد استطاع المأمون ان يخدع الكثيرين عند ما أظهر حزنه و جزعه على استشهاد الإمام الرضا(عليه السلام) و بصوره أثرت على العوام، لكنها لم تنطل على الخواص. حيث إنهم عرفوا دوافع المأمون و أساليبه و أهدافه، كما لا حظنا ذلك في نصّ أبي الصلت، و كما سنلاحظ ذلك في رساله عبد الله بن موسى التالیه.

طبيعه حكم المأمون

لقد شخّص السيد عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب(عليه السلام)، طبيعه حكم المأمون و أساليبه برساله تسلط مزيدا من الأضواء على العلاقة بين هذا الحاكم و بين الإمام الجواد(عليه السلام)، فقد كان تشخيص هذا السيد دقيقا و عميقا، فقد كتب المأمون الى عبد الله بن موسى و هو متوار منه يعطيه الأمان و يضمن له ان يوليه العهد بعده، كما فعل بعلي بن موسى، و يقول: ما ظننت ان أحدا من آل أبي طالب يخافني بعد ما عملته بالرضا، و بعث الكتاب اليه.

فكتب عبد الله بن موسى:

وصل كتابك و فهمته، تختلني فيه عن نفسي ختل القانص، و تحتال على حيله المغتال القاصد لسفك دمي، و عجت من بذلك العهد و ولايته لي بعدك، كأنك تظن أنه لم يبلغني ما فعلته بالرضا! أففى أى شىء ظننت أنى أرغب من ذلك؟ أفى الملك الذى قد غرتك حلاوته؟ أفو الله لأن أقذف- و أنا حى- فى نار تتأجج أحب إلى من أن ألى أمرا بين المسلمين أو اشرب شربه من غير حلها مع عطش شديد قاتل، أم فى العنب المسموم الذى قتلت به الرضا؟ أم ظننت ان

ص: ٧٩

١- (١) الحياه السياسيه للإمام الرضا(عليه السلام): ١٠٨، عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢/٢٦٩، ٢٧٠.

الاستتار قد أمّلتني و ضاق به صدرى؟ فو الله انى لذلك. و لقد مللت الحياه و أبغضت الدنيا، و لو وسعنى فى دينى أن أضع يدى فى يدك حتى تبلغ من قبلى مرادك لفعلت ذلك، و لكن الله قد حذر على المخاطره بدمى، و ليتك قدرت على من غير أن أبذل نفسى لك فتقتلى، و لقيت الله عز و جل بدمى، و لقيته قتيلًا مظلومًا، فاسترحت من هذه الدنيا.

و اعلم أنى رجل طالب النجاه لنفسى، و اجتهدت فيما يرضى الله عز و جل عني و فى عمل اتقرب به اليه، فلم أجد رأيا يهدى الى شىء من ذلك، فرجعت الى القرآن الذى فيه الهدى و الشفاء، فتصفحته سوره سوره، و آيه آيه، فلم أجد شيئًا أزلف للمرء عند ربه من الشهاده فى طلب مرضاته.

ثم تتبعته ثانيه اتأمل الجهاد أيه أفضل، و لأى صنف، فوجدته جلّ و علا يقول: **قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَ لِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً**، فطلبت أى الكفار أضر على الإسلام، و أقرب من موضعى فلم أجد أضر على الإسلام منك، و لأن الكفار أظهروا كفرهم، فاستبصر الناس فى أمرهم، و عرفوهم فخافوهم، و أنت ختلت المسلمين بالاسلام، و أسررت الكفر، فقتلت بالظنه، و عاقبت بالتهمه، و أخذت المال من غير حلّه فأنفقتة فى غير محله، و شربت الخمر المحرمه صراحًا، و أنفقت مال الله على الملهين و أعطيته المغنين، و منعتة من حقوق المسلمين، فغششت بالاسلام، و أحطت بأقطاره إحاطه أهله، و حكمت فيه للمشرك، و خالفت الله و رسوله فى ذلك خلافه المضاد المعاند، فإن يسعدنى الدهر، و يعيننى الله عليك بأنصار الحق، أبذل نفسى فى جهادك بدلًا يرضيه منى، و إن يمهلك و يؤخرك ليجزيك بما تستحقه فى منقلبك، أو تخترنى الايام قبل ذلك، فحسبى من سعى ما يعلمه الله عز و جل من نيتى، و السلام» (1).

ص: ٨٠

١- (١) نظريه الإمامه: ٣٨١، نقلًا عن الحياه السياسيه للإمام الرضا (عليه السلام): ٤٦٥.

لقد رَسَخ الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السَّلام) إمامه ابنه الجواد (عليه السَّلام) كما قام بذلك الأئمة (عليهم السَّلام) الذين سبقوه حيث نوهوا باسم من يأتي من بعدهم من أئمة، و في هذا المجال سنعرض المواقف التي ثبت بها الإمام الرضا (عليه السَّلام) إمامه الجواد (عليه السَّلام) و دعا شيعته للإعتصام بها، و من ذلك:

١- قال الراوى: أخبرنى من كان عند أبى الحسن الرضا (عليه السَّلام) جالسا، فلما نهضوا، قال لهم: «ألقوا أبا جعفر فسلموا عليه و أحدثوا به عهدا، فلما نهض القوم إلتفت الى فقال: يرحم الله المفضل انه كان ليقنع بدون هذا» (١).

٢- قال الراوى: سمعت الرضا (عليه السَّلام) و ذكر شيئا فقال: «ما حاجتكم الى ذلك؟ هذا أبو جعفر قد أجلسته مجلسى و صيرته مكانى، و قال: إنا أهل بيت يتوارث أصاغرنا عن أكابرنا القده بالقده» ٢.

٣- قال الراوى: «سمعت على بن جعفر يحدث الحسن بن الحسين بن على بن الحسين فقال فى حديثه: لقد نصر الله أبا الحسن الرضا (عليه السَّلام) لَمَّا بغى عليه اخوته و عمومته، و ذكر حديثا طويلا- حتى انتهى الى قوله: فقممت و قبضت على يد أبى جعفر محمد بن على الرضا (عليه السَّلام) و قلت: أشهد أنك إمامى عند الله، فبكى الرضا (عليه السَّلام) ثم قال: «يا عم، ألم تسمع أبى و هو يقول: قال رسول الله (صلَّى الله عليه و آله): بأبى خيره الإمام النوبيه الطئيبه يكون من ولده الطريد الشريد الموتور بأبيه و جده صاحب الغيبه، يقال: مات او هلك أى واد سلك؟

فقلت: صدقت جعلت فداك» (١).

٤- قال الراوى: قلت للرضا (عليه السّلام) قد كُنّا نسألك قبل ان يهب الله لك أبا جعفر فكنت تقول: «يهب الله لى غلاما» فقد وهبه الله لك، فأقرّ عيوننا، فلا أرانا الله يومك، فإن كان كون فيالى من؟ فأشار بيده الى أبى جعفر (عليه السّلام) و هو قائم بين يديه، فقلت له: جعلت فداك هذا ابن ثلاث سنين! قال: «و ما يضره من ذلك، قد قام عيسى بالحجه و هو ابن أقل من ثلاث سنين» (٢).

٥- قال الراوى: كنت عند أبى الحسن الرضا (عليه السّلام) فجىء بابنه أبى جعفر و هو صغير فقال: «هذا المولود الذى لم يولد مولود أعظم برکه على شيعتنا منه» (٣).

٦- قال الراوى: «دخلت على أبى الحسن الرضا (عليه السّلام) و قد ولد له أبو جعفر (عليه السّلام)، فقال: ان الله قد وهب لى من يرثنى و يرث آل داود» (٤).

٧- قال الراوى: «كنت مع أبى الحسن (عليه السّلام) جالسا، فدعا بابنه و هو صغير فأجلسه فى حجرى فقال لى: جزده و انزع قميصه، فنزعته، فقال: انظر بين كتفيه شبيه الخاتم داخل فى اللحم. ثم قال: ترى هذا؟ كان مثله فى هذا الموضع من أبى (عليه السّلام)» (٥).

٨- قال الراوى: «ما كان (عليه السّلام) -يعنى الرضا- يذكر محمدا ابنه (عليه السّلام) إلا بكنيته، يقول: كتب لى أبو جعفر، و كنت اكتب الى أبى جعفر و هو صبى بالمدينه، فيخطبه بالتعظيم، و ترد كتب أبى جعفر (عليه السّلام) فى نهايه البلاغه و الحسن فسمعتة يقول: أبو جعفر وصيى و خليفتى فى أهلى من بعدى» (٦).

٩- قال الراوى: سمعت دعبل بن على الخزاعى يقول: انشدت مولاي على

ص: ٨٢

١- ((١) إعلام الورى: ٩٢/٢.

٢- ((٢) إعلام الورى: ٩٣/٢.

٣- ((٣) إعلام الورى: ٩٥/٢.

٤- ((٤) مستدرک عوالم العلوم: ٦٨/٢٣.

٥- ((٥) مستدرک عوالم العلوم: ٦٩/٢٣.

٦- ((٦) مستدرک عوالم العلوم: ٧٢/٢٣.

ابن موسى الرضا (عليه السلام) قصيدتي - الى ان قال - : «يا دعبل الإمام بعدى محمد ابني و بعد محمد ابنة علي و بعد علي ابنة الحسن و بعد الحسن ابنة الحجج القائم المنتظر» (١).

الإمام الجواد (عليه السلام) عند استشهاده

عن أبي الصلت الهروي أنه قال:

«بينا أنا واقف بين يدي أبي الحسن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) إذ قال لي:

يا أبا الصلت، ادخل هذه القبّة التي فيها قبر هارون و آتني بتراب من أربعه جوانبها.

قال: فمضيت فأتيت به، فلما مثلت بين يديه، قال لي: ناولني [من] هذا التراب، - و هو من عند الباب - فناولته فأخذه و شمّه ثم رمى به، ثم قال: سيحفر لي [قبر] ههنا، فتظهر صخره لو جمع عليها كلّ معول بخراسان لم يتهتأ قلعهها، ثم قال في الذي عند الرّجل و الذي عند الرأس مثل ذلك، ثم قال: ناولني هذا التراب فهو من تربتي.

ثم قال: سيحفر لي في هذا الموضع، فتأمرهم أن يحفروا لي سبع مراق إلى أسفل، و أن تشقّ لي ضريحه، فإن أبوا إلا أن يلحدوا، فتأمرهم أن يجعلوا اللحد ذراعين و شبرا فإنّ الله تعالى سيوسّعه ما يشاء، و إذا فعلوا ذلك فإنّك ترى عند رأسى نداوه، فتكلّم بالكلام الذي أعلمك، فإنّه ينبع الماء حتّى يمتلئ اللحد و ترى فيه حيتانا صغارا، فتفتّت لها الخبز الذي أعطيك فإنّها تلتقطه، فإذا لم يبق منه شيء خرجت منه حوته كبيره فالتقطت الحيتان الصغار حتّى لا يبقى منها شيء، ثمّ تغيب، فإذا غابت فضع يدك على الماء، ثمّ تكلم بالكلام الذي أعلمك، فإنّه ينضب الماء و لا يبقى منه شيء، و لا تفعل ذلك إلا بحضرة المأمون.

ص: ٨٣

ثم قال (عليه السلام): يا أبا الصلت غدا أدخل على هذا الفاجر، فإن خرجت [و أنا] مكشوف الرأس، فتكلم أكلمك، وإن خرجت و أنا مغطى الرأس فلا تكلمنى.

قال أبو الصلت: فلما أصبحنا من الغد لبس ثيابه، و جلس فى محرابه ينتظر، فبينما هو كذلك، إذ دخل عليه غلام المأمون، فقال له: أجب أمير المؤمنين، فلبس نعله و رداءه، و قام يمشى و أنا أتبعه، حتى دخل على المأمون، و بين يديه طبق عليه عنب، و أطباق فاكهه، و بيده عنقود عنب قد أكل بعضه، و بقى بعضه.

فلما أبصر بالرضا (عليه السلام) وثب إليه فعانقه و قبل ما بين عينيه و أجلسه معه ثم ناوله العنقود، و قال: يا ابن رسول الله ما رأيت عنبا أحسن من هذا!

قال له الرضا (عليه السلام): ربما كان عنبا حسنا يكون من الجئه. فقال له: كل منه فقال له الرضا (عليه السلام): تعفينى منه. فقال: لا بد من ذلك، و ما يمنعك منه لعلك تتهمنا بشيء. فتناول العنقود فأكل منه، ثم ناوله فأكل منه الرضا (عليه السلام) ثلاث حبات، ثم رمى به و قام.

فقال المأمون: إلى أين؟ قال: إلى حيث وجهتنى، و خرج (عليه السلام) مغطى الرأس فلم أكلمه حتى دخل الدار، فأمر أن يغلق الباب، فغلق ثم نام (عليه السلام) على فراشه، و مكث واقفا فى صحن الدار مهموما محزونا.

فبينما أنا كذلك، إذ دخل على شاب حسن الوجه، ققط الشعر، أشبه الناس بالرضا (عليه السلام)، فبادرت إليه و قلت له: من أين دخلت و الباب مغلق؟ فقال: الذى جاء بى من المدينه فى هذا الوقت: هو الذى أدخلنى الدار و الباب مغلق. فقلت له:

و من أنت؟

فقال لى: أنا حجج الله عليك يا أبا الصلت، أنا محمد بن على.

ثم مضى نحو أبيه (عليه السلام) فدخل و أمرنى بالدخول معه، فلما نظر إليه

الرضا(عليه السّلام)وثب إليه،فعانقه و ضمّه إلى صدره وقبّل ما بين عينيه،ثمّ سحبه سحبا إلى فراشه،و أكبّ عليه محمّدا بن عليّ(عليه السّلام)يقبله و يساره بشيء لم أفهمه.

و مضى الرضا(عليه السّلام)،فقال أبو جعفر(عليه السّلام):يا أبا الصلت قم فأنتى بالمغتسل و الماء من الخزانة.فقلت:ما فى الخزانة مغتسل و لا ماء.فقال لى:إنته إلى ما أمرك به،فدخلت الخزانة،فإذا فيها مغتسل و ماء،فأخرجته و شمّرت ثيابى لأغسله معه،فقال لى:تنحّ يا أبا الصلت فإنّ لى من يعيننى غيرك.فغسله.

ثمّ قال لى:ادخل الخزانة،فأخرج إلى السّفت الذى فيه كفنه و حنوطه،[فدخلت]فإذا أنا بسفط لم أره فى تلك الخزانة قطّ،فحملته إليه فكفّنه و صلّى عليه.

ثمّ قال لى:أنتى بالتابوت.

فقلت:أمضى إلى النّجار حتّى يصلح التابوت.

قال:قم فإنّ فى الخزانة تابوتا.

فدخلت الخزانة فوجدت تابوتا لم أره قطّ فأتيت به،فأخذ الرضا(عليه السّلام)بعد ما صلّى عليه فوضعه فى التابوت،و صفّ قدميه،و صلّى ركعتين لم يفرغ منهما حتّى علا التابوت،فانشقّ السقف،فخرج منه التابوت و مضى.

فقلت:يا ابن رسول الله،الساعة يجيئنا المأمون و يطالبنا بالرضا(عليه السّلام) فما نصنع؟

فقال لى:أسكت فإنّه سيعود يا أبا الصلت،ما من نبيّ يموت بالشرق و يموت وصيّيه بالمغرب إلّا جمع الله تعالى بين أرواحهما و أجسادهما.

فما أتّمّ الحديث،حتّى انشقّ السقف و نزل التابوت،فقام(عليه السّلام)فاستخرج الرضا(عليه السّلام)من التابوت،و وضعه على فراشه كأنه لم يغسل و لم يكفن.

ثمّ قال لى:يا أبا الصلت قم فافتح الباب للمأمون،ففتحت الباب،فإذا

المأمون و الغلمان بالبواب، فدخل باكيا حزينا قد شقَّ جيبه، و لطم رأسه، و هو يقول:

يا سيده فجعت بك يا سيدي، ثم دخل و جلس عند رأسه و قال: خذوا في تجهيزه.

فأمر بحفر القبر، فحفرت الموضع فظهر كل شيء على ما وصفه الرضا (عليه السلام) فقال له بعض جلسائه: ألسنت تزعم أنه إمام؟ قال: بلى. قال:

لا يكون الإمام إلا مقدّم الناس.

فأمر أن يحفر له في القبلة، فقلت: أمرني أن أحفر له سبع مراق، و أن أشقَّ له ضريحه فقال: انتهوا إلى ما يأمر به أبو الصلت سوى الضريح، و لكن يحفر له و يلحد.

فلما رأى ما ظهر من النداهة و الحيطان و غير ذلك، قال المأمون:

لم يزل الرضا (عليه السلام) يرينا عجائبه في حياته حتى أراها بعد وفاته أيضا.

فقال له وزير كان معه: أتدرى ما أخبرك به الرضا؟ قال: لا.

قال: إنّه أخبرك أنّ ملككم يا بني العيّاس مع كثرتك و طول حذرکم مثل هذه الحيطان، حتى إذا افنيت آجالكم و انقطعت آثاركم و ذهبت دولتكم، سلط الله تعالى عليكم رجلا منّا فأفناكم عن آخركم قال له: صدقت.

ثم قال لي: يا أبا الصلت علّمني الكلام الذي تكلمت به. قلت: و الله لقد نسيت الكلام من ساعتى. و قد كنت صدقت، فأمر بحبسى، و دفن الرضا (عليه السلام)، فحبست سنه، فضاقت على الحبس، و سهرت الليل، و دعوت الله تعالى بدعاء ذكرت فيه محمدا و آله (عليهم السلام)، و سألت الله تعالى بحقهم أن يفرج عني.

فلم أستتم الدعاء حتى دخل عليّ أبو جعفر محمد بن عليّ (عليه السلام).

فقال [لي]: يا أبا الصلت ضاقت صدرك؟ فقلت: إي و الله. قال: قم فاخرج.

ثم ضرب يده إلى القيود التي كانت [على] أفكها، وأخذ بيدي وأخرجني من الدار، والحرس والغلمه يرونني، فلم يستطيعوا أن يكلموني، وخرجت من باب الدار.

ثم قال لي: إمض في ودائع الله، فإنك لن تصل إليه، ولا يصل إليك أبدا.

قال أبو الصلت: فلم ألتق مع المأمون إلى هذا الوقت» (١).

ص: ٨٧

١- ((١)) كذا في الأمالي: ٥٢٦ ح ١٧، العيون: ٢/٢٤٢ ح ١، عنهما الوسائل: ٢/٨٣٧ ح ٤، والبحار: ٣٠٠/٤٩ ح ١٠، و ج: ٤٦/٨٢ ح ٣٥، و مدينة المعاجز: ٤٩٨/١١٤ و ص: ٥٢٤ ح ٣٧. و أوردها القطب الراوندي في الخرائج: ١/٣٥٢ ح ٨، عن أبي عبد الله محمد بن سعيد النيسابوري، عن أبي الصلت الهروي.

الباب الثالث

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

ملامح عصر الإمام الجواد(عليه السلام)

الفصل الثاني:

الإمام الجواد(عليه السلام) و حكم عصره

الفصل الثالث:

متطلبات عصر الإمام الجواد(عليه السلام)

ص: ٨٩

إشارة

ملامح عصر الإمام الجواد (عليه السلام)

كان عصر الإمام أبي جعفر الجواد (عليه السلام) من أزهى العصور الإسلامية و أروعها، من حيث تميّزه في نهضته العلمية و حضارته الفكرية، و قد ظل المسلمون و غيرهم أجيالا و قرونا يقتاتون من موائد الثروات الفكرية و العلمية التي أسست في ذلك العصر.

و لا بدّ لنا من الحديث -بإيجاز- عن معالم عصر الإمام (عليه السلام) فقد أصبحت دراسه العصر من المباحث المنهجية التي لا غنى للباحث عنها.

١- الحياه الثقافيه:

إشارة

تعتبر الحياه الثقافيه في ذلك العصر من أبرز معالم الحياه في العصور الاسلاميه على الاطلاق، فقد ازدهرت الحركه الثقافيه، و انتشر العلم انتشارا واسعا، و تأسست المعاهد الدراسيه، و شاعت الحلقات العلميه، و اقبل الناس بلهفه على طلب العلم، يقول نيكلسون: و كان لانبساط رقعه الدوله العباسيه، و وفره ثروتها، و رواج تجارتها أثر كبير في خلق نهضه ثقافيه لم يشهدها الشرق من قبل، حتى لقد بدا أنّ الناس جميعا من الخليفه إلى أقل أفراد العامه شأننا غدوا فجأه طلابا للعلم أو على الأقل أنصارا للأدب، و في عهد الدوله العباسيه كان الناس

يجوبون ثلاث قارّات سعياً إلى موارد العلم و العرفان ليعودوا إلى بلادهم كالنحل يحملون الشهد إلى جموع التلاميذ المتلهّفين، ثمّ يصنّفون بفضل ما بذلوه من جهد متصل هذه المصنّفات التي هي أشبه شيء بدوائر المعارف، و التي كان لها أكبر الفضل في إيصال هذه العلوم الحديثه إلينا بصوره لم تكن متوقّعه من قبل (١).

و نلمح إلى بعض المعالم الرئيسيّه من تلك الحياه الثقافيه.

المراكز الثقافيه:

أمّا المراكز الثقافيه في عصر الإمام أبي جعفر (عليه السلام) فهى:

١-المدينه:و كانت المدينه من أهم المراكز العلميه في ذلك العصر، فقد تشكّلت فيها مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) و قد ضمّت عيون الفقهاء و الرواه من الذين سهروا على تدوين أحاديث أئمّه أهل البيت (عليهم السلام) و قد عنوا بصوره موضوعيه بتدوين أحاديثهم الخاصه في الفقه الذى يمثل روح الإسلام و جوهره، كما تشكّلت في المدينه مدرسه التابعين و هى مدرسه فقهيه عنت بأخذ الفقه ممّا روى عن الصحابه، و يرجع فيما لم يرويه عنهم حديث إلى ما يقتضيه الرأى و القياس حسب ما ذكره.

٢-الكوفه:و تأتى الكوفه بعد المدينه فى الأهميه، فقد كان الجامع الأعظم من أهم المعاهد، و المدارس الاسلاميه، فقد انتشرت فيه الحلقات الدراسيه، و كان الطابع العام للدراسه هى العلوم الاسلاميه من الفقه و التفسير و الحديث و غيرها.

و كانت الكوفه علويه الرأى، فقد عنت مدرستها بعلوم أهل البيت (عليهم السلام) و قد حدّث الحسن بن على الوشاء فقال: أدركت فى هذا المسجد-يعنى مسجد

ص: ٩٢

١- ((١)) تاريخ الإسلام: ٣٢٢/٢ للدكتور حسن إبراهيم حسن.

الكوفه-تسعمائه شيخ كلّ يقول: حدّثني جعفر بن محمّد (١) و من أهم الأسر العلميه التي درست في ذلك الجامع هي آل حَيّان التغلبي و آل أعين، و بنو عطيه و بيت بني دراج و غيرهم (٢).

و لم يكن الفقه وحده هو السائد في مدرسه الكوفه، و إنّما كان النحو سائدا أيضا، فقد انشئت في الكوفه مدرسه النحويين، و كان من أعلامها البارزين:

الكسائي الذي عهد إليه الرشيد بتعليم ابنه الأمين و المأمون، و من الجدير بالذكر أنّ هذا العلم الذي يصون اللسان عن الخطأ قد اخترعه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فهو الذي وضع قواعده و اصوله.

٣- البصره: و كانت مركزا مهتمًا لعلم النحو، و كان أول من وضع أساس مدرسه البصره أبو الأسود الدؤلي تلميذ الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، و كانت هذه المؤسسة تنافس مدرسه الكوفه، و قد سمى نحاه البصره (أهل المنطق) تمييزا عن نحاه الكوفه و كان من أعلام هذه الصناعه سيبويه الفارسي، و هو صاحب «كتاب سيبويه»، الذي هو من أنضج الكتب العربيه و أكثرها عمقا و أصاله يقول دي بور: «فلو نظرنا إلى كتاب سيبويه لوجدناه عملا ناضجا، و مجهودا عظيما، حتى أنّ المتأخرين قالوا: إنّّه لا بدّ أن يكون ثمره جهود متضافره لكثير من العلماء، مثل قانون ابن سينا» (٣).

و كما كانت البصره ميدانا لعلم النحو كذلك كانت مدرسه لعلم التفسير الذي كان من علمائه البارزين أبو عمرو بن العلاء، و كانت مدرسه أيضا لعلم العروض الذي وضع اصوله الخليل بن أحمد صاحب كتاب «العين» الذي هو أول معجم وضع في اللغه العربيه.

ص: ٩٣

١- (١) حياه الإمام موسى بن جعفر: ٨٢/١.

٢- (٢) تاريخ الإسلام: ٣٣٨/٢ للدكتور حسن إبراهيم حسن.

٣- (٣) تاريخ الفلسفه في الإسلام: ٣٩.

٤-بغداد:حيث ازدهرت بالحركات العلميه و الثقافيه،و قد انتشرت فيها المدارس و المعاهد و لم يعد هناك شىء أيسر و لا أبذل من العلم.و لم تختص بغداد فى علم خاص كما كانت بقيه المراكز الاسلاميه،و إنما شملت جميع أنواع العلوم العقليه و الثقليه،و كذا سائر الفنون،و قد أصبحت أعظم حاضره علميه فى ذلك العصر،و توافد عليها طلاب العلوم و المعرفه من جميع أقطار الدنيا.يقول غوستاف لوبون:«كان العلماء و رجال الفن و الادباء من جميع الملل و النحل من يونان و فرس و أقباط و كلدان يتقاطرون إلى بغداد،و يجعلون منها مركزا للثقافه فى الدنيا»،قال أبو الفرج عن المأمون:«إنه كان يخلو بالحكماء،و يأنس بمناظرتهم،و يلتذ بمذاكرتهم علما منه بأن أهل العلم هم صفوه الله من خلقه و نخبته من عباده(١).

هذه بعض المراكز الثقافيه فى ذلك العصر.

العلوم السائده:

اشاره

و كانت العلوم السائده التى أقبل الناس على تعلمها،هى:

١-علوم القرآن:

أعلم القراءات:و يعنى هذا العلم بالبحث عن قراءه القرآن و قد وجدت سبع طرق فى القراءات،كل طريقه منها تنسب إلى قارئ،و من أشهرهم فى العصر العباسى يحيى بن الحارث الذمارى المتوفى سنه(١٤٥ هـ)و حمزه بن حبيب الزيات المتوفى سنه(١٥٦ هـ)و أبو عبد الرحمن المقرئ المتوفى

ص:٩٤

سنه (٢١٣ هـ) وخلف بن هشام البزاز المتوفى سنه (٢٢٩ هـ) (١).

ب-التفسير: ويراد به ايضاح الكتاب العزيز و بيان معناه، وقد اتجه المفسرون فى تفسيره اتجاهين:

الأول:التفسير بالمأثور، ونعى به تفسير القرآن بما أثر عن النبى (صلى الله عليه و آله) و أئمة الهدى (عليهم السلام) و هذا ما سلكه أغلب مفسرى الشيعة كتفسير القمى، و العسكرى و البرهان، و حجّتهم فى ذلك أنّ أئمة أهل البيت (عليهم السلام) هم المخصوصون بعلم القرآن على حقيقته و واقعه، و قد أدلى بذلك الإمام أبو جعفر الباقر (عليه السلام) بقوله: «ما يستطيع أحد أن يدعى أنّ عنده جميع القرآن كلّ ظاهره و باطنه غير الأوصياء» (٢) و قد تضافرت الأدلّه على وجوب الرجوع إليهم فى تفسير القرآن، يقول الشيخ الطوسى:

«انّ تفسير القرآن لا- يجوز إلّا- بالأثر الصحيح عن النبى (صلى الله عليه و آله) و عن الأئمة الذين قولهم حجه كقول النبى (صلى الله عليه و آله)» (٣).

الثانى:التفسير بالرأى، و يراد به الأخذ بالاعتبارات العقلية الراجعه إلى الاستحسان و قد ذهب إلى ذلك المفسرون من المعتزله، و الباطنيه فلم يعنوا بما أثر عن أئمة الهدى فى تفسير القرآن الكريم، و إنّما استندوا فى تفسيره إلى ما يرونه من الاستحسانات العقلية (٤).

و على أيّه حال فإنّ أول مدرسه للتفسير بالمأثور كانت فى عهد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فهو أول مفسر للقرآن الكريم و عنه أخذ عبد الله بن عباس

ص: ٩٥

١- (١) المعارف: ٢٣٠-٢٣١، الفهرست: ٤٢-٤٥.

٢- (٢) التبيان: ٤/١.

٣- (٣) حياه الإمام محمّد الباقر: ١/١٨١.

٤- (٤) حياه الإمام محمّد الباقر: ١/١٨١.

وغيره، من أعلام الصحابه، وكذلك اهتم به اهتماما بالغاً الأئمة الطاهرون، فتناولت الكثير من محاضراتهم تفسير القرآن، وأسباب نزول آياته و فضل قراءته.

٢- علم الحديث:

و نعنى به ما أثر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أو عن أحد أوصيائه الأئمة الطاهرين، من قول أو فعل أو تقرير لشيء و يعبر عن ذلك كله بالسنة.

و قد سبق الشيعة إلى تدوين الأحاديث، فقد حث الأئمة الطاهرون أصحابهم على ذلك، حيث روى أبو بصير فقال: دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) فقال: «ما يمنعكم من الكتابه، إنكم لن تحفظوا حتى تكتبوا، أنه خرج من عندى رهط من أهل البصره يسألون عن أشياء فكتبوها» و قد انبرى جماعه من أصحاب الإمام الرضا (عليه السلام) إلى جمع الأحاديث الصحيحه فى جوامع كبيره، و هى الجوامع الاولى للإماميه و التى تعد الأساس لتدوين الجوامع الأربعة لمشايخ الإسلام الثلاثة (١).

٣- الفقه:

و من أبرز العلوم التى ساد انتشارها فى ذلك العصر بل فى جميع العصور الإسلاميه هو علم الفقه الذى يتكفل بيان التكاليف اللازمه على المكلفين و ما هم مسؤولون عنه عند الله و مطالبون بامتثالها و تطبيقها على واقع حياتهم، و من ثم كان الاهتمام بدراسه علم الفقه أكثر من سائر العلوم، و قد قام أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بدور فعال فى إنشاء مدرستهم الفقهيه التى تخرج منها كبار

ص: ٩٦

١- ((١)) مقدمه المقنع و الهدايه: ١٠.

الفقهاء و العلماء أمثال زراره، و محمد بن مسلم، و جابر بن يزيد الجعفي و أمثالهم من عيون العلماء، و قد دَوَّنوا ما سمعوه من الأئمة الطاهرين في أصولهم التي بلغت زهاء أربعمائته أصل، ثم هُدِّبَتْ، و جمعت في الكتب الأربعة التي يرجع إليها فقهاء الإمامية في استنباطهم للأحكام الشرعية. و لم يقتصر هذا النشاط في طلب علم الفقه و الإقبال عليه على الشيعة، و إنما شمل جميع الطوائف الإسلامية.

٤- علم أصول الفقه:

و أسَّس هذا العلم الإمام أبو جعفر محمد الباقر (عليه السَّلام)، و هذا العلم ممَّا يتوقَّف عليه الاجتهاد و الاستنباط، و كان موضع دراسته في ذلك العصر.

٥- علم النحو:

و هو من العلوم التي لعبت دوراً مهمّاً في العصر العباسي، فقد كانت بحوثه موضع جدل، و قد عقدت لها الأندية في قصور الخلفاء و جرى في بعض مسائله نزاع حادّ بين علماء هذا الفنّ، و قد تخصَّص به هذا العلم جماعه من الأعلام في ذلك العصر في طليعتهم الكسائي و الفراء و سيبويه، و قد أسَّس هذا العلم الإمام أمير المؤمنين (عليه السَّلام) رائد العلم و الحكمة في الأرض.

٦- علم الكلام:

و يقصد به الدفاع عن المعتقدات الدينية بالأدلة العلميّة، و قد تأسَّس هذا الفنّ على أيدي الأئمة من أهل البيت (عليهم السَّلام) و تخصَّص فيه جماعه من تلاميذهم، يعدّ في طليعتهم العالم الكبير هشام بن الحكم، و من أشهر المتكلِّمين عند أهل السنّة واصل بن عطاء، و أبو الهذيل العلاف، و أبو الحسن الأشعري و الغزالي.

٧- علم الطب:

و قد شجّع ملوك بني العباس على دراسه الطب، و منحوا الجوائز و الأموال الطائله للمتخصّصين فيه أمثال جبريل بن بختشوع الطيب النصراني.

٨- علم الكيمياء:

و قد تخصّص فيه جابر بن حيان مفخره الشرق العربي، و قد تلقّى معلوماته في هذا المجال من الإمام جعفر الصادق العقليه المفكّره الفريده في العالم الإنساني و المؤسس لهذا العلم.

٩- علم الهندسه المعماريه و المدينه.

١٠- علم الفلك.

ترجمه الكتب:

و كان من مظاهر الحياه الثقافيه في ذلك العصر الاقبال على ترجمه الكتب إلى اللغه العربيه، و قد تناولت كتب الطب، و الرياضه، و الفلك، و أصناف العلوم السياسيه و الفلسفه، ذكر أسماء كثير منها: ابن النديم في الفهرست، و كان يرأس ديوان الترجمة حنين بن اسحاق، و قد روى ابن النديم: أنّ المأمون كان بينه و بين ملك الروم مراسلات، و قد استظهر عليه المأمون فكتب إليه يسأله الإذن في انفاذ من يختار من العلوم القديمه المخزون، المدّخره ببلد الروم فأجابه إلى ذلك بعد إمتناع، فأخرج المأمون لذلك جماعه منهم الحجّاج بن مطر و ابن البطريق و مسلم صاحب بيت الحكمه و غيرهم، فأخذوا ممّا وجدوا، فلما حملوه إليه أمرهم بنقله فنقل..(١).

ص: ٩٨

و أنشأت الحكومه فى هذا العصر الكثير من المدارس و المعاهد فى بغداد لتدريس العلوم الاسلاميه و غيرها، فقد أنشئت فيها حوالى ثلاثون مدرسه، و ما فيها من مدرسه إلا و يقصر القصر البديع عنها.

كما استت فيها المكتبات العامه التى كان منها مكتبه بيت الحكمه، فقد نقل إليها الرشيد مكتبته الخاصه، و أضاف إليها من الكتب ما جمعه جدّه المنصور و أبوه المهدي، و فى عهد المأمون طلب من أمير صقلية بعض الكتب العلميه و الفلسفيه، فلمّا وصلت إليه نقلها إلى مكتبه بيت الحكمه، كما جلب إليها من خراسان الكثير من الكتب، و كان حيث ما سمع بكتاب جلبه لها، و ظلّت هذه الخزانة التى هى من أئمن ما فى العالم قائمه يرجع إليها البّحث و أهل العلم فلمّا استولى السّفّاك المغول على بغداد سنه (٦٥٦هـ) عمدوا إلى إتلافها، و بذلك خسر العالم الاسلامى أعظم تراث علمى له (١).

الخرائط و المراصد:

أمر المأمون بوضع خريطه للعالم سمّيت (الصوره المأمونيه) و هى أوّل خريطه صنعت للعالم فى العصر العباسى، كما أمر بإنشاء مرصد فلكى فانشى بالشماسيه و هى إحدى محلات بغداد (٢).

فى هذا الجو العلمى الزاهر كان الإمام أبو جعفر الجواد (عليه السّلام) الرائد الأعلى للحركه الثقافيه، فقد التّفّ حوله العلماء أثناء اقامته فى بغداد و هم ينهلون من

ص: ٩٩

١- (١) تاريخ الإسلام السياسى و الدينى و الثقافى و الاجتماعى: ١٦٠/٤-١٦٢.

٢- (٢) عصر المأمون: ٣٧٥/١.

نمير علومه، و قد سأله عن أدق المسائل الفلسفيه و الكلاميه فكان يجيبهم عليها و يتحدى الزمن مما من الله به عليه من معارف و علوم (١).

٢- الحياه السياسيه:

لقد كانت الحياه السياسيه فى عصر الإمام أبى جعفر (عليه السلام) سيئه و كانت الظروف حرجه للغاية لا للإمام فحسب و إنما كانت كذلك لعموم المسلمين و ذلك لما وقع فيها من الأحداث الجسام، فقد منيت الامه بموجات عارمه من الفتن و الاضطرابات، و قبل أن نتحدث عنها نرى من اللازم أن نعرض لمنهج الحكم فى العصر العباسى و غيره ممّا يتصل بالموضوع و فيما يلى ذلك:

منهج الحكم: فقد كان على غرار الحكم الأموى، فى الأهداف و الأساليب و قد وصفه (نكلسون) بأنه نظام استبدادى، و أنّ العباسيين حكموا البلد حكما مطلقا على النحو الذى كان يحكم به ملوك آل ساسان قبلهم (٢).

لقد كان الحكم خاضعا لرغبات ملوك العباسيين و امرائهم، و لم يكن له أى إلتقاء مع معايير الدين الإسلامى، فقد شدت تصرفاتهم الاداريه و الاقتصاديه و السياسيه عمّا قننه الإسلام فى هذه المجالات.

و استبد ملوك بنى العباس بشؤون المسلمين و أقاموا فيهم حكما ارهايبا لا يعرف الرحمة و الرأفه، و هو بعيد كل البعد عمّا شرّعه الإسلام من الأنظمه و القوانين الهادفه إلى بسط العدل، و نشر المساواه و الحق بين الناس.

ص: ١٠٠

١- (١) راجع: حياه الإمام محمد الجواد (عليه السلام): ١٧٩-١٨٨.

٢- (٢) اتجاهات الشعر العربى: ٤٩.

الخلافة و الوراثه: لم تخضع الخلافة الاسلاميه حسب قيمها الأصلية لقانون الوراثة و لا لأى لون من ألوان المحاباه أو الاندفاع وراء الأهواء و العصبيات، فقد حارب الإسلام جميع هذه المظاهر و اعتبرها من عوامل الانحطاط و التأخر الفكرى و الاجتماعى، و أناط الخلافة بالقيم الكريمة، و المثل العليا، و قدره على اداره شؤون الامه، فمن يتصف بها فهو المرشح لهذا المنصب الخطير الذى تدور عليه سلامه الامه و سعادتها.

و أما الشيعة فقد خصّصت الخلافة بالأئمّه الطاهرين من أهل البيت (عليهم السلام) لا لقربتهم من الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله) و كونهم ألصق الناس به و أقربهم إليه، و إنّما لمواهبهم الربانيه، و ما اتصفوا به من الفضائل التى لم يتصف بها أحد غيرهم فضلا عن النصّ عليهم، بما لا يدع مجالاً للاختيار.

و أمّا الذين تمسكوا بعنصر الوراثة فهم العباسيون، على غرار الامويين فاعتبروها القاعدة الصلبة لاستحقاقهم للخلافة بحججه أنّهم أبناء عم الرسول (صلى الله عليه و آله) و قد بذلوا الأموال الطائله لأجهزه الاعلام لنشر ذلك و اذاعته بين الناس.

و قد هبت إلى تأييد و دعم الوسط العباسى الأوساط المرتزقه من خلال انتقاص العلويين فتتقرب اليهم بذلك و تشهد بأنّ ذئاب بنى العباس أولى بالنبي (صلى الله عليه و آله) من الساده الأطهار من آل الرسول (صلى الله عليه و آله) (١).

تصرّفات شاذّه: و لما التزم العباسيون بقانون الوراثة، قاموا بتصرّفات شاذّه تسيء الى مصلحه الامه و كان من بينها:

١- اسناد الخلافة إلى من لم يبلغ الرشد، فقد عهد الرشيد بالخلافة إلى ابنه الأمين، و كان له من العمر خمس سنين، و إلى ابنه المأمون و كان عمره ثلاث

ص: ١٠١

١- (١) راجع حياه الإمام محمّد الجواد: ١٩٠ بتصرف بسيط.

عشره سنه، من دون أن يكونا قد حازا العلم و الحكمة و الحنكه الاداريه و السياسيه، حتى كان يسيرهما من سواهما من أصحاب البلاط.

علما بأن الإمامه و الخلافه للرسول (صلى الله عليه و آله) منصب ربانى و عهد إلهى لا يرتقى إليه إلا من اعتدلت فطرته و سلمت سيرته من الخطل و الخطأ و الانحراف فى كل مجالات حياته، ليكون قادرا على قياده الامه الى طرق الرشاد.

و هكذا انحرف العباسيون بذلك عمّا قرره الإسلام من أنّ منصب الخلافه إنّما يسند إلى من يتمتع بالحكمه و الصيانه و المعرفه بالشؤون الاجتماعيه و الدرايه التامه بما تحتاج إليه الامه فى جميع شؤونها.

٢- اسناد ولايه العهد الى أكثر من واحد فإنّ فى ذلك تمزيقا لشمل الامه و تصديعا لوحدها و قد شدّ الرشيد عن ذلك فقد أسند الخلافه من بعده إلى الأمين و المأمون، و قد ألقى الصراع بينهما، و عرّض الامه إلى الأزمات الحاده، و الفتن الخطيره، و سنعرض لها فى البحوث الآتية.

الوزاره: من الأجهزه الحساسه فى الدوله العباسيه هى الوزاره، فكانت-على الأكثر-وزاره تفويض، فكان الخليفه يعهد إلى الوزير بالتصرف فى جميع شؤون دولته و يتفرغ هو للهو و العبث و المجون، فقد استوزر المهدي العباسى يعقوب بن داود، و فوّض إليه جميع شؤون رعيته و انصرف إلى ملذاته.

و استوزر الرشيد يحيى بن خالد البرمكى و منحه جميع الصلاحيات و اتجه

نحو ملاذّه و شهواته فكانت لياليه الحمراء في بغداد شاهده على ذلك.

و تصرّف يحيى في شؤون الدوله الواسعه الأطراف حسب رغباته، فقد أنفق الأموال الطائله على الشعراء المادحين له، و اتخذ من العمارات و الضياع التي كانت تدرّ عليه بالملايين، الكثير الكثير و هي التي سببت قيام هارون الرشيد باعتقاله، و قتل ابنه جعفر و مصادرته جميع أموالهم.

و في عهد المأمون أطلق يد وزيره الفضل بن سهل في امور الدوله فتصرّف فيها كيفما شاء، و كان الوزير يكتسب الثراء الفاحش بما يقترفه من النهب و الرشوات، و قد عانت الامه من ضروب المحن و البلاء في عهدهم مما لا يوصف فكانوا الأداه الضاربه للشعب، فقد استخدمتهم الملوك لنهب ثروات الناس و اذلالهم و ارغامهم على ما يكرهون.

و كان الوزراء معرّضين للسخط و الانتقام و ذلك لما يقترفونه من الظلم و الجور، و قد نصح دعبل الخزاعي الفضل بن مروان أحد وزراء العباسيين فأوصاه باسداء المعروف و الاحسان إلى الناس، و قد ضرب له مثلا بثلاثه وزراء ممّن شاركوه في الاسم و سبقوه إلى كرسى الحكم، و هم الفضل بن يحيى، و الفضل بن الربيع، و الفضل بن سهل، فإنهم لما جاروا في الحكم تعرّضوا إلى النقمه و السخط.

و من غرائب ما اقترفه الوزراء من الخيانه أنّ الخاقاني وزير المقتدر بالله العباسي ولى في يوم واحد تسعه عشر ناظرا للكوفه و أخذ من كلّ واحد رشوه (١) الى غير ذلك من هذه الفضائح و المنكرات الكثيره عند بعض وزراء العباسيين. (٢)

ص: ١٠٣

١- (١) تاريخ التمدّن الإسلامي: ١٨٢/٤.

٢- (٢) راجع حياه الإمام محمد الجواد (عليه السلام): ١٨٨-١٩٢.

اضطهاد العلويين: اضطهدت أكثر الحكومات العباسية رسمياً العلويين، و قابلتهم بمنتهى القسوة و الشده، و قد رأوا من العذاب ما لم يروه فى العهد الاموى و أول من فتح باب الشر و التنكيل بهم الطاغية فرعون هذه الامه المنصور الدوانيقي(١) و هو القائل: «قتلت من ذريه فاطمه ألفاً أو يزيدون و تركت سيدهم و مولاهم جعفر بن محمد»(٢) و هو صاحب خزانه رؤوس العلويين التى تركها لابنه المهدي تثبيتاً لملكه و سلطانه و قد ضمت تلك الخزانه رؤوس الأطفال و الشباب و الشيوخ من العلويين(٣)!!

و هو الذى وضع أعلام العلويين و اعيانهم فى سجون الرهيبة حتى قتلتهم الروائح الكريهه و ردم على بعضهم السجون حتى توفوا دفنا تحت أطنان الأتربه و الأحجار!!

لقد اقترف هذا الطاغية السفاك جميع ألوان التصفيه الجسديه مع العلويين، و عانوا فى ظلال حكمه من صنوف الارهاب و التنكيل ما لا يوصف لفضاعته و قسوته.

أما موسى الهادى فقد زاد على سلفه المنصور، و هو صاحب واقعه فخ التى لا تقل فى مشاهدتها الحزينه عن واقعه كربلاء، و قد ارتكب فيها هذا السفاك من الجرائم ما لم يشاهد مثله، فقد أوعز بقتل الأطفال و اعدام الأسرى، و ظلّ يطارد العلويين، و يلخ فى طلبهم فمن ظفر به قتله، ولكن لم تطل أيام هذا الجلاد حتى

ص: ١٠٤

١- ((١)) تاريخ الخلفاء للسيوطى: ٢٦١.

٢- ((٢)) الأدب فى ظلّ التشيع: ٦٨.

٣- ((٣)) تاريخ الطبرى: ١٠/٤٤٦.

أما هارون الرشيد فهو لم يقلّ عن أسلافه في عدائه لأهل البيت (عليهم السّلام) و التنكيل بهم و هو القائل: «حتم اصبر على آل بنى أبى طالب، و اللّٰه لأقتلنهم و لأقتلنّ شيعتهم، و لأفعلنّ و أفعلنّ» (١) و هو الذى سجن الإمام الاعظم موسى بن جعفر (عليه السّلام) عدّه سنين، و دسّ إليه السّم حتى توفّى في سجنه، لقد جهد الرشيد في ظلم العلويين و إرهابهم، فعانوا في عهده من الارهاب ما لا يقلّ فضاغه عمّا عانوه في أيام المنصور.

و لما آلت الخلافة إلى المأمون رفع عنهم المراقبه، و أجرى لهم الأرزاق و شملهم برعايته و عنايته، و لكن لم يدم ذلك طويلا إذ أنّه بعد ما اغتال الإمام الرضا (عليه السّلام) بالسّم، أخذ في مطارده العلويين و التنكيل بهم كما فعل معهم أسلافه.

و على أيّ حال فإنّ من أعظم المشاكل السياسيه التى امتحن بها المسلمون امتحانا عسيرا هى التنكيل بعتره النّبىّ (صلّى اللّٰه عليه و آله) و ذريته و قتلهم بيد الزمره العبّاسيه الغاشمه و التى فاقت في قسوتها و شرورها أعمال بنى اميه، حتى انتهى الأمر بأبناء النّبىّ العظيم (صلّى اللّٰه عليه و آله) أنّهم كانوا يتضورون جوعا و سغبا، سوى المآسى الاخرى التى حلّت بهم، و كان من الطبيعى أن تؤلم هذه الحاله قلب الإمام أبى جعفر الجواد (عليه السّلام)، و تصيبه بالأسى و الحزن (٢).

مشكله خلق القرآن: لعلّ من أعقد المشاكل السياسيه التى ابتلى بها المسلمون في ذلك العصر هى محنه خلق القرآن التى أوجدت الفتن و الخطوب في البلاد.

١- ((١)) حياه الإمام موسى بن جعفر: ٢/٤٧.

٢- ((٢)) الحدائق الوردية: ٢/٢٢٠.

فقد أظهر المأمون هذه المسأله فى سنه (٢١٢ هـ). و امتحن بها العلماء امتحانا شديدا، و ارهقوا إلى حدّ بعيد فمن لا يقول بمقاله المأمون سجنه أو نفاه أو قتله و قد حمل الناس على ما يذهب إليه بالقوه و القهر.

إنّ هذه المسأله تعتبر من أهمّ الأحداث الخطيره التى حدثت فى ذلك العصر، و قد تعرّض الفلاسفه و المتكلّمون إلى بسطها و إيضاح غوامضها(١).

٣- الحياه الاقتصاديه:

اشاره

اهتم الإسلام بحاله الاقتصاديه و ازدهارها، و اعتبر الفقر كارثه مدمره يجب القضاء عليه بكافه الطرق و الوسائل، و ألزم ولاة الامور و المسؤولين أن يعملوا جاهدين على تنميه الاقتصاد العام، و زياده دخل الفرد، و بسط الرخاء و الرفاهيه بين الناس ليسلم المسلمون من الشذوذ و الانحراف الذى هو-على الأكثر-وليد الفقر و الحرمان، و كان من بين ما عنى به أنّه حرّم على ولاة الامور إنفاق أموال الدوله فى غير صالح المسلمين، و منعهم أن يصطفوا منها لأنفسهم و أقربائهم، و من يمتّ إليهم، و لكن ملوك بنى العباس تجاهلوا ما أمر به الإسلام فى هذا المجال فاتّخذوا مال الله دولا و عباد الله خولا، و أنفقوا أموال المسلمين على شهواتهم و ملاذهم من دون تحرج!!، و قد أدّت هذه السياسه المنحرفه إلى أزمات حادّه فى الاقتصاد العام، حيث انقسم المجتمع إلى طبقتين: الاولى و هى الطبقة الراقيه فى الثراء التى لا-عمل لها إلا-اللهو و اللعب، و الاخرى الطبقة الكادحه التى تزرع الأرض، و تعمل فى الصناعه، و تشقى فى سبيل اولئك الساده و لا تحصل بجهداها إلا على ما يسد رمقها، و ترتّب على فقدان التوازن فى الحياه

ص: ١٠٦

١- (١) راجع: حياه الإمام محمد الجواد (عليه السلام): ٢٠٣-٢٠٥.

الاقتصاديّ انعدام الاستقرار في الحياه السياسيّه و الاجتماعيّه على السواء(١) و فيما يلي نتحدث-بإيجاز-عن الحياه الاقتصاديّه في ذلك العصر:

واردات الدوله: كانت واردات الدوله الإسلاميّه في العصر العبّاسي الذي عاش فيه الإمام أبو جعفر الجواد(عليه السلام) ضخمه للغاية، فقد أحصى ابن خلدون الخراج في عهد المأمون فكان مجموعه ما يزيد على (٤٠٠) مليون درهم(٢)، و قد بلغ من كثره المال و وفرته أنّه كان لا يعدّ، و إنّما كان يوزن، فكانوا يقولون:

إنّه بلغ سته أو سبعة آلاف قنطار من الذهب(٣)، و قد حسب عامل المعتصم على الروم خراجها فكان أقلّ من ثلاثه آلاف ألف، فكتب إليه المعتصم يعاتبه، و ممّا جاء في عتابه: «إنّ أخسّ ناحيه عليها أخس عبيدي خراجها أكثر من خراج أرضك(٤)». و من المؤسف أنّ هذه الأموال الوفيره لم تنفق على تحسين أوضاع المسلمين و تطوير حياتهم، و إنّما كان الكثير منها يصرف على الشهوات و الملذّات، و قد عكست تلك الانفاقات الهائله ترف بغداد في ذلك العصر ذلك الترف الذي تحكيه قصص (ألف ليله و ليله) التي مثّلت حياه اللهو في ذلك العصر.

التهاكك على جمع المال: و تهالك الناس في ذلك العصر على جمع المال بكلّ وسيله كانت، مشروعّه أم غير مشروعّه، فقد أصبح المال هو المقياس في قيم الرجال، و أخذ يتردّد في الأمثله الجاريه في بغداد «المال مال، و ما سواه محال»

ص: ١٠٧

١- (١) الإدارة الإسلاميّه في عزّ العرب: ٨٢.

٢- (٢) المقدمه: ١٧٩-١٨٠.

٣- (٣) المقدمه: ١٧٩-١٨٠.

٤- (٤) أحسن التقاسيم للمقدسي: ٦٤ (طبع ليدن).

و توَسَّلَ الناس إلى جمعه بكلِّ طريق لا يعفون عن محرم، ولا يتورَّعون عن خبيث، وأصبح الخداع والغش هو الوسيله في جمعه (١).

تضخَّمت الثروات: وتضخَّمت الثروات الهائلة عند بعض الناس خصوصا في بغداد عاصمه العالم الإسلامي آنذاك، فقد وجدت فيها طبقه رأسماليه كانت تملك الملايين، وكذلك البصره فقد ضمَّت طبقه كبيره من أهل الثراء العريض و كانت البصره ثغر العراق و المركز التجارى الخطير الذى يصل بين الشرق والغرب، و تستقبل متاجر الهند، و جزر البحار الشرقيه، و من أجل ذلك سمّيت البصره أرض الهند و أمّ العراق (٢).

نفقات المأمون في زواجه: و كان من مظاهر ذلك الاسراف و البذخ و التصرف الظالم في أموال المسلمين ما انفق المأمون من الأموال الطائله المذهله في زواجه بالسَيِّده بوران فقد أمهرها ألف ألف دينار، و شرط عليه أبوها الحسن بن سهل أن يبنى بها في قريته الواقعه بفم الصلح فأجابه إلى ذلك، و لمّا أراد الزواج سافر إلى فم الصلح و نثر على العسكر الذى كان معه ألف ألف دينار و كان معه في سفره ثلاثون ألفا من الغلمان الصغار و الخدم الصغار و الكبار و سبعة آلاف جاريه...

و عرض العسكر الذى كان معه فكان اربعمائه ألف فارس، و ثلثمائه ألف راجل.. و كان الحسن بن سهل يذبح لضيوفه ثلاثين ألف رأس من الغنم، و مثلها من الدجاج، و اربعمائه بقره، و اربعمائه جمل و سمّى الناس هذه الدعوه «دعوه الإسلام» و هو ليس من الإسلام فى شىء، فإن الإسلام احتاط كأشد ما يكون الاحتياط فى بيت مال المسلمين فحرم انفاق أى شىء فى غير صالحهم.

ص: ١٠٨

١- ((١)) مقدّمه البخلاء: ٢٤.

٢- ((٢)) مقدّمه البخلاء: ٢٤.

و حينما بنى المأمون ببوران نثروا من سطح دار الحسن بن سهل بنادق عنبر فاستخفّ بها الناس، و زهدوا فيها، و نادى شخص من السطح قائلاً: كلّ من وقعت بيده بندقه فليكسرهما فإنّه يجد فيها رقعته، و ما فيها له و كسر الناس البنادق فوجدوا فيها رقاعاً فى بعضها تحويل بألف دينار و فى اخرى خمسمائه دينار إلى أن تصل إلى المائة دينار، و فى بعضها عشرة أثواب من الديداج، و فى بعضها خمسة أثواب، و فى بعضها غلام، و فى بعضها جاريه، و حمل كلّ من وقعت بيده رقعته إلى الديوان و استلم ما فيها (١) كما أنفق على قادة الجيش فقط خمسين ألف درهم (٢).

و فى ساعه الزفاف اجلست بوران على حصير منسوج من الذهب و دخل عليها المأمون و معه عمّاته و جمهره من العباسيّات فنثر الحسن بن سهل على المأمون و زوجته ثلثمائه لؤلؤه وزن كلّ واحده مثقال، و ما مدّ أحد يده لالتقاطها، و أمر المأمون عمّاته بالتقاطها، و مدّ يده فأخذ واحده منها «فالتقطتها العباسيّات».

لقد أنفق الحسن و المأمون هذه الأموال الطائلة على هذا الزواج من بيت مال المسلمين، و قد أمر الله بانفاقه على مكافحه الفقر و مطارده البؤس و الحرمان.

هبّات و عطايا: و هب ملوك بنى العباس أموال المسلمين بسخاء إلى المعنّين و المغنّيات و الخدم و العملاء، فقد غنّى إبراهيم بن المهدي العباسى محمّد الأمين صوتاً فأعطاه ثلاثمائة ألف درهم فاستكثرها إبراهيم، و قال له:

يا سيدي لو قد أمرت لى بعشرين ألف ألف درهم فقال له الخليفة: هل هى إلاّ

ص: ١٠٩

١- ((١)) تاريخ الطبرى: ١٤٩/٧، و ابن الأثير: ٢٠٦/٤.

٢- ((٢)) تزيين الأسواق للأنطاكي ١١٧/٣.

خراج بعض الكور(١)، و غنى ابن محرز عند الرشيد بأبيات مطلعها «و اذكر أيام الحمى ثم انثن» فاستخف به الطرب فأمر له بمائه ألف درهم، و أعطى مثل ذلك للمعنى دحمان الأشقر(٢) و لَمَّا تَقَلَّمَد المهدى العباسى الخلافه و زَع محتويات إحدى خزانات بيت المال بين مواليه و خدمه(٣) إلى غير ذلك من الهبات و الهدايا التي كانت من الخزينه المركزيه التي كان ملزما شرعا بإنفاقها على المشاريع الحيويه التي تزدهر بها البلاد.

اقتناء الجوارى: و بدل أن يتجه ملوك بنى العباس إلى إصلاح البلاد و تنميتها الاقتصادية فقد أتجهوا بنهم و جشع إلى اقتناء الجوارى، و المغالاه فى شرائها، فقد جلبت إلى بغداد الجوارى الملاح من جميع أطراف الدنيا، فكان فيهنّ الحبشيات، و الروميّات، و الجرجيات، و الشركسيات، و العرييات من مولدات المدينة و الطائف و اليمامة و مصر من ذوات الألسنه العذبه، و الجواب الحاضر، و كان بينهنّ الغانيات اللاتي يعزفن مع ما عليهن من اللباس الفاخر و ما يتخذن من العصائب التي ينظمنها بالدرّ و الجواهر، و يكتبن عليهنّ بصفائح الذهب(٤) و قد كان عند الرشيد زهاء ألفى جاريه، و عند المتوكل أربعة آلاف جاريه(٥) و قد زار الرشيد فى يوم فراغه البرامكه فلما أراد الانصراف خرجت جواريههم فاصطففن مثل العساكر صفين صفين، و غنين و ضربن بالعود و نقرن على الدفوف إلى أن طلع مقاصير القصر(٦) و كان عند والده جعفر البرمكى مائه و صيفه لباس كل

ص: ١١٠

- ١- ((١)) الإسلام و الحضاره العربيه ٢٣١/٢.
- ٢- ((٢)) المستطرف: ١٨٢-١٨٤.
- ٣- ((٣)) تاريخ بغداد: ٣٩٣/٥.
- ٤- ((٤)) حضاره الإسلام: ٩٨.
- ٥- ((٥)) الأغاني: ٨٨/٩.
- ٦- ((٦)) حضاره الإسلام فى دار السلام: ٩٦.

واحد منهنّ و حلّيتها غير لبوس الاخرى و حلّيتها(١) لقد كان اقتناء الجوارى بهذه الكثرة من نتائج و فره المال و كثرته عند هذه الطبقة الرأسمالية التي حارت في كفيته صرف ما عندها من الأموال.

التفنن في البناء: و تفنن ملوك بني العباس في بناء قصورهم، فأشادوا أضخم القصور التي لم يشيد مثلها في البلاد و قد بنوا في بغداد قصر الخلد تشبيها له بجنّه الخلد التي وعد الله بها المتقين، و كان من أعظم الأبنية الأيوان الذي بناه الأمين، و قد وصفه المؤرخون بأنّه جعله كالبيضة بيضا ثم ذهب بالابريز المخالف بينه باللازورد، و كان ذا أبواب عظام و مصاريع غلاظ تتلألأ فيه مسامير الذهب التي قمعت رؤوسها بالجواهر النفيس و قد فرش بفرش كأنه صبغ بالدم و قد نقش بتصاوير من الذهب، و تماثيل العقيان، و نضد فيه العنبر الأشهب و الكافور المصعد(٢) و قد أنفق جعفر البرمكي على بناء داره نحو من عشرين مليون درهم(٣).

و بلغ البذخ و الترف في ذلك العصر أنّ كثيرا من أبواب الدور في بغداد كانت من الذهب في حين أنّ الأكثرية الساحقه من أفراد الامه كانت تشكو الجوع و الحرمان.

أثاث البيوت: و حفلت قصور العباسيين بأنواع الأثاث و أفخرها في العالم، و يقول المؤرخون: إنّ السيده زييده قد اصطفت بساطا من الديباج جمع صوره كلّ حيوان من جميع الأجناس، و صوره كلّ طائر من الذهب، و أعينها اليواقيت

ص: ١١١

١- (١) الجهشيارى: ٢٤٦.

٢- (٢) طبقات الشعراء لابن المعتز: ٢٠٩.

٣- (٣) تاريخ الطبرى: ٩٢/١٠.

و الجواهر يقال إنَّها أنفقت على صنعه مليون دينار(١)، كما اتَّخذت الآله من الذهب المرصَّع بالجواهر، و الأبنوس، و الصندل عليها الكلايب من الذهب الملبس بالوشى و الديداج، و السمور، و أنواع الحرير، كمثل اتَّخاذها شمع العنبر، و اصطناعها الخفَّ مرصَّعاً بالجواهر و اتَّخاذها الشاكرية(٢).

أمَّا مجالس البرامكه فكانت مذهله، فكان الرشيد إذا حضر مجالس البرامكه و هو بين الآنيه المرصَّعه و الخزائن المجزعه، و المطارح من الوشى و الديداج و الجوارى يرفلن فى الحرير و الجواهر، و يستقبلنه بالروائح التى لا- يدرى لطيبها ما هى، خيّل إليه أنّه فى الجنّه بين الجمال و الجواهر و الطيب(٣).

الثياب: و كان من نتائج بذخ العباسيين و ترفهم ما ذكره ابن خلدون أنّه كانت دور فى قصورهم لنسج الثياب تسمّى دور الطراز، و كان القائم عليها ينظر فى امور الصنّاع و تسهيل آلاتهم و إجراء أرزاقهم(٤).

ألوان الطعام: و تعدّدت ألوان الطعام بسبب تقدّم الحضاره فقد روى طيفور عن جعفر بن محمّد الأنماطى أنّه تغدّى عند المأمون فوضع على المائدة ثلاثمائة لون من الطعام(٥) و نظرا لتعدّد ألوان الطعام فقد فسدت أسنانهم ممّا اضطرّهم إلى شدّها بالذهب للعلاج(٦).

ص: ١١٢

١- (١) حضاره الإسلام: ٩٥، نقلا عن المستطرف: ٩٦.

٢- (٢) حضاره الإسلام: ٩٥.

٣- (٣) حضاره الإسلام: ٩٦.

٤- (٤) المقدّمه: ٢٦٧.

٥- (٥) تاريخ بغداد لطيفور: ٣٦.

٦- (٦) التنظيمات الاجتماعيه و الاقتصاديه لصالح أحمد: ١٧٧.

و خلف ملوك بني العباس و وزراءهم من الأموال ما لا يحصى، و فيما يلي بعض ما تركوه:

١- ترك الطاغية البخيل المنصور الدوانيقي من الأموال التي سرقها من المسلمين ما يقرب من ستمائة مليون درهم و أربعة عشر مليون دينار (١) و قد كدس هذه الأموال الهائلة في خزائنه و ترك الفقر و البؤس يهيمنان على جميع أنحاء البلاد الإسلامية.

٢- خلف الرشيد من المال ما يقدر بنحو تسعمائة مليون درهم (٢).

٣- توفيت الخيزران أم الرشيد، فكانت غلتها ألف ألف و ستين ألف درهم (٣).

٤- ترك عمرو بن سعده أحد وزراء المأمون ما يقرب من ثمانية ملايين دينار فأخبروا المأمون بذلك في رقعه فكتب عليها «هذا قليل لمن أتصل بنا، و طالت خدمته لنا فبارك الله لولده فيه» (٤).

حياه اللهو و الطرب: و عاش أكثر خلفاء بني العباس عيشه اللهو و الطرب و المجون، عيشه ليس فيها ذكر لله و لا لليوم الآخر، و قضوا أيامهم في هذه الحياه التافهه التي تمثل السقوط و الانحطاط.

ص: ١١٣

١- (١) أمراء الشعر العربي: ٤٥.

٢- (٢) أمراء الشعر العربي: ٤٥.

٣- (٣) الإسلام و الحضاره العربيه: ٢/٢٣٠.

٤- (٤) الإسلام و الحضاره العربيه: ٢/٢٣١.

و قد روى أحمد بن صدقه قال: دخلت على المأمون في يوم السعانيين (١) و بين يديه عشرون و صيفه جلبا روميات مزنرات قد تزين بالديباج الرومى و علّقن في أعناقهنّ صلبان الذهب، و في أيديهنّ الخوص و الزيتون.

و كان من مظاهر الحياه اللاهيّه لعبهم بالنرد و الشطرنج، و العنايه بتربيّه الحمام و المغالاه في أثمانه (٢) كما تهارشوا بالديوك و الكلاب (٣) و لعبوا بالميسر و قد انتشر ذلك حتى في حانات الفقراء (٤).

و من المؤسف أنّ الطرب و المجون قد سرى إلى بعض المحدثين الذين يجب أن يتصفوا بالإيمان و الاستقامه فقد ذكر الخطيب البغدادي عن المحدث محمد بن الضوء إنه ليس بمحلّ لأن يؤخذ عنه العلم؛ لأنه كان من المتهتكين بشرب الخمر و المجاهره بالفجور، و كان أبو نؤاس يزوره في الكوفه في بيت خمار يقال له جابر (٥).

التقشّف و الزهد: و بجانب حياه اللهو و الطرب التي عاشها الناس في عصر الإمام أبي جعفر (عليه السلام) فقد كانت هناك طائفه من الناس قد اتّجهت إلى الزهد و التقشّف و نظرت إلى مباحج الحياه نظره زهد و احتقار، فكان من بينهم إبراهيم بن الأدهم و هو ممّن ترك الحياه الناعمه و أقبل على طاعه الله

ص: ١١٤

١- (١) يوم السعانيين: عيد للنصارى.

٢- (٢) حياه الحيوان: ٩١/٣.

٣- (٣) الأغاني: ٧٤/٦-٧٥.

٤- (٤) حياه الحيوان: ١١٥/٥.

٥- (٥) الأوراق: ٦١.

و كان يرّد هذا البيت:

اتّخذ الله صاحباً ودع الناس جانبا

و كان يلبس في الشتاء فروا ليس تحته قميص^(١)مبالغه منه في الزهد و كان ممّن عرف بالتقشّف معروف الكرخي فكان يبكي و ينشد في السحر:

أى شيء تريد منّي الذنوب شغفت بي فليس عنّي تغيب

ما يضرّ الذنوب لو اعتقتني رحمه بي فقد علاني المشيب^(٢)

و كان من زهّاد ذلك العصر بشر بن الحارث و هو القائل:

قطع الليالي مع الأيام في خلق و القوم تحت رواق الهمّ و القلق

أحرى و أعذر لي من أن يقال غدا إنّي التمسست الغنى من كفّ مخلّق

قالوا:قنعت بذا؟قلت:القنوع غنى ليس الغنى كثرة الأموال و الورق

رضيت بالله في عسرى و في يسرى فلست أسلك إلاّ أوضح الطرق^(٣)

و من الطبيعي أنّ هذه الدعوه إلى الزهد إنّما جاءت كرد فعل لإفراط ملوك العباسيين و الطبقة الرأسماليه في الدعاره و المجون و عدم عفافهم عمّا حرّمه الله من الملاهى. و بهذا ينتهى بنا الحديث عن عصر الإمام الجواد(عليه السلام).^(٤)

الى هنا نكون قد وقفنا على ملامح هذا العصر و خصائصه الثقافيه و السياسيه و الاقتصاديه و الاجتماعيه،و سوف نردفها ببيان طبيعه علاقه حكام عصر الإمام مع الإمام(عليه السلام)من جهه،ثم ندرس متطلبات هذا العصر على ضوء هذه الملامح و على ضوء رساله الإمام الجواد(عليه السلام)في تلك الظروف التي أحاطت به آخذين

ص: ١١٥

١- (١) حليه الأولياء: ٣٦٧/٧-٣٧٣.

٢- (٢) حليه الأولياء: ١٨١/٢.

٣- (٣) صفه الصفوه: ١٨٩/٢.

٤- (٤) راجع حياه الإمام محمد الجواد(عليه السلام): ٢٠٦-٢١٦.

بنظر الاعتبار مجمل أهداف الإمام (عليه السّلام) باعتباره أحد عناصر أهل بيت الرسالة الذين أوكلت إليهم مهمة الحفاظ على الرسالة و الامه المسلمه لإيصالهما الى شاطئ الأمن و السلام الذي نادى به الإسلام و وعد به المؤمنين بل المسلمين فضلا عن العالمين.

ص: ١١٤

اشاره

الإمام الجواد (عليه السلام) و حکام عصره

۱- المأمون العباسی

اشاره

استمرّ المأمون على منهجه السابق في التظاهر بالإحسان لأهل البيت (عليهم السّلام) و قد تظاهر بإكرام الإمام الجواد (عليه السّلام) فزوّجه ابنته و حاول التقرب اليه كثيرا لكنه في الوقت ذاته كان يكيّد للإمام من خلال تحجيم دوره و تشديد الرقابه عليه، بالرغم من تظاهره بالولاء لأهل البيت (عليهم السّلام) و الرعايه له بشكل خاص. و ذلك لما عرفناه من موقف المأمون من أبيه الرضا (عليه السّلام) فيما سبق من بحوث، و به نفّس كل ما صدر من المأمون تجاه الإمام الجواد (عليه السّلام).

و سنتطرق الى الثغرات الرئيسيّه في العلاقه بين الإمام (عليه السّلام) و المأمون فيما بعد.

تزيوج المأمون ابنته من الإمام الجواد (عليه السلام):

قال المؤرخون: «لَمَّا أَرَادَ المأمون ان يزوج ابنته ام الفضل أبا جعفر محمد بن علي (عليه السّلام) بلغ ذلك العباسيين فغلظ عليهم، و استنكروه و خافوا ان ينتهي الأمر معه الى ما انتهى مع الرضا (عليه السّلام) فحاضوا في ذلك و اجتمع منهم أهل بيته

الادنون منه. فقالوا: ننشدك الله يا أمير المؤمنين ان تقيم على هذا الأمر الذى عزمت عليه من تزويج ابن الرضا فإننا نخاف ان يخرج به عنا أمر قد ملكناه الله عز وجل، و ينزع منّا عزّا قد ألبسناه الله، و قد عرفت ما بيننا و بين هؤلاء القوم قديما و حديثا، و ما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك، من تبعيدهم و التصغير بهم، و قد كنّا فى وهله من عملك مع الرضا (عليه السلام) ما عملت فكفانا الله المههم من ذلك.

فألله الله ان تردنا الى غمّ قد انحسر عنا، و اصرف رأيك عن ابن الرضا و اعدل الى من تراه من اهل بيتك يصلح لذلك دون غيره.

فقال لهم المأمون: أما ما بينكم و بين آل أبى طالب فأنتم السبب فيه، و لو انصفتم القوم لكانوا اولى بكم، و اما ما كان يفعله من قبلى بهم، فقد كان قاطعا للرحم، و اعوذ بالله من ذلك، و الله ما ندمت على ما كان منّى من استخلاف الرضا (عليه السلام) و لقد سألته ان يقوم بالأمر و أنزعه من نفسى فأبى، و كان أمر الله قدرا مقدورا.

و اما أبو جعفر محمد بن على فقد اخترته لتبريزه على كافه أهل الفضل فى العلم و الفضل، مع صغر سنه، و الاعجوبه فيه بذلك، و انا أرجو ان يظهر للناس ما قد عرفته منه، فيعلمون ان الرأى ما رأيت فيه.

فقالوا له: ان هذا الفتى و إن رافك منه هديه فانه صبى لا معرفه له و لا فقه، فأمهله ليتأدب ثم اصنع ما تراه بعد ذلك.

فقال لهم: و يحكم انى اعرف بهذا الفتى منكم و ان اهل هذا البيت علمهم من الله تعالى و موادّه و الهامه، و لم يزل آباؤه أغنياء فى علم الدين و الأدب عن الرعايا الناقصه عن حدّ الكمال، فان شئتم فامتحنوا أبا جعفر بما يتبين لكم به ما وصفت من حاله.

قالوا: قد رضينا لك يا أمير المؤمنين و لأنفسنا بامتحانه، فخلّ بيننا و بينه لننصب من يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشريعة، فان أصاب في الجواب عنه لم يكن لنا اعتراض في أمره و ظهر للخاصه و العامه سديد رأى أمير المؤمنين فيه، و إن عجز عن ذلك فقد كفيينا الخطب في معناه. فقال لهم المأمون: شأنكم و ذلك متى أردتم.

فخرجوا من عنده و اجتمع رأيهم على مسأله يحيى بن أكثم، و هو يومئذ قاضى الزمان على ان يسأله مسأله لا- يعرف الجواب فيها، و وعدوه بأموال نفيسه على ذلك، و عادوا الى المأمون و سألوه ان يختار لهم يوما للاجتماع فأجابهم الى ذلك.

فاجتمعوا في اليوم الذى اتفقوا عليه و حضر معهم يحيى بن اكثم و أمر المأمون ان يفرش لابي جعفر دست (1) و يجعل له فيه مسورتان ففعل ذلك و خرج أبو جعفر و هو يومئذ ابن تسع سنين و أشهر فجلس بين المسورتين و جلس يحيى بن اكثم بين يديه و قام الناس في مراتبهم و المأمون جالس في دست متصل بدست أبي جعفر (عليه السلام).

فقال يحيى بن اكثم للمأمون: يأذن لى أمير المؤمنين أن اسأل أبا جعفر عن مسأله؟ فقال له المأمون: استأذنه في ذلك فأقبل عليه يحيى بن اكثم، فقال:

أتأذن لى جعلت فداك في مسأله؟

فقال أبو جعفر (عليه السلام): «سل إن شئت».

قال يحيى: ما تقول جعلت فداك في محرم قتل صيدا؟

ص: ١١٩

١- ((١)) الدست هنا صدر البيت و هو معرب.

فقال أبو جعفر (عليه السّلام): «قتله في حلّ أو في حرم، عالما كان المحرم أو جاهلا، قتله عمدا أو خطأ، حرّا كان المحرم أو عبدا، صغيرا كان أو كبيرا، مبتدئا بالقتل أو معيدا، من ذوات الطير كان الصيد ام من غيرها، من صغار الصيد ام من كبارها، مصرّا على ما فعل او نادما، في الليل كان قتله للصيد ام في النهار، محرما كان بالعمره اذ قتله او بالحج كان محرما؟»

فتحير يحيى بن اكنم و بان في وجهه العجز و الانقطاع و لجلج حتى عرف جماعه اهل المجلس أمره. فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمه و التوفيق لى فى الرأى ثم نظر الى أهل بيته فقال لهم: اعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه؟ ثم اقبل على أبى جعفر (عليه السّلام) فقال له: اتخطب يا أبا جعفر؟

فقال: نعم يا أمير المؤمنين. فقال له المأمون: اخطب لنفسك جعلت فداك قد رضيتك لنفسى و انا مزوّجك ام الفضل ابنتى و ان رغم قوم ذلك.

فقال أبو جعفر (عليه السّلام): الحمد لله إقرارا بالنعمه، و لا اله إلا الله إخلاصا لوحدانته و صلى الله على محمد سيد برّيته، و الأصفياء من عترته.

اما بعد فقد كان من فضل الله على الأنام، ان أغناهم بالحلال عن الحرام، فقال سبحانه: وَ أَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنَّ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْزِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ .

ثم ان محمد بن على بن موسى يخطب ام الفضل بنت عبد الله المأمون، و قد بذل لها من الصّداق مهر جدّته فاطمه بنت محمد (عليهما السّلام) و هو خمسمائه درهم جيادا فهل زوّجته يا أمير المؤمنين بها على هذا الصّداق المذكور؟

فقال المأمون: نعم قد زوّجتك يا أبا جعفر ام الفضل ابنتى على الصّداق المذكور، فهل قبلت النكاح؟

قال أبو جعفر (عليه السلام): قد قبلت ذلك ورضيت به.

فأمر المأمون أن يقعد الناس على مراتبهم في الخاصة و العامة.

قال الريان: و لم نلبث أن سمعنا أصواتا تشبه اصوات الملاحين في محاوراتهم، فإذا الخدم يجزون سفينه مصنوعه من فضه مشدوده بالحبال من الابريسم، على عجله مملوه من الغاليه، ثم أمر المأمون أن تخضب لحاء الخاصه من تلك الغاليه، ثم مدّت الى دار العائمه فتطيّبوا منها و وضعت الموائد فأكل الناس و خرجت الجوائز الى كل قوم على قدرهم.

فلما تفرق الناس و بقي من الخاصه من بقي، قال المأمون لأبي جعفر (عليه السلام): ان رأيت جعلت فداك ان تذكر الفقه الذي فضّلته من وجوه من قتل المحرم لتعلمه و نستفيده.

فقال أبو جعفر (عليه السلام): نعم ان المحرم اذا قتل صيدا في الحلّ و كان الصيد من ذوات الطير، و كان من كبارها، فعليه شاه، فان أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفا، و اذا قتل فرخا في الحلّ فعليه حمل قد فطم من اللبن و اذا قتله في الحرم فعليه الحمل و قيمه الفرخ، فاذا كان من الوحش و كان حمار و حش فعليه بقره، و إن كان نعامه فعليه بدنه و ان كان ظبيا فعليه شاه و ان كان قتل شيئا من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفا هديا بالغ الكعبه.

و اذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدى فيه، و كان إحرامه بالحجّ نحره بمنى، و ان كان إحرامه بالعمرة نحره بمكه، و جزاء الصيد على العالم و الجاهل سواء، و في العمد عليه المأثم و هو موضوع عنه في الخطأ، و الكفّاره على الحرّ في نفسه، و على السيّد في عبده، و الصغير لا كفّاره عليه، و هي على الكبير واجبه و النادم يسقط ندمه عنه عقاب الآخره، و المصّرّ يجب عليه العقاب في الآخره.

فقال المأمون: أحسنت يا أبا جعفر احسن الله اليك فان رأيت ان تسأل يحيى عن مسأله كما سألك.

فقال أبو جعفر (عليه السلام) ليحيى: أسألك؟ قال: ذلك اليك جعلت فداك، فإن عرفت جواب ما تسألني و الا استفدته منك.

فقال له أبو جعفر (عليه السلام): اخبرني عن رجل نظر الى امرأه في اول النهار فكان نظره اليها حراما عليه، فلما ارتفع النهار حلّت له، فلما زالت الشمس حرمت عليه، فلما كان وقت العصر حلّت له، فلما غربت الشمس حرمت عليه، فلما دخل وقت العشاء الآخرة حلّت له، فلما كان وقت انتصاف الليل حرمت عليه، فلما طلع الفجر حلّت له، ما حال هذه المرأه و بماذا حلّت له و حرمت عليه؟

فقال له يحيى بن اكرم: لا والله لا اهتدى الى جواب هذا السؤال و لا اعرف الوجه فيه، فان رأيت ان تفيدناه.

فقال أبو جعفر (عليه السلام): هذه أمه لرجل من الناس، نظر اليها أجنبي في اول النهار فكان نظره اليها حراما عليه، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاه فحلّت له، فلما كان عند الظهر أعتقها فحرمت عليه، فلما كان وقت العصر تزوّجها فحلّت له، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه، فلما كان وقت العشاء الآخرة كَفَّر عن الظهار فحلّت له، فلما كان نصف الليل طلقها واحده، فحرمت عليه، فلما كان عند الفجر راجعها فحلّت له.

قال: فأقبل المأمون على من حضره من اهل بيته فقال لهم: هل فيكم من يجيب هذه المسأله بمثل هذا الجواب، او يعرف القول فيما تقدم من السؤال؟ قالوا: لا والله ان أمير المؤمنين اعلم و ما رأى.

فقال: و يحكم! ان أهل هذا البيت خصّوا من الخلق بما ترون من الفضل،

و ان صغر السنّ فيهم لا يمنعهم من الكمال. اما علمتم ان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين على بن أبي طالب (عليه السلام) و هو ابن عشر سنين، و قبل منه الإسلام و حكم له به، و لم يدع أحدا في سنّه غيره، و بايع الحسن و الحسين (عليهما السلام) و هما ابنا دون الست سنين، و لم يبايع صبيا غيرهما، أو لا تعلمون ما اختص الله به هؤلاء القوم؟! و انهم ذريه بعضها من بعض يجرى لآخرهم ما يجرى لاولهم. فقالوا: صدقت يا أمير المؤمنين ثم نهض القوم.

فلما كان من الغد احضر الناس و حضر أبو جعفر (عليه السلام) و سار القوّاد و الحجاب و الخاصه و العمّال لتهنئه المأمون و أبي جعفر (عليه السلام) فاخرجت ثلاثه أطباق من الفضة، فيها بنادق مسك و زعفران، معجون في أجواف تلك البنادق رقاع مكتوبه بأموال جزيله، و عطايا سنيه، و اقطاعات، فأمر المأمون بثرها على القوم من خاصته فكان كل من وقع في يده بندقه أخرج الرقعته التي فيها و التمسه فأطلق يده له، و وضعت البدر، فنثر ما فيها على القوّاد و غيرهم، و انصرف الناس و هم أغنياء بالجوائز و العطايا. و تقدم المأمون بالصدقته على كافه المساكين، و لم يزل مكرما لابي جعفر (عليه السلام) معظما لقدره مدته حياته، يؤثره على ولده و جماعه أهل بيته» (١).

ص: ١٢٣

بعد استعراضنا لقضيه زواج الإمام (عليه السلام) من بنت المأمون و بيان ملابساتها و ما دار خلالها من نقاش و سجال و حوار، نسجل الملاحظات الآتيه لبيان الثغره فى علاقته المأمون العباسى بالإمام الجواد (عليه السلام).

١- كان المأمون يدرك جيدا ان الجواد (عليه السلام) هو الوارث الحقيقى لخط الإمامه و هو القائد الشرعى لامه جده رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)، لذلك تعامل فى تخطيطه السياسى معه تعاملًا جادًا بصفه ان الإمام (عليه السلام) كان قطبا مهما من اقطاب الساحة السياسيه الإسلاميه و قائدا مطاعا من قبل الطليعه الواعيه فى الامه مع ما يمتلكه من مكانه و احترام فى نفوس قطاعات واسعته من الامه.

و قد اعلن المأمون تصوره هذا أمام العباسيين عند ما قالوا له:

يا امير المؤمنين أتزوج ابنتك و قره عينك صبيبا لم يتفقه فى دين الله؟ و لا- يعرف حلاله من حرامه؟ و لا- فرضا من سنه؟ و لا- لابي جعفر (عليه السلام) اذ ذاك تسع سنين، فلو صبرت له حتى يتأدب و يقرأ القرآن و يعرف الحلال من الحرام.

فقال المأمون: «انه لأفقه منكم و اعلم بالله و رسوله و سنته و احكامه، و أقرأ لكتاب الله منكم و أعلم بمحكمه و متشابهه و ناسخه و منسوخه و ظاهره و باطنه و خاصه و عامه و تنزيهه و تأويله، منكم». لذلك لا بد أن يكون المأمون مع الإمام الجواد (عليه السلام) مخططا له بعنايه و حنكه. و هذا يفسر البعد الضخم الذى اكتسبه زواج الجواد (عليه السلام) من بنت المأمون و مدى اهتمام المأمون به من قبل القواد و الحجاج و الخاصه.

٢- على أساس النقطه السابقه فقد تظاهر المأمون بحبه و تقديره للإمام

الجواد (عليه السلام) طالبا بذلك:

أ- كسب الجماهير المسلمه المواليه لأهل البيت (عليهم السلام) بصفته من الموالين و المكرمين لآل الرسول، و هو نظير ما يقوم به السياسيون المعاصرون من رفعهم للشعارات التي تطمح الامه الى تحقيقها.

ب- التغطية على جريمه قتله للإمام الرضا (عليه السلام)، و ذلك باظهار الحب و الشفقه و الاحترام لولده الجواد (عليه السلام) و بهذا التصرف استطاع المأمون ان يخدع الرأى العام.

٣- كانت علاقته المأمون بالجواد (عليه السلام) كعلاقته السابقه مع أبيه الإمام الرضا (عليه السلام)، تنطوى على اغراض سياسيه أى انه كان ظاهرها حسنا جميلا و باطنها يتضمّن التيه الشريره و المكر السيئ!!

لقد كاد المأمون للإمام الجواد (عليه السلام)، ولكنه لم يستطع تحقيق أغراضه فى الانتقاص منه و اسقاطه، فكانت آخر محاوله له مع الجواد هى تزويجه لبنته، فقد روى فى الكافى:

عن محمد بن الریان أنه قال: «احتال المأمون على أبي جعفر (عليه السلام) بكل حيله، فلم يمكنه فيه شىء فلما اعتلّ و أراد ان يبنى عليه ابنته دفع الى مائتى و صيفه من أجمل ما يكون الى كل واحده منهن جاما فيه جوهر يستقبلن أبا جعفر (عليه السلام) اذا قعد فى موضع الأختيار فلم يلتفت اليهن و كان رجل يقال له مخارق صاحب صوت و عود و ضرب، طويل اللحيه فدعاه المأمون، فقال:

يا امير المؤمنين ان كان فى شىء من امر الدنيا فأنا اكفيك أمره، فقعد بين يدي أبي جعفر (عليه السلام) فشهق مخارق شهقه اجتمع عليه اهل الدار، و جعل يضرب بعوده و يغتّى، فلما فعل ساعه و اذا أبو جعفر لا يلتفت اليه يمينا و لا شمالا، ثم رفع اليه

رأسه و قال: اتق الله يا ذا العثنون. قال: فسقط المضراب من يده و العود، فلم ينتفع بيديه الى ان مات، قال: فسأله المأمون عن حاله فقال: لما صاح بى أبو جعفر فزعت فزعه لا افيق منها أبدا» (١).

يتجلى لنا من هذه الروايه انّ المأمون احتال بكل حيله لاطهار عدم صلاحيه الإمام الجواد (عليه السّلام) للإمامه و القيادة أمام الناس و أنه أولى منه بالخلافه و القيادة، لكنه فشل فى ذلك مما اضطره لتجريب اسلوب آخر يحتوى به حركة الإمام، و ذلك بتزويجه إبنته. على أنّ هذا الزواج كان تحديدا للإمام و ليس إكراما له، كما أنه قد كشف عن واقعه مآله و عاقبته التى تجلّت فى اغتيال ام الفضل للإمام الجواد (عليه السّلام)، كما سيأتى تفصيله.

أما توجّهات قاضى القضاة ابن اكنم فى التصدى لإحراج الإمام بالأستله الصعبه فما كانت إلا بدافع من المأمون، و الروايه الآتية تدل على ذلك:

قال المأمون ليحيى بن اكنم: اطرح على أبى جعفر محمد بن على الرضا (عليهما السّلام) مسأله تقطعه فيها. فقال: يا أبا جعفر، ما تقول فى رجل نكح امرأه على زنا ايحل ان يتزوجها؟ فقال (عليه السّلام): «يدعها حتى يستبرئها من نطفته و نطفه غيره، اذ لا يؤمن منها ان تكون قد احدثت مع غيره حدثا كما احدثت معه. ثم يتزوج بها إن اراد، فانما مثلها مثل نخله اكل رجل منها حراما ثم اشتراها فأكل منها حلالا». فانقطع يحيى (٢).

و لكن دهاء المأمون و حنكته السياسيه جعلاه يظهر الفرح عند ما يجيب الإمام الجواد (عليه السّلام) على المشكلات من المسائل فتظهر توجهات ابن اكنم و كأنها توجهات فرديه. و هذا لون من ألوان السياسه المتبعه حتى الآن و هى ان القائد

ص: ١٢٦

١- ((١)) اصول الكافى: ١/٤٩٤-٤٩٥، نقلا عن حياه الإمام محمد الجواد: ص ٢٢٨-٢٢٩.

٢- ((٢)) تحف العقول: ٤٥٤.

يظهر الودّ لجهه ما، لكنه يأمر اتباعه و أذنا به بمحاربه تلك الجهه.

و إذا انطلت هذه الاحبيل على البسطاء فإنها لم تنطل على الموالين للامام (عليه السلام) ففي روايه نقلها الكليني تفيد ان بعض الاوساط السياسيه آنذاك كانت غير منخدعه بتزويج المأمون ابنته للامام الجواد (عليه السلام) بل كانت تحتمل وجود مكيدته سياسيه خلف العمليه. فعن محمد بن على الهاشمي قال:

«دخلت على أبي جعفر (عليه السلام) صبيحه عرسه حيث بنى بابنه المأمون - و كنت تناولت من الليل دواء - فأول من دخل عليه في صبيحته أنا و قد أصابني العطش و كرهت ان ادعو بالماء، فنظر أبو جعفر (عليه السلام) في وجهي و قال: «اظنك عطشان؟» فقلت: أجل.

فقال: يا غلام - او يا جاريه - اسقنا ماء. فقلت في نفسي: الساعه يأتونه بماء يسمونه به، فاغتممت لذلك، فأقبل الغلام و معه الماء، فتبسم في وجهي، ثم قال:

يا غلام ناولني الماء، فتناول الماء فشرب، ثم ناولني فشربت، ثم عطشت أيضا و كرهت ان ادعو بالماء، ففعل ما فعل في الاولى، فلما جاء الغلام و معه القدر قلت في نفسي مثل ما قلت في الاولى، فتناول القدر ثم شرب، فناولني و تبسم» (١).

فلقد كان هذا الهاشمي يتوقع اغتيال الامام (عليه السلام) في ظلّ العداة الذي يكنّه المأمون و جهازه الحاكم للامام (عليه السلام)، لذلك اغتمّ عند ما طلب الامام (عليه السلام) الماء.

السبب في تزويج المأمون ابنته للإمام الجواد (عليه السلام)

انّ هذا الزواج اضافته لما سيحققه من دعايه للمأمون تظهر حبه و ولاءه لأهل البيت (عليهم السلام)، فإنّ ثمه سببا آخر نرجحه على غيره و نراه السبب الأساس

ص: ١٢٧

و هو وضع الجاسوس و الرقيب الخاص على الإمام (عليه السّلام) يلازمه فى بيته، يحصى عليه سكناته و حركاته و يرفعها الى الجبهه التى زرعتة و هكذا كانت امّ الفضل ابنه المأمون العباسى مع الإمام الجواد (عليه السّلام).

موقف العباسيين:

اتّسم موقف العباسيين بالحقّد و التعصب و السداجه. فقد استأثروا مما تصوّروه من تساهل المأمون مع الإمام (عليه السّلام) فقد كانت المظاهر تؤثّر عليهم كثيرا، دون ادراكهم البعد العميق و الحقيقى الذى كان يقصده المأمون و قد استفاد المأمون من وضعهم هذا عند ما راح يفتنّ مزاعمهم فيظهر و كأنه موال حقيقه لأهل البيت (عليهم السّلام).

موقف الإمام الجواد (عليه السّلام) من ابن الأكنم:

لقد تصدى الإمام (عليه السّلام) للرد على ابن الأكنم و اظهار عجزه أمام الناس للأسباب الآتية.

أ- اثبات إمامته و علمه أمام الناس فى وقت راحت الجهات المعاديه تشن حمله إعلاميه شديده على الإمام بادعائها انه (عليه السّلام) لا يفقه من الدين شيئا و ذلك لصغر سنه.

ب- ان تنفيذ و إفحامه لابن الأكنم كان يعتبر تنفيدا و إفحاما للنظام الحاكم باعتبار أنّ ابن الأكنم عالم المأمون و قاضى قضاته.

ج- تثقيف الناس و كشف العلم الصحيح لهم من خلال الاجابات على اسئلته.

استلم الإمام الجواد (عليه السلام) منصب الإمامة و نهض بأعباء قياده الامه سنه (٢٠٣ هـ) بعد شهاده أبيه الإمام الرضا (عليه السلام)، و كان المأمون قد تسّم منبر الخلافه و قتذاك. و توفي المأمون سنه (٢١٨ هـ) بالبدندون من اقصى الروم و نقل إلى طوس فدفن فيها (١).

و بذلك يكون الإمام الجواد (عليه السلام) قد قضى خمس عشره سنه من إمامته التي استمرت سبع عشره سنه في خلافه المأمون، و هذا يعنى أنّ أغلب سنوات إمامته كانت في فتره حكم المأمون.

٢- المعتصم العباسي

اشاره

المعتصم هو أبو اسحاق محمد بن هارون الرشيد ولد سنه ثمانين و مائه، كذا قال الذهبي. و قال الصولي: في شعبان سنه ثمان و سبعين.

و امه ام ولد من مولدات الكوفه اسمها ماردة و كانت أحظى الناس عند الرشيد. و كان ذا شجاعه و قوه و همّه و كان عريا من العلم، لقب بالمعتصم و هو ابعده ما يكون من الاعتصام بالله عز و جل.

و كان فاسد الاخلاق له غلام يقال له عجيب و كان مشغوفا به.

و قد استمر على نهج أخيه في اثاره فتنه خلق القرآن. فسلك ما كان المأمون عليه و ختم به عمره من امتحان الناس بخلق القرآن، فكتب الى البلاد و أمر المعلمين ان يعلّموا الصبيان ذلك و قاسى الناس منه مشقه في ذلك و قتل عليه

ص: ١٢٩

خلقا من العلماء، و ضرب الإمام احمد بن حنبل و كان ضربه فى سنه عشرين. قيل فجلده حتى غاب عقله و تقطع جلده و قيده و حبسه(١).

لقد كان المعتصم محدود التفكير ميالا للقسوه فى تعامله مع خصومه السياسيين و غيرهم، و كان يفتقد كثيرا من مقومات الحنكه السياسيه فى اداره شؤون الدوله، و قد تعرّض حكمه لكثير من صور الاضطرابات السياسيه فى اقاليم عديده من الدوله العباسيه.(٢)

و قد هيمن الجيش على الحكم فى عصره بعد ان مال المعتصم الى اخواله الاتراك و كوّن منهم جيشا خاصا، و اغدق عليهم الاموال الطائله مما اثار حفيظه العسكريين العرب، و اثار النزعه القوميه فى المجتمع.

و تعتبر سياسه المعتصم هذه اخطر ما واجهته الدوله العباسيه فى مسيرتها.

و قد ساءت الاحوال بعد المعتصم، و استشرى خطر العسكريين فى الدوله و قاموا بالانقلابات العسكريه على الخلفاء الذين حاولوا تقليص سلطاتهم.

المعتصم و الطليعه الاسلاميه الواعيه:

على خليفه الخلايف العقائدى الشديد بين ائمه أهل البيت(عليهم السّلام) و شيعتهم المؤمنين من جهه و الخلايفه العباسيه و اتباعها من جهه اخرى، استمر العدا بين الخطين و ان اتخذ فى كل فتره لونا أو درجه من الشده، و لم يكن المعتصم بمنفصل عن سياسه أسلافه المعادين لأهل البيت(عليهم السّلام) و حزبهم.

ص: ١٣٠

١- (١) مجله دراسات و بحوث: ص ٩٤.

٢- (٢) راجع الكامل لابن الاثير: ٢٣٢/٥-٢٦٥: ثوره الطالقان بقياده محمد بن القاسم العلوى، و ثوره الزط فى البصره، و ثوره بابك الخرمى، و تحرك الروم الى زبطره و غيرها من بلاد الاسلام، و ثوره المبرقع فى فلسطين و غيرها.

لقد كاد للإسلام و خطه الصحيح فواجه معارضة شديده من أهل البيت (عليهم السلام) و شيعتهم و سنتناول الانتفاضات التي انطلقت في عصره خلال فصل قادم.

الإمام الجواد (عليه السلام) و المعتصم:

اشاره

لم تكن المده التي قضاها الإمام الجواد (عليه السلام) في خلافه المعتصم طويله فهي لم تتجاوز السنتين، كان ختامها شهادة الإمام (عليه السلام) على يد النظام المنحرف، و فيما يلي استعراض للعلاقة بين الإمام الجواد (عليه السلام) و المعتصم.

أ- استقدام الإمام (عليه السلام) الى بغداد:

لقد خشى المعتصم من بقاء الإمام الجواد (عليه السلام) بعيدا عنه في المدينة، لذلك قرر استدعاءه الى بغداد، حتى يكون على مقربة منه يحصى عليه انفاسه و يراقب حركاته، و لذلك جلبه من المدينة، فورد بغداد لليلتين بقيتا من المحرم سنة عشرين و مائتين، و توفي بها (عليه السلام) في ذى القعدة من هذه السنة (١).

لقد كان هذا الاستقدام بمثابة الاقامه الجبريه تتبعه عمليه اكبر و هي التصفيه الجسديه.

ب- اغتيال الإمام الجواد (عليه السلام):

كان وجود الإمام الجواد (عليه السلام) يمثل خطرا على النظام الحاكم لما كان يملكه هذا الإمام من دور فاعل و قيادي للامه، لذلك قررت السلطه أن تتخلص منه مع عدم استبعادها وجود العلاقة بين الإمام القائد و التحركات النهضويه في الامه.

ص: ١٣١

فقد روى المؤرخون عن زرقان صاحب ابن أبي دؤاد قاضى المعتصم قوله: «رجع ابن أبي دؤاد ذات يوم من عند المعتصم و هو مغتم فقلت له فى ذلك، فقال وددت اليوم انى قدمت منذ عشرين سنه، قال قلت له: و لم ذاك؟ قال: لما كان من هذا الاسود أبى جعفر محمد بن على بن موسى اليوم بين يدى أمير المؤمنين، قال: قلت له: و كيف كان ذلك؟ قال: إن سارقاً اقتر على نفسه بالسرقه، و سأل الخليفه تطهيره بإقامه الحدّ عليه، فجمع لذلك الفقهاء فى مجلسه و قد أحضر محمد بن على فسألناه عن القطع فى اى موضع يجب أن يقطع؟ قال:

فقلت: من الكرسوع.

قال: و ما الحججه فى ذلك؟ قال: قلت: لأن اليد هى الاصابع و الكفّ الى الكرسوع (١)، لقول الله فى التيمم فامسحوا بوجوهكم و أيديكم (٢) و اتفق معى ذلك قوم.

و قال آخرون: بل يجب القطع من المرفق، قال: و ما الدليل على ذلك؟ قالوا: لأن الله لما قال: و أيديكم إلى المرفق فى الغسل دلّ ذلك على ان حدّ اليد هو المرفق.

قال: فالتفت الى محمد بن على (عليه السلام) فقال: ما تقول فى هذا يا أبا جعفر؟ فقال: قد تكلم القوم فيه يا أمير المؤمنين، قال: دعنى ممّا تكلموا به! اى شىء عندك؟ قال: اعفنى عن هذا يا أمير المؤمنين، قال: اقسمت عليك بالله لما اخبرت بما عندك فيه.

فقال: أمّا اذا أقسمت علىّ بالله انى اقول انهم اخطأوا فيه السنّه، فإن القطع يجب ان يكون من مفصل اصول الاصابع، فترك الكفّ، قال: و ما الحججه

ص: ١٣٢

١- ((١)) الكرسوع: كعصفور: طرف الزند الذى يلى الخنصر النائى عند الرسغ.

٢- ((٢)) المائده (٥): ٥.

فى ذلك؟ قال: قول رسول الله: السجود على سبعة أعضاء: الوجه و اليدين و الركبتين و الرجلين، فإذا قطعت يده من الكر سوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها و قال الله تبارك و تعالى: **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ (١)** يعنى بهذه الأعضاء السبعة التى يسجد عليها فلا تدعوا مع الله أحداً و ما كان لله لم يقطع.

قال: فأعجب المعتصم ذلك و أمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف.

قال ابن أبى دؤاد: قامت قيامتى و تمنيت أنى لم أك حياً.

قال زرقان: قال ابن أبى دؤاد: صرت الى المعتصم بعد ثالته، فقلت: ان نصيحه أمير المؤمنين على واجب و انا أكلمه بما أعلم أنى ادخل به النار، قال: و ما هو؟ قلت: اذا جمع أمير المؤمنين فى مجلسه فقهاء رعيته و علماءهم لأمر واقع من امور الدين، فسألهم عن الحكم فيه فأخبروه بما عندهم من الحكم فى ذلك، و قد حضر مجلسه أهل بيته و قواده و وزراؤه و كتابه، و قد تسامع الناس بذلك من وراء بابه، ثم يترك أقاويلهم كلهم لقول رجل شطر هذه الأمة بامامته، و يدعون أنه أولى منه بمقامه ثم يحكم بحكمه دون حكم الفقهاء؟

قال: فتغير لونه و انتبه لما تبهته له، و قال: جزاك الله عن نصيحتك خيراً.

قال: فأمر اليوم الرابع فلانا من وزرائه بأن يدعوه [أى الجواد (عليه السلام)] الى منزله فدعاه فأبى ان يجيبه و قال (عليه السلام): قد علمت انى لا أحضر مجالسكم، فقال: إنى انما ادعوك الى الطعام و احب ان تطأ ثيابى، و تدخل منزلى فأتبرك بذلك، فقد احب فلان بن فلان من وزراء الخليفة لقاءك، فصار اليه، فلما طعم منها أحس السم فدعا بدابته فسأله رب المنزل ان يقيم. قال (عليه السلام): خروجى من دارك خير لك، فلم يزل

ص: ١٣٣

يومه ذلك و ليله فى خلفه حتى قبض (عليه السلام)»(١).

لقد كان الإمام الجواد (عليه السلام) يتوقع استشهاده بعد هذا الاستدعاء فقد روى عن اسماعيل بن مهران قوله: «لَمَّا أخرج أبو جعفر (عليه السلام) من المدينة إلى بغداد فى الدفعه الأولى من خرجته قلت له عند خروجه: جعلت فداك، إنى أخاف عليك من هذا الوجه، فإلى من الأمر بعدك؟ قال: فركز بوجهه إلى ضاحكا و قال: ليس حيث ظننت فى هذه السنه.

فلما استدعى به الى المعتصم صرت اليه فقلت له: جعلت فداك، أنت خارج، فإلى من هذا الأمر من بعدك؟ فبكى حتى اخضلت لحيته ثم التفت إلى فقال: عند هذه يخاف علىّ، الأمر من بعدى الى ابنى على»(٢).

لقد درس المعتصم اكثر السبل التى يستطيع بها ان يصفى الإمام، فاعليه و أقلها ضررا، فلم يجد افضل من ام الفضل بنت أخيه المأمون للقيام بهذه المهمه فهى التى تستطيع ان تقتله بصورة اكيدة دون ان تثير ضجه فى الامه، مستغلا نقطتين فى شخصيتها، هما:

١- كونها تنتمى للخط الحاكم انتماء حقيقيا، فهى بنت المأمون و عمها المعتصم، و ليست بالمستوى الايمانى الذى يجعلها تنفك عن انتمائها النسبى هذا، لذلك كانت تخضع لتأثيراته و تنفذ ما يريد ضد الإمام.

٢- غيرتها و حقدتها على الإمام بسبب تسريه و تزوجه من نساء اخريات خصوصا و انها لم تلد للإمام و إنما رزق الإمام من غيرها ولده الهادى (عليه السلام).

و لقد كان أمر غيرتها شائعا بين الناس لذلك قال المؤرخون: «و قد روى الناس ان ام الفضل كتبت الى أبيها من المدينة تشكو أبا جعفر و تقول: انه يتسرى

ص: ١٣٤

١- (١) بحار الانوار: ٥٠/٥-٧.

٢- (٢) الارشاد: ٢٩٨/٢.

على و يغيرنى. فكتب اليها المأمون: يا بتيه انا لم نزوجك أبا جعفر لنحرّم عليه حالاً، فلا تعاودى لذكر ما ذكرت بعدها» (١).

و لم تخل هذه الفتره من الاعتداءات الظاهريه على الإمام (عليه السّلام) من أذئاب السلطه، و من ذلك ما فعله عمر بن فرج الرخجى الرجل المعادى لأهل البيت (عليهم السّلام) و العامل عند السلطه العباسيه. فمثلاً روى المؤرخون عن محمد بن سنان قوله: دخلت على أبى الحسن الهادى (عليه السّلام) فقال: يا محمد حدث بآل فرج حدث؟ فقلت: مات عمر. فقال: الحمد لله على ذلك، أحصيت أربعاً و عشرين مره، ثم قال: أ و لا تدرى ما قال - لعنه الله - لمحمد بن على أبى؟ قال: قلت: لا، قال: خاطبه فى شىء، فقال: أظنك سكران، فقال أبى: اللهم إن كنت تعلم أنى أمسيت لك صائماً فأذقه طعم الحرب و ذلّ الأسر. فو الله إن ذهب الأيام حتى حرب ماله، و ما كان له، ثم اخذ أسيراً فهو ذا مات» (٢).

استشهاد الإمام الجواد (عليه السلام)

تحدثنا عن دوافع المعتصم فى اغتيال الإمام الجواد (عليه السلام) و عن اختياره ام الفضل لتنفيذ الجريمه.

و مما يشير الى أسباب استغلال المعتصم لأم الفضل و كيفيه تحريضها على الاقدام على قتل الإمام (عليه السّلام) ما روى من شدة غيرتها أيام أبيها و توريطها لأبيها على ارتكاب جريمه قتل الإمام من قبل المأمون نفسه. (٣)

قال أبو نصر الهمداني: «حدثتني حكيمه بنت محمد بن على بن موسى بن

ص: ١٣٥

١- ((١)) كشف الغمه: ٣٥٨/٢.

٢- ((٢)) بحار الأنوار: ٥٠/٦٢-٦٣.

٣- ((٣)) حياه الإمام محمد الجواد (عليه السلام): ٢٦٤.

جعفر عمّه أبى محمد الحسن بن على (عليهما السلام).

قالت: لَمَّا مات محمد بن علىّ الرضا (عليه السلام) أتيت زوجته ام عيسى (1) بنت المأمون فعزّبتها فوجدتها شديده الحزن و الجزع عليه تقتل نفسها بالبكاء و العويل، فخفت عليها ان تتصدّع مرارتها فيبينما نحن فى حديثه و كرمه و وصف خلقه و ما اعطاه الله تعالى من الشرف و الاخلاص و منحه من العزّ و الكرامه، اذ قالت ام عيسى: الا اخبرك عنه بشيء عجيب و أمر جليل فوق الوصف و المقدار؟ قلت: و ما ذاك؟

قالت: كنت أغار عليه كثيرا و أراقبه ابدا و ربما يسمعى الكلام فاشكو ذلك الى أبى فيقول يا بتيه احتمليه فأنه بضعه من رسول الله (صلّى الله عليه و آله)، فيبينما انا جالسه ذات يوم اذ دخلت علىّ جاريه فسلمت، فقلت: من انت؟ فقالت: انا جاريه من ولد عمّار بن ياسر و انا زوجه أبى جعفر محمد بن علىّ الرضا (عليه السلام) زوجك.

فدخلنى من الغيره ما لا اقدر على احتمال ذلك هممت ان اخرج و اسيح فى البلاد و كاد الشيطان ان يحملنى على الإساءه اليها، فكظمت غيظى و احسنت رفدها و كسوتها، فلما خرجت من عندى المرأه نهضت و دخلت علىّ أبى و أخبرته بالخبر و كان سكرانا لا يعقل. فقال: يا غلام علىّ بالسيف، فاتى به، فركب و قال:

و الله لاقتلته فلما رايت ذلك قلت: أنا لله و أنا اليه راجعون، ما صنعت بنفسى و بزوجى و جعلت أطم حرّ وجهى، فدخل عليه والدى و ما زال يضربه بالسيف حتى قطعه.

ثم خرج من عنده و خرجت هاربه من خلفه فلم ارقد ليلتى فلما ارتفع النهار اتيت أبى فقلت: ا تدرى ما صنعت البارحه؟ قال: و ما صنعت؟ قلت: قتلت ابن

ص: ١٣٦

١- (١) ام عيسى هى كنيه اخرى لام الفضل، و اسمها زينب، كما فى بعض النصوص.

الرّضا(عليه السّلام)، فبرق عينه و غشى عليه ثم افاق بعد حين و قال:ويلك ما تقولين؟ قلت:نعم و الله يا ابه دخلت عليه و لم تزل تضربه بالسّيف حتى قتلته،فاضطرب من ذلك اضطرابا شديدا و قال:علّي يياسر الخادم فجاء ياسر.

فنظر اليه المأمون و قال:ويلك ما هذا الّذى تقول هذه ابنتى قال:صدقت يا امير المؤمنين فضرب بيده على صدره و خده،و قال:أنا لله و أنا اليه راجعون هلكنّا بالله و عطبنا و افتضحنا الى آخر الابد و يلک يا ياسر فانظر ما الخبر و القصه عنه(عليه السّلام)؟و عجل عليّ بالخبر فان نفسى تكاد ان تخرج السّاعه فخرج ياسر و انا ألطم حزّ وجهي،فما كان ياسر من ان رجع،فقال:البشرى يا امير المؤمنين.قال:

لك البشرى فما عندك؟

قال ياسر:دخلت عليه فاذا هو جالس و عليه قميص و دواج و هو يستاك فسلمت عليه و قلت:يا ابن رسول الله احب أن تهب لى قميصك هذا اصلىّ فيه و اتبرك به،و انما اردت ان انظر اليه و الى جسده هل به اثر السّيف فوالله كأنه العاج الّذى مسّه صفره ما به اثر.فبكى المأمون طويلا و قال:ما بقى مع هذا شيء إنّ هذا لعبره للأوليين و الآخرين.

و قال:يا ياسر اما ركوبى اليه و اخذى السّيف و دخولى عليه فانى ذاكر له و خروجى عنه فليست اذكر شيئا غيره و لا اذكر ايضا انصرافى الى مجلسى فكيف كان امرى و ذهابى اليه،لعن الله هذه الابنه لعنا وبيلا،تقدّم اليها و قل لها يقول لك ابوك و الله لئن جئتني بعد هذا اليوم شكوت او خرجت بغير اذنه لانتقمّن له منك.

ثم سر الى ابن الرّضا و ابلغه عنى السّلام و احمل اليه عشرين الف دينار و قدّم اليه الشهرى الّذى ركبته البارحه،ثم أمر بعد ذلك الهاشميين ان يدخلوا عليه بالسّلام و يسلموا عليه.قال ياسر:فأمرت لهم بذلك و دخلت انا ايضا معهم و سلّمت عليه و ابلغت التّسليم و وضعت المال بين يديه و عرضت الشّهري عليه فنظر اليه ساعه ثم تبسّم.

فقال (عليه السلام): يا ياسر هكذا كان العهد بيننا وبينه حتى يهجم على، اما علم ان لى ناصرا و حاجزا يحجز بينى و بينه. فقلت: يا سيدى يا ابن رسول الله دع عنك هذا العتاب و اصفح، و الله و حق جدك رسول الله (صلى الله عليه و آله) ما كان يعقل شيئا من امره و ما علم اين هو من ارض الله و قد نذر لله نذرا صادقا و حلف ان لا يسكر بعد ذلك ابدا، فان ذلك من حبائل الشيطان، فاذا انت يا ابن رسول الله اتيته فلا تذكر له شيئا و لا تعاتبه على ما كان منه.

فقال (عليه السلام): هكذا كان عزمى و رأى و الله، ثم دعا بثيابه و لبس و نهض و قام معه الناس اجمعون حتى دخل على المأمون فلما رآه قام اليه و ضمّه الى صدره و رحب به و لم يأذن لأحد فى الدخول عليه و لم يزل يحدثه و يستأمره، فلما انقضى ذلك قال أبو جعفر محمد بن على الرضا (عليه السلام): «يا أمير المؤمنين»، قال:

ليتك و سعديك. قال: «لك عندى نصيحه فاقبلها».

قال المأمون: بالحمد و الشكر فما ذاك يا ابن رسول الله؟

قال (عليه السلام): احب لك ان لا- تخرج بالليل فإني لا آمن عليك من هذا الخلق المنكوس و عندى عقد تحصن به نفسك و تحرز به من الشرور و البلايا و المكاره و الآفات و العاهات، كما انقذني الله منك البارحة و لو لقيت به جيوش الزوم و الترك و اجتمع عليك و على غلبتك اهل الأرض جميعا ما تهتأ لهم منك شىء بإذن الله الجبار. و ان احببت بعثت به اليك لتحترز به من جميع ما ذكرت لك. قال: نعم، فاكتب ذلك بخطك و ابعثه الى، قال: نعم.

قال ياسر: فلما اصبح أبو جعفر (عليه السلام) بعث الى فدعاني فلما صرت اليه و جلست بين يديه دعا برق ظبى من ارض تهامه ثم كتب بخطه هذا العقد.

ثم قال (عليه السلام): يا ياسر احمل هذا الى امير المومنين و قل له: حتى يصابغ له قصبه من فضه منقوش عليها ما اذكره بعده فإذا اراد شده على عضده فليشده على عضده الأيمن و ليتوضأ وضوءا حسنا سابغا و ليصل اربع ركعات يقرأ فى كل ركعة: فاتحه الكتاب مره و سبع مرّات: آيه الكرسي و سبع مرّات: شهد الله و سبع مرّات و الشمس و ضحاها و سبع

مَرَات: و اللّيل اذا يغشى و سبع مَرَات: قل هو الله احد.

فاذا فرغ منها فليشده على عضده الايمن عند الشدائد و النوائب يسلم بحول الله و قوته من كل شىء يخافه و يحذره و ينبغي ان لا يكون طلوع القمر فى برج العقرب و لو انه غزى اهل الزوم و ملكهم لغلبهم باذن الله و بركه هذا الحرز.

و روى انه لما سمع المأمون من أبى جعفر فى أمر هذا الحرز هذه الصفات كلها غزا اهل الزوم فنصره الله تعالى عليهم و منح منهم من المغنم ما شاء الله و لم يفارق هذا الحرز عند كل غزاه و محاربه و كان ينصره الله عز و جلّ بفضلله و يرزقه الفتح بمشيئته أنه ولي ذلك بحوله و قوته» (١).

و يقول المؤرخون إن ام الفضل ارتكبت جريمتها بحق الإمام الجواد (عليه السلام) عند ما سقته السم.

فقد روى: «أنّ المعتصم جعل يعمل الحيله فى قتل أبى جعفر (عليه السلام) و أشار على ابنه المأمون زوجته بأن تسمه لأنه وقف على انحرافها عن أبى جعفر (عليه السلام) و شده غيرتها عليه... فأجابته الى ذلك و جعلت سما فى عنب رازقى و وضعت بين يديه، فلما أكل منه ندمت و جعلت تبكى فقال: ما بكاؤك؟ و الله ليضربنك الله بفقر لا ينجبر، و بلاء لا ينستر، فماتت بعله فى اغمض المواضع من جوارحها، صارت ناصورا فانفقت مالها و جميع ما ملكته على تلك العله، حتى احتاجت الى الاسترفاد» (٢).

و أثر السم فى الإمام تأثيرا شديدا حتى لفظ انفاسه الاخير و لسانه يلهج بذكر الله تعالى، و قد انطقت باستشهاده شعله مشرقه من الامامه و القيادة المعصومه فى الاسلام.

لقد استشهد الإمام الجواد (عليه السلام) على يد طاغية زمانه المعتصم العباسى و قد

ص: ١٣٩

١- (١) بحار الأنوار: ٥٠/٦٢-٦٣.

٢- (٢) بحار الأنوار: ٥٠/١٧.

انطوت بموته صفحه من صفحات الرساله الاسلاميه التي اضاءت الفكر و رفعت منار العلم و الفضيله فى الأرض.

تجهيزه و دفنه:

و جهّز بدن الإمام (عليه السّلام) فغسّل و ادرج فى اكفانه، و بادر الواثق و المعتصم فصليا عليه (١)، و حمل الجثمان العظيم الى مقابر قريش، و قد احتفت به الجماهير الحاشده، فكان يوما لم تشهد بغداد مثله فقد ازدحمت عشرات الآلاف فى مواكب حزبه و هى تردد فضل الإمام و تندبه، و تذكر الخساره العظمى التى منى بها المسلمون فى فقدهم للإمام الجواد (عليه السّلام) و حفر للجثمان الطاهر قبر ملاصق لقبر جده العظيم الإمام موسى بن جعفر (عليه السّلام) فواروه فيه و قد واروا معه القيم الانسانيه، و كل ما يعتز به الانسان من المثل الكريمه (٢).

عن أبى جعفر المشهدى باسناده عن محمد بن رضيه عن مؤدّب لأبى الحسن [الهادى (عليه السّلام)]، قال: «انه كان بين يدى يوما يقرأ فى اللوح اذ رمى اللوح من يده و قام فزعا و هو يقول: انا لله و انا اليه راجعون مضى و الله أبى (عليه السّلام) فقلت: من اين علمت هذا؟ فقال (عليه السّلام): من اجلال الله و عظمته شىء لا أعهد.

فقلت: و قد مضى، قال: دع عنك هذا ائذن لى ان ادخل البيت و اخرج اليك و استعرضنى بأى القرآن ان شئت اقل لك بحفظ، فدخل البيت فقلت و دخلت فى طلبه اشفاقا منى عليه و سألت عنه فقيل دخل هذا البيت و ردّ الباب دونه و قال لى: لا تؤذنى على أحد حتى أخرج عليكم.

ص: ١٤٠

١- ((١)) ان الصلاه من قبل المعتصم و الواثق على الإمام (عليه السّلام) إنما هو للتعتيم الإعلامى على قتل الإمام (عليه السّلام) و المعروف ان المعصوم (عليه السّلام) يقوم بتجهيز المعصوم و الصلاه عليه. فلا مانع من حضور الإمام الهادى (عليه السّلام) عند تجهيز أبيه الجواد (عليه السّلام). راجع النص من الإمام الهادى على حضوره تغسيل و صلاه و دفن أبيه فى مسند الإمام محمد الجواد (عليه السّلام): ١٢٥-١٢٦.

٢- ((٢)) حياه الإمام محمد الجواد (عليه السّلام): ٢٦٣.

فخرج (عليه السلام) الى متعيرا و هو يقول: انا لله و انا اليه راجعون مضى و الله ابي، فقلت: جعلت فداك، قد مضى فقال: نعم و توليت غسله و تكفينه و ما كان ذلك ليلى منه غيرى ثم قال لي: دع عنك و استعرضني آى القرآن ان شئت افسر لك تحفظه» فقلت: الاعراف. فاستعاذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ*وَ اِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَاَنَّهُ ظُلَّةٌ وَ ظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ (١).

عمره و تاريخ استشهاده

اما عمر الإمام الجواد (عليه السلام) حين قضى نجه مسموما فكان خمسا و عشرين سنة (٢) على ما هو المعروف، و هو أصغر الائمة الطاهرين الاثنى عشر (عليهم السلام) سنا، و قد أمضى حياته فى سبيل عزه الاسلام و المسلمين و دعوه الناس الى رحاب التوحيد و الايمان و التقوى.

و استشهد الإمام الجواد (عليه السلام) سنة (٢٢٠ هـ) يوم الثلاثاء لخمس خلون من ذى القعدة، و قيل: لخمس ليال بقين من ذى الحجة و قيل: لست ليال خلون من ذى الحجة، و قيل: فى آخر ذى القعدة (٣).

فسلام عليه يوم ولد و يوم تقلد الإمامه و جاهد فى سبيل ربّه صابرا محتسبا و يوم استشهد و يوم بيعت حيا.

ص: ١٤١

١- ((١)) الثاقب: ٢٠٤.

٢- ((٢)) حياه الإمام محمد الجواد (عليه السلام): ٢٤٤.

٣- ((٣)) الكافى: ١٢/٤٩٧/١، اعلام الورى عن ابن عياش، التهذيب: ٩٠/٦.

متطلبات عصر الإمام الجواد(عليه السلام)

بعد أن وقفنا في الفصلين السابقين على ملامح عصر الإمام الجواد(عليه السلام) وطبيعته تعامل الحكّام مع الإمام(عليه السلام)و خطّه الرسالي و الجماعه الصالحه التي تقف الى جانب الإمام الحق الذي تمثّل مسيرته خطّ الهدايه الربّانيه للبشريه..لا بدّ أن نقف في هذا الفصل على مجمل متطلبات عصر الإمام الجواد(عليه السلام)الخاص بظروفه و مستجداته الثقافيه و السياسيه و الاجتماعيه من خلال مجموعه المهام الرساليه التي جعلت في الشريعه الإسلاميه على عاتق أهل البيت(عليهم السلام)بشكل عام و على عاتق(التاسع منهم)الإمام الجواد بشكل خاص.

و ذلك لأن أهل البيت(عليهم السلام)هم أهل بيت النبوه و الرساله الذين ربّاهم الرسول(صلّى الله عليه و آله)بيديه الكريمتين و جعلهم الدرع الحصينه التي تقى الرساله من أن يتلاعب بها الحكّام و وعّاظ السلاطين بعد رسول الله(صلّى الله عليه و آله)،كما أنها تقى الامه الإسلاميه من السقوط و التردّي الى المهوى السحيق،بعد أن أصبحت الامه الإسلاميه هي الامه الحيه التي لا بدّ لها أن تحمل مشعل الحضاره الإسلاميه و الربّانيه الى العالم أجمع،و قد منيت بصدمه كبيره تمثّلت في الانحراف الذي طال القيادة السياسيه و الذي أخذ يستشري في سائر مجالات الحياه الإسلاميه.

و الإمام الجواد (عليه السّلام) في عصره الخاص أمام مجموعه من الإنجازات التي حققها آباؤه الطاهرون في هذين الحقلين المهمين، كما أنه أمام مستجدات و متغيرات في الوضع السياسي و الاجتماعي و الديني بعد أن سمحت الدولة الإسلامية للتيارات المنحرفة لتعمل بحريه في الساحة الإسلامية و ذلك لأن الحكام المنحرفين قد استهدفوا إضعاف جبهه أهل البيت الرساليه دون مواجهه علنيه سافره.

و الإمام الجواد (عليه السّلام) لا بدّ أن يوازن و يوائم بين المهامّ و المسؤوليات الرساليه من جهه، و الامكانيات و ما يمكن تحقيقه في هذا الطرف الخاص من جهه اخرى للاقتراب من الأهداف الكبرى و النهائيه التي رسمتها له الشريعة و صاحبها و جعلت منه قيما رساليا و قائدا ربّانيا قد نذر نفسه لله تعالى و لرسالته الخالده.

من هنا يتّضح لنا ما يتطلبه العصر الخاص بالإمام الجواد (عليه السّلام) و ما ينبغي أن يقوم به من دور فاعل في الساحة الإسلامية و ما يحققه من إنجازات خاصه بالجماعه الصالحه.

إذا نقسم البحث عن هذه المتطلّبات الى بحثين أساسيين:

الأول: متطلّبات الساحة الإسلامية العامه.

الثاني: متطلّبات الجماعه الصالحه.

أما متطلّبات الساحة الإسلامية العامه فتتلخّص فيما يلي:

١- إثبات جداره خط أهل البيت (عليهم السّلام) للقياده الرساليه لجمهور المسلمين و جداره الإمام الجواد (عليه السّلام) بشكل خاص لمنصب القياده الربّانيه.

٢- الردّ على محاولات التسقيط و الاستفزاز التي كان يقوم بها الخطّ الحاكم ضد أهل البيت (عليهم السّلام) و أتباعهم.

ص: ١٤٤

٣- التمهيد العام لدوله الحق المرتقبه رغم محاولات السلطه للقضاء على قضيه الإمام المهدي (عليه السلام) بأشكال شتى.

٤- مواجهه الانحرافات و البدع و التيارات المنحرفه فى الساحة الإسلاميه.

٥- التوجه الى هموم أبناء الامه الإسلاميه.

و أما متطلبات الخط الرالى و الجماعه الصالحه فهى كما يلى:

١- تجسيد ظاهره الإمامه المبكره، من خلال تخطى القوانين الطبيعيه.

٢- تعميق البناء الثقافى و الروحى و التربوى للجماعه الصالحه.

٣- إحكام تنظيم الجماعه الصالحه و اعدادها لدور الغيبه الطويله.

٤- التمهيد لإمامه الهادى المبكره رغم الظروف الحرجه.

٥- التمهيد للإمام الغائب المنتظر بما يتناسب مع حواجه الظروف و الاعداد الفكرى و الروحى لعصر الغيبه المرتقب إعدادا يتناسب مع صعوبات الظروف الخاص.

و سوف نقدم البحث عن متطلبات الساحة الإسلاميه العامه فى هذا الفصل، و نرجئ البحث عن متطلبات الجماعه الصالحه الى فصول لاحقه ان شاء الله تعالى.

الباب الرابع

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

الإمام الجواد(عليه السلام) ومتطلبات الساحة الإسلاميه العامه

الفصل الثاني:

الإمام الجواد(عليه السلام) ومتطلبات الجماعه الصالحه

الفصل الثالث:

مدرسه الإمام محمّد الجواد(عليه السلام) و تراثه

ص: ١٤٧

إشاره

الإمام الجواد (عليه السلام) و متطلبات الساحه الإسلاميه العامه

١- أهل البيت (عليه السلام) و القيادة الرساليه

لم يستطع المأمون العباسي أن يحقق نواياه الخفيه في تسقيط شخصيه الإمام الرضا (عليه السلام) و اخراجها من القلوب العامره بحب أهل البيت (عليهم السلام)، لأن الإمام الرضا (عليه السلام) استطاع أن يخترق العقول و النفوس على مستوى اجتماعي عام، فتلاآت شخصيته العمليه و تجلت ذاته الساميه للقريب و البعيد.

و لم يجد المأمون لنفسه طريقا إلا أن يتخلص من تواجد الإمام و حضوره الفاعل في الساحه الإسلاميه من خلال تصفيته الجسديه؛ لأن ترك الإمام ليرجع الى المدينه بعد ما طار صيته و تلاآت شخصيته سوف يطيح بعرش المأمون و العباسيين بسرعه، و بقاءه في عاصمه الخلافه لم يكن بأقل تأثيرا من إبعاده الى المدينه من حيث الآثار السلبيه على عرش المأمون و الآثار الايجابيه لصالح خط الإمام الرسالي.

و النقطة الثانيه التي جدد فيها العباسيون بشكل عام و تجلت في سلوك المأمون السياسي بشكل خاص هي قلقهم من قضيه الإمام المهدي الموعود و المنتظر الذي قد وعد الله به الامم ليرأب به الصدع و يلم به الشعث و يقضى به على أعمده الجور و الطغيان، فالخطر الذي قد أنذر به الرسول (صلى الله عليه و آله) الحكام الطغاه

و بشر به المؤمنين و المستضعفين بدأ يقترب منهم، لما أفصح به النبي (صلى الله عليه و آله) من بيان نسب الإمام المهدي (عليه السلام) و موقعه القيادي حين نصّ على أنه التاسع من ولد الحسين (عليه السلام) حتى ذكر اسمه و اسم أبيه و مجموعه من صفاته و خصائصه و علائمه.

و مثل هذا الإخبار من النبي (صلى الله عليه و آله) لا يدع الظالمين فى راحة و اطمئنان؛ لأن الرسول (صلى الله عليه و آله) مرتبط بالوحي و مسدّد من السماء، و لا تكون إخباراته سدى.

و مثل هذا الإخبار من منجم عادى أو محترف يكفى لزغزعه الاستقرار النفسى الذى يبحث عنه الحكّام الظالمون فكيف و هم يسمعون هذا الإخبار من نبي مرسل يدعون الانتساب إليه؟!!

و لا سيّما و هم يبحثون عن كلّ شيء لإحكام ملكهم و يحسبون لما يزغزعه ألف حساب، فكيف لا يتهيّؤون لدرء الخطر الدايم؟

و العدد الذى ذكره النبي (صلى الله عليه و آله) لأهل بيته الطاهرين المسؤولين عن حمل مشعل الرسالة عدد مضبوط محدود، فهم اثنا عشر خليفه كلّهم من قريش و من بنى هاشم و هم على بن أبى طالب (عليه السلام) و أحد عشر من ولده الأبرار الأطهار.

و ها هو الرضا (عليه السلام) كان الثامن من الاثني عشر المنصوص عليهم من قبل الرسول (صلى الله عليه و آله) و هو الخامس من ولد الحسين (عليه السلام) فضلا عن النصوص عليهم من سائر الأئمة الطاهرين.

و لا- نستبعد وجود عناصر مرتبطة بالجهاز الحاكم كانت تحاول اختراق الجماعه الصالحه التى حرصت على حفظ تراث أهل البيت (عليهم السلام) و علومهم الربانيه و التى استودعوها اسرارهم، و هى الأسرار التى لا يتحملها إلا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان.

و الحكّام العباسيون إن لم يستطيعوا السيطرة على الجماعه الصالحه فلا أقل من اختراقها و الحصول على المعلومات التى تخدمهم للتعرف على الخط المناوى لهم.

و مع شعورهم بقرب ولاده المهدي (عليه السّلام) مع جهلهم بزمان ولادته و ظهوره، لا بد و أنهم يحاولون صد أهل البيت (عليهم السّلام) من انجاب الإمام المهدي (عليه السّلام) قبل كل شيء كما حدث لفرعون مع موسى النبي (عليه السّلام).

و من أجل تحقيق هذه المهمه و الحيلولة دون ولاده من يقلقهم ذكره و وجوده شدّدوا المراقبه على أهل البيت (عليهم السّلام) و دخلوا الى أعماق حياتهم الشخصيه فجعلوا الرقيب الخاص على تصرّفاتهم كما يبدو من إصرار المأمون لتزويج ابنته ام الفضل من الإمام الجواد (عليه السّلام) بل حدّوهم حتّى من حيث الزواج و الانجاب، و يشهد لذلك قلّه عدد أبناء الأئمه (عليهم السّلام) بعد الإمام الرضا (عليه السّلام) بشكل ملفت للنظر، إذا ما قسناهم مع من سبق الإمام الرضا (عليه السّلام) من الأئمه من حيث الأبناء و الأزواج.

كما حاولوا طرح البديل عن الإمام المهدي المنتظر للامه الإسلاميه بتسميه بعض أبنائهم بالمهدي و المهدي تمويها و تغريرا لعامة الناس بأنهم هم المقصودون بهذه النصوص النبويه. ولكن حيل الكذب قصير و الحقيقه لا بدّ أن تنجلي و الطغاه لا يستطيعون أن يتظاهروا بمظهر الحق على مدى طويل فلا يطول التظاهر منهم ماداموا غير متلبسين حقيقه بلباس الحق و مادامت شخصيتهم لم تنشأ في بيئه طاهره تتسم بالحق و بالقيم الربّانيه الفريده.

و من هنا نجد أن هذا التمويه لم يستطيع أن يحقق الغرض الذي من أجله ارتكبه و هو التغطية على حقيقه المهدي المنتظر (عليه السّلام).

و تبقى الخطوه الأخيره الممكنه لهم و هي أنهم إن لم يستطيعوا أن يحولوا بين أهل البيت (عليهم السّلام) و بين انجاب الإمام المهدي (عليه السّلام) و لا التمويه على جمهور المسلمين فعليهم أن يكتشفوه، أي أنّ عليهم أن يترصدوا ولادته ليقضوا عليه و يريحوا أنفسهم من هذا الكابوس الذي يخيم عليهم و هو كابوس المهدي المنتقم الذي يزعزع عروش الطغاه لا محاله.

نعم لا ضروره للاعتقاد البات من قبل الخلفاء بهذه الحقيقه بل يكفى لديهم احتمالها لبيادروا لاتخاذ الاجراءات الصارمه امام الخطر الدايم أو المحتمل الذى قد يحرق بهم عن قريب.

و هكذا كانت الساحة السياسيه العامه من جهه و الحاجه العامه للمسلمين تتطلب بقاء الأمل كبيرا بانجلاء غياهب الجور و الطغيان على يدي الإمام القائم بالسيف من أهل بيت النبوه و الذى بشر به الرسول(صلى الله عليه و آله) و أهل بيته الطاهرون.

و كان من الضرورى استمرار شعله هذا الأمل و الحيلولة دون انطفائها لأنها تهزّ عروش الظالمين و المستكبرين و تسلب الأمان و الحياه الرغيده منهم إن هذه المفرده حاجه واقعيه للامه و مهمه رساليه لأهل البيت(عليهم السلام)الذين لم تسمح لهم الظروف بالقيام بدور الإمام المهدي(عليه السلام)المرتقب،غير أنهم يستطيعون التمهيد لولادته و من ثم بقاءه حيا ليدبر شؤون المسلمين من وراء ستار كيما تتهيأ له ظروف الثوره المباركه التى بشر بها القرآن الكريم و أيدتها نصوص الرسول العظيم.

و فى مقابل هذه الحاجه العامه نجد محاولات العباسيين للحيلولة دون ولاده القائم المهدي من آل محمد(صلى الله عليه و آله)أصبحت جاده و قويه و سريعه،لأن الخطر بدأ يقترب منهم.فالإمام الجواد و من سيأتى بعده من الأئمه(عليهم السلام)بين مهمتين:مهمه حفظ الأمل الكبير و استمرار شعلته،و مهمه التعقيم على السلطه تجاه ولاده المهدي(عليه السلام)و الحيلولة بينهم و بين الاقتراب من المهدي(عليه السلام)لئلا تناله أيديهم الأثيمه و لئلا يصادروا آخر قياده ربانيه قد نذرت نفسها لله لتحمل لواء الحق ورايه الإسلام المحمدي و تحقق كل آمال الأنبياء على مدى القرون و الأعصار،كما صادروا قياده آباءه من قبل و أحكموا الحصار على من تبقى منهم.

و قد استطاع الأئمه من أهل البيت(عليهم السلام)فضح الحكام المنحرفين من خلال سيرتهم المباركه التى شكّلت تحديا عمليا و علميا و أخلاقيا صارخا فاتّضحت

للامه جمله من الفواصل الكبيره بين الخط الحاكم و الخط الذى ينبغى له أن يتولّى شؤون الحكم و الزعامه الإسلاميه.

و الامه لازالت بحاجة للتعرف على مزيد من الفواصل المعنويه بين الخطّين، كما أنها لا بدّ أن تقف على حقيقه الأفعه الزائفه التى يقبع تحتها الحكم الظالمون.

و استطاع المأمون أن يقترب من الإمام الجواد(عليه السّلام)و يتقرّب منه شيئاً ما بتقريبه له و تزويجه لابنته لترصد تحركات الإمام و لتستطيع أن تمنعه من الانجاب منها(1)و ممّن سواها،إذا كان ذلك مقصوداً للمأمون تحقيقاً لجمله من الأهداف التى لا حظناها فى هذا البحث.

و استمرّ الحكم من بعده على نفس هذا المنهج الدقيق لأنهم لا يرون بديلاً له بعد ما فضح المأمون نفسه باغتيال الإمام الرضا(عليه السّلام)حيث تخلّص من رقيب كبير كان يهدد ملكه و لكنه قد ابتلى برقيب جديد يفوقه فى التحدى و ارغام انوف الظالمين.

و من هنا كانت ظروف الإمام الجواد(عليه السّلام)لا سيّما و هو فى التاسعه من سنى عمره،تشكل سؤالاً سياسياً للمأمون أولاً و لعامه الناس ثانياً،و لبعض شيعه أهل البيت ثالثاً،و السؤال هو مدى جداره هذا الصبى للقيام بمهمه الإمامه و القيادة الربانيه المفترضه الطاعه التى لا بد لها أن تخترق كل الحجب السياسيه و الاجتماعيه الموجوده.

و هكذا كان الإمام الجواد(عليه السّلام)حين تسلّمه زمام القيادة الرساليه أمام تساؤل كبير قد طرح نفسه لأوّل مره على مستويات ثلاثه،و لا بدّ للإمام الجواد(عليه السّلام)من

ص: ١٥٣

١- ((١)) إذا كان الإنجاب مقصوداً للمأمون فاحتواء ابن الإمام من قبل العباسيين يكون أمراً ممكننا بل متوقعا و إذا لم يكن الإنجاب مطلوباً لهم فسوف تكون مهمه أبنة المأمون الحيلولة دون إنجاب الإمام(عليه السّلام)من طرفها و ممّن سواها كما تلاحظ ذلك فى غيرتها و شكايتهما لأبيها من الإمام الجواد الذى كان من الطبيعى فى ذلك المجتمع أن يتزوج من أمه من الإماء بالرغم من وجود زوجه عنده مثل ابنه المأمون.

أن يثبت جدارته للجميع، وإن كان ذلك يكلفه حياته فيما بعد؛ لأن بقاء هذا الخط الرباني وإثبات حَقَّانِيه خط أهل البيت ورسالته الربانيه هما فوق كل شيء. ومن هنا كان لا بد للإمام الجواد (عليه السلام) أن يتصدى للرد على كل هذه الأسئلة ويتحدى كل القوى السياسيه والعلميه التي تنطوي عليها الساحة الإسلاميه ليتسنى له القيام بسائر مهامه الرساليه الأخرى فى الحقلين العام والخاص معا.

إذا فقد كان إثبات الإمامه على المستويين العام والخاص أولى مهام الإمام الرساليه فى مرحلته التي عاشها بعد استشهاد أبيه الإمام الرضا (عليه السلام) الذى كان قد نص عليه وعزفه لأصحابه واتباعه؛ لأن الإمام الرضا (عليه السلام) كان قد عاصر خطط المأمون وعرف عن كتب اهدافه الخفيه من اطروحه ولايه العهد الخبيثه و التي استطاع الإمام أن يستثمرها لصالح الإسلام رغم قصر الفتره الزمنيه و رغم ما كلفته من حياته الغاليه و التي قدمها رخيصه فى ذات الله تعالى.

و تأتى إجابات الإمام الجواد (عليه السلام) فى المجالس العامه للخلفاء على الأسئلة الموجهه اليه خطوه موفقه لإثبات أحقيته خط أهل البيت (عليهم السلام) الرسالي و إثبات امامه محمد الجواد (عليه السلام) و جدارته العلميه و شخصيته القياديه لعامة المسلمين إتماما للحجه عليهم و على الخلفاء و العلماء المحيطين بهم.

و هى فى نفس الوقت تشكّل تحدياً عملياً للخلفاء و علمائهم الذين كانوا يشكّلون الرصيد العلمى و الخلفيه الثقافيه و الشرعيه فى منظار مجموعته من أبناء المجتمع الذين نشأوا فى مجتمع منحرف عن خط رساله محمدية الأصيله ممن اغتروا بالمظاهر و الشعارات و لم ينفذوا بعقولهم الى عمق الأحداث و التيارات المتحكّمه فى المجتمع الإسلامى آنذاك.

كما أنها كانت ردًا على محاولات التسقيط و الاستفزاز التي كان يستهدفها الحكام بالنسبه لأهل البيت (عليهم السلام) الذين كانوا يشكّلون المعارضه الصامته و الخطّ المخالف للخلفاء المستبدين بالأمر و المتربّعين على كرسى الحكم دون إذن و نصّ الهى، كما هى عقيدته أهل البيت (عليهم السلام) بالنسبه للإمامه حيث إن الإمام (عليه السلام) لا بد أن يكون معصوما و منصوفا عليه من الله تعالى و رسوله.

٢- الساحة الإسلامية و ظاهره الإمامه المبكره فى مدرسه أهل البيت (عليهم السلام)

يشكل وجود الإمام الجواد (عليه السلام) - كما أشرنا - برهانا على صحة عقيدة أهل البيت (عليهم السلام) فى الإمامه.

و ذلك لأن ظاهره تولّى شخص فى سنّ الطفوله لمنصب الإمامه و ما رافقها من شؤون تستطيع أن تقدم لنا دليلا قاطعا على سلامه هذه العقيدة التى يتميز بها مذهب أهل البيت (عليهم السلام) عمّا سواه من المذاهب فى قضيه الإمامه باعتبارها منصبا ربّانيا لا يكون على اساس الانتخاب و الترشيح البشرى و إنما يكون على أساس التعيين و النصب الإلهى لشخص تجتمع فى وجوده كل عناصر الكفاءة و القدره الحقيقه لإداره هذا المنصب الربّانى من قياده فكرية علميه و دينيه و علميه للمؤمنين بإمامته بل للمسلمين جميعا.

لقد أجمع المؤرخون على أن الإمام الجواد (عليه السلام) قد توفّى أبوه (عليه السلام) و عمره لا يزيد على سبع سنين، و تولّى منصب الإمامه بعد أبيه و هو فى هذه السن من سنّ الطفوله بحسب ظاهر الحال.

و هذه الظاهره هى أوّل ظاهره من نوعها فى حياه أئمه أهل البيت (عليهم السلام).

و لو درسنا هذه الظاهره على اساس المعايير الإلهيه من جانب و الوقائع التاريخيه، لوجدناها كافيه لوحدها للاقتناع بحقّانيه مدرسه الإمام الجواد و خط أهل البيت (عليهم السلام) الذى كان يمثله الإمام الجواد (عليه السلام).

إذ كيف يمكن أن نفترض فرضا آخر غير فرض الإمامه الواقعيه الربّانيه فى شخص لا يزيد عمره عن سبع سنين و يقوم فعلا بقياده و هدايه هذه الطائفه فى كل المجالات الروحيه و الفكرية و الدينيه الفقهيه و غير الفقهيه.

و الفروض الاخرى التى لا يمكن افتراضها و قبولها هنا هى كما يلى:

الفرض الأول: أن الطائفة الشيعيه التي آمنت بإمامه هذا الشخص لم ينكشف لديها بوضوح أن هذا المدعى للإمامه هو صبي.

و هذا الفرض غير صحيح لأن زعامه الإمام من أهل البيت (عليهم السّلام) لم تكن زعامه محاطه بالشرطه و الجيش و ابّنه الملك و السلطان بحيث يحجب الزعيم عن رعيتّه.

و لم تكن زعامه دعوه سرّيه من قبيل الدعوات الصوفيه و غيرها من الدعوات الباطنيه كالفاطميه التي تحجب بين القمه و القاعده بها.

إن الإمام الجواد مثل غيره من أئمه أهل البيت (عليهم السّلام) كان مكشوفاً أمام الطائفة و كانت الطائفة بكل طبقاتها تتفاعل معه مباشرة في مسائلها الدينيه و في قضاياها الروحيه و الأخلاقيه.

إن الإمام الجواد (عليه السّلام) نفسه كان قد أصرّ على المأمون حينما استقدمه إلى بغداد في أن يسمح له بالرجوع إلى المدينه فرجع و قضى بقيه عمره أو أكثر عمره فيها.

و هكذا بقي الإمام الجواد (عليه السّلام) مكشوفاً أمام مختلف طبقات المسلمين بما فيهم الشيعة المؤمنون بزعامته و إمامته.

فافتراض أنه لم يكن مكشوفاً أمام شيعته بالخصوص خلاف طبيعه العلاقه التي انشئت منذ البدايه بين أئمه أهل البيت (عليهم السّلام) و قواعدهم الشعبيه هذا أولاً.

و ثانياً أن الإمام الجواد (عليه السّلام) كان قد سلّط عليه أضواء خاصه من قبل الخليفه العباسي كما لاحظنا في القصه المعروفه عن تزويجه بأم الفضل، و هكذا رصد العباسيين له (عليه السّلام) للرد على موقف المأمون منه، و هو شاهد آخر على بطلان احتمال عدم انكشافه أمام المسلمين.

الفرض الثاني: ان المستوى الفكرى و العلمى للطائفة الشيعيه التى آمنت بالإمام(عليه السلام)و قئئذ لم يكن بالمستوى المطلوب الذى تستطيع من خلاله أن تتميز الخطأ من الصواب فى مجال الإيمان بإمامه طفل يدعى الإمامه و هو ليس بإمام.

و هذا الافتراض أيضا مما يكذبہ الواقع التاريخى لهذه الطائفة مع ما وصلت إليه من مستوى علمى و فقهى.

فإن هذه الطائفة قد تربت على أيدي الإمام الباقر و الصادق(عليهما السلام)و كان فيها أكبر مدرسه للفكر الإسلامى فى العالم الإسلامى على الإطلاق و هذه المدرسه تتكون من جيلين متعاقبين: جيل تلامذه الإمام الصادق و الكاظم(عليهما السلام)، و جيل تلامذه تلامذتهم.

و كان هذان الجيلان على رأس هذه الطائفة متميزين فى ميادين الفقه و التفسير و الكلام و الحديث و الأخلاق بل كل جوانب المعرفة الإسلاميه.

إذا فالمستوى الفكرى و العلمى لهذه الطائفة ما كان ليتمكن أن يمرر عليه مثل هذا الاعتقاد ما لم يكن له رصيد واقعى و دليل منطقى و معقول و ملزم لمعتنقيه بالإيمان بهذه الإمامه المبكره التى تشكل تحديا لكل الظروف و الواقع المعاش الذى لا يستفيد معتنقيه من الإيمان به غير التحديد و الضغط و المطارده و القتل و التهديد.

و إن أمكن لشخص أن يتصور أن رجلا عالما كبيرا محيطا مطلعاً بلغ الخمسين أو الستين يستطيع أن يقنع مجموعه من الناس بإمامته و هو ليس بإمام لمجرد أنه يتصف بدرجة كبيره من العلم و المعرفة و الذكاء و الاطلاع فليس بالإمكان أن نفترض ذلك فى شخص لم يبلغ العاشره من عمره، إذ كيف يستطيع أن يقنع طائفه كبرى بإمامته كذبا و هو مكشوف أمامها و هذه الطائفة ذات مدرسه فكرية من أضخم المدارس الفكرية التى وجدت فى العالم الإسلامى يومئذ. و هى

مدرسه بعض عناصرها فى الكوفه و بعضها فى قم و بعضها فى المدينه، فهى مدرسه موزعه فى حواضر العالم الإسلامى و كانت على صله مباشره بالإمام الجواد(عليه السلام)تستفتيه و تسأله و تنقل إليه الأموال من مختلف الأطراف من شيعته.

فمثل هذه المدرسه لا يمكن أن نتصور أنها تغفل عن حقيقه طفل لا يكون إماما.

الفرض الثالث: إن مفهوم الإمام و الإمامه لم يكن واضحا عند الطائفه الشيعيه بل إنها كانت تتصور أن الإمامه مجرد تسلسل نسبى و وراثى و لم تكن تعرف ما هو الإمام و ما هى قيمه الإمام و ما هى شروط الإمام.

و هذا الافتراض يكذبه واقع التراث المتواتر من أمير المؤمنين(عليه السلام)الى الإمام الرضا(عليه السلام)عن شروط الإمامه و حقيقتها و علامات الإمام عند هذه الطائفه بنحو يميزها عما سواها من الطوائف و المذاهب التى تجعل الامامه منصبا بشريا لا يصعب لكثير من الناس التسلق إليه و انتحاليها و ادعائها.

بينما قام التشيع على المفهوم الإلهى المعمق للإمامه و هو من المفاهيم الاولى و البديهيه للتشيع، فإن الإمام فى المفهوم الشيعى إنسان فذ فريد فى معارفه و أخلاقه و أقواله و أعماله. و هذا المفهوم قد بشرت به مجموعه كبيره من عهد أمير المؤمنين(عليه السلام)الى عهد الإمام الرضا(عليه السلام).^(١)

و قد أصبحت كل التفاصيل و الخصوصيات بالتدرج و واضحه و مرتكزه عند الطائفه الشيعيه.

يقول الراوى: دخلت المدينه بعد وفاه الإمام الرضا(عليه السلام)أسأل عن الخليفه بعد الإمام الرضا(عليه السلام).فقيل: إن الخليفه فى قريه قريبه من المدينه فخرجت الى

ص: ١٥٨

١- (١) راجع فى هذا الجانب بالخصوص الحديث التفصيلى الذى ورد عن الإمام الرضا(عليه السلام)حول الإمام و الامامه فى تحف العقول.

تللك القرية و دخلت القرية و كان فيها بيت للإمام موسى بن جعفر انتقل الى أولاده. فرأيت البيت غاصياً بالناس و رأيت أحد إخوه الإمام الرضا(عليه السّلام) كان جالسا يتصدّر المجلس إلّا أن الناس يقولون إن هذا ليس هو الإمام بعد الرضا(عليه السّلام) لأننا سمعنا من الأئمة أن الإمامه لا تكون فى أخوين بعد الحسن و الحسين.

نعم كل هذه التفاصيل و الخصوصيات النسبيه و المعنويه كانت واضحة و محدّده عند الطائفة.

إذا فهذا الافتراض الثالث أيضا يكذّبه واقع التراث الثابت و المتواتر عن الأئمة السابقين على الإمام الجواد(عليه السّلام).

الفرض الرابع: أن يكون هناك بين أبناء الطائفة الشيعيه نوع من التواطؤ على الزور و الباطل.

و هذا الافتراض أيضا يكذّبه الواقع. لا لإيماننا الشخصى فقط بورع هذه الطائفة و قدسيتها، بل لأن الظرف الموضوعى لهذه الطائفة هو الذى يكذب هذا الافتراض.

فإن التشيع لم يكن فى يوم من الأيام فى حياه هذه الطائفة طريقا إلى الأمجاد و الى المال و الجاه و السلطان و المقامات العاليه، بل التشيع طيله هذه المدّه كان طريقا الى التعرض للتعذيب و السجون و الحرمان و الويل و الدمار.

لقد كان التشيع طريقا شائكا مزروعا بالألغام، فالخوف و التقيه و الذل كانت هى مظاهر و ثمار هذا الطريق فما الفائدة الماديه فى التواطؤ على هذا الزور و الباطل فى الإمامه ما دام التشيع ليس سيلا لتحقيق أى مطعم مادى أو مطعم دنيوى آنئذ.

فلما ذا يتواطأ عقلاء الطائفة الشيعيه و وجهائها و علماؤها على إمامه باطله مع

أن ثباتهم عليها يكلفهم كثيرا من ألوان الحرمان والعذاب، وأتى عقل يستسيغ مثل هذه التبعات إذا كان مجرد تباين على أمر باطل.

إن هذه الظروف الموضوعية ألا- تكون شاهدا و دليلا- على أن هذا الاعتقاد إنما كان ناشئا عن حقيقته ثابتة و ملزمه لأبناء الطائفة قد وعوها و آمنوا بها و استسلموا للوالمها و آثارها بالرغم من أنها كانت تكلفهم حياتهم المادية على طول الخط.

أذن لا يبقى إلا القبول بالافتراض الأخير و هو أن الإمام الجواد(عليه السلام) بدعواه الإمامه المبكره و تحدّيه لكل من وقف أمامه، و صموده أمام كل الإثارات و التساؤلات و الاختبارات شكّل دليلا- تاريخيا علميا قاطعا على حقّانيه دعواه و مذهبه و خطّه و هو خط أهل البيت(عليهم السّلام)الذي كان يمثله الإمام الجواد(عليه السّلام) في مجال إمامه المسلمين و زعامه الامه الإسلاميه التي بدأت بالقياده النبويه تلك الامه التي خلفها الرسول(صلّى الله عليه و آله)للتكامل و تؤسّس الحضاره الإسلاميه على أسس الهيه و قيم ربّانيه.

و إن التراث القيم الذي تركه لنا هذا الإمام العظيم لدليل قاطع على عظمه الدور الذي قام به هذا الإمام في تبلور العقيدة الشيعيه في مجال القياده الاسلاميه التي أكّدها الآيات القرآنيه و النصوص النبويه الشريفه.(1)

ص: ١٦٠

١- (١) اعتمدنا في هذا البحث على محاضره للشهيد السعيد آيه الله السيد محمد باقر الصدر(قدّس سرّه)حول الإمام الجواد(عليه السّلام)و عرضناها بتصرّف.

لم يتخذ الغلو لونا واحدا بل كانت ثمة الوان متعدده، منها الغلو بالصحابه، و فى حوار مفتوح للإمام الجواد (عليه السلام) مع يحيى بن الأكرم أمام جماعه كبيره من الناس منهم المأمون العباسى فند الإمام الجواد (عليه السلام) التوجهات المغاليه فى شأن الصحابه، و إليك نص الحديث:

«روى ان المأمون بعد ما زوج ابنته ام الفضل أبا جعفر (عليه السلام) كان فى مجلس و عنده أبو جعفر (عليه السلام) و يحيى بن الأكرم و جماعه كثيره.

فقال له يحيى بن الأكرم: ما تقول يا بن رسول الله فى الخبر الذى روى: أنه نزل جبرئيل (عليه السلام) على رسول الله (صلى الله عليه و آله) و قال: يا محمد! ان الله عز و جل يقرئك السلام و يقول لك: سل أبا بكر هل هو عنى راض فإنى عنه راض.

فقال أبو جعفر (عليه السلام): «لست بمنكر فضل أبى بكر و لكن يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الذى قاله رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى حجه الوداع: قد كثرت على الكذابه و ستكثر بعدى فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار فاذا أتاكم الحديث عنى فاعرضوه على كتاب الله عز و جل و سنتى، فما وافق كتاب الله و سنتى فخذوا به، و ما خالف كتاب الله و سنتى فلا تأخذوا به و ليس يوافق هذا الخبر كتاب الله، قال الله تعالى:

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَ نَعَلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١).

فالله عز و جل خفى عليه رضاء أبى بكر من سخطه حتى يسأل عن مكنون سره، هذا مستحيل فى العقول».

ص: ١٦١

ثم قال يحيى بن الأَكتَم: وقد روى: أن مثل أبي بكر و عمر فى الارض كمثل جبرئيل و ميكائيل فى السماء.

فقال (عليه السَّلام): «و هذا أيضا يجب أن ينظر فيه؛ لأن جبرئيل و ميكائيل ملكان لله مقربان لم يعصيا الله قط، و لم يفارقا طاعته لحظه واحده، و هما قد أشركا بالله عزَّ و جلَّ و إن أسلما بعد الشرك. فكان أكثر أيامهما الشرك بالله فمحال أن يشبههما بهما».

قال يحيى: و قد روى أيضا: أنهما سيدا كهول أهل الجنة. فما تقول فيه؟

فقال (عليه السَّلام): و هذا الخبر محال أيضا، لأن أهل الجنة كلهم يكونون شبانا و لا يكون فيهم كهول و هذا الخبر وضعه بنو اميه لمضاده الخبر الذى قاله رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى الحسن و الحسين (عليهما السَّلام) بأنهما «سيدا شباب أهل الجنة».

فقال يحيى بن الأَكتَم: و روى ان عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة.

فقال (عليه السَّلام): و هذا أيضا محال، لأن فى الجنة ملائكة الله المقربين، و آدم و محمد (صلى الله عليه و آله)، و جميع الانبياء و المرسلين. لا تضىء بانوارهم حتى تضىء بنور عمر؟!

فقال يحيى بن الأَكتَم: و قد روى: أن السكينة تنطق على لسان عمر.

فقال (عليه السَّلام): لست بمنكر فضل عمر، ولكن أبا بكر أفضل من عمر.

فقال -على رأس المنبر-: إن لى شيطانا يعترينى، فإذا ملت فسددونى.

فقال يحيى: قد روى ان النبى (صلى الله عليه و آله) قال: لو لم ابعث لبعث عمر.

فقال (عليه السَّلام): كتاب الله أصدق من هذا الحديث، يقول الله فى كتابه: **وَ إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ (١)**، فقد أخذ الله ميثاق النبيين فكيف يمكن أن يبدل ميثاقه، و كان الانبياء (عليهم السَّلام) لم يشركوا بالله طرفه عين؟ فكيف يبعث بالنبوه من أشرك

ص: ١٦٢

و كان اكثر أيامه مع الشرك بالله؟! او قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): «تُبْتُت و آدم بين الروح و الجسد.»

فقال يحيى بن الأَکثم: و قد روى أيضا أن النبي (صلى الله عليه و آله) قال: ما احتبس عني الوحي قط الا ظننته قد نزل على آل الخطاب.

فقال (عليه السلام): و هذا محال أيضا، لأنه لا يجوز ان يشك النبي (صلى الله عليه و آله) في نبوته، قال الله تعالى: [□]اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَ [□]مِنَ النَّاسِ (١) فكيف يمكن ان تنتقل النبوه ممن اصطفاه الله تعالى الى من أشرك به؟! قال يحيى: روى ان النبي (صلى الله عليه و آله) قال: لو نزل العذاب لما نجي منه إلا عمر.

فقال (عليه السلام): و هذا محال أيضا، لأن الله تعالى يقول: [□]وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ وَ [□]مَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَ هُمْ يَسْتَعْفِفُونَ (٢)، فأخبر سبحانه انه لا يعذب أحدا ما دام فيهم رسول الله (صلى الله عليه و آله) و ما داموا يستغفرون الله (٣).

و في هذا النص شواهد كافيه لمدى التحريف الذى سيطر على مجال الحديث و البدع التى ادخلت على السنه النبويه الشريفه فى عصر الخلافه الامويه و العباسيه، و مدى نفوذها الى واقع الاسمه بالرغم من كونها تخالف النصوص الصريحه للقرآن الكريم. و هذا كاشف عن مدى هبوط مستوى الوعي و الثقافه العامه عند علماء البلاط فضلا عن عامه أتباعهم.

و هذا الحوار يكشف لنا عن مدى شجاعه الإمام (عليه السلام) و قوه منطقته، و دوره الكبير فى تصحيح هذه الانحرافات الخطيره التى تشوّه حقائق الدين من أجل تصحيح أخطاء شخصيات استغلّت شرف الصحبه و الصحابه، و قبح الحكام المنحرفون تحت هذه الأقنعه التى نسجت منهم شخصيات و هميته على مدى التاريخ فى أذهان عوامّ علماء المسلمين فضلا عن أتباعهم.

ص: ١٦٣

١- ((١)) الحج: (٢٢): ٧٥.

٢- ((٢)) الأنفال: (٨): ٣٣.

٣- ((٣)) الاحتجاج: ٢/٤٧٧-٤٨٠.

اهتم الإمام الجواد (عليه السلام) بخدمه الناس و بدعوتهم الى الاسلام المحمدي الاصيل و كسبهم الى اهل البيت (عليهم السلام)، و من امثله ذلك:

١- لما انصرف أبو جعفر (عليه السلام) من عند المأمون ببغداد و معه ام الفضل إلى المدينه، صار إلى شارع باب الكوفه و الناس يشيعونه فانتهى الى دار المسيب عند مغيب الشمس، فنزل و دخل المسجد، و كان في صحنه نبقه لم تحمل بعد، فدعا بكوز فيه ماء فتوضأ في اصل النبقه و قام و صلى بالناس صلاه المغرب، فقرأ في الاولي «الحمد» و «اذا جاء نصر الله» و في الثانيه «الحمد» و «قل هو الله أحد» و قنت قبل الركوع، و جلس بعد التسليم هنيهة يذكر الله تعالى، و قام من غير تعقيب فصلّى النوافل أربع ركعات، و عقب بعدها، و سجد سجدتي الشكر ثم خرج، فلما انتهى الى النبقه رآها الناس و قد حملت حملا كثيرا حسنا، فتعجبوا من ذلك، فأكلوا منها فوجدوه نبقا حلوا لا عجم له، و مضى (عليه السلام) الى المدينه (١).

لقد قدم الإمام الجواد (عليه السلام) للناس الدليل على إمامته (عليه السلام) بالامور المحسوسه.

علاوه على ذلك فإن اهتمام الإمام (عليه السلام) بخدمه الناس يعكس أهميته هذا الأمر و فضله في الإسلام كما يكشف عن توجهه (عليه السلام) لكسبهم بطريقه عمليه و هدايتهم لاختيار منهج أهل البيت (عليهم السلام)، و تقتصر على بعض الأمثله في هذا الصدد.

ص: ١٦٤

٢- روى عن الشيخ أبى بكر بن اسماعيل أنه قال: «قلت لآبى جعفر ابن الرضا (عليه السلام): ان لى جاربه تشكى من ربح بها، فقال: ائتنى بها فأتيت بها فقال: ما تشكين يا جاربه؟ قالت: ربحا فى ركبتى، فمسح يده على ركبتها من وراء الثياب فخرجت الجاربه من عنده و لم تشتك وجعا بعد ذلك» (١).

٣- روى عن محمد بن عمير بن واقد الرازى أنه قال: «دخلت على أبى جعفر ابن الرضا (عليه السلام) و معى أخى به بهر شديد فشكى اليه ذلك البهر (٢)، فقال (عليه السلام): عافاك الله ممّا تشكو، فخرجنا من عنده و قد عوفى فما عاد إليه ذلك البهر إلى أن مات.

٤- قال محمد بن عمير: «و كان يصيبنى و جمع فى خاصرتى فى كل اسبوع فيشتد ذلك الوجع بى أياما و سألته ان يدعوا لى بزواله عنى، فقال: و أنت فعافاك الله فما عاد الى هذه الغايه» (٣).

٥- و روى عن على بن جرير قال: «كنت عند أبى جعفر ابن الرضا (عليه السلام) جالسا و قد ذهب شاه لمولاه له فأخذوا بعض الجيران يجرّونهم اليه و يقولون:

انتم سرقتم الشاه.

فقال أبو جعفر (عليه السلام): ويلكم خلّوا عن جيراننا فلم يسرقوا شاتكم، الشاه فى دار فلان»، فأذهبوا فأخرجوها من داره، فخرجوا فوجدوها فى داره، و اخذوا الرجل و ضربوه و خرّقوا ثيابه، و هو يحلف انه لم يسرق هذه الشاه، الى ان صاروا الى أبى جعفر (عليه السلام) فقال: «ويحكم ظلمتم الرجل فإنّ الشاه دخلت داره و هو لا يعلم بها،

ص: ١٦٥

١- (١) بحار الانوار: ٤٦/٥٠-٤٧.

٢- (٢) البهره بالضم تتابع النفس.

٣- (٣) مستدرک عوالم العلوم: ٤٧/٥٠.

فدعاه فوهب له شيئاً بدل ما خرق من ثيابه و ضربه»(١).

٦- و روى عن القاسم بن الحسن، أنه قال: «كنت فيما بين مكة و المدينة فمرّ بى أعرابى ضعيف الحال فسألنى شيئاً فرحمته، فأخرجت له رغيفا فناولته إياه فلمّا مضى عتّى هبّت ريح زوبعه، فذهبت بعمامتى من رأسى فلم أرها كيف ذهبت و لا أين مرّت، فلمّا دخلت المدينة صرت الى أبى جعفر ابن الرضا(عليه السّلام) فقال لى: «يا أبا القاسم ذهبت عمامتك فى الطريق؟ قلت: نعم، فقال: يا غلام أخرج اليه عمامته، فأخرج الى عمامتى بعينها، قلت: يا ابن رسول الله كيف صارت اليك؟ قال: تصدّقت على أعرابى فشكره الله لك، فردّ إليك عمامتك، و إنّ الله لا يضيع أجر المحسنين»(٢).

إنّ هذه الأعمال تدلّ على الأهميه الكبيره التى كان يمنحها أهل البيت(عليهم السّلام) لخدمه الناس. و لا يخفى على الناظر المتأمل ما تتركه مثل هذه الأعمال من أثر كبير على الناس باعتبار أنّ لغه العمل هى اللغه الاوضح عند الناس و الأشد تأثيراً عليهم كما ورد عن الإمام الصادق(عليه السّلام) فى كلمته المعروفه عنه:

«كونوا دعاه الناس بغير ألسنتكم».

ص: ١٦٦

١- (١) مستدرک عوالم العلوم: ٤٧/٥٠.

٢- (٢) مستدرک عوالم العلوم: ٤٧-٤٨.

اشاره

الإمام الجواد (عليه السّلام) و متطلّبات الجماعه الصالحه

١- الإمام الجواد (عليه السّلام) يعالج ظاهره التشكيك بإمامته

نهض الإمام الجواد (عليه السّلام) بأعباء الإمامه الشرعيه للمسلمين و هو لما يبلغ الحلم على نحو ما حدث لعيسى بن مريم (عليه السّلام) حيث اوتى النبؤه فى المهد، و قد أوجدت هذه الظاهره حاله من التساؤل و التشكيك لدى البعض من الموالين لأهل البيت (عليهم السّلام) و المعتقدين بإمامتهم بعد رسول الله (صلّى الله عليه و آله)، لكن الإمام (عليه السّلام) استطاع أن يدحض هذه التشكيكات و يجيب على التساؤلات المعلنه و الخفيّه بما اوتى من فضل و علم و حكمه و حنكه.

إن حاله الصبا التى تزامنت مع اضطلاع الإمام (عليه السّلام) بأعباء الخلافه لرسول الله (صلّى الله عليه و آله)، و تصديه لامامه المسلمين فى ذلك الوقت المبكر دفعت ببعض أتباع أهل البيت (عليهم السّلام) الى التساؤل و التشكيك.

و أما التساؤلات فقد تمّ حسمها بدرجه ما، من خلال الأحاديث و التوجيهات و الإشارات التى صدرت عن والده الإمام علىّ الرضا (عليه السّلام) و انتشرت بين مقربيه و رؤساء القوى المواليه لأهل البيت (عليهم السّلام) فى البلدان كمصر و الحجاز و العراق و بلاد فارس.

على أنّ الإمام الجواد (عليه السّلام) نفسه قد قام بنشاط واسع لتبديد تلك الشكوك

التي اثّرت بشكل أو بآخر بعد وفاه الإمام الرضا(عليه السلام)و هو ما نفهمه من خلال بعض الروايات الواردة بهذا الشأن،و منها ما يلي:

أ-أورد السيد المرتضى(رضى الله عنه)في عيون المعجزات أنّه:لما قبض الرضا(عليه السلام)كان سن أبي جعفر(عليه السلام)نحو سبع سنين،فاختلفت الكلمه بين الناس ببغداد و في الأمصار،و اجتمع الريّان بن الصلت،و صفوان بن يحيى،و محمد بن حكيم،و عبد الرحمن بن الحجاج،و يونس بن عبد الرحمن،و جماعه من وجوه الشيعة و ثقاتهم في دار عبد الرحمن بن الحجاج في بركة زلول،يبكون و يتوجّعون من المصيبة،فقال لهم يونس بن عبد الرحمن:دعوا البكاء!من لهذا الأمر و الى من نقصد بالمسائل إلى أن يكبر هذا؟يعنى أبا جعفر(عليه السلام).

فقام اليه الريّان بن الصلت،و وضع يده في حلقه،و لم يزل يلطمه،و يقول له:أنت تظهر الايمان لنا و تبطن الشك و الشرك.

إن كان أمره من الله جل و علا- فلو أنه كان ابن يوم واحد لكان بمنزله الشيخ العالم و فوّه،و ان لم يكن من عند الله فلو عمّر ألف سنه فهو واحد من الناس، هذا ممّا ينبغي أن يفكر فيه.فأقبلت العصابه عليه تعذله و توبّخه.

و كان وقت الموسم،فاجتمع فقهاء بغداد و الأمصار و علماءهم ثمانون رجلا،فخرجوا إلى الحج،و قصدوا المدينة ليشاهدوا أبا جعفر(عليه السلام)،فلمّا وافوا أتوا دار جعفر الصادق(عليه السلام)لأنها كانت فارغه،و دخلوها و جلسوا على بساط كبير،و خرج إليهم عبد الله بن موسى،فجلس في صدر المجلس و قام مناد و قال:

هذا ابن رسول الله فمن أراد السؤال فليسأله.

فستل عن أشياء أجاب عنها بغير الواجب فورد على الشيعة ما حثّهم و غمّهم.

و اضطرب الفقهاء،و قاموا و همّوا بالانصراف،و قالوا في أنفسهم:لو كان

أبو جعفر (عليه السلام) يكمل لجواب المسائل لما كان من عبد الله ما كان، من الجواب بغير الواجب.

ففتح عليهم باب من صدر المجلس و دخل موقف و قال: هذا أبو جعفر، فقاموا إليه بأجمعهم و استقبلوه و سلّموا عليه فدخل صلوات الله عليه، و عليه قميصان و عمامه بذؤابتين و فى رجليه نعلان و جلس و أمسك الناس كلهم، فقام صاحب المسأله، فسأله عن مسأله، فأجاب عنها بالحق، ففرحوا و دعوا له و أثنوا عليه و قالوا له: إن عمك عبد الله أفتى بكيت و كيت، فقال: «لا اله الا الله يا عم إنه عظيم عند الله أن تقف غدا بين يديه فيقول لك: لم تفتى عبادى بما لم تعلم، و فى الامه من هو أعلم منك؟!» (١).

ب- و روى أنه جيئ بأبى جعفر (عليه السلام) إلى مسجد رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بعد موت أبيه، و هو طفل، و جاء إلى المنبر و رقا منه درجه ثم نطق، فقال: «أنا محمد ابن على الرضا، أنا الجواد، أنا العالم بأنساب الناس فى الأصلاب، أنا أعلم بسرائر كم و ظواهر كم و ما أنتم صائرون إليه، علم منحنا به قبل خلق الخلق أجمعين، و بعد فناء السماوات و الأرضين، و لو لا تظاهر أهل الباطل، و دوله اهل الضلال و وثوب أهل الشك، لقلت قولا تعجب منه الأولون و الآخرون...» (٢).

ج- و قال اسماعيل بن بزيع: سألته -يعنى أبا جعفر الثانى (عليه السلام)- عن شىء من أمر الإمام، فقلت: يكون الإمام ابن أقل من سبع سنين؟ فقال: «نعم و أقل من خمس سنين» (٣).

د- قال على بن أسباط: «رأيت أبا جعفر (عليه السلام) و قد خرج على فأخذت

ص: ١٦٩

١- (١) بحار الانوار: ٩٩/٥٠-١٠٠.

٢- (٢) بحار الأنوار: ١٠٨.

٣- (٣) حليه الابرار: ٣٩٨/٢، نقلا عن حياه الإمام محمد بن على الجواد: ٣٢-٣٣.

أنظر إليه و جعلت انظر الى رأسه و رجله، لأصف قامته لأصحابنا بمصر فيينا أنا كذلك حتى قعد، فقال (عليه السلام): يا علي! ان الله احتج في الإمامه بمثل ما احتج في النبوه، فقال: وَ آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١) وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ (٢) وَ بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً (٣)، فقد يجوز ان يؤتى الحكمه و هو صبي و يجوز ان يؤتاها و هو ابن اربعين سنه (٤).

إن تصدى الإمام الجواد (عليه السلام) لإمامه المسلمين و هو صبي كان معجزه بذاته.

و سنتطرق فيما بعد الى ما أظهره من المعارف الإلهيه، و قد ذكرنا نماذج من تحدّيه لكبار الفقهاء و منهم قاضى قضاء الدوله العباسيه مع ما كان عليه من كبر السن، و لا شك أن ذلك من مصاديق الصفه الإعجازيه فى الإمام (عليه السلام) و من الأدله التى تجسّد مدى علاقته و تؤكد عمق ارتباطه بالله تعالى و قربه منه و حجم الدعم الغيبي الذى كان يحظى به الإمام (عليه السلام) من عند الله عز و جل.

ص: ١٧٠

١- (١) مريم (١٩): ١٢.

٢- (٢) القصص (٢٨): ١٤.

٣- (٣) الاحقاف (٤٦): ١٥.

٤- (٤) اصول الكافي: ٣١٤/١.

اشاره

لقد توخى أئمه أهل البيت (عليهم السّلام) تحقيق عزه الاسلام و المسلمين من خلال المواقف و التحركات الحكيمه التى تضمن الوصول الى الهدف المطلوب على احسن وجه. و كان تحرك الإمام الجواد (عليه السّلام) ينطلق من هذه الرؤيه فكان ذلك التحرك واسعاً و مؤثراً رغم كل الظروف المعرقله التى أحاطت تحركه و فى هذا المجال نشير الى نماذج من تحرك الإمام (عليه السّلام) فى الميادين التى كان يتوخى منها إعداد الامه و طلائعها إعداداً رسالياً. و من هذه الميادين:

أ- تعميق البناء الفكرى:

اشاره

كان اهتمام الإمام الجواد (عليه السّلام) فى بناء الجانب العقائدى فى شخصيه الانسان المسلم واضحاً للناظر فى تراثه الذى ورثناه و الذى يحتوى على مفردات اساسيه تتقوم بها العقيدة و من ذلك:

الإمام و الدعوه الى التوحيد الخالص:

التوحيد اساس العقيدة الاسلاميه، و سلامه تصورات المسلم عن الله تعالى هى الركيزه الجوهرية التى تستند عليها باقى المفردات العقيديه، من هنا كان الإمام (عليه السّلام) يعنى عنايه شديده بإيضاح هذا الاساس و تجليته، و فى المحاضره التى ألقاها على داود بن القاسم الجعفرى دليل على ما قلناه.

□
فقد قال الجعفرى: «قلت لأبى جعفر الثانى (عليه السّلام): قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، ما معنى: الأحد؟

□
قال: المجمع عليه بالوحدانيه، أما سمعته يقول: وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ سَيَخِرُّ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ ۝ ١، ثم يقولون بعد ذلك: له شريك و صاحبه.

قال:المجمع عليه بالوحدانيه،أما سمعته يقول:وَلَيْتِنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ (١)،ثم يقولون بعد ذلك:له شريك و صاحبه.

فقلت:قوله:لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ (٢).

قال:يا أبا هاشم!اوهام القلوب أدق من أبصار العيون،أنت قد تدرِك بوهمك السند و الهند،و البلدان التي لم تدخلها،و لم تدرِك ببصرك ذلك،فأوهام القلوب لا تدرِكه، فكيف تدرِكه الأبصار؟!

و سئل (عليه السلام):أيجوز ان يقال لله:انه شىء؟

فقال:نعم،تخرجه من الحدّين:حدّ التعطيل و حدّ التشبيه (٣)«(٤).

و عن أبى هاشم الجعفرى،قال:«كنت عند أبى جعفر الثانى(عليه السلام)فسأله رجل،فقال:أخبرنى عن الرب تبارك و تعالى له اسماء و صفات فى كتابه؟ و أسماؤه و صفاته هى هو؟

فقال أبو جعفر(عليه السلام):«ان لهذا الكلام وجهين:إن كنت تقول:هى هو،اى انه ذو عدد و كثره،فتعالى الله عن ذلك.و ان كنت تقول:هذه الصفات و الأسماء لم تزل،فإنّ «لم تزل»محتمل معنيين:فان قلت:لم تزل عنده فى علمه و هو مستحقها،فنعم،و ان كنت تقول:لم يزل تصويرها و هجاؤها و تقطيع حروفها فمعاذ الله ان يكون معه شىء غيره.بل كان الله و لا خلق،ثم خلقها وسيله بينه و بين خلقه يتضرعون بها اليه و يعبدونه و هى ذكره،و كان الله و لا ذكره،و المذكور بالذكر هو الله القديم الذى لم يزل.

و الاسماء و الصفات مخلوقات،و المعانى و المعنى بها هو الله الذى لا- يلىق به الاختلاف و لا الائتلاف،و انما يختلف و يأتلف المتجزئ فلا يقال:الله مؤتلف،

ص:

١- (١) العنكبوت(٢٩):٦١.

٢- (٢) الانعام(٦):١٠٣.

٣- (٣) حد التعطيل هو عدم اثبات الوجود،و الصفات الكماليه و الفعلية و الاضافيه له تعالى،و حد التشبيه الحكم و الاشتراك مع الممكنات فى حقيقه الصفات و عوارض الممكنات.

٤- (٤) مستدرک عوالم العلوم:٣٥٣/٢٣-٣٥٤.

و لا- الله قليل و لا كثير، و لكنه القديم فى ذاته، لأن ما سوى الواحد متجزئ، و الله واحد لا متجزئ، و لا متوهم بالقله و الكثره و كل متجزئ او متوهم بالقله و الكثره، فهو مخلوق دال على خالق له.

فقولك: ان الله قدير خبرت انه لا يعجزه شىء، فنفيت بالكلمه العجز و جعلت العجز سواه.

و كذلك قولك: عالم انما نفيت بالكلمه الجهل، و جعلت الجهل سواه، و اذا أفنى الله الاشياء أفنى الصوره و الهجاء و التقطيع، و لا يزال من لم يزال عالما.

فقال الرجل: فكيف سمينا ربنا سميعا؟

فقال: لانه لا يخفى عليه ما يدرك بالاسماع، و لم نصفه بالسمع المعقول فى الرأس.

و كذلك سمينا بصيرا لانه لا يخفى عليه ما يدرك بالأبصار، من لون او شخص او غير ذلك، و لم نصفه ببصر لحظه العين.

و كذلك سمينا لطيفا لعلمه بالشىء اللطيف مثل البعوضه و أخفى من ذلك، و موضع النشوء منها، و العقل و الشهوه للفساد و الحدب على نسلها و إقام بعضها على بعض، و نقلها الطعام و الشراب الى اولادها فى الجبال و المفاوز و الاوديه و القفار، فعلمنا ان خالقها لطيف بلا كيف، و انما الكيفيه للمخلوق المكيف.

و كذلك قويا لا- بقوه البطش المعروف من المخلوق، و لو كانت قوته قوه البطش المعروف من المخلوق لوقع التشبيه و لاحتمل الزياده، و ما احتمل الزياده احتمل النقصان، و ما كان ناقصا كان غير قديم، و ما كان غير قديم كان عاجزا.

فربنا تبارك و تعالى لا شبه له و لا ضد و لا ند و لا كيف و لا نهايه و لا تبصار بصر، و محرم على القلوب أن تمثله، و على الأوهام ان تحدّه، و على الضمائر ان تكوّنه، جلّ و عز عن أداه خلقه و سمات برئته، و تعالى عن ذلك علوا كبيرا^(١).

ص: ١٧٣

١- (١) مستدرک عوالم العلوم: ٢٣/٣٥٤-٣٥٦.

من الانحرافات الخطيره التي انتشرت عند البعض الغلو بأهل البيت (عليهم السلام).

وقد وقف الائمة من أهل البيت (عليهم السلام) بالمرصاد للمغالين فيهم فردّوهم و أفحموهم و أمروا أتباعهم بالابتعاد عنهم.

وقد سار الإمام الجواد (عليه السلام) على نهج آبائه في هذه المسألة و كان حذرا من نشأه بذور الغلو، كما يظهر ذلك من خلال ترصده لبعض الممارسات و من الادله على هذا الأمر، ما ذكره المؤرخون عن الحسين بن محمد الأشعري حيث قال:

«حدثني شيخ من أصحابنا يقال له عبد الله بن رزين قال: كنت مجاورا بالمدينة مدينه الرسول و كان أبو جعفر (عليه السلام) يجيء في كل يوم مع الزوال الى المسجد فينزل الى الصخره و يمرّ الى رسول الله (صلى الله عليه و آله) و يسلم عليه، و يرجع الى بيت فاطمه و يخلع نعله فيقوم فيصلّي فوسوس اليّ الشيطان، فقال: اذا نزل فاذهب حتى تأخذ من التراب الذي يطأ عليه فجلست في ذلك اليوم انتظره لأفعل هذا.

فلما ان كان في وقت الزوال أقبل (عليه السلام) على حمار له فلم يزل في الموضع الذي كان ينزل فيه فجاره حتى نزل على الصخره التي كانت على باب المسجد ثم دخل فسلم على رسول الله (صلى الله عليه و آله) ثم رجع الى مكانه الذي كان يصلّي فيه ففعل ذلك أياما فقلت اذا خلع نعليه جئت فأخذت الحصا الذي يطأ عليه بقدميه.

فلما كان من الغد جاء عند الزوال فنزل على الصخره ثم دخل على رسول الله (صلى الله عليه و آله) و جاء الى الموضع الذي كان يصلّي فيه و لم يخلعهما ففعل ذلك أياما فقلت في نفسي: لم يتهيا لي ههنا ولكن اذهب الى باب الحمام فاذا دخل اخذت من التراب الذي يطأ عليه فسألت عن الحمام فقيل لي انه يدخل حماما بالبقيع لرجل من ولد طلحه، فتعرضت اليوم الذي يدخل فيه الحمام، و صرت الى باب الحمام و جلست الى الطلحي احذّته و انا انتظر مجيئه (عليه السلام).

فقال الطلحي: ان اردت دخول الحمام فقم فادخل فانه لا- يتهياً لك بعد ساعه،قلت: و لم؟قال: لا- ابن الرضا(عليه السّلام) يريد دخول الحمام،قال:قلت:

و من ابن الرضا؟قال:رجل من آل محمد(صلّى الله عليه و آله)له صلاح و ورع،قلت له:و لا- يجوز ان يدخل معه الحمام غيره؟قال:نخلى له الحمام اذا جاء،قال:فبيننا انا كذلك إذ أقبل(عليه السّلام)و معه غلمان له،و بين يديه غلام،و معه حصير حتى ادخله المسلخ،فبسطه و وافى و سلّم و دخل الحجره على حماره،و دخل المسلخ،و نزل على الحصير.

فقلت للطلحي:هذا الذى و صفته بما و صفته من الصلاح و الورع؟

فقال:يا هذا و الله ما فعل هذا قط الا فى هذا اليوم،فقلت فى نفسى:هذا من عملى أنا جنيته،ثم قلت:انتظره حتى يخرج فلعلّى أنال ما أردت إذا خرج.فلما خرج و تلبس دعا بالحمار و أدخل المسلخ،و ركب من فوق الحصير و خرج(عليه السّلام)،فقلت فى نفسى:قد و الله آذيته و لا أعود أروم ما رمت منه أبدا و صخّ عزمى على ذلك.فلما كان وقت الزوال من ذلك اليوم أقبل على حماره حتى نزل فى الموضع الذى كان ينزل فيه فى الصحن،فدخل فسلم على رسول الله(صلّى الله عليه و آله)و جاء الى الموضع الذى كان يصلّى فيه فى بيت فاطمه(عليها السّلام)و خلع نعليه و قام يصلّى»(١).

ب-تعميق البناء العلمى

اشاره

و من جمله المجالات التى تحرّك فيها الإمام الجواد(عليه السّلام)هو إكماله لبناء الصرح العلمى الذى أشاده الأئمه(عليهم السّلام)من آباءه الكرام،و فى سياق هذا النشاط نلاحظ إجابته على الاستفسارات العلميه و الاستفتاءات الفقهيّه التى كانت تستجد

ص:١٧٥

للطائفة الشيعيه و الامه الاسلاميه آنذاك.

و الأهم من ذلك ملاحظه نشاطه فى اكمال الأدوات و المنهج العلمى.

إكمال الأدوات و المنهج العلمى:

تشكل القواعد الاصوليه جزء من المنهج العام لفهم الشريعه و استنباط أحكامها. و نوجز منهجه (عليه السلام) فيما يلى:

أ- عدم جواز استنباط الأحكام النظرية من ظواهر القرآن إلا بعد معرفه تفسيرها من الأئمه (عليهم السلام).

فقد روى فى الكافى عن الإمام الجواد (عليه السلام) أنه قد روى عن أبى عبد الله الصادق (عليه السلام) أن رجلا سأل أباه محمداً الباقر (عليه السلام) عن مسائل، فكان مما دار بينهما أن قال: «قل لهم: هل كان فيما أظهر رسول الله (صلى الله عليه و آله) من علم الله - عز ذكره - اختلاف؟ فإن قالوا لا، فقل لهم: فمن حكم بحكم الله فيه اختلاف، فهل خالف رسول الله (صلى الله عليه و آله)؟ فيقولون: نعم، فإن قالوا: لا؛ فقد نقضوا أول كلامهم؛ فقل لهم: ما يعلم تأويله إلا الله و الراسخون فى العلم. فإن قالوا: من الراسخون فى العلم؟ فقل: من لا يختلف فى علمه. فإن قالوا: فمن هو ذلك؟ فقل: كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) صاحب ذلك - إلى أن قال: - وإن كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) لم يستخلف فى علمه أحداً فقد ضيع من فى أصلاب الرجال ممن يكون بعده.

قال أيضاً: و ما يكفيهم القرآن؟ قال: بلى، إن وجدوا له مفسراً.

قال: و ما فسره رسول الله (صلى الله عليه و آله)؟ قال: بلى قد فسره لرجل واحد، و فسره لآلته شأن ذلك الرجل، و هو على بن أبى طالب (عليه السلام)» (١).

ص: ١٧٦

وقال (عليه السلام) أيضا: «والمحكم ليس بشيئين إنما هو شيء واحد؛ فمن حكم بما ليس فيه اختلاف، فحكمه من حكم الله عز وجل؛ و من حكم بأمر فيه اختلاف فرأى أنه مصيب، فقد حكم بحكم الطاغوت» (١).

ب- وجوب العمل بأحاديث الأئمة (عليهم السلام) المنقولة في الكتب المعتمدة.

فقد جاء في الكافي أيضا عن محمد بن الحسن بن أبي خالد شنيو له، أنه قال: «قلت لأبي جعفر الثاني (عليه السلام): جعلت فداك، إن مشايخنا رووا عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام) وكانت التقيته شديده، فكتبتموا كتبهم، ولم ترو عنهم، فلما ماتوا صارت الكتب إلينا.

فقال (عليه السلام): «حدّثوا بها، فإنها حق» (٢).

ج- جواز العمل بقول من أجازة الإمام (عليه السلام) في العمل برأيه.

فقد جاء في رجال الكشي: عن خيران الخادم أنه قال: «وجّهت إلى سيدي (٣) ثمانية دراهم في حديث- وقال:

قلت: جعلت فداك، إنه ربّما أتاني الرجل لك قبله الحق، أو يعرف موضع الحق لك، فيسألني عمّا يعمل به، فيكون مذهبي أخذ ما يتبرّع في سرّ؟

قال: اعمل في ذلك برأيك، فإن رأيك رأيي، و من أطاعك فقد أطاعني» (٤).

د- عدم جواز الافتاء من دون علم

فقد مرّ أنه حينما توفي الإمام الرضا (عليه السلام) كان عمر أبي جعفر (عليه السلام) حينذاك سبع سنين، فاختلفت كلمه الشيعة حوله ببغداد و الأمصار فاجتمع و جهاء الشيعة

ص: ١٧٧

١- ((١)) اصول الكافي: ٢٤٨/١.

٢- ((٢)) اصول الكافي: ٥٣/١ ح ١٥، عنه الوسائل: ٢٧/٥٨/١٨.

٣- ((٣)) المراد بسيدته هنا إمّا الإمام الرضا، أو الإمام الجواد، أو الإمام الهادي (عليهم السلام) لأنه خدمهم ثلاثتهم (عليهم السلام)، و المرسل إليه يحتمل الثلاثة.

٤- ((٤)) رجال الكشي: ٦١٠ ح ١١٣٤، و زاد فيه: قال أبو عمرو: هذا يدل على أنه كان وكيله، و لخيران هذا مسائل يرويها عنه، و عن أبي الحسن (عليهما السلام)، عنه في الوسائل: ٢١٦/١٢ ح ٦.

وفقهائهم في الموسم ليشاهدوا أبا جعفر (عليه السلام) فوجدوا في دار جعفر الصادق (عليه السلام) عبد الله بن موسى قد جلس في صدر المجلس وكان يسأل فيجيب بأجوبة دعوتهم إلى الحيرة فاضطربوا وهموا بالانصراف، و إذا بموفق الخادم يدخل عليهم مع أبي جعفر (عليه السلام) فقاموا إليه بأجمعهم واستقبلوه وسلموا عليه ثم جلس وبدأوا بالسؤال فكان يجيب على أسئلتهم بالحق. ففرحوا ودعوا له وأثنوا عليه وقالوا له: إن عمك عبد الله أفتى بكيت وكيت فقال (عليه السلام):

لا إله إلا الله! يا عم! إنه عظيم عند الله أن تقف غدا بين يديه فيقول لك: لم تفتى عبادي بما لم تعلم وفي الأمة من هو أعلم منك؟! (1)

الإجابة على الاستفتاءات الفقهية والاستفسارات العلمية:

لقد أسهمت إجابات الإمام الجواد (عليه السلام) على الاستفتاءات الفقهية وغيرها من الاستفسارات العلمية في البناء العلمي للجماعة الصالحة و لك أن تلاحظها في النصوص التالية:

وقت صلاة الفجر: عن الحصين بن أبي الحصين، قال: «كتبت إلى أبي جعفر (عليه السلام): جعلت فداك، اختلف مواليك في صلاة الفجر، فمنهم من يصلي إذا طلع الفجر الأول المستطيل في السماء، ومنهم من يصلي إذا اعترض في أسفل الأرض واستبان، ولست أعرف أفضل الوقتين فاصلى فيه. فان رأيت يا مولاي جعلني الله فداك ان تعلمنى أفضل الوقتين، و تحدد لى كيف اصنع مع القمر و الفجر لأتبين معه حتى يحمرّ و يصبح؟ و كيف اصنع مع الغيم؟ و ما حدّد ذلك في السفر و الحضر؟ فعلت إن شاء الله.

ص: ١٧٨

فكتب بخطه (عليه السلام): «الفجر - يرحمك الله - الخيط الأبيض، وليس هو الأبيض صعدا، ولا تصل في سفر، ولا في حضر حتى تتبينه - رحمك الله -، فإن الله لم يجعل خلقه في شبهه من هذا، فقال تعالى: كُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ (١) فالخيط الأبيض هو الفجر الذي يحرم به الأكل والشرب في الصيام، وكذلك هو الذي يوجب الصلاة» (٢).

البسمله في الصلاة: عن يحيى بن أبي عمران الهمداني، قال: «كتبت الى أبي جعفر (عليه السلام): جعلت فداك، ما تقول في رجل ابتداءً ببسم الله الرحمن الرحيم في صلاته وحده في أم الكتاب، فلما صار الى غير أم الكتاب من السورة تركها؟ فقال العباسي (٣): ليس بذلك بأس.

فكتب بخط يده: يعيدها مرتين على رغم انفه - يعني العباسي - (٤).

الإكراه في الزواج: جاء في روايه على بن مهزيار عن محمد بن الحسن الأشعري، قال:

«كتب بعض بنى عمى الى أبي جعفر الثاني (عليه السلام): ما تقول في صبيته زوجها عمها، فلما كبرت أبت التزويج؟

فكتب بخطه (عليه السلام): «لا تكره على ذلك، والأمر أمرها» (٥).

ص: ١٧٩.

١- (١) البقره (٢): ١٨٧.

٢- (٢) مستدرک عوالم العلوم: ٣٨٢/٢٣-٣٨٢.

٣- (٣) هو هشام بن ابراهيم العباسي و كان يعارض الرضا و الجواد (عليهما السلام).

٤- (٤) مستدرک عوالم العلوم: ١٦٢/٢٣-١٦٣.

٥- (٥) مستدرک عوالم العلوم: ٤٧٥/٢٣.

حكّم الوقف: عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي، قال: «كتبت الى أبي جعفر الثاني (عليه السّلام) أسأله عن أرض أوقفها جدّي على المحتاجين من ولد فلان بن فلان و هم كثير، متفرقون في البلاد؟

فأجاب (عليه السّلام): ذكرت الارض التي أوقفها جدك على فقراء ولد فلان بن فلان و هي لمن حضر البلد الذي فيه الوقف، و ليس لك ان تتبع من كان غائباً» (١).

شهاده الزوج و غير الزوج: عن محمد بن سليمان أنه قال: قلت لأبي جعفر الثاني (عليه السّلام): «كيف صار الزوج اذا قذف امرأته كانت شهادته أربع شهادات بالله؟ و كيف لا يجوز ذلك لغيره و صار اذا قذفها غير الزوج جلد الحدّ، و لو كان ولدا او أخا؟

فقال: قد سئل أبو جعفر (عليه السّلام) عن هذا، فقال: الا ترى انه اذا قذف الزوج امرأته، قيل له: و كيف علمت انها فاعله؟ فان قال: رأيت ذلك منها بعيني، كانت شهادته اربع شهادات بالله، و ذلك انه قد يجوز للرجل ان يدخل المدخل في الخلوه التي لا تصلح لغيره ان يدخلها و لا يشهدا ولد و لا والد في الليل و النهار، فلذلك صارت شهادته اربع شهادات بالله اذا قال: رأيت ذلك بعيني.

و اذا قال: اني لم اعين، صار قاذفا في حدّ غيره، و ضرب الحدّ إلا أن يقيم عليها البيّنه، و إن زعم غير الزوج اذا قذف و ادعى أنه رآه بعينه قيل له: و كيف رأيت ذلك؟ و ما ادخلك ذلك المدخل الذي رأيت فيه هذا وحدك؟ انت متّهم في دعواك، و ان كنت صادقاً فأنت في حدّ التهمه، فلا بدّ من أدبك بالحدّ الذي أوجه الله عليك.

ص: ١٨٠

قال: واما صارت شهاده الزوج اربع شهادات بالله لمكان الاربعه شهداء مكان كل شاهد يمين»(١).

إنّ ما ذكر من الامثله السابقه نماذج لبعض توجهات الإمام الجواد(عليه السّلام) و هو تفقيحه لشيئته و مواليه عن طريق مراسلتهم إياه او سؤاله بصوره مباشره.

ج- تعميق البناء التربوي

اشاره

من المفردات الاساسيه التي اهتم بها الإمام الجواد(عليه السّلام) هو مسأله بناء الخلق الاسلامي عند الفرد و المجتمع.

وقد كان الإمام(عليه السّلام) و في سياق تربيته الامه ينقل لهم احاديث اجداده خصوصا امير المؤمنين(عليه السّلام) لما تحتويه من توجيهات تربويه عميقه و مؤثره و في هذا المجال سنعتبر كلمات الإمام الجواد(عليه السّلام) و ما نقله عن اجداده الائمه(عليهم السّلام) و طرحه للامه ماده لفهم توجهاته التربويه.

الحكمه في العمل:

أراد الإمام الجواد(عليه السّلام) ان يعلم شيئته ضروره اعتماد الحكمه في العمل و مراعه عامل الزمن في اتضاح الاشياء فللمور دورات زمنيّه ينبغي ان تمرّ بها حتى تكتمل، و عدم الالتفات الى هذا الجانب يفسد العمل و يجهضه قبل استوائه.

قال(عليه السّلام): «إظهار الشيء قبل ان يستحكم مفسده له»(٢).

كما ان للمحن دورات لا يستطيع المرء ان يتخلص منها قبل انتهاء دورتها الزمنيّه و هذا الأمر اشبه شيئا بالدورات المرضيه التي لا يمكن تقليل مدتها، و هذا التوجه لا يعني عدم استعمال الوسيله لإزاله المحن بل العمل مطلوب و هو يسهم

ص: ١٨١

١- (١) مستدرک عوالم العلوم: ٢٣/٤٨٤-٤٨٥.

٢- (٢) تحف العقول: ٤٥٧.

بتقليل مده المحنه و بالتالى ازلتها و إلى هذا المعنى اشار الإمام الجواد(عليه السلام)عند ما نقل حديثا عن جده امير المؤمنين(عليه السلام):«قال لقيس بن سعد،وقد قدم عليه من مصر:«يا قيس ان للمحن غايات لا بد ان ينتهى اليها،فيجب على العاقل ان ينام لها الى إدبارها،فإن مكايدها بالحيله عند إقبالها زياده فيها»(١).

كما انه(عليه السلام)نقل عن جده امير المؤمنين(عليه السلام)العناصر المساعده على اكتمال الأعمال فقال:«اربع خصال تعين المرء على العمل:الصحه و الغنى و العلم و التوفيق»(٢).

التعامل مع الظالمين:

رُكز الإمام الجواد(عليه السلام)على ضروره ابتعاد المسلم عن مجاراه الظالمين و الركون اليهم،و دعا الى رفضهم و الابتعاد عنهم.

فقد روى(عليه السلام)عن أمير المؤمنين(عليه السلام)قوله:

«العامل بالظلم و المعين له و الراضى به شر كاء»(٣).

و كذلك ما رواه عنه(عليه السلام):«من استحسّن قبيحا كان شريكا فيه»(٤).

كما انه(عليه السلام)شدد على عدم طاعه المنحرفين و الاستماع اليهم و اعتبر ذلك كالتطاعه و الاستماع للشيطان.قال(عليه السلام):

«من أصغى الى ناطق فقد عبده،فان كان الناطق عن الله فقد عبد الله،و ان كان الناطق ينطق عن لسان ابليس فقد عبد ابليس»(٥).

و بلحاظ الرفض الشديد للظالمين و التنديد بهم كان للإمام الجواد(عليه السلام)

ص: ١٨٢

١- (١) مستدرک عوالم العلوم: ٢٣/٢٧٦.

٢- (٢) مستدرک عوالم العلوم: ٢٣/٢٧٦.

٣- (٣) مستدرک عوالم العلوم: ٢٣/٢٧٨.

٤- (٤) مستدرک عوالم العلوم: ٢٣/٢٨٠.

٥- (٥) تحف العقول: ٤٥٦.

تفسير مهم لمعنى التدين يتضح من قوله (عليه السلام):

«أوحى الله الى بعض الانبياء: أما زهدك في الدنيا فتعجلك الراحة، واما انقطاعك الى فيعزرك بي، ولكن هل عادت لي عدواً و واليت لي ولياً» (١) فالدين حسب هذه الروايه، يتحقق بموالاه اولياء الله و معاداه اعداء الله، و عدم مهادنتهم و مسالمتهم و لإذكاء هذه الروح عند الامه كان ينقل حديث جده امير المؤمنين (عليه السلام) عند ما قال لأبي ذر: «انما غضبت لله عز و جل فارح من غضبت له، ان القوم خافوك على دنياهم و خفتهم على دينك، و الله لو كانت السماوات و الارضون رتقا على عبد، ثم اتقى الله لجعل الله له منها مخرجا، لا- يؤنسك إلا- الحق، و لا يوحشك إلا الباطل» (٢).

النشاط الاجتماعي:

إن حركة الانسان في المجتمع تشتد بمقدار تجذره و تأثيره في ذلك المجتمع، لذلك توجه الإمام الجواد (عليه السلام) الى توضيح المفاهيم المتصلة بالنشاط الاسلامي للطليعه المؤمنه، و فيما يأتي نذكر بعضا من هذه المفاهيم:

١- كلما ترسخ مركز الانسان في المجتمع ازداد توجه الناس اليه و طلبهم منه في قضاء حوائجهم و حل مشاكلهم. روى الإمام الجواد (عليه السلام) عن أجداده عن الإمام علي (عليه السلام): «ما عظمت نعمه الله على عبد إلا عظمت عليه مؤونه الناس، فمن لم يحتمل تلك المؤونه فقد عرّض النعمه للزوال» (٣).

٢- بقاء نعمه الانسان و استمرار موقعه في الامه مقترن بدرجة إحسانه اليها و خدمته لها، فقد روى الإمام (عليه السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «ان لله عبادا يخصصهم

ص: ١٨٣

١- (١) تحق العقول: ٤٥٥-٤٥٦.

٢- (٢) مستدرک عوالم العلوم: ٢٣/٢٥٧.

٣- (٣) مستدرک عوالم العلوم: ٢٣/٢٧٦.

بالنعم، و يقترها فيهم ما بذلوا، فاذا منعوا نزعها عنهم و حوّلها الى غيرهم» (١).

و قال (عليه السلام): «أهل المعروف الى اصطناعه احوج من اهل الحاجه اليه، لأن لهم اجره و فخره و ذكره، فمهما اصطنع الرجل من معروف فانما يبدأ فيه بنفسه، فلا يطلبن شكر ما صنع الى نفسه من غيره» (٢).

٣- ضروره مجازاه المحسن بالشكر، يقول (عليه السلام) راويا عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، «كفر النعمه داعيه المقت و من جازاك بالشكر فقد أعطاك اكثر مما أخذ منك» (٣).

٤- كما ان الإمام (عليه السلام) بين طرق تحسين العلاقه بين الناس و اصول التعامل بين الاصدقاء فقد روى عن جدّه أمير المؤمنين (عليه السلام):

«ثلاث خصال تجتلب بهن المحبه: الانصاف فى المعاشره، و المواساه فى الشده، و الانطواع و الرجوع الى قلب سليم» (٤).

و قال (عليه السلام): «لا يفسدك الظنّ على صديق و قد أصلحك اليقين له، و من وعظ أخاه سرّاً فقد زانه، و من وعظ علانيه فقد شانه. استصلاح الاخير باكرامهم، و الاشرار بتأديبهم، و الموده قرابه مستفاده، و كفى بالأجل حرزاً، و لا يزال العقل و الحمق يتغالبان على الرجل الى ثمانيه عشر سنه، فاذا بلغها غلب عليه اكثرهما فيه، و ما أنعم الله عز و جل على عبد نعمه فعلم انها من الله إلا كتب الله جلّ اسمه له شكرها قبل ان يحمده عليها، و لا أذنب ذنباً فعلم ان الله مطلع عليه إن شاء عذبه و ان شاء غفر له، إلا غفر الله له قبل ان يستغفره» (٥).

٥- كما شدّد (عليه السلام) على ضروره اختيار القرين الصالح لما يورثه من اثر على

ص: ١٨٤

١- ((١)) مستدرک عوالم العلوم: ٢٣/٢٧٦.

٢- ((٢)) مستدرک عوالم العلوم: ٢٣/٢٧٦.

٣- ((٣)) مستدرک عوالم العلوم: ٢٣/٢٨٠.

٤- ((٤)) مستدرک عوالم العلوم: ٢٣/٢٧٩.

٥- ((٥)) مستدرک عوالم العلوم: ٢٣/٢٨٠.

المرء، فقد روى (عليه السلام): «فساد الأخلاق بمعاشره السفهاء، وصلاح الأخلاق بمنافسه العقلاء، و الخلق اشكال فكل يعمل على شاكلته، و الناس إخوان، فمن كانت اخوته في غير ذات الله فانها تحوز عداوه، و ذلك قوله تعالى: «الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ» (١)» (٢).

فاذا حصل المرء على الاخ المخلص في الله فانه فاز بشيء عظيم و ينبغي له مشاورته و استنصاحه. روى الإمام الجواد (عليه السلام) عن علي (عليه السلام) قال: «بعثني النبي (صلى الله عليه و آله) الى اليمن، فقال لي و هو يوصيني: «يا علي، ما حار من استخار، و لا ندم من استشار»، و قال (عليه السلام): «من استفاد أحا في الله فقد استفاد بيتا في الجنة» (٣).

وصايا للعاملين:

كان الإمام الجواد (عليه السلام) يزرع روح الأمل و الصبر في قلوب المؤمنين ليسلحهم بالسلاح الفاعل عند مقارعتهم للظلم و الطغيان و تحركهم ضده.

لقد اشار الى يوم يعاقب فيه الظالم عند ما ينتصر العدل فينتقم للمظلومين من جوره اشد الانتقام. ان حمل المستضعفين لهذا المفهوم و معيشتهم اياه يصنع منهم قوه لا تلين و ثوره لا تقاوم. روى الإمام الجواد (عليه السلام): «يوم العدل على الظالم اشد من يوم الجور على المظلوم» (٤).

و لقد روى (عليه السلام) «ان صبر المؤمن على البلاء من اشد الاسلحه ضد الظالمين»

و قال (عليه السلام): «الصبر على المصيبة مصيبه على الشامت بها» (٥).

كما انه (عليه السلام) روى عن جده أمير المؤمنين (عليه السلام) المنهاج الذي ينبغي ان

ص: ١٨٥

١- (١) الزخرف (٤٣): ٦٧.

٢- (٢) مستدرک عوالم العلوم: ٢٧٩/٢٣.

٣- (٣) مستدرک عوالم العلوم: ٢٧٥/٢٣.

٤- (٤) مستدرک عوالم العلوم: ٢٧٨/٢٣.

٥- (٥) مستدرک عوالم العلوم: ٢٧٨/٢٣.

يلتزم به المؤمنون ليلبغوا غاياتهم الساميه.

عنه (عليه السّلام) عن أمير المؤمنين (عليه السّلام) قال: «من وثق بالله أراه السرور، ومن توكل عليه كفاه الامور، والثقه بالله حصن لا يتحصن فيه الا مؤمن أمين، والتوكل على الله نجاه من كل سوء و حرز من كل عدو، والدين عزّ، والعلم كنز، والصمت نور، وغايه الزهد الورع، ولا هدم للدين مثل البدع، ولا أفسد للرجال من الطمع، وبالراعى تصلح الرعيه، وبالدهاء تصرف البليّه، ومن ركب مركب الصبر اهتدى الى مضمار النصر، ومن عاب عيب، ومن شتم اجيب، ومن غرس اشجار التقى اجتنى ثمار المنى» (١).

الحث على اكتساب العلم:

حَثَّ الإمام الجواد (عليه السّلام) على طلب العلم و بيّن فضل العلماء من خلال أحاديثه و رواياته عن جده أمير المؤمنين (عليه السّلام) و فيما يأتي نماذج من هذه الأحاديث:

قال (عليه السّلام): «عليكم بطلب العلم، فان طلبه فريضه، و البحث عنه نافله، و هو صلّه بين الاخوان، و دليل على المرؤّه، و تحفه في المجالس، و صاحب في السفر، و انس في الغربه» (٢).

و قال (عليه السّلام): «العلم علمان: مطبوع و مسموع، و لا ينفع مسموع اذا لم يكن مطبوع، و من عرف الحكمه لم يصبر على الازياد منها، الجمال في اللسان، و الكمال في العقل» (٣).

و عنه (عليه السّلام) عن علي، قال في كتاب عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام): «ان ابن آدم

ص: ١٨٦

١- (١) مستدرک عوالم العلوم: ٢٣/٢٧٦.

٢- (٢) مستدرک عوالم العلوم: ٢٣/٢٧٧.

٣- (٣) مستدرک عوالم العلوم: ٢٣/٢٧٧.

اشبه شىء بالمعيار، إما راجح بعلم-وقال مره بعقل-أو ناقص بجهل»(١).

وقال (عليه السّلام): «اقصد العلماء للمحجّه الممسك عند الشبهه، و الجدل يورث الرياء، و من أخطأ وجوه المطالب خذلته الحيل، و الطامع فى وثاق الذلّ، و من احبّ البقاء فليعدّ للبلاء قلبا صبورا»(٢).

كما انه كان يتألّم لكثره الجهلاء و ابتلاء العلماء بهم و كان يعتبر سبب الاختلاف هو ما يطرحه الجهلاء نتيجة جهلهم، فقد روى عن جده أمير المؤمنين (عليه السّلام): «العلماء غرباء لكثره الجهّال بينهم»(٣).

وقال (عليه السّلام): «لو سكت الجاهل ما اختلف الناس»(٤).

الحث على التوبه:

دعا الإمام الى كيفية التوبه الى الله تعالى و بين طريقها، فقد روى عن أمير المؤمنين (عليه السّلام):

«التوبه على أربعة دعائم: ندم القلب، و استغفار باللسان، و عمل بالجوارح، و عزم على ان لا يعود».

«و ثلاث يبلغن بالعبد رضوان الله: كثرة الاستغفار و خفض الجانب و كثرة الصدقه»(٥).

كما انه (عليه السّلام) اشار الى فوريتها و حدّر من التسويف بها بقوله: «تأخير التوبه اغترار، و طول التسويف حيره، و الاعتلال على الله هلكه، و الاصرار على الذنب أمن

ص: ١٨٧

١- (١) مستدرک عوالم العلوم: ٢٣/٢٧٥.

٢- (٢) مستدرک عوالم العلوم: ٢٣/٢٧٨.

٣- (٣) مستدرک عوالم العلوم: ٢٣/٢٧٨.

٤- (٤) مستدرک عوالم العلوم: ٢٣/٢٧٩.

٥- (٥) مستدرک عوالم العلوم: ٢٣/٢٧٩.

٣- احكام تنظيم الجماعه الصالحه و اعدادها لدور الغيبه

أ- نظام الوكلاء و دقه التحرك:

إنّ بناء الجماعه الصالحه و تنظيم شؤونها و تحرك الأئمه (عليهم السّلام) من خلالها كان هدفاً أساسياً لأهل البيت (عليهم السّلام) و قد قاموا بإشاده صرحه منذ عصر الإمام عليّ ابن أبي طالب (عليه السّلام) و استمروا بإكمال البناء و تعميق الطرح و توسيع دائره العمل حتى عصر الإمام الحسن العسكري (عليه السّلام) و ابنه الإمام المهدي عجل الله فرجه.

لقد كانت رقابه السلطه الحاكمه على تحركات أهل البيت (عليهم السّلام) تزيد في ضروره إكمال الطرح و البناء. و كان لأصحاب الأئمه (عليهم السّلام) و تلامذتهم و ثقاتهم دور رساليّ في تحقيق بعض أهداف الأئمه من أهل البيت (عليهم السّلام) و كان لانتساع دائره افراد الجماعه الصالحه و تعدد مراكز النشاط و الحضور في مختلف حواضر العالم الاسلامي أثر كبير في ايجاد و توسيع دائره نظام الوكلاء الذي كان قد أصبح ضروره من ضرورات عمل الأئمه (عليهم السّلام) ليساعدهم على سهوله و سرعه التحرك و الارتباط.

كما كان لازدياد الضغط و الرقابه عليهم لا سيما في عصر الإمام الرضا (عليه السّلام) بعد قبوله و لايه العهد ثم الإمام الجواد (عليه السّلام) أثر بالغ في الاهتمام الكبير بنظام الوكلاء الذي كان يشرف عليه الإمام المعصوم مباشره، إذا كان الارتباط بالوكلاء بحاجه الى دقه و مراقبه لحراجه الظرف المحيط بالإمام (عليه السّلام).

ص: ١٨٨

١- ((١)) الاعراف (٧): ٩٧.

٢- ((٢)) تحف العقول: ٤٥٦.

إن البحث عن دقه الإمام الجواد(عليه السّلام) في التحرك بعد الاعتراف بأنه الإمام المعصوم و القائد الشرعى للامه المسلمه الذى ورث العلم و الخط الصحيح من آباءه الميامين المنتجين(عليهم السّلام) يكون بحثا مفروغا منه.

و إنّ دراسته حياه الإمام الجواد(عليه السّلام) تكشف للدارس بشكل واضح و جليّ مدى الدقه و المتانته فى التحرك عند الإمام(عليه السّلام)، فكل مفردة مرتبطة مع نظيرتها و متجانسه مع ظرفها و معبره عن رأى الرساله فى ذلك الموضوع.

و عند الحديث عن أساليب العمل عند الإمام(عليه السّلام) يرد هذا الكلام كذلك، و سندكر لتوضيح هذه القضية نماذج لتبيان المقصد.

و من اصول التحرك عند الإمام(عليه السّلام) تجاه قواعد الشعيه يمكن ذكر ما يلى:

ب- المراسلات السريّه:

لا شك فى ان الاتصالات كانت جاريه بين الإمام و أتباعه إلا أن بعضها كان سريّا و ذلك خشيه تفسى أسماء مرسلها إلى الإمام خصوصا و أن الإمام كان مرصودا من الداخل عن طريق زوجته.

هذا إلى جانب أنّ نمطا معينا من الرسائل كان يصل الإمام دون ذكر أسماء مرسلها عليها، و لكن الإمام(عليه السّلام) كان يستطيع معرفه المرسلين لهذه الرسائل بطريقته الخاصه، و لا نستبعد ان ذلك كان يتم عن طريق وجود رمز معين فى هذه الرسائل، هذا اذا لم نحاول تفسير ذلك بعلم الإمام المعصوم بالغيب، باعتبار أنه:

إذا أراد الإمام أن يعلم شيئا أعلمه الله ذلك(١).

قال أبو هاشم داود بن القاسم الجعفرى: «دخلت على أبى جعفر

ص: ١٨٩

١- (١) راجع اصول الكافى: ٢٠١/١.

الثاني (عليه السلام) ومعى ثلاث رقاغ غير معنونه و اشتبهت على فاعتممت لذلك، فتناول إحداهن و قال: هذه رقعته ريان بن شبيب ثم تناول الثانيه فقال: هذه رقعته محمد بن حمزه و تناول الثالثه و قال: هذه رقعته فلان فبهت فنظر الى و تبسم (عليه السلام) «(١)».

و قد احصيت مكاتبات الإمام الجواد (عليه السلام) -بحسب ما جاء فى موسوعه الإمام الجواد (عليه السلام) -فبلغت اثنين و سبعين مكاتبه (٢).

ج- الإحاطه بدقائق الامور الاجتماعيه:

لم يكن الإمام (عليه السلام) بمنأى و بمعزل عن مجتمعه، بل كان حاضرا دائما بين الناس يعيش احتياجاتهم و تطلعاتهم. و هناك أمثله كثيره تعكس مثل هذا التوجه عند الأئمه (عليهم السلام).

و الإمام الجواد (عليه السلام) ينطبق عليه ما ينطبق على أجداده و من ذلك هذا المثال:

جاء فى تكمله الروايه السابقه ان داود بن القاسم الجعفرى قال: و أعطانى أبو جعفر ثلاثمائة دينار فى صرّه و أمرنى أن أحملها إلى بعض بنى عمّه و قال:

«أما انه سيقول لك دلتى على حريف يشتري لى بها متاعا فدلّه عليه.

قال: فأتيته بالدنانير فقال لى: يا أباهشم دلتى على حريف يشتري لى بها متاعا. ففعلت» (٣).

يتضح من هذا المثال أنّ الإمام (عليه السلام) كان يتتبع الاحتياجات و يسعى الى سدّها.

ص: ١٩٠

١- ((١)) إعلام الورى بأعلام الهدى: ٩٨/٢.

٢- ((٢)) راجع موسوعه الإمام الجواد (عليه السلام): ٤١٣/٢-٥١٥.

٣- ((٣)) إعلام الورى بأعلام الهدى: ٩٨/٢.

و من الامور التي تصدى لها الإمام الجواد(عليه السلام)اهتمامه بتربيته أتباعه و شيعته و متابعتهم لتربيتهم،و من الأمثلة على ذلك موقفه من الشاعر المعروف دعبل الخزاعي:

فعن دعبل بن علي: «انه دخل على الرضا(عليه السلام) فأمر له بشيء فأخذه و لم يحمد الله، فقال له: لم لم تحمد الله؟ قال: ثم دخلت على أبي جعفر فأمر له بشيء فقلت: الحمد لله، فقال: تأذبت»(١).

إنّ هذا المثال يكشف عن تتبع الإمام(عليه السلام) لسلوك أتباعه و اهتمامه بتكاملهم الثقافي و الروحي.

٤- التمهيد لإمامه على الهادي(عليه السلام) المبكره

من المهام التي اشترك فيها الائمه(عليهم السلام) دعوتهم الى الإمام الآتي بعدهم.

و قد سار الإمام الجواد(عليه السلام) على منهج آباءه في قضيه الدعوه الى الإمام القادم بعده و ترسيخ ذلك عند الطليعه المؤمنه من الامه، و فيما يأتي أمثله على هذا الأمر عند الإمام(عليه السلام):

أسعن الخيراني عن أبيه انه قال: كنت الزم باب أبي جعفر(عليه السلام) للخدمه التي وكت بها، و كان احمد بن محمد بن عيسى الاشعري يجيء في السحر من آخر كل ليله ليتعرف خبر عله أبي جعفر(عليه السلام)، و كان الرسول الذي يختلف بين أبي جعفر و بين الخيراني إذا حضر قام أحمد و خلا به.

ص: ١٩١

قال الخيرانى: فخرج ذات ليله و قام أحمد بن محمد بن عيسى عن المجلس، و خلا بى الرسول، و استدار احمد فوقف حيث يسمع الكلام، فقال الرسول: ان مولاك يقرأ عليك السلام، و يقول لك: «انى ماض، و الأمر صائر الى ابنى على، و له عليكم بعدى ما كان لى عليكم بعد أبى».

ثم مضى الرسول و رجع احمد الى موضعه، فقال لى: ما الذى قال لك؟ قلت: خيرا، قد سمعت ما قال، و أعاد على ما سمع، فقلت له: قد حرّم الله عليك ما فعلت، لان الله تعالى يقول: **وَلَا تَجَسَّسُوا (١)**، فاذا سمعت فاحفظ الشهاده لعلنا نحتاج اليها يوما ما، و اياك ان تظهرها الى وقتها.

قال: و اصبحت و كتبت نسخه الرساله فى عشر رقايع، و ختمتها و دفعتها الى عشره من وجوه أصحابنا، و قلت: إن حدث بى حدث الموت قبل ان اطالبكم بها فافتحوها و اعملوا بما فيها.

فلما مضى أبو جعفر (عليه السلام) لم اخرج من منزلى حتى عرفت أن رؤساء العصابة قد اجتمعوا عند محمد بن الفرّج (٢) يتفاوضون فى الأمر. و كتب لى محمد ابن الفرّج يعلمنى باجتماعهم عنده و يقول: لو لا - مخافه الشهره لصرت معهم اليك، فاحبّ أن تركب لى. فركبت و صرت اليه، فوجدت القوم مجتمعين عنده، فتجارينا فى الباب، فوجدت اكثرهم قد شكوا، فقلت لمن عنده الرقايع - و هم حضور - : أخرجوا تلك الرقايع، فأخرجوها، فقلت لهم: هذا ما امرت به.

فقال بعضهم: قد كنّا نحبّ ان يكون معك فى هذا الأمر آخر ليتأكد القول.

فقلت لهم: قد أتاكم الله بما تحبون، هذا أبو جعفر الاشعري يشهد لى

ص: ١٩٢

١- ((١)) الحجرات (٤٩): ١٢.

٢- ((٢)) هو محمد بن الفرّج الرّخجى، من اصحاب الرضا و الجواد و الهادى (عليهم السلام).

بسماع هذه الرسالة فأسأله، فسأله القوم فتوقف عن الشهادة، فدعوته الى المباهله، فخاف منها، وقال: قد سمعت ذلك، و هي مكرمه كنت أحب ان تكون لرجل من العرب، فأما مع المباهله فلا طريق الى كتمان الشهاده، فلم يبرح القوم حتى سلموا لأبى الحسن (عليه السلام) (١).

ب- عن اسماعيل بن مهران، قال: «لما خرج أبو جعفر (عليه السلام) من المدينه الى بغداد فى الدفعه الاولى من خرجته، قلت له عند خروجه: جعلت فداك إني أخاف عليك فى هذا الوجه، فألى من الأمر بعدك؟ ففكر بوجهه الذى ضاحكا وقال:

ليس الغيبه حيث ظننت فى هذه السنه، فلما اخرج به الثانيه الى المعتصم صرت اليه، فقلت له: جعلت فداك أنت خارج، فألى من هذا الأمر من بعدك؟ فبكى حتى اخضلت لحيته، ثم التفت الى، فقال: عند هذه يخاف على، الأمر من بعدى إلى ابني على» (٢).

ج- عن محمد بن الحسين الواسطى انه سمع احمد بن أبى خالد مولى أبى جعفر يحكى انه اشهدده على هذه الوصيه المنسوخه:

«شهد أحمد بن أبى خالد مولى أبى جعفر أن أبا جعفر محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (عليهم السلام) أشهدده أنه أوصى الى على ابنه بنفسه و إخوانه و جعل أمر موسى (٣) إذا بلغ إليه و جعل عبد الله بن المساور قائما على تركته من الضياع و الاموال و النفقات و الرقيق و غير ذلك إلى أن يبلغ على بن محمد، صير عبد الله بن المساور ذلك اليوم اليه، يقوم بأمر نفسه، و إخوانه و يصير أمر موسى اليه، يقوم لنفسه بعدهما على شرط أبيهما

ص: ١٩٣

١- ((١)) الارشاد: ٢٩٨/٢-٣٠٠.

٢- ((٢)) اصول الكافي: ٣٢٣/١.

٣- ((٣)) يعنى ابنه الملقب بالمبرقع المدفون بقم.

فى صدقاته التى تصدق بها و ذلك يوم الاحد لثلاث ليال خلون من ذى الحجه سنه عشرين و مائتين و كتب أحمد بن أبى خالد شهادته بخطه و شهد الحسن بن محمد ابن عبد الله بن الحسن بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (عليهم السلام) و هو الجوانى على مثل شهادته أحمد بن أبى خالد فى صدر هذا الكتاب و كتب شهادته بيده و شهد نصر الخادم و كتب شهادته بيده»(١).

قال الطبرسى بعد نقل هذه النصوص الثلاثه: و الأخبار فى هذا الباب كثيره، و فى إجماع العصابه على إمامته و عدم من يدعى فيه إمامه غيره غناء عن إيراد الأخبار فى ذلك، هذا و ضروره أئمتنا (عليهم السلام) فى هذه الأزمنه فى خوفهم من أعدائهم و تقيتهم منهم احوجت شيعتهم فى معرفه نصوصهم على من بعدهم الى ما ذكرناه من الاستخراج حتى أن أوكد الوجوه فى ذلك عندهم دلائل العقول الموجهه للإمامه و ما اقترن الى ذلك من حصولها فى ولد الحسين (عليه السلام)، و فساد أقوال ذوى النحل الباطله و بالله التوفيق(٢).

٥- الإمام الجواد (عليه السلام) و قضيه الإمام المهدي (عجل الله فرجه):

قضيه الإمام المهدي عجل الله فرجه من القضايا الاساسيه فى المسيره الاسلاميه و المتبوع لآثار الرسول (صلّى الله عليه و آله) و الأئمه (عليهم السلام) لا يجد أحدا منهم غفل عن الدعوه اليها أو تجاهلها.

و على هذا المنهج سار الإمام الجواد (عليه السلام) فطرح قضيه المهدي (عج) على الامه قاصدا من ذلك تركيز هذا المفهوم فى أذهانها من جهه و إعدادها لاستقبال يومه من جهه ثانيه، و نذكر فيما يأتى نماذج من هذه الدعوه:

ص: ١٩٤

١- (١) اصول الكافى: ٢٦١/١.

٢- (٢) إعلام الورى: ٣٣٩.

١- عن عبد العظيم بن عبد الله الحسنى (رضى الله عنه) قال: «قلت لمحمد بن علي ابن موسى (عليهم السلام): يا مولاي! انى لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمد الذى يملأ الارض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا. فقال (عليه السلام):

ما متيا الا- قائم بأمر الله، و هاد الى دين الله. و لكن القائم الذى يطهر الله به الأرض من اهل الكفر و الجحود و يملأها قسطا و عدلا هو الذى يخفى على الناس ولادته، و يغيب عنهم شخصه، و يحرم عليهم تسميته، و هو سمي رسول الله و كنيته، و هو الذى تطوى له الارض، و يذل له كل صعب، يجتمع اليه من أصحابه عدّه أهل بدر: (ثلاثمائة و ثلاثه عشر) رجلا من أقاصى الارض و ذلك قول الله عز و جل: «أَيُّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)». فاذا اجتمعت له هذه العدّه من أهل الاخلاص، أظهر الله أمره، فاذا كمل له العقد و هو (عشره آلاف) رجل، خرج باذن الله تعالى، فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى الله عز و جل» (٢).

٢- عن أبى تراب عبد الله موسى الرويانى، قال:

حدثنا عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ ابن أبى طالب (عليه السلام) الحسنى قال:

«دخلت على سيدى محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن عليّ بن أبى طالب (عليهم السلام) و انا اريد ان أسأله عن القائم أهو المهدي او غيره فابتدأنى فقال لى:

ص: ١٩٥

١- ((١)) البقره (٢): ١٤٨.

٢- ((٢)) الاحتجاج: ٢/٤٨١-٤٨٢.

يا أبا القاسم إن القائم مَنّا هو المهدي الذي يجب ان ينتظر في غيبته، و يطاع في ظهوره، و هو الثالث من ولدى، و الذي بعث محمدا(صلى الله عليه و آله) بالنبوة و خصّينا بالإمامه، انه لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه فيملاً الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت جوراً و ظلماً، و إنّ الله تبارك و تعالى ليصلح له أمره في ليله، كما أصلح أمر كلمه موسى(عليه السلام) اذ ذهب ليقتبس لأهله ناراً فرجع و هو رسول نبي، ثم قال(عليه السلام): أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرج»(١).

٣- عن حمدان بن سليمان قال: حدّثنا الصقر ابن أبي دلف، قال:

سمعت أبا جعفر محمد بن عليّ الرضا(عليه السلام) يقول:

«إنّ الإمام بعدى ابني عليّ، أمره أمرى، و قوله قولى، و طاعته طاعتي، و الإمام بعده ابنه الحسن، أمره أمر أبيه، و قوله قول أبيه، و طاعته طاعه أبيه، ثم سكت. فقلت له:

يا ابن رسول الله فمن الإمام بعد الحسن؟ فبكى(عليه السلام) بكاء شديداً، ثم قال: إنّ من بعد الحسن ابنه القائم بالحق المنتظر. فقلت له: يا ابن رسول الله لم سمى القائم؟ قال:

لأنه يقوم بعد موت ذكره و ارتداد أكثر القائلين بإمامته. فقلت له: و لم سمى المنتظر؟ قال:

لأنّ له غيبه يكثر أيامها و يطول أمدها فينتظر خروجه المخلصون و ينكره المرتابون و يستهزئ بذكره الجاحدون، و يكذب بها الوقتون، و يهلك فيها المستعجلون، و ينجو فيها المسلمون.»(٢)

ص: ١٩٦

١- (١) كمال الدين و تمام النعمة: ٣٧٧.

٢- (٢) كمال الدين و تمام النعمة: ٣٧٨.

إشارة

مدرسه الإمام الجواد (عليه السلام) و تراثه

البحث الأول: أصحاب الإمام الجواد (عليه السلام)

إشارة

حفّ جمهور كبير من العلماء و الرواه بالامام أبى جعفر الجواد (عليه السلام) و هم يقتبسون من نمير علومه التى ورثها عن جده رسول الله (صلى الله عليه و آله) و كانوا يدوّنون أحاديثه و كلماته و ما كان يدلى به من روائع الحكم و الآداب.

و لهؤلاء الأعلام يرجع الفضل فى تدوين ذلك التراث القيم الذى يعد من ذخائر الثروات الفكرية فى الاسلام.

لقد عمل أصحاب الاثمه (عليهم السلام) بوحى من عقيدتهم الدينيه التى ألزمتهم بالحفاظ على أحاديث الاثمه الاطهار و تدوينها، و التى يرجع اليها فقهاء الإماميه فى استنباطهم للأحكام الشرعيه، و لولاها لما كان لأتباع مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) هذا الفقه المتطور و العظيم الذى اعترف بأصالته و عمقه جميع رجال الفكر و القانون فى العالم الاسلامى بل الانسانى.

و ما يدعو الى الاعتزاز بأصحاب الاثمه (عليهم السلام) هو أنهم جهدوا على ملازمه الاثمه (عليهم السلام) و تدوين أحاديثهم فى وقت كان من أعسر الاوقات و أشدها حراجه و أعظمها ضيقا، فقد ضربت الحكومات الجائره العباسيه و الأمويه معا الحصار الشديد على الأثمه (عليهم السلام) و منعت من الاتصال بهم لئلا تتبعهم الجماهير.

وقد بلغ التضيق على العلماء و الرواه من أصحاب الائمة حدًا بحيث كانوا لا يستطيعون ان يجهروا باسم الإمام الذى أخذوا عنه، وإنما كانوا يلمحون إليه ببعض أوصافه و سماته من دون التصريح باسمه خشية القتل أو السجن.

و نظرا للحصار الأمنى الذى كانت السلطه العباسيه تفرضه على الإمام الجواد(عليه السّلام)، فقد أوعز(عليه السّلام) لأصحابه بالتحرك فى المجالات التى تتعسر عليه الحركة فيها.

و من المجالات الأساسيه التى تكتشف تحرّكات الإمام الجواد(عليه السّلام) من خلالها هى تحرّكات أصحابه الذين ما كانوا يصدرون إلا عنه، و ذلك بحكم طاعتهم له و قبولهم لإرشاداته.

و السبب فى ذكرنا لأصحاب الإمام الجواد، هو أن نشاطاتهم العلميه و الفكرية تعبّر عن توجهات الطليعه الواعيه آنذاك تحت قياده الإمام(عليه السّلام).

و فيما يلى نستعرض طائفه من هؤلاء الأصحاب الرواه الذين يعثرون بصدق عن مدى نشاط وسعه مدرسه الإمام الجواد(عليه السّلام).

١- الحسين بن سعيد الأهوازي: ابن حمّاد الأهوازي، ثقة، روى عن الإمام الرضا(عليه السّلام) و أبى جعفر(عليه السّلام) و أبى الحسن الثالث. (١) و هو الإمام على الهادى(عليه السّلام).

٢- اخوه الحسن بن سعيد الأهوازي: من اصحاب الإمام الرضا(عليه السّلام) و الإمام الجواد(٢).

لقد اشترك عمل الحسن و الحسين الأهوازيان فى التحرك مع الإمام

ص: ١٩٨

١- ((١)) حياه الإمام محمد الجواد(عليه السّلام): ١٣٩-١٤١.

٢- ((٢)) حياه الإمام محمد الجواد(عليه السّلام): ١٣٩-١٤١.

الرضا(عليه السلام) ثم مع الإمام الجواد(عليه السلام) كما اشتركا في التصنيف و كان لهما دور في هدايه بعض الأفراد.

كان الحسن بن سعيد هو الذى أدخل اسحاق بن ابراهيم الحزىنى و على بن الريان بعد اسحاق الى الرضا(عليه السلام)، و كان سبب معرفتهم لهذا الأمر أعنى مدرسه أهل البيت(عليهم السلام)، و منه سمعوا الحديث و به عرفوا، و كذلك فعل بعبد الله بن محمد الحزىنى و غيرهم حتى جرت الخدمه على أيديهم و صنفا الكتب الكثيره، و يقال ان الحسن صنف خمسين تصنيفا. (1)

و يقول شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسى(رحمه الله) عند حديثه عن الحسين الأهوازى:

ثقه روى عن الرضا و أبى جعفر الثانى و أبى الحسن الثالث(عليهم السلام) و أصله كوفى و انتقل مع أخيه الحسن(رضى الله عنه) الى الأهواز ثم تحوّل الى قم فنزل على الحسن ابن أبان و توفى بقم، و له ثلاثون كتابا و هى:

١- كتاب الوضوء

٢- كتاب الصلاة

٣- كتاب الزكاه

٤- كتاب الصوم

٥- كتاب الحج

٦- كتاب النكاح و الطلاق

٧- كتاب الوصايا

٨- كتاب الفرائض

٩- كتاب التجارات

١٠- كتاب الاجارات

١١- كتاب الشهادات

١٢- كتاب المناقب

١٣- كتاب الايمان و النذور و الكفارات

١٤- كتاب البشارات

١٥- كتاب الحدود و الديات

١٦- كتاب الزهد

١٧- كتاب الاشرية

١٨- كتاب المكاسب

١٩- كتاب التقيه

٢٠- كتاب الخمس

٢١- كتاب المروه و التجمل

٢٢- كتاب الصيد و الذبائح

٢٣- كتاب المثالب

٢٤- كتاب التفسير

٢٥- كتاب المؤمن

٢٦- كتاب الملاحم

٢٧- كتاب المزار

٢٨- كتاب الرد على الغاليه

٢٩- كتاب الدعاء

٣٠- كتاب العتق و التدبير(٢)

ص: ١٩٩

١- (١) رجال الكشى: ٥٥٢ طبعه مشهد.

٢- (٢) الفهرست للشيخ الطوسى ص ٥٨.

٣- محمد بن اسماعيل: ابن زريع، عدّه الشيخ الطوسى من أصحاب الإمام الرضا و الإمام الجواد (عليهما السلام) (١) و كان من خيار أصحاب الأئمه (عليه السلام) فى ورعه و تقواه، و نتحدث-بايجاز-عن بعض شؤونه:

أ- اتصاله بالإمام الرضا (عليه السلام): اتصل محمد بالإمام الرضا (عليه السلام) اتصالاً وثيقاً فكان (عليه السلام) ينظر اليه بعين الإعبار و التقدير، و قد روى أن الإمام الرضا (عليه السلام) عند ما ذكر عنده قال (عليه السلام): «وددت أن فيكم مثله» (٢).

ب- مع الإمام الجواد (عليه السلام): و اتصل محمد بن اسماعيل بالإمام الجواد (عليه السلام) اتصالاً وثيقاً، فقد روى عنه بعض الأحاديث المتعلقة بأحكام الشريعة، و قد سأل الإمام أن يأمر له بقميص من قمصه ليضعه كفنًا له فبعث اليه الإمام (عليه السلام) بذلك (٣).

٤- احمد بن أبى عبد الله البرقى: أبو جعفر بن محمد بن خالد بن عبد الرحمن بن محمد بن على البرقى و قد عدّه الشيخ الطوسى فى كتاب رجاله تارة من أصحاب الجواد (عليه السلام) بعنوان احمد بن محمد بن خالد البرقى و اخرى من أصحاب الإمام الهادى (عليه السلام) بعنوان احمد بن أبى عبد الله البرقى (٤).

و من الآثار الخالده لهذا العلامه الكبير كتابه المحاسن. فلقد كان كتابه هذا مرجعا لعلماء التاريخ و الجغرافيا و التراجم كما كان مرجعا لعلماء الحديث و منه

ص: ٢٠٠

١- (١) رجال الطوسى: ٤٠٥.

٢- (٢) حياه الإمام محمد الجواد (عليه السلام): ١٦٤.

٣- (٣) حياه الإمام محمد الجواد (عليه السلام): ١٦٤.

٤- (٤) مقدمه كتاب المحاسن، للسيد محمد صادق بحر العلوم.

نعرف عظمته وسعه علمه وسعه روايته و اطلاعه و انه من اعظم علماء الشيعة و ثقات رجال الإمامين الجواد و الهادي (عليهما السلام) (١).

٥- على بن مهزيار: من أجمع أصحاب الإمام الجواد (عليه السلام)، و من مشاهير علماء عصره فضلا و تقوى و نلمح الى بعض شؤونه:

اسلامه: كان على بن مهزيار ينتحل المسيحية، فهده الله الى الإيمان بالاسلام فأسلم و أخلص في اسلامه كأشد ما يكون الاخلاص (٢).

عبادته: و لم ير مثل على بن مهزيار في طاعته و تقواه، و بلغ من عبادته انه اذا طلعت الشمس سجد لله فلا يرفع رأسه من السجود حتى يدعو لألف رجل من إخوانه بمثل ما دعا لنفسه، و كان على جبهته مثل ركب البعير (٣) من كثرة السجود.

وثاقته في الرواية: أجمع المترجمون له على وثاقته في الرواية فقد قال النجاشي: كان ثقة في روايته لا يطعن عليه (٤).

مؤلفاته:

ألف مجموعه كبيره من الكتب تدل على سعه علومه و معارفه، و من بينها:

ص: ٢٠١

١- (١) مقدمه كتاب المحاسن، للسيد محمد صادق بحر العلوم.

٢- (٢) حياه الإمام محمد الجواد (عليه السلام): ١٥٦.

٣- (٣) رجال الكشي: ٥٤٨، طبعه مشهد.

٤- (٤) رجال النجاشي: ٢٥٣.

- ١- كتاب الوضوء
- ٢- كتاب الصلاه
- ٣- كتاب الزكاه
- ٤- كتاب الصوم
- ٥- كتاب الحج
- ٦- كتاب الطلاق
- ٧- كتاب الحدود
- ٨- كتاب الديات
- ٩- كتاب التفسير
- ١٠- كتاب الفضائل
- ١١- كتاب العتق و التدبير
- ١٢- كتاب المكاسب
- ١٣- كتاب المثالب
- ١٤- كتاب الدعاء
- ١٥- كتاب التجمل و المروه
- ١٦- كتاب المزار
- ١٧- كتاب الردّ على الغلاه
- ١٨- كتاب الوصايا
- ١٩- كتاب المواريث
- ٢٠- كتاب الخمس
- ٢١- كتاب الشهادات
- ٢٢- كتاب فضائل المؤمنين و برّهم

٢٣- كتاب الملاحم

٢٤- كتاب التقيه

٢٥- كتاب الصيد و الذبائح

٢٦- كتاب الزهد

٢٧- كتاب الاشربه

٢٨- كتاب النذور و الايمان و الكفارات

٢٩- كتاب الحروف

٣٠- كتاب القائم

٣١- كتاب البشارات

٣٢- كتاب الانبياء

٣٣- كتاب النوادر

٣٤- رسائل على بن أسباط (١).

هذه المؤلفات تتنوع بين فروع الفقه و العقيدة و التفسير و الأخلاق على أن معظمها فى الفقه الاسلامى و هى تدلّ على أنه كان من كبار الفقهاء فى الاسلام.

رسائل الإمام الجواد (عليه السلام) إليه:

و بعث الإمام الجواد (عليه السلام) الى على بن مهزيار عده رسائل تكشف عن شدة صلته بالإمام (عليه السلام) و سمو منزلته و مكانته عنده، و من بين هذه الرسائل:

أ- «قد وصل اليّ كتابك، و فهمت ما ذكرت فيه، و قد ملأتني سرورا، فسرك الله،

ص: ٢٠٢

و أنا ارجو من الكافي الدافع ان يكفيك كيد كل كائد ان شاء الله تعالى»(١).

و دلت هذه الرسالة على قيام علي بن مهزيار بخدمة الإمام(عليه السلام)و قد ملأت قلبه الشريف فرحا فراح يدعو له بأن يجزل له الله تعالى الأجر و الثواب.

ب-«قد فهمت ما ذكرت من أمر القميين-خلصهم الله و فرج عنهم-و سررتني بما ذكرت من ذلك،و لم تزل تفعل،سرّك الله بالجنه،و رضى عنك،برضائي عنك،و أنا ارجو من الله العفو و الرأفة،و أقول:حسبنا الله و نعم الوكيل»(٢).

و هذه الرسالة كشفت عن إنقاذ ابن مهزيار للقميين من محنه كانوا فيها مما أوجب سرور الإمام و دعائه له بالفوز بالفردوس الاعلى.

ج-«فأشخص الى منزلك صيرك الله الى خير منزل في دنياك و آخرتك»(٣).

لقد أمره الإمام(عليه السلام)بالشخص الى منزله بعد ما أدى ما عليه من الخدمة للإمام(عليه السلام).

د-«و أسأل الله أن يحفظك من بين يديك،و من خلفك،و فى كل حالاتك فابشر فإنى ارجو ان يدفع الله عنك،و أسأل الله ان يجعل لك الخيره فيما عزم لك به عليه من الشخصو فى يوم الأحد،فأخر ذلك الى يوم الاثنين إن شاء الله،صحبك الله فى سفرك، و خلفك فى اهلك،و أدى عنك أمانتك،و سلمت بقدرته»(٤).

هـ-و كتب ابن مهزيار الى الإمام(عليه السلام)يسأله التوسعه عليه و تحليله لما فى يده من مال للإمام فأجابه(عليه السلام):

«وسع الله عليك،و لمن سألت له التوسعه فى أهلك و أهل بيتك،و لك يا على عندى

ص:٢٠٣

١- ((١)) رجال الكشى: ٥٥٠، طبعه مشهد.

٢- ((٢)) رجال الكشى: ٥٥٠ طبعه مشهد.

٣- ((٣)) عن رجال الكشى: ٥٥٠ طبعه مشهد.

٤- ((٤)) رجال الكشى: ٥٥١ طبعه مشهد.

أكثر من التوسعه، وأنا أسأل الله ان يصحبك بالتوسعه و العافيه، و يقدمك على العافيه، و يسترك بالعافيه انه سميع الدعاء»(١).

و قد أجاز الإمام(عليه السلام)بما طلبه من المال و دعا له بأخلص الدعاء.

و- كتب على بن مهزيار الى الإمام(عليه السلام) يطلب منه الدعاء له فأجابه(عليه السلام):«و أما ما سألت من الدعاء فانك بعد لست تدري كيف جعلك الله عندي و ربما سميتك باسمك و نسبك، مع كثره عنايتي بك و محبتى لك و معرفتى بما انت عليه فأدام الله لك افضل ما رزقك من ذلك و رضى عنك، و بلغك افضل نيتك، و أنزلك الفردوس الاعلى برحمته انه سميع الدعاء، حفظك الله و تولاك، و دفع عنك السوء برحمته، و كتبت بخطي»(٢).

ز-«يا على أحسن الله جزاك، و أسكنك جنته، و منعك من الخزي فى الدنيا و الآخرة، و حشرك الله معنا، يا على قد بلوتك و خبرتك فى النصيحة و الطاعة و الخدمه و التوقير، و القيام بما يجب عليك، فلو قلت: انى لم أر مثلك لرجوت ان اكون صادقا، فجزاك الله جنات الفردوس نزلا، و ما خفى على مقامك، و لا- خدمتك فى الحرّ و البرد، و الليل و النهار، فأسأل الله اذا جمع الخلائق للقيامه ان يحبوك برحمه تغتبط انه سميع الدعاء»(٣).

و هكذا تعطى رسائل الإمام(عليه السلام)لعلى بن مهزيار صورته مشرقه عن سمو منزلته و عظيم مكانته عند الإمام(عليه السلام) و انه نسخه لا ثانى لها فى تقواه و ورعه.

٦- صفوان بن يحيى: هو صفوان بن يحيى أبو محمد البجلي بياح السابري،

ص: ٢٠٤

١- (١) رجال الكشي: ٥٥١ طبعه مشهد.

٢- (٢) رجال الكشي: ٥٥١ طبعه مشهد.

٣- (٣) حياه الإمام محمد الجواد(عليه السلام): ١٥٩.

كوفى، ثقه، ثقة عين، روى أبوه عن أبي عبد الله (عليه السلام) و روى هو عن الرضا (عليه السلام) و كانت له عنده منزله شريفه ذكره الكشى فى رجال أبى الحسن موسى (عليه السلام) و قد توكل للرضا و أبى جعفر (عليه السلام) و سلم مذهبه من الوقف، و كانت له منزله من الزهد و العباده و كان جماعه الواقفه بذلوا له مالا كثيرا و كان شريكا لعبد الله بن جندب و على بن النعمان و روى انهم تعاقدوا فى بيت الله الحرام انه من مات منهم صلى من بقى صلاته و صام عنه صيامه و زكى عنه زكاته فماتا و بقى صفوان فكان يصلى فى كل يوم مائه و خمسين ركعه و يصوم فى السنه ثلاثه اشهر و يزكى ثلاث دفعات و كل ما يتبرع به عن نفسه ما عدا ما ذكرناه تبرع عنهما ما مثله.

و حكى أصحابنا أن إنسانا كلفه حمل دينارين الى اهله الى الكوفه فقال: إن جمالى مكربيه و أنا استأذن الاجراء. و كان من الورع و العباده على ما لم يكن عليه أحد من طبقته (رحمه الله) و صنف ثلاثين كتابا كما ذكر أصحابنا يعرف منها الآن:

١- كتاب الوضوء

٢- كتاب الصلاه

٣- كتاب الحج

٤- كتاب الزكاه

٥- كتاب النكاح

٦- كتاب الطلاق

٧- كتاب الفرائض

٨- كتاب الوصايا

٩- كتاب الشرى و البيع

١٠- كتاب العتق و التدبير

١١- كتاب البشارات و النوادر

مات صفوان بن يحيى (رحمه الله) سنه عشره و مائتين (١).

و ترخم عليه الإمام الجواد (عليه السلام) و شهد له بأنه كان من حزب آبائه الكرام و هو حزب الله المفلحون.

ص: ٢٠٥

١- ((١)) رجال النجاشى: ١٤٩، و راجع غيبه الشيخ الطوسى: ٢١٦ و الكشى: ٥٠٢-٥٠٣ طبعه مشهد.

٧-عبد الله بن الصلت:هو عبد الله بن الصلت أبو طالب القمي مولى بني تميم اللات ابن تغلبه.حمدان بن احمد النهدي قال:

حدثنا أبو طالب القمي قال:كتب الي أبي جعفر ابن الرضا يأذن لي أن أندب أبا الحسن-أعني أباه-فقال:فكتب الي «انديني و اندب أبي»(١).

٨-علي بن اسباط:هو علي بن اسباط بن سالم الكندي بياع الزطى كوفي،قال الكشي انه كان فطحيا و لعلى بن مهزيار اليه رساله في النقض عليه مقدار جزء صغير،وقال النجاشي انه كان فطحيا جرى بينه و بين علي بن مهزيار رسائل في ذلك،فرجعوا فيها الي أبي جعفر الثاني(عليه السلام)فرجع علي بن اسباط عن ذلك القول و قد روى عن الرضا(عليه السلام)من قبل ذلك و كان ثقه أوثق الناس و أصدقهم لهجه فأنا اعمد علي روايته،له اصل و روايات(٢).

من كتبه:

١-كتاب الدلائل

٢-كتاب التفسير

٣-كتاب المزمار

٤-كتاب نوادر مشهور(٣)

٩-ابراهيم بن أبي محمود الخراساني:من ثقاه الرواه عن الإمام الجواد(عليه السلام)،كما ذكر الكشي في رجاله،وقد روى عن الإمام موسى الكاظم و علي بن موسى الرضا(عليهما السلام).

ص:٢٠٦

١- (١) رجال الكشي:٢٧٥.

٢- (٢) جامع الرواه:٥٥٤/١.

٣- (٣) رجال النجاشي:١٩٠.

١٠- إبراهيم بن محمد الهمداني: من الرجال الاجلاء، وقد روى عن الإمام الجواد و أبيه الرضا و ولده الهادي (عليهم السلام).

١١- احمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي الكوفي: كان عظيم المنزله عند الإمام الجواد (عليه السلام) و أبيه الرضا (عليه السلام) كما كان جليل القدر.

١٢- أحمد بن معافى: من أصحاب الجواد (عليه السلام).

١٣- جعفر بن محمد بن يونس الأحوال: من اصحاب الجواد و أبيه و ولده (عليهم السلام).

١٤- الحسين بن بشار المدائني: من أصحاب الجواد و ابيه و جده (عليهم السلام).

١٥- الحكم بن علياء الاسدي: من أصحاب الجواد (عليه السلام).

١٦- حمزه بن يعلى الاشعري أبو يعلى القمي: كان ثقة و وجه، روى عن الجواد و أبيه (عليهما السلام).

١٧- داود بن القاسم بن اسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب: يكنى أبا هاشم الجعفري، من اهل بغداد. جليل القدر ثقة عظيم المنزله عند الائمة (عليهم السلام).

صاحب الإمام الجواد (عليه السلام) و روى عنه كما روى عن ولده الهادي و حفيده العسكري (عليهم السلام).

١٨- صالح بن محمد الهمداني: من أصحاب الجواد (عليه السلام) و ولده الهادي (عليه السلام).

١٩- عبد الجبار بن المبارك النهاوندي: من أصحاب الجواد (عليه السلام) و أبيه (عليه السلام).

٢٠- عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام): يكنى بأبي القاسم، كان عابدا ورعا من خواص أصحاب الإمام

الجواد (عليه السّلام)، و صاحب ولده الإمام الهادى (عليه السّلام) و حفيده العسكرى (عليه السّلام) و قد عدّ الإمام الهادى (عليه السّلام) زيّاره قبره كفضل زيّاره قبر الحسين (عليه السّلام).

٢١- عثمان بن سعيد العمري: يكنى أبا عمرو و السّمّان و يقال له: الزيات الأسدى. ثقّه جليل القدر من أصحاب الجواد (عليه السّلام)، عاصر الإمام العسكرى (عليه السّلام) و صار له و كيلا.

٢٢- على بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين (عليه السّلام): كان شديد الورع، كثير الفضل، جليل القدر. روى كثيرا عن الاثمه (عليه السّلام). صاحب الجواد و من قبله الصادق و الكاظم و الرضا (عليهم السّلام).

٢٣- على بن بلال البغدادي: من اصحاب الإمام الجواد (عليه السّلام) فحسب.

٢٤- الفضل بن شاذان بن الخليل أبو محمد الازدى النيسابورى: كان ثقّه جليلا فقيها متكلمًا. ترحم عليه الإمام العسكرى (عليه السّلام)، روى عن الإمام الجواد (عليه السّلام)، و ذكر انه روى عن الرضا (عليه السّلام).

٢٥- محمد بن عبد الجبار: هو ابن أبى الصّهبان «قمى» من أصحاب الجواد و ولده الهادى و حفيده العسكرى (عليهم السّلام).

٢٦- أبو على محمد بن عيسى بن عبد الله بن سعد بن مالك الأشعري: شيخ القميين روى عن الإمام الجواد (عليه السّلام) و سمع من الإمام الرضا (عليه السّلام).

٢٧- نوح بن شعيب البغدادي: كان فقيها عالما صالحا مرضيا و هو من أصحاب الجواد (عليه السّلام).

٢٨- يعقوب بن اسحاق السكيت (أبو يوسف): كان عالما باللغه، من خواص الإمام الجواد (عليه السّلام)، و مقدما عنده، و كان كذلك عند الإمام الهادى (عليه السّلام)، قتله المتوكل لتشيّعه لأهل البيت (عليهم السّلام).

٢٩- أبو يوسف الكاتب يعقوب بن يزيد بن حماد الأنباري: ثقته صدوق. روى عن الإمام الجواد، و كان من أصحاب أبيه (عليه السلام) قبله.

٣٠- أبو الحصين بن الحصين الحضيبي: من أصحاب الجواد (عليه السلام) و ولده الهادي (عليه السلام).

و قد أحصى الشيخ العطاردي صاحب مسند الإمام الجواد (عليه السلام) منه و واحدا و عشرين راويا من رواه أحاديث الإمام الجواد (عليه السلام) بما فيهم أصحابه و وكلاؤه و خواصه الذين يشكّلون طائفه من كبار الفقهاء و وجهاء الطالبين و الطالبات و شعراء الإمام و من حظى بخدمه الإمام (عليه السلام) في زمن أبيه الرضا (عليه السلام) و بعده و هو عصر الإمام الجواد (عليه السلام).

بينما أحصى السيد محمد كاظم القزويني في كتابه، الإمام الجواد من المهد الى اللحد (٢٧٥) شخصا من الرجال و النساء تحت عنوان: أصحاب الإمام الجواد (عليه السلام).

لقد شكّل الإمام الجواد (عليه السلام) تيارا من الأصحاب المخلصين لرسالته كرواه حديث و فقهاء و متكلمين و دعاه للفضيله و الاصلاح في الامه و رواد للتغيير في الأوضاع المترديه للمجتمع الإسلامي و قنذاك.

و هكذا أسدى الإمام محمد الجواد (عليه السلام) للإسلام و حركته العظمى كل ما كان بمقدوره أن يسديه من خدمات جليله في ظل الفرص و الامكانيات المتاحة، و المعوقات التي فرضها الواقع الموضوعي و مع الرعايه التامه لمتطلبات الحكمة.

و قد تمّ للإمام (عليه السلام) ما أراد فيما كان لتلاميذه دور ايجابي فاعل في نشر الفضيله و الحق و المعروف و الهدى بين الناس من خلال رواياتهم و ارشاداتهم و مؤلفاتهم الجليله.

إشارة

بالرغم من قصر المدة التي عاشها الإمام محمد الجواد (عليه السلام) وهي خمسة وعشرون سنة منذ ولادته وحتى استشهاده، وهو أقصر عمر نراه في أعمار الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) من أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، إلا أنّ التراث الذي وصل إلينا إذا قارناه بالظروف التي أحاطت بالإمام (عليه السلام) وبشيئته وقارناه بأعمار من سبقه من آباءه الكرام والتي يبلغ معدّلها ضعف عمر هذا الإمام العظيم، نجده غنياً من حيث تنوع مجالاته، ومن حيث سمو المستوى العلمي المطروح في نصوصه وحججه، ومن حيث دلالاته التي تعتبر تحدياً صارخاً عند ملاحظته صدور هذا التراث من مثل هذا الإمام الذي بدأ بالإشعاع والعطاء منذ ولادته وحتى سنّ إمامته وهو لم يبلغ عقداً واحداً من العمر.

وقد أشرنا إلى جوانب من هذا التراث في بحوث سابقه وذكرنا نماذج منه.

وبقى علينا أن نشير إلى جوانب أخرى من هذا التراث العظيم إكمالاً للفائده وإتماماً للحديث عن هذا الجانب المغمور من جوانب حياة هذا الإمام العظيم.

١- من تراثه التفسيري

أ- عن داود بن قاسم الجعفرى قال: «قلت لأبي جعفر الثاني (عليه السلام): جعلت فداك ما الصمد؟ قال: السيد المصمود إليه في القليل والكثير». (١)

ب- عن أبي هاشم الجعفرى قال: «سألت أبا جعفر الثاني (عليه السلام) ما معنى

ص: ٢١٠

الواحد؟ قال: الذي اجتمع الألسن عليه بالتوحيد كما قال الله عزّ وجل: **وَلْتُنَّ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ** «(١)».

ج- عن جعفر بن محمد الصوفى قال: «سألت أبا جعفر (عليه السلام) محمد بن علي الرضا (عليه السلام) وقلت له: يا ابن رسول الله لم سمى النبي الامي؟ لأنه لم يكتب؟ فقال: كذبوا عليهم لعنه الله أتى يكون ذلك والله تبارك وتعالى يقول في محكم كتابه:

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ فَكَيْفَ كَانَ يَعْلَمُهُمْ مَا لَا يَحْسُنُ؟ او الله لقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقرأ ويكتب باثنين و سبعين أو بثلاثه و سبعين لسانا، وإنما سمى الامي لأنه كان من أهل مكة، و مكة من أمهات القرى، و ذلك قول الله تعالى في كتابه: **لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا** «(٢)»

و لا بد أن نشير هنا الى أن الإمام (عليه السلام) قد أعطى من خلال هذه النماذج صورته مصداقيه لفهم المصطلحات و المفاهيم القرآنيه من خلال القرآن نفسه و هو المنهج الذي عرف فيما بعد بتفسير القرآن بالقرآن.

ثم إن هذا المعنى للامي لا ينفي عدم تعلّم النبي للقراءة و الكتابة من أحد و الذي يشكّل نقطه إعجازيه في حياته (صلى الله عليه وآله)، و في عدم تعلّمه من أحد و اتصافه بأعلى مستويات المقدره على التعليم دليل قاطع على ارتباطه بالله العليم المعلم للانسان ما لم يعلم.

د- عن عمرو بن أبي المقدم قال: «سمعت أبا الحسن و أبا جعفر (عليه السلام) يقول في هذه الآية: **وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ** قال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لفاطمه (عليها السلام): إذا أنا مت فلا تخمشي عليّ و جها و لا ترخي عليّ شعرا، و لا تنادي بالويل و لا تقيمي عليّ نائحه، ثم قال: هذا المعروف الذي قال الله عزّ وجلّ في كتابه:

ص: ٢١١

١- (١) التوحيد: ٨٣.

٢- (٢) بصائر الدرجات: ٢٢٥، و علل الشرائع: ١١٨/١.

هـ- روى في الكافي عن أبي جعفر الجواد (عليه السلام) قال: «قال الله عز وجل في ليله القدر: فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ يقول: ينزل فيها كل أمر حكيم.

والمحكم ليس بشيئين، إنما هو شيء واحد، فمن حكم بما ليس فيه اختلاف فحكمه من حكم الله عز وجل، ومن حكم بما فيه اختلاف فرأى أنه مصيب فقد حكم بحكم الطاغوت.

إنه لينزل في ليله القدر إلى ولي الأمر تفسيرا للأمور سنة سنة، يؤمر فيها في أمر نفسه بكذا وكذا، وفي أمر الناس بكذا وكذا.

وإنه ليحدث لولي الأمر سوى ذلك كل يوم علم الله عز وجل الخاص والمكنون العجيب المخزون، مثل ما ينزل في تلك الليلة من الأمر. ثم قرأ: **وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢).**

٢- من ترائه الكلامي

أ- ضروره التحصين العقائدي: روى في الاحتجاج عن الإمام محمد الجواد (عليه السلام) أنه قال: «من تكفل بإيتام آل محمد المنقطعين عن إمامهم المتحيزين في جهلهم الاسارى في أيدي شياطينهم وفي أيدي النواصب من أعدائنا فاستنقذهم منهم وأخرجهم من حيرتهم وقهر الشياطين برّد وسوسهم وقهر الناصبين بحجج ربهم ودلائل أئمتهم ليحفظوا عهد الله على العباد بأفضل الموانع بأكثر من فضل السماء على الأرض والعرش والكرسى والحجب على السماء، وفضلهم على العباد كفضل القمر ليله البدر على

ص: ٢١٢

١- (١) معاني الأخبار: ٣٩٠.

٢- (٢) أصول الكافي: ٢٤٨/١.

ب-التوحيد: وروى أيضا عن أبي داود بن القاسم الجعفرى أنه قال: «قلت لأبى جعفر الثانى (عليه السّلام): قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، ما معني الأحد؟ قال (عليه السّلام): المجمع عليه بالوحدانيه أما سمعته يقول: وَ لَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ ثم يقولون بعد ذلك له شريك و صاحبه.

فقلت: قولها- تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ؟ قال (عليه السّلام): «يا أبا هاشم! أوهام القلوب أدقّ من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند و الهند، و البلدان التي لم تدخلها، و لم تدرك ببصرك ذلك، فأوهام القلوب لا تدركه، فكيف تدركه الأبصار؟» (٢).

ج-النبوه: عن الحسن بن عتيّاس بن حريش عن أبى جعفر (عليه السّلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): إنّ أرواح النسيين توافى العرش كل ليلة جمعه فتصبح الأوصياء و قد زيد فى علمهم مثل جم الغفير من العلم.» (٣).

د-الامامه: وروى عنه أيضا: «أنّ أمير المؤمنين (عليه السّلام) قال لابن عباس: إنّ ليلة القدر فى كل سنه، وانه لينزل فى تلك الليلة أمر السنه و لذلك الأمر ولاه بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) فقال ابن عباس: من هم؟ قال: أنا و أحد عشر من صلبى أئمه محدثون.» (٤).

ه- و سأله أبو هاشم الجعفرى: هل يبدو لله فى المحتوم؟ قال: «نعم، قال:

فقلنا له: فنخاف أن يبدو لله فى القائم (عليه السلام)؟ فقال: «إنّ القائم من الميعاد و الله لا يخلف الميعاد.» (٥).

و- عن بنان بن نافع عن أبى جعفر الثانى (عليه السلام): «إنّا معاشر الأئمه إذا حملته

ص: ٢١٣

١- ((١)) الاحتجاج: ٩/١.

٢- ((٢)) الاحتجاج: ٣٣٨/٢.

٣- ((٣)) بصائر الدرجات: ١٣٢.

٤- ((٤)) اصول الكافى: ٥٣٢/١.

٥- ((٥)) غيبه النعمانى: ٣٠٢.

أمه يسمع الصوت من بطن أمه أربعين يوماً فإذا أتى له في بطن أمه أربعة أشهر رفع الله تعالى له أعلام الأرض فقرب له ما بعد عنه حتى لا يعزب عنه حلول قطره غيث نافعه ولا ضاره» (١).

زقال عمرو بن الفرج الرخجي: «قلت لأبي جعفر (عليه السلام): إن شيعتك تدعى أنك تعلم كل ماء في دجله ووزنه؟ وكننا على شاطئ دجله، فقال (عليه السلام) لي:

يقدر الله تعالى أن يفوض علم ذلك إلى بعوضه من خلقه أم لا؟ قلت: نعم يقدر.

فقال (عليه السلام): أنا أكرم على الله تعالى من بعوضه و من أكثر خلقه» (٢).

٣- من ترائه الفقيه

أ- روى أبو خدّاش المهري: «أن شخصاً دخل على الرضا (عليه السلام) فسأله عن أمور ثلاثه فأجابته (عليه السلام) عنها. ثم حضر أبو خدّاش مجلس أبي جعفر (عليه السلام) في ذلك الوقت فسأله الأسئلة ذاتها فكان الجواب هو الجواب.

قال: فقلت: جعلت فداك إن أمّ ولد لي أرضعت جاريه لي بلين ابني أبحرم عليّ نكاحها؟ فقال (عليه السلام): «لا رضاع بعد فطام».

قلت: الصلاة في الحرمين؟ قال: إن شئت قصرت و إن شئت أتممت. قال:

قلت: الخادم يدخل على النساء؟ فحوّل وجهه، ثم استداناني فقال: و ما نقص منه إلا الواقعة عليه» (٣).

ب- عن علي بن مهزيار قال: «كتبت إلى أبي جعفر محمد بن علي بن موسى الرضا (عليه السلام): جعلت فداك أصلي خلف من يقول بالجسم و من يقول بقول يونس يعني ابن عبد الرحمن؟ فكتب (عليه السلام): لا تصلوا خلفهم و لا تعطوهم من الزكاه

ص: ٢١٤

١- (١) المناقب: ٢/٤٣٢.

٢- (٢) بحار الأنوار: ٥٠/١٠٠.

٣- (٣) دلائل الإمامة: ٢٠٦.

و ابرؤا منهم برئ الله منهم»(١).

ج- سألته سائل عن الملاح يقصر في السفينه؟ فقال (عليه السلام): «لا لأن السفينه بمنزله بيته ليس بخارج منها»(٢).

د- دخل عليه صالح بن محمد بن سهل -و كان يتولى له الوقف بقم- فقال:

«يا سيدى اجعلنى من عشره آلاف فى حلّ فإنى أنفقتها. فقال له (عليه السلام): أنت فى حلّ، فلما خرج صالح قال أبو جعفر (عليه السلام) لابراهيم بن هاشم: أحدهم يشب على أموال حق آل محمد و أيتامهم و مساكينهم و فقرائهم و أبناء سبيلهم فيأخذه ثم يجيء فيقول:

اجعلنى فى حلّ: أتراه ظنّ أنى أقول لا أفعل؟! أو الله ليسألنهم الله يوم القيامة عن ذلك سؤالاً حثيثاً»(٣).

ه- عن على بن مهزيار قال: «قلت لأبى جعفر الثانى (عليه السلام): قوله عزّ و جلّ:

و اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَ النَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ و قوله عزّ و جلّ: وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ. و ما أشبه هذا، فقال: إن الله عزّ و جلّ يقسم من خلقه بما يشاء و ليس لخلقه أن يقسموا إلاّ به عزّ و جلّ»(٤).

و- قال (عليه السلام): «ما استوى رجلان فى حسب و دين قطّ إلاّ كان أفضلهما عند الله عزّ و جلّ آدبهما فسأله الراوى عن وجه فضله عند الله عزّ و جلّ؟ فقال (عليه السلام): بقراءه القرآن كما انزل و دعائه الله عزّ و جلّ من حيث لا يلحن و ذلك أن الدعاء الملحون لا يصعد الى الله عزّ و جلّ»(٥).

ص: ٢١٥

١- (١) امالى الصدوق: ١٦٧.

٢- (٢) الثاقب فى المناقب: ٢٠٩.

٣- (٣) الكافى: ١/٥٤٨.

٤- (٤) من لا يحضره الفقيه: ٣/٣٧٦.

٥- (٥) عدّه الداعى: ١٨.

أ- روى المجلسي عن الصدوق بإسناده عن عبد العظيم الحسني قال: كتبت إلى أبي جعفر الثاني (عليه السلام) أسأله عن ذى الكفل ما اسمه؟ وهل كان من المرسلين؟

فكتب صلوات الله وسلامه عليه: «بعث الله تعالى جل ذكره مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبيًا، المرسلون منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً.

وإن ذاك الكفل منهم صلوات الله عليهم، وكان بعد سليمان بن داود (عليه السلام). وكان يقضى بين الناس كما كان يقضى داود، ولم يغضب إلا لله عز وجل وكان اسمه (عويديا) وهو الذي ذكره الله تعالى جلّ عظمته في كتابه حيث قال: «وَأَذْكُرُ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ» (١).

ب- المسعودي، بإسناده عن أبي جعفر الثاني محمد بن علي الرضا (عليهما السلام) أنه قال عن آباءه صلوات الله عليهم. قال: «أقبل أمير المؤمنين و معه أبو محمد [أي الحسن المجتبي] (عليه السلام) وسلمان الفارسي فدخل المسجد و جلس فيه فاجتمع الناس حوله إذ أقبل رجل حسن الهيئة و اللباس فسلم على أمير المؤمنين (عليه السلام) و جلس، ثم قال: يا أمير المؤمنين انى قصدت أن أسألك عن ثلاث مسائل إن أخبرتنى بهن علمت أنك وصى رسول الله حقاً و إن لم تخبرنى بهن علمت أنك و هم شرع سواء.

فقال له أمير المؤمنين: «سل عما بدا لك». فقال: أخبرنى عن الرجل اذا نام أين تذهب روحه، و عن الرجل كيف يذكر و ينسى، و عن الرجل كيف يشبه ولده الأعمام و الأخوال؟ فالتفت أمير المؤمنين الى أبي محمد فقال: «يا أبا محمد أجبه، فقال أبو محمد: «أما الانسان اذا نام فإن روحه متعلقه بالريح و الريح متعلقه بالهواء الى

ص: ٢١٦

وقت يتحرك صاحبها الى اليقظه.

فإذا أذن الله برد الروح جذبت تلك الروح الريح و جذبت الريح الهواء فرجعت الروح الى مسكنها فى البدن، وان لم يأذن الله برد الروح الى صاحبها جذبت الهواء الريح و جذبت الريح الروح فلم ترجع الى صاحبها الى أن يبعثه الله تعالى، وأما الذكر و النسيان فإن قلب الرجل فى مثل حق و عليه طبق.

فإن سمي الله و ذكره و صلى عند نسيانه على محمد و آله انكشف ذلك الطبق و هو غشاوه عن ذلك الحق و أضاء القلب و ذكر الرجل ما كان نسي و ان هو لم يصل على محمد و آله بعد ذكر الله تعالى انطبقت تلك الغشاوه على ذلك الحق فأظلم القلب فنسى الرجل ما ذكر.

و أما المولود الذى يشبه الأعمام و الأخوال فان الرجل اذا أتى أهله فوطأها بقلب ساكن و عروق هادئه و بدن غير مضطرب استكنت تلك النقطة(1) فى جوف الرحم و خرج الرجل يشبه أباه و امه، و ان هو أتاها بقلب غير ساكن و عروق غير هادئه و بدن مضطرب اضطربت النقطة ف وقعت فى اضطرابها على بعض العروق.

فان وقعت على عرق من عروق الأعمام اشبه الولد أعمامه و ان وقعت على عرق من عروق الأخوال أشبه أخواله.

فقال الرجل: أشهد أن لا إله إلا الله و لم ازل أشهد بها و أشهد أن محمدا رسول الله و لم ازل أشهد بها و اشهد أنك وصيه و خليفته و القائم بحجته. و أشار الى أمير المؤمنين: و أشهد أنك وصيه و القائم بحجته. و اشار الى الحسن: و أشهد أن أخاك الحسين وصى أبيك و وصيك و القائم بحجته بعدك و أشهد أن على بن الحسين القائم بأمر الحسين و أشهد ان محمد بن على القائم بأمر على ابن الحسين و اشهد ان جعفر بن محمد القائم بأمر الله بعد أبيه و حجته و اشهد ان موسى بن

ص: ٢١٧

جعفر القائم بأمر الله بعد ابيه جعفر و اشهد ان على بن موسى القائم بأمر الله بعد أبيه. و اشهد ان محمد بن على القائم بأمر الله بعد ابيه و اشهد ان على بن محمد القائم بأمر الله بعد ابيه محمد و اشهد ان رجلا من ولد الحسين بن على لا يسمى و لكن يكنى حتى يظهر الله امره يملأها عدلا و قسطا كما ملئت جورا و السلام عليك يا أمير المؤمنين و رحمه الله و بركاته، و مضى.

فقال أمير المؤمنين: «اتبعه يا أبا محمد فانظر أين يقصد، قال: فخرج الحسن بن على في اثره فلما وضع الرجل رجله خارج المسجد لم يدر كيف اخذ من ارض الله فرجع اليه فأعلمه، فقال: يا أبا محمد أتعرفه. قال: الله و رسوله و أمير المؤمنين اعلم به، قال: ذاك الخضر». (١)

ج- روى أبو جعفر المشهدى باسناده عن أبي جعفر الثاني (عليه السلام) قال: «بعث رسول الله (صلى الله عليه و آله) سلمان الى فاطمه (عليها السلام) لحاجه، قال سلمان: فوقفت بالباب وقفه حتى سلمت، فسمعت فاطمه تقرأ القرآن خفاء و الرحي تدور من بر ما عندها انيس، قال: فعدت الى رسول الله (صلى الله عليه و آله) فقلت: يا رسول الله سمعت فاطمه تقرأ القرآن من خفاء و الرحي تدور من بر ما عندها انيس.

قال: فتبسم (صلى الله عليه و آله) و قال: يا سلمان ان ابنتى فاطمه ملأ الله قلبها و جوارحها ايمانا و يقينا الى مبانيها ففرغت لطاعه الله، فبعث الله ملكا اسمه روفائيل. و فى موضع آخر «رحمه»، فادار لها الرحي و كفهاها الله مؤونه الدنيا و الآخرة» (٢).

د- روى الحافظ أبو نعيم، فقال حدثنا أحمد بن إسحاق حدثنا إبراهيم بن نائله حدثنا جعفر بن محمد بن مزيد قال: كنت ببغداد فقال لى محمد بن منده بن مهربزذ: هل لك أن ادخلك على ابن الرضا؟ قلت: نعم. قال: فأدخلنى فسلمنا

ص: ٢١٨

١- (١) اثبات الوصيه: ١٥٧.

٢- (٢) الثاقب فى المناقب: ١١٩، مخطوط.

عليه و جلسنا، فقال له حديث النبي (صلى الله عليه و آله): «أن فاطمه أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار، قال: خاص للحسن و الحسين رضى الله عنهما» (١).

هـ- روى باسناده عن علي بن ابراهيم بن هاشم، عن أبيه عن احمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، قال: «قلت لابي جعفر محمد بن علي بن موسى (عليهم السلام) ان قوما من مخالفيكم يزعمون أباك انما سماه المأمون الرضا لما رضىه لولايه عهده.

فقال: «كذبوا و الله و فجروا، بل الله تبارك و تعالى سماه الرضا لانه كان رضى الله عز و جل فى سمائه و رضى لرسوله و الائمه من بعده صلوات الله عليهم فى أرضه قال:

فقلت له: الم يكن كل واحد من آبائك الماضين (عليهم السلام) رضى الله تعالى و لرسوله و الائمه (عليهم السلام)؟ فقال: بلى، فقلت: فلم سمي أبوك من بينهم الرضا؟ قال: لأنه رضى به المخالفون من أعدائه كما رضى به الموافقون من اوليائه و لم يكن ذلك لاحد من آباءه (عليهم السلام)، فلذلك سمي من بينهم الرضا (عليه السلام) (٢).

٥- الطب فى تراث الإمام الجواد (عليه السلام)

إشاره

لقد استوعب أئمه أهل البيت (عليهم السلام) شتى العلوم و منها علوم الطبّ و الحكمة بما آتاهم الله من فضله، و أطلعهم على غيبه، و جباهم من نوره، و ألهمهم من معرفته، و بما ورثوه من علوم خاتم الأنبياء و سيّد المرسلين (صلى الله عليه و آله)، فكانوا (عليهم السلام) يعالجون المرضى تارة بالقرآن و الدعاء و الأحرار و الرقى و الصدقه، و تارة يوصونهم بضروره النظافه و الطهاره و الوقايه العامه، و ثالثه يصفون لهم الأعشاب و النباتات و غيرها من العقاقير الطيبه التى كانت تؤثر بشكل فعّال فى

ص: ٢١٩

١- ((١)) اخبار اصفهان: ٢٤٢/١ و ٢٠٦/٢، و تاريخ بغداد: ٥٤/٣، و الوفيات: ٣١٥/٣.

٢- ((٢)) عيون الاخبار: ١٣/١، و العلل: ١٢٦/١.

شفاء المرضى ممّا يدلّ على قدراتهم (عليهم السّلام) الكبيره و إمكاناتهم الواسعه بتشخيص المرض من دون اللجوء إلى إجراء التحليلات المختبريّة و الصور الشعاعيّه و التخطيطات و ما إلى ذلك من الوسائل المتطوره الحديثه المعرفه في يومنا هذا.

و ينمّ أيضا عن درايتهم (عليهم السّلام) و اطلاعهم الواسع بخواص تلك العقاقير و تأثيرها المباشر على المرض و بالتالي صحّه تشخيصهم لمختلف الأمراض.

و تجدر الإشارة هنا إلى أنّه بعد مرور عدّه قرون جاء الطبّ الحديث بإمكاناته الواسعه ليبرهن على صحه و صواب ما ورد عنهم (عليهم السّلام) من أخبار و أحاديث في هذا المجال لا بل إنّه اعتمد الكثير من تلك الأخبار، و ما العوده إلى استخدام الحجامة و الفصد علاجا أساسيا أو مساعدا لغيره من العلاجات و متعاضدا معها للوصول إلى الشفاء إلّا مثلا صارخا على صحه ما ذكرناه.

و لقد أقرّ الكثير من العلماء و المستشرقين في بحوثهم و تحقيقاتهم بتلك الحقائق و الأخبار الوارده عنهم (عليهم السّلام) و اتفقوا على أنّ قوانين الطبّ قد جمعت في قوله تعالى: **كُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لَا تُسْرِفُوا (١)**. و لا بأس أن نذكر هنا لمحا عن الحجامة و الفصد.

يقال: فصد العرق فصدا: بشقّه، و يقال: فصد المريض: اخرج مقدار من دم وريده.

و قد تكامل الفصد اليوم باستعمال إبره واسعه القناه بواسطتها و يؤخذ الدم من الوريد مباشرة، و تتراوح كميّه الدم المفصود بين ٣٠٠-٥٠٠ سم^٣، و يجب أن يتم بأسرع ما يمكن.

و تختلف الحجامة عن الفصد في أنّ الأخير هو إخراج دم الوريد بشقّه كما هو نقيّا كان أو غليظا، بينما الحجامة هي إخراج الدم الفاسد بواسطه آله ماصّه من

ص: ٢٢٠

العروق الدقيقة و الشعيرات الدموية المبتوثة فى اللحم، و الفصد يقلل الدم، و بالتالى يحتاج إلى تعويض و خلق جديد، بينما الحجامة تنقى الدم و تصفيه دون أن يفقد الجسم كميته كبيره منه بل العكس أنها تنشّط الدورة الدمويه و توجب الرشد. و على هذا فالحجامة لا تضعف البدن كما فى الفصد.

و تستعمل الحجامة أساسا للتخفيف عن الدورة الدمويه و ما يثقلها من سموم الفضلات و الدهون و المتخلفات من الإفراز، و قد استعملت منذ قديم الزمان كواجب من الواجبات الفصليه، و كعلاج ناجح لعدد من الأمراض كالجلطه الدمويه و السكتة القلبيه، و انفجار الشريان الدماغى. قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«عليكم بالحجامة، لا يتبّع الدم بأحدكم، فيقتله».

و قال جالينوس: دمك عبدك، و ربّما قتل العبد سيّده، فأطلقه، فإن رأيتة صالحا فأمسكه.

و الأحاديث فيها كثيره و يعدّ العلق الطبى -واحدتها علقه- و هى دوده تعيش فى الماء تمص الدم- من ملحقات الحجامة، و له اهميته أيضا فى العلاج الموضعى لكثير من أمراض الأورده الدمويه كركود الدم فى منطقه ما فى الجسم، و ذلك بما يتمتع به العلق من غريزه خاصه فى مصّ الدم الفاسد، و إدخاله الهواء أثناء عمليته المصّ تحت الجلد.

و من ناحيه أخرى ينفرد الفصد فى علاج الحالات التاليه:

١- الهبوط الوظيفى فى البطن الأيسر المؤدى إلى تورّم فى الرئتين ينجم عنها عسر شديد فى التنفس. ٢- ضغط الدم الدماغى العالى لغلظه الدم.

٣- إزدىاد عدد كريات الدم الأولى. ٤- الإحتقان الرئوى.

و للفصد عروق معروفه و لها أسماء خاصه كالعرق الزاهر و الأكحل يخرج منها الدم، و قد ورد عن النبىّ و الأئمه صلوات الله عليهم أن للفصد أوقات معينه.

و أمّا الحجامة فلها مواضع معروفه كاليافوخ من الرأس و النقره من الظهر

و غيرها، و لها أوقات معينه أيضا، ووردت عن النبي و الأئمه صلوات الله عليهم في الأحاديث الشريفه.

١- جاء في المناقب لابن شهر آشوب: و في كتاب «معرفه تركيب الجسد» عن الحسين بن أحمد التيمي: روى عن أبي جعفر الثاني (عليه السلام): أنه استدعى فاصدا في أيام المأمون فقال له: أفصدني في العرق الزاهر! فقال له:

ما أعرف هذا العرق يا سيدي، و لا سمعت به. فأراه إياه، فلما فصدته خرج منه ماء أصفر، فجرى حتى امتلأ الطست، ثم قال له:

أمسكه. و أمر بتفريغ الطست؛

ثم قال: خلّ عنه. فخرج دون ذلك، فقال:

شدّه الآن. فلما شدّ يده أمر له بمائه دينار، فأخذها و جاء إلى يوحنا بن بختيشوع (١) فحكى له ذلك، فقال:

و الله ما سمعت بهذا العرق مذ نظرت في الطب، و لكن هاهنا فلان الأسقف (٢) قد مضت عليه السنون، فامض بنا إليه، فإن كان عنده علمه و إلا لم نقدر على من يعلمه، فمضيا و دخلا عليه و قضا القصة.

فأطرق مليا، ثم قال: يوشك أن يكون هذا الرجل نبيا أو من ذريته نبي. (٣)

٢- و جاء في رجال الكشي: -يأتي في باب حال عمّ أبيه عليّ بن جعفر (عليه السلام):

ص: ٢٢٢

١- (١) و يوحنا بن بختيشوع: هو طبيب أخى المعتمد، شخص أسقفا على الموصل سنه (٨٩٣ م) - (٢٧٩ هـ) و هذا التاريخ بعيد عن حياه الإمام الجواد (عليه السلام) و الذي استشهد سنه ٢٢٠ هـ. و الظاهر أنه جبرئيل بن بختيشوع بن جورجيس، طبيب المأمون، توفي سنه (٨٢٨ م) (٢١٢ هـ). و اسره بختيشوع: اسره أطباء من النساطره أصلها من جند نيسابور، خدمت الخلفاء العباسيين نحو ثلاثه قرون. اشتهر منها: جورجيس بن جبرئيل و بختيشوع بن جبرئيل.

٢- (٢) الأسقف: فوق القسيس و دون المطران، و الكلمه يونانيه.

٣- (٣) المناقب: ٣/٤٩٥، و بحار الأنوار: ٥٠/٥٧ ضمن ح ٣١، و مدينه المعاجز: ٥٣٣ ح ٦٠.

و دنا الطيب ليقطع له العرق، فقام علي بن جعفر (عليه السلام) فقال:

يا سيدي، يبدأ بي ليكون حدّه الحديد فيّ قبلك...

علاج حمى الغبو الربيع

(١)(٢)

١- عن الحسن بن شاذان، قال: حدّثنا أبو جعفر (عليه السلام)، عن أبي الحسن (عليه السلام) «و سئل عن حمى الغبّ الغالبه.

فقال (عليه السلام): يؤخذ العسل و الشونيز (٣) و يلقى منه ثلاث لعقات فإنّها تنقلع. و هما المباركان قال الله تعالى في العسل:

يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ (٤).

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): في الحبه السوداء شفاء من كلّ داء إلا السام.

قيل يا رسول الله، و ما السام؟ قال: الموت.

قال: و هذان لا يميلان إلى الحراره و البروده، و لا إلى الطباع، إنّما هما شفاء حيث وقعا (٥).

٢- عن الحسن بن شاذان، قال: حدّثنا أبو جعفر، عن أبي الحسن (عليهما السلام) (٦).

ص: ٢٢٣

١- ((١)) غبّت عليه الحمى: أخذته يوما و تركته يوما.

٢- ((٢)) حمى الربيع: هي التي تنوب كلّ رابع يوم.

٣- ((٣)) الشينيز و الشونيز و الشونوز و الشهنيز: الحبه السوداء «القاموس المحيط: ١٧٩/٢» و قال ابن البيطار في الجامع لمفردات الأدوية و الأغذية: ٧٢/٣: الحبه السوداء: و تسمّى أيضا بالشونيز. و هو نبات صغير دقيق العيدان، طوله نحو شبرين أو أكثر، و له ورق صغار، و على طرفه رأس شبيهه بالخشخاش في شكله، طويله مجوّفه تحوى بزرا أسودا حريفا طيب الرائحه فيه عن جالينوس أنّه يشفى الزكام إذا صير في خرقه و هو مقلوّ و سمّه الانسان...

٤- ((٤)) النحل (١٦): ٦٩.

٥- ((٥)) رجال الكشي: ٦٥، عنه الوسائل: ٧٦/١٧ ح ١٥، و البحار: ١٠٠/٦٢ ح ٢٣ و ص ٢٢٧ ح ٣.

٦- ((٦)) زاد في م «الثالث» و هو تصحيف بقرينه سند الحديث السابق و عدم روايه الجواد عن ولده (عليهما السلام) و مكاتبه ابن شاذان لأبي الحسن الرضا (عليه السلام) و عليه فلا تصحّ روايه ابن شاذان عن أبي الحسن الثالث بواسطه، و يحتمل «الثالث» تصحيف «الثاني» انظر معجم رجال الحديث: ٣٦٧/٤.

قال:خير الأشياء لحمى الربع أن يؤكل فى يومها الفالودج(١)المعمول بالعسل،و يكثر زعفرانه،و لا يؤكل فى يومها غيره»(٢).

علاج اليرقان

(٣)

عن محمد بن يحيى،عن محمد بن عيسى،عن علي بن مهزيار،قال:

تعذت مع أبى جعفر(عليه السلام)فأتى بقطاه(٤)،فقال:«إنه مبارك،و كان أبى(عليه السلام)يعجبه، و كان يأمر أن يطعم صاحب اليرقان،يشوى له فإنه ينفعه»(٥).

علاج ضربه الريح الخبيثه

عن أحمد بن إبراهيم بن رياح،قال:حدّثنا الصباح بن محارب،قال:

«كنت عند أبى جعفر ابن الرضا(عليهما السلام)فذكر أنّ شبيب بن جابر ضربته الريح الخبيثه،فمالت بوجهه و عينه(٦)،فقال:يؤخذ له القرنفل(٧)خمسه مثاقيل،فيصير فى قنينة يابس،و يضمّ رأسها ضمّاً شديداً،ثمّ تطين و توضع فى الشمس قدر يوم فى الصيف،و فى الشتاء قدر يومين.ثمّ يخرجها فيسحقه سحقاً ناعماً،ثمّ يديفه(٨)بماء المطر حتّى يصير بمنزله الخلق،ثمّ يستلقى على قفاه،و يطلى ذلك القرنفل المسحوق على الشقّ المائل(٩)و لا يزال مستلقياً حتّى يجفّ القرنفل،فإنه إذا جفّ رفعه الله عنه،و عاد إلى أحسن

ص: ٢٢٤

١- (١) الفالودج: حلواء تعمل من الدقيق و الماء و العسل.

٢- (٢) رجال الكشى: ٦٥، عنه البحار: ١٠٠/٦٢ ح ٢٤.

٣- (٣) اليرقان: حاله مرضيه تمنع الصفراء من بلوغ المعى بسهوله،فتختلط بالدم فتصفر بسبب ذلك أنسجه الحيوان.

٤- (٤) القطاه،واحد القطاه: هو ضرب من الحمام ذوات أطواق يشبه الفاخته و القمارى.

٥- (٥) الكافى: ٣١٢/٦ ح ٥، عنه البحار: ٤٣/٦٥ ح ٢، و الوسائل: ٣٣/١٧ ح ٢.

٦- (٦) «و عينيه» م.

٧- (٧) القرنفل: ثمر شجره كالياسمين، و هو أفضل الأفاويه الحاره.

٨- (٨) داف الدواء و نحوه: خلطه.أذابه فى الماء و ضربه فيه ليختثر.و فى م«تدنفه» تصحيف.

٩- (٩) «الحامل» خ ل.

عاداته بإذن الله تعالى.

قال: فابتدر إليه أصحابنا فبشروه بذلك، فعالجه بما أمره به، فعاد إلى أحسن ما كان بعون الله تعالى». (١).

علاج من أصابها حيض لا ينقطع

عن محمد بن يحيى، عن محمد بن عيسى، عن علي بن مهزيار، قال: إنَّ جارِيه لنا أصابها الحيض و كان لا- ينقطع عنها حتَّى أشرفت على الموت، فأمر أبو جعفر (عليه السلام) أن تسقى سويق العدس (٢)، فسقيت فانقطع عنها و عوفيت» (٣).

علاج برد المعدة و خفقان الفؤاد

عن محمد بن علي زنجويه (٤) المتطبب، قال: «حدَّثنا عبد الله بن عثمان، قال:

شكوت إلى أبي جعفر محمد بن علي بن موسى (عليهم السلام) برد المعدة و خفقانا في فؤادي، فقال (عليه السلام): «أين أنت عن دواء أبي- و هو الدواء الجامع-؟! قلت: يا بن رسول الله! و ما هو؟

قال: معروف عند الشيعة. قلت: سيدي و مولاي، فأنا كأحدهم فأعطني صفته حتَّى اعالجه و اعطى الناس.

ص: ٢٢٥

١- ((١)) الكافي: ٨١/٦، عنه في بحار الأنوار: ١٨٦/٦٢ ح ٢، و مستدرک الوسائل: ٤٤٦/١٦ ح ١١.

٢- ((٢)) سويق العدس: عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: سويق العدس يقطع العطش و يقوى المعدة، و فيه شفاء من سبعين داء، و يطفى الصفراء، و يبرد الجوف، و كان (عليه السلام) إذا سافر لا- يفارقه، و كان (عليه السلام) إذا هاج الدم بأحد من حشمه قال له: اشرب من سويق العدس، فإنَّه يسكّن هيجان الدم، و يطفى الحرارة (الكافي: ٣٠٧/٦ ح ١). و قال المجلسي (رحمه الله) في البحار: ٦٣/٦٦... و أمّا إطفأؤه للصفراء و الحرارة [كما في روايه أبي عبد الله (عليه السلام) أعلاه] فليل لجهتين: أحدهما من جهه التبريد في الأمزجه الحارّه، و الآخر من جهه تغليظ الدم و تسكين حدّته، فيقلّ جريانه و سيلانه في العروق، و لهذا السبب يقطع دم الحيض كما في الخبر...

٣- ((٣)) الكافي: ٣٠٧/٦ ح ٢، عنه الوسائل: ١٠/١٧ ح ٢.

٤- ((٤)) «رنجومه» كما في نسخه اخرى.

قال:خذ زعفران(١)و عاقر قرحا(٢)و سنبل(٣)و قاقله(٤)و بنج(٥)و خربق أبيض(٦)و فلفل أبيض(٧)أجزاء سواء،و أبرفيون(٨)جزءين،يدق ذلك كله دقا ناعما، و ينخل بحريره،و يعجن بضعفى وزنه عسلا(٩)منزوع الرغوه،فيسقى منه صاحب خفقان

ص:٢٢٦

١- ((١)) الزعفران:نبات معمر من الفصيله السوسيتيه،منه أنواع بريّه و نوع صبغى طبيّ مشهور و هو حازّ يابس مفرح يقوى الروح،و جيده الطرى الحسن اللون،الزكى الرائحه،على شعره قليل بياض غير كثير ممتلى صحيح،سريع الصبغ،غير ملزج و لا متفتت،و إذا كان فى بيت لا يدخله سام أبرص.راجع الطب من الكتاب و السنّه:١١٣،القانون:٣٠٦/١،القاموس المحيط:٣٩/٢.

٢- ((٢)) العاقر قرحا:نبات من الفصيله المركبه تستعمل جذوره فى الطبّ،و يكثر فى إفريقيا،و قال فى إحياء التذكره:٤٣٠:هو أصل الطرخون الجبلى،ينقى البلغم من الرأس،و يزيل وجع الأسنان و السعال و أوجاع الصدر و برد المعده و الكبد،و يزيل الخناق غرغره...

٣- ((٣)) قال الفيروزآبادى فى القاموس المحيط:٣٩٨/٣:السنبل،كقنفذ:نبات طيب الرائحه و يسمّى سنبل العصافير،أجوده السورى و أضعفه الهندى مفتّح محلّل مقو للدماغ و الكبد و الطحال و الكلى و الأمعاء مدرّ، و له خاصيته فى حبس النزف المفرط من الرحم،و السنبل الرومى الناردين.

٤- ((٤)) القاقله:ثمر نبات هندى من العطر و الأفوايه مقو للمعه و الكبد،نافع للغثيان و الاعلال الباردة حابس، و القاقله الكبيره أشدّ قبضا من الصغيره و أقل حرافه،قاله فى القاموس المحيط:٣٩/٤.

٥- ((٥)) البنج:قال فى المعجم الوسيط:٧١/١:(من الهندية):جنس نباتات طبيه مخدّره من الفصيله الباذنجائيه.و قال فى القاموس المحيط:١٧٩/١:مسكّن لأوجاع الأورام و البثور و وجع الأذن،و أخبثه الأسود ثم الأحمر،و اسلمه الأبيض.

٦- ((٦)) الخريق-كجعفر-نبات ورقه كلسان الحمل أبيض و أسود و كلاهما يجلو و يسخّن و ينفع الصرع و الجنون و المفاصل و البهق و الفالج و يسهّل الفضول اللزجه،و ربما أورث تشنّجات،و إفراطه مهلك...قاله فى القاموس المحيط:٢٢٥/٣،و قال ابن البيطار فى جامعه:٥٥/٢:عن ابن سرايون أنّه قال:الخريق الأسود يسهّل المرّه الصفراء الغليظه جدا،و يعطى فى العلل الحاده و المزمه التى تحتاج إلى دواء يسهّل المرّه الصفراء كعلل الصدر،و هو نافع فى تنقيه الاحشاء جدا و الرحم و المثانه و العلل المتقادمه فى قصبه الرئه.

٧- ((٧)) الفلفل (كهدهد و زبرج):حبّ هندى،و الأبيض أصلح و كلاهما نافع لقلع البلغم اللزج مضغا بالزفت، و لتسخين العصب و العضلات تسخيناً لا يوازيه غيره و للمغص و النفخ و استعماله فى اللعوق للسعال و أوجاع الصدر و قليله يعقل و كثيره يطلق و يجفّف و يدّر و يبرّد المنى بعد الجماع.القاموس المحيط:٣٢/٤.

٨- ((٨)) أبرفيون:هو صمغ تنتجه شجره شائكه،و يحصل عليه بواسطه شق أعصان الشجره فتسيل منها عصاره صمغيه لا تلبث أن تجفّ و تتجمّد بعد ملامستها الهواء،و من أسمائها،الفربيون،قال فى القاموس المحيط:٢٥٥/٤:هو دواء ملطف نافع لعرق النسا و برد الكلى و القولنج و لسع الهوام و عضه الكلب و يسقط الجنين و يسهّل البلغم اللزج.

٩- ((٩)) العسل:قال تعالى فى سوره النحل:٦٩:يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ. هو غذاء و دواء ذكرت منافعه فى الكثير من كتب الطبّ لا مجال لذكرها لكثرتها.

الفؤاد، و من به برد المعده حبه بماء كمون(١) يطبخ، فإنه يعافى بإذن الله تعالى. (٢).

علاج وجع الحصاه

عن محمد بن حكام، قال: حدثنا محمد بن النضر- مؤدب ولد أبي جعفر محمد بن علي بن موسى (عليهم السلام)- قال: شكوت إليه ما أجد من الحصاه، فقال:

«ويحك! أين أنت عن الجامع دواء أبي؟ فقلت: سيدي و مولاي أعطني صفته.

فقال: هو عندنا، يا جاريه أخرجي البستوقه الخضراء. قال: فأخرجت البستوقه، و أخرج منها مقدار حبه.

فقال: اشرب هذه الحبه بماء السداب(٣) أو بماء الفجل(٤) المطبوخ، فإنك تعافى منه» (٥).

قال: فشربته بماء السداب، فو الله ما أحسست بوجعه إلى يومنا هذا» (٦).

ص: ٢٢٧

١- ((١)) الكُمون (كتنور): حبّ مدرّ مجشّ هاضم طارد للرياح و ابتلاع ممضوغه بالملح يقطع اللّعب، و الكُمون الحلو الآيسون، و الحبشى شبيه بالشونيز، و الأرمنى الكوربا، و البرى الأسود. و قال فى الطبّ من الكتاب و السنّه: ١٤٧: حار يحلّ القولنج و يطرد الريح، و إذا نقع فى الخلّ و أكل قطع شهوه الطين و التراب و روى ليس شىء يدخل الجوف إلّا تغير إلّا الكُمون.

٢- ((٢)) راجع مستدرک عوالم العلوم و المعارف: ٣٦١/٢٣-٣٦٨.

٣- ((٣)) ذكر المجلسى فى بحار الأنوار: ١٤٥/٦٢: قال فى القانون(٣٨٨/١)، السداب الرطب حارّ يابس فى الثانى، و اليابس حارّ يابس فى الثالثه، و اليابس السرى حارّ يابس فى الرابعه، و عصارته المسخّنه فى قشور الرمان يقطر فى الأذن فينقىها و يسكن الوجع و الطنين و الدوى، و يقتل الدود، و يطلى به قروح الرأس، و يحدّ البصر خصوصا عصارته مع عصاره الرازيانج و العسل كحلا و أكلا، و قد يضمّد به مع السويق على ضربان العين (انتهى). و فى المعجم الوسيط: ١/٤٢٤-بالذال المعجمه-: جنس نباتات طبيه من الفصيله السداييه. و قيل: نبات ورقه كالصعتر و رائحته كريهه.

٤- ((٤)) الفجل: غذاؤه قليل و فيه حراره، و يفتح سدّد الكبد و يعين على الهضم و يعسر هضمه و أكله يولّد القمل. قاله فى الطبّ من الكتاب و السنّه: ١٤٠، و فى هامشه: يؤكل الفجل مع باقى المشهيات و المقبلات للطعام، و يحتوى على الفيتامين (C) و مدرّ للبول، يساعد على الهضم، و يكافح السعال.

٥- ((٥)) راجع هذا البحث فى مستدرک عوالم العلوم (الإمام محمد بن على الجواد): ٣٥٨/٢٣-٣٧٠.

٦- ((٦)) الكافى: ٩٩، عنه فى بحار الأنوار: ٢٤٩/٦٢ ح ١١، و مستدرک الوسائل: ١٦/٤٦٥ ح ٢٥.

إشاره

هذه مجموعه من الأدعيه الجليله رواها الإمام الجواد (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) عن الله عز و جل و هي بمثابة صحيفه الجواد (عليه السلام) في الدعاء و المناجاة.

روى السيد ابن طاووس باسناده الى أبي جعفر بن بابويه عن ابراهيم بن محمد بن الحارث النوفلي، قال:

«حدّثني أبي -و كان خادما لمحمد بن علي الجواد (عليه السلام): لَمَّا زوج المأمون أبا جعفر محمد بن علي بن موسى (عليهم السلام) ابنته، كتب اليه: إن لكل زوجة صداقا من مال زوجها، وقد جعل الله أموالنا في الآخرة، مؤجله مذخوره هناك، كما جعل أموالكم معجّله في الدنيا و كنتها هاهنا. و قد أمهت ابنتك: الوسائل الى المسائل، و هي مناجاه دفعها اليّ أبي، قال: دفعها اليّ أبي موسى، قال:

دفعها اليّ أبي جعفر، قال: دفعها اليّ محمد أبي، قال: دفعها اليّ علي بن الحسين أبي، قال: دفعها اليّ الحسين أبي. قال: دفعها اليّ الحسن أخي، قال: دفعها اليّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليهم)، قال: دفعها اليّ رسول الله (صلى الله عليه و آله)، قال: دفعها اليّ جبرئيل (عليه السلام)، قال: يا محمد... ربّ العزّه يقرئك السلام و يقول لك: هذه مفاتيح كنوز الدنيا و الآخرة، فاجعلها و سائلك الى مسائلك، تصل اليّ بغيتك و تنجح في طلبتك، فلا- تؤثرها في حوائج الدنيا فتبخس بها الحظّ في آخرتك. و هي عشر وسائل [الى عشر مسائل] تطرق بها أبواب الرغبات فتفتح، و تطلب بها الحاجات فتنجح و هذه نسختها» (١).

ص: ٢٢٨

١- المناجاة للاستخاره:

«بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم ان خيرتك فيما استخرتك فيه تنيل الرغائب، و تجزل المواهب، و تغنم المطالب، و تطيب المكاسب، و تهدي إلى أجمل المذاهب، و تسوق إلى أحمد العواقب، و تقى مخوف النوائب.

اللهم انى استخيرك فيما عزم رأبى عليه، و قادنى عقلى اليه، فسهّل اللهم منه ما توّعّر، و يسّر منه ما تعسّر، و اكفنى فيه المهمّ، و ادفع عني كلّ ملّم، و اجعل يا ربّ عواقبه غنما، و مخوفه سلما، و بعده قربا، و جذبه خصبا.

و أرسل اللهم إجابتي، و أنجح طلبتي، و افض حاجتي، و اقطع عني عوائقها، و امنع عني بوائقها، و اعطني اللهم لواء الظفر و الخيره فيما استخرتك، و وفور المغنم فيما دعوتك، و عوائد الافصال فيما رجوتك. و اقرنه اللهم بالنجاح، و خصّه بالصلاح، و أرني أسباب الخيره فيه واضحه، و اعلام غنمها لانه، و اشدّد خناق تعسرها، و انعش صريع تيسرها.

و بين اللهم ملتبسها و اطلق محتبسها، و مكن اسرها حتى تكون خيره مقبله بالغنم مزيله للغرم، عاجله للنفع، باقيه الصنع، إنك مليء بالمزيد، مبتدئ بالجوّد».

٢- المناجاة بالاستقاله:

«بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم إنّ الرجاء لسعه رحمتك أنطقني باستقالتك و الأمل لأناتك، و رفقتك شجعني على طلب أمانك و عفوك، و لى يا ربّ ذنوب قد واجهتها أوجه الانتقام، و خطايا قد لا حظتها أعين الاصطلام، و استوجبت بها على عدلك أليم العذاب، و استحققت باجتراحها مبير العقاب، و خفت تعويقها لإجابتي، و ردّها إياى عن قضاء حاجتي، و إبطالها لطلبتى، و قطعها لأسباب رغبتى، من أجل ما قد أنقض ظهري من ثقلها، و بهظنى من الاستقلال بحملها، ثمّ تراجعت ربّ الى حلمك عن الخاطئين، و عفوك عن المذنبين، و رحمتك للعاصين، فأقبلت بثقتى متوكّلا عليك، طارحا نفسى بين يديك، شاكيا بئى اليك، سائلا ما لا استوجه من تفريج الهمّ، و لا استحقه من تنفيس الهمّ، مستقيلا لك

إِنِّي، واثقا مولاي بك.

اللهم فامنن عليّ بالفرج، و تطوّل بسهولة المخرج، و ادلّني برأفتك على سمت المنهج، و أزلقني بقدرتك عن الطريق الاعوج، و خلّصني من سجن الكرب يا قاتلك، و اطلق أسرى برحمتك، و طل عليّ برضوانك، و جد عليّ يا حسانك، و أقلني عشرتي، و فرّج كربتي، و ارحم عبرتي، و لا تحجب دعوتي، و اشدّد بالاقاله أزرى، و قوّ بها ظهري، و أصلح بها أمرى، و أطل بها عمري، و ارحمني يوم حشري و وقت نشري، انك جواد كريم، غفور رحيم».

٣- المناجاة بالسفر:

«بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم إني أريد سفرا فخر لي فيه، و أوضح لي فيه سبيل الرأي، و فهمنيه، و افتح عزمي بالإستقامه، و اشملي في سفري بالسلامه، و أقدني جزيل الحظ و الكرامه، و اكلائي بحسن الحفظ و الحراسه، و جنبني اللهم و عتاء الأسفار، و سهّل لي حزنه الأوعار، و أطو لي بساط المراحل، و قرّب منّي بعد نأى المناهل، و باعدني في المسير بين خطى الرواحل، حتّى تقرب نياط البعيد، و تسهّل و عور الشديد.

و لّقني اللهم في سفري نجح طائر الواقيه، و هبني فيه غنم العافيه، و خفير الإستقلال، و دليل مجاوزه الاهوال، و باعث وفور الكفايه، و سانح خفير الولايه، و اجعله اللهم سبب عظيم السلم حاصل الغنم.

و اجعل الليل عليّ ستر من الآفات، و النهار مانعا من الهلكات، و اقطع عنيّ قطع لصوصه بقدرتك، و احرسني من وحوشه بقوّتك، حتى تكون السلامه فيه مصاحبتي، و العافيه مقاربتى، و اليمن سائقى، و اليسر معانقى، و العسر مفارقى، و الفوز موافقى، و الأمن مرافقى، انك ذو الطول و المنّ، و القوّه و الحول، و أنت على كلّ شيء قدير، و بعبادك بصير خبير».

٤- المناجاة فى طلب الرزق:

«بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم أرسل على سجال رزقك مدرارا، و أمطر على سحائب إفضالك غزارا، و آدم غيث نيلك التى سجالا، و أسبل مزيد نعمك على خلتي إسبالا، و أفقرني بجدوك اليك، و أغنني عمين يطلب ما لديك، و داو داء فقري بدواء فضلك، و انعش صرعه عيلتي بطولك، و تصدق على إقلالى بكثره عطائك، و على اختلالى بكريم حبايك، و سهّل ربّ سبيل الرزق التى، و ثبت قواعده لى، و بجس لى عيون سعته برحمتك، و فجر أنهار رغد العيش قبلى برأفتك، و أجذب أرض فقري، و أخصب جدب ضرى، و اصرف عنى فى الرزق العوائق، و اقطع عنى من الضيق العلائق، و ارمنى من سهم الرزق اللهم بأخصب سهامه، و أحنى من رغد العيش بأكثر دوامه، و اكسنى اللهم سراييل السعه، و جلايب الدعه فأتى يا ربّ منتظر لإنعامك بحذف المضيق، و لتطولك التعويق، و لتفضلك بإزاله التقتير، و لوصول حبلى بكرمك بالتيسير.

و أمطر اللهم على سماء رزقك بسجال الديم، و أغننى بعوائد النعم، و ارم مقاتل الإقتار منى، و احمل كشف الضر عنى على مطايا الإعجال، و اضرب عنى الضيق بسيف الاستيصال، و أتحنى ربّ منك بسعه الإفضال، و امددنى بنمو الاموال، و احرسنى من ضيق الإقلال.

و اقبض عنى سوء الجذب، و ابسط لى بساط الخصب، و اسقنى من ماء رزقك غدقا، و انهج لى عميم بذلك طرقا، و فاجئنى بالثروه و المال، و أنعشنى به من الإقلال، و صبحنى بالاستظهار، و مسنى بالتمكّن من اليسار، إنك ذو الطول العظيم، و الفضل العميم، و المنّ الجسيم و أنت الجواد الكريم.

٥- المناجاة بالاستعاذه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم انى اعوذ بك من ملّيات نوازل البلاء، و أهوال عظام الضراء، فأعدنى رب من صرعه البأساء، و احجبنى من سطوات البلاء، و نجنى من مفاجأه النقم و أجرنى من زوال النعم و من زلل القدم، و اجعلنى اللهم فى حياطه عزك، و حفاظ حرزك من مباحته الدوائر، و معاجله البوار.

اللهم رب، و أرض البلاء فاحسفها، و عرصه المحن فارجفها، و شمس النوائب فاكسفها، و جبال السوء فانسفها، و كرب الدهر فاكشفها، و عواقب الامور فاصرفها، و أوردنى حياض السلامه، و احملنى على مطايا الكرامه، و اصحبنى بإقاله العثره، و اشملنى بستر العوره.

و جد على يا رب بالائتك، و كشف بلائتك، و دفع ضرائك، و ادفع عنى كلاكل عذابك، و اصرف عنى أليم عقابك، و أعدنى من بوائق الدهور، و أنقذنى من سوء عواقب الامور، و احرسنى من جميع المحذور.

و اصدع صفات البلاء عن أمرى، و اشلل يده عنى مدى عمرى. إنك الرب المجيد، المبدئ المعيد، الفعّال لما تريد».

٦- المناجاة بطلب التوبه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم انى قصدت اليك يا خلاص توبه نصوح، و تثبيت عقد صحيح، و دعاء قلب قريح و اعلان قول صريح.

اللهم فتقبل منى مخلص التوبه، و اقبال سريع الأوبه، و مصارع تخشع الحوبه.

و قابل رب توبتى بجزيل الثواب، و كريم المآب، و حطّ العقاب، و صرف العذاب، و غنم الإياب، و ستر الحجاب.

و امح اللهم ما ثبت من ذنوبى، و اغسل بقبولها جميع عيوبى، و اجعلها جاليه لقلبى، شاخصه لبصيره لى، غاسله لدرنى، مطهره لنجاسه بدنى، مصححه فيها ضميرى، عاجله

الى الوفاء بها بصيرتى.

واقبل يا ربّ توبتى، فإنها تصدر من إخلاص نيتى، ومحض من تصحيح بصيرتى، واحتفال فى طويّتى واجتهاد فى نقاء سريرتى، و تثبيت لأنابتى، مسارعه الى أمرك بطاعتى.

واجل اللهم بالتوبه عني ظلمه الإصرار، وامح بها ما قدّمته من الاوزار، و اكسنى لباس التقوى، و جلايب الهدى، فقد خلعت ربق المعاصى عن جلدى، و نزعت سربال الذنوب عن جسدى، مستمسكا ربّ بقدرتك، مستعينا على نفسى بعزّتك، مستودعا توبتى من النكث بحضرتك، معتصما من الخذلان بعصمتك مقارنا به لا حول ولا قوه إلا بك.

٧- المناجاة بطلب الحج:

«بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم ارزقنى الحجّ الذى فرضته على من استطاع اليه سيلا. واجعل لى فيه هاديا و اليه دليلا، و قرب لى بعد المسالك.

و أعنى على تأديه المناسك، و حرّم بإحرامى على النار جسدى، و زد للسفر قوتى و جلدى، و ارزقنى ربّ الوقوف بين يديك، و الإفاضه اليك و اظفرنى بالنجح بوافر الريح.

و اصدرنى رب من موقف الحجّ الأكبر الى مزدلفه المشعر، و اجعلها زلفه الى رحمتك، و طريقا الى جنّتك، و قفنى موقف المشعر الحرام، و مقام وقوف الإحرام، و أهلى لتأديه المناسك، و نحر الهدى التوامك بدم يشحّ، و اوداج تمحّ، و اراقه الدماء المسفوحه، و الهدايا المذبوحه، و فرى اوداجها على ما أمرت، و التنفّل بها كما وسمت.

و أحضرنى اللهم صلاه العيد، راجيا للوعد، خائفا من الوعيد، حالقا شعر رأسى و مقصّرا، و مجتهدا فى طاعتك، مشمّرا، راميا للجمار، بسبع بعد سبع من الأحجار، و أدخلنى اللهم عرصه بيتك و عقوتك و أولجنى محلّ أمنك و كعبتك، و مشاكيبك و سؤالك و وفدك و محاويجك، و جد على اللهم بوافر الأجر، من الإنكفاء و النّفر، و اختم اللهم مناسك حجّى، و انقضاء عجّى، بقبول منك لى، و رأفه منك بى يا أرحم الراحمين».

٨- المناجاة بكشف الظلم:

«بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم إن ظلم عبادك قد تمكّن في بلادك، حتّى أمات العدل، وقطع السبل، ومحقّ الحقّ، وأبطل الصدق، وأخفى البرّ، وأظهر الشرّ، وأحمد التقوى، وأزال الهدى، وأزاح الخير، وأثبت الضير، وأنمى الفساد، وقوى العناد، وبسط الجور، وعدى الطور.

اللهم يا ربّ لا- يكشف ذلك إلا سلطانك، ولا يجير منه إلا امتنانك اللهم ربّ فابتر الظلم، وبتّ حبال الغشم، و اخمد سوق المنكر، وأعزّ من عنه ينزجر، واحصد شأفه اهل الجور، وأبسهم الحور بعد الكور.

و عجل اللهم إليهم البيات، وأنزل عليهم المثالات، وأمت حياه المنكر، ليؤمن المخوف، ويسكن الملهوف، ويشبع الجائع، ويحفظ الضائع، ويأوى الطريد، ويعود الشريد، ويغنى الفقير، ويجار المستجير، ويوقّر الكبير، ويرحم الصغير، ويعزّ المظلوم، ويذلّ الظالم، ويفرّج المغموّم، وتنفرج الغمّاء، وتسكن الدهماء، ويموت الاختلاف، ويحيى الائتلاف، ويعلو العلم، ويشمل السلم، ويجمع الشتات، ويقوى الإيمان، ويتلى القرآن، إنك أنت الديان، المنعم المّان».

٩- المناجاة بالشكر لله تعالى:

«بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم لك الحمد على مردّ نوازل البلاء، وتوالى سبوغ النعماء، وملّمت الضراء، وكشف نوائب اللأواء.

و لك الحمد ربّ على هنيئ عطائك، ومحمود بلائك، و جليل آلائك، و لك الحمد على إحسانك الكثير، وجودك الغزير، و تكليفك اليسير، و دفعك العسير.

و لك الحمد يا ربّ على تمييزك قليل الشكر، واعطائك وافر الأجر، و حطّك مثقل

الوزر، و قبولك ضيق العذر، و وضعك باهض الإصر، و تسهيلك موضع الوعر، و منعك مفتح الأمر.

و لك الحمد على البلاء المصروف، و وافر المعروف، و دفع المخوف، و إذلال العسوف.

و لك الحمد على قلّه التكليف، و كثره التخفيف، و تقويه الضعيف، و إغائه اللهيف، و لك الحمد رب على سعه إمهالك، و دوام افضالك، و صرف أمحالك، و حميد أفعالك، و توالى نوالك.

و لك الحمد على تأخير معاجله العقاب، و ترك مغافسه العذاب، و تسهيل طريق المآب، و إنزال غيث السحاب إنك المَنَّان الوهاب».

١٠- المناجاة لطلب الحوائج:

«بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم جدير من أمرته بالدعاء أن يدعوك، و من وعدته بالإجابة ان يرجوك.

ولى اللهم حاجه قد عمزت عنها حيلتي، و كَلت فيها طاقتي، و ضعفت عن مرامها قوتى، و سَوَلت لى نفسى الأماره بالسوء، و عدوى الغرور الذى أنا منه مبتلى، أن أرغب فيها الى ضعيف مثلى، و من هو فى النكول شكلى، حتّى تداركتنى رحمتك، و بادرتنى بالتوفيق رأفتك، و رددت علىّ عقلى بتطوّلك، و ألهمتني رشدى بتفضّلك، و أحيت بالرجاء لك قلبى، و أزلت خدعه عدوى من لئى، و صحّحت بالتأميل فكرى، و شرحت بالرجاء لإسعافك صدرى، و صوّرت لى الفوز ببلوغ ما رجوته، و الوصول الى ما أملتته فوقفت اللهم ربّ بين يديك سائلا- لك، ضارعا اليك، واثقا بك، متوكّلا عليك فى قضاء حاجتى، و تحقيق اميتتى، و تصديق رغبتى.

اللهم و أنجحها بأيمن النجاح و اهداها سبيل الفلاح، و اشرح بالرجاء لإسعافك

صدرى، و يسر في أسباب الخير أمرى، و صور اللى الفوز ببلوغ ما رجوته بالوصول الى ما أمّلته».

و وقّنى اللهم في قضاء حاجتى ببلوغ امتيتى، و تصديق رغبتى، و أعدنى اللهم بكرمك من الخيبه و القنوط، و الأناه و الشيطان بهنى اجابتك و سايع موهبتك.

اللهم إنك ملئ بالمنايح الجزيله، و فئ بها، و أنت على كل شىء قدير و بكل شىء محيط و بعبادك خبير بصير.

٧- في رحاب مواعظ الإمام الجواد (عليه السلام)

روى الحسن بن على بن شعبه الحرّانى فى باب مواعظ أبى جعفر الجواد (عليه السلام) أحاديث مرسله نذكرها فيما يلى:

١- قال له رجل: أوصنى؟ «قال (عليه السلام): و تقبل؟ قال: نعم. قال: توسّد الصبر و اعتق الفقر، و ارفض الشّهوات، و خالف الهوى، و اعلم أنك لن تخلو من عين الله فانظر كيف تكون» (١).

٢- قال (عليه السلام): «أوحى الله إلى بعض الأنبياء: أما زهدك فى الدنيا فتعجلك الرّاحه، و أما انقطاعك إلى فيعزّك بى، و لكن هل عادت لى عدوا و واليت لى وليا» (٢).

٣- روى أنه حمل له حمل بزّ له قيمه كثيره، فسل فى الطّريق، فكتب إليه الذى حمّله يعرفه الخبر، فوقع بخطه: «إن أنفسنا و أموالنا من مواهب الله الهنيئه و عواريه المستودعه يمتّع بما متّع منها فى سرور و غبطه و يأخذ ما أخذ منها فى أجر و حسبه.

فمن غلب جزعه على صبره حبط أجره و نعوذ بالله من ذلك» (٣).

ص: ٢٣٦

١- (١) تحف العقول: ٣٣٥.

٢- (٢) تحف العقول: ٣٣٥.

٣- (٣) تحف العقول: ٣٣٥.

٤- وقال (عليه السلام): «من شهد أمرا فكرهه كان كمن غاب عنه، ومن غاب عن أمر فرضيه كان كمن شهده» (١).

٥- وقال (عليه السلام): «من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله؛ وإن كان الناطق ينطق عن لسان إبليس فقد عبد إبليس» (٢).

٦- قال له أبو هاشم الجعفرى فى يوم تزوج أم الفضل ابنه المأمون:

«يا مولاى لقد عظمت علينا بركه هذا اليوم. فقال (عليه السلام): يا أبا هاشم عظمت بركات الله علينا فيه؟ قلت: نعم يا مولاى، فما أقول فى اليوم؟ فقال: قل فيه خيرا، فإنه يصيبك. قلت: يا مولاى أفعل هذا ولا أخالفه. قال (عليه السلام): إذا ترشد ولا ترى إلا خيرا» (٣).

٧- وكتب (عليه السلام) إلى بعض أوليائه: «أما هذه الدنيا فإننا فيها مغترفون ولكن من كان هواه هوى صاحبه و دان بدينه فهو معه حيث كان، والآخرة هى دار القرار» (٤).

٨- وقال (عليه السلام): «تأخير التوبه اغترار، وطول التسويف حيره، والاعتلال على الله هلكه، والإصرار على الذنب أمن لمكر اللهفلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون» (٥).

٩- وروى أن جمالا- حمله من المدينه إلى الكوفه فكلمه فى صلته وقد كان أبو جعفر (عليه السلام) وصله بأربعمائه دينار، فقال (عليه السلام): «سبحان الله؛ أما علمت أنه لا

ص: ٢٣٧

١- ((١)) تحف العقول: ٣٣٦.

٢- ((٢)) تحف العقول: ٣٣٦.

٣- ((٣)) تحف العقول: ٣٣٦.

٤- ((٤)) تحف العقول: ٤٥٦.

٥- ((٥)) تحف العقول: ٤٥٦.

ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العباد».(١)

١٠- وقال (عليه السلام): «إظهار الشيء قبل أن يستحكم مفسده له».(٢)

١١- وقال (عليه السلام): «المؤمن يحتاج إلى توفيق من الله و واعظ من نفسه و قبول ممن ينصحه».(٣)

١٢- روى الشيخ المفيد باسناده عن علي بن مهزيار، عن بكر بن صالح قال: كتب صهر لي إلى أبي جعفر الثاني صلوات الله عليه: إن أبي ناصب خبيث الرأى، و قد لقيت منه شدة و جهدا، فأريك - جعلت فداك - في الدعاء لي، و ما ترى - جعلت فداك -؟ أفترى أن أكشفه أم اداريه؟

فكتب (عليه السلام): «قد فهمت كتابك و ما ذكرت من أمر أبيك، و لست أدع الدعاء لك إن شاء الله، و المداراه خير لك من المكاشفه، و مع العسر يسر، فاصبر فإن العاقبه للمتقين.

ثبتك الله على ولايه من توليت، نحن و أنتم في وديعه الله الذى لا تضيع و دائعه».

قال بكر: فعطف الله بقلب أبيه [عليه] حتى صار لا يخالفه فى شيء.(٤)

١٣- وقال: «ملاقاه الإخوان نشره و تلقيح للعقل و إن كان نزرا قليلا».(٥)

١٤- عن أبي هاشم الجعفرى قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: «إن فى الجنة بابا يقال له المعروف لا يدخله إلا أهل المعروف فحمدت الله تعالى فى نفسى و فرحت بما اتكلف من حوائج الناس، فنظر الئى (عليه السلام)، فقال: نعم تم على ما انت عليه فإن أهل المعروف فى دنياهم هم أهل المعروف فى الآخرة جعلك الله منهم يا أبا هاشم

ص: ٢٣٨

١- ((١)) تحف العقول: ٣٣٥.

٢- ((٢)) تحف العقول: ٣٣٦.

٣- ((٣)) تحف العقول: ٣٣٦.

٤- ((٤)) امالى المفيد: ١٩١.

٥- ((٥)) امالى المفيد: ٣٢٩.

١٥- عنه، عن أبي هاشم الجعفرى قال: «سأل محمد بن صالح الأرمنى عن قول الله تعالى: لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ فقال (عليه السلام): من قبل ان يأمر و لله الأمر من بعد ان يأمر بما يشاء»، فقلت فى نفسى: هذا تأويل قول الله تعالى: أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ فقلت: اشهد أنك حجّه الله و ابن حجّته على العباد». (٢)

١٦- و قال (عليه السلام): «من أطاع هواه أعطى عدوّه مناه».

١٧- و قال (عليه السلام): «راكب الشهوات لا تستقال له عشره». (٣)

١٨- و قال (عليه السلام): «نعمه لا تشكر كسيئه لا تغفر». (٤)

١٩- و قال (عليه السلام): «كيف يضيع من الله كافله، و كيف ينجو من الله طالبه، و من انقطع الى غير الله و كله الله اليه». (٥)

٢٠- و قال (عليه السلام): «أتند تصب أو تكدّ». (٦)

٢١- و قال (عليه السلام): «من لم يعرف الموارد أعيته المصادر». (٧)

٢٢- و قال (عليه السلام): «من انقاد إلى الطمأنينه قبل الخبره، فقد عرض نفسه للهلكه و العاقبه المتعبه». (٨)

١- ((١) الثاقب فى المناقب: ٢٢٦.

٢- ((٢) الثاقب فى المناقب: ٢٢٦.

٣- ((٣) بحار الأنوار: ٧٨/٧٠.

٤- ((٤) بحار الأنوار: ٥٣/٧١.

٥- ((٥) بحار الأنوار: ١٥٥/٧١.

٦- ((٦) بحار الأنوار: ٣٤٠/٧١.

٧- ((٧) بحار الأنوار: ٣٤٠/٧١.

٨- ((٨) بحار الأنوار: ٣٤٠/٧١.

٢٣- وقال (عليه السلام): «من هجر المداراه قاربه المكروه».(١)

٢٤- وقال (عليه السلام): «اياك و مصاحبه الشرير فإنه كالسيف المسلول يحسن منظره و يقبح أثره».(٢)

٢٥- وقال (عليه السلام): «عزّ المؤمن غناه عن الناس».(٣)

٢٦- وقال (عليه السلام): «لا يضرك سخط من رضاه الجور».(٤)

٢٧- وقال (عليه السلام): «كفى بالمرء خيانه ان يكون أميناً للخونه».(٥)

٢٨- وقال (عليه السلام): «من عمل على غير علم ما يفسد اكثر مما يصلح».(٦)

٢٩- وقال (عليه السلام): «القصد الى الله تعالى بالقلوب ابلغ من اتعاب الجوارح بالاعمال».(٧)

٣٠- وقال (عليه السلام): «من عتب من غير ارتياب عتب من غير استعتاب».(٨)

٣١- وقال (عليه السلام): «الثقه بالله ثمن لكلّ غال و سلّم الى كلّ عال».(٩)

٣٢- وقال (عليه السلام): «اذا نزل القضاء ضاق الفضاء».(١٠)

٣٣- وقال (عليه السلام): «غنى المؤمن غناه عن الناس».(١١)

ص: ٢٤٠

١- ((١)) بحار الأنوار: ٣٤١/٧١.

٢- ((٢)) بحار الأنوار: ١٩٨/٧٤.

٣- ((٣)) بحار الأنوار: ١٠٩/٧٥.

٤- ((٤)) بحار الأنوار: ٣٨٠/٧٥.

٥- ((٥)) بحار الأنوار: ٣٨٠/٧٥.

٦- ((٦)) بحار الأنوار: ٣٤٦/٧٨.

٧- ((٧)) بحار الأنوار: ٣٦٤/٧٨.

٨- ((٨)) بحار الأنوار: ٣٦٤/٧٨.

٩- ((٩)) بحار الأنوار: ٣٦٤/٧٨.

١٠- ((١٠)) بحار الأنوار: ٣٦٤/٧٨.

١١- ((١١)) بحار الأنوار: ٣٦٤/٧٨.

٣٤- وقال (عليه السلام): «من لم يرض من اخيه بحسن التيه لم يرض بالعطيه». (١)

٣٥- وقال (عليه السلام): «قد عاداك من ستر عنك الرشد اتباعا لما تهواه». (٢)

٣٦- وقال (عليه السلام): «الحوائج تطلب بالزجاء و هي تنزل بالقضاء، و العافيه أحسن عطاء». (٣)

٣٧- وقال (عليه السلام): «لا تعادى أحدا حتى تعرف الذى بينه و بين الله تعالى، فإن كان محسنا فإنه لا يسلمه إليك و إن كان مسيئا فإن علمك به يكفيكه فلا تعاده». (٤)

٣٨- وقال (عليه السلام): «لا تكن وليا لله فى العلانيه، عدوا له فى السر». (٥)

٣٩- وقال (عليه السلام): «التحفظ على قدر الخوف». (٦)

٤٠- وقال (عليه السلام): «الأيام تهتك لك الأمر عن الأسرار الكامنه». (٧)

٤١- وقال (عليه السلام): «تعرف عن الشئ إذا صنعت له لقله صحبتته إذا أعطيته». (٨)

٤٢- عن أبى جعفر محمد بن على بن موسى عن أبيه على عن أبيه موسى عن آبائه عن على (عليه السلام). قال: «بعثنى النبى (صلّى الله عليه و آله) الى اليمن فقال لى و هو يوصينى:

يا على ما خاب من استخار، و لا ندم من استشار، يا على عليك بالدلجه فإن الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار، يا على اغد بسم الله فإن الله بارك لامتى فى بكورها». (٩)

٤٣- عنه (عليه السلام) قال: «من استفاد أخا فى الله فقد استفاد بيتا فى الجنة».

ص: ٢٤١

١- (١) بحار الأنوار: ٣٦٤/٧٨.

٢- (٢) بحار الأنوار: ٣٦٤/٧٨.

٣- (٣) بحار الأنوار: ٣٦٥/٧٨.

٤- (٤) بحار الأنوار: ٣٦٥/٧٨.

٥- (٥) بحار الأنوار: ٣٦٥/٧٨.

٦- (٦) بحار الأنوار: ٣٦٥/٧٨.

٧- (٧) بحار الأنوار: ٣٦٥/٧٨.

٨- (٨) بحار الأنوار: ٣٦٥/٧٨.

٩- (٩) تاريخ بغداد: ٥٤/٣، و الوفيات: ٣١٥/٣.

٤٤- عنه (عليه السلام) انه قال: «لو كانت السموات و الارض رتقا على عبد ثم اتقى الله تعالى لجعل منها مخرجا».

٤٥- و قال (عليه السلام): «انه من وثق بالله أراه السرور».

٤٦- و قال (عليه السلام): «من توكل على الله كفاه الامور».

٤٧- و قال (عليه السلام): «الثقه بالله حصن لا يتحصن فيه إلا المؤمن».

٤٨- و قال (عليه السلام): «التوكل على الله نجاه من كل سوء و حرز من كل عدو».

٤٩- و قال (عليه السلام): «الدين عز و العلم كنز و الصمت نور و غايه الزهد الورع و لا هدم للدين مثل البدع و لا افسد للرجال من الطمع و بالراعى تصلح الرعيه و بالدعاء تصرف البليه».

٥٠- و قال (عليه السلام): «من ركب مركب العمر اهتدى الى مضمار النصر و من شتم اجيب و من غرس اشجار التقى اجتنى أثمار المنى».

٥١- و قال (عليه السلام): «اربع خصال تعين المرء على العمل، الصحة و الغنى و العلم و التوفيق».

٥٢- و قال (عليه السلام): «ان لله عبادا يخصّهم بدوام النعم فلا تزال فيهم ما بدلوا لها فإذا منعوها نزعها عنهم و حوّلها الى غيرهم».

٥٣- و قال (عليه السلام): «أهل المعروف الى اصطناعه احوج من أهل الحاجه اليه لأن لهم اجره و فخره و ذكره فما اصطنع الرجل من معروف فإنما يبدأ فيه بنفسه».

٥٤- و قال (عليه السلام): «من أمل انسانا هابه و من جهل شيئا عابه و الفرصه خلسه و من كثر همّه سقم جسده و عنوان صحيفه المسلم حسن خلقه».

٥٥- و قال (عليه السلام) فى موضع آخر: «عنوان صحيفه السعيد حسن الثناء عليه».

٥٦- و قال (عليه السلام): «الجمال فى اللسان و الكمال فى العقل».

٥٧- قال (عليه السلام): «العفاف زينه الفقر، والشكر زينه الغنى، والصبر زينه البلا، والتواضع زينه الحسب، والفصاحة زينه الكلام، والحفظ زينه الروايه، وخفض الجناح زينه العلم، وحسن الأدب زينه العقل، وبسط الوجه زينه الكرم، وترك المن زينه المعروف، والخشوع زينه الصلوه، والتنفل زينه القناعه، وترك ما يعنى زينه الورع».

٥٨- قال (عليه السلام): «حسب المرء من كمال المروه ان لا يلقى أحدا بما يكره، ومن حسن خلق الرجل كفه أذاه، ومن سخائه بره بمن يجب حقه عليه، ومن كرمه ايشاره على نفسه، و من صبره قله شكواه، و من عقله انصافه من نفسه، و من انصافه قبول الحق اذا بان له، و من نصحه نهيه عما لا يرضاه لنفسه، و من حفظه لجوارك تركه توبيخك عند اشنانك مع علمه بعيوبك، و من رفقته تركه عدلك بحضره من تكرهه، و من حسن صحبتته لك كثره موافقته و قله مخالفته، و من شكره معرفته احسان من احسن اليه و من تواضعه معرفته بقدره، و من سلامته قله حفظه لعيوب غيره و عنايته بصلاح عيوبه».

٥٩- قال (عليه السلام): «العامل بالظلم و المعين له و الراضى شركاء» (١).

٦٠- قال (عليه السلام): «يوم العدل على الظالم اشد من يوم الجور على المظلوم».

٦١- قال (عليه السلام): «من اخطأ وجوه المطالب خذلته وجوه الحيل و الطامع فى وثاق الذلّ و من طلب البقاء فليعد للمصائب قلبا صبورا».

٦٢- قال (عليه السلام): «العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم».

٦٣- قال (عليه السلام): «الصبر على المصيبه مصيبه للشامت».

٦٤- قال (عليه السلام): «مقتل الرجل بين فكيه و الرأى مع الأناه و بئس الظهر و بئس الظهر الرأى القصير الرأى الفطير».

٦٥- قال (عليه السلام): «ثلاث خصال تجلب بها الموده: الانصاف و المعاشره

ص: ٢٤٣

والمواساه و الشده و الانطواء على قلب سليم».

٦٦- وقال (عليه السلام): «الناس اشكال و كل يعمل على شاكلته، و الناس اخوان فمن كانت اخوته في غير ذات الله تعالى فإنها تعود عداوه، و ذلك قوله عز و جل: الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ».

٦٧- وقال (عليه السلام): «من استحسّن قبيحا كان شريكا فيه».

٦٨- وقال (عليه السلام): «كفر النعمه داعيه للمقت و من جازاك بالشكر فقد اعطاك اكثر مما أخذ منك».

٦٩- وقال (عليه السلام): «لا تفسد الظن على صديق قد اصلحك اليقين له، و من وعظ أخاه سرًا فقد زانه و من وعظه علانيه فقد شانه».

٧٠- وقال (عليه السلام): «كل الشريف من شرفه علمه و السؤدد كل السؤدد لمن اتقى الله ربه».

٧١- وقال (عليه السلام): «لا تعالجوا الأمر قبل بلوغه فتندموا و لا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم و ارحموا ضعفاءكم و اطلبوا من الله الرحمه بالرحمه فيهم».

٧٢- وقال (عليه السلام): «من أتمل فاجرا كان أدنى عقوبته الحرمان».

٧٣- وقال (عليه السلام): «موت الانسان بالذنوب اكثر من موته بالأجل و حياته بالبر أكثر من حياته بالعمر (١)».

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ص: ٢٤٤

مقدمه المجمع العالمى لأهل البيت (عليهم السلام) ٧

الباب الأول الفصل الأول: الإمام الجواد (عليه السلام) فى سطور ١٧

الفصل الثانى: انطباعات عن شخصيه الإمام الجواد (عليه السلام) ١٩

الفصل الثالث: مظاهر من شخصيه الإمام محمّد الجواد (عليه السلام) ٢٧

أ- تكلمه فى المههد ٢٧

ب- إتيانه الحكم صبيا ٢٩

ج- علمه ٣٠

د- عبادته و نسكه ٣٨

هـ- معجزاته و كراماته (عليه السلام) ٤٢

و- من مكارم أخلاقه الاجتماعيه ٤٤

الباب الثانى الفصل الأول: نشأه الإمام الجواد (عليه السلام) ٥١

الفصل الثانى: مراحل حياه الإمام الجواد (عليه السلام) ٥٣

ص: ٢٤٥

الفصل الثالث: الإمام الجواد (عليه السلام) في ظل أبيه (عليه السلام) ٥٥ سياسة العباسيين مع الرعية ٥٦

الحالة السياسيّه في هذه المرحله ٥٩

محمّد الأمين: نزعاته و سياسته ٦٠

١- كراهيه للعلم ٦٠

٢- ضعف الرأى ٦٠

٣- احتجاجابه عن الرعيه ٦١

٤- خلعه للمأمون ٦٢

الحروب الطاحنه ٦٢

قتل الأمين ٦٣

خلافه إبراهيم الخليج ٦٤

ثوره أبى السرايا ٦٤

عبد الله المأمون: نزعاته و سياسته ٦٦

من أبرز نزعات المأمون و صفاته ٦٦

١- الدهاء ٦٦

٢- القسوه ٦٧

٣- الغدر ٦٧

٤- ميله الى اللهو ٦٧

٥- تظاهره بالتشيع ٦٨

أ-رد فدك للعلويين ٦٨

ص: ٢٤٦

ب- تفضيل الإمام على بن أبي طالب (عليه السلام) على الصحابه ٦٨

ج- ولايه العهد للإمام الرضا (عليه السلام) ٦٩

وقفه عند سلوك المأمون و نزعاته ٧٠

التحديات التي واجهت حكم المأمون ٧١

العلاقه بين الإمام الرضا (عليه السلام) و المأمون ٧٣

طبيعته حكم المأمون ٧٩

اشتهاد الرضا (عليه السلام) و النص على إمامه الجواد (عليه السلام) ٨١

الإمام الجواد (عليه السلام) عند استشهاده أبيه ٨٣

الباب الثالث الفصل الأول: ملامح عصر الإمام الجواد (عليه السلام) ٩١

١- الحياه الثقافيه ٩١

المراكز الثقافيه ٩٢

العلوم السائده ٩٤

ترجمه الكتب ٩٨

المعاهد و المكتبات ٩٩

الخرائط و المراصد ٩٩

٢- الحياه السياسيه ١٠٠

منهج الحكم ١٠٠

الخلافه و الوراثه ١٠١

تصرفات شاذه ١٠١

الوزاره ١٠٢

اضطهاد العلويين ١٠٤

ص: ٢٤٧

مشكله خلق القرآن ١٠٥

٣-الحياه الاقتصاديه ١٠٦

واردات الدوله ١٠٧

التهالك على جمع المال ١٠٧

تضخم الثروات ١٠٨

نفقات المأمون فى زواجه ١٠٨

اقتناء الجوارى ١١٠

التفنن فى البناء ١١١

أثاث البيوت ١١١

الثياب و ألوان الطعام ١١٢

مخلفات العباسيين من الأموال ١١٣

حياه اللهو و الطرب ١١٣

التقشف و الزهد ١١٤

الفصل الثانى:الإمام الجواد(عليه السلام)و حكام عصره ١١٧-١-المأمون العباسى ١١٧

توزيع المأمون ابنته من الإمام الجواد(عليه السلام) ١١٧

حقيقه العلاقه بين الإمام(عليه السلام)و المأمون ١٢٤

السبب فى توزيع المأمون ابنته للإمام الجواد(عليه السلام) ١٢٧

موقف العباسيين ١٢٨

موقف الإمام الجواد(عليه السلام)من ابن الأئتم ١٢٨

مدته إمامه الجواد(عليه السلام)فى عهد المأمون ١٢٩

ص:٢٤٨

٢-المعتصم العباسي ١٢٩

المعتصم و الطليعه الإسلاميه الواعيه ١٣٠

الإمام الجواد(عليه السّلام)و المعتصم ١٣١

أ-استقدام الإمام(عليه السّلام)الى بغداد ١٣١

ب-اغتيال الإمام الجواد(عليه السّلام) ١٣١

استشهاد الإمام الجواد(عليه السّلام) ١٣٥

تجهيزه و دفنه ١٤٠

عمره و تاريخ استشهاده ١٤١

الفصل الثالث:متطلبات عصر الإمام الجواد(عليه السّلام) ١٤٣ الباب الرابع الفصل الأوّل:الإمام الجواد(عليه السّلام)و متطلبات الساحة الإسلاميه

العامة ١٤٩ ١-أهل البيت(عليهم السّلام)و القياده الرساليه ١٤٩

٢-الساحة الإسلاميه و ظاهره الإمامه المبكره فى مدرسه أهل البيت(عليهم السّلام) ١٥٥

٣-الإمام الجواد و المفاهيم المنحرفه عند الامه ١٦١

٤-الإمام الجواد(عليه السّلام)و التوجّه الى هموم أبناء الامه الإسلاميه ١٦٤

الفصل الثانى:الإمام الجواد(عليه السّلام)و متطلبات الجماعه الصالحه ١٦٧ ١-الإمام الجواد(عليه السّلام)يعالج ظاهره التشكيك يامامته ١٦٧

٢-الإمام الجواد(عليه السّلام)و البناء الثقافى للجماعه الصالحه ١٧١

أ-تعميق البناء الفكرى ١٧١

الدعوه الى التوحيد الخالص ١٧١

ص:٢٤٩

مكافحه الغلو ١٧٤

ب-تعميق البناء العلمى ١٧٥

اكمال الأدوات و المنهج العلمى ١٧٦

الإجابة على الاستفتاءات الفقهيّه و الاستفسارات العلميه ١٧٨

ج-تعميق البناء التربوى ١٨١

الحكمه فى العمل ١٨١

التعامل مع الظالمين ١٨٢

النشاط الاجتماعى ١٨٣

وصايا للعاملين ١٨٥

الحث على اكتساب العلم ١٨٦

الحث على التوبه ١٨٧

٣-إحكام تنظيم الجماعه الصالحه و اعدادها لدور الغيبه ١٨٨

أ-نظام الوكلاء و دقه التحرك ١٨٨

ب-المراسلات السريه ١٨٩

ج-الاحاطه بدقائق الامور الاجتماعيه ١٩٠

د-متابعه تربيه الأفراد ١٩١

٤-التمهيد لإمامه على الهادى (عليه السلام) المبكره ١٩١

٥-الإمام الجواد (عليه السلام) و قضيه الإمام المهدي (عليه السلام) ١٩٤

الفصل الثالث:مدرسه الإمام الجواد (عليه السلام) و تراثه ١٩٧ البحث الأول:أصحاب الإمام الجواد (عليه السلام) ١٩٧

البحث الثانى:تراث الإمام الجواد (عليه السلام) ٢١٠

ص: ٢٥٠

١- من تراثه التفسيري ٢١٠

٢- من تراثه الكلامي ٢١١

٣- من تراثه الفقهي ٢١٤

٤- من تراثه التاريخي ٢١٦

٥- الطب في تراث الإمام الجواد (عليه السلام) ٢١٩

٦- الدعاء في تراث الإمام الجواد (عليه السلام) ٢٢٨

٧- في رحاب مواعظ الإمام الجواد (عليه السلام) ٢٣٦

الفهرس التفصيلي ٢٤٥

ص: ٢٥١

عنوان و نام پديدآور: اعلام الهدايع/المولف لجنه التاليف في المعاونه الثقافيه للمجمع العالمى لاهل البيت (ع).

مشخصات نشر: بيروت: المجمع العالمى لاهل البيت (ع)، المعاونه الثقافيه، ١٤٣٠ق. = ١٣٨٩.

مشخصات ظاهري: ١٤ج.

يادداشت: عربى.

يادداشت: چاپ ششم.

يادداشت: كتابنامه.

مندرجات: ج. ١. محمد المصطفى صلى الله عليه و آله و سلم خاتم الانبياء. ج. ٢. أميرالمومنين على بن أبى طالب عليه السلام. ج. ٣. سيده النساء فاطمه الزهراء عليه السلام. ج. ٤. الامام الحسن المجتبى عليه السلام. ج. ٥. الامام الحسين عليه السلام سيدالشهداء. ج. ٦. الامام على بن الحسين زين العابدين عليه السلام. ج. ٧. الامام محمدبن على الباقر عليه السلام. ج. ٨. الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام. ج. ٩. الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام. ج. ١٠. الامام على بن موسى الرضا عليه السلام. ج. ١١. الامام محمد بن على الجواد عليه السلام. ج. ١٢. الامام على بن محمد الهادي عليه السلام. ج. ١٣. الامام الحسن العسكري عليه السلام. ج. ١٤. خاتم الاوصياء الامام المهدي عليه السلام.

موضوع: چهارده معصوم -- سرگذشتنامه

شناسه افزوده: مجمع جهانى اهل بيت (ع). معاونت فرهنگى

رده بندى كنگره: BP٣٦/الف ٥٨ ١٣٨٩

رده بندى ديويى: ٢٩٧/٩٥

شماره كتابشناسى ملي: ٣٨٦٢٢٥٤

ص: ١

الباب الأول:

الفصل الأول: الإمام على بن محمد الهادى (عليه السلام) فى سطور ١٧

الفصل الثانى: انطباعات عن شخصيه الإمام الهادى (عليه السلام) ٢١

الفصل الثالث: مظاهر من شخصيه الإمام الهادى (عليه السلام) ٢٧

الباب الثانى:

الفصل الأول: نشأه الإمام الهادى (عليه السلام) ٣٩

الفصل الثانى: مراحل حياه الإمام الهادى (عليه السلام) ٤١

الفصل الثالث: الإمام الهادى (عليه السلام) فى ظل أبيه (عليه السلام) ٤٣

الباب الثالث:

الفصل الأول: المسيره الرساليه لأهل البيت (عليهم السلام) منذ عصر الرسول (صلّى الله عليه و اله) حتى عصر الإمام الهادى (عليه السلام) ٦٥

الفصل الثانى: عصر الإمام محمد بن على الهادى (عليه السلام) ٧٩

الفصل الثالث: ملامح عصر الإمام الهادى (عليه السلام) ١١٩

الباب الرابع:

الفصل الأول: متطلبات عصر الإمام الهادى (عليه السلام) ١٣٣

الفصل الثانى الإمام الهادى (عليه السلام) و تكامل بناء الجماعه الصالحه. ١٥٥

الفصل الثالث: الإمام الهادى (عليه السلام) فى ذمه الخلود ١٩٣

الفصل الرابع: مدرسه الإمام الهادى (عليه السلام) و تراثه ٢٠١

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداه لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء وسيد الرسل والأصفياء أبو القاسم المصطفى محمد (صلى الله عليه و اله) وعلى آله الميامين النجباء.

لقد خلق الله الانسان و زوّده بعنصرى العقل و الإراده، فبالعقل يبصر و يكتشف الحقّ و يميّزه عن الباطل، و بالإراداه يختار ما يراه صالحا له و محققا لأغراضه و أهدافه.

و قد جعل الله العقل المميّز حجه له على خلقه، و أعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته؛ فإنّه هو الذى علّم الإنسان ما لم يعلم، و أرشده إلى طريق كماله اللائق به، و عزّفه الغايه التى خلقه من أجلها، و جاء به إلى هذه الحياه الدنيا من أجل تحقيقها.

و أوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحه معالم الهدايه الربانيه و آفاقها و مستلزماتنا و طرقها، كما بيّن لنا عللها و أسبابها من جهه، و أسفر عن ثمارها و نتائجها من جهه أخرى.

قال تعالى:

ص: ٧

قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى [الانعام(٦):٧١].

وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [البقره(٢):٢١٣].

وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ [الاحزاب(٣٣):٤].

وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [آل عمران(٣):١٠١].

قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ [يونس(١٠):٣٥].

وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَ يَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ [سبأ(٣٤):٦].

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ [القصص(٢٨):٥٠].

فإنَّه تعالى هو مصدر الهدايه. و هدايته هي الهدايه الحقيقيه، و هو الذى يأخذ بيد الانسان إلى الصراط المستقيم و إلى الحق القويم.

و هذه الحقائق يؤيدها العلم و يدر كها العلماء و يخضعون لها بملء وجودهم.

و لقد أودع الله فى فطره الانسان النزوع إلى الكمال و الجمال ثم منَّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللاتق به، و أسبغ عليه نعمه التعرّف على طريق الكمال، و من هنا قال تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات(٥١):٥٦].

و حيث لا تتحقّق العباده الحقيقيه من دون المعرفه، صارت المعرفه و العباده طريقا منحصرًا و هدفا و غايه موصله إلى قمّه الكمال.

و بعد أن زوّد الله الانسان بطاقتى الغضب و الشهوه ليوفر له وقود الحركه نحو الكمال؛ لم يؤمن عليه من سيطره الغضب و الشهوه؛ و الهوى الناشئ منهما، و الملازم لهما فمن هنا احتاج الانسان-بالإضافه إلى عقله و سائر

أدوات المعرفة-الى ما يضمن له سلامه البصيره و الرؤيه؛كى تتم عليه الحجّه، و تكمل نعمه الهدايه،و تتوفّر لديه كلّ الأسباب التى تجعله يختار طريق الخير و السعاده،أو طريق الشرّ و الشقاء بملء إرادته.

و من هنا اقتضت سنّه الهدايه الربّانيه أن يسند عقل الانسان عن طريق الوحي الإلهي،و من خلال الهداه الذين اختارهم الله لتولّى مسؤوليه هدايه العباد و ذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفه و إعطاء الارشادات اللازمه لكلّ مرافق الحياه.

و قد حمل الأنبياء و أوصياؤهم مشعل الهدايه الربّانيه منذ فجر التاريخ و على مدى العصور و القرون،و لم يترك الله عباده مهملين دون حجه هاديه و علم مرشد و نور مضىء،كما أفصحت نصوص الوحي-مؤيّده لدلائل العقل-بأنّ الأرض لا تخلو من حجه لله على خلقه،لئلا يكون للناس على الله حجّه،فالحجّه قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق،و لو لم يبق فى الأرض إلاّ اثنان لكان أحدهما الحجّه،و صرّح القرآن-بشكل لا يقبل الريب-قائلاً:

إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ [الرعد(١٣):٧].

و يتولّى أنبياء الله و رسله و أوصياؤهم الهداه المهديون مهمّه الهدايه بجميع مراتبها،و التى تتلخّص فى:

١-تلقى الوحي بشكل كامل و استيعاب الرساله الإلهيه بصوره دقيقه.

و هذه المرحله تتطلّب الاستعداد التام لتلقى الرساله،و من هنا يكون الاصطفاء الإلهي لرسله شأناً من شؤونه،كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلاً:

اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ [الانعام(٦):١٢٤] و اللَّهُ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ [آل عمران(٣):١٧٩].

٢- إِبْلَاحُ الرِّسَالَةِ الإِلَهِيَّةِ إِلَى البَشَرِيَّةِ وَ لَمَنْ ارْسَلُوا إِلَيْهِ، وَ يَتَوَقَّفُ الإِبْلَاحُ عَلَى الكِفَاءَةِ التَّامَّةِ الَّتِي تَتِمُّثَلُ فِي «الإِسْتِيعَابِ وَ الإِحَاطَةِ اللّازِمَةِ» بِتَفَاصِيلِ الرِّسَالَةِ وَ أَهْدَافِهَا وَ مَتَطَلِّبَاتِهَا، وَ «العِصْمَةِ» عَنِ الخَطَأِ وَ الانْحِرَافِ مَعًا، قَالَ تَعَالَى: كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ [البقره (٢): ٢١٣].

٣- تَكْوِينُ امَّةٍ مُؤْمِنَةٍ بِالرِّسَالَةِ الإِلَهِيَّةِ، وَ إِعْدَادُهَا لِدَعْمِ القِيَادَةِ الهَادِيَةِ مِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِ أَهْدَافِهَا وَ تَطْبِيقِ قَوَانِينِهَا فِي الحَيَاةِ، وَ قَدْ صرَّحَتْ آيَاتُ الذِّكْرِ الحَكِيمِ بِهَذِهِ المَهْمَةِ مَسْتَحْدِمَةً عُنْوَانِي التَّرْكِيبِ وَ التَّعْلِيمِ، قَالَ تَعَالَى: يُزَكِّهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ [الجمعه (٦٢): ٢] وَ التَّرْكِيبُ هِيَ التَّرْبِيَةُ بِاتِّجَاهِ الكِمَالِ اللَّائِقِ بِالإِنْسَانِ. وَ تَتَطَلَّبُ التَّرْبِيَةُ القِدْوَةَ الصَّالِحَةَ الَّتِي تَتَمَتَّعُ بِكُلِّ عُنَاوَرِ الكِمَالِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [الاحزاب (٣٣): ٢١].

٤- صِيَانَةُ الرِّسَالَةِ مِنَ الزَّيْغِ وَ التَّحْرِيفِ وَ الضِّيَاعِ فِي الفَتْرَةِ المَقْرَّرَةِ لَهَا، وَ هَذِهِ المَهْمَةُ أَيْضًا تَتَطَلَّبُ الكِفَاءَةَ العِلْمِيَّةَ وَ النَفْسِيَّةَ، وَ الَّتِي تَسْمَى بِالعِصْمَةِ.

٥- العَمَلُ لِتَحْقِيقِ أَهْدَافِ الرِّسَالَةِ المَعْنَوِيَّةِ وَ تَثْبِيتِ القِيَمِ الأَخْلَاقِيَّةِ فِي نَفُوسِ الأَفْرَادِ وَ أَرْكَانِ المَجْتَمَعَاتِ البَشَرِيَّةِ وَ ذَلِكَ بِتَنْفِيزِ الاطْرُوحِ الرِّبَّانِيَّةِ، وَ تَطْبِيقِ قَوَانِينِ الدِّينِ الحَنِيفِ عَلَى المَجْتَمَعِ البَشَرِيِّ مِنْ خِلَالِ تَأْسِيسِ كِيَانِ سِيَاسِيٍّ يَتَوَلَّى إِدارَةَ شُؤُونِ الامَّةِ عَلَى أَساسِ الرِّسَالَةِ الرِّبَّانِيَّةِ لِلبَشَرِيَّةِ، وَ يَتَطَلَّبُ التَّنْفِيزُ قِيَادَةَ حَكِيمَةٍ، وَ شَجَاعَةَ فائِقَةٍ، وَ صَمُودًا كَبِيرًا، وَ مَعْرِفَةَ تَامَةَ بِالنَّفُوسِ وَ بَطَبَقَاتِ المَجْتَمَعِ وَ التِّيَّارَاتِ الفِكْرِيَّةِ وَ السِّيَاسِيَّةِ وَ الاجْتِمَاعِيَّةِ وَ قَوَانِينِ الإِدارَةِ وَ التَّرْبِيَةِ وَ سُنَنِ الحَيَاةِ، وَ نَلْخِصُهَا فِي الكِفَاءَةِ العِلْمِيَّةِ لِإِدارَةِ دَوْلَةٍ عَالَمِيَّةٍ دِينِيَّةٍ، هَذَا فَضْلًا عَنِ العِصْمَةِ الَّتِي تَعْبُرُ عَنِ الكِفَاءَةِ النَفْسِيَّةِ الَّتِي تَصُونُ القِيَادَةَ

الدينه من كل سلوك منحرف أو عمل خاطئ بإمكانه أن يؤثر تأثيراً سلبياً على مسيره القياده و انقياد الامه لها بحيث يتنافى مع أهداف الرساله و أغراضها.

و قد سلك الأنبياء السابقون و أوصياؤهم المصطفون طريق الهدايه الدامى، و اقتحموا سبيل التريه الشاق، و تحمّلوا فى سبيل أداء المهام الرساليه كل صعب، و قدّموا فى سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهيه كل ما يمكن أن يقدمه الإنسان المتفانى فى مبدئه و عقيدته، و لم يتراجعوا لحظه، و لم يتلكؤوا طرفه عين.

و قد توج الله جهودهم و جهادهم المستمر على مدى العصور برساله خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه و اله) و حمّله الأمانه الكبرى و مسؤوليه الهدايه بجميع مراتبها، طالبا منه تحقيق أهدافها. و قد خطا الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و اله) فى هذا الطريق الوعر خطوات مدهشه، و حقّق فى أقصر فتره زمنيّه أكبر نتاج ممكن فى حساب الدعوات التغييريه و الرسالات الثوريّه، و كانت حصيله جهاده و كدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلى:

١- تقديم رساله كامله للبشريه تحتوى على عناصر الديمومه و البقاء.

٢- تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ و الانحراف.

٣- تكوين امه مسلمه تؤمن بالإسلام مبدأ، و بالرسول قائدا، و بالشريعه قانونا للحياه.

٤- تأسيس دوله إسلاميه و كيان سياسى يحمل لواء الإسلام و يطبق شريعه السماء.

٥- تقديم الوجه المشرق للقياده الربانيه الحكيمه المتمثله فى قيادته (صلّى الله عليه و اله).

و لتحقيق أهداف الرساله بشكل كامل كان من الضروري:

أ- أن تستمر القيادة الكفوءه فى تطبيق الرساله و صيانتها من أيدي العابثين الذين يتربصون بها الدوائر.

ب- أن تستمر عمليه التربيه الصحيحه باستمرار الأجيال؛ على يد مربّ كفوء علميا و نفسيا حيث يكون قدوه حسنه فى الخلق و السلوك كالرسول(صلى الله عليه و اله)، يستوعب الرساله و يجسدها فى كل حركاته و سكناته.

و من هنا كان التخطيط الإلهيّ يحتّم على الرسول(صلى الله عليه و اله) إعداد الصفوه من أهل بيته، و التصريح بأسمائهم و أدوارهم؛ لتولّي مهمه إدامه الحركه النبويّه العظيمه و الهدايه الربانيه الخالده بأمر من الله سبحانه و صيانه للرساله الإلهيه التى كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين و كيد الخائنين، و تربيه للأجيال على قيم و مفاهيم الشريعه المباركه التى تولّوا تبين معالمها و كشف أسرارها و ذخاثرها على مرّ العصور، و حتى يرث الله الأرض و من عليها.

و تجلّى هذا التخطيط الربانيّ فى ما نصّ عليه الرسول(صلى الله عليه و اله) بقوله: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله و عترتي، و إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض».

و كان أئمه أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عزّفهم النبي الأكرم(صلى الله عليه و اله) بأمر من الله تعالى لقياده الامه من بعده.

إن سيره الأئمه الاثنى عشر من أهل البيت(عليهم السلام) تمثّل المسيره الواقعيه للاسلام بعد عصر الرسول(صلى الله عليه و اله)، و دراسه حياتهم بشكل مستوعب تكشف لنا عن صورته مستوعبه لحركه الاسلام الأصيل الذى أخذ يشقّ طريقه إلى أعماق الامه و وجدانها بعد أن أخذت طاقتها الحراريه تتضاءل بعد وفاه

الرسول (صلى الله عليه و اله)، فأخذ الأئمة المعصومون (عليهم السلام) يعملون على توعية الامه و تحريك طاقتها باتجاه إيجاد و تصعيد الوعي الرسالى للشريعه و لحركه الرسول (صلى الله عليه و اله) و ثورته المباركه، غير خارجين عن مسار السنن الكونيه التى تتحكّم فى سلوك القيادة و الامه جمعاء.

و تبلورت سيره الأئمة الراشدين فى استمرارهم على نهج الرسول العظيم و انفتاح الامه عليهم و التفاعل معهم كأعلام للهدايه و مصابيح لإناره الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلاء على الله لنيل مرضاته، و المستقرّين فى أمر الله، و التامّين فى محبّته، و الذائبين فى الشوق اليه، و السابقين إلى تسلّق قمم الكمال الإنسانى المنشود.

و قد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد و الصبر على طاعه الله و تحمّل جفاء أهل الجفاء حتّى ضربوا أعلى أمثله الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالى، ثم اختاروا الشهاده مع العزّ على الحياه مع الذلّ، حتى فازوا بقاء الله سبحانه بعد كفاح عظيم و جهاد كبير.

و لا يستطيع المؤرّخون و الكتّاب أن يلمّوا بجميع زوايا سيرتهم العطره و يدعوا دراستها بشكل كامل، و من هنا فإنّ محاولتنا هذه إنّما هى إعطاء قبسات من سيرتهم و سلوكهم و مواقفهم التى دوّنها المؤرّخون و استطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسه و التحقيق، عسى الله أن ينفع بها إنّه ولىّ التوفيق.

إنّ دراستنا لحركه أهل البيت (عليهم السلام) الرساليه تبدء برسول الإسلام و خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و اله) و تنتهى بخاتم الأوصياء، محمد بن الحسن العسكرى المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه و أنار الأرض بعدله.

و يختص هذا الكتاب بدراسه حياه الإمام على بن محمد الهادى (عليه السّلام)، عاشر أئمه أهل البيت (عليهم السّلام) و هو المعصوم الثانى عشر من أعلام الهدايه الذى جسّد الإسلام العظيم فى القول و العمل كأبائه الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

و لا بدّ لنا من تقديم الشكر الى كلّ الاخوه الأعزّاء الذين بذلوا جهدا وافرا و شاركوا فى إنجاز هذا المشروع المبارك و إخراجة إلى عالم النور، لا سيما أعضاء لجنة التأليف بإشراف سماحه السيد منذر الحكيم حفظه الله تعالى.

و لا يسعنا إلا أن نبتهل الى الله تعالى بالدعاء و الشكر لتوفيقه على إنجاز هذه الموسوعه المباركه فإنه حسبنا و نعم النصير.

المجمع العالمى لأهل البيت عليهم السّلام قم المقدسه

الباب الأول

إشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

الإمام الهادي (عليه السلام) في سطور

الفصل الثاني:

انطباعات عن شخصيه الإمام الهادي (عليه السلام)

الفصل الثالث:

مظاهر من شخصيه الإمام الهادي (عليه السلام)

ص: ١٥

الفصل الأول: الإمام على بن محمد الهادي (عليه السلام) في سطور

الإمام على بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو عاشر أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا.

فمعدنه هو معدن الرساله و النبوه و هو فرع هذا البيت النبوي الطاهر الذي جسد للانسانيه خط محمد خاتم الأنبياء (صلى الله عليه و اله) و جمع كل المكارم و المآثر الزاخره بالعطاء و الهدايه الربانيه مؤثرا رضا الله تعالى على كل شيء في الحياه.

ولد الإمام الهادي على بن محمد (عليهما السلام) محاطا بالعايه الإلهيه. فأبوه هو الإمام المعصوم و المسدد من الله محمد الجواد (عليه السلام) و أمه الطاهره التقيّه سمانه المغريه.

و نشأ على مائده القرآن المجيد و خلق النبي العظيم المتجسد في أبيه الكريم خير تجسيد.

لقد بدت عليه آيات الذكاء الخارق و النبوغ المبكر الذي كان ينبئ عن الرعايه الالهيه التي خص بها هذا الإمام العظيم منذ نعومه أظفاره.

و قد تقلد منصب الإمامه الإلهي بعد أبيه في الثامن من عمره الشريف فكان مثلا آخر للإمامه المبكره التي أصبحت أوضح دليل على حقانيه خط

أهل البيت الرسالي في دعوى الوصيه و الزعامه الدينيه و الدينويه للامه الإسلاميه خلافه عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) و نيابه عنه في كل مناصبه القياديه و الرساليه.

و تنقسم حياه هذا الإمام العظيم إلى حقتين متميزتين: أمضى الاولى منهما مع أبيه الجواد (عليه السلام) و هى أقل من عقد واحد. بينما أمضى الثانيه و هى تزيد عن ثلاثه عقود، عاصر خلالها سته من ملوك الدوله العباسيه و هم:

المعتصم و الواثق و المتوكل و المنتصر و المستعين و المعتز. و استشهد في ايام حكم المعتز عن عمر يناهز أربعة عقود و سنتين. و قد عانى من ظلم العباسيين كما عانى آباؤه الكرام حيث أحكموا قبضتهم على الحكم و اتخذوا كل وسيله لإقصاء أهل البيت النبوى و ابعادهم عن الساحة السياسيه و الدينيه، و إن كلّفهم ذلك تصفيتهم جسديًا كما فعل الرشيد مع الامام الكاظم، و المأمون مع الامام الرضا، و المعتصم مع الامام الجواد (عليهم السلام).

و تميّز عصر الإمام الهادى (عليه السلام) بقربه من عصر الغيبه المرتقب، فكان عليه أن يهيئ الجماعه الصالحه لاستقبال هذا العصر الجديد الذى لم يعهد من قبل حيث لم يمارس الشيعه حياتهم إلّا في ظل الارتباط المباشر بالأئمه المعصومين خلال قرنين من الزمن. و من هنا كان دور الإمام الهادى (عليه السلام) في هذا المجال مهمًا و تأسيسيًا و صعبا بالرغم من كل التصريحات التى كانت تتداول بين المسلمين عامه و بين شيعه أهل البيت خاصه حول غيبه الإمام الثانى عشر من أئمه أهل البيت (عليهم السلام) أى المهدي المنتظر الذى وعد الله به الامم.

و بالرغم من العزله التى كانت قد فرضتها السلطه العباسيه على هذا الإمام حيث أحكمت الرقابه عليه في عاصمتها سامراء و لكن الإمام كان

يمارس دوره المطلوب و نشاطه التوجيهى بكل دقة و حذر، و كان يستعين بجهاز الوكلاء الذى أسسه الإمام الصادق (عليه السلام) و أحكم دعائمه أبوه الإمام الجواد (عليه السلام) و سعى من خلال هذا الجهاز المحكم أن يقدم لشيئته أهم ما تحتاج إليه فى ظرفها العصيب. و بهذا أخذ يتجه بالخط الشيعى أتباع أهل البيت (عليهم السلام) نحو الاستقلال الذى كان يتطلبه عصر الغيبة الكبرى، فسعى الإمام على الهادى (عليه السلام) بكل جد فى تربيته العلماء و الفقهاء إلى جانب رفده المسلمين بالعطاء الفكرى و الدينى - العقائدى و الفقهى و الأخلاقى -.

و يمثل لنا مسند الإمام الهادى (عليه السلام) جملة من تراثه الذى وصل إلينا بالرغم من قساوة الظروف التى عاشها هو و من بعده من الأئمة الأطهار (عليهم السلام).

فسلام عليه يوم ولد و يوم تقلد الامامه و هو صبى لم يبلغ الحلم و يوم استشهد و يوم بيعت حيا.

الفصل الثاني: انطباعات عن شخصيه الإمام على بن محمد الهادى (عليه السلام)

تعطى كلمات العلماء و العظماء فى الإمام أبى الحسن على بن محمّد الهادى (عليه السّلام)، صورته من إكبار المؤالف و المخالف له (عليه السلام)، و إجماع المسلمين على جلالته و عظّمته.

و إليك بعض الانطباعات التى وصلتنا من معاصريه و من تلاهم من العلماء و المؤرخين عن هذه الشخصيه الفريده.

١- من كتاب للمتوكل العباسى إلى الإمام الهادى (عليه السّلام): بسم اللّٰه الرحمن الرحيم، أمّيا بعد: إنّ أمير المؤمنين عارف بقدرك، راع لقرابتك، موجب لحقك، مؤثر فى الامور فيك و فى أهل بيتك لما فيه صلاح حالك و حالهم، و تثبيت عزك و عزهم، و ادخال الأمر عليك و عليهم، يبتغى بذلك رضى الله و اداء ما افترضه عليه فيك و فيهم.

ثمّ ختمه بقوله: و أمير المؤمنين مشتاق اليك، و يحب احداث العهد بقربك و التيمن بالنظر إلى ميمون طلعتك المباركه (١).

٢- قال يحيى بن هرثمه-الذى ارسله المتوكل لاشخاص الإمام (عليه السّلام) إلى سر من رأى- فذهبت إلى المدينه فلما دخلتها ضج أهلها ضجيجا عظيما ما سمع الناس بمثله خوفا على على الهادى، و قامت الدنيا على ساق، لأنه كان

ص: ٢١

١- ((١)) اصول الكافى: ٥٠٢/١، الفصول المهمه: ٢٦٥.

محسنا اليهم، ملازما للمسجد، لم يكن عنده ميل إلى الدنيا، ثم فتشت منزله فلم أجد فيه إلا مصاحف و أدعيه و كتب العلم، فعظم في عيني، و توليت خدمته بنفسى، و أحسنت عشرته، فلما قدمت به بغداد و بدأت باسحاق الطاهري و كان واليا على بغداد، فقال لى: يا يحيى إن هذا الرجل قد ولده رسول الله (صلى الله عليه و اله)، و المتوكل من تعلم فإن حرّضته عليه قتله، و كان رسول الله (صلى الله عليه و اله) خصمك يوم القيامة، فقلت له: و الله ما وقفت منه إلا على كل أمر جميل (١).

٣- قال أبو عبد الله الجنيدى: و الله تعالى لهو خير أهل الأرض، و أفضل من برأه الله تعالى (٢).

٤- قال يزداد الطيب: إذا كان مخلوق يعلم الغيب فهو (٣).

٥- و قال ابن شهر آشوب: و كان أطيّب الناس بهجه و أصدقهم لهجه و أملحهم من قريب و أكملهم من بعيد، إذا صمت علتة هيبه الوقار، و إذا تكلم سماه البهاء، و هو من بيت الرساله و الإمامه و مقرّ الوصيه و الخلافه شعبه من دوحه النبوه منتصاه مرتصاه، و ثمره من شجره الرساله مجتناه مجتبا (٤).

٦- قال كمال الدين محمد بن طلحه الشافعى: و أمّا مناقبه: فمنها ما حل فى الأذان محل حلاها باشنافها و اكتفتته شغفا به اكتناف اللثالى الثمينه باصدافها و شهد لأبى الحسن أنّ نفسه موصوفه بنفائس اوصافها، و أنّها نازله من الدوحه النبويه فى ذرى اشرافها، و شرفات اعرافها (٥).

٧- قال أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان: أبو الحسن على الهادى

ص: ٢٢

١- ((١)) تذكره الخواص: ٢٠٢.

٢- ((٢)) مآثر الكبراء: ٩٦/٣.

٣- ((٣)) بحار الانوار: ١٦١/٥٠.

٤- ((٤)) المناقب: ٤٣٢/٤.

٥- ((٥)) مطالب السؤول: ٨٨.

ابن محمد الجواد بن علي الرضا(عليهم السلام)، وهو أحد الأئمة الاثني عشر، وكان قد سعى به إلى المتوكل وقيل: إنَّ في منزله سلاحا وكتبا و غيرها من شيعته، و اوهموه انه يطلب الأمر لنفسه فوجه اليه بعده من الاتراك ليلا فهجموا عليه في منزله على غفله، فوجدوه في بيت مغلق عليه، و عليه مدرعه من شعر، و على رأسه ملحفة من صوف و هو مستقبل القبلة يترنم بآيات من القرآن و الوعد و الوعيد، ليس بينه و بين الأرض بساط إلا الرمل و الحصى (١).

٨- قال عبد الله بن أسعد اليافعي: أبو الحسن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق العلوي الحسيني، عاش اربعين سنة، و كان متعبدا فقيها إماما (٢).

٩- قال الحافظ عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير: و أمّا أبو الحسن علي الهادي فهو ابن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد ابن علي ابن أبي طالب، أحد الأئمة الاثني عشر، و هو والد الحسن بن علي العسكري، و قد كان عابدا زاهدا، نقله المتوكل إلى سامراء فقام بها أزيد من عشرين سنة بأشهر، و مات بها في هذه السنة -سنة اربع و خمسين و مائتين- و قد ذكر للمتوكل أن بمنزله سلاحا و كتبا كثيرة من الناس، فبعث كبسه فوجدوه جالسا مستقبل القبلة و عليه مدرعه من صوف، و هو على التراب ليس دونه حائل، فأخذه، كذلك فحملوه إلى المتوكل... (٣)

١٠- قال محمد سراج الدين الرفاعي: الإمام علي الهادي ابن الإمام محمد الجواد و لقبه النقي و العالم و الفقيه و الامير و الدليل و العسكري

ص: ٢٣

١- (١) وفيات الاعيان: ٢/٤٣٥.

٢- (٢) مرآة الجنان: ٢/١٦٠.

٣- (٣) البدايه و النهايه: ١١/١٥.

و النجيب، ولد فى المدينه سنه اثنتى عشره و مائتين من الهجره، و توفى شهيدا بالسم فى خلافه المعتز العباسى يوم الاثنين لثلاث خلون من رجب سنه اربع و خمسين و مائتين و كان له خمسه اولاد: الإمام الحسن العسكرى، و الحسين، و محمد، و جعفر، و عائشه، فالحسن العسكرى اعقب صاحب السرداب الحجه المنتظر ولى الله محمد المهدي (١).

١١- قال احمد بن حجر الهيتمى: على العسكرى سمي بذلك لأنه لما وجه لاشخاصه من المدينه النبويه إلى سر من رأى و اسكنه بها، كانت تسمى العسكر فعرف بالعسكرى، و كان وارث أبيه علما و سخاء (٢).

١٢- قال أحمد بن يوسف بن احمد الدمشقى القرماني: الفصل التاسع فى ذكر بيت الحلم و العلم و الأيادى، الإمام على بن محمد الهادى، رضى الله عنه: ولد بالمدينه و امه ام ولد، و كنيته أبو الحسن، و لقبه الهادى و المتوكل، و كان اسمر، نقش خاتمه «الله ربي و عصمتى من خلقه» و أمّا مناقبه فنفيسه، و أوصافه شريفه (٣).

١٣- قال عبد الله الشيراوى الشافعى: العاشر من الأئمه على الهادى، ولد (رضى الله عنه) بالمدينه فى رجب سنه اربع عشره و مائتين، و كراماته كثيره (٤).

١٤- قال محمد أمين السويدى البغدادى: ولد بالمدينه و كنيته أبو الحسن، و لقبه الهادى، و كان اسمر اللون، نقش خاتمه «الله ربي و هو عصمتى من خلقه» و مناقبه كثيره (٥).

١٥- قال مؤمن الشبلنجى: و مناقبه (رضى الله عنه) كثيره، قال فى الصواعق: كان

ص: ٢٤

١- (١) صحاح الاخبار: ٥٦.

٢- (٢) الصواعق المحرقة: ٢٠٥.

٣- (٣) أخبار الدول: ١١٧.

٤- (٤) الاتحاف بحب الاشراف: ١٧٦.

٥- (٥) سبائك الذهب: ٥٧.

أبو الحسن العسكري وارث ابيه علما و سخاء، و فى حياه الحيوان: سمي العسكري لأن المتوكل لما كثرت السعايه فيه عنده أحضره من المدينه و أقره بسر من رأى (١).

١٦- قال محمد امين غالب الطويل: كان حسن الخلق حتى لم يكن أحد يشك فى عصمته، و لكن خطر الإمامه أوهم الخليفه المتوكل بالخطر، و قد و شى به اليه أنه جمع فى بيته معدات و اسلحه استعدادا للخروج عليه، و الادعاء بالخلافه، فأرسل الخليفه حينئذ عساكره التركيه فهجموا ليلا على بيته، و قد اختار الخليفه العساكر التركيه لسوء ظنه بالعرب المسلمين، لأنهم يعرفون من الأحق بالخلافه، أما الاتراك فكانوا حديثى عهد بالاسلاميه، و كانوا لا يعرفون غوامضها، بل كانوا يناصرون العباسيين الذين اعتادوا التزوج من بنات الاتراك.

ذهبت العساكر التركيه ليلا إلى بيت الإمام، و رأوه جالسا على التراب، ملتفا برداء صوف، و هو يقرأ القرآن و بعد تفتيش جميع زوايا بيته أحضروه الى الخليفه و أخبروه بالقصه، و كيف أنهم رأوا الإمام زاهدا، و أنهم لم يجدوا عنده شيئا من العده (٢).

١٧- قال السيد عبد الوهاب البدرى: و بقى الإمام الهادى يتنقل فى مجالس سامراء، يواسي ذوى المصاب و يساعد المحتاج، و يرحم المساكين، و يشفق على اليتيم و يدلّف ليلا- إلى الارامل و الثكالى و ثوبه كله «صرر» فينثرها عليهم لا تُريدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَ لَا شُكُوراً يذهب نهاره إلى عمله فيقف تحت الشمس يعمل فى مزرعته حتى يتصبب العرق من جسمه، و عندما يقبل الليل يتّجه إلى ربه ساجدا راکعا خاشعا ليس بين جبينه
الوضاح

ص: ٢٥

١- (١) نور الابصار: ١٤٩.

٢- (٢) تاريخ العلويين: ١٦٧.

و بين الأرض سوى الرمل و الحصى، و أنه يردد دعاءه المشهور «الهي مسيء قد ورد، و فقير قد قصد، لا تخيب مسعاه و ارحمه و اغفر له خطاه»
(١).

١٨- قال خير الدين الزركلي: أبو الحسن العسكري علي الملقب بالهادي ابن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى بن جعفر، الحسيني الطالب، عاشر الأئمة الإثني عشر، و أحد الأتقياء الصلحاء، ولد بالمدينة، و وشى به إلى المتوكل العباسي فاستقدمه إلى بغداد، و أنزله في سامراء
(٢).

١٩- قال دوايت م رونلدرسن بعد أن فضّل الحديث عنه (عليه السلام): قصده كثيرون للأخذ عنه من البلاد التي يكثر فيها شيعة آل محمد، و هي: العراق و إيران و مصر (٣).

٢٠- قال فضل الله بن روزبهان الشافعي: اللهم صلّ و سلّم على الإمام العاشر مقتدى الحّيّ و النّادي سيّد الحاضر و البادي، حارز نتيجة الوصاية و الإمامه من المبادي، السيف الغاضب على رقبه كلّ مخالف معادي، كهف الملهوفين في النوائب و العوادي قاطع العطش من الأكباد الصوادي، الشاهد بكمال فضله الأجاب و الأعادي، ملجأ أوليائه بولائه يوم ينادي المنادي أبي الحسن عليّ النقي الهادي بن محمّد الشهيد بكيد الأعداء، المقبور بسرّ من رأى (٤).

ص: ٢٦

١- ((١)) سيره الإمام علي الهادي (عليه السلام): ٥٩.

٢- ((٢)) الاعلام: ١٤٠/٥.

٣- ((٣)) عقيدته الشيعة: ٢١٥.

٤- ((٤)) وسيله الخادم الى المخدوم: صلوات الإمام الهادي (عليه السلام).

إشاره

مظاهر من شخصيه الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام)

لقد تحلّى الإمام الهادي (عليه السلام) بمكارم الأخلاق التي بعث جدّه الرسول الأعظم لتتميمها، واجتمعت في شخصيته كل عناصر الفضل و الكمال التي لا يسعنا الاحاطه بها ولا تصويرها، ولكن هذا لا يمنع أن نشير الى جملة من مكارم أخلاقه التي تجلّت في صور من سلوكه. و إليك بعض هذه المكارم التي نصّت عليها كتب السير و التاريخ.

١- الكرم:

كان (عليه السلام) من أبسط الناس كفاً، و أنداهم يداً، و كان علي غرار آبائه الذين أطعموا الطعام على حبه مسكينا و يتيما و أسيرا، و كانوا يطعمون الطعام حتى لا يبقى لأهلهم طعام، و يكسونهم حتى لا يبقى لهم كسوه (١).

و قد روى المؤرّخون بوادر كثيرة من برّ الإمام الهادي (عليه السلام) و احسانه إلى الفقراء و إكرامه البائسين، نقتصر منها على ما يلي:

١- وفد جماعه من أعلام الشيعة على الإمام الهادي (عليه السلام) و هم أبو عمرو عثمان بن سعيد، و أحمد بن اسحاق الأشعري، و علي بن جعفر الحمداني،

ص: ٢٧

فشكا إليه أحمد بن اسحاق دينا عليه، فالتفت (عليه السلام) إلى وكيله عمرو، وقال له:

ادفع له ثلاثين ألف دينار، والى على بن جعفر ثلاثين ألف دينار، كما أعطى وكيله مثل هذا المبلغ.

وعلق ابن شهر آشوب على هذه المكرمه العلويه بقوله: «فهذه معجزه لا يقدر عليها إلا الملوك، وما سمعنا بمثل هذا العطاء» (١).

٢- اشترى اسحاق الجلاب لأبي الحسن الهادي (عليه السلام) عندما كثيره يوم الترويه، فقسمها في أقاربه (٢).

٣- وكان قد خرج من سامراء إلى قريه له، فقصدته رجل من الأعراب، فلم يجده في منزله فأخبره أهله بأنه ذهب إلى ضيعة له، فقصدته، ولما مثل عنده سأله الإمام عن حاجته، فقال بنبرات خافته: يا ابن رسول الله، أنا رجل من أعراب الكوفه المتمسكين بولايه جدك على بن أبي طالب، وقد ركبنى فادح- أى دين- أثقلنى حملة، ولم أر من أقصدته سواك.

فرق الإمام لحاله، وأكبر ما توسل به، وكان (عليه السلام) في ضائقه لا يجد ما يسعفه به، فكتب (عليه السلام) ورقه بخطه جاء فيها: أن للأعرابي دينا عليّ، وعين مقداره، وقال له: خذ هذه الورقه، فإذا وصلت إلى سر من رأى، وحضر عندي جماعه فطالبني بالدين الذي في الورقه، وأغلظ عليّ في ترك إيفائك، ولا تخالفني فيما أقول لك.

فأخذ الأعرابي الورقه، ولما قفل الإمام إلى سر من رأى حضر عنده جماعه كان فيها من عيون السلطه و مباحث الأمن، فجاء الأعرابي فأبرز الورقه، و طالب الإمام بتسديد دينه الذي في الورقه فجعل الإمام (عليه السلام) يعتذر إليه، و الأعرابي يغلظ له في القول، ولما تفرق المجلس بادر رجال الأمن إلى

ص: ٢٨

١- (١) المناقب: ٤/٤٠٩.

٢- (٢) مناقب آل أبي طالب: ٤/٤٤٣.

المتوكل فأخبروه بالأمر فأمر بحمل ثلاثين ألف درهم إلى الإمام فحملت له، و لما جاء الأعرابي قال له الإمام (عليه السلام):

«خذ هذا المال و اقض منه دينك، و انفق الباقي على عيالك و أهلك و اعذرنا...».

و أكبر الاعرابي ذلك، و قال للإمام: ان ديني يقصر على ثلث هذا المبلغ. فأبى الإمام (عليه السلام) أن يسترد منه من الثلاثين شيئاً، فولّى الاعرابي و هو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته (١).

٢- الزهد:

لقد عزف الإمام الهادي (عليه السلام) عن جميع مباحج الحياه و متعها و عاش عيشه زاهده إلى أقصى حدّ، لقد واطب على العباده و الورع و الزهد، فلم يحفل بأى مظهر من مظاهر الحياه، و أثر طاعه الله على كل شىء، و قد كان منزله فى يثرب و سرّ من رأى خالياً من كل أثار، فقد داهمت منزله شرطه المتوكل ففتشوه تفتيشاً دقيقاً فلم يجدوا فيه شيئاً من رغائب الحياه، و كذلك لما فتشت الشرطه داره فى سرّ من رأى، فقد وجدوا الإمام فى بيت مغلق، و عليه مدرعه من شعر و هو جالس على الرمل و الحصى، ليس بينه و بين الأرض فراش (٢).

٣- العمل فى المزرعه:

و تجرّد الإمام العظيم من الأنانيه، حتى ذكروا إنّه كان يعمل بيده فى أرض له لإعاشه عياله، فقد روى عليّ بن حمزه حيث قال: «رأيت أبا

ص: ٢٩

١- ((١)) الاتحاف بحبّ الاشراف: ١٧٦. و الفصول المهمه لابن الصباغ: ٢٧٤. و الصواعق المحرقة: ٣١٢.

٢- ((٢)) اصول الكافي: ١/٤٩٩ و عنه فى الارشاد: ٣٠٢/٢، ٣٠٣ و عن الكليني فى اعلام الورى: ١١٩/٢. و الفصول المهمه: ٣٧٧.

الحسن الثالث يعمل فى أرض و قد استنقعت قدماه من العرق فقلت له: جعلت فداك أين الرجال؟

فقال الإمام: يا على قد عمل بالمسحاه من هو خير منى و من أبى فى أرضه.

قلت: من هو؟

قال: رسول الله (صلى الله عليه و اله) و أمير المؤمنين و آبائى كلهم عملوا بأيديهم، و هو من عمل النيبين و المرسلين و الأوصياء الصالحين» (١).

٤- إرشاد الضالين:

و اهتم الإمام الهادى (عليه السلام) اهتماما بالغا بإرشاد الضالين و المنحرفين عن الحق و هدايتهم إلى سواء السبيل، و كان من بين من أرشدهم الإمام و هداهم أبو الحسن البصرى المعروف بالملاح، فقد كان واقفيا يقتصر على إمامه الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) و لا يعترف بإمامه أبناؤه الطاهرين، فالتقى به الإمام الهادى فقال له: «الى متى هذه النومه؟ أما آن لك أن تنتبه منها؟!».

و أثرت هذه الكلمه فى نفسه فأب إلى الحق، و الرشاد (٢).

٥- التحذير عن مجالسه الصوفيين:

و حذر الإمام الهادى (عليه السلام) أصحابه و سائر المسلمين من الاتصال بالصوفيين و الاختلاط بهم لأنهم مصدر غوايه و ضلال للناس، فهم يظهرن التقشّف و الزهد لاغراء البسطاء و السدج و غوايتهم.

فلقد شدّد الإمام الهادى (عليه السلام) فى التحذير من الاختلاط بهم حتى روى

ص: ٣٠

١- (١) كتاب من لا يحضره الفقيه: ١٦٢/٣.

٢- (٢) إعلام الورى: ١٢٣/٢ عن كتاب الواحده للعمى، و عن الاعلام فى بحار الأنوار: ١٨٩/٥٠.

الحسين بن أبى الخطاب قال: كنت مع أبى الحسن الهادى (عليه السلام) فى مسجد النبى (صلّى الله عليه و اله) فأتاه جماعه من أصحابه منهم أبو هاشم الجعفرى، و كان بليغا و له منزله مرموقه عند الإمام (عليه السلام) و بينما نحن و قوف اذ دخل جماعه من الصوفيه المسجد فجلسوا فى جانب منه، و أخذوا بالتهليل، فالتفت الإمام إلى أصحابه فقال لهم:

«لا تلتفتوا إلى هؤلاء الخداعين فإنهم حلفاء الشياطين، و مخزبو قواعد الدين، يتزهدون لإراحه الأجسام، و يتهجدون لصيد الأنعام، يتجزعون عمرا حتى يديخوا للايكاف (١) حمرا، لا- يهللون إلا- لغرور الناس، و لا يقللون الغذاء إلا لملء العساس و اختلاس قلب الدفناس (٢)، يكلمون الناس باملأئهم فى الحب، و يطرحونهم بإذلالهم فى الجب، أو رادهم الرقص و التصديه، و أذكارهم الترنم و التغنيه، فلا يتبعهم إلا السفهاء، و لا يعتقد بهم إلا الحمقاء، فمن ذهب إلى زياره أحدهم حيا أو ميتا، فكأنما ذهب إلى زياره الشيطان و عباده الأوثان، و من أعان واحدا منهم فكأنما أعان معاويه و يزيد و أبى سفيان».

فقال أحد أصحابه: و إن كان معترفا بحقوقكم؟

فزره الإمام و صاح به قائلا: «دع ذا عنك، من اعترف بحقوقنا لم يذهب فى عقوقنا، أما تدرى أنهم أحسن طوائف الصوفيه، و الصوفيه كلهم مخالفوننا، و طريقتهم مغايره لطريقتنا، و إن هم إلا نصارى أو مجوس هذه الامه، أولئك الذين يجتهدون فى إطفاء نور الله بأفواههم، و الله متم نوره و لو كره الكافرون» (٣).

ص: ٣١

١- (١) يديخوا: أى يذلوها و يقهروها.

٢- (٢) الدفناس: الغبى و الأحمق، كما فى مجمع البحرين: ٧١/٤.

٣- (٣) حديقته الشيعه للاردبيلى: ٦٠٢، ٦٠٣ عن المرتضى الرازى فى كتاب الفصول، و ابن حمزه فى كتاب الهادى الى النجاه كلاهما عن الشيخ المفيد، و عنه فى روضات الجنات: ١٣٤/٣.

و كان الإمام الهادى (عليه السّلام) يكرم رجال الفكر و العلم و يحتفى بهم و يقدّمهم على بقيه الناس لأنهم مصدر النور فى الأرض، و كان من بين من كرمهم أحد علماء الشيعة و فقهاءهم، و كان قد بلغه عنه انه حاجج ناصبياً فأفحمه و تغلّب عليه فسزّ الإمام (عليه السّلام) بذلك، و وفد العالم على الإمام فقابله بحفاوه و تكريم، و كان مجلسه مكتظاً بالعلويين و العباسيين، فأجلسه الإمام على دست، و أقبل عليه يحدثه، و يسأل عن حاله سؤالا حفياً، و شقّ ذلك على حضار مجلسه من الهاشمين فالتفتوا إلى الإمام، و قالوا له: كيف تقدّمه على سادات بنى هاشم؟

فقال لهم الإمام: «إياكم أن تكونوا من الذين قال الله تعالى فيهم: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ (١) أترضون بكتاب الله عزّ و جلّ حكماً؟»

فقالوا جميعاً: بلى يا ابن رسول الله (٢).

و أخذ الإمام يقيم الدليل على ما ذهب إليه قائلاً: أليس الله قال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ - إلى قوله -: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ (٣)﴾ فلم يرض للعالم المؤمن إلا أن يرفع على المؤمن غير العالم، كما لم يرض للمؤمن إلا أن يرفع على من ليس بمؤمن، أخبرونى عنه قال تعالى: يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ أَوْ قَالَ: يرفع الله

ص: ٣٢

١- ((١)) آل عمران (٣): ٢٣.

٢- ((٢)) كذا، و الصحيح: ألا ترضون.. و إلا فالجواب بنعم و ليس بلى.

٣- ((٣)) المجادلة (٥٨): ١١.

الذين أوتوا شرف النسب درجات؟! أو ليس قال الله: ...هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ؟... (١).

فكيف تنكرون رفعي لهذا لما رفعه الله، إن كسر هذا لفلان الناصب بحجج الله التي علمه إياها لأشرف من كل شرف في النسب.

و سكت الحاضرون، فقد ردّ عليهم الإمام ببالغ حجّته، إلا أن بعض العباسيين انبرى قائلاً:

يا ابن رسول الله لقد شرفت هذا علينا، وقصرتنا عن من ليس له نسب كنسبنا، وما زال منذ أول الاسلام يقدم الأفضل في الشرف على من دونه.

و هذا منطقي رخيص فإن الاسلام لا يخضع بموازينه إلا للقيم الصحيحة التي لم يعها هذا العباسي، وقد ردّ عليه الإمام (عليه السلام) قائلاً:

سبحان الله! أليس العباس بايع أبا بكر و هو تيمى، و العباس هاشمى، أو ليس عبد الله بن عباس كان يخدم عمر بن الخطاب، و هو هاشمى أبو الخلفاء، و عمر عدوى، و ما بال عمر أدخل البعداء من قريش في الشورى، و لم يدخل العباس؟! فإن كان رفعا لمن ليس بهاشمى على هاشمى منكراً، فأنكروا على العباس ببعته لأبى بكر و على عبد الله بن عباس بخدمته لعمر، فإن كان ذلك جائزاً فهذا جائزاً (٢).

٧-العبادة:

إنّ الاقبال على الله و الإنابة إليه و احياء الليالي بالعبادة و مناجاه الله و تلاوه كتابه هي السمة البارزة عند أهل البيت (عليهم السلام).

أما الإمام الهادي (عليه السلام) فلم ير الناس في عصره مثله في عبادته و تقواه

ص: ٣٣

١- (١) الزمر (٣٥): ٩.

٢- (٢) الاحتجاج للطبرسي: ٢/٢٥٩.

و شدّه تحرّجه في الدين، فلم يترك نافله من النوافل إلا أتى بها، وكان يقرأ في الركعة الثالثة من نافله المغرب سورة الحمد و أول سورة الحديد إلى قوله تعالى: وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ و في الركعة الرابعة سورة الحمد و آخر سورة الحجرات (١).

٨- استجابته دعائه:

وقد ذكرت بوادر كثيرة من استجابته دعاء الإمام (عليه السلام) عند الله كان منها:

١- ما رواه المنصوري عن عمّ أبيه، قال: قصدت الإمام علياً الهادي، فقلت له: يا سيدي ان هذا الرجل -يعني المتوكل- قد اطرحني، و قطع رزقي، و ملّني و ما أتهم به في ذلك هو علمه بملازمتي بك، و طلب من الإمام التوسّط في شأنه عند المتوكل، فقال (عليه السلام): تكفي إن شاء الله، و لما صار الليل طرقته رسل المتوكل فخفّ معهم مسرعاً إليه، فلما انتهى إلى باب القصر رأى الفتح واقفاً على الباب فاستقبله و جعل يوبّخه على تأخيره ثم أدخله على المتوكل فقابله بسمات فياضه بالبشر قائلاً: يا أبا موسى تنشغل عنّا، و تنسانا؟! أي شيء لك عندي؟

و عرض الرجل حوائجه و صلواته التي قطعها عنه، فأمر المتوكل بها و بضعفها له، و خرج الرجل مسروراً.

و انصرف الرجل فتبعه الفتح فأسرع إليه قائلاً:

لست أشكّ أنك التمسّت منه -أي من الإمام- الدعاء، فالتمس لي منه الدعاء.

و مضى ميمماً وجهه نحو الإمام (عليه السلام) فلما تشرف بالمشول بين يديه

ص: ٣٤

قال (عليه السلام) له: يا أبا موسى هذا وجه الرضا.

فقال الرجل بخضوع: بركتكم يا سيدي، ولكن قالوا لي: إنك ما مضيت إليه ولا سألته.

فأجابه الإمام ببسمات قائلا: إن الله تعالى علم منا أننا لا نلجأ في المهمات إلا إليه، ولا نتوكل في الملمات إلا عليه، وعودنا إذا سألناه الإجابة، ونخاف أن نعدل فيعدل بنا.

وفطن الرجل إلى أن الإمام قد دعا له بظهور الغيب، وتذكر ما سأله الفتح فقال: يا سيدي إن الفتح يلتمس منك الدعاء.

فلم يستجب الإمام له وقال: إن الفتح يوالينا بظاهره، ويجانبنا بباطنه، الدعاء أتما يدعى له إذا أخلص في طاعه الله، واعترف برسول الله (صلى الله عليه وآله) وبحقنا أهل البيت (١).

٢- روى أن علي بن جعفر كان من وكلاء الإمام (عليه السلام) فسعى به إلى المتوكل فحبسه، وبقي في ظلمات السجون مدة من الزمن، وقد ضاق به الأمر فتكلم مع بعض عملاء السلطه في إطلاق سراحه، وقد ضمن أن يعطيه عوض ذلك ثلاثة آلاف دينار، فأسرع إلى عبيد الله وهو من المقربين عند المتوكل، وطلب منه التوسط في شأن علي بن جعفر، فاستجاب له، وعرض الأمر على المتوكل، فأنكر عليه ذلك وقال له:

لو شككت فيك لقلت: إنك رافضي، وهذا وكيل أبي الحسن الهادي وأنا على قتله عازم.

وندم عبيد الله على التوسط في شأنه، وأخبر صاحبه بالأمر، فبادر إلى علي بن جعفر وعرفه أن المتوكل عازم على قتله ولا سبيل إلى إطلاق

ص: ٣٥

١- (١) أمالي الطوسي: ٢٨٥ ح ٥٥٥ و عنه في بحار الأنوار: ١٢٧/٥٠ و في المناقب: ٤٤٢/٤.

سراحه، فضاق الأمر بعليّ بن جعفر، فكتب رساله إلى الإمام جاء فيها:

«يا سيدي الله الله فيّ، فقد خفت أن أرتاب، فوقّع الإمام علي رسالته: «أما إذا بلغ بك الأمر ما أرى فسأقصد الله فيك»، وأصبح المتوكّل محمومًا دنفا، وازدادت به الحمى فأمر بإطلاق جميع المساجين، وأمر بإطلاق سراح علي بن جعفر بالخصوص، وقال لعبيد الله: لم تعرض عليّ اسمه؟ فقال:

لا أعود إلى ذكره أبدا، فأمره بأن يخلى عنه، وأن يلتمس منه أن يجعله في حلّ مما ارتكبه منه، وأطلق سراحه، ثم نرح إلى مكّه فأقام بها بأمر من الإمام» (١).

هذه بعض البوادر التي ذكرها الرواه من استجابته دعاء الإمام، ومن المؤكّد ان استجابته الدعاء ليس من عمل الانسان و صنعته، وإنما هو بيد الله تعالى فهو الذي يستجيب دعاء من يشاء من عبادته، و مما لا شبهه فيه ان لأنّهم أهل البيت (عليهم السّلام) منزله كريمه عنده تعالى لأنّهم أخلصوا له كأعظم ما يكون الاخلاص، و أطاعوه حقّ طاعته و قد خصّهم تعالى باستجابته دعائهم كما جعل مراقدهم الكريمه من المواطن التي يستجاب فيها الدعاء (٢).

ص: ٣٦

١- (١) رجال الكشي: ٦٠٦ ح ١١٢٩ و عنه في بحار الأنوار: ١٨٣/٥٠.

٢- (٢) راجع حياه الإمام علي الهادي: ٤٢-٦٢.

الباب الثاني

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

نشأه الإمام على بن محمد الهادي (عليه السلام)

الفصل الثاني:

مراحل حياة الامام الهادي (عليه السلام)

الفصل الثالث:

الإمام الهادي (عليه السلام) في ظل أبيه (عليه السلام)

ص: ٣٧

إشاره

نشأه الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام)

١- نسبه الشريف

هو أبو الحسن علي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط ابن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) وهو العاشر من أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

أمه ام ولد يقال لها سمانه المغربيه (١) وعرفت بأم الفضل (٢).

٢- ولادته و نشأته

ولد (عليه السلام) للنصف من ذي الحجه أو ثاني رجب سنه اثنتي عشره أو أربع عشره و مائتين. (٣).

و كانت ولادته (عليه السلام) في قريه (صربيا) التي تبعد عن المدينه ثلاثه أميال. (٤).

ص: ٣٩

١- (١) أصول الكافي: ٢٩٨/١.

٢- (٢) مناقب آل أبي طالب: ٤٣٣/٤، و عنه في بحار الأنوار: ١١٤/٥٠.

٣- (٣) أصول الكافي: ٤٩٧/١، و الارشاد: ٣٦٨، و المصباح: ٥٢٣.

٤- (٤) مناقب آل أبي طالب: ٤٣٣/٤، و ثلاثه أميال تعادل خمسه كيلو مترات.

٣- بشاره الرسول (صلى الله عليه و اله) بولادته

و بشرّ الرسول (صلى الله عليه و اله) بولادته فى حديث طويل حول الأئمة (عليهم السّلام) بقوله: «...و أن الله ركب فى صلبه-إشاره إلى الإمام الجواد (عليه السّلام)-نطفه لا باغيه و لا طاغيه، بارّه مبارك، طيبه طاهره، سماها عنده على بن محمد فأليساها السكينة و الوقار، و أودعها العلوم، و كل سرّ مكتوم، من كفيه، و فى صدره شيء أنبأ به، و حذر من عدوه...» (١).

٤- كنيته و ألقابه

يكنى الإمام (عليه السّلام) بأبى الحسن، و تمييزاً له عن الإمامين الكاظم و الرضا (عليهما السّلام) يقال له أبو الحسن الثالث.

أمّا ألقابه فهى: الهادى، و النقى و هما أشهر ألقابه، و المرتضى، و الفتاح و الناصح، و المتوكل، و قد منع شيعة من أن ينادوه به لأنّ الخليفة العباسى كان يلقب به (٢).

و فى المناقب ذكر الألقاب التالية: النجيب، الهادى، المرتضى، النقى، العالم، الفقيه، الأمين، المؤمن، الطيب، العسكرى، و قد عرف هو و ابنه بالعسكريين (عليهما السّلام) (٣).

ص: ٤٠

١- (١) عيون أخبار الرضا (عليه السّلام): ١/٦٢، ح ٢٩.

٢- (٢) كشف الغمّة: ٢/٣٧٤.

٣- (٣) المناقب: ٤/٤٣٢.

يمكن تقسيم حياة الإمام الهادى (عليه السلام) التي ناهزت الأربعين سنة إلى مراحل متعددة بلحاظ طبيعته مواقفه و طبيعته الظروف التي كانت تحيط به.

غير أن التقسيم الثنائى يتواءم و المنهج الذى اتبعناه فى دراسه حياة الأئمة (عليهم السلام)، و الذى يركز على تنوع مسؤولياتهم و أدوارهم بحسب الظروف و الملابسات السياسيه و الاجتماعيه التي كانت تحيط بكل واحد منهم و وحده الهدف الذى يعدّ جامعا مشتركا لكل مواقفهم (عليهم السلام) و الذى يتمثل فى صيانته الشريعة من التحريف و حفظ الامه الإسلاميه من الانحراف عن عقيدتها و مبادئها و صيانته دوله الرسول (صلّى الله عليه و اله) من التردى ما أمكن و التمهيد لاستلام زمام الحكم حينما لا يتنافى مع القيم التي شرّع الحكم من أجل تطبيقها و صيانتها.

و المرحله الاولى من حياة الإمام الهادى (عليه السلام) تتمثل فى الحقبه الزمنيه التي عاشها فى ظلال إمامه أبيه الجواد (عليه السلام) و هي بين (٢١٢ هـ) إلى (٢٢٠ هـ) و يبلغ أقصاها ثمان سنوات تقريبا.

وقد عاصر فيها كلا من المأمون و المعتصم العباسيين .

و المرحلة الثانية تتمثل فى الفتره الزمنيه بين توليه (عليه السّلام) لمنصب الإمامه فى نهايه سنه (٢٢٠ هـ) والى حين استشهاده (عليه السّلام) فى سنه (٢٥٤ هـ) و هى اربع و ثلاثون سنه تقريبا .

وقد عاصر فى هذه الفتره سته من ملوك بنى العباس، و هم على الترتيب:

١-المعتصم (٢١٨-٢٢٧ هـ).

٢-الواثق (٢٢٧-٢٣٢ هـ).

٣-المتوكل (٢٣٢-٢٤٧ هـ).

٤-المنتصر (٢٤٧-٢٤٨ هـ).

٥-المستعين (٢٤٨-٢٥٢ هـ).

٦-المعتز (٢٥٢-٢٥٥ هـ).

و سوف نتابع المرحله الاولى من حياه هذا الإمام العظيم فى الفصل الثالث من الباب الثانى، و نقف عند أهم الأحداث التى ترتبط به فى فتره حياته فى ظل أبيه (عليه السّلام).

و أما المرحله الثانيه من حياته المباركه فسوف ندرس ظروفها و نقف عند ملامحها و متطلباتها خلال الأبواب الثلاثه الأخيره.

إشاره

الإمام علي بن محمد الهادي في ظل أبيه الجواد (عليهما السلام)

لقد تقلد الإمام محمد الجواد (عليه السلام) الزعامه الدينيه و المرجعيه الفكرية و الروحيه للشيعة بعد استشهاد الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) سنه (٢٠٢ هـ) (١).

و كان عمره الشريف حوالي سبع سنوات و كان مع حادثه يدبر أمر الرضا (عليه السلام) بالمدينه و يأمر الموالى و ينههم لا يخالف عليه أحد منهم (٢).

و قال صفوان بن يحيى: قلت للرضا (عليه السلام): قد كنا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر فكنت تقول يهب الله لي غلاما فقد وهب الله و أقرّ عيوننا فلا أرانا الله يومك فإذا كان كون فإلى من؟ فأشار بيده إلى أبي جعفر (عليه السلام) و هو نائم بين يديه. فقلت: جعلت فداك هو ابن ثلاث سنين! (٣)

فقال له أبو الحسن (عليه السلام): إن الله بعث عيسى بن مريم قائما بشريعته و هو في دون السنّ التي يقوم فيها أبو جعفر علي شريعتنا ٤.

و عاش بعد أبيه تسع عشره سنه إلا خمسا و عشرين يوما (٤) و هي مده إمامته (عليه السلام).

ص: ٤٣

١- ((١)) إثبات الوصيه: ١٨٤.

٢- ((٢)) إثبات الوصيه: ١٨٥.

٣- ((٣ و ٤)) إثبات الوصيه: ١٨٥ و ١٨٦.

٤- ((٥)) الكافي: ١/٥٧٢، ح ١٢.

بعد التحاق الإمام الرضا(عليه السلام) بالرفيق الأعلى، كان عمر الإمام الجواد(عليه السلام) سبع سنوات و هذه الإمامه المبكره كانت أول ظاهره ملفته للنظر عند الشيعة أنفسهم فضلا عن غيرهم. و احتار بعض رموز الشيعة فضلا عن غيرهم بالرغم من التمهيد لهذه الظاهره من قبل الإمام الرضا(عليه السلام) قبل إشخاصه إلى خراسان و بعده.

من هنا اجتمع جملة من كبار الشيعة في بيت أحدهم يتداولون في أمر الإمامه، و كان من بين هؤلاء المجتمعين، الريان بن الصلت، و يونس، و صفوان بن يحيى، و محمد بن حكيم، و عبد الرحمن بن الحجاج، فجعلوا يبكون، فقال لهم يونس: دعوا البكاء حتى يكبر هذا الصبي-أى الإمام الجواد(عليه السلام)-فردّ عليه الريان بن الصلت قائلاً:

«إن كان أمر من الله جلّ و علا، فابن يومين مثل ابن مائه سنه و إن لم يكن من عند الله فلو عمّر الواحد من الناس خمسه آلاف سنه ما كان يأتي بمثل ما يأتي به الساده أو بعضه، و هذا مما ينبغى أن ينظر فيه...» (١).

و يتّضح من النص السابق تأكيد الريان على مفهوم الإمامه باعتبارها منصباً إلهياً كالنبوه من حيث الاختيار و الانتخاب لهذا المنصب. فإنه بيد الله سبحانه، قال تعالى: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ و ليس للناس فيها أمر و اختيار.

ص: ٤٤

عاصر الإمام الجواد (عليه السّلام) من خلفاء بني العباس المأمون (١٩٨-٢١٨ هـ) و المعتصم (٢١٨-٢٢٧ هـ)، و كان المأمون يتظاهر بالتودّد للإمام الجواد (عليه السّلام) و زوجته ابنته أم الفضل، و من قبل قد صاهر المأمون الإمام الرضا (عليه السّلام) و ولّاه عهده و قرّب العلويين (١). أمّا حكم المعتصم فكان حكماً استبدادياً مقروناً بشيء من العطف و حسن التدبير، و قد وصفه المسعودي (٢) بحسن السيره و استقامه الطريقه.

و قد اعتمد الخلفاء العباسيون الأوائل في إنشاء حكومتهم و استمرارها على الفرس دون العرب و أسندوا إليهم المناصب المدنيّه و العسكريه، مما أدى إلى سياده الفرس في مختلف الميادين و ضمور دور العرب في الدوله العباسيه و مؤسساتها المختلفه، و أثمرت هذه الظاهره التنافس بين العرب و الفرس، حتى جاء المعتصم - و كانت أمه تركيه - فاعتمد على العنصر التركي و اتخذهم حرساً له، و أسند إليهم مناصب الدوله و قلدهم و لايه الأقاليم البعيده عن مركز الخلافه و أخرج العرب من ديوان العطاء و أحل محلهم الترك فحقد العرب و الفرس عليهم جميعاً.

و لم يقتصر الصراع على ما كان بين العرب و الفرس و الترك بل تعدّاه إلى قيام المنافسه بين العنصر العربي نفسه، فاشتعلت نيران العصبية بين عرب الشمال المضربين، و عرب الجنوب اليمانيين (٣). و هذا يوضح لنا شدّه

ص: ٤٥

١- (١) تاريخ الاسلام: ٦٦/٢-٦٧ للدكتور حسن إبراهيم حسن.

٢- (٢) مروج الذهب: ٣/٤٧٦.

٣- (٣) تاريخ الاسلام: ٣٩٥.

الصراع داخل الاسره الحاكمه نفسها.

فكان شعب الدوله العباسيه فى نهايه العصر الأؤل يتكون من:

١-العرب(المضريين و اليمينيين).

٢-الفرس(الخراسانيين)الذين ساعدوا العباسيين فى انشاء حكومتهم.

٣-الترك،الذين آلت إليهم إداره الدوله.

٤-أهل الذمه(أهل الكتاب)وهم:اليهود و النصرارى.

و كانت الطوائف الدينيه منفصله بعضها عن بعض تمام الانفصال، و كان لا يجوز للمسيحى أن يتهود و لا لليهودى أن يتنصر،و اقتصر تغيير الدين على الدخول فى الإسلام،و كان الرقيق يكوّنون طبقه كبيره من طبقات المجتمع الاسلامى و كانت سمرقند تعدّ من أكبر أسواق الرقيق،إذ كان أهلها يتخذون ذلك صناعه لهم يعيشون منها.

و كان لا تساع رقعته الدوله العباسيه،و وفره ثرواتها،و رواج تجارتها أثر كبير فى خلق نهضه ثقافيه لم يشهدها الشرق من قبل حتى لقد غدا الناس جميعا من الخليفه إلى العامه طلابا للعلم أو على الأقل أنصارا للأدب،و كان الناس فى عهد هذه الدوله يجوبون ثلاث قارّات سعيا إلى موارد العلم و العرفان ليعودوا إلى بلادهم و هم يحملون أصنافا من العلم،ثم يصنّفون ما بذلوه من جهد متصل بمصنفات هى أشبه شىء بدوائر المعارف،و التى كان لها أكبر الفضل فى إيصال هذه العلوم إلينا بصوره لم تكن متوقعه من قبل (١).

هذا فى الشرق الإسلامى.

ص:٤٤

١- (١) تاريخ الاسلام:٣٢١/٢-٣٢٣.

و أما فى الغرب فقد نافست قرطبه بغداد و البصره و الكوفه و دمشق و الفسطاط فأصبحت حاضره الاندلس حتى جذبت مساجدها الاوربيين الذين وفدوا لارتشاف العلم من مناھله و التزوّد من الثقافه الإسلاميه،و من ثم ظهرت فيها طائفه من العلماء و الشعراء و الادباء و الفلاسفه و المترجمين و الفقهاء و غيرهم.و لم يقتصر اهتمام العلماء المسلمين على العلوم النقليه مثل علم التفسير،و القراءات و علم الحديث و الفقه و الكلام،بل شمل اهتمامهم العلوم العقليه،كالفلسفه،و الهندسه،و علم النجوم،و الطب، و الكيمياء،و غيرها.

و فى العصر العباسى الأول اشتغل الناس بالعلوم الدينيه و ظهر المتكلمون و تكلم الناس فى مسأله خلق القرآن،و تدخّل المأمون فى ذلك، فأوجد مجالس للمناظره بين العلماء فى حضرته،و لهذا عاب الناس عليه تدخّله فى الامور الدينيه كما عابوا عليه تفضيل على بن أبى طالب(عليه السلام)على سائر الخلفاء (١).

و فى هذا العصر ظهر صنفان من العلماء:

الصنف الأول:هم الذين كان يغلب على ثقافتهم النقل و الاستيعاب و يسمون أهل علم.

و الصنف الثانى:هم الذين كان يغلب على ثقافتهم الابتداع و الاستنباط و يسمون أهل عقل (٢).

كما نشطت فى هذا العصر أيضا،فى ميدان الفقه مدرستان:مدرسه أهل الحديث فى المدينه و مدرسه الرأى فى العراق.

ص:٤٧

١- ((١)) تاريخ الاسلام:٣٢١/٢-٣٢٣.

٢- ((٢)) تاريخ الاسلام:٣٢٤/٢.

كانت توليه العهد إلى أكثر من شخص واحد عاملاً مهمّاً في اختلال الوضع الأمني داخل الدوله الإسلاميّه نتيجة التنازع والصراع على السلطه بين ولاه العهد لأن أحدهما كان يرى أن يولي العهد ابنه بدلاً عن أخيه الذي سبق أن عهد إليه أبوه بالولاية كما تجلّى ذلك بوضوح في عهد الأمين و المأمون (١).

وقد كان الأمين شديد البطش لكنه كان عاجز الرأى ضعيف التدبير و تجلّى ضعف تدبيره في الاضطرابات التي نشأت نتيجة صراعه مع المأمون على السلطه،و التي استمرت من سنه (٩٣-٩٨هـ) حيث تمكن أعوان المأمون من قتل محمد الأمين و الاستيلاء على بغداد،و من ثم تفرد المأمون في إداره الحكم و عزل قواد و ولاه أخيه الأمين،و أبدلهم بأنصاره و أعوانه الذين مكّنوه من الانتصار على الأمين.

و في عهد المأمون قد حدثت عدّه ثورات و حركات مسلّحه تمكن منها جيش الدوله،و أعاد الامصار التي حصلت فيها تلك الثورات و انفصلت عن الدوله إلى الخضوع إلى سلطان الخليفه،و كان بعد استقرار الوضع و استتباب السيطره للمأمون أن قام بغزو بلاد الروم عام (٢١٧هـ) (٢).

و يصور أحد شعراء العصر العباسي الأول-من أهل بغداد و هو يعرف بعلي ابن أبي طالب الأعمى-الحاله السياسيّه و الاجتماعيّه في هذه الفتره من زمن الدوله العباسيه فيما أنشده بقوله:

ص: ٤٨

١- (١) مروج الذهب: ٣٥٠/٤-٣٥٣.

٢- (٢) تاريخ الطبري، تاريخ الامم و الملوك، أحداث السنين (١٩٩-٢١٧هـ).

أضاع الخلافه غشّ الوزير و فسق الإمام و رأى المشير

و ما ذاك إلا طريق الغرور و شر المسالك طرق الغرور

فعال الخليفه أعجوبه و أعجب منه فعال الوزير

و أعجب من ذا و ذا أننا نبايع للطفل فينا الصغير

و من ليس يحسن مسح أنفه و لم يخل من متنه حجر ظير

و ما ذاك، إلا بباغ و غاو يريدان نقض الكتاب المنير

و هذان لو لا انقلاب الزمان أفى العير هذان أم فى النفير

و لكنها فتن كالجبال نرتع فيها بصنع الحقيقير (١)

و لما قتل الأمين حمل رأسه إلى خراسان إلى المأمون فأمر بنصب الرأس فى صحن الدار على خشبه، و أعطى الجند، و أمر كل من قبض رزقه أن يلعنه، فكان الرجل يقبض و يلعن الرأس، فقبض بعض العجم عطاءه فقيل له: إلعن هذا الرأس فقال: لعن الله هذا و لعن والديه و ما ولدا و أدخلهم فى كذا و كذا من امهاتهم، فقيل له: لعنت أمير المؤمنين! بحيث يسمع المأمون منه فتبسّم و تغافل، و أمر بحطّ الرأس و رده إلى العراق (٢).

و جابه حكم المأمون تحديات عديده و خطيره كادت أن تسقط دولته و أهم الأحداث التى كانت أيام حكومته هى:

١- ثوره ابن طباطبا (٣) سنة (١٩٩ هـ) بقياده أبى السرايا.

و هى من أعظم الثورات الشعبيه التى حدثت فى عصر الإمام الجواد (عليه السلام) و قد رفعت شعار الدعوه إلى الرضى من آل محمد (صلّى الله عليه و اله). و كادت

ص: ٤٩

١- (١) مروج الذهب: ٣/٣٩٧.

٢- (٢) مروج الذهب: ٣/٤١٤.

٣- (٣) هو محمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب.

أن تعصف هذه الثورة بالدولة العباسية إذ استجاب لها الكثير من أبناء الشعب المسلم. واستطاع أبو السرايا بعقله الملمهم أن يجلب الكثير من أبناء الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) و يجعلهم قاده في جيشه مما أدى إلى اندفاع الجماهير بحماس بالغ إلى الانضمام لثورته.

و وجه إليه المأمون، زهير بن المسيب على عشرة آلاف مقاتل، و لكن زهيرا انهزم جيشه و استبيح عسكره، و قد قوى شأنهم بعد ذلك و هزموا جيشا آخر أرسله المأمون إليهم، و استولوا على (واسط).

ثم التقى بهم جيش آخر بقيادة هرثمه بن أعين، فهرب أبو السرايا إلى القادسية، و دخل هرثمه إلى الكوفة، ثم قتل أبو السرايا، و كان ذلك في سنة (٥٢٠) (١).

٢- ولاية العهد للإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام).

و في سنة احدى و مائتين فرض المأمون على الإمام علي بن موسى الرضا قبول ولاية العهد و أمر عمال الدولة برمي السواد و لبس الخضرة فشق ذلك على العباسيين و قامت قيامتهم بإدخاله الرضا (عليه السلام) في الخلافة فخالقوا المأمون و بايعوا عمه المنصور بن المهدي فضعف عن الأمر، و قال بل أنا خليفة المأمون فأهملوه و أقاموا أخاه ابراهيم بن المهدي فبايعوه و جرت لذلك حروب عديده (٢).

و بعد أن عجز المأمون عن تحقيق اغراضه من فرض ولاية العهد- كما يريد- على الإمام الرضا (عليه السلام) قام بدس السم إليه و اغتياله و ذلك في سنة ثلاث

ص: ٥٠

١- (١) تاريخ الذهبى، دول الإسلام: ١١٢-١١٣.

٢- (٢) تاريخ الذهبى، دول الإسلام: ١١٢-١١٣.

و مائتين (١).

٣-أحداث سنه ست و مائتين:و فى هذه السنه استفحل أمر بابك الخرمى بجمال آذربيجان و أكثر الغاره و القتل و هزم عسكر المأمون و فعل القبائح (٢).

٤-أحداث سنه تسع و مائتين:و فى هذه السنه ظهر نصر بن اشعث العقيلي،و كانت بينه و بين عبد الله بن طاهر الخزاعى قائد جيش المأمون حروب كثيره و طويله الأمد (٣).

٥-غزو بلاد الروم:و فى سنه خمس عشره و مائتين غزا المأمون بلاد الروم و أقام هناك ثلاثه أشهر و افتتح عدّه حصون و بثّ سراياه تغير و تسبى و تحرق ثم قدم دمشق و دخل الى مصر (٤).

و امتدت هذه الحروب اكثر من سنتين،و قد أسرت الروم قائد جيش المأمون و حاصرت جيش المسلمين عام (٢١٧ هـ).

الإمام الجواد(عليه السلام)و المأمون العباسى

لقد انتهج المأمون سياسته خاصه تجاه الأئمه من أهل البيت(عليهم السّلام) تباين سياسته أسلافه من ملوك بنى العباس.و يعد هذا التحول فى العلاقه بين السلطه و الأئمه دليلا على اتّساع المساحه التى كان يشغلها تأثير الأئمه وسط الامه و المجتمع الاسلامى مع انشداد الغالبية المؤثره بالأئمه(عليهم السّلام)و القول

ص: ٥١

١- (١) إثبات الوصيه: ١٨١-١٨٣.

٢- (٢) تاريخ الذهبى، دول الاسلام: ١١٤.

٣- (٣) تاريخ الذهبى، دول الإسلام: ١١٥-١١٧.

٤- (٤) تاريخ الذهبى دول الإسلام: ١١٥-١١٧.

بمرجعيتهم الفكرية و الروحيه،و كانت ولايه العهد للإمام الرضا(عليه السّلام)أحد أوجه هذا التحول فى السياسه و الذى يعبر عن ذكاء و دهاء المأمون فى محاولته تلك للحد من تأثير الإمام(عليه السّلام)و وضعه قريبا منه لتحديد تحركه و تحجيم دوره إضافة لرصد تحركه و تحرك القواعد الشعبيه المؤمنه بقياده أهل البيت(عليهم السّلام)و دورهم الريادى فى الامه،فبعد استشهاد الإمام الرضا(عليه السّلام) عمد المأمون الى إشخاص الإمام الجواد من المدينه إلى بغداد و تزويجه بإبنته أم الفضل مع احتجاج الاسره العباسيه على هذا التقريب و التزويج،فالمأمون كان بعيد النظر فى تعامله هذا، و كان يرمى من ورائه إلى أهداف تخدمه و تضىفى نوعا من الشرعيه على سلطته،و قد خدع الأكثرية من أبناء الامه بإظهاره الحبّ و التقدير للإمام الجواد(عليه السّلام)من أجل إزالة نقيمتهم التى خلفتها عهود الخلفاء قبله لاستبدادهم و بطشهم فضلا عن إسرافهم فى اللهو و الترف و خروجهم عن مبادئ الاسلام الحنيف فى كثير من مظاهر حياتهم الخاصه و العامه،و مما يؤكد لنا وجهه النظر هذه فى سياسه المأمون أنه فى عام(٢٠٤هـ)و فى شهر ربيع الأول قدم بغداد و لباسه و لباس قواده و جنده و الناس كلهم الخضصره فأقام جمعه-أى سبعة أيام-ثم نزعها و أعاد لباس السواد (١).و الذى كان قد أمر بنزعه بعد توليه الحكم و العهد بالولايه من بعده للإمام الرضا(عليه السّلام)سنة(٢٠١هـ). (٢)و التى انتهت باستشهاد الإمام الرضا(عليه السّلام)بعد دس السم له سنة(٢٠٣هـ).

ص:٥٢

١- ((١)) تاريخ يعقوبى:١٩٣/٢.

٢- ((٢)) تاريخ أبى الفداء:٣٢٨/١.

و استمرارا لتوطيد علاقته المأمون بأهل البيت (عليهم السلام) كان تزويجه لابنته -ام الفضل- من الإمام الجواد (عليه السلام)، و لما بلغ بنى العباس ذلك اجتمعوا فاحتجوا، لتخوفهم من أن يخرج السلطان عنهم و أن ينتزع منهم -بحسب زعمهم- لباس ألبسهم الله ذلك، فقالوا للمأمون: ننشدك الله يا أمير المؤمنين أن تقيم على هذا الأمر الذى قد عزمت عليه من تزويج ابن الرضا، فإننا نخاف أن تخرج به عنا أمرا قد ملكناه الله و تنزع منا عزا قد ألبسناه الله، و قد عرفت ما بيننا و بين هؤلاء القوم قديما و حديثا، و ما كان عليه الخلفاء قبلك من تبعيدهم و التصغير بهم، و قد كنا فى وهله من عملك مع الرضا ما عملت حتى كفانا الله المهم من ذلك، فالله الله ان تردنا إلى غم قد انحسر عنا و اصرف رأيك عن ابن الرضا و اعدل إلى من تراه من اهل بيتك يصلح لذلك دون غيره.

فقال لهم المأمون: اما ما بينكم و بين آل أبى طالب فأنتم السبب فيه و لو أنصفتهم القوم لكانوا اولى بكم... و اما أبو جعفر محمد بن على (عليه السلام) فقد اخترته لتبريزه على كافة اهل الفضل فى العلم و الفضل مع صغر سنه و الاعجوبة فيه بذلك و أنا أرجو أن يظهر للناس ما عرفته منه (١).

فخرجوا من عنده و أجمعوا رأيهم على مساءله يحيى بن أكثم و هو يومئذ قاضى الزمان، على أن يسأله مسأله لا يعرف الجواب عنها و وعدوه بأموال نفيسه على ذلك.

و اتفقوا مع المأمون على يوم تتم فيه المساءله، حيث يحضر معهم يحيى بن أكثم. ثم كان بعد ذلك أن جلس الإمام الجواد (عليه السلام) يستمع إلى أسئله

ص: ٥٣

يحيى بن أكثم و الذي بهت حين سأل الإمام حول محرم قتل صيدا فما كان من الإمام (عليه السّلام) إلا أن فرّغ عليه سؤاله فلم يجر جوابا و طلب من الإمام (عليه السّلام) أن يوضح ذلك و المأمون جالس يستمع إلى كل ذلك ثم نظر إلى أهل بيته و قال لهم: أعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه؟ ثم أقبل على أبي جعفر (عليه السّلام) و طلب منه أن يخطب ابنته فخطبها و احتفل المأمون بذلك.

ثم ان المأمون بعد اجراء العقد و إتمام الخطبه عاد فطلب من الإمام الجواد (عليه السّلام) أن يكمل جواب ما طرحه مشكلا به على ابن أكثم، فأتم الإمام (عليه السّلام) الجواب، فالتفت المأمون إلى من حضره من أهل بيته فقال لهم، هل فيكم احد يجيب عن هذه المسأله بمثل هذا الجواب؟ و يعرف القول فيما تقدم من السؤال؟

قالوا: لا و الله، ان أمير المؤمنين أعلم بما رأى.

فقال- المأمون- لهم: و يحكم ان أهل البيت خصوصا من بين الخلق بما ترون من الفضل، و إن صغر السن فيهم لا يمنعهم من الكمال و من ثم ذكر لهم ان الرسول (صلّى الله عليه و اله) افتتح الدعوه بدعاء أمير المؤمنين على بن أبي طالب (عليه السّلام) و هو ابن عشر سنين و قبل منه الاسلام. (١)

و لا بد من الاشاره إلى ان هذا الاهتمام المبالغ فيه من قبل المأمون تجاه الإمام الجواد (عليه السّلام) كان قد سلك مثله مع أبيه الإمام الرضا (عليه السّلام) حتى تم له ان دس له السم و قتله، فكان المأمون يتحرك إزاء الإمام (عليه السّلام) بهدف إبعاد الإمام (عليه السّلام) عن خاصته و عامه الناس، حيث اشخصه من المدينه إلى بغداد ليكون قريبا منه و تحت رقابته و عيون، فيعرف الداخل عليه و الخارج منه ظنا من المأمون أنه سوف يتمكن بذلك من تحجيم دور الإمام (عليه السّلام)

ص: ٥٤

١- ((١)) الارشاد: ٢٨١/٢-٢٨٧ و عنه فى اعلام الورى: ١٠١/٢-١٠٥، و فى كشف الغمه: ١٤٣/٣-١٤٧.

و ابعاده عن التأثير فضلا عن اكتساب الشرعيه لحكمه من خلال وجود الإمام(عليه السّلام)إلى جنبه،و وفقا لذلك كان موقف المأمون تجاه العباسيين الذين كانوا لا يرون فى الإمام(عليه السّلام)إلا صبيا لم يتفقه فى الدين و لا يعرف الحلال و الحرام.
و هكذا قضى الإمام الجواد(عليه السّلام)خمس عشره سنه خلال حكم المأمون حيث مات المأمون سنه (٢١٨ هـ).

الإمام الجواد(عليه السّلام)و المعتصم

و المعتصم هو محمد بن هارون الرشيد ثامن خلفاء بنى العباس بويح له بالخلافه سنه (٢١٨ هـ)بعد وفاه المأمون،و قد خرج المعتصم سنه (٢١٧ هـ) لبناء سامراء (١).ثم نقل عاصمه الدوله إليها،و لم تكن المده التى قضاه الإمام الجواد(عليه السّلام)فى خلافه المعتصم طويله فإنها لم تتجاوز السنتين حيث استشهد الإمام(عليه السّلام)بعد ان استقدمه المعتصم إلى بغداد سنه (٢٢٠ هـ).

و كان الإمام الجواد(عليه السّلام)قد خلف ولده الإمام الهادى(عليه السّلام)و هو صغير بالمدينه لما انصرف إلى العراق فى العام الذى توفى فيه المأمون بأرض الروم (٢).و هو عام (٢١٨ هـ).

و نصّ الإمام الجواد(عليه السّلام)قبل استشهاده على إمامه ابنه على فى أكثر من موقع.

ص:٥٥

١- (١) تاريخ أبى الفداء: ٣٤٣/١.

٢- (٢) إثبات الوصيه: ١٩٢.

أ-النص الأول:عن اسماعيل بن مهران قال:لما اخرج أبو جعفر فى الدفعة الاولى من المدينة إلى بغداد فقلت له:إني أخاف عليك فى هذا الوجه فإلى من الأمر بعدك؟قال:فكّر بوجهه إلى ضاحكا و قال:ليس حيث ظننت فى هذه السنة،فلما استدعاه المعتصم صرت اليه فقلت:جعلت فداك أنت خارج فإلى من الأمر بعدك؟فبكى حتى اخضلت لحيته،ثم التفت إلى فقال:عند هذه يخاف علىّ،الأمر من بعدى إلى ابني على» (١).

ب-النص الثانى:عن الخيرانى،عن ابيه-و كان يلزم أبا جعفر للخدمه التى و كل بها-قال:كان احمد بن محمد بن عيسى الاشعري يجىء فى السحر ليعرف خبر عله أبى جعفر،و كان الرسول الذى يختلف بين أبى جعفر و بين أبى إذا حضر قام احمد بن عيسى و خلا به أبى فخرج ذات ليله و قام احمد عن المجلس و خلا- أبى بالرسول و استدار احمد بن محمد و وقف حيث يسمع الكلام،فقال الرسول لأبى:ان مولاك يقرأ عليك السلام و يقول:«أنى ماض و الأمر صار إلى ابني على و له عليكم بعدى ما كان لى عليكم بعد أبى»،ثم مضى الرسول فرجع احمد بن محمد بن عيسى إلى موضعه و قال لأبى:ما الذى قال لك؟قال:خيرا،قال:فإننى قد سمعت ما قال لك و أعاد اليه ما سمع فقال له أبى:قد حرم الله عليك ذلك لأن الله تعالى يقول: **وَلَا تَجَسَّسُوا** فأما إذا سمعت فاحفظ هذه الشهاده لعلنا نحتاج اليها يوما،و إياك أن تظهرها لأحد إلى وقتها.

ص: ٥٦

١- ((١)) الكافى: ٣٢٣/١، بحار الأنوار: ١١٨/٥٠ باب النصوص على الخصوص عليه، الارشاد، للمفيد: ٣٠٨.

فلما اصبح أبى كتب نسخه الرساله فى عشر رقاع بلفظها و ختمها و دفعها الى عشره من وجوه العصابه و قال لهم: إن حدث بى حدث الموت قبل أن اطالبكم بها فافتحوها و اعملوا بما فيها.

قال: فلما مضى أبو جعفر (عليه السلام) ليث أبى فى منزله فلم يخرج حتى اجتمع رؤساء الاماميه عند محمد بن الفرخ الرخجى يتفاوضون فى القائم بعد أبى جعفر و يخوضون فى ذلك، فكتب محمد بن أبى الفرخ إلى أبى يعلمه باجتماع القوم عنده و انه لو لا مخافه الشهره لصار معهم اليه و سأله أن يأتية، فركب أبى و صار اليه فوجد القوم مجتمعين عنده فقالوا لأبى: ما تقول فى هذا الأمر؟ فقال أبى لمن عنده الرقاع أحضروها. فأحضروها و فضّها و قال: هذا ما امرت به. فقال بعض القوم: قد كنا نحب ان يكون معك فى هذا الأمر شاهد آخر فقال لهم أبى: قد أتاكم الله ما تحبون، هذا أبو جعفر الأشعرى يشهد لى بسماع هذه الرساله، و سأله أن يشهد فتوقف أبو جعفر فدعا أبى إلى المباهله و خوفه بالله فلما حقق عليه القول قال: قد سمعت ذلك و لكننى توقفت لأنى احببت أن تكون هذه المكرمه لرجل من العرب فلم يبرح القوم حتى اعترفوا بإمامه أبى الحسن و زال عنهم الريب فى ذلك» (١).

ج- النص الثالث: عن محمد بن الحسين الواسطى أنه سمع أحمد بن أبى خالد مولى أبى جعفر يحكى أنه أشهده على هذه الوصيه المنسوخه «شهد احمد بن أبى خالد مولى أبى جعفر أن أبا جعفر محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (عليه السلام) أشهده أنه أوصى إلى على ابنه بنفسه و اخوته و جعل أمر موسى إذا بلغ اليه، و جعل عبد الله بن المساور قائما على تركته من الضياع و الاموال و النفقات و الرقيق و غير

ص: ٥٧

١- (١) الكافى: ١/٣٢٤، بحار الأنوار: ٥٠/١٢٠ باب النصوص على الخصوص عليه، الارشاد، للمفيد: ٣٠٨.

ذلك إلى أن يبلغ على بن محمد.

صير عبد الله بن المساور ذلك اليوم إليه، يقوم بأمر نفسه وإخوانه و يصير أمر موسى إليه، يقوم لنفسه بعدهما على شرط أبيهما في صدقاته التي تصدق بها، وذلك يوم الأحد لثلاث ليال خلون من ذى الحجة سنة عشرين و مائتين و كتب احمد بن أبي خالد شهادته بخطه و شهد الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، و هو الجوائي على مثل شهاده احمد بن خالد في صدر هذا الكتاب و كتب شهادته بيده و شهد نصر الخادم و كتب شهادته بيده. (١)

د-النص الرابع: حدثنا محمد بن علي، قال حدثنا عبد الواحد بن محمد ابن عبدوس العطار، قال حدثنا علي بن محمد بن قتيبه النيسابوري، قال حدثنا حمدان بن سليمان، قال حدثنا الصقر بن أبي دلف، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) يقول: «الإمام بعدى ابني علي، أمره أمرى و قوله قولى و طاعته طاعتي» (٢)، و الإمام بعده ابنه الحسن أمره أمر أبيه و قوله قول أبيه و طاعته طاعه أبيه. ثم سكت فقلت له: يا بن رسول الله فمن الإمام بعد الحسن؟ فبكى (عليه السلام) بكاء شديدا ثم قال: ان بعد الحسن ابنه القائم بالحق المنتظر، فقلت له:

يا ابن رسول الله و لم سمى القائم؟ قال: لأنه يقوم بعد موت ذكره و ارتداد أكثر القائلين بامامته. فقلت له: و لم سمى المنتظر؟ قال: لأن له غيبه يكثر أيامها و يطول أمدها، فينتظر خروجه المخلصون و ينكره المرتابون و يستهزئ به الجاحدون و يكذب فيها الوقتون و يهلك فيها المستعجلون و ينجو فيها المسلمون» (٣).

ص: ٥٨

١- (١) الكافي: ٣٨٣/١.

٢- (٢) في طبعه: ثم سكت فقلت يا ابن رسول الله فمن الإمام بعد علي قال ابنه الحسن. قلت: بعد الحسن فبكى (عليه السلام) بكاء شديدا ثم قال: أن محمدا من بعد الحسن ابنه...

٣- (٣) اكمال الدين: ٢/٢٧٨ و اعلام الوری: ٤٣٦.

هـ-النص الخامس:حدثنا علي بن محمد السندی،قال محمد بن الحسن،قال حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري،عن أحمد بن هلال،عن[اميه بن علي][القيسي،قال:قلت لأبي جعفر الثاني(عليه السلام)من الخلف من بعدك؟قال:

ابني علي.ثم قال:أنه سيكون حيره.قال:قلت والى أين؟فسكت ثم قال:الى المدينة.قلت:والى أي مدينة؟قال:مدينتنا هذه،و هل مدينه غيرها (1)؟

و-النص السادس:قال أحمد بن هلال:فأخبرني محمد بن اسماعيل بن بزيع أنه حضر اميه بن علي و هو يسأل أبا جعفر الثاني(عليه السلام)عن ذلك،فأجابه بمثل ذلك الجواب.

و بهذا الاسناد عن اميه بن علي القيسي،عن أبي الهيثم التميمي،قال:

قال أبو عبد الله(عليه السلام):إذا توالى ثلاثه أسماء كان رابعهم قائمهم محمد و علي و الحسن (2).

ي-النص السابع:روى الحميري،عن أحمد بن محمد بن عيسى،عن أبيه أن أبا جعفر(عليه السلام)لما أراد الخروج من المدينه الى العراق و معاودتها أجلس أبا الحسن في حجره بعد النص عليه و قال له:ما الذي تحب أن اهدى إليك من طرائف العراق؟فقال(عليه السلام):سيفا كأنه شعله نار،ثم التفت الى موسى ابنه و قال له:ما تحب أنت؟فقال:فرسا،فقال(عليه السلام):أشبهني أبو الحسن،و أشبه هذا امه (3).

ص: ٥٩

١- (١) غيبه النعماني: ١٨ باختلاف ما في اللفظ و زياده.

٢- (٢) اكمال الدين: ٣٣٤/٢ و كذا فيه: إذا توالى ثلاثه أسماء محمد و علي و الحسن كان رابعهم قائمهم.

٣- (٣) بحار الأنوار: ١٢٣/٥٠ باب النصوص على الخصوص عليه(عليه السلام).

إن تقرب الإمام الرضا (عليه السلام) والعهد إليه بولاية الأمر من قبل المأمون العباسي و كذا ما كان من المأمون تجاه الإمام الجواد (عليه السلام) يعبر عن دهاء سياسى فى التعامل مع أقوى معارضى الدولة، حيث يمتلك الإمامان القواعد الشعبىة الواسعة مما كان يشكل خطرا على كيان الدولة، فكان تصرف المأمون معهما من أجل تطويق الخطر المحدق بالكيان السياسى للدولة العباسية و ذلك من خلال عزل الإمام (عليه السلام) عن قواعد للحد من تأثيره فى الامه، فتقريبه للإمام (عليه السلام) يعنى إقامة جبريه، و مراقبه دقيقه تحصى عليه حتى أنفاسه و تتعرف على مواليه و مقربيه، لمتابعتهم و التضيق عليهم.

قال محمد بن على الهاشمى: دخلت على أبى جعفر (عليه السلام) صبيحه عرسه بينت المأمون-أى أم الفضل- و كنت تناولت من أول الليل دواء فأول من دخل فى صبيحته أنا و قد أصابنى العطش و كرهت أن أدعو بالماء، فنظر أبو جعفر (عليه السلام) فى وجهى و قال: أراك عطشاناً قلت: أجل قال: يا غلام اسقنا ماء فقلت فى نفسى: الساعة يأتونه بماء مسموم، و اغتممت لذلك، فأقبل الغلام و معه الماء فتبسم فى وجهى ثم قال: يا غلام ناولنى الماء فتناول و شرب، ثم ناولنى الماء و شربت (١).

فقال محمد بن على الهاشمى لمحمد بن حمزه: و الله إنى أظن أن أبا جعفر (عليه السلام) يعلم ما فى النفوس كما تقول الراضه (٢).

فالهاشمى هذا ليس من شيعه الإمام (عليه السلام)، غير انه كان يدرك ما يدور

ص: ٦٠

١- ((١)) الكافى: ١/٤٩٥ و ٤٩٦.

٢- ((٢)) اصول الكافى: ١/٤٩٥ ح ٦ ب ١٣٢ و عنه فى الارشاد: ٢/٢٩١.

فى خلد العباسيين و يعرف وسائلهم فى التخلص من معارضيهم، و ربّما يستفاد من قوله هذا تأكيد أن الإمام الرضا (عليه السّلام) قد مضى مسموماً من قبل المأمون.

و روى المسعودى: أنّ المعتصم و جعفر بن المأمون دبّرا حيله للتخلص من الإمام الجواد (عليه السّلام)، فاتفق جعفر مع اخته أم الفضل -زوج الإمام الجواد (عليه السّلام)- أن تقدّم له عنبا مسموماً، و قد فعلت ذلك و أكل منه الإمام (عليه السّلام)، فندمت و جعلت تبكى فقال لها الإمام (عليه السّلام): ما بكأؤك! و الله ليضربنك الله بفقر لا ينجلى و بلاء لا ينستر... فبليت بعله فأنفقت مالها و جميع ملكها على تلك العله حتى احتاجت إلى رفد الناس -أى معونتهم- و قد تردى أخوها جعفر فى بئر فاخرج ميتا و كان سكرانا.

و يروى أن ابن أبى داود القاضى كان السبب لقتل الإمام (عليه السّلام) و كان سبب و شايته: أنّ سارقا جاء إلى الخليفة، و أقرّ على نفسه بالسرقه و سأل الخليفة أن يطهره بإقامه الحد عليه، فجمع المعتصم الفقهاء و سألهم عن مكان قطع اليد لإقامه الحد على السارق هذا فاختلّفوا فى مكان القطع فالبعض قال من المرفق، و آخر قال من الكرسوع، و استشهدوا بآيات من القرآن الكريم تأولا بغير علم، فالتفت المعتصم إلى الإمام (عليه السّلام) و قال: ما تقول يا أبا جعفر؟ قال: قد تكلم القوم فيه يا أمير المؤمنين. قال: دعنى مما تكلموا به، أى شىء عندك؟ قال: أعفى عن هذا يا أمير المؤمنين قال: أقسمت عليك بالله لما أخبرتنى بما عندك فيه، فقال: إذا أقسمت علىّ بالله، إنى أقول: إنهم أخطأوا فيه السنّه، فإن القطع يجب أن يكون من مفصل الاصابع فيترك الكف. قال: لم؟ قال لقول رسول الله (صلّى الله عليه و اله): السجود على سبعة اعضاء: الوجه و اليدين و الركبتين و الرجلين فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها، و قال الله تبارك و تعالى:

وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ يَعْنَى بِه هَذِهِ الْأَعْضَاءُ السَّبْعَةُ الَّتِي يَسْجُدُ عَلَيْهَا فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا وَ مَا كَانَ لِلَّهِ لَمْ يَقْطَعْ، قَالَ: فَأَعْجَبَ الْمُعْتَصِمَ ذَلِكَ فَأَمَرَ بِقَطْعِ يَدِ السَّارِقِ مِنْ مَفْصَلِ الْأَصَابِعِ دُونَ الْكَفِّ.

قال زرقان: إن ابن أبي داود قال لي: صرت إلى المعتصم بعد ثلثه فقلت: إن نصيحه أمير المؤمنين عليّ واجبه، و أنا أكلمه بما أعلم أني أدخل به النار قال: ما هو؟ قلت: إذا جمع أمير المؤمنين في مجلسه فقهاء رعيته و علماءهم لأمر واقع من أمور الدين فسألهم عن الحكم فيه، فأخبروه بما عندهم من الحكم في ذلك. و قد حضر المجلس أهل بيته و قواده و وزراؤه، و كتّابه و قد تسمع الناس بذلك من وراء بابه ثم يترك أقاويلهم كلهم لقول رجل يقول شطر هذه الامه بإمامته و يدعون أنه اولى منه بمقامه، ثم يحكم بحكمه دون حكم الفقهاء.

قال ابن أبي داود: فتغير لونه—أى المعتصم—و انتبه لما تبهته له، و قال:

جزاك الله عن نصيحتك خيراً...» (١).

من هنا ندرك أنه كيف اندفع المعتصم للتآمر على الإمام الجواد (عليه السلام) مع جعفر ابن المأمون و اخته أم الفضل فلا تعارض بين هاتين الروايتين و الحال هذه.

ص: ٦٢

١- ((١)) تفسير العياشي: ٣١٩/١، مدينة المعاجز: ٤٠٣/٧، بحار الأنوار: ١٩١/٧٦.

الباب الثالث

اشاره

و فيه فصول:

الفصل الأول:

المسيره الرساليه لأهل البيت (عليهم السّلام) منذ عصر الرسول (صلى الله عليه و اله) حتى عصر الإمام الهادى (عليه السّلام)

الفصل الثانى:

عصر الإمام على بن محمّد الهادى (عليه السّلام)

الفصل الثالث:

ملاحع عصر الإمام الهادى (عليه السّلام)

ص: ٦٣

المسيره الرساليه لأهل البيت (عليهم السلام) منذ عصر الرسول (صلى الله عليه و اله)

حتى عصر الإمام الهادى (عليه السلام)

تعتبر الرساله الإسلاميه الكون مملكه لله سبحانه، و الإنسان خليفه له و أمينا من قبله، ينبغى له أن يقوم بأعباء المسؤوليه التى حمّله الله إياها. و ما دامت الحياه الدنيا تعتبر شوطا قصيرا فى مسيره الإنسان الطويله فالأهداف التى ينبغى للمشرع الحكيم و للإنسان المشرع إليه أن يستهدفها لا تتلّخص فى تحقيق مآرب هذه الحياه الدنيا الفانيه و إنّما تمتد بامتداد حياته الباقيه فى عالم الآخره. و الإسلام يريد للإنسان أن يتربّى على هذه الثقافه التى تصنع منه كائنا متكاملا سويا دؤوبا فى تحقيق الأهداف الرساليه الكبرى. و قد كان التخطيط الربانى لتربيّه الإنسان فى هذا الاتجاه حكيما و متقنا حين تزعم الرسول الخاتم (صلى الله عليه و اله) المجتمع الإنسانى و هيمن على كل العلاقات الاجتماعيه و غيرها ليصوغ من هذا الإنسان نموذجا فريدا. و لم يكن الطريق أمام عمليه التغيير الجذرى التى بدأها النبى (صلى الله عليه و اله) فى

المجتمع الإنساني طريقا قصيرا يمكن تحقيقه خلال عقد أو عقدين من الزمن بل كان طريقا ممتدا بامتداد الفواصل المعنويه الضخمه بين الجاهليه و الإسلام.

و لم يكن كل ما حققه الرسول(صلّى الله عليه و اله) في هذه البرهه المحدوده كافيا لاجتثاث كل الجذور الجاهليه من عامه أبناء الجيل الأوّل و ايصاله الى الدرجه اللازمه من الوعي و الموضوعيه و التحرز من كل رواسب الماضى الجاهلى بحيث يؤهله للقيومه على خط رساله.

و تكفى الأحداث المرّه التى أعقبت وفاه الرسول(صلّى الله عليه و اله) و ما جرى بين صحابه الرسول من سجلات سجّلها المؤرخون فى المصادر التى بأيدينا لتشهد على أن جيل الصحابه لم يرتق الى درجه الكفاءه اللازمه ليخلف الرسول على رسالته.

من هنا كان منطق العمل التغييرى يفرض على الرسول(صلّى الله عليه و اله) أن يصون تجربته الرائدة-التي كان يريد لها الخلود و البقاء و هو الذى أعلن بأنّه خاتم المرسلين و أنّه لا نبي بعده..كان يفرض عليه أن يصون تجربته-من كل ما يؤدى الى ضعفها أو إنهارها،و ذلك باعطاء القيمومه و الوصايه على تجربته لقياده كفوءه معصومه قد أعدّها بنفسه كما يريد و كما ينبغى؛لتقوم بالمهمه التغييريه الشامله خلال فتره طبيعيه من الزمن بحيث تحقق للرساله أهدافها التى كانت تنشدها من ارسال الرسل و تقديم منهج ربانى كامل للحياه.

عقبات و أخطار أمام عمليه التغيير الشامله

لم يكن الإسلام نظريه بشريه لكى تتحدّد فكريا من خلال ممارسه تجارب الخطأ و الصواب فى التطبيق،و إنما هو رساله الله التى حدّدت فيها الأحكام و المفاهيم و زوّدت ربّانيا بكلّ التشريعات العامه،فلا بدّ لزعامه هذه

التجربه من استيعاب الرساله بحدودها و تفاصيلها و وعى كامل لأحكامها و مفاهيمها،و إلا كانت مضطره إلى استلهاام مسبقاتها الذهنيه و مرتكزاتها القبليه و ذلك يؤدى إلى نكسه فى مسيره التجربه و بخاصه إذا لاحظنا أن الإسلام كان هو الرساله الخاتمه لرسالات السماء التى تمتد مع الزمن و تتعدى كل الحدود الاقليميه و القوميه،الأمر الذى لا يسمح بأن تمارس زعامته تجارب الخطأ و الصواب التى تتراكم فيها الأخطاء عبر فتره من الزمن حتى تشكل ثغره تهدد التجربه بالسقوط و الانهيار (١).

و قد برهنت الأحداث التى جرت على آل الرسول(عليهم السّلام)بعد وفاته(صلّى الله عليه و اله)استثارا بالخلافه دونهم على هذه الحقيقه المرّه و تجلّت آثارها السلبيه بوضوح بعد نصف قرن أو أقلّ من ممارسه الحكم من قبل جيل المهاجرين الذين لم يرشّحوا من قبل الرسول(صلّى الله عليه و اله)للإمامه و لم يكونوا مؤهلين للقيومه على الرساله.

فلم يمض ريع قرن حتى بدأت الخلافه الراشده تنهار تحت وقع الضربات الشديده التى وجّهها أعداء الإسلام القدامى؛ إذ استطاعوا أن يتسلّوا إلى مراكز النفوذ فى قياده التجربه بالتدريج حتّى صادروا بكل وقاحه و عنف تلك القياده و أجبروا الأئمّه وجيلها الطليعى الرائد على التنازل عن شخصيته و قيادته و تحوّلت الزعامه إلى ملك موروث يستهتر بالكرامات و يقتل الأبرياء و يبعثر الأموال و يعطل الحدود و يجمّد الأحكام و يتلاعب بمقدّرات الناس و أصبح الفىء و السواد بستانا لقربش،و الخلافه كره يتلاعب بها صبيان بنى اميه (٢).

ص: ٦٧

١- (١) بحث حول الولاية: ٥٧-٥٨.

٢- (٢) بحث حول الولاية: ٦٠-٦١.

لقد واجه الإسلام بعد وفاه النبي (صلى الله عليه و اله) انحرافاً خطيراً فى صميم التجربة الإسلاميه التى أنشأها هذا النبي العظيم (صلى الله عليه و اله) لأمته. و هذا الانحراف فى التجربة الاجتماعيه و السياسيه للأمم و الدوله الإسلاميه كان بحسب طبيعه الأشياء من المفروض أن يتسع ليتعمق بالتدرىج على مر الزمن؛ اذ الانحراف يبدأ بذره ثم تنمو هذه البذره، و كلما تحققت مرحله من الانحراف؛ مهّدت هذه المرحله لمرحله أوسع و أرحب.

فكان من المفروض أن يصل هذا الانحراف إلى خط منح طول عمليه تاريخيه زمنيّه طويله المدى يصل به إلى الهاويه حين تستمر التجربة الإسلاميه فى طريق منحرف لتصبح مليئه بالتناقضات من كل جهه، و تصبح عاجزه عن تحقيق الحد الأدنى من متطلبات الامّه و مصالحها الإسلاميه.

و حينما يتسلسل الانحراف فى خط تصاعدى فمن المنطقى أن تتعرض تجربه لانهايار كامل و لو بعد زمن طويل. إذن فالدوله الإسلاميه و المجتمع الإسلامى و الحضاره الإسلاميه كان من المفروض أن تتعرض كلّها للانهايار الكامل؛ لأن هذه التجربة حين تصبح مليئه بالتناقضات و حين تصبح عاجزه عن مواجهه وظائفها الحقيقيه؛ تصبح عاجزه عن حمايه نفسها؛ لأن التجربة تكون قد استنفدت إمكانيه البقاء و الاستمرار على مسرح التاريخ، كما أن الأمّه ليست على مستوى حمايتها؛ لأن الامّه لا تجنى من هذه التجربة الخير الذى تفكر فيه و لا تحقق عن طريق هذه التجربة الآمال التى تصبو اليها فلا- ترتبط بأى ارتباط حياتى حقيقى معها، فالمفروض أن تنهار هذه التجربة فى مدى من الزمن كنتيجه نهائيه حتميه لبذره الانحراف التى غرست فيها.

و معنى انهيار الدوله الإسلاميه أن تسقط الحضاره الإسلاميه و تتخلى عن قياده المجتمع و يتفكك المجتمع الإسلامى، و يقصى الإسلام عن مركزه كقائد للمجتمع و كقائد للامه، لكن الامه تبقى طبعاً، حين تفشل تجربه المجتمع و الدوله، لكنها سوف تنهار أمام أول غزو يغزوها، كما انهارت أمام الغزو التترى الذى واجهته الخلافه العباسيه.

و هذا الانهيار يعنى: أن الدوله و تجربه قد سقطت و أن الامه بقيت، لكن هذه الامه أيضا بحسب تسلسل الأحداث من المحتوم أن تنهار كامه تدين بالإسلام و تؤمن به و تتفاعل معه؛ لأن هذه الامه قد عاشت الإسلام الصحيح زمنا قصيرا جدا و هو الزمن الذى مارس فيه الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و اله) زعامه تجربه و بعده عاشت الامه تجربه المنحرفه التى لم تستطع أن تعمق الإسلام و تعمق المسؤوليه تجاه عقيدتها و لم تستطع أن تثقفها و تحضنها و تزودها بالضمانات الكافيه لئلا تنهار أمام الحضاره الجديده و الغزو الجديد و الأفكار الجديده التى يحملها الغازى إلى بلاد الإسلام.

و لم تجد هذه الامه نفسها قادره على تحصين نفسها بعد انهيار تجربه و الدوله و الحضاره بعدما اهينت كرامتها و حطمت ارادتها و غلت أيادها عن طريق الزعامات التى مارست تلك تجربه المنحرفه و بعد أن فقدت روحها الحقيقيه، لأن تلك الزعامات كانت تريد اخضاعها لزعامتها القسريه.

إن هذه الامه من الطبيعى أن تنهار بالاندماج مع التيار الكافر الذى غزاها و سوف تذوب الامه و تذوب الرساله و العقيدته أيضا و تصبح الامه خيرا بعد أن

كانت أمراً حقيقياً على مسرح التاريخ و بهذا ينتهى دور الإسلام نهائياً (١).

لقد كان هذا هو التسلسل المنطقى لمسيره الدوله و الامه و الرساله بقطع النظر عن دور الأئمه المعصومين الذين اوكلت إليهم من قبل الرسول (صلى الله عليه و اله) مهمه صيانه التجربه و الدوله و الامه و الرساله جميعاً.

دور الأئمه الراشدين

إنّ دور الأئمه الاثنى عشر الذين نصّ عليهم و على إمامتهم الرسول (صلى الله عليه و اله) و استخلفهم لصيانه الإسلام من أيدي العابثين الذين كانوا يتربصون به الدوائر، و حملهم مسؤوليه تطبيقه و تربيته الإنسانيه على أساسه و صيانه دوله الرسول الخاتم من الانهيار و التردى يتلخص فى أمرين مهمين و خطين أساسيين:

١-خط تحصين الامه ضد الانهيار بعد سقوط التجربه، و اعطائها من المقومات القدر الكافى لكى تبقى واقفه على قدميها بقدم راسخه و بروح مجاهده و بإيمان ثابت.

٢-خط محاوله تسلّم زمام التجربه و زمام الدوله و محو آثار الانحراف و ارجاع القيادة إلى موضعها الطبيعى لتكتمل عناصر التربيه الثلاثه-أعنى الامه و الشريعه و المرئى الكفو-و لتتلاحم الامه و المجتمع مع الدوله و قيادتها الرشيد (٢).

أما الخط الثانى فكان على الأئمه الراشدين أن يقوموا بإعداد طويل المدى له، من أجل تهيئه الظروف الموضوعيه اللازمه التى تتناسب و تتفق مع

ص: ٧٠

١- ((١)) راجع: أهل البيت (عليهم السلام) تنوع أدوار و وحده هدف: ١٢٧-١٢٩.

٢- ((٢)) أهل البيت (عليهم السلام) تنوع أدوار و وحده هدف: ٥٩.

مجموعه القيم و الأهداف و الأحكام الأساسية التي جاءت بها الرسالة الإسلامية و أريد تحقيقها من خلال الحكم و ممارسه الزعامه باسم الإسلام القيم و باسم الله المشرع للإنسان كل ما يوصله إلى كماله اللاتق.

و من هنا كان رأى الأئمة المعصومين من أهل بيت الرسول (صلى الله عليه و اله) في استلام زمام الحكم أن الانتصار المسلح الآتي غير كاف لإقامه دعائم الحكم الإسلامي المستقر بل يتوقف ذلك على إعداد جيش عقائدى يؤمن بالإمام و بعصمته إيماناً مطلقاً بحيث يعيش أهدافه الكبيره و يدعم تخطيطه في مجال الحكم و يحرس كل ما يحققه للأمة من مصالح و أهداف ربّانية.

و أما الخط الأول فهو الخط الذي لا يتنافى مع كل الظروف القاهرة، و كان يمارسه الأئمة الأطهار (عليهم السلام) حتى في حالة الشعور بعدم توفر الظروف الموضوعية التي تهىء الإمام (عليه السلام) لخوض معركة يتسلم من خلالها زمام الحكم من جديد.

إن هذا الدور و هذا الخط هو خط تعميق الرسالة فكراً و روحياً و سياسياً في ضمير الامه بغية إيجاد تحصين كاف في صفوفها ليؤثر في تحقيق مناعتها و عدم انهيارها بعد تردى التجربة و سقوطها، و ذلك بإيجاد قواعد و اعيه في الأمة و إيجاد روح رساليه فيها و إيجاد عواطف صادقه تجاه هذه الرسالة في صفوف الأمة (1).

و استلزم عمل الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) في هذين الخطين قيامهم بدور رسالي ايجابي و فعال على مدى قرون ثلاثة تقريباً في مجال حفظ الرسالة و الأمة و الدوله و حمايتها باستمرار.

و كلما كان الانحراف يشتد؛ كان الائمه الأبرار يتخذون التدابير اللازمه

ص: ٧١

١- ((١)) أهل البيت (عليهم السلام) تنوع ادوار و وحده هدف: ١٣١-١٣٢ و ١٤٧-١٤٨.

ضد ذلك، وكما وقعت محنة للعقيدته أو التجربه الإسلاميه و عجزت الزعامات المنحرفه من علاجها-بحكم عدم كفاءتها-بأدر الأئمه المعصومون إلى تقديم الحلّ و وقايه الامه من الأخطار التي كانت تهددها.

فالأئمه من أهل البيت(عليهم السّلام) كانوا يحافظون على المقياس العقائدى فى المجتمع الإسلامى بشكل مستمر إلى درجه لا تنتهى بالأئمه إلى الخطر الماحق لها (١).

المهام الرساليه للأئمه الطاهرين

من هنا تنوعت مهام الأئمه الاثنى عشر(عليهم السّلام) فى مجالات شتى باعتبار تعدد العلاقات و تعدد الجوانب التي كانت تهمهم كقياده واعيه رشيده تريد تطبيق الإسلام و حفظه و ضمان خلوده للإنسانيه جمعاء.

لأن الأئمه مسؤولون عن صيانته تراث الرسول(صلى الله عليه و اله)الأعظم و ثمار جهوده الكريمة المتمثله فى:

١-الشريعه و الرساله التي جاء بها الرسول الأعظم من عند الله و المتمثله فى الكتاب و السنه الشريفين.

٢-الأئمه التي كونها و ربها الرسول الكريم بيديه الكريمتين.

٣-المجتمع السياسى الإسلامى الذى أوجده النبى محمد(صلى الله عليه و اله)أو الدوله التي أسسها و شيد أركانها.

٤-القياده النموذجيه التي حققها بنفسه و ربى لتجسيدها الأكفاء من أهل بيته الطاهرين.

لكن استثنار بعض الصحابه بالمركز القيادى الذى رشح له الأئمه

ص:٧٢

١- ((١)) أهل البيت(عليهم السّلام)تنوع أدوار و وحده هدف:١٤٤.

المعصومون من قبل الله ورسوله (صلى الله عليه و اله) ونص عليهم الرسول (صلى الله عليه و اله) لاستلامه و لتربيته الامة من خلاله لم يكن ليمنعهم ذلك من الاهتمام بالمجتمع الإسلامى السياسى و صيانه الدوله الإسلاميه من الانهيار بالقدر الممكن لهم بالفعل و بمقدار ما كانت تسمح به الظروف الواقعيه المحيطة بهم.

كما أن سقوط الدوله الإسلاميه لا يحول دون الاهتمام بالامه كأمه مسلمه و دون الاهتمام بالرساله و الشريعه كرساله إلهيه و صيانتها من الانهيار و الاضمحلال التام.

و على هذا الأساس تنوعت مجالات عمل الأئمه الطاهرين (عليهم السلام) جميعا بالرغم من اختلاف ظروفهم من حيث نوع الحكم القائم و من حيث درجه ثقافه الامة و مدى و عيها و ايمانها و معرفتها بالأئمه (عليهم السلام) و مدى انقيادها للحكام المنحرفين و من حيث نوع الظروف المحيطة بالكيان الإسلامى و الدوله الإسلاميه و من حيث درجه التزام الحكام بالإسلام و من حيث نوع الأدوات التى كان يستخدمها الحكام لدعم حكمهم و إحكام سيطرتهم.

موقف أهل البيت (عليهم السلام) من انحراف الحكام

كان للأئمه المعصومين (عليهم السلام) نشاط مستمر تجاه الحكم القائم و الزعامات المنحرفه و قد تمثل فى إيقاف الحاكم عن المزيد من الانحراف، بالتوجيه الكلامى تارة، أو بالثوره المسلحه ضد الحاكم حينما كان يشكل انحرافه خطرا ماحقا- كثوره الإمام الحسين (عليه السلام) ضد يزيد بن معاويه- إن كلفهم ذلك حياتهم و قد عملوا للحد من انحراف الحكام عن طريق إيجاد المعارضه المستمره و دعمها بشكل و آخر من أجل زعزعه القياده المنحرفه بالرغم من دعمهم للدوله الإسلاميه بشكل غير مباشر حينما كانت تواجه خطرا ماحقا أمام الكيانات الكافره.

و كان للأئمة الأطهار (عليهم السلام) نشاط مستمر في مجال تربيته الامه عقائديا و أخلاقيا و سياسيا و ذلك من خلال تربيته الأصحاب العلماء و بناء الكوادر العلميه و الشخصيات النموذجيه التي تقوم بمهام كبيره مثل نشر الوعي و الفكر الإسلامى و تصحيح الأخطاء المستجده في فهم الرساله و الشريعه، و مواجهه التيارات الفكرية السياسيه المنحرفه أو الشخصيات العلميه المنحرفه التي كان يوظفها الحاكم المنحرف لدعم زعامته.

و حيث كان الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) يشكّلون النموذج الحى للزعامة الصالحه، عملوا على تثقيف الامه و رفع درجه و عيها بالنسبه لإمامتهم و زعامتهم و مرجعيتهم العامه.

و هكذا تفاعل الأئمة (عليهم السلام) مع الامه و دخلوا الى أعماق ضمير الامه و ارتبطوا بها و بكل قطاعاتها بشكل مباشر و تعاطفوا مع قطاع واسع من المسلمين؛ فإن الزعامه الجماهيريه الواسعه النطاق التي كان يتمتع بها ائمه أهل البيت (عليهم السلام) على مدى قرون لم يحصل عليها أهل البيت صدفه أو لمجرد الانتماء لرسول الله (صلّى الله عليه و اله)؛ و ذلك لوجود كثير ممن كان ينتسب إلى رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و لم يكن يحظى بهذا الولاء؛ لأن الامه لا تمنح على الأغلب الزعامه مجانا و لا يملك الفرد قيادتها و ميل قلوبها من دون عطاء سخى منه في مختلف مجالات اهتمام الامه و مشاكلها و همومها.

وهكذا خرج الإسلام على مستوى النظرية سليماً من الانحراف وإن تشوّهت معالم التطبيق من خلال الحكام المنحرفين، وتحوّلت الأمة إلى أمة عقائديه تقف بوجه الغزو الفكري والسياسي الكافر حتى استطاعت أن تسترجع قدرتها وروحها على المدى البعيد كما لاحظناه في هذا القرن المعاصر بعد عصور الانهيار والتردى حيث بزغ نور الإسلام من جديد ليعود بالبشرية إلى مرفأ الحق والتليد.

وقد حقق الأئمة المعصومون (عليهم السّلام) كل هذه الانتصارات بفضل اهتمامهم البالغ بتربية الجماعه الصالحه التي تؤمن بهم و بإمامتهم فأشرفوا على تنميته و عيها و إيمانها من خلال التخطيط لسلوكها و حمايتها باستمرار و اسعافها بكل الأساليب التي كانت تساعد على ثباتها في خضمّ المحن و ارتفاعها إلى مستوى جيش عقائدي رسالي يعيش هموم الرساله و يعمل على صيانتها و نشرها و تطبيقها ليل نهار.

مراحل الحركة الرسالية للأئمة الراشدين (عليهم السّلام)

و إذا رجعنا إلى تاريخ أهل البيت (عليهم السّلام) و الظروف التي كانت قد أحاطت بهم و لاحظنا سيرتهم و مواقفهم العامه و الخاصه استطعنا أن نصنّف ظروفهم و مواقفهم إلى مراحل و عصور ثلاثه يتميز بعضها عن بعض بالرغم من اشتراكهم في كثير من الظروف و المواقف و لكن الأدوار تتنوع باعتبار مجموعه الظواهر العامه التي تشكل خطاً فاصلاً و مميزاً لكل عصر.

فالمرحلة الاولى من حياه الأئمة (عليهم السّلام) و هي (مرحلة تفادي صدمه

الانحراف) بعد وفاه رسول الله (صلى الله عليه و اله) تجسدت في سلوك و مواقف الأئمة الأربعة: على و الحسن و الحسين و على بن الحسين (عليهم السلام) فقاموا بالتحصينات اللازمه لصيانته العناصر الأساسية للرساله و إن لم يستطيعوا القضاء على القيادة المنحرفه. لكنهم استطاعوا كشف زيفها و المحافظه على الرساله الإسلاميه نفسها. و بالطبع إنهم لم يهملوا الأئمة أو الدوله الإسلاميه بشكل عام من رعايتهم و اهتماماتهم فيما يرتبط بالكيان الإسلامى و الأئمة المسلمه فضلا عن سعيهم البليغ فى بناء و تكوين الكتله الصالحه المؤمنه بقيادتهم.

و تبدأ المرحله الثانيه بالشرط الثاني من حياه الإمام السجاد السياسيه حتى الإمام الكاظم (عليه السلام) و تتميز بأمرين أساسيين:

الأول منهما: يرتبط بالخلافه المزيّفه، فقد تصدى هؤلاء الأئمة لتعريتها عن التحصينات التى بدأ الخلفاء يحصّون بها أنفسهم من خلال دعم و تأييد طبقه من المحدثين و العلماء (و هم و عاظ السلاطين) لهؤلاء الخلفاء و تقديم صنوف التأييد و الولاء لهم من أجل إسباغ الصبغه الشرعيه على زعامتهم بعد أن استطاع الأئمة فى المرحله الاولى أن يكشفوا زيف خط الخلافه و يشعروا الأئمة بمضاعفات الانحراف الذى حصل فى مركز القيادة بعد الرسول الأعظم (صلى الله عليه و اله).

و الثاني منهما: يرتبط ببناء الجماعه الصالحه و الذى ارسيت دعائمه فى المرحله الاولى، فقد تصدى الأئمة المعصومون فى هذه المرحله إلى تحديد الاطار التفصيلى و إيضاح معالم الخط الرسالى الذى أوّتمن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) عليه، و الذى تمثّل فى تبين و نشر معالم النظرية الإسلاميه و تربيته عدّه أجيال من العلماء على أساس الثقافه الإسلاميه التى استوعبها الأئمة الأطهار فى قبال الخط الثقافى الذى استحدثته و عاظ السلاطين.

هذا فضلا عن تصديهم لدفع الشبهات و كشف زيف الفرق التي استحدثت من قبل خط الخلافة أو غيره.

و الأئمة في هذه المرحلة لم يتوانوا عن زعزعه الزعامات و القيادات المنحرفة من خلال دعم بعض الخطوط المعارضة للسلطة و لا سيما بعض الخطوط الثورية منها و التي كانت تتصدى لمواجهه من تررع على كرسى خلافة الرسول (صلى الله عليه و اله) بعد ثوره الإمام الحسين (عليه السلام).

و أما المرحلة الثالثه من حياه الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) فهي تبدأ بشرط من حياه الإمام الكاظم (عليه السلام) و تنتهى بالإمام المهدي (عليه السلام) فإنهم بعد وضع التحصينات اللازمه للجماعه الصالحه و رسم المعالم و الخطوط التفصيليه لها عقائديا و اخلاقيا و سياسيا فى المرحلة الثانيه قد بدا للخلفاء أن قياده أهل البيت (عليهم السلام) أصبحت بمستوى تسلّم زمام الحكم و العوده بالمجتمع الإسلامى إلى حظيره الإسلام الحقيقى، مما خلف ردود فعل للخلفاء تجاه الأئمة (عليهم السلام)، و كانت مواقف الأئمة تجاه الخلفاء تختلف تبعا لنوع موقف الخليفه تجاههم و تجاه قضيتهم.

و أما فيما يرتبط بالجماعه الصالحه التى أوضحوا لها معالم خطها فقد عمل الأئمة (عليهم السلام) على دفعها نحو الثبات و الاستقرار و الانتشار من جهه لتحسينها من الانهيار، و اعطائها درجه من الاكتفاء الذاتى من جهه اخرى.

و كان يقدر الأئمة أنهم بعد مواجهه المستمره للخلفاء سوف لا يسمح لهم بالمكث بين ظهرانيهم و سوف لن يتركهم الخلفاء أحرارا بعد أن تبين زيفهم و دجلهم و اتضحت لهم المكانه الشعبيه للأئمة المعصومين الذين كانوا يمثلون الزعامه الشرعيه و الواقعيه للإسلاميه.

و من هنا تجلّت ظاهره تربيّه الفقهاء بشكل واسع ثم ارجاع الناس اليهم

و تدرّيبهم على مراجعتهم للعلماء السائرين على خط أهل البيت (عليهم السّلام) فى كل قضاياهم و شؤونهم العامه تمهيدا للغيبه التى لا يعلم مداها إلا الله سبحانه و التى أخبر الرسول (صلى الله عليه و اله) عن تحققها و أملت الظروف عليهم الانصياع اليها.

و بهذا استطاع الأئمّه (عليهم السّلام) -ضمن تخطيط بعيد المدى- أن يقفوا بوجه التسلسل الطبيعى لمضاعفات انحراف القيادة الإسلاميه و التى كانت تنتهى بتنازل الأئمّه عن الإسلام الصحيح و بالتالى ضمور الشريعه و انهيار رساله الالهيه بشكل كامل.

موقع الإمام الهادى (عليه السلام) فى عمليه التغيير الشامله

و الإمام على بن محمد الهادى (عليه السّلام) يصنّف فى هذه المرحله الثالثه من مراحل حركه أهل البيت (عليهم السّلام) فهو قد مارس نشاطا مكثفا لإعداد الجماعه الصالحه للدخول الى دور الغيبه المرتقب، و تحصين هذا الخط ضد التحديّات التى كانت توجّه إليه باستمرار.

و سوف نقف على تفاصيل مواقف الإمام الهادى (عليه السلام) و نشاطاته و إنجازاته التى اختصّ بها عصره بعد التعرّف على ملامح عصره و أهم الظروف التى كانت تحيط به و بشيئته و بالامه الإسلاميه جميعا ضمن الفصول القادمه إن شاء الله تعالى.

إشاره

عصر الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام)

تحدثنا عن المرحلة الأولى من حياة الإمام الهادي (عليه السلام) في ظلال والده الإمام محمد الجواد (عليه السلام) وقد كانت فترة قصيره جدا لم تتجاوز ثمانين سنين -على أكثر التقادير- وقد قضاها في المدينة المنوره، و كان في شطر منها بعيدا عن والده، وذلك لأن المعتصم العباسي قد استدعاه في سنه (٢١٨ هـ) الى بغداد.

و المرحلة الثانيه من حياة الإمام الهادي (عليه السلام) تناهز أربعاً و ثلاثين سنه حيث تحمّل فيها أعباء منصب الإمامه منذ سنه (٢٢٠ هـ) الى سنه (٢٥٤ هـ) و استمرت (٣٤ سنه).

و عاصر فيها كلا من: المعتصم (٢١٨-٢٢٧ هـ) و الواثق (٢٢٧-٢٣٢ هـ).

و المتوكل (٢٣٢-٢٤٧ هـ) و المنتصر (٢٤٧-٢٤٨ هـ) و المستعین (٢٤٨-٢٥٢ هـ) و المعتز (٢٥٢-٢٥٥ هـ).

المعتصم (٢١٨-٢٢٧ هـ)

إشاره

هو محمد بن الرشيد، ولد سنه (١٨٠ أو ١٧٨)، و استولى على كرسى الخلافه سنه (٢١٨ هـ) امه ماردة كانت أحظى الناس عند الرشيد. و قالوا عنه:

أنه كان ذا شجاعه و قوه و همّه و كان عرياً من العلم. و كان إذا غضب لا يبالي من

قتل، و كان من أشدّ الناس بطشا، كان يجعل زند الرجل بين أصبعيه فيكسره.

و هو أول خليفه أدخل الأتراك الديوان و كان يتشبه بملوك الأعاجم و يمشى مشيتهم، و بلغت غلمانه الأتراك بضعه عشر ألفا.

و هجاه دعبل الخزاعي بالأبيات التاليه:

ملوك بني العباس في الكتب سبعة و لم يأتنا في ثامن منهم الكتب

كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة غداه ثووا فيه و ثامنهم كلب

و إني لأزهي كلبهم عنك رغبه لأنك ذو ذنب و ليس له ذنب

لقد ضاع أمر الناس حيث يسوسهم و صيف و اشناس و قد عظم الخطب

و سار على ما كان عليه المأمون من امتحان الناس بخلق القرآن و قاسى الناس منه مشقه فى ذلك و قتل عليه خلقا من العلماء و ضرب الإمام أحمد بن حنبل فى سنة عشرين و مائتين. و فيها تحوّل المعتصم من بغداد و بنى سرّ من رأى بعد أن اعتنى باقتناء الترك و بذل الأموال الطائله فيهم حتى ألبسهم الديباج و مناطق الذهب و أصبحوا يؤذون الناس ببغداد حتى هدّده أهل بغداد بمحاربتة إن لم يخرجهم منها، و لهذا بنى سامراء و أخرجهم من بغداد.

و غزا المعتصم الروم سنة (٢٢٣ هـ) و فتح عموريه و مات فى ربيع الأوّل سنة (٢٢٧ هـ) و دامت حكمه المعتصم ثمانى سنين و ثمانيه أشهر.

الإمام الهادى (عليه السلام) و المعتصم العباسى

بعد اغتيال الإمام الجواد (عليه السلام) من قبل المعتصم عهد المعتصم إلى عمر بن الفرج أن يشخص بنفسه إلى المدينه ليختار معلما لأبى الحسن الهادى (عليه السلام) البالغ من العمر آنذاك ست سنين و أشهر، و قد عهد إليه ان يكون المعلم معروفا بالنصب و الانحراف عن أهل البيت (عليهم السلام) ليغذيه ببغضهم.

و لما انتهى عمر إلى يثرب التقى بالوالى و عَزَفَه بمهمته فأرشده الوالى و غيره إلى الجنيدى الذى كان شديد البغض للعلويين، فأرسل خلفه و عَزَفَه بالأمر فاستجاب له بعد أن عَيَّن له راتباً شهرياً، و عهد إليه أن يمنع الشيعة من زيارته و الاتصال به.

بادر الجنيدى الى ما كان امر به من مهمته تعليم الإمام (عليه السلام) إلا انه قد ذهل لما كان يراه من حده ذكائه، و التقى محمد بن جعفر بالجنيدى فقال له: «ما حال هذا الصبى الذى تؤدبه؟» فأنكر الجنيدى ذلك وراح يقول:

«أتقول: هذا الصبى؟! و لا تقول هذا الشيخ؟ انشدك بالله هل تعرف بالمدينه من هو أعرف منى بالأدب و العلم؟».

قال: لا.

فقال الجنيدى: «إنى و الله لأذكر الحرف فى الأدب، و أظن أنى قد بالغت، ثم إنه يملئ أبواباً استفيده منه، فيظن الناس انى اعلمه، و أنا و الله أتعلم منه».

و انطوت الأيام فالتقى محمد بن جعفر مره أخرى بالجنيدى، فقال له:

ما حال هذا الصبى؟

فأنكر عليه الجنيدى ذلك و قال: «دع عنك هذا القول، و الله تعالى لهو خير أهل الأرض، و أفضل من برأه الله تعالى، و إنه لربما همّ بدخول الحجره فأقول له: حتى تقرأ سورة، فيقول: أى سورة تريد أن أقرأها؟ فاذا ذكر له السور الطوال ما لم يبلغ إليها فيسرع بقراءتها بما لم أسمع أصح منها، و كان يقرأها بصوت أطيب من مزامير داود، أنه حافظ القرآن من أوله إلى آخره، و يعلم تأويله و تنزيله.

ص: ٨١

و أضاف الجنيدى قائلا: هذا الصبي صغير نشأ بالمدينه بين الجدران السود فمن أين علم هذا العلم الكبير؟ يا سبحان الله!!

ثم نزع عن نفسه النصب لأهل البيت (عليهم السّلام) و دان بالولاء لهم و اعتقد بالامامه» (١).

لقد كان لأدب الإمام الهادى (عليه السّلام) و حسن تعامله مع معلمه «الناصبى» أثر كبير فى تحوله الاعتقادى و ايمانه بزعامه أهل البيت (عليهم السّلام).

ثم إنّ الجنيدى نفسه صرّح لغيره أنه تعلم من الإمام (عليه السّلام) و لم يأخذ الإمام (عليه السّلام) العلم منه، و تلك خاصه للإمام و آباءه (عليهم السّلام)، فإنّ الإمام الرضا (عليه السّلام) لما سئل عن الخلف بعده أشار إلى الإمام الجواد (عليه السّلام) و هو صغير ربّما فى عمر كعمر الإمام الهادى (عليه السّلام)، و احتج الرضا (عليه السّلام) بقوله تعالى: **وَ آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا فَالصَّغِيرُ وَ الْكَبِيرُ لَيْسَ مُورِدًا لِلْإِشْكَالِ فَإِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ جَعَلَ الْإِمَامَةَ امْتِدَادًا لِلنَّبِيِّهِ لَتَقْتَدَى النَّاسُ بِحَمَلِهِ الرِّسَالَةَ فَهَمَّ الْقِيَمُونَ عَلَيْهَا وَ الْمَجْسِدُونَ لَهَا تَجْسِيدًا كَامِلًا لِيَتَّبِعُوا النَّاسَ تَطْبِيقَ أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْإِقْتِدَاءِ بِالْإِثْمَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ**.

و تعكس لنا هذه الروايه الاهتمام المبكر من قبل المعتصم بالامام الهادى (عليه السّلام) من أجل تطويق تحركه و عزله عن شيعته و مريديه كما يتّضح ذلك من أمره بأن يمنع اتصال الشيعة به. يضاف الى ذلك أن المبادره لتعليم الإمام فى سنّ مبكره لا يبعد أن يكون للتعليم على علم الإمام و هو فى هذا العمر كما حدث لأبيه الجواد (عليه السّلام) حين تحدّى كبار العلماء و لم يعهد منه أنه كان قد تعلّم عند أحد.

ص: ٨٢

فهذا الإسراع يعدّ محاوله للحيلولة دون بزوغ اسم الإمام الهادى (عليه السّلام) و سطوع فضله عند الخاص و العام، لأنّ ما سوف يصدر منه يمكن أن ينسب الى معلّمه و مرّيّه.

غير أن الإمام (عليه السّلام) بخلقه و هدوئه استطاع أن يفوّت الفرصه على الخليفه و بلاطه و يظهر للناس علمه و إمامته التى عيّنها الله له.

الواثق (٢٢٧-٢٣٢ هـ)

إشاره

هو هارون بن المعتصم، امه روميه، ولد فى شعبان (١٩٦ هـ) و استولى على الخلافه فى ربيع الأوّل (٢٢٧ هـ). و فى سنه (٢٢٨ هـ) استخلف على السلطه أشناس التركى و ألبسه و شاحين مجوهرين و تاجا مجوهرا.

و كان كثير الأكل جدا حتى قال ابن فهم: أنه كان يأكل فى خوان من ذهب و كان يحمل كل قطعه منه عشرون رجلا.

و كان الواثق كأسلافه الحاكمين فى الإسراف و قضاء الوقت باللهو و المفاسد.

و قيل عنه أنّه كان وافر الأدب مليح الشعر، و كان أعلم الخلفاء بالغناء، و له اصوات و ألحان عملها نحو مائه صوت و كان حاذقا بضرب العود، راويه للأشعار و الأخبار.

و كان يحب خادما له أهدى له من مصر فأغضبه الواثق يوما ثم انه سمعه يقول لبعض الخدم: و الله انه ليروم ان أكلمه- اى الواثق- من أمس فما أفعل، فقال الواثق فى ذلك شعرا:

يا ذا الذى بعد أبى ظل مختفرا ما أنت إلا مليك جاد إذ قدرا

ص: ٨٣

لولا الهوى لتحاربنا على قدر و ان اقف منه يوما فسوف ترى (١)

و فى سنه (٢٢٩هـ) حبس الواثق كُتاب دولته و ألزمهم أموالا عظيمه، فأخذ من أحمد بن اسرائيل ثمانين ألف دينار و من سليمان بن وهب- كاتب ايتاخ- اربعمائه ألف دينار، و من الحسن بن وهب أربعة عشر ألف دينار، و من ابراهيم بن رباح و كُتابه مائه ألف دينار، و من أحمد بن الخصيب مليوناً من الدنانير، و من نجاح ستين ألف دينار، و من أبى الوزير مائه و أربعين ألف دينار (٢).

فكم كان مجموع ثروتهم بحيث أمكنهم دفع تلك الضرائب؟

و إذا كانت هذه ثروه الكاتب العادى، فكم هى ثروه الوزير نفسه؟

و لعلّ من نافله القول أن هذه الأموال إنّما اجتمعت عند هؤلاء على حساب سائر أبناء الامه الإسلاميه الذين كانوا يعانون من الفقر و حياه التقشّف التى أنتجها الظلم الى جانب التفاصل الطبقي الفاحش.

الإمام الهادى (عليه السلام) و بغا الكبير

و فى سنه (٢٣٠هـ) أغار الأعراب من بنى سليم على المدينه و نهبوا الأسواق و قتلوا النفوس، و لم يفلح حاكم المدينه فى دفعهم حتى ازداد شرّهم و استفحل فوجه إليهم الواثق بغا الكبير ففرّقهم و قتل منهم و أسر آخرين و انهزم الباقون (٣).

و للإمام حين ورود بغا بجيشه الى المدينه موقف تجدر الإشارة اليه، فإنّ

ص: ٨٤

١- (١) تاريخ الخلفاء: ٣٤٣-٣٤٥.

٢- (٢) الكامل فى التاريخ: ٥/٢٦٩.

٣- (٣) الكامل فى التاريخ: ٥/٢٧٠.

أبا هاشم الجعفرى يقول: كنت بالمدينه حين مرّ بها بغا أيام الواثق فى طلب الأعراب.

فقال أبو الحسن (عليه السّلام): اخرجوا بنا حتى ننظر الى تعبته هذا التركى، فخرجنا فوقفنا فمرّت بنا تعبته فمرّ بنا تركى فكلمه أبو الحسن (عليه السّلام) بالتركيه فنزل عن فرسه فقيل حافر دابته، قال (أبو هاشم) فحلّفت التركى و قلت له: ما قال لك الرجل؟ فقال: هذا نبىّ؟ قلت: ليس هذا نبىّ. قال: دعانى باسم سميت به فى صغرى فى بلاد الترك ما علمه أحد الساعه (١).

و هذه الوثيقه التاريخيه تتضمن بيان مجموعته من فضائل الإمام الهادى (عليه السّلام) و كمالاته و اهتماماته العسكريه و التربويه لأصحابه، و تشجيعة لبغا الذى واجه هذا الهجوم التخريبي للأعراب على مدينه الرسول (صلّى الله عليه و اله).

و بالاضافه الى كرامات الإمام (عليه السّلام) المتعدده لا تستبعد أن يكون الإمام (عليه السّلام) قد استفاد من هذه الفرصه لكسب فرد فى جيش بغا إذ بإمكانه أن يكون حامل صورته ايجابيه و رساله خاصه عن الإمام (عليه السّلام) يمكنه ايصالها فى الموقع المناسب الى قائده بغا. و سوف نرى مواقف خاصه لبغا تجاه الإمام الهادى (عليه السّلام) فى المستقبل الذى ينتظره، فضلا عن موقف له مع أحد الطالبين بعد أن حاول قتل عامل المعتصم فتمرد بغا على أمر المعتصم و لم يلق هذا الطالبى الى السباع (٢). و هنا قال المسعودى عنه: كان بغا كثير التعطف و البر على الطالبين.

ص: ٨٥

١- ((١)) أعلام الورى: ٣٤٣.

٢- ((٢)) مروج الذهب: ٧٦/٤.

و امتحن الواثق الناس فى قضيه خلق القرآن فكتب إلى القضاء أن يفعلوا ذلك فى سائر البلدان و أن لا- يجيزوا إلا- شهاده من قال بالتوحيد، فحبس بهذا السب عالما كثيرا.

و فى سنه احدى و ثلاثين [بعد المائتين] أورد كتاب إلى أمير البصره بأمره أن يمتحن الأئمه و المؤذنين بخلق القرآن، و كان قد تبع أباه فى ذلك ثم رجع فى آخر أمره.

و فى هذه السنه قتل احمد بن نصر الخزاعى و كان من اهل الحديث و قد استفتى الواثق جماعه من فقهاء المعتزله بقتله فأجازوا له ذلك، و قال: إذا قمت إليه فلا يقوم من أحد معى فإنى أحتسب خطاى إلى هذا الكافر الذى يعبد ربا لا نعبده و لا نعرفه بالصفه التى وصفه بها، ثم أمر بالنطح فأجلس عليه و هو مقيد فمشى إليه فضرب عنقه، و أمر بحمل رأسه إلى بغداد فصلب بها، و صلبت جثته فى سرّ من رأى، و استمر ذلك ست سنين إلى ان ولى المتوكل فأنزله و دفنه، و لما صلب كتب ورقه و علقت فى أذنه فيها: «هذا رأس احمد ابن نصر بن مالك دعاه عبد الله الإمام هارون إلى القول بخلق القرآن و نفى التشبيه فأبى إلا المعانده فعجله الله إلى ناره» و وكل بالرأس من يحفظه.

و فى هذه السنه استفك من الروم الفا و ستمائه أسير مسلم فقال ابن داود- قبحه الله-! من قال من الاسارى «القرآن مخلوق» خلصوه و اعطوه

قال الخطيب: كان احمد بن أبى داود قد استولى على الواثق و حمله على التشدد فى المحنه و دعا الناس إلى القول بخلق القرآن.

و من جمله من شملهم ظلم الواثق أبو يعقوب بن يوسف بن يحيى البوطى صاحب الشافعى الذى مات سنه (٢٣١ هـ) محبوسا فى محنه الناس بالقرآن، و لم يجب إلى القول بأنه مخلوق و كان من الصالحين (٢).

و جىء بأبى عبد الرحمن عبد الدين محمد الأذرمى (شيخ أبى داود و النسائى) مقيدا الى الواثق و ابن أبى داود حاضر، فقال له: أخبرنى عن هذا الرأى الذى دعوتم الناس إليه، أعلمه رسول الله صلى الله عليه و اله فلم يدع الناس إليه أم شىء لم يعلمه؟ فقال ابن أبى داود: بل علمه. فقال: فكان يسعه أن لا يدعوا الناس إليه و أنتم لا يسعكم؟ قال: فبهتوا و ضحك الواثق و قام قابضا على فمه و دخل بيتا و مدّ رجله و هو يقول: وسع النبى صلى الله عليه و اله أن يسكت عنه و لا يسعنا! فأمر له أن يعطى ثلاثمائة دينار و أن يرد الى بلده و لم يمتحن أحدا بعدها و مقت ابن أبى داود من يومئذ.

و عن يحيى بن أكثم: ما أحسن أحد الى آل أبى طالب ما أحسن إليهم الواثق، ما مات و فيهم فقير (٣).

١- (١) يراجع تاريخ يعقوبى: ٢/٤٨٢-٤٨٣، و تاريخ الخلفاء: ٤٠١.

٢- (٢) تاريخ ابن الوردى: ١/٣٣٥.

٣- (٣) تاريخ الخلفاء: ٣٤٢.

لقد عمت الامة فتنه كبرى زمن المأمون و المعتصم و الواثق بامتحان الناس بخلق القرآن و كانت هذه المسأله مسأله يتوقف عليها مصير الامه الإسلاميه، و قد بين الإمام الهادي (عليه السلام) الرأى السديد فى هذه المناوره السياسيه التى ابتدعتها السلطه فقد روى عن محمد بن عيسى بن عبيد اليقطين أنه قال: كتب على بن محمد بن على بن موسى الرضا (عليه السلام) إلى بعض شيعته ببغداد:

«بسم الله الرحمن الرحيم، عصمنا الله و اياك من الفتنه فإن يفعل فاعظم بها نعمه و إلا يفعل فهى الهلكه. نحن نرى ان الجدل فى القرآن بدعه اشترك فيها السائل و المجيب فتعاطى السائل ما ليس له و تكلف المجيب ما ليس عليه، و ليس الخالق إلا الله و ما سواه مخلوق، و القرآن كلام الله لا تجعل له اسما من عندك فتكون من الضالين. جعلنا الله و اياك من الذين يخشون ربهم بالغيب و هم من الساعه مشفقون» (١).

إخبار الإمام الهادي (عليه السلام) بموت الواثق

كان الإمام الهادي (عليه السلام) يتابع التطورات السياسيه و يرصد الأحداث بدقه. فعن خيران الخادم قال: قدمت على أبى الحسن (عليه السلام) المدينه فقال لى: ما خبر الواثق عندك؟ قلت: جعلت فداك خلفته فى عافيه، انا من أقرب الناس عهدا به، عهدى به منذ عشره أيام قال: فقال لى: ان اهل المدينه يقولون أنه مات، فلما ان قال لى: (الناس)، علمت انه هو، ثم قال لى: ما فعل جعفر؟

ص: ٨٨

قلت: تركته أسوء الناس حالا في السجن، فقال: أما إنه صاحب الأمر. ما فعل ابن الزيات؟ قلت: جعلت فداك الناس معه و الأمر أمره. فقال: أما انه شؤم عليه. ثم سكت و قال لي: لا- بد ان تجرى مقادير الله تعالى و احكامه. يا خيران، مات الواثق و قد قعد المتوكل جعفر و قد قتل ابن الزيات. فقلت: متى جعلت فداك؟ قال: بعد خروجك بسته أيام (١).

و هذه الروايه دون شكّ تظهر لنا حدّه الصراع و التنافس على السلطه داخل الاسره العباسيه الحاكمه، كما تظهر لنا مدى متابعه الإمام(عليه السلام) للاوضاع العامه و السياسيه أولا- بأول. و اهتمامه الكبير هذا يوضح مستوى الحاله السياسيه التي كانت تعيشها قواعد الإمام(عليه السلام) الشعبيه و مواليه، فكان يوافقهم بمآل الاحداث السياسيه، ليكونوا على حذر أولا؛ و لينمى قابلياتهم في المتابعه و تحليل الظواهر ثانيا.

المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ)

اشاره

هو جعفر بن المعتصم بن الرشيد، أمه ام ولد اسمها شجاع. أظهر الميل الى السنّه، و رفع المحنه و كتب بذلك الى الآفاق سنه (٢٣٤ هـ)، و استقدم المحلّثين الى سامراء و أجزل عطاياهم و أمرهم أن يحدّثوا بأحاديث الصفات و الرؤيه.

و قالوا عنه: أنّه كان منهمكا في اللذات و الشراب، و كان له أربعة آلاف سرّيّه (أمه يتسرّى بها). و قال علي بن الجهم: كان المتوكل مشغوبا بقيبحه ام المعتزّ، التي كانت ام ولد له، و من أجل شغفه بها أراد تقديم ابنها المعتزّ على

ص: ٨٩

١- (١) اصول الكافي: ١/٤٩٨ ح ١ ب ١٢٢.

ابنه المنتصر بعد أن كان قد بايع له بولايه العهد، وسأل المنتصر أن ينزل عن العهد فأبى، فكان يحضره مجلس العامه و يحطّ منزلته و يتهدّده و يشتمه و يتوعّده (١).

و كان المتوكل مسرفا جدا في صرف بيت المال على الشعراء الذين يتقربون إليه بالمديح-في الوقت الذي كان عامه الناس يشتكون الفقر و الحاجه-حتى قالوا: ما أعطى خليفه شاعرا ما أعطى المتوكل، و فيه قال مردان ابن أبي الجنوب:

فامسك ندى كفيك عنى و لا تزد فقد خفت أن أطعى و أن اتجبرا

فقال المتوكل: لا أمسك حتى يغرقك جودي، و كان قد أجازه على قصيده بمائه ألف و عشرين ألفا (٢).

و لعلّ من وصف المتوكل بالجود سوف يتراجع عن وصفه إذا سمع أن المتوكل قال للبحترى: قل في شعرا و في الفتح بن خاقان، فإنى أحب أن يحيا معى و لا أفقده فيذهب عيشى و لا يفقدنى، فقل فى هذا المعنى، فقال البحترى:

يا سيدي كيف أخلفت وعدى و تناقلت عن وفاء بعهدى؟

لا أرنتى الأيام فقدك يا فت ح و لا عزقتك ما عشت فقدى

أعظم الرزء أن تقدّم قبلى و من الرزء أن تؤخّر بعدى

حذرا أن تكون إلفا لغيرى إذ تفرّدت بالهوى فيك وحدى

و قد قتل المتوكل و الفتح بن خاقان فى مجلس لهوهما فى ساعه واحده و فى جوف الليل فى الخامس من شوال سنه (٢٤٧ هـ) كما سوف يأتى بيانه.

ص: ٩٠

١- (١) تاريخ الخلفاء: ٣٤٩-٣٥٠.

٢- (٢) تاريخ الخلفاء: ٣٤٩-٣٥٠.

وقد عرف المتوكل ببغضه لأئمة المؤمنين علي بن أبي طالب و آل البيت (عليهم السلام) و شيعتهم، ففي سنة (٢٣٦ هـ) أمر بهدم قبر الإمام الحسين (عليه السلام) و هدم ما حوله من الدور. و منع الناس من زيارته و أمر بمعاقبه من يتمرد على المنع.

قال السيوطي: و كان المتوكل معروفًا بالتعصب فتألم المسلمون من ذلك، و كتب أهل بغداد شتمه على الحيطان و المساجد و هجاه الشعراء. فمما قيل في ذلك:

بالله إن كانت أميه قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما

فلقد أتاه بنو أبيه بمثله هذا لعمرى قبره مهدوما

أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتتبعوه رميما (١)

و لم يقف المتوكل عند حدّ في عداوته و نصبه لأهل البيت (عليهم السلام) و إيذاء شيعتهم فقد قتل معلّم أولاده إمام العربي يعقوب ابن السكيت حين سأله: من أحب إليك؟ هما- يعني ولديه المعتز و المؤيد- أو الحسن و الحسين؟ فقال ابن السكيت: قنبر- يعني مولى علي- خير منهما، فأمر الأتراك فداسوا بطنه حتى مات، و قيل أمر بسلّ لسانه فمات، و ذلك في سنة (٢٤٤ هـ) (٢).

و أهم حدث في زمن المتوكل فيما يخص حياة أهل البيت (عليهم السلام) بحيث يكشف عمّا وصل إليه الرأي العام الإسلامي من التوجه إليهم و الاهتمام بهم في الوقت الذي كان العباسيون يفقدون فيه موقعهم في النفوس هو حدث

ص: ٩١

١- (١) تاريخ الخلفاء، السيوطي: ٣٤٧.

٢- (٢) تاريخ الخلفاء: ٣٤٨.

إشخاص المتوكّل للإمام على الهادي (عليه السلام) من مدينه جدّه و وطنه الى سجون سرّ من رأى بعيدا عن حواضر العلم و الدين و الأدب.

ففى سنه (٢٣٤ هـ) أى بعد سنتين (١) من سيطرته على كرسى الخلافه أمر المتوكل يحيى بن هرثمه بالذهاب إلى المدينه و الشخوص بالإمام إلى سامراء، و كانت للإمام (عليه السلام) مكانه رفيعه بين أهل المدينه، و لما هم يحيى بإشخاصه اضطربت المدينه و ضج أهلها كما ينقل يحيى نفسه، حيث قال:

دخلت المدينه فضج أهلها ضجيجا عظيما، ما سمع الناس بمثله خوفا على على -أى الإمام الهادي (عليه السلام)- و قامت الدنيا على ساق، لأنه كان محسنا إليهم ملازما المسجد، لم يكن عنده ميل إلى الدنيا فجعلت أسكتهم، و أحلف لهم أنى لم أؤمر فيه بمكروه و أنه لا بأس عليه ثم فتشت منزله فلم أجد إلا مصاحف و أدعيه، و كتب علم، فعظم فى عيني (٢).

و نستفيد من هذه الروايه امورا منها:

- ١- قوه تأثير الإمام الهادي (عليه السلام) و انشداد الناس إليه و تعلقهم به لكثرتهم احسانه إليهم، و لأنه يجسد الرسول و رساله فى هديه و سلوكه.
- ٢- خشيه السلطه العباسيه من تعاضم أمر الإمام (عليه السلام) و من سهوله اتصال الجماعه الصالحه به، و إشخاصه إلى سامراء يعتبر إبعادا له عنهم و من ثم يمكن وضعه تحت المراقبه الشديده.
- ٣- تأثر قائد الجيش العباسى -يحيى بن هرثمه- بالإمام (عليه السلام) و تعظيمه له؛ لكذب الاتهامات حوله بالنسبه لعدّ العده و السلاح للاطاحه

ص: ٩٢

١- ((١)) أن تاريخ الرساله التى استقدم بها المتوكل الإمام الهادي (عليه السلام) على ما فى جملة من المصادر هو سنه (٢٤٤ هـ) و ليس (٢٣٤ هـ)، و يشهد لذلك ما صرّح به الشيخ المفيد (قدّس سرّه) من أن مدّه إقامة الإمام الهادي بسرّ من رأى عشر سنين و أشهر، و حيث استشهد فى سنه (٢٥٤ هـ) فيظهر من ذلك أن استقدامه كان سنه (٢٤٤ هـ) أى بعد اثنتى عشره سنه من حكم المتوكل، و هو غير بعيد.

٢- ((٢)) تذكره الخواص، سبط ابن الجوزى: ٢٠٣.

٤- عزوف الإمام (عليه السلام) عن الدنيا و ملازمه المسجد متخذاً من سيره آباءه نبراساً له، و من المسجد طريقاً لبث علوم أهل البيت (عليهم السلام) و تصحيح معتقدات الامه.

٥- عزل الإمام (عليه السلام) عن شيعته و محبيه، فسامراء مدينه أسسها المعتصم العباسي و كانت تسكنها غالبية تركيه (قواد و جنود) و لم يكونوا يعبؤون بالدين و القيم قدر اهتمامهم بالسيطره و السلطه.

الوشايه بالامام (عليه السلام)

يبدو من بعض المصادر أن أحد أسباب إشخاص المتوكل العباسي للإمام الهادي (عليه السلام) الى سامراء هو وشايه إمام الحرمين الذي كان معروفاً بالنصب لأهل البيت (عليهم السلام) و قد كانت هذه الوشايات متابعه و متكرره و هذا دليل على عدم الارتياح لتواجد الإمام الهادي (عليه السلام) بالمدينه و تأثيره الكبير على الحرمين معا و هما مركز الثقل العلمي و الديني في الحاضر الإسلاميه. و يشهد لذلك ما قالوا: من أنه كتب بريجه العباسي (١) صاحب الصلاه بالحرمين إلى المتوكل:

«إن كان لك في الحرمين حاجه فأخرج علي بن محمد منهما فإنه قد دعا إلى نفسه و اتبعه خلق كثير».

و تابع بريجه الكتب في هذا المعنى فوجه المتوكل يحيى بن هرثمه في سنه (٢٣٤ هـ) و كتب معه إلى أبي الحسن (عليه السلام) كتاباً جميلاً يعرفه انه قد اشتاقه و يسأله القدوم عليه و أمر يحيى بالمسير معه كما يحب، و كتب إلى بريجه

ص: ٩٣

١- (١) و قيل اسمه «تريخه»، و عن الطريحي في مجمع البحرين: «بريمه». بينما ذكر آخرون أن اسمه عبد الله بن محمد و كان يتولى الحرب و الصلاه بمدينه الرسول (صلى الله عليه و اله)، انظر الارشاد: ٣٠٩/٢.

يعرفه ذلك.

و إليك نص رسالة المتوكل الى الإمام الهادي (عليه السلام)، حسبما رواه الشيخ محمد بن يعقوب الكليني:

عن محمد بن يحيى، عن بعض اصحابنا قال: اخذت نسخه كتاب المتوكل إلى أبي الحسن الثالث (عليه السلام) من يحيى بن هرثمه في سنة ثلاث و اربعين و مائتين و هذه نسخته:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فإن أمير المؤمنين عارف بقدرك، راع لقربتك، موجبا لحقك يقدر الامور فيك و في أهل بيتك، ما يصلح الله به حالك و حالهم و ثبت به عزك و عزهم، و أدخل اليمن و الأمن عليك و عليهم.

يبتغي بذلك رضى ربه و أداء ما افترض عليه فيك و فيهم، و قد رأى أمير المؤمنين صرف عبد الله بن محمد عما كان يتولاه من الحرب و الصلاه بمدينه رسول الله (صلى الله عليه و اله). إذ كان على ما ذكرت من جهالته بحقك و استخفافه بقدرك، و عندما قرفك (1) به، و نسبك إليه من الأمر الذى قد علم أمير المؤمنين براءتك منه و صدق نيتك فى ترك محاولته، و أنك لم تؤهل نفسك له، و قد ولى أمير المؤمنين ما كان يلى من ذلك محمد بن الفضل، و أمره بإكرامك و تبجيلك، و الانتهاء إلى أمرك و رأيك و التقرب إلى الله و الى أمير المؤمنين بذلك، و أمير المؤمنين مشتاق إليك يحب إحداث العهد بك و النظر إليك.

فإن نشطت لزيارته و المقام قبله ما رأيت، شخصت و من أحببت من أهل بيتك و مواليك و حشمك على مهله و طمأنينه ترحل إذا شئت و تنزل إذا

ص: ٩٤

١- (١) قرف: عابه أو اتهمه.

شئت، و تسير كيف شئت، و ان أحببت أن يكون يحيى بن هرثمه مولى أمير المؤمنين و من معه من الجند مشيعين لك، يرحلون برحيلك، و يسرون بسيرك، و الأمر فى ذلك إليك حتى توافى أمير المؤمنين.

فما أحد من اخوته و ولده و أهل بيته و خاصته ألطف منه منزله و لا أحد له أثره و لا هو لهم أنظر و عليهم أشفق، و بهم أبرّ و إليهم أسكن منه إليك إن شاء الله تعالى و السلام عليك و رحمه الله و بركاته» (١).

إنّ المتوكل قد كان يهدف فى رسالته امورا إعلاميه و دعائيه أولا تأثيرا فى أهل المدينة، محاوله منه لتغيير انطباعهم من جهه فالغالبه من أهل المدينة تعرف المتوكل و عداه لأهل البيت (عليهم السلام) و شيعتهم.

و حاول ثانيا أن يبدي للإمام الهادى (عليه السلام) انه يحترم رأيه و يقدره و يعزه لذا فقد أبدل والى المدينة بغيره و من ثم جعل له الحريه فى الشخصوص إلى الخليفه كيف يشاء الإمام (عليه السلام). و تلك أساليب إن كانت تغرى العامه فالإمام (عليه السلام) كان يدرك ما يرومه المتوكل و يهدف إليه فى استدعائه.

و على أيه حال فقد قدم يحيى بن هرثمه المدينة فأوصل الكتاب إلى بريجه، و ركبا جميعا إلى أبى الحسن (عليه السلام) فأوصلا إليه كتاب المتوكل فاستأجلاهما ثلاثا، فلما كان بعد ثلاث عاد إلى داره فوجد الدواب مسرجه و الأثقال مشدوده قد فرغ منها.

و لا- نغفل عن تفتيش يحيى لدار الإمام (عليه السلام) ممّا يعنى أنه كان مأمورا بذلك فى الوقت الذى كان الكتاب ينفى عن الإمام أى اتّهام ضده.

و من هنا نعلم أن استقدام الإمام (عليه السلام) كان أمرا إلزاميا له و ان كان بصيغه

ص: ٩٥

الاستدعاء و إلا فلم هذا التفتيش الذى يكشف عن وجود سوء ظن بالإمام (عليه السلام) بعد تلك الوشائيات؟!

و خرج (عليه السلام) بولده الإمام الحسن العسكرى (عليه السلام) و هو صبى مع يحيى ابن هرثمه متوجها نحو العراق و اتبعه بريجه مشيعا فلما صار فى بعض الطريق قال له بريجه: قد علمت وقوفك على أنى كنت السبب فى حملك و على حلف بأيمان مغلظه: لئن شكوتنى إلى أمير المؤمنين أو أحد من خاصته و أبنائه لأجمرنّ نخلك و لا قتلنّ مواليك و لا عورنّ عيون ضيعتك و لأفعلنّ و لأصنعنّ، فالتفت إليه أبو الحسن فقال له: ان أقرب عرضى إياك على الله البارحه و ما كنت لأعرضنك عليه ثم لأشكوك إلى غيره من خلقه. قال: فانكبت عليه بريجه و ضرع إليه و استعفاه فقال له: قد عفوت عنك (١).

و أهم الاشارات ذات الدلاله فى هذه الروايه: أن المتوكل أمر يحيى بن هرثمه برعايه الإمام (عليه السلام) و عدم التشديد عليه، و قد بلغ ذلك بريجه و خشى ان يشتكيه الإمام للمتوكل، فتوعد الإمام فعمد الإمام (عليه السلام) إلى تركيز مفهوم اسلامى و هو مسأله الارتباط بالله سبحانه، فإنه هو الذى ينفع و يضر و يدفع عن عباده، لذا اجاب الإمام (عليه السلام) بريجه بأنه قد شكاه إلى الله تعالى قبل يوم من سفره و ان الإمام (عليه السلام) ليس فى نيته أن يشتكى بريجه عند الخليفه مما اضطر بريجه أن يعتذر من الإمام (عليه السلام) و يطلب العفو منه، فهو يعرف منزله الإمام و آباءه (عليهم السلام) و صلتهم الوثيقه بالله سبحانه، فأخبره الإمام (عليه السلام) بأنه قد عفى عنه، و كان الإمام يدرك أبعاد سلوك الخليفه إزاءه و ما يرمى إليه من تفتيش داره و إشخاصه من المدينه إلى سامراء، و إبعاده عن أهله و مواليه و من

ص: ٩٤

ثم وضعه تحت الرقابه المشدده و معرفه الداخلين على الإمام المرتبطين به و بالتالى ضبط كل حركات الإمام(عليه السّلام) و تحرّكات قواعده، فوجوده(عليه السّلام) فى المدينه يعنى بالنسبه للخليفه تمتع الإمام(عليه السّلام) بحريه فى التحرك، فضلا عن سهوله و تيسر سبل الاتصال به من قبل القواعد المواليه للإمام(عليه السّلام).

و قد كان الإمام(عليه السّلام) فى كل تحرّكاته و حتى فى كتبه و وصاياه إلى شيعته يتصف باليقظه و الحذر، و من هنا كانت الوشايات به تبوء بالفشل، و حينما كانت تكبس داره- كما حصل ذلك مرارا- لا يجد جلاوزه السلطان فيها غير كتب الأدعيه و الزيارات و القرآن الكريم، حتى حينما تسوّروا عليه الدار لم يجدوه إلا مصليا أو قارئا للقرآن.

و قال ابن الجوزى: ان السبب فى اشخاص الإمام(عليه السّلام) من المدينه إلى سامراء- كما يقول علماء السّير- هو ان المتوكل كان يبغض عليا أمير المؤمنين(عليه السّلام) و ذريته و خشى تأثيره فى أهل المدينه و ميلهم إليه (١).

و هذا التعليل ينسجم مع كل تحفّظات الإمام(عليه السّلام) تجاه السلطان.

الإمام فى طريقه إلى سامراء

و حاول ابن هرثمه فى الطريق إحسان عشره الإمام(عليه السّلام) و كان يرى من الإمام(عليه السّلام) الكرامات التى ترشده الى عظمه الإمام و مكانته و حقيقه أمره و توضح له الجريمه التى يرتكبها فى إزعاج الإمام(عليه السّلام) و التجسس عليه.

عن يحيى بن هرثمه قال: رأيت من دلائل أبى الحسن الأعاجيب فى طريقنا، منها: انا نزلنا منزلا لا ماء فيه، فأشفينا دوابنا و جمالنا من العطش على

ص: ٩٧

التلف و كان معنا جماعه و قوم قد تبعونا من أهل المدينه، فقال أبو الحسن:

كأني أعرف على أميال موضع ماء. فقلنا له: ان نشطت و تفضلت عدلت بنا إليه و كنا معك فعدل بنا عن الطريق.

فسرنا نحو سته أميال فأشرفنا على واد كأنه ز هو الرياض فيه عيون و أشجار و زروع و ليس فيها زراع و لا فلاح و لا أحد من الناس، فنزلنا و شربنا و سقينا دوابنا و أقمنا الى بعد العصر، ثم تزودنا و ارتوبنا و ما معنا من القرب و رحنا راحلين فلم نعد أن عطشت.

و كان لي مع بعض غلماني كوز فضه يشده في منطقتة و قد استسقيته فلجلج لسانه بالكلام و نظرت فإذا هو قد أنسى الكوز في المنزل الذي كنا فيه فرجعت اضرب بالسوط على فرس لي، جواد سريع و اغد السير حتى اشرفت على الوادي، فرأيتة جدبا يابس قاعا محلا لا ماء و لا زرع و لا خضرة و رأيت موضع رحالنا و رؤث دوابنا و بعر الجمال و مناخاتهم و الكوز موضوع في موضعه الذي تركه الغلام فأخذته و انصرفت و لم أعرفه شيئا من الخبر.

فلما قربت من القطر و العسكر وجدته (عليه السلام) ينتظرنى فتبسم و لم يقل لي شيئا و لا- قلت له سوى ما سأل من وجود الكوز، فأعلمته أنني وجدته.

قال يحيى: و خرج في يوم صائف آخر و نحن في ضحو و شمس حاميه تحرق فركب من مضربه و عليه ممطر و ذنب دابته معقود و تحته لبد طويل.

فجعل كل من في العسكر و أهل القافلة يضحكون و يقولون هذا الحجازي ليس يعرف الري فسرنا أميالا حتى ارتفعت سحابه من ناحيه القبلة و اظلمت و اضلتنا بسرعه و أتى من المطر الهاطل كأفواه القرب فكدنا نتلف و غرقنا حتى جرى الماء من ثيابنا الى ابداننا و امتلأت خفافنا و كان أسرع و أعجل من أن يمكن أن نحط و نخرج اللبايد، فصرنا شهره و ما زال (عليه السلام)

تبسما ظاهرا تعجبا من أمرنا.

قال يحيى: و صارت إليه في بعض المنازل امرأه معها ابن لها أرمم العين و لم تزل تستندل و تقول معكم رجل علوى دلونى عليه حتى يرقى عين ابنى هذا. فدللناها عليه، ففتح عين الصبى حتى رأيتها و لم أشك أنها ذاهبه فوضع يده عليها لحظه يحرك شفثيه ثم نحاها فإذا عين الغلام مفتوحه صحيحه ما بها عله (١).

و مرّ الركب ببغداد في طريقه الى سامراء فقابل ابن هرثمه و اليها اسحاق بن ابراهيم الطاهرى فأوصاه بالإمام (عليه السّلام) خيرا و استوثق من حياته بقوله: يا يحيى إنّ هذا الرجل قد ولده رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، و المتوكل من تعلم، و إن حرّضته على قتله كان رسول الله (صلّى الله عليه و اله) خصمك.

فأجابه يحيى: و الله ما وقفت له إلا على كل أمر جميل (٢).

و حين وصل الركب الى سامراء بدأ ابن هرثمه بمقابله و صيف التركي - و هو ممّن كان يشارك في تنصيب الخليفه و عزله و مناقشته في أعماله - و ممّا قاله و صيف ليحيى: و الله لئن سقطت من رأس هذا الرجل - و يقصد به الإمام الهادى (عليه السّلام) - شعره لا يكون المطالب بها غيرى.

قال ابن هرثمه: فعجبت من قولهما و عزّفت المتوكل ما وقفت عليه من حسن سيرته و سلامه طريقه و ورعه و زهادته و أنى فتشت داره فلم أجد فيها غير المصاحف و كتب العلم و أنّ أهل المدينه خافوا عليه، فأحسن جائزته و أجزل برّه (٣).

ص: ٩٩

١- (١) إثبات الوصيه: ٢٢٥.

٢- (٢) مروج الذهب: ٨٥/٤.

٣- (٣) مروج الذهب: ٨٥/٤، و تذكره الخواص: ٣٥٩.

غير أن هذا الإكرام الذى ادّعاه ابن هرثمه يتنافى مع ما أمر به المتوكل من حجب الإمام (عليه السّلام) عنه فى يوم وروده الى سامراء، ويزيد الأمر إبهاماً و تساؤلاً هو أمره بإنزال الإمام (عليه السّلام) فى مكان متواضع جدّاً يدعى بخان الصعاليك (١).

قال صالح بن سعيد: دخلت على أبى الحسن (عليه السّلام) فقلت له: جعلت فداك فى كل الامور أرادوا اطفاء نورك و التقصير بك حتى أنزلوك هذا الخان الأشنع، خان الصعاليك (٢).

و ليس ببعيد أن تكون الصورة التى نقلها يحيى للمتوكل عن الإمام (عليه السّلام) و مدى نفوذ شخصيته حتى عند الولاة و القوّاد مدعاه للضغط على الإمام (عليه السّلام) و السعى للتضييق الحقيقى عليه من خلال الحيلولة بينه و بين ارتباطه بقواعده و إن كان ذلك بالتظاهر بالإكرام كما نراه فى النص الذى نقل عن يحيى، و لا- يغيب عن مثل يحيى مدى كره المتوكل لآل أبى طالب بشكل عام و للإمام الهادى (عليه السّلام) بشكل خاص.

الإمام (عليه السّلام) فى سامراء

إنّ حجب المتوكل للإمام الهادى (عليه السّلام) لدى وروده و الأمر بإنزاله فى خان الصعاليك لو لاحظناه مع ما جاء فى رساله المتوكل للإمام الهادى (عليه السّلام) يحمل بين طياته صورته واضحة من نظره المتوكل الى الإمام (عليه السّلام). فهو لا يأبى من تحقير الإمام و إذلاله كلما سنحت له الفرصة. و لكنه كان يحاول التعقيم على ما يدور فى قراره نفسه و لهذا أمر بعد ذلك بإفراذ دار له فانتقل

ص: ١٠٠

١- ((١)) الارشاد: ٣١٣-٣١٤.

٢- ((٢)) الكافى: ١/٤٩٨.

العلم بأن المتوكل هو الذى كان قد استدعى الإمام (عليه السلام) وكان يعلم بقدمه عليه، ولا بد أن يكون قد استعد لذلك.

و على أية حال فالذى يبدو من سير الأحداث أن المتوكل حاول بكل جهده ليكسب وُدَّ الإمام و يورّطه فيما يشتهى من القبائح التى كان يرتكبها المتوكل.

و حاول المتوكل غير مرّة إفحام الإمام (عليه السلام) بالرغم من أنه كان يضطر الى الالتجاء إليه حين كان يعجز علماء البلاط أو وعاظ السلاطين عن تقديم الأجوبة الشافية فى الموارد الحرجة.

و إليك جملة من هذه الموارد:

١- إن نصرانيا كان قد فجر بامرأه مسلمة فأراد المتوكل أن يقيم عليه الحد فأسلم. فقال ابن الأَکثم: قد هدم إيمانه شركه و فعله. و قال بعضهم يضرب ثلاثه حدود. و قال آخرون غير ذلك، فأمر المتوكل بأن يكتب الى الإمام الهادى (عليه السلام) و سؤاله عن ذلك فلما قرأ الكتاب، كتب: يضرب حتى يموت.

فأنكر ابن الأَکثم و سائر فقهاء العسكر و طالبوا الإمام بالحججه من الكتاب و السنه فكتب (عليه السلام): بسم الله الرحمن الرحيم: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَ حَيْدَهُ وَ كَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سِئَتِ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَ خَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ. فأمر المتوكل فضرب حتى مات (١).

٢- و حين نذر المتوكل أن يتصدّق بمال كثير و اختلف الفقهاء فى تحديد المال الكثير، أشار عليه أحد ندمائه بالسؤال من الإمام (عليه السلام) قائلاً: ألا تبعث الى هذا الأسود فتسأله عنه؟ فقال له المتوكل: من تعنى؟ ويحك! فقال له: ابن

ص: ١٠١

١- (١) الكافي: ٢٣٨/٧.

الرضا. فقال له: و هو يحسن من هذا شيئاً؟ فقال: إن أخرجك من هذا فلي عليك كذا و كذا و إلا فاضربني مائة قرعه. فبعث من يسأل له ذلك من الإمام فأجاب الإمام بأن الكثير ثمانون. فلما سئل عن دليل ذلك أجاب قائلاً: لَقَدْ نَصَرَ كُمْ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ فَعَدَدْنَاهَا فَكَانَتْ ثَمَانِينَ (١).

إن هذا التنكر من المتوكل للإمام (عليه السلام) أو هذا التعجب من أنه قادر على الإجابة و قد عرفنا موارد منها ليشير الى مدى حقد المتوكل و تعميده في تسقيط الإمام (عليه السلام) أمام الآخرين. ولكنه لم يفلح حتى أنه كان يبادر للتعتيم الإعلامي على فضائل الإمام (عليه السلام) و مناقبه، كما نرى ذلك بعد رده على استله ابن الأکثم حيث قال ابن الأکثم للمتوكل: ما نحب أن تسأل هذا الرجل عن شيء بعد مسائلي هذه و أنه لا يرد عليه شيء بعدها إلا دونها و في ظهور علمه تقويه للرافضة (٢).

٣- من جملة القضايا التي حاول إخراج الإمام فيها قضية زينب الكذّابه حيث أمر الإمام (عليه السلام) بالنزول الى بركة السباع.

قال أبو هاشم الجعفرى: ظهرت في أيام المتوكل امرأة تدعى أنها زينب بنت فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) فقال المتوكل: أنت امرأة شابه و قد مضى من وقت رسول الله (صلى الله عليه و اله) ما مضى من السنين، فقالت: إن رسول الله (صلى الله عليه و اله) مسح عليّ و سأل الله أن يردّ عليّ شبابي في كل أربعين سنة، و لم أظهر للناس الى هذه الغايه فلحقتني الحاجه فصرت اليهم.

فدعا المتوكل مشايخ آل أبي طالب و ولد العباس و قريش و عزّفهم حالها فروى جماعه وفاه زينب في سنة كذا، فقال لها: ما تقولين في

ص: ١٠٢

١- (١) الكافي: ٧/٤٤٣.

٢- (٢) المناقب: ٢/٤٤٣.

فقلت: كذب و زور، فإنّ أمرى كان مستورا عن الناس، فلم يعرف لى حياه و لا موت، فقال لهم المتوكل: هل عندكم حجّه على هذه المرأه غير هذه الروايه؟ فقالوا: لا، فقال: هو برىء من العباس إن لا أنزلها عمّا ادّعت إلاّ بحجّه.

قالوا: فأحضر ابن الرضا (عليه السلام) فلعلّ عنده شيئا من الحجّه غير ما عندنا.

فبعث إليه فحضر فأخبره بخبر المرأه فقال: كذبت فإنّ زينب توفيت فى سنه كذا فى شهر كذا فى يوم كذا، قال: فإنّ هؤلاء قد رووا مثل هذه و قد حلفت أن لا أنزلها إلاّ بحجّه تلزمها.

قال: و لا- عليك فهنا حجّه تلزمها و تلزم غيرها، قال: و ما هى؟ قال: لحوم بنى فاطمه محرّمه على السباع فأنزلها الى السباع فإن كانت من ولد فاطمه فلا تضرّها، فقال لها: ما تقولين؟ قالت: إنّه يريد قتلى، قال: فهنا جماعه ولد الحسن و الحسين (عليهما السلام) فأنزل من شئت منهم، قال: فوالله لقد تعيّرت وجوه الجميع، فقال بعض المبغضين: هو يحيل على غيره لم لا يكون هو؟

فمال المتوكل الى ذلك رجاء أن يذهب من غير أن يكون له فى أمره صنع فقال: يا أبا الحسن لم لا- تكون أنت ذلك؟ قال: ذاك إليك قال: فافعل، قال:

أفعل. فأتى بسلم و فتح عن السباع و كانت سته من الأسد فنزل أبو الحسن إليها فلما دخل و جلس صارت الاسود إليه فرمت بأنفسها بين يديه، و مدّت بأيديها، و وضعت رؤوسها بين يديه فجعل يمسح على رأس كل واحد منها، ثم يشير اليه بيده الى الاعتزال فتعتزل ناحيه حتى اعتزلت كلّها و أقامت بازائه.

فقال له الوزير: ما هذا صوابا فبادر بإخراجه من هناك، قبل أن ينتشر

خبره فقال له: يا أبا الحسن ما أردنا بك سوءاً وإنما أردنا أن نكون على يقين مما قلت فاحب أن تصعد، فقام و صار الى السلم و هي حوله تتمسح بشيابه.

فلما وضع رجله على أول درجة التفت إليها وأشار بيده أن ترجع، فرجعت و صعد فقال: كل من زعم أنه من ولد فاطمه فليجلس في ذلك المجلس، فقال لها المتوكّل: انزلي، قالت: اللهم الله اذعيت الباطل، و أنا بنت فلان حملني الضرّ على ما قلت، قال المتوكّل: ألقوها الى السباع، فاستوهبتها والدته (١).

إن هذه المواقف من الإمام (عليه السلام) لم تكن لتثني المتوكل عما كان يراوده من الضغط على الإمام (عليه السلام) و محاولة تسقيطه و عزله عن عامه الناس و خواص أتباعه. و كان رسده للإمام (عليه السلام) لا يشفى غليله فكان يفتش دار الإمام (عليه السلام) بشكل مستمر و كان ذلك واحداً من أساليبه لإهانته الإمام (عليه السلام) أو طريقاً للعثور على مستمسك يسوغ له الفتك بالإمام (عليه السلام).

تفتيش دار الإمام (عليه السلام)

لم تحقق وسائل السلطه- في التضييق على الإمام و مراقبته- أهدافها في ضبط بعض القضايا التي تؤكد صحه الوشايا بالإمام، فكثيراً ما سعى بعض المتزلفين للخليفة بالإمام (عليه السلام) و أوغروا صدره ضد الإمام (عليه السلام) و اخبروا الخليفة كذبا و زورا بأن لديه السلاح و تجبى إليه الاموال من الأقاليم، إلى غيرها من الأكاذيب التي كانت تدفع بالخليفة إلى ارسال جنده و بعض قواده إلى دار الإمام (عليه السلام) و تفتيشها، ثم استدعاء الإمام (عليه السلام) إلى بلاط المتوكل الذي كان ثملاً على مائده شرابه، حتى أنّ المتوكل التمل بعد أن أعظم الإمام و أجلسه إلى جانبه ناوله الكأس.

ص: ١٠٤

فقال له الإمام (عليه السلام): يا أمير المؤمنين ما خامر لحمي و دمي قط فأعفني فأعفاه.

ثم قال له المتوكل: أنشدني شعرا.

فأجابه الإمام (عليه السلام): اني لقليل الروايه للشعر.

فقال له المتوكل: لا بد من ذلك.

فأنشده الإمام (عليه السلام) الأبيات التاليه:

باتوا على قلل الأجمال تحرسهم غلب الرجال فما أغنتهم القلل

و استنزلوا من بعد عز من معاقلم فادعوا حفرا يا بئس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد ما قبروا أين الاسره و التيجان و الحلل

أين الوجوه التي كانت منعمه من دونها تضرب الاستار و الكلل

فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

قد طال ما أكلوا دهرا و ما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

فبكى المتوكل، ثم أمر برفع الشراب و قال: يا ابا الحسن أعليك دين؟ قال: نعم أربعة آلاف دينار، فدفعتها إليه و رده إلى منزله مكرما.

و مرّه اخرى حين مرض المتوكل من خراج خرج به و أشرف منه على الهلاك، فلم يجسر أحد أن يمسه بحديده، فنذرت امه إن عوفى أن تحمل إلى أبي الحسن على بن محمد مالا جليلا من مالها و قال له الفتح بن خاقان: لو بعثت الى هذا الرجل فسألته فإنه لا يخلو أن يكون عنده صفه يفرج بها عنك.

فبعث إليه و وصف له علته، فرّد إليه الرسول بأن يؤخذ كسب الشاه فيداف بماء ورد فيوضع عليه. فلما رجع الرسول فأخبرهم أقبلوا يهزؤون من قوله، فقال له الفتح: هو و الله أعلم بما قال، و احضر الكسب و عمل كما قال و وضع عليه فغلبه النوم و سكن، ثم انفتح و خرج منه ما كان فيه و بشرت امه

بعافيته، فحملت إليه عشرة آلاف دينار تحت خاتمها.

ثم استقل من عتته فسعى إليه البطحائي العلوي بأن أموالا تحمل إليه و سلاحا، فقال لسعيد الحاجب: اهجم عليه بالليل و خذ ما تجد عنده من الأموال و السلاح و احمله إلى، قال إبراهيم بن محمد: فقال لى سعيد الحاجب: صرت الى داره بالليل و معى سلم فصعدت السطح، فلما نزلت على بعض الدرج فى الظلمه لم أدر كيف أصل الى الدار.

فنادانى: يا سعيد مكانك حتى يأتوك بشمعه، فلم ألبث أن أتونى بشمعه فنزلت فوجدته عليه جبه صوف و قلنسوه منها و سجاده على حصير بين يديه، فلم أشك أنه كان يصلى، فقال لى: دونك البيوت، فدخلتها و قشقتها فلم أجد فيها شيئا و وجدت البدره فى بيته مختومه بخاتم ام المتوكل و كيسا مختوما و قال لى: دونك المصلّى، فرفعته فوجدت سيفا فى جفن غير ملبس، فأخذت ذلك و صرت إليه.

فلما نظر الى خاتم امه على البدره بعث إليها فخرجت إليه، فأخبرنى بعض خدم الخاصه أنها قالت له: كنت قد نذرت فى علتك لما آيست منك إن عوفيت حملت إليه من مالى عشرة آلاف دينار فحملتها إليه و هذا خاتمى على الكيس و فتح الكيس الآخر فإذا فيه أربعمائه دينار.

فصم الى البدره بدره اخرى و أمرنى بحمل ذلك إليه فحملته ورددت السيف و الكيسين و قلت له: يا سيدى عزّ على، فقال لى: سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ.

غير أن الإمام (عليه السلام) لم يأبه لكل أدوات المراقبه و التضيق عليه بل كانت أساليبه أدقّ و كان نفوذه فى جهاز السلطه يمكّنه من التحرك بالشكل الذى يراه مناسباً مع تلك الظروف.

و مما يعزز ذلك ما رواه الشيخ الطوسي (رضي الله عنه) بإسناده عن محمد بن الفحام، ان الفتح بن خاقان قال: قد ذكر الرجل -يعني المتوكل- خبر مال يجيء من قم، وقد أمرني أن أرسده لأخبره، فقلت له، فقل لي: من أي طريق يجيء حتى أجيئه؟ فجئت إلى الإمام علي بن محمد (عليهما السلام) فصادفت عنده من احتشمه فتبسم وقال لي:

لا يكون إلا خيرا يا ابا موسى، لم تعد الرساله الاولى؟

فقلت: أجلتلك يا سيدي. فقال لي: المال يجيء الليله و ليس يصلون إليه فبت عندي.

فلما كان من الليل و قام إلى ورده قطع الركوع بالسلام و قال لي: قد جاء الرجل و معه المال، و قد منعه الخادم الوصول إليّ فأخرج و خذ ما معه.

فخرجت فاذا معه زنبيلجه (1) فيها المال: فأخذته و دخلت به إليه، فقال: قل له هات المحنقه التي قالت له القيمه انها ذخيره جدتها، فخرجت له فأعطانيها، فدخلت بها إليه، فقال لي: قل له الجبه التي أبدلتها منها ردها إليها.

فخرجت إليه فقلت له ذلك، فقال: نعم كانت ابنتي استحستها فأبدلتها بهذه الجبه و أنا أمضي فأجىء بها.

فقال: اخرج فقل له: ان الله يحفظ ما لنا و علينا. هاتها من كتفك، فخرجت الى الرجل فأخرجها من كتفه فغشى عليه، فخرج إليه (عليه السلام)، فقال له: قد كنت شاكا فتيقنت (2).

و في الروايه دلالات كثيره لكنّ أهمّ ما يلفت النظر فيها هو:

أولا: إن الإمام كان يعرف شك السلطه و هو أخذ حذره و مستيقظ

ص: ١٠٧

١- ((١)) معرّب: زنبيلجه: زنبيل صغير.

٢- ((٢)) امالي الشيخ الطوسي: ٢٧٦ ح ٥٢٨، و المناقب: ٤/٤٤٤.

و متأهب للأمر؛ لذا أجاب من سأله عن المال بأنه سيصل و لا سبيل للمتوكل و جلاوزته عليه، و فعلا وصل المال سالما.

ثانيا: إن حامل المال إلى الإمام (عليه السلام) كان يريد ان يختبر الإمام (عليه السلام) أو يبحث عن وسيلة لليقين بإمامته (عليه السلام) لذا نجد الإمام يرشد مستلم المال إلى امور لا يعرفها إلاّ حامله كالجبه التي كان قد أخفاها تحت كتفه و زاد (عليه السلام) الأمر و ضوحا بقوله: أتيقنت؟ مشيرا الى ما كان يكتنه هذا الرجل في نفسه، و ما يروم أن يصل إليه و هو معرفه الإمام بهذه الامور و قد أيقن و اطمأن حينما أخبره رسول الإمام (عليه السلام) بما كان يضمرة.

ثالثا: إن أنصار الإمام (عليه السلام) و أتباعه كان لهم حضور فاعل في البلاط و هم عيون الإمام بدل أن يكونوا عملاء السلطه. و فيما يلي من خبر اعتقال الإمام (عليه السلام) أيضا شواهد اخرى على هذه الحقيقه.

اعتقال الإمام الهادي (عليه السلام)

إن المتوكل بعد رصده الدائم للإمام و تفتيشه المستمر و المتكثّر لدار الإمام (عليه السلام) أمر باعتقال الإمام (عليه السلام) و زجّه في السجن، فبقى فيه أياما و جاء لزيارته صقر بن أبي دلف فاستقبله الحاجب و كانت له معرفه به، كما كان عالما بتشييعه، و بادر الحاجب قائلا: ما شأنك؟ و فيم جئت؟

قال صقر: بخير.

قال الحاجب: لعلك جئت تسأل عن خبر مولاك؟

قال صقر: مولاي أمير المؤمنين - يعني المتوكل -.

فتبسم الحاجب و قال: اسكت مولاك هو الحق (يعني الإمام الهادي (عليه السلام)) فلا تحتشمني فإنني على مذهبك.

ص: ١٠٨

قال صقر: الحمد لله.

فقال الحاجب: تحب أن تراه؟

قال صقر: نعم.

فقال الحاجب: اجلس حتى يخرج صاحب البريد.

و لما خرج صاحب البريد، التفت الحاجب إلى غلامه فقال له: خذ بيد الصقر حتى تدخله الحجره التي فيها العلوى المحبوس، و خلّ بينه و بينه. فأخذه الغلام حتى أدخله الحجره و أوماً إلى بيت فيه الإمام، فدخل عليه الصقر، و كان الإمام جالساً على حصير و بازائه قبر محفور قد أمر به المتوكل لأرهاب الإمام، و التفت (عليه السلام) قائلاً بحنان و لطف:

يا صقر ما أتى بك؟

قال صقر: جئت لأتعرّف على خبرك.

و أجهدش الصقر بالبكاء رحمه بالإمام و خوفاً عليه:

فقال (عليه السلام): «يا صقر لا عليك، لن يصلوا إلينا بسوء...»

فهتأ روعه و حمد الله على ذلك، ثم سأل الإمام عن بعض المسائل الشرعيه فأجاب عنها، و انصرف مودّعاً للإمام (1)، و لم يلبث الإمام فى السجن إلا قليلاً ثم أطلق سراحه.

محاولة اغتيال الإمام الهادى (عليه السلام)

و قد دبرت السلطه الحاكمه آنذاك مؤامره لقتل الإمام (عليه السلام) و لكنها لم تنجح فقد روى: أن أبا سعيد قال: حدثنا أبو العباس فضل بن أحمد بن إسرائيل

ص: ١٠٩.

١- ((١)) رواه الصدوق فى الخصال: ٣٩٤ و معالى الأخبار: ١٣٥ و كمال الدين ط النجف الأشرف: ٣٦٥ و ط الغفارى: ٣٨٢ ح ٩ ب ٣٧ و عنه الطبرسى فى اعلام الورى: ٢٤٥/٢. و عن الخصال و علل الشرائع فى بحار الأنوار: ١٩٤/٥٠.

الكاتب و نحن بداره بسر من رأى فجرى ذكر أبى الحسن (عليه السلام) فقال: يا أبا سعيد أحدثك بشىء حدثنى به أبى؟

قال: كنا مع المنتصر و أبى كاتبه فدخلنا و المتوكل على سريريه فسلم المنتصر و وقف و وقفت خلفه و كان إذا دخل ركب به و أجلسه فأطال القيام و جعل يرفع رجلا و يضع أخرى و هو لا يأذن له فى القعود و رأيت وجهه يتغير ساعه بعد ساعه و يقول للفتح بن خاقان:

هذا الذى يقول فيه ما تقول؟ و يرد عليه القول، و الفتح يسكته و يقول:

هو مكذوب عليه، و هو يتلظى و يستشيط و يقول: و الله لأقتلن هذا المرائى الزنديق و هو يدعى الكذب و يطعن فى دولتى. ثم طلب أربعة من الخزر أجلافا و دفع إليهم أسيافا، و أمرهم أن يقتلوا أبا الحسن إذا دخل و قال: و الله لأحرقنه بعد قتله، و أنا قائم خلف المنتصر من وراء الستر، فدخل أبو الحسن و شفتاه تتحركان و هو غير مكترث و لا جازع، فلما رآه المتوكل رمى بنفسه عن السرير إليه، و انكب عليه يقبل بين عينيه و يديه، و سيفه شقه بيده و هو يقول:

يا سيدى يا ابن رسول الله يا خير خلق الله يا بن عمى يا مولاي يا أبا الحسن. و ابو الحسن (عليه السلام) يقول: اعيدك يا أمير المؤمنين من هذا.

فقال: ما جاء بك يا سيدى فى هذا الوقت؟

قال: جاءنى رسولك.

قال: كذب ابن الفاعله.

فقال له: ارجع يا سيدى، يا فتح يا عبيد الله يا منتصر شيعوا سيدكم

ص: ١١٠

و سیدی، فلما بصر به الخزر خزوا سجدا، فدعاهم المتوكل و قال: لم تفعّلوا ما امرتكم به؟
قالوا: شده هيبته، و رأينا حوله اكثر من مائه سيف لم نقدر أن نتأملهم، و امتلأت قلوبنا من ذلك.

فقال: يا فتح هذا صاحبك وضحك في وجهه.

و قال: الحمد لله الذي بيض وجهه و أنار حجته» (١).

إنّ هذا النص قد كشف لنا بوضوح عن كل نوازع المتوكل التي تدور حول القتل و الحرق للإمام (عليه السلام) فضلا عن الاتهام بالزندقة و الطعن في دولته.

و المتوكل بعد كل هذه المحاولات التي باءت بالفشل لم يهدأ له بال و هو يريد إذلال الإمام (عليه السلام) بأي نحو كان، من هنا بادر في يوم الفطر - و في السنه التي قتل فيها - إلى الأمر بالترجل و المشى بين يديه قاصدا بذلك أن يترجل الإمام الهادي (عليه السلام) بين يديه، فترجل الإمام (عليه السلام) كسائر بني هاشم و تكأ على رجل من مواليه فأقبل عليه الهاشميون و قالوا: يا سيدنا ما في هذا العالم أحد يستجاب دعاؤه و يكفينا الله به من تعزّر هذا؟ قال لهم أبو الحسن (عليه السلام): في هذا العالم من قلامه ظفره أكرم على الله من ناقه ثمود، لما عقرت الناقه صاح الفصيل إلى الله تعالى فقال الله سبحانه: تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرٍ مَكْذُوبٍ (٢).

دعاء الإمام (عليه السلام) على المتوكل

و التجأ الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) إلى الله تعالى، و انقطع إليه، و قد

ص: ١١١

١- ((الخرائج و الجرائح: ١/٤١٧-٤١٩ ح ١ ب ١١ و عنه في كشف الغمه: ٣/١٨٥).

٢- ((بحار الأنوار: ٥٠/٢٠٩).

دعاه بالدعاء الشريف الذى عرف (بدعاء المظلوم على الظالم) و هو من الكنوز المشرقه عند أهل البيت (عليهم السلام) (١).

هلاک المتوکل

و استجاب الله دعاء وليه الإمام الهادى (عليه السلام)، فلم يلبث المتوكل بعد هذا الدعاء سوى ثلاثه أيام حتى هلك.

و تم ذلك باتفاق المنتصر ابن المتوكل مع مجموعه من الاتراك حيث هجم الاتراك على المتوكل ليله الاربعاء المصادف لاربع خلون من شوال (٢٤٧ هـ) يتقدمهم باغر التركى و قد شهروا سيوفهم، و كان المتوكل ثملا سكرانا، و ذعر الفتح بن خاقان فصاح بهم: ويلكم أمير المؤمنين؟!!

فلم يعتنوا به ورمى بنفسه عليه ليكون كبش الفداء له إلا انه لم يغن عن نفسه و لا عنه شيئا، و أسرعوا إليهما، فقطعهما إربا إربا، بحيث لم يعرف لحم أحدهما من الآخر - كما يقول بعض المؤرخين - و دفنا معا.

و بذلك انطوت أيام المتوكل الذى كان من أعدى الناس لأهل البيت (عليهم السلام).

و خرج الاتراك، و كان المنتصر بانتظارهم فسلموا عليه بالخلافه و أشاع المنتصر ان الفتح بن خاقان قد قتل أباه، و انه أخذ بثأره فقتله، ثم أخذ البيعه لنفسه من أبناء الاسره العباسيه و سائر قطعات الجيش.

و استقبل العلويون و شيعتهم النبأ بهلاك المتوكل بمزيد من الابتهاج و الافراح فقد هلك الطاغيه الذى صير حياتهم إلى مآسى لا تطاق. (٢).

ص: ١١٢

١- (١) مهج الدعوات: ٢٠٩/٥٠.

٢- (٢) الكامل فى التاريخ: ٣٤٩/١٠.

إشاره

هو محمّد بن المتوكل بن المعتصم ابن الرشيد، امه ام ولد روميه اسمها حبشيه. بويع له بعد قتل أبيه في شوال سنة (٢٤٧ هـ) و خلع أخويه المعتز و المؤيد من ولايه العهد و قالوا عنه: أنه أظهر العدل و الانصاف في الرعيه فمالت إليه القلوب مع شدّه هيبتهم له، و كان كريما حليما و ممّا نقل عنه قوله:

لذّه العفو أعذب من لذّه الشفّي و أقبح أفعال المقتدر الانتقام. و لكنّه لم يمتّع بالخلافه إلا أشهراً معدوده دون سته أشهر.

و قال الثعالبي: و من العجائب أن أعرق الأكاسره في الملك - و هو شيرويه - قتل أباه فلم يعيش بعده إلا سته أشهر. و أعرق الخلفاء في الخلافه - و هو المنتصر - قتل أباه فلم يمتع بعده سوى سته أشهر (١).

المنتصر و العلويين

و كان المنتصر لينا مع العلويين المظلومين في عهد أبيه. فعطف عليهم و وّجه بمال فرقه عليهم و كان يؤثر مخالفه ابيه في جميع احواله و مضاده مذهبه طعنا عليه و نصره لفعله. (٢).

و كان محسنا لآل أبي طالب حيث رفع عنهم ما كانوا فيه من الخوف و المحنه بمنعهم من زياره قبر الحسين (عليه السّلام) و ورد على آل الحسين فدكا.

فقال يزيد المهلبى في ذلك:

و لقد بررت الطالبيه بعدما ذموا زمانا بعدها و زمانا

ص: ١١٣

١- ((١)) تاريخ الخلفاء: ٣٥٦-٣٥٨.

٢- ((٢)) مقاتل الطالبين: ٣٩٦ و نحوه في تاريخ الخلفاء: ٤١٧.

وردت ألفه هاشم فرأيتهم بعد العداوه بينهم إخوانا (١)

يقول أبو الفرج عنه: وكان المنتصر يظهر الميل إلى أهل البيت (عليهم السلام) و يخالف أباه في أفعاله فلم يجر منه على أحد منهم قتل أو حبس أو مكروه (٢).

ولما ولي المنتصر صار يسب الأتراك و يقول: هؤلاء قتل الخلفاء فعملوا عليه و هموا به فعجزوا عنه لأنه كان مهيبا شجاعا فطنا متحرزا فتحيلوا إلى أن دسوا إلى طبيبه ابن طيفور ثلاثين ألف دينار في مرضه فأشار بفصده ثم فصده بريشه مسمومه فمات (٣).

المستعين (٢٤٨-٢٥٢ هـ)

إشاره

هو أحمد بن المعتصم بن الرشيد فهو أخو المتوكل، وولد سنة (٢٢١ هـ) و أمه ام ولد اسمها مخارق، اختاره القواد بعد موت المنتصر، ثم تنكر له الأتراك لما نفى باغر التركي الذي فتك بالمتوكل، و قتل و صيفا و بغى. و لهذا خافهم و انحدر من سامراء الى بغداد، فأرسلوا إليه يعتذرون و يخضعون له و يسألونه الرجوع فامتنع، فقصدوا الحبس و أخرجوا المعتز و بايعوه و خلعوا المستعين، ثم جهز جيشا كثيفا لمحاربه المستعين و استعد أهل بغداد للقتال مع المستعين.

الثورات في عصره

لم يدم حكم المستعين سوى أربع سنوات و أشهر، و قد تميزت فتره

ص: ١١٤

١- (١) تاريخ الخلفاء: ٤١٧، ٤١٨.

٢- (٢) مقاتل الطالبين: ٤١٩.

٣- (٣) تاريخ الخلفاء: ٤١٩.

حكمه بالاضطرابات التي تعود الى قوه الأتراك و ضعفه أمامهم، كما تعود الى الظلم و الإجحاف بالامه الى جانب تنازع العباسيين على السلطه، و إليك فهرسا بما وقع فى أيام حكم من و ثبات و ثورات:

١-وثبه فى الاردن بقياده رجل من لخم.

٢-وثب فى حمص اهلها بعاملهم كيدر الاشروسي.

٣-وثبه الجند فى سامراء و ضربه لاوتاش التركي و هو احد القاده.

٤-وثبه المعره بقياده القصيص و هو يوسف بن ابراهيم التتوخى.

٥-وثبه الجند بفارس بعاملهم الحسين بن خالد.

٦-وثبه اسماعيل بن يوسف الجعفرى الطالبى فى المدينه.

فوقعت بينهما وقعت و دام القتال أشهرا و غلت الأسعار و عظم البلاء و انحل أمر المستعين فسعوا فى الصلح على خلعه و قام فى ذلك اسماعيل القاضى و غيره بشروط مؤكده، فخلع المستعين نفسه فى أول سنه اثنتين و خمسين و مائتين و أشهد عليه القضاء و غيرهم فاحدر إلى واسط فأقام بها تسعه اشهر محبوسا موكلا به أمين ثم ردّ إلى سامراء.

و أرسل المعتز إلى احمد بن طولون ان يذهب إلى المستعين فيقتله فقال: و الله لا اقتل أولاد الخلفاء، فنذب له سعيد الحاجب فذبحه فى ثالث شوال من السنه و له احدى و ثلاثون سنه (١).

المعتز (٢٥٢-٢٥٥ هـ)

اشاره

هو محمد بن المتوكل، ولد سنه (٢٣٢ هـ)، بويع له و عمره تسع عشره سنه، و لم يل الخلافه قبله أحد أصغر منه، و هو أول خليفه أحدث

ص: ١١٥

١- ((١)) تاريخ الخلفاء للسيوطى: ٣٥٨-٣٥٩.

الركوب بحليه الذهب، فقد كان الخلفاء قبله يركبون بالحليه الخفيفه من الفضة.

كان المعتز مستضعفا من قبل الأتراك و العوبه بأيديهم. و أول سنه تولى فيها السلطه مات اشناس الذى كان الواصل قد استخلفه على السلطه و خلف خمسمائه الف دينار، فأخذها المعتز و خلع خلع الملك على محمد بن عبد الله ابن طاهر، و قلده سيفين، ثم عزله و خلع خلع الملك على أخيه و توجه بتاج من ذهب و قلنسوه مجوهره، و وشاحين مجوهرين و قلده سيفين، ثم عزله من عامه و نفاه إلى واسط، و خلع على بغا الشرابى و ألبسه تاج الملك فخرج على المعتز بعد سنه فقتل و جىء إليه برأسه.

و فى رجب من هذه السنه خلع المعتز أخاه المؤيد من العهد و ضربه و قيده فمات بعد أيام، فخشى المعتز ان يتحدث عنه انه قتله او احتال عليه، فأحضر القضاء حتى شاهدوه و ليس به اثر، و كان المعتز مستضعفا مع الأتراك، فاتفق ان جماعه من كبارهم أتوه و قالوا:

يا أمير المؤمنين اعطنا ارزاقنا لنقتل صالح بن وصيف، و كان المعتز يخاف منهم فطلب من امه (قييحه) مالا- لينفقه فيهم، فأبت عليه و شحت نفسها، و لم يكن بقى فى بيوت المال شىء بينما كانت امه تملك الأموال العظيمه، حيث انفقت على صالح بن وصيف مالا عظيما بعد قتله، و لهذا اجتمع الأتراك على خلعهم، و وافقهم صالح بن وصيف، و محمد بن بغا، فلبسوا السلاح و جاءوا إلى دار الخلافه فبعثوا إلى المعتز أن اخرج إلينا، فبعث

ص: ١١٦

يقول: قد شربت الدواء و أنا ضعيف، فهجم عليه جماعه و جزّوا برجله و ضربوه بالدبابيس، و أقاموه فى الشمس فى يوم صائف، و هم يلطمون وجهه و يقولون: اخلع نفسك، ثم احضروا القاضى بن أبى الشوارب و الشهود و خلعوه، ثم احضروا من بغداد إلى دار الخلافة- و هى يومئذ سامراء- محمد ابن الواثق، و كان المعتز قد أبعدته إلى بغداد فسلم المعتز إليه الخلافة و بايعه (١).

و مات المعتز بعد خلعه من الخلافة بطريقه غريبه؛ بعد خمس ليال من خلعه، حيث أدخلوه الحميم، فلما اغتسل عطش فمنعوه الماء، ثم اخرج فسقوه ماء بثلج فشربه و سقط ميتا، و ذلك فى شهر شعبان المعظم سنه خمس و خمسين و مائتين.

اضطهاد الشيعة:

لقد ذكر المؤرخون موقف المعتز المعادى لآل محمد (صلّى الله عليه و اله) و اضطهادهم و اضطهاد شيعتهم و من نماذج سيرته أنه أعمل السيف فى العلويين و آخرين حتى ماتوا فى سجونهم، و ممن قتل فى عهده:

١- جعفر بن محمد الحسينى و قد قتل فى وقعه حدث بالرى بينه و بين احمد بن عيسى عامل محمد بن طاهر (٢).

ص: ١١٧

١- (١) تاريخ الخلفاء للسيوطى: ٣٥٩-٣٦٠.

٢- (٢) مقاتل الطالبين: ٤٣٤.

٢- ابراهيم بن محمد العلوى فقد قتله طاهر بن عبد الله فى وقعه كانت بينه و بين الكوكبى بقزوين (١)، و غير هؤلاء كثير ممن أعمل و لاه العباسيين فيهم السيف و القتل.

أما من مات فى الحبس فكثير أيضا، منهم: عيسى بن اسماعيل الحضرمى و احمد بن محمد الحسينى (٢).

ص: ١١٨

١- (١) المصدر السابق: ٤٣٣.

٢- (٢) مقاتل الطالبين: ٤٣٤.

إشاره

ملامح عصر الإمام الهادي (عليه السلام)

١- الحالة السياسيّة العامّة

مارس الإمام الهادي (عليه السلام) مهامه القياديّة في حكم المعتصم سنة (٢٢٠ هـ) واستشهد في حكم المعتز سنة (٢٥٤ هـ) وخلال هذه السنوات الأربعه و الثلاثين قد عاصر سته من ملوك بني العباس الذين لم يتمتعوا بلذّة الحكم و الخلافه كما تمتّع آباؤهم حيث تراوحت فتره خلافه كل منهم بين سته أشهر و خمسّه الى ثمان سنوات سوى المتوكل الذي دام حكمه خمسّه عشر عامًا.

و يعتبر عهد المتوكل العباسي بدء العصر العباسي الثاني و هو عصر نفوذ الأتراك (٢٣٢-٣٣٤ هـ) و اعتبره البعض بدء عصر انحلال الدوله العباسيه، الذي انتهى بسقوطها على أيدي التتار سنة (٦٥٦ هـ).

و كان لسياسه المتوكل و أسلافه الأثر البالغ في انفصال بعض أمصار الدوله و استقلالها عن السلطه المركزيه بالتدريج، حيث نشأت دويلات صغيره و كيانات متنافسه فيما بينها، كالسامانيه و البويهيه و الحمدانيه و الغزنويه و السلجوقيه بعد هذا العصر (١).

و كما كان لهذه الدويلات تأثير في تقدم الحضاره الإسلاميه باعتبار

ص: ١١٩

١- (١) تاريخ الاسلام السياسي: ١/٣ بتصرف.

انفتاح بعض الامراء على العلم و العلماء لكنّها أضعفت كيان الدولة العباسية سياسيًا لأنها قد ساهمت في ايجاد شرخ في وحده الدولة الإسلامية الكبرى.

و قد يعزى هذا الانفصال و تشكيل هذه الدويلات-اضافه إلى الاضطهاد و تعسف سلاطين الدولة العباسية-إلى استخدام الأتراك في مناصب الدولة الحساسة، و اعتمادهم كقوة رادعة ضد معارضي الدولة العباسية إذ أصبح الجيش يتكون منهم قياده و أفراداً، بينما ابعده العرب و سواهم عن تلك المناصب مما أثار حفيظه العرب ضد السلوك السياسي للدولة العباسية و بالتالي أدى إلى الانفصال عنها.

و كان المعتصم أوّل الخلفاء العباسيين الذين استعانوا بالأتراك و أسندوا إليهم مناصب الدولة و أقطعوهم الولايات الإسلامية (١).

و قد انتهج المتوكل سياسة العنف تجاه العلويين و شيعة أهل البيت (عليهم السّلام) فضلاً عن أهل البيت (عليهم السّلام) أنفسهم و تجلّى ذلك بوضوح في أمره بهدم قبر الإمام الحسين بن علي (عليه السّلام) و ما حوله من الدور بل أمر بحرثه و بذره و سقى موضع القبر و منع الناس من زيارته و توعدّ بالسجن على من زاره (٢).

و قد أثار المتوكل بهذه السياسة حفيظه المسلمين بشكل عام، و أهل بغداد بشكل خاصّ و قد ردوا على الإهانات التي ألحقها بالعلويين فسبّوه في المساجد و الطرقات (٣).

و في زمن المتوكل أصابت مدن العراق مجاعه شديده و هلك كثير من الناس، و انتهز الروم فرصه ضعف الدولة فاستأنفوا غاراتهم على أراضيها فأغاروا على دمياط و فتكوا بأهلها و أحرقوا دورهم، ثم غزوا فيليفيا جنوبي

ص: ١٢٠

١- (١) تاريخ الإسلام السياسي: ٢/٣ و يراجع تاريخ الطبري: ٧ حول ازدياد نفوذ الأتراك في عصر المعتصم.

٢- (٢) تاريخ الطبري: ٤٤/١١.

٣- (٣) تاريخ الإسلام السياسي: ٥/٣.

آسيا الصغرى و هزموا أهلها هزيمة منكرة (١).

و فى عام (٢٣٥هـ) عهد المتوكل إلى أولاده الثلاثة المنتصر و المعتز و المؤيد، بيد أنه رأى أن يقدم المعتز على اخويه لمحبه أم المعتز (قيحه) و لكن المنتصر غضب لذلك فدبر مع أخواله الأتراك مؤامره لاغتيال أبيه، و حاول بعض الأتراك فى دمشق اغتيال المتوكل غير أن محاولتهم تلك باءت بالفشل بفضل ما عمله بغا الكبير و الفتح بن خاقان (٢).

و لم ينج المتوكل من الاغتيال فقد قتل فيما بعد، بعد اتفاق بغا الصغير و باغر التركي للتخلص منه و تنصيب ابنه المنتصر عام (٢٤٧هـ).

و كان المنتصر يحسن للعلويين مخالفا بذلك سياسه أبيه، و تجلت سياسته فى إزالة الخوف عنهم و السماح لهم بزياره قبر الحسين (عليه السلام).

و لم يدم حكم المنتصر طويلا فقد تأمر عليه الأتراك و قتلوه عن طريق طبيبه طيفور فى سنه (٢٤٨هـ) (٣).

و بعد مقتل المنتصر تولى كرسى الخلافة المستعين بالله سنه (٢٤٨هـ) و أرجع عاصمته الى بغداد غير أن الأتراك لم يأمنوا جانبه، فاتفق باغر التركي مع جماعته على خلع المستعين و نصب المعتز مكانه (٤).

و وقعت بينهما حرب دامت عدة اشهر انتهت بابعاد المستعين إلى واسط ثم قتله غيله (٥).

كما أن المعتز لم ينج من أعمال العنف و التعسف التى قام بها قواد الدوله العباسيه من الأتراك فقتل شر قتله على أيديهم و ذلك سنه (٢٥٥هـ).

ص: ١٢١

١- (١) تاريخ الإسلام السياسى: ٥/٣.

٢- (٢) مروج الذهب: ٣٩٠/٢.

٣- (٣) تاريخ الطبرى: ٧ أحداث عام ٢٤٨هـ.

٤- (٤) مروج الذهب: ٤٠٧/٢-٤٠٨.

٥- (٥) الكامل فى التاريخ: ٥٠/٧ و ما بعدها.

و كان اغتيال الإمام الهادي (عليه السلام) في حكم المعتز في سنة (٢٥٤ هـ). (١)

إنَّ ضعف شخصيَّة الحكَّام هو أحد عوامل التفكك و الانهيار الذي أصاب الدولة الإسلاميَّة، و قد رافقه نفوذ زوجاتهم و أمهاتهم الى جانب سيطره الأتراك الذين اعتمدوا عليهم للتخلُّص من نفوذ الإيرانيين و العرب، كما كان لظلم الامراء و الوزراء دوره البالغ في زعزعه ثقة الناس بالحكَّام و إثارة الفتن و الشغب داخل بلاد المسلمين (٢). تمرّدا على ظلم الظالمين و نهب ثروات المسلمين و الاستهتار بالقيم الإسلاميَّة و التبذير في بيت مال المسلمين.

إنَّ ضعف شخصيَّة الحكَّام أدَّى الى سقوط هيبتهم عند الولاة ممَّا دعاهم الى الاتِّجاه نحو الاستقلال بشكل تدريجي لعلمهم بضعف مركز الخلافة و انهماك الحكام بالملاهي و المملدات.

و قد شجَّع الحكَّام الامراء و عمَّالهم على الاهتمام بجمع الأموال و ارسالها الى الخليفة و نيل رضاه و اتِّقاء تساؤلاته عن تصرفات الامراء.

و أدت هذه الظاهره الى طغيان المقاييس الماديَّة و استقرارها في مختلف الشرائح الاجتماعيَّة.

و قد ساعدت الفتوحات- التي كانت أشبه بالغزو لإحكام السيطرة على الأراضي بدل فتح القلوب و العقول- على استحكام المقاييس الماديَّة لأنها كانت تدرّ الأموال و الغنائم على الجيش الفاتح فكانت مصدرا من مصادر الثروة التي يفكّر بها الحكَّام و الامراء.

ص: ١٢٢

١- ((١)) تاريخ اليعقوبي: ٥٠٣/٢.

٢- ((٢)) لقد توالى حوادث الشغب في بغداد من سنة (٢٤٩ هـ) و تجددت أربع مرات حتى سنة (٢٥٢ هـ) و بدأت مشاغبات الخوارج من سنة (٢٥٢ هـ) و استمرت الى سنة (٢٦٢ هـ). و رافقها ظهور صاحب الزنج سنة (٢٥٥ هـ)، و هذه سوى ما سيأتي من انتفاضات العلويين خلال النصف الأوّل من القرن الثالث الهجري.

٢- الحالة الثقافية

كان لترجمه الكتب اليونانيه و الفارسيه و الهنديه إلى العربيه أثر كبير فى ثقافه هذا العصر، و كانت ظاهره الترجمه قد ابتدأت منذ أيام المأمون، و قد أسهمت فى رفق الثقافه الإسلاميه من جهه و الانفتاح على الثقافات الاخرى التى قد تتقاطع مع ما أفرزته الحضاره الإسلاميه من اتجاهات فكريه و ثقافيه من جهه اخرى.

كما كان لارتحال المسلمين فى مشارق الارض و مغاربها أثر كبير فى التبادل و التعاطى الثقافى بين شرق البلاد الإسلاميه و غربها و أنتج ذلك نشاطا ثقافيا متميزا و حركه فكريه، أعطت للعلماء و الفقهاء دورا كبيرا و موقعا مرموقا عند الخلفاء و الحكام حتى عدّ القرن الرابع الهجرى فيما بعد العصر الذهبى للحضاره الإسلاميه.

و قد حظى الشعراء و الادباء بمكانه رفيعه عند الامراء ممّا أدى الى ازدهار الأدب فى هذا العصر.

و لا ينبغى أن نغفل عن محنه خلق القرآن و ما رافقها من توتر فى المجتمع الإسلامى طيله عقود ثلاثه (١).

٣- الحالة الاقتصاديه

إن الاضطرابات السياسيه و الصراع على السلطه و بدء انفصال أجزاء عن الدوله العباسيه و استقلالها قد أثر فى تدهور الوضع الاقتصادى.

و كان لظهور الطبقيه فى المجتمع الإسلامى آثار سلبيه أدت الى سرعه الانهيار الاقتصادى فضلا عن المجاعه و ارتفاع الأسعار، مما كان له أثر كبير

ص: ١٢٣

١- ((١)) تاريخ الاسلام السياسى: ٣/٣٣٢ و ما بعدها.

فى اضطراب الأمن و فقدان السيطرة من قبل الدوله، و قد تجلّى ذلك فى قصر فتره حكم الخلفاء الى جانب انتقال اداره الدوله إلى القواد الأتراک بدل الخلفاء و هو دليل واضح على ضعف شوكتهم و فقدان هيبتهم أمام قواد الجيش و وزراءهم و كتابهم (١).

٤- الموقع الاجتماعى و السياسى للإمام الهادى (عليه السلام)

إن حادثه إشخاص الإمام (عليه السلام) من قبل المتوكل من المدينه إلى سامراء و إيکال ذلك الامر إلى يحيى بن هرثمه، و ما نقله يحيى هذا عن حاله اهل المدينه المنوره، و ما انتابهم و ما أحدثوا من ضجيج و اضطراب لإبعاد الإمام (عليه السلام) عنهم يصوّر لنا مدى تأثر أهل المدينه بأخلاقه الإمام (عليه السلام) المثلى و حسن سلوكه و تعامله معهم و شده اندماجه فى حياتهم، و لا غرو فهو سليل دوحه النبوه و ثمره شجره الإمامه التى هى فرع النبوه، فالإمام هو حجه الله سبحانه على خلقه و هو المثل و القدوه التى يقتدى بها و هو القيم و الحافظ لرساله الاسلام.

و هذا عبيد الله بن خاقان المعاصر للإمام الحسن العسكرى (عليه السلام) كان يصف الإمام الهادى لرجل قائلا له:

لو رأيت أباه- أى الإمام الهادى (عليه السلام)- لرأيت رجلا جليلا نبيلًا خيرا فاضلا (٢).

و كان للإمام (عليه السلام) نفوذ فى عمق البلاط بحيث نجد أمّ المتوكل تبعث بصره للإمام (عليه السلام) بعد التوسل به لتوصيف دواء لداء المتوكل و هو كاشف عن إيمانها بمكانه هذا الإمام عند الله تعالى.

و قد شاع خبره و ذاع صيته عند أصحاب البلاط فضلا عن عامه الناس،

ص: ١٢٤

١- (١) يراجع تاريخ الطبرى: ج ٧، أحداث السنوات ٢٤٧-٢٥٤ هـ.

٢- (٢) كمال الدين للشيخ الصدوق: ٤٢/١.

فى الوقت الذى كان المتوكل قد أحكم الرقابه الدقيقه على تصرّفات الإمام(عليه السّلام) وارتباطاته لثلا يتّسع نفوذه و تمتدّ زعامته، بل كان يخطط لسجنه و اغتياله.

و تكفى نظره سريعه على ما صدر من معاصريه من تصريحات حول مكاتته و سمو منزلته لتقف عند الموقع الاجتماعى المتميز للإمام(عليه السّلام) بالرغم من كل محاولات التسقيط (١).

٥- العباسيون و الإمام الهادى(عليه السّلام)

تدرّجت سياسه الحكّام العباسيين فى مناهضه أهل البيت(عليهم السّلام) بعد أن عرفوا موقعهم الدينى و الاجتماعى المتميز و أنهم لا يداهنون من أجل الحكم و الملك بل إنهم أصحاب مبدأ و عقيدة و قيم، فكانت سياسه السّفّاح و المنصور و الرشيد تتلخص فى الرقابه المشدّده و التضييق مع فسخ المجال للتحرك المحدود و رافقها خلق البدائل العلميه لثلا- ينفرد أهل البيت(عليهم السّلام) بالمرجعيه العلميه و الدينيه فى الساحة الاجتماعيه فكان الدعم المباشر من الحكّام لأئمه المذاهب و تبّى بعضها و الدعوه إليها فى هذا الطريق.

و لكن كل هذه الأساليب لم تفلح فى التعقيم الاعلامى و توجيه الأنظار عن أهل البيت(عليهم السّلام) الى غيرهم فكانت سياسه المأمون هى سياسه الاحتواء التى نفّذها مع الإمام الرضا(عليه السّلام).

غير أن المأمون حين أدرك عدم امكان احتواء الإمام(عليه السّلام) قضى عليه، لكنه بتزويجه لابنته ام الفضل من الإمام الجواد(عليه السّلام) قد أحكم الرقابه على

ص: ١٢٥

ولده الإمام الجواد (عليه السّلام) بشكل ذكي جدا، ولم يسمح المعتصم للإمام الجواد (عليه السّلام) -و هو في ريعان شبابه- ليقى في مدينه جدّه بل استدعاه و قضى عليه بالسّم لأنه قد أدرك أيضا عدم امكان احتوائه بل عدم امكان احكام الرقابه عليه من داخل بيته و خارجه.

و هنا جاء دور المتوكل و من تبعه لسجن الإمام و التضيق عليه بأنحاء شتى، فتّم استدعاء الإمام الهادي (عليه السّلام) و عرض لأنواع الاحتقار و التسقيط و التضيق -كما لاحظنا- و احكمت الرقابه على كل تصرفاته داخل البيت و خارجه، بنحو قد تجنّبوا فيه إثارة الرأى العام حيث تظاهروا بإكرام الإمام و احترامه و اعزازه (عليه السّلام)، بينما وصلت الرقابه الى أبعد حدّ. و كانت قضيه الإمام المهدي المنتظر (عليه السّلام) من الأسباب المهمه التي دعت السلطه لإحكام الرقابه عليه لئلا يولد الإمام المهدي (عليه السّلام) إن أمكن أو للاطلاع على وجوده إن كان قد ولد، و من ثم القضاء عليه.

و قد بقى الإمام الهادي (عليه السّلام) تحت رقابه الحكّام العباسيين مده طويله تزيد على العشرين عاما (1)، و هي فتره طويله جدا إذا ما قسناها مع فتره ولايه العهد للإمام الرضا (عليه السّلام) أو فتره بقاء الإمام الجواد (عليه السّلام) في بغداد في زمن المعتصم.

و في هذا مؤشّر واضح لتغيير العباسيين سياستهم العامه تجاه أئمه أهل البيت (عليهم السّلام).

٦- اضطهاد أتباع أهل البيت (عليهم السّلام)

إذا استثنينا سياسته المنتصر التي لم تدم سوى سته أشهر و التي تمثّلت

ص: ١٢٦

١- (١) و قد عرفت أن بعض المصادر صرّحت بأن مده إقامته (عليه السّلام) في سامراء عشر سنوات و أشهر.

فى اللين مع العلويين و شيعة أهل البيت (عليهم السّلام) فإننا نجد السياسة العباسيه العامه هى مناهضه أهل البيت (عليهم السّلام) و أتباعهم، و ممارسه سياسه العنف معهم بالرغم من اتّساع رقعه التشييع بعد تظاهر المأمون باحترامه الخاص للإمام الرضا (عليه السّلام).

إن حرمان أهل البيت (عليهم السّلام) و أتباعهم من الوضع المعيشى اللائق بهم إنّما كان باعتبار قلقهم من توظيف المال للإطاحه بملكهم. و من هنا كانت سياسه التقشف بالنسبه لهم سياسه عامه قد سار عليها عامه ملوك بنى العباس، و هم أعرف بالمكانه الاجتماعيه لأهل البيت (عليهم السّلام) فى قلوب المؤمنين.

و كان الحرمان يمتدّ الى إخراجهم من الوظائف الحكوميه إن عثروا على موال لأهل البيت (عليهم السّلام) كان قد حظى بوظيفه حكوميه، بل تعدّى ذلك الى تحديد أملاكهم و غلمانهم حتى بان الفقر و الحرمان على كثير من العلويين فى هذا العصر.

٧- انتفاضات العلويين:

لقد تمادى المتوكل فى ايذاء العلويين و منعهم حقوقهم التى منحهم الله إياها حتى أشرفوا على الهلاك من شدّه الفقر بل تمادى فى الجور عليهم حتى قدّم دعوى غير العلوى على دعوى العلوى إذا تحاكما عند القضاء.

و لم نجد من العباسيين عامه إلّا العدا و البغض لأهل البيت (عليهم السّلام) لأسباب شتى، منها: تفرّد أهل البيت (عليهم السّلام) بالنصّ عليهم من قبل جدّهم الرسول (صلّى الله عليه و اله) و تفرّدهم بالزعامة الروحيه و العلميه، و تأثيرهم على قلوب المسلمين و وجدانهم، و الاهتمام بشؤونهم، و ايثارهم للدين على الدنيا، و الموت فى سبيل الله على الحياه مع الذلّ و الهوان فى غير طاعه الله.

إن عواطف المسلمين و قلوبهم قد اتّجهت نحو أبناء الرسول (عليهم السّلام)

و شيعتهم الذين يحذون حذوهم، وأخذت هذه الظاهره تنمو و تظهر على الساحة الإسلاميه و هذا مما لا يرتاح له الحكّام العباسيون و عملاؤهم الذين جلسوا على موائدهم التي جسّدت أفضع انواع التبذير فى بيت مال المسلمين.

و أهل البيت(عليهم السّلام)بعد ثوره الحسين(عليه السّلام)و إن لم يتصدّوا للثوره المسلحه ضد الطغاه لأسباب تعود الى سياستهم المبدئيه لمعالجه أنواع الانحراف فى المجتمع الإسلامى، لكنّهم قد فتحوا الطريق أمام الثّوار العلويين للأمر بالمعروف و النهى عن المنكر بالسيف و السلاح حين لا يثمر الكلام و الحجاج.

و من هنا لم تخل الساحة الإسلاميه من الثورات التى قام بها قاده علويون على طول الخط بعد ثوره الحسين(عليه السّلام).

و قد استمرت هذه الثورات حتى عصر الغيبه و انتهت فيما بعد الى تأسيس دويلات و إمارات يحكمها قاده علويون أو علماء يحملون ثقافه أهل البيت(عليهم السّلام)و يحاولون تجسيد قيمهم و سيرتهم فى الحياه الإسلاميه.

و لم تكن اغتياالات الخلفاء للأئمه من أهل البيت(عليهم السّلام)إلا باعتبار دعمهم لهذه الثورات المسلّحه و تأييدهم لها من قريب أو من بعيد.

و هذا الخط الثورى فى هذه الظروف الحرجه يعد أحد الأسباب التى حتمت على الإمام الثانى-عشر باعتباره آخر القاده المعصومين-أن يتسّتر بستار الغيبه لئلا تخلو الأرض من حجج الله و بيناته.

و قد خرج على حكّام هذا العصر من العلويين مجموعه تمثّل استمرار الخط الثورى ضد الظلم و الظالمين و إليك قائمه بأسمائهم مع ذكر تاريخ و منطقه تحرّكهم و خروجهم:

١-محمد بن القاسم بن على بن عمر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب(عليهم السّلام)،خرج فى حكومه المعتصم و اعتقل فى سنه(٢١٩ هـ)و روى

أنه قتل بالسّم.

٢-محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن ابن علي بن أبي طالب(عليهم السّلام)خرج على المتوكل فى المدينه و اسر و سجن فى سامراء.

٣-يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن علي بن علي بن أبي طالب(عليهم السّلام).خرج على المستعين فى الكوفه سنه (٢٥٠ هـ)، ارتضاه أهل بغداد ولثا للأمر كما بايعه جملة من أهل الحل و العقد فى الكوفه.

و ضجّ الناس لقتله و حزنوا عليه حزنا لم ير مثله.

٤-الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن حسن بن زيد بن حسن ابن علي بن أبي طالب(عليهم السّلام)،خرج فى طبرستان سنه (٢٥٠ هـ) و استولى على الرى و آمل و امتد نفوذه الى جرجان فى سنه (٢٥٧ هـ) و استمر فى الحكم حتى سنه (٢٧٠ هـ) ثم خلفه أخوه محمّد بن زيد و كان فقيها أديبا و جوادا.

٥-محمد بن جعفر بن حسن،خرج فى الرى سنه (٢٥٠ هـ) و دعا أهل الرى الى حكم الحسن بن زيد الذى كان قد سيطر على طبرستان.

٦-الحسن بن اسماعيل بن محمد بن عبد الله بن علي بن حسين بن علي ابن أبي طالب(عليهم السّلام)ثار فى قزوين سنه (٢٥٠ هـ).

٧-الحسين بن محمد بن حمزه بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب(عليهم السّلام)ثار فى الكوفه سنه (٢٥١ هـ).

٨-اسماعيل بن يونس بن إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب(عليهم السّلام)ثار فى مكه سنه (٢٥١ هـ).

٩-أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن طباطبا ثار فى سنه (٢٥٥ هـ)بين برقه و الاسكندريه.

ص: ١٢٩

١٠ و ١١- عيسى بن جعفر العلوي، ثار مع علي بن زيد في الكوفة سنة (٢٥٥ هـ).

١٢- علي بن زيد بن حسين بن عيسى بن زيد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) ثار في الكوفة سنة (٢٥٦ هـ) للمرة الثانية.

١٣- إبراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) المعروف بابن الصوفي ثار في مصر سنة (٢٥٦ هـ) (١).

هذه صورته موجزة عن الحركات المناهضة للحكام الذين تربّعوا على كرسى الخلافة و حكموا باسم الرسول (صلى الله عليه و اله) و هم بعيدون كل البعد عن هديه و سننه.

و في مثل هذه الظروف السياسيّة العامه و الفتن الدينيّة التي أوججها الخلفاء و سقتها الثقافات المستورده، ماذا كانت تتطلبه الساحة الإسلاميّة العامه من معالجات؟ و ماذا كانت تتطلبه الساحة الخاصه باتباع أهل البيت (عليهم السلام) الذين أخذوا يقتربون من عصر الغيبه الذي أخبر عنه الرسول (صلى الله عليه و اله) و الأئمه من أهل البيت (عليهم السلام) و بدأت تتكشف علائمه و تتهيأ أسبابه؟

هذا ما سوف ندرسه خلال الفصول التاليه إن شاء الله تعالى.

ص: ١٣٠

١- (١) راجع مقاتل الطالبين: ٤٧٨-٥٣٦ و مروج الذهب: ٤/٥٠-١٨٠، و الكامل في التاريخ، الجزء السابع.

الباب الرابع

اشاره

و فيه فصول:

الفصل الأول:

متطلبات عصر الإمام الهادي (عليه السلام)

الفصل الثاني:

الامام الهادي (عليه السلام) و تكامل بناء الجماعه الصالحه و تحصيلها

الفصل الثالث:

الامام الهادي (عليه السلام) في ذمه الخلود

الفصل الرابع:

مدرسه الإمام الهادي (عليه السلام) و تراثه

ص: ١٣١

إشاره

متطلبات عصر الإمام الهادي (عليه السلام)

بعد أن عرفنا المهم من ملامح عصر الإمام الهادي (عليه السلام) نستطيع الآن أن نقف على متطلبات عصره. و سوف نبحت عنها في حقلين. الأول: متطلبات الساحة الإسلامية العامه. و الثاني: متطلبات الجماعه الصالحه بعد تمهيد عام لكلا الحقلين.

و ذلك أن الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) قد تولّى الإمامه بعد استشهاد أبيه الجواد (عليه السلام) سنة (٢٢٠ هـ) و هو لما يبلغ الحلم إذ لم يتعدّ عمره الثامنه على أكبر الفروض فهو قد شابه أباه الجواد (عليه السلام) في تولّى الإمامه في سنّ مبكّره.

و قد كان لتولّى الإمام الجواد (عليه السلام) الإمامه في سنّ مبكّره بعد استشهاد أبيه الرضا (عليه السلام) مغزى ديني و دلالات و آثار سياسيه و اجتماعيه عديده، و إليك جملة منها:

الدلاله الاولى:

أن أهل البيت (عليهم السلام) قد أضافوا دليلا حسيّا جديدا بعد الأدله العقائديه التي تمثلت في النصوص النبويّه أولا و الواقع العملي الذي جسّد جدارتهم

ص: ١٣٣

لتولى شؤون المسلمين و قياده العالم الإسلامى فكريا و عمليا.

و الأئمه بعد استشهاد الحسين(عليه السّلام)قد اتّجهوا لتربيته الأجيال الطليعيه ليحيّوا الامه الإسلاميه من تبعات التلايح الفكرى أو الاختراق الثقافى الذى حصل من الانفتاح على ثقافات جديده بعد الفتح.

و قد عادت الهمينه الفكرية و الرياده العلميه لأهل البيت(عليهم السّلام)بالرغم من التخطيط الذى كان من ورائه الامويون و من سار فى خطّهم لإعاده الجاهليه بكل مظاهرها الى الحياه الإسلاميه الجديده.

فالإمام زين العابدين(عليه السّلام)و ابنه الباقر(عليه السّلام)الذى عرف بأنه يقر العلم بقرا و حفيده جعفر الصادق(عليه السّلام)الذى دانت له أرباب المذاهب الأربعة و من سواهم بالمرجعيه العلميه و الروحيه فى أرجاء العالم الإسلامى.قد أثبتوا بشكل عملى و حتّى جداره أهل البيت(عليهم السّلام)للرياده الفكرية التى هى روح الرياده الاجتماعيه و السياسيه الى جانب نص الرسول على أنهم الخلفاء الحقيقيون له.

و استمرّ هذا الخط الريادى فى عصرى الإمامين الكاظم و الرضا(عليهما السّلام) و أفرز آثاره الاجتماعيه و السياسيه حيث هيمن حبّ أهل البيت(عليهم السّلام)على قلوب المسلمين من جديد و راحوا يشيدون بهم و يمثلهم و علوّ منزلتهم فى الحياه الإسلاميه،و انعكس هذا الأمر على الحكمّام انعكاسا لا- يطاق فلم يتحمّل هارون الرشيد وجود الإمام الكاظم(عليه السّلام)إذ اعتبره منافسا حقيقيا له حتى قضى عليه بعد سجنه مسموما شهيدا.

كما لم يتحمّل ابنه المأمون الإمام على بن موسى الرضا(عليه السّلام)كذلك بالرغم من تغييره لسياسه أسلافه حيث حاول احتواءه و تجديد نشاطه بشكل ذكى ثم جدّ فى اطفاء نوره بما أجراه من الحوارات و التحدّيات العلميه الصعبه

بعد أن أيس من سلب ثقة الناس منه بفرض ولايه العهد عليه إذ كان قد خطط لإظهاره بمظهر الإنسان الحريص على الملك و حب الدنيا الذى كان هو شأن عامه الملوك من بنى اميه و بنى العباس.

و بعد اليأس من نجاح آخر محاولات التسقيط بادر الى تصفيته جسديا ليقتضى على أكبر منافس له. فإن الإمام الرضا(عليه السلام) كان يرى هو و كثير من المسلمين بأن المأمون لا يستحق الخلافة و إنما هي رداء ألبسه الله من اصطفاه من عباده و هم أهل بيت الرحمة و الرساله.

فالمأمون يفتقد الرصيد الشرعى و الشعبى بينما الإمام الرضا(عليه السلام) و لا سيما بعد فرض ولايه العهد عليه لم يسقط من القلوب، بل قد تألق نجمه فهو يحظى بالرصيدين الشرعى و الشعبى أكثر من ذى قبل و لا سيما بعد الحوارات العلميه التى اجريت معه.

إن نقاط القوه التى كان يفتقدها المأمون رغم ذكائه و حنكته السياسيه، قد سؤلت له و جرّته الى اغتيال الإمام الرضا(عليه السلام).

و هنا جاءت إمامه الجواد(عليه السلام) المبكره لتضفى رقما جديدا و دليلا واضحا و قويا آخر على جداره أهل البيت(عليهم السلام) للقياده الإسلاميه يلمسه عامه المسلمين بما فيهم الحكام. و شكّلت هذه الإمامه تحديا صارخا لا يمكن غضّ الطرف عنه و لا يمكن مواجهته بأى شكل من الأشكال، فقد عزّض المأمون الإمام الجواد(عليه السلام) لأصناف الحوارات و التحديات العلميه و أيقن بعجزه عن مواجهته، و لكنه كان لا يملك أى عذر للقضاء عليه.

و لكنّ المعتصم قد دنس يديه بهذه الجريمة البشعه التى قضت على الإمام الجواد و هو فى عمر الزهور حيث لم يتجاوز الخامسة و العشرين من عمره و لم تدم أيام إمامته سوى سبع عشره سنه.

و القضاء على الإمام الجواد (عليه السلام) في هذه الظروف كاشف عن مدى عمق الهيمنة الروحية و العلمية للإمام الجواد (عليه السلام) و هو عميد أهل البيت و كبيرهم روحيا و علميا و قياديا حيث طأطأ لعظمه علماء الطائفة و تعلقت به قلوب شيعته و محبته فضلا عن قلوب من سواهم و دانت له بالولاء أعداد غفيرة من المسلمين.

و إلا فلماذا هذا التسرع في القضاء عليه و هو لم يحاول القيام بأية حركة أو ثورة ضد النظام الحاكم!؟

و قد جاءت الإمامة المبكرة للإمام الهادي (عليه السلام) في هذا الظرف و بعد هذه التحديات و إفرازاتها السياسية و الاجتماعية و الثقافية و الدينية. فهل نصدق بأنّ الحكماء بعد المعتصم، و بعد ما رأوه من هذه الهيمنة الروحية و العلمية لأهل البيت (عليهم السلام) على الساحة الإسلامية - سوف يتركونهم أحرارا و هم المتقّمصون لرداء خلافة الرسول (صلّى الله عليه و اله) و الموقع القيادي لأهل البيت (عليهم السلام) الذين قد اشتهر عنهم و عن جدّهم أنّهم المنصوبون لهذا الموقع الديني و السياسي بعد رسول الله (صلّى الله عليه و اله)؟

و قد أثبتوا جدارتهم العلمية و الفكرية و الروحية لتولّى قياده الأمر و إداره شؤون المسلمين و هيمنوا على قلوب الناس و عقولهم؟

إنّ هذه النقطة تشكّل مفرق طريق واضح بين خطّ الحاكمين و خطّ أهل البيت (عليهم السلام).

و لم يرتدع هؤلاء الحكام عمّا سلف عليه آباؤهم من مقارعه من ينافسهم و هم يرون وجود المنافس الحقيقي لهم حتى و هو لم يبادر الى الثورة ضدّهم، و لم يثبت لديهم أنّهم وراء الانتفاضات التي كانت تنطلق بين آونه و اخرى.

فما هو المخرج فى رأيهم و بحسب مقاييسهم؟

و كما علمنا سابقا، أن الإمام الهادى (عليه السّلام) فى كل مراحل حياته التى قضاها فى مدينه جدّه أو فى سامراء كانت تحت رقابه شديده، و قد جرّعه ما استطاعوا من الغصص التى كانت تتمثل فى محاولات الاحتواء تاره و التسقيط العلمى تاره اخرى ثم التحجيم بشتى أشكاله التى تمثّلت فى الاستدعاء و التحقير و الرقابه المكثفه و السجن و محاولات الاغتيال المتكرره خلال ثلاثه عقود و نصف تقريبا من سنّى عمره المبارك.

فما الذى كان ينتظره الإمام (عليه السّلام) من هؤلاء الحكّام فى هذا الظرف و مع هذه المحاسبات؟ و ما الذى كان ينبغى له أن يقوم به و الفرص التى بين يديه محدوده جدّا و هى تمر مرّ السحاب؟

فعلى ضوء هذه الحقائق لا بد أن نبحت عن متطلّبات المرحله فى كلا الحقلين - كما سيأتى بيانه -.

الدلاله الثانيه:

إنّ إمامه الجواد (عليه السّلام) المبكره و التى تلتها إمامه ولده الهادى المبكره أيضا ذات علاقته وطيدته بقضيه الإمام المهدي المنتظر الذى سيتولى الإمامه فى ظرف عصيب جدا و عمره دون عمر هذين الإمامين (عليهما السّلام)، كما أخبر بذلك الرسول (صلّى الله عليه و اله) و الأئمه من أهل البيت (عليهم السّلام).

إنّ التمهد الذى قام به الرسول (صلّى الله عليه و اله) - تبعا للقرآن الكريم - بالنسبه لقضيه المصلح الإسلامى العالمى و التصريح بأنه سيولد من أبناء الرسول (صلّى الله عليه و اله) من فاطمه و على (عليهما السّلام) و أنّه التاسع من أبناء الحسين الشهيد، كان ضروره اسلاميه تفرضها العقيدته لأنها نقطه إشعاع و مركز الأمل الكبير للمسلمين فى

أحلكت الظروف الظالمة التي سيمزّون بها، وقد أيدت الظروف التي حلّت بالمسلمين بعد وفاته (صلى الله عليه و اله) هذه الأخبار السابقة لأوانها.

إنّ هذا التمهيد النبوي الواسع قد بلغت نصوصه - لدى الفريقين - ما يزيد على ال (٥٠٠) نص حول حتمية ظهور المهدي (عليه السّلام) و ولادته و غيبته و ظهوره و علائم ظهوره و عدله و حكمه الإسلامى النموذجى.

و قد سار على درب الرسول (صلى الله عليه و اله) الأئمة من أهل البيت (عليهم السّلام) خلال قرنين - و عملوا على تأكيد هذا الأصل و تأييده و إقراره فى النفوس و جعله معلما من معالم عقيدة المسلمين فضلا عن الموالين لأهل البيت (عليهم السّلام) و أتباعهم. و قد زرع هذا المبدأ ألعاما تهدّد الظالمين بالخطر و تنذرهم بالفناء و القضاء عليهم و على خطّهم المنحرف، فهو مصدر اشعاع لعامه المسلمين كما أنه مصدر رعب للظالمين المتحكمين فى رقاب المسلمين.

و لو لم يصدر من أهل البيت (عليهم السّلام) إلاّ التأكيد على هذا المبدأ فقط - و إن لم يمارسوا أى نشاط سياسى ملحوظ - لكان هذا كافيا فى نظر الحكّام للقضاء عليهم مادام هذا المبدأ يقصّ مضاجعهم.

و لكن اضطرارهم لمراعاة الرأى العام الإسلامى حال بينهم و بين ما يشتهونه و يخطّطون ضد أهل البيت (عليهم السّلام) فكانت إرادته الله تفوق ارادتهم.

غير أنهم لم يتركوا التخطيط للقضاء على أهل بيت الرسول (صلى الله عليه و اله).

فغن الحسين أشاعوا أنه قد خرج على دين جدّه و هو الذى كان يطلب الاصلاح فى امه جدّه.

و الإمام الكاظم (عليه السّلام) - و من سبقه - قد اتّهم بأنه يجبى له الخراج و هو يخطط للثوره على السلطان.

و الإمام الرضا و الجواد (عليهما السّلام) قد قضى عليهما بشكل ماكر و خبيث

بالرغم من علم المأمون بأنه المتهم فى اغتيال الرضا(عليه السلام)و المعتصم قد وظّف ابنه المأمون لارتكاب جريمه الاغتيال.

إذن كان التمهيد النبوى لقضيه الإمام المهدي الإسلاميه يشكّل نقطه أساسيه و معلما لا يمكن تجاوزه،حرصا على مستقبل الامه الإسلاميه التى قدّر لها أن تكون امه شاهده و امه وسطا يفىء إليها الغالى و يرجع إليها التالى حتى ترفرف رايه(لا إله إلا الله محمد رسول الله)على ربوع الأرض و يظهر دينه الحق على الدين كله و لو كره الكافرون.

و قد ضحى أهل البيت(عليهم السّلام)لهذا المبدأ القرآنى الذى بيّنه الرسول(صلى الله عليه و اله) و اعتمده أهل البيت(عليهم السّلام)كخط عام و عملوا على تثبيته فى نفوس المسلمين.

و يشهد لذلك ما ألفه العلماء من كتب الملاحم التى اهتمت بقضيه الإمام المهدي(عليه السّلام)فى القرنين الأول و الثانى الهجريين بشكل ملفت للنظر.

فالإمام المهدي(عليه السّلام)قبل ولادته بأكثر من قرنين كان قد تالأًأ اسمه و تناقلت الرواه أهدافه و خصائصه و نسبه و كل ما يمتّ الى ثورته الإسلاميه بصله.

و استمر التبليغ لذلك طوال قرنين و نصف قرن من الزمن.و المسلمون يسمعون كل ذلك و يتناقلون نصوصه جيلا بعد جيل بل يعكفون على ضبطه و التأليف المستقل بشأنه.

و المتيقن أن عصر الإمامين الباقر و الصادق(عليهما السّلام)و من تلاهما من الأئمه(عليهم السّلام)قد حفل بهذا التأكيد.فقد أحصيت نصوص الإمام الصادق(عليه السّلام) بشأن المهدي فناهزت ال(٣٠٠)نصا.و استمر التأكيد على ذلك خلال العقود التى تلته.

فما هي إفرافات هذا الواقع الذي ذكرناه من الناحيتين السياسيه و الاجتماعيه؟ و ما هي النتائج المتوقعه لمثل هذه القضيه التي لا بد من إقرارها في نفوس المسلمين؟

و هنا نصّ جدير بالدراسه و التأمل قد وصلنا من الإمام الحسن العسكري (عليه السّلام) في هذا الشأن بالخصوص و فيه تأييده لهذه الحقيقه الكبرى.

«قال أبو محمد بن شاذان-عليه الرحمه-حدّثنا أبو عبد الله بن الحسين ابن سعد الكاتب (رضى الله عنه) قال أبو محمد (عليه السّلام): قد وضع بنو اميه و بنو العباس سيوفهم علينا لعلّتين: إحداهما: أنّهم كانوا يعلمون (أنّ) ليس لهم في الخلافه حق فيخافون من ادّعائنا إيّاها و تستقرّ في مركزها. و ثانيهما: أنّهم قد وقفوا من الأخبار المتواتره على أن زوال ملك الجباره الظلمه على يد القائم منّا، و كانوا لا- يشكّون أنّهم من الجباره و الظلمه، فسعوا في قتل أهل بيت رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و إباده نسله طمعا منهم في الوصول الى منع تولد القائم (عليه السّلام) أو قتله، فأبى الله أن يكشف أمره لواحد منهم إلّا أن يتم نوره و لو كره المشركون» (١).

و من هنا نفهم السرّ في تسرّع الحكّام للقضاء على الثلث الأخير من أئمه أهل البيت الاثني عشر (عليهم السّلام).

كما نفهم السرّ في تشديد الرقابه على تصرّفاتهم حتى قاموا بزرع العيون في داخل بيوتهم و استعانوا بشكل مكثّف بالعنصر النسوي لتحقيق هذه المراقبه الدقيقه و الشامله.

كما أننا يمكن أن نكتشف السرّ في أن الأئمه بعد الإمام الصادق (عليه السّلام) لماذا لم يولدوا من نساء هاشميات يشار إليهنّ بالبنان؟ بل ولدوا من اماء

ص: ١٤٠

١- (١) منتخب الأثر: ٣٥٩ ط ثانيه عن أربعين الخاتون آبادي (كشف الحق).

طاهرات عفيفات مصطفاه، فلم يكن هناك زواج رسمي و عني و عليه فلا- يكون الإمام المولود ملفتا للنظر سوى للخواص و المعتمدين من أصحاب أهل البيت (عليهم السلام).

و حين كان يقوم الإمام السابق بالتمهيد لإمامته و طرح اسمه على الساحة بالتدريج، حينئذ كان ينتبه الحكام لذلك و ربما كانت نفوت عليهم الفرص لاغتياله و القضاء عليه.

و لهذا حين كان يشار إليه بالبنان و تتوجه إليه القلوب و النفوس كانت الدوائر الحاقده تبدأ بالكيد له باستمرار.

قال أيوب بن نوح، قلت للرضا (عليه السلام): نرجو أن تكون صاحب هذا الأمر و إن يرده الله إليك من غير سيف فقد بويع لك و ضربت الدراهم باسمك، فقال:

ما منّا أحد اختلفت إليه الكتب و سئل عن المسائل و أشارت إليه الأصابع و حملت إليه الأموال إلاّ اعتلّ و مات على فراشه حتى يبعث الله عزّ و جل لهذا الأمر رجلا خفيّ المولد و المنشأ حتى خفي في نفسه (١).

فالإمام الكاظم و الإمام الرضا (عليه السلام) قد استشهدا و هما في الخامسة و الخمسين من عمرهما بينما الإمام الجواد (عليه السلام) قد استشهد و هو في الخامسة و العشرين من عمره من دون أن يكون كل واحد منهم قد اصيب بمرض يوجب موته، بل كانوا أصحاء بحيث كانت صحتهم و سلامتهم الجسميه ماثارا لآتهام الحكّام الحاقدين عليهم.

إذن فالإمام الجواد (عليه السلام) بإمامته المبكره التي أصبحت حدثا فريدا تتناقله الألسن سواء بين الأحبه أو الأعداء قد ضرب الرقم القياسي في القيادة

ص: ١٤١

الرِّيَانِيَّةِ وَذَكَرَ الْأَمَّةَ بِمَا كَانَتْ قَدْ سَمِعَتْهُ مِنْ إِخْبَارِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ آتَى كَلَامًا مِنْ يَحْيَى وَ عَيْسَى الْكِتَابِ وَ الْحَكْمِ وَ النَّبُوَّةِ فِي مَرَحَلَةِ الصَّبَا.

بل لمست ذلك بكل وجودها و هي ترى طفلا لا يتجاوز العقد الواحد و إذا به يهيمن على عقول و قلوب الملايين.

و في هذا نوع إعداده لإمامه من يليه من الأئمة (عليهم السلام) الذين يتولون الإمامه و هم في مرحلة الصبا خلافا لما اعتاده الناس في الحياة.

و قد كانت إمامه ابنه الهادي (عليه السلام) ثاني مصداق لهذا الحدث الفريد الذي سوف لا يكون في تلك الغرابة بل سوف يعطى للناس الرسالي لأهل البيت (عليهم السلام) زخما جديدا و فاعليه كبيره إذ يحظى أتباعهم بمثل هذه النماذج الفريده من أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

و الإمام المهدي الذي كان يتم التمهيدي لولادته و إمامته رغم مراقبه الطغاه و ترقبهم لذلك، كان المصداق الثالث للإمامه المبكره، فلا غرابه في ذلك بعد استيناس الامه بنموذجين من هذا النوع من الإمامه، على الصعيد الإسلامي العام و على الصعيد الشيعي الخاص.

من هنا كان الظرف الذي يحيط بالإمام الهادي (عليه السلام) ظرفا انتقاليا من مرحلة الإمامه الظاهره الى الإمامه الغائبه التي يراد لها أن تدبر الأمر و من وراء الستار و يراد للامه أن تنفتح على هذا الإمام و تعتقد به و تتفاعل معه رغم حراجه الظروف.

فهو الظرف الوحيد لأعداد الامه لاستقبال الظرف الجديد. و لا سيما إذا عرفنا أن الإمام الهادي هو السابع من تسعه أئمة من أبناء الحسين، و المهدي الموعود هو التاسع منهم و هو الذي مهّد لولاده حفيده من خلال ما خطط له من زواج خاص لولده الحسن العسكري دون أى اعلان عن ذلك، فلا توجد إلا مسافه زمنيّه قصيره جدا ينبغي له اغتنامها للإعداد اللازم و الشامل.

إذن ما أقلّ الفرص المتاحة للإمام الهادى (عليه السّلام) للقيام بهذا العبء الثقيل حيث إنه لا بد له أن يجمع بين الدقه و الحذر من جهه و الابلاغ العام ليفوّت الفرص على الحكّام و يعمّق للامه مفهوم الانتظار و الاستعداد للظهور و النهوض بوجه الظالمين. و لا- أقل من إتمام الحجه على المسلمين و لو بواسطة المخلصين من أتباعه (عليه السّلام).

و من هنا كان على الإمام الهادى (عليه السّلام) تحقيقا للأهداف الكبرى أن يتجنب كل إثارة أو سوء ظن قد يوجه له من قبل الحكّام المتربّصين له و لابنائهم من أجل أن يقوم بانجاز الدور المرتقب منه. و هو تحقيق همزه الوصل الحقيقيه بين ما حقّقه الأئمه الطاهرون من آباءه الكرام و ما سوف ينبغى تحقيقه بواسطه ابنه و حفيده (عليهما السّلام)، و لهذا لم يمهل الإمام الحسن العسكرى سوى ست سنين فقط و هى أقصر عمر للإمامه فى تاريخ أهل البيت (عليهم السّلام) إذ دامت إمامه الإمام على (عليه السّلام) ثلاثين سنه و الإمام الحسن السبط عشر سنين و الإمام الحسين عشرين سنه و الإمام زين العابدين خمسا أو أربعا و ثلاثين سنه. و الإمام الباقر تسع عشره سنه و الإمام الصادق أربعا و ثلاثين سنه و الإمام الكاظم خمسا و ثلاثين سنه و الإمام الرضا عشرين سنه و الإمام الجواد رغم قصر عمره كانت إمامته سبع عشره سنه و الإمام الهادى أربعا و ثلاثين سنه.

و تأتى فى هذا السياق كل الاجراءات التى قام بها الإمام الهادى (عليه السّلام) من الحضور الرتيب فى دار الخلافه و ما حظى به من مقام رفيع عند جميع الأصناف و الطبقات بدء بالامراء و الوزراء و قاده الجيش و الكتاب و عامه المرتبطين بالبلاط كما سوف يأتى توضيحه فيما بعد ان شاء الله تعالى و هكذا كل ما قام به بالنسبه للجماعه الصالحه التى سوف نفصّل الحديث عنها فى فصل لاحق إن شاء الله تعالى.

إشارة

١- ترك مقارعة الحاكمين و تجنب إثارتهم.

٢- الرد على الإثارات الفكرية و الشبهات الدينية.

٣- التحدي العلمي للسلطة و علمائها.

٤- توسيع دائره النفوذ في جهاز السلطة.

١- تجنب إثارة الحكام و عمالهم

أسم سلوك الإمام الهادي (عليه السلام) طوال فترة إمامته بالتجنب من أيه إثارة للسلطة بدء بما فرض عليه من مؤدب يتولى أمره ثم الاستجابة لدعوه المتوكل و استقدامه الى سامراء و فسح المجال للتفتيش الذي قد تكرر في المدينة و سامراء بل تعدى ذلك الى تطمين المتوكل بأن الإمام (عليه السلام) لا يقصد الثوره عليه حين استعرض المتوكل قواته و قدرته العسكرية و أحضر الإمام في هذا الاستعراض ليطلع على ما يملكه من قوه لئلا يفكر واحد من أهل بيته (عليهم السلام) بالخروج على الخليفه. و إذا بالإمام الهادي (عليه السلام) يجيبه بأنا لا نناقشكم في الدنيا نحن مشغولون بأمر الآخرة فلا عليك شيء مما تظن (١).

و لم يحصل المتوكل على أي مستمسك ضد الإمام بالرغم من التفتيش المفاجئ و المتكرر.

و قد لاحظنا كيف يتجنب الإمام (عليه السلام) مثل هذه الإثارات الى جانب تقديمه للنصح و الارشاد و الموعظه للمتوكل.

ص: ١٤٤

روى ابن شهر آشوب باسناده عن أبي محمد الفحام أنه قال: سأل المتوكل ابن الجهم من أشعر الناس؟ فذكر الجاهلييه والإسلام. ثم أنه سأل أبا الحسن (عليه السلام)، فقال (عليه السلام) الحماني حيث يقول:

لقد فاخرتنا من قريش عصابه بمدّ خدود و امتداد أصابع

فلما تنازعنا المقال قضى لنا عليهم بما نهوى نداء الصوامع

ترانا سكوتا و الشّهد بفضلنا عليهم جهير الصوت فى كل جامع

فإن رسول الله احمد جدنا و نحن بنوه كالنجوم الطوالع

قال: و ما نداء الصوامع يا أبا الحسن؟

قال: أشهد ان لا إله إلا الله، و اشهد ان محمدا رسول الله جدى أم جدك؟

فضحك المتوكل ثم قال: هو جدك لا ندفعك عنه (١).

و لم يبخل الإمام الهادى (عليه السلام) بالإجابة العلميه فيما كان يشكل عليهم أمره كما لاحظنا، بل تعدى ذلك الى وصف دواء ناجع لداء عدوّه المتوكل حين أيس من معالجات أطبائه بالرغم من تظاهرة بالعداء للعلويين (٢).

٢- الرد على الإنارات الفكرية و الشبهات الدينيه

و قد لاحظنا فى عصر الإمام (عليه السلام) ما امتحنت به الامه الإسلاميه بما عرف بمحنه خلق القرآن، و الإنارات المستمره حول الجبر و التفويض و الاختيار.

و كانت للإمام الهادى (عليه السلام) مساهمات جادّه فى كيفيه معالجه الموقف بشكل ذكى، و الرساله التى اثرت عن الإمام الهادى (عليه السلام) لأهل الأهواز

ص: ١٤٥

١- (١) أمالى الطوسى: ٢٨٧ ح ٥٥٧ و مناقب آل أبى طالب: ٤٣٨/٤.

٢- (٢) راجع الكافى: ٤٩٩/١.

تضمّنت ردًا علميا تفصيليا على شبهه الجبر و التفويض، بل تضمّنت بيان منهج بديع سلكه الإمام (عليه السلام) في مقام الرد. و حيث كان الغلو و التصرّف من الظواهر المنحرفة في المجتمع الإسلامي، فقد واجههما الإمام الهادي (عليه السلام) بالشكل المناسب مع هاتين الظاهرتين (١).

٣- التحدّي العلمي للسلطة و علمائها

لقد كان الاختبار العلمي لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) أقصر طريق للحكام لمعرفة ما هم عليه من الجداره العلميه التي هي إحدى مقومات الإمامه. و هو في نفس الوقت أقصر طريق لأهل البيت (عليهم السلام) للتألق العلمي في المجتمع الإسلامي.

و من هنا كانت السلطه بعد اجراء أى اختبار علمي تحاول التعقيم عليه لئلا يستفيد أتباع أهل البيت (عليهم السلام) من هذه الورقه المهمه ضد السلطه الحاكمه.

و لكن المصادر التاريخيه قد حفظت لنا نصوص هذه الاختبارات و فيها ما يدلّ على الرّد القاطع من أهل البيت (عليهم السلام) على جميع التحديات العلميه التي خططت لهم و انتصارهم في هذا الميدان الذي كان يعيد لهم مرجعيتهم الدينيه في الامه الإسلاميه.

و إليك نموذجاً من هذا الاختبار الذي أجراه ابن الأَکثم في عصر المتوکل ثم حاول التعقيم عليه.

فقد روى ابن شهر آشوب أنه: قال المتوکل لابن السکّيت أسأل ابن

ص: ١٤٦

١- (١) راجع الفصل الثالث من الباب الأول مبحث «التحذير من مجادله الصوفيين». و راجع أيضا مبحث «الإمام و الغلاه» في الفصل الثاني من الباب الرابع.

الرّضا مسأله عوصاء بحضرتى. فسأله، فقال: لم بعث الله موسى بالعصا و بعث عيسى ببراء الأكمه و الأبرص و احياء الموتى، و بعث محمّدا بالقرآن و السّيف؟ فقال أبو الحسن (عليه السّلام): بعث الله موسى بالعصا و اليد البيضاء فى زمان الغالب على أهله السّحر، فاتاهم من ذلك ما قهر سحرهم و بهرهم و اثبت الحجّه عليهم، و بعث عيسى ببراء الأكمه و الأبرص و احياء الموتى بإذن الله فى زمان الغالب على أهله الطّب فاتاهم من ابراء الأكمه و الأبرص و احياء الموتى بإذن الله فقهرهم و بهرهم.

و بعث محمّدا بالقرآن فى زمان الغالب على أهله السّيف و السّعر فاتاهم من القرآن الزاهر و السّيف القاهر ما بهر به شعرهم و بهر سيفهم و أثبت الحجّه عليهم، فقال ابن السّكيت: فما الحجّه الآن؟ قال: العقل، يعرف به الكاذب على الله فيكذب.

فقال يحيى بن أكثم: ما لابن السّكيت و مناظرته؟! أو إنّما هو صاحب نحو و شعر و لغه، و رفع قرطاسا فيه مسائل فأملى علىّ بن محمد (عليهما السّلام) على ابن السّكيت جوابها (١).

و جاء فى روايه اخرى أن هذه الاسئله قد كتبها ابن الأكثم لموسى بن محمد بن الرضا، و من الواضح أن المقصود بها هو الإمام الهادى (عليه السّلام) بلا ريب. و لهذا جاء بها أخوه موسى إليه فأجاب عنها الإمام (عليه السّلام)، و إليك نص الروايه:

عن موسى بن محمد بن الرضا قال: لقيت يحيى بن أكثم فى دار العامه فسألنى عن مسائل، فجنّث إلى أخى على بن محمد (عليهما السّلام) فدار بينى و بينه من المواعظ ما حملنى و بصرنى طاعته، فقلت له: جعلت فداك إنّ ابن أكثم كتب يسألنى عن مسائل لأفتيه فيها، فضحك (عليه السّلام) ثم قال: و ما هى؟

ص: ١٤٧

قلت:

كتب يسألني عن قول الله: قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ (١) نبي الله كان محتاجا إلى علم آصف؟

و عن قوله: وَ رَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَ خَرُّوا لَهُ سُجَّدًا (٢) سجد يعقوب و ولده يوسف و هم أنبياء؟

و عن قوله: فَهَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ (٣)، من المخاطب بالآية؟ فإن كان المخاطب النبي (صلى الله عليه و اله) فقد شك، و ان كان المخاطب غيره، فعلى من إذن انزل الكتاب.

و عن قوله: وَ لَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ (٤) ما هذه الأبحر؟ و أين هي؟

و عن قوله: وَ فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَ تَلْمِذُ الْأَعْيُنِ (٥) فاشتتت نفس آدم (عليه السلام) أكل البر فأكل و اطعم و فيها ما تشتهي الأنفس، فكيف عوقب؟

و عن قوله أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَ إُنثَاءً (٦) يزوج الله عباده الذكران و قد عوقب قوم فعلوا ذلك؟

و عن شهادة المرأة جازت وحدها و قد قال الله: وَ أَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ (٧)؟

ص: ١٤٨

١- (١) النمل (٢٧): ٤٠.

٢- (٢) يوسف (١٢): ١٠٠.

٣- (٣) يونس (١٠): ٩٤.

٤- (٤) لقمان: (٣١): ٢٧.

٥- (٥) الزخرف (٤٣): ٧١.

٦- (٦) الشورى (٤٢): ٥٠.

٧- (٧) الطلاق (٦٥): ٢.

و عن الخنثى، و قول علي (عليه السّلام): يورث من المبال، فمن ينظر - إذا بال - إليه؟ مع أنّه عسى أن يكون امرأه و قد نظر إليها الرجال، أو عسى أن يكون رجلا و قد نظرت إليه النساء، و هذا ما لا يحل. و شهادة الجارّ إلى نفسه لا تقبل.

و عن رجل أتى إلى قطع غنم فرأى الراعى ينزو على شاه منها فلما بصر بصاحبها خلّى سبيلها، فدخلت بين الغنم كيف تذبح؟ و هل يجوز أكلها أم لا؟

و عن صلاة الفجر لم يجهر فيها بالقراءة و هى من صلاة النهار؟ و إنّما يجهر فى صلاة الليل.

و عن قول علي (عليه السّلام) لابن جرّموز: بشر قاتل ابن صفيه بالنار، فلم لم يقتله و هو إمام؟!

و أخبرنى عن علي (عليه السّلام) لم قتل أهل صفين و أمر بذلك مقبلين و مدبرين و أجاز على الجرحى؟ و كان حكمه يوم الجمل انه لم يقتل مؤلّيا و لم يجهز على جريح و لم يأمر بذلك، و قال من دخل داره فهو آمن، و من القى سلاحه فهو آمن. لم فعل ذلك؟ فإن كان الحكم الأول صوابا فالثانى خطأ.

و أخبرنى عن رجل أقر باللواط على نفسه أيحد أم يدرأ عنه الحد؟

قال (عليه السّلام): اكتب إليه: قلت: و ما اكتب؟ قال (عليه السّلام): اكتب بسم الله الرحمن الرحيم و أنت فألهمك الله الرشد، أتانى كتابك فامتحنتنا به من تعنتك لتجد إلى الطعن سيلا إن قصرنا فيها و الله يكافيك على نيتك، و قد شرحنا مسائلك فاصغ إليها سمعك و ذلل لها فهمك، و اشغل بها قلبك، فقد لزمك الحجج و السلام. سألت عن قول الله عز و جل: [□] قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ [□] فَهُوَ آصَفُ بَنِ بَرَخِيَا، و لم يعجز سليمان (عليه السّلام) عن معرفه ما عرف آصف لكنه صلوات الله عليه أحب أن يعرّف امته من الجن و الانس انه الحجج من

بعده، و ذلك من علم سليمان (عليه السلام) أودعه عند آصف بأمر الله، ففهمه ذلك لثلاثا يختلف عليه في امامته و دلالتة، كما فهم سليمان (عليه السلام) في حياه داود (عليه السلام) لتعرف نبوته و امامته من بعد لتأكد الحجة على الخلق.

و أما سجود يعقوب (عليه السلام) و ولده كان طاعه لله و محبه ليوسف (عليه السلام)، كما أن السجود من الملائكة لآدم (عليه السلام) لم يكن لآدم (عليه السلام) و انما كان ذلك طاعه لله و محبه منهم لآدم (عليه السلام)، فسجود يعقوب و ولده و يوسف (عليه السلام) معهم كان شكرا لله باجتماع شملهم، ألم تره يقول في شكره ذلك الوقت: رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ - الى آخر الآية - (١).

و أما قوله: فَإِنْ كُنْتُ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ.

فإن المخاطب به رسول الله (صلى الله عليه و اله) و لم يكن في شك مما انزل إليه و لكن قالت الجهله كيف لم يبعث الله نبيا من الملائكة إذ لم يفرق بين نبيه و بيننا في الاستغناء عن المآكل و المشارب و المشى في الأسواق؟ أفأوحى الله إلى نبيه، فسئل الذين يقرؤون الكتاب بمحضر الجهله، هل بعث الله رسولا - قبلك إلا هو يأكل الطعام و يمشى في الأسواق و لك بهم اسوه، و إنما قال: فَإِنْ كُنْتُ فِي شَكٍّ و لم يكن شك و لكن للمنفعه كما قال: تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهُلْ فَتَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٢).

و لو قال (عليكم) لم يجيبوا إلى المباهله، و قد علم الله ان نبيه يؤدي عنه رسالته و ما هو من الكاذبين، فكذلك عرف النبي انه صادق فيما يقول و لكن أحب أن ينصف من نفسه.

و أما قوله: وَ لَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ

ص: ١٥٠

١- (١) يوسف (١٢): ١٠٢.

٢- (٢) آل عمران (٣): ٦١.

مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ. فهو كذلك لو أن اشجار الدنيا أقلام و البحر يمده سبعة أبحر و انفجرت الارض عيوننا لنفدت قبل أن تنفذ كلمات الله و هى عين الكبريت و عين التمر و عين ال(برهوت) و عين طبريه و حمة ما سبندان و حمة افريقيه يدعى لسان و عين بحرون، و نحن كلمات الله لا تنفذ و لا تدرك فضائلنا.

و أما الجنة فإن فيها من المآكل و المشارب و الملاهى ما تشتهى الأنفس و تلذ الأعين و أباح الله ذلك كله لآدم(عليه السلام) و الشجره التى نهى الله عنها آدم(عليه السلام) و زوجته ان يأكلا منها شجره الحسد عهد إليهما ان لا ينظرا إلى من فضل الله على خلأئقه بعين الحسد فنسى و نظر بعين الحسد و لم يجد له عزما.

و أما قوله: أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَ إِنثَانًا أَى يولد له ذكور و يولد له اناث يقال لكل اثنين مقرنين زوجان كل واحد منهما زوج، و معاذ الله أن يكون عنى الجليل ما لبست به على نفسك تطلب الرخص لارتكاب المآثم، ... وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ يَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (١) إن لم يتب.

و أما شهاده المرأه وحدها التى جازت فهى القابله جازت شهادتها مع الرضا، فإن لم يكن رضا فلا أقل من امرأتين تقوم المرأتان بدل الرجل للضرورة، لأن الرجل لا يمكنه أن يقوم مقامها، فإن كانت وحدها قبل قولها مع يمينها.

و أما قول على(عليه السلام) فى الخنثى فهى كما قال: ينظر قوم عدول يأخذ كل واحد منهم مرآه و تقوم الخنثى خلفهم عربانه و ينظرون فى المرايا فيرون الشبح فيحكمون عليه.

و أميا الرجل الناظر إلى الراعى و قد نزا على شاه فإن عرفها ذبحها و أحرقتها، و إن لم يعرفها قسم الغنم نصفين و ساهم بينهما فإذا وقع على أحد النصفين فقد نجا النصف الآخر، ثم يفرق النصف الآخر فلا يزال كذلك حتى تبقى شاتان فيقرع بينهما فأيتها وقع السهم بها

ص: ١٥١

ذبحت و احرقت و نجا سائر الغنم.

و أما صلاحه الفجر فالجهر فيها بالقراءة، لأن النبي (صلى الله عليه و اله) كان يجلس بها فقراءتها من الليل.

و أما قول علي (عليه السلام): بشر قاتل ابن صفيه بالنار فهو لقول رسول الله (صلى الله عليه و اله) و كان ممن خرج يوم النهروان فلم يقتله أمير المؤمنين (عليه السلام) بالبصره لأنه علم أنه يقتل في فتنه نهروان.

و أما قولك: ان عليا (عليه السلام) قتل أهل صفين مقبلين و مدبرين و أجاز علي جريحهم و انه يوم الجمل لم يتبع موليا و لم يجهز علي جريح و من ألقى سلاحه آمنه و من دخل داره آمنه، فإن أهل الجمل قتل امامهم و لم تكن لهم فئه يرجعون إليها و انما رجح القوم إلى منازلهم غير محاربين و لا مخالفين و لا متنازدين رضوا بالكف عنهم فكان الحكم فيها رفع السيف عنهم و الكف عن أذاهم إذ لم يطلبوا عليه اعوانا.

و أهل صفين كانوا يرجعون إلى فئه مستعده و امام يجمع لهم السلاح: الدروع و الرماح و السيوف و يسنى لهم العطاء، يهوى لهم الأنزال و يعود مريضهم و يجبر كسيرهم و يداوى جريحهم و يحمل راجلهم و يكسو حاسرهم و يردهم فيرجعون إلى محاربتهم و قتالهم فلم يساو بين الفريقين في الحكم لما عرف من الحكم في قتل اهل التوحيد لكنه شرح ذلك لهم، فمن رغب عرض علي السيف أو يتوب من ذلك.

و أما الرجل الذي اعترف باللواط فإنه لم تقم عليه بينه و إنما تطوع بالاقرار من نفسه و إذا كان للإمام الذي من الله ان يعاقب عن الله كان له أن يمن عن الله، أما ما سمعت قول الله: هَذَا عَطَاؤُنَا، قد انبأناك بجميع ما سألتنا عنه فاعلم ذلك (١).

و قد أوضحت هذه الروايه الموقع العلمى للإمام (عليه السلام) و مدى تحدّيه لعلماء عصره

ص: ١٥٢

و لا سَيِّما علماء البلاط الذين لا يروق لهم مثل هذا التحدى.

و لهذا قال ابن أكتثم للمتوكل بعد ما قرأ هذه الأجوبة: ما نحب أن نسأل هذا الرجل عن شىء بعد مسائلى هذه و أنه لا يرد عليه شىء بعدها إلا دونها و فى ظهور علمه تقويه للرافضه (١).

٤- توسيع دائره النفوذ فى جهاز السلطه

إن النفوذ الذى نجده للإمام الهادى (عليه السَّلام) هو النفوذ المعنوى على عامه رجال السلطه بما فيهم من لا يدين بالولايه لأهل البيت (عليهم السَّلام).

و قد كانت أساليب الإمام (عليه السَّلام) فى هذا المجال متنوعه و واسعه فإنه كان مطالباً بالحضور فى دار الخلافه بشكل مستمر. و من هنا كان التعرّف على شخص الإمام (عليه السَّلام) و هديه و سكونه و اتزانه أمراً طبيعياً و فزّ له هذه الفرصه و التى لم يلتفت الحكّام الى مدى تبعاتها و آثارها التى تركتها فى الساحة الإسلاميه العامه و رواد البلاط بشكل خاص.

و قد كانت للإمام (عليه السَّلام) كرامات شتى كلّما دخل و خرج من دار الخلافه.

و قد قال أحد ندماء المتوكل للمتوكل: ما يعمل أحد بك أكثر مما تعمله بنفسك فى على بن محمد، فلا يبقى فى الدار إلا من يخدمه و لا يتبعونه بشيل ستر و لا فتح باب و لا شىء، و هذا إذا علمه الناس قالوا: لو لم يعلم استحقاقه للأمر ما فعل به هذا، دعه إذا دخل عليه يشيل الستر لنفسه و يمشى كما يمشى غيره فيمسه بعض الجفوه.

فتقدم ألا يخدم و لا يشال بين يديه ستر، و كان المتوكل ما رأى أحدا ممن يهتم بالخبر مثله. قال: فكتب صاحب الخبر إليه: أنّ على بن محمد

ص: ١٥٣

دخل الدار فلم يخدم و لم يشل أحد بين يديه ستر فهب هواء رفع الستر له فدخل. فقال: اعرفوا حين خروجه، فذكر صاحب الخبر أن هواء خالف ذلك الهواء شال الستر له حتى خرج، فقال: ليس نريد هواء يشيل الستر، شيلوا الستر بين يديه (١).

كما نجد جملة من الكتيّاب و الحجاب و العيون و حتى السجّان فضلا عن بعض القاده و الامراء كانوا يدينون بالولاء و الحبّ الخاص للإمام الهادي (عليه السّلام)، و قد رأينا في قصه مرض المتوكل و نذر امه للإمام الهادي (عليه السّلام) (٢) ما يدل دلالة واضحة على مدى نفوذ الإمام (عليه السّلام) في هذه الأوساط، بينما كان المتوكل قد خطّط لإبعاد الإمام عن شيعته و محبيه و إذا بالإمام (عليه السّلام) يكتسح نفوذه المعنوي أرباب البلاط و يستبصر على يديه مجموعه ممّن لم يكن يعرف الإمام (عليه السّلام) أو لم يكن ليواليه، و كان الإمام (عليه السّلام) يستفيد من هؤلاء في تحرّكه و ارتباطاته التي خطّط الحكّام لمراقبتها أو قطعها و إبعاد الإمام (عليه السّلام) عن قواعده و عن الوسط الاجتماعي الذي يريد أن يتحرّك فيه.

ص: ١٥٤

١- (١) مسند الإمام الهادي (عليه السّلام): ٣٩.

٢- (٢) راجع مبحث تفتيش دار الإمام (عليه السّلام) في حكم المتوكل.

اشاره

الإمام الهادي (عليه السلام) و تكامل بناء الجماعه الصالحه و تحصيلها

١- الإمام الهادي (عليه السلام) و قضيه حفيده المهدي (عليه السلام)

عرفنا أن قضيه الإمام المهدي (عليه السلام) في عصر الإمام الهادي (عليه السلام) تعدّ قضيه أساسيه للمسلمين بشكل عام و لأتباع أهل البيت (عليهم السلام) بشكل خاص و الظروف التي كانت تحيط بالإمام الهادي (عليه السلام) كانت تزداد حراجه كلما اقتربت أيام ولاده الإمام المهدي (عليه السلام) و غيبته.

و لا بد أن نبحت عن هذه القضيه في محورين: الأول منهما خاص بالإمام المهدي (عليه السلام)، و الثاني منهما يرتبط بأتباعه و شيعته.

أما المحور الأول، فالإمام الهادي (عليه السلام) مسؤول عن ترتيب التمهيدات اللازمه لولاده الإمام المهدي (عليه السلام) بحيث يطلع الأعداء عليها و هم يراقبون بدقه كل تصرفات الإمام الهادي و نشاط ابنه الحسن العسكري (عليهما السلام).

و تشير النصوص الى كيفيه تدخّل الإمام الهادي (عليه السلام) لاختيار زوجه صالحه للإمام الحسن العسكري (عليه السلام) بحيث تقوم بالدور المطلوب منها في اخفاء ولاده ابنها المنتظر (١).

و قد تضافرت نصوص الإمام الهادي (عليه السلام) على أن المهدي الذي ينتظر

ص: ١٥٥

١- ((١)) راجع القصة في كمال الدين: ٤١٧، و مسند الإمام الهادي: ٩٨-١٠٤.

هو حفيده و ولد الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) و أنّه الذي يولد خفيه و يقول الناس عنه أنه لم يولد بعد، و انه الذي لا يرى شخصه و لا يحل ذكره باسمه.

و هكذا، و تضمّنت هذه النصوص جملة من التعليمات الكفيلة بتحقيق غطاء ينسجم مع مهمه الاختفاء و الغيبه من قبل الإمام المهدي (عليه السلام).

و من أجل تحقيق عنصر الارتباط بالإمام في مرحلة الغيبه الاولى و التي تعرف بالصغرى عمل الإمام على ربط شيعته ببعض و كلاته بشكل خاص و جعله حلقة الوصل بعد كسب ثقة شيعته بهذا الوكيل الذي تولّى مهمه الوكالة للإمام الهادي و العسكري و المهدي (عليهم السلام) معاً، و بذلك يكون قد مهّد لسفاره أوّل سفراء الإمام المهدي (عليه السلام) من دون حدوث مضاعفات خاصه. لأن أتباع أهل البيت (عليهم السلام) قد اعتادوا على الارتباط بالإمام المعصوم من خلاله.

و إليك نصوص الإمام الهادي (عليه السلام) حول قضية الإمام المهدي (عليه السلام):

١- الكليني، عن علي بن محمد، عن بعض أصحابنا، عن أيوب بن نوح، عن أبي الحسن الثالث (عليه السلام) قال: إذا رفع علمكم من بين أظهركم فتوقّعوا الفرج من تحت أقدامكم.

٢- الصدوق قال: حدّثنا علي بن أحمد بن موسى الدقاق؛ و علي بن عبد الله الورّاق رضی الله عنهما قال: حدّثنا محمد بن هارون الصوفي قال:

حدّثنا أبو تراب عبد الله بن موسى الرّوياني، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسنی قال: دخلت على سيدي علي بن محمد (عليهما السلام) فلما بصري قال لي: مرحبا بك يا أبا القاسم أنت ولينا حقا قال: فقلت له: يا ابن رسول الله إني اريد أن أعرض عليك ديني فإن كان مرضيا ثبتّ عليه حتى ألقى الله عزّ و جل.

فقال: هات يا أبا القاسم، فقلت: إني أقول: إنّ الله تبارك و تعالی واحد، ليس

كامله شىء، خارج عن الحدّين حدّ الإبطال و حدّ التشبيه، وإنّه ليس بجسم و لا- صورته، و عرض و لا- جوهر، بل هو مجسّم الأجسام، و مصوّر الصور، و خالق الأعراض و الجواهر، و ربّ كلّ شىء و مالكه و جاعله و محدّثه، و إن محمداً صلى الله عليه و آله عبده و رسوله خاتم النبيين فلا نبى بعده الى يوم القيامة، و إن شريعته خاتمه الشرائع فلا شريعته بعدها الى يوم القيامة.

و أقول: إنّ الإمام و الخليفة و وليّ الأمر بعده أمير المؤمنين على بن أبى طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم على بن الحسين، ثم محمد بن على، ثم جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم على بن موسى، ثم محمد بن على، ثم أنت يا مولاي، فقال (عليه السّلام): و من بعدى الحسن ابني فكيف للناس بالخلق من بعده؟ قال:

قلت: و كيف ذاك يا مولاي؟ قال: لأنّه لا يرى شخصه، و لا يحلّ ذكره باسمه حتى يخرج فيملاً الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت جوراً و ظلماً.

قال: فقلت: أقررت و أقول: إنّ وليّهم ولى الله، و عدوّهم عدوّ الله، و طاعتهم طاعة الله، و معصيتهم معصية الله. و أقول: إنّ المعراج حقّ، و المساءله فى القبر حقّ، و إن الجنة حقّ، و النار حقّ، و الميزان حقّ، و أنّ السّاعه آتية لا ريب فيها* و أنّ الله يبعث من فى القبور. و أقول: إنّ الفرائض الواجبه بعد الولاية:

الصلاه و الزكاه و الصوم و الحج و الجهاد و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر.

فقال على بن محمد (عليهما السّلام): يا أبا القاسم هذا و الله دين الله الذى ارتضاه لعباده فاثبت عليه، ثبتك الله بالقول الثابت فى الحياه الدنيا و [فى] الآخره (1).

٣- عنه قال: حدثنا أبى (رضى الله عنه) قال: حدثنا عبد الله بن جعفر الحميرى، عن محمد بن عمر الكاتب، عن على بن محمد الصيمرى، عن على بن

ص: ١٥٧

مهزيار قال: كتبت الى أبي الحسن صاحب العسكر (عليه السلام) أسأله عن الفرج، فكتب إلي: إذا غاب صاحبكم عن دار الظالمين فتوقّعوا الفرج (١).

٤- عنه قال: حدّثنا أبي (رضى الله عنه) قال: حدّثنا سعد بن عبد الله قال: حدّثني إبراهيم بن مهزيار، عن أخيه علي بن مهزيار، عن علي بن محمد بن زياد قال: كتبت الى أبي الحسن صاحب العسكر (عليه السلام) أسأله عن الفرج، فكتب إلي:

إذا غاب صاحبكم عن دار الظالمين فتوقّعوا الفرج (٢).

٥- عنه قال: حدّثنا أبي (رضى الله عنه) قال: حدّثنا سعد بن عبد الله قال: حدّثنا

محمد بن عبد الله بن أبي غانم القزويني قال: حدّثني إبراهيم بن محمد بن فارس قال: كنت أنا [و نوح] أو أيوب بن نوح في طريق مكة فنزلنا على وادي زباله فجلسنا نتحدّث فجرى ذكر ما نحن فيه و بعد الأمر علينا فقال أيوب بن نوح: كتبت في هذه السنه أذكر شيئاً من هذا، فكتب إلي: إذا رفع علمكم من بين أظهركم فتوقّعوا الفرج من تحت أقدامكم (٣).

٦- عن أبي جعفر محمد بن أحمد العلوي عن أبي هاشم الجعفرى قال:

سمعت ابا الحسن (عليه السلام) يقول: الخلف بعدى ابني الحسن فكيف بالخلف بعد الخلف؟! فقلت: و لم جعلني الله فداك؟ قال: انكم لا ترون شخصه و لا يحل لكم ذكره باسمه قلت: فكيف نذكره؟ فقال: قولوا الحجه من آل محمد (صلى الله عليه و اله) (٤).

٧- عن الصقر بن أبي دلف قال: سمعت علي بن محمد بن علي الرضا (عليهم السلام) يقول: الإمام بعدى الحسن ابني و بعد الحسن ابنه القائم الذي يملاً

ص: ١٥٨

١- ((١)) كمال الدين: ٣٨٠.

٢- ((٢)) كمال الدين: ٣٨١.

٣- ((٣)) كمال الدين: ٣٨١.

٤- ((٤)) اثبات الوصيه: ٢٠٨.

٨- روى على بن ابراهيم عن ابيه عن على بن صدقه عن على بن عبد الغفار قال: لما مات أبو جعفر الثاني كتبت الشيعة إلى أبي الحسن صاحب العسكر يسألونه عن الآخر فكتب (عليه السلام): الأمر بي ما دمت حيا فإذا نزلت بي مقادير الله تبارك و تعالی أتاكم الخلف مني، فأني لكم بالخلف بعد الخلف!؟

٩- و روى اسحاق بن محمد بن ايوب قال: سمعت أبا الحسن (عليه السلام) يقول: صاحب هذا الأمر من يقول الناس لم يولد بعد» (٢).

و أما المحور الثاني فهو الأعداد النفسى و تحقيق الاستعداد الواقعى لدور غيبه الإمام المهدي (عليه السلام) من قبل شيعة الإمام (عليه السلام).

و قد حقق الإمام هذا الاستعداد و أخرجه من عالم القوه الى عالم الفعلية بما خطه لشيعته من تعويدهم على الاحتجاب عنهم و الارتباط بهم من خلال و كلائه و نوابه، و توعيتهم على الوضع المستقبلى لئلا يفاجأوا بما سيطر عليهم من ظروف جديده لم يألوها من ذى قبل.

و كان للإمام الهادى (عليه السلام) اسلوب خاص لطرح إمامه ابنه الحسن العسكرى (عليه السلام) بما يتناسب مع مهمته المستقبليه فى الحفاظ على حجه الله و وليه الذى سيولد فى ظرف حرج جدا، ليتسنى لأتباعه الانقياد للإمام من بعده و التسليم له فيما سيخبر به من وقوع الولاده و تحقق الغيبه و تحقق الارتباط به عبر سفيره الذى تعرّفت عليه الشيعة و وثقت به.

و لهذا تفنّن الإمام الهادى (عليه السلام) فى كيفية طرح إمامه الحسن (عليه السلام) و زمن طرح ذلك و كيفية الإشهاد عليه.

ص: ١٥٩

١- ((١)) كمال الدين: ٣٨٣ ح ١٠ و عنه فى اعلام الورى: ٢/٢٤٧.

٢- ((٢)) اعلام الورى: ٢/٢٤٧ الحديث الأخير و قبله.

و منه يبدو أن التعظيم الإعلامي حتى على إمامه الحسن العسكري (عليه السّلام) كان مقصودا للإمام الهادي (عليه السّلام)، فتارة ينفي إمامه غيره و اخرى يكتّيه و ثالثه يصفه ببعض الصفات التي قد توهم اراده غيره في بادئ النظر و ترشد إليه في نهايه المطاف كما ورد عنه أن هذا الأمر في الكبير من ولدي. حيث إن الكبير هو (محمد) المكنى بأبي جعفر غير أنه قد مات في حياه والده فلم يكن الكبير سوى الحسن (عليه السّلام).

و إليك جملة من هذه النصوص التي يمكن تصنيفها بحسب تسلسلها الزمني الى ما صدر من الإمام الهادي (عليه السّلام) قبل وفاه أبي جعفر، و ما صدر حين وفاته، و ما صدر بعدها، و ما صدر منه قبيل استشهاد الإمام الهادي (عليه السّلام).

و يكفي الاطلاع عليها بتسلسلها التاريخي لنطمئن بتخطيط الإمام الهادي (عليه السّلام) من أجل تحصين الجماعه الصالحه من كل إبهام أو تشكيك أو فراغ عقائدي أو انهيار، بعد إيضاح الحق و تبلّجه لأهله الذين عرفوا أن الأرض لا تخلو من حجه إما ظاهر مشهور أو خائف مستور.

و إليك هذه النصوص كالاتي:

١- عن علي بن عمرو العطار قال: دخلت على أبي الحسن العسكري (عليه السّلام) و أبو جعفر ابنه في الاحياء، و أنا أظن انه هو فقلت: جعلت فداك من أخص من ولدك؟ فقال: لا تخصوا أحدا حتى يخرج إليكم أمرى.

قال: فكتبت إليه بعد: فيمن يكون هذا الامر؟ قال: فكتب إلي: في الكبير من ولدي (١).

و لا تعنى اشاره الإمام إلى ولده أبي جعفر فهو يعلم أنه سيمضى في حياته و سيكون الكبير أبا محمد العسكري (عليه السّلام) و هو المؤهل لها دون غيره من إخوته.

ص: ١٦٠

٢-و عن علي بن عمر النوفلي قال: كنت مع أبي الحسن (عليه السّلام) في صحن داره فمرّ محمد ابنه فقلت له جعلت فداك هذا صاحبنا بعدك؟ فقال:

لا، صاحبكم بعدى الحسن (١).

٣-عن اسحق بن محمد عن محمد بن يحيى بن رثاب قال: حدثني أبو بكر الفهفكي قال: كتبت إلى أبي الحسن (عليه السّلام) أسأله عن مسائل فلما نفذ الكتاب قلت في نفسي: إني كتبت فيما كتب أسأله عن الخلف من بعده و ذلك بعد مضي محمد ابنه فأجابني عن مسألي: و كنت أردت ان تسألني عن الخلف، أبو محمد ابني اصح آل محمد صلى الله عليه و آله غريزه و اوثقهم عقيدته بعدى و هو الاكبر من ولدى إليه تنتهي عرى الامامه و احكامها فما كنت سائلا عنه فسله فعنده علم ما يحتاج إليه و الحمد لله (٢).

٤-عن علاء الكلابي عن اسحق بن اسماعيل النيشابوري قال حدثني شاهويه بن عبد الله الجلاب قال: كنت رويت دلائل كثيرة عن أبي الحسن (عليه السّلام) في ابنه محمد فلما مضى بقيت متحيرا و خفت ان اكتب في ذلك فلا ادري ما يكون فكتبت اسأل الدعاء، فخرج الجواب بالدعاء لي و في آخر الكتاب: اردت ان تسأل عن الخلف و قلقت لذلك فلا تغتم فإن الله عز و جل لا يضل قوما بعد ان هداهم حتى يبين لهم ما يتقون، و صاحبك بعدى أبو محمد ابني عنده علم ما تحتاجون إليه يقدم الله ما يشاء و يؤخر ما يشاء قد كتبت بما فيه تبيان لذي لب يقظان (٣).

٥-حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني (رضي الله عنه) قال: حدثنا الصقر بن أبي دلف قال: سمعت علي بن محمد بن علي الرضا (عليه السّلام) يقول: ان الإمام بعدى الحسن ابني، و بعد الحسن ابنه القائم الذي يملأ الأرض

ص: ١٦١

١- (١) اصول الكافي: ١/٣٢٥ ح ٢.

٢- (٢) اثبات الوصيه: ٢٠٨.

٣- (٣) اثبات الوصيه: ٢٠٩.

قسطا و عدلا كما ملئت جورا و ظلما (١).

٦- عن علي بن محمد، عن محمد بن أحمد النهدي، عن يحيى بن يسار القنبري قال: أوصى أبو الحسن (عليه السلام) إلى ابنه الحسن قبل مضيئه بأربعة أشهر، و أشهدني على ذلك و جماعه من الموالي (٢).

٢- تحصين الجماعه الصالحه و إعدادها لمرحله الغيبه

إشاره

إنّ هذا الترصين و إكمال البناء الذي نريد الحديث عنه قد قام به الإمام الهادي (عليه السلام) في كل المجالات التي تهتم الجماعه الصالحه التي سوف تفقد نعمه الارتباط بالإمام المعصوم (عليه السلام) في وقت لا- حق و قريب جدا. فلا بد أن يتكامل بناؤها بحيث تكتفي بما لديها من نصوص و تراث علمي و علماء بالله تعالى يمارسون مهمه الرياده الاجتماعيه و الفكرية و الدينيه و يسهرون على مصالح و شؤون هذه الجماعه لتستمر في مسيرتها التكامليه باتجاه الأهداف الرساليه المرسومه لها.

و نلخص هذا التحصين في المجالات التاليه:

الف: التحصين العقائدي.

ب: التحصين العلمي.

ج: التحصين التربوي.

د: التحصين الأمني.

ه: التحصين الاقتصادي

ص: ١٦٢

١- ((١)) كمال الدين: ٣٨٢ ح ٨ و عنه في اعلام الوري: ٢/٢٤٧.

٢- ((٢)) اصول الكافي: ١/٣٢٥ ح ١ ب النص على إمامه أبي محمد (عليه السلام).

اشاره

تمثل التحصين العقائدى الذى مارسه الإمام(عليه السلام) فى تبيان و شرح و تعميق المفاهيم العقائديه بشكل خاص و الدينيه بشكل عام. كما تمثل فى دفع الشبهات و الإثارات الفكرية كانت تتداولها المدارس الفكرية آنذاك.

و النصوص التى اثرت عن الإمام(عليه السلام) حول الرؤيه و الجبر و الاختيار و التفويض و الرد على الشبهات المثاره حول آيات القرآن الكريم تفيد تصدى الإمام(عليه السلام) لهذا التحصين العقائدى فى الساحة الإسلاميه العامه و الخاصه معا.

و لم يكتف الإمام(عليه السلام) بالرد على الشبهات العامه بل تصدى للردّ الخاص على ما كان يثار من تساؤلات خاصه تعرض لافراد من أتباعه أو ممن كان يتوسم فيهم الإمام(عليه السلام) الانقياد للحق كبعض الواقفه الذين اهتمدوا بفضل توجيهات الإمام(عليه السلام).

قال على بن مهزيار:وردت العسكر و أنا شاكّ فى الإمامه فرأيت السلطان قد خرج الى الصيد فى يوم الربيع إلا أنه صائف و الناس عليهم ثبات الصيف و على أبى الحسن لباد و على فرسه تجفاف لبود و قد عقد ذنب الفرس، و الناس يتعجبون منه و يقولون ألا ترون هذا المدنى ما قد فعل بنفسه،فقلت فى نفسى:لو كان هذا إماما،ما فعل هذا.

فلما خرج الناس الى الصحراء لم يلبثوا ان ارتفعت سحابه عظيمه هطلت فلم يبق أحد إلا ابتلّ حتى غرق بالمطر و عاد(عليه السلام)و هو سالم من جميعه، فقلت فى نفسى:يوشك أن يكون هو الإمام، ثم قلت:اريد أن أسأله عن الجنب إذا غرق فى الثوب فقلت فى نفسى:ان كشف وجهه فهو الإمام.

فلما قرب منى كشف وجهه ثم قال:إن كان عرق الجنب فى الثوب

و جنابته من حرام لا يجوز الصلاه فيه و ان كان جنابته من حلال فلا بأس. فلم يبق في نفسى بعد ذلك شبهه (١).

و روى هبه الله بن أبى منصور الموصلى أنه كان بديار ربيعه كاتب نصرانى و كان من أهل كفر توثا يسمى يوسف بن يعقوب و كان بينه و بين والدى صداقه، قال: فوافى فنزل عند والدى فقال له: ما شأنك قدمت في هذا الوقت؟ قال: دعيت الى حضره المتوكل و لا أدري ما يراد منى إلا أنى اشترت نفسى من الله بمائه دينار، و قد حملتها لعلى بن محمد بن الرضا (عليهم السلام) معى فقال له والدى: قد وقفت في هذا.

قال: و خرج الى حضره المتوكل و انصرف إلينا بعد أيام قلائل فرحا مستبشرا فقال له والدى: حدثنى حديثك، قال: صرت الى سرّ من رأى و ما دخلتها قطّ فنزلت في دار و قلت أحبّ أن اوصل المائه الى ابن الرضا (عليه السلام) قبل مصيرى الى باب المتوكل و قبل أن يعرف أحد قدومى، قال: فعرفت أن المتوكل قد منعه من الركوب و أنه ملازم لداره، فقلت: كيف أصنع؟ رجل نصرانى يسأل عن دار ابن الرضا؟ لا آمن أن يدرى فيكون ذلك زياده فيما احاذره.

قال: ففكرت ساعه في ذلك فوقع في قلبى أن أركب حمارى و أخرج في البلد و لا أمنعه من حيث يذهب لعلّى أقف على معرفه داره من غير أن اسأل أحدا، قال: فجعلت الدنانير في كاغذه و جعلتها في كئى و ركبت فكان الحمار يتخرق الشوارع و الأسواق يمرّ حيث يشاء الى أن صرت الى باب دار، فوقف الحمار فجهدت أن يزول فلم يزل، فقلت للغلام: سل لمن هذه الدار، فقيل: هذه

ص: ١٦٤

دار ابن الرضا!قلت:الله أكبر دلالة و الله مقنعه.

قال:و إذا خادم أسود قد خرج،فقال:أنت يوسف بن يعقوب؟قلت:

نعم.قال:إنزل،فنزلت فأقعدني في الدهليز فدخل،فقلت في نفسي:هذه دلالة اخرى من أين عرف هذا الغلام اسمي و ليس في هذا البلد من يعرفني و لا دخلته قط.

قال:فخرج الخادم فقال:مائة دينار التي في كتمك في الكاغذ هاتها! فناولته إياها،قلت:و هذه ثالته.ثم رجع إليّ و قال:ادخل فدخلت إليه و هو في مجلسه وحده فقال:يا يوسف ما آن لك؟فقلت:يا مولاي قد بان لي من البرهان ما فيه كفايه لمن اكتفى.

فقال:هيها إنك لا تسلم و لكن سيسلم ولدك فلان،و هو من شيعتنا،يا يوسف إن أقواما يزعمون أنّ ولايتنا لا تنفع أمثالكم،كذبوا و الله إنها لتنفع أمثالك امض فيما وافيت له فأنك ستري ما تحب.قال:فمضيت الي باب المتوكل فقلت كلّ ما أردت فانصرفت.

قال هبه الله:فلقيت ابنه بعد هذا-يعنى بعد موت والده-و الله و هو مسلم حسن التشيع فأخبرني أن أباه مات على النصرانية،و أنه أسلم بعد موت أبيه، و كان يقول:أنا بشاره مولاي(عليه السلام) (١).

و روى أبو القاسم البغدادي عن زراره قال:أراد المتوكل:أن يمشى على ابن محمد بن الرضا(عليهم السلام)يوم السلام فقال له وزيره:إنّ في هذا شناعه عليك و سوء قاله فلا تفعل،قال:لا بد من هذا.قال:فان لم يكن بد من هذا فتقدم بأن يمشى القواد و الأشراف كلهم،حتى لا يظن الناس أنك قصدته بهذا دون

ص:١٦٥

غيره، ففعل و مشى (عليه السلام) وكان الصيف فوافى الدهليز و قد عرق. قال: فلقيته فأجلسته في الدهليز و مسحت وجهه بمنديل و قلت: ابن عمك لم يقصدك بهذا دون غيرك، فلا تجد عليك في قلبك.

فقال: إِيهَا عَنْكَ تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرِ مَكْدُوبٍ.

قال زراره: و كان عندي معلم يتشيع و كنت كثيرا امازحه بالرافضي فانصرفت الى منزلي وقت العشاء و قلت: تعال يا رافضي حتى احدثك بشيء سمعته اليوم من إمامكم، قال لي: و ما سمعت؟ فأخبرته بما قال، فقال: أقول لك فاقبل نصيحتي. قلت: هاتها، قال: إن كان علي بن محمد قال بما قلت فاحترز و اخزن كل ما تملكه فان المتوكل يموت أو يقتل بعد ثلاثه أيام. فغضبت عليه و شتمته و طردته من بين يدي فخرج.

فلما خلوت بنفسي، تفكرت و قلت: ما يضرنى أن آخذ بالحزم، فان كان من هذا شيء كنت قد اخذت بالحزم، و إن لم يكن لم يضرنى ذلك، قال:

فركبت الى دار المتوكل فأخرجت كل ما كان لي فيها و فرقت كل ما كان في داري الى عند أقوام أثق بهم، و لم أترك في داري إلا حصيرا أقعد عليه.

فلما كانت الليله الرابعه قتل المتوكل و سلمت أنا و مالي و تشييعت عند ذلك، فصرت إليه، و لزمته خدمته، و سألته أن يدعولي و توأليته حق الولاية (١).

و باسناده عنه قال: اجتمعنا أيضا في وليمه لبعض أهل سر من رأى و أبو الحسن معنا فجعل رجل يعبث و يمزح و لا نرى له اجلالا، فاقبل علي جعفر و قال: انه لا يأكل من هذا الطعام و سوف يرد عليه من خبر أهله ما ينقص عليه عيشه، فقدمت المائده فقال: ليس بعد هذا خبر، و قد بطل قوله فوالله لقد

ص: ١٦٦

غسل الرجل يده و أهوى الى الطعام فإذا غلامه قد دخل من باب البيت يبكى و قال:الحق اتمك فقد وقعت من فوق البيت و هى بالموت فقال جعفر:قلت:و الله لا وقفت بعد هذا و قطعت عليه (١).

الموقف من الغلاة و الفرق المنحرفة

و يعتبر موقف الإمام الهادى (عليه السّلام) الصارم مع الغلاة خطوه من خطوات التحصين العقائدى للجماعه الصالحه و إبعادها من عوامل الإنحراف و الزيف العقائدى الذى ينتهى الى الكفر بالله تعالى أو الشرك به.

و يكمن نشاطه (عليه السّلام) فى فضح حقيقه هذا الخط المنحرف كما تجلى فى فضح عناصره.

و النصوص التى بأيدنا أشارت الى أن الذين عرفوا بالغلو فى عصره هم: أحمد بن هلال العبر طائى البغدادى و الحسين بن عبيد الله القمى الذى أخرج من قم لآتهامه بالغلو، و محمد بن أرومه، و على بن حسكه القمى، و القاسم اليقطينى، و الفهرى، و الحسن بن محمد بن بابا القمى و فارس بن حاتم القزوينى.

و أما كيفيه تعامل الجماعه الصالحه، مع هؤلاء فقد بيّنه (عليه السّلام) فيما يلى:

فعن أحمد بن محمد بن عيسى قال: كتبت إلى الإمام الهادى (عليه السّلام) فى قوم يتكلمون و يقرأون أحاديث ينسبونها إليك والى آبائك فيها ما تشمئز منها القلوب... و أشياء من الفرائض و السنن و المعاصى تأولوها..فإن رأيت أن تبين لنا و أن تمن على مواليك بما فيه سلامتهم و نجاتهم من هذه الأقاويل

ص: ١٦٧

التى تصيرهم إلى العطب و الهلاك؟ و الذين ادعوا هذه الاشياء، ادعوا انهم اولياء، و دعوا إلى طاعتهم منهم على بن حنكاه و القاسم الیقطنی فما تقول فی القبول منهم جميعا؟

فكتب الإمام الهادی (عليه السلام): «ليس هذا ديننا فاعتزله» (١)

ظاهره الزياره و دورها في التحصين العقائدي

إن ظاهره الاهتمام بالزيارة لأهل البيت (عليهم السلام) جميعا أو لأحد من الأئمة (عليهم السلام) كالزيارة المعروفه بالجامعه الكبيره أو زياره أمير المؤمنين (عليه السلام) هي خطوه مهمه في مجال تعميق الوعي و ترسيخ الولاء و الانشداد لأهل بيت الرساله (عليهم السلام) و في هذا التعميق الواعي و الانشداد العاطفي تحصين عقائدي واضح تميز به الإمام الهادی (عليه السلام).

و حين نقف على جملة المفاهيم التي وردت في هذه الزيارات نلمس بوضوح هذا الخط من التحصين العقائدي فيها.

و لنقف بعض الوقت متأملين عند هاتين الزيارتين المأثورتين عن الإمام الهادی (عليه السلام):

أولا: الزيارة الجامعه الكبيره

عن موسى بن عمران النخعي قال: قلت لعلي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن

ص: ١٦٨

أبى طالب(عليهم السّلام):علمنى يا ابن رسول الله قولاً أقوله بليغاً كاملاً إذا زرت واحداً منكم فقال(عليه السّلام):

قل:السّلام عليكم يا أهل بيت النبوه،و موضع الرساله،و مختلف الملائكه، و مهبط الوحى،و معدن الرساله،و خزان العلم،و منتهى الحلم،و اصول الكرم،و قاده الاعم،و أولياء النعم،و عناصر الأبرار،و دعائم الأخيار،و ساسه العباد،و أركان البلاد، و أبواب الايمان،و امناء الرحمن،و سلاله النبيين،و صفوه المرسلين،و عتره خيره رب العالمين،و رحمه الله و بركاته.

و تعتبر هذه الزياره من المصادر الفكرية المهمه و من الوثائق التى نستل منها ملامح التصور السليم.

و لذا نشير الى بعض ما جاء فيها من مفاهيم:

١-اصطفاء أهل البيت(عليهم السّلام)

فى المقطع الأوّل الذى بدأت به الزياره حدّد الإمام(عليه السّلام)المعانى التاليه:

أ-ان الله اختص أهل البيت(عليهم السّلام)بكرامته فجعلهم موضع الرساله و مختلف الملائكه و مهبط الوحى.

ب-ان هذا جعل الإلهى نابع من الصفات الكماليه التى يبلغون القمه فيها كالعلم و الحلم و الكرم و الرحمه.

ج-إنّ أهل البيت(عليهم السّلام)هم موضع الرساله لأنّ الله قد اختارهم لمنصب القيادة العليا للبشرية فضلا عن قياده المسلمين.

٢- حركة أهل البيت (عليهم السلام)

وقال الإمام الهادي (عليه السلام): «السلام على أئمة الهدى؛ و مصابيح الدجى، و أعلام التقى، و ذوى النهى، و أولى الحجى، و كهف الورى، و ورثه الانبياء، و المثل الاعلى، و الدعوه الحسنى، و حجج الله على اهل الدنيا و الآخره و الاولى و رحمه الله و بركاته، السلام على محال معرفه الله، و مساكن بركه الله، و معادن حكمه الله، و حفظه سر الله، و حملة كتاب الله، و اوصياء نبي الله، و ذريه رسول الله (صلى الله عليه و اله) و رحمه الله و بركاته.

السلام على الدعاه إلى الله، و الأدلاء على مرضات الله، و المستقرين فى أمر الله، و التامين فى محبه الله و المخلصين فى توحيد الله، و المظهرين لأمر الله و نهيه و عباده المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون و رحمه الله و بركاته».

و قد دل هذا النص على ما يلى:

أ- فى المسيره البشريه ينفرز دائما خطان هما خط الهدى و خط الضلاله و لكل من الخطين قيادته، و ائمه أهل البيت هم ائمه الهدى اما غيرهم ممن يتصدى للإمامه مخالفا لخط الهدى فهو من ائمه الضلال فلذلك لا يكون التلقى إلا منهم و لا يكون نهج التحرك إلا نهجهم.

ب- اما واقع الأئمه فهم ذوو العقول التامه و كهف الورى و ورثه الانبياء و المثل الاعلى و الدعوه الحسنى التى يحتذى بها.

ج- ان حركة أهل البيت حركة اسلاميه اصيله ذات جذور ضاربه فى الأعماق و هى استمرار المسيره النبويه الراشده و كل حركة تدعى المنهج الدينى أو الاصلاح الدينوى و لا تسير على خطاهم فهى منحرفه.

فأهل البيت (عليهم السلام) محل معرفه الله، و مساكن بركته، و معادن حكمته، و حفظه سره، و حملة كتابه، و اوصياء نبيه.

د- إن الدعاه مظاهر اصاله أهل البيت فى المسيره الإلهيه كما يلى:

١- أنهم الدعاه إلى الله و الأدلاء على مرضاته.

٢- ويتميزون بالثبات على أمر الله.

٣- كما يتميزون بالحب التام لله.

٤- و الاخلاص في التوحيد.

٥- و الاظهار لشعائر الله من امره و نهيه.

٦- و عدم سبق الله بقول، و العمل بأمره.

٣- الاسس الفكرية للشيعة

و يمكن ان نحدد نقاطا توضح الاسس الفكرية التي تقوم عليها دعوه أهل البيت و التي يجب ان تسير الحركة الشيعية عليها و تلتزم بحدودها من خلال قوله (عليه السلام):

«السلام على الأئمة الدعاه، و القاده الهداه، و الساده الولاه، و الذاده الحماه، و اهل الذكر، و أولى الأمر، و بقيه الله و خيرته، و حزبه و عيبه علمه، و حجته و صراطه، و نوره و برهانه و رحمه الله و بركاته.

اشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له كما شهد الله لنفسه و شهدت له ملائكته و أولوا العلم من خلقه لا إله إلا هو العزيز الحكيم و أشهد أن محمدا عبده المنتخب و رسوله المرتضى ارسله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون.

و اشهد انكم الأئمة الراشدون المهديون المعصومون المكرمون المقربون المتقون الصادقون المصطفون المطيعون لله القوامون بأمره العاملون بإرادته الفائزون بكرامته.

اصطفاكم بعلمه و ارتضاكم لغيبه و اختاركم لسره و اجتباكم بقدرته و اعزكم بهداه و خصكم ببرهانه و انتجكم لنوره و أتدكم بروحه و رضيكم خلفاء في ارضه و حججا على بريته و انصارا لدينه و حفظة لسره و خزنه لعلمه و مستودعا لحكمته و تراجمه لوحيه و اركاننا لتوحيده و شهداء على خلقه و اعلاما لعباده و منارا في بلاده و ادلاء على صراطه.

ص: ١٧١

عصمكم الله من الزلل و آمنكم من الفتن و طهركم من الدنس و اذهب عنكم الرجس و طهركم تطهيرا.

فعظمت جلاله و اكبرتم شأنه و مجدتم كرمه و ادمتم ذكره و وكدتم ميثاقه و احكمتم عقد طاعته و نصحتم له فى السر و العلانيه و دعوتم إلى سبيله بالحكمه و الموعظه الحسنه و بذلتم انفسكم فى مرضاته و صبرتم على الأذى فى جنبه و أقمتم الصلاه و آتيتم الزكاه و أمرتم بالمعروف و نهيتم عن المنكر و جاهدتم فى الله حق جهاده حتى أعلنتم دعوته و بيئتم فرائضه و أقمتم حدوده و نشرتم شرايع احكامه و سنتم سنته و صرتم فى ذلك منه إلى الرضا و سلمتم له القضاء و صدقتم من رسله من مضى».

إن العناصر الفكرية الاساسيه للتشيع و التى تستفاد من هذا النص هى:

١- الايمان بالله وحده لا شريك له.

٢- محمد عبده المنتخب و رسوله المرضى.

٣- الأئمه هم بشر راشدون مهديون معصومون مكرمون و قيمتهم نابعه من تكريم الله لهم.

على أن الجانب العملى لحركه الأئمه هو كما يلي:

١- تعظيم الله و اكبار شأنه و تمجيد كرمه.

٢- توكيد ميثاقه و إحكام عقد طاعته.

٣- النصح له بالسر و العلن.

٤- الدعوه له بالحكمه و الموعظه الحسنه.

٥- التضحية المستمره فى سبيل الله ببذل النفس و الصبر على المكروه.

٦- اقامه الصلاه و ايتاء الزكاه و ممارسه باقى العبادات و الحدود الإسلاميه.

٧- الحفاظ على سلامه الشريعه من التحريف.

٨- التسليم بالقضاء و القدر.

٩- التأكيد على وحده المسيره النبويه و تصديق الرسل.

ص: ١٧٢

٤-الموالون لأهل البيت(عليهم السلام)

و بين الإمام أنّ هناك صنفين من الناس قسم يوالى أهل البيت(عليهم السّلام) فيسير في طريق الهدى و آخر يوالى اعداءهم فيسير في طريق الضلال،قال(عليه السّلام):

«فالراغب عنكم مارق و اللازم لكم لاحق و المقصر في حقكم زاهق.

و الحق معكم و فيكم و منكم و اليكم و انتم اهله و معدنه و ميراث النبوه عندكم و إياب الخلق اليكم و حسابهم عليكم و فصل الخطاب عندكم و آيات الله لديكم و عزائمه فيكم و نوره و برهانه عندكم و أمره اليكم.

من والاكم فقد والى الله و من عاداكم فقد عادى الله و من أحبكم فقد أحب الله و من ابغضكم فقد ابغض الله و من اعتصم بكم فقد اعتصم بالله.

و انتم الصراط الأقوم و شهداء دار الفناء و شفعاء دار البقاء و الرحمه الموصوله و الآيه المخزونه و الامانه المحفوظه و الباب المبثلى به الناس.

من أتاكم نجى و من لم يأتكم هلك.

إلى الله تدعون و عليه تدلون و به تؤمنون و له تسلّمون و بأمره تعملون و الى سبيله ترشدون و بقوله تحكمون.

سعد من والاكم و هلك من عاداكم و خاب من جحدكم و ضلّ من فارقكم و فاز من تمسك بكم و أمن من لجأ اليكم و سلم من صدقكم و هدى من اعتصم بكم.

من اتبعكم فالجنه مأواه و من خالفكم فالنار مثواه و من جحدكم كافر و من حاربكم مشرك و من رد عليكم فى اسفل درك من الجحيم».

الحقيقه الثانيه: إنّ الموالى لأهل البيت(عليهم السّلام) يعلم قيمتهم الحقيقه عند الله لذلك نجده يقول(عليه السّلام):

«أشهد أنّ هذا سابق لكم فيما مضى و جار لكم فيما بقى و ان ارواحكم و نوركم و طينتكم واحده طابت و طهرت بعضها من بعض.

خلقكم الله أنوارا فجعلكم بعرضه محققين حتى منّ علينا بكم فجعلكم فى بيوت أذن الله ان ترفع و يذكر فيها اسمه.

و جعل صلواتنا عليكم و ما خصنا به من ولايتكم طيبا لخلقنا و طهاره لأنفسنا و تزكيه لنا و كفاره لذنوبنا فكنا عنده مسلمين بفضلكم و معروفين بتصديقنا اياكم».

الحقيقه الثالثه:الرغبه فى انتشار امرهم و تشعشع فضلهم فلا يبقى خير إلا و أضاءه نورهم الشريف.

«فبلغ الله بكم أشرف محل المكرمين و أعلى منازل المقربين و أرفع درجات المرسلين حيث لا يلحقه لا حق و لا يفوقه فائق و لا يسبقه سابق و لا- يطمع فى ادراكه طامع حتى لا يبقى ملك مقرب و لا نبى مرسل و لا صديق و لا شهيد و لا عالم و لا جاهل و لا دنى و لا فاضل و لا مؤمن صالح و لا فاجر طالح و لا جبار عنيد و لا شيطان مرید و لا خلق فيما بين ذلك شهيد إلا عرفهم جلاله امرکم و عظم خطرکم و كبر شأنکم و تمام نورکم و صدق مقاعدكم و ثبات مقامكم و شرف محلکم و منزلتكم عنده و كرامتكم عليه و خاصتكم لديه و قرب منزلتكم منه.»

الحقيقه الرابعه:الاقرار الدائم بمعتقدات أهل البيت(عليهم السلام)و العمل بموجبها:

«بأبى أنتم و أمى و أهلى و مالى و أسرتى أشهد الله و أشهدكم انى مؤمن بكم و بما آمنتم به، كافر بعدوكم و بما كفرتم به، مستبصر بشأنكم و بضالاله من خالفكم موال لكم و لأولياكم مبغض لاعدائكم و معاد لهم سلم لمن سالمكم و حرب لمن حاربكم محقق لما حققتم مبطل لما ابطلتم مطيع لكم عارف بحقكم مقر بفضلكم محتمل لعلمكم».

و من مصاديق الإيمان بقضيه أهل البيت قول الإمام(عليه السلام):

«محتجب بدمتكم و معترف بكم مؤمن بآيا بكم مصدق برجعتكم منتظر لأمركم مرتقب لدولتكم آخذ بقولكم عامل بأمركم مستجير بكم زائر لكم عائذ بقبوركم مستشفع الى الله عز و جل بكم و متقرب بكم إليه و مقدمكم امام طلبتى و حوائجى و ارادتى فى كل احوالى و امورى مؤمن بسرکم و علانيتكم و شاهدكم و غائبكم و أولكم و آخركم و مفوض فى ذلك كله اليكم و مسلم فيه معكم و قلبى لكم مسلم و رأى لكم تبع و نصرتى لكم معده حتى يحيى الله تعالى دينه بكم و يردكم فى ايامه و يظهركم لعدله و يمكنكم فى ارضه فمعكم معكم لا- مع غيركم آمنت بكم و توليت آخركم بما توليت به أولكم و برئت إلى الله عز و جل من اعدائكم و من الجبت و الطاغوت و الشياطين و حزبهم الظالمين لكم الجاحدين لحقكم و المارقين من ولايتكم الغاصبين لإرثكم الشاكين فيكم المنحرفين عنكم و من كل وليجه دونكم و كل مطاع سواكم و من الأئمة الذين يدعون إلى النار.

فثبتنى الله ابدا ما حييت على موالاتكم و محبتكم و دينكم و وفقنى لطاعتكم و رزقنى شفاعتكم و جعلنى من خيار مواليكم التابعين لما دعوتهم إليه و جعلنى ممن يقتص آثاركم و يسلك سبيلكم و يهتدى بهديكم و يحشر فى زمركم و يكر فى رجعتكم و يملك فى دولتكم و يشرف فى عافيتكم و يمكن فى ايامكم و تفر عينه غدا برؤيتكم.

بأبى أنتم و امى و نفسى و اهلى و مالى من اراد الله بدأ بكم و من وحده قبل عنكم و من قصده توجه بكم.

موالى لا أحصى ثناءكم و لا ابلغ من المدح كنهكم و من الوصف قدركم و انتم نور الأخيار و هداه الابرار و حجج الجبار.

بكم فتح الله و بكم يختم و بكم ينزل الغيث و بكم يمسك السماء ان تقع على الارض إلا باذنه و بكم ينفس الهم و يكشف الضر.

و عندكم ما نزلت به رسله و هبطت به ملائكته و الى جدكم بعث الروح الامين، آتاكم الله ما لم يؤت احدا من العالمين.

طأطأ كل شريف لشرفكم و بخر كل متكبر لطاعتكم و خضع كل جبار لفضلكم و ذل كل شيء لكم و اشرفت الارض بنوركم و فاز الفائزون بولايتكم بكم يسلك إلى الرضوان و على من جحد ولايتكم غضب الرحمن.

بأبى أنتم و أمى و نفسى و أهلى و مالى ذكركم فى الذاكرين و اسماءكم فى الأسماء

و أجسادكم فى الاجساد و أرواحكم فى الأرواح و أنفسكم فى النفوس و آثاركم فى الآثار و قبوركم فى القبور فما أحلى اسماءكم و أكرم أنفسكم و أعظم شأنكم و أجل خطركم و أوفى عهدكم و أصدق وعدكم.

كلامكم نور و أمركم رشد و وصيتكم التقوى و فعلكم الخير و عادتكم الإحسان و سجيبتكم الكرم و شأنكم الحق و الصدق و الرفق و قولكم حكم و حتم و رأيكم علم و حلم و حزم، إن ذكر الخير كنتم أوله و أصله و فرعه و معدنه و مأواه و منتهاه.

بأبى انتم و امى و نفسى كيف أصف حسن ثنائكم و احصى جميل بلائكم و بكم أخرجنا الله من الذل و فرج عنا غمرات الكروب و أنقذنا من شفا جرف الهلكات و من النار.

بأبى أنتم و امى و نفسى بموالاةكم علمنا الله معالم ديننا و أصلح ما كان فسد من ديانا و بموالاةكم تمت الكلمه و عظمت النعمه و اتلفت الفرقه و بموالاةكم تقبل الطاعه المفترضه و لكم الموده الواجبه و الدرجات الرفيعه و المقام المحمود و المكان المعلوم عند الله عز و جل و الجاه العظيم و الشأن الكبير و الشفاعه المقبوله.

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعِيدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَ هَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا.

يا أولياء الله ان بينى و بين الله عز و جل ذنوبا لا يأتى عليها إلا رضاكم فبحق من ائتمنكم على سره و استرعاكم امر خلقه و قرن طاعتكم بطاعته لَمَا استوهبتم ذنوبى و كنتم

شفعائى فإنى لكم مطيع.

من أطاعكم فقد أطاع الله و من عصاكم فقد عصى الله و من أحبكم فقد أحب الله و من أبغضكم فقد أبغض الله.

اللهم انى لو وجدت شفعاء اقرب اليك من محمد و أهل بيته الأخيار الأئمة الابرار لجعلتهم شفعاى فبحقهم الذى اوجبت لهم عليك اسألك ان تدخلنى فى جملة العارفين بهم و بحقهم و فى زمرة المرحومين بشفاعتهم إنك ارحم الراحمين و صلى الله على محمد و آله الطاهرين و سلم تسليما كثيرا و حسبنا الله و نعم الوكيل.

و من هذه الفقرات نستلهم النقاط التالية:

١- ضروره الإيمان بإياهم و قيام دولتهم.

٢- أهميه زياره قبورهم.

٣- أهميه الإيمان بالرجعه.

٤- أهميه الايمان بسرهم و علانيتهم.

٥- ضروره الاستعداد لنصره دولتهم لحد التمكين فى الارض.

٦- ضروره البراءه من عدوهم.

٧- فرح المؤمن بما رزقه الله على يد أهل البيت.

٨- إن وحده المسلمين السليمه لا تتم إلا تحت لوائهم (عليهم السلام).

٩- إن الايمان بهم لا يكون عاطفيا بل يكون عن وعى و ادراك و بحث و تمحيص (١).

ص: ١٧٧

١- (١) منهاج التحرك عند الإمام الهادى: ١١٣-١٢٠.

من أهم زيارات الأئمة الطاهرين-عند الشيعة الإمامية-زيارة الغدير فقد اهتموا بها اهتماما بالغاً، لأنها رمز لذلك اليوم الخالد في دنيا الاسلام، ذلك اليوم الذي قرّر فيه الرسول (صلى الله عليه و اله) المصير الحاسم لأمة، فنصب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) خليفه على المسلمين.

وقد زار الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) جدّه أمير المؤمنين في السنه التي أشخصه فيها المعتصم من يشرب إلى سر من رأى (1).

نعم زاره بهذه الزيارة التي هي من أروع و أجل الزيارات، فقد تحدّث فيها عن فضائل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) و ما عاناه في عصره من المشاكل السياسيّه و الاجتماعيّه.

و إليك بعض ما حفلت به هذه الزيارة التي هي من ملاحم أهل البيت (عليهم السلام):

١- تحدّث الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) في زيارته (الغديرية) عن أنّ جده الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) هو أول من أسلم و آمن بالله و استجاب لدعوه نبيه، قال (عليه السلام) مخاطباً جدّه:

«و أنت أوّل من آمن بالله و صلى له، و جاهد، و أبدى صفحته في دار الشرك، و الارض مشحونه ضلاله و الشيطان يعبد جهره...».

لقد تضافرت الأخبار بأن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) هو أول من أذعن لرساله خاتم النبيين، و استجاب لنداء الله و دعى الى دين الله بعد رسول الله، فقد روى ابن اسحاق، قال:

ص: ١٧٨

كان أول ذكر آمن برسول الله (صلى الله عليه واله) و صلى معه، و صدق بما جاءه من عند الله على بن أبي طالب (عليه السلام) و هو يومئذ ابن عشر سنين (١).

و روى الطبراني بسنده عن أبي ذر قال: أخذ رسول الله (صلى الله عليه واله) بيدي على (عليه السلام) فقال: «هذا أول من آمن بي و أول من يصفحني يوم القيامة...» (٢).

و قال رسول الله (صلى الله عليه واله) لعائشه: «هذا على بن أبي طالب أول الناس إيماناً» (٣).

و كثير من أمثال هذه الاخبار قد اعلنت ذلك.

٢- و تحدث الإمام (عليه السلام) في زيارته عن جهاد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) و بسالته و شجاعته و صموده في الحروب قائلاً:

«و لك المواقف المشهودة، و المقامات المشهورة، و الأيام المذكورة يوم بدر، و يوم الأحزاب... و إذ زاعت الأبصار و بلغت القلوب الحناجر و تظنون بالله الظنوناً * هنالك اثبتى المؤمنون و زلزلوا زلزالاً شديداً * و إذ يقول المنافقون و الذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله و رسوله إلا غموراً * و إذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا و يشيتأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة و ما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً (٤).

و قال الله تعالى: و لما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله و رسوله و صدق الله و رسوله و ما زادهم إلا إيماناً و تسليماً (٥).

فقتلت عمرهم و هزمت جمعهم، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً، و كفى الله المؤمنين القتال، و كان الله قويا عزيزاً، و يوم أحد اذ يصعدون و لا يلوون على احد و الرسول يدعوهم فى اخراهم و انت تدود بهم المشركين عن النبي (صلى الله عليه واله) ذات اليمين

ص: ١٧٩

١- ((١)) السيره النبويه، ابن اسحاق ه: ٢٦٢/١ و عنه فى الطبرى: ٣١٢/٢.

٢- ((٢)) فيض القدير: ٣٥٨/٤.

٣- ((٣)) الاستيعاب: ٧٥٩/٢.

٤- ((٤)) الأحزاب (٣٣): ١٠-١٣.

٥- ((٥)) الأحزاب (٣٣): ٢٢.

و ذات الشمال حتى ردهم الله تعالى عنها خائفين و نصر بك الخاذلين.

و يوم حنين على ما نطق به التنزيل إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَ ضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ. و المؤمنون انت و من يليك، و عمك العباس ينادى المنهزمين يا أصحاب سورة البقره، يا أهل بيعة الشجرة، فاستجاب له قوم قد كفيتهم المؤونه و تكلفت دونهم المعونه، فعادوا آيسين من المثوبه، راجين وعد الله تعالى بالتوبه، و ذلك قول الله جل ذكره: ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ. و أنت حائر درجه الصبر، فائز بعظيم الأجر.

و يوم خيبر اذ اظهر الله خور المنافقين، و قطع دابر الكافرين - الحمد لله رب العالمين - و لقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار، و كان عهد الله مسؤولا.

و اضاف الإمام قائلًا: و شهدت مع النبي (صلى الله عليه و اله) جميع حروبه و مغازيه، تحمل الرايه امامه، و تضرب بالسيف قدامه، ثم لحزمك المشهور و بصيرتك في الامور أمرت في المواطن، و لم يكن عليك أمير...».

٣- و عرض الإمام في زيارته إلى مبيت الإمام على فراش النبي (صلى الله عليه و اله)، و وقايته له بنفسه حينما اجمعت قريش على قتله، فكان الإمام الفدائي الأول في الاسلام، يقول (عليه السلام):

«و أشبهت في البيات على الفراش الذبيح (عليه السلام) اذ أجت كما أجب، و أطعت كما أطاع اسماعيل محتسبا صابرا اذ قال: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ.

و كذلك انت لما أباتك النبي (صلى الله عليه و اله) و أمرت ان تضطجع في مرقده واقيا له بنفسك اسرعت إلى اجابته مطيعا، و لنفسك على القتل موطنا فشكر الله تعالى طاعتك و أبان من جميل فعلك بقوله جل ذكره: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ (١).

ص: ١٨٠

١- (١) راجع حياه الإمام على الهادي (عليه السلام): ١٤٠-١٤٧.

إنّ النقطه الجوهرية لتحقيق و رفع المستوى العلمى الذى تحتاجه الجماعه الصالحه هى تربيه العلماء و الكفاءات العلميه المتخصّصه فى مختلف الفروع العلميه الإسلاميه. ثم إعطاء العلماء بالشريعاه الدور المتميز فى المجتمع الإسلامى. و هذا ما سار عليه أئمه أهل البيت (عليهم السّلام) بلا استثناء.

و تميّز عصر الإمام الهادى (عليه السّلام) بأنه العصر الممّهّد لعصر الغيبه حيث ينقطع الناس عن إمامهم و لا يبقى للناس أى ملجأ فكرى و دينى سوى العلماء باللّه الامناء على حلاله و حرامه.

و من هنا كان اهتمام الإمامين العسكريين بالعلماء بليغا جدّا حيث عبر عنهم بأنهم الكافلون لأيتام آل محمد، و كان التبجيل و الإجلال فى سيره الإمام الهادى (عليه السّلام) لمثل هؤلاء العلماء ملفتا للنظر جدّا (١).

و من يقرأ تراث الإمام الهادى (عليه السّلام) يلاحظ استمرار العطاء العلمى فى هذا العصر الى جانب الاهتمام بايضاح المنهج العلمى الذى كان يبتغيه أهل البيت (عليهم السّلام) و التصدّى منهم لتعميقه.

و تكفى قراءه سريعه لرساله الإمام الهادى (عليه السّلام) الى أهل الأهواز لتلمّس مدى اهتمامه (عليه السّلام) بالتأصيل النظرى و بالتربيه على سلوك المنهج العلمى السليم (٢).

ص: ١٨١

١- (١) راجع الفصل الثالث من الباب الأوّل.

٢- (٢) راجع الفصل الرابع من الباب الرابع، رساله الإمام الى أهل الأهواز.

بالرغم من كل الظروف التي فرضت على الإمام الهادي (عليه السلام) لعزله عن شيعته و محبيه فإننا نجد الإمام (عليه السلام) يمارس مسؤولياته التربويه بكل ما يتسنى له من الوسائل التي تكون أبلغ في التأثير، فهو تارة يدعو لبعض شيعته و يتوجه الى الله ليقتضى حوائجهم، و اخرى يلتي حاجاتهم الماديه فيسعفهم بمقدار من المال. و ثالثه يباشرهم بالكلام الصريح حول المزالق التي تنتظرهم.

فهذا أخوه موسى الذي نصب له المتوكل مصيده ليوقعه فيما هو غير لائق به و يفضحه و يفضح أخاه الإمام الهادي (عليه السلام) يتصدى الإمام بنفسه ليواجهه قبل أن يلتقى بالمتوكل و يحاول أن يبصره بحقيقه ما ينتظره من مخاوف و أخطار معنويه (1).

و في أكثر من مورد يبادر الإمام (عليه السلام) لتقديم تجربه حسيه يعيش من خلالها اتباعه معنى التوجه الى الله و اللجا إليه في المهمات ثم يبصرهم بعد ذلك أهميه هذا المبدأ.

فعن أبي محمد الفخام بالإسناد عن أبي الحسن محمد بن أحمد قال: حدثني عم أبي قال: قصدت الإمام يوما فقلت إن المتوكل قطع رزقي و ما أتهم في ذلك إلا- علمه بملازمتي لك، فينبغي أن تفضل عليّ بمسأله فقال: تكفي إن شاء الله فلما كان في الليل طرقتي رسل المتوكل رسولا يتلو رسولا، فجئت اليه فوجدته في فراشه فقال: يا أبا موسى تشغل شغلي عنك و تنسينا نفسك أي شيء لك عندي؟

فقلت: الصياله الفلانيه، و ذكرت أشياء فأمر لي بها و بضعفها، فقلت للفتح وافي عليّ بن محمد الى هيهنا و كتب رقعته؟ قال: لا، قال: فدخلت على الإمام فقال لي: يا أبا موسى هذا وجه الرضا، قلت: يا سيدي و لكن قالوا أنك ما مضيت

اليه ولا. سألت قال: إن الله تعالى علم منا أنا لا نلجأ في المهمات إلا إليه ولا نتوكل في الملمات إلا عليه وعودنا إذا سألناه الإجابة و نخاف أن نعدل فيعدل.

و عن علي بن جعفر قال: عرضت مؤامرتي على المتوكل فأقبل عليّ عبيد الله ابن يحيى فقال: لا تتعبن نفسك، فإن عمر بن أبي الفرج أخبرني أنه رافضى فانه وكيل علي بن محمد، فأرسل عبيد الله إليّ فعرفني أنه قد حلف ألا يخرجني من الحبس إلا بعد موتي بثلاثة أيام.

قال فكتب الى أبي الحسن: ان نفسى قد ضاقت و قد خفت الزبغ، فوقع إلى: اما إذا بلغ الأمر منك ما قلت فينا، فسأقصد الله تبارك و تعالى فيك. فما انقضت أيام الجمعه حتى خرجت من الحبس (١).

و يمكن تلخيص المنهج العام للتربييه و بناء الذات عند الإمام الهادى (عليه السلام) بما يلي:

١- التوجيه التربوى من خلال الأحاديث التربويه التى تقدم للإنسان أهم المفاهيم التربويه (٢).

٢- التأكيد على طاعه الله تعالى.

٣- التأكيد على أهميه التوجه الى الله فى الحوائج و عدم طلب الحوائج من غيره (٣).

٤- أهميه الدعاء و الالتزام به فى بلوره روح التوحيد و التوكل على الله.

٥- الدعاء للمؤمنين.

٦- السعى فى قضاء حوائجهم.

٧- الربط العاطفى بالقدوه الصالحه المتمثله فى أهل البيت (عليهم السلام) من خلال زياراتهم و دراسه سيرتهم.

ص: ١٨٣

١- ((١)) راجع مسند الإمام الهادى (عليه السلام): ١١٢ و ١٢١.

٢- ((٢)) راجع تراثه التربوى و الأخلاقى فى الفصل الأخير من الباب الرابع.

٣- ((٣)) راجع تحف العقول: ٣٦١، و كشف الغمه: ١٧٦/٣.

و أما دعاؤه للمؤمنين و سعيه فى قضاء حوائجهم فيشهد له ما يلى :

١- ما مرّ من أن الإمام(عليه السّلام)أجاب على كتاب عمر بن أبى الفرج إليه بأنّ نفسى قد ضاقت و قد خفت الزيف فوقع الإمام(عليه السّلام)إليه:أما إذا بلغ الأمر منك ما قلت فينا فسأقصد الله تبارك و تعالى فيك.فما انقضت أيام حتى خرج من الحبس (١).

٢-روى المجلسى عن الخرائج:روى عن محمد بن الفرج أنه قال:إن أباه الحسن كتب إلى:أجمع أمرك،و خذ حذرک،قال:فأنا فى جمع أمرى لست أدرى ما الذى أراد فيما كتب به إلى حتى ورد على رسول حملنى من مصر مقيّدا مصفّدا بالحديد،و ضرب على كلّ ما أملك.

فمكث فى السجن ثمانى سنين ثم ورد على كتاب من أبى الحسن(عليه السّلام) و أنا فى السجن«لا تنزل فى ناحيه الجانب الغربى»فقرأت الكتاب فقلت فى نفسى:يكتب إلى أبو الحسن(عليه السّلام)بهذا و أنا فى الحبس إنّ هذا لعجيب!فما مكث إلا أياما يسيره حتى افرج عنى،و حلّت قيودى و خلّى سبيلى.

و لما رجع الى العراق لم يقف ببغداد لما أمره أبو الحسن(عليه السّلام)و خرج الى سرّ من رأى.

قال:فكتبت إليه بعد خروجى أسأله أن يسأل الله ليردّ على ضياعى فكتب إلى سوف يردّ عليك،و ما يضرّك أن لا تردّ عليك.

قال على بن محمد النوفلى:فلما شخص محمد بن الفرج الى العسكر كتب له بردّ ضياعه،فلم يصل الكتاب إليه حتى مات (٢).

و قضاء حوائج المؤمنين بالإضافه الى دوره التربوى يعدّ خطوه من خطوات التحصين الاقتصادى لهم،حيث يشكّل عاملا من عوامل استقلالهم و عدم اضطرارهم للخضوع الى كثير ممّا يستدلّ به الحكّام رعيّتهم.

ص:١٨٤

١- ((١)) مسند الإمام الهادى(عليه السّلام):١٢١.

٢- ((٢)) بحار الأنوار:١٤٠/٥٠.

إشاره

لقد مارس الإمام الهادي (عليه السلام) وظيفته بصفته الإمام والقائد لمواليه و الراعى لمصالحهم بالرغم من الظروف الصعبة التي كانت تمر بالامام (عليه السلام) و بشيخته من تتبع السلطه لهم و مطاردتهم و فرض الاقامه الجبريه على الإمام بعد اشخاصه من المدينه إلى سامراء ليكون قريبا من السلطان و تحت رقابته، و تتجلى لنا مواقف الإمام (عليه السلام) في هذا الاتجاه في المحافظه التامه على شيخته و رعايه مصالحهم الخاصه و العامه و قضاء حوائجهم و تحذيرهم مما تحوكه السلطه ضدهم، و ما يجب أن يتخذوه من حيظه و كتمان لنشاطهم و اتصالاتهم حتى لا يقعوا في حبال السلطه الغاشمه التي كانت تتربص بهم و بالإمام (عليه السلام) الدوائر.

إنّ وصايا الإمام (عليه السلام) لأتباعه تظهر مدى اهتمامه بما يجرى في الساحة أولاً، و مدى قربيه من الأحداث العامه و الخاصه ثانياً. و كانت أوامره تصل الجماعه الصالحه بشكل دقيق و سريع بل قد تكون سابقه للأحداث في بعض الأحيان لتتمكن تلك الجماعه من تجاوز ما يحاك ضدها. كما ان اجراءات الإمام و أساليبه كانت مظهراً لعمل حركي و تنظيمي و على درجه عاليه من الدقه و التخطيط، و هذا ما تكشفه لنا خطابات الإمام (عليه السلام) إلى شيخته و التي كانت تحمل بين طياتها ادوات و وسائل مختلفه و متعدده لمواجهة الظروف التي تحيط بها. و إليك بعض أساليبه و وسائله و تعليماته الخاصه بهذا الصدد:

كان الإمام (عليه السلام) يحذر اصحابه من تدوين و كتابه بعض الامور و خصوصا ما كان يتعلق بعلاقات و وضع الجماعة الصالحة و مواقفها، فعن داود الصرمي قال: أمرني سيدي بحوائج كثيره فقال (عليه السلام) لي: قل كيف تقول؟ فلم احفظ مثل ما قال لي، فمدّ الدواه و كتب:

«بسم الله الرحمن الرحيم اذكره ان شاء الله و الأمر بيد الله»، فتبسمت، فقال (عليه السلام): ما لك؟ قلت: خير، فقال اخبرني؟ قلت جعلت فداك ذكرت حديثا حدثني به رجل من اصحابنا عن جدك الرضا (عليه السلام) إذا أمر بحاجه كتب بسم الله الرحمن الرحيم، اذكر ان شاء الله فتبسمت، فقال (عليه السلام) لي: يا داود و لو قلت: إن تارك التقية كتارك الصلاه لكنت صادقا (1).

□
فالإمام (عليه السلام) هنا يربط الكتمان و الحذر بمفهوم اسلامي و هو «التقيه» و التي وردت بها احاديث و آيات كريمه كقوله تعالى: **إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاهُ** و كذا قوله تعالى: **إِلَّا مَنْ أُرِثَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ**، و هي الآية التي نزلت في قضيه عمار بن ياسر (رضي الله عنه) حيث عذبه المشركون في مكه لكي ينال من الرسول و يتركوه، ثم جاء الى الرسول (صلى الله عليه و اله) فقال له: ان عادوا فعده. فلم تكن أوامر الإمام (عليه السلام) بهذا الصدد فقط خشيه من انكشافها بل إنه طرحها تأكيداً لهذا المفهوم الذي عرفت به الشيعة منذ نشوئها امثالاً لوصايا الأئمه (عليهم السلام) و القرآن الكريم.

ص: ١٨٦

ب- تغيير الاسماء

كان الإمام (عليه السلام) يذكر في توقيعاته إلى بعض أصحابه و ينسبهم إلى عبيد ابن زراره و كانوا قد عرفوا ببني الجهم و هم من أكابر بيوت الشيعة و أصحاب الأئمة (عليهم السلام)، فعن الزراري (أحدهم) قال: إن ذلك توريه و ستر من قبل الإمام (عليه السلام) ثم اتسع ذلك و سمي بنا به و كان (عليه السلام) يكتبه في أمور له بالكوفة و بغداد (١).

ج- التحذير من الحديث في الأماكن العامه

كان الإمام (عليه السلام) يمنع بعض أصحابه من الحديث و المساءله في الطريق و غيره من الأماكن التي يكون فيها عيون للسلطان. فعن محمد بن شرف قال: كنت مع أبي الحسن (عليه السلام) أمشى في المدينة فقال لي: أأنت ابن شرف؟ قلت بلى، فأردت أن أسأله عن مسأله فابتدأني من غير أن أسأله فقال: «نحن على قارعه الطريق و ليس هذا موضع مسأله».

د- النفوذ في جهاز السلطه

لقد استولى بنو العباس على السلطه و تولوا أمر الأئمة بالقهر و الغلبه بعد سقوط الدوله الأمويه سنه (١٣٢ هـ)، و عاشوا في الأرض الفساد حيث استشرى أمرهم فكان القتل و التشريد و ابتزاز الأموال على قدم و ساق و لم تكن حكومتهم ذات شرعيه اسلاميه، و من هنا كان العمل معهم غير مشروع، و قد كتب محمد بن علي بن عيسى -أحد أصحاب الإمام (عليه السلام)- إلى

ص: ١٨٧

الإمام الهادي (عليه السلام) يسأله عن العمل لبني العباس و أخذ ما يتمكن من أموالهم، هل فيه رخصه؟ فقال (عليه السلام): «ما كان المدخل فيه بالجبر و القهر فالله قابل به العذر، و ما خلا ذلك فمكروه، و لا محاله قليله خير من كثيره، و ما يكفر به ما يلزمه فيه من يرزقه و يسبب على يديه ما يسرك فينا و في موالينا».

و لما وافى كتاب الإمام (عليه السلام) إلى محمد بن علي بن عيسى بادر فكتب للإمام (عليه السلام):

«ان مذهبي في الدخول في امرهم وجود السبيل إلى ادخال المكروه على عدوه و انبساط اليد في التشفي منهم بشيء أتقرب به إليهم، فأجاب الإمام (عليه السلام) من فعل ذلك فليس مدخله في العمل حراما بل أجرا و ثوابا» (١).

لقد وضع الإمام (عليه السلام) في النصين أعلاه ضوابط العمل مع السلطان الجائر التي تتلخص في توفير وسيلة لإضعاف الظالمين أو تحقيق خدمه لمواليه المظلومين.

نظام الوكلاء

بعد أن أكد الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) على دورهم القيادي الديني في أوساط الجماعة الصالحة و أوضحوا أهميه الولاء لهم، و أخذت تتسع الرقعه الجغرافيه لأتباع أهل البيت (عليهم السلام)، و احتاجوا الى من يلتي حاجاتهم الدينيه و يكون حلقة وصل بينهم و بين أئمتهم (عليهم السلام) بادر الأئمة (عليهم السلام) الى تعيين الوكلاء المعتمدين لهم في مختلف المناطق و أرجعوا اليهم أتباعهم.

ص: ١٨٨

١- ((١)) مستطرفات السرائر: ٦٨ ح ١٤ و عنه في وسائل الشيعة ١٧: ١٩ ح ٩ ب ٤٥، ووسائل الشيعة: ١٣٧/١٢.

والمهام التي تولّاها الوكلاء لهم تمثّلت في بيان الأحكام الشرعيه و المواقف السياسيه و الاجتماعيه،و توجيه النصائح الأخلاقيه و التربويه، و استلام الحقوق الشرعيه و توزيعها،و فصل النزاعات و تولّى الأوقاف و امور القاصرين الذين لا وليّ لهم.

و تعتبر الوثاقه أو العداله شرطا أساسيا في الوكيل فضلا عن إيمانه و معرفته بأحكام الشريعه و شؤونها،و لباقته السياسيه و قدرته على حفظ أسرار الإمام و أتباعه من الحكّام و عيونهم.

و الوكلاء منهم من يرتبط بالإمام(عليه السّلام)بشكل مباشر و منهم من يرتبط به بواسطه وكيل آخر يعتبر محورا لمجموعه من الوكلاء في مناطق متقاربه.

و يعود تاريخ تأسيس هذا النظام الى عصر الإمام الصادق(عليه السّلام)أو من سبقه من الأئمه(عليهم السّلام)غير أنه قد اتّسع نطاقه و بدأ يتكامل بعد عصر الإمام الصادق(عليه السّلام)نظرا للتطورات السياسيه و المشاكل الأمنيه التي أخذت تحيط بالجماعه الصالحه و تهدد وجودهم و كيانهم.

و منذ عصر الإمام الجواد(عليه السّلام)و حتى ابتداء الغيبه الصغرى كان لهذا النظام دور فاعل و كبير جدا في حفظ كيان الجماعه الصالحه و وقايته من التفتت و الانهيار.

و بفضل هذا النظام و العناصر الفاعله فيه أصبح الانتقال الى عصر غيبه الإمام المهدي(عليه السّلام)ميسورا،و قلّت المخاطر الناشئه من ظاهره الغيبه للإمام المعصوم الى حدّ كان نظام الوكلاء بكل خصائصه قد تطوّر الى نظام النيايه الخاصه في عصر الغيبه الصغرى فكان السفير هو النائب الخاص الذي يقوم بدور الإمام الموجه لمجموعه الوكلاء...و هو الذي يقوم بدور الوساطه بين الإمام و الوكلاء و بين الإمام و اتباع الإمام عبر هؤلاء الوكلاء.

أما مناطق النفوذ و مناطق تواجد الوكلاء،ففي الحجاز كانت المدينه

و مكة و اليمن، و فى العراق، كانت الكوفه و بغداد و سامراء و واسط و البصره، و فى ايران كانت خراسان الكبرى-بما فيها نيسابور و بيهق و سبزوار و بخارا و سمرقند و هرات، و قم و آوه و الرى و قزوين و همدان و آذربايجان و قرميسين و الأهواز و سيستان و بست، و فى شمال افريقيا كانت مصر أيضا من مناطق تواجد أتباع أهل البيت (عليهم السّلام) التى استقرّ فيها و كلاؤهم و قاموا بدور همزه الوصل المهمه و حقّقوا بذلك جملة من مهامّ الأئمة (عليهم السّلام).

وكلاء الإمام الهادى (عليه السلام)

قد وقفنا على أسماء جملة من وكلاء الإمام الهادى (عليه السّلام) فى مختلف المناطق و هم:

- ١- إبراهيم بن محمد الهمدانى.
- ٢- أبو على بن راشد.
- ٣- أحمد بن إسحاق الرازى.
- ٤- على بن جعفر الوكيل.
- ٥- محمد بن إبراهيم بن مهزيار.
- ٦- الحسين بن عبدربه.
- ٧- أبو على بن بلال.
- ٨- أيوب بن نوح.
- ٩- جعفر بن سهيل الصيقل.
- ١٠- على بن مهزيار الأهوازى.
- ١١- فارس بن حاتم.
- ١٢- على بن الحسين بن عبدربه.
- ١٣- عثمان بن سعيد العمري.

وقد انحرف بعضهم عن الطريق الذى رسم له، وكان الأئمة (عليهم السّلام) يوضحون الأمر عند انحراف بعض الوكلاء عن الطريق المقرر لهم حينما كانت تغريهم الأموال التى يحصلون عليها فيستغلون منصب الوكالة لأغراض دنيوية مادية. ولا يسمحون لهم باغراء الناس واستغلالهم.

إنّ جهاز الوكلاء الذى عرفنا مهامّه يعتبر أحد عوامل التحصين الأمنى للجماعه الصالحه فى عصر الإمام بالنسبه للإمام و بالنسبه لأتباعه أيضا.

و سوى هذه المهمه الكبيره يساهم نظام الوكلاء فى التحصين الاقتصادى و القضائى و السياسى للجماعه الصالحه. فهو جهاز حسّاس و مهمّ للغايه، و هذا هو السبب فى اهتمام الأئمة (عليهم السّلام) به و سعيهم المتواصل لتطويره و السهر على صيانتة من عوامل الضعف و الانهدام.

و سوف نرى ضروره تكوين هذا الجهاز من حيث أنّه خير وسيله لإعداد الجماعه الصالحه للدخول فى عصر الغيبه و الحيلولة دون تأثير صدمه الغيبه و الانقطاع عن الإمام المعصوم (عليه السّلام) على أتباع أهل البيت (عليهم السّلام) الذين ألفوا رؤيه الإمام و اللقاء به خلال قرنين و نصف قرن من الزمن.

التحصين الاقتصادى

عرفنا ممّا ذكر أن التحصين الاقتصادى هو أحد الأهداف المنظوره فى تخطيط أهل البيت (عليهم السّلام) للجماعه الصالحه التى أرادوا لها أن تستقل فى كيانها و تبتعد عن عوامل الضعف و الانهيار التى تفرضها الظروف السياسيه أو الاقتصاديه العامه.

و لنظام الوكلاء دور مهم فى هذا التحصين، كما أن الإمام (عليه السّلام) بنفسه كان يباشر قضاء حوائجهم الماديه فى جمله من الأحيان.

دخل أبو عمرو عثمان بن سعيد و أحمد بن اسحاق الأشعري و علي بن جعفر الهمداني على أبي الحسن العسكري فشكا إليه أحمد بن إسحاق دينا عليه، فقال: يا أبا عمرو كان و كيله-إدفع إليه ثلاثين ألف دينار و الى علي بن جعفر ثلاثين ألف دينار و خذ أنت ثلاثين ألف دينار (١).

و عن أبي هاشم قال: شكوت إليه قصور يدي فأهوى بيده الى رمل كان عليه جالسا فناولني منه كفاً و قال: اتسع بهذا. فقلت لصايغ: اسبك هذا فسبكه و قال: ما رأيت ذهباً أشد حمرة منه (٢).

و عن عبد الله بن عبد الرحمن الصالحى أنه شكى أبو هاشم الى أبي الحسن (عليه السلام) ما لقي من السوق إليه إذا انحدر من عنده الى بغداد و قال: يا سيدي ادع الله لي فمالي مركوب سوى برذوني هذا على ضعفه. قال: قواك الله يا أبا هاشم و قوى برذونك. قال: و كان أبو هاشم يصلى الفجر ببغداد و الظهر بسر من رأى و المغرب ببغداد إذا شاء (٣).

و بهذا نختم الكلام عن الخطوط العامة لدور الإمام (عليه السلام) فى إكمال بناء الجماعة الصالحة و تحصينها و اعدادها للدخول الى عصر الغيبه الذى سوف تقترب منه بسرعته.

ص: ١٩٢

١- (١) المناقب: ٤٨٨/٢.

٢- (٢) المناقب: ٤٨٨/٢.

٣- (٣) المناقب: ٤٤٨/٢.

إشاره

الإمام الهادي (عليه السلام) في ذمه الخلود

استشهاد الإمام الهادي (عليه السلام)

ظَلَّ الإمام الهادي (عليه السلام) يعاني من ظلم الحكّام و جورهم حتّى دسّ إليه السمّ كما حدث لأبائه الطاهرين، وقد قال الإمام الحسن (عليه السلام): ما منّا إلّا مقتول أو مسموم (١).

قال الطبرسي و ابن الصباغ المالكي: في آخر ملكه (أى المعتز)، استشهد وليّ الله على بن محمد (عليهما السلام) (٢).

و قال ابن بابويه: و سمّه المعتز (٣).

و قال المسعودي: و قيل إنّه مات مسموماً (٤)؛ و يؤيد ذلك ما جاء في الدّعاء الوارد في شهر رمضان: و ضاعف العذاب على من شرك في دمه (٥).

و قال سراج الدين الرفاعي في صحاح الأخبار: «و توفى شهيدا بالسم في خلافة المعتز العباسي...».

و قال محمد عبد الغفار الحنفي في كتابه ائمه الهدى: فلما ذاعت

ص: ١٩٣

١- (١) بحار الأنوار: ٢٧/٢١٦، ح ١٨.

٢- (٢) إعلام الوري: ٣٣٩-الفصول المهمه: ٢٨٣.

٣- (٣) بحار الأنوار: ٥٠/٢٠٦، ح ١٨، المناقب: ٤/٤٠١.

٤- (٤) مروج الذهب: ٤/١٩٥.

٥- (٥) بحار الأنوار: ٥٠/٢٠٦ ح ١٩.

شهرته (عليه السلام) استدعاه الملك المتوكل من المدينة المنورة حيث خاف على ملكه و زوال دولته.. و أخيرا دس إليه السم...» (١).

و الصحيح أن المعتز هو الذي دس إليه السم و قتله به.

و يظهر أنه اعتلّ من أثر السم الذي سقى كما جاء في روايه محمّد بن الفرج عن أبي دعامة، حيث قال: أتيت عليّ بن محمد (عليه السلام) عائدا في علته التي كانت وفاته منها، فلما هممت بالانصراف قال لي: يا أبا دعامة قد وجب عليّ حقك، ألا احديثك بحديث تسرّ به؟ قال: فقلت له: ما أحوجنى الى ذلك يا ابن رسول الله.

قال حدّثني أبي محمد بن عليّ، قال: حدّثني أبي موسى، قال: حدّثني أبي جعفر، قال: حدّثني أبي جعفر بن محمد، قال: حدّثني أبي محمّد بن عليّ، قال: حدّثني أبي الحسين، قال: حدّثني أبي الحسين بن عليّ، قال: حدّثني أبي علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، قال: قال لي رسول الله (صلّى الله عليه و اله): يا عليّ اكتب: فقلت: و ما أكتب؟ فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم الإيمان ما قرته القلوب و صدّفته الأعمال، و الإسلام ما جرى على اللسان، و حلّت به المناكحة.

قال أبو دعامة: فقلت: يا ابن رسول الله، و الله ما أدري أيهما أحسن؟ الحديث أم الإسناد! فقال: إنّها لصحيفه بخطّ علي بن أبي طالب (عليه السلام) و إملاء رسول الله (صلّى الله عليه و اله) نتوارثها صاغرا عن كابر (٢).

قال المسعودي: و اعتلّ أبو الحسن (عليه السلام) علته التي مضى فيها فأحضر أبا محمّد ابنه (عليه السلام) فسلم إليه النور و الحكمه و موارث الأنبياء و السّلاح (٣).

و نصّ عليه و أوصى إليه بمشهد من ثقات أصحابه و مضى (عليه السلام) و له أربعون سنة (٤).

ص: ١٩٤

١- (١) راجع: الإمام الهادي من المهد الى اللحد: ٥٠٩-٥١٠.

٢- (٢) بحار الأنوار: ٢٠٨/٥٠، مروج الذهب: ١٩٤/٤.

٣- (٣) إثبات الوصية: ٢٥٧.

٤- (٤) بحار الأنوار: ٢١٠/٥٠.

و لما قضى نجه تولى تغسيله و تكفينه و الصلاه عليه ولده الإمام أبو محمد الحسن العسكري (عليه السلام) و ذلك لأن الإمام لا يتولى أمره إلا الإمام.

و ما انتشر خبر رحيله الى الرفيق الأعلى حتى هرعت الجماهير من العامه و الخاصه الى دار الإمام (عليه السلام) و خيم على سامراء جو من الحزن و الحداد.

قال المسعودي: و حدّثنا جماعه كل واحد منهم يحكى أنّه دخل الدار و قد اجتمع فيها جملة بنى هاشم من الطالبين و العباسيين (و القواد و غيرهم)، و اجتمع خلق من الشيعه، و لم يكن ظهر عندهم أمر أبي محمد (عليه السلام) و لا- عرف خبرهم، إلا الثّقه الذين نصّ أبو الحسن (عليه السلام) (عندهم) عليه، فحكوا أنهم كانوا فى مصيبه و حيره، فهم فى ذلك إذ خرج من الدار الداخلة خادم فصاح بخادم آخر يارياش خذ هذه الرقعه و امض بها الى دار أمير المؤمنين و ادفعها الى فلان، و قل له: هذه رقعه الحسن بن على. فاستشرف الناس لذلك. ثم فتح من صدر الرّواق باب و خرج خادم أسود، ثم خرج بعده أبو محمد (عليه السلام) حاسرا مكشوف الرأس مشقوق الثياب و عليه مبطنه (ملحمه) بيضاء.

و كان (عليه السلام) وجهه وجه أبيه (عليه السلام) لا يخطئ منه شيئا، و كان فى الدار أولاد المتوكّل و بعضهم و لاه العهد، فلم يبق أحد إلا قام على رجله و وثب إليه أبو أحمد [محمد] الموفّق، فقصدته أبو محمد (عليه السلام) فعانقه، ثم قال له: مرحبا بابن العمّ و جلس بين بابى الرّواق، و الناس كلهم بين يديه، و كانت الدار كالسّوق بالأحاديث، فلما خرج (عليه السلام) و جلس أمسك الناس، فما كُنّا نسمع شيئا إلا العطسه و السعله، و خرجت جاريه تندب أبا الحسن (عليه السلام)، فقال أبو محمد:

ما هاهنا من يكفيننا مؤونه هذه الجاهله، فبادر الشيعة إليها فدخلت الدار.

ثم خرج خادم فوقف بحذاء أبي محمد فنهض (عليه السلام)، وخرجت الجنازه، وخرج يمشى حتى اخرج بها الى الشارع الذى يازاء دار موسى بن بغا، وقد كان أبو محمد (عليه السلام) صلى عليه قبل أن يخرج الى الناس، وصلى عليه لما اخرج المعتمد.

قال المسعودى: وسمعت فى جنازته جاريه سوداء و هى تقول: ماذا لقينا فى يوم الاثنين (قديمًا و حديثًا) (١).

و دفن فى داره بسرّ من رأى، و كان مقامه (عليه السلام) (بسرّ من رأى) الى أن توفى عشرين سنه و أشهرًا (٢).

قال المسعودى: و اشتدّ الحرّ على أبي محمد (عليه السلام) و ضغطه الناس فى طريقه و منصرفه من الشارع بعد الصلاه عليه، فسار فى طريقه الى دكان لبقال رآه مرشوشا فسلمّ و استأذنه فى الجلوس فأذن له، و جلس و وقف الناس حوله.

فبينما نحن كذلك إذ أتاه شاب حسن الوجه نظيف الكسوه على بغله شهباء على سرج بيرزون أبيض قد نزل عنه، فسأله أن يركبه فركب حتى أتى الدار و نزل، و خرج فى تلك العشيّه الى الناس ما كان يخرج عن أبي الحسن (عليه السلام) حتى لم يفقدوا منه إلا الشخص (٣).

لماذا دفن الإمام (عليه السلام) فى بيته؟

لقد جرت العاده عند العامه و الخاصه أنّه إذا توفى أحد أن يدفن فى المكان المعدّ للموتى المسمّى -بالمقبره أو الجبانه- كما هو المتعارف فى هذا العصر أيضًا، و لا يختلف هذا الأمر بالنسبه لأى شخص مهما كان له من المكانه

ص: ١٩٦

١- ((١)) بحار الأنوار: ٢٠٧/٥٠ ح ٢٢، مروج الذهب ١٩٣/٤.

٢- ((٢)) إعلام الورى: ٣٣٩.

٣- ((٣)) اثبات الوصيه: ٢٥٧، الدمعه الساكبه: ٢٢٢/٨.

و المنزله، فقد كان و لا يزال فى المدينه المحل المعدّ للدفن -البقيع- حيث أنه مثنوى لأئمه أهل البيت (عليهم السّلام)، و زوجات النبى (صلّى الله عليه و اله)، و أولاده، و كبار الصحابه و التابعين و غيرهم، كما و أن مدفن الإمامين الجوادين (عليهما السّلام) فى مقابر قريش.

و أما السبب فى دفن الإمام الهادى (عليه السّلام) داخل بيته، يعود الى حصول ردود الفعل من الشيعة يوم استشهاده (عليه السّلام) و ذلك عندما اجتمعوا لتشييعه مظهرين البكاء و السخط على السلطه و الذى كان بمثابة توجيه أصابع الاتهام الى الخليفه لتضلّعه فى قتله.

و للشارع الذى اخرجت جنازه الإمام (عليه السّلام) إليه الأثر الكبير، حيث كان محلا لتواجد معظم الموالين لآل البيت (عليهم السّلام) إذ ورد فى وصفه:

الشارع الثّانى يعرف بأبى أحمد.. أول هذا الشارع من المشرق دار بختيشوع المتطبب التى بناها المتوكل، ثم قطائع قواد خراسان و أسبابهم من العرب، و من أهل قم، و إصبهان، و قزوین، و الجبل، و آذربيجان، يمينه فى الجنوب ممّا يلى القبله (١).

و يشير الى تواجد أتباع مدرسه أهل البيت فى سامراء المظفرى فى تاريخه إذ يقول: فكم كان بين الجند، و القواد، و الامراء، و الكتاب، من يحمل بين حنايا ضلوعه ولاء أهل البيت (عليهم السّلام) (٢).

كلّ هذا أدى الى اتّخاذ السلطه القرار بدفنه (عليه السّلام) فى بيته، و إن لم تظهر تلك الصوره فى التاريخ بوضوح، إلا أنه يفهم ممّا تطرق إليه اليعقوبى فى تاريخه عند ذكره حوادث عام (٢٥٤ هـ) و وفاه الإمام الهادى (عليه السّلام) حيث يقول:

و بعث المعتز بأخيه أحمد بن المتوكل فصلّى عليه فى الشارع المعروف

ص: ١٩٧

١- (١) موسوعه العتبات المقدسه: ٨٢/١٢.

٢- (٢) تاريخ الشيعة: ١٠١.

بشارع أبي أحمد، فلما كثر الناس واجتمعوا كثر بكاؤهم وضحجتهم، فردّ النعش الى داره، فدفن فيها... (١)

و تمكنوا بذلك من إخماد لهيب الانتفاضه و القضاء على نغمه الجماهير الغاضبه، و هذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على وجود التحرك الشيعي رغم الظروف القاسيه التي كان يعاني منها أئمه أهل البيت (عليهم السّلام) و شيعتهم من سلطه الخلافه الغاشمه.

انتشار خبر استشهاد الإمام الهادي (عليه السلام) في البلاد

روى الحسين بن حمدان الحضيني في كتاب الهدايه في الفضائل: عن أحمد ابن داود القميّ، و محمد بن عبد الله الطلحيّ قال: حملنا مالا اجتمع من خمس و نذور من بين ورق و جوهر و حلّي و ثياب من بلاد قم و مايلها، و خرجنا نريد سيّدنا أبا الحسن علي بن محمد (عليهما السّلام) بها، فلما صرنا الى دسكره الملك (٢) تلقّانا رجل راكب على جمل، و نحن في قافله عظيمه، فقصدنا و نحن سائرون في جملة الناس و هو يعارضنا بجملة حتى وصل الينا، فقال: يا أحمد ابن داود و محمّد بن عبد الله الطلحيّ معي رساله إليك، فأقبلنا إليه فقلنا له: ممّن يرحمك الله فقال: من سيّدكما أبي الحسن عليّ بن محمّد (عليهما السّلام) يقول لكما: أنا راحل الى الله في هذه الليله، فأقيما مكانكما حتى يأتيكما أمر ابني أبي محمد الحسن، فخشعت قلوبنا و بكت عيوننا و أخفينا ذلك، و لم نظهره، و نزلنا بدسكره الملك و استأجرنا منزلا و أحرزنا ما حملناه فيه، و أصبحنا و الخبر شائع

ص: ١٩٨

١- (١) تاريخ يعقوبي: ٥٠٣/٢.

٢- (٢) الدسكره: قريه في طريق خراسان قريه من شهر ابان (و هي قريه كبيره ذات نخل و بساتين من نواحي الخالص شرقي بغداد)، و هي دسكره الملك (معجم البلدان: ٤٥٥/٢ و ٣٧٥/٣).

فى الدسكروه بوفاه مولانا أبى الحسن (علفه السلام)، فقلنا: لا إله إلا الله أترى الرسول الذى جاء برسالته أشاع الخبر فى الناس؟

فلما أن تعالى النهار رأينا قوما من الشيعه على أشد قلق مما نحن فيه، فأخفينا أمر الرساله و لم نظهره (١).

تاريخ استشهاده (عليه السلام)

اختلف المؤرخون فى يوم استشهاده (عليه السلام)، كما اختلفوا فى من دس إليه السم.

و التحقيق أنه (عليه السلام) استشهد فى أواخر ملك المعتز كما نص عليه غير واحد من المؤرخين، و بما أن أمره كان يهيم حاكم الوقت، و هو الذى يتولى تدبير هذه الامور كما هو الشأن، فإن المعتز أمر بذلك، و يمكن أنه استعان بالمعتمد فى دس السم إليه.

و أما يوم شهادته (عليه السلام) فقد قال ابن طلحه فى مطالب السؤل: أنه مات فى جمادى الآخره لخمس ليال بقين منه و وافقه ابن خشاب (٢)، و قال الكلينى فى الكافى:

مضى صلوات الله عليه لأربع بقين من جمادى الآخره (٣)؛ و وافقه المسعودى (٤).

و أما المفيد فى الإرشاد، و الإربلى فى كشف الغمه، و الطبرسى فى إعلام الورى، فقالوا: قبض (عليه السلام) فى رجب، و لم يحددوا يومه (٥).

و قال أبو جعفر الطوسى فى مصابيح، و ابن عياش، و صاحب الدروس:

ص: ١٩٩

١- ((١)) الدمعه الساكبه: ٢٢٣/٨.

٢- ((٢)) الدمعه الساكبه: ٢٢٥/٨ و ٢٢٧.

٣- ((٣)) الكافى: ١/٤٩٧.

٤- ((٤)) مروج الذهب: ٤/١٩٣.

٥- ((٥)) الدمعه الساكبه: ٢٢٦/٨ و ٢٢٧، اعلام الورى: ٣٣٩، كشف الغمه: ٢: ٣٧٦.

إنه قبض بسر من رأى يوم الاثنين ثالث رجب (١)؛ ووافقهم الفتيال النيسابورى فى روضه الواعظين حيث قال: توفى (عليه السلام) ب(سر من رأى) لثلاث ليال خلون نصف النهار من رجب (٢)؛ و للزرندى قول: بأنه توفى يوم الاثنين الثالث عشر من رجب (٣).
و لكن الكل متفقون على أنه استشهد فى سنه أربع و خمسين و مائتين للهجره (٤).

و عن الحضيفى أنه قال: حدثنى أبو الحسن على بن بلال و جماعه من إخواننا أنه لما كان اليوم الرابع من وفاه سيدنا أبى الحسن (عليه السلام) أمر المعتز بأن ينفذ الى أبى محمد (عليه السلام) من يستركبه إليه ليعزيه و يسأله، فركب أبو محمد (عليه السلام) الى المعتز فلما دخل عليه رحب به و قرّبه و عزّاه و أمر أن يثبت فى مرتبه أبيه (عليهما السلام). و أثبت له رزقه و أن يدفعه فكان الذى يراه لا يشك أنه فى صوره أبيه (عليهما السلام).

و اجتمعت الشيعة كلها من المهتدين على أبى محمد بعد أبيه إلا أصحاب فارس بن حاتم بن ماهويه فإنهم قالوا بإمامه أبى جعفر محمد بن أبى الحسن صاحب العسكر (٥).

إن ما صدر من المعتز هذا كان من باب التمويه و الخداع لكى يغطى على جريمته التى ارتكبتها بحق أبيه، و هذا كان ديدن من تقدّمه من الطواغيت تجاه أئمه أهل البيت (عليهم السلام) (٦).

ص: ٢٠٠

١- (١) الدمعه الساكبه: ٢٢٥/٨، بحار الأنوار: ٢٠٦/٥٠، ح ١٧.

٢- (٢) روضه الواعظين: ٢٤٦/١.

٣- (٣) الدمعه الساكبه: ٢٢٦/٨.

٤- (٤) راجع: لمحات من حياه الإمام الهادى (عليه السلام): ١١٢-١٢٠ محمد رضا سيويه.

٥- (٥) الدمعه الساكبه: ٢٢٥/٨.

٦- (٦) لمححه من حياه الإمام الهادى (عليه السلام): ١٢١-١٢٢.

إشاره

مدرسه الإمام الهادي (عليه السلام) و تراثه

لقد تميّز عصر الإمام الهادي (عليه السلام) عن عصر أبيه الإمام محمد الجواد (عليه السلام) بزيادة الكبت و الضغط عليه من قبل السلطه حتى كانت الرقابه الدائمه هي الأمر المميز و الفارق الواضح في حياته و حياه ابنه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام).

كما ان الإمام الهادي (عليه السلام) شارك أباه الجواد (عليه السلام) في تولّي مهمه الإمامه في صغر السن و قبل إكمال عقده الأول من العمر. فكانت الإمامه المبكره و توجّس السلطه من قياده خط المعارضه الذي دام قرنين و ثلاثه عقود من الزمن في عهده (عليه السلام)، و ترقّب ظهور المهدي من آل محمد (صلّى الله عليه و اله) من ولده هي ثلاث مميزات تميّزت بها فتره إمامته، و من هنا شدّدت الرقابه إلى أقصى حدّ ممكن حتى انتهت الى التصفيه الجسديه بعد أن سيطر الخوف و الرعب على طغاه عصره.

و من هنا فإن كثرة أصحاب الإمام -و الذين أحصاهم أحد المهتمين بتاريخ هذا الإمام العظيم (1) حيث ترجم ل(346) شخصاً كانوا قد ارتبطوا بالإمام و رووا عنه -و هو في تلك الظروف العصيه، لها دلالة كبيره و واضحه على سعه نشاط الإمام الهادي (عليه السلام) في تلك الظروف الصعبه، و عظمه هذا

ص: ٢٠١

١- (١) راجع الإمام الهادي من المهدي إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني.

الإمام الذى استوعب بنشاطه السرى و المنظم كل تلك العقبات و اجتازها بما يحقق له أهدافه من التمهيد فكريا و عقائديا و نفسيا لعصر الغيبه المرتقب محافظا على خط المعارضه بشكل تام، مراقبا للأحداث بشكل مستمر و مقدما لكل ظرف مستجد ما يتطلبه من الخطوات و الأنشطة، مراعيًا التقدم الحضارى الذى كانت الامه الإسلاميه على مشارفه و هو يريد أن تكون الجماعه الصالحه فى موقع القيادة و القمه منه دائما، و هكذا كان. و من هذه الزاويه ينبغى أن نطالع ما وصلنا من تراثه و معالم مدرسته.

و ينقسم الحديث فى هذا الفصل الى حقلين:

الأول مدرسه الإمام الهادى المتمثله فى أصحابه و رواه حديثه.

و الثانى تراثه الفكرى و العلمى المدون أو المروى عنه.

البحث الأول: أصحاب الإمام (عليه السلام) و رواه حديثه

اشاره

كان الإمام الهادى (عليه السلام) مقصدا لطلاب العلوم لتنوع ثقافته و شمول معارفه، فهو (عليه السلام) المتخصص فى جميع العلوم، و الخبير فى تفسير القرآن الكريم و المتضلع فى الفقه الإسلامى بشتى حقوله و مستوياته.

و قد مثل أصحابه الخط الرسالى فى الامه الإسلاميه، باعتبار اتصالهم بأهل البيت (عليهم السلام)، فرووا أحاديثه و دونوها فى أصولهم. فكان لهم الفضل الكبير على العالم الاسلامى بما دونوه من تراث الأئمه الطاهرين فلولاهم لضاعت ثروه كبيره تشتمل على الإبداع و الاصاله و تساير تطور الفكر البشرى بل و تتقدم عليه.

و تجدر الإشاره إلى ان كثيرا من ملامح عمل الإمام الهادى (عليه السلام) تنكشف من خلال أنشطه أتباعه المعتمدين و تتعمق هذه الحقيقه بمقدار اشتداد الظروف الداعيه للسريه فى عمل الإمام (عليه السلام).

وفيما يأتي تراجم بعض أصحاب الإمام الهادي (عليه السلام)، وقد رتبناها حسب تسلسل حروف الهجاء:

١- إبراهيم بن عبده النيسابوري:

عدّه الشيخ من اصحاب الإمام الهادي (عليه السلام) و من أصحاب الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، و ذكر الكشي ان الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) بعث رساله إلى إسحاق بن اسماعيل، سلّم فيها على ابراهيم بن عبده، و نصبه و كيلا على قبض الحقوق الشرعيه و قد بعثه إلى عبد الله بن حمدويه البيهقي، و زوده برساله جاء فيها: «و بعد، فقد بعثت لكم ابراهيم بن عبده، ليدفع النواحي، و أهل ناحيتك، حقوقى الواجبه عليكم إليه، و جعلته ثقتى و أمينى عند موالى هناك فليتقوا الله، و ليراقبوا و ليؤدوا الحقوق، فليس لهم عذر فى ترك ذلك و لا- تأخيره، و لا أشقاهم الله بعصيان اوليائه و رحمهم الله- و اياك معهم- برحمتى لهم ان الله واسع كريم.» (١)

٢- ابراهيم بن محمد الهمداني:

عده الشيخ من اصحاب الإمام الرضا (عليه السلام) و من اصحاب الإمام الجواد و الهادي (عليهما السلام)، و قال الكشي: كان و كيلا و قد حج اربعين حجه. و كتب الإمام له: «قد وصل الحساب تقبل الله منك و رضى عنهم، و جعلهم معنا فى الدنيا و الآخره، و قد بعثت اليك من الدنانير بكذا، و من الكسوه بكذا، فبارك لك فيه، و فى جميع نعمه الله عليك، و قد كتبت إلى النضر أمرته ان ينتهى عنك، و عن التعرض لك و بخلافك، و اعلمته موضعك عندى، و كتبت إلى ايوب: أمرته بذلك أيضا، و كتبت إلى موالى بهمدان كتابا امرتهم بطاعتك و المصير إلى امرك، و ان لا و كيلا لى سواك.» (٢)

و دلت هذه الروايه على وثاقته و جلاله أمره، و سمو مكانته عند الإمام (عليه السلام).

ص: ٢٠٣

١- (١) معجم رجال الحديث: ١/٢٣٢.

٢- (٢) اختيار معرفه الرجال: ٢/٨٦٩.

٣- ابراهيم بن مهزيار:

عده الشيخ من أصحاب الإمام الجواد، و من أصحاب الإمام الهادي (عليهما السلام). قال النجاشي: له كتاب البشارات. و روى الكشي بسنده عن محمد بن ابراهيم بن مهزيار، قال: ان أبي لما حضرته الوفاة دفع إليّ مالا، و أعطاني علامه و لم يعلم بها أحد إلا الله عز و جل، و قال: من أتاك بهذه العلامه فادفع إليه المال، قال: فخرجت إلى بغداد، و نزلت في خان فلما كان في اليوم الثاني جاء شيخ فطرق الباب فقلت للغلام انظر من في الباب، فخرج، ثم جاء و قال: شيخ في الباب فأذنت له في الدخول، فقال: أنا العمري، هات المال الذي عندك، و هو كذا و كذا و معه العلامه، قال: فدفعت له المال (١).

و دلت هذه الروايه على ان ابراهيم كان وكيلا للإمام (عليه السلام) في قبض الحقوق الشرعيه، و من الطبيعي انه انما يؤتمن عليها فيما إذا كان ثقه و عدلا.

٤- احمد بن اسحاق بن عبد الله الاشعري القمي:

كان وافد القميين، روى عن أبي جعفر الثاني و أبي الحسن (عليهما السلام) و كان من خاصه أبي محمد (عليه السلام)، و له من الكتب:

١- مسائل الرجال للإمام الهادي (عليه السلام).

٢- علل الصلاه.

٣- علل الصوم.

و هو ممتن رأى الإمام المهدي -عجل الله فرجه- و وردت أخبار كثيره في مدحه و الثناء عليه (٢).

ص: ٢٠٤

١- (١) خلاصه الأقوال: ٥١.

٢- (٢) رجال النجاشي: ٩١، و خلاصه الأقوال: ٦٣.

٥- احمد بن محمد بن عيسى الاشعري القمي:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا و الجواد و الهادي (عليهم السلام)، يكنّى أبا جعفر و هو شيخ القميين و وجيهم، و كان الرئيس الذي يلقي السلطان، صنّف كتباً منها: كتاب «التوحيد» و كتاب «فضل النبي (صلّى الله عليه و اله)» و كتاب «المتعه» و كتاب «النوادر» و كتاب «الناسخ و المنسوخ» و كتاب «فضائل العرب» و غيرها (١).

٦- أيوب بن نوح بن دراج:

الثقة الامين، قال النجاشي: انه كان وكيلا لأبي الحسن، و أبي محمد (عليهما السلام) عظيم المنزله عندهما، مأمونا، و كان شديد الورع، كثير العباده، ثقّه في رواياته، و ابوه نوح بن دراج كان قاضيا بالكوفه، و كان صحيح الاعتقاد، و اخوه جميل بن دراج (٢)، قال الشيخ: أيوب بن نوح بن دراج ثقّه له كتاب و روايات و مسائل عن أبي الحسن الثالث (٣). و قال الكشي:

كان من الصالحين و مات و ما خلف إلا مائه و خمسين ديناراً، روى عن الإمام أبي الحسن (عليه السلام) و روى عنه جماعه من الرواه (٤).

٧- الحسن بن راشد:

يكنى أبا على مولى لآل المهلب البغدادي، ثقّه.

ص: ٢٠٥

١- (١) معجم رجال الحديث: ٨٦/٣.

٢- (٢) رجال النجاشي: ١٠٢.

٣- (٣) الفهرست: ٥٦.

٤- (٤) رجال النجاشي: ١٠٢.

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الهادي (عليه السلام) و عدّه الشيخ المفيد من الفقهاء الاعلام و الرؤساء المأخوذ عنهم الحلال و الحرام الذين لا يطعن عليهم بشيء و لا طريق لذم واحد منهم، و قد نصبه الإمام و كيلا و بعث إليه بعده رسائل منها (١):

١- ما رواه الكشي بسنده إلى محمد بن عيسى اليقطيني، قال: كتب- يعني الإمام الهادي- إلى أبي علي بن بلال في سنة (٢٣٢ هـ) رساله جاء فيها:

«و احمد الله اليك، و اشكر طوله و عوده، و اصلى على محمد النبي و آله، صلوات الله و رحمته عليهم، ثم انى اقامت ابا علي مقام الحسين بن عبد ربه، و اتممته على ذلك بالمعرفه بما عنده الذي لا- يقدمه أحد، و قد اعلم انك شيخ ناحيتك فاحببت افرادك، و اكرامك بالكتاب بذلك، فعليك بالطاعه له، و التسليم إليه جميع الحق قبلك، و ان تحض موالي على ذلك، و تعرفهم من ذلك ما يصير سببا إلى عونته و كفايته، فذلك موفور، و توفير علينا، و محبوب لدينا، و لك به جزاء من الله و أجر، فان الله يعطى من يشاء ذو الاعطاء و الجزاء برحمته، و انت فى وديعه الله، و كتبت بخطي و احمد الله كثيرا» (٢).

و دلت هذه الرساله على فضل ابن راشد و وثاقته و امانته، فقد ارجع إليه الشيعة و اوصاهم بطاعته و الانقياد إليه، و تسليم ما عندهم من الحقوق الشرعيه إليه.

٢- روى الكشي بسنده إلى احمد بن محمد بن عيسى قال: نسخت الكتاب مع ابن راشد إلى جماعه الموالي الذين هم ببغداد المقيمين بها و المدائن و السواد و ما يليها، و هذا نصه:

ص: ٢٠٦

١- (١) رجال الطوسي: ٣٧٥.

٢- (٢) معجم رجال الحديث: ٣١٣/٥-٣١٤.

«و احمد الله اليكم ما انا عليه من عافيته، و اصلى على نبيه و آله افضل صلاته و اكمل رحمته و رأفته، و انى اقامت ابا على بن راشد مقام على بن الحسين بن عبد ربه، و من كان من قبله من وكلائى، و صار فى منزلته عندى، و وليته ما كان يتولاه غيره من وكلائى قبلكم ليقبض حقى، و ارتضيته لكم، و قدمته على غيره فى ذلك، و هو أهله و موضعه، فصيروا رحمكم الله إلى الدفع إليه ذلك و إلى، و ان لا تجعلوا له على انفسكم عله، فعليكم بالخروج عن ذلك، و التسرع إلى طاعه الله، و تحليل اموالكم، و الحقن لدمائكم، و تعاونوا على البر و التقوى و اتقوا الله لعلمكم ترحمون، و اعتصموا بحبل الله جميعا، و لا تموتن إلا و انتم مسلمون، فقد اوجبت فى طاعته طاعتي، و الخروج إلى عصيانه عصياني، فالزموا الطريق يأجركم الله، و يزيدكم من فضله، فإن الله بما عنده واسع كريم، متطول على عباده رحيم، نحن و انتم فى وديعه الله و حفظه، و كتبته بخطى، و الحمد لله كثيرا» (١)

و كشفت هذه الرساله عن سمو مكانه ابن راشد عند الإمام (عليه السلام) و عظيم منزلته عنده حتى قرن طاعته بطاعته (عليه السلام)، و عصيانه بعصيانه (عليه السلام).

٣- و بعث الإمام أبو الحسن (عليه السلام) رساله له و الى ايوب بن نوح جاء فيها بعد البسملة: «انا آمرك يا ايوب بن نوح ان تقطع الاكثار بينك و بين أبى على، و ان يلزم كل واحد منكما ما و كل به، و امر بالقيام فيه بأمر ناحيته، فإنكم إذا انتهيتم إلى كل ما امرتم به استغنيتم بذلك عن معاودتى، و آمرك يا ابا على بمثل ما امرت به ايوب، ان لا تقبل من احد من اهل بغداد و المدائن شيئا يحملونه، و لا يلى لهم استيذانا على، و مر من أتاك بشيء من غير أهل ناحيتك ان يصيره إلى الموكل بناحيته، و آمرك يا أبا على فى ذلك بمثل ما أمرت به أيوب، و ليعمل كل واحد منكما بمثل ما أمرته به» (٢).

ص: ٢٠٧

١- (١) معجم رجال الحديث: ٣١٤/٥.

٢- (٢) معجم رجال الحديث: ٣١٥/٥.

لقد كانت لأبى راشد مكانه مرموقه عند الإمام(عليه السلام)،و من الطبيعى انه لم يحتل هذه المنزله إلا بتقواه و ورعه،و شدّه تخرجه فى الدين،و لما توفى ابن راشد ترحم عليه الإمام(عليه السلام)و دعا له بالمغفره و الرضوان.

٨-الحسن بن على:

ابن عمر،بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب الناصر للحق من أصحاب الإمام أبى الحسن الهادى(عليه السلام).و هو والد جدّ السيد المرتضى من جهه امه،قال السيد(قدّس سرّه)فى اول كتابه«شرح المسائل الناصريات»:و اما أبو محمد الناصر الكبير و هو الحسن بن على ففضله فى علمه و زهده و فقهه أظهر من الشمس الباهره،و هو الذى نشر الاسلام فى الديلم حتى اهدوا به من الضلاله،و عدلوا بدعائه بعد الجهاله،و سيرته الجميله اكثر من ان تحصى و اظهر من ان تخفى (١).

٩-الحسن بن على الوشا:

عده الشيخ من اصحاب الإمام أبى الحسن الهادى(عليه السلام).

قال النجاشى:انه ابن بنت الياس الصيرفى الخزاز،و قد روى الحسن عن جده الياس انه لما حضرته الوفاه،قال:اشهدوا على و ليست ساعه الكذب هذه الساعه:سمعت ابا عبد الله(عليه السلام)يقول:و الله لا يموت عبد يحب الله و رسوله و يتولى الأئمه فتمسه النار.

ص:٢٠٨

و روى احمد بن محمد بن عيسى قال: خرجت إلى الكوفة في طلب الحديث فلقيت بها الحسن بن على الوشاء، فسألته ان يخرج لى كتاب العلاء بن رزين القلاء و ابان بن عثمان الاحمر، فاخرجهما لى فقلت له: احب ان تجيزهما لى فقال لى: يا هذا رحمك الله، و ما عجلتك، اذهب فاكتبهما، و اسمع من بعد، فقلت: لا آمن الحدثنان، فقال: لو علمت ان هذا الحديث يكون له هذا الطلب لاستكثرت منه، فإنى ادركت فى هذا المسجد- يعنى مسجد الكوفة- تسعمائه شيخ كل يقول: حدثنى جعفر بن محمد، و كان هذا الشيخ عينا من عيون هذه الطائفة و له كتب منها ثواب الحج، و المناسك و النوادر (١).

١٠- داود بن القاسم الجعفرى:

يكنى ابا هاشم، من اهل بغداد، جليل القدر عظيم المنزله عند الأئمة (عليهم السّلام) شاهد الإمام الرضا و الجواد و الهادى و العسكرى و صاحب الأمر (عليه السّلام)، و روى عنهم كلهم، و له اخبار و مسائل و له شعر جيد فيهم، و كان مقدا عند السلطان و له كتاب.

عدّه البرقى من اصحاب الإمام الجواد و الإمام الهادى و الإمام الحسن العسكرى (عليهم السّلام) قال الكشى: قال أبو عمرو: له -اى لداود- منزله عاليه عند أبى جعفر، و أبى الحسن، و ابى محمد (عليهم السّلام) و موقع جليل (٢).

ص: ٢٠٩

١- ((١)) معجم رجال الحديث: ٣٨/٦.

٢- ((٢)) اختيار معرفة الرجال: ٨٤١/٢.

١١- الريان بن الصلت:

عدّه الشيخ من اصحاب الإمام الرضا (عليه السلام)، و من اصحاب الإمام الهادي (عليه السلام) و اضاف انه ثقه، و روى الكشي بسنده عن معمر بن خلاد، قال:

قال لى الريان بن الصلت: و كان الفضل بن سهل بعثه إلى بعض كور خراسان، فقال: احب ان تستأذن لى على أبى الحسن (عليه السلام) فأسلم عليه و اودعه و احب ان يكسونى من ثيابه، و ان يهب لى من الدراهم التى ضربت باسمه، قال:

فدخلت عليه، فقال لى مبتدئا: يا معمر أين ريان، أيجب أن يدخل علينا فأكسوه من ثيابى، و أعطيه من دراهمى؟ قال: قلت: سبحان الله!!! و الله ما سألتى إلا- ان أسألك ذلك له، فقال: يا معمر ان المؤمن موفق، قل له فليجيئ، قال: فأمرته فدخل عليه فسلم عليه فدعا بثوب من ثيابه، فلما خرج قلت: اى شىء اعطاك؟ و إذا بيده ثلاثون درهما (١). و قد دلّت هذه البادره على حسن ايمانه و حسن عقيدته.

١٢- عبد العظيم الحسنى:

هو السيد الشريف الحسين النسيب من مفاخر الاسره النبويه علما و تقى و تخرجوا فى الدين. و نلمح إلى بعض شؤونه.

أ- نسبه الواضح: يرجع نسبه الشريف إلى الإمام الزكى أبى محمد الحسن بن على سيد شباب أهل الجنة و ربحانه رسول الله (صلّى الله عليه و اله) فهو ابن عبد الله بن على بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب (عليه السلام).

ب- وثاقته و علمه: كان ثقه عدلا، متخرجوا فى دينه كأشد ما يكون التخرج، كما كان عالما و فاضلا و فقيها فقد روى أبو تراب الرويانى، قال: سمعت أبا حماد الرازى، يقول: دخلت على على بن محمد (عليه السلام) ب (سر من رأى)

ص: ٢١٠

فسألته عن أشياء من الحلال و الحرام فأجابني عنها، فلما ودعته قال لي:

يا حماد إذا اشكل عليك شيء من امر دينك بناحيتك فسل عنه عبد العظيم الحسنى و اقرئه منى السلام (١).

و دلت هذه الروايه على فقهه و علمه.

ج- عرض عقيدته على الهادى (عليه السّلام): و تشرف السيد الجليل عبد العظيم بمقابله الإمام الهادى (عليه السّلام) فعرض على الإمام اصول عقيدته و ما يدين به قائلا:

«يا ابن رسول الله انى اريد ان اعرض عليك دينى فإن كان مرضيا ثبتّ عليه..».

فقاله الإمام مبتسما و قال له: «هات يا أبا القاسم».

و انبرى عبد العظيم يعرض على الإمام المبادئ التى آمن بها قائلا:

«انى اقول: ان الله تبارك و تعالى ليس كمثل شىء، خارج عن الحدين، حد الإبطال و حد التشبيه، و انه ليس بجسم و لا صور و لا عرض و لا جوهر بل هو مجسم الاجسام و مصور الصور و خالق الاعراض و الجواهر و رب كل شىء و مالكه و جاعله و محدثه.

و ان محمدا عبده و رسوله خاتم النبيين، فلا نبى بعده إلى يوم القيامة، و ان شريعته خاتمه الشرايع فلا شريعته بعدها إلى يوم القيامة، و اقول: ان الإمام و الخليفه، و لى الامر بعده أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السّلام) ثم الحسن ثم الحسين ثم على بن الحسين ثم محمد بن على ثم جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم على بن موسى ثم محمد بن على ثم انت يا مولاي».

و التفت إليه الإمام فقال: «و من بعدى الحسن ابنى، فكيف للناس بالخلف من بعده؟».

ص: ٢١١

و استفسر عبد العظيم عن الحججه من بعده قائلاً: وكيف ذاك يا مولاي؟ قال الإمام (عليه السلام): «لأنه لا يرى شخصه، ولا يحل ذكره باسمه، حتى يخرج فيملاً الأرض قسطاً و عدلاً، كما ملئت ظلماً و جوراً».

و انبرى عبد العظيم يعلن ايمانه بما قال الإمام (عليه السلام) قائلاً: «اقررت، و اقول: ان وليهم ولي الله، و عدوهم عدو الله و طاعتهم طاعه الله، و معصيتهم معصيه الله... و اقول: ان المعراج حق و المساءله فى القبر حق و ان الجنة حق و النار حق و الصراط حق و الميزان حق و ان الساعه آتية لا ريب فيها و ان الله يبعث من فى القبور».

و أقول: ان الفرائض الواجبه بعد الولاية -أى الولاية لأئمه أهل البيت (عليهم السلام)- الصلاة و الزكاه و الصوم و الحج و الجهاد و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر..»

و بارك له الإمام عقيدته قائلاً: «يا أبا القاسم هذا و الله دين الله الذى ارتضاه لعباده، فاثبت عليه ثبتك الله بالقول الثابت فى الحياه الدنيا و الآخرة» (١).

١٣- عثمان بن سعيد العمري السمان:

يكنى أبا عمرو، الثقة الزكى، خدم الإمام الهادى (عليه السلام) و له من العمر احدى عشره سنه، احتل المكانه المرموقه عند الإمام (عليه السلام)، فقد روى احمد ابن اسحاق القمى قال: دخلت على أبى الحسن على بن محمد صلوات الله عليه فى يوم من الايام فقلت له: يا سيدى أنا أغيب و أشهد، و لا يتهيأ لى الوصول إليك إذا شهدت فى كل وقت فقول من نقبل، و أمر من نمتل؟ فقال (عليه السلام):

ص: ٢١٢

١- ((١)) كمال الدين: ٣٧٩ ح ١ و عنه فى اعلام الورى: ٢٤٤، ٢٤٥.

هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ما قاله لكم فعنّي يقوله، و ما آذاه اليكم فعنّي يؤديه.

فلما قضى أبو الحسن (عليه السّلام) نجه رجعت إلى أبي محمد ابنه الحسن العسكري و قلت له (عليه السّلام) ذات يوم: مثل قولى لأبيي، فقال لي: هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ثقه الماضين، و ثقّتي في المحيا و الممات، فما قاله لكم فعنّي يقوله، و ما

آذى اليكم فعنّي يؤديه (١).

و دلّت هذه الروايه على وثاقته، و أنّه قد نال المنزله الكريمه عند الأئمه الطاهرين (عليهم السّلام)، كما دلّت على فضله و علمه، و انه كان مرجعا للفتيا و أخذ الاحكام.

١٤- على بن مهزيار الاهوازي الدورقي:

كان من مفاخر العلماء و من مشاهير تلاميذ الإمام الهادي (عليه السّلام) و نتحدث بايجاز عن بعض شؤونه:

أ- عبادته: كان من عيون المتقين و الصالحين، و يقول المؤرخون: انه كان إذا طلعت الشمس سجد لله تعالى، و كان لا يرفع رأسه حتى يدعو لألف من اخوانه بمثل ما دعا لنفسه، و كان على جبهته سجاده مثل ركبته البعير من كثره سجوده (٢).

ب- ثناء الإمام الجواد (عليه السّلام) عليه: و أتنى الإمام الجواد (عليه السّلام) ثناء عاطرا على ابن مهزيار، و كان مما أتنى عليه انه بعث له رساله جاء فيها:

ص: ٢١٣

١- (١) معجم رجال الحديث: ١٢/١٢٣.

٢- (٢) اختيار معرفه الرجال: ٨٢٥/٢.

«يا على قد بلوتك و خبرتك فى النصيحة و الطاعة و الخدمه و التوقير، و القيام بما يجب عليك، فلو قلت: إني لم أر مثلك لرجوت ان اكون صادقاً فجزاك الله جنات الفردوس نزلاً- و ما خفى على مقامك و لا خدمتك، فى الحر و البرد، فى الليل و النهار، فاسأل الله إذا جمع الخلائق للقيامه ان يحبوك برحمه تغتبط بها انه سمع الدعاء» (١).

و كشفت هذه الرساله عن إكبار الإمام و تقديره و دعائه له، و انه (عليه السلام) لم ير فى أصحابه و غيرهم مثل هذا الزكى تقوى و ورعا و علما.

ج- مؤلفاته: ألف على مجموعته من الكتب تزيد على ثلاثين كتاباً كان معظمها فى الفقه و هذه بعضها: كتاب الوضوء، كتاب الصلاة، كتاب الزكاه، كتاب الصوم، كتاب الحج، كتاب الطلاق، كتاب الحدود، كتاب الديات، كتاب التفسير، كتاب الفضائل، كتاب العتق و التدبير، كتاب التجارات و الاجارات، كتاب المكاسب، كتاب المثالب، كتاب الدعاء، كتاب التجميل و المروءه، كتاب المزار، و غيرها (٢).

د- طبقتة فى الحديث: وقع على بن مهزيار فى اسناد كثير من الروايات تبلغ (٤٣٧) مورداً، روى عن الإمام أبى جعفر الثانى و أبى الحسن الثالث و غيرهم. لقد كان على بن مهزيار من دعائم الفكر الشيعى، و كان من أفذاذ عصره و علماء دهره.

ص: ٢١٤

١- (١) معجم رجال الحديث: ٢١١/١٣.

٢- (٢) رجال النجاشى: ٢٥٣.

اشاره

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام أبى الحسن الهادى(عليه السلام)،و هو من أساطين العلماء،و من ابرز رجال الفكر الاسلامى فى عصره،خاض فى مختلف العلوم و الفنون و ألّف فيها،و نعرض بايجاز لبعض شؤونه:

أ-ثناء الإمام الحسن العسكرى(عليه السلام)عليه:

و اشاد الإمام الحسن العسكرى(عليه السلام)بالفضل بن شاذان،و أثنى عليه ثناء عاطرا،فقد عرضت عليه احدى مؤلفاته فنظر فيه فترحم عليه و قال:

«أعبط اهل خراسان بمكان الفضل بن شاذان و كونه بين اظهرهم» (١).

و نظر(عليه السلام)مره اخرى إلى مؤلف آخر من مؤلفاته فترحم عليه ثلاث مرات،و قال مقرضا للكتاب:«هذا صحيح ينبغي ان يعمل به» (٢).

ب-ردّه على المخالفين:انبرى الفضل للدفاع عن مبادئه،و إبطال الشبهه التى اثيرت حول عقيدته،و قد قال:انا خلف لمن مضى ادركت محمد بن أبى عمير،و صفوان بن يحيى و غيرهما،و حملت عنهم منذ خمسين سنه، و مضى هشام بن الحكم(رحمه الله)،و كان يونس بن عبد الرحمن(رحمه الله)خلفه،كان يرد على المخالفين،ثم مضى يونس بن عبد الرحمن و لم يخلف خلفا غير السكاك،فردّ على المخالفين حتى مضى(رحمه الله)،و انا خلف لهم من بعدهم

ص:٢١٥

١- (١) جامع الرواه:٥/٢.

٢- (٢) طرائف المقال:٢/٦٣٢.

رحمهم الله» (١). لقد كان خلفا لاولئك الأعلام الذين نافحوا و ناضلوا عن مبادئهم الرفيعة التي تبناها أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

ج- مؤلفاته: أُلّف هذا العالم الكبير فى مختلف العلوم، كعلم الفقه و علم التفسير و علم الكلام و الفلسفه و اللغه و المنطق و غيرها، و كانت مؤلفاته تروى على مائه و ثمانين مؤلفا و قد ذكر بعضها الشيخ و النجاشى و ابن النديم و غيرهم.

١٦- محمد بن احمد المحمودى:

يكنى ابا على، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام أبى الحسن الهادى (عليه السلام)، قال الكشى: وجدت بخط أبى عبد الله الشاذانى فى كتابه: سمعت الفضل بن هاشم الهروى يقول: ذكر لى كثره ما يحجّ المحمودى، فسألته عن مبلغ حجّاته فلم يخبرنى بمبلغها، و قال: رزقت خيرا كثيرا و الحمد لله، فقلت له:

فتحجّ عن نفسك او غيرك؟ فقال: عن غيرى بعد حجّ الاسلام أحجّ عن رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و أجعل ما أجازنى الله عليه لاولياء الله و أهب ما أتاب على ذلك للمؤمنين و المؤمنات، فقلت: ما تقول فى حجّتك؟ فقال: اقول: اللهم انى اهلت لرسولك محمد (صلّى الله عليه و اله) و جعلت جزائى منك و منه لاوليائك الطاهرين (عليهم السلام)، و وهبت ثوابى عنهم لعبادك المؤمنين و المؤمنات بكتابك و سنه نبيك (صلّى الله عليه و اله)... إلى آخر الدعاء (٢).

ص: ٢١٦

١- (١) اختيار معرفه الرجال: ١١٨/٢.

٢- (٢) اختيار معرفه الرجال: ٧٩٨/٢.

١٧- محمد بن الحسن بن أبي الخطاب الزيات:

الكوفي الثقة، عدّه الشيخ من اصحاب الإمام علي الهادي (عليه السلام)، قال النجاشي: انه كان جليلا من اصحابنا، عظيم القدر، كثير الروايه، ثقّه، عين، حسن التصانيف، مسكون إلى روايته له كتاب التوحيد، كتاب المعرفه و البدار، كتاب الرد على أهل القدر، كتاب الإمامه، كتاب اللؤلؤه، كتاب وصايا الأئمه، كتاب النوادر.

١٨- محمد بن الفرّج الرخجي:

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الهادي (عليه السلام) كانت له اتصالات وثيقه بالامام (عليه السلام)، و جرت بينهما عدّه مراسلات، و منها: ما رواه الكشي بسنده عن محمد بن الفرّج: قال: كتبت إلى أبي الحسن (عليه السلام) اسأله عن أبي علي بن راشد، و عن عيسى بن جعفر بن عاصم و ابن بند، فكتب (عليه السلام) اليّ: ذكرت ابن راشد (رحمه الله) فإنه عاش سعيدا، و مات شهيدا، و دعا لابن بند و العاصمي (١).

و قد مرّت بعض المراسلات الاخرى له مع الإمام (عليه السلام) و هي تكشف عن ثقّه الإمام بمحمد و تسديده له، و لما مرض محمد بعث له الإمام أبو الحسن (عليه السلام) بثوب فأخذه و وضعه تحت رأسه فلما توفّي كفن فيه.

١٩- معاويه بن حكيم بن معاويه بن عمار الكوفي:

عدّه الشيخ من اصحاب الإمام الهادي (عليه السلام)، قال النجاشي فيه: انه ثقّه جليل من اصحاب الرضا (عليه السلام) قال أبو عبد الله الحسين: سمعت شيوخنا يقولون: روى معاويه بن حكيم أربعة و عشرين أصلا... و له كتب منها كتاب الطلاق، كتاب الحيض، كتاب الفرائض، كتاب النكاح، كتاب الحدود، كتاب الديّات، و له نوادر (٢).

ص: ٢١٧

١- ((١)) اختيار معرفه الرجال: ٨٦٣/٢.

٢- ((٢)) رجال النجاشي: ٤١٢.

أبو يوسف الدورقي الاهوازي المشهور بابن السكيت، عدّه الشيخ من اصحاب الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام)، كان مقدما عند أبي جعفر الثاني و ابي الحسن (عليه السلام) و كانا يختصّانه، و له عن الإمام أبي جعفر (عليه السلام) روايه و مسائل. كان ابن السكيت حامل لواء علم العربيه و الادب و الشعر و اللغه و النحو و له تصانيف كثيره منها «تهذيب الالفاظ» و كتاب «اصلاح المنطق»... قتله المتوكل لولائه لأهل البيت (عليهم السلام).

النساء:

و لم يذكر الشيخ الطوسي من النساء اللاتي روين عن الإمام الهادي (عليه السلام) سوى السيده الكريمه كلثم الكرخيه، و قد عدّها الشيخ من أصحاب الإمام الهادي (عليه السلام) و أضاف أنّ الزاوي عنها هو عبد الرحمن الشعيري، و هو أبو عبد الرحمن بن داود البغدادي (١).

ص: ٢١٨

١- (١) اقتبسنا ما ورد في هذا الفصل عن أصحاب الإمام الهادي (عليه السلام) من «حياه الإمام على الهادي»: ١٧٠ - ٢٣٠ للشيخ باقر شريف القرشي.

١- من تراثه التفسيري:

١- روى العياشي باسناده عن حمدويه، عن محمد بن عيسى قال:

سمعتَه يقول: كتب إليه ابراهيم بن عنبسه -يعنى إلى علي بن محمد (عليه السلام) - ان رأى سيدي و مولاي أن يخبرني عن قول الله: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخُمْرِ وَالْمَيْسِرِ فَمَا الْمَيْسِرُ جَعَلْتُمْ فَدَاكُ؟

فكتب (عليه السلام): كل ما قومر به فهو الميسر و كل مسكر حرام (١).

٢- روى باسناده عن أيوب بن نوح بن دراج قال: سألت أبا الحسن الثالث (عليه السلام) عن الجاموس و أعلمته أن اهل العراق يقولون انه مسخ، فقال: أو ما سمعت قول الله: وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ (٢).

٣- روى العياشي باسناده عن موسى بن محمد بن علي عن أخيه أبي الحسن الثالث (عليه السلام) قال: الشجرة التي نهى الله آدم و زوجته أن يأكلا منها شجره الحسد، عهد إليهما أن لا ينظر الى من فضل الله عليه و على خلائقه بعين الحسد، و لم يجد الله له عزا (٣).

ص: ٢١٩

١- (١) تفسير العياشي: ١٠٦/١.

٢- (٢) تفسير العياشي: ٣٨٠/١.

٣- (٣) تفسير العياشي: ٩/١.

١- عن أحمد بن إسحاق، قال: كتبت إلى أبي الحسن الثالث (عليه السلام) أسأله عن الرؤيه و ما اختلف فيه الناس؟ فكتب: لا تجوز الرؤيه، ما لم يكن بين الرائي و المرئي هواء ينفذه البصر فإذا انقطع الهواء عن الرائي و المرئي لم تصح الرؤيه؛ و كان في ذلك الاشتباه، لأنّ الرائي متى ساوى المرئي في السبب الموجب بينهما في الرؤيه وجب الاشتباه و كان ذلك التشبيه لأنّ الأسباب لا بدّ من اتّصالها بالمسببات (١).

٢- عن بشر بن بشار النيسابوري قال: كتبت إلى الرّجل (عليه السلام): إنّ من قبلنا قد اختلفوا في التوحيد، فمنهم من يقول: [هو] جسم و منهم من يقول:

[هو] صورته. فكتب إليّ: سبحان من لا يحدّ و لا يوصف و لا يشبهه شيء و ليس كمثله شيء و هو السميع البصير (٢).

٣- عن عليّ بن إبراهيم، عن المختار بن محمّد بن المختار الهمدانيّ، و محمّد بن الحسن، عن عبد الله بن الحسن العلويّ جميعاً عن الفتح بن يزيد الجرجاني، عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: سمعته يقول: و هو اللطيف الخبير السميع البصير الواحد الأحد الصمد، لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد، لو كان كما يقول المشبهه لم يعرف الخالق من المخلوق و لا المنشئ من المنشأ، لكنّه المنشئ. فرّق بين من جسّمه و صورّه و أنشأه إذ كان لا يشبهه شيء و لا يشبهه هو شيئاً.

قلت: أجل جعلني الله فداك لكنّك قلت: الأحد الصمد و قلت: لا يشبهه شيء و الله واحد و الإنسان واحد أليس قد تشابهت الوحدانيّه؟

قال: يا فتاح أحلت ثبّتك الله إنّما التشبيه في المعاني، فأما في الأسماء فهي واحده

ص: ٢٢٠

١- (١) الكافي: ٩٧/١، و التوحيد: ١٠٩.

٢- (٢) الكافي: ١٠٢/١.

و هي دالّة على المسمّى و ذلك أنّ الإنسان و إن قيل واحد فإنّه يخبر أنّه جثّه واحد و ليس باثنين و الإنسان نفسه ليس بواحد لأنّ أعضائه مختلفه و ألوانه مختلفه و من ألوانه مختلفه غير واحد و هو أجزاء مجزّاه، ليست بسواء. دمه غير لحمه و لحمه غير دمه و عصبه غير عروقه و شعره غير بشره و سواده غير بياضه و كذلك سائر جميع الخلق، فالإنسان واحد في الاسم و لا واحد في المعنى و الله جلّ جلاله هو واحد لا واحد غيره لا- اختلاف فيه و لا- تفاوت و لا- زياده و لا نقصان، فأما الإنسان المخلوق المصنوع المؤلّف من أجزاء مختلفه و جواهر شتى غير أنّه بالاجتماع شيء واحد.

قلت: جعلت فداك فرجت عنّي فرج الله عنك، فقولك: اللطيف الخبير فسّره لي كما فسرت الواحد فإنّي أعلم أنّ لطفه على خلاف لطف خلقه المفصل غير أنّي أحبّ أن تشرح ذلك لي.

فقال: يا فتح إنّما قلنا: اللطيف للخلق اللطيف [و] العلم بالشيء اللطيف أو لا- ترى وفّقك الله و ثبتك إلى أثر صنعه في النبات اللطيف و غير اللطيف و من الخلق اللطيف و من الحيوان الصغار و من البعوض و الجرجس و ما هو أصغر منها ما لا يكاد تستبينه العيون، بل لا يكاد يستبان لصغره الذكر من الانثى و الحدث المولود من القديم.

فلما رأينا صغر ذلك في لطفه و اهتداه للسفاد و الهرب من الموت و الجمع لما يصلحه و ما في لجج البحار و ما في لحاء الأشجار و المفاوز و القفار و إفهام بعضها عن بعض منطقتها و ما يفهم به أولادها عنها و نقلها الغذاء إليها ثمّ تأليف ألوانها حمرة مع صفرة و بياض مع حمرة و أنّه ما لا تكاد عيوننا تستبينه لدمامه خلقها. لا تراه عيوننا و لا تلمسه أيدينا علمنا أنّ خالق هذا الخلق لطيف لطف بخلق ما سمّيناه بلا علاج و لا أداه و لا آله و أنّ كلّ صانع شيء فمن شيء صنع و الله الخالق اللطيف الجليل خلق و صنع لا من شيء (١).

ص: ٢٢١

٤- عن علي بن إبراهيم، عن المختار بن محمد الهمداني و عن محمد بن الحسن، عن عبد الله بن الحسن العلوي جميعاً، عن الفتح بن يزيد الجرجاني، عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: إنَّ لله إرادتين و مشيئتين: إرادته حتم و إرادته عزم، ينهي و هو يشاء و يأمر و هو يشاء.

أو ما رأيت أنه نهى آدم و زوجته أن يأكلا من الشجرة و شاء ذلك و لو لم يشأ أن يأكلا لما غلبت مشيئتهما مشيئته الله تعالى، و أمر إبراهيم أن يذبح اسحاق و لم يشأ أن يذبحه و لو شاء لما غلبت مشيئته إبراهيم مشيئته الله تعالى (١).

٥- عن أيوب بن نوح أنه كتب إلى أبي الحسن (عليه السلام) يسأله عن الله عزَّ و جلَّ أكان يعلم الأشياء قبل أن خلق الأشياء و كونهما، أو لم يعلم ذلك حتَّى خلقها و أراد خلقها و تكوينها، فعلم ما خلق عند ما خلق و ما كَوَّن عند ما كَوَّن؟ فوقع (عليه السلام) بخطه: لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء كعلمه بالأشياء بعد ما خلق الأشياء (٢).

٦- عن الفتح بن يزيد الجرجاني عن أبي الحسن (عليه السلام)، قال: سألته عن أدنى المعرفة، فقال: الإقرار بأنَّه لا إله غيره و لا شبه له و لا نظير و أنَّه قديم مثبت موجود غير فقيد و أنَّه ليس كمثله شيء (٣).

٧- عن معلى بن محمد، قال: سئل العالم (عليه السلام) كيف علم الله؟ قال:

علم، و شاء، و أراد، و قدَّر، و قضى، و أبدى فأمضى ما قضى، و قضى ما قدَّر، و قدَّر ما أراد، فبعلمه كانت المشيئة، و بمشيئته كانت الإرادة، و بإرادته كان التقدير، و بتقديره كان

ص: ٢٢٢

١- ((١)) اصول الكافي: ١/١٥١. و اعلم ان الروايه مشتمله على كون المأمور بالذبح اسحاق دون اسماعيل و هو خلاف ما تظافت عليه أخبار الشيعة.

٢- ((٢)) التوحيد: ١٤٥.

٣- ((٣)) التوحيد: ٢٨٣.

القضاء، وبقضائه كان الإمضاء.

فالعلم متقدّم المشيّه و المشيّه ثانيه، و الإراده ثالثه، و التقدير واقع على القضاء بالإمضاء، فلله تبارك و تعالى البدء فيما علم متى شاء و فيما أراد لتقدير الأشياء، فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بدء.

فالعلم بالمعلوم قبل كونه، و المشيّه فى المنشأ قبل عينه، و الإراده فى المراد قبل قيامه، و التقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها و توصيلها عيانا و قياما، و القضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات ذوات الأجسام.

المدركات بالحواسّ من ذى لون و ريح و وزن و كيل و ما دبّ و درج من إنس و جنّ و طير و سباع و غير ذلك ممّا يدرك بالحواسّ، فلله تبارك و تعالى فيه البدء ممّا لا عين له، فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بدء.

و الله يفعل ما يشاء، و بالعلم علم الأشياء قبل كونها، و بالمشيّه عرف صفاتها و حدودها و أنشأها قبل إظهارها و بالإرادة ميّز أنفسها فى ألوانها و صفاتها و حدودها، و بالتقدير قدر أوقاتها و عرف أولها و آخرها، و بالقضاء أبان للنّاس أماكنها و دلّهم عليها، و بالإمضاء شرح عللها، و أبان أمرها، و ذلك تقدير العزيز العليم (١).

قال (عليه السّلام): إنّ الله لا يوصف إلا بما وصف به نفسه؛ و أتى يوصف الذى تعجز الحواسّ أن تدركه و الأوهام أن تتاله و الخطرات أن تحدّه و الأبصار عن الاحاطه به. نأى فى قربه و قرب فى نأيه، كيف الكيف بغير أن يقال: كيف، و أين الأين بلا- أن يقال: أين، هو منقطع الكيفيه و الأيتيه، الواحد الأحد، جلّ جلاله و تقدّست أسماؤه (٢).

ص: ٢٢٣

١- (١) التوحيد: ٣٣٤.

٢- (٢) تحف العقول: ٣٥٧.

من علي بن محمّد؛سلام عليكم و على من أتبع الهدى و رحمه الله و بركاته؛فإنّه ورد على كتابكم (١)و فهمت ما ذكرت من اختلافكم فى دينكم و خوضكم فى القدر و مقاله من يقول منكم بالجبر و من يقول بالتفويض و تفرّقكم فى ذلك و تقاطعكم و ما ظهر من العداوه بينكم،ثم سألتموني عنه و بيانه لكم و فهمت ذلك كلّ.

اعلموا رحمكم الله أنا نظرنا فى الآثار و كثره ما جاءت به الأخبار فوجدناها عند جميع من ينتحل الإسلام ممّن يعقل عن الله جلّ و عزّ لا تخلو من معنيين: إمّا حقّ فيتبع و إمّا باطل فيجتنب.و قد اجتمعت الامّه قاطبه لا اختلاف بينهم أنّ القرآن حقّ لا ريب فيه عند جميع أهل الفرق و فى حال اجتماعهم مقرّون بتصديق الكتاب و تحقيقه،مصيبون، مهتدون و ذلك بقول رسول الله(صلّى الله عليه و اله):«لا- تجتمع امّيتى على ضلاله»فأخبر أنّ جميع ما اجتمعت عليه الامّه كلّها حقّ،هذا إذا لم يخالف بعضها بعضا.و القرآن حقّ لا اختلاف بينهم فى تنزيله و تصديقه.فإذا شهد القرآن بتصديق خبر و تحقيقه و أنكر الخبر طائفه من الامّه لزمهم الإقرار به ضروره حين اجتمعت فى الأصل على تصديق الكتاب،فإن[هى] جحدت و أنكرت لزمها الخروج من المله.

فأول خبر يعرف تحقيقه من الكتاب و تصديقه و التماس شهادته عليه خبر ورد عن رسول الله(صلّى الله عليه و اله)و وجد بموافقه الكتاب و تصديقه بحيث لا تخالفه أقاويلهم؛حيث قال:

«إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله و عترتى-أهل بيتى-لن تضلّوا ما تمسّكتم بهما و إنهما لن يفترقا حتّى يردا على الحوض».فلمّا وجدنا شواهد هذا الحديث فى كتاب الله نصّا مثل قوله جلّ و عزّ:﴿إِنَّمَا وَرِثَكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ﴾ وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللَّهُ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ

ص:٢٢٤

١- (١) رواها الطبرسى بتلخيص فى الاحتجاج تحت عنوان رسالته(عليه السلام)إلى أهل الاهواز حين سأله عن الجبر و التفويض،راجع بحار الأنوار: ٥٠/٦٨.

الْغَالِبُونَ (١). و روت العامه في ذلك أخبارا لأمير المؤمنين (عليه السلام) أنه تصدق بخاتمته و هو راع فشكر الله ذلك له و أنزل الآية فيه. فوجدنا رسول الله (صلى الله عليه و اله) قد أتى بقوله: «من كنت مولاه فعلى مولاه» و بقوله: «أنت منى بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» و وجدناه يقول: «على يقضى ديني و ينجز موعدى و هو خليفتى عليكم من بعدى».

فالخبر الأول الذى استنبطت منه هذه الأخبار خير صحيح مجمع عليه لا اختلاف فيه عندهم، و هو أيضا موافق للكتاب؛ فلما شهد الكتاب بتصديق الخبر و هذه الشواهد الاخر لزم على الامه الإقرار بها ضروره إذ كانت هذه الأخبار شواهدا من القرآن ناطقه و وافقت القرآن و وافقها. ثم وردت حقائق الأخبار من رسول الله (صلى الله عليه و اله) عن الصادقين (عليهما السلام) و نقلها قوم ثقات معروفون فصار الاقتداء بهذه الأخبار فرضا واجبا على كل مؤمن و مؤمنه لا يتعداه إلا أهل العناد. و ذلك أن أقاويل آل رسول الله (صلى الله عليه و اله) متصله بقول الله و ذلك مثل قوله فى محكم كتابه: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا (٢). و وجدنا نظير هذه الآية قول رسول الله (صلى الله عليه و اله): «من آذى عليا فقد آذانى، و من آذانى فقد آذى الله و من آذى الله يوشك أن ينتقم منه» و كذلك قوله (صلى الله عليه و اله):

«من أحب عليا فقد أحبني و من أحبني فقد أحب الله». و مثل قوله (صلى الله عليه و اله) فى بنى وليعه: «لأبعثن إليهم رجلا كنفسى يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله قم يا على فسر إليهم» (٣). و قوله (صلى الله عليه و اله) يوم خيبر: «لأبعثن إليهم غدا رجلا يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله كزارا غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله عليه». فقضى رسول الله (صلى الله عليه و اله) بالفتح قبل التوجيه فاستشرف لكلامه أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و اله) فلما كان من الغد دعا عليا (عليه السلام) فبعثه إليهم فاصطفاه بهذه المنقبه و سماه كزارا غير فرار، و سماه الله محبا لله و لرسوله، فأخبر أن الله و رسوله يحبانه.

ص: ٢٢٥

١- (١) المائده (٥): ٥٥-٥٦.

٢- (٢) الاحزاب (٣٣): ٥٧.

٣- (٣) بنو وليعه- كسفينه-: حى من كنده.

وإنما قدّمنا هذا الشرح و البيان دليلاً على ما أردنا و قوه لما نحن مبينوه من أمر الجبر و التفويض و المنزله بين المنزلتين و بالله العون و القوه و عليه نتوكل في جميع امورنا فإننا نبدأ من ذلك بقول الصادق (عليه السلام): «لا جبر و لا تفويض و لكن منزله بين المنزلتين و هي صحه الخلقه و تخليه السرب (١) و المهله في الوقت و الزاد مثل الزاحله و السبب المهيج للفاعل على فعله»، فهذه خمسه أشياء جمع به الصادق (عليه السلام) جوامع الفضل، فإذا نقص العبد منها خلّه كان العمل عنه مطروحاً بحسبه، فأخبر الصادق (عليه السلام) بأصل ما يجب على الناس من طلب معرفته و نطق الكتاب بتصديقه فشهد بذلك محكمات آيات رسوله، لأنّ الرسول (صلى الله عليه و اله) و آله (عليهم السلام) لا يعدون شيئاً من قوله و أقاويلهم حدود القرآن، فإذا وردت حقائق الأخبار و التمسست شواهدا من التنزيل فوجد لها موافقا و عليها دليلاً كان الاقتداء بها فرضاً لا يتعداه إلاّ - أهل العناد كما ذكرنا في أول الكتاب و لما التمسنا تحقيق ما قاله الصادق (عليه السلام) من المنزله بين المنزلتين و إنكاره الجبر و التفويض وجدنا الكتاب قد شهد له و صدق مقالته في هذا. و خبر عنه أيضاً موافق لهذا؛ أنّ الصادق (عليه السلام) سئل أهل أجب الله العباد على المعاصي؟ فقال الصادق (عليه السلام): هو أعدل من ذلك. فقيل له: فهل فؤوض إليهم؟ فقال (عليه السلام): هو أعزّ و أقهر لهم من ذلك. و روى عنه أنّه قال: التّياس في القدر على ثلاثه أوجه: رجل يزعم أنّ الأمر مفؤوض إليه فقد وهن الله في سلطانه فهو هالك. و رجل يزعم أنّ الله جلّ و عزّ أجب العباد على المعاصي و كلّفهم ما لا يطيقون فقد ظلم الله في حكمه فهو هالك. و رجل يزعم أنّ الله كلّف العباد ما يطيقون و لم يكلفهم ما لا يطيقون، فإذا أحسن حمد الله و إذا أساء استغفر الله فهذا مسلم بالغ، فأخبر (عليه السلام) أنّ من تقلّد الجبر و التفويض و دان بهما فهو على خلاف الحقّ. فقد شرحت الجبر الذي من دان به يلزمه الخطأ، و أنّ الذي يتقلّد التفويض يلزمه الباطل، فصارت المنزله بين المنزلتين بينهما (٢).

ص: ٢٢٤

١- (١) السرب - بالفتح - : الطريق و الصدر - و بالكسر - أيضاً: الطريق و القلب. - و بالتحريك - الماء السائل.

٢- (٢) راجع تمام الرساله في تحف العقول و الاحتجاج، و بحار الأنوار: ٤٨/٥٠.

١- عن خيران الخادم قال: كتبت إلى الرّجل -أبى الإمام- صلوات الله عليه أسأله عن الثوب يصيبه الخمر و لحم الخنزير أيسلّى فيه أم لا؟ فإن أصحابنا قد اختلفوا فيه، فقال بعضهم: صلّ فيه فإن الله إنما حرّم شربها و قال بعضهم: لا تصلّ فيه، فكتب (عليه السلام): لا تصلّ فيه فإنه رجس (١).

٢- عن على بن ابراهيم، عن يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان قال:

رأيت أبا الحسن الثالث (عليه السلام) سجد سجده الشكر فافترش ذراعيه فألصق جؤجؤه و بطنه بالأرض فسألته عن ذلك؟ فقال: كذا نحب (٢).

٣- و عنه أيضا، عن على بن راشد قال: قلت لأبى الحسن (عليه السلام) جعلت فداك إنك كتبت إلى محمد بن الفرّج تعلمه أنّ أفضل ما تقرأه فى الفرائض بآنا أنزلناه و قل هو الله أحد، و ان صدرى ليضيق بقراءتهما فى الفجر، فقال (عليه السلام):

لا يضيّقنّ صدرك بهما فإن الفضل و الله فيهما (٣).

٤- سأل داود بن أبى زيد أبا الحسن الثالث (عليه السلام) عن: القراطيس و الكواغذ المكتوبه عليها هل يجوز عليها السجود؟ فكتب: يجوز (٤).

٥- عن أيوب بن نوح قال: كتبت إلى أبى الحسن الثالث (عليه السلام) أسأله عن المغمى عليه يوما أو أكثر هل يقضى ما فاته أم لا؟ فكتب (عليه السلام): لا يقضى الصوم و لا يقضى الصلاة (٥).

ص: ٢٢٧

١- (١) الكافى: ٣/٤٠٥.

٢- (٢) الكافى: ٣/٣٢٤.

٣- (٣) الكافى: ٣/٢٩٠.

٤- (٤) من لا يحضره الفقيه: ١/٢٧٠.

٥- (٥) تهذيب الاحكام: ٤/٢٤٣.

٦- عن أبي إسحاق بن عبد الله العلوي العريضي قال: وحك في صدرى ما الايام التى تصام؟ فقصدت مولانا أبا الحسن على بن محمد (عليهما السلام) و هو بصربا. و لم أبد ذلك لأحد من خلق الله فدخلت عليه فلما بصربى قال (عليه السلام):

يا أبا اسحاق جئت تسألنى عن الأيام التى يصام فيهن و هى أربعة: أولهن يوم السابع و العشرين من رجب يوم بعث الله تعالى محمدا (صلى الله عليه و اله) إلى خلقه رحمه للعالمين، و يوم مولده (صلى الله عليه و اله) و هو السابع عشر من شهر ربيع الأول، و يوم الخامس و العشرين من ذى القعدة فيه دحيت الكعبة، و يوم الغدير فيه أقام رسول الله (صلى الله عليه و اله) أخاه (عليه السلام) علما للناس و إماما من بعده، قلت: صدقت جعلت فداك لذلك قصدت، أشهد أنك حجه الله على خلقه (١).

٧- عن على بن مهزيار قال: كتبت إليه: يا سيدى رجل دفع إليه مال يحجّ فيه، هل عليه فى ذلك المال حين يصير إليه الخمس أو على ما فضل فى يده بعد الحج؟ فكتب (عليه السلام): ليس عليه الخمس (٢).

٨- عن أحمد بن حمزه قال: قلت لأبى الحسن (عليه السلام): رجل من مواليك له قرابه كلهم يقول بك و له زكاه أيجوز له أن يعطيهم جميع زكاته؟ قال: نعم (٣).

٩- عن أبى على بن راشد قال: قلت لأبى الحسن الثالث (عليه السلام): إننا نؤتى بالشىء فيقال هذا كان لأبى جعفر (عليه السلام) عندنا، فكيف نصنع؟ فقال: ما كان لأبى (عليه السلام) بسبب الإمامه فهو لى و ما كان غير ذلك فهو ميراث على كتاب الله و سنه نبيه (صلى الله عليه و اله) (٤).

ص: ٢٢٨

١- (١) تهذيب الأحكام: ٣٠٥/٤.

٢- (٢) الكافي: ٥٤٧/١.

٣- (٣) الكافي: ٥٥٢/٣.

٤- (٤) من لا يحضره الفقيه: ٤٢/٢.

١٠- عن ابراهيم بن محمد قال: كتبت إلى أبي الحسن الثالث (عليه السلام)، أسأله عما يجب في الضياع، فكتب: الخمس بعد المؤونه، قال: فناظرت أصحابنا فقالوا: المؤونه بعدما يأخذ السلطان، و بعد مؤونه الرجل، فكتب إليه أنك قلت: الخمس بعد المؤونه و إن أصحابنا اختلفوا في المؤونه؟ فكتب: الخمس بعدما يأخذ السلطان و بعد مؤونه الرجل و عياله (١).

١١- كتب محمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني إلى أبي الحسن علي بن محمد العسكري (عليهما السلام) في رجل دفع ابنه إلى رجل و سلمه منه سنة بأجره معلومه ليخيط له، ثم جاء رجل آخر فقال له: سلم ابنك مني سنة بزيادة هل له الخيار في ذلك؟ و هل يجوز له أن يفسخ ما وافق عليه الأول أم لا؟ فكتب (عليه السلام) بخطه: يجب عليه الوفاء للأول ما لم يعرض لابنه مرض أو ضعف (٢).

١٢- عن محمد بن عيسى، عن ابراهيم الهمداني قال: كتبت إلى أبي الحسن (عليه السلام) و سألته عن إمراه آجرت ضيعتها عشر سنين على أن تعطى الأجره في كل سنة عند انقضائها لا يقدم لها شيء من الأجره ما لم يمض الوقت فماتت قبل ثلاث سنين أو بعدها هل يجب على ورثتها إنفاذ الاجاره إلى الوقت أم تكون الاجاره منتقضه بموت المرأه؟ فكتب (عليه السلام): ان كان لها وقت مسمى لم يبلغ فماتت فلورثتها تلك الإجاره فإن لم تبلغ ذلك الوقت و بلغت ثلثه أو نصفه أو شيئاً منه فيعطى ورثتها بقدر ما بلغت من ذلك الوقت إن شاء الله (٣).

١٣- عن محمد بن رجاء الخياط قال: كتبت إلى الطيب (عليه السلام) إني كنت في المسجد الحرام فرأيت ديناراً فأهويت إليه لآخذه فإذا أنا بآخر، ثم بحثت

ص: ٢٢٩

١- (١) تفسير العياشي: ٦٣/٢.

٢- (٢) الكافي: ٢٣٩/٤.

٣- (٣) الكافي: ٢٧٠/٥.

الحصى فإذا أنا بثالث فأخذتها فعزفتها و لم يعرفها أحد فما ترى في ذلك؟ فكتب (عليه السلام): إني قد فهمت ما ذكرت من أمر الدنانير فإن كنت محتاجا فتصدق بثلتها، و ان كنت غنيا فتصدق بالكل (١).

١٤- عن أحمد بن محمد قال: قال أبو الحسن (عليه السلام) في قول الله عز و جل: وَ لِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ قال: طواف الفريضة طواف النساء (٢).

١٥- روى علي بن مهزيار عن محمد بن اسماعيل قال: أمرت رجلا أن يسأل أبا الحسن (عليه السلام) عن الرجل يأخذ من الرجل حجه فلا تكفيه أله أن يأخذ من رجل آخر حجه أخرى فيتسع بها فتجزي عنهما جميعا أو يتركهما جميعا أن لم تكفه إحداهما؟ فذكر انه قال: أحب إلي أن تكون خالصه لواحد فإن كانت لا تكفيه فلا يأخذها (٣).

١٦- عن القاسم بن محمد الزيات قال: قلت لأبي الحسن (عليه السلام): إني ظاهرت من امرأتي فقال: كيف قلت؟ قال: قلت: أنت علي كظهر امي ان فعلت كذا و كذا، فقال: لا شيء عليك و لا تعد (٤).

١٧- عن الوشاء قال: كتبت إليه أسأله عن الفقاع، قال: فكتب حرام و هو خمر و من شربه كان بمنزله شارب الخمر، قال: و قال أبو الحسن الأخير (عليه السلام):

لو أن الدار دارى لقتلت بايعه و لجلدت شاربه، و قال أبو الحسن الأخير (عليه السلام): حدّه حدّ شارب الخمر، و قال (عليه السلام): هي خميره استصغرها الناس (٥).

١٨- كتب ابراهيم بن محمد الهمداني إليه (عليه السلام): ميت أوصى بأن يجرى

ص: ٢٣٠

١- ((١)) الكافي: ٢٣٩/٤.

٢- ((٢)) الكافي: ٥١٢/٤٠.

٣- ((٣)) من لا يحضره الفقيه: ٤٤٤/٢.

٤- ((٤)) الكافي: ١٥٨/٦.

٥- ((٥)) الكافي: ٤٢٣/٦.

على رجل ما بقى من ثلثه و لم يأمر بإنفاذ ثلثه، هل للوصى أن يوقف ثلث الميِّت بسبب الاجراء؟ فكتب (عليه السّلام): ينفذ ثلثه و لا يوقف.

٢١- عن أبى على بن راشد قال: سألت أبا الحسن (عليه السّلام) قلت: جعلت فداك اشتريت أرضاً إلى جنب ضيعتى بألفى درهم فلما وفيت المال خبرت أنّ الارض وقف؟ فقال: لا يجوز شراء الوقف و لا تدخل الغله فى مالك إيدفعها إلى من اوقفت عليه.

قلت لا أعرف لها ربّاً؟ قال: تصدق بغلّتها (١).

٤- من أدعيه الإمام الهادى (عليه السّلام)

١- دعاؤه عند الشدائد: و كان يدعو به إذا ألمّت به حادثه أو حلّ به خطب أو أراد قضاء حاجه مهمه، و كان قبل ان يدعو به يصوم يوم الاربعاء و الخميس و الجمعة، ثم يغتسل فى أول يوم الجمعة و يتصدق على مسكين و يصلّى أربع ركعات فيقرأ فى الركعه الاولى سورة الفاتحه و سورة يس و فى الثانيه سورة الحمد و حم الدخان، و فى الثالثه سورة الحمد مع سورة الواقعه و فى الرابعه سورة الحمد و سورة تبارك، و إذا فرغ منها بسط راحتيه إلى السماء، و دعا باخلاص قائلاً بعد البسملة (٢):

«اللهم لك الحمد حمداً يكون أحق الحمد بك، و أرضى الحمد لك، و أوجب الحمد لك، و أحب الحمد إليك، و لك الحمد كما انت امله و كما رضيته لنفسك و كما حمدك من رضيت حمده من جميع خلقك و لك الحمد كما حمدك به جميع انبيائك و رسلك و ملائكتك، و كما ينبغى لعزك و كبريائك و عظمتك، و لك الحمد حمداً تكل الالسن عن

ص: ٢٣١

١- (١) الكافي: ٣٧/٧.

٢- (٢) الوسائل: ٦٢/٥.

صفته و يقف القول عن منتهاه، ولك الحمد حمدا لا يقصر عن رضاك و لا يفضله شيء من محامدك.

اللهم و من جودك و كرمك انك لا- تخب من طلب إليك و سألك و رغب فيما عندك، و تبغض من لم يسألك، و ليس كذلك احد غيرك، و طمعي يا رب في رحمتك و مغفرتك، و ثقتي باحسانك و فضلك حداني على دعائك و الرغبه إليك، و انزل حاجتي بك، و قد قدمت امام مسألتى التوجه ببيك الذى جاء بالحق و الصدق فيما عندك، و نورك و صراطك المستقيم الذى هديت به العباد، و أحييت بنوره البلاد، و خصصته بالكرامه، و أكرمته بالشهاده و بعثته على حين فتره من الرسل. اللهم دللت عبادك على نفسك فقلت تباركت و تعاليت:

وَ إِذَا سَأَلْتِكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسِّرْ لِي وَ لِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١) و قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَيَّ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٢)

و قلت: وَ لَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (٣) اجل يا رب نعم المدعو أنت و نعم الرب أنت و نعم المجيب، و قلت: قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (٤)، و انا ادعوك اللهم بأسمائك التى إذا دعيت بها أجبت، و إذا سئلت بها أعطيت، و ادعوك متضرعا إليك مستكينا، دعاء من أسلمته الغفله، و أجهدته الحاجه، ادعوك دعاء من استكان، و اعترف بذنبه، و رجاك لعظيم مغفرتك، و جزيل مثوبتك.

ص: ٢٣٢

١- (١) البقره (٢): ١٨٦.

٢- (٢) الزمر (٣٩): ٥٣.

٣- (٣) الصافات (٣٧): ٧٥.

٤- (٤) الإسراء (١٧): ١١٠.

٢-دعاء الاعتصام، وهذا نصّه: «يا عدّتي عند العدد، ويا رجائي والمعتمد، ويا كهفي والسند ويا واحد يا أحد، يا قل هو الله أحد، أسألك بحق من خلقته من خلقك، و لم تجعل في خلقك مثلهم أحد أن تصلى عليهم... ثم تذكر حاجتك» (١).

٣-مناجاته: و كان الإمام الهادي (عليه السلام) يناجي الله تعالى في غلس الليل البهيم بقلب خاشع، و نفس آمنه مطمئنه. و كان ممّا يقول في مناجاته:

«إلهي مسيء قد ورد، و فقير قد قصد، فلا تخبّ مسعاه و ارحمه و اغفر له خطاه...».

«إلهي صلّ على محمد و آل محمد، و ارحمني إذا انقطع من الدنيا أثرى و محى من المخلوقين ذكرى، و صرت من المنسين كمن نسي، إلهي كبر سني، و ورق جلدي، و دقّ عظمي، و نال الدهر مني و اقترب اجلي، و نفدت ايامي، و ذهب شهواتي و بقيت تبعاتي إلهي ارحمني إذا تغيرت صورتي...» (٢).

٥- من تراه التبروي و الأخلاقي

و أثرت عن الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) مجموعه من الكلمات الذهبية التي عالج فيها مختلف القضايا التربويه و الأخلاقيه، و النفسيه، و هذه بعضها:

١- قال (عليه السلام): «خير من الخير فاعله، و أجمل من الجميل قائله، و أرجح من العلم عامله».

ص: ٢٣٣

١- (١) راجع حياه الإمام علي الهادي: ١٣١-١٣٦.

٢- (٢) حياه الإمام علي الهادي (عليه السلام): ١٣٧، عن الدر النظيم.

٢-قال(عليه السلام):«من سأل فوق قدر حقه فهو أولى بالحرمان».

٣-قال(عليه السلام):«صلاح من جهل الكرامه هو انه».

٤-قال(عليه السلام):«الحلم أن تملك نفسك،و تكظم غيظك مع قدره عليه».

٥-قال(عليه السلام):«الناس فى الدنيا بالمال،و فى الآخرة بالأعمال».

٦-قال(عليه السلام):«من رضى عن نفسه كثر الساخطون عليه».

٧-قال(عليه السلام):«تريك المقادير ما لا يخطر ببالك».

٨-قال(عليه السلام):«شر الرزية سوء الخلق».

٩-قال(عليه السلام):«الغنى قله تمنيك،و الرضى بما يكفيك،و الفقر شره النفس و شدة القنوط،و المذله اتباع اليسير،و النظر فى الحقير».

١٠-سئل الإمام(عليه السلام)عن الحزم؟فقال(عليه السلام):«هو أن تنظر فرصتك و تعاجل ما أمكنك».

١١-قال(عليه السلام):«راكب الحرون-و هو الفرس الذى لا يتقاد-أسير نفسه».

١٢-قال(عليه السلام):«الجاهل أسير لسانه».

١٣-قال(عليه السلام):«المراء يفسد الصداقه القديمه،و يحلل العقد الوثيقه و أقل ما فيه أن تكون المغالبه،و المغالبه أس أسباب القطيعه».

١٤-قال(عليه السلام):«العتاب مفتاح التعالى،و العتاب خير من الحقد».

١٥-أثنى بعض أصحاب الإمام على الإمام،و أكثر من تقريره و الثناء عليه،فقال(عليه السلام)له:«إن كثره الملق يهجم على الفطنه،فإذا حلت من

أخيك محل الثقة فاعدل عن الملق إلى حسن النيه».

١٦-قال(عليه السلام):«المصيبه للصابر واحده،و للجاجع اثنان».

١٧-قال(عليه السلام):«الحسد ما حق الحسنات،و الزهو جالب المقت».

١٨-قال (عليه السلام): «العجب صارف عن طلب العلم، وداع إلى الغمط (١) في الجهل».

١٩-قال (عليه السلام): «البخل أذم الأخلاق، و الطمع سجيته سيئه».

٢٠-قال (عليه السلام): «مخالطه الأشرار تدل على شر من يخالطهم».

٢١-قال (عليه السلام): «الكفر للنعم اماره البطر، و سبب للتغيير».

٢٢-قال (عليه السلام): «اللجاجه مسلبيه للسلامه، و مؤديه للندامه».

٢٣-قال (عليه السلام): «الهزء فكاهه السفهاء و صناعه الجهال».

٢٤-قال (عليه السلام): «العقوق يعقب القله، و يؤدي إلى الذله».

٢٥-قال (عليه السلام): «السهر ألد للمنام، و الجوع يزيد في طيب الطعام».

٢٦-قال (عليه السلام) لبعض أصحابه: «اذكر مصرعك بين يدي أهلك حيث لا طيب يمنعك، و لا حبيب ينفعك».

٢٧-قال (عليه السلام): «اذكر حسرات التفريط بأخذ تقديم الحزم».

٢٨-قال (عليه السلام): «ما استراح ذو الحرص و الحكمة».

٢٩-قال (عليه السلام): «لا نجع في الطبائع الفاسده».

٣٠-قال (عليه السلام): «من لم يحسن أن يمنع لم يحسن أن يعطى».

٣١-قال (عليه السلام): «شر من الشر جالبه، و أهول من الهول راكمه».

٣٢-قال (عليه السلام): «إياك و الحسد فإنه يبين فيك، و لا يعمل في عدوك».

٣٣-قال (عليه السلام): «إذا كان زمان العدل فيه أغلب من الجور فحرام أن يظن بأحد سوءا حتى يعلم ذلك منه، و إذا كان زمان الجور اغلب فيه

من العدل فليس لأحد أن يظن

ص: ٢٣٥

١- (١) غمط الناس: احتقرهم و تكبر عليهم.

بأحد خيرا ما لم يعلم ذلك منه».

٣٤- قال (عليه السلام) للمتوكل: «لا تطلب الصفاء ممن كدرت عليه، ولا الوفاء ممن غدرت به، ولا النصح ممن صرفت سوء ظنك إليه، فإنما قلب غيرك لك كقلبك له».

٣٥- قال (عليه السلام): «ابقوا النعم بحسن مجاورتها، و التمسوا الزيادة فيها بالشكر عليها، و اعلموا أن النفس أقبل شيء لما اعطيت، و امنع شيء لما منعت فاحملوها على مطية لا تبطى».

٣٦- قال (عليه السلام): «الجهل و البخل أذم الأخلاق».

٣٧- قال (عليه السلام): «حسن الصورة جمال ظاهر، و حسن العقل جمال باطن».

٣٨- قال (عليه السلام): «إن من الغره بالله أن يصير العبد على المعصية و يتمنى على الله المغفرة».

٣٩- قال (عليه السلام): «لو سلك الناس واديا وسيعا لسلكت وادى رجل عبد الله وحده خالصا».

٤٠- قال (عليه السلام): «و الغضب على من تملك لؤم» (١).

٤١- قال (عليه السلام): «إن لله بقاعا يحب أن يدعى فيها فيستجيب لمن دعاه و الحير (٢) منها».

٤٢- و قال (عليه السلام) يوما: «إن أكل البطيخ يورث الجذام»، فقيل له: أليس قد آمن المؤمن إذا أتى عليه أربعون سنة من الجنون و الجذام و البرص؟

قال (عليه السلام): «نعم؛ و لكن إذا خالف المؤمن ما امر به ممن آمنه لم يأمن أن تصيبه عقوبه الخلف».

ص: ٢٣٦

١- ((١)) راجع حياه الإمام على الهادى: ١٥٦-١٦٥.

٢- ((٢)) الحير- بالفتح-: مخفف حائر و المراد ان الحائر الحسينى (عليه السلام) من هذه البقاع.

٤٣- وقال (عليه السلام): «الشَّاكر أسعد بالشُّكر منه بالنعمة التي أوجبت الشُّكر، لأنَّ النِّعم متاع. والشُّكر نعم و عقبي».

٤٤- وقال (عليه السلام): «إنَّ الله جعل الدُّنيا دار بلوى و الآخرة دار عقبي و جعل بلوى الدُّنيا لثواب الآخرة سببا و ثواب الآخرة من بلوى الدُّنيا عوضا».

٤٥- وقال (عليه السلام): «إنَّ الظَّالم الحالم يكاد أن يعفى على ظلمه بحلمه. و إنَّ المحقَّ السَّفِيه يكاد أن يطفئ نور حقِّه بسفهه».

٤٦- وقال (عليه السلام): «من جمع لك وده و رأيه فاجمع له طاعتك».

٤٧- وقال (عليه السلام): «من هانت عليه نفسه فلا تأمن شرَّه».

٤٨- وقال (عليه السلام): «الدُّنيا سوق، ربح فيها قوم و خسر آخرون» (١).

إلى هنا نختم الكلام عن التراث القيم للإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) تاركين التفصيل إلى مسنده و مصادر ترجمته.

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ص: ٢٣٧

١- (١) راجع تحف العقول: ٣٦٢ طبعه النجف الأشرف.

كلمه المجمع العالمى لأهل البيت عليهم السلام ٧

الباب الأؤل:

الفصل الأؤل:الإمام على بن محمد الهادى (عليه السلام)فى سطور ١٧

الفصل الثانى:انطباعات عن شخصيّه الإمام على بن محمد الهادى (عليه السلام) ٢١

الفصل الثالث:مظاهر من شخصيه الإمام على بن محمد الهادى (عليه السلام) ٢٧

١-الكرم ٢٧

٢-الزهد ٢٩

٣-العمل فى المزرعه ٢٩

٤-إرشاد الضالّين ٣٠

٥-التحذير من مجالسه الصوفيين ٣٠

٦-تكريمه للعلماء ٣٢

٧-العباده ٣٣

٨-استجابته دعائه ٣٤

الباب الثانى:

الفصل الأؤل:نشأه الإمام على بن محمد الهادى (عليه السلام) ٣٩

١-نسبه الشريف ٣٩

٢-ولادته و نشأته ٣٩

٣-بشاره الرسول (صلّى الله عليه و اله) بولادته ٤٠

الفصل الثاني: مراحل حياة الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) ٤١

الفصل الثالث: الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) في ظل أبيه الجواد (عليه السلام) ٤٣

الشيعة و إمامه الجواد (عليه السلام) ٤٤

عصر الإمام الجواد (عليه السلام) ٤٥

الإمام الجواد (عليه السلام) و المأمون العباسي ٥١

الإمام الجواد (عليه السلام) و المعتصم ٥٥

نصوص الإمام الجواد (عليه السلام) على إمامه ولده الهادي (عليه السلام) ٥٦

استشهاد الإمام الجواد (عليه السلام) ٦٠

الباب الثالث:

الفصل الأول: المسيرة الرسالية لأهل البيت (عليهم السلام) منذ عصر الرسول (صلى الله عليه و اله) حتى عصر الإمام الهادي (عليه السلام) ٦٥

عقبات و أخطار أمام عملية التغيير الشاملة ٦٦

مضاعفات الانحراف بعد الرسول (عليه السلام) ٦٨

انهيار الدولة الإسلامية و مضاعفاته ٦٩

دور الأئمة الراشدين (عليهم السلام) ٧٠

المهام الرسالية للأئمة الطاهرين ٧٢

موقف أهل البيت (عليهم السلام) من انحراف الحكام ٧٣

أهل البيت (عليهم السلام) و تربيته الامه ٧٤

سلامة النظرية الإسلامية ٧٥

مراحل الحركة الرسالية للأئمة الراشدين (عليهم السلام) ٧٥

موقع الإمام الهادي (عليه السلام) في عملية التغيير ٧٨

الفصل الثانى: عصر الإمام على بن محمد الهادى (عليه السلام) ٧٩

المعتصم ٧٩

الإمام الهادى (عليه السلام) و المعتصم العباسى ٨٠

الوائق ٨٣

الإمام الهادى (عليه السلام) و بغا الكبير ٨٤

الوائق و محنه خلق القرآن ٨٦

موقف الإمام الهادى (عليه السلام) من مسأله خلق القرآن ٨٨

إخبار الإمام الهادى (عليه السلام) بموت الواثق ٨٨

المتوكل ٨٩

الإمام الهادى (عليه السلام) و المتوكل العباسى ٩١

الوشايه بالإمام (عليه السلام) ٩٣

الإمام (عليه السلام) فى طريقه الى سامراء ٩٧

الإمام (عليه السلام) فى سامراء ١٠٠

تفتيش دار الإمام (عليه السلام) ١٠٤

اعتقال الإمام الهادى (عليه السلام) ١٠٨

محاولة اغتيال الإمام الهادى (عليه السلام) ١٠٩

دعاء الإمام (عليه السلام) على المتوكل ١١١

هلاك المتوكل ١١٢

المنتصر بالله ١١٣

المنتصر و العلويين ١١٣

المستعين ١١٤

الثورات فى عصره ١١٤

المعتز ١١٥

اضطهاد الشيعة ١١٧

ص: ٢٤١

الفصل الثالث: ملامح عصر الإمام الهادي (عليه السلام) ١١٩

١- الحاله السياسيه العامه ١٢٠

٢- الحاله الثقافيه ١٢٣

٣- الحاله الاقتصاديه ١٢٣

٤- الموقع الاجتماعي و السياسي للإمام الهادي (عليه السلام) ١٢٤

٥- العباسيون و الإمام الهادي (عليه السلام) ١٢٥

٦- اضطهاد أتباع أهل البيت (عليهم السلام) ١٢٦

٧- انتفاضات العلويين ١٢٧

الباب الرابع:

الفصل الأول: متطلبات عصر الإمام الهادي (عليه السلام) ١٣٣

متطلبات الساحة الإسلاميه في عصر الإمام الهادي (عليه السلام) ١٤٤

١- تجنب إثارة الحكام و عمالهم ١٤٤

٢- الرد على الإثارات الفكرية و الشبهات الدينيه ١٤٥

٣- التحدي العلمي للسلطه و علمائها ١٤٦

٤- توسيع دائره النفوذ في جهاز السلطه ١٥٣

الفصل الثاني: الإمام الهادي (عليه السلام) و تكامل بناء الجماعه الصالحه و تحصينها ١٥٥

١- الإمام الهادي (عليه السلام) و قضيه حفيده المهدي (عليه السلام) ١٥٥

٢- تحصين الجماعه الصالحه و إعدادها لمرحله الغيبه ١٦٢

التحصين العقائدي ١٦٣

الموقف من الغلاه و الفرق المنحرفه ١٦٧

ظاهرة الزياره و دورها في التحصين العقائدي ١٦٨

أولا: الزياره الجامعه الكبيره ١٦٨

١-اصطفاء أهل البيت (عليهم السلام) ١٦٩

ص: ٢٤٢

٢- حركة أهل البيت (عليهم السلام) ١٧٠

٣- الاسس الفكرية للتشيع ١٧١

٤- الموالون لأهل البيت (عليهم السلام) ١٧٣

ثانيا: زياره الغدير ١٧٨

التحصين العلمى ١٨١

التحصين التربوى ١٨٢

التحصين الأمنى ١٨٥

نظام الوكلاء ١٨٨

وكلاء الإمام الهادى (عليه السلام) ١٩٠

التحصين الاقتصادى ١٩١

الفصل الثالث: الإمام الهادى (عليه السلام) فى ذمه الخلود ١٩٣

استشهاد الإمام الهادى (عليه السلام) ١٩٣

تجهيزه و حضور الخاصه و العامه لتشييعه ١٩٥

لماذا دفن الإمام (عليه السلام) فى بيته؟ ١٩٦

انتشار خبر استشهاد الإمام الهادى (عليه السلام) فى البلاد ١٩٨

تاريخ استشهاد (عليه السلام) ١٩٩

الفصل الرابع: مدرسه الإمام الهادى (عليه السلام) و تراثه ٢٠١

البحث الأول: أصحاب الإمام (عليه السلام) و رواه حديثه ٢٠٢

١- إبراهيم بن عبده النيسابورى ٢٠٣

٢- إبراهيم بن محمد الهمدانى ٢٠٣

٣- إبراهيم بن مهزيار ٢٠٤

٤- أحمد بن اسحاق بن عبد الله الأشعري القمى ٢٠٤

٥-أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري القمي ٢٠٥

ص:٢٤٣

٦-أيوب بن نوح بن دراج ٢٠٥

٧-الحسن بن راشد ٢٠٥

٨-الحسن بن علي ٢٠٨

٩-الحسن بن علي الوشا ٢٠٨

١٠-داود بن القاسم الجعفرى ٢٠٩

١١-الريان بن الصلت ٢١٠

١٢-عبد العظيم الحسنى ٢١٠

١٣-عثمان بن سعيد العمري السمان ٢١٢

١٤-علي بن مهزيار الأهوازي الدورقى ٢١٣

١٥-الفضل بن شاذان النيشابورى ٢١٥

١٦-محمد بن أحمد المحمودى ٢١٦

١٧-محمد بن الحسن بن أبى الخطاب الزيات ٢١٧

١٨-محمد بن الفرج الرخجى ٢١٧

١٩-معاوية بن حكيم بن معاوية بن عمار الكوفى ٢١٧

٢٠-يعقوب بن إسحاق ٢١٨

النساء (كلثم الكرخيه) ٢١٨

البحث الثانى: نماذج من تراث الإمام الهادى (عليه السلام) ٢١٩

١-من تراثه التفسيرى ٢١٩

٢-من تراثه الكلامى ٢٢٠

٣-من تراثه الفقهى ٢٢٧

٤-من أدعيه الإمام الهادى (عليه السلام) ٢٣١

٥-من تراثه التربوى و الأخلاقى ٢٣٣

عنوان و نام پديدآور: اعلام الهدايه/المؤلف لجنه التاليف فى المعاونه الثقافيه للمجمع العالمى لاهل البيت (ع).

مشخصات نشر: بيروت: المجمع العالمى لاهل البيت (ع)، المعاونه الثقافيه، ۱۴۳۰ق = ۱۳۸۹.

مشخصات ظاهرى: ۱۴ج.

يادداشت: عربى.

يادداشت: چاپ ششم.

يادداشت: كتابنامه.

مندرجات: ج. ۱. محمد المصطفى صلى الله عليه و آله و سلم خاتم الانبياء. ج. ۲. أميرالمؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام. ج. ۳. سيده النساء فاطمه الزهراء عليه السلام. ج. ۴. الامام الحسن المجتبى عليه السلام. ج. ۵. الامام الحسين عليه السلام سيدالشهداء. ج. ۶. الامام على بن الحسين زين العابدين عليه السلام. ج. ۷. الامام محمد بن على الباقر عليه السلام. ج. ۸. الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام. ج. ۹. الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام. ج. ۱۰. الامام على بن موسى الرضا عليه السلام. ج. ۱۱. الامام محمد بن على الجواد عليه السلام. ج. ۱۲. الامام على بن محمد الهادى عليه السلام. ج. ۱۳. الامام الحسن العسكري عليه السلام. ج. ۱۴. خاتم الاوصياء الامام المهدي عليه السلام.

موضوع: چهارده معصوم -- سرگذشتنامه

شناسه افزوده: مجمع جهانى اهل بيت (ع). معاونت فرهنگى

رده بندى كنگره: BP۳۶/الف ۵۸ ۱۳۸۹

رده بندى ديويى: ۲۹۷/۹۵

شماره كتابشناسى ملي: ۳۸۶۲۲۵۴

ص: ۱

مقدمه المجمع العالمى لأهل البيت (عليهم السلام) ٧

الباب الأول:

الفصل الأول: الإمام الحسن العسكرى (عليه السلام) فى سطور ١٧

الفصل الثانى: انطباعات عن شخصيته الإمام الحسن العسكرى (عليه السلام) ٢١

الفصل الثالث: مظاهر من شخصيه الإمام الحسن العسكرى (عليه السلام) ٢٩

الباب الثانى:

الفصل الأول: نشأه الإمام الحسن بن على العسكرى (عليه السلام) ٣٩

الفصل الثانى: مراحل حياه الإمام الحسن العسكرى (عليه السلام) ٤٧

الفصل الثالث: الإمام الحسن العسكرى فى ظل أبيه (عليهما السلام) ٤٩

الباب الثالث:

الفصل الأول: ملامح عصر الإمام الحسن العسكرى (عليه السلام) ٩٩

الفصل الثانى: عصر الإمام الحسن العسكرى (عليه السلام) ١٠٥

الفصل الثالث: متطلبات عصر الإمام الحسن العسكرى (عليه السلام) ١٢٧

الباب الرابع:

الفصل الأول: الإمام العسكرى (عليه السلام) و متطلبات الساحة الإسلاميه ١٣٩

الفصل الثانى: الإمام العسكرى (عليه السلام) و متطلبات الجماعه الصالحه ١٤٧

الفصل الثالث: من تراث الإمام الحسن العسكرى (عليه السلام) ١٨٥

ص: ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداه لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء و سيد الرسل و الأصفياء أبو القاسم المصطفى محمد (صلى الله عليه و اله) و على آله الميامين النجباء.

لقد خلق الله الانسان و زوّده بعنصرى العقل و الإرادة، فبالعقل يبصر و يكتشف الحقّ و يميزه عن الباطل، و بالإرادة يختار ما يراه صالحا له و محققا لأغراضه و أهدافه.

و قد جعل الله العقل المميز حجه له على خلقه، و أعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته؛ فإنه هو الذى علّم الإنسان ما لم يعلم، و أرشده إلى طريق كماله اللائق به، و عرّفه الغايه التى خلقه من أجلها، و جاء به إلى هذه الحياه الدنيا من أجل تحقيقها.

و أوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحه معالم الهدايه الربانيه و آفاقها و مستلزماتها و طرقها، كما بين لنا عللها و أسبابها من جهه، و أسفر عن ثمارها و نتائجها من جهه اخرى.

قال تعالى:

ص: ٧

قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى [الأنعام(٦):٧١].

وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [البقره(٢):٢١٣].

وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ [الاحزاب(٣٣):٤].

وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [آل عمران(٣):١٠١].

قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ [يونس(١٠):٣٥].

وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَ يَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ [سبأ(٣٤):٦].

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ [القصص(٢٨):٥٠].

فالله تعالى هو مصدر الهدايه. و هدايته هي الهدايه الحقيقيه، و هو الذى يأخذ بيد الانسان إلى الصراط المستقيم و إلى الحق القويم.

و هذه الحقائق يؤيدها العلم و يدر كها العلماء و يخضعون لها بملء وجودهم.

و لقد أودع الله فى فطره الانسان النزوع إلى الكمال و الجمال ثم منّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللاتق به، و أسبغ عليه نعمه التعرّف على طريق الكمال، و من هنا قال تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات(٥١):٥٦].

و حيث لا تتحقّق العباده الحقيقيه من دون المعرفه، صارت المعرفه و العباده طريقا منحصرًا و هدفا و غايه موصله إلى قمّه الكمال.

و بعد أن زوّد الله الانسان بطاقتى الغضب و الشهوه ليحتمق له و قود الحركه نحو الكمال؛ لم يؤمن عليه من سيطره الغضب و الشهوه؛ و الهوى الناشئ منهما، و الملازم لهما فمن هنا احتاج الانسان-بالإضافه إلى عقله و سائر

أدوات المعرفة-الى ما يضمن له سلامه البصيره و الرؤيه؛كى تتم عليه الحجّه، و تكمل نعمه الهدايه،و تتوفّر لديه كلّ الأسباب التى تجعله يختار طريق الخير و السعاده،أو طريق الشرّ و الشقاء بملء إرادته.

و من هنا اقتضت سنّه الهدايه الربّانيه أن يسند عقل الانسان عن طريق الوحي الإلهي،و من خلال الهداه الذين اختارهم الله لتولّى مسؤوليه هدايه العباد و ذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفه و إعطاء الارشادات اللازمه لكلّ مرافق الحياه.

و قد حمل الأنبياء و أوصياؤهم مشعل الهدايه الربّانيه منذ فجر التاريخ و على مدى العصور و القرون،و لم يترك الله عباده مهملين دون حجه هاديه و علم مرشد و نور مضىء،كما أفصحت نصوص الوحي-مؤيّده لدلائل العقل-بأنّ الأرض لا تخلو من حجه لله على خلقه،لئلا يكون للناس على الله حجّه،فالحجّه قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق،و لو لم يبق فى الأرض إلا اثنان لكان أحدهما الحجّه،و صرح القرآن-بشكل لا يقبل الريب-قائلا:

إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ [الرعد(١٣):٧].

و يتولّى أنبياء الله و رسله و أوصياؤهم الهداه المهديون مهمّه الهدايه بجميع مراتبها،و التى تتلخّص فى:

١-تلقى الوحي بشكل كامل و استيعاب الرساله الإلهيه بصوره دقيقه.

و هذه المرحله تتطلب الاستعداد التام لتلقى الرساله،و من هنا يكون الاصطفاء الإلهي لرسله شأننا من شؤونه،كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلا: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ [الانعام(٦):١٢٤]و اللَّهُ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ [آل عمران(٣):١٧٩].

٢- إِبلاغ الرساله الإلهيه الى البشرىه و لمن ارسلوا إليه، و يتوقّف الإِبلاغ على الكفاءه التامه التى تتمثّل فى «الاستيعاب و الإحاطه اللازمه» بتفاصيل الرساله و أهدافها و متطلّباتها، و «العصمه» عن الخطأ و الانحراف معاً، قال تعالى: **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ** [البقره (٢): ٢١٣].

٣- تكوين امه مؤمنه بالرساله الإلهيه، و إعدادها لدعم القياده الهاديه من أجل تحقيق أهدافها و تطبيق قوانينها فى الحياه، و قد صرّحت آيات الذكر الحكيم بهذه المهمه مستخدمه عنوانى التزكيه و التعليم، قال تعالى: **يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ** [الجمعه (٦٢): ٢] و التزكيه هى التريه باتجاه الكمال اللائق بالإنسان. و تتطلّب التريه القدوه الصالحه التى تتمتع بكلّ عناصر الكمال، كما قال تعالى: **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** [الاحزاب (٣٣): ٢١].

٤- صيانه الرساله من الزيغ و التحريف و الضياع فى الفتره المقرره لها، و هذه المهمه أيضاً تتطلّب الكفاءه العلميه و النفسيه، و التى تسمى بالعصمه.

٥- العمل لتحقيق أهداف الرساله المعنويه و تثبيت القيم الأخلاقيه فى نفوس الأفراد و أركان المجتمعات البشرىه و ذلك بتنفيذ الاطروحه الرّبانيه، و تطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشرى من خلال تأسيس كيان سياسى يتولّى إداره شؤون الامه على أساس الرساله الرّبانيه للبشرىه، و يتطلّب التنفيذ قياده حكيمة، و شجاعه فائقه، و ثباتاً كبيراً، و معرفه تامه بالنفوس و طبقات المجتمع و التيارات الفكرىه و السياسيه و الاجتماعيه و قوانين الإداره و التريه و سنن الحياه، و نلخصها فى الكفاءه العلميه لإداره دوله عالميه دينيه، هذا فضلاً عن العصمه التى تعبر عن الكفاءه النفسيه التى تصون القياده

الدينه من كل سلوك منحرف أو عمل خاطئ بإمكانه أن يؤثر تأثيراً سلبياً على مسيره القياده و انقياد الامه لها بحيث يتنافى مع أهداف الرساله و أغراضها.

و قد سلك الأنبياء السابقون و أوصياؤهم المصطفون طريق الهدايه الدامى، و اقتحموا سبيل التريه الشاق، و تحمّلوا فى سبيل أداء المهام الرساليه كل صعب، و قدّموا فى سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهيه كل ما يمكن أن يقدمه الإنسان المتفانى فى مبدئه و عقيدته، و لم يتراجعوا لحظه، و لم يتلكؤوا طرفه عين.

و قد توج الله جهودهم و جهادهم المستمر على مدى العصور برساله خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه و اله) و حمّله الأمانه الكبرى و مسؤوليه الهدايه بجميع مراتبها، طالبا منه تحقيق أهدافها. و قد خطا الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و اله) فى هذا الطريق الوعر خطوات مدهشه، و حقّق فى أقصر فتره زمنيّه أكبر نتاج ممكن فى حساب الدعوات التغييريه و الرسالات الثوريه، و كانت حصيله جهاده و كدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلى:

١- تقديم رساله كامله للبشريه تحتوى على عناصر الديمومه و البقاء.

٢- تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ و الانحراف.

٣- تكوين امه مسلمه تؤمن بالإسلام مبدءاً، و بالرسول قائداً، و بالشريعه قانوناً للحياه.

٤- تأسيس دوله إسلاميه و كيان سياسى يحمل لواء الإسلام و يطبق شريعه السماء.

٥- تقديم الوجه المشرق للقياده الربانيه الحكيمه المتمثله فى قيادته (صلّى الله عليه و اله).

و لتحقيق أهداف الرساله بشكل كامل كان من الضروري:

أ- أن تستمر القيادة الكفوءه فى تطبيق الرساله و صيانتها من أيدي العابثين الذين يتربصون بها الدوائر.

ب- أن تستمر عمليه التربيه الصحيحه باستمرار الأجيال؛ على يد مربّ كفوء علميا و نفسيا حيث يكون قدوه حسنه فى الخلق و السلوك كالرسول(صلى الله عليه و اله)، يستوعب الرساله و يجسدها فى كل حركاته و سكناته.

و من هنا كان التخطيط الإلهي يحتّم على الرسول(صلى الله عليه و اله) إعداد الصفوه من أهل بيته، و التصريح بأسمائهم و أدوارهم؛ لتولّى مهمه إدامه مقاليد الحركه النبويّه العظيمة و الهدايه الربانيه الخالده بأمر من الله سبحانه و صيانه للرساله الإلهيه التى كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين و كيد الخائنين، و تربيه للأجيال على قيم و مفاهيم الشريعه المباركه التى تولّوا تبين معالمها و كشف أسرارها و ذخاثرها على مرّ العصور، و حتى يرث الله الأرض و من عليها.

و تجلّى هذا التخطيط الرباني فى ما نصّ عليه الرسول(صلى الله عليه و اله) بقوله: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسيكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله و عترتي، و إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض».

و كان أئمه أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عرفهم النبي الأكرم(صلى الله عليه و اله) بأمر من الله تعالى لقياده الامه من بعده.

إن سيره الأئمه الاثنى عشر من أهل البيت(عليهم السلام) تمثّل المسيره الواقعيه للاسلام بعد عصر الرسول(صلى الله عليه و اله)، و دراسه حياتهم بشكل مستوعب تكشف لنا عن صورته مستوعبه لحركه الاسلام الأصيل الذى أخذ يشقّ طريقه إلى أعماق الامه و وجدانها بعد أن أخذت طاقتها الحارايه تتضاءل بعد وفاه

الرسول (صلى الله عليه و اله)، فأخذ الأئمة المعصومون (عليهم السلام) يعملون على توعية الامه و تحريك طاقتها باتجاه إيجاد و تصعيد الوعي الرسالى للشريعه و لحركه الرسول (صلى الله عليه و اله) و ثورته المباركه، غير خارجين عن مسار السنن الكونيه التى تتحكّم فى سلوك القياده و الامه جمعاء.

و تبلورت سيره الأئمة الراشدين فى استمرارهم على نهج الرسول العظيم و انفتاح الامه عليهم و التفاعل معهم كأعلام للهدايه و مصابيح لإناره الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلاء على الله لنيل مرضاته، و المستقرّين فى أمر الله، و التامّين فى محبّته، و الذائبين فى الشوق اليه، و السابقين إلى تسلّق قمم الكمال الإنسانى المنشود.

و قد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد و الصبر على طاعه الله و جفاء أهل الجفاء حتّى ضربوا أعلى أمثله الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالى، ثم اختاروا الشهاده مع العزّ على الحياه مع الذلّ، حتى فازوا بقاء الله سبحانه بعد كفاح عظيم و جهاد كبير.

و لا يستطيع المؤرّخون و الكتّاب أن يلمّوا بجميع زوايا سيرتهم العطره و يدعوا دراستها بشكل كامل، و من هنا فإنّ محاولتنا هذه إنّما هى إعطاء قبسات من سيرتهم و سلوكهم و مواقفهم التى دوّنها المؤرّخون و استطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسه و التحقيق، عسى الله أن ينفع بها إنّه ولىّ التوفيق.

إنّ دراستنا لحركه أهل البيت (عليهم السلام) الرساليه تبدأ برسول الإسلام و خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و اله) و تنتهى بخاتم الأوصياء، محمد بن الحسن العسكرى المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه و أنار الأرض بعدله.

و يختص هذا الكتاب بدراسه حياه الإمام الحسن بن على العسكرى (عليه السّلام) و هو الحادى عشر من أئمه أهل البيت الاثنى عشر (عليهم السّلام) الذين استخلفهم رسول الله (صلّى الله عليه و اله) بأمر من الله تعالى و نصّ على إمامتهم و خلافتهم له و جعلهم امناء على شريعته و امته من بعده.

و لا بدّ لنا من تقديم الشكر الى كلّ الاخوه الأعزاء الذين بذلوا جهدا و افرا و شاركوا فى إنجاز هذا المشروع المبارك و إخراجة إلى عالم النور، لا سيما أعضاء لجنة التأليف بإشراف سماحه السيد منذر الحكيم حفظه الله تعالى.

و لا يسعنا إلا أن نبتهل الى الله تعالى بالدعاء و الشكر لتوفيقه على إنجاز هذه الموسوعه المباركه فإنه حسنا و نعم النصير.

المجمع العالمى لأهل البيت عليهم السّلام

قم المقدسه

ص: ١٤

الباب الأول

إشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) في سطور

الفصل الثاني:

انطباعات عن شخصيه الإمام (عليه السلام)

الفصل الثالث:

مظاهر من شخصيه الإمام (عليه السلام)

ص: ١٥

الإمام الحسن بن علي العسكري هو المعصوم الثالث عشر و الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بعد رسول الله (صلى الله عليه و اله).

نشأ و تربى في ظلّ أبيه الذي فاق أهل عصره علما و زهدا و تقوى و جهادا. و صحب أباه اثنين أو ثلاثا و عشرين سنة و تلقى خلالها ميراث الإمامه و النبوه فكان كأبائه الكرام علما و عملا و قياده و جهادا و إصلاحا لأمته جدّه محمد (صلى الله عليه و اله).

و قد ظهر أمر إمامته في عصر أبيه الهادي (عليه السلام) و تأكّد لدى الخاصه من أصحاب الإمام الهادي و العامه من المسلمين أنه الإمام المفترض الطاعه بعد أبيه (عليه السلام).

تولّى مهامّ الإمامه بعد أبيه و استمرت إمامته نحو من ست سنوات، مارس فيها مسؤولياته الكبرى في أخرج الظروف و أصعب الأيام على أهل بيت رساله بعد أن عرف الحكّام العباسيون -و هم أحرص من غيرهم على استمرار حكمهم- أن المهدي من أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه و اله) و من ولد علي و من ولد الحسين (عليه السلام) فكانوا يترصدون أمره و ينتظرون أيامه كغيرهم، لا ليسلموا له مقاليد الحكم بل ليقضوا على آخر أمل للمستضعفين.

لقد كان الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) استاذ العلماء و قدوه العابدين و زعيم المعارضه السياسيه و العقائديه فى عصره، و كان يشار إليه بالبنان و تهفو إليه النفوس بالحبّ و الولاء كما كانت تهفو الى أبيه و جدّه اللذين عرف كل منهما بابن الرضا (عليهما السلام)، كل هذا رغم معاداه السلطه لأهل البيت (عليهم السلام) و ملاحقتها لهم و لشيعتهم.

و قد فرضت السلطه العباسيه الاقامه الجبريه على الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) و أجبرته على الحضور فى يومين من كل اسبوع فى دار الخلافه العباسيه.

و قد وصف حضور الناس يوم ركوبه الى دار الخلافه بأن الشارع كان يغصّ بالدوابّ و البغال و الحمير، بحيث لا يكون لأحد موضع مشى و لا يستطيع أحد أن يدخل بينهم فاذا جاء الإمام هدأت الأصوات و توسّد له الطريق حين دخوله و حين خروجه.

لقد كان جادًا فى العباده طيله حياته و لا سيّما حين كان فى السجن حيث و كل به رجلا من الأشرار، فاستطاع أن يحدث تغييرا أساسيا فى سلوكهما و صارا من العباده و الصلاه الى أمر عظيم، و كان اذا نظر إليهما ارتعدت فرائصهما و داخلهما ما لا يملكان.

و قد لا- حقت السلطه العباسيه الإمام العسكري (عليه السلام) و أحاطته بالرقابه و أحصت عليه كلّ تحركاته لتشلّ نشاطه العلمى و السياسى و تحول بينه و بين ممارسه دوره القيادى فى أوساط الامه.

و من هنا كان الإمام مهتمًا كأبائه (عليهم السلام) بالعمل السرى غايه الاهتمام بالاضافه الى إحكامه لجهاز الوكلاء ليكون قادرا على أداء دوره القيادى بشكل تام و فى ظل تلك الظروف العصيه حتى استطاع أن يقضى على

محاولات الإبادة لتهج أهل البيت (عليهم السلام).

لقد خاض الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) كآبائه الكرام (عليهم السلام) ملحمة الكفاح السياسى لمواجهة الظلم و الارهاب و التلاعب بالسلطه و مقدرات الامه و مصالحها فحافظ على اصول الشريعة و القيم الرساليه، و مهّد بذلك خير تمهيد لعصر الغيبه الذى أخبر النبى (صلّى الله عليه و اله) و الأئمه من أهل بيته (عليهم السلام) عن حتميته و ضرورته.

و قد زحرت مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) فى عصر الإمام العسكري بالعلم و الدعوه الى خطّ أهل البيت و الدفاع عن الشريعة الإسلاميه من خلال كوكبه أصحاب الإمام و رواه حديثه و طلاب مدرسته.

و كان الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) - بالرغم من حواجه ظروفه السياسيه - جادًا فى الدفاع عن الشريعة و محاربه البدع و هدايه المترددين و الشاكين و جذبهم الى حضيره الدين.

و عاصر الإمام (عليه السلام) مده إمامته القصيره جدًا كلاً من المعتز و المهتدى و المعتمد العباسى و لاقى منهم أشدّ العنت و التضيق و الملاحقه و الارهاب، كما تعرّض للاعتقال عدّه مرّات.

و ازداد غيظ المعتمد من إجماع الامه - سنّه و شيعه - على تعظيم الإمام (عليه السلام) و تبجيله و تقديمه بالفضل على جميع العلويين و العباسيين فى الوقت الذى كان المعتمد خليفه غير مرغوب فيه لدى الامه. فأجمع رأيه على الفتك بالإمام و اغتياله فدىس له السمّ. و قضى نجه صابرا شهيدا محتسبا، و عمره دون الثلاثين عاما. فسلام عليه يوم ولد و يوم جاهد فى سبيل رساله ربّه و يوم استشهد و يوم بيعث حيا.

اشاره

انطباعات عن شخصيه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)

احتلّ أهل البيت (عليهم السّلام) المنزله الرفيعه في قلوب المسلمين لما تحلّوا به من درجات عاليه من العلم و الفضل و التقوى و العباده فضلا عن النصوص الكثيره الوارده عن الرسول (صلّى الله عليه و اله) في الحث على التمسك بهم و الأخذ عنهم.

و القرآن الكريم - كما نعلم - قد جعل موّدّه أهل البيت و موالاتهم أجرا للرسول (صلّى الله عليه و اله) على رسالته كما قال تعالى: **قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ** (١).

غير أن الحكّام و الخلفاء الذين تحكّموا في رقاب الامه بالسيف و القهر حاولوا طمس معالمهم و إبعاد الامه عنهم بمختلف الوسائل و الطرق ثم توجّوا أعمالهم بقتلهم بالسيف أو بدس السمّ.

و مع كل ما فعله الحكّام المنحرفون عن خطّ الرسول (صلّى الله عليه و اله) بأهل البيت (عليهم السّلام)، لم يمنعهم ذلك السلوك العدائي من النصح و الارشاد للحكّام و حل الكثير من المعضلات التي واجهتها الدوله الإسلاميه على امتداد تاريخها بعد وفاه الرسول (صلّى الله عليه و اله) و حتى عصر الإمام الحسن العسكري (عليه السلام).

و قد حجبت عنا الكثير من مواقفهم و سيرهم إما خشيه من السلطان أو

ص: ٢١

لأن من كتب تاريخنا الإسلامى إنما كتبه بذهنيه امويه و مداد عباسى لأنه قد عاش على فتات موائد الحكام المستبدّين.

و نورد هنا جمله من أقوال و شهادات معاصرى الإمام(عليه السّلام) و انطباعاتهم عن شخصيّته النموذجيه التى فاقت شخصيته جميع من عاصره من رجال و علماء الامه الإسلاميه.

١- شهادة المعتمد العباسى:

كانت منزله الإمام معروفه و مشهوره لدى الخاصه و العامه كما كانت معلومه لدى خلفاء عصره.

فقد روى أن جعفر بن على الهادى طلب من المعتمد أن ينصبه للإمامه و يعطيه مقام أخيه الإمام الحسن(عليه السّلام)بعده فقال له المعتمد:«اعلم ان منزله أخيك لم تكن بنا و إنما كانت باللّه عزّ و جل،و نحن كنا نجتهد فى حط منزلته و الوضع منه،و كان اللّه يأبى إلا أن يزيد كل يوم رفعه بما كان فيه من الصيانه و حسن السمّ و العلم و العباده و إن كنت عند شيعة أخيك بمنزلته فلا حاجه بك إلينا،و إن لم تكن عندهم بمنزلته و لم يكن فيك ما كان فى أخيك،لم نغن عنك فى ذلك شيئاً»(١).

٢- شهادة طيب البلاط العباسى:

كان بختيشوع ألمع شخصيه طيبه فى عصر الإمام الحسن العسكرى(عليه السّلام)فهو طيب الاسره الحاكمه،و قد احتاج الإمام ذات يوم الى

ص: ٢٢

١- ((١)) الخرائج و الجرائح، للقطب الراوندى: ٣/١١٠٩ بحار الأنوار: ٥٢/٥٠.

طبيب فطلب من بختيشوع أن يرسل إليه بعض تلامذته ليقوم بذلك، فاستدعى أحد تلاميذه و أوصاه أن يعالج الإمام (عليه السّلام) و حدّثه عن سمّ منزله و مكانته العاليه ثم قال له: «طلب منى ابن الرضا من يقصده فصر إليه، و هو أعلم فى يومنا هذا بمن تحت السماء، فاحذر أن لا تعترض عليه فى ما يأمرك به» (١).

٣- أحمد بن عبيد الله بن خاقان:

كان عامل الخراج و الضياع فى كوره قم، و أبوه عبيد الله بن خاقان أحد أبرز شخصيات البلاط السياسيه و كان وزيرا للمعتمد، و كان أحمد بن عبيد الله أنصب خلق الله و أشدهم عداوه لأهل البيت (عليهم السّلام)، فجرى ذكر المقيمين من آل أبى طالب بسرّ من رأى-سامراء- و مذاهبهم و أقدارهم عند السلطان، فقال أحمد بن عبيد الله: «ما رأيت و لا عرفت بسرّ من رأى رجلا من العلويه مثل الحسن بن على بن محمد بن على الرضا (عليهم السّلام)، و لا سمعت به فى هديه و سكونه و عفافه و نبله و كرمه عند أهل بيته و السلطان و جميع بنى هاشم و تقديمهم إياه على ذوى السن منهم و الخطر و كذلك القوود و الوزراء و الكتاب و عوام الناس».

و ينقل أحمد هذا قصه شهدها فى مجلس أبيه إذ دخل عليه حجابها فقالوا له: إن ابن الرضا- أى الإمام العسكرى (عليه السّلام)- على الباب فقال بصوت عال:

انذونا له، فقال أحمد: تعجبت ما سمعت منهم، انهم جسروا حيث يكونون رجلا على أبى بحضرتة و لم يكن يكفى عنده إلا خليفه أو ولى عهد أو من أمر

ص: ٢٣

١- ((١)) الخرائج: ١/٤٢٢-٤٢٤ ح ٣ ب ١٢ و ذكر الكليني فى اصول الكافى: ١/٥١٢ ح ٢٤ ب ١٢٤ مختصرا قريبا منه.

السلطان أن يكنى، فدخل رجل أسمر أعين حسن القامه، جميل الوجه، جبير البدن، حدث السن فلما نظر إليه أبي قام فمشى إليه خطى ولا أعلمه فعل هذا بأحد من بنى هاشم ولا بالقواد ولا بأولياء العهد، فلما دخل عانقه وقبل وجهه و منكبيه وأخذ بيده وأجلسه على مصلاه.

ثم يقول أحمد: ولما جلس أبي بعد أن صلى جئت فجلست بين يديه فقال: يا أحمد ألك حاجة؟ فقلت: نعم يا أبا إن أذنت سألتك عنها؟ فقال: قد أذنت لك يا بني فقل ما أحببت.

فقلت له: يا أبا من كان الرجل الذى أتاك بالغداه وفعلت به ما فعلت من الإجلال والاكرام والتبجيل، وفديته بنفسك وبأبويك؟

فقال: يا بني ذاك إمام الرفضه، ذاك ابن الرضا، فسكت ساعه ثم قال:

يا بني لو زالت الخلافه عن خلفاء بنى العباس ما استحقها أحد من بنى هاشم غير هذا، فإن هذا يستحقها فى فضله وعفافه وهديه وصيانته نفسه وزهده وعبادته وجميل أخلاقه وصلاحه ولو رأيت أباه لرأيت رجلا جليلا نبيلًا خيرا فاضلا (١).

٤- كاتب الخليفه المعتمد:

روى عن أبى جعفر أحمد القصير البصرى قال: حضرنا عند سيدنا أبى محمد (عليه السلام) بالعسكر فدخل عليه خادم من دار السلطان، جليل فقال له:

أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك: كاتبنا أنوش النصرانى يريد أن يطهر ابنين له، وقد سألنا مساء لتك أن تتركب الى داره وتدعو لابنه بالسلامه والبقاء، فأحب أن تتركب وأن تفعل ذلك فإننا لم نجشمك هذا العناء إلا لأنه

ص: ٢٤

١- ((١)) اصول الكافى: ١/٥٠٣، ٥٠٤ ح ١ ب ٢٤ و كمال الدين: ١/٤١-٤٢.

قال: نحن نتبرك بدعاء بقايا النبوه و الرساله.

فقال مولانا(عليه السلام): الحمد لله الذى جعل النصارى أعرف بحقنا من المسلمين.

ثم قال: أسرجوا لنا، فركب حتى وردنا أنوش، فخرج إليه مكشوف الرأس حافى القدمين، و حوله القسيسون و الشماسه و الرهبان، و على صدره الانجيل، فتلقاه على بابه و قال للإمام(عليه السلام) يا سيدنا أتوسل إليك بهذا الكتاب الذى أنت أعرف به منا إلا غفرت لى ذنبي فى عناك و حق المسيح عيسى بن مريم و ما جاء به من الإنجيل من عند الله، ما سألت أمير المؤمنين مسألتك هذه إلا لأننا وجدناكم فى هذا الإنجيل مثل المسيح عيسى بن مريم عند الله.

فقال الإمام(عليه السلام): أما ابنك هذا فباق عليك، و أما الآخر فمأخوذ عنك بعد ثلاثه أيام- أى ميت- و هذا الباقي يسلم و يحسن اسلامه و يتولانا أهل البيت.

فقال أنوش: و الله يا سيدى إن قولك الحق و لقد سهل على موت ابنى هذا لما عرفتنى إن الآخر يسلم، و يتولاكم أهل البيت.

فقال له بعض القسيسين: ما لك لا تسلم؟

فقال أنوش: أنا مسلم و مولانا يعلم ذلك.

فقال مولانا(عليه السلام): صدق و لو لا أن يقول الناس: إنا أخبرناك بوفاه ابنك و لم يكن ذلك كما أخبرناك لسألنا الله تعالى بقاءه عليك.

فقال أنوش: لا أريد يا سيدى إلا ما تريد.

قال أبو جعفر أحمد القصير البصرى- راوى الحديث:- مات و الله ذلك الابن بعد ثلاثه أيام و أسلم الآخر بعد سنه(كذا)، و لزم الباب معنا الى وفاه سيدنا أبى محمد(عليه السلام). (1)

ص: ٢٥

١- (١) مدينه المعاجز: ٥٨٣ و حليه الأبرار: ٢/٤٩٨ و عنه فى سفينه البحار: ٢/٢٠٣.

٥- راهب دير العاقول:

و كان من كبراء رجال النصرانية و أعلمهم بها، لَمَّا سمع بكرامات الإمام (عليه السّلام) و رأى ما رآه، أسلم على يديه و خلع لباس النصرانية و لبس ثيابا بيضاء.

و لما سأله الطيب بختيشوع عما أزاله عن دينه، قال: وجدت المسيح أو نظيره فأسلمت على يده- يعنى بذلك الإمام الحسن العسكرى (عليه السّلام)- و قال:

و هذا نظيره فى آياته و براهينه. ثم انصرف إلى الإمام و لزم خدمته إلى أن مات. (١)

٦- محمد بن طلحة الشافعى:

قال عن الإمام الحسن العسكرى (عليه السّلام):

«فأعلم المنقبة العليا و المزية الكبرى التى خصه الله عزّ و جلّ بها و قلمده فريدها و منحه تقليدها و جعلها صفة دائمة لا يبلى الدهر جديدها و لا تنسى الألسن تلاوتها و ترديدها: أن المهدي محمد نسله، المخلوق منه، و ولده المنتسب إليه، و بضعتة المنفصله عنه» (٢).

٧- ابن الصباغ المالكى:

قال: إنّه «سيد أهل عصره و إمام أهل دهره، أقواله سديده و أفعاله حميده، و إذا كانت أفاضل زمانه قصيده فهو فى بيت القصيده، و إن انتظموا عقدا كان مكان الواسطه الفريده، فارس العلوم لا يجارى و مبين غوامضها،

ص: ٢٦

١- ((١)) الخرائج و الجرائح: ١/٤٢٢-٤٢٤ و عنه فى بحار الأنوار: ٥٠/٢٦١.

٢- ((٢)) مطالب السؤل: ٢/١٤٨.

فلا يحاول ولا يمارى، كاشف الحقائق بنظره الصائب مظهر الدقائق بفكره الثاقب المحدث فى سره بالأمر الخفيات الكريم الأصل و النفس و الذات تغمده الله برحمته و أسكنه فسيح جنانه، بمحمد (صلى الله عليه و اله) آمين». (١)

٨-العلامه سبط بن الجوزى:

قال:«هو الحسن بن على بن محمّد بن على بن موسى الرضا بن جعفر ابن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب(عليهم السّلام)و كان عالما ثقاه روى الحديث عن أبيه، عن جده» (٢).

٩-العلامه محمد أبو الهدى أفندى:

قال واصفا الأئمه(عليهم السّلام)بأنهم قاده الناس الى الحضرة القدسيه و أنّهم أولياؤهم بعد الرسول الأعظم(صلى الله عليه و اله):«قد علم المسلمون فى المشرق و المغرب أن رؤساء الأولياء و أئمه الأصفياء من بعده(عليه السّلام)من ذريته و أولاده الطاهرين يتسللون بطنا بعد بطن و جيلا- بعد جيل الى زمننا هذا،و هم الأولياء بلا ريب، و قادتهم الى الحضرة القدسيه المحفوظه من الدنس و العيب و من فى الأولياء، الصدر الأول بعد الطبقة المشرفه بصحبه النبى الكريم(صلى الله عليه و اله)كالحسن و الحسين و السجاد و الباقر و الكاظم و الصادق و الجواد و الهادى و التقى و النقى العسكري(عليهم السّلام). (٣)

ص:٢٧

١- (١) الفصول المهمه:٢٧٥.

٢- (٢) تذكره الخواص:٣٦٢.

٣- (٣) احقاق الحق:٦٢١/٢ عن كتاب ضوء الشمس-لأبى الهدى أفندى:١١٩/١.

قال عنه: «الحادى عشر من الأئمه الحسن الخالص و يلقب أيضا بالعسكرى... و يكفيه شرفا أنّ الإمام المهدي المنتظر من أولاده، فله در هذا البيت الشريف و النسب الخضم المنيف و ناهيك به من فخار و حسبك فيه من علو مقدار... فيا له من بيت عالى الرتبه سامى المحله، فلقد طاول السماك علا- و نبلا- و سما على الفرقدين منزله و محملا- و استغرق صفات الكمال، فلا- يستثنى فيه بغير و لا- يالآ انتظم فى المجد هؤلاء الأئمه، انتظام اللآلى و تناسقوا فى الشرف فاستوى الأول و التالى، و كم اجتهد قوم فى خفض منارهم و الله يرفعه...» (١).

الى أقوال كثيره غيرها فى فضله صرح بها الفقهاء و المؤرخون و المحدثون من العامه و الخاصه، و لا- عجب فى ذلك و لا- غرابه فهو فرع الرسول (صلّى الله عليه و اله) و أبو الإمام المنتظر و الحادى عشر من أئمه أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا و هم عدل القرآن كما ورد عن الرسول (صلّى الله عليه و اله) و هم سفينه النجاه. و قد شهد له أبوه الإمام الهادى (عليه السلام) بسمو مقامه و رفعه منزلته بقوله الخالد: «أبو محمد أنصح آل محمّد غريزه و أوثقهم حجّه و هو الأكبر من ولدى و هو الخلف و إليه تنتهى عرى الإمامه و أحكامها، فما كنت سائلى فسله عنه، فعنده ما يحتاج إليه» (٢).

ص: ٢٨

١- ((الاتحاف بحب الاشراف: ١٧٨.

٢- ((الكافى: ١/٣٢٧، ٣٢٨ ح ١١.

إشاره

مظاهر من شخصيه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)

لقد كان الإمام أبو محمد الحسن العسكري (عليه السلام) في معالي أخلاقه نفعه من نفعات الرساله الاسلاميه فقد كان على جانب عظيم من سمو الأخلاق، يقابل الصديق و العدو بمكارم أخلاقه و معالي صفاته، و كانت هذه الظاهره من أبرز مكوناته النفسيه، وورثها عن آبائه و جده رسول الله (صلى الله عليه و اله) الذي وسع الناس جميعا بمكارم أخلاقه، و قد أثرت مكارم أخلاقه على أعدائه و الحاقدين عليه، فانقلبوا من بغضه الى حبه و الاخلاص له. (١)

و نقل المؤرخون أنّ المتوكل الذي عرف بشدّه عدائه لأهل البيت (عليهم السلام)، و حقهده على الإمام علي (عليه السلام)، أمر بسجن الإمام العسكري (عليه السلام) و التشديد عليه إلاّ أنّه لمّا حلّ في الحبس و رأى صاحب الحبس سمو أخلاق الإمام (عليه السلام) و عظيم هديه و صلاحه انقلب رأسا على عقب، فكان لا يرفع بصره الى الإمام (عليه السلام) إجلالا و تعظيما له، و لمّا خرج الإمام من عنده كان أحسن الناس بصيره، و أحسنهم قولا فيه. (٢)

ص: ٢٩

١- ((١)) حياه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): ٤٢.

٢- ((٢)) اصول الكافي: ٥٠٨/١ ح ٨ و عنه في الارشاد: ٣٢٩/٢، ٣٣٠ و في أعلام الوري: ١٥٠/٢ و عن الارشاد في كشف الغمه: ٢٠٢/٣.

نقل المؤرخون نماذج من السير الكريمة للإمام العسكري (عليه السلام) نذكر بعضها منها:

١- روى الشيخ المفيد عن محمد بن علي بن ابراهيم بن موسى ابن جعفر (عليه السلام): قال: ضاق بنا الأمر فقال لي أبي: إمض بنا حتى نصير الى هذا الرجل -يعنى أبا محمد- فإنه قد وصف عنه سماحه.

فقلت: تعرفه؟

قال: ما أعرفه، ولا رأيته قط.

قال: فقصدناه.

فقال لي أبي و هو في طريقه: ما أحوجنا الى أن يأمر لنا بخمس مائه درهم مائتا درهم للكسوه و مائتا درهم للدقيق، و مائه درهم للنفقه.

و قلت في نفسي ليته أمر لي بثلاث مائه درهم، مائه اشترى بها حمارا و مائه للنفقه و مائه للكسوه، فأخرج الى الجبل.

قال- أي محمد بن علي- فلما وافينا الباب خرج غلامه، فقال: يدخل علي بن ابراهيم و محمد ابنه، فلما دخلنا عليه و سلمنا، قال لأبي: يا علي ما أخلفك عنا الى هذا الوقت، فقال: يا سيدي: استحييت أن ألقاك على هذا الحال، فلما خرجنا من عنده جاءنا غلامه فناول أبي صره، و قال: هذه خمسمائه درهم، مائتان للكسوه، و مائتان للدقيق، و مائه للنفقه و أعطاني صره و قال:

هذه ثلاثمائه درهم اجعل مائه في ثمن حمار، و مائه للكسوه، و مائه للنفقه، و لا تخرج الى الجبل، و صر الى سوار.

قال: فصار الى سوار و تزوج بإمرأه منها فدخله اليوم ألف دينار و مع هذا يقول بالوقف. (١)

٢- و روى اسحاق بن محمد النخعي قال: حدثني أبو هاشم الجعفرى قال: شكوت الى أبي محمد (عليه السّلام) ضيق الحبس و كلب القيد (٢)، فكتب إلى أنت تصلى اليوم الظهر فى منزلك، فاخرجت وقت الظهر فصليت فى منزلى كما قال، و كنت مضيقاً فأردت أن أطلب منه معونه فى الكتاب الذى كتبه إليه فاستحييت، فلما صرت إلى منزلى وجه إلى بمائه دينار، و كتب إلى: اذا كانت لك حاجة، فلا تستح و لا تحتشم و اطلبها فإنك على ما تحب إن شاء الله. (٣)

٣- و عن اسماعيل بن محمد بن على بن اسماعيل بن على بن عبد الله بن العباس قال: قعدت لأبى محمد (عليه السّلام) على ظهر الطريق، فلما مرّ بى شكوت إليه الحاجه و حلفت له أن ليس عندى درهم واحد، فما فوقه، و لا- غداء و لا عشاء قال: فقال (عليه السّلام) تحلف بالله كاذبا و قد دفت مائتى دينار؟! و ليس قولى هذا دفعا لك عن العطيه، أعطه يا غلام ما معك، فأعطاني غلامه مئه دينار ثم أقبل على فقال:

إنك تحرم الدنانير التى دفتها أحوج ما تكون إليها، و صدق (عليه السّلام)، و ذلك أنى أنفقت ما وصلنى به، و اضطرت ضروره شديده الى شىء أنفقه، و انغلقت على أبواب الرزق، فنبشت الدنانير التى كنت دفتها فلم أجدها فإذا ابن لى قد عرف موضعها فأخذها و هرب، فما قدرت منها على شىء. (٤)

ص: ٣١

١- ((١)) اصول الكافى: ٥٠٦/١ ح ٣ ب ١٢٤ و عنه فى الارشاد: ٣٢٦/٢، ٣٢٧ و عنه فى كشف الغمه: ٢٠٠/٣.

٢- ((٢)) كلب القيد: شدته و ضيقه.

٣- ((٣)) اصول الكافى: ٥٠٨/١ ح ١٠ و عنه فى الارشاد: ٣٣٠/٢ و فى اعلام الورى: ١٤٠/٢ و عن الارشاد فى كشف الغمه: ٢٠٢/٣.

٤- ((٤)) اصول الكافى: ٥٠٩/١ ح ١٤ و عنه فى الارشاد: ٣٢٢/٢ و اعلام الورى: ١٣٧/٢ و عن الارشاد فى كشف الغمه: ٢٠٣/٣، و لعله كان من المغضوب عليهم لدى بنى العباس و لذلك لم يكفوه.

عرف الإمام العسكري (عليه السلام) في عصره بكثره عبادته و تبّله و انقطاعه الى الله سبحانه و اشتهر ذلك بين الخاصه و العامه، حتى أنه حينما حبس الإمام (عليه السلام) في سجن علي بن نارمش - و هو من أشد الناس نصبا لآل أبي طالب - ما كان من علي هذا إلا أن وضع خديه له و كان لا يرفع بصره إليه إجلالا و إعظاما فخرج من عنده و هو أحسن الناس بصيره و أحسن الناس قولاً فيه. (١)

و لما حبسه المعتمد كان يسأل السجان - علي بن جرير - عن أحوال الإمام (عليه السلام) و أخباره في كل وقت فيخبره علي بن جرير أن الإمام (عليه السلام) يصوم النهار و يصلّي الليل. (٢)

عن علي بن محمّد، عن محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن عبد الغفار قال: دخل العباسيون علي صالح بن وصيف و دخل صالح بن علي و غيره من المنحرفين عن هذه الناحيه علي صالح بن وصيف عند ما حبس أبا محمّد عليهما السلام.

فقال لهم صالح: و ما أصنع قد وّكّلت به رجلين من أشرّ من قدرت عليه، فقد صاروا من العباده و الصلاه و الصيام الى أمر عظيم، فقلت لهما: ما فيه؟ فقالا:

ما تقول في رجل يصوم النهار و يقوم الليل كلّه، لا يتكلّم و لا يتشاغل و إذا نظرنا إليه ارتعدت فرائصنا و يداخلنا ما لا نملكه من أنفسنا، فلمّا سمعوا ذلك

ص: ٣٢

١- (١) الكافي: ١/٥٠٨ ح ٨.

٢- (٢) مهج الدعوات: ٢٧٥.

انصرفوا خائبين (١).

عن محمد بن إسماعيل العلوي قال: دخل العباسيون على صالح بن و صيف عند ما حبس أبو محمد فقالوا له: ضيق عليه، قال: و كُلت به رجلين من شر من قدرت عليه علي بن بارمش و اقتامش، فقد صارا من العباد و الصلاح الى أمر عظيم يضعان خديهما له، ثم أمر باحضارهما فقال: و يحكما ما شأنكما في شأن هذا الرجل؟ فقالا: ما تقول في رجل يقوم الليل كله و يصوم النهار و لا يتكلم و لا يتشاغل بغير العباد، فاذا نظرنا إليه ارتعدت فرائصنا و داخلنا ما لا نملكه من أنفسنا (٢).

و كان يتسور عليه الدار جلاوزه السلطان في جوف الليل فيجدونه في وسط بيته يناجي ربه سبحانه.

إن سلامه الصلوة بالله سبحانه و ما ظهر على يدي الإمام من معاجز و كرامات تشير الى المنزلة العاليه و الشأن العظيم للإمام (عليه السلام) عند الله الذي اصطفاه لعهد و الذي تجلّى في إمامته (عليه السلام). (٣)

علمه و دلائل إمامته

و إليك شذرات من علوم الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) و دلائل إمامته:

١- عن أبي حمزه نصر الخادم قال: سمعت أبا محمد (عليه السلام) غير مره يكلم غلمانة بلغاتهم، و فيهم ترك، و روم و صقالبه، فتعجبت من ذلك و قلت:

هذا ولد بالمدينه و لم يظهر لأحد حتى مضى أبو الحسن - أي الإمام

ص: ٣٣

١- (١) الكافي: ٥١٣/١.

٢- (٢) المناقب: ٤٦٢/٢.

٣- (٣) اشاره الى قوله تعالى إني جاعلك للناس إماماً قال و من ذريتي قال لا ينال عهدى الظالمين. البقره (٢): ١٢٤.

الهادى (عليه السلام) - و لا رآه أحد فكيف هذا؟! حدثت نفسى بذلك فأقبل علىّ و قال: إنَّ الله جلَّ اسمه بيّن حجته من سائر خلقه و أعطاه معرفه بكل شىء و يعطيه اللغات و معرفه الأسباب و الآجال و الحوادث: و لو لا ذلك لم يكن بين الحجه و المحجوج فرق (١).

٢- و قال الحسن بن ظريف: اختلج فى صدرى مسألان أردت الكتاب بهما الى أبى محمد (عليه السلام)، فكتبت إليه أسأله عن القائم اذا قام بم يقضى؟ و أين مجلسه الذى يقضى فيه بين الناس؟ و أردت أن أسأله عن شىء لحمى الربيع، فأغفلت ذكر الحمى، فجاء بالجواب:

سألت عن القائم إذا قام قضى بين الناس بعلمه كقضاء داود (عليه السلام) و لا يسأل البيه، و كنت أردت أن تسأل عن حمى الربيع، فأنسيت فاكتب ورقه و علّقها على المحموم فإنّه يبرأ بإذن الله إن شاء الله: يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَ سَيْلًا مَّا عَلَيَّ إِبرَاهِيمَ. فكتبت ذلك و علّقته على المحموم فبرئ و أفاق. (٢)

٣- و روى الشيخ المفيد عن أبى القاسم جعفر بن محمد عن محمد بن يعقوب عن إسماعيل بن إبراهيم بن موسى بن جعفر، قال: كتب أبو محمد (عليه السلام) الى أبى القاسم اسحاق بن جعفر الزبيرى قبل موت المعتر بنحو عشرين يوماً، إلزم بيتك حتى يحدث الحادث، فلما قتل بريحه كتب إليه قد حدث الحادث، فما تأمرنى؟ فكتب إليه: ليس هذا الحادث، الحادث الآخر. فكان من المعتر ما كان. (٣)

ص: ٣٤

-
- ١- ((١)) اصول الكافي: ٥٠٩/١ ح ١١ و عنه فى الارشاد: ٣٣٠/٢ و اعلام الورى: ١٤٥/٢ و عن الارشاد فى كشف الغمه: ٢٠٢/٣.
 - ٢- ((٢)) اصول الكافي: ٥٠٩/١ ح ١٣ و عنه فى الارشاد: ٣٣١/٢ و اعلام الورى: ١٤٥/٢ و عن الارشاد فى كشف الغمه: ٢٠٣/٣ و حمى الربيع: هو أن يأخذ يوماً و يترك يومين و يعود فى اليوم الرابع، و الآية من سوره الأنبياء: ٦٩.
 - ٣- ((٣)) اصول الكافي: ٥٠٦/١ ح ٢ و عنه فى الارشاد: ٣٢٥/٢ و عنه فى كشف الغمه: ٢٠٠/٣ و ابن «تريخه». كذا-

أى ان الإمام(عليه السّلام)،أشار الى موت المعتز،فطلب من مواليه أن يلتزموا بالبقاء فى بيوتهم حتى ذلك الوقت لظروف خاصه كانت تحيط بالإمام(عليه السّلام) و بهم من الشده و طلب السلطان و جلاوزته لهم.

و من الطبيعى ان موت الخليفه يعقبه غالبا اضطراب فى الوضع يمكّن معارضيه من التحرك و التنقل بسهولة.

٤-و روى الشيخ الكلينى(رضى الله عنه)عن على بن محمد عن الحسن بن الحسين قال:حدثنى محمد بن الحسن المكفوف قال:حدثنى بعض أصحابنا عن بعض فصادى العسكر-أى سامراء-من النصارى:أن أبا محمد(عليه السّلام)بعث إلى يوما فى وقت صلاه الظهر فقال لى:

إفصد (١)هذا العرق،قال:و ناولنى عرقا لم أفهمه من العروق التى تفصد فقلت فى نفسى،ما رأيت أمرا أعجب من هذا يأمرنى أن أفصد فى وقت و ليس بوقت فصد،و الثانيه عرق لا أفهمه،ثم قال لى إنتظر و كن فى الدار،فلما أمسى دعانى فقال لى:سرح الدم فسرحت، ثم قال لى:أمسك فأمسكت،ثم قال لى:كن فى الدار،فلما كان نصف الليل أرسل إلى و قال لى:سرح الدم،قال:

فتعجبت أكثر من عجبي الأول و كرهت أن أسأله:قال:فسرحت فخرج دم أبيض كأنه الملح:قال:ثم قال لى إحبس،فحبست.ثم قال:كن فى الدار (٢)، فلما أصبحت قدم إلى تحت ثياب و خمسين ديناراً و قال:خذها و اعذر و انصرف فصرت إلى بختيشوع و قلت له القصه ففكر ساعه ثم مكثنا ثلاثه أيام بلياليها

ص:٣٥

١- (١) الفصد:شق العرق،يستخرج دمه؛لسان العرب،ابن منظور:٢٧٠/١٠،طبع بيروت،احياء التراث.

٢- (٢) الكافى:٥١٢/١.

نقرأ الكتب على أن نجد لهذه القصة ذكرا في العالم فلم نجد.

ثم قال بختيشوع: لم يبق اليوم في النصرانية أعلم بالطب من راهب بدير العاقول، فكتب إليه كتابا يذكر فيه ما جرى، فخرجت و ناديته فأشرف علي فقال من أنت؟ قلت صاحب بختيشوع. قال: أمعك كتابه؟ قلت: نعم فأرخى لي زنيلا، فجعلت الكتاب فيه فرفعه فقرأ الكتاب و نزل من ساعته و قال: أنت الذي فصدت الرجل؟ قلت: نعم، قال: طوبى لأمك، و ركب بغلا، و سرنا، فوافينا (سر من رأى) و قد بقي من الليل ثلثه، قلت: أين تحب؟ دار استاذنا أم دار الرجل - أي دار الإمام الحسن العسكري -؟ قال: دار الرجل، فصرنا الى بابه قبل الأذان الأول ففتح الباب و خرج إلينا خادم أسود و قال:

أيكما راهب دير العاقول؟ فقال: أنا جعلت فداك، فقال إنزل، و قال لي الخادم: احتفظ بالبعين، و أخذ بيده و دخلا فأقمت الى أن أصبحنا و ارتفع النهار ثم خرج الراهب، و قد رمى بثياب الرهبانية و لبس ثيابا بيضا و أسلم فقال: خذني الآن الى دار استاذك، فصرنا الى باب بختيشوع، فلما رآه بادر يعدو إليه ثم قال، ما الذي أزالك عن دينك؟

قال: وجدت المسيح و أسلمت على يده، قال: وجدت المسيح؟ قال:

أو نظيره، فإن هذه الفصده لم يفعلها في العالم إلا المسيح و هذا نظيره في آياته و براهينه، ثم انصرف إليه و لزم خدمته إلى أن مات. (١)

٥- عن أبي على المطهرى انه كتب إليه من القادسيه يعلمه بانصراف الناس عن المضى إلى الحج و انه يخاف العطش إن مضى، فكتب(عليه السلام): امضوا فلا خوف عليكم إن شاء الله، فمضوا سالمين (و لم يجدوا عطشا) (٢) و الحمد لله رب العالمين.

ص: ٣٦

١- (١) الخرائج و الجرايح: ١/٤٢٢. و بحار الأنوار: ٥/٢٦٢.

٢- (٢) الكافي: ١/٥٠٧، و المناقب: ٢/٤٦٤.

الباب الثاني

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

نشأه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)

الفصل الثاني:

مراحل حياة الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)

الفصل الثالث:

الإمام العسكري في ظل أبيه (عليهما السلام)

ص: ٣٧

إشاره

نشأه الإمام الحسن بن علي العسكري (عليه السلام)

نسبه الشريف

هو الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام).

و هو الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) [\(١\)](#) الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا.

و امه ام ولد يقال لها: حديث. أو سليل، و كانت من العارفات الصالحات. [\(٢\)](#) و ذكر سبط بن الجوزي: أن اسمها سوسن. [\(٣\)](#)

محل الولاده و تأريخها

ولد الإمام أبو محمد الحسن العسكري (عليه السلام) - كما عليه أكثر المؤرخين - في شهر ربيع الآخر سنة (٢٣٢ هـ) من الهجره النبويه المشرفه في المدينه المنوره.

ص: ٣٩

١- (١) أصول الكافي: ٥٠٣/١.

٢- (٢) الارشاد: ٣١٣/١.

٣- (٣) تذكره الخواص: ٣٢٤.

و يلاحظ هنا اختلاف المؤرخين و الرواه فى تاريخ ميلاده الشريف من حيث اليوم و الشهر و السنه التى ولد فيها.

فمنهم من قال أنّ ولادته كانت سنه (٢٣٠ هـ) (١) و قال آخرون انها كانت سنه (٢٣١ هـ) (٢) أو سنه (٢٣٢ هـ) (٣) أو سنه (٢٣٣ هـ) (٤).

و روى أنها كانت فى السادس من ربيع الأول أو السادس أو الثامن أو العاشر من ربيع الآخر أو فى رمضان (٥).

و لا- نرى غرابه فى هذا الاختلاف، فربما يعزى إلى اجراءات كان الإمام الهادى (عليه السّلام) يقوم بها من أجل المحافظه على حياه الإمام العسكرى (عليه السّلام) أو يكون لغير هذا من أسباب تعزى إلى ملابسات تأريخيه خاصه.

ألقابه (عليه السّلام) و كناه

اطلق على الإمامين على بن محمد و الحسن بن على (عليهما السّلام) (العسكريّان) لأنّ المحله التى كان يسكنها هذان الإمامان- فى سامراء- كانت تسمى عسكر (٦).

و (العسكرى) هو اللقب الذى اشتهر به الإمام الحسن بن على (عليه السّلام).

و له ألقاب اخرى، نقلها لنا المحدثون، و الرواه، و أهل السير و هى: الرفيق، الزكى، الفاضل، الخالص، الأمين، و الأمين على سرّ الله، النقى، المرشد الى

ص: ٤٠

١- (١) المنتظم فى تاريخ الأمم و الملوك: ١٢٦/٧.

٢- (٢) تذكره الخواص: ٣٢٤، و كشف الغمه: ١٩٢/٣ عن ابن طلحه الشافعى فى مطالب السؤل.

٣- (٣) وفيات الأعيان: ٩٤/٢.

٤- (٤) دلائل الامامه: ٢٢٣.

٥- (٥) راجع حياه الإمام العسكرى (دراسه تحليليه تاريخيه علميه): ٥٨-٥٩.

٦- (٦) بحار الأنوار: ٢٣٥/٥٠.

اللّه، الناطق عن اللّه، الصادق، الصامت، الميمون، الطاهر، المؤمن باللّه، وليّ اللّه، خزانة الوصيين، الفقيه، الرجل، العالم (١).

و كل منها له دلالاته الخاصّة على مظهر من مظاهر شخصيته و كمال من كمالاته.

و كان يكتفى بابن الرضا. كأبيه و جدّه، و كنيته التي اختص بها هي:

(أبو محمد).

ملاححه

وصف أحمد بن عبيد اللّه بن خاقان ملامح الإمام الحسن العسكري بقوله: إنه أسمر أعين (٢) حسن القامه، جميل الوجه، جيد البدن، له جلاله و هيبة (٣). و قيل: إنّه كان بين السمره و البياض (٤).

النشأه و ظروفها

نشأ الإمام أبو محمد (عليه السّلام) في بيت الهدايه و مركز الإمامه الكبرى، ذلك البيت الرفيع الذي أذهب اللّه عن أهله الرجس و طهرهم تطهيرا. و قد وصف الشبراوى هذا البيت الذي ترعرع فيه هذا الإمام العظيم قائلا:

ص: ٤١

١- ((١)) كمال الدين: ٣٠٧/١، اثبات الهداه: ١/٦٥١، ٥٤٤، ٤٦٩، الشيعة و الرجعه: ٨٨/١. و حياه الإمام العسكري: ٢٣-٢٨ (للشيخ محمد جواد الطبسى). و الألقاب الثلاثة الأخيره هي الألقاب التي وردت في الكتب الرجاليه باعتبار ورودها في أسانيد الروايات و التي كانت تلاحظ فيها ظروف النقل و الروايه.

٢- ((٢)) الأعين: الواسع العين.

٣- ((٣)) اصول الكافي: ١/٥٠٣ ح ١ و عنه في الارشاد: ٣٢١/٢، و في كمال الدين: ١/٤٠ بطريق آخر، و عن الكليني أو المفيد في اعلام الورى: ٢/١٤٧، و عن الارشاد في كشف الغمه: ٣/١٩٧، و عن كمال الدين و الارشاد و الاعلام في بحار الأنوار: ٣٢٦-٣٣٠.

٤- ((٤)) بحار الأنوار: ٣٢٨/٥٠ و أخبار الدول: ١١٧.

فَلله دَرّ هذا البيت الشريف، والنسب الخضم المنيف، وناهيك به من فخار، وحسبك فيه من علو مقدار، فهم جميعا فى كرم الأرومه و طيب الجرثومه كأسنان المشط؛ متعادلون، و لسهام المجد مقتسمون، فيا له من بيت على الرتبه سامى المحله، فلقد طاول السماء علا و نبلا، و سما على الفرقدين منزله و محلا، و استغرق صفات الكمال فلا يستثنى فيه ب«غير» و لا ب«إلا»، انتظم فى المجد هؤلاء الأئمه انتظام اللآلى، و تناسقوا فى الشرف فاستوى الأول و التالى، و كم اجتهد قوم فى خفض منارهم، و الله يرفعه، و ركبوا الصعب و الذلول فى تشتيت شملهم و الله يجمعه، و كم ضيعوا من حقوقهم ما لا يهمله الله و لا يضيعه» (١).

لقد ظفر الإمام أبو محمد بأسمى صور التربيه الرفيعه و هو يترعرع فى بيت زكاه الله و أعلى ذكره و رفع شأنه حيث يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَ الْأَصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَ لَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ... (٢)، ذلك البيت الذى رفع كلمه الله لتكون هى العليا فى الأرض و قدّم القرابين الغاليه فى سبيل رساله الله.

و قطع الإمام الزكى شوطا من حياته مع أبيه الإمام الهادى (عليه السّلام) لم يفارقه فى حلّه و ترحاله، و كان يرى فيه صوره صادقه لمثل جدّه الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و اله)، كما كان يرى فيه أبوه أنه امتداد الرساله و الامامه فكان يوليه أكبر اهتمامه، و لقد أشاد الإمام الهادى (عليه السّلام) بفضل ابنه الحسن العسكرى قائلا:

«أبو محمد ابني أصحّ آل محمد (صلّى الله عليه و اله) غريزه و أوثقهم حجه. و هو الأ-كبر من ولدى و هو الخلف و إليه تنتهى عرى الإمامه و أحكامها» (٣)، و الإمام الهادى بعيد عن

ص: ٤٢

١- (١) حياه الإمام الحسن العسكرى (دراسه و تحليل): ١٠٣ عن الاتحاف بحبّ الاشراف: ٤٨.

٢- (٢) النور (٢٤): ٣٧.

٣- (٣) اصول الكافى: ٣٢٧/١ ح ١١ و عنه فى الارشاد: ٣١٩/٢ و اعلام الورى: ١٣٥/٢ و عن الارشاد فى كشف الغمه: ١٩٦/٣، و عن بعضها فى أعيان الشيعة ٤ ق ٢٩٥: ٣ و عنه فى حياه الإمام الحسن العسكرى: ٢٣.

المحابه و الاندفاع العاطفى مثله فى ذلك آبائه المعصومين.

وقد لازم الإمام أبو محمد (عليه السّلام) أباه طيله عقدين من الزمن و هو يشاهد كل ما يجرى عليه و على شيعته من صنوف الظلم و الاعتداء و انتقل الإمام العسكرى (عليه السّلام) مع والده إلى سرّ من رأى (سامراء) حينما وشى بالإمام الهادى (عليه السّلام) عند المتوكل حيث كتب إليه عبد الله بن محمد بن داود الهاشمى: «يذكر أن قوما يقولون إنه الإمام -أى على الهادى (عليه السّلام)- فأشخصه عن المدينه مع يحيى بن هرثمه حتى صار إلى بغداد، فلما كان بموضع يقال له الياسريه نزل هناك، و ركب اسحاق بن إبراهيم لتلقّيه، فرأى تشوّق الناس إليه و اجتماعهم لرؤيته، فأقام إلى الليل، و دخل به فى الليل، فأقام ببغداد بعض تلك الليله ثم نفذ إلى سرّ من رأى» (١).

و لقد أسرف المتوكل العباسى فى الجور و الاعتداء على الإمام على بن محمد الهادى (عليه السّلام) ففرض عليه الاقامه الجبريه فى سامراء و أحاط داره بالشرطه تحصى عليه أنفاسه و تمنع العلماء و الفقهاء و شيعته من الاتصال به، و قد ضيق المتوكل على الإمام فى شؤونه الاقتصاديه أيضا، و كان يأمر بتفتيش داره بين حين و آخر، و حمله إليه بالكيفيه التى هو فيها.

و كان من شدّه عداء المتوكل لأهل البيت (عليهم السّلام) أن منع رسميًا من زياره قبر الإمام الحسين بن على (عليهما السّلام) بكر بلاء، و أمر بهدم القبر الشريف الذى كان مركزا من مراكز الاشعاع الثورى فى أرض الإسلام.

و كانت كل هذه الظروف المريره هى الظروف التى عاشها الإمام الزكى أبو محمد العسكرى (عليه السّلام) و هو فى نضاره العمر و غضاره الشباب فكوت

ص: ٤٣

نفسه آلاما و أحزانا و قد عاش تلك الفتره فى ظل أبيه و هو مرّوع فذابت نفسه أسى و تقطعت ألما و حسره (١).

و كان استشهاد والده (سنه ٢٥٤ هـ) و تقلّد الامامه بعده و كانت فتره امامته أقصر فتره قضاها إمام من أئمه أهل البيت الأطهار و هم أصح الناس أبدانا و سلامه نفسيه و جسديه. قد استشهد و هو بعد لما يكمل العقد الثالث من عمره الشريف، إذ كان استشهاده فى سنه (٢٦٠ هـ) (٢) فتكون مده إمامته (عليه السلام) ست سنين. و هذه المده القصيره تعكس لنا مدى رعب حكام الدوله العباسيه منه و من دوره الفاعل فى الامه لذا عاجلوه بعد السجن و التضيق بدس السم له و هو لم يزل شابا فى الثامنه أو التاسعه و العشرين من عمره الميمون. (٣)

و لا بد من الاشاره إلى أنّ المنقول التاريخى عن الإمام العسكرى (عليه السلام) فى ظل حياه والده الإمام على الهادى (عليه السلام) و مواقفهما لا يتعدى الولاده و الوفاه و النسب الشريف و حوادث و مواقف يسيره لا تتناسب و دور الإمام (عليه السلام) الذى كان يتمثل فى حفظ الشريعه و العمل على إبعاد الامه عن الانحراف و مواجهه التحديات التى كانت تواجهها من قبل أعداء الإسلام.

غير أن مجموعه من الروايات التى نقلها لنا بعض المحدثين تشير إلى امور مهمه من حياه الإمام العسكرى (عليه السلام)، و قد أشار الإمام العسكرى نفسه إلى صعوبه ظرفه بقوله (عليه السلام): «ما منى أحد من آبائى بمثل ما منيت به من شك هذه العصابه فى». (٤)

ص: ٤٤

١- (١) حياه الإمام الحسن العسكرى: ٢٤.

٢- (٢) الارشاد: ٣١٥/٢، و عنه فى بحار الأنوار: ٢٣٦/٥٠.

٣- (٣) مناقب آل أبى طالب: ٤٢٢/٤.

٤- (٤) تحف العقول: ٥١٧.

و هذا شاهد آخر على حراجه الظروف السياسيه و الاجتماعيه التي كانت تحيط بالإمامين العسكريين علي بن محمد و الحسن بن علي (عليهما السلام) و التي كانت تحتم إبعاد الإمام العسكري من الأضواء و الاتصال بالعامه إلا في حدود يسمح الظرف بها أو تفرضها ضروره بيان منزلته و إمامته و علو مكانته و إتمام الحججه به على الخواص و الثقاه من أصحابه، كل ذلك من أجل الحفاظ على حياته من طواغيت بني العباس.

و إن ما ورد منه في وفاه أخيه محمد يعدّ مؤشرا آخر يضاف إلى قول الإمام (عليه السلام) و يدل على صعوبه الظرف الذي كان يعيشه الإمامان و حاله الاستعداد التي كانت تفرضها السلطه عليهما، فعند وفاه محمد بن علي الهادي (عليه السلام) - كما يروى الكليني عن سعد بن عبد الله عن جماعه من بني هاشم منهم الحسن بن الحسين الأقطس - حيث قال: «إنهم حضروا يوم توفي محمد بن علي بن محمد دار أبي الحسن (عليه السلام) و قد بسط في صحن داره و الناس جلوس حوله فقالوا: قدّرنا أن يكون حوله من آل أبي طالب و من بني العباس و قریش مائه و خمسون رجلا سوى موالیه و سائر الناس إذ نظرنا إلى الحسن بن علي (عليه السلام) قد جاء مشقوق الجيب حتى قام عن يمينه و نحن لا نعرفه فنظر إليه أبو الحسن (عليه السلام) بعد ساعه من قيامه ثم قال له: «يا بني أحدث لله شكرا فقد أحدث فيك أمرا».

فبكي الحسن (عليه السلام) و استرجع و قال: «الحمد لله رب العالمين، و إياه أسأل تمام نعمه لنا فيك و إنا لله و إنا إليه راجعون».

فسألنا عنه فقيل لنا: هذا الحسن ابنه و قدّرنا له في ذلك الوقت عشرين

سنه أو أرجح فيومئذ عرفناه و علمنا أنه قد أشار إليه بالإمامه و أقامه مقامه» (١).

و نلاحظ أن سؤال جماعه عن الإمام الحسن العسكري (عليه السّلام) و في هذه المناسبه الأئيمه التي حضرها أعيان الناس دليل قوى على مدى تكتم الإمام الهادي على ولده العسكري (عليهما السّلام)، خصوصا و هو قد بلغ العشرين من عمره الشريف.

ص: ٤٦

١- (١) الكافي: كتاب الحججه، باب الاشاره و النص على أبي محمد (عليه السّلام)، الحديث رقم ٨.

الفصل الثانی: مراحل حياه الإمام الحسن العسکرى (عليه السلام)

تنقسم حياه الإمام العسکرى (عليه السلام) الى مرحلتين متميزتين:

المرحلة الاولى: هي الأيام التي قضاها الإمام الحسن العسکرى (عليه السلام) في ظلال إمامه أبيه الإمام الهادى (عليه السلام) و التي تقرب من (٢٢) سنه حيث تنتهى باستشهاد أبيه سنه (٢٥٤ هـ).

ولا- نملك صورته تفصيليه عن هذين العقدين من الزمن فيما يخص حياه الإمام الحسن العسکرى سوى بضعه حوادث تتلخص في صور من خشيته لله منذ صباه و علاقته الحميمه بأخويه محمد و الحسين ثم رزؤه بأخيه محمد، ثم زواجه و نصّ الإمام الهادى على إمامته، ثم تجهيزه لأبيه حين وفاته صلوات الله عليه.

و لا بد لنا أن نلّم بأحداث عصر الإمام الهادى (عليه السلام) و مواقفه منها كى نستطيع أن نخرج بصوره واضحه عن الظروف التي أحاطت بالامام العسکرى (عليه السلام) في المرحلة الثانيه من حياته كى يتسنى لنا تقويمها و دراسه نشاطاته (عليه السلام) في عصر إمامته الذى لا نجد عصره أقصر منه و لا أشد حراجه بالنسبه للامام نفسه و لشيعته و لأهدافه.

المرحلة الثانية: هي أيام إمامته حتى استشهاده و التي تبدأ من سنة (٢٥٤هـ) و حتى سنة استشهاده (٢٦٠هـ) و هي مرحلة حافلة بأحداث مهمة على الرغم من قصرها.

و قد عاصر فيها كلاً من المعتز (٢٥٥هـ) و المهدي (٢٥٦هـ) و المعتمد (٢٧٩هـ)

و تبرز مدى أهميتها حينما نتصوّر أهميه مرحلة الغيبة التي كان لا بد للامام الحسن العسكري (عليه السلام) أن يقوم بالتمهيدات اللازمه فيها لنقل شيعه أهل البيت (عليهم السلام) من مرحلة الحضور الى مرحلة الغيبه التي يراد من خلالها حفظ الإمام المعصوم و حفظ شيعته و حفظ خطهم الرسالي من الضياع و الانهيار و الاضمحلال، حتى تنتهي الظروف الملائمه لثوره أهل البيت الرئانيه على كل صروح الظلم و الطغيان و تحقيق جميع أغراض الرساله الالهيه الخالده على وجه الأرض من خلال دوله العداله العالميه لأهل البيت (عليهم السلام).

ص: ٤٨

إشاره

الإمام الحسن العسكري في ظلّ أبيه (عليهما السلام)

كان شخوص الإمام الهادي مع ابنه الحسن العسكري (عليه السّلام) من المدينه سنه (٢٣٤ هـ) (١)، ورافقه خلال مده تواجده في سامراء البالغه عشرين سنه فيكون قد عاش الإمام الحسن العسكري (عليه السّلام) في ظلّ أبيه اثنين و عشرين سنه حيث استشهد أبوه الإمام الهادي (عليه السّلام) سنه (٢٥٤ هـ).

و قد عاش الظروف المأساويه القاسيه التي كان يعيشها الإمام الهادي (عليه السّلام) و شيعته و التي كانت تفرضها السلطه الغاشمه على الإمام (عليه السّلام) و أتباعه من أجل إيقاف نشاط الإمام و نشاط أتباعه أو تحديده و تطويقه لئلا يتسع نشاط مدرسه أهل البيت (عليهم السّلام) و تنتشر آثارهم بين جميع أبناء الامه الاسلاميه ذلك النشاط الذي قد يؤدي إلى المواجهه معها؛ لذا فهي كانت تعمد الى الاضطهاد و السجن و النفي و المتابعه و هي وسائل السلطات الجائره على امتداد تاريخ الانسان.

١- طفوله متميزه

روى أن شخصا مرّ بالحسن بن علي العسكري (عليهما السلام) و هو واقف مع

ص: ٤٩

أترابه من الصبيان، يبكي، فظن ذلك الشخص أن هذا الصبي يبكي متحسراً على ما في أيدي أترابه، و لذا فهو لا- يشار كهم في لعبهم، فقال له: أشتري لك ما تلعب به؟ فردّ عليه الحسن (عليه السّلام): «لا. ما للعب خلقنا».

و بهر الرجل فقال له: لماذا خلقنا؟ فأجابه (عليه السّلام): «للعلم و العباده».

فسأله الرجل: من اين لك هذا؟ فأجابه (عليه السّلام): من قوله تعالى أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا.

و بهت الرجل و وقف حائراً، و انطلق يقول له: ما نزل بك، و أنت صغير لا ذنب لك!!؟

فأجابه (عليه السّلام): «إليك عني، إني رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار، فلا تتقد إلا بالصغار، و إني أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم» (١).

و روى عن محمّد بن عبد الله انه قال: وقع أبو محمد (عليه السّلام) و هو صغير في بئر الماء و أبو الحسن (عليه السّلام) في الصلاة، و النسوان يصرخن، فلما سلّم قال:

لا بأس. فأرأوه و قد ارتفع الماء الى رأس البئر و أبو محمد على رأس الماء يلعب بالماء (٢).

٢- عصر الإمام الهادي (عليه السّلام)

عاصر الإمام الهادي (عليه السّلام) مده إمامته ستّة من خلفاء بني العباس، المعتصم منذ سنة (٢٢٠-٢٣٢ هـ) و المتوكل (٢٣٢-٢٤٧ هـ) حيث قتل على يد الأتراك، ثم جاءت أيام المنتصر -و كانت مده خلافته ستّة أشهر و يومين، ثم المستعين (٢٤٨-٢٥٢ هـ) كما عاصر الشطر الأكبر من خلفه

ص: ٥٠

١- ((١)) حياه الإمام الحسن العسكري: ٢٢-٢٣ عن جوهره الكلام في مدح الساده الأعلام: ١٥٥.

٢- ((٢)) الخرائج و الجرائح: ١/٤٥١ ح ٣٦ و عنه في بحار الأنوار: ٥٠/٢٧٤.

المعتز (٢٥٢-٢٥٥ هـ) حيث كان استشهاد الإمام الهادي (عليه السّلام) سنة (٢٥٤ هـ) (١)، و في هذا العام تولى مهام الامامه ابنه الحسن بن علي العسكري (عليهما السّلام).

و كانت الظروف التي تمر بها الدوله العباسيه بعد تولى المتوكل ظروفًا صعبه جدًا، إذ إنها كانت تعد مؤشرا على ضعفها، وتشكل بدايه لانحلالها، فالحروب الداخليه والخارجيه من جهه، والقتال بين أبناء الخلفاء على كرسى الحكم من جهه اخرى كالذى حصل بين المستعين و المعتز و الذى أدى الى تولى المعتز و خلع الاول عام (٢٥٢ هـ) (٢). كل واحد من هذه الصراعات كان له تأثيره المباشر فى ايجاد الضعف و الانحلال.

و تمثّلت الأحداث الداخليه أيضا بنشاط الخوارج و الذى كان نشاطا قويا فعلا مدعما بالمال و السلاح بقياده مادر الشارى، و هناك أيضا الثورات و الانتفاضات العلويه الى جانب نزاعات الطامعين فى السلطه.

كما ان الدوله كانت تعاني من سوء الحاله الاقتصاديه نتيجة للبلذخ و الاسراف الذى كانت تعيشه رجالات البلاط و الوزراء و حاشيتهم، و فى أيام المتوكل قام المتوكل بهدم قبر الإمام الحسين (عليه السّلام) (٣)، و منع القاصدين لزيارته عن زيارته؛ لأن المتوكل كان يتجاهر بعدائه لآل أبى طالب و مطاردتهم، و لم يرد تجاه تلك الاحداث أى تعليق من قبل الإمام الهادي (عليه السّلام)، و يمكن أن يقال: «انه لم يرد إلينا عن موقف الإمام (عليه السّلام) مع الخلفاء شىء سوى ما جاء عن موقفه من المتوكل و هو أقل القليل». (٤)

ص: ٥١

١- (١) تاريخ الطبرى: ٧ أحداث سنه ٢٣٤ و سنه ٢٥٤ هـ.

٢- (٢) تاريخ يعقوبى: ٢/٤٧٦.

٣- (٣) تاريخ ابن الوردى: ١/٢١٦.

٤- (٤) تاريخ الغيبه الصغرى: ١١٧.

و كانت للإمام الهادى (عليه السّلام) منزله ساميه و مكانه رفيعه القدر لدى أهل المدينة لإحسانه إليهم و علاقته القويه معهم، فلمّا أشخصه المتوكل و أرسل يحيى ابن هرثمه لجلب الإمام من المدينة إلى سامراء عام (٢٣٤هـ) اضطرب الناس و ضجّوا كما يروى يحيى بن هرثمه نفسه حيث قال: «فذهبت الى المدينة فلمّا دخلتها ضجّ أهلها ضجيجا عظيما، ما سمع الناس بمثله خوفا على على -أى الإمام الهادى (عليه السّلام)- و قامت الدنيا على ساق، لأنّه كان محسنا إليهم ملازما للمسجد، لم يكن عنده ميل الى الدنيا، فجعلت أسكنهم، و أحلف لهم أنى لم أومر فيه بمكروه، و أنه لا بأس عليه، ثم قُتشت منزله فلم أجد إلا مصاحف و أدعيه، و كتب علم، فعظم فى عيني» (١).

و تعكس هذه الروايه لنا حجم ما كان يؤديه الإمام الهادى (عليه السّلام) من دور فى المدينة و الذى نتج عنه حصول روابط و وشائج قويه تصل الامه به كما كانت توصله بالأمه، و ربما كان المتوكل قد وقف على هذا التأثير البالغ للإمام (عليه السّلام) فكان سببا لإبعاده عن المدينة المنوره الى سامراء التى أسسها العباسيون أنفسهم و التى عرفت بميول أهلها و الذين كان أغلبهم من الأتراك إلى العباسيين أولا، بالاضافه الى ما عرفوا به من تطرّف فى التوجه الى السيطره و السلطه ثانيا.

٣- مواقف الإمام الهادى (عليه السلام) تجاه الأحداث

إشاره

يتضح لنا من خلال الاجراءات التى قام بها المتوكل العباسى تجاه الإمام الهادى (عليه السلام) أنّ حركه الإمام و قيامه بمهامه إزاء الامه و خاصّته - و هى القواعد

ص: ٥٢

١- ((١)) تذكره الخواص: ٣٦٠ عن علماء السير.

المؤمنه بمرجعيتيه الفكرية و الروحيه- كانت حركه محدوده تخضع لمدى الرقابته و الضغط الموجه إليه و الى خاصته. فكان الإمام(عليه السلام) منتهجا نفس السبيل الذي انتهجه آباؤه(عليهم السلام)، و على وفق المصلحه العليا للرساله الاسلاميه و بمقدار ما تسمح به الظروف العامه و الخاصه التي تحيط بالإمام(عليه السلام) في عصره و هي ضروره الحفاظ على مفاهيم الرساله الاسلاميه أولا و منع خاصيته من الوقوع في الانحراف أو ما كان يكيد له السلطان العباسي من منزلقات ثانيا.

و يمكن أن نصور مواقف الإمام الهادي(عليه السلام) على منحيين:

المنحى الأول: هو إثبات الحق و نقد الباطل، على صعيد الامه الاسلاميه، سواء كان ذلك على مستوى جهاز الحكم أو على مستوى القواعد الشعبيه العامه.

حتى أن يحيى بن أكنم قال للمتوكل: «ما نحب أن تسأل هذا الرجل- أي الإمام(عليه السلام)- شيئا بعد مسألتى هذه و إنه لا يرد عليه شيء بعدها إلا دونها، و في ظهور علمه تقويه للرافضه» (١).

المنحى الثاني: هو المحافظه التامه على أصحابه و رعايه مصالحهم و تحذيرهم من الوقوع في أحابيل السلطه العباسيه و مساعدتهم في إخفاء نشاطهم و الحذر في التحرك بحسب الامكان. (٢)

و تتضح لنا مواقف الإمام الهادي(عليه السلام) من خلال استعراض بعض الحوادث التي واجهها و ما اتخذ من اجراءات إزاءها لنحصل على صورته واضحه المعالم حينما نأخذ كل ظروفه بنظر الاعتبار فتتضح من خلالها الحركه العامه للأئمه الأطهار و المواقف الخاصه بكل امام.

ص: ٥٣

١- (١) المناقب: ٤/٤٣٧.

٢- (٢) الغيبه الصغرى: ١١٨.

لقد سعى جماعه بالامام (عليه السلام) إلى المتوكل، و أخبروه بأن في منزله سلاحا و كتبها و غيرها و أنه يطلب الأمر لنفسه، فارسل المتوكل مجموعه من الأتراك ليلا ليهاجموا على منزله على حين غفله، فلما باغتوا الإمام (عليه السلام) و جدوه وحده، مستقبل القبلة و هو يقرأ القرآن، و ليس بينه و بين الأرض بساط فأخذ على الصورة التي وجد عليها، و حمل إلى المتوكل في جوف الليل، فمثل بين يدي المتوكل و هو في مجلس شرابه و في يده كأس، فلما رآه أعظمه و أكبره و أجلسه إلى جانبه و لم يكن في منزله شيء مما قيل عنه و لم تكن للمتوكل حجة يتعلل بها على الإمام (عليه السلام). فناول المتوكل الإمام (عليه السلام) الكأس الذي في يده.

فقال الإمام (عليه السلام): يا أمير المؤمنين ما خامر لحمي و دمي قط، فأعفني، فأعفاه، فقال المتوكل: أنشدني شعرا أستحسنه.

قال الإمام (عليه السلام): إنني لقليل الروايه للشعر.

قال المتوكل: لا بد أن تنشدي شيئا. فأنشده الإمام (عليه السلام):

باتوا على قلل الأجمال تحرسهم غلب الرجال فما أغنتهم القلل

و استنزلوا من بعد عز من معاقلهم فاودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد ما قبروا أين الأسره و التيجان و الحلل

أين الوجوه التي كانت منعمه من دونها تضرب الأستار و الكلل

فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

قد طالما أكلوا يوما و ما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد اكلوا

و طالما عمّروا دورا لتحصنهم ففارقوا الدور و الأهلين و انتقلوا

و طالما كتزوا الأموال و ادّخروا فخلفوها على الأعداء و ارتحلوا

أضحت منازلهم قفرا معطله و ساكنوها الى الأجداث قد رحلوا

فبكى المتوكل بكاء كثيرا حتى بَلَّتْ دموعه لحيته، و بكى من حضر ثم أمر برفع الشراب، ثم قال يا أبا الحسن، أعليك دين؟ قال الإمام (عليه السلام): نعم، أربعة آلاف دينار، فأمر بدفعها إليه، و ردّه إلى منزله مكرّما. (١)

فمواقف الإمام (عليه السلام) كانت تنسجم مع موقع الإمامه أوّلا و تنسجم مع الظروف السياسيّه و الاجتماعيّه التي تحيط بالإمام (عليه السلام) و شيعته ثانيا.

و كان الإمام (عليه السلام) يحاول إتمام الحجّه و إقامه الحق كلما سمحت الفرصه بذلك، فقد روى أن نصرانيا جاء الى دار الإمام (عليه السلام) حاملا إليه بعض الأموال، فخرج إليه خادمه و قال له: أنت يوسف بن يعقوب؟ فقال: نعم، قال: فانزل واقعد في الدهليز، فتعجب النصراني من معرفته لاسمه و اسم أبيه، و ليس في البلد من يعرفه، و لا دخله قط. ثم خرج الخادم و قال: المئه دينار التي في كمك في الكاغد هاتها، فناولها إياه ثم دخل على الإمام (عليه السلام) و طلب منه أن يرجع الى الحق و أن يدخل في الإسلام فلما قال له الإمام: يا يوسف أما آن لك؟ فقال يوسف يا مولاي قد بان لى من البرهان ما فيه الكفايه لمن اكتفى، فقال له الإمام (عليه السلام): هيهات انك لا تسلم و لكنه سيسلم ولدك فلان و هو من شيعتنا (٢).

ص: ٥٥

١- ((١)) مروج الذهب: ١١/٤ عن الميرّذ، و لعلّ عنه ابن خلكان في وفيات الأعيان: ٤٣٤/٢ و عن المسعودي السبط في تذكره الخواص: ٣٢٣.

٢- ((٢)) الخرائج و الجرائح: ٣٩٦/١ ح ٣ ب ١١ و عنه في كشف الغمه: ١٨٢/٣.

الإمام الهادي (عليه السلام) ووزير المنتصر

و روى أن الإمام (عليه السلام) كان يساير أحمد بن الخصب في أثناء وزارته و قد قصر أبو الحسن -أي الإمام الهادي (عليه السلام)- عنه فقال له ابن الخصب: سر، جعلت فداك، فقال له أبو الحسن (عليه السلام): «أنت المقدم»، يقول الراوى فما لبثنا إلا أربعة ايام حتى وضع الدهق على ساق ابن الخصب و قتل. (١)

و ابن الخصب هذا من المتجربين و قد استوزره المنتصر و ندم على ذلك لما اشتهر بالظلم. فمن ذلك انه ركب يوما فتظلم إليه متظلم بقصه فأخرج رجله من الركاب فرج بها في صدر المتكلم فقتله فتحدّث الناس في ذلك فقال بعض الشعراء:

قل للخليفة يا ابن عم محمد أشكل وزيرك انه ركال

أشكله عن ركل الرجال فان ترد مالا فعند وزيرك الأموال (٢)

الإمام الهادي (عليه السلام) و التحدى العلمى

لم تنحصر تحديات السلطه بإجراءاتها القمعيه ضد الإمام (عليه السلام) بل كانت تعتمد بين الحين و الآخر الى إحراج الإمام فى قضايا علميه حيث تدفع بوعاظها الى محاججه الإمام (عليه السلام) بطرح أسئله فى مجالس عامه.

على أن عجز فقهاء السلطه عن إيجاد حلول لمشاكل فقهيه مستجدّه كان يدفع الخليفه لطرح الأسئلة على الإمام (عليه السلام). فقد روى أن رجلا نصرانيا قدم

ص: ٥٦

١- ((١)) اصول الكافي: ٥٠١/١ ح ٦ و عنه فى الارشاد: ٣٠٦/٢ و اعلام الورى: ١١٦/٢ و عن الارشاد فى كشف الغمه: ١٧٠/٣.

٢- ((٢)) مروج الذهب: ٤٨/٤، و الكامل فى التاريخ: ٣١١/٥.

الى المتوكل و كان قد فجر بامرأه مسلمة، فأراد أن يقيم الحد عليه، فأسلم، فقال يحيى ابن أكتم -و هو قاضى القضاء- قد هدم إيمانه شركه و فعله، و قال بعضهم يضرب ثلاثه حدود، الى غير هذه الأقوال... فلمّا رأى المتوكل هذا الاختلاف بين الفقهاء أمر بالكتابة إلى أبى الحسن العسكري -الإمام الهادى (عليه السّلام) - لسؤاله عن هذا المشكل الذى اختلفوا فيه، فلما قرأ الإمام (عليه السّلام) الكتاب كتب: «يضرب حتى يموت». فأنكر يحيى بن أكتم و أنكر فقهاء العسكر -أى سامراء- ذلك، فقالوا يا أمير المؤمنين: سله عن ذلك فإنه شىء لم ينطق به كتاب و لم يجىء به سنه.

فكتب المتوكل إلى الإمام قائلا: إن الفقهاء قد أنكروا هذا و قالوا: لم يجىء به سنه و لم ينطق به كتاب، فبين لنا لم أوجب علينا الضرب حتى الموت؟!

فكتب (عليه السّلام): بسم الله الرحمن الرحيم فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده و كفرتنا بما كنا به مشركين * فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا (١). فأمر به المتوكل فضرب حتى مات. (٢)

الإمام الهادى (عليه السّلام) و فتنه خلق القرآن

و فى فتره حكم المأمون العباسى، اثيرت من قبل السلطان العباسى قضيه خلق القرآن من أجل إبعاد الامه عن همومها و أهدافها بالاضافه إلى توسيع و تعميق شقّه الخلاف بين أبناء الامه، ليكون هذا الخلاف حاجزا بينهم و بين السلطان المنحرف و البعيد فى سلوكه و نشاطه عن الشريعة الإسلاميه.

و هناك جهه ثالثه هى ان السلطه قد استغلت هذه القضيه إذ جعلتها

ص: ٥٧

١- ((١)) غافر (٤٠): ٨٤-٨٥.

٢- ((٢)) مناقب آل أبى طالب: ٤/٤٣٧.

مصيده لمعارضيه فكانت تتعرف عليهم من خلالها ثم تقوم بتحجيم دورهم في أوساط الأمة.

و كتب الإمام الهادي (عليه السلام) إلى شيعته في بغداد لإبعادهم عن الخوض في مسأله خلق القرآن مع من يخوض فيها تجنبا لهم من الآثار السلبيه التي يمكن أن تلحق بهم وربما يكونون عرضه للوقوع تحت اجراءات قمعيه و مطارده من قبل السلطه، و قد روى عنه (عليه السلام) الكتاب الآتي:

عن محمد بن عيسى بن عبيد بن اليقطين قال كتب علي بن محمد بن علي ابن موسى الرضا (عليه السلام) إلى بعض شيعته ببغداد: «بسم الله الرحمن الرحيم عصمنا الله و إياك من الفتنه فإن يفعل فاعظم بها نعمه و إلا يفعل فهي الهلكه نحن نرى إن الجدل في القرآن بدعه اشترك فيها السائل و المجيب فتعاطى السائل ما ليس له و تكلف المجيب ما ليس عليه و ليس الخالق إلا الله، و ما سواه مخلوق و القرآن كلام الله لا تجعل له اسما من عندك فتكون من الضالين جعلنا الله و إياك من الذين يخشون ربهم بالغيب و هم من الساعه مشفقون» (١).

و قد شغلت هذه المسأله الذهنيه الإسلاميه فتره حكم المأمون و المعتصم و الواثق، و كان جواب الإمام (عليه السلام) محددا و بليغا؛ إبعادا للشيعه عن الوقوع في حبال السلطان و الخروج من هذه الفتنه بسلامه في الدين، فكان الإمام الهادي (عليه السلام) يترصد الأحداث و الظواهر التي تكتنف الحياه الإسلاميه عامه و ما تتطلب من مواقف خاصه فيما يتعلق بشيعته لتجنيبهم مزالق الانحراف من الخوض في كثير من المسائل التي لا طائل منها سوى الكشف عن هويتهم، و بالتالي التعرض لحبال السلطه من القمع و الاضطهاد و السجن.

ص: ٥٨

إشاره

لقد حفلت حياة الإمام (عليه السلام) بالأحداث المريره إذ كان الصراع على السلطة على أشده بين أبناء الأسره الحاكمه من جهة، وبين الامراء و القواد الأتراك و غيرهم من الطامحين فى السلطة من جهة ثانيه. فكان نتيجة هذا الصراع أن ينال الإمام الهادي (عليه السلام) و أبناء عمومته و شيعته فى هذه الظروف الكثير من الأذى و الاضطهاد باعتباره زعيم الجبهه المعارضه لكل هؤلاء المتصارعين على السلطة من حكام و امراء و وزراء. فبالرغم من وجود هذا الصراع الشديد فان الحكام العباسيين كانوا يخافون الإمام (عليه السلام) و يرون أنه سيد أهل البيت و إمام الامه و صاحب الكلمه المسموعه بين الناس.

و كان الإمام (عليه السلام) يمارس دور التربيه و التوجيه و إعداد المؤمنين بمرجعيتهم الفكرية و الروحيه من أجل تحصينهم ضد الانحرافات العقائديه و الفكرية و يمنعهم من الخوض فى كثير من المسائل التى يكون الخوض فيها كاشفا عن هويتهم و ارتباطهم بالإمام (عليه السلام) مما كان يؤدى إلى أن يكونوا تحت طائل عقوبات و اضطهادات السلطة فيما إذا علموا موالاتهم للإمام و أهل البيت (عليهم السلام) كما حصل ذلك لابن السكيت و غيره، حيث كانت تقوم السلطة بقتلهم أو زجهم فى السجن.

إنّ دارسى هذه الفتره- و هى العصر العباسى الثانى- إن وصفوها بالضعف السياسى و الادارى للسلطه لكن حكام الدوله لم يتهاونوا فى تشديد الرقابه على الإمام و أصحابه؛ محاولين بذلك تحديد دائره نشاط الإمام (عليه السلام) و حدّها من التوسع فى تأثيرها على قطاعات الامه المختلفه. لذا نرى أن الإمام (عليه السلام) كان يكرس جلّ وقته و تعليماته بخصوص شيعته و مواليه مع تحيّن الفرصه فى اتخاذ المواقف التى تعكس وجهه النظر الاسلاميه فى الوقائع و الأحداث مع

بيان ابتعاد الحكّام العباسيين عن تطبيق تعاليم الإسلام و هم فى قمه انحرافهم و انغماسهم فى اللهو و المجون.

و كانت مواقف الإمام الهادى (عليه السّلام) تجاه الأحداث متناسبه مع تلك الظروف فكان يصدر توجيهاته و تعليماته بحذر و دقه و سريره تامه الى شيعته و أصحابه.

و لعلّ أهم و أوضح موقف وقفه الإمام (عليه السّلام) فى هذا الصدد بحسب ما لدينا من وثائق تاريخيه هو موقفه تجاه محاوله المتوكل للنيل من الإمام (عليه السّلام) عن طريق أخيه، حيث أغراه بعض جلسائه بدعوه موسى إليه لإشاعه أن ابن الرضا يجلس الى المتوكل و ينادمه الشرب و اللهو، غير ان الإمام (عليه السّلام) قد خرج فيمن خرج لاستقبال أخيه و حدّره عاقبه ما يقصده المتوكل و من ثم أنبأه أنه لا يجتمع و المتوكل فى مجلس، و كان كما قال الإمام (عليه السّلام) حتى قتل المتوكل. (١)

رعايه الإمام الهادى (عليه السّلام) لشيعته و قضاء حوائجهم

كتب الإمام الهادى (عليه السّلام) كتابا حدّره فيه محمد بن الفرج الرخجى جاء فيه:

«يا محمد! اجمع أمرك و خذ حذرک»، فلم يفهم ما أراه الإمام بكلامه هذا حيث قال محمد: فانا فى جمع أمرى لست أدرى ما الذى أراد- أى الإمام- بما كتب حتى ورد رسول حملتى من وطنى مصفّدا بالحديد، و ضرب على كل ما أملكك و كنت فى السجن ثمانى سنين.

و نجد أن رعايه الإمام (عليه السّلام) لم تنقطع عن محمد هذا حتى كتب إليه و هو

ص: ٦٠

١- ((١)) اصول الكافى: ٥٠٢/١ ح ٨ و فى ط: ٩/٢ و عنه فى الارشاد: ٣٠٧/٢ و فى اعلام الورى: ١٢١/٢-١٢٢ و عن الارشاد فى كشف الغمه: ١٧١/٣.

فى السجن مبشراً له بالخروج من السجن ثم أوصاه: يا محمد لا تنزل فى ناحيه الجانب الغربى.

وقال محمد: فقرأت الكتاب وقلت فى نفسى: يكتب إلى أبو الحسن بهذا وأنا فى السجن إن هذا لعجب، فما لبثت إلا أياماً يسيره حتى فرج عنى وحثت قيودى وخلصت سبيلى (١).

ومن ذلك أيضاً ما حدث بأحد أصحابه المتضررين من الحكم العباسى، حيث يقول قصدت الإمام يوماً فقلت: إن المتوكل قطع رزقى، وما أتتهم فى ذلك إلا علمه بملازمتى لك، فينبغى أن تتفضل على بمساءلته..

فقال الإمام (عليه السلام) له: تكفى إن شاء الله.

قال: فلما كان الليل طرقتى رسل المتوكل رسول يتلو رسولا، فجئت فوجدته فى فراشه.

فقال: يا أبا موسى يشتغل شغلى عنك و تنسينا نفسك. أى شىء لك عندى به؟ فقلت: الصلوة الفلايتيه، و ذكرت أشياء، فأمر لى بها و بضعفها، فقلت للفتح: وافى على بن محمد الى هاهنا؟ و كتب رقعته؟ قال: لا. قال فدخلت على الإمام فقال لى: يا أبا موسى هذا وجه الرضا. فقلت ببركتك يا سيدى، و لكن قالوا: انك ما مضيت إليه و لا سألت- أى المتوكل - فأجابه الإمام (عليه السلام) مصححاً له رؤيته و تفكيره محاولاً أن يرتفع به الى الانشداد بالله الواحد القادر سبحانه، بقوله:

إن الله تعالى علم منّا أننا لا نلجأ فى المهمات إلا إليه، و لا نتوكل فى الملمات إلا عليه و عودنا- إذا سألناه- الاجابه، و نخاف أن نعدل فيعدل بنا (٢).

ص: ٦١

١- (١) اصول الكافى: ٥٠٠/١ و عنه فى الارشاد: ٣٠٦/٢ و اعلام الورى: ١١٥/٢ و عن الارشاد فى كشف الغمه: ١٧٠.

٢- (٢) أمالى الطوسى: ٢٨٥ ح ٥٥٥ و عنه فى مناقب آل أبى طالب: ٤٢٢/٤.

فكان الإمام (عليه السّلام) على اطلاع دائم على الوضع والظروف التي كان يعيشها أصحابه و شيعته و هو يعمل جادًا من أجل تخفيف وطأه ذلك عنهم لما يعلمه من سوء ظروفهم الاقتصاديه و السياسيه، و ما تقوم به السلطه العباسيه من التضيق و خلق ظروف يصعب عليهم التحرك أو العمل فيها فضلًا عن محاربتهم اقتصاديا و سياسيا و ربّما كان يتوخى الإمام (عليه السّلام) من ذلك أمورًا مثل:

١- تقويه صلتهم و توجههم للارتباط باللّه سبحانه وحده.

٢- قضاء حوائجهم الخاصه.

٣- إعادته الثقة بأنفسهم لمداومه نصره الحق و خذلان الباطل.

٤- تقويه صلتهم به و الأخذ عنه و عن الثقات الذين يشير الإمام إليهم للتعامل معهم.

الإمام الهادي (عليه السّلام) والغلاة

ظهر في عصر الإمام (عليه السّلام) أشخاص و برزت مجموعات تدعو الى آراء و توجهات خاصه بهم تحاول خداع السّدج من الناس لصرفهم عن قياده الإمام (عليه السّلام) و تشكيكهم في معتقداتهم لغرض تفتيت الحركه الشيعيه و تحجيم دورها.

و لا يبعد أن تكون السلطه من وراء بعضها بواسطه أيادي كان يهتمها أن تضعف حركه الإمام (عليه السّلام) و تضيق دائره تأثيره فيما تبتدعه من أفكار هدامه منافيه للاسلام.

و من هؤلاء الغلاة و المنحرفين على بن حسكه و القاسم اليقطيني. و لما سئل الإمام (عليه السّلام) من قبل أصحابه عن معتقدات (على بن حسكه) قال

الإمام (عليه السلام) عنها: «ليس هذا ديننا فاعتزله» (١).

و عن محمد بن عيسى -أحد أصحاب الإمام (عليه السلام)- قال: كتب إلى أبو الحسن العسكري ابتداء منه: لعن الله القاسم اليقطيني و لعن الله علي بن حنك القمي، أن شيطاننا يتراءى للقاسم فيوحى إليه زخرف القول غرورا (٢).

إلى غيرها من المواقف الكثيره للإمام (عليه السلام) بهذا الخصوص لبيان وجه الحق و إثباتا للعقيده الحقه و تجنبيا لأصحابه و شيعته من الانحراف و الزيف.

الإمام الهادي (عليه السلام) و الثورات في عصره

إن الظروف الاقتصادية و الاجتماعية السيئه و ظروف القهر و الاستبداد السياسي التي عانت منها الأمة إبان عصر الدوله العباسيه الثاني حفزت كثيرا من معارضي الدوله على الخروج المسلح عليها فحدثت عدّه انتفاضات و ثورات في أمصار الدوله كما كانت هناك حركات انفصاليه قامت نتيجة لها دول و امارات في أمصار مختلفه.

و لا ندعى شرعيه جل هذه الحركات مع صعوبه معرفه موقف الإمام (عليه السلام) منها للحيطه و السريه التي كانت سمه تعامل الإمام و شيعته مع الأحداث إذ كانت وصاياهم و تعليماتهم الى خاصته و شيعته تتسم بأعلى درجات السريه، و كانت تلك الثورات و الانتفاضات على نوعين:

١- الحركات و الثورات التي تدعو إلى الرضا من آل محمد (صلّى الله عليه و اله).

٢- حركات معارضة لأسباب و دوافع متعدده منها الظلم و التعسف السلطوي لحكام بني العباس و جور الولاة و الامراء و قواد الجند الأتراك؛ لما امتازت به هذه الحقبه الزمنيه من بروز دور واسع للأتراك في إداره السلطه.

ص: ٦٣

١- (١) رجال الكشي: ٥١٦ ح ٩٩٤ و ٩٩٥.

٢- (٢) رجال الكشي: ٥١٨ ح ٩٩٦.

إن إبعاد الإمام الهادي (عليه السلام) عن المدينة وإقامته قريبا من مركز الخلافة في سامراء ما كان إلا لتحصي عليه حركاته و سكناته و من ثم إبعاده عن شيعته و أهل بيته و محبيه كـمحاولة من السلطه العباسيه لإضعاف نشاط الإمام و تحجيم دوره و بالتالي إخضاعه لرقابه مشدده للتعرف على مدى تحرّكه أوّلا- ثم التعرف على شيعته و أصحابه ثانيا و إتخاذ الإِجراءات الكفيله بإفشال تحرّكهم و منع تأثير الإمام و منع انتشار فكر الإمام (عليه السلام) بين أبناء الامه الاسلاميه التي عرفت الإمام الرضا و مدرسته و أبناءه الذين كانوا يشكّلون الجبهه الأساسيه المعارضه للحكم القائم ثالثا.

إذا ثبات الحكم العباسي كان يتوقّف على شل أي تحرّك ضده، من هنا نجد أنّ تعليمات الإمام و توجيهاته لشيعته و أصحابه كانت تمتاز بالدقه و العمق لشده و حراجه الظرف الذي كانوا يعيشونه.

و تبرز لنا صعوبه الظرف الذي كان يحيط بالإمام (عليه السلام) و شيعته من قبل السلطه العباسيه الغاشمه من خلال نوع التعليمات التي كان يراعيها الإمام و شيعته و هي:

١- إتخاذ أماكن سرّيه للقاءات، فعن إسحاق الجلاب قال: دعاني الإمام (عليه السلام) فأدخلني من اصطبل داره إلى موضع واسع لا أعرفه (١).

٢- الحذر من كتابه المعلومات و ما يصدر عن الإمام (عليه السلام)، فعن داود الصرمي: أمرني سيدي-الإمام الهادي-بحوائج كثيره فقال (عليه السلام) «قل: كيف تقول؟ فلم أحفظ ما قال لي، فمر الدواه و كتب:

ص: ٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم، أذكره إن شاء الله و الأمر بيده».

٣- استعمال الأسماء السريه (١).

٤- استعمال القوه ضد العناصر التي كانت تشكّل خطراً.

٥- الاعتماد على العناصر ذات الالتزام و الايمان و المخلصه فى نقل الأخبار و الرسائل (٢).

هذا فضلا عن أساليب اخرى لإيصال المعلومات أو اتّخاذ المواقف إزاء الأحداث العامه أو غيرها عن طريق طرح الأفكار فى مجالس عامه أو خاصه أو عن طريق الأدعيه و الزيارات للأئمه (عليهم السّلام) كما فى الزياره الجامعه التى تضمنت معانى ساميه و أفكار عقائديه مهمه.

لقد عاصر الإمام العسكرى (عليه السّلام) هذه الأحداث بكل تفاصيلها و شاهد كل ما ألمّ بأبيه (عليه السّلام) و شيعته من اجراءات قمعيه من قبل السلطه و ما عانتها الامه منهم طيله عقدين من الزمن.

٤- زواج الإمام الحسن العسكرى (عليه السّلام)

روى عن بشر بن سليمان النخاس -و هو من ولد أبى أيوب الأنصارى- أحد موالى أبى الحسن الهادى و أبى محمد العسكرى (عليهما السّلام) أنه قال:

«أتانى كافور الخادم-خادم الإمام الهادى- فقال: مولانا أبو الحسن على الهادى (عليه السّلام) يدعوك إليه فأتيته فلما جلست بين يديه قال لى: يا بشر إنك من ولد الأنصار و هذه الموالاه لم تزل فيكم يرثها خلف عن سلف، فأنتم ثقاتنا أهل البيت، و إنى مزكيك و مشرفك بفضيله تسبق بها الشيعة فى الموالاه بها، بسرّ أطلعك عليه، و أنفذك فى ابتياح امه.

ص: ٦٥

١- ((١)) يراجع تاريخ الكوفه: ٣٩٣، و منهاج التحرك عند الإمام الهادى: ٨٧-٩٣.

٢- ((٢)) دلائل الامامه: ٢١٩.

فكتب كتابا لطيفا بخط رومى و لغه روميه و طبع عليه خاتمه و أخرج شقيقه صفراء فيها مائتان و عشرون ديناراً، فقال: خذها و توجه إلى بغداد و احضر معبر الفرات ضحوه يوم كذا، فإذا وصلت إلى جانبك زواريق السبايا و ترى الجوارى فيها ستجد طوائف المبتاعين من و كلاء قواد بنى العتّاس و شرذمه من فتيان العرب، فإذا رأيت ذلك فأشرف من البعد على المسمّى عمر بن يزيد النخّاس عامه نهارك إلى أن تبرز للمبتاعين جاريه صفتها كذا و كذا، لا بسه حريرين صفيقين تمتنع من العرض و لمس المعترض و الانقياد لمن يحاول لمسها، و تسمع صرخه روميه من وراء ستر رقيق، (فاعلم) أنّها تقول: و اهتك ستراه، فيقول بعض المبتاعين: علىّ ثلاثمائة دينار فقد زادنى العفاف فيها رغبه، فتقول له بالعريه: و لو برزت فى زىّ سليمان بن داود و على شبه ملكه ما بدت لى فيك رغبه فأشفق على مالك، فيقول النخّاس: فما الحيله؟ و لا بد من بيعك، فتقول الجاريه: و ما العجله؟ و لا بد من اختيار مبتاع يسكن قلبى إليه و إلى وفائه و أمانته، فعند ذلك قم إلى عمر بن يزيد النخّاس و قل له: أنّ معك كتابا ملصقا لبعض الأشراف كتبه بلغه روميه و خطّ رومى، و وصف فيه كرمه و وفاءه و نبله و سخاءه، فناولها لتأمل منه أخلاق صاحبه فإن مالت إليه و رضيته، فأنا و كيله فى ابتاعها منك.

قال بشر بن سليمان: فامتثلت جميع ما حدّه لى مولاي أبو الحسن (عليه السّلام) فى أمر الجاريه (فلما نظرت) فى الكتاب بكت بكاء شديدا و قالت لعمر بن يزيد بعنى لصاحب هذا الكتاب، و حلفت بالمحرجه و المغلظه أنه متى امتنع من بيعها منه قتلت نفسها، فما زلت اشأحه فى ثمنها حتّى استقرّ الأمر فيه على مقدار ما كان أصحابيه مولاي (عليه السّلام) من الدنانير، فاستوفاه منى و تسلّمت الجاريه ضاحكه مستبشره، و انصرفت بها إلى الحجيره التى كنت آوى إليها ببغداد، فما أخذها القرار حتّى أخرجت كتاب مولانا (عليه السّلام) من جيبها و هى تلثمه و تطبقه على جفنها و تضعه على خدّها و تمسحه على بدنّها، فقلت تعجبا

منها: تلتمين كتابا لا تعرفين صاحبه؟ فقالت: أيها العاجز الضعيف المعرفه بمحلّ أولاد الأنبياء أعرنى سمعك و فرغ لى قلبك أنا مليكه بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم، و امى من ولد الحواريين تنسب إلى وصي المسيح شمعون:

اتبنتك بالعجب: إن جدى قيصر أراد أن يزوجنى من ابن أخيه و أنا من بنات ثلاث عشره سنه فجمع فى قصره من نسل الحواريين من القسيسين و الرهبان ثلاثمائه رجل، و من ذوى الأخطار منهم سبعمائه رجل، و جمع من امراء الأجناد و قواد العسكر و نقباء الجيوش و ملوك العشائر أربعه آلاف، و أبرز من بهي ملكه عرشا مصنوعا من أصناف الجواهر إلى صحن القصر، و رفعه فوق أربعين مرقاه فلما صعد ابن أخيه و أحدثت الصلب و قامت الأساقفه عكفا و نشرت أسفار الإنجيل تسافتت الصلب من الأعلى فلصقت بالأرض و تقوضت أعمده العرش فانهارت إلى القرار. و خرّ الصاعد من العرش مغشيا عليه فتغيرت ألوان الأساقفه و ارتعدت فرائصهم.

فقال كبيرهم لجدى: أيها الملك اعفنا من ملاقاته هذه النحوس الدالّه على زوال دوله هذا الدين المسيحي و المذهب الملكاني فتطير جدى من ذلك تطيرا شديدا (و قال) للأساقفه أقيموا هذه الأعمده و ارفعوا الصلبان و أحضروا أخا هذا المدبر العاثر المنكوس جدّه لازوجه هذه الصبيّه فيدفع نحوسه عنكم بسعوده. فلما فعلوا ذلك حدث على الثانى مثل ما حدث على الأول و تفرق الناس و قام جدى قيصر مغتما فدخل منزل النساء و ارخيت الستور و اريت فى تلك الليله كأن المسيح و شمعون و عدّه من الحواريين قد اجتمعوا فى قصر جدى و نصبوا فيه منبرا من نور يبارى السماء علوا و ارتفاعا فى الموضع الذى كان نصب جدى فيه عرشه، و دخل عليهم محمد (صلّى الله عليه و اله) و ختنه و وصيّه و عدّه من أبنائه (عليهم السلام) فتقدّم المسيح إليه فاعتنقه، فيقول له محمد (صلّى الله عليه و اله): يا روح الله

جئتك خاطبا من وصيک شمعون فتاته مليكه لا بنى هذا- أو ما بيده إلى أبى محمد(عليه السّلام)ابن صاحب هذا الكتاب-فنظر المسيح إلى شمعون و قال له:قد أتاك الشرف فصل رحمك رحم آل محمّد(عليهم السّلام)قال:قد فعلت فصعد ذلك المنبر فخطب محمّد(صلّى الله عليه و اله)و زوجنى من ابنه و شهد المسيح(عليه السّلام)،و شهد أبناء محمّد(عليهم السّلام)و الحواريون.

فلما استيقظت أشفقت أن أفصّ هذه الرؤيا على أبى و جدّى مخافه القتل فكنت اسرّها و لا ابديها لهم و ضرب صدرى بمحبته أبى محمّد(عليه السّلام) حتى امتنعت من الطعام و الشراب فضعفت نفسى و دقّ شخصى،و مرضت مرضا فما بقى فى مدائن الروم طيب إلا أحضره جدّى و سأله عن دوائى فلما برح به اليأس(قال):يا قره عينى و هل يخطر ببالك شهوه فازودكها فى هذه الدنيا؟فقلت يا جدّى أرى أبواب الفرج على مغلقه فلو كشفت العذاب عمّن فى سجنك من اسارى المسلمين و فككت عنهم الأغلال و تصدّقت عليهم و منّيتهم الخلاص رجوت أن يهب لى المسيح و امه عافيه،فلما فعل ذلك تجلّمت فى إظهار الصحه من بدنى قليلا و تناولت يسيرا من الطعام فسرّ بذلك و أقبل على إكرام الاسارى و إعزازهم،فاريت بعد أربع عشره ليله كأنّ سيده نساء العالمين فاطمه(عليها السّلام)قد زارتنى و معها مريم ابنه عمران و ألف من وصائف الجنان،فتقول لى مريم:هذه سيده نساء العالمين أم زوجك أبى محمد(عليه السّلام)،فأتلّق بها و أبكى و أشكو إليها امتناع أبى محمّد(عليه السّلام)من زيارتى،فقالت سيده النساء(عليها السّلام)إن ابنى أبا محمدا لا يزورك و أنت مشرکه بالله على مذهب النصارى،و هذه اختى مريم بنت عمران تبرأ إلى الله تعالى من دينك فإن ملت إلى رضاء الله و رضاء المسيح و مريم(عليهما السّلام)و زياره أبى محمد إياك فقولى:

أشهد أن لا إله إلا الله و أنّ أبى محمدا،رسول الله،فلما تكلمت بهذه الكلمه

ضَمَّتني إلى صدرها سيده نساء العالمين و طيبت نفسي و قالت:الآن توقّعي زياره أباي محمّد فأني منفذته إليك،فانتبهت و أنا أقول و أتوقّع لقاء أباي محمّد(عليه السّلام)،فلما كان في الليله القابله رأيت أبا محمّد(عليه السّلام)و كأني أقول له:

جفوتني يا حبيبي بعد أن أتلّفت نفسي معالجه حبك.فقال:ما كان تأخري عنك إلا لشركك،فقد أسلمت و أنا زائرک في كل ليله إلى أن يجمع الله تعالى شملنا في العيان،فما قطع عني زيارته بعد ذلك إلى هذه الغايه.

(قال بشر)فقلت لها:و كيف وقعت في الاسارى؟فقلت:أخبرني أبو محمّد(عليه السّلام)ليله من الليالي أنّ جدك سيسير جيشا إلى قتال المسلمين يوم كذا و كذا، ثمّ يتبعهم فعليك باللحاق بهم متنكره في زي الخدم مع عدّه من الوصائف من طريق كذا.

ففعلت ذلك فوَقعت علينا طلایع المسلمين حتّى كان من أمرى ما رأيت و شاهدت و ما شعر بأني ابنه ملك الروم إلى هذه الغايه أحد سواك،و ذلك باطلاعى إياك عليه،و لقد سألتني الشيخ الذي وقعت إليه في سهم الغنيمه عن اسمي فقلت:نرجس،فقال:اسم الجوارى.

قلت:العجب إنك روميّه و لسانك عربيّ،قالت:نعم من ولوع جدّي و حملة إياي على تعلّم الآداب أن أو عزّ إلى امرأه ترجمانه لي في الاختلاف إليّ و كانت تقصدني صباحا و مساء و تفيدني العربيه حتى استمرّ لسانى عليها و استقام.

(قال بشر):فلما انكفأت بها الى سرّ من رأى دخلت على مولاي أبا الحسن(عليه السّلام)فقال:كيف أراك الله عزّ الإسلام،و ذلّ النصرانيّه،و شرف محمّد و أهل بيته(عليهم السّلام)؟قالت:كيف أصف لك يا بن رسول الله ما أنت أعلم به منّي.قال:

فإني أحببت أن اكرمك،فما أحب إليك عشره آلاف دينار أم بشرى لك بشرف الأبد؟

قالت بشرى بولد لي:قال لها:أبشرى بولد يملك الدنيا شرقا و غربا و يملأ

الأرض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا.

قالت: ممّن؟ قال: ممّن خطبك رسول الله (صلى الله عليه و اله) له ليله كذا فى شهر كذا من سنه كذا بالروميه.

قالت: من المسيح و وصيه؟ قال لها: ممّن زوجك المسيح (عليه السلام) و وصيه؟ قالت: من ابنك أبى محمد (عليه السلام)؟ فقال: هل تعرفينه؟

قالت: و هل خلت ليله لم يرني فيها منذ الليله التى أسلمت على يد سيّده النساء صلوات الله عليها؟ قال: فقال مولانا: يا كافور ادع اختى حكيمه، فلما دخلت قال لها: ها هيّه. فاعتنقتها طويلا و سرّت بها كثيرا، فقال لها أبو الحسن (عليه السلام): يا بنت رسول الله خذيها إلى منزلك و علميها الفرائض و السنن فإنّها زوجة أبى محمد و أمّ القائم (١).

و روى الصدوق بسنده عن محمد بن عبد الله الطهرى أنه قال: قصّدت حكيمه بنت محمد (عليه السلام) بعد مضى أبى محمّد (عليه السلام) أسألها عن الحجّه و ما قد اختلف فى الناس من الحيره التى هم فيها، فقالت لى: اجلس فجلست ثم قالت: يا محمّد إن الله تبارك و تعالى لا يخلّى الأرض من حجّه ناطقه أو صامته، و لم يجعلها فى أخوين بعد الحسن و الحسين (عليهما السلام). تفضيلا للحسن و الحسين و تنزيها لهما أن يكون فى الأرض عديلهما إلا أن الله تبارك و تعالى خصّ ولد الحسين بالفضل على ولد الحسن (عليه السلام) كما خصّ ولد هارون على ولد موسى (عليه السلام) و إن كان موسى حجّه على هارون و الفضل لولده إلى يوم القيامة.

و لا بد للامه من حيره يرتاب فيها المبطلون و يخلص فيها المحقّقون كيلا يكون للخلق على الله حجّه، إن الحيره لا بدّ واقعه بعد مضى أبى محمد الحسن (عليه السلام).

ص: ٧٠

فقلت: يا مولاتي هل كان للحسن (عليه السلام) ولد؟ فتبسّمت ثم قالت: اذا لم يكن للحسن (عليه السلام) عقب فمن الحجّه من بعده؟ وقد أخبرتك أنه لا إمامه لأخوين بعد الحسن و الحسين (عليهما السلام).

فقلت: يا سيدتي حدّثيني بولاده مولاي و غيبته (عليه السلام). و في هذا النصّ تشير حكيمه الى أن نرجس قد كانت جاريه لها، و أنّ الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) في زمن حياه أبيه الهادي (عليه السلام) يصرّح لعّمته بأنّ الله سيخرج منها ولدا كريما على الله عزّ و جلّ فيملاأ به الأرض قسطا و عدلا بعد ما تملأ ظلما و جورا.

و هنا تبادل حكيمه فتستأذن الإمام الهادي (عليه السلام) لتذهب هذه الجاريه الى ابنه الحسن العسكري (عليه السلام).

و هنا تقول حكيمه: فلبست ثيابي و أتيت منزل أبي الحسن (عليه السلام) و جلست.

فبدأني (عليه السلام) و قال: يا حكيمه إبعثي نرجس إلى ابني ابي محمد. قالت: فقلت:

يا سيدى على هذا قصدتك على أن استأذنك في ذلك. فقال لى: يا مباركه إن الله تبارك و تعالى أحبّ أن يشركك في الأجر و يجعل لك في الخير نصيبا.

قالت حكيمه: فلم ألبث أن رجعت إلى منزلي و زينتها و وهبتها لأبى محمد (عليه السلام) و جمعت بينه و بينها في منزلي فأقام عندي أياما ثم مضى الى والده (عليه السلام) و وّجّهت بها معه (1).

و المشتركات بين الخبرين امور عديده و لا مانع من أن تكون هذه الروايه قد أهملت كثيرا من التفاصيل التي جاءت في الروايه الاولى.

و هناك روايات اخرى كلها تصرّح بوجود دور مهم لحكيمه عمّه الإمام الحسن (عليه السلام) في ولاده الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام).

ص: ٧١

٥- علاقة الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) بأخيه محمد

كان للإمام علي الهادي (عليه السلام) من الذكور أربعة و بنت واحدة، و الذكور هم:

١- السيد محمد و كنيته أبو جعفر.

٢- الإمام الحسن العسكري.

٣- جعفر (المعروف بالتّوّاب أو الكذاب).

٤- الحسين.

و السيد محمد هو أكبر أولاد أبيه، و كان سيدا جليلا و مجمعا للكمالات (١) و كانت الشيعة تتصوّر أنه الإمام بعد أبيه، لما كان يتميّز به من ذكاء و خلق رفيع و سعه علم و سمو آداب.

و تحدّث العارف الكلاني عن وقاره و معالي أخلاقه قائلا:

صحبت أبا جعفر محمد بن علي الرضا و هو حدث السن فما رأيت أوقر و لا- أزكى و لا- أجلّ منه... و كان ملازما لأخيه أبي محمد (عليه السلام) لا يفارقه. (٢)

«و لما خرج الإمام الهادي (عليه السلام) من المدينة الى سامراء ترك ابنه السيد محمد في المدينة المنوّره و هو طفل، و بعد سنوات التحق بأبيه و مكث عنده مدّه، ثمّ أراد الرجوع الى المدينة و في الطريق وصل الى مدينة بلد فمرض هناك و فارق الحياه في سنه (٢٥٢ هـ). و عمره قد تجاوز العشرين سنه (٣).

ص: ٧٢

١- ((الإمام الهادي من المهد الى اللحد: ١٣٦-١٣٦)).

٢- ((حياه الإمام الحسن العسكري: ٢٤-٢٥ عن المجدي في النسب (مخطوط)).

٣- ((الإمام الهادي من المهد الى اللحد: ١٣٧)).

و لا يعلم سبب مرضه الشديد؛ فهل انه كان قد سقى سَمَا من قبل أعدائه و حَسَّاده من العباسيين الذين كانوا يظنون كغيرهم أنه الإمام بعد أبيه و عزَّ عليهم أن يروا تعظيم الجماهير إيَّاه أم أنّ ما منى به كان مرضاً مفاجئاً؟

و تصدَّع قلب أبي محمد (عليه السَّلام) فقد فقد شقيقه الذى كان عنده أعزَّ شقيق و طافت به موجات من اللوعه و الأسى و الحسرات، و خرج و هو غارق فى البكاء و النحيب و تصدَّعت القلوب لمنظره الحزين و ألجمت الألسن و ترك الناس بين صائح و نائح قد نخر الحزن قلوبهم (١).

٦- علاقته بأخيه الحسين:

(و كان الحسين بن على الهادى فذا من أفذاذ العقل البشرى و ثمره يانعه من ثمرات الإسلام، و قد تميَّز بسموِّ أدبه و سعه أخلاقه و وفره علمه، و كان شديد الاتصال بشقيقه الإمام الحسن (عليه السَّلام)، و كانا يستميَّان بالسبطين، تشبيهاً لهما بجديهما ريحانتي رسول الله (صلَّى الله عليه و اله) الحسن و الحسين (عليهما السَّلام).

و قد شاعت هذه التسميه فى العصر الذى نشأ فيه، فقد روى أبو هاشم فقال: «ركبت دابه فقلت: سُبَيْحَانَ الَّذِي سَيَّخَرْنَا هَذَا وَ مَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ فسمع منى أحد السبطين، فقال: لا بهذا امرت، امرت أن تذكر نعمه ربك إذا استويت عليه» (٢).

ص: ٧٣

١- (١) حياه الإمام الحسن العسكرى (دراسه و تحليل): ٢٥ و راجع الكافى: كتاب الحجج، باب النص على أبى محمد (عليه السَّلام). الحديث رقم

٢- (٢) سفينه البحار: ٢٥٩/١.

٧- علاقته بأخيه جعفر:

لم نعثر على نص خاص يصور لنا نوع علاقته بأخيه جعفر ما قبل إمامته.

ولكن هناك نصوصا تفيد أنّ جعفرا كان لا يتورّع عن السعاه إلى السلطان حول أخيه الحسن كما لم يكن متورّعا عن شرب الخمر، وقد سجن مع الإمام ثم أفرج عن الإمام و لم يفرج عنه و لكن الإمام (عليه السّلام) لم يخرج من السجن حتى أخرج معه أخاه جعفر بالرغم من انه كان مسجوناً من أجل السعاه على الإمام الحسن و من أجل تظاهره بشرب الخمر، و كان بمنادمته للمتوكل يريد الغض من أخيه الحسن (عليه السّلام). و لقب عند الاماميه بالكذاب لأنه ادعى الامامه بعد أخيه الحسن و قيل انه تاب بعدئذ و لقب بالتوّاب. (١)

٨- النصوص على إمامه الحسن العسكري (عليه السّلام)

إشاره

يواجه الباحث في هذا الموضوع- كما هو الحال في تناول النصوص الواردة في آباء الإمام العسكري (عليه السّلام)- ثلاثة أنواع من النصوص يمكن تصنيفها كما يلي:

أ- النصوص الواردة عن الرسول الأعظم (صلى الله عليه و اله).

ب- النصوص الواردة عن الأئمة بعد رسول الله و السابقين على أبيه الإمام الهادي (عليه السّلام).

ج- النصوص الواردة عن أبيه الإمام الهادي (عليه السّلام) و التي ثبتت إمامته

ص: ٧٤

١- (١) راجع منهاج التحرك عند الإمام الهادي (عليه السّلام): ٨، و راجع أيضا الإمام الهادي من المهد إلى اللحد: ١٣٨ و راجع أيضا مسند الإمام الحسن العسكري: ٥٢-٦١ و ١٣٠.

أيضاً بالنصوص والمعجزات و التي كان منها إمامته المبكره كأييه و هو بعد لئما يبلغ الحلم.حيث استطاع أن يجيب على كل التحدييات التي أثيرت بالنسبه لإمامته،و خرج من كل الحوارات و الاحتجاجات ظافرا مؤيدا من عند الله.

أ-نصوص الرسول الأعظم(صلى الله عليه و اله)

و هي النصوص التي رواها الصحابه و الأئمه(عليهم السّلام)و التي اشتملت على ذكر أسماء الأئمه الاثني عشر و ما وعد الله على لسان رسوله(صلى الله عليه و اله)- المصدقين بهم و التابعين لهم،بالخير و السعاده في الدارين و ما توعد به الناصيين لهم العداء و المخالفين من العذاب و الخزي فيهما أيضا.

و لم تبطل الامه الاسلاميه بالتجزئه و الخضوع للاستكبار العالمى و الحيره و التيه و سوء الظروف التي تمرّ بها الامه الاسلاميه إلا بسبب هذه القطيعه الحاصله بينها و بين أئمه أهل البيت(عليهم السّلام)،و نورد هنا جملة من أحاديث الرسول(صلى الله عليه و اله)في هذا الاتجاه:

١-روى الصدوق،عن محمد بن إبراهيم بن اسحاق(رضى الله عنه)قال:حدثنا محمد بن همام:حدثنا أحمد بن مابنداذ قال:حدثنا أحمد بن هلال،عن محمد ابن أبي عميره عن المفضل بن عمر عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه،عن آبائه(عليهم السّلام)،عن أمير المؤمنين(عليه السّلام)قال:قال رسول الله(صلى الله عليه و اله):

«لما اسرى بي إلى السماء أوحى إلى ربي جل جلاله فقال:يا محمد إنى أطلعت على الأرض أطلعه فاخترتك منها فجعلتك نبيا و شققت لك من اسمى اسما.فأنا المحمود و أنت محمد،ثم أطلعت الثانيه فأخترت منها عليا و جعلته وصيك و خليفتك و زوج ابنتك و أبا ذريتك و شققت له اسما من أسمائي فأنا العلى الأعلى و هو على،و خلقت فاطمه و الحسن

و الحسين من نوركما، ثم عرضت ولايتهم على الملائكة فمن قبلها كان عندي من المقربين.

يا محمد لو ان عبدا عبدني حتى ينقطع و يصير كالشئ البالى ثم اتاني جاحدا لولايتهم فما أسكنته جنتي و لا أظلمته تحت عرشي.

يا محمد تحب أن تراهم؟

قلت: نعم يا رب.

فقال عز و جل: ارفع رأسك.

فرفعت رأسي و إذا أنا بأنوار علي و فاطمه و الحسن و الحسين و علي بن الحسين و محمد بن علي و جعفر بن محمد و موسى بن جعفر و علي بن موسى و محمد بن علي و علي ابن محمد و الحسن بن علي و (م ح م د) بن الحسن القائم في وسطهم كأنه كوكب دري، قلت: يا رب، و من هؤلاء؟

قال: هؤلاء الأئمة، و هذا القائم الذي يحلل حلالى و يحرم حرامى، و به أنتقم من أعدائى، و هو راحه لأولياى، و هو الذى يشفى قلوب شيعتك من الظالمين و الجاحدين و الكافرين...» (١).

٢- و عن محمد بن علي بن الفضل بن تمام الزيات (رحمه الله) قال: حدثنى محمد بن القاسم، قال: حدثنى عباد بن يعقوب، قال: حدثنى موسى بن عثمان قال: حدثنى الأعمش، قال: حدثنى أبو اسحاق، عن الحارث و سعيد ابن قيس، عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و اله):

«أنا و اردكم على الحوض، و أنت يا علي الساقى، و الحسن الذائد، و الحسين الأمر،

ص: ٧٦

١- ((١)) كمال الدين: ٢٥٢/١ ح ٢، و رواه فى العيون: ٥٨/١، ح ٢٧، و المختصر: ٩٠، و روى عنهما العوالم: ٤٤/١٥، القسم الثالث، و بحار الأنوار: ٢٤٥/٣٦.

و على بن الحسين الفارض، و محمد بن على الناشر، و جعفر بن محمد السائق، و موسى بن جعفر محصى المحبين و المبغضين و قانع المنافقين، و على بن موسى مزين المؤمنين، و محمد بن على منزل أهل الجنة فى درجاتهم و على بن محمد خطيب شيعته و مزوجهم الحور(العين) و الحسن بن على سراج أهل الجنة يستضيئون به، و القائم شفيعهم يوم القيامة حيث لا يأذن الله إلا لمن يشاء و يرضى» (١).

٣- و روى الصدوق، عن محمد بن موسى بن المتوكل (رضى الله عنه) قال، حدثنا محمد بن أبى عبد الله الكوفى قال: حدثنا موسى بن عمران النخعى، عن عمه الحسين بن يزيد، عن الحسن بن على بن أبى حمزه عن أبيه عن الصادق جعفر ابن محمد عن أبيه، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و اله):

«حدثنى جبرئيل، عن ربّ العزه جلّ جلاله انه قال: من علم أن لا إله إلا أنا وحدى، و أن محمدا عبدى و رسولى، و أنّ على بن أبى طالب خليفتى و أن الأئمه من ولده حججى أدخلته الجنة برحمتى و نجيته من النار بعفوى. و من لم يشهد بذلك و لم يشهد أن على بن أبى طالب خليفتى أو شهد بذلك و لم يشهد أن الأئمه من ولده حججى فقد جحد نعمتى و صغر عظمتى و كفر بآياتى، ان قصدنى حجبتة، و إن سألتنى حرمتة، و إن نادانى لم أسمع نداءه، و إن دعانى لم أستجب دعاءه، و إن رجانى خيبته و ذلك جزاؤه منى و ما أنا بظلام للعبيد».

فقام جابر بن عبد الله الأنصارى فقال: يا رسول الله و من الأئمه من ولد على ابن أبى طالب؟

قال: الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة، ثم سيد العابدين فى زمانه على بن الحسين ثم الباقر محمد بن على، و ستدرکه يا جابر، فإذا أدركته فأقرئه منى السلام.

ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم الكاظم موسى بن جعفر، ثم الرضا على بن موسى، ثم التقى محمد بن على، ثم النقى على بن محمد ثم الزكى الحسن بن على، ثم ابنه القائم

ص: ٧٧

بالحق مهدي امتي الذي يملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت جوراً و ظلماً.

هؤلاء يا جابر خلفائي و أوصيائي و أولادي و عترتي من أطاعهم فقد أطاعني و من عصاهم فقد عصاني، و من أنكرهم أو أنكر واحدا منهم فقد أنكرني، بهم يمسك الله عز و جل السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، و بهم يحفظ الله الأرض أن تميد بأهلها». (١)

٤- عن عبد الله بن العباس قال: دخلت على النبي (صلى الله عليه و اله) و الحسن على عاتقه و الحسين على فخذيه يلثمهما و يقبلهما و يقول:

«اللهم و ال من والاهما و عاد من عاداهما» ثم قال:

«يا بن عباس كأنني به و قد خضبت شيبته من دمه، يدعو فلا يجاب و يستنصر فلا ينصر».

قلت: من يفعل ذلك يا رسول الله؟

قال: شرار امتي، ما لهم؟ لا أنا لهم الله شفاعتي».

ثم قال: يا بن عباس من زاره عارفاً بحقه، كتب له ثواب ألف حجة و ألف عمره، ألا و من زاره فكأنما زارني و من زارني فكأنما زار الله، و حق الزائر على الله أن لا يعذبه بالنار، ألا و إن الاجابه تحت قبته و الشفاء في تربته و الأئمة من ولده».

قلت: يا رسول الله فكم الأئمة بعدك؟

قال: «بعد حوارى عيسى و أسباط موسى و نقباء بنى إسرائيل».

قلت: يا رسول الله فكم كانوا؟

قال: «كانوا اثني عشر و الأئمة بعدى اثنا عشر، أولهم علي بن أبي طالب و بعده سبطاي الحسن و الحسين، فإذا انقضى الحسين فابنه علي، فإذا انقضى علي فابنه محمد، فإذا انقضى محمد فابنه جعفر، فإذا انقضى جعفر فابنه موسى، فإذا انقضى موسى فابنه علي، فإذا انقضى علي فابنه محمد، فإذا انقضى محمد فابنه علي، فإذا انقضى علي فابنه الحسن، فإذا انقضى الحسن فابنه علي».

ص: ٧٨

انتقضى الحسن فابنه الحجه».

قال ابن عباس: قلت يا رسول الله أسامى لم أسمع بهن قط!

قال لى: «يا بن عباس هم الأئمة بعدى وانهم امناء معصومون نجباء، أخيار. يا بن عباس، من أتى يوم القيامة عارفا بحقهم أخذت بيده فأدخلته الجنة، يا بن عباس من أنكرهم أو ردّ واحدا منهم فكأنما قد أنكرنى و ردنى، و من أنكرنى و ردنى فكأنما أنكر الله و رده.

يا بن عباس سوف يأخذ الناس يمينا و شمالا، فإذا كان كذلك فاتبع عليا و حزبه فإنه مع الحق و الحق معه، و لا يفترقان حتى يردا على الحوض.

يا بن عباس، ولا يتهم ولايتى و ولايتى ولايه الله و حربهم حربى و حربى حرب الله و سلمهم سلمى و سلمى سلم الله».

ثم قال (عليه السلام): (يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم و يأبى الله إلا أن يتم نوره و لو كره الكافرون). (١)

٥-و عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و اله):

«و لما عرج بى إلى السماء رأيت على ساق العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلى و نصرته به، و رأيت اثنى عشر اسما مكتوبا بالنور، فيهم على بن أبى طالب و سبطى، و بعدهما تسعة أسماء، عليا عليا عليا ثلاث مرات و محمد محمد مرتين، و جعفر و موسى و الحسن، و الحجه يتلأأ من بينهم.

فقلت: يا رب أسامى من هؤلاء؟

فنادانى ربى جل جلاله: هم الأوصياء من ذرّيتك، بهم ائيب و بهم اعاقب». (٢)

٦-و عن سهل بن سعد الأنصارى قال: سئلت فاطمه بنت

ص: ٧٩

١- ((١)) الرازى، على بن محمد بن على الخزاز، كفايه الأثر فى النص على الأئمة الاثنى عشر: ١٦.

٢- ((٢)) بحار الأنوار: ٣٦/٣١٠، عن كفايه الأثر: ٢٩٧.

أحد، فدخل عليه الحسين بن علي (عليهما السلام)، فقال جبرئيل: من هذا؟

فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله): ابني، فأخذه النبي فأجلسه على فخذه، فقال له جبرئيل: أما أنه سيقتل.

فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله): من سيقتله؟

قال: أمتك تقتله.

قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): تقتله!!؟

قال: نعم، وإن شئت أخبرتك بالأرض التي يقتل فيها، وأشار الى الطف بالعراق، وأخذ منه ترابه حمراء فأراه إياها.

وقال: هذه من مصرعه. فبكى رسول الله (صلى الله عليه و اله).

فقال له جبرئيل: «يا رسول الله، لا تبك فسوف ينتقم الله منهم بقائمكم أهل البيت»، فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله): حبيبي جبرئيل، ومن قائمنا أهل البيت؟

قال: هو التاسع من ولد الحسين، كذا أخبرني ربي جل جلاله أنه سيخلق من صلب الحسين ولدا و سماه عليا خاضعا لله خاشعا، ثم يخرج من صلب علي ابنه و سماه عنده محمدا قانتا لله، ثم يخرج من صلبه ابنه و سماه عنده جعفرنا ناطق عن الله صادق في الله، و يخرج من صلبه ابنه و سماه عنده موسى، واثق بالله محب في الله، و يخرج الله من صلب ابنه و سماه عنده عليا الراضي بالله و الداعي الى الله عز و جل و يخرج من صلبه ابنه و سماه عنده محمدا، المرغب في الله و الذاب عن حرم الله و يخرج من صلب ابنه و سماه عنده عليا، المكتفى بالله و الولي لله، ثم يخرج من صلبه ابنه و سماه الحسن، مؤمن بالله مرشد الى الله، و يخرج من صلبه كلمه الحق و لسان الصدق، و مظهر الحق حجه الله على بريته، له غيبه طويله، يظهر الله تعالى به الإسلام و أهله، و يخسف به الكفر و أهله». (١)

ص: ٨١

١- ((١)) بحار الأنوار: ٣٤٨/٣٦، كفايه الأثر: ١٨٧.

١- عن يحيى بن يعمر، قال: كنت عند الحسين (عليه السلام) إذ دخل عليه رجل من العرب متلثماً أسمر شديد السمرة، فسلم، و رد الحسين (عليه السلام) فقال: يا بن رسول الله! مسأله، فسأل الإمام (عليه السلام) عده مسائل و الإمام يجيبه ثم قال: صدقت يا بن رسول الله، فأخبرني عن عدد الأئمة بعد رسول الله (صلى الله عليه و اله)؟

قال: اثنا عشر، عدد نعباء بنى اسرائيل.

قال: فسّمهم.

قال: فأطرق الحسين (عليه السلام) ملياً ثم رفع رأسه.

فقال: نعم أخبرك يا أخوا العرب، إنّ الإمام و الخليفة بعد رسول الله (صلى الله عليه و اله) أمير المؤمنين (عليه السلام)، و الحسن و أنا و تسعه من ولدى منهم على ابني، و بعده محمد ابنه، و بعده جعفر ابنه و بعده موسى ابنه، و بعده محمد ابنه، و بعده علي ابنه، و بعده الحسن ابنه، و بعده الخلف المهدي هو التاسع من ولدى يقوم بالدين في آخر الزمان.

قال: فقام الاعرابي و هو يقول:

مسح النبي جبينه فله بريق في الخدود

أبواه من أعلى قريش و جده خير الجدود (١)

٢- عن أبي خالد الكابلي قال: دخلت على مولاي على بن الحسين (عليه السلام) و في يده صحيفه كان ينظر إليها و يبكي بكاء شديداً.

فقلت: ما هذه الصحيفه؟

قال: هذه نسخه اللوح الذي أهده الله تعالى إلى رسول الله (صلى الله عليه و اله) فيه اسم الله تعالى و رسول الله، و أمير المؤمنين على، و عمى الحسن بن على، و أبي، و اسمي و اسم ابني محمد

ص: ٨٢

الباقر، و ابنه جعفر الصادق، و ابنه موسى الكاظم و ابنه على الرضا و ابنه محمد التقى، و ابنه على النقى، و ابنه الحسن العسكري، و ابنه الحجة القائم بأمر الله المنتقم من أعداء الله الذي يغيب غيبه طويلاً ثم يظهر فيملاً الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت جوراً و ظلماً. (١)

٣- الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام): عن الورد بن الكميت عن أبيه الكميت ابن أبي المستهل قال: دخلت على سيدي أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليهما السلام) فقلت: يا بن رسول الله: إنني قد قلت فيكم أبياتاً أفأذن لي في إنشادها؟ فأذن، فأنشده:

أضحكني الدهر و أبكاني و الدهر ذو صرف و ألوان

لتسعه في الطف قد غودروا صاروا جميعاً رهن أكفان

فبكي (عليه السلام) و قال: «اللهم اغفر للكميت ما تقدم من ذنبه و ما تأخر».

فلما بلغت إلى قولي:

متى يقوم الحق فيكم متى يقوم مهديكم الثاني

قال: «سريعاً إن شاء الله سريعاً، ثم قال: يا أبا المستهل إن قائمنا هو التاسع من ولد الحسين، لأن الأئمة بعد رسول الله (صلى الله عليه و اله) اثنا عشر، الثاني عشر، هو القائم.

قلت: يا سيدي، فمن هؤلاء الاثنا عشر؟

قال: «أولهم علي بن أبي طالب، و بعده الحسن و الحسين، و بعد الحسين علي بن الحسين و أنا ثم بعدى هذا» و وضع يده على كتف جعفر.

قلت: فمن بعد هذا؟

قال: «إنه ابنه موسى، و بعد موسى ابنه علي و بعد علي ابنه محمد و بعد محمد ابنه علي و بعد علي ابنه الحسن، و بعد الحسن ابنه محمد و هو القائم الذي يخرج فيملاً الدنيا

ص: ٨٣

قسطا و عدلا و يشفى صدور شيعتنا». (١)

٤-الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليهما السلام):عن علقمه بن محمد الحضرمي عن الصادق(عليه السلام)قال:«الأئمة إثنا عشر».

قلت:يا بن رسول الله فسمهم لي؟

قال:«من الماضين:علي بن أبي طالب و الحسن و الحسين،و علي بن الحسين، و محمد بن علي ثم أنا».

قلت:فمن بعدك يا بن رسول الله؟

قال:«إني قد أوصيت إلى ولدي موسى و هو الإمام بعدى».

قلت:فمن بعد موسى؟

قال:«علي ابنه يدعى الرضا يدفن في أرض الغربه من خراسان، ثم بعد علي ابنه محمد و بعد محمد ابنه علي و بعد علي ابنه الحسن،و المهدي من ولد الحسن...» (٢).

٥-الإمام موسى بن جعفر(عليه السلام):روى الصدوق بسنده عن عبد الله بن جندب،عن موسى بن جعفر انه قال:

«تقول في سجده الشكر:اللهم إني اشهدك و اشهد ملائكتك و رسلك و جميع خلقك أنك أنت الله ربي،و الإسلام ديني،و محمدا نبيي،و عليا و الحسن و الحسين،و علي بن الحسين،و محمد بن علي و جعفر بن محمد و موسى بن جعفر و علي بن موسى،و محمد بن علي،و علي بن محمد،و الحسن بن علي،و الحجة بن الحسن بن علي،أئمتي بهم أتولى و من أعدائهم أتبرأ» (٣).

٦-الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام):روى الصدوق،عن أحمد بن زياد

ص: ٨٤

١- ((١)) بحار الأنوار:٣٦/٣٩٠.

٢- ((٢)) إثبات الهداه:٢/٦٠٣ ح ٥٨٧.

٣- ((٣)) من لا يحضره الفقيه:١/٣٢٩.

ابن جعفر الهمداني (رضى الله عنه) قال: حدثنا علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: سمعت دعبل بن علي الخزاعي يقول:

أنشدت مولاي الرضا بن موسى (عليه السلام) قصيدتي التي أولها:

مدارس آيات خلت من تلاوه و منزل وحي مقفر العرصات

فلما انتهيت إلى قولي:

خروج إمام لا محاله خارج يقوم على اسم الله و البركات

يميز فينا كل حق و باطل و يجزي على النعماء و النقمات

بكي الرضا (عليه السلام) بكاء شديدا ثم رفع رأسه إلى فقال لي:

«يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين، فهل تدرى من هذا الإمام و متى يقوم؟».

فقلت: لا يا مولاي إلا أنى سمعت بخروج إمام منكم يطهر الأرض من الفساد و يملأها عدلا [كما ملئت جورا].

فقال: «يا دعبل، الإمام بعدى محمد ابني، و بعد محمد ابني علي، و بعد علي ابني الحسن و بعد الحسن ابني الحجة القائم المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله عز و جل ذلك اليوم حتى يخرج فيملا الأرض عدلا كما ملئت جورا» (١).

٧- الإمام محمد بن علي الجواد (عليه السلام): روى الصدوق عن عبد الواحد بن محمد العبدوسي العطار (رضى الله عنه) قال: حدثنا علي بن محمد بن قتيبة النيسابوري قال: حدثنا حمدان بن سليمان قال: حدثنا الصقر بن أبي دلف قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الرضا (عليهما السلام) يقول:

«إن الإمام بعدى ابني علي، أمره أمرى، و قوله قولي و طاعته طاعتي، و الإمام بعده

ص: ٨٥

ابنه الحسن أمره أمر أبيه و قوله قول أبيه و طاعته طاعه أبيه». ثم سكت.

فقلت له: يابن رسول الله فمن الإمام بعد الحسن؟

فبكى (عليه السلام) بكاء شديدا ثم قال: «إن من بعد الحسن ابنه القائم بالحق المنتظر» (١).

ج-نصوص الإمام الهادي على إمامه الحسن العسكري (عليهما السلام)

حينما نطالع مجموع النصوص التي وصلتنا عن الإمام الهادي (عليه السلام) في مصادرنا الحديثية الموثوقة نلمس مجموعه من الظواهر التي ترتبط بهذه النصوص الدالة (المشيرة أو الصريحة الدالة) على إمامه الحسن العسكري (عليه السلام) بعد أبيه، وهي كما يلي:

١- يبدو أن النصوص قد صدرت عن الإمام الهادي (عليه السلام) بالتدريج لاعتبارات شتى، ولا يمكن أن نغفل مراعاة الجانب الأمني في هذا التدرج، وهذا التدرج في كيفية بيان المصداق و طرحه للمسلمين فالإمام (عليه السلام) نراه تارة يبههم الأمر و أخرى يشير إشاره سريعه و ثالثه يقوم بالتصريح.

و نلاحظ التدرج في كيفية الطرح أيضا فإنه يقوم بطرح الموضوع أمام فرد واحد أو فردين ثم أمام جمع و ثالثه يقوم باستشهاد أربعين شاهدا على النص.

كما انه يتدرج في إعطاء بعض العلائم المشيره تاره، و يجمع أكثر من علامه و شاهد لثلا يقع التباس، و ثالثه يقوم بكتابه النص و إرساله إلى الراوى الثقه، و اخرى يدلى بشواهد كاشفه عن الأمر تتحقق بعد وفاته لتعضد ما أدلى به بوضوح.

ص: ٨٤

٢- تبدأ النصوص المرتبطة بالسؤال عمن يتقلد منصب الامامه بعد الإمام الهادى (عليه السلام) قبل وفاه ابنه محمد (أبى جعفر) وتدرج النصوص الى أواخر حياه الإمام الهادى (عليه السلام).

و فى حياه ابنه محمد (أبى جعفر) لا نجد نصا صريحا بامامته بل قد نجد فيها ما يدفع الامامه عنه. بالرغم من أن الظنون كانت متوجهه إليه. كما نجد من الإمام (عليه السلام) إرجاء بيان الأمر الى وقته الملائم. ثم بعد وفاه أبى جعفر تبدأ الاشارات ثم تتلوها التصريحات حيث تترى على مسامع الرواه الثقاه و الشيعة المهتمين بأمر الامامه.

٣- إن النصوص التى ترتبط بأمر الامامه قبل وفاه ابنه محمد هى النص الثانى و السابع مما رواه فى الكافى فى باب الاشاره و النص على أبى محمد (عليه السلام):

أما النص السابع فينتهى سنده إلى على بن عمرو العطار، و يقول فيه:

دخلت على أبى الحسن العسكرى و أبو جعفر ابنه فى الأحياء و أنا أظن أنه هو، فقلت له: جعلت فداك من أخص من ولدك؟ فقال (عليه السلام): لا تخصوا أحدا حتى يخرج إليكم أمرى. قال: فكتبت إليه بعد: فيمن يكون هذا الأمر؟ قال:

فكتب إليّ: فى الكبير من ولدى. قال: و كان أبو محمد أكبر من أبى جعفر.

و الملاحظ فى هذا النص أن الإمام يرجئ بيان الأمر الى فرصه اخرى أولا و حينما يستكتبه ثانيا يحصل على الجواب و لكن لا يفهم من الروايه أن استكتابه كان فى حياه أبى جعفر أو بعد وفاته، و إن كان الاستكتاب ينسجم مع كونه حيا. و حينئذ فالامام يجب بالعلامه لا بالتصريح.

على أن هناك نصا يقول بأن محمدا كان أكبر ولد الإمام الهادى بينما يعارضه هذا النص حيث يتضمن دعوى الراوى بأن الحسن كان أكبر ولده.

نعم، هناك نصوص من الإمام الهادي (عليه السلام) نفسه تتضمن بأن الحسن أكبر ولده، ولكن لا تأبي أن تحمل على أنه أكبر ولده بعد وفاه أخيه أبي جعفر.

أمّا النص الثاني فينتهي سنده الى علي بن عمر النوفلي وقد جاء فيه انه قال: كنت مع أبي الحسن في صحن داره فمرّ بنا محمد ابنه. فقلت له: جعلت فداك، هذا صاحبنا بعدك؟ فقال: لا. صاحبكم بعدى الحسن.

و جاء عن أحمد بن عيسى العلوي من ولد علي بن جعفر انه قد دخل على أبي الحسن (عليه السلام) ب(صريا) فسلم عليه و اذا بأبي جعفر و أبي محمد قد دخلا. فقاموا الى أبي جعفر ليسلموا عليه فقال أبو الحسن (عليه السلام): ليس هذا صاحبكم، عليكم بصاحبكم و أشار الى أبي محمد. (١)

و في هذا النص نجد النفي القاطع لتصور أن الإمام هو محمد. لعلّ سبب هذا التصوّر هو ما عرف عنه من الصلاح و العلم و التقى مع كونه أكبر ولده، إذ كان المعروف ان الامامه في أكبر ولد الإمام، فالامام ينفي امامه محمد و يصرّح بامامه ابنه الحسن، بينما لاحظنا في النص السابق اصراره على عدم التصريح و ايكال التصريح الى فرصه اخرى.

٤- و اما النصوص التي صدرت من الإمام الهادي (عليه السلام) و اشارت أو صرّحت بإمامه الحسن (عليه السلام) بعد وفاه أخيه محمد فهي النص الرابع و الخامس و الثامن و التاسع مما جاء في الكافي في كتاب الحجّه، في باب الاشاره و النص على أبي محمد (عليه السلام). و هي كما يلي:

أ- نظرا لاتحاد مضمون النصين الرابع و الخامس ننقل النص الخامس الذي ينتهي سنده الى أحمد بن محمد بن عبد الله بن مروان الأنباري إذ يقول:

ص: ٨٨

كنت حاضرا عند مضيّ أبي جعفر محمد بن علي (عليه السلام) فجاء أبو الحسن (عليه السلام) فوضع له كرسي فجلس عليه و حوله أهل بيته و أبو محمد قائم في ناحيه، فلما فرغ من أمر أبي جعفر التفت الى أبي محمد (عليه السلام) فقال: يا بني أحدث لله تبارك و تعالى شكرا فقد أحدث فيك أمرا.

و الذين سمعوا هذا النصّ قد فهموا منه أنه يشير إليه بأمر الامامه و كانت هذه الاشاره في جمع من بنى هاشم و آل أبي طالب و قريش طبعاً كما جاء في النص الثامن و يتضمن النص الثامن أيضاً موقف أبي محمد تجاه كلمه الإمام الهادي (عليه السلام) التي وجهها إليه، و هو:.. أن الحسن قد بكى و حمد الله و استرجع و قال: الحمد لله رب العالمين و أنا أسأل الله تمام نعمه لنا فيك و إنا لله و إنا إليه راجعون، فسئل عنه فقيل: هذا الحسن ابنه، و قدّر له في ذلك الوقت عشرون سنه أو أرجح، قال الراوي: فيومئذ عرفناه و علمنا أنه قد أشار إليه بالإمامه و أقامه مقامه.

و جاء في النص التاسع المروي عن محمد بن يحيى بن درياب قال:

دخلت على أبي الحسن (عليه السلام) بعد مضيّ أبي جعفر فعزّيته عنه و أبو محمد (عليه السلام) جالس فبكى أبو محمد فأقبل عليه أبو الحسن فقال له: إن الله تبارك و تعالى قد جعل فيك خلفاً منه فاحمد الله.

٥- و صرح النصان العاشر و الحادي عشر بامامه أبي محمد الحسن و ذلك بعد مضيّ أخيه أبي جعفر (محمد بن علي) أمّا النص العاشر فيرويه أبو هاشم الجعفرى حيث يقول: كنت عند أبي الحسن (عليه السلام) بعد ما مضى ابنه أبو جعفر و إنى لأفكر في نفسي اريد أن أقول كأنّهما - أعني أبا جعفر و أبا محمد - في هذا الوقت كأبي الحسن موسى و اسماعيل ابني جعفر بن محمد (عليه السلام)، و إن قصّتهما كقصّتهما، إذ كان أبو محمد المرجى بعد أبي جعفر، فأقبل عليّ

أبو الحسن (عليه السّلام) قبل أن أنطق فقال: نعم يا أبا هاشم بدا لله في أبي محمد (عليه السّلام) بعد أبي جعفر (عليه السّلام) ما لم يكن يعرف له، كما بدا له في موسى (عليه السّلام) بعد مضيّ اسماعيل ما كشف به عن حاله، وهو كما حدّثتك نفسك وإن كره المبطلون. و أبو محمد ابني الخلف من بعدى، عنده علم ما يحتاج إليه و معه آله الإمامه.

و واضح أن البداء لله هنا هو فيما يرتبط بتصوّر السائل حيث انه كان يرجو أن يكون الإمام بعد الهادى هو ابنه محمد، بينما كان في علم الله غير ذلك فأظهره له بموت محمد فأنكشف له أنه ليس هو الإمام الذي كان يرجوه.

و ليس في هذا النص أو غيره ما يشير الى أن الإمام الهادى أو غيره من الأئمه قالوا بإمامه شخص غير الحسن (عليه السّلام) من ولد الهادى (عليه السّلام).

و النص الحادى عشر ينتهى الى أبى بكر النهفكى حيث يقول: كتب إلى أبو الحسن (عليه السّلام): أبو محمد ابني أنصح آل محمد غريزه و أوثقهم حجّه و هو الأكبر من ولدى و هو الخلف و إليه ينتهى عرى الامامه و أحكامها، فما كنت سائلى فسله عنه فعنده ما يحتاج إليه.

و هذا النص صريح في إمامه أبى محمد الحسن، و قد فضّله و شهد بفضله على من سواه من آل محمد و لا يبعد أن يكون قد صدر بعد وفاه أخيه محمد ابن على كما لاحظنا في النص السابق الذى صرّح فيه الجعفرى بأن التصريح من الإمام الهادى بامامه الحسن كان بعد وفاه أخيه محمد.

و النصان متقاربان في المضمون حيث يؤكّدان أنه عنده علم ما يحتاج إليه في أمر الامامه.

و إذا كان بعد وفاه محمد فلا مانع من أن يكون الحسن أكبر ولد الإمام الهادى حينئذ و إن كان محمد أكبر حينما كان على قيد الحياه.

و صرّح النص الثانى عشر ايضا بمضمون النصين العاشر و الحادى عشر

من جهات عديده حيث جاء فيه أن شاهويه بن عبد الله الجلاب قال: كتب إلى أبو الحسن في كتاب: أردت أن تسأل عن الخلف بعد أبي جعفر، وقلقت لذلك فلا تغتم فإن الله عز وجل لا يضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون. (و صاحبك بعدى أبو محمد ابني، و عنده ما تحتاجون إليه، يقدم ما يشاء الله و يؤخر ما يشاء الله ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها، قد كتبت بما فيه بيان و قناع لدى عقل يقظان.

٦- ويشهد الإمام جماعه من الموالى على إمامه ابنه الحسن قبل مضيئه و استشهاده هو بأربعة أشهر كما جاء فى النص الأول من هذا الباب من كتاب الحجه حيث يقول يحيى بن يسار القنبرى: أوصى أبو الحسن الى ابنه الحسن قبل مضيئه بأربعة أشهر و أشهدنى على ذلك و جماعه من الموالى.

٧- و جاء فى النص الثالث ما يتضمن دليلا و علامه على إمامه الإمام الحسن بعد وفاه أبيه حيث يقول عبد الله بن محمد الإصفهاني: قال أبو الحسن (عليه السلام): صاحبكم بعدى الذى يصلّى علىّ. و لم نعرف أبا محمد (عليه السلام) قبل ذلك. قال: فخرج أبو محمد فصلّى عليه.

و باعتبار أن الراوى لم يكن يعرف الحسن بشخصه، فالإمام يكون قد أعطاه علامه مميّزه لا لبس فيها و لا ريب يعترىها بالنسبه إليه.

و جاء فى النص الثالث عشر من هذا الباب أن داود بن القاسم قال:

سمعت أبا الحسن (عليه السلام) يقول: الخلف من بعدى الحسن، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف؟ فقلت: و لم جعلنى الله فداك؟ قال: إنكم لا ترون شخصه و لا يحلّ لكم ذكره باسمه. فقلت: فكيف نذكره؟ فقال: قولوا: الحجّه من آل محمد (صلّى الله عليه و اله).

و يشير هذا النص إلى مجموعه امور ترتبط بكيفية التعامل مع الإمام فى ظروف حرجه تقتضى بشده التكتّم فى ابلاغ الأمر الى الموالين و الشيعة و هو يشير الى أن الظروف تتأزم و تشتد فيما بعد حتى يصل الأمر الى أن الشيعة لا

يقدرّون على رؤيه الإمام الحجه و لا- يحل لهم ذكره باسمه بل بالاشاره و الكنايه العامه و فى هذا النص إعداد و تهيئه للنفس لتقبل الوضع الجديد الذى لا بد للشيعة أن يكونوا بانتظاره و لا بد لهم من التهيؤ التام لاستقباله.

٩- اغتيال الإمام الهادى (عليه السلام) و استشهاده

قال الشيخانى: و استشهد على العسكرى فى آخر ملك المعتزّ بالسمّ (١)، و قال الطبرى الإمامى: فى آخر ملك المعتزّ استشهد ولىّ الله... مسموماً (٢).

لما اعتلّ أبو الحسن الهادى (عليه السلام) علته التى توفى فيها فى سنه أربع و خمسين و مائتين أحضر ابنه أبا محمد الحسن (عليه السلام) و اعطاه النور و الحكمة و مواريث الأنبياء و نص عليه و أوصى إليه بمشهد من ثقات أصحابه و مضى (عليه السلام) و له أربعون سنه و دفن بسرّ من رأى (أى فى مدينه سامراء فى العراق)، و قام الإمام العسكرى بتجهيز والده من غسله و تكفينه و الصلاه عليه و حمل جنازته مع جم غفير من الناس و دفنه فى داره حيث المرقد الشريف الآن فى سامراء يقصده المسلمون من كافة أقطار الامه الاسلاميه للتبرك و الدعاء و وفاء لرسو الله (صلّى الله عليه و اله).

و يصف لنا المسعودى مراسم و مظاهر تشييع الإمام (عليه السلام) و اجتماع خلق كثير فى داره فيقول: حدثنا جماعه كل واحد منهم يحكى أنه دخل الدار، و قد اجتمع فيها جمله من بنى هاشم من الطالبين و العباسيين و اجتمع خلق من الشيعة، و لم يظهر عندهم أمر أبى محمد و لا عرف خبره إلا الثقات الذين نص أبو الحسن عندهم عليه.

ص: ٩٢

١- ((١)) الصراط السوى: ٤٠٧.

٢- ((٢)) دلائل الإمامه: ٢١٦.

فحكوا أنهم كانوا فى مصيبه وحيدته، فهم فى ذلك إذ خرج من الدار الداخلة خادم فصاح بخادم آخر: يا بشر، خذ هذه الرقعه و امض بها الى دار أمير المؤمنين و ادفعها الى فلان، و قل هذه رقعه الحسن بن على فاستشرف الناس لذلك، ثم فتح فى صدر الرواق باب و خرج خادم أسود ثم خرج بعده أبو محمد (عليه السّلام)، حاسرا مكشوف الرأس، و عليه مبطنه بيضاء، و كان وجهه وجه أبيه لا يخطئ منه شيئا، و كان فى الدار أولاد المتوكل، و بعضهم و لاه العهود، فلم يبق أحد إلا قام على رجله و وثب إليه أبو محمد الموقف فقصدته أبو محمد، فعانقه، ثم قال له: مرحبا بابن العم و جلس بين بابى الرواق و الناس كلهم بين يديه و كانت الدار كالسوق بالأحاديث فلما خرج و جلس أمسك الناس فما كنا نسمع شيئا إلا العطسه و السعله، و خرجت جاريه تندب أبا الحسن فقال أبو محمد (عليه السّلام): ما هاهنا من يكفى مؤونه هذه الجاهله؟ فبادر الشيعة إليها فدخلت الدار، ثم خرج خادم فوقف بحذاء أبى محمد-العسكرى-فنهض فصلى عليه و اخرجت الجنازه و خرج يمشى حتى أخرج بها الى الشارع الذى بازاء دار موسى بن بغا، و قد كان أبو محمد صلى عليه قبل أن يخرج الى الناس و يصلى عليه المعتمد (١). ثم دفن فى دار من دوره (٢).

و يمكن أن يستفاد من هذه الروايه: ان هذا الجمع الغفير المشارك فضلا عن رجال البلاط العباسى، يكشف عن المكانه العاليه و التأثير الفاعل للإمام فى الاعمه و الدور الكبير الذى قام به فى حياته، فضلا عن ان حضور و لاه العهد ربما يكون تغطيه للجريمه البشعه التى قام بها الخليفه العباسى بدس السم إليه و من ثم وفاته.

ص: ٩٣

١- (١) و فى روايه الطبرى: صلى عليه أبو محمد بن المتوكل: ٥١٩/٧.

٢- (٢) إثبات الوصيه: ٢٠٦.

١- قال أبو هاشم الجعفرى: خطر ببالي أن القرآن مخلوق أم غير مخلوق؟ فقال أبو محمد (عليه السلام): يا أبا هاشم، الله خالق كل شىء، وما سواه مخلوق. (١)

٢- قال أيضا: قال أبو محمد (عليه السلام): إذا خرج القائم يأمر بهدم المنابر و المقاصير التى فى المساجد. فقلت فى نفسى: لأئى معنى هذا؟ فأقبل علىّ و قال: معنى هذا أنّها محدثه مبتدعه، لم بينها نبى و لا حجّه. (٢)

٣- و سأله الفهفكى: ما بال المرأة تأخذ سهما واحدا و يأخذ الرجل سهمين؟ فقال أبو محمد (عليه السلام): إن المرأة ليس عليها جهاد و لا نفقه و لا عليها معقله، إنّما ذلك على الرجال. فقلت فى نفسى؛ قيل لى ان ابن أبى العوجاء سأل أبا عبد الله (عليه السلام) عن هذه المسألة فأجابه بمثل هذا الجواب و فى روايه: لما جعل لها من الصداق. فأقبل أبو محمد علىّ فقال: نعم هذه مسألة ابن أبى العوجاء، و الجواب منّا واحد اذا كان معنى المسألة واحدا، اجرى لآخرنا ما اجرى لأؤلنا و أولنا و آخرنا فى العلم و الأمر سواء. و لرسول الله و لأمير المؤمنين فضلها (٣).

٤- قال أبو هاشم الجعفرى: قلت فى نفسى قد كتب الإمام: يا أسمع السامعين... اللهم اجعلنى فى حزبك و فى زمرك. فأقبل علىّ أبو محمد فقال:

أنت فى حزبه و فى زمركه إذا كنت بالله مؤمنا و لرسوله مصدقا و لأوليائه عارفا و لهم تابعا،

ص: ٩٤

١- ((١)) المناقب ٢/٤٦٧.

٢- ((٢)) المناقب ٢/٤٦٨.

٣- ((٣)) المناقب ٢/٤٦٨.

٥- عن علي بن أحمد بن حمّاد، قال: خرج أبو محمد في يوم مصيف راکبا و عليه تجفاف و ممطر، فتكلّموا في ذلك، فلما انصرفوا من مقصدهم امطروا في طريقهم و تبلّوا سواه. (٢)

٦- عن محمد بن عیاش قال: تذاكرنا آیات الإمام (عليه السلام) فقال ناصبيّ:

إن أجاب عن كتاب بلا مداد علمت أنه حقّ، فكتبنا مسائل و كتب الرجل بلا مداد على ورق و جعل في الكتب و بعثنا إليه فأجاب عن مسائلنا و كتب على ورقه اسمه و اسم أبويه فدهش الرجل، فلما أفاق اعتقد الحق. (٣)

٧- عن محمد بن عبد الله قال: فقد غلام صغير فلم يوجد، فأخبر بذلك، فقال (عليه السلام): اطلبوه في البركه، فطلب فوجد فيها ميتا. (٤)

٨- روى أبو سليمان المحمودي فقال: كتبت الى أبي محمد (عليه السلام) أسأله الدعاء بأن ارزق ولدا، فوقع: رزقك الله ولدا و أصبرك عليه. فولد لي ابن و مات (٥).

٩- روى عن علي بن ابراهيم الهمدانيّ قال: كتبت الى أبي محمد (عليه السلام) أسأله التبرك بأن يدعو أن ارزق ولدا من بنت عمّ لي، فوقع: رزقك الله ذكرانا، فولد لي أربعة (٦).

١- (١) المناقب ٢/٤٦٩.

٢- (٢) المناقب ٢/٤٧٠.

٣- (٣) المناقب ٢/٤٧٠.

٤- (٤) الثاقب: ٢٣١.

٥- (٥) بحار الأنوار ٢٦٩/٥٠ عن الخرائج و الجرائح: ٤٣٩/١ ح ١٨ ب ١٢.

٦- (٦) بحار الأنوار ٢٦٩/٥٠ عن الخرائج و الجرائح: ٤٣٩/١ ح ١٩ ب ١٢.

١٠- وعن عمر بن أبي مسلم قال: كان سميع المسمعي يؤذيني كثيرا و يبلغني عنه ما أكره، و كان ملاصقا لداري، فكتبت الي أبي محمد (عليه السلام) أسأله الدعاء بالفرج عنه، فرجع الجواب: أبشر بالفرج سريعا، و يقدم عليك مال من ناحيه فارس، و كان لي بفارس ابن عمّ تاجر لم يكن له وارث غيري فجاءني ماله بعد ما مات بأيام يسيره.

١١- و وقع في الكتاب: استغفر الله و تب إليه مميا تكلمت به، و ذلك أني كنت يوما مع جماعه من النصاب فذكروا أبا طالب حتى ذكروا مولاي، فخضت معهم لتضعيفهم أمره، فتركت الجلوس مع القوم و علمت أنه أراد ذلك (١).

١٢- و روى عن الحجاج بن يوسف العبدى قال: خلقت ابني بالبصره عليلا و كتبت الي أبي محمد أسأله الدعاء لابني فكتب إلي: رحم الله ابنك إن كان مؤمنا، قال الحجاج: فورد عليّ كتاب من البصره أنّ ابني مات في ذلك اليوم الذي كتب إلي أبو محمد بموته، و كان ابني شك في الإمامه للاختلاف الذي جرى بين الشيعة (٢).

ص: ٩٦

١- (١) مسند الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): ١١٨ و بحار الأنوار ٢٧٣/٥٠ عن الخرائج و الجرائح: ١/٤٤٧ ح ٣٣ ب ١٢.

٢- (٢) مسند الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): ١١٨ و بحار الأنوار ٢٧٤/٥٠ عن الخرائج و الجرائح: ١/٤٨٨ ح ٣٤ ب ١٢.

الباب الثالث

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

ملامح عصر الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)

الفصل الثاني:

عصر الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)

الفصل الثالث:

متطلبات عصر الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)

ص: ٩٧

إشاره

ملاح عصر الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)

الحاله السياسيه

امتاز العصر العباسي الثاني الذي بدأ بحكم المتوكل سنة (٢٣٢ هـ) بالنفوذ الواسع الذي تمتع به الأتراك الذين غلبوا الخلفاء و سلبوهم زمام إداره الدوله، و أساؤا التعامل مع الأهالي منذ أيام المعتصم الذي سبق المتوكل الى الحكم، و هذا الوضع قد اضطرّ المعتصم لنقل مركز حكمه من بغداد إلى سامراء بسبب السلوك التركي الخشن و شكايه أهالي بغداد منهم.

كما اتسم بضعف القدره المركزيه للدوله الإسلاميه و فقدانها بالتدريج لهيبتها التي كانت قد ورثتها من العصر الأول، لأسباب عديده منها انشغال الحكام بملاذهم و شهواتهم، و منها سيطره الموالي - و لا سيما الأتراك - على مقاليد السياسه العامه بعد انهماك الحكام بالملاهي.

و كانت سيطره الأتراك و قوادهم قد بلغت حدًا لا مثيل له، إذ كان تنصيب الخلفاء و عزلهم يتمّ حسب إرادته هؤلاء القواد الأتراك، و أنتج تعدّد الإرادات السياسيه و ضعف الخلفاء ظاهره خطيره للغايه هي قصر أعمار حكوماتهم و سرعه تبدّل الخلفاء و عدم استقرار مركز الخلافه الذي يمثّل السلطه المركزيه للدوله الإسلاميه.

و هذا الضعف المركزي قد أنتج بدوره نتائج سلبية اخرى مثل استقلال الامراء فى أطراف الدوله الإسلاميه بالحكم و الاتجاه نحو تأسيس دويلات شبه مستقله فى شرق الدوله الإسلاميه و غربها بل انتقلت هذه الظاهره بشكل آخر الى داخل الحاضره الإسلاميه فكانت من علائقها بروز حالات الشغب من قبل الخوارج باستمرار منذ سنه (٢٥٢هـ) الى سنه (٢٦٢هـ).

و ظهور صاحب الزنج فى سنه (٢٥٥هـ)، فضلا عن ثوار علويين كانوا يدعون الى الرضى من آل محمد (صلّى الله عليه و اله) لا سيما بعد ما عرفناه من كراهه المتوكل للعلويين و قتله للإمام الهادى (عليه السلام) و مراقبته الشديده للإمام الحسن العسكري (عليه السلام) (١).

الحاله الاجتماعيه

تحدثنا فيما سبق عن الظرف السياسى و ملابساته: من عدم الاستقرار و فقدان الأمن و ذلك لتعدد الحركات السياسيه و المذهبيه، الخارجه على الدوله العباسيه فى مختلف الأمصار الإسلاميه فضلا عن دور الأتراك البارز فى خلع و توليه الخليفه العباسى، و هذا دون شك ينعكس سلبيا على الظروف الاجتماعيه التى كان يعيشها أبناء الامه المسلمه و رعايا الدوله الإسلاميه فينجم عنه توتر فى علاقته السلطه بالشعب، و عدم استقرار الوضع الاجتماعى نتيجة لذلك، كما أن اختلال الظروف السياسيه يتسبب فى التفاوت الاجتماعى و ظهور الطبقيه أو الفئات المتفاوته فى المستوى المعيشى و المتباينه فى الحقوق و الواجبات تبعا لولائها و قربها أو بعدها من البلاط و رجاله، فانقسم أبناء الامه و أتباع الدين الذى كان يركّز على الاخوه الايمانيه و المساواه

ص: ١٠٠

١- (١) راجع الكامل فى التاريخ و مروج الذهب أحداث السنين (٢٣٢-٢٥٦هـ).

و العدل و الانصاف (١)، إلى جماعه قليله مترفه و متمتعه بقوّه السلطان و اخرى واسعه-تمثل غالبيه أبناء الامه الاسلاميه-و هي معدمه و مسحوقه أنهكها الصراع و زجّها في التّراعات و الحروب و التي ما تخمد إحداها حتى تتأخّج الثانيه و تتسع لتشمل مساحه أوسع من أرض الدوله الاسلاميه (٢)، ثم لتنفصل بعض أجزاءها فتكون دوله مستقله عن مركزيه الدوله و غير خاضعه لها، و أطلق المؤرخون عليها مرحله (إمره الامراء) (٣)، إضافة الى الدوله المستقله كما هو الحال بالنسبه لأماره الحمدانيين و البويهيين و الدوله الصفاريه (١٥٤ هـ) و الدوله السامانيه (٢٦١-٣٨٩ هـ) و غيرها...مما أدى الى تفكّك و سقوط الدوله العباسيه فيما بعد سنه (٦٥٦ هـ).

لقد كان المجتمع الإسلامي في أواخر العصر العباسي الأول يتألف من عدّه عناصر.هي:العرب و الفرس و المغاربه و ظهر العنصر التركي أيضا على مسرح السياسه في عهد المعتصم الذي اتخذهم حرسا له،و أسند إليهم مناصب الدوله و أهمل العرب و الفرس،و لما رأوا الخطر المحدق بهم من قبل الأتراك استعانوا بالمغاربه و الفراغه و غيرهم من الجنود المرتزقه. (٤)

كما نلاحظ انقسام المسلمين في هذا العصر الى شيع و طوائف و تعرّض المجتمع الاسلامي إلى أنواع التنازع المذهبي المؤدى إلى التفكّك أيضا، فهناك أهل السنه الذين كانوا يشكلون السواد الأعظم و يتمتّعون بقسط وافر من الحريه المذهبيه و الطمأنينه النفسيه في عهد نفوذ الأتراك،و هناك الشيعه

ص:١٠١

١- ((١)) قال تعالى في سوره الحجرات الآيه: ١٣: **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** و قال (صلى الله عليه و اله): **الناس سواسيه كأسنان المشط** المبسوط للسرخسي: ٢٣/٥، لسان الميزان: ٤٣/٢، باختلاف يسير.

٢- ((٢)) الكامل لابن الأثير: ٤ أحداث السنين (٢٤٨-٣٢٢ هـ).

٣- ((٣)) تاريخ الإسلام السياسي د.حسن ابراهيم حسن: ٢٦/٣ و ما بعدها.

٤- ((٤)) تاريخ الإسلام السياسي: ٣/٤٢٢-٤٢٣.

الذين كانوا يقاسون كثيرا من العنت و الاضطهاد. (١)

و هذا لا يعنى الالتزام الدينى من قبل حكام الدوله العباسيه بالمذهب السنى بقدر ما يوضح لنا أن موقفهم هذا كان من أجل التصدى لحركه الأئمه فى الامه و محاصرتها بمختلف الوسائل و الطرق و التى منها: دعم و مسانده فرق و حركات تحمل توجهات السلطه و ترى السلطه فيها استتباب الوضع لها و لا- تخشى من تمردھا. فهى تعيش على فتات موائدها و بذلها و بذخها لهم من أجل ديمومه الحكم و استمرار السلطه للخلفاء. و لم يكن هذا ليدوم بدخول العنصر التركى الذى كان يميل إلى البذخ و السيطره و عدم الخضوع الى سلطه الخليفه العباسى كما أوضحنا.

أما بالنسبه الى التفكك الاجتماعى فى هذا العصر فيمكن ملاحظته من خلال طبقات المجتمع فى هذا العصر، وهى:

١- طبقه الرقيق، و كانت مصر و شمالى أفريقيا و شمالى جزيره العرب من أهم أسواق الرقيق الأسود، و قد جلب كثير من الزنجيات و الزنوج لفلاحه الأرض و حراسه الدور. و إن كثرة الزنج فى العراق أدت إلى قيام ثوره الزنج التى دامت أكثر من أربع عشره سنه (٢٥٥-٢٧٠ هـ). (٢)

و كلفت هذه الثوره الدوله و الامه الكثير من الأموال و الدماء لإخمادها مما أسهم بشكل كبير فى إضعافها.

٢- أهل الذمه، و هم اليهود و النصارى، و لم تتدخل الدوله فى شعائرهم بل على العكس كان يبلغ من تسامح الحكام أنهم كانوا يحضرون مواكبهم

ص: ١٠٢

١- (١) تاريخ الإسلام السياسى: ٣/٤٢٣.

٢- (٢) تاريخ الطبرى ٧، أحداث السنين (٢٥٥-٢٧٠ هـ).

و احتفالاتهم و يأمرون بحمايتهم. (١)

٣-رجال البلاط و الملاك و غيرهم ممن لهم نفوذ كبير فى سياسه الدوله و تأثير واسع فى الوضع الاقتصادى و الاجتماعى.

٤-عامه الناس و الذين أجهدتهم الضرائب و الحروب و الخلافات و المنازعات الداخليه.

٥-و نشأت طبقه واسعه من الرقيق و غيرهم-من المغنيات-اللائى كن يحيين ليالى اللهو للخلفاء،و غيرهم،وقد ارتفعت أسعارهن بشكل ملفت للنظر. (٢)مما أدى أخيرا الى إضعاف علاقته داخل البلاط نفسه بين البلاط و بين قواد الجيش من أتراك و غيرهم،فضلا عن آثاره السلبيه على المجتمع عامه.

الحاله الثقافيه

انتشرت الثقافه الاسلاميه فى هذا العصر انتشارا يدعو الى الاعجاب بفضل الترجمة من اللغات الاجنبيه و خاصه اليونانيه و الفارسيه و الهنديه الى العربيه.

و العامل الأول فى ذلك هو حث الإسلام المسلمين على طلب العلم و اعتباره فريضه على كل مسلم و مسلمه.كما حظى العلماء بتشجيع من الخلفاء و السلاطين و الامراء و رجال العلم و الأدب.

و كانت مراكز هذه الحركه الثقافيه فى بلاط السامانيين و الغزنويين و البويهيين و الحمدانيين فى الشرق و فى بلاط الطولونيين و الاخشيديين و الفاطميين فى مصر و فى بلاد الامويين فى الاندلس.

ص:١٠٣

١- ((١)) الحضاره الاسلاميه:٢٦٨،راجع تاريخ الإسلام السياسى:٣/٤٢٤.

٢- ((٢)) تاريخ الإسلام السياسى:٣/٤٣٥.

و يضاف الى ذلك ظهور كثير من الفرق التي اتخذت الثقافة و العلم و سبله لتحقيق مآربها السياسيه.

و كان للجدل و النقاش الذى قام بين هذه الفرق من ناحيه و بينها و بين العلماء الرسميين-أى فقهاء السلطه-من ناحيه أخرى أثر كبير فى هذه النهضه العلميه التى كان يتميز بها هذا العصر و خاصه فى القرن الرابع الهجرى على الرغم مما انتاب العالم الاسلامى بوجه عام من تفكك و انحلال و ما أصاب الدوله العباسيه من ضعف و وهن (١).

الحاله الاقتصاديه

اعتنى العباسيون بالزراعه و فلاحه البساتين التى قامت على دراسه علميه (٢). و ذلك بفضل انتشار المدارس الزراعيه التى كان لها الأثر الكبير فى إناره عقول المسلمين.

و لما كانت الزراعه تعتمد على الري،اهتم العباسيون بتنظيم أساليبه و جعل الماء مباحا للجميع،و لذلك عملوا على تنظيمه فى مصر و العراق و اليمن و شمال شرقى فارس و بلاد ما وراء النهر،و بلغ هذا النظام شأوا بعيدا من الدقه،حتى أن الاوربيين أدخلوا كثيرا من هذه النظم فى بلادهم.

و اعتنت الدوله العباسيه بصيانه السدود و الترع،و جعلوا جماعه من الموظفين أطلق عليهم اسم(مهندسين)و كانت مهمتهم المحافظه على السدود خشيه انبثاق الماء منها اذا حدث ثغر من الهدم و التخريب (٣).

ص:١٠٤

١- (١) تاريخ الإسلام السياسى: ٣/٣٣٢.

٢- (٢) تاريخ الإسلام السياسى: ٣/٣١٩ بتصرف.

٣- (٣) تجارب الامم لمسكويه: ٢/٢٩٦-٢٩٧ بتصرف. و قال المعتزلى: الهندسه أصلها بالفارسيه:أندازه اى المقدار و المهندس اى المقدر.

اشاره

عصر الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)

لقد أمضى الإمام الحسن العسكري الجزء الأكبر من عمره الشريف في العاصمة العباسية-سامراء- وواكب جميع الظروف و الملابسات و المواقف التي واجهت أباه الإمام عليا الهادي (عليه السلام)، ثم تسلّم مركز الإمامه و قياده الامه الاسلاميه سنه (٢٥٤ هـ) بعد وفاه أبيه (عليه السلام) و عمره الشريف آنذاك (٢٢) عاما.

و كانت مواقفه امتدادا لمواقف أبيه (عليه السلام) بوصفه المرجع الفكري و الروحي لأصحابه و قواعده و راعيا لمصالحهم العقائديه و الاجتماعيه بالاضافه الى تخطيطه و تمهيده لغيبه ولده الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام) (١).

و بالرغم من الضعف الذي كان قد أحاط بالدوله العباسيه في عصر الإمام (عليه السلام) لكن السلطه القائمه كانت تضاعف اجراءاتها التعسفيه في مواجهه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) و الجماعه الصالحه المنقاده لتعاليمه و ارشاداته (عليه السلام). فلم تضعف في مراقبته و لم تترك الشده في التعامل معه بسجنه أو محاوله تسفيره إلى الكوفه خشيه منه و من حركته الفاعله في الامه و تأثيره الكبير فيها.

ثم إن المواجهه من الإمام كقياده للحركه الرساليه لم تكن خاصه

ص: ١٠٥

بالخلفاء العباسيين الذين عاصروهم الإمام (عليه السلام) إذ كان هناك أيضا خطر النواصب و هم الذين نصبوا العداء لأهل البيت النبوي (عليهم السلام) و وقفوا ضد اطروحتهم الفكرية و السياسية المتميزه التي كانت تتناقض مع اطروحه الحكم القائم و الطبقة المستأثره بالحكم و المنحرفه عن الإسلام النبوي. (١)

و النواصب-الامويون منهم أو العباسيون- كانوا يعلمون جيّدا أن أهل البيت النبوي هم ورثه النبي الحقيقيون، و لا- يمكنهم أن يسيطروا على السلطه إلا بإبعاد أهل البيت (عليهم السلام) عن مصادر القدره و ذلك بتحديد الأئمه المعصومين و شيعتهم و شلّ حركتهم و عزلهم عن الامه و التضيق عليهم بمختلف السبل و بما يتاح لهم من وسائل قمعيه.

و قد يكون لطبيعته هذه الظروف و الملابس التي عانى منها الإمام العسكري و شيعته الدور الأكبر في ما كان يتّخذه الإمام (عليه السلام) من مواقف سلبيه أو إيجابيه إزاء الأحداث و الظواهر التي منيت بها الامه الاسلاميه و التي ستعرفها فيما بعد.

لقد عاصر الإمام العسكري (عليه السلام) ثلاثه من خلفاء الدوله العباسيه، فقد عاش (عليه السلام) شطرا من خلافه المعتز و الذي هلك على أيدي الأتراك، ليخلفه المهدي العباسي الذي حاول أن يتخذ من سيره عمر بن عبد العزيز الاموي مثلا- يحتذى به إغراء للعامه و لينقل أنظارهم المتوجهه صوب الإمام العسكري (عليه السلام) لزهده و تقواه و ورعه، و ما كان يعيشه من همومهم و آلامهم التي كانوا يعانونها من السلطه و تجاوزاتها في الميادين المختلفه.

و لم يفلح المهدي بهذا السلوك لزيادة الاضطراب في دائره البلاط العباسي نفسه مما أثار الأتراك عليه فقتلوه عام (٢٥٦ هـ)، و قد اعتلى العرش العباسي من بعده المعتمد الذي استمر في الحكم حتى عام (٢٧٠ هـ). (٢)

ص: ١٠٦

١- (١) الأئمه الاثنا عشر: ٢٣٥.

٢- (٢) الفخرى في الآداب السلطانيه، ابن طباطبا: ٢٢١.

لقد ازداد نفوذ الأتراك بعد قتلهم المتوكل عام (٢٤٧ هـ) و تنصيب ابنه المنتصر بعده، حتى أن الخليفة العباسي أصبح مسلوب السلطه ضعيف الإراداه و يتضح ذلك مما رواه ابن طباطبا حيث قال:

«..لما جلس المعتز على سرير الخلافه فقد حضر خواصه و أحضروا المنجمين و قالوا لهم: انظروا كم يعيش و كم يبقى في الخلافه، و كان بالمجلس بعض الظرفاء، فقال: أنا أعرف من هؤلاء بمقدار عمره و خلافته، فقالوا: فكم تقول انه يعيش و كم يملك؟ قال: مهما أراد الأتراك، فلم يبق أحد إلا ضحك» (١).

يعكس لنا هذا النص ما كان للأتراك من نفوذ و دور في إراداه الدوله و عزل الخلفاء و التحكّم في الامور العامه. فقد استولوا على المملكه و استضعفوا الخلفاء، فكان الخليفه في أيديهم كالأسير إن شاءوا خلعه و إن شاءوا قتلوه، و كان المعتز يخاف الأتراك و يخشى بأسهم و لا يأمن جانبهم و كان بغا الصغير- هو أشدّ هؤلاء خطرا- أحد قواد الجيش الذي أسهم في قتل المعتز مع جماعه من الأتراك بعد أن أشهدوا عليه بأنه قد خلع نفسه.

لقد عاصر الإمام الحسن العسكري (عليه السّلام) أو اخر خلافه المعتز الذي كان استشهاد الإمام الهادي (عليه السّلام) على يده بدس السّم إليه فكانت سياسه المعتز امتدادا لسياسه المتوكل في محاربه الإمام الحسن العسكري- و الشيعة- بل ربما ازدادت ظروف القهر في هذه الفتره حتى أنّ المعتز أمر بتسفير الإمام الحسن العسكري (عليه السّلام) الى الكوفه حين رأى خطر وجود الإمام (عليه السّلام) و اتّساع دائره

ص: ١٠٧

تأثيره و كثره أصحابه.

قال محمد بن بلبل: تقدّم المعتز الى سعيد الحاجب أن أخرج أبا محمد الى الكوفه ثم اضرب عنقه فى الطريق (١).

و كتب إلى الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) أبو الهيثم - وهو أحد أصحاب الإمام (عليه السلام) - يستفسر عن أمر المعتز بإبعاده إلى الكوفه قائلا:

«جعلت فداك بلغنا خبر أقلقنا و بلغ منا»، فكتب الإمام (عليه السلام): «بعد ثلاث يأتىكم الفرج» فخلع المعتز بعد ثلاثه أيام و قتل (٢).

فلم تكن العلاقة بين الإمام (عليه السلام) و المعتز إلا تعبيراً عن الصراع و العداء الذى ابتداءً منذ أن استلم بنو العباس الخلافة بعد سقوط الدوله الامويه و امتدّ على طول عمر الدوله إلا فى فترات قصيره جداً، فكان كيد السلطه و رصدّها لتحرك الإمام (عليه السلام) دائماً و مستمرا و ذلك لما عرفه الخلفاء من المكانه الساميه و الدور الفاعل للأئمه فى الامه و ما كانوا يخشونه منهم على سلطتهم و كيانهم الذى أقاموه بالسيف و الدم على جماجم الأبرياء و الأتقياء من أبناء الامه الإسلاميه.

و يروى لنا محمد بن على السمرى توفّع الإمام الحسن العسكري هلاك المعتز قائلا: «دخلت على أبى أحمد عبيد الله بن عبد الله و بين يديه رقعته أبى محمد - العسكري - (عليه السلام)، فيها: إني نازلت الله فى هذا الطاغى يعنى الزبيرى - لقب المعتز - هو آخذه بعد ثلاث، فلما كان فى اليوم الثالث فعل به ما فعل» (٣) فقد قتل شرّ قتله.

و يصف ابن الأثير قتل المعتز الذى ورد فى هذه العبارة قائلا عنه:

ص: ١٠٨

١- ((١)) كشف الغمه: ٢٠٦/٣.

٢- ((٢)) الخرائج و الجرائح: ٤٥١/١ ح ٣٦.

٣- ((٣)) كشف الغمه: ٢٠٧/٣ عن كتاب الدلائل.

«دخل إليه جماعه من الأتراك فجزّوه برجله إلى باب الحجره و ضربوه بالدبابيس و خرقوا قميصه، و أقاموه فى الشمس فى الدار، فكان يرفع رجلاه و يضع اخرى لشده الحر، و كان بعضهم يلطمه و هو يتقى بيده و أدخلوه حجره، و أحضروا ابن أبى الشوارب و جماعه أشهدوهم على خلعه، و شهدوا على صالح بن وصيف أن للمعتز و أمه و ولده و أخته الأمان، و سلّموا المعتز إلى من يعدّبه، فمنعه الطعام و الشراب ثلاثه أيام، فطلب حسوه من ماء البئر فمنعه ثم أدخلوه سردابا و سدّوا بابه، فمات» (١).

و كان سبب خلعه أنه منع الأتراك أرزاقهم و لم يكن لديه من المال و قد تنازلوا له إلى خمسين ألف دينار، فأرسل إلى أمه يسألها أن تعطيه مالا فأرسلت إليه: «ما عندى شيء»، فتأمروا عليه و قتلوه.

و هذه القصة خير مؤشّر على ضعف السلطه العباسيه و خروج الأمر من يد الخليفه، فالكتاب المسؤولون على الأموال يتصرّفون بها كيف ما كانوا يشاءون و لا يطيعون الخليفه فى شيء فكانت تلك النهايه المخزيه للمعتز على أيدي أعوانه، و حراسه من الأتراك.

٢- المهتدى العباسى (٢٥٥-٢٥٦هـ)

إشاره

هو محمد بن الواثق بن المعتصم، أمه ام ولد تسمى وردة، ولى الخلافه بعد مقتل أخيه المعتز سنه (٢٥٥هـ)، و ما قبل أحد ببيعتة حتى جىء بالمعتزّ و اعترف أمام شهود أنه عاجز عن الخلافه و مدّ يده فبايع المهتدى فارتفع حينئذ الى صدر المجلس (٢)، و بويع بالخلافه.

و لقد تصنّع الزهد و التقشّف محتديا سيره عمر بن عبد العزيز إغراء

ص: ١٠٩

١- ((١)) الكامل فى التاريخ: ١٩٥/٧، ١٩٦.

٢- ((٢)) تاريخ الخلفاء، السيوطى: ٤٢٢.

للعامة و محاوله لتغيير انطباعهم عن الخلفاء العباسيين الذين عرفوا بالمجون و الترف و الإسراف فى الملذات و الخمر و مجالس اللهو، فقد نقل هاشم بن القاسم حينما سأل المهتدى عن ما هو عليه من التقشّف و بما هو فيه من النعمه فقال له: إنّ الأمر كما وصفت، و لكننى فكّرت فى أنه كان فى بنى اميه عمر ابن عبد العزيز-و كان من التقلّل و التقشّف ما بلغك-فغرت على بنى هاشم فأخذت نفسى بما رأيت (١).

فلم تكن الدوافع وراء هذه السيره رضا الله سبحانه بل كانت هذه السيره لإضفاء شىء من صبغه التديّن على نفسه من أجل أن تطيعه عامه الناس و محاوله لإبعاد أنظارها عما تحلّى به بنو هاشم و فى مقدّماتهم الإمام الحسن العسكري (عليه السّلام) الذى عرف بتقواه و ورعه و مواساته للامه فى ظروفها القاسيه، و كان الأولى بالخليفه الاتعاض بسيره أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السّلام) لما عرف بزهده و تقواه بل هو الذى سنّ نهج الزهد للمسلمين بعد رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، و إن عمر بن عبد العزيز نفسه حين سأله جلساءه عن أزهّد الناس، فقالوا له: أنتم، قال: لا: إن أزهّد الناس على بن أبى طالب (٢).

سياسه المهتدى تجاه معار ضيه

أ-الخليفه و أمراء الجند: كانت سياسه المهتدى تجاه الأتراك تتمثل بالحذر و الحيطه و الخشيه من انقلابهم عليه كما فعلوا بالمتوكل و المعتز، لذا أمر بقتل موسى و مفلح من امراء جنده الأتراك الذين كانوا يتمتّعون بنفوذ كبير و تأثير فاعل فى مجريات الأحداث، غير أن (بكيال) الذى أمره المهتدى بقتلهما

ص: ١١٠

١- (١) تاريخ الخلفاء: ٤٢٣.

٢- (٢) تاريخ الطبرى: ٣ حوادث (٩١-١٠١ هـ) و هى خلافه عمر بن عبد العزيز.

توقف عن قتل موسى بن بغا، لإدراكه أن للمهتدي خطه للحد من نفوذ الأتراك و تقليص الدور الذي كانوا يتمتعون به، و قال بكيال: إنى لست أفرح بهذا و إنما هذا يعمل علينا كلنا، فأجمعوا على قتل المهتدي فكان بين الأتراك و مناصري الخليفة قتال شديد و قتل فى يوم واحد أربعة آلاف من الأتراك و دام القتال إلى أن هزم جيش الخليفة المؤلف من المغاربة و الفراغنه و الأشروسنيه، و من ثم امسك الخليفة فعصر على خصيته فمات فى عام (٢٥٦ هـ) (١).

و من الأحداث المهمة فى عصر المهتدي:

١- انتفاضه أهل حمص بقيادة ابن عكار على محمد بن إسرائيل.

٢- اخراجه ام المعتز و أبا أحمد و إسماعيل ابني المتوكل و ابن المعتز إلى مكه ثم ردهم إلى العراق.

٣- نفى و إبعاد بعض الشيعة من بلدانهم إلى بغداد كما فعل بجعفر ابن محمود.

٤- إعطاؤه الأمان لمعارضيه.

٥- الحرب بين عيسى بن شيخ الربيعى و أماجور التركي عامل دمشق و هزيمه الأول (٢).

ب- المهتدي و أصحاب الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): لم تكن الظروف المحيطه بالإمام العسكري و أصحابه فى عهد المهتدي أحسن مما كانت عليه من الشده و النفى و التهجير و القتل إبان عهود المعتز و المتوكل و من سبقهما

ص: ١١١

١- (١) تاريخ الخلفاء، السيوطى: ٤٢٤.

٢- (٢) تاريخ يعقوبى: ٥٠٥/٢، ٥٠٦.

من خلفاء الدوله العباسيه، بل كانت سياسه المهتدى امتدادا للمنهج العباسى فى التصدى للإمام و شيعته و خاصته و النكايه بهم، و التجسس عليهم و مصادره أموالهم و مطاردتهم.

لقد قاسى الشيعة و الإمام الحسن العسكرى (عليه السلام) فى عهد المهتدى الكثير من الظلم و التعسف، و يمكن أن نقف على ذلك من خلال ما رواه أحمد بن محمد حيث قال: كتبت إلى أبى محمد (عليه السلام) - حين أخذ المهتدى فى قتل الموالى - يا سيدى الحمد لله الذى شغله عنك، فقد بلغنى أنه يتهددك و يقول: «و الله لأخلينهم عن جديد الأرض» فوقع أبو محمد (عليه السلام) بخطه: «ذاك أقصر لعمره، و عد من يومك هذا خمسه أيام و يقتل فى اليوم السادس بعد هوان و استخفاف بموته»، فكان كما قال (عليه السلام)، و قد سبق أن أوضحنا ذلك (١).

و من مظاهر اضطهاد الشيعة و مصادره أملاكهم و أموالهم ما روى عن عمر بن أبى مسلم حيث قال: قدم علينا (بسر من رأى) رجل من أهل مصر يقال له سيف بن الليث يتظلم الى المهتدى فى ضيعه له قد غصبها إياه شفيح الخادم و أخرجه منها، فأشرنا عليه أن يكتب إلى أبى محمد (عليه السلام) يسأله تسهيل أمرها، فكتب إليه أبو محمد (عليه السلام): «لا بأس عليك ضيعتك ترد عليك فلا تتقدم الى السلطان و ألق الوكيل الذى فى يده الضيعه و خوفه بالسلطان الأعظم الله رب العالمين»، فلقيه، فقال له الوكيل الذى فى يده الضيعه قد كتب إلى عند خروجك من مصر أن أطلبك و أرد الضيعه عليك، فردها عليه بحكم القاضى ابن أبى الشوارب و شهاده الشهود و لم يحتج الى أن يتقدم الى المهتدى (٢).

ص: ١١٢

١- (١) اصول الكافى: ١/٥١٠ ح ١٦ و عنه فى الارشاد: ٢/٣٣١ و فى اعلام الورى: ٢/١٤٤، ١٤٥ و عن الارشاد فى كشف الغمه: ٣/٢٠٤.

٢- (٢) اصول الكافى: ١/٥١١ ح ١٨.

و يمكن الاستدلال من خلال النص على اتساع القاعده الشعبيه للإمام (عليه السلام) وصلته بهم و عمق الأواصر التي كانت تصله بهم، فهو يتفقد ما يحتاجونه، و يساهم بصوره مباشره أو غير مباشره فى قضاء حوائجهم، و إن لبعض أصحابه فى الأمصار تأثيرا و علائق بالولاه و من يديرون الامور فى الولايات، فكانت أخبار شيعته تصله أولا- بأول، و يحاول إبعادهم عن الوقوع فى حبال السلطان و شركه كما فى قصه سيف بن الليث المصرى.

ج- سجن الإمام الحسن العسكرى (عليه السلام): و لما رأى المهتدى أنّ وسائل النفي و الإبعاد و المصادر، لم تكن لتحدد من نشاط الإمام (عليه السلام) و شيعته، و اتساع حركته، لما كان لتعليمات الإمام (عليه السلام) و رقابته لشيعته من أثر فى إفشال محاولات السلطه العباسيه لم تجد السلطه بدا من اعتقال الإمام (عليه السلام) و التضييق عليه فى السجن، و كان المتولى لسجنه صالح بن وصيف الذى أمر المهتدى موسى بن بغا التركى بقتله، و قد جاءه العباسيون إبان اعتقال الإمام (عليه السلام) فقالوا له: ضيق عليه و لا توسع، فقال صالح: «ما أصنع به قد وكت به رجلين، شر من قدرت عليه فقد صارا من العباده و الصلاه و الصيام إلى أمر عظيم»، ثم أمر بإحضار الموكلين فقال لهما: و يحكما ما شأنكما فى أمر هذا الرجل؟ - يعنى الإمام الحسن العسكرى (عليه السلام) - فقالا له: ما نقول فى رجل يصوم النهار و يقوم الليل كله لا يتكلم و لا يتشاغل بغير العباده فإذا نظر إلينا ارعدت فرائصنا و داخلنا ما لا نملكه من أنفسنا فلما سمع العباسيون ذلك انصرفوا خائبين (1).

ص: ١١٣

١- ((١)) اصول الكافي: ٥١٢/١ ح ٢٣ و عنه فى الارشاد: ٣٣٤/٢ و فى اعلام الورى: ١٥٠/٢ و عن الارشاد فى كشف الغمه: ٢٠٤/٣.

لقد كان المهتدى يهدّد الإمام بالقتل و قد بلغ النبأ بعض أصحاب الإمام (عليه السلام) فكتب إليه: يا سيدى الحمد لله الذى شغله عنك فقد بلغنى أنه يتهددك. و ذلك حين انشغل المهتدى بفتنه الموالى، و عزم على استئصالهم.

و هنا نجد الإجابة الدقيقه من الإمام (عليه السلام) حول مستقبل المهتدى حيث كتب الجواب ما يلى: ذاك أقصر لعمره، عدّ من يومك هذا خمسه و يقتل فى اليوم السادس بعد هوان و استخفاف يمرّ به (١). و كان كما قال فقد انهزم جيشه و دخل سامراء وحده مستغيثا بالعامه مناديا يا معشر المسلمين: أنا أمير المؤمنين قاتلوا عن خليفتمكم، فلم يجبه أحد (٢).

و قال أبو هاشم الجعفرى: كنت محبوسا مع الحسن العسكرى فى حبس المهتدى بن الواثق فقال لى: فى هذه الليله يبتر الله عمره، فلما أصبحنا شغب الأتراك و قتل المهتدى و ولى المعتمد مكانه (٣).

٣- المعتمد ابن المتوكل العباسى (٢٥٦-٢٧٩ هـ)

إشاره

و عاصر الإمام الحسن العسكرى (عليه السلام) بعد المعتزّ و المهتدى، المعتمد العباسى، الذى انهمك فى اللهو و اللذات و اشتغل عن الرعيه فكرهه الناس و أحبوا أخاه طلحه (٤).

و كان المعتمد ضعيفا يعمل تحت تأثير الأتراك الذين يديرون امور الحكم، و يقومون بتغيير الخلفاء و الامراء، و قد صور المعتمد نفسه هذا

ص: ١١٤

١- (١) اعلام الورى: ٣٥٦.

٢- (٢) الكامل فى التاريخ: ٣٥٦/٥.

٣- (٣) المناقب: ٤٦٢/٢.

٤- (٤) تاريخ الخلفاء، السيوطى: ٤٢٥.

الضعف الذى هو فيه بقوله:

أليس من العجائب أن مثلى يرى ما قلّ ممتنعا عليه

و تؤكل باسمه الدنيا جميعا و ما من ذاك شىء فى يديه

إليه تحمل الأموال طرًا و يمنع بعض ما يجبى إليه (١)

و كانت الفتره التى عاشها الإمام الحسن العسكرى (عليه السلام) فى عهد المعتمد تقرب من خمس سنين، و هى من بدايه خلافه المعتمد سنه (٢٥٦) هـ و حتى استشهاد الإمام (عليه السلام) سنه (٢٦٠ هـ)، و كان الوضع العام مضطربا لسيطره الأتراك على السلطه أولا، و لما كان يحدث من حركات ضد السلطه فى أقاليم الدوله ثانيا. فضلا عن مطارده السلطه للشيعة و المضايقه على الإمام (عليه السلام) و عليهم و تشديد المراقبه من جهه ثالثه.

و أهم هذه الأحداث فى عصر المعتمد:

أ- ثوره الزنج:

كانت ثوره الزنج حدثا مهما لما نتج عنها من آثار سيئه، فقد سحب حركه الزنج هذه، قتل، و نهب، و سلب، و إحراق مما أدى الى اضطراب الأوضاع الاقتصاديه و الاجتماعيه فى عدّه من الأمصار التى سيطر عليها صاحب الزنج، فبدأت ثورتهم فى البصره و امتدّت إلى عبادان و الأهواز و غيرهما.

و القضاء على هذه الحركه قد كلف الدوله كثيرا من الأموال و الجند الذين هزمهم صاحب الزنج فى أكثر من واقعه، و أخيرا تمكّنت

ص: ١١٥

الدولة من القضاء عليهم (١).

وقد ادعى صاحب الزنج على بن محمد أنه ينتسب إلى الإمام علي (عليه السلام)، ولكن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) كذب هذا الادعاء، فعن محمد بن صالح الخثعمي قال: كتبت إلى أبي محمد-الحسن العسكري (عليه السلام)-أسأله..و كنت اريد أن أسأله عن صاحب الزنج الذي خرج بالبصرة..فوقع (عليه السلام):«صاحب الزنج ليس من أهل البيت» (٢).

وفي نص الإمام (عليه السلام) هذا دلالة على عدم شرعيته ثوره صاحب الزنج و عدم ارتباطها بخط أهل البيت (عليهم السلام) و أنها بعيدة عن الالتزام بمبادئ الإسلام.

ب- حركة ابن الصوفي العلوي:

وقد ظهر في صعيد مصر و هو ابراهيم بن محمد و كان يعرف بإبن الصوفي و ملك مدينة أشنا (٣).و كانت معارك بينه و بين جيش الدولة بقيادة ابن طولون اقتتلوا فيها قتالا شديدا فقتل من رجال ابن الصوفي الكثير، و انهزم ثم كانت وقعه اخرى مع جنده عام (٢٥٩ هـ) و انهزم ابن الصوفي أيضا إلى المدينة و ألقى القبض عليه و ارسل إلى ابن طولون في مصر. (٤).

ج- ثوره على بن زيد في الكوفه:

كانت حركته في الكوفه سنة (٢٥٦ هـ) و استولى عليها، و أزال عنها نائب

ص: ١١٦

١- ((١)) راجع الكامل في التاريخ: ٤/٤٣٠-٤٤٥.

٢- ((٢)) كشف الغمه: ٣/٢١٤ عن كتاب الدلائل.

٣- ((٣)) الكامل في التاريخ: ٤/٤٣٢.

٤- ((٤)) الكامل في التاريخ: ٤/٤٣٢-٤٣٣.

الخليفة، واستقرّ بها، وسير إليه المعتمد الشاه بن مكيال في جيش كثيف فالتقوا وقاتلوا وانهزم الشاه و قتل جماعه كثيره من أصحابه و نجا الشاه، ثم وجه المعتمد كيجور التركي لمحاربته، و قد أرسل كيجور إلى علي بن زيد يدعوه إلى الطاعة و بذل له الأمان، و طلب علي بن زيد امورا لم يجبه كيجور إليها، فخرج علي بن زيد من الكوفة و عسكر في القادسيه فبلغ خبره كيجور فواقعه فانهم علي بن زيد و قتل جماعه من أصحابه (١).

و حصلت حوادث اخرى في عهد المعتمد فقد استولى الحسن بن زيد العلوي على جرجان و قتل كثيرا من العساكر و غنم هو و أصحابه ما عندهم.

و خرج مساور الخارجي و طوق من بنى زهير و هو من الخوارج أيضا و قاتلهم الحسن بن أيوب بن أحمد العدوي و هزمهم و قطع رأس مساور و أنفذه إلى سامراء (٢).

و قد استوعبت هذه الحركات التي كانت ضد الدوله العباسيه مساحه زمنييه واسعه لعدم شرعيه الدوله و لابتعاد الخلفاء و ولاتهم عن مبادئ الإسلام الحنيف و استمرت حتى بعد عصر الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) و حتى سقوط بغداد على يد التتار عام (٦٥٦هـ).

د- المعتمد و الإمام العسكري (عليه السلام)

سعى المعتمد جاهدا في التخلص من الإمام العسكري (عليه السلام) أي أنه سار على ذات المنهج الذي أتبعه أسلافه من الخلفاء الأمويين و العباسيين مع الأئمة المعصومين (عليهم السلام) غير أن موقفه هذا سرعان ما تغير ظاهرا، و قدّم الاعتذار

ص: ١١٧

١- (١) الكامل في التاريخ: ٤/٤٤٧.

٢- (٢) الكامل في التاريخ: ٤/٤٣٩.

للإمام (عليه السلام) بعد محاوله لتصفيته برمييه مع السباع كما عمل مثل ذلك المتوكل مع أبيه على الهادي (عليه السلام) وذلك حين سلم الإمام العسكري (عليه السلام) إلى يحيى بن قتيبه الذي كان يضيق على الإمام (عليه السلام) حيث رمى به إلى مجموعه من السباع ظنًا منه أنها سوف تقتل الإمام (عليه السلام)، مع العلم بأن امرأه يحيى كانت قد حذرته من أن يمس الإمام بسوء بقولها له: «اتق الله فإني أخاف عليك منه».

و روى أن يحيى بن قتيبه قد أتاه بعد ثلاث مع الاستاذ فوجده يصلّي، و الاسود حوله، فدخل الاستاذ الغيل - أي موضع الأسد - فمزقته الاسود و أكلته و انصرف يحيى إلى المعتمد و أخبره بذلك، فدخل المعتمد على العسكري (عليه السلام) و تضرّع إليه... (١)

و استمر المعتمد في التضيق على الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) فيما بعد حتى ألقى به في سجن علي بن جرير و كان يسأله عن أخباره فيجيبه: إنه يصوم النهار و يقوم الليل. (٢)

و قال ابن الصباغ المالكي: حدث أبو هاشم داود بن القاسم الجعفرى قال:

كنت في الحبس الذي بالجوشق أنا و الحسن بن محمد العتيقى و محمد بن ابراهيم العمرى و فلان و فلان خمسة سته من الشيعة، إذ دخل علينا أبو محمد الحسن بن علي العسكري (عليهما السلام) و أخوه جعفر فخففنا بأبي محمد، و كان المتولى لحبسه صالح بن الوصيف الحاجب، و كان معنا في الحبس رجل جمحى.

فالتفت إلينا أبو محمد و قال لنا سرًا: لو لا أنّ هذا الرجل فيكم لأخبرتكم متى

ص: ١١٨

١- ((١)) مناقب آل أبي طالب: ٤/٤٣٠.

٢- ((٢)) مهج الدعوات: ٢٧٥.

يفرج عنكم و ترى هذا الرجل فيكم قد كتب فيكم قصته الى الخليفه يخبره فيها بما تقولون فيه و هي مدسوسه معه فى ثيابه يريد أن يوسع الحيله فى ايصالها الى الخليفه من حيث لا تعلمون،فاحذروا شره.

قال أبو هاشم:فما تمالكنا أن تحاملنا جميعا على الرجل،ففتشناه فوجدنا القصه مدسوسه معه بين ثيابه و هو يذكرنا فيها بكل سوء فأخذناها منه و حذرناه،و كان الحسن يصوم فى السجن،فإذا أفطر أكلنا معه و من طعامه و كان يحمله إليه غلامه فى جونه مختومه.

قال أبو هاشم:فكنت أصوم معه فلما كان ذات يوم ضعفت من الصوم، فأمرت غلامى فجاءنى بكعك فذهبت الى مكان خال فى الحبس، فأكلت و شربت، ثم عدت الى مجلسى مع الجماعه و لم يشعر بى أحد، فلما رآنى تبسم و قال:افطرت، فخرجت، فقال:لا عليك يا أبا هاشم، إذا رأيت أنك قد ضعفت و اردت القوه فكل اللحم، فإن الكعك لا-قوه فيه، و قال:عزمت عليك أن تظفر ثلاثا فإن البنيه إذا انهكها الصوم لا تقوى إلا بعد ثلاث.

قال أبو هاشم:ثم لم تطل مدّه أبى محمد الحسن فى الحبس إلا أن قحط الناس بسرّ من رأى قحطا شديدا، فأمر الخليفه المعتمد على الله ابن المتوكل بخروج الناس الى الاستسقاء فخرجوا ثلاثه أيام يستسقون و يدعون فلم يسقوا، فخرج الجاثليق فى اليوم الرابع الى الصحراء و خرج معه النصرارى و الرهبان و كان فيهم راهب كلما مدّ يده الى السماء و رفعها هطلت بالمطر.

ثم خرجوا فى اليوم الثانى و فعلوا كفعلهم أول يوم فهطلت السماء بالمطر و سقوا سقيا شديدا، حتى استعفوا، فعجب الناس من ذلك و داخلهم الشك و صفا بعضهم الى دين النصرانيه فشق ذلك على الخليفه، فانفذ الى صالح بن وصيف ان اخرج أبا محمد الحسن بن على من السجن و اتنى به.

فلَمَّا حضر أبو محمد الحسن عند الخليفة قال له: ادرك امه محمد فيما لحق في هذه النازله، فقال أبو محمد: دعهم يخرجون غدا اليوم الثالث، قال: قد استعفى الناس من المطر و استكفوا فما فايده خروجهم؟ قال: لأزيل الشك عن الناس و ما وقعوا فيه من هذه الورطه التي أفسدوا فيها عقولا ضعيفه.

فأمر الخليفة الجاثليق و الرهبان أن يخرجوا أيضا في اليوم الثالث على جارى عادتهم و ان يخرجوا الناس، فخرج النصارى و خرج لهم أبو محمد الحسن و معه خلق كثير، فوقف النصارى على جارى عادتهم يستسقون إلاّ ذلك الراهب مدّ يديه رافعا لهما الى السماء، و رفعت النصارى و الرهبان ايديهم على جارى عادتهم، فغيمت السماء في الوقت و نزل المطر.

فأمر أبو محمد الحسن القبض على يد الراهب و أخذ ما فيها، فإذا بين أصابعها عظم آدمى، فأخذه أبو محمد الحسن و لفه في خرقة و قال: استسق فانكشف السحاب و انقشع الغيم و طلعت الشمس فعجب الناس من ذلك، و قال الخليفة: ما هذا يا أبا محمد؟! فقال: عظم نبي من أنبياء الله عزّ و جل ظفر به هؤلاء من بعض فنون الأنبياء و ما كشف نبي عن عظم تحت السماء إلاّ هطلت بالمطر، و استحسنا ذلك فامتحنوه فوجدوه كما قال.

فرجع أبو محمد الحسن الى داره بسرّ من رأى و قد أزال عن الناس هذه الشبهه و قد سرّ الخليفة و المسلمون ذلك و كلّم أبو محمد الحسن الخليفة في اخراج أصحابه الذين كانوا معه في السجن، فاخرجهم و أطلقهم له، و أقام أبو محمد الحسن بسرّ من رأى بمنزله بها معظما مكرّما مبجلا و صارت صلوات الخليفة و انعامه تصل اليه في منزله الى أن قضى تغمّده الله برحمته (١).

ص: ١٢٠

لم تتغير الاجراءات القمعيه التي كانت تمارسها السلطه العباسيه تجاه الشيعة في عصر المعتمد بل كانت امتدادا للسياسه المعهوده و التي أصبحت تقليدا يتوارثه الخلفاء العباسيون إزاء الأئمه الأطهار و شيعتهم و ذلك لما كان يخشاه الخلفاء من تطور الوضع لصالحهم و اتساع نشاطهم السياسي مما قد ينجم عنه تغير الوضع ضد السلطه القائميه، و التفاف الناس بشكل أكبر حول الإمام(عليه السّلام) و بالتالي قد يتخذ الإمام موقفا جهاديا تجاه الخليفه و سلطته.

و كانت أساليب السلطه تجاه الحركه الشيعيه لا تتجاوز الأساليب التي عهدتها في عصور سابقه و هي:

١-المراقبه و رصد تحركات أصحاب الإمام و شيعته.

٢-السجن و كانت تعمد إليه السلطه من أجل الحدّ من نشاط أصحاب الإمام(عليه السّلام).

٣-القتل: و كانت ترتكبه السلطه حين لا ترى جدوى في أساليبها الاخرى تجاه الشيعة، أو تشعر بتنامي نشاطهم فتلجأ الى قتل الشخصيات البارزه و المقربين من الإمام(عليه السّلام).

استشهاد الإمام الحسن العسكري(عليه السّلام)

و بعد أن أدى الإمام العسكري(عليه السّلام)مسؤوليته بشكل كامل تجاه دينه و أمه جده(صلّى الله عليه و اله) و ولده(عليه السّلام)نعى نفسه قبل سنه ستين و مئتين، و أخذ يهدئ روع والدته قائلا لها: لا بد من وقوع أمر الله لا تجزعي...و نزلت الكارثه كما قال، و التحق بالرفيق الأعلى بعد أن اعتلّ(عليه السّلام)في أول يوم من شهر ربيع

الأول من ذلك العام (١). ولم تزل العلة تزيد فيه و المرض يثقل عليه حتى استشهد فى الثامن من ذلك الشهر، و روى أيضا أنه قد سم و اغتيل من قبل السلطه حيث دس السم له المعتمد العباسى الذى كان قد أزعجه تعظيم الأمه للإمام العسكرى و تقديمهم له على جميع الهاشميين من علويين و عباسيين فأجمع رأيهم على الفتك به (٢).

و لم يخلف غير ولده أبى القاسم محمد (الحجه) و كان عمره عند وفاه أبيه خمس سنين و قد آتاه الله الحكمة و فصل الخطاب (٣).

و دفن الإمام الحسن العسكرى (عليه السلام) إلى جانب أبيه الإمام الهادى (عليه السلام) (٤) فى سامراء، و قد ذكر أغلب المؤرخين أن سنة وفاته كانت (٢٦٠ هـ) و أشاروا إلى مكان دفنه. دون إيضاح لسبب وفاته (٥).

و روى ابن الصباغ عن أحمد بن عبيد الله بن خاقان انه قال: لما اعتل (ابن الرضا) (عليه السلام)، بعث (جعفر بن على) الى أبى: أن ابن الرضا (عليه السلام) قد اعتل فركب أبى من ساعته مبادرا الى دار الخلافة: ثم رجع مستعجلا و معه خمسة نفر من خدم الخليفة كلهم من ثقاته و رجال دولته و فيهم نحرير، و أمرهم بلزوم دار الحسن بن على و تعرّف خبره و حاله، و بعث الى نفر من المتطبيين و أمرهم بالاختلاف إليه و تعاوده فى الصباح و المساء، فلما كان بعدها يومين جاءه من أخبره أنه قد ضعف فركب حتى بكر إليه ثم أمر المتطبيين بلزومه و بعث الى قاضى القضاة فأحضره مجلسه و أمره أن يختار من أصحابه عشرة

ص: ١٢٢

١- ((١)) الارشاد: ٣٣٦/٢ و مهج الدعوات: ٢٧٤.

٢- ((٢)) الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمى: ٣١٤ عن وفياه الأعيان لابن خلكان.

٣- ((٣)) الارشاد: ٣٣٩/٢.

٤- ((٤)) الارشاد: ٣٣٦/٢ و المنتظم، عبد الرحمن بن على الجوزى: ١٢٦/٧.

٥- ((٥)) الطبرى: ٧ حوادث سنة (٢٦٠ هـ) و عنه فى الكامل لابن الأثير.

ممن يوثق به في دينه و أمانته و ورعه فأحضرهم و بعث بهم الى دار الحسن (عليه السّلام) و أمرهم بلزوم داره ليلا و نهارا فلم يزلوا هناك حتى توفي لأيام مضت من شهر ربيع الأول من سنة ستين و مائتين (١).

يتضح لنا من خلال متابعه تاريخ الإمام العسكري (عليه السّلام) و موقف السلطه العباسيه منه أنّ محاوله للتخلّص من الإمام قد دبّرت من قبل الخليفه المعتمد خصوصا إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار سلسله الاجراءات التي اتخذتها السلطه إزاء الإمام علي الهادي (عليه السّلام) أوّلا، ثم ما اتخذته من إجراءات ضد الإمام الحسن العسكري (عليه السّلام)، فقد قامت بسجنه عدّه مرات فضلا عن المراقبه المشدده على بيته، كما حاولت نفيه إلى الكوفه، و غيرها من الاجراءات التعديفيه ضدّه و ضد شيعته و ضد العلويين، و وفقا لذلك و بضم روايه أحمد بن عبيد الله بن خاقان و الذي كان أبوه أحد أبرز رجالات الدوله، يتأكد لنا أنّ استشهاد الإمام العسكري (عليه السّلام) كانت وراءه أيدي السلطه الآئمه دون أدنى شك.

الصلاه على الإمام العسكري (عليه السّلام)

و كان لاستشهاد الإمام العسكري (عليه السّلام) صدى كبير في سامراء حيث عطّلت الدكاكين و سارع العامه و الخاصه مهر عين إلى بيت الإمام، و يروي أحمد بن عبيد الله واصفا ذلك اليوم العظيم قائلا: و لما رفع خبر وفاته، ارتجت سرّ من رأى و قامت ضجه واحده: مات ابن الرضا (٢)، و عطّلت الأسواق، و غلّقت أبواب الدكاكين و ركب بنو هاشم و الكتّاب و القوّاد و القضاء و المعدّلون و ساير الناس الى أن حضروا جنازته فكانت سرّ

ص: ١٢٣

١- ((١)) الفصول المهمه: ٢٧١، اصول الكافي: ٥٠٣/١ ح ١، كمال الدين: ٤٢/١.

٢- ((٢)) كمال الدين: ٤٣/١.

من رأى شبيها بالقيامة (١).

و بعد ما جهّز الإمام العسكري (عليه السلام) خرج عقيد خادمه، فنادى جعفر بن علي فقال: يا سيدي قد كفن أخوك، فقم وصلّ عليه، فدخل جعفر بن علي و الشيعة من حوله يتقدّمهم عثمان بن سعيد العمري و هو أحد وكلائه (و وكيل الإمام الحجّة (عليه السلام) فيما بعد)، و لما دخلوا الدار فاذا بالحسن بن علي صلوات الله عليه على نعشه مكفّنا، فتقدّم جعفر بن علي ليصلي عليه، فلما همّ بالتكبير خرج صبيّ بوجهه سمره بشعره ققط، و بأسنانه تفلج فجذب رداء جعفر و قال: يا عمّ، أنا أحقّ بالصّلاه على أبي، فتأخر جعفر و قد اربد وجهه و اصفرّ، فتقدّم الصبي فصلى عليه (عليه السلام) (٢).

و لما اخرج نعش الإمام العسكري (عليه السلام) صلى عليه أبو عيسى بن المتوكل (٣) بأمر الخليفة المعتمد العباسي، تمويها على الرأى العام حول استشهاد الإمام (عليه السلام)، و كأنّ السلطه ليس لها في ذلك يد بل على العكس، فإنّها قد أظهرت اهتماما كبيرا أيام مرض الإمام (عليه السلام) و خرج كبار رجالات البلاط العباسي مشيعين...، و لكن مثل هذه الامور لا يمكن أن تتطلى على شيعة الإمام و مواليه، و هكذا غالبيه المسلمين الذين عاصروا ما جرى للإمام (عليه السلام) من قبل السلطه من سجن و تضيق.

أولاد الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)

إن المشهور بين الشيعة الإماميه، أن الإمام العسكري (عليه السلام) لم يكن له

ص: ١٢٤

١- (١) الفصول المهمه: ٢٧١.

٢- (٢) كمال الدين: ٤٧٥/٢.

٣- (٣) كمال الدين: ٤٣/١ و عنه في بحار الأنوار: ٣٢٨/٥٠.

من الولد سوى الإمام محمد المهدي المنتظر (عليه السلام)، و يدل عليه ما أشار إليه الشيخ المفيد (رضى الله عنه) (١) حيث قال: أما الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) فلم يكن له ولد سوى صاحب الزمان عليه الصلاة والسلام و لم يخلف ولدا غيره ظاهرا أو باطنا (٢).

كما ذهب إلى ذلك ابن شهر آشوب حيث قال: و ولده القائم لا غيره (٣).

و أصحاب المصادر التاريخية، كالطبري (٤) و المسعودي (٥) و غيرهما لم يشيروا إلى غير الإمام المنتظر (عليه السلام)، و هو الذي ولد في النصف من شعبان عام (٢٥٥ هـ).

ص: ١٢٥

١- (١) الارشاد: ٣٣٩.

٢- (٢) تاج المواليد: ١٣٥.

٣- (٣) مناقب ابن شهر آشوب: ٤/٤٥٥.

٤- (٤) تاريخ الطبري: ٥١٩/٧.

٥- (٥) تاريخ المسعودي: ١١٢/٤ نقلا عن جمهور الشيعة.

لقد تضافرت النصوص النبويّة تبعاً للقرآن الكريم - على خلود الرسالة الإسلاميّة و ظهورها على ما سواها من الرسائل، و أن هذا الأمر لا ينقضى حتى يمضي اثنا عشر خليفة - بعدد نعباء بني اسرائيل - كلّهم من قريش (١).

و ورد التعبير عنه (صلى الله عليه و اله) - كما عن عبد الله بن مسعود - بأنّ: الأئمة من بعدى اثنا عشر كلّهم من قريش (٢).

و جاء عن أبي سعيد الخدرىّ أنه قال: صلى بنا رسول الله (صلى الله عليه و اله) الصلاة الاولى ثمّ أقبل بوجهه الكريم علينا فقال: معاشر أصحابي إنّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح و باب حطّه في بني اسرائيل فتمسّكوا بأهل بيتي بعدى و الأئمة الراشدين من ذريّتي فإنّكم لن تضلّوا أبداً، فقيل: يا رسول الله كم الأئمة بعدك؟ قال: اثنا عشر من أهل بيتي (٣).

إنّ الصحاح و المسانيد فضلا عن الكتب المتخصّصه بموضوع الإمامه قد كشفت النقاب عن مدى أهميه هذا الموقع الريادى فى نصوص الكتاب و السنّه و سيره المسلمين، حتى تكالبت على الاستثثار به نفوس قوم لم

ص: ١٢٧

١- (١) راجع أحاديث الخلافة و الاماره و الإمامه فى الصحاح و المسانيد.

٢- (٢) منتخب الأثر: ٢٤ عن كفايه الأثر.

٣- (٣) منتخب الأثر: ٢٥ عن كفايه الأثر.

يرشّحوا لهذا الموقع لا- فى كتاب الله و لا- سنّه رسوله و لم يتمسّكوا للاستثثار به إلاّ بذريعه هى أوهى من بيت العنكبوت مفادها:أنهم لو لم يبادروا لمسك زمام الامور لافترقت الامه و لتناحرت على ذلك،فكانت المبادره منهم دليلا و شفيعا لهم ليسبغوا رداء المشروعيه على استئثارهم بالحكم و مسك زمام الامور بعد رسول الله(صلّى الله عليه و اله).

و هذا الخط الذى استأثر بالحكم قد خطط لنفسه على المدى البعيد محتججا بأنّ النبوه و الخلافه لا تجتمعان،فإذا كانت النبوه فى بنى هاشم فلا ينبغى أن تكون الإمامه فيهم،بينما أكّدت نصوص النبى(صلّى الله عليه و اله)على أنّ الإمامه فى أهل بيته و أنهم سفينه نوح و باب حطّه و هم أمان لامته من الغرق و الضلال.

و انتهى ذلك الى نجاح محاولات العزل السياسى لأهل البيت(عليهم السّلام)عن الموقع المقرّر لهم ثم حاولت السلطه حظر كتابه الحديث و تدوينه لئلا تتداول أحاديث الرسول(صلّى الله عليه و اله)فيما يرتبط بأهل البيت(عليهم السّلام)و موقعهم الريادى بعد رسول الله(صلّى الله عليه و اله)،و أعقب ذلك محاولات سلب المرجعيه الدينيه و الفكرية عنهم(عليهم السّلام).

لكن جداره أهل البيت(عليهم السّلام)و أهليتهم و خصائصهم و مواجعتهم المبدئيه للمستأثرين بالسلطه قد انتهت بعد تجربه طويله الى عوده هيمنتهم الفكرية و الدينيه الى الساحة الإسلاميه رغم كل محاولات العزل السياسى و اسقاط مرجعيتهم الدينيه التى قرّرها لهم رسول الله(صلّى الله عليه و اله)بنص من كتاب الله.

و كانت الإمامه المبكره للإمامين الجواد و الهادى(عليهما السّلام)دليلا حسيّا قاطعا و قويا على جداره أهل البيت(عليهم السّلام)العلميه لرياده الامه و قيادتها نحو شاطئ السلام الذى بشر به الكتاب و أكّده نصوص السنّه النبويه حين أفصحت عن أن المهدي(عليه السلام)من أهل بيت الرساله و سيملا الأرض قسطا و عدلا بعد ما تملأ ظلما و جورا.

لقد باءت بالفشل كل محاولات الامويين و العباسيين لتسقيط الأئمة من أهل البيت (عليهم السّلام) و سدل الستار على شخصياتهم المتألقه، ممّا أدّى الى أن يغيّر المأمون العباسى سياسته أسلافه ليرصد أهل البيت (عليهم السّلام) عن كُتب و يتظاهر بالاحترام و هو يبطن الحقد الدفين لهم و أصبحت سياسته هذه سنه اقتدى بها من تأخّر منه كالمعتصم و المتوكل و من تلاه حتى المعتمد العباسى.

إنّ سياسته الاحتفاء بالإمام (عليه السّلام) فى ظاهر الأمر و المراقبه الشديده له و لتصرّفاتة و حبسه فى مركز الخلافه و حظر السفر عليه و ملاحقه من يرتبط به من أتباعه ذات دلالة عميقه قد أفصح عنها المأمون و المتوكل و غيرهما على حد قول المتوكل (و يحكم اقد أعيانى أمر ابن الرضا)، و كان ذلك حين باءت كل محاولات التسقيط للإمام الهادى (عليه السّلام) بالفشل.

و كانت جهود المأمون تذهب سدى، إذ لا يستطيع التضييب على شخصيه الإمام المتألقه و لا يزداد إلاّ بعدا عن أهدافه المشؤومه، كما ذهب كل جهود المعتصم و المتوكل سدى، و الدليل على ذلك اغتيال المعتصم للإمام الجواد (عليه السّلام) و هو فى ريعان شبابه حيث لم يتجاوز الخامسة و العشرين من عمره، و كذلك اغتيال المعتز للإمام الهادى (عليه السّلام) إذ لم يفلح المتوكل فى اغتيال الإمام (عليه السّلام) رغم تكرر محاولات الاغتيال له. و حين جاء دور ابنه الإمام الحسن العسكرى (عليه السّلام) و هو فى الثانيه و العشرين من عمره المبارك لم يتغير أى شىء من سياسات العباسيين كما لم يتغير شىء من الظروف المحيطه به.

و لم يعهد فى زمن هؤلاء الخلفاء أى محاوله مباشره للثوره عليهم من قبل أهل البيت (عليهم السّلام) منذ استشهاد الإمام الحسين (عليه السّلام).

فلماذا هذا الرعب منهم؟ و لماذا هذا التسرّع فى التصفيه الجسديه لهم؟

لقد أفصح الإمام الحسن العسكرى (عليه السّلام) عن سرّ هذا الأمر ضمن حديث جاء فيه:

«قد وضع بنو اميه و بنو العباس سيوفهم علينا لعلتين: إحداهما: أنهم كانوا يعلمون (أن) ليس لهم في الخلافة حق فيخافون من ادعائنا إياها و تستقر في مركزها. و ثانيهما: أنهم قد وقفوا من الأخبار المتواتره على أن زوال ملك الجباره الظلمه على يد القائم منّا، و كانوا لا يشكّون أنهم من الجباره و الظلمه، فسعوا في قتل أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه و اله) و إباده نسله طمعا منهم في الوصول الى منع تولد القائم (عليه السلام) أو قتله، فأبى الله أن يكشف أمره لواحد منهم إلا أن يتم نوره و لو كره المشركون» (١).

إنّ التمهيد الذي قام به الرسول (صلى الله عليه و اله) -تبعاً للقرآن الكريم- بالنسبه لقضيه المصلح الإسلامى العالمى و التصريح بأنه سيولد من أبناء الرسول (صلى الله عليه و اله) من فاطمه و على (عليهما السلام) و أنّه التاسع من أبناء الحسين الشهيد، كان ضروره اسلاميه تفرضها العقيدته لأنها نقطه إشعاع و مركز الأمل الكبير للمسلمين في أحلك الظروف الظالمه التي سيمزّون بها، و قد أيدت الظروف التي حلت بالمسلمين بعد وفاته (صلى الله عليه و اله) هذه الأخبار السابقه لأوانها.

إنّ هذا التمهيد النبوى الواسع قد بلغت نصوصه -لدى الفريقين- ما يزيد على الـ (٥٠٠) نص حول حتميه ظهور المهدي (عليه السلام) و ولادته و غيبته و ظهوره و علائم ظهوره و عدله و حكمه الإسلامى النموذجى.

و قد سار على درب الرسول (صلى الله عليه و اله) الأئمه من أهل البيت (عليهم السلام) خلال قرنين -و عملوا على تأكيد هذا الأصل و تأييده و إقراره في النفوس و جعله معلماً من معالم عقيدته المسلمين فضلاً عن المواليين لأهل البيت (عليهم السلام) و أتباعهم. و قد زرع هذا المبدأ ألغاما تهدّد الظالمين بالخطر و تنذرهم بالفناء و القضاء عليهم و على خطّهم المنحرف، فهو مصدر اشعاع لعامه المسلمين كما أنه مصدر رعب للظالمين المتحكّمين في رقاب المسلمين.

ص: ١٣٠

١- (١) منتخب الأثر: ٣٥٩ ط ثانيه عن أربعين الخاتون آبادى (كشف الحق).

و لو لم يصدر من أهل البيت (عليهم السّلام) إلاّ التأكيد على هذا المبدأ فقط-و إن لم يمارسوا أى نشاط سياسى ملحوظ-لكان هذا كافيا فى نظر الحكّام للقضاء عليهم مادام هذا المبدأ يقضّ مضاجعهم.

و لكن اضطرارهم لمراعاة الرأى العام الإسلامى حال بينهم و بين ما يشتهونه و يخطّطونه ضد أهل البيت (عليهم السّلام)، فكانت إرادته الله تفوق ارادتهم.

غير أنهم لم يتركوا التخطيط للقضاء على أهل بيت الرسول (صلّى الله عليه و اله).

فعن الحسين أشاعوا أنه قد خرج على دين جدّه و هو الذى كان يطلب الاصلاح فى امه جدّه.

و الإمام الكاظم (عليه السّلام)-و من سبقه-قد اتّهم بأنه يجبى له الخراج و هو يخطط للثوره على السلطان.

و الإمام الرضا و الجواد (عليهما السّلام) قد قضى عليهما بشكل ماكر و خبيث بالرغم من علم المأمون بأنه المتهم فى اغتيال الرضا (عليه السّلام)، و المعتصم قد وظّف ابنه المأمون لارتكاب جريمه الاغتيال.

إذا فقد كان التمهيد النبوى لقضيه الإمام المهدي الإسلاميه يشكّل نقطه أساسيه و معلما لا يمكن تجاوزه، حرصا على مستقبل الامه الإسلاميه التى قدّر لها أن تكون امه شاهده و امه وسطا يفىء إليها الغالى و يرجع إليها التالى حتى ترفرف رايه (لا إله إلاّ الله محمد رسول الله) على ربوع الأرض و يظهر دينه الحق على الدين كله و لو كره الكافرون.

و قد ضحّى أهل البيت (عليهم السّلام) لهذا المبدأ القرآنى الذى بيّنه الرسول (صلّى الله عليه و اله) و اعتمده أهل البيت (عليهم السّلام) كخط عام و عملوا على تثبيته فى نفوس المسلمين.

و يشهد لذلك ما ألفه العلماء من كتب الملاحم التى اهتمّت بقضيه الإمام المهدي (عليه السّلام) فى القرنين الأول و الثانى الهجريين بشكل ملفت للنظر.

فالإمام المهدي (عليه السلام) قبل ولادته بأكثر من قرنين كان قد تلاً اسمَه و تناقلت الرواه أهدافه و خصائصه و نسبه و كل ما يمّت الى ثورته الإسلاميه بصله.

و استمر التبليغ لذلك طوال قرنين و نصف قرن من الزمن. و المسلمون يسمعون كل ذلك و يتناقلون نصوصه جيلاً بعد جيل بل يعكفون على ضبطه و التأليف المستقل بشأنه.

و المتيقن أن عصر الإمامين الباقر و الصادق (عليهما السلام) و من تلاهما من الأئمة (عليهم السلام) قد حفل بهذا التأكيد. فقد احصيت نصوص الإمام الصادق (عليه السلام) بشأن المهدي فهازت ال (٣٠٠) نصاً. و استمر التأكيد على ذلك خلال العقود التي تلته.

فما هي إفرازات هذا الواقع الذي ذكرناه من الناحيتين السياسيه و الاجتماعيه؟ و ما هي النتائج المتوقعه لمثل هذه القضيه التي لا بد من إقرارها في نفوس المسلمین؟

إن ما صرّح به الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) يميّط اللثام عن سرّ هذه الظواهر التي تبدو غريبه للباحث فهو يفسّر السبب في تسرّع الحكّام للقضاء على الأئمة (عليهم السلام) بعد الرضا (عليه السلام). كما يبيّن السرّ في اتّباع الحكّام لسياسه المأمون بلا استثناء و ذلك بتشديد الرقابه على كل تصرفات أهل البيت (عليهم السلام) و احصاء أنفاسهم عليهم و زرع العيون - من النساء و الرجال - داخل بيوتهم.

كما أننا يمكن أن نكتشف السرّ في أن الأئمة بعد الإمام الصادق (عليه السلام) لماذا لم يولدوا من نساء هاشميات يشار إليهنّ بالبنان؟ بل إنهم قد ولدوا من إماء طاهرات عفيفات مصطفيات، فلم يكن هناك زواج رسمي و علني. و هذا يستلزم أن يكون الإمام المولود وجوده غير ملفت للنظر إلا للخواص و المعتمدين

من أصحاب أهل البيت (عليهم السلام).

و كان يقوم الإمام السابق بالتمهيد لإمامه من يخلفه من خلال طرح اسمه على الساحة بالتدريج. و من هنا لم ينتبه الحكام لذلك إلا بعد مدّة و ربما كانت نفوت عليهم الفرص لاغتيااله و القضاء عليه.

و لهذا حين كان يشار إليه بالبنان و تتوجه إليه القلوب و النفوس كانت الدوائر الحاقدّه تبدأ بالكيد له باستمرار.

قال أيوب بن نوح، قلت للرضا (عليه السّلام): نرجو أن تكون صاحب هذا الأمر و إن يرده الله إليك من غير سيف فقد بويع لك و ضربت الدراهم باسمك، فقال:

ما ممّا أحد اختلفت إليه الكتب و سئل عن المسائل و أشارت إليه الأصابع و حملت إليه الأموال إلا اعتلّ و مات على فراشه حتى يبعث الله عزّ و جل لهذا الأمر رجلا خفيّ المولد و المنشأ حتى خفي في نفسه (١).

فالإمام الكاظم و الإمام الرضا (عليه السّلام) قد استشهدا و هما في الخامسة و الخمسين من عمرهما بينما الإمام الجواد (عليه السّلام) قد استشهد و هو في الخامسة و العشرين من عمره من دون أن يكون كل واحد منهم قد اصيب بمرض يوجب موته، بل كانوا أصحاء بحيث كانت صحتهم و سلامتهم الجسميه مثارا لآتهام الحكّام الحاقدين عليهم.

إذا فالإمام الجواد (عليه السّلام) بإمامته المبكّره التي أصبحت حدثا فريدا تتناقله الألسن -سواء بين الأحبه أو الأعداء- قد ضرب الرقم القياسى فى القيادة الربّانيه، و ذكّر الامه بما كانت قد سمعته من إخبار القرآن الكريم بأن الله قد آتى كلاً من يحيى و عيسى الكتاب و الحكم و النبوه فى مرحله الصبا.

ص: ١٣٣

بل لمست ذلك بكل وجودها و هي ترى طفلا لم يتجاوز العقد الأوّل من عمره و إذا به يهيمن على عقول و قلوب الالوف من المسلمين.

و في هذا نوع إعداد لإمامه من يليه من الأئمة (عليهم السّلام) الذين يتولّون الإمامه و هم في مرحله الصبا خلافا لما اعتاده الناس في الحياه.

و قد كانت إمامه ابنه الهادي (عليه السّلام) ثاني مصداق لهذا الحدث الفريد الذي سوف لا يكون في تلك الغرابه بل سوف يعطى للخط الرسالي لأهل البيت (عليهم السّلام) زخما جديدا و فاعليه كبيره؛ إذ يحظى أتباعهم بمثل هذه النماذج الفريده من أئمه أهل البيت (عليهم السّلام).

و الإمام المهدي (عليه السّلام) الذي كان يتمّ التمهيد لولادته و إمامته رغم مراقبه الطغاه و ترقيبهم لذلك، كان المصداق الثالث للإمامه المبكره، فلا غرابه في ذلك بعد استيناس الامه بنموذجين من هذا النوع من الإمامه، على الصعيد الإسلامي العام و على الصعيد الشيعي الخاص.

من هنا كان الظرف الذي يحيط بالإمام الهادي (عليه السّلام) و الإمام الحسن العسكري (عليه السّلام) ظرفا انتقاليا من مرحله الإمامه الظاهره الى الإمامه الغائبه التي يراد لها أن تدبّر الأمر و من وراء الستار و يراد للامه أن تنفتح على هذا الإمام المنتظر و تعتقد به و تتفاعل معه رغم حراجه الظروف.

فهو الظرف الوحيد لإعداد الامه لاستقبال الظرف الجديد. و لا سيّما إذا عرفنا أن الإمام الهادي (عليه السّلام) هو السابع من تسعه أئمه من أبناء الحسين (عليهم السّلام)، و المهدي الموعود هو التاسع منهم. فهو الذي مهّد لولاده حفيده من خلال ما خطط له من زواج خاص لولده الحسن العسكري دون أي اعلان عن ذلك، فلا توجد إلا مسافه زمنيّه قصيره جدا ينبغي له اغتنامها للإعداد اللازم و الشامل.

إذا ما أقلّ الفرص المتاحة للإمام الهادي (عليه السّلام) و من بعده الحسن

العسكري (عليه السّلام) للقيام بهذا العبء الثقيل حيث إنه لا بد له أن يجمع بين الدقه و الحذر من جهه و الابلاغ العام ليفوّت الفرص على الحكّام و يعرّق للامه مفهوم الانتظار و الاستعداد للظهور و النهوض بوجه الظالمين. و لا- أقل من إتمام الحجه على المسلمين و لو بواسطه المخلصين من أتباعه.

و من هنا كان على الإمام الهادي (عليه السّلام) و من بعده الحسن العسكري (عليه السّلام) -تحقيقا للأهداف الكبرى- أن يتجنب كل إثارة أو سوء ظن قد يوجّه له من قبل الحكّام المتربّصين له و لابنائهم، من أجل أن يقوم بانجاز الدور المرتقب منه، و هو دور تحقيق همزه الوصل الحقيقيه بين ما حقّقه الأئمه الطاهرون من آباءه الكرام و ما سوف ينبغى تحقيقه بواسطه المهدي (عليه السّلام).

و لهذا لم يمهل الإمام الحسن العسكري (عليه السّلام) سوى ست سنين فقط و هو أقصر عمر للإمامه فى تاريخ أهل البيت (عليهم السّلام)؛ إذ دامت إمامه الإمام على (عليه السّلام) ثلاثين سنه، و الإمام الحسن السبط (عليه السّلام) عشر سنين، و الإمام الحسين (عليه السّلام) عشرين سنه و الإمام زين العابدين (عليه السّلام) خمسا أو أربعا و ثلاثين سنه، و الإمام الباقر (عليه السّلام) تسع عشره سنه، و الإمام الصادق (عليه السّلام) أربعا و ثلاثين سنه، و الإمام الكاظم (عليه السّلام) خمسا و ثلاثين سنه، و الإمام الرضا (عليه السّلام) عشرين سنه. و الإمام الجواد (عليه السّلام) رغم قصر عمره كانت إمامته سبع عشره سنه. و الإمام الهادي (عليه السّلام) أربعا و ثلاثين سنه.

و تأتي فى هذا السياق كل الاجراءات التى قام بها الإمام الهادي (عليه السّلام) و من بعده الحسن العسكري (عليه السّلام) من الحضور الرتيب فى دار الخلافه و ما حظى به من مقام رفيع عند جميع الأصناف و الطبقات بدء بالامراء و الوزراء

وقاده الجيش و الكتاب و عامه المرتبطين بالبلاط.

هذه هي أبرز الملامح العامه للوضع السياسى الذى كان يحيط بالإمام الحسن العسكري (عليه السلام) و ما كان يتطلبه هذا الوضع بشكل خاص.

من أجل تحقيق الأهداف الكبرى التى انيط تحقيقها بالأئمه (عليهم السلام) بشكل عام و بالإمام الحسن العسكري بشكل عام.

و سوف نفضّل الحديث عن متطلبات عصر الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) ضمن فصلين: أحدهما يختصّ بمتطلبات الساحة الإسلاميه العامه، و ثانيهما يختصّ بمتطلبات الجماعه الصالحه التى انيطت بها مجموعه من المهامّ الرساليه التى خطط الأئمه (عليهم السلام) لتحقيقها من خلال أسبابها و سبلها الصحيحه الى أرشد إليها القرآن الكريم.

ص: ١٣٦

الباب الرابع

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

الإمام العسكري (عليه السلام) ومتطلبات الساحة الإسلاميه

الفصل الثاني:

الإمام العسكري (عليه السلام) ومتطلبات الجماعه الصالحه

الفصل الثالث:

من تراث الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)

ص: ١٣٧

إشاره

الإمام العسكري (عليه السلام) و متطلبات الساحة الإسلامية

بعد أن اتضح الجوّ العام الذي كان يحيط بالإمام الحسن العسكري (عليه السلام) و المهامّ الأساسيه التي تنتظره و هو حلقة الوصل بين عصرى الحضور و الغيبه بكل ما يخران به من خصائص و سمات، تأتي مهامّ الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) كالتالى:

١- الحكمه و الدقه فى التعامل مع الحكّام.

٢- الردّ على الشبهات و الدفاع عن حريم الرساله.

٣- مواجهه الفرق المنحرفه.

٤- الدعوه الى دين الحق.

١- الحكمه و الدقه فى التعامل مع الحكّام

عرفنا ممّا سبق أن السلطه قد اتّخذت بالنسبه للإمام (عليه السلام) الإجراءات التاليه:

١- التقريب من البلاط و التظاهر باكرام الإمام (عليه السلام).

٢- المراقبه الشديده و المستمره لكل أحوال الإمام (عليه السلام).

٣- الصّرامه فى مواجهه إذا تطلّب الأمر ذلك مثل سجن الإمام (عليه السلام) أو مداهمه بيته أو اغتياله.

و كان لا بدّ للإمام (عليه السلام) أن يتعامل بحذر و دقه مع السلطه إزاء هذه

الإجراءات القاسية التي كانت تستهدف الكشف عن ابن الإمام العسكري أو تحول دون ولادته إن أمكن، و تستهدف قطع صلة الإمام بشيعته و أتباعه.

و سوف نشير الى آليات و دقه تخطيط الإمام الحسن العسكري(عليه السلام)و التي حالت دون انكشاف الإمام المهدي(عليه السلام)للسلطة.

و كان الإمام(عليه السلام)يستفيد من الفرص التي تحصل له من خلال الوفود التي كانت تصل الى العاصمة و كان يتم له الارتباط باتباعه بأساليب ذكية شتى فكانت تصل اليه بعض الأموال او الاستفتاءات أو غير ذلك من الأخبار و القضايا التي تهّم الإمام(عليه السلام).

على أن اتساع دائره الوكلاء للإمام(عليه السلام)كانت تقلل من ضروره الارتباط المباشر بالإمام(عليه السلام)و كانت سياسه الاحتجاب التي اتخذها الإمام(عليه السلام)تعطى للسلطة اطمئنانا لمحدوديه تحرك الإمام أو تظهر لهم تجميده لنشاطه.

٢- الرد على الشبهات و الدفاع عن حريم الرساله

من أهم النشاطات التي بدرت للإمام الحسن العسكري(عليه السلام)في عصره هي الرد الهادئ و الحكيم لأكبر محاوله تخريبه كان الكندي-و هو أحد فلاسفه المسلمين-قد تصدّى لها،فإنه كان قد جمع جملة من الآيات المتشابهه التي يبدو للناظر فيها انها تنطوي على نوع من التناقض،و كان ينوي نشرها،و هذه المحاوله كانت تستهدف القرآن الكريم سند الرساله و النبوه، و رمز الكيان الإسلامي الأول.

لم يلتفت أحد الى مدى خطوره هذه المحاوله و تأثيرها السلبي على غير المتخصصين و هم عامه المسلمين،بالإضافه الى ما تعطيه هذه المحاوله من مستمسكات بيد أعداء الإسلام و المسلمين، غير أن الإمام(عليه السلام)قد اطلع على هذه المحاوله و أجهضها و هي في مهدها،حيث دخل أحد تلامذه الكندي على

الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) فقال له الإمام (عليه السلام): أما فيكم رجل رشيد يردع استاذكم الكندي عما أخذ فيه من تشاغله بالقرآن؟

فقال التلميذ: نحن تلامذته كيف يجوز منا الاعتراض عليه في هذا أو في غيره؟

فقال أبو محمد (عليه السلام): أتؤدّي إليه ما ألقىه إليك؟

قال: نعم.

قال الإمام (عليه السلام): فصر إليه و تلطف في مؤانسته و معونته على ما هو بسبيله، فإذا وقعت الأنسه في ذلك فقل: قد حضررتني مسأله أسألك عنها؛ فإنه يستدعي ذلك منك، فقل له: إن أتاك هذا المتكلم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون مراده بما تكلم منه غير المعاني التي قد ظننتها أنك ذهبت إليها؟

فإنه سيقول لك: إنه من الجائز؛ لأنه رجل يفهم إذا سمع، فإذا أوجب ذلك فقل له: فما يدريك لعله أراد غير الذي ذهبت أنت إليه، فيكون واضعا لغير معانيه.

ثم إن الرجل صار الى الكندي، و لما حصلت الأنسه ألقى عليه تلك المسأله فقال الكندي: أعد عليّ، فتفكر في نفسه و رأى ذلك محتملا في اللغة و سائغا في النظر.

فقال-الكندي-: أقسمت عليك إلا أخبرتني من أين لك؟

فقال تلميذه: إنه شيء عرض بقلبي فأوردته عليك، فقال: كلاً ما مثلك من اهتدى إلى هذا، و لا من بلغ هذه المنزله، فعرّفني من أين لك هذا؟

فقال: أمرني به أبو محمد العسكري (عليه السلام).

فقال: الآن جئت به، ما كان ليخرج مثل هذا إلا من ذلك البيت، ثم دعا

ص: ١٤١

بالنار و أحرق ما كان أُلّفه (١).

و هذا الموقف من الإمام (عليه السّلام) له دلالة كبيرة على رصد الإمام (عليه السّلام) لكل النشاطات العلميّة و الفكرية التي من شأنها أن تمس الرسالة الإسلاميّة من قريب أو بعيد بالإضافة الى دورها الكبير في تنمية الحس الاعتقاديّ الصحيح و إبعاد الشيعة عن مواطن الشك و الشبهة، و ذلك اسلوب اتبعه الإمام (عليه السّلام) تجاه الفرق و المذاهب، و الانحرافات الفكرية بشكل عام؛ ليكون درسا لأصحابه و شيعته على مرّ الأجيال و القرون.

ثمّ إنّ حادثه الاستسقاء بالرهبان و تأثيرها السلبيّ على جموع المسلمين لم يكن ليردّ عليها أحد سوى الإمام العسكريّ (عليه السّلام)، و كانت السلطنة قد عرفت هذا الموقع المتميّز للإمام (عليه السّلام). فطلبت منه أن يتولّى مهمّة الدفاع عن امه جدّه حين حصل لها الشك و الارتياب.

و قد أفلح الإمام (عليه السّلام) - كما عرفنا ذلك - و رفع الشكوك و الابهامات التي كانت تنعكس على حقّانيه الشريعة و الكيان الإسلاميّ الذي يعمل باسم الشريعة الخاتمه، و بذلك أنقذ الإمام (عليه السّلام) الامه الإسلاميّة و الكيان الإسلاميّ من السقوط و الانهيار.

٣- مواجهه الفرق المنحرفه

لقد اختلف المسلمون بعد الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و اله) و افرقوا إلى فرقتين، فرقه اجتهدت مقابل النصوص الواردة عنه (صلّى الله عليه و اله) و اخرى التزمت النص

ص: ١٤٢

١- (١) المناقب: ٤/٤٥٧، ٤٥٨ عن كتاب التبديل لأبي القاسم الكوفي (ق ٣).

و منهجه فى حياتها و مواقفها و سارت و وفقا له.

و مع امتداد تاريخ الدوله الاسلاميه تفرعت كل فرقه الى فروع و ظهرت فرق متعدده، كالمرجئه، و المعتزله، و الخوارج التى نشأت بعد قضيه التحكيم فى وقعه صفين فى عهد الحكم العلوى.

و قد تصدى الأئمه الأطهار (عليهم السّلام) آباء الحسن العسكرى (عليه السّلام) باعتبارهم حماه الرساله و العقيده الاسلاميه للفرق الضاله فى عصورهم فكان لكل امام مواقف خاصه مع كل فرقه من هذه الفرق التى كان يخشى من انحرافاتنا على الامه المسلمه.

و إليك نموذجين من مواجهه الإمام (عليه السّلام) للفرق المنحرفه التى عاصرها فى مده إمامته:

١- الإمام الحسن العسكرى (عليه السّلام) و الثنويه

و الثنويه من الفرق التى كانت فى عصر الإمام العسكرى (عليه السّلام)، و هم من أثبت مع القديم قديما غيره، و هم المجوس يثبتون مع مبدأ الخير مبدءا للشر و هما النور و الظلمه (١).

و روى الشيخ الكلينى (رضى الله عنه) عن اسحاق قال: أخبرنى محمّد بن الربيع الشائى، قال: ناظرت رجلا من الثنويه بالأهواز ثم قدمت (سرّ من رأى) و قد علق بقلبي شىء مما قاله، فإننى لجالس على باب أحمد بن الخصيب، إذ أقبل أبو محمد (عليه السّلام) من دار العامه يوم المركب، فنظر إلّى و أشار بسبابته: أحد، أحد، فرد. فسقطت مغشيا علىّ (٢).

ص: ١٤٣

١- ((١)) مجمع البحرين الطريحي: ٧٨/١.

٢- ((٢)) الكافي: ٥١١/١، ح ٢٠ و فى نسخه: الشيبانى، و كذلك فى مناقب آل أبى طالب: ٤٢٢/٤.

و كتب إليه أحد أصحابه يسأله الدعاء لوالديه، و كان الأب ثنويًا و الام مؤمنه فكتب (عليه السلام): رحم الله والدتك و التاء منقوطة من فوق - (١).

٢- الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) و الصوفية

لقد أوضح الإمام الإمام العسكري (عليه السلام) فساد معتقدات الصوفية من خلال بيانه لارائهم و أساليبهم في التعامل و علاقاتهم مع الناس، ما يتحلون به من صفات و خصائص، و نلاحظ ذلك في حديث الإمام العسكري (عليه السلام) مع أبي هاشم الجعفرى. حيث قال له الإمام (عليه السلام): يا أبا هاشم: سيأتى زمان على الناس و جوههم ضاحكه، مستبشره، و قلوبهم مظلمه منكدره، السنيه فيهم بدعه، و البدعه فيهم سنه، المؤمن بينهم محقر و الفاسق بينهم موقر، امراؤهم جاهلون جائرون، و علماؤهم في أبواب الظلمه سائرون، أغنياؤهم يسرقون زاد الفقراء، و أصاغرهم يتقدمون على الكبراء، و كل جاهل عندهم خبير و كل محيل عندهم فقير؛ لا- يتميزون بين المخلص و المرتاب، و لا- يعرفون الضأن من الذئب، علماؤهم شرار خلق الله على وجه الأرض، لأنهم يميلون إلى الفلسفه و التصوف، و أيم الله إنهم من أهل العدول و التحرف، يبالغون فى حب مخالفتنا و يضلون شيعتنا و موالينا، فان نالوا منصباً لم يشبعوا من الرثاء، و إن خذلوا عبدوا الله على الرياء، ألا إنهم قطع طريق المؤمنين و الدعاه إلى نحله الملحدين، فمن أدر كهم فليحذرهم و ليصن دينه و إيمانه. ثم قال: يا أبا هاشم: هذا ما حدثنى به أبى عن آبائه عن جعفر بن محمد (عليهم السلام) و هو من أسرارنا فاكتبه إلا عن أهله (٢).

ص: ١٤٤

١- ((١)) كشف الغمه: ٢٢١/٣، بحار الأنوار: ٢٩٤/٥٠.

٢- ((٢)) حديقه الشيعة: ٥٩٢ عن السيد المرتضى الرازى (ق ٥) فى كتبه: بيان الأديان و تبصره العوام و الفصول التامه فى هدايه العامه عن الشيخ المفيد مسندا، الأنوار النعمانية: ٢٩٣/٢، ذرائع البيان فى عوارض اللسان: ٣٨.

لم يتوان الأئمة من أهل البيت (عليهم السّلام) في دعوة الناس الى الهدى و دين الحق في كل الظروف و الأحوال. و الإمام الحسن العسكري (عليه السّلام) شأنه شأن آبائه الكرام في الحرص على هداية العباد و إخراجهم من الظلمات الى النور. و نجد في حياته (عليه السّلام) نماذج تشير الى هذا النوع من النشاط.

فعن محمد بن هارون أنّه قال: أنفذني والدي مع بعض أصحاب أبي القلا صاعد النصراني لأسمع منه ما روى عن أبيه من حديث مولانا أبي محمّد الحسن بن علي العسكري (عليه السّلام) فأوصلني إليه فرأيت رجلا معظما و أعلمته السبب في قصدي فأدناني و قال:

حدثني أبي أنه خرج و إخوته و جماعه من أهله من البصرة الى سرّ من رأى للظلامه من العامل، [فيينما هم] بسرّ من رأى في بعض الأيام يقول: إذا بمولانا أبي محمّد (عليه السّلام) على بغله، و على رأسه شاشه، و على كتفه طيلسان، فقلت في نفسي: هذا الرجل يدعى بعض المسلمين أنه يعلم الغيب، و قلت: إن كان الأمر على هذا فيحوّل مقدّم الشاشه الى مؤخرها، ففعل ذلك.

فقلت: هذا اتفاق و لكنه سيحوّل طيلسانه الأيمن الى الأيسر و الأيسر الى الأيمن ففعل ذلك و هو يسير، و قد وصل إليّ و قال: يا صاعد لم لا تشغل بأكل حيدانك عمّا لا أنت منه و لا إليه، و كئنا نأكل سمكا.

و أسلم صاعد بن مخلّد و كان وزيرا للمعتمد (١).

و عن ادريس بن زياد الكفر توثاني قال: كنت أقول فيهم قولاً عظيماً

ص: ١٤٥

فخرجت الى العسكر للقاء أبي محمد(عليه السلام)فقدمت و على أثر السفر و و عثاؤه فألقيت نفسى على دكان حمام فذهب بى النوم،فما انتبهت إلا بمقرعه أبي محمد(عليه السلام)قد قرعنى بها حتى استيقظت فعرفته فقمت قائما اقبل قدمه و فخذة و هو راكب و الغلمان من حوله،فكان اول ما تلقانى به أن قال:يا ادريس بل عباد مكرمون و لا- يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون.فقلت:حسبى يا مولاي و إنما جئت أسألك عن هذا.قال:فتركنى و مضى (١).

ص: ١٤٦

١- (١) المناقب: ٢/٤٦٢.

الإمام العسکری (علیه السلام) و متطلبات الجماعه الصالحه

تعتبر الجماعه الصالحه المحور الأهمّ الذى كان يشغل بال و اهتمام أهل البيت (عليهم السّلام) لأنها الاداه الوحيدہ الصالحه لتحقيق الأهداف الرساليه الكبرى، و هى الوسط الحقيقى الذى يفهم ثقافه أهل البيت (عليهم السّلام) و رسالتهم و يستطيع التعاطى الإيجابى معهم و ينقاد الى أوامرهم و توجيهاتهم الرساليه.

من هنا نجد أن الإمام الحسن العسکرى (علیه السلام) يكتفّ جهوده لفته الانتقال من عصر الحضور الى عصر الغيبه؛ لخطوره المرحله من شتى النواحي و لقصر الفتره الزمينه التى يعيشها الإمام (علیه السلام) و هو يرى سرعه التقلّبات السياسيه على مستوى الحکّام و الخلفاء، كما يرى سوء تعاملهم جميعا مع أهل البيت (عليهم السّلام) و شيعتهم من جهه، و رصدهم للإمام (علیه السلام) و كل تحركاته من جهه اخرى، و سعيهم الحثيث للبحث عن المهدي الموعود و المنتظر الذى بشرّ الرسول (صلّى الله عليه و اله) بأنه القائم بالقسط و العدل، و المقارع لكل رموز الظلم و العدوان.

فمهمّه الإمام الحسن العسکرى خطيره جدّا تجاه ولده المهدي كما هى خطيره تجاه شيعته الذين سيصابون بهذه الأزمه و المصيبه الجديده التى لم يألّفوها مع أئمتهم و هم يعيشون معهم و بين ظهرانيتهم خلال قرنين و نصف قرن و يتلقّون التعاليم و التربيه المباشرة منهم.

إنَّ الشعور بوجود إمام وقائد حي يرتبطون به و يرتبط بهم-رغم صعوبه الظروف-له آثاره النفسيه الايجابيه،بينما يكون الشعور بوجود إمام لا يستطيعون الارتباط به و لا يدرون متى سيظهر لهم و ينفس عنهم كرباتهم و يجيبهم على اسئلتهم يحمل معه آثارا نفسيه سلبيه إلا إذا كانت الغيبه عندهم كالحضور،و يكون البديل قادرا على تلبية حوائجهم و سدّ خللهم.

إنَّ هذه المهمه قد اشترك في انجازها أهل البيت(عليهم السّلام)جميعا غير أن دور الإمام الحسن العسكري(عليه السّلام)خطير للغاية و صعب جدّا لشده المراقبه و شمولها بحيث كان الإمام(عليه السّلام)يتعمّد الاحتجاب و الانقطاع عن كثير من شيعته،و يشهد لذلك أن أغلب ما روى عنه كان بواسطه المكاتبه دون المشافهه بالرغم من أن الإمام(عليه السّلام)طيله ست سنوات كان يخرج الى البلاط كل اثنين و خميس،و لكنه لم يكن ليتكلم أو ليرتبط حتى بمن كان يقصده من مكان بعيد،إلا في حالات نادره و بشكل خاص و هو يتحفّظ في ذلك من كثير ممّا يحيط به.

على هذا الأساس نصنّف البحث عن متطلبات الجماعه الصالحه في عصر الإمام الحسن العسكري(عليه السّلام)الى ما يلي:

١-الإمام الحسن العسكري(عليه السّلام)و التمهيد لقضيه الإمام المهدي(عليه السّلام).

٢-اعداد الجماعه الصالحه لعصر الغيبه.

٣-نظام الوكلاء في عصر الإمام الحسن العسكري(عليه السّلام).

٤-مدرسه الفقهاء و التمهيد لعصر الغيبه.

٥-قياده العلماء بالله الامناء على حاله حرامه.

٦-الإمام الحسن العسكري(عليه السّلام)و الفرق الضالّه.

٧-من وصايا الإمام العسكري(عليه السّلام)و ارشاداته لشيعته.

٨-الإمام العسكري(عليه السّلام)و التحصين الأمني.

إنَّ أهم إنجاز للإمام العسكري (عليه السلام) هو التخطيط الحاذق لصيانته ولده المهدي (عليه السلام) من أيدي العاثين الذين كانوا يتربصون به الدوائر منذ عقود قبل ولادته، و من هنا كانت التمهيدات التي اتخذها الإمام (عليه السلام) بفضل جهود آبائه السابقين (عليهم السلام) و تحذيراتهم تنصب أولاً على إخفاء ولادته عن أعدائه و عملائهم من النساء و الرجال الذين زرعتهم السلطه داخل بيت الإمام (عليه السلام)، الى جانب إتمام الحججه به على شيعته و محبيه و أوليائه.

ففى مجال كتمان أمر الإمام المهدي (عليه السلام) عن عيون أعدائه فقد أشارت نصوص أهل البيت (عليهم السلام) الى أنه ابن سيده الإمام (1) و أنه الذى تخفى على الناس ولادته، و يغيب عنهم شخصه. و فى هذه النصوص ثلاث إرشادات أساسيه تحقق هذا الكتمان، أولها أن أمه و هى سيده الإمام و قد مهّد الإمام الهادي (عليه السلام) لهذه المهمه باختيار زوجه من سببا الروم للإمام الحسن العسكري (عليه السلام) و لم تكن للزواج أيه مراسم و لا أيه علامه بل كل ما تحقق قد تحقق بعيدا عن أعين كثير من المقرّبين.

و قد خفيت الولاده حتى على أقرب القريبين من الإمام، فإنَّ عمّه الإمام (عليه السلام) لم تتعرّف على حمل ام الإمام المهدي (عليه السلام) فضلا عن غيرها، و من هنا كانت الولاده فى ظروف سرّيه جدا و بعد منتصف الليل، و عند طلوع الفجر و هو وقت لا يستيقظ فيه إلا الخواص من المؤمنین فضلا عن غيرهم.

و قد خطّط الإمام العسكري (عليه السلام) لبقى الإمام المهدي (عليه السلام) بعيدا عن الأنظار كما ولد خفيه و لم يطلع عليه إلا الخواص أو أخصّ الخواص من شيعته.

و أما كيفية إتمام الحجّه فى هذه الظروف الاستثنائية على شيعته فقد تحققت ضمن خطوات و مراحل دقيقه.

الخطوه الاولى:النصوص التى جاءت عن الإمام العسكرى(عليه السّلام)قبل ولاده المهدي(عليه السّلام)تبشيرا بولادته.

الخطوه الثانيه:الإشهاد على الولاده.

الخطوه الثالثه:الاخبار بالولاده و مداوله الخبر بين الشيعة بشكل خاص من دون رؤيه الإمام(عليه السّلام).

الخطوه الرابعه:الإشهاد الخاص و العام بعد الولاده و رؤيه شخص المهدي(عليه السّلام).

الخطوه الخامسه:التمهيد لرؤيه الإمام المهدي(عليه السّلام)خلال خمس سنوات من قبل بعض خواصّ الشيعة و الارتباط به عن كذب و تكليفه مسؤوليه الإجابة على اسئلة شيعته المختلفه و إخباره عمّا فى ضميرهم و هو فى المهد أو فى دور الصبا من دون أن يتلکأ فى ذلك.و هذا خير دليل على إمامته و انه حجه الله الموعود و المنتظر.

الخطوه السادسه:التخطيط للارتباط بالإمام المهدي(عليه السّلام)بواسطه و كلاء الإمام العسكرى(عليه السّلام)الذين أصبحوا فيما بعد و كلاء للإمام المهدي(عليه السّلام)بنفس الاسلوب الذى كان معلوما لدى الشيعة حيث كانوا قد اعتادوا عليه فى حياه الإمام الحسن العسكرى(عليه السّلام).

الخطوه السابعه:البيانات و الأحاديث التى أفصحت للشيعة عمّا سيجرى لهم و لإمامهم الغائب فى المستقبل و ما ينبغى لهم أن يقوموا به.

و من هنا نفهم السّرّ فى كثره هذه النصوص و تنوع موضوعاتها إذا ما قسناها الى نصوص الإمام الهادى(عليه السّلام)حول حفيده المهدي(عليه السّلام)و لاحظنا قصر الفتره الزمنية التى كانت باختيار الإمام العسكرى و هى لا تتجاوز الست

سنوات بينما كانت إمامه الهادي (عليه السلام) تناهز الـ (٣٤) سنة ممّا يعنى أنها كانت ستة أضعاف مده امامه ابنه العسكري (عليه السلام).

الخطوة الأولى:

لقد جاءت النصوص المبشّره بولاده المهدي (عليه السلام)

عن أبيه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) تاليه لنصوص الإمام الهادي (عليه السلام) التي ركّزت على أنه حفيد الهادي (عليه السلام) و أنّه ابن الحسن العسكري (عليه السلام) و أنّ الناس سوف لا يرون شخصه و لا يحلّ لهم ذكره باسمه، و أنه الذي يقول الناس عنه أنه لم يولد بعد، و أنّه الذي يغيب عنهم و يرفع من بين أظهرهم و أنه الذي ستختلف شيعته الى أن يقوم، و على الشيعة أن تلتفتّ حول العلماء الذين ينوبون عنه و ينتظرون قيامه و دولته و يتمتّعون بأهل البيت (عليهم السلام) و يظهرون لهم الولاء بالدعاء و الزياره و انه الذي سيكون إماما و هو ابن خمس سنين (١).

و إليك جملة من هذه النصوص المبشّره بولادته:

١- روى الصدوق عن الكليني أنّ جاريه أبي محمد (عليه السلام) لمتا حملت قال لها: ستحملين ذكرا و اسمه محمّد و هو القائم من بعدى (٢).

٢- روى في اثبات الهداه عن الفضل بن شاذان أن محمد بن عبد الجبار سأل الإمام الحسن عن الإمام و الحجّه من بعده فأجابه: «إنّ الإمام و حجّه الله من بعدى ابني سمى رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و كتبه، الذي هو خاتم حجج الله و آخر خلفائه. فسأله ممّن هو؟ فقال: من ابنه ابن قيصر ملك الروم، إلاّ أنّه سيولد و يغيب عن الناس غيبه طويله ثم يظهر (٣).

ص: ١٥١

١- (١) راجع معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام): ١٩٥/٤-٢١٨.

٢- (٢) كمال الدين: ٤٠٨/٢.

٣- (٣) اثبات الهداه: ٥٦٩/٣.

٣-روى الطوسى أن جماعه من شيعة الإمام الحسن العسكرى و فدوا عليه بسرّ من رأى فعزّفهم على وكيله و ثقته عثمان بن سعيد العمري ثم قال لهم: و اشهدوا على أن عثمان بن سعيد العمري و كيلى و أنّ ابنه محمّدا و كيل ابنى مهديكم (١).

٤-و عن عيسى بن صبيح أنه حين كان فى الحبس دخل عليه الإمام الحسن العسكرى فقال له: لك خمس و ستون سنه و شهر و يومان، و كان معه كتاب دعاء فيه تاريخ مولده ففتحته و نظر فيه و اكتشف صدق الإمام و دقه خبره، ثم قال له الإمام (عليه السلام): هل رزقت ولدا؟ فأجابته بالنفى فدعا له الإمام (عليه السلام) قائلا: اللهم ارزقه ولدا يكون له عضدا فنعم العضد الولد ثم تمثل (عليه السلام):

من كان ذا عضد يدرك ظلامته إن الدليل الذى ليست له عضد

ثم سأل الإمام عمّا إذا كان له ولد فأجابته الإمام (عليه السلام) قائلا: إى و الله سيكون لى ولد يملأ الأرض قسطا و عدلا فأما الآن فلا (٢).

الخطوه الثانيه: [إشهاد الإمام الحسن العسكرى (عليه السلام) على ولاده المهدي ع]

لقد قام الإمام الحسن (عليه السلام) بالإشهاد على الولاده فضلا عن إخباره و إقراره بولادته و ذلك إتماما للحجّه بالرغم من حراجه الظروف و ضروره الكتمان التام عن أعين الجواسيس الذين كانوا يرصدون دار الإمام و جواريه قبل الولاده و بعدها.

إن السیده العلويه الطاهره حكيمه بنت الإمام الجواد و اخت الإمام الهادى و عمّه الإمام الحسن العسكرى (عليهم السلام) قد تولّت أمر نرجس ام الإمام

ص: ١٥٢

١- (١) غيبه الطوسى: ٢١٥.

٢- (٢) الخرائج: ١/٤٧٨.

المهدى (عليه السلام) فى ساعه الولاده (١).

و صرّحت بمشاهده الإمام المهدى بعد مولده (٢) و صرّح الإمام العسكرى (عليه السلام) بأنها قد غسلته (٣) و ساعدتها بعض النسوة مثل جاريه أبى على الخيزرانى التى أهداها الى الإمام العسكرى (عليه السلام) و ماريه و نسيم خادمه الإمام العسكرى (٤).

الخطوه الثالثه: [خبر الإمام (عليه السلام) شيعته بأنّ المهدى المنتظر (ع) قد ولد]

و تمثّلت هذه الخطوه بإخبار الإمام (عليه السلام) شيعته بأنّ المهدى المنتظر (عليه السلام) قد ولد، و حاول نشر هذا الخبر بين شيعته بكلّ تحفّظ. ولدينا ثمانية عشر حديثاً يتضمّن كلّ منها سعى الإمام (عليه السلام) لنشر خبر الولاده بين شيعته و أوليائه، و هى ما بين صريح و غير صريح قد اكتفى فيه الإمام (عليه السلام) بالتلميح حسب ما يقتضيه الحال. فمنها الخبر الذى صرّح فيه الإمام الحسن (عليه السلام) بعثّتين لوضع بنى العباس سيوفهم على أهل البيت (عليهم السلام) و اغتيالهم من دون أن يكونوا قد تصدّوا للثوره العلنيه عليهم حيث جاء فيه: فسعوا فى قتل أهل بيت رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و إباده نسله طمعا منهم فى الوصول الى منع تولّد القائم أو قتله، فأبى الله أن يكشف أمره لواحد منهم إلّا أن يتمّ نوره و لو كره الكافرون» (٥).

ص: ١٥٣

١- (١) كمال الدين: ٢/٤٢٤.

٢- (٢) الكافى: ١/٣٣٠.

٣- (٣) كمال الدين: ٢/٤٣٤.

٤- (٤) كمال الدين: ٢/٤٣٠ و ٤٣١.

٥- (٥) اثبات الهداه: ٣/٥٧٠.

وقد تضمن هذا الحديث الإخبار بولادته خفيه لئتم الله نوره.

ومنها ما حدث به سعد بن عبد الله عن موسى بن جعفر بن وهب البغدادي أنه خرج توقيع من أبي محمد (عليه السلام) جاء فيه: «زعموا أنهم يريدون قتلى ليقطعوا هذا النسل، وقد كذب الله عز وجل قولهم والحمد لله» (١).

وحين قتل الزبيرى قال الإمام (عليه السلام) فى توقيع خرج عنه: «هذا جزاء من اجترأ على الله فى أوليائه، يزعم أنه يقتلنى و ليس لى عقب، فكيف رأى قدره الله فيه؟!» (٢).

وعن أحمد بن إسحاق بن سعد أنه قال: سمعت أبا محمد الحسن بن على العسكرى (عليهما السلام) يقول: «الحمد لله الذى لم يخرجنى من الدنيا حتى أرانى الخلف من بعدى، أشبه الناس برسول الله (صلّى الله عليه و اله) خلقا و خلقا، يحفظه الله تبارك و تعالى فى غيبته ثم يظهره الله فىملاً الأرض عدلا و قسطا كما ملئت جورا و ظلما» (٣).

وعن أحمد بن الحسن بن اسحاق القمى قال: لَمَّا ولد الخلف الصالح (عليه السلام) ورد عن مولانا أبي محمد الحسن بن على الى جدى أحمد بن اسحاق كتاب فإذا فيه مكتوب بخط يده (عليه السلام) الذى كانت ترد به التوقيعات عليه و فيه: «ولد لنا مولود فليكن عندك مستورا و عن جميع الناس مكتوما فإننا لم نظهر عليه إلا الأقرب لقرابته و الولي لولايته...» (٤).

وفى سنة سبع و خمسين و مائتين خرج عيسى بن مهدى الجوهري مع جماعه الى سامراء بعد أن كانوا قد زاروا قبر الحسين (عليه السلام) بكرىلاء و قبر أبي الحسن و أبي جعفر الجواد فى بغداد و بشرهم اخوانهم المجاورون لأبى الحسن و أبى محمد (عليهما السلام) فى سر من رأى بولاده المهدي (عليه السلام)، فدخلوا على

ص: ١٥٤

١- (١) كمال الدين: ٢/٤٠٧.

٢- (٢) الكافي: ١/٣٢٩.

٣- (٣) كمال الدين: ٢/٤١٨.

٤- (٤) كمال الدين: ٢/٤٣٣.

أبى محمد(عليه السلام)للتهنئه،و أجهروا بالبكاء بين يديه قبل التهنئه و هم نيف و سبعون رجلا من أهل السواد فقال لهم الإمام(عليه السلام)-من جمله ما قال:-

«أنّ البكاء من السرور من نعم الله مثل الشكر لها...ثم أراد عيسى بن مهدي الجوهري أن يتكلم فبادرهم الإمام(عليه السلام)قبل أن يتكلموا،فقال:فيكم من أضمر مسألتي عن ولدي المهدي(عليه السلام)و أين هو؟و قد استودعته الله كما استودعت ام موسى موسى(عليه السلام)...فقلت طائفه:اي و الله يا سيدنا لقد كانت هذه المسأله في أنفسنا» (١).

و قد أمر الإمام(عليه السلام)بعض وكلائه بأن يعقوا عن ولده المهدي(عليه السلام) و يطعموا شيعته،و العقيقه له إخبار ضمنى بولادته(عليه السلام).بل جاء التصريح في بعضها بالولاده حيث كتب لبعضهم ما نصه:«عقّ هذين الكبشين عن مولاك و كل هتأك الله و أطعم إخوانك...» (٢).

الخطوه الرابعه: [الاشهاد على حياه الإمام المهدي(عليه السلام)]

و تمثّلت في الاشهاد على ولاده الإمام المهدي(عليه السلام)و وجوده و حياته.

فعن أبى غانم الخادم أنه ولد لأبى محمد ولد فسّماه محمّدا فعرضه على أصحابه يوم الثالث و قال:«هذا صاحبكم من بعدى و خليفتي عليكم و هو القائم الذى تمتدّ إليه الأعناق بالانتظار،فإذا امتلأت الأرض جورا و ظلما فملأها قسطا و عدلا» (٣).

و عن عمرو الأهوازي أن أبا محمّد أراه ابنه و قال:«هذا صاحبكم من بعدى» (٤).

ص: ١٥٥

١- ((١)) الهدايه الكبرى:٦٨، و اثبات الهداه:٥٧٢/٣.

٢- ((٢)) اثبات الوصيه:٢٢١.

٣- ((٣)) كمال الدين:٤٣١/٢.

٤- ((٤)) الكافي:٣٢٨/١.

و عن معاوية بن حكيم و محمد بن أيوب بن نوح و محمد بن عثمان العمري (رضى الله عنه) أنهم قالوا: عرض علينا أبو محمد الحسن بن علي (عليهما السلام) و نحن في منزله و كنا أربعين رجلا فسئل عن الحجة من بعده فخرج عليهم غلام أشبه الناس به فقال:

«هذا إمامكم من بعدى و خليفتي عليكم، أطيعوه و لا تتفروا من بعدى في أديانكم فتهلكوا، أما إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا» (١) قالوا: فخرجنا من عنده فما مضت إلا أيام قلائل حتى مضى أبو محمد (عليه السلام).

الخطوة الخامسة: [إجابات الإمام المهدي (عليه السلام) على أسئلة شيعته في حياه أبيه]

و هي إجابات الإمام المهدي (عليه السلام) على أسئلة شيعته في حياه أبيه حيث تكشف عن قابلياته الزبانية التي يختص بها أولياء الله.

و مما حدث به أحمد بن اسحاق حين سأل الإمام الحسن العسكري عن علامه يطمئن إليها قلبه حول إمامه المهدي (عليه السلام) حين اراه إياه و قد كان غلاماً كأن وجه القمر ليله البدر من أبناء ثلاث سنين... أن الغلام نطق بلسان عربي فصيح فقال: «أنا بقيه الله في أرضه و المنتقم من أعدائه فلا تطلب أثرا بعد عين يا أحمد ابن اسحاق» (٢).

و قد حفلت مصادر الحديث الإمامي بكرامات الإمام المهدي (عليه السلام) مع سعد بن عبد الله القمي العالم الإمامي الذي كان قد احتار في أجوبه مسائل عويصة قد القيت عليه حتى لحق بأحمد بن اسحاق صاحب أبي محمد الحسن العسكري (عليه السلام) و ذهبوا معا الى الإمام العسكري (عليه السلام) و دخلا عليه و ابنه محمد المهدي (عليه السلام) بين يديه و أمره بإخبار أحمد بن اسحاق بهدايا شيعته التي جاء

ص: ١٥٦

١- (١) كمال الدين: ٢/٤٣٥.

٢- (٢) كمال الدين: ٢/٣٨٤.

بها ثم اخبر سعد بن عبد الله بما كان قد جاء له من المسائل العويصة التي أشكلت عليه (١).

وهكذا كراماته لابراهيم بن محمد بن فارس النيسابوري حين أخبره عما في ضميره (٢).

الخطوة السادسة: [تخطيطه (عليه السلام) لتسهيل الارتباط بالإمام المهدي (عليه السلام) في غيبته الصغرى]

وهي تخطيطه (عليه السلام) لتسهيل الارتباط بالإمام المهدي (عليه السلام) في غيبته الصغرى من خلال اعتماده وكلاء قد وثقهم لدى شيعته فأصبحوا حلقة وصل مأمونه بين الإمام المهدي (عليه السلام) واتباعه من دون أن يتجشموا الأخطار والصعاب لذلك.

فقد حدث محمد بن اسماعيل و علي بن عبد الله الحسينان أنّهما دخلا على أبي محمد الحسن (عليه السلام) بسرّ من رأى و بين يديه جماعه من أوليائه و شيعته حتى دخل عليه بدر خادمه فقال: يا مولاي بالباب قوم شعث غير، فقال لهم:

«هؤلاء نفر من شيعتنا باليمن..» ثم ساق حديثا طويلا حتى انتهى الحديث الى أن الحسن (عليه السلام) قال لبدر: فامض فأتنا بعثمان بن سعيد العمري، فما لبثنا إلا يسيرا حتى دخل عثمان فقال له سيدنا أبو محمد (عليه السلام): إمض يا عثمان فإنك الوكيل و الثقة و المأمون على مال الله و اقبض من هؤلاء نفر اليمانيين ما حملوه من المال، ثم ساق الحديث الى أن قال: ثم قلنا بأجمعنا: يا سيدنا و الله إنّ عثمان لمن خيار شيعتك و لقد زدتنا علما بموضعه من خدمتك و أنّه و كيلك و ثقتك على مال الله تعالى، قال: نعم و اشهدوا علىّ أنّ عثمان بن سعيد العمري و كيلى و أنّ ابنه محمدا و كيل ابنى مهديكم (٣).

ص: ١٥٧

١- (١) كمال الدين: ٢/٤٥٤.

٢- (٢) إثبات الهداه: ٣/٧٠٠.

٣- (٣) غيبه الطوسي: ٢١٥.

وقد كان عثمان بن سعيد الوكيل الأول للإمام المهدي (عليه السلام) بعد استشهاد الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) ثم أصبح محمد بن عثمان وكيله الثاني كما هو المعروف في ترتيب النواب الأربعة للإمام المهدي (عليه السلام).

الخطوة السابعة: [التهيئة لاستقبال الوضع الجديد الذي سيحلّ بهم عند غيبه الإمام المهدي (عليه السلام)]

و تمثلت في النصوص التي هيأت أتباع أهل البيت (عليهم السلام) لاستقبال الوضع الجديد الذي سيحلّ بهم عند غيبه الإمام المهدي (عليه السلام) لتلاً يفاجأوا بأمور لا يعرفون كيفية التعامل معها مثل ما يحصل بعد الغيبة من الحيرة و الاختلاف بين الشيعة، و ما ينبغي لهم من الصبر و الانتظار للفرج و الثبات على الايمان و الدعاء للإمام (عليه السلام) و لتعجيل فرجه الشريف.

و تكفي هذه الخطوات السبعة للتمهيد اللازم لتصبح قضيه الإمام المهدي (عليه السلام) قضيه واقعيه تعيشها الجماعه الصالحه بكل وجودها رغم الظروف الحرجه التي كانت تكتنف الإمام المهدي (عليه السلام).

البحث الثاني: الإعداد لعصر الغيبه

انتهينا في البحث السابق عن معرفه كيفيه طرح الإمام لقضيه ولاده الإمام المهدي (عليه السلام) و إمامته و أنه الخلف الصالح الذي وعد الله به الامم أن يجمع به الكلم في أصعب الظروف التي كانت تكتنف ولاده الإمام (عليه السلام)، و قد لاحظنا مدى انسجام تلك الاجراءات التي اتخذها الإمام العسكري (عليه السلام) في هذا الصدد مع الظروف المحيطه بهما.

غير أن النقطه الاخرى التي تتلوه في الأهميه هي مهمه اعداد الامه المؤمنه بالإمام المهدي (عليه السلام) لتقبل هذه الغيبه التي تتضمن انفصال الامه عن الإمام بحسب الظاهر و عدم امكان ارتباطها به و إحساسها بالضياح و الحرمان

من أهم عنصر كانت تعتمد عليه و ترجع إليه فى قضاياها و مشكلاتها الفرديه و الاجتماعيه، فقد كان الإمام حصنا منيعا يذود عن أصحابه و يقوم بتلبيه حاجاتهم الفكرية و الروحية و المادية فى كثير من الأحيان.

فهنا صدمه نفسه و ايمانيه بالرغم من أن الإيمان بالغيب يشكّل عنصرا من عناصر الإيمان المصطلح، لأنّ المؤمنين كانوا قد اعتادوا على الارتباط المباشر بالإمام (عليه السلام) و لو فى السجن أو من وراء حجاب و كانوا يشعرون بحضوره و تواجهه بين ظهرانيهم و يحسّون بتفاعله معهم، و الآن يراد لهم أن يبقى هذا الإيمان بالإمام حيّا و فاعلا و قويا بينما لا يجدون الإمام فى متناول أيديهم و قريبا منهم بحيث يستطيعون الارتباط به متى شاءوا.

إنّ هذه لصدمه يحتاج رآبها الى بذل جهد مضاعف لتخفيف آثارها و تذليل عقباتها. و قد مارس الإمام العسكرى تبعا للإمام الهادى (عليهما السلام) نوعين من الإعداد لتذليل هذه العقبه و لكن بجهد مضاعف و فى وقت قصير جدًا.

الأول: الإعداد الفكرى و الذهنى.

الثانى: الإعداد النفسى و الروحى.

أما الإعداد الفكرى فقد قام الإمام تبعا لأبائه (عليهم السلام) باستعراض فكره الغيبى على مدى التاريخ و طبّقها على ولده الإمام المهدي (عليه السلام) و طالبهم بالثبات على الإيمان باعتباره يتضمن عنصر الإيمان بالغيب و شجّع شيعته على الثبات و الصبر و انتظار الفرج و بين لهم طبيعته هذه المرحله و مستلزماتها و ما سوف يتحقق فيها من امتحانات عسيره يتمخض عنها تبلور الإيمان و الصبر و التقوى التى هى قوام الإنسان المؤمن بربه و بدينه و بإمامه الذى يريد أن يحمل معه السلاح ليجاهد بين يديه.

فقد حدّث أبو على بن همام قائلا: سمعت محمد بن عثمان العمرى قدس الله روحه يقول: سمعت أبى يقول: سئل أبو محمد الحسن بن على (عليهما السلام)

و أنا عنده عن الخبر الذى روى عن آباءه (عليهم السّلام): إنّ الأرض لا تخلو من حجه الله على خلقه الى يوم القيامة و أن من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليه فقال (عليه السّلام): «إنّ هذا حقّ كما أنّ النهار حق»، فقليل له: يا ابن رسول الله فمن الحججه و الإمام بعدك؟ فقال: ابني محمّد هو الإمام و الحججه بعدى. من مات و لم يعرفه مات ميتة جاهليه، أما إنّ له غيبه يحار فيها الجاهلون، و يهلك فيها المبطلون و يكذب فيها الوقاتون، ثم يخرج فكأنى أنظر الى الأعلام البيض تخفق فوق رأسه بنجف الكوفه» (١).

و حدّث موسى بن جعفر بن وهب البغدادي فقال: سمعت أبا محمد الحسن (عليه السّلام) يقول: «كأنى بكم و قد اختلفتم بعدى فى الخلف منى، أما إن المقرّ بالأئمه بعد رسول الله (صلّى الله عليه و اله) المنكر لولدى كمن أقرّ بجميع أنبياء الله و رسله ثم أنكر نبوّه رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، و المنكر لرسول الله (صلّى الله عليه و اله) كمن أنكر جميع الأنبياء، لأن طاعه آخرنا كطاعه أولنا و المنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا، أما إنّ لولدى غيبه يرتاب فيها الناس إلاّ من عصمه الله عزّ و جل» (٢).

و حدّث الحسن بن محمد بن صالح البرّاز قائلاً: سمعت الحسن بن على العسكري (عليهما السّلام) يقول: «إنّ ابني هو القائم من بعدى و هو الذى يجرى فيه سنن الأنبياء بالتعمير و الغيبه حتى تقسو القلوب لطول الأمد فلا يثبت على القول به إلاّ من كتب الله عزّ و جلّ فى قلبه الإيمان و أيده بروح منه» (٣).

الى غيرها من الأحاديث و الأدعيه التى تضمّنت بيان فكره الغيبه و ضروره تحقيقها و ضروره الإيمان بها و الصبر فيها و الثبات على الطريق الحق مهما كانت الظروف صعبه و عسيره.

و أما الإعداد النفسى و الروحى فقد مارسه الإمام (عليه السّلام) منذ زمن أبيه

ص: ١٦٠

١- (١) كمال الدين: ٢/٤٠٩.

٢- (٢) كمال الدين: ٢/٤٠٩.

٣- (٣) كمال الدين: ٢/٥٢٤.

الهادى (عليه السّلام) فقد مارس الإمام الهادى (عليه السّلام) سياسه الاحتجاب و تقليل الارتباط بشيعته إعدادا للوضع المستقبلى الذى كانوا يستشرفونه و كان يهيئهم له، كما أنه قد مارس عمليه حجب الإمام الحسن العسكرى (عليه السّلام) عن شيعته فلم يعرفه كثير من الناس و حتى شيعته إلا بعد وفاه أخيه محمد حيث أخذ يهتم باتمام الحجج على شيعته بالنسبه لإمامه الحسن من بعده و استمر الإمام الحسن (عليه السّلام) فى سياسه الاحتجاب و تقليل الارتباط لضروره تعويد الشيعة على عدم الارتباط المباشر بالإمام ليألفوا الوضع الجديد و لا يشكّل صدمه نفسه لهم، فضلا عن ان الظروف الخاصه بالإمام العسكرى (عليه السّلام) كانت تفرض عليه تقليل الارتباط حفظا له و لشيعته من الانكشاف أمام أعين الرقباء الذين زرعتهم السلطه هنا و هناك ليراقبوا نشاط الإمام و ارتباطاته مع شيعته.

و قد عوّض الإمام الحسن العسكرى (عليه السّلام) الاضرار الحاصله من تقليل الارتباط المباشر بأمرين:

أحدهما: بإصدار البيانات و التوقيعات بشكل مكتوب الى حدّ يغطى الحاجات و المراجعات التى كانت تصل الى الإمام (عليه السّلام) بشكل مكتوب. و اكثر الروايات عن الإمام العسكرى (عليه السّلام) هى مكاتباته مع الرواه و الشيعة الذين كانوا يرتبطون به من خلال هذه المكاتبات.

ثانيهما: بالأمر بالارتباط بالإمام (عليه السّلام) من خلال و كلائه الذين كان قد عينهم لشيعته فى مختلف مناطق تواجد شيعته. فكانوا حلقة وصل قويه و مناسبه و يشكّلون عاملا نفسيا ليشعر اتباع أهل البيت باستمرار الارتباط بالإمام و إمكان طرح الأسئلة عليه و تلقى الأجوبه منه. فكان هذا الارتباط غير المباشر كافيا لتقليل أثر الصدمه النفسيه التى تحدثها الغيبه لشيعه الإمام (عليه السّلام).

و هكذا تمّ الإعداد الخاص من قبل الإمام الحسن العسكرى (عليه السّلام) لشيعته ليستقبلوا عصر الغيبه بصدر رحب و استعداد يتلائم مع مقتضيات الايمان بالله

و برسوله و بالأئمه و بقضيه الإمام المهدي (عليه السّلام) العالميه و التي تشكّل الطريق الوحيد لإنقاذ المجتمع الإنساني من أحوال الجاهليه في هذه الحياه.

البحث الثالث: نظام الوكلاء في عصر الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)

إنّ نظام الوكلاء قد أسّسه الأئمه من أهل البيت (عليهم السّلام) حين اتّسعت الرقعه الجغرافيه للقاعده المواليه لأهل البيت (عليهم السّلام). و قد اختار الأئمه من بين أصحابهم و ثقاتهم من أوكلوا إليه جملة من المهام التي لها علاقه بالإمام (عليه السّلام) مثل قبض الأموال و تلقى الأسئلة و الاستفتاءات و توزيع الأموال على مستحقّيها بأمر الإمام (عليه السّلام). و بالإضافة الى مهمه الارشاد و بيان الأحكام كان الوكيل يقوم بتخفيف العبء عن الإمام و شيعته في ظروف تشديد الرقابه على الإمام (عليه السّلام) من قبل السلطه، كما كان يتولّى مهمه بيان مواقف الإمام السياسيّه حين لا يكون من المصلحه أن يتولّى الإمام بنفسه بيان مواقفه بشكل صريح و مباشر.

إنّ نظام الوكلاء يعتبر حلقة الوصل و المؤسسه الوسيطه بين الإمام و أتباعه في حال حضور الإمام (عليه السلام) و لا سيّما عند صعوبه الارتباط به.

كما أنه أصبح البديل الوحيد للارتباط بالإمام (عليه السّلام) في دور الغيبه الصغرى. و حيث إنّ الأئمه (عليهم السّلام) كانوا يعلمون و يتوقّعون الوضع المستقبلي للإمام المهدي (عليه السّلام) كما أخبرت بذلك نصوص النبي (صلّى الله عليه و اله) و أهل بيته الأطهار (عليهم السّلام)، كان الخيار الوحيد للإمام المعصوم في عصر الغيبه الصغرى أن يعتمد على مثل هذه المؤسسه الواسعه الأطراف و المهام، و من هنا كان الاعتماد على الثقات من جهه و تعويد الاتباع للارتباط بالإمام (عليه السّلام) من خلال وكلائه امرا لا بد منه، و هذا الامر يحتاج الى سياسه تعتمد السنن الاجتماعيه و تأخذها بنظر الاعتبار، و لا يمكن لمثل هذه المؤسسه البديله أن تستحدث

فى أيام الغيبة الصغرى بل لا بد من التمهيد لذلك بانشائها و إثبات جدارتها تاريخيا من خلال مراجعه الوكلاء و التثبت من جدارتهم و تجذّر هذه المؤسسة فى الوسط الشيعى ليكون هذا البديل قادرا على تلبية الحاجات الواقعية لأبناء الطائفة، و لئلا تكون صدمة الغيبة فاعله و قويه. و من هنا كان يتسع نشاط هذه المؤسسة و يصبح دورها مهما كلما اشتدت الظروف المحيطة بالإمام المعصوم (عليه السّلام) و كلما اقترب الأئمة من عصر الغيبة.

و على هذا يتّضح أن عصر الإمام الحسن العسكرى (عليه السّلام) الذى كان يشكّل نقطه الانتقال المهمّة و الجوهرية من عصر الحضور الى عصر الغيبة كان يستدعى الاعتماد الكبير على الوكلاء و يستدعى إحكام نظامهم و كثرة مهامهم و اتّساع دائره نشاطهم و تواجدهم اتّساعا يمهد للانتقال بأتباع أهل البيت (عليهم السّلام) الى دور الغيبة التى ينقطعون فيها عن إمامهم و قيادتهم المعصومه.

إنّ مقارنة عدد وكلاء الإمام العسكرى (عليه السّلام) بوكلاء الإمام الهادى (عليه السّلام) و مناطق تواجد هؤلاء الوكلاء و المسؤوليات الملقاه عليهم و كيفية الارتباط فيما بينهم تشهد على تميّز الدور الكبير للوكلاء فى هذه الفتره القصيره جدّا و هى ستّ سنوات، كما أن استقرار الوكلاء فى مناصبهم و اعتماد الإمام (عليه السّلام) عليهم و بيان ذلك لأتباعه قد حقق الهدف المرتقب من نظام الوكلاء فى مجال تسهيل الانتقال الى عصر الغيبة بأقلّ ما يمكن من الاخطار و التبعات.

على أن انحراف بعض الوكلاء -طمعا أو حسدا- و كشف انحرافهم من قبل الإمام (عليه السّلام) و حذفهم و إخبار الأتباع بانحرافهم فى أول فرصه ممكنه دليل على مدى حرص الإمام (عليه السّلام) على سلامه عناصر هذا الجهاز الخطير فى دوره و مهامه الرساليه، و هو دليل على المراقبه المستمره من الإمام (عليه السّلام) لهم و مدى متابعتهم لأوضاعهم و نشاطاتهم.

و إليك قائمه بأسماء بعض وكلاء الإمام الحسن العسكري (عليه السلام):

١- إبراهيم بن عبده النيسابوري من أصحاب العسكريين (عليهما السلام)، كان وكيلا له في نيسابور..

٢- أيوب بن نوح بن درّاج النخعي كان وكيلا للعسكريين (عليهما السلام).

٣- أيوب بن الباب، أنفذه من العراق وكيلا الى نيسابور.

٤- أحمد بن اسحاق الرازي.

٥- أحمد بن اسحاق القمي الأشعري كان وكيلا له بقم.

٦- جعفر بن سهيل الصيقل.

٧- حفص بن عمرو العمري الجمال.

٨- عثمان بن سعيد العمري السمان (الزيات) وهو أول السفراء الأربعة.

٩- علي بن جعفر الهماني من وكلاء أبي الحسن و أبي محمد (عليهما السلام).

١٠- القاسم بن العلاء الهمداني من وكلائه و وكلاء ابنه الإمام المهدي (عليه السلام).

١١- محمّد بن أحمد بن جعفر (الجعفري) القمي العطار.

١٢- محمّد بن صالح بن محمد الهمداني.

١٣- محمد بن عثمان بن سعيد العمري.

١٤- عروه بن يحيى البغدادي النخاس المعروف بالدهقان كان من وكلائه في بغداد ثم انحرف و ضلّ و أخذ يكذب على الإمام و يقطع الأموال لنفسه و أحرق بيت المال الذي سلّم إليه من بعد ابن راشد و تبرأ منه الإمام و لعنه و أمر شيعته بلعنه و دعا عليه حتى أخذه الله عزيز مقتدر (١).

ص: ١٦٤

١- (١) راجع للتفصيل حياة الإمام العسكري: ٣٢٩-٣٤٢.

أكمل الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) الخط الذي أسسه آباؤه الطاهرون و هو انشاء جماعه صالحه تمثل خط أهل البيت الفكرى و العقائدى و الأخلاقى و السلوكى و قد اهتم الإمامان محمّد الباقر و جعفر الصادق (عليهما السلام) بشكل خاص بإعداد و تربيه مجموعه من الرواه و الفقهاء فتمثلت فيهم مدرسه علميه استوفت فى عهد الإمام العسكري (عليه السلام) كل متطلبات المدرسه العلميه من حيث المنهج و المصدر و ماده ممهده به لعصر الغيبه الصغرى (١).

و قد أيد الإمام العسكري (عليه السلام) جملة من الكتب الفقيهيه و الاصول الروائيه التى جمعت فى عصره أو قبل عصره و أيد اصحابها و شكر لهم مساعيهم و بذلك يكون قد أعطى للمدرسه الفقيهيه تركيزا و اهتماما يشير إلى أنّ الخط الفقهاى هو الخط المستقبلى الذى يجب على القاعده الشيعيه أن تسير عليه (٢).

و كان من منتسبى هذه المدرسه أساتذته و طلابا فى عهد أبناء الرضا (عليه السلام) مجموعه قد أورد الشيخ المجلسى (رضى الله عنه) فى موسوعته أسماءهم (٣).

و قد احصيت أسماء أصحاب الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) و رواه حديثه فبلغت ٢١٣ محدثا و راويا (٤).

و إليك بعض ثقاه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) و أصحابه:

-على بن جعفر الهمانى.

-أبو هاشم داود بن القاسم الجعفرى.

ص: ١٦٥

١- ((١)) تاريخ التشريع الاسلامى، د. عبد الهادى الفضلى: ١٩٤-٢٠٢.

٢- ((٢)) حياه الإمام العسكري للشيخ محمد جواد الطبسى: ٣٢٥.

٣- ((٣)) بحار الأنوار: ج ٥٠، المشتمل على حياه الأئمه الجواد: ١٠٦ و الهادى: ٢١٦ و العسكري (عليهم السلام): ٣١٠.

٤- ((٤)) حياه الإمام العسكري (عليه السلام): محمد جواد الطبسى: الفصل العاشر.

-داود بن أبى يزيد النيسابورى.

-محمد بن على بن بلال.

-عبد بن جعفر الحميرى القمى.

-أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري الزيات و السمان.

-اسحاق بن الربيع الكوفى.

-أبو القاسم جابر بن يزيد الفارسى.

-إبراهيم بن عبيد الله بن إبراهيم النيسابورى.

-محمد بن الحسن الصفار.

-عبدوس العطار.

-سرى بن سلامه النيسابورى.

-أبو طالب الحسن بن جعفر.

-أبو البخترى.

-الحسين بن روح النوبختى.

و مع ملاحظه حراجه الظروف المحيطه بالإمام العسكرى و قصر الفتره التى عاشها إماما و مرجعا للامه و الشيعة فإنّ هذه النسبه من الرواه تشكل رقما قياسيا طبعا.

و كان لمحمد بن الحسن بن فروخ الصفار المتوفى سنه (٢٩٠ هـ) مجموعه من المؤلفات تقارب الأربعين مؤلفا، و قد عدّه الشيخ الطوسى فى رجاله فى أصحاب أبى محمد الحسن العسكرى (عليه السّلام) و قال: «له كتب مثل كتب الحسين بن سعيد و زياده كتاب بصائر الدرجات و غيره، و له مسائل كتب بها إلى أبى محمد الحسن بن على العسكرى» (١).

ص: ١٦٦

وقد تضمنت كتبه مختلف أبواب الأحكام كالصلاه و الوضوء و العتق و الدعاء و الزهد و الخمس و الزكاه و الشهادات، و التجارات، و الجهاد و كتاب حول فضل القرآن الكريم و بلغت كتبه -على ما أحصاه الاستاذ الفضلى-خمسه و ثلاثين كتابا (١).

و قد أّسم عهد الأئمه من أبناء الرضا(عليه السّلام) و هم-الجواد و الهادى و العسكري(عليهم السّلام)-بأّتساع رقعه انتشار التشيع، و كثره العلماء و الدعاة الى مذهب أهل البيت، و اكتمال معالم و أبعاد مدرستهم الفقيهيه فى المنهج و الماده معا.

و يتلّخص المنهج الذى سارت عليه مدرسه الفقهاء الرواه عن أهل البيت(عليهم السّلام) فى نقاط جوهرية و أساسيه تميّزها عمّا سواها من المدارس الفقيهيه و هى:

١-اعتماد الكتاب و السنّه فقط مصدرا أساسيا للتشريع الاسلامى.

٢-ضروره الرجوع فى تعلّم العلوم الشرعيه و أخذ الفتوى إلى الإمام المعصوم إن أمكن.

٣-لزوم الرجوع إلى الفقهاء الثقاة حيث يتعسّر الرجوع الى الإمام المعصوم.

٤-الإفتاء بنصّ الروايه أو بتطبيق القاعده المستخلصه من الروايه (٢).

و بهذا وُفرت مدرسه أهل البيت(عليهم السّلام)-خلال قرنين و نصف قرن على الرغم من قساوه الظروف و بالرغم من افتتاح عدّه جهات للمعارضه مع الحكم القائم-كل متطلبات إحياء الشريعه الاسلاميه و ديمومتها و استمرارها حتى فى عصر الغيبه. و هيأت للمسلمين عامه و لشيعه أهل البيت خاصّه كل مقدّمات الاستقلال الفكرى و السياسى و الاقتصادى و الثقافى و أعطتهم الزخم اللازم لاستمرار المواجهه مع الباطل الذى يترصد الحق فى كل زمان و مكان.

ص: ١٦٧

١- (١) تاريخ التشريع الاسلامى، عبد الهادى الفضلى: ٢٠٠-٢٠٢.

٢- (٢) تاريخ التشريع الاسلامى، عبد الهادى الفضلى: ٢٠٢-٢١١.

إن مرجعية العلماء و قيادتهم للشيعة بعد الغيبة الكبرى التي ابتدأت عام (٣٢٩ هـ) بوفاة الوكيل الرابع (١) للإمام المهدي (عليه السلام) كانت تأسيسا حيويًا من قبل الأئمة المعصومين (عليهم السّلام) و بأمر من الله و رسوله، فهم الذين أمروا الشيعة بالرجوع إلى العلماء الفقهاء الذين تربوا في مدرستهم الرسالية لأخذ معالم دينهم عنهم، و هذا المفهوم قد أعطاه الإمام الصادق (عليه السلام) صبغته التشريعية بقوله (عليه السلام):

«ينظر من كان منكم ممن قد روى حديثنا و نظر في حلالنا و حرامنا و عرف أحكامنا، فليرضوا به حكما فإنني قد جعلته عليكم حاكما، فإذا حكم بحكمننا فلم يقبل منه، فانما استخفّ بحكم الله و علينا ردّ، و الرادّ علينا رادّ على الله و هو على حدّ الشرك بالله» (٢).

و قد استمرّ الأئمة (عليهم السّلام) على هذا النهج و قاموا لتحقيق هذه المهمة بتربية الفقهاء الامناء على المنهج العلمي السليم الذي رسموا معالمه و تفاصيله بالتدرّج، و تواصلت جهودهم رغم كل الظروف العصيبة بعد عصر الإمام الصادق (عليه السلام).

ثم كان للخطوات التي اتخذها الإمام الهادي (عليه السّلام) الدور البارز في إعطاء الصيغة الاجتماعية الكاملة لمرجعية العلماء، فقد قال (عليه السّلام): لو لا من يبقى بعد غيبه قائمكم (عليه السّلام) من العلماء الداعين إليه و الدالّين عليه، و الدائنين عن دينه بحجج الله، و المنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس و مردته، و من

ص: ١٤٨

١- (١) على بن محمد السمرى، يراجع كشف الغمة: ٢٠٧/٣.

٢- (٢) الكافي: ٥٤/١ ح ١٠ و ٤١٢/٧ ح ٥ و التهذيب: ٢١٨/٦ ح ٥١٤ و ٣٠١ ح ٨٤٥ و عنهما في وسائل الشيعة: ١٣٦/٢٧ ح ١ ب ١١.

فخاخ النواصب، لما بقى أحد إلاّ ارتدّ عن دين الله، ولكنهم الذين يمسون أزمه قلوب ضعفاء شيعتنا كما يمسون صاحب السفينه سكانها، اولئك هم الأفضلون عند الله عز و جل (١).

إن الأساس و المرتكز الذى تقوم عليه فكره ارجاع الامه الى الفقهاء العدول هو: «أن الأجيال المسلمه تحتاج باستمرار الى المرشد و الموجه و المفكر المدبر كى يعطيهم تعاليم دينهم و يرتفع بمستوى إيمانهم و عقيدتهم و يشرح لهم اسلامهم و يوجههم فى سلوكهم الى العدل و الصلاح و رضا الله عز و جل» (٢).

و وفقا لذلك كان ما اتخذه الإمام العسكري (عليه السلام) من مواقف ايجابية بالنسبه للعلماء و رواه الحديث الثقه المأمونين على حلال الله و حرامه و إرجاع شيعته اليهم يعتبر تمهيدا اساسيا لعصر الغيبه، و تأكيدا لفكره المرجعيه الشامله الى جانب نظام الوكلاء الثقه المأمونين من شيعته و الذى كان من مهمته إرجاع عامه الطائفه الى العلماء منهم.

كما كان احتجاجه عن الشيعة و اتخاذ المراسلات و التواقيع الخارجه عنه سبيلا آخر للتمهيد أيضا- كما عرفت- فقد جاء عنه (عليه السلام) فى العمرى و ابنه محمد: العمرى و ابنه ثقتان فما أديا إليك فعنى يؤديان و ما قالوا فعنى يقولان فاسمع لهما و أطعهما فإنهما الثقتان المأمونان (٣).

و مما يدل على أن الإمام العسكري (عليه السلام) كان يوجه القواعد الشعبيه للرجوع الى الفقهاء و تقليدهم و أخذ معالم دينهم عنهم ما جاء عنه (عليه السلام):

«فأما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه حافظا لدينه مخالفا لهواه مطيعا لأمر مولاه

ص: ١٦٩

١- (١) الاحتجاج: ٢/٢٦٠.

٢- (٢) الغيبه الصغرى للصدر: ٢١٩.

٣- (٣) الغيبه الصغرى: ٢١٩.

فللعوام أن يقلدوه» (١).

و بهذه الخطوات أكمل الإمام العسكري (عليه السّلام) الدور الموكل إليه و المناط به فى هذه المرحلة المهمه من تأريخ الرساله الاسلاميه، فقد أنشأ مدرسه علميه لها الدور الأكبر فى حفظ تراث أهل البيت الرسالى و مبادئ الإسلام أوّلاً، و من ثم كان لها الأثر الكبير فى نشر فكره الغيبه و تهيته الذهنيه العامه لتقبلها ثانياً، كما كان لها مساهمه فعّاله فى توجيه شيعه الإمام (عليه السّلام) بالرجوع إلى الفقهاء الذين هم حصن الإسلام الواقى للمسلمين من الأعداء ثالثاً.

و بعد الغيبه الكبرى ظهرت الآثار الايجابيه لمدرسه الإمام العسكري (عليه السّلام) و تعاليمه و وصاياه فى التزام الشيعه و أتباع أهل البيت (عليهم السّلام) بخط المرجعيه الرشيديه.

و يعدّ مبدأ الاجتهاد و التقليد عند الإماميه مظهراً لواقعيه هذا المذهب فى قدرته على الحفاظ على روح التشريع و حيويّه الرساله الإسلاميه بعد غيبه الإمام المعصوم (عليه السّلام) و الى اليوم الذى يملأ الله به الأرض عدلاً و قسطاً بعد ما تملأ جوراً و ظلماً.

البحث السادس: الإمام العسكري (عليه السّلام) و الفرق الضالّه

اشاره

إن للانحراف عن جاده الصواب أسباباً يعود بعضها الى طبيعه الظروف التى تطرأ على الإنسان فتتعاضد مع ما يحمله من ضعف فكرى عقائدى أو هبوط أخلاقى و لا سيّما إذا لم يتلقّ تربيته صحيحه من ذويه و من يحيط به أو يصاحبه.

ص: ١٧٠

١- (١) تفسير الإمام العسكري: ١٤١ و عنه فى الاحتجاج: ٢٦٣/٢.

و أهل البيت (عليهم السّلام) قد أعدّهم الله و رسوله لتربيته أبناء الامه و انتشارهم من الانحراف عبر التوجيه و الارشاد، و تبقى الاستجابة لهدايتهم هي السبب الأعمق لتأثيرها و فاعليتها في كل فرد.

و حين يصبح الانحراف خطأ منظما و فاعلا- في المجتمع الإسلامي ينبغي مواجهته بالإيدان و بتفتيت عناصره و قواه الفاعله و محاوله إرجاع العناصر المضلّله التي تبغى الحق في عمق وجودها و إن حادت عنه.

و نجد للإمام العسكري (عليه السّلام) مواقف إرشادية و توجيهيه لبعض أتباع الفرق الضالّه بينما نجده صارما مع رموز بعض هذه الفرق. و جادا في التحذير منهم لعزلهم و الحيلولة دون تأثيرهم في القاعده الشعبيه التي تدين بالولاء لأهل البيت (عليهم السّلام).

و نقف فيما سيأتي على موقف الإمام (عليه السّلام) من الواقفه أولا ثم موقفه من المفوضه و ممّن كان متأثرا بهم.

١- الإمام العسكري (عليه السّلام) و الواقفه

و الواقفه جماعه، و قفت على إمامه الإمام موسى بن جعفر (عليه السّلام)، و لم تقل بإمامه الإمام الرضا (عليه السّلام)، و كان المؤسس لمذهب هذه الجماعه زياد بن مروان القندي الأتباري و علي بن أبي حمزه، و عثمان بن عيسى و كان سبب توقّفهم هو أن زياد بن مروان القندي الأتباري كانت عنده سبعون ألف دينار من الإمام موسى بن جعفر (عليهما السّلام) فأظهر هو و صاحبه القول بالوقف طمعا بالمال الذي كان عندهم (١).

ص: ١٧١

١- (١) يراجع رجال الكشي: ٤٦٧ ح ٨٨٨ و ٤٩٣ ح ٩٤٦ و عنه في بحار الأنوار: ٢٥١/٤٨ و عنه في سفينه البحار: ٥٨١/٣.

روى شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي (رضى الله عنه) عن ابن يزيد عن بعض أصحابه قال: مضى أبو إبراهيم -الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) -
وعند زياد القندي سبعون ألف دينار وعند عثمان بن عيسى الرواسي ثلاثون ألف دينار، وخمس جوارى ومسكنه بمصر، فبعث إليهم أبو
الحسن الرضا (عليه السلام): «أن احملا ما قبلكم من المال، وما كان اجتمع لأبي عندكم، فإني وارثه وقائم مقامه، وقد اقتسمنا ميراثه -وبهذا أشار
الرضا (عليه السلام) إلى موت الإمام الكاظم (عليه السلام) - ولا عذر لكم في حبس ما قد اجتمع لى ولورثته قبلكم».

فأما أبو حمزه فإنه أنكره ولم يعترف بما عنده، وكذلك زياد القندي، وأما عثمان بن عيسى فإنه كتب إلى الإمام الرضا (عليه السلام): إن أباك
صلوات الله عليه لم يموت وهو حي قائم، ومن ذكر أنه مات فهو مبطل، واعمل على أنه مضى كما تقول، فلم يأمرنى بدفع شيء إليك، وأما
الجوارى، فقد اعتقتهن وتزوجت بهن (١).

وقد سأل أحد أصحاب الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) عن وقف على أبي الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) قائلاً: أتولاهم أم أتبرأ
منهم؟ فكتب (عليه السلام): «لا تترحم على عمك لا رحم الله عمك وتبرأ منه، أنا إلى الله منهم بريء فلا تتولاهم، ولا تعد مرضاهم، ولا تشهد
جنازتهم، ولا تصل على أحد منهم مات أبداً سواء من جحد إماماً من الله أو زاد إماماً ليست إمامته من الله أو جحد أو قال: قالت ثلاثه، إن جاحد
أمر آخرنا جاحد أمر أولنا والزائد فينا كالناقص الجاحد أمرنا» (٢).

وبهذا علم السائل أن عمه منهم، كما علم موقف الإمام الصارم من هذه الجماعة التي سميت بالكلاب الممطورة، فقد روى الشيخ الكشي (رضى
الله عنه) عن

ص: ١٧٢

١- ((١)) الغيبة: ٦٤ ح ٦٧ ونحوه أخصر منه في رجال الكشي: ٥٩٨ ح ١١٢٠ وليس فيه: تزوجت بهن، وفي ح ١١١٧: ثم تاب وبعث إليه بالمال و
في ح ١١١٨: أنه سكن الكوفة ثم الحيرة ومات بها.

٢- ((٢)) الخرائج والجرائح: ١/٤٥٢ ح ٣٨ وعنه في كشف الغم: ٣/٣١٩.

أبي علي الفارسي عن إبراهيم بن عقبة، أنه قال: كتبت الى العسكري (عليه السلام):

جعلت فداك قد عرفت هؤلاء الممطوره، فأقنت عليهم في صلواتي؟ قال:

نعم، أقنت عليهم في صلواتك (١).

٢- الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) و المفوضه

و المفوضه جماعه، قالت: إن الله خلق محيِّدا و فوض إليه خلق الدنيا، فهو الخلاق لما فيها، و قيل: فوض ذلك إلى الإمام علي (عليه السلام) (٢) و الأئمه (عليهم السلام) من بعده. و عن ادريس بن زياد الكفر توثائي قال: كنت أقول فيهم قولا عظيما فخرجت إلى العسكر للقاء أبي محمد (عليه السلام)، فقدمت و علي أثر السفر و عناؤه، فألقيت نفسي على دكان حمام، فذهب بي النوم، فما انتهت إلا بمقرعه أبي محمد (عليه السلام)، قد قرعني بها حتى استيقظت، فعرفته سلام الله عليه فقامت قائما أقبيل قدمه و فخذته، و هو راكب، و الغلمان من حوله فكان أول ما تلقاني به أن قال: يا إدريس بل عباد مكرمون* لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون (٣).

فقلت: حسبي يا مولاي و إنما جئت أسألك عن هذا، قال:

تركني و مضى (٤).

و إن قوما من المفوضه قد وجَّهوا كامل بن إبراهيم المدني إلى أبي محمد (عليه السلام) قال كامل: قلت في نفسي أسأله: لا يدخل الجنة إلا من عرف معرفتي؟ و كنت جلست إلى باب عليه ستر مرخي، فجاءت الريح فكشفت طرفه فإذا أنا

ص: ١٧٣

١- (١) رجال الكشي: ٤٦٠ ح ٨٧٥ و ٤٦١ ح ٨٧٩ و عنه في بحار الأنوار.

٢- (٢) يراجع معجم الفرق الاسلاميه: ٢٣٥.

٣- (٣) الأنبياء (٢١): ٢٦-٢٧.

٤- (٤) المناقب: ٤/٤٦١.

بفتى كأنه فلقه قمر من أبناء أربع سنين أو مثلها، فقال لى: يا كامل بن إبراهيم؛ فاقشعررت من ذلك و الهمت أن قلت: لئيك يا سيدى.

فقال: جئت إلى ولي الله تسأله: «لا يدخل الجنة إلا من عرف معرفتك و قال بمقالتك»؟

قلت: إى و الله.

قال: إذن و الله يقل داخلها و الله إنه ليدخلها قوم يقال لهم الحقيته.

قلت: و من هم؟

قال: «قوم من جبههم لعلى بن أبى طالب (عليه السّلام) يحلفون بحقه و ما يدرون ما حقه و فضله». (أى قوم يعرفون ما يجب عليهم معرفته جمله لا تفصيلا من معرفه الله و رسوله و الأئمه (عليهم السّلام)).

ثم قال: جئت تسأله عن مقاله المفوضه؟ كذبوا، بل قلوبنا أوعيه لمشيئه الله، فإذا شاء شئنا، و الله يقول: **وَ مَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ** (١). فقال لى أبو محمّد (عليه السّلام):

ما جلوسك و قد أنباك بحاجتك الحجه من بعدى فقمتم و خرجت و لم أعينه بعد ذلك (٢).

و قد كان الإمام العسكرى (عليه السّلام) حريصا على هدايه أتباع أهل البيت (عليهم السّلام) و إرشادهم الى الحق بإزاله الشكوك التى كانت تعترضهم فى الطريق.

فعن محمّد بن عياش أنه قال: تذاكرنا آيات الإمام فقال ناصبى: إن أجاب عن كتاب بلا مداد علمت أنه حق، فكتبنا مسائل و كتب الرّجل بلا مداد على ورق و جعل فى الكتب، و بعثنا إليه فأجاب عن مسائلنا و كتب على ورقه اسمه و اسم أبويه، فدهش الرّجل، فلما أفاق اعتقد الحق (٣).

و روى عن عمر بن أبى مسلم أنه قال: كان سميع المسمعى يؤذنى كثيرا

ص: ١٧٤

١- (١) الإنسان (٧٦): ٣٠.

٢- (٢) الغيبة: ٢٤٧، بحار الأنوار: ٣٣٦/٢٥ و ٣٣٧.

٣- (٣) المناقب: ٢/٤٧٠.

و يبلغنى عنه ما أكرهه، و كان ملاصقا لدارى، فكتبت الى أبى محمد (عليه السّلام) أسأله الدّعاء بالفرج منه، فرجع الجواب: أبشر بالفرج سريعا، و يقدم عليك مال من ناحيه فارس. و كان لى بفارس ابن عمّ تاجر لم يكن له وارث غيرى فجاءنى ما له بعد ما مات بأيام يسيره.

و وقّع فى الكتاب: استغفر الله و تب إليه ممّا تكلمت به، و ذلك أتى كنت يوما مع جماعه من النّصاب فذكروا أبا طالب حتّى ذكروا مولاي، فخضت معهم لتضعيفهم أمره، فتركت الجلوس مع القوم، و علمت أنه أراد ذلك (١).

قال محمّد بن هارون بن موسى التلعكبرى: حدثنا محمد بن هارون فقال: أنفذنّى والدى مع أصحاب أبى القلا صاعد النصرانى لأسمع منه ما روى عن أبيه من حديث مولانا أبى محمد الحسن بن علىّ العسكرى (عليه السّلام) فأوصلنى إليه فرأيت رجلا معظما و أعلمته السبب فى قصدى فأذنانى و قال:

حدّثنى أبى أنه خرج و إخوته و جماعه من أهله من البصره الى سرّ من رأى للظلامه من العامل، فإذا [كنا] بسرّ من رأى فى بعض الأيام إذا بمولانا أبى محمد (عليه السّلام) على بغله، و على رأسه شاشه، و على كتفه طيلسان، فقلت فى نفسى: هذا الرجل يدعى بعض المسلمين أنه يعلم الغيب، و قلت: إن كان الأمر على هذا فيحوّل مقدّم الشاشه الى مؤخرها، ففعل ذلك.

فقلت: هذا اتفاق و لكنه سيحوّل طيلسانه الأيمن الى الأيسر و الأيسر الى الأيمن ففعل ذلك و هو يسير، و قد وصل إلّى فقال: يا صاعد لم لا تشغل بأكل حيدانك عمّا لا أنت منه و لا إليه، و كنا نأكل سمكا.

و هكذا أسلم صاعد بن مخلّد و كان وزيرا للمعتمد (٢).

و عن محمد بن عبيد الله قال: كنت يوما كتبت إليه أخيره باختلاف

ص: ١٧٥

١- (١) بحار الأنوار: ٢٧٣/٥٠.

٢- (٢) بحار الأنوار: ٢٨١/٥٠.

الموالى و أسأله إظهار دليل، فكتب: إنّما خاطب الله تعالى ذوى الألباب و ليس أحد يأتى بآيه أو يظهر دليلاً أكثر ممّا جاء به خاتم النبیین و سيد المرسلین فقالوا: كاهن و ساحر كذاب، فهدى الله من اهتدى غير أن الأدله يسكن إليها كثير من الناس. و ذلك أن الله جلّ جلاله يأذن لنا فنتكلم و يمنع فنصمت، و لو أحب الله ألا يظهر حقاً لنا بعث النبیین مبشرين و منذرين يصدعون بالحق فى حال الضعف و القوه فى أوقات و ينطقون فى أوقات ليقضى الله أمره و ينفذ الناس حكمه فى طبقات شتى، فالمستبصر على سبيل نجاه متمسك بالحق، متعلق بفرع اصیل، غير شاك و لا مرتاب لا يجد عنه ملجأ.

و طبقه لم تأخذ الحق من أهله، فهم كراكب البحر يموج عند موجه و يسكن عند سكونه. و طبقه استحوذ عليهم الشيطان شأنهم الرد على أهل الحق و دفعه بالباطل و الهوى كقاراً حسداً من عند أنفسهم فدع من ذهب يمينا و شمالاً فإن الراعى إذا أراد أن يجمع غنمه جمعها فى أهون سعى. ذكرت اختلاف و الينا، فإذا كانت الوصية و الكتب فلا ريب من جلس مجلس الحكم فهو أولى بالحكم، أحسن رعايه من استرعيت.

و إياك و الاذاعه و طلب الرياسه فإنهما يدعوان الى الهلكه. ثم قال: ذكرت شخصك الى فارس فاشخص خار الله لكك و تدخل مصر إن شاء الله آمناً و اقرأ من تتق به من موالينا السلام و مرهم بتقوى الله العظيم و أداء الأمانه و أعلمهم أن المذيع علينا حرب لنا.

قال: فلما قرأت خار الله لكك فى دخولك مصر إن شاء الله آمناً لم أعرف المعنى فيه فقدمت بغداد عازماً على الخروج الى فارس فلم يقيض لى و خرجت الى مصر.

قال: و لما همّ المستعين فى أمر أبى محمد بما همّ و أمر سعيد الحاجب بحمله الى الكوفه و أن يحدث فى الطريق حادثه انتشر الخبر بذلك فى الشيعة فأقلقهم و كان بعد مضى أبى الحسن بأقلّ من خمس سنين.

فكتب إليه محمد بن عبد الله و الهيثم بن سبابه: قد بلغنا جعلنا الله فداك خبر أقلقنا و غمنا و بلغ منا، فوقع (عليه السلام): بعد ثلاثه أيام يأتىكم الفرج. قال: فخلع

المستعين في اليوم الثالث و قعد المعترز و كان كما قال (١).

و عن علي بن محمد بن الحسن قال: خرج السلطان يريد البصره و خرج أبو محمد بشيعته فنظرنا إليه ماضيا و كُنَّا جماعه من شيعته فجلسنا ما بين الحائطين ننتظر رجوعه فلمَّا رجع و حاذانا وقف علينا، ثم مدَّ يده الى قلنسوته فأخذها من رأسه و أمسكها بيده.

ثم مرَّ يده الاخرى على رأسه و ضحك في وجه رجل منا، فقال الرجل مبادرا: أشهد أنك حجه الله و خيرته. فسألناه ما شأنك؟ فقال: كنت شاكا فيه فقلت في نفسي: إن رجع و أخذ قلنسوته من رأسه قلت بإمامته (٢).

و روى جماعه من الصيبريين من ولد اسماعيل بن صالح: أنَّ الحسن ابن اسماعيل بن صالح كان في أوَّل خروجه الى سرِّ من رأى للقاء أبي محمد و معه رجلان من الشيعة وافق قدومه ركوب أبي محمد، قال الحسن بن اسماعيل: فتفرقنا في ثلاث طرق و قلنا: ان رجع في احدهما رآه رجل منا فانتظرناه، فعاد (عليه السلام) في الطريق الذي فيه الحسن بن اسماعيل.

فلما طلع و حاذاه قال: قلت في نفسي: اللهم إن كانت حجتك حقا و إمامنا فليمس قلنسوته، فلم استتم ذلك حتى مسَّها و حرَّكها على رأسه، فقلت: يا رب ان كان حجتك فليمسَّها ثانيا، فضرب بيده فأخذها عن رأسه ثم ردَّها، و كثر عليه الناس بالسلام عليه و الوقوف على بعضهم فتقدمه الى درب آخر.

فلقيت صاحبِي و عزَّفتها ما سألت الله في نفسي و ما فعل، فقالا: فتسأل و نسأل الثالثه، فطلع (عليه السلام) و قربنا منه فنظر إلينا و وقف علينا ثم مدَّ يده الى قلنسوته فرفعها عن رأسه و أمسكها بيده و أمرَّ يده الاخرى على رأسه و تبسَّم في وجوهنا و قال: كم هذا الشك؟ قال الحسن: فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله و أنك

ص: ١٧٧

١- (١) اثبات الوصيه: ٢٣٩.

٢- (٢) اثبات الوصيه: ٢٤٥.

حجه الله و خيرته، قال: ثم لقيناه بعد ذلك في داره و أوصلنا إليه ما معنا من الكتب و غيرها (١).

كما أنا نجد الإمام (عليه السلام) يستغل هذا الظرف و يلقي الحجة على شاب قد أتى من المدينة لاختلاف وقع بين أصحابه في إمامه الحسن العسكري (عليه السلام)، فيأدره الإمام (عليه السلام) بالسؤال: أغفاري أنت؟ فقال الشاب: نعم، ثم يسأله الإمام (عليه السلام) عن والدته و يسميها له قائلا: ما فعلت أمك حمدويه؟ فقال الشاب صالحه (٢). و كان الشاب من ولد الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري. و عاد إلى أصحابه و هو مطمئن القلب بإمامه الحسن العسكري (عليه السلام).

البحث السابع: من وصايا الإمام العسكري (عليه السلام) و ارشاداته لشيعة

و تضمّنت وصايا الإمام و رسائله، بيان الأحكام الشرعية و مسائل الحلال و الحرام كما اشتملت على خطوط للتعامل مع الآخرين و كان ذلك بمثابة منهاج سلوكي ليسير عليه شيعة و يقيموا علاقتهم وفقا له فيما بينهم و بين أبناء المجتمع الذي يعيشون فيه و إن اختلفوا معهم في المذهب و المعتقد، و من هذه الوصايا:

١- قوله (عليه السلام): «أوصيكم بتقوى الله و الورع في دينكم، و الاجتهاد لله، و صدق الحديث و أداء الأمانة الى من ائتمنكم من بر أو فاجر، و طول السجود، و حسن الجوار، فبهذا جاء محمد (صلى الله عليه و اله)، صلّوا في عشائركم، و اشهدوا جنائزهم و عودوا مرضاهم، و أدّوا حقوقهم، فإنّ الرجل منكم اذا ورع في دينه، و صدق في حديثه، و أدّى الأمانة، و حسن خلقه مع الناس قيل: هذا شيعي فيسرني ذلك، اتقوا الله و كونوا زينا و لا تكونوا شينا، جزوا

ص: ١٧٨

١- (١) اثبات الوصية: ٢٤٦.

٢- (٢) الخرائج و الجرائح: ١/٤٣٩ ح ٢٠ و عنه في بحار الأنوار: ٥٠/٢٦٩.

إلينا كلّ مودّه، وادفعوا عنّا كلّ قبيح فإنّه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله و ما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك. لنا حقّ في كتاب الله و قرابه من رسول الله و تطهير من الله لا يدّعيه أحد غيرنا إلاّ كذّاب. أكثروا ذكر الله و ذكر الموت و تلاوه القرآن و الصلاه على النبي (صلّى الله عليه و اله)، فإنّ الصلاه على رسول الله عشر حسنات، احفظوا ما وصّيتكم به و استودعكم الله و اقرأ عليكم السلام». (١)

٢- وقال (عليه السّلام): «أمرناكم بالتختّم في اليمين و نحن بين ظهرانيكم و الآن تأمركم بالتختّم في الشمال لغيبتنا عنكم إلى أن يظهر الله أمرنا و أمركم فإنّه أول دليل عليكم في و لا يتنا أهل البيت».

و قال (عليه السّلام) لهم: «حدثوا بهذا شيعتنا» (٢).

٣- و كتب الإمام الحسن العسكري (عليه السّلام) وصيّته الى أحد أعلام أصحابه، هو على بن الحسين بن بابويه القمي جاء فيها:

«أوصيك... بتقوى الله و إقامة الصلاه، و إيتاء الزكاه فإنّه لا تقبل الصلاه من مانع الزكاه، و اوصيك بمغفره الذنب و كظم الغيظ، وصله الرحم، و مواساه الإخوان، و السعي في حوائجهم في العسر و اليسر و الحلم عند الجهل، و التفقّه في الدين، و الثبت في الأمور، و التعاهد للقرآن، و حسن الخلق، و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، قال الله تعالى:

لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَ اجْتَنَابِ الْفَوَاحِشِ كُلِّهَا، وَ عَلَيْكَ بِصَلَاةِ اللَّيْلِ فَإِنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ اله) أَوْصَى عَلِيًّا (عَلَيْهِ السَّلَام) فَقَالَ: يَا عَلِيُّ عَلَيْكَ بِصَلَاةِ اللَّيْلِ، عَلَيْكَ بِصَلَاةِ اللَّيْلِ، وَ مِنْ اسْتَخْفَ بِصَلَاةِ اللَّيْلِ فَلَيْسَ مِنِّي، فَاعْمَلْ بِوَصِيَّتِي وَ أَمْرٍ جَمِيعٍ شِيعَتِي بِمَا أَمَرْتُكَ بِهِ حَتَّى يَعْمَلُوا بِهِ، وَ عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ وَ انْتِظَارِ الْفَرَجِ فَإِنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ اله) قَالَ: أَفْضَلُ أَعْمَالٍ

ص: ١٧٩

١- (١) تحف العقول: ٤٨٧-٤٨٨.

٢- (٢) تحف العقول: ٤٨٧-٤٨٨.

و بذلك رسم الإمام الحسن العسكري (عليه السّلام) منهجا واضحا لشيئته للسير عليه و هو يتضمن مبادئ و أحكام الشريعة الاسلاميه و ما تدعو إليه من خلق رفيع، و حسن تعامل مع الناس سواء كانوا موافقين لشيئته في المبدأ أو مخالفين لهم، و تلك هي أخلاق الإسلام التي دعى إليها رسول الانسانيه محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و اله).

٤- و صور الإمام الحسن العسكري (عليه السّلام) الواقع الذي كان يعيشه و ما كان يحتويه من اختلاف الناس و مواليه بتوقيع خرج عنه (عليه السّلام) إلى بعض مواليه حيث طلب من الإمام (عليه السّلام) إظهار الدليل، فكتب أبو محمد (عليه السّلام):

«و إنما خاطب الله عز و جل العاقل و ليس أحد يأتي بآيه و يظهر دليلا أكثر مما جاء به خاتم النبيين و سيد المرسلين، فقالوا: ساحر و كاهن و كذاب، و هدى الله من اهتدى، غير أن الأدله يسكن إليها كثير من الناس و ذلك ان الله عز و جل يأذن لنا فتكلم، و يضع و يمنع فنصمت، و لو أحب أن لا يظهر حقا ما بعث النبيين مبشرين و منذرين يصدعون بالحق في حال الضعف و القوه، و ينطقون في أوقات ليقتضى الله أمره و ينفذ حكمه.

الناس في طبقات شتى، و المستبصر على سبيل نجاه متمسك بالحق، متعلق بفرع أصيل غير شاك و لا مرتاب، لا يجد عنه ملجأ، و طبقه لم تأخذ الحق من أهله، فهم كراكب البحر يموج عند موجه، و يسكن عند سكونه، و طبقه استحوذ عليهم الشيطان شأنهم الرد على أهل الحق، و دفع الحق بالباطل، حسدا من عند أنفسهم فدع من ذهب يذهب يمينا و شمالا فالراعى اذا أراد أن يجمع غنمه جمعها في أهون السعى، ذكرت ما اختلف فيه موالي فإذا كانت الوصيه و الكبر فلا ريب و من جلس مجالس الحكم فهو أولى بالحكم، أحسن رعايه من استرعيت و إياك و الاذاعه و طلب الرياسه فانهما يدعوان الى الهلكه (٢).

١- ((١)) شعب الايمان: ٢/٤٣ ح ١١٢٤ و عنه في الأنوار البهيه، القمي: ٣١٩.

٢- ((٢)) الخرائج و الجرائح: ٤٤٩ ح ٣٥ و عن الدلائل في كشف الغمّه: ٣/٢٠٦، ٢٠٧.

انتهج الإمام الحسن العسكري نهج آباءه للمحافظة على شيعته و أتباعه الذين يمثلون الجماعه الصالحه فى المجتمع الاسلامى، و قد شدّد الإمام العسكري دعوته إلى الكتمان و عدم الإذاعه و الحذر فى التعامل مع الآخرين، و التشدد فى نقل الأخبار و الوصايا عنه و نقل أوامره الى أصحابه و نقل أخبارهم إليه، فإنّ أتباعه قد انتشروا فى أقطار الدوله الاسلاميه فى عصره (عليه السلام) بعد أن أخذ التشيع طابع المعارضه و اتسعت دائرته تحت رايه أهل البيت (عليهم السلام) و كثيرا ما كانت تصدر عنه (عليه السلام) التحذيرات المهمه لهم تجاه الفتن و الابتلاءات المستقبلية تجنبا لهم من الوقوع فى شرك السلطه و حفظا لهم من مكائدها.

فعن محمد بن عبد العزيز البلخى قال: أصبحت يوما فجلست فى شارع الغنم فإذا بأبى محمّد أقبل من منزله يريد دار العامه، فقلت فى نفسى: ترى إن صحت: أيها الناس هذا حجه الله عليكم فاعرفوه، يقتلونى؟ فلما دنا منى أوماً يا صبيعه السبابة على فيه: أن اسكت، و رأيتك تلك الليله يقول: «إنما هو الكتمان أو القتل، فاتق الله على نفسك» (١).

و قد دلّ هذا النص على امور مهمه هى:

١- كشف الإمام (عليه السلام) عن تيه أحد أصحابه لمعرفته بما فى دخيله نفسه، و منعه من التحدث بما عزم عليه من إظهار أمر الإمام (عليه السلام).

٢- كشف عن حراجه الظروف التى كانت تحيط بالإمام (عليه السلام) و أصحابه و محاوله السلطه للتعرف عليهم لتطويق عملهم.

ص: ١٨١

١- ((١)) الخرائج و الجرائح: ١/٤٤٧ ح ٣٢ و عنه فى كشف الغمه: ٣/٢١٢، ٢١٣.

٣- إن النص يظهر لنا استغلال الإمام (عليه السّلام) للمناسبات المختلفه لتحذير أصحابه من الإفصاح عن أنفسهم و إظهار علاقتهم بالإمام كما سيتضح لنا ذلك من النصوص الآتية.

و نلاحظ أنّ أحد أساليب الإمام (عليه السّلام) في عمله المنظم و المحاط بالسريه التامه هو منعه أصحابه من أن يسلموا عليه أو يشيروا له بيد.

روى على بن جعفر عن أحد أصحاب الإمام الحسن العسكري (عليه السّلام) فقال: اجتمعنا بالعسكر-أى سامراء-وقد صرنا لأبى محمد (عليه السّلام) يوم ركوبه فخرج توقيعه: «لا يسلمنّ علىّ أحد، ولا يشير إلىّ بيده، ولا يومئ، فإنّكم لا تأمنون على أنفسكم» (١).

كما نلاحظ مبادره الإمام (عليه السّلام) الى ابتكار أساليب جديده فى ايصال أوامره و وصاياه الى وكلائه و ثقاته و إليك نموذجاً منها:

روى أبو هاشم الجعفرى عن داود بن الأسود قال: دعانى سيدى أبو محمد-الحسن العسكري (عليه السّلام)-فدفع لى خشبه، كأنها رجل باب مدوّره طويله ملء الكف فقال (عليه السّلام): «صر بهذه الخشبه إلى العمري» فمضيت إلى بعض الطريق فعرض لى سقاء معه بغل، فزاحمنى البغل على الطريق... فضربت البغل فانشقت-الخشبه-فنظرت الى كسرها فاذا فيها كتب، فبادرت سريعاً فرددت الخشبه الى كفى فجعل السقاء ينادينى و يشتمنى، و يشتم صاحبى فلما دنوت من الدار راجعا استقبلنى عيسى الخادم عند الباب الثانى، فقال:

يقول لك مولاي: «لم ضربت البغل و كسرت رجل الباب؟». فقلت: يا سيدى لم أعلم ما فى رجل الباب، فقال (عليه السّلام): «و لم احتجت أن تعمل عملاً تحتاج أن تعتذر منه. إياك بعدها أن تعود إلى مثلها، و إذا سمعت لنا شأنًا فامض لسبيلك التى أمرت بها،

ص: ١٨٢

١- ((١)) الخرائج و الجرائح للراوندى: ١/٤٣٩ ح ٢٠ و عنه فى بحار الأنوار: ٥٠/٢٦٩.

و إياك أن تجاوب من يشتمنا، أو تعرّفه من أنت، فإننا فى بلد سوء، و مصر سوء و امض فى طريقك فإنّ أخبارك و أحوالك ترد إلينا فاعلم ذلك» (١).

و فى هذا النص دلالات كثيرة و مهمّة فى مجال العمل المنظم، كما أنّه يعكس السريه التامه فى العمل من جهه الإمام و أصحابه المقرّبين من أجل تجاوز ما يثيره الظرف من إشكالات تجاه العاملين، لذا نجد الإمام (عليه السّلام) يمنع رسوله من التعرّض لأى أمر يمكن من خلاله أن تكشف هويته و شخصيته و صلته بالإمام (عليه السّلام) حتى لو شتمه أحد أو ربما يسبّ الإمام (عليه السّلام) أمامه، فعليه أن يغضّ الطرف و كأنه ليس هو المقصود، و يذهب فى مهمّته، حتى لا يكشف و لا يتعرّف أحد جلاوزه السلطان على ما يخرج من الإمام (عليه السّلام) لو كلائه و ثقاته.

و تفيد هذه النصوص و غيرها ان الظروف الصعبة و القاهره التى عاشها الإمام (عليه السّلام) و أصحابه هى التى ألجأته إلى إتخاذ السريه و الكتمان الشديد فى تعامله مع قواعده الشعبيه، و بالتالى فهى الطريق الأصوب إلى تربيته شيعة و مواليه و تهيئه قواعده لعصر الغيبه الصغرى و التى سوف يتم اتصال الشيعة خلالها بالإمام المهديّ (عليه السّلام) عن طريق وكيل له، حيث لا يتيسّر الاتصال المباشر به و لا يكون الالتقاء به ممكنا و عمليا و ذلك لما كانت السلطه العباسيه قد فرضته من رقابه شديده على الشيعة لمعرفة محلّ اختفاء الإمام المهديّ (عليه السّلام).

هذه هى أهم المحاور التى سنحت الفرصه للبحث عنها بالنسبه لمتطلّبات الجماعه الصالحه فى عصر الإمام الحسن العسكري (عليه السّلام).

ص: ١٨٣

و سنقف فى الفصل الأءير من الكءاب على أهم ما صدر من الإمام (عليه السلام) فى مجال ءءصين العلمى و العفائدى و ءربوى و الأخلاقى بالإضافه الى ما قد عرفناه من ءءصين السياسى و الأمنى و الاقءصاى فىما مرّ من ءلال المهام ءى جعلء على عاىق الوكلاء و ءقاه أصحابه.

ص: ١٨٤

إشارة

من تراث الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)

إنّ المأثور عن الإمام العسكري هو مجموعه من النصوص التي يمكن تصنيفها تحت عناوين متعددة هي:

١-التفسير.

٢-رساله المنقبة التي وصفت بأنها تشتمل على أكثر الحلال و الحرام. (١)

٣-مكاتبات الرجال الوارده عن العسكريين. ٢

٤-مجموعه وصايا و كتب و توقعات الى شيعته. (٢)

٥-ما تناثر من درر كلماته و أحاديثه في مجالات شتى، و هي تشكّل موسوعه علميه تستحقّ الدراسه و البحث. و نتكلم عن كل واحد من هذه العناوين الخمسه فيما يلي:

أولاً:التفسير

إشارة

لقد اختلف الفقهاء و المحدثون في مدى صحه انتساب التفسير

ص: ١٨٥

١- (٢ و ١) تاريخ التشريع الاسلامي، عبد الهادي الفضلي: ١٩٨.

٢- (٣) حياه الإمام الحسن العسكري، (دراسه و تحليل)، باقر شريف القرشي: ص ٧١-٩٥.

المنسوب الى الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) منذ القرن الرابع الهجرى حتى يومنا هذا.

غير أن المعلوم هو أن الإمام العسكري (عليه السلام) قد أثرت عنه مجموعه لا بأس بها من النصوص فى مجال تفسير القرآن الكريم. وقد تناثرت جملة من هذه النصوص فى المصادر الموجوده بأيدىنا اليوم (١).

فبالخلاف اذا هو حول الكتاب الذى ينسب إليه، و ليس فى ظاهره التفسير التى اختص بها عصره و عرفت عنه.

و اذا لاحظنا الظرف الذى عاشه الإمام (عليه السلام) من جهه و نسبه هذا التفسير إليه من جهه، و لاحظنا محتوى هذا التفسير من جهه ثالثه، و طابقتنا محتواه مع ما روى عنه فى سائر المصادر نكون قد وقفنا على نقاط واضحة و أخرى محتمله مشكوكه تحتاج إلى أدله قويه للاثبات.

أما ظرف الإمام و عصره من حيث الاهتمام بالقرآن الكريم فقد عرفنا أن الكندى - كفيلسوف محترف - كان قد تصدى لنسف اعتبار القرآن الكريم و إبطال جانب من جوانب إعجازه.

و هذا التصدى منه و تصدى الإمام (عليه السلام) لردعه عما كان ينويه بشكل منطقي يدل على شدة اهتمامه بالقرآن فى ذلك الظرف و فاعليته فى الحياه الفكرية و الاجتماعيه و مدى أهميه حركه التفسير التى كان يقوم بها العلماء فى إظهار عظمه الامه الاسلاميه من خلال حملها للقرآن الكريم، فكان من الطبيعى أن يؤكد الإمام (عليه السلام) هذا الجانب بإغناء الامه الاسلاميه بعلمه الذى كان يتفرد به هو و آباؤه الكرام، فإنهم معدن العلم فى هذه الأمه بل فى العالم أجمع بعد رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و هم أهل بيت الوحي حيث نزل القرآن فى بيتهم

ص: ١٨٦

١- (١) حياه الإمام الحسن العسكري، القرشى: ٩٥-١٠٠، و مسند الإمام الحسن العسكري (عليه السلام).

فهم أدرى بما فى البيت من غيرهم، و كل العلماء تبع لهم و عيال عليهم فى معرفه القرآن و علومه، كما اعترف بذلك المؤلف و المخالف و كما تفصح عنه سيرتهم جميعا بدء بأمر المؤمنين على بن أبى طالب و انتهاء بالإمام الحسن العسكرى (عليهم السلام). (١)

نماذج من ترائه التفسيري

١- روى الثقة الأمين أبو هاشم الجعفرى - و هو من خيره أصحاب الإمام (عليه السلام) قال: كنت عند أبى محمد (عليه السلام) فسألته عن قول الله عز و جل: **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِنَ اللَّهُ... (٢)**. قال أبو هاشم: فدمعت عيناي و جعلت أفكر فى نفسى ما أعطى الله آل محمد (صلى الله عليه و اله) فنظر إلى الإمام و قال: عظم ما حدثتك به نفسك من عظم شأن آل محمد، فاحمد الله، فقد جعلك الله متمسكا بحبهم تدعى يوم القيامة بهم إذا دعى كل إنسان بإمامه، فأبشر يا أبا هاشم فإنك على خير (٣).

٢- سأل محمد بن صالح الأرمنى الإمام أبا محمد عن قول الله عز و جل:

يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٤) فقال الإمام (عليه السلام): هل يمحو الله إلا ما كان، و هل يثبت إلا ما لم يكن... تعالى الجبار، العالم بالأشياء قبل كونها، الخالق، إذ لا مخلوق، الديان.

و انبرى محمد بن صالح، فقال: أشهد أنك حجه الله و وليه و أنك على منهاج الحق الإمام أمير المؤمنين (٥).

ص: ١٨٧

١- (١) راجع مقدمه ابن أبى الحديد لشرحه لنهج البلاغه، فيما يخص الإمام على و علوم القرآن الكريم.

٢- (٢) فاطر (٣٥): ٣٢.

٣- (٣) الثاقب فى المناقب: ص ٣٤١-٢٤٢ للجرجانى.

٤- (٤) الرعد (١٣): ٣٩.

٥- (٥) الثاقب فى المناقب: ٢٤٢ و كشف الغمه: ٢٠٩/٣ عن دلائل الحميرى.

٣- وسأله أيضا عن قول الله عز وجل: لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِهِ (١) فقال الإمام: من بعد أن يأمر بما يشاء، فقلت في نفسي: هذا قول الله: أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢) فنظر إلى الإمام و تبسم، ثم قال: له الخلق و الأمر تبارك الله رب العالمين (٣).

٤- قال أبو هاشم: كنت عند أبي محمد (عليه السلام) فسأله ابن صالح الأرميني عن قول الله تعالى: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا (٤).

قال الإمام أبو محمد (عليه السلام): ثبتت المعرفة، و نسوا ذلك الموقف، و سيدكرونه، و لولا ذلك لم يدر أحد من خالقه، و لا من رازقه.

قال أبو هاشم: فجعلت أتعجب في نفسي من عظيم ما أعطى الله وليه، و جزيل ما حملة فأقبل أبو محمد عليّ، فقال: الأمر أعجب مما عجب منه يا أبا هاشم و أعظم، ما ظنك بقوم من عرفهم عرف الله، و من أنكرهم أنكر الله، فلا مؤمن إلا و هو بهم مصدق، و بمعرفتهم موقن (٥).

٥- روى سفيان بن محمد الصيفي، قال: كتبت إلى الإمام أبي محمد (عليه السلام) أسأله عن الوليجه في قول الله عز وجل: وَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً و قلت في نفسي: من يرى المؤمن هاهنا؟، فرجع الجواب: الوليجه التي تقام دون ولي الأمر، و حدثتك نفسك عن المؤمنين من هم في هذا الموضوع؟ فهم الأئمة الذين يؤمنون بالله فنحن هم (٦).

ص: ١٨٨

١- (١) الروم (٣٠): ٤.

٢- (٢) الأعراف (٧): ٥٤.

٣- (٣) كشف الغمه: ٣/٢١٠ عن دلائل الحميري.

٤- (٤) الأعراف (٧): ١٧٢.

٥- (٥) كشف الغمه: ٣/٢٠٩، ٢١٠ عن دلائل الحميري.

٦- (٦) أصول الكافي: ١/٥٠٨ مع اختلاف يسير.

نقل العلامة المجلسي هذه الرساله عن الإمام العسكري قائلاً: وخرج من عند أبي محمد (عليه السلام) في سنة خمس و خمسين و مائتين كتاب ترجمته (رساله المنقبه). يشتمل على أكثر علم الحلال و الحرام (١).

و هو ما رواه ابن شهر آشوب في مناقبه و البياضى فى الصراط المستقيم (٢).

ثالثاً: مكاتبات الرجال عن العسكريين

اشار الى هذه المكاتبات فى أحكام الدين الشيخ ابن شهر آشوب فى المناقب راويا لها عن الخبير الحميرى (٣).

رابعاً: مجموعه وصايا الإمام العسكري و كتبه و توقعاته

ان ظاهره صدور التوقيع من الإمام على أمر من الامور-بمعنى ارسال رساله من الإمام الى من يهّمه الأمر من وكيل او تابع خاص مزوّده بتوقيعه و مشتمله على خطّه (عليه السلام)-قد مهّد بها الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) لفترة الغيبه، كما مهّد كل من الامامين الهادى و العسكري (عليهما السلام) بكثره احتجاجيهما للغيبه المتوقّعه للإمام المهدي (عليه السلام).

و من هنا نجد أن الأصحاب و الوكلاء الذين ألفوا هذه الظاهره كانوا يسألون الإمام (عليه السلام) عن الملابسات المحتمله فى المستقبل فيطلبون منه التعرّف على نوع الخط كما يطلبون منه كيفيه التعرّف على توقعاته فيما اذا

ص: ١٨٩

١- (١) بحار الأنوار: ٣١٠/٥٠ عن مناقب آل أبي طالب: ٤٥٧/٤.

٢- (٢) تاريخ التشريع الاسلامى: ١٩٨.

٣- (٣) تاريخ التشريع الإسلامى: ١٩٨ عن مناقب آل أبي طالب: ٤٥٧/٤.

قال أحمد بن إسحاق: دخلت على أبي محمد (عليه السلام) فسألته أن يكتب لأنظر إلى خطه فأعرفه اذا ورد. فقال: نعم، ثم قال: يا أحمد إن الخط سيختلف عليك من بين القلم الغليظ الى القلم الدقيق فلا تشكّن، ثم دعا بالدواه فكتب وجعل يستمدّ الى مجرى الدواه، فقلت في نفسي و هو يكتب: استوهبه القلم الذى كتب به. فلما فرغ من الكتابه أقبل يحدّثنى و هو يمسح القلم بمنديل الدواه ساعه ثم قال: هاك يا أحمد فناولنيه... (1)

وقد أشرنا الى جمله من الوصايا العامه التى ترسم الخطوط العريضة للوضع المستقبلى الذى كان ينبغى لشيعه أهل البيت أن يعدّوا أنفسهم له و يروّضوها عليه لعدم امکان الارتباط المباشر بالامام و من ثم كانوا قد ألقوا الاحتجاب و الغيبه منذ عصر الإمام الهادى (عليه السلام).

و تكشف رسائله أيضا عن طبيعه الظروف التى كان يعايشها الإمام (عليه السلام) و شيعته فيما يرتبط بالوضع السياسى أو العقائدى و الفكرى خارج دائره الجماعه الصالحه أو داخل دائره الجماعه الصالحه و هى شيعه أهل البيت أنفسهم.

و إليك بعض رسائل الإمام الحسن العسكرى (عليه السلام):

١- رسالته إلى إسحاق النيسابورى: أرسل الإمام أبو محمد (عليه السلام) إلى إسحاق ابن إسماعيل النيسابورى هذه الرساله، و هى من غرر الرسائل، و قد استهدفت الوعظ، و الإصلاح الشامل، و هذا نصها:

«سترنا الله و إياك بستره، و تولاك فى جميع امورك بصنعه، قد فهمت كتابك رحمك

ص: ١٩٠

اللّٰهُ، و نحن بحمد اللّٰهُ و نعمته أهل بيت نرقّ على موالينا، و نسرّ بتتابع إحسان اللّٰهُ إليهم، و فضله لديهم، و نعتدّ بكلّ نعمه ينعمها اللّٰهُ تبارك و تعالى عليهم، فأتم اللّٰهُ عليك بالحقّ و من كان مثلك ممّن قد رحمه و بصّيره بصيرتك، و نزع عن الباطل، و لم يعم في طغيانه بعمه، فإنّ تمام النعمة دخولك الجنّه، و ليس من نعمه و إن جلّ أمرها و عظم خطرها إلّا و الحمد لله تقدّمت أسماؤه عليها يؤدّي شكرها.

و أنا أقول: الحمد لله مثل ما حمد الله به حامد إلى أبد الأبد، بما منّ الله عليك من نعمته، و نجاك من الهلكه، و سهّل سبيلك على العقبه، و أيم الله إنّها لعقبه كؤود، شديد أمرها، صعب مسلكها، عظيم بلاؤها، طويل عذابها، قديم في الزّبر الأولى ذكرها.

و لقد كانت منكم في امور في أيام الماضي (عليه السّلام) إلى أن مضى لسبيله صلّى الله على روحه و في أيامى هذه كنتم فيها غير محمودى الشأن، و لا- مسدّدى التوفيق. و اعلم يقينا يا إسحاق أنّ من خرج من هذه الحياه الدنيا أعمى فهو فى الآخره أعمى و أضلّ سبيلا، إنّها يا ابن اسماعيل ليس تعمى الأبصار، و لكن تعمى القلوب التى فى الصدور، و ذلك قول الله عزّ و جلّ فى محكم كتابه الظالم: رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيْ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ (١) و أى آيه يا إسحاق أعظم من حجّه الله عزّ و جلّ على خلقه، و أمينه فى بلاده، و شاهده على عباده، من بعد ما سلف من آبائه الأولين من النّبیین و آبائه الآخرين من الوصيين، عليهم أجمعين رحمه الله و بركاته.

فأين يتاه بكم؟ و أين تذهبون كالأنعام على وجوهكم؟ عن الحقّ تصدّفون و بالباطل تؤمنون، و بنعمه الله تكفرون؟ أو تكذبون، فمن يؤمن ببعض الكتاب، و يكفر ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم و من غيركم إلّا خزي فى الحياه الدنيا الفانيه، و طول عذاب الآخره الباقيه، و ذلك و الله الخزى العظيم.

إن الله بفضله و منه لّمّا فرض عليكم الفرائض، لم يفرض ذلك عليكم لحاجه منه

ص: ١٩١

إليكم، بل برحمه منه لا- إله إلا- هو عليكم، ليميز الخيـث من الطيب، و لـيتلى ما فى صدوركم، و لـيمحص ما فى قلوبكم و لتألفوا إلى رحمته، و لتفاضل منازلكم فى جنته.

فـفرض عليكم الحجّ و العمرة و إقام الصّلاه، و إيتاء الزكاه، و الصّوم و الولاية، و كفا بهم لكم بابا ليفتحوا أبواب الفرائض، و مفتاحا إلى سبيله، و لو لا محمد(صلى الله عليه و اله) و الأوصياء من بعده، لكنتم حيارى كالبهائم، لا تعرفون فرضا من الفرائض و هل يدخل قريه إلا من بابها.

فلما منّ عليكم بإقامه الأولياء بعد نبيه، قال الله عزّ و جلّ لنبيه(صلى الله عليه و اله): **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا (١)** و فرض عليكم لأوليائه حقوقا أمركم بأدائها إليهم، ليحلّ لكم ما وراء ظهوركم من أزواجكم و أموالكم و ما كلكم و مشربكم، و يعرفكم بذلك النماء و البركه و الثروه، و ليعلم من يطيعه منكم بالغيب، قال الله عزّ و جلّ: **قُلْ لَا أَشْتَكُمُ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى (٢)**.

و اعلموا أن من يبخل فإنما يبخل عن نفسه، و أنّ الله الغنىّ و أنتم الفقراء لا إله إلا هو.

و لقد طالت المخاطبه فيما بيننا و بينكم فيما هو لكم و عليكم، و لو لا ما يجب من تمام النعمه من الله عزّ و جلّ عليكم، لما أريتكم منى خطا و لا سمعتم منى حرفا من بعد الماضى(عليه السلام).

أنتم فى غفله عميا إليه معادكم، و من بعد الثانى رسولى و ما ناله منكم حين أكرمه الله بمصيره إليكم، و من بعد إقامتى لكم إبراهيم ابن عبده، و وفقه الله لمرضاته و أعانه على طاعته، و كتابه الذى حمّله محمد بن موسى النيسابورى و الله المستعان على كلّ حال، و إتى أراكم مفرطين فى جنب الله فتكونون من الخاسرين.

فبعدا و سحقا لمن رغب عن طاعه الله، و لم يقبل مواعظ أوليائه، و قد أمركم الله

ص: ١٩٢

١- ((١) المائده(٥):٣.

٢- ((٢) الشورى(٤٢):٢٣.

عَزَّ وَجَلَّ بطاعته لا- إله إلا- هو، وطاعه رسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وطاعه أولى الأمر (عليهم السَّلَام)، فرحم الله ضعفكم وقله صبركم عمَّا أمامكم فما أعزَّ الإنسان برَبِّه الكريم، واستجاب الله تعالى دعائى فيكم، وأصلح أموركم على يدى، فقد قال الله جلَّ جلاله: يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِأَمَامِهِمْ (١) وقال جلَّ جلاله: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسِيْطًا لِتُكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا (٢) وقال الله جلَّ جلاله: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ (٣).

فما أحبَّ أن يدعو الله جلَّ جلاله بى و لا- بمن هو فى أئامى إلا- حسب رقتى عليكم، و ما انطوى لكم عليه من حبِّ بلوغ الأمل فى الدارين جميعا، و الكينونه معنا فى الدنيا و الآخرة.

فقد- يا إسحاق! يرحمك الله و يرحم من هو وراءك- بينت لك بيانا و فسَّرت لك تفسيرا، و فعلت بكم فعل من لم يفهم هذا الأمر قطَّ و لم يدخل فيه طرفه عين، و لو فهمت الصمَّ الصيِّلاب بعض ما فى هذا الكتاب، لتصدَّعت قلقتا خوفا من خشية الله و رجوعا الى طاعه الله عزَّ و جلَّ، فاعملوا من بعد ما شئتم فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون ثم تردون الى عالم الغيب و الشهاده فينبئكم بما كنتم تعملون و العاقبه للمتقين و الحمد لله كثيرا ربَّ العالمين (٤).

و لا بد لنا من وقفه قصيره للنظر فى أبعاد هذه الرساله الشريفه، و بيان محتوياتها، و فى ما يلى ذلك:

أولا: أنها أظهرت سرور الأئمه الطاهرين، و فرحهم بما يسديه الله تعالى إلى شيعتهم من النعم و الألطاف.

ص: ١٩٣

١- (١) الإسراء (١٧): ٧١.

٢- (٢) البقره (٢): ١٤٣.

٣- (٣) آل عمران (٣): ١١٠.

٤- (٤) بحار الأنوار: ٣١٩/٥٠-٣٢٢.

ثانيا: إن من أعظم النعم و أجلها التي يتمناها الإمام أبو محمد لشيئته هي الفوز بالجنة و النجاه من النار، فإن من فاز بذلك فقد ظفر بالخير العميم.

ثالثا: أعرب الإمام (عليه السّلام) عن حدوث فجوه بينه و بين إسحاق و جماعته، و لم يحدث ذلك في زمانه، و إنما كان في زمان أبيه الإمام الهادي (عليه السّلام)، فقد ساءت العلاقات بينه و بين القوم، و لم تكشف المصادر التي بأيدينا أسباب ذلك، و أكبر الظن أن ذلك يستند إلى ما يلي:

أ- اندساس الدجالين، و المخربين، و ذوى الأطماع بين صفوف القوم، و إفساد عقائدهم، مما نجم منه التشكيك في الأئمة (عليهم السّلام) و الرد عليهم.

ب- حجب الأئمة (عليهم السّلام) من قبل العباسيين، و قطع أى اتصال بينهم و بين شيعتهم الأمر الذي أدى إلى إشاعه بعض الأفكار المنحرفة بين صفوف بعضهم، و لو كانوا على اتصال بهم لما حدث أى شيء من ذلك.

ج- دس الحكومه العباسيه بعض عملائها بهدف تفريق صفوف أتباع أئمة أهل البيت (عليهم السّلام)، و العبث بمقدراتهم الفكرية و الاجتماعيه و ذلك للحط من شأنهم، و فل قواهم.

د- و ثمة عامل آخر أدى إلى شيوع الاضطراب العقائدى بين صفوف بعض الشيعة، و هو الحسد لبعض و كلاء الإمامين (عليهما السّلام) الذين عهد إليهم بقبض الحقوق الشرعيه، و صرفها على الفقراء و المحرومين و سائر الجهات الإصلاحيه، و قد منحوا بذلك التأييد المطلق، و الثقه الكامله من قبل الإمامين، و قد عز ذلك على بعض الشخصيات البارزه الذين لم يظفروا بمثل ذلك مما أدى إلى حسدهم و الحسد داء و بيل ألقى الناس فى شر عظيم، و أخرجهم من النور إلى الظلمات، فأخذوا يعيشون فسادا بين صفوف الشيعة و يفسدون عليهم عقائدهم.

رابعا: نعى الإمام (عليه السّلام) على المنحرفين عن الحق سلوكهم فى المنعطفات

و بعدهم عن المسالك الواضحه التى تضمن لهم السلامه و النجاه، فقد ضلت عقولهم، و عميت عيونهم، و إنهم فى يوم حشرهم سيحشرون عمى العيون كما كانوا فى دار الدنيا.

خامسا: ذكر الإمام (عليه السّلام) أن الله تعالى أقام الحجه على عباده و ذلك ببعثه النبيين و المرسلين و الأوصياء، فقد بلغوا أوامر الله و نواهيه، و نشروا أحكامه، فلا عذر للعباد بعد ذلك فى تقصيرهم و عدم طاعتهم.

سادسا: عرض الإمام (عليه السّلام) إلى أن الله لما أقام الفرائض على العباد، و ألزمهم بها لم يكن بحاجة إليها، و إنما ليميز الخبيث من الطيب، و يمتحن العباد بها، فمن أطاق فقد نجا، و من خالف فقد غرق و هوى.

سابعا: و من بنود هذه الرساله أن الله تعالى قد منّ على هذه الامه بأن أرسل النبي محمدا (صلّى الله عليه و اله) و الأوصياء من بعده بهدأيته، و لولاهم لكانت هذه تتيه فى مساحات سحيقه من مجاهل هذه الحياه لا تعرف فرضا، و لا تفقه سنه، فما أعظم عائداتهم على هذه الأمه، بل و على البشريه جمعاء.

ثامنا: إن الله تعالى فرض لآل النبي (صلّى الله عليه و اله) على المسلمين فريضة ماليه، و هى الخمس، و هو تشريع اقتصادى أصيل، تزدهر به الحياه الفكرية و الدينيه فى الإسلام، و لولاها لما استمرت المرجعيه العامه، و الهيئه العلميه عند الطائفه الإماميه، التى هى امتداد مشرق لرساله الأئمه الطاهرين (عليهم السّلام)... أما تفصيل الخمس، و فيما يجب فقد عرضت لبيانه كتب الفقه الإمامى، و من الجدير بالذكر أن الإمام أبا محمد (عليه السّلام) قد بين فى رسالته هذه أنه لا تحل الأزواج و الأموال، و المآكل، و المشارب من دون إخراج الخمس، و أكبر الظن أن القوم الذين عناهم الإمام فى رسالته ما كانوا يؤدون هذا الحق

المفروض، الأمر الذى أوجب توتر العلاقات بينهم، و بين الإمام (١).

٢- رسالته إلى أهالى قم و آبه: و أرسل الإمام أبو محمد (عليه السلام) إلى شيعته من أهالى قم و آبه (٢) رساله جاء فيها:

«إن الله تعالى بجوده و كرمه، و رأفته، قد منّ على عباده بنبيه محمد (صلى الله عليه و اله)، بشيرا و نذيرا، و وفقكم لقبول دينه، و أكرمكم بهدايته، و غرس فى قلوب أسلافكم الماضين (رحمه الله عليهم) و أصلابكم الباقين (تولى كفايتهم، و عمرهم طويلا فى طاعته)، حب العتره الهاديه، فمضى من مضى على و تيره الصواب، و منهاج الصدق و سبيل الرشاد، فوردوا موارد الفائزين، و اجتنوا ثمرات ما قدموا، و وجدوا غب ما أسلفوا...»

و منها:

فلم تزل نيتنا مستحكمه، و نفوسنا إلى طيب آرائكم ساكنه، القرابه الراسخه بيننا و بينكم قويه، و وصيه أوصى بها أسلافنا و أسلافكم، و عهد عهد إلى شبابنا و مشايخكم، فلم يزل على جملة كامله من الاعتقاد، لما جمعنا الله عليه من الحال القريبه، و الرحم الماسه، يقول العالم سلام الله عليه: المؤمن أخو المؤمن لأمه و أبيه...».

و لم يصل إلينا تمام هذه الرساله، و إنما وصلت منها هذه القطعه، و هى تحكى مدى تعاطف الإمام (عليه السلام) مع هؤلاء المؤمنين الأخيار الذين تخرجوا فى دينهم كأشد ما يكون التحرج، فقد ترحم الإمام على أسلافهم المتمسكين بدينهم الذين آمنوا بالإسلام، و اتبعوا ما أمر الله به، ففازوا برضوان الله و مغفرته.

و تعرض الإمام (عليه السلام) إلى الصلات الوثيقه التى عقدت بين القوم و بين أئمه أهل البيت (عليهم السلام)، و هى قديمه و قد قامت على إيمان القوم برساله أهل البيت، و أهدافهم الشامخه، و لم تقم على الأهواء و العواطف، و قد أكبر

ص: ١٩٦

١- (١) باقر شريف القرشى: حياه الإمام الحسن العسكرى: ٧٦-٧٨.

٢- (٢) آبه: بليده تقابل ساوه، و تعرف بين العامه بآوه، قال ذلك ياقوت فى المعجم.

الإمام (عليه السلام) فيهم هذه الروح، وهذا الشعور الفياض (١).

٣- رسالته إلى عبد الله البيهقي: وأرسل الإمام (عليه السلام) إلى عبد الله بن حمدويه البيهقي الرسالة التالية:

«و بعد: فقد بعث لكم إبراهيم بن عبده ليدفع النواحي، وأهل ناحيتك حقوقى الواجبه عليكم إليه، وجعلته ثقتى و أمينى، عند موالى هناك فليتقوا الله، و ليراقبوا، و ليؤدوا الحقوق فليس لهم عذر فى ترك ذلك، و لا تأخير، و لا أشقاهم الله بعصيان أوليائه، و رحمهم الله و إياك معهم برحمتى لهم، إن الله واسع كريم» (٢).

لقد أقام الإمام (عليه السلام) فى المناطق التى تدين بإمامته و كلاء من العلماء الأخيار، و عهد إليهم بقبض الحقوق الشرعيه، و حملها إليه أو انفاقها فى سبل الخير و الصلاح.

٤- رسالته فى حق إبراهيم: و كان الإمام (عليه السلام) قد أقام إبراهيم بن عبده و كيلا عنه فى قبض الحقوق الشرعيه، و صرفها فى إقامه دعائم الدين، و وصله المحتاجين و قد زوده برساله أشاد فيها بمكانه إبراهيم و وثاقته، و قد سئل عن تلك الرساله هل هى بخطه، فأجاب (عليه السلام):

«و كتابى الذى ورد على إبراهيم بن عبده بتوكيلى إياه بقبض حقوقى من موالينا هناك، نعم هو كتابى بخطى إليه، أقمته لهم ببلدهم حقا غير باطل، فليتقوا الله حق تقاه، و ليخرجوا من حقوقى، و ليدفعوها إليه، فقد جوزت له ما يعمل به فيها وفقه الله، و منّ عليه بالسلامه من التقصير..» (٣).

لقد أقر الإمام و كالتة لإبراهيم، و أوصاه بتقوى الله و طاعته و ألزم شيعته بدفع الحقوق المفروضه عليهم إليه.

٥- رسالته إلى مواليه: و بعث الإمام أبو محمد (عليه السلام) الرساله التاليه إلى بعض

ص: ١٩٧

١- ((١)) باقر شريف القرشى: حياه الإمام الحسن العسكري: ٧٩.

٢- ((٢)) الكشى: ٥٨٠ ح ١٠٨٩.

٣- ((٣)) الكشى: ٥٨٠ ح ١٠٨٩، معجم رجال الحديث: ٢٣٢/١٠.

مواليه، وقد نعى فيها ما هم فيه من الاختلال والفرقة والانحراف عن الدين وهذا نصها بعد البسملة: «استوهب الله لكم زهاده في الدنيا وتوفيقا لما يرضى، و معونه على طاعته و عصمه عن معصيته، و هدايه من الزيغ و كفايه، فجمع لنا و لأولياتنا خير الدارين.

أما بعد: فقد بلغنى ما أنتم عليه من اختلاف قلوبكم، و تشتت أهوائكم، و نزغ الشيطان، حتى أحدث لكم الفرقة و الإلحاد فى الدين، و السعى فى هدم ما مضى عليه أوائلكم من إشاده دين الله، و إثبات حق أوليائه، و أمالكم إلى سبيل الضلاله، و صد بكم عن قصد الحق، فرجع أكثركم القهقرى على أعقابكم، تنكصون كأنكم لم تقرأوا كتاب الله جل و عز و لم تعوا شيئا من أمره و نهيه و لعمري لئن كان الأمر فى اتكال سفهائكم على أساطيركم لأنفسهم و تأليفهم روايات الزور بينهم لقد حقت كلمه العذاب عليهم و لئن رضيتم بذلك منهم و لم تنكروه بأيديكم و ألسنتكم و قلوبكم و نياتكم، إنكم شركاء و هم، فى ما اجترحوه من الافتراء على الله تعالى و على رسوله و على و لاه الأمر من بعده و لئن كان الأمر كذلك لما كذب أهل التزديد فى دعواهم، و لا-المغيريه فى اختلافهم و لا الكيسانيه فى صاحبهم و لا من سواهم من المنتحلين و ذنا و المنحرفين عنا، بل أنتم شر منهم قليلا، و ما شىء يمنعنى من وسم الباطل فيكم بدعوه تكونوا شامتا لأهل الحق إلا انتظار فيئهم، و سيفىء أكثرهم الى أمر الله إلا طائفه لو [شئت] اسميتها و نسبتها استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله، و من نسى ذكر الله تبرأ منه فسيصليه جهنم و ساءت مصيرا.

و كتابى هذا حجه عليهم، و حجه لغائبكم على شاهدكم إلا- من بلغه فأدى الأمانه، و أنا أسأل الله أن يجمع قلوبكم على الهدى، و يعصمكم بالتقوى، و يوفقكم للقول بما يرضى، و عليكم السلام و رحمه الله و بركاته..» (١).

و هكذا صعد الإمام (عليه السلام) آهاته على ما منى به بعض مواليه من الاختلاف، و التفرق و الانحراف عن الدين، و يعود السبب فى ذلك إلى أن

ص: ١٩٨

هؤلاء الغوغاء لم يعتنقوا الإسلام عن وعى عميق مدعم بالأدلة الحاسمه، وإنما أخذوا بعض طقوسه عن تقليد لآبائهم، وأقل شبهه تعرض لهم، فإنهم ينكصون على الأعقاب.

لقد عمدت القوى الباغيه على الإسلام على إفساد الموالى من شيعة الإمام (عليه السلام) وتضليلهم، وقد افتعلوا فى سبيل ذلك الروايات الكاذبه التى تدعم أفكارهم الفاسده، ولا سبيل لالتقاء الإمام بهم ليقوم برد تلك الشبهه، وتنوير الأفكار بنور الحق، وذلك بسبب ما فرض عليه من الإقامه الجبريه فى سامراء، وكان ذلك من أعظم المحن التى واجهها فى حياته (١).

٦-رسالته إلى بعض مواليه: وأرسل الإمام أبو محمد (عليه السلام) إلى بعض مواليه هذه الرساله، وقد جاء فيها بعد البسملة:

«كل مقدور كائن، فتوكل على الله جلّ و عزّ يكفك، وثق به لا يخيبك، وشكوت أخاك فاعلم يقينا أن الله جلّ و عزّ لا يعين على قطيعه رحم، وهو جل ثناؤه من وراء ظلم كل ظالم، ومن بغى عليه لينصرنه الله، إن الله قوى عزيز، وأسألت الدعاء، إن الله جلّ و عزّ لك حافظ، و ناصر، و ساتر، و أرجو من الله الكريم الذى عرفك من حقه، و حق أوليائه ما عمى عنه غيرك أن لا يزيل عنك نعمه أنعم بها عليك، إنه ولى حميد...» (٢).

لقد دعا الإمام (عليه السلام) إلى التوكل على الله، و الثقة به فإنه لا يخيب من التجأ إليه، و اتكل عليه، كما لامه الإمام للشكوى من أخيه لأن الله تعالى لا يعين على قطيعه رحم، ثم دعا له الإمام أن يديم الله عليه نعمه و أطفاه و لا يزيلها عنه.

٧-رساله لبعض شيعته: و رفع بعض الشيعة إلى الإمام (عليه السلام) رساله يستغيث فيها من ظالم ظلمه، و اعتدى عليه فأجابه (عليه السلام) بما يلى:

«نحن نستكفى بالله جلّ و عزّ فى هذا اليوم من كل ظالم و باغ، و حاسد، و ويل لمن

ص: ١٩٩

١- (١) حياه الإمام الحسن العسكري: ٨٦-٨٧.

٢- (٢) حياه الإمام الحسن العسكري: ٨٧.

قال: ما يعلم الله جلّ و عزّ جلاله، ماذا يلقي من ديان يوم الدين،! فإن الله جلّ و عزّ للمظلومين ناصر، و عضد، فتق به جل ثناؤه، و استعن به يزل محتك. و يكفك شر كل ذي شر، فعل الله ذلك بك، و منّ علينا فيك، إنه على كل شيء قدير، و استدرك الله كل ظالم فى هذه الساعه، ما أحد ظلم و بغى فأفلح، الويل لمن أخذته أصابع المظلومين فلا تغتم، و ثق بالله، و توكل عليه، فما أسرع فرجك، و الله عز و جل مع الذين صبروا و الذين هم محسنون..» (١).

شجب الإمام (عليه السلام) فى رسالته الظلم و البغى و الحسد، و استجار بالله من كل ظالم و باغ و حاسد، فإنه تعالى عون للمظلومين، و سند لهم، و هو القادر على إزاله الظلم، و إنزال أقصى العقوبه بالمعتدين و الظالمين (٢).

خامسا: اهتمامات الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) الفكرية و العلمية

إشاره

نلاحظ اهتماما علميا متشعبا الجوانب من خلال النصوص الواصلة إلينا عن الإمام العسكري، فهو يهتم بالقرآن الكريم و هو سند الشريعة و مصدرها الأساسى كما انه يهتم بحفظ السنه النبويه و سنه أهل البيت و تأريخهم، و يهتم أيضا بنقده و تعريفه للشخصيات التى يتوجه إليها الناس لأخذ العلوم و الأحكام منهم أو مراجعتهم لغرض الارتباط بالإمام (عليه السلام) أو توكيلهم لايصال الحقوق الشرعيه إليه، فهو يعزف و كلاءه و يوليهم ثقه و يلعن من ينحرف منهم و يحذر شيعته و مواليه من الغفله عن رصد أحوالهم فى حال استقامتهم أو انحرافهم.

و نجد من الإمام اهتماما بليغا بالفقه و الأحكام الشرعيه كما نجد اهتمامه بالدعاء و الطب و العقيدته و المعرفه بشكل عام.

ص: ٢٠٠

١- (١) عن الدر النظيم ورقه: ٢٢٥.

٢- (٢) راجع باقر شريف القرشى حياه الإمام الحسن العسكري: ٧٣-٨٨.

١- عن أبي منصور الطبرسي مسندا قال: حدثنا أبو محمد الحسن بن علي العسكري (عليهما السلام)، قال: حدثني أبي عن آبائه (عليهم السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) انه قال:

أشد من يتم اليتيم الذي انقطع من أمه و أبيه يتم يتيم انقطع عن إمامه و لا- يقدر على الوصول إليه و لا- يدري كيف حكمه فيما يتلى به من شرائع دينه، ألا فمن كان من شيعتنا عالما بعلومنا، و هذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره، ألا فمن هداه و أرشده و علمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى (١).

٢- و عنه (عليه السلام) قال: قال جعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام): علماء شيعتنا مرابطون في الثغر الذي يلي إبليس و عفاريتة، يمنعوهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا و عن أن يتسلط عليهم إبليس و شيعته و النواصب. ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممن جاهد الروم و الترك و الخزر ألف مره لأنه يدفع عن أديان محيينا و ذلك يدفع عن أبدانهم (٢).

٣- و عنه (عليه السلام) بالاسناد المتقدم قال: قال موسى بن جعفر: فقيه واحد ينقذ يتيما من أيتامنا المنقطعين عنا و عن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج إليه أشد على إبليس من ألف عابد، لأن العابد همّه ذات نفسه فقط و هذا همه مع ذات نفسه ذوات عباد الله و امائه لينقذهم من يد إبليس و مردته، فلذلك هو أفضل عند الله من ألف عابد و ألف ألف عابده ٣.

٤- و عنه (عليه السلام) قال: قال علي بن موسى الرضا (عليهما السلام): يقال للعابد يوم القيامة:

«نعم الرجل كنت همتك ذات نفسك و كفيت مؤنتك فادخل الجنة»، ألا ان الفقيه من أفاض على الناس خيره و أنقذهم من أعدائهم و وفر عليهم نعم جنان الله تعالى و حصل لهم رضوان الله تعالى.

ص: ٢٠١

١- ((١)) الاحتجاج: ٦/١.

٢- ((٢ و ٣)) الاحتجاج: ٨/١.

و يقال للفقيه: يا أيها الكافل لأيتام آل محمد الهادى لضعفاء محبيهم و مواليهم قف حتى تشفع لكل من أخذ عنك أو تعلم منك، فيقف فيدخل الجنة معه فثاماً و فثاماً و فثاماً- حتى قال عشرا- و هم الذين أخذوا عنه علومه و أخذوا عمن أخذ عنه و عمن أخذ عمن أخذ عنه إلى يوم القيامة، فانظروا كم صرف ما بين المنزلتين (١).

٥- بهذا الاسناد، عنه (عليه السلام) قال: قال محمد بن علي الجواد (عليهما السلام): من تكفل بأيتام آل محمد المنقطعين عن إمامهم المتحيرين في جهلهم الأسارى في أيدي شياطينهم و في أيدي النواصب من أعدائنا فاستنقذهم منهم و أخرجهم من حيرتهم و قهر الشياطين برد و ساوسهم و قهر الناصبين بحجج ربهم و دلائل أئمتهم، ليحفظوا عهد الله على العباد بأفضل الموانع بأكثر من فضل السماء على الأرض و العرش و الكرسي و الحجب على السماء، و فضلهم على العباد كفضل القمر ليله البدر على أخفى كوكب في السماء (٢).

٦- بهذا الاسناد عنه (عليه السلام) قال: قال علي بن محمد (عليهما السلام) لو لا من يبقى بعد غيبه قائمكم (عليه السلام) من العلماء الداعين إليه و الدالين عليه و الدابيين عن دينه بحجج الله و المنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس و مردته و من فخاخ النواصب لما بقى أحد إلا إرتد عن دين الله، و لكنهم الذين يمسون أزمه قلوب الشيعة كما يمسونك صاحب السفينه سكانها، اولئك هم الأفضلون عند الله عز و جل ٣.

من ترائه الكلامي

١- التوحيد في نصوص الإمام العسكري (عليه السلام)

١- روى الكليني، مسندا عن يعقوب بن إسحاق قال: كتبت إلى أبي محمد (عليه السلام) أسأله: كيف يعبد العبد ربه و هو لا يراه؟ فوقع (عليه السلام): يا أبا يوسف جلّ سيدي و مولاي و المنعم عليّ و علي آبائي أن يرى.

ص: ٢٠٢

١- (١) الاحتجاج: ٩/١.

٢- (٢ و ٣) الاحتجاج: ٩/١.

قال: وسألته: هل رأى رسول الله (صلى الله عليه و اله) ربه؟ فوقع (عليه السلام): إن الله تبارك و تعالى أرى رسوله بقلبه من نور عظمته ما أحب (١).

٢- و روى عن سهل، قال: كتبت إلى أبي محمد (عليه السلام) سنة خمس و خمسين و مائتين: قد اختلف يا سيدي أصحابنا في التوحيد، منهم من يقول:

هو جسم و منهم من يقول: هو صورته، فإن رأيت يا سيدي أن تعلمنى من ذلك ما أقف عليه و لا أجوزه فعلت متطوِّلاً على عبدك.

فوقع بخطه (عليه السلام): سألت عن التوحيد و هذا عنكم معزول، الله واحد أحد، لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد، خالق و ليس بمخلوق تبارك و تعالى ما يشاء من الأجسام و غير ذلك و ليس بجسم، و يصوّر ما يشاء و ليس بصوره جلّ ثناؤه و تقدست أسماؤه أن يكون له شبه، هو لا غيره، ليس كمثلته شيء و هو السميع البصير. (٢)

٢- أهل البيت (عليهم السلام) و الإمامه عند الإمام العسكري (عليه السلام)

لقد أشاد الإمام (عليه السلام) بفضل أهل البيت الذين هم مصدر الوعي، و الإيمان في دنيا الإسلام، حيث قال (عليه السلام):

«قد سعدنا ذرى الحقائق بأقدام النبوه، و الولايه، و نورنا السبع الطرائق بأعلام الفتوه، فنحن ليوث الوغى، و غيوث الندى، و فينا السيف و القلم فى العاجل، و لواء الحمد و العلم فى الآجل، و أسباطنا خلفاء الدين، و حلفاء اليقين، و مصابيح الأمم، و مفاتيح الكرم فالكريم لبس حله الاصطفاء لما عهدنا منه الوفاء، و روح القدس فى جنان الصاقوره (٣) ذاق من حدائقنا الباكوره (٤) و شيعتنا الفئه الناجيه، و الفرقة الزاكيه، صاروا لنا ردد و صونا،

ص: ٢٠٣

١- (١) الكافي: ٩٥/١ و التوحيد: ١٠٨.

٢- (٢) الكافي: ١٠٣/١ و التوحيد: ١٠٨.

٣- (٣) الصاقوره: السماء الثالثه.

٤- (٤) الباكوره: أول ما يدرك من الفاكهه.

و على الظلمه إلبا..و سينفجر لهم ينابيع الحيوان،بعد لظى النيران،لتمام الروايه،و الغواشى من السنين..» (١).

٢-قال أحمد بن إسحاق:دخلت على مولانا أبي محمد الحسن بن علي العسكري (عليهما السلام) فقال: يا أحمد ما كان حالكم فيما كان فيه التباس من الشكّ و الارتياب؟فقلت له:يا سيدي لما ورد الكتاب لم يبق مّنّا رجل و لا إمراه و لا غلام بلغ الفهم إلا قال بالحقّ،فقال:احمد الله على ذلك يا أحمد أما علمتم أنّ الأرض لا تخلو من حجّه و أنا ذلك الحجّه-أو قال:أنا الحجّه-. (٢)

٣-قال أحمد بن إسحاق:خرج عن أبي محمد (عليه السلام) إلى بعض رجاله في عرض كلام له:ما منى أحد من آبائي (عليهم السلام) بما منيت به من شكّ هذه العصابه فيّ،فإن كان هذا الأمر أمرا اعتقدتموه و دنتم به إلى وقت ثمّ ينقطع فللشكّ موضع،و إن كان متصلا ما أتصلت امور الله عزّ و جلّ فما معنى هذا الشكّ؟! (٣)

الإمام المهدي (عليه السلام) في تراث الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)

روى عن الحسن بن زريف انه قال:اختلج في صدرى مسألان أردت الكتاب فيهما الى أبي محمد (عليه السلام) فكتبت أسأله عن القائم (عليه السلام) إذا قام بما يقضى و أين مجلسه الذي يقضى فيه بين الناس؟و أردت أن أسأله عن شيء لحمى الربع فأغفلت خبر الحمى.فجاء الجواب:

«سألت عن القائم فإذا قام قضى بين الناس بعلمه كقضاء داود (عليه السلام) لا يسأل البيئه، و كنت أردت أن تسأل لحمى الربع فأنسيته،فاكتب ورقه و علّقه على المحموم فإنه يبرأ بإذن الله إن شاء الله: يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَ سَلَامًا عَلَيَّ إِِبْرَاهِيمَ. قال:فعلّقنا عليه

ص: ٢٠٤

١- ((١)) بحار الأنوار: ٣٣٨/٧٨.

٢- ((٢)) كمال الدين: ٢٢٢.

٣- ((٣)) كمال الدين: ٢٢٢.

ما ذكر أبو محمد (عليه السلام) فأفاق (١).

و بشر الإمام العسكري (عليه السلام)، خواص شيعته بولاده الحجة المنتظر الإمام المهدي (عليه السلام)؛ ضمن مكاتباته إليهم، أو حينما كانوا يحضرون عنده.

و قد مرّت علينا مجموعته من هذه النصوص في الفصل الثاني من الباب الرابع عند بحث عن متطلبات الجماعة الصالحة في عصر الإمام العسكري (عليه السلام) (٢).

السيرة النبوية في تراث الإمام العسكري (عليه السلام)

و قد وردت مجموعته من النصوص عن الإمام العسكري (عليه السلام) فيما يخص سيره النبي (صلى الله عليه و اله) و سيره أهل بيته (عليهم السلام) ممّا يشير إلى ضروره اهتمامه (عليه السلام) بهذا الجانب في عصره.

و إليك بعض هذه النصوص:

١- روى الطبرسي عن أبي محمد الحسن العسكري (عليهما السلام) أنه قال: قلت لأبي، علي بن محمد (عليهما السلام) هل كان رسول الله (صلى الله عليه و اله) يناظر اليهود و المشركين اذا عاتبوه و يحاجهم؟ قال: بلى مرارا كثيره، منها ما حكى الله من قولهم: **وَ قَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَ يَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْ لَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ -** إلى قوله - **رَجُلًا مَسْحُورًا** و قالوا: **لَوْ لَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَيَّ رَجُلٍ مِنَ الْقَزْيَيْنِ عَظِيمٍ.** و قوله عز و جل:

وَ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَثُوعًا إلى قوله **كِتَابًا نَقْرُؤُهُ** ثم قيل له في آخر ذلك: لو كنت نبيا كموسى أنزلت علينا كسفا من السماء و نزلت علينا الصاعقه في مسألتنا إليك لأن مسألتنا أشد من مسائل

ص: ٢٠٥

١- ((١)) الكافي: ٥٠٩/١.

٢- ((٢)) تبلغ نصوص الإمام الحسن العسكري حول الإمام المهدي ما يناهز الأربعين نصّا. راجع معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام) الجزء الرابع.

قوم موسى لموسى (عليه السلام).

قال: و ذلك أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) كان قاعدا ذات يوم بمكة بفناء الكعبة اذ اجتمع جماعه من رؤساء قريش منهم الوليد بن المغيرة المخزومي و أبو البختری ابن هشام و أبو جهل و العاص بن وائل السهمي و عبد الله بن أبي امية المخزومي، و كان معهم جمع ممن يليهم كثير و رسول الله (صلى الله عليه و اله) في نفر من أصحابه يقرأ عليهم كتاب الله و يؤدي إليهم عن الله أمره و نهيه.

فقال المشركون بعضهم لبعض: لقد استفحل أمر محمد و عظم خطبه، فتعالوا نبدأ بتقريعه و تبكيته و توبيخه و الاحتجاج عليه و إبطال ما جاء به ليهون خطبه على أصحابه و يصغر قدره عندهم، فلعله ينزع عما هو فيه من غيه و باطله و تمرده و طغيانه، فان انتهى و إلا عاملناه بالسيف الباتر.

قال أبو جهل: فمن ذا الذي يلي كلامه و مجادلته؟ قال عبد الله بن أبي امية المخزومي: أنا إلى ذلك، أفما ترضاني له قرنا حسيبا و مجادلا كفتيا؟ قال أبو جهل: بلى، فأتوه بأجمعهم فابتدأ عبد الله بن أبي امية المخزومي، فقال: يا محمد لقد ادعيت دعوى عظيمة و قلت مقالا هائلا، زعمت انك رسول الله رب العالمين، و ما ينبغي لرب العالمين و خالق الخلق أجمعين أن يكون مثلك رسول به بشر مثلنا تأكل كما نأكل و تشرب كما نشرب و تمشى في الأسواق كما نمشى.

فهذا ملك الروم و هذا ملك الفرس لا- يعثان رسولا- إلا- كثير المال عظيم الحال له قصور و دور و فساطيط و خيام و عبيد و خدام، و رب العالمين فوق هؤلاء كلهم فهم عبيده، و لو كنت نبيا لكان معك ملك يصدقك و نشاهده، بل لو أراد الله أن يعث إلينا نبيا لكان انما يعث إلينا ملكا لا بشرا مثلنا، ما أنت يا محمد إلا رجلا مسحورا و لست بنبي.

فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله): هل بقي من كلامك شيء؟ قال: بلى، لو أراد الله أن يعث إلينا رسولا لبعث أجل من فيما بيننا أكثره مالا و أحسنه حالا، فهلا أنزل هذا القرآن الذي تزعم ان الله أنزله عليك و ابتعثك به رسولا على رجل من القريتين عظيم إما الوليد بن المغيرة

بمكه و إما عروه بن مسعود الثقفي بالطائف.

فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله): هل بقى من كلامك شىء يا عبد الله؟ فقال: بلى لن تؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا بمكه هذه، فانها ذات أحجار و عره و جبال، تكسح أرضها و تحفرها و تجرى فيها العيون، فاننا إلى ذلك محتاجون أو تكون لك جنه من نخيل و عنب فتأكل منها و تطعمنا فتفجر الأنهار خلالها خلال تلك النخيل و الأعناب تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا فانك قلت لنا و إن يروا كشفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحابٌ موكومٌ فلعلنا نقول ذلك.

ثم قال: أو تأتي بالله و الملائكه قبيلاً تأتي به و بهم و هم لنا مقابلون، أو يكون لك بيت من زخرف تعطينا منه و تغنينا به فلعلنا نطغي، و انك قلت لنا: كلاً إن الإنسان ليطغي* أن رآه استغنى.

ثم قال: أو ترقى فى السماء أى تصعد فى السماء و لن تؤمن لرقيقك أى لصعودك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه من الله العزيز الحكيم الى عبد الله بن أبى اميه المخزومى و من معه بأن آمنوا بمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب فإنه رسولى و صدقوه فى مقاله انه من عندى، ثم لا أدرى يا محمد اذا فعلت هذا كله أو من بك أو لا أو من بك، بل لو رفعتنا الى السماء و فتحت أبوابها و أدخلتناها لقلنا انما سكرت أبصارنا و سحرتنا.

فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله): يا عبد الله أبقى شىء من كلامك؟ قال: يا محمد أو ليس فيما أوردته عليك كفايه و بلاغ، ما بقى شىء فقل ما بدا لك و أفصح عن نفسك إن كان لك حجه و أتنا بما سألناك به.

فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله): اللهم أنت السامع لكل صوت و العالم بكل شىء تعلم ما قاله عبادك، فأنزل الله عليه، يا محمد و قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام الى قوله رجلاً مسحوراً ثم قال الله تعالى: أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً.

ثم قال: يا محمد ببارك الذى إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجرى من

تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ: يَا مُحَمَّدُ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَصَائِقُ بِهِ صِدْرُكَ الْآيَةَ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ: يَا مُحَمَّدُ وَقَالُوا لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ إِلَىٰ قَوْلِهِ وَلَلْبَشَرُ عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ.

فقال له رسول الله (صلى الله عليه و اله): يا عبد الله أما ما ذكرت من انى آكل الطعام كما تأكلون و زعمت انه لا يجوز لأجل هذا أن أكون لله رسولا- فانما الأمر لله تعالى يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد، و هو محمود و ليس لك و لا لأحد الاعتراض عليه ب لم و كيف، ألا ترى ان الله كيف أفقر بعضا و أغنى بعضا و أذل بعضا و أضح بعضا و أسقم بعضا و شرف بعضا و وضع بعضا، و كلهم ممن يأكل الطعام.

ثم ليس للفقراء أن يقولوا «لم أفقرتنا و أغنيتهم» و لا- للوضعاء أن يقولوا «لم وضعتنا و شرفتهم» و لا- للزمنى و الضعفاء أن يقولوا «لم أزمنا و أضعفتنا و صححتهم» و لا- للأذلاء أن يقولوا «لم أذلتنا و أعزتهم» و لا لقباح الصور أن يقولوا «لم قبحتنا و جمّلتهم» بل ان قالوا ذلك كانوا على ربهم رادّين و له فى أحكامه منازعين و به كافرين. و لكان جوابه لهم:

أنا الملك الخافض الرافع المغنى المفقر المعز المذل المصحح المسقم و أنتم العبيد ليس لكم إلا التسليم لى و الانقياد لحكمى، فان سلمتم كنتم عبادا مؤمنين و إن أبيتم كنتم بى كافرين و بعقوباتى من الهالكين.

ثم أنزل الله عليه: يَا مُحَمَّدُ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَعْنَىٰ آكُلُ الطَّعَامَ وَ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ يَعْنَىٰ قُلْ لَهُمْ: أَنَا فِى الْبَشَرِيَّةِ مِثْلَكُمْ وَ لَكِن رَّبِّى خَصَّنِى بِالنَّبُوَّةِ دُونَكُمْ كَمَا يَخْصُ بَعْضَ الْبَشَرِ بِالْغِنَىٰ وَ الصَّحَّةِ وَ الْجَمَالِ دُونَ بَعْضِ مِنَ الْبَشَرِ، فَلَا تَنْكُرُوا أَن يَخْصِنِى أَيْضًا بِالنَّبُوَّةِ [دُونَكُمْ].

ثم قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): و أما قولك «هذا ملك الروم و ملك الفرس لا يعثان رسولا إلا كثير المال عظيم الحال له قصور و دور و فساطيط و خيام و عبيد و خدام و رب العالمين فوق هؤلاء كلهم فهم عبيده» فان الله له التدبير و الحكم لا يفعل على ظنك و حسابك و لا باقتراحك بل يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد و هو محمود.

يا عبد الله انما بعث الله نبيه ليعلم الناس دينهم و يدعوهم إلى ربهم و يكذب نفسه في ذلك آناء الليل و نهاره، فلو كان صاحب قصور يحتجب فيها و عبيد و خدم يسترونه عن الناس أليس كانت الرسالة تضيع و الأمور تتباطأ، أو ما ترى الملوك اذا احتجوا كيف يجرى الفساد و القبائح من حيث لا يعلمون به و لا يشعرون.

يا عبد الله إنما بعثني الله و لا مال لي ليعرفكم قدرته و قوته و انه هو الناصر لرسوله و لا تقدررون على قتله و لا منعه في رسالته، فهذا بين في قدرته و في عجزكم و سوف يظفرنني الله بكم فأسمعكم قتلا- و أسرا ثم يظفرنني الله ببلاذكم و يستولى عليها المؤمنون من دونكم و دون من يوافقكم على دينكم.

ثم قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): و أما قولك لي «لو كنت نبيا لكان معك ملك يصدقك و نشاهده، بل لو أراد الله أن يبعث إلينا نبيا لكان إنما يبعث ملكا لا- بشرا مثلنا» فالملك لا- تشاهده حواسكم لأنه من جنس هذا الهواء لا عيان منه، و لو شاهدتموه- بأن يزداد في قوى أبصاركم- لقلتم ليس هذا ملكا بل هذا بشر، لأنه انما كان يظهر لكم بصوره البشر الذي ألفتموه لتفهموا عنه مقالته و تعرفوا خطابه و مراده.

فكيف كنتم تعلمون صدق الملك و أن ما يقوله حق، بل انما بعث الله بشرا و أظهر على يده المعجزات التي ليست في طبائع البشر الذين قد علمتم ضمائر قلوبهم فتعلمون بعجزكم عما جاء به انه معجزه و ان ذلك شهاده من الله بالصدق له، و لو ظهر لكم ملك و ظهر على يده ما [تعجزون عنه] [يعجز عنه] [جميع] البشر لم يكن في ذلك ما يدلكم ان ذلك ليس في طبائع سائر أجناسه من الملائكة حتى يصير ذلك معجزا.

ألا- ترون أن الطيور التي تطير ليس ذلك منها بمعجز لأن لها أجناسا يقع منها مثل طيرانها، و لو أن آدميا طار كطيرانها كان ذلك معجزا، فان الله عز و جل سهل عليكم الأمر و جعله بحيث تقوم عليكم حجته و أنتم تقترحون عمل الصعب الذي لا حجه فيه.

ثم قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): و أما قولك «ما أنت إلا رجل مسحور» فكيف أكون كذلك و قد تعلمون اني في صحه التميز و العقل فوقكم فهل جربتم علي منذ نشأت إلى أن

استكملت أربعين سنة خزيه أو زله أو كذبه أو خيانه أو خطأ من القول أو سفها من الرأى، أتظنون أن رجلا يعتصم طول هذه المده بحول نفسه و قوتها أو بحول الله و قوته.

و ذلك ما قال الله أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً إلى أن يثبتوا عليك عمى بحجه أكثر من دعاويهم الباطله التى تبين عليك تحصيل بطلانها.

ثم قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): و أما قولك «لو لا- نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم، الوليد بن المغيرة بمكه أو عروه] بن مسعود الثقفى [بالطائف» فان الله ليس يستعظم مال الدنيا كما تستعظمه أنت و لا خطر له عنده كما له عندك بل لو كانت الدنيا عنده تعدل جناح بعوضه لما سقى كافرا به مخالفا له شربه ماء و ليس قسمه الله إليك بل الله هو القاسم للرحمات و الفاعل لما يشاء فى عبده و إمانه.

و ليس هو عزّ و جلّ ممن يخاف أحدا كما تخافه أنت لماله و حاله فعرفته بالنبوه لذلك، و لا ممن يطمع فى أحد فى ماله أو فى حاله كما تطمع أنت فتخصه بالنبوه لذلك، و لا ممن يحبّ أحدا محبه الهواء كما تحبّ أنت فتقدم من لا يستحقّ التقديم و إنّما معاملته بالعدل، فلا يؤثر أحدا لأفضل مراتب الدين و خلاله إلاّ- الأفضل فى طاعته و الأجدّ فى خدمته، و كذلك لا يؤخر فى مراتب الدين و خلاله إلاّ أشدّهم تباطؤا عن طاعته.

و اذا كان هذا صفته لم ينظر الى مال و لا الى حال بل هذا المال و الحال من تفضله، و ليس لأحد من عباده عليه ضريبه لازب، فلا يقال له: اذا تفضلت بالمال على عبد فلا بد أن تتفضل عليه بالنبوه أيضا، لأنه ليس لأحد اكراهه على خلاف مراده و لا إلزامه تفضلا لأنه تفضل قبله بنعمه.

ألا ترى يا عبد الله كيف أغنى واحدا و قبح صورته، و كيف حسن صورته واحد و أفقره، و كيف شرف واحدا و أفقره، و كيف أغنى واحدا و وضعه. ثم ليس لهذا الغنى أن يقول «هلا أضيف الى يسارى جمال فلان» و لا للجميل أن يقول «هلا أضيف الى جمالى مال فلان»، و لا للشريف أن يقول «هلا أضيف الى شرفى مال فلان» و لا للوضيع أن يقول «هلا اضيف الى ضعفى شرف فلان»، و لكن الحكم لله يقسم كيف يشاء و يفعل كما يشاء،

و هو حكيم فى أفعاله محمود فى أعماله و ذلك قوله تعالى: وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ عَلَيْنَا لَكُنَّا مِنَ الْخَائِبِينَ عَزِيمٌ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

فأحوجنا بعضا الى بعض، أحوجنا هذا الى مال ذلك، و أحوج ذلك الى سلعه هذا و الى خدمته. فترى أجَلَ الملوك و أغنى الأغنياء محتاجا الى أفقر الفقراء فى ضرب من الضروب: إما سلعه معه ليست معه، و إما خدمه يصلح لها لا يتهاى لذلك الملك أن يستغنى إلا به، و إما باب من العلوم و الحكم هو فقير إلى أن يستفيدا من هذا الفقير، فهذا الفقير يحتاج الى مال ذلك الملك الغنى، و ذلك الملك يحتاج إلى علم هذا الفقير أو رأيه أو معرفته.

ثم ليس للملك أن يقول هلا- اجتمع الى مالى علم هذا الفقير، و لا- للفقير أن يقول هلا- اجتمع الى رأى و علمى و ما أتصرف فيه من فنون الحكمه مال هذا الملك الغنى، ثم قال الله: وَ رَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ قُلْ لَهُمْ وَ رَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ أَى ما يجمعه هؤلاء من أموال الدنيا.

ثم قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): و أما قولك لَنْ نُؤْمِنَ لِمَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَثْبُوعًا الى آخر ما قلته، فانك قد اقترحت على محمّد رسول الله أشياء: منها ما لو جاءك به لم يكن برهانا لنبوته و رسول الله (صلى الله عليه و اله) يرتفع عن أن يغتنم جهل الجاهلين و يحتج عليهم بما لا حجه فيه، و منها ما لو جاءك به كان معه هلاكك.

و انما يؤتى بالحجج و البراهين ليلزم عباد الله الايمان بها لا ليهلكوا بها فإنما اقترحت هلاكك و رب العالمين أرحم بعباده و أعلم بمصالحهم من أن يهلكهم كما تقترحون، و منها المحال الذى لا- يصح و لا يجوز كونه و رسول رب العالمين يعرفك ذلك و يقطع معاذيرك و يضيق عليك سبيل مخالفته، و يلجئك بحجج الله إلى تصديقه حتى لا يكون لك عنه محيد و لا محيص، و منها ما قد اعترفت على نفسك أنك فيه معاند متمرد لا تقبل حجه و لا تصغى إلى برهان، و من كان كذلك فدواؤه عذاب الله

النازل من سمائه في جحيمة أو بسيف أوليائه.

فأما قولك يا عبد الله: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَثْبُوعًا بِمَكِهِ هَذِهِ فَانْهَاجِ ذَاتَ أَحْجَارٍ وَصَخُورٍ وَجِبَالٍ تَكْسَحُ أَرْضَهَا وَتَحْفَرُهَا وَتَجْرِي فِيهَا الْعَيُونُ فَانْهَاجِ إِلَى ذَلِكَ مُحْتَاجُونَ، فَانْهَاجِ سَأَلْتَ هَذَا وَأَنْتَ جَاهِلٌ بِدَلَائِلِ اللَّهِ. يَا عَبْدَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ لَوْ فَعَلْتَ هَذَا أَكُنْتَ مِنْ أَجْلِ هَذَا نَبِيًّا؟ قَالَ: لَا.

قال رسول الله: أَرَأَيْتَ الطَّائِفَ الَّتِي لَكَ فِيهَا بَسَاتِينَ أَمَا كَانَ هُنَاكَ مَوَاضِعَ فَاسِدَةٍ صَعِبَةٍ أَصْلَحْتُهَا وَذَلَّتْهَا وَكَسَحْتُهَا وَأَجْرِيَتْ فِيهَا عَيُونًا اسْتَنْبَطْتُهَا؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: وَهَلْ لَكَ فِي هَذَا نَظْرَاءُ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَصَرْتَ أَنْتَ وَهُمْ بِذَلِكَ أَنْبِيَاءُ؟ قَالَ: لَا.

قال: فكذلك لا يصير هذا حجة لمحمد لو فعله على نبوته، فما هو إلا كقولك:

«لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَقُومَ وَتَمْشِيَ عَلَى الْأَرْضِ كَمَا يَمْشِي النَّاسُ أَوْ حَتَّى تَأْكُلَ الطَّعَامَ كَمَا يَأْكُلُ النَّاسُ.»

وَأَمَّا قَوْلُكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ: «أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتَأْكُلُ مِنْهَا وَتَطْعَمُنَا وَتَفْجُرُ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا» أَوْ لَيْسَ لَكَ وَأَصْحَابُكَ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ بِالطَّائِفِ تَأْكُلُونَ وَتَطْعَمُونَ مِنْهَا وَتَفْجُرُونَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا، أَفَصَرْتُمْ أَنْبِيَاءَ بِهَذَا؟ قَالَ: لَا.

قال: فما بال اقتراحكم على رسول الله (صلى الله عليه و اله) أشياء لو كانت كما تقترحون لما دلت على صدقه، بل لو تعاطاها دل تعاطيها على كذبه لأنه يحتج بما لا حجة فيه و يختدع الضعفاء عن عقولهم و أديانهم، و رسول رب العالمين يجبل و يرتفع عن هذا.

ثم قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): يَا عَبْدَ اللَّهِ وَ أَمَا قَوْلُكَ «أَوْ تَسْقُطُ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كَسْفًا» فَانْهَاجِ قَلْبُكَ: «وَأِنْ يَرَوْا كَسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ» فَانْهَاجِ فِي سَقُوطِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ هَلَاكُكُمْ وَ مَوْتُكُمْ فَانْهَاجِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه و اله) أَنْ يَهْلِكَ كَلِمَتُكَ وَ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَرْحَمُ مِنْ ذَلِكَ، لَا يَهْلِكَ كَلِمَتُكَ وَ لَكِنَّهُ يَقِيمُ عَلَيْكَ حُجُجَ اللَّهِ، وَ لَيْسَ حُجُجَ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ وَحْدَهُ عَلَى حَسَبِ اقْتِرَاحِ عِبَادِهِ، لِأَنَّ الْعِبَادَ جِهَالٌ بِمَا

يجوز من الصلاح و ما لا يجوز منه من الفساد،و قد يختلف اقتراحهم و يتضاد حتى يستحيل وقوعه،و الله عزّ و جلّ طبييكم لا يجرى تدبيره على ما يلزم به المحال.

ثم قال رسول الله(صلّى الله عليه و اله):و هل رأيت يا عبد الله طبييا كان دواؤه للمرضى على حسب اقتراحهم،و انما يفعل به ما يعلم صلاحه فيه احبه العليل أو كرهه؟فأنتم المرضى و الله طبييكم،فان انقدتم لدوائه شفاكم و إن تمرتم عليه أسقمكم.

و بعد فمتى رأيت يا عبد الله مدعى حق من قبل رجل أوجب عليه حاكم من حكاهم فيما مضى بينه على دعواه على حسب اقتراح المدعى عليه؟إذا ما كان يثبت لأحد على أحد دعوى و لا حق،و لا كان بين ظالم و مظلوم و لا بين صادق و كاذب فرق.

ثم قال رسول الله:يا عبد الله و أما قولك:«أو تأتي بالله و الملائكة قبيلا يقابلونا و نعاينهم»فإنّ هذا من المحال الذى لا خفاء به،و انّ ربنا عزّ و جلّ ليس كالمخلوقين يجيء و يذهب و يتحرّك و يقابل شيئا حتى يؤتى به،فقد سألتهم بهذا المحال،و أنّما هذا الذى دعوت اليه صفة أصنامكم الضعيفه المنقوصه التى لا تسمع و لا تبصر و لا تعلم و لا تغنى عنكم شيئا و لا عن أحد.

يا عبد الله أو ليس لك ضياع و جنان بالطائف و عقار بمكه و قوام عليها؟قال:بلى.

قال:أفتشاهد جميع أحوالها بنفسك أو بسفراء بينك و بين معامليك؟قال:بسفراء.قال:

أرأيت لو قال معاملوك و اكرتك و خدمتك لسفرائك:«لا نصدقكم فى هذه السفاره الا ان تأتونا بعبد الله بن أبى اميه لنشاهده فسمع ما تقولون عنه شفاها»،كنت تسوغهم هذا أو كان يجوز لهم عندك ذلك؟قال:لا.

قال:فما الذى يجب على سفرائك أليس أن يأتوهم عنك بعلامه صحيحه تدلهم على صدقهم يجب عليهم أن يصدقوهم؟قال:بلى.قال:يا عبد الله أرأيت سفيرك لو أنه لما سمع منهم هذا عاد إليك و قال لك:«قم معى فانهم قد اقترحوا علىّ مجيئك معى أليس يكون هذا لك مخالفا»و تقول له:انما أنت رسول لا مشير و لا آمر؟ قال:بلى.

قال: فكيف صرت تقترح على رسول رب العالمين ما لا تسوغ لأكرتك و معاملتك أن يقترحوه على رسولك إليهم؟! أو كيف أردت من رسول رب العالمين أن يستندم إلى ربّه بأن يأمر عليه و ينهى و أنت لا تسوغ مثل هذا على رسولك إلى أكرتك و قوامك؟! هذه حجة قاطعه لإبطال جميع ما ذكرته في كل ما اقترحته يا عبد الله.

و أما قولك يا عبد الله: «أو يكون لك بيت من زخرف» و هو الذهب، أما بلغك أن لعظيم مصر بيوتا من زخرف؟ قال: بلى. قال: أفصار بذلك نبيا؟ قال: لا. قال:

فكذلك لا يوجب لمحمد (صلى الله عليه و اله) نبوه لو كان له بيوت، و محمد لا يغنم جهلك بحجج الله.

و أما قولك يا عبد الله: «أو ترقى في السيماء»، ثم قلت: «و لن تؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه» يا عبد الله الصعود إلى السيماء أصعب من النزول عنها، و اذا اعترفت على نفسك أنك لا تؤمن اذا صعدت فكذلك حكم النزول، ثم قلت «حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه من بعد ذلك»، ثم لا أدري أو من بك أو لا أو من بك»، فأنت يا عبد الله مقر بأنك تعاند حجة الله عليك، فلا دواء لك إلا تأديبه لك على يد أوليائه من البشر أو ملائكته الزبانية، و قد أنزل على حكمه بالغه جامعه لبطلان كل ما اقترحته.

فقال عز و جل: «قل» يا محمد: [□] سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا [□] ما أبعد ربي عن أن يفعل الأشياء على ما يقترحه الجهال مما يجوز و مما لا يجوز، و هل كنت الا- بشرا رسولا- لا يلزمني إلا إقامة حجة الله التي أعطاني، و ليس لي أن آمر على ربي و لا أنهي و لا أشير فأكون كالرسول الذي بعثه ملك إلى قوم من مخالفه فرجع إليه يأمره أن يفعل بهم ما اقترحوه عليه.

فقال أبو جهل: يا محمّد ههنا واحده ألتست زعمت: ان قوم موسى احترقوا بالصاعقه لما سألوه أن يريهم الله جهره؟ قال: بلى. قال: فلو كنت نبيا لاحترقنا نحن أيضا، فقد سألنا أشدّ ممّا سأل قوم موسى، لأنهم كما زعمت قالوا: «أرنا الله جهره» و نحن نقول: «لن تؤمن لك حتى تأتي بالله و الملائكه قبيلا» نعاينهم.

فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله): يا أبا جهل أما علمت قصة إبراهيم الخليل لما رفع في الملكوت، و ذلك قول ربي: وَ كَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ قَوَى اللَّهُ بصره لما رفعه دون السماء حتى أبصر الأرض و من عليها ظاهرين و مستترين فرأى رجلا و امرأه على فاحشه فدعا عليهما بالهلاك فهلكا، ثم رأى آخرين فدعا عليهما بالهلاك فهلكا.

ثم رأى آخرين فدعا عليهما بالهلاك فهلكا، ثم رأى آخرين فهم بالدعاء عليهما فأوحى الله إليه: يا إبراهيم اكفف دعوتك عن عبادي و إمائي فاني أنا الغفور الرحيم، الجبار الحليم، لا يضرنى ذنوب عبادي كما لا تنفعني طاعتهم، و لست أسوسهم بشفاء الغيظ كسياستك.

فاكفف دعوتك عن عبادي و إمائي فانما أنت عبد نذير لا شريك في الملك و لا ميهمن عليّ و لا عبادي و عبادي معي بين ثلاث: إما تابوا إلىّ فتبت عليهم و غفرت ذنوبهم و سترت عيوبهم، و إما كففت عنهم عذابي لعلمي بأنه سيخرج من أصلابهم ذريات مؤمنون فارقوا بالآباء الكافرين و أتأني بالامهات الكافرات و أرفع عنهم عذابي ليخرج ذلك المؤمن من أصلابهم.

فاذا تزابلوا حل بهم عذابي و حاق بهم بلائي، و إن لم يكن هذا و لا هذا فان الذي أعددت له من عذابي أعظم مما تريده بهم، فان عذابي لعبادي على حسب جلالى و كبريائى، يا إبراهيم خل بينى و بين عبادى فأنا أرحم بهم منك و خل بينى و بين عبادى فاني أنا الجبار الحليم العلام الحكيم ادبرهم بعلمى و أنفذ فيهم قضائى و قدرى (١).

٢- قال أبو محمّد الحسن العسكري (عليه السلام): لما كان رسول الله (صلى الله عليه و اله) بمكة أمره الله تعالى أن يتوجه نحو بيت المقدس فى صلاته، و يجعل الكعبة بينه و بينها اذا أمكن و اذا لم يمكن استقبال بيت المقدس كيف كان، فكان رسول الله (صلى الله عليه و اله) يفعل ذلك طول

ص: ٢١٥

١- (١) مسند الإمام الحسن العسكري: ١٨٩-٢٠٠ عن التفسير المنسوب اليه (عليه السلام): سورة البقره الآية ١٠٨.

مقامه بها ثلاث عشرة سنة، فلما كان بالمدينة و كان متعبدا باستقبال بيت المقدس استقبله و انحرف عن الكعبة سبعة عشر شهرا أو ستة عشر شهرا، و جعل قوم من مرده اليهود يقولون:

«و الله ما درى محمد كيف يصلى حتى صار يتوجه الى قبلتنا و يأخذ في صلاته بهدينا و نسكنا»، فاشتد ذلك على رسول الله (صلى الله عليه و اله) لما اتصل به عنهم و كره قبلتهم و أحب الكعبة، فجاءه جبرئيل (عليه السلام) فقال له رسول الله (صلى الله عليه و اله): يا جبرئيل! الوددت لو صرفنى الله عن بيت المقدس إلى الكعبة فقد تأذيت بما يتصل بى من قبل اليهود من قبلتهم.

فقال جبرئيل (عليه السلام): فاسأل ربك أن يحولك إليها فانه لا يردك عن طلبتك و لا يخيبك من بغيتك، فلما استتم دعاؤه، صعد جبرئيل ثم عاد من ساعته فقال: اقرأ يا محمد قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ الْآيَات.

فقال اليهود عند ذلك: مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا؟ فَأَجَابَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ جَوَابٍ فَقَالَ: قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ وَ هُوَ يَمْلِكُهُمَا وَ تَكْلِيفُهُ التَّحْوِيلَ الِى جَانِبٍ كَتَحْوِيلِهِ لَكُمْ إِلَى جَانِبٍ آخَرَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَصْلِحَتِهِمْ وَ تُوْدِيهِمْ طَاعَتَهُمْ إِلَى جَنَاتِ النِّعَمِ.

٣- قال أبو محمد (عليه السلام): و جاء قوم من اليهود الى رسول الله (صلى الله عليه و اله) فقالوا:

يا محمد هذه القبلة بيت المقدس قد صليت إليها أربع عشرة سنة ثم تركتها الآن، أفحقا كان ما كنت عليه؟ فقد تركته إلى باطل فان ما يخالف الحق باطل أو باطلا كان ذلك فقد كنت عليه طول هذه المدة فما يؤمننا أن تكون الآن على باطل؟

فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله): بل ذلك كان حقا و هذا حق، يقول الله: قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ اِذَا عَرَفَ صِلَاحَكُمْ أَيُّهَا الْعِبَادُ فِي اسْتِقْبَالِكُمُ الْمَشْرِقَ أَمْرَكُمْ بِهِ، وَ إِذَا عَرَفَ صِلَاحَكُمْ فِي اسْتِقْبَالِ الْمَغْرِبِ أَمْرَكُمْ بِهِ، وَ إِنْ عَرَفَ صِلَاحَكُمْ فِي غَيْرِهِمَا أَمْرَكُمْ بِهِ، فَلَا تَنْكُرُوا تَدْبِيرَ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَ قَصْدَهُ إِلَى مَصَالِحِكُمْ.

ثم قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): لقد تركتم العمل يوم السبت ثم عملتم بعده سائر الأيام، ثم تركتموه في السبت ثم عملتم بعده، أفرركم الحق الى الباطل، أو الباطل الى الحق، أو الباطل الى الباطل، أو الحق الى الحق؟ قولوا كيف شئتم فهو قول محمّد و جوابه لكم، قالوا: بل ترك العمل في السبت حق، و العمل بعده حق فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله): فكذلك قبله بيت المقدس في وقته حق، ثم قبله الكعبة في وقته حق.

فقالوا له: يا محمّد أفيءا لربك فيما كان أمرك به بزعمك من الصلاة إلى بيت المقدس حتى نقلك الى الكعبة؟

فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله): ما بدا له عن ذلك فإنه العالم بالعواقب و القادر على المصالح لا يستدرك على نفسه غلطا و لا يستحدث رأيا بخلاف المتقدم جل عن ذلك، و لا يقع عليه أيضا مانع يمنعه من مراده، و ليس يبدو إلا لمن كان هذا وصفه، و هو عز و جل يتعالى عن هذه الصفات علوا كبيرا.

ثم قال لهم رسول الله (صلى الله عليه و اله): أيها اليهود أخبروني عن الله أليس يمرض ثم يصح، و يصح ثم يمرض، أبدا له في ذلك؟ أليس يحيى و يميت، أبدا له في كل واحد من ذلك؟ قالوا: لا. قال: فكذلك الله تعبّد نبيه محمّدا بالصلاة الى الكعبة بعد أن كان تعبّده بالصلاة الى بيت المقدس و ما بدا له في الأول.

ثم قال: أليس الله يأتي بالشتاء في أثر الصيف، و الصيف في أثر الشتاء، أبدا له في كل واحد من ذلك؟ قالوا: لا. قال: فكذلك لم يبد له في القبلة.

قال: ثم قال أليس قد ألزمكم في الشتاء أن تحترزوا من البرد بالثياب الغليظة، و ألزمكم في الصيف أن تحترزوا من الحر؟ أفيءا له في الصيف حين أمركم بخلاف ما كان أمركم به في الشتاء؟ قالوا: لا.

فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله): فكذلكم الله تعبّدكم في وقت لصلاح يعلمه بشيء ثم تعبّدكم في وقت آخر لصلاح يعلمه بشيء آخر، فإذا أطعتم الله في الحالتين استحققتن ثوابه، فأنزل الله تعالى: وَ لِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَنَمَّ وَجْهُ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ

يعنى: اذا توجهتم بأمره فثم الوجه الذى تقصدون منه الله و تأملون ثوابه.

ثم قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): يا عباد الله أنتم كالمرضى و الله رب العالمين كالطبيب فصلاح المرضى فيما يعمله الطبيب و يدبره به لا فيما يشتهي المريض و يقترحه. ألا فسلموا لله أمره تكونوا من الفائزين.

فقيل: يا بن رسول الله فلم أمر بالقبلة الأولى؟ فقال: لما قال الله تعالى:

وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا وَ هِيَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ إِلَّا لِنَعْلَمَ ذَلِكَ مِنْهُ وَ جُودًا بَعْدَ أَنْ عَلَّمْنَاهُ سِجْدَهُ، وَ ذَلِكَ أَنْ هَوَى أَهْلَ مَكَّةَ كَانَ فِي الْكَعْبَةِ.

فأراد الله أن يبين متبعي محمد ممن خالفه باتباع القبلة التي كرهها و محمد يأمر بها، و لما كان هوى أهل المدينة في بيت المقدس أمرهم بمخالفتها و التوجه الى الكعبة ليبين من يوافق محمدا فيما يكرهه، فهو مصدقه و موافقه.

ثم قال: وَ إِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ إِنْ كَانَ التَّوَجُّهُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى مَنْ يَهْدِي اللَّهُ، فعرف أن لله أن يتعبد بخلاف ما يريد المرء لبيتلى طاعته في مخالفه هواه.

٤- و قال أبو محمد (عليه السلام): قال جابر بن عبد الله الأنصاري: سألت رسول الله (صلى الله عليه و اله) عبد الله بن سوريا-غلام يهودى أعور، تزعم اليهود أنه أعلم يهودى بكتاب الله و علوم أنبيائه- عن مسائل كثيرة يعنته فيها فأجابها عنها رسول الله (صلى الله عليه و اله) بما لم يجد الى انكار شيء منه سيلا.

فقال له: يا محمد من يأتيك بهذه الأخبار عن الله؟ قال: جبرئيل. قال: لو كان غيره يأتيك بها لآمنت بك، و لكن جبرئيل عدونا من بين الملائكة، فلو كان ميكائيل أو غيره سوى جبرئيل يأتيك لآمنت بك.

فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله): لم اتخذتم جبرئيل عدوا؟ قال: لأنه ينزل بالبلاء و الشدة على بنى إسرائيل، و دفع «دانيال» عن قتل (بخت نصر) حتى قوى أمره و أهلك بنى

إسرائيل، وكذلك كلّ بأس و شدة لا ينزلها إلاّ جبرئيل، و ميكائيل يأتينا بالرحمة.

فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله): و يحكك أجهلت أمر الله و ما ذنب جبرئيل إلاّ أن أطاع الله فيما يريد بكم؟ أرايتم ملك الموت هل هو عدوكم و قد وكله الله بقبض أرواح الخلق؟ أرايتم الآباء و الأمهات اذا أوجروا الأولاد الدواء الكريهه لمصالحهم، أيجب أن يتخذهم أولادهم أعداء من أجل ذلك؟ لا. و لكنكم بالله جاهلون، و عن حكمه غافلون.

أشهد أن جبرئيل و ميكائيل بأمر الله عاملان و له مطيعان، و انه لا يعادى أحدهما إلاّ من عادى الآخر، و ان من زعم انه يجب أحدهما و يبغض الآخر فقد كفر و كذب، و كذلك محمّد رسول الله و على أخوان، كما أن جبرئيل و ميكائيل اخوان فمن أحبهما فهو من أولياء الله، و من أبغضهما فهو من أعداء الله، و من أبغض أحدهما و زعم انه يجب الآخر فقد كذب و هما منه بريتان و الله تعالى و ملائكته و خيار خلقه منه براء.

و قال أبو محمد (عليه السّلام): كان سبب نزول قوله تعالى: **قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيْلَ مَا كَانَ مِنَ الْيَهُودِ** أعداء الله من قول سىء فى جبرئيل و ميكائيل و ما كان من أعداء الله النّصاب من قول أسوأ منه فى الله و فى جبرئيل و ميكائيل و سائر ملائكة الله.

أما ما كان من النّصاب: فهو أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) لما كان لا يزال يقول فى على (عليه السّلام) الفضائل التى خصه الله عز و جل بها، و الشرف الذى نحلّه الله تعالى، و كان فى كل ذلك يقول: أخبرنى به جبرئيل (عليه السّلام) عن الله، و يقول فى بعض ذلك جبرئيل عن يمينه و ميكائيل عن يساره، و يفتخر جبرئيل على ميكائيل فى أنه عن يمين على (عليه السّلام) الذى هو أفضل من اليسار، كما يفتخر نديم ملك عظيم فى الدنيا يجلسه الملك عن يمينه على النديم الآخر الذى يجلسه على يساره، و يفتخران على إسرافيل الذى خلفه بالخدمه، و ملك الموت الذى أقامه بالخدمه و ان اليمين و اليسار أشرف من ذلك، كافتخار حاشيه الملك على زياده قرب محلهم من ملكهم.

و كان رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول فى بعض أحاديثه: -إن الملائكة أشرفها عند الله أشدها لعلى بن أبى طالب (عليه السّلام) حبا، و انه قسم الملائكة فيما بينها و الذى شرف عليا على

جميع الورى بعد محمد المصطفى. و يقول مره: إن ملائكه السماوات و الحجب ليشتاقون الى رؤيه على بن أبى طالب (عليه السلام) كما تشتاق الوالده الشفيقه الى ولدها البار الشفيق آخر من بقى عليها بعد عشره دفتهم، فكان هؤلاء النصاب يقولون: إلى متى يقول محمد: جبرئيل، و ميكائيل، و الملائكه، كل ذلك تفخيم لعلى و تعظيم لشأنه، و يقول الله تعالى لعلى خاص من دون سائر الخلق، برثنا من رب و من ملائكه و من جبرئيل و من ميكائيل هم لعلى بعد محمد مفضلون، و برثنا من رسل الله الذين هم لعلى بعد محمد مفضلون.

و أما ما قاله اليهود: فهو ان اليهود أعداء الله، لما قدم رسول الله (صلى الله عليه و اله) المدينة أتوه بعبد الله بن سوريا فقال: يا محمد كيف نومك فانا قد أخبرنا عن نوم النبي (صلى الله عليه و اله) الذى يأتي فى آخر الزمان؟ فقال: تنام عيني و قلبى يقظان. قال: صدقت يا محمد.

ثم قال: فأخبرنى يا محمد الولد يكون من الرجل أو من المرأة؟ فقال النبي (صلى الله عليه و اله):

أما العظام و العصب و العروق فمن الرجل، و أما اللحم و الدم و الشعر فمن المرأة. قال:

صدقت يا محمد.

ثم قال: يا محمد فما بال الولد يشبه أعمامه ليس فيه من شبه أخواله شىء، و يشبه أخواله ليس فيه من شبه أعمامه شىء؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله): أيهما علا مأوه ماء صاحبه كان الشبه له. قال: صدقت يا محمد، فأخبرنى عن من لا يولد له و من يولد له؟ فقال (صلى الله عليه و اله):

إذا مغرت النطفه لم يولد له - أى: إذا حمرت و كدرت - فإذا كانت صافيه ولد له.

فقال: أخبرنى عن ربك ما هو؟ فنزلت: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ الى آخرها فقال ابن سوريا: صدقت خصله بقيت لى إن قلتها آمنت بك و اتبعتك. أى ملك يأتيك بما تقوله عن الله؟ قال: جبرئيل. قال ابن سوريا: ذاك عدونا من بين الملائكه ينزل بالقتل و الشده و الحرب، و رسولنا ميكائيل يأتي بالسرور و الرخاء فلو كان ميكائيل هو الذى يأتيك آمنا بك لان ميكائيل كان مسدد ملكنا و جبرئيل كان مهلك ملكنا، فهو عدونا لذلك.

فقال له سلمان الفارسى (رضى الله عنه): و ما بدء عداوته لكم؟ قال: نعم يا سلمان، عادانا مرارا كثيره، و كان من أشد ذلك علينا ان الله أنزل على أنبيائه ان بيت المقدس يخرب على

يد رجل يقال «بخت نصر» و في زمانه، و أخبرنا بالحين الذى يخرب فيه، و الله يحدث الأمر بعد الأمر فيمحو ما يشاء و يثبت.

فلما بلغنا ذلك الخبر الذى يكون فيه هلاك بيت المقدس بعث أوائلنا رجلا من أقوياء بنى إسرائيل و أفاضلهم نبيا كان يعد من أنبيائهم يقال له «دانيال» فى طلب بخت نصر ليقتله، فحمل معه و قر مال لينفقه فى ذلك، فلما انطلق فى طلبه لقيه ببابل غلاما ضعيفا مسكينا ليس له قوه و لا منعه، فأخذه صاحبا ليقتله فدفع عنه جبرئيل و قال لصاحبنا:

إن كان ربكم هو الذى أمر بهلا-كمم فان الله لا- يسلطك عليه، و إن لم يكن هذا فعلى أى شىء تقتله؟ فصدقه صاحبا و تركه و رجع إلينا فأخبرنا بذلك. و قوى بخت نصر و ملك، و غزانا و خرب بيت المقدس فلهدا نتخذه عدوا، و ميكائيل عدو لجبرئيل.

فقال سلمان: يا بن سوريا، فبهذا العقل المسلوك به غير سبيله ضللتهم؟ أرأيتهم أوائلكم كيف بعثوا من يقتل بخت نصر و قد أخبر الله تعالى فى كتبه على ألسنه رسله انه يملك و يخرب بيت المقدس؟ أرادوا تكذيب أنبياء الله فى أخبارهم أو اتهموهم فى أخبارهم أو صدقوهم فى الخبر عن الله و مع ذلك أرادوا مغالبه الله، هل كان هؤلاء و من وجهوه إلا كفارا بالله؟ و أى عداوه يجوز أن يعتقد لجبرئيل و هو يصدده عن مغالبه الله عز و جل و ينهى عن تكذيب خبر الله تعالى؟

فقال ابن سوريا: قد كان الله تعالى أخبر بذلك على ألسن أنبيائه، و لكنه يمحو ما يشاء و يثبت قال سلمان: فاذا لا تثقون بشىء مما فى التوراه من الأخبار عما مضى و ما يستأنف فان الله يمحو ما يشاء و يثبت، و اذا لعل الله قد كان عزل موسى و هارون عن النبوه و أبطلا فى دعوتهما لأن الله يمحو ما يشاء و يثبت، و لعل كلما أخبراكم به عن الله انه يكون لا يكون و ما أخبراكم به انه لا يكون لعله يكون.

و كذلك ما أخبراكم انه لم يكن لعله كان، و لعل ما وعده من الثواب يمحوه و لعل ما توعد به من العقاب يمحوه، فانه يمحو ما يشاء و يثبت. انكم جهلتم معنى يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ. فلذلك أنتم بالله كافرون، و لأخباره عن الغيوب مكذبون و عن

مجري دم البراغيث، و هل يجوز أحد أن يقيس بدم البقّ على البراغيث فيصلى فيه و أن يقيس على نحو هذا فيعمل به؟ فوقّع (عليه السّلام): يجوز الصلاة و الطهر منه أفضل (١).

٢- عن الحسن بن راشد قال: قال الفقيه العسكري (عليه السّلام): ليس فى الغسل و لا فى الوضوء مضمضه و لا استنشاق (٢).

باب الصلاة:

١- عن محمد بن عبد الجبار قال: كتبت إلى أبى محمد (عليه السّلام) أسأله: هل يصلى فى قلنسوه حرير محض أو قلنسوه ديباج؟

فكتب (عليه السّلام): لا تحلّ الصلاة فى حرير محض (٣).

٢- عن اسماعيل بن سعد الأشعري قال: سألته عن الثوب الابرسم هل يصلى فيه الرجل؟ قال: لا (٤).

٣- عن محمد بن عبد الجبار قال: كتبت إلى أبى محمد (عليه السّلام) أسأله: هل يصلّى فى قلنسوه عليها و بر ما لا يؤكل لحمه أو تكّه حرير محض أو تكّه من وبر الأرانب؟

فكتب: لا تحلّ الصلاة فى الحرير المحض فإن كان الوبر ذكيا حلّت الصلاة فيه إن شاء الله (٥).

٤- عن سليمان بن حفص المروزى، عن الرجل العسكري (عليه السّلام) قال:

إذا انتصف الليل ظهر بياض فى وسط السماء شبه عمود من حديد تضىء له الدنيا فيكون ساعه و يذهب، ثم تظلم، فإذا بقى ثلث الليل الأخير ظهر بياض من قبل المشرق فأضاءت

ص: ٢٢٣

١- (١) الكافي: ٦٠/٣.

٢- (٢) الاستبصار: ١١٨/١، ب ٧١، ح ٤.

٣- (٣) الكافي: ٣٩٩/٣، ح ١٠، الاستبصار: ٣٨٥/١، ب ٢٥٥، ح ١.

٤- (٤) الاستبصار: ٣٨٥/١، ب ٢٥٥، ح ٢.

٥- (٥) الاستبصار: ٣٨٣/١، ب ٢٢٣، ح ١١.

له الدنيا فيكون ساعه ثم يذهب؛ و هو وقت صلاه الليل، ثم تظلم قبل الفجر، ثم يطلع الفجر الصادق من قبل المشرق، قال: و من أراد أن يصلّى في نصف الليل فيطول؛ فذلك له (١).

٥- عن عبد الله بن جعفر قال: كتبت إليه -يعنى أبا محمد (عليه السلام)- يجوز للرجل أن يصلّى و معه فأره مسك؟ فكتب: لا بأس به إذا كان ذكياً (٢).

٦- على بن محمد، عن محمد بن أحمد بن مطهر أنه كتب إلى أبي محمد (عليه السلام) يخبره بما جاءت به الرواية: أنّ النبي (صلّى الله عليه و اله) كان يصلّى في شهر رمضان و غيره من الليل ثلاث عشرة ركعه، منها الوتر و ركعه الفجر.

فكتب (عليه السلام): فضّ الله فاه؛ صلّى من شهر رمضان في عشرين ليلة، كل ليلة عشرين ركعه، ثماني بعد المغرب، و اثنتي عشرة بعد العشاء الآخرة، و اغتسل ليلة تسع عشرة و ليلة إحدى و عشرين و ليلة ثلاث و عشرين، و صلّى فيهما ثلاثين ركعه: اثنتي عشرة بعد المغرب، ثماني عشرة بعد عشاء الآخرة، و صلّى فيها مائه ركعه، يقرأ في كلّ ركعه فاتحه الكتاب، و قل هو الله أحد عشر مرات و صلّى إلى آخر الشهر كلّ ليلة ثلاثين ركعه، كما فسرت لك (٣).

باب الصوم:

١- محمد بن يحيى عن محمد قال: كتبت إلى الأخير (عليه السلام): رجل مات و عليه قضاء من شهر رمضان عشرة أيام و له وليان، هل يجوز لهما أن يقضيا عنه جميعاً؛ خمسة أيام أحد الوليين، و خمسة أيام الآخر؟ فوقع (عليه السلام): يقضى عنه أكبر وليه عشرة أيام و لاء، إن شاء الله (٤).

ص: ٢٢٤

١- (١) التهذيب: ١١٨/٢، ح ٤٤٥.

٢- (٢) التهذيب: ٣٦٢/٢، ب ١٧، ح ٣٣.

٣- (٣) الكافي: ١٥٥/٤، ح ٤، الاستبصار: ٤٦٣/١، ب ٢٨٧، ح ١٢.

٤- (٤) الكافي: ١٢٤/٤، ح ٥، الاستبصار: ١٠٨/٢، ب ٥٧، ح ٤.

٢- وكتب حمزه بن محمد إلى أبي محمد (عليه السلام): لم فرض الله الصوم؟ فورد في الجواب: ليجد الغنى مسّ الجوع؛ فيحنّ على الفقير (١).

٣- روى الصدوق عن أبي الحسن علي بن الحسن بن الفرّج المؤذن، قال: حدثني محمد بن الحسن الكرخي، قال: سمعت الحسن بن علي (عليه السلام) يقول لرجل في داره: يا أبا هارون من صام عشره أشهر رمضان متواليات دخل الجنة (٢).

٤- وروى محمد بن عيسى، عن علي بن بلال، قال: كتبت إلى الطيّب العسكري (عليه السلام): هل يجوز أن يعطى الفطره عن عيال الرجل، وهم عشره، أقل أو أكثر، رجلاً محتاجاً موافقاً؟

فكتب (عليه السلام): نعم، افعل ذلك (٣).

باب الخمس و الزكاة:

١- روى الكليني عن علي بن محمد عن سهل بن زياد عن محمد بن عيسى عن محمد بن الريان، قال: كتبت إلى العسكري (عليه السلام): جعلت فداك روى لنا أن ليس لرسول الله (صلى الله عليه و اله) من الدنيا إلا الخمس، فجاء الجواب: إن الدنيا و ما عليها لرسول الله (صلى الله عليه و اله) (٤).

٢- و قال الشيخ الطوسي: و روى الريان بن الصلت، قال: كتبت إلى أبي محمد (عليه السلام): ما الذي يجب عليّ يا مولاي في غله رحي في أرض قطيعه لي و في ثمن سمك و بردى و قصب أبيعه من أجمه هذه القطيعه؟

ص: ٢٢٥

١- ((١)) رواه الكليني في الكافي: ١٨١/٤، ح ٦ بتفاوت، من لا يحضره الفقيه: ٤٣/٣، ب ٢١، ح ٣.

٢- ((٢)) الخصال: ٥٩، أبواب العشره.

٣- ((٣)) من لا يحضره الفقيه: ١١٧/٢.

٤- ((٤)) الكافي: ٤٠٩/١، ص ٦.

فكتب (عليه السلام): يجب عليك فيه الخمس، إن شاء الله تعالى (١).

باب الحج:

١- وكتب إليه علي بن محمد الحضيبي: أن ابن عمي أوصى أن يحج عنه بخمسة عشر ديناراً في كل سنة، فليس يكفي: فما تأمرني في ذلك؟

فكتب (عليه السلام): تجعل حجتين في حجه، إن الله عالم بذلك (٢).

باب النكاح و الطلاق:

١- روى الكليني عن محمد بن يحيى عن عبد الله بن جعفر قال: كتبت إلى أبي محمد (عليه السلام): امرأة أرضعت ولد الرجل هل يحل لذلك الرجل أن يتزوج ابنة هذه المرضعة، أم لا؟ فوقع (عليه السلام): لا، لا تحل له (٣).

٢- وكتب محمد بن الحسن الصفار إلى أبي محمد الحسن بن علي (عليه السلام) في امرأة مات عنها زوجها و هي في عده منه. و هي محتاجة لا تجد من ينفق عليها، و هي تعمل للناس، هل يجوز لها أن تخرج و تعمل و تبيت عن منزلها للعمل و الحاجة في عدتها.

قال: فوقع (عليه السلام): لا بأس بذلك، إن شاء الله (٤).

باب القضاء و الشهادات:

١- وكتب إليه في رجل قال لرجلين: إشهدا أن جميع الدار التي له في موضع كذا و كذا بحدودها كلها لفلان ابن فلان، و جميع ما له في الدار من المتاع و البنية لا تعرف المتاع؛ أي شيء هو؟

ص: ٢٢٦

١- (١) التهذيب: ١٣٩/٤، ح ١٦.

٢- (٢) الكافي: ٣١٠/٤، ح ٢، من لا يحضره الفقيه: ٢٧٢/٢، ب ١٦٦، ح ٣.

٣- (٣) الكافي: ٥، ص ٤٤٧، ح ١٨، من لا يحضره الفقيه: ٣٠٦/٣، ب ١٤٦، ح ٩.

٤- (٤) من لا يحضره الفقيه: ٣٢٨/٣، ب ١٥٩، ح ١٢.

فوق (عليه السلام): يصلح إذا أحاط الشراء بجميع ذلك إن شاء الله (١).

٢- وكتب محمد بن الحسن الصفار (رضى الله عنه) إلى أبي محمد الحسن بن علي (عليهما السلام) في رجل أراد أن يشهد على امرأه ليس لها بمحرم، هل يجوز له أن يشهد عليها من وراء الستر و يسمع كلامها إذا شهد عدلان أنها فلانة بنت فلان، التي تشهدك و هذا كلامها، أو لا تجوز الشهادة عليها حتى تبرزن و تثبتها بعينها؟

فوق (عليه السلام): تتقب و تظهر للشهود، إن شاء الله (٢).

٣- كتب محمد بن الحسن الصفار (رضى الله عنه) إلى أبي محمد الحسن بن علي (عليهما السلام):

هل تقبل شهادة الوصي للميت بدين له على رجل مع شاهد آخر عدل؟

فوق (عليه السلام): إذا شهد معه آخر عدل فعلى المدعى يمين.

٤- وكتب إليه أيجوز للوصي أن يشهد لوارث الميت صغيرا أو كبيرا بحق له على الميت أو على غيره، و هو القابض للوارث الصغير و ليس للكبير بقابض؟

فوق (عليه السلام): نعم، و ينبغي للوصي أن يشهد بالحق و لا يكتم شهادته.

٥- وكتب إليه: أو تقبل شهادة الوصي على الميت بدين مع شاهد آخر عدل؟

فوق (عليه السلام): نعم، من بعد يمين (٣).

باب الوصية:

١- وكتب محمد بن الحسن الصفار (رضى الله عنه) إلى أبي محمد الحسن بن علي (عليهما السلام): رجل أوصى بثلث ماله في مواليه، الذكر و الانثى فيه سواء؟ أو للذكر مثل حظ الانثيين من الوصية؟

ص: ٢٢٧

١- ((١)) الكافي: ٤٠٢/٧، ذيل حديث ٤ بتفاوت، من لا يحضره الفقيه: ١٥٣/٣، ب ٧٣، ح ١٠.

٢- ((٢)) من لا يحضره الفقيه: ٤٠/٣، ب ٢٩، ح ٢، الاستبصار: ١٩/٣، ب ١٣، ح ٢.

٣- ((٣)) الكافي: ٣٩٤/٧، ح ٣، من لا يحضره الفقيه: ٤٣/٣، ب ٣٣، ح ١.

فوق (عليه السلام): جازي للميت ما أوصى به علي ما أوصى به، إن شاء الله (١).

٢- ما رواه محمد بن أحمد بن يحيى، عن محمد بن عبد الجبار قال:

كتبت إلى العسكري (عليه السلام): امرأه أوصت إلى رجل، وأقرت له بدين ثمانية آلاف درهم، وكذلك ما كان لها من متاع البيت من صوف و شعر و شبه و صفر و نحاس و كل مالها؛ أقرت به للموصى إليه، وأشهدت على وصيتها، وأوصت أن تحج عنها من هذه التركة حجتان و يعطى مولاه لها أربعمائه درهم، وماتت المرأة و تركت زوجها فلم ندر كيف الخروج من هذا؛ واشتبه الأمر علينا، و ذكر كاتب: أن المرأة استشارته أن يكتب لها ما يصح لهذا الوصي، فقال: لا يصح تركتك إلا بإقرارك له بدين بشهادة الشهود و تأمرينه بعدها أن ينفذ ما توصينه به، فكتب له بالوصيه على هذا و أقرت للوصي بهذا الدين فأريك أدام الله عزك في مسأله الفقهاء قبلك عن هذا و تعريفنا بذلك لنعمل به، إن شاء الله؟

فكتب بخطه (عليه السلام): إن كان الدين صحيحا معروفا مفهوما، فيخرج الدين من رأس المال، إن شاء الله، و إن لم يكن الدين حقا، أنفذ لهما ما أوصت به من ثلثها؛ كفى أو لم يكف (٢).

٣- كتب محمد بن الحسن الصفار (رضي الله عنه) إلى أبي محمد الحسن بن علي (عليهما السلام):

رجل أوصى إلى رجلين أيجوز لأحدهما أن ينفرد بنصف التركة و الآخر بالنصف.

فوق (عليه السلام): لا ينبغي لهما أن يخالفا الميت و يعملان على حسب ما أمرهما، إن شاء الله (٣).

ص: ٢٢٨

١- ((١)) الكافي: ٤٥/٧، ح ٢، من لا يحضره الفقيه: ١٥٥/٤، ب ١٠٣، ح ٣.

٢- ((٢)) الاستبصار: ١١٣/٤، ب ٦٨، ح ٩.

٣- ((٣)) الكافي: ٤٦/٧، ح ١، بتفاوت و فيه: رجل مات و أوصى، من لا يحضره الفقيه: ١٥١/٤، ب ٩٩، ح ١، الاستبصار: ١١٨/٤، ب ٧٣، ح ١.

باب الوقف:

قال محمد بن الحسن الصفار: كتبت إلى أبي محمد (عليه السلام) أسأله عن الوقف الذي يصح كيف هو؟ فقد روى أن الوقف إذا كان غير موقت فهو باطل مردود على الورثة، وإذا كان موقتا فهو صحيح ممضى، وقال قوم: إن الموقت هو الذي يذكر فيه: أنه وقف على فلان و عقبه، فإذا انقرضوا فهو للفقراء و المساكين إلى أن يرث الله عز و جل الأرض و من عليها و قال آخرون:

هذا موقت اذا ذكر انه لفلان و عقبه ما بقوا، و لم يذكر في آخره للفقراء و المساكين الى أن يرث الله الأرض و من عليها، و الذي هو غير موقت أن يقول: هذا وقف، و لم يذكر أحدا، فما الذي يصح من ذلك و ما الذي يبطل؟

فوقع (عليه السلام): الوقف بحسب ما يوقفها [أهلها]، إن شاء الله (١).

باب الارث:

سأل الفهفكي أبا محمد (عليه السلام): المسكينه الضعيفه تأخذ سهما واحدا و يأخذ الرجل سهمين؟ قال أبو محمد (عليه السلام): إن المرأه ليس عليها جهاد و لا نفقه و لا عليها معلقه، إنما ذلك على الرجال.

فقلت في نفسي قد كان قيل لى إن ابن أبي العوجاء سأل أبا عبد الله عن هذه المسأله فأجاب بهذا الجواب، فأقبل أبو محمد (عليه السلام) علي فقال: نعم، هذه المسأله مسأله ابن أبي العوجاء، و الجواب منّا واحد، إذا كان معنى المسأله واحدا، جرى لآخرنا ما جرى لأولنا، و أولنا و آخرنا فى العلم سواء، و لرسول الله (صلّى الله عليه و اله) و أمير المؤمنين (عليه السلام) فضلهما (٢).

ص: ٢٢٩

١- (١) الكليني فى الكافي: ٣٧/٧، ح ٣٤ رواه الصدوق فى الفقيه: ١٧٦/٤، ب ١٢٨، ح ١ باختصار. و فيه «.. فوقع (عليه السلام): الوقف تكون على

حسب ما يوقفها أهلها، إن شاء الله» الاستبصار: ١٠٠/٤، ب ٦٢، ح ٢.

٢- (٢) الكافي: ٨٥/٧، ح ٢، كشف الغمه: ٢١٠/٣.

١- وروى عن محمد بن علي بن محبوب قال: كتب رجل إلى الفقيه (عليه السلام) في رجل كانت له رحي على نهر قريه، و القريه لرجل أو لرجلين، فأراد صاحب القريه أن يسوق الماء إلى قريه في غير هذا النهر الذي عليه هذه الرحي و يعطل هذه الرحي، أله ذلك أم لا؟

فوقع (عليه السلام): يتقى الله، و يعمل في ذلك بالمعروف، و لا يضار أخاه المؤمن.

٢- و في رجل كانت له قناه في قريه فأراد رجل آخر أن يحفر قناه أخرى فوقه، ما يكون بينهما في البعد حتى لا يضرب بالآخرى في أرض إذا كانت صعبه أو رخوه.

فوقع (عليه السلام): عليه على حسب أن لا يضرب أحدهما بالآخر، إن شاء الله (١).

٣- و كتب محمد بن الحسن الصفار (رضي الله عنه) إلى أبي محمد الحسن بن علي (عليهما السلام) يقول: رجل يذرق القوافل من غير أمر السلطان في موضع مخيف و يشارطونه على شيء مسمى، أله أن يأخذه منهم أم لا؟

فوقع (عليه السلام): إذا و اجر نفسه بشيء معروف أخذ حقه، إن شاء الله (٢).

٤- محمد بن يحيى عن عبد الله بن جعفر قال: كتبت إلى الرجل أسأله عن رجل اشترى جزورا أو بقره للأضاحي فلما ذبحها وجد في جوفها صرّه فيها دراهم أو دنانير أو جوهره، لمن يكون ذلك؟

فوقع (عليه السلام): عرفها البايع فإن لم يكن يعرفها؛ فالشيء لك، رزقك الله إياه (٣).

٥- محمد بن الحسن، قال: كتبت إليه (عليه السلام) في رجل باع بستانا فيه شجر

ص: ٢٣٠

١- ((١)) رواه الكليني في الفروع: ٢٩٣/٥، ح ٥ عن محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين قال: كتبت إلى أبي محمد... بتفاوت، من لا يحضره

الفقيه: ١٥٠/٣، ب ٧١، ح ١٠

٢- ((٢)) من لا يحضره الفقيه: ١٠٦/٣، ب ٥٨، ح ٨٨

٣- ((٣)) الكافي (الفروع): ١٣٩/٥، ح ٩.

وكرم، فاستثنى شجره منها. هل له ممر إلى البستان إلى موضع شجرته التي استثناه؟ وكم لهذه الشجرة التي استثناه من الأرض التي حولها، بقدر أغصانها؟ أو بقدر موضعها التي هي نابتة فيه؟ فوقع (عليه السلام): له من ذلك على حسب ما باع و أمسك، فلا يتعدى الحق في ذلك، إن شاء الله (١).

٦- وكتب محمد بن الحسن الصفار إلى أبي محمد (عليه السلام) في رجل اشترى من رجل أرضاً بحدودها الأربعة، وفيها زرع و نخل و غيرها من الشجر، و لم يذكر النخل و لا الزرع و لا الشجر في كتابه و ذكر فيه: أنه قد اشتراها بجميع حقوقها الداخلة فيها و الخارجة منها، أيدخل الزرع و النخل و الأشجار في حقوق الأرض، أم لا؟ فوقع (عليه السلام): إذا ابتاع الأرض بحدودها و ما أغلق عليه بابها؛ فله جميع ما فيها، إن شاء الله (٢).

٧- محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين قال: كتبت إلى أبي محمد (عليه السلام): رجل دفع إلى رجل وديعه فوضعها في منزل جاره فضاعت، فهل يجب عليه إذا خالف أمره و أخرجها من ملكه؟

فوقع (عليه السلام): هو ضامن لها، إن شاء الله (٣).

٨- روى عن محمد بن علي بن محبوب، قال: كتب رجل إلى الفقيه (عليه السلام): في رجل دفع ثوبا إلى القصار ليقصره، فدفعه القصار إلى قصار غيره ليقصره، فضاع الثوب، هل يجب على القصار أن يرد ما دفعه إلى غيره إن كان القصار مأمونا؟

فوقع (عليه السلام): هو ضامن له إلا أن يكون ثقة مأمونا، إن شاء الله (٤).

ص: ٢٣١

١- (١) التهذيب: ٩٠/٧، ح ٢٤.

٢- (٢) التهذيب: ١٣٨/٧، ح ٨٤.

٣- (٣) الكافي: ٢٣٩/٥، ح ٩، الفقيه: ١٩٤/٣، ب ٩٤، ح ٣، بتفاوت.

٤- (٤) من لا يحضره الفقيه: ١٦٣/٣، ب ٧٦، ح ١٤.

و كتب عبد الله بن جعفر الحميري إلى أبي محمد الحسن بن علي (عليهما السلام) أنه روى عن الصالحين (عليهم السلام) أن: اختنوا أولادكم يوم السابع يطهروا، فإن الأرض تضحج إلى الله عز وجل من بول الأغلف. وليس -جعلني الله فداك- لحجامي بلدنا حذق بذلك، ولا يختونه يوم السابع، عندنا حجام من اليهود، فهل يجوز لليهود أن يختنوا أولاد المسلمين، أم لا؟

فوقع (عليه السلام): يوم السابع فلا تخالفوا السنن إن شاء الله (١).

المختار من ترائه (عليه السلام) في الدعاء

١- روى ابن فهد عن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) أنه قال: من أنس بالله استوحش من الناس و علامه الأُنس بالله الوحشه من الناس. (٢).

٢- روى عنه قوله (عليه السلام): ارفع المسئلة ما وجدت التحمل يمكنك فان لكل يوم رزقا جديدا.

واعلم ان الإلحاح في المطالب يسلب البهاء، ويورث التعب والعناء، فاصبر حتى يفتح الله لك بابا يسهل الدخول فيه، فما أقرب الصنع من الملهوف والأمن من الهارب المخوف، فربما كانت الغير نوعا من أدب الله؛ والحظوظ مراتب، فلا تعجل على ثمره لم تدرك فانما تنالها في أوانها.

واعلم ان المدير لك اعلم بالوقت الذي يصلح حالك فيه، فثق بخيرته في جميع امورك يصلح حالك.

ولا تعجل بحوائجك قبل وقتها فيضيق قلبك و صدرك و يغشاك القنوط.

واعلم ان للحياء مقدارا فإن زاد عليه فهو سرف، وان للحزم مقدارا فإن زاد عليه

ص: ٢٣٢

١- ((١)) الكافي: ٣٥/٦، ح ٣، بتفاوت، من لا يحضره الفقيه: ٣/٣١٤، ب ١٤٩، ح ١٧.

٢- ((٢)) عده الداعي: ١٩٤.

و احذر كل زكى ساكن الطرف، ولو عقل أهل الدنيا خربت (١).

٣-سأل أبو محمّد عبد الله بن محمّد العابد بالداليه أبا محمد الحسن بن علي (عليهما السّلام) فى منزله بسرّ من رأى سنه خمس و خمسين و مأتين أن يملى عليه من الصّلاه على النّبي و أوصيائه عليه و عليهم السّلام و أحضر معه قرطاسا كبيرا فأملى عليه من غير كتاب:

اللّهم صلّ على محمّد كما حمل وحيك و بلغ رسالاتك.

و صلّ على محمّد كما احلّ حلالك و حرّم حرامك و علّم كتابك.

و صلّ على محمّد كما اقام الصّلاه و آتى الزّكاه و دعا الى دينك.

و صلّ على محمّد كما صدّق بوعدك و اشفق من وعيدك.

و صلّ على محمد كما غفرت به الذّنوب و سترت به العيوب و فرّجت به الكروب و صلّ على محمد كما دفعت به الشقاء و كشفت به الغماء و أجت به الدّعاء و نجّيت به من البلاء.

و صلّ على محمّد كما رحمت به العباد و احببت به البلاد و قصمت به الجابره و اهلكت به الفراعنه.

و صلّ على محمّد كما اضعفت به الأموال و احرزت به من الأهوال و كسرت به الأصنام و رحمت به الأنام.

و صلّ على محمّد كما بعثته بخير الأديان و اعززت به الايمان و تبرت به الأوثان و عظّمت به البيت الحرام.

و صلّ على محمّد و اهل بيته الطّاهرين الأخيار و سلّم تسليما.

اللّهم صلّ على امير المؤمنين عليّ بن ابى طالب اخى نبيّك و وصيه و وليه و صفيه و وزيره و مستودع علمه و موضع سرّه و باب حكّمته و التّاطق بحجّته و الدّاعى الى شريعته و خليفته فى امته و مفرّج الكرب عن وجهه قاصم الكفره و مرغم الفجره الذى جعلته من

ص: ٢٣٣

نبيك بمنزله هرون من موسى.

اللَّهُمَّ وَا ل مِنْ وَالَاهِ وَ عَادَ مِنْ عَادَاهِ وَ انصَرَ مِنْ نَصْرِهِ وَ اخذَ مِنْ خِذْلِهِ وَ العنْ مِنْ نَصْبِ لِهْ مِنْ الْاَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ وَ صَلِّ عَلَيْهِ اَفْضَلَ مَا صَلَّيْتَ عَلَيْهِ اَحَدَ مِنْ اَوْصِيَاءِ اَنْبِيَاءِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى الصِّدِّيقِ فَاطِمَةَ الزَّكِيَّةِ حَبِيبَةِ حَبِيبِكَ وَ نَبِيِّكَ وَ اُمَّ اَحْبَائِكَ وَ اَصْفِيَاءِكَ الَّتِي اَنْتَجَبْتَهَا وَ فَضَّلْتَهَا وَ اخْتَرْتَهَا عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ اللَّهُمَّ كُنِ الطَّالِبَ لَهَا مَمَّنْ ظَلَمَهَا وَ اسْتَخَفَّ بِحَقِّهَا وَ كُنِ الثَّائِرَ اللَّهُمَّ بِدَمِ اَوْلَادِهَا اللَّهُمَّ وَ كَمَا جَعَلْتَهَا اُمَّ اَنْثَمَهُ الْهَدَى وَ حَلِيلَةَ صَاحِبِ اللُّوَاءِ وَ الْكِرِيمَةِ عِنْدَ الْمَلَأِ الْاَعْلَى فَصَلِّ عَلَيْهَا وَ عَلَى اُمَّهَا خَدِيجَةَ الْكُبْرَى صَلَاةَ تَكْرَمَ بِهَا وَجْهَ اَبِيهَا مُحَمَّدَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ تَقَرَّبَهَا اَعْيُنَ ذُرِّيَّتِهَا وَ اَبْلَغْهُمْ عَنِّي فِي هَذِهِ السَّاعَةِ اَفْضَلَ التَّحِيَّةِ وَ السَّلَامِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى الْحَسَنِ وَ الْحُسَيْنِ عِبْدِكَ وَ وَلِيِّكَ وَ ابْنِي رَسُولِكَ وَ سَبْطِي الرَّحْمَةِ وَ سَيِّدِي شَبَابِ اَهْلِ الْجَنَّةِ اَفْضَلَ مَا صَلَّيْتَ عَلَيْهِ اَحَدَ مِنْ اَوْلَادِ النَّبِيِّينَ وَ الْمُرْسَلِينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ وَ وَصِيِّ اَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَام) عَلِيكَ يَا بْنَ رَسُولِ اللهِ السَّلَامِ عَلَيْكَ يَا بْنَ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ اَشْهَدُ اَنَّكَ يَا بْنَ اَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ اَمِينُ اللهِ وَ ابْنُ اَمِينِهِ عَشْتُ مَظْلُومًا وَ مَضِيَّتُ شَهِيدًا وَ اَشْهَدُ اَنَّكَ الْاَمَامُ الزَّكِيُّ الْهَادِي الْمَهْدِيُّ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وَ بَلِّغْ رُوحَهُ وَ جَسَدَهُ عَنِّي فِي هَذِهِ السَّاعَةِ اَفْضَلَ التَّحِيَّةِ وَ السَّلَامِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَظْلُومِ الشَّهِيدِ قَتِيلِ الْكُفْرَةِ وَ طَرِيحِ الْفَجْرِ السَّلَامِ عَلَيْكَ يَا اَبَا عَبْدِ اللهِ السَّلَامِ عَلَيْكَ يَا بْنَ رَسُولِ اللهِ السَّلَامِ عَلَيْكَ يَا بْنَ اَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ اَشْهَدُ مَوْقِنًا اَنَّكَ اَمِينُ اللهِ وَ ابْنُ اَمِينِهِ قَتَلْتَ مَظْلُومًا وَ مَضِيَّتُ شَهِيدًا وَ اَشْهَدُ اَنَّ اللهَ تَعَالَى الطَّالِبُ بِثَارِكَ وَ مَنْجِزُ مَا وَعَدَكَ مِنَ النَّصْرِ وَ التَّيْيِيدِ فِي هَلَاكِ عَدُوِّكَ وَ اِظْهَارِ دَعْوَتِكَ وَ اَشْهَدُ اَنَّكَ وَفِيَتْ بَعْدَ اللهِ وَ جَاهَدْتَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَ عَبَدْتَ اللهُ مَخْلَصًا حَتَّى اَتَاكَ الْيَقِينَ لَعْنُ اللهِ اَمَّهُ قَتَلْتِكَ وَ لَعْنُ اللهِ اَمَّهُ خَذَلْتِكَ وَ لَعْنُ اللهِ اَمَّهُ اَلْبَتَّ عَلَيْكَ وَ اَبْرَأُ اِلَى اللهِ تَعَالَى مِمَّنْ اَكْذَبَكَ وَ اسْتَخَفَّ بِحَقِّكَ وَ اسْتَحْلَلَّ دَمَكَ بِاَبِي اَنْتَ وَ اُمِّي يَا اَبَا عَبْدِ اللهِ لَعْنُ اللهِ قَاتَلْتِكَ وَ لَعْنُ اللهِ خَاذَلْتِكَ وَ لَعْنُ اللهِ مَن سَمِعَ وَ اعْيَتَكَ فَلَمْ يَجِبْكَ وَ لَمْ يَنْصُرْكَ وَ لَعْنُ اللهِ مِنْ سَبَا نِسَاءِكَ اَنَا اِلَى اللهِ مِنْهُمْ

بريء و مّمن و لآهم و مالاهم و أعانهم عليه أشهد أنّك و الأئمة من ولدك كلمة التقوى و باب الهدى و العروة الوثقى و الحجّج على اهل الدّنيا و أشهد أنّي بكم مؤمن و بمنزلتكم موقن و لكم تابع بذات نفسى و شرايع دينى و خواتيم عملى و منقلبى فى دنياى و آخرتى.

اللّهم صلّ على على بن الحسين سيّد العابدين الّذى استخلصته لنفسك و جعلت منه أئمة الهدى الّذين يهدون بالحقّ و به يعدلون اخترته لنفسك و طهرته من الرّجس و اصطفيته و جعلته هاديا مهديا اللّهم فصلّ عليه أفضل ما صلّيت على أحد من ذرّيه أنبيائك حتّى يبلغ به ما تقرّ به عينه فى الدّنيا و الآخرة إنّك عزيز كريم.

اللّهم صلّ على محمّد بن علىّ باقر العلم و امام الهدى و قائد اهل التّقوى و المنتجب من عبادك اللّهم و كما جعلته علما لعبادك و منارا لبلادك و مستودعا لحكمتك و مترجما لوحيك و امرت بطاعته و حدّرت من معصيته فصلّ عليه يا ربّ افضل ما صلّيت على احد من ذرّيه انبيائك و اصفيائك و رسلك و امنائك يا ربّ العالمين.

اللّهم صلّ على جعفر بن محمّد الصّيادق خازن العلم الداعى اليك بالحقّ النور المبين اللّهم و كما جعلته معدن كلامك و وحيك و خازن علمك و لسان توحيدك و وليّ امرك و مستحفظ دينك فصلّ عليه افضل ما صلّيت على احد من اصفيائك و حججك أنّك حميد مجيد.

اللّهم صلّ على الأمين المؤمن موسى بن جعفر البرّ الوفىّ الطاهر الزّكىّ النور المبين المجتهد المحتسب الصّابر على الأذى فيك اللّهم و كما بلغ عن آبائه ما استودع من امرك و نهيك و حمل على المحجّج و كابد اهل العزّه و الشّدّه فيما كان يلقي من جهّال قومه ربّ فصلّ عليه افضل و اكمل ما صلّيت على احد مّمن اطاعك و نصح لعبادك أنّك غفور رحيم.

اللّهم صلّ على على بن موسى الّذى ارتضيته و رضيت به من شئت من خلقك اللّهم و كما جعلته حجّج على خلقك و قائما بامرک و ناصرا لدينك و شاهدا على عبادك و كما نصح لهم فى السّرّ و العلانيه و دعا الى سبيلك بالحكمه و الموعظه الحسنه فصلّ عليه افضل ما صلّيت على احد من اوليائك و خيرتك من خلقك أنّك جواد كريم.

اللّهم صلّ على محمّد بن علىّ بن موسى التقى و نور التقى و معدن الهدى و فرع

الأزكياء و خليفه الأوصياء و امينك على وحيك اللهم فكما هديت به من الضلالة و استتقدت به من الحيره و ارشدت به من اهتدى و زكيت به من تزكى فصل عليه افضل ما صليت على احد من اوليائك و بقيه اوليائك انك عزيز حكيم.

اللهم صل على علي بن محمد وصي الأوصياء و امام الأتقياء و خلف ائمه الدين و الحجة على الخلائق اجمعين اللهم كما جعلته نورا يستضيء به المؤمنون فبشر بالجزيل من ثوابك و انذر بالأليم من عقابك و حذر بأسك و ذكر بأيامك و احل حلالك و حرّم حرامك و بين شرائعك و فرائضك و حض على عبادتك و امر بطاعتك و نهى عن معصيتك فصل عليه افضل ما صليت على احد من اوليائك و ذريه انبيائك يا اله العالمين.

اللهم صل على الحسن بن علي بن محمد البرّ التقي الصادق الوفي النور المضيء خازن علمك و المذكر بتوحيدك و ولي امرك و خلف ائمه الدين الهداه الراشدين و الحجة على اهل الدنيا فصل عليه يا رب افضل ما صليت على احد من اصفياك و حججك و اولاد رسلك يا اله العالمين.

اللهم صل على وليك و ابن اوليائك الذين فرضت طاعتهم و اوجبت حقهم و اذهبت عنهم الرجس و طهرتهم تطهيرا اللهم انصره و انتصر به لدينك و انصر به اولياءك و اولياءه و شيعته و انصاره و اجعلنا منهم اللهم اعذه من شر كل باغ و طاغ و من شر جميع خلقك و احفظه من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله و احرسه و امنه ان يوصل اليه بسوء و احفظ فيه رسولك و آل رسولك و اظهر به العدل و ايده بالنصر و انصر ناصريه و اخذل خاذليه و اقصم به جبابره الكفر و اقتل به الكفار و المنافقين و جميع الملحدين حيث كانوا من مشارق الأرض و مغاربها و برّها و بحرّها و املا به الأرض عدلا و اظهر به دين نبيك عليه و آله السّلام و اجعلني اللهم من انصاره و اعوانه و اتباعه و شيعته و ارني في آل محمد ما يأملون و في عدوهم ما يحذرون إله الحقّ آمين. (١)

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ص: ٢٣٦

الفهرس التفصلى

فهرس إجمالى ٥

مقدمه المجمع ٧

الباب الأؤل:

الفصل الأؤل:الإمام الحسن العسكرى (علیه السّلام) فى سطور ١٧

الفصل الثانى:انطباعات عن شخصیه الإمام الحسن العسكرى (علیه السّلام) ٢١

١-شهاده المعتمد العباسى ٢٢

٢-شهاده طیب البلاط العباسى ٢٢

٣-أحمد بن عبید الله بن خاقان ٢٣

٤-كاتب الخلیفه المعتمد ٢٤

٥-راهب دیر العاقول ٢٤

٦-محمد بن طلحه الشافعى ٢٤

٧-ابن الصباغ المالکى ٢٤

٨-العلّامه سبط بن الجوزى ٢٧

٩-العلّامه محمد أبو الهدى أفندى ٢٧

١٠-العلّامه الشبراوى الشافعى ٢٨

ص: ٢٣٧

الفصل الثالث: مظاهر من شخصيته الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) ٢٩

سماحته و كرمه ٣٠

زهده و عبادته ٣٢

علمه و دلائل إمامته ٣٣

الباب الثاني الفصل الأول: نشأه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) ٣٩

نسبه الشريف ٣٩

محل الولاده و تأريخها ٣٩

ألقابه (عليه السلام) و كناه ٤٠

ملامحه ٤١

النشأه و ظروفها ٤١

الفصل الثاني: مراحل حياة الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) ٤٧

الفصل الثالث: الإمام الحسن العسكري في ظل أبيه (عليهما السلام) ٤٩

١- طفوله متميزه ٤٩

٢- عصر الإمام الهادي (عليه السلام) ٥٠

٣- مواقف الإمام الهادي (عليه السلام) تجاه الأحداث ٥٢

الإمام الهادي (عليه السلام) و المتوكل العباسي ٥٤

الإمام الهادي (عليه السلام) و وزير المنتصر ٥٤

الإمام الهادي (عليه السلام) و التحدي العلمي ٥٤

الإمام الهادي (عليه السلام) و فتنه خلق القرآن ٥٧

الإمام الهادي (عليه السلام) مع أصحابه و شيعته ٥٩

رعايه الإمام الهادي (عليه السلام) لشيعته و قضاء حوائجهم ٦٠

الإمام الهادي (عليه السلام) و الغلاه ٦٢

- الإمام الهادي (عليه السلام) و الثورات في عصره ٦٣
- الإمام الهادي (عليه السلام) و أساليب مواجهه السلطه ٦٤
- ٤-زواج الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) ٦٥
- ٥-علاقه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) بأخيه محمد ٧٢
- ٦-علاقته بأخيه الحسين ٧٣
- ٧-علاقته بأخيه جعفر ٧٤
- ٨-النصوص على إمامه الحسن العسكري (عليه السلام) ٧٤
- أ-نصوص الرسول الأعظم (صلى الله عليه و اله) ٧٥
- ب-نصوص الأئمه المعصومين (عليهم السلام) ٨٢
- ج-نصوص الإمام الهادي على إمامه الحسن العسكري (عليهما السلام) ٨٦
- ٩-اغتيال الإمام الهادي (عليه السلام) و استشهاده ٩٢
- ١٠-من دلائل إمامته بعد استشهاد أبيه (عليه السلام) ٩٤
- الباب الثالث الفصل الأول: ملامح عصر الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) ٩٩
- الحاله السياسيه ٩٩
- الحاله الاجتماعيه ١٠٠
- الحاله الثقافيه ١٠٣
- الحاله الاقصاديه ١٠٤
- الفصل الثاني: عصر الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) ١٠٥
- ١-المعتز العباسي ١٠٧
- ٢-المهتدي العباسي ١٠٩
- سياسه المهتدي تجاه معارضيه ١١٠

٣-المعتمد بن المتوكل العباسي ١١٤

أ-ثوره الزنج ١١٥

ب-حركه ابن الصوفى العلوى ١١٦

ج-ثوره على بن زيد فى الكوفه ١١٦

د-المعتمد و الإمام العسكرى(عليه السلام) ١١٧

ه-المعتمد و موقفه من الشيعة ١٢١

استشهاد الإمام الحسن العسكرى(عليه السلام) ١٢١

الصلاه على الإمام العسكرى(عليه السلام) ١٢٣

أولاد الإمام الحسن العسكرى(عليه السلام) ١٢٤

الفصل الثالث:متطلبات عصر الإمام الحسن العسكرى(عليه السلام) ١٢٧

الباب الرابع الفصل الأول:الإمام العسكرى(عليه السلام) و متطلبات الساحه الإسلاميه ١٣٩

١-الحكمه و الدقه فى التعامل مع الحكام ١٣٩

٢-الزّد على الشبهات و الدفاع عن حريم رساله ١٤٠

٣-مواجهه الفرق المنحرفه ١٤٢

٤-الدعوه الى دين الحق ١٤٥

الفصل الثانى:الإمام العسكرى(عليه السلام) و متطلبات الجماعه الصالحه ١٤٧

البحث الأول:الإمام الحسن العسكرى(عليه السلام) و التمهد لقضيه الإمام المهدي(عليه السلام) ١٤٩

الخطوه الاولى ١٥١

الخطوه الثانيه ١٥٢

الخطوه الثالثه ١٥٣

ص: ٢٤٠

الخطوه الرابعه ١٥٥

الخطوه الخامسه ١٥٦

الخطوه السادسه ١٥٧

الخطوه السابعه ١٥٨

البحث الثاني: الاعداد لعصر الغيبه ١٥٨

البحث الثالث: نظام الوكلاء فى عصر الإمام الحسن العسكرى (عليه السلام) ١٦٢

وكلاء الإمام الحسن العسكرى (عليه السلام) ١٦٤

البحث الرابع: مدرسه الفقهاء و التمهيد لعصر الغيبه ١٦٥

أصحاب الإمام الحسن العسكرى (عليه السلام) ١٦٥

البحث الخامس: قياده العلماء الامناء على حاله و حرامه ١٦٨

البحث السادس: الإمام العسكرى (عليه السلام) و الفرق الضالّه ١٧٠

١- الإمام العسكرى (عليه السلام) و الواقفه ١٧١

٢- الإمام الحسن العسكرى (عليه السلام) و المفوضه ١٧٣

البحث السابع: من وصايا الإمام العسكرى (عليه السلام) و ارشاداته لشيخته ١٧٨

البحث الثامن: الإمام العسكرى (عليه السلام) و التحصين الأمنى ١٨١

الفصل الثالث: من تراث الإمام الحسن العسكرى (عليه السلام) ١٨٥

أولاً: التفسير ١٨٥

نماذج من تراثه التفسيرى ١٨٧

ثانياً: رساله المنقبه ١٨٩

ثالثاً: مكاتبات الرجال عن العسكرين ١٨٩

رابعاً: مجموعه وصايا الإمام العسكرى و كتبه و توقيعاته ١٨٩

رسائل الإمام الحسن العسكرى (عليه السلام) ١٩٠

خامسا:اهتمامات الإمام الحسن العسكري(عليه السلام)الفكريه و العلميه ٢٠٠

ص:٢٤١

من تراثه المعرفى ٢٠١

من تراثه الكلامى ٢٠٢

١- التوحيد فى نصوص الإمام العسكرى (عليه السلام) ٢٠٢

٢- أهل البيت (عليهم السلام) والإمامه عند الإمام العسكرى (عليه السلام) ٢٠٣

الإمام المهدي (عليه السلام) فى تراث الإمام الحسن العسكرى (عليه السلام) ٢٠٤

السيره النبويه فى تراث الإمام العسكرى (عليه السلام) ٢٠٥

المختار من تراثه الفقهي (عليه السلام) ٢٢٢

باب الطهاره ٢٢٢

باب الصلاه ٢٢٣

باب الصوم ٢٢٤

باب الخمس و الزكاه ٢٢٥

باب الحج ٢٢٦

باب النكاح و الطلاق ٢٢٦

باب القضاء و الشهادات ٢٢٦

باب الوصيه ٢٢٧

باب الوقف ٢٢٩

باب الارث ٢٢٩

باب المعيشه ٢٣٠

باب الأولاد ٢٣٢

المختار من تراثه (عليه السلام) فى الدعاء ٢٣٢

الفهرس التفصيلى ٢٣٧

ص: ٢٤٢

عنوان و نام پدیدآور: اعلام الهدایه/المولف لجنه التالیف فی المعاونیه الثقافیه للمجمع العالمی لاهل البیت (ع).

مشخصات نشر: بیروت: المجمع العالمی لاهل البیت (ع)، المعاونیه الثقافیه، ۱۴۳۰ق = ۱۳۸۹.

مشخصات ظاهری: ۱۴ج.

یادداشت: عربی.

یادداشت: چاپ ششم.

یادداشت: کتابنامه.

مندرجات: ج. ۱. محمد المصطفی صلی الله علیه و آله و سلم خاتم الانبیاء. ج. ۲. أمير المومنین علی بن أبی طالب علیه السلام. ج. ۳. سیده النساء فاطمه الزهراء علیه السلام. ج. ۴. الامام الحسن المجتبی علیه السلام. ج. ۵. الامام الحسین علیه السلام سید الشهداء. ج. ۶. الامام علی بن الحسین زین العابدین علیه السلام. ج. ۷. الامام محمد بن علی الباقر علیه السلام. ج. ۸. الامام جعفر بن محمد الصادق علیه السلام. ج. ۹. الامام موسی بن جعفر الکاظم علیه السلام. ج. ۱۰. الامام علی بن موسی الرضا علیه السلام. ج. ۱۱. الامام محمد بن علی الجواد علیه السلام. ج. ۱۲. الامام علی بن محمد الهادی علیه السلام. ج. ۱۳. الامام الحسن العسکری علیه السلام. ج. ۱۴. خاتم الاوصیاء الامام المهدي علیه السلام.

موضوع: چهارده معصوم -- سرگذشتنامه

شناسه افزوده: مجمع جهانی اهل بیت (ع). معاونت فرهنگی

رده بندی کنگره: BP۳۶/الف ۵۸ ۱۳۸۹

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵

شماره کتابشناسی ملی: ۳۸۶۲۲۵۴

ص: ۱

مقدمه المجمع العالمى لأهل بيت ٧

الباب الأول:

الفصل الأول:الإمام المهدي المنتظر عليه السلام فى سطور ١٧

الفصل الثانى:المهدي الموعود و غيبته فى بشارات الأديان ٢١

الفصل الثالث:المهدي الموعود و غيبته فى القرآن الكريم ٥٣

الفصل الرابع:المهدي الموعود و غيبته فى المتفق عليه من السنّه ٧٧

الباب الثانى:

الفصل الأول:نشأه الامام المهدي المنتظر عليه السلام ١٠٩

الفصل الثانى:مراحل حياه الامام المهدي المنتظر عليه السلام ١١٩

الفصل الثالث:الامام المهدي المنتظر فى ظل أبيه عليهما السلام ١٢١

الباب الثالث:

الفصل الأول:الغيبه الصغرى للإمام المهدي عليه السلام ١٢٧

الفصل الثانى:أسباب الغيبه الصغرى و التمهيد لها ١٣٥

الفصل الثالث:إنجازات الإمام المهدي عليه السلام فى الغيبه الصغرى. ١٤٧

الباب الرابع:

الفصل الأول:الغيبه الكبرى للإمام المهدي عليه السلام و أسبابها ١٦٣

الفصل الثانى:إنجازاته فى الغيبه الكبرى ١٧٣

الفصل الثالث:تكاليف عصر الغيبه الكبرى ١٨٣

الباب الخامس:

الفصل الأول:علائم ظهور الإمام المهدي المنتظر عليه السلام ١٩٩

الفصل الثانى:سيره الإمام المهدي عليه السلام عند الظهور ٢٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداه لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء و سيد الرسل و الأصفياء أبو القاسم المصطفى محمد (صلى الله عليه و آله) و على آله الميامين النجباء.

لقد خلق الله الإنسان و زوّده بعنصرى العقل و الإرادة، فبالعقل يبصر و يكتشف الحقّ و يميزه عن الباطل، و بالإرادة يختار ما يراه صالحا له و محققا لأغراضه و أهدافه.

و قد جعل الله العقل المميز حجّة له على خلقه، و أعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته؛ فإنّه هو الذى علّم الإنسان ما لم يعلم، و أرشده إلى طريق كماله اللائق به، و عرّفه الغايه التى خلقه من أجلها، و جاء به إلى هذه الحياه الدنيا من أجل تحقيقها.

و أوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحه معالم الهدايه الربانيه و آفاقها و مستلزماتها و طرقها، كما بيّن لنا عللها و أسبابها من جهه، و أسفر عن ثمارها و نتائجها من جهه اخرى.

قال تعالى:

ص: ٧

قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى [الأنعام (٦): ٧١].

وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [البقره (٢): ٢١٣].

وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ [الأحزاب (٣٣): ٤].

وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [آل عمران (٣): ١٠١].

قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ [يونس (١٠): ٣٥].

وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَ يَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ [سبأ (٣٤): ٦].

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ [القصص (٢٨): ٥٠].

فإنَّه تعالى هو مصدر الهدايه. و هدايته هي الهدايه الحقيقيه، و هو الذى يأخذ بيد الإنسان إلى الصراط المستقيم و إلى الحق القويم.

و هذه الحقائق يؤيدها العلم و يدر كها العلماء و يخضعون لها بملء وجودهم.

و لقد أودع الله فى فطره الإنسان النزوع إلى الكمال و الجمال ثم منَّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللاتق به، و أسبغ عليه نعمه التعرّف على طريق الكمال، و من هنا قال تعالى: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** [الذاريات (٥١): ٥٦].

و حيث لا تتحقّق العباده الحقيقيه من دون المعرفه، صارت المعرفه و العباده طريقا منحصرًا و هدفا و غايه موصله إلى قمّه الكمال.

و بعد أن زوّد الله الإنسان بطاقتى الغضب و الشهوه ليوفر له وقود الحركه نحو الكمال؛ لم يؤمن عليه من سيطره الغضب و الشهوه و الهوى الناشئ منهما، و الملازم لهما. فمن هنا احتاج الإنسان -بالإضافه إلى عقله و سائر

أدوات المعرفة-الى ما يضمن له سلامه البصيره و الرؤيه؛كى تتم عليه الحجّه، و تكمل نعمه الهدايه،و تتوفّر لديه كلّ الأسباب التى تجعله يختار طريق الخير و السعاده،أو طريق الشرّ و الشقاء بملء إرادته.

و من هنا اقتضت سنّه الهدايه الربّانيه أن يسند عقل الإنسان عن طريق الوحي الإلهي،و من خلال الهداه الذين اختارهم الله لتولّى مسؤوليه هدايه العباد،و ذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفه و إعطاء الإرشادات اللازمه لكلّ مرافق الحياه.

و قد حمل الأنبياء و أوصياؤهم مشعل الهدايه الربّانيه منذ فجر التاريخ و على مدى العصور و القرون،و لم يترك الله عباده مهملين دون حجّه هاديه و علم مرشد و نور مضىء،كما أفصحت نصوص الوحي-مؤيّده لدلائل العقل-بأنّ الأرض لا تخلو من حجّه لله على خلقه،لئلا يكون للناس على الله حجّه،فالحجّه قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق،و لو لم يبق فى الأرض إلاّ اثنان؛لكان أحدهما الحجّه.و صرّح القرآن-بشكل لا يقبل الريب-قائلاً:

إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ [الرعد(١٣):٧].

و يتولّى أنبياء الله و رسله و أوصياؤهم الهداه المهديون مهمّه الهدايه بجميع مراتبها،و التى تتلخّص فى:

١-تلقى الوحي بشكل كامل و استيعاب الرساله الإلهيه بصوره دقيقه.

و هذه المرحله تتطلّب الاستعداد التام لتلقى الرساله،و من هنا يكون الاصطفاء الإلهي لرسله شأناً من شؤونه،كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلاً:

اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ [الأنعام(٦):١٢٤]و اللَّهُ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ [آل عمران(٣):١٧٩].

٢-إبلاغ الرساله الإلهيه الى البشرىه و لمن ارسلوا إليه،و يتوقف الإبلاغ على الكفاءه التامه التى تتمثل فى «الاستيعاب و الإحاطه اللازمه»بتفاصيل الرساله و أهدافها و متطلباتها،و«العصمه»عن الخطأ و الانحراف معاً،قال تعالى: **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ** [البقره(٢):٢١٣].

٣-تكوين امه مؤمنه بالرساله الإلهيه،و إعدادها لدعم القياده الهاديه من أجل تحقيق أهدافها و تطبيق قوانينها فى الحياه،وقد صرّحت آيات الذكر الحكيم بهذه المهمه مستخدمه عنوانى التزكيه و التعليم،قال تعالى: **يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ** [الجمعه(٦٢):٢]و التزكيه هى التريه باتجاه الكمال اللائق بالإنسان.و تتطلب التريه القدوه الصالحه التى تتمتع بكل عناصر الكمال،كما قال تعالى: **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** [الاحزاب(٣٣):٢١].

٤-صيانه الرساله من الزيغ و التحريف و الضياع فى الفتره المقرره لها،و هذه المهمه أيضا تتطلب الكفاءه العلميه و النفسيه.و التى تسمى العصمه.

٥-العمل لتحقيق أهداف الرساله المعنويه و تثبيت القيم الأخلاقيه فى نفوس الأفراد و أركان المجتمعات البشرىه و ذلك بتنفيذ الاطروحه الربانيه، و تطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشرى من خلال تأسيس كيان سياسى يتولى إداره شؤون الامه على أساس الرساله الربانيه للبشرىه، و يتطلب التنفيذ قياده حكيمة،و شجاعه فائقه،و صمودا كبيرا،و معرفه تامه بالنفوس و بطبقات المجتمع و التيارات الفكرىه و السياسيه و الاجتماعيه

وقوانين الإدارة و التربية و سنن الحياه، و نلخصها فى الكفاءه العلميه لإداره دوله عالميه دينيه، هذا فضلا عن العصمه التى تعتبر عن الكفاءه النفسيه التى تصون القيادة الدينيه من كل سلوك منحرف أو عمل خاطئ بإمكانه أن يؤثر تأثيرا سلبيا على مسيره القيادة و انقياد الامه لها بحيث يتنافى مع أهداف الرساله و أغراضها.

وقد سلك الأنبياء السابقون و أوصياؤهم المصطفون طريق الهدايه الدامى، و اقتحموا سبيل التربيه الشاق، و تحمّلوا فى سبيل أداء المهام الرساليه كل صعب، و قدّموا فى سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهيه كل ما يمكن أن يقدمه الإنسان المتفانى من أجل مبدئه و عقيدته، و لم يتراجعوا لحظه، و لم يتلکؤا طرفه عين.

وقد توجّ الله جهودهم و جهادهم المستمرّ على مدى العصور برساله خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه و آله) و حمّله الأمانه الكبرى و مسؤوليه الهدايه بجميع مراتبها، طالبا منه تحقيق أهدافها. و قد خطا الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و آله) فى هذا الطريق الوعر خطوات مدهشه، و حقّق فى أقصر فتره زمنيّه أكبر نتاج ممكن فى حساب الدعوات التغييريه و الرسالات الثوريّه، و كانت حصيله جهاده و كدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلى:

١- تقديم رساله كامله للبشريه تحتوى على عناصر الديمومه و البقاء.

٢- تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ و الانحراف.

٣- تكوين امه مسلمه تؤمن بالإسلام مبدأ، و بالرسول قائدا، و بالشريعه قانونا للحياه.

٤- تأسيس دوله إسلاميه و كيان سياسى يحمل لواء الإسلام و يطبق شريعه السماء.

٥- تقديم الوجه المشرق للقياده الربانيه الحكيمه المتمثله فى قيادته (صلى الله عليه و آله).

و لتحقيق أهداف الرساله بشكل كامل كان من الضرورى:

أ- أن تستمرّ القياده الكفوءه فى تطبيق الرساله و صيانتها من أيدي العابثين الذين يترصّون بها الدوائر.

ب- أن تستمرّ عمليه التريبيه الصحيحه باستمرار الأجيال؛ على يد مربّ كفوء علميا و نفسيا حيث يكون قدوه حسنه فى الخلق و السلوك كالرسول (صلى الله عليه و آله)، يستوعب الرساله و يجسدها فى كل حر كاته و سكناته.

و من هنا كان التخطيط الإلهى يحتم على الرسول (صلى الله عليه و آله) إعداد الصفوه من أهل بيته، و التصريح بأسمائهم و أدوارهم؛ لتولّى مهمه إدامه الحركه النبويه العظيمه و الهدايه الربانيه الخالده بأمر من الله سبحانه و صيانه للرساله الإلهيه التى كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين و كيد الخائنين، و تربيه الأجيال على قيم و مفاهيم الشريعه المباركه التى تولّوا تبين معالمها و كشف أسرارها و ذخائرها على مرّ العصور، و حتى يرث الله الأرض و من عليها.

و تجلّى هذا التخطيط الربانى فى ما نصّ عليه الرسول (صلى الله عليه و آله) بقوله: «إئنّى تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا: كتاب الله و عترتى، و إنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض».

و كان أئمّه أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عرّفهم النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) بأمر من الله تعالى لقياده الامّه من بعده.

إن سيره الأئمة الاثنى عشر من أهل البيت (عليهم السلام) تمثل المسيره الواقعيه للإسلام بعد عصر الرسول (صلى الله عليه وآله)، ودراسه حياتهم بشكل مستوعب تكشف لنا عن صورته مستوعبه لحركه الإسلام الأصيل الذى أخذ يشق طريقه إلى أعماق الامه ووجدانها بعد أن أخذت طاقتها الحراريه تتضاءل بعد وفاه الرسول (صلى الله عليه وآله)، فأخذ الأئمة المعصومون (عليهم السلام) يعملون على توعيه الامه و تحريك طاقتها باتجاه إبداع و تصعيد الوعى الرسالى للشريعه و لحركه الرسول (صلى الله عليه وآله) و ثورته المباركه، غير خارجين عن مسار السنن الكونيه التى تتحكّم فى سلوك القيادة و الامه جمعاء.

و تبلورت سيره الأئمة الراشدين فى استمرارهم على نهج الرسول العظيم (صلى الله عليه وآله) و انفتاح الامه عليهم و التفاعل معهم كأعلام للهدايه و مصايح لإناره الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلاء على الله لنيل مرضاته، و المستقرين فى أمر الله، و التامين فى محبته، و الذائبين فى الشوق اليه، و السابقين إلى تسلق قمم الكمال الإنسانى المنشود.

و قد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد و الصبر على طاعه الله و تحمّل جفاء أهل الجفاء؛ حتى ضربوا أعلى أمثله الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالى، ثم اختاروا الشهاده مع العز على الحياه مع الدلّ فيها، حتى فازوا بقاء الله سبحانه بعد كفاح عظيم و جهاد كبير.

و لا يستطيع المؤرّخون و الكتاب أن يلمّوا بجميع زوايا سيرتهم العطره و يدعوا دراستها بشكل كامل. و من هنا فإنّ محاولتنا هذه إنّما هى إعطاء قبسات من سيرتهم، و سلوكهم و مواقفهم التى دوّنها المؤرّخون، و استطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسه و التحقيق، عسى الله

أن ينفع بها إنه وليّ التوفيق.

إنّ دراستنا لحركه أهل البيت (عليهم السّلام) الرساليه تبدء برسول الإسلام و خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه و آله) و تنتهى بخاتم الأوصياء، محمد بن الحسن العسكري المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه و أنار الأرض بعدله.

و يختصّ هذا الكتاب بدراسه حياه الإمام المنتظر محمد بن الحسن المهدي الذي وعد الله به الامم أن يملأ به الأرض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا.

و لا بدّ لنا من ذكر كلمه شكر لكلّ العاملين الذين بذلوا جهدا في إخراج هذا المشروع، لا سيما لجنة التأليف بإشراف سماحه السيد منذر الحكيم حفظه الله تعالى.

نشكر الله تعالى على التوفيق العظيم الذي منّ به علينا لانجاز هذه الموسوعه المباركه إنه نعم المولى و نعم النصير.

المجمع العالمى لأهل البيت (عليهم السّلام)

قم المقدسه

ص: ١٤

الباب الأول

إشاره

و فيه فصول:

الفصل الأول:

الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام) في سطور

الفصل الثاني:

المهدي الموعود و غيبته في بشارات الأديان

الفصل الثالث:

المهدي الموعود و غيبته في القرآن الكريم

الفصل الرابع:

المهدي الموعود و غيبته في المتفق عليه من السنّه

ص: ١٥

إنّ قضيه الإمام المهدي المنتظر الذي بَشَّر به الإسلام و بَشَّرت به الأديان من قبل، قضيه انسانيه قبل أن تكون دينيه أو إسلاميه؛ فإنها تعبير دقيق عن ضروره تحقق الطموح الإنساني بشكله التام.

وقد تميّز مذهب أهل البيت (عليهم السلام) بالاعتقاد بالإمامه محمّد بن الحسن المهدي (عليه السلام) الذي ولد في سنة ٢٥٥ هـ، واستلم زمام الأمر و تصدى لمسؤولياته القياديه سنة ٢٦٠ هـ و هو الآن حتى يرزق يقوم بمهامه الرساليه من خلال متابعتة الأحداث فهو يعاصر التطورات و يرقب الظروف التي لا- بد من تحققها كي يظهر الى العالم الإنساني بعد أن تستنفذ الحضارات الجاهليه كل ما لديها من قدرات و طاقات، و تتفتح البشريه بعقولها و قلوبها لتلقّي الهدى الإلهي من خلال قائد ربّاني قادر على قياده العالم أجمع، كما يريد الله له.

و هذا الإمام الثاني عشر هو من أهل البيت الذين نصّ الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و آله) على إمامتهم و بَشَّر بهم و بمستقبلهم امته. و قد تحقّقت ولادته في ظروف حرجه جدا لم تكن لتسمح بالاعلان العام عن ولادته، و لكنّ أباه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) و عدّه من أهل بيته و أقربائه كحكيمه و نسيم و غيرهما قد شهدوا ولادته و أعلنوا فرحهم و سرورهم بذلك. و أطلع شيعته

و اتباعه على ولادته و حياته و أنه إمامهم الثاني عشر الذي بشر به خاتم الرسل (صلى الله عليه و آله) و تبعه نشاط الإمام المهدي (عليه السلام) نفسه طيله خمس سنوات من أجوبه المسائل و الحضور فى الأماكن الخاصه التى كان يؤمن فيها عليه من ملاحقه السلطه، و بعد استشهاد أبيه، أقام الأدله القاطعه على وجوده حتى استطاع أن يبدد الشكوك حول ولادته و وجوده و إمامته و يمسك بزمام الامور و يقوم بالمهام الكبرى و هو فى مرحله الغيبه الصغرى كل ذلك فى خفاء من عيون الحكام و عمالهم.

و استمرّ بالقيام بمهامه القياديه فى مرحله الغيبه الكبرى بعد تمهيد كاف لها و تعيينه لمجموعه الوظائف و المهام القياديه للعلماء بالله، الامناء على حلاله و حرامه ليكونوا نوابه على طول خط الغيبه الكبرى و ليقوموا بمهام المرجعيه الدينيه فى كل الظروف التى ترافق هذه المرحله حتى تتوفر له مقدمات الظهور للاصلاح الشامل الذى وعد الله به الامم.

لقد بدأت غيبته الكبرى سنه (٣٢٩ هـ) و لا زالت هذه الغيبه مستمره حتى عصرنا هذا.

و قد مارس الإمام محمد بن الحسن المهدي (عليه السلام) خلال مرحله الغيبه الصغرى نشاطا مكثفا و هو مستتر عن عامه أتباعه لتثبيت موقعه كإمام مفترض الطاعه، و أنه الذى ينبغى للامه أن تنتظر خروجه و قيامه حين تتوفر الظروف الملائمه لثورته العالميه الشامله.

و قد واصل الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام) ارتباطه بأتباعه من خلال نوابه الأربعة خلال مرحله الغيبه الصغرى، غير أنها انتهت قبل أن تكتشف السلطه محل تواجد الامام و نشاطه، و انقطعت الامه عن الارتباط بوكلائه عند اعلانه انتهاء الغيبه الصغرى، و بقى يمارس مهامه القياديه و ينفع الامه كما تنتفع

بالشمس إذا ظللها السحاب.

وقد ترك الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام) للامه الإسلاميه خلال مرحله الغيبه الصغرى، تراثا غنيا لا يمكن التغافل عنه.

و هو لا يزال يمارس ما يمكنه من مهامه القياديه خلال مرحله الغيبه الكبرى. و هو ينتظر مع سائر المنتظرين اليوم الذى يسمح له الله سبحانه فيه أن يخرج و يقوم بكل استعداداته و طاقاته التى أعدّها و هيأها الله له ليملا الأرض عدلا بعد أن تملأ ظلما و جورا. و ذلك بعد أن تنتهيا كل الظروف الموضوعيه اللازمه من حيث العدد و العده، و سائر الظروف العالميه التى ستمهد لخروجه و ظهوره كقائد ربانى عالمى، و تفجير ثورته الإسلاميه الكبرى، و تحقيق أهداف الدين الحق و ذلك حين ظهوره على الدين كله و لو كره المشركون.

ص: ١٩

المهدی الموعود (علیه السلام) و غیبه فی بشارات الأديان

عراقه الإیمان بالمصلح العالمی

يعتبر الايمان بحتميه ظهور المصلح الديني العالمی و إقامة الدوله الإلهيه العادله فی كل الأرض من نقاط الاشتراك البارزه بين جميع الأديان (١)، و الاختلاف فيما بينها إنما هو فی تحديد هويه هذا المصلح الديني العالمی الذي يحقق جميع أهداف الأنبياء (عليهم السلام).

وقد استعرض الدكتور محمد مهدي خان في الأبواب الستة الاولى من كتابه «مفتاح باب الأبواب» آراء الأديان الستة المعروفه بشأن ظهور النبي الخاتم (صلی الله عليه و آله) ثم بشأن المصلح العالمی المنتظر و يبين أن كل دين منها بشر بمجيء هذا المصلح الإلهي في المستقبل أو في آخر الزمان ليصلح العالم و ينهي الظلم و الشر و يحقق السعاده المنشوده للمجتمع البشري (٢). كما تحدث عن ذلك الميرزا محمد الاستربادي في كتابه «ذخيره الأبواب» بشكل تفصيلي، و نقل طرفا من نصوص و بشارات الكثير من الكتب

ص: ٢١

١- (١) راجع مثلا كتاب آيه الله الشيخ محمد أمين زين الدين، مع الدكتور أحمد أمين في حديث المهدى و المهدي: ١٣.

٢- (٢) ملحقات إحقاق الحق لآيه الله المرعشي النجفي، ٢٩: ٦٢١-٦٢٢.

السماويه لمختلف الأقسام بشأنه.

وهذه الحقيقه من الواضحات التى أقربها كل من درس عقيدته المصلح العالمى حتى الذين أنكروا صحتها أو شككوا فيها كـبعض المستشرقين مثل جولد زيهر المجرى فى كتابه «العقيدته و الشريعة فى الإسلام» (١)، فاعترفوا بأنها عقيدته عريقه للغايه فى التأريخ الدينى وجدت حتى فى القديم من كتب ديانات المصريين و الصينيين و المغول و البوذيين و المجوس و الهنود و الأحباش فضلا عن الديانات الكبرى الثلاث: اليهوديه و النصرانيه و الإسلاميه (٢).

البشارات بالمنقذ فى الكتب المقدسه

و الملاحظ فى عقائد هذه الأديان بشأن المصلح العالمى أنها تستند الى نصوص واضحه فى كتبهم المقدسه القديمه و ليس الى تفسيرات عرضها علماءوهم لنصوص غامضه حماله لوجوه تأويليه متعدده (٣).

وهذه الملاحظه تكشف عراقه هذه العقيدته و كونها تمثل أصلا مشتركا فى دعوات الأنبياء-صلوات الله عليهم-، حيث ان كل دعوه نبويه-و على الأقل الدعوات الرئيسه و الكبرى- تمثل خطوه على طريق التمهيد لظهور المصلح الدينى العالمى الذى يحقق أهداف هذه الدعوات كافه (٤).

ص: ٢٢

١- (١) العقيدته و الشريعة فى الإسلام: ٢١٨ حيث وصفها بأنها من الأساطير ذات الجذور غير الإسلاميه لكنه قال أيضا باتفاق كلمه الأديان عليها، المصدر: ١٩٢، و الإنكار الحديث للفكره مصدره المستشرقون و تابعهم بعض المتأثرين بهم من المسلمين أمثال أحمد أمين.

٢- (٢) راجع أيضا الإمامه و قائم القيامه للدكتور مصطفى غالب: ٢٧٠.

٣- (٣) راجع النصوص الخاصه بالمهدى الموعود من كتاب «بشارات عهدين» للشيخ محمد الصادق.

٤- (٤) لمعرفة تفصيلات هذا التمهيد يراجع كتاب تأريخ الغيبه الكبرى للسيد الشهيد محمد الصدر رحمه الله، فى حديثه عن التخطيط الإلهى لليوم الموعود قبل الإسلام: ٢٥١ و ما بعدها.

كما أن للتبشير بحتميه ظهور هذا المصلح العالمى تأثيرا على هذه الدعوات فهو يشكل عامل دفع لاتباع الأنبياء للتحرك باتجاه تحقيق أهداف رسالتهم و السعى للمساهمه فى تأهيل المجتمع البشرى لتحقيق أهداف جميع الدعوات النبويه كامله فى عصر المنقذ الدينى العالمى. و لذلك كان التبشير بهذه العقيدة عنصرا أصيلا فى نصوص مختلف الديانات و الدعوات النبويه.

رسوخ الفكره فى الديانتين اليهوديه و النصرانيه

إن الإيمان بفكره ظهور المصلح ثابت عند اليهود مدون فى التوراه و المصادر الدينيه المعتمده عندهم، و قد فصل الحديث عن هذه العقيدة عند اليهود كثير من الباحثين المعاصرين خاصه فى العالم الغربى مثل جورج رذرفورد فى كتابه «ملايين من الذين هم أحياء اليوم لن يموتوا أبدا»، و السناتور الأمريكى بول منزلى فى كتابه (من يجرؤ على الكلام) و الباحثه غريس هالسل فى كتابها «النبوءه و السياسه». و غيرهم كثير (١).

فكل من درس الديانه اليهوديه التفت الى رسوخ هذه العقيدة فيها.

و النماذج التى ذكرناها آنفا من هذه الدراسات اختصت بعرض هذه العقيدة بالذات عند اليهود و الآثار السياسيه التى أفرزتها نتيجة لتحرك اليهود انطلاقا من هذه العقيدة، و فى القرون الأخيره خاصه بهدف الاستعداد لظهور المنقذ العالمى الذى يؤمنون به.

و سبب هذا التحرك هو أن عقيدته اليهود فى هذا المجال تشتمل على تحديد زمنى لبدء مقدمات ظهور المنقذ العالمى؛ الذى يبدأ من عام (١٩١٤) للميلاد- و هو عام تفجر الحرب العالميه الاولى كما هو معروف-، ثم عوده

ص: ٢٣

١- (١) راجع أيضا أهل البيت فى الكتاب المقدس، احمد الواسطى: ١٢١-١٢٣.

الشتات اليهودى الى فلسطين و إقامة دولتهم التى يعتبرونها من المراحل التمهيديه المهمه لظهور المنقذ الموعود،و يعتقدون بأن العوده الى فلسطين هى بدايه المعركه الفاصله التى تنهى وجود الشر فى العالم و يبدأ حينئذ حكم الملكوت فى الأرض لتصبح الأرض فردوساً» (١).

و بغض النظر عن مناقشه صحه ما ورد من تفصيلات فى هذه العقيدع عند اليهود،إلا أن المقدار الثابت هو أنها فكره متأصله فى تراثهم الدينى و بقوه بالغه مكنت اليهوديه-من خلال تحريف تفصيلاتها و مصاديقها-أن تقيم على أساسها تحركا استراتيجيا طويل المدى و طويل النفس،استقطبت له الطاقات اليهوديه المتباينه الأفكار و الاتجاهات،و نجحت فى تجميع جهودها و تحريكها باتجاه تحقيق ما صوره قاده اليهوديه لأتباعهم بأنه مصداق التمهيذ لظهور المنقذ الموعود.

و واضح أن الايمان بهذه العقيدع لو لم يكن راسخا و مستندا الى جذور عميقه فى التراث الدينى اليهودى لما كان قادرا على إيجاد مثل هذا التحرك الدؤوب و من مختلف الطاقات و الاتباع،فمثل هذا لا يتأتى من فكره عارضه أو طارئه لا تستند الى جذور راسخه مجمع عليها.

كما آمن النصارى بأصل هذه الفكره استنادا الى مجموعه من الآيات و البشارات الموجوده فى الإنجيل و التوراه.و يصرح علماء الإنجيل بالايمان بحتميه عوده عيسى المسيح فى آخر الزمان ليقود البشريه فى ثوره عالميه كبرى يعم بعدها الأمن و السلام كل الأرض كما يقول القس الالمانى فندر فى كتابه«ميزان الحق» (٢)و أنه يلجأ الى القوه و السيف لإقامه الدوله العالميه العادله.و هذا هو الاعتقاد السائد لدى مختلف فرق النصارى.

ص: ٢٤

١- (١) صحيفه العهد اللبنانى العدد: ٦٨٥،مقال تحت عنوان«حركه شهود يهوه،النشأ،التنظيم،المعتقد».

٢- (٢) بشارت عهدين: ٢٦١،نقلا عن كتاب ميزان الحق للقس الالمانى فندر: ٢٧١.

الملاحظ أن الايمان بحتميه ظهور المصلح العالمى و دولته العادله التى تضع فيها الحرب أوزارها و يعم السلام و العدل فى العالم لا يختص بالأديان السماويه بل يشمل المدارس الفكرية و الفلسفيه غير الدينيه أيضا. فنجد فى التراث الفكرى الإنسانى الكثير من التصريحات بهذه الحتميه، فمثلا يقول المفكر البريطانى الشهير برتراند رسل: «إن العالم فى انتظار مصلح يوحدته تحت لواء واحد و شعار واحد» (١). و يقول العالم الفيزيائى المعروف ألبرت اينشتاين صاحب النظرية النسبيه: «إن اليوم الذى يسود العالم كله فيه السلام و الصفاء و يكون الناس متحابين متأخين ليس ببعيد» (٢).

و أدق و أصرح من هذا و ذاك ما قاله المفكر الايرلندى المشهور برناردشو، فقد بَشَّر بصراحه بحتميه ظهور المصلح و بلزوم أن يكون عمره طويلا يسبق ظهوره؛ بما يقترب من عقيدة الإماميه فى طول عمر الإمام المهدي (عليه السلام)؛ و يرى ذلك ضروريا لإقامه الدوله الموعوده، قال فى كتابه «الانسان السوبرمان» -و حسب ما نقله عنه الدكتور عباس محمود العقاد فى كتابه عن برناردشو- فى وصف المصلح بأنه: «إنسان حى ذو بنيه جسديه صحيحه و طاقه عقليه خارقه، إنسان أعلى يترقى إليه هذا الانسان الأدنى بعد جهد طويل، و أنه يطول عمره حتى ينيف على ثلاثمائه سنه و يستطيع أن ينتفع بما استجمعه من أطوار العصور و ما استجمعه من أطوار حياته الطويله» (٣).

ص: ٢٥

١- (١) المهدي الموعود و دفع الشبهات عنه، للسيد عبد الرضا الشهرستاني: ٦.

٢- (٢) المهدي الموعود و دفع الشبهات عنه، للسيد عبد الرضا الشهرستاني: ٧.

٣- (٣) برناردشو، للاستاذ عباس محمود العقاد: ١٢٤-١٢٥، و علق الاستاذ العقاد على كلمه برناردشو بالقول:-

إن الأوصاف التي يذكرها المفكر الايرلندي للمصلح العالمي من الكمال الجسمي و العقلي و طول العمر و قدره على استجماع خبرات العصور و الأطوار بما يمكنه من انجاز مهمته الاصلاحية الكبرى قريبه من الأوصاف التي يعتقد بها مذهب أهل البيت (عليهم السلام) في المهدي المنتظر (عليه السلام) و غيبته.

و قضيه طول العمر في هذا المصلح العالمي التي أكد ضرورتها برنارد شو؛ تشير الى إدراك الفكر الإنساني لضروره أن يكون المصلح العالمي مستجمعا عند ظهوره لتجارب العصور لكي يكون قادرا على إنجاز مهمته (١)، و هذه الثمره متحصله من غيبه الإمام المهدي (عليه السلام) الطويله حسب عقيدته الإماميه الاثنى عشرية، و لكن الفرق هو أن عقيدتنا في الإمام المعصوم تقول بأنه مستجمع منذ البدايه لهذه الخبره و الثمار المرجوه من طول عمره، فهو (عليه السلام) مؤهل بدءا لأداء مهمته الاصلاحية الكبرى و مسدد إلهيا لإنجازها، قادر عليها متى ما تهيأت الأوضاع الملائمه لظهوره. و أنّ طول الغيبه يؤدي الى اكتساب أنصاره و المجتمع البشري و اقتطافهم لهذه الثمار فيستجمعونها جيلا بعد آخر (٢).

ص: ٢٦

-
- ١- (١) راجع توضيح هذه النقطة في البحث القيم الذي كتبه آيه الله الإمام الشهيد الصدر حول المهدي: ٤١-٤٨، ط ٣ دار التعارف.
 - ٢- (٢) لمزيد من التوضيح راجع تاريخ الغيبه الكبرى: ٢٧٦ و ما بعدها.

إنّ ظهور الإيمان بفكره حتميه ظهور المنقذ العالمى فى الفكر الإنسانى عموما يكشف عن وجود أسس متينه قويه تستند إليها تنطلق من الفطره الانسانيه،بمعنى أنها تعبّر عن حاجه فطريه عامه يشترك فيها بنو الانسان عموما،و هذه الحاجه تقوم على ما جبل عليه الإنسان من تطلّع مستمر للكمال بأشمل صورته و أن ظهور المنقذ العالمى و إقامه دولته العادله فى اليوم الموعود يعبّر عن وصول المجتمع البشرى الى كماله المنشود.

يقول العلامة الشهيد السيد محمد باقر الصدر(قدّس سرّه):«ليس المهدي(عليه السّلام)تجسيدا لعقيده إسلاميه ذات طابع دينى فحسب،بل هو عنوان لطموح اتجهت إليه البشريه بمختلف أديانها و مذاهبها،و صياغه لإلهام فطرى أدرك الناس من خلاله-على تنوع عقائدهم و وسائلهم الى الغيب-أنّ للانسانيه يوما موعودا على الأرض تحقّق فيه رسالات السماء مغزاها الكبير و هدفها النهائى،و تجد فيه المسيره المكدوده للإنسان على مرّ التاريخ استقرارها و طمأنينتها بعد عناء طويل.

بل لم يقتصر هذا الشعور الغيبى،و المستقبل المنتظر على المؤمنين دينيا بالغيب،بل امتد الى غيرهم أيضا و انعكس حتى على أشد الايدولوجيات و الاتجاهات رفضا للغيب،كالماديه الجدليه التى فسرت التاريخ على أساس التناقضات و آمنت بيوم موعود،تصفّى فيه كل تلك التناقضات و يسود فيه الوئام و السلام.

و هكذا نجد أن التجربة النفسيه لهذا الشعور و التى مارسها الإنسانيه على مرّ الزمن من أوسع التجارب النفسيه و أكثرها عموما

إذن فالإيمان بالفكره التى يجسدها المهدي الموعود هى من اكثر و أشد الأفكار انتشارا بين بنى الانسان كافة لأنها تستند الى فطره التطلع للكمال بأشمل صورته، أى أنها تعبر عن حاجه فطريه، و لذلك فتحققها حتمى؛ لأن الفطره لا تطلب ما هو غير موجود كما هو معلوم.

موقف الفكر الانسانى من غيبه المهدي (عليه السلام)

إنّ الفكر الانسانى لا يرى مانعا من طول عمر هذا المصلح العالمى الذى يتضمنه الإيمان بغيبته وفقا لمذهب أهل البيت (عليه السلام)، بل يرى طول عمره أمرا ضروريا للقيام بمهمته الإصلاحية الكبرى كما لاحظنا فى كلام المفكر الإيرلندى برناردشو. و عليه فالفكر الانسانى العام لا يرفض مبدئيا الإيمان بالغيبه إذا كانت الأدله المثبتة لها مقبولة عقليا.

وقد تناول العلماء ايضاح الإمكان العقلى لطول عمر الإمام المهدي و عدم تعارضه مع أى واحد من القوانين العقلية، كما فعل الشيخ المفيد فى كتابه «الفصول العشره فى الغيبه» و السيد المرتضى فى رسالته «المقنع فى الغيبه» و العلّامه الكراجكى فى رسالته «البرهان على طول عمر إمام الزمان (عليه السلام)» التى تضمنها كتابه كنز الفوائد فى جزئه الثانى، و الشيخ الطبرسى فى «اعلام الورى»، و السيد الصدر فى بحثه عن المهدي و غيرهم كثير، بل قلما يخلو كتاب من كتب الغيبه عن مناقشه هذا الموضوع و الاستدلال عليه.

ص: ٢٨

إن الإجماع على حتميه ظهور المصلح العالمى مقترن بالإيمان بأن ظهوره يأتى بعد غيبه طويله، فقد آمن اليهود بعوده عزير أو منحاس بن العازر بن هارون، و آمن النصارى بغيبه المسيح و عودته، و ينتظر مسيحيو الأحباش عوده ملكهم تيودور كمهدى فى آخر الزمان، و كذلك الهنود آمنوا بعوده فيشنوا، و المجوس بحياه أو شيدر، و ينتظر البوذيون عوده بوذا و منهم من ينتظر عوده ابراهيم (عليه السلام) و غير ذلك (1).

إذن قضيه الغيبه قبل ظهور المصلح العالمى ليست مستغربه لدى الأديان السماويه، و لا يمكن لمنصف أن يقول بأنها كلها قائمه على الخرافات و الأساطير، فالخرافات و الأساطير لا يمكن أن توجد فكره متأصله بين جميع الأديان دون أن ينكر أى من علمائها أصل هذه الفكره، فلم ينكر أحد منهم أصل فكره الغيبه و إن أنكر مصداق الغائب المنتظر فى غير الدين الذى اعتنقه و آمن بالمصداق الذى ارتضاه.

إن انتشار أصل هذه الفكره فى جميع الأديان السماويه كاشف عن أرضيه اعتقاده مشتركه رسخها الوحى الإلهى فيها جميعا، و دعمتها تجارب الأنبياء (عليهم السلام) التى شهدت غيبات متعدده مثل غيبه ابراهيم الخليل و عودته، و غيبه موسى عن بنى اسرائيل و عودته اليهم بعد السنين التى قضاهما فى مدين، و غيبه عيسى (عليه السلام) و عودته فى آخر الزمان التى أقرتها الآيات الكريمه و اتفق عليها المسلمون من خلال ورودها فى الأحاديث النبويه الشريفه، و غيبه نبى الله إلياس التى قال بها أهل السنه كما صرح بذلك مفتى

ص: ٢٩

١- (١) راجع مثلا كتاب «دفاع عن الكافى» للسيد العميدى: ١٨١/١، و إحقاق الحق: ٣/١٣-٤.

الحرمين الكنجي الشافعي في الباب الخامس و العشرين من كتابه «البيان في أخبار صاحب الزمان»، و صرّح كذلك بايمان أهل السنه بغييه الخضر (عليه السلام) و هي مستمره الى ظهور المهدي (عليه السلام) في آخر الزمان حيث يكون وزيره (1).

بل إن انتشار فكره غيبه المصلح العالمي في الأديان السابقه قد تكون مؤشرا على وجود نصوص سماويه صريحه بذلك كما سنلاحظ ذلك في نموذج النبوه الوارده في سفر الرؤيا من الكتاب المقدس و التي طبقها الباحث السني سعيد أيوب على المهدي الإمامي.

أما الاختلاف في تشخيص هويه المصلح الغائب فهو ناشئ من الخلط بين النصوص المخبره عن غيبات بعض الانبياء (عليهم السلام) و بين النصوص المتحدثه عن غيبه المصلح العالمي، بدوافع عديده سنشير إليها لاحقا.

الاختلاف في تشخيص هويه المنقذ العالمي

إذن فالإجماع قائم في الأديان السماويه على حتميه اليوم الموعود، و كما قال العلامة المتتبع آيه الله السيد المرعشي النجفي في مقدمه الجزء الثالث عشر من «إحقاق الحق»: «و ليعلم أن الأمم و المذاهب و الأديان اتفقت كلمتهم -إلا من شذ و ندر- على مجيء مصلح سماوي إلهي ملكوتي لإصلاح ما فسد من العالم و إزاحه ما يرى من الظلم و الفساد فيه و إناره ما غشيه من الظلم، غايه الأمر أنه اختلفت كلمتهم بين من يراه عزيزا، و بين من يراه مسيحا، و من يراه خليلا، و من يراه -من المسلمين- من نسل الإمام مولانا أبي محمد الحسن السبط و من يراه من نسل الإمام مولانا أبي عبد الله الحسين السبط الشهيد...».

ص: ٣٠

و إذا اختلفت الأديان بل الفرق و المذاهب المتشعبه عنها فى تحديد هويه المصلح العالمى رغم اتفاقهم على حتميه ظهوره و على غيبته قبل عودته الظاهره،فما هو سر هذا الاختلاف؟

يبدو أن سبب هذا الاختلاف يرجع الى تفسير النصوص و البشارات السماويه و تأويلها استنادا الى عوامل خارجه عنها و ليس الى تصريحات أو اشارات فى النصوص نفسها،و إلى التأثير العاطفى برموز معروفه لاتباع كل دين أو فرقه و تطبيق النصوص عليها و لو بالتأويل،بمعنى أن تحديد هويه المصلح الموعود لا ينطلق من النصوص و البشارات ذاتها بل ينطلق من انتخاب شخصيه من الخارج و محاوله تطبيق النصوص عليها.يضاف الى ذلك عوامل أخرى سياسيه كثيره لسنا هنا بصدد الحديث عنها،و معظمها واضح معروف فيما يرتبط بالأديان السابقه و فيما يرتبط بالفرق الاسلاميه، و محورها العام هو:إن الإقرار بما تحدهه النصوص و البشارات السماويه و النبوه نفسها ينسف قناعات لدى تلك الأديان و هذه الفرق يسلبها مبرر بقائنا الاستقلالى،و مسوغ إصرارها على عقائدها السالفه.

أما بالنسبه للعامل الأول فنقول:إن النصوص و البشارات السماويه و أحاديث الأنبياء و أوصيائهم(عليهم السلام)بشأن المصلح العالمى تتحدث عن قضيه ذات طابع غيبى و هو شخصيه مستقبلية و عن دور تاريخى كبير يحقق أعظم إنجاز للبشرية على مدى تاريخها و يحقق فى اليوم الموعود أسمى طموحاتها،و الإنسان بطبعه ميال لتجسيد القضايا الغيبية فى مصاديق ملموسه يحس بها،هذا من جهه.و من جهه أخرى فكل قوم يتعصبون لشريعتهم و رموزهم و ما ينتمون إليه و يميلون أن يكون صاحب هذا الدور التاريخى منهم.

لذا كان من الطبيعي أن يقع الاختلاف فى تحديد هويه المصلح العالمى، لأنّ من الطبيعي أن يسعى أتباع كل دين الى اختيار مصداق للشخصيه الغيبية المستقبليه التى تتحدث عنها النصوص و البشارات الثابته فى مراجعهم المعتمده و المعتمده عندهم ممن يعرفون و يحبون من زعمائهم، يدفعهم لذلك التعصب الشعورى أو اللاشعورى لشريعتهم و رموزها، و الرغبه الطبيعيه العارمه فى أن يكون لهم افتخار تحقق ذاك الدور التارىخى على يد شخصيه تنتمى اليهم أو ينتمون إليها.

الخلط بين البشارات و تأويلها

من هنا أخذت كل طائفه تسعى لتطبيق الصفات التى تذكرها تلك النصوص و البشارات المرويه لدى كل منها على الشخصيه المحبوه لديها أو أقرب رموزها الى الصفات المذكوره؛ فإذا وجدت بعض تلك الصفات صريحه فى عدم انطباقه على الشخصيه التى اختارتها عمدت الى معالجه الأمر بالتأويل و التلفيق، أو بتغييرها أو تحريفها لتتنطبق على من انتخبته سابقا أو الخلط بين النصوص و البشارات السماويه-الوارده بشأن النبى اللاحق أو المنقذ للعالم فى برهه معينه أو المصحح لانحراف امه معينه-و بين النصوص و البشارات الخاصه بالحديث عن المصلح العالمى الذى يقيم الدوله العادله على كل الأرض فى آخر الزمان و يحقق أهداف الأنبياء و الأوصياء(عليهم السلام) جميعا.

منهج لحل الاختلاف

و حيث اتضح سبب الاختلاف فى تحديد هويه المصلح العالمى؛ أمكن

معرفة سبيل حلّه و التوصل الاستدلالي لمصداقه الحقيقي بصوره علميه سليمه و مقنعه، و يمكن تلخيص مراحلها على النحو التالي:

١- تمييز البشارات و النصوص الخاصه بالمصلح العالمى الموعود فى آخر الزمان عن غيرها الوارده بشأن نبى أو وصى معين، استنادا الى دلالات نصوص البشارات نفسها و من مصادرها الأصلية، و كذلك استنادا الى ما تقتضيه المبادئ الأولى المرتبطه بمهام الأنبياء و الأوصياء (عليهم السلام) و سيرهم و الواقع التاريخى الثابت، و كذلك ما تقتضيه معرفه الثابت من دوره و مهمته الكبرى كمصلح عالمى.

٢- تحديد الصفات و الخصائص التى تحددها النصوص و البشارات نفسها للمصلح الموعود و بصوره مجتمعه و توضيح الصوره التى ترسمها له قبل افتراض سابق لمصداق لها، لكى لا تكون الصوره المرسومه له متأثره بالمصداق المفترض سلفا.

٣- و بعد اكتمال الصوره التجريديه المستفاده، تبدأ عمليته التعرف على الصفات و الخصائص و الحقائق التاريخيه المذكوره كمصداق للمصلح العالمى الموعود، ثم عرضها على الصوره التى ترسمها له نصوص البشارات نفسها، و المتحصله من المرحلتين السابقتين، ليتم بذلك تبيان عدم انسجام صفات المصداق غير الحقيقيه مع تلك الصوره و بالتالى التعرف على المصداق الحقيقى من بينها.

المهدى الإمامى و حل الاختلاف

من المؤكد أن البشارات السماويه الوارده فى الكتب المقدسه تهدى الى المهدى المنتظر الذى يقول به مذهب أهل البيت (عليهم السلام) كما سنشير لذلك

لاحقا، وأثبتته دراسات متعددة في نصوص هذه البشارات (١).

إذن فالتعريف بعقيدته أهل البيت (عليهم السّلام) في المهدي المنتظر (عليه السّلام) يفتح آفاقا أوسع للاهتمام للمصداق الحقيقي للمصلح العالمي الذي بشرت به كل الديانات طبقا لدلالات نصوص البشارات الواردة في الكتب المقدسه حتى لو كان الايمان الجديد من خلال قناعات أتباع الديانات السابقه.

و كنموذج على تأثير هذا التعريف نشير الى نتيجة تحقيق القاضي جواد الساباطي من أعلام القرن الثاني عشر الهجري، إذ كان في بدايه أمره عالما نصرانيا ثم تعرّف على الاسلام و اعتنقه على المذهب السنّي الذي كان أول ما عرف من الفرق الاسلاميه، و ألف كتابه المعروف «البراهين الساباطيه» في ردّ النصارى و إثبات نسخ شرائعهم؛ استنادا الى ما ورد في نصوص كتبهم المقدسه (٢).

رأى القاضي الساباطي

تناول القاضي الساباطي إحدى البشارات الواردة في كتاب أشعيا من العهد القديم من الكتاب المقدس بشأن المصلح العالمي، ثم ناقش تفسير اليهود و النصارى لها و دحض تأويلات اليهود و النصارى لها ليخلص الى

ص: ٣٤

١- (١) نظير كتاب بشارات عهدين للشيخ محمد الصادق و ترجمته العربيه بقلم المؤلف نفسه المطبوع باسم: «البشارات و المقارنات». و مثله بالفارسيه: بشارات صحف آسماني به ظهور حضرت مهدي (عليه السّلام) لعلّى أكبر شعفى اصفهاني، و العربيه: المهدي المنتظر و العقل لمحمد جواد مغنيه.

٢- (٢) كشف الأستار للميرزا حسن النورى: ٨٤، و أولى منه كتاب كبير فى ست مجلدات بعنوان: أنيس الأعلام فى نصره الإسلام. لعالم نصرانى أرمنى كبير اعتنق الإسلام على مذهب أهل البيت (عليهم السّلام) و كتب ذلك الكتاب بالفارسيه استجابا لاقتراح علماء الإسلام، من أواخر القرن الثانى عشر و أوائل الثالث عشر، سيأتى ذكره آنفا باسم الشيخ محمد صادق فخر الإسلام، و هذا ما لّقبه به علماء اصفهان يومئذ تقديرا لجهوده فى مجلدات كتابه القيم.

قوله: «و هذا نصّ صريح في المهدي-رضي الله عنه-حيث أجمع المسلمون انه(رضي الله عنه)لا يحكم بمجرد السمع و الظاهر،و مجرد البيّنه بل لا يلاحظ إلا الباطن،و لم يتفق ذلك لأحد من الأنبياء و الأولياء».

ثم يقول بعد تحليل النص: «...و قد اختلف المسلمون في المهدي،فأما أصحابنا من أهل السنه و الجماعه قالوا:إنه رجل من أولاد فاطمه(عليها السلام)،اسمه محمد و اسم أبيه عبد الله و اسم امه آمنه.

و قال الإماميون:بل هو محمد بن الحسن العسكري الذي ولد سنه خمس و خمسين و مائتين من جاريه للحسن العسكري(عليه السلام)اسمها نرجس في(سرّ من رأى)في عصر المعتمد ثم غاب سنه (1)ثم ظهر ثم غاب و هي الغيبه الكبرى و لا يرجع بعدها إلا حين يريد الله تعالى.

و لما كان قولهم أقرب لما يتناوله هذا النص و إن هدفي الدفاع عن أمه محمد(صلّى الله عليه و آله)مع قطع النظر عن التعصب لمذهب؛لذلك ذكرت لك أن ما يدعيه الإماميه يتطابق مع هذا النص» (2).

فلاحظ هنا أن هذا العالم الخبير بالنصرانيه يصرح بانطباق البشاره مورد البحث على المهدي المنتظر طبق ما يعتقد مذهب أهل البيت(عليهم السلام)، على الرغم من عدم انتمائه الى المذهب الشيعي بعد اعتناقه الاسلام،فخالف رأى المذهب الذي ينتمى إليه في هذا المجال و رجّح رأى مذهب أهل البيت(عليهم السلام)و صرّح بانطباق بشاره كتاب أشعيا على هذا الرأى.

ص: ٣٥

١- ((١)) الثابت أن غيبه الإمام المهدي بعد وفاه أبيه-(عليهما السلام)-استمرت ٦٩ سنه.فلعل الساباطي ترك بياضا ليتأكد من المدّه ثم نسي ملء الفراغ فانتشر الكتاب كذلك.

٢- ((٢)) المصدر السابق: ٨٥،و ذكر أن كتاب البراهين الساباطيه قد طبع قبل أكثر من ثلاثين من تأريخ تأليف كتابه كشف الأستار.

و الذى أوصله الى الاهتداء للمصداق الحقيقى هو التعرف على رأى الإماميه فى المهدي المنتظر (عليه السّلام)، و بدون التعرف على هذا الرأى لعله لم يكن ليتوصّل الى المصداق الذى تنطبق عليه البشارات المذكوره و لو لا ذلك لكان يقتصر إمّا على رد أقوال النصارى بشأن البشاره المذكوره أو اغفالها اصلاً أو تأويل بعض دلالاتها لتتطبق على رأى المذهب الذى كان ينتمى اليه فى المهدي الموعود.

و الملاحظه نفسها نجدها فى دراسات علماء آخرين من أهل الكتاب بشأن هذه البشارات، فقد أصبح من اليسير عليهم معرفه المصداق الذى تتحدث عنه عند ما تعرفوا على رأى مذهب أهل البيت (عليهم السّلام) فى المهدي المنتظر و خاصه الذين اعتنقوا الاسلام و تهيأت لهم فرصه التعرف على هذا الرأى، و قد أثارهم شدة انطباق ما تذكره البشارات التى عرفوها فى كتب دياناتهم السابقه على المهدي المنتظر (عليه السّلام) الذى تؤمن به الإماميه؛ الأمر الذى دفعهم الى دراسه هذه البشارات فى كتبهم.

و النموذج الآخر هو: ما فعله العالّامه محمد صادق فخر الاسلام الذى كان نصرانياً و اعتنق الاسلام و انتمى لمذهب أهل البيت (عليهم السّلام) و ألّف كتابه الموسوعى «أنيس الأعلام» فى رد اليهود و النصارى (1) و تناول فيه دراسه هذه البشارات و انطباقها على الإمام محمّد المهدي بن الحسن العسكري (عليهما السّلام). مثل ما فعله العالّامه محمد رضا رضائى الذى أعرض عن اليهوديه - و قد كان من علمائها - و اعتنق الاسلام و ألّف كتاب «منقول رضائى» الذى بحث فيه أيضاً موضوع تلك البشارات و أثبت النتيجة نفسها.

ص: ٣٦

١- (١) بشارات عهدين: ٢٣٢، و ذكر أن العالم المذكور كان من متبعى علماء النصارى و محققهم و اعتنق الاسلام بعد دراسه معمقه استغرقت أمداً و ألّف عده كتب منها الكتاب المذكور الذى يوصف بأنه أفضل ما ألّف فى الرد على اليهود و النصارى.

إن من الواضح لمن يمعن النظر في نصوص تلك البشارات السماويه أنها تقدم مواصفات للمصلح العالمي لا تنطبق على غير المهدي المنتظر الإمامي طبقا لعقيدته مدرسه أهل البيت (عليهم السّلام) لذلك فإن من لم يتعرف على هذه العقيدته لا يستطيع التوصل الى المصداق الذي تتحدث عنه كما نلاحظ ذلك مثلا في أقوال مفسري الإنجيل بشأن الآيات (١-١٧) من سفر الرؤيا الفصل الثاني عشر «مكاشفات يوحنا اللاهوتي» فهم يصرحون بأن «الشخص الذي تتحدث عنه البشاره الوارده في هذه الآيات لم يولد بعد، لذا فإن تفسيرها الواضح و معناها البين موكول للمستقبل و الزمان المجهول الذي سيظهر فيه» (١)، في حين أن هذه الآيات تتحدث بوضوح عن الحكومه الإلهيه التي يقيمها هذا الشخص في كل العالم و يقطع دابر الأشرار و الشياطين و هي المهمه التي حددتها البشارات الاخرى بأنها محور حركه المصلح العالمي. لكن مفسري الإنجيل لم يستطيعوا تطبيقها على المصداق الذي اختاروه لهذا المصلح و هو السيد المسيح عيسى بن مريم (عليهما السّلام) لأن البشاره واره عن يوحنا اللاهوتي عن السيد المسيح فهو المبشر بمجىء هذا المنقذ، كما أنهم لم يتعرفوا على عقيدته أهل البيت (عليهم السّلام) في المهدي المنتظر (عليه السّلام)، لذلك لم يستطيعوا الاهتداء الى مصداق تلك الآيات.

ص: ٣٧

و هناك باحث من أهل السنّة استطاع الاهتداء الى المصداق الذي تتحدث الآيات المشار اليها عند ما تعرّف على عقيدة أهل البيت فى المهدي المنتظر-سلام الله عليهم اجمعين- و هو الاستاذ سعيد أيوب حيث يقول فى كتابه «المسيح الدجال» عن هذه الآيات نفسها: «و يقول كعب: مكتوب فى أسفار الأنبياء: المهدي ما فى عمله عيب» ثم علق على هذا النص بالقول:

«و أشهد انى وجدته كذلك فى كتب اهل الكتاب، لقد تتبع اهل الكتاب أخبار المهدي كما تتبعوا أخبار جده (صلى الله عليه و آله)، فدلّت أخبار سفر الرؤيا الى امرأه، يخرج من صلبها اثنا عشر رجلا، ثم أشار الى امرأه اخرى: أى التى تلد الرجل الأخير الذى هو من صلب جدته، و قال السفر: إن هذه المرأه ستحيط بها المخاطر، و رمز للمخاطر باسم «التنين» و قال: و التنين وقف أمام المرأه العتيده حتى تلد، يبتلع ولدها متى ولدت» (١).

أى إن السلطه كانت تريد قتل هذا الغلام، و لكن بعد ولاده الطفل. يقول باركلى فى تفسيره: «عند ما هجمت عليها المخاطر اختطف الله ولدها و حفظه». و النص: و اختطف الله ولدها (٢)، أى: إن الله غيب هذا الطفل كما فى قول باركلى.

و ذكر السفر أن غيبه الغلام ستكون ألفا و مائتين و ستين يوما (٣)، و هى مده لها رموزها عند أهل الكتاب، ثم قال: باركلى عن نسل المرأه [الاولى]

ص: ٣٨

١- ((١)) سفر الرؤيا ١٢: ٣.

٢- ((٢)) سفر الرؤيا ١٢: ٥.

٣- ((٣)) المده رمزيه و قد وردت فى الأصل العبرى بتعبير: «و سيغيب عن التنين زمانا و زمانين و نصف زمان»، راجع بشارات العهدين: ٢٦٣.

عموما: «إن التين سيعمل حربا شرسة مع نسل المرأه كما قال: في السفر:

فغضب التين على المرأه، و ذهب ليضع حربا مع باقى نسلها الذى يحفظون وصايا الله» (١).

و عقب الاستاذ سعيد أيوب على ما تقدم بالقول: هذه هى أوصاف المهدي، و هى نفس أوصافه عند الشيعة الإماميه الاثنى عشرية، و دعم قوله بتعليقات أوردها فى الهامش بشأن انطباق الأوصاف على مهدي آل البيت (عليهم السلام) (٢).

البشارات و خصوصيات المهدي الإمامي

و يلاحظ فى هذه البشارات الإنجيليه تناولها لخصوصيات فى المصلح العالمى لا تنطبق إلا على أبرز ما يميز عقيدته مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) و الواقع التاريخي الذى مرت به.

إن تناول هذه الخصوصيات الظاهره بالذات يشير الى حكمه ربانيه فى هدايه الآخرين الى المصداق الحقيقى للمصلح العالمى بأبلغ حجه من خلال الإشاره الى ابرز خصوصياته الظاهره و المعروفه لكى يكون الاهتداء اليها أيسر، فمثلا- نلاحظ فيها الإشاره الى تعرض مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) لمخاطر التصفيه و الإباده التى تؤدى بالتالى الى غيبه الإمام الثاني عشر منهم، ثم التأكيد على أن هذا الإمام محفوظ بالرعايه الإلهيه فى غيبته حتى يحين موعد ظهوره المبارك. و معلوم أن القول بغيبه الإمام الثاني عشر هو أهم ما يميز عقيدته الاماميه فى المهدي المنتظر و لذلك وردت الإشاره اليها بالذات

ص: ٣٩

١- (١) سفر الرؤيا ١٢: ١٣.

٢- (٢) المسيح الدجال، سعيد أيوب: ٣٧٩-٣٨٠/نقلا عن المهدي المنتظر فى الفكر الاسلامي، اصدار مركز الرساله: ١٣-١٤.

كما وردت اشارات الى مميزات معروفه اخرى تختص بها عقيدته أئمه أهل البيت (عليهم السّلام)، مثل القول بأنّ الإمام المهدي هو الإمام الثانى عشر من سلسله مباركه متصله كما تشير لذلك الآيات المتقدمه و بشارات اخرى وارده فى الكتب المقدسه، نظير ما ورد فى «سفر التكوين من الأصل العبرى» (١)، من الوعد على لسان الرب تعالى خطابا لإبراهيم الخليل (عليه السّلام)، بالمباركه و التكتير فى صلب اسماعيل بمحمد (صلّى الله عليه و آله) و الأئمه الاثنى عشر من عترته (عليهم السّلام) (٢). و معلوم أن مصداق الأئمه الاثنى عشر من صلب اسماعيل لم يتحقق بالصوره المتسلسله المشار اليها فى البشارات إلا فى الائمه الاثنى عشر من أهل البيت (عليهم السّلام) كما يثبت ذلك الواقع التاريخى فضلا عن الأحاديث النبويه المتفق على صحتها بين المسلمين (٣)، فهى خاصه بهم حتى اصبحت ظاهره واضحه فى التاريخ الاسلامى اطلقت على المذهب المنتمى لأهل البيت فسمى مذهب الإماميه الاثنى عشرية.

و عليه يتضح أن تلك البشارات تهدي الى حقيقه هى: أن المهدي هو خاتم هؤلاء الأئمه الاثنى عشر.

ص: ٤٠

١- (١) سفر التكوين: ١٧: ٢٠، و ٢٢-٢٣.

٢- (٢) أهل البيت فى الكتاب المقدس، احمد الواسطى: ١٠٥-١٠٧.

٣- (٣) راجع الفصل الأول من كتاب منتخب الأثر فى الإمام الثانى عشر لآيه الله الشيخ لطف الله الصافى، فقد نقل فيه (٢٧١) حديثا من المصادر الحديثيه المعتمره عند مختلف طوائف المسلمين تشتمل على إخبار النبى (صلّى الله عليه و آله) باتصال الإمامه فى هؤلاء الأئمه الاثنى عشر من أهل بيته (عليهم السّلام) الى يوم القيامه و فيها احاديث تنص صراحه على اسمائهم أو تحدد أن أولهم الإمام على (عليه السّلام) و آخرهم الإمام المهدي (عليه السّلام)، و للشيخ الصافى فى هذا الفصل تعليقه استقرائيه تاريخيه تثبت عدم صدق هذه الأحاديث على غير الائمه الاثنى عشر من عتره آل الرسول (صلّى الله عليه و آله).

وردت في البشارات أيضا اشارات الى ألقاب اختص بها المهدي الإمامي (عليه السلام) مثل وصف «القائم» (١) فمثلا نلاحظ البشاره التاليه من سفر أشعيا النبي التي تحدث القاضي جواد الساباطي عن دلالتها على المهدي وفق عقيدة الإماميه الاثني عشرية: «٢-و يحل عليه روح الرب، و روح الحكمة و الفهم، و روح المشوره، و القوه، و روح المعرفه و مخافه الرب. ٣-و لذته في مخافه الرب، و لا يقضى بحسب مرأى عينيه و لا بحسب مسمع اذنيه، ٤-و يحكم بالانصاف لبائسى الأرض، و يضرب الأرض بقضيب فمه و يميت المناقق بنفخه شفتيه... ٥-و يسكن الذئب و الخروف، و يربض النمر مع الجدى، و العجل و الشبل معا و صبي صغير يسوقها... ٩-لا يسيئون و لا يفسدون في كل جبل قدسى لأن الأرض تمتلئ من معرفه الرب كما تغطى المياه البحر. ١٠-و في ذلك اليوم سيرفع «القائم» رايه الشعوب و الامم التي تطلبه و تنتظره و يكون محله مجدا» (٢).

و مثل وصف «صاحب الدار» المعدود من ألقاب الإمام المهدي (عليه السلام) (٣)، فقد وردت ضمن بشارات عن انتظار المنقذ العالمي الذي لا يختص به المسيحيون اشاره الى عدم هذا الاختصاص و تحدثت عن

ص: ٤١

١- (١) اختص هذا اللقب بأئمه العتره الطاهره، و اذا اطلق كان المراد منه الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر (عليه السلام)، راجع كتاب النجم الثاقب لآيه الله الميرزا حسين النوري ١: ٢١١، من الطبعة المترجمه الى العربية، و قد ذكر الميرزا النوري أن هذا اللقب مذكور في الزبور الثالث عشر و غيره، نقل ذلك عن كتاب ذخيره الألباب للشيخ محمد الاسترابادي.

٢- (٢) أهل البيت في الكتاب المقدس: ١٢٣-١٢٧.

٣- (٣) النجم الثاقب: ١٩٨/٢.

ظهوره المفاجئ و هي في «إنجيل مرقس، ١٣: ٣٥» (١).

و مثل وصف «المنتقم لدم الحسين (عليه السلام) المستشهد عند نهر الفرات» كما ورد في بشاره في «سفر أرميا، ٤٦: ٢-١١».

وقد صرح بذلك الاستاذ الأردني عوده مهاوش في دراسته «الكتاب المقدس تحت المجهر» و ذكر أنها تتعلق بالمهدى المنتقم لدم الحسين (عليه السلام) (٢).

و هناك نظائر كثيرة لا يتسع المقام لذكرها.

الاهتداء الى هويه المنقذ على ضوء البشارات

اذن معرفه هذه الخصوصيات تقودنا الى اثبات أن المصلح العالمى الذى بشرت به جميع الديانات هو المهدى ابن الحسن العسكرى (عليهما السلام) كما تقوله عقيدة أهل البيت (عليهم السلام) لأن البشارات السماويه لا تنطبق على العقائد الأخرى، فتكون النتيجة هو أن الديانات السابقه لم تبشر بظهور المنقذ العالمى فى آخر الزمان بعنوانه العام و حسب بل شخّصت أيضا هويته الحقيقيه من خلال تحديد صفات و تفصيلات لا تنطبق على غيره (عليه السلام)، و هكذا تكون هذه البشارات دليلا اضافيا على صحه عقيدة أهل البيت (عليهم السلام) بهذا الشأن.

و نكتفى هنا بالاشارة الى بعض البشارات الواردة فى العهدين القديم و الجديد «أسفار التوراه و الأناجيل» بهذا الصدد، بحكم كونها معتبره عند أكبر و أهم الديانات السابقه على الاسلام أى اليهوديه و النصرانيه؛ و لأن هذين

ص: ٤٢

١- (١) بشارات العهدين: ٢٧٧.

٢- (٢) الكتاب المقدس تحت المجهر: ١٥٥، نقلا عن كتاب دفاع عن الكافى للسيد ثامر العميدى: ١، و راجع بشأن هذه البشاره، أهل البيت فى الكتاب المقدس: ١٨٥/١-١٨٦.

العهدين الموجودين حالياً قد مرّ بالكثير من التحقيق و التوثيق عند علماء اليهود و النصارى و اجريت بشأنهما الكثير من الدراسات و دوت الكثير من الشروح لهما، و نسخهما كثيره و متداوله بترجمات كثيره لمختلف اللغات، غير أنّ الاعتماد على الاصول العبريه أدق لوقوع أخطاء و لبس فى الترجمات.

فالاقتصار عليهما لا- يعنى انحصار البشارات التى لا يمكن تفسيرها بغير المهدي المنتظر (عليه السلام) طبق عقيدته مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، بل على العكس فإنّ امثالها موجوده فى مختلف كتب الأديان الاخرى و بتصريحات و دلالات أوضح ذكرتها الدراسات المتخصصه فى هذا الباب (1). و لكنها غير مشهوره عند الجميع و نسخها غير متداوله و أغلبها لم تترجم عن لغاتها الام إلا قليلا. على أنّ الاقتصار على النماذج المتقدمه من العهدين القديم و الجديد فيه الكفايه فى الاستدلال على المطلوب، و التفصيلات موكوله للمراجع المتخصصه المشار اليها فى طيّات البحث.

الاستناد الى بشارات الكتب السابقه و مشكله التحريف

و تبقى هنا قضيتان من الضرورى التطرّق لهما قبل تثبيت النتائج المتحصّله من البحث.

القضيه الأولى: هى مناقشه السؤال التالى: كيف يمكن الاستناد الى كتب الديانات الاخرى فى اثبات قضيه مهمه مثل قضيه تشخيص هويه المصلح العالمى المنتظر و اثبات أنه المهدي ابن الحسن العسكري (عليهما السلام)، و اثبات صحه هذه العقيدته و انتمائها الإلهى مع اتفاق المسلمين على وقوع التحريف فى هذه الكتب؟

ص: ٤٣

١- (١) راجع مثلاً ما نقله الشيخ الصادق فى كتابه بشارات العهدين- من كتب الأديان الاخرى.

نعتقد أن الاجابه على هذا التساؤل ممكنه بقليل من التدبر فى حيثيات الموضوع،و يمكن تلخيصها بما يلى:

١-إن اثبات عقيدته منهج أهل البيت(عليهم السّلام)فى المهدى المنتظر(عليه السّلام) يستند الى الكثير من البراهين العقلية و الآيات القرآنيه و ما اتفق عليه المسلمون من صحاح الأحاديث النبويه و الواقع التاريخى لسيره ائمه أهل البيت(عليهم السّلام)، كما هو مشهود فى الكتب العقائديه التى تناولت هذا الموضوع.

أما الاستناد الى البشارات الوارده فى كتب الأديان المقدسه فهو من باب الدليل الاضافى أو الشواهد المؤيده فلا تسقط النتيجة المتحصله منه بسقوط أو بطلان الأساس؛لأن هذه العقيدته قائمه على اسس اخرى أيضا،اذن لا مجال للاعتراض على صحه هذه العقيدته حتى مع افتراض بطلان بعض اسسها باعتبار القول بتحريف تلك الكتب.

٢-ثمه ثمار مهمه لدراسه و توثيق هذا الدليل،و هى هدايه اتباع الديانات الاخرى الى الحق و الى المصلح الإلهى الحقيقى بالاستناد الى كتبهم نفسها و فى ذلك حجه كامله عليهم؛هذا أولا،و ثانيا فإنّ مثل هذه الدراسه تؤكّد الجانب العالمى فى القضيّه المهدويه،و توفر محورا جديدا للوافق بين الأديان المختلفه بشأن المصلح العالمى الذى ينتظرونه جميعا.

٣-و ليس ثمه من يقول بأن جميع ما فى كتب الأديان السابقه محرف، بل إن المتفق عليه بين المسلمين وقوع التحريف فى بعضها و ليس فى كلها.

لذلك فإنّ ما صدّفته النصوص الشرعيه الاسلاميه-قرآنا و سنّه-مما فى الكتب السابقه محكوم بالصحه و عدم تطرق التحريف اليه؛و هذا واضح.

١- من الثابت اسلاميا أن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) قد بشر بالمهدى الموعود من أهل بيته و من ولد فاطمه-سلام الله عليها (١)-، لذلك فإن البشارات الواردة في كتب الأديان السابقه من هذا النمط الذى لم تطاله أيدي التحريف ما دامت منسجمه مع ما صرح فى النصوص الشرعيه الاسلاميه.

اذن لا مانع من الاستناد اليه و الاحتجاج به.

٢- يضاف الى ذلك أن القرآن الكريم نفسه قد بشر بالدوله الإلهيه العالميه و اقامتها فى آخر الزمان كما صرحت بذلك آياته الكريمه التى دلّ عدد منها على المهدي الموعود و حتميه وجوده و غيبته، كما سنوضح ذلك فى بحث لاحق ان شاء الله تعالى. و هذا يعنى تصديق ما ورد فى بشارات الأديان السابقه الوارده بالمضمون نفسه، الأمر الذى يعنى صدورها من نفس المصدر الذى صدر منه القرآن الكريم، و بالتالى الحكم بصحتها و عدم تطرق التحريف اليها، فلا مانع حينئذ من الاستناد اليها و الاحتجاج بها فى اطار المضامين التى صدّقها القرآن الكريم.

٣- إن بعض هذه البشارات ترتبط بواقع خارجي معاش أو ثابت تاريخيا، بمعنى أن الواقع الخارجى الثابت جاء مصدقا لها. فمثلا البشارات التى تشير الى ان المصلح العالمى هو الإمام الثانى عشر من ذريه اسماعيل و أنه من ولد خيريه الإمام و أن ولادته تقع فى ظل اوضاع سياسيه خانقه

ص: ٤٥

١- (١) بل أثبتت دراسات عدد من علماء أهل السنّه تواتر هذه الأحاديث الشريفه، مثل كتاب «التوضيح فى تواتر ما جاء فى المنتظر و الدجال و المسيح» للإمام الشوكانى، و كتاب «الاشاعه فى أشراف الساعه» للبرزنجى، و كتاب «التصريح» للكشميرى و غيرها.

و مهدده لوجوده فيحفظه الله و يغيبه عن أعين الظالمين الى حين موعد ظهوره و أمثالها، كلها تنبأت بحوادث ثابتة تاريخيا، و هذا يضيف دليلا آخر على صحتها، ما دام أن من الثابت علميا أنها مدونه قبل وقوع الحوادث التي أخبرت عنها، فهي في هذه الحالة تثبت أنها من أنباء الغيب التي لا يمكن أن تصدر إلا ممن له ارتباط بعالم الغيوب تبارك و تعالى. و بذلك يمكن الحكم بصحتها و عدم تطرق التحريف إليها، و بالتالي يمكن الاستناد إليها و الاحتجاج بها (١).

تأثير البشارات في صياغة العقيدة المهدوية

أما القضية الثانية: فهي ترتبط بالاعتراض القائل بأن الاستناد الى هذه البشارات في اثبات عقيدة أهل البيت (عليهم السلام) في المهدي المنتظر (عليه السلام) يفتح باب التشكيك و الادعاء بأن هذه العقيدة تسلت الى الفكر الاسلامي من الاسرائيليات و محرفات الأديان السابقة.

و الجواب على هذا الاعتراض يتضح من الإجابة السابقة، فهو يصح إذا كانت العقيدة الإمامية المهدوية تستند الى تلك البشارات وحدها في حين أن الأمر ليس كذلك.

ص: ٤٦

١- (١) هذا الحكم يصدق ايضا على الأحاديث الشريفه المرويه عن الرسول الأكرم و ائمه العتره-صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين-و التي تنبأت بولاده المهدي من الحسن العسكري و غيبته، فثبوت صدورها و تدوينها قبل وقوع الولاده و الغيبه بما يزيد على القرن و أكثر ثم تحقق ما أخبرت عنه عمليا يثبت صحتها حتى لو كان ثمة نقاش في بعض أسانيدها؛ لأن تصديق الواقع لها دليل على صحة صدورها من ينابيع الوحي المتصله بالله تبارك و تعالى الذي لا يعلم الغيب سواه و لا يطلع على غيبه إلا من ارتضى، و قد استدلل العلماء بهذا الدليل الوجداني على صحة الغيبه و صحة إمامه المهدي ابن العسكري (عليهما السلام) مثل الشيخ الصدوق في إكمال الدين: ١/١٩، و الشيخ الطوسي في كتاب الغيبه: ١٠١-١٠٧، و الطبرسي في اعلام الوري، و ابن طاووس في كشف المحججه و غيرهم.

و لو قلنا بأن كل فكره اسلاميه لها نظير في الأديان السابقه هي من الأفكار الدخيله في الاسلام؛ لأدى الأمر الى اخراج الكثير من الحقائق و البديهيات الاسلاميه التي أقرها القرآن الكريم و صحاح الأحاديث الشريفه و هي موجوده في الأديان السابقه، وهذا واضح البطلان و لا يخفى بطلانه على ذى لب. فالمعيار في تشخيص الأفكار الدخيله على الاسلام هو عرضها على القرآن و السنّه و الأخذ بما وافقهما و نبذ ما خالفهما، و ليس عرضها على ما في كتب الديانات السابقه و نبذ كل ما وافقها مع العلم بأن فيها ما لم تنطبق له يد التحريف و فيه ما ثبت صدوره عن المصدر الذى صدر عنه القرآن الكريم.

يضاف الى ذلك أن عقيدته الإماميه في المهدي المنتظر (عليه السّلام) تستند الى واقع تاريخي ثابت، فكون الإمام المهدي هو الثاني عشر من أئمه أهل البيت (عليهم السّلام) ثابت تاريخيا و حتى ولادته الخفيه من الحسن العسكري (عليه السّلام) قد سجلها المؤرخون من مختلف المذاهب الاسلاميه و أقرها علماء مختلف المذاهب حتى الذين لم يذعنوا أنه هو المهدي الموعود و إن كان عدد الذين صرحوا بأنه هو المهدي من علماء أهل السنّه غير قليل أيضا (1).

ص: ٤٧

١- (١) ذكر الشيخ القندوزي الحنفي في يتابع الموده الكثير من علماء أهل السنّه القائلين بأن المهدي الموعود هو ابن الحسن العسكري و أنه حي و غائب، كما ذكر الميرزا النوري في كتاب كشف الأستار اربعين عالما منهم و نقل تصريحاتهم في ذلك، و كذلك فعل العلامة نجم الدين العسكري في كتابه المهدي الموعود المنتظر (عليه السّلام) عند علماء أهل السنّه و الإماميه، و جمع أقوالهم و تصريحاتهم السيد ثامر العميدي في الجزء الأول من كتابه (دفاع عن الكافي). و كذلك السيد الأمين العاملي في ج ٥ من المجالس السنبيه و الاستاذ الدخيل في: الإمام المهدي (عليه السّلام).

نصل الى القسم الأخير من البحث، و هو تسجيل النتائج الحاصله منه فى النقاط التاليه:

١- ان اصل فكره الايمان بالمصلح العالمى فى آخر الزمان و إقامه الدوله العادله التى تحقق السعاده الحقه للبشرية جمعاء تستند الى جذور فطريه فى الانسان تنبع من فطره تطلعه الى الكمال، و لذلك لاحظنا اجماع مختلف التيارات الفكرية الانسانيه حتى الماديه منها على حتميه تحقق هذا اليوم الموعود. أما الفكر الدينى فهو مجمع عليها لتواتر البشارات السماويه فى كتب الأديان المختلفه بذلك. فلا يمكن قبول ما زعمه بعض المستشرقين بأن هذه الفكره المجمع عليها تستند الى الخرافات و الأساطير.

٢- إن القول بوجود المهدي الموعود بالفعل و غيبته- و هو الذى يؤمن به مذهب أهل البيت (عليهم السلام) و يتميز عن عقيدته أهل السنه فى المهدي الموعود- غير مستبعد لا فى الفكر الإنسانى الذى يرى أن من الضرورى أن يكون عمر المصلح العالمى طويلا، و لا من الفكر الدينى الذى اقترن إيمانه بالمصلح العالمى بالإيمان بأنه يعود بعد غيبه. بل إن وقوع الغيبات فى تاريخ الأنبياء (عليهم السلام) يدعم هذا القول و يعززه.

٣- إن إجماع الأديان السماويه على الايمان بالمصلح العالمى و غيبته قبل الظهور اقترن بالاختلاف الشديد فى تحديد هويته، و هو اختلاف ناشئ من جمله من العوامل، منها: ان البشارات الوارده فى الكتب المقدسه بشأنه تتحدث عن قضيه غيبه، و الانسان بطبعه ميال لتجسيد الحقائق الغيبه فى

مصاديق محسوسه يعرفها. و منها: أن التعصب المذهبي و الرغبة في الفوز بافتخار الانتماء لصاحب هذا الدور التاريخي المهم دفعت اتباع كل دين الى تأويل تلك البشارات أو خلطها بالبشارات الواردة بشأن نبي أو وصي معين غير المصلح العالمي أو تحريفها لتطبيقها على الأقرب من المواصفات التي تذكرها من زعمائهم و رموزهم الدينيه. فالاختلاف ناشئ من سوء تفسير و تطبيق البشارات السماويه و ليس من نصوص البشارات نفسها.

٤- إن سبيل حل الاختلاف هو تمييز البشارات الواردة بشأن المصلح العالمي عن غيرها المرتبطه بغيره من الأنبياء و الأوصياء (عليهم السّلام)، ثم تحديد الصوره التي ترسمها بنفسها للمصلح العالمي بعيدا عن التأثير بالمصاديق المفترضه سلفا. ثم عرض المصاديق عليها لمعرفة هويته الحقيقيه استنادا الى الواقع التاريخي القابل للإثبات و بعيدا عن حصر هذه المصاديق المفترضه برموز دين معين، بل عرض كل مصاديق مرشح من قبل أى دين أو مذهب على الصوره التي ترسمها نصوص البشارات بصوره تجريديه.

٥- إن تلك البشارات السماويه تهدي-بناء على هذا المنهج العلمى- الى معرفه حقيقه هي أن المصلح العالمي الذى بشرت به هو الإمام الثانى عشر من عتره خاتم الأنبياء-صلوات اللّٰه عليه و آله- و هو صاحب الغيبه التى يضطر إليها بسبب تربص الظلمه به لتصفيته، أى إنها تهدي الى المهدي الإمامى الذى يقول به مذهب أهل البيت (عليهم السّلام)، و قد صرحت تلك البشارات بالهدايه اليه من خلال ذكر صفات لا تنطبق على غيره، و من خلال ذكر خصائص فيه امتاز بها و اشتهرت عنه كما لاحظنا.

٦- إن الاستناد الى هذه البشارات فى إثبات صحه عقيدته

أهل البيت (عليهم السّلام) فى المهدي المنتظر (عليه السّلام) يشكّل دليلاً آخر فى إثبات هذه العقيدة يضاف الى الأدله العقلية و القرآنيه و ما صح لدى المسلمين من الأحاديث الشريفه، و لا- مانع من الاستدلال بهذه البشارات بعدما ثبت أن التحريف فى الديانات السابقه لم يشمل كل نصوصها الموحاه، فيمكن الاستناد الى ما صدقته النصوص الشرعيه الاسلاميه مما ورد فى كتب الديانات السابقه؛ و كذلك ما صدقه الواقع التاريخي الكاشف عن صحه ما أخبرت عنه باعتباره من أنباء الغيب التي لا يعلمها سوى الله تعالى، و منها أخبار المهدي (عليه السّلام).

٧- إن فى الاستناد الى بشارات الأديان السابقه فى اثبات صحه عقيدته أهل البيت (عليهم السّلام) فى المهدي الموعود و اضافته الى الأدله الشرعيه و العقلية الاخرى ثماراً عديده، منها: الكشف عن أهميه هذه العقيدة و ترسيخ الايمان بها لدى اتباعها، و منها: إعانه أتباع الديانات و المذاهب الأخرى على الاهتداء لمعرفة هويه المصلح العالمى الذى بشرت به نصوص كتبهم المقدسه و دعوتهم الى الاسلام من هذا الطريق، و الاحتجاج عليهم بالنصوص المعتمده عندهم و هو احتجاج أبلغ فى الدلاله، و منها: ايجاد محور توحيدى لدعاه الاصلاح الدينى من اتباع مختلف الديانات يعزز جهودهم و ينسقها، يقوم على أساس الايمان بهذا المصلح العالمى و وجوده فعلاً و رعايته لجهود الممّهدين لظهوره طبقاً للعقيدته الاسلاميه الأوسع شموليه و تفصيلاً فى عرض هذه الفكره العريقه فى الفكر الدينى و الانسانى.

يقول العلامة الشهيد آيه الله العظمى السيد محمد باقر الصدر: و إذا كانت فكره المهدي أقدم من الإسلام و أوسع منه، فإن معالمها التفصيليه التي

حددها الإسلام جاءت أكثر اشباعاً لكل الطموحات التي انشّدت إلى هذه الفكرة منذ فجر التاريخ الديني، وأغنى عطاءً وأقوى إثارة لأحاسيس المظلومين والمعدّيين على مر التاريخ. وذلك لأن الإسلام حوّل الفكرة من غيب إلى واقع، ومن مستقبل إلى حاضر، ومن التطلع إلى منقذ تتمخض عنه الدنيا في المستقبل البعيد المجهول إلى الإيمان بوجود المنقذ فعلاً، وتطلعه مع المتطلعين إلى اليوم الموعود إلى اكتمال كلّ الظروف التي تسمح له بممارسته دوره العظيم.

فلم يعد المهدي (عليه السلام) فكره ننتظر ولادتها، ونبوءه نتطلع إلى مصداقها، بل واقعا قائما ننتظر فاعليته، وإنسانا معينا يعيش بيننا بلحمه ودمه، نراه ويرانا، ويعيش آمالنا وآلامنا وشاركنا أحزاننا وأفراحنا، ويشهد كل ما تزخر به الساحة على وجه الأرض من عذاب المعدّيين وبؤس البائسين وظلم الظالمين، ويكتوى بذلك من قريب أو بعيد، و ينتظر بلهفه اللحظة التي يتاح له فيها أن يمدّ يده إلى كل مظلوم و كل محروم و كل بائس و يقطع دابر الظالمين.

وقد قدّر لهذا القائد أن لا يعلن عن نفسه و لا يكشف للآخرين هويته و وجوده على الرغم من أنه يعيش معهم انتظارا للحظة الموعودة.

و من الواضح أن الفكرة بهذه المعالم الإسلامية تقرب الهوة الغيبية بين المظلومين كل المظلومين و المنقذ المنتظر، و تجعل الجسر بينهم و بينه في شعورهم النفسي قصيرا مهما طال الانتظار.

و نحن حينما يراد منا أن نؤمن بفكرة المهدي بوصفها تعبيرا عن إنسان حي محدد يعيش فعلا كما نعيش، و يتربّب كما نترقب، يراد الإيحاء إلينا بأن فكره الرفض المطلق لكل ظلم و جور، و التي يمثلها المهدي،

تجسدت فعلا- فى القائد الرفض المنتظر،الذى سىظهر و ليس فى عنقه بيعه لظالم كما فى الحديث،و إنّ الإيمان به إيمان بهذا الرفض الحى
القائم فعلا و مواكبه له» (١).

ص:٥٢

١- (١) بحث حول المهدي:١٢-١٤.

إشاره

المهدي الموعود (عليه السلام) وغيبته في القرآن الكريم

إنّ أبرز ما تتميز به عقيدته مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) في المهدي الموعود هو القول بوجوده بالفعل وغيبته و تحدد هويته بأنه الإمام الثاني عشر من أئمة العتره النبويه الطاهره، و أنه قد ولد بالفعل من الحسن العسكري (عليه السلام) سنة (٢٥٥ هـ) و تولى مهام الإمامه بعد وفاه أبيه العسكري سنة (٢٦٠ هـ) و كانت له غيبتان الاولى و هي الصغرى استمرت الى سنة (٣٢٩ هـ) كان الإمام يتصل خلالها بشيعته عبر سفرائه الخاصين، ثم بدأت الغيبه الكبرى المستمره حتى يومنا هذا و الى أن يأذن الله عزّ و جلّ بالظهور لأنجاز مهمته الكبرى في إقامه الدوله الاسلاميه العالميه التي يسيطر فيها العدل و القسط على أرجاء الأرض ان شاء الله تعالى.

و يتفق أهل السنه على انتماء المهدي الموعود لأهل البيت (عليهم السلام) و أنه من ولد فاطمه (عليها السلام) و قد اعتقد جمع منهم بولادته لكن بعضهم ذهب الى أنه سيولد و يظهر في آخر الزمان ليحقق مهمته الموعوده دون أن يستند الى دليل نقلى و لا عقلى في ذلك سوى الاستناد الى الأحاديث المشيره الى أن ظهوره يكون في آخر الزمان. و ليس هذا دليلا تاما على أن ولادته ستكون في آخر الزمان أيضا كما أنه ليس فيه نفى للغيبه؛ لأنها و الظهور لا يكونان في زمن

واحد لكى يقال بأن إثبات الظهور فى آخر الزمان يعنى نفى الغيبه دفعا لاجتماع النقيضين المحال عقلا، فرأى الإماميه هو أن الغيبه تكون قبل الظهور فلا تعارض بينهما.

و مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) تقدم الأدله لإثبات الغيبه بتفصيل فى كتبها العقائديه المشهوره (1).

و قد لاحظنا سابقا أن البشارات السماويه الوارده فى الأديان السابقه بشأن المنقذ العالمى الموعود فى آخر الزمان لا تنطبق بالكامل إلا على المهدي ابن الحسن العسكري (عليهما السلام) الذى تؤمن به مدرسه أهل البيت (عليهم السلام)، بل و تصرّح بغيبته و هذا أهم ما يميّز رأى الإماميه كما تصرّح بأنه خاتم الأئمه الاثنى عشر و تشير الى خصائص لا تنطبق على سواه، الأمر الذى جعل التعرف على عقيدته الإماميه فى المهدي المنتظر وسيله ناجحه فى حل الاختلاف فى تحديد هويه المنقذ العالمى استنادا الى المنهج العلمى فى دراسه هذه البشارات.

و نعرض هنا مجموعه من الآيات الكريمه التى تدل بصوره مباشره على حتميه أن يكون فى كل زمان إمام حق يهدى الناس الى الله و يشهد على أعمالهم ليكون حجه الله عزّ و جلّ على أهل زمانه فى الدنيا و الآخره، و التى تحدد له صفات لا تنطبق فى عصرنا الحاضر على غير الإمام المهدي الذى تقول مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) بوجوده و غيبته. فتكون هذه الآيات داله

ص: ٥٤

١- (١) مثل رسائل الشيخ المفيد فى الغيبه و هى خمس رسائل إضافه الى كتاب الفصول العشره فى الغيبه، و كتاب المقنع فى الغيبه للسيد المرتضى، و كتاب الغيبه للشيخ الطوسى، و كتاب إكمال الدين للشيخ الصدوق، و كتاب الغيبه للشيخ النعمانى، و عموم كتب الإمامه كالشافى و تلخيصه و غيرها فقد حفلت بأشكال الأدله على هذا الموضوع و هى كثيره للغاية.

على صحة عقيدته الاماميه فى المهدي المنتظر، و هى فى الواقع من الآيات المثبتة لاستحاله خلو الأرض من الإمام الحق فى أى زمان، و دلالتها على المقصود واضحه لا تحتاج الى المزيد من التوضيح إلا أن الخلافات السياسيه التى شهدتها التاريخ الإسلامى و انعكاساتها فى تشكيل الآراء العقائديه؛ أدت الى التغطيه على تلك الدلالات الواضحه و صرفها الى تأويلات بعيدة عن ظواهرها البيّنات.

و نكمل هذا البحث بدراسه لدلالات طائفه من الأحاديث الشريفه التى صحت روايتها عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) فى الكتب الستة المعتره عند أهل السنه و غيرها من الكتب المعتره عند جميع فرق المسلمين؛ فهى تشكل حجه عليهم جميعا؛ و هى تكمل دلالات الآيات الكريمه المشار إليها و تشخص المصاديق التى حددت الآيات صفاتها العامه. و ثبت أن المهدي الموعود الذى بشر به رسول الله (صلى الله عليه و آله) هو الإمام الثانى عشر من أئمه العتره النبويه و هو ابن الحسن العسكري سلام الله عليه.

١- عدم خلو الزمان من الإمام

إشاره

قال الله تعالى: يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَؤُنَ كِتَابَهُمْ وَ لَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا* وَ مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَ أَضَلُّ سَبِيلًا (١).

و هذا نص صريح على أن لكل أهل زمان «كل اناس» إمام يدعون به يوم القيامة. و يكون الاحتجاج به عليهم أو ليكون شاهدا عليهم يوم الحساب و هذا أيضا يتضمن معنى الاحتجاج عليهم. فمن هو «الإمام» المقصود فى

ص: ٥٥

للاجابه يلزم الرجوع الى المصطلح القرآنى نفسه لمعرفة المعانى المراده منه والاهتداء به لمعرفة المنسجم مع منطوق النص القرآنى المتقدم.

لقد اطلق لفظ «الإمام» فى القرآن الكريم على من يقتدى به من الأفراد، وهو على نوعين لا- ثالث لهما فى الاستخدام القرآنى و هما: الإمام المنصوب من قبل الله تبارك و تعالى لهدايه الخلق إليه بأمره عزّ و جلّ، كما فى قوله عزّ و جلّ: **وَ جَعَلْنَا هُمْ أئِمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا** (١)، وقوله: **إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا** (٢)، وقوله: **وَ نُزِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ** (٣)، وقوله: **وَ اجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** (٤). فيلاحظ فى جميع هذه الموارد أنها تنسب جعل الإمامه الى الله سبحانه مباشرة.

أما النوع الثانى فهو من يقتدى به للضلال كما فى قوله تعالى: **فَقَاتِلُوا أئِمَّةَ الْكُفْرِ** (٥)، وقوله: **وَ جَعَلْنَا هُمْ أئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ** (٦).

هذا فى الأفراد أما فى غير الأفراد فقد استخدم فى معنيين و بصوره المفرد فقط، فى حين ورد بالمعانى السابقه بصيغه المفرد و صيغه الجمع، و المعنى الأول هو التوراه كما فى قوله تعالى: **وَ مِنْ قَبْلِهِ كَتَبْنَا بِ مَوْسَى إِمَامًا وَ رَحْمَةً** (٧)، و ربما يستفاد من هذا الاستخدام صدق وصف «الإمام» على

ص: ٥٦

١- ((١) الأنبياء (٢١): ٧٣.

٢- ((٢) البقره (٢): ١٢٤.

٣- ((٣) القصص (٢٨): ٥.

٤- ((٤) الفرقان (٢٥): ٧٤.

٥- ((٥) التوبه: ١٢/٩.

٦- ((٦) القصص (٢٨): ٤١. و الجعل هنا بمعنى «تصييرهم سابقين فى الضلال يقتدى بهم اللاحقون» الميزان: ٣٨/١٦، فليس هنا بمعنى النصب كما هو حال أئمه الهدى.

٧- ((٧) هود (١١): ١٧.

الكتب السماويه الاخرى أو الرئيسه منها على الأقل. أما المعنى الثانى فهو اللوح المحفوظ كما فى قوله تعالى: وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ (١).

الإمام المقصود فى الآيه

فمن هو «الإمام» المقصود فى الآيه و الذى لا يخلو زمان من مصداق له و يدعى به أهل عصره يوم القيامة؟ هل هو شخص معين؟ أم هو أحد الكتب السماويه فى كل عصر؟ أم هو اللوح المحفوظ؟

لا يمكن أن يكون المراد هنا الكتب السماويه و لا اللوح المحفوظ لأن الآيه عامه و صريحه بأن مدلولها- هو عدم خلو أى زمان، و أى قوم من إمام- يشمل الأولين و الآخرين، فى حين أن من الثابت قرآنيا و تاريخيا أن أول الكتب السماويه التشريعيه هو كتاب نوح (عليه السلام)، فالقول بأن المراد بالإمام فى الآيه أحدها فى كل عصر يعنى إخراج الأزمنه التى سبقت نوحا (عليه السلام) من حكم الآيه و هذا خلاف صريح منطوقها بشموليه دلالتها لكل عصر كما يدل عليه قوله تعالى كُلُّ أَنَاْسٍ.

كما لا يمكن تفسير الإمام فى الآيه باللوح المحفوظ؛ لأنه واحد لا يختص بأهل زمان معين دون غيرهم فى حين أن الآيه الكريمه تصرح بأن لكل اناس إماما.

إذن لا يبقى إلا القولان الأولان، فالمتعين أن يكون المراد من الإمام فى الآيه من يأتّم به أهل كل زمان فى سبيلى الحق أو الباطل. أو أن يكون المراد فيها إمام الحق خاصه و هو الذى يجتبيه الله سبحانه فى كل زمان لهدايه الناس بأمره تبارك و تعالى و يكون حجه الله عزّ و جلّ عليهم يدعوهم به يوم

ص: ٥٧

القيامه للاحتجاج به عليهم سواء كان نبيا كإبراهيم الخليل و محمد-عليهما و آلهما الصلاة و السلام-أو غير نبي كأوصياء الأنبياء(عليهم السلام).

و يكون المراد بالدعوه فى الآيه هو الإحضار، أى إن كل اناس فى كل عصر-محضرون بإمام عصرهم، ثم يؤتى من اقتدى بإمام الحق كتابه بيمينه و يظهر عمى من عمى عن معرفه الإمام الحق فى عصره و أعرض عن إتباعه.

و هذا ما يعطيه التدبر فى الآيتين الكريمتين مورد البحث كما يقول العلامة الطباطبائى فى تفسيرهما (1)، و قد عرض فى بحثه لجميع أقوال المفسرين فى تفسير معنى الإمام هنا و بين عدم انسجامها مع الاستخدام القرآنى و ظاهر الآيتين، و هى أقوال واضحة البطلان، و لعل أهمها القول بأن المراد من الإمام: النبي العام لكل أمه، كأن يدعى بأمه إبراهيم أو أمه موسى أو أمه عيسى أو أمه محمد-صلوات الله عليهم أجمعين- و هذا القول أيضا غير منسجم مع ظاهر الآيتين أيضا لأنه يخرج من حكمها العام الأمم التى لم يكن فيها نبي، و هذا خلاف ظاهرهما، كما أنه مدحوض بالآيات الاخرى التى سنتناولها لاحقا، إن شاء الله تعالى.

الإمام المنقذ من الضلاله

و عليه يكون محصل الآيتين الكريمتين هو الدلاله على حتميه وجود إمام حق يهتدى به فى كل عصر، يكون حجه الله عزّ و جلّ على أهل زمانه فى الدنيا و الآخرة، فتكون معرفته و أتباعه فى الدنيا وسيله النجاه يوم الحشر؛ فيما يكون العمى عن معرفته و اتباعه فى الدنيا سببا للعمى و الضلال الأشد فى الآخرة يوم يدعى كل اناس بإمام زمانهم الحق، و يقال للضالين عنه: هذا

ص: ٥٨

١- (١) تفسير الميزان: ١٣/١٦٥-١٦٩، و ما أوردناه مستفاد من بحثه التفسيري لهما.

إمامكم الذى كان بين أظهركم فلما ذا عميتم عنه؟ و بذلك تتم الحجج البالغة عليهم، و تتضح حكمه دعوتهم و إحضارهم به يوم القيامة.

و نصل الآن للسؤال المحورى المرتبط بما دلت عليه هاتان الآيتان، و هو:

-من هو الإمام الحق الذى يكون حججه الله على خلقه فى عصرنا هذا؟ فإنه لا بد للإمام الحق من مصداق فى كل العصور كما نصت عليه الآيتان المتقدمتان.

و للإجابة على هذا السؤال من خلال النصوص القرآنيه وحدها -باعتبارها حججه على الجميع- ينبغى معرفه الصفات التى تحددها الآيات الكريمه للإمام الحق، ثم البحث عن تنطبق عليه فى زماننا هذا.

المواصفات القرآنيه لإمام الهدى

و المستفاد من تفسير الآيتين المتقدمتين أن الإمام المقصود يجب أن تتوفر فيه الصفات التى تؤهله للاحتجاج به على قومه يوم القيامة مثل قدره على الهدايه و الأهليه لأن يكون أتباعه موصلا للهدى و تكون طاعته معبره عن طاعه الله تبارك و تعالى، و أن يكون قادرا على معرفه حقائق أعمال الناس و ليس ظواهرها، أى أن يكون هاديا لقومه و شهيدا على أعمالهم، الأمر الذى يستلزم أن يكون قادرا على تلقي الهدايه الإلهيه و حفظها و نقلها للناس، كما يجب أن يكون أهلا لأن يتفضل عليه الله عزّ و جلّ بعلم الكتاب و الأسباب التى تؤهله لمعرفه حقائق أعمال الناس للشهاده بشأنها و الاحتجاج به عليهم يوم القيامة. و سيأتى المزيد من التوضيح لذلك فى الفقرتين اللاحقتين.

كما ينبغى أن يكون متحليا بأعلى درجات العداله و التقى لكى لا يخلّ بأمانه نقل الهدايه الإلهيه الى قومه، و كذلك لكى لا يحيف فى شهادته عليهم يوم القيامة. أى أن يتحلى بدرجة عاليه من العصمه، و هذا ما صرّح به القرآن

الكريم فى قوله تعالى: وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي لَجَاعِلُهُكَ لِدِينِ إِبْرَاهِيمَ النَّاسِ إِمَامًا قَالَ: وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ: لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١). فالإمامه «عهد» من الله تبارك و تعالى لا ينال من تلبس بظلم مطلقا، و معلوم أن ارتكاب المعاصى مصادق من مصاديق الظلم؛ لذا فالمؤهل للإمامه يجب أن يكون معصوما.

و حيث إن الله تبارك و تعالى قد أقر طلب خليه إبراهيم النسي (عليه السلام) فى جعل الإمامه فى ذريته و لم يقيدها إلا- بأنها لا- تنال غير المعصومين، نفهم أن الذريه الابراهيميه لا تخلو من متأهل للإمامه الى يوم القيامه، و هذا ما يؤكد قوله عزّ و جلّ: وَ جَعَلْنَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يُرْجَعُونَ (٢).

و لما كانت الإمامه عهدا إلهيا، كان الإمام مختارا لها من الله عزّ و جلّ -و هو الأعلم حيث يجعل رسالته- و هذا ما تؤكد الآيات الكريمه فقد نسبت جعل الإمام الى الله مباشرة و لم تنسبه لغيره كما هو واضح فى الآيتين المتقدمتين من سورتي الزخرف و البقره و غيرهما. و يتحقق هذا الاختيار الإلهي لشخص معين للإمامه من خلال النص الصادر من ينابيع الوحي -القرآن و السنه- أو من ثبتت إمامته و عصمته، أو ظهور المعجزات الخارقه للعاده على يديه حيث تثبت صحه ادعائه للإمامه.

إذن فإمام زماننا الذى دلت آيتا سوره الاسراء على حتميه وجوده يجب أن يكون هاديا لقومه و شهيدا على أعمالهم ليصح الإحتجاج به يوم القيامه، و أن يكون معصوما أو على الأقل متحليا بدرجة عاليه من العدالة تؤهله للقيام بمهمته فى الهدايه و الشهاده؛ و من الذريه الابراهيميه التى ثبت

ص: ٦٠

١- (١) البقره (٢): ١٢٤.

٢- (٢) الزخرف (٤٣): ٢٨، و لاحظ قوله تعالى وَ هَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَ جَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَ الْكِتَابَ الْعَنكَبُوتَ (٢٩): ٢٧.

بقاء الإمامه فيها، وأن يكون منصوفا عليه من قبل الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) أو من ثبتت إمامته، أو أن يكون قد ظهرت على يديه من المعجزات و أثبتت ارتباطه بالسماء و صحه ادعائه الإمامه.

مصدق الإمام في عصرنا الحاضر

فمن الذى تتوفر فيه هذه الصفات فى عصرنا الحاضر؟ من الواضح أنه لا يوجد شخص ظاهر تنطبق عليه هذه الصفات و ليس ثمه شخص ظاهر يدعيها أيضا، فهل يكون عدم وجود شخص ظاهر تتوفر فيه هذه الصفات يعنى خلو عصرنا من مثل هذا الإمام؟

الجواب سلبى بالطبع؛ لأنه يناقض صريح دلاله آيتى سورة الاسراء، فلا يبقى أمامنا إلا القول بوجوده و غيبته و قيامه بالمقدار اللازم للاحتجاج به على أهل زمانه يوم القيامه و الذى هو من مهام الإمام، حتى فى غيبته.

و هذا ما تقوله مدرسه أهل البيت (عليهم السّلام) فى المهدي المنتظر (عليه السّلام) و تتميز به، و تقيم الأدله النقليه و العقليه الداله على توفر جميع الشروط و الصفات المتقدمه فيه من العصمه و النص عليه من الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) و من ثبتت إمامته من آبائه (عليهم السّلام)، كما ثبت صدور المعجزات عنه فى غيبته الصغرى بل و الكبرى أيضا و قيامه عمليا بما يتيسر له من مهام الإمامه فى غيبته كى يتحقق الاحتجاج به على أهل زمانه، كما هو مدوّن فى الكتب التى صنّفها علماء هذه المدرسه (1).

ص: ٦١

١- (١) راجع فى هذا الباب مثلا- كتاب منتخب الأثر فى الإمام الثانى عشر لآيه الله الشيخ لطف الله الصافى فقد جمع الكثير من النصوص المرويه من طرق أهل السنه و الشيعه، و راجع أيضا كتاب إثبات الهداه بالنصوص و المعجزات للحر العاملى، و فرائد السمطين للحموينى الشافعى، و ينايع الموده للحافظ القندوزى الحنفى و غيرها كثير.

و تكفى هنا الإشارة الى أن بعض هذه الكتب قد دوّنت قبل ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) بفترة طويلة تفوق القرن و فيها أحاديث شريفه تضمّنت النص على إمامته و الإخبار عن غيبته و طول هذه الغيبه قبل وقوعها و هذا أوضح شاهد على صحتها كما استدل بذلك العلماء إذ جاءت الغيبه مصدّقه لما أخبرت عنه النصوص المتقدمه عليها و في ذلك دليل واضح على صدورها من ينابيع الوحي (١).

٢- في كل زمان إمام شهيد على امته

إشاره

قال تعالى: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً (٢).

و قال: وَ يَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَ لَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٣).

و قال: وَ يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ جِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلَاءِ... (٤).

و قال: وَ نَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٥).

إن هذه الآيات الكريمة تتحدث عن الاحتجاج الإلهي على البشر يوم القيامة، و هو الاحتجاج نفسه الذي لاحظناه في آيتي سورة الإسراء

ص: ٦٢

١- (١) راجع هذا الاستدلال في مقدمه كتاب كمال الدين للشيخ الصدوق: ١٢، و الفصل الخامس من الفصول العشره في الغيبه للشيخ المفيد، و كذلك الرساله الخامسه من رسائل الغيبه. و كتاب الغيبه للشيخ الطوسي: ١٠١ و ما بعدها، و إعلام الوري للشيخ الطبرسي: ٢/٢٥٧ و ما بعدها و كشف المحججه للسيد ابن طاووس: ١٠٤، و غيرها.

٢- (٢) النساء (٤): ٤١.

٣- (٣) النحل (١٦): ٨٤.

٤- (٤) النحل (١٦): ٨٩.

٥- (٥) القصص (٢٨): ٧٥.

المتقدمتين، وهى تدعم و تؤكد دلالتها على حتميه وجود إمام حق فى كل عصر يحتج به الله جلّ و علا على أهل كل عصر «كل أمه، كل اناس» فيما يرتبط بالهدايه و الضلال و انطباق أعمالهم على الدين الإلهى القيم.

واضح أن مقتضى كونه حجه لله على خلقه أن يكون عالما بالشريعه الإلهيه من جهه لكى يكون قادرا على هدايه الخلق إليها و أن يكون بين أظهرهم للقيام بذلك، هذا أولا، و ثانيا أن يكون محيطا بأعمال قومه لكى يكون شهيدا عليهم، أى يستطيع الشهاده يوم القيامه بشأن مواقفهم تجاه الدين القيم.

و واضح أن الشهاده المذكوره فى هذه الآيات مطلقه، «و ظاهر الجميع على إطلاقها هو الشهاده على أعمال الأمم و على تبليغ الرسل أيضا» (١) و قد صرح الزمخشري فى الكشاف بذلك و قال: «لأن أنبياء الأمم شهداء يشهدون بما كانوا عليه» (٢)، و أن الشهيد: «يشهد لهم و عليهم بالايمان و التصديق و الكفر و التكذيب» (٣). و الشهيد يجب أن يكون حيا معاصرا لهم غير متوفى كما يشير لذلك قوله تعالى على لسان عيسى (عليه السلام): «وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَ أَنْتَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» (٤).

يستفاد من هذه الآيه أن إعلان نتاج الشهاده يكون فى يوم القيامه لكن الإحاطه بموضوعها أى أعمال القوم يكون فى الدنيا و خلال معاصره الشهيد لامته لقوله تعالى: «وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ...، لذلك يجب أن يكون الشهيد الذى يحتج به الله يوم القيامه معاصرا لمن يشهد عليهم، لذلك لا يمكن حصر الشهداء على الأمم بالأنبياء (عليهم السلام) كما فعل الزمخشري

ص: ٦٣

١- (١) تفسير الميزان: ٣٢/١.

٢- (٢) تفسير الكشاف: ٤٢٩/٣.

٣- (٣) تفسير الكشاف: ٦٢٦/٢.

٤- (٤) المائدة (٥): ١١٧.

فى تفسيره (١)، بل يجب القول بأن فى كل عصر شهيد على أعمال معاصريه، كما صرح بذلك الفخر الرازى فى تفسيره حيث قال: «أما قوله تعالى: وَ نَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا، فالمراد ميزنا واحدا ليشهد عليهم، ثم قال بعضهم هم الأنبياء يشهدون بأنهم بلغوا القوم الدلائل و بلغوا فى إيضاها كل غاية ليعلم أن التقصير منهم أى من الناس فىكون ذلك زائدا فى غمهم.

وقال آخرون: بل هم الشهداء الذين يشهدون على الناس فى كل زمان، و يدخل فى جملتهم الأنبياء، و هذا أقرب لأنه تعالى عم كل أمه و كل جماعه بأن ينزع منهم الشهيد فى الأحوال التى لم يوجد فيها النبى و هى أزمنة الفترات و الأزمنة التى حصلت بعد محمد (صلى الله عليه و آله) فعملوا حينئذ أن الحق لله و لرسوله...» (٢).

إذن فلا بد من وجود شهيد على الأمة فى هذا العصر كما هو الحال فى كل عصر، يؤيد ذلك استخدام آيتى سورة النساء و الحج لاسم الإشارة «هؤلاء» فى الحديث عن شهادة الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه و آله): وَ جِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَيَّ هَؤُلَاءِ إشارة الى معاصريه فيما يكون شهداء آخرون على الأجيال اللاحقه (٣). فمن هو الشهيد علينا فى هذا العصر؟ انعود الى الآيات الكريمة لمتابعه ما تحده من الصفات الهاديه الى معرفته و الإجابة على هذا التساؤل.

صفات الشهيد الإمام

إن الآية (٨٩) من سورة الحج تصرح بأنه من البشر أنفسهم شهيدا من أنفسهم و هو المستفاد من الآيات الاخرى فهى تستخدم «من» التبعية فى

ص: ٦٤

١- (١) تفسير الكشاف: ٤٢٩/٣.

٢- (٢) التفسير الكبير: ١٢/٢٥-١٣. راجع فى ذلك مجمع البيان: فى ذيل الآية.

٣- (٣) التفسير الكبير: ١٢/٢٥-١٣، و تفسير الكشاف: ٦٢٨/٢.

قوله تعالى: مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ.

فالشهيد هو كالأنبياء بشر، لا هو من الملائكة ولا من الجن ولا من الكتب السماوية ولا اللوح المحفوظ، وفي هذا تأييد لما تقدم في الحديث عن آيتي سورة الإسراء أن المقصود فيهما من الإمام شخص لا كتاب سماوي، إذ أن الآيتين تتحدثان عن الاحتجاج الإلهي به على أمته وهذا هو دور الشهيد في هذه الآيات أيضا، فالمقصود واحد في كلتا الحالتين، فالإمام هو أيضا منهم.

والآيات الكريمة تستخدم صيغته المفرد في وصفه، أي إنَّ الشهيد على قومه واحد في زمانه الذي يعاصره حيا، وهذا ينسجم مع استخدام آية سورة الإسراء المتقدمة لصيغته المفرد في ذكر الإمام كَلِّ أُنَاسٍ يَلُمُّونَهُمْ. الأمر الذي ينفي التفسير القائل بأن الامه الاسلاميه جمعاء أو جماعه المؤمنين الأمره بالمعروف و الناهيه عن المنكر هي الشهيده على أعمال قومها أو الأقسام الاخرى المعاصره لها، والأمر نفسه يصدق على نفى القول بأن مصداق هذه الآيات هم «الأبدال» الذين لا يخلو منهم زمان كما ورد في الروايات المرويه من طريق الفريقين (1). بل شهيد الأعمال في زمانه واحد لا أكثر.

و حيث إن دوره هو الشهاده على أعمال امته بالكفر و التكذيب أو الإيمان و التصديق كما تقدم القول عن الزمخشري و هذه حالات قلبيه و حيث إن: «من الواضح أن هذه الحواس العاديه فينا و القوى المتعلقه بها منا لا تتحمل إلا صور الأفعال و الأعمال فقط، و ذلك التحمل أيضا إنما يكون في شىء يكون موجودا حاضرا عند الحس لا معدوما و لا غائبا عنه، و أما حقائق الأعمال و المعانى النفسانيه من الكفر و الإيمان و الفوز و الخسران، و بالجمله

ص: ٦٥

١- (١) راجع معجم أحاديث الإمام المهدي: ٢٧٤/١، نقلا عن مسند أحمد و غيره من المجاميع الروائيه لأهل السنه.

كل خفى عن الحس، و مستبطن عند الإنسان-و هى التى تكسب القلوب و عليه يدور حساب رب العالمين يوم تبلى السرائر كما قال تعالى: وَ لَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ (١)، فهى مما ليس فى وسع الإنسان إحصاؤها و الإحاطه بها و تشخيصها من الحاضرين فضلا عن الغائبين إلا رجل يتولى الله أمره و يكشف ذلك له بيده» (٢).

لذلك يجب أن تكون للشهيد على أمتة إحاطه علميه ربانيه بحقائق أعمالهم لأن قيمه الأعمال فى الميزان الإلهى هى لحقائقها الباطنيه و دوافعها و نواياها كما هو واضح، لذلك لا يمكن أن يكون هذا الشهيد على أمتة شخصا عاديا بل من الذين يحظون بنعمه التسديد الإلهى المباشر و من الذين ارتضاهم الله سبحانه فأطلعهم على غيبه إذ من مصاديق غيبه معرفه بواطن أعمال الناس.

و من المعلوم أن هذه الكرامه ليست تنالها جميع الأمم، إذ ليست [هى] إلا كرامه خاصه للأولياء الطاهرين منهم، و أما من دونهم من المتوسطين فى السعاده و العدول من أهل الإيمان فليس لهم ذلك... إن أقل ما يتصف به الشهداء-و هم شهداء الأعمال-أنهم تحت ولايه الله و نعمته و أصحاب الصراط المستقيم» (٣).

الشهيد عنده «علم الكتاب»

و واضح أن هذا الإطلاع على بواطن الناس غير ممكن بالأسباب الطبيعیه المتعارفه بل يحتاج الى نمط خاص من العلم يتفضل به الله تبارك

ص: ٦٦

١- (١) البقره (٢): ٢٢٥.

٢- (٢) تفسير الميزان: ١/٣٢٠-٣٢١.

٣- (٣) تفسير الميزان: ١/٣٢١.

و تعالى بحكمته على من يشاء من عباده— هو عزّ و جلّ الأعلّم حيث يجعل رسالته (١)ـفيمكن به العبد من تجاوز ما تعارف عليه الناس من الأسباب الطبيعيه و القيام بما يمكن القيام به بواسطه هذه الأسباب فتكون له مرتبه من الولايه التكوينيّه و تجاوز الأسباب الطبيعيه بإذن الله، و هذا النمط الخاص من العلم هو ما سمى في القرآن الكريم ب«علم الكتاب».

كما نلاحظ ذلك في قصه إتيان آصف بن برخيا بعرش بلقيس من اليمن الى فلسطين في طرفه عين؛ فقد علل القرآن قدرته على القيام بهذا العمل في زمن قصير للغاية بحيث لا- يتصوّر تحقّقه على وفق الأسباب الطبيعيه، بما كان لديه من علم الكتاب. لاحظ قوله عزّ و جلّ: قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي (٢).

و كان آصف بن برخيا وصيًا لسليمان النبي (عليه السلام) أراد أن يعرف الناس بأنه الحجه من بعده بإبراز علمه المأخوذ من الكتاب (٣)، و كان عنده مقدار معيّن من علم الكتاب و ليس كلّه كما هو واضح من استخدام «من» التبعيزيه في الآيه المتقدمه.

و منه يتضح أن الذي لديه علم الكتاب كلّه تكون له مرتبه أعلى من هذه الولايه التكوينيّه و التصرف في الأسباب و القدره على الإحاطه ببواطن أعمال الناس و تقديم الشهاده الكامله بأحققيه رساله الإلهيه.

و عليه فالشهيد على قومه ينبغي أن يكون لديه علم من الكتاب— كلا

ص: ٦٧

١- (١) إشاره الى قوله تعالى: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ الْأَنْعَامَ (٦): ١٢٤.

٢- (٢) النمل (٢٧): ٤٠.

٣- (٣) قصص الأنبياء للسيد الجزائري: ٤٢٨ نقلا عن تفسير العياشي.

أو بعضاً-أو يمكن القول كحدّ أدنى بأنّ الذي عنده هذا النمط الخاص من العلم قادر على ذلك. يقول: عزّ من قائل في آخر سورة الرعد: وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (١).

وقد ثبت من طرق أهل السنه-كما نقل ذلك الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل (٢)-و من عده طرق، وكذلك ثبت من طرق مذهب أهل البيت (عليهم السلام) (٣): أن الآيه الكريمة نزلت في الإمام علي (عليه السلام)، وإن علم الكتاب عنده و عند الأئمه من أولاده (عليهم السلام) و ليس هناك من يدعيه غيرهم و قد صدقت سيرتهم (عليهم السلام) ذلك و الكثير مما نقله عنهم حفاظ أهل السنه و الشيعة يشهد على صدق مدعاهم هذا.

إذن فالمتحصل من الآيات الكريمة المتقدمه:

١-حتميه وجود من يجعله الله تبارك و تعالى شهيدا على أعمال العباد في كل عصر بحيث يحتج به على أهل عصره و أمته يوم القيامة، فهو إمام زمانهم الذي يدعون به، و يكون من أنفسهم.

٢-و هذا الإمام الشهيد قد يكون نبيا و قد يكون من الأوصياء في الفترات التي ليس فيها نبي كما هو حال عصرنا الحاضر و العصور التي تلت عصر خاتم الأنبياء محمد (صلّى الله عليه و آله). إذ الآيات مطلقه تشمل كل الأزمان كما هو ظاهر. فالإمام الشهيد موجود إذن في عصرنا الحاضر.

٣-و الإمام الشهيد في عصرنا الحاضر حيّ أيضا كما هو المستفاد مما حكاه القرآن الكريم على لسان عيسى (عليه السلام).

ص: ٦٨

١- (١) الرعد (١٣): ٤٣.

٢- (٢) شواهد التنزيل: ١/٤٠٠ و ما بعدها.

٣- (٣) تفسير الميزان: ١١/٣٨٧-٣٨٨.

٤-ولا بدّ أن يكون هذا الإمام الشهيد على أهل زمانه مسدّدا بالعناية الإلهية ممن تفضّل الله عزّ وجلّ عليه بنمط من الولاية التكوينية التي يصل بها الى حقائق أعمال من يشهد لهم أو عليهم يوم القيامة.و مظهر هذا التسديد و الفضل الإلهي هو أن يكون لديه علم من الكتاب أو علم الكتاب كلّه.

٥-و حيث إن مثل هذا الشخص غير ظاهر فلا بد من القول بغيبته الظاهريه، و قيامه بما يؤهله لأن يحتج الله تبارك و تعالى به يوم القيامة خلال غيبته.

٦-قد ثبت-من طرق أهل السنه و الشيعة-أن لدى الإمام على و الأئمه من أولاده(عليهم السّلام)علم الكتاب حسب ما نص عليه القرآن الكريم بالوصف الذي لا ينطبق على غيره.

و قد أثبت المفسر الكبير العلامة محمد حسين الطباطبائي(رحمه الله)في كتابه القيم«الميزان في تفسير القرآن»،عدم انسجام الأقوال الاخرى مع منطوق الآيه الأخيره من سوره الرعد لذلك فإن المواصفات المستفاده من الآيات الكريمه تنطبق عليهم،و حيث لم يدع غيرهم ذلك فانحصر الأمر بهم.

و قولهم في الإمام الثاني عشر منهم،و هو محمّد بن الحسن العسكري-عليهم السلام جميعا-و قولهم بغيبته و قيامه بمهام الإمامه و ما تقتضيه مهمه الشهاده على أهل زمانه يوم القيامة؛ينسجم بشكل كامل مع دلالات الآيات الكريمه المتقدّمه التي لا تنطبق على غيره كما هو واضح بالاستقراء لعقائد الفرق الاخرى.

إن هذه الطائفة من الآيات الكريمه تهدي الى حتميه وجود مهدي آل البيت(عليهم السّلام)و غيبته و قيامه بما تقتضيه مسؤوليه الشهاده الاحتجاجيه يوم القيامة.و هذا ما تؤكده كما سوف نرى الآيات اللاحقه.

قال تعالى: وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (١).

تصرّح الآيه الكريمة و على نحو الإطلاق بأن لكل قوم هادٍ. و استنادا الى إطلاقها يستفاد أن ثمة هاد الى الحق في كل عصر.

و هذه الحقيقة منسجمه مع ما تدل عليه الآيات الكريمة و صحاح الأحاديث الشريفه و البراهين العقلية من أن ربوبية الله لخلقه اقتضت أن يجعل سبحانه و تعالى لهم في كل عصر حجه له عليهم يهديهم الى الحق، طبقا لسنة الجارية في جميع مخلوقاته في هدايتهم الى الغايه من خلقها فهو كما قال: الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى* وَ الَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٢). و هذه السنه جاريه على بنى الإنسان أيضا فهو تعالى الذى خلقهم و قدّر بأن يهديهم الى كمالاتهم المقدره لهم و يدلهم على ما فيه صلاحهم فى دنياهم و اخرهم.

معنى الآيه الكريمة هو أن الكفار يقترحون عليك [أيها النبي الخاتم (صلى الله عليه و آله)] آيه؛ و عندهم القرآن أفضل آيه؛ و ليس إليك شىء من ذلك، و إنما أنت هاد تهديهم من طريق الإنذار، و قد جرت سنه الله فى عباده على أن يبعث فى كل قوم هاديا يهديهم.

معنى «الهادى» فى القرآن

و الآيه التى ذكرت أعلاه تدل على أن الأرض لا تخلو من هاد يهدى

ص: ٧٠

١- (١) الرعد (١٣): ٧.

٢- (٢) الأعلى (٨٧): ٢-٣ و راجع تفسيرها فى الجزء العشرين من تفسير الميزان.

الناس الى الحق، «إما أن يكون نبيًا و إما أن يكون هاديا غير نبي يهدى بأمر الله» (١). و إطلاق الآيه الكريمة ينفي حصر مصداق «الهادى» فى الآيه بالأنبياء (عليهم السلام) كما ذهب لذلك الزمخشري فى الكشاف فى تفسير الآيه. لأن هذا الحصر يخرج الفترات التى لم يكن فيها نبي من حكم الآيه الكريمة العام و هذا خلاف ظاهرها المصرح بوجود هاد فى كل عصر لا تخلو الأرض منه.

فمن هو الهادى فى عصرنا الحاضر؟ نرجع الى القرآن الكريم للحصول على الإجابة، فنلاحظ الآيات الكريمة تحصر أمر الهدايه الى الحق على نحو الأصالة بالله تبارك و تعالى، ثم تثبتها للهادين بأمره على نحو التبعية، يقول عز و جل: قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٢).

تلخص الآيه الكريمة و بلغه احتجاجيه الرؤيه القرآنيه لموضوع الهدايه الى الحق التى فصلتها العديد من الآيات الكريمة، و هى حصر الهدايه الى الحق بالله تبارك و تعالى على نحو الإطلاق: «قل الله يهدى الى الحق».

ثم قررت الآيه الكريمة أن الذى يجب اتباعه من الخلق ليس الذى لا يستطيع أن يهدى إلا أن يهتدى بغيره من البشر، بل الذى يكون مهتديا بنفسه دون الحاجه الى غيره من البشر، فإن الكلام فى الآيه - كما يقول العلامة الطباطبائي (رحمه الله) فى تفسيرها: «قد قوبل فيه قوله: يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ بقوله أَمْ مَنْ لَا يَهْدَىٰ مع أن الهدايه الى الحق يقابلها عدم الهدايه الى الحق، و عدم الاهتداء الى الحق يقابله الاهتداء الى الحق، فلازم هذه المقابله الملازمه بين الاهتداء بالغير و عدم الهدايه الى الحق، و كذا الملازمه بين

ص: ٧١

١- (١) تفسير الميزان: ٣٠٥/١.

٢- (٢) يونس (١٠): ٣٥.

الهدايه الى الحق و الاهتداء بالذات فالذى يهدى الى الحق يجب أن يكون مهتديا بنفسه لا بهدايه غيره و الذى يهتدى بغيره ليس يهدى الى الحق أبدا.

هذا ما تدل عليه الآيه بحسب ظاهرها الذى لا ريب فيه و هو أعدل شاهد على أن الكلام موضوع فيها على الحقيقه دون التجوزات المبنيه على المساهله التى نبى عليها و نتداولها فيما بيننا معاشر أهل العرف فننسب الهدايه الى الحق الى كل من تكلم بكلمه حق و دعا إليها و إن لم يعتقد بها أو اعتقد و لم يعمل بها أو عمل و لم يتحقق بمعناها، و سواء اهتدى إليها بنفسه أو هداه إليها غيره.

بل الهدايه الى الحق-التى هى الإيصال الى صريح الحق و متن الواقع- ليس إلا لله سبحانه أو لمن اهتدى بنفسه أى هداه الله سبحانه من غير واسطه تتخلل بينه و بينه، فاهتدى بالله و هدى غيره بأمر الله سبحانه... و قد تبين بما قدمناه فى معنى الآيه أمور:

أحدها: أن المراد بالهدايه الى الحق ما هو بمعنى الإيصال الى المطلوب دون ما هو بمعنى إراءه الطريق المنتمى الى الحق فإن وصف طريق الحق يتأتى من كل أحد سواء اهتدى الى الحق بنفسه أو بغيره أو لم يهتد.

و ثانيها: أن المراد بقوله: **أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى** هو من لا يهتدى بنفسه، و هذا أعم من أن يكون ممن يهتدى بغيره أو يكون ممن لا يهتدى أصلا لا بنفسه و لا بغيره...

و ثالثها: أن الهدايه الى الحق-بمعنى الإيصال إليه-إنما هى شأن من يهتدى بنفسه: أى لا واسطه بينه و بين الله سبحانه فى أمر الهدايه إما من بادئ أمره أو بعنايه خاصه من الله سبحانه كالأنبياء و الأوصياء من الأئمه. و أما الهدايه بمعنى إراءه الطريق و وصف السبيل فلا يختص به تعالى و لا بالأئمه

من الأنبياء والأوصياء، كما يحكيه الله تعالى عن مؤمن آل فرعون إذ يقول:

وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (١)...

و أما قوله تعالى خطابا للنبي (صلى الله عليه وآله) وهو إمام: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ (٢) وغيرها من الآيات فهي مسوقة لبيان الأصالة و التبعية كما في آيات التوفى و علم الغيب و نحو ذلك مما سبقت لبيان أن الله سبحانه هو المالك لها بالذات و الحقيقة، و غيره يملكها بتفويض الله ملكا تبعية أو عرضيا و يكون سببا لها بإذن الله، قال تعالى: وَ جَعَلْنَا هُمْ أَنْفُسَهُمْ يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا (٣)، و فى الأحاديث اشارته الى ذلك و أن الهداية الى الحق شأن النبى و أهل بيته-صلوات الله عليهم أجمعين. انتهى قول العلامة الطباطبائي (رحمه الله) فى تفسير الآية ملخصا و قد عرض الأقوال الاخرى الواردة فى تفسير الآية و بين عدم انسجامها مع منطوق الآية نفسها (٤).

و المتحصّل من التدبر فيها هو حصر الهداية الى الحق بمعنى الايصال الى صريحه بالله تبارك و تعالى بالأصالة و بالتبع بمن كان مهديا بنفسه من قبل الله تبارك و تعالى إذ يتحلّى بدرجة عالية من الاستعداد الذاتى لتلقى المنح الخاصة بالهداية من الله تبارك و تعالى سواء عن طريق الوحي إذا كان نبيا أو عن طريق الإلهام الإلهى الخاص إذا لم يكن نبيا؛ و كذلك للحصول على «أمر الله» للقيام بمهمته الهداية اليه عزّ و جلّ، و مراجعته الآيات التى تتحدث عن «أمر الله» تقودنا -و بوضوح- الى معرفته أنه يشمل الولاية التكوينية و التصرف الخاص إذ لا تجد آية فى القرآن الكريم تذكر «أمر الله» دون أن يقتصر معناه على ولايته التكوينية أو يشملها الى جانب الولاية التشريعية «فالإمام هاد يهدى بأمر

ص: ٧٣

١- (١) المؤمن (٤٠): ٣٨.

٢- (٢) القصص (٢٨): ٥٦.

٣- (٣) الأنبياء (٢١): ٧٣.

٤- (٤) تفسير الميزان: ٥٦/١٠-٥٦-٦١.

ملكوتى يصاحبه، فالإمامه بحسب الباطن نحو ولايه للناس فى أعمالهم» (١).

و بهذه الولاية التكوينية يستطيع الهادى الى الله بأمره أن يتصرف بالأسباب و يصل الى حقائق و بواطن العباد فيعطيه من حقائق الهدايه ما يناسبهم، وهذا التصرف هو الذى ساقنا إليه التدبر فى الآيات الناصه على وجود شهيد فى كل زمان على أهل عصره.

الهادى منصوب من الله.

و بالرجوع ثانيه الى القرآن الكريم نجده يصرح بأن الذى يكون هاديا للناس بأمر الله تبارك و تعالى هو الإمام المنصوب لذلك من قبل الله تعالى كما هو واضح من قوله تعالى: وَ جَعَلْنَا هُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا (٢).

و فى هذا تأكيد لما دلّت عليه آيات الإمامه و أنها عهد إلهى يجعله الله فيمن يختاره من عباده، كما أشرنا لذلك فى الحديث عن آيات سوره الاسراء و صفات الإمام.

نعود للآيه مورد البحث من سوره الرعد فهى تصرّح بأنه لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ عَلَىٰ نَحْوِ الْإِطْلَاقِ و مصداق الهادى المراد فيها لا يمكن أن يكون أحد الكتب السماويه للسبب نفسه الذى أوردناه فى معرفه مصداق «الإمام» فى آيه سوره الإسراء، كما لا يمكن حصر المصداق بالنبي لما قلنا من أنه يخرج الفترات التى ليس فيها نبي من حكم الآيه و هذا خلاف ظاهر الآيه العام الذى يشمل جميع الأزمان.

كما لا يمكن أن يكون المصداق المقصود فى الآيه هو الله سبحانه و تعالى؛ لأن هدايته تشمل جميع الأزمانه دونما تخصيص بقوم دون قوم، و هذا خلاف ظاهر الآيه، خاصه و أن لفظه «هاد» جاءت بصيغه النكره، الأمر

ص: ٧٤

١- (١) تفسير الميزان: ٢٧٢/١.

٢- (٢) الأنبياء (٢١): ٧٣.

يضاف الى كل ذلك أن الهدايه الإلهيه للناس تكون بواسطه هداه من أنفسهم مرتبطين به تبارك و تعالى يتلقون منه الهدايه و ينقلونها الى عباده، و هؤلاء هم المهتدون بأنفسهم منه تبارك و تعالى دونما واسطه كما تقدم فى تفسير آيه سوره يونس و هم الذين يهدون بأمره تعالى. و هم الأئمه المنصوبون للهدايه بأمره تعالى كما تقدم حيث لم يرد فى القرآن الكريم وصف الهدايه بأمره إلا- فى موردين اقترن فيهما بوصف «الأئمه» و إختيارهم لذلك من قبل الله تعالى، و الموردان هما آيه سوره الأنبياء المتقدمه و آيه سوره السجده: **وَ جَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا (١).**

و تكون النتيجة المتحصله من التدبر فى الآيه الكريمه مورد البحث هى حتميه وجود إمام هاد الى الله بأمره تبارك و تعالى منصوب لذلك من قبله عزّ و جلّ فى كل عصر فلا تخلو الأرض منه سواء أ كان نبيا أو غير نبى.

و حيث إن مثل هذا الشخص غير ظاهر فى عصرنا الحاضر؛ إذ لا يوجد بين المسلمين- من أى فرقه كانت- من يقول بوجود إمام ظاهر هاد بأمر الله منصوب من قبله تعالى ورد النص عليه ممّن قوله حجه إلهيه كما تقدم فى البحث عن آيه سوره الإسراء؛ لذا فلا- مناص من القول بغيبته و استتاره، و قيامه بمهام الإمامه و الهدايه مستترا بأستار الغيبه، فيكون الانتفاع به مثل الانتفاع بالشمس إذا غيّبتها عن الأبصار السحاب كما ورد فى الأحاديث الشريفه (٢).

و هذا ما تقول به مدرسه أهل البيت (عليهم السّلام) فى الامام المهدي و غيبته.

ص: ٧٥

١- ((١)) السجده (٣٢): ٢٤.

٢- ((٢)) راجع الحديث الذى يرويه جابر بن عبد الله الأنصارى عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) المروى فى كمال الدين: ٢٥٣/١ و كفايه الأثر: ٥٣ و غيرهما.

اشاره

المهدي الموعود و غيبته في المتفق عليه من السنّه

الى جانب الآيات الكريمة المتقدمه توجد بين أيدينا الكثير من الأحاديث الشريفه التي صحت روايتها عند أهل السنه و الشيعه عن سيد المرسلين (صلى الله عليه و آله) بطرق كثيره، تؤكد دلالات الطائفه المتقدمه من الآيات الكريمة و تفصل مجملاتها و تكمل الصوره التي ترسمها فيما يرتبط بالدلاله على وجود الإمام المهدي الموعود (عليه السلام) بالفعل و غيبته و تصرح بالمصداق الذي دلت عليه الآيات الكريمة بذكر صفاته العامه.

و نختار هنا نماذج من الأحاديث الشريفه المتواتره أو المستفيضه المرويّه بأسانيد صحيحه عند أهل السنه و المرويّه في الكتب الستة المعتمده عندهم لأن الاحتجاج بها أبلغ، ولأن تفسيرها و تقديم المصداق المعقول لها غير ممكن إلا على ضوء عقيدته أهل البيت في المهدي المنتظر (عليه السلام) فيما يرتبط بعصرنا الحاضر خاصه؛ ولأن الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله)، قد صرح في هذه الأحاديث المختاره بالأهميه القصوى التي تحظى بها مضامينها كما سنرى.

و هو من الأحاديث المتواتره، رواه حفاظ أهل السنه و الشيعة بأسانيد صحيحه عن جم غفير من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله)، عدّ ابن حجر- من علماء أهل السنه- أكثر من عشرين منهم فى كتابه الصواعق المحرقة (١) و عدّ غيره من حفاظ أهل السنه أكثر من ثلاثين صحابيا كما فى سنن الترمذى (٢)، و ألف الحافظ أبو الفضل المقدسى المعروف بابن القيسرانى- و هو من كبار حفاظ أهل السنه- كتابا خاصا عن طرق هذا الحديث الشريف (٣). كما أثبت العديد من الدراسات الحديثيه تواتره بما لا يدع أى مجال للنقاش أو التشكيك، نظير ما فعل العلامة المتتبع المير حسين حامد الموسوى فى موسوعه عبقات الأنوار و غيره من العلماء (٤).

و يتضح من روايات هذا الحديث الشريف أن النبى المكرم (صلى الله عليه و آله) قد كرر مضمونه بعبارات و ألفاظ متقاربه فى عده مناسبات، منها فى يوم عرفه من حجه الوداع، و موقف يوم الغدير فى طريق عودته منها و بعد انصرافه من الطائف، و فى الجحفه، و فى خطبه له فى مسجده بالمدينه بعد عودته من هذه الحجه، و فى حجرته أيام مرضه (صلى الله عليه و آله) و قد امتلأت الحجره بالصحابه (٥). و كل ذلك يكشف عن أهميه الوصيه النبويه التى تضمنها الحديث بالنسبه للإسلام

ص: ٧٨

١- (١) الصواعق المحرقة: ١٥٠ من الطبعة المصريه و قد صرح ابن حجر بتواتره.

٢- (٢) سنن الترمذى: ٦٢١/٥-٦٢٢- مناقب أهل بيت النبى باب ٣٢.

٣- (٣) أهل البيت فى المكتبه العربيه للسيد عبد العزيز الطباطبائى: ٢٧٧-٢٧٩.

٤- (٤) أصدرت دار التقريب الإسلاميه فى مصر رساله مفصله ألفها أحد أعضاء الدار عن هذا الحديث استوفى فيها أسانيد الحديث فى الكتب المعتمده عند أهل السنه.

٥- (٥) الصواعق المحرقة لابن حجر: ١٤٨، أهل البيت فى المكتبه العربيه: ٢٧٩.

والمسلمين و إلا لما أولاهما- هو الحريص على المؤمنين الرؤوف الرحيم بهم- كل هذا الاهتمام في التكرار و التبليغ في تلك المواطن المهمه التي تجمع أكبر عدد من المسلمين، خاصة و أنه (صلى الله عليه و آله) كان يبادر لإعلان هذه الوصيه و يؤكد على الملأ العام دون أن ينتظر من يسأله عنها.

و يستفاد من بعض الروايات أن مضمون الوصيه التي تضمنها هذا الحديث الشريف، هو الذي أراد رسول الله محمد (صلى الله عليه و آله) كتابته للمسلمين في الأيام الأخيره من حياته المباركه عند ما طلب أن يأتيه بكتف و دواء ليملى عليهم وصيه لكي لا يضلوا بعده، كما ورد في نص حديث الكتف و الدواه هذا المروي في صحيح البخارى (1) و غيره فمنعوه من ذلك و وقع الاختلاف فصرفهم كما في حديث رزيه يوم الخميس المشهور دون أن يدون الوصيه، إذ يلاحظ أن عبارته «لن تضلوا بعدى» المذكوره في حديث طلبه كتابه الوصيه عبارته متكرره في حديث الثقلين أيضا، كما تكررت وصيته بأهل بيته و عترته خيرا في حديث الثقلين و في وصاياه في الساعات الأخيره من حياته المباركه.

و يظهر من ذلك بوضوح أن النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله) أراد تسجيل مضمون الحديث الشريف في وثيقه نبويه حاسمه للجدال مدونه بحضور كبار صحابته قطعا للجدال و توكيدا للأمر. و كل ذلك يبين أن الموضوع الذي يتضمنه مهم للغاية و إلا لما أكد عليه هادى الأمم (صلى الله عليه و آله) بهذه الدرجه المشدده، و هذا الأمر يكشف عنه نص الحديث نفسه المصرح بأن العمل بالوصيه التي يتضمنها هو

ص: ٧٩

١- ((١)) صحيح البخارى: ٣٧/١، ٣١/٤، ٤٤-٤٥، ١٣٧/٥، ٩/٧، ١٦١/٨ من طبعه دار الفكر المصوره عن طبعه استانبول و في جميعها وردت عبارته «لن تضلوا بعدى» في الحكاياه عن مضمون الكتاب الذي أراد كتابته.

سبيل النجاه من الضلاله بعده(صلى الله عليه و آله)...كما سيتضح أكثر خلال دراسته نصه.

كما أن ثبوت تواتر الحديث الشريف عند المسلمين كافه يجعل من الممكن الاستناد اليه فى المسائل الاعتقاديه كما هو ثابت فى علم الكلام الاسلامى،لذا يمكن الاستناد اليه فى قضيه الإمامه.

اللفظ المتواتر: كتاب الله و عترتى

و اللفظ المتواتر لهذا الحديث الشريف هو الذى ورد فيه ذكر القرآن الكريم و أهل بيت النبى أو عترته-صلوات الله و سلامه عليه و عليهم- كمصدق للثقلين و الأمر بالتمسك بهما منجاه من الضلاله الى يوم القيامه، طبق ما رواه البخارى فى كتابه التاريخ الكبير و مسلم فى صحيحه و الترمذى فى سننه و كذلك النسائى فى خصائصه و ابن ماجه فى سننه،و أحمد بن حنبل فى مسنده،و الحاكم فى مستدركه و صححه على شرط الشيخين و وافقه فى ذلك الذهبى،و غيرهم كثير (١)،و ما أخرجه مسلم فى صحيحه عن زيد بن أرقم هو قوله:«...قام رسول الله(صلى الله عليه و آله)فينا خطيبا بماء يدعى خمأ بين مكه و المدينه فحمد الله و أثنى عليه و وعظ و ذكر،ثم قال:

«أما بعد،أيها الناس،فإنما أنا بشر و يوشك أن يأتى رسول ربى فأجيب،و أنا تارك فيكم ثقلين:أولهما كتاب الله فيه الهدى و النور،فخذوا بكتاب الله و استمسكوا به...و أهل بيتى اذكركم الله فى أهل بيتى،اذكركم الله فى أهل بيتى» (٢).

و أخرج الترمذى فى سننه بسنده عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله(صلى الله عليه و آله)قال:«إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى،أحدهما أعظم

ص: ٨٠

١- (١) راجع تلخيص و تعريف السيد على الميلانى للجزء الخاص بطرق حديث الثقلين من موسوعه عبقات الأنوار و قد طبع هذا التلخيص مرتين.الأولى فى مجلدين و الثانيه فى ثلاث مجلدات.

٢- (٢) صحيح مسلم: ٤/١٨٧٣.

من الآخر: كتاب الله جبل ممدود من السماء الى الأرض، وعترتي أهل بيتي و لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» (١).

و أخرج الحاكم في مستدرکه ما نصّه:

«كأننى قد دعيت فأجبت، إنى تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله و عترتى أهل بيتى، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا [يفترقا] حتى يردا على الحوض، إن الله مولاي، و أنا ولى كل مؤمن. من كنت مولاه فعلى مولاه. اللهم وال من والاه و عاد من عاداه» (٢).

و أخرج ابن حجر فى صواعقه ما نصّه:

«إنى مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله و عترتى أهل بيتى، إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبدا و لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فلا تقدموهم فتهلكوا و لا تقصروا عنهم فتهلكوا و لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم» (٣).

و الألفاظ الأخرى التى أخرجها باقى الحفاظ مقاربه لهذه النصوص. و فى جميعها ورد الحديث بلفظ «كتاب الله و أهل بيتى»، و هو اللفظ المتواتر، لذا فلا اعتبار فى مقابله باللفظ المحرف الذى استبدل عبارته «عترتى أهل بيتى» بكلمته «سنتى»، فأهداف هذا التحريف واضحة و الإصرار على ترويجه ارتبط بمصالح الأميين و العباسيين السياسيه، يضاف الى ذلك أن هذا اللفظ المحرف لم يرو فى المصادر المعتمده (٤)، و هو فى أفضل الأحوال من روايات الآحاد

ص: ٨١

١- ((١)) سنن الترمذى: ٥/٦٦٢.

٢- ((٢)) المستدرک على الصحيحين: ٣/١٠٩.

٣- ((٣)) الصواعق المحرقة: ١٥٠، الفصل الأول/الآيات الواردة فيهم.

٤- ((٤)) راجع رساله الثقلين الصادره عن دار التقريب الإسلاميه فى مصر: ١٨ و راجع مناقشه السيد محمد تقى الحكيم لإعتبار هذه الروايه ضمن حديثه عن دلالات حديث الثقلين فى فصل السنه من كتابه الأصول العامه للفقہ المقارن.

الضعيفه التي لا تفيد علما و لا عملا خاصه في مسأله عقائديه مهمه كالتى يتناولها مضمون الحديث.

و حتى لو فرضنا صحه روايه هذا اللفظ المحرف- كما فعل ابن حجر فى صواعقه- فإن ذلك لا يعارض اللفظ المتواتر و لا ينقص من دلالتة العقائديه المهمه، بل إن الجمع بينهما ممكن و هو يضيف تأكيدا لحقيقه أن سنه الرسول (صلى الله عليه و آله) هى عند أئمة عترته فهم العلماء بالكتاب و السنه، كما أشار لذلك ابن حجر حيث قال: «... و فى روايه «كتاب الله و سنتي» و هى المراد من الأحاديث المقتصره على الكتاب لأن السنه مبينه له؛ فأغنى ذكره عن ذكرهما، و الحاصل أن الحث وقع على التمسك بالكتاب و بالسنه و بالعلماء بهما من أهل البيت، و يستفاد من مجموع ذلك بقاء الأمور الثلاثه الى قيام الساعة» (١).

دلالات الحديث على وجود الإمام

دلالات الحديث الشريف كثيره، و قد استدل به العلماء لاثبات معظم مسائل الإمامه حسب مذهب أهل البيت (عليهم السلام) (٢)، نقتصر هنا على ذكر أهمها مما يرتبط بموضوع بحثنا خاصه.

١- صرح الحديث الشريف بأن سبيل النجاه من الضلاله بعد وفاه الرسول (صلى الله عليه و آله)، إنما يكون بالتمسك بالقرآن و العتره النبويه معا: «ما إن تمسكتم بهما»، و ليس بواحد منهما فقط، بمعنى أن التمسك بأحدهما لا يكون تاما و حقيقيا و لن يضمن النجاه من الضلاله إلا إذا اقترن و قاد الى التمسك بالآخر،

ص: ٨٢

١- (١) الصواعق المحرقة: ١٥٠.

٢- (٢) راجع مثلا كتاب «حديث الثقلين»، تواتره، فقهه، للسيد على الميلانى.

فلن يكون مدعى التمسك بأحدهما صادقا في ادعائه لأنهما «لن يفترقا».

٢- حدّد الحديث بوضوح هويه الثقل الثانى بقوله (صلى الله عليه وآله): «عترتى أهل بيتى»، و العتره كما يقول علماء اللغه: «نسل الإنسان، قال الأزهرى: و روى ثعلب عن ابن الأعرابى أن العتره ولد الرجل و ذريته و عقبه من صلبه و لا تعرف العرب من العتره غير ذلك» (١).
و بهذا تخرج نساء النبى (صلى الله عليه وآله) من مصداق الحديث.

بل و حتى مع الأخذ بوصف «أهل بيتى» مجردا تخرج نساء النبى من المصداق لما أخرجه مسلم فى صحيحه فى ذيل حديث الثقلين حيث وضح راوى الحديث عن زيد بن أرقم المقصود عند ما سأله: «من أهل بيته، نساؤه؟ قال: لا و أيم الله، إن المرأه تكون مع الرجل من الدهر ثم يطلقها فترجع الى أبيها و قومها. أهل بيته أصله و عصبته الذين حرموا الصدقه من بعده» (٢).

مصداق أهل البيت (عليهم السلام)

و قد حدّد رسول الله (صلى الله عليه وآله) نفسه مصداق «أهل البيت» بعد نزول آيه التطهير، حيث خصصها بيت فاطمه (عليها السلام)، حيث «انه كان يمر ببيت فاطمه رضى الله عنها سته أشهر إذا خرج لصلاه الفجر فيقول: الصلاه يا أهل البيت، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً، كما روى ذلك أحمد بن حنبل فى مسنده (٣).

يضاف الى ذلك تصريحه بأن هؤلاء هم أهل بيته فى حديث الكساء المشهور و إخراج زوجته أم المؤمنين أم سلمه منهم و قوله لها إنها على خير

ص: ٨٣

١- (١) المصباح المنير للفيومى: ٣٩١، ماده العتره.

٢- (٢) صحيح مسلم: ٣٦٢/٢.

٣- (٣) مسند أحمد بن حنبل: ٢٥٩/٣.

لكنها ليست من أهل البيت. و حديث الكساء رواه مسلم فى صحيحه و السيوطى فى الدر المنثور بعده أسانيد صحيحه طبق طرق أهل السنه (١).
و الثابت أن الإمام علياً (عليه السلام) أدخله فى مصداق «أهل البيت» و ان لم يكن من صلبه كما هو ظاهر مما تقدم.

عصمه الإمام و توفر شروط الحديث

٣- إن معرفة مصداق «أهل بيتى و عترتى» فى الحديث الشريف تبين صفه أخرى للثقل الثانى هى تحليه بالعصمه كما هو واضح من دلالة آيه التطهير المباركه (٢)، و هذا ما ينسجم مع دلالة الحديث نفسه على عصمه الثقل الثانى، فهو يؤكد عدم افتراق الثقلين أبداً و فى أى حال كما هو المستفاد من استخدام أده «لن» التأييديه، و من الثابت أنه لا باطل فى القرآن ابداً، لذا فعدم افتراق الثقل الثانى عنه دال على عصمته و إلا لافترق عن القرآن فى حالات صدور الخطأ أو المعصيه و كل مصاديق الباطل، و هذا ما ينفيه الحديث صراحه الأمر الذى يدل على عصمه العتره.

و يضاف الى ذلك أن الأمر بالتمسك بهما معا مطلق - كما هو واضح لأنه لم يقتيد بشىء -؛ لذلك فهو يشمل مختلف الأحوال و الأزمان، و لو جاز وقوع العتره بما يخالف العصمه لأذى ذلك الى القول بأن رسول الله (صلى الله عليه و آله) أمر بالتمسك بها حتى فى الحالات التى تقع فى الخطأ و ما يخالف القرآن، و هذا محال.

ص: ٨٤

١- ((١)) راجع مثلاً- صحيح مسلم: ١٣٠/٧، و ما رواه الحاكم فى المستدرک و صححه على شرط البخارى فى: ١٤٦/٣، و الدر المنثور للسيوطى: ١٩٨/٥.

٢- ((٢)) راجع البحث القرآنى الذى أورده العلامة الطباطبائى (رحمه الله) فى تفسير الميزان، فى تفسير الآيه الكريمه و دلالاتها.

كما يتضح مما تقدم إخراج غير المعصومين من ذرية الرسول من مصداق الثقل الثاني المأمور بالتمسك به، يقول ابن حجر في دراسته لهذا الحديث: «ثم إن الذين وقع الحث عليهم منهم إنما هم العارفون بكتاب الله و سنه رسوله، إذ هم الذين لا يفارقون الكتاب الى الحوض و يؤيده الخبر السابق: «و لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم» و تميزوا بذلك عن بقيه العلماء لأن الله أذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا و شرفهم بالكرامات الباهره و المزايا المتكاثره و قد مر بعضها» (١).

و قد أثبت الواقع التاريخي انحصار توفر هذا الشرط بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى الإمام على و الأحد عشر إماما من أولاده و أولاد فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله)، كما نسب نبي الله عيسى الى ابراهيم من جهة البنت.

فالإماميه مجمعون على عصمتهم و سائر فرق أهل السنه مجمعه على محبتهم و نزاهتهم و لم يدع أحد صدور أى شىء يخالف عصمتهم رغم حرص الحكومات المعاصره لهم على الحصول على أى شىء من هذا القبيل كما هو ثابت تأريخيا أيضا (٢).

٤- كما أن الأمر بالتمسك بالقرآن و العتره مطلق زمانيا أيضا كما هو واضح من قوله (صلى الله عليه و آله): «من بعدى» دونما تقييد، فهو نافذ المفعول الى يوم القيامه لخلود الشريعه المحمديه حيث لا نبي بعده (صلى الله عليه و آله)، و حيث إن القرآن محفوظ من الله تبارك و تعالى، و العتره هى الثقل الملازم له الذى لن يفترق عنه، لذلك فهى محفوظه من الله تبارك و تعالى الى يوم القيامه أيضا.

ص: ٨٥

١- ((١)) الصواعق المحرقة: ١٥١.

٢- ((٢)) راجع تراجمهم -سلام الله عليهم- فيما كتبه علماء الرجال من أهل السنه، و قد ألف العديد منهم كتبا خاصه بالأئمه الاثنى عشر من أهل البيت عليهم السلام، أمثال ابن طولون الدمشقى و غيره.

من هنا يتضح أن في هذا الحديث الشريف المتواتر نصا صريحا على حتميه وجود ممثل لأهل بيت النبي و عترته (صلى الله عليه وآله) يتحلى بالعصمه و ملازمه القرآن في كل عصر لكي يتمسك العباد به و بالذكر الإلهي المحفوظ بهدف النجاه من الضلاله عملا بوصيه نبيهم الخاتم محمد (صلى الله عليه وآله)، و إلا لبطل مضمون هذا الحديث المتواتر الذي ثبت صدوره عن لا ينطق عن الهوى.

فلا بد إذن من وجود إمام معصوم من العتره النبويه في عصرنا الحاضر يكون مصداقا للثقل الثاني و يكون التمسك به ممكنا. و قد تنبه لهذه الحقيقه و الدلاله الواضحه في حديث الثقلين عدد من كبار علماء أهل السنه و صرح بعضهم بها، مثل ابن حجر الهيتمي حيث قال: و في أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشاره الى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به الى يوم القيامه كما أن الكتاب العزيز كذلك، و لهذا كانوا أمانا لأهل الأرض كما يأتي و يشهد لذلك الخبر السابق: «في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي...» (1).

مصداق الحديث في العصر الحاضر

إذن الحديث الشريف يدل بصراحه على وجود متأهل من عتره النبي (صلى الله عليه وآله) للتمسك به الى جانب القرآن الكريم في عصرنا الحاضر و يشترط فيه أن يكون معصوما أيضا، فمن هو هذا الإمام؟

من الواضح أن ليس ثمة إمام ظاهر يدعى ذلك أو تنطبق عليه الصفات المستفاده من هذا الحديث الشريف، فلا بد إذن من القول بوجوده و غيبته لأن القول بعدم وجوده مردود بدلاله حديث الثقلين المتواتر، و هذه هي خلاصه عقيدته مذهب أهل البيت (عليهم السلام) في المهدي الموعود القائم على الكثير من

ص: ٨٦

الأدلة النقلية و العقلية و القائله بوجوده و غيبته عن الأبصار دون أن تمنع غيبته إمكانه الانتفاع به كما ينتفع بالشمس إذا غيبتها عن الأبصار السحاب.

٢- أحاديث الخلفاء الاثني عشر

إشاره

روى أحاديث الخلفاء أو النقباء أو الأمراء أو القيمين الاثني عشر، أصحاب الصحاح و المسانيد المعبره عند أهل السنه بأسانيد صحيحه عن جابر ابن سمره، كما رووها عن أنس بن مالك و ابن مسعود و عبد الله بن عمر و حذيفه بن اليمان، و كلها مسنده الى رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و مضمون الحديث مروى-بتفصيل أكثر- بتواتر من طرق أتباع أهل البيت (عليهم السلام) و قد نقل آيه الله الشيخ لطف الله الصافي أكثر من (٢٧٠) حديثا بهذا الشأن (١).

فهذه الأحاديث من المتفق عليه بين الفرق الاسلاميه فلا مجال للتشكيك في صحه المقدار المشترك بينها على الأقل. لكننا نكتفي هنا بالنصوص المرويه في الكتب المعبره عند أهل السنه و تحديد دلالتها و مصداقها-على الرغم من خلوها من التفصيلات الموجوده في أحاديث الطرق الاخرى لاسباب واضحه-لكي تكون النتيجة حجه على الجميع.

ألفاظ الأحاديث

روى البخارى في صحيحه بسنده عن جابر بن سمره قال: سمعت النبي (صلى الله عليه و آله) يقول: «يكون إثنا عشر أميراً»، فقال كلمه لم أسمعها، فقال أبى: إنه قال: «كلهم من قريش».

و رواه مسلم في صحيحه من عده طرق عن جابر بن سمره و بعده ألفاظ و في بعضها لفظ:

ص: ٨٧

١- (١) راجع كتابه: منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر.

«إن هذا الأمر لا ينقضى حتى يمضى إثنا عشر خليفه...».

«لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم إثنا عشر رجلا...».

«لا يزال الإسلام عزيزا الى اثني عشر خليفه...».

و تشترك هذه الأحاديث فى أنه لم يسمع ذيل الحديث فأخبره والده بلفظ «كلهم من قريش» و هى التتمه الوارده فى معظم نصوص الحديث.

و رواه الترمذى بلفظ: «يكون من بعدى إثنا عشر أميراً...» و أبو داود بلفظ:

«لا يزال هذا الدين عزيزا الى اثني عشر خليفه، فكبر الناس و ضجوا ثم قال كلمه خفيت، قلت لأبى: يا أبه ما قال؟ قال: كلهم من قريش».

و رواه أحمد فى مسنده بطرق كثيره منها بلفظ: «لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعه...»، و فى بعضها أن ما قاله رسول الله (صلى الله عليه و آله) هو: «لا يزال هذا الدين ظاهرا على من نواه، لا يضره مخالف و لا مفارق حتى يمضى من أمتى إثنا عشر أميراً...»، و فى روايات اخرى أنه قاله فى عرفات، و فى أخرى فى يوم جمعه عشيه رجم الأسلمى، و فى بعضها أن الرسول عقب عليه بالقول: «...و إذا أعطى الله تبارك و تعالى أحدكم خيرا فليبدأ بنفسه و أهله و أنا فرطكم على الحوض»، و فى بعضها أن قريشا جاءت اليه (صلى الله عليه و آله) و سألته عما يكون بعد ذلك فقال: «الهرج».

و رواه الطبرانى فى المعجم الكبير و فى أوله: «يكون لهذه الأمه إثنا عشر قيما لا يضرهم من خذلهم...».

و رواه المتقى الهندى فى كنز العمال عن أنس بن مالك بلفظ: «لن يزال هذا الدين قائما الى اثني عشر من قريش فإذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها» (١).

ص: ٨٨

١- (١) راجع هذه النصوص و التعريف بمصادرها فى كتاب منتخب الأثر و معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام): ٢/٢٥٥-٢٦٥، و كذلك كتاب أحاديث المهدي فى مسند أحمد بن حنبل.

هذه هي النصوص المرويه في المصادر المعتره عند أهل السنه، و بعد عرضها نثبت الدلالات المستفاده منها كما يلي:

١-المستفاد من روايات الحديث الشريف أنه جاء ضمن خطبه مهمه ألقاها الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) على المسلمين و في الأيام الأخيره من حياته الشريفه، و تصرح مجموعته من رواياته أنها كانت في عرفات في حجه الوداع الشهيره و هي الخطبه نفسها التي أعلن فيها وصيته الشهيره بالتمسك بالقرآن و عترته في حديث الثقلين المتواتر الذي دل-كما عرفنا-على حتميه وجود متأهل من أهل البيت (عليهم السلام) للتمسك به الى جانب القرآن و الى يوم القيامه.

و هي الحججه نفسها التي بلغ في طريق عودته منها الأمر القرآني بتنصيب الإمام على وليا و مرجعا للمسلمين من بعده يخلفه في ذلك.

و هذا التقارن بين هذه الأحاديث الثلاثه و جمع تبليغها في الأيام الأخيره من حياته الشريفه و إحاطتها بكثير من الأهميه يكشف عن أهميه مضامينها فيما يرتبط بهدايه المسلمين الى ما يضمن لهم النجاه على المستويين الفردي و الاجتماعي و استمرار تحرك المسيره الإسلاميه من بعده على الصراط المستقيم و المحججه البيضاء.

فهى تشترك في الموضوع المستقبلي الذي تدور عليه مضامينها، لذلك لا يمكن القول بأن رسول الله (صلى الله عليه و آله) اراد من أحاديث الائمة الاثنى عشر مجرد الإخبار عن واقع تاريخي سيجرى بعد وفاته، فهذا ما لا يمكنه تفسير

الأهميه القصوى التي أحاط بها تبليغه لمضمون هذا الحديث، بل واضح أن تبليغ هذا الحديث فى الأيام الأخيره من حياته الشريفه يأتى فى ضمن مساعيه لهدايه المسلمين الى ما ينقذهم من الضلاله و الانحراف بعده و هو الهدف الذى صرح به فى حديث الثقلين، لذا فذكر الأئمه أو الخلفاء الاثنى عشر و الإخبار عن مجيئهم بعده هو لهدايه المسلمين و صونا لمستقبل مسيرتهم من بعده و إتماما للحجه عليهم. و هذه نقطه محوريه مهمه يجب أخذها بنظر الاعتبار لدراسه هذا الحديث و لمعرفه مصداقه.

ترابط أحاديث حجه الوداع

٢-و على ضوء اشتراك الأحاديث الثلاثه فى موضوع واحد، فإن مما يعين على فهم هذا الحديث الشريف مورد البحث، ملاحظه ارتباطه بالحديثين الآخرين اللذين بلغهما الرسول محمد (صلى الله عليه و آله) فى حجه الوداع نفسها أو على الأقل فى فتره زمنيه واحده هى الأيام الأخيره من حياته الشريفه.

و حقيقه الأمر أن الأحاديث الثلاثه ترسم صورته متكامله لطريق اهتداء المسلمين لما يضمن مستقبل مسيرتهم من بعده (صلى الله عليه و آله).

فحديث الثقلين يصرح- كما بينا سابقا- بأن النجاه من الضلاله بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) تكون بالتمسك بالقرآن و العتره و أن لكل زمان رجلا من أهل بيته و عترته جديرا بأن يكون التمسك به الى جانب القرآن منجاة من الضلاله.

أما حديث الغدير فإنه يصرح باسم الإمام على (عليه السلام) كولى للامه بعده (صلى الله عليه و آله) يجب عليهم التمسك بولايته كما وجب التمسك بولايه خاتم المرسلين، و هذا ما يدل عليه أخذه (صلى الله عليه و آله) الإقرار من المسلمين بأنه أولى

بالمؤمنين من أنفسهم ثم قوله: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» (١).

أما حديث الأئمة الاثني عشر فإنه يصرح بأن الدين يبقى قائما الى يوم القيامة بوجود هؤلاء الأئمة و بهذا العدد لا يزيد و لا ينقص، و يهدى الى التمسك بهم.

فتكون الصورة التي ترسمها الأحاديث الثلاثة معا- و قد صدرت في حجه واحده أو على الأقل في فتره زمنيه واحده هي الأيام الأخيره من حياته الشريفه و ضمن مسعى واحد هو هدايه المسلمين الى سبيل النجاه من الانحراف و الضلاله بعده و هي: أن النجاه من الضلاله و حفظ قيام الدين تكون بالتمسك بالقرآن الكريم و بأئمه العتره الطاهره الذين لا يخلو زمان من أحدهم و أن أولهم الإمام علي (عليه السلام) و عددهم اثنا عشر إماما لا يزيد و لا ينقص.

مصدق الخلفاء الاثني عشر

و عند ما نرجع للواقع التاريخي الاسلامي لا نجد مصداقا للنتيجه المتحصله سوى أئمه أهل البيت الاثني عشر بدء بالإمام علي و انتهاء بالمهدي المنتظر-سلام الله عليهم- لا يزيد عددهم عن الاثني عشر و لا ينقص فجاؤا المصدق الوحيد لما أخبر به الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) إذ لم يدع غيرهم ذلك، تحقيقا للنبوه المحمديه الثابته عند المسلمين جميعا.

و حيث قد ثبتت عند المسلمين كافه وفاه الأئمه الأحد عشر من هؤلاء الأئمه الاثني عشر، و ثبت عند الإماميه عدم وفاه الثاني عشر منهم، في حين أن الحديث المتقدم ينص على استمرار وجودهم الى يوم القيامة؛ لذا فلا مناص

ص: ٩١

١- (١) عن دلالات حديث الغدير و تواتره و طرقه راجع موسوعه الغدير للعلامه الأمينى (رحمه الله)، و الجزء الخاص به من عبقات الأنوار و غيرها.

من القول بوجود الإمام الثاني عشر و غيبته- إذ من الثابت للجميع عدم ظهوره- و قيام الدين بوجوده في غيبته ايضا تصديقا لما نص عليه الحديث المتقدم.

فيكون هذا الحديث الشريف دليلا على وجود المهدي الإمامي و غيبته.

دراسة الأحاديث مستقلة

٣-الدلالة نفسها يمكن التوصل إليها من خلال دراسة الحديث المتقدم بصوره مستقلة و بغض النظر عن ارتباطه بحديثي الثقلين و الغدير، و استنادا الى الدلالات المستفاده من الحديث نفسه و طبقا للمروى في كتب أهل السنه. فنصومه تجمع على أن موضوعه الأول إخبار المسلمين بأن إثني عشر شخصا سيخلفون النبي (صلى الله عليه و آله) لقوله: «يكون من بعدى»، أى في الفاصله الزمنية بين رحيله و الى يوم القيامه كما هو المستفاد من قوله في مقدمه الحديث: «إن هذا الأمر لا ينقضى» كما في صحيح مسلم و غيره و الصيغ الاخرى داله على الأمر نفسه.

و عليه فالصفات و الدلالات التي يشتمل عليها الحديث الشريف لا تنطبق على أكثر من إثني عشر شخصا بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) و الى يوم القيامه، و إلا لما حصر رسول الله (صلى الله عليه و آله) الأمر بهم. فمن هم هؤلاء؟

و للإجابة على هذا السؤال نرجع الى نصوص الحديث الشريف نفسه لمعرفة الصفات التي تحددها لهم ثم نلاحظ على من تنطبق.

إن الصفات التي تذكرها النصوص هي: امراء، قرشيون، كونهم خلفاء، بقاء الإسلام عزيزا بهم، قيام الدين بهم، قيمون على الأمة، خذلان البعض لهم و تعريضهم للمعاداه. فلندرس كل واحده من هذه الصفات.

إن معنى الإنتماء لقريش واضح، و قد أجمعت معظم المذاهب

الإسلاميه على اشتراطه فى الإمام. أما صفه «الخليفه» أو «الأمير» فالمعنى المتبادر منها هو من يخلف رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى قياده المسلمين أو من يلى أمرهم، فهل الوصف هذا يراد به من تولى حكم المسلمين السياسى بعد وفاته (صلى الله عليه و آله)؟!

من الواضح أنه لا يمكن حمل الوصف المذكور على هذا المعنى، إذ إن هذا تنفيه أحاديث اخرى صحت حتى عند إخواننا أهل السنه و هى المصرحه بأن الخلافه بهذا المعنى لن تستمر بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) لأكثر من ثلاثين عاما ثم تصبح ملكا كما فى صحيح البخارى و مسلم (1). فى حين أن الحديث الشريف يصرح باستمرار وجود هؤلاء الاثنى عشر الى يوم القيامه. فلا معنى لحصر البحث عن مصاديق الحديث الشريف فيمن تولى حكم المسلمين بالفعل.

دلاله الواقع التاريخى

يضاف الى ذلك أن الواقع التاريخى الاسلامى ينفى أن يكون المقصود بالخليفه هذا المعنى، إذ أن عدد من وصل للحكم من المسلمين بعد وفاه رسول الله (صلى الله عليه و آله) و تسمى بهذا الاسم يفوق الإثنى عشر بكثير.

أجل يمكن القول بأن الإثنى عشر المقصودين فى الحديث الشريف قد يكون بعضهم من هؤلاء الذين وصلوا الى الحكم و هم الجامعون للأوصاف الوارده فى النصوص و ليس مجرد تسلم حكم المسلمين بطريقه أو بأخرى يجعلهم مصداقا للخلفاء و الامراء فى هذا الحديث الشريف.

فإن الخلافه و الإمرة بالمعنى المعروف و المتداول بين المسلمين هو أمر

ص: ٩٣

منقوض و مردود بتصريح الأحاديث الشريفه بسرعه زوال الخلافه بهذا المعنى كما تقدم، ولأنه يستلزم أن يكونوا متفرقين على مدى التاريخ الإسلامى و هذا ما تنقضه الدلالات الأخرى المستفاده من الحديث الشريف، لأن مصاديق هذا المفهوم قد انقطعت منذ مده طويله فى حين أن الحديث ينص على استمرار وجود هؤلاء الخلفاء الإثنى عشر الى يوم القيامه دونما انقطاع كما سنرى لاحقا.

و لذلك لا بد من حمل معنى «الخليفه» فى هذا الحديث على ما هو أعم من التولى المباشر للحكم السياسى، أى أن يكون المقصود خلافته (صلى الله عليه و آله) فى الوصايه على الدين و الولايه على الأمه و هدايتها الى الصراط المستقيم سواء استلم الخليفه الحكم عمليا أو لم يستلمه، فالرسول (صلى الله عليه و آله) كان يقوم بهذه المهمه عند ما كان فى مكه يتابع نشر دعوته بسريه و عند ما أعلنها و تعرض للأذى من المشركين و عند ما هاجر الى المدينه و أقام دولته و تولى حكومتها.

فقد كان (صلى الله عليه و آله) قيما على الدين الحق حافظا له و داعيا إليه فى كل الأحوال، دون أن يكون لاستلامه الفعلى للحكم علاقه بإنجاز هذه المهمه و إن كان هو الأجدر باستلام الحكم فى كل الأحوال.

و هذا ما يشير إليه تشبيهه (صلى الله عليه و آله) لهؤلاء الإثنى عشر بنقباء بنى اسرائيل و أوصياء موسى (عليه السلام) كما فى حديث ابن مسعود المروى فى مسند أحمد بن حنبل و غيره (1). و هذا ما يدل عليه الحديث الشريف نفسه عند ما يربط فى بعض نصوصه-بين وجودهم و بين قيام الدين أى حفظه، فهم أوصياء رسول الله (صلى الله عليه و آله) و خلفاؤه فى الوصايه على دينه و الهدايه إليه.

ص: ٩٤

١- ((١)) مسند أحمد: ٣٩٨/١، المعجم الكبير للطبرانى: ١٠/١٩٥، المستدرک للحاكم: ٥٠١/٤.

وهذه الصفه-أى قيام الدين بهم-تدل على استمرار وجودهم ما بين وفاه رسول الله(صلى الله عليه وآله)و يوم القيامة،لأن القول بتفرقهم و خلو بعض الأزمان من أحدهم مع ربط قيام الدين بهم،يعنى ضياع الإسلام و عدم قيامه فى بعض الأزمان و هذا خلاف ما يدل عليه الحديث الشريف بعبارات من قبيل«لا يزال الدين قائما»«لا يزال الإسلام عزيزا».

من هنا لا-يمكن أن يكون مصداق الحديث الشريف أشخاصا متفرقين على طول التأريخ الإسلامى بل يجب أن لا-يخلو زمان من واحد منهم،فيكون وجودهم متصلا.

كما ان صفه قيام الدين بهم تؤكد أن المعنى المراد من الخلافه لرسول الله(صلى الله عليه وآله)هو المعنى الشمولى المتقدم الذى يشمل بالدرجه الأولى الوصايه على الدين الحق و حفظه و الدعوه له و الهدايه إليه،الأمر الذى يؤهلهم للقيومه على الأمة و الولايه الشرعيه عليهم المنتزعه من الولايه النبويه كما فى حديث الغدير المشار إليه.

و هذا يستلزم تحليهم بالدرجه العليا من العلم بالدين الحق و العمل على وفقه لكى يكونوا أهلا لحفظه و هدايه الخلق إليه،و هذا ما يشير إليه قوله(صلى الله عليه وآله) فى وصفه لهم:«كلهم يعمل بالهدى و دين الحق»الوارد فى ذيل بعض نصوص هذا الحديث الشريف (1).

و على ضوء ما تقدم نفهم الصفه الاخرى التى يذكرها الحديث الشريف

ص:٩٥

١- (١) فتح البارى فى شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى:٣/١٨٤،باب الاستخلاف.

لهم و هي أنهم سيعرضون للكثير من أشكال المعاداة و الخذلان-و لو لم يكن كثيرا لما استحق الذكر-دون أن يضرهم ذلك،فهذا العداء و الخذلان لن يضرهم بمعنى أنه لا- يصددهم عن تحقيق مهمتهم الأساسية بالحفاظ على قيام الدين و عزته رغم كل الصعاب و بقاءه محفوظا عندهم في كل الأزمان رغم أن الكيان السياسى للمسلمين تعرض لحقب تأريخيه عديده أصابه فيها الذل و الهوان و تولى حكمه فيها أبعد الخلق عن معنى خلافه رسول الله(صلى الله عليه و آله).

هذه هي صفات الخلفاء الأئمة الاثنى عشر المستفاده من دلالات الحديث الشريف طبقا لنصوصه المرويه في أفضل الكتب المعتمده عند إخواننا أهل السنه،فعلى من تنطبق؟

أئمة العتره هم المصداق الوحيد

الواقع التاريخى يثبت أن المصداق الوحيد الذى تنطبق عليه هم الأئمة الاثنا عشر من عتره النبى الأعظم(صلى الله عليه و آله).و هم يختصون بهذا العدد تاريخيا كما هو معلوم و تنطبق عليهم الأوصاف المستفاده من دلالات الحديث الشريف،كما سنشير لذلك فيما يلى:

أدله التطبيق

أولاً: إن الحديث يدل بصوره واضحه على لزوم توفر تلك الأوصاف فى هؤلاء الخلفاء الاثنى عشر و التى تؤهلهم لكى يكون الدين قائما بهم.بمعنى أن يكونوا جميعا معبرين عن خط واحد و منهج واحد فى الدفاع عن الدين و حفظه و تبليغه-كما فعل رسول الله(صلى الله عليه و آله)-و قد توفرت هذه الصفات فى ائمه العتره النبويه الطاهره الذين ثبت أن علوم النبى(صلى الله عليه و آله)عندهم و ثبت عنه وصيته بالتمسك بهم للنجاه من الضلاله كما فى حديث الثقلين،و قد أخذ

الكثير من المسلمين-و منهم أئمة المذاهب الأربعة-علوم الدين منهم كما هو ثابت تاريخيا و ثبت فى روايات مختلف الفرق الإسلاميه لجوء الجميع إليهم و فقرهم إليهم فى علوم الدين و استغناؤهم(عليهم السّلام)عن الجميع فى ذلك (١).

كما أثبتت سيرتهم تفانيهم فى الدفاع عن الإسلام و نشر علومه و إغاثه المسلمين عند ما هاجمتهم الغزوات الفكرية. و احتجاجاتهم على الملحدين و أرباب الديانات الأخرى مدونه فى كتب المسلمين و هى تثبت حقيقة قيام الدين بهم و خلافتهم للرسول الأعظم(صلّى الله عليه و آله)فى ذلك،و أهليتهم لقياده المسلمين أيضا كما صرح بذلك الذهبى مثلا حيث قال بأهليه الإمام الحسن و الحسين و السجاد و الباقر(عليهم السّلام)ثم قال:و كذلك جعفر الصادق كبير الشأن من أئمة العلم كان أولى بالأمر من أبى جعفر المنصور،و كان ولده موسى كبير القدر جيد العلم أولى بالخلافه من هارون (٢).

ثانيا:إن سيرتهم(عليهم السّلام)تنسجم مع تصريح الحديث الشريف بتعريض الخلفاء الإثنى عشر للمعاداه و الخذلان دون أن يضر ذلك فى قيامهم بإنجاز مهمتهم الأساسيه فى حفظ الدين و الدفاع عنه كما لاحظنا ذلك فى فقره السابقه،و من المعروف تاريخيا أنهم تعرضوا للأذى و الملاحقه الشديده من قبل السلطات الحاكمه التى لم تأل جهدا لإبادتهم مثل ما جرى فى واقعه الطف للحسين(عليه السّلام)و أهل بيته و أصحابه و تعريضهم للسجن و الاغتيال بالقتل أو السم الأمر الذى أدى فى نهايه المطاف الى ضروره غيبه خاتمهم الإمام

ص:٩٧

١- ((١)) راجع مثلا«الإمام الصادق و المذاهب الأربعة»للشيخ أسد حيدر،و ما ورد بشأنهم فى تاريخ دمشق لابن عساكر و فى تاريخ بغداد للخطيب البغدادي و الصواعق المحرقة لابن حجر و سير أعلام النبلاء للذهبي و وفيات الأعيان لابن خلكان و غيرها.و سائر من ترجم لهم(عليهم السّلام)من مختلف الفرق الإسلاميه.

٢- ((٢)) سير أعلام النبلاء:١٣/١٢٠ و راجع ما جمعه الشيخ الطبرسى فى كتاب الاحتجاج تجد نماذج كثيره لدفاعهم عن الإسلام بوجه الأفكار الدخليه.

الثاني عشر(عليه السّلام)،و لكن كل أشكال التعسّف و القهر و العداء و الخذلان لم يشتمهم عن حفظ سنّه جدهم(صلى الله عليه و آله)و تبليغها حيث حفلت الأحاديث المرويّه عنهم و المدونه في كتب علماء مدرستهم بكل ما يحتاجه الإنسان في مختلف شؤونه الفرديه و الاجتماعيه (١).

ثالثا:تنطبق عليهم دلالة الحديث على استمرار وجودهم بصورة متصله ما بين وفاه جدهم(صلى الله عليه و آله)و قيام الساعه،في سلسله ذهبيه لم تؤد الى قطعها كل حملات العداء و الخذلان التي تعرّضوا لها،و إن أدت الى غيبه خاتمهم الإمام المهدي(عليه السّلام)فاستمر دوره في حفظ الدين و قيامه بذلك من خلف استار الغيبه بأساليب متنوعه أثبتت أن الانتفاع بوجوده متحقق مثلما ينتفع بالشمس إذا غيّبتها السحب عن الأبصار كما ورد في الأحاديث الشريفه (٢).

و بذلك يتضح أن عقيدته مدرسه أهل البيت(عليهم السّلام)كيف تفسر عدم تناسب طول الفتره الزمنيه بين وفاه الرسول(صلى الله عليه و آله)و بين قيام الساعه،مع تحديد الحديث الشريف لعدد الخلفاء القيمين على الإسلام بإثني عشر رجلا لا أكثر،يستمر وجودهم متصلا الى يوم القيامه لأن قيام الدين يكون بهم.

و بذلك يكون الحديث الشريف من الأحاديث المتفق على صحتها بين المسلمين و الداله على وجود الإمام المهدي و غيبته لأنه لا ينطبق على غير الائمة الإثني عشر من أئمة العتره النبويه الذين أدى خذلانهم الى غيبه خاتمهم(عليه السّلام).

ص:٩٨

-
- ١- ((١)) جمعت هذه الأحاديث الشريفه في موسوعات ضخمة مثل بحار الأنوار للعلامة المجلسي و وسائل الشيعة للحر العاملي.
 - ٢- ((٢)) مثل إصداره «التوقيعات» و هي الرسائل التي كان(عليه السّلام)يبعثها للمؤمنين و يجب فيها عن اسئلتهم الدينيه المختلفه و قد دونت كتب الغيبه عددا كبيرا منها،تجدها في كتاب «كلمه الإمام المهدي»و الصحيفه المهدويه و غيرها.

يؤيد ذلك موافقه عدد كبير من علماء أهل السنّه لعقيدته أهل البيت (عليهم السّلام) في كون المهدي المنتظر هو الخليفه الثاني عشر من الخلفاء الاثني عشر الذين أخبر الرسول (صلى الله عليه وآله) عن خلافتهم الدينيه، أمثال أبي داود في سننه (١) وابن كثير في تفسيره (٢) وغيرهم. وصرح بذلك المجمع الفقهي التابع للأمانه العامه لرابطه العالم الإسلامي في جوابه على استفتاء مسلم من كينيا بشأن الإمام الموعود، حيث ورد في جواب المجمع: «هو [المهدي الموعود] آخر الخلفاء الراشدين الاثني عشر الذين أخبر عنهم النبي صلوات الله و سلامه عليه في الصحاح...» (٣).

و لعل مستندهم في ذلك حديث الأّمه الظاهره القائمه بأمر الله الذي يتحدث عن المصداق الذي يتحدث عنه حديث الائمة الاثني عشر الذي يصرح بأن آخر امراء هذه الأّمه الظاهره هو المهدي الموعود كما سنلاحظ.

٣- حديث الامه الظاهره القائمه بأمر الله

و هو من الأحاديث المشهوره المرويّه في الكتب الستة و غيرها من المجاميع الروائيه المعتمده عند إخواننا أهل السنّه من طرق كثيره فقد رواه مثلا أحمد بن حنبل وحده من سبعة و عشرين طريقا (٤).

ص: ٩٩

١- ((١)) راجع ما نقله الشيخ عبد المحسن العباد في بحثه (عقيدته أهل السنّه و الأثر في المهدي المنتظر) المطبوع في مجله الجامعه الاسلاميه العدد الثالث، السنه الاولى، ذو القعدة ١٣٨٨ هـ.

٢- ((٢)) تفسير القرآن العظيم: ٣٤/٢ في تفسير الآيه ١٢ من سوره المائده.

٣- ((٣)) راجع النسخه المصوّره لفتوى رابطه العالم الاسلامي، المجمع الفقهي المنشوره في كتاب احاديث المهدي من مسند احمد بن حنبل: ١٦٢-١٦٦.

٤- ((٤)) راجع كتاب «احاديث المهدي (عليه السلام) من مسند احمد بن حنبل»، اعداد السيد محمد جواد الجلالى: ٦٨-٧٦.

فقد رواه البخارى فى صحيحه بلفظ «لا يزال ناس من امتى ظاهرين حتى يأتهم أمر الله و هم ظاهرون» (١).

و رواه البخارى فى تاريخه و مسلم و أبو داود و ابن ماجه و الترمذى و أحمد بن حنبل و الحاكم و غيرهم بلفظ: «لا تزال طائفه من امتى على الحق حتى يأتى أمر الله عز و جل» (٢).

و رواه البخارى فى صحيحه و مسلم و أحمد و ابن ماجه بلفظ: «من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين و لن تزال [من] هذه الامه امه قائمه على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله و هم ظاهرون على الناس» (٣).

و رواه مسلم و أحمد و الحاكم و غيرهم عن جابر بن سمرة: «لا يزال هذا الدين قائما تقاثل عليه عصابه من المسلمين حتى تقوم الساعه» (٤). و فيه أنه (صلى الله عليه و آله) قال ذلك فى حجه الوداع، و جابر هو نفسه راوى حديث الائمة الاثنى عشر من قريش.

و فى روايه لمسلم: «لا تزال عصابه من امتى يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيم الساعه و هم على ذلك» (٥).

و فى روايه لأبى داود و أحمد و الحاكم و غيرهم بلفظ: «لا تبرح عصابه من امتى ظاهرين على الحق لا يبالون من خالفهم حتى يخرج المسيح الدجال فيقاتلونه» (٦).

ص: ١٠٠

١- (١) صحيح البخارى: ٢٥٢/٤.

٢- (٢) تاريخ البخارى: ١٢/٤ حديث ١٧٩٧، صحيح مسلم: ١٥٢٣/٣، حديث ١٩٢٠، و سنن أبى داود: ٩٧/٤، حديث ٤٢٠٢ و ابن ماجه: ٥/١ باب ١ حديث ١٠، و الترمذى: ٥٠٤/٤ حديث ٢٢٢٩ و احمد بن حنبل فى مسنده: ٣٢١/٢.

٣- (٣) صحيح البخارى: ١٦٧/٩، و صحيح مسلم: ١٥٢٤/٣ حديث ١٠٣٧، و مسند أحمد: ١٠١/٤، و ابن ماجه: ٥/١ باب ١ حديث ٧.

٤- (٤) صحيح مسلم: ١٥٢٤ حديث ١٩٢٢، مسند أحمد: ٩٤، ٩٢/٥، و مستدرک الحاكم: ٤٤٩/٤.

٥- (٥) صحيح مسلم: ١٥٢٤/٣، ١٥٢٥، ١٥٢٤/٣، باب ٥٣، حديث ١٩٢٤.

٦- (٦) مسند أحمد: ٤٣٤/٤، سنن أبى داود: ٤/٣، حديث ٢٤٨٤، و مستدرک الحاكم: ٧١/٢.

و فى روايه للبخارى فى تأريخه و أحمد فى مسنده و رجاله كلهم ثقات كما قال الكشميرى فى تصريحه بلفظ: «لا تزال طائفه من امتى على الحق ظاهرين على من ناوهم حتى يأتى أمر الله تبارك و تعالى، و ينزل عيسى بن مريم» (١).

و فى روايه لمسلم و أحمد: «لا تزال طائفه من امتى على الحق ظاهرين الى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم (عليه السلام)، فيقول أميرهم: تعال صل بنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمير ليكرم الله هذه الامه» (٢).

و الحديث الشريف جاء فى حجه الوداع كما يصرح بذلك جابر بن سمره فيما رواه عنه مسلم و أحمد و الحاكم كما تقدم، و هذه الحجه هى نفسها التى بلغ فيها رسول الله (صلى الله عليه و آله) أحاديث الثقلين و الغدير و الأئمة الإثنى عشر، لذا فهو يأتى فى إطار التخطيط النبوى لهدايه المسلمين الى ما يحفظ مسيرتهم بعده أو ما ينقذهم من الضلاله و ميته الجاهليه، فهو غير بعيد عن أجواء الأحاديث السابقه.

على أن من الواضح للمتدبر فى هذا الحديث الشريف و حديث الأئمة الإثنى عشر أن كليهما يتحدثان عن مصداق واحد لا أكثر، كما هو مشهود فى اشتراكهما فى ذكر صفات تتحدث و تهدى الى مصداق واحد، خاصه ما يصرح بربط قيام الدين و حفظه بوجود هذه الامه الظاهره القائمه بأمر الله فى الحديث الثانى و بوجود الأئمة الاثنى عشر فى الحديث الأول. لأن ذلك يعنى امتلاك هذه الجبهه للقيومه على الدين و مرجعيتها فى معرفه حقائق

ص: ١٠١

١- ((١)) تاريخ البخارى: ٤٥١/٥ حديث ١٤٦٨، مسند أحمد: ٤/٤٢٩.

٢- ((٢)) معجم أحاديث الإمام المهدي: ٥١/١-٦٨، و قد ذكر لكل حديث الكثير من المصادر من المجاميع الروائيه المعبره عند أهل السنه و قد اخترنا بعضها من المتن و البعض الآخر من الهوامش.

الدين الحق و تعريضها بسبب ذلك للمعاداه و الخذلان و هذا ما يشترك الحديثان في ذكره و في التصريح بعدم إضراره في أصل مهمه هذه العصابه و هي الدفاع عن الدين الحق و حفظه.

و يؤكد حديث الأئمه الظاهره صراحه-فيما تقدم من نصوصه-ما دل عليه حديث الأئمه الإثني عشر ضمينا من استمرار وجود هؤلاء الأئمه الى يوم القيامه و كذلك من أن مهمتهم الأساسية خلافه رسول الله(صلى الله عليه و آله)في الدفاع عن الدين الحق و حفظه دون أن يؤثر في إنجاز أصل هذه المهمه استلامهم الفعلي للحكم أو عدم استلامه و إن كانوا هم الأجدر بذلك.

كما أنه يصرح بأن خاتم أمراء هذه الأئمه الظاهره هو الإمام المهدي الموعود-كما دل على ذلك ضمينا حديث الأئمه الإثني عشر-فهو يصرح باستمرار وجودها الى نزول عيسى(عليه السلام)و مناصرتة لأمرها و صلاته خلفه و هذه الحادثه ترتبط بالإمام المهدي-عجل الله فرجه-باتفاق المسلمين.

و يصرح حديث الأئمه الظاهره بلزوم أن يكون هؤلاء الأئمه الإثنا عشر أئمه حق قائمين بأمر الله كما تصرح بذلك النصوص المتقدمه،فهم يمثلون خطا واحدا منسجما في خلافه رسول الله الحقيقيه و الوصايه و الوصايه على شريعته، خطأ متصلا دون انقطاع الى يوم القيامه،و هذا ما لا ينسجم بحال من الأحوال مع تاريخ خلفاء الدوله الاسلاميه الذين حكموها فعلا.لذلك فإن جميع الذين غفلوا عن هذه الدلالات في الحديثين المتقدمين و سعوا للعثور على مصاديق الأئمه الإثني عشر في الذين وصلوا للحكم بعد رسول الله(صلى الله عليه و آله)بأى طريقه كانت،تاهوا في متاهات غريبه و لم يستطيعوا تقديم مصداق معقول ينسجم مع دلالات هذه الأحاديث الشريفه و لا مع الواقع التاريخي.فتعددت آراؤهم و عمدوا الى تأويلات بارده لما صرحت به الأحاديث الشريفه الأمر الذي

يتعارض بالكامل مع هدف الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله) من إخبار المسلمين بهؤلاء القائمين بأمر الله و هو الهدايه إليهم و إرجاعهم و دعوتهم للتمسك بهم.

فأى انسجام فى الخط و المنهج و تمثيل الدين الحق و الصدق فى التعبير عن خلافة رسول الله(صلى الله عليه وآله)بين الإمام على(عليه السلام)و معاويه،أو بين الإمام الحسين(عليه السلام)و يزيد بن معاويه لكى يعتبروهم جميعا من هؤلاء من الخلفاء الإثنى عشر الذين يقوم بهم الدين؟!و كيف يمكن القول بأن أمثال يزيد بن معاويه أو الوليد بن عبد الملك يمكن أن يصدق عليهم الوصف النبوى للأئمة الظاهره و الأئمة الإثنى عشر بأنهم على الحق و قائمين بأمر الله و خلفاء رسوله و كيف ذاك و سيرتهم شاهده بأنهم أبعد الناس عن العلم بالدين و ممثلى نهج رسول الله(صلى الله عليه وآله).

هذا بعض ما يقال بشأن المصاديق التى عرضها للأئمة الإثنى عشر العلماء الذين راعوا دلالة الأحاديث على اتصال سلسله هؤلاء الأئمة و أغفلوا عدم انطباق الصفات الأخرى عليهم كما لاحظنا.يضاف الى ذلك إغفالهم لتصريح الأحاديث باستمرار وجود هؤلاء الأئمة الى يوم القيامة؛ إذ إن المصاديق التى عرضوها تنتهى بإنتهاء العصر الأموى (1)!

أما الذين سعوا لمراعاة الصفات الأخرى فيمن حكموا المسلمين فقد أغفلوا دلالة الحديث على استمرار وجودهم دون انقطاع إذ تركوا الخلفاء الذين أعقبوا معاويه الى عمر بن عبد العزيز ليجعلوه خامس أو سادس الإثنى عشر و تركوا ما بعده الى هذا أو ذاك من الخلفاء العباسيين ممن رأوهم أقرب

ص: ١٠٣

١- (١) و هذا أضعف الآراء و أبعدها عن دلالات الحديث الشريف و رغم ذلك رجحه ابن باز فى تعليقه على محاضره الشيخ عبد المحسن العباد عن المهدي الموعود، راجع مجله الجامعه الاسلاميه العدد الثالث، السنه الاولى، ذو القعدة ١٣٨٨ هـ.

الى الصفات التي يذكرها الحديث و رغم ذلك لم يكتمل العدد حتى قال السيوطي بأن المتبقى اثنان منتظران أحدهما المهدي الموعود و الثاني لم يعرفه هو و لا غيره (١)!!

و ما كانوا بحاجة الى كل هذه التأويلات الباردة و المتاهات المحيره لو تدبروا بموضوعيه في تلك الأحاديث الشريفه و استندوا الى مدلولاتها الواضحه التي تنطبق بالكامل على الاثمه الإثني عشر من عتره رسول الله (صلى الله عليه و آله) و على القول بعدم انقطاع سلسلتهم الى يوم القيامه في ظل القول بوجود الإمام الثاني عشر المهدي الموعود (عليه السلام) و غيبته و قيامه حتى في ظل غيبته عن الأبصار بمهام حفظ الدين و لو بأساليب خفيه لكنها كامله في إتمام حجه الله على خلقه كما دلت على ذلك الأحاديث المتقدمه و تدل عليه أيضا الأحاديث اللاحقه.

٤- أحاديث عدم خلو الزمان من الإمام القرشي المنقذ من الميته الجاهليه

إشاره

و هي أيضا من الأحاديث الشريفه المرويّه من طريق الفريقين، نختار منها المروي في الكتب المعتمده عند أهل السنه، فقد روى البخارى و مسلم في صحيحيهما و أحمد بن حنبل في مسنده و غيرهم بأسانيدهم عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) أنه قال: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقى من الناس اثنان» (٢).

و روى البخارى في تأريخه و أحمد في مسنده و ابن حبان في صحيحه

ص: ١٠٤

١- (١) و هذا من أطرف الآراء، راجع أضواء على السنه المحمديه للشيخ محمود أبو ريه: ٢١٢، و راجع أيضا في مناقشه هذه الآراء ما ذكره الشيخ لطف الله الصافي في كتابه منتخب الأثر: في الهامش، و دلائل الصدق للشيخ محمد حسن المظفر، ٢: ٣١٥ و ما بعدها، و ما أورده الحكيم صدر الدين الشيرازي في شرح أصول الكافي: ٤٦٣-٤٧٠ من الطبعه الحجريه.

٢- (٢) صحيح البخارى: ٧٨/٩، صحيح مسلم: ١٤٥٢/٣، مسند أحمد: ٢٩/٢، ٩٣/٢ بطريق آخر.

و ابن أبي شيبة فى مسنده و الطيالسى فى مسنده و أبو يعلى و الطبرانى و البزار و الهيثمى و غيرهم بألفاظ متقاربه و أسانيد عديده عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) أنه قال و اللفظ للطيالسى: «من مات بغير إمام مات ميتة جاهليه، و من نزع يدا من طاعه جاء يوم القيامة لا حجه له» (١).

و علق ابن حبان على الحديث موضحا معناه بقوله: قال أبو حاتم:

قوله (صلى الله عليه و آله): «مات ميتة الجاهليه» معناه: من مات و لم يعتقد أن له إماما يدعو الناس الى طاعه الله حتى يكون قوام الإسلام به عند الحوادث و النوازل، مقتنعا فى الإنقياد على من ليس نعته ما وصفنا مات ميتة جاهليه (٢).

معنى «الأمر» فى الكتاب و السنه

إنّ الحديث الأول قد صرّح ببقاء «الأمر» فى قریش ما بقى البشر على الأرض فلا تخلو الأرض من قرشى يكون له «الأمر»، فما هو المقصود من «الأمر» هنا؟! و هل يمكن تفسيره بالاستلام الفعلى للحكم الظاهرى للمسلمين؟!

الجواب: أنّ الواقع التأريخى ينفى هذا التفسير، و على الأقل منذ سقوط الخلافه العباسيه الى اليوم لم يكن حكم المسلمين لقرشى كما هو معلوم، لذا لا يمكن تفسير «الأمر» بغير القول بمعنى الخلافه العامه لرسول الله (صلى الله عليه و آله) فى الوصايه على الدين و حفظه و الدفاع عنه و هدايه الخلق إليه، الأمر الذى يؤهل صاحبه لقياده المسلمين و الحكم الظاهرى، فالأمر هنا هو من نوع»

ص: ١٠٥

-
- ١- ((١)) تاريخ البخارى: ٤٤٥/٦، مسند احمد: ٤٦٦/٣، صحيح ابن حبان: ٤٩/٧، مسند الطيالسى: ١٢٥٩، الحديث رقم ١٩١٣ مسند ابن أبى شيبه: ٣٨/١٥، المعجم الكبير للطبرانى: ٣٥٠/١٠، مجمع الزوائد: ٢٥٢/٢، عن أبى يعلى و البزار و الطبرانى.
- ٢- ((٢)) صحيح ابن حبان: ٤٩/٧.

الأمر» الوارد في سورة النساء في آية الطاعة، و هي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ (١)﴾، و هي الآية الداله على عصمه اولى الأمر لاشتراكهم فى الأمر بالطاعة مع الرسول (صلى الله عليه و آله) و لأن: «الله تعالى أمر بطاعه اولى الأمر على سبيل الجزم و القطع فى هذه الآية، و من أمر بطاعته على سبيل الجزم و القطع لا بد و أن يكون معصوما عن الخطأ... كما قال الفخر الرازى فى تفسيره (٢).

فلا- بد أن يكون فى زماننا الحاضر أيضا قرشى يكون له «الأمر» هذا و يقوم به الدين و يتحلّى بالعصمه و يخلف رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى مهمه حفظ الدين و الهدايه إليه إذ لا يخلو زمان من مصداق لذلك كما ينص الحديث الشريف المتقدم، و حيث إنه لا يوجد إمام ظاهر يدعى ذلك فلا بد من القول بوجوده و استتاره و غيبته و قيامه بمهمه حفظ الدين تصديقا للحديث الشريف و هذه هى عقيدته أهل البيت (عليهم السلام) فى المهدي و غيبته.

يضاف الى ذلك أن أحاديث الخلفاء الإثنى عشر قد حصرت عدد خلفاء الرسول بهذا المعنى الى يوم القيامه باثنى عشر، و قد اتضحت دلالتها على وجود الإمام المهدي و غيبته، لذلك يكون حديث عدم خلو الزمان من الإمام القرشى مؤكدا لهذه الدلاله.

و الدلاله نفسها يمكن التوصل إليها من أحاديث و جوب معرفه إمام الزمان و إتباعه و التى تقدم نموذج لها، حيث تنص على أن لا حجه يوم القيامه لمن عمى عن معرفته و خرج عن طاعته كما رأينا، لذا فلا مناص من

ص: ١٠٦

١- ((١)) النساء (٤): ٥٩.

٢- ((٢)) التفسير الكبير: ١٠/١٤٤، و راجع البحث المفصل الذى أورده العلامة الطباطبائى فى تفسير هذه الآية الكريمة و دلالاتها فى تفسير الميزان: ٣٨٧/٤-٤٠١.

القول بحتميه وجوده و إمكانيه التعرف عليه و التمسك بعري طاعته و إلا لما كان للاحتجاج الإلهي على الغافلين عن معرفته و طاعته معنى، إذ كيف يكون الاحتجاج بمن لا وجود له.

و حيث إن أمر الطاعة له مطلق فهو دال على عصمته و يؤكد صدر الحديث على أن عدم معرفته و التمسك به يقود الى ميته الجاهليه، و أن طاعته واجبه لأنه يدعو الى طاعه الله و به يكون قوام الإسلام كما صرح بذلك ابن حبان فيما نقله عن أبي حاتم من دلاله الحديث الواضحه، و لذلك صرح أبو حاتم بأن طاعه غيره ممن لم يتصف بهذه الصفات تؤدي الى ميته الجاهليه.

و هذا هو المستفاد من الحديث الأول فالدلاله مشتركه و تكون المحصله:

حتميه وجود إمام معصوم قرشي يكون الإسلام به قائما يدعو الى طاعه الله و يكون له الأمر و يتحمل مسؤوليه حفظ الدين الحق، و حيث إن مثل هذا الإمام غير ظاهر فلا بد من القول بغيبته و قيامه بهذه المهام من خلف أستار الغيبه الى حين زوال الأسباب التي أدت الى غيبته فيظهر حينئذ ليقيم الدوله العادله على أساس قيم الدين الذي حفظه.

و لا يمكن القول بتعدد الغائبين لأن أحاديث الاثمه الاثني عشر حصرت عدد خلفاء الرسول (صلى الله عليه و آله) بهذا العدد و ثبت أن المصداق الوحيد الذي تنطبق عليه الشروط المستفاده من دلالات هذه الأحاديث هم أئمه أهل البيت النبوي، و قد ثبتت وفاه الاثمه الأحد عشر و لم يبق إلا خاتمهم المهدي الموعود (1) فلا بد من القول باستمرار وجوده الى يوم القيامه استنادا الى

ص: ١٠٧

١- ((١)) يلاحظ هنا أن كل المؤرخين من مختلف المذاهب الإسلاميه الذين ترجموا للائمه الاثني عشر من أهل البيت (عليهم السلام) ذكروا تواريخ وفيات الاثمه الأحد عشر باستثناء المهدي بن الحسن العسكري فقد ذكروا تاريخ ولادته فقط. و هذا الأمر يصدق حتى على الذين لم يقولوا بأنه هو المهدي الموعود المبشر به في

الأحاديث المتقدمه، ولأن الصحيح من الأقوال هو أن الأرض لا تخلو من حجه كما يقول ابن حجر العسقلاني في شرحه لصحيح البخارى: و في صلاه عيسى (عليه السلام) خلف رجل من هذه الأمه مع كونه في آخر الزمان و قرب قيام الساعه دلالة للصحيح من الأقوال: «ان الأرض لا تخلو من قائم لله بحجه»، و الله أعلم (١).

و لا بدّ من الإشارة هنا الى أن الدلالات المستفاده من هذه الأحاديث الشريفه على وجود المهدي الإمامي و غيبته هي دلالات واضحه إلا أن مما أثار بعض الغموض عليها و أوجد الحاجه الى الاستدلال عليها و التحليل المفصل لها هو السكوت عنها و التعتيم عليها أو محاولات تأويلها و صرفها عن المصداق الحقيقي بسبب طغيان الخلافات السياسيه التي شهدها العالم الإسلامي و انعكاساتها على الأمور العقائديه و هو السبب نفسه الذي أدى الى إحجام بعض المحدثين عن نقل و تدوين طائفه أخرى من الأحاديث التي صحت عن رسول الله (صلّى الله عليه و آله) و التي صرحت بما أشارت إليه هذه الأحاديث و شخصت مصاديقها، لأن المصالح السياسيه للحكام الأمويين و العباسيين منعت من اشتهاار مثل هذه الأحاديث و منعت من انتشار الكتب التي تنقلها.

كما هو واضح لمن راجع التاريخ الإسلامي.

ص: ١٠٨

١- ((١)) فتح الباري بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلاني: ٣٨٥/٦.

الباب الثاني

اشاره

و فيه فصول:

الفصل الأول:

نشأه الإمام محمد المهدي (عليه السلام)

الفصل الثاني:

مراحل حياة الإمام المهدي (عليه السلام)

الفصل الثالث:

الإمام المهدي في ظل أبيه (عليهما السلام)

ص: ١٠٩

إشاره

نشأه الإمام محمد بن الحسن المهدي (عليهما السلام)

تأريخ الولاده

ولد -سلام الله عليه- في دار أبيه الحسن العسكري (عليه السلام) في مدينه سامراء أواخر ليله الجمعه الخامس عشر من شعبان و هي من الليالي المباركه التي يستحب إحيائها بالعباده و صوم نهارها طبقا لروايات شريفه مرويه في الصحاح مثل سنن ابن ماجه و سنن الترمذى و غيرهما من كتب أهل السنه (١) إضافة الى ما روى عن ائمه أهل البيت (عليهم السلام) (٢).

و كانت سنه ولادته (٢٥٥ هـ) على أشهر الروايات، و ثمة روايات أخرى تذكر أن سنه الولاده هي (٢٥٦ هـ) أو (٢٥٤ هـ) مع الاتفاق على يومها و روى غير ذلك، إلا أن الأرجح هو التأريخ الأول لعهده شواهد، منها وروده في أقدم المصادر التي سجلت خبر الولاده و هو كتاب الغيبة للشيخ الثقه الفضل بن شاذان الذي عاصر ولاده المهدي (عليه السلام) و توفي قبل وفاه قبل أبيه الحسن

ص: ١١١

١- (١) راجع مثلا- مسند أحمد بن حنبل: ١٧٦/٢، سنن ابن ماجه: ١/٤٤٤-٤٤٥، فيض القدير: ٤/٤٥٩، سنن الترمذى: ٣/١١٦، كنز العمال: ٣/٤٦٦ و غيرها كثير.

٢- (٢) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق: ١٠١، مصباح المتجهد للشيخ الطوسي: ٧٦٢، إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس: ٧١٨.

العسكري (عليهما السلام) بفتريه وجيزه (١)، و منها أن معظم الروايات الأخرى تذكر أن يوم الولادة كان يوم جمعه منتصف شهر شعبان و إن اختلفت فى تحديد سنه الولادة، و من خلال مراجعتنا للتقويم التطبيقى (٢) وجدنا أن النصف من شعبان صادف يوم جمعه فى سنه (٢٥٥ هـ) وحدها دون السنين الاخرى المذكوره فى تلك الروايات.

و مثل هذا الاختلاف أمر طبيعى جار مع تواريخ ولادات و وفيات آباءه و حتى مع جده الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و آله)، دون أن يؤثر ذلك على ثبوت ولادتهم (عليهم السلام)، كما أنه طبيعى للغاية بملاحظه سرّيه الولادة عند وقوعها حفظا للوليد المبارك كما سنلاحظ ذلك لاحقا.

تواتر خبر ولادته (عليه السلام)

روى قصه الولادة أو خبرها الكثير من العلماء بأسانيد صحيحه أمثال أبى جعفر الطبرى و الفضل بن شاذان و الحسين بن حمدان و على بن الحسين المسعودى و الشيخ الصدوق و الشيخ الطوسى و الشيخ المفيد و غيرهم، و نقلها بصورة كامله أو مختصره أو نقل خبرها عدد من علماء أهل السنه من مختلف المذاهب الإسلاميه أمثال نور الدين عبد الرحمن الجامى الحنفى فى شواهد النبوه و العلامه محمد ميبين المولوى الهندى فى وسيله النجاه و العلامه محمد

ص: ١١٢

١- (١) راجع هذه الروايات فى كتاب النجم الثاقب للميرزا النورى: ١٤٦/٢ و ما بعدها من الترجمة العربيه، و راجع الكافى: ٣٢٩/١، كمال الدين: ٤٣٠.

٢- (٢) نقصد بالتقويم التطبيقى التقويم الذى يطبق بين أيام تقويم السنه الشمسيه مع ما يصادفها من أيام تقويم السنه القمرية، و قد أعدت عدّه تقاويم من هذا النوع على شكل كتب أو برامج كومبيوترية حددت ما يصادف كل يوم من أيام السنه الهجرية القمرية مع تقويم السنه الهجرية الشمسيه و السنه الميلاديه الشمسيه، و قد راجعنا فى البحث التقويم التطبيقى الذى أصدرته جامعه طهران و الذى يبدأ بالتطبيق من اليوم الأول من السنه الاولى لهجره النبى الأكرم (صلّى الله عليه و آله) الى نهايه القرن الهجرى الخامس عشر.

خواجه بارسا البخارى فى فصل الخطاب و الحافظ سليمان القندوزى الحنفى فى يناييع الموده، كما نقل خبر الولاده ما يناهز المائه و ثلاثين من علماء مختلف الفرق الإسلاميه بينهم عشرات المؤرخين سته منهم عاصروا فتره الغيبه الصغرى أو ولاده الإمام المهدي (عليه السلام)، و البقيه من مختلف القرون الى يومنا هذا فى سلسله متصله و هذا الاحصاء يشمل جانبا من المصادر الإسلاميه و ليس كلها. و بين هؤلاء عدد كبير من العلماء و المؤرخين المشهورين أمثال ابن خلكان و ابن الأثير و أبى الفداء و الذهبى و ابن طولون الدمشقى و سبط ابن الجوزى و محى الدين بن عربى و الخوارزمى و البيهقى و الصفدى و اليافعى و القرمانى و ابن حجر الهيثمى و غيرهم كثير. و مثل هذا الإثبات مما لم يتوفر لولادات الكثير من أعلام التأريخ الإسلامى (١).

كيفية و ظروف الولاده

يستفاد من الروايات الوارده بشأن كيفية ولادته (عليه السلام)، أن والده الإمام الحسن العسكرى -سلام الله عليه- أحاط الولاده بالكثير من السريه و الخفاء، فهى تذكر أن الإمام الحسن العسكرى قد طلب من عمته السیده حكيمه بنت الإمام الجواد أن تبقى فى داره ليله الخامس عشر من شهر شعبان و اخبرها بأنه سيولد فيها ابنه و حجه الله فى أرضه، فسألته عن أمه فأخبرها أنها نرجس فذهبت إليها و فحصتها فلم تجد فيها أثرا للحمل، فعادت للإمام و اخبرته بذلك، فابتسم (عليه السلام) و بين لها أن مثلها مثل أم موسى (عليه السلام) التى لم يظهر حملها و لم يعلم به أحد الى وقت ولادتها لأن فرعون كان يتعقب أولاد بنى إسرائيل خشيه من ظهور موسى المبشر به فيذبح ابناءهم و يستحى نساءهم، و هذا

ص: ١١٣

١- (١) راجع تفصيلات أقوالهم فى الاحصائيه التى أوردها السيد ثامر العميدى فى كتابه دفاع عن الكافى: ١/٥٣٥-٥٩٢.

الأمر جرى مع الإمام المهدي (عليه السلام) أيضا لأن السلطات العباسية كانت ترصد ولادته إذ قد تنبأت بذلك طائفه من الأحاديث الشريفه كما سنشير لاحقا.

و يستفاد من نصوص الروايات أن وقت الولادة كان قبيل الفجر و واضح أنّ لهذا التوقيت أهميه خاصه فى إخفاء الولاده؛ لأن عيون السلطه عاده تغط فى نوم عميق. كما يستفاد من الروايات أنه لم يحضر الولاده سوى حكيمة التي لم تكن تعرف بتوقيتها بشكل دقيق أيضا (١).

و توجد روايه واحده يرويها الشيخ الطوسى فى كتاب الغيبه تصرح باستقدام عجوز قابله من جيران الإمام لمساعدته حكيمة فى التوليد مع تشديد الوصيه عليها بكتمان الأمر و تحذيرها من إفشائه (٢).

الإخبار المسبق عن خفاء الولاده

أخبرت الكثير من الأحاديث الشريفه بأن ولاده المهدي من الحسن العسكري ستحاط بالخفاء و السريه، و نسبت الإخفاء الى الله تبارك و تعالى و شبهت بعضها إخفاء ولادته باخفاء ولاده موسى و بعضها بولاده ابراهيم (عليهما السلام)، و بينت علّه ذلك الإخفاء بحفظه (عليه السلام) حتى يؤدى رسالته، نستعرض هنا نماذج قليله منها.

فمثلا روى الشيخ الصدوق فى إكمال الدين و الخراز فى كفايه الأثر مسندا عن الإمام الحسن بن على (عليهما السلام) ضمن حديث قال فيه:

«أما علمتم أنه ما منّا إلا و تقع فى عنقه بيعه لطاغيه زمانه، إلا القائم الذى يصلّى عيسى بن مريم خلفه؟! وإن الله عز و جل يخفى ولادته و يعيب شخصه لئلا يكون لأحد فى

ص: ١١٤

١- (١) راجع الروايات التي جمعها السيد البحراني بشأن قصه الولاده من المصادر المعتمده فى كتابه تبصره الولي: ٦ و ما بعدها، و كذلك التلخيص الذى أجراه الميرزا النورى فى النجم الثاقب: ١٥٣/٢ و ما بعدها، و راجع غيبه الشيخ الطوسى الفصل الخاص باثبات ولاده صاحب الزمان (عليه السلام): ٧٤ و ما بعدها.

٢- (٢) غيبه الشيخ الطوسى: ١٤٤.

عنقه بيعه إذا خرج، ذلك التاسع من ولد أخى الحسين ابن سيده النساء يطيل الله عمره فى غيبته ثم يظهره بقدرته...» (١).

وفى حديث رواه الصدوق بطريقتين عن الإمام على (عليه السلام) قال: «...إن القائم منا إذا قام لم يكن لأحد فى عنقه بيعه، فلذلك تخفى ولادته و يغيب شخصه» (٢).

و روى عن الإمام السجاد (عليه السلام) أنه قال: «فى القائم منا سنن من الأنبياء...»

و أما من ابراهيم فخفاء الولاده و اعتزال الناس...» (٣).

و روى عن الإمام الحسين (عليه السلام) أنه قال: «فى التاسع من ولدى سنّه من يوسف و سنّه من موسى بن عمران و هو قائمنا أهل البيت يصلح الله أمره فى ليله واحده» (٤).

و روى الكلينى فى الكافى بسنده عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال فى حديث: «انظروا من خفى [عمى] على الناس ولادته فذاك صاحبكم، إنه ليس منا أحد يشار إليه بالأصابع و يمضغ بالألسن إلامات غيضا أو رغم أنفه» (٥).

و الأحاديث بهذا المعنى كثيره و الكثير منها مروى بأسانيد صحيحه تخبر صراحة- و قبل وقوع ولاده الإمام المهدي (عليه السلام)- بخفائها، و فى ذلك دلالة وجدانيه صريحه على صحتها حتى لو كان فى أسانيد بعضها ضعف أو مجهوليه لأنها أخبرت عن شىء قبل وقوعه ثم جاء الواقع مصدقا لما أخبرت عنه، و هذا ما لا يمكن صدوره إلا- من جهة علام الغيوب تبارك و تعالى الأمر الذى يثبت صدورها عن ينابيع الوحي و بإخبار من الرسول الأكرم (صلّى الله عليه و آله).

ص: ١١٥

١- ((١)) كمال الدين: ٣١٥، كفايه الأثر: ٣١٧.

٢- ((٢)) كمال الدين: ٣٠٣.

٣- ((٣)) كمال الدين: ٣٢١-٣٢٢.

٤- ((٤)) كمال الدين: ٣١٦.

٥- ((٥)) الكافى: ٢٧٦/١.

و يلاحظ أن هذه الأحاديث الشريفه تصرح بأن خفاء الولاده من العلائم البارزه المشخصه لهويه المهدي الموعود و القائم من ولد فاطمه الذي بشرت به الأحاديث النبويه، و هذا أحد الأهداف المهمه للتصريح بذلك و هو تعريف المسلمين بإحدى العلائم التي يكشفون بها زيف مزاعم مدعى المهدي كما شهد التأريخ الإسلامى الكثير منهم و لم تنطبق على أى منهم هذه العلامه، فلم تحط ولاده أى منهم بالخفاء كما هو ثابت تأريخيا (١).

و تشير الأحاديث الشريفه المتقدمه الى عله إخفاء ولادته (عليه السلام) و هى العله نفسها التي أوجبت إخفاء ولاده نبي الله موسى (عليه السلام)، أى حفظ الوليد من سطوه الجبارين و مساعيهم لقتله إتماما لحجه الله تبارك و تعالى على عباده و رعايه له لكى يقوم بدوره الإلهى المرتقب فى إنقاذ بنى اسرائيل و الصدع بالديانته التوحيديه و مواجهه الجيروت الفرعونى بالنسبه لموسى الكليم -سلام الله عليه-، و هكذا إنقاذ البشريه جمعاء و إنهاء الظلم و الجور و إقامة القسط و العدل و إظهار الإسلام على الدين كله بيد المهدي المنتظر -عجل الله فرجه-.

و هذا ما كان يعرفه ائمه الجور من خلال النصوص الوارده بهذا الشأن، ففرعون مصر كان على علم بالبشارات الوارده بظهور منقذ بنى اسرائيل، و هو موسى (عليه السلام) من أنفسهم و لذلك سعى فى تقتيل أبنائهم بهدف منع ظهوره، و كذلك حال بنى العباس إذ كانوا على علم بأن المهدي الموعود هو من ولد فاطمه -سلام الله عليها-، و أنه الإمام الثانى عشر من ائمه أهل البيت (عليهم السلام) و قد

ص: ١١٦

١- (١) ذكر تراجمهم الدكتور محمد مهدي خان مؤسس صحيفه الحكمة فى القاهره فى كتابه «باب الأبواب» الذى خصص جانبا منه لدراسه حركات أدياء المهدييه.

انتشرت الأحاديث النبويه المصرحه بذلك بين المسلمين و دوّنها علماء الحديث قبل ولاده المهدي بعقود عديده، كما كانوا يعلمون بأن الإمام الحسن العسكري هو الإمام الحادي عشر من ائمه العتره النبويه (عليهم السلام)، لذا فمن الطبيعي أن يسعوا لقطع هواجس ظهور المهدي الموعود بالاجتهاد من أجل قطع نسل والده العسكري (عليهما السلام).

و من الواضح أنّ مجرد احتمال صحه هذه الأحاديث كان كافيا لدفعهم نحو إبادته، فكيف الحال و هم على علم راجح بذلك خاصه و أن ليس بين المسلمين سلسله تنطبق عليهم مواصفات تلك الأحاديث الشريفه مثلما تنطبق على هؤلاء الائمة الإثني عشر (عليهم السلام) كما لاحظنا مفصلا في البحوث السابقه؟!!

و على ضوء هذه الحقيقه يمكن أن نفهم سر ظاهره قصر الأعمار التي ميزت تأريخ الائمة الثلاثه الذين سبقوا الإمام المهدي (عليهم السلام) من آباءه، فقد استشهد ابوه العسكري و هو ابن ثمان و عشرين (1) و استشهد جده الإمام الهادي و هو ابن أربعين سنه (2) و استشهد الإمام الجواد و هو ابن خمس و عشرين سنه (3)، و هذه ظاهره جديره بالدراسه، و تكفي وحدها للكشف عن المساعي العباسيه الحثيئه لإباده هذا النسل للحيلوله دون ظهور المهدي الموعود (4) حتى لو لم يسجل التأريخ محاولات العباسيين لاغتيال و قتل هؤلاء

ص: ١١٧

١- ((١)) الفصول المهمه لابن الصباغ المالكي: ٢٨٨.

٢- ((٢)) مروج الذهب للمسعودي: ١٦٩/٤.

٣- ((٣)) الفصول المهمه لابن الصباغ المالكي: ٢٧٦.

٤- ((٤)) لقد امتدّت هذه المحاولات الى داخل بيت الإمام (عليه السلام) فزرعت العيون من النساء لمراقبه ما يحدث داخل بيت الإمام (عليه السلام)، للقضاء على الإمام المهدي (عليه السلام) إن ولد، بل قد امتدت هذه الجهود للحيلوله دون ولاده الإمام (عليه السلام) و من هنا لم يتروّج الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) بشكل رسمي كما هو المتعارف و المتداول حينذاك.

الائمة، فكيف الحال و قد سجل عددا من هذه المحاولات تجاههم (عليهم السّلام)، حتى ذكر المؤرخون مثلا أنهم قد سجنوا الإمام العسكري و سعاوا لاغتياله عدة مرات، كما فعلوا مع آباءه (عليهم السّلام) (١)؟!

يقول الإمام الحسن العسكري معللا هذه الحرب المحمومة ضدهم (عليهم السّلام) فيما رواه عنه معاصره الشيخ الثقة الفضل بن شاذان:

قال: حدثنا عبد الله بن الحسين بن سعد الكاتب قال: قال ابو محمّد [الإمام العسكري (عليه السّلام)]: «قد وضع بنو اميه و بنو العباس سيوفهم علينا لعلتين:

احدهما انهم كانوا يعلمون انه ليس لهم في الخلافة حق فيخافون من ادعائنا إيها و تستقر في مركزها، و ثانيتهما انهم قد وقفوا من الأخبار المتواتره على ان زوال ملك الجبابره و الظلمه على يد القائم منا، و كانوا لا يشكون انهم من الجبابره و الظلمه، فسعوا في قتل أهل بيت رسول الله (صلّى الله عليه و آله) و إباده نسله طمعا منهم في الوصول الى منع تولد القائم (عليه السّلام) أو قتله، فأبى الله أن يكشف أمره لواحد منهم إلا أن يُتَمَّ نُورُهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» (٢).

ص: ١١٨

١- (١) راجع الفصل الخاص بذلك في كتاب حياه الإمام العسكري (عليه السّلام) للشيخ الطبسي: ٤٢١-٤٢٤.

٢- (٢) إثبات الهداه للحر العاملي: ٥٧٠/٣، منتخب الأثر للشيخ لطف الله الصافي: ٣٥٩ ب ٣٤ ح ٤ عن كشف الحق للخاتون آبادي و بنذيله ما يدل عليه من سائر الأخبار غير القليله.

الفصل الثانی: مراحل حیاة الإمام المهدي (عليه السلام)

تنقسم حیاة كل إمام معصوم بشكل عام الى قسمين رئيسين:

القسم الأول: حیاة قبل تسلّمه مهام الإمامة و الزعامه.

القسم الثاني: حیاة بعد تسلّمه لمهام الإمامة و الزعامه.

و بالإمكان تقسيم كل منهما الى مراحل.

و بناء على هذا تنقسم حیاة الإمام المهدي (عليه السلام) الى أربع مراحل متمایزه، و هي:

المرحلة الأولى: حیاة في ظل أبيه أي من الولاده سنة (٢٥٥ هـ) حتى يوم استشهاد أبيه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) سنة (٢٦٠ هـ). و هي خمس سنوات تقريبا.

المرحلة الثانية: حیاة منذ وفاه ابيه (عليه السلام) (سنة ٢٦٠ هـ) حتى انتهاء الغيبة الصغرى سنة (٣٢٩ هـ). و هي تناهز السبعين عاما.

المرحلة الثالثة: حیاة في الغيبة الكبرى و التي بدأت بعد وفاه سفيره الرابع عام (٣٢٩ هـ) و هي مستمره حتى يوم ظهوره على مسرح الأحداث السياسية و الاجتماعيه من جديد.

المرحلة الرابعة:حياته فى مرحلة الظهور التى تبدأ بعد انتهاء الغيبه الكبرى،و هو عهد الدوله المهدويه العالميه المرتقبه و التى أخبرت عنها نصوص الكتاب و السنه.

و تتميز كلّ مرحلة من هذه المراحل بمجموعه من الخصائص نشير اليها تباعا فى كلّ باب إن شاء الله تعالى.

ص:١٢٠

إشاره

الإمام المهدي في ظل أبيه (عليهما السلام)

دور الإمام العسكري (عليه السلام) في إعلان الولاده

في ظل تلك الأوضاع الإرهابيه الصعبه كانت تواجه الإمام العسكري-سلام الله عليه- مهمه على درجه كبيره من الخطوره و الحساسيه، فكان عليه أن يخفي أمر الولاده عن اعين السلطات العباسيه بالكامل و الحيلوله دون اهتدائهم الى وجوده و ولادته و مكانه حتى لو عرفوا إجمالاً بوقوعها، و ذلك حفظاً للوليد من مساعي الإباده العباسيه المتربصه به و لذلك لاحظنا في خبر الولاده حرص الإمام على خفائها، كما نلاحظ أوامره المشدده لكل من أطلععه على خبر الولاده من أرحامه و خواص شيعته بكتمان الخبر بالكامل فهو يقول مثلاً لأحمد بن إسحاق: «ولد لنا مولود فليكن عندك مستورا و من جميع الناس مكتوما» (١).

و من جهه ثانيه كان عليه الى جانب ذلك و في ظل تلك الأوضاع الارهابيه و حملات التفتيش العباسيه المتواصله، أن يثبت خبر ولادته (عليه السلام) بما لا يقبل الشك إثباتاً لوجوده ثم إمامته، فكان لا بد من شهود على ذلك يطلعهم على الأمر لكي ينقلوا شهاداتهم فيما بعد و يسجلها التاريخ للأجيال

ص: ١٢١

اللاحقه، و لذلك قام (عليه السلام) باخبار عدد من خواص شيعته بالأمر (١) و عرض الوليد عليهم، بعد مضي ثلاثه أيام من ولادته (٢)، كما عرضه على أربعين من وجوه و خلص أصحابه بعد مضي بضع سنين و الإمام يومئذ غلام صغير و أخبرهم بأنه الإمام من بعده (٣)، كما كان يعرضه على بعض أصحابه فرادى بين الحين و الآخر و يظهر لهم منه من الكرامات بحيث يجعلهم على يقين من وجوده الشريف (٤)، و قام (عليه السلام) باجراءات اخرى للهدف نفسه مع الالتزام بحفظ حياه الوليد من الإباده العباسيه بما أثبت تاريخيا ولاده خليفته الإمام المهدي (عليه السلام) بأقوى ما تثبت به ولاده انسان كما يصرح بذلك الشيخ المفيد (٥).

و من جهه ثالثه كانت تواجه الإمام العسكري -سلام الله عليه- مهمه التمهيدي لغيبه ولده المهدي و تعويد المؤمنين على التعامل غير المباشر مع الإمام الغائب، و قد قام (عليه السلام) بهذه المهمه عبر سلسله من الاجراءات كإخبارهم بغيبته و أمرهم بالرجوع الى سفيره العام عثمان بن سعيد، فهو يقول لطائفه من أصحابه بعد أن عرض عليهم الإمام المهدي (عليه السلام) و هو غلام: «هذا إمامكم من بعدى و خليفتي عليكم، أطيعوه و لا تفرقوا من بعدى فتهلكوا فى أديانكم، ألا و أنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتى يتم له عمر، فاقبلوا من عثمان ما يقوله و انتهوا الى أمره و قبلوا قوله فهو خليفه إمامكم و الأمر إليه» (٦).

ص: ١٢٢

- ١- ((١)) كمال الدين: ٤٣١، و راجع معادن الحكمة فى مكاتيب الائمة لمحمد بن الفيض الكاشانى: ٢٧٥/٢.
- ٢- ((٢)) كمال الدين: ٤٣١.
- ٣- ((٣)) الغيبة للشيخ الطوسى: ٢١٧، اثبات الهداه للحر العاملى: ٤١٥، ينابيع المودّه للحافظ سليمان الحنفى: ٤٦٠.
- ٤- ((٤)) راجع قصصهم فى كتاب تبصره الولي للسيد البحرانى و الفصول الخاصه بأحاديث «من رآه فى حياه أبيه» من كتب الغيبة.
- ٥- ((٥)) الفصول العشره فى الغيبة، المطبوع ضمن كتاب عده رسائل للشيخ المفيد: ٣٥٣.
- ٦- ((٦)) غيبه الطوسى: ٢١٧.

و من إجراءاته (عليه السّلام) في هذا المجال-تأكيده على استخدام اسلوب الاحتجاب و التعامل مع المؤمنين بصورة غير مباشره تعويدا لهم على مرحله الغيبه فكان: يكلم شيعته الخواص و غيرهم من وراء الستر إلا في الأوقات التي يركب فيها الى دار السلطان و انما كان منه و من أبيه قبله مقدمه لغيبه صاحب الزمان لتألف الشيعة ذلك و لا تنكر الغيبه و تجرى العاده بالاحتجاب و الإستتار (١)، و من هذه الإجراءات تثبيت نظام الوكلاء عن الإمام، و تأييد الكتب الحديثيه التي جمع فيها أصحاب الاثمه مروياتهم عنهم و عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) (٢)، ليرجع إليها المؤمنون في عصر الغيبه (٣).

حضوره وفاه أبيه (عليه السلام)

طبق ما يرويه الشيخ الصدوق في إكمال الدين و الشيخ الطوسي في الغيبه فإن الإمام المهدي-عجل الله فرجه-قد حضر وفاه أبيه العسكري (عليهما السّلام)، إلا أن روايه الشيخ الطوسي أكثر تفصيلا من روايه الصدوق التي كُتبت عن حضوره و لم تصرح به، فقد نقل الشيخ الصدوق عن محمد بن الحسين بن عباد أنه قال: مات أبو محمّد الحسن بن علي (عليهما السّلام) يوم جمعه مع صلاه الغداه، و كان في تلك الليله قد كتب بيده كتبا كثيره الى المدينه و ذلك في شهر ربيع الأول لثمان خلون منه سنه ستين و مائتين من الهجره و لم يحضره في ذلك الوقت إلا صقيل الجاريه، و عقيد الخادم و من علم الله عز و جل غيرهما... (٤).

ص: ١٢٣

١- (١) إثبات الوصيه للمسعودي: ٢٤٢.

٢- (٢) راجع رجال الكشي: ٤٨١، ٤٥١، و رجال ابن داود: ٢٧٢-٢٧٣، و وسائل الشيعة: ٧٢/١٨، فلاح السائل للسيد ابن طاووس: ١٨٣ و غيرها.

٣- (٣) لمزيد من التفصيلات بشأن دور الإمام الحسن العسكري (عليه السّلام) في هذا المجال راجع كتاب تأريخ الغيبه الصغرى للسيد الشهيد محمد الصدر (رحمه الله): ٢٦٩ و ما بعدها، و حياه الإمام العسكري (عليه السّلام) للشيخ الطبسي: ٣١٣-٣٢٦.

٤- (٤) كمال الدين: ٤٧٤.

و نقل الطوسى الروايه بتفصيل أكثر حيث قال:

«قال اسماعيل بن على: دخلت على أبى محمد الحسن بن على (عليهما السّلام) فى المرضه التى مات فيها، و انا عنده إذ قال لخدامه عقيد- و كان الخادم اسود نوبيا- قد خدم من قبله على بن محمد و هو ربىّ الحسن (عليه السّلام): يا عقيد اغل لى ماء بمصطكى. فاغلى له ثم جاءت به صقيل الجاريه ام الخلف فلما صار القدح فى يديه هم بشربه فجعلت يده ترتعد حتى ضرب القدح ثنايا الحسن فتركه من يده و قال لعقيد: «ادخل البيت فإنك ترى صبيا ساجدا فأنتى به»، قال ابو سهل:

قال عقيد: فدخلت أتحرى فاذا انا بصبى ساجد رافع سبابته نحو السماء فسلمت عليه فأوجز فى صلاته فقلت: إن سيدى يأمرك بالخروج إليه، إذ جاءت امه صقيل فأخذت بيده و أخرجته الى أبيه الحسن (عليه السّلام).

قال ابو سهل: فلما مثل الصبى بين يديه سلم و إذا هو درىّ اللون و فى شعر رأسه قطط، مفلج الأسنان، فلما رآه الحسن (عليه السّلام) بكى و قال: «يا سيد أهل بيته اسقنى الماء فإنى ذاهب الى ربى» و أخذ الصبى القدح المغلى بالمصطكى بيده ثم حرك شفثيه ثم سقاه فلما شربه قال: «هيئونى للصلاه»، فطرح فى حجره منديل فوضأه الصبى واحده واحده و مسح على رأسه و قدميه فقال له ابو محمد (عليه السّلام): ابشر يا بنى فأنت صاحب الزمان و انت المهدي و انت حجه الله على ارضه و انت ولدى و وصيى و أنا ولدتك و انت محمد بن الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب ولدك رسول الله و أنت خاتم الاثمه الطاهرين و بشر بك رسول الله (صلّى الله عليه و آله) و سمّاك و كُنّاك بذلك عهد إلىّ أبى عن آبائك الطاهرين صلّى الله على أهل البيت ربّنا انه حميد مجيد، و مات الحسن بن على من وقته صلوات الله عليهم اجمعين (1).

ص: ١٢٤

الباب الثالث

إشاره

و فيه فصول:

الفصل الأول:

الغيبه الصغرى للإمام المهدي (عليه السلام)

الفصل الثاني:

أسباب الغيبه الصغرى و التمهيد لها

الفصل الثالث:

إنجازات الإمام المهدي (عليه السلام) فى الغيبه الصغرى

ص: ١٢٥

إشاره

الغيبة الصغرى للإمام المهدي (عليه السلام)

تسلّمه مهام الإمامه صغيراً

تسلّم المهدي (عليه السلام) مهام الإمامه وهو ابن خمس أو ست سنين فهو أصغر الأئمه سنا عند توليه مهام الإمامه. وقد أخبرت عن ذلك الأحاديث الشريفه سابقاً (١).

وليس في ذلك غرابه في تأريخ الأنبياء و الرسل و ائمه أهل البيت (عليهم السلام) فقد سبقه لذلك بعض انبياء الله تعالى حسب نصّ القرآن الكريم كعيسى و يحيى كما سبقه الإمامان علي الهادي (عليه السلام) الذي تسلّم الإمامه و هو ابن ثمان سنين و الإمام محمد الجواد (عليه السلام) الذي تسلّم الإمامه و هو ابن سبع أو تسع سنين.

وقد خاض الإمام الجواد (عليه السلام) امتحانين عامين، الأول منهما كان بحضور مشائخ مذهب أهل البيت (عليهم السلام) و كبار علمائهم من أصحاب أبيه، و بعد تسلّمه لمهام الإمامه مباشرة، و كان الثاني منهما في مجلس المأمون و بحضور كبار علماء المسلمين يومذاك و كبار زعماء العباسيين الذين كانوا يسعون

ص: ١٢٧

١- (١) راجع مثلاً حديث الإمام الباقر (عليه السلام): «صاحب هذا الأمر أصغرنا سناً و أخملنا شخصاً...» غيبة النعماني: ١٨٤. و راجع بهذا الشأن إيضاحات الشيخ المفيد في كتابه الفصول المختاره من العيون و المحاسن: ٢٥٦، و في كتاب بحث حول المهدي للسيد الشهيد محمد باقر الصدر (رحمه الله) حيث تحدث مفصلاً عن هذه الظاهره في حياه الأئمه بالتفصيل.

بكل وسيله للحظ من مكانه ائمه اهل البيت (عليهم السلام). و خرج من كلا الامتحانين بنجاح باهر اذ عن بسببه مشائخ أصحاب أبيه و كبار علماء المسلمين لإمامته العلميه و إحاطته بعلوم شريعته جده سيد الرسل محمد (صلى الله عليه و آله) (١).

و كانت أهم ثمار هذه التجربه تتجلى فى إثبات إمامه الائمة الاثنى عشر كموقع إلهى يؤتیه الله تبارك و تعالى لمن يشاء فلا يؤثر صغر السن فى قابليه الإفاضه الإلهيه على الشخص، و لذلك نلاحظ أن الذين ترجموا للإمام المهدي (عليه السلام) من علماء المذاهب الإسلاميه قد اعتبروا تسلمه للإمامه، و هو ابن خمس سنين أمرا طبيعيا فى سيره ائمه هذا البيت (عليهم السلام)، حتى إن عالما كبيرا مثل ابن حجر الهيتمى المكي الشافعي يقول فى ذيل ترجمته للإمام الحسن العسكري (عليه السلام): و لم يخلف [الإمام العسكري] غير ولده أبى القاسم محمد الحجه، و عمره عند وفاه أبيه خمس سنين لكن آتاه الله فيها الحكمة... (٢)، و يقول صاحب كتاب مرآه الأسرار الشيخ عبد الرحمن الجامى الحنفى فى ترجمته: «كان عمره عند وفاه ابيه خمس سنين و جلس على مسند الإمامه و مثله مثل يحيى بن زكريا حيث أعطاه الله فى الطفوليته الحكمة و الكرامه و مثل عيسى بن مريم حيث أعطاه النبوه فى صغر سنه كذلك المهدي جعله الله إماما فى صغر سنه، و ما ظهر له من خوارق العادات كثير لا يسعه هذا المختصر» (٣).

و نلاحظ هنا استناد الشيخ الجامى الحنفى الى تجارب الأنبياء السابقين (عليهم السلام) التى تنفى استبعاد الإمامه عن الصغير ما دام الإمام مسددا من

ص: ١٢٨

١- (١) راجع تفصيلات هذه الامتحانات فى موسوعه بحار الأنوار: ٩٩/٥٠ و غيرها.

٢- (٢) الصواعق المحرقة: ١٢٤.

٣- (٣) مرآه الأسرار: ٣١.

قبل الله تبارك و تعالی فی صغره أو كبره. و قد ثبت أن المهدي (عليه السلام) قد حظى بهذا التسديد الإلهي من خلال حوادث عديده نقلتها كتب الحديث و التاريخ و ذكرت صدور كرامات عنه (عليه السلام) لا يمكن صدورها عن غير الإمام، و قد كان بعضها في حياه أبيه و بعضها الآخر في عهد إمامته (١).

صلاته على أبيه و إعلان وجوده

كان من اولي المهمات التي قام بها الإمام المهدي (عليه السلام) بعيد تسلمه مهام الإمامه هي الصلاة على أبيه الحسن العسكري (عليهما السلام) في داره و قبل إخراج جسده الطاهر الى الصلاة «الرسميه» التي خططتها السلطات العباسيه (٢) و كان قيامه بهذه الصلاة يعتبر أمرا مهما في إثبات إمامته رغم المخاطر التي كانت تتوقع بعد نقل خبر هذه الصلاة.

روى الشيخ الطوسي بسنده عن أحمد بن عبد الله الهاشمي -و هو من ولد العباس قال: «حضرت دار أبي محمد الحسن بن علي (عليهما السلام) بسر من رأى يوم توفى و اخرجت جنازته و وضعت، و نحن تسعه و ثلاثون رجلا قعود ننتظر، حتى خرج علينا غلام عشاري حاف، عليه رداء قد تقنع به فلما أن خرج قمنا هيبه له من غير أن نعرفه، فتقدم و قام الناس فاصطفوا خلفه، فصلى عليه و مشى، فدخل بيتا غير الذي خرج منه» (٣).

و روى الشيخ الصدوق الحادته نفسها بتفصيلات أدق عن أبي الأديان

ص: ١٢٩

١- (١) مثل تكلمه عند ولادته و هو في المهدي، كمال الدين: ٤٣٣، ٤٤١ و غيرها، و مثل تحدته بجوامع العلم و الحكمة و هو صغير، غيبه الشيخ الطوسي: ١٤٨ و غيرها.

٢- (٢) يظهر أن الصلاة الأولى كانت بحضور وجوه أصحاب الإمام و أرحامه و الصلاة الرسميه كانت بحضور ممثلي السلطه العباسيه و وجوه المدينه و عامه الناس، راجع تفصيلات ذلك في كتاب بحار الأنوار: ٥٠ / ٣٢٨.

٣- (٣) غيبه الشيخ الطوسي: ١٥٥.

البصرى أحد ثقاه الإمام العسكرى (عليه السلام)، حيث قال:

«كنت اخدم الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب (عليهم السلام) و احمل كتبه الى الأمصار فدخلت عليه فى علتة التى توفى فيها صلوات الله عليه فكتب معى كتابا و قال: «امض بها الى المدائن فإنك ستغيب اربعة عشر يوما و تدخل الى (سر من رأى) يوم الخامس عشر و تسمع الواعيه فى دارى و تجدنى على المغتسل».

قال أبو الأديان: فقلت: يا سيدى فاذا كان ذلك فمن؟ قال: «من طالبك بجوابات كتبى فهو القائم من بعدى»، فقلت: زدنى فقال: «من اخبر بما فى الهميان فهو القائم بعدى» ثم منعتنى هيبته ان أسأله عما فى الهميان و خرجت بالكتب الى المدائن و اخذت جواباتها و دخلت (سر من رأى) يوم الخامس عشر كما قال لى (عليه السلام) و اذا أنا بالواعيه فى داره و اذا به على المغتسل و اذا انا بجعفر الكذاب ابن على اخيه بباب الدار و الشيعة من حوله يعزونه و يهنؤونه فقلت فى نفسى ان يكن هذا الإمام بطلت الإمامه لأنى كنت اعرفه يشرب النبيذ و يقامر فى الجوسق و يلعب بالطنبور فتقدمت فعزيت و هنتت فلم يسألنى عن شىء ثم خرج عقيد فقال: يا سيدى قد كفن اخوك فقم فصلّ عليه.

فدخل جعفر بن على و الشيعة من حوله يقدمهم السمان و الحسن بن على قبيل المعتصم المعروف بسلمه فلما صرنا فى الدار اذا نحن بالحسن بن على صلوات الله عليه على نعشه مكفنا، فتقدم جعفر بن على ليصلّى على اخيه فلما هم بالتكبير خرج صبى بوجهه سمره بشعره ققط باسانه تفليج، فجذب برداء جعفر بن على و قال: «تأخر يا عم فأنا احق بالصلاه على أبى» فتأخر جعفر و قد اربدّ وجهه و اصفرّ و تقدم الصبى فصلّى عليه و دفن الى جانب قبر ابيه (عليهما السلام) ثم قال: «يا بصرى هات جوابات الكتب التى معك» فدفعتها إليه فقلت

فى نفسى: هذه بينتان بقى الهميان ثم خرجت الى جعفر بن على و هو يزفر فقال له حاجز الوشا: يا سيدى من الصبى لتقيم الحجه عليه؟

فقال: و الله ما رأيتة و لا اعرفه فنحن جلوس اذ قدم نفر من قم فسألوا عن الحسن بن على (عليه السّلام) فتعرفوا موته فقالوا: فمن نعزى؟ فاشاروا الى جعفر ابن على فسلموا عليه و عزوه و هنؤوه و قالوا: معنا كتب و مال فتقول ممن الكتب و كم المال؟ فقام ينفض اثوابه و يقول: تريدون منا أن نعلم الغيب؟! قال: فخرج الخادم فقال: معكم كتب فلان و فلان و هميان فيه الف دينار و عشره دنانير منها مطليه فدفعوا إليه الكتب و المال و قالوا: الذى وَّجه بك لأخذ ذلك هو الإمام.

فدخل جعفر بن على على المعتمد و كشف ذلك فوجه المعتمد بخدمه فقبضوا على صقيل الجاربه فطالبوها بالصبى فأنكرته، و ادعت أن بها حبلا- لتغطى على حال الصبى، فسلمت الى ابن أبى الشوارب القاضى، و بغتهم موت عبيد الله بن خاقان فجأه و خروج صاحب الزنج بالبصره فشفغوا بذلك عن الجاربه فخرجت من أيديهم و الحمد لله رب العالمين...» (١).

أهدافه (عليه السلام) من الصلاة على أبيه

حقق قيام الإمام بالصلاه على أبيه-سلام الله عليهما- أمرين مهمين، كان من الضرورى إنجازهما بعد وفاه الإمام الحادى عشر حيث تتطلع أنظار الناس لمعرفه هويه الإمام الثانى عشر، بعد أن عرفنا أن ولاده الإمام المهدي -سلام الله عليه- كانت قد احيطت بالكتمان الشديد بسبب الترصد العباسى للقضاء على الوليد المصلح المرتقب، لذلك فإن هذا الظرف الخاص هو

ص: ١٣١

الظرف الذى كانت تتطلع فيه الأعين لترى من الذى يصلى على الإمام المتوفى لتتخذ ذلك قرينه كاشفه عن خليفه الإمام السابق. و هكذا كان الظرف يمثل فرصه مناسبه للغاية لتعريف الحاضرين فى الدار-و كثير منهم من عيون أصحاب الإمام العسكرى (عليه السّلام) و وكلائه-بوجود الإمام المهدي و أنه هو الوصى الحقيقى لأبيه، و أن الرعايه الإلهيه قد حفظته من مساعى الإباده العباسيه خاصه و أن الخليفه العباسى المعتمد قد بعث جلاوزته فور وصول خبر وفاه الإمام العسكرى لتفتيش داره (عليه السّلام) بجميع حجرها بحثا عن ولده و اصطحبوا معهم نساء يعرفن الجبل لفحص جواريه (عليه السّلام) و كل ذلك كان قبل تهيئه الجسد الطاهر و تكفينه (1)، لذلك كانت صلته على أبيه (عليه السّلام) بمثابة إعلان لأولئك الحاضرين -و عددهم كان يناهز الأربعين كما فى روايه الهاشمى المتقدمه-؛ بسلامه الإمام المهدي من الهجوم العباسى السريع الذى باغت أهل دار العسكرى المنشغلين بمصيبه فقده (عليه السّلام)، الأمر الذى قد يجعل البعض يتصور بأنهم لم يكونوا يتحسبون لهذا الهجوم المباغت.

و لتأكيد هذا الأمر نلاحظ أن ظهور الإمام المهدي (عليه السّلام) للصلاه على أبيه اقترن بالإعلان عن هويته و أنه ابن الحسن العسكرى و أنه أحق بالصلاه عليه كما تصرح بذلك روايه أبى الأديان حيث خاطب الإمام عمه جعفر بالقول:

«يا عم، أنا أحق بالصلاه على أبى».

أما الإنجاز الثانى، فهو منع عمه جعفر-الذى لقب بالكذاب-من استغلال هذا الموقف المهم للحصول على ورقه مؤثره فى أذهان الناس تؤيد دعاويه التضليليه بأنه هو الإمام بعد أخيه العسكرى (عليه السّلام)، و تتضح أهميه هذا

ص: ١٣٢

الإنجاز و ضرورته من ملاحظه الجهود المستمته التي بذلها جعفر بتشجيع من السلطه العباسيه لإقناع الناس بأنه خليفه أخيه العسكري (عليه السلام) و القائم مقامه في الإمامه (1)، و قد بلغت استماتته في ذلك حد الوشايه بابن أخيه المهدي (عليه السلام) و مسارعتة لإخبار المعتمد العباسي بحضوره للصلاه بهدف القبض عليه كما رأينا في الروايه المتقدمه، و استنجاده بالبلاط العباسي لمناصرتة في جهوده هذه.

و واضح أنّ لمثل هذا النشاط المحموم تأثيرا سلبيا كبيرا في إضلال الناس و إبعادهم عن الإمام الحق خاصه مع الخفاء الذي كان قد أحاط بولاده المهدي (عليه السلام) و كتمان أمره إلا عن خواص أصحابه، فكان لا بد للإمام (عليه السلام) من مواجهته و عدم السماح له باستغلال ذلك الموقف الحساس لجهوده التضليليه تلك، و إعلان وجوده (عليه السلام) إكمالا للحجه على الرغم من المخاطر التي حفت بالقيام بهذه المهمه.

غيثنا الإمام المهدي (عليه السلام)

كان للإمام المهدي -عجل الله فرجه- غيبتان: صغرى و كبرى، أخبرت عنهما معا الكثير من الأحاديث الشريفه المرويّه عن الرسول الأكرم (صلّى الله عليه و آله) و عن الائمة المعصومين من أهل بيته (عليهم السلام) كما نشير لذلك لاحقا، بل و أشارت إليها بعض نصوص الكتب السماويه السابقه كما لاحظنا سابقا.

تبدأ الغيبه الصغرى من حين وفاه أبيه الحسن العسكري (عليه السلام) سنه (٢٦٠ هـ) و تولّى المهدي مهام الإمامه الى حين وفاه آخر السفراء الأربعة

ص: ١٣٣

١- ((١)) إرشاد الشيخ المفيد: ٣٣٦، ٣٣٦/٢ و عنه في بحار الأنوار: ٣٣٤/٥٠، ٢٣١، مناقب آل أبي طالب: ٤٢٢/٤، الاحتجاج: ٢٧٩/٢.

الخاصين بالإمام المهدي-عجل الله فرجه-و هو الشيخ على بن محمد السمرى فى النصف من شعبان سنة(٣٢٩ هـ)تزامنا مع ذكرى ولادة الإمام المهدي(عليه السلام)؛فتكون مدتها قرابه السبعين عاما،وقد تميزت هذه الفتره بعدم الاستتار الكلى للإمام حيث كان يتصل بعدد من المؤمنين،كما تميزت بكثرة الرسائل الصادره عنه(عليه السلام)فى موضوعات عديده،وكذلك بوجود السفراء الخاصين و الوكلاء الذين كان يعينهم مباشره.و هذه الفتره مثلث مرحله انتقاليه بين الظهور المباشر الذى كان مألوفاً فى حياه آبائه و بين الاستتار الكامل فى عهد الغيبه الكبرى.

أما الغيبه الكبرى فقد بدأت إثر وفاه الشيخ السمرى إذ أمره الإمام بعدم تعيين خليفه له،بعد أن استنفذت الغيبه الصغرى الأهداف المطلوبه منها.

و الغيبه الكبرى مستمره الى يومنا هذا و ستستمر حتى يأذن الله تبارك و تعالى للإمام بالظهور و القيام بمهمته الإصلاحيه الكبرى.

و تميزت الغيبه الكبرى بانتهاء نظام السفاره الخاصه عن الإمام،و بقله الرسائل الصادره عنه(عليه السلام)،و بالاستتار الكلى إلا فى حالات معينه سنتحدث عنها و عن تفصيلات ما أجملناه آنفا ضمن البحوث التاليه.

أسباب الغيبه الصغرى و التمهيدي لها

أسباب الغيبه الصغرى

جاءت غيبه الإمام المهدي -عجل الله فرجه- كإجراء تمهيدي لظهوره اقتضته الحكمة الإلهيه في تدبير شؤون العباد بهدف تأهيل المجتمع البشرى للمهمه الإصلاحيه الكبرى التي يحققها الله تبارك و تعالى على يديه (عليه السلام) و التي تتمثل في إظهار الإسلام على الدين كله و إقامة الدوله الإسلاميه العادله في كل الأرض و تأسيس المجتمع التوحيدى الخالص الذى يعبد الله وحده لا شريك له دونما خوف من كيد منافق أو مشرك كما نصت على ذلك النصوص الشرعيه التي سنتناولها في الفصل الخاص بسيرته (عليه السلام) بعد ظهوره.

إن الانحراف الذى ساد الكيان الإسلامى قد أبعد عن الدور الريادى المطلوب الذى أراده الله سبحانه، له أى لكى يكون كيان خير امه أخرجت للناس، و ترسخ الانحراف الاجتماعى و الأخلاقى و الاقتصادى حتى أفقده أهليه القيام بهدايه المجتمع البشرى نحو العداله الإسلاميه التي فقدها المسلمون أنفسهم و فقدوا معها الكثير من القيم الإلهيه الأصيله حتى اختفت مظاهرها من حياتهم.

و الانحراف السياسى-الذى سبب انحرافات اخرى-كان قد طغى على كيان المسلمين و استشرى الفساد فى حكوماتهم التى لم يكن لها هدف سوى التماذى فى الملذات المحرمه و التناحر الداخلى بدوافع سلطويه و مطامع استعلائيه فى الأرض حتى غابت صورته الخليفه الخادم للرعيه المدافع عن كرامتهم الإنسانيه و مصالحهم الدينويه و الاخروييه و حلت محلها صورته الحاكم المستبد الذى لا هم له سوى الفساد و الإفساد و الاستعلاء فى الأرض و الاحتفاظ بالعرش بما أمكنه و لو كان على حساب سحق أبسط القيم التى جاء بها من يرفعون شعار خلافته أى النبى الأعظم (صلى الله عليه و آله)، و لذلك اجتهدوا فى محاربه ائمه الهدى من عترته كما لاحظنا فى تعلييل الإمام العسكرى (عليه السلام) للمطارده الأمويه و العباسيه لهم و خاصه للمهدى الموعود.

إذن فالكيان الإسلامى-و بالتالى المجتمع البشرى-لم يكن مؤهلا بالفعل لتلك المهمه الإصلاحيه الكبرى التى تحمّلها المهدى الموعود، و لعل من أوضح مظاهر ذلك موقفه من الثورات العلويه الكثيره التى كانت تتفجر فى أرجاء مختلفه من العالم الإسلامى، لكنها كانت تواجهه بقمع و حشى أو خذلان سريع أو انحراف سريع عن أهدافها المعلنه و تحويلها الى حكومه سلطويه كسائر الحكومات الفاسده المعاصره لها بعيده عن الأهداف الإصلاحيه الإسلاميه الكبرى (1).

فى ظل هذه الأوضاع و فى ظل الجهود المستميتة التى كانت تبذلها السلطات العباسيه للقضاء على المهدى كما تقدم، كان لا بد من إحاطه الإمام (عليه السلام) بستانر يمكنه من المساهمه-كحجه لله على عباده-فى إعداد

ص: ١٣٦

١- (١) أجرى السيد الشهيد محمد الصدر (رحمه الله) دراسه تحليليه و ثائقيه قيمه استنادا لمصادر التأريخ الإسلامى، لخصوصيات هذه الحقبه من التأريخ الإسلامى من المفيد الاطلاع عليها فى كتابه تأريخ الغيبه الصغرى.

المقدمات اللازمة لظهوره دون أن يعرّضه لخطر الإبادة و فقدان البشر لحجه الله الموكّل بحفظ الشريعة المحمدية، وهذا الستار هو الذى سمي بـ«الغيبه».

و الى هذا السبب أشارت مجموعه من الأحاديث الشريفه عن أنّ أحد أسرار الغيبه هو الخشيّه من القتل، و هذه العله تنطبق على الغيبه الصغرى و ثمه علل أخرى ترتبط بتأهيل المجتمع البشرى للظهور. سنفصل الحديث عنها فى مقدمه الفصل الخاص بالغيبه الكبرى.

تمهيد النبى (صلى الله عليه و آله) و الأئمه (عليهم السلام) لغيبه الإمام المهدي (عليه السلام)

سجلت المصادر الإسلاميه الكثير من الأحاديث الشريفه المرويه عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) و ائمه أهل البيت (عليهم السلام)، التى أخبرت عن حتميه وقوع غيبه الإمام المهدي -عجل الله فرجه-، و قد نقلنا نماذج لها ضمن الحديث عن خفاء ولادته، و نقل هنا نماذج أخرى لها.

فمنها ما رواه الحافظ صدر الدين ابراهيم بن محمد الحموينى الشافعى (٦٤٤-٧٢٢ هـ) فى كتابه فرائد السمطين، و غيره بأسانيدهم عن ابن عباس أن يهوديا اسمه نعتل و يكنى أبا عماره جاء الى رسول الله (صلى الله عليه و آله) و سأله عن أشياء ترتبط بالتوحيد و النبوه و الإمامه فأجابها فأسلم الرجل و قال:

أشهد أن لا إله إلا الله، و انك رسول الله، و أشهد أنهم الأوصياء بعدك، و لقد وجدت هذا فى الكتب المتقدمه، و فيما عهد الينا موسى (عليه السلام): اذا كان آخر الزمان يخرج نبى يقال له «أحمد» خاتم الأنبياء لا نبى بعده، يخرج من صلبه ائمه ابرار عدد الأسباط.

فقال (صلى الله عليه و آله) «يا أبا عماره اتعرف الأسباط؟» قال: نعم يا رسول الله انهم كانوا اثنى عشر.

قال: «فإن فيهم لاوى بن ارحيا». قال: أعرفه يا رسول الله، وهو الذى غاب عن بنى اسرائيل سنين ثم عاد فأظهر شريعته بعد دراستها و قاتل مع فريطيا الملك حتى قتله.

وقال (عليه السلام): «كائن فى امتى ما كان من بنى اسرائيل حذو النعل بالنعل والقذه بالقذه، وان الثانى عشر من ولدى يغيب حتى لا يرى، و يأتى على امتى زمن لا يبقى من الإسلام إلا اسمه و لا من القرآن إلا رسمه، فحينئذ يأذن الله له بالخروج فيظهر الإسلام و يجدد الدين». ثم قال (عليه السلام): طوبى لمن أحبهم و طوبى لمن تمسك بهم، و الويل لمبغضهم» (١).

و روى عنه (صلى الله عليه و آله) أنه قال: «من أنكر القائم من ولدى فى غيبته مات ميتة جاهليه» (٢).

وقال (صلى الله عليه و آله): «و الذى بعثنى بالحق بشيرا ليغيبن القائم من ولدى بعهد معهود إليه منى حتى يقول الناس ما لله فى آل محمد من حاجه، و يشك آخرون فى ولادته، فمن أدرك زمانه فليتمسك بدينه و لا يجعل للشيطان إليه سبيلا بشكه فيزيله عن ملتى و يخرجه من دينى...» (٣).

وقال (صلى الله عليه و آله): «... و جعل من صلب الحسين أئمه ليوصون بأمرى و يحفظون وصيتى، التاسع منهم قائم أهل بيتى و مهدي امتى، أشبهه الناس بى فى شمائله و أقواله و أفعاله، ليظهر بعد غيبه طويله و حيره مضله، فيعلن أمر الله و يظهر دين الحق...» (٤).

وقال (صلى الله عليه و آله): «لا بد للغلام من غيبه» ف قيل له: و لم يا رسول الله؟ قال:

ص: ١٣٨

١- (١) فرائد السمطين: ١٣٢/٢.

٢- (٢) كمال الدين: ٤١٣، كفايه الأثر: ٦٦، و الأحاديث النبويه بهذا المعنى كثيره راجعها فى معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام) القسم الخاص بأحاديث النبى (صلى الله عليه و آله): ٢٥٦/١-٢٦٧.

٣- (٣) كمال الدين: ٥١، إثبات الهداه: ٤٥٩/٣.

٤- (٤) كفايه الأثر: ١٠.

يخاف القتل» (١).

وقال (صلى الله عليه وآله): «المهدي من ولدى تكون له غيبه و حيره تضل فيها الامم، يأتي بدخيره الأنبياء (عليهم السلام) فيملؤها عدلا و قسطا كما ملئت جورا و ظلما» (٢).

و عن الإمام علي (عليه السلام) قال ضمن حديث: «...و لكنى فكرت فى مولود يكون من ظهري الحادى عشر من ولدى هو المهدي الذى يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت جورا و ظلما تكون له غيبه و حيره يضل فيها أقوام و يهتدى فيها آخرون...» (٣).

وقال (عليه السلام) «و إن للغائب منا غيبتين إحداهما أطول من الأخرى فلا يثبت على إمامته إلا من قوى يقينه و صحت معرفته» (٤).

و روى فى ذلك ايضا عن الإمام الحسن بن علي (عليه السلام)، كما تقدم فى بحث ولادته (عليه السلام).

و روى عن الإمام الحسين (عليه السلام) أنه قال: «لصاحب هذا الأمر [يعنى المهدي] غيبتان إحداهما تطول حتى يقول بعضهم مات، و بعضهم: ذهب، و لا يطلع على موضعه أحد من ولى و لا غيره إلا المولى الذى يلى أمره» (٥).

و عن الإمام السجاد (عليه السلام) قال: «فى القائم سنه من نوح و هو طول العمر» (٦)، و قال (عليه السلام): «إن للقائم منا غيبتين إحداهما أطول من الأخرى» (٧).

و عن الإمام الباقر (عليه السلام): «لقائم آل محمد غيبتان إحداهما أطول من الأخرى» (٨).

ص: ١٣٩

١- (١) علل الشرائع: ٢٤٣/١ و عنه فى بحار الأنوار: ٩٠/٥٢.

٢- (٢) فرائد السمطين: ٣٣٥/٢، و ينابيع الموده للحافظ سليمان الحنفى: ٤٨٨.

٣- (٣) الكافى للكلىنى: ٢٧٣/١.

٤- (٤) ينابيع الموده للحافظ الحنفى: ٤٢٧.

٥- (٥) الأشاعه فى اشراط الساعه: ١٣.

٦- (٦) كمال الدين: ٣٢١.

٧- (٧) كمال الدين: ٣٢٣.

٨- (٨) غيبه النعمانى: ١٧٢.

و عن الإمام الصادق (عليه السلام): «إن بلغكم عن صاحبكم غيبه فلا تنكروها» (١)، «إن للقائم مَنّا غيبه يطول أمدها... لأن الله عز و جل أبى إلا أن يجرى فيه سنن الأنبياء (عليهم السلام) و أنه لا بد يا سدير من استيفاء مدد غيباتهم» (٢).

و عن الإمام الكاظم (عليه السلام): «أنا القائم بالحق و لكنّ القائم الذى يطهر الأرض من أعداء الله و يملأها عدلا كما ملئت جورا هو الخامس من ولدى له غيبه يطول أمدها...» (٣).

و عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال ضمن حديث عن القائم: «...ذاك الرابع من ولدى يعتبه الله فى ستره ما شاء ثم يظهره فيملاً [به] الأرض قسطا و عدلا كما ملئت جورا و ظلما» (٤).

و عن الإمام الجواد (عليه السلام) قال ضمن حديث: «...ما مَنّا إلا قائم بأمر الله و هاد الى دين الله و لكن القائم الذى يطهر الله عز و جل به الأرض من أهل الكفر و الجحود و يملأها عدلا و قسطا هو الذى يخفى على الناس ولادته و يغيب عنهم شخصه...» (٥).

و عن الإمام الهادى (عليه السلام) قال: «...إنكم لا ترون شخصه...» (٦)، و قال: «إذا غاب صاحبكم عن دار الظالمين فتوقعوا الفرج» (٧).

و عن الإمام العسكري (عليه السلام) قال: «و الله إن صاحب هذا الأمر يحضر الموسم كل سنه فيرى الناس فيعرفهم، و يرونه و لا يعرفونه...» (٨)، و قال: «إبنى محمد هو الإمام و الحجة بعدى، من مات و لم يعرفه مات ميتة جاهليه، أما إنه له غيبه يحار فيها

ص: ١٤٠

١- (١) غيبه الشيخ الطوسى: ١٠٢.

٢- (٢) كمال الدين: ٤٨٠.

٣- (٣) كفايه الأثر: ٢٦٥.

٤- (٤) كمال الدين: ٣٧٦ و عنه فى إعلام الورى: ٢٤١/٢ و كشف الغمه: ٣١٤/٣.

٥- (٥) كفايه الأثر: ٢٧٧، بحار الأنوار: ٢٨٣/٥٢، احتجاج الطبرسى: ٤٤٩/٢.

٦- (٦) الكافى: ٢٦٨/١.

٧- (٧) كمال الدين: ٣٨٠.

٨- (٨) كمال الدين: ٤٤٠.

الجاهلون...» (١)، وقال: «...إبنى هذا، إنه سمي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكنيه، الذى يملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت ظلماً و جوراً... مثله فى هذه الأئمة مثل الخضر و مثل ذى القرنين، و الله ليغيبن غيبه...» (٢).

و الأحاديث الشريفه بهذه المعانى كثيره جدا متواتره من طرق أهل البيت (عليهم السّلام) و نقلها العديد من حفاظ أهل السنه من مختلف مذاهبهم كما رأينا، و الكثير منها مروى بأسانيد صحيحه، و هى من أوضح الأدله على صحه غيبه الإمام المهدي و كونها بأمر الله عز و جل، حيث ثبت صدورها بل و تدوينها قبل وقوع الغيبه بزمن طويل، فجاءت الغيبه مصدقه لها مثبتة لصحه مضامينها و صدورها من ينابيع الوحي من علام الغيوب تبارك و تعالى حتى لو كانت مرسله أو كان ثمة نقاش فى بعض أسانيدها.

قال الشيخ الصدوق -رضوان الله عليه-: «إن الأئمة (عليهم السّلام) قد أخبروا بغيبته و وصفوا كونها لشيعتهم فيما نقل عنهم و استحفظ فى الصحف و دؤن فى الكتب المؤلفه من قبل أن تقع الغيبه بمائتى سنه أو أقل أو أكثر، و ليس أحد من أتباع الأئمة (عليهم السّلام) إلا و قد ذكر ذلك فى كثير من كتبه و رواياته و دؤنه فى مصنفاته و هى الكتب التى تعرف بالأصول مدونه مستحفظه عند شيعة آل محمد من قبل الغيبه بما ذكرناه من السنين...»

فلا- يخلو حال هؤلاء الاتباع المؤلفين للكتب أن يكونوا قد علموا بما وقع الآن من الغيبه فألفوا ذلك فى كتبهم و دونوه فى مصنفاتهم من قبل كونها، و هذا محال عند أهل اللب و التحصيل، أو أن يكونوا أسسوا فى كتبهم الكذب فاتفق لهم الأمر كما ذكروا و تحقق كما وضعوا من كذبهم على بعد ديارهم

ص: ١٤١

١- (١) كفايه الأثر: ٢٩٢ و عن كمال الدين فى اعلام الورى: ٢/٢٥٣، وسائل الشيعة: ١٦/٢٤٦ ب ٣٣ ح ٢٣.

٢- (٢) كمال الدين: ٣٨٤، الخرائج للقطب الراوندى: ٣/١١٧٤، و عن كمال الدين فى إعلام الورى: ٢/٢٤٩.

و اختلاف آرائهم و تباين أقطارهم و محالهم و هذا أيضا محال كسيل الوجه الأول، فلم يبق في ذلك إلا أنهم حفظوا عن أئمتهم المستحفظين للوصيه عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) من ذكر الغيبه و صفه كونها في مقام بعد مقام الى آخر المقامات ما دونوه في كتبهم و ألفوه في أصولهم. و بذلك و شبهه فلج الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقا» (١).

و مما يزيد هذا الدليل الوجداني وضوحا أن هذه الأحاديث الشريفه أخبرت عن تفصيلات دقيقه في شكل هذه الغيبه و هويه الإمام الغائب و انه الثانى عشر من الأئمه و التاسع من ذريه الحسين (عليهم السلام) و غير ذلك من التفصيلات التى لم تنطبق تاريخيا إلا على غيبه الإمام المهدي (عليه السلام) و هذا من الدلائل الاعجازيه الواضحه على صحه إمامته و غيبته -عجل الله فرجه-.

و يقول الشيخ المفيد أيضا: «فقد كانت الأخبار عن تقدم من أئمه آل محمد (عليهم السلام) متناصره بأنه لا بد للقائم المنتظر من غيبتين إحداهما أطول من الأخرى يعرف خبره الخاص فى القصرى و لا يعرف العام له مستقرا فى الطولى إلا من تولى خدمته من ثقاه أوليائه... و الأخبار بذلك موجوده فى مصنفات الشيعة الإماميه قبل مولد أبى محمد [الإمام العسكرى] أو أبيه و جده (عليهم السلام)، و ظهر حقها عند مضى الوكلاء و السفراء الذين سميانهم (رحمهم الله) و بان صدق روايتها بالغيبه الطولى و كان ذلك من الآيات الباهره فى صحه ما ذهب إليه الإماميه و دانت به فى معناه...» (٢).

و هذا الاستدلال يصدق فى إثبات صحه كلا الغيبتين الصغرى و الكبرى لأن الأحاديث الشريفه تحدثت عنهما و عن تفصيلاتهما.

ص: ١٤٢

١- ((١)) كمال الدين: ١٩ من مقدمه المؤلف.

٢- ((٢)) عده رسائل للشيخ المفيد: ٣٦٢، الفصل الخامس من الفصول العشره فى الغيبه.

أشرنا الى أن الغیبه-عموما-إجراء تمهیدی كان لا-بدّ منه لیتمكن الإمام المهدی-عجل الله فرجه-من الظهور و إنجازه لمهمته الإصلاحیه العالمیه الكبرى.

و قد اقتضت الحکمه الإلهیه أن تكون هذه الغیبه علی مرحلتین.

و العله واضحه؛ إذ إنّ وقوع الغیبه الكامله بصوره مفاجئه سوف یفقدھا مجموعه من العوامل اللازمه لتأهیل المجتمع الإسلامی و البشری لظهوره(علیه السلام) و إقامة الدوله الإسلامیه العالمیه.

إذ المحور العام لعملیه التأهیل هذا هو التمخیص الإعدادی-كما تشير لذلك الأحادیث الشریفه علی ما سیأتی تفصیله خلال الحدیث عن الغیبه الكبرى بإذن الله-، و مثل هذا التمخیص یحتاج الى جملة عوامل و قناعات عقائدیة متینة تمثل قاعده الاستناد للإنسان المسلم للنجاح فی عملیه التمخیص و تراکم الخبرات و اللیاقات النفسیه و المعرفیه عبر أجيال المجتمع الإسلامی استعدادا للظهور.

إن النبی الأکرم(صلی الله علیه و آله) و الأئمه من أهل بیته(علیهم السّلام) قد مهّدوا لهذه الغیبه بخطوات عدیده ازدادت عمقا و شمولیه كلما اقترب، أو أنها كالإخبار عن حتمیه وقوعها، و خفاء ولاده صاحبها، و توسیع العمل بنظام الوكلاء، و توفير ما تحتاجه الأمة من المعارف الإسلامیه و القواعد الشرعیة التي يتم علی أساسها استنباط الأحكام الشرعیة و غیر ذلك، إلا أن التمهید للغیبه الكامله بقى بحاجه الى خطوات تکمیلیه و نماذج تطبیقیه تؤكدها و تبینها، و هذا ما قام

به الإمام المهدي (عليه السّلام) في الغيبة الصغرى و هو الإطار العام لسيرته و تحركه في هذه الفترة التي جاءت بمثابة مرحلة انتقال بين حالة الظهور الكامل للأئمة السابقين (عليهم السّلام) و بين الغيبة الكاملة للمهدي الموعود، فهي في الواقع خطوه تمهيدية أخيره للغيبة الكبرى.

و الحقيقة المتقدمه نجدها متجليه بوضوح في سيرته (عليه السّلام) في الغيبة الصغرى و من خلال دراسه أهداف تحركاته فيها و مقارنه هذه الأهداف بالخصوصيات المميزة لفته الغيبة الكبرى. لذلك ندخل الى الحديث عن سيرته (عليه السّلام) من باب دراسه أهدافها بالتحديد لكي يتضح الترابط بينها و بين سيرته في الغيبة الكبرى.

تعقيب السلطه العباسيه لخبر الإمام

يظهر من روايات مرحله الغيبة الصغرى أنّ السلطه العباسيه أخذت تتعقب خبر الإمام المهدي (عليه السّلام)، و كأنها كانت على اطمئنان بوجوده استنادا الى ما تواتر نقله عن النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله) من أخبار الأئمة الإثني عشر من عترته، و كانت تعلم أن الحسن العسكري (عليه السّلام) هو الحادى عشر منهم فلا بد من ولاده الثانى عشر أيضا و هو خاتمهم الموعود بإنهاء الظلم و الجور على يديه حسبما ورد في البشارات النبويه المتواتره.

و قد لاحظنا في روايه الكليني -ضمن حديثنا عن رعايه الإمام لوكلائه- أن هدف السلطه من التجسس على الوكلاء هو الوصول الى الإمام (عليه السّلام)، و لذلك كانت التأكيدات المشدده من قبل الأئمة السابقين (عليهم السّلام) و من الإمام المهدي (عليه السّلام) نفسه تركّز على النهى عن ذكر اسم الإمام في الغيبة الصغرى؛

لأنه اذا عرف الاسم اشتد الطلب (١). ويستفاد من روايه نقلها الشيخ الطوسى فى كتاب الغيبه: أن السلطات العباسيه حصلت بالفعل على معلومات عن وجود الإمام (عليه السلام) وسعت لاغتياله، فتحدّاه الإمام (عليه السلام) ليثبت أنه محفوظ بالرعايه الإلهيه.

تقول الروايه: «و حدّث عن رشيق صاحب المادراى قال: بعث الينا المعتضد و نحن ثلاثه نفر فأمرنا أن يركب كل واحد منّا فرسا و نجنب آخر و نخرج مخفين لا يكون معنا قليل و لا كثير إلا على السرج مصلى و قال لنا:

الحقوا بسامره، و وصف لنا محله و دارا و قال: اذا أتيتموها تجدون على الباب خادما اسود فاكبسوا الدار و من رأيتم فيها فأتوني برأسه. فوافينا سامره فوجدنا الأمر كما وصفه، و فى الدهليز خادم أسود و فى يده تكه ينسجها فسألناه عن الدار و من فيها فقال: صاحبها، فوالله ما التفت الينا و أقل اكترائه بنا، فكبسنا الدار كما أمرنا فوجدنا دارا سريه و مقابل الدار سترما نظرت قط الى أنبل منه كأنّ الأيدى رفعت عنه فى ذلك الوقت.

و لم يكن فى الدار أحد فرفعنا الستر فاذا بيت كبير كأن بحرا فيه ماء و فى أقصى البيت حصير قد علمنا انه على الماء، و فوقه رجل من أحسن الناس هيئه قائم يصلى. فلم يلتفت إلينا و لا الى شىء من أسابنا، فسبق أحمد بن عبد الله ليتخطى البيت فغرق فى الماء و ما زال يضطرب حتى مددت يدي إليه فخلصته و أخرجته و غشى عليه و بقى ساعه، و عاد صاحبى الثانى الى فعل ذلك الفعل فناله مثل ذلك، و بقيت مبهورتا فقلت لصاحب البيت: المعذره الى الله و اليك فوالله ما علمت كيف الخبر و لا الى من أجيء و أنا تائب الى الله، فما

ص: ١٤٥

التفت الى شىء مما قلنا و ما انفتل عما كان فيه،فهلنا ذلك و انصرفنا عنه.

و قد كان المعتضد ينتظرنا،و قد تقدم الى الحجاب اذا وافيناه أن ندخل عليه فى أى وقت كان،فوافيناه فى بعض الليل فأدخلنا عليه فسألنا عن الخبر فحكينا له ما رأينا،فقال:و يحكم القيكم أحد قبلى؟و جرى منكم الى أحد سبب أو قول؟قلنا:لا،فقال:أنا نفى من جدى و حلف بأشد ايمان له- أنه رجل إن بلغه هذا الخبر يضربن اعناقنا.فما جسرنا أن نحدّث به إلا بعد موته (١).

ص: ١٤٦

١- ((١)) غيبه الطوسى: ١٦٤.

إشاره

إنجازات الإمام المهدي (عليه السلام) في الغيبة الصغرى

إثبات وجوده وإمامته

و هو الهدف الذى توخاه من حضوره للصلاه على ابيه-سلام الله عليهما- كما تحدثنا عن ذلك سابقا، و هو من أهم خطواته و تحركاته فى غيبته الصغرى، و تبرز أهميه هذا الهدف من كونه يوفر القاعده الأساس التى يستند اليها تحرك المهدي فى عصر الغيبه، إذ أن من الواضح من النصوص الشرعيه أن النجاه من الضلاله و ميتة الجاهليه تكمن فى معرفه إمام العصر و التمسك بطاعته، و هذا الإمام مستور غير ظاهر فى عصر الغيبه الكبرى لذا فإن الإيمان به- و هو مقدمه طاعته و التمسك بولايته- فرع الاطمئنان و الثقه بوجوده الى درجه تمكن المؤمن من مواجهه التشكيكات الناتجه من عدم مشاهدته بصوره حسيه ظاهره. و هذا الاطمئنان هو الذى أكملت أسبابه تحركات الإمام المهدي-عجل الله فرجه- فى فتره الغيبه الصغرى بما أتم من الحججه فى التقائه بالثقاق و إظهار الكرامات التى لا يمكن تصور صدورها عن غير الامام و غير ذلك مما سجلته الروايات المتحدثه عن هذه الفتره و التى دوّنها العلماء الإثبات فى كتبهم (1).

ص: ١٤٧

١- (١) راجع روايات الالتقاء به فى عصر الغيبه الصغرى الموجوده فى كتب الغيبه و التى جمع الكثير منها السيد البحرانى فى كتاب تبصره الولي.

طوال ما يزيد على القرنين قام أئمة أهل البيت النبوي-صلوات الله عليهم-بتبليغ معظم ما تحتاجه الأمة خلال عصر الغيبة الكبرى من معارف القرآن الكريم وسنة جدهم سيد المرسلين (صلى الله عليه وآله) والتي تمثل بمجموعها الإسلام النقي والدين القيم الذي أمر الله تبارك وتعالى باتباعه والعمل على وفقه، والعروة الوثقى المعبره عن التمسك بالثقلين اللذين تكون بهما النجاه من الضلاله وميته الجاهليه، وتضمن هذا التراث تحديد وتوضيح قواعد وأصول استنباط الأحكام الشرعيه والمعارف الإسلاميه من هذا التراث الروائي الثر لسنة الرسول (صلى الله عليه وآله) وأئمة عترته (عليهم السلام) الذين أمروا أصحابهم بحفظه وتدوينه ليكون مصدرا-الى جانب القرآن الكريم-لجميع المعارف والأحكام الإسلاميه التي تحتاجها الأمة الإسلاميه الى ظهور الإمام المهدي (عليه السلام)، وكانت ثمره هذا الأمر تلك الروايات الشريفه من قبل أصحاب الأئمة حيث عرفت بالأصول الأربعمائه التي تم تدوينها في عصر الأئمة السابقين للإمام المهدي (عليه السلام)، وحفظت فيها جل نصوص السنه النبويه الشريفه (١).

و خلال الغيبة الصغرى أكمل الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر (عليه السلام) ما تبقى مما تحتاجه الأمة خلال الغيبة الكبرى من تلك المعارف وما يعين المؤمنين على التحرك والاستقامه على الصراط المستقيم و يحفظ للائمه استمرار مسيرتها التكاملية؛ وهذا هو الهدف العام الثاني لسيرته (عليه السلام) في فتره الغيبة الكبرى كما يتجلى في الكثير من الرسائل الصادره عنه فيها.

ص: ١٤٨

١- (١) راجع في هذا الباب كتاب «منع تدوين الحديث-أسباب و نتائج» للسيد علي الشهرستاني: ٣٩٧-٤٦٥ الفصل الخاص بتاريخ تدوين السنه النبويه عند مدرسه أهل البيت (عليهم السلام).

قام الإمام المهدي (عليه السلام) في هذه الفترة بتعيين عدد من الثقات المخلصين في إيمانهم من شيعته وكلاء عنه يتحركون بإذنه وبأمره و يشكلون جهازا للارتباط بالمؤمنين، وقد مهد له في ذلك جده الإمام الهادي و من قبله الإمام الجواد (عليه السلام) ثم تابعه الإمام العسكري (عليه السلام) الذي رسخ نظام الوكلاء تمهيدا لغيبه ولده. فكان يعلن توثيق بعض وجوه أصحابه و أنه وكيل عنه، فمثلا قال (عليه السلام) بشأن عثمان بن سعيد العمري و كيله الذي أصبح فيما بعد و كيلا لولده الإمام المهدي (عليه السلام)، و كان و كيلا للإمام الهادي (عليه السلام) أيضا: «هذا أبو عمرو و الثقة الأمين ثقة الماضي و ثقتي في المحيا و الممات، فما قاله لكم فعنّي يقوله، و ما أدى إليكم فعنّي يؤديه» (١).

و قد ذكر الشيخ الصدوق أسماء إثني عشر شخصا من وكلاء و نواب الإمام المهدي (عليه السلام) في الغيبة الصغرى و أضاف اليهم السيد محمد الصدر أسماء ستة آخرين استنادا الى ما ورد في المصادر التاريخية و كتب الرجال (٢)، و كان الإمام يتولّى تنصيبهم مباشرة و يصدر بيانات «توقيعات» في ذلك و في نفى الوكلاء عمن يدّعيها و لم يكن منهم (٣).

و ثمة تغيير مهم حدث في نظام الوكلاء في هذه الفترة عما كان عليه في زمن الإمام العسكري (عليه السلام)، و هو استحداث الإمام المهدي (عليه السلام) منصب الوكيل الخاص أو السفير العام بينه و بين المؤمنين و هو منصب لم تكن الحاجة إليه

ص: ١٤٩

١- (١) غيبة الطوسي: ٢١٥.

٢- (٢) تاريخ الغيبة الصغرى: ٦٠٩-٦٢٨.

٣- (٣) غيبة الطوسي: ١٧٢-٢٥٧.

قائمه فى السابق حيث كان بإمكان الوكلاء أو غيرهم الاتصال بالإمام بصورة أو بأخرى، و كان الإمام ظاهرا فلا حاجة لو كيل أو نائب خاص ينوب عنه، أما فى عهد الغيبة الصغرى فقد اقتضى عدم ظهور الإمام ايجاد هذا المنصب ليكون محورا لرجوع المؤمنين خاصة و أنهم كانوا قد اعتادوا فى السابق أن يكون الإمام واحدا فى كل عصر.

و كان تعيين الوكيل الخاص أو السفير من قبل الإمام المهدي (عليه السلام) مباشرة و عادة ما يكون عبر توقيع يصدره و يبلغه مباشرة كما هو الحال فى الوكيل الأول أو عبر الوكيل السابق فيما بعد.

إن الزعماء الشيعة، و الأصحاب الأربعة الذين تعاقبوا على هذا المنصب هم: عثمان بن سعيد العمري الذى كان كما عرفنا و كيلا للإمامين الهادى و العسكري (عليهما السلام)، ثم خلفه ابنه عمرو بن عثمان ثم الحسين بن روح، و خاتمهم كان على بن محمد السمرى -رضى الله عنهم أجمعين-.

و كان توجيه الإمام لعمل هؤلاء السفراء مباشرة و مستمرا فى كل ما كانوا ينوبون عنه من مهام الإمامه حتى فيما يرتبط بأجوبتهم على الأسئلة العقائديه للمؤمنين التى قد يكون من الممكن أن يجيبوا عنها بما يعرفون، إلاّ أنهم ما كانوا يفعلون شيئا من ذلك إلاّ بتعليم مباشر منه (عليه السلام) الأمر الذى يضى صبغه الحجج الشرعيه على ما صدر عنهم، و هذا ما تدل عليه عدة روايات منها مثلا ما رواه الشيخ الطوسى فى الغيبة ضمن حديث طويل بشأن اجابه السفير الثالث الحسين بن روح على سؤال عقائدى لأحد المؤمنين بشأن استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)، إذ ينقل عن راوى الحديث محمد بن ابراهيم الذى كان قد حضر المجلس الذى اجاب فيه الحسين بن روح على السؤال: قال محمد بن ابراهيم ابن اسحاق (رضى الله عنه) فعدت إلى الشيخ أبى القاسم الحسين بن روح (قدس سرّه) من الغد

و أنا أقول فى نفسى أتراه ذكر لنا يوم أمس من عند نفسه؟ فابتدأنى فقال: يا محمد بن إبراهيم لئن أفر من السماء فتخطفنى الطير أو تهوى بى الريح من مكان سحيق أحب إالى من أن أقول فى دين الله برأىى و من عند نفسى، بل ذلك من الأصل و مسموع من الحجج صلوات الله و سلامه عليه (١).

و واضح أن الأوضاع السياسيه القائمه التى أوجبت غيبه الإمام المهدي (عليه السلام) لم تكن تسمح بأن يكون عمل الوكلاء علينا، لذلك كان الشرط الأول فى الوكلاء و خاصه السفراء أن يكونوا على مرتبه عاليه من الالتزام بالكتمان و عدم الكشف عن مكان بل عن وجود الإمام و لذلك كان اختيار الحسين بن روح مثلاً للسفاره رغم وجود من هم أعلم منه و أكثر وجاهه بين الأصحاب (٢).

لقد قام الإمام (عليه السلام) بتثبيت نظام الوكاله و النيابة الخاصه فى الغيبه الصغرى كمقدمه لإرجاع المؤمنين فى عصر الغيبه الكبرى الى النائب العام الذى حددت النصوص الشرعيه الصفات العامه له و أمر الإمام بالرجوع إليه فى عصر الغيبه الكبرى و مهّد له فى الغيبه بتعيين أشخاص تتوفر فيهم هذه الصفات لتتعرف الأمم على مصاديق من له الأهليه للنيابه العامه عن الإمام و تستعين بها لمعرفة من تتوفر فيه نظائرها فى الغيبه الكبرى، و عبارته أخرى كانت تجربه السفراء الأربعة نموذجاً معيناً من قبل الإمام المعصوم (عليه السلام) يبين للامه، شرعيه الرجوع الى نائب الإمام فى غيبته من جهه و من جهه ثانيه تقدم لها نموذجاً تقوم به من يدعى النيابة عن الإمام فى الغيبه الكبرى استناداً الى الصفات التى ذكرتها النصوص الشرعيه كشروط للنيابه عن الإمام.

ص: ١٥١

١- (١) غيبه الطوسى: ١٩٨-١٩٩.

٢- (٢) غيبه الطوسى: ٢٤٠.

و لكن مهمه إثبات وجود الامام (عليه السلام) و التعريف بوكلائه كانت تؤدي أحيانا الى تسرب بعض الأخبار للسلطه فيتدخل الإمام لحفظ نظام الوكلاء حتى ينجز دوره المطلوب في الغيبه الصغرى. فمثلا يروى ثقه الإسلام الكليني في الكافي عن الحسين بن الحسن العلوي قال: «كان رجل من ندماء روز حسنى و آخر معه فقال له: هوذا يجيبى الاموال و له و كلاء و سمّوا جميع الوكلاء في النواحي و أنهى ذلك إلى عبيد الله بن سليمان الوزير، فهمّ الوزير بالقبض عليهم، فقال السلطان: اطلبوا أين هذا الرجل؟ فانّ هذا أمر غليظ، فقال عبيد الله ابن سليمان: نقبض على الوكلاء، فقال السلطان: لا، و لكن دسوا لهم قوما لا يعرفون بالأموال، فمن قبض منهم شيئا قبض عليه قال: فخرج بأن يتقدم إلى جميع الوكلاء أن لا يأخذوا من أحد شيئا و ان يمتنعوا من ذلك و يتجاهلوا الأمر، فاندس لمحمد بن أحمد رجل لا يعرفه و خلاه به فقال: معى مال اريد أن اوصله، فقال له محمد: غلظت أنا لا أعرف من هذا شيئا، فلم يزل يتلطفه و محمد يتجاهل عليه و بثوا الجواسيس و امتنع الوكلاء كلهم لما كان تقدّم اليهم» (١).

يستفاد من الروايات الواردة بشأن سيره الإمام (عليه السلام) في غيبته الصغرى أن جهوده لدفع أذى ارباب السلطات العباسيه لم يقتصر على الوكلاء كما رأينا في الفقره السابقه، بل شملت أيضا حفظ سائر المؤمنين من البطش العباسى، و هذه سنّه ثابتة في سيره آباءه (عليهم السلام) جميعا، فقد جدوا في رعايه

ص: ١٥٢

المؤمنين و دفع الأذى عنهم ما استطاعوا الى ذلك سبيلا.

و من نماذج رعايته للمؤمنين فى هذا الجانب ما رواه الكلينى فى الكافى:

عن عليّ بن محمد قال: «خرج نهى عن زياره مقابر قريش و الحيره، فلما كان بعد أشهر دعا الوزير الباقطائى فقال له: الق بنى الفرات و البرسيين و قل لهم: لا يزوروا مقابر قريش فقد أمر الخليفه أن يتفقد كل من زار فيقبض عليه» (١).

كما شملت هذه الرعايه قضاء حوائج المؤمنين الشخصيه و الاجتماعيه و الإصلاح بينهم و الدعاء لهم و تزويدهم بالوصايا التربويه و الإجابه على أسئلتهم الدينيه و تعليمهم الأدعيه و غير ذلك مما سجلته المصادر التاريخيه المختصه بهذه الفتره (٢).

و ثمة أهداف أخرى سعى الإمام لتحقيقها فى فتره الغيبه الصغرى مثل كشف التيارات المنحرفه داخل الكيان الشيعى منها: خط عمه جعفر و منها تيار الوكلاء المنحرفين. و قد أثبت التاريخ نجاح الإمام (عليه السلام) فى القضاء عليها إذ انقرض أتباعها سريعا قبل انقضاء فتره الغيبه الصغرى.

و فى الفقره اللاحقه نلتقى بنموذجين من تحرك الإمام فى هذه الفتره لتحقيق الأهداف المذكوره و هما: إصدار التوقيعات و الإلتقاء بالمؤمنين.

إصدار الرسائل «التوقيعات»

حفلت المصادر المؤرخه لسيره الإمام المهدي -عجل الله فرجه- بنصوص العديد من الرسائل و البيانات التى كان يصدرها (عليه السلام) فى فتره الغيبه الصغرى و التى عرفت بالتوقيعات. و هى تشكل أحد الأدله الوجدانيه

ص: ١٥٣

١- (١) الكافى: ١/٥٢٥.

٢- (٢) راجع تاريخ الغيبه الصغرى: ٣٦٧، و ٥٩٧ و ما بعدهما.

المحسوسه الداله على وجوده و قيامه بمهام الإمامه فى غيبته (١).

و تمثل التوقيعات إحدى وسائل اتصال الإمام بالمؤمنين و إيصال توجيهاته إليهم بحكم أوضاع عصر الغيبه التى حددت الاتصالات المباشرة، و مما ساعد على إتباع هذه الوسيله و قوّه تأثيرها فى المؤمنین تمهيد آبائه (عليهم السّلام) لذلك باتباع هذا الاسلوب فى وقت مبكر خاصه فى عصر الإمام الكاظم (عليه السّلام) الذى قضى شطرا كبيرا من مده إمامته التى ناهزت خمسه و ثلاثين عاما فى سجون العباسيين أو تحت مراقبتهم الشديده و تعرضهم للأذى الشديد لأصحابه، فكان يتصل بالمؤمنين و يجب على اسئلتهم الدينيه و يتوددهم و يوصل إليهم توجيهاته عبر الرسائل التى لم تنقطع حتى عند ما كان فى السجن عبر وسائل مبتكره و اشخاص فشلت السلطات العباسيه فى التعرف على ولائهم للإمام الحق (عليه السّلام).

و قد اشتدّ العمل بهذا الاسلوب فى عهد الامامين الهادى و العسكرى (عليهما السّلام)، و ذلك بسبب ازدياد المراقبه التى فرضتها السلطات العباسيه عليهما إذ جعلت بهما الى (سرّ من رأى) عاصمه الامبراطوريه العباسيه يومذاك و التى كانت أشبه ما تكون بالقلعه العسكريه، و لذلك كانت تسمى أيضا «العسكر»، و جعلتهما أشبه ما يكونان بالسجينين فى هذه القلعه.

و إضافه لذلك فإن تأكيدهما على استخدام هذا الاسلوب جاء كتمهيد مباشر لغيبه و لدهما المهدي-عجل الله فرجه- من خلال تعويد المؤمنین على هذا الاسلوب دفعا للشبهات و إتماما للحجه و لكى يتقبلوا العمل بما يرد فى الرسائل بتسليم إيمانى راسخ، خاصه و أن الإمام (عليه السّلام) كان يستخدم الخط نفسه

ص: ١٥٤

١- (١) راجع نماذجها فى المجلد الثانى من كتاب معادن الحكمة. لمحمد بن الفيض الكاشانى و كتاب الصحيفه المهديه لوالده و غيرها من كتب الغيبه.

الذى كان يستخدمه أبوه فى رسائله و ذلك تثبيتاً للإيمان فى قلوب المؤمنين به؛ و قطعاً للطريق على المستغلين (١).

و قد جاء قسم من هذه التوقيعات جواباً على أسئلة من المؤمنين عبر السفراء الأربعة، و القسم الآخر كان بمبادره من الإمام نفسه فيما يرتبط ببعض القضايا المهمة كحمايته للمؤمنين و الوكلاء كما رأينا، أو فيما يرتبط بالكشف عن انحراف بعض الوكلاء أو زيف ادعاء منتحلى الوكاله، أو فيما يرتبط بالنص على تعيين السفراء و غير ذلك.

كما اشتملت على ما يحتاجه المؤمنون من معارف الإسلام الحق و أحكامه فى مختلف شؤونهم الحياتيه عقائديه و فقهيه و تربويه و أخلاقيه و أدعيه و غير ذلك، و ما تحتاجه الأمة فى عصر الغيبه كالإرجاع الى الفقهاء العدول، و التأكيد على استمرار رعايته فى غيبته و تحديد علائم ظهوره و غير ذلك مما سنتعرف على بعض نماذجه فى فصل لاحق. كما أن فى بعضها نماذج تطبيقيه لاستنباط الحكم الشرعى من الأحاديث المرويه تعويداً للأمة على العمل بالإجتهادى فى عصر الغيبه الكبرى (٢)، و بعبارة جامعده يمكن القول إن هذه التوقيعات كانت من جهه وسيله لقياده المؤمنين و حفظ كيانهم؛ و من جهه أخرى وسيله لإكمال ما يحتاجونه فى عصر الغيبه الكبرى من حقائق الإسلام و أحكامه.

لقاء الإمام المهدي (عليه السلام) بأتباعه المؤمنين

روت المصادر الروائيه المعتميره الكثير من الروايات التى تتحدث عن

ص: ١٥٥

١- (١) الغيبه للطوسى: ٢٢٠.

٢- (٢) راجع مثلاً توقيعاته (عليه السلام) لمحمد بن عبد الله الحميرى المرويه فى كتاب الاحتجاج: ٤٨٣/٢ و ما بعدها.

التقاء المؤمنين بالإمام المهدي (عليه السلام) في غيبته الصغرى، فلا يكاد يخلو كتاب من الكتب المصنفة في تواريخ الأئمة أو الإمام المهدي - عجل الله فرجه - خاصة، من ذكر مجموعته من هذه الروايات. وقد روى الشيخ الصدوق عن محمد بن أبي عبد الله احصائه لعدد لقاءاته من مختلف أرجاء العالم الإسلامي، فذكر ثمانيه و ستين شخصا (١) وأوصل الميرزا النوري العدد الى (٣٠٤) اشخاص استنادا الى الروايات الواردة في المصادر المعتمده (٢) وفيها المروي به بأسانيد صحيحه، ومعظمهم التقوه في الغيبه الصغرى و بعضهم في حياه أبيه (عليهما السلام) وهذه الروايات تخص الذين رأوه و عرفوه و ليس الذين لم يعرفوه.

و استفاد من هذه الروايات أنه (عليه السلام) كان يبادر الى الالتقاء بالمؤمنين في الكثير من الحالات و يظهر على يديه المعجزات و الدلائل بحيث يجعلهم يؤمنون بأنه هو الإمام و يثبت لهم وجوده (عليه السلام) و إمامته، و هذا ما يصرح به لعيسى الجوهري الذي التقاه في سنه (٢٦٨ هـ) في صابر قرب المدينه المنوره حيث قال له في نهايه اللقاء و بعد ما أراه من الدلائل ما جعله على يقين من هويته (عليه السلام):

«يا عيسى ما كان لك أن تراني لو لا المكذبون القائلون بأين هو؟ و متى كان؟ و أين ولد؟ و من رآه؟ و ما الذي خرج إليكم منه؟ و بأي شيء تبيأكم؟ و أي معجز أتاكم؟ أما و الله لقد دفعوا أمير المؤمنين مع ما رووه و قدّموا عليه، و كادوه و قتلوه، و كذلك آبائي عليهم السلام و لم يصدّقوهم و نسبوهم إلى السحر و خدمه الجنّ إلى ما تبين.

يا عيسى فخبّر أولياءنا ما رأيت، و إياك أن تخبر عدوّنا فتسلبه. فقلت: يا مولاي ادع لي بالثبات فقال: لو لم يثبتك الله ما رأيتني، و امض بنجحك راشدا. فخرجت أكثر

ص: ١٥٦

١- ((١)) كمال الدين: ٢٤٢.

٢- ((٢)) النجم الثاقب: ٢/٤٤-٤٨ من الترجمة العربية.

و يتضح من روايات التشرف بلقياه فى الغيبه الصغرى أنه كان يقوم خلالها أيضا بقضاء حوائج المؤمنين إقتفاء لسنة آبائه الطاهرين (عليهم السلام)، كما كان يقوم خلالها بتوضيح بعض القضايا العقائديه المرتبطه بغيبته الكبرى (عليه السلام) و يقدم لهم الإرشادات التربويه و الأدعيه المسنونه المرتبطه بغيبته و توثيق الارتباط به (عليه السلام) فيها و التى تشتمل أيضا على توضيح ما سيحققه الله على يديه عند ظهوره.

كما يستفاد منها أن الكثير من المؤمنين كان يجتهدون فى طلب لقياه و يسعون إليه خاصه فى موسم الحج لما روى أنه يحضره كل سنه (٢). و قد دلت بعض الروايات على وقوع الالتقاء به بالفعل فى الموسم. كما كان البعض يلجأون الى السفراء الأربعة للفوز بذلك، فكان يسمح للمخلصين منهم بذلك.

فمثلا روى الشيخ الطوسى فى كتاب الغيبه فقال:

روى محمد بن يعقوب-رفعه عن الزهرى-قال: طلبت هذا الأمر طلبا شاقا حتى ذهب لى فيه مال صالح فوقعت إلى العمرى و خدمته و لزمته و سألته بعد ذلك عن صاحب الزمان فقال لى: ليس إلى ذلك و وصول فخضعت فقال لى:

بكر بالغداه، فوافيت و استقبلنى و معه شاب من أحسن الناس وجهها، و أطيبيهم رائحه بهيئه التجار، و فى كفه شىء كهيئه التجار.

فلما نظرت إليه دنوت من العمرى فأوما إلى فعدلت إليه و سألته فأجابنى عن كل ما أردت ثم مر ليدخل الدار و كانت من الدور التى لا نكثر لها فقال العمرى: إذ أردت أن تسأل سل فإنك لا تراه بعد ذا، فذهبت لأسأل فلم

ص: ١٥٧

١- (١) تبصره الولى: ١٩٧.

٢- (٢) الكافى: ١/٣٣٧-٣٣٩، الغيبه للنعمانى: ١٧٥.

يسمع و دخل الدار، و ما كلمنى بأكثر من أن قال: ملعون ملعون من آخر العشاء الى أن تشتبك النجوم، ملعون ملعون من آخر الغداه إلى أن تنقضى النجوم و دخل الدار» (١).

إعلان انتهاء الغيبة الصغرى

قبل ستة أيام من وفاه السفير الرابع أخرج للمؤمنين توقيعاً من الإمام المهدي -عجل الله فرجه- يعلن فيه انتهاء الغيبة الصغرى و عهد السفراء المعينين من قبل الإمام مباشرة إيداناً ببدء الغيبة الكبرى و نص التوقيع هو:

«بسم الله الرحمن الرحيم، يا على بن محمد السمرى، أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميت ما بينك و بين ستة أيام، فأجمع أمرك و لا توص الى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك. فقد وقعت الغيبة التامة. فلا ظهور إلا بإذن الله تعالى ذكره و ذلك بعد طول الأمد و قسوه القلب و إمتلاء الارض جوراً. و سيأتى لشيعتى من يدعى المشاهده ألا فمن ادعى المشاهده قبل خروج السفينانى و الصيحه فهو كذاب مفتر و لا حول و لا قوه إلا بالله العلى العظيم» (٢).

و كان هذا آخر توقيع صدر عن الإمام فى الغيبة الصغرى و هو بمثابة إعلان عن تحقيق تحركه فيها للأهداف المرجوه منها كمرحلة تمهيديه للغيبه الكبرى، فقد ظهر للناس خلالها منه (عليه السلام) مباشرة أو عبر سفرائه من البيئات ما يثبت وجوده و إمامته و صحه غيبته الكبرى. و قد تم تدوينها فى هذه الفتره من قبل عدد من وجوه العلماء (٣)، و اتضح للامة انتفاع الناس من وجوده

ص: ١٥٨

١- ((١)) الغيبه للطوسى: ١٦٤، الاحتجاج للطبرسى: ٢٩٨/٢، وسائل الشيعه: ١٤٧/٣.

٢- ((٢)) كمال الدين: ٥١٦، غيبه الطوسى: ٢٤٢.

٣- ((٣)) يلاحظ هنا مثلاً- أن كتاب الكافى للشيخ الكلينى (رحمه الله) و هو من أهم مصادر تراث أهل البيت (عليهم السلام) فى المجالات العقائديه و الفقهيه تم تدوينه خلال فتره الغيبه الصغرى، فقد توفى الشيخ الكلينى (رحمه الله) سنة ٣٢٩ هـ و هى نفس سنه وفاه الشيخ السمرى آخر السفراء أى فى نفس سنه انتهاء الغيبه الصغرى.

خلالها و رعايته لمسيرتهم من خلف أستارها،و أمر فيه بالرجوع الى الفقهاء فى الحوادث الواقعه و صرح بأن وجوده أمان لأهل الأرض (١)، كما أن الجيل الذى كان قد عاصر زمان الأئمه كان قد انتهى و ظهرت أجيال اعتادت عصر الغيبه و فكره القياده النائبه،لذلك فقد تأهلت الأمه للدخول فى عصر الغيبه الكبرى (٢).

ص: ١٥٩

-
- ١- (١) كما صرح بذلك (عليه السلام) فى توقيعه الذى أجاب فيه على أسئله إسحاق بن يعقوب، راجع كمال الدين: ٤٨٣، غيبه الطوسى: ١٧٦.
 - ٢- (٢) تاريخ الغيبه الصغرى: ٦٣٠-٦٥٤ و فيه توضيحات مهمه بشأن نص التوقيع المهدي الشريف للسمري.

الباب الرابع

اشاره

و فيه فصول:

الفصل الأول:

الغيبه الكبرى للإمام المهدي (عليه السلام) و أسبابها

الفصل الثاني:

إنجازات الإمام المهدي (عليه السلام) في غيبته الكبرى

الفصل الثالث:

تكاليف عصر الغيبه الكبرى

ص: ١٦١

إشاره

الغيبة الكبرى للإمام المهدي (عليه السلام) وأسبابها

الإطار العام لتحرك الإمام (عليه السلام)

إنّ الهدف العام لتحرك الإمام المهدي (عليه السلام) في فترة الغيبة الكبرى، هو رعايه مسيره الأمة الإسلاميه و تأهيلها لظهوره و القيام بالمهمه الكبرى المتمثله بإنهاء الظلم و الجور و إقامة الدوله الإلهيه العادله في كل أرجاء الأرض و تأسيس المجتمع التوحيدى الخالص كما سنفصل الحديث عن ذلك في الفصل الخاص بسيرته بعد ظهوره (عليه السلام).

و بعبارة أخرى فإن الإطار العام لسيرته -عجل الله فرجه- في هذه الفترة هو التمهيد لظهوره بما يشتمل عليه ذلك من رعايه الوجود الإيماني و حفظه و تسديد نشاطاته و تطويره عبر الأجيال المتعاقبه التي يعاصرها، و حفظ الرسالة الخاتمه من التحريف إضافة الى القيام بالميسور من مهام الإمامه الأخرى و إن كان ذلك بأساليب أكثر خفاء مما كان عليه الحال في الغيبة الصغرى، و بذلك يتحقق الانتفاع من وجوده (عليه السلام) كما ينتفع بالشمس إذا غيبتها السحاب.

و هذا الهدف العام لسيرته في هذه الغيبة الكبرى نلاحظه بوضوح فيما ورد بشأن تحركه في هذه الغيبة.

و قبل التطرق لنماذج من هذا التحرك، نلقى نظره عامه على بعض ما أشارت إليه الأحاديث الشريفه بشأن غيبه و أسرارها، إذ إن من الواضح أن التمهيد للظهور يكون بإزاله الأسباب التي أدت للغيبه، لذا فإن التعرف على أسباب الغيبه يلقي الأضواء على طبيعه تحرك الإمام المهدي (عليه السلام) خلالها.

علل الغيبه في الأحاديث الشريفه

إشاره

لقد تناولت مجموعه من الأحاديث الشريفه علل وقوع الغيبه. نذكر أولاً نماذج منها استناداً الى العلل التي تذكرها: مشيرين الى أن لكل نموذج نظائر عديده رواها المحدثون بأسانيد متعدده:

١- روى سدير عن أبيه عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «ان للقائم مَنّا غيبه يطول أمدّها فقلت له: يا بن رسول الله و لم ذاك قال: لأن الله عز و جل أبى إلا أن يجعل فيه سنن الأنبياء (عليهم السلام) في غيباتهم، و انه لا بدّ له يا سدير من استيفاء مده غيباتهم، قال الله تعالى: لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنّ طَبَقٍ، أى سنن من كان قبلكم (١).»

و روى عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) يقول: «إن لصاحب هذا الأمر غيبه لا بدّ منها، يرتاب فيها كل مبطل، فقلت له: و لم جعلت فداك؟ قال: لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ قال: وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدم من حجج الله تعالى ذكره، إنّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره كما لم ينكشف وجه الحكمة فيما أتاه الخضر (عليه السلام) إلا بعد افتراقهما، يابن الفضل ان هذا الأمر من أمر الله و سرّ من سرّ الله، و غيب من غيب الله، و متى علمنا ان الله عز و جل حكيم صدقنا بأن أفعاله كلها

ص: ١٦٤

حكّمه، و ان كان وجهها غير منكشف» (١).

٢- ومنها ما رواه زراره عن الإمام الباقر (عليه السّلام) قال: «إن للقائم غيبه قبل ظهوره، قلت: و لم؟ قال: يخاف - و أومى بيده الى بطنه، قال زراره يعنى:

القتل» (٢).

و منها ما روى عن عبد الله بن عطاء، عن أبي جعفر (عليه السّلام) قال: «قلت له إن شيعتك بالعراق كثيره و الله ما فى أهل بيتك مثلك؛ فكيف لا تخرج؟ قال: فقال:

يا عبد الله بن عطاء! قد اخذت تفرش اذنيك للنوكى، إى و الله ما أنا بصاحبكم، قال: قلت له: فمن صاحبنا؟ قال: انظروا من عمى على الناس ولادته؛ فذاك صاحبكم؛ إنه ليس منا احد يشار إليه بالاصبع و يمضغ بالالسن إلا مات غيظاً أو رجم أنه» (٣).

٣- ومنها ما روى عن الحسن بن محبوب بن ابراهيم الكرخى قال:

«قلت لأبى عبد الله (عليه السّلام) أو قال له رجل: أصلحك الله ألم يكن على قويا فى دين الله؟ قال: بلى قال: فكيف ظهر عليه القوم و كيف لم يمنعهم و ما منعه من ذلك؟ قال: آيه فى كتاب الله عز و جل منعه، قال: قلت؟ و أى آيه هى؟ قال:

قول الله عز و جل: لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً. انه كان لله عز و جل ودائع مؤمنون فى اصلاب قوم كافرين و منافقين، فلم يكن على ليقتل الآباء حتى تخرج الودائع، فلما خرجت الودائع ظهر على من ظهر فقواتله، و كذلك قائمنا أهل البيت لن يظهر أبدا حتى تظهر ودايع الله عز و جل فاذا ظهرت ظهر على من ظهر فقواتله» (٤).

٤- ومنها ما روى عن الإمام الصادق (عليه السّلام) قال: «و الله لا يكون الذى تمدون

ص: ١٦٥

١- (١) كمال الدين: ٤٨١، علل الشرائع: ٢٤٥/١.

٢- (٢) علل الشرائع: ٢٤٦/١، غيبه النعمانى: ١٧٦، غيبه الطوسى: ٢٠١.

٣- (٣) الكافى: ٣٤٢/١، غيبه النعمانى: ١٦٧-١٦٨.

٤- (٤) علل الشرائع: ١٤٧، كمال الدين: ٦٤١.

إليه أعناقكم حتى تميزوا و تمحصوا، ثم يذهب من كل عشره شيء و لا يبقى منكم إلا الأندر، ثم تلا هذه الآية: أم حسبتم أن تدخلوا الجنة و لمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم و يعلم الصابرين» (١).

٥- و منها ما روى عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنّه قال:

«دولتنا آخر الدول، و لم يبق أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا، لثلاثا يقولوا إذا رأوا سيرتنا، إذا ملكنا سرنا مثل سيره هؤلاء، و هو قول الله عز و جل: وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» (٢).

٦- و منها ما روى عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنّه قال في جواب من سأله عن عله الغيبة: «لثلاثا يكون في عنقه بيعه إذا قام بالسيف» (٣).

و هذا المعنى مروى عن كثير من الأئمة بألفاظ متقاربة، منها ما روى عن المهدي (عليه السلام) نفسه أنه قال في توقيعه الى اسحق بن يعقوب في جواب أسئلته: «... و أما عله ما وقع من الغيبة، فإن الله عز و جل يقول: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ شَيْءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَشَوْكُمْ. إنه لم يكن أحد من آبائى (عليهم السلام) إلا و قد وقعت في عنقه بيعه لطاغية زمانه، و إنى أخرج حين أخرج و لا يبيعه لأحد من الطواغيت في عنقى» (٤).

٧- و يقول-عجل الله فرجه- في رسالته الأولى للشيخ المفيد: «نحن، و إن كنا ثاوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين حسب الذى أرانا الله تعالى لنا من الصلاح و لشيعتنا المؤمنين في ذلك، ما دامت دوله الدنيا للفاسقين» (٥).

٨- و يقول (عليه السلام) في رسالته الثانية للشيخ المفيد: «و لو أن أشياعنا- و فقههم الله لطاعته- على اجتماع من القلوب في الوفاء بالحمد عليهم، لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا،

ص: ١٦٦

١- (١) قرب الأستاذ للحميرى: ١٦٢ و عنه في بحار الانوار: ١١٣/٥٢.

٢- (٢) الآية في سورة الاعراف: ١٢٨، و الحديث في غيبة الطوسى: ٢٨٢.

٣- (٣) علل الشرائع: ٢٤٥/١، عيون الأخبار الرضا: ٢٧٣/١.

٤- (٤) كمال الدين: ٤٨٣، غيبة الطوسى: ١٧٦.

٥- (٥) معادن الحكمة: ٣٠٣/٢، بحار الانوار: ١٧٤/٥٣.

و لتعجلت لهم السعاده بمشاهدتنا على حق المعرفه و صدقها منهم بنا فما يحبسنا عنهم إلا ما يتصل بنا مما نكرهه و لا نؤثره منهم...» (١).

هذه نماذج لا برز الأحاديث الشريفه المرويّه بشأن علل الغيبه، و الأسباب التي تذكرها فيها بعض التداخل، نشير إليها ضمن النقاط الثمانيه التاليه:

١- اجتماع تجارب الأمم السابقه

إن الحكمه الإلهيه فى تدبير شؤون خلقه تبارك و تعالى اقتضت غيبه الإمام المهدي-عجل الله فرجه- للحكمه نفسها التي اقتضت غيبات الأنبياء فى الامم السابقه، لأن ما جرى فى هذه الامم مجتمعه يجرى على الامه الاسلاميه صاحبه الشريعه الخاتمه. فمثلما اقتضى تحقيق أهداف الرسالات السماويه غيبه بعض أنبيائها بدليل عدم استعداد الامم السابقه لتحقيق هذه الأهداف، كذلك الحال مع الامه الإسلاميه فإن تحقق أهداف شريعتها الخاتمه اقتضى غيبه خاتم أوصيائها الإمام المهدي (عليه السلام) حتى تتأهل بشكل كامل لتحقيق هذه الأهداف، و واضح أن هذا السبب مجمل بل إنه يشكل الإطار العام لعلل الغيبه التي تذكرها الطوائف الأخرى من الأحاديث الشريفه.

و الملاحظ فى هذه الطائفه من الأحاديث أنها تعتبر أمر الغيبه من الأسرار الإلهيه التي لا تتضح إلا بعد انتهاء الغيبه و ظهور الإمام و التي لم يؤذن بكشفها قبل ذلك، الأمر الذى يشير الى أن ما تذكره الأحاديث الشريفه لا يمثل كل العلل الموجهه للغيبه بل بعضها و ثمة علل أخرى ليس من الصالح كشفها قبل الظهور-لجميع على الأقل-، و لكن الإيمان بها فرع الإيمان بحكمه الله تبارك و تعالى و أنه الحكيم الذى لا يفعل إلا ما فيه صلاح عباده.

ص: ١٦٧

١- (١) الاحتجاج: ٢/٣٢٥ و عنه فى معادن الحكمه: ٢/٣٠٦ و بحار الأنوار: ٣٥/١٧٦.

مخافه القتل كما جرى مع غيبات أنبياء الله موسى و عيسى و غيرهم (عليهم السلام)، و الأمر فى غاية الوضوح مع الإمام المهدي (عليه السلام) الذى كانت السلطات العباسيه تسعى سعيا حثيثا لقتله كما رأينا سابقا. و هذا السبب يصدق بشكل كامل على أصل وقوع الغيبه و فى الغيبه الصغرى على الأقل.

و معلوم أن المقصود هو حفظ وجود الإمام لكونه حجه الله على خلقه و لكى لا- تخلو الأرض من قائم لله بحجته و هاد بأمره إليه تبارك و تعالى.

أما ما هو سبب اختصاص الغيبه بالإمام الثانى عشر لحفظ وجوده مع أن أباءه الطاهرين (عليهم السلام) كانوا أيضا حجج الله على خلقه و قد تعرّضوا أيضا للمطارده و الاغتيال فلم يمت أى منهم إلا بالسيف أو السم (١)؟

فالجواب واضح، فهو-عجل الله فرجه- آخر الأئمه المعصومين (عليهم السلام) و هو المكلف بإقامه الدوله الإسلاميه العالميه و على يديه يحقق الله عز و جل وعده بإظهار الإسلام على الدين كله و توريث الأرض للصالحين، فلا بد من حفظ وجوده حتى ينجز هذه المهمه. يضاف الى ذلك أن السلطات العباسيه كانت عازمه على قتله و هو فى المهد لعلمها بطبيعته مهمته الإصلاحيه العامه.

أما فى الغيبه الكبرى فهذه العله تبقى مؤثره ما لم تتوفر جميع العوامل اللازمه لإنجاز مهمته مثل توفر الأنصار و غير ذلك، لأنه سيبقى غرضا لسهام مساعى حكام الجور لإبادته قبل أن ينجز هذه المهمه الإصلاحيه الكبرى كما جرى على آباءه (عليهم السلام). و هذا الأمر واضح للغايه و يفهم من توضيحات الإمام الباقر (عليه السلام) لعبد الله بن عطاء فى الحديث الثانى من هذه الطائفه.

ص: ١٦٨

١- ((١)) اعتقادات الصدوق: ٩٩ و عنه فى اعلام الورى للطبرسى: ٢/٢٩٧ ب ٥ المسأله الاولى من المسائل السبع فى الغيبه، الفصول المهمه: ٢٧٢.

٣- السماح بوصول الحق للجميع لخروج ودائع الله

إن إخراج ودائع الله، المؤمنين من أصلاب قوم كافرين يشكّل عاملاً آخر، ولعل المقصود منه إعطاء الفرصه لوصول الدين الحق للجميع كي تتضح لهم أحقيه الرساله الإسلاميه التي يحملها الإمام المهدي-عجل الله فرجه- و بالتالي تبنى أشخاص ينتمون الى المدارس الضاله و الأخلاف المنحرفين، للأهداف المهديويه و الانتقال بهم الى صفوف أنصار المهدي المنتظر-عجل الله فرجه-.

و واضح أن هذه العله تفسر تأخير ظهوره(عليه السلام)، بصوره واضحه، مباشره، و بالتالي تفسر بصوره غير مباشره-غيبته الى حين توفر هذا العامل من العوامل اللانزمه لظهوره-عجل الله فرجه-، باعتبار أنّ ظهوره مقترن بالبده الفوري في تنفيذ مهمته الإصلاحيه الكبرى، التي تتضمن نزول العذاب الأليم على المنحرفين.

٤- التمهيد الاعدادي لجبل الظهور

إن التمييز و التمهيد الاعدادي للمؤمنين به(عليه السلام) يتحقق من خلال الأوضاع الصعبه الملازمه لغيبته(عليه السلام)، و معلوم أن الإيمان به و بغيبته هو بحد ذاته عامل مهم في تمهيد الإيمان و تقويه الثابتين عليه لأنه يمثل مرتبه ساميه من مراتب التحرر من أسر التصديق بالمحسوسات الماديه فقط. و لذلك كان الإيمان بالغيب اولى صفات المتقين كما تذكره الآيات الأولى من سوره البقره، و قد طبقت الأحاديث الشريفه هذه الصفه على الإيمان بالإمام المهدي-عجل الله فرجه- في غيبته باعتباره من أوضح مصاديقها لا سيما إذا

لاحظنا طول أمدها (١).

و لذلك نلاحظ في الأحاديث الشريفه مدحا بالغاً لمؤمنى عصر الغيبه الثابتين على الالتزام بالشريعہ السمحاء و النهج المهدوى رغم التشكيكات العقائديه الناتجه عن عدم ظهوره المشهود (٢).

و استنادا الى هذه العله نفهم أن الغيبه عامل إعداد لأنصار المهدي-عجل الله فرجه- من خلال ترسيخ هذا الايمان بالغيب الذى يتضمن التحرر من أسر الماديات و الذى يؤهلهم لنصره المهدي فى إنجاز مهمته الإصلاحية الكبرى.

٥- اتضاح عجز المدارس الأخرى

إن إثبات عجز المدارس الأخرى عن تحقيق السعاده و الكمال المنشود للمجتمع البشرى، فيه تأهيل واضح للمجتمع البشرى عموماً للتفاعل الإيجابى مع المهمه الإصلاحية الكبرى للإمام المهدي-عجل الله فرجه-، فهو يزيل العقبات الصادّه عن هذا التفاعل المطلوب لتحقيق الأهداف الإلهية خاصه فيما يرتبط بالانخداع بشعارات المدارس الأخرى الماديه أو ذات الأصول السماويه و المنحرفه عنها بمرور الزمن.

ص: ١٧٠

١- ((١)) كفايه الأثر ٥٦، ينابيع الموده: ٤٤٢.

٢- ((٢)) راجع مثل ما روى عن الكاظم (عليه السلام) فى وصف المؤمنين الثابتين فى عصر الغيبه: «اولئك منّا و نحن منهم، قد رضوا بنا أئمه و رضينا بهم شيعه، فطوبى لهم ثم طوبى لهم و هم و الله معنا فى درجتنا يوم القيامه». كمال الدين: ٣٦١، كفايه الأثر: ٢٦٥.

إنّ الامام المهدي-عجل الله فرجه- هو الذى يملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت ظلماً و جوراً، فيزيل حكام الجور و حاكميه الفساد بالسيف بعد إتمام الحججه كامله على المنحرفين خلال الغيبه الكبرى و ما قبلها كما أشرنا الى ذلك فى النقطه السابقه. فظهوره (عليه السّلام) مقترن بالتحرك الجهادى الحاسم، فلا هدنه مع المنحرفين، و من هنا يلزم توفر هذه الصفه فى أتباعه أيضاً، و لعل هذا هو المقصود من تعبير الأحاديث الشريفه «لئلا يكون فى عنقه بيعه لطاغيه».

و واضح أن هذا الدور الحاسم يجعل تكالب الظالمين عليه أشد إذا كان وجوده ظاهراً قبل تحركه الإصلاحى الشامل و قبل توفر الظروف المناسبه لتحركه و العدد اللازم من الأنصار، فهو فى هذه الحاله إما أن يهادن الظلمه و يجتهد أى نشاط له و لو كان غير حاسم كما كان حال آبائه (عليهم السّلام)، و فى ذلك أخطار كثيره مثل إضعاف روح الرفض للظلم لدى المؤمنين و هم يرون أن إمامهم المكلف بإزاله الظلم بصوره كامله صامت تجاهه، فضلاً عن أن هذا الموقف السلبى لن يوقف كيد الظالمين و مساعيهم المستمره لقتله تخلصاً من هاجس دوره المرتقب؛ و إما أن يتحرك لإنجاز مهمته قبل توفر العوامل اللازمه لنجاحها و هذا الأمر يعنى مقتله قبل أن يحقق شيئاً من مهمته الكبرى.

لذا فلا بد من تجنب الظهور قبل اكتمال الأوضاع اللازمه لتحركه الإصلاحى الأكبر و الاستتار فى اسلوب الغيبه بما يمكنه من الاستمرار فى نشاطه على صعيد توفير العوامل اللازمه لنجاح مهمته الكبرى عند الظهور.

٧- صلاح أمره و أمر المؤمنين به

إن في الغيبة صلاح أمره (عليه السلام) و أمر المؤمنين به، و هذه عله مجمله تحدد أحد أوجه الحكمة الإلهية في الأمر بالغيبة بأن في ذلك صلاح أمر الإمامه؛ و لعله بمعنى أن الغيبة هي أفضل أسلوب ممكن لقيام المهدي -عجل الله فرجه- بمهام الإمامه في ظل الأوضاع المضاده لأهداف الثورة المهدويه كما تقدم في الفقرة السادسة، و بأن فيها صلاح شيعته و المؤمنين به؛ و لعله بمعنى فتح آفاق التكامل و التمحيص في صفوفهم و أجيالهم المتلاحقه كما تقدم في الفقرة الرابعه حتى يعد الجيل القادر -كما و كيفاً- على الاستجابة لمقتضيات الثورة المهدويه الكبرى، أو أن يكون المقصود صلاحهم في حفظ وجودهم من الإباده قبل تحقق المهمه الإصلاحية المطلوبه أو عجزهم عن نصره الإمام بالصوره المطلوبه عند قيامه -دونما غيبه- كما جرى في موقف المسلمين من ثوره الإمام الحسين (عليه السلام) و قبله من خلافه أخيه الإمام الحسن و أبيه أمير المؤمنين -سلام الله عليهم-.

٨- عدم توفر العدد المطلوب من الأنصار

و العامل الأخير هو عدم توفر العدد اللازم كما و المناسب كيفاً من الأنصار له (عليه السلام) في مهمته الإصلاحية الكبرى التي تحتاج الى عدد كاف من الأنصار و على مستويات عاليه من الإخلاص للشريعه المحمديه و أهدافها و العلم بها و بمكائده أعدائها بحيث يمتلكون التجربه الجهادية اللازمه لخوض حركه الصراع الحاسمه مع الكفر و الشرك و الفسق و النفاق. و هذه العله مكمله للعله المذكوره في الفقرة الرابعه.

إشاره

إنجازات الإمام المهدي (عليه السلام) في غيبته الكبرى

كما أشرنا في مقدمه الحديث فإن سيره الإمام المهدي -عجل الله فرجه- و تحركاته في غيبته الكبرى تتمحور حول هدف التمهيد لظهوره و المساهمه في ازاله العلل الموجهه لغيبته، و عليه يمكننا القول بأنه يعمل في سبيل ترشيد الأمم و استجماعها لخبرات أجيالها المتعاقبه؛ و في سبيل إيصال الحق الى الجميع و دعم و تأييد العاملين من أجل نشر الإسلام النقي و حفظه، و هو يرفع عمليه التمييز و التمحيص الإعدادي لجيل الظهور، و يكشف فشل المدارس الأخرى و عجزها عن تحقيق السعاده المنشوده للبشرية، و يساهم في حفظ روح الرفض للظلم و يحبط المساعي لقتلها. إنه (عليه السلام) يقوم بكل ذلك و لكن بأساليب خفيه غير ظاهره قد يتضح الكثير منها عند ظهوره كما يتضح دوره (عليه السلام) في الكثير من الحوادث الواقعه التي تصب في صالح تحقق الأهداف المتقدمه و التي لم تعرف أسباب وقوعها أو أنّ ما عرض من الأسباب لم يكن كافيا في تفسيرها.

رعايته للكيان الإسلامي

يقول الإمام المهدي (عليه السلام) في رسالته الاولى للشيخ المفيد: «...فإننا نحيط

علما بأنبائكم ولا يعزب عنّا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالذلل الذي أصابكم مذ جنح كثير منكم الى ما كان السلف الصالح عنه شاسعا ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون.

إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم و لو لا ذلك لنزل بكم اللأواء و أصطلمكم الأعداء» (١).

إن الإمام يتابع أوضاع المؤمنين و يحيط علما بالتطورات التي تحصل لهم و محاولات الاستئصال و الإبادة التي يتعرّضون لها و يتخذ الإجراءات اللازمة لدفع الأخطار عنهم بمختلف أشكالها، و هذه الرعاية هي أحد العوامل الأساسية التي تفسر حفظ أتباع مذهب أهل البيت (عليهم السّلام) و استمرار وجودهم و تناميهم على مدى الأجيال على الرغم من شدة الحملات التصفويه التي عرضوا لها و الإرهاب الفكرى الحاد الذى مورس ضدهم لقرون طويلة. فهذه التصفيات الجسديه و المحاربه الفكرية الواسعه التي شهدها التاريخ الإسلامى كانت قادره و لا شك على إنهاء وجودهم جسديا و فكريا لو لا الرعاية المهديه.

حفظ الاسلام الصحيح و تسديد العمل الاجتهادى

إنّ الإمام المهدي (عليه السّلام) يقوم أيضا فى غيبته الكبرى بحفظ الإسلام النقى الذى يحمله مذهب أهل البيت (عليهم السّلام). و هذه المهمه من المهام الرئيسه للإمامه، و من مظاهر قيامه (عليه السّلام) بها فى غيبته تسديد العمل الاجتهادى للعلماء و الفقهاء و منع إجماعهم على باطل بطريقه أو باخرى: «لأن هذه الآثار و النصوص فى الأحكام موجوده مع من لا يستحيل منه الغلط و النسيان،

ص: ١٧٤

و مسموعه بنقل من يجوز عليه الترك و الكتمان. و إذا جاز ذلك عليهم لم يؤمن وقوعه منهم إلاّ- بوجود معصوم يكون من ورائهم، شاهد لأحوالهم، عالم بأخبارهم، إن غلطوا هداهم، أو نسوا ذكرهم أو كتموا، علم الحق من دونهم.

و إمام الزمان (عليه السّلام) و إن كان مستترا عنهم بحيث لا يعرفون شخصه، فهو موجود بينهم، يشاهد أحوالهم و يعلم أخبارهم، فلو انصرفوا عن النقل، أو ضلّوا عن الحق لما وسعته التقيه و لأظهره الله سبحانه و منع منه الى أن يبين الحق و تثبت الحجة على الخلق» (١).

و المقصود من الظهور هنا ليس الظهور العام بل المحدود لبعض العلماء و بالمقدار اللازم لتبيان الحق، و هذه من القضايا التي بحثها العلماء في باب الإجماع، فمثلا يقول العلامة السيد محمد المجاهد في كتابه مفاتيح الأصول:

«...البناء على قاعده اللطف التي لأجلها وجب على الله نصب الإمام فإنها تقتضى ردهم لو اتفقوا على الباطل فإنه من أعظم الألفاف، فإن امتنع حصوله بالطرق الظاهره فبالأسباب [الخفيه]... إن وجود الإمام (عليه السّلام) في زمن الغيبه لطف قطعاً؛ فيثبت فيه كل ما أمكن؛ لوجود المقتضى و انتفاء المانع. و إن هذا اللطف قد ثبت وجوبه قبل الغيبه فيبقى بعده بمقتضى الأصل [إضافه الى] أن النقل المتواتر قد دل على بقائه.

و قد ورد ذلك عن النبي (صلّى الله عليه و آله) و الأئمه (عليهم السّلام) بألفاظ و معان متقاربه، فعن النبي (صلّى الله عليه و آله): «إن لكل بدعه يكاذب بها الإيمان و ليا من أهل بيتي موكلا يذب عنه و يعلن الحق و يرد كيد الكائدين»، و عنه (صلّى الله عليه و آله) و عن أهل البيت «أن فيهم في كل خلف عدولا ينفون عن الدين تحريف الغالين و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين».

ص: ١٧٥

و فى المستفيض عنهم (عليهم السّلام) «إن الارض لا تخلو إلّا و فيها عالم اذا زاد المؤمنون شيئاً ردهم الى الحق و إن نقصوا شيئاً تمم ذلك و لو لا ذلك لا لتبس عليهم أمرهم و لم يفرقوا بين الحق و الباطل».

و عن أمير المؤمنين (عليه السّلام) فى عده طرق: «اللّهم إنك لا- تخلى الارض من قائم بحجه إما ظاهر مشهور أو خائف مغمور لثلا- تبطل حججك و بيناتك..»، و فى بعضها:

«لا- بد لأرضك من حجه لك على خلقك يهديهم الى دينك و يعلمهم علمك لثلا تبطل حججتك و لثلا يضل تبع أوليائك بعد إذ هديتهم به، إما ظاهر ليس بالمطاع أو مكتتم أو مترقب إن غاب عن الناس شخصه فى حال هدايتهم فإنّ علمه و آدابه فى قلوب المؤمنين مثبتة فيهم، بها عاملون».

و فى تفسير قوله تعالى: **إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** [ورد] فى عده روايات: «أن المنذر رسول الله (صلّى الله عليه و آله)، و فى كل زمان إمام منا يهديهم الى ما جاء به النبى (صلّى الله عليه و آله)»، و فى بعضها [عن أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) فى الآيه]: «و الله ما ذهب منا و ما زالت فينا الى الساعة».

و عن أبى عبد الله [الإمام الصادق (عليه السّلام)] قال: «و لم تخل الارض منذ خلقها الله تعالى من حجه له فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور و لن تخلو الى أن تقوم الساعة و لو لا ذلك لم يعبد الله، قيل: كيف ينتفع الناس بالغايب المستور؟ قال (عليه السّلام): كما ينتفعون بالشمس إذا سترها سحاب».

و عن الحجة القائم (عليه السّلام) قال: «و أما وجه الانتفاع بى فى غيبتى فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبها عن الأنظار السحاب، و إنى لأمان أهل الارض كما أن النجوم أمان أهل السماء».

و الاخبار فى هذا المعنى أكثر من أن تحصى، و مقتضاها تحقق الرد عن الباطل و الهدايه الى الحق؛ من الإمام فى زمن الغيبه و المراد حصولها بالاسباب

الخفيه كما يشعر به حديث السحاب[الانتفاع بالإمام كالانتفاع بالشمس إذا غيبتها السحاب]دون الظاهره فانها منتفيه بالضروره،و لا ينافى ذلك تضمن بعضها الاعلان بالحق فانه من باب الاسناد الى السبب...» (١).

تسديد الفقهاء فى عصر الغيبه

و كما أشرنا عند الحديث عن نظام «السفاره و النبايه الخاصه» فى الغيبه الصغرى، فإن هذا النظام كان تمهيدا لإرجاع الأمه فى الغيبه الكبرى الى الفقهاء العدول كمثلين له (عليه السلام) ينوبون عنهم كقياده ظاهره أمر بالرجوع إليها فى توقيعه الصادر الى إسحاق بن يعقوب: «و أما الحوادث الواقعه فارجعوا فيها الى رواه حديثنا، فإنهم حجتي عليكم و أنا حجه الله عليهم».

و قد أشار الأئمه (عليهم السلام) من قبل الى هذا الدور المهم للعلماء فى عصر الغيبه الكبرى، فمثلا روى عن الامام على الهادى (عليه السلام) أنه قال: «لو لا من يبقى بعد غيبه قائمكم عليه الصلاه و السلام من العلماء الداعين إليه و الدالين عليه و الذابين عن دينه بحجج الله، و المنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس و مردته، و من فخاخ النواصب؛ لما بقى أحد إلا ارتدّ عن دينه. و لكنهم الذين يمسون أزمه قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسون صاحب السفينه سكانها، أولئك هم الأفضلون عند الله» (٢).

و المستفاد من قوله (عليه السلام) «فإنهم حجتي عليكم و أنا حجه الله عليهم» أن الفقهاء العدول يمثلون فى الواقع واسطه بين الامه و الإمام -عجل الله فرجه- الأمر الذى يعنى أن يحظى بعضهم -و خاصه الذين يحظون بمكانه خاصه فى توجيه الامه و دور خاص فكرى أو سياسى فى قيادتها- بتسديد من قبل

ص: ١٧٧

١- ((١)) مفاتيح الأصول: ٤٩٦-٤٩٧، باب الاجماع.

٢- ((٢)) الاحتجاج: ٢/٢٦٠.

الإمام-عجل الله فرجه-بصوره مباشره أو غير مباشره و بالخصوص فى التحركات ذات التأثير على مسيره الأمة و حركه الإسلام،فهو يتدخل بما يجعل هذه التحركات فى صالح الأمة أو بما يدفع عنها الاخطار الشديده الماحقه،و قد نقلت الكثير من الروايات الكاشفه عن بعض هذه التدخلات و التى لم تنقل أو لم تدون أكثر بكثير.و قسم منها يكون التدخل من قبل الإمام بصوره مباشره و قسم آخر يكون بصوره غير مباشره عبر أحد أوليائه (١).

أصحاب الإمام(عليه السلام)فى غيبته الكبرى

يستفاد من عدد من الأحاديث الشريفه أن للإمام المهدي-عجل الله فرجه-جماعه من الأولياء المخلصين يلتقون به باستمرار فى غيبته الكبرى و من أهل كل عصر،و تصرح بعض الأحاديث الشريفه بأن عددهم ثلاثين شخصاً،فقد روى الشيخ الكليني فى الكافي و الشيخ الطوسى فى الغيبه بأسانيدهما عن الإمام الصادق(عليه السلام)قال:«لا بد لصاحب هذا الأمر من غيبه و لا بد له فى غيبته من عزله و نعم المنزل طيبه و ما بثلاثين من وحشه» (٢)،و روى الكليني بسنده عن الإمام الصادق(عليه السلام)قال:«للقائم غيبتان إحداهما قصيره و الاخرى طويله،الغيبه الأولى لا يعلم بمكانه إلا-خاصه شيعته و الأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصه مواليه» (٣)، و تصرح بعض الأحاديث الشريفه بأن الخضر(عليه السلام)من مرافقيه فى غيبته (٤).

و لعله(عليه السلام)يستعين بهؤلاء الأولياء-ذوى المراتب العاليه فى الاخلاص فى

ص: ١٧٨

- ١- ((١)) جمع الشيخ كريمى الجهرمى مجموعه من هذه الروايات فى كتاب ترجمه للعريه تحت عنوان:«رعايه الامام المهدي للمراجع و العلماء الاعلام» منشورات دار ياسين البيروتيه و الكتاب مطبوع بالفارسيه فى قم.
- ٢- ((٢)) الكافي: ١/٣٤٠، غيبه النعمانى: ١٨٨، تقريب المعارف للحلبى: ١٩٠.
- ٣- ((٣)) الكافي: ١/٣٤٠، غيبه النعمانى: ١٧٠، تقريب المعارف: ١٩٠.
- ٤- ((٤)) كمال الدين: ٣٩٠ و عنه فى اثبات الهداه: ٣/٤٨٠.

القيام بما تقدم من مهام حفظ المؤمنين و رعايتهم و تسديد العلماء و دفع الأخطار عن الوجود الإيماني و تسيير حركة الأحداث-حتى خارج الكيان الإسلامى بما يخدم مهمه التمهييد لظهوره و إعداد العوامل اللازمه له.

الالتقاء بالمؤمنين فى غيبته الكبرى

إن سيره الإمام فى غيبته الكبرى تفصح بأن لقاءاته فيها لا تنحصر فى هذا العدد المحدود من الأولياء المخلصين فى كل عصر بل تشمل غيرهم -و لو بصوره غير مستمره-فالأخبار الخاصه الداله على مشاهدته فى الغيبه الكبرى كثيره و عددها يفوق حد التواتر، بحيث نعلم لدى مراجعتها و استقراءها، عدم الكذب و الخطأ فيها فى الجملة (1)، فقد نقل الميرزا النورى مائه منها فى النجم الثاقب و فى المصادر الأخرى ما يزيد على ذلك بكثير، اضافه الى أن من المؤكد أن هناك مقابلات غير مرويه و لا مسجله فى المصادر و إن كانت متناقله عبر الثقافات و أن المهدي-عجل الله فرجه-يتصل بعدد من المؤمنين فى أنحاء العالم فى كل جيل مع حرصهم على عدم التفوه بذلك و كتبه الى الأبد، بل يمكن القول بأن المقابلات غير المرويه أكثر بكثير من المقابلات المرويه.

و تشمل هذه المقابلات قضاء حوائج المؤمنين-كما كانت سيره آباءه الأئمه(عليهم السلام)بمختلف أقسامها الماديه و المعنويه، كما تشمل على توجيه،

ص: ١٧٩

١- (١) راجع تاريخ الغيبه الصغرى: ٦٤٠ و ما بعدها و تاريخ الغيبه الكبرى: ١٠٧ و قد ناقش السيد الصدر فى هذين الكتابين قضيه الالتقاء بالامام فى الغيبه الكبرى و عدم تعارضها مع امر الامام المهدي-عجل الله فرجه-فى توقيعه للشيخ السمرى بتكذيب من ادعى المشاهده فى الغيبه الكبرى، كما ناقشها الميرزا النورى فى الباب السابع من كتاب النجم الثاقب و العلامه المجلسى فى بحار الأنوار و غيرهم كثير و اثبتوا جواز الالتقاء بالامام فى الغيبه الكبرى.

الوصايا التربويه و توضيح غوامض المعارف الإلهيه أو التنبيه الى الأحكام الشرعيه الصحيحه و غير ذلك من مهام الإمام فى كل عصر.

ترسيخ الايمان بوجوده

و تحققت من هذه اللقاءات إضافه لذلك ثمار مهمه تتمحور حول ترسيخ الإيمان بوجوده (عليه السّلام) و إزاله التشكيكات المثاره تجاه ذلك فى كل عصر بما يعزز مسيره المؤمنين فى التمهيد لظهوره (عليه السّلام)، خاصه و أن معظم هذه المقابلات تقترن عاده بصدور ما لا يمكن صدوره عن غير الإمام (عليه السّلام) من ايضاحات علميه دقيقه أو كرامات إعجازيه تقطع أى مجال للشك فى هويته -عجل الله فرجه- و هى فى معظم الأحوال تكون بمبادره من الإمام نفسه و بصوره لا يتوقعها الفائز ببقياه (عليه السّلام)، و بعد مده -قد تطول أحيانا- من صدق المؤمن فى طلب مقابله و الإخلاص لله فى القيام بالأعمال الصالحه بهدف الفوز بذلك، كما أنها عاده ما تكون بالمقدار اللازم لقضاء حاجه المؤمن الطالب لها أو تحقيق الإمام للغايه المرجوه منها و غالبا ما ينتبه المؤمن الى أنّ من التقاه هو الإمام المهدي (عليه السّلام) بعد انتهاء المقابله، و كل ذلك حفظا لمبدأ الاستتار فى هذه الفتره.

حضور موسم الحج

و تصرح الأحاديث الشريفه بأن من سيرته (عليه السّلام) فى غيبته حضور موسم الحج فى كل عام، و واضح ما فى حضور هذا الموسم السنوى المهم من فرصه مناسبه للالتقاء بالمؤمنين من أنحاء أقطار العالم و إيصال التوجيهات إليهم و لو من دون التعريف بنفسه بصراحه و التعرف على أحوالهم عن قرب دون الحاجه الى أساليب إعجازيه.

إنَّ الأحاديث الشريفه التي تذكر حضوره (عليه السّلام) هذا الاجتماع الإسلامى السنوى العام، ذكرت أنه (عليه السّلام): «يشهد الموسم فيراهم ولا يرونه» (١)، و يبدو أن المقصود هو الرؤيه مع تحديد هويته (عليه السّلام)، بمعنى أن يعرفوه أنه هو المهدي، إذ توجد عدّه روايات اخرى تصرّح برؤيته فى هذا الموسم و بعضها يصرّح بعدم معرفه المشاهدين لهويته على نحو التحديد و اقتصار معرفتهم بأنّه من ذريه رسول الله (صلّى الله عليه و آله) (٢).

ص: ١٨١

١- (١) الكافى: ١/٣٣٧، ٢٣٩، غيبه النعمانى: ١٧٥.

٢- (٢) راجع مثلا الروايه التي ينقلها الشيخ الصدوق فى كمال الدين: ٤٤٤.

تكاليف عصر الغيبة الكبرى

اهتمت الأحاديث الشريفه بقضيه تكاليف عصر الغيبة بحكم الأبعاد العمليه التي تشتمل عليها فيما يرتبط بتحرك الإنسان في هذه الفتره المتميزه بفتن كثيره و صعوبات في مواجهتها ناتجه عن عدم الحضور الظاهر لإمام العصر و عدم تيسر الرجوع إليه بسهولة.

في هذا الفصل نذكر على نحو الإيجاز أبرز هذه التكاليف طبق ما حددته الأحاديث الشريفه مع تفصيل الحديث عن أهمها و الذي ينطوى على تجسيد التكاليف الأخرى ألا و هو واجب انتظار ظهور الإمام-عجل الله فرجه-لأنه عرض للكثير من أشكال سوء الفهم.

و أبرز التكاليف الأخرى فكما يلي:

١- ترسيخ المعرفه بإمام العصر-عجل الله فرجه-و غيبته و حتميه ظهوره و أنه حتى يراقب الأمور و يطلع على أعمال الناس و أوضاعهم و ينتظر توفر الشروط اللازمه لظهوره،و إقامه هذه المعرفه على أساس الأدله النقليه الصحيحه و البراهين العقلية السليمه.

و أهميه هذا الواجب واضحه في ظل عدم الحضور الظاهر للإمام في عصر الغيبة و التشكيكات الناتجه عن ذلك، كما أن لهذه المعرفه تأثيرا

مشهودا في دفع الإنسان المسلم نحو العمل الإصلاحي البناء على الصعيدين الفردي والاجتماعي، فهي تجعل لعمله حافزا إضافيا يتمثل بالشعور الوجداني بأن تحركه يحظى برعايه و مراقبه إمام زمانه الذي يسره ما يرى من المؤمنين من تقدم و يؤذيه أى تراجع أو تخلف عن العمل الإصلاحي البناء و التمسك بالأحكام و الأخلاق و القيم الإسلاميه التي ينتظر توفر شروط ظهوره لإقامه حاكميتها في كل الأرض و إنقاذ البشريه بها.

و قد التقينا في الأحاديث الشريفه التي أخبرت عن غيبه المهدي قبل وقوعها بإشارات صريحه الى هذا الواجب و سنلتقى ضمن الحديث عن واجب الانتظار بنماذج أخرى. يضاف الى ذلك معظم الأدعيه المندوب تلاوتها في عصر الغيبه تحفز على القيام بهذا الواجب و ترسيخ المعرفه بالإمام، فمثلا- الكليني في «الكافي» عن زواره أن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «إن للقائم غيبه... و هو المنتظر و هو الذي يشك الناس في ولادته... [فقال زواره]: جعلت فداك إن أدركت ذلك الزمان أى شيء أعمل؟ قال: يا زواره متى أدركت ذلك الزمان فلتدع بهذا الدعاء: اللهم عرّفني نفسك فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرّفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجّتك، اللهم عرّفني حجّتك فإنك إن لم تعرفني حجّتك ضللت عن ديني...» (1) و في الحديث إشارة الى الأسس العقائديه للإيمان بإمام العصر و ثمار معرفته.

٢- و من التكاليف المهمه الأخرى التي أكدتها الأحاديث الشريفه لمؤمنى عصر الغيبه هو تمتين الارتباط الوجداني بالمهدي المنتظر و التفاعل العملي مع أهدافه الساميه و الدفاع عنها و الشعور الوجداني العميق بقيادته و هذا

ص: ١٨٤

١- ((١)) الكافي: ٣٣٧/١، غيبه النعماني: ١٦٦-١٦٧، كمال الدين: ٣٤٢/٢، غيبه الطوسي: ٢٠٢.

هو ما تؤكدُه أيضا معظم التكاليف التي تذكرها الأحاديث الشريفه كواجبات للمؤمنين تجاه الإمام مثل الدعاء له بالحفظ و النصره و تعجيل فرجه و ظهوره و كبج أعدائه و التصديق عنه و المواظبه على زيارته و غير ذلك مما ذكرته الأحاديث الشريفه و قد جمعها آيه الله السيد الإصفهاني في كتابه «مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم» و كتابه «وظائف الأنام في غيبه الإمام».

٣- إحياء أمر منهج أهل البيت (عليهم السّلام) (١) الذي يمثله -عجل الله فرجه- بما يعنيه ذلك من العمل بالإسلام النقي الذي دافعوا عنه و نشر أفكارهم و التعريف بمظلوميتهم و موالاة-تهم و البراءة من أعدائهم و العمل بوصاياهم و تراثهم و ما تقدم من تعاليمهم و نبذ الرجوع الى الطاغوت و حكوماته و الرجوع الى الفقهاء العدول الذين جعلوهم حجه على الناس في زمن الغيبه و الاستعانه بالله في كل ذلك كما ورد في النص:

«و إن أصبحتم لا ترون منهم [الأئمة (عليهم السّلام)] أحدا فاستغيثوا بالله عز و جل و انظروا السنه التي كنتم عليها و اتبعوها و أحبوا ما كنتم تحبون و ابغضوا من كنتم تبغضون فما أسرع ما يأتيكم الفرج» (٢).

٤- تقويه الكيان الإيماني و التواصي بالحق الإسلامى النقي و التواصي بالصبر، و هو من التكاليف التي تتأكد في عصر الغيبه بحكم الصعوبات التي يشتمل عليها؛ و الثبات على منهج أهل البيت (عليهم السّلام): «يأتى على الناس زمان يغيب عنهم إمامهم، فيأطوبى للثابتين على أمرنا في ذلك الزمان...» (٣).

ص: ١٨٥

-
- ١- (١) المحاسن للبرقي: ١٧٣، الكافي: ٨٠/٨، كمال الدين: ٦٦٤ و في الحديث الشريف ثناء جليل من الإمام الباقر (عليه السّلام) على من يجند نفسه لأحياء أمر أهل البيت (عليهم السّلام).
 - ٢- (٢) كمال الدين: ٣٢٨ و عنه في بحار الأنوار: ١٣٦/٥١.
 - ٣- (٣) كمال الدين: ٣٣٠، بحار الأنوار: ١٤٥/٥٢.

هذه عناوين أبرز التكاليف الخاصه بعصر الغيبه و ثمة تكاليف خاصه ببعض الحوادث التي تقع فيه أو بعض علائم الظهور مثل مناصره حركه الموطئه-الذين يوطئون للمهدى سلطانه-أو اجتناب فتنه السفيناني أو تشديد الحذر عند ظهور بعض العلائم القريبه من أوان الظهور و غير ذلك. و بعد هذا العرض السريع ننتقل للحديث عن واجب الانتظار الذي يمثل أهم هذه التكاليف و يشتمل العمل به على معظم التكاليف السابقه،و نتناوله ضمن الفقرات التاليه.

أهميه الانتظار

تؤكد الأحاديث الشريفه و باهتمام بالغ على عظمه آثار انتظار الفرج؛ بعنوانه العام الذي ينطبق على الظهور المهدوى كأحد مصاديقه البارزه؛ و كذلك على انتظار ظهور الإمام بالخصوص.فبعضها تصفه بأنه أفضل عباده المؤمن كما هو المروى عن الإمام على (عليه السلام):«أفضل عباده المؤمن انتظار فرج الله» (١)،و عباده المؤمن أفضل بلا شك من عباده مطلق المسلم،فيكون الانتظار أفضل العبادات الفضلى إذا كان القيام به بنيه التعبد لله و ليس رغبه فى شىء من الدنيا؛و يكون بذلك من أفضل وسائل التقرب الى الله تبارك و تعالى كما يشير الى ذلك الإمام الصادق(عليه السلام)فى خصوص انتظار الفرج المهدوى حيث يقول:

«طوبى لشيعه قائمنا،المنتظرين لظهوره فى غيبته و المطيعين له فى ظهوره،أولئك أولياء الله الذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون» (٢).و لذلك فإن انتظار الفرج هو«أعظم الفرج» (٣)كما يقول الإمام السجاد(عليه السلام)،فهو يدخل المنتظر فى زمرة أولياء الله.

ص: ١٨٦

١- (١) المحاسن للبرقى و عنه فى بحار الأنوار: ١٣١/٥٢.

٢- (٢) كمال الدين: ٣٥٧.

٣- (٣) كمال الدين: ٣٢٠.

و تعتبر الأحاديث الشريفه أنّ صدق انتظار المؤمن لظهور إمام زمانه الغائب يعزز إخلاصه و نقاء إيمانه من الشك، يقول الإمام الجواد (عليه السلام): «...له غيبه يكثر أيامها و يطول أمدها فينتظر خروجه المخلصون و ينكره المرتابون...» (١) و حيث إن الانتظار يعزز الإيمان و الإخلاص لله عز و جل و الثقة بحكمته و رعايته لعباده، فهو علامه حسن الظن بالله، لذا فلا غرابه أن تصفه الأحاديث الشريفه بأنه: «أحب الأعمال الى الله» (٢)، و بالتالى فهو «أفضل أعمال أمتي» (٣) كما يقول رسول الله (صلى الله عليه و آله).

الانتظار يرسخ تعلق الإنسان و ارتباطه بربه الكريم و إيمانه العملى بأن الله عز و جل غالب على أمره و بأنه القادر على كل شىء و المدبر لأمر خلائقه بحكمته الرحيم بهم، و هذا من الثمار المهمه التى يكمن فيها صلاح الإنسان و طيبه لمعارج الكمال، و هو الهدف من معظم أحكام الشريعة و جميع عباداتها و هو أيضا شرط قبولها فلا قيمه لها إذا لم تستند الى هذا الايمان التوحيدى الخالص الذى يرسخه الانتظار، و هذا أثر مهم من آثاره الذى تذكره الأحاديث الشريفه نظير قول الإمام الصادق (عليه السلام): «ألا أخبركم بما لا يقبل الله عز و جل من العباده عملا إلاّ به...شهاده أن لا اله إلاّ الله و أن محمدا عبده و رسوله و الاقرار بما أمر الله و الولايه لنا و البراءه من أعدائنا-يعنى الأئمه خاصه-و التسليم لهم، و الورع و الاجتهاد و الطمأنينه و الانتظار للقائم (عليه السلام)...» (٤).

و تصريح الأحاديث الشريفه بأن التحلى بالانتظار الحقيقى يؤهل

ص: ١٨٧

١- ((١)) كفايه الأثر: ٢٧٩، كمال الدين: ٣٧٨.

٢- ((٢)) الخصال للشيخ الصدوق: ٦١٠/٢، كمال الدين: ٦٤٥، تحف العقول: ١٠٦.

٣- ((٣)) كمال الدين: ٦٤٤.

٤- ((٤)) غيبه النعمانى: ٢٠٠، إثبات الهداه: ٥٣٦/٣.

المنتظر-و بالآثار المترتبة عليه المشار إليها آنفا-للفوز بمقام صحبه الإمام المهدي كما يشير الى ذلك الإمام الصادق في تتمه الحديث المتقدم حيث يقول: «من سره أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر»، وكذلك يجعله يفوز بأجر هذه الصحبه الجهاديه و هذا ما يصرح به الصادق (عليه السلام) حيث يقول: «من مات منكم على هذا الأمر منتظرا له كان كمن كان في فسطاط القائم (عليه السلام)...» (١)، و يفوز أيضا بأجر الشهيد كما يقول الإمام علي (عليه السلام): «الآخذ بأمرنا معنا غدا في حظيره القدس و المنتظر لأمرنا كالمشحط بدمه في سبيل الله» (٢)، بل و يفوز بأعلى مراتب الشهداء المجاهدين، يقول الصادق (عليه السلام): «من مات منكم و هو منتظر لهذا الأمر كمن كان مع القائم في فسطاطه؛ قال الراوي: ثم مكث هنيهة، ثم قال: لا بل كمن قارع معه بسيفه، ثم قال: لا و الله إلا كمن استشهد مع رسول الله (صلى الله عليه و آله)» (٣).

و الأحاديث المتحدثة عن آثار الانتظار كثيره و يفهم منها أن تباين هذه الآثار في مراتبها يكشف عن تباين عمل المؤمنين بمقتضيات الانتظار الحقيقي، فكلما سمت مرتبه الانتظار تزايدت آثارها المباركه و بالطبع فإن الأمر يرتبط بتجسيد حقيقه و مقتضيات الانتظار، و لذلك يجب معرفه معناه الحقيقي، و هذا ما تناوله في الفقره اللاحقه.

حقيقه الانتظار

الانتظار عباره عن: «كيفية نفسانيه ينبعث منها التهيؤ لما تنتظره؛ و ضده اليأس؛ فكلما كان الانتظار أشد كان التهيؤ أكده؛ ألا ترى أنه اذا كان لك مسافر تتوقع قدومه ازداد تهيؤك لقدومه كلما قرب حينه، بل ربما تبدل رقادك

ص: ١٨٨

١- (١) كمال الدين: ٦٤٥.

٢- (٢) في الخصال: ٦٢٥ و عنه في بحار الأنوار: ١٢٣/٥٢.

٣- (٣) المحاسن للبرقي: ٢٧٨، ٢٧٩، ١٥٣ و عنه في بحار الأنوار: ١٢٦/٥٢ ح ١٨.

بالسهاد لشده الانتظار. و كما تتفاوت مراتب الانتظار من هذه الجهه، كذلك تتفاوت مراتبه من حيث حبك لمن تنتظره، فكلما اشتد الحب ازداد التهؤ للحبيب و أوجع فراقه بحيث يغفل المنتظر عن جميع ما يتعلق بحفظ نفسه و لا يشعر بما يصيبه من الآلام الموجهه و الشدائد المفضعه.

فالمؤمن المنتظر مولاه كلما اشتد انتظاره ازداد جهده فى التهؤ لذلك بالورع و الاجتهاد و تهذيب نفسه و تجنّب الأخلاق الرذيله و التحلّى بالأخلاق الحميده حتى يفوز بزياره مولاه و مشاهده جماله فى زمان غيبته كما اتفق ذلك لجمع كثير من الصالحين، و لذلك أمر الأئمه الطاهرون (عليهم السّلام) فيما سمعت من الروايات و غيرها بتهديب الصفات و ملازمه الطاعات. بل روايه أبى بصير مشعره أو داله على توقف الفوز بذلك الأجر حيث قال [الإمام الصادق] (عليه السّلام):

«من سره أن يكون من أصحاب القائم فليتنظر و ليعمل بالورع و محاسن الأخلاق و هو منتظر، فإن مات و قام القائم بعده كان له من الأجر مثل من أدركه... و لا ريب أنه كلما اشتد الانتظار ازداد صاحبه مقاما و ثوبا عند الله عز و جل...» (١).

و الانتظار يعنى: «ترقب ظهور و قيام الدوله القاهره و السلطنه الظاهره لمهدى آل محمد (عليهم السّلام). و إمتلائها قسطا و عدلا و انتصار الدين القويم على جميع الأديان كما أخبر به الله تعالى نبيه الأكرم و وعده بذلك، بل بّشر به جميع الأنبياء و الأمم؛ أنه يأتى مثل هذا اليوم الذى لا يعبد فيه غير الله تعالى و لا يبقى من الدين شىء مخفى وراء ستر و حجاب مخافه أحد...» (٢).

اذن الانتظار يتضمن حاله قلبيه توجد لها الأصول العقائديه الثابته بشأن حتميه ظهور المهدي الموعود و تحقق أهداف الأنبياء و رسالاتهم و آمال

ص: ١٨٩

١- ((١)) مكيال المكارم: ١٥٢/٢-١٥٣.

٢- ((٢)) النجم الثاقب: ٤٤٣/٢ من الترجمة العربيه.

البشرية وطموحاتها على يديه (عليه السلام)؛ وهذه الحالة القلبية تؤدي الى انبعاث حركه عمليه تتمحور حول التهيؤ والاستعداد للظهور المنتظر، و لذلك أكدت الأحاديث الشريفه على لزوم ترسيخ المعرفه الصحيحه المستنده للادله العقائديه بالإمام المهدي و غيبته و حتميه ظهوره كما أشرنا في الواجب الأول.

و عليه يتضح أن الانتظار لا يكون صادقاً إلا اذا توفرت فيه: «عناصر ثلاثه مقترنه: عقائديه و نفسيه و سلوكيه و لولاها لا يبقى للانتظار أى معنى إيماني صحيح سوى التعسف المبني على المنطق القائل: فَادْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ... (١) المنتج لتمنى الخير للبشرية من دون أى عمل إيجابى فى سبيل ذلك» (٢).

و لذلك نلاحظ فى الأحاديث الشريفه المتحدثه عن قضيه الانتظار تأكيدها على معرفه الإمام المهدي و دوره و ترسيخ الارتباط المستمر به (عليه السلام) فى غيبته كمظهر للانتظار و الالتزام العملي بموالاته و التمسك بالشريعه الكامله كما اشرنا لذلك فى التكليف السابقه و إعداد المؤمن نفسه كنصير للإمام المهدي -عجل الله فرجه- يتحلى بجميع الصفات الجهاديه و العقائديه و الأخلاقيه اللازمه للمساهمه فى إنجاز مهمته الإصلاحيه الكبرى، و إلا لن يكون انتظاراً حقيقياً.

«إن انتظار الفرج نوعان: انتظار بناء باعث للتحرك و الالتزام الرسالى، فهو عباده و أفضل العبادات، و انتظار مخزب يشل الإنسان عن العمل البناء فهو يعتبر نمطا من أنماط «الإباحيه»... إن نوعى الانتظار هذين هما نتيجة لنوعين من الفهم لماهيه الظهور التأريخى العظيم للمهدي الموعود (عليه السلام)... و البعض

ص: ١٩٠

١- (١) المائده (٥): ٢٤.

٢- (٢) تاريخ الغيبه الكبرى: ٣٤٢.

يفسّر القضية المهدويه و ثورتها الموعوده بأنها ذات صبغه انفجاريه لا- غير؛ و أنها نتيجة لانتشار الظلم و التمييز و القمع و غصب الحقوق و الفساد... فعندها يقع الانفجار و تظهر يد الغيب لإنقاذ الحق... و عليه فإن أفضل عون يمكن أن يقدمه الإنسان لتعجيل الظهور المهدوي و أفضل أشكال الانتظار هو [السماح ب]ترويج الفساد...

لكن المستفاد من الآيات أن ظهور المهدي الموعود حلقة من حلقات مجاهده أنصار الحق لأشيع الباطل التي تكون عاقبتها الانتصار الكامل لأنصار الحق و مشاركته الإنسان في الحصول على هذه السعاده مرهون بأن يدخل عمليا في صفوف أنصار الحق...

و يستفاد من الروايات الإسلاميه أن ظهور المهدي (عليه السلام) يقتزن ببلوغ جهتي السعده و الأشقياء ذروه عملهم كل حسب أهدافه لا أن ينعدم السعده و يبلغ الأشقياء ذروه إجرامهم و ظلمهم، و تتحدث الأحاديث الشريفه عن صفوه من أنصار الحق تلتحق بالإمام فور ظهوره... فحتى لو فرضنا أنهم قله من الناحيه الكميّه إلا أنهم من الناحيه الكيفيه خيره أهل الإيمان و بمستوى انصار سيد الشهداء (عليه السلام)؛ كما تتحدث عن التمهيد لثوره الإمام المهدي بسلسله من الانتفاضات التي يقوم بها أنصار الحق... كما تتحدث بعضها عن حكومه يقيمها أنصار الحق و تستمر حتى تفجر ثوره الإمام المهدي» (١).

إذن يتضح مما تقدم أن للانتظار الشرعي المطلوب جملة من الشروط لا يتحقق بدونها العمل به كأهم تكاليف المؤمنين في عصر الغيبه و قد تحدثت عنها الأحاديث الشريفه و جمعها الإمام السجاد (عليه السلام) حيث قال ضمن حديث

ص: ١٩١

١- ((١)) النهضه و الثوره المهدويه للشهيد المطهري (رحمه الله): ٦١-٨١ من الطبعة الفارسيه (بتلخيص).

له عن القضية المهدويه: «إن أهل زمان غيبته القائلين بإمامته و المنتظرين لظهوره أفضل من أهل كل زمان، لأن الله تبارك و تعالى أعطاهم من العقول و الأفهام ما صارت به الغيبه عندهم بمنزله العيان و جعلهم فى ذلك الزمان بمنزله المجاهدين بين يدى رسول الله (صلى الله عليه و آله) بالسيف، أولئك المخلصون حقا و شيعتنا صدقا و الدعاه الى دين الله عز و جل سرا و جهرا» (١).

شروط الانتظار

على ضوء هذا النص و التوضيحات الذى تقدمته يمكن إجمال شروط الانتظار فى النقاط التاليه التى تتضمن أيضا توضيح السبيل العملى الذى ينبغى للمؤمن انتهاجه لكى يكون منتظرا حقيقيا:

١- ترسيخ معرفه الإمام المهدي-عجل الله فرجه-و الإيمان بإمامته و القيام بمهامها فى غيبته و معرفه طبيعه دوره التاريخي و أبعاده و الواجبات التى يتضمنها و دور المؤمنین تجاهه، و ترسيخ الارتباط به (عليه السلام) و بدوره التاريخي. و كذلك الإيمان بأن ظهوره محتمل فى أى وقت، الأمر الذى يوجب أن يكون المؤمن مستعدا له فى كل وقت. بما يؤهله للمشاركة فى ثورته.

و لتحقيق هذا الاستعداد اللازم لكى يكون الانتظار صادقا يجب التحلى بالصفات الأخرى التى يذكرها الإمام السجاد (عليه السلام) و التى تمثل فى واقعها الشروط الأخرى لتحقيق مفهوم الانتظار على الصعيد العملى، كما نلاحظ فى الفقرات اللاحقه.

٢- ترسيخ الاخلاص فى القيام بمختلف مقتضيات الانتظار و تنقيته من

ص: ١٩٢

جميع الشوائب و الأغراض الماديه و النفسيه، و جعله خالصاً لله تبارك و تعالى و بتيه التعبده له و السعي لرضاه، و بذلك يكون الانتظار «أفضل العباده»، و قد صرّح آيه الله السيد محمد تقى الإصفهاني بأنّ توفر هذه التيه الخالصه شرط في القيام بواجب الانتظار. و على أى حال فإنّ توفر هذا الشرط يرتبط بصوره مباشره بالإعداد النفسى لنصره الإمام عند ظهوره؛ لأنّ فقدانه يسلب المنتظر الأهليه اللازمه لتحمل صعاب نصره الإمام- عجل الله فرجه- في مهمته الإصلاحيه الجهاديه الكبرى.

٣- تربيته النفس و إعدادها بصوره كامله لنصره الإمام من خلال صدق التمسك بالثقلين و التخلق بأخلاقهما ليكون المؤمن بذلك من أتباع الإمام المهدي (عليه السلام) حقاً: «و شيعتنا صدقا» و تتوفر فيه شروط الشخصيه الإلهيه و الجهاديه القادره على نصره الإمام في طريق تحقيق أهدافه الإلهيه، و في ذلك تمهيد لظهوره (عليه السلام) على الصعيد الشخصى.

٤- التحرك للتمهيد للظهور المهدي على الصعيد الاجتماعى بدعوه الناس الى دين الله الحق و تربيته أنصار الإمام و التبشير بثورته الكبرى، و نلاحظ في حديث الامام السجاد (عليه السلام) وصفه للمنتظرين بأنهم «الدعاه الى دين الله عز و جل سرّاً و جهراً»، و في ذلك إشاره بليغه الى ضروره استمرار تحرك المنتظرين فى التمهيد للظهور و رغم كل الصعاب، فإذا كانت الأوضاع موائمه دعوا لدين الله جهراً و إلا كان تحركهم سرى دون أن يسوّغوا لانفسهم التقاعس عن هذا الواجب التمهيدى تذرّعاً بصعوبه الظروف.

و على ضوء ما تقدم يتضح أن الانتظار الحقيقى يتضمن حركه بناء مستمره و استعداد لظهور المنقذ المنتظر على الصعيدين الفردى و الاجتماعى مهما كانت الصعاب و التضحيات، يقول الإمام الخمينى (قدّس سرّه) فى آخر بيان

أصدره بمناسبة النصف من شعبان قبل وفاته: «سلام عليه (المهدي الموعود) و سلام على منتظريه الحقيقين، سلام على غيبته و ظهوره، و سلام على الذين يدركون ظهوره على نحو الحقيقه و يرتوون من كأس هدايته و معرفته سلام على الشعب الايرانى العظيم الذى يمهد لظهوره بالتضحيات و الفداء و الشهاده...» (١).

الانتظار و توقع الظهور الفورى

إضافه الى تصريحهم بوجوب إنتظار الامام المهدي-عجل الله فرجه- فى غيبته استنادا الى كثره النصوص الشرعيه الأمره بذلك على نحو الفرج الإلهى العام أو الفرج المهدوى على نحو الخصوص، فقد صرحوا بوجوب توقع ظهور الإمام فى كل حين استنادا الى النصوص الشرعيه أيضا، يقول السيد الشهيد محمد الصدر (رحمه الله): «من الأخبار الداله على التكليف فى عصر الغيبه ما دل على وجوب الانتظار الفورى و توقع الظهور الفورى فى كل وقت بالمعنى الذى سبق أن حققناه» (٢)، و يقول السيد محمد تقى الإصفهاني بعد نقله لمجموعه من الأحاديث الداله على وجوب الانتظار الفورى: «المقصود من توقع الفرج صباحا و مساء هو الانتظار للفرج الموعود فى كل وقت يمكن وقوع هذا الأمر المسعود و لا ريب فى إمكان وقوع ذلك فى جميع الشهور و الأعوام بمقتضى أمر المدبرّ العلام، فيجب الانتظار له على الخاص و العام» (٣).

و شموليه و وجوب الانتظار لجميع المسلمين التى يصرّح بها السيد

ص: ١٩٤

١- (١) صحيفه نور: ٢١.

٢- (٢) تاريخ الغيبه الكبرى: ٤٢٧.

٣- (٣) مكيال المكارم: ١٥٨/٢-١٥٩.

الاصفهانى فى ذيل ما نقلناه عنه آنفا يؤكدها السيد الشهيد محمد الصدر (رحمه الله) استنادا الى الاتفاق بين المسلمين على حتميه ظهور المهدي (عليه السلام) بعد تواتر أحاديثه: «بنحو يحصل اليقين بمدلولها و ينقطع العذر عن إنكاره أمام الله عز و جل؛ و بعد العلم بإناطه تنفيذ ذلك الغرض بإرادة الله تعالى وحده من دون أن يكون لغيره رأى فى ذلك، إذن فمن المحتمل فى كل يوم أن يقوم المهدي (عليه السلام) بحركته الكبرى لتطبيق ذلك الغرض لوضوح احتمال تعلق إرادته الله تعالى به فى أى وقت. ولا ينبغى أن تختلف فى ذلك الاطروحه الإماميه لفهم المهدي (عليه السلام) عن غيرها؛ إذ على تلك الاطروحه يأذن الله تعالى بالظهور بعد الاختفاء، و أما على الأطروحه القائله بأن المهدي (عليه السلام) يولد فى مستقبل الدهر و يقوم بالسيف، فمن المحتمل أيضا أن يكون الآن مولودا و يوشك أن يأمره الله تعالى بالظهور، و هذا الاحتمال قائم فى كل وقت» (1)، و يستند الى الطريقه نفسها فى تتمه حديثه للقول بوجوب الانتظار الفورى على كل من يؤمن بالمنقذ الموعود من أتباع الديانات الأخرى.

تبقى قضيه علائم الظهور التى ذكرت الأحاديث الشريفه أنها تسبق الظهور المهدي، و تعارضها مع القول بوجوب الانتظار الفورى، و هو تعارض مرفوع بأن انتظار الحتمى منها هو انتظار للظهور فى الواقع لأنها جزء كما أن زمن وقوع العلائم الحتميه للظهور قريب من موعد الظهور و أما شرائط الظهور و توفير الأوضاع اللازمه له فإن من المحتمل اكتمالها فى كل حال. يقول السيد الشهيد محمد الصدر (رحمه الله): «إن العلامات يحتمل وقوعها فى أى وقت و يحتمل أن يتبعها ظهور المهدي (عليه السلام) بوقت قصير، و أما شرائط الظهور فيحتمل

ص: ١٩٥

اكتمالها و انجازها فى أى وقت أيضا، و قلنا بأن وجود هذا الاحتمال فى نفس الفرد كاف فى إيجاد الجو النفسى للانتظار الفورى» (١).

و هذا الجو النفسى المطلوب فى الانتظار الفورى هو الذى يشكل الدوافع المحرضه للمؤمن لكى يسارع فى توفير الشروط اللازمه لنصره إمامه المهدي-عجل الله فرجه-من خلال إعداد نفسه و غيره بالتهذيب و الترييه اللازمه للتحدى بخصال أنصار المهدي.

و من الضروري استكمالاً للبحث فى موضوع وجوب الانتظار كأحد أهم واجبات المسلمين فى عصر الغيبه، الإشاره الى حرمة اليأس من الظهور و هو الأصل الذى يستند الى أدله قرآنيه عامه تشكل أحد أدله وجوب الانتظار، و قد بحث آيه الله السيد محمد تقى الإصفهانى (رحمه الله) هذا الموضوع مفصلاً و استعرض النصوص الشرعيه و بين دلالاتها و الأحكام المستنبطه منها بشأن أقسام اليأس المتصوره بالنسبه الى ظهور المهدي الموعود، و خلص فى بحثه الى إثبات حرمة اليأس من ظهوره أصلاً؛ لاتفاق المسلمين على حتميه تحقق ذلك، و كذلك حرمة اليأس من وقوع الظهور فى مده معينه، و كذلك اليأس من قرب ظهوره (٢).

ص: ١٩٦

١- (١) تاريخ الغيبه الكبرى: ٣٦٢-٣٦٣.

٢- (٢) مكيال المكارم: ١٥٧/٢-١٦٢.

الباب الخامس

اشاره

و فيه فصول:

الفصل الأول:

علائم ظهور المهدي (عليه السلام)

الفصل الثاني:

سيره الإمام المهدي (عليه السلام) عند الظهور

الفصل الثالث:

قبسات من تراث الإمام المهدي (عليه السلام)

ص: ١٩٧

إشاره

علائم ظهور الإمام المهدي (عليه السلام)

ملاحظات بشأن علائم الظهور

عرفنا من الحديث عن تكاليف المؤمنين في عصر غيبه الإمام-عجل الله فرجه- أن الأحاديث الشريفه تأمر بانتظار ظهوره و توقعه في كل آن، و هذا تكليف تربوي يهدف الى جعلهم ساعين باتجاه تحقيق الاستعداد الكامل و باستمرار لنصرته عند ما يظهر.

و لكن الى جانب هذا الأمر المؤكد تذكر الأحاديث الشريفه مجموعه من الحوادث و الامور كعلائم لظهوره (عليه السلام) يهتدى بها المؤمنون لترسيخ و تسريع استعدادهم لنصرته و المساهمه في إنجاز مهمته الإصلاحية الكبرى.

و الجمع بين هاتين الطائفتين من الأحاديث الشريفه، هو أن الأمر بتوقع الظهور في كل حين يستند الى إمكان وقوع ذلك متى ما شاءت الإراده الإلهيه، فتعجيل في تحقيق العلائم المذكوره في الطائفة الثانيه أو تلغى بعضها لحكمه ربانيه في تدبير شؤون العباد إذا علم منهم صدقهم في الاستعداد لنصرته مثلاً، أو أن يكون المقصود من توقع الظهور الفوري توقع تحقق العلائم المذكوره في الأحاديث الشريفه و الحتميه الوقوع؛ لأن وقوعها إعلان ظهور

الإمام (عليه السلام) (١). وقد تقدمت اشاره أخرى الى هذه القضية ضمن الحديث عن واجب الانتظار.

و بهذا تتحصل للمؤمنين الثمار المرجوه من الأمر بوجوب توقع ظهوره -عجل الله فرجه- فى كل حين، و كذلك تتحصل لهم الثمار المرجوه من تعريفهم بعلائم ظهوره لتسريع استعدادهم و القيام بالتكاليف الخاصه ببعض العلائم التى تفرن الأحاديث الشريفه ذكرها بذكر واجبات خاصه بها.

العلائم الحتميه و غير الحتميه

و تذكر الأحاديث الشريفه قسمين رئيسين من علائم ظهور الإمام -عجل الله فرجه- .القسم الأول ما هو حتمى الوقوع، و القسم الثانى ما هو غير حتمى بل قد لا يقع إذا اقتضت الحكمة الإلهيه ذلك. كما أن بعض هذه العلائم قريبه من زمن الظهور و بعضها سابق له بفترة طويله.

اللغه الرمزيه فى أحاديث العلامات

كما تنبغى الإشاره هنا الى أن الأحاديث الشريفه تحدثت عن كثير من علائم الظهور بلغه الرمز و الإشاره، لذا من الضرورى لمعرفتها على نحو الدقه دراسه هذه اللغه و معرفتها، كما ينبغى استجماع كل ما ورد بشأن كل علامه من تفصيلات فى الأحاديث الشريفه و دراستها بعيدا عن التأثير بالقناعات السابقه و بتأنى و بدقه للتوصل الى مصداقها الحقيقى و عدم الوقوع فى التطبيقات العجوله التى تبعد عن الهدف المراد من ذكر هذه العلائم، خاصه و أن اللغه

ص: ٢٠٠

١- (١) راجع تفصيل السيد الإصفهاني لهذه النقطة فى كتابه مكيال المكارم: ١٦٠/٢ و ما بعدها.

الرمزيه بطبيعتها تجعل من الممكن تطبيق كل علامه على أكثر من مصداق و هذا خلاف الهدف المراد من ذكرها أيضا.

كما أنّ من الضروري الإشارة الى أن بعض الأحاديث الشريفه التي ذكرت علامات الظهور، حددت تكاليف محدده للمؤمنين على نحو التصريح أو الإشارة تجاهها-فينبغي عند دراستها السعي للتعرف على هذه التكاليف للحصول على الثمار المرجوه من ذكرها.

و حيث إنّ علائم الظهور ترتبط بقضايا غيبية، لذلك فإنّها تعرضت للكثير من التحريف و داخلها الوضع، لذا ينبغي التدقيق في هذا الجانب لتمييز الصحيح منها من الموضوع. على أنّ ثمة قضيه مهمه اخرى في هذا المجال هي وجود مجموعه من العلامات التي ذكرتها بعض الأحاديث الشريفه المرسله أو غير المسنده ثم جاء الواقع التاريخي مصدقا لها فهذا دليل صحتها، لأنه أثبت أنه تحدثت عن قضايا قبل وقوعها و هذا ما لا يمكن صدوره إلا من جهة يتابع الوحي الإلهي.

أبرز علائم الظهور

و البحث في علائم الظهور طويل لا يسعه هذا المختصر، فنكتفي بعد هذه الملاحظات بنقل ماخصه الشيخ المفيد (رضي الله عنه) من الأحاديث الشريفه مع الإشارة الى أن ثمة علامات أخرى لم يذكرها.

يقول (رحمه الله): «قد جاءت الأخبار بذكر علامات لزمان قيام المهدي (عليه السلام) و حوادث تكون أمام قيامه، و آيات و دلالات: فمنها: خروج السفيناني، و قتل الحسنين، و اختلاف بنى العباس في الملك الدنياوي، و كسوف الشمس في النصف من شهر رمضان، و خسوف القمر في آخره على خلاف العادات،

و خسف بالبيداء، و خسف بالمغرب، و خسف بالمشرق، و ركود الشمس من عند الزوال إلى وسط أوقات العصر، و طلوعها من المغرب، و قتل نفس زكية بظهر الكوفة في سبعين من الصالحين، و ذبح رجل هاشمي بين الركن و المقام، و هدم سور الكوفة، و إقبال رايات سود من قبل خراسان، و خروج اليماني، و ظهور المغربي بمصر و تملكه للشامات، و نزول الترك الجزيره، و نزول الروم الرمله، و طلوع نجم بالمشرق يضيء كما يضيء القمر ثم ينعطف حتى يكاد يلتقي طرفاه، و حمرة تظهر في السماء و تنتشر في آفاقها، و نار تظهر بالمشرق طولاً و تبقى في الجو ثلاثة أيام أو سبعة أيام، و خلع العرب أعتتها و تملكها البلاد و خروجها عن سلطان العجم، و قتل أهل مصر أميرهم، و خراب الشام، و اختلاف ثلاثة رايات فيه، و دخول رايات قيس و العرب إلى مصر و رايات كنده إلى خراسان، و ورود خيل من قبل المغرب حتى تربط بفناء الحيره، و إقبال رايات سود من المشرق نحوها، و ببق في الفرات حتى يدخل الماء أزقه الكوفه، و خروج ستين كذاباً كلهم يدعى النبوه، و خروج اثني عشر من آل أبي طالب كلهم يدعى الإمامه لنفسه، و إحراق رجل عظيم القدر من شيعة بنى العباس بين جلولاء و خانقين، و عقد الجسر ممّا يلي الكرخ بمدينه السلام، و ارتفاع ريح سوداء بها في أول النهار؛ و زلزه حتى ينخسف كثير منها، و خوف يشمل أهل العراق، و موت ذريع فيه، و نقص من الأنفس و الأموال الثمرات، و جراد يظهر في أوانه و في غير أوانه حتى يأتي على الزرع و الغلات، و قلّه ريع لما يزرعه الناس، و اختلاف صنفين من العجم، و سفك دماء كثيره فيما بينهم، و خروج العبيد عن طاعه ساداتهم و قتلهم مواليهم، و مسخ لقوم من أهل البدع حتى يصيروا قرده و خنازير، و غلبه العبيد على بلاد

السادات، ونداء من السماء حتى يسمعه أهل الأرض كلّ أهل لغه بلغتهم، ووجه و صدر يظهران من السماء للناس فى عين الشمس، و أموات ينشرون من القبور حتى يرجعوا إلى الدنيا فيتعارفون فيها و يتزاورون.

ثم يختم ذلك بأربع و عشرين مطره تتصل فتحيا بها الأرض من بعد موتها و تعرف بركاتها، و تزول بعد ذلك كلّ عاهه عن معتقدى الحقّ من شيعة المهدي (عليه السلام)، فيعرفون عند ذلك ظهوره بمكه فيتوجهون نحوه لنصرته. كما جاءت بذلك الأخبار.

و من جمله هذه الأحداث محتومه و منها مشترطه، و الله أعلم بما يكون، و إنّما ذكرناها على حسب ما ثبت فى الاصول و تضمّنها الأثر المنقول، و بالله نستعين و إياه نسأل التوفيق» (١).

زوال علل الغيبه

اضافه الى هذه العلامات التى نصت عليها الأحاديث الشريفه؛ فإنّ المستفاد من الأحاديث الشريفه أن من العلامات المهمه لظهور الإمام المهدي -عجل الله فرجه-؛ زوال العلل و العوامل التى أدت الى غيبته و توفر الأوضاع المناسبه لقيامه -سلام الله عليه- بمهمته الإصلاحية الكبرى (٢)، و التى منها:

١- اكتمال عمليه التمحيص و الغربله للمؤمنين و توفر العدد اللازم من الأنصار الأوفياء بمختلف مراتبهم التى أشرنا اليها ضمن الحديث عن علل

ص: ٢٠٣

١- (١) الإرشاد للشيخ المفيد: ٣٦٨/٢-٣٧٠.

٢- (٢) تراجع نصوص الأحاديث الشريفه التى أوردناها فى الحديث عن علل الغيبه الكبرى.

الغيبه؛ أي المرتبه العليا من الأنصار الذين يتحلون بالكفاءات القياديه اللازمه لمعاونته في اقامه الحكومه الاسلاميه العالميه العادله و إداره شؤونها و قبل ذلك إداره حركه الصراع ضد الكفر و الشرك و العبوديات الطاغوتيه و دحرها و إزالتها بالكامل.

و لعل أفراد هذه المرتبه هم الذين ذكرت الأحاديث الشريفه بأنّ عددهم (٣١٣) كعده أهل بدر و ذكرت لهم صفات عاليه من الإيمان و معرفه الله حق معرفته، و من شده التعب لله و الإخلاص له فهم «رهبان الليل»، و من الشجاعه و الكفاءه الجهاديه العاليه فهم «أسد النهار» الذين لا يخافون في الله لومه لائم، و من الكفاءه العلميه العاليه و الإحاطه بعلوم الشريعه فهم «الفقهاء و القضاة»، و من الكفاءه الإداريه الفائقه فهم «الولاه العدول» (١) و غير ذلك من الصفات الساميه الأخرى التي يستفاد منها أنهم يمثلون جهاز الإمام القيادي و الإداري عند ظهوره قبل إقامه دولته العالميه العادله و بعدها.

٢- منها توفر القواعد الإسلاميه العريضه المستعده للتفاعل الإيجابي مع أهداف الثوره المهديه الكبرى و إن تباينت درجاتها في تقديم النصره العمليه (٢).

و الذي يوجد هذه الحاله هو اتضاح حقيقه و أحقيه منهج أهل البيت النبوي الذي يمثله المهدي الموعود -عجل الله فرجه-، و اتضاح زيف

ص: ٢٠٤

١- ((١)) عقد الدرر: ١٢٣ إثبات الهداه: ٤٩٤، ٥١٨، الملا-حم و الفتن لابن حماد: ٩٥، دلائل الإمامه للطبري الإمامي: ٢٤٨-٢٤٩، حليه الأولياء: ١٢٣/٦، مستدرک الحاكم: ٥٥٤/٤، ينابيع الموده: ٥١٢، كمال الدين: ٦٧٣، اختصاص الشيخ المفيد: ٢٦، و الأحاديث في مدح أصحاب المهدي و أنصاره كثيره.

٢- ((٢)) راجع توضيحات السيد الشهيد محمد الصدر (رحمه الله) لهذه المراتب من القواعد المؤيده في تأريخ الغيبه الكبرى: ٢٤٧ و ما بعدها.

الشبهات المثارة على مدى التاريخ الإسلامى ضد هذا المنهج، و اتضح أنه هو المنهج الذى يمثل الإسلام المحمدى الأصيل.

وقد أشارت الأحاديث الشريفه الى ذلك ضمن حديثها عن الحركة الموطئه للثوره المهدويه و دورها فى عرض الصوره النقيه لمذهب أهل البيت و علومه الإسلاميه النقيه على الصعيد الإسلامى و العالمى، و بالتالى عرض الصوره الأصيله للإسلام (1).

و دور هذه الحركة التمهيديه التى نصّت الأحاديث الشريفه على انطلاقها قبيل الظهور المهدوى فى عرض الصوره النقيه للإسلام يوجد حاله التطلع للإسلام كبديل حضارى لإنقاذ البشريه و الإقبال عليه خارج دائره العالم الإسلامى - كما هو المشهود حاليا فى بواده على الأقل - الأمر الذى يفتح أبواب التفاعل الإيجابى مع الثوره المهدويه الكبرى بين الشعوب غير الإسلاميه أيضا خاصه و أنها جربت المدارس و التيارات الفكرية و السياسيه الأخرى و عايشت عمليا فشلها فى تحقيق السعاده المنشوده للبشريه بل و جلبها للبشريه الكثير من الأزمات الماديه و المعنويه التى تعتصرها حاليا، الأمر الذى جعلها تتطلع الى بديل منقذ خارج المدارس و التيارات التى عرفتها، و الى هذه الحاله أشارت الأحاديث الشريفه التى تحدثت عن أنّ الدوله المهدويه هى آخر الدول كما لاحظنا فى الأحاديث الشريفه التى أوردناها فى الفصل الخاص بعلل الغيبه و أسبابها.

٣- منها أيضا توفر وسائل الاتصال المتطوره التى تتيح للجميع التعرف

ص: ٢٠٥

١- (١) بحار الأنوار: ٢١٣/٦٠، عن تاريخ قم للحسن بن محمد القمى (ق ٣) ح ٢٢ و ٢٣ و عنه فى منتخب الأثر: ٢٦٣ و ٤٤٣.

على الحقائق، و بالتالى السماح بوصول الحق الى الجميع و اتضاح بطلان و زيف المدارس الاخرى، و أحقيه رساله الإسلاميه التى يحملها المهدي (عليه السلام) و بالتالى تبني أشخاص للتيار الإسلامى و أهدافه التى يبشر بها المهدي الموعود بعد أن كانوا ينتمون تأريخيا الى المدارس الاخرى، أى الانتقال عمليا الى صفوف أنصاره (عليه السلام)، كما تشير الى ذلك الأحاديث الشريفه المعلله للغيبه بإخراج «ودائع الله» المؤمنين من أصلاب الكافرين.

ص: ٢٠٦

سیره الإمام المهدي (عليه السلام) عند الظهور

وردت مجموعه من الأحاديث الشريفه في ذكر عصر الظهور و ما يجرى فيه، و سیره الإمام المهدي -عجل الله فرجه- عند ظهوره و ما يحققه الله تبارك و تعالى على يديه يومذاك.

و هذه الأحاديث مرويه في الكتب المعتمده عند مختلف الفرق الإسلاميه، و فيها الأحاديث ذات الأسانيد الصحيحه، و حيث إن هذا الكتاب لا يتسع لإيرادها و تحليلها و دراستها و تمحيصها، لذلك نكتفي بتلخيص أبرز مدلولاتها في عناوين موجزه دون ذكر نصوصها في أغلب الموارد محيلين القارئ الكريم الى مراجعه مصادرها إذا أراد التفصيل، مقدمين لذلك بذكر الآيات الكريمه المتحدثه عن خصوصيات عصر الظهور و ما سيحققه الله تبارك و تعالى على يدي وليه المهدي (عليه السلام) المنتظر عجل الله فرجه.

إنّ ما نستفيده من هذه النصوص التي تكلمت عن عصر الظهور يعتبر عن خصائص الدوله المهدييه -كما يرسمه القرآن الكريم- و هي الدوله التي تمثل المصداق الجلي لأحد أهم الأهداف الإلهيه من بعثه جميع الأنبياء (عليهم السلام).

١- اتمام النور الالهي و إظهار الإسلام على الدين كله:

و هذا ما صرّح به القرآن المجيد في ثلاث من سوره المباركه.

أقال تعالى: يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (١).

ب- وقال تعالى يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ* هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٢).

ج- وقال عز و جل: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً (٣).

و قد صرّح المفسرون من مختلف المذاهب الإسلاميه بأنّ هذا الوعد الحتمي الوقوع إنما يتحقق في عصر المهدي الموعود حيث يظهر الإسلام على جميع الأديان فيعم المشارق و المغرب (٤). و تقام الدوله الإسلاميه العالميه؛ لأن المقصود من الإظهار هو الغلبه و الاستيلاء و ليس مجرد قوّه الحجه؛ لأن غلبه الحجه أمر حاصل ابتداء و لا يبشر الله عز و جل إلا بأمر مستقبل غير حاصل كما استدل على ذلك الفخر الرازي في تفسيره (٥).

ص: ٢٠٨

١- ((١)) التوبه(٩): ٣٢ و ٣٣.

٢- ((٢)) الصف(٦١): ٨ و ٩.

٣- ((٣)) الفتح(٤٨): ٢٨.

٤- ((٤)) تفسير القرطبي: ١٢/٨، التفسير الكبير: ٤٠/١٦، و الروايات من طرق أهل البيت(عليهم السلام) كثيره مصرّحه بأختصاص تحقق هذا الوعد بعهد المهدي الموعود.

٥- ((٥)) التفسير الكبير: ٤٠/١٦.

أقال تعالى: وَ لَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١).

ب- وقال تعالى: وَعِيدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسِّرَنَّ لَكُمْ يَسْرَ تَخْلِفْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٢).

ج- وقال تعالى: ...الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوْا الزَّكَاةَ وَ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَ لِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٣).

تخبر الآيه الكريمة الاولى بأن من القضاء المحتوم تكريم خط الإيمان و الصلاح بجزء دنيوى-فضلا عن الجزاء الاخرى- يتمثل فى وراثه الأرض و حكمها حيث العاقبه للمتقين فى الدنيا و الآخرة (٤)، و تنص الآيه الثانيه على أن الذين يستخلفهم الله فى الأرض هم الذين آمنوا و عملوا الصالحات من المسلمين، الذين كانوا يستضعفون و لم يسمح لهم بعباده الله بأمن، و عن التمكين لهؤلاء دينهم الذى ارتضاه تبارك و تعالى لهم؛ و الآيتان تتحدثان عن عصر ظهور المهدي كما هو واضح من التدبر فيهما (٥).

ص: ٢٠٩

١- (١) الأنبياء: ٢١/١٠٥.

٢- (٢) النور: (٢٤): ٥٥.

٣- (٣) الحج: (٢٢): ٤١.

٤- (٤) تفسير الميزان: ٣٢٩/١٤-٣٣١.

٥- (٥) ناقش العلامة الطباطبائى (رحمه الله) فى تفسيره الميزان الأقوال الأخرى التى أوردها المفسرون و أثبت-

٣- إقامة المجتمع التوحيدى الخالص

و استنادا لما تقدم يتضح أن من خصائص عصر المهدي الموعود-عجل الله فرجه-هو أن تكون مقاليد المجتمع البشرى برمته بيد الصالحين الذين كانوا يستضعفون في الأرض و الذين يمثلون الإسلام المحمدي الأصيل، فإذا مكنهم الله في الأرض أقاموا الصلاه و آتوا الزكاه و أمروا بالمعروف و نهوا عن المنكر أى أقاموا المجتمع التوحيدى الخالص الذى يعبد الله وحده لا شريك له بأمن دونما خوف من كيد منافق أو كافر، و قرأوا بذلك جميع الظروف اللازمه لتحقيق العباده الحقه لله و التكامل الانسانى فى ظلها، لذا فلا حجه بالمره لمن يكفر بعد ذلك فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ حقا لانهم أعرضوا عن الصراط المستقيم مع توفر جميع الأوضاع المناسبه لسلوكه و هذه خصوصيه أخرى من خصوصيات عصر المهدي المنتظر-عجل الله فرجه-، و تفسير ما روى من شده تعامله مع المنحرفين.

٤- تحقق الغايه من خلق النوع الانسانى

قال عزّ و جلّ: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (١).

تدل الآيه الكريمه على حصر الغايه من خلق الإنسان بالعباده الحقه لله جل و علا (٢)، و هذا ما يتحقق فى ظل دوله المهدي الموعود على الصعيدين الفردى و الاجتماعى بأكمل صورته كما أشرنا لذلك فى الفقره السابقه. و قد عقد

ص: ٢١٠

١- (١) سورة الذاريات (٥١): ٥٦.

٢- (٢) تفسير الميزان: ٣٨٦/١٨-٣٨٩.

السيد الشهيد محمد الصدر (رحمه الله) بحثا عقائديا تفسيريا استند فيه لهذه الآيه الكريمه لإثبات حتميه ظهور دوله المهدي الموعود-عجل الله فرجه (١). لأن تحقق هذه الغايه أمر حتمي إذ إن من المحال تخلف مخلوق عن الغايه من خلقه، والآيه تتحدث عن النوع الانساني و تحقق العباده الحقه فيه على الصعيدين الفردي و الاجتماعي العام في المجتمع الانساني و هذا ما لم يتحقق في تأريخ الانسان على الأرض منذ نزوله إليها لذا لا بد من القول بحتميه تحققه في المستقبل في دوله إلهيه تقيم المجتمع التوحيدي الصالح العابد لله وحده لا شريك له، و هذه الدوله هي الدوله المهديه كما أشارت لذلك الآيات الكريمه المتقدمه و صرحت به الكثير من الأحاديث الشريفه المرويّه من طرق الفريقين.

٥- انتهاء الرده عن الدين الحق

قال عز من قائل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢).

لقد عقد العلامة الطباطبائي (رحمه الله) بحثا تفسيريا قرآنيا و روائيا للاستدلال على أن هذه الآيه الكريمه تتحدث عن عصر الظهور المهدي و أن الرده المقصوده فيها هي عن الدين الحق مع البقاء على الظاهر الإسلامي و ذلك بموالاه اليهود و النصارى و إتباعهم في طريقه الحياه في مختلف شؤونها كما هو حاصل اليوم. و هذه الردّه هي التي تنهى عنها الآيات السابقه لهذه الآيه

ص: ٢١١

١- (١) تأريخ الغيبه الكبرى: ٢٣٣ و ما بعدها.

٢- (٢) المائده (٥): ٥٤.

الكريمه التي تتحدث عن الانحراف الذي يصيب العالم الإسلامى قبل الفتح المهدوى (١).

و بناء على ذلك فإن من خصائص عصر الدوله المهدويه إنهاء الرده عن الدين الحق و التبعية لليهود و النصارى فى طريقه الحياه، ثم إعاده المسلمين الى الطريقه الإسلاميه فى الحياه بمختلف شؤونها، و هذا ينسجم تماما مع الخصوصيات الأخرى للعصر المهدوى الذى تحدثت عنه الآيات السابقه.

تأريخ ظهور الإمام المهدى (عليه السلام)

ذكرت الأحاديث الشريفه أنه (عليه السلام) يظهر فى وتر من السنين الهجريه (٢) أى من الأعوام الفرديه، و يكون ظهوره فى يوم الجمعة (٣)، فيما ذكرت أحداث أخرى أن خروجه يكون يوم السبت العاشر من محرم الحرام (٤)، و لعل الجمع بين التاريخيين هو أن ظهوره يكون يوم الجمعة و فيها يخطب خطبته فى المسجد الحرام فيما يكون خروجه منها باتجاه الكوفه يوم السبت.

مكان ظهوره - عجل الله فرجه - و انطلاقه ثورته

ذكرت مجموعه من الأحاديث الشريفه أن بدايه ظهوره يكون فى

ص: ٢١٢

١- ((١)) تفسير الميزان: ٣٦٦/٥-٤٠٠، و راجع تفسير الشيخ اسعد بيوض التميمى للآيات نفسها فى كتابه زوال اسرائيل حتميه قرآنيه؛ ١٢٠-١٢٤.

٢- ((٢)) الإرشاد للشيخ المفيد: ٣٧٩/٢ و عنه فى الفصول المهمه: ٣٠٢ إثبات الهداه: ٥١٤/٣.

٣- ((٣)) إثبات الهداه: ٤٩٦/٣.

٤- ((٤)) تهذيب الأحكام للشيخ الطوسى: ٣٠٠/٤ و كذلك ٣٣٣، اقبال الأعمال للسيد ابن طاووس: ٥٥٨، كمال الدين: ٦٥٣، غيبه الطوسى: ٢٧٤، عقد

الدرر للمقدسى الشافعى: ٦٥، البرهان فى علامات مهدى آخر الزمان للمتقى الهندى: ١٤٥.

المدينة المنوره و إعلان حركته يكون فى مكه المكرمه (١) و فى المسجد الحرام حيث يعلن حركته و يدعو إليها فى خطبه موجزه ذات دلالات مهمه و هى مرويه عن الإمام الباقر (عليه السلام) ضمن حديث طويل عن ظهور سليله المهدي، يقول (عليه السلام) فى جانب من الحديث:

ثم ينتهى الى المقام فيصلّى عنده ركعتين ثم ينشد الله و الناس حقه. فيقول:

يا أيها الناس إنّنا نستنصر الله على من ظلمنا و سلب حقنا، من يحاجنا فى الله فانا أولى بالله، و من يحاجنا فى آدم فانا أولى الناس بآدم، و من يحاجنا فى نوح فانا أولى الناس بنوح، و من يحاجنا فى إبراهيم فانا أولى الناس بإبراهيم، و من يحاجنا بمحمد فانا أولى الناس بمحمد (صلّى الله عليه و آله)، و من يحاجنا فى النبيين فانا أولى الناس بالنبيين، و من يحاجنا فى كتاب الله فنحن أولى الناس بكتاب الله، أنا أشهد [نشهد] أو كل مسلم اليوم إنّنا قد ظلمنا و طردنا و بغى علينا و اخرجنا من ديارنا و اموالنا و أهالينا و قهرنا، الا أنا نستنصر الله اليوم كل مسلم» (٢).

و ورد فى روايه ينقلها نعيم بن حماد و هو من مشايخ البخارى بسنده عن الإمام الباقر (عليه السلام) أيضا، خطبه ثانيه فى المكان نفسه و لكن بعد أداء فريضه العشاء، فيروى عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله: «... فإذا صلّى العشاء نادى بأعلى صوته يقول: اذكر كم الله أيها الناس، و مقامكم بين يدي ربكم، فقد اتخذ الحججه و بعث الأنبياء و أنزل الكتاب، و أمركم أن لا تشركوا به شيئا و أن تحافظوا على طاعته و طاعه رسوله، و أن تحيوا ما أحى القرآن، و تميتوا ما أمات، و تكونوا أعوانا على الهدى، و وزرا على التقوى، فإنّ الدنيا قد دنا فناؤها و زوالها، و آذنت بالوداع، فإنى أدعوكم الى الله، و الى رسوله، و العمل بكتابه، و إماته الباطل، و إحياء سنته...» (٣).

ص: ٢١٣

١- (١) برهان المتقى الهندي: ١٤٤.

٢- (٢) تفسير العياشى: ١/٦٥، اختصاص الشيخ المفيد: ٢٥٦.

٣- (٣) الملاحم و الفتى لنعيم بن حماد: ٩٥، عقد الدرر ١٤٥، برهان المتقى الهندي: ١٤١، الحاوى للفتاوى الحديثيه: ٧١/٢، و كتاب اللوائح للسفاريين: ١١/٢.

و يلاحظ فى الخطبه الأولى تأكيده (عليه السّلام) على مخاطبه أتباع جميع الديانات السماويه انطلاقا من عالميه ثورته الدينيه فهو يمثل خط الانبياء (عليهم السّلام) جميعا و يدعو الى الأهداف الساميه التي نادوا بها جميعا. هذا أولا و ثانيا يؤكد (عليه السّلام) على تمثيله لمدرسه الثقلين فهو ممثل أهل البيت (عليهم السّلام) ثانى الثقلين الذى لا يفترق عن الأول- أعنى القرآن المجيد- لذلك فهم أولى الناس بكتاب الله جل ذكره و أعرفهم بما فيه و بسبل هدايه البشريه على نور هده السماوى.

ثم يشير ثالثا الى مظلوميه أهل البيت (عليهم السّلام) و تعريضهم لأشكال الظلم و البغى بما أدى الى غيبه خاتمهم- عجل الله فرجه- و سبب تعريضهم لكل ذلك هو نزعات الطواغيت و عباد السلطه للاستئثار و اتخاذ مال الناس دولا و عباد الله خولا و منع أهل البيت (عليهم السّلام) من إقرار العداله الإلهيه و قياده الناس على المحججه البيضاء.

ثم يستنصر كل مسلم لدفع هذه المظلوميه التي يكون فى دفعها الخير للبشريه جمعا لأنّ تسليم مقاليد الأمور الى ممثل نهج الأنبياء و عدل القرآن الكريم يعنى تحقيق أهداف العداله الإلهيه، و لكن- عجل الله فرجه- يستنصر الله جل قدرته أولا و فى ذلك إشاره الى حتميه انتصار ثورته الإصلاحيه فهو المضطر الذى تستجاب دعوته و ولى دم المقتول ظلما فهو منصور إلهيا، و بهذه الإشاره يحفز (عليه السّلام) الناس لنصرته ليفوزوا بسعاده الدارين و يتقوا عذاب الدنيا و خزيبها على يديه و عذاب الآخره أكبر.

إعلان أهداف الثورة

أما فى الخطبه الثانيه التى يلقيها-عجل الله فرجه-بعد صلاه العشاء،فهو يحدد الأهداف العامه لثورته،وهى الأهداف التى يستنصر الناس لأجلها، و التى تمثل الوجه الآخر للتأثر لمظلوميه أهل البيت و مدرستهم و منهجهم (عليهم السلام)،فهو يحدد الهدف الأول و العام المتمثل بإقامه التوحيد الخالص الذى بعث لأجله الأنبياء-صلوات الله عليهم-و انزلت معهم الكتب السماويه،وهو الهدف الذى يتجسد من خلال طاعه الله تبارك و تعالى و طاعه رسوله (صلى الله عليه و آله)و من خلال إحياء ما أحيا القرآن،و إحياء سنه رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و إمامته ما أماته القرآن و هو الباطل و البدع و الشرك و سائر العبوديات الزائفه.

فدعوته هى دعوه الى الله عز و جل و توحيده و الى رسول الله (صلى الله عليه و آله)و العمل بسنته الموصله الى الله.

و عليه يتضح أن استنصاره للتأثر لمظلوميه أهل بيت النبوه تعنى الدعوه الى المعونه على الهدف و المؤازره على التقوى.

الاستجابة لاستنصاره و مبايعته

و أول من يبادر لبيعته (عليه السلام)فى المكان الذى يستنصر فيه المسلمين أى ما بين الركن و المقام هم صفوه أنصاره:«فبإيع ما بين الركن و المقام ثلاثمائة و نيف، عدّه أهل بدر،فيهم النجباء من أهل مصر و الأبدال من أهل الشام و الأخيار من أهل العراق»(١).

و يستفاد من مجموعه من الأحاديث المرويه فى مصادر أهل السنه أن

ص: ٢١٥

١- ((١)) غيبه الطوسى: ٢٨٤، و عنه فى بحار الأنوار: ٣٣٤/٥٢، و اثبات الهداه: ٥١٧/٣، ٥١٨.

ظهوره و مبايعته يكون بعد اختلاف بين قبائل الحجاز و أنه يرفض فى البدايه قبول البيعه و يخاطب المبايعين بالقول: «ويحكم! كم عهد قد نقضتموه؟ و كم دم قد سفكتموه؟» (١)، و يبدو أن هذا الرفض يمثل محاوله لإشعار المبايعين بمسؤوليه و تبعات البيعه و المهمه التى هم مقبلون عليها نظير ما فعله جدّه الإمام على (عليهما السلام) عند إقبال الناس على بيعته بعد مقتل عثمان.

و يستفاد من بعض الأحاديث أن حركة الموطئه للظهور المهدي تبعث بالبيعه للمهدي (عليه السلام). و هو فى مكه (٢) ثم تجددتها بعد ذلك. و تصرح بعض الأحاديث الشريفه أن أصحابه الخاصين أى الثلاثمائه و الثلاثه عشر يجمعون فى مكه و بصوره إعجازه أو سريعه بوسائل النقل المتطوره ليدركوا ظهور الإمام و يبايعوه (٣).

خروجه الى الكوفه و تصفيه الجبهه الداخليه

يخرج (عليه السلام) بجيشه متوجها للكوفه التى يتخذها منطلقا لتحركه العسكرى (٤) بعد إنهاء فتنه السفينانى و الخسف الذى يقع بجيشه فى البيداء (٥).

ص: ٢١٦

- ١- ((١)) مستدرك الحاكم: ٥٠٣/٤، القول المختصر لابن حجر: ١٨، برهان المتقى الهندي: ١٤٣، عقد الدرر: ١٠٩، معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام): ١/٤٤٩.
- ٢- ((٢)) فتن ابن حماد: ٨٣-٨٤، الحاوى للفتاوى: ٦٧/٢، البرهان: ١١٨.
- ٣- ((٣)) غيبه النعمانى: ٣١٥، إثبات الهداه: ٤٥٣/٣.
- ٤- ((٤)) بحار الأنوار: ٣٠٨/٥٢، إثبات الهداه: ٥٨٣/٣، ٥٢٧، ٤٩٣.
- ٥- ((٥)) تفسير الطبرى، ٧٢: ٢٢، تذكرة القرطبي: ٦٩٣/٢، سنن الدارمى: ١٠٤، مسند أحمد: ٦/٢٩٠، صحيح مسلم: ٢٢٠٨/٤، سنن أبى داود: ١٠٨/٤، سنن ابن ماجه: ١٣٥١/٢، سنن الترمذى: ٤٠٧/٤، تاريخ البخارى: ١١٨/٥، سنن النسائى: ٢٠٧/٥. و أحاديث الخسف بجيش السفينانى كثيره مرويه فى الصحاح و غيرها و من طرق أهل البيت (عليهم السلام) أيضا.

و ينشر رايه رسول الله(صلى الله عليه و آله)المذخوره عنده فى نجف الكوفه (١).

و تنصره الملائكه التى نصرت جده رسول الله(صلى الله عليه و آله)فى معركة بدر (٢).و تذكر الأحاديث الشريفه أنه يواجه و أصحابه و جيشه صعوبات شديد و تعباً فى بدايه تحركه العسكرى (٣)و حروبه التى تستمر ثمانيه أشهر لتصفيه الجبهه الداخليه فيما تستمر ملاحمه عشرين عاماً (٤).

و يلاحظ هنا أن المسير الذى يختاره(عليه السلام)هو المسير الذى اختاره جده الإمام الحسين(عليه السلام)فى نهضته الإستشهاديه من مكه الى الكوفه،التى منع جده سيد الشهداء عن الوصول اليها فيصل سليله المهدي(عليه السلام)إليها و يحقق الأهداف الإصلاحيه فى الامه المحمديه التى سعى لها جده سيد الشهداء(عليه السلام).

و عند ما يدخل الكوفه يجد فيها ثلاث رايات تضطرب (٥)فيوحدها و ينهى اضطرابها بنشره للرايه المحمديه المذخوره و ينهى جيوب النفاق المتبقيه فيها فى معركته مع الفرقة التى تصفها الأحاديث الشريفه بالبتره (٦).

دخوله بيت المقدس و نزول عيسى(عليه السلام)

تنص الكثير من الروايات على دخوله(عليه السلام)بيت المقدس بجيشه ضمن إطار حادثه مهمه للغاية،هى نزول نبي الله عيسى بن مريم المسيح(عليه السلام)الذى بشرت بعودته نصوص الانجيل إضافه الى الأحاديث الشريفه المرويّه فى

ص: ٢١٧

١- (١) تفسير العياشى: ١٠٣/١، غيبه النعمانى: ٣٠٨، كمال الدين: ٦٧٢.

٢- (٢) تفسير العياشى: ١٩٧/١، إثبات الهداه: ٥٤٩/٣.

٣- (٣) غيبه النعمانى: ٢٩٧.

٤- (٤) إثبات الهداه: ٤٦٩/٣ بالنسبه للمده الأولى، و تقول روايه لابن حماد: ١٢٧ أن ملاحمه تستمر عشرين سنه.

٥- (٥) الارشاد: ٣٦٢، غيبه الطوسى: ٢٨٠.

٦- (٦) دلائل الإمامه: ٢٤١، غيبه الطوسى: ٢٨٣.

الكتب الروائية الموثقة عند أهل السنه و الشيعة (١).و تذكر الأحاديث الشريفه قصه صلاه عيسى صلاه الفجر خلف الإمام المهدي(عليه السلام)بعد أن يرفض عرض الإمام بأن يتقدم عيسى لإمامه الصلاه معللا الرفض بأن هذه الصلاه اقيمت لأجل الإمام المهدي فيقدمه و يصلّي خلفه إشاره الى خاتمية رساله المحمديه،و في ذلك نصره مهمه للثوره المهدويه حيث توجهها للعالم الغربى الذى يدين معظمه بالمسيحيه.

و يظهر أن دخول المهدي-عجل الله فرجه-يكون بعد تحريرها من الإفساد اليهودى و إنهاء حاكميتهم عليها.لذا قد يكون من الممكن القول بأن دخول الإمام بيت المقدس يكون بعد تصفيته الجبهه الداخليه و مقدمه لمواجهة الأعداء خارج العالم الإسلامى أو الروم حسب تعبير الروايات و فتح كل الأرض.من هنا نفهم سر توقيت نزول عيسى المسيح مع دخول المهدي(عليه السلام)بيت المقدس.

قتل الدجال و إنهاء حاكميه الحضارات الماديه

إنّ معظم الأحاديث الشريفه التى تتحدث عن نزول عيسى(عليه السلام)تذكر قيامه بكسر الصليب و رجوع النصارى عن تأليهه (٢)ثم قتل الدجال-الذى هو رمز الحضارات الماديه-على يديه أو على يدى الامام المهدي بمعونه(عليهما السلام).

و مع رجوع النصارى عن تأليه عيسى(عليه السلام)و مشاهدتهم لمناصره نبيهم لخاتم أئمه الإسلام المعصومين تتفتح أبواب دخولهم الإسلام-و هم النسبه الأكبر من سكان الأرض-بيسر،و نتيجة لذلك تيسر مهمه قتل الدجال

ص: ٢١٨

-
- ١- ((١)) صحيح البخارى: ٣٠٥/٤، مسلم: ١٣٦/١، تاريخ البخارى: ٢٣٣/٧، سنن ابن ماجه: ١٣٥٧/٢، سنن الترمذى: ٥١٢/٤، صحيح البخارى: ١٠٧/٣، فتن ابن حماد: ١٠٣ و غيرها كثير مرويه من طرق الفريقين.
- ٢- ((٢)) الدر المنثور للسيوطى: ٣٥٠/٢.

و القضاء على الحضارات الطاغوتية و فتح الأرض و إقامة الدولة الإسلامية العالمية العادلة و بدء عملية البناء الإصلاحى و تحقيق أهداف الأنبياء (عليهم السلام).

هذه-على نحو الإيجاز-المحطات الرئيسة لتحرك الإمام المهدي -عجل الله فرجه- بعد ظهوره، و كل منها يشتمل على تفصيلات كثيرة لا يسع المجال لذكرها. لذا ننتقل للحديث-و بالإيجاز نفسه- عن سيرته بعد ظهوره فى أبرز مجالاتها ثم عن خصائص عهده.

سيرته سيره جدّه رسول الله (صلى الله عليه و آله)

تنص الأحاديث الشريفه أنه (عليه السلام) يسير بسيره جدّه (صلى الله عليه و آله) الذى قال:

«بعثت بين جاهليتين لاخرهما شر من أولاهما» (١)، و بين لامته الكثير من مظاهر الجاهلية الثانيه الأشد شرا، فالمهدي: «يصنع كما صنع رسول الله (صلى الله عليه و آله)، يهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله (صلى الله عليه و آله) ما كان قبله و يستأنف الإسلام جديدا» (٢) و قد تحدث النبى (صلى الله عليه و آله) عن غربه الإسلام بعده و نقل عنه المسلمون ذلك (٣).

فالمهدي يهدم الجاهلية الثانيه كما هدم جدّه (صلى الله عليه و آله) الجاهلية الأولى، و يستأنف الإسلام الذى عاد غريبا كما بدأ غريبا. و لكن ثمه فروقا بين السيرتين تفرضهما بعض الخصوصيات الزمانية لكل منهما. و هذه الخصوصيات الزمانية هى التى تفسّر الفروق فى سيرتهما (عليهما السلام) كما سنلاحظ بعضها فى سياساته العسكرية و القضائيه و الإداريه و الدينيه و غيرها. و لهذا فلا يضر ذلك بحقيقه أن سيرتهما-صلوات الله عليهما-واحد.

ص: ٢١٩

١- (١) أمالى الشجرى: ٧٧/٢.

٢- (٢) غيبه النعمانى: ٢٣٢، عقد الدرر للمقدسى الشافعى: ٢٢٧، تهذيب الأحكام: ١٥٤/٦.

٣- (٣) مسند أحمد: ١/١٨٤، صحيح مسلم: ١/١٣٠، سنن ابن ماجه: ٢/١٣١٩، الترمذى: ٥: ١٨.

تقوم حركة المهدي الإصلاحية الكبرى على أساس إحياء السنه المحمديه و إقامتها التي يكون بها قوام كل القيم الإسلاميه فهو كما قال رسول الله(صلى الله عليه و آله):«رجل من عترتي يقاتل على سنتي كما قاتلت أنا على الوحي» (١)و هو«يقفو أثرى لا يخطئ» (٢)و هو«رجل مني اسمه كاسمي يحفظني الله فيه و يعمل بسنتي» (٣)، فهو«يبين آثار النبي» (٤)،و يدعو الناس الى سنه رسول الله(صلى الله عليه و آله).فهو مجدد لها كما أنه مجدد الإسلام و يظهر ما خفي و اخفى منها.و قد سمي«المهدي»لأنه يهدي الناس الى«أمر قد دثر و ضل عنه الجمهور» (٥).

شدته مع نفسه و رأفته بامته

إن سيره الإمام المهدي(عليه السلام)مع نفسه و امته تجسد صورته الحاكم الإسلامى المثالى الذى تكون السلطه عنده و سيله لخدمه الناس و هدايتهم لا مصدرا للدخل الوفير و الظلم و الاستئثار بالأموال و استعباد الناس،فهو يحيى صورته الحاكم الإسلامى التي جسدها من قبل-و بأسمى صورها-أبواه،و من قبل رسول الله و وصيه الإمام على-صلوات الله عليهما و آلهما-.فهو مع نفسه:

«مالباسه إلا الغليظ و ما طعامه إلا الشعير الجشب» (٦)و هو الذى«يكون من الله على حذر،لا يضع حجرا على حجر،و لا يقرع أحدا فى ولايته بسوط إلا فى

ص: ٢٢٠

١- (١) فتن ابن حماد: ١٠٢، القول المختصر لابن حجر: ٧، برهان المتقى: ٩٥.

٢- (٢) القول المختصر: ١٠، الفتوحات المكيه لابن عربى: ٣/٣٣٢.

٣- (٣) إثبات الهداه: ٣/٤٩٨.

٤- (٤) إثبات الهداه: ٣/٤٥٤.

٥- (٥) سنن الدارمى: ١٠١، فتن ابن حماد: ٩٨، عقد الدرر: ٤٠، إثبات الهداه: ٣/٥٢٧.

٦- (٦) راجع الكافى: ١/٤١١، إثبات الهداه: ٣/٥١٥.

حد« (١)، أما مع امته فهو«الرؤوف الرحيم» بهم و هو الموصوف بأنه «المهدى كأنما يعلق المساكين الزبد» (٢)، و هو الصدر الرحب الذى تجد فيه الأمه ملاذها المنقذ فهي: «تأوى إليه امته كما تأوى النحلة الى يعسوبها» (٣) أو «كما تأوى النحل الى بيوتها» (٤).

سيرته القضائيه

و المهدى الموعود-عجل الله فرجه-هو الذى يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا كما تواترت بذلك الأحاديث النبويه، و إنجاز هذه المهمه يحتاج الى سيره قضائيه صارمه، لذلك فهو يجسد سيره جده الإمام على (عليه السلام) الشديده فى تتبع حقوق الناس المغصوبه و أخذها من الغاصب حتى لو كانت مخبأه تحت ضرس و حتى لو تزوج بها الحرائر، و: «يبلغ من ردّ المهدى المظالم، حتى لو كان تحت ضرس إنسان شىء انتزعه حتى يرده» (٥).

فيبلغ من عدله أن «تتمنى الأحياء الأموات» (٦) أى يتمنوا عوده الأموات لينعموا ببركات عدله.

و تذكر مجموعه من الأحاديث الشريفه أنه (عليه السلام) يحكم بحكم سليمان و داود فى قضائه؛ أى بالعلم «اللدنى» دون الاحتجاج بالبينه (٧)، و لعل ذلك انطلاقا من مهمته فى اقرار العدل الحقيقى دون الظاهرى الذى قد تقرّه البينه

ص: ٢٢١

١- (١) ملاحم ابن طاووس: ١٣٢.

٢- (٢) فتن ابن حماد: ٩٨، عقد الدرر: ٢٢٧.

٣- (٣) ابن حماد: ٩٩، الحاوى للسيوطى: ٧٧/٢.

٤- (٤) برهان المتقى الهندى: ٧٨.

٥- (٥) ابن حماد: ٩٨، الحاوى: ٨٣/٢، القول المختصر: ٢٥، عقد الدرر: ٣٦.

٦- (٦) ابن حماد: ٩٩، القول المختصر: ٥.

٧- (٧) الكافى: ٣٩٧/١، إثبات الهداه: ٤٤٧/٣.

الظاهرية و إن كان خلاف العدل الحقيقي و هذه حقيقه معروفه و قد شهدها التأريخ الإسلامى و الانسانى و يشهد التأريخ المعاصر الكثير من مصاديقها حيث يؤدى الالتزام بالبينات الظاهرية الى غياب العدل الحقيقي و إن أقرت العدل الظاهرى. و على أى حال فهذه من خصوصيات عهده (عليه السلام) و هى تنسجم مع طبيعه الأوضاع العامه لهذا العهد.

سيرته تجاه الأديان و المذاهب

يزيل الإمام المهدي الموعود-عجل الله فرجه-مظاهر الشرك كافه و يروج التوحيد الخالص: «و لا يبقى فى الأرض بقعه عبد فيها غير الله إلا عبد الله فيها و يكون الدين كله لله و لو كره المشركون» (١)، و يقوم (عليه السلام) بعرض الإيمان على الجميع و ينهى الحاله المذهبيه فيوحد المذاهب الإسلاميه و يصلح الله به أمر الأمم و يرفع اختلافها و يؤلف قلوبها (٢) على أساس السنه النبويه النقيه و ما اخفى أو ضيغ من قيم الإسلام الأصيله. فهو كما قال جدّه (صلى الله عليه و آله): «سنته سنتى يقيم الناس على ملتى و شريعتى» (٣).

و يستفاد من بعض الروايات أنه (عليه السلام) يقوم بإخراج التواره و الإنجيل غير المحرّفين من غار بأنطاكيه و يحاجج اليهود و النصارى بهما و يستخرج حلّى بيت المقدس و مائده سليمان و يردها الى بيت المقدس (٤)، و يدعّمه فى موقفه هذا عيسى (عليه السلام) الذى «يحتج به على نصارى الروم و الصين» (٥) حيث

ص: ٢٢٢

١- ((١)) إثبات الهداه: ٢/٤١٠.

٢- ((٢)) ابن حماد: ١٠٢، الطبرانى الأوسط: ١/١٣٦.

٣- ((٣)) كمال الدين: ٤١١.

٤- ((٤)) ابن حماد، ٩٨، سنن الدانى: ١٠١، الحاوى للسيوطى: ٧٥/٢، لوائح السفارينى: ٢/٢ تاريخ بغداد: ٩/٤٧١، عقد الدرر: ١٤١.

٥- ((٥)) غيبه النعمانى: ١٤٦.

يرفض وفود اليهود و النصارى بعد نزوله عند ما يأتونه مدعين أنهم أصحابه فيردهم و يصرح بأن أصحابه هم المسلمون فينضم الى مجمع المهدي (عليه السلام) (١) الأمر الذي يؤدي الى رجوع النصارى عن تأليهه كما يقوم بأداء فريضة الحج الى البيت الحرام (٢) و يدفن الى جنب رسول الله (صلى الله عليه و آله) (٣).

و تذكر بعض الروايات أن المهدي (عليه السلام) يخرج التوراه الأصلية من جبال بالشام و يحاجج اليهود بها فيسلم منهم جماعه كثيره (٤) ثم يستخرج تابوت السكينه من بحيره طبريه و يوضع بين يديه فى بيت المقدس فيسلم اليهود و لا يبقى على العناد إلا القليل منهم (٥).

محاربه البدع و نفى تحريف الغالين و المبطلين

و ينفى الإمام المهدي -عجل الله فرجه- عن الدين التحريفات بصوره كامله و يزيل كل البدع التى ورثها المسلمون من قرون الابتعاد عن الثقلين و السنه النبويه النقيه و تعطيلها و هذا هو هدف ظهوره: «ليمحو الله به البدع كلها و يميت به الفتن كلها، يفتح الله به باب كل حق، و يغلق به كل باب باطل» (٦).

و هذا أول ما يبداً به (عليه السلام)، فتذكر الأحاديث الشريفه من مصاديقه هدم المقاصير التى ابتدعها بنو أميه فى المساجد لعزل الإمام عن المأمومين (٧).

ص: ٢٢٣

١- (١) تاريخ البخارى: ٢٣٣/٧، مسلم: ٢٢٥٣/٤، ابن ماجه: ١٣٥٧/٢، الترمذى: ٥١٢/٤.

٢- (٢) مسند أحمد: ٢٤٠/٢، صحيح مسلم: ٩١٥/٢، مستدرک الحاكم: ٥٩٥/٢.

٣- (٣) تاريخ البخارى: ٢٦٣/١، الترمذى: ٥٨٨/٥.

٤- (٤) ابن حماد: ٩٨، يبايع الموّده للقندوزى: ٣٤٤/٣.

٥- (٥) ابن حماد: ٩٩-١٠٠، عقد الدرر: ١٤٧، القول المختصر: ٢٤.

٦- (٦) ملاحم السيد ابن طاووس: ٣٢.

٧- (٧) اثبات الهداه: ٥٠٦/٣.

و يعيد مقام ابراهيم (عليه السلام) الى موضعه الأصلي (١) و يزيل عن المساجد كل ما ابتدع فيها و يعيدها الى السنه الإسلاميه الأولى و طريقه المحمديه (٢).

سيرته الاداريه

و يختار المهدي الموعود-عجل الله فرجه- لحكم الأرض و لاه هم خيره أصحابه الذين يتحلون بأعلى كفاءات الوالى الإسلامى من العلم و الفقه و الشجاعه و النزاهه و الإخلاص (٣)، و هو مع ذلك متابع لأموارهم و طريقه قيامهم بمهامهم و يحاسبهم بشده فإن: «علامه المهدي أن يكون شديدا على العمال جوادا بالمال رحيمًا بالمساكين» (٤)، و فى عهده: «يزاد المحسن فى إحسانه و يتاب على المسيء» (٥).

و هو (عليه السلام) شديد مع المتاجرين بالدين و المقدسات الإسلاميه الساعين لإضلال الناس، يردعهم عن ذلك، و ممّا يقوم به فى بدايات ظهوره هو قطع أيدى سدنه الكعبه بسبب ذلك و يفضحهم أمام الناس لكى لا ينخدعوا بهم؛ إذ هم «سراق الله» (٦).

سيرته الجهاديه

و يقوم الإمام المنتظر-عجل الله فرجه- بالسيف، فظهوره يكون بعد إتمام الحجه البالغه و اتضاح الحقائق بالكامل و فتح أبواب الحق و إغلاق الباطل

ص: ٢٢٤

١- (١) اثبات الهداه: ٥٢٧.

٢- (٢) اثبات الهداه: ٥١٦-٥١٧.

٣- (٣) إثبات الهداه: ٣/٤٩٤.

٤- (٤) مسند ابن أبى شيبه: ١٥/١٩٩، سنن الدارمى: ١٠١، حاوى السيوطى: ٧٧/٢.

٥- (٥) مسند ابن أبى شيبه: ١٥/١٩٩، سنن الدارمى: ١٠١، حاوى السيوطى: ٧٧/٢.

٦- (٦) إثبات الهداه: ٣/٤٤٩، ٤٥٥.

و وقوع المعجزات و الكرامات المبرهنه على تمتعه بالتأييد الإلهي و نصره الملائكه البدرين له و امتلاكه قميص يوسف و عصا موسى و حجره و خاتم سليمان و درع رسول الله (صلى الله عليه و آله) و سيفه و رايته و سائر موارث الأنبياء (عليهم السلام) و إظهاره لها (1) و إتضاح تمثيله الصادق لمنهجهم و سعيه لتحقيق أهدافهم الإلهيه و إقرار العدالة السماويه. و مع اتضاح كل ذلك لا يبقى على الباطل إلا المنحرفون المفسدون الذين لا يرجى منهم إلا الفساد و الأذى و الظلم الذى يجب أن تطهر منه الدوله المهدويه، لذلك نلاحظ فى سيره الإمام الجهاديه الصرامه و الحزم و الحديه فى التعامل مع الظالمين و المنحرفين فلا يبقى على الأرض منهم ديار و لا يسمح لهم بالنشاط الإفسادى.

على أن الأحاديث الشريفه تصرّح بأن المهدي المنتظر -عجل الله فرجه- يسير بسيره أبويه رسول الله و وصيه الإمام على -صلوات الله عليهما و آلهما- فى مجاهدته المنحرفين و المبطلين فلا يبدأ القتال إلا بعد عرض الإيمان و الدين الحق عليهم (2) و محاججتهم بما ألزموا به أنفسهم كما رأينا فى قضيه إخراج التوراه و الإنجيل و هذه قضيه أخرى مهمه فى سيرته الجهاديه (عليه السلام).

و يستفاد من الروايات الشريفه أن من سيرته الجهاديه تصفيه الجبهه الداخليه و هى جبهه العالم الإسلامى من التيارات المحاربه المنحرفه أولا قبل البدء بمجاهده القوى الأجنبية، فىنهى حركه السفينانى و نفوذ البتريه و المتأوله الجاهلين و النواصب المضلين المعاندين (3) و يعقد لأجل ذلك هدنه مع الروم

ص: ٢٢٥

١- ((١)) إثبات الهداه: ٤٣٩-٤٤٠، ٤٩٤، ٤٧٨، ٤٨٧، و راجع عقد الدرر: ١٣٥، الفصول المهمه: ٢٩٨، كفايه الأثر: ١٤٧، ابن حماد: ٩٨، القول المختصر: ٣٤، برهان المتقى: ١٥٢.

٢- ((٢)) الكافي: ٢٢٧/٨ و عنه فى إثبات الهداه: ٣/٤٥٠.

٣- ((٣)) الإرشاد: ٢/٣٨٤ و عنه فى بحار الأنوار: ٥٢/٣٨٤ و عنه فى إثبات الهداه: ٣/٥٤٤.

قبل ان يتوجه لمجاهده اليهود ثم الروم و قتل الدجال و فتح الأرض كلها. بل و يعتمد قبل البدء بتصفيه الجبهه الداخليه بتنظيم صفوف جيشه و يعين القاده العسكريين الأكفاء و يعقد لهم الألويه و يذهب بالعاهات و الضعف عن أنصاره و يقوى قلوبهم (١) و يملأها إيماناً بالحق الذى يجاهدون من أجله و يتليهم و يحصهم (٢)، لكى يتحرك لانجاز مهمته الإصلاحيه الكبرى بجيش عقائدى قوى و منسجم يتحلى بالكفاءه القتاليه المطلوبه و القوه المعنويه اللازمه.

سيرته الماليه

يعيد المهدي الموعود-عجل الله فرجه-نظام«التسويه فى العطاء» (٣)الذى كان سائدا على عهد رسول الله(صلى الله عليه و آله)ثم غير و بدل من بعده و أبتدعت بدله معايير جديده أحدثت نظام التفاضل الطبقي بالتدرج بالرغم من التزام الوصى الإمام على(عليه السلام)إبان خلافته بنظام التسويه فى العطاء و تابعه على ذلك ابنه الحسن(عليه السلام)فى شهور خلافته القليله لكنه قد غاب بالكامل بعد استشهادهما، و بدأ بنو أميه بالاستثمار بأموال المسلمين و تقييد العطاء من بيت المال بمصالحهم السياسيه و تحويله من عطاء شرعى الى رشاو مقبته يستجلبون بها الأنصار لهم على الباطل أو يشترون به سكوت البعض عن الحق.

و المهدي المنتظر(عليه السلام)يجعل بيت المال قسمه مشتركه بين المسلمين دونما تفاضل أو تمييز،فالجميع متساوون فى الانتفاع من النعم الإلهيه و الخدمات المستثمره من الأموال العامه، تطبيقاً لأحد أبعاد العداله المحمديه المكلف باقرارها.و تصرح الأحاديث الشريفه بأنه ينهى الحاله الإقطاعيه

ص: ٢٢٦

١- (١) اثبات الهداه: ٧١.

٢- (٢) الكافي: ١٦٧/٨، كمال الدين: ٦٧٢.

٣- (٣) مسند أحمد: ٣٧/٣، ملاحم ابن المنادى: ٤٢، ميزان الاعتدال: ٩٧/٣.

حسب النص القائل: «إذا قام قائمنا اضمحلت القطنان فلا قطنان» (١)، والمقصود بها الأراضى الزراعيه أو غيرها من الثروات و المنافع التى يعطيها الحكام للمقربين منهم و قد راجت هذه الظاهره بعد وفاه رسول الله (صلى الله عليه و آله) و خاصه فى عهد الخليفه الثالث و فى العصر الأموى بشكل خاص.

و تتحدث الكثير من الأحاديث عن كثره عطائه (عليه السلام) و تعتبرها علامه مميزه له فهو: «يحثو المال حثوا» (٢) عند ما يعطى من سألته، و هذا و إن كان يشير الى كرمه و كثره الخيرات و البركات فى عصره إلا أنها تفصح عن نقطه مهمه أخرى فى سيرته الاقتصاديه (عليه السلام) و هى سيره إغناء الناس بما يكفيهم و يغنيهم و يجعلهم فى رفايته من العيش بحيث يتفرغوا الى الطاعات و العباده و العمل الإصلاحى الفردى و الاجتماعى. و عليه يتضح أن سيرته فى المجال المالى ترتبط بمهمته الإصلاحيه و إقامة المجتمع التوحيدى الخالص فى تعبد له تبارك و تعالى فالمراد منها توفير متطلبات ذلك و إزالة العقبات الصاده عنه.

الصوره العامه للدولة المهدويه فى النصوص الشرعيه

و نصل الآن الى خاتمه هذا الفصل فنعرض فيها على نحو الإجمال أيضا الصوره التى ترسمها النصوص الشرعيه لدوله المهدي الموعود، عجل الله فرجه.

إنّ الدوله المهدويه إنّما تأتى لتحسم عصر المعاناه الذى عاشته البشريه طويلا و تنهى الظلم و الجور الذى ملأ الأرض نتيجته لحكم الطواغيت و حاكميه

ص: ٢٢٧

١- (١) قرب الإسناد للحميرى: ٣٩.

٢- (٢) مسند أحمد: ٨٠/٣.

الأهواء و الشهوات و النزعات الماديه و بظهور الإمام المهدي المنتظر على مدى القرون. «يفرج الله عن الأمة فطوبى لمن أدرك زمانه» (١). فالله تبارك و تعالى يحقق للأمة المسلمه؛ و لبنى الانسان عامه؛ كل الطموحات الفطريه السليمه، و يزيل الشرك و يقيم المجتمع الموحد العابد الأمر بالمعروف و الناهى عن المنكر و المسارع للخيرات السائر فى منازل الكمال و معارج النور.

و تخرج الأرض بركاتها و كذلك السماء، و ما يحصل عليه الناس ليس هو الغنى المادى فحسب بل هو «الاستغناء» حيث «يملا الله قلوب امه محمد (صلى الله عليه و آله) غنى و يسعهم عدله» (٢). أى يحزّهم من أسر المتطلبات و الحاجات الماديه المعيشيه المحدوده، فالمهدى المنتظر الذى يحرر المسلمين من ذل التبعية للضالين و المنحرفين، كما صرّح به النص القائل: «و به يخرج ذل الرق من أعناقكم» (٣)؛ يحرر البشره من ذل الحياه البهيميه و الخضوع لأسر الشهوات و يفتح أمام الانسان جميع أبواب التكامل و الرقى المعنوى و التكامل الروحى فيشهد عصره تطورا فكريا و روحيا عاليا كما يشير لذلك الإمام الباقر (عليه السلام) حيث يقول: «إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد، فجمع بها عقولهم و كملت به أحلامهم» (٤)، و مما يساعد على ذلك- إضافة الى العامل المهم و الرئيسى المتقدم - عامل ثانوى هو التطور الهائل الذى يشهده عصره خاصه فى مجال الاتصالات و الذى نرى بوادره اليوم طبق القوانين العلميه أيضا كما يشير الى ذلك الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله: «إن قائمنا إذا قام مدّ الله عز و جل لشيعتنا فى

ص: ٢٢٨

١- ((١)) اثبات الهداه: ٥٠٤/٣.

٢- ((٢)) مسند أحمد: ٣٧/٣.

٣- ((٣)) الغيبه للطوسى: ١٨٥، ح ١٤٤.

٤- ((٤)) إثبات الهداه: ٤٤٨/٣، الكافى: ٢٥/١، كمال الدين: ٦٧٥.

أسماعهم و أبصارهم حتى لا يكون بينهم و بين القائم بريد؛ يكلمهم فيسمعون و ينظرون إليه و هو فى مكانه» (١)، و لعل ذلك يكون بوسائل غيبية تمكّنهم منها المراتب الروحية السامية التى يصلون إليها و إن كان ذلك قد أصبح ممكنا بدرجة محدوده اليوم أيضا عبر وسائل الاتصال الحديثه المتطورة، و لكن من المؤكد- استنادا للأحاديث الشريفه- أن الكثير من الحقائق و القضايا الغيبية تظهر فى عصر الدوله المهدويه و يحظى الكثير من المؤمنين بمراتب عاليه من معرفه أسرار الغيب و علم الكتاب و تجاوز الأسباب و القوانين الطبيعیه و الكثير من الظواهر التى نعتبرها اليوم من المعجزات غير المألوفه (٢).

و مع توفير الدوله المهدويه لجميع عوامل التكامل المادى و الروحى يقام المجتمع الموحّد الذى يعبد الله تبارك و تعالى بإخلاص فتسود العلاقات الإيمانيه المحضه و تحكمه قيم من قبيل البراءه ممن «كان بالرهن أو ثق منه بأخيه المؤمن» و مثل أن «ربح المؤمن على المؤمن ربا» (٣) فحتى العمل التجارى يكون يومئذ عباده خالصه لله عز و جل إذ يكون بهدف خدمه عباد الله فقط.

يقول الإمام على (عليه السلام) ضمن حديث فى وصف جامع لدوله الإمام المهدي العالميه: «...يؤيده الله بملائكته و يعصم أنصاره و ينصره بآياته و يظهره على أهل الأرض حتى يدينوا طوعا و كرها، و يملأ الأرض عدلا و قسطا و نورا و برهانا، يدين له عرض البلاد و طولها حتى لا يبقى كافر إلا- آمن و لا- طالح إلا- صلح و يصطح فى ملكه السباع و تخرج الأرض بركاتها و تنزل السماء بركاتها و تظهر له الكنوز، يملك ما بين الخافقين أربعين

ص: ٢٢٩

١- (١) إثبات الهداه: ٣/٤٥٠-٤٥١.

٢- (٢) راجع مثلا كمال الدين: ٦٥٤.

٣- (٣) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق: ٣/٣١٣، تهذيب الأحكام: ١٧٨/٧.

عاما، فطوبى لمن أدرك أيامه وسمع كلامه» (١)، أجل فى ظل دوله المهدي المنتظر - عجل الله فرجه - يتضح للعالمين أن صلاح البشريه و خيرها و تكاملها المادى و المعنوى إنما يتحقق فى ظل رساله السماء و على يدى أولياء الله المعصومين - سلام الله عليهم - وهذا ما يحققه الله تعالى على يد خاتمهم و خاتم الأئمه الاثنى عشر الأوصياء أى المهدي الذى وعد الله به الامم: «و لذلك يرضى عنه ساكن الأرض و ساكن السماء» كما أخبر عن ذلك جدّه رسول الله (صلّى الله عليه و آله) (٢).

ص: ٢٣٠

١- (١) اثبات الهداه: ٥٢٤/٣.

٢- (٢) مستدرک الحاکم: ٤٦٥/٤، فتن ابن حماد: ٩٩.

إشاره

قبسات من تراث الإمام المهدي (عليه السلام)

من كلامه في التوحيد و نبد الغلو

«إن الله تعالى هو الذى خلق الأجسام و قَسَمَ الارزاق، لأنه ليس بجسم و لا- حال فى جسم، ليس كمثل شىء و هو السميع العليم، و أما الأئمة (عليهم السلام) فإنهم يسألون الله تعالى فيخلق و يسألونه فيرزق إيجابا لمسألتهم و إعظاما لحقهم» (١).

في عله الخلق و بعث الأنبياء و تعيين الأوصياء

يا هذا يرحمك الله، إن الله تعالى لم يخلق الخلق عبثا، و لا أهملهم سدى، بل خلقهم بقدرته و جعل لهم أسماعا و أبصارا و قلوبا و ألبابا، ثم بعث إليهم النبيين (عليهم السلام) مبشرين و منذرين، يأمرونهم بطاعته و ينهونهم عن معصيته، و يعزفونهم ما جهلوه من أمر خالقهم و دينهم، و أنزل عليهم كتابا و بعث إليهم ملائكته، يأتين بينهم و بين من بعثهم إليهم بالفضل الذى جعله لهم عليهم، و ما آتاهم من الدلائل الظاهرة و البراهين الباهره و الآيات الغالبه، فمنهم من جعل النار عليه بردا و سلاما، و اتخذه خليلا، و منهم من كلمه تكليما، و جعل عصاه ثعبانا مبينا، و منهم من أحيى الموتى بإذن الله، و أبرأ الأكمه و الأبرص بإذن الله، و منهم من علمه منطق الطير و أوتى من كل شىء ثم بعث محمدا صلى الله عليه و آله رحمه للعالمين،

ص: ٢٣١

١- (١) غيبه الطوسى: ١٧٨، احتجاج الطبرسى: ٢/٤٧١، إثبات الهداه: ٣/٥٥٧.

و تَمَّ بِه نَعْمَتُهُ، وَ خَتَمَ بِه أَنْبِيَاءَهُ، وَ أَرْسَلَهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَ أَظْهَرَ مِنْ صَدَقَتِهِ مَا أَظْهَرَ، وَ بَيَّنَّ مِنْ آيَاتِهِ وَ عِلْمَاتِهِ مَا بَيَّنَّ، ثُمَّ قَبَضَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ حَمِيدًا فَقِيدًا سَعِيدًا، وَ جَعَلَ الْأَمْرَ بَعْدَهُ إِلَى أَخِيهِ وَ ابْنِ عَمِّهِ وَ وَصِيِّهِ وَ وَارِثِهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، ثُمَّ إِلَى الْأَوْصِيَاءِ مِنْ وَلَدِهِ وَاحِدًا وَاحِدًا، أَحْيَى بِهِمْ دِينَهُ، وَ أَتَمَّ بِهِمْ نُورَهُ، وَ جَعَلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ إِخْوَانِهِمْ وَ بَنِي عَمَّتِهِمْ وَ الْأَدْنِيْنَ فَالْأَدْنِيْنَ مِنْ ذَوِي أَرْحَامِهِمْ فَرَقَانَا بَيْنَا يَعْرِفُ بِه الْحُجَّةَ مِنَ الْمَحْجُوجِ، وَ الْإِمَامَ مِنَ الْمَأْمُومِ، بِأَنَّ عَصْمَهُمْ مِنَ الذَّنُوبِ، وَ بَرَأَهُمْ مِنَ الْعِيُوبِ، وَ طَهَّرَهُمْ مِنَ الدَّنَسِ، وَ نَزَّهَهُمْ مِنَ اللَّبْسِ، وَ جَعَلَهُمْ خَزَانَ عِلْمِهِ، وَ مَسْتَوْدِعَ حِكْمَتِهِ، وَ مَوْضِعَ سِرِّهِ، وَ أَيْدِيَهُمْ بِالذَّلَائِلِ، وَ لَوْ لَا ذَلِكَ لَكَانَ النَّاسُ عَلَى سُوءٍ، وَ لَادَّعَى أَمْرَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ كُلُّ أَحَدٍ، وَ لَمَا عَرَفَ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَ لَا الْعَالَمُ مِنَ الْجَاهِلِ (١).

فِي مَقَامِ الْأَنْمَةِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)

«الَّذِي يَجِبُ عَلَيْكُمْ وَ لَكُمْ أَنْ تَقُولُوا إِنَّا قَدَوْنَا اللَّهَ وَ أَنْمَتَهُ، وَ خَلَفْنَا اللَّهَ فِي أَرْضِهِ وَ أَمْنَاؤُهُ عَلَى خَلْقِهِ، وَ حُجَّجْنَا فِي بِلَادِهِ، نَعْرِفُ الْحَلَالَ وَ الْحَرَامَ وَ نَعْرِفُ تَأْوِيلَ الْكِتَابِ وَ فَصْلَ الْخُطَابِ» (٢).

فِي انْتِظَامِ نِظَامِ الْإِمَامَةِ وَ عَدَمِ خُلُوعِ الْأَرْضِ مِنَ الْحُجَّةِ

وَ مِنْ رِسَالَتِهِ لَهُ إِلَى سَفِيرِيهِ الْعَمْرِيِّ وَ ابْنِهِ: «وَقَفَّكُمَا اللَّهُ لَطَاعَتِهِ، وَ ثَبَّتَكُمَا عَلَى دِينِهِ، وَ أَسْعَدَكُمَا بِمَرْضَاتِهِ، أَنْتَهَى إِلَيْنَا مَا ذَكَرْتُمَا أَنَّ الْمِيثَمِيَّ أَخْبَرَ كَمَا عَنِ الْمَخْتَارِ وَ مَنَظَرَاتِهِ مِنْ لِقَائِهِ، وَ احْتِجَاجِهِ بِأَنَّهُ لَا خَلْفَ لِغَيْرِ جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ وَ تَصَدِيقَهُ إِتْيَاَهُ وَ فَهَمْتَ جَمِيعَ مَا كَتَبْتُمَا بِه مِمَّا قَالَ أَصْحَابُكُمْ عَنْهُ، وَ أَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْعَمَى بَعْدَ الْجَلَاءِ، وَ مِنَ الضَّلَالَةِ بَعْدَ الْهُدَى، وَ مِنْ مَوْبِقَاتِ الْأَعْمَالِ، وَ مَرْدِيَّاتِ الْفِتَنِ، فَإِنَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ: * أَلْحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا

ص: ٢٣٢

١- (١) بحار الأنوار: ١٩٤/٥٣، معجم أحاديث الإمام المهدي: ٣٨٢/٤.

٢- (٢) تفسير العياشي: ١٦/١، معجم أحاديث الإمام المهدي: ٤٦٧/٤.

أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (١) كيف يتساقطون في الفتنة، و يترددون في الحيرة، و يأخذون يمينا و شمالا، فارقوا دينهم، أم ارتابوا، أم عاندوا الحق، أم جهلوا ما جاءت به الروايات الصادقة و الأخبار الصّحيحة، أو علموا ذلك فتناسوا، ما يعلمون أن الأرض لا تخلو من حجّه إمّا ظاهرا و إمّا مغمورا.

أو لم يعلموا انتظام أئمتهم بعد نبينهم (صلّى الله عليه و آله) واحدا بعد واحد إلى أن أفضى الأمر بأمر الله عزّ و جلّ إلى الماضي يعنى الحسن بن على (عليهما السّلام) -فمقام مقام آبائه (عليهم السّلام) يهدى إلى الحق و إلى طريق مستقيم، كانوا نورا ساطعا، و شهابا لامعا، و قمرا زاهرا، ثم اختار الله عزّ و جلّ له ما عنده فمضى على منهج آبائه (عليهم السّلام) حذو النعل بالنعل على عهد عهده، و وصيّيه أوصى بها إلى وصيّ ستره الله عزّ و جلّ بأمره إلى غايه، و أخفى مكانه بمشيئته للقضاء السابق و القدر الثّافذ، و فينا موضعه، و لنا فضله، و لو قد أذن الله عزّ و جلّ فيما قد منعه عنه و أزال عنه ما قد جرى به من حكمه لأراهم الحقّ ظاهرا بأحسن حليه، و أبين دلاله، و أوضح علامه، و لأبان عن نفسه و قام بحجّته، و لكنّ أقدار الله عزّ و جلّ لا تغالب و إرادته لا تردّ و توفيقه لا يسبق، فليدعوا عنهم اتّباع الهوى، و ليقموا على أصلهم الّذى كانوا عليه، و لا يبحثوا عما ستر عنهم فيأثموا، و لا- يكشفوا ستر الله عزّ و جلّ فيندموا، و ليعلموا أنّ الحقّ معنا و فينا، لا- يقول ذلك سوانا إلّا كذّاب مفتر، و لا يدّعيه غيرنا إلّا ضالّ غوى، فليقتصروا منّا على هذه الجملة دون التّفسير، و يقنعوا من ذلك بالتّعريض دون التّصريح إن شاء الله (٢).

تقوى الله و النجاه من الفتن

يقول (عليه السّلام) في رسالته الثانيه للشيخ المفيد و هى من الرسائل التى صدرت عنه فى غيبته الكبرى: «...فلتكن حرسك الله بعينه التى لا تنام أن تقابل لذلك فتته تسبّل نفوس قوم حرثت باطلا لاسترهاب المبطلين و يبتهج لدمارها المؤمنون، و يحزن

ص: ٢٣٣

١- (١) العنكبوت (٢٩): ١-٢.

٢- (٢) كمال الدين: ٥١٠، بحار الأنوار: ١٩٠/٥٣، معجم أحاديث المهدي: ٢٨٧/٤.

لذلك المجرمون، وآية حركتنا من هذه اللوثة حادثه بالحرم المعظم من رجس منافق مذمم، مستحلّ للدم المحرّم، يعمد بكيده أهل الإيمان ولا يبلغ بذلك غرضه من الظلم لهم والعدوان، لأننا من وراء حفظهم بالدعاء الذى لا- يحجب عن ملك الأرض والسماء، فلتطمئن بذلك من أوليائنا القلوب، وليثقوا بالكفاية منه، وإن راعتهم بهم الخطوب، والعاقبه بجميل صنع الله سبحانه تكون حميده لهم ما اجتنبوا المنهى عنه من الذنوب.

و نحن نعهد إليك أيها الولي المخلص المجاهد فينا الظالمين أيديك الله بنصره الذي أيد به السلف من أوليائنا الصالحين، أنه من اتقى ربه من إخوانك في الدين و أخرج مما عليه إلى مستحقه، كان آمنة من الفتنه المبطله، و محنها المظلمه المضله و من بخل منهم بما أعاره الله من نعمته على من أمره بصلته، فإنه يكون خاسرا بذلك لا ولاه و آخرته، و لو أنّ أشياعنا وفقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب فى الوفاء بالعهد عليهم لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا...» (١).

رعايته للمسلمين

«...فإننا نحيط علما بأنبائكم و لا يعزب عنا شيء من أخباركم و معرفتنا بالذلل الذى أصابكم مذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعا، و نبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون.

إننا غير مهملين لمراعاتكم، و لا- ناسين لذكركم، و لو لا- ذلك لنزل بكم اللأواء و اصطلمكم الأعداء فاتقوا الله جلّ جلاله و ظاهرنا على انتياشكم من فتنه قد أنافت عليكم يهلك فيها من حمّ أجله و يحمى عنها من أدرك أمله، و هى أماره لأزوف حركتنا و مباتتكم بأمرنا و نهينا، و الله متمّ نوره و لو كره المشركون» (٢).

ص: ٢٣٤

١- (١) احتجاج الطبرسى: ٢/٤٩٨.

٢- (٢) احتجاج الطبرسى: ٢/٤٩٥.

فليعمل كل امرئ منكم بما يقرب به من محبتنا، ويتجنب ما يدينه من كراهتنا و سخطنا فإن أمرنا بغته فجاءه حين لا تنفعه توبه و لا ينجيه من عقابنا ندم على حوبه و الله يلهمكم الرشد، و يلفظ لكم فى التوفيق برحمته (١).

نماذج من أجوبته القصيره

و من أجوبته (عليه السلام) على أسئله اسحاق بن يعقوب: «أما ما سألت عنه أرشدك الله و ثبتك من أمر المنكرين لى من أهل بيتنا و بنى عمنا فأعلم أنه ليس بين الله عز و جل و بين أحد قرابه، و من أنكرنى فليس منى و سبيله سبيل ابن نوح، أما سبيل عمى جعفر و ولده فسبيل إخوه يوسف (عليه السلام)...

و أما أموالكم فما نقبلها إلا لتطهروا، فمن شاء فليصل و من شاء فليقطع... و أما ظهور الفرج فإنه الى الله تعالى ذكره و كذب الوقتون... و أما ما وصلتنا به فلا قبول عندنا إلا لما طاب و طهر... و أكثروا الدعاء بتعجيل الفرج فإن فى ذلك فرجكم...» (٢).

نماذج من أدعيته و زيارته

من دعائه للمؤمنين عامه: «إلهى بحق من ناجاك، و بحق من دعاك فى البرّ و البحر، تفضل على فقراء المؤمنين و المؤمنات بالغناء و الثروه، و على مرضى المؤمنين و المؤمنات بالشفاء و الصّحه، و على أحياء المؤمنين و المؤمنات باللطف و الكرامه، و على أموات المؤمنين و المؤمنات بالمغفره و الرّحمه، و على

ص: ٢٣٥

١- (١) احتجاج الطبرسى: ٢/٤٩٥.

٢- (٢) كمال الدين: ٤٨٣، غيبه الطوسى: ١٧٦.

غرباء المؤمنين و المؤمنات بالزّد إلى أوطانهم سالمين غانمين، بمحمّد و آله أجمعين» (١).

من دعائه فى قوته: «... و أسئلك باسمك الذى خلقت به خلقك و رزقتهم كيف شئت و كيف شأؤوا، يا من لا يغيّره الأيام و الليالى أدعوك بما دعاك به نوح حين ناداك فأنجيته و من معه و أهلكت قومه، و أدعوك بما دعاك ابراهيم خليلك حين ناداك فأنجيته و جعلت النار عليه بردا و سلاما، و أدعوك بما دعاك به موسى كليمك حين ناداك ففلقت له البحر فأنجيته و بنى إسرائيل، و أغرقت فرعون و قومه فى اليم، و أدعوك بما دعاك به عيسى روحك حين ناداك، فنجّيته من أعدائه و إليك رفعته، و أدعوك بما دعاك به حبيبك و صفيّك و نبيّك محمّد صلّى الله عليه و آله، فاستجبت له و من الأحزاب نجّيته، و على أعدائك نصرته، و أسئلك باسمك الذى إذا دعيت به أجتب، يا من له الخلق و الأمر، يا من أحاط بكلّ شىء علما، يا من أحصى كلّ شىء عددا، يا من لا يغيّره الأيام و الليالى، و لا تتشابه عليه الأصوات، و لا تخفى عليه اللغات، و لا يبرمه إلحاح الملّحين.

أسئلك أن تصلّى على محمّد و آل محمّد خيرتك من خلقك، فصلّ عليهم بأفضل صلواتك، و صلّ على جميع النّبيين و المرسلين الذين بلّغوا عنك الهدى، و عقدوا لك المواثيق بالطّاعة، و صلّ على عبادك الصّالحين، يا من لا يخلف الميعاد أنجز لى ما وعدتني، و اجمع لى أصحابي، و صبرهم، و انصرني على أعدائك و أعداء رسولك، و لا تخيّب دعوتى، فأنى عبدك و ابن عبدك، ابن أمّتك، أسير بين يديك، سيّدى أنت الذى مننت علىّ بهذا المقام، و تفضّلت به علىّ دون كثير من خلقك، أسئلك أن تصلّى على محمّد و آل محمّد، و أن تنجز لى ما وعدتني، إنك أنت الصّادق، و لا تخلف الميعاد، و أنت علىّ كلّ شىء قدير» (٢).

ص: ٢٣٦

١- (١) مهج الدعوات للسيد ابن طاووس: ٢٩٥: الصحيفه المهديه للفيض الكاشانى: ١١٢.

٢- (٢) مهج الدعوات: ٦٨.

من صلواته على النبي (صلى الله عليه وآله): «اللهم صل على محمد سيد المرسلين، وخاتم النبيين، وحججه رب العالمين، المنتجب في الميثاق، المصطفى في الظلال، المطهر من كل آفة، البريء من كل عيب، المؤمل للنجاح، المرتجى للشفاعة، المفوض إليه في دين الله...» (١).

نماذج من زيارته: «اللهم أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله و الله أكبر، والله الحمد، الحمد لله الذي هدانا لهذا، وعرفنا أوليائه و أعداءه، و وقفنا لزياره أئمتنا و لم يجعلنا من المعاندين الناصبين و لا من الغلاة المفوضين و لا من المرتابين المقصيرين، السّلام على وليّ الله و ابن أوليائه، السّلام على المدخر لكرامه [أولياء] الله و بوار أعدائه السّلام على الثور الذي أراد أهل الكفر إطفاءه، فأبى الله إلا أن يتم نوره بكرههم و أمده بالحياه حتى يظهر على يده الحق برغمهم، أشهد أنّ الله اصطفاك صغيرا و أكمل لك علومه كبيرا، و أنك حتى لا تموت حتى تبطل الجبت و الطاغوت.

اللهم صلّ عليه و على خدامه و أعوانه، على غيبته و نأيه، و استره سترا عزيزا و اجعل له معقلا حريزا و اشدد اللهم و طأنك على معانديه، و احرس مواليه و زائريه. اللهم كما جعلت قلبي بذكره معمورا، فاجعل سلاحى بنصرته مشهورا و إن حال بينى و بين لقائه الموت الذى جعلته على عبادك حتما مقضيا و أقدرت به على خليقتك رغما، فابعثنى عند خروجه، ظاهرا من حفرتى، مؤتزرا كفى، حتى أجاهد بين يديه، فى الصّف الذى أثبتت على أهله فى كتابك، فقلت كأنهم بئان مرصوص.

اللهم طال الانتظار، و شمت بنا الفجار، و صعب علينا الانتصار، اللهم أرنا وجه وليك الميمون، فى حياتنا و بعد المنون، اللهم إني أدين لك بالرجعه، بين يدي صاحب هذه البقعه، الغوث، الغوث، يا صاحب الزمان، قطعت فى وصلتك الخلان، و هجرت

ص: ٢٣٧

١- (١) ضمن صلوات طويله على النبي و أوصيائه (عليهم السّلام)، غيبه الطوسى: ١٦٥، الصحيفه المهديه: ٥٣.

لزيارتك الأوطان، وأخفيت أمرى عن أهل البلدان لتكون شفيعا عند ربك و ربى، و إلى آبائك موالى فى حسن التوفيق، و إسباغ النعمه على، و سوق الإحسان إلى.

اللهم صل على محمد و على آل محمد، أصحاب الحق، و قاده الخلق، و استجب منى ما دعوتك، و أعطنى ما لم أنطق به فى دعائى، و من صلاح دينى و دنيائى، إنك حميد مجيد، و صلى الله على محمد و آله الطاهرين.

ثم ادخل الصيغه فصل ركعتين و قل: اللهم عبدك الزائر فى فناء وليك المزور، الذى فرضت طاعته على العبيد و الأحرار، و أنقذت به أولياءك من عذاب النار، اللهم اجعلها زياره مقبوله ذات دعاء مستجاب من مصدق بوليك غير مرتاب، اللهم لا تجعله آخر العهد به و لا بزيارته، و لا تقطع أثرى من مشهده، و زياره أيبه و جدّه، اللهم اخلف على نفقتى، و انفعنى بما رزقتنى، فى دنيائى و آخرتى و لإخوانى و أبوى و جميع عترتى، أستودعك الله أيها الإمام الذى يفوز به المؤمنون و يهلك على يديه الكافرون المكذبون...» (١).

ص: ٢٣٨

١- (١) مصباح الزائر للسيد ابن طاووس: ٣٢٧، الصحيفة المهدية: ١٧٣، معجم أحاديث المهدي: ٤٩١/٤.

مقدمه المجمع العالمى لأهل البيت عليهم السلام ٧

الباب الأول:

الفصل الأول:الإمام المهدى المنتظر عليه السلام فى سطور ١٧

الفصل الثانى:المهدى الموعود و غيبته فى بشارات الأديان ٢١

البشارات بالمنقذ فى الكتب المقدسه ٢٢

رسوخ الفكره فى الديانتين اليهوديه و النصرانيه ٢٣

الإيمان بالمصلح العالمى فى الفكر غير الدينى ٢٥

طول عمر المصلح فى الفكر الانسانى ٢٦

الإيمان بالمهدى عليه السلام تجسيد لحاجه فطريه ٢٧

موقف الفكر الانسانى من غيبه المهدى عليه السلام ٢٨

الفكر الدينى يؤمن بظهور المصلح العالمى بعد غيبه ٢٩

الاختلاف فى تشخيص هويه المنقذ العالمى ٣٠

الخلط بين البشارات و تأويلها ٣٢

منهج لحل الاختلاف ٣٢

المهدى الإمامى و حل الاختلاف ٣٣

البشارات السماويه لا تنطبق على غير المهدى الإمامى ٣٧

البشارات و غيبه الإمام الثانى عشر ٣٨

البشارات و خصوصيات المهدي الإمامي ٣٩

البشارات و أوصاف المهدي الإمامي ٤١

الاهتداء الى هويته المنقذ على ضوء البشارات ٤٢

الاستناد الى بشارات الكتب السابقة و مشكله التحريف ٤٣

الاستناد الى ما صدقه الاسلام من البشارات ٤٥

تأثير البشارات في صياغه العقيدة المهدييه ٤٦

نتائج البحث ٤٨

الفصل الثالث: المهدي الموعود و غيبته في القرآن الكريم ٥٣

١- عدم خلو الزمان من الإمام ٥٥

الإمام المنقذ من الضلاله ٥٨

المواصفات القرآنيه لإمام الهدى ٥٩

مصدق الإمام في عصرنا الحاضر ٦١

٢- في كل زمان إمام شهيد على امته ٦٢

صفات الشهيد الإمام ٦٤

الشهيد عنده علم الكتاب ٦٦

٣- لا يخلو زمان من هاد الى الله بأمره ٧٠

معنى «الهادي» في القرآن ٧٠

الهادي منصوب من الله ٧٤

الفصل الرابع: المهدي الموعود و غيبته في المتفق عليه من السنّه ٧٧

١- حديث الثقلين ٧٨

اللفظ المتواتر: كتاب الله و عترتي ٨٠

دلالات الحديث على وجود الإمام ٨٢

مصدق أهل البيت عليهم السلام ٨٣

عصمه الإمام و توفر شروط الحديث ٨٤

مصدق الحديث فى العصر الحاضر ٨٤

٢-احاديث الخلفاء الاثنى عشر ٨٧

الفاظ الأحاديث ٨٧

دلالاتها على وجود الإمام المهدي عليه السلام ٨٩

ترابط أحاديث حجه الوداع ٩٠

مصدق الخلفاء الاثنى عشر ٩١

دراسه الأحاديث مستقلة ٩٢

دلالة الواقع التاريخى ٩٣

اتصال وجود الخلفاء الاثنى عشر ٩٥

أئمه العتره هم المصدق الوحيد ٩٤

الاتفاق على أن المهدي خاتم الخلفاء الاثنى عشر ٩٩

٣-حديث الامه الظاهره القائمه بأمر الله ٩٩

٤-أحاديث عدم خلو الزمان من الإمام القرشى المنقذ من الميته الجاهليه ١٠٤

معنى الأمر فى الكتاب و السنه ١٠٥

الباب الثانى:

الفصل الأول:نشأه الإمام المهدي عليه السلام ١٠٩

تاريخ الولاده ١٠٩

تواتر خبر ولادته عليه السلام ١١٢

ص:٢٤١

كيفية و ظروف الولاده ١١٣

الإخبار المسبق عن خفاء الولاده ١١٤

خفاء الولاده علامه المهدي الموعود ١١٦

الفصل الثاني: مراحل حياه الإمام المهدي عليه السلام ١١٩

الفصل الثالث: الإمام المهدي في ظل أبيه عليهما السلام ١٢١

دور الإمام العسكري عليه السلام في إعلان الولاده ١٢١

حضوره وفاه أبيه عليه السلام ١٢٣

الباب الثالث الفصل الأول: الغيبه الصغرى للإمام المهدي عليه السلام ١٢٧

تسلّمه مهام الإمامه صغيرا ١٢٧

صلاته على أبيه و إعلان وجوده ١٢٩

أهدافه عليه السلام من الصلاه على أبيه ١٣١

غيبتا الإمام المهدي عليه السلام ١٣٣

الفصل الثاني: اسباب الغيبه الصغرى و التمهيدي لها ١٣٥

تمهيد النبي صلى الله عليه و آله و الاثمه عليهم السلام لغيبه الإمام المهدي عليه السلام ١٣٧

فلسفه مرحليه الغيبه ١٤٣

تعقيب السلطه العباسيه لخبر الإمام عليه السلام ١٤٤

الفصل الثالث: انجازات الإمام المهدي عليه السلام في الغيبه الصغرى ١٤٧

إثبات وجوده و إمامته عليه السلام ١٤٧

إكمال ما تحتاجه الامه من معارف الإسلام ١٤٨

تثبيت نظام النيايه ١٤٩

ص: ٢٤٢

حفظ الكيان الإيماني ١٥٢

إصدار الرسائل و التوقيعات ١٥٣

لقاء الإمام المهدي عليه السلام بأتباعه المؤمنين ١٥٥

إعلان انتهاء الغيبة الصغرى ١٥٨

الباب الرابع الفصل الأول:الغيبة الكبرى للإمام المهدي عليه السلام و أسبابها ١٦٣

الاطار العام فى لتحرك الإمام عليه السلام ١٦٣

علل الغيبة فى الأحاديث الشريفه ١٦٤

١-استجماع تجارب الامم السابقه ١٦٧

٢-العامل الأمنى ١٦٨

٣-السماح بوصول الحق للجميع لخروج ودائع الله ١٦٩

٤-التمحيص الاعدادى لجيل الظهور ١٦٩

٥-اتضاح عجز المدارس الاخرى ١٧٠

٦-حفظ روح الرفض للظلم ١٧١

٧-صلاح أمره و أمر المؤمنين به ١٧٢

٨-عدم توفر العدد المطلوب من الأنصار ١٧٢

الفصل الثانى:انجازات الإمام المهدي عليه السلام فى غيبته الكبرى ١٧٣

رعايته للكيان الاسلامى ١٧٣

حفظ الاسلام الصحيح و تسديد العمل الاجتهادى ١٧٤

تسديد الفقهاء فى عصر الغيبة ١٧٧

أصحاب الإمام عليه السلام فى غيبته الكبرى ١٧٨

ص:٢٤٣

الالتقاء بالمؤمنين فى غيبته الكبرى ١٧٩

ترسيخ الإيمان بوجوده ١٨٠

حضور موسم الحج ١٨٠

الفصل الثالث: تكاليف عصر الغيبه الكبرى ١٨٣

أهميه الانتظار ١٨٦

حقيقه الانتظار ١٨٨

شروط الانتظار ١٩٢

الانتظار و توقع الظهور الفورى ١٩٤

الباب الخامس الفصل الأول: علائم ظهور الإمام المهدي عليه السلام ١٩٩

ملاحظات بشأن علائم الظهور ١٩٩

العلائم الحتميه و غير الحتميه ٢٠٠

اللغه الرمزيه فى احاديث العلامات ٢٠٠

أبرز علائم الظهور ٢٠١

زوال علل الغيبه ٢٠٣

الفصل الثانى: سيره الإمام المهدي عليه السلام عند الظهور ٢٠٧

خصائص الدوله المهديه فى القرآن الكريم ٢٠٨

١- اتمام النورى الإلهى و اظهار الإسلام ٢٠٨

٢- استخلاف صالحى المؤمنين ٢٠٩

٣- اقامه المجتمع التوحيدى الخالص ٢١٠

٤- تحقق الغايه من خلق النوع الإنسانى ٢١٠

ص: ٢٤٤

٥-انهاء الرده عن الدين الحق ٢١١

تاريخ ظهور الإمام المهدي عليه السلام ٢١٢

مكان ظهوره عليه السلام و انطلاقه ثورته ٢١٢

وقفه عند خطبتي إعلان الثورة ٢١٤

إعلان اهداف الثورة ٢١٥

الاستجابة لاستنصاره و مبايعته ٢١٥

خروجه الى الكوفة و تصفيه الجبهه الداخليه ٢١٦

دخوله بيت المقدس و نزول عيسى عليه السلام ٢١٧

قتل الدجال و انتهاء حاكميه الحضارات الماديه ٢١٨

سيرته سيره جدّه رسول الله صلّى الله عليه و آله ٢١٩

احياء السنّه و آثار النبي صلّى الله عليه و آله ٢٢٠

شدّته مع نفسه و رأفته بامته ٢٢٠

سيرته القضائيه ٢٢١

سيرته تجاه الأديان و المذاهب ٢٢٢

محاربه البدع و نفى تحريف الغالين و المبطلين ٢٢٣

سيرته الاداريه ٢٢٤

سيرته الجهاديه ٢٢٤

سيرته الماليه ٢٢٤

الصوره العامه للدوله المهديويه فى النصوص الشرعيه ٢٢٧

الفصل الثالث:قبسات من تراث الإمام المهدي عليه السلام ٢٣١

من كلامه فى التوحيد و نبذ الغلو ٢٣١

فى علّه الخلق و بعث الأنبياء و تعيين الأوصياء ٢٣١

فى مقام الائمة عليهم السلام ٢٣٢

فى انتظام نظام الإمامه و عدم خلو الأرض من الحججه ٢٣٢

تقوى الله و النجاه من الفتن ٢٣٣

رعايته للمسلمين ٢٣٤

الاستعداد الدائم للظهور ٢٣٥

نماذج من أجوبته القصيره ٢٣٥

نماذج من ادعيته و زياراته ٢٣٥

الفهرس التفصيلى ٢٣٩

ص: ٢٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَدِينُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحرير المنشورات والكتاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات
الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١-٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

